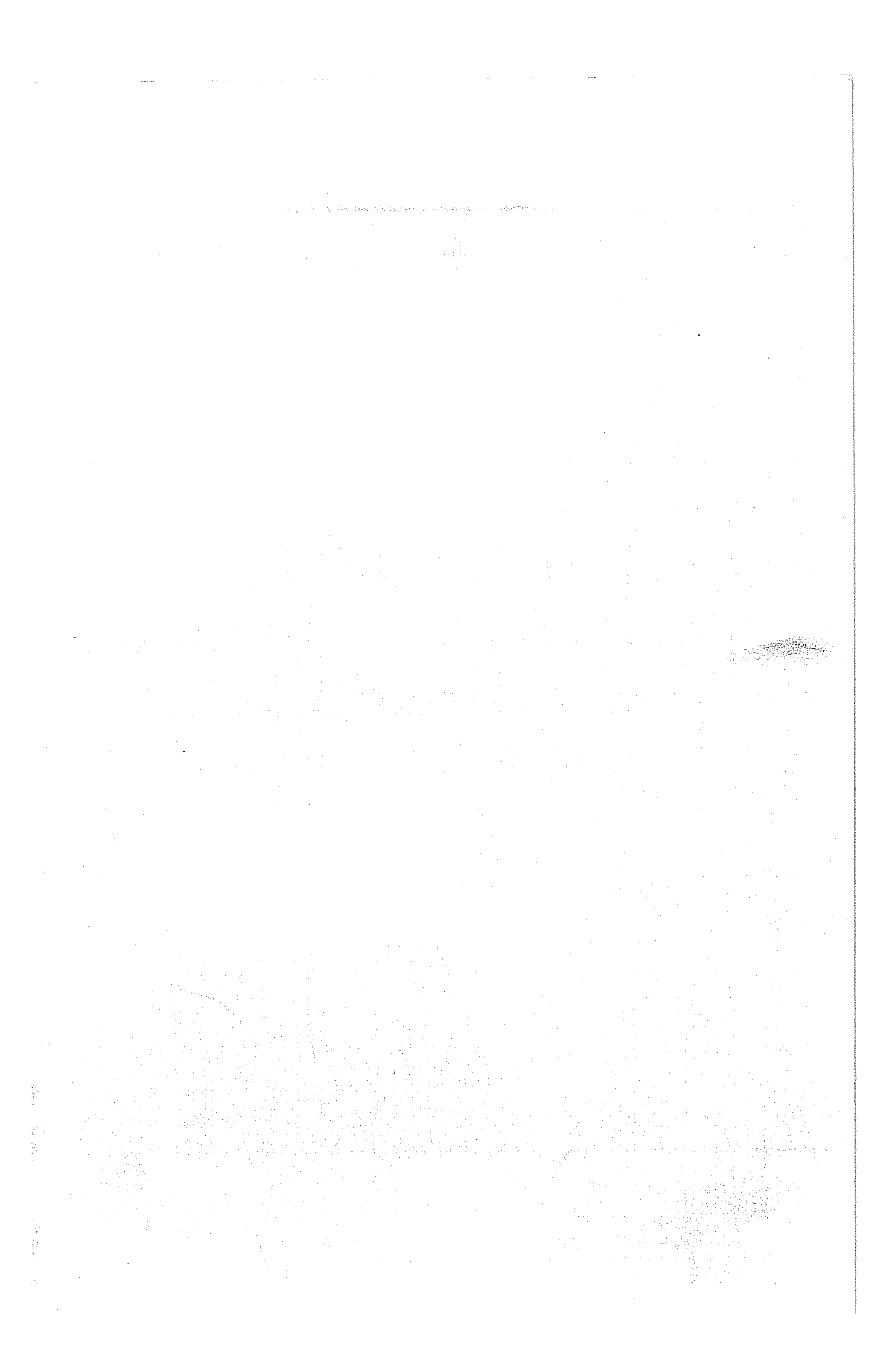


السنة الاولى * العدد الاول * المحرم ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م



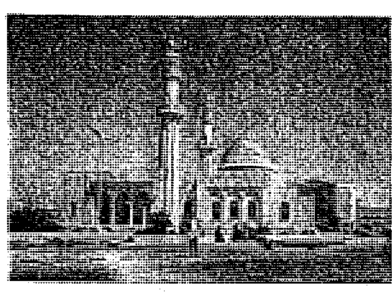
الوعي الإسلامي

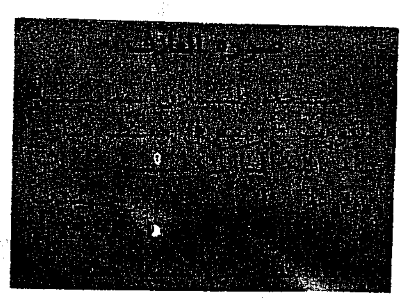
شهرية إسلامية ثقافية

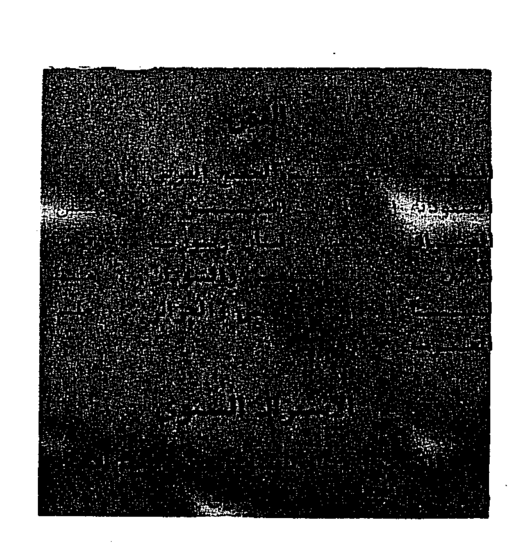
تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي
وزارة الاوقاف ـ الكويت ص.ب ١٣
هاتف ٣٣٨٤٩
مندوب المجلة في القاهرة الاستاذ محمد عبد الله السمان
ص . ب . ١٤٨٣









كلمة معالي وزير الأوقاف

عبد الله الشاريجي الروضان

فى مطلع العام الهجري الجديد احيي اخواني المسلمين فى كل مكان ، واقدم لهم العدد الأول من مجلة « **الوعي الاسلامي** » التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت ، لِتقف بجانب زميلاتها من المجلات الاسلامية فى المعركة الفاصلة التي اجتمع فيها أعداء الاسلام وخصومه على حربه ، واستخدموا مختلف الاسلحة ــ فى الميادين العقائدية والثقافية والجبهات السياسية والاقتصادية ــ لمناوأته .

وسلاحنا فى هذه المعركة اقلام المجاهدين من قادة الفكر الاسلامي فى كل مكان ..

وان من يمن الطالع ، وبشائر التوفيق ان يقترن صدور « **الوعي الاسلامي** » بهذه الذكرى الخالدة ــ ذكرى الهجرة ــ التي نتلقى عنها دروس الايمان والجهاد والتضحية والفداء .

وأسأل الله العلي القدير ان يجعلها لسان صدق ، ودعوة حق ، وأن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشدا ، ويحفظ للبلاد أميرها المعظم ويسدد خطاه وخطى حكومته لكل ما فيه خدمة الاسلام والعروبة .

والله ولي التوفيق .



السلام عليكم

كان لا بد للكويت فى خطواتها السريعة نحو التقدم الحضارى فى جميع مجالاته ، أن يكون لها مجلة دينية بجانب الصحف والمجلات السياسية والأدبية التي تصدر فيها ، لتقوم بدورها فى نشر الثقافة الدينية ، بما تقدمه من عرض أمين لتعاليم الاسلام ومبادئه ، وتحديد صحيح لمفاهيمه وقيمه ، ودعوة مخلصة الى رعاية هذه المبادىء والتعاليم،وتجسيد تلك المفاهيم والقيم فى حياة الناس ، حتى يتحقق التوازن الروحي والمادي فى المجتمع الجديد ، ويسير فى طريقه السليم نحو نهضته المرموقة ، فلا يتعرض للأخطار التي تصيب كل مجتمع يختل فيه التوازن .

وقد رأت وزارة الأوقاف أن تقوم بعبئها فى هذا المجال ، فأصدرت مجلة ((الوعي الاسلامي)) التي يصافحك الآن أول أعدادها ، ايمانا منها بأن هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها ، وأن بناء أية نهضة لا بد أن يتم على الأساس الذى قامت عليه النهضة الأولى للمسلمين .. لنصل حاضرنا الطريف بماضينا التليد .

ومن أجل ذلك وجهت الدعوة الى قادة الفكر ، وحملة الأقلام من رجالات الاسلام المعنيين بالدراسات الاسلامية فى الشرق والغرب ، ليسهموا معها فى تحمل هذا العبء ..

وقد كان اللقاء الفكرى ـ فيما حمل الينا البريد من بحوثهم الضافية ـ أمرا يبعث على التفاؤل بأن هذه المجلة ستأخذ دورها الذى نأمله فى نشر الوعي الاسلامي ، وتدعيم القيم الروحية .

ولقد أتيح لي الاطلاع على أغلب المجلات الدينية التي تصدر باللغة العربية كما أسهمت بالكتابة فى الكثير منها ، وهي كلها حافلة بالبحوث والمقالات التي تكشف عن وضاءة المبادىء والتشريعات الاسلامية ، ومحاسنها ، وعن تاريخ المسلمين وأمجادهم ..

ومع أن ((الوعي الاسلامي)) ستقوم بدورها فى هذه الناحية الا انني أحس أن القراء لم يعودا يكتفون بهذا . انهم يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها .. لم يعودوا يكتفون بتقرير : أن الدين صالح لكل مكان وزمان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك ..

ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والأصوليون كتبهم وقواعدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كل مشاكل الحياة التي عاصروها ، بل زادوا عليها افتراضات أوجدوا لهـا حلولا ..

والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال .

وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ــ ولو بشكل جماعي ــ لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية .

فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة ؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو ..

وبعد ..

فهذه المجلة يا أخي مجلتك ، وهي تسعى اليك فى أول أعدادها ، وتحتاج بلا شك الى عونك وارشادك ، ومع أننا بذلنا جهدنا لتقديمها اليك فى ثوب يرضيك ، الا أنني أعتقد انها لم تبلغ ما نريده لها ، على أنني أعدك بأن كل عدد منها سيكون أحسن من سابقه ، بعد أن تضم جهودك الى جهودنا ، وكلنا جندى فى هذا الميدان ، ويد الله مع الجماعة ، وهو الموفق والمعين .

رئيس التحرير



كان معالي الشيخ خالد أحمد الجسار وزيرا للاوقاف قبل أن تسند اليه وزارة العدل من عدة شهور ، واثناء ذلك عمل على أن تصدر الاوقاف مجلة دينية ، واخذ موافقة من مجلس الوزراء بتاريخ ٢٨/٩/٦٤ باستثناء وزارته من القرار الصادر بتاريخ ١٠/٢/١٩٦٤ الخاص بايقاف المجلات التى تصدرها الجهات الحكومية ، والتصريح لها باصدار مجلة دينية .. فكانت مجلة « الوعى الاسلامى » التى تسعى اليك الآن .

لذلك رأت المجلة أن تجرى حديثا مع معاليه فرحب وهو مسرور بمشروعه الذى سار فى طريقه الى النور .

قلت لمعاليه : كنتم أول من عمل على اصدار مجلة دينية فى الكويت فما الدوافع التى أوحت اليكم بهذا العمل ؟

قال سيادته : عندما عينت وزيرا للاوقاف أخذت أستعرض ما تؤديه الوزارة من رسالة للمجتمع ، فتبين لـي أن أعمالها منحصرة داخل نطاق « روتيني » يمكن ايجازه فى الاشراف على الاوقاف وتحصيل ريعها واحالتها بدورها للجهة المختصة ثم اعطاء الموظفين رواتبهم .. مع الاشراف على المساجد .. مما حدا بانطلاق كثير من الاصوات الى المناداة بجعلها ادارة تابعة لوزارة العدل ، ولكن كانت هناك أصوات أخرى تؤمن بالاصلاح وتنادى بضرورة بعث الروح فى وزارة الاوقاف لتنهض برسالتها الحيوية فى مجتمعنا .

وكنت ولا زلت من الذين يؤمنون بأن وجود وزارة الاوقاف فى البلاد أمر تحتمه الضرورة للحفاظ على قيمنا الروحية ، واذا كانت وزارة الصحة قد وجدت فى البلاد لرفع المستوى الصحى بها ، ووزارة التربية والتعليم وجدت للاشراف على تربية النشء وتعليمه ، فوزارة الاوقاف تأتى فى المرتبة الاولى من ضرورات البلد ، لانها ذات رسالة روحية تعمل على نشر الثقافة الاسلامية وخلق جيل قوى من الشباب المسلم المؤمن بربه ووطنه .

وعالمنا اليوم عالم تغزوه الافكار الدخيلة ، وتتصارع فيه مبادىء طارئة ،

معالي الشيخ خالد أحمد الجسار
وزير العدل
يتحدث عن ميلاد أول مجلة دينية في الكويت

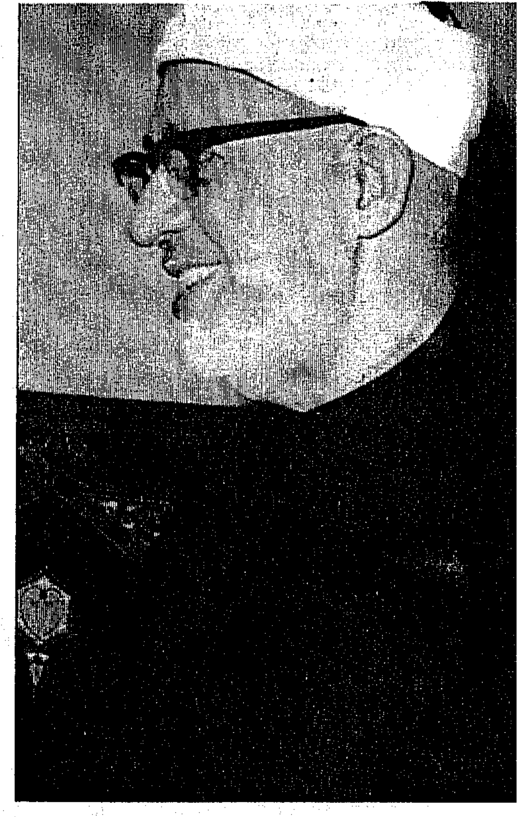
وهى وان كانت غريبة علينا باعتبارنا أمة اسلامية أصيلة الا أنها تعمل عملهـا بلا شك فى بلبلة الافكار وزعزعة العقيدة ، ما لم يكن هناك مجهود لصد تيارها وتبديد آثارها ، ونحن أمة ذات رسالة خالدة جاء بها القرآن الكريم ، فأعلن الاخوة العالمية بجانب الاخوة الدينية ، ورفع من مستوى النفس الانسانية ، وأقام دعائم العدالة الاجتماعية بين الحاكم والمحكوم وبين الضعيف والقـوى ، والفقير والغنى ، والرجل والمرأة ، وأشاع فى المجتمع معنى التكافل الحق الذى تشيع فى كل نواحيه معاني الحب والسعادة والطمأنينة والسلام .

اذن فالدين ركيزة قوية فى دفع كل ما هو خطر على الانسان وخصائصه ومميزاته ، والانسان لن يستطيع أن ينعم فى هذا الكون الفسيح بالرفاهيـة والسعادة الحقة ما لم يكن على جانب كبير من الحفاظ على قيمه الروحية .

والامة العربية ــ كما نعلم ــ دينها الاسلام ، وهو روحها الذى لا يمكن أن تعيش بدونه ، وهو مصدر سعادتها وسبب نهضتها من كبوتها ، وهو الذى فتح أمامها الآفاق ، ودفع بها الى أقصى المشرق والمغرب تحمل رسالة السماء الى الارض ، رسالة الحق والعدل والاخاء والمساواة ..

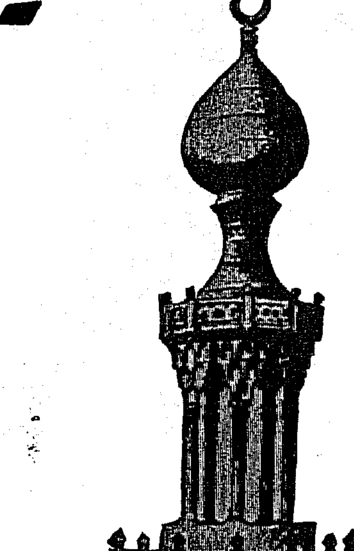
هذه الحقائق لا ينازع فيها منازع .. لكن الحقائق لا بد لها من جنـود ينهضون بها ويحمونها من المعتدين عليها ، واذا كانت كل وزارة من وزارات الدولة لها رسالتها الخاصة وان كانت تتلاقى كلها فى خدمة المجتمع والنهوض به ، فان وزارة الاوقاف عندنا قد فرضت عليها ظروف الحياة أن تنهض بالرسالة الروحية وتعمل على تدعيم القيم الدينية فى النفوس .

وهذا هو الذى دفعنى ، حين أسندت الى هذه الوزارة ، الى وضع مخطط شامل لاجهزتها يهيئها للنهوض برسالتها كما يجب ، وفى طليعة هذه الاجهـزة جهاز الدعوة ، فأنشأت ادارة الدعـوة والارشاد وجعلت فى مخططها اصـدار مجلة تحمل رسالتها وتوضح أهدافها ، وتساهم فى نشر الثقافة الاسلامية فى الداخل والخارج . البقية على ص : ١٧



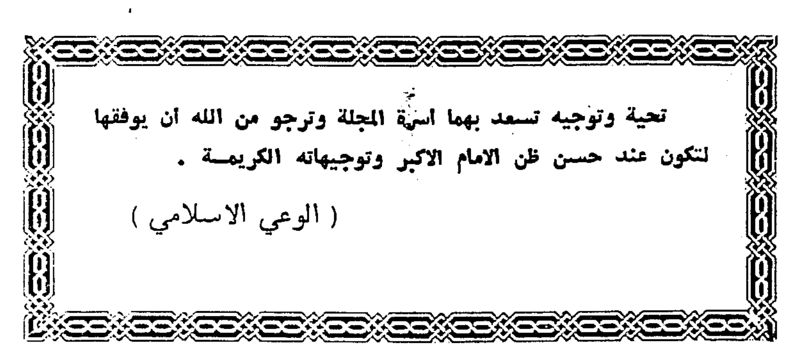
تحيَّة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى مجلة

الوعي الإسلامي



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين .
وبعـد :

فقد سررت أبلغ السرور حينما علمت عن عزم الكويت ذلك البلد العربي الشقيق على اصدار مجلة اسلامية تحمل عنوان (الوعي الاسلامي) وان الأمل فى هذه الدولة الشقيقة التى تعتز بعروبتها واسلامها أن تصدر مجلة اسلامية واعية تحمل الى العالم الاسلامي الفكر الاسلامي فى أرفع مستوياته ، كما أصدرت من قبل مجلة (العربي) تحمل الى بلاد العربية الفكر العربي فى انبل أهدافه .



تحية وتوجيه تسعد بهما اسرة المجلة وترجو من الله أن يوفقها لتكون عند حسن ظن الامام الاكبر وتوجيهاته الكريمــة .

(الوعي الاسلامي)

وليس مصدر سرورنا أن مجلة اسلامية جــديدة تضاف الى عشــرات المجلات الاسلامية التي تنتشر فى ســائر البلاد الاسلامية ، ولكن لأن رجاءنا كبير فى أن تصدر ((الوعي الاسلامي)) جديدة فى منهجها فتعرض الفكر الاسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معا ، ومن جانب آخر تواجه موجات الالحــاد والانحراف التي زحفت الى عقول بعض الشباب فى العالم العربي الاسلامي لتغزو الاسلام والعروبة فى عقر ديارهما ، وتناوىء عقيدة الاســلام ومبادئــه ونظمه بأفكار دخيلة مستوردة يمولها الاستعمار عن طريق أذنابه وأبواقه المسخرة .

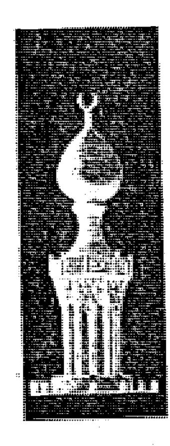
هذا هــو رجاؤنا فى مجلــة الوعــي الاسلامي التي أشرقت شمسـها فى مطلع العام الهجرى ليتوالى صــدورها باذن الله فى أول كل شهر عربي ـ واني لأنصح المشرفين على هذه المجلة والمسئولين عنها وفيهم عــدد من خيرة علماء الأزهــر أن يختاروا لها الموضوعات الجادة الهادفــة التي تخدم الفكر الاسلامي ، وأن يجندوا لها الأقلام المؤمنة الغيورة على الاسلام وأوطانه ، وأن تجعل التوعية الشعبيــة ضمن برامجها وموضوعاتها لكي تسهم بنصيب فى توجيــه المواطنين بالكــويت واخوانهم العرب فى كل مكان الوجهــة الحسنة ، كما يتطلبها الوضع الدولــي الراهن ، حتى يكون جميع المواطنين على علم بما يدور حولهم فى وطنهم وما يدور فى المجالات الدولية ، ليكونوا على حذر ويقظة لكل من تحدثه نفسه من المارقين وتجار السياسة ، حتى يتمكنوا من اعداد عدتهم لرد كيد **المعتدى فى نحره .**

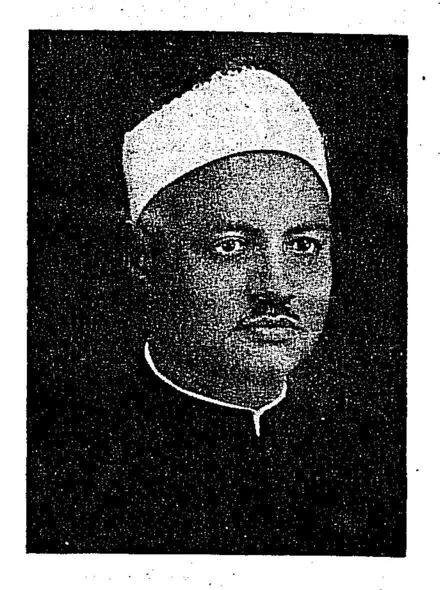
وكم يكون جميلا أن تحرص المجلــة على تعليم **المواطنين أمور** دينهم وتربيتهم تربية دينيــة اسلاميــة حتى يشبــوا ويشيبوا مسلمين فيسعدوا وتسعد بهم أمتهم ، واى سعادة فى دنيانا تفوق تلك السعادة التى يشعر بهــا مسلم يأتمر بأوامر الاسلام وينتهي بنواهيه ، أنهــا والحق يقال سعادة الدنيا والآخرة .

والله تعالى هو المسئول أن يحقق أمل المسلمين فى هذه المجلة لتكــون نبراسا يحتذى ، انه نعم المولى ونعم النصير .

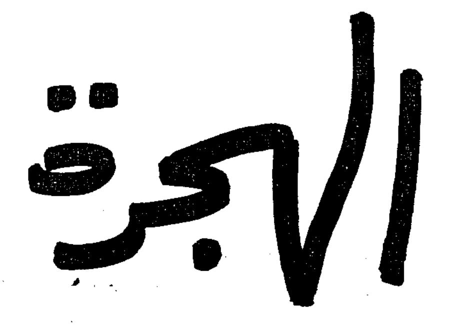
شيخ الأزهــر

حســن مأمــون





من هدى القرآن الكريم



الهجرة

للشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير « الوعى الاسلامى »

هذه آيات من القرآن الكريم تتحدث عن الهجرة من مكة الى المدينة ، ولم يكن الغرض منها ذكر تفاصيل الهجرة ودقائقها بقدر ما تهدف الى أن تضع العبرة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأمام كل قارىء لها من بعدهم .. ليصلوا منها الى ما يجب أن يضعوه نصب أعينهم دائما من عبر ومبادىء فى أدوار حياتهم وكفاحهم : —

أولها — أن المكافحين المناضلين الثابتين فى كفاحهم ونضالهم ، لا بد أن يدركوا غايتهم وان طال الطريق بهم ..

وثانيها — ان عون الله ونصره فى ساعات العسرة والشدة ، انما يمد به عباده المؤمنين الذين يؤثرون الله ورسوله على كل ما يعتزون به فى الحياة « ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .. »

وثالثها — ان الذين يترددون فى ساعة الجد ، ويحجمون عندما يجب الاقدام ، ويجذبهم حبهم للعيش الهنيء الى الاستكانة تحت راية الأعداء ، ويخلدون الى الدعة ، ويؤثرون برد الراحة على لهيب المعركة ، ويفضلون مصالحهم وارتباطاتهم المادية على عقيدتهم وكرامتهم وحريتهم ، هم قوم اختلت معايير الحياة عندهم ، حتى أصبحت معدتهم أعز عليهم من عقيدتهم ، وحيوانيتهم أسمى من حريتهم وانسانيتهم .. فكانوا من أجل ذلك لا وزن ولا كرامة لهم عند الله « وأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » ولو صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون ..

قال الله تعالى : « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » آية (٢٦) سورة الانفال

وقال تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » آية (٣٠) سورة الانفال

وقال تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ... »
آية (٤٠) سورة التوبة

وقال تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » آية (٩٧) سورة النساء

ثمن النصر

والقرآن الكريم حين يدعو المؤمنين ـ بعد أن قوى شأنهم فى المدينة ـ الى أن يذكروا ما كانوا عليه قبل الهجرة « قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » وما صاروا اليه بعد الهجرة « فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » لا يريد مجرد المن عليهم ، ولكن يريد منهم أن ينفذوا بتفكيرهم الى ما أهلهم لتأييد الله ، واغداقه الطيبات عليهم ، فيحافظوا على هذه الاهلية ، ولا تبطرهم قوتهم ، أو تغرهم كثرتهم ، أو جريان الرزق الطيب عليهم ، فيفقدوا بذلك عون الله ونصره .. وهي دعوة كذلك لاتباع القرآن ان يعرفوا الطريق الذى سلكه المهاجرون : من الاخلاص والصدق فى ايمانهم ، فيحرصوا على سلوكه ، حتى ينعموا ـ كما نعم أسلافهم ـ بالعزة التى يريدونها ، والحياة الطيبة التي يطلبونها . فان عون الله وتأييده لا يعطيان جزافا ، بل ان لهما ثمناً لا بد من الوفاء به ..

ولقد أعلن القرآن فى آية أخرى دفاعه عن المؤمنين « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (١) ووصفهم بأنهم « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » (٢) وفى آيات أخرى بأنهم « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (٣)

وان « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا » (٤) وذلك ليضع أمام المسلمين الصفات التي أهلت هؤلاء السابقين لهذه المنزلة عند الله .

وكذلك حين تدعو الآية « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك .. » (٥) الى أن

(١) و (٢) آيتا ٣٨ ، ٤٠ من سورة الحج
(٣) آية ٨ من سورة الحشر (٤) الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة التوبة .
(٥) معنى ليثبتوك : ليوثقوا كتافك ويلقوك فى السجن فلا تستطيع التحرك منه حتى تموت .

يتذكر الرسول وصحابته والمؤمنون به حراسة الله سبحانه له وحمايته من شرور أعدائه ومؤامراتهم ، للقضاء عليه ، حتى يستريحوا منه ومن دعوته ، انما تدعو المؤمنين كذلك فى كل وقت للتأمل فى سنة الله مع رسله ، وعباده المخلصين ، التي تقضي بنصرهم وكفالتهم وحراستهم من أعدائهم ، وعدم تخليه عنهم فى وقت الشدة ، حين يحيط بهم أعداؤهم .. وأن الله طبَّق هذه السنة مع رسوله ، حين عزم المشركون على التخلص منه ، وأحكموا تدبيرهم ، وظنوا انهم بالغون ما دبروه فأفسد الله مؤامرتهم ، ورد كيدهم الى نحرهم ،ونجَّى رسوله منهم، والله غالب على امره « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وهكذا يحرس الله الحق ودعاته ، ويمهِّد له ولهم الطريق ، بعد أن يبذلوا كل طاقتهم فى حراسته والدعوة له ..

حفز الهمم

ثم تأتي الآية « الا تنصروه فقد نصره الله .. » فتذكر بعض حوادث الهجرة وساعاتها الحرجة التي تخلت فيها عن الرسول كل أسباب الأرض ، ومساعدات الأصحاب ، حتى الصاحب الوحيد الذى كان معه — وهو أبو بكر — احتاج الى أن يزيل عنه الرسول الأعظم ما ألم به من رعب ، وقد أصبحا فى الغار لقمة سائغة ، أو صيدا سهلا لأضعف الناس خارج الغار .. فى هذه الساعات الحرجة تجلى عون الله ورعايته لرسوله بصورة لا تدع مجالا لأى شاك فى هذا العون أو هذه الرعاية ، وقد كان الغرض من سياق هذه الآية حفز همم المؤمنين للجهاد والتضحية فى ساعات تثاقلوا فيها عن النهوض للجهاد فى سبيل الله ، والسير فى جيش الرسول للدفاع عن كلمة الله ، فكان من أقوى ما يوجه اليهم فى هذه الحالة ، هو أن يرجع بهم الى الساعة الحرجة فى هجرة الرسول مع صاحبه « اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » وكانت الآيات التي قبل هذه الآية مباشرة تعاتب المؤمنين على موقفهم المتخاذل ، وتهددهم وتقول لهم : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » الآية .. ولم يكن هناك من دواء وعلاج لحالتهم هذه الا تذكيرهم بهذا الموقف الذى نصر الله فيه رسوله ، وهو وحده يجابه قوة الكفار فى أوجها وعنفوانها وشراستها ، ليعلموا أن الله ناصر رسوله ، ولو تخلوا عنه .

فالآيات التي ذكرت الهجرة اذن لم يكن القصد منها الا التذكير والاعتبار لمعرفة مدى نصر الله للمخلصين ، ومدى ما يمد به هؤلاء من عز وتمكين لهم فى دينهم ودنياهم ، ليداوى بذلك علل الضعف فى نفوس المسلمين ، ويحفز هممهم للتضحية والفداء .. فى عهده صلى الله عليه وسلم وعلى مر القرون ..

جزء من ايمانه

ولكي تكمل الصورة ، وتتضح العبرة ، نجد القرآن الكريم يذكر أيضا أناسا أخلدوا الى الراحة ، ورضوا ذل العقيدة أو كبتها ، حين استطابوا مكة مقاما لهم فى ظل النفوذ المشرك ، ولم يكن لديهم من قوة الأيمان ما يحملهم على الهجرة مع من هاجروا الى أرض الحرية فى المدينة ، ذكر القرآن هؤلاء فى صورة حوار دار بينهم وبين الملائكة حين قال — « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين

فى الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » . ليوضح بهذا عاقبة الضعفاء من المسلمين الذين أحجموا عن التضحية والهجرة الى أرض الحرية ، الى المدينة ، وآثروا البقاء فى مكة أذلاء مستضعفين ليظهر الفارق الكبير بذلك بين هؤلاء الذين أحجموا عن التضحية ، ورضوا بالحياة الذليلة ، وبين أقوياء الايمان الذين ضحوا بكل ثمين لديهم ، وكل عاطفة تمتلكهم فى سبيل اعزاز عقيدتهم وحريتهم .

والقرآن بهذا كله يدعو كل مسلم الى أن يجعل حريته فى تعبيره عن عقيدته ورايه جزءا من ايمانه ويضعها فى مكان الصدارة من كل ما سواها ، ويعتبر التفريط فيها هدما للأساس فلا يصلح أن يقوم عليه بناء .

هذه هي الحقيقة التي يجب ان يعيها المسلمون الآن ، وفى كل آن ، نستمدها من القرآن ونضعها أمام كثير من المسلمين — ولا سيما أصحاب الراى والكلمة فيهم — الذين يؤثرون العيش فى ظل الاستعباد ويجعلون أنفسهم مطية لأعدائهم ، ظانين أن الاسلام لا يطلب منهم الا أن يصلوا ويصوموا ويتصدقوا .

الا ان هذه كلها فروع واغصان وسيقان . جذورها حرية المؤمن فى عقيدته ، وعزته فى ارضه ، فاذا فقدت هذه الجذور انقطع عن الساق والفروع والاغصان روح الحياة وصارت لقمة هنيئة للنيران ، أو هشيما تذروه الرياح .

معنى الهجرة

وبعد — فلقد كانت الهجرة التي تحدثت عنها هذه الآيات هجرة حسية مكانية فيها انتقال من مكة الى المدينة ، من المحيط المشرك الطاغي المستبد فى كفره وشركه ، الى المحيط الاسلامي الذى تتمثل فيه حرية المسلم وشعوره بكرامته .. ومن أجل ذلك جعلها الله حدا فاصلا بين المؤمن الصادق المستحق لرضوان الله ، وبين غيره ممن لايستحقون الا غضبه وعذابه .

وقد استمر الأمر كذلك حتى فتحت مكة وارتفع فيها علم الاسلام ، وسادت كلمة المسلمين ، واصبحت دار حرية وأمن لهم كالمدينة .. وبذلك لم تعد هناك ضرورة للهجرة منها الى المدينة فقد رفرف عليهما معا علم التوحيد وعطر جوهما نسيم الحرية والعزة ..

ولكن بقي بعد ذلك من الهجرة معناها وروحها . فان روح الهجرة التضحية بالشهوات والعواطف والملذات، ومجاهدة النفس فيما تهواه وتؤثره من راحة بدنية أو ثروة مادية ، أو الابقاء على صلة عائلية ، وايثار الايمان ومقتضياته على كل ذلك ..

هذا اللب او هذا الروح من الهجرة هو الذى بقي ، ويجب أن يبقى حيا فى نفوسنا ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين جاءه « مجاشع بن مسعود السلمي » بأخيه « معبد » بعد الفتح ، وقال له : يا رسول الله ، بايعه على الهجرة . فقال صلى الله عليه وسلم : « قد مضت الهجرة بأهلها » .. فقال مجاشع : فبأى شيء تبايعه ؟ قال « على الاسلام والجهاد والخير » وفى حديث آخر له « المهاجر من هجر السيآت » أو « من هجر ما حرم الله » فأصبح معنى الهجرة حينئذ : هجر الانسان لشهواته وملذات نفسه المحرمة، مع فعل الخير والجهاد فى سبيل الحق ، وتحمل التضحيات من أجل ذلك كله .

لم يعد من المطلوب منا — اذن — أن نترك بلدنا ، ونتخلى عن مسؤولياتنا ، اذا رأينا فيها فسادا أو اضطهادا ، بل المطلوب ان نبقى ونجاهد ونكافح للقضاء على هذا الفساد ، وعلى الذين يستبدون ويفرضون علينا كلمتهم ، ويتلاعبون بديننا ومصالحنا ومضائرنا .

ان الهجرة المطلوبة من كل بلد اسلامي مغلوب على أمره هي هجرة الروح .

هجر العيش الهنيء والرضا به في ظل الاستعمار ، وايثار الجهاد والتضحية عليه .

هجر المنصب الزائف الذى يتلاعب من ورائه الاستعمار بمصائرنا .

هجر الألقاب والشكليات التي تغرينا بالراحة وعدم مقاومة الاستعمار ..

هجر الدسائس التي تفرق كلمتنا والشهوات التي تضعف قوتنا ، والاهواء التي تمكن عدونا منا ..

هجر الحاكم صغيرا أم كبيرا ما تميل اليه نفسه من الاستيلاء على محكوميه ، والاستبداد بهم وهضم حقوقهم ، والتهاون فى تحقيق مصالحهم ، وايثار العافية والراحة فى دنياه عليهما فى أخراه .

هجر الغني حبه لماله حبا يستعبده ، ويجعله مملوكا له لا مالكا .

هجر الموظف وكل من يتحمل أمانة عمل من الأعمال ما تركن اليه نفسه من راحة أو عبث أو تفريط فى الأمانة التي حملها .

هجر العالم فى معمله ومخبره أو فى قاعات درسه ، وبين صفحات كتبه ، ترف الحياة ولذائذها فى سبيل أن يقدم لأمته نتاج خبرته وعلمه .

هجر الصانع والزارع والطالب تهاونه وتفريطه فى رسالته ومهمته .

هجر المسلمين جميعا روح الكسل والاهمال ، والتواكل ، والضعف ، والتفرقة والدس ..

ان واقع المسلمين الآن يفرض عليهم الهجرة بهذا المعنى .. فانه واقع مر ، لا يمثل أبدا ما يريده الاسلام لأتباعه ، ولقد كانت الهجرة التي هاجرها الرسول وصحابته جهادا للتخلص من واقع مرير يتمثل فيه الظلم والاضطهاد والكبت فى صورة جلية ، الى واقع تتجلى فيه الحرية . حرية العقيدة وحرية التحرك والتصرف .. ولقد تحمل المهاجرون الأوائل فى سبيل ذلك أقسى وأشد أنواع الجهاد والتضحية ..

والقرآن الكريم حين يذكر المسلمين الأوائل بالهجرة وتضحياتها انما يدعوهم الى المحافظة على ايمانهم القوى الذى كسبوا به عون الله وتأييده ، وحين نقرأ هذه الآيات نشعر كأنها تنادينا وتدعونا الى التأسي بالسابقين لا فى ترك الأوطان يتلاعب بها وبمصيرها الظلمة المستبدون ، ولكن فى قوة الايمان ، والبذل والتضحية لتخليص الأوطان من هؤلاء المستبدين ، ولاعزاز العقيدة ، وتدعيم كلمة الدين ، وتوطيد الحرية وتوفير العزة التي كتبها الله للمسلمين ، هذا هو معنى الهجرة المطلوبة منا الآن .

ولكن لا أحب أن أقف عند هذا ، وأبتعد عن ناحية من واقعنا الآن أيضا ، ربما كانت لها صلة بالمعنى الأول للهجرة من بعض نواحيها .. وربما تثير تساؤلا أيضا فى نفس القارىء .

هناك من المجاهدين فى سبيل أوطانهم من يتعرضون للاغتيال أو السجن المؤبد أو التعذيب داخل وطنهم بيد المستعمرين والمستبدين ، ويصبح بقاؤهم فى هذه الحالة بأرض وطنهم عديم الجدوى ، فهل لمثل هؤلاء أن يتركوا وطنهم ، ويهاجروا منه الى بلد يستطيعون فيه أن يرفعوا أصواتهم ضد المستعمرين له ، المتلاعبين بمصيره ، بما يتاح لهم من وسائل قد لا تتاح فى وطنهم ؟ أو ان تركهم للوطن يعتبر فرارا من تحمل المسؤولية ؟ .

الواقع أن الحكم فى ذلك لا يمكن أن يكون حكما كليا ، فان لكل مجاهد ظروفه ، وطاقته ، التي تختلف عن غيره .. وقد يكون حبس الزعيم المجاهد

البقية على ص : ٩٥

وكم أنا مسرور لنجاح مشروع المجلة ، ولا شك أنني فى شوق لاستقبال العدد الأول منها .. وآمل أن شاء الله أن يكون محققا لما رجوته .

وأحب أن أذكر بمزيد من الشكر والتقدير ما لاقته فكرة المجلة من الترحيب والتأييد والعون الكريم من حكومة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله .. وأنا متأكد أنها ستلقى المزيد من هذا التأييد والعون لتؤدى رسالتها كما يرجو كل مخلص لدينه ووطنه .

فقلت لمعاليه : وهذا يدعونا الى أن نسألكم عن المنهج الذى تختارونه لها وقد اطلعتم على كثير من المجلات الدينية التى تصدر فى البلاد الاسلامية ..

فقال سيادته : ان صدورها فى الثوب الذى أحبه ليس بالشىء الهين الميسور وأنا من الذين يؤمنون بتطور الاشياء ، وأن كل نقص يمكن تداركه ما دام هناك ايمان وعزم وتصميم ، وذلك كله لا ينقصكم والحمد الله .

وأنا أعرف أن كبار الكتاب فى العالم الاسلامى قد لبوا الدعوة للمساهمة فى الكتابة بها مشكورين .. وآمل أن يكون النهج الذى تنهجه مجلتنا الجديدة ((الوعى الاسلامي)) بعيدا عن كل ما يعكر صفو رسالتها ، وأن يكون رائدها الحق ترفع صوته ، وتذود عنه بكل صراحة ووضوح ، وأن تعرض الاسلام فى ثوب قشيب محبب للقراء ، وأن تساهم فى النهضة الفقهية التشريعية التى يتطلبها مجتمعنا ، وأن يعالج كتابها مشكلاتنا الجديدة على هدى من الشريعة حتى يمكن ايجاد حل لهذه المشكلات ..

قلت لمعاليه : هذا أمر مهم جدا فلم تعد المسألة الآن مسألة ترديد أمجاد تاريخية فقط .. بل يجب ان نخطو كذلك للامام ونعمل لنضيف امجادا الى امجاد فى كل مجال من مجالات الحياة ..

ثم قلت لسيادته : هل راعيتم فى مخططكم حين فكرتم فى اخراجها ان تقوم بنصيب فى تثقيف المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية ؟

قال : نعم . فانا أعرف طبعا أن كثيرا من المسلمين لا يعرفون العربية وفى حاجة الى وعى اسلامي سليم ، ومن واجبنا أن نلبي حاجة هؤلاء الاخوان ومن أجل هذا راعيت فى مخططى للمجلة ولادارة الدعوة ، أن تقوم بنصيبها فى هذا المجال ، وآمل أن يتحقق هذا المخطط على يد المسئولين الآن فى الوزارة ، وأن تتم ترجمة بعض الموضوعات الهامة التى بين دفتيها تعميما للفائدة ، وتحقيقا للهدف المنشود ، حتى تكون الكويت قد ساهمت بقسط فى هذا المجال ..

قلت لسيادته : هذا أمر طبيعى لا بد للمجلة أن تقوم به . وقد كان بودى أن يصدر العدد الاول منها محققا لهذا الواجب لولا ظروف خارجة عن الارادة حالت بيننا وبين ذلك ، لكني آمل أن يتحقق هذا فى المستقبل باذن الله وعونه .. وذلك بالاضافة الى ما يقوم به قسم النشر والترجمة بالوزارة من ترجمة بعض الكتب للغات الحية ، وقد بدأ بترجمة كتاب « شبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب وقطع شوطا كبيرا فى الترجمة .

قال سيادته : هذا ما نرجوه وأسأل الله العلي القدير أن يحقق لهذا الوليد الجديد التقدم والاستمرار والتوفيق . وتحياتي وتقديرى لكل من ساهم ويساهم فى تدعيمها وأعان ويعاون فى اخراجها والنهوض بها .. وجزى الله الجميع خير ما يجزى به العاملين المخلصين ..



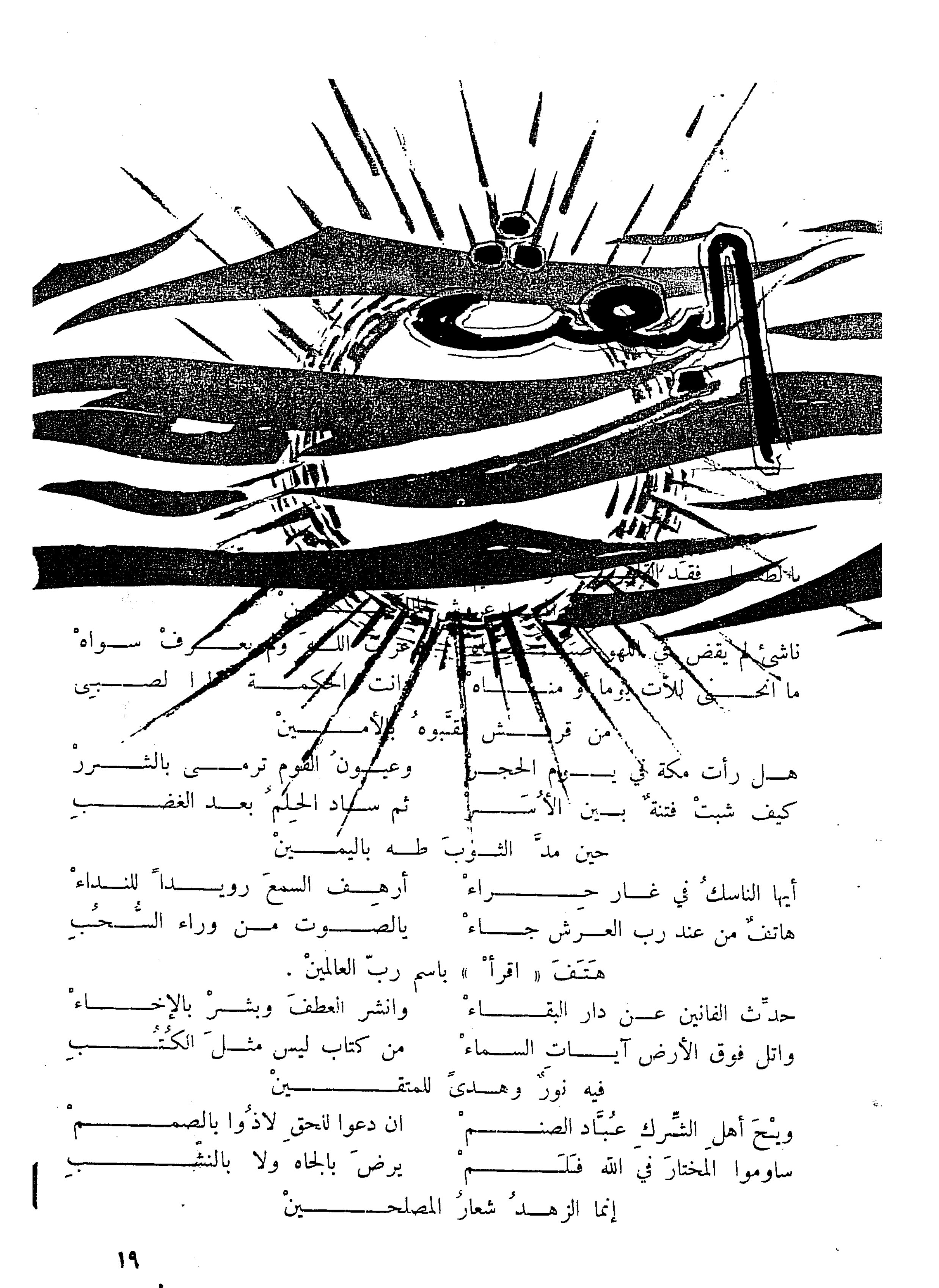
للشاعر الأستاذ محمود غنيم

أيُّ نجمٍ في سَمــــاء العَـــربِ صــارَ في الأُفـقِ حديثَ الشُّهبِ ؟
أيُّها التاريخُ بالنـــور اكتُــــب قصَّـــة البعثِ لشـــعبٍ ونَـــبي
ولد المخْتارُ وضَّــاءَ الجبــينْ

يا له فجرا جديـــداً ظَهـــــرا روَت التـــوراةُ عَنْــهُ خَـــبَرا
ســائِل الإنجيلَ ماذا ســـطرا عن نبي عـــربيٍّ النَسَــــب
يَغْمُر الأرض سناه بَعـد حـــينْ ؟

وَلَدَتْهُ مولِدَ العافـى الفَقِـــيرْ حـــرةٌ تبكـي على فَقْـد العشيرْ
فتولته يدُ المولـــى القديـــرْ واحتفـــى بالرُّسْـل به فـى موكِبِ
بين حُور قاصراتِ الطـرْف عِـيْنْ

قُلدّته الأرض كالـدر الكريـــمْ وكريمُ الـدرِّ أغـــلاهُ اليتيـــمْ



[illegible] فقد [illegible]

[illegible] عرش [illegible]

ناشئ لم يقض في اللهو صبـ[illegible] عرف الله ولم يعـرفْ سـواهْ
ما انحنى للات يوماً أو منـاهْ [illegible] كانت الحكمـة [illegible] لصبي

من قريش لقّبوهُ بالأمين

هل رأت مكة في يوم الحجر وعيونُ القوم ترمى بالشررْ
كيف شبتْ فتنةٌ بين الأُسرْ ثم ساد الحِلْمُ بعد الغضبِ

حين مدّ الثوبَ طه باليمينْ

أيها الناسكُ في غار حراءْ أرهِف السمعَ رويداً للنداءْ
هاتفٌ من عند رب العرش جاءْ بالصوت من وراء السُّحُبِ

هتَفَ « اقرأْ » باسم ربّ العالمينْ .

حدّث الفانين عن دار البقاءْ وانشر العطفَ وبشرْ بالإخاءْ
واتل فوق الأرض آيات السماءْ من كتاب ليس مثلَ الكُتُبِ

فيه نورٌ وهدىً للمتقينْ

ويْحَ أهلِ الشِّرك عُبّاد الصنمْ ان دعوا للحق لاذُوا بالصممْ
ساوموا المختارَ في الله فلَمْ يرضَ بالجاه ولا بالنشبِ

إنما الزهدُ شعارُ المصلحينْ

رُبَّ عبد في سبيل الله قــــــدْ فَقَدَ المال وضحّى بالولـــدْ
كلما سِيم الأذى قال أَحــــدْ صهروا جثمانَه في اللهـــــبِ
فَوقَى جُثمانَــه بردُ اليقــــينْ

خاب جمع بالرسول ائتمَــرَا ولمن أرسلَه عـــينٌ تَـــرَى
نثَر التُرْبَ عليهم وانـــبرَى فإذا أبصارُهم فـى حُجُـــبِ
ما الذى أغْشَى عيونَ المشركينْ ؟

سائل الصِّدِّيقَ ماذا روعـــهْ وإلهُ العرش في الغار مَعَـــهْ ؟
فضلــه – سبحانه – ما أَوسعَـهْ حلَّ ركب المصطفى في « يَثْـربِ »
فتلقّوْه لقــاءَ الفاتحـــينْ

لُحْ علينا من ثنيَّات الـوَدَاعْ وادعُنــا للحــق يا أكــرمَ داعْ
أيُّهـا المبعوثُ بالأَمر المطـاعْ ثبْ بنا فـوق الرواســى نَثِـبِ
وخض البحــرَ نخضْـه أجمعينْ

هتف الخزرجُ والأوسُ معـــا وعلى حـب الرسـول اجتمعـا
مالهـم صفّـاً وكانـوا شيعَــا ؟ أذهب الاسلام ما لم يُذهِـــبِ
قدمُ العهـد من الحقـد الدفـينْ

والتقـى الجمعانِ في بــدْرٍ فما ثبَّتَ اللهُ لبــاغ قَــدمَا
أرأيت الشِرْكَ كيـفَ انهزمَـا ؟ مَنْ بسـيف الله يضـربْ يغلبِ
ولمن ينصرُهُ النصـرُ المبـينْ

حدِّثى يابــدرُ عن صيد كُمـاةِ طلبـوا الموتَ ففازوا بالحيـــاة
لم تزَلْ سـيرتُهم بعـد الممـاتِ قصَصَ الدهـرِ ونجـوى الحِقَبِ
ولهـا في مَسمعِ الدنيا رنـــين

قلم الاسلامُ أظفــارَ الطُّغَـــــاهْ وابْتَـــنَى للعُــرْب جاها أيَّ جــاهْ
ومشى يبعثُ في الأرض الحيـــــاهْ فأظلَّ الأرضَ عصــرٌ ذهـــــبي
سائل المأمون عنــــه والأمـــــينْ

من رأى شـــعبا شتيتا مـــن رعـــــاهْ أصبحت تُحـِنى لــه الدنيا الجبـــاهْ
أمَّ في المشرق « كسرى » ففـــراهْ وتحدّى قيصرا في المَغْـــــــــربِ
ناشراً أعلامَه فوق الســـــــــفين

بدويٌّ علّم الدنيا الحضــــــــــارهْ تخـــذ الإنصافَ والشُّورى شعِارَهْ
فإذا الدنيا ابتســامٌ ونضـــــــارهْ يتســـاوى أهلُها في الحَســــب
لم لا والكلُّ من مـــاءٍ وطـــينْ

في سبيل الله أســلافٌ كِـــــرامْ -رِفوا صرح العــلا كيــف يقــامْ
شيّدوا المجدَ بأشــلاء وهــــــامْ وطلَــــوهْ بالــــدم المنسكـبِ
لاينــال المجدَ بالـــروح ضنــينْ

يابني العُرْب وأشبال الأُلَـــــى فسروا معــنى التآخـــى للمـــلا
اجعلـــوا سـيرةَ طـــه مثـــلاَ تزحـَمُــوا نجـم السما بالمنكِـبِ
إننا شــعبٌ له التوحيـدُ ديـــنْ

نحن بالحــب وبالخــير نديــــنْ لانثــير الرعبَ بين الآمنــــينْ
أرضنا روضٌ وريفٌ وعريــــنْ مذهــب أكــرمْ به من مَذْهــبِ
سنه طـــه إمــامُ المرســــلينْ



للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد

يحرص الاسلام أشد الحرص على استدامة حسن الصلات بين المسلمين ، ويعمل جاهدا على تنقية المجتمع من كل ما يسيء ، أو يكون مصدر اساءة ، وفي الحديث الشريف بيان لصفات المسلم الذى انقاد لأوامر الله تبارك وتعالى ؛ وأسلم وجهه لله رب العالمين ، فترك هوى نفسه ، وجانب ميولها السيئة ، وكرس كل ما يصح أن يقتنى ويستأثر به فى هذه الحياة ، وصيره تابعا لمرضاة الله استجابة لأوامره وطاعة لرسوله ، وعملا بما ورد فى محكم التنزيل « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » (١) .

فاذا تم للمسلم ذلك الحب الخالص ، وبدات ثماره تؤتي أكلها ، بادر الى امتثال أوامر الله ورسوله جميعها ، فكف عن أخيه المسلم كل ما يستطيع كفه من شر ، وقيد نفسه بأحكام الاسلام فلا يطاوع نزغات شيطانه ولا وساوس نفسه ولا ثوران غضبه بل يطرح كل ذلك وراء ظهره ويكبح جماحه ويقول : أسلمت نفسي وقوتي لله سيدى ومالكى رب العالمين ، وكل امرىء يستطيع أن يزن أموره ويخلص الى الخير وينأى عن الشر بمراقبة هواه حين يتعارض مع رضا ربه ، فيحول اتجاهه بقوة الايمان وينتصر عليه بما استكن فى قلبه من ثقة

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة .

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه » .

بالله ، وتلك هي الشدة الممدوحة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (٢)

ولما كانت اليد مظهر القدرة غالبا ، دخل فى السلامة منها السلامة من كل ما يعمل بها وينتج الاساءة كالقتل والسرقة والنهب والسلب والضرب وقطع الطريق وتشمل الاساءة باليد الاساءة بالكتابة والاشارة ، ومثلها العين فى غمزاتها ، ويدخل فى هذا الباب أيضا ، غصب الدور والاستيلاء على ما يخص الغير بغير حق ، واصدار الاوامر للاتباع بعمل ما يضر ، وقد وردت أحاديث كثيرة تجل عن الحصر تحذر عاقبة الاساءة باليد واللسان وسائر الجوارح ، منها ما روى البيهقي عن أم معبد رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ..اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اني اسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر » وروى البخارى عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » فالمرء اذا حفظ لسانه ، وراقب ما يصدر منه وعف عن الناس فلم يخض فى أعراضهم كان مسلما حقا ومؤمنا صدقا ، فمعظم الآفات من اللسان

جراحات السهام لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

فرب كلمة أهلكت أمة ، وأشعلت حربا ضروسا ، وأفسدت ملكا كبيرا ، ولهذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللسان على اليد ، لأن عمل اليد غالبا ما يجيء تاليا لعمل اللسان وناجما عنه أو مترتبا عليه ، وقد حرم الاسلام على المسلم سباب أخيه والعدوان عليه خوفا على روابط المسلمين أن تنماع وتتفكك قال صلى الله عليه وسلم فى حديث متفق عليه « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وروى البخارى عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك » ومن يعلم ما فى القلوب غير علام الغيوب ؟ ! وقد عاب رسول الله فعل من تسرع فى الحاق الأذى بمن نطق بالشهادتين وقال له : « هلا شققت عن قلبه » وجاء القرآن الكريم مؤيدا ما قصد اليه سيد الخلق فقال تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى الأرض فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا .. »(١)

ومما حرم الله من الايذاء باللسان . النميمة والغيبة ، فأما النميمة فهي

---

(١) رواه البخارى .

(٢) الآية ٩٤ من سورة النساء .

السعي بين الناس بالفساد قال صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة قتات » أى نمام (١) واما الغيبة فيكفي فى شناعتها ومجافاتها للطبع السليم وبعدها عن الخلق الكريم، وتردى صاحبها فى الحيوانية والوحشية قول العلي الكبير: « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » (٢) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال: ذكرك اخاك بما يكره، قيل: ارايت ان كان فى اخي ما قال ؟ قال: ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (٣) ولا يظنن احد ان ما يلقى من القول استهتارا ودون ترو لا مسئولية فيه، لا بل فيه مسئولية واية مسئولية، قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم » (٤) وعن عقبة ابن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما النجاة ؟ فقال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » (٥) وعن أبي سعيد (مرفوعا) قال: « اذا اصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تتذلل وتتواضع للسان فتقول: « اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا » (٦) فاللسان اذا فسد أفسد الأعضاء جميعا، ومن فساده الكذب فى الحديث ينقله ويرويه عن شخص لآخر ليوغر صدريهما ويسيء ما بينهما ويباعد شقة خلافهما، وقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فاني أحب أن اخرج أليكم وانا سليم الصدر » (٧) وعن سفيان بن أسد الحضرمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وانت به كاذب » (٨).

وقصارى القول انه مهما لقى المسلم من عنت واساءة فيجب عليه الصبر ودفع السيئة بالحسنة ولا يصح له اعتزال الناس ما دام قادرا على القيام بالخدمة النافعة للمجتمع الذى يعيش فيه، فعن ابن عمر رضي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: « المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم أفضل من الذى لايخالطهم ولا يصبر على اذاهم » (٩).

ومما يزيد فى تماسك المجتمع الاسلامي وارساء قواعد الألفة بين أفرادهم بعدهم عن الفحش فى القول والعمل، وهجرهم كل ما من شأنه أن يؤرث نار العداوة والشقاق ولهذا قال سيد الخلق: « والمهاجر من هجر ما نهى الله ».

والأصل اللغوي للهجرة. الترك مطلقا وقد يراد به ترك الوطن الى غيره، وفي الشرع مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوفا من الفتن ورغبة فى اقامة الدين، وفى الحقيقة مفارقة كل مايكرهه الله الى ما يحبه.

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

وتطلق الهجرة على هجرة القلب لما يكون عليه من يخالف فى العقيدة، وعلى الشرائع الباطلة والعادات المستهجنة التي تهدم الانسانية، وتنشب معاولها فى بناء الخير الشامخ القوى، فالهجرة تنتظم الحسية منها والمعنوية، فلجوء المرء

---

(١) رواه البخارى (٢) الآية (١٢) من سورة الحجرات
(٣) رواه مسلم (٤) رواه البخارى (٥) رواه احمد والترمذى (٦) رواه الترمذى
(٧) رواه أبو داود (٨) رواه ابو داود (٩) رواه الترمذى وابن ماجه.

الى وطن يحميه يعادل لجوء القلب الى الى من يلوذ به وينطوي على وده ومحبته، وكل عند صاحبه حبيب :

وكل امرىء يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

ولما كان من المؤمنين الصادقين من فاتتهم الهجرة الكبرى من مكة الى المدينة . تلك الهجرة التي كانت آية الايمان الراسخ ، والتي أشاد بفضلها القرآن الكريم وأعظم أجر من قام بها ، وحكم لهم بالصدق في طاعة الله ونصرة رسوله ، قال تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون » (١) — وواضح انه بعد فتح مكة لم يبق من سبيل الى تحصيل تلك الهجرة الخاصة — قال رسول الله : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » معلنا أن الفضل في الحقيقة ليس راجعا الى ترك مكان الى آخر ، وانما المقصود هو الفرار من الافتتان عن الدين والابتعاد عن الوقوع بين براثن الشيطان الرجيم ، وعلى هذا فلا يزال باب الهجرة مفتوحا وان فات مظهره المحسوس وهو الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام ، فالمسلم في كل أحواله معرض للفتنة ، ووساوس النفس الأمارة بالسوء ، ومنازعة الهوى ، وكلها شرور تحاول الاستيلاء على قلبه حتى تسلبه ايمانه ، فمن تغلب عليها ولجأ الى حمى ربه مستعيذا به فهو مهاجر الى الله قاصد عونه راغب في رحمته ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وان استنفرتم فانفروا » (٢) وعن عمرو بن عبيد انه سأل عائشة رضي الله عنها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم فقد كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله والى رسوله مخافة أن يفتن عن دينه فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام ، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية » (٣) وعن مجاشع بن سعود قال : انطلقت بابني معبد الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الهجرة فقال . انقضت الهجرة لأهلها فبايعه على الاسلام والجهاد » وفي هذه الاحاديث الشريفة ما يدل على أن الهجرة الباقية هي هجرة السيئات ، روى أحمد من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي الى رسول الله فقال : يا رسول الله أين الهجرة اليك ؟ حيث كنت أم الى أرض معلومة أم لقوم خاصة أو اذا مت انقطعت ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن الهجرة ؟ قال : هأنذا يا رسول الله . قال : اذا أقمت الصلاة وآتيت الزكاة فأنت مهاجر وان مت بالخضرمة » قال : يعني أرضا باليمامة ، وفي رواية « الهجرة . أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، ثم انت مهاجر وان مت بالخضرمة » .

فالله تبارك وتعالى نسأل أن يمكننا من التغلب على هوى النفس وكيد الشيطان وأعوانه من الجن والانس ، وأن يجعلنا ممن هجروا المعاصي وهاجروا في سبيله.

وقد عرفنا مما مر في شرح الحديث الشريف كل ما يؤكد المحبة بين الناس ويقوى الفتهم ، ويغرس روح التضامن والتكافل في المجتمع الانساني ، وأن من كف يده ولسانه عن اخوانه وعشرائه ومواطنيه فهو معدود في المهاجرين الذين ينأون عن الدنايا ويبتعدون بأنفسهم عما حرم الله لينالوا رضوانه ويحظوا بمغفرته ويدخلوا جنته وشعارهم دائما « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » (٤) .

---

(١) الآية ٨ من سورة الحشر (٢) رواه البخاري (٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) الآية ١٠ من سورة الحشر .

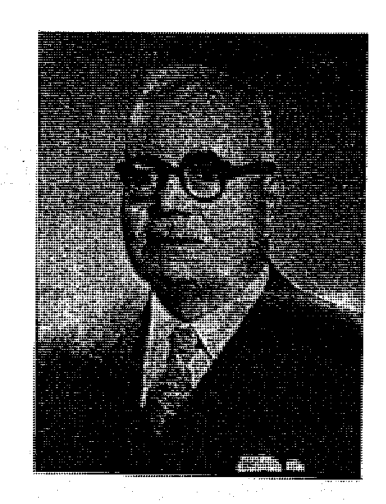


الإسلام والمعاملات المصرفية

أولا ـ الفائدة ورأى الاسلام فيها :

المعاملات المصرفية التى سادت فى البلاد الاسلامية انتقلت بقضها وقضيضها الى البلاد الاسلامية . وأصبح المسلم فى حيرة من امرها : أيقعد عن مسايرة الركب الاقتصادى المسيطر على عالمنا المعاصر فيكون من الخاسرين فى الدنيا ، أم يجارى التيار الآثم فيبوء بغضب من الله ويكون من الخاسرين فى الآخرة .

ولما كانت جميع المعاملات المصرفية ليست سواء فى الاثم ، بل منها ما هو خير فى طبيعته محمود فى عقباه ، ومنها ما تشوبه أوزار الربا وآثامه ، فقد أصبح لزاما على كل مسلم أن يعكف على التمييز بين الحالين ، وأصبح لزاما على كل معنى وخبير بهذه الشئون أن يلقى ضوء الاسلام على هذه المعاملات .



للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

« هذه محاولات محمودة يقوم بهـا الاستاذ الكبيرالدكتور محمـد عبـد الله العربى لتصحيح الاوضاع المالية السائدة فى بلادنا والمستوردة منالغرب ، وذلك على أساس اسـلامى رشيد ، وهى محاولات جديرة بالبحث والنظر نرجو المزيد منها لنخطو خطوة ايجابية نحو اقتصاد اسلامي سليم » .

« الوعي الاسلامي »

ولنبدأ اليوم ببحث الفـائدة التي تفرضها المصارف على المقترضين منها ، والفائدة التى تدفعهـا المصارف الى المودعين أموالهم فى خزائنها .

ـ ١ ـ

لا يستطيع أحد أن ينكر أن البنوك فى وضعها الحاضر تؤدى للمجتمع خدمات قيمة سواء فى ميدان التجارة الداخلية أم ميـدان التجـارة الخارجية ، وهـى تستحق عن هذه الخدمات أجرا ملائمـا يسمى « عمولة » هي بلا شـك كسب مشروع لا شبهة فيه .

هذه الوظيفة التي تؤديها البنوك فى ميدان التجارة ـ وهي من أهم مصادر الرزق الحـلال ـ هى وظيفة مشروعة يجب استبقاؤها ، فالبنوك هنـا تؤدى عملا يتطلب براعـة وحذقـا كبيرين ، والاسلام يفرض فى كل جهد يبـذل فى نشاط مشروع أن يثاب باذله بأجر عادل لا حيف فيه .

فالبنوك عندما تباشر صفقة تجارية ، أو تصدر خطاب اعتمـاد ، أو تحصـل أو تسدد دينا لعميل ، أو تنظم اكتتاب الجمهور فى شركة مسـاهمة ، أو تعطى رأيا فنيا فى تقلبات السوق التجارية .. الخ ـ تؤدى عملا مشروعا يستحق أجرا مناسبا ، غير ان هـذا الاجـر يجب أن يصاغ فى شكل « عمولة » تتناسب مع مدى المجهود الفني أو المالي الذى بذله البنك ، ومع مدى المخاطر اذا كان ثمة مخاطر تحملهـا ، ولا يكـون فى شـكل « فائدة » ثابتة على ما يكون قد قدمـه من قروض اذا كان ثمة قروض اقتضتها هذه العمليات المصرفية .

كذلك عندمـا يمـول البنك مشروعا تجاريا أو صناعيا ، لا بصفته مساهما (لأنه فى حالة المساهمة لا محل لاثارة

الاسلام والمعاملات المصرفية

موضــوع الفائدة) بـل كممول يقدم قروضا نقدية ، فهنا أيضـا يسـتحق البنك أجرا عن الخدمة التى يؤديها . وله أن يحدد الأجر كما يرى ، بشرط الا يكــون التحديد بفـائدة ثابتـــة يحصلهـا عن القروض التى قدمهـا ، بصرف النظـر عن نجـاح المشروع أو فشــله . بل يكون التحديد فى صورة جزء من الأرباح التى يرتجى القائمون بالمشروع اكتسـابها ، ويصح أن تكون نسـبة مئـوية من الأرباح المـرجوة ، والمرجع فى ذلك الى ما يكون من اتفاق الطـرفين ، وفى نفس الوقت يجب ان يكون متفقا عليه بين الطرفين أن البنك يساهم فى مخاطر المشروع اذا فشـل . فان لم ينتج المشروع اى ربح فللبنك أن يسـترد مـن المقترضـين أصـول القروض التى قدمهـا ــ اذا سمحت بذلك موجودات المشروع ــ كما يسترد أيضا ما تحمله من مصروفات فى عملية تمويل المشروع ، وللبنك بعـد ذلك أن يوجه وعيه وحذره عند توظيف أمواله حتى لا يتعرض لخسارة تؤذيه ، كمـا أن له لضـمان اسـترداد أصـل ماله ومصروفاته ــ أن يطلب من صـاحب المشروع مـا يشـاء مـن الضـمانات الموازنة .

هذه العملية فى صميمها مشـاركة فى الاسـتثمار ، اسـتثمار بالوكالة ، فصـاحب المشروع يقـوم باسـتثماره بالاصالة عن نفسه وبالوكالة عن البنك فيما قدمه اليه من رأس مال .

وهذه المساهمة من جانب البنك فى أرباح المشروع وخسـائره هي قوام عقد مـن العقـود الجائزة شرعـا ، عقـد « المضـاربة » الـذى عرفه فضـيلة الأستاذ المرحوم الشيخ احمد ابراهيم، وكيل كلية الحقوق وأسـتاذ الشريعة الاسلامية بها التعريف الآتي (١) :

« المضاربة ــ وتسمى أيضا القراض او المقارضة ــ نوع من انواع الشركة ، يكون فيه رأس المال مـن شخص ، والعمل من شـخص آخـر ، ويقـال للأول صـاحب رأس المال ورب رأس المال ، ويقال للثاني مضارب ، وهو من العقـود الدائـرة بين النفع والضرر ، كسائر انواع الشركة .

« وركنهـا الايجاب والقبول كغيرها من العقود ، وتنعقـد بكل عبارة تفيـد معناها ، كأن يقول شـخص لآخـر ، خـذ هذه النقـود التي مقدارها كذا واتجربهـا على ان يكون الربح بيننـا مناصفة (مثلا) .

« وهي تنقسم الى قسمين : مطلقة ومقيدة .

« فالمضاربة المطلقة هي التى لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا نوع تجارة ولا تعيين من يعامله المضـارب فى التجارة ، ولا بأى قيد كان .

« والمضـاربة المقيدة هي ما قيدت ببعض هذا أو كله ، يقـول رب رأس المال للمضارب : اشتر برأس المال قطنا او فولا او عدسا او قمحا (مثلا) من بلد كذا فى وقت كذا ، وبعه فى جهة كذا فى زمن كذا ، ولتكن معاملتك مع فلان أو فى الجهة الفلانية ... الخ .

« ويشترط فى رأس المال أن يكـون من النقود التى يتعامل بها فعلا .

---

(١) كتاب المعاملة الشرعية المالية : ص ٢١٧ وما يليها .

« ويعتبر المضارب وكيلا بالقبض أولا ثم مضاربا ، ومن هذا تعلم أنه يشترط في المضارب أن يكون أهلا ، وفي صاحب المال أن يكون أهلا للتوكيل، وهذا شرط عام في كل أنواع الشركات.

« ويشترط أن تكون حصة كل من العاقدين جزءا شائعا من الربح كالنصف أو الثلث أو الربع لأحدهما والباقي للآخر ، فان كان ما اشترط لأحدهما مقدارا معينا فسدت المضاربة ، لاحتمال أن الربح لا يأتي زائدا على ذلك القدار المعين ، فتنقطع بذلك الشركة فيه فيفوت الغرض من المضاربة ، والقاعدة أن كل شرط يوجب قطع الشركة في الربح ، أو يوجب الجهالة فيه ، فانه يفسد المضاربة » .

ولكن من أين تأتي البنوك بالاموال التي توجهها في انجاز عملياتها المختلفة وعلى الاخص في تمويل المشروعات ؟ بعضها يأتي من رأس مال البنك ـ أي من قيمة الاسهم التي اكتتب بها المساهمون ـ ولكن أكثرها يأتي من ودائع المودعين .

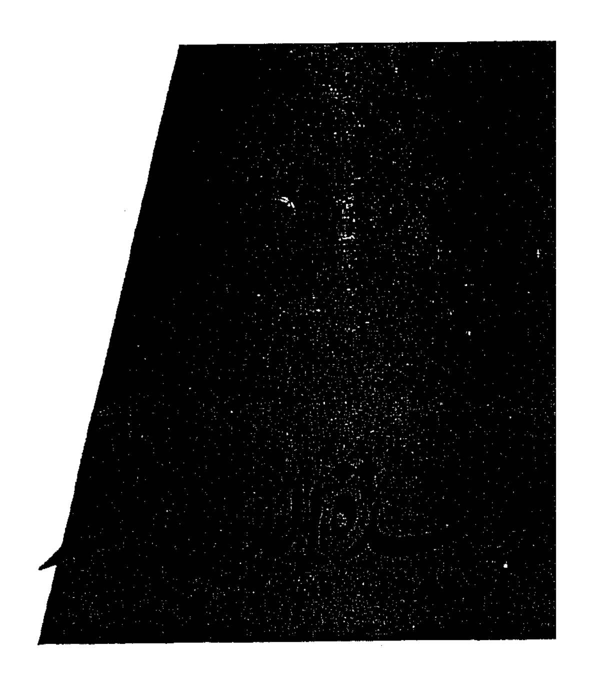
ففي النظام الرأسمالي يودع الناس فائض اموالهم النقدية في البنوك ، في مقابل فائدة منخفضة السعر يقررها البنك لودائعهم ، ثم يقوم البنك بالاقراض من هذه الودائع لعملائه بفائدة مرتفعة ، ويكسب البنك الفرق بين السعرين ، ويعتبر البنك ودائع المودعين كأنها رصيد واحد متجدد ، يظل يقرض منه للمقترضين بالفائدة المرتفعة وكلما رد مقترض قيمة قرضه أعاده البنك الى هذا الرصيد ، وكرر المرة بعد المرة : الاقراض منه والاعادة اليه ، ومن هنا تأتي الارباح الضخمة للبنوك في النظام الرأسمالي . وهي بمأمن من كل مخاطرة ، مطمئنة الى استرداد قروضها وفوائدها وهي بمأمن من كل خسارة .

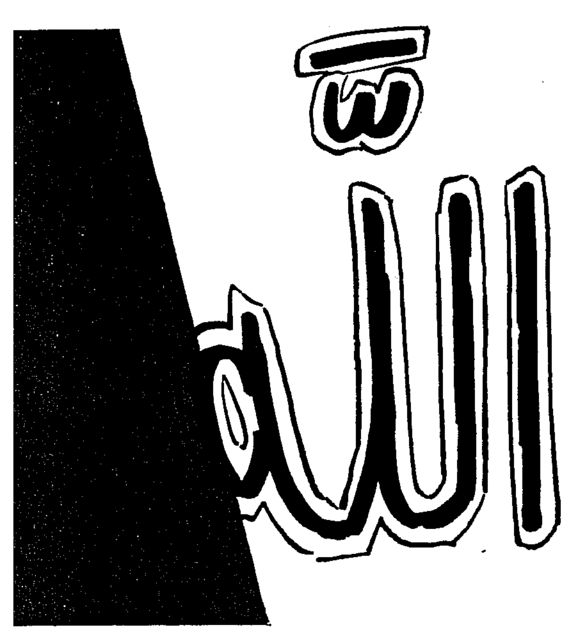
هذه الوظيفة المصرفية يسري عليها في رأيي تحريم الربا ، وهي علاوة على هذا التحريم الشرعي قد ثبت للاقتصاديين أيضا أنها تلحق اضرارا جسيمة بالاقتصاد القومي ، فان البنوك في استغلالها للودائع على هذا النحو انما تخلق « نقودا مصطنعة » هي ما يسمونه بالائتمان التجاري وهي في هذا الخلق تغتصب وظيفة الدولة المشروعة في خلق النقود بما يحف بها وبما يوازنها من مسئوليات .

ولسنا ننفرد بهذا الرأي بل قد أجمع كثير من علماء الاقتصاد في الغرب على ان الائتمان التجارى ، سواء أكان في قروض استهلاك أو في قروض انتاج من شأنه ان يزعزع النظام الاقتصادي ويحول دون استقراره ، ويفضي الى الازمات المتعاقبة التي امتاز بها النظام الرأسمالي ، ذلك لان التعامل في البلاد الرأسمالية لم يعد يجري بالذهب أو الفضة أو بأوراق النقد الا في القليل النادر. أما أكثر التعامل فيجرى بالشيكات تسحب على الودائع المصرفية ، وهذه الودائع التي تتمثل في مجرد قيود دفترية في سجلات البنوك ، اصبحت بمثابة عملة نقدية مصطنعة ، تسيطر عليها البنوك ، وبطبيعة الاشياء تميل البنوك الى بسط هذه العملة في اوقات الرخاء والى قبضها في اوقات الركود .

وكما قال الاقتصادى الامريكي (هنرى سيمونز) معلقا على الازمة الاقتصادية العالمية التى خيمت على أكثر الدول في سنة ١٩٣٠ وما يليها . (لسنا نبالغ اذا قلنا ان أكبر عامل في الازمة الحاضرة هو النشاط المصرفي التجارى ، بما يعمد اليه من اسراف خبيث أو تقتير مذموم في تهيئة وسائل التداول النقدى . ولا نشك في أن البنوك ـ بمعاونة الاحتكار ـ سوف توالينا بأزمات أشد وأقسى اذا لم تتدخل الدولة في الامر ، فاستعادت ـ في حكمة ومسئولية ـ وظيفتها في ضبط أداة التداول) ..

البقية في العدد القادم





ان جميع الرسالات الالهية التي أرسل الله بها الرسل لهداية الناس ، انما يقصد بها أمران :

أحدهما : تقرير الواقع فى شأن الالوهية وما لها من صفات ، وما يصدر عنها من ارسال الرسل، وتنزيل الكتب، والبعث والجزاء .

والآخر : هو التدرج بالناس فىمدارج الكمال ، ومدهم بالاحكام التشريعية التى تصلح بها أحوالهم ، وتستقر بها سعادتهم .

ومن الطبيعي أن تتفق الرسالات كلها فى الامر الاول ، لانه رجوع بالبشر الى شيء متقرر ثابت لا يختلف باختلاف العصور والاحوال ، وأن ينحصر الخلاف فى دائرة المناهج والتشريعات التفصيلية التي تتغير بتغير الزمان،ويتدرج الانسان فى مراتبها بحسب أطواره وبيئاته ودرجة رقيه فى العقل والتفكير .

ولذا كان « الدين » واحدا على لسان كل رسول بعث ، وكانت « الشرائع » مختلفة فى تفاصيل الاحكام والتعبدات ، « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وقضية اتحاد الدين على اختلاف الرسل قضية يقررها القرآن الكريم فى كثير من المواضع ، ويكررها على أساليب مختلفة ، لتستقر فى النفوس وتؤمن بها القلوب ، ويعلم الناس انهم جميعا على كلمة سواء ، وانه لا مبرر للتفرقة والتنازع والعصبيات .

يقول الله تعالى : ((ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة ــ (٦٢) .

وهذه الآية تفيد أن أصول الدين ثلاثة :

١ ــ الايمان بالله على وجهه الصحيح الذى بين فى آيات أخرى ، بأن يشهد الانسان أن لا اله الا الله ، ولا يعبد الا اياه ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يوالي ولا يعادى الا فيه ، ولا يعمل الا لوجهه .

٢ ــ الايمان باليوم الآخر ، بأن يعتقد أن الله سيبعث الناس من الاجداث ، ليحاسبهم على ما قدموا من خير أو شر، فيكافىء المحسن على احسانه ، ويجزى المسيء باساءته .

ان الدين عند الله الاسلام

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

٣ ــ العمل الصالح الذى من شأنه أن يسعد المجتمع البشرى ، ويزيل الشرور والفساد ، وينشر الطمأنينة والامن، ويمكن كل انسان من أداء واجبه وأخذ حقه ، على وجه سليم لا يفضي الى نزاع ، ولا يؤدى الى ظلم .

هذه هي أصول الدين التى يتفرع منها كل ما سواها ، وقد تضافر رسل الله أجمعون على تبليغها ، وبذل كل واحد منهم فى سبيل تقريرها والتمكين لها ما ملكه الله من جهد ، وآتاه من عمر ، وتلقوها عهدا من الله يبشر فيه سابقهم بلاحقهم، ويؤيد لاحقهم سابقهم، وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ، ومن نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » الاحزاب (٧) .

« واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا : أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » آل عمران (٨١) .

والقرآن الكريم يسوق لنا قصص الانبياء الذين أرسلهم الله الى أقوامهم ، فنجد الرسالات التى جاءوا بها تكاد تتفق حتى فى الالفاظ التى تحدث بها كل رسول :

ففي سورة هود يقص الله علينا أن هودا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون » .

وأن صالحا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » .

وأن شعيبا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » .

ويقص القرآن علينا مثل ذلك أيضا فى سورة الشعراء حين يذكر نوحا وقومه فيقول :

« كذبت قوم نوح المرسلين . اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون . انى لكم

رسول امين ، فاتقوا الله وأطيعون . وما اسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين » .

ويذكر بهذا النص نفسه هودا وقومه، وصالحا وقومه ، ولوطا وقومه ، وشعيبا وقومه ، فيبين لنا انه لا اختلاف حتى فى التعبير ولذلك يقول الله عز وجل :

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » النحل ــ (٣٦)

وكما نجد هذه الوحدة فيما دعا اليه الرسل ــ وقد تناسقت حتى ظهرت فى الالفاظ والعبارات التي عبر بها عنها ــ نجد أقوام هؤلاء الرسل جميعا يكادون يتفقون فى الرد على هؤلاء الرسل ومعارضتهم فى دعواهم ، وفى مقدمتهم السادة والكبراء :

فالملأ من قوم نوح يقولون :

« ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين » هود ــ (٢٧)

ويصل بهم الامر فى التحدى الى أن يقولوا :

« يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » هود ــ (٣٢) .

وعاد يقولون لنبيهم :

« يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » هود ــ (٥٣) .

وقوم صالح يقولون له متهكمين :

« يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا ، واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب » هود ــ (٦٢) .

وقوم شعيب يقولون ساخرين :

« يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك لأنت الحليم الرشيد » هود ــ (٨٧) .

ويصل الامر بهم الى ان يقولوا له :

« يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ، وانا لنراك فينا ضعيفا ، ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » هود ــ (٩١) .

وهكذا تشابهت قلوبهم ، وتوافقوا على رفض الدعوات الالهية ، بأسلوب واحد ، ومعنى واحد .

ولذلك يقول الله عز وجل :

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون» سبأ (٣٤) .

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون . أتواصوا به ؟ بلهم قوم طاغون»الذاريات (٥٢) ــ (٥٣) .

وما لنا نذهب هذا المذهب فى الاستدلال على وحدة الدين ، والقرآن الكريم نفسه يعلن ذلك على نحو قاطع فيقول :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»الشورى ــ(١٣)

ويقول :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » النساء ــ (١٦٣ ــ ١٦٤) .

بل يذهب الى أبعد من ذلك فى التحديد والتوحيد ، فيعلن أن دين الله منذ كان ، هو « الاسلام » ولن يقبل الله سواه ، وان الذين اختلفوا فيه من أهل الكتاب انما كان اختلافهم بغيا وتجاوزا وكفرا :

« ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب الأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » آل عمران ١٩ — ٢٠

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » آل عمران ٨٥

والاسلام فى الأصل معناه الانقياد والخضوع ، وقد استعمل بهذا المعنى فى القرآن الكريم :

فكل من « أسلم لله وجهه وهو محسن » أي استسلم لأمر الله ورضى به وعمل صالحا فهو فى نظر القرآن مسلم . ولذلك جعله الله مقابلا للشرك فى مثل قوله :

« قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » غافر — (٦٦) .

وجعله مقابلا للكفر فى مثل قوله :

« أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » آل عمران — (٨٠) .

كما وازن بين المسلمين والمجرمين فى قوله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » القلم — ٣٥ .

ووصف الدين القويم بقوله :

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » النساء — (١٢٥) .

والقول القويم بقوله :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » فصلت — (٣٣) .

وتحدث عن عباده المؤمنين الذين سيدخلون الجنة يوم القيامة من سائر الامم بقوله : —

« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون » الزخرف — (٦٨ — ٧٠) .

وقد جاء فى القرآن الكريم وصف كثير من الأنبياء ومن ارسلوا اليهم «بالاسلام»:

فنوح يقول : —

« وأمرت أن أكون من المسلمين » يونس — (٧٢) .

وابراهيم واسماعيل يدعوان ربهما قائلين —

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» البقرة — (١٢٨)

ويقول الله لابراهيم « أسلم » فيقول « أسلمت لرب العالمين » البقرة — (٦٧) .

ويصفه الله بأنه «كان حنيفا مسلما» آل عمران — ٦٧

ويوسف يدعو ربه فيقول : —

« أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين » يوسف ١٠١ .

وسليمان يكتب الى أهل سبأ : —

« أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين » النمل — (٣١) .

ويقول لقومه : —

« أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » النمل — (٣٨) .

وملكة سبأ تقول : —

« واسلمت مع سليمان لله رب العالمين » النمل — (٤٤) .

وموسى يقول لقومه : —

« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » يونس —(٨٤)

وفرعون حين يدركه الغرق يقول : —

« آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين » يونس — (٩٠) .

وقد وصف الله قرية لوط بقوله : —

« فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » الذاريات — (٣٦) .

البقية على ص : ٦٧





١ ــ ثبت اليوم لدى علماء الآثار أن معظم السكان الذين استقروا :

ــ فى وادى النيل فى مصر ،

ــ وعلى الرافدين فى العراق ،

ــ وفى بلاد الشام ، أى شمالى شبه الجزيرة العربية حتى جبال أرارات من بلاد الاناضول ، وذلك فى كل من البلاد المعروفة اليوم : بالاردن ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وديار بكر من تركية، انما هم هجرات كبرى صادرة عن شبه جزيرة العرب ومن جنوبيها بصورة خاصة ، وأنهم خرجوا منها فى موجات متعددة فيما قبل التاريخ وفيما بعده .

٢ — فما المهد الاصلى لهذه الشعوب؟
— وما حقيقــة مستواهم الحضارى فى تلك الاحقاب الموغلة فى القدم ؟

— وما الاسم الحقيقى الأصلى لهذه الشعوب ولبلادهم الاصلية ؟

وسوف أقتصر فى هذه الكلمة عــلى الاجابة عــن كل من السؤالين : الاول والثانى ، وارجىء الكلام على الســؤال الثالث الى فرصة أخرى ، وذلك بالنظر لسـعة موضوعه ، وتشعب البحث فى فروعــه .

٣ — لقد اندفع العلماء بعد اعترافهم بنظـرية الجنس العـربى (السامى) يبحثون عن المهد الاصلى للعرب، وذهبوا فى ذلك مذاهب :

أولا — ذهب فـريق منهـم الى أن « أفريقية » هي وطن العرب الاقــدم لما لاحظوه من وجود صلة بين اللغــات العربية والحامية .

ثانيــا — رأى آخــــرون ان ارض « ارمينية » حول جبال « أرارات » فيما وراء مملكة « الزها » (اورفة اليوم) من الممتلكات العربية القديمة هي ذلك الوطن الاول للعرب .

ثالثا — ظن نفر آخر أن ذلك الوطن الاصــلى هو « ارض العاموريين » فى سورية .

رابعا — قالت فئة اخرى : ان « ارض بابل » كانت هى المهد الاول للعرب .

خامسا — ولكن معظم العلماء البحاثين ذهبوا اليوم الى أن « شــبه جــزيرة العرب » هي المهد الاول، وأيدوا نظريتهم هذه بأدلة كثيرة : تاريخية ، وجغرافية ، ولغوية ، ودينية .

٤ — وهكذا فان الرأى العلمى الذى استقر عليــه العلماء اليــوم هو القائل « بتكون الاقوام العربية فى شبه الجزيرة العربية » ، وقال فى ذلك قائلهم : « والى أن يثبت أن الساميين (العرب) جاءوا الى بلاد العرب من بلاد غيرها ، يلزمنا أن نعتبر جزيرة العرب الوطــن الاصلى للساميين (العرب) ، ولعله من الممكن تحديد هذا الوطن فى القسم الجنوبي من هذه الجزيرة » .

٥ — فمن هم هؤلاء الاقوام العربية من الناحية الحضارية ؟

— من هم هؤلاء الاقوام الذين كانت بلادهم فى « جنوبى شبه جزيرة العرب » هي الخزان الذى يفيض بما يزيد عن طاقته فى حقب متعاقبة تبلغ الواحدة زهاء الف عام ، ويقذف بهم الى تلـك الاقطار التى أشرنا اليها اعلاه : فيما بين مصر الى العراق ، وفيما بين اليمن الى اعالى بـلاد الشام ، بل والى ابعد من ذلك : « الى افريقية الشمالية ، والى جنوبى اوربة فى البلقان وايطالية واسبانية » كما جزم به علماء الآثار نتيجة لما وصلوا اليه فى السنوات الاخيرة فى البلاد العربية من دراسات حيث قالوا (١) « استطاعت الابحاث الاثرية ان تعد خمس موجات منها ، وان تؤكـد ان آخرها واقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل اربعة عشر قرنا ، وانه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية خمس هجرات عربية قديمة أخرى قبل التاريخ : امتدت على افريقية الشمالية والبلقان ، وايطالية واسبانية ، وعرفت باسماء : موجات البحر الابيض المتوسط » .

٦ — لقد حصر ابن خلدون فى كتابه « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة الى عهده فى أربع طبقات :

أولا — «العرب العاربة» ، أى الراسخة فى العروبة أو المبتدعة لها ، وقد تسمى « العرب البائدة » لانهم العرب القدماء الذين كانوا بعد الطوفان وعصر نوح ممن انقرضوا وبادوا : من عاد الاولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم ومن ينتمى اليهم .

(١) مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلد السابع سنة ١٩٥٧ ، الصفحة ٤ ، الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام .

ثانيا ــ « العــرب المستعربة » أى الذين انتقلت اليهم ممن قبلهم مــن اقربائهم البائدين جميــع السمــات والشعائر العربية ، وهم بنو حمير بن سبأ وكهلان واعقابهم من التبابعة ومن انتسب اليهم .

ثالثا ــ « العرب التابعة » ، أى الذين تبعوا أولئك العرب من ابناء اسماعيل : من ربيعة ومضروإياد ونزار وعدنان ومن انتسب اليهم .

رابعا ــ « العرب المستعجمة » ، أى الذين استعجمت لغتهم بعد ذلك على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن .

٧ ــ والذى يهمنا من هذه الاجيال العربية الاربعة فى هذا المقام انما هي الاجيال العربية الثلاثة الاولى ممــن سكن معظمهم جنوبي شــبه الجزيــرة العربية ، وما كان لهم من شأن فى بلادهم مهد العرب الاصلى .

٨ ــ ولكن من المؤسف جدا انه حتى الآن « لا يعرف شيء عن هذه المنطقة قبل عصر مملكتى معين وسبأ التاريخيتين فى جنوبى بلاد العرب » الا ماكان من اخبار فرعية من طريق الشعوب العربية القديمة فى مصر وفى بلاد الشام وفى بلاد الرافدين فى العراق ، اذ لم يعد فرضا بل اصبح ثابتا انــه منــذ عــام ٤٠٠٠ قبــل الميــلاد تدفقت موجات من هجرات قادمة من بلاد العرب وانتشرت فى بلاد بابل وبلاد الشام ومصر ، ويقول ابــن خلدون فى ذلك : « وكان لهذه الامم ملوك ودول فى جزيرة العرب ، وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر فى شعوب منهم » .

٩ ــ هذا ، وقد اجمع المؤرخون للعرب قبل الاسلام على ان الدولة الاولى التى ظهرت فى هذه الحقبة من التاريخ المعروف عن هذه المنطقة فى شبه الجزيرة العربية انما كانت « الدولة المعينية » .
غير أن هؤلاء المؤرخين اختلفــوا فى تاريخ ظهور هذه الدولــة واندثارها : فذهب البعض الى انها بدأت عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وانتهت عام ١٠٠٠ قبــل الميلاد ، وذهب آخرون الى انها عاشت بين سنى ١٣٠٠ و ٦٣٠ قبل الميلاد ، ونحن نستبعد الرأى الثانى ، ونعتقــد انها أقدم من ذلك بكثير ، وربما كانت أقدم من التاريخ الاول فى الظهور .

١٠ ــ ومن الدول التى عرفها التاريخ فى هذه المنطقة :

ــ « الدولة السبئية » ، وينســب العرب تأسيسها الى عبد شمس بــن يشجب الذى يقولون فيه أنه لقب بسبأ لانه أكثر من الغزو فى أقطار العالم وسبي خلقا كثيرا ، وكان يعبد الشمس فسمى عبد شمس ، وهو بانى مدينة « بابليون » فى مصر باسم ابنه « بابليون » الــذى خلفــه واليا عــلى مصر ، وان كلمــة « بابليون » وكذلك « بابل » مأخوذة من لفظ سامى « عربى » معناه « باب ايلى » ، وكذلك مدينة « ايليون Ilion » كما هو معروف عند اليونان علماً على مدينة « طروادة » العربية الكنعانية الفنيقية على مدخل مضيق الدردنيل فى التاريخ القديم .

ــ و « الدولة القتبانية » ، وقــد عاصرت الدولة المعينية .

ــ و « الدولــة الحضرموتيــة » فى حضرموت .

١١ ــ وهؤلاء جميعهم اصحاب دول ومدنيات لها شأنها العظيم فى التاريخ ، ولم يصلنا بعــد من اخبار نظمهــم وشرائعهم الا القليل النادر ، وهى مع ذلك « تنم عن تطور ورقي فى الحيــاة الدستورية ... وتمتاز بصفات النضج الشرعى والبلوغ السياسي ، وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله أوضاع الحكم النيابى ، وربما لم يكن فى آثار القــدم السحيقة مايدانيها رقيا » كما جاء فى تاريخ العرب المطول للاستاذ « فيليب حتى » فى الجزء الاول (الصفحة ٦٧ ، طبع بيروت سنة ١٩٥٨) .

١٢ ــ ويقول صموئيل لاينج حول الكلام عن آثار اليمن القديمة وعمرانها : « والامر المهم من ناحية اكتشاف هذه الآثار العربية ليس كونها كشفت لنا عن وجود مملكة عربية عريقة فى القــدم والتمدن والتجارة فحسب ، بل كونهــا بينت لنا انهم أصحاب علم ، ولهم أحرف

هجائية خاصة لا يقل قدمها عن الخطين الهيروغليفي والآشوري » ، وقد أضاف الى ذلك : أن الخط الذى وضعه المعينيون أقدم من الخط الفينيقى الذى هو أصل للحروف الهجائية الرومانية واليونانية، وأشار الى أن بعض علماء اللغات يرون أن الفينيقيين نقلوا أحرفهم الهجائية من بلاد العرب .

١٣ ـ ويرون أن هيرودوت المؤرخ اليوناني الشهير (٤٠٧ ـ ٤٨٤ ق .م.) قد زار اليمن ، وانه قد أوحت اليه مناظرها أنها أغنى قطر فى العالم ، وأثار جمال قصورها قريحته فوصفها بما يأخذ الالباب .

وجرى مجرى هيرودوت «أغاثريدس» (١٦٥ق.م .) ، وسترابو (٢٤ق.م.)، وبالغا فى وصف تلك القصور ، وما فيها من جواهر وذهب .

١٤ ـ واما العرب الذين اتيحت لهم فرصة مشاهدة هياكل تلك القصور فقد بزوا غيرهم فى وصفها ، وذكروا أن قصر غمدان كان مؤلفا من عشرين طابقا ، وان قصر مأرب معجزة المعجزات. وفى الواقع أن مثل هذا كان قبل الفي سنة أشد روعة فى نظر الناس من بناية « امبير ستيت » بنيويورك « Empire State Bulding ».

١٥ ـ وأن ذلك العمران الحضارى الذى شاهده مؤرخو اليونان والرومان فى شبه جنوبى الجزيرة العربية ، وما شاهدوه فيها من رخاء عجيب ، هو الذى حدا بهم على ان يطلقوا على تلك المنطقة وما جاورها اسم « البلاد العربية السعيدة » ترجمة لكلمة « اليمن » فى ذلك التقسيم الثلاثي الذى قسموا فيه بلاد العرب كما يلى :

أولا ـ « البلاد العربيــة السـعيدة Arabia Felix » ، ومن شعوب هذه المنطقة : المعينيـون والسبئيون(١) والقتبانيون والحميريون والشموديون(٢) .

ثانيا ـ « البلاد العربية الصخرية » اى الحجرية Arabia Petraea ، ويدخل فيها مملكة الانباط التى كانت عاصمتها « بطرا » كما سماها اليونان ترجمة لاسمها العربى القديم « سلع » و « سالع » ويعني الصخر ، وسماها العرب ايضا « الرقيم » من « الرقم » اى الكتابة ، وذلك لكثرة ما فيها من النقوش والكتابة على احجارها المنتشرة فى وادى موسى ، وقد دخلت « بطرا » حين ضعفها تحت نفوذ الرومان فى عهد « تراجان » عام « ١٠٦ق.م » ، واطلقوا عليها اسم « المقاطعة العربية Provincia Arabia » .

ثالثا ـ « البلاد العربية الصحراوية Arabia Deserta » ، وتشمل بقية الاجزاء .

١٦ ـ ويتضح مما سبقت الاشارة اليه عن الشعوب التى سكنت المهد الاصلى ، وكانت الخزان الذى يفيض فى القديم بما يزيد عن طاقته من وقت الى آخر ، الى كل من مصر وبلاد الشام وبلاد بابل وآشور وغيرها :

أولا ـ انها لم تكن شعوبا بدائية فى حياتها .

ثانيا ـ انها كانت على جانب كبير من الحضارة والعمران .

ثالثا ـ انها حين كانت تخرج فى موجات متعاقبة مهاجرة الى مواطنها الجديدة كانت شعوبا مالكة لناصية الحضارة ، وحاملة معها أصول المدنية والعمران .

---

(١) وقد جاء فى القرآن الكريم آية ١٥ من سورة سبأ « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » ... « الوعى .. » .

(٢) وقد جاء عنهم فى القرآن الكريم آيات ١٤٦وما بعدها من سورة الشعراء على لسان سيدنا صالح لقومه : « أتتركون فيما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » « الوعى »

١٧ ــ وهذا هو وحده الذى يفسر لنا سر التقارب فى مظاهر الحضارات القديمة فى كل من مصر والعراق وبلاد الشام ، مما جعل العلماء حينما غفلوا عن وحدة المهد الاصلى الحضارى لهذه الشعوب يتساءلون أولا ، ويبحثون عبثا عن أى من الحضارتين : المصرية والبابلية، هى الاسبق والمؤثر فى الاخرى .

ـ ويجهلون ثانيا الحضارة الاصلية التى قامت فى بلاد الشام فى نفس الوقت الذى كانت الحضارة مزدهرة فيه فى كل من مصر والعراق ، ويظنون خطأ أن الحضارة الشامية لم تكن الا نتيجة التقاء الحضارتين فى ربوعها .

١٨ ــ ولكن الكشف عن المهد الاصلى لهذه الحضارات والشعوب ، والجزم بانه جنوبي شبه الجزيرة العربية فى اليمن السعيدة ، ومشاهدة آثار تلك الحضارة الأم الرائعة فى مهدها ، لا يبقى مجالا لذلك التساؤل حول الحضارتين المصرية والبابلية ، ويقضي على تلك الظنون الخاطئة حول عدم أصالة الحضارة فى بلاد الشام .

١٩ ــ ونرى من المفيد زيادة على ما تقدم ان نلح هنا على التنويه بتلك الحضارة الأم فى تلك البلاد العربية السعيدة ليكون فى ذلك فصل الخطاب .

٢٠ ــ يقول الاستاذ هانرى ماسى H. Massé : فى كتابه الاسلام « ان اليمن ، وأعنى بها جنوبي البلاد أو ما يسمونه بالبلاد السعيدة (ترجمة لكلمة اليمن) ، اشتهرت فى كل الازمان بخصبها وغناها ، وان خرائبها تشهد لها بماض سياسي لامع » .

٢١ ــ ويقول هانرى ماسى أيضا عن عمان : « اما عمان الواقعة فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة العرب فهي ايضا بلاد جبلية وخصبة جدا ، وان شاطئها مملوء بالمرافىء ، ومن هذه المرافىء خرج البحارة العرب الذين خلدوا آثارهم فى تاريخ الملاحة . وان مسقط قد حلت مكان العاصمة القديمة الشحْر المسماة من قبل بعض الجغرافيين العرب باب الصين » ، وكان ثمة مستعمرة عربية فى جنوبى الصين قرب « كانتون » فى عهد ما قبل الاسلام (١) ويؤيد ذلك وجود العرب هناك منذ تبع الحميرى حين وصل الصين (٢) .

٢٢ ــ ثم يقول هانرى ماسى : « وأخيرا فعلى طول الخليج الفارسى تمتد بلاد البحرين ، وهى بلاد صيادى الدر ، تلك البلاد التى غدت **ثروتها فى شجر التمر مضرب الامثال » . ؟**

٢٣ ــ ونقل الينا كوستاف لوبون Gustave LeBon فى كتابه مدنية العرب فقال : « حدثنا هيرودوت قبل اربعمائة سنة تقريبا من ولادة المسيح عن البلاد العربية السعيدة ــ اليمن ــ كما يحدثنا عن أغنى قطر فى الكرة الارضية .

ــ « وقالت التوراة عن مأرب ، وهى مدينة سبأ الاثرية : انه كان يوجد فيها قصور فى غاية من العظمة والثراء ، عليها أبواب مذهبة، ومملوءة بأوعية من الذهب والفضة ، وبالاسرة المعدة للراحة المصنوعة من المعادن النفيسة » .

٢٤ ــ وقال كوستاف لوبون أيضا : « ان زها المدن الكبرى فى اليمن ــ أى زينتها وزخرفها ــ كانت نتيجة لقدم صلاتها التجارية وانتشارها .

ــ « ولقد إمتدت صلات العرب حتى

---

(١) كتاب نهرو « من السجن الى الرئاسة » ترجمة لكتاب اكتشاف الهند ، الصفحة ١٢٩ ، طبع بيروت أولى سنة ١٩٥٩ .

(٢) كتاب « أسرار ماوراء الستار » للسيد محمد جميل بيهم ، وكذلك كتاب « ذو القرنين وسد الصين » للاستاذ محمد راغب الطباخ ، وكذلك الجزء الخامس من معجم البلدان .

بلغت حدود العالم المعروف ، وابتدات منذ عهود متأصلة جدا فى القدم ، وتحدثت عنها التوراة » .

٢٥ ــ بل جاء فى كتاب « التيجان فى معرفة الزمان » للامام وهب بن منبه اليمانى : ان الملك الصعب ذا القرنين ابن الحارث من ملوك حمير بعد أن توغل فى الفتح فى افريقية حتى بلغ اقصاها ، جازمنها الى جزيرة الاندلس ، وبنى فيها المنارات فى بحر الظلمات .

وفى ذلك دليل على قدم العرب فى شمال أفريقية ، ولقد كان للاسلام وحده الفضل فى اعادتهم الى العروبة من جديد .

٢٦ ــ وأيد ذلك الاب انستاس الكرملي فى مقالة نشرها فى مجلة المقتطف المصرية فى العدد الثانى من المجلد السادس بعد المائة ، وهي محاضرة القاها فى بغداد فى كانون الاول (ديسمبر) « سنة ١٩٤٤ تحت عنوان » « عرف العرب اميركة قبل ان يعرفها ابناء الغرب » ، واثبت فيها من مصادر غربية : ان العرب منذ اقدم الازمنة وقبل السيد المسيح بكثير كانوا يختلفون الى جزيرة واقعة غربي بريطانية العظمى : تلكم الجزر التى كان يسميها اليونان يومئذ بجزر القصدير Kasseterides ، وانهم قد سبقوا سائر الامم الى معرفة « تيار الخليج » الدافىء الذى يصل الى المكسيك ، وانهم نزلوا فى المكسيك ، ويعرف نزولهم فيها من اسماء الحيوانات التى تحمل حتى اليوم اسماء عربية تعود الى لغة العرب فى تلك العهود القديمة .

٢٧ ــ وان وصول العرب فى تلك العهود الموغلة فى القدم الى اميركة يدل دلالة واضحة على انهم :

ــ كانوا يتقنون فن الملاحة اتقانا عجيبا ، بدليل ما ذهبوا اليه من البلدان النائية .

ــ وكانوا يبرعون فى بناء السفن باحكام عظيم لتتمكن من مصارعة أهوال البحار المحيطة .

ــ وكانوا مبدعين فى الهندسة حتى تمكنوا من بناء الجوارى المنشآت كالاعلام .

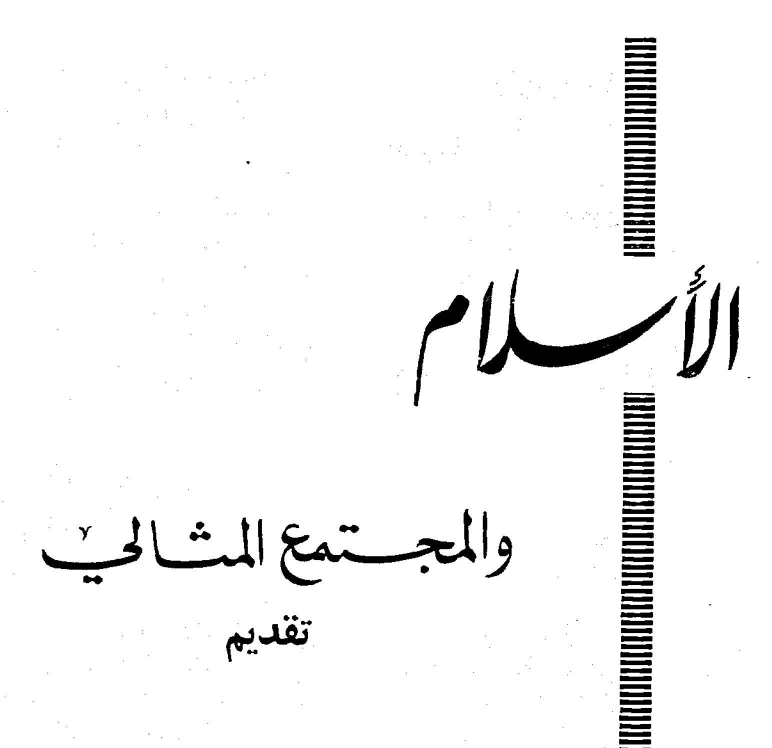
٢٨ ــ ولا يجوز ان ننسى فى هذا المقام ما قد اشرنا اليه من قبل واثبتته الكتب العلمية :

ــ من وصول العرب الى شبه جزيرة اليونان، وانهم كما حدثنا عنهم هيرودوت كانوا المنشئين للحضارة اليونانية : فى صناعاتها وفى كتاباتها .

ــ ومن وصول « الايتروسكين » الى شمالى ايطالية قبل الرومانيين، وانهم كانوا اول من انشأ الحضارة فيها ، وان هؤلاء الايتروسكين كانوا هجرة عربية ومن أبناء عمومة القرطاجيين العرب فى تونس كما نقله الينا أريستو Aristote .

ــ وكذلك ما أعلنه العلماء من أن عرب بلاد الشام القدماء : هم الذين اكتشفوا جزيرة كريت (اقريطش) وأنشأوا فيها الموانىء والمراكز التجارية ، وهم الذين كشفوا صقلية وانشأوا موانيها ، واول من وصل الى شواطىء شبه جزيرة « ايبيرية » ــ اسبانية والبرتغال اليوم ــ وانشأوا فيها الموانىء والاسواق ، بل أول من وصل الى بريطانية وايرلندة وبلاد الشمال .

٢٩ ــ ونختتم هذا البحث عن حضارة سكان جنوبي شبه الجزيرة العربية بكلمة اخرى وليست الاخيرة لكوستاف لوبون حيث قال : « ولقد ظلت المدن الكبرى فى اليمن مدة تزيد عن ألفي سنة هي المستودعات التجارية الحقة للعالم أجمع ، ولعبت نفس الدور الذى لعبته البندقية فى عهدها الزاهر » .



تقديم

لفضيلة
الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
عميد كلية الدراسات العربية بجامعة الازهر
وعضو المجمع اللغوى

اثارني الى الكتابة في هـذا الموضوع عامـلان لكـل واحـد منهمـا وزنـه وقيمته،ولكل واحد منهما دوافعه واثاره.

اما احدهما فانه قد استقر في ذهني مما اسمعه من رجالات الغرب الذين قدر لي ان القاهم ، ومن اخواننا العرب الذين يذهبون الى هنـاك ويتصلون برجالاتهم ، ويعيشون في مجتمعاتهم ، ثم يعودون الينا ، فينقلون لنا صورة عنهم تمثل افكارهم وحياتهم، ثم ما أقرأه فيما يترجم لنا من مؤلفاتهم في الادب والاجتماع ، أن بلاد الغرب تعيش اليوم في حيرة وفي اضطراب وفي قلق ذهني ، وان معنوياتهم وروحانياتهم ومقدساتهم التي عظموها الاحقاب الطويلة ليس لها اليوم استقرار في نفوسهم ولا ثبات ، وان عوامل كثيرة تتجاذبهم فتميل بهم ذات اليمين مرة ، ثـم تميل بهم ذات اليسار مرة أخرى ، وقد بلغ بهم الحال أن تزلزلت عقائدهم التي استمسكوا بها فترة طويلة من الزمن ، والتي غزوا من أجلها بلاد الشرق غزوا مسعورا ، وقد

تدفعهم هذه الاضطرابات النفسية وهذا القلق وهذا التأرجح الى البحث عن عقيدة أخرى أدنى الى احكام العقل ، واقرب الى مسايرة الحياة التى ينشدونها كما قد يدفعهم كل ذلك الى اطراح العقائد ونبذها جملة ، والارتماء فى احضان الالحاد والفوضى والاباحية ، فيصعب العلاج وتنتكس الانسانية ويعود الناس فى العالم أشبه ما يكونون بقطعان من وحوش الغاب .

واما العامل الثانى فانى شعرت بأن الناس فى الشرق مهبط الرسالات السماوية **قد شرعوا ينفضون عنهم غبار** الرقدة الطويلة التى فرضها عليهم الاستعمار ، واخذوا يبصرون احوال أنفسهم واحوال الناس من حولهم ، وان **دين الاسلام الذى يدين به أكثرهم ، هو** فى جملته وتفصيله دين الفطرة السليمة والعقل المستقيم ، فلو صح وعيهم ثم استقام تفكيرهم ، واحسنوا الدعوة اليه، **وقاموا بما اوجبه الله عليهم من التفقه** فيه والبشارة به ، وتكاتف ذوو البصر من امرائهم وعلمائهم على الدعاية له بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال المبني على الاساليب الحديثة رجونا من وراء ذلك كله خيرا عظيما .

حاجة البشرية الى الاسلام

رأينا أهل الفكر فى العالم اليوم على **أحد حالين : أولهما تردد وشك وحيرة** وتفكير طويل ورغبة ملحة فى طلب الخلاص من **هذا التردد وهذا الشك وهذه الحيرة**. وثانيهما : انتفاض ووعي وشعور بالمسئولية ، واحساس خفي بواجب طال **اهماله ، فما هو الا أن يتفق اصحاب هذا الانتفاض وهذا الوعي وهذا الشعور وهذا الاحساس على أن يؤدوا ما فرض الله عليهم من** فهم دينهم فهما صحيحا ، وعرضه على الفريق الاول ميسرا مجلوا مدعوما ببيان ما تحمله تعاليمه من أسباب العزة والقوة والمساواة والمحبة التى درجة الايثار ، فاذا هم مقبلون عليه راغبون فيه لانهم سيتحققون من أنه الوسيلة التي لا وسيلة غيرها لراحة نفوسهم وثلج صدورهم ، وتخليصهم من أرباق الحيرة والتردد والشك، والوصول بهم الى حياة وادعة ومعيشة طيبة مستقرة .

ورأينا مع ذلك تهافت اصحاب المبادىء المتطرفة على غزو بلاد الاسلام والشرق عامة فى عقر ديارهم طورا باسم الاقتصاد ، وطورا باسم العلم ، لانهم ايقنوا ان الغزو السياسي قد اصبح مما لا مجال له اليوم، وهم فيما بين هذا وذاك يدسون ويكيدون كيدا مستورا ، وقد يستطيعون بدسهم وكيدهم وخداعهم أن يزلزلوا افكار كثير من اهل الشرق ، وان يميلوا بافكار قوم آخرين منهم الى حالة من الفوضى والاضطراب والاختلاط ليست باقل خطرا من حالة الاولين ، فلو أن ذوى البصيرة من المسلمين واهل الشرق عامة اخلدوا الى الدعة والراحة ورضوا من الغنيمة بسلامتهم فى انفسهم لاوشك الخطب أن يتفاقم ، واستحال بعد ذلك رأب الصدع ، ولم يبق فى مقدور احد ان يتلافى الشر الجارف او يجنبه نفسه واهله ومواطنيه .

نحن فى بلادنا نتعرض كل يوم لخطر لا نحسه ، لانه يدب فينا دبيبا خفيا ، ونحن أحرياء ان نبحث وندقق فى البحث ونطيل التدقيق ، لئلا يدهمنا الخطر ، ونحن بما فرض علينا من الدعوة للاسلام، وبما انبعث فينا — أو فى جماعة منا — من الوعي الصحيح ومن الطموح الى اجتذاب النفوس الحائرة ، او التي على مفترق الطرق، أحرياء أن نهب هبة عاقلة حكيمة نقيم بها العذر لانفسنا ونعلن بها اننا لم نهن ولم نضعف ، وأن الهبة الكبرى التي **هبها أسلافنا الامجاد فملأوا بها العالم** نورا وهدى وقوة ، كانت من طبيعة ديننا الحنيف، وأن الركود والاستكانة والجمود التي حلت بنا فى أيام سالفة كانت مجلوبة طارئة يسر لها نسياننا او تناسينا لتعاليم **هذا الدين** ، وان الجالب لها المدبر لاسبابها الساعي لبلوغها غايتها هم أعداء **هذا الدين** من **ذوى القوى المادية بقصد** ان يموهوا على الناس ويفهموهم أن ديننا

البقية على ص : ٦٠



بقلم الاستاذ احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة في دمشق

من المعلوم أن العالم الاسلامي عالم عظيم مترامي الحدود والأطراف ، تسكنه شعوب مسلمة تبلغ نحو خمسمائة مليون مسلم أو تزيد ، لو عرفت كما ينبغي واجباتها ، وقدرت امكانياتها ، لصانت نفسها أولا ، ولغيرت مجرى التاريخ،وعدلت شذوذ الحضارة،ورفعت قدر الانسان ، وصورت سعادته المنشودة التصوير الصحيح الصادق، الجدير بأكرم المخلوقات على الارض .

اهمية البلاد الاسلامية

تنتشر اقطار هذا العالم فى آسية ، وتنتظم سواحل البحر الابيض المتوسط – ولهذا البحر خطورته الواضحة من جهات عديدة – كما تتوغل هذه الاقطار ايضا فى افريقية ، وتشرف فى بيئات على اوروبا .

فلا يعد بدعا – والحالة هذه – الا تحدث هزة من هزات السياسة والاجتماع فى العالم الا وتجد فى العالم الاسلامي تأثيرا أو تأثرا بها ، كائنا أو متوقعا .

ولسنا نعني أن يكون هذا التأثير او التأثر كما يجب أن يكون ، كلا ، فقد تسنح الفرصة أو الفرص فلا تفتنم،غفلة وجهالة او خدعة وتضليلا ، ولكن الذى

نعنيه التذكير بمجرد الخطورة تبيانا لفضل المواقع المترامية الاطراف التي لابد لها ان تتأثر ..

ولعل اول ما يخطر فى بال المنكر لذلك ، للطعن فى قيمة هذا العالم ، تباعد ما بين اقطاره ، وحال بعض هذه الاقطار الاليمة سياسيا واجتماعيا . فلا يغربن عن التفكير ان التباعد لا يجعل التعاون المنشود فى كثير من جوانبه متعذرا مع وسائل التواصل السريعة ، كما لا يغربن عن التفكير ان تلك الحال السياسية والاجتماعية تصبح عارضا موليا فتزول كأمس الدابر بتعاون الأخوة تعاونا جديا دائبا ، ولمثل ذلك يكون التعاون فى ظل الاخاء الحقيقي ، فلا تتوعر السبل ، ولا تعضل المشكلات .

قال الله تعالى تبيانا لاخائنا الوثيق : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١)

وقال سبحانه آمرا بتعاوننا المنشود : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (٢) .

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه — وفى رواية — ولا يسلمه .

وفيه : ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته » (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » (٥)

وقال عليه السلام : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » قال : يا رسول هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟



قال صلى الله عليه وسلم : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه » (٦) .

على ضوء هذه النصوص الالهية والنبوية الثابتة وامثالها ، نقرر جازمين :

وحدة اخوية ووطنية جامعة بين المسلمين وتعارفا وتعاونا يجمعان الشتات ، وينظمان الشمل ، ويحققان الصلاح ، ويديمان الاخاء . ولكن مما نشاهده فى كثير من الاحيان الخطيرة ، عدم المبالاة بجراح الاخوان كأن ألمها لا يعني المسلمين حتى يهبوا ويتعاونوا جديا لمداواتها ، ولو كانت حرية تسلب او دماء تسفك .

وقد يكون هذا بدهيا بعد أن عمل الاستعمار فى عالمنا عمل الارضة فى الخشب ، وبعد ان قلدناه فى كثير من مظاهر حياته الجوفاء،ونظمه المتعاكسة، وقياداته المتشاكسة .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) فى الجامع الصغير للامام السيوطي :اخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي .

(٤) متفق عليه .

(٥) فى كشف الخفاء : رواه الحاكم عن ابن مسعود بلفظ (" من اصبح وهمه غير الله فليس من الله فى شيء ، ومن اصبح لا يهتم ......)الحديث .

(٦) رواه مسلم .

وقد يكون هذا بدهيا ايضا دون رعاية منظمة لشؤون الاسلام والمسلمين .

ولا شك ان هذا المرض يجب ان يزول ، فيشفى المريض ، ويقوى الجناح المهيض،وتعود كثرتنا كثرة اخاء ومضاء، لا كثرة تفكك وعناء .

ان المنتسبين الى مذهب اجتماعي ليفخرون به ويعتزون بتطبيق احكامه فى أى بلد كانوا فيه ، فكيف تكون الرابطة الروحية الوثيقة التي عقد اواصرها الله اضعف فى نفوس بعض اتباعها من روابط المصالح المادية الموهومة ؟ ان ذلك لا يكون الا مع الجهل والفوضى ، ودواء الجهل العلم ، ودواء الفوضى النظام .

ان رابطتنا ينبع خيرها من نفوسنا لا من اجنبي ذى غرض منحرف ، وهي تدفع اهلها من وعيهم الذاتي الى مواطن الفعاليات الكريمة ، للحق والخير والعزة والواجب .

ان هذه الرابطة تحدو بنا الى اصلاح نفوسنا ولم شعثنا وتطبيق تعاوننا وتحقيق (تطورنا) الموزون علميا واجتماعيا واقتصاديا وحضاريا، وفى ذلك استرجاع لعظمتنا الضرورية لعزتنا ، واستئناف لدورنا – الذى لا يستطيعه غيرنا – فى هداية الامم واسعادها . وان الكوارث تفاجئنا وفى ديننا الحلول الكافية لجميع ما نعانيه من مشكلات سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية . الا يحز فى النفس ان تكون مواقف بعض الدول الاسلامية السياسية من قضية فلسطين الاسلامية العربية ، مواقف حيادية كأن الامر لا يعنيها ؟ او تكون مواقفها منها عدائية كأن (اسرائيل) صديقة عزيزة وفية ؟ هذا مع التذكير بأن اسرائيل مدينة سياسيا وعسكريا وماليا فى بقاء كيانها حتى الآن ، الي الاستعمار الحاقد على الاسلام والعروبة .

ان الاستعمار هو الذى يعمل على الجاء الاقطار الاسلامية – ولا سيما التي استقلت منذ عهد قريب – الى تلبية رغباته والتنكر للاخاء الاسلامي ، صيانة لما يتوهم انه مصالح سياسية او اقتصادية او اجتماعية .. فهلا استيقظنا من سباتنا العميق ؟ ! .

وهذه فى الجانب الاقتصادى مثلا – السوق الاوروبية ، وفيها اسرائيل ، وهي خطر على الكيان العربى والثورة العربية والاسلامية ، فأين الهيئة التخطيطية والتنفيذية العليا لتقابل السوق الاوروبية بسوق اسلامية ؟ .

لقد مني المسلمون فى عهد الرسالة بالسوق اليهودية واحتكارها ومكرها .. فما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى حدود البلوى والشكوى ، ولكنه لجأ الى الحل الاقتصادى الذى غاظ اليهود وزعيمهم المعروف كعب بن الاشرف الذى قوض قبة المسلمين وقطع اطنابها لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لأضربن له سوقا هو أغيظ له من هذا » ومضى الى مكان فسيح حر ملائم،وضرب فيه برجله وقال : « هذا سوقكم فلا يضيق ، ولا يضرب عليه خراج » ..

لقد كانت السوق الاسلامية حرة ، منظمة ، مصنفة : لكل عرض من العروض مكانه الخاص به ، وهكذا عالج الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلة اقتصادية هذا العلاج الحكيم ، الذى يحتاج الى مثله العالم العربي الاسلامي اليوم احتياجا شديدا (١) .

هذا مثل من امثلة لا تحصى تبين كيف عالج الاسلام مشكلات المسلمين المعالجة العملية ، ولكن ما نذكر به هو ضرورة الرجوع الى الاسلام العظيم لحل مشكلاتنا على انواعها ، فان لم نفعل استمر التيار الجارف فى مهاجمتنا حتى يأتي على بنياننا من القواعد ، فنحن عالم عظيم يجمع شعوبا لو اتيح ان تؤلف كلا منسجما لقادت التيار الجارف بديل ان يقودها الدخلاء المستصغرون

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية) للاستاذ البهي الخولي ص ٦٠

الطامعون الحاقدون ، ولكان لها رأيها فى امورها بديل ان يتكلم عنها الاوصياء الغرباء ، كأنها قاصرة لا تملك رأيا ولاتصرفا .

والذى يبدو لي اقتراح اساسي فى هذا الموضوع ، وهو :

العمل على تأليف هيئة تخطيطية وعملية عليا ـ ذات لجان عديدة اختصاصية ـ تمثل تمثيلا صادقا الحكومات التي تدين بالاسلام ، كماتمثل الدعوات الاسلامية فى اقطار العالم الاسلامي .

غايتها : دراسة مشكلات العالم الاسلامي على ضوء الاسلام والعلم ، وبيان فتاويها او تقاريرها او آرائها فيها ، فى كتب او نشرات ، بالعربية وغيرها من اللغات الاخرى حسب الاقتضاء .

ثم العمل على تنفيذ كل ما تستطيعه من الامور والوسائل المشروعة فى العالم الاسلامي ، وفى خارجه المتعطش الى دعوة الحق والاصلاح .

وبدهي ان يكون فى مقدمة هذا التخطيط وهذه الدراسة والتطبيق ما يلي من نتائج :

ا ـ التقريب او التوحيد المذهبيعلى ضوء الكتاب والسنة .

ب ـ الصلح بين الحكومات والجماعات المتعادية بالاحتكام للحق والعدل ، والاتفاق على جميع وسائل التعاون بينها فى سبيل الاصلاح العام .

ج ـ النهضة الثقافية والصناعية التي تلبي حاجة اقطارنا ، المتخلفة عن ركب الامم التي تقدمت فى مضمار العلم والحضارة ، وتمهد هذه النهضة للتوحيد او التقريب الثقافي فى اوانه ، فتتقارب المناهج ويسلك ابناء الاسلام سبلا لاحبة من صالح القديم وصالح الجديد ، تؤهلهم جميعا الى بلوغ مقاصد موحدة . ولا ضير بعد الاتفاق على الكليات اذا كان ثم اختلاف فى الجزئيات التي تدعو اليها بعض البيئات والاحوال .

وينبغي ان يعد نشر اللغة العربية والتعاون الاسلامي العربى فى مقدمة وسائل النهضة المنشوده .

د ـ تنظيم شؤون الدعوة الاسلامية واساليبها وتمويلها .

هـ ـ رد المفتريات التي يوجهها المفترون نحو ديننا وتاريخنا ولغتنا ...

و ـ اقامة المؤسسات الاسلامية الاجتماعية العديدة التي تصور عدالة الاسلام بحرصه على النهوض بالمجتمع ووقايته من الضلالات والجهالات والفقر والمرض .

ز ـ توجيه كل من الرجل والمراة فيما يصلحان له من اعمال مجتمعاتنا .

ح ـ اقامة نظام مصرفى اسلامى بعيد عن الربا والاستغلال ، محقق لحاجات الفعاليات الاقتصادية .

ط ـ مناهضة الاستعمار السياسي والاقتصادى والانحراف الخلقي وما الى ذلك بكل الوسائل الممكنة .

هذه نتائج ليست وليدة الخيال ، ولكنها ستكون من ثمرات الجد والمضاء، اذا عرف العالم الاسلامي حقا نفسه ، واحسن تنظيم اموره ، واستنفد استعداده ، وتوكل على ربه ، والله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١) ويقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » (٢)

اما الاعتماد على العالم الاسلامي فى كثافة سكانه ، ووفرة خبراته ، وملاءمة مواقعه ، فاعتماد لا يغني شيئا عن التعاون المنشود لنهوضه ، ما لم يرجع جسدا واحدا : اذا اشتكى عضو تداعت اليه اعضاؤه جميعا مهتمة مواسية .

الا هل بلغت ، اللهم اشهد

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥   (٢) سورة النور : ٥٥

الكويت في المؤتمرات الإسلامية

عصر المؤتمرات

يعيش العالم فى عصر يمكن أن نسميه عصر المؤتمرات . وذلك لكثرة ما يعقد فيه من مؤتمرات تستهدف حل القضايا والمشكلات وتحقيق التعاون بين الشعوب والدول فى شتى الميادين .

ومع أن الدول الاسلاميـة تشارك فى هذه المؤتمرات وتسهم فى انجاحها جنبا الى جنب مع بقية دول العالم .. الا أنها تحس أن لها قضايا خاصة بها تستحق الرعاية والاهتمام ، وتحتم تلاقى الجهود على بحثها ، والوصول الى خطط موحدة تجاههـا .. ذلـك أن هـذه الدول فى نهضتها الحديثة تتعرض لتيارات ضغط خارجي ، من الدول القوية بقصد ابقائها فى دائرة نفوذها ، والحد من انطلاقهـا لتدعيم شخصيتها وفرض وجودهاكدول اسـلامية يجب أن يكون لها كيانهـا وشخصيتها ..

حاجة المسلمين الى التجمع

وهذا الصراع الذى تعيش فيه الدول الاسلامية يفرض عليها أن تتلاقى وتتجمع لتعمل بكل قواها على صيانة وجودهـا من التيارات الدخيلـة عليها ، سـواء أكانت فى النواحي الدينية أم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومـن هنـا بدأت فـكرة المؤتمرات الاسلامية ، وأحس قادة المسلمين الحاجة اليهـا .

ودولة الكويت فى نهضـتها الحديثة تحرص على المشاركـة الجـادة فى كـل



رئيس وفد الكويت يقدم مصحفا هدية الى الرئيس سوكارنو

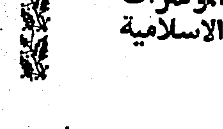
نشاط اسلامي عربي يرجى من ورائه الخير للمسلمين . ففي أوائل عام ١٩٦٤ انعقد مؤتمر وزراء الاوقاف العرب الاول في دمشق ومثل الكويت فيه وفد برئاسة السيد حسن العسعوسي وكيل الاوقاف المساعد رئيسا وفضيلة الشيخ علي عبد المنعم والشيخ عبدالرحمن الفارس عضوين ، وفي الشهور القليلة الماضية منذ يناير الماضي انعقد مؤتمر اسلامي في الصومال ضم ممثلين لـ (٣٨) دولة اسلامية ، كما انعقد مؤتمر إسلامي في باندونج بأندونيسيا ومؤتمر اسلامي في مكة . .

وفي هذه الأيام ينعقد في القاهرة المؤتمر الثاني لعلماء المسلمين في العالم الاسلامي ، وقد دعت اليه الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامي في الأزهر .

المؤتمر الاسلامي في مكة
من ١٤/١٢/١٣٨٤ – ٢١/١٢/١٣٨٤هـ

وقد لبت الكويت الدعوة التي وجهتها اليها رابطة العالم الاسلامي في مكة لحضور المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد بعد انتهاء موسم الحج في ١٤ من ذي الحجة ١٣٨٤ هـ ولمدة أسبوع تحت رعاية عاهل المملكة العربية السعودية . وحضره كثيرون من ممثلي الدول والشعوب الاسلامية وذلك لدرس المشاكل التي تهم المسلمين ، والتماس الحلول لها بما يقتضيه الصالح العام .

وتكون وفد الكويت من معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف رئيسا ، ومن فضيلة الشيخ أحمد خميس الخلف المستشار بالمحاكم ،



وفضيلة الشيخ أحمد عبد القادر المدرس بالمعهد الديني عضوين .

وقد القى معالي رئيس الوفد الكويتي الكلمة التالية تعبيرا عن وجهة نظر الكويت في القضايا الاسلامية وواجب المسلمين نحوها ..

كلمة وزير الأوقاف في مؤتمر الرابطة الاسلامية بمكة

السلام عليكم ورحمة الله وبعد -

فانه ليسرني ويسر حكومة الكويت أن نشترك معكم هنا في هذا المؤتمر الاسلامي الذى ضم نخبة طيبة من مسلمي وممثلي كثير من البلاد الاسلامية وذلك « لدرس المشاكل التي تواجه المسلمين والتماس الحلول لها بما يقتضيه الصالح العام » كما جاء في بيان الرابطة .

واذا كنا قد اجتمعنا في ظل هذا الغرض فكم أود باسم الله وباسم حكومة الكويت التي تضع دائما نصب عينيها أن تشارك جادة في كل الاعمال والجهود التي تعود بالخير والنفع على أمتنا .. أود لو أن كل الجهود الاسلامية قد تلاقت وتعاونت في هذا السبيل .. بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، واسمحوا لي أن أقول كلمة بخصوص الدعوة الاسلامية وموقفنا منها ..

ان العمل للدعوة الاسلامية له مجالان :

مجال في البلاد الاسلامية نفسها ومجال خارج حدود هذه البلاد .

أما في البلاد الاسلامية نفسها فمن واجبنا أن نعمل على تقوية الروح الاسلامية وتكوين مجتمع مسلم بقدر الامكان حتى تكون في واقعنا المسلم صورة طيبة ومثلا كريما يتطلع اليه غيرنا .. ويكون هذا المجتمع المسلم نقطة الانطلاق لنشر الدعوة الاسلامية ، وقد عملنا من ناحيتنا في وزارة الاوقاف بالكويت على انشاء ادارة الدعوة والارشاد وهي تقوم بنشاطها في مختلف المجالات الدينية كما أننا سنصدر مجلة « الوعي الاسلامي » الدينية شهريا من أول العام الهجرى الجديد ، وبدأنا العمل في ترجمة بعض الكتب الاسلامية المهمة الى اللغات الأجنبية لارسالها للبلاد الخارجية ، وانشأنا كذلك ادارة الشؤون الاسلامية لتعنى بالاتصال بمختلف الهيئات الاسلامية في الخارج وتقوم بالدراسات اللازمة عن البلاد الاسلامية وحاجاتها توطئة لمد نشاط الدعوة اليها .

أما الدعوة في غير البلاد الاسلامية ، وفي المجالات التي تحتاج فعلا لدعوة الاسلام فكلنا يعلم أن الأمر لم يعد عند غيرنا مسألة دعوة مخلصة الى دينهم بل انهم اتخذوا الدعوة الى الدين شعارا وطريقا لبسط النفوذ والسلطان وليس من المعقول أن ننام وغيرنا يعمل لا سيما بعد أن دخلت الصهيونية مجال العمل ضد الدول الاسلامية والعربية بالذات .. ليس من المعقول أن نترك اخواننا المسلمين وهم في حاجة الى من يعلمهم أمور دينهم ولغة كتابهم .

ليس من المعقول أن نترك المجال امامنا واسعا لنشر الدعوة الاسلامية وهداية الناس للاسلام ثم نتركهم تتخطفهم الشياطين ، ونهمل واجب الدعوة الذى وضعه الله فى أعناقنا .

ولما كان مجال العمل واسعا ويتطلب جهودا كثيرة من المال والاشخاص فاني أرى ألا تترك دولة واحدة للقيام بهذا العبء وألا يشغلنا العمل داخل بلادنا عن هذا الواجب، بل يجب أنتتضافر عليه الدول الاسلامية ، كل منها تشترك بقدر طاقتها ، وأن يكون بينها تنسيق ينظم العمل ، ويسهل تحقيق الهدف .

اننا فى حاجة لانشاء مراكز اسلامية فى افريقيا وآسيا تشتمل على مسجد ومدرسة ومستوصف أو مستشفى للعلاج ، وفى حاجة بجوار ذلك الى ترجمة كتب عن الاسلام ومبادئه السمحة باللغات الأجنبية السائدة وتوزيعها على الذين لا يعرفون الاسلام .

وفى حاجة لارسال الدعاة الذين يتحدثون عن الاسلام ويكشفون عن محاسنه وعدم تفرقته بين الناس من أجل ألوانهم وأجناسهم .

وكل ذلك يحتاج الى مال والى جهود ثم قبل ذلك وبعده الى تنظيم .

ومن الواجب على كل دولة اسلامية أن تقوم بدورها فى هذا السبيل .

وانه ليسرني أن أقول لكم ان وزارة الأوقاف بالكويت قد تنبهت لهذا الواجب وبدأت تعد له .. ونرجو الله سبحانه أن يبصرنا بدينه ويوفقنا للعمل به وله ، حتى نكون كما اراد الله خير أمة أخرجت للناس ...

وقبل أن أختم كلمتي أرى لزاما علي أن أتوجه بالشكر الى صاحب الجلالة الملك فيصل الذى يرعى هذا المؤتمر والمشتركين فيه بحسن رعايته وكريم ضيافته ، وأسأل الله أن يرعاه ويسدد خطاه ، كما أشكر هيئة الرابطة الاسلامية على جهودها فى تنظيم هذا اللقاء الاخوى وكل الذين شاركوا فيه من جميع الأقطار الاسلامية والله يتولى الجميع بالتوفيق والسداد ... والسلام عليكم ورحمة الله .

وفى مؤتمر اندونيسيا

كما لبت الكويت من قبل الدعوة التي وجهت اليها لحضور المؤتمر الاسلامي الاسيوى الافريقي الذى انعقد فى اندونيسيا وتبرعت له بعشرة آلاف دولار وتكون وفدها له من الأساتذة .

عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس
رئيس قسم المساجد بالأوقاف (رئيسا)

عبد الله عقيل العقيل
مدير الشؤون الاسلامية بالأوقاف (عضوا)

محمد الراشد العمر
مدير مكتب وكيل الأوقاف (عضوا)

واشترك الوفد مع مندوبي ثلاث وثلاثين دولة فى جلسات المؤتمر التي انعقدت فى مدينة « باندونج » من ٦ مارس ١٩٦٥ الى ١٢ منه وقد افتتح الرئيس سوكارنو رئيس الجمهورية أولى جلساته ثم توالت الجلسات التي كان يتناوب رئاستها رئيس المؤتمر السيد أدهم خالد (أندونيسيا) ووكلاؤه السادة

الدكتور محمود حب الله
الأمين العام لمجمع البحوث بالأزهر

والسيد حامد احمد خان
(باكستان)

والسيد الحاج س. يعقوب
(نيجيريا)

واختير السيد احمد شيخو (أندونيسيا) أمينا عاما للمؤتمر .

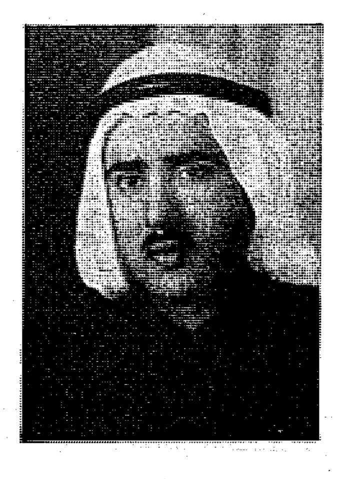
وقد انفض المؤتمر بعد أن اتخذ

الكويت في المؤتمرات الاسلامية

القرارات والتوصيات اللازمة التي ستبلغ للدول المشتركة من قبل السكرتارية الدائمة للمؤتمر التي تم انتخابها واختيار مقرها الدائم فى اندونيسيا .

كلمة وفد الكويت

هذا وقد ألقى الأستاذ عبد الرحمن الفارس رئيس وفد الكويت الكلمة التالية : —



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

السيد الرئيس — السادة الاعضاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسر وفد دولة الكويت . أن ينقل اليكم والى الشعب الاندونيسي الشقيق تحيات سمو أمير دولة الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح وحكومته والشعب الكويتي المسلم ، سائلا المولى عز وجل ان يكلل جهودكم بالنجاح . وان يحقق على ايديكم الامال الكبار التي يعلقها المسلمون فى كل مكان على هذا المؤتمر الاسلامي . وان يوفقكم الى تلمس الحلول الناجعة التى بها علاج مشكلات المسلمين . وحل معضلاتهم وجمعهم على كلمة سواء .

ايها السادة المؤتمرون .

ان الكويت بلد اسلامي يعتز بدينه ويفخر بالمشاركة فى هذا المؤتمر ليسهم ببعض الحلول التي يراها كفيلة للنهوض بأمتنا الاسلامية المجيدة . ومما لا شك فيه ان كثيرا من بلادنا الاسلامية تعاني مشكلات شتى ، وتمر بأحداث جسام . ويرجع معظمها الى عدم ادراك المسلمين لحقيقة دينهم وعدم فهمهم الدور القيادى الذى يجب ان يمارسوه امتثالا لامر الله تعالى . ولينقذوا الانسانية من المادية التي احاطت بها من كل جانب والتي سدت عليها جميع المنافذ مما سهل لاعدائنا سبل التغلغل فى ديارنا والتسلط على شعوبنا ونهب خيراتنا .

سادتي الاجلاء

لا يخفى على حضراتكم أن اكثر من وطن اسلامي لا يزال يرزح تحت نير الاستعمار وأن أكثر من شعب اسلامي ما برح فى صراع محتدم مع قوى البغى والعدوان . وفى طليعة هذه الشعوب الاسلامية المجاهدة لاسترداد حقها وتأكيد وجودها شعب فلسطين العربية المسلمة الذى تآمر عليه الاستعمار بشتى الوانه وجميع تكتلاته فأخرجه من بلاده وأسكن فيها عصابة الصهاينة وجعل من فلسطين الجريحة قاعدة استعمارية لتنفيذ مخططاته العدوانية التي لا يقتصر خطرها على البلاد العربية فحسب . بل يتعداها الى البلاد الاسلامية كلها . وهذا ما يدعونا لمناشدتكم بأن تطالبوا شعوبكم وحكوماتكم مؤازرة شعب فلسطين فى جهاده لاستعادة ارضه ليعيش كريما بين شعوب



وفد دولة الكويت مع الجنرال عبد الحارث ناسوتيان وزير الدفاع بأندونيسيا

الارض . (والفلسطينيون هم اصحاب الحق فى تقرير ما يشاءون لانفسهم لانهم شعب عريق فى حضارته) ومن الظلم الصارخ ان يظل هذا الشعب مشردا ويسكن فى ارضه اخلاط شتى من يهود العالم وشذاذ الآفاق .

يا حضرات السادة

ان دولة الكويت تؤيد كل قضية من قضايا الحرية وتقف دائما الى جانب التحرر من العبودية وتناصر كل حركة لخير الانسانية . فنحن مع شعب فلسطين وهيئة التحرير المنبثقة منه والناطقة باسمه حتى يعود اخواننا الى ديارهم ويطردوا الدخيل من وطنهم ، ونحن مع شعب عمان والجنون العربى حتى يتحررا من مستعبديهم ونحن مع الشعوب الاسلامية المستعمرة فى أريتريا وزنجبار وأوغادين وغيرها حتى تتخلص من مستعبديها ونحن مع الاقليات الاسلامية المضطهدة فى العالم كله حتى يرفع الظلم عنها وتمارس حقها فى حرية العبادة والعمل .

ونحن شعب الكويت وحكومته مع كل مظلوم حتى ينتصر وعلى كل ظالم حتى ينهزم . والى جانب جميع الشعوب المغلوبة حتى تتحرر من قاهريها .

ان المسلمين فى شتى بقاع الارض فى حاجة ماسة الى فهم دينهم . والدعوة الى منهاجه القويم . وتقديم الخير الذى جاء به اسلامهم الى الانسانية كلها . ليسودها الامن والسلام ويعمها الرخاء ولن يتحقق ذلك الا بالكفاح المستمر والعلم المستنير والمخططات المدروسة والبرامج العملية والتربية الاصيلة والتميز الواضح .

ويسرني باسم وفد دولة الكويت ان اتقدم بالمقترحات التالية راجيا دراستها واخذ القرارات والتوصيات التى تزونها وهي : —

اولا — اعتبار القضية الفلسطينية قضية إسلامية ودعم الشعب الفلسطيني فى كفاحه ضد الصهاينة المغتصبين .

ثانيا ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدر كل القوانين والتشريعات فى البلاد الاسلامية .

ثالثا ـ جعل اللغة العربية اللغة الرسمية فى جميع الدول الاسلامية .

رابعا ـ نشر اللغة العربية بين الشعوب الاسلامية التي لا تتكلمها .

خامسا ـ الاهتمام بأمر الدعوة الاسلامية فى افريقيا وآسيا لمقاومة التبشير والاستعمار .

سادسا ـ دراسة احوال الاقليات الاسلامية وتقديم التقارير المفصلة عنها .

السيد الرئيس ـ السادة الاعضاء .

يسرني باسم حكومة دولة الكويت ان اعلن من فوق هذا المنبر تبرع حكومتي لهذا المؤتمر بمبلغ عشرة آلاف دولار .

وختاما فاني اكرر شكرى وشكر وفدنا لكم وللهيئات الاسلامية فى اندونيسيا وللشعب الاندونيسي المسلم ولحكومته الموقرة سائلين المولى عز وجل ان يوفق دعاة الاسلام فى هذه البلاد المسلمة الى النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية وبخاصة فى هذه المنطقة الهامة من جنوب شرقي آسيا لتقف فى وجه الدعوات الاستعمارية الهدامة المناهضة للاسلام . والله يوفق العاملين المخلصين لدينه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أضواء على المؤتمرات الاسلامية

رأي وانطباعات

للاستاذ عبد الله عقيل

عضو الوفد الكويتي لمؤتمر اندونيسيا

مما لا ريب فيه أن انعقاد المؤتمرات الاسلامية بين فترة وأخرى فى أماكن عديدة وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي له أهمية كبرى فى دراسة مشكلات المسلمين وتلمس الحلول الناجعة لها ، وكذلك النظر فى أمر الدعوة الاسلامية وبحث السبل الصحيحة لنشرها ، والعمل على جمع كلمة أهل الرأى منهم للوقوف أمام التحديات الضخمة التي يواجهها الاسلام والمسلمون من خصومهم فى الشرق والغرب .

ولقد كانت استجابة دولة الكويت لحضور مثل هذا المؤتمر نتيجة طبيعية لالتقائها مع شقيقاتها الدول العربية والاسلامية فى العمل على ما من شأنه رفع كلمة الاسلام واحياء أمجاد المسلمين واحتلال مكان الصدارة بين الأمم الحضارية المتقدمة ذات المبادىء السامية والمثل العليا والاهداف البناءة .

كان الوفد الكويتي من أبرز الوفود التي شاركت فى تحديد معالم الطريق لخدمة الاسلام والمسلمين حيث أسهم بالمقترحات والكلمات التي كان لها أجمل الأثر وأحسن الوقع لدى المؤتمرين خاصة والشعب الأندونيسي المسلم عامة .

وكانت مظاهر الحفاوة والتكريم التي يقابل بها الوفد فى كل مدينة يزورها ذات دلالة واضحة على أن الامة الاسلامية مهيأة لحمل امانة الاسلام والاضطلاع باعبائه اذا وجدت العناصر الصادقة التي تضع يدها على مكمن الداء وتصف له العلاج .



وفد الكويت فى جلسات المؤتمر . ويظهر فى الصورة السادة عبد الرحمن الفارس وعبد الله العقيل ومحمد العمر وبجانبهم رئيس وفد لبنان وبعض الوفود الاخرى

ولقد بحث المؤتمر فى جلساته واجتماع لجانه أمورا شتى أهمها حالة الاقليات الاسلامية المضطهدة ، ودور الاسلام كعقيدة ونظام فى حل معضلات الحياة المعاصرة ، وبيان أهمية اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن وضرورة العمل على نشرها فى كل مكان ، والاهتمام بقضايا المسلمين الكبرى كقضية فلسطين التي كان لها موضع الصدارة فى بحوث المؤتمر حيث اعتبرها المؤتمرون القضية الاسلامية الأولى ومشكلة الساعة فى الشرق العربي المسلم .

كما أن المؤتمر بحث أمر الخلافات التي قد تقع بين دولتين اسلاميتين ورأى أن حل مثل هذه الأمور يكون من داخل الدول الاسلامية لا من خارجها .

وتناول المؤتمر الحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للشعوب الاسلامية وأوضح أنه لا بد من النهوض بأحوال المسلمين فى كل المجالات وتوفير الضمانات التى تهيىء لهم الحياة المستقرة التي ينطلقون منها لنشر الخير الى الناس كافة .

ولعل من المصادفات الجميلة أن يكون وفود المؤتمر على المستويين الشعبي والرسمي ، وهذا مما ساعد على استجلاء الكثير من الحقائق والوقوف على الكثير من المواضيع التي تشغل بال المسلمين شعوبا وحكومات وافرادا وجماعات .

لقد خرجنا من المؤتمر بتجربة ناجحة هي أن الاسلام - والاسلام وحده هو القادر على الصمود أمام كل التحديات ، والثبات أمام جميع التفاعلات ، وفى تضاعيفه تكمن القوة الخارقة التي اذا ما انطلقت كان فيها خلاص الانسانية مما هي مترديه فيه من مهاوى الغواية والضلال .

ولقد رأينا بأعيننا كيف تتفجر الطاقات المدخرة فى قلوب المسلمين وعقولهم اذا ما سمعوا هتاف الحق ودعوة المجد ونداء القوة والحرية .

البقية على ص : ٦١



كان الجاحظ رافــدا من روافد الفكر والادب العالمي

أقوى من تصدى للشعوبيةودافع عن العروبة والاسلام

تشوق الخلفاء لرؤيته وتسابق الوزراء لكسب وده

كتب الجاحظ تعلّم العقل أولا والادب ثانيا

للاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم

ولد عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي الملقب « بالجاحظ » في مدينة البصرة في منتصف القرن الثاني من الهجرة تقريبا ، وعاش بدء حياته في شظف من العيش وضيق من الحال ، ولكن ذلك لم يمنعه من انصرافه للعلم وتبتله اليه ،وانهماكه فيه ، بل كان أكبر حافز له على المثابرة والجد .

وما أن تعلم القراءة والكتابة حتى انصرف الى حلقات المساجد ، واندية العلم ومجتمعات الادب ، وظل يتردد على « المربد » وهو ملتقى الشعراء والرواة واتصل بعلماء اللغة وجهابذة الفقه والحديث والكلام ، وخرج الى البادية يلتقي بأعرابها ويستقي من منابعها ، ويجتمع بأصحاب الفصاحة والبلاغة فيها .

وكان العصر الذى نشأ فيه الجاحظ عصر استقرار وازدهار وتمدن حضاري ورقي علمي وفكري ، فقد توطدت فيه أركان الدولة العباسية ، واتسع نفوذها السياسي والأدبي وانضمت تحت لوائها امم كثيرة ، ودخلت فيها عناصر مختلفة واصبحت العربية لغة لهذه الجماعات بعد أن اعتنقوا الدين الاسلامي ، ونتج عن ذلك أن شاعت الآراء الفلسفية وظهرت الجماعات الفكرية بعد أن نقلت كتب الفلسفة اليونانية التي كان لها أكبر الأثر في تغيير أفكار الناس واتجاهاتهم ، وما لبثت هذه الفلسفة اليونانية والفلسفات الأخرى التي احتضنها المجتمع العربي أن وجدت عقولا واعية مفكرة تفاعلت معها وتأثرت بها وساهمت في تكميلها . وفي هذا العصر دونت علوم الدين واللغة والادب بعد أن كان يعتمد فيها على الرواية والمشافهة ، ولقد مال الناس في هذا العصر الى الترف الفكرى كما اترفوا في عيشهم ، ولقد عاش الجاحظ بعيدا عن السياسة واضوائها متنحيا عن صخبها وضوضائها ، رأى اناسا لعبت بهم السياسة ،فأعلتهم ثم خفضتهم وأغرتهم ثم اغوتهم فتجنبها تجنب الباصر الخبير وأعرض عنها اعراض العارف الأبي ، ولكنه مع ذلك كان يداري ولا يشتط ويصانع ولا ينافق ويجامل ولا يتورط ، وقد أقبل على العلوم بكليته وانصرف عن زخارف المناصب وبروق المطامع ، واتجه نحو الدرس والمطالعة،همهالبحث والتنقيب والتتبع والاستنتاج ، لا تلهيه رغبة ولا تبعده رهبة . **وقــد تولى**



منصبا كبيرا فى عهـــد خليفة عالم وهو ديوان الرسائل ولكنه لم يستقر فيــه الا ثلاثة أيام ، وقال سـهل بن هارون : (ان ثبت الجاحظ فى هذا الديوان أفـل نجم الكتاب .)

ثاني اثنين اذهما فى التنور

وبلغ من رغبة الجاحظ فى العلم وحبه للاطلاع انه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيهـــــا للنظر لما فيها . وعاش الجاحظ فى رغـــد من العيش بعد أن ألّف كتبه ورسائله للخلفاء والوزراء ولما قـــدّم كتابه عن العباسيين للمأمون اعجب به واجزل له العطـاء واثنى على كتابه ، **وقال الجاحظ : (ان فرحي باطراء المامون للكتاب أكثر من فرحي بعطائه .)** ومن هنا يتبين لنا حب الجاحظ للعلم واخلاصه لفنه ، وظلت صـلات الخلفاء بعد ذلك ورسلهم تتوالى عليه ، وشاع ذكره فى الآفاق وعلا اسمه ، وقد عاصر الدولة العباسية فى أوج عزها الى بـدء تضعضعها وضعفها ، ورأى بعينه تقلب الأحوال فيها وتبدلها .

عمر حتى قارب المائة ، وعلى الرغم من أنه لم يشتغل بالسياسة فقد طورد حينما ألقي القبض على ((ابن الزيات)) وكان صديقا حميما للجاحظ ، وقـــد خلي سبيله بعد ذلك ، ولما سئل عـــن فراره قال : خشيت أن أكون ثاني اثنين اذهما فىالتنور (يعنى ابنالزيات حتىألقاه ابن أبى دؤواد فى التنور) .

عبقريته

يعد الجاحظ شخصية فذة فىتاريخنا الأدبى ، فلم يجتمع لكاتب ولا لعالم ولا لأديبما اجتمع لأبى عثمان من علم وادب ودراية وبلاغة وفصاحة ، ولم يظهر على مر العصور والأزمان من يدانيه فى قــوة الأسلوب ، وتدفقه ، ولا فى سعة الأفق ورحابته ، ولا فى وفرة الانتاج وكثرته ، ولقد ألّف الجاحظ فى كل فن وصنف فى كل علم فكان السابق فى كل ميـــــدان والمجلى فى كل حلبة ، ولا غرو فأبو عثمان فلتة من فلتات التاريخ التي لا يجـــود بها الزمان الا نادرا ، وتآليفه تربو عـلى الثلاثمائة ما بين رسالة صغيرة ، وكتاب كبير ، وقد ذكر « سبط ابن الجوزي » انه رأى فى بغداد ثلاثمائة وستين مؤلفا للجاحظ ، وكلها تبحث فى أمور هامّـة تتصل بالمجتمع والأدبوالعلم والفلسفة، والجاحظ اذا تناول موضوعا احـــاط بجميع نواحيه ، وألم بشتيت أطرافه ، وهو دائما يشرك القارىء فيمـا يبحث وكأنمـا هو قارىء ومؤلف ، لا مؤلف فقط ، ولذلك قال « ابن العميد » **(ان كتب الجاحظ تعلم العقـل أولا والأدب ثانيا)**

وليس فى أدبنـــا العـــربي باحث أعمق تفكيرا واديب اشد تأثيرا وكاتباكثر اقناعا مـن الجاحظ فى تآليفه ، وهــو اصيل فى فكرته قوى فى حجته ، منطقي فى براهينه ، حر فى فكرتــه يعتمد على العقل فى كل صغيرة وكبـيرة ، ولا يرى التسليم فى شيء الا بعد فحصه وتحقيقه ولا يـدع مســألة تمـر حتى يناقشها مناقشة دقيقة ويبحثها بحثا مستفيضا وقد بذل من الجهد والتتبع والتنقيب فى تآليفه ما لا مزيد وراءه ، حتى ليعجب المرء من كثرة تآليفه مـع ما فيها مـن اتقان واجـادة ، وابداع وافــادة ، وان كتابا ككتاب (الحيوان) لحرى أن تعجز عنه جماعة الباحثين والأدباء ، فقد جمع فيه من احوال الحيوان وصفاته وطباعه كل ما يحتاجه العــالم والأديب ، وبنى

أقواله على مشاهدات واقعية ، وأدلة بينة ، واذا ما قرأت له فصلا من هذا الكتاب ، عرفت كيف يتوسع فيالموضوع في بحث عميق ، ودراسة وافية ، وتتبع عجيب ، واستخراج طريف ، وكتبه ورسائله الأخرى شاهدة بسبقه في مجالات الفكر والقلم ، ولا شك في انه أديب بارع ، واجتماعي باحث ، وكاتب مترسل ، وفنان مبدع ، ومفكر حر ، قال في أحد كتبه : (اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها تعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما لو لم يكن ذلك الا تعرف التوفيق ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما تحتاج اليه ، ثم اعلم ان الشك طبقات عند جميعهم ولم يجمعوا ان اليقين طبقات في القوة والضعف) ولعلنا ندرك جيدا من هذه الفقرة المقتضبة آراءه الفكرية الصائبة ، وكأنما سبق « الغزالي » و « ديكارت » في هذه النظرة ، وللجاحظ آراء فكرية قيمة ليست بأقل قيمة من آثاره البيانية ، ولكن المجال لا يتسع لعرضها.

ولقد كان الجاحظ معتزليا يدافع عن مذهبه بكل ما أوتي من قدرة في غير تعصب ، وقد ابتدع طريقة خاصة في الاعتزال سميت « بالجاحظية » ، وقد عارض المعتزلة في بعض مسائلهم ، وكان الجاحظ فنانا حاذقا وهو أول من رسم الصور الكاريكاتورية البيانية في رسائله وكتبه وان رسالة التربيع والتدوير خير مثال على ذلك . وان تصانيف الجاحظ الكثيرة والذى كان الدافع على تأليفها الرغبة العلمية الصادقة والحافز الوجداني العميق لكافية للدلالة على مقدرته في مجالات الأدب والفكر ، وعلى انه وحيد في فنه وعلمه .

شجاعته الأدبية

ومع كل ما أوتي هذا الرجل من مقدرة ، وما بذل من جهود جبارة في سبيل العلم والأدب لا يرى بأسا من ذكر سقطاته وزلاته ، ولا يرى حرجا من ان يقول للذين انتقدوه في هفواته وعابوه في أخطائه ، لو نظر أولئك بجانب ذلك الى الحسنات الكثيرة ، وقاسوها بالسيئات الضئيلة لما سمح لهم ضميرهم بتتبع تلك الهفوات البسيطة ، وذلك منتهى الصراحة ومبلغ التواضع ، ونحن نرى جل كتابنا في هذا العصر ، رغم قصورهم يأنفون ويشمخرون اذا ذكر واحد بعض اغلاطهم،زاعمين أومتظاهرين بأن الأخطاء لا يمكن أن تلج الى تآليفهم ولا تصل الى كتبهم مؤولين لكل خطأ تأويلا يبعده عن الخطأ ، ويقربه للصواب .

أسلوبه

اذا امتاز الجاحظ عن غيره من فحول الكتاب والأدباء بسعة اطلاعه وكثرة علومه ، فان تفوقه في أسلوبه وتخصصه في طريقته البيانية الفذة ، يجعله أعلى منزلة وأرفع كعبا ، وهو بدون شك صاحب الطريقة المثلى في الكتابة والترسل ، وأسلوبه صاف لا يدنسه كدر ، قوى لا يتخلله ضعف ، واضح لا يعتريه غموض ، بليغ لا يشوبه قصور ، ولن تجد كلاما فيه قوة العبارة وانتقاء الألفاظ والتئام الجمل وانسجام الموضوع وطرافة الفكرة ، وحسن الديباجة ككلام الجاحظ ، وهو كالبناء الماهر لا يضع لبناته الا في مواضعها في دقة واحكام ، دون تكلف أو تصنع ، ولا يزال الجاحظ اماما للأدباء وقدوة

للناشئين والكتاب ، ولا زالت طريقته هي المثل الأعلى للقدرة البيانية العالية ، وقد قلده كثير من كبار الأدباء الذين جاءوا بعده وشيخهم فى ذلك « أبو حيان التوحيدى » فقد أراد أن يضاهى الجاحظ فى أسلوبه وبحوثه ، ورغم تمكنه من العلوم والفلسفة واللغة الا انّه قصر عن الجاحظ فى أسلوبه وفنه ، ذلك ان الجاحظ لا اثر للصنعة والتكلف فى فنه ، اما « أبو حيان التوحيدى » فأسلوبه لا يخلو من تنميق وزخرف .

قال الجاحظ يصف الكلام الحسن (ومتى شاكل أبقاك الله اللفظ معناه ، وكان لذلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمنا بحسن الموقع ، وحقيقا بانتفاع المستمع ، وجديرا أن يمنع جانبه من تأول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العائبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة ، ومتى كان اللفظ ايضا كريما فى نفسه متخيرا من جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول ، وهشت له الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره وعظم فى الناس خطره) .

وقال يصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم : (وهو الكلام الذى قلت عدد حروفه وكثرت معانيه ، وجل عن الصنعة وتنزه عن التكلف) ثم استمر فى وصفه الى أن قال : (ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصر لفظا ولا أعدل وزنا ، ولا اجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا افصح معلما ، ولا أبين من فحوى كلامه) وقال يصف التفكير : (مشحذة للأذهان ومنبهة لذوى الغفلة وتحليل لعقدة البلادة ، وسبب لاعتياد الروية وانفساح فى الصدور ، وعزاء فى النفوس وحلاوة تقتاتها الأرواح ، وثمرة تغذو العقل) وليست هذه النبذ اليسيرة كافية للدلالة على تبين ميزات أسلوبه العديدة ، ولكنه يغوص على المعاني الغامضة العميقة فيجلوها بأسلوب جلي واضح يفوح منه عبير الطيب والجمال كالجاحظ ، ولا تزال كتبه معينا للبيان الراقي والعلم والمعرفة . ومع كل ذلك فلا يخلو أسلوبه من هنات .

مكانته

لقد كان الجاحظ رافدا من روافد الفكر والادب العالمي وان الكلام عن مكانته يفضي عرضا لما أسدى الى المجتمع الأدبي من مؤلفات وآراء ذات قيمة ، وما بذل من جهود جبارة فى صدد تيارات جارفة كالشعوبية ، ويكفيه علوا أن يكون أول من تصدى للشعوبيين وفند مزاعمهم دفاعا عن الاسلام والعروبة ، وذكر ذلك لا يتأتى بنبذة يسيرة بل يحتاج الى مقال خاص .

أما عن منزلته فى مجتمعه فقد حظي بمكانة رفيعة ونال منزلة عالية بين رجال عصره وما ذلك الا نتيجة لمعرفة أهل ذلك العصر بما يحمل هذا الأديب من فضل وعلم ، وكان الخلفاء يتشوقون لرؤيته والوزراء يتسابقون فى كسب وده ، وقد سأله أحد الناس عن حاله فقال : سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحدا واحدا ، حالي أن الوزير يتكلم برأيي وينفذ أمرى ويواتر الخليفة الصلات إلي وآكل من لحم الطير واسمنها ، والبس من الثياب أفخرها وأجلس على ألين الطبرى ، واتكىء على هذا ثم أصبر

حتى يأتيني بالفرج . فقال له الرجل : الفرج ما أنت فيه قال : بل أحب أن تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري ، ويختلف الي فهذا هو الفرج . وأسلوب هذه القصة لا يخلو من دعابة ظريفة ونكتة بارعةوقد تجلّت فيها روحه المرحةوتهكمه اللاذع ، ولكن الذى لا مرية فيه أنه كان فى حال يحسد عليها من قبل كثير من رجالات عصره . أما شهرته الأدبية فيكفى أن نسمع قول أبي هفان وقد قيل له : لِمَ لم تهج الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنقك ؟ فقال (أمثلي يخدع عقله ، والله لو وضع رسالة فى أرنبة انفي لما امست الا بالعين شهرة ، ولو قلت فيه الف بيت لما طن منها بيت فى الف سنة) .

هزله

كان أبو عثمان ناتىء العينين ، دميم الصورة ، قبيح الشكل ، وقد هجاه بعض الشعراء بقوله :

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا
ما كان الا دون قبح الجاحظ

ولكنه يحمل روحا مرحة جذابة ، وهو لا يألو جهدا فى اشاعة هذه الروح فى كتاباته وادخال النوادر فى مصنفاته ، والجاحظ فكاهي بالطبع لا يتكلف النكتة ولا يتصنع المرح ، وهو لا يهمه من أين يأخذ النادرة ، ولا من أى النواحي كان مصدرها ، ولكنك لا بد أن ترى طابعه وميسمه الخاص وان كانت لغيره ، ذلك أن ظله الخفيف ، واسلوبه الرشيق وبلاغته العالية حرية بأن تجلوها بخفة وطرافة ، ولا يرى حرجا من أن يكون موضوعا للنادرة ولا يأنف أن يتندر بقبحه ودمامته ، وخذ مثلا هذه القصة لتعرف مدى تأصل المرح فى نفسه قال :

(أتتني امرأة وأنا على باب دارى فقالت: لي اليك حاجة واريد أن تمشي معي فقمت معها الى أن أتت الى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال : أتت بفص وامرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت لها : يا ستي ما رأيت الشيطان ؟ فأتت بك وقالت ما سمعت .) وتسمع هذه القصة يرويها الجاحظ عن نفسه بكل بساطة وارتياح وبكل صدق وأمانة، ولا ندرى اذا كانت هذه القصة مقصودة من الصائغ اليهودى ، أو من أعداء الجاحظ ، أم جاءت عفوا ، ولكن الذى نلحظه منها أن الجاحظ أخذها كموضوع ذي طرافة وحيوية دون أن يتأثر بما يتصل به ، وهذا أكبر دليل على تجرده لفنه ، وهو وحيد فى فن النكتة والنوادر لا يجاريه أحد من كتابنا الأقدمين والعصريين الا المازني فانه يشبهه ، الا انك تحس من المازنى انه احتال على وضع القصة فى بعض الأحيان ، ومع أن المازني أخف روحا من الجاحظ الا أن نوادر الجاحظ ونكته أخف روحا من نكات المازني ونوادره .

وفاته

توالت العلل على الجاحظ في اخريات عمره وظل مدة من السنين مقعدا بين أكوام من الكتب يتناول منها ما يشاء . وفى سنة ٢٥٥ هـ وافته المنية.ولماوصل نعيه الى الخليفة المعتز أسف عليه أشد الاسف وقال ليزيد بن محمد المهلبي : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجاحظ ، فقال : لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء .

ولقد خلف الجاحظ ثروة من أعظم الثروات الأدبية فرحمه الله خير رحمة ، وأجزل ثوابه على ما قدم لأمته .

بقية الاسلام والمجتمع المثالي

هو سبب ذلك الركود وهذه الاستكانة وهذا الجمود ، وفاتهم ان العلة الواحدة لا تكون علة للشيء ولنقيضه ، وانه قد ثبت ثبوتا لا يحتمل الجدال ان هذا الدين بتعاليمه الصحيحة قد اخرج أمة من ظلمة الشرك والتقليد ومن تيه الفوضى والضلالة ومن عماية الانحلال والتفكك الى نور التوحيد ، وتمجيد العقل والى جادة النظام والهداية ، والى بصيرة الوحدة والقوة والتدافع لاحتلال اسمى مكانة وفرض سلطانها على رقعة الكون المعروفة يومئذ ، فمحال ان تكون هذه التعاليم هي السبب في الرجوع الى ما يزعمون من الفرقة والعجز والفوضى والاستغلال .

الاسلام دين الفطرة

ان الاسلام دين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، وهو الدين الذى يتفق وما تقتضيه بدائه العقول البعيدة عن الهوى وما تشتهيه الانفس ، ولن يجد باحث يتخذ العقل معيار احكامه دينا مجد العقل وجعل له منزلة فوق كل منزلة وندد بمن يميل مع الهوى ومع مألوف العادات والمتوارث عن الآباء والاسلاف ، لن يجد الباحث دينا كدين الاسلام جعل من شرط صحة الايمان بالله تعالى ان يعرف المؤمن الدليل العقلي على وجوده سبحانه ، وعلى اتصافه بصفاته التي يجب أن يتصف بها كالقدرة الشاملة والارادة النافذة ، وقضى أن من لم يعرف هذا الدليل بعقله ويجزم به جزما لا يقبل التردد لا يكون مؤمنا ناجيا ، واعداء هذا الدين لا ينكرون هذا وهم يعرفونه فى قرارة أنفسهم ، ويؤمنون أن أهل هذا الدين ان رجعوا اليه صافيا نقيا واتبعوا تعاليمه من اعماق قلوبهم حتى خالطت حلاوته شغافها عاد لهم مجدهم وارتفعت كلمتهم ودال سلطان أعدائهم ، هم يعلمون ذلك كله ، وهم يخشون أن تذهب ريحهم فهم لذلك حريصون على أن يفرقوا كلمة أهل هذا الدين وأن يحولوا بينهم وبين الرجوع الى ما كان عليه سلفهم .

لذلك كان من أول الواجبات على أولى العلم من اتباع هذا الدين ، وعلى ذوى السلطان منهم من الرؤساء والامراء والقادة والزعماء أن يبصروا قومهم ، وان يبينوا لهم دينهم على ما كان عليه رسول الله وأصحابه المهتدون بهديه ، ولذلك رأينا ان نستهل هذه الابحاث بالبحث عن صفات المجتمع المثالي الذى يحبه الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه .

ويقتضينا هذا البحث ان نتعرف الصفات التى اوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها فى ذات نفسه ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه فردا من أفراد أسرة ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد حي يسكنه جماعة من مواطنيه ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد قرية او مدينة من مدن وطنه ، وعن الصفات التي يجب على المسلم أن يتصف بها بوصفه فردا من الامة كلها ، فهذه خمس حالات نرانا مضطرين الى الوقوف عند كل حالة منها وقفة قصيرة لنتدبرها ونبين تعاليم الاسلام فيها ، وسنذكر النصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله صلوات الله عليه فى كل حالة من هذه الحالات .

ونبادر فنعلن قبل الافاضة فى البحث أننا لم نستوعب استيعابا نستطيع معه ان نقول ان هذه الصفات هي كل ما يريده الاسلام من المسلمين ، ولكنا ذكرنا فى كل حال أوضح الصفات وأظهرها ، وما يعد نموذجا صالحا منها ، وما لعله يعتبر أساسا لما لم نذكره او باعثا حثيثا على التخلق بغيره من صفات الكمال الانساني .

الهدف من التكاليف

وقبل أن ناخذ فى بيان ما تيسر لنا

بيانه نقرر ان المقصود الاهم من التكاليف الشرعية في دين الاسلام هو تربية الضمير الانساني بصقل النفس وتنقيتها من الأثرة والانانية والجحود والاستغلال والجبرية والميل الى الهوى ، وتعويدها حب الحق وايثاره ، واعلانه ما كان في اعلانه مصلحه ، وذلك يفضي بها الى أن تعلم أن ما خفي على الناس لا يخفى على الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وان الافلات من العقوبة الدنيويه العاجلة قد يكون سببا في شدة العقوبة في آجل الحياة أو فيما عند الله، وما لم يجد المسلم عباداته موصلة الى خشية ربه واخباته له واقباله عليه ، وأنها حاملة له على ترك النقائص والابتعاد عن الآثام فليعلم أنها عبادات صورية لم تنفعل بها نفسه فلم تؤت ثمرتها التي أراد الله تعالى أن تؤتيها وانظر الى قوله سبحانه : ((ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)) .. من الآية ٤٥ سورة العنكبوت .. ، ثم انظر الى قوله جلت كلمته : ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)) .. من الآية ١٠٣ من سورة التوبة. . ثم انظر الى قوله تعالى : ((يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) .. الآية ١٨٣ من سورة البقرة .. فاذا أنت نظرت في هذه الآيات ونحوها من كتاب الله تعالى وجدت كل عبادة من العبادات التى كلف الله بها عباده قد أراد أن تنفعل بها نفس المكلف حتى يكون لها تاثيرها ، وهي وسيلة من أعظم الوسائل لتهذيبها وتطهيرها ، والله أجل من أن ينظر الى صور العبادات وقد أراد ان تكون مما تقرب منه وتدل على خلوص قلب المكلف له ، ولتفصيل هذا الكلام موضع غير هذا لعل الله جلت قدرته يهيىء لنا ما نوفيه حقه من البحث في وقت قريب .

وموعدنا لتفصيل الكلام في الحالات الخمس التي اشرنا اليها في عدد قادم ان شاء الله .

بقية الكويت في المؤتمرات الاسلامية

ان هذا المؤتمر لم يكن الأول ولا الأخير من المؤتمرات التي تعقدها الشعوب والحكومات ، واذا كان قد حقق بعض الاهداف التي يرجوها المسلمون فهذا لا يعني أنه قد ادى رسالته وقام بالواجب الملقى على عاتقه ، كما أنه اذا قصر في كثير من الجوانب التي يجب أن يستوعبها وان يقتلها دراسة وبحثا فان هذا أيضا لا يحملنا على نفض أيدينا من المؤتمرات الاسلامية بحجة عدم جدواها ، فان ما لا يدرك كله لا يترك جله ولنعمل بقول الرجل الصالح في قاعدته الذهبية (يعاون بعضنا البعض الآخر فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا البعض الآخر فيما اختلفنا فيه) لأن الخير باق في الأمة الاسلامية الى يوم القيامة كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومجلة ((الوعي الاسلامي)) اذ يسرها هذا النشاط الذى تعتبره ـ على أى حال ـ دليل الحيوية ، تشعر في الوقت نفسه أنها تعبر عما يملأ قلوب المسلمين جميعا من أمل قوى حين تقول: ان هذه الجهود التي تبذل هنا وهناك يجب أن تتوحد وتصب كلها في مجرى واحد ، يكون له تياره القوى ، وكلمته الحاسمة في كل ما يحقق للمسلمين آمالهم ، ويرد عنهم كيد اعدائهم ، وذلك على نسق مؤتمر القمة العربي . فان هذه المؤتمرات الاسلامية ستظل آثارها كلاما يذهب مع الريح ، أو يسطر على الورق ، ما لم تتوحد جهود المسئولين من المسلمين كلهم أو غالبيتهم ، لتحتضن المقررات الاسلامية ، وتعمل على وضعها موضع التنفيذ ، كما يلتزمون بكثير من مقررات المؤتمرات العالمية .

لم نعد بحاجة الى كثرة المؤتمرات بقدر ما نحن في حاجة لترجمة ما تردد فيها الى واقع ينبض بالحركة والحياة والعمل المنتج ..

الشعوبية في الأدب

بين الأمس واليوم

للدكتور : احمد كمال زكي
كلية الآداب – جامعة عين شمس

الاديب بناء ثائر

يتورط كثير من الادباء فى بعض مايصدرون عنه ، ويبلغ التهور ببعضهم حدا يهدرون فيه قيم المجتمع، ثم يزعمون أنهم باسم « الحقيقة » أو « الواقع » يتكلمون .

وعن هذه الطريق تسربت الآراء الغريبة الى الاعمال الأدبية ، واحتلت منها حيز المضمون ، وقد بلغ من سلطانها ان طمست جانب الفن أو الصياغة المحددة لملامح الشكل الخليقة بالتقديم ، وكان هذا فى حد ذاته احد عوامل القصور الذى يبدو فى أعمال الكثرة من أدباء هذا العصر .

ولقد يقال ان جوهر الادب هو الفكرة فى اطار فني قوامه اللغة ، فنقول وهل ينبغى ان تكون الفكرة مما يدمر الكيان الاجتماعي ؟ نحن نؤمن بأن الاديب الكبير من حيث هو فرد لا يعيش دائما فى انسجام مستسلم مع الجماعة ، وهو من أجل ذلك دائم الاحتجاج ، الا أن الاحتجاج شىء والهدم شىء آخر .

نحن نؤمن بأن الشرط الاول لقيام الأديب الكبير هو سموه على وجدان الجماعة ، وقدرته على (التنبؤ) لهم ، ولكننا نفترض دائما وجود علاقة معينة بينه وبين هذه الجماعة . وهو حين يفارقهم لا يحاول أن يقطع أسباب هذه العلاقة ، بل يكشف لها عما يشهده من صدع فى مجالها الحيوى ويشرح لها – بطريقة أو بأخرى – احساسه بهذا الصدع ومحاولاته المخلصة للوصول الى رأبه .

هو اذن فى مصاف الثوار البانين ، ويبعد كل البعد عن الثوار الهادمين . ويوم نفهم هذه المسلمة – وهى خليقة بأن تتصدر موضوعنا – فانه يسهل علينا ان نضع أدباء الرفض فى هذه الايام موضع الشعوبيين الاول، ونحاسبهم فى ضوء الحوافز التى تؤثر فى اتجاهاتهم، وتحدد مجالهم تحديدا يجاوز حد الاحتجاج الى التدمير .

خطورة الرافضيين

وبتلك المسلَّمة أيضا نريد أن ننبه

يحس الكاتب كما يحس القراء الواعون خطر بعض الاتجاهات الادبية المعاصرة على القيم الاسلامية العربية ويدق مثلهم ناقوس الخطر . وهذا المقال يكشف عن المخططات الأدبية الحديثة التى تتلاقى مع مخططات الشعوبيين فى عصور الاسلام الاولى فى هدف واحد .. وليس القارىء ببعيد عما كشف عنه الاستاذ الكبير محمود شاكر فى مجلة « الرسالة » المصرية .

و « الوعي الاسلامى » تفتح صدرها لكل قلم غيور يساهم فى القاء الاضواء على الاخطار الملفوفة التى تهدد قيمنا الأصيلة .



على خطورة الرافضيين الذين يجعلون الابداع الأدبي ظاهرة غير مشروطة بقيمة اجتماعية قائمة ، ونقرر أننا نخالف الرأى الشائع الذى يجمع على تقدير أغلب من يسلك فى قائمتهم ، أترى نعنى بذلك أن أصحاب هذا الرأى ليسوا على الجادة ونوشك نحن أن نعيدهم اليها ؟ لا ، ولكن الواقع اننا يجب ألا نلزم أنفسنا بأن نسلم بالامر الواقع الا من حيث هو عارض الى زوال .

أديب كأدونيس مثلا موجود فى أدبنا المعاصر ، وهو من الرافضيين ، الا أنه لا يمثلنا . هو يتكلم بلغتنا ، وهو يصدر عن انماط عربية وقد يفكر أحيانا كما نفكر ولكنه فى نهاية الامر ينطق عن أيديولوجية لا نعرفها ولا نريد ان نعرفها .

وأديب آخر كيوسف الخال ، يتحرك بيننا ، وقد يعرف مالنا وما علينا ، وربما هتف ببعض شعاراتنا ، غير أنه يرفض تبريرنا للحياة على أساس تكوينات مشبوهة سقيمة يقترحها هو أو يقترحها له من وراءه وما وراءه .

أجل ، وهذان فيما نرى يعيشان بيننا كما عاش مهيار الديلمى قديما وكما عاش بشار بن برد من قبله وابن المقفع ، واذا كان هؤلاء قد مثلوا جزءا من تراثنا فليس ينبغى أن يكون هذا الجزء هو الذى يدل على صحة وكمال وهو قد يمتاز بالابتكار ، وقد لا يخلو من الطرافة وقد يسمو على غيره بأخيلته ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن ينم عن عافية حقيقية ، وعند الموت كما نعرف تضحك الحياة بغتة وتلمع الشمس قبل أن تغيب !

رافضيو اليوم وشعوبية الامس

نحن اذن نربط بين الرافضيين اليوم وبين الشعوبيين اعداء العرب بالأمس أو قل نحن نجعل أدباء الرفض مضاعفات طبيعية لداء الشعوبية الذى استشرى منذ فجّر العرب المسلمون ثورتهم لأول مرة فى أقاليم الشرق الأوسط .

أجل ، وهم يتبعون اليوم نفس مادرج عليه الاولون بدعوى التجديد تارة



ومباشرة الحياة تارة اخـرى ، وباسم الحقيقة والواقع فى أغلب الأحيان ، فما معالم الطريق ؟ أعني ما المخطط الذى قدمه الشعوبيون لأجيالهم من بعدهم ؟

اننا اذا قرانا أدبنا القديم نلحظ أن المشتغلين به فى القرن الثاني الهجرى قد خولطـوا بالموالى الذين تعلمـوا اللغـة العربية واجادوها وعكفوا على التعبير بها فى تكوين يجمع بين التشكيل العـربي والحس الاجنبي ، ونقول الاجنبي لان هؤلاء الموالى كانوا من الفرس ــ وهـم الاغلبية ــ والنبـط والروم والزنـج ، وانتسبوا لقبائل عربية ولكن انتسابهـم هذا لم يمنعهم من المفاخرة بمجـدهم الزائل ، وفى كنف العباسيين أطلوا على الحياة بجراة وكأنهم ملكوها حتى قال « درست » البصرى ذات يوم : لـولا انني معلم والمعلم عند الناس احمق وانا مولى وليس المولى كالصريح ، لما دعـا الناس الى بغض هذه الدولة احد غيرى ولأزلت أمرهم ولحمست عليهـم حتى لايقال بنو العباس !

ورأينا الشعراء من أمثال أبان اللاحقي وبشار بن برد وأبي نواس يمعنـون فى التطرف ، فيتيهون بعجميتهـم أمـام الخلفاء ، أو يتبرءون من نسبهم العربي . ويجرؤ عالم كأبى عبيدة معمر بن المثنى فيعلن انه يهودى الجد ، فارسى الأصل وسكن آباؤه « باجروان » على التخوم التركيـة الجنوبيـة التـي يكثر فيهـا الطورانيون .

واذا كان لنا أن نستنتج شيئا مـن هذه الظاهرة ــ وهي أهون ما فى تاريخ الشعوبية ــ فلا يمكن أن نجاوز تلـك الحقيقة التاليـة ، وهـى : أن الكيـد والتدبير اللذين القى بذرهما منذ العصر الأموى قد قدما ما لا تستطيع الحـرب السافرة أن تقدمه ، وأن الموالى وجدوا متنفسـا فى نظام الحكم العباسي فصالوا وجالوا وكشفوا عن مخازى العـرب فى كتب وضعت ، أشهرها ما ينسب الى أبي عبيدة نفسه ونذكر منها « لصوص العرب » و « أدعياء العرب » الى جانب « فضائل الفرس » الذى يحدثنا عنـه ابن النـديم .

جدى كسرى وقيصر خالى ...

ويذكرنا كتاب فضائل الفرس بالدور الذى يلعبه الرافضيون اليـوم ، وهـو الاشـادة بالاشـورية أو الفينيقيـة أو الفرعونية فى معرض الحط من الحضارة العربية ، وخير مثل على ذلك فى القديم بائية بشار التى يقول فيها :

جـدى الـذى أسمـو بـه كسـرى وساسـان أبـي
وقيصـر خالـى اذا عـددت يومـا نسـبي

وفى اغلب الحديث أشعار أدعيـاء القومية السـورية والفينيقيـة التـى اخترعت الحرف وقهرت البحر وصنعت أوروبا والاغريق بخاصة ، وذلك حـين كان الجاهليون العرب يغطون فى سباتهم أو يأكلون الورل والضب !

لقد قلت ان هذا هو أهون شيء فى المخطط الشعوبي ، فاذا حاولنا أن نصل الى الخطير منه قديما قلنا انه محاولة للاطاحـة بالحكـومة العباسية القائمـة ليملـك (الاحـرار) وهـؤلاء طائفـة «الازاد مردية» التى تمثلها الارستقراطية الايرانية وأشار اليها القدماء من أمثال الجاحظ فى بخلائه ، والطبرى فى تاريخه وابن المقفع قبلهمـا فى « كتاب الادب الكبير » كما امتدح بها نفسه كل مـن بشار واسحاق الموصلي .

ويصف المخطط بدقة أسلوب الاطاحة فلما تبين واضعوه متانته صاح صائحهم :

بني هاشم عودوا الى نخلة لكم
فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتم : رهط النبي محمـد
فان النصارى رهط عيسى بن مريم

وتلقف الصيحة آخر فهدر قائلا :

أبـــونا ويــزك وبه أســامى
اذا افتخــر المفاخــر بالولاده

أبونـــا ويـــزك عبد رسول
له شــرف الرسالة والزهاده

فاذا علمنا أن الاقــوال تتواتر عــن ان (ويزك) هو اسحاق بن ابراهيم الخليل فهمنا لماذا لم يرتض الشعوبيون ديــن محمد فى « يوطوبياهم » ، فكان لهــم دين عيسى، وكان لهم دين اسحاق ،ولعل الشاعر الثاني – بوصف اسحاق بالزهد – انما كان يريد أن ينال من محمد عليه السلام الذى كان يدعو الى حياة سوية فيها من المتاع ما لا يتفق والرهبنة .

مخطط الحادى

والواقع أن الشعوبيين كانوا يحسون أن العرب أقوياء بدينهم ، ومن ثــم يجب بعث الديانات التي جبها الاسلام ، فانتشر بذلك الالحاد بين الادباء ، ووضع امثال عبد الكريم بن أبي العوجاء آلاف الاحاديث عن الرسول ، واتهم فى دينــه ابن المقفع وبشار وأبي نواس وابان وابي عبيدة وخلف الاحمر والحمادون الثلاثة والحسين الخليع والعطوى وغيرهم ممن حملوا لواء الفن الى النصف الاول مــن القرن الثالث الهجرى تقريبا .

وما أشبه صنيع هؤلاء بما يصدر عنه الرافضيون اليــوم مســتغلين الرمــوز الاسطورية حينا والاشارات المسيحيــة حينا آخر واجدين فى «الكتاب المقدس» ماشاءوا من ســهام يقصــدون بهـــا المتدينين .

ويتضمن المخطـط ايضا – توكيـــدا ليوطوبيا الشعوبية (التشكيك فى التراث العربي) كله كلغة وادب ، ففــي جانب اللغة حــطم الموالــي – أو حــاولوا ان يحطموا – القيود التى فرضها العلماء ، وتمسحوا بالخطأ فى كتاباتهم ، وحتــى هؤلاء الذين بلغوا من الفصاحة حــد الاعجاز كبشار وابن المقفع – نقلت عنهم نقول تكشف عن عمق الهوة التي فصلت بينهم وبين النسيج اللغوى القوى .

لتعقيد اللغة العربية

ومن ناحية أخرى وضعت الكتب التي يدل ظاهرها على العناية باللغة وهي فى تفريعاتها وازجاء المناقضات فيها نموذج على تعقيد لم يكن فى جوهر الاستعمال العربي على الاطلاق ، وبرزت الجوانب التي ظهر فيها الجاهليون على ألسنــة متباينة قد تفرعت عن لغتين مختلفتين هما لغة قحطان ولغة عدنان حتى قال ابو عمرو بن العلاء : « ما لســـان حمــير بلساننا » الا ان هذا لا يعنى هذه الفرقة اللغوية الهائلة ، فضلا عن أن احتمــال قبول الرواية نفسها عن هذا العالم الكبير يعدل احتمال رفضها تماما .

شعر مدسوس

واما الشعر وهو جزء من تراث ادبي مد الرواة الموالى يدهــم اليـــه بالعبث والتحريف فكلنا يعرف ما أثير حوله من لجاج لا يزال محتدما الى اليوم .

لقد كان العربي يعتز بتراثه الشعرى، يحبه ويقدسه ، ويحفظه ويردد كل ما يتصل به من أحداث، وكان مجرد خدشه يقيمه ولا يقعده، ترى ماذا يفعل لو جاءه أبو عبيدة وروى له :

هم هينــون وأيســار ذوو كــرم
ســواس مكــرمة أبنــاء ايســـار

ان يسألوا الخير يعطوه وان خبروا
فى الجهد أدرك منهــم طيب أخبار

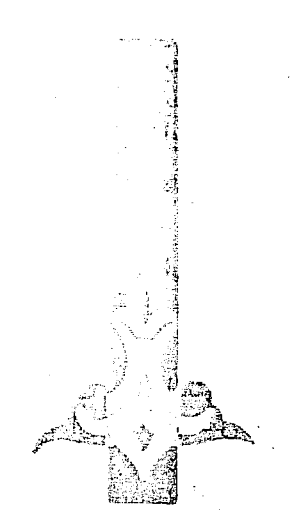
على انها للعرندس الكلابي يمدح بعض الغنويين ؟ ان أبا عبيدة يعلم ان العربى يرفض هذه القالـــة لسبب جوهــرى وضحه الاصمعى الغربى بقوله : محال أن يمدح كلابيّ غنويا لما بينهما من العداوة .

هذا ما يريده ابو عبيدة وامثاله، ان يدور النقاش على هذا النحو من ترديد الشك ، بل ان هذا الرجل لا يني يروى أن خلفا الاحمر قال : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل ذلك منى ويدخله فى اشعارها ! ولكى يكون الشك أعتى راح يردد : خلف الاحمر معلم الاصمعي ومعلم اهل البصرة ! خلف عند ابي عبيدة حجرة الزاوية، ولما كان وضاعا كذابا فلاعلم اذن لدى الاصمعي ـ الراوية العربي المحقق ـ لانه تلقاه عن كاذب ، ولا علم لدى البصريين لأن علم المعلم نفسه مكذوب واذن فالشعر العربي القديم أسطورة ، او هو مختلط مختلق ، وليس من حق العربي ان يزهو به ، ويحرص عليه .

ومثل ذلك كثير ، وهو يذكرنا بكل الشعر الذى ساقه القاصون فى معرض حكاياتهم حتى أضافوه الى آدم وتبع وبينهما أقوام عاد وثمود . ولقد انكر ابن سلام هذا الشعر وحذر منه وفى الوقت نفسه اعترف بان ما ذهب من شعر الأولين لا يعدله ما يحفظ لهم مما وثقه العدول .

ماذا يريدون ؟

وبعد : فالقول فى مخطط الشعوبية يطول ويطول ، ونحن اذا أخذنا أنفسنا بتتبع خطوات تنفيذه ـ ولو فى دائرة الأدب فقط ـ راعتنا تلك المحن التى امتحنت بها الامة العربية على مدى التاريخ ، ويستطيع كل من يريد كشفهم وفاته تراثهم ـ لأى سبب من الأسباب ـ أن يتعقب فلولهم اليوم ، فسوف يرى ان النتائج التى أفضى اليها منهج قدمائهم لا يمكن ان تخرج عما يثار اليوم من جدل حول موروثنا وقيمته انهم يريدون الاطاحة بالنظم القائمة عن طريق نقض صروح اللغة والدين والتقاليد والشعر ليكون ثمة سبيل الى تحقيق يوطوبياهم فى أطرها الكسيحة المشوهة .



وقص علينا فيما حكاه عن الجن أنهم يقولون : ـ

« وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » الجن ـ (١٤) .

بهذا كله يتبين أن الاسلام على لسان هؤلاء جميعا ، وفى هذه الاستعمالات كلها ، هو الانقياد لله والخضوع له فى العقيدة ، والعبادة ، والعمل ، خضوعا لا يعرف الشرك ولا الواسطة ، ولهذا يعتبر الله جميع الأنبياء وجميع الذين أوتوا الكتاب « مسلمين » بهذا المعنى . فيقول عن الأنبياء : ـ

« يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا » المائدة ـ (٤٤) .

ويقول عن أهل الكتاب : ـ

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين » القصص ـ (٥٣) .

ويقول عن الذين كفروا بعيسى وزعموا أن ما جاء به من البينات سحر :

« ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام » الصف ـ (٧٢) .

ولهذا أيضا يقول القرآن الكريم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : ـ

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين » النمل ـ (٩١)

ويأمر المسلمين أن يقولوا : ـ

آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»البقرة ـ(١٣٦)

ويأمر بتوجيه الدعوة الى أهل الكتاب على هذا النحو فيقول : ـ

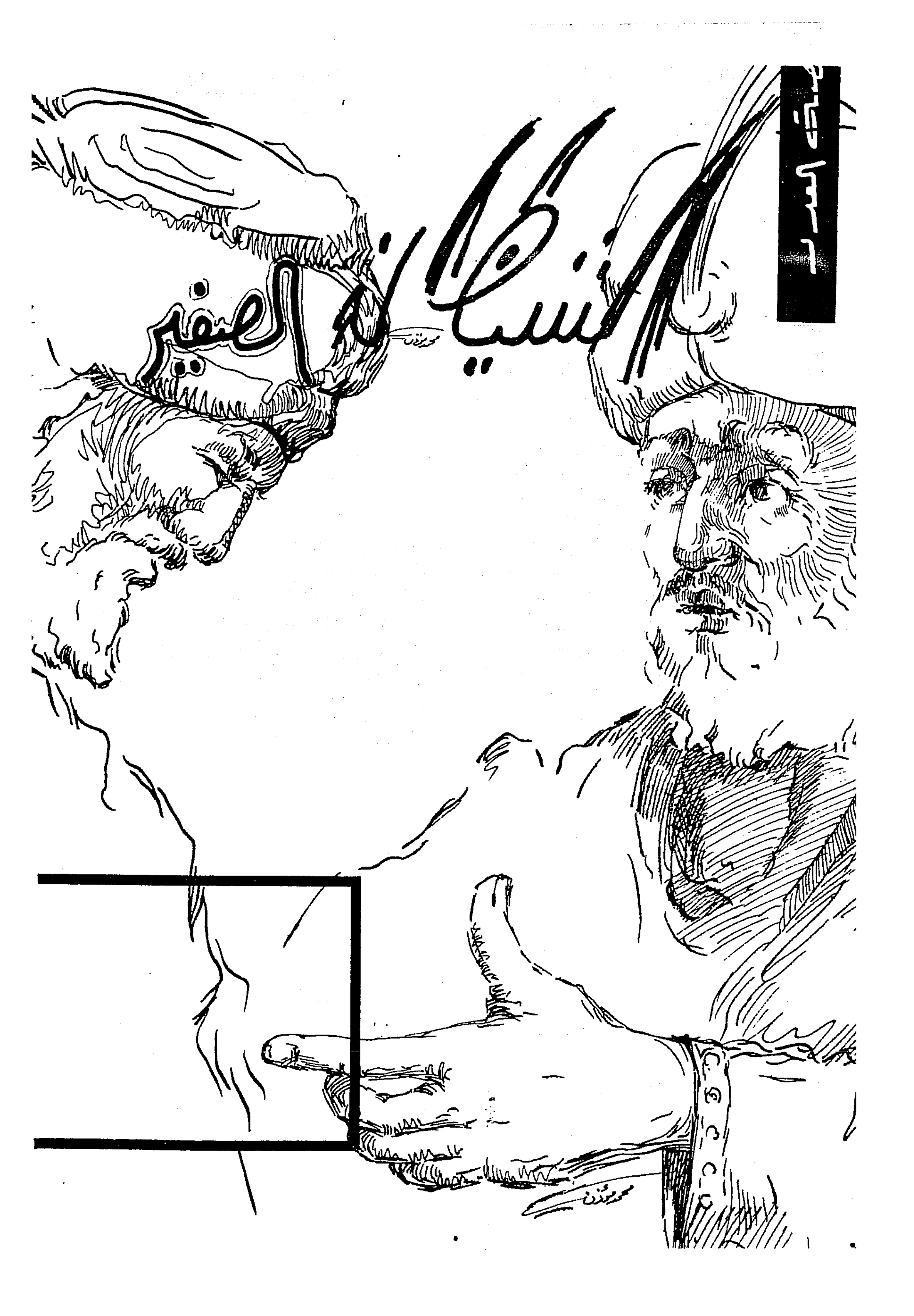
« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنامسلمون» آل عمران ـ(٦٤) .

هذا هو دين الله الذى جاءت به كل الرسل ، ونزلت به كل الكتب ، وقد كان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتمة هذه الرسالات كلها ، وهو الذى أثبتها ، ولولاه ما عرف أمر رسول من طريق تطمئن اليه القلوب ، وهو الذى نقاها مما أضيف اليها ، ولولاه ما عرف صحيح من زائف ، وهو الذى أتى بالشرعة الصالحة المناسبة لما وصل اليه الانسانمن رقي العقلوالتفكير والمعرفة، ولولاه لظلت البشرية تتخبط فى ظلمات الأهواء والشهوات والعصبيات ، ولهذا كله تمخض معنى الخضوع لله، والانقياد لأمره على ما رسم لعباده فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فصار لفظ « الاسلام » علما عليه ، وأنبأنا الله أنه هو الذى ارتضاه بقوله فى أواخر ما نزل على الرسول : ـ

« **اليوم أكملت لكم** دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» المائدة ـ (٣) .

فلم يعد لأحد من البشر بعد ذلك أن يرفضه زاعما أنه مؤمن بسواه فانه هو الدين وليس له « سوى » ومن آمن به فقد آمن برسالات الله كلها ، ومنرفضه فقد رفض رسالات الله كلها ، تلك هى الحقيقة ، ولن يستريح أهل الأرض حتى يؤمنوا بها ، ويبنوا حياتهم وعلاقاتهم على أساسها ـ

«قل يأيها الناس اني رسولالله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » الاعراف ـ (١٥٨) .


الشيطان الصغير

بقلم الدكتور نجيب كيلاني



كان وسيم التقاطيع ، مديد القامة، يوحي مظهره العام ونظراته النافذة بالعناد والاعتداد بالنفس اعتدادا لا حد له . اسمه الحقيقي « النشو » ، لكنه حاول أن يضفى على اسمه غبار النسيان منذ أن تسمى باسم « عبد الوهاب شرف الدين » ، وأبرز ما فيه دهاؤه الذى لا يقهر ، وحسن تدبيره الذى لا يبارى ، وبراعته الفائقة فى التمثيل والظهور بمظهر الرجل البرىء المظلوم ، وحرصه الدائم على أن يبدو مخلصا للسلطان العظيم « الناصر محمد بن قلاوون » وخاصة بعد أن اختاره ناظرا « للخاصة الملكية » وأعطاه من السلطات ما لم يكن يحلم به فى يوم من الأيام ..

وهكذا استطاع أن يستحوذ على قلب السلطان وثقته ، ومن ثم انطلق « شرف الدين » يسلب وينهب ، ويتجر باسم السلطان ، ويفرض الاتاوات ، ويحتكر بعض المواد التموينية ، ثم يبيعها بالثمن الذى يروق له ، حتى عم الغلاء وأفلس التجار ، وركدت حركة الاستيراد والتصدير ..

وبينما كان السلطان الناصر يدلف الى باب قصره اذ رأى ورقة نظيفة مغلفة وقد وضعت بعناية تامة فى طريقه ولم تكن هذه أول مرة يجد فيها مثل تلك الرسائل المجهولة ، بل ان الناصر كان يطرب لمثل هذه الرسائل ، ويعتبرها ترجمان صدق لما يشكو منه الناس ، وخاصة أولئك الذين لا يستطيعون أن يواجهوه بمتاعبهم ، خوفا من بطش شرف الدين ، ومقدرته الفائقة فى التخلص مما يتهم به .. **وانحنى الناصر والتقط الورقة .. ثم فض غلافها . فوجد بيتين من الشعر :**

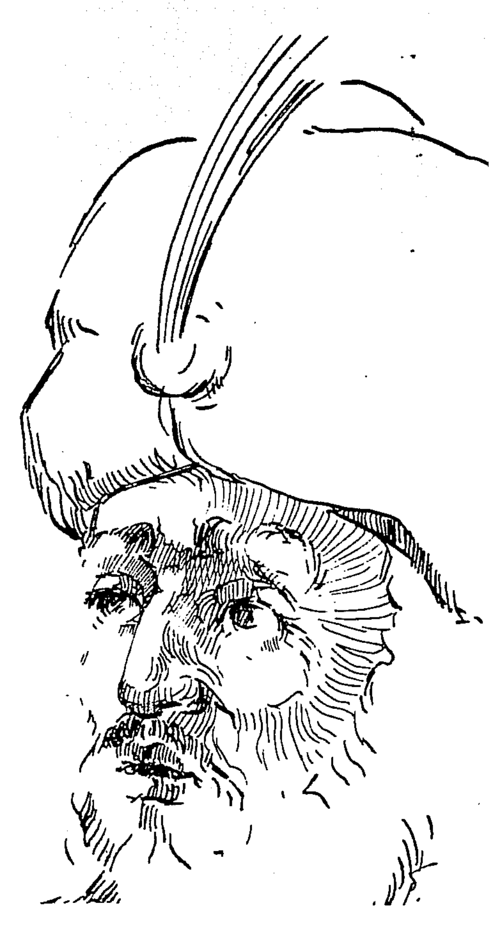
أمعنت فى الظلم وأكثرته
زدت يا ((نشو)) على العالم

ترى من الظالم فيكم لنا ؟
فلعنة الله على الظالم

ودارت الأرض « بالناصر » ، اذ ما أقسى أن يثق فى رجل يظلم الناس ،

... وأفلتت دمعة من عين الناصر .. وارتجف جسده كله .. لكم يخاف الله يوم أن يسأله عن سر وثوقه فى هذا الرجل ، وعن عدم تحريه عنه .. وهتف بأعلى صوته :

ـ ((جروه الى السجن ..))



والأقسى من ذلك أن ينتقل الاتهام من النشو (شرف الدين) الى الناصر نفسه، وهو السلطان الذى قهر الأعداء من مغول وصليبيين ، وهو الذى خطا بشعبه خطوات موفقة فى طريق النجاح والتقدم والمجد .. وهل ينسى « الناصر » يوم أن تآمر عليه الأمراء وهو صغير السن ، ثم خلعوه عن عرش السلطنة .. وتركوه يعيش منفيا مع أمه ؟؟ وهل ينسى يومذاك التفاف الشعب من حوله ، وتظاهره من أجل عودته ، وارغامه المماليك والأمراء على أن يعقدوا البيعة للناصر محمد بن قلاوون ؟؟ مستحيل أن ينسى ذلك .. فمثل هذا الشعب لايمكن أن يترك فريسة فى يد ظالم كشرف الدين .. واتقدت عينا السلطان ضيقا وحنقا ، واكفهر وجهه ، وسدد الى الى شرف الدين نظرات ارتجفت لها فرائصه .. ثم رمى بالورقة فى وجهه قائلا :

ــ « خذ .. اقرأ هذا . »

تمالك شرف الدين أعصابه، وارتسمت على ثغره ابتسامة شاحبة مرتجفة ، وانحنى فى دهاء ثم همس فى ضراعة :

ــ أيسمح مولاى السلطان أن أشرح الأمر ؟؟

قال السلطان فى اصرار :

ــ دافع عن نفسك ..

ــ « أنت ترى يا مولاى أنه ليست هناك وقائع محددة للتحقيق فيها .. ومولاى يعرف أن هناك عددا كبيرا من الحاسدين والواشين .. وهؤلاء لا نستطيع أن نقطع ألسنتهم ، أو نقصف أقلامهم .. ثم لا تنس يا مولاى أن امراء المماليك قد تضايقوا بعض الشيء بعد أن أعدنا توزيع الاقطاعيات بالعدل .. ولم يخفوا غضبتهم بعد أن أصدر مولاى أوامره بالحد من استغلالهم للعامة ..

لم يتزحزح السلطان عن موقفه وهتف :

ــ ولم لا تكون مثل هذه الشكوى من عامة الشعب ..

ــ « عامة الشعب فى أمان وسعادة .. وهذا المكان الذى عثرنا فيه على الورقة لا يدخله الا الأمراء وكبار رجال الحاشية ..

وهدأت نفس الناصر بعض الشيء ، اذ انه يعلم ــ منذ ان ولي الحكم ــ ما يعتمل فى نفوس الحاقدين والمتآمرين من أطماع ونزوات ، هو نفسه قد قاسى من ذلك الأمرين ، ألم يتمرد عليه مماليكه ومماليك أبيه ، وينتهزوا صغر سنه ويعزلوه عن السلطنة مرتين ؟؟ ان ما يراه من تصرفات شرف الدين يناقض تماما ما يشاع عنه ، وليس من رأى كمن سمع ..

ومضى السلطان فى طريقه ، بعد ان استأذن شرف الدين وقد هدأت نفسه، واستقبلته زوجه « طفاى » الجميلة أجمل استقبال وأروعه .. كان يحبها حبا ملك عليه فؤاده ، وكان يجد فى جوارها الطمأنينة والأمن .. فكثيرا ما استطاعت ابتساماتها المتألقة أن تبدد كثيرا من الشكوك والأوهام التي تطرأ على قلبه .. ولم يكد يستقر الى جوارها حتى بادرته قائلة :

ــ ماذا جرى ؟؟ لقد رأيتك من خلال المشربية وأنت تنهر شرف الدين تنهد قائلا :

ــ انه رجل غريب يا « طفاى » .. صائب الرأى .. اخلاصه لنا لا يبارى .. لكن الناس يكرهونه ، أصبحت فى حيرة .. أأصدق عيني أم انصاع لما يردده أعداؤه ؟؟

قالت طفاى وكأنها قد تذكرت أمرا غاب عن بالها :

ــ أوه .. لقد أحضرت « الست حدقة » .. مربية مولاى الغالي تاجرا من تجار الخشب بالأمس يزعم أن شرف الدين يستغل اسم السلطان ويفرض على التجار شراء صفقة من الخشب بثمن باهظ ..

تغيرت سحنة الناصر واستبد به القلق ، وقال :

ــ لو حدث ذلك حقا فسأجعل من « النشو » عبرة لكل عابث ..

لم تنم لشرف الدين عين ، كان قلقا من جراء السخط الشعبي المتزايد ، واستطاع جواسيسه المنبثون فى كل مكان أن يحملوا اليه أدق الأسرار ، بل لقد علم بما فعله تاجر الخشب ، وأسرع شرف الدين بارسال واحد من أذنابه للتاجر .. وذهب ذلك الوسيط وقال للتاجر ــ

ــ علمت أنك ستشترى صفقة خشب من شرف الدين

ــ انه يغالي فى الثمن .. يريد ألفين من الدنانير ..

ــ أما أنا فسأعطيك ثلاثة آلاف .. على أن ترجىء الثمن لمدة شهر واحد ..

ــ أتسخر مني ؟؟

اذن فهيا نكتب عقد البيع .. وما عليك الا أن تذهب وتشترى الخشب من « ناظر الخاصة » فورا ..

وتم التعاقد .. وأسرع الوسيط « بالعقد » الى شرف الدين .. فابتسم ابتسامة ماكرة ثم طوى الورقة ودسها فى جيبه ..

انعقد مجلس السلطان فى الصباح ..

واستقبل الناصر ناظر الخاصة فى جفاف وخشونة ، وصرخ :

ــ تظلم الناس وتخدعني ..

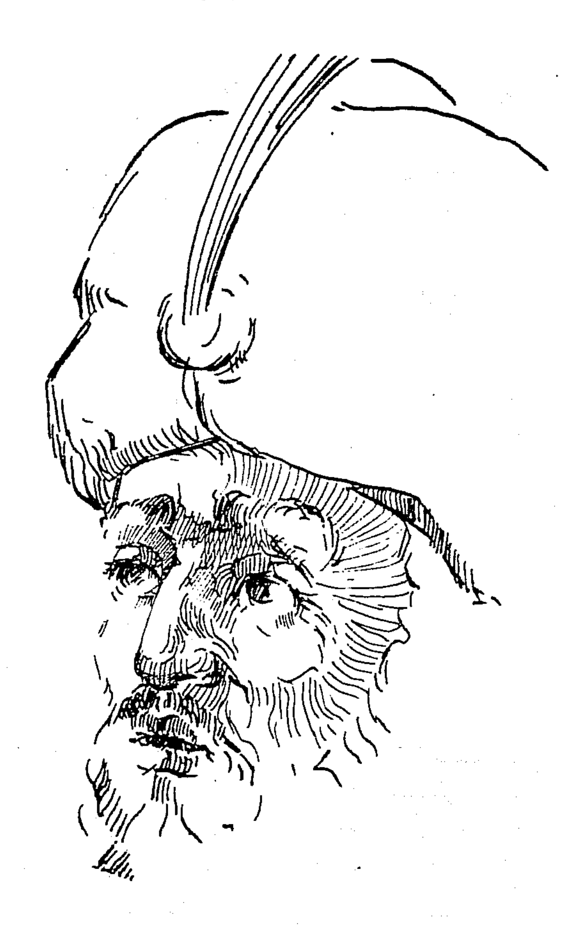
ــ مولاى ...

ــ كفى .. أحضروا تاجر الخشب ..

ووقف التاجر يبسط شكواه .. لكن شرف الدين عاد يبتسم فى مكر ، ثم استخرج العقد وتقدم للسلطان قائلا :

ــ هذا التاجر يبيع الناس بسعر الفائدة .. ولا يخاف الله .. وهو يزعم أني أبيعه بألفين ، وفى ذلك استغلال ، فماذا يقول مولاى السلطان اذا علم ان هذا التاجر قد باع نفس الصفقة بثلاثة آلاف ؟؟

لم يكن السلطان بقادر على أن يصدق ما يزعمه شرف الدين ، لكن ما ان وقع بصره على عقد البيع ، حتى أخذت شكوكه تنجاب رويدا رويدا ، ولم يستطع التاجر المسكين أن يخلص نفسه من المأزق الخبيث الذى أوقعه فيه شرف الدين ، ولم يستطع أن يدرك حقيقة المؤامرة فى بداية الأمر ، ثم أفاق التاجر على صوت السلطان الذى يهدد غاضبا ، ويطلب له العقاب الصارم جزاء تجنيه على « ناظر خاصته » ..



ويعود شرف الدين فرحا بهذا النصر العظيم ، وقد ازدادت ثقته بنفسه وبمقدرته وذكائه ، كما ازداد اصرارا على القضاء على كل مناوئيه ، ومعترضى نفوذه واستغلاله ، ويهتف فى غرور أريد أن استمتع الليلة ..

فينحني خادمه قائلا :

ـ أمر سيدى ..

ـ رقص وغناء وطرب .. أنا اليوم سيد الجميع .. الأمراء يرهبوننى .. المماليك ينحنون هيبة لي .. السلطان قد أسلم لي كل شيء .. أنا السلطان الحقيقي أيها الأبله .. يجب أن تناديني دائما ب « مولاى » .

ثم أشار الى راسه ، وكأنما سكر بلا خمر :

ـ بالعقل وحده تستطيع أن تصنع المعجزات ..

ـ الله معك يا سيدى ... أعني .. يا مولاى ..

ـ كلنا نستعين بالله .. لا ميزة اذن .. الذى يميزنا هو ذلك العقل الذى يستقر فى رءوسنا ..

وأدرك الخادم أن سيده يعاني من نوبة غرور توشك أن تسلكه فى عداد الكافرين فاستعاذ بالله فى سره ، ثم انصرف ..

الأيام تمضى ، وشرف الدين يزداد عتوا وفسادا ، وثروته تربو وتتضاعف وان تظاهر امام السلطان بالفقر . وتهمس زوجه فى اذنه سعيدة :

ـ لقد طارت شهرتك فى كل مكان .. وأصبحت سيد الناس بحق ..

ـ لم تعد هناك قوة فى الارض تستطيع قهرى .. لم يكن ينقصنى شيء لأكون سلطانا لهذه البلاد .

ـ لا تتمادى فى أحلامك يا زوجى الحبيب ..

ـ ان أروع الانتصارات أيتها الغبية الجميلة هى تلك التي يحققها الانسان دون لجوء الى السلاح .. العقل أمضى سلاح ..

ـ حذار أن تقع يا شرف الدين ..

ـ هذه الرأس ، وفيها ذلك العقل لا يمكن أن تقع ..

ومرض الأمير « يلبغا » وهو رجل طيب يثق فيه السلطان ويحبه أعمق الحب ، وعلم السلطان باحتضاره ، فذهب يعوده ، ولشد ما بكى الاثنان عند اللقاء ، وعندما هم السلطان بالانصراف استأذن الاميركي يبقى بضع لحظات ثم أخذ يقول :

ـ « يا خوند » قد عظم احسانك لي ، ووجب علي نصحك .. والمصلحة تقضى بالقبض على « النشو » فالأمراء جميعا يكرهونه ، ويكرهونك بحبك اياه، وما من مملوك من مماليكك الا ويترقب غفلة منك ليقضى عليك انتقاما منك ، لأنك تركت هذا الشخص يعبث بمصالح الناس ..

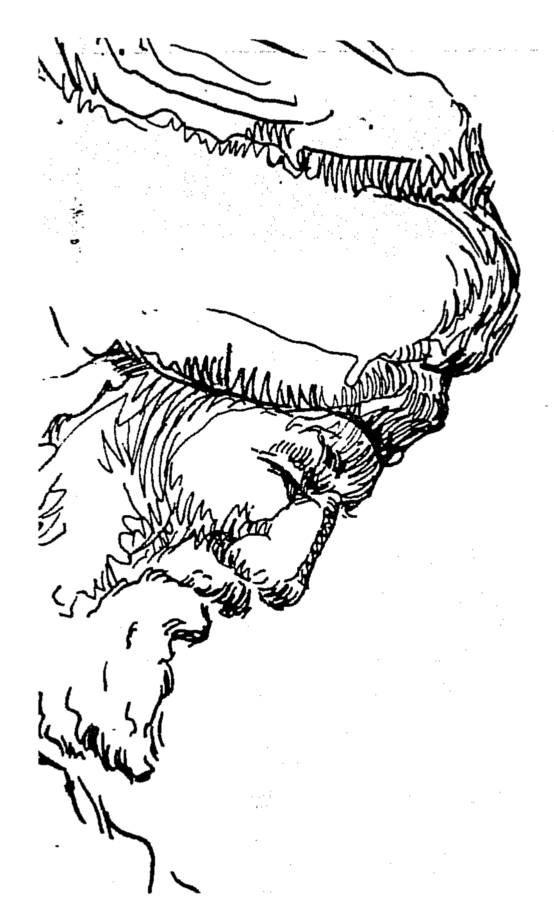
وتسمر السلطان وهو يستمع الى صديق العمر ، ليس هذا فحسب ، بل انه يستمع الى رجل قد خلصت نفسه من الدنيا ، ولم يعد بينه وبين القبر الا خطوات معدودة ، ان الأمر أخطر مما يتصور ، فلو صدق الأمير المريض لكان معنى ذلك أن السلطان قد عاش مخدوعا طوال هذه الفترة .. وانه قد أساء الى الناس اساءة بالغة تكاد تقضى على كل احساناته وأمجاده ..

وخرج السلطان بنفسه يلتقى بالناس، ويجمع الأخبار ويتلقي الشكاوى ، ثم أمر بالتحقيق عن ثروة « شرف الدين » كي يعرف أهو فقير حقا أم يدعى الفقر ، لكن « ألسنة الخلق أقلام الحق » ، والناس اجمعوا على مظالمه ومفاسده ، وان ثروته من الدنانير والذهب والمجوهرات والأبسطة الثمينة والأثاث الفاخر تقدر بمبالغ ضخمة ..

وأفلتت دمعه من عين الناصر .. وارتجف جسده كله .. لكم يخاف الله يوم أن يسأله عن سر وثوقه فى هذا الرجل ، وعن عدم تحريه عنه وهتف بأعلى صوته : ـ

ـ جروه الى السجن ..

لحظات رهيبة .. « النشو » يساق، والسلاسل فى عنقه ، والعامة فى فرح شامل والطبول تدق ، والحشود تتدفق من كل الأرجاء،ثم يأمر السلطان باعدامه وتكفينه فى كفن لا يزيد ثمنه على أربعة دراهم .. وتقام المآدب والأفراح



بانقشاع الظلام ، وتلهج الألسنة بمدح الناصر ، ويترنم الشاعر قائلا : ـ

ان يوم الاثنين يوم سعيد
فيه لا شك للبرية عيد
أخذ الله فيه ((فرعون)) جهرا
وغدا النيل فى رباه يزيد

وهكذا انهزمت ارادة انسان مغرور ، أمام ارادة اله قادر ، وقوة شعب لا يقهر ..

الفتاوي

يرحب هذا الباب باسئلة السادة المستفتين ليرد عليها هنا او في ردود خاصة اذا اقتضى الحال ذلك :

بنك العيون

تلقينا السؤال التالي من وزارة الصحة :

ترغب وزارة الصحة العامة في انشاء بنك للعيون للافادة منه في عمليات ترقيع القرنية وذلك بعد أن تحقق نجاح هذه العمليات في علاج كثير من الحالات التي تستدعي اجراءها . وترى الوزارة الحصول على العيون اللازمة لهذا البنك من المصادر الآتية : ـ

أ ـ عيون الاشخاص الذين يوصون أو يتبرعون بها .

ب ـ عيون الاشخاص التي يتقرر استئصالها طبيا ويتبرع بها أصحابها .

جـ ـ عيون الموتى أو قتلى الحوادث الذين تشرح جثثهم .

د ـ عيون من ينفذ فيهم حكم الاعدام .

هـ ـ عيون الموتى مجهولي الجنسية

على أن يشترط في الحالات المنصوص عليها في الفقرتين (أ،ب) ضرورة الحصول على اقرار كتابي من الموصين أو المتبرعين وهم كاملو الاهلية ، فاذا كان الشخص قاصرا أو ناقص الاهلية لزم الحصول على الاقرار الكتابي من وليه .

وفي الحالات المنصوص عليها في الفقرة (جـ) يجب الحصول على اقرار كتابي بالموافقة على استئصال العين من أقرب الاولياء على النفس العصبات الى المتوفى ويراعى فى ذلك مراتب الولاية على النفس وفقا لاحكام القانون ، وفي حالة وجود اكثر من واحد من العصبات في مرتبة واحدة تلزم موافقة أغلبيتهم ، ولايشترط موافقة أحد في الحالات المنصوص عليها في الفقرتين (د، هـ) .

وترغب الوزارة قبل التقدم بمشروع قانون انشاء بنك العيون أن تتعرف على حكم الشريعة الاسلامية في انشاء هذا البنك من حيث المبدأ ، وعلى ضوء المعلومات الخاصة به سالفة الذكر ونرجو أن تصلنا الفتوى الشرعية بهذا الشأن في أقرب فرصة ممكنة .

الجواب :

ردا على الاستفسار الوارد من وزارة الصحة عن حكم الشريعة الاسلامية في الانتفاع بعيون الاشخاص الذين يوصون أو يتبرعون بها أو العيون التي يتقرر استئصالها طبيا أو عيون الموتى أو القتلى أو المحكوم عليهم بالاعدام او مجهولي الجنسية .

نفيد : بأن الاسلام يحترم الانسان ويحرم الاعتداء عليه حيا وعلى جثته ميتا ، ولذلك حرم التمثيل بجسده بعد موته ، كما حرم امتهان قبره ، ولكن الشريعة الاسلامية التي تجعل مصلحة الانسان هدفا لها لا ترى مانعا في شق بطن الميت اذا ابتلع ذهبا مثلا قبل موته لاخراج هذا الذهب منه لينتفع به الحي ، كما لا ترى مانعا فيما يحدث الآن من تشريح جسم القتيل او الميت بحادثة من الحوادث للتأكد من معرفة سبب قتله او موته لما يترتب على ذلك من ظهور الحقائق التي تفيد التحقيق في حادثة القتل او الموت كما لا ترى مانعا من تشريح الجسم ايضا لفرض تعليمي يفيد متعلمي الطب في معرفتهم أجزاء جسم الانسان مما يعينهم في مهنتهم لعلاج المرضى من الاحياء .

وقياسا على هذا لا نرى مانعا ـ من حيث المبدأ ـ من الانتفاع بعيون الموتى لعلاج الاحياء فاقدي العيون لما يترتب على ذلك من مصلحة ظاهرة للاحياء . والامر في ذلك ظاهر اذا تبرع أصحابها لان ذلك يتم بموافقة منهم كما جاء في الفقرتين (أ،ب)، من الاستفتاء، اما ما جاء في الفقرتين (جـ،د) خاصا بعيون القتلى او الموتى الذين تشرح جثثهم ولم يحصل منهم تبرع ، أو عيون الموتى المجهولين

فانه يجوز – من حيث المبدأ – كما سبق ان ذكرنا الانتفاع بعيونهم – ولو لم تحصل منهم موافقة – ما دامت هناك حاجة ملحة ومصلحة ظاهرة فى الانتفاع بهذه العيون خاصة لان مصلحة الاحياء فى هذه الحالة مقدمة على الاحتفاظ بأجزاء جسم الميت حتى لاتفسد فى التراب ومما لا شك فيه أن مثل هذه المشروعات المستجدة التى تهدف الى مصلحة الانسان مما تحبذه الشريعة وتبارك القائمين به فى الوقت الذى لا يحرم فيه المتبرعون بعيونهم من ثواب يعلمه الله جزاء نواياهم واغراضهم الطيبة – والله أعلم .

لجنة الفتوى بوزارة الاوقاف

زكاة الأرض

الارض المتخذة للسكنى والتخزين

السؤال :

أرض اشتريت لاتخاذ قسم منها للسكنى والتخزين والقسم الآخر للايجار فما الحكم فى زكاتها ؟

الجواب :

هذا السؤال مكون من جزأين فالأرض فى الجزء الاول لا زكاة فيها لان صاحبها اعدها لسكنه الخاص ولم يقصد بها التجارة ، اما الارض فى الجزء الثاني فان الزكاة تجب فى كراها عند تمام الحول اذا بلغ نصابا وذلك بواقع ٥ر٢٪ سنويا .

الارض المشتراة للتجارة

السؤال

ارض اشتريت للتجارة وقد بيع قسم منها واديت زكاته ، والجزء الآخر هل تؤدى زكاته على أساس قيمة الشراء أو على أساس سعر اليوم ؟

الجواب :

للاجابة عن هذا السؤال نفيد أن الجزء الاول الذى بيع واديت زكاته ان احتفظ صاحبه بثمنه فان زكاة المال تجب فيه اذا حال عليه الحول بواقع ٥ر٢٪ سنويا . اما القسم الآخر فان الزكاة تؤدى عنه على أساس سعر يوم الاداء وهو اليوم الذى يتم فيه الحول بواقع ٥ر٢٪ سنويا .

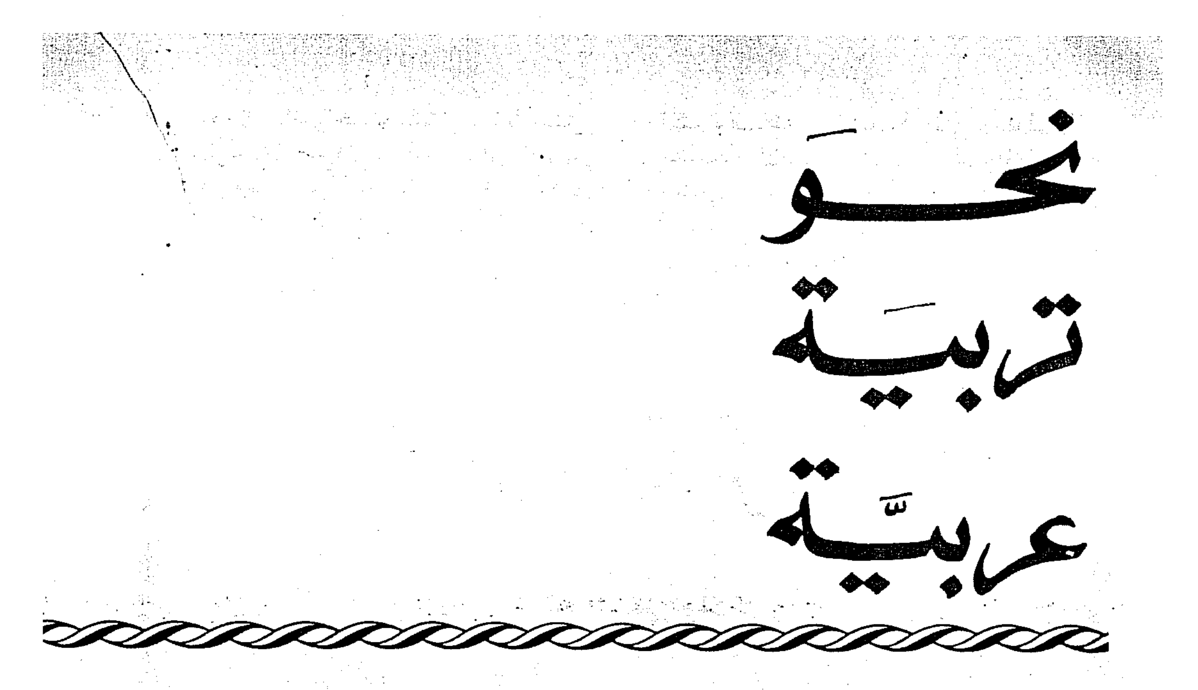
الارض المستأجرة

السؤال

ما الحكم بشأن العرصات التي يستأجرها الناس من الحكومة على ان يقوم المستأجر بالبناء والاستغلال لمدة خمسين عاما ثم تؤول الى الحكومة . هل تؤدى الزكاة عنها ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

الجواب :

لا زكاة على مستأجر الارض لانه لا يملكها ، وعليه أن يخرج الزكاة عن ربح ما اقامه عليها بقصد التجارة والاستغلال اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول بواقع ٥ر٢٪ سنويا .. والله اعلم ».



نحو تربية عربية

لقد تطورت أساليب التربية والتعليم فى العالم الى مجالات أوسع مما كانت عليه سابقا ، وأصبحت متشعبة غير مقتصرة على مفهوم ضيق لتعليم الصغار الكتابة والقراءة ، فهل هذا التطور الذى حدث فى العالم المتحضر تبعه تطور آخر فى مجال التربية العربية أم أن التربية العربية ظلت على ما هي عليه ؟ هذا ما اريد مناقشته فى الكلام الآتي :



فالمعروف أن التربية الحديثة تقوم على أساس موضوعي ، أى بعد دراسة نفسية عميقة قبل ان توضع المناهج التي تعطى للتلميذ ، وبعد تجارب كثيرة سواء منها التي اجريت على الانسان او الحيوان ، وكل خطة لا تقوم على بحث ودرس فانها لا تجدى نفعا فى هذه الايام ، بل تكون دراسة مصيرها الفشل الذريع ، ولقد لاحظ العرب قبل قرون طويلة هذه الناحية،واعطوها كثيرا من الاهتمام بطريقتهم الخاصة التي تنطبق على واقعنا ومجتمعنا ، وأكبر دليل على ذلك : الكتب التي القوها للمبتدئين الصغار وقد راعوا عند وضعهم هذه الكتب السهولة فى التعبير للناشيء ،

للاستاذ صالح العثمان

وكيل ثانوية الشويخ



وهذه تعتبر من أولى النواحي النفسية التي تعنى بها وتراعيها التربية الحديثة ، وهي التدرج في تعليم الصغار من البداية، وتتجلى أيضا هـذه المراعـاة فيما كان صغارنا يدرسونه في المدارس منذ زمن قريب ، وعلى سبيل المثال يتعلم الطفـل أولا حروف « الخالى ، اليمين ، الوسط اليسار » ثم يبدأ يفهم الجزء الـذى سَيَكوِن هو منـه كليات في المستقبل أى الجمل التي سيكتبهـا أو يتكلمها . ويفهم هذا الصغير عندمـا يـكبر قيمة الكلمة التي يستعملها على أساس تعليمه الجزئيات «الحروف» وكذلك في الحساب يبدأ الطفل بحفظ الاعداد من واحد الى عشرة الى عشرين أى مـن الآحاد الى العشرات الى المئات وهكذا ، ثم بعد ذلك يحفظ جدول الضرب ، ويـكون ذلـك بمراحل أيضا الى أن يصل الى معرفة القسـمة والضرب وقسـمة وضرب الكسور ، هذه الناحية قد نظر اليهـا المربون العرب الاوائل بعد أن عرفوا أن هذا الصغير لا بد أن يركب السلم درجة درجة حتي يصل الى هدفه ، وهم بعـد ذلك لا يقسّرون هذا المتعلم الناشىء على مادة مُعَيَّنة فهو حر فيما ينتهجه لنفسه ، وهذه الظاهرة هي التي تحاربها التربية الحديثة كمـا حدث للظاهـرة الاولى ، وهي تدعى أى التربيـة الحديثة انها أتت بشيء جديد ، وكثيرا ما سمعنا عن علماء في التفسير والحديث وفي اللغة والفلك والجبر والكيمياء والطب وهكذا بدون أن يُرغَموا على ذلك .

ولقد أكد العلماء العرب المسلمون في السابق خاصة في مجال الشـعر بأنّهُ موهبة ، ولا بد لهذه الموهبة من تمرين وقراءة وحفظ،والموهبة مثل المادة الخام لا فائدة منها الا باستعمالها وتكييفها .

والتربية العربية هي التربية الاسلامية بمفهومها الكبير ، ولا يمكن ان تنفصـل التربية العربيـة عـن الدين الاسلامي ، فالعـلوم التي ملأت العالـم في يوم مـن الايام هي علوم اسلاميـة ، ولـم تتبلور العلوم عند العرب قبل أن يحملوا هذه الدعوة التي كان أول صفحات مـن منهجها تقول : « اقرأ باسم ربك الـذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم » والرجل العربي لما دعـاه هـذا

القرآن الكريم تفتحت آفاقه على ما له من ذكاء وسرعة بديهة وفهم للاشياء ، كما يدل على ذلك ما انتجته العقلية العربية فى ميادين الفكر وما زال يُدَرس فى أغلب جامعات العالم .

وَجّهَ القرآن الكريم هذه الفطرة العربية وفتَّح افاقها الى آفاق بعيدة مما جعله يستطيع فى مدة قليلة اذا قيست بتقدم الامم ،أن يؤسس حضارة واسعة الاطراف ويبتكر ويتفنن فى علوم متعددة ويناقش أشياء كانت مفهومة ومعروفة عند الامم السابقة ، ويزيد على علوم السابقين علوما أخرى ومجالات أوسع ، والتراث العربي شاهد وموجود المطبوع منه والمخطوط بل المخطوط والذى ضياع ليس بأقل من المطبوع . كل هذا يعطينا صورة واضحة للتربية العربية التي تُنسَى الآن عندما تُذكر التربية الحديثة ، بل أصبحت لا وجود لها الا بالاسم فقط فى مجال التربية الحديثة .

ولقد أنفق أسلافنا السابقون على دور العلم والمتعلمين ما يفوق ما يصرف الآن على العلم والعلماء ، لقد كانت الاوقاف على العلماء والمتعلمين تقدر بالملايين : وكل ذلك خدمة للعلم وما زال حتى اليوم بقايا وآثار تدل على الماضي الحافل .

وكل الذين يجهلون هذه الحقائق انما يجهلون ماضيهم ، وهم يشكلون خطرا كبيرا فى مجالات التربية فى الوقت الحاضر لأنهم على أساس الجهل بماضيهم يخططون للتربية بجميع فروعها ،والخطر الداهم الذى نرجو الا يكون ، هو استيراد أشياء ونظم من الخارج بحجة أنها جديدة وحديثة وأننا بحاجة اليها وسبب هذه الحاجة عدم وجودها عندنا ، وكل تفكير من هذا النوع يجعلنا مرتبطين بأمم أخرى تابعين لها ، ليس لنا كيان ولا شخصية ، نستجديهم ونطلب منهم أن يضعوا ويخططوا لنا كل جديد ينتجونه

ولا أحب ان يفهم هذا الكلام على أساس خاطىء وأنه حرب للثقافة والعلم وعدم دخولها لعالمنا العربي فان الكلام بعيد عن هذا الموضوع على أنه اذا كانت الثقافة تؤدى الى ضياع الكيان العربي والى تحطيم شخصيته كما عمل الاستعمار فهذا شيء لا بد أن نحاربه لأنه يقضي على التفكير ويهدم ما بنيناه قرونا طويلة اذ ان التفكير فى مستقبل التربية لا بد ان يكون على أساس أن هناك بنيان شامخ بنيناه قرونا طويلة وشيدنا منه حضارة عريقة يشهد لها العالم ، وهذا البنيان الشامخ وهي حضارتنا لم تتزعزع مع أن الضربات التي وجهت نحوها من اعدائنا بكل أساليبها كافية لأن تهد أكبر من ذلك ، لولا أن رحم ربك ، ثم ما هو السبيل الى فهم الماضي ما دامت التربية الحديثة بعيدة عنه لأنها تعتمد على المستورد من الخارج ، والمستورد يطمس كل معالم هذا الماضي ، بحجة أنه قديم لا يقوى على مجابهة هذا الحديث ، والتربية لا تقوم على هذا الاساس بل هي ربط الماضي بالمستقبل ودراسة هذا الماضي للانطلاق منه الى المستقبل على أسس متينة . (لا نترك الماضي وراء ظهورنا ثم نتخبط فى المستقبل لالتماس مبادىء جديدة ، هذا التفكير لا يفكر به صاحب عقل ينشد مستقبلا ناجحا لأمته ، وهذا هو السبب فى أننا لم نَرَ حتى الآن كتبا عربية فى موضوع التربية الا القليل النادر أو بعض مقالات قصيرة نشاهدها فى بعض المجلات) .

ولا بد لي من كلمة أوجهها للذين يرسمون الاسس للتربية العربية ويضعون المبادىء التى يتلقاها الصغار ،وهي أن يكون هدفهم الاول والاخير تربية جيل واع فاهم لماضيه ، وأن تكون المناهج دالة لهذا الجيل ومرشدة له الى هذا الماضي المجيد . أما ان نقول للطفل أن لك ماضيا مجيدا ونسكت فما زدناه الا حيرة وجهلا وسنزيد الامة طبقة من الجهال سيقودونها

في المستقبل ، أما أن يعرف ماضيه بتفاصيله ، بخيره وشره ، ويعتبره نقطة انطلاق الى المستقبل فهذا هو المقصود . وأما أن تكون التربية واقفة سدا منيعا بين نشئنا وبين ماضيهم فانها ستكون وبالا ونقمة على أبنائنا ، والجيل الذى يحمل هذه الامانة هو جيل نفترضه قويا متينا مسلحا بسلاح الفكر والعقل أولا ثم ما شئت من أسلحة بعد ، واذا ما تغيرت من نفوسنا الالتواءات الضارة في التفكير وبدأنا نفكر على هدى وعلى خط مستقيم فسيكتب لنا النجاح ان شاء الله .

واذا أصررنا على أننا الآن سائرون في أحسن طريق وعلى أكمل وجه ، فهو الخطر الداهم الذى أحذر منه ، والعقل ينادينا أن نعتبر بالامم التي سبقتنا فأول شيء بَنَتْهُ هي شخصيتها (وهذه الشخصية تتصل بالماضي البعيد ايضا وقد عرفت هذه الامم أن معاول الهدم لا تستعمل للاصلاح وما اسهل الهدم ولكن ما أصعب البناء) لان بناء الحضارة يسبقه بناء أدوات قوية تصبر على التعب والمشقة لتساهم في بنائها ، والادوات التي أعنيها هي هذا الصغير الذى تبدأ التربية تغذيه وتلازمه حتى يستوى عوده ويقوى .

لا ننكر ما للدراسات النفسية والتربوية (التي قام بها علماء العالم اجمع سواء في الغرب أو غيره) من قيمة ، وقيمتها تدخل تحت اطار المعرفة الانسانية التي ينتمي اليها الانسان ولكن لكل مجتمع من المجتمعات تكويناته الخاصة وظروفه الخاصة والمجتمع العربي اذا أردنا أن نضع له أسس التربية الصحيحة لا بد أن ندرسه دراسة مستفيضة قائمة على الفهم الصحيح ، ندرس الحاضر كما ندرس الماضي ، وما أصابه من تأخر وما سبب هذا التأخر .

ودراسة التاريخ لهذه الامة من أهم القواعد التي ترتكز عليها دراسته وكل عربي يعلم أنه منذ زمن غير بعيد كانت لنا جامعات ومدارس وحلقات علم وعلماء أجلاء أفنوا حياتهم في اكتساب العلم وتدريسه ، وبثمرات عقولهم نمت الحركة الفكرية وارتقت في هذا المجتمع من شرقه الى غربه ، وانتشرت في العالم وما زلنا حتى الآن لم ننشر الا القليل من الكتب التي ألفت في زمن التقدم والازدهار وسيجرنا ذلك للبحث عن الأسباب لهذا التقدم الكبير في مقال آخر ان شاء الله .

صالح العثمان

ذكاء أبي حنيفة :

كان الربيع صاحب المنصور يعادى أبا حنيفة ، فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع :

« يا أمير المؤمنين . ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول : اذا حلف الرجل على شيء ، ثم استثنى بعد ذلك ـ بيوم أو يومين ـ كان ذلك جائزا ، وابو حنيفة لا يجوّز ذلك الا متصلا باليمين ».

فقال أبو حنيفة :

« يا أمير المؤمنين ، ان الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك عهد ولا بيعة » .

قال : كيف ذلك ؟

قال : « يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون ، فتبطل أيمانهم » .

فضحك المنصور وقال :

« يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة » .

صرخة فلسطين في أيار



إرفعْ سلاحكَ يا مُجاهدْ فالسَّاحلُ القدسيُّ راقد
يغفو على مأساته يطوى الرمالَ على المواقدْ
والبحرُ يزأر حولَهُ .. والموجُ في بُرْدَيْه راعدْ
هذا التراب يظلُّ يهتفُ في الأقارب والأباعد
أبداً يهيبُ بأهله .. الرافلينَ على الوسائد ..
التائهينَ على الدُّروب الضائعينَ على الفدافدْ
الآكلينَ لحومَهُمْ .. ما بينَ موْتورٍ وحاقِد ..
النائمينَ على الجراح العابثينَ على الموائد ..
أينَ الزنودُ .. إلى السلاح .. إلى الوغى .. أينَ السواعد
ودع الكلامَ لغيْر طلاَّب العُلى ودَع القصائد

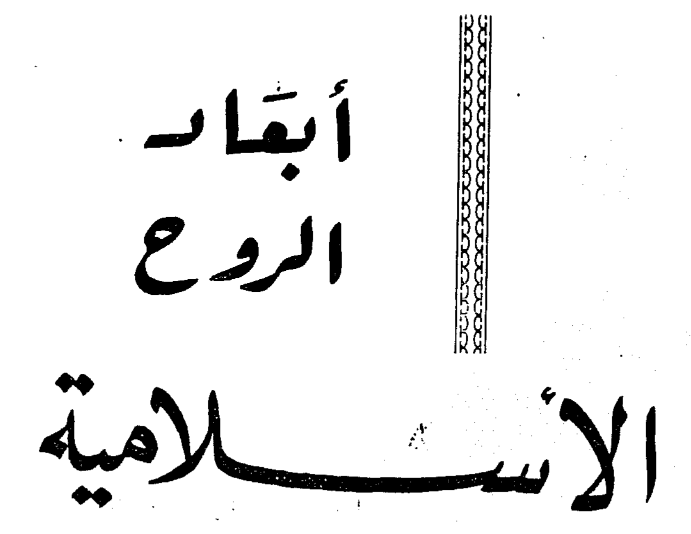
إرفعْ سلاحكَ يا أخي يدعوكَ للثأْرِ السلاحْ
واحملْ جراحَكَ إنّها .. زادُ المشرَّدِ في الكفاح ..
واطْوِ الضلوعَ على العذاب .. على الهوانِ .. على النواح ..
الموتُ أكرمُ موردٍ .. بينَ الشواطئِ والبطاح ..
وارفع جبينَكَ شامخاً .. رغم التشرد والجراح ..



للاستاذ راضى صدوق

من أنتَ ؟ .. أنتَ مشرَّدٌ .. تلْهو بخَيْمتك الرِّيـــاح
أنّى تكـونُ مشـرَّداً .. يدعوكَ موطنُـكَ المُبَــاح
فابْعَـثْ شواظَـكَ ، ياأخـى ، نـاراً تشـطُّ بكلِّ سـاح
واضْـرِب بساعدِكَ السَّمـاءَ فلن تُطاولَـكَ الرمّـاح ..
وارفـع سلاحَكَ ياأخـى .. يدعـوكَ للثَّأرِ السّـلاح

إطْلق رصاصَكَ تسْتَجِـبْ من حوْلِنـا كلُّ البنَـادِقْ
وانْهَـضْ إلى الوطَنِ الحبيـبِ هُنـاكَ نزرعُهُ خنادق
نحنُ الفداءُ لقُدْسه .. من كلِّ صاعقـةٍ وصاعـق
إنْ نحنُ لم نسـفَـحْ لَـهُ دمَنا الزكيَّ علـى البيـارق
من يفْتديه من العـدَا .. مـن كلِّ مُغتَصِبٍ وسـارق ؟
من يغسـلُ التُّرْبَ الحبيـبَ من المبـاذلِ والشَّـرانق ؟
من يسحـبُ العلَـمَ الأبـيَّ على المغـاربِ والمشـارقْ ؟
أطْلِـقْ نفيرَكَ يا أخى تُنْزِلْ علـى الأرْضِ الصَّـواعقْ
وتُزلـزل الرِّجـسَ الدَّخيـلَ وتُشعـلُ الدّنيا حرائق
وتعـود للوطَنِ السليب إلى الكـرومِ .. إلى الحدائـق



أبعاد الروح الاسلامية

من أجمل التأملات الممتعة بلا ريب التفكر فى الأبعاد السامية التي تستطيع روح الاسلام أن توصل اليها أصحاب هذا الدين المخلصين .

وفى مقالي هذا ساتحدث عن المشاهد الأخيرة من أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز غفر الله له وارضاه ، وصلاح الدين الأيوبي قدس الله ثراه .

بقلم
احمد العناني

كانت الساعات الأخيرة فى حياة كل واحد من الأبطال الثلاثة اشارات الى الأبعاد العالية التي حلقت أرواحهم في آفاقها بما أصابوا من سداد التوجيه ، وحققوا من عظمة الايمان ، واخلصوا لله حبا ، واصفوا له انفسا مقبلة على ربها فى المنشط والمكره ، وفى كل دقائق الحياة ، ومختلف نشاطات دنياها .

معز الاسلام

فأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد احتمل من عبء الفتوح الاسلامية أفدح ما يحتمل الكاهل الجبار ، ثم ناضل فى غمرات المجتمع الجديد الذى انتقل فى بضع سنوات من الفقر والمسغبة الى أروع درجات الغنى والكرامة ، يستلهم كتاب الله وسنة

رسوله وغاية جده واجتهاده في العثور على الصراط الأقوم للتصرف بالأوضاع الجديدة والحيلولة دون مكاره الفتنة ، حتى ليشقى بمسئوليته ، ويضنى بها فؤاده ، ويكاد ينهد جسمه ويذوي عوده ويدعو ربه ان يقبضه اليه .. ثم تأتي ساعة المؤامرة الأولى الفاجرة على الاسلام ، ويطعن عمر في غبش الليل من دون الفجر ، سبع عشرة طعنة لئيمة مسمومة ، وينقل مغشيا عليه حتى اذا استيقظ من غيبوبته ، وثاب اليه رشده تخطى الألم الذى يفتك بأحشائه ، ونسى الدم الذى ينزف من جراحه ، وكان أول سؤال يسأل عنه صلاة الفجر هل صلاها الناس،فلا يطمئن حتى يعرف أنهم صلوها وراء عبد الرحمن بن عوف .

وحين قدم اليه اللبن وشربه فتدفق من أماكن طعناته ، ولم يبق ذرة شك عنده في وفاته بدأ بشؤون الدولة الكبرى يصرفها ، ثم انتقل من الأهم الى المهم فالأقل أهمية حتى اذا انتهى من الناس جميعا ،ولم يبق الا آل الخطاب نهاهم عن الخلافة وزجرهم عن عبء الرياسة ، ثم حين لم يبق الا نفس عمر المقبل على ربه ، انهمك يستغفر لنفسه ويدعو ربه ويرتجف من هول لقائه ، ويرى قطعة التبن ملقاة فيمسك بها بيده الطاهرة ، ويبللها بدموعه ويهتف بها اذ يناجي نفسه : « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، ليتك كنت تبنة كهذه التبنة ولا تقف لهول السؤال عند الله والحساب » .

ذلك كان عمر بن الخطاب الذى عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد نزول الوحي ، وما غفل منذ آمن عن مراقبة الله في نفسه وأهله وأصحابه والناس من حوله ، لا يعرف أن عليه تبعة يؤديها الا اداها ، ولا أن عليه واجبا يناديه الا نهض له ، مطرحا دواعي الراحة والأثرة ، ناهيك عن الطمع أو الاهمال ، ومع ذلك يكون حاله في مشهد الموت كما وصفت لك ، ويكون بعده في آفاق السمو كما ذكرت .

خامس الراشدين

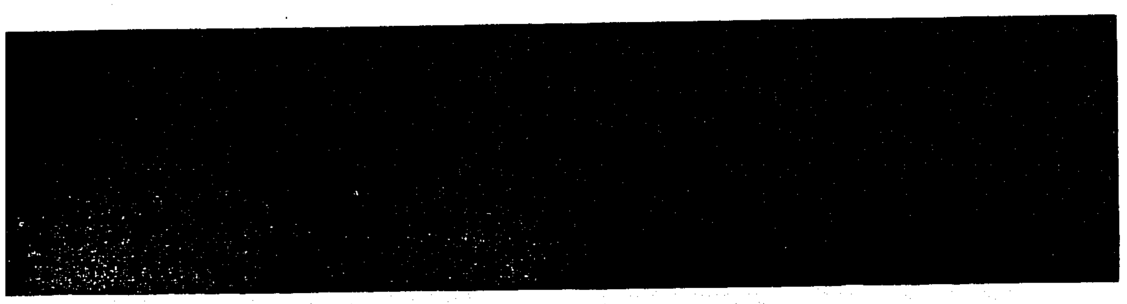
فأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فانه لم يعاصر نبي الله عليه السلام ولم يشهد آيات التنزيل يهبط بها جبريل على القلب الأمين .. ولكنه رجل فتح عينيه على الدنيا ، فاذاهو أمير يجبى اليه الخير ولا يسعى له ، وتتبرج له الدنيا من غير أن يومىء لها ، اذا قصد أباه في مصر فثمت القصور في حلوان يستقبل سمعه سجع الأطيار في حدائقها ، ويهدهد سأمه صداح العز المختال في أرباضها ، واذا قصد أخواله وأعمامه بيثرب أو دمشق فهناك الأوامر المسموعة والرغبات المحققة ، والحشمة الموفورة والدنيا التي يضحك فيها كل شيء تراه عيناه ... شاب أمير وسيم حتى الغيد الحسان يقلدن مشيته ، وطالب علم فطن أريب حتى المحدث ابن المسيب يمتدح وقفته في محراب صلاته، وانسان عريق الأحساب في عمومته وأخواله ، والمطارف الخز مسبلة عند موطىء أقدامه ، وأمير المؤمنين عبد الملك يخطبه هو خطبة الوامق المعتز لفاطمة درة بناته ...

ثم ينطوى ذلك الدهر المفعم بعطايا الحياة الدنيا ، وتفتح صفحة الامارة على المدينة ومن بعدها الخلافة في دمشق .. فاذا الذى كان بالأمس رجلا ميسورا من الناس ، قد أصبح خليفة فقيرا في الأرض .. يرد نظره غير آسف ولا متردد عن المال وهو مريب ، وعن القطائع وهي نهب منهوب ، وعن أبهة الحكم الى تواضع الطاعة ..

روح الاسلام أشرقت في النفس التي ربطت مصيرها بالله فآلى صاحبها لا يفعلن فعلة،ولا يلبسن ثوبا ، ولا يشعلن

البقية على ص : ٩٧





ونعني بعالم الملايو ذلك الارخبيل المكون من آلاف الجزر المنتشرة فى جنوب شرقي آسيا التي كان يطلق عليها فيما مضى جزر الهند الشرقية ، وتنقسم حاليا الى وحدات سياسية كبيرة ، اهمها ـ اندونيسيا وتعداد سكانها حاليا مائة مليون نسمة ، وماليزيا وتعداد سكانها عشرة ملايين نسمة ، والفلبين وسكانها سبعة وعشرون مليون نسمة ، ومن أعظم هذه الجزر سومطرة وجاوة وبورنيو التى يقال عنها انها أكبر جزر العالم بعد استراليا ، اذا اعتبرنا استراليا احدى الجزر ، وتقع هذه كلها فى اندونيسيا يضاف اليها جزر كبيرة وصغيرة تبلغ فى مجموعها اربعة آلاف جزيرة مساحتها (٧٣٥٠٠٠) ميل مربع ، ومنها شبه جزيرة الملايو الممتدة جنوب سيام ويحيط بها بعض الجزر الجميلة ويمتاز بعضها بموانىء عالمية هامة كميناء « بنانج » و « سنغافورة » ، ويفصل الملايو عن سومطرة بوغاز ضيق يسمى « بوغاز ملقا » . وتكون الملايو مع ما حولها من جزر صغيرة وجزء من ساحل جزيرة بورنيو الغربى دولة ماليزيا حاليا التى تبلغ مساحتها (١٢٨٧٠٠) ميل مربع ، ومن الجزر الكبيرة فى الارخبيل ايضا جزائر « لوزون وفيزياس ومندناو وارخبيل صولو » فى الفلبين التي يقال انها تحتوى على نحو أربعة آلاف جزيرة ايضا مساحتها (١١٥٠٠٠) ميل مربع.

وتقع هذه الجزر كلها فى المنطقة

للدكتور محمد عبد الرءوف

وكيل ادارة البحوث الاسلامية فى الازهر



الاستوائية ولذا كان مناخها حارا ولكن يلطف من حرارتـه احاطة المياه بها ، وارتفاعها عن مستوى البحر ، وكثرة النباتات والاشجار التي تغطي سطح هذه الجزر ، بسبب كثرة الامطـار وارتفاع درجة الحرارة على طول ايام السنة ، وتكون غابات كثيفة عالية لا تزال تغطي الجزء الاكبر من مساحة البلاد ، وتخلى أجزاء من هذه الغابات تدريجيا للتعمير والزراعة .

غناه سبب استثماره

والارخبيل غني بحاصلاته النباتيـة والمعدنية مما أدى الى تنافس شديد بين دول الغرب للسـيطرة عليـه منذ بدأ الاستعمـار فى الشرق واكتشف طريق راس الرجـاء الصالح فى نهايـة القرن الخامس عشر الميلادى ، ومـن أشهـر الحاصـلات : التوابل ومعـادن الذهب والفضة والقصدير والحديد والبترول والاخشـاب ثـم المطـاط الذى ادخل الاوروبيون زراعته فى البلاد منذ نحو مائة عام مما زاد فى أهمية البلاد الاقتصادية والاستراتيجية .

والغذاء الرئيسي هناك هو الارز كما هو الحال ببلاد الشرق فى الاعم الاغلب كبلاد الهند والصين واليابان وغيرها لذا كانت زراعة الارز وصيد الاسماك من أهم اعمال السكان الى جانب زراعة التوابل والبن والشاى والنرجيل والموز وقطع الاخشاب ، ثم زراعة المطاط كما ذكرنا ، وقد تنوعت أعمـال السكان الآن حيث

دخلت صناعات حديثة وراجت التجارة الى جانب الصناعات القديمة المحلية كصناعة النسيج المزركش والحلى الفضية الممتازة وتجفيف الاسماك وبناء السفن الصغيرة ، ولا يبذل الفلاح الملايوى كبير جهد فى رى حقله ولا يحتاج فى ذلك الى استعمال آلة الطنبور أو الشادوف مثلا ، بل تتولى السماء سقي مزرعته بأمطارها الغزيرة الوافرة ، وفى كثير من الاحيان تكاد الحياة تقتصر على الجهات الساحلية حيث تتوافر حاليا الطرق الزراعية وتتيسر المواصلات ، وكان الانتقال فى العصور الماضية بين القرى — وتقع غالبا على شواطىء الانهار — بواسطة القوارب والسفن الصغيرة لصعوبة عبور الغابات الشائكة ، ويسمي مجموع هذه الجزر بالارخبيل الملايوى تبعا لسكانها .

وسكان ارخبيل الملايو من العنصر المعروف ببشرته البنية اللامعة واعينه الجميلة الواسعة وشعره الاسود الفاحم ، ثم هم الى القصر أقرب منهم الى الطول ، وهم شعب ذو ذوق وادب ، مسالمون متسامحون ميالون الى الهدوء ، محبون للفنون الجميلة ، وقد غرس ذلك فى نفوسهم طبيعة بلادهم الفاتنة ، وهم من أشد الشعوب اعتزازا بالاسلام وتمسكا بالتقاليد ومحافظة على العبادة والشعائر الدينية .

كيف دخلها الاسلام

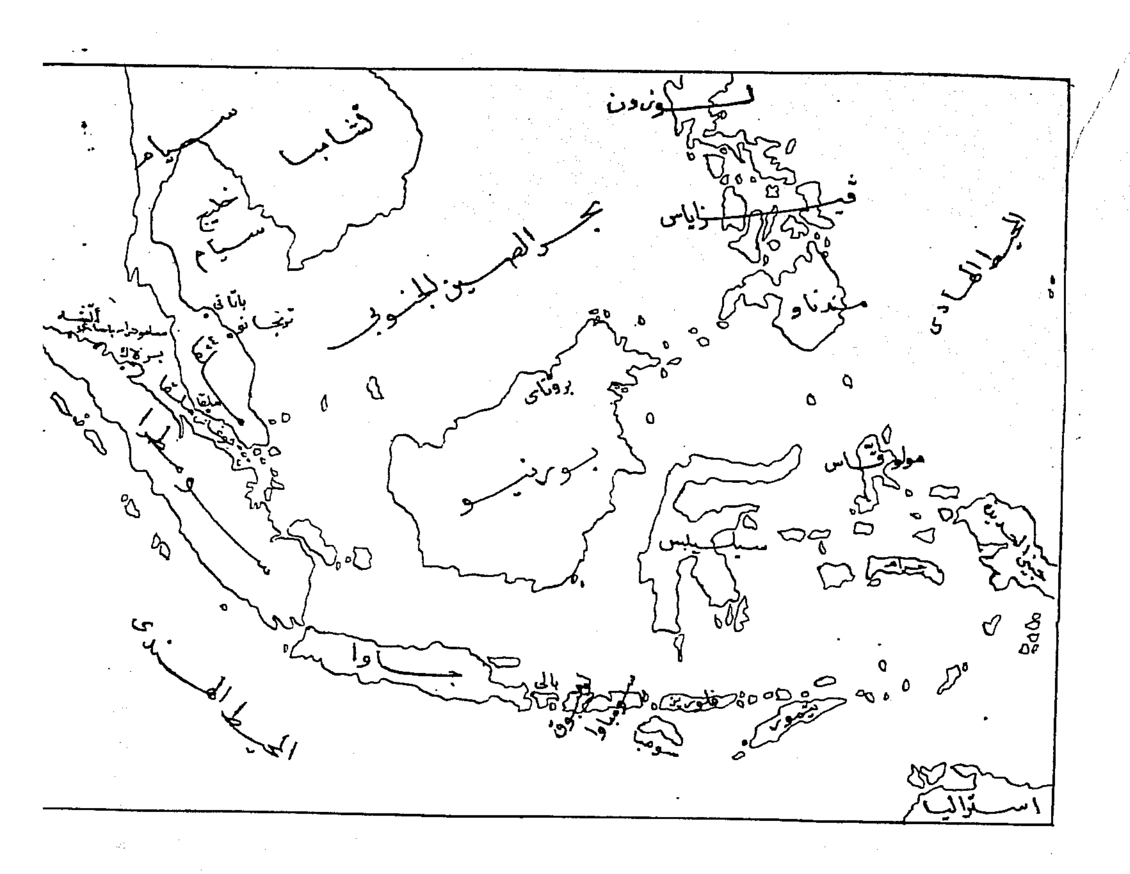
وسنحاول فى السطور الآتية أن نتتبع مراحل دخول الاسلام فى ربوع الملايو وانتشاره هناك ، ثم نتحدث عن بعض مزايا الاسلام واصلاحاته وأهميته بين هذه الشعوب التي تنبض قلوبها بحبه ، ويربطها بالعرب والعروبة أواصر روحية وثيقة خالدة مهما بعدت الشقة أو امتدت المسافات .

كانت تربط الارخبيل بجزيرة العرب صلات تجارية قديمة ازداد شأنها فى القرن الثامن الميلادى (القرن الثانى من الهجرة) ، **ويحدثنا التاريخ عن وجود جماعات عربية كانت تقطن قبل الاسلام بعض الموانيء هناك بشمال سومطرة ، كانوا يعيشون تحت قيادة شريف عربي على النظام القبلي بشبه الجزيرة ، وقد استمرت هذه الصلات التجارية التي تبعتها صلات ثقافية على مر العصور والقرون ،** وابان هذه الصلات التجارية والثقافية بزغت شمس الاسلام على قلب شبه الجزيرة العربي ، وتم اعتناق العرب جميعا لهذا الدين الحنيف قبل انتقال الرسول — صلوات الله عليه — الى الرفيق الاعلى عام ٦٣٢ م .

وكان الهم الاكبر للتجار العرب الذين كانوا يجوبون جزر الملايو فى القرون الاولى للاسلام هو الكسب والتجارة وتبادل السلع ، ولكنهم مع ذلك كانوا يقيمون شعائرهم الدينية حيثما وجدوا على مسمع ومرأى من أهل البلاد ، فقد كانوا يؤدون الصلاة ويؤذنون لها ، ويحتفلون بالمناسبات الاسلامية ، ويجلبون أحيانا من الدعاة المتصوفة ومشايخ الطرق من تناقلت الالسنة الحديث عن كراماتهم وبركاتهم ، وعقدوا بين المسلمين حيث طاب لبعضهم المقام حلقات الذكر ومجالس الوعظ والارشاد ، وقد لفت نظر أهل البلاد ما اشتهر به بعض هؤلاء من تأثير روحاني وخاصة فى شفاء المرضى ودفع الاذى من مثل لدغ الثعبان ، وكان لما يكتبون من أحجبة وتمائم للحفظ من الضر أو لجلب المنفعة أو المحبة غاية التقدير والتأثير .

تأثره بحضارة الصين والهند

وقبل أن يسمع عالم الملايو عن الاسلام وقبل أن ينبث المسلمون بينهم فى العصور الاسلامية الاولى ، مضى عليهم عهدان طويلان ، يبدأ الاول منذ بدأ الارخبيل فى القدم يعمر بالمهاجرين من « يوشان » فى جنوب الصين ، ويمتد هذا العهد حتى

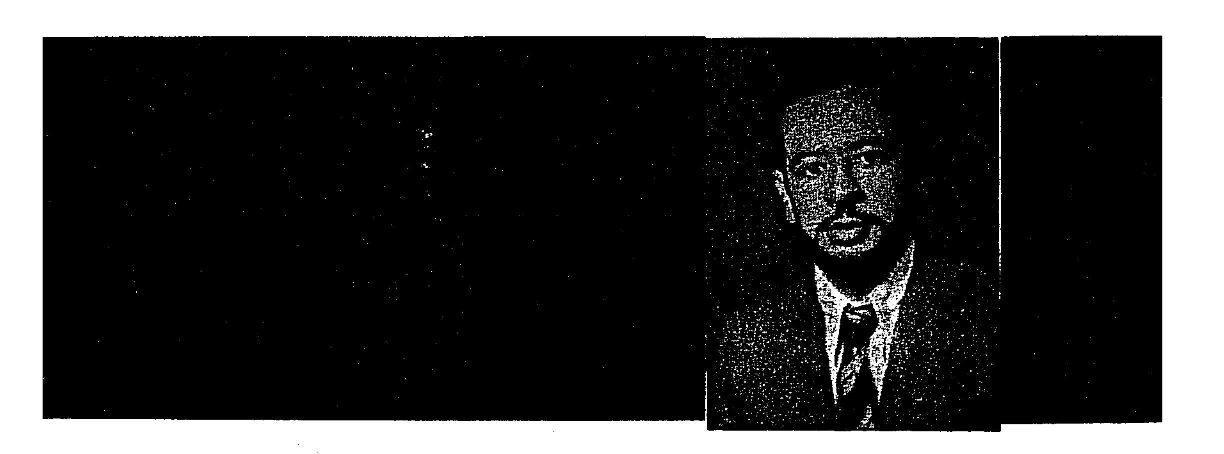


القرن الاول من ميلاد المسيح ، ويعرف بالعصر البدائي حيث سيطرت الخرافات وسيطر الاعتقاد فى السحر والشعوذة على العقول ، واما العصر الثاني فهو عهد رواج التجارة بين الهند والصين ذاتي الحضارتين الشرقيتين العريقتين ، فتعرض الارخبيل الملايوى للتأثر بثقافتيهما ، حيث يقع على هذا الطريق التجارى ، وخاصة بثقافة الهند التي شملت المعتقدات والعادات والتقاليد ، فانتشرت الهندوكية بين شعوب الملايو ، وكثرت معابدها وأوثانها فى انحاء الجزر ، وتفشت العادات الهندية فى الطعام واللباس ، وفى مناسبات الميلاد والزواج ، وتقاليد القصور ، وكثرت الكلمات السنسكريتية (لغة الهند القديمة) فى لغة الملايو .

ماء السلامة

ورغم انتشار الاسلام فيما بعد فلا تزال هناك آثار وبقايا من كلا العهدين يمنعنا من شرحها وتعدادها هنا ــ مع ما لها من طرافة واغراء ــ خشية التطويل والخروج عن المقام ، ولا يفوتنا مع ذلك ان نذكر ان بقايا العادات الهندوكية لا تزال تتبدى بصفة خاصة فى مراحل الزواج الطويلة وفى مراسيم القصور الملكية ولا سيما عند تنصيب سلطان جديد على العرش فى ولايته ، **فترى العروسين يوم الزفاف مثلاً ، يجلسان فى مقصورة أقيمت لهذا الفرض عليها أجمل الزينات وقد لبسا المزركش من الثياب ووضعا التاج على رأسيهما ، لا يتحدثان ولا يبتسمان ولا يلتفتان، ثم يقبل القرابة**

البقية على صفحة ٩٦



تنطوى النفس البشرية على عالم داخلي من الغرائز تصطرع فيه قوى الخير والشر للسيطرة على سلوك الانسان ، ومن داخل النفس تملي القوة الغالبة فى نزعتي الخير والشر ارادتها على صاحبها ليكون طوع أمرها فيما يأتي ويذر ، واذا كان هذا الصراع الداخلي تتفاعل عوامله بين طيات الصدور فانه يتحول بعد ان يولد ويبرز فى عالم الوجود الخارجي الى عراك عام مع سائر الناس على حقوق الانسان التي استقرت فى الفطرة البشرية منذ بدء الخليقة . والحفاظ على حقوق الانسان هو الغاية النبيلة للحياة الانسانية حتى تظل سليمة الفطرة ، ينال كل فرد فى مجتمعها حظه دون أن يعتدى على حقوق الاخرين ، فيعيش الجميع فى أمن وسعادة ، ينعمون بالعدل والمساواة والحرية فى جو يعبق بالحب والاخاء والمرحمة والبر ، ويعشق الفضائل والقيم الاخلاقية ، وأى انسان يتجاوز حقه انما يعتدى على حق غيره ، ويعتدى كذلك على الحق الانساني العام ، فالظلم اعتداء على المظلوم وعدوان صارخ على العدل ، والتعالى انتقاص من قدر المتعالى عليه واهدار لحق المساواة ، والاستعباد وأد للمستعبد واغتيال للحرية ، وهكذا دواليك .

وقد شاء الله ان يمتحن الفطرة البشرية بتعرضها لبلاء الحياة ، وجموح الأهواء ، فى صلة الانسان بأخيه حتى يميز الخبيث من الطيب ، ووجدت بذور الشر أرضها الخصبة فى صدور أولئك الذين يجتالهم الشيطان ، فيحيدون عن الجادة ، ويمسخون الانسانية بأهدار كرامتها والسطو على مقوماتها ، ولذا كان الناس منذ فجر البشرية فى حاجة الى ضوابط للسلوك الانساني تحفظ لكل انسان حقه ، وتأخذ على يد العابثين المنحرفين ، كي يستطيع المجتمع البشرى أن يتفيأ ظلال الأمن ويتذوق طعم السعادة وهذا ما يسمى بالتشريع ، وكانت الرسالات السماوية هي الوحي الالهي الذى يتنزل على رسل الله لتنقية الفطرة من شوائب الشرك ، وتقويم ما اعوج من الخلق والسلوك . وكثيرا ما يعن للناس سد هذه الحاجة التشريعية بالقوى الفكرية ، والدراسات العلمية التي تسن الأنظمة والقوانين فى شعب

قوة التشريع في حياة الضمير

للأستاذ مناع القطان
المدرس بكلية الشريعة بالرياض

تثبت بالاحصاء الدقيق كثرة العصيان والتمرد وتزايد الخروج على القانون ، وربما لجأت الدولة فى محاربة بعض الجرائم الى العنف ومضاعفة العقوبة . كما فعلت بعض الدول فى محاربة المخدرات ففرضت الغرامة المالية الباهظة والسجن المؤبد ، فلم يغير ذلك من الواقع شيئا .

ان هذه الظواهر فى أوج الحضارة الانسانية عند الناس لا يجد المرء علة لها - اذا أمعن النظر - سوى العجز عن الوصول الى الداء الدفين فى ضمير الانسان ، فالضمير الانساني هو مركز الثقل فى توازن الطباع البشرية وتربيتها على حب الخير والحق والجمال ، وأى اصلاح لجانب من جوانب الحياة يخطىء هذه العلة انما يخطىء المرمى الذى يجب أن تصوب اليه السهام ، ولم تستطع ولن تستطيع القوى الفكرية بعلومها وقوانينها وانظمتها وفلسفاتها أن تنفذ الى الضمير الانساني فتتولاه بالرعاية والتربية حتى يصير ضميرا حيا يهيم بالقيم الانسانية ، ويكون امينا عليها ، حارسا لها ، وهيهات لها أن تنفذ اليه ، فان قصارى ما تستطيعه هذه القوى أن تتحكم فى الحياة الظاهرة للانسان فتسن له الطريق وتراقب سيره عليه وتردعه بالعقوبة الشديدة اذا حاد عنه ، وللانسان حياة باطنية اخرى هي التي

الحياة الدستورية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والخلقية .

وازدهرت الحياة العمرانية وآتت اكلها فى بلهنية العيش والرقي المادى ولكن العالم اخذ يعاني من تفاقم الشذوذ ومآسي الجريمة وانتشار الذعر ما لا قبل له به ، لقد تقدمت الانسانية وبلغت شأوا بعيد المدى فى العلوم التجريبية والعلوم النظرية ، ولكن هذا التقدم عجز عن الوصول الى حل ناجع لمشكلة السلوك ، فالدراسات النفسية الواسعة التي شملت مراحل تطور الانسان وبواعثه النفسية فى كل طور ، واصبح كل فرع منها مستقلا ببحث كعلم نفس الطفل وعلم نفس المراهق وعلم النفس التربوى وعلم النفس الجنائي ، والدراسات الاجتماعية فى البيئة والوراثة والتقاليد والأسرة والمجتمع والقرية والمدينة والبادية والحضر ، والدراسات القانونية فى الادارة والتنظيم والعقوبة والسياسة والملك والأحوال الشخصية والعلاقات الدولية والمعاملات المدنية . هذه الدراسات وتلك لم تخط خطوة ناجحة فى سبيل مكافحة الشر واستئصال الجريمة ، بل ان التقارير فى انحاء العالم

ترسم له سلوكه، وتحدد وجهته ، وهي حياة تعتمل فى حنايا الصدور وتخفي فى طياتها ما لا يطلع عليه بشر ، فأية قوة بشرية تستطيع أن تتحكم فى هذا الضمير الخفي ؟

تمرد

وفى طبيعة البشر ان يتمرد على البشر ، انه يستشعر ازاء سائر الناس انه انسان وأنهم أناس ، وأن هذا الاشتراك فى البشرية يقتضي أن يكون الجميع سواء فى كافة الحقوق ، فعلام يدين بالولاء والطاعة لقانون من وضع البشر ؟ أيدين له فرارا من جزاء مخالفته بحرمان دنيوى أو عقوبة دنيوية ؟ اذاً فالخطب غير عسير ، ففي استطاعته أن ينقض عرى هذا القانون الوضعي عروة عروة ويهدم بناءه لبنة لبنة فى غفلة من حراسة القانون ورجال الأمن ، وليس للسلطة القانونية شعاع يثقب حجب الغيب ويتعرف على الجرم الخفي ، وليس لها كذلك من أمر الحياة الآخرة شيء حتى يخشاها المرء سرا كما يخشاها علانية رغبة فى ثواب أو رهبة من عقاب ينتظره بعد الموت ، وهو أمر مرجعه الى الضمير وحده ، ومن هنا كان قصور القوانين الوضعية والأنظمة البشرية فى ضبط السلوك الانساني وتوجيهه .

أما التشريع السماوى فانه يستمد سلطته من الله الذى خلق الخلق وهو أعلم بهم ، ويعتمد فى سلطته على وازع الضمير الذى يوجه الانسان ويتحكم فى تصرفاته ، والاسلام يتولى تربية الضمير الانساني ، ويبعث فيه الحياة التي توقظه بالرقابة الالهية المطلعة عليه فى الغيب والشهادة ، والغرس الأول الذى يغرسه الايمان بالله فى النفس البشرية يقوم على الايمان بالقوى الغيبية (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) فطاعة التشريع السماوى من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكفي فى تحقيقها السلوك الظاهرى فى مرأى الناس بل لا بد فيها من خشوع القلب واطمئنان النفس والانقياد لها بين حنايا الضلوع ، فعين الله ساهرة ، والافلات من عقوبة الدنيا بالتستر والمخاتلة لا يغني فتيلا عن عقوبة الحياة الآخرة ، وقد ذكر الله فى القرآن الكريم من آيات علمه البينات ما يجعل ضمير المؤمن حيا يرعى حرمات الله فى الاسرار والعلانية ، فالله هو الذى بدأ خلق الانسان من طين وجعل نسله من ماء مهين يعلم مستقر البدء والنسل ويحيط خبرا بالتقوى والجحود (هو أعلم بكم اذا أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولا يتأتى للخالق أن يجهل دقائق خلقه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) يستوى فى علمه الاسرار والاعلان (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) ولن يكون بمنجاة عن علمه هؤلاء الذين يتناجون سرا بمنأى عن الناس جميعا (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ووسوسة النفس المترددة فى الجوانح تحت احاطته القريبة من صاحبها (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وأفعال العبد محصاة عليه سطر صغيرها وكبيرها فى سجله (وكل شيء فعلوه فى الزبر ، وكل صغير وكبير مستطر) ومن أوصاف المتقين أنهم ينيبون الى الله ويخشونه بالغيب (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) وتصل الرقابة الالهية ذروتها فى ضمير

المسلم عندما يرى نفسه مبعوثا فى يوم النشور وقد جمعت له سريرته (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور ،انربهم بهم يومئذ لخبير) .

واذا كانت المناهج البشرية قد صنفت فى قوانينها الجرم فان خبث الطوية لا يعدم الحيلة التي يمرق بها من حجاب القانون ويهتك حرماته ، وتحت أجنحة الليل تستتر الجريمة .وفى غفلة من حراسة الحق تعبث الأيدى الآثمة ، ولن يجدى القانون أمام هذا الدبيب الخفي ، والاسلام فى مثل هذه الحالة يستل من الضمير الانساني الحي سيفا مصلتا يقضى على جرثومة الشر قبل انتفاضتها ويقتل جنينها فى مستقره ، فسلطة الضمير أقوى من السلطان الخارجي ، ولدغته على اكتساب الاثم أشد على النفس من طعن السنان. والنفس الحرة يرمضها جمر المعصية قبل أن تلم بها ، وهذا المعنى هو ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعريف الاثم (والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

والتشريع الاسلامي يعيش فى قلب الضمير المؤمن الحي ليطهره من أدران السيئة ولو كان فى مأمن من العقاب ، فهو يتابع الجريمة الخفية التي لم يرها أحد ليأتي صاحبها طائعا معترفا يلح فى الاعتراف مرة بعد أخرى حتى يقام عليه حكم الله فى معصيته ويطهر نفسه من وزرها . فالمرأة الغامدية جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : « اني زنيت فطهرني » وقد ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى الى أن ولدت وجاءت بولدها وفى يده كسرة خبز فأمر برجمها « فاقبل خالد ابن الوليد فرمى بحجر رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه اياها ، فقال : مهلا يا خالد فوالذى نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت » وفى رواية عمران بن حصين أن عمر قال : « تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله ؟ » .

ولما جاء ماعز معترفا قال : يا رسول الله « انـي زنيـت ، وانـي أريد أن تطهرني » ورده الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك ثلاث مرات حتى أصر على اعترافه فى الرابعة فرجم ، وما كان يرجم لو لم يأت معترفا ، وكانت لديه مندوحة مع اعترافه أن يراجع نفسه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة لينجو من الحد . ولكن ضميره يريد منه أن يتطهر .

ويتابع الاسلام ايقاظ الضمير الحي فى كل اعتداء على الحقوق الانسانية مهما كان أسلوب التخلص من مسئوليته ، فان القاضي لا يعرف بواطن الخصوم ولا يعلم الغيب ، وانما يقضي بظواهر الأدلة ، وفى اللحن البليغ والمنطق القوى فسحة لأولئك الذين يسترون الحق بالبيان العذب ، ويستبيحون حرمته بطلاقة اللسان . وفى مثل هذه الحالة يصور الاسلام المنفعة المرجوة التي يطلبها الالحن بحجته الجائرة فى صورة النار الملتهبة التي تندلع ألسنتها لاحقاق الحق فى التقاضي لدى أحكم الحاكمين وعلام الغيوب،وهذا هو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما أنا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون الحن من بعض ، فأحسب أنه صدق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعةمن النار فليأخذها أو ليتركها»

البقية على ص : ٩٨

خبر... وسؤال

الخبر : تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة فى أحد المصارف الأجنبية ، فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية .

السؤال : هل من الممكن شرعا أن تؤخذ هذه الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين ، وما أكثرها وأشد حاجتها ؟! بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين ؟

تتوجه « الوعي الاسلامي » بهذا السؤال الى علماء المسلمين المعنيين بالدراسات الفقهية والاقتصادية فى كافة البلاد الاسلامية . ويحضرنا منهم الآن الأساتذة :

- فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون
- فضيلة الاستاذ احمد حسن الباقورى
- الاستاذ أبو الأعلى المودودى
- الاستاذ أبو الحسن الندوى
- فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة
- فضيلة الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى
- فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف
- فضيلة الشيخ علي الخفيف
- فضيلة الشيخ احمد هريدى
- الاستاذ مصطفى الزرقا
- الدكتور محمد عبد الله العربي
- الاستاذ عيسى عبده
- الشيخ الفاضل بن عاشور
- الدكتور عبد الكريم زيدان

وستفتح المجلة صدرها لنشر جميع الاجابات التى ترد اليها من السادة المذكورين ومن غيرهم .

غضبة للإسلام

يشترك فيها الشعب الكويتي والحكومة ومجلس الأمة

فى الايام الاخيرة نشرت بعض المجلات فى الكويت رسومات ((كاريكاتورية)) وعلقت عليها بآيات من القرآن الكريم تعليقا لا يناسب قدسية القرآن وطهارته ، مما أثار الرأى العام حكومة وشعبا ، حفاظا على مقدسات الاسلام .

وقد كان لهذا أثره فى مجلس الامة الكويتي بجلسته المنعقدة بتاريخ ٤ من ذى الحجة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٥/٤/٦م ، حيث أثيرت مناقشات وتعليقات انتهت بالمطالبة باغلاق المجلتين اللتين نشرتا هذه الرسوم وتطبيق أقصى العقوبات على اصحابها ، وعلى كل من يسيء الى القرآن الكريم وتعاليم الدين الحنيف .

وقد أعربت الحكومة للمجلس عن استيائها مما نشر وتجاوبها مع الاعضاء فى شعورهم الكريم ، وأعلنت أنها أحالت المجلتين الى المحاكمة فكانت جلسة اسلامية ظهر فيها معدن الشعب الاسلامي الاصيل ، وتجلت فيها الغيرة على الدين وصيانته من كل عبث ...

ويسر المجلة أن تنقل للقارىء ملخصا لما دار فى هذه الجلسة لأهميته :

تحدث النائب ابراهيم خريبط فطالب باغلاق مثل هذه الصحف ومعاقبة اصحابها ، وحذر من غضبة الشعب لدينه اذا لم يتخذ اجراء حاسم فى هذا الموضوع .

وقال النائب أحمد الفوزان : بما أننا نواب الشعب فيجب أن نبدى رأينا للملأ ، وحمل وزارة الارشاد المسئولية .

وتحدث النائب عبد العزيز الصقر (رئيس مجلس الامة السابق) فقال : انني أومن بحرية الصحافة ، ولا شك أن هناك قانونا كفل للصحافة حريتها ، وهناك طرق لسلوكها واتجاهاتها حسب القوانين ، ثم قال : ((ان ما شاهدناه فى الاسبوع الماضي على صفحات الصحف انما هو شيء يخزى ويندى له الجبين ، وأنا ألوم وزارة الارشاد لانها بسكوتها تغذى هذه الصحف .. ولو كان هذا الموضوع جرى فى أى بلد فلن يمر بسلام)) .

ثم تحدث معالى السيد يوسف هاشم الرفاعي وزير الدولة فقال :
ان الحكومة بحثت هذا الموضوع فى مجلس الوزراء ، وكلفت معالي وزير الارشاد أن يطبق القانون بالنسبة للجريدتين المخالفتين ، وقد أحيلتا الى المحكمة، وتشارك الحكومة مجلسكم الموقر اهتمامه بهذا الامر .

وتساءل النائب السيد عابد فقال : ما هو عمل وزارة الارشاد والانباء التى تقوم بالمحافظة على التراث الديني الاسلامي ، واين دفاعها ومحافظتها على الحق والشريعة الاسلامية ، لقد سكتنا حتى بلغت الجرأة بالفضوليين حد الاستهتار بأقدس مقدساتنا ، وكان على الحكومة عندما نشرت هذه الصحف مثل هذا أن تغلقها .

وتحدث النائب مبارك الدبوس . فطالب باغلاق هاتين المجلتين ، كما طالب الصحف النظيفة بأن ترد على الصحف التى هاجمت الدين الاسلامي .

واستنكر النائب حمد الحميدة . تهجم المجلتين على الدين ، وقال انه يؤسفني أن ترتكب بعض صحفنا هذه الامور التى تهدف الى خلق البلبلة والتعريض بالدين الاسلامي .

وقال النائب حسن جوهر : سميت الصحافة « بصاحبة الجلالة » نظرا للرسالة السامية التي تحملها ، لكن بعض هذه الصحف لا تستحق هذا اللقب ، لأنها لا تحترم القانون . وطالب سيادته المجلس بالاهتمام بهذا الامر الخطير الذى اهاج الشعب .

وحمل النائب راشد التوحيد على وزارة الارشاد التى تركت هذه الصحف تتهجم على الدين .

ورد معالي السيد يوسف هاشم الرفاعى وزير الدولة فقال :

ان الغيرة على الدين مشتركة بين كل الاعضاء والمسئولين ، وكل من يقول لا اله الا الله ، وقد اتخذنا قرارا فى هذا الصدد .

وتحدث معالي الشيخسعد العبد الله السالم وزير الداخلية فقال :
كنت أتمنى أن أكون حاضرا من بداية الجلسة لأستمع الى كل ما قاله النواب ، وأود أن أقول : اننا نشارك السلطة التشريعية استنكارها لما كتب حول هذا الموضوع ، والقضية بين يدى النيابة .

وقال معالي الشيخ خالد أحمد الجسار وزير العدل : أحب أن أقول انصافا للحق : انه بمجرد أن صدرت الجريدتان درس مجلس الوزراء موضوع ما جاء فيهما ، وأحالهما الى المحاكمة ، وقد تصرفت الحكومة فى ظل القانون .

وقال النائب نايف الدبوس : ان اى شخص يشتم الاسلام فاننا سنتخذ معه اجراءات رادعة حاسمة ، لان اتخاذ مثل هذا الاجراء هو جهاد فى سبيل الله ، وقال . اننا طالبنا عند وضع الدستور بأن يحافظ على الشعائر الدينية ، وعندما سألنا الخبير الدستورى قال : ان الدستور يكفل ذلك مائة فى المائة .

وقال النائب راشد الفرحان : يدور خلاف بين روسيا والصين حول العقائد ونحن أمة اسلامية ، ويجب أن نتحدث عن عقيدتنا الاسلامية السمحة ، ولا يجوز لنا أن نسكت أو نداهن أو نداور فيما يمس الدين ، ثم قال ان على المجلس أن يقترح ، وعلى الحكومة أن تتخذ الاجراءات المناسبة لتصون الاسلام فى حدود واجباتها الدستورية ، وأود أن أذكر الحكومة بهذه المناسبة أن العقيدة والدين والكرامة قد أهينت فى مجالات عديدة ، وعليها أن تتحرك بعد أن رأت الثورة تتحرك ، وأن تنادى بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، يجب أن تتحرك الحكومة لتصون كرامة الشعب ...

وفى نهاية الجلسة تلي اقتراح برغبة : يقضي باتخاذ أقصى العقوبات مع المجلتين والاسراع فى محاكمتهما .. ووافق المجلس على القرار بالاجماع ..

وقد تقرر ايقاف المجلتين حتى ينتهي التحقيق ويصدر الحكم بشأنهما .

ومجلة « الوعي الاسلامي » اذ تبدى اسفها لما نشر ترجو ألا تتورط فى مثله صحافتنا المسلمة ، فان وقتنا كله صحافة وشعبا وحكومة يجب أن يكرس لخدمة الاسلام والدفاع عنه ضد المغيرين عليه من خارج أبنائه ، ومهمة الصحافة الاولى هي تثبيت المعانى والقيم الروحية فى النفوس ، وتحصينها ضد التيارات المادية والالحادية الزاحفة علينا ..

بقية من هدى القرآن

أو حتى قتله بيد المستبد أقوى فى اثارة الشعب ودفعه للجهاد من هجرته وخطبه ومقالاته خارج بلاده ، وان اضراب المجاهد عن الطعام فى سجنه وتعرّض حياته للخطر يهز الآن ضمير مئات الملايين من غير أبناء وطنه ويثيرهم على المستبدين ، فيضطروا تحت سطوة الرأى العام الى التراجع ..

وهناك بلاد يفترس فيها المستبدون فرائسهم من المجاهدين ، ولا يسمع لهم خبر ، وبالتالي لا يهتز من أجلهم ضمير .. هنا تكون الهجرة مستحبة بل قد تكون واجبة الى بلاد يستطاع فيها فضح أساليب المستعمرين والمستبدين واثارة العالم عليهم .. وان فى تاريخ البلاد العربية الماضي والحاضر زعماء هاجروا من أوطانهم الى حيث وجدوا حريتهم فى كشف الاستعمار وتوجيه الضربات له ، وأفلحوا فى ذلك ، ومنهم من عاد وتصدر مكان الزعامة والقيادة والحكم ، وجنى ثمرات جهاده .. عرفت بعضهم فى القاهرة حين كانوا مهاجرين وقرات عن الآخرين ..

وهناك مع هؤلاء من يصطنع الجهاد والزعامة ويلعب بعواطف مواطنيه ويفر من مواجهة الواقع فى وطنه ــ وهو قادر على مواجهته ــ خوفا من اذى يصيبه ، ويستغل موقفه المصطنع فى العيش المرفه على حساب عواطف شعبه والمخدوعين فيه ..

نعم لا يمكن الحكم كليا « وانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

« والله من ورائهم محيط »

بقية الاسلام فى عالم الملايو

ثم الاصدقاء واحدا بعد الآخر يبعثرون حبـات الارز ويرشون على العروسين ((ماء السلامة)) وتسمى هـذه العادة باسمها فى اللغة السنسيكريتيـة وهو ((برساندينج)) كما اننا لازلنا نجد الالقاب والاساليب الهندوكيـة سائدة بالقصور الملكية ، ونشاهد المراسيم الهندوكيـة تمثل فى دقة وعناية بين يدى السلاطين فى شبه جزيرة الملايو فى المناسبات الهامة، مع أنها قد تكون غريبة فى بعض تفاصيلها عن العـادات والتقاليد الاسلاميـة . وخلاصـة القول انه حتى بداية ظهور بعض المسلمين بين شعب الملايـو منذ القرن الاول للهجـرة (القرن السابـع الميلادى) كانت الوثنيـة تسيطر على العالم الملايوى كله ، سواء أكانت تتمثل فى عبـادة الاجداد والاسـلاف ابان العهد البدائي أم فى الهندوكيـة ومعابدهـا ومراسيمها منذ سيطرة النفوذ الهندى .

كيف تحولوا عن الوثنية الى الاسلام

هذا وما كنا ننتظر عند ظهورالمسلمين مـن التجار بين شعب الملايو أن يبادر الملايوى الى طرح وثنيته واعتناق دين الاسـلام رغـم فضل الاسلام ومزاياه فللدين والتقـاليد على العموم سيطرة عجيبة منذ صباه ولا يدرك ما قد يكون فيها من خطأ أو تعارض ، ولا يدرى بما تجره اليه من جهل وعمى وضلالة ، بل انه لينفر من كل جديد أول الامر مهما كان الجديد على درجة مـن السلامـة والمنطقية أو الصراحة والوضوح ، **أضف الى ذلك أن التجار المسلمين لم يبذلوا ــ فيما يبدو ــ جهودا ايجابيـة واضحة أول الامر نحو نشر الدين ، حيـث كان جل همهم التجارة وتبـادل السـلع ،** لذلك كله مضت القرون السبعة الاولى من الهجرة دون أن ينتشر الاسلام بـين شعب الملايو بشكل واضح ، وانما اسلم افراد هنا وهناك نتيجـة لجهود بعض الدعاة أو لاختـلاط التجـار المسلمين ببعض العائلات المحلية والـزواج **مـن نسائهم ، ولكن ما ان أقبل القرن الثامن الهجرى حتى شهدنا تحولا عجيبا فترى النـاس يدخلون فى ديـن الله أفواجا ، وتنشأ سلطنات وممالك اسلامية قوية هنا وهناك ، وفى فترة يسيرة ترى عشرات الملايين من سكان الارخبيل العظيم ، وقد استبدلوا بالـكفر ايمانـا ، وبالوثنيـة والضـلال توحيدا وهدايـة ، وبالجهل والامية نورا وعرفانا .**

أما كيف تم هذا التحول والعوامل التى أدت اليه فسـوف يكون موضوع مقالنا القادم ان شاء الله .

من كتاب العدد القادم

الاستاذ احمد حسن الزيات
الدكتور احمد الحوفي
الشيخ احمد الشرباصي
الاستاذ البهي الخولى
الاستاذ جواد شبر
المقدم حسن فتح الباب
الدكتور عبد الحليم محمود
الاستاذ عبد العزيز العلي المطوع
الدكتور عبد الكريم زيدان
الاستاذ فتحي يكن
الاستاذ كامل شاهين
الدكتور محمد اديب صالح
الشاعر محمد التهامي
الشيخ محمد الصادق عرجون
الشيخ محمد الغزالي
الدكتور مصطفى زيد

وغيرهم من كبار الكتاب

وذلك عـدا الابـواب الثابتـة والجديدة ..

بقية ابعاد الروح الاسلامية

مصباحا ، ولا يصاحبن أحدا الا أن يكون مطمئنا الى رضوان الله في ذلك كله ... زوجه لا يقر لها رابطة الزواج الا أن تعيد الى بيت المال حليها المغصوب ثمنها ذات يوم من مال المسلمين ، وأولاده لا يرى لهم طعاما يطهونه الا أنه يشابه طعام العسر والفقر ، وحتى اللحم الذى فى عارضيه لو استطاع انتزعه وأعاد ثمن الدم الذى جرى فيه الى أصحابه ، وأهل قرباه يحملهم على المحجة الصحيحة يمزق سجلات اقطاعهم ، ويكسر موجة بغيهم ، وتهدده عمة له ولهم من يوم يضيقون فيه الخناق عليه ثأرا لمالهم ومراكزهم فيهتف بها : « ان يوما أخافه من دون يوم القيامة فلا نجاني الله منه » .

وحين تحين ساعة الوفاة يستعرض أولاده وهم جماعة غير قليلة وتاخذه بهم رأفة الأب لما يعلم من فقرهم ويتمتم : « بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم » ، ويصيح صديقه وصهره ، صديقه الوحيد الذى بقي على ولاء الحق من أبناء عمه ، مسلمة ابن عبد الملك : هذه مئة ألف من مالي تملكها الآن يا أمير المؤمنين وأوص منهـا ، يزجره عمر ويأمره أن يردها الى مستحقيها فى بيت المال ...

ذلك أبو حفص عمر بن عبد العزيز الذى واجه تحديات الفساد واختلاف أخلاق الناس وضرورات ما يسميه الشيطان بمنطق الواقع ، وحطم الحدود وكسر القيود وانتصر على نفسه ، وأسلم الروح شهيدا للجهاد الأكبر ضد نوازع الطغيان فى النفس، ودواعي الايثار للأهل والولد والزوج ، ذلك المؤمن الذى ارتقى به روح الاسلام الى أبعاد تباهي بها الأمم الى آخر الزمان ، ذلك زينة العدالة الاجتماعية ، وبطل فى طرازه وبين العائشين فى مثل أحواله لن ترقى البطولة الى السامق الباذخ من ذراه ، وهيهات بغير صدق اسلامه أن يرتقى الى مستواه .

قاهر الصليبين

فأما الرجل الثالث فقد مضت ثمانية قرون على وفاته ، لكن الدنيا تعيد اسمه كأنه ما يزال حيا غضا لم يسلم الروح من لحظة .. ان السلطان الناصر صلاح الدين بن نجم الدين بن أيوب ، فارس عصامي مؤمن صدق الله ما عاهده عليه فأجزل الله له عطايا النصر ، ورفع به من وهدات الذل كرامة الشرق ، ورد به كيد الأمشاج الهمجية من قطعان البرابرة الصليبيين المعتدين .. فارس عصامي من أهل السنة واجه مؤمرات الباطنية ، ورواسب كراهية الفاطمية ، وعقدة الضيق والأنانية فى صفوف الاقطاعية ، وجابه حدة العدوان وتنظيمات الشر لفرسان الداوية والهيكلية ، وجيوش أوروبا الجرارة تزف الملوك والسوقة والأفاقين والقتلة وشرور المتاجرين بالجهل ، والمحرضين على القتل .. صلاح الدين الذى صمد لروح الانخذال وضعف الحال ، وتضعضع الأنصار واستبداد الأطماع .. وما زال يسهر على الخطة ويحكم التدبير ، ويقود بنفسه هجمات الفدائيين ويذيب فى محاجره آلام جنده المخلصين، ويلاحق وراء ظلمات الآفاق وضباب الأحزان أمل النصر وثقة بالله فى القلب ؛ كما يلاحق البحار الباسل مغارب النجوم وراء الآفاق ، حتى أطلت حطين واستسلمت القدس ، ودالت دولة الظلم ، وتطهرت الأرض ، وعاد العائدون ورجع اللاجئون وقرت بالوطن العيون ...

وحين حانت ساعة الموت فى دمشق أجال النظر فى أولاده وكانوا سبعة عشر ولدا ، وبنتا واحدة فاذا الذى خلفه لهم دينار صورى واحد وأربعون درهما ... لم يأسف ولم يستشعر رهبة ولا ندما فلقد كانت صناعته أن يذيب الدنيا للآخرة ، ويميت مطامح الطمع فى محاريب الجهاد .

وروح الاسلام لم تنتج العمرين العظيمين فقط ، وانما انتجت أجيالا

ثرة العطاء من الرجال الربانيين ، وخضبت تراب الأرض بدماء الشهداء المناضلين ، ولولاها ما قامت حضارة الاسلام الأبدية تحمل لأهل الدنيا رسالة العلم التجريبي الذى ينفع الناس ويمكث فى الأرض ، وتصارع حضارات الشيطان، التي تعبد الشهوات وتقيم من دون الله الأرباب ، وتمجد الربا ليقوم عليه الاستغلال والاستغفال ، ولينهض منه البطش والفتك والطغيان .

والقرآن ما زال باقيا غضا كساعة نزل به جبريل عليه السلام ، لم يتبدل منه حرف ، ولم تتغير حركة ولا كلمة ، وسنة الرسول واضحة معالمها بينة جهاتها ، والروح الحي أبدا برعاية الله سوف تكتسي أشجاره ورقا ، وتجدده خضرة وربيعا ولو تكالب عليها كل الناعقين من غربان الشر وأبالسة الانس .

لقد كان فى الوجائع التي نجمت عن تحريف ارادة الله فى عدالة الحياة الاسلامية ، وتوازن أوضاع الأمة ما استفز تلك الروح فى عمر بن عبدالعزيز فاذا الأمر ذلك اليوم كأنه أمر بدر والأحزاب ، واذا رجل يشن حربا ظافرة تعيد الى العيون القلقة قرارة الهداة وسعادة الأمن .

وكان فى وجائع العدوان الأوروبي الصليبي الغادر ، ولواسع المصائب التي ابتلي بها المسلمون ما أثار روح الاسلام فى صلاح الدين ، ورد كيد الظالمين الهمج الطامعين ...

ومهما تضطرب العواصف فى فترة التحول الراهنة فى العالم الاسلامي فان الروح المرتجى قيامها من جديد مثبتة وجودها الحي الخالد بأمر الله ...

ان فى الأسماع لقصف رعود ، وفي الجو غيوم حال جديد ، وان بشائر الروح الخالد قادمة مقبلة لا شك فيها باذن الله الحي القيوم ...

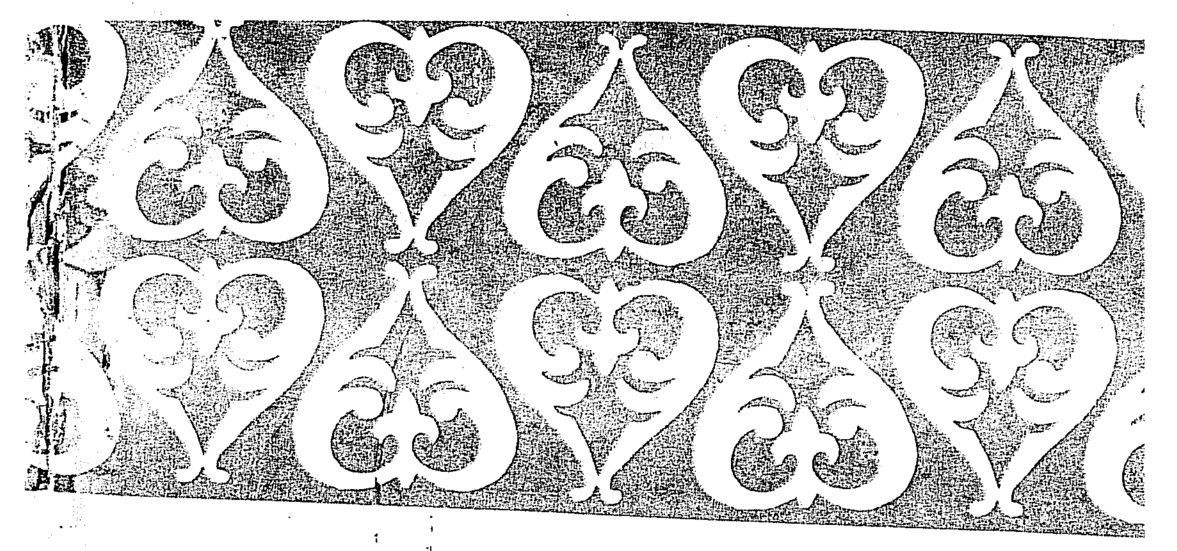
بقية قوة التشريع

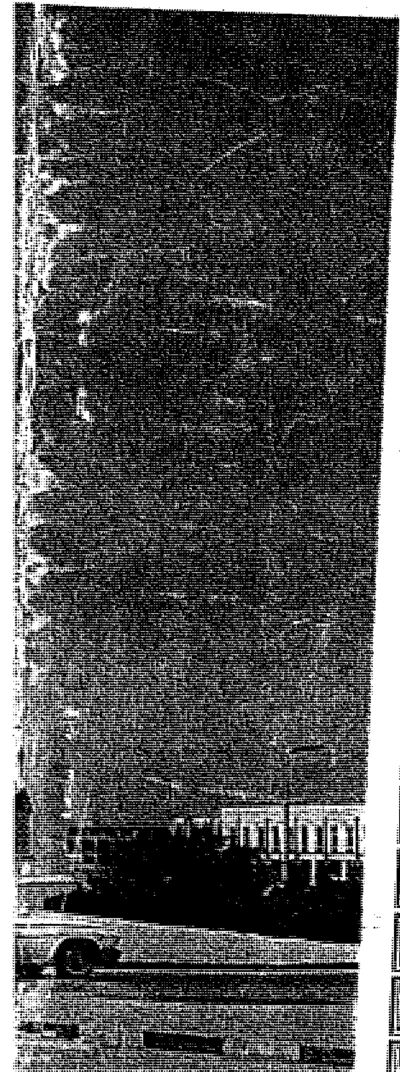
وبهذا الضمير الحي الذى رباه الاسلام اكتسب التشريع الاسلامي قوة جعلت ذلك المسلم الذى استحوذ على تاج كسرى يخفيه ، لا طمعا فيه ، ولكن اخلاصا منه حتى يكون له شرف تقديمه لخليفة رسول الله ، فأى منهج من مناهج البشرية يصل الى هذا السمو ؟

ان المجتمع لا يسعد الا بانسانيته ، وان الانسانية لا تعيش الا فى الضمير وان الضمير لا يحيا الا بالاسلام ، فهل آن لهذه المجتمعات التي انحرفت عن جادة الحق وأعرضت عن كتاب ربها وسنة نبيها فأورثت الشقاء للانسانية وأماتت ضميرها أن تنيب الى الله وتحتكم الى شريعته ؟ (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) ..

شكر واعتذار

تشكر مجلة « الوعي الاسلامي » قادة الفكر الذين استجابوا لدعوتها وأمدوها ببحوثهم القيمة ، وهي اذ تعتذر عن عدم اتساع هذا العدد لنشرها كلها تعد بنشرها تباعا فى الأعداد القادمة ، وتأمل من الأساتذة الكتاب أن يوالوها بالمزيد من نتاج أفكارهم .





اقرأ فى هذا العدد



السنة الاولى * العدد الثاني * غرة صفر ١٣٨٥ هـ - يونيو ١٩٦٥ م

حضارات
اسلامية



فن المعمار فى المسجد النبوي بالمدينة

الوعي الاسلامي

شهرية اسلامية ثقافية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

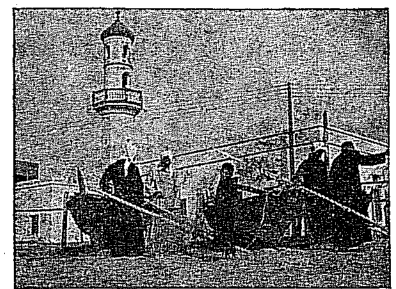
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد الجامع فى جـزيرة فيلكا الكويتية التى تبعد عن الشاطىء ١٥ ميلا . وقد اسس عام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م وسكان هذه الجزيرة نحو ثلاثة آلاف يشتغل كثير منهم بالصيد وقد عنيت بهـا الحكومة فانشأت عـدة مدارس ومساجد ومستشفى فيها مع كثير من الاصلاحات

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلساً
ليبيـا	١٠ قروش
المغـرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٣٣٨٤٩



هذه سبيلنا

للاستاذ عبد الرحمن المجحم
وكيل الـوزارة
والمشرف العام على المجلـة

باسمك اللهم نفتتح العدد الثاني من ((الوعي الاسلامي)) •
وهي تتقدم اليك ــ عزيزي القارىء ــ فخورة كل الفخر بغايتهـا مملوءة ثقة بربها مؤمنة بتقدير قرائها • واثقة بمعاونتك لها لتظل دائما كما تحبها وتريدها •

وقد كان لنا من اقبالك على العدد الأول اقبالا تجاوز ما كنا نقدره ، أكبر باعث على مضاعفة العمل وبذل الجهد فى سبيل تقدمها ورقيها ، ••• وسنسير باذن الله وعون كتابها ومؤازرة قرائها فى الطريق الذى رسمناه لأنفسنا حتى نصل بها الى المنزلة التي نأملها •

و ((الوعي الاسلامي)) وليدة ارادة قوية وعزيمة صادقة تستمـد قوتها وصدقها من ايمانها ورغبتها المخلصة فى خدمة دينها وأمتها ••

ومن أجل هذا الهدف المشترك نوجه نداءنا الى شبابنا الناهض من زملائنا فى أن يساهموا معنا فى وعيهم الاسلامي • ونحن كما نعلم فى اشـد الأوقات احتياجا الى تضافر الجهود ، وتجميع القوى لاصلاح ما فسد من شؤوننا وتقويم ما اعوج من عقائدنا وآرائنا وذلك على هدى من مبادىء الاسلام الذى سار على هديه السلف الصالح حيث كان دينك يا أخي خير دين لأفضل أمـة •



ان الاسلام يريدنا أن نقيم مجتمعا فاضلا متآلفا يؤمن بربه ويحقق السعادة لنفسه وللبشرية جمعاء ولهذا دعا الى ربط القلوب والأرواح برباط الايمان والتفاهم والتعاطف ورسم لنا طريقا واحدا ومبدأ واحدا وأمرنا ان نجاهد فى سبيله لتبقى كلمة الله هي العليا .

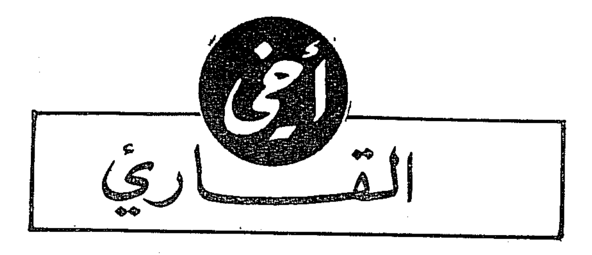
وعلى هذا سارت الأمة الاسلامية فى الصدر الاول فحققت لنفسها ما تصبو اليه من مجد وعز ، وتركت وراءها من التراث الحضارى ما لم تتركه أمة غيرها .

وعلينا ــ نحن الآن ــ أن نجاهد ونعمل لنعيد تاريخ أسلافنا على هدى من نور الله .. وما أشق هذه الرسالة وما أعظم تلك المهمة وخاصة فى هذا العصر . ولكن صعوبة هذه المهمة تهون فى جانب النصر الذى تكفل الله به لعباده المؤمنين العاملين ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

هذه سبيلنا ودعوتنا فى هذا الميدان رسمناها لك عزيزى القارىء لتحمل معنا نصيبك من عبئها وشرف العمل من أجلها وتضع يدك فى يدنا لنعمل جميعا فى سبيل الوصول الى الغاية النبيلة .

والله اسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الألباب .

بسم الله الرحمن الرحيم



سلام عليكم

تحية أحس من قلبي أنني مدفوع اليها حينما ألقاك بعد شهر ، تظل فيه كل يوم من أيامه ، بل كل لحظة من لحظاته مالئا علي كل وقتي وتفكيري : كيف ألقاك ؟ وماذا أقول لك وأقدمه اليك ؟ وأنا أعرف في الوقت نفسه أنك تعيش معي كذلك وتنتظر هذا اللقاء ..

واذا كانوا يقولون ان حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا واتقانا ، فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ، ويضاعف من جهودهم ، ليقدموا لك في كل عدد من خلاصة أفكارهم ما يسرك ويرضيك .

ونحن نحمد الله على أنك استقبلت العدد الاول استقبالا كريما ، أكد ايماننا بالروح الاسلامية الأصيلة لهذا الشعب ، وملأنا ثقة بنتيجة الجهود المبذولة ، والنوايا الخالصة .. أحسسنا ذلك من رسائل عديدة جاءتنا من الكويت والعراق والبحرين ، وامارات الخليج ، ومصر ، وسوريا والأردن ، وليبيا . وكلها تفيض بالشعور الطيب والاستقبال الكريم والأمل المرتجى لمجلتنا الوليدة . ومع اعتزازنا بهذا وتقديرنا له ، فاننا نحب أن نسمع من ذوي الآراء ما يرونه من نقص ، حتى نعمل على تلافيه . أو ما يحبونه من كمال حتى نجاهد في سبيل الوصول اليه .. «ورحم الله امرأ أهدى الى عيوبي» .

أخي :

من بين الرسائل العديدة التي وصلتنا رسالة من كاتب اسلامي صديق ، رأيت أن أشركك معي في الاطلاع على بعض ما جاء فيها . —

يقول — « لقد قرأت اليوم بالصحف اعلانكم عن مجلة « الوعي الاسلامي » فقفز له قلبي من الفرح ، أرأيت جيشا محاربا تخذله عوامل كثيرة ، وتتوفر لخصمه عوامل الامداد والتقوية ، واقبال الظروف ؟ ، وفيما هو يعاني كربته لاح في الأفق فيلق ينادي بندائه ويضرب بسلاحه ذلك كان شعوري حين قرأت الاعلان .

فالماركسية الآن مباحة كفلسفة لا كنظام حكم ، ولا كعقيدة فى الالحاد، مباحة كنظريات اقتصادية ذات صلة بالمجتمع ومستقبل البشر . الماركسية على هذا الاعتبار تعرض نفسها الآن بأقلام دارسة هاضمة فاهمة ، لها قدرتها على دراسة اوضاعنا العربية الجديدة من وجهة نظرها .

لقد قرأت فى اعلان ((الوعي الاسلامي)) أنها مجلة الثقافة الاسلامية الأصيلة ففرحت ، وقلت لنفسي : لعل صديقي أحس ما نحسه ، فحقق للثقافة الاسلامية الأصيلة على معهوده فيما يكتب ويفهم كتيبة راشدة .. لم أقرأ للآن من موضوعاتها شيئا ولكن ثقتي بفهمك وتحررك من الجمود جعلني أحس النصر من ناحية ((الوعي الاسلامي)) .

تلك ومضات أو جذوات من رسالة صديقى الملتهبة غيرة ورغبة فى تجنيد الأقلام الواعية ، لخدمة الثقافة الاسلامية ، كما تنشط أقلام أخرى لخدمة الماركسية والتقدمية ..

وقد دفعني الى أن أقدم اليك هذه الومضات ، أنها تعبر تعبيرا صادقا عما تنفعل به نفسي ، وتتجه اليه رغبتي فى أن يكون كتاب المجلة « كتيبة راشدة » فعلا كما يقول الصديق .. وأن يوجهوا جهودهم فيما يكتبون الى حماية جيلنا ـ والشباب منه بنوع خاص ـ من غزو الأفكار المستوردة لعقله وقلبه .. وأن يتابعوا فيما يكتبون تطور الأفكار وحاجتها للغـذاء المناسب ويتناولوا المشاكل التي نعيش فيها بالدراسة الموضوعية ، ويقللوا ما أمكن الكتابة فى الموضوعات التي تناولها الكتاب من عدة سنين ، الا اذا أتوا فيها بجديد يجذب القارىء اليها ، ويضيف الى ثقافته ثقافة جديدة .. ومن أجل هذا قلت فى افتتاحية العدد الاول .

((ان القراء يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها ، انهم لم يعودوا يكتفون بتقرير : ان الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك . والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لـم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال .. وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ـ ولو بشكل جماعي ـ لمواجهة أساليب الحياة الحديثة ، وتكييفها من الوجهة الدينية .

فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة ، ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعهـا خطوات فيما نأمل ونرجو)) .

هذا ما رجوته من كتابنا الأفاضل وأملي كبير فى أن يستجيبوا له ..

لا أريد أن يشغلنا الدفاع عن بعض القضايا ، عن الجبهات الاخرى التي يفتحها الأعداء . لقد شغلونا كثيرا بتعدد الزوجات والطلاق ، وما شابه ذلك من القضايا التي ركزنا قوانا للدفاع عنها ، ويخيل لي أنهم يشغلوننا بذلك ، ليلتفوا حولنا ، ويطوقونا من النواحي الأخرى ..

فلنأخذ حذرنا ـ اذن ـ ولنتحرك حتى لا نبقى باستمرار فى مواقف الدفاع ، تاركين لغيرنا اختيار مواقع الضرب والهجوم ...

والله مع العاملين ...

رئيس التحـرير

هم العدو .. فاحذرهم

قال الله تعالى ((يأيها الذين آمنوالا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة وانا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون. لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير)) .

الآيات ١ و ٢ و ٣ من سورة الممتحنة

أخي

فى هذه الأيام التي تمر بنا الآن نحن المسلمين ، ووسط الأحداث والمؤامرات الكبرى ، والتيارات الجارفة التي نتعرض لها ، وفي أوقات المحن التي تمتحن بها عزائمنا وصمودنا ، ويظهر من خلال توهجها معدننا ، وتبرز من بين دخانها معالم شخصيتنا ، ومدى اصرارنا وحرصنا على صنع مستقبلنا ، وفرض وجودنا وهيبتنا .

أقول فى خلال هذا كله ، يحسن بنا أن نرجع الى هدى القرآن الكريم نتفيأ ظلاله ونسير على هداه ، ونتبين على نوره مواقع أقدامنا ، ونستعين به على أعدائنا وأنفسنا ، فان من التمس الهدى فى غيره أضله الله ، ومن تمسك به هُدى الى صراط مستقيم .

نعم اننا فى لجة الأحداث التي تمر بنا ، سواء أكانت من صنع أيدينا أم أيدى أعدائنا ، فى أشد الحاجة الى عون من الله والى رعاية منه تجبر كسرنا ، وتهدى نفوسنا وتطهر قلوبنا ، وتجمعها على محبته ، وبذل الجهد والنفس والنفيس فى طاعته ، حتى يبدل خوفنا أمنا ، وضعفنا قوة ، واختلافنا وحدة ،

وهزيمتنا نصرا ، وذلتنا عزا « ولينصرن الله من ينصره » « وعد الله لا يخلف الله وعده » .

وفى هذه الآيات الكريمة ، وفى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، يحدد الله لنا معالم الطريق التي نسلكها مع أعدائنا ، الذين يعتدون علينا ، ويتربصون الدوائر بنا ، ويتحينون الفرص للقضاء علينا ..

أمة لها كيان

ومن الطبيعي أن القرآن الكريم فيما رسمه من خطط ، وما حدده من علاقات لنا مع هؤلاء . انما يريد منا أن نكون أمة تحافظ على كيانها ، وتعمل على تماسكها، حتى تستطيع الدفاع عن نفسها ، ورد كيد المعتدين عليها ، واعزاز دينها وعقيدتها ، وتدعيم هيبتها ومكانتها .. ولم يقصد القرآن شيئا سوى ذلك : من الجور والظلم والاعتداء ، فان الله لا يحب المعتدين .

ونحن نلمس أن كل حي تدفعه طبيعته للدفاع عن نفسه ، وتأمين حياته، فلا عجب اذن ان يشرع القرآن للمسلمين ما يتمشى مع الفطرة الانسانية السليمة ، دون تجاوز لحدود العدل لأن الاسلام هو دين الفطرة البريئة من الشوائب .

ومن أجل هذا نرى الآية الكريمة تبدأ باثارة روح الايمان القوى فى نفوس المؤمنين،فتناديهم بوصفهم الذى يشرفهم. ويحبه الله ويحبونه ((يأيها الذين آمنوا)) وحين يوجه لهم النهي لا يذكره مجردا عن أسبابه بل يذكر دواعيه ودوافعه .. وهي دوافع تثير فى روح كل انسان كوامن الحفاظ على النفس ، وعلى الكرامة ، وعلى الكيان والشرف والعقيدة ..

فما بالك بأناس أصحاب رسالة آمنوا بالله ، وباعوا أنفسهم اليه ، بجنة عرضها السموات والأرض .. وقد علمهم كتابهم أنه لن يصيبهم الا احدى الحسنيين الاستشهاد والجنة أو النصر والغنيمة . ان القرآن الكريم وضع أمام المؤمنين ماضي أعدائهم وهو ماض يفيض بالشر والاعتداء . وهم — أعني المسلمين — لا يزالون يذكرون ويقاسون كل يوم بل كل لحظة آثاره وعواقبه .. ولكنها الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .. كما وضع أمام أعينهم ما لا يزال يملأ قلوب أعدائهم من الحقد عليهم ، والرغبة فى ابادتهم ، حين يظفرون بهم ..

ومن أجل ذلك لا يوجد مبرر أى مبرر لمسلم أى مسلم أن تحمله مطامعه الشخصية على الاتصال بهؤلاء الأعداء وافشاء أسرار المسلمين اليهم ، أو الاقدام على عمل من شأنه أن يقوى جبهتهم ، ويمكن سلطتهم ، أو يمد حبل وجودهم على الأرض ، يمثلون القوة الخطرة على المسلمين وكيانهم ..

هم العدو

(١) فهؤلاء أعداء الله ، المفسدون فى الأرض ، الذين يرفضون الاعتراف بالله الواحد القهار ، ويحاولون اخفات كل صوت يؤمن به ويوحده ، ويخضع لتعاليمه ، وينشر ألوية الحق والعدالة والمساواة ، ويمكن لها فى النفوس .. وهم أعداؤكم الذين تفننوا فى ايذاء الرسول وايذائكم ، واستعملوا كل الأساليب الدنيئة للاجهاز عليكم ، وعلى عقيدتكم ،

وحرموكم من الاستقرار بين أهليكم ، وفى أرضكم .. واستولوا على أموالكم ودياركم . ولم يفعلوا ذلك معكم ، لأنكم جناة آثمون مفسدون ، بل ذنبكم الوحيد عندهم أنكم تقولون ربنا الله ، وتنبذون الانحراف معهم الى عبادة الأصنام ، والاعتراف بنظامهم الفاسد فى الحياة ..

وأناس هذا شأنهم مع الله ومعكم ، وموقفهم الصريح الواضح منكم ، لا يجوز لمسلم أن ينسى أو يتناسى ماضيهم، أو يعمل على مناصرتهم والتجسس لهم ، أو تقوم علاقة مودة بينه وبينهم ، أو يكون فى قلبه ميل أى ميل اليهم ان كنتم حقيقة صادقين فى ايمانكم ، وأنكم حين أثرتم الهجرة مع رسول الله ، وضحيتم باستقراركم فى وطنكم ، قد فعلتم ذلك اخلاصا منكم لدينكم ، وايثارا لله ورسوله على ما تحبونه من مال وأهل ومصالح ..

انه منهم

(٢) ومن ينحرف من المسلمين عن هذا الموقف ، ويحاول أن يخدم الأعداء على حساب أمته ومصالحها وكيانها ، فانه يكون قد ضل الطريق المستقيم ، وخرج على صفوف المسلمين « ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » « ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه » .

فى الآخرة

(٣) ولتعلموا أن الله مطلع على سرائركم لا تخفى عليه منكم خافية ، ولئن أمن الخائن أن ينكشف أمره للناس فى الدنيا ، ويلقى جزاء خيانته ، أو لم يبال بمصالح الامة واستطاع أن يفلت من حسابها العسير لكان عليه أن يحذر حساب الله له يوم القيامة يوم لا ينفعه مال حصله ، ولا منصب او جاه حماه ، ولا أولاد أو أقارب حملته الشفقة بهم أو الحرص على مصلحتهم على خيانة الله ورسوله والتخلى عن مبادىء دينه وتعاليمه والحاق الضرر بأمته « لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم . يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » .

فى الدنيا

(٤) على أن المسلم اذا لم يتق الله فى دينه ولا فى أمته ، ولم يخش عقاب الله له على تفريطه وخيانته فليعمل حسابا لمستقبله ومصيره ولا يظن أنه حين يقدم لأعدائه يدا سيحفظونها له أو يردونها اليه ، أو تقل عداوتهم وحقدهم عليه ، يوم يظفرون به ،لأن حنقهم عليكم يجرى فى دمائهم،ولن يرضوا عنكم حتى تستسلموا لهم ، وتسيروا فى ركابهم وتعتنقوا افكارهم .. وهم يتحينون كل فرصة ، ويستعملون كل وسيلة لانزال الضرر بكم ، والقضاء عليكم وعلى دينكم ووطنكم، ويوم يظفرون بكم ، ويتمكنون من رقابكم لا يرحمونكم ، ولا يراعون أية مبادىء انسانية فى معاملتكم ، بل يستذلونكم وينزلون الهوان بكم .. ويقضون على وجودكم ، ويعبثون بعقيدتكم ومقدساتكم « أن يثقفوكم (أى يجدوكم ويظفروا بكم) يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ».

فليخش المسلم اذن ما ينتظره هو وأمته من هوان وذلة فى الدنيا ، ان هو تساهل مع أعدائه ، أو عمل عملا يمكنهم منه ومن جماعته ، أن لم يكن عنده خوف من الله وحسابه يوم القيامة .

وهكذا يقرن الله الحكم بأسبابه ويضع أمام بصائرهم حيثياته ، ليعلموا أن الله لا يكلفهم ما يضرهم ، ولا يحملهم فوق طاقتهم ، ولا ينهاهم عن شيء فيه مصلحة لهم ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) ، ((ان الله بالناس لرءوف رحيم)) .

السبب حادث تجسس

وأعتقد أن معنى الآيات وهدفها يزدادان وضوحا حين نعرف الحادثة التى نزلت من أجلها . فقد روت كتب السنة بأسانيد صحيحة ان قريشا حين نقضت العهد الذى كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتدت على حلفائه ، قرر أن يهاجمهم ويقتص منهم ، ويخلص البيت الحرام ، من سيطرتهم ، واصدر أمره بالاستعداد لذلك .. ولكنه أراد أن يعمى الخبر على أعدائه ، حتى يأخذهم على غرة « والحرب خدعة » فأعلن أنه يريد التوجه الى خيبر ، ولكن بعض أصحابه كانوا يعلمون نيته ، ومنهم « حاطب بن أبي بلتعة » وكان من المهاجرين ، وممن شهد بدرا .

الا أنه كان له بمكة مصالح شخصية ، فعمد الى امرأة من قريش كانت بالمدينة ، فأعطاها وهي راجعة كتابا الى زعماء قريش يخبرهم بعزم الرسول وغادرت المرأة ومعها الكتاب ، فأعلم الله رسوله بأمره ، فأرسل فى أثرها « عليا والمقداد والزبير » رضي الله عنهم ، وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا « روضة خاخ » فان بها امرأة معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقوا حتى أدركوها ، وطلبوا منها الكتاب فأنكرته ، وأخيرا اضطرت الى اظهاره تحت تهديدهم لها بتفتيشها ، فأخذوه ورجعوا الى رسول الله به .

وانكشف أمر حاطب للرسول والصحابة ، فأرسل الرسول اليه وسأله . ما حملك على ما صنعت ؟ .. فقال معتذرا ومعترفا : يا رسول الله لا تعجل علي ، اني كنت امرأ ملصقا فى قريش ، وكل من معك من المهاجرين لهم أهل وقرابات يحمون أهليهم هناك ، فأحببت ان فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم (عند قريش) يدا يحمون بها قرابتي . وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام .. فقبل الرسول منه عذره وقال : ((لقد صدقكم . لا تقولوا له الا خيرا)) فقال عمر رضي الله عنه . انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه . فقال صلى الله عليه وسلم ((أليس من أهل بدر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم)) فدمعت عينا عمر ، وقال : ((الله ورسوله أعلم)) .

وهذه هي الحادثة التي نزلت من أجلها الآيات ، وهي حادثة يمكن أن نسميها بالتجسس والعمل لحساب الأعداء ، ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد قبل اعترافه واعتذاره ، وعفا عنه ، تقديرا لماضيه وجهاده فى معركة بدر ، ولم يخل بين عمر الحازم الشديد ، وبين ما يريد ، حتى لا يقال : قتل محمد أصحابه ، ولا سيما بعد اعتذاره وتوبته ،

الا أن الله سبحانه لم يترك هذه الحادثة تمر ، دون أن ينزل فيها قرآنا ينبه المسلمين الى خطر ما قد يقعون فيه من الاتصال بأعدائهم ، وكشف بعض أسرار المسلمين لهم ، مما يعرض الجبهة الاسلامية للانهيار ، والجهود الحربية للفشل ، ليظل ذلك القرآن ماثلا يتردد على ألسنتهم ، ويملأ قلوبهم الى يوم القيامة ، محددا ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين وبين أعدائهم المحاربين لهم ..

آيات متشابهة

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مشابهة لهذه الآية ، وكلها تركز على نهي المسلمين عن الاتصال بالأعداء ، أو الثقة بهم ، واتخاذ الأولياء والاصفياء منهم ، حفاظا على وحدة الصفوف والمصالح الاسلامية **« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر »** ١١٨ آل عمران .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » ٢٣ التوبة .

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء .. » ٢٨ آل عمران .

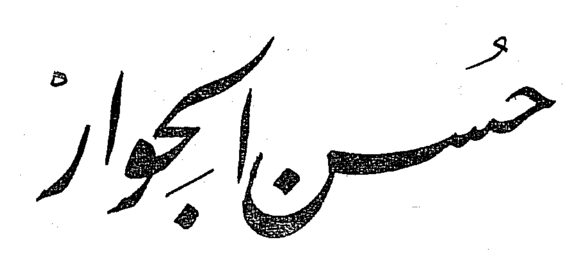
« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » ٥٧ المائدة .

وقد بين الله معنى كلمة « أولياء » فى سورة الممتحنة بقوله « تلقون اليهم بالمودة » و « تسرون اليهم بالمودة » ويعبر القرآن عن هذا فى آية أخرى من سورة المجادلة فيقول « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .. » ومعنى « يوادون » ينشئون علاقات مودة معهم تستتبع حتما افشاء أسرار المسلمين اليهم ولا شك أن وجود أناس فى صفوف المسلمين تربطهم بالأعداء علاقة مودة ، أمر يكسر الجبهة الاسلامية ، ويعرضها للانهيار وفي هذا من الخطر ما يجب تلافيه ، والقضاء على أسبابه ودواعيه .

والاسلام لم يتجن بتشريعه هذا الحكم ، ولم يقرره لمجرد أن هؤلاء لا يدينون بدين الاسلام ، بل لأنهم أعداء محاربون ، لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، يسخرون بالاسلام ورسوله وكتابه ، ويجندون القوى لحربه ، والقضاء عليه ، وعلى أتباعه ، ماديا ومعنويا ، فلا بد من معاملتهم بالمثل : معاملة الأعداء . سواء أكانوا مشركين ، ام من أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى .. لا ننظر اليهم الا من خلال نظرتهم لنا ، وعملهم ضدنا .. وذلك هو ما تسير عليه كل الدول التي تحافظ على كيانها . شرعة الانصاف والعدل : المعاملة بالمثل ..

والمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وقديما صاحت مسلمة مجهولة على حدود الروم « وامعتصماه » فهزت الخليفة فى بغداد ، وحركت الجيش الى

البقية على ص : ٦٣



حسن الجوار



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم
مدير تحرير « الوعي الاسلامي »
ورئيس قسم الثقافة الاسلامية بوزارة الاوقاف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه

ـ تمهيد ـ

١ ـ تدور عجلة الزمان دون توقف ،ويتعاقب الملوان فى حركة دائبة ، وتمضي الأيام الى غايتها المحتومة ، ونهايتها التي لاتستطيع التخلف عن بلوغها ، تلك سنة الله فى الكائنات ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومرور الليل والنهار ينسى ، وبه تتضاءل حيوية الأشياء بعد قوة ، وتذبل بعد نضارة ، وتضعف بعد شدة ، وقد تتلاشىفتصبح أثرا بعد عين ، وتصير ذكريات تخلف الحقائق ، وأوهاما عابرة تلي وعياراشدا .

٢ ـ وقد مرت بالمسلمين أربعة عشرقرنا الا خمسة عشر عاما منذ أن أشرقت على الوجود شمس الرسالة المحمدية باذنربها ، وشرعت تمسح بريشة أشعتها الذهبية جبين الحياة المكتئب ، فتنقشع ظلامه ، وتبيد آلامه ، وتقضيعلى علله وأدوائه، وتضع حدا لحيرة الانسانية البادية فى آراءفلاسفتها ومفكريها ، وتصيح بهم ((يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ..)) (١)

وحملت الأمانة ـ فى أول عهدها بالوجود ـ نفوس قوية ، وقلوب فتية ، بثتها فى وضوح وجلاء ، وطبقتها فى حزم وقوة ، وعضت عليها بالنواجذ ، فأرست أحكامها نظاما متكاملا ، سعد به كل مكان يمكن أن يوجد فيه انسان ، ... وكمال الشريعة الاسلامية كمال يأخذ بالألباب ، ويستولى على مجامع القلوب ، ولا غرو فمصدرها العليم بكل ما دق وما جل .. « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل » (٢) .

(١) الآية ٢٤ ـ من سورة الانفال

(٢) الآية ١٠٢ ـ من سورة الأنعام

٣ ـ ... ولكن ـ ما أقسى الاستدراك ها هنا ـ ... منذ أمد طويل وأعداء الانسانية يكيدون لها محاولين اخماد جذوة الاسلام بتناوش المسلمين من بعيد ، وسلكوا معهم مسلك الخفاش الذى يقال انه يهبط على النائم فيتغذى بدمه ، حتى اذا شعر بآلام الامتصاص وبدأ يصحو ، حرك الخفاش أجنحته يجلب للنائم الهواء الذى يعود به الى سبات عميق ثم يتركه ويختفي .. ، وهكذا استطاعوا تنحية الاسلام عن ميادين الحياة العملية ... وطال الرقاد ... ولم يبق من نور الشريعة الغراء الا أضواء خافتة تتراءى بين الفينة والفينة هنا وهناك ، وأظلمت دنيا المسلمين من حولهم واكفهرت أجواؤهم ، وأصبحوا يتخبطون على غير هدى ... « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فساروا وراء عدوهم الكاشح يتلمسون طريقهم على ضوء ما يريد هو ، فأودى بهم وأرداهم ، وصدق فيهم قول الله تبارك وتعالى .. « .. فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .. » .. وكان من أسباب مرض القلوب الجهل والنفاق والشك والارتياب والحسد والضغينة الى غير ذلك مما يفسد الاعتقاد والاخلاق ويدع أحكام العقل فى اضطراب ...

٤ ـ واليوم ـ وقد أخذت أحوال المسلمين تتحول الى الاتجاه الصحيح ، وأخذوا يفيقون على قرع الحوادث فى المناطق التي يعيشون فيها ـ لا بد لنا من جولة حاسمة نثبت فيها وجودنا ، ونبدؤها باصلاح أنفسنا على ضوء تعاليم قرآننا وهدى نبينا ، حتى نمحو ما ران على القلوب لطول ما بعدت عن مرامى الاسلام وأغراضه ـ وحقا ـ لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ... فاذا تكون المؤمن القوى ، وزحفت الى مجتمعاتنا طلائع الشباب المسلم الفتي ، أمكننا أن نقف صفا واحدا يتقدم جموع الدنيا الحاشدة برسالة السماء فيقودها الى ما يسعدها ويحول بينها وبين ما يشقيها ..

٥ ـ وحين نحاول اماطة الأذى من طريق الاسلام ليسير الركب ، ويمضي قدما فلا نجد خيرا من توجيهات رسوله الأمين المتمثلة فى سننه الشريفة بعد هداية القرآن العظيم ، ... وتربية الفرد المسلم تربية واعية ، وأخذه بوحي الله يغنيه عن التلفت الى سراب الغرب والشرق ... وحديث واحد من أحاديث رسول الله او فهم كما يجب أن يفهم ، وطبق كما يحق له أن يطبق ، لكان أجدى على الدنيا من محاولات المفكرين والمصلحين الذين يعتمدون على تجارب تخطىء وتصيب ، وقواعد يهزها ضعف البشر وقصورهم ..

مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ولنتأمل كيف وضع رسول الله للمجتمع الاسلامي نظامه ، ولنلمس جانبا واحدا من جوانب متعددة ، تقوى روابط هذا المجتمع ، وتضم صفوفه بعضها الى بعض ، وتوحد اتجاهاته الخيرة وتدعمها .. ذلكم الجانب هو **حسن الجوار .**

١ ـ والجوار ضرب من ضروب القرابة ، فهو قرب بالمكان والمسكن ، واندماج فى الطريق والعمل ، وقد تقوى وتشتد رابطة المرء بجاره أكثر مما تقوى وتشتد

بمن جمعه به نسب واحد ، والأمة الاسلامية عند الشارع الحكيم أسرة مترابطة الأفراد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنفك معه لحمة ، والتعاون فى الحياة ينير دياجيرها ، ويفتح مغلقها ، ويعين على قطع مفاوزها ، وكل ذلك يثمر مدنية فاضلة وأمنا وسعادة ، وتراحما ومودة .

٢ — والاسلام لم يدع شيئا يحقق التعاون الكريم المنتج النافع الا حث عليه ووكده وجعله من صلب الدعوة وأسسها ، ولهذا ، حث كثيرا على حسن الجوار وعمل جاهدا على توثيق العلائق الكريمة بين الجيران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » وجعل الاحسان الى الجار دليلا على صدق الايمان وكماله فقال عليه السلام « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » فلا يتم الايمان حتى يتحقق هذا الشرط ، وهذا أمر له منتهى الخطورة فى حياة كل امرىء مسلم ، اذ الايمان غاية كل متدين ، وعلى مقدار ثباته ورسوخه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا توقف ذلك على كف الأذى عن الجار وعلى السعي فى ايصال الخير اليه سارع كل من آمن بالله ورسله واليوم الآخر الى تحقيق هذا الشرط فى أعماله وأقواله .

القرآن والجار

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتوحيده، والاحسان الى الوالدين وذوى القربى واليتامى والمساكين ، ثم أدرج مع هؤلاء فى وجوب الاحسان اليهم ، الجار ذا القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب .. فقال سبحانه « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ... » (١) .

والجار ذو القربى هو الذى يدلى مع جواره بصلة القرابة القريبة ، والجار الجنب هو الذى تربطك به قرابة بعيدة والصاحب بالجنب هو رفيق السفر أو المنقطع الى صاحبه المؤمل فى فضله .

وتختم الآية الكريمة بالنهي عن الكبر والخيلاء والتفاخر ، لأن الفخور المتكبر المختال حقير عند الله ممقوت عند الناس ، لأنه لا يقوم بعبادة ربه ولا يلين قلبه لذوى قرباه ولا لجيرانه ، وانما المتوقع منه الاساءة وكفران النعمة ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، (٢) فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق (٣) وغمض الناس (٤) » .

موقف الاسلام من الجار غير المسلم

فى الاثر أن الجيران ثلاثة أقسام

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء

(٢) بطر الحق — رده وعدم قبوله .

(٣) غمض الناس — احتقارهم وازدراؤهم رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود .

« جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق .

فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الاسلام وحق القرابة ، وحق الجوار . والذى له حقان هو الجار المسلم ، فله حق الاسلام وحق الجوار ، وصاحب الحق الواحد هو الجار غير المسلم فله حق الجوار فقط ، وأعظم به من حق (١) .

وقد حث الاسلام على مبادلة أهل الكتاب بالزيارة ، ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، وأباح الاكل من طعامهم ومصاهرتهم ، وورد معظم ذلك فى محكم القرآن الكريم .. قال الله تبارك وتعالى « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... » (٢) وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد ابن جاره الكتابي حين مرض ، وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه أهديت الى جارنا الكتابى ؟ ، أهديت الى جارنا الكتابي ؟ فقال الغلام كيف تقول هذا ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنهسيورثه » (٣) ولم يخصص الجار بالمسلم بل أطلقه فشمل الاحسان الى كل جار مهما كانت عقيدته ونحلته .

نماذج من حقوق الجار

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتدرون ما حق الجار ؟ : ان استعان بك أعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك أقرضته ، وان افتقر عدت عليه (أى واسيته بمالك) . وان مرض عدته (أى زرته) ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها،وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل ، فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

فانظر رعاك الله أيها المسلم الذى غفل عن حقيقة دينه واتبع هواه حتى داهمته مدنية فاجرة قطعت الاواصر ، وفككت الروابط ، وفرقت المجتمع ، وكادت تأتى على كل الفضائل الانسانية فى غيبة التشريع الاسلامي القويم ، وتأمل كيف أقام الاسلام علاقات الجوار ، وكيف وطدها ، وبسط القول فيها حتى جعل الجار شريكا فى كل خير مادى وروحي وأدبي ، وهكذا يستل الاسلام بتوجيهه السديد سخائم النفوس ويمكن للتراحم والتعاطف بين الناس جميعا .

---

(١) أخرجه البزار فى مسنده
(٢) الآية ٥ من سورة المائدة
(٣) رواه البخارى

مثل" اسلامية عملية تطبيقية

١ ـ تحرى هذا الأدب الكريم المسلمون الأوائل فكانوا يتحرجون من مقابلة أذى جيرانهم بمثله ، جاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال : ان لي جارا يؤذيني ويسبني ويضيق علي ! فماذا أصنع معه ؟ فأجابه ابن مسعود : ان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فلعل التغابي عن أذى الجار يحمله على الندم والارعواء .. يقول الله تبارك وتعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. ولو قوبلت كل اساءة بمثلها لتصدع بناء المجتمع وسرى فيه الوهن والانحلال ، ولهذا كان حصر الخلاف فى دائرة ضيقة أولى من تركه يستشرى ويتسع نطاقه .

٢ ـ بلغ عبد الله بن المقفع أن جارا له شرع يبيع داره فى دين لزمه ، وكان من عادة ابن المقفع أن يجلس فى ظل دار جاره هذا ، فلما تحقق الخبر قال : ما قمت اذن بحرمة ظل دار جارى ان باعها لفقره وعدمه وحاجته وأنا أستطيع حفظها عليه : وبادر من فوره الى دفع الدين وأبقى الدار لصاحبها .

الخلاصة

ونخلص بعد استعراض الآيات والأحاديث والآثار التى مرت آنفا الى النتائج الآتية .

١ ـ أن مرور القرون المتطاولة والمسلمون يرزحون تحت نير الاستعمار أبعد الشريعة الغراء ـ نصا وروحا ـ عن مسرح حياة المسلمين فلم يعد لتعاليمها أثر لا فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى المحكمة ولا فى السوق بل غفلوا غفلة تامة عن فهمها وادراكها وولوا وجوههم شطر ثقافة دخيلة ماكرة مجرمة لا يراد بها الا مزيد من حبس الاسلام فى قماقم محكمة الاغلاق .

٢ ـ أنه عندما تفتح هذه المغاليق وتعود تعاليم الاسلام الى مسرح الحياة وتطبق أحكامه ، يوجد المجتمع المثالي الذى تنشده الانسانية الفاضلة ، والذى لبث الفلاسفة والمفكرون يحلمون به دهرا طويلا .

٣ ـ أن أهم ما يساعد على تفهم حقائق الاسلام هو حسن عرضها بالصورة والأسلوب اللذين يناسبان العصر ، وما أحسنها لو عرضت مقارنة حتى يتسنى للناشئة ـ معرفة الغث من السمين وتبين النافعمن الضار ، وحينئذ يميز الله الخبيث من الطيب ويسفر الصبح لذى عينين .

والله الموفق والمستعان ،،،

* * *

المبادئ المثالية التي تضمنتها

عبقرية الاسلام هي ذلك الاشراق الالهي الذي انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن أطوار النفس البشرية فى طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة الى تكريم الانسان ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة ، والمساواة والحرية والسلام .

فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء ، وتلك هي الغايات التي ترجو الانسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية ، فلا تتكشف امانيها بعد طول السرى وفرط اللغوب الا عن سحاب خلب ، وسراب خادع .

هذه المبادىء المثالية التي تضمنتها دعوة الاسلام ، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه ، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الاصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ، وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا ، وشواهد التوحيد مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد .

وفكرة الوحدة الانسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة ، وفى سبيلها صدق الاسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبي أرسل ودعا الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا الى خطة واحدة وكلمة سواء ، ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصلان بينهما ، فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك ، ولكن الاسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل الا بوحيه ، ولا تسير الا بهديه ، ثم آخى بين المؤمنين ، ليجتمعوا على صدق المودة ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوي ، ولا يبخل غني ، ولا يظلم متسلط .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توثقت عرى الاخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر .

كذلك فى سبيل الوحدة الانسانية والأخوة الاسلامية ، فرض الاسلام الزكاة وشرع الحج ، وأمر بالاحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف

دعوة الإسلام

بقلم أحمد حسن الزيات

السنتهم وألوانهم في الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم في خطبة الوداع :

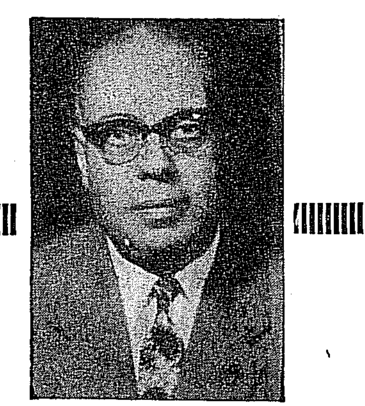
« ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

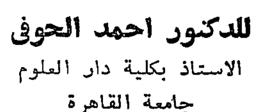
المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح ، لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذى ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة .. أرسله رحمة للذين استضعفوا في الأرض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالي ، أو لضعف النصير كالأرقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالته ممن لم يكونوا من جنس مبين ، ولا من وطن معين ، انما كانوا أمة من أشتات الخلق ، وأنحاء الأرض ، اجتمع فيها العربي والفارسي ، والرومي والتركي ، والهندى والصيني ، والبربرى والحبشي — على شرع واحد هوالاسلام، وتحت تاج واحد هو الخلافة ، والاسلام الذى يقول شارعه العظيم « ولقد كرمنا بني آدم » لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ، انما ربأ ببني آدم جميعا أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

وفي هذه الأصول الاسلامية — كما ترى — أفضل ما في الديمقراطية، وأجمل ما في المدنية ، فهي حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا . ولقد كانت كذلك يوم كان لحملتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتنقيها يقين ، فلما دالت الدولة وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا في فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الاسلام في رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه ، فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .

الايمان بالقضاء قوة دافعة





للدكتور احمد الحوفى

الاستاذ بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

ليس من شك فى أن موضوع القضاء والقدر مشكلة قديمة غامضة ، شغلت كثيرا من المفكرين على اختلاف أديانهم وتباين منازعهم ، ولم يهتد أحد الى رأى حاسم فيها، تطمئن اليه النفوس جميعا.

ولست أزعم انني فى هذه العجالة سأبلغ ما لم يبلغه السابقون ، ولا أني سأعرض المشكلة كلها ، واناقش الآراء المتشعبة فيها ، بل اني ساقتصر على دفع الفرية التي افتراها علينا ـ نحن المسلمين ـ فريق من أعدائنا ، اذ زعموا ان تخلفنا الاخير راجع الى عقيدتنا فى القضاء والقدر .

ويقتضيني الموضوع أن أمهد بكلمة عما نريده بعلم الله تعالى ، لتكون اساسا فى دراسة المشكلة ، وفى دفع الفرية .

علم الله وعلم البشر

أرأيت الى المهندس الذى اخترع آلة استقل بصنعها ، كيف يعلم تفاصيل اجزائها ، وكيف يعلم طريقة عملها وسيرها ، ويعرف مقدار قوتها ومدى صلاحيتها ؟

أرأيت الى صانعى الاقمار الصناعية والصواريخ الدوارة والموجهة كيف يعلمون علم اليقين اتجاهها وسرعتها والمناطق التي ستمر بها ،ويحددون أزمان مرورها على المدن والاصقاع ، وكيف يعرفون ما يشبه ذلك معرفة دقيقة يندر أن يتخلف شيء منها ؟

فكيف ينكر عاقل ان الله سبحانه وتعالى وهو الخلاق العظيم والبصير العليم يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات او فى الارض ؟

فلا عجب اذن فى أننا نعتقد اعتقادا جازما أن بارىء الكون ورب الكاشفين والمخترعين يعلم علما لا يتغير ، ويقدر تقديرا لا يتبدل .

واذا كان من صفات علم الانسان أنه

« القضاء والقدر وصلتهما بحرية الانسان موضوع ثار الجدل حوله بين الكتاب والباحثين ، ولم يصلوا الى نقطة حاسمة يقف عندها الجميع .. وكثيرا ما قرأنا وسمعنا شبها يرددها أعداء الاسلام يريدون أن يلصقوا بالايمان بالقضاء والقدر تهمة تخلف المسلمين .. ومع أنها تهمة زائفة ينسفها تاريخ المسلمين الاول وما صنعه الاسلام الحق من حضارة ومجد ، الا أننا لا نزال فى حاجة الىتجلية الغبار عن هذا الموضوع وعرضه عرضا يتفق مع الفهم الصحيح له ليكون قوة دافعة . ومع أنه موضوع شائك كما نعرف الا أن الاستاذ الفاضل الدكتور الحوفى اختار أن يرتاد لقرائنا هذا الطريق » .

« الوعى الاسلامي »

محدود قاصر فان من صفات علم الله انه لا حدود له ولا قصور فيه ، لانه العلم الكامل الشامل .

كذلك يتصف العلم الانساني بأنه لا يتعلق الا بالاشياء الموجودة فعلا ، لأنه نتيجة لها وأثر من آثارها ، على حين ان العلم الالهي يشمل حاضرها ومستقبلها ، لانه السبب فى وجودها ، فهو يعلم الاسباب ويعلم النتائج علما أزليا أبديا خاصا به وحده .

لهذا كان علم الغيب مقصورا على الخالق سبحانه ، قال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » (١) وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٢) وقال تعالى : « وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (٣) .

وبدهى ان العقل الانساني لا يستطيع ان يعرف حقيقة علم الله للاشياء المستقبلة ،لان هذا العقل عاجز عن معرفة حقيقة الذات الالهية ، فمن الطبيعي ان يعجز عن معرفة صفات الله تعالى ، بل أن العقل الانساني عاجز عن معرفة كثير من أحوال الجسم الانساني والنفس الانسانية ، وكثير من ظواهر الكون التي يشهدها ، فهو أحرى بأن يستبين عجزه عن معرفة ما وراء المادة ، وعن ادراك صفات الله سبحانه .

واذا كان الانسان يفرق بين علمه للماضى وعلمه للحاضر وظنه فى المستقبل، فان هذه التفرقة تنطبق على الانسان وحده ، وليس من الجائز ان تنطبق على علم الله لان علمه أزلي أبدى ، وكل شيء من المستقبل خاضع لعلمه كالحاضر ، وهو تعالى يعلم الامور المستقبلة علمه للحاضر .

معنى القضاء والقدر

١ ــ لا شك اذن فى ان علم الله واسع

---

(١) سورة النمل ٦٥ (٢) سورة الانعام ٥٩ (٣) سورة التوبة ١٠٥

قوة دافعة

شامل محيط بما كان وبما سيكون ، وبما ظهر وبما استتر ، لانه سبحانه وتعالى هو الخالق ، ولانه أكمل الموجودات فلا بد أن يكون له من الصفات أكملها واعلاها، ولا بد ان يكون علمه أوسع علم وادق علم، بحيث لا تتصور العقول علما يداني علمه ، كما انها لا تستطيع ان تتصور وجودا يدنو من وجوده .

ومعنى هذا ان مالك الكون عليم بما يحدث في ملكه علما سابقا للاحداث والوقائع ، فلا يقع في ملكه حدث الا موافقا لارادته ، وهذا هو المعنى المختار للقضاء والقدر .

فالقضاء الحكم والارادة ، والقدر التقدير والترتيب والتنظيم .

وقد يطلق القدر على القوانين التي اودعها الله في الكائنات ، لتسير على مقتضاها الأحياء، وتخضع لها الجمادات، كرسوب بعض المواد في الماء وطفو بعضها فوقه ، وتمدد المعادن بالحرارة ، وتبخر الماء بالتسخين ، وتجمد السوائل بالبرودة .

فالمراد من ان كل شيء بقضاء الله وقدره أنه يوجد مطابقا لحكمه وارادته وترتيبه الازلي على النحو الذى علمه واراده .

وهذا المعنى يتردد في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » (١) . ومنها قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٢) وقوله تعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين » (٣) .

وقوله تعالى : « انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين » (٤) .

وقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٥) .

والاحاديث النبوية تجرى على هذا النسق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير

وقوله صلى الله عليه وسلم : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

٢ ـ وقضاء الله حتمى لا يتخلف ، قال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله » (١) .

وقال تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » (٢) .

وقال تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون » (٣) .

---

(١) سورة الانعام ٥٩ — (٢) سورة الرعد ٨ ـ ٩ — (٣) سورة النمل ٧٤ ـ ٧٥
(٤) سورة يس ١٢ — (٥) سورة الحديد ٢٢ — (١) سورة الانعام ٣٤
(٢) سورة الانفال ٦٨ — (٣) سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣

وهذا بدهي لا يحتاج الى تعمــق في التفكير ، لان رب الكون لا يمكن ان يقع في ملكوته شيء لم يعلمه ولم يرده أزلا ، والا كان — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — غير محيط بما يحدث في ملكه ، او مكرها على ما يقع فيه .

لماذا نؤمن بالقضاء

انه من الطبيعي اذن ان نؤمن نحــن المسـلمين بقضـاء الله وقدره ايمانــا لا يتزعزع .

١ — لاننا نؤمن بعلم الله وقدرتـــه وارادته، وندين بما يلائمعظمته وجلاله ، ونصدق بكتابه وبأحاديث رسوله ، وبما تضمناه من قضاء الله وقدره .

٢ — ولان هذا الايمان يعصمنا مــن الغرور اذا ما حالفنا نجاح وظفر ، فقــد تسول للظافر نفسه أنه بجده وحــده ظفر ، فيتمرد ويطغـي ، وينســى ان يشكر ربه ، ويتعامى عن حقوق مــن حوله،كما فعل قارون ، اذ ابطره ثراؤه ، وزعم انه كسب المال الكثير بعلمه ونسي حق الله فيه ، فجعله الله نكالا وعظـة كبيرة قال تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهــم وآتيناه مــن الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان اللــه لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفســاد في الارض ان اللــه لا يحـب المفسدين . قال انما أوتيته على علــم عندي أو لــم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هوأشد قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته قــال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثــل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صــالحا ولا يلقاهــا الا الصابرون . فخسفنا به وبدارهالأرض ، فما كان لهمن فئة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا وي كأنه لا يفلح الكافرون » (١) .

٣ — على ان هذا الايمان اذ يعصمنــا من الغرور يبعد عنــا الخور والضعف واليأس والسخط ان نزلت كارثة ، او حدث اخفاق ، لان المؤمن بالقضاء يصبر على ما نزل به ، ويستمد من صبره قوة على مغالبة عوامل القنوط والاستسلام ، فيستأنف حياته في جد مثمر ، وبعزيمة قوية ، وأمل متجدد ، وقلب متفتح .

٤ — ثم ان ايماننا بقضاء الله وقدره يبعث فينا كثيرا من الفضائل ، اذ ان المؤمن بالقضاء شجاع ، لانه يعلم انه لن يصيبه الا ما سبق في علم الله من موت او حياة ومن سلامة او اضطهاد ، ومن نفع او ضرر .

والمؤمن بالقضــاء أبي عزيــز النفس لا يذل لأحد ،ولا يدنس ضميره اوكرامته لقاء ثمن ، لانه يعتقد ان النفع والضرر بيد الله ، وقد سبق به علمه وقضاؤه ، فلو اجتمع الانس والجن على ان ينفعوه أو على أن يضروه فانهــم لا يستطيعون شيئا سوى ما سبقبه علم اللهوقضاؤه.

والمؤمن بالقضاء راض دائما ،مستبشر دائما ، متفائل في جميع حالاته ، لانــه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

٥ — ولا شــك ان الايمــان بالقضاء يحفظنا من رذيلــة الحقــد والحســد والسخط ، لان الذى يحسد غيره على

(١) سورة القصص ٧٦ — ٨٢

قوة دافعة

نعمة أنعم الله بها عليه ساخط على قضاء الله ، والذى يحقد على ذى نعمة متبرم بحظه من الحياة ، والذى يسخط نصيبه من الدنيا ضعيف الثقة بقضاء الله .

٦ ــ ونحن نؤمن بقضاء الله ، لأن الله تعالى اذ أوجب علينا الايمان به ، أوجب علينا أن نعمل وأن نسعى وأن نتخذ من الاسباب والوسائل ما يحقق الغايات المشروعة ، فلا كسل ولا تكاسل ، ولا خمول ولا تواكل .

ولهذا نهانا سبحانه وتعالى عن تعريض انفسنا للهلاك فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (٢) .

وأمرنا بالدفاع عن الدين والوطن فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) وفى قوله سبحانه : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٢) .

وأمرنا بالسعي والعمل للحصول على الرزق ، قال تعالى :« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » (٣) ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (٤) .

وهكذا تتكرر الاوامر فى آيات كثيرة مؤكدة هذه المعاني وامثالها .

٧ ــ ونحن نؤمن بالقضاء لان الاحداث قبل ان تقع سر محجب عنا ، لا يعلمه الا الله الذى قضى وقدر ، وليس فى استطاعة مخلوق ان يعلم المقدور .

وكيف يتطلع احد الى معرفة الغيب ، مع ان النبي صلى الله عليه وسلم امره الله ان يقول : « ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » (٥) .

ولهذا نعى الله على المشركين اعتذارهم عن شركهم بانه قدر من الله ، ونعى على من يعتذرون بالقدر فى انصرافهم عن الخير واقبالهم على الشر ، قال تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٦) .

وقد قال سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله بين لنا ديننا ، كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام ،وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل ، قال رسول الله :فيما جفت به الاقلام وجرت المقادير .

قال ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله .

---

(٢) سورة البقرة ١٩٥ — (١) سورة آل عمران ٢٠٠ — (٢) سورة الانفال ٦٠
(٣) سورة الجمعة ١٠ — (٤) سورة الملك ١٥ — (٥) سورة الاعراف ١٨٨
(٦) سورة الانعام ١٤٨

وروى عن علي بن أبي طالب قال : كنا في جنازة ، فأتانا رسول الله ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا يا رسول الله : أولا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ومن كان من اهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة . ثم قرأ قوله تعالى « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » (1) .

والاحاديث النبوية كثيرة في تأكيد هذا المعنى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز . وان اصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله، ما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

٨ ــ لهذا كله كان الايمان بالقضاء والقدر نعمة على البشر ، لانه ظل من الطمانينة وارف ، ونعمة من السكينة الراضية بقضاء الله ، ولانه حافز الى قوة العزائم ، وباعث على العمل والعزة والشجاعة والصبر ، ووقاية من الشرور التي تصيب الافراد والجماعات ، كالحسد والاثرة والشماتة والنفاق والجزع والياس .

ولست أريد ان اكرر ما سبق من آيات واحاديث في الدلالة على هذه المعاني ، بل أريد ان اذكر ان المنافقين كانوا يتخلفون عن مشاركة رسول الله في صد العدوان على الاسلام ، وكانوا يودون في اعماق نفوسهم أن ينهزم الرسول ، ليفرحوا بهزيمته ، وليبرروا تخلفهم عن نصرته ، فانزل الله تعالى على رسوله ان المسلمين الصادقين لا يابهون بما يجول في نفوس المنافقين ، لانهم مؤمنون بان ما يصيبهم قد سبق به قضاء الله وقدره ، وهم قد ارضوا ربهم وارضوا نفوسهم بجهادهم الباسل في حماية العقيدة والوطن ، فاذا انتصروا لم يبطروا ، وان انكسروا لم يياسوا .

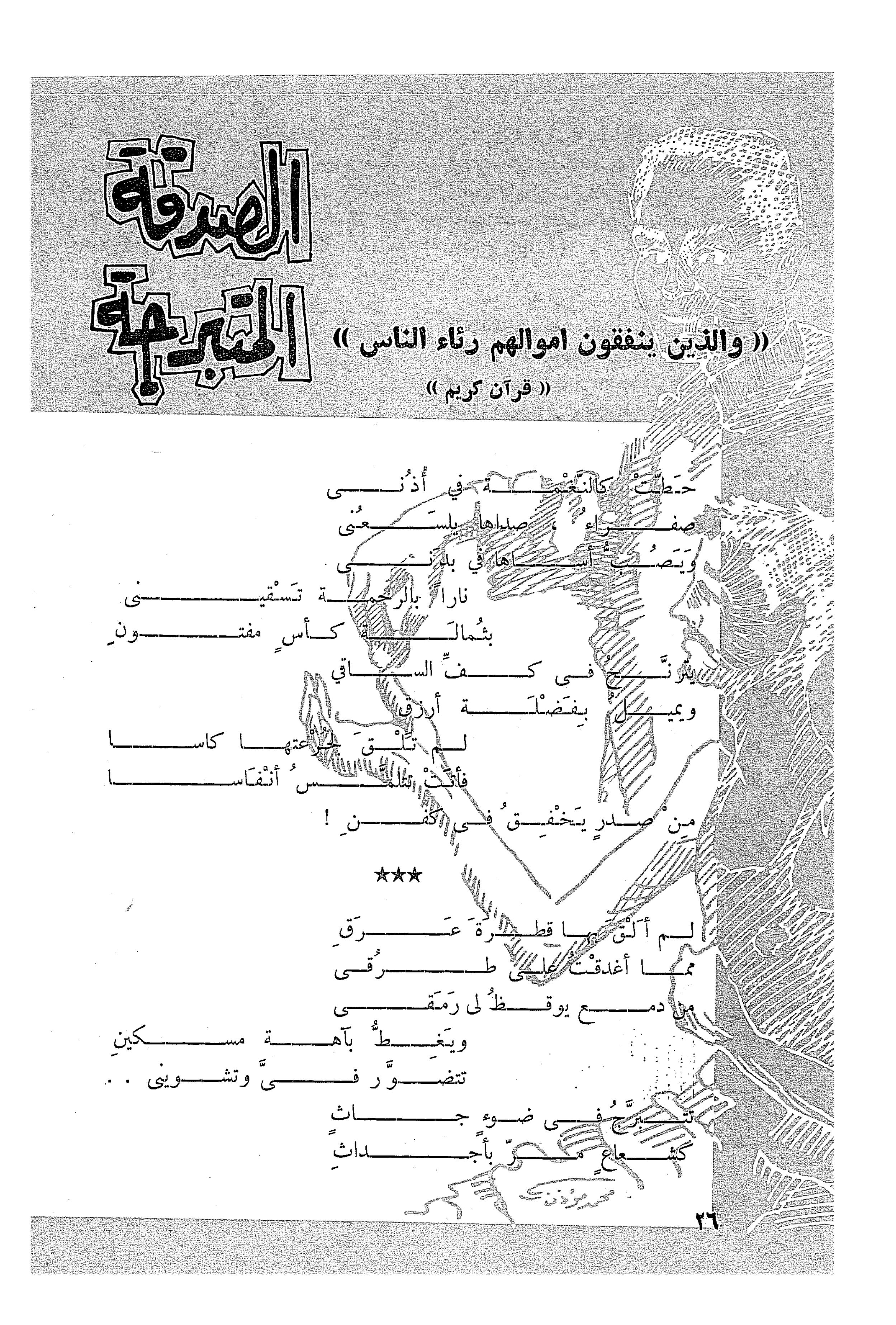
قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (2) .

أما بعد فلعله قد تبين ان ايماننا بالقضاء ليس مدعاة الى ضعفنا ، ولا باعثا على تأخرنا ، كما يزعم بعض خصومنا ، بل هو دافع قوى الى العمل والى بذل الجهد ، وحافز الى الجهاد والتضحية ، وينبوع للفضائل ، ووقاية من الرذائل ، وهو الى هذا كله ايمان بعلم الله وقدرته وارادته ، واطمئنان الى حكمه فيما قضى وقدر .

أما علاقة القضاء والقدر بالحرية فموضوع المقال القادم ان شاء الله .

---

(1) سورة الليل ٥ ــ ١٠ (2) سورة التوبة ٥٠ ــ ٥١



الصدفة المتبرجة

((والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس))

((قرآن كريم))

حطَّتْ كالنَّغْمةِ في أُذُني
صفراءُ ، صداها يلسَعُني
ويَصُبُّ أساها في بدني
نارا بالرحمةِ تَسْقيني
بثُمالةِ كأسٍ مفتونِ
يترنَّحُ في كفِّ الساقي
ويميلُ بفَضْلَةِ أرزقِ
لم تَلْقَ بجُرْعتها كاسا
فأتَتْ تتلمَّسُ أنفاسا
منْ صدرٍ يَخْفِقُ في كفنِ !

★★★

لم ألْقَ بها قطرةَ عَرَقِ
ممّا أغدقتُ على طُرُقي
من دمعٍ يوقظُ لي رَمَقي
ويَغطُّ بآهةِ مسكينِ
تتضوَّر فيَّ وتشويني ..
تتبرَّجُ في ضوءٍ جاثٍ
كشعاعٍ مَرَّ بأجداثِ



للشاعر
محمود حسين اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية باذاعة القاهرة

عـــرَّاها زاداً لـــــالأَزْلِ
ولهاثـــا حـدَّق للأَجــل
وَانقــض ليشـرب مِنْ حُـرَقى ! !

***

تتحــدَّرُ من كَـفٍّ عُليـــا
خاشـعة الوخـزة .. كالدنيـــا
سَكَبَتْ لـىَ وهْمـاً يُغريــنى
وربيــعَ ريـاءٍ ... يَرْويـــنى
وإذا .. ببقايـــا تَغْرِفُهـــا
من كلِّ يمـينٍ تنزفهـــا
لِتَبُـلَّ بها صـدأ البُـــؤسِ
وترشَّ علـى كَمَـد النَّفـسِ
ذلا بغيـاهبـــه أحيـــا..

***

كالـــرُّوح أتتنى ، كالبغْتَــــهْ
تتساقط حولـى من نَبْتَــهْ
كاذبـةِ الرحمـة ، مُنْبَتَّـــهْ

تابـــع
الصدقة
المتبرجة

نفـــذَتْ بالحسْــرة في كبـــــدى
أغلالاً تقبْبَـــــعُ كالأبَــــدِ ..
تُعْلِيــه ، وتخفِــــضُ نظَراتـــــى
وتضــــــىء الــــرِّق بدَعَواتـــى
هالاتِ ريـــــاءٍ لأخيهـــــــا ..
ولمَـــنْ للأَعْـــيُنِ يُعْطِيهــــا
لتجـــــوبَ الأرضَ علَـــى لفتـــه!!

***

حَطَّــتْ ، وســمعْتُ لهــا زَجَــــلاَ
صَـــيَّرنى عَبْــداً مُبتهــــــلا
ودُعــــاءً مقْهـــــورا ، وَجِــلاَ
يدعُـــو ليَمين تعطيــــــــــنى
ولقطــــرةِ ذلٍّ تكويـــــــنى
وأنـــا الظمـــــآن إلى حَقِّـــى
فـــى دَرْبٍ لا يعـــــرف رِقّـــى
ســأواصل خَطْـــوى لأراهُ . .
حـــراً لا تطـــرفُ عَيْنَـــاهُ ..
وســـواه لا أعـــــرف بَــــدلاً !!



الكويت تمنع الخمر

لفضيلة الشيخ احمد الخميس
المستشار بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت

« أصدرت حكومة الكويت قانونا يعاقب كل من باع أو اشترى أو تناول أو قبل التناول أو حاز بأي صورة كانت بقصد الاتجار أو الترويج خمرا أو شرابا مسكرا .

ويعاقب كل من تعاطى فى مكان عام ، أو فى مكان يمكن رؤيته فيه ، أو فى ناد خاص خمرا ، أو شرابا مسكرا ، وكل من جلب الى المكان المذكور الخمر أو الشراب المسكر لشخص بقصد تناوله فيه .

ويعاقب كل من وجد فى حالة سكر بين ، وكل من أقلق الراحة بسبب تناوله الخمر » .

والوعي الاسلامي تحيى الكويت الدولة العربية المسلمة وتأمل أن يحذو حذوها سائر الدول العربية الاسلامية .

فى كل عصر نجد الاسلام آية كبرى ، ومعجزة تدل على أنها فوق مستويات القدرات البشرية ، فجميع أحكامه وسننه ومناهجه وتعاليمه قائمة على أصول راسخة رسوخ الجبال الشامخات ، فمنذ ألف وثلاثمائة وثمانين سنة ونيف ارتفع صوت الاسلام على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلن للانسانية أن الخمر عدوة العقل والجسم والاخاء ، وأنها أم الخبائث ومصدر الجرائم ومستنقع السموم ، ولقد نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ . » وبعد هبوط الوحي بالتحريم القاطع بنص الآية الكريمة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى : يعلن تحريمها على المسلمين فاستجاب المسلمون لذلك وعكفوا على دنان الخمر يكسرونها ويهرقون ما فيها ، وبذا حفظ الله أمة الاسلام من هذا الشر الخطير والوباء العظيم .

واليوم ونحن نستبشر خيرا بما قرره مجلس الامة مستجيبا لنداء الامة ومشاعر الشعب . واليوم ونحن نجد مجلس الوزراء يجتمع متضامنا مع مجلس الامة على منع دخولها الى هذا البلد المسلم لا يسعنا الا أن نرفع أسمى آيات التقدير لمجلس وزرائنا ، ونسأله تعالى أن يجعلهم أبدا ودائما مثالا للخير وسبيلا لاسعاد هذا الشعب الكريم والمحافظة على دينه ومثله وأخلاقه ، وليس بعجيب أن تنتصر ارادة الخير على ارادة الشر ،

وارادة العقل على ارادة الجنون والطيش، وارادة الحياة على ارادة الانتحار .

أيها المسلمون لقد أجمع أساطين الطب، وأجمع علماء النفس، وأجمع علماء الاجتماع، وأجمعت طبقات الناس على أن الخمر طريق للشر، بل هي الشر والفتنة، فلا غرابة أن ترتفع أصوات الالوف من الناس في الكويت المسلمة المؤمنة برسالة القرآن مطالبة بمنع الخمر، ومن حقها الآن أن تشكر أولي الامر على تلبية النداء، واجابة طلباتها .

والآن نستطيع أن نقول لكم عودوا الى اسلامكم، عودوا الى ايمانكم، عودوا الى ساحات الجهاد الاسلامي والنضال الاخلاقي تعد لكم الكرامة والعزة والالفة والمودة، واستمعوا الى صوت محمد صلى الله عليه وسلم يقول ((تركتكم على بيضاء نقية. ليلها كنهارها. لا يضل عنها الا هالك)) وذلك مصداق قوله تعالى ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)).

أيها الآباء انكم تتحملون متاعب الحياة، وتتعبون، وتشقون، وتجاهدون ليلا نهارا، فاذا مرض أطفالكم ذهب النوم عن أجفانكم، واذا تأخروا عن موعد الحضور عم قلوبكم الخوف والقلق والذعر، هؤلاء الابناء الاعزاء حشاشة النفس وأكباد المجتمع لا يصح أن ندعهم فريسة الالحاد وفريسة للخمر، هؤلاء زهرات حياتنا لا يصح أن نتركهم تفسد عقولهم وأرواحهم وضمائرهم أقدام الكفر والمجون والاستهتار بالاخلاق والقيم، هؤلاء الاطهار الفطريون لا يجوز أن نتركهم عزلا بدون سلاح، يعتدي عليهم دعاة الفساد، ويجرهم زحف الاباحية، هؤلاء أعز ما نملك أمل أمتنا الباسم، أمل ديننا وفرقاننا واسلامنا يجب أن نفتح آفاق الثقافة الاسلامية لنقيهم من أضاليل وأكاذيب ما يسمعون.

أيها الوزراء أيها القادة يا من بيدهم مقاليد أمور هذه الامة المسلمة، أنتم تحكمون شعبا مسلما وأمة مسلمة، والمسلم وفي لمن يحسن اليه، والخمر أم الكبائر والآثام وقد عقدتم العزم متضامنين مع مجلس الامة بمنع استيرادها فشكرناكم . شكرتكم النخوة والمروءة ومكارم الاخلاق يا أصحاب المعالي ان من الصفات المميزة للحاكم المسلم أن يكون الاسلام أقرب الى نفسه من الحياة وما فيها قال تعالى ((ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر))، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه)) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر)) .

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الايمان

للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

الايمان هو منة الله العظمى على عباده المستعدين لاستقباله اذ هو قوة نورانية فاعلة ، تستمدها وتشعها أجهزة صالحة قابلة ، كما تستمد المشاكى الصالحة النور من الكهرباء لتقضي على الظلام ، (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) . والانسان الصالح جهاز صالح ملزم بالاتصال والتفاعل مع النور والخير عن أهلية واستحقاق (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) ، وعلى العكس من ذلك الخفافيش العمياء عن النور ، والأجهزة الفاسدة التي لا تستقبل النور ولا تشعه (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) . ومن المعلوم أن الأرمد لا يبصر نور الشمس ، ولا يشعر المريض بطعم الماء ولا المزكوم بشذى الورد .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

***

وما ضر الورود وما عليها
اذا المزكوم لم يطعم شذاها

والايمان ضرورى للانسان ، بل انه لفي مقدمة ضرورات الحياة التي لا يستغنى عنها الانسان فى حال من الأحوال ، اذ هو الحب الصادق ، والاخلاص الكامل ، والاطمئنان بكل معانيه ، وهو الجاذبية التي تكون من الأفراد مجموعة صامدة تؤدى رسالتها فى الحياة . والانسان مهما حاول المكابرة فهو مفطور على الايمان بالقوة المبدعة لهذا الوجود والقدرة الأزلية اللانهائية التي يقرها العقل ، ويؤمن بها العلم ، ويخر لها العلماء سجدا ، (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، ولذلك أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ليتم نعمه على الناس ظاهرة وباطنة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولله سنن كونية فى خلقه كسنن النور والظلام ، فالنور يمحق الظلام وعلى قدر ما يخبو من النور يحل الظلام (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) . وتنازع البقاء بين الامم وتنافسها ضروريان لاصلاح الأرض وعمارتها ، ولا بد للعالم

من توحيد كلمته على كلمة التوحيد يوما ما ، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

قصة واقعية تؤيد التقاء الناس على كلمة التوحيد

لقد جمعتني احدى المصادفات مع ملحد يدافع عن الشيوعية ويجادل منكرا الألوهية ، ويحاول تحكيم المنطق فى جدله ، ومما قلت له فى أثناء الحديث : هل تعلم أنك تؤمن بالله شئت أم أبيت ؟ قال : وكيف ذلك ؟ فكان جوابي ، اذا كنت تنكر الألوهية الحقة فبم تؤمن ؟ قال : أومن بالانسان وبالعلم ، فقلت له : انك ترى هذه الأرض وما فيها من خيرات وترى هذا الفضاء وما فيه من ذرات ومجموعات وأسرار ، هل كان لهذا الانسان يد فى ابداع ذلك أو نصيب فى تنظيمه ؟ بل وفى خلق نفسه وتكوين دقائق جسمه ؟ فقال ، لا ، قلت : اذن هناك قوة وراء ذلك أبدعت هذا الوجود ونظمته ، وهذه القوة هي الله الذى نؤمن به ونعبده ، اذ أننا لا نعبد جرما محدودا فى زاوية من زوايا الكون الواسع ، بل نؤمن بالقوة اللانهائية التي لم يكن هذا الكون بالرغم من سعته الا جزءا من اجزاء مخلوقاتها ، وحلقة فى قبضتها فقال : الطبيعة هي التي أوجدت الكون ، فقلت : اننا نعبد القوة الخفية التي أوجدت هذا الكون فان سميتها الطبيعة ، فنحن نسميها الله ، ولا خلاف بيننا الا بالتسمية، ولا شك انك تشاركني فى ان المبدع المنظم خالق العقل والسمع والبصر وسائر الطاقات لا بد وان يكون سميعا بصيرا قادرا عالما موصوفا بجميع صفات الكمال التي تنبغي لهذا المبدع الجبار العظيم ، أما اذا قلت كما يقول الآخرون : أن الطبيعة صماء عمياء عاجزة، فاعلم ان فاقد الشيء لا يعطيه ! .

واغتنمت فرصة سكوته مبهوتا ، فعرجت على موضوع الشيوعية وبادرته بقولي : ان الشيوعية فى نظرى متأخرة كثيرا عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هي فى طريقها الى ذلك وسوف تلتقى معنا اذا كانت المصلحة رائدها كما يدعي مؤسسوها وذلك بعد ما يمر عليها من تضحيات مريرة وتجارب قاسية ، بدليل أن الشيوعية تتضمن أمرين كما يقولون ، **الأول** : نفي الألوهيات، **والثاني** : التطور مع المصلحة .

والاسلام سبقها الى ذلك ، حيث أن مفتاح الايمان عندنا هو لا اله الا الله ، اذ بنصف الجملة الأولى (لا اله) نفي الألوهيات فى كل ما اتخذه الانسان من عبادة أخيه الانسان حيا فى صومعته أو قصره أو ميتا فى تمثاله أو قبره ، وغير ذلك من عبادات النور والنار والكواكب والبحار والأحجار والحيوان والأشجار ، وبنصف الجملة الثاني (الا الله) ، استثناء للقوة الأزلية القادرة العالمة المبدعة .

وكل ما قاله لي محدثي بعد ذلك : ان كان هذا هو الاسلام ، فالعقل يقبله وهو ضالة العلماء والحيارى ، ولكني أرى أعمال المسلمين تخالف ذلك ولا تظهر الاسلام بهذا المظهر المقبول لأن الكثيرين ينظرون الى العقيدة من خلال أعمال أتباعها الذين هم ثمراتها .

قلت له : معك حق فى ذلك ، ولكن أرجو أن لا يغيب عن بالك أنه قد اندست على هذا الدين فئة من ألد أعدائه بقصد تشويه الحقائق فيه فكان لهم نصيب مما أرادوا ، فكنا كما ترى نهبا بين الأمم ولكن السر فى صمودنا رغم ذلك ، أن كل منتصر علينا اذا لم يذب فينا فلا

نذوب فيه والمغول والأتراك قد اعتنقوا ديننا رغم انتصاراتهم علينا ، ولم تستطع فرنسا اذابة الشعب الجزائرى فيها رغم اعتبارها الجزائر جزءاً من فرنسا طيلة مائة وثلاثين سنة ، وجعلها اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة المدارس فيها ، ولا بد لنا بعد هذه الفترة المريرة والبلاء العظيم من عودة الى النهج القويم والصراط المستقيم لتستهدى الدنيا برسالتنا الحقة المثلى ، واني اعتقد بانك تشاركني الرأى بان اتحاد المسلمين سيكون هو القوة الفاصلة بين معسكرى الشرق والغرب ، المرجحة للجانب الذى ترضى عنه ، وعقيدتنا الوسطى بين الرأسمالية والاشتراكية ومركزنا الاستراتيجي الوسط وثرواتنا الطبيعية ، كل ذلك يؤهلنا لنكون الأمة الوسط ويخاطبنا قرآننا العظيم موجها ايانا لهذا المركز الهام بقوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

قال محدثي : فليكن ذلك وليلتقي العالم شرقه وغربه فى النقطة الوسط ، وبذلك الخير للعالم لو تم ، ولكن متى ؟ فقلت له أرجو أن يكون ذلك قريبا ، وليس بيننا وبين ذلك الا أن يصلح الفرد فيصلح المجموع ، لأن الميدان الأول لكفاح الانسان نفسه .

ومن خلال هذه المحاورة ، يظهر أن أبعد أهل العالم عن الايمان باله يلتقون مع كلمة (لا اله الا الله) ، فكيف بأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لا سيما وأن الفاتيكان منذ عهد البابا « بيوس الثاني عشر » وهو يمهد للاعتراف بالاسلام كدين سماوى جدير بالحياة ، والآية القرآنية الآتية تؤيد ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) والآية الثانية (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله جل شأنه (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وهذا ما حدا بي الى التنبيه لمقاييس الايمان الخالي من شوائب الردة التي هي الرجعية والجاهلية ، ليعرض كل فرد منا نفسه على هذه المعايير كي يضمن لنفسه الفوز ولأمته النصر ويكون جديرا بهذا الوعد العظيم ممن لا يخلف الميعاد ومن كفر فان الله غني عن العالمين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

فلو صدقنا الله لصدقنا فتلك سنة كونية ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مقاييس الايمان

يقول المولى عز وجل مخاطبا الذين آمنوا من الرعيل الأول فى المدينة المنورة وكل مؤمن بعد ذلك الى آخر الأزمنة مبينا مقادير الايمان ومعايير الرجحان

والخسران بهذه الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ... نعم .. هذه صفات المؤمن الموعود بالاستخلاف فى الأرض وهي صفات خمس .

الأولى : الحب من الله ولله وفي الله ، ومن حب الله اتباع رسله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

الثانية : ذل المؤمن على أخيه المؤمن عن حب وتكافؤ لا عن ضعف أو خوف والمقصود به هو التواضع وخفضه الجناح لأخيه المؤمن ، يقول المولى سبحانه مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ويأمر سبحانه المؤمن بخفض الجناح للوالدين بقوله (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)أى لا من الضعف ولا من الخوف.

الثالثة : عزة المؤمن على الكافر ، والكافر هو الجاحد لله ورسله وكتبه واليوم الآخر عن عمد ومكابرة ، وهو لغة الذى يوارى الحق بالباطل عن قصد ، لهذا قيل فى الزراع انهم كفار لأنهم يغطون الحب بالتراب والكفر (بفتح الكاف) هو المزرعة وتستعمل هذه الكلمة حتى يومنا هذا فى بعض البلاد العربية ، والعزة المطلوبة هي العزة الرشيدة الحكيمة التي لا يخالطها بغي أو كبرياء .

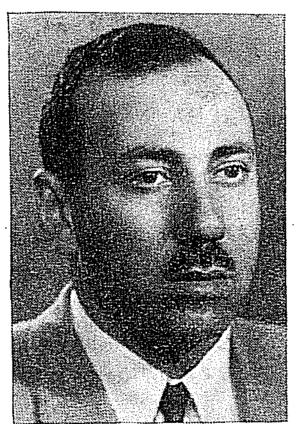
الرابعة : الجهاد فى سبيل الله ، وهو شرط من شروط الايمان ، حيث لا عزة لأمة بدون جهاد ولا كيان لها بدون منعة ودفاع .

الخامسة : المؤمن الكامل الايمان لا يخاف فى الحق لومة لائم .

هذه هي المقاييس الخمسة التي يجب على المؤمن عرض نفسه عليها لمعرفة مقدار حقيقة ايمانه والشوائب التي تشوب ذلك من ردة أو رجعية نتيجة لما ينقصه من هذه الصفات ، ولقد عرض الرعيل الأول نفسه عليها فنجح وسادت رسالته جزءاً كبيرا من العالم وشع نورها على الدنيا بأسرها ، أما نحن فدرجاتنا دون النجاح ، ولا شك ، واذا كان هناك تفاوت بيننا فهو بمقدار درجات السقوط ، اذ علامة النجاح العزة الكاملة التامة ، والجهاد الكامل ، وميراث الأرض وخلافتها باتحادنا ، وسيادة فكرتنا ، وقد آن الأوان لأن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ليتبدد الظلام بانبثاق النور من مشاك صالحة ، ويزهق الباطل بظهور الحق على أيد عاملة ، ويعم العالم الخير والسلام .

وما من شك فى أن واجب العرب فى هذا المضمار كبير ومسؤوليتهم عظيمة وباتحادهم وعزتهم عزة للاسلام مصداقا لمأثور القول : « لا يعز آخر هذه الأمة الا بما عز به أولها » ، فقد جعل الله ختام الرسالات الربانية والكتب السماوية فينا ، وفي لغتنا ، واصطفانا لذلك بقوله سبحانه : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) .

اللهم ايت بهم واجعلنا منهم — والسلام على من استنار بالحق فاستهداه وعرف واجبه فأداه ورحمة الله وبركاته



رعاية المصلحة في الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الكريم زيدان
مدرس الشريعة الاسلامية
بكلية الحقوق بجامعة بغداد

١ ـ تمهيد

من خصائص الشريعة الاسلامية انها عامة فى المكان والزمان ، بمعنى انها عامة لجميع البشر فى كل مكان وزمان ، وبهذا نطق القرآن الكريم ، قال تعالى : ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) (١) وقال : ((وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا))(٢) وعموم الشريعة الاسلامية غير مقصور على عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو يمتد الى يوم القيامة ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين . قال تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ... (٣) وبختم الرسالة والنبوة انقطع الوحي . وبانقطاع الوحي امتنع نسخ الشريعة ، لان الشريعة الاسلامية وهي وحي الله لا ينسخها الا وحي الهي ، وحيث لا وحي بعد رسول الله فلا يتصور نسخها ولا تبديلها ...

واذا كان ما قدمت يعتبر من الامور الواضحات ، فان من لوازم ذلك ان تكون الشريعة الاسلامية ذات قابلية للبقاء والعموم ، محققة مصالح الناس فى كل زمان ومكان ، اذ لا يجوز فى العقل ان تكون الشريعة كما وصفنا وهي عاجزة عن مصالح العباد ...

٢ ـ ابتناء الشريعة على رعاية مصالح العباد .

يقول الفقيه الشجاع العز بن عبد السلام « ان الشريعة كلها مصالح اما درء مفاسد او جلب مصالح (٤) ويقول الامام الكبير ناصر السنة النبوية شيخ الاسلام ابن تيمية : ومعلوم ان الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان » (٥) .

ويقول أيضا : « فان الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها (٦) .

---

١ ـ سورة الاعراف الآية ١٥٨ ٢ ـ سورة سبأ الآية ٢٨. ٣ ـ سورة الاحزاب الآية ٤٠.
٤ ـ قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام ج١ص (٩١) .
٥ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٤٧ . ٦ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٠ .

« هـذا البحث يبين للقارىء الى أى حد راعت الشريعة المصلحة العامة ويكشف عن قدرتهـا على معالجة المشاكل المستجدة .. هذا أمر مسلم به عند الجميع . والذى نوده أن تكون هناك خطوة ايجابية لاستعمال هذه القاعدة فى علاج المشاكل الحديثة التى نجابهها الآن ونتعدى بذلك نطاق البحث التاريخى الى علاج الواقع .. والمجلة ترحب بكل بحث فى هـذا الصدد وتعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى ما يحتاجه المسلمون الآن » . « الوعي الاسلامي »

ويقول الفقيه المحقق ابن قيم الجوزية: « ان الشريعة مبنـاها واساسها على الحكم ، ومصالح العبـاد فى المعاش والمعاد » (١) .

ويقول الامام الشاطبي : (والشريعة ما وضعت الا لتحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم (٢) .

فهذه النقول عن هؤلاء الائمة الاعلام ، صريحة فى ان الشريعة بنيت على أساس رعاية مصالح العباد فى الدنيا والآخرة ، وسواء أكانت هذه المصالح جلب منافع، أم درء مفاسد لان درء المفاسد وجه من وجوه المصلحة .

٣ ـ أدلة ابتناء الشريعة على رعـاية المصالح .

وما ذهب اليه هؤلاء العلماء هو الحق عين الحق ، وعليـه يدل اسـتقراء النصوص ونهج المشرع فى تشريعه الاحكام، وتشـهد له أصول الشريعة المقطوع بصحتها ونذكر من ذلك على سـبيل التمثيل لا الحصر ما يلى :ـ

أ) جاء فى القرآن الكريم فى تعليـل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم « وما ارسلناك الا رحمـة للعالمين » (٣) ومـن الواضح ان الرحمة هذه تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم .

ب) تعليل الاحكام بجلب المصلحـة ودرء المفسدة اعلام للمكلفين بأن تحصيل المصالح هو مقصود الشارع الحكيـم ، وان الاحكام ما شرعت الا لهذا الفـرض فمن ذلك قول الله تعالى « ولكـم فى القصاص حيـاة يا أولي الالباب لعـلكم تتقون (٤) فتشريع القصاص مصـلحة مؤكدة للناس ، لأن فيه زجرا وردعا لمن تسول له نفسه الاعتـداء على أرواح الناس ، فتحفظ حياتهـم بذلك وقول الله تعالى فى تعليل النهي عن الخمـر والميسر : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضـاء فى الخمـر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعـن الصلاة فهل انتم منتهـون (٥) فالنهى عن الخمر والميسر يحقق مصلحة مؤكدة هي دفع ما يريد الشيطان ايقاعه بـين المسلمين من عداوة وبغضاء وصـد عن ذكر الله وعن الصلاة ....

---

١ ـ أعلام الموقعين لابن القيم ج ٣ ص ١ .
٢ ـ الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٣٧/٦ .
٣ ـ سورة الانبياء الآية ١٠٧ .
٤ ـ سورة البقرة الآية ١٧٩ .
٥ ـ سورة المائدة الآية ٩١ .

ج) من أصـــول الشريعة المقطوع بصحتها رفع الحرج عن الناس وارادة اليسر بهم ودفع العسر عنهم ، قال تعالى: (يريد الله بكـم اليسر ولا يريد بكـم العسر) (١) . وقـال تعالى : « يريد الله ان يخفف عنكـم وخلق الانسان ضعيفا » (٢) وقال عز وجل : « ومـا جعل عليكم فى الدين من حرج » (٣) ولا شك ان رفع الحرج والعسر وارادة اليسر بالعبـاد والتخفيف عنهم كل ذلك من مظاهر رعايـة المصـلحة فى التشريـع الاسلامي .

د) تشريع الرخص بالنسبـة لذوى الاعذار كالمرضى والمسافرين والمضطرين والمكرهين وجه بارز من وجوه رعـاية المصلحة وعدم ارهاق الناس ، فالمريض يفطر فى رمضان ، وكذا المسافر، والمكره على كلمة الكفر لا يكفر بقولها ، والمضطر يباح له تناول المحرمات مـن مطعوم أو مشـروب لان الضـرورات تبيـح المحظورات ...

هـ) وتشريع الاحكام فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بنهج التدرج فلم تأت أحكامه دفعة واحدة وانمـا جاءت متدرجة من حيث زمان تشريعها، ومن حيث انواعها رعاية لمصالح العباد ورفع الشقة عنهـم ، وترويضهم على تقبل الاحكام شيئا فشيئا .

٤ ـ بين الشريعة والقوانين الوضعية .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قـد راعت بجميع احكامها مصالح العبـاد ، وان القوانين الوضعية من أسس وضعها مراعاة مصالح الناس ، فان بين الاثنين مـع ذلك فرقين جوهريين لا يجوز اغفالهما .

الاول :

ان القوانين الوضعية لا تهتـم الا بمصالح الناس فى الدنيا ولا يمتد نظرها الى ما وراء هذه الحياة . اما الشريعـة الاسلامية فهي تنظر الى مصالح العباد فى الآخرة ـ وهي الظفـر بنعيم الجنة ، والنجاة من عذاب النار ـ هي الأهـم والاكثر رعاية فى الشريعة الاسلامية لانها هي الباقية اما مصالح الدنيـا فهي الفانية وشتان بين ما يفنى وما يبقى .*

الثاني :

أن القوانين الوضعية قاصرة عـن تحقيق المصالح على الوجه الاكمـل المطلوب ، لان واضعهـا بشر والبشر لا ينفك عن الجهل والهوى ونقص الادراك، فقد يرى ما هو مفسدة مصلحة وما هو مصلحة مفسدة فيشرع من الاحكام مـا يفوت المصلحة ويجلب المفسدة .

وقد يدرك المصلحة ولكن ما يشرعه من احكام يقصر عن تحصيلهـا وسر المسألة أن صفات الصـانع تظهر على صنعته ومصنوعه ، وحيث ان الانسان مهما يكمل فهو ناقص ومهما يصف فهو لا يخلو من هوى ومهما يؤت من علـم فهو قليل . فان هذه الصفات تنعكس

---

١ ـ سورة البقرة الآية ١٨٥ .
٢ ـ سورة النساء الآية ١٣ .
٣ ـ سورة الحج الآية ٧٨ .

* **المجلة ....**

هذه وجهة نظر ... ولكن هناك وجهة نظـر أخـرى تعتبر ان ما خصصه الله من ثواب فى الآخرة للمحسنين وعقاب للمسيئين انما هو لتحسين اعمال العباد فى الدنيا وصرف هممهم الى السعي لتحقيق مصالحهم وتحسين سـلوكهم . وجزاء الآخرة أهم وأبقى .

على ما يشرعه ... اما شريعة الاسلام فهي من صنع الله جل جلاله مبرأ من كل نقص فله الكمال المطلق ، فما يشرعه من احكام يأتى مبرأ من النقص والهوى ، صالحا للعباد ، محققا لهم الخير والفلاح، لانه من صنع الخالق العظيم العالم بما يصلح لعباده « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٤) .

٥ ـ المصلحة دليل من أدلة الاحكام .

والشريعة فى منهجها فى التشريع وبناء الاحكام على المصلحة ، قد دلت على ان رعاية مصالح الناس دليل من أدلة استنباط الاحكام ، وهذا ما فهمه علماء الاسلام فجعلوا المصلحة أصلا من اصول استنباط الاحكام فكل مصلحة تظهر وليس لها حكم فى الشريعة فان الشريعة الاسلامية تأذن للمجتهدين بتشريع الحكم الملائم لتحقيقها وعلى هذا الاساس سار فقهاء الصحابة الكرام فى استنباط الاحكام دون انكار فيكون ما ذهبوا اليه اجماعا سكوتيا والاجماع حجة ... فأبو بكر رضى الله عنه جمع القرآن لما رأى المصلحة فى ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى قتل الجماعة بالواحد ، واتخذ السجن ، ودوّن الدواوين ، وقاسم ولاته فى أموالهم التي اكتسبوها بجاه السلطة وجعلها لبيت المال وعلي رضى الله عنه قال فى تضمين الصناع ما يهلك فى أيديهم من اموال الناس « لا يصلح الناس الا ذاك » الى غير ذلك من اجتهادات الصحابة المبنية على المصلحة (١) .

٦ ـ ولا يعكر ما قلناه من اعتبار المصلحة أساسا للاستنباط اختلاف الفقهاء فى حجية المصلحة وصلاحيتها لاستنباط الاحكام ، فان هذا الخلاف يحكي فى كتب أصول الفقه على نحو واسع ، ولكن لا نجد آثاره بهذه السعة فى كتب الفقه ، فالفقهاء المنسوب اليهم انكار حجية المصلحة وجدت لهم اجتهادات قامت على أساس المصلحة كما سنذكره بعد قليل ولكن مما لا ريب فيه ان هناك فريقا من الفقهاء أنكر على المصلحة صلاحيتها لابتناء الاحكام عليها ، ولكن هذا الفريق من الفقهاء محجوج بنهج الصحابة القويم فى رعاية المصلحة . وبما قلناه عن ابتناء الشريعة على رعاية المصلحة واما ما احتجوا به فى انكارهم حجية المصلحة فى استنباط الاحكام من ان الشارع الحكيم شرع لعباده ما يحقق مصالحهم، وانه لم يترك مصلحة بلا تشريع والا كان ذلك قدحا فى الشريعة ومناقضا لقول الله تعالى « ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٣) .

فان هذه الحجة ضعيفة لا تنهض دليلا لانكارهم . فالشريعة حقا ، قد راعت مصالح العباد ، وشرعت من الاحكام ما يوصل اليها ، ولكنها لم تنص على جميع جزئيات المصالح الى يوم الدين وانما نصت على بعضها ، ودلت بمجموع احكامها على ان المصلحة هي مقصود الشارع وغرضه من الاحكام ، وان للمجتهدين ـ بناء على ذلك أن يستنبطوا الاحكام لتحقيق المصالح المستجدة والمسكوت عنها . وهذا المسلك من الشريعة فى عدم النص على جميع جزئيات المصالح من محاسن

---

١ ـ سورة تبارك الآية ١٤ ...
٢ ـ الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٤ وما بعدها .
٣ ـ سورة القيامة الآية ٣٦ .

الشريعة لا من مثالبها ومن دلائل صلاحيتها للبقاء والعموم لان جزئيات المصالح تتغير وتتبدل ، وان كان اصل رعاية المصالح قائما ثابتا لا يتغير ، فليس اذن من الضروري عدّ جزئيات المصالح مقدما وتشريع حكم خاص لكل واحدة منها على حدة . وعلى هذا فاستنباط الاحكام على اساس المصلحة لا يكون افتئاتا على حق الشارع العظيم في التشريع ولا يدل على ترك الخالق لعباده سدى ، لانه هو الذي أرشدنا الى رعاية المصلحة والاخذ بها .

والحكم المستنبط على اساسها هو من احكام الشريعة وما عمل المجتهد في هذا النوع من الاجتهاد الا من قبيل الكشف عن حكم الشريعة لا من قبيل التشريع ابتداء .

٧ ـ ضوابط الاخذ بالمصلحة .

والاخذ بالمصلحة ، والاعتداد بها ، واعتبارها من مصادر التشريع لا يكون خلوا من كل قيد مطلقا من كل ضابط . فالواقع ان العلماء وضعوا ضوابط للمصلحة المعتبرة التي تكون اساسا للاستنباط ، فاشترطوا لها ان تكون ملائمة لمقاصد الشارع فلا تخالف أصلا من اصوله ، ولا نصا من نصوصه ، بل يجب ان تكون من جنس المصالح التي قصد الشارع تحصيلها او قريبة منها ليست غريبة عنها . كما اشترطوا لها ان تكون معقولة بذاتها بحيث لو عرضت على اصحاب العقول السليمة ، لتلقتها بالقبول وفضلا عن ذلك ، اشترطوا أن تكون المصلحة مؤدية الى حفظ ما هو ضروري وهو حفظ الدين او النفس او العقل او العرض او المال ، او تحقيق رفع الحرج عن الناس(١) .

وبناء على هذه الضوابط فكل اجتهاد او قول او افتاء او رأي بني على مصلحة متوهمة مخالفة لنص شرعي ، لا يكون هذا الاجتهاد الا باطلا ، لانه اجتهاد في معرض النص والقاعدة الفقهية تقول (لا مساغ للاجتهاد في معرض النص) (٢) ومن هذا النوع من الاجتهادات الباطلة القائمة على مصالح متوهمة ما ذهب اليه بعض الناس من جواز تحريم تعدد الزوجات او مساواة الذكر والانثى في الميراث او اشتراط اذن القاضي لصحة وقوع الطلاق ...

٨ ـ أمثلة من اجتهادات الفقهاء المبنية على المصلحة .

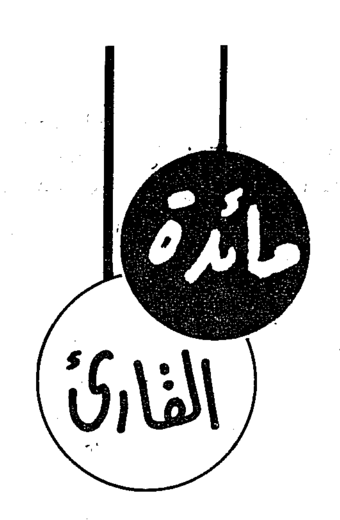
أفتى المالكية بجواز فرض الضرائب على الافراد القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، فقد جاء في تهذيب الفروق « توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه وظهور مصلحته في بلاد الاندلس وفي زماننا لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين سوى ما يحتاج اليه الناس وضعف بيت المال عنه ... الى آخر ما قال (٣) واجازوا شهادة الصبيان

البقية على ص ٥٥

١ ـ الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٣٠٧ ـ ٣١٤ وكتاب الامام مالك لاستاذنا الشيخ محمد ابي زهرة ص ٤٠٢ .

٢ ـ كتابنا المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص٩٥ .

٣ ـ تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية للشيخ محمد علي بن الشيخ حسن مفتي المالكية ، وقد نقل المؤلف ما ذكرناه في الصلب عن الشيخ المالي المالكي بعد ان ذكر عن الشاطبي انه ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس عند الحاجة ج ١ ص ١٤١ .



عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قـــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ..

يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتينك بقـرابها مغفـرة » .

«رواه الترمذى .. وقال حديث حسن صحيح»

« ما عرف التاريخ حاكما أعدل ولا أرحم من العرب »

« جستاف لوبون »

المصــلح

« ليس المصلح مـن اســتطاع أن يفسد عمل التاريخ فهـذا ســـهل ميسـور حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده »

« مصطفى صادق الرافعي »

لا تبكوا علي

مات أبو سفيان بن الحـارث بن عبد المطلب سنة ٢٠ هـ في خلافـــة عمر بن الخطاب وكان قد حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام وعندما حضرته الوفـاة قـال لمـن حـوله : « لا تبكوا علي فانى لم انتطف بخطيئة منذ أسلمت » .

أشباه رسول الله

كان في بنى عبد مناف خمسة رجـال يشبهون في خلقتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) ابن عمه جعفر بن عبد المطلب قال فيه الرسول : (اشبهت خلقى وخلقى) .
(٢) ابن عمه وأخوه فى الرضاعة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .
(٣) ابن عمه قثم بن العباس وقد استشهد وهو يجاهد في سمرقند ودفن فيها .
(٤) السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد الامام الشافعي .
(٥) حفيده الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما .

كيف يكون التواضع

قال بكر بن عبد الله :
« اذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل : سبقني الى الايمان والعمل الصالح . واذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته الى الذنوب فهو خير مني . واذا رأيت اخوانك يعظمونك ويصفونك فقل : هذا فضل أحدثوه . واذا رأيتمنهم تقصيرا فقل : هذا ذنب أحدثته » ..

وفــاء

قام صلى الله عليه وسلم على الصفا يدعو الله بعد الفتح فأحدقت به الأنصار وقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها . فلما فرغ من دعائه سألهم عما كانوا يقولون فأخبروه، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الانصار المحيا محياكم والممات مماتكم » .

أين المفر ؟

تمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذى   نحاذر بعد الموت أنكى وأفظع

ثم قال ــ
« اللهم فأقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وعد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ، ولم يثق الا بك ، فانك واسع المغفرة ، يا رب : أين لذى الخطأ مهرب الا اليك »

انما يعرف الفضل ذووه

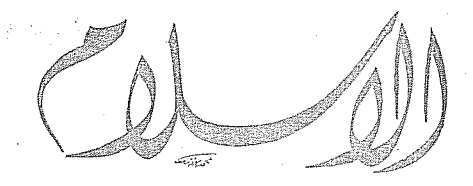
علم سفيان الثورى فى مكة بأن امام أهل الشام عبد الرحمن الأوزاعي قادم الى مكة . فخرج منها يستقبله حتى لقيه بذى طوى فأخذ بزمام بعيره ووضعه على رقبته وسار به . وكان اذا مر بجماعة يشغلون الطريق قال : الطريق للشيخ .

من أنت فتزار ؟

دخل رجل على داود الطائي ، فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : زيارتك .

فقال: أما أنتفقد عملتخيرا حينزرت. ولكن أنظر ، ماذا ينزل بي اذا قيللي : من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد انت ؟ لا والله . أمن العبّاد أنت ؟ لا والله . أمن الصالحين انت ؟ لا والله .

ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا ، فلما شخت صرت مرائيا . والله للمرائي شر منالفاسق.



والمعاملات المصرفية

ـ ٢ ـ

للدكتور محمد عبد الله العربى

عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

« تحدث الدكتور العربى فيما نشر مـن مقاله بالعدد السابق عـن المضاربة الشرعية وعن حكم ما تأخذه البنوك من فائدة نظير ما تقدمه مـن قروض وما يمكن أن يترتب على عملية البنوك هذه من منافع أو مضار .. وهنا يكمل حديثه عن هذا الموضوع ثم يتقدم بما يراه من اقتراحات » .

ان الثابت بحكم الواقـع المعاصر هو ان البنوك ـ بالدور الذي تقوم به فى احلال الائتمان المصرفي محل العملة النقدية اعتمادا على رصيـد الودائـع التي لديهـا واطمئنانها الى استمـرار تدفقه ـ تؤدى للمجتمع نفعا فى تيسير التعامـل التجاري ، ولكنها فى الوقت نفسه تلحق به ضررا بليغا ، ينشأ على الاخص مـن مصدرين : ـ الاول مـا تصيبه هي من غنى غير مشروع بسبب حصولها المحتوم على فوائدهـا المقررة على المقترضين ، واجتنابهـا المسـاهمة فى مخاطر مشروعاتهم . الثاني ميلها فى اوقات الرخاء الى التوسع فى الاقراض بفتح الاعتمادات التي تربو على رصيدها اضعافا مضاعفة ، وميلها فى اوقـات الركـود الى التضييق فى الاقراض او الكف عنه خوفا من احتمالات الخسارة والعمل على استرداد قروضها وارغام المقترضين على السداد ، فهذا البسط والقبض الـذى تتحكـم فيـه ارادة القائمين على البنوك ، هـو مـن أهـم العوامل التي تهز الكيان الاقتصادي ، وتفضي الى تتابع الازمات .

فالبنوك فى المجتمعات الرأسمالية ، بتمويلها للمشروعات عن طريق ارصدة الودائـع تستحدث نفعـا وتستحدث ضررا فى آن واحد . والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على اتقاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه . فكيف نهتـدي بالاصول الاسلامية فى مواجهة هذا الموقف ؟

وهذا هو اقتراحنا ، نستند فيـه الى القاعدة الاصولية فى « الاصـلاح الاجتهادي » اقتـراح يحتمل الخطأ والصواب ، نعرضه فى جملته لاستـبانة وجه الحق فيه : ـ

الودائع النقدية التي يوعها الافراد في البنوك على نوعين : ـ

النوع الاول : ـ الودائع التي تودع بقصد الاحتفاظ بها في مكان أمين ، ويجري المودع السحب منها تباعا . وهذا ما يسمى في العرف المصرفي بالحساب الجاري ، « ودائع تحت الطلب » وهذه لا تدفع عنها البنوك اية فائدة الا في النادر الذي لا يقاس عليه وتحصل عليها عمولة مقابل تكاليف الحفظ وتكاليف الرصد في الدفاتر ... الخ .

هذا النوع من الودائع يخرج عن موضوع بحثنا ، اذ لا تجري عليه فائدة للمودع .

أما النوع الثاني من الودائع : ـ فهو الذي يكون ذا أجل معلوم ، أى ليس تحت الطلب الابعد فترة معينة يحددها المودع عند ايداعه ، ولذايملك البنك التصرف فيه خلال هذه الفترة على ان يرد مثله عند انقضائها . وهنا يقرر البنك للمودع فائدة على المبلغ المودع منه على هذا الوجه ، فائدة ضئيلة تتراوح بين ٢/١ و ٤/٣ و ١٪ على الاكثر من رأس المال المودع . وبالمبالغ التي تتجمع من هذه الودائع يقوم البنك بالاقراض منها بفائدة مرتفعة لعملائه الذين يسددون للبنك أصول قروضهم مع الفوائد المفروضة عليهم ويكرر البنك هذه العمليات تباعا ، فالقروض تخرج من هذا الرصيد تباعا وترتد اليه تباعا .

هذه العمليات ـ سواء من المودع الذي يكسب فوق اصل ماله فائدة منخفضة السعر ، او من البنك الذي يقرض عملاءه ويكسب فوق اصل القرض فائدة مرتفعة السعر ـ وهي في رأيي عمليات ربوية، فالزيادة في أصل المال جاءت بغير مساهمة من المودع أو من البنك في مخاطر أى استثمار بل تحملها المقترض وحده فيما باشره من استثمار مكنه من أداء الفائدة المفروضة عليه ، ولم يكن في نية المودع وهو يودع ماله في البنك ، ولا في نية البنك وهو يقرض عملاءه أن يساهما في هذا الاستثمار بطريق توكيل المقترض في مباشرة الاستثمار نيابة عنهما ، فانه يمنع قيام هذه النية عندهما انهما لم يعتزما من البداية المساهمة في مخاطر هذا الاستثمار ، بل كان تقديم رءوس الاموال الى المقترضين ـ من المودعين بطريق غير مباشر ،ومن البنك بطريق مباشر ـ على اساس اداء فوائد معينة ، سواء نجحت المشروعات موضوع القرض أو فشلت .

كيف نستعيض عن هذا كله باجراءات تكفل نفعه ، وتدفع ضرره ، وتمحق أثمه ، وتستقيم مع حكم الشرع الاسلامي ؟

الآن نتقدم باقتراحنا ونلخصه على الوجه الآتى : ـ

١ ـ الودائع ذات الاجل ـ أى ودائع النوع الثانى السالف الذكر ـ التى يودعها الأفراد لدى بنك أو أى مؤسسة مالية بأى اسم تسمت يودعونها بنية توجيهها واستغلالها فى استثمارات مشروعة فيكونون بذلك هم « رب المال » فى عقد « المضاربة » والبنك من جانبه (او المؤسسة) يكون هو « المضارب » فى هذا العقد ، ثم يمضى البنك فى استثمارها بتوجيهها بدوره فى المشروعات التي يتخيرها ، أى ان عقد المضاربة اتخذ هنا الصورة المطلقة التي اشرنا اليها من قبل ، والتي تجيز للمضارب ان يوكل مضاربا آخر من باطنه فى هذا الاستثمار .

والبنك يعتبر جميع الودائع التي لديه رصيدا متجدد الامتلاء ـ بحسب توالى ايداع الودائع وخروج القروض منها ثم ارتداد هذه القروض الى أصول الودائع عند السداد ـ ويضم البنك الى رصيد الودائع ما يكون نقدا سائلا من راس ماله . ويجعل من هذين المصدرين رصيدا

مشتركا ، يقدمه قروضا واعتمادات الى افراد او هيئات تباشر او تعتزم مباشرةمشروعات استثمارية او التوسع فى مشروعاتهم القائمة .

ويساهم البنك مع اصحاب هـذه المشروعات فىالربح المرتجى وفى الخسارة المحتملة بنسبة يتفق عليها الطرفان ، وتحديد هذه النسبة موكول الى فطنة القائمين على البنك والى محض اختيارهم .

١ ــ هذه المشروعات الاستثمارية بعضها قد ينجح نجاحا كبيرا ، وبعضها قد ينجح نجاحا معتدلا ، وبعضها قد يفشل فلا يأتي بأى ربح ، وقد تتغير هذه النتائج من سنة الى اخرى ففي كل سنة مالية ، أو اذا استقر العرف المصرفي على اجل أقصر ، يقوم البنك أو المؤسسة المالية بتسوية شاملة بين أرباح وخسائر جميع المشروعات الاستثمارية التي وظف فيها اموالا من هذا الرصيد المشترك .

والصافي بعد هذه التسوية يخصم البنك منه أولا مصاريفه العمومية بما فيها الاحتياطيات القانونية . ثم يحدد نصيب الربح الذى يستحقه حملة أسهم البنك . ثم يوزع الباقي على المودعين بنسبة مبالغ ودائعهم ، والأجل الذى بقيته هذه الودائع فى حوزة البنك وساهمت بمقتضاه فى هذا الاستثمار .

وليس من المتعذر ــ من وجهة الفن المالي ــ تدبير معايير عادلة تهتدى بها البنوك فى اجراء تفصيلات هذه التسوية بين الأرباحوالخسائر ،وتفصيلات توزيع هذا الصافي بين مستحقيه ــ من حملة اسهم البنك والمودعين ــ بنسبة استحقاقهم .

وهذا أيضا اشتقاق سليم من عقد « المضاربة » الذى اجازه الشرع الاسلامي .

هذا مجمل اقتراحي فى هذه الناحية من نشاط البنوك والمؤسسات المالية المماثلة . ولا أنكر أنه فى التنفيذ العملي يخالطه بعض التعقيد . فلا شك ان النظام القائم فى البنوك الآن ــ من تحديد فائدة معلومة للمودع وتحصيل فائدة معلومة من المقترض ــ أيسر فى التنفيذ. ولكن شيئا من التعقيد يعدل البعد عن شبهة الربا والنجاة من آثامه ، على ان هذا التعقيد الذى يخشى منه فى البداية سوف يتضاءل تدريجيا ، ويجرى تبسيطه شيئا فشيئا ، كلما درجت عليه البنوك ، ورسمت له المعايير الواضحة ووسائل التبسيط الملائمة ، وكلما ألفه الناس عاما بعد عام فى معاملاتهم المصرفية .

ولا نرى حرجا (تطبيقا لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات) فى تدبير فترة انتقال ــ لتكن خمس سنوات مثلا ــ يتحول فى خلالها نظامنا المصرفي ــ فى مباشرته لهذه الوظيفة بالذات ــ من الوضع القائم الى الوضع المقترح ، حتى تنتهي الارتباطات القائمة وحتى تهيأ الترتيباتالفنيةوالتنفيذية الملائمة.

الى هنا كنا نعالج « الفائدة » من حيث فرضها على قروض انتاجية تتقدم بها البنوك الى عملائها ، لتعاونهم بها فىميادين الانتاج .

القروض الاستهلاكية

وبقي الآن ان ننظر فى أمر القروض الاستهلاكية التي تقدمها البنوك محملة بالربا الى محتاجين يستعينون بها على مطالبهم المعيشية .

فى هذه الوظيفة المصرفية أقترح أن تكف البنوك عن الاضطلاع بها ، كي يبقى نشاطها دائما فى دائرة التنمية الاقتصادية .

وأرى ان تستأثر بهذه الوظيفة منشآت حكومية تتولى جباية الزكاة ـ كلها أو بعضها وتوجه حصيلة ما تجبيه منها الى مستحقي الزكاة في مصارفها المعروفة .

أما غير المستحقين للزكاة ، ممن كانت تدفع حاجاتهم المعيشية الوقتية الى الحصول من البنوك على قروض ربوية قصيرة الأجل . فان منشآت الزكاة تستطيع ان تمدهم ـ بغير فائدة ـ ببعض قروض ذات آجال قصيرة ، يستعينون بها على تفريج كربتهم العارضة على ان يبادروا بردها الى رصيد الزكاة . ويحملهم على الاسراع في سدادها علمهم بأنها سترتد الى رصيد مخصص لمستحقي الزكاة ، علاوة على ما قد تطلبه منهم المنشأة من ضمانات الوفاء .

كذلك نلاحظ ان رصيد الزكاة سوف يتغذى بمورد آخر فياض : فانه ما دام المجتمع الاسلامي قائما بالقسط على أداء ما تفرضه الملكية من التزامات ايجابية وسلبية . فان رصيد الزكاة سوف يتغذى باستمرار بتبرعات متوالية من المنفقين في سبيل الله . وقد يتألف من هذه التبرعات ذخر ثمين يساعد منشآت الزكاة على مواجهة هذه الوظيفة الثانية : **اقراض غير المستحقين للزكاة بغير ((فائدة)) .**

يتضح مما قدمت في اقتراحي هذا ان الفكرة الغالبة فيه هي احلال التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الاسلامي بالنسبة للقروض الاستهلاكية ،والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الانتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفي السائد في الاقتصاد الغربي .

فالزكاة ، والانفاق في سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة الى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما في القروض الانتاجية فالمال الذى اودعه صاحبه في بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهي عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله في التنمية الاقتصادية وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار ـ العنصر الأساسي في تكوين رأس المال القومي .

والبنك من جانب آخر ـ بما فيه مساهموه ـ سينال ربحه المشروع ، جزاء وفاقا على ما بذل من جهد بصبر وفطنة واعية في توجيه مال المساهمين ومال المودعين في استثمارات مجزية .

هذه الروح التعاونية التي تجمع بين رأس المال والعمل في تحالف سليم هي روح اسلامية خالصة . وقد بدأت بعض الدول الاسلامية ـ وجمهوريتنا العربية المتحدة في طليعتها ـ في سعيها الى بعث اقتصادى شامل : بدأت تجعل لهذه الروح التعاونية بين العمل ورأس المال المقام الأول في برامجها الاقتصادية . فأنشأت البنوك التعاونية في اهم ميادين الانتاج ، ووجهت البنوك القائمة في هذا الاتجاه التعاوني ، كما جعلت المؤسسات التعاونية تباشر وظائف مصرفية على هذا النهج التعاوني ، وبثت فروع هذه المؤسسات المختلفة في أرجاء البلاد .

واني اقترح ـ متى قامت هذه المؤسسات التعاونية في كل بلد اسلامي، وعم توجيه البنوك القائمة فيه هذا الاتجاه التعاوني ـ ان يقوم من بين هذه المؤسسات جميعها ((بنك تعاوني)) للعالم الاسلامي ، تساهم في رأس ماله جميع البنوك والمؤسسات ذات الصبغة التعاونية في سائر الاقطار الاسلامية ، لكي يؤدي الرسالة التي نكث عن القيام بها البنك الدولي للانشاء والتعمير (او قام بها في بلدان دون بلدان أخرى) .

وعندما نتذكر مصادر الثروة الضخمة الكامنة في الاقطار الاسلامية ، والتي لا يزال اكثرها مغمورا عقيما ينتظر فيضا من رؤوس الأموال لاستثماره ، لا يخالجنا شك في ان انشاء هذا البنك التعاوني العالمي الاسلامي سيكون نقطة التحول في بعث الأمة الاسلامية .



الإسلام ومقومات الحضارة

ـ ١ ـ

ان الحضارة السليمة : هي الحضارة التي استكملت جميع مقوماتها ، ولا خلاف بين ذوى الآراء المستنيرة فى أن مقومات الحضارة الأساسية انما ترجع الى أربع : العلم ، ومما لا شك فيه ، أنه لا يتأتى أن تقوم حضارة بدون علم ، والعلم اذن : هو الأساس الأول الذى تبنى عليه الحضارات ، بل انه قد تقوم حضارة ما على العلم وحده ، فيكون العلم : هو المقوم الوحيد لهذه الحضارة ، ولكنها تكون حضارة ناقصة ، بل تكون حضارة بتراء .

والمقوم الثاني للحضارة الذى لا تقل أهميته عن أهمية العلم ، والذى اذا وزنا الأمور بمقاييس الروح وقسناها بموازين اسعادالانسانية ، يَفضلُ العلم المادى ، هو الجانب العقدى .

والعقيدة اذن هي : المقوم الثاني للحضارة ، فاذا ما انتفت العقيدة ، وزالت فقامت الحضارة على العلم وحده ، فان الانسانية تشقى بها شقاء لا يعوضه ما تجد من ترف مادى يكفله لها العلم المادى .

بيد أن العقيدة اذا ما أصبحت شكلا ورسما ، أو صورة وهيكلا ، فانها لا تفيد كثيرا فى أن تسم الحضارة بسمة الروح الحقة ، أو تطبعها بطابع الانسانية الكريمة ...

ولا بد اذن من الجانب الثالث وهو الأخلاق ، وما من شك فى أن الاخلاق بدون عقيدة ، لا تقوم لها قائمة ، وانما تكون سفسطة ، لا غناء فيها ، أو فلسفة جدلية ، لا تنبع من القلب ، ولا تثبت أمام تيارات الأهواء .

ان الرحمة والاخاء ، وان المودة والتعاون وان الشجاعة والكرم ، وان الفضيلة على وجه العموم ، وان الخير فى صوره المتعددة ، ان كل ذلك لا يكون وليد دراسات فلسفية ولا نتاج جدل كلامي .

والأخلاق التي تكون مقومة للحضارة اذن ، مؤثرة على القلب ، غامرة للكيان

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

الانساني : انما هي الأخلاق الدينية ، فاذا ما انفصلت الاخلاق عن الدين ، فانها لا تساوى ، فى موازين الرحمة والاخوة ، أو بتعبير أدق فى عالم القلوب والارواح قلامة ظفر .

ان الانسان لا يخضع فى سلوكه الأخلاقي للفلسفة ، وهي متعارضة مختلفة ، وهي تذهب فى الشرح والتعليل والتوجيه كل مذهب ، وهي تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، وتنقض غدا ما أبرمته اليوم .

ان الفلسفة ـ هكذا وجدت ، ونمت وتطورات ، واستمرت ـ متأججة ، لا دوام لها على رأى ، ولا استقرار لهاعلى حال .

واذا كانت العقيدة التيتعنيها ويعنيها المصلحون ، كمقوم للحضارة : انما هي عقيدة من وحي السماء ، فان الأخلاق التي نعنيها والتي يعنيها المصلحون المخلصون انما هي من وحي السماء .

أما المقوم الرابع ، فانه التشريع العادل : والتشريع العادل ، هو التشريع الذى يلم واضعه بظروف الانسان وطبيعته وفطرته الماما كاملا ، فيصدر التشريع على علم تام ، ولا يتأتى ذلك لبني البشر ، وتشريع بني البشر ـ حسبما شاهد المشاهدون ـ لا يقود الناس للخضوع له عن طواعية واختيار ، بل يقودها للطاعة رهبة القانون ، وهي كلما أنست من نفسها استطاعة الفرار من طائلة القانون أخلت به ، وكلما أنست من نفسها المقدرة على هدم أسوار القانون هدمته ....

ولا بد أذن من تشريع تنقاد له الانسانية طواعية واختيارا وهو التشريع الالهي :

العلم ، والعقيدة ، والأخلاق ، والتشريع : تلك هي مقومات الحضارة السليمة ، وكل حضارة لا تتوفر فيها هذه المقومات ، فانما هي حضارة ناقصة بمقدار نقص مقوماتها .

ـ ٢ ـ

فلننظر الآن فى الاسلام فى ذاته ، وفي الاسلام من خلال التاريخ حتى نتبين مدى تضمنه لهذه المقومات ، ومدى تحقيقه لها على مر الزمن مقارنين كل ذلك بالحضارة الحديثة .

ونبدأ بالعلم . ولا ريب فى أنالحضارة الحديثة ، بدأت فى قوة جارفة بمنهجين فى العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان

أحدهما : المنهج الحسي التجريبي ، أو المنهج البيكوني .

والثاني : المنهج العقلي البدهى ، أو المنهج الديكارتي أو المنهج الحدسي حينما نفسر الحدس ، كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن الى المطلوب بسرعة .

وكل من المنهجين نشأ معارضا ، لمنهج القياس الأرسطى :

وكل منهما يرى أن القياس الأرسطي : انما يعني بالصورة والشكل ، ولا شأن له بالحقيقة والجوهر ، بل ولا شأن له بالواقع والتطبيق . ومن أجل ذلك سمي بالمنطق الصورى : أى منطق الصورة لا الجوهر .

والمنهج البيكوني : هو منهج علمي .

أما المنهج الديكارتي : فانه منهج فلسفي .

وسنتحدث عن منهج ديكارت ان شاء الله ، حينما نتحدث فى مقال تال عن العقيدة أما الآن فسنقصر الحديث على المنهج التجريبي :

انه منهج الاستقراء أى تتبع الجزئيات ــ عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ــ للوصول الى الحكم عليها فى صورة من صورها حكما كليا أو ــ بعبارة أخرى ــ للوصول الى اكتشاف القوانين العامة ، أو للوصول الى معرفة نواميس الكون .

ومجال الاستقراء : انما هو الطبيعة ، لأنه ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة .

وأداته الحس ، فهو ملاحظة محسوسات .

— ٣ —

وعلى أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوروبية الحديثة بكل ما فيها من صناعة فى الطبيعة ومن اكتشافات فى الكيمياء ، ومن قوانين فلكية ، من اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية .

وعلى أساس من هذا المنهج أيضا ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كما وكيفا الى ما شاء الله .

وهذا المنهج فى المشهور المتعارف يدين فى وجوده الى « فرنسيس بيكون » ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوروبي يدين « لروجر بيكون » ، أكثر مما يدين لغيره ، والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه .

بيد أن روجر بيكون ــ على خلاف مواطنيه ــ يعترف فى صراحة لا لبس فيها ، وفى وضوح لا شائبة فيه أنه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية.

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون جاهدين أن ينكروها ، ويخفوها فيما مضى يعلنها الآن بعض المنصفين منهم ، فها هو ذا الأستاذ « بريفولت » يتحدث فى كتابه : « بناء الانسانية » عن أصول الحضارة الغربية فيقول :

ان روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية ، فى مدرسة اكسفورد ، على خلفاء معلميه : العرب فى الأندلس .

وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون : الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى اوروبا المسيحية ، وهو لم يَمَلَّ قط من التصريح : بأن تعلم معاصريه للغة العربية ، وعلوم العرب : هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي . هي طرف من التحريف الهائل ، لأصول الحضارة الأوروبية .

وقد كان منهج العرب التجريبي ، فى عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوروبا :

ويقول بريفولت أيضا :

« لقد كان العلم ، أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث : ولكن ثماره كانت بطيئة النضج .

ان العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب فى اسبانيا . لم تنهض فى عنفوانها الا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام .

ولم يكن العلم وحده : هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة ، بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية : بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوروبية(١) .

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادى عن الاسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه ، وباعتراف المنصفين من المؤرخين وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقال لقائل .

ومع ذلك فان المنهج الاسلامي ، أكمل وأتم ، وأشمل ، وقد أخذته أوروبا ناقصا ، وفي المقال التالي ان شاء الله ، سنتحدث عن موقف الاسلام من العلم وعن المنهج العلمي فى الحضارة الاسلامية فى عمومه وشموله .

وبالله التوفيق

---

١ — انظر كتاب التجديد الديني فى الاسلام للدكتور اقبال ترجمة الأستاذ عباس محمود .

الإسلام دين ودنيا

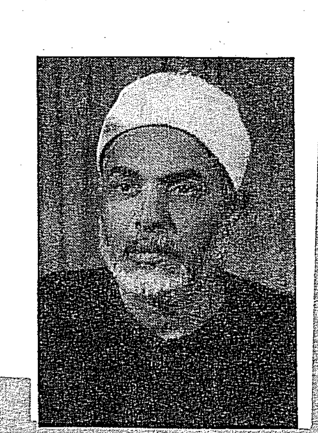
الاسلام شريعة الله الخالدة التي ختم الله بها شرائعه السماوية، ودستوره الأعظم هو القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة الثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو فى هذين الأصلين العظيمين ــ القرآن والسنة ــ نراه دينا عمليا ، ينظر الى الحياة نظرة اجتماعية ، تثير فى الناس عوامل التسابق الى الخير والتنافس فيه .

والعمل للدنيا اذا قام على أصول الهداية الشرعية ــ يراه الاسلام تدينا وعبادة ، يحث عليه حثا شديدا ، ويطلبه طلبا مؤكدا ، ولم يقيد الاسلام الناس فى طلبهم الدنيا والعمل لها باكثر من أن تكون حلالا طيبة ، ولم يقيد العمل لها باكثر من الاخلاص وحسن النية .

وقد فهم المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين الذين كانوا يُحكّمون الاسلام فى حياتهم وكان الاسلام يعيش معهم ممثلا فى أعمالهم ــ الدين هذا الفهم الواعي ، فلم يعطلوا سنن الله فى الحياة ، ولم يقعدوا عن العمل لاصلاح دنياهم ، منقطعين فى صوامع التعبد ، تاركين السعي فيما ينفعهم ، وينفع أمتهم ، بل شمروا عن سواعد الجد فى العمل للدين والدنيا ، وكانوا يرون أن فى العمل للدنيا عصمة للدين وعدة المجاهدين ، فاستثاروا خزائن الارض ، وضربوا فى أرجائها ، ومشوا فى مناكبها يبتغون من فضل الله استجابة لداعى ارشاده فى قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » وعملا على تقدير انعامه ، وشكرا لمننه فى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وتمجيدا لنعمة تسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس وحاجاتهم ، مما امتن به القرآن الكريم على الانسان تحقيقا لخلافة الله فى الارض فى قوله تعالى « وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » وقوله تعالى « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

وفى هاتين الآيتين من الحث على العمل للدنيا ما لو عمل به المسلمون لكانوا



لفضيلة الشيخ محمد صادق عرجون
وكيل المدير العام للمعاهد الازهرية

يعرض هذا المقال لحقائق مبسوطة فى القرآن والسنة ، منذ عرفهما المسلمون ، ولكن غفلتهم عن هذه الحقائق وبعد حياتهم عن الأخذ بها ، وكثرة التهم التي توجه للاسلام من أجل سلوك أهله ، كل ذلك أحوجنا الى أن ننبه الى هذه الحقائق ، حتى يقيم المسلمون حياتهم عليها ، ويستمدوا نهضتهم ووثبتهم منها ، ليكونوا دائما فى رحاب الله ...
« الوعي الاسلامي »

اليوم فى الرعيل الاول ، وطليعة الامم الراقية علما وقوة وكمالا .

وليتأمل القارىء من الآيتين قوله تعالى « خلق لكم » وقوله « سخر لكم » ليرى بنافذ بصيرته أن الله الذى خلق الطبيعة ، وأودع فيها من القوى والاسرار ما حير العقول ، وأدهش العلماء قد بسط سلطان السيادة عليها للانسان ، وجعلها مخلوقة لأجله ، ومسخرة له ، ليكشف عن سرائرها ، ويستخدم قواها فيما ينفعه ويرفع شأنه ويرفه عيشه ، وفى هذا من أسرار المعارف الانسانية ، ومطارحات الأفكار ومدارك العقول ما يعد فى نظر العلم من أعظم معجزات القرآن الكريم — ولكن المسلمين منذ أعرضوا عن العمل للدنيا ، وانقمع سلطانهم عن خلافة الله فى الارض ، فتقوضت دولتهم الموحدة لم يفهموا من اسرار القرآن العلمية وبارع حكمه فى آياته الآفاقية ما كان يفهمه الصدر الأول من أسلافهم الذين لم يضيعوا الدين للدنيا ، ولم يطرحوا الدنيا للدين .

وقد كان صفوة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغلون بالتجارة والزراعة ، ويحترفون شتى الصناعات، وكانت لهم أموال نامية ، وثروات طائلة، يؤدون فيها حق الله تعالى وحق القرابة، وحق الجار والصديق ، وحق الوطن وأخوة الاسلام .

النشاط الإسلامي ينهض بالمجتمع

وقد تولى أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الخلافة وهو يحترف التجارة. روى البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استخلف أبو بكر الصديق قال : لقد علم قومى أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي ، وشغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل ابي بكر من هذا المال ، ويحترف فيه للمسلمين . وروى ابن سعد قال ! لما استخلف ابو بكر رضي

الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رأسه أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهما ، فقالا : كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالوا : نفرض لك، ففرضوا له شطر شاة .

وكذلك كان عمر بن الخطاب تاجرا يعمل فى التجارة عمل المجتهد القوى حتى كان يقول:ألهاني الصفق بالاسواق، يعني الخروج للتجارة ، ولما تولى الخلافة أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : اني كنت امرأ تاجرا ، وقد شغلتموني بأمركم هذا ، فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال ؟ فقالوا : لك ما يصلحك ، ويصلح عيالك بالمعروف . ليس لك من هذا الأمر غيره.

وكان عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، والزبير بن العوام : وطلحة بن عبيد الله من أكثر تجار المسلمين فى الصدر الأول أموالا ، وأوسعهم ثراء حتى قيل ان ربع الثُمُن فى تركة بعضهم بلغ ثمانين ألفا .

وكان الأنصار أهل غرس وزراعة ، يعملون فى حوائطهم ومزارعهم بأنفسهم فكثرت منها أرزاقهم واتسع ثراؤهم ، فواسوا اخوانهم المهاجرين ، وأيدوا دعوة الاسلام ، وأنفقوا فى سبيل الله . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من تبوك استقبله معاذ بن جبل ، فصافحه فأحَسَّ النبي صلى الله عليه وسلم فى كفه خشونة ، فقال له : كنبت يداك ــ أى غلظت ــ فقال معاذ : نعم أحترث بالمسحاة ، وأنفقه على عيالي ، فقبله وقال يد لا تمسها النار . روى البخارى عن ابى هريرة قال يقولون : ان أبا هريرة يكثر الحديث ، والموعد الله، ما للمهاجرين والانصار ــلا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وان أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق ، وان اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم ، وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأحْضُر حين يغيبون وأعى حين ينسون .

ومن عظيم عناية الاسلام التي تجعل العمل للدنيا من الدين أننا نجد القرآن الكريم يحث على الاخذ بأسباب الرزق والمرابحة فى مواطن العبادة ومواسم الطاعة ، قال الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) قال ابن عباس أي فى مواسم الحج روى البخارى فى سبب نزولها عنه قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرى الناس فى الجاهلية ، فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ــ فنزلت الآية .

العمل للدنيا من الدين

وليس أدل على تقدير الاسلام للعمل للدنيا من أن الله تعالى جعل التجارة باعثا من بواعث الحج ، وحكمة من حكمه فقال (ليشهدوا منافع لهم) قال مجاهد: المنافع هنا هي التجارة ، وجعلها من آياته الدالة على عظيم قدرته ، وباهر عظمته ، لما فيها من التقلب والتصرف فى البر والبحر ، والحل والترحال ، فقال عز شأنه : (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) ، وقد وصف القرآن بها المؤمنين فى مقام التنويه بما هي عليه من عمل الخير ، وجعلها من فضل الله فقال جلت حكمته : (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) . وقد عظم النبي صلى

الله عليه وسلم منزلة التاجر الصدوق فقال : (التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين) .

وكما عني الاسلام بالتجارة — وهي من أهم أعمال الدنيا — عني بالزراعة وحض عليها ، ورغب فيها روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يغرس مسلم غرسا ولا زرعا ، فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء الا كان له فيه أجر) وذكرها القرآن في معرض الامتنان والتدليل على بديع صنع الله تعالى فقال (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) .

وكذلك عظم الاسلام شأن سائر الصناعات والحرف على اختلاف فنونها. روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل يقال له أبو رافع يحترف الصياغة، فوجده يقرأ ويصوغ فقال له : يا أبا رافع انت خير مني ، تؤدى حق الله تعالى ، وحق مواليك — وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سألهم : ما المروءة فيكم ؟ قالوا العفة والحرفه ، وكان عمر بن الخطاب اذا نظر للرجل فأعجبه سأل : اله حرفة ؟ فاذا قالوا : لا سقط من عينه.

ومن تعظيم الاسلام لمرافق الارزاق ومجامع الاموال ، واعتبار العمل للدنيا من الدين انه جعل التجارة والزراعة ، وسائر أصناف الصناعات من فروض الكفاية التي يجب على الامة القيام بها ، والتي لا بد ان يوجد في أبنائها من يسد حاجتها ، ويكفيها أمرها حسبما يقضي به عصرها ، ولا سيما الصناعات العلمية وصناعات الدفاع وحماية الأوطان . قال الله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) — ونحن في عصر تتسابق فيه الامم لترقية صناعاتها ، وتنمية تجاراتها واكثار مزروعاتها ، ولا يمكنا اللحاق بها الا اذا نافسناها في طرائقها ، وأعمالها في حدود تعاليم ديننا وشريعتنا .

وقد كان المسلمون الأولون في عصر الصحابة والتابعين من أحرص الناس على استصلاح أموالهم وما خولهم الله من نعمة الدنيا ، لعرفانهم قدرها في حفظ الدين والكرامة وعزة الاوطان ، ومواساة الاخوان ، وأداء الحقوق والواجبات ، واكتساب المودات . قال سعيد بن المسيب وكان يتجر في الزيت — ولأني عتبه بن ابي سفيان ماله بالحجاز فقال : تعهد صغير مالي يكبر ، ولا تجف كبيره فيصغر فانه ليس يمنعنى كثير ما في يدى من اصلاح قليل مالي ولا يشغلني قليل ما في يدى عن الصبر على كثير ما ينوبني .

وكان زياد بن أبي سفيان يقول : لو ان لي الف الف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره . وقال عمر بن الخطاب : أصلحوا أرزاقكم ، فان في الأمر متنفسا ، ويروى أن قوما أتوا قيس بن سعد الانصارى يسألونه حَمَالة (أى دية يحملها عنهم) — وكان أحد أجواد الاسلام ، فصادفوه في حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر ، فيعزل جيده ورديئه ، فقاموا حتى فرغ ، فكلموه في الذى جاءوا له ، فبذل لهم ما أرادوا ، فقال بعضهم : صنيعك هذا مناف لما رأينا من فعلك ، فقال لهم قيس رضي الله عنه : بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم .

فليتأمل أبناء وطننا واخواننا في أقطار الاسلام صنيع أسلافنا الاماجد وما كانوا

عليه من العمل للدنيا مع العمل للدين ، وقد ملكوا الدنيا وسادوها ، وما يطالعنا به تاريخهم من الحرص الموفق فى مباشرة تثمير دنياهم واستصلاح أموالهم ، ليؤدوا فيها الحقوق والواجبات ، ويرفعوا بها شأن أمتهم وأوطانهم .

كلكم خير منه

والاسلام حارب البطالة والكسل ، وطارد الاستجداء والتعطل ، وحث على الجد والعمل ، بل جعل العمل للدنيا فى سبيل الكرامة والعزة أفضل من أمهات العبادات فى التطوع .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن قوما قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ، ويقوم الليل ويكثر الذكر : فقال أيكم كان يكفيه طعامه وشرابه فقالوا : كلنا . قال : كلكم خير منه . روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبىالله داود عليهالسلام كان كان يأكل من عمل يده) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه ، أو يمنعه)) .

روى أبو داود فى سننه قال : أتى رجل من الانصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بل حِلْس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما للانصارى ، وقال له اشتر بأحدهما طعاما ، فانبذه لأهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال له اذهب ، واحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضهما طعاما ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا خير لك من أن تجىء المسالة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، ان المَسْأَلة لا تصلح الا لذى فقر مدقع ، أو لذي غُرْم مفظِع ، أو لذي دم موجِع .

الفراغ مفسدة

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أحذركم عاقبة الفراغ فانه أجمع للمكروه . ويقول: ان كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . ويقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض ، وكان عمر يحب القوة فى العمل ويكره التماوت والاستضعاف . روى أنه نظر الى رجل يتخاشع،ويتماوت ويظهر نسكا وتعبدا، فخفقه بالدرة وقال : لا تمِتْ علينا ديننا ــ أماتك الله ، وكان يقول : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، لا يزيد الخضوع على ما فى القلب . وكان ينصح المسلمين بعلو الهمة فيقول : اجتهد ألا تكون دَنِيَّ الهمة ، فانى ما رأيت شيئا أسقط لقوم من تدانى الهمة ، ويقول : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ــ ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه .

بعضهم على بعض فى الجراحات للمصلحة لانه لا يشهد لعبهم ــ عادة ــ غيرهم وان لم يتوافر البلوغ وهو من شروط قبول الشهادة (١) .

وقال الشافعية بجواز اتلاف الحيوانات التى يقاتل عليها الاعداء واتلاف أشجارهم اذا كانت مصلحة الظفر بالاعداء والغلبة عليهم تستدعى ذلك (٢) ، وعند الحنفية من ضروب الاستحسان ، الاستحسان بالمصلحة ومنه تضمين الصناع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس مع أن أيديهم أيدى امانة . ومن اخذهم بالمصلحة ما ذهب اليه ابو حنيفة ، فقد قال ابو يوسف عنه ، « قال ابو حنيفة رضى الله عنه : (واذا أصاب المسلمون غنائم من متاع او غنم فعجزوا عن حمله ذبحوا الغنم وحرقوا المتاع ، وحرقوا الغنم كراهية ان ينتفع بذلك اهل الشرك) (٣) وذهب الامام احمد بن حنبل الى نفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه من شرهم (٤) ، كما افتى بجواز تخصيص احد الاولاد بالهبة لمصلحة معينة كأن يكون مريضا ، او صاحب عيال ، أو طالب علم او محتاجا (٥) ، وقال الفقهاء الحنابلة ان لولي الامر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند حاجة الناس اليه ، وله ايضا ان يجبر اصحاب الحرف والصناعاتالتى يحتاجها الناس على العمل بأجر المثل اذا امتنعوا عن العمل .

٩ ــ ومن هذا كله يتبين لنا عظيم مكانة المصلحة فى الشريعة الاسلامية ومدى رعايتها ، فقد قامت الشريعة على اساس تحقيق مصالح الناس وارشدت المكلفين الى اعتبارها وعدها من اصول الاستنباط الفقهى ، وعلى هذا النهج سار فقهاؤها العظام فتركوا ثروة عظيمة من الفقه المبنى على المصلحة ومهدوا الطريق لمن يأتي بعدهم للسير على نهجهم دون تهجم على الشريعة ولا تجاوز للحدود المرسومة للاجتهاد المصلحي ، والله الموفق للصواب

يشكو الفقر

شكى بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اهتمامه به ، فقال له :

« أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة الاف درهم ؟ قال : لا

فقال له : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندكعروضبخمسين ألفا ؟ »

---

١ ــ بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٨٤ .
٢ ــ الاشباه والنظائر للسيوطي ص ٦٠ ــ ٦١ .
٣ ــ الرد على سير الاوزاعي للامام ابي يوسف ص ٨٣ .
٤ ــ المغنى لابن قدامة الحنبلي ج ٦ ص ١٠٧
٥ ــ الطرق الحكيمة ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

اعرف عدوك

قصة اليهودية كاملة

للاستاذ : فتحي يكن

رئيس تحرير مجلة المجتمع الاسلامي ــ بلبنان

حقيقة يكشفها التاريخ فى وقائعه المثيرة وصفحاته الكثيرة .. بين أمسه ويومه .. ومن خلال ماضيه وحاضره ..

حقيقة لا تزيدها الأيام الا رسوخا ..ولا تكسبها الأحداث الا وضوحا .. انها الاتهام العريض الذى يكشف عن (الدور) الذى تلعبه اليهودية من وراء الأحداث والمؤامرات والفتن ، فى أرجاء الأرض وعلى مر العصور ...

الحقيقة التي تدمغ (اليهود) بأبشع ما يحتوى عليه القاموس من نعوت وأوصاف.

الحقيقة التي حكى عنها (القرآن) ، وتكلمت عنها الأديان ، وتحدث عنها التاريخ ، وشهدت مآسيها وآلامها ودموعها (فلسطين) أرض الأنبياء والرسل ، مهد عيسى ، ومسرى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . *

(اليهودية) وراء كل مؤامرة ...خلف كل فتنة .. سبب كل مأساة ..

(اليهودية) تتحكم بما يملكه أصحابها من امكانيات مادية واعلامية فى مقدرات الدنيا جميعا ، وتخضع لمصالحها السياسات جميعا ، وتفرض وجودها على الدول الكبرى جميعا ...

شهادة القرآن :

ولنبدأ الكشف عن هذه الحقيقة من الأول ..

لقد حكى القرآن الكريم أغرب القصص عن طبيعة هذا الشعب (بني اسرائيل) الناد عن أمر الله ، المتمرد على أبسط قواعد الانسانية والكرامة ...

تحدث عن مجانبتهم الحق ، ومعاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء والمرسلين والمصلحين وتلذذهم بسفك الدماء .. فقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب

منطق القرآن
منطق التاريخ
منطق الأحداث

وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١) .

« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » (٢) .

« لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ، وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (٣) .

الجحود والبهتان

وقصّ القرآن الكريم قصة جحودهم وبهتانهم بما يصمهم بالخزي والعار أبد الآبدين ... لقد كفروا بأنعم الله وفضله عليهم ، اذ اخرجهم من أرض الذل والعبودية (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) (٤) وخلصهم من بطش فرعون وجنوده (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) (٥) ولكن النفوس الوضيعة والطباع اللئيمة لا يزيدها المنّ والفضل والكرم الا لؤما واعراضا واستكبارا .. فما كاد موسى يتركهم لميقات ربه ، حتى ارتدوا عن دينهم ، وكفروا بربهم ، وعبدوا العجل من دون الله (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) (٦) .

حرصهم على الحياة

ولقد ذكر القرآن الكريم مدى حرصهم على الدنيا ، وحبهم للمال ، وسعيهم لجمعه وكنزه عن أى طريق وبأية وسيلة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة .. ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ، والله بصير بما يعملون (٧) .

بالمال يشترون الذمم .. وبالمال يثيرون الفتن .. وبالمال يحيكون المؤامرات .. وبالمال يهتكون الأعراض .. وبالمال يتحكمون في سياسة العالم أجمع ..

شهادة الاسلام :

ومكائد اليهود للاسلام ولرسول الأسلام امتلأت بها صفحات التاريخ الاسلامي

---

١ — ٨٧ سورة البقرة ٢ — ٢١ آل عمران ٣ — ٧٠ المائدة ٤ — ٤٩ البقرة
٥ — ٥٠ البقرة ٦ — ٥١ ، ٥٢ البقرة ٧ — ٩٦ البقرة

فى كل عصر من عصوره ، وفي كل قطر من أقطاره ...

ففي عصر النبوة حاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر من مرة .. ولقد ذكر (ابن هشام) : أن الرسول خرج الى (بني النضير) فى سنة ثلاث ، يستعينهم فى دية قتيلين من بني عامر قتلا خطأ .. فأتمروا به (أى بنو النضير) ليقتلوه وقالوا : مَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام راجعا الى المدينة .

وهم الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين سنة خمس .. فخرج نفر من بني النضير وبني وائل الى قريش ، فدعوهم الى حرب رسول الله ، وقالوا : انا سنكون معكم حتى نستأصله .. ولما قال لهم المشركون : يا معشر يهود : انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ أجابوهم بكل قحة وضلال (بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه) فنزل فيهم قول الله ، وحقت عليهم لعنته وعذابه (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا ، هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (١) .

شهادة التاريخ :

وصفحات التاريخ تلاحقهم باللعنات ، لأنهم كانوا أعداء الانسانية أعداء الحق أعداء الخير ..

فالعداء بينهم وبين (المسيحية) عداء قديم .. فنظرة (التلمود) الى المسيح حقا مؤلمة .. **فهناك شتائم سفيهة فى التلمود لعيسى بن مريم عليه السلام .. فقد زعموا فيه (ان ولادة المسيح غير شرعية ، وكالوا الاهانات لوالدته العذراء .. ووصفوه بأنه ساحر ، وخارج عن الايمان ، ومحروم وخاطىء ، ومسير الجماهير الى الخطيئة ، ومختلس لاسم ((يهوه)) المبارك من قدس أقداس الهيكل . لينعم بالحياة الهانئة ، ويعاقب فى جهنم الى الأبد وسط الأقذار الفائرة) .**

وفى التلمود أيضا صلاة يرددها اليهود ثلاث مرات فى كل يوم هذا نصها : ((ليهلك النصارى وعبدة الأصنام فى لحظة .. ليحذف اسمهم من كتاب الحياة ، وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين)) ...

وعندما استولى الفرس على مدينة القدس وأخذوها من البيزنطيين عام ٦١٤ م قتلوا عددا كبيرا من سكانها المسيحيين بتحريض من اليهود . وتقول المخطوطات المسيحية التي كتبت باللغة العربية سنة ١٠٤٠ م وسنة ١٣٢٨ م أن عدد المسيحيين الذين تسبب اليهود فى قتلهم يبلغ (٦٥٠٠٠) مسيحي منهم (٢٤٠٠٠) القي بهم أحياء فى بركة (ماميلا) أو الكهف المجاور لها ..

من فمكم ندينكم :

وقد لا نحتاج الى كثير عناء اذا أردنا التدليل على ما ذكرنا بوثائق من كتبهم ..

---

١ — ٥١ سورة النساء

يقول التلمود (ان اليهود قد خلقوا ليحكموا العالم ، ولكن سيادتهم لا يمكن أن تبدأ قبل انتزاع السيادة من زعماء الشعوب الحاكمة ، وقبل أن تنتهي الامبراطوريةالمسيحية التعسة الدنيئة). ويقول (لقد خلق الله غير اليهود في صورة انسان مع أنهم متساوون مع الحيوان لكي يخدموا اليهود ليل نهار) .

من شريعة موسى

جاء في تثنيه ح ٢٠ع : (أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك فلا تستبق منها نسمة .. ثم حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك) .

من مزامير داود

وجاء في المزمور (١٤٩) من مزامير داود (ليبتهج بنو صهيون بملكهم كي ينزلوا نقمتهم بالأمم وتأديباتهم بالشعوب ويأسروا ملوكهم بقيود ، وأشرافهم بأغلال من حديد ، وينفذوا فيهم الحكم المكتوب) .

من بروتوكولات حكماء صهيون

أما عن بروتوكولات حكماء صهيون فحدث ولا حرج .. ويكفي أن ننقل هنا تعليق جريدة (التايمس) اللندنية بعددها الصادر بتاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٠ على هذه البروتوكولات ليدرك القارىء مدى ما انطبع عليه اليهود من لؤم وشر واجرام .. **تقول الصحيفة : (نظم اليهود منذ أجيال تدبيرا سياسيا دوليا.. يشتم من ذلك التدبير رائحة البغض التقليدى الدائم للدين المسيحي ، وجشع التسلط على العالم . ان الغاية التي سار اليها اليهود خلال الأجيال هي تهديم الدول والحكومات والاستعاضة عنها بحكم دولي يهودى .. وهذا الحكم الدولي اليهودى الجديد يرى أن الجماعات قطعانا حقيرة من الماشية ، وأن الزعماء السياسيين في الشعوب الأخرى (الخوارج) هم ألعوبة بأيدى حكماء اسرائيل ،ومن السهل استعبادهم بالتملق والتهديد والمال في سبيل السيطرة اليهودية ..**

والواقع أن المقررات الصهيونية السرية هي خطة جديدة محكمة سياسية واقتصادية لسيادة العنصر اليهودى على كل ما عداه من العناصر الأخرى .

ففي البروتوكول الخامس (ان الله نفسه قد اختارنا لنحكم العالم) .

وفي البروتوكول التاسع (يجب ألا يكون لطمعنا حد ، ولنكن شديدى التعصب والانتقام لأنفسنا ، انتقاما عديم الشفقة تتأجج فيه نيران البغض) .

وفي البروتوكول الحادى عشر (ليس الخوارج (أى غير اليهود) الا قطيعا من الغنم ونحن الذئاب) .

البقية على ص : ٦٣

عجمة القلب واللسان

للدكتور محمد أديب صالح
المدرس بجامعة دمشق

لا يخفى على باحث منصف ، يريد الحقيقة ، لا يبغي عنها حولا ـ أن الأمة الاسلامية قد تفردت من بين سائر أمم الارض بانها قد وضعت ـ وبشكل مبكر ـ منذ اثنى عشر قرنا أو تزيد ، علما متكاملا يرسم معالم استنباط الاحكام من النصوص ، والاجتهاد فيما لم ينص عليه ـ هو « علم اصول الفقه » بدأ ذلك الامام المطلبي « محمد بن ادريس الشافعي » رحمه الله المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، ثم تتابع البحث من العلماء توسعا وتحقيقا .

فلم يكن لأمة خلت من قبلنا ، ولا لقوم جاءوا من بعدنا مثل هذا العلم ، الذى قام على أساس متين من ضوابط اللغة ، وقواعد الشريعة ومقاصدها ، واحترام الرأي ، وتقدير المصلحة ضمن حدود مرسومة معلومة ، مع افساح المجال لمراعاة الواقع ، وتقديم الحلول لما يجدُّ من وقائع ؛ لان النصوص تتناهى ، والوقائع لا تتناهى .

وكان من لب هذا العلم وجوهره مناهج وضعها علماؤنا لبيان معانى النصوص وتفسيرها ، وطرائق دلالتها على الاحكام .

وكان من ذلك قواعد تتناول اللفظ من حيث شموله ، أو عدم شموله أو اشتراكه ، بحثوا ذلك تحت عناوين : العام والمشترك والخاص ، وكان طبيعيا أن يكون كل من الامر والنهى نوعا من أنواع الخاص الذى يدل على معنى واحد على سبيل الانفراد ، أو على كثير محصور .

ولقد عني أئمتنا عليهم الرحمة والرضوان عناية بالغة بمباحث الامر والنهي ، لأن أكثر أحكام الشريعة انما تقوم على : طلب الفعل وطلب الكف (افعل ، لا تفعل) .

وذلك قول شمس الأئمة « السرخسى » ـ وقد بدأ كتابه « الاصول » بالأمر والنهى ـ : (أحق ما يبدأ به فى البيان ، الأمر والنهى ، لأن معظم الابتداء بهما ، وبمعرفتهما تتم معرفة الاحكام ، ويتميز الحلال من الحرام) .

واذا لاحظنا الدقة المنطقية فى مسالك الاستنباط عند أولئك الأئمة ، وما اتسمت به مناهجهم للتفسير والبيان من ادراك كامل لمدلولات اللغة ، ومفهومات الشريعة ، والعلاقة التى تربط بين العربية والشريعة ، تلك الشريعة التى جاءتنا وحيا وبيانا بلسان عربي مبين .

اذا لاحظنا ذلك كله ألفينا الانساق الواضح فى موقفهم من الأمر والنهى ، ما دامت الاحكام التكليفية اكثرها قائم على طلب الفعل أو طلب الكف ، فالطلب ، أمرا كان أو نهيا ، قدر مشترك مبثوث فى نصوص الاحكام من الكتاب والسنة ، حيث ترسم معالم التكليف للمخاطبين .

ولعل من الخير أن نذكر أن الأمر والنهي ، من حيث مداهما والحكم على مدلولاتهما الشرعية كان لهما كبير الأثر فى علم الاجتهاد ، حيث تعددت الانظار فى الاصول وانبنى على ذلك كثير من الاختلاف فى الاحكام والفروع .

هذا : الى ان خروج المكلف من العهدة لا يمكن أن يكون الا بادراك المدلول الذي كان به التكليف ، ولا يتم ذلك الا بضبط الاوامر والنواهي ، بحيث يكون هذا المكلف على بينة من أمره فى اداء المأمور به ، واجتناب المنهى عنه ، وقوفا عند حدود الله .

وانها لجهود مشكورة مبرورة قام بها علماؤنا حين بحثوا ـ فى مجال الامر ـ ماهيته وموقعه من التكليف ، ودلالته ، ومداه من حيث الوجوب أو غير الوجوب، من حيث المرة او التكرار والامر بعد الحظر فى حالتي الاطلاق والتقييد ، الى غير ذلك من مباحث لم تدع شاردة ولا واردة الا تناولتها بالدرس والتمحيص . وقد فعلوا مثل ذلك فى النهي وعرضوا بعده الى أثر النهي فى المنهى عنه ، وما يقتضيه من فساد أو بطلان ، وما الى ذلك مما كان له اكبر الاثر فى الفروع الفقهية عند التطبيق الامر الذى يدعو الى المزيد من التقدير والاعجاب .

مخططات المستشرقين للتشكيك فى الشريعة

واذا كانت الحقيقة فى واقعها امتحانا للنفوس ، فان عظمة التشريع الاسلامي كانت مثار تلمظ شديد حرك كوامن الحقد عند اعداء الاسلام فكان له فى مناهج المستشرقين ومخططاتهم الرامية الى تحقيق أهداف واضحة لكل ذى عينين ، مكان مرموق فى الدس عليه والانحراف فى فهم قواعده وتأويل نصوصه أسوأ تأويل . هذا المستشرق « جولد تسيهر » لايعفى نفسه فى كتابه « العقيدة والشريعة » من الحديث عن الامر والنهي فى الفقه الاسلامي . ولكن كيف كان ذلك ؟ .

ان جولد تسيهر كان مشفقا على المسلمين من قسوة النصوص فى الكتاب والسنة وهو أمر ، أدركه العلماء ـ كما يرى ـ من قبل فكان لا بد من سلوك سبيل يسهل معها التحلل من القسوة التي تبدو فى بعض النصوص .

ولقد كان ذلك فى تنوع مدلولات الأمر والنهى ـ على حد زعمه ـ ذلك التنوع الذى يراه أثرا من آثار التحلل من القسوة الآنفة الذكر .

لقد قرر جولد تسيهر ان العلماء حركوا ذكاءهم؛ ليجدوا مخرجا من المواضع الصعبة التى تمليها على المسلمين نصوص الاحكام القرآنية ، فبعض الامور كانتتخفف أو تطرح ـ كذا ....ـ بواسطة التوسع فى شرح النصوص ، وبواسطة التفسير يرجح الوجوب ، أو المنع فى الفقه .

وزيادة فى ايضاح ما حرك العلماء ذكاءهم من أجله يقرر جولد تسيهر : أن عبارة الأمر او المنع تستخدم للتعبير عن الرغبة والاستحباب ، أو الكراهة وارتكاب ما أمر به فى النصوص ، أو نهي عنه لا يعاقب عليه ، ولا يعد تخطيا للقانون .

وقد مثّل لذلك بقوله تعالى : ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . (الانعام ١٢١). جاعلا اختلاف الفقهاء فى بعض الاحكام يرتد الى الحرص على التحلل من الالتزام بمدلول النهي ، وايجاد المخرج منه .

جولد تسيهر المزيف

هكذا يحكم جولد تسيهر فى قضية من أخطر قضايا الاصول وكأنه من أبناء اللغة وأئمة الشرع . ولو عدنا نحن الى قواعد الامر والنهي نجد أثر اللغة والعرف الشرعي فى مسالك الاستنباط ، وتخريج الفروع على الاصول باديا واضحا .

وقد قرر علماؤنا ان الاصل فى الامر الوجوب ؛ لان الامر فى اصل العربية التي بها نزل الكتاب حقيقة فى جزم الطلب ، فأهل اللغة متفقون على ذم من يخالف الامر كما يظهر من الاستعمال .

وجاء الشرع ، فأمر ، ورتب على ترك المأمور به المؤاخذة والعقاب ـ وهكذا كانت دلالة الامر على الوجوب نابعة من اللغة والشرع معا . قال السعد التفتازاني : (الامر حقيقة لغوية فى الايجاب بمعنى الالزام وطلب الفعل وارادته جزما ، وحقيقة شرعية فى الايجاب بمعنى الطلب، والحكم باستحقاق تاركه الذم والعقاب لا بمعنى ارادة وجود الفعل ....) .

ولم يكتف علماؤنا بذلك ، بل أوردوا كثيرا من النصوص ، وفهوم الصحابة والسلف من بعدهم التى تدل على ان الاصل فى الأمر الوجوب ، كما يرى فى قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاحزاب ٣٦ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

وليس أبين من استعمال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما فهمه السلف الصالح ، وأدركوه . وهكذا يقرر علماؤنا أنه لا يصرف الامر عن الوجود الى غيره من ندب أو اباحة .... الا بقرينة ، فاذا توفرت هذه القرينة، فلا مانع من ذلك ، والا فلا .

وكما فعل العلماء فى الامر فعلوا فى النهي ـ وهو يقابل الامر ـ فأقاموا الادلة من اللغة والشرع على ان الاصل فى النهي ، أنه للتحريم الا اذا قامت قرينة تصرفه عن التحريم الى الكراهة او الاباحة ... فاذا توفرت القرينة صرف النهي الى ذلك الوجه الذى دلت عليه ، والا فلا .

ولكن ما شأن هذا كله وشأن جولد تسيهر ، انه يحاول ان ينصب نفسه للحكم فى قضايا لها اكبر المساس بلغة غير لغته ، وبيان جاء بغير لسانه ، فلقد أراد ان ينقل القضية من ميدانها العلمي حيث تقوم الضوابط على مفاهيم اللغة وقواعد الشريعة ، الى ميدان الاخلاق والسلوك ، ليتهم العلماء بالانحراف بحيث يحولون وجوههم عن الوجوب الى غيره فى الامر ، وعن التحريم الى غيره فى النهي ، جريا وراء الهوى وارادة التحلل من قسوة النصوص .

وما أحسبني أظلم الرجل اذا قررت أن أي باحث توفر له التجرد والاخلاص للمعرفة ، يرى بيقين ان من أهم ما تميز به الاستنباط فى الشريعة الاسلامية تلك الضوابط التي ضمنت سلامة الاتجاه فى أخذ الاحكام من النصوص .

وان كنا لا نزعم ـ والحمد لله ـ العصمة لأحد بعد الانبياء . على ان الأئمة الذين يرى المتتبع لآثارهم ما يرى من الاستقصاء والدقة ، كانوا على أعز جانب وأغلاه ، من خشية الله تعالى فيما يأخذون ، وفيما يدعون ، وان مما يتنافى مع أوليات الانصاف والتجرد فى البحث العلمي ان يحكم على أمثال هؤلاء الرجال بمفاهيم قد يقوم كثير منها على الانحراف والتزوير ، ولكن لا غرابة فهذا التجريح جزء من رسالة كثير من المستشرقين .

والآن صحيح ان قواعدنا فى الاستنباط ـ وهي مما تفردت به امتنا ـ قد اثبتت، وسوف تثبت وجودها من جديد فى ميدان الفقه والقانون ، ولكن لا بد من اليقظة الواعية التي نشم معها رائحة ما فى النفس من حاجات وندرك عن طريقها ولو جزءا من تلك المخططات الرهيبة التي ترصد لها كل الطاقات المادية والمعنوية ، والتي يراد من ورائها تشكيك هذه الامة بشريعتها ولغتها .

ولن يكون ذلك الا من طريق المعرفة الصحيحة التي تهدينا الى التقويم الصحيح لثروتنا التشريعية الاصيلة الخالدة ، ثم الوعي لكل ما يدور حولنا ، لا يغرنا البريق المزيف ، ولا تفتننا المظاهر الخادعة ان علينا ان ندرك ذاتنا وان نقيم حياتنا الفكرية على أساس من الايمان والمعرفة والثقة بما لدينا من ثروة تشريعية لم تعرف الانسانية لها مثلا .

وللحديث صلة .

بقية المقال عن هدي القرآن الكريم

الحدود وجندت كل قوى المسلمين لانصافها ، وتأديب المعتدين عليها ، وتأكيد هيبة المسلمين فى النفوس .

كتاب من الله ، وتاريخ صنعه الأجداد العظام ، كلاهما يبعثان فى النفوس الحماس والحمية واليقظة لبناء أمة عظيمة يحرسها أبناؤها بقلوبهم وأرواحهم

ولكن الى متى نظل بعيدين عن هدى كتابنا ، وحمى تاريخنا ؟ وكل منا يدعي الغيرة على الاسلام ؟ !

هؤلاء المسلمون الذين تكتشفهم دولهم حينا بعد حين يتجسسون لحساب الأعداء .

هل تجردوا من دينهم ومن عاطفتهم نحو أمتهم ؟

هؤلاء الذين ينامون مستريحين منعمين .. وفى العالم حولهم مسلمون مستعبدون ومشردون يصيحون ويستنجدون .

هؤلاء الذين ينقطعون بأحاسيسهم عن أحاسيس المسلمين ومصالحهم ، ولا يهمهم الا أنفسهم ومصالحهم الخاصة ..

هؤلاء الذين ينشئون علاقات مودة وحسن تفاهم ، مع الذين شردوا المسلمين ، وطردوهم من ديارهم ومع الذين ساعدوا على اخراجهم ، ويسيمون اخوانهم سوء العذاب فى مستعمراتهم .

الى هؤلاء جميعا والى كل مسلم أسوق الهدى من كتاب الله ..

((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء)) ((ومن يتولهم منكم فانه منهم))

بقية قصة اليهودية

وفي البروتوكول الرابع عشر (متى أصبحنا أسياد العالم فلن ندع في الوجود سوى ديانتنا ، لأننا نحن شعب الله المختار ، ولأن مصيرنا قرر مصير العالم) .

هذه هي الحقيقة الصارخة ..

الحقيقة التي ينبغي أن يدركها الجميع ..

ليدركها النصارى حين يودون توقيع وثيقة التقارب بينهم وبين اليهود بتناسي الأحقاد والخلافات وتبرئتهم من دم المسيح * ...

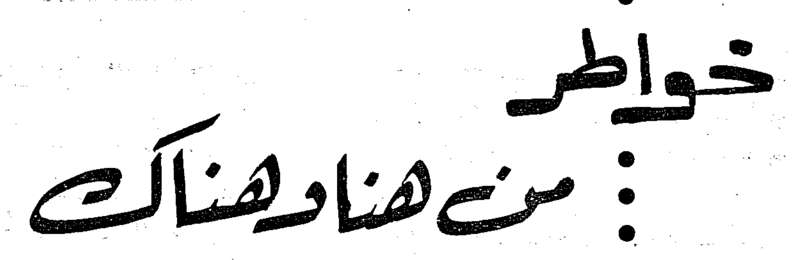
ولتدركها الدول الكبرى حين تتقدم بمساعداتها العسكرية والفنية والمادية لاسرائيل ...

وأخيرا ليدركها العرب فى كل مكان حين يتركون الأفعى تنفث السموم فى كل قطر من أقطارنا العربية والاسلامية عن طريق عملائها وأجرائها ، دون أن يوجهوا الضربة القاتلة الى الرأس فيحطموه .. والى الدمل فيفقأوه .. والى السرطان فيستأصلوه ..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

---

* ومجلة « الوعي الاسلامي » تحب أن تنبه الى أن بتبرئة اليهود من دم المسيح لا يقرون طبعا انه قرار التبرئة لما جاء فى الأناجيل من انهم قتلوه من اليهود بقصد تبرئتهم .. مما يجعل قرار المسلمين حين يغضبون لمشروع القرار القاضي قتل ، ولكنهم ينظرون الى مغزى الوثيقة ومخالفة وصلبوه بعد ما قامت حملة اعلامية وغير اعلامية التبرئة استجابة لما يريد اليهود وسيرا فى تيارهم .



الى هواة التقليد

جاء فى اذاعة الكويت فى يوم الجمعة ٣٠/٤/٩٦٥ صباحا

فى الملايو يعملون على اصدار قوانين لمنع استيراد ادوات التجميل والذهاب الى الحلاق ، وذلك من أجل المحافظة على الجمال الطبيعي للمرأة . وحدا من انطلاقها وراء تقليد للغرب دون وعي وتفكير .

وشيء آخر لا أريد أن أتحدث أنا عنه ولكنني أترك المجال للفتـــاة المثالية المصرية « منى صلاح ذو الفقار » التي عاشت فى الوسط الامريكي مائة يوم بدعوة من صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » عادت لتقول عن البنات والمجتمع فى امريكا .

« جيل انفلت . هذا اذا نظرت اليهم من زاوية تقاليدنا الشرقية ، أما اذا أردت أن أحكم عليهم بتعبير آخر فهم « جيل ضاع » فالبنات فى امريكا عندهن كل الحرية لفعل أي شيء ولخوض أي تجربة . ومن سن الثانية عشرة تبدأ الفتيات تجاربهن مع الشباب فى قصص حب قد تذهب الى أقصى المدى ، وهم يعتقدون أن مدرسة التجربة أقوى المدارس . ولكني أرى أنها مدرسة بلا معلم بلا مرشد . فالاب والام مشغولان بعملهما وليس عندهما الوقت لارشاد ابنتهما ، ولأن البنت تعودت الاستقلال فانها تنفر من تدخل الام اذا حاولت أن تتدخل .وهذا هو الخطر . لا رقيب ولا حساب والبنات يدخن ويسهرن : ويعربدن وان كانت هناك أسر محافظة لكنها قليلة .

والنتيجة !

نتيجة الحريات ، ونتيجة الحياة المادية التي تحياها الاسرة أن امريكا اصبحت تعيش بلا حنان فالبنت تعرف أن أمرها لا يعني أمها ولا أباها ، والام تعرف ان ابنتها فى بحث دائم عن قصة حب أو عن عريس ، والاب فى عمله والام كذلك ، ولقاءات الاسرة قصيرة والاسرة مفككة ، ولهـــذا تفتقد لمسة الحنان فى البيت الامريكي . والحياة العائلية محدودة ، فالاسرة هناك هي الاب والام والاولاد . وقلمـــا يتحدث هؤلاء عن أقاربهم . ونادرا ما يتزاور الاقارب على خلاف ما عندنا .

كل شيء بالثمن عند الفتى الامريكي . اذا دعا فتاته الى سينما فهذا بثمن واذا دعاها للعشاء فهذا بمقابل . واذا اكتشف انها فتاة مهذبة قال عنها انها باردة ، وباردة عندهم معناها « ذات فضائل وخلق » .

فما رأي دعاة أو هواة التقليد .

هذا الذى قالته الفتاة ، قرأنا وسمعنا مثله كثيرا عن المجتمع الغربي ، ومع ذلك نجد من يتعلق به ويدير ظهره لمجتمعنا الشرقي الاسلامي ، ويعيب تقاليدنا ويقول عنها رجعية ، ويدعونا للتحرر من واجبات الدين ، والانطلاق وراء هوى النفس بحجة اننا فى عصر الفضاء ..

هل الدين حال بينهم وبين أن يكونوا رواد الفضاء ؟

أم أنها الثرثرة من اناس ليس لهم الا لسان ..

حرية أم فوضى ؟!

مجلة وقعت فى يدنا أخيرا ، وهي تصدر فى لبنان لحساب القوميين العرب ، وفى هيئة تحريرها وكتابها بعض الاسماء الاسلامية مع الاسف !!

هذه المجلة تستهين بشعور المسلمين ــ مسؤولين وغير مسؤولين ــ وتتهجم على الاسلام ورسوله ورجاله وهيآته بأقــذع الالفاظ التى يتورع عنها الســوقة ، ولم تبق على ناحية يعتز بها المسلمون الا تناولتهـــا بالسخرية والتجريح .. بأسلوب ركيك ورخيص ..

لو أن ما كتبه الكاتب المتحلل يتناول قضية ويناقشها مناقشة موضوعية لكان بالامكان الرد عليه . ولكنه يشتم ويسب ويجرح ويهذى هذيان السكارى ، ومثل هذا لا يناقش وانما له أسلوب آخر يرد به عليه وعلى المجلة التي سودت صفحاتها بسخائمه وشتائمه ..

ومما لا شك فيه أن المجلة تعمل حسب مخططها المرسوم لها وتخدم الاغراض التي وجدت من أجلها .. ولكن ألا يوجد فى لبنان من يغار لدينه ؟ اننا نؤمن بحرية الصحافة الهادفة . اما الحرية المتحللة فلا . **فكيف تطلق لها الحرية حتى تصل الى هذا الحـد من الاساءة الى شعور الملايين من المسلمين فى لبنان وخارج لبنان ؟**

وكيف تدعي المجلة والقائمون عليها والمحركون لها أنها تنطق باسم العرب وتخدم العرب وهي فى الوقت نفسه تهاجم الاسلام الذى يدين به العرب ويفتدونه بأرواحهم .

لو أن هذه المجلة أو غيرها تعرضت بالسب والتجريح لبعض الرؤساء لتحركت القوانين والقوامون عليها لردعها ومحاكمتها .. أما أن تتعرض للاسلام ومقدساته بمثل هذا الاسلوب فأمر لا يمس القانون ولا يعني القائمين عليه !!!

فهل الامر هكذا أيها المسلمون المسئولون وغير المسئولين فى لبنان

رجل مات

وافتنا الانباء الواردة من الهند مؤخرا بوفاة داعية كبير من الدعاة المسلمين فى أوائل ابريل الماضى .. هو مولانا محمد يوسف أمير جماعة التبليغ ، التي بلغت آثارها وجهودها كل انحاء العالم ..

عرفته حين كنت بالهند ودعيت الى اجتماع اسلامي كبير عقدته الجماعة فى مدينة بهوبال ولمست مدى اخلاصه وما يتمتع به من صفات الداعية المؤثر الذى يطبع تأثيره على قلوب الملايين . كان اذا تحدث مكث ساعات يفيض على السامعين من حلو حديثه حتى تمر الساعات وكأنها لحظات. **تولى قيادة الجماعة بعد أبيه مولانا الياس الذى أسس الجماعة ورعاها حتى نمت .. وهذه الجماعة لا تعتمد على تنظيم جماعى ، ولا حزبى ، ولكنها تعتمد على روح الاخلاص فى الدعوة ، وجذب المسلمين الى برامجها التى تقوم اولا على أصلاح المرء لنفسه ، ثم انطلاقه بعد ذلك مع بعض اخوانه ، ليسيحوا فى الارض ويدعوا الى الله بعملهم وعلمهم على حسابهم الخاص .**

فى هذا الاجتماع الذى حضرته فى « بهوبال » والذى ضم خمسة عشر الفا من انحاء الهند . جلست على المنصة معه ، ومع الاخ مولانا أبى الحسن الندوى ، وبعض كبار العلماء ، نودع الجماعات المنطلقة الى العالم ، تدعو الى دينها ، وكان منها العالم ، والطبيب ، والمهندس ، والموظف ، والعامل ، والزارع ، وكل منهم أخذ اجازة من عمله ، ليعمل شهرا أو شهورا من أجل الدعوة الدينية .. كان منهم الذاهب الى اوروبا وامريكا وشرق افريقيا ، وشرق آسيا ، غير الذاهبين الى الهند وباكستان والبلاد الاخرى ..

وتساقطت من عيني دموع الفرح بهذه الروح القوية التي تسود هذه الجماعة ، وتدفعها للعمـل والتضحية من أجل دينها وعقيدتها ..

لقد فقدت الجماعة حقا قائدها ، ولكني أعتقد أنها سوف لا تهتز ، بعد أن أصبحت فكرة الجماعة تعيش فى قلوب الملايين . رحمه الله . واجزل له الثواب .

((الخارج على الجماعة))

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ـ (من خرج على الطاعة وفارق الجمـاعة مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عُمّيّة يغضب لعصبة أو يناصر عصبة ، فقتل فقتلة جاهلية . ومن خرج على أمتى يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهـد ذى عهدها ، فليس مني ولست منه) .

العروبة بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ
البهي الخولي

((هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) سورة الجمعة (٢) .

– ١ –

فى هذه الآية الكريمة ثلاث حقائق واضحة .

(الاولى) تبين ما كان عليه العرب قبل الاسلام ، وما صاروا اليه بعده ...

(الثانية) توضح أن تاريخ الرسول عليه السلام هو نقطة التحول فى تاريخ العرب ، وفيما كان لهم من حياة نفسية وعقلية .

(الثالثة) تنص على أن سر التحول هو فى تلك الرسالة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

– ٢ –

وكثير من الناس لا يكلف نفسه اطالة النظر فى معنى تلك الأمية التي كان عليها العرب قبل الاسلام ، اكتفاء لما يبدو للنظرة الاولى أنها أمية القلم ، أو أمية القراءة والكتابة فحسب .. ولكن الامر أوسع من ذلك ، فالقراءة وسيلة لتحصيل الافكار المكتوبة ، ليستنير بها القلب ، وينتفع بها الذهن ... والأمية جهل برموز الكتابة وكيفية استخلاص ما فيها من المعاني ، وهي بذلك حجاب دون انتفاع الانسان بما هو مكتوب من خير ورشد .

ومن الناس من يقرأ دون أن ينشرح صدره ، أو تنهض همته بما قرأ من معاني الخير والفضيلة ، فهناك حجاب منع روح هذه الحقائق أن ينفذ الى

السريرة ، فظل محروما من خيرها وبرها . ومثل هذا الذى لم تنفعه قراءته وكتابته يستوى فى النتيجة هو والامي الذى لا يقرأ ، ولا يكتب ، ويجوز اطلاق وصف الأمية عليه ، مادامت القراءة والكتابة لم تؤدله حقيقة الفرض منها ؛ اذ لا خير فى قراءة وكتابة يظل القلب من ورائها فى ظلام أميته كما أنه لا ضير من أمية يكون القلب من ورائها حيا مستنيرا بالوان العبر والحكمة التي يحصلها من كل ما يسمع ، أو يرى على صور الحوادث وصفحات الكائنات ، فالمعول عليه فى الحقيقة هو أمية القلوب لا أمية الجهل بمصطلحات الرموز والحروف .

وقد يتامل انسان فى زهرة ... أو فى طائر ... أو فى كوكب ، فينكشف لقلبه من معاني الآيات ما تشف به النفس ويرق له الفؤاد ... وقد يقرأ انسان آخر من كتب الحكمة ما لا نظير له ، فلا ينفذ منها شعاع واحد لانارة ظلام قلبه

« واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا ، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، ولّوْا على ادبارهم نفورا » .

فالامية ــ على هذا أميتان : ــ

أمية سطحية ، وهي امية الجهل بالقراءة والكتابة ... وامية نفسية باطنة ، هي أمية القلب الذى يحجبه الهوى وسلطان المادة عن حقيقة المثل العليا ، وما فى الكون من عبر وحكمة وخير أصيل ... ، وهي أمية تصدق على كثير ممن نسميهم علماء ... وقد لا تصدق على كثير ممن نسميهم أميين أو جهلاء ..... وقد يستطيع ذلك الذي يجهل القراءة والكتابة أن يقرا على صفحات الكائنات بنور قلبه من حقائق العلم وسر المعرفة ما يبهر به ذوى الاجازات الدراسية العليا ، والالقاب العلميية الضخمة وهي القراءة التى كشف سرها لبصيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد يكون ــ اذا ــ من الأميين علماء ، وقد يكون من العلماء أميون ... وقد نعى الله على أحبار بني اسرائيل أنهم يَعلَمون الخير ، ويُعلّمونه الناس دون أن يَعمَلوا به ، فقال سبحانه :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟»

وسماهم سبحانه ــ من أجل ذلك ــ فى آية أخرى ــ أميين اذ قال :

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ... »

قال الامام ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ فى معنى هذا : « الأميون قوم لم يصدقوا نبيا ــ ارسله الله ، ولا كتابا انزله الله ، فكتبوا كتابا بايديهم ، وقالوا هذا من عند الله ــ الى ان قال رضى الله عنه « ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله » (١) وذلك من ومضات القرآن بخفايا الحقائق واسرار النفوس لمحتها بصيرة الامام الحبر الذى علمه الله التأويل ، ولم يلتفت اليها سواه .

ــ ٣ ــ

وامية العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أمية قلم ، وأمية قلب معا ... اذ كانت أمية القلم فاشية حيث لم يكن منهم من يخط بيمينه الكتاب الا القليل ... أما أمية القلب فحسبنا منها ما نعرف من عقائدهم

---

(١) تفسير ابن كثير

وعاداتهم وتقاليدهم فى السلم والحرب ، وقد أجمله الحق سبحانه بقوله :

((وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) ...

وهي الامية التي صقلها وازالها ، رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تلا عليهم من كتاب ، وبما زكاهم به من علم وحكمة ... فلما صاروا الى ما صاروا اليه من هدى ومعرفة ، رفع الله عنهم وصف تلك الامية وابدلهم بها وصف الايمان فقال سبحانه :

((لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) .

فمتن هذه الآية ، ومتن الآية التى صدرنا بها هذا المقال واحد ، غير انهما يختلفان فى الصدر ، فصدر الاولى يقول ((هو الذى بعث فى الأميين رسولا ...)) .

وصدر الآية الثانية يقول ((لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا ...)) ونريد ان نسال ماذا كان العرب فى الناس قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وماذا كانوا بعده ؟ ....

لا يستطيع احد ان يزعم انهم كانوا فى العالم شيئا مذكورا بالحضارة والعلم والمنعة والسيادة ...

لقد كان ينقصهم نور القلب والذهن معا ــ ونور القلب انبعاث الى فضيلة ، وهمة الى مجد وسعي الى مثل عليا ... ونور الذهن معرفة وعلم ، ومصباح يهدى سواء السبيل ... فكان ينقصهم بذلك كل أسباب الحضارة ، ومقومات الدولة الراشدة القوية ...

ولا نريد بهذا أن نسلبهم ما كان لهم من خصائص نفسية طيبة ، واستعداد حسن لمعالي الامور ، ويكفي أن تلك الخصائص الكريمة بلغت من صفاء معدنها وسلامة فطرتها مارشحها لان تكون أصلح مهاد يتلقى نور الله فى الارض، وأشرف نفوس تحمل هدى الله الى الناس ، ولكنا نقول ان ذلك كله كان مخبوءا، أو كامنا تحت ركام الجاهلية ، فلم يكن يبدو من وميضه الا لمحات تتمثل فى سير بعض عظمائهم وأبطالهم دون أن يبلغ ذلك حد الشيوع الذى تقوم به حضارة متألقة ودولة ذات بأس وغناء ...

فاذا قلنا ان أحدا لا يستطيع أن يزعم أن العرب كانوا فى العالم قبل البعثة شيئا مذكورا بالعلم والحضارة والمنعة والسيادة ، فانما نعني واقع التاريخ ، دون أن نعني المساس بما هو مقرر لسلامة الفطرة ونفاسة الجوهر الثمين ...

ولا شك ان العرب صاروا بعد محمد صلى الله عليه وسلم أساتذة العالم هداة راشدين وعلماء راسخين ، وحكماء ملهمين على خلاف ما كانت عليه جاهليتهم . وكذلك كان شأنهم السياسى بين الامم ، فكانوا فى مكة مثلا ــ وهي أم القرى ــ قانعين بنصيب المتفرج على ما يدور من حروب بين فارس فى الشرق والروم فى الغرب دون أن يكترث لهم أحد من أهل الشرق أو الغرب ... كانوا قانعين بهذا الدور التافه ، يقولون : غلبت الروم ، اذا كانت فارس هي الغالبة ... أو غلبت فارس اذا كانت الروم هي الغالبة ، دون ان يكون لهم أثر ، أو رأى

في توجيه ما يحدث حولهم من أحداث ، وكانت دولهم الراقية قد فقدت استقلالها وعزتها ، فخضعت دولة المناذرة في الشرق لنفوذ كسرى ، وخضعت دولة الغساسنة في الغرب لنفوذ قيصر ..

كان هذا شانهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبثوا من بعده أن ورثوا ملك كسرى وقيصر ، وجمعوا في ايديهم زمام المشرق والمغرب ، وصاروا القوة الوحيدة التي توجه التاريخ ، وترسم للعالم مستقبله ومصيره . هذا ــ كان ــ شأن العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبعده ... وما كان له عليه السلام من أثر في ذلك الا أنه بلغ عن ربه فاحسن البلاغ ... وما كان للعرب من فضل الا أنهم تقبلوا الكرامة من مولاهم ، فاحسنوا بها الى أنفسهم ، ورعوها في الناس حق رعايتها .. والفضل كله لله سبحانه ، اليه يرجع الامر من قبل ومن بعد :

((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا)) .

ــ ٤ ــ

هذه حقيقة تاريخية ، لا سبيل لاحد الى جحودها ، ولا فضل لأحد في بيانها وتقريرها ، فهي صوت الواقع ، وسجل التاريخ ... ونريد أن نسال الآن ما مكاننا اليوم من هذا كله ؟ أو ما مكاننا من الرسالة التي آمنو بها ورعوها حق رعايتها ، وما مكانها من حياتنا ؟ .. مكاننا من هذا كله يبينه اليوم مكاننا في الارض من شعوب العالم ، فما لنا فيهم من قوة ، وما لنا فيهم من امر أو نهي ، ... مكاننا من هذا كله أننا المأرب الذى تطمع أبصار الاقوياء في الشرق والغرب الى اقتسامه واغتنامه ... مكاننا اليوم من هذا كله تبينه أمية كثيفة ورثناها من عهود ضلال ، وانحلال ، وفرقة ، تنتسب الى الاسلام بالاسم والى الوثنية بكل خصائص الجهل والهوى ، حتى تداعت علينا الامم تداعي الاكلة النهمين الى قصعتهم الحافلة....

وقد يطول البكاء على ما ورثناه من تبدد الهمم ، والاستغراق في الأثرة ، وعبادة المنفعة ، والولع بلذة الجوارح ، وشهوة الحس ، وسذاجة الفهم ، وعزلة الفكر ، أو تخلفه عن مقومات العصر الذى يحيا فيه ، والاستسلام لعبث التنافس على ما هو وهم في بصيرة العقلاء ... ولكن البكاء لا مجال له ــ طال ام قصر ــ فنحن في طور بعث ويقظة نريد أن نأخذ مكاننا الجدير بنا في موكب الانسانية المتطور الزاحف الى أسباب القوة والحياة .. فماذا يغنينا في ذلك ؟

فينا من ينادى اليوم بالبعث العربي ، واحياء القومية العربية ، فاى شيء هذه القومية ، وعلى أى شيء يكون هذا البعث ؟ احياء لشيء هامد ، ونشور لكيان ميت ، فاذا كان قصارانا من عَنْدَ البعث ان نضع الفاظا براقة ، وندبج عبارات الثناء ، والغناء لما كان لنا من مجد او امجاد ، فهو جهد من يضعون لافتات الترحم على أجداث الموتى ، واذا كان قصارى بعض مثقفينا من الحزبيين ــ في البلاد التي أبقت على الحزبية ــ أن يلفق لنفسه منهاجا ياخذ له مزقة من

البقية على صفحة ٧٨

حول انتشار الإسلام

كيف يعلل المبشرون

الاســلام شهادة بأن اللــه حــق ، وشهود لآثار الوهيته فى صحائف الكون ، وصوغ للحياة النفسية والاجتماعية وفق ما أوحى الله لرســله ، واعداد أجيــال البشر الحاضرة والمستقبلة للسير علــى هذا الصراط ، ما نبض فى أبدانهم عرق ، وخالج أفئدتهم شعور .

والاسلام من قبل ذلك علاقة عامــة بين الكائنات كلها وبين بارئها الأكبر جل جلاله ، فالعلم من عرشه الى فرشــه فقير أبدا الى ربه ، قائم به ، خاضع له عان لأمره ، وتلك حقيقة علمية لا يمارى فيها الا أحمق .

ومن ثم فان التمرد على الله شذوذ مستغرب ، والازورار عن دينه خطأ مبين، « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم مــن فى السموات والأرض طوعا وكرها ، واليه يُرجعون(١) ؟ » .

ان الاسلام لله هو الصلة الطبيعيــة الفذة بين المخلوق والخالق .

واذا كــان البشر فى هــذا العصــر يتواضعون على حقائق هندسية وكيماوية وفلكية مقررة ، ففي صدر هذه الحقائق يجب أن يعــرف أن الله واحــد ، وأن السيرة التي يرتضيها من عباده دلالــة على انقيادهم له ، وتحقيقا لما يحبه لهم من خير ، هي سيرة محمد بن عبد الله ، فهو الانسان الكامــل الــذى التقت فى شخصه المثل الرفيعة للانسانية كلها .

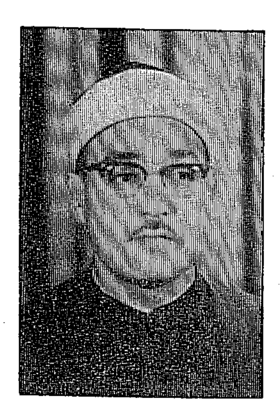
ان الشهادة بأن الله واحد بيان لحق الخالق على المخلوق .

والشهادة بأن محمدا رسول الله بيان للطريــق التي يسير فيهــا المخلوق كي يرضي الخالــق ، وهاتان الشهادتــان هما الدعامة الأولى للاسلام .

وقد فهم المسلمون من نصوص دينهم، أن صاحب الرسالة الخاتمة جاء متمما لما مهد اخوانه الرسل والأنبياء السابقون

---

١ — سورة آل عمران الآية ٨٣



لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف

والمستشرقون سر انتصار الإسلام

وأن هؤلاء كانوا دعاة للاسلام بمعناه الشامل العميق .

وانَّ مَرَّ الزمان وتفريط الأتباع طمسا معالم الرسالات السابقة ، وأتاحا للغلو والابتداع والتحريف أن تعدو على طبيعة الدين ووجهته .

فلم يكن بد من رسالة عامة ثابتة تعيد الحق الى نصابه ، وترد الكلم الى مواضعه ، وتجلو كل ما غشى وجه الفطرة من خرافة وهوى ، وتضمن الا يتكرر فى المستقبل ما حدث فى الماضي من زيغ وشذوذ .

فكان هذا القرآن الذى غلب الزمن ، وبقي محفوظا من كل ريبة . وكان رسوله الذى نشر الحق الى أبعد مدى يبلغه جهد بشر ، والذى صدع أركان الباطل ، فمادت بعد لأى « تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب اليم . وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون(١) » .

منهج الصحابة فى نشر الدعوة

وانطلق صحابة محمد وأتباعه فى أقطار الأرض يحملون البلاغ السماوى الأخير . وانطلق الصوام القوام الخاشعون المخبتون الى كل فج عميق ، يعرضون الاسلام على الناس ، باللغة العالمية التي يفهمها أهل الأرض كلهم جميعا ، لغة الخلق الزكيّ ، والسلوك العالي . نعم ان الجيل الذى حمل الاسلام ، وعبر به الأبعاد الشاسعة أرى الناس من نفسه نماذج رائقة ، فدخل الناس فى دين الله عن أعجاب ورغبة .

وما كادوا يتعمقون فى هذا الدين ، ويتعرفون دخائله ، حتى صاروا حراصا على دعوته العامة مثل العرب الذين جاءوا به ، أو أشد !! . .

---

١ - ٦٣ ، ٦٤ من سورة النحل

وقد وقع قتال فى أثناء سعى العرب لتحرير الشعوب السجينة ، وفك الاغلال عنها . وهل كان يمكن قمع الاستعمار القديم ، أو الحديث الا بالسلاح .

ان أنبل قتال وقع على ظهر الأرض ، هو ما خاضه أتباع محمد لرد «الرومان» الى أوروبا من حيث جاءوا ، ولكسر شوكة المجوسية فى فارس .

والا فكيف يتصور امرؤ راشد أن أربعة آلاف عربي مثلا يصلحون قوة غازية لفتح مصر وتوطيد الاسلام فيها جيلا بعد جيل ؟

انه لولا انبهار الأمم بالدين الجديد ، وتجاوبها معه ، واحساسها بأنه هدية الأقدار اليها ، ما دانت لأهله ، ولا دخلت فيه .

ماذا عسى يصنع أربعة آلاف رجل فى قطر كمصر ، أمام عشرات الألوف من جند الرومان ومشايعيهم ؟ .

وهب أنهم جن فى الوغى ، وان خصومهم هباء ، ما الذى جعل جماهير الشعب تسالم الوافدين ، ثم تنشرح صدرا بعقائدهم ، ثم تهب هي لنصرتها بعد ما اعتنقتها ؟ .

انها طبيعةالحق عندما يحسن عرضه، وتنزاح العوائق أمام الرغبة فيه .

وما مصر الا مثل لشقيقاتها التي كانت عانية فى أسر الرومان ، ثم شاعت أنوار الصدق فى هذا الدين ، فهوت اليه قلوبها ، ثم حملت لواءه الى يوم الناس هذا عن اعتزاز وحب .

لا اكراه فى الدين

وعمر الباطل يطول بين الناس بمقدار ما تطول غيبة الحق عنهم ، ولعل لهم عذرا فى البقاء عليه ما داموا لا يعرفون غيره .

وقد كان الناس على نحلهم الأولى قبل الاسلام بين راض بها عن قصور ، أو راض بها عن اقتناع . فلما ظهر الدين الجديد وتيسرت المقارنة والمقابلة ، بدأ التحول العظيم ، يشمل سواد الشعوب هنا وهناك ، فما مضى قرن على البعثة حتى كان الاسلام ملء السمع والبصر ، وكانت أجهزة الدولة الاسلامية ترقب هذا التحول من بعيد وهي دهشة ، بل ان بعض الولاة استبقى ضريبة الجزية على من يدخل فى الاسلام !! كأن وظيفة الحاكم تعويق الناس عن الايمان لا اغراؤهم باعتناقه .

وما نذكر هذه القصة الا لنشير الى كذب من يزعمون أن شائبة اكراه وقعت فى انتشار الاسلام .

أن الدولة لم تستخدم قط ، أداة قسر على ترك دين واعتناق آخر كما وقع ويقع فى أقطار اخرى لخدمة أديان اخرى .

وما حاجة الاسلام الى الاكراه ، ومبادئه تنساب الى القلوب من تلقاء نفسها لأنها الفطرة ؟ وتعاليمه تنساق الى العقول كما تنساق البديهيات التي يلقاها الفكر السليم ، ولا يستطيع أمامها مراء .

ان البيئة الحرة أخصب مكان لازدهار الاسلام ، ولولا شقوة الناس ، ما نصبوا العوائق أمام رسالته ولتركوها تبين عن طبيعتها فى هدوء ..

مستشرق يزيف الحقائق

ومنذ أيام وقع فى يدى كتاب من هذه

الكتب التي يؤلفها المبشرون والمستشرقون ويملأونها بالطعون فى الاسلام ، والضغن على نبيه ، ولما كنت قد ألفت تهجم القوم ، فاني لم أفزع لما ورد فى الكتاب من تهم ، أعرف ويعرف غيري قيمتها .

لكن الكتاب الذى قرأته تضمن عبارات فى التعليق على انتشار الاسلام أرى من المصلحة اثباتها لأنها ترد نجاح الاسلام ، وارتفاع شأنه الى خلل طارىء على القوى المعارضة لا الى صلاحيته الذاتية ، وأصوله النفسية والفكرية .

قال المؤلف المذكور —

اذا أنعمنا النظر فيما كتبه مؤرخو الكنيسة منذ القرن الثالث للميلاد ألفينا حال الأمة النصرانية لذلك العهد بعيدة جدا عما وصفها به بعض المصنفين من تقوى وصلاح .

وذلك أنها فضلا عن كونها لم تكن مؤيدة بالعقيدة الفعالة والغيرة والتقوى ، ولم تكن راسخة على أساس التعليم الصحيح ، وعلى الاتحاد وثبات الايمان — كان رعاتها مشتغلين بالمطامع الشخصية يتخذون العويص من مسائل الدين ذريعة للمشاجرات والمماحكات . وقد انقسموا فيها الى فرق وبدع لا تعد ، ونفوا من صدورهم ما ندب اليه الانجيل من الموادعة والمحبة والمؤاساة ، وعدلوا الى المناوآت والضغائن وسائر المفاسد ، حتى انهم بينما كانوا يتماحكون فى أوهامهم فى الدين أضاعوا جوهر الدين نفسه ، وكادت مشاجراتهم فيه تستأصله .

ومعظم ما ننكره الآن على بعض فرق النصرانية من باطل العقائد ، انما نشأ وتأصل فى تلك الأعصر المظلمة ، فعاد بالنفع على الاسلام ، وأعان على انتشاره .

ونخص من تلك العقائد بالذكر عبادة القديسين والصور ، فانها قد بلغت وقتئذ مبلغا يفوق كل ما نراه اليوم عند بعض فرق النصارى(1) .

اما الكنيسة الشرقية —فانها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوى مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي ، وانتقض حبلها بمماحكات الأريوسيين والنساطرة واليعاقبة وغيرهم من أهل البدع .

الصراع على منصب الأسقفية

أما الكنيسة الغربية : — فقد كان فيها من تهالك داماسوس واورسكينوس فى المشاجرة على منصب الأسقفية — أى أسقفية روما — وما أفضى الى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزبيهما ، حتى ان الوالي لما رأى أنه لا قبل له بقمع هذا الشر انصرف عن المدينة وترك المتنازعين وشأنهما ، وكان الفوز بعد ذلك لداماسوس .

قيل استمر القتل فى الناس فى هذه النازلة حتى بلغ عدد القتلى فى كنيسة سيكينيوس وحدها مائة وسبعة وثلاثين فى يوم واحد .

ولم يكن من العجيب أن يشتد حرصهما على تبوء ذلك المنصب المهم لأن من يتبواه يصبح ذا دنيا عريضة ، وينال من صلات السيدات الرومانيات ثروة وافرة فيخرج فى المواكب والأبهة بالمركبات والمحفات — مسرفا فى ترف العيش أكثر من اسراف الملوك خلافا لما

---

1 — لا تزال التماثيل تملأ الكنائس فى الشرق والغرب الى يومنا هذا ، وهي تماثيل ترمق برهبة وحب ، وتقبل اقدامها التماسا للبركة .

كان عليه أساقفة المدن الصغيرة من الاقتصاد والزهد ولو بعض الشيء .

ثم قال « فلما فشا فى أولياء الأمور وأرباب الدين هذا الفساد فى العقائد والأخلاق والسيرة نشأ عنه بالطبع فساد سيرة العامة من الناس فأصبحوا على اختلاف طبقاتهم وليس لأحدهم هم سوى جمع الأموال من الوجوه المحللة والمحرمة ثم اتلافها فى سرف العيش وانتهاك حرمات الله(١) » .

«هذا ما كان عليه حال النصرانية فى غير بلاد العرب » .

فى بلاد العرب

« أما حالها فى بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا ــ يقصد بلاد العرب ــ فلم تكن خيرا من ذلك . فقد اشتهرت هذه البلاد منذ القديم بكثرة البدع ، ولعل ذلك ناشيء عن حرية القبائل واستقلالها » .

« فكان فى نصارى العرب قوم يعتقدون ان النفس تموت فى الجسد ثم تنشر معه فى اليوم الآخر ، وقيل ان (اريجانوس) هو الذى دس فيهم هذا المذهب . »

« وكم وكم من بدعة انتشرت فىجزيرة العرب ولا نقول نشأت فيها .

فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون. بألوهية العذراء (مريم) ويعبدونها كأنما هي الله(١) .

وفضلا عن ذلك فقد اختلط بالعرب ايضا فى جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة لجأوا اليها هربا من اضطهاد القياصرة . فأدخل محمد كثيرا من عقائدهم فى دينه كما سنرى(٢) .

أما اليهود الذين كانوا فى سائر البلاد أذلاء لا يعتد بهم ، فقد قويت شوكتهم فى بلاد العرب حيث لجأ كثير منهم اليها على أثر خراب بيت المقدس ، وهو دوا كثيرا من ملوك العرب وقبائلهم .

ولذا كان (محمد) فى بادىء امره يداريهم حتى انه اخذ عنهم كثيرا من مقالاتهم ورسومهم وعاداتهم تألفا لهم لعلهم يشايعونه ، لكنهم جريا على سننهم المألوفة فى العناد لم ينقادوا له بل ناصبوه العداوة ، وكانوا من اشد خصومه ، يحاربونه ويكايدونه دائما ، ولم يتأت له قهرهم الا بعد المشقة والعناء وتعريض نفسه لمهالك أودت بهم آخر الامر (٣) .

---

١ ــ هذه حال جماهير الناس فى أوربا اليوم . ان المذاهب المادية تسيطر على أخلاقهم وأحوالهم ، وفنون الاباحة تجعلهم عبيد شهواتهم . والسر فىذلك عدم وجود « الايمان الصحيح » الذى يملأ فراغهم النفسي والفكرى . وهذا المؤلف وأمثاله يطعنون مع ذلك فى الاسلام بدل ان يخلوا له الطريق ليحل المشكلة .

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

٢ ــ هذه البدعة التي يرى المؤلف انها انتشرت بين العرب قديما ، ليست فى الحق من مخترعات القدماء وحدهم بل ان العصر الحاضر شهد مجمعامسكونيا فى روما جعل مريم فوق البشر !! .

٣ ــ هذا هراء يشيع بين جمهرة المبشرين والمستشرقين والبراهين متكاثرة متضافرة على تفاهته .

٤ ــ الاسلام يحسن الى اهل الكتاب جميعا ما دامت مسالكهم معتدلة فاذا أبوا الا اهانته او اساءته فلا بد من ان يدفع عن نفسه « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وما ذكرناه من شدة بغضهم له ولّد في قلبه آخر الأمر بغضا شديدا لهم فصار يعاملهم فى باقي عمره بأقبح مما كان يعامل به النصارى ويكثر الطعن فيهم في قرآنه .

وقد تابعه المسلمون على ذلك الى يومنا هذا فهم يفرقون بين اليهود والنصارى ، ويعدون اليهود أحقر أمة على وجه الأرض وأذلها .

المسلمون بين الفرس والروم

وقد قال بعض من اشتهر بسداد الرأى فى السياسة : انه لا يتسنى لأحد أن يسود قوما وينشيء دولة ما لم تساعده الفرص . فاذا علمت هذا جزمت بأن اختلال احوال النصرانية كان من الفرص التي أعانت محمدا من الجهة الواحدة على نيل مآربه ـ كما أن وهن قوى الروم والفرس أطمعه من الجهة الأخرى فى الظفر بمراده فيما يقدم عليه من هاتين المملكتين اللتين كانتا قبل ذلك من القوة على ما هو معلوم ، ولو كانتا باقيتين على بأسهما لكانتا ولا شك حطمتا الاسلام وهو فى مهده ، وهم ينسبون فوزهم ذلك الى دينهم الجديد، والعون الالهي الذى وصل اليهم بسببه.

مسكين هذا المؤلف !! انه يحاول حجب الشمس بكفه ، كيف يتصور عاقل أن العرب من غير الاسلام كانوا يستطيعون هزم الروم والفرس مهما ضربت الحرب بينهما واشتد الخلاف ؟ لنفرض ان بين الروس والامريكان نزاعا ، فهل معنى ذلك ان تستطيع المكسيك مثلا الاستيلاء على الدولتين الكبيرتين ؟ .. ان الاسلام خلق العرب خلقا جديدا ، وبه وحده وقعت معجزة الفتح .

مشكلات التثليث

ان الرجل ينسب انتشار الاسلام على حساب الرومان خاصة الى ما ساد بينهم من اختلاف مذهبي وشهوات بدنية ونفسية . ويرى ان هذا الاختلاف لفظي لا حقيقي ، وأن تلك الشهوات موقوتة لا دائمة .

ونحن نصدقه فى نصف ما قاله ، ونخالفه في النصف الآخر ، او نصدقه فيما قاله ونخالفه فى العلل التي ذكرها .

ان التثليث مولد ذاتى للخلاف على تراخي العصور .

ومشكلاته حقيقية لا شكلية .. وذلك بخلاف التوحيد المطلق الذى قرره الاسلام . ثم ان الانسانية بعد نموها الفكرى الظاهر ، الذى لم يعهد مثله فى تاريخها الأول تحتاج فى اقناعها العقلي وتربيتها النفسية ، وتنظيمها الاجتماعي والسياسي الى دين يكافيء هذا الامتداد فى مواهبها وخصائصها .

دين يشبع تعاونها الروحي ، وتألقها الذهني ..

انها بحاجة الى الدين الذى تعاون النبيون جميعا على ابلاغ أصوله وتوطيد أركانه ، ثم جاء صاحب الرسالة الخاتمة، فأعطاه صورته النهائية الحقيقية المشبعة.

واذا لم تعترف أوربا بهذا الدين ، فستبقى آخر الدهر فريسة المذاهب المادية شرقية كانت أم غربية . وستبقى صريعة الشهوات التي تغتال الطهر فى الانفس ، والعدل بين الامم ...

والله الامر من قبل ومن بعد .

قرارات المؤتمر الإسلامي بمكة

ذكرنا في العدد الماضي أن الكويت قد اختارت الوفد الذى يمثلها في المؤتمر الاسلامي الذى انعقد في مكة بعد انتهاء فريضة الحج برياسة سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف ، ونشرنا أيضا كلمة الوزير في العدد الماضي وكانت تدور حول واجبنا نحو الدعوة الاسلامية ، وقد عاد الوفد بعد انتهاء المؤتمر الى الكويت بعد ان اتخذ المؤتمر قرارات نذكر منها :

أ ـ ما يختص بلجنة الدعوة الاسلامية وأهم قراراتها :

١ ـ تأسيس معهد مركزي للدعوة والارشاد بمكة أو المدينة مهمته تكوين الدعاة .

٢ ـ تأسيس مجمع اسلامي يضم مجموعة من العلماء المسلمين لدفع الشبهات التي تثار ضد الاسلام وبيان حلول الاسلام للمشكلات المعاصرة .

٣ ـ تأليف واختيار الكتب التربوية النافعة وبشتى اللغات لتعميمها على المدارس الاسلامية في العالم والاتصال بالدول الاسلامية للاتفاق على وضع مناهج تربوية صالحة .

٤ ـ تشجيع الصحف والمجلات والكتب الاسلامية التي تخدم الفكرة الاسلامية .

٥ ـ الاهتمام بأجهزة الاعلام وتقوية البرامج الدينية فيها ووضع المناهج الموحدة للدعوة الاسلامية .

٦ ـ اعتبار لغة القرآن الكريم لغة عالمية لجميع الشعوب الاسلامية مع وجوب تعليمها لأنه لا يمكن فهم دين الاسلام فهما صحيحا الا بها .

٧ ـ توحيد خطة الدول الاسلامية والعربية في مقاومة النفوذ الصهيوني والمؤامرات التبشيرية والشيوعية والقاديانية والبهائية والماسونية واي حركة هدامة .

٨ ـ تنظيم دعاية قوية بافريقيا ، مضادة للدعايات التى يقوم بها الاستعمار وارساليات التبشير ومراكز الصهيونية لتشويه سمعة الاسلام والمسلمين .

٩ ـ ارسال المدرسين والوعاظ من الدول الاسلامية لافريقيا وغيرها من الاماكن المحتاجة للدعوة وتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين من جميع البلاد وكذلك تشجيع المهندسين والاطباء المسلمين على العمل في افريقيا وحث الحكومات الاسلامية على تقديم الهبات والقروض وتأسيس المستشفيات والمدارس الاسلامية فيها .

١٠ ـ ضرورة اقامة الصلوات في المدارس وتعويد الطلاب عليها وتخصيص اماكن للصلاة في جميع المدارس ولجميع المراحل الدراسية . واتخاذ موقف حازم في ذلك وعدم الاختلاط بين البنين والبنات في مراحل التعليم الابتدائي والثانوى والجامعي .

ب ـ أما اللجنة الثقافية فقد اتخذت القرارات الاتية : ـ

١ ـ اقامة نظام ثقافي موحد الاساس والروح يشترك فيه جميع المسلمين ليحررهم من غزو الانظمة الثقافية والفكرية لمبادىء الاسلام وعقائده ويكون مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ تقرير تدريس حاضر العالم الاسلامي وجغرافيته في الجامعات والمعاهد في البلاد الاسلامية ، والعناية الخاصة بتدريس تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية ، والعمل على احياء التراث الاسلامي وتأليف لجنة من علماء التاريخ المسلمين لوضع تاريخ اسلامي مبرأ من الانحرافات والتشويهات الموجودة في كثير من الكتب المترجمة والمؤلفة .

٣ ـ اعداد البيت المسلم وتهذيب الفتاة المسلمة وتعليمها تعليما اسلاميا صحيحا وتحرير التعليم النسوى من تقليد الانظمة التعليمية الأجنبية واقامة نظام تعليمي نسوى خاص منفصل في جميع مراحله وتركيز جهود المدرسين في المدارس والآباء

في البيوت والوعاظ في المساجد للوصول الى التزام المرأة لباس الحشمة الذى يرتضيه الاسلام .

٤ ـ اقتصار الدراسة في الخارج على الدراسة فوق الجامعية على أن يختار الطلاب من ذوى السلوك الحسن والعقيدة الراسخة واقامة بيوت للطلبة ليعيشوا في جو اسلامي صحيح وخاصة في المدن التي يكثر فيها تجمع الطلاب المسلمين كباريس وميونخ ولندن .

ج ـ وفيما يختص بلجنة التضامن الاسلامي اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ تبنى مشروع الدعوة الى مؤتمر قمة اسلامي واتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لذلك .

٢ ـ تكوين لجنة من كبار العلماء وأهل الرأى مهمتها المبادرة دائما الى حسم الخلافات وحقن الدماء بين المسلمين .

٣ ـ تصنيف دليل مطبوع للعالم الاسلامي ينشر بعدة لغات ويشتمل على الماما‌ت عامة مركزة عن احوال المسلمين في مختلف الاقطار وعن المنظمات الاسلامية العاملة وضروب نشاطها وعناوين مراسلتها واسماء القائمين عليها .

٤ ـ انشاء جهاز عامل متفرغ يقوم عليه عدد من الاكفاء من مختلف الاقطار تكون مهمته الاستفادة الى ابعد مدى ممكن من منافع الحج كل عام وتهيئة فرص اللقاء والتعارف والتعاون العلمى بين مختلف اهل الاختصاص ممن يؤمون البيت من علماء ومهندسين واطباء ورجال قانون واقتصاد واجتماع وغيرهم .

وزارة الاوقاف تحتفل بعيد الهجرة

احتفلت وزارة الأوقاف بعيد رأس السنة الهجرية ليلة الأحد أول المحرم ١٣٨٥ هـ الموافق ٢ مايو ١٩٦٥ ، وذلك في مسجد السوق الكبير . وقد أمَّ الحفل عدد غفير من الوزراء وأفراد الشعب حتى ضاق بهم المسجد على سعته .. وبعد افتتاح الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، ألقى سعادة وزير الأوقاف كلمة أشار فيها الى عبرة الهجرة وهنأ المسلمين جميعا بالعام الجديد راجيا لهم فيه كل تقدم وتوفيق ..

ثم تتابع الخطباء والشعراء ، فتحدثوا عن التضحيات الكبرى التي أحاطت بالهجرة ودعوا المسلمين الى التأسي بالرسول وصحابته في قوة الايمان والتضحية واختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم ..

وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون هذا الحفل الكريم ...

ومما جاء في كلمة معالى الوزير

أذا كان لكل أمة من الأمم أعياد وذكريات تحتفل بها وتتذكرها وبطولات وأمجاد تخلدها وتنشرها ، فان الهجرة النبوية تنشر أمام الأجيال أروع ما حفظ التاريخ من أنباء الجهاد في سبيل الحق والعقيدة والايمان .

وجدير بنا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة النبوية ونستعرض أسبابها وآثارها أن نستلهم منها العظة والعبرة ، فقد مضت سنة الله في الأمم أن يعزها وينصرها ما اعتزت بايمانها واستمسكت بحقها ، وحرصت على حريتها ، وبذلت في سبيله أموالها ودماءها .

واني أنتهز هذه المناسبة الكريمة فأهنىء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بحلول العام الجديد ، وأسأل الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين ، وأن يعلي كلمة الحق والدين ، وأن يؤيد بعونه وتوفيقه سمو أمير البلاد حفظه الله .

الشرق ومزقة من الغرب ، ومزقة من حيث لا ندرى فهو على أنه جهل بأذواقنا، وطبيعة بلادنا ، وأصول تراثنا ، جهل بطبيعة البعث ومعنى الاحياء ، فان الاحياء ليس فى خطة سياسية او اقتصادية ، انما هو استمداد روحي ينشيء خصائص المثل فى النفس الهامدة، ويبعث نوازع الهمم فى الطبع الراكد الآسن ... ثم يأتي بعد ذلك دور المناهج والخطط .

نعم فلسنا بحاجة الى منهاج ينظم لنا سيرنا ، بل بحاجة قبل ذلك الى رسالة تعيد لنا ايماننا بعقائدنا ، وترسم لنا أهدافا راقية كريمة ،وغايات روحية عليا ، وتضع لنا مناهج الأخذ بها والتنشئة عليها ، وتقيم لنا من قادتنا هداة عاملين لها ، مبشرين بها ، ممثلين لمبادئها فى كل ما يقولون من قول ، وينهجون من سيرة .

نعم نحن بحاجة الى رسالة تزيل عنا امية الهوى ... والرياء والنفعية التي قطعت الاواصر، وأضلت الاذهان ، وقبلت الهوان ، وخنقت كل خصوصية كريمة فى النفوس ... هذا أولا ، وليكن بعد ذلك من شأن السياسة والاقتصاد ما يكون فمردها كما اعتقد الى ما آمن به الناس من هذه الرسالة .

ما قيمة القومية العربية اذا هي تجردت من حوافز الحياة ونوازع الروح، وقوة الايمان بالمثل العليا ؟ ...

انها بدون ذلك تغدو أمشاجا من اللحم والدم ، وطائفةمن سلاسل النسب لا تغنينا فى قليل ولا كثير ، اذا هي نمتنا الى أبائنا الاولين من عدنان وقحطان ... وهي لفظ بدون معنى اذا أنت لم تجعله عنوانا لما كان للعرب فى التاريخ من أمجاد لا تساميها أمجاد ... وهي معنى تافه اذا أنت لم تلحظ فيه حقيقة الخصائص النبيلة التى رشحتها لان تحمل بامر الله الى الانسانية أكرم رسالة فى هذه الأرض ...

فيا شباب العرب ان الزمان قد استدار فى سياسته كهيئته حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

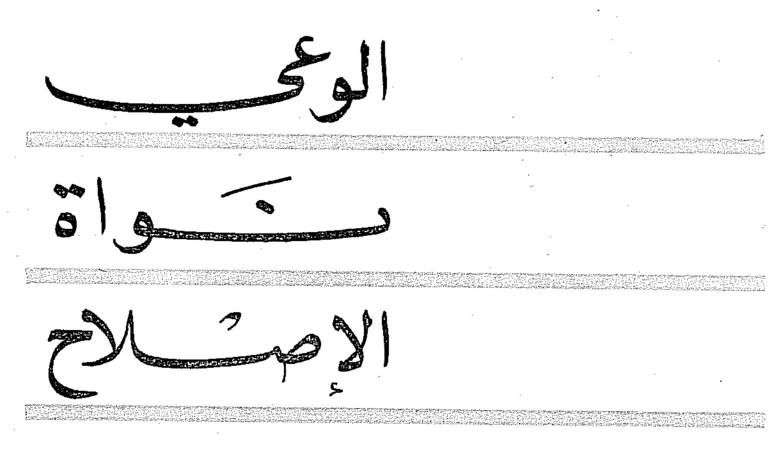
كتلتان تتنازعان العالم : شرقية وغربية ... ونحن نتفرج ونتساءل — كما تساءل أسلافنا من قبل : الشرقَ أم الغرب ؟ لا .. لا شرق اليوم ، ولا غرب ، ولكن عروبة واسلام كما اختار القدير العزيز لاسلافنا من قبل .

يا شباب العرب انكم تدعون الى مختلف الدعوات فمن دعاكم الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعاكم الى مجد العروبة الصادق وذكرها الذى ليس فوقه ذكر والله سبحانه يقول : —

((لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ؟)) ..

أما اذا لم يؤمن الداعي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو اما جاهل بحقيقة مجد العرب ، او عدو فى ثياب صديق ، يحاول صرفنا عن أسباب عزتنا ومجدنا ... وأن لكم والحمد الله — من الألمعية وصدق النظر ما تعرفون به حقيقة الدعاة وما يدعون اليه ... والله يتولانا واياكم وهو نعم المولى ونعم النصير .

***



الوعي نواة الإصلاح

للسيد الاستاذ جواد شبر

من اعذب الكلمات على السمع والروح كلمة ((الاصلاح)) انها خفيفة على المشاعر ، لطيفة فى الأحاسيس يترشفها السامع ، ويتمنى تحقيقها ، ويتغنى بها المجتمع ، ويهوى تطبيقها ، لكن تختلف الآراء فى الطريق المؤدية اليها والوصول الى اهدافها . فالبعض يرى طريقها التهذيب والتعليم ، والقضاء على الأمية ، وآخر يرى ذلك منحصرا فى تسليم القيادة الى موجه حكيم ، وهو الذى يقود الأمة الى ساحل السلامة والنجاة .

أما عقيدتي فهي أن أقرب الطرق الى الاصلاح هو ايجاد الوعي العام فى الأمة ، واليقظة فى الشعب ، والعمل على ان يشعر الكل بواجب المسؤولية ، ولا يتحقق ذلك الا عن طريق الكتابة والخطابة ، وتعاون الفرد والجماعة فـ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وقال صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ ، قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وكان من أساسيات الاسلام السهر على تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ، وتلك هي الغاية من ارسال الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) .

أهداف العبادات

ان الطاعات البدنية ، والعبادات الاسلامية على فضلها وعلو منزلتها ، في نظر الشارع وسائط لا غايات ، انما يراد بها تكميل الأخلاق ، وتربية النفوس ، انظر الى قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا !! »

فنبه الأمة الى أن الصلاة ليست

ركوعا وسجودا فقط ، دون أن يكون هناك أثر على النفس ، كما أن الصيام ليس عطشا وجوعا ، (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) لأن الصوم في فلسفته تربية للملكات ، وسيطرة على النفس ، وضبطها عن الاسترسال في الشهوات ، وكفها عن الانغماس في المشتهيات .

فالعبادة انما تقع موقعها من رضا الله تعالى اذا أدت الى تزكية النفس ، وتطهير الأخلاق،وحسن القيام بالواجبات مما يؤدى الى عظمة الأمة ، وثبات أمرها، ونفوذ سلطانها ، وفي هذا يقول بعض علمائنا المتقدمين ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم، ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن اعراض الناس .

وقد نبه الشارع الأعظم في غير حديث الى تفضيل الأخلاق على العبادات بنسبة ما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر في مصالح البشر ، وسعادة حالهم .. من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ، عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ، اصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » .

وكما أن الشارع فضل مكارم الأخلاق على مجرد عبادة الجوارح ، كذلك فضل دراسة اسرار التشريع الاسلامي على مجرد العبادة ففي الأثر : عالم ينتفع بعلمه خير من الف عابد . هذه الأحاديث الشريفة ناطقة بأن مكارم الأخلاق ، وتكميل النفس بالعلم الصحيح،وممارسة الواجبات الشخصية والاجتماعية عبادة، بل قد تكون أحيانا خيرا من العبادة ، على حسب ما لها من حسن الأثر في نفع الأمة وتوفير الخير لها .

وما من آية في القرآن ذكر الله فيها (الذين آمنوا) الا أضاف اليهم (وعملوا الصالحات) اشارة منه سبحانه وتعالى الى أن الايمان يجب أن يكون مقرونا بالعمل الصالح ، فهو مظهره وثمرته . وأن الايمان بالله والعمل الصالح يترتب عليهما مرضاة الله ، ومكافاته في الدار الآخرة . والأمثلة على ذلك ما جاء في القرآن في مواضع متعددة كقوله تعالى .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (١) .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٣) .

ولهذا كان الايمان حائلا بين المرء واقتراف المعاصي ، لأن الانسان فيما يفعل ، وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، يقول صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » لأن الايمان الكامل يأبى على المؤمن أن يفعل ما ينافيه ، أو يترك ما يقتضيه .

أثر الايمان في التربية

والايمان بالله ينير لنا ظلمات هذه الحياة ، ففي ساعة العسر يتذكر المؤمن أن هناك ملاذا يلوذ به ، فليس هناك ما يدعوه الى اليأس والجزع ، فتطمئن

---

١ ــ سورة البينة (٧) . ٢ ــ سورة البقرة ــ ٢٥ ٣ ــ سورة الكهف ــ ٣٠ .

نفسه ، وتصغر أمامها الأهوال ، وتهون المصائب (وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وان الايمان المصحوب بالعمل الصالح وسيلة الى تحصيل السعادتين ، ومثوبة الدارين (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (١) .

قل لي بربك — علام يتهالك هذا البشر ، ويتزاحم ، ويتنازع ؟ .

اليس كل ذلك من أجل لذة عاجلة او آجلة . والآية تضمن لعامل الخير هاتين اللذتين .

قال الامام علي بن الحسين زين العابدين : افعل الخير الى كل من طلبه منك ، فان يكن أهله فقد أصبت موضعه، وان لم يكن اهله كنت أنت أهله .

وقال رجل بحضرة الامام : المعروف الى الكرام يعقب خيرا ، والى اللئام يعقب شرا ، فقال عليه السلام . كن كمثل المطر يصيب الأرض الطيبة والسبخة .

اننا نشاهد البعض من بني الانسان وهو يسمو بروحه ونفسه حتى يفضل على الملائكة ، وآخر يهبط وينحط حتى عن صف البهائم (اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا) .

من الناس من يولد وينشأ ، ويعيش ويموت ، من غير أن يشعر به أحد ، فهو يشبه الزرع الذى ينمو عفوا فى الربيع ، لأنه لم يفد المجتمع فائدة تذكر .

ومن الناس من يشبه النبات السام الذى يبتعد عنه كل حي، لكيلا يصاب منه بضرر ، واذا دنا منه أحد فهو لكي يستأصل جذوره ، واذا زال واضمحل فرح بزواله كل من يريد الخير لنفسه وغيره ، وهذا النبات صورة أولئك الناس الذين لم يوجدوا على الأرض الا ليضروا الخلق ، فاذا ماتوا فرح الجميع بموتهم ، واستراحوا منهم ، لأنهم تخلصوا من شرهم وخطرهم .

وهناك اناس يشبهون الدوح الذى لا ثمر فيه ، بل هو يفيد الأحياء بظله الوارف ، وظله يزول بزواله ، وهو يشبه أولئك الرجال أصحاب النفوذ والثروة والجاه والسطوة ، فاذا قضوا نحبهم زال معهم اسمهم ، لأنهم لم يخلدوا آثارا تذكر .

واما الرجال الأعلام الذين يضاهون الشجر الطيب الثمر الذى يؤتي أكله ، فيتمتع به الناس ، ويرتاحون لمنظره ولطعمه (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (٢) .

١ — سورة النحل — ٩٧ ٢ — سورة ابراهيم — ٢٦٧ .

صيحة الاسلام فى وجه الصهيونية والصليبية الآثمة

للشاعر الاستاذ « محمد التهامى »
المستشار بالجامعة العربية

إن قال داعِي الحقِّ من يتقدمُ   فأنا الحقيقة كُلُّها ، أنــا مُسْلم
ومُعَلِّمي فــي العالمين محمــد   صلى عليه الأنبيـــاءُ وسلمــوا
وتخيَّــروه لهم إمامــاً صادقــا   لـمـا اصطفاه لنا الإلهُ الأعظمُ
وجدت شرائعُهُم يُكمِّل بعضُها   بعضاً وتدرُجُ للكمــال وتَعْظُمُ
حتى تبلَّجَ فجرُها فاذا بــــه   خيرُ الأنــامِ بدينِهِ يتقـــدم
فَطَوَوْا رسالاتٍ لهم وتراحَمــوا   خلفَ النبي وبايعوه وأَسْلموا
شهدوا وهم رُسلُ الأنام بديننــا   وبأنــه نَهْجُ الحياةِ الأقــومُ
نرضاهم رسلا تألق هــــدْيُهُم   ويتمّه طــه الحبيــبُ ويختـمُ
ونحبهم حب الجدود بَنَوْا لنا   لنتم رهن مشيئة تتحكـــــم
فالبـــدر في كَبِدِ السماء تَزُفُّه   وتَرُوح تسبقُه هناكَ الأنجُــمُ
إنا عبادَ الله ملء قلوبنـــا   طه وموسى والمسيحُ ومريــمُ
وجميع أصحابِ الكتــاب طلائعٌ   منا على النَّهْج القويـم تَقَدَّموا
لانحمــل الضِّغْن الشقيَّ لبَعضهم   أبدا ولا نبغي ولا نَتَهجَّــم
بالكلْمة البيضاءِ كــلٌّ دُعَائِنَا   والله يهدى من يشــاء ويُلْهِمُ
هذا دعاءُ المسلمين وإنــــه   من كــل أدواء التعصب بلســم
وبلادُنا دار الجميع فكُلُّهــم   متقلب في خيرها يتنعـــم
كم دق ناقوسٌ وصاح مــؤذن   ومَعَ السلام صداهُمَا يترنَّــمُ

هذا سلام القادرين بـــدارهـــم ... دارُ العــروبة حُرَّةٌ لا ترغـــم
نحمى الحقوقَ نصونُها ونردُّها ... لِـذوى الحقوق وحقُّنا لا يُهضَمُ
لانظلمُ الناسَ الحقوق تــرفعــا ... لكننا لا نُستَضامُ ونُظلَـــمُ
من شاءها حرباً فنحن جنودهـــا ... حتى يثوبَ المعتـــدون ويندمُوا
وإذا السلام الحرّ لاح وميضـــه ... فلَدَى هُدَى القرآنِ ماهُوَأسلَمُ

***

واذا جُرِحنا في المعارك مَــرَّة ... فالأُسدُ في وهج المعامع تُكلَمُ
هذى فلسطينُ الأبيةُ ما انحنــت ... يوما وإن غطى شوامِخَهَا الدَّمُ
إنا لنعلنها إليهــم مُـــــرّة ... فالحق لا يخفــى ولا يُتَكَتَّـــم
لولا ذئابُ الغرب خَلْفَ عدوِّنا ... ما اسطـــاع أن يسعى إلينا المُجْرِمِ
أشلاؤنا اللائى تركنا خلفنـــــا ... قتلـــى واسرائيلُ تفزعُ منهمُ

***

إنا نريـــد الحقّ لا نرضـــى بـــه ... مَنّاً ولا نشكو ولا نَتَظَلَّـــــمُ
لانَعرِض الجرحَ العميقَ عليهم ... إنا لنَعرفُ أنهم لن يَرحَمُوا
لكننا نُزجـــى إليهـــم عِبرَةً ... من صانعى التاريخ تنبئُ عَنهُمُ
هـــذا صلاحُ الدينِ تحت ترابِـه ... أسدٌ عـــلى أرض المعامع يَجثُمُ

القيادة الادارية في سيرة الرسول

« من العلوم التى بدأت تأخذ مكانها فى الدراسة الآن باهتمام علم الادارة أو الشؤون الادارية ويبد لكثير من الناس أنه جديد . وقد يكون جديدا فى تسميته .. والكاتب الفاضل يحاول بما له من دراية بالادارة والاسلام أن يقدم للقراء عرضا جديدا يربط بين ما يعرفه المحدثون من هذا العلم ومصطلحاته وبين الاسلام ونهج حكامه فى ادارة شؤون الرعية ومعاملتهم وبدأ هذه المحاولة بهذا البحث » . الوعي الاسلامي

للمقدم حسن فتح الباب
أركان حرب معهد الدراسات العليا
لضباط الشرطة بالقاهرة

تزايد الاهتمام فى عالم اليوم بأبحاث الادارة العامة ودراساتها المتشعبة حتى أصبحت علما قائما بذاته ، لا غنى عن الالمام به لكل من يعنى بشؤون الجماعة ، ويعمل على اصلاحها .

ويمكن تعريف علم الادارة العامة بأنه دراسة نشاط العاملين بالأجهزة التنفيذية للدولة فى سبيل تحقيق أهداف عامة مرسومة يعبر عنها بالسياسة العامة .

فالادارة العامة — بوصفها عملا جماعيا — تقوم على دعامتين متكاملتين لا قوام لاحداهما بدون الأخرى : تتمثل الاولى فى الافراد المكلفين بخدمة الجهاز التنفيذى ، وتتمثل الثانية فى العمل الذى يضطلع به هؤلاء الافراد . ومن ثم فان نجاح الادارة العامة يرجع الى حسن اختيار القائمين عليها ، وتدريبهم لرفع كفايتهم الانتاجية ، ثم وضع كل منهم فى المكان اللائق به ، حتى يستطيع القيام بأعباء الوظيفة التي تؤهله لها كفاءته ، والى تنسيق المهام المنوطة بهم ، وتعاونهم على الاضطلاع بها ، وفقا لأعلى مستوى من الأداء .

ومعنى التعاون هنا هو خلق حركة ونشاط منظم لم يكن ليتأتى اذا قام به فرد واحد أو أفراد متفرقون يعملون بلا نظام ولا خطة محكمة .

والقائد الادارى الناجح : هو الذى يستطيع أن يدفع العاملين معه الى العمل فى الاتجاه الصحيح ، بحيث يخلق منهم وحدة ادارية منظمة ، تقوم على التعاون الايجابي الذى يؤدى الى استمرار النجاح ، والوصول الى الأهداف المنشودة . فهو لا يقيم سلطته على الارهاب والعقاب أو التهديد به ، وانما يعتمد على قدرته فى استنباط الأصول النظرية وتطبيق القواعد العملية التي ترفع الروح المعنوية بين معاونيه ، وتزيد شعورهم ، بالمسئولية ، وتقديرهم لها حتى يقبلوا بأنفسهم مختارين على تنفيذ ما يعهد لهم به ، بدافع من ايمانهم بالواجب ، فلا تشل حركة الادارة في غيبته ، بل يستمر الجهاز فى عمله مواصلا سيره فى طريقه المرسوم .

واذا رجعنا الى تاريخ الدولة الاسلامية فى عصورها الاولى تبين لنا بوضوح أن القيادة الادارية الحكيمة كانت من أهم القواعد التى بنى عليها نظام الحكم ، ومن ثم كانت عاملا رئيسيا فى ازدهار الدولة وسيادة عقيدتها وحضارتها فى معظم أرجاء العالم .

وقد ضرب الرسول الكريم لأصحابه ـ بما أثر عنه من أقوال وأفعال ـ أعظم المثل لما ينبغي أن يتحلى به القائد الاداري من مناقب وسجايا ، اذ كان يحمل على عاتقه من الأعباء الجسام ما تنوء به الطاقة البشرية بحكم تلك الأمانة العظمى التي حملها لهداية الناس من الظلمات الى النور .

اهم المبادىء

وقد اقتضته تلك المسئولية الكبرى أن يختط أقوم السبل ـ بوحي من الله تعالى ـ للاضطلاع بها . فكان تأصيل التعاون فى نفوس المؤمنين برسالته عدته فى نشر الدعوة ، ثم تثبيت دعائم الدولة الاسلامية الجديدة . فلا غرو أن يكون الحض على التعاون والتآخي من أهم المبادىء التى تضمنها الدستور الاسلامي وصدع بها الرسول . قال تعالى ـ

« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم(١) »

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٢) » .

وقال الرسول الكريم :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

القدوة

ولقد وحد النبي أتباعه ، وساوى بينهم على اختلاف أنسابهم وألوانهم ولهجاتهم ، وتباين مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ بنفسه فكان أسلوب عمله مطابقا لقراره ، ونزه ذاته عن الترفع والتعالي فى ادارته لشؤون الاسلام دينا ودولة ، مصداقا لقوله تعالى :

« وانك لعلى خلق عظيم (٣) » .

وقوله عليه السلام :

« أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

لم يجنح ـ عليه السلام ـ الى العسف فى الحكم أو الصلف فى المعاملة ، وصدق الله العظيم .

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (٤) » .

ومن آيات تواضعه مشاركته للرعية فى شؤونها واسهامه فى حمل أعبائها ، ومن ذلك أنه كان يعمل مع المسلمين يدا بيد فى حفر الخندق . وما أملى قرارا دون أن يمهد له بوسائل الاقناع المناسبة والتوجيه السليم ، فكانت المشورة سبيله ، والقيادة الجماعية أسلوبه في سياسة الدولة . وآية ذلك أنه يأخذ بآراء يبديها بعض صحابته ، حيثما يتوسم فيها الأصالة والسداد .

ومما أثبته التاريخ فى هذا الصدد ـ كما أورده المرحوم الاستاذ عباس العقاد أن سلمان الفارسي هو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق عند المنفذ الذى خيف أن يهجم منه المشركون على المدينة، فأخذ الرسول بمشورته .

ومن المعروف فى أصول القيادة الادارية الحكيمة فى العصر الحديث أن القائد الكفء هو الذى يهيىء الفرص لرجاله كي يستنبطوا القرار الذى يريد ، فيصدر عنهم ولا يملى عليهم ، فمن شأن ذلك أن يؤكد ثقتهم بقدرتهم على الحسم فى الأمور . وبذلك تنشأ صفوف جديدة واعية من القادة تسد ما قد ينشأ عند غيبة الصف الأول

البقية ص : ٩٨

(١) ١٠ : سورة الحجرات . (٢) ٢ : المائدة . (٣) ٤ : سورة القلم . (٤) ١٥٩ : آل عمران



درس في مسجد

تقدم الشيخ « أبو حازم » ، مطمئن النفس ، مضطرب الخطو ، ساهم البصر ، مختلج العضلات ، حتى اذا حاذى « اسطوانته » فى جامع الفسطاط ، استوى على كرسيه ، فاقبل عليه طلابه ، بين مسلم ومحتشم ، وآنس بروح الشيخ وهائب .

وأجال الشيخ بصره فيهم يتفرس الوجوه ، فلم يجد بينهم حواريه أبا أمامة ، فكأنما استوحشت نفسه ، وساورته الشكوك ، فان أبا أمامة لم يفارق مجلسه منذ خمس عشرة حجة .

وأطرق الشيخ ، ثم رفع رأسه ، وانطلق صوته عميقا رقيقا مشفقا :

ــ أعندكم خبر عن أبى امامة ؟ .

فأجابه مجيب :

أطال الله عمر الشيخ : لقد تركناه ضحى اليوم ، وقد فرغ من دفن ابنته أمامه . وانه من فراقها لفي أسى يطويه وينشره ، فلعله قد أنساه الكمد ، أو تغشته نعسة من طول ما أصابه من رهق .

فاسترجع الشيخ طويلا ثم قال :

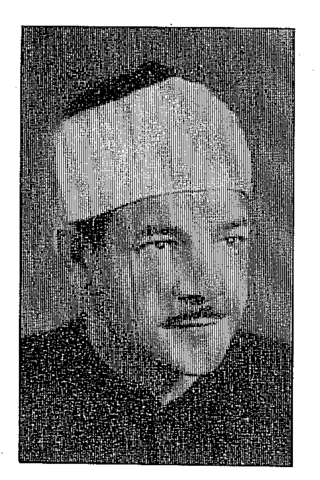
وما جزع المرء مما هو لا بد لاقيه ؟ ! وما نحن الا ركب يتلاقى بعد حين بطاؤه وسراعه فالعجلان والمستريث يجتمعان بعد حين ليس بالطويل ...

ورب راغب فى الموت ، برم بالبقاء ، صادق فى هذه الرغبة صدق غيره فى حرصه على الحياة ، وتشبثه بالبقاء ، أو ما سمعتم قول شيخ المعرة :

---

* مسجد الفسطاط أول مسجد أسس فى مصر فى المنطقة التى نزل فيها المسلمون عند الفتح وضربوا خيامهم فسميت المنطقة لذلك بالفسطاط وهومعروف الآن بمسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة . « الوعي الاسلامى »

الفسطاط



للاستاذ كامل السيد شاهين
المفتش بالمعاهد الازهرية

دعا لي بالبقاء أخو وداد
رويدك انما تدعو عليّا
وما كان البقاء لي اختيارا
لو ان الأمر مردود اليّا

والتفت القوم ، فاذا أبو أمامة يتجه اليهم بخطو كأنه العدو ، ثم يقبل على الشيخ كالمرأة الواله ويحتوش يديه المعروقتين فى يديه ، ويكب عليهما بفمه كأنه يريد أن يرشفهما .

ويسكت أبو أمامة ليتكلم دمعه المنسجم ، ونفسه المضطرم ، وقلبه الخفاق .

وينتزع الشيخ يديه فى رفق رفيق ، ويتلو فى خشوع قول الله تعالى :

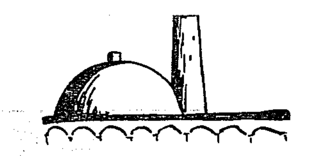
«وبشر الصابرين، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون» .

فكأنما صب على قلب أبي أمامة المحرور ، ذَنوبا من ماء برود . وقال : والله لقد كانت أمامة أيها الشيخ واحتى التى أسكن الى ظلالها فى تيهاء هذه الدنيا ، كانت ريحانتى التى تتنفس طيبا تنشق منه نفسى ، ويسكن اليه قلبى ، فاذا كربتنى الحياة ، أقبلت عليها أشمها وأضمها وألثمها ، فتنفرج كربتي ، ويذهب بثي ، فالآن ... ثم وقف الكلام فى حلق الرجل المفئود ، لا يرتقى صعدا ولا ينزل. فلما ذهبت غصته قال متمثلا :

ليت نفسي قدمت
للمنايا بدلك

فتمثل الشيخ :

يموت قوم وراء قوم
ويثبت الواحد العزيز
كم هلكت غادة كعاب
وعمرت أمها العجوز
يجوز أن تبطىء المنايا
والخلد فى العقل لا يجوز



وتتجه الجماعة الى الشيخ ، يسألونه عن حقيقة الموت ، فتنفرج شفتاه عن بسمة رقيقة تنم بالوثوق والتمكن قال :

الموت خلوص الروح من الجسد، فاما الجسد فتعرفونه ، يدا تبطش ، وعينا ترى ، ورجلا تسعى .وأما الروح فقد تحدث عنها القرآن الكريم :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » السائل اليهود ، وما كان سؤالهم الا لاحراج الرسول ... وكان جواب الله تعالى جده — أن الروح أمرلا يوصف، فهي حقيقة تتعاصى على العقل الانسانى، والاستعداد البشرى ، فلا سبيل الى معرفتها لقصور الافهام ... فهذا تأويل .

وتأويل آخر : هو أن الروح من أمر الله ، والله يعطي من العلم ما شاء ، ويمنع ما شاء ، فما بالكم تلجون فى أمر الروح هذا اللجاج ، مع ان العلم البشرى علم ضئيل ، فما جهل أمر الروح الا جرى على الاصل فى معرفة الناس لأسرار الكون والحياة ، فهذا هو الجانب الأكثر .

وفى قوله تعالى « أوتيتم » اشارة الى أن العلم ايتاء فهو توفيق وتيسير، وليس أمرا يحصل لكل راغب .

فليس لنا أن نقول : مم تتركب الروح ؟ فسبيلنا الى ذلك سبيل واحد هو ما وردت به صحاح الأحاديث ، **وانما نعرف الروح بآثارها . فبها حركة الجسم واحساسه ، وبها ادراكه ووعيه، وبها علمه وتفكيره ، وبها عزمه وتدبيره ، وبها حبه وبغضه ورضاه وغضبه .**

واذا كان اتصال الروح تترتب عليه هذه الآثار ، فان انفصالها يوجب فقدان هذه الآثار .. وهو ما يعرف بالموت .

فأما الجسد فعناصره عناصر الطين . **(واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين) .**

فالجسم الانسانى : كربون، وفسفور، وحديد ، وجير ، وبوتاس ، وملح ، وسكر ، ومغنيسيوم وكبريت ، والطين — يا بني — كذلك .

والشعراء قد دعوا ذلك ، فقال أبو ماضي :

نسي الطين ساعة انه طين حقير
فصال تيها وعربد
يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

وقال آخر يبرر جبنه وفرقه من ركوب البحر :

لا أركب البحر أخشى
علىَّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء
والطين فى الماء ذائب

فابتسم الطلبة فى خبث وظنوا أن الشيخ يبعد بهم عن مزالق الكلام الى ممهوده فابتدره طالب مسنون الوجه حاد الصوت ، كان يجلس فى اقصى الحلقة :

ولكنا نرغب أيها الشيخ أن تحدثنا عما تتميز به روح الانسان عن روح الحيوان وهل هما شيء أحد أم هما مختلفان ؟

قال الشيخ : ما رأيت كاليوم امعانا فى التضييق ، **فاما اذ كنتم ولا بد** سائلين فان روح الانسان لا تكاد تفترق عن روح الحيوان ، الا فى الاستعداد للعلم « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة .** »

فذكرت الآية أن منافذ العلم وأسبابه ثلاثة : السمع والبصر والعقل ، وأداة العقل اللسان ، وأثر اللسان اللغة ، فهى تعطيك تصوير التجارب وتختزنها فى قوالبها وتبنيها مقدمات ونتائج ثم تجعل النتائج مقدمات مسلمات تصل منها الى نتائج أخرى أعلى . وهكذا يترقى العلم حالا بعد حال فى الانسان ، ويقف فى الحيوان عند التجارب البسيطة التى لا تتقدم وعلى هذا الأصل يقول اخوان الصفاء « **ان النفس لا تعرف شيئا الا بتوسيط الجسد** » .

وكان فى الحلقة شيخ قارح كأن عثنونه حديدة فاس ، يسقط منظاره على أرنبة أنفه ، فتحرك تحرك الثعبان طواه البرد، ونشره الدفء ، ثم قال :

ولكن ابن سينا يرى غير ما يقول الشيخ : فالنفس عنده كانت تعرف كل شيء قبل حلولها فى الجسد وانما معرفتها تذكرها ، فاذا رأت شيئا فى عالمنا ، تذكرت ما رأته فى عالمها الأعلى قبل هبوطها الى الارض وأنت تقول انها تعلم بالتعليم لا بالتذكر ، فالى أىّ القولين نصير . ؟

فما تحرك من هيئة الشيخ شيء ، وقال ذلك أيها الحيوان الناطق رأى لم يبتدعه ابن سيناء وانما تبع فيه أفلاطون، فهي عنده تعرف الحقائق بالتذكر ولا يحجبها عنها الا حجاب الجسد وضلال الحس والشهوة وقد تبين ذلك فى عينية ابن سيناء التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدلل وتمنع
محجوبة عن كل رؤية ناظر
وهي التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كرهٍ اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

. . . الخ . . ولكن ذلك ليس له موافقة من كتاب الله ، ولا سند من سنة رسول الله صلوات الله عليه . قال أبو أمامة : وما برح فكره يدور حول ابنته التي اعتبطت من ليلة : ولكن ما حكمة الموتَ أيها الشيخ : وماذا ضر لو عاش الناس الى نفخة الصور . ؟

قال الشيخ : الحياة يا أبا أمامة — هم وتكليف ، والموت اقالة من الهم والتكليف (**لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الأنسان فى كبد**) والكبد أبلغ المشقة ولقد صدق أبو العلاء اذ قال :

لعل الموت خير للبرايا
وان ضاقوا به وتهيبوه

وأوضح منه ما جاء فى مرثيته الدالية :

تعب كلها الحياة فما
أعجب الا من راغب فى ازدياد

وقد التمس ابن الرومى علة خيالية مليحة لبكاء الطفل عندما يستهل صارخا لدى ولادته، أن ذلك اشفاقمما يستقبله فى الحياة النكدة :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها
لأوسع مما كان فيه وأرغد

قال أبو أمامة :

افترى أيها الشيخ انه كلما سارع الموت الى الحي كان ذلك من سعادة حظه وآية رحمة الله به وأننا ينبغي أن نتمنى الموت الباكر الذى يعتبطنا شبابا على غير مرض ولا هرم .

قال الشيخ :

ان هذا المذهب لبعض المتشائمين .

ومن اليمن للفتى أن يجيء المو
ت يسعى اليه سعيا صريحا
ولم يمارس من السقام طويلا
ومضى لم يكابد التبريحا

غير أننا نهينا عن تمني الموت مهما يبلغ ما نلقى من كبد فى هذه الحياة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((لا يتمنين احدكم الموت لضر اصابه اما محسنا فلعله أن يزداد احسانا واما مسيئا فلعله أن يقلع عن اساءته)) .
أو كما قال .

قال أبو أمامة : ولكن المرء قد يبلغ به العجز والمرض حدا يحول بينه وبين القيام بحقوق الله ، فلا يزداد الا اساءة .

قال الشيخ : حاش لله : ((**لا يكلف نفسا الا وسعها**)) على أن مرض المرء وعلته وهمه وغمه ، كل أولئك تتحات به خطاياه ، كما قال رسولنا صلوات الله عليه :

((ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم و لا غم ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)) .

فتنفس أبو أمامة ، كانما أزيحت عن صدره صخرة تثقله .

وابتدر الفتى المسنون الوجه ، الحاد الصوت ، يقول للشيخ :

كنت تحدثنا عن حكمة الموت ، ثم انسرب الكلام بنا الى موت الهرم وموت الفتى ، **فهل للموت من حكمة اوضح** وأتم ؟ .

قال الشيخ :

ان الآية ((**لقد خلقنا الانسان فى كبد**)) كالجذع ينبثق عنه فروع وعساليج . أو ليس من الرحمة أن الرجل اذا تنفس به العمر وكان ذا مال وسعة ثقل على أهله الذين ينتظرون حينه ، لتنطلق ايديهم فيما تحت يده وهكذا الدنيا .

تملكها الآتي تملك سالب
وفارقها الماضي فراق سليب

فان كان معدما كان على أهله أثقل ، وكانوا به أشد تبرما ، أو ما ترى أن من الرحمة أن ينتهي الملىء والمعدم ، حتى لا يرى الجحود والنكران والشر ممن غمرهم بخيره ، ورصد لهم حياته وشبابه ؟ ثم انك ترى الرجل يكون ملء العين قوة وخفة ونشاطا ، ثم يصيبه الهرم بالضعف فيستند الى العصا فتعينه أجلا ، ثم لا تنفع العصا ، فينوء ولا يكاد ينهض :ــ

على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيام

والله تعالى يقول :

((الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)) قال الطالب الحاد الصوت :

فذلك الضعف ، فما باله قد قرن اليه الشيب . ؟

قال الشيخ :

يجمعهما النقصان يا فتى فهذا نقصان فى كمال القوة ، وهذا نقصان من كمال الشكل وان كان الشعراء على عادتهم لا يرغبون عن اللهو وان جللهم الشيب :

لقد جل خطب الشيب ان كان كلما

بدت شيبه يعرى من اللهو مركب

ولقد بادل ابن قيس الرقيات عاذلاته لوما بلوم :

بكر العواذل فى الصباح يلمنني وألومهنه

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

لا بد من الشيب فدعن ولا تطلن ملامكنه

ولكن الحكم ليس للشائب ، بل الحكم لمن يرضاه صاحبا أو خليلا هذان أمران وأمر ثالث ايها الفتى — فما من امرأة ترى بعلها قد فترت همته ، وقلت نهضته الا فركته، وجعلت تشاره ونهاره وتدعي عليه الذنوب :

قد اصبحت أم الخيار تدعي

على ذنبا كله لم أصنع

ما أن رأت رأسي كراس الاصلع

امشي كمشي الاهدا المكتنع

بلى ! فان مجرد الانصراف عن المرأة جدير بأن يكشف قناعها ، ويهدد حياءها

فقد روى عن محمد بن معن الغفاري قال :

أتت امرأة الى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين :

ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وانا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل . فقال لها : نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر هذا القول ويكرر عليها الجواب . فقال له كعب الاسدي :

يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته اياها عن فراشه ، فاذا كان هذا حال المرأة مع الرجل القادر فاى غم يركب الرجل اذا أعجزته الشيخوخه ، أو قصدت به العلة ؟

وقد قال أبو الطيب :

وما صبابة مشتاق على امل

من اللقاء كمشتاق بلا أمل

دع ذا ، وخبرني عن الرجل اذا ألحت به علل البطن ، فاصيب بالكباد ، أو داء المعدة فلم يهنأ بطعام ، ولم يسترح فى شراب ، وأصبح من جوعه فى ألم ، ومن طعامه فى ألم ، فأى حياة تطيب ، وأى عيش يلذ ؟ .

تلك — أيهذا السائل — بعض فروع الكبد وعساليجه ومن ورائها ما لا ينحصر من أمثالها وسبحان من أوجز فأعجز « **لقد خلقنا الانسان فى كبد** » .

وانه لمن الطريف أن يعد الموت من النعم التي يتفضل الله بها على العباد ويبكت الانسان بالغفلة عن حقيقة النعمة فيه ، ويرمي بالجحود . ترون ذلك فى قوله سبحانه :

« قتل الانسان ما أكفره ! من اى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فاقبره » .

فجعل الموت من جلائل النعم التي يوجب جحدها العجب غاية العجب من شدة نكرانه وكفرانه وصدق الله العظيم .

فقام أبو أمامة وقبل من الشيخ يمينه وجبينه ، وانقلب الى بيته والدنيا أهون عليه من الغبار الذي ينفضه عن حذائه أو ردائه ! .

الفتاوى

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصــة اذا احتـــاج الامر لذلك »

الكوافير والصلاة

تسأل احدى السيدات هل يمكنها ان تصلي دون أن تغسل شعرها خوفا عليه من الماء بعد أن دفعت مبلغا كبيرا عند الكوافير لترتيبه ، علما بأن عملها العام يستدعى ذهابها الى الكوافير كـل اسبوع مرة على الاقل ؟

الاجابة

نحب أولا أن نشكر للسائلة بحثها عن مخرج تستطيع به التوفيــق بين أداء فرض الله ومقتضيات عملها كما تقول . ولكننا نقول لها ــ الكوافير أو الحلاق ما ضرورته ؟ ان كشف الشعر حرام ، ثم جلوس المرأة أمام الحلاق الرجل ،وقيامه بتصفيف شعرها ، أمر يخالف مخالفة صريحة تعاليم الاسلام ... وذلك فوق ضياع الوقت الطويل .. والمال الكثير .. والقيل والقال مما يتسبب عنه الكثير من الفساد الذى تحدثت عنه المجلات والصحف وحذرت منه .

وبعد ــ فالسيدة السائلة التى تريد أن تصلي نقول لها بالنسبة للوضــوء يكفي فى الشعر أن تمسح بضع شعرات من أى جزء من رأسها ، وبالنسبة للغسل من أجل التطهير يجب عليها أن تعمــم جسمها جميعه بالماء بحيث يصل الى منابت شعرها ، وهذا باجماع المذاهب الاربعة .

اليمين والكفارة

اذا حنث شخص فى اكثر من يمين فهل يكفر عن كل يمين منها على حدة أو يكفر عنها جميعا بكفارة واحدة ، وأيهما أفضل ، هل يصوم ثلاثة ايام أو يطعم عشرة مساكين ؟ وهل يشترط التتابع فى الايام الثلاثة للكفارة أم لا ؟

الاجابة

المقسم حين يقسم بالله أو بصفة من صفاته العليا أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلالــه ، مستشعرا الوهيته وربوبيته فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه اقتحم هذا المانع القوى وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى اقسم به ، ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يكفرها ويسترها .

ولهذا شرع الاسلام الكفارة لمن يحنث اذا وقع فى يمينه فهذه الكفارة تطهــير للانسان من خطئه وتجديد لأمله فى الله وتقريب له من مولاه، وفيها خير للمجتمع باشاعة البر والتعاطف بين أفراده .

ويوجب الاسلام على الانسان الذى يحنث فى يمينه اطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهــم بما يستر ابدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق فكفارته صيام ثلاثة أيام ويكفي صومها متفرقة والافضــل التتابع .. وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ..

الطبيب والمرأة

أنا مريضة وزوجي يريد أن يأخذني الى طبيب للكشف علي ولكني ارفض ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟

الاجابة

من القواعد الاصولية فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات .. ومن المعروف أن المرأة لا يجوز أن يظهر منها الا وجهها وكفاها وما دعت الضرورة الى رؤيته والنظر اليه ، قال تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) ذلك أن الاسلام حريص على أن يصون المرأة وأن يحفظ لها حرمتها ، وأن يحوطها بسياج قوى عن أعين الاجانب .

والاسلام اذا كان حريصا على كرامة المرأة وعرضها فهو حريص كذلك على صحتها وعلى تخليصها من الامراض والعلل .

فاذا كان فى النساء طبيبات بارعات فى الطب ، يستطعن علاجها ، ويسهل الوصول اليهن ، كان ذلك أكرم لها وأستر ، ووجب عليها حيئذ أن تذهب اليهن ، ويحرم عليها أن يراها طبيب رجل .

أما اذا كان هذا المرض لا يستطيع علاجه الا الرجال ، أو يصعب الوصول الى طبيبات ، فحينئذ يبيح لها الاسلام أن يرى منها الطبيب العدل بقدر الضرورة ما لم يبحه فى غير هذا المقام وعلى هذا يجوز للسائلة الفاضلة أن تذهب الى طبيب للكشف عليها اذا دعت الضرورة الى ذلك ، والله أعلم ،،،

الضمان فى البنك

لي صديق تاجر أراد أن يقترض مالا من احد البنوك ولكنه احتاج الى ضامن فهل يجوز لي أن أضمنه ؟

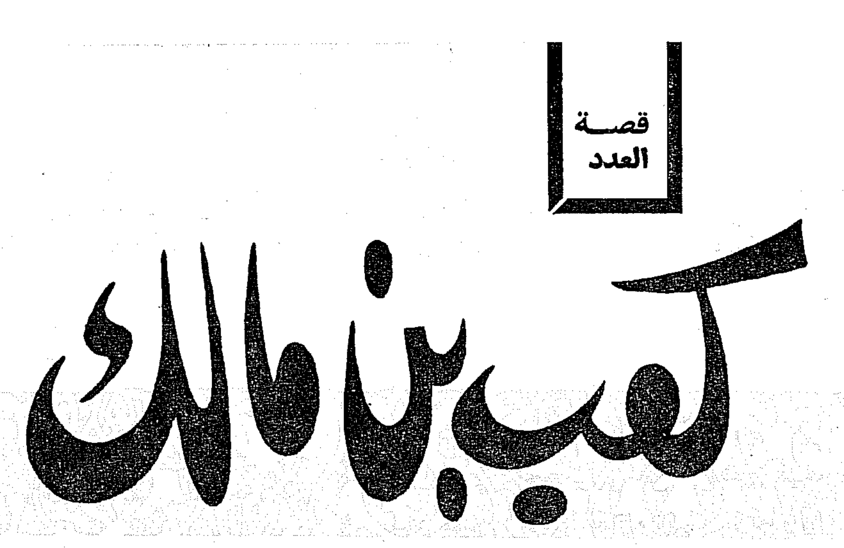
الاجابة

حث الله تبارك وتعالى المسلمين على التعاون فى الخير ونهى عن التعاون فيما يعود عليهم بالاثم، فقال تعالى — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) .

والتعاون فى سبيل المعيشة مما يحتمه الدين ويأمر به الا انه حرم التعاون فيما يعود بالاثم ، فاذا كان هذا التاجر الذى سيقترض المال سيقترضه بفائدة كما هو الشأن فى معاملات البنوك فهو معاملة بربا ، وقد حرم الله تبارك وتعالى الربا على آخذه ومعطيه وكاتبه وشاهده ، كما أشار الى ذلك الحديث الشريف حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه) .

وعلى هذا فلا يجوز للسائل ضمان هذا الصديق لانه سيكون معينا له على ارتكاب الاثم وشريكا له فيه ويستطيع هذا الصديق أن يعاون صديقه باقراضه من ماله الخاص ان كان فى سعة من الرزق وبذلك يتحقق التعاون الذى أمر به الدين .. والله أعلم ،،،

قصة العدد



بقلم الاستاذ محمد لبيب البوهي

بـدأ الفجر ينشر أرديته الوردية على بطحاء مكة ، فيغمر الكون المنتشي بتسبيح ربه ، الخاشع فى صلاته بضوء شفيف ، وقد بدت معالم دار كعب بن مالـك تتبدى تحت لمسات النور الوليد ، وقد راح كلب الحراسة ينبح نباحا عاليا متصلا ليس له بـه عهد من قبل ، حتى أقبلت راوية الجارية تعالج أمره ، كأنما تخاطبه فتقول : يالك من كلب تظهر شجاعتك فى غير ميدان ، فقد عهدناك جبانا رعديدا فى حضرة اللصوص ، فيا لك من ماكر خبيث لا تستحق كسرة الصباح .

... وكان طاهر اليعقوبي الفتى المـراهق ابن أحد الشهداء الراقدين فى البقيـع قد انتهى من صلاتـه ، فالتفت اليهـا قائلا : ((دعيه فانه ينبح ، لأنه يرى الشيطان .. لقد دخل الشيطان لأول مرة هذه الدار .. انظرى : ان صاحب الدار لم ينهض اليوم لصلاة الفجر ، ولم ينشط لتـــلاوة قرآنه المشهود كعادته كل صباح ، وبذلك حق للشيطان أن يفرح ، وان الكلب ليراه ، فهو لذلـك ينبح ... وذهب الفتى يقـرأ بعض آيات الكتاب المبين ، وبدأ نباح الكلب يتلاشى ، وأخذت الجارية العجوز تضرب كفا بكف مذهولة مما تـرى .. ثم التفتت الى الفتى وهي تغمغم : لقد أشرقت الشمس ولم ينهض السيد بعد من نومه .

فأجابها الفتى وهـو يغالب أسـاه : ذلك ما لست أدرى له سببا .

ومالت راوية على أذنه تهمس : لقد ظل شهورا مسهدا قلقا يسـعى للزواج من (أميمة) الحسناء ، التـي امتنعت على كثيرين من كبار القوم ، فلما نالهـا حق له ان يهدأ هذه الليلة ويستريح .

قال الفتى : تعنين أن المرأة قد أنسته ذكر الله .. ؟ بئس هذا الزواج اذن .. الذى يفتح الباب للشيطان .. ان هـذا الشر لن يكون الأول والأخـير ، فالكتاب يقرأ من عنوانه ، ولكل بداية نهاية ، واني لجد مشفق على كعب بن مالك .

ثم انصرف عنها ، والأفكار تتزاحم فى ذهنه ،



ولقد بدأ لأول مرة يتنكر للحياة فى هذه الـدار التي أحبها ، والتي علمه صاحبها تلاوة القرآن ، وأسمعه كثيرا من أحاديث الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، وكان ما ينفكيذكر لهقصص الشهداء الذين رفعوا لواء الدين ، وكيف ذهبت كل أسرة تفاخر الأخرى بعدد مـن استشهدوا فى سبيل الحق من ابنائها ، حتى كانت تلك المعانى تملأ نفسه رضى وسعادة ، اذ يذكر أنه ابن رجل شهيد وأن أباه قد مات وهو يجاهد ، وأن ذلك الشرف عند الله والناس عظيم ، حتى كان القوم اذ يرونه يشيرون اليه معجبين يتهامسون .. هذا طاهـر اليعقوبي .. انه ابن رجل شهيد ، فكانت هذه الكلمات تقع فى نفسه أكثر عذوبة مما لو قالـوا عنه انه ابن قيصر ، أو سليل الأباطرة ، وانه ليعد الأيام والشهور حتى يشب عن الطوق ، وحتى يصبح أهلا للجهاد ، ولقد أحب كعبً بن مالك ، لأنه كان يتعهد هذه المعانى فى نفسه ، فيزيدها قوة وتثبيتا .

ولقد كان كعب من المجاهدين الذيـن لـم يتخلفوا عن غزوة من الغزوات ، وكان من عادته أن يهش للفتى ، ويتبسط معه ، ويخفض لـه جناحه ، ويدعوه معه الى صلاة الجماعـة والى تلاوة القـرآن ، ولكن الفتى قد رآه فى الأيـام الأخيرة منصرفا عنه لا يكاد يلقى اليه بالا ، ولقد ذهب بالأمس يسأل « راوية » الجارية العجـوز عن سر هذا التحول ، فربتت كتفيـه وهدهدت حزنه وقالت : لا عليك من ذلك يا طاهر فانمـا كان صاحبك يخلو اليك ، ويتبسط معك حـين كانت حياته ملك نفسه ، أما اليوم فقد اتخذ لـه شريكة ذات جمال ، وقد أسكره جمالها عن نفسه وعن الناس ، فلا تدع للهم سبيلا الى نفسك ، وانما دع الأمور تجرى وفق سجيتها ، فان للزواج الجديد السعيد روعته ، وان لهذه الفتنة أجلها وان أيامها ستنتهي حتما . ما من ذلك بد ، ثم يعود صاحبك الى القرآن والى أصحابه واليك ، يستمع منك ، ويتحدث اليك ، ويفرح بك ...

قال الفتى : انى أصدقك القول يا أماه: انـنـي لجد حزيـن ، فمـا كنت أحب لصاحبي أن تصرفه امرأة عن نفسه، وعن حياته ، وعن صلاة الفجر ، فقد علمني كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « ان هـذه الدنيـا لا تعدل عند الله جناح بعوضة » فكم تعدل هذه المرأة من جناح البعوضة التي هي الدنيا ؟ واذا كان للجمال هذا السـحر فانني لا أرى لصاحبته تلك من جمال ، وما أراها تمتاز عن بنات جنسها بشيء .. فأجابت المرأة ضاحكة : انما ذلك يا بني شيء يدعونه الحب .. فقال وهـو يعجب من قولها : ان الحب لا يمكن أن يلد الشر .

★★★

فأجابت وهي تعاود الضحك من سذاجته : عن أى حب تتحدث يا فتى .. ؟ قال .. أعنى الحب الذى هو سر الوجود .. الحب الذى هو الفنـاء فى الله وأن يحب المرء انسانا آخر من أجل الله .

قالت : يا صغيري ، ذلك شيء قلما يكون بـين الرجال والنساء ، انما يحب صاحبك امرأته لا من أجل الله وانما من أجل هذه العيون النجلاء ، ومن أجل هذا الجسد البض الناعم ، ومن أجل ذلك الشعر الذهبي المسترسل كسبائك الذهب .. انه لا يرى امرأة بين نساء العالمين تعدلها ، ولقد كان من قبل منصرفا عنها لا يعـرف غـير القرآن والصلاة ، ولقد تبدت له مرة ، فأعـرض عنها ، فعز عليها أن يفلت انسان واحد من أسر سحرها ، فأقسمت أن توقعه فى حبائلهـا ، وأن تتيه على صاحباتها ، اذ تنال زوجا عـز عليهن مطلبا ، وشغلته عبادته عن لذته وشهواته ، ولكنها كرست لذلك ذكاءها ، وان المرأة فى ذلك لخبيرة ، حتى تدله العابد فى حبها ، ومن هنا ترى الحكمة فى منع الرجال عن النساء فانما ذلك يعني حجـز الفتنة من الانطلاق ، ولقد تزوجهـا كعب بكلمـة الله ، ولكنه اذ نالها سكر بخمر الانتصار ، فدعه يا بنى حتى يفيق .

فأجاب الفتى .. وهو يهز رأسه أسفا ..

ليست هذه هي كل القصة ، انما هي بدايتها .. لقد سمعت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدرهم .. تعس عبد المرأة .. واني أعيذ صاحبى أن يكون عبدا لامرأة .. لقد تزوجها .. وليس فى الزواج من حرج ، انما الحرج كل الحرج فى هذه الأحوال التي بدت فى هذه الدار من يومين ، فانطوى المصحف ، وخفتت أصـوات الفجر التي كانت ترتل القرآن ، وأفسحت مكانها لهذه الأغانى التي تنشدها « أميمة » آناء الليل واطراف النهار !

قالت « راوية » : لقد نسيت يا فتى أن صوت « أميمة » جميل ساحر ، فهى تتغنى به قال طاهر ليس الذنب ذنبها ، وانما هو ذنب كعب ، فلـو أنه علمها القرآن لوجدت له فى صوتها هذا الجميل حـلاوة ..

وانه ان لم يفعل ، وان لم يبسط على امرأته ظل شخصيته ، فهيهات أن تسعد بضعفه، وسيندم حين تنفلت عن طاعته ، فانما بكل امرأة ضعف ، وانما الرجل مكلف بتكملة ضعفها وارشادها الى واجبات دينها .

فأجابت راوية .. يا لك من فيلسوف صغير

قال : كلا يا أماه ليست هذه فلسفة ، وانما هي الرجولة ، وهي تعاليم الاسلام ، وقد قـال الرسول صلى الله عليه وسـلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وسكت قليلا ثم أردف وهو يتحول الى داخـل الـدار :

ليس لي أن أقيم بعد اليـوم فى دار دخلهـا الشيطان ، وأنا ابن رجل مات شهيدا .. اني راحل .. قالت الجارية . الى أين ؟ فأجاب : الى الله .. الى وجهه الكريم فى هذا الفضـاء العـريض .

فأمسكت به راوية وقالت : انـك فتى قـد تأدبت بآداب الاسلام ، فما يليق بك أن ترحـل

حتى ينهض صاحبك ، وحتى تلتمس منه الاذن بالرحيل .

فغمغم بصوت كظيم : سانتظر حتى ينهض السيد مع الضحى .

★★★

تنفس الصبح ، وراحت الشمس تعتلى كبد السماء ، وما يزال الفتى يرقب فى حسرة نافذة حجرة كعب ينتظر فى لهفة مجنونة أن يسمع صوته حين ينهض من النوم ، وظل يرتب فى ذهنه هذه الكلمات القلائل التي سيتحدث بها اليه يشكره على فضل رعايته ، ويطلب اذنه ، كي يذهب مع الذاهبين الى الجهاد . فقد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتهيأ لغزوة جديدة ، وأنه قد أمر الناس بالاستعداد . وانه ليحلم منذ أمد طويل بهذا اليوم لينال الشرف الذى ناله أبوه من قبل ، كما ناله هؤلاء الذين ترقد أجسادهم الآن فى البقيع ، وفى غير البقيع بينما تسبح أرواحهم فى جنات الله ، وترد حياض الجنة علىهيئة طيور خضر تأكل من ثمارها وتأوى الى ظلالها ، أولئك الذين قال الله فيهم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

وظل الفتى سابحا فى أفكاره تلك ، حتى جاءت الجارية العجوز تدعوه الى السيد الكبير ، فذهب الفتى ، وعليه من الهم علامات لم يخطئها كعب بن مالك الناقد الخبير ، فتلطف اليه ، وتبسط كعادته وقال : كيف أنت يا غلام ؟

انني على شر حال أيها السيد !

قال كعب بن مالك وهو مأخوذ : ولِمَ .. ؟

قال : لقد كنت أصلى الفجر مأموما بك كل صباح ، أما اليوم فقد انتظرتك طويلا ، ثم صليت وحدى قبل أن تبزغ الشمس .. فقام وجه كعب ، وتلعثم لسانه ، وقد رأى صبيا يافعا يذكره بأمر دينه ، فلم يدر بماذا يجيب .

وتكلمت أميمة الجميلةتريد أنتلتمس لزوجها عذرا ،فقالتوهي تعالج الضحك: انما هذا هو الصباح الأول يا فتى لزواجنا .. فأغضى طاهر حياء ، ثم لم يحر جوابا .

كان بوده أن يقول لا بورك فى زواج ينسى المرء واجب ربه ، ويخرجه عن طاعته ، انما الزواج نعمة يسوقها الله وانما من حق النعمةشكر المنعم عليها .. كان بوده أن يقول هذا ، ولكن الحياء شل لسانه .. والحياء على كل حال طبع كريم ، فهو شعبة من شعب الايمان، ولذلك أغضى الفتى ، ولم يتكلم ، وجاءت راوية بعد قليل تعلن الى سيدها أن بالباب أعرابيا قد تقدمت به السن ، واستبد به الضعف وبان عليه الهزال ، وقد ظننته طالب صدقة ، فبذلتها له ، ولكنه أعرض عنالصدقةوالطعاموالشراب وقال : انما هو على سفر ، وانما يريد أن يراك .

البقية فى العدد القادم

من فراغ ، فلا تتخلخل الجبهة ولا يضطرب أمر القائمين بالتنفيذ .

ومن شأن ذلك أيضا أن يضيق من المسافات التي تفصل بين الرؤساء والمرؤوسين ، اذ ترتفع معنويات المرؤوس فيطمح الى درجة أعلى ، فيضاعف من جهده لتحقيق غايته المشروعة تلك ، وينعكس ذلك كله على الانتاج زيادة وتحسينا ، وتتحقق المصلحة العامة على خير وجه .

على أن الحوافز الروحية المنبثقة من العقيدة الاسلامية السمحة كانت أهم العوامل والدوافع التي رفعت الروح المعنوية فى نفوس المسلمين ، فكان كل صحابي يتفانى فى سبيل كسب مرضاة الله ورسوله والمؤمنين ، فلا يدخر وسعا فى بذل كل جهد لخدمة الجماعة ، حتى كان ذلك البذل يسمو الى مرتبة الاستشهاد .

وكان السبيل الذى اتبعه الرسول عليه السلام لارساء أسس القيادة الحكيمة هو : افساح المجال أمام أصحابه للتجربة فى ميدان الحكم والادارة . فمن خلال التجربة تكتسب الخبرة وتزيد الكفاءة وتنجز أعظم الاعمال . فلا غرو أن كاد دأبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحث على اعمال الفكر وممارسة حرية الرأى .

لقد هدى الله نبيه الكريم الى أقوم أسلوب فى التعامل مع الناس أعداء وأنصارا على السواء حتى دخل العرب فى دين الله أفواجا . وبقيام الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة برئاسة النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ عليه السلام يدعم بنيانها ، ويوطد أركانها بما وهبه الله من مآثر القيادة الناجحة ومقوماتها ، فعلم المسلمين حسن السلوك ، وعلم ولاته حسن الادارة ، وعاونهم بعظاته ووصاياه فى تطوير أنفسهم لتحقيق الخير والرفاهية للجماعة ، وتكييف سلوكهم بما يتفق مع القيم الاسلامية المثلى . لقد لقنهم ـ بالقول والفعل ـ هذه التعاليم وعودهم على اتباعها ، حتى رسخت فى وجدانهم فلقنوها الرعية ، وفى مقدمة هذه المبادىء الشعور بالمسئولية تطبية لقوله تعالى :

((كل امرىء بما كسب رهين))

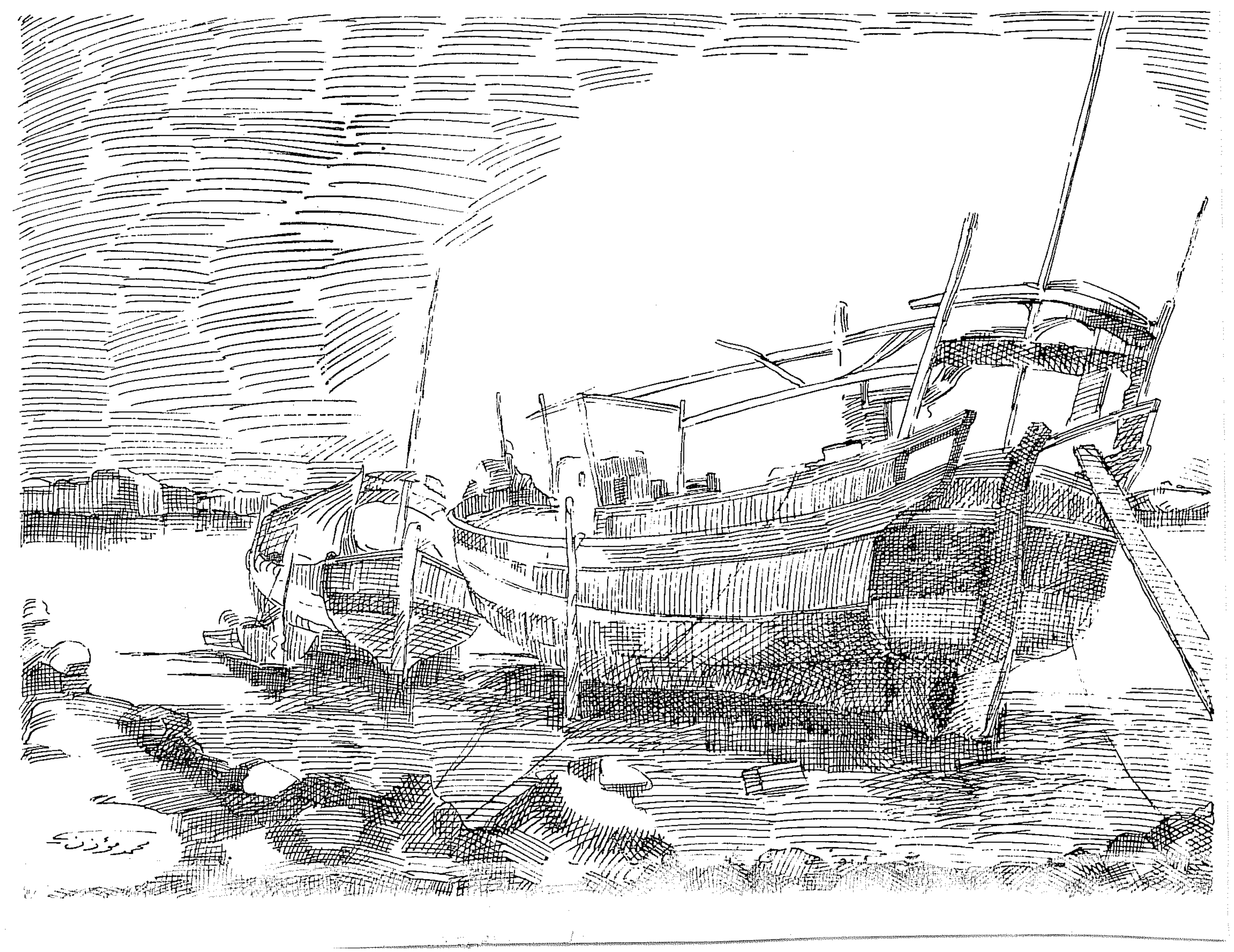
وقوله عليه السلام :

((كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته))

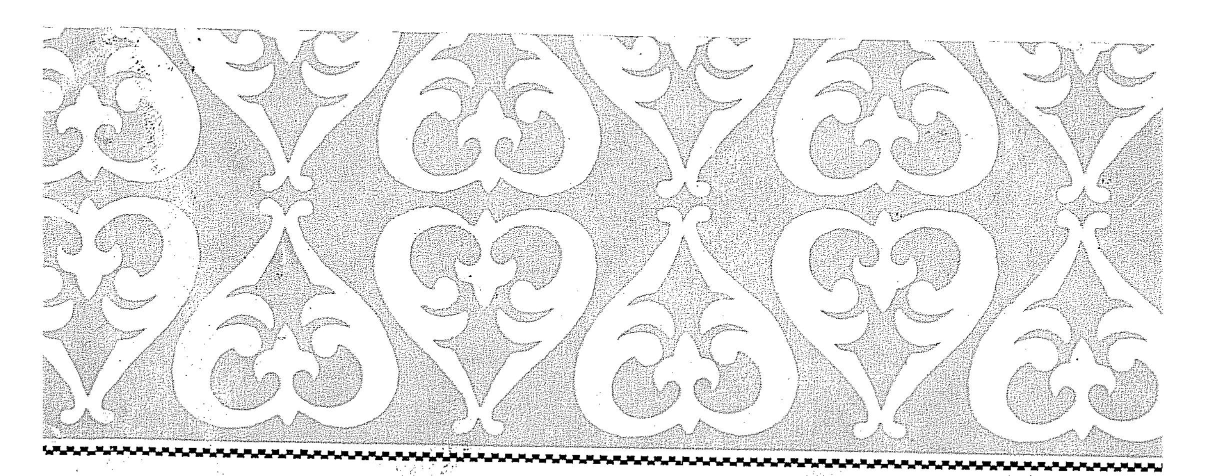
وكانت عملية نقل الأفكار وتأصيل القيم تتم عن طريق المناقشة الحرة المفتوحة والحوار الفكرى المستنير ، وبذلك استطاع القائد الادارى العظيم أن يدرب المسلمين على السلوك الديني والاجتماعي والادارى السليم .

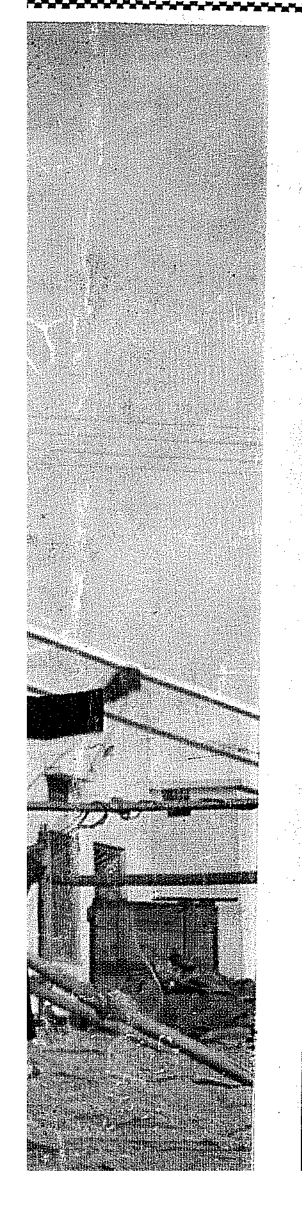
فالرعية تحسن معاملة بعضها البعض فى مودة ومحبة وايثار ، والراعي يعامل الرعية بالعدل والمساواة ، ويحسن التصرف فيما يعرض له من مواقف ، وما يواجهه من مشكلات ، وهو يستجيب لمطالب المحكومين بما يرضي الله ورسوله ، ويلتزم الحزم فى اقامة حدود الشريعة الغراء ، ولا يجنح الى التفرقة ، أو الهوى والغرض .

فلا غرو أن ينجب الاسلام جيلا بعد جيل من القادة الصالحين ، وأن تواصل هذه العناصر القيادة الدعوة لدين الله فى ايمان لا يتزعزع ، وثقة بالله لا تضعف ، وشعور بالمسئولية لا يهن ، حتى ارتفعت أعلام الاسلام فى كل مكان وامتدت تعاليمه وثقافته الى مختلف أرجاء العالم ، وتحققت على ايدى هؤلاء الرواد والأبطال هداية الناس الى الحق والخير والسلام ، وما زالت شريعته السمحة وحضارته الخصبة الزاهرة منارا لأبنائه ، ولكل من يتطلع من البشر الى المعاني الفاضلة ، والقيم الروحية الرفيعة .



على
شاطيء
الكويت

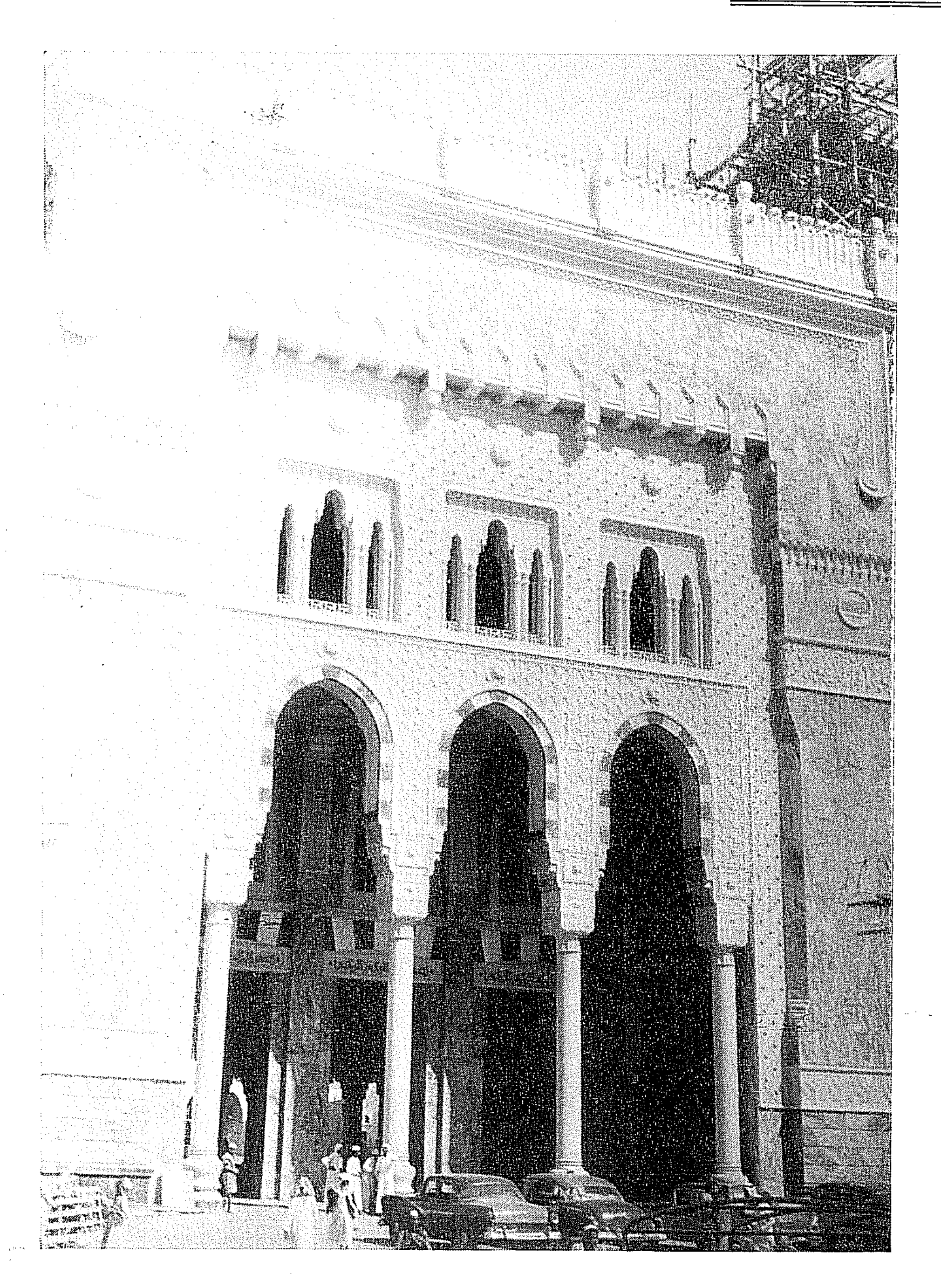




إقرأ في هذا العدد :



السنة الاولى * العدد الثالث * ربيع الاول ١٣٨٥ هـ يوليو ١٩٦٥ م



صورة لجانب من العمارة الحديثة فى الحرم المكي

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

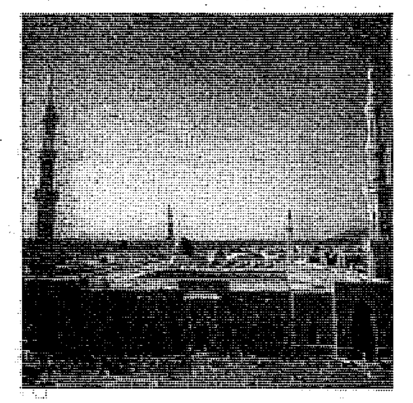
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



الحرم النبوي الشريف
تصوير : عبد الناصر شقره

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد

جاءنا من مكتب فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رد لجنة الفتوى بالازهر على الأستفتاء الذى نشرناه بالعدد الاول الخاص بحكم التصرف فى فائدة الاموال المودعة فى البنوك وسننشره فى العدد القادم فنلفت اليه الانظار .



كلما أطل علينا شهر ربيع الأول تنسمنا من ذكرياته العطرة ذكرى مولد النور والهدى مولد سيدنا محمد صفوة الأنبياء والمرسلين عليهـــم الصلاة والسلام ..

واذا كان للأماكن أن تفخر بمن نبتوا على أرضهـــا ، ودرجوا بين أحضانها فان الجزيرة العربية ليحق لها أن تفخر بأنها أنجبت خير رسل الله.

واذا كان للأجناس أن تعتز بمن أنجبت من الأبطال ، والعظماء الذين غيروا مجرى التاريخ فان العرب ليرفعون رءوسهم على كل الاجناس بان خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول الله الى الخلق أجمعين كان عربيا ..

واذا كان لأية لغة أن تتيه بما سجل بها من أفكار وآثار كانت اشعاعا هاديا للعقل البشرى ، فان اللغة العربية لتقف على رأس اللغات جميعـــا فخورة بأن الله قد اختارها لغة كلامه وكتابه المنزل على رسوله ، ليكون دستورا خالدا وعاما للبشر أجمعين .

ولكن رسول الله عليه الصلاة والسلام علم أمته منذ بعثه الله رحمة للعالمين الا تلتمس الفخر بمكان ولا جنس ولا لغة ، ولكن بطهارة القلب ، وحسن الخلق واتقان العمل ..

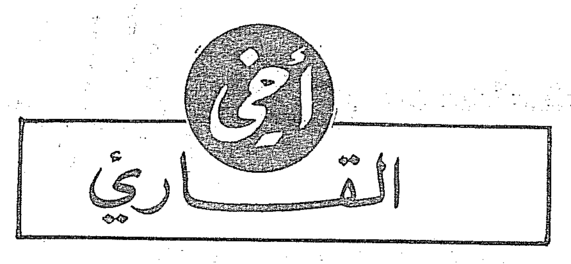
وعلى هدى هذه المبادىء والتعاليم سرى الاسلام فى النفوس العطشى الى العدل والخير .. ونهض بالعرب ، ووحد كلمتهم ، وجمع على الحق أهدافهم ، فصاروا دولة بعد أن كانوا شتاتا ، وسادة بعد أن كانوا نهبا لمن حولهم ، فهدى الله بهم أممـــا كثيرة ، ونعموا على أيديهم بالحكم العادل والخلق الفاضل . وهكذا رفع الله من شأن العرب برسول منهم ((يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبـــل لفى ضلال مبين)) .

ان الأمم التى تتصدى لحمل رسالة تظل قيمتها فى الحياة منوطة بما تؤديه من رسالتهـــا .. والمسلمون وفى مقدمتهم العرب لن يتخلوا عن وجودهم ولا عن رسالتهم . فان أمة لها مثل هذا الرصيد من المجد وأمامها هذا الهدى من كتاب الله وسنة رسوله لا يمكن أن تبعثر أمجادها ولا أن تتنكر لماضيها ، أو تغمض عينيها عن النور الذى يضىء لها الطريق ..

((يأيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)) .

المشرف العام

بسم الله الرحمن الرحيم



السلام عليكم

ثلاث حوادث جسام سجلها التاريخ فى شهر ربيع الأول فى مدى ثلاث وستين سنة : مدة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الأرض : مولده ، وهجرتـه ، ووفاتـه .

ولكن حادثة واحدة طغت على ما عداها فظل هذا الشهر مقترنا بها فى نفوس المسلمين ، حين يذكرونه بانه شهر الميلاد ويحتفلون به ، ويعددون افضال الرسـول على الانسانية كلما جاء من السنة موعده . وان كانت ذكراه عليه الصـلاة والسلام تعمر بها دائما قلوبنا ، وتلهج باسمه وفضائله السنتنا واقلامنا ، فى كل لحظة تمر بنا .

ولكن الذكرى ــ أصدق الذكرى ــ لا تكون بمجرد المظاهر والكلام ، بـل باحياء تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، والأخذ بها فى انفسنا ومجتمعنا .

والا فهل يكفي ان نذكره بقلوبنا ، وأن تجرى الالسنة والأقـلام بتعداد مآثره ، وفضائل الدين الذى جاء به من ربه ، دون أن نعني ــ كأفراد بلغوا مئـات الملايين ، ودول زادت عن العشرين ــ بالاسلام كروح ونظام شامل للحياة ؟ .

سيقال : ان فينا غيرة على الاسلام ، والمساجد بحمد الله قائمة بيننا ، والقرآن يتلى ويعتني بطبعاته الفاخـرة ، وتذاع الأحاديث الدينية ، والتصريحات الرسـمية بمحاسن الاسلام ، والدساتير تنص على أنه الدين الرسمي ــ الخ ــ ...

ونقول : نعم . هذه المظاهر موجودة وطيبة فعلا .

ولكن الاسلام ليس مجرد مظاهر وكلام ... انه عقيدة وعمل .. نظام وتشريع وآداب .. فما مدى تفاعل حياتنا معه ، وأين واقعنا منه ؟ .

لقد طارده الاستعمار فى دياره حينا من الدهر ، وسلط عليه معاوله وأساليبه الماكرة ، في كل بلد مسلم حل به ، وكنا نقول ويقول التاريخ معنا : ذلك منطق العدو ، وتلك خططه لبلوغ أهدافه .

ولكن ذهب الاستعمار ، وامتلكت الدول الاسلامية زمام أمرها وأخذت ترسى دعائم استقلالها ونهضتها ، وحكامها ليسوا غرباء عنها ، بل من صميم الشعب المسلم .

فماذا كان نصيب الدين عندها من هذه الدعائم وهو فى الحقيقة أصلها وركيزتها ؟

هل انصفته ، وردت اليه اعتباره فى المجتمع ، أم انها تركت الروح التي خلفها الاستعمار تعمل عملها في اقصائه عن حياتنا . وتشجيع التمرد عليه فى مجتمعاتنا ؟

هل عنيت هذه الدول بغرسه فى نفوس الشباب ، وتربيتهم على تعاليمه منذ صغرهم ، ليشبوا على احترامه والغيرة عليه فى كبرهم ؟ .

لقد وجدناها تعني بالرياضة والفنـون فجعلت فى مدارسنا وجامعاتنا قاعات

فاخرة للسينما ، وساحات واسعة للرياضة .. ومع ذلك لم تجعل فيها مساجد للعبادة !!!

وكان الدين الى عهد قريب غير مقرر على الطلاب ، ثم قرروه ، ولكنه ظل كالغريب بين المواد المدرسية ، لا يحفل حتى بما تحفل به مادة الرسم من اهتمام !!!

ومع ذلك ، فالأمر ليس أمر مادة تقرر ، وكتاب يدرس ، ولكنه أمر تربية ، يجب الا تقتصر العناية بها على المادة والكتاب ، بل تكون روحا تسري في كل مادة ، وهدفا لكل توجيه ..

كان يقال لنا فى عهد الاستعمار : تلك هي خطته فى عدم العناية بالدين ، بل فى حربه كوسيلة من وسائله للوصول الى مآربه .

فماذا يمكن أن يقال الآن ؟

لقد نجح الالحاديون فى تربية أجيال من الشباب على الالحاد ، والتعصب له ، والتضحية من أجله ، وذلك بفضل الأساليب التي اتبعوها لانتزاع الايمان بالله من نفوسهم ، منذ نعومة أظفارهم ــ ومن شب على شيء شاب عليه ــ وكانت ولا تزال اجهزة الدولة كلها تسخر عندهم لخدمة هذا الالحاد .

أفلا تكون عندنا ــ نحن المسلمين ــ غيرة ونشاط لخدمة ديننا ، وغرسه فى نفوس الناشئة من ابنائنا كغيرة هؤلاء على الحادهم ؟ !

وهل يوجد عندنا ــ نحن المسلمين ــ أقوى وأسلم من تشريع الله أساسا لنهضتنا وقوتنا ، وعلاج مشكلاتنا ؟ .

فلنترك المظاهر جانبا ، ونحدد خط اتجاهنا : الى أين نسير ؟

واحدة من اثنتين :

اما أن نختار الاسلام طريقا لنا ، وأساسا فى بناء نهضتنا ، ووصل ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا ، وحينئذ يجب اتخاذ طريق حاسم وجاد لاحيائه فى نفوس الجيل الجديد ، وجعله روحا وأساسا لتشريعاتنا ، وصبغة عامة لمجتمعاتنا .

واما أن تكون الأخرى .. وهي القاصمة .. وحينئذ فلا داعي لاستمرار الخداع .. وللشعب المسلم فى كل مكان أن يرفع الحجاب عن عينيه ويختار طريقه ..

أن المسالة ليست مسألة دين فقط يجب الحرص عليه ، ولكنها مع ذلك مسألة مصير ومستقبل وبعث لهذه الأمة لا بد أن نخطط له ، ونعمل جادين من أجله .

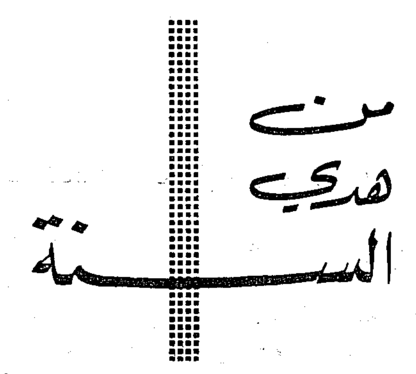
فهذا الشباب الذى يربى الآن فى المدارس والجامعات سيكون منه الطبيب والقاضي والضابط والمهندس والموظف والحاكم الذى يوجه شؤون الدولة .. فماذا يكون أمر الدين على يديه اذا شب على اهماله ، وعدم العناية به ، والغيرة عليه .. بل على سوء النظرة اليه ؟ .

بل ماذا يكون مصيرنا ومصير تراثنا بعد أن نترك الجيل الجديد حائرا تتلقفه الدعوات الخطرة ، وتنتزع منه روحه الاصيلة ، وتتخذه حربا على دينه ومجتمعه ــ اذا قام واحد أو جماعة منه فتملكوا زمام أمره ؟ !

ذلك ما يجب أن يفكر فيه كل واحد منا ، ويتحمل مع المسئولين فى الدول الاسلامية تبعته أمام الله والأجيال القادمة ((وليسألن الله كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه)) .

وصلى الله وسلم على صاحب الذكرى ، ووفق امته للسير على هداه ...

رئيس التحرير



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم

قال رسول الله صلى الله‌عليه وسلم : ((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))



الوئام*

١ ـ نشر الاسلام السلام بين الناس ، وحضهم على الالفة والمحبة ، وجمع كلمتهم ، ووحد صفوفهم ، ودعا الى ترك العداوات والمنازعات ، ومحا الاحن من الصدور ، وأزال البغضاء من القلوب ، واستل السخائم من النفوس ((وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم)) وأنصف مظلومهم من ظالمهم ، وآخى بين أتباعه المختلفي الأجناس والألوان ، ومنع اعتداء قويهم على ضعيفهم ، واعطى كل ذى حق حقه كاملا غير منقوص ، واقام بهذا كله مجتمعا فاضلا تظله راية ((لا اله الا الله محمد رسول الله)) .

٢ ـ وميزان التفاضل ومقياس الدرجات في الاسلام هو ((التقوى)) : ((ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) والتقي من الناس هو اكثرهم التزاما لحدود الله ، وأعظمهم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشدهم ملازمة لطريقته وشريعته وهديه ، ومن سنن الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة والرفق ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) ، والتفاني في العمل لخير الانسانية جمعاء ، واقتلاع بذور النفار والعداوة ، وبث روح التعاون والتآلف والتآزر ، واستخدام مختلف الوسائل لتركيز الخلق الطيب بين المسلمين حتى يصير ملكة راسخة فيهم : ((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) .

---

* الوئام في اللغة : التكافل والتوافق ، ورد في لسان العرب ، واءم فلان فلانا وافقه ، وئاما ومواءمة ، وفي المثل العربي ((لولا الوئام لهلك الأنام)) .

ويدور حديث اليوم حول الوئام كما يؤخذ من تعاليم الاسلام ، وكما يرسم خطوطه العريضة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في سنته وما أنزل عليه من الذكر الحكيم .

٣ ـ فيأمر بصلة الرحم ، ويقول : ((لا يدخل الجنة قاطع رحم)) ويبين سيدنا علي كرم الله وجهه مزايا صلة الأرحام فيقول : ((من يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يدا واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ، ومن يبسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفقه فى دنياه ، ويضاعف له فى آخرته ، واعلموا أن لسان صدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال ، فلا يزداد أحدكم كبرياء ولا عظمة فى نفسه ، ولا يغفلن أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذى لا يزيده ان أمسكه ، ولا ينقصه ان اهلكه)) .

٤ ـ ثم يأمر الاسلام باحسان معاملة الاخوان بل المؤمنين عامة فهم اخوة فى الدين ، وأخوة الدين نفس وروح ، وأخوة النسب لحم ودم ، وفرق شاسع ما بينهما ، ويدعو الى العفو عن الهفوات التي تبدر من البعض فيقول جل وعلا : ((فمن عفا وأصلح فأجره على الله)) ويقول سبحانه وتعالى : ((ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) .

٥ ـ ويبرز القرآن الكريم صفات الرسول العظيم التي آنست الشارد ، وآمنت الخائف ،وقربت النافر فيقول عز من قائل : (.. فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ثم يشهد له بشهادة منقطعة النظير فيقول ((وانك لعلى خلق عظيـم)) .

٦ ـ وان تعاليم الاسلام لتأمر باحسان معاملة البعيدين عن ساحة الاسلام ، وهو الذى يتبادر الى الفهم أن اساءتهم مطلوبة ، لانهم خصوم ، ولكن يقول الله تعالي ((وجادلهم بالتي هي أحسن)) ويقـول الرسول الكريم ((من آذى ذميا فانا خصيمه يوم القيامة)) بل أوجب القرآن برهم والاقساط اليهم اذا كانوا مواطنين صالحين ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهـم وتقسطوا اليهم ...)) فاذا سالمك غير المسلم ولم يؤذك فى دينك ولم يعمل على اخراجك من وطنك فاعمل على نفعه واكرامه وبره ... ، وذلك حتى يشعر الذين يظلهم الاسلام بالأمن والطمأنينة على أنفسهم وأموالهم وأبنائهم ، فلا يسعون بالفساد فى المجتمع العام الذى يؤويهم ويرعاهم ، وحتى لا توجد ثغرة ينفذ منهـا العدو البعيد الذى يتربص الدوائر بالاسلام والمسلمين .

٧ ـ والانضواء تحت راية التوحيد يجعل المؤمنين اخوة على تنائي ديارهم وتباعد أقطارهم ، فالمحبة بين المؤمنين شرط الايمان الكامل ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) وسائر الفضائل الايجابية شيء لا بد منه لدعم المجتمع الاسلامي ، والتمكين له بالثبات والدوام فلا بد من حسن المعاملة ، والعطف على الفقراء والمحتاجين وتفريج أزمات المكروبين ، ولا بد من ترك التنابز بالألقاب ، وتجنب السخرية بالناس ، قال تعالى ((يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)) ويقول عليه السلام ((لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا)) ، ((لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ،وخيرهما الذى يبـدأ بالسـلام)) .

٨ ـ وينهى عن العداوة بين أمم الاسلام جميعا ، فالمسلمون أفراد أسرة واحدة بل جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، ولا يستقيم أمرهم الا بالاتحاد والتكتل وجمع الكلمة ومحو أسباب الفرقة والخلاف ، ومن خرج على اتحاد المسلمين فهو مارق وجزاؤه النار يوم القيامة ، ولا يصح أن يقف المسلمون أفرادا وجماعات موقفا سلبيا بعضهم من بعض ، بل لا بد من العمل الايجابي لما ينمي روابطهم ويزيد فى هيبتهم وقد حض الاسلام على ذلك بوسائل شتى من أبرزها ، أنه جعل ركنه الركين وهو الصلاة حين تؤدى جماعة أفضل وأكمل وأعظم أجرا من أدائها فرادى ، كما أمر باقامة جماعة اسبوعية أشمل من جماعة الأوقات المعتادة يوميا هي صلاة الجمعة وجعلها فرض عين على كل مسلم ، وأخرى

حولية في صلاة العيدين ثم المؤتمر الأعظم الذى يجمع المسلمين من أنحاء الأرض وشتات المعمورة وهو الحج وحتمه على القادر المستطيع صحيا وماديا ، حتى يضم وجوه المسلمين وقادتهم ليتشاوروا في شؤون بلادهم التى تجمعها كلمة التوحيد ، وليعلم بعضهم أحوال بعض حتى يتقووا ويقفوا صفا واحدا أمام اعدائهم الكثيرين وبذلك تتجمع قوتهم ولا تتفرق ويعزون ولا يذلون ... « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٩ ــ كل هذا فضلا عن الزام المسلمين بالمسارعة الى تبادل المنافع العمرانية ، وتوثيق الوشائج الأدبية والعلمية ، والمبادرة الى نجدة المستغيث فى حالتي السلم والحرب ، ففي التقاعس عن نصرة المعتدى عليه فى أى بقعة كان وفى أى واد حل انما هو انحراف عن أوامر الله تعالى ، وما ذاك الا لأن الاعتداء على البعض اعتداء على الكل ، وضياع دولة يؤدى الى ضياع أخرى حتى يصبح المسلمون أثرا بعد عين ، وما المثل القائل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » عنا ببعيد .

١٠ ــ وبعد . فالأمم الاسلامية اليوم على مفترق الطرق فاما أن تحزم أمرها وتأخذ حذرها وتعد لكل نازلة عدتها ، وتدرع بالمحبة والوئام ، وتعتبر بالماضي الماثل فى الأذهان والمتجسم فى الأندلس ، والحاضر البادى للعيان والمتمثل فى فلسطين المحتلة ، وبهذا تحتل مكانها اللائق بها تحت الشمس ويحسب لها حسابها فتجلى الغاصب عن أرض الوطن المحتلة ، وتعيد المشردين الى وطنهم الحبيب وتمحوا العار الذى لطخ جبين العرب والمسلمين عامة ، واما أن يسدر كل فى غيه ويظل بعيدا عن الصف ويزيد عماية وجهالة . وهنا ــ لا قدر الله ــ الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ، وأعتقد أن هذا لن يكون ان شاء الله وفى المسلمين الرجال الذين أرى ويرى العالم الآن .

والخلاصة

١ ــ أن مكارم الأخلاق تحمل على التغاضي عن كل اساءة من القريب أو البعيد وأن هذا هو الطريق الوحيد لجمع الشمل ، والقوى هو الذى يتحمل الاساءة ويصمد لها ولا يقابلها الا بالصمت والابتسام « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » وقديما قال الشاعر .

فان نهشوا عرضي وفرت عروضهم ... وان هووا غيبي هويت لهم رشدا

وقال آخر

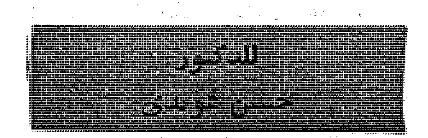
وذى رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندى أن يحل به الرغم

٢ ــ أن ابن آدم خطاء والله غفور رحيم ، والعصمة كما يقولون لا تكون الا لنبي وليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .

وأخيرا باللين والتعاطف ومراعاة الرحم وحقوق الوطن وحسن تفهم الأمور يلتقي أبناء الأمة جميعا على كتاب الله وفيه الخير كل الخير ، ويقتدون بسيد الخلق وفيه صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة ، وبهذا نعيش فى الوطن الواحد فى أمن وسلام وطمأنينة ووئام رائدنا جميعا خدمة ديننا ورفعة وطننا وسعادة مجتمعنا ، والله الموفق والمستعان .





ظن كثير من الناس سوءاً بالدين ، ولقد كان ذلك نتيجة لاسباب متعددة : منها ثورة اوروبا على دينها في القرون الوسطى ، ومنها نشوء المذاهب المادية التي لا تعترف بالروح ولا تنظر الى السماء ، ومنها غلبة الشهوات على النفوس حتى امست لا ترضخ لعقيدة ولا تستكين لنظام ، واستمر هذا التيار عبر الزمن ، وسرى الى أكثر البلاد ، فظن الناس في بلادنا ان (الدين) هو (الدين) في كل عصر ، وكل مصر ، ورأوا لأوروبا نهضة عارمة ، وقوة غالبة ، فتوهموا أنها ما كانت الا للتجرد من الدين وليس عليهم ــ ازاء هذه النظرة الساذجة ــ الا ان يثوروا على دينهم ، ويعطلوا احكامه حتى ينهضوا كما نهض غيرهم .

ولقد امسى هذا المفهوم السطحي لدى كثير من شبابنا ــ بكل أسف ــ أمرا مسلما به ، بل اصبح ــ في نظرهم ــ الدليل على التقدم والعلم ، بل تعداه الى كثير من الغرور، وايغال في الجهل والجور، حينما انقلب مفهوم الاستغناء عن الدين اشمئزازا منه ، وتكبرا عليه وحربا لا هوادة فيها اعلنت عليه من كل جانب .

حدث كل ذلك والبلاد العربية والاسلامية تغط في نوم عميق من التاخر العلمي والخلقي ، وليس فيها اولئك الأفذاذ من العلماء ، ولا الفطاحل من الحكماء ، يدفعون عنها العاديات ، ويبصرون أبناءها بما يرد عليهم من الطامات ، فاخذت الأمة على غرة ، واقتنص فيها الدين على حين غفلة ، وليس الأمر واحدا في أمة تهاجم وهي قوية مستعدة ،واخرى تهاجم وهي ضعيفة غافلة ، وهكذا تهيأت أسباب الهجوم على الدين من كل جانب ، فهوجم الاسلام في عقر داره ، فوصف بالخرافة وهو العقل السليم ، وبالقسوة وهو اللين والسهولة ، وبالقبح ، وهو المشرق الجميل .

غير أن العاقل الذى يحترم نفسه ، ولا ينساق مع الهوى ، ولا يكون حكمه تبعا للشائعات يأبى الا أن يفكر قبل أن يحكم ، وان يتجرد من الهوى ، ولا يطلق الحكم قبل الاطلاع على الأمر والاحاطة به من كل جانب . **فهل الاسلام مثل تلك الأديان التي اطرحتها الشعوب ؟ وهل فى الاسلام عسر لا يطاق ؟ وهل فى عباداته ومعاملاته وتشريعه ما تشمئز منه النفوس وتعافه الفطرة السليمة ؟ ام ان فى تشريعه الخلقي والاجتماعي من الجمال ، واليسر ،والحكمة ما يسحر الألباب ، ويأخذ بمجامع القلوب ؟**

لا ريب أن العاقل لا يحتاج الى كبير جهد لكي يميز الاسلام عن سائر الأديان بما يتجلى فيه من التوحيد ، والانسجام مع العقل وتمجيد العلم ، والبحث عن المصلحة ، والمرونة التي يقتضيها الزمان والمكان ، وانكاره الشديد على كل ما يشين الرشد : من الخرافة والكهانة والسحر ، وما ينقص الخلق : من الظلم والكذب والغدر والخيانة .

ومن الواضح أننا لا نستطيع فى مثل هذا المقال ، أن نمعن فى التفصيل ، استيعابا لفضائل الاسلام ،ولكننا نتحرى فى قواعد الاسلام ، واركانه الأساسية ما يظهر الحق جليا لمن تسمم فكره بتلك المفاهيم المشوهة عن الاسلام ، حتى يدرك جمال الاسلام وكماله ، وافتراء الخصم وضلاله .

لا مشقة ولا حرج

أما عن رمي الاسلام بالمشقة والعسر ، كبقية الأديان ، حتى اظهره الخصوم شبحا مخيفا مرعبا ، فان الاسلام قد اتخذ السهولة واليسر قاعدة أساسية ، واصر عليها حتى بدت آثارها واضحة فى العبادات ، والمعاملات ، والحدود . واليك الأدلة من الكتاب والسنة .

قال الله تعالى فى محكم كتابه :

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة — ١٨٥)

(هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (الحج — ٧٨)

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (البقرة — ٢٨٦)

(لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها) (الطلاق — ٧)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفروا) متفق عليه

(ان الدين يسر ولن يشادَّ الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا) البخارى.

وفى الصحيح انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما . واذا ثبتت هذه القاعدة الأساسية الجميلة فى الاسلام فما هي تكاليفه فى المأمورات ، والمنهيات، والمعاملات على وجه الاجمال :

اما فى المأمورات فيقول صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت ، وصوم رمضان) فهي عقيدة تدعو الى الايمان بالخالق الأعظم الواحد ، وأى عقل يستطيع أن يصبر على الجحود اذا فكّر وانصف وهل يسيغ العقل للعاقل أن يعتقد بأن الوجود قد انبثق من العدم ؟ أو أن الوجود بغير موجد ؟

أو أن التدبير المحكم المتناسق بغير مدبر ؟ (١) .

ان العقل السليم قد الزم العاقل أن يعتقد بخالق الوجود ، فأى حرج اذن يصيب العقل من الدعوة الى ذلك ؟ بل ان الحرج الشديد من تكلف اعتقاد العكس لأنك حينئذ تدعو العقل الى الايمان بالمستحيل ، حيث تدعوه لأن يؤمن بأن الشيء خلق من لا شيء ، وأقبح به من اعتقاد متناقض مشين .

والدعوة هنا أيضا الى توحيد الخالق ، وهذا التوحيد الخالص أصر عليه الاسلام ، وامتاز به ، وجعله الأساس الأول ، وذلك هو الذى ينسجم مع العقل فى أكثر من برهان ، حيث يبطل العقل كل قول بالتعدد ببراهين كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، وقد أشارت اليها الآيات الكريمة التالية مظهرة استحالة التعدد وبطلانه :

قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (الأنبياء — ٢٢) .

وقال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (المؤمنون — ٩١) .

التوحيد نداء الفطرة

اذن فعقيدة التوحيد هي ضالة العقل المنشودة ، وهي امنية النفس فى صميم فطرتها ، اليها تأوى ، وبها تطمئن . وانها لتبقى حائرة معذبة بغير الايمان بالخالق ، يائسة مضطربة بغير التوحيد الخالص ، فهذا تكليف جميل انسجم مع نداء الفطرة الأصيل ، وهل اجمل من تلبية النداء العميق الملح بتحقيق مطلبه ، وايصاله الى هدفه ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وان الفرق يبدو واضحا بين ثبات المؤمن (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، واضطراب الملحد (يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) حينما يشتد عليهما البلاء ، وتحيط بهما الكوارث ، فيسخر الملحد قوته ، ويستنفد حيلته ، فلا ينفرج البلاء ، وتضيق به المذاهب ، وتسود الحياة فى عينيه ، وينفد صبره وينقطع أمله ، ويتحمل من جراء ذلك فى شعوره ، من الضنك، والحيرة والقلق، والوجل ، ما يعجز عن وصفه القلم فينتحر أو يُجن (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه — ١٢٤) فان كان انتحارا أفضى الى الموت فهي المصيبة . وان كان انتحار القلب فهو ميتة فى كل لحظة ، وهي اكبر مصيبة .

ولسان حاله حينئذ يقول :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكنْ أمانيا

أما المؤمن فيأخذ بالأسباب ، ويبذل الجهد ، غير منكر لسلطان الأسباب التي فطر الله الطبيعة عليها — فان لم يبلغ غايته ، ولم تنفرج عنه كربته ، تعلق بمسبب الأسباب ، وركن الى رب الأرباب فكان له فى قلبه اجمل العزاء ، وانجع

---

١ — من أراد التفصيل فى هذا الأمر فليراجع رسالة (الوجود الحق) طبعة المكتب الاسلامي ببيروت — دمشق .

الدواء ، بل ربما قنع من الغنيمة بالاياب ذلك أن تعلقه الجميل بمولاه العظيم ، يجعله يزهد في طلبته ، ويستمرىء ألم مصيبته ، راضيا بتقدير خالقه وحكمته، وربما قال كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أرحم الراحمين .... الى من تكلني : الى عدو يتجهمني،أم الى غريب ملكته امرى ، ان لم يكن بك علي سخط فلا أبالي) .

ومن اعتاد النظر الى الأمور من جميع الوجوه أدرك أنها نسبية ، فرب مكروه محبوب ورب ضار نافع . والمهم فيها بعد الحيطة حصول الرضا ، فانه الذى يورث الراحة والسكون ، ويهب القلب السرور والاطمئنان . وهذا هو الفرق بين من يسير على بصيرة وفي طريق مستقيمة ، ومن يمشي مكبا على وجهه ، لا ينظر الى أبعد من أنفه يتردى في ظلمات من التردد والحيرة ، وضلالات من الريب والشبهة ، لا يهتدى الى منار، ولا يقر له قرار : (افمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) (الملك ــ ٢٢) .

العبادات شكر وتربية

والصلاة لو استعرضت ما فيها عقلا لوجدته فنونا من الجمال ومعارج من الكمال :

فهي نظافة ورياضة ، ونظام ، وجد ، وتهذيب وندم على الذنب،وعهد مع الرب على الا نطغى ، ولا نسيء ، وان نحسن ونصلح ، وهي مع الجماعة : مساواة ، وطاعة ، ووحدة ، يتجلى فيها المجتمع منسجما ، متماسكا : عنوانه المحبة والوئام وسبيله الطاعة والنظام . ونحن لا نريد بذلك تجريد الصلاة من كونها عبادة للخالق الأعظم الذى يستحق العبادة ، ولكنه سبحانه لم يكلفنا ما لا نستطيع ، بل التكليف في حدود الطاقة مقترنا بمصلحة الانسان ، متصفا أبدا بالكمال والجمال ، منسجما مع العقل الحر السليم .

والصيام من فوائده الجسمية والخلقية ، كما هي مدونة في كتب الفقه، والطب ، والاخلاق ، وكما يصفه علماء العصر في المجال الصحي ، والخلقي ، والفلسفي ، كل حسب اختصاصه ، يكاد يكون غنيا عن البيان . ولعل جماله يبرز في قوة الارادة عند طلوع الفجر ، وجو الفرح والبهجة عند غروب الشمس وحين يتجلى النظام في المجتمع : فيحجم في ساعة واحدة ، ويقدم في ساعة واحدة ، مما تعجز عن تصميمه في ظاهره وباطنه انظمة الدنيا :

ومن جميل عدالته وعميق حكمته انه اذا سافر المرء أو مرض ، أو حاضت المرأة ، أو عجزت من حمل أو رضاع ، (فعدة من أيام أخر) ، فان لم يستطع المريض القضاء ، فعليه الفدية ، فان لم يجد ، فلا شيء عليه ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

والزكاة التي يتجلى جمالها في موقف الغني تجاه الفقير ، وجعل ذلك القسط من المال حقا في أموال الأغنياء ، يؤدونه بغير منّ ولا أذى ،(والذين فيأموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج (٢٤ ــ ٢٥)

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) (البقرة ــ ٢٦٧) .

وبذلك وغيره من التشريع الاقتصادى في الاسلام يتحقق التوازن المالي، وتنعدم الطبقية المقوتة ، وتزول ظواهر البؤس القاتل ، ولقد مر على المسلمين زمن كانت الزكاة تنقل فيه من بلد الى بلد فلا تجد

من يقبلها . ولم يكلفنا الاسلام فى ذلك مالا نطيق سوى تلك النسب المعلومة المقبولة (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم . انيسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم) محمد ٣٦ ، ٣٧ . وذلك من يسر الاسلام وشدة تلطفه بالنفس البشرية .

وقارن بين هذا التشريع الاقتصادى العادل ، وبين المذاهب الاقتصادية الحديثة تجد الفرق كبيرا بين يسر راعى كوامن النفس وضمن لها الحرية ، وعسر ارهقها وحملها مالا تطيق وقضى عليها بالعبودية ؟ .

فاين مثل هذا الجمال الكامن فى هذا النظام الرباني الذى يكفل العدالة الاجتماعية ، ويصون الحرية ، ويوزع فيه المال برا وقسطا ، وتنقاد اليه النفوس طوعا وحبا ، بغير اكراه ولا ارهاق ولا تعسف .

والحج تلك العبادة الخالصة، والسياحة الرائعة ، ومواقف المساواة الكاملة ، بين الغني والفقير ، والمأمور والأمير حتى لكأنه الحشر بين يدى السميع البصير ، وانك لتدرك انصاف الخالق للمخلوق فى جميل قوله تبارك وتعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (آل عمران - ٩٧) معلقا ذلك على الاستطاعة ، وتلمس اليسر والسهولة فى جعله مرة واحدة فى العمر ولم يجعل الاقتصار على مرة واحدة مفروضا ، بل جعل باب الحرية مفتوحا أمام القادر اذا أراد أن يستكثر من الخير .

ولا بد أن يلوح للمستبصر ما يشتمل عليه ذلك المؤتمر السنوى العام من فوائد جمة ، ومنافع متنوعة ، حيث تبحث شؤون الأمة ، وتتوثق عرى المودة ، وتتجلى آيات الرحمة ، فهل تجد رحمك الله فى أنظمة الدنيا جمالا يضارع هذا الجمال ، فى جميل اللقاء ، وتقوية الأواصر ، وشحذ الهمم ، وعمق النظر ، وبعد الأثر ؟

المحرمات خبائث

واذا كانت تلك هي تكاليف الاسلام فيما أمر ، فما هي تكاليفه فيما نهى ؟

يطول بنا البحث جدا لو استقصينا جميع المحرمات لنظهر وجه المصلحة فى حكمة التحريم ، ولكننا نعلم أن البشر متفقون على كراهة الظلم فى نفوسهم ، ولذلك لا نجد مشرعا يبيح الظلم أو يقول به ، والاسلام قد حرم قتل النفس ، وشهادة الزور ونقض العهد ، والزنا ، والربا ، والكذب ، والخيانة ، والخمر ، والميسر ، والسرقة ، ... وانك لو تحريت الأساس الذى تبنى عليه جميع هذه المعاصي لوجدت الظلم فيها جميعا .

واذا غاب عن ذهن القارىء أن شرب الخمر ظلم فليعلم أن شارب الخمر ظالم لجسده ولماله ولأسرته ولذريته ، لأن سوء الخمر ممتد اليها جميعا لا محالة . واذا تساءل عن سر كون الزنا ظلما فليستمع الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا الحكمة فى التحريم ، ومبينا أن الزنا ظلم للناس لا يرتضيه المرء لنفسه . روى ابو امامة ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم **فقال** :

يا نبي الله أتأذن لي فى الزنا . فصاح الناس به .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (قربوه : أدن) فدنا حتى جلس بين

البقية على ص - ٣١

اشراقة الإسلام

كانت بالدعوة إلى العلم

في غضون ليلة من ليالي رمضان ، وفي ظلمة غار موحش برأس الجبل كانت اشراقة الوحي على النبي الأمي بدعوته الى القراءة .

وفي هذه الدعوة المفاجئة ايذان بأن القراءة وسيلة المعرفة ، وايحاء بأن الثقافة عماد الانسانية ، وتوجيه علوي الى أن الحياة الجديدة التي هبط جبريل يحمل مصباحها الى محمد ابن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هي حياة العقل الراشد ، والمعرفة الفياضة ، والاهتداء بالعلم في آفاق هذه الدنيا .

أو هي حياة الوعي الانساني في أكمل أطواره .. أو هي حياة الاسلام وكفى .. !

ثم يكون هذا الامر فوريا ، ليس معلقا على شيء ولا مرجأ عن تلك الساعة الراهنة ....

وكيف ومحمد بن عبد الله أمي : لا يعرف كيف يقرأ ، ولايدري وسيلة لتعلم القراءة في ليلته الرهيبة ؟

وهنا يتلهف محمد ويعتذر : ما أنا بقارىء .. ما أنا بقارىء : ثلاث مرات .

ثم يتكفل الله برفع الحرج عن مصطفاه ، ويلقنه جبريل الأمين بقية وحيه الاول .

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق » وبهذا يعلمه .

أن بدء القراءة يكون بذكر التسمية لله ذي القدرة على خلق الانسان من علقة هينة الشأن .

ثم ينتقل به نقلة ثانية الى التوجيه نحو العلم .. والعلم لاشك ثمرة القراءة للانسان .

ويشيد بالقلم ، لانه الاداة الحتمية لقيد العلم ، وتدوين بنوده ، وضبط شوارده ، ليكون عماد الانسانية ، وثروة الدنيا ، ووسيلة الحضارة على تعاقب الازمان والأجيال ، كما ينشد الاسلام في دعوته الى العالم كله .

ولم يكن القلم كذلك بالنسبة للنبي المبعوث بهذه الرسالة ، لان الله كرمه عن الحاجة الى القلم ، وتعهده بالوحي من عنده ، ورفعه عن بهتان الافاكين ، واتهامهم له بأنه ينقل عن انسان سواه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » فالأمية في شأنه تمام الكمال له صلى الله عليه وسلم .

ثم لتنظر بعد ذلك : هل العلم المطلوب نوع واحد ؟ أو كله مستمد من جانب خاص ؟؟

الذي نعهده ــ أولا ــ أن العلم يكون فيضا محضا من جانب الله ، وهذا رسالة الله الى خلقه من طريق الوحي الى رسله .. وذلك علم الدين .

أو هو علم كسبي يهدي الله اليه من يشاء : ممن توافرت لهم المواهب ونبهت فيهم القرائح ، ونشطت منهم العزائم فطرقوا أبواب العلم من جهاته المتعددة ، والتمسوه بالحواس ، وبالعقول ، والتجارب ، وأغراهم النجاح بمواصلة السير في آفاقه فاسلست لهم المعرفة قيادها ، ولا تزال في طريقها الفسيح الممدود .. وذلك في علوم الدنيا .

لفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء بالازهر

وعلى جوانب العلم الصحيح نبتت معلومات أخرى لاتعتبر من علم الدين ، ولا من علوم الدنيا ، وانما هى فى الحقيقة كالطفيليات ، تنجم فى مجارى الماء وعلى متون الحقول ، فيحسبها البسطاء فصائل من النبات ، وليست بنبات مفيد .

ومنها كهانة الكهان . وهى تراث قديم مزيف ، ولا تزال شائعة بين الناس .

فأن يكن العلم ــ على اطلاقه ــ مستمدا من الوحى ، أو كسبا بالمواهب الرشيدة فالكهانة غير ذلك كله .

والذى نعهده : أن الكهانة فى قديمها وحديثها تخمين مصطنع وتظاهر جرىء بمعرفة الغيب الذى لا يعرفه الناس .

وبيانها فى ضوء القرآن والسنة : أن الله ــ سبحانه ــ يعلم الغيب وحده ، وأنه لايبدى غيبه الا اذا شاء ، ولمن شاء من ملائكته ورسله .

فعندئذ ما يبرز شيئا من غيبه للملائكة ، ليتهيأ كل ملك منهم لتنفيذ ما يتعلق به من شؤون الدنيا وأهلها يتحدث الملائكة بهذا فيما بينهم .

وقد جعل الله للشياطين من الجن قدرة على محاولات لايطيقها الانسان .. فكان من دأب الجن أن يصعدوا الى السماء فيقتربوا منها ليتسمعوا احاديث الملائكة ، ثم ينزلوا على خبثاء الناس الذين يلابسونهم فى الأرض ويلقوا اليهم بما سمعوا ، ويخلطوه بالكذب الكثير من عندهم .

ثم يتحدث هؤلاء الكهان الى الناس بما عرفوا أو يزيدون فيه أو ينقصون منه ويبدلون .

فاذا أصاب الكهان صدفة فى بعض مايقولون حسب الاغرار من السامعين أن الكهان يعرفون الغيب المكنون عند الله .

وعلى هذا راجت الكهانة ، ولا تزال مقبولة عند أناس ، وهى فتن شيطانية تفسد عقائد مصدقيها ، وتزعزع ثقتهم فى علم الغيب .

وكان هذا فاشيا قبل الاسلام .. ولكن الله أعجز الشياطين عن الكثير من هذا أو عن أكثره فلم يعد لهم كبير تأثير فى هذا منذ نزل القرآن ، وبعث به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وان يكن هناك قليل من هذا فأنه لاختبار الناس فى تدينهم ، وفى تصديقهم للاكاذيب على ربهم .

والله يقول « **هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** » .

ويحكى عن الجن قولهم (**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**) ، وذلك أن الملائكة تحرس السماء من محاولات الجن .

فاذا حاولوا كعادتهم تبعتهم بالشهب النارية فتحرقهم أو تطاردهم فيعودوا فاشلين .

وبهذا نعلم أن الله كفانا شرا كبيرا من محاولات الجن ، وعلمنا أن لهم ضلالات ، لنتحفظ من الكهان ، ولا نطيع الاباطيل التى يستخدمون فيها الفنجال والودع ، وضرب الرمل ، واستحضار الشياطين .



للدكتور عثمان خليل

عضو المجمع والخبير الدستوري لمجلس الأمة بالكويت

لعل الكثيرين من المسلمين الذين طالعتهم الصحف تباعا بأنباء المؤتمر الاسلامي الذى عقد فى المدة الأخيرة بالقاهرة لا يعرفون الا القليل عن فكرته وأعماله ، بل لعل منهم من لا يعرفون الا القليل كذلك عن ذات « المجمع » الداعي لهذا النوع من المؤتمرات .

لقد انشيء هذا المجمع ضمن ما استحدثه التنظيم الجديد للأزهر الشريف سنة ١٩٦١ ، مستهدفا الجمع فيه بين علوم الدين التي عرف بها الأزهر منذ نيف وألف عام – وعلوم الدنيا التي أصبح لا مندوحة لعالم فى هذا العصر من الاحاطة بقدر منها ، بل والتخصص كذلك فى أحد فروعها . وبغير هذا المزيج من علم الدين وعلم الدنيا يخشى تخلف الأزهر عن ركب الزمن ، وتخلف رجال الدين الاسلامي عن متطلبات عصر الذرة والفضاء ، فيتركون الصدارة والقيادة الفكرية الى الصفوف الخلفية السائرة الى بطون التاريخ . ولذلك جاء بتوصيات المؤتمر الأول الذى عقده المجمع فى مارس من العام الماضي ١٩٦٤ ، أنه « **يسجل تقديره للخطوة التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة للنهوض بالأزهر ، ويرى فيها خطوة على الطريق الصحيح لاعداد رجل الدين المزود بالعلم وبالخبرات الفنية والعملية التي تمكنه من أداء رسالته الدينية والانسانية .**

بهذه الروح وفي خضم ما استحدث من تطوير للأزهر الشريف جاء انشاء « **مجمع البحوث** الاسلامية » وحل محل الهيئة المعروفة من قبل باسم « هيئة كبار العلماء » مع تغيير شامل من حيث التكوين والاختصاصات ، فلم يقتصر تكوينه على علماء الأزهر وحدهم ، ولا على علماء الجمهورية العربية المتحدة وحدها (من أزهريين وغير أزهريين) ، بل ضمت الى هؤلاء وهؤلاء مجموعة مختارة من العلماء والباحثين البارزين فى العالم العربي والاسلامي ، فأصبح المجمع بهذا الوضع أقدر على الاجتهاد فى أمور الاسلام من العلماء متفرقين أو متلاقين فى نطاق محدود ، ويكفي فى هذا المعنى أن يلاحظ ان عدد الحاضرين فى كل من المؤتمرين المنعقدين سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٥ قد جاوز المائة عضو يمثلون ما يقارب الاربعين دولة اسلامية .

اختصاص المجمع

أما من حيث الاختصاصات فقد أصبح المجمع « الهيئة العليا للبحوث الاسلامية » يقوم بالدراسات فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، ويضطلع بالخدمات الأساسية فى مجال الثقافة الاسلامية وبالتماس الأسباب لتعميمها ونشرها وتيسير وسائلها . وقد فصلت من وراء هذا الاجمال ، عشر واجبات للمجمع على وجه الخصوص هي : –

١ – البحث العميق الواسع فى الفروع المختلفة للدراسات الاسلامية .

٢ – العمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص .

٣ – توسيع نطاق العلم بالاسلام وبالثقافة الاسلامية لكل مستوى وفي كل بيئة .



اثناء انعقاد احدى جلسات مؤتمر مجمع البحوث ، ويرى فى مقدمة الصورة الدكتور عثمان خليل والشيخ علي الجسار مع بعض الوفود الاخرى .

٤ ـ تحقيق التراث الاسلامي ونشره .

٥ ـ بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية .

٦ ـ حمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٧ ـ تتبع ما ينشر عن الاسلام والتراث الاسلامي من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج ، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد .

٨ ـ رسم نظام بعوث الأزهر الى العالم الاسلامي ومن العالم الاسلامي .

٩ ـ المعاونة فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية فى جامعة الازهر ، والاشراف على هذه الدراسات ، والمشاركة فى امتحاناتها .

١٠ ـ العمل على تنظيم القواعد وتوحيد الأسس التي تقوم عليها المسابقات وتقديم المنح العلمية والجوائز المالية لهذا الغرض ، وللمجمع فى سبيل تحقيق أغراضه أن يصدر توصيات الى العاملين فى مجال الثقافة الاسلامية من الهيئات العامة والخاصة والأفراد فى حدود اختصاصه .

ويرأس المجمع فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، وللمجمع مجلس يجتمع تباعا مرة على الأقل كل شهر ، فى حين يجتمع المؤتمر مرة فى العام ، وللمجمع كذلك أمانة عامة تسهر على انجاز أعمال المجلس والمؤتمر وعلى تنفيذ قراراتهما ومتابعة هذا التنفيذ ، الى غير ذلك من الأعمال الفنية والادارية .

تتضح من هذه العجالة فكرة ((مجمع البحوث الاسلامية)) كهيئة من هيئات الأزهر فى تنظيمه الجديد ، تبين مهمة ((المؤتمر السنوى)) كهيئة من هيئات المجمع المذكور ، ومظهر نشاطه . فعلى أى نحو تم حتى الآن عمل المؤتمرين الأول والثاني ؟

مجمع البحوث الاسلامية

المؤتمر الأول

لقد اصدر الأزهر (وأعني بالذات المجمع) كتابا شاملا لأعمال المؤتمر الأول ـ يقع في أربعمائة صفحة ، ضم الكلمات التي ألقيت عند افتتاحه (يوم ١٩٦٤/٣/٧) ثم البحوث المقدمة له ، منها اثنان عن « الاجتهاد » (أحدهما للشيخ محمد نور الحسن والآخر للشيخ الفاضل ابن عاشور) واثنان عن التلفيق بين أحكام المذاهب (واحد للشيخ محمد فرج السنهوري والثاني للشيخ عبد الرحمن القلهود) ، وأربعة بحوث عن « الملكية » (أحدها عن « الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام » للشيخ علي الخفيف ، وثانيها عن « الملكية الخاصة وحدودها في الاسلام ، للدكتور محمد عبد الله العربي ، والثالث عن « الملكية الفردية في الاسلام » للاستاذ عبد الله بن كنون والرابع عن « ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الاسلام » (للشيخ محمد علي السايس) ، ثم سبعة بحوث أخرى عن « الموارد المالية في الاسلام (للشيخ عبد الرحمن حسن) ، وعن « حق الفقراءفي أموال الأغنياء » (للدكتور ابراهيم اللبان) وعن « العلاقات الدولية في الاسلام » (للشيخ محمد أبو زهرة) ، وعن « فلسفة الحرية في الاسلام » (للشيخ نديم الجسر) ، وعن « نظام الحسبة في الاسلام » (للدكتور اسحق موسى الحسيني) ، وعن « عوامل انتشار الاسلام » (للشيخ علي عبد الرحمن الأمين) وعن « العرب وانتشار الاسلام » (للدكتور سليمان حزين) .

وليس يخفى أن ما قدم ويقدم من بحوث على هذا النحو يظل رأيا فرديا وشخصيا لصاحبه ، حتى يقبله المؤتمر ويقره ويتبناه ، فينسب حينئذ اليه ويحسب عليه . ولذلك كان من المناسب (دفعا لكل لبس) أن يكتب على البحوث ـ قبل اقرار المجمع لها ـ أنها تعبر عن رأى صاحبها لا عن رأى المجمع ، وقد حرصت على ذكر هذا المعنى بعض الجامعات بالنسبة الى رسائل الدكتوراه حتى بعد قبولها ومنح صاحبها درجة الدكتوراه عنها .

وقد جرى المؤتمر الأول (وتابعه المؤتمر الثاني) على نهج طيب ، تقسم بمقتضاه مدة المؤتمر السنوى الى مرحلتين ، تستمر كل منهما اسبوعين (أو حوالي الاسبوعين) ، وتكون الأولى في شكل هيئة عامة تضم جميع المدعوين (من أعضاء وممثلين أو مندوبين) وتعرض فيها الى جانب كلمات الافتتاح والكلمات الختامية بعض البحوث السابق اعدادها لتناقش مناقشة عامة بحيث لا تكاد تجاوز جلسة او اثنتين لكل بحث وتلقي هذه المناقشة العامة أضواء على الموضوعات تستشف منها الاتجاهات الاسلامية المختلفة حول كل موضوع ، بحيث يتابع المجمع (المقصور على الأعضاء الدائمين) على هديها دراسة الموضوعات دراسة علمية عميقة خلال الفترة الثانية لكل مؤتمر ، وليس حتما أن يبت المجمع في أى موضوع خلال أى من هاتين الفترتين ، ولا خلال أى مؤتمر من المؤتمرات ، انما يتوقف ذلك على نوع الدراسة التي يتطلبها كل موضوع ، وقد يقتضي الموضوع الواحد من هذه الدراسة ، عدة اعوام ، في حين أن من الموضوعات ما يمكن البت فيه في جلسة واحدة .

وترتب على تقسيم مدة كل مؤتمر الى مرحلتين على النحو السابق ، أن ما يصدر عن أعمال المرحلة الأولى انما يصدر في شكل توصيات ، بينما تصدر عن الثانية « قرارات » وفي الأولى معنى التعميم والتوجيه ، وفي الثانية معنى التخصيص والاجتهاد .

توصيات المؤتمر

أما التوصيات التي صدرت في أعقاب المرحلة الأولى من المؤتمر في عام ١٩٦٤ فقد تضمنت دعوة المجمع لأن يختص بمزيد العناية والبحث في المرحلة الثانية من ذلك المؤتمر الأول وفي أعماله المقبلة سبعة موضوعات هي : ـ

١ ـ وضع خطة ايجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادىء الاسلامية التي تدعو الى العزة والحرية والكرامة ، وتمكن

المسلمين من مواجهة قضاياهم ، وتهيئتهم لـرد أى عدوان على حقوقهم فى أى قطر من الأقطار .

٢ ـ تعريف المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بخطر قيام اسرائيل على الاسلام والمسلمين ودعوتهم الى مؤازرة شعب فلسطين فى حقه فى العـودة الى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجبا دينيا مقدسـا .

٣ ـ وضع خطة محكمة للدعوة الى سبيل الله ومقاومة التحديات التي تواجه الاسلام ودحض الشبهات التي تثار حوله .

٤ ـ تشخيص مواطن الضـعف فى المجتمعات الاسلامية والعمل على علاجها .

٥ ـ العمل على اصـدار الفتاوى والأحكـام المستمدة من أصول الاسلام وتعاليمه فى المشكلات التي جدت وتجد فى حياة المسلمين حتى تسـير نهضتهم على هدى من دينهم الحنيف .

٦ ـ اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الاسلامية جميعا باللغة العربية لغة القرآن ، عناية تيسر لهم الوقوف المباشر على ما اشتمل عليـه القرآن الكريم والسنة النبوية وما وصل اليـه ائمة الدين .

٧ ـ العمل على دعم الروابط بين المسـلمين وتوثيق صلاتهم بمجمع البحوث الاسلامية .

قرارات المؤتمر

اما القرارات التي انتهى اليها المؤتمـر الاول للمجمع فى نهاية مرحلته الثانية فقد ضمنها البيان المفصل (الذى أشار الى انه كان بمثابة « عملية مسح واستبانة لا بد أن يكون لها أثرها عنـد التصدى لعلاج مشكلات المجتمع الاسلامي المعاصر وهذه القرارات أربعة وهي :

١ ـ دعوة المسلمين افرادا وجماعات ودولا لأن يجاهدوا بالمقاومة الجادة المستمرة الاسـتعمار والصهيونية حتى يتم تحرير المسلم قلبا وضميرا ووطنا ومعرفة ، واعتبار كل تقصير فى مقاومة هذين العدوين عصيانا لله تعالى واثما كبيرا .

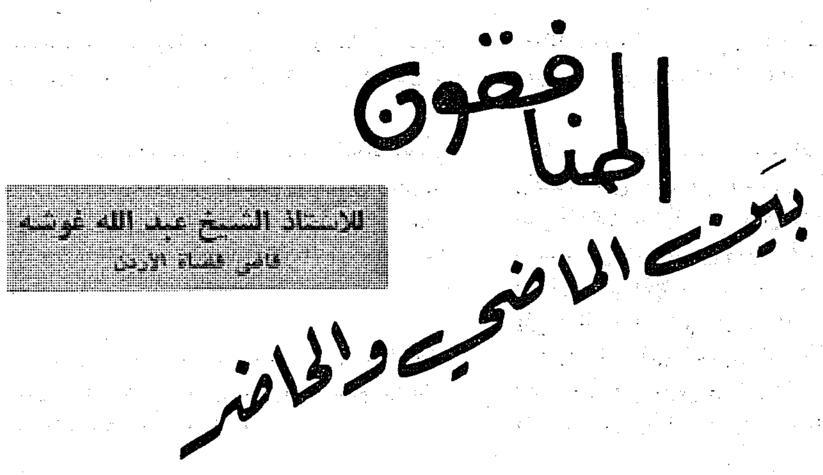
٢ ـ ان الاجتهاد لاستنباط الاحكام من الكتاب والسنة حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة وكان اجتهاده فى محل الاجتهـاد . وان السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة هي أن يتخير المجتهد من احكام المذاهب الفقهية ما يفي بذلك ، فان لم يكن فى احكامها ما يفي بـه الاجتهاد الجماعي المذهبي كان الاجتهاد الجماعي المطلق ، وينظم المجمع وسائل الوصول الى الاجتهاد الجماعي بنوعيه ليؤخذ به عند الحاجة .

٣ ـ ان حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التي قررتها الشريعة الاسلامية وكفلت حمايتها كما قررت ما يجب فى الاموال الخاصة من الحقوق المختلفة ـ وأن من حق أولياء الامر فى كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البينة وتحقيق المصالح الراجحة .

٤ ـ أن على المجمع تلمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين فى شتى بلادهم ، وأنه مـن الضرورى أن يبادر المجمع الى استكمال اجهزته الكفيلة بنشر رسالة الاسلام ، وتجلية حقيقته ، والدفاع عن مثله ، وتخطيط الوسائل لهـذه الواجبات وتمويلها ورسم منهجها والاعداد لها .

المؤتمر الثاني

المؤتمر الثاني للمجمـع (١٩٦٥) اسـتمرت المرحلة الاولى لهذا المؤتمر من ١٣ الى ٢٢ مايو ناقش خـلالها بحوثا تتعلـق بالتأمـين ، وبالمعاملات المصرفية ، وبالزكاة والصـدقات ، وبفلسطين وخطر اسرائيل على الشعائر الاسلامية ومصالح المسلمين ، كما عرض المؤتمر لموضـوع الدعوة الاسلامية فى البلاد الاخرى وبخاصـة فى القارتين الافريقية والاسيوية ، وقد بدأت بعـد ذلك المرحلة الثانية للمؤتمر الخاصة بالاعضـاء الدائمين للبحث فى توصيات المؤتمر والمشـكلات السابقة . وان العالم الاسلامي كله لينتظر مـا تصل اليه بحوث هؤلاء العلماء الاعلام ولا سيما ما يمس منها مشكلاتنا المعاصرة .



للاستاذ الشيخ عبد الله غوشه
قاضي قضاة الأردن

المنافقون حيث يوجدون ــ داء يجب الحذر منه والقضاء عليه

القرآن يتصدى لهم ، ويفضح نواياهم

قال الله تعالى : (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون . ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) .

صدق الله العظيم

«هاتان الآيتان من سورة التوبة وهما مدنيتان»

وسورة التوبة تسمى **الفاضحة** لانها فضحت انــواع النفــاق ، وكشفت احــوال المنافقــين ، والمنافقون هم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويقــولون مالا يفعلون ، ويعــدون ولا يوفــون ، والمنافقون فى زمن النبي صلى الله علية وسلم كانوا يضمــرون الكفر والشرك ، ويظهــرون الاســلام والايمــان .

كانوا اذا قابلوا المؤمنــين تظاهروا بالايمــان والانقياد لاوامر الله تعالى ورسوله ، واذا خلوا الى انفسهم أو اخوانهم ظهروا عــلى حقيقتهم ، واستهزأوا بالمؤمنين ، وبيتوا لهم ، وتربصوا بهم الدوائر .

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون. الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

لقد قاسى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الأمرين من هؤلاء المنافقين ، وتحملوا كثيرا مــن الصعاب والشدائد فى سبيل الصبر عليهم ، الى أن نزلت الآيات الكريمة مبينة احوالهم ، ذاكرة ما هم عليه من مكر وخداع وباطل وضلال .

من صفات المنافقين

والمنافقون يجمعون بين الكفر ومخادعة اللــه والمؤمنين وغشهم يقول الله تعالى : **(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .**

ومن صفات **المنافقين عامة** أنهم فى المعارك كانوا

يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، وينتظرون ما يحدث لهم من كسر أو نصر أو خير أو شر ، فان كان النصر والظفر والفتح للمؤمنين ادعوا انهم كانوا معهم ، وانهم منهم يستحقون مشاركتهم فيما أصابهم من خير وغنيمة .

وان كان النصر لأعداء المؤمنين منوا عليهم بانهم كانوا أعوانا لهم بتخذيل المؤمنين واضعافهم ، والقاء الفوضى والاضطراب في صفوفهم ، والقعود عن القتال معهم ، فهم يستحقون الجزاء الموفور على موقفهم الذي ساعدوهم فيه ، يشير الله تعالى الى ذلك بقوله : **(الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .**

كان المنافقون يتربصون بالمؤمنين ويأخذ أقوالهم حسب مقتضيات الموقف ، وهكذا كانوا يخادعون الفريقين ويأكلون على المائدتين .

((مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء)) ، وهكذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان ، وفي كل مناسبة وحادثة ، فهم لا يخلصون في الانتساب الى واحد من الفريقين ، لانهم يطلبون المنفعة ، ولا يدرون لمن تكون العاقبة ، فهم يميلون الى اليمين تارة ، والى الشمال تارة أخرى ، فمتى ظهرت الغلبة التامة لأحد الفريقين ادعوا انهم منه ، وكانوا معه ، يؤيدونه على الفريق الآخر .

ولقد تضمن قوله تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) الآية بيان صفة من الصفات القبيحة السيئة التي كان بعض المنافقين يتصف بها .

وهذه الصفة هي انهم كانوا يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويرمونه بالتهمة ويطعنون عدالته في توزيع الزكاة والصدقات ، ويدعون انه كان يحابي في قسمتها ، ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل مودته .

روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل ، قد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل . فنزلت الآية .

وهناك روايات أخرى في سبب نزولها ، وكلها تدل على أن اشخاصا من منافقي المدينة قالوا ذلك لحرمانهم من العطيـة .

والآية تدل على فساد اخلاق المنافقين وسوء طباعهم ، فهم لشدة شرههم الى اخذ الصدقات عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنسبوه الى الجور في القسمة ، مع انه كان ابعد خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا ، بل هو المعصوم ذو الخلق العظيم .

ولم يكن قول المنافقين في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم غضبا للعدل ، ولا احقاقا للحق ، ولاغيرة على الدين ، انما يقولونه لحساب ذواتهم واطماعهم ، وحماية لمنفعتهم وانانيتهم ، فاسباب هذا اللمز ومنشؤه هو حرصهم على حطام الدنيا (ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا) ، ولم يبالوا بالحق والعدل والدين (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) .

ثم بين الله تعالى الطريق الذي يجدر بالمؤمن الصادق اتباعه فقال : (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) أي لكان ذلك خيرا لهم ... فان المؤمن الصادق يرضى بقسمة الله ورسوله رضى تسليم واقتناع لا رضى قهر واكراه ، ويكتفي بالله والله كاف عبده ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ويرجو فضل الله ورسوله ويرغب في الله رغبة خالصة من كل طمع دنيوي او كسب مادي .

قال الضحاك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره ، وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ، ويحمدون الله عليه ، واما المنافقون فان اعطوا كثيرا فرحوا ، وان اعطوا قليلا او لم يعطوا سخطوا ، ثم ساءهم وسخطهم لهذا السبب فقط ، اذ لا هم لهم ولا قصد من الاسلام الا المنفعة الدنيوية .

في كل مجتمع

ان مثل هؤلاء المنافقين موجود في كل عصر ومكان ، وفي كل امة ودولة ، فهم لا يعرفون الحق ولا ينظرون اليه ، ولا يأبهون به ، ولا يتحرون [illegible] الامور اي امر من الامور ، او عمل من الاعمال ، الا بمقدار ما يستفيدون من ذلك الامر او يستفيدون .

فان أصاب أحدهم خير من ذلك العمل سر به ومدحه وأطراه ، والا .. ذمه وعابه ، وألصق به ما يختلقه من عيوب . فهذا النوع يصدق عليه قوله جل جلاله : **(ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) .**

ان هؤلاء المنافقين يكون حكمهم على الامور تبعا لهواهم ، والنفوس المريضة كنفوس المنافقين لا تدرك الحقائق الا بمنظارها الخاص ، ولا تحكم عليها بالخير او الشر او الحسن او القبح الا بنسبة ما يصيبها او يلحقها من نفع دنيوى ، او ضرر مادى ولا يهمها ان تتجرد فى حكمها عن المصلحة الشخصية والغاية الذاتية لتكون احكامها مطابقة للحق والعدل .

ان المؤمن الصادق الذى يعتمد على الله ويخافه ولا يخاف سواه ، يضع امام عينيه مراعاة الحق والعدل فى الحكم على الامور جميعها ، ويتقي الله فى احكامه واقواله وافعاله ، فلا يحكم على امر ما بأنه حسن أو غير حسن ، نافع او ضار الا بنسبة ما يصيب المجموع من هذا الامر من نفع او ضرر .

ولا تكون للمصالح الخاصة والمنافع الذاتية ، ولا للاغراض الدنيوية أى تأثير عليه فى حكمه على الأمور . **فالفرق بين المؤمن والمنافق ان المؤمن يهمه مصلحة الامة العامة ، ويتجرد عن مصالحه الشخصية ، ويضع تقوى الله تعالى امام عينيه فى حكمه .**

اما المنافق فلا يهمه خير المجتمع ، ولا مصلحة الامة العامة ، وانما يهمه امره ومصلحته لاغير ، ولذلك يكون حكمه على الامور تبعا لمنفعته الشخصية فقط .

ان مثل هؤلاء الناس من المنافقين الذين يجعلون احكامهم على الاشياء تبعا لهواهم ومصالحهم يجب ان يحذرهم الناس ويكونوا منهم على حيطة .

هدامون

ومن صفات المنافقين أنهم لايعرفون الا الهدم والانتقاد ، ويعترضون على اعمال المؤمنين مهما كان نوعها وشكلها ، ويسخرون منهم ، فاذا طلب منهم العمل وأداء الواجب تأخروا ، وتهربوا ، وانتحلوا الاعذار الواهية للتخلص من هذا الواجب .

فاذا كان الواجب عليهم أن يبذلوا من اموالهم فى سبيل الله فانهم لا يبذلون ، ومع ذلك لا يكتفون بقبض يدهم عن البذل والانفاق ، ولا بكسلهم وتوانيهم عن اداء الواجب الذى عليهم ، بل انهم يعترضون على كل فاعل للخير ، ويسخرون من كل باذل من ماله فى سبيل الله قليلا او كثيرا .

وقد اشار الله تعالى الى هذا النوع من المنافقين فى قوله جل جلاله : **(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم) .**

روى المفسرون روايات عدة فى سبب نزول هذه الآية : روى ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم ، وحث على أن يجمعوا الصدقات ، فجاءه عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال : كان لي ثمانية آلاف درهم ، فامسكت لنفسي وعيالى أربعة وهذه الاربعة اقرضتها ربي .

وجاء عمر بنحو ذلك ، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة ، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر ، وقال : أجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله ، فاخذت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما لعيالي ، وأقرضت الآخر ربي ، فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات ، فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاءوا بصدقاتهم الا رياء وسمعة ، وأما ابو عقيل فانما جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر ، والله غني عن صاعه فانزل الله تعالى الآية السابقة .

والمراد من (المطوعين فى الصدقات) اولئك الاغنياء الذين أتوا بالصدقات الكثيرة ، وبقوله : (والذين لا يجدون الاجهدهم) أبو عقيل وامثاله من الفقراء حيث جاء بالصاع من التمر .

واخراج المال ابتغاء مرضاة الله تعالى قد يكون واجبا ، كما فى الزكاة وسائر الانفاقات الواجبة ، وقد يكون ناقلة وهو المراد من هذه الآية .

والذى يأتى بالصدقة النافلة قد يكون غنيا ، فيأتي بالكثير كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، وقد يكون فقيرا كابي عقيل فيأتي بالقليل ، وهو جهد المقل .

ولا تفاوت بين البابين فى استحقاق الثواب ، لان المقصود من الاعمال الظاهرة كيفية النية واعتبار حال الدواعي والصوارف .

وقد يكون القليل الذى ياتي به الفقير اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى ياتي به الغني ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قلت

يارسول الله اى الصدقة افضل قال (جهد المقل وابدأ بمن تعول) فالصدقة مع قلة المال ثوابهـا عظيم ، لان المتصدق بها يجاهد نفسه فى ايثـار الغـير عليهـا .

وفى الحديث الشريف .

(سبق درهم مائة الف درهم ، قالوا وكيف ؟ قال رجل له درهمان فاخذ احدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فاخذ من عرض ماله مائـة الف فتصدق بها) .

والعرض : الجانب ، فلما كان الاول قليـلا وتصدق بنصفه كان من جهد المقل ، وفاق الدرهم مائة ألـف ، بخلاف الثاني ـ وأن عظم فانـه لا يشق عليه .

لقد تقول المنافقون على المؤمنين الذين انبعثوا الى الصدقة عن طواعية نفس ، وطيبة خاطر ، واطمئنان قلب ورغبة فى المساهمة فى البذل ، كل قدر طاقته وغاية جهده .

فقالوا عن المكثر الغني انه يبذل رياء ، وعن المقل انه يذكّر بنفسه ، فلا يسلـم من عيبهـم وتجريحهم وانتقادهم احد من الخيرين الباذلـين المؤمنين . ذلك ، وهم قاعدون متخلفون ، منقبضو الايدى ، شحيحو الانفس ، لا يبذلون الا رياء ، ولا ينفقون الا وهم كارهون .

لان الباعث على الانفاق عندهم لا ينبعث مـن قرارة النفس واعماق الضمير ، انما يدفعون الى الانفاق دفعا ، ويشعرون انهم مسخرون ، ويعدون هذه النفقات مغارم تضرب عليهـم ، ينتفع بهـا المؤمنون ، وهم ليسوا منهم ، فلا نفع لهم بما انفقوا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، لانهم لا يؤمنون بها .

ان امثال هؤلاء المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات موجودون فى كل عصر وامة فهم لا يحسنون الى الناس ، ولايقومون بواجبهم لانحو الفـرد ولا الجماعـة ولا الامة ، همهـم ان يسخروا من الناس ويذموهم ، وينتقدوا اعمالهم ، خيرا كانت ام شرا ، فلا يسلم من شرهم وانتقادهم احـد ، همهـم الهـدم والتخـريب لا البنـاء والتشييد .

١ ـ فاذا انشأ شخص مستشفى لمعالجـة المرضى وتخفيف ويلات المصابين ، قالوا : فعل ذلك للرياء والسمعة .

٢ ـ واذا اعان دارا للايتام بقسط وافر من ماله ، او بنى دارا للايتام ليخفف عنهم شدة اليتم والبؤس قالوا : ما فعل ذلك الارياء وسمعة ودعاية لنفسه وللشهرة .

٣ ـ واذا دعا الداعي الى التبرع لمصلحة خيرية محضة كالتبرع لبناء مسجد او معهد او ملجـأ فتبرع شخص ما بالكثير من ماله ، أقسموا كذبا وبهتانا انه لم يتبرع بهذا المبلغ الكبير الا ليظهر نفسه امام الناس ، وليقوم بالدعاية الشخصية ، أو ان المال الذى تبرع به مال حرام اغتصبه من الناس ظلما وعدوانا .

واذا تبرع فقير بجزء قليل وهو فى الواقع كبير بالنسبة لماله ، قالوا ان الله غني عن صدقته وما هي الفائدة التى سيجنيها هذا المشروع العام من هذا المبلغ الضئيل ، اقد كان الاولى به ان ينفق ذلك على نفسـه .

ان هذا النفر من المنافقين الذين لا يسلم مـن شرهم وأذاهم احد ، لو انهم ينتقدون عمل الناس ويعملون الافضل ، لقلنا انهم ينتقدون ، لانهـم يبغون الاصلـح والانفع ، ولكنهـم لا يبذلون ولا ينفقون ، ومع ذلك يذمون ويسخرون وينتقدون .

ان من شأن المؤمن الا يسخر من احد والا ينتقد الا انتقادا بريئا نزيها خاليا من الغرض لا يدفعه اليه طمع مادى او عرض دنيوى ، فهـو يقـول للمحسن أحسنت ، وللمسيء أسأت ، ناظرا فى ذلك الى مصلحة الامة العامة ومنفعة المجموع .

واذا دعي الى التبرع لجهة خيرية تبرع بمـا يستطيع ، لا يتوانى ولا يتقاعس عن هذا الواجب ، وشكر الآخرين على تبرعاتهم مهما كـان قـدرها وصفتها ، دون ان يسخر من احد ، او يستهزىء بمخلـوق .

المؤمن بناء لا هدام ، فعال لا قوال ، صادق لا موارب ، مصلح لا مفسد ، ناصح لا مخاتل ، حازم لا متردد ولا مرتاب ، باذل لا قابض ولا شحيح ، مقبل على البذل والانفاق فى سبيل الله وفى انشاء المؤسسات العامة ، واعانة البؤساء والمحتاجين ، غير مبال بأقوال المنافقين الذين يسخرون مـن الناس ، ويثبطون الهمم ، ويضعفون العزائم واذا كان كل مجتمع يصاب بمثل هؤلاء المنافقين ، فان قوة الايمان فيه تنحيهم بعيدا وتعزلهم عن الجماعة وركبها المنطلق فى اخلاص للبناء والتعمير هكـذا كانوا مصيرهم فى ايام الرسول صلى الله عليـه وسلم وهكـذا يجب أن يكون مصيرهـم فى كل مجتمـع .

العلم والدين

من الأزهر انطلقت الدعوة

ظلت بلاد الشرق العربي الاسلامي بضعة قرون تخيم عليها سحابة من الجهل والتأخر والبعد عن ميادين العلوم الحديثة ، خلال الحكم التركي ، بعد أن كان العرب روادا لهذه العلوم فى عصر النهضة الاسلامية وأساتذة لها ، على حين كانت أوروبا فى ظلمات الجهل فى القرون الوسطى تغط فى سبات عميق .

ولم يعدم الشرق العربي الاسلامي فى خلال هذه الغيابات صوتا يدعو الى العلم الحديث ، وينبه النيام ليصحوا من رقدتهم . وكان للأزهر الذى شع العلم منه زمنا فضل الجود ببعض عقليات أزهرية نيرة مرنة غير جامدة ، دعت ــ فى خلال ذلك الظلام ــ الى العودة بالعلوم الاسلامية العربية الى مسائل العلم الطبيعي التجريبي ، تحقيقا لدعوة القرآن الكريم الى النظر والتفكر فى ملكوت السموات والارض .

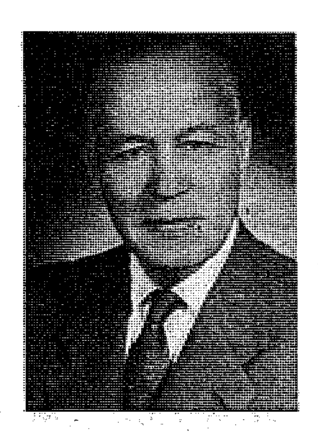
الشيخ حسن العطار والعلوم الحديثة

وكان للشيخ حسن العطار ــ شيخ الازهر عقب الحملة الفرنسية ــ فضل القيام بهذه الدعوة فقد اتصل الرجل بعلماء الفرنسيين الوافدين مع نابليون فى حملته على مصر ، وعرف كثيرا من أسباب نهضة الغربيين وقوتهم ، كما شاهد بعينيه بعض ابتكارات الفرنسيين العلمية والصناعية .

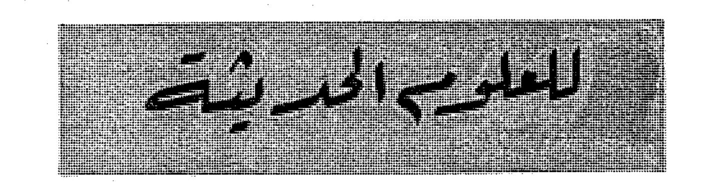
ورأى الشيخ الازهرى المصلح أن عليه واجبا نحو امته ، وأن هذا الواجب يحتم عليه الا يسكت ما دام قادرا على أن يقول شيئا ، كأنما كان حافظ ابراهيم يعنيه بعد مائة وعشرين عاما بقوله فى تكريم احمد شوقي :

فأن كنت قوالا كريما مقالة
فقل في سبيل الشرق شعرك أودع

فاتجه الشيخ حسن العطار الى الكتب الازهرية فى عهده ، ولم تكن هناك مدرسة اسلامية عربية كبرى غير الازهر ، فوجدها واقفة لا تتجدد ، ولا تسير مع الزمان ، والدنيا من حولها تتحرك وتسير قدما ، ولم تكن فى الشرق



للاستاذ : محمد عبد الغني حسن



العربي يومذاك صحافة او صحف يطالع فيها الناس بآرائه ، فلم يجد غير مؤلفاته الازهرية ، يدخل فيها بعض هذه الآراء هنا وهناك ، ففي احدى حواشيه على كتاب من كتب الفقه المقررة فى الازهر يستطرد الى نقد الكتب الازهرية التي طال عليها المدى وهي جامدة كما هي . ثم يوازن بين العلماء السابقين وعلماء عصره ، فيجد ان السابقين ـ مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم .

ولقد أعجب الشيخ العطار بالكتب الاجنبية التي ترجمت الى العربية فى عصر محمد علي ، لما فيها من علم وصناعات ، واصول هندسية ، وعجب كيف لم تدخل هذه الكتب ، ولم تعرف طريقها الى الازهر حتى بعد عودة اعضاء البعثات العلمية من اوروبا .. وندعه هنا يقول بعبارته الدقيقة ، واسلوبه المرسل الذى خالف به الاساليب المتكلفة فى وقته : (ان مسألة الخلاء ـ يعني الفراغ ـ ومسألة اثبات الميل فى الاجسام من مسائل العلم الطبيعي وبتحقيقها يظهر للفطن اسرار غريبة ..

وعليها يبنى كثير من مسائل جر الاثقال ، وعلم الحيل « الميكانيكا » واختراع الآلات العجيبة . وقد عربت كتب فى زماننا من كتب الفرنجة ، وفيها اعمال كثيرة ، وأفعال دقيقة ، واطلعنا على بعضها ، وقد استخرجت تلك الاعمال بواسطة الاصول الهندسية والعلوم ، وفي تلك الكتب تكلم القوم فى الصناعات الحربية ، والآلات النارية ، ومهدوا فيها قواعد وأصولا ، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة . ومن سمت به همته الى الاطلاع على غرائب المؤلفات ، ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم ، وتنزهت فكرته ـ ان كانت سليمة ـ فى رياض الفهوم » .

جهود رفاعة الطهطاوى

ولم يضع صوت الشيخ حسن العطار هباء ، فقد جاء بعده تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى كان أزهريا ، وأوفد اماما للبعثة التعليمية المصرية فى فرنسا ، وأدرك من قيمة العلوم الطبيعية .. الحديثة ما أشار اليه أستاذه وما رآه هو رأى العين فى خلال اقامته بباريس فلما كتب كتابه المشهور : « مناهج الالباب المصرية » لم يفته أن يدعو

بجرارة الى ادخال العلوم الكونية الحديثة في برامج الازهر ، واستدل على قوة العلم بقوة قدماء المصريين وعظمة دولتهم. ورأى ان إكمال العقول بالعلوم الطبيعية أمر ضروري لتقدم الامم ، ولام حكومة مصر فى عهد اسماعيل على ترك علماء الأزهر يتقنون الاحكام الشرعية العملية الاعتقادية والعلوم الآلية كعلوم العربية الاثنى عشر ، والمنطق ، وآداب البحث والمقولات ، وعلم الإصول ، ويتركون ما عداها من العلوم النافعة : (غير أن هذا وحده لا يفي للوطن بقضاء الوطر ، والكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر ...)

واستشهد رفاعة الطهطاوى بنخبة كريمة من علماء الازهر شاركوا فى العلوم الطبيعية والطبية ومهروا فيها ، كالشيخ على الزعترى والشيخ احمد القرافي والشخ عبد الفتاح الدمياطي والشيخ سلامه الفيومي ، والشيخ عبد الجواد المرحومي، والشيخ حسام الدين الهندى، والشيخ احمد الشرفي ، وغيرهم ، بل استشهد بأستاذه حسن العطار « الذى كان له مشاركة فى كثير من هذه العلوم حتى فى العلوم الجغرافية » .

وتقدم الزمن خطوة فظهر فى السنة الاولى من مجلة « المقتطف » سنة ١٨٧٦ وفى الجزء السادس بالذات ـ مقال علمي عن دوران الأرض بقلم المحرر العالم الدكتور يعقوب صروف ، ولم يكن هذا البحث أول ما نشرته المقتطف من بحوث علمية ، فقد سبقته بحوث عن الشمس والمطر ، والحرارة والميكروسكوب ، والهواء الجوى وعلة ملوحة البحر وغيرها.

وتقدم محرر المقتطف خطوة ، فكتب مقالا افتتاحيا فى العام نفسه بعنوان ((العلوم الطبيعية)) . فند فيه مزاعم الجامدين القائلين ان العلوم الطبيعية مضرة وانها تشكك فيما أوحت به الكتب السماوية ، وعجب من تقاعس علماء العرب فى عصره عن هذه العلوم ، مع انها كانت فخرا لأقطاب علمائهم وتساءل فى سخرية حكيمة : ماذا يقول ابن سينا لو وقف بيننا اليوم ، وسمع أكثرنا يعوذ بالله من شر علماء الطبيعة وعلمهم ؟ وكيف يشعر القزويني لو سمعنا نقول عن عالم فى الحيوان ان هذا طبيعي كافر ؟ وماذا يقول البناني والطوسي ، والنيسابورى لو علموا ان علم الهيئة قد صار فى خبر كان ، بعدما شيدوا دعائمه بين امة العرب ؟ .

وأبان الدكتور صروف خطأ الذين يقرون بمنافع العلوم الطبيعية ، ولكن يحسبونها مضرة بالدين كما أبان ضلال الذين يعتقدون صحة هذه العلوم ونفعها ، ولكن ينكرون الوحي لاجلها ، بعدما ظهر من التوفيق العظيم بين الوحي والعلوم الطبيعية .

وهنا دخلت القضية فى طور جديد .. فلم يسكت رجل الدين المسيحي « غبريل جباره » ارشمندريت الكرسي الانطاكي ببيروت ـ على القول بدوران الارض ، وانكره انكارا شديدا ، وأكد بالادلة التوراتية ثبوت الارض وعدم دورانها ، وقرر أن دوران الارض يناقض ما فى الكتب المنزلة ...

وشغلت هذه المسألة الراى العام العربي فى ١٨٧٦ ، ودخلت فيها مصر

والشام بمفهومه الواسع الموحد قبل تفريقه ـ واشترك فيها كثيرون بين مؤيد ومعارض ...

عبد الله فكرى وعلم الهيئة

ودخل أديب عالم مصري فى المعركة ، وهو عبد الله فكرى باشا الذى كان وكيلا لوزارة المعارف فى ذلك الحين ، فكتب بحثا ضافيا فى موضوع « المقارنة بين الوارد فى نصوص الشرع ، والوارد فى الهيئة » وبعث به الى المقتطف التي كانت حينذاك فى بيروت ، ونشره الدكتور صروف بعنوان : « العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » وقدم له بأسطر قليلة ذات دلالة كبيرة يقول فيها : (رأينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان ، فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها ، اظهارا لموافقة علم الهيئة لدين المسلمين ، واجابة لما طلبه منا الكثيرون ..) .

وبلغ هذا البحث من نفوس القراء فى العالم العربي ما اريد له ورأى عبد الله فكرى ـ وهو أزهري النشأة والثقافة والتحصيل ، مجدد فى تفكيره ـ رأى أن يوسع ميدان نشره ومجال انتشاره فنشره كاملا غير منقوص فى صحيفة « وادى النيل » وفى مجلة « روضة المدارس » وهي من أقدم المجلات فى العالم العربي ـ فى عددها الخامس من شهر ربيع الاول ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م .

ولا ينكر منصف أن هذا البحث الجليل لعبد الله فكرى كان من العوامل القوية الموجهة لحركة ادخال العلوم الطبيعية فى الفكر العربي الحديث .

واذا كان صوت الدكتور يعقوب صروف من الاصوات العربية الأولى التي كتبت فى العلم الطبيعي وقدمته الى العرب المعاصرين والحديثين ، فان عبد الله فكرى الكاتب الشاعر الازهرى كان من الاصوات القوية الاولى فى الدعوة نفسها ، وفى التنبيه بالادلة الشرعية الى ضرورة العلوم الطبيعية وخطرها .

الغزالي يقول بكروية الأرض

وقد قامت رسالة عبد الله فكرى هذه على اساس مناظرة أو مناقشةدارت بين فقيه من رجال الدين ، وعالم طبيعي من علماء الهيئة ـ اى الفلك ، واستند عالم الهيئة فى خلال المناظرة الى كلام للامام الغزالي يفيد فى قضية الدين والعلم وعدم تعارضها ، فالغزالي معتقد بكروية الارض وبالاسباب الجغرافية الفلكية للكسوف والخسوف ، والغزالي يؤكد أنه (من ظن المناظرة فى ابطال هذا من الدين وضعف امره فان هذه الامور عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة ...) .

ولم يكن دخول عبد الله فكرى فى المعركة التي دارت حول دوران الارض يرمي الى القول بالدوران وحسب ، ولكن مرامي بحثه العلمي الفقهي العظيم كانت تتجه الى مسألة اهم من هذا ،وهي مسألة التوفيق بين العلم والدين، واثبات عدم المخالفة بينهما ، حتى لا يقف هذا التخالف حجر عثرة فى طريق التقدم

العلمي المطلوب ، وتتحجر المعارف العلمية الى ما يشبه الجمود ... ولقد أدرك عبد الله فكرى بذكائه ولطف مدخله ، وسعة اطلاعه على تاريخ علم الهيئة ، والتفسير والشرع ، الهدف من مراميه البعيدة فى ذلك البحث الذى تقبله ـ فى ذلك الحين ـ أنصار الجديد بقبول حسن وأيقنوا أنه جاء في حينه مناسبا ، ولو قته ملائما تأييدا من السماء ، بل من رب السموات لقضية الوحي السماوى والعلم الطبيعي .

على ان الطريف فى القضية ان عبدالله فكرى اثبت فى بحثه الرصين ان القول بدوران الارض حول نفسها كل يوم ، وحول الشمس كل عام ، ليس قولا جديدا كما يزعم الجامدون والمتشبثون بأذيال المحافظة ، وان القدماء فى بلاد الاغريق والرومان كانوا يقولون بدوران الارض ، ثم هجر هذا القول الى القول بثبوتها على يد بطليموس الروماني ، ثم جاء « كوبرينكس » فى القرن السادس عشر الميلادى ، فعاد الى القول بدوران الارض ، وتابعه عليه الناس الى وقتنا هذا ...

ودارت الارض هذه المرة دور سريعة عجيبة فاذا بنا نرى من عجائب العلم الحديث ما حملنا على أن لا نتخلف ـ نحن العرب ـ عن السير فى طريقه ، والأخذ بأسبابه ، توصلا الى رؤية الله عن طريق العلم ، كما قال شاعرنا شوقي وأجاد :

لو يرى الله بمصباح لما
كان الا العلم جل الله شانا

عن أبي موسى الاشعرى ـ رضي الله عنه ـ : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .
« رواه مسلم والنسائي »

***

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات) قالوا : بلى يا رسول الله .
قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .
« رواه البخارى ومسلم »

قالوا . « من حسن الأدب ألا تغالب أحدا على كلامه ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه . واذا حدث بحديث فلاتنازعه اياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تره أنك تعلمه .
واذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك ، فحسن مخرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به .
وتعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام » .

***

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :
« قلت لأبي : أى رجل كان الشافعي ؟ فاني سمعتك تكثر من الدعاء له »
فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ؟

يديه ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : (أتحبه لأمك) فقال . لا ، جعلني الله فداك .

فقال : (كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . أتحبه لابنتك ؟) قال . لا ، جعلني الله فداك ، قال (كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم . أتحبه لأختك ؟) . وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا ، جعلني الله فداك ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول . كذلك الناس لا يحبونه ، وقالا جميعا فى حديثهما « فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال . (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ،) رواه الامام احمد باسناد جيد .

أفترى يا أخي القارىء أن الاسلام كان جميلا حينما حرم هذه المظالم لكي يحفظ لك مالك ، وعرضك وكرامتك ، وحريتك ، وصحتك ، أم أنه قبيح مخيف كما يدعي الخصوم عدوانا وظلما . ؟ .

هل ترى يا أخي من الصواب او الجمال فى شيء : أن نحل الخيانة محل الأمانة ، والكذب محل الصدق ، والغدر محل الوفاء ، والزنا محل العفاف ، والميوعة محل الرجولة ؟

وانك اذا أدركت مواطن القبح والجمال من جميع هذه الخصال ، أدركت بلا شك أن الاسلام فى الذروة من الجمال فى كل ما أمر به ونهى عنه .

جمال المعاملة

واذ يتجلى لنا الاسلام جميلا فيما أمر به وفيما نهى عنه فانه يتجلى لنا أجمل فى أدب المعاملة مع الناس حيث يظهر العفو ، والتسامح ، وكظم الغيظ والاحسان ، والتواد ، والحرص على العدل حتى مع الخصوم : يقول الله تبارك وتعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت ـ ٤٣ .

(ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) المؤمنون ـ ٩٦ .

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ .

(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت ـ ٤٦

(وقولوا للناس حسناً) البقرة ـ ٨٣.

الآيات فى ذلك كثيرة ، والصور التي انزلت بها جميلة ؛ حتى ليكاد المطلع لا يغادر منها آية الا أوردها ولا صورة من حسن المعاملة الا سجلها ، فهل ترى حسنا يضاهي هذا الحسن أو يدانيه ، فى سلوك الانسان تجاه أخيه الانسان ، بل انك لتجد كمال الحسن فى معاملة العدو حين يحرص الاسلام على ايصال حقه اليه ، ويجعل تفويت حقه جريمة وظلما ، وفى ذلك يقول تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة ـ ٨ .

وقد وردت فى حسن المعاملة ومكارم الاخلاق ، أحاديث كثيرة فى السنة الصحيحة ، لم تدع زيادة لمستزيد من درجات الكمال ، ولا لطامع فى صور البهاء والجمال ، يقول صلى الله عليه وسلم :

(اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة

الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) احمد والترمذى . حسن صحيح .

(اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلق أخاك ووجهك منبسط اليه) ابو داود والترمذى .

(ما من شيء اثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق) الترمذى حسن صحيح .

(ان من أحبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) الترمذى حسن .

وقد ورد فى الأثر (صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك ، وقل الحق ولو على نفسك ..)

جمال المظهر

ومن جملة ما شرعه الاسلام للناس ــ بعد تنظيم المعاملة ، واضفاء ذلك البرد الجميل عليها من العدل والتسامح ، والعفو ، والتراحم ، واظهار النعمة ، والتمتع بالزينة ، فالمسلم فى تحقيق الاسلام جميل فى باطنه ، جميل فى ظاهره :

يقول تبارك وتعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) الضحى ــ ١١

(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف ــ ٣٢ وفى الحديث (ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) الترمذى وحسنه .

فهل تجد مثل هذا التوجيه فى دين آخر ، او نظام من نظم البشر ، بمثل هذا الضبط وعمق النظر ؟ انه ضبط يلتزم بالاعتدال ، فلا يميل الى البطر والاسراف ، ولا ينحرف الى التقتير والالحاف ، وهذه حسنة كبرى من حسنات هذا الدين الجميل ، حرص عليها وجعلها أساسا فى كثير مما شرع : يقول الله تبارك وتعالى :

(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان ــ ٦٧ .

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) الاسراء ــ ٢٩ .

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة ــ ١٤٣ .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام فى الاعتدال بالعبادة ، والاقتصاد فى الطاعة .

(ان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا ابقى) روى من طرق ، ورجح البخاري ارساله .

وحينما قال احد الرهط الثلاثة : انا اصلى الليل ابدا ، وقال الثاني . وانا أصوم الدهر ابدا ، وقال الثالث . وانا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكني أصوم وافطر وأصلي وارقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

أفلا ترى يا أخي أن الجمال ضربة لازب على هذا الدين ، وان الاعتدال يلازم أمره ونهيه ، وان اليسر مزيته ، وان العقل قرينه ، وان حسن الخلق اساس معاملته ؟

لا بد من نظام

واحب قبل أن اختم المقال ، ان الفت النظر الى أنه ما مــن مجتمــع بشري يعيش بغير نظام ، واذا كان ثمة نظــام ، فثمة تكاليف لا محالة ، فالطامع فى الحرية المطلقة التي ليس لها قيــود ولا حدود ، انما هو طمع فى السراب ، وتيه في الخيال، ذلك انه اذا اطــرح النــاس كل نظــام ، هبطوا الى مستوى الحيوان ، وعاشــوا عيشة الذئاب ، وعانوا الأهوال من شريعة الغاب .

وان رجعوا الى الحرية النسبية التي تنتهي فيها حرية الفرد حيث تبدأ حرية الآخرين ، فقد رجعوا الى انسانيتهــم واعترفــوا بالتكليف سببا لسعادتهم وعزتهم وكرامتهم .

وان التاريخ لم يذكر لنا مجتمعا يلهو ويلعب نال حظا من الكرامة والعزة ، او تسلق مرقى من المجد والسؤدد ؟ .

واذا كان لا بد من التكليف ، فقارن بين تكليف الاسلام كما رأيتــه ، وبــين تكاليف أى نظام أو دين فى الدنيا تجــد الفرق كبيرا فى السهولة واليسروالعدالة والانصاف ، والانسجام مــع العقــل ، والمرونة الباقية مدى الدهر . ورحــم الله من قال :

لــم يمتحنا بما تعيا العقــول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهــم

هذا هــو الاســلام . توحيد خالص ينسجم مع العقل ، وتطمئن به النفس ، وعبادات سهلة فيها صــلاح الــروح والجســم ، وتهذيب الخلق وتوجيــه الغريزة ، وهي ضمن نطاق القدرة ، فلا تكليف بما لا يطيق العقل ، او لا يستطيعه الجسد ، ومحرمات اثبت العقل والعلم والطب ضررها ، وخطرهــا ، وظلمهــا ، فالجمال والكمال فى تركها والابتعاد عنها.

ومكارم اخلاق فى معاملة الناس هــي زينة الدهر في تاريخه ، وفخر الانسانية فى سجلات الخلود ، فالمسلم حين يلقاك باسلامه عاقل لا تلج الخرافة الى عقله ، عالم لا يصل الجهل والسفه الى حلمه ، يزينه التواضع، وتعلوه البشاشة ، ويملأ صدره الحلم والتقى ، وتغشى جسمــه الوضاءة والبهاء ، وهو مع كل ذلــك قوي فى غير قسوة ، متواضع فى غــير ذلة ، عزيز بغير استكبار ، فهــو بحق صورة الجمال وعنوان الكمال .

ولا غرابة فى ذلك فهو ثمــرة الديــن الرباني الذى أنزله الحكيم العليــم رب الكمال والجمال ، وارسل بــه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمــة للعالمــين ، يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهمالخبائث ويضع عن النفوس اصرها ، ويحطــم أغلالها ، ويبدد شكوكهــا ، وأوهامهــا ، يخرجها من الظلمات الى النور ، كما قال تعــالى . (الذين يتبعــون الرســول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يامرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهــم اصرهم ، والاغلال التــي كانت عليهــم ، فالذين آمنــوا بــه وعــزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، اولئك هم المفلحون) الأعراف ـ ١٥٧ .

جعلنا الله من المفلحين ، ووفقناجميعا لاتباع ذلك الرسول الكريــم ، ولنصرة الدين القويم ، وتبليغه الى الناس كافة ، لكي تستــنير القلوب بنور الايمــان ، وتستضيء الدنيــا من جديد بشــمس الاســلام .

أيها الشرف

هذه قصة المجد

سائل الأفق عن سناه المنضر … أي صبح على محياه أسفر؟
وسل الطير عاكفات على الرو … ض، تعاديه بالنشيد المعطر؟
ضج في سمعها الغداة هتاف الـ … كون ينساب بين ناي ومزهر
وقف العالم المحطم حيرا … ن، قلوباً إلى السموات تجأر
وعيونا تسائل الغيب: ماذا … من وراء الهلال يخفى ويظهر؟
ليت شعري ماذا يخبئه الغيب؟ … وماذا يخفى القضاء المسطر؟
رب بارك آمالنا، وابعث النو … ر نسير في هداك لا نتعثر
نشوة تغمر الحياة وذكرى … تستفز الوجود في كل مظهر
هي صوت التاريخ، فلتسمع الـ … دنيا لصوت من السماء تحدر
مولد المصطفى ونور هداه … كل نور خياله ليس يذكر

* * *

من ذلك الداعي إلى الحق فيـ … ـهم لا يخاف الردى ولا الأسد تزأر
من ترى ذلك الغريب بأرض … هي أوطانه وبالأهل تزخر؟
أنكرته والحق فيها غريب … ليس بدعاً أن يستباح وينكر
أرهف الليل سمعه لخطاه … هامسات مما يخاف ويحذر
واحتواه الظلام سرا من اللـه، … عليه عين العناية تسهر
ورمال البيداء مستبقات … وقع أقدامه زحاماً لتظفر

للاستاذ حسن جاد

الاستاذ بكلية الدراسات العربية ـ جامعة الازهر

كـاد اشـراقُه يـدل عليـــه　　　بِمُحياً في فحمـة الليـل أقمرْ

والفضـاءُ الفسـيحُ يُنبِىءُ عنـهُ　　　بعبـير يفوح منـه وعَبْهَـرْ

ربِّ أنتَ النصـيرُ إنْ عقَّـني الأهـ　　　ـل ،ومَنْ يعتصمْ بحبلـك يُنْصَرْ

وطـن الحق موطـني ، فلك الأمـ　　　ـر كما شئتَ والقضـاءُ المقدَّرْ

★★★

مـن تُرى ذلك الذى غير التاريخَ فتـ　　　ـحاً ، وهـزَّ كسرى وقَيْصرْ ؟

من تُـرى الفارسُ الـذى زلزل الأر　　　ضَ وفي كفـه اللـواءُ المُنشَّرْ ؟

من تُرى الفاتح الـذى طالـعَ الوا　　　دى بجيش من الشعاب مُجَـرَّرْ ؟

ذاكِ أُمَّ القـرى طريـدُك بالأمـ　　　ـس ، ومن يصطبر على البأس يَظْفَرْ

ان للحق ساعـةً يقهـر الباطـلَ فيـ　　　ـها مهمـا طغـى وتجـبَّرْ

اسـمعى ياشـعابَ مكـة هذى هتـ　　　ـفَةُ النصر للنـبيِّ المُـؤَزَّرَ

واشهدى ياسـماء ، قد زُلـزل الشر　　　كُ ، ودوَّتْ في الأفـق ، اللهُ أكبرْ

★★★

أيهـا الشـرقُ هـذه قصـة المجـ　　　ـد ، فـلا يزدهيك مجـدٌ مُـزوَّرْ

قـد وعـاها الإسـلامُ عاماً فعـا　　　ماً عِظَةَ الدهـر والمفاخرُ تؤثَـرْ

الإسلام قوام هذه الأمة

الاسلام بمعناه العام هو الانقياد لله ، بامتثال كل ما يأمر به ، واجتناب كل ما ينهى عنه ، واخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، ومعناه الخاص هو هذا الدين الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، وقال الله فيه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » فهو الدين الكامل ، والنعمة التامة ، والرسول الذى بعث به هو الرحمة العامة ، كما يفهم من قول الله فيه « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

وقد كان من يمن طالع هذه الأمة ، ومن بشائر رحمة الله بها وبغيرها أو بها قبل غيرها ، أن يهبط اليها ابراهيم عليه السلام ، ويدع فيها ولده اسماعيل بواد غير ذى زرع ثم يعود اليها والى ولده فيها ليرفع معه قواعد البيت ، ويقولان ما يحكيه القرآن « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » فقد تفتحت لهذا الدعاء أبواب السماء ، فجعل الله من ذريتهما أمة مسلمة ، وبعث فيهم رسولا منهم ، وكان من مظاهر قدرته ورحمته فى هذا النبي الأمي أن يتلو عليهم ــ وهو أمي ــ آياته ــ ويعلمهم ــ وهو أمي ــ الكتاب والحكمة ، ويزكيهم بما تتسع له كلمة التزكية من معاني التربية الرشيدة الصالحة . والتوجيه السديد السليم ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال » .

لولا الله ما اهتدينا

أما الضلال المبين الذى كان عليه العرب قبل الاسلام . فيكفي فى تصوير جانب منه أن نذكر ما قاله جعفر بن أبي طالب للنجاشي فى الحبشة ليرد به كيد الكائدين ووشاية الواشين اذ قال (كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا من الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به) ..

هذا الى أن معنى كلمة الضلال يسع اكثر مما ذكره جعفر رضي الله عنه ، كالحيرة والضياع ، والجهل ، والبعد عن طريق الحق والصواب .

وقد كانت هذه الأمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وكان اليهود يعيرونها بما يحكيه القرآن عنهم اذ يقول الله فيهم « ويقولون ليس علينا فى الاميين سبيل » وكانت كذلك حائرة لا تعرف لها طريقا الى الألفة والوحدة وتكوين كيان عام ، ثم كانت ضائعة يخضع بعضها لسلطان الفرس فى العراق ، وسلطان الروم فى الشام ، ونفوذ الحبشة فى اليمن .

أما مجتمعها فى داخل هذه الجوانب المحتلة المستذلة فكان كما وصفه جعفر بن أبي طالب ، قبائل يقتل بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ويتربص بعضها ببعض ، ثم تداركها الله بالاسلام وبالرسول الذى بعث به وقال الله فيه « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فجمعها بعد فرقة ،

بقلم الاستاذ عبد الرحيم فوده

وقواها بعد ضعف ، وجعلها كما يقول الله فيها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ولم تمض مدة قليلة حتى كانت هذه الأمة فى القمة التي لم تصل اليها أمة ، وحتى انتهت اليها مقادة العالم فى كل شيء كان يعرفه العالم ، وكل ما وصلت اليه من عزة وكرامة ، ونهضة وحضارة ، وعلم وحكمة ، كان هو التفسير الكبير لقوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ..

مسئولية هذه الامة

وقد ناط الاسلام بهذه الامة مهمة لم يكلها الى غيرها من الأمم وهي مهمة تبليغ الدعوة الاسلامية الى الناس كافة ، والجهاد فى سبيلها ، والكفاح دونها ، لأن الاسلام الذى دانت به وتلاقى أبناؤها عليه وأشربت قلوبهم حبه ، لم يكن لها دون غيرها، وانما هو الدين الذى اكمله الله وجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وأتم به نعمته على جميع خلقه، وقال فيه **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** ومن ثم كان واجبا على هذه الأمة فى عهده ، ومن بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أن تجاهد فى سبيله ، وتعمل على اعلاء كلمته ، لأن الله اختارها لذلك ، وأمرها بذلك ، كما يفهم من قوله تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهادههو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » .

على أن نزول القرآن بلغة العرب كان له أثره الكبير فى تعريب المسلمين ، وبذلك كسب العرب ما لم تكسبه امة أخرى ، وصارت لغتهم وعاء لكل العلوم العربية والاسلامية ، ولا شك أن المسلمين كما يقول الله فيهم « انما المؤمنون اخوة» وكما يقول صلى الله عليه وسلم « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وأن الاساس الذى جعله الاسلام المقياس الذى يتفاضل به الناس على اختلاف السنتهم هو التقوى كما يفهم من قوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقوله صلى الله عليه وسلم « ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » ولكن تبعة المسلمين العرب ازاء هذا الدين اضخم واعظم ، فقد حفظ لهم لغتهم وجعلها اللغة الرسمية لجميع المسلمين ، لأنها اللغة التي أنزل بها القرآن ، ولأنها لغة حديث النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم لأن العلوم العربية والاسلامية نبتت حول القرآن ، واستمدت منه ، وقامت عليه ، وألفت بلغته .

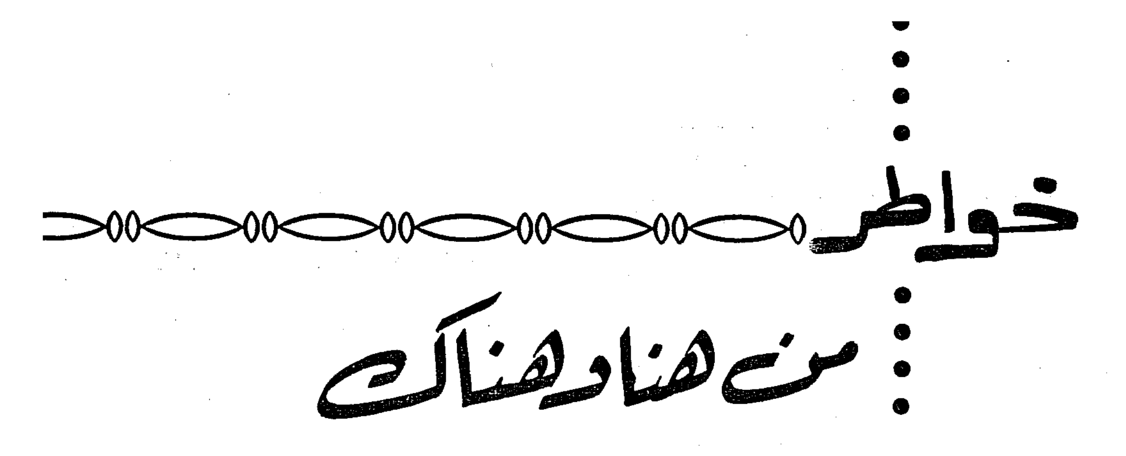
الاسلام وحده سبيل العزة

على أن الاسلام من قبل ومن بعد هو السبيل الى العزة والكرامة والحياة الطيبة ، كما يفهم من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وقوله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » وقوله جل شأنه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ..

ومن ثم يتبين لنا مدى ما تنطوى عليه الدعوة الى « العلمانية » او الى تنحية الاسلام عن حياة الامة العربية من خطر يتهدد كيان هذه الامة بخاصة والمسلمين بعامة .

وأى شيء يبقى لهذه الامة من مفاخر ومقومات حياة اذا هي استجابت لهذه الدعوة الخبيثة المدمرة وتركت دينها وعلومها ، ولغة كتاب دينها وهو كما يقول الله فيه « وانه لذكرلك ولقومك وسوف تسألون » **وكما يقول جل شأنه** « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .

ان قوام هذه الامة هو الاسلام ، وقيمة هذه الامة بالاسلام ، وكرامة هذه الامة بالاسلام ، وصدق الله اذ يقول « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » .



صبرا

بعض اخواننا الأساتذة الكتاب الذين بعثوا الينا ببحوثهم مشكورين ، قلقون لعدم نشرها فى الأعداد الأولى من الوعي الاسلامي ، ويرون من حقهم أن يلومونا . ولو عرفوا الظروف التي تحيط بنا لالتمسوا العذر لنا .. فقد استجاب لنا كثير من الكتاب فى جميع انحاء العالم الاسلامي ، وأرسلوا الينا ببحوثهم الممتازة فى موضوعات متعددة .. ثم لا بد فى كل عدد من التنسيق بين الموضوعات المتنوعة والأقطار المتعددة ، وصفحات المجلة المحدودة ..

ومن أجل ذلك قد تتأخر بعض البحوث مع أهميتها ، وحرصنا على نشرها .. وليس معنى تأخير نشر مقال لأحد اخواننا الكتاب أن يمسك عن ارسال مقالات أخرى ، حتى ينشر ما أرسله ، فقد يكون حظ المتأخر أحسن من المتقدم ، نظرا لموضوعه ، ثم ان وجود المقالات أمامنا يتيح لنا ترتيب ادراجها فى الأعداد المقبلة .

والسادة الكتاب الذين أرسلوا المقالة الأولى من سلسلة مقالات لهم حول بحث واحد ، نحب ألا تكون هناك فجوة زمنية بين ما ننشره لهم ، ولذا نرجو أن يكون لدينا رصيد من هذه المقالات ، حتى يتمكن القراء من متابعتها ..

وشيء آخر .. هو رجاء الا يحرجنا بعض الكتاب بارسال مقالات سبق نشرها لهم فى كتاب أو مجلة ، أو مقالات خفيفة الدسم ، اتكالا على شهرتهم ، مما يضطرنا الى تأخيرها أو حجزها عن النشر ، محافظة على سمعة الكاتب ، وعلى مستوى المجلة معا ، على أن المجلة بعد ذلك تفتح صدرها لكل انتاج جيد .

لا تقرها الأديان ولا الفطرة السليمة

الرضوخ للواقع والاستسلام له أمر ينافي الطبيعة البشرية ، وحكمة ارسال الرسل بالأديان السماوية ، ويقضى على سنة التطور والتقدم والحركة ، التي هي أمور طبيعية فى حياة الكائنات ..

نعم لو كان الرضوخ للواقع أمرا طبيعيا لما جاءت الأديان تغير وتبدل منه ، وتنقله الى حالة أحسن من واقعه ، ولما سعى الانسان وكد وتحمل كل صنوف الارهاق ، ليحسن واقعه ، ويصل الى مستوى أرقى وأفضل منه ، ولما فكر المفكرون ووصل العلماء بأفكارهم وتجاربهم الى ما تنعم به البشرية من تقدم فكرى وصناعي .

ولو كان الرضوخ للواقع أمرا طبيعيا ، حتى فى الكائنات الصامتة ، لما أودع الله فى البذرة الصغيرة قوة المقاومة لما فوقها : من تراب وطين ، حتى استطاعت أن تشقه وتصدعه ، لتخرج من واقعها المظلم فى باطن الأرض الى حيث النور والهواء .. والحركة والثمار والأزهار ..

هل كان يمكن لشعب أن يتقدم لو رضخ للواقع ؟
هل كان يمكن أن يتحرر شعب من الاستعمار لو استسلم لجلاديه ؟



وهؤلاء الذين يدعون العرب للاستسلام والرضوخ للواقع ، وللذل والمهانة ، الا يقولون ويفخرون أنهم كافحوا في سبيل تغيير الواقع ، الذى خلفه الماضي فى بلادهم ؟ بل ان هـذه الدعوى هي رأس مالهـم ورصيدهم عند الشعب ..

فلماذا يفاجئون العرب في أوج فورتهم بهذا « الدش » البارد ، وهذه التي يسمونها فلسفة وطريقة فى الحيــــاة ؟

وهل هذه طريقة للحياة أو الموت ؟

ألا انها فلسفة المهانة والعبودية اذا كان للمهانة فلسفة ! !

ألا انها الطريق المؤدية فعلا الى المقابر .. مقابر الشعوب ! !

ليس هناك من يستسلمون للواقع الا الذين فقدوا أرواحهم وأخذ أهلوهم يحفرون لهم المقابر بـين الأسى والدموع ..

هؤلاء فقط هم الذين يستسلمون للواقع لأنهم فقدوا كل باعث على الحركة والمقاومة فهل يريد الداعون لرضوخ العرب للواقع أن يجعلوهم أمة من أصحاب القبور .. وأن تتحول البلاد العربية كلها الى « جبانة » كبيرة لأهلها يحفرونها بأيديهم ، ويهيلون على أنفسهم التراب دون أن يكلفوا عدوهم قطرة من العرق ؟

ما رأينا كائنا حيا استسلم للواقع ورضي به حتى الدجاجة تحت شفرة السكين فانها تقاوم لتتخلص من مصيرها .. وتظل تصرخ وتضرب الأرض ، وتعلو وتهبط ، حتى تسكت أنفاسها .

فماذا يريد بنا الداعون الى الرضوخ للواقع والاستسلام له ؟

ان من المفارقات العجيبة أن يغضب العرب من ألمانيا الغربية لمجاملتها اسرائيل على حسابهم ، ثـم يأتي واحد من العرب ولا يكتفي بتدليله المانيا ، بل يدلل معها اسرائيل كذلك ! !

لماذا يختلفون ؟

نعم لماذا تختلف الدول العربيـة فى الوقت الحرج الذى تتحداهم فيه اسرائيل وتعتدي عليهم ، وأمامهم هدف كبير لا ينال الا باتحاد القلوب وجمع الصفوف . لا أريد أن أجيب عن هذا السؤال ولكني أترك الجواب لفيلسوف التاريخ والاجتماع العلامة ابن خلدون الذى يقول فى مقدمته .

« اتفاق الأهواء على المطالبة ، وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله فى اقامة دينه ، قال تعالى « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » وسره أن القلوب اذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس ، وفشا الخلاف .. واذا انصرفت الى الحق ، ورفضت الدنيا والباطل ، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس ، وقل الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة .

وقال : « ان الصبغة الدينيةتذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية ،وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بل يغلبون عليهم ، ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل .. وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام فى الفتوحات ، فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعة وثلاثين ألفا فى كل معسكر ، وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية ، وجموع هرقل ــ على ما قاله الواقدى ــ أربعمائة ألف ، فلم يقف للعرب أحد من الجانبين ، وهزموهم ، وغلبوهم على ما بأيديهم » .

يا قوم : عدوكم فى البيت ! !

بين الفقه والولاية

للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

الفقه والفهم

في الاثر عن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما معناه ـ اختتم الله وحي النبوات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبق بعد القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم الا فهم منهما يؤتيه الله عبدا من عباده مصداقا لقول الرسول الكريم « رب مبلغ أوعى من سامع » وقوله (صلى الله عليه وسلم) « رب حامل فقه الى من هو أفقه منه » وقوله (صلى الله عليه وسلم) « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » ، وآيات القرآن العظيم تحثنا على التبصر والتفكير والنظر في آيات الله والوعى لاحكامه ، وقد رأى بعض المسلمين المتقدمين اغلاق باب الاجتهاد خشية أن يدخل أصحاب الأغراض والأمراض على الدين من هذا الباب ما ليس منه ، وفريق آخر رأى اطلاق الرأى واستعمال الفكر ، أما القسم الثالث فقد حث على الاجتهاد بشروط خاصة ، وعلى التفكير والنظر والاعتبار والغوص على المعاني والمفاهيم القيمة في حدود الكتاب والسنة وهذا هو القسم الوسط الذى نؤمن به وندعو له ، واننا نجد مع ذلك كثيرا من الفقهاء يحفظون فقه المتقدمين ويتورعون عن التفكير فيما عدا ذلك من التزود في الفقه والفهم والتفكير في كتاب الله وسنة رسوله ، والغوص على المعاني المفيدة المتجددة مع الزمن . والحقيقة أن مثل هؤلاء العلماء المتقيدين بأقوال المتقدمين والحافظين لها غيبا لا فرق بينهم وبين من يملك نسخا من الكتب التي يحفظونها للرجوع اليها كلما اقتضت الحاجة . ومن البديهي ان الذى يحفظ كتاب الله غيبا اجدر منهم باسم العالمية (اذا صح ان نسمي الحفظة للعلم المتقدم بالعلماء) مع أن الذى لا يحفظ كتاب الله غيبا يستطيع قراءته بين دفتي المصحف ، فطالب العلم الجدير بهذا الاسم هو الذى يكون مع الاستفادة والاستنارة بما حفظه مما كتبه المتقدمون من علوم ودونوه من معارف عامة يغوص على المعاني القيمة والمفاهيم المفيدة بفهم سليم وفقه مستقيم يرجو به الدرجات العلى عند الله في الكتاب والسنة .

ولقد جاء في مستهل العدد الاول من مجلة الوعي الاسلامي في كلمة رئيس التحرير تحت عنوان « أخي القارىء » عبارات تؤيد هذا المعنى وهي « ... والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بان باب الاجتهاد قد اغلق للأبد او ان الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال ، وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ولو بشكل جماعي لمواجهة اساليب الحياة الحديثة ، وتكييفها من الوجهة الدينية ، فاين الاجتهاد اذن واين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكل جديدة ، ذلك هو ما اريد ان يحاوله كتابنا وما أريد أن افتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو ، ... » .

الولايــة

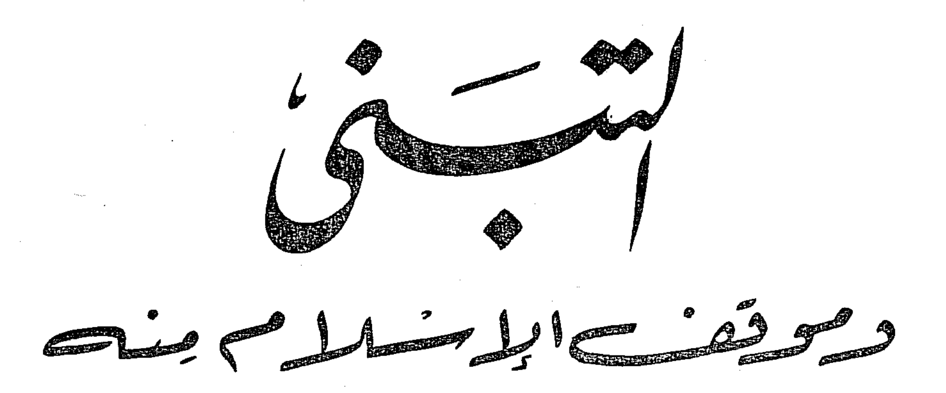
الولاء ضد العداء والموالي ضد المعادى والله هو ولينا والمؤمن المتقي ولي الله : ((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور،والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات))،ويقول سبحانه ((الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)) فقد بين المولى سبحانه وتعالى ان كل مؤمن تقي ولي لله ، نسأله سبحانه أن يوفق جميع المسلمين الى الايمان والتقوى ليفوزوا بالولاء والمحبة ، فالولى قد لا يعرف نفسه وقد لا يعرفه الناس ، والولاء هو الحب لله ومن الله وفيه ، وقد بينت في كلمة لي بالعدد الثاني من هذه المجلة الغراء صفات المؤمن المحب المحبوب والعزيز المجاهد الذى لا يخاف في الله لومة لائم وعلامته الاستخلاف في الارض واصلاحها ونشر العدالة فيها ، .

أما اقتصار اولياء الله على عدد من الاموات شيدت لهم القبور وزخرفت ، وقالوا هؤلاء هم اولياء الله فليس من الدين في شيء على ما اعتقد ، وقد راجعت القاموس (المنجد) لانظر المعنى اللغوى للولي فكان مما قاله ((ان الولي عند المسلمين بمثابة القديس عند المسيحيين)) ، فجزمت ان المعنى هذا مأخوذ من عقائد أهل الكتاب المتقدمين ودخيل على الاسلام ، والتماثيل عند المتقدمين والمتأخرين ترمز الى رجال خدموا بلادهم وامتهم ودينهم فاتخذت لتخليد ذكراهم والتقرب بها الى الله ، ومعاذ الله ان يتخذ مسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الاضرحة قربة الى الله ، أو يحلها محل التماثيل عند المتقدمين ، لا سيما وان ميزة الاسلام على الاديان الأخرى انه لم يجعل واسطة بين العبد وربه يقول سبحانه ((واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)) ويقـول سبحانه ((والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)) ويقول سبحانه ((مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت)) ويقول سبحانه ((أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دوني اولياء)) . ويقول سبحانه ((ان وليى اللـه الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)) .

والكويت منذ عرفت ليس فيها أضرحة خاصة ، والكويتي يعمل بالســنة وهي اعادة تراب القبر عليه ورشه بالماء لقوله : (صلى الله عليه وسلم) ((خير القبور الدوارس)) والآن وقد وفد على الكويت الكثير من ابناء البلاد الاسلامية المجاورة أخذنا نرى تفاوتا بين القبور وأبنية بعضها ، واني مع وضوح رأيي كذلك استفتي لجنة الفتوى الموقرة في وزارة الأوقاف ، فان قالت بالتحريم أرجو ان يمنع التمادى في زخرفة القبور منعا باتا لتبقى الكويت على ما كانت عليه سدا للذرائع وبعدا عن المزالق واتقاء للشرك الذى هو أخفى من دبيب النمل وقد جاء في الملتقطات ((لسيدى العم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي)) في الجزء السادس ((قال الله تعالى)) الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)) .

فالولي بينه الله وهو المؤمن المتقي بقلبه ، ان كل مؤمن اتقى محارم الله فهو ولي ، وليس بعد تعريف الله شيء . فالأرض مملوءة بأولياء الله ولا تنخدع بقول المخرفين الذين يقولون ((ان الولي هو الذى يمشي على البحر وتطوى له الأرض ويؤدى صلاته في الحرم الشريف ، أما البشرى لهم في الحياة الدنيا)) فهي كما جاء بقوله تعالى ((وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا)) ، وأما في الآخرة فهي بشرى الملائكة بقوله تعالى ((ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)) .





للدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

اذا كانت الجاهلية الأولى قد عرفت التبني ، وأقرته ، ورتبت عليه حقوقا لا تثبت الا للأبناء النَّسَبِيِّين ـ فان هذا العصر قد اعترف ـ هو أيضا ـ بالتبني ، وأقره ، ورتب عليه بعض الحقوق ! ..

اذا كانت الجاهلية الأولى قد عرفت التبني ، وأقرته ، ورتبت عليه حقوقا لا تثبت الا له حينذاك ـ فما عذرنا نحن المسلمين فى هذا العصر ، ونحن نتلو ونسمع فى كتاب الله آيات صريحة فى ابطال آثار التبني ، وفى تحريمه ؟ !

من اجل هذا نعالج اليوم موضوع التبني ، فنبين موقف الاسلام منه ، وأدلة هذا الموقف . غير انا نرجىء الى مقال تال دليلا واحدا من هذه الأدلة ، لأنه جدير أن يفرد بمقال ، وأن يبسط القول فيه بما يدحض مفتريات المستشرقين على قصته . انه زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وهي مطلقة زيد بن حارثة الذى كان ـ قبل التحريم متبنىللرسول ، حتى لقد كان يدعى زيد بن محمد ! ..

فالى لقاء قريب عند هذه القصة ان شاء الله .

اما الآن فهيا بنا الى الموضوع ..

١ ـ روى البخارى فى صحيحه ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن

«ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله» (١)

وروى ابن هشام فى السيرة أن (حكيم ابن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق . فيهم زيد بن حارثة وصيف ، فدخلت عليه خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها . اختارى يا عمة ، أى هؤلاء الغلمان شئت فهولك . فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله

(١) صحيح البخارى ج ٣ ص ١٧٤ فى باب سورة الأحزاب من كتاب التفسير)

عليه وسلم وتبناه ، وكان ذلك قبل أن يوحى اليه . وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل ؟
فوالله ما أدرى واني لسائل
أغالك (١) بعدى السهل أم غالك الجبل؟
ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل !
تذكر نيه الشمس عند طلوعها ..
ويعرض ذكراه اذا غربها أفل !
وان هبت الأرواح هيجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه وما وجل !
سأعمل نص العيش فى الأرض جاهدا
ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل !
حياتي أو تأتي علي منيتي
فكل امرىء فان وان غره الأمل !

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى لزيد) « ان شئت فأقم عندى ، وان شئت فانطلق مع أبيك » فقال . بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله ، فصدقه وأسلم وصلى معه . فلما أنزل الله عز وجل « ادْعُوهُمْ لآبَائِهِم » قال (أنا زيد ابن حارثة .)

٢ ـ من هذين الخبرين (وكلاهما صحيح ثابت) نعلم يقينا **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة قبل أن يبعث نبيا** ، وما كان هذا من محمد خروجا على عادات قومه ، فقد كان التبني معروفا للعرب فى الجاهلية ، شائعا بينهم ، بعد ان انتقل اليهم عن الرومان . وظل كذلك بعد الاسلام حتى نزل القرآن بتحريمه ، وكان ذلك فى أواخر العام الرابع بعد الهجرة ، فى سورة الأحزاب .. فكيف عالجت هذه السورة ظاهرة التبني وقضت عليها ؟ ...

٣ ـ ان ثلاث آيات فى صدر هذه السورة تتولى عرض هذه الظاهرة ، وتقرر بطلانها ، وتقدم الأدلة على هذا الحكم حيث تقول .

« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » . (٢)

وان كل آية من هذه الآيات لجديرة بأن نقف عندها طويلا ! لنتبين ما تقرره من حكم ، أو دليل ، وما تشرعه للمسلمين من مبادىء تكفل لمجتمعهم السلام ، والعدل ، والحياة المستقرة ...

٤ ـ فأما الآية الاولى فهي تقرر ثلاث حقائق ، الأوليان منها تمهدان للثالثة ، وجميعها من الأمور البدهية التى لا

(١) يقال غاله اذا أهلكه . (٢) سورة الاحزاب : ٤ ، ٥ ، ٦

تحتـاج فى اثباتها الى دليل .. هـذه الحقائق البدهية هي .

« وما جعل الله لرجل من قلبين فـي جوفـه » .

« وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم » .

« وما جعل أدعياءكم أبناءكم » .

وبعد هذه الحقيقة الثالثة يقول الله عز وجل تعقيبا على دعاواهم الباطلة . « ذلكم قولكم بأفواهكم ، واللـه يقـول الحق ، وهو يهدى السبيل » .

٥ ــ ولا بد لنا ــ قبل الحديث عـن كل من الحقائق الثلاث ، فى الآية الاولى ــ من وقفة قصيرة عند بضع كلمات تحتاج الى بيان المراد بهـا .

من هذه الكلمات كلمة (جعل) التي جاءت فى تصوير الحقائق الثلاث ، مع أن المراد بها فى الحقيقـة الاولـى . خلـق وأوجد ، وفى الحقيقة الثانية والثالثة . صير وحول ، بمعنى أن الظهار من الزوجة لا يحولها من زوجة الى أم ، وادعاء البنوة لا يصير المتبَنَّى ابنا كالابن من النسب ، كما لم يخلق الله لرجل واحد قلبين فى جوفـه ! ..

ومن هذه الكلمات كلمـة (قلبين) ، وهي مثنى قلب ، والقلب هـو ذلـك العضو الذى يحتل مكانا خاصا من صدر كل انسان ، والذى يستقبل الدم مـن الأوردة ليقوم بتنقيته ثم يعيـده الـى الجسـم بطـريق الشرايين ، ليعـود ، فيستقبله من الأوردة ، وهكذا ، والذى لو توقف عن أداء وظيفته هذه لانتهت حياة صاحبه ، والذى لا يكون الا واحدا فى جسم كل انسان ، بل فى جسم كـل حيوان عموما ...

كذلك من هـذه الكلمات كلمة (جوفه) والجوف هو ذلك التجويف الذى يحيط به هيكل الانسان ، ويضم معظم الأجهزة الداخلية التي تتوقف على وجودها حياة الانسان بوصفه حيوانا يأكل ، ويشرب ، ويتنفـس ، وانسـانا يعقـل ، ويفـكر ، ويتدبر ..

ومن هذه الكلمات أخيرا كلمة الأدعياء، وهي جمع دعي . والدعي هو من ينسب الى غير أبيه ، أو يزعم ما ليس له ، كما يقال . شاعر دعي . والمراد هنا هو أول المعنيين بالطبـع ..

٦ ــ نعود الآن الى الحقائق الثلاث ، لنتبين معنى كـل منها ، والسر فى ذكـرها هنا . وقـد أسلفنا أن الحقيقتين الأوليين تمهدان للثالثة ، فعلى أى أساس بنينا حكمنا هذا .

ان الحقيقة الأولى ، تقرر أن الله عز وجل لم يخلق لرجل قلبين ، فكل رجل يعيش بقلب واحد. وهذه بدهية لا خلاف فيها ، فقد أثبتها التشريح ، لا بالنسبة للانسان وحده فضلا عن الرجل ، بل بالنسبة لكل حيوان .

والحقيقة الثانية أن زوج الرجل لا يمكن أن تكون هي أمه ، لمجرد أنه قال لها أنت علي كظهر أمي ، فان أمه هي التي ولدته ، ولها عليه حقوق الأم على ولدها . أما الزوجة فهي تلد له أولاده نتيجة لزواجه بها ، وله عليها حقوق كحقوق أمه عليه . ان واجبه أن يطيع أمه ، وان يبرها وأن يحسن رعايتها ، بمقتضى ولادتها له وقيامها عـلى تربيته طفلا وصبيا . وحقه أن تطيعه زوجه ،وان تقوم على شؤون منزله وتحسن اعداده له ، ان لم يكن بنفسها فبالاشراف على خدمها . وشتان ما بين انسان يجب عليك أن تطيعه ، وانسان يجب عليه أن يطيعك ، فكيف يكونان انسانا واحـدا بكلمة تلفظهـا ؟ .

ليس ممكنا اذن أن يكون لرجل قلبان فى جوفه ، ما دام كل رجل يعيش بقلب واحد . فليس ممكنا كذلك أن يكـون لانسان واحـد أبوان كـل منهما يعتبر والدا له . وانه ليستحيل أن تكون زوج الرجل هي أمه ، وبين الأم والزوج مـا بينهما من الفروق ، فغير ممكن كذلك أن

يكون متبني الطفل أبا له ، مع أن له أبا هو الذى استولد أمه اياه ..

٧ ـ هنا تجيء الحقيقة الثالثة فى الآية فتقول . « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » فما دام الطفل دعيا لرجل فهو ليس ابنا له ، لأن له ـ أيا كان ـ أبا يجب أن ينسب اليه . وما ينبغي له وهو دعي أن أن يمنح حقوق الابن ، فتباح له الخلوة بزوجة متبنيه على اعتبار أنه ابنها ، وبناته على أنه أخ لهن ، وبأخواته وأخوات زوجه على أنهن عماته وخالاته ، وهكذا . ويحرم عليه الزواج بأى منهن لأنها محرم له ، ويرث بعد وفاة متبنيه مثلهم ، كما يرثونه هو اذا مات ... لكن العرب كانت ترتب كل هذه الحقوق على التبني ، وكانت تمنح المتبنَّي ما تمنح الابن من الحقوق ، فجاءت هذه الآية لتقرر أن المتبنَّى ليس ابنا ، ثم لتبطل بناء على هذا كل الحقوق التي كانوا يمنحونه اياها ..

٨ ـ وتعقب الآية على الحقائق الثلاث بقول الله عز وجل « ذلكم قولكم بأفواهكم » والاشارة الى ادعاء بعض المنافقين أن لمحمد صلى الله عليه وسلم قلبين ، وما كان شائعا فى الجاهلية من الظهار ، والتبني ، وما كانوا يرتبونه عليه من الحقوق . والدعاوى الثلاث باطلة ، ولذلك صورها الله عز وجل أدق تصوير حين وصفها بأنها مجرد قول بالأفواه ، لا يعبر عن الحقيقة ولا يصفها . ثم بين بطلانها حين قابلها بقوله . « والله يقول الحق » فهي اذن ليست حقا ، وانما هي زور وباطل ، وانحراف لا يغير من الحقيقة شيئا . « وهو يهدى السبيل » ، اذ يبين الحق ، ويبطل تلك الدعاوى الزائفة التي تناقض الواقع ، وتخالف الحقيقة مخالفة صارخة .

٩ ـ بعد ابطال التبني ، والنهي الضمني عنه ، وتقرير أنه انحراف عن حكم الفطرة ، وزيغ عن منطق الواقع ـ وهو بعض ما يفهم من الآية الاولى ـ تجيء الآية الثانية لتبين ما ينبغى فى شأن المتبنين ، من حيث نسبتهم الى آبائهم ، اذا كان هؤلاء الآباء معروفين . ومن حيث أخوتهم فى الدين اذا كانوا مجهولي النسب . ذلك اذ تقول « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم . وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما » .

فهذا اذن هو حكم الشارع ، وحله لمشكلة التبني . ان المتبنَّي يجب أن ينسب الى أبيه ، لان هذا هو العدل فى حكم الله ، وهو الذى يتفق مع الواقع ، وتقضي به الفطرة السليمة . لكن الآباء ليسوا معروفين فى جميع الاحوال ، فهناك اللقطاء ، الذين لا يعرف لهم آباء ولا أمهات ، اما لأنهم ولدوا لغير رشدة ، وجاءوا نتيجة انحراف جنسي ، واما لأن أهليهم فقراء تحجرت قلوبهم ، وضاقت بهم سبل العيش الكريم ، فتخلصوا منهم ، واما لسبب غير هذين ... وهؤلاء يجب أن يعاملوا على أنهم اخوتنا فى الدين وفى الانسانية، وعلى أنهم أولياء لنا ونصراء ...

١٠ ـ وكما عالجت الآية حال معرفة الآباء ، وحال جهالتهم ، وبينت ما يجب فى كلتا الحالتين ـ عالجت كذلك فرضا محتمل الوقوع هو أن العادة قد تغلب الانسان ، فيسبق الى لسانه الخطأ ، فيدعو هؤلاء الأدعياء للذين تبنوهم دون قصد منه ، ولا تعمد . وفرضا ثانيا هو : قد يتعمد الانسان ويقصد دعاءهم لغير آبائهم ، ابقاء على ما كان قبل ابطال التبني . ثم بينت حكم كل من هاتين الحالتين اذ قالت « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » .

والجناح (بضم الجيم) الحرج والاثم، فمعنى ليس عليكم جناح . لا حرج عليكم ، ولا عقوبة ، لأنه لا اثم ولا معصية ! .

وانما انتفى الجناح لانتفاء نية نسبتهم الى متبنيهم ، بدليل قوله بعده « ولكن ما تعمدت قلوبكم » ، واذن فدعاء الأولاد الى الذين تبنوهم دون قصد ، ولكن انسياقا مع حكم العادة ، وجريا على ما

الفوه من قبل ، واعتادته السنتهم ــ خطأ لا حرج على من يقــع منه ، فلا عقــاب فيه . ودعاؤهم الى الذين تبنوهم عن عمد وتشبثا بما كان رغم نهي الله ، وقصدا الى بقاء الماضي واستمراره ــ فيه الحرج والاثم ، وعليه العقاب ! ..

وفى فاصلة الآية يقول الله عز وجــل « وكان الله غفورا رحيما » ومعنــاه أن غفران الله يتسع لجميع الذنوب ــ عدا الشرك ــ اذا صدقت النية ، ففي وسع من تعمد دعاء المتبنى لغير أبيه أن يتوب من ذنبه هــذا ، وأن يستغــفر الله عما تورط فيه ، وسيغفر الله له ، ويرحمــه ما دام قد أخلص التوبة ، وثبت عليها ! .

١١ ــ والآن ، لعل من حق القارىء العزيز علينا أن يسأل . وأين الدليل من القرآن الكريم على كل هذا ؟ ..

لقد بينت الآية الاولــى ان التبنــي يخالف الواقع ، ويجافي منطق الفطرة ، ثم قدمت له مثلين . ان الله لم يخلــق لرجل واحد قلبين ــ وتخصيص الرجل بالذكر لأنه هو الذى يتبني ــ وأن الظهار من الزوجة لا يجعل منها أما لزوجهــا فكذلك التبني لا يجعل من المتبني ابنا ما دام له أب ، ولكل انسان بالطبع أب هو الذى ولده ! ..

وجاءت الآية الثانية ، فأمرت بــأن يدعى المتبنون لآبائهم ان كانوا معلومين لنا ، والا فهــم اخــوتنا فى الديــن وفى الانسانية . ثم بينت حكم من يدعــو متبنى لغير أبيه خطأ وعمدا ، وفتحت الباب للتوبة أمام المتعمدين للمخالفة .

ومن الآيتين كلتيهما نستنتج الحقيقة التي تعلن عن نفسها . أن التبني لا يثبت قرابة لمن ليست له قرابة ، فلا يترتب عليه جواز الخلوة ، ولا حرمة المصاهرة ، ولا التوارث ... أما دليــل هذا كلــه فتقدمه الآية الثالثة التي يقول الله عز وجل فيها . « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله مــن المؤمنين والمهاجرين . الا أن تفعلوا الــى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتــــاب مسطورا » .

وفى هذه الآية ــ كما فى الآية الاولى ــ ثــلاث حقائق . أولاها ان النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم والثانية أن أزواجه امهاتهم ، والثالثــة أن أولــي الأرحــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله مــن المؤمنين والمهاجرين ...

١٢ ــ وقد تبدو الحقيقتان الاولى والثانيــة غريبتين فى هذا السياق ، لكن هذه الغرابــة لا تلبث أن تزول حين نذكــر قصة تبني الرســول صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة ــ وقــد صدرنا بها هذا المقال ــ وحين نذكر موقف الرسول من زيد بعد نزول الوحي عليه بحكم التبني . لقد نهي عن أن يدعى زيد بن محمد ، وأمر بان يدعى زيد بن حارثة ، مع انه بوصفه رسول الله أولى بكل مؤمن من نفسه التى بين جنبيه ، لا من أبيه وأمه فحسب . ومع أن أزواجه أمهات للمؤمنين ، فى حرمتهن عليهم ، وفيما يجب لهن مــن احترام وتوقير .

فهذا هو الدليل الاول ، وهو دليــل عملي تضمنته هاتان الجملتان الاوليان فى الآيــة ..

انه لو كان يسوغ لأحــد أن يتبنى احدا ، لكان محمد أولى أن يسوغ هذا له ، لا بالنسبة لزيــد وحــده ، ولكــن بالنسبة لكل مسلم غيره معــه . وماذا يدل عليه التبنى فى عرف الذين كانــوا يبيحونه ؟ انه يدل على أن المتبنِّي أولى بالمتبنَّي من أبيه ، ولا يدل على أنه أولى به من نفسه . لكن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بكل مؤمن من نفسه ، فضلا

عن أبيه وامه ، اذ لا يعتبر مؤمنا الا من كان النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من كل شيء ، وكل انسان فى هذه الحياة ، بل أحب اليه من الحياة نفسها ، ومن نفسه التي يعيش بها ويحس ، ومن كان هذا حاله كان أهلا لأن ينسب كل مؤمن اليه دون غضاضة ، واعتبر أبا للمؤمنين جميعا ، كما أن أزواجه قد اعتبرن — فعلا — بمنزلة أمهاتهم فى التحريم وفى الاحترام .

ومع هذه المكانة التي ينفرد بها ، أمر بأن ينسب زيد الى أبيه ، ونفذ هذا دليلا على أن التبني باطل لا يثبت به حق، وحرام لا ينبغي لمسلم أن يتورط فيه ؟ . .

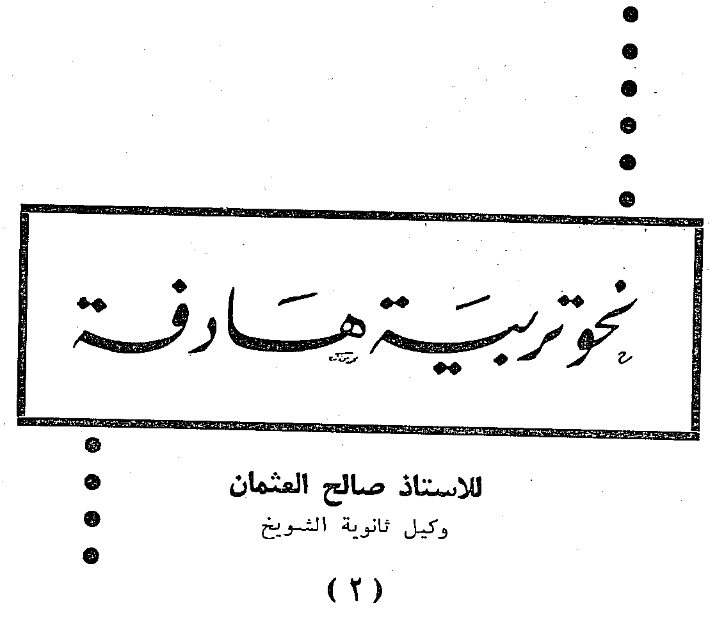
١٣ — على ان ثمة دليلا ثابتا تذكره الآية ، حيث تقول « وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، ومعنى هذا ان الاقرباء بعضهم اولى ببعض ، بشرط الايمان والهجرة . فاذا كان الله عز وجل قد أباح الخلوة لرجل بامرأة ، فهو انما أباحها للرجال بمحارمهم ، اى بامهاتهم وجداتهم ،وعماتهم وخالاتهم ، وأخواتهم ، وبنات أخواتهم واخوتهم، وبناتهم وابنائهن ، وبنات أبنائهم ، من النسب ومن الرضاع ، ثم بامهات زوجاتهم وجداتهم ، وبناتهن منهم ومن غيرهم ، ثم باخوات زوجاتهن ما دمن زوجات لهم ، وكذلك الشان فى عمات الزوجات وخالاتهن .. وسائر من يحرمن عليهم بسبب النسب ، او الرضاع ، او المصاهرة .

واذا كان الله عز وجل قد شرع الميراث وجعله حقا للاقارب — فقد حدد من هؤلاء من يرثون ، ونصيب كل منهم من تركة المتوفي . وليس المتبنى على اى حال من بينهم ، كما أنه ليس ممن تجوز له الخلوة بقريبات او زوجة متبنيه . لأنه بالنسبة لهن — وبناء على التبنى وحده — ليس من أولى الأرحام ! . .

وقد قلنا :ان ولاية بعض أولى الارحام ببعض قد اشترطت لها الآية الايمان والهجرة ، وهذا يستفاد — فى فهمنا — من تعلق (من المؤمنين والمهاجرين) بكون عام ، يعرب صفة لاولى الارحام . فكأن أصل هذه الجملة : وأولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، أى فى شرعه وحكمه . لا كما قد يتبادر من كونه هو المفضل عليه ، بحكم ذكره بعد اسم التفضيل الذى هو (أولى) .. ونعتقد أن ما قررناه بشأن هذا الجار والمجرور هو الصواب الذى لا ينبغي سواه ، ولا يصح ! . .

١٤ — وأخيرا ، تقرر الآية أن أولوية أولى الأرحام بعضهم ببعض لا تقتضي لونا من ألوان الحجر على تصرفات كل منهم ، اذا هو أراد أن يحسن الى انسان ليس من ذوى رحمه . ولا تقتضي لونا من ألوان القسوة على المحتاجين بحرمانهم معروفا ، يريد ذو مال وثراء ان يسديه اليهم ، فان لكل انسان — بل عليه — أن يفعل المعروف ما دام يستطيعه ، ويجد السبيل اليه ، وسيان أصاب هذا المعروف قريبا له أو أجنبيا عنه لا تربطه به صلة قرابة — فان فعل المعروف أمر يحرص عليه الشارع ، ويحبب فيه ، ويدعو اليه فى قوة . وانه لخير بديل للتبني،فكيف اذا ذكرنا الى جانبه مظاهر رعاية الشارع لليتيم حتى لو كان غنيا ، وللقيط رغم أنه لا يعلم له أب ؟ ...

واذ تصل الآية فى الحرص على كرامة الانسان ،وفى الرحمةبه، الى هذا الحد — تقرر أن هذا هو ما سطر فى الكتاب منذ الأزل ، وأن فيه الخير للانسان ، خليفة الله فى الأرض ....



للاستاذ صالح العثمان
وكيل ثانوية الشويخ

(٢)

ذكرت فى المقال السابق طرفا ضئيلا من التربية العربية ، وقلت لك : أن التربية العربية هي التربية الاسلامية بمعناها الشامل ، وأن العرب لما حملوا هذه الرسالة اختطوا لأنفسهم تربية تلائم عقيدتهم أولا ، وتلائم مجتمعهم وظروفهم ثانيا . وكثير من المربين الآن يجهلون او يتجاهلون على حد سواء فضل العرب على التربية ، وقلت لك ايضا ان التربية الحديثة تنسى أو تتناسى ـ وهما على حد سواء ـ فضل التربية العربية الاسلامية فى القرون الماضية ، وكأن العرب لم يكن فيهم نشء صغار تعلموا ، أو تربوا على أيدى علماء « مربين » كبار ، بل أكثر من ذلك ما تدعيه التربية الحديثة على لسان بعض المربين بأن التربية مقتصرة على مجال ضيِّق عند العرب كما عهدناها فى عصور التأخر فى المدارس الصغيرة التي لا يتعلم فيها الصغير سوى الكتابة أو الحساب أو الخط بابسط الصور . وهذا فهم خاطىء للموضوع ، فالأمة العربية لها نصيب كبير فى تقدم التربية اذا ألقينا بِعَصْر التأخر جانبا ولم نعتبره مقياسا نقيس به تربيتنا وتقدمنا كأمة.

ولا يكون لنا كيان يحترمه الناس الا اذا وضعنا أنفسنا موضعا لائقا نستحق عليه التقدير من كافة افراد العالم ، وتربيتنا الآن قائمة على فهم الحاضر بكل صوره السيئة والحسنة ، والموجود عندنا والمستورد ، بل المستورد يزحف ويكاد يغطي الموجود ، فالمتعلمون الناشئون يعرفون الشيء الكثير عن شعراء وكتاب مشاهير الغرب أكثر مما يعرفونه عن شعرائهم ومشاهيرهم ، وجغرافية البلدان العربية والاسلامية أغلبها ، نكاد نجهلها جهلا تاما ، ونعرف أوربا وغيرها معرفة صحيحة .

وسبب ذلك هي التربية الحديثة التي ضيَّعت الشيء الكثير ، وأعمتنا عن واقعنا ، وجعلتنا ننظر الى المستقبل نظرة بعيدة عن واقعنا . ومعرفة الواقع ليست معرفة الاسم كما يفهم البعض ، فقد يقول البعض ان المناهج مملوءة ومحشوة بالشعر والنثر ، والحِكَم والامثال الى غير ذلك ، ولكن هذا لم أَقْصده ، فليست التربية هي مادة الدراسة فقط ، وما مادة الدراسة الا جانب واحد من الجوانب التي ترتكز عليها التربية ، وهي أى مادة الدراسة : جانب مساعد للتربية ، وليست هى كل شيء ، وليس أدل على ذلك الا هذا المثل البسيط ، وقد لا يحسه كثير من المربين فى الحاضر، ففي مدارسنا العربية يقضي الطالب الناشىء فى مدى اثنتي عشرة سنة الساعات الطويلة فى تعلم اللغة العربية ، وبعد ذلك يتخرج وهو لا يجيد هذه اللغة كما ينبغي أن يجيد القول بها ، ويتعثر فى كتابة رسالة لصديقه ، واذا كتب فكتابته مملوءة بالاغلاط . والدارسون الاجانب للغة العربية لا يستغرقون هذا الوقت الطويل فى تعلم هذه اللغة ، ونراهم ـ اى الاجانب ـ يجيدون لغتنا العربية

اجادة تامة . وضعف التلميذ في مدارسنا العربية يسري مفعوله على بقية المواد وليست اللغة العربية الا مثلا لهذا الضعف .

طرق التعليم

ولقد اشرت في المقال السابق الى التربية المستوردة ، وأزيد الامر وضوحا هنا ، فالتربية المستوردة والتي دخلت في أساليب التعليم عندنا مثل الطريقة في تعليم الصغار القراءة والكتابة — لها خطر كبير على الصغار ، وهو الذى حدث في السنوات الاخيرة بصورة كبيرة في مدارسنا العربية، ونحن نشاهد كل يوم طريقة جديدة . وتنوع الطرق وتغيرها كل يوم يجعل الامر غير واضح أمام النشىء .

ونحن عندما استوردنا هذه الطرق لم ننظر الى المعلم الذى سيلقنها هذا الصغير في تعليمه القراءة والكتابة . علاوة على انها غير صالحة . فآلاف من المعلمين غير متفقين ولا يوافقون على هذه الطرق ، وفريق آخر مقتنع وفاهم وفريق مقتنع بحُجّة التجديد وغير فاهم لها ، فتكونت عندنا مجموعات من المعلمين غير متفقين على طريقة توصيل المعلومات لابنائنا ، وهذا الاختلاف ينطبع على اذهان الصغار ، وهم في دور تكوينهم ، وتتكون عند الصغار في أذهانهم أفكار ومعلومات قلقة غير مستقرة ناتجة عن تردد المعلم ، والصغير لم يبلغ سنا يجعله يميز بين الصحيح والفاسد، ويكبر هذا الصغير وهو يحمل معه في ذهنه عدم التركيز والفهم الصحيح ، ولا يستطيع ان يبتّ في اموره لان التربية التي تلقاها في صغره (سن التكوين) تربية مترددة متأرجحة غير متأكدة من نفسها ، تربية فيها كثير من التجربة المستوردة على حساب عقلية النشىء ، وهذا من اسباب انحطاط مستوى التعليم في بعض المواد — ان لم يكن كلها — عندنا في المدارس .

واللغة العربية ببيانها وبلاغتها وبنحوها وصرفها لا تفهم اذا تركت على ما هي عليه في مدراسنا العربية . فالسبيل الى تراثنا القديم (وهو تاريخنا طبعا) لا تهدى اليه التربية الحديثة ، بل التربية الحديثة الآن تقف بمثابة سد منيع بين هذا القديم (التراث) وبين وصوله الى أذهان ابنائنا ، واذا توصل البعض بذكائهم وتعبهم فقد لا يوفقون ، لأن ما تعلموه لا يساعدهم على ذلك . فلتبادر اذن التربية الحديثة الى وضع الاسس الصحيحة لفهم الماضي ، ولتراجع نفسها : أية طريق تسلكها .

والواجب ان تسلك التربية الحديثة أسلم الطرق للوصول الى الاهداف التى تنشدها الامة العربية ، ومن الواجب ايضا ان تنصب التربية الحديثة على الطفل وان تعطيه الغذاء الكامل من المعرفة .

وكل تربية في العالم وليدة المجتمع الذى تكونت فيه ونشات وليدة ظروف وملابسات خارجية ، وتربيتنا تتميز عن كل تربية في العالم ، كما تتميز كل تربيات العالم عن بعضها ، فهي — أى تربيتنا يجب ان تكون نابعة من ظروفنا وواقعنا ، ولا بأس ان تكون الآن في اطوارها الاولى فما نريد ان نحققه من اهداف لا يتحقق بالسهولة التى يظن بعض المربين ان يحققوها ، ولا نمد يدنا الى الخارج في مجال التربية الا اذا أيقنا ان هذه اليد التى نمدها قادرة على ان تأخذ كل صحيح ، لا ان تأتي بالصحيح والفاسد عن جهل بالاثنين ، ثم نجعل من كليهما تربية يتربى عليها صغارنا ، وهم أمل المستقبل وعدته ورجاله .

ولا بأس ان تمر التربية عندنا باطوار النمو التى تبدأ من المهد الى ان تصل الى أعلى مراقي التربية ، وما علينا في ذلك من عار ، ولسنا نريد ان نلحق بالامم الراقية ، وفي نفس الوقت نتخذ طرقا فاسدة لا توصلنا الى اقل المستويات ، فان كل نظام مستورد في التربية ، لا ينفع — مهما كان صالحا — ما دمنا نظن أنه أحسن الموجود ولذلك استوردناه بدون فلسفة لقبوله وبدون تخطيط قبل استيراده ، وحجتنا أنه أحسن الموجود في العالم ، وقد نجح في البلاد الاخرى ، فلماذا لا ينجح عندنا هنا ؟ وهذا هو الخطر الداهم ، فكل نظام في العالم لا ينجح بمجرد انه نظام وهذا ما يجب ان يفهمه المربون عندنا ؟ فالنظام مرتبط اولا بالمجتمع الذى اوجده ومرتبط كذلك بالذين يقومون على

البقية على ص : ٥٩

مع الغزالي

محمد يوسف

ملامح تفكير الغزالي :

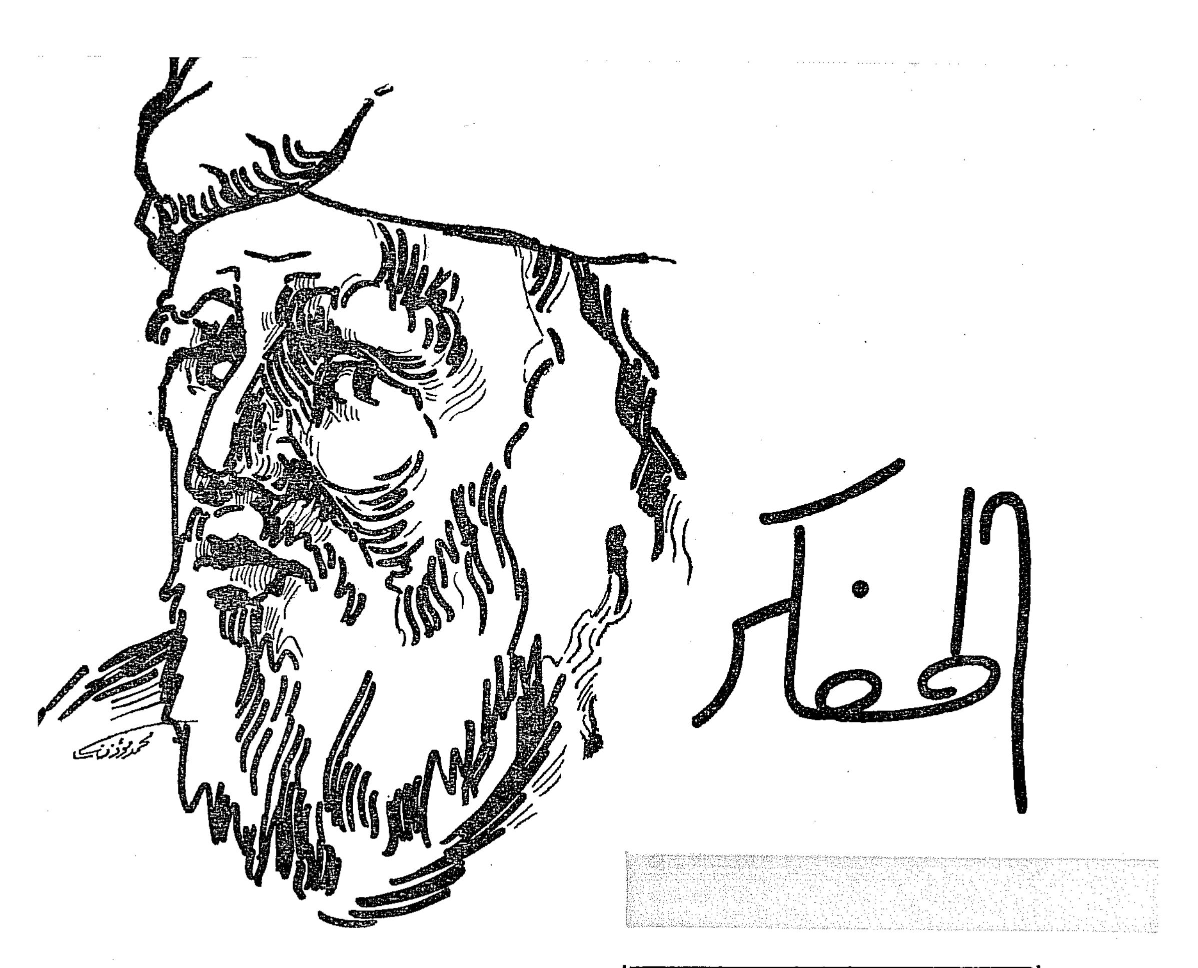
الغزالي علم من أعلام الفكر الاسلامي والفكر الانساني ، وهناك من الباحثين من يضع الغزالي الى جانب سقراط وافلاطون من اليونان ، والى جانب القديس اوغسطين والقديس توماس من اللاتين ، والى جانب ديكارت وبسكال من المحدثين .

واستطاع الغزالي أن يبلغ هذه القمة من قمم الشوامخ فى تاريخ الانسانية ، لأنه كان عقلا كبيرا من جهة ، وكان طالب علم من الطراز الأول من جهة أخرى ، فقد حاول ـ صادقا ومجاهدا وباذلا أقصى جهده ـ أن يعلم كل شيء ، فدرس ما عند الفيلسوف والملحد والزنديق والمبتدع ، والسني والشيعي والباطني والفقيه والمتكلم والصوفي ... الى آخره .

وليس هناك أبلغ من قوله يصور نهمه الرائع الى المعرفة : « لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا

---

* الامام الغزالي ولد ببلدة « طوس » سنة ٤٥٠ هـ وسلك طريق العلماء المبرزين ، وخلف لنا ثروة نعتز بها ونضعها فى مقدمة تراثنا الاسلامي الفكرى فى شتى مجالاته حتى عرف بحجة الاسلام . وبعد أن طاف بالبلاد الاسلامية وأخذ من علمائها وبذل من علمه ، وافته منيته بالبلدة التي ولد فيها « طوس » سنة ٥٠٥ هـ . (الوعي)



المفكر

للشيخ أحمد الشرباصي
المدرس : بالازهر الشريف

الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا وأفترض ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته » .

« وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديدني ، من أول عمري وريعان شبابي : غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتي ، لا باختيارى وحيلتي»

ومن الملامح البارزة فى تفكير الغزالي أنه تنبه الى وجوب قلة الثقة بالحواس لأن عينيه مثلا ترى الظل واقفا ساكنا ، ولكنه بعد ساعة يراه قد تغير فهو أذن متحرك ، وهي ترى الكوكب فى السماء بقدر الدينار ، ولكنه فى الواقع أكبر من الأرض التي يسير عليها .

شك يبلغ اليقين

ومن الملامح الفكرية عند الغزالي أن الشك عرض له فى وقت مبكر ، وكان شكه صاحب فضل عليه ، لأنه هو الذى دفعه الى البحث وطلب الحقيقة وتلمس الايمان فدرس كل العلوم الدينية والفلسفية والمذهبية الموجودة فى عصره ، وكان يفهم ما يسمع ويناقش ما لا يفهم ، ويتطلب الحجة والدليل على ما يلقى

مع الغزالي المفكر

اليه أو يسمع به أو يطالعه ، ولا يخضع لخرافات أوتزييفات أوتأثيرات أوزخارف أو تقليد ، ولا ينخدع ببريق الأسماء ولا بشهرة الرجل ، بل هو يتطلب الحق أينما كان .

وهو يحاور ويجادل ، ويستقى من ينابيع المعرفة بنهم وشغف وشوق ، مع الحاح فى طرق الأبواب على خرائد العلم الصحيح الذى يؤدى به الى الايمان واليقين ، وهو يكسب من وراء استخدامه لعقله ، واستمراره فى طلبه ، وتثبته من كل ما يؤمن به ، خبرة بالحياة ، وخبرة بالناس ، وخبرة بالمجتمع ، فلما بلغ شاطىء النجاة بعد صراعه العنيف مع امواج الشك والبحث ، أوى الى جبل حصين منيع هو جبل الايمان والاطمئنان الذى تألقت على قمته أضواء التصوف الاسلامي ، وهنا كان ايمان الغزالي مكينا وطيدا ، لأنه لم يتكون الا بعد طول السهر وعمق البحث ودقة التأمل ، وشمول التدبر .

ولذلك نجده يقول : فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب ، لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ، ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهاره بطلانه ــ مثلا ــ من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وانكارا ، فانني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة اكثر بدليل أني اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه فى معرفتي ، ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ، فاما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .

واذا كان الغزالي قد شك ليبلغ اليقين ، فهو لم يشك فى جميع الحقائق ، بل صاحبه الى قمة هذا الجبل حقائق لم يتطرق اليها شكه ، وهي : وجود الله عز وجل ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث عند اليوم الآخر .

ويبدو أن الغزالي قد أوغل فى الشك الى عمق بعيد وغور سحيق ، ولكن هذا الشك لم يهجم عليه بشدته وقسوته دفعة واحدة بل بدأ خفيفا محتملا ، ثم أخذ يقوى ويعنف وتثقل وطأته ، ثم بلغ ذروة حدته فى الفترة العصيبة التي غير عندها الغزالي اتجاهه فى التفكير .. والاعتقاد ، ووجد فى حمَى التصوف هدوءه وراحته واطمئنانه .

وانتهى الغزالي مع هذا الى ما نستطيع أن نسميه الوسطية فى المنهج والتفكير . لقد رضي « علم الكلام » وسيلة للتفكير العقلي فى توضيح العقيدة والدفاع عنها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعل هذا العلم غاية لذاته .

وبحث الفقه بسعة ، ولكنه عد أحكامه ضوابط لسلوك الانسان وتعبده ، ومعاملته الظاهرة ولا بد مع هذا الظاهر من ضمير ، وروح ، وقلب .

وأدنى مسائل « الفلسفة » من الأفهام بكتابه « مقاصد الفلسفة » وعد الفلسفة محاولة ذهنية لادراك مغزى الوجود ، ولكنه أزال الهالة التي كانت تحيط بالفلسفة حينما نقدها ونقد رجالها بكتابه « تهافت الفلاسفة » .

وهو قد دعا الى الزهد ، والى احياء العنصر الأخلاقي في تصرفات الانسان ، ومع ذلك تحدث عن اباحة التمتع بطيبات الحياة .

وهو قد حارب فكرة « وحدة الوجود » ومع ذلك قال : ان ما في الكون آثار لله تعالى ، ومن هذا يتضح لنا أن الغزالي لم يكن من أصحاب العناد العقلي أو « اللجاج الفكري » حيث يمضي الواحد منهم مع فكرة تتراءى له ، وتخطف بصره فيظل وراءها يلح في تلمس الأسباب الى تأكيدها وتوطيدها بلا اعتدال أو اقتصاد ومن ثم يوجد الشطط في الرأي ، والاسراف في الحكم والنأي عن القصد .

ونستطيع أن نستعرض المراحل الفكرية التي مر بها الغزالي في حياته ، فنجد أولا المرحلة التي سبقت شكه ، كان يطلب العلم ويكون شخصيته الفكرية ثم المرحلة التي ظهر فيها الشك وقد جاء الشك - كما عرفنا - خفيفا ، ثم اشتد وقوى بعد ذلك وتلك مرحلة طالت وامتدت ، ثم المرحلة التي أعقبت الشك ، وهي مرحلة الهدوء والاطمئنان والوقوف على الحقيقة عن طريق التصوف ثم مرحلة التأمل والتدبر على انفراد في اثناء عزلته بدمشق وطوس ، ثم مرحلة العودة الى عرض ما يعلم ويرى عن طريق التدريس والتوجيه الديني ، ثم مرحلة الممارسة للتصوف والزهد في أواخر أيامه بطوس .

الغزالي والقديس أوغسطين

وفي الباحثين من يحلو له أن يقارن في ميدان التفكير بين حجة الاسلام الغزالي والقديس أوغسطين ، لوجود طائفة من وجوه الشبه بينهما ، فالغزالي أكبر عارض ، لصور التفكير الاسلامي . والقديس أكبر عارض لصور التفكير المسيحي ، والغزالي أتى بعد أكثر من أربعة قرون من ظهور الاسلام ، والقديس أتى بعد أكثر من اربعة قرون من ظهور المسيحية ، وكل من الغزالي وأوغسطين ، أرخ لنفسه ، وكتب سيرته بقلمه وعبر عن تجربته الروحية التي بدأت بالشك وانتهت باليقين حسب اعتقاد كل منهما .

وكل منهما كتب هذه السيرة أو التجربة وقد جاوز العقد الرابع من عمره بسنوات ، فكتبها وهو في السادسة والأربعين ، وكتبها الغزالي وهو في الخمسين .

وكل منهما هاجم الفلسفة ونقد الفلاسفة ، وكل منهما عارض الذين قالوا : ان العالم قديم .

والملاحظ أن هذه الوجوه من الشبه تدنو من حمى المصادفات العرضية والمشابهات العفوية اذ ليس هناك أي دليل على أن الغزالي تأثر بالقديس في التفكير أو المنهج .

ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يقال عن وجه الشبه بين الغزالي و « ديكارت » (١) فالغزالي قد تقدم على ديكارت بخمسمائة سنة في تعرفه الى قواعد البحث العلمي ، وطلب الحقيقة والوقوف على العلم اليقيني المجرد من الغلط والوهم والريب .

وكتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي يذكرنا بكتاب «بحث في المنهج » لديكارت حيث نلمح في كل منهما الحرص على

البقية على ص : ٦٠ - ٦١

١ - فيلسوف فرنسي صاحب مذهب يقتضي التجردعند البحث من كل المعلومات السابقة وقد بدأ بالشك وانتهى باليقين وقال : ان آلة الشك هي الفكر فالفكر اذن موجود فالمفكر اذن موجود ، أنا أفكر فأنا اذن موجود ...

معهد الإمامة والخطابة بالكويت

أول معهد من نوعه بالشرق الأوسط

إعداد : محمد ابوغوش

« ان حكومتي ايمانا منها برسالة الدين فى اصلاح المجتمع تواصل انشاء المساجد داخل المدينة ، وفى المناطق السكنية الجديدة والقرى ، مع مراعاة البساطة والاقتصاد فى النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها ، والسهر على راحة الائمة والمؤذنين » .

« كما قررت انشاء معهد للامامة فى احد المساجد ، واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الائمة ، وتمكينهم من اداء رسالتهم الروحية فى المجتمع ، وتثقيف الجمهور بالثقافة الاسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف » .

(من الخطاب الاميرى فى افتتاح مجلس الامة عام ١٣٨٤ ــ ١٣٨٥ هـ)

للمساجد دورها وخطرها فى توجيه الرأى العام وتوعيته ، فمن مآذنها السامقة تنبعث الدعوة الى الصلاح والفلاح ، وفى رحابها الطاهرة يجتمع المسلمون لعبادة الله وذكره ، وفى ساحاتها الفسيحة ينصت العابدون الى كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم ، ومن فوق منابرها يستمعون الى الموعظة الحسنة الموجهة ، فتصفو نفوسهم ، وتطهر قلوبهم ، وتزكو أرواحهم ، ويتفقهون فى دينهم ودنياهم ، وقد كان المسجد ولا يزال مركز الاشعاع والهداية ، والجامعة الشعبية الاسلامية الكبرى التي يتلاقى فيها المسلمون على تقوى من الله ورضوان ..

وامام المسجد وخطيبه موجه فكرى ومصلح اجتماعي ، ورائد خلقي ، ومرب روحي ، وقائد رباني ، اليه يلجأ المتشككون فيزيل شكوكهم ،



فضيلة مدير الدعوة والارشاد اثناء اجتماع مع المشرف على المعهد وبعض هيئة التدريس

والمنحرفون فيعالج انحرافهم والمتخاصمون فيصلح ذات بينهم والمحرومون فيدعو الى عونهم ومساعدتهم .

مصابيح هداية

واذا ذكرنا ائمة السلف الصالح الذين تصدروا لامامة المسلمين ووعظهم وافتائهم ، ذكرنا علمهم الغزير ، وذهنهم التفتح ، وورعهم عن الدنايا ، وتخلقهم بأمهات الفضائل واعتزازهم بكرامة العلماء وأخذهم أنفسهم بالسير وراء الامام الأعظم سيدنا رسول الله ، وتلقفهم مشاكل عصرهم محاولين حلها واستنباط احكامها من كتاب الله وهدى رسوله ، ولهذا كانت الأمة لا تنهج فى الحياة منهجا الا بموافقتهم ، وكانوا قمة فى الأمة وهامة فى المسلمين .

البعثة الازهرية

ولقد رأت دولة الكويت أن تعيد الى المساجد بهاءها ورواءها ، فمدت اليها يد الاصلاح والتعمير وقامت وزارة الأوقاف بتشييد عدد من المساجد فى الجهات التي انتشر فيها العمران حتى بلغ عدد المساجد ۱۷۰ مسجدا وكان من الضرورى أن توجه عنايتها الى ائمة المساجد وخطبائها وتدريبهم وتاهيلهم للقيام بدورهم الطبيعي فى التوعية والتوجيه ، فاستقدمت لذلك بعثة من علماء الأزهر الشريف ، وانشأت ادارة الدعوة والارشاد التي يديرها فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر رئيس البعثة ، وكان من انجح مشروعات الوزارة التى قامت بها البعثة انشاء معهد الامامة والخطابة تنفيذا لما جاء فى الخطاب الأميرى ووضع المناهج والخطة الدراسية لهذا المعهد ، وما كاد يعلن عن افتتاحه حتى انهالت عليه طلبات الانتساب من الائمة والخطباء والمؤذنين ، تحدوهم الرغبة الصادقة فى الاغتراف من مناهل الثقافة الاسلامية .

افتتاح المعهد

وقد افتتح معالي خالد احمد الجسار وزير الأوقاف السابق الدراسة بالمعهد فى أول شعبان ١٣٨٤ هـ ، وبلغ عدد المنتسبين اليه مائة من

معهد الامامة والخطابة

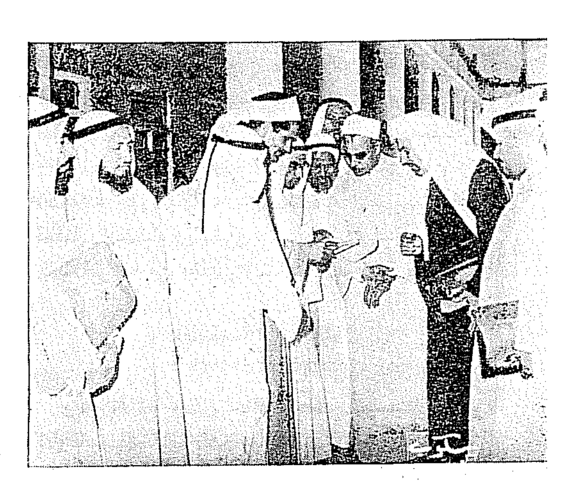
الأئمة والخطباء والمؤذنين وقام بالتدريس فيه أعضاء البعثة الأزهرية المكونة من المشايخ عبد المنعم النمر ورضوان البيلي واحمد جلباية ومصطفى عيد وجابر منصور ومحمود وهبه بالتعاون مع بعض علماء الكويت وعين الشيخ علي عبد المنعم مشرفا على المعهد بالاضافة الى قيامه بالتدريس فيه أيضا .

مواد الدراسة

ويدرس به التوحيد والتفسير والحديث والفقه والسيرة والخطابة والنحو وأحكام التجويد، وزود المنتسبون للمعهد بالكتب والمذكرات ، وكان لاقبالهم على الدرس وشوقهم الى العلم أثر واضح ملموس فى رفع مستواهم العلمي وتنمية مواهبهم وقدراتهم وانعكاس هذا الأثر على الوعظ والخطابة فى المساجد .

امتحان المعهد

وقد عقد لهم امتحان فى آخر العام الدراسي وبلغ عدد المسموح لهم بدخوله ٧٤ طالبا تخلف منهم أربعةونجح ٥٤ وكان أول الناجحين الشيخ



حتى أثناء الاستراحة . الطلبة مع بعض الاساتذة

زكي عبد الله يوسف القدومي وسيعقد للمتخلفين والراسبين دور ثان فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٥ ، وتبدأ السنة الدراسية الجديدة فى ٢ أكتوبر .

مسابقة صيفية

وقد أعلنت الوزارة عن مسابقة صيفية بين الأئمة والخطباء فى تفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم وكتاب اسلامنا للشيخ السيد سابق وسيمنح الخمسة الأوائل فى المسابقة مكافأة تشجيعية ، كما أن الوزارة ستمنح جميع الناجحين فى امتحان آخر العام مكافأة سخية تحببهم فى العلم وتبعث فيهم روح التنافس والأقبال على الدرس والتحصيل .

تطوير المعهد

وازاء هذا النجاح العظيم الذى حققه المعهد اتجهت اليه أنظار المسؤولين وانبعثت الرغبة الصادقة فى النهوض به وتطوير مناهجه ، وقدمت عدة مقترحات حول هذا الموضوع - يتناولها المختصون بالبحث والدراسة، وقد رأينا أن نستطلع رأى بعض المسؤولين والمعنيين بشؤون الدعوة عن مبلغ ما حققه المعهد من نجاح ، والحاجة الماسة الى تطويره .

مع فضيلة مدير الدعوة

قال فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر مدير الدعوة والارشاد ان المعهد بصورته الحالية حقق نجاحا كبيرا ، وليس ادل على ذلك من نتيجة الاختبار الذى أجرى أخيرا لطلبته .. أما عن التطوير فان لجنة من الأساتذة قامت بوضع المناهج لتطوير معهد الامامة بحيث يكون معهدا على غرار كلية المعلمين الموجودة بيننا فى الكويت .. يغذيه حملة الشهادات المتوسطة من المعهد الديني أو المدارس وذلك لتخريج فئة متخصصة تقوم برسالة المسجد حاليا على انه من الممكن أن ينشأ بعد ذلك دراسة عالية للمتخرجين من المعهد . وهذا كله يتوقف على مدى اقبال ابناء الكويت على الدراسة الدينية ، وأعتقد أن من واجب الدولة أن تقدم كل الوسائل لجذب الطلاب لهذه الدراسة سواء أكان أثناء طلبهم العلم أم بعد تخرجهم ، وهذا أمر لا

يقل اهمية عن النواحي الأخرى ان لم يزد عليها ، ومن واجب الدولة ـ أن توليه من العناية والاهتمام ما يتفق ومكانة الدين فى النفوس .

مع فضيلة المشرف

اما فضيلة الشيخ علي عبد المنعم المشرف على المعهد فقال ان امثل طريقة لتطوير المعهد تكون بفتح باب المعهد لحملة الشهادة المتوسطة من المدارس وتستمر الدراسة فيه أربع سنوات ويوضع له المنهج المناسب الذى يكون الداعية الواعي الواسع الثقافة ذا الخلق الاسلامي الممتاز، ولا يقتصر على أبناء دولة الكويت فقط بل يسمح بدخوله لأبناء الخليج العربي وغيرهم ، وبعد اتمام الدراسة بالمعهد أرى ان تنشا كلية للتخصص يلتحق بها أوائل المتخرجين فى المعهد .

مقترحات مدير الشؤون الاسلامية

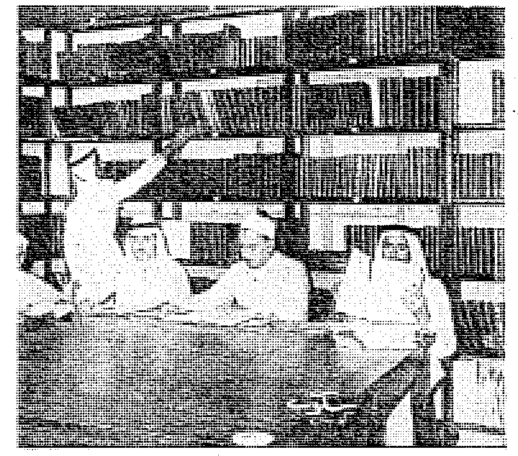
وقال الاستاذ عبد الله العقيل مدير ادارة الشؤون الاسلامية ، ان الحاجة ماسة لمعهد الامامة والخطابة ، وتطويره حتمي ليستطيع بعد ان يتحقق هذا التطور فى منهاجه تخريج دفعات من القادة المؤمنين القادرين علىتوجيه جماهير المسلمين واقتراحاتي حول منهج الدراسة هي ـ

١ ـ اعادة التوسع فى المناهج المقررة مادة وأسلوبا .

٢ ـ محاولة عرض الأفكار الاسلامية بالأساليب المشوقة التي تبين جمال الاسلام واسهامه فى كل مجال من مجالات الحياة ، وتوضح نظرته للانسان والكون والحياة .

٣ ـ بيان الحلول الاسلامية لمشكلات الحياة المعاصرة .

ومن المسلم به أن الشريعة الاسلامية قد جاءت لاسعاد البشرية فى دينها ودنياها ، وعلاج العلل الاجتماعية . ومما لاشك فيه أن درجة النجاح فى العلاج تتوقف على الطبيب الماهر أعني العالم المؤمن الواسع الاطلاع . وهذا مانرجو أن يقدمه لنا معهد الامامة والخطابة .



فى المكتبة

مع رئيس قسم المساجد

وتحدث فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس رئيس قسم المساجد وأحد المتخرجين فى كلية الشريعة من كليات الجامعة الأزهرية فقال .

كانت المساجد تعاني نقصا فى الكفايات العلمية، وكنا نحس مسيس الحاجة الى ائمة وخطباء يحملون لواء الدعوة الى الله ، ويسايرون روح العصر الحديث ويخاطبون الشبان المسلمين الذين يترددون على المساجد بأسلوب يلائمهم ويقنعهم ، حتى انشيء معهد الامامة والخطابة فى هذا العام والتحق بـه الائمة والخطباء والمؤذنون الذين يقيمون الشعائر بالمساجد ، .. وعلى الرغم من انه لم يمض على انشاء المعهد الا سنة دراسية فان باكورة نتائجه تبشر بخير كثير .

ولا يفوتني ان اذكر ان الوزارة ترعى هـذا المعهد بعين الاهتمام وتكافىء المتفوقين من طلبته ، والمعهد يرحب بجميع الكويتيين الذين يرغبون فى الانتساب اليه ، ولهم أولوية التعيين فى الوظائف التي تخلو بالمساجد . أما من حيث تطوير المعهد فان الشيء يبدأ فى أول أمره صغيرا ثم يأخذ فى النمو تدريجيا . هذه سنة الحياة وطبيعة الوجود والله ولي التوفيق ،،،،

مع أستاذ التفسير

أما فضيلة الشيخ رضوان البيلي سكرتير

معهد لامامة والخطابة

تحرير مجلة الوعي الاســلامي ومدرس التفسير بالمعهد ، فقد كان اوسع مطلبا في اقتراحاته لتطوير هذا المعهد فيقول ، اقترح على المسئولين ان تنشأ مدينة الدعاة بها معهد متوسط واخر ثانوي وكلية للدعاة ، وبها مساكن للطلبة ومسجد وناد وصالة للمحاضرات ومطعم ، ويفتح باب الانتساب لأبنـاء المسلمين عامة وخاصة ابناء الجنوب العربــــي وافريقيا وآسيا ، ويراعي تدريس اللغات السائدة في هذه البلاد كاللغة السواحلية والاوردية ودراسة تاريخ هذه البلاد السياسي وجغرافيتها الاقتصادية والديانات السائدة فيها .

واعتقد ان نجاح هذا المشروع لو اخذ به يتوقف على هيئة التدريس والهيئة التنفيذية لادارة المدينة ومبلغ ايمانها بالفكرة ، وتقديرها للمسئوليــــة واستجابة المسؤولين للاعتمادات المالية اللازمة . والى ان يتم هذا المشروع فاني ارى ان يستمر المعهد لتاهيل المنتسبين الحاليين والذين ينتسبون مستقبلا اليه .

مع بعض طلبة المعهد

والتقينا ببعض منتسبي المعهد لاستطلاع رايهم في معهدهم ومدى استفادتهم من دراستهم فقـال



استماع للدرس



درس في الخطابة

السيد راتب الشويكي « لا شك فاننا قد استفدنا كثيرا من الدراسة بالمعهد ، وهذا راجع الى اخلاص المدرسين وجد الطلبة ، وتعدد الكتب الاسلامية المقررة علينا .. اما الشيخ محمود دقة فقـال ان الاستفادة في المعهد مسالة نسبية ، تختلف بين طالب وآخر ، وهذا يعود الى مدى الاستعداد والقدرة على الاستيعاب .. اما السيد حمـــد المبارك فاكد ان الفائدة يمكن ان تتم اذا ما طالت مدة الدراسة في المعهد لتكون اكثر شمولا وايضاحا وفهما ، لان الدراسات الاسلامية شاملة واســعة تحتاج الى جهد وبحث ووقت .

لقاء مع الاستاذ وكيل الوزارة

ثـم كان لنـا لقـاء مع الاستاذ عبـد الرحمن المجحم وكيل الوزارة للتحدث في شأن المعهد وعرض بعض المقترحات عليه ، وسيادته من شباب الكويت الذين أتموا دراستهم العالية في كليات الازهـــر الشريف ، وتمرسوا في الميدان الوظيفي مـــدة اكتسبوا فيها خبرة واطلاعا وعلما وتفهما للمسئولية وقد استهل سيادته الحديث فقال : مما لا شك فيه ان مهمة الامامة والخطابة مهمة شاقة جسيمة حساسة لها اثر بالغ عظيم على المجتمع والامة . والوزارة حرصا منها على دعم رسالة الاسلام ، وتقديرها لاهمية عرض الدين بما يتناسب وعظمة الاسلام وسماحته ، كنظام اساسي للحياة ، فقـد حـرصت على دعـــم جهاز الوعظ والارشــاد ، فاستقدمت بعثة من علماء الازهر ليقوموا متعاونين

مع ائمة وخطباء الكويت بمهمة التوجيه والوعظ الديني ، وانشأت معهد الامامة والخطابة ، الذي اصبح وجوده ضرورة حتمية لتخريج دفعات من الدعاة الصالحين لتوجيه جماهير المسلمين لما فيه خير دينهم ودنياهم .

قلت لسيادته : « في الواقع هذا وصف دقيق لرسالة المسجد وتحليل صائب لما يجب ان يكون عليه من يتولى مهمة الوعظ والارشاد ، ولكنني اعتقد ان الضرورة تستلزم تطوير هذا المعهد بما يتفق والمهمة التي انشىء من اجلها لتخريج طائفة من الموجهين المرشدين في حقل الدعوة الاسلامية .

فاجاب سيادته : لقد بدأنا فعلا في هذه الخطوة فالفنا لجنة من المختصين لوضع منهج دراسي شامل مناسب ، وقد انتهت اللجنة من وضع مقترحاتها وتوصياتها بهذا الخصوص ، واملنا كبير في ان يكون هذا المعهد عند حسن الظن ، صالحا لتخريج نخبة طيبة من العلماء تضطلع بهذه المهمة العظيمة .

قلت لسيادته :

لعل في تقديركم لاهمية المعهد ، وما تعلقون عليه من آمال ، ما يحفزني على ان اعرض على سيادتكم بعض المطالب والرغبات ، وكلي امل في انها ستلقى من قلبكم الكبير كل عناية واهتمام .

فاجاب سيادته بشاشته المعهودة ، بعد ان استعرض المطالب ووقف عند كل مطلب منها بتأن وتفحص : يجب أن نضع في الاعتبار ان كل حق يقابله واجب وان زملائي الائمة والخطباء اذا ادوا واجبهم كما ينبغي واخلصوا ، فسيكون جزاؤهم متناسبا مع ما يقدمون من جهد ، وما يظهرونه من كفاءة ومقدرة ، واما الوظائف والترقيات فان القوانين العامة للدولة تنظمها وتضبطها وسنعمل من جانبنا ما وسعنا العمل على انصافهم وتحسين حالهم ، ومنح المتفوقين منهم مكافآت تشجيعية مجزية فوق منح جميع الواظبين على الدراسة بالمعهد مكافآت كذلك .

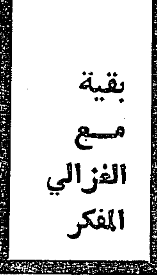
وهنا ضاق مكتب سيادته بالوظفين واصحاب المصالح فاستأذنت شاكرا له هذه الروح الطيبة .
وهذا النشاط الملحوظ والنهضة المباركة التي حققتها الوزارة انما تمت بفضل اخلاص المسؤلين فيها وعلى رأسهم معالي السيد عبد الله المشاري الروضان وزير الاوقاف .

بقية ـ نحو تربية هادفة

تطبيقه ، وهم لا يصلحون الا لبيئتهم ، وقد يستف منهم لبيئات اخرى ، لكنها بقدر لا يساو مقدرتهم وتمكنهم في بيئتهم . وارتباط النظ التربوية بالبيئات والمطبقين لها نستفيد منه لتشري نظم وقوانين جديدة .

ويتجلى ما اقوله في التربية اكثر مما يظهر في المجالات الاخرى لأن التربية تبني النفوس الت ستحمل على كواهلها جميع اعباء هذا المجتمـ من صغيره وكبيره وهي التي سوف تسن وتشر القوانين والنظم ، فاعداد هذه النفوس صعب جد اذا استسهلناه وصعب جدا اذا اعطيناه كـل جديد بحجة انه جديد فقط . والنظام الجديـ الذي ننشده لتربية عربية صحيحة ليس نظام موجودا قائما نأخذه ونطبقه ونستريح بعد ذلك انما هو شعور واحساس في قلب من ينتمي لهذ الامة ، ثم دراسة طويلة نابعة من هذا الشعـو وهذا الاحساس الصادق ، ووضع المبادىء والاسس هي مرحلة العمل الاولى ويتخلل ذلك اصطرا في وجهات النظر باسلوب ديمقراطي واضح ـ لا مواربة فيه ولا دجل ـ ينبثق من التعاون التا بين افراد الامة العربية وخصوصا بين الاسـر التعليمية وعلى المربين وضع الاسس الصحيحـ وليسوا مطالبين بنتائج ، وانما التاريخ هو الذي سيحكم على اعمالهم بنتائجها ، كما حكم علـى الحضارات الماضية وسيحكم على الحضـارات الحاضرة بكل اوضاعها .

ان الصغير عرضة للتيارات الجارفة اذا لم يحدد له الطريق الذي يمشي فيه بعد ارشاده لأسلم الطرق ، وكل اختلاف في مجال رسم الطريق السليم في التربية سيؤدي ـ الى ابشع الصور التي تنطبع في عقل الصغير ، والاتجاهات المختلفة في مجال التربية مهما كان مصدرها وسواء كانت اتجاهات ثقافية او غير ثقافية فانها ستقضي على النش الصغير وتلقيه في متاهات لا يستطيع التخلص منها مستقبلا .



السعي وراء المعرفة فى خطـــة ايجابية صادقـــة .

ومع كل هذا يصعب علينا أن نؤكد أن ديكارت قلد الغزالي أو تابعــه ، ولــن يضيف مثل هذا التأكيد ــ أذا فعلناه ــ الى الغزالي فضلا يحتاج اليه .

اعترافات الغزالي

وبعض الافرنج يقولون عــن كتــاب الغزالي « المضنون به على غير أهله » انه أعترافات تشبه اعترافات « جان جاك روسو (١) » وهذا القول يحتاج الى نظر ، لان اعترافات روسو شملت كل شئونه المالية والمعنوية والعقلية ، على حين أن كتاب الغزالي يدور حول ما قاساه مــن أجل استخلاصه الحقيقة .

والغزالي نفســه يصرح بهــذا حيث يقول فى فاتحة كتابه : المنقذ من الضلال : فقد سألتني أيها الأخ فى الدين ، أن أبث اليك غايــة العلــوم وأسرارهــا وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكي لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضــطراب الفارق ، مع تباين المسالك والطــرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عــن حضيض التقليد الى يفــاع الاستبصار ، وما استفدته أولا من علم الكلام ، ومــا احتويته ثانيا من طرق أهل التعليــم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام ، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف ، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف . وما انجلى لي فى تضاعيف تفتيش عن أقاويل الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد ، مع كثرة الطلبة ، وما ردني الى معاودتي بنيسابور بعــد طــول المــدة ، فابتدرت لاجابتــك الى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك» .

والغزالي يتبع الطريق العلمي السليم فى بحوثــه ، فهــو أولا : يقدم لموضوعه بمدخل يمهد الطريق أمامه ، ثم هـــو يستعرض جوانب الموضوع المختلفــة ، ويذكر وجهات النظر المتعددة فيــه كأن يذكر المضــار والمنافــع ، أو المحاســن والمساوىء ، ويذكر أدلة المختلفين فيــه ثم يعقب على ذلك بعرض رأيه الشخصي ، سواء أوافق رأى من سبقه أم خالفه .

وهو يســتند فى بحثــه الى الحس والعقل والتجربــة الذاتيـــة والتذوق والادراك والالهام ، واذا كان الغزالي قد آمن بطريق القلب فى المدركات الدينية ــ وخاصة عقب تصوفه ــ فانه لم ينــكر الحقائق العلمية ، وقد فرق بين العلــم والدين حين قال : ان العلم يستند الى العقل والدين ينبعث من القلب وفى الوقت نفسه يؤكد أنه لا تناقض بــين العلــم والدين .

الغزالي والعقل

كان الغزالي فى صدر حياته يظــن أن العقل هو الملكة العليا ، وأنه اذا تحــرر وانطلق استطاع أن يدرك الحقائق ويعرف الأصول ، ولذلك كــان يؤكد أن التقليد والجمود والتعصب والهوى حواجــز تمنع من المعرفة الصحيحة والتفكير الحر .

وعلى الرغم من أن الغزالي قال : ان الذين اعتقدوا الدين تقليدا وسماعا من أبويهم من غير بحث عن الطرق البرهانية

(١) مفكر فرنسي فيلسوف مهد مع فولتير للثورة الفرنسية وكان يقــول بضرورة التعاهد الاجتماعي الكافل لحقوق الجميع . ورشح الافكار لمذهب الرومانسية فى القصة ، وكان يعتقد فى حسن طينة الانسان ..

هم المسلمون حقا . فانه كان يكتب بعقل وتفكير بدليل أننا نراه فى كتابه « احياء علوم الدين » يفرق بين ايمان العوام الذى يستندالى التقليد فقط . ويجعل هذا أقل درجات المعرفة ، وايمان المتكلمين وهو يعتمد على نوع من الاستدلال وهو أعلى من ايمان المقلدين ، وايمان العارفين الذى ينهض على المشاهدة المؤدية الى اليقين .

ولكن الغزالي لم يحصر طريق المعرفة فى العقل ، بل هو يجعل طرق المعارف ثلاثة أنواع : حسية ، وعقلية ، ودينية . يبدأ الانسان بادراك العالم الظاهرى الحسي بالحواس الخمس ، ثم يتجرك عقله وينمو فيدرك به المعقولات ، كالواجبات والجائزات والمستحيلات ، كما يدرك به المعاني الكلية والحقائق العقلية المستترة خلف المحسات .

ومن وراء العقل عين أخرى تدرك المعارف الدينية ومنها يدرك الانسان الأنوار الغيبية وهذا يتمثل فى النبوة . ويربط الغزالي هذا بالحديث الذى يقول : « ما من عبد الا ولقلبه عينان » فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا فتح هاتين العينين ليرى بهما ما هو غائب عن بصره .

ومعنى هذا أن الغزالي يقول بحاسة سادسة يمكن ان نسميها « الحاسة الدينية » « ويرى أن محل هذه الحاسة هو القلب » وهو حسب تعبيره « اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بالقلب الجسماني تعلق » .

وهذا القول يذكرنا بما يذهب اليه الفيلسوف « وليم جيمس » فى كتابه : « تعدد التجارب الدينية » حيث يرى أن التجارب الدينية تختلف باختلاف الطبائع والأمزجة والثقافات والبيئات لأن مرد التجربة الدينية الى « الشعور » فاذا استطاع الانسان أن يغوص فى أعماق نفسه انعقدت بينه وبين ربه صلة هي ما نسميه بالتجربة الدينية ، ويصور الانسان هذه التجربة بحسب ما يحسه فى نفسه ، ولذلك تختلف التجارب هنا وتتعدد .

وهذا القول يشبه ما ذهب اليه الغزالي من القول بالحاسة السادسة « الحاسة الدينية » من ناحية الاعتماد على التجربة أو التذوق ، واختلاف التجارب وتفاوت المراتب وان كان بين الاثنين بعد هذا من الاختلاف ما بين الغزالي المتصوف وجيمس الفيلسوف .

والغزالي يرى الجمع بين نور الشرع ونور العقل ، وأن العقل المنزه عن الخبث الذى لا تشوبه عاطفة مريبة يشبه العين السليمة ، والشرع يشبه الشمس التي تغمر بنورها الأشياء فتكسبها الألوان وبذلك يمكن رؤيتها ، ونحن نحتاج الى العين والى الشمس معا ، وهو يرى ان الرجل الذى يقبل على القرآن الكريم دون أن يستخدم عقله فى تفهمه يكون كمن أغمض عينيه ونظر الى الشمس فهو لا يرى شيئا كما أن من أعرض عن الشرع واعتمد على العقل وحده ، يفسد طبعه ويضل فى طريقه .

والغزالي يشير الى ان طاقة العقل محدودة ، وان هناك اشياء كثيرة تغيب عنه فلا يدركها ، وليس معنى هذا أنها معدومة ، فينبغي لصاحب العقل أن يتواضع ، ففوق كل ذى علم عليم ، ومهما صال العقل وجال فسيبقى الكثير مما يبعد عنه أو يعلو على طاقته ، وليس هناك أجهل ممن يظن أنه قد أحاط علما بكل شيء ..

يقول الغزالي عن علم المكاشفة : فاياك أن يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول ، فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الأمور ..

« للبحث بقية فى العدد القادم »



علم الفلك والقرآن

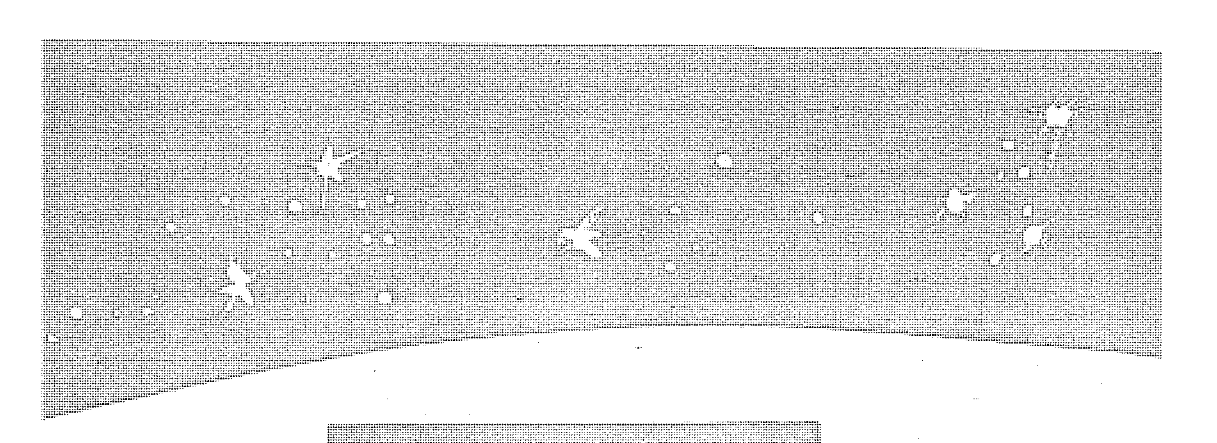
من نواميس الطبيعة وقوانينها التى لا تتبدل أن كل ما على الأرض من أشياء خاضع لعوامل التغير والفناء ، ولهذا يقال : ان دنيانا ليس فيها اثبت من التغير ، وسبحان من لا يتغير . ولهذا ايضا لا يمكن ان تخلد معجزة على الارض الا اذا كانت على هيئة كتاب يتلى ، او تحفظه الصدور وله صفة الاعجاز فى كل عصر من العصور ، ولا عجب اذاً ان تكون معجزة خاتم النبيين كتابا يوجه الكلام الى ذوى الألباب فى وقت نضج فيه العقل البشرى وأصبح عصر العلم على الأبواب .

وقديما ـ وحديثا أيضا ـ أعجز القرآن الكريم العرب بحجته الدافقة وبلاغته وفصاحته واسلوبه الأخاذ ، وما جاء به من اخبار صادقة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل ، وأحكام وتشريعات ونظم فيها صلاح البشرية . وفى القرآن الى جانب كل هذا العديد من الآيات التي تكشف عن حقائق الكون وأسراره ، سواء فى عالم الجماد او عالم الأحياء . ولا يقل عدد مثل هذه الآيات عن (٧٥٠) آية ، يتضمن بعضها كثيرا من التفاصيل العلمية الدقيقة التي تثبت قطعا انه وحي من لدن الخالق العليم .

ولقد مر ـ ولا يزال يمر ـ المسلمون على الكثير من هذه الآيات مر الكرام ، ولكن كلما تقدم بنا ركب العلم ووصل الناس الى درجات ارفع من المعرفة والحضارة ، كلما تفتحت امامهم المعاني ، وظهر اعجاز القرآن العلمي الرائع .

ولما كانت رسالة القرآن للناس كافة ، فان واجب المسلمين اليوم توصيل هذه الرسالة الى الغرب عن طريق الترجمة السليمة ، واظهار الاعجاز العلمي للقرآن ، وكيف انه سبق ركب المدنية بقرون عديدة ، وذلك لأن العلم هو المقياس الذى تقاس به الشعوب اليوم ، وهو السلاح الذى تغذى به العقول والقلوب ، ويقتنع بحججه الناس فى عصرنا هذا .

ويخاف فريق من المسلمين الخوض فى



للدكتور محمد جمال الدين الفندى
استاذ الطبيعة الجوية ــ جامعة القاهرة

اظهار الحقائق العلمية التي فى القرآن بحجة أنه قد تتغير النظريات من آن الى آخر ، ولكن ردنا على أمثال هؤلاء أننا نفرق بين الحقائق والنظريات العلمية .

فالحقيقة العلمية هي ما استقر عليها الرأى ، فوصلت مرتبة اليقين : اما عن طريق التجربة السليمة ، أو عن طريق الجزم بالبراهين ، مثل : الجاذبية العالمية ، وسبح الكواكب من حول الشمس ، وانعكاس الضوء وانكساره ، وانخفاض درجة حرارة الغاز بالتخلخل ، أو تقليل الضغط الواقع عليه .....
ونحن نستخدم الحقيقة الأخيرة فى تبريد الهواء وفى الثلاجات الكهربائية ونحوها ، كما تستخدمها الطبيعة فى تكوين السحب والمطر والبرد ... لأن الهواء عندما يصعد ، ويقل الضغط الواقع عليه تنخفض درجة حرارته ، وتقل قدرته على حمل بخار الماء العالق فيه تدريجيا ، فيتحول هذا البخار الى أية صورة من صور التكاثف المعروفة ومثل هذه الحقائق هي التي نعتمد عليها فى تعليقاتنا العلمية على آيات الذكر الحكيم . أما النظريات العلمية فهي تتغير وتتبدل ، كما هو الحال مع نظريات الضوء ونشوء الكواكب وأصل الحياة ونظرية التطور ... وكثيرا ما تحتاج بعض هذه النظريات من أجل تدعيمها الى ادخال بعض الفروض التي لا مبرر لها ، كما سنوضح فى سلسلة مقالاتنا هذه ان شاء الله . ولهذا لا نستطيع أن نتخذ من مثل هذه النظريات حجة أو دليلا فى تعليقاتنا العلمية. ومهما يكن من شيء فان أغلب هذه النظريات انما تتصل بالنشأة الأولى التي لم تتح لنا فرصة مشاهدتها . ويعبر القرآن الكريم عن ذلك فى ايجاز معجز اذ يقول :

« ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ... » (٣٣) سورة الكهف .

وعندما نكتب عن علم الفلك والقرآن يكون من الطبيعي أن نبدأ بذكر القواعد الأساسية التي تتماسك أجرام السماء فيما بينها ــ تبعا لهــا ــ وتحتفظ بأوضاعها النسبية ، وسط الفضاء الفسيح الذى يفصلها عن بعضها البعض: « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ... » (٣٣) سورة الأنبياء .

« ويمسك السماء أن تقع على الأرض ...... » سورة الحج من آية ٦٥ .

ان اجرام السماء ممثلة فى المجرات والسدم والنجوم والشموس والكواكب والأقمار والمذنبات والشهب والنيازك كلها تسبح فى الفضاء الكوني المترامي الأطراف ، وتتماسك فيما بينها حسب نظم معينة ،وقواعد ثابتة ، يمكن تلخيصها فى حقيقتين :

أما الحقيقة الأولى فهي : أن كل جسم مادى يجذب الجسم الآخر (خصوصا القريب منه) بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتيهما (أى مقدار ما تجمع منهما من مادة) . ولهذا السبب تتساقط الأجسام الى الأرض ، لأن كتلتها كبيرة جدا بالنسبة الى كتلة ما عليها من الأجسام . ويمثل مركز الأرض النقطة التي تتجمع فيها هذه الكتلة . وتبعا لقانون الجاذبية هذا ، تمسك الشمس سائر أفراد المجموعة الشمسية ، ومنها الكواكب السيارة ، وتنطلق بها فى الفضاء بسرعة تساوى نحو (١٢) ميلا فى الثانية . ويعبر القرآن الكريم عن انطلاق الشمس بهذه الصورة فى اعجاز رائع اذ يقول فى سورة يس « والشمس تجرى لمستقر لها » .... (٣٣) . والشمس هنا يمكن ان تمثل بالقطار الذى يجرى بينما يتجول الركاب داخله ذهابا وايابا .

وأما الحقيقة الثانية فهي أن كل جسم يتحرك فى مسار منحن أو مقفل — مثل الدائرة والاهليلج أو القطع الناقص — يخضع لقوة طرد مركزية . ومن أبسط التجارب التي نستدل بها على قوة الطرد المركزية هذه قطعة الحجر عندما نلفها أو نجعلها تدور فى طرف خيط مشدود الى اليد .

اننا عندما نفك الخيط ينطلق الحجر مارقا كالسهم تحت تأثير قوة الطرد المركزية . وتعمل هذه القوة على منع أجرام السماء من التساقط بالجاذبية . وفى معنى آخر تتعادل القوتان وتظل الأجرام تسبح الى ما شاء الله محافظة لأوضاعها النسبية .

ونحن نستطيع أن نعرف المجرات بأنها : وحدات الكون العظمى ، وهي تبني من النجوم والشموس المختلفة الحجم والصفات ، وما قد يتبعها من كواكب تدور من حولها على غرار مجموعتنا الشمسية . وتأخذ المجرات أشكالا متباينة فى السماء ، أشهرها ما هو على هيئة القرص ، وما هو كالحلزون ، وما هو يشبه المغزل ... وهي تدور وتسبح فى الفضاء .

ومجرتنا بالذات التي توجد بها شمسنا كالقرص الذى يزيد قطره على ٧٠ الف سنة ضوئية ، والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، أى نحو عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات . ولا تنتشر النجوم بانتظام داخل مجرتنا ، بل نجدها تتكدس فى بعض أجزائها فيما يسمى « الطريق اللبني » أو « طريق التبانة » لشبه بينه وبين الطريق الذى يتناثر عليه التبن أثناء نقله .

وعندما نرسل بصرنا على طول هذا الطريق يكون بصرنا ممتدا على طول قطر من أقطار قرص المجرة ، وتوجد شمسنا

على بعد نحو ٣٠ ألف سنة ضوئية من نهايته ، وهي تجرى بسرعة تماما كما تقول الآيةالكريمة «والشمس تجرى..»

وحتى عندما نتخذ الأرض محورا أساسيا لقياساتنا وأعمال رصدنا ، نجد أن الشمس تتحركظاهريا بالنسبة الينا ، رغم أن الواقع كما نعلم هو أن الأرض تسبح حول الشمس فى مسار متوسط نصف قطره نحو ٩٣ مليون ميل ، وتتم دورتها فى سنة كاملة .

وتبلغ المسافات بين النجوم حدود الخيال ، مما يجعل احتمال تصادمها أمرا مستحيلا تقريبا . وأقرب النجوم الينا فى طريق التبانة يصلنا ضوؤه فى بضع سنين ، ويعرف باسم النجم (قنطورس) وهناك العديد من النجوم فى هذا الطريق يصلنا ضوؤها بعد آلاف السنين ، أى أنها تبعد عنا بآلاف السنين الضوئية ، والصورة التي نراها اليوم هي صورة السماء منذ آلاف السنين .

وتتعدد السدم والمجرات فى الفضاء الفسيح ، ويتكرر وجودها كلما خرجنا الى خضم الفضاء ، وتقبل الينا أضواء تلك المجرات خافتة لعظم بعدها عنا ، فأقربها الينا يصل بعدها عنا نحو (٧٠٠) ألف سنة ضوئية ! .

وتعطينا هذه الأرقام الضخمة فكرة سليمة لأبعاد نجوم السماء عنا ومواقعها فى المجرات المختلفة التي يعج بها الكون ، حتى اذا ما وصلنا حدود الكون المرئي كانت ابعاد نجومه تقدر بنحو ٥ آلاف مليون سنة ضوئية ، مما جعلها جديرة بأن يقسم بمواقعها الخالق العليم ، اذ يقول فى سورة الواقعة ((فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)) .

والعجيب أن أحدا من البشر لم يكن يقدر قيمة هذا القسمقبلعصر النهضة. اذ كان الناس يعتبرون النجوم بمثابة الفوانيس أو الحلية التي تزين كبد السماء ، ولم يكن أحد يحلم بأن مواقعها تبلغ من العظم هذا القدر فهل بعد هذا من اعجاز ؟ !! .

وبهذه المقدمة الموجزة أقدم للقارىء الكريم حديثي الأول عن موضوع علم الفلك والقرآن ، لأظهر جانبا من الاعجاز العلمي لآيات الذكر الحكيم .

وقد يبدو الموضوع صعبا غير سهل التتبع لأول وهلة ، الا أنني سوف أعمد ان شاء الله تعالى الى عمل تفصيل أكثر فى سلسلة مقالاتي القادمة .

والله الموفق .

أى الناس أفضل ؟

قيل : يا رسول الله ، أى الناس أفضل ؟

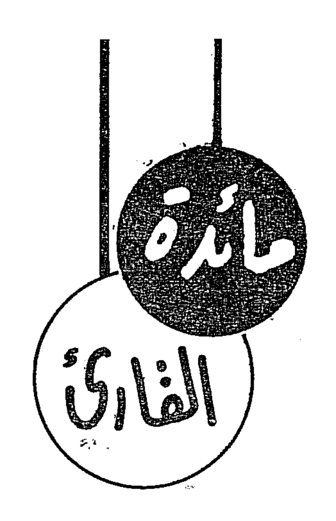
فقال :

« مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »

قالوا : « ثم من » ؟

قال :

مؤمن فى شعب من الشعاب ، يتقي الله ويدع الناس من شره » .



اعداد
عبد اللطيف خريشي

* عندما يخطيء رامي السهام هدفه .. ينظر لنفسه ليعرف لماذا أخطأ .. وهكذا دائما اذا أردتم الوصول الى هدفكم فأصلحوا أنفسكم .

(روكفلر)

أيهم تختار ..

* نشرت صحيفة انجليزية كبرى المسابقة التالية :

« لنفرض أن بالونا يحمل ثلاثة من اشهر رجال العالم النافعين للبشرية : برتراند راسل العالم الرياضي والفيلسوف .. والكسندر فلمنج مخترع البنسلين .. و ت . س . اليوت الشاعر الناقد . وتعرض البالون لعاصفة بحيث يجب القاء احد الركاب الثلاثة من البالون فبأيهم تضحي ؟ »

وتلقت الصحيفة اجابات لا حصر لها وفي كل منها يوازن القراء بين قيمة الشخصيات الثلاثة ونفعهم للبشرية . ولكن الذى فاز بالجائزة غلام في الثانية عشرة كانت اجابته :

« يجب القاء اثقل الثلاثة وزنا » .

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اغتنم خمسا قبل خمس .. شبابك قبل هرمك .. صحتك قبل سقمك .. فراغك قبل شغلك .. غناك قبل فقرك .. حياتك قبل موتك .

الاعمار بيد الله ..

* كان سيجفريد عاملا في أحد المناجم حين انفجر المنجم أما هو فقد نجا وقتل ستة من زملائه العمال .. اثنان منهما كانا يتحدثان اليه ويعملان معه على عربة واحدة .

وبعد سنة ونصف تقريبا حدث انفجار آخر قضى على عاملين واصيب سيجفريد برضوض وجروح بسيطة في ساقه . وارتحل الى السويد حيث عمل في مصنع للديناميت في مدينة غيتورب . وهناك حصل الانفجار الثالث . طنان من الديناميت انفجرتا على بعد ٢٠ مترا من المكان الذى يقف فيه .. قتل في هذا الحادث ٢٦ شخصا وأصيب ٢٢ بجراح خطيرة ولم يصب سيجفريد سوى خدوش في ركبتيه وجرح بسيط في كتفه .. ذو عمر عجيب ..



لكنه انا

* قال طلحة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

ـ والله ما أدرى أنت الخليفة أم عمر ؟

فقال : بل عمر .. لكنه أنا .

**اذا أعطيت رجلا سمكة .. فانك تطعمه يوما واحدا ..
أما اذا علمته كيف يصطاد .. فستطعمه أياما كثيرة .**
(مثل صيني)

الصبر مفتاح الفــرج ..

* سأل شاب رجل اعمال عن السبب فى نجاحه . فقال له : الصبر هو سر نجاحي . ان اى شيء فى الدنيا يمكن عمله اذا تذرع المرء بالصبر .

فقال الشاب : ولكن هناك شيء واحد لا يمكن عمله مهما كان الانسان صبورا .. وهو نقل الماء بواسطة المنخل . فرد عليه رجل الاعمال فى الحال :

ـ حتى هذا يمكن عمله اذا انتظر الانسان حتى يجمد الماء .

من بني آدم

* ادعى رجل أنه يحفظ نسب اسرته الى النبي صلى اللـــه عليه وسلم ويعرف سلسلة النسب من النبي الى أبي البشر « آدم » وجعل يفاخر بانه أصيل النسب من مبتدئه الى منتهاه ، فقال له رجل : « اننا نقر لك بانك من بني آدم ، دون حاجة منك الى اثبات » .

الشاكر والصابر فى الجنة ..

* كانت زوجة نعمان بن حطان الأموى جميلة وهو قبيح ، فقالت له يوما انهـا واثقة مـن أن نهايتهما الجنة ، فقال لها ولماذا ؟

قالت ـ لأنك اعطيت مثلي فشكرت .. وأعطيت انا مثلك فصبرت .. والشاكر والصابر فى الجنة .

ثروتي للمجانين ..

* مات فى فرنسا محام عن ثروة كبيرة أوصى بها كلها لانشاء مستشفى للمجانين لأنه على زعمه لم يجمع تلك الثروة الا من المجانين الذين كانــوا يلجأون اليه كلما وقع بينهم خلاف أونزاع .. وقد سعى أهله وورثته لابطال وفسخ تلك الوصيــة الغريبة بحجة أن المحامي نفسه كان مجنونا .

مواعيد عرقــوب

* (عرقوب) هو رجل من العمالقة أتاه أخ له يسأله : فقال عرقوب : اذا اطلعت هذه النخلة فلك طلعهـا .. فلمـا اطلعت أتاه للفـــــد .. فقال عرقوب : دعها حتى تصير بلحا .. فلما ابلحت قال : دعها حتى تصيرزهوا .. فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا .. فلما ارطبت قال : دعها حتى تصير تمرا .. فلما اتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فقطعها ولم يعط أخاه شيئا .. فصار مثلا فى خلف الوعد والمواعيد .

* دخل أعرابي بلغ من العمر فوق المائة على أمير المؤمنين « معاوية » فأراد معاوية ان يتعرف منه تجربته للحياة ، فقال له : « صف لي الدنيا » فأجاب الاعرابي : « سنة رخاء ، وسنة بلاء ، يولد مولود ، ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الأرض » .

حكـــم

١ ـ رب عالم قد قتله جهله وعلمـه معه .. لم ينفعه

٢ ـ المعرفة الصحيحـة تجبر عـلى العمل .

علاج الاخوان والصبر عليهم

قال محمد بن أبان ـ

اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ	وكنت أجازيـــه فأين التفاضل
اذا ما دهاني مفصـــل فقطعته	بقيت وما لي للنهوض مفاصل
ولكن أداويــه فان صــح سرني	وان هو أعيا كان فيـــه تحامل



الصياد والنعامة

هنـاك مـن يصطنـع الحيـاء أو الكبريـاء ، فيستنكف أن نبث الشكاة ، أو نجأر للمأساة التي نزلت بالمحيط النسائي العربي ، ان على هؤلاء ان يستيقنوا أن الصياد مبصر بالنعامة التي تخفي رأسها الصغير ، وتترك جسدها الكبير فى العراء ، وأن يعلموا أن من الخير أن نسبق (الغير) الى معرفة أخطائنا ، واكتشاف دوائنا ، وأن نعترف بها ، ونصلحها قبل أن يعيبها علينا (الآخرون) ويتفضل بارشادنا الى اصلاحها وتقويمها .

لقد قرأت فى مجلة (العرب) التي تصدر فى باكستان رسالة موجهة من سماحة المفتي السيد محمد شفيع عميد جامعة دار العلوم بكراتشي الى علماء المسلمين ، من العرب خاصة ، يشرح فيهـا ما تسلل الى ديارهم من فساد خلقي ، والحـاد ديني ، وما انتشر بين شباب المسلمين وطلابهم من خلاعة ومجون ، وجهالة فاضحة بقواعد الاسلام ومبادئه وآدابه ، ثم يحثهم على النهوض لاعـلان كلمة الله ، والدعوة الى سبيله .

ويقول العلامة الاستاذ ابو الاعلى المودودى امير الجماعـة الاسلاميـة فى باكستـان ، فى كتابـه ((الحجاب)) ص ٥٥و٦و٧ :

((كنت أشعر بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد الينا من البلاد العربية . بأن المـرأة هناك قد بلغت من تعديها لحـدود الشريعـة وانسياقها وراء الحضارة الجديدة درجة لـم تبلغها المرأة حتى فى بلادنا نحن . فكنت لذلـك اجـد فى نفسي من القلق والاضطراب ما طالما أقض مضجعي ، وأجرى الدموع من عيني ، ثـم انه لما قدر لي زيارة بعـض البـلاد العربيـة ، وشاهدت هناك بعيني مابلغه حقا تبذل المـرأة العربية المسلمة ، وتبجحها بالعرى والفتنة وشدة ولوعها باقتفاء آثار أختها الغربية ازددت قلقـا واضطرابا اكثر من ذى قبل .)) ..

ثم يقول الاستاذ المودودى .

((اننا مسلمي باكستان والهند رزحنا تحت نير الاستعمار البريطاني مئة وتسعين عاما متواليا، وكان ولا يزال ٩٩٪ من افرادنا على جهل تـام باللغة العربية التي جاء بها القرآن والسنة . وعلى الرغـم من ذلك فان حضـارة اهل الغرب لم تتغلغل فى بـلادنا ولم تؤثر فى حياتنا مثل ما تغلغلت فى بلاد العرب وأثرت فى حياتهم ، فالنساء فى بـلادنا وان كنا دائمـا نسكب الدمـوع علـى انجرافهن فى تيار الحضارة الغربية فانهن علـى جملة علاتهن ومساوئهن يربأن بأنفسهن أن يرتدين الملابس الافرنجية الا القليلات منهن ، وقلما توجد واحدة من ألف امرأة منهن تتبـرج فى الطـرق والأسواق ، وتتعرض للرجال وجسدها مكشـوف فوق كعبيها أو يداها مكشوفتان الى منكبيها)) ..

واخيرا يقول الاستاذ المودودى .

(اني والله كثيرا ما اسائل نفسي ، ان اخواننا العرب الذين شرفهم الله تعالى ببعثة رسوله فيهم ومنهم ، والذين لغتهم لغة القرآن والسنة ، والذين لا يعوقهم شيء عن معرفة احكام الله ورسوله فى كل شأن من شؤون حياتهم اذا شاءوا .. ماذا عساهم يؤولون به رواج الملابس الافرنجية البحتة بين نسائهم وتبرجهن فى الاسواق والأندية والمجامع بل وسواحل البحـار ، ومسابح الملاهي كاسيات عاريات) ..

وهكذا يقوم علماء باكستان الغيـر ، بواجب التنبيه والتوجيه ، ازاء فاشية الانحلال الديني والخلقي التي عمت المجتمعات العربية المسلمة ، ونحن العرب المسلمين بين أيدينا كتاب اللـــه

للاستاذ أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى
مكة المكرمة ـ السعودية

وحديث رسوله نقراهما بلغتهما العربية ، ونفهمهما جيدا ، ولكننا نهمل العمل بهما ، معتذرين بحركة التطور ، ودعوة التحرر وضرورة العصر .

طبيعة الأنوثة

وقد رايت أن اكتب عن مأساة المرأة العربيــة المسلمة مبتدئا برأى القرآن والحديث النبوى عن دقائق الانثى وحقائق الانوثة ـ ثم اورد بعضا عن دراسات وتجارب الحضارة الغربية فى هـــــذا الصــــدد .

وساجتزىء ببعض الآيات القرآنية التي تتحدث بايجاز بليغ عن دقائق الانثى وحقائق الانوثة بما يثبت تأييد المكتشفات الحديثة فى علمــي النفس والجنس ، ان المرأة غير الرجــل تكوينا واعطــاء واخذا فى مجال العمل والمعاملة ، وان دعاة المساواة بينهما فى التعليم والتشغيل .. فساق مؤتمرون بالاسرة العربية سوءا ، ومتربصون بالبيت المسلم الخــراب .

يقول القرآن حكاية عن امراة عمران « وليس الذكر كالانثى » ان هذه الآية تؤكد الامر الواقع ومكتشفات علمي النفس والجنس ، وليس هذا فى دين الاسلام فحسب ، بل انه فى دين اليهوديــة والنصرانية قبل ان تحرفا وقبل ان يرتكب حكامهما جريمة فصل الدين عن الدولة فقصة الآية الكريمة مروية عن امرأة عمران التي نذرت ما فى بطنهــا لخدمة الدين فى المعبد ، وعندما شاء الله تبارك وتعالى ان يجيء مولودها انثى اعتذرت عن تحقيق نذرها « قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى » وفى موضــع آخر يقول القرآن .. « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » ويقول فى موضع ثالث « واذا سالتموهن متاعــا فاسألوهــن من وراء حجــاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن » . وفى موضع رابع يقول القرآن « لا جناح عليكم فيما عرضتم بــه من خطبة النساء أو أكننتم فى انفسكم علم اللــه انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا ، الا ان تقولوا قولا معروفا » .

واكتفي بهذه الآيات الأربع عن آيات اخرى تأمر الرجال والنساء معا بغض الأبصار وحفظ الفروج وتنذر الذين يتصدون للنساء المحصنات الغافلات باتهام او تشنيع باللعنة فى الدنيــا والآخــرة ، وبالعقوبة الدنيوية المعجلة .

ان هذه الآيات الاربع والاخريات التي اشرت اليها تتحدث بوضوح عن دقائق الانثى وعما يجب للانوثة من صون عن الزلة وعون على العفاف ، اذ هي كالزجاجة كسرها لا يجبر ، بل هي كالجوهرة وكالزهرة لا تحتمــل العنف والتنــاول الشــديد والتداول المرهق ، ولا بد للاحتفاظ بشرفها ورقتها وسمعتها وكيانها الدقيق الرقيق .. من صيان ثابت وامان حصــين .

هي كذلك ـ أى تلكم الآيات القرآنية ـ تؤكد ان الانوثة جذابة مؤثرة متاثرة فى وقت واحد ، ومن اجل تجنيب الانثى الزلل الذى لا يغفر فى مجتمعها، والكسر الذى لا يجبر فى سمعتها ، نبه القــرآن النسوة انفسهن الى عدم ترقيق الكلام وتليينه فى مخاطبة الرجال ، لئلا يطمع فيهن مرضى القلوب بحب حرام او شهوة آثمــة .

ونبه القرآن فى ذات الوقت الرجال الى ضرورة الابتعاد عن مغريات الجمال فى النسوة الاجنبيات وذلك بمخاطبتهن من وراء حجاب ، وأكد لهم بان ذلك أطهر لقلوبهم وقلوبهن وحتى فى محادثتهــن بشأن الزواج بهن ، نبه القرآن الى التزام الأدب والوقار معهن فقال « ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا » وذلك من اجل ما يجب لطبيعة الانوثة الرقيقة الدقيقة من صيان وامان .

* * *

أما ما تحدث به رسول الاســلام عن دقائــق الانوثة وحقائــق الانثى فجــزيل نكتفي بالاشــارة الى بعضه . كقوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا ومعها محرم لها » وقوله « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها محرم » ونحن نرى اليوم بعض فتياتنا يسافرن الى الخارج باسم اتمــام الدراسة وتكملة التعليم ،وحيدات بلا محارم لهن .

.. ومن احاديثه صلى الله عليه وسلم .

ـ « لا تتبع النظرة النظرة فــان الاولى لــك والثانية عليك » .

زوجات وامهات

ثم ماذا ؟ لا شيء . بعد ذلك . من قال الله ، وقال الرسول فالعصرية والتقدمية وحتمية التاريخ وعجلة التطور برغم الزاعمين منا نحن العرب المسلمين ـ هي التي تحكمنا ، ويجب أن نخضع كما يدعون ويدعون للأمر الواقع من مطالب العصر الحديث .

اذن فالى عصريتهم وتقدميتهم حتمية تاريخهم وعجلة تطورهم ـ نحاكمهم ، ونحتكم واياهم الى التجارب والوقائع والاعترافات التي سجلتها الحضارة الغربية عن تطور المرأة وتحررها .

يتحدث الدكتور بيران وولف فى كتابه ((افضل سنوات المرأة)) عن المشكلة الخامسة التي تواجه المرأة الحديثة التي تبدو لنفسها فى نظر العالم ناجحة ، ولكنها وهي فى مخدعها بعد يوم حافل بالعمل تلقي برأسها المرهق على الوسادة متسائلة ((وماذا بعد كل هذا ؟)) لقد بكت فى الليلة الماضية ، بعد مشاهدة فيلم عاطفي وتجد نفسها احيانا تنظر فى شغف الى الاولاد الصغار على دراجاتهم فى احدى الحدائق المجاورة لبيتها ، وهي تسأل نفسها . هل كان يساوى شيئا ذلك النجاح الذى اشتريته بكياني وتراثي كأنثى ، ثم يقول الدكتور وولف لهذه المرأة العاملة الناجحة ((يجب ان تواجهي المشكلة قبل ان يفوت الوقت ، فلا الشهرة ولا المال يستطيعان وحدهما ان يحلا مشكلتك)) .

وفى مواضع اخرى من الكتاب يقول الدكتور وولف ((ان النساء اللاتي ينافسن الرجال فى ميدان العمل ينسين انهن اناث ، وينبغي ان يكن زوجات وامهات ، اذ ليس فى العالم ما يمكن ان يحل محل لذة الامومة وسعادة البيت الذى اعدت المرأة من الناحيتين البيولوجية والسيكولوجية لادارته وصيانته)) .

ويقول الدكتور بيرن هاردى فى كتابه ((الحب والمرأة)) عندما تصدى للحديث عن الغناء والموسيقى ((ان الغناء يسحر حواس المرأة ومشاعرها ويشعل جذوات الحب والهوى مثل النار ، مهما كان المغني غير فنان ، ولكن سيتضاعف تأثير الغناء على المرأة عندما يكون المغني وضيئا جميلا ، فتندفع اليه وتتأثر به وبخاصة اذا كان المغني يروى فى اغانيه قصص الهوى وتباريح الوجد وما يلاقيه فى سبيل الحب من الاحزان والافراح))

ثم يقول .

((كم من النسوة ذوات شرف وكرامة تركن ازواجهن واولادهن وانفصلن عن الاسرة العائلية وراء هوى المغنين ، وقد كن يعشن قبل ذلك حياة البهجة والطمانينة)) ، ويتحدث المؤلف الغربي عن تأثير الموسيقى فيقول ((من الواضح كل الوضوح ان التوقيع الموسيقى ، وان كان بدون التغني يقضي على طمأنينة القلب وهدوء النفس ويحدث فى الأهواء الشهوانية هزة عنيفة . ويثير العواطف الحيوانية ، وقد تأملت انطباعات التوقيع الموسيقى فوجدت تأثر المرأة به أعظم وأوقع من تأثر الرجل)) ..

الرقص المختلط

ويقول الدكتور بيرن عن (الرقص المختلط) (ان تماس اجسام الرجال والنساء اكبر عامل فى احداث موجة عنيفة فى الميول النفسانية والرغبات الشهوانية ، وكل واحد منهما ينقل الى الآخر الشهوات والنزوات وهما لا يشعران) ويضيف المؤلف الغربي بعد ذلك (ان السفور الخليع والاختلاط البشع هو السلاح الفريد الذى يمكن به اغراء عواطف الانسان وميوله الشهوانية بالنظر حيث تبدو اجساد الفتيات مكشوفة الى الآباط وأرجلهن معراة الى السيقان ، بل الفخوذ، فتستهدف البصر ، وقد اصبح هذا التبرج خطرا جسيما يهدد بانتكاسة اجتماعية وخلقية)

وروى المؤلف ان اساقفة نيويورك طالبوا بوقف هذا السرطان الجديد الذى الم بالجيل النابت ، فكتبوا يقولون .

((انه يجب على الحكومة ان تمنع على الفور الملابس الضيقة الفاتنة والكتب الماجنة والصور الفاضحة بدون تاخير ولا تهاون فان الجيل الناشىء مهدد بتعود الرذيلة والفاحشة والمجون والانحلال الخلقي منذ نعومة أظفاره)) .

كما يروى المؤلف بيانا اصدرته جماعة من الاطباء الامريكيين جاء فيه ((لقد سبقت امريكا دول العالم فى نشر الكتب الماجنة والفضائح الاخلاقية والافلام السينمائية القذرة ، وقد تعدت هذه الاعمال الاجرامية امريكا الى اوربا فالى الشرق .. واننا ننذر البلاد الآسيوية ونحذرها من هذه الحضارة الساخرة والا فستكون اسوأ حالا وأبشع مآلا من الغرب .

إلى الباحثين عن الصراط...

للاستاذ حمدي رشيد حنبلي
كلية المعلمين ـ الكويت

اخلاق وايمان

جلست مع صديق قادم من الغرب .
فسألته : ما الذى أعجبك هناك ؟

قال لي الصديق : اخلاق الناس .
فاستفسرت عما يعني بالأخلاق ؟

فقال : سأروى لك حادثة حدثت معي ، وعليك انت أن تنظر فيها لترى العبرة فى ذلك ، وتخرج بنتيجة مما اقول ، وتفهم ما أعني .
قلت : هات ما عندك ....

فعدل من جلسته ، واقبل على بهيئته ، وثبت عينيه على وجهي ، وكأنه أراد أن يصب كلامه فى نفسي صبا قال بصوت هادىء : ــ وقفت بسيارتي فى أحد مواقف السيارات هناك ، وتركتها مقفلة لقضاء حاجة لي فى شارع قريب ، ولما عدت بعد حين ، وجدت ورقة موضوعة فى الجزء الأسفل من الزجاج الأمامي . فرفعتها من مكانها لاقرأها ، فوجدتها مكتوبة بقلم رصاص ، وبخط ردىء نوعا ، كأن صاحبها كتبها على عجل منه ، كتب لي صاحب الورقة ــ « انه كان يقف بسيارته فى الموقف خلف سيارتى ، ولما أراد الخروج صدم سيارتي من الخلف . ولما كان مستعجلا ولا يجد فرصة لانتظارى فهو يعتذر عن ذلك ، ويرجوني ان اتفقد سيارتي قبل الركوب فيها ومن ثم طلب مني ان اعرض السيارة على اى مرآب اشاء ، وانه مستعد لدفع تكاليف تصليح جميع الاضرار وما يترتب على ذلك . وان كانت السيارة ستتعطل حتى يتم اصلاحها فأنه على استعداد لاعطائي سيارته ان احببت ، أو دفع تكاليف أجر أية سيارة ان كنت أفضل ، خلال تعطل سيارتي فى المرآب ، واعتذر للمرة الثانية فى نهاية رسالته ، وترك اسمه وعنوانه ورقم هاتفه ، واتصلت به هاتفيا ، فحدد لي موعدا جاءني فيه وكرر ما سبق ان كتبه .....

... وما ان انتهى من سرد روايته علي حتى تفحص رد الفعل على وجهي وسألني مستفسرا .. كيف ترى القوم ؟ هل تستطيع ان تقارن بين ما نحن فيه وما هم فيه الآن ؟

قلت : لا تحكم على قيم الأمة من خلال واقع أجوف .. مفروض عليها فرضا ... فيجعلها تبدو كأنها كارثة على الحضارة ... تشبه ذوى النعمة المحدثة من اغنياء الحرب ...

ان امتنا الأسلامية ذات نظام اسلامي كامل متكامل جامع شامل .. منظم لجميع علاقات الأفراد سواء بعلاقاتهم ببعضهم البعض او بعلاقاتهم مع اولى الأمر منهم وكذلك لهم وجهة نظر محددة تجاه الله والكون والأنسان والحياة .

قال صاحبي : ولكن يوجد فرق بين « هناك نظم وقيم » ، وبين « يوجد الآن بشر هذه اخلاقهم وتلك صفاتهم » .

فقلت له : لعل من القول المعاد ان نقول ان هذه الاخلاق التي تعجبك فيمن رأيت ، لاتجدها عند الغربيين اذا ما تركوا بلادهم ، وذهبوا للامم المتحدة للنظر فى قضية فلسطين او الجنوب المحتل

او كشمير او غيرها من القضايا الحساســـة في العالم . حتى في اتفاقياتهم السرية مثل اتفاقية « سايكس ـ بيكو » والاتفاقيــة السريــة بين « اديناور مستشار المانيا الغربية السابق وبــن جوريون » لتزويد دولة العصابات اليهوديـــة في فلسطين المحتلة بالسلاح . بل ولا تجدها في معاملة الغربيين للامم التي استعمروها ..

فهناك تجد الخلق الذى اعجبك قد اتخذ زى المصلحة القومية او الاقتصادية او اى تفســـير آخر ... وسيبقى هذا الخلق المتلون الذى يسعى للمصلحة ويجرى وراءها اينما كانت فلا صداقة مستمرة ، ولا عداوة دائمة ، انما هنــاك مصلحة قائمة .

ان اخلاقهم داخل بلادهم تختلف عنها خارجها . ان الفرد منهم يتمسح بالخلق الذى يساعده على التكيف الاجتماعي ... ولن يتعدى ذلك الى اية غاية ابعد من المنفعة الاجتماعية .

موقف الاسلام من السلوك

ولكي اوضح وجهة نظرى علي ان ابين موقف الاسلام من السلوك والافعال التي تصدر عـــن بني الانسان .

ان الاسلام يقوم على اعتقاد ان « لا الــه الا الله » ...

هــذا التوحيد بداية الطريق ومنتهاه ايضا ، فهـــو اعلى مــراتب الايمان واول درجاتـــه ، فان آمن الناس به دخلوا زمرة المسلمين ، ويكون لهـــم ما للمسلمين وعليهـــم نفس واجباتهـــم ، ويؤكد هذا الحديث الذى رواه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في صحيح مسلم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (مـــن مات وهـــو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة) ان هذا النص يعنـــي :

اولا : ان التوحيد هو المقوم الاساسي الاول والحقيقة الاساسية في العقيدة الاسلامية . وقد اجمل الاســتاذ سيد قطــب معنى التوحيـــد (١) بما يلي :

١ ـ التوحيد يعني اسلام الوجه لله وحـــده .

٢ ـ واتباع منهج الله ـ وحده ـ في كل شئون الحياة .

٣ ـ والتلقي من الله ـ وحده ـ في هذه الشؤون .

٤ ـ والعبودية لله وحده بطاعة منهجه وتشريعه ونظامه .

٥ ـ والعبادة لله وحده ســواء في الشعائر التعبـــدية او في نظام الحيـــاة الواقعية .

٦ ـ فالله منفرد بالألوهيـــة .. وما عداه فهو من مخلوقاته ....

ان توحيد الله وتفرده بالالوهية وخصائصها ، واشتراك ما عدا الله ومن عداه في العبوديـــة ، وتجردهم من خصائص الالوهية ... أن هـــذا معناه ومقتضاه « ألا يتلقى الناس الشرائع في امور حياتهم الا من الله . كما انهم لا يتوجهون بالشعائر الا لله ، توحيدا للسلطان الذى هو اخص خصائص الالوهية ، والذى لا ينازع الله فيه مؤمن ، ولا يجترىء عليه الا كافر » ..

ثانيا ـ ان العلم بوحدانية الله يلزم المــرء بالعمل بذلك . فالله تعالى يقول في محكم تنزيله ـ (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون .) (٢) فالقول بالشهادة بوحدانية الله يلتـــزم الفعـــل والعمل بحقها ـ .. اذ انه نفس الطريقة التي ربى بها الرسول صحابته . وورد في الجزء الاول مـــن تفسير ابن كثير (صفحة ٣) عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال ـ . (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن انهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلموا القرآن والعمل جميعا) .

وقد اجمع الأئمة على ان الايمان « ما وقر في القلب وصدقه العمل » وانه قول وعمل (فتـــح البارى في شرح البخارى ، الجزء الاول) .

ولهذا كان عذاب العالم الذى لم يعمل بما علم ولم يستفد من علمه ، اقول كان عذابه اشـــد من عذاب غيره ...

---

١ ـ (خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، القسم الاول ص ٢١٣)   ٢ ـ (٣) سورة الصف

فالمسلم الذى يشهد ان لا اله الا الله يؤمن بان له ربا قادرا ، يجازى على الاعمال ، فهو يخشاه فى سره وخلوته التي يغيب فيها عن الناس ، لعلمه باطلاعه عليه . كما يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) فهو سبحانه الموجود الحق الذى يستمد منه كل موجود وجوده ويبدأ منه كل مبتدىء بدءه (ظلال القرآن . الجزء الاول صفحة - ١٤ -) .

فالمسلم مطالب بالعمل الذى يفرضه عليه مقتضى ايمانه بوحدانية الله .. اذ عليه ان يراقب جميع افعاله ويزنها بميزان الحلال والحرام ، عليه ان يرجع اليه بكافة ما يعن له من مشاعر وافكار وقيم وتصورات فى مجرى حياته الواقعية كذلك عليه ان يزنها عنده ، ويعرف حقها من باطلها وصحيحها من زائفها ...

هذان الامران : الايمان بوحدانية الله الذى ينعكس على كل ما حوله ،حيث الايمان بانفراد الله سبحانه وتعالى بالالوهية وبخصائصها - السلطان والحاكمية والتشريع .... - والامر الثاني ان هذا الاعتقاد يلزم الفرد العمل بمقتضاه .

فالمسلم يتطلع دائما الى مثل عليا ، اعلى من الفرد ، وأكبر من انانيته ، وأرقى من حدوده الذاتية .. ويلزم سلوكه بذلك .

وسلوك المسلم مرتبط بما يأمر الله ويثيب عليه، لا لمصلحة عابرة ، ولا اشباعا لغرائز بهيمية . لهذا السبب نرى ان اخلاق المسلمين هي الجانب العملي لعلمهم بوحدانية الله وايمانهم بذلك . وعلى هذا الاساس تعرف المؤمنون بربهم عبر التاريخ .

وكمثال لما نقول استشهد برواية وردت فى البداية والنهاية لابن كثير قال ، ان احد الصحابة اشترى بيتا من اخيه بمبلغ محدد . وبعد بضع سنين تعرض البيت للهدم ، وبينما الصحابي يهدم البيت اذ وقع المعول على جرة فى احد الاركان داخل الجدار فتناثر منها الذهب ، فجمع هذا الصحابي الذهب وحمله لاخيه الذى اشترى منه البيت من قبل .

قال له : عندما هدمت البيت وجدت هذا الذهب . وانا اشتريت منك بيتا ولم اشتر ذهبا . فخذ ذهبك بارك الله لك فيه .

فرد عليه اخوه فى الله : يا اخي لقد بعتك البيت بما فيه ولم احدد ، فهذا الذهب لك وليس لي فيه حق .

واختلفا لمن الذهب ورفع الامر لمن هو افقه منهما حتى يجد لهما حكم الله فى الارض .

هذا الامر فى القديم ، ولا نعدم فى الحديث قصصا لا نحب ان نذكر اسماء اصحابها اذ انهم احياء يعيشون بين ظهرانينا .

فهذا تاجر يتحرى الحلال فى معاملاته . اتصل به احد التجار هاتفيا وسأله عن سلعة عنده واتفق الاثنان هاتفيا على ان يبيع صاحبنا هذا ما فى مخزنه من تلك البضاعة وان يكمل بقية المطلوب منه بعد ان تصل بضاعة له كان قد اوصى عليها من قبل من الخارج ، على ان يكون الدفع مؤجلا .

وقبل ان تصل البضاعة غلت الاسعار ، وتكلف صاحبنا اكثر من السعر الذى باع به وما ان وصلت البضاعة حتى سلمها الى زميله الشارى بل اشترى منه بعضها بالسعر الذى وصلت اليه فى السوق .

فهذا التاجر لم يقبض ثمن بضاعته ولم يحرر عقدا بذلك ولم يكن من شهود على البيع انما اتفاق شفوى تم على الهاتف فوفى ببيعه لانه احترم عقدا وان كان شفهيا امام الله .

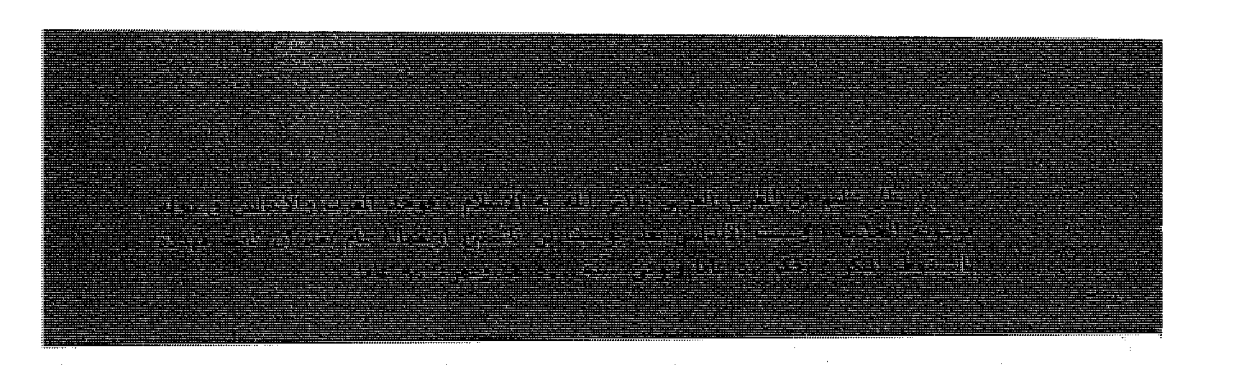
وهذا حمال لا يملك من حطام دنياه الا قطعة ارض لا تزيد على السبعين مترا مربعا فى احدى المدن الاسلامية - وكانت المدينة تغلي وتتعرض لامور فى غاية الخطورة ذات اهداف بعيده تكيد للدين الاسلامي - فجاءه نفر بعضهم ذوو مكانة فى بلده ليساوموه على قطعة ارضه وما عليها من اطلال متهدمة . وارتفع الثمن . ووصل السعر لحد خيالي لا يكاد المرء يصدقه ، اذ سيرفع الحمال لطبقة اصحاب الالوف المؤلفة . ورفض الرجل المؤمن بالله كل مساومة . وتعرض من اجل ذلك لمحن نفسية شاركها الجسد فى بعض الاحيان ، وتعرض افراد العائلة للجوع من جراء ذلك . ولم تلن قناته . ونراه يذهب فى تحديه لكل ذلك فيرفع الآذان خمس مرات فى اليوم فوق أطلال

البقية على ص ((٧٩))

يوسف بن تاشفين

للشاعر

قل للمشارق والمغاربْ أنسيتُمُ بطل المواكبْ
أنسيتُمُ رجلَ الجهاد وقائدَ العرب المُحارِبْ
أنسيتُمُ البطل العظيم ـ أبا المعاجزِ والعجائبْ
هَلاَّ ذكرتمْ فضله فالذكر ـ للعظماء واجبْ
هو يوسف الأمجاد ـ ذو العزمات قهّارُ الكتائبْ
في مغرب الأمجاد أسس دولة تأبى المثَالِبْ
وقضى على المتمردين ذوى المطامع والمآربْ
فغدا به الاسلامُ منصوراً ومرهوبَ الجوانبْ
فتطلعت فى الأفق أندلُسٌ وكانت فى غياهبْ
واستصرخت حامى حِمَى الاسلام فى صدِّ المصائبْ
ألقت اليه زمامَها واستنفرتْهُ على النَّوائبْ
شمسُ الخلافة قد توارت عن مرابعها النَّجائبْ
وتصارعت في أرضها شتّى العقائدِ والمذاهبْ
وبها الملوك طوائفٌ يتناحرون على المناصبْ
كلٌ يحاول جاهداً أن تستقر له المراتبْ
يتزلفون الى العدو ويدفعونَ له الضرائبْ
صاروا دُمى لخصيمهم وغدَوا عبيدا للرغائبْ
وغدا العرينُ ممزَّقاً يختالُ فيه كلُّ غاصبْ
والخصم بالمرصاد يصرعهم ويحتل المضاربْ
أيصم هذا الليثُ سمعا عن نداءاتِ الأقاربْ
وهو الأبىُّ الشهم ـ حقا ـ وهو للنّجدَات صاحبْ



كـلا فما خُلُق الفتى الا لنجدة كل طالبْ
لبّى النداءَ مسارعا ومضى لتهيئة الركائب
وأعد جيشا صادقَ الايمان يزخر بالمناقبْ
عبر المضيقَ فجدّد التاريخُ أمجاداً غوارِبْ
أمجاد طارق فارس الميدان والليث المغالبْ
فتطلع التاريخ لليّث الجديد أخي المراهبْ
وغدا يسجل صفحةً غراء شامخة الذوائبْ
هي صفحة من وحي يوم خالد أهدى الأطايبْ
يوم (الزلاقة) إنه . عزّ المشارق والمغاربْ
يوم تحقق نصرُه يومٌ صفَتْ فيه المشارِبْ
فتراجع الخصم المبين وصار مدحورا وخائبْ
فاهتز وانتعش الحِمَى بعد الضوائق والمصاعبْ
لكنّ ليث المغرب العربي قد وجد الغرائب
وجد الغرائب في الملوك فخاف من سوء العواقب
ظلموا البلاد وأهلَها وتَشَتَّتُوا في كل جانبْ
وتفرقوا شِيَعاً ففي كل القرى ملكٌ وحاجبْ
أمرٌ يُشيع الحزن في نفس المحب على الحبائبْ
فمضى يثل عروشهم ويشيد مجدا غيرَ كاذبْ
فغدا الحمى متماسكاً في وحدة حبَت المطالب
يا يوسف الأمجادِ ذكرُكَ عاطرٌ في القلبِ دائبْ
تمضي القرون وانه متلألئٌ مثل الكواكب
والشعر صدّاح بما حققته بحمى القواضبْ



نيجيريا

اعداد ـ ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف

اتحاد نيجيريا

ذلك البلد الذى يقع فى القسم الغربي من افريقيا ... الذى يحده الأطلسي من الجنوب .. وهو بين بلدين افريقيين هما داهومي فى الشرق والكاميرون فى الغرب .. أما فى الشمال فهناك جمهورية النيجر .. ويقع هذا الاتحاد على مساحة تقدر بـ ٩٦٥ ألف كم أى ثلاثة أضعاف مساحة الجزر البريطانية التي كانت تسيطر على هذه البلاد .

طبيعة البلاد

فى الجنوب تمتد سهول تكثر فيها المستنقعات والبحيرات المالحة ، ويزيد فى خصوبتها نهر النيجر الذى يعتبر ثالث الأنهار فى افريقيا بعد النيل والكونغو ، حيث تصعب المواصلات ، ويقل فيها النقل . أما فى الشرق ... فهناك جبال الكاميرون البركانية السوداء ..

وفى الشمال نجد مرتفعا يصل الى ٢٠٠٠ متر ، يقف جبارا يستقبل الأمطار والمياه .. فيصبح بذلك ذا فضل على المنطقة بكاملها ..

وأما بقية البلاد فعبارة عن مجموعة من السهول الزراعية الخصبة تنتشر فيها الأنهار الكثيرة ..

سكان البلاد

تعتبر نيجيريا اكبر دولة افريقية من حيث السكان اذ يبلغ تعدادها ٥٥ مليون نسمة .. ويختلف السكان هناك اختلافا بينا من حيث الجنس واللغة والدين والعادات الاجتماعية .

وقد دخل الاسلام من شمال البلاد ـ فى فترات مختلفة ، وخاصة أيام المرابطين أثناء حكم يوسف ابن تاشفين .. وما زال ينتشر فى هذا القسم حتى ساد ، وبدأ يغزو الجنوب ويبلغ عدد المسلمين اليوم ٣٤ مليون مسلم .

واذا كان المستعمرون قد وقفوا فى وجه الزحف الاسلامي للقضاء عليه ، فجندوا المبشرين والمدارس التبشيرية ، واستعملوا وسائل القوة ، واستغلوا جميع وسائل الاغراء . الا أنهم لم يفلحوا فى ذلك ، وقد أعلنوا عجزهم أمام التقدم المستمر الذى يحرزه الاسلام .

أما المسيحية فقد دخلت من الجنوب عن طريق الانجليز، أو عن طريق الذين دخلوا البلاد لامتصاص ما استطاعوا من دماء وأخذ ما قدروا عليه من غنائم وأرباح .

وقد عمل المبشرون طاقاتهم ، وساهم المستعمرون بعظيم جهدهم فى سبيل انتشار المسيحية فى تلك الأرجاء .

وعلى الرغم من انتشار المسيحية فى الجنوب فما زالت هناك قبائل وثنية لم تستطع قبول عقيدة التثليث لما فيها من تعقيد وصعوبة .

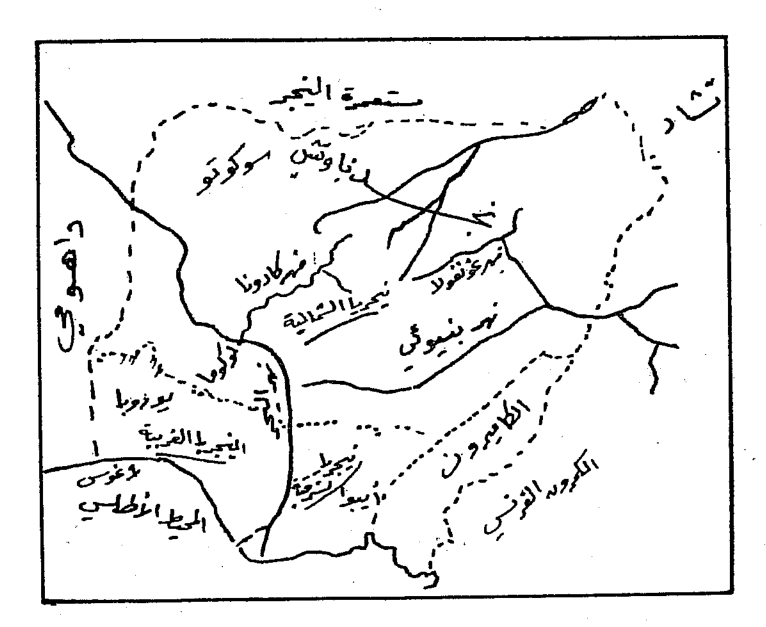
وبينما نرى عادات الشمال وقد تأثرت بالعادات العربية والاسلامية فى كل مظاهرها ، نجد الجنوب تأثر بالاستعمار الغربي وعاداته ..

الثروات

اكتشف الفحم الحجرى فى جنوب شرقي البلاد وكذلك القصدير فى الشمال ، وقد حاولت الشركات المستغلة الغربية ابعاد العمال المسلمين عن العمل فى شركاتهم واستبدالهم بأبناء دينهم ، ولكنهم عجزوا فى النهاية عن ذلك لما يتمتع به المسلم من مستوى رفيع فى الثقافة والتفكير بالنسبة للمسيحيين والوثنيين ..

شعوب الاتحاد وقبائله

ليس فى نيجيريا شعب واحد بل يوجد فيه عدة شعوب ، وتضم مجموعات قبلية تزيد عن ٢٠٠



قبيلة اتحدت مع بعضها ، وشكلت جمهورية نيجيريا الاتحادية ..

وأهم هذه القبائل :

١ ــ اليوروبا : وتقع فى الجنوب الغربي من البلاد ، وأكثرها من المسلمين .

٢ ــ الأيبو : وتقع فى الشرق ، واكثرهم وثنيون، وكان احد المبشرين واسمه (نواكوى) يدعو للمسيحية هناك واذا به يلتقى فى احدى جولاته فى السنغال باحد العلماء المسلمين ، ويعتنق الاسلام على يديه آلاف الناس وقد اطلق على نفسه اسم الحاج (ابراهيم يناس) تيمنا باسم الزعيم السنغالي المسلم الذى هداه الله على يديه وابراهيم يناس النيجرى هو الذى زار الكويت مؤخرا .

٣ ــ قبائل الهاوسا ... وهي تستوطن الشمال الغربي من البلاد .

وقد اعتنقت هذه القبائل الاسلام واصبحت داعية له ...

حتى أن اكبر مدينة فى نيجيريا هي مدينة سوكوتو .. وتسكنها هذه القبيلة . .

وهذه القبائل على درجة كبيرة من الجهل .. غير أن بعض المصلحين من امثال السيد نائبي سليمان الذى درس اللغة العربية والانجليزية بمدرسة الشريعة فى مدينة كافو .. ثم زار السودان ، وعرف التنظيم الاسلامي ، بدأ يحرر زاوية خاصة فى جريدة الصدق الحكومية ، ويترجم فيها الاحاديث النبوية الى لغة الهاوسا .

الاستعمار : ــ

فى الوقت الذى كانت تظن اوروبا أن جهنم فى تلك المناطق الحارة فى افريقيا .. كان العرب والمسلمون يجوبون أقطار افريقيا بالتجارة والرحلات .. وقد اعتنق كثير من الافريقيين الاسلام ، وأسس المسلمون هناك دولا ومراكز فى تلك البلاد المتأخرة ..

فقامت مملكة زنجبار على يد السلطان ماجد بن سعيد الذى وسع ملكه حتى امتد الى دار السلام فى تنجانيقا .

وفى افريقيا الوسطى والشرقية قامت لهم ممالك بفضل (حامد بن محمد) الذى التقى بأكثر الرحالة الأوروبيين ، وقدم لهم المساعدات الكبيرة ، فهو الذى أرشد فاسكودى غاما الى الطريق بعد أن ضل السبيل الى الهند ، وهو الذى صحب ليفنجستون حتى غرب بحيرة تنجانيقا . وكذلك الرحالة الانجليزى كاميرون .. الذى أوصله الى انفولد . والرحالة البلجيكي ستانلي .. والرحالة الألماني هرمان .

وهكذا فهم الأوروبي اليوم أن الحضارة هي فى تسخير البشر ومص الدماء ، وقتل الأبرياء . هذه هي اخلاقهم فى القرن العشرين .. وتلك أخلاقنا منذ مئات السنين .

وحين امتدت اوروبا بانظارها الى خارج بلادها

البقية على ص : ٩٨

الاسلام في افريقيا

الاسلام فى طليعة الكفاح
من أجل اجتذاب الشعوب الافريقية الناهضة

نشرت صحيفة ((ذى واشنطون بوست)) الامريكية مقالا عن الاسلام قالت فيه :

ان الكفاح من أجل استمالة العقول واجتذاب القلوب فى افريقيا الناهضة ليس ميدانه فى دواوين الوزارات والاجتماعات العمالية فحسب ، بل هناك ميدان آخر ، ميدان أقل ذيوعا ، وشهرة ، تخوض معتركه المسيحية والاسلام ، المسيحية التي تجعل من يعتنقها يأخذ بالأنماط الغربية ، والاسلام الذى يرفض الغرب .

وتعترف البعثات التبشيرية المسيحية بأن ستة أشخاص يعتنقون الاسلام فى مقابل كل شخص يعتنق المسيحية ، ومن المستحيل الحصول على أرقام دقيقة ، ولكن أى دراسة للأمر تبين أن ٦ ــ ١ هي أقرب النسب الى الحقيقة .

ولقد كان تقدم الاسلام الى الجنوب من منطقة الصحارى بطيئا حتى هذا القرن الذى انتشرت فيه كلمة النبي كالموجة فى افريقيا السوداء . ولا يزال المد آخذا فى الارتفاع بسرعة .

ففي عام ١٩٠٣ كان حوالي نصف سكان نيجيريا الشمالية ، البالغ عددهم وقتذاك ١٢ مليون نسمة ، يدينون بالاسلام . أما اليوم فان ٨٠٪ من سكانها البالغين ٢٩ مليون نسمة مسلمون . وقد تحولت قرى بكاملها فى غرب نيجيريا الى الاسلام فى بحر سنوات قليلة . وفى فولتا العليا اعتنق الاسلام موغونابا (ملك الموسّي) مع مئات من رعاياه .

ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الاسلام تقدما مماثلا فى ليبريا وساحل العاج والكونغو . ويوجد الآن فى السنغال وجامبيا وغينيا ومالي وموريتانيا والصومال وزنجبار والنيجر وتشاد اكثر من ٨٠٪ مسلمون. ونفس الشيء تجده فى شرق افريقيا . فقبل الحرب كان ٢٥٪ من سكان تنجانيقا مسلمين، أما الآن فقد ارتفعت النسبة الى ٥٠٪ .

(أسباب تفوق الاسلام)

ويذكر المراقبون عدة اسباب رئيسية لتفوق الاسلام على المسيحية فى استمالة الناس فى افريقيا ، منها :

١ ــ ان الاسلام اكثر بساطة ، اذ ليس فيه ((اسرار مذهبية أو تعذيب للضمير ، وهو يطيق الطقوس التقليدية الافريقية . فالاعتقاد بالله واحد وبمحمد نبيا هما الشرطان الاساسيان فى الاسلام .

٢ ان الاسلام يجيز تعدد الزوجات واقتناء الجوارى والعبيد ، أما الكنيسة فكثيرا ما تجبر البالغين من اتباعها على ترك زوجاتهم وعلى اعتبار بعض ابنائهم ابناء غير شرعيين .

٣ ــ ان الاسلام اكثر ملاءمة لافريقية ، أما المسيحية فتنتمي من الناحية السيكولوجية الى ثقافة أخرى .

٤ ــ ان الاسلام يمنح لقبا هو لقب الحاج لجميع الذين يذهبون الى مكة ولهذا اللقب اعتبار

كاعتبار لقب الفروسية ، مثلا ، في بريطانيا ، حتى في نظر الوثنيين والمسيحيين(١) .

أما رحلة المسيحي الى الضريح المقدس في بيت المقدس فلا تدخله في السجل البابوي .

وقد طلب كثير من القساوسة الافريقيين ، من الكاثوليك والبروتستانت على السواء اتخاذ موقف اكثر تسامحا تجاه بعض التقاليد كتعدد الزوجات، واقترحوا تقديس التمائم والطلاسم واعطاءها نفس الاعتبار كأوسمة القديس كريستوفر .

وتدعي الكنائس المسيحية في العادة أن المسيحيين في افريقيا السوداء يبلغ تعدادهم ٤٠ مليون نسمة في مقابل ٦٠ مليون مسلم . غير أن هناك احصاء كاثوليكيا اكثر دقة يحدد العدد بخمس وعشرين مليونا . ويعترف رؤساء الكنائس أن الكثير من هؤلاء انما هم مسيحيون بالاسم دخلوا المسيحية من اجل المدارس . لذلك فيحتمل ان يكون هناك عشرة ملايين فقط من المسيحيين الحقيقيين في افريقيا السوداء . نصفهم في جنوب افريقيا .

وقد بلغ تقدم الكنيسة ادنى حد له الآن ، اذ يقول كثير من القساوسة المجدون ان واحدا او اثنين فقط يعتنقون المسيحية في العام الواحد في مناطق الغابات المترامية ذلك أن المسيحية مقترنة بالحكومات الاستعمارية والتمييز العنصري ، كما كان القساوسة في احيان كثيرة جواسيس غير رسميين للحكومة ، وكان قليل منهم حتى عهد قريب يعامل الافريقيين على قدم المساواة مع البيض . هذا وان محاولات الكنيسة للاشتراك في الحركة القومية كثيرا ما جاءت متأخرة ، رغم ان كثيرا من القساوسة لا سيما الشبان منهم ، كانوا ولا يزالون اعداء حقيقيين للاستعمار .

(١) الحج عبادة من العبادات الاسلامية كالصلاةوالصوم ، وليس في الاسلام لقب خاص يكتسبه من يؤديها ولكن ذلك مما تعارف عليه المسلمون . هذا ولم تذكر الجريدة عنصرا أو سببا هاما لانتشار الاسلام وهو المساواة .

الى الباحثين عن الصراط (بقية)

تلك البقعة الطاهرة لتكون مسجدا لله يصلي فيه عباد الله فيفوز برضوانه تعالى .

يا اخي لولا اني اخاف ان اطيل عليك ، لرويت لك الكثير ــ ولكن الغالب عندنا هو اللون القاتم بعد ان انتصر علينا الغرب في كثير من ميادين الحياة وخاصة الفكرية منها ... فصبغنا بصبغته ...

انك يا اخي لو امعنت النظر لرأيت كثيرا من الرذائل قد عششت وباضت في الغرب ولكنهم يعملون بالمثل القائل ان سرقت فلا تسرق الا جملا ولذا فهم يسرقون قطارا فيه اكثر من مليون جنيه استرليني او يهربون هيروينا بتسعين مليونا من الدولارات ليحصل بضع افراد منهم على فوائد فردية يحطمون بنتيجتها حياة الآلاف من الشباب من بني جلدتهم .. وليس معنى هذا انني أقر كل ما عليه كثير من المسلمين اليوم من بعد عن الاخلاق التى يرسمها لهم دينهم ولكني أقول ان فينا خيرا وفي ديننا كل الخير وفي تراثنا الشواهد القائمة على ذلك . وعلينا ان نستمد منه المثل الرفيعة في حياتنا .

وقانا الله من عقدة (الخواجا) والشعور بالدونية تجاه اناس عمدوا الى ابعادنا بكل قواهم وما امدتهم به حضارتهم من طاقة لابعادنا عن منابعنا الاصلية والى تشويش ايماننا بالله ....

يا أخي ستجد كل رذيلة مرتبطة بكل مبتعد عن الله . وستجد كل فضيلة متساوقة مع القرب من الله .

اخلاقنا يا اخي تنبع من ايماننا بالله . واخلاقهم مصلحة نفعية مؤقتة تزول بزوال اللذة والنفع والمغنم .

وهذا هو الفرق بين اخلاقنا ، واخلاقهم .

في جوار الله

الشيخ محمد البشير الابراهيمي

وافتنا الأنباء مؤخرا بنبأ وفاة كبير علماء الجزائر الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وقد اتيح لي فرصة التعرف على العالم الكبير عن قرب حين اقامته في القاهرة فرأيت فيه العالم المجاهد المتبحر في علوم الدين واللغة والاجتماع فوق احاطته بقضايا العالم الاسلامي .. وكنت كلما رأيته واستمعت اليه يخوض في كل فن وعلم ويتحدث في كل موضوع حديث العالم البصير ورأيت الكبر وبوادر الضعف يتغلبان على جسمه النحيل تمثلت الخسارة الكبيرة .. وحين رجع الى وطنه بعد ان نال استقلاله كنت اتابع السؤال عنه ممن يأتي من هناك .. حتى جاءتنا الأنباء بوفاته في يوم ٢٠ المحرم ١٣٨٥ هـ ، ٢١ مايو ١٩٦٥ م ، بعد أن ترك وراءه تاريخا ضخما من الكفاح والجهاد في سبيل دينه ووطنه .. وقد شيعت جنازته الى مقره الأخير في احتفال رسمي وشعبي مهيب وكان مما ألقى على قبره كلمة للشيخ محمد خير الدين ، ترى « الوعي الاسلامي » من حق الفقيد عليها وحق عارفيه ومقدري جهاده أن تسجلها هنا عن جريدة « الشعب الجزائرية » تحية لذكراه . رحمه الله ، وطيب ثراه ، وجزاه خير ما يجزى به العاملين .. قال الشيخ محمد خير الدين تحت عنوان .

هوى آخر نجم من الرعيل الأول

شيعت الجزائر يوم الجمعة ١٩٦٥/٥/٢١ عالما جليلا من أعظم واجل علمائها الذين سخروا علمهم وفكرهم وقلمهم لخدمتها وخدمة ثقافتها وقوميتها حوالي نصف قرن من الزمان .. ذلكم هو محمد البشير الابراهيمي رفيق ابن باديس ، وصحبه في الكفاح والنضال ، وخليفته في قيادة الحركة الاصلاحية والتعليمية العربية في الجزائر منذ الربع الاول من هذا القرن حتى قيام ثورة اول نوفمبر في عام ١٩٥٤ .

لقد اختطفت يد المنون منا فضيلة الامام الابراهيمي وغاب الى الابد بجسمه وجثمانه ، ولكنه بالرغم من ذلك سوف يبقى حيا بيننا بروحه وافكاره حيا بيننا بمبادئه وارائه الجريئة الهادية، حيا بيننا بالمثل التي آمن بها ودعا اليها ، وناضل في سبيل تحقيقها طيلة حياته المديدة .

ان الشيخ البشير الابراهيمي ليس رجلا عاديا في تاريخنا المعاصر تموت بموته كل ماله من ذكريات وآثار او مآثر ، كلا ، فالشيخ البشير ككل عظيم وكل شريف ، وكل مجاهد قدس المثل الانسانية العليا ، ووهب نفسه وروحه فداء في سبيلها لن يغيب اذا غاب عن الناس الا بجسمه وشكله فقط اما روحه ، اما اعماله ، اما جهاده ونضاله ، فهي باقية حية ما دام في الارض اناس يقدسون الفضيلة ، ويؤمنون بالقيم الانسانية العليا .

انه سيبقى حيا بيننا باعماله الضخمة العظيمة في سبيل هذا الشعب وحيا بيننا بجهاده المتواصل

طيلة نصف قرن من اجل عروبة هذا الشعب ودينه ولغته وقوميته وتاريخه العريق المجيد .

سيبقى الابراهيمي حيا بيننا بما تركه فى طول هذا الوطن وعرضه ، سيبقى حيا بيننا بالافكار التي ناضل من اجل نشرها وسط هذا الشعب بدروسه فى التفسير والحديث ، ووعظه فى المساجد والمدارس ، ومقالاته فى الصحف والمجلات ، وخطبه البليغة المؤثرة فى النوادى ، ووسط الجموع الحاشدة فى كل مدينة وقرية من مدن وقرى هذا الوطن .

سيبقى حيا بيننا بما تركه من ورائه من تراث فكرى وعلمي وادبي غزير تمثل فى آلاف الابحاث والدراسات والمقالات المنشورة فى الصحف والمجلات التي كان يديرها او يشرف عليها او يساهم فى تحريرها .

سيبقى حيا بيننا بعشرات المدارس العربية التي اسستها الجمعية التي كان يرأسها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعد وفاة صديقه ورفيقه فى الجهاد والنضال الامام عبد الحميد بن باديس فى عام ١٩٤٠ حتى قامت فرنسا بتجميد نشاط هذه الجمعية بعد قيام الثورة فى عام ١٩٥٤ ، تلك المدارس التي عملت على المحافظة على لغة هذا الشعب وبعثها من جديد فى هذا الوطن بعد ان عمل الاستعمار اكثر من قرن على محاولة قبرها الى الابد .

سيبقى حيا بيننا بروحه الكبيرة الثائرة التي غمرها حب هذا الوطن وحب كل ما له من قيم وفضائل وامجاد وتراث عربي عريق ، فعاش مكافحا من اجل تحريره من النير الاستعمارى ومكافحا من اجل الدفاع عن هذه القيم والمثل العربية والاسلامية بقلمه وعمله ، ومكانته العظيمة لدى الجماهير ولم تهدأ له روح ، ولم يستقر به مطاف حتى رفرفت راية الحرية والاستقلال عالية خفاقة فوق ربوع هذا الوطن وجباله ووهاده ، واصبحت العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، واصبح الدين الاسلامي هو دين الدولة الرسمي ، وعادت الجزائر الثائرة المؤمنة الى ارومتها العربية من جديد . بعد هزيمة الاستعمار واندحاره الى الابد فى بلادنا .

وكان الشيخ البشير الابراهيمي قرير العين بكل هذه الاحلام التي تحققت وكل هذه الاماني التي تجسمت ، وبكل هذه الآمال التي اصبحت واقعا حيا تعيشه الجزائر فى حياتها اليومية .

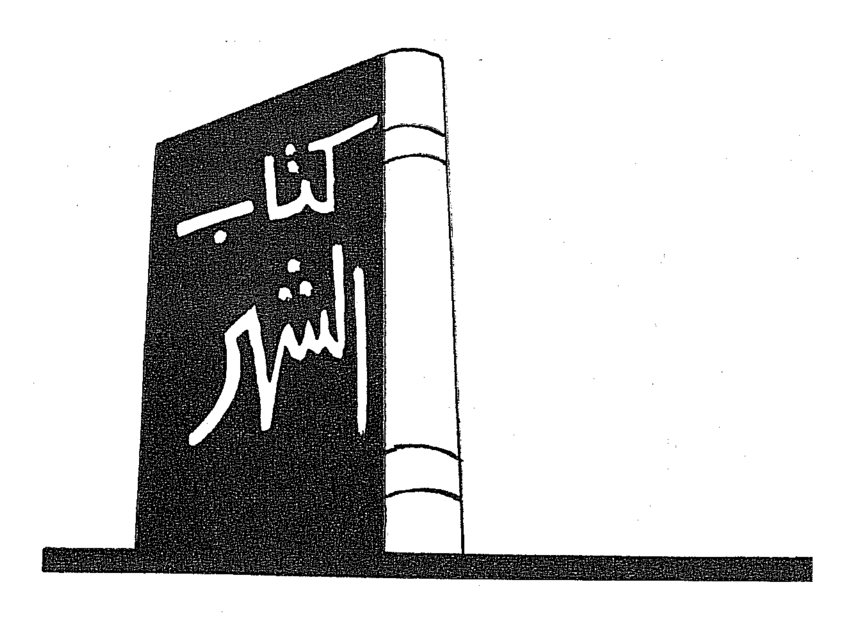
لقد كان فضيلة الامام الشيخ البشير الابراهيمي قرير العين بكل ذلك لانه عاش حتى رأى بنفسه تحقيق ما كان خصومه ومناوئوه يستكثرون عليه ان يطالب به هذا الشعب ، ويتعب من اجله ويضحى فى سبيله بكل غال ونفيس وهو شيخ كبير قد ناهز السبعين من العمر .

لقد رأى الاستقلال . ورأى الحرية ورأى رحيل الاستعمار من الجزائر الى الابد .

وبعد ان رأى كل ذلك بعينيه وعاشه طيلة ثلاث سنوات اسلم روحه الى بارئها وهو مطمئن بأن للبيت ربا يحميه وان للسفينة قادة مهرة يقودونها الى شاطىء النجاة والامان ، وان للبلاد جيشا وحزبا وحكومة تسهر على امنها ورفاهيتها وتقدمها وازدهارها من كل مستعمر وكل طامع ، وكل غادر .

لقد مات بموت فضيلة الامام الشيخ البشير الابراهيمي احد قادة البعث العربي الاسلامي فى مشرق الوطن العربي ومغربه .

وليست هذه الكلمة القصيرة تعزية فى وفاة الامام الراحل وتعديد خصاله واعماله فهي اقل من ان تفي بها وانما هي دمعة وفاء وحرقة قلب ونفثة قلم افجعها هول وفاة المصاب الجلل الذى حل بهذا الوطن فى فقد احد علمائه الاجلاء المجاهدين سطرها باستعجال ريثما تزول الصدمة ويخف الوطء كي يكتب عن الامام الابراهيمي الدراسة التي تليق بمكانته وتاريخه وجهاده .



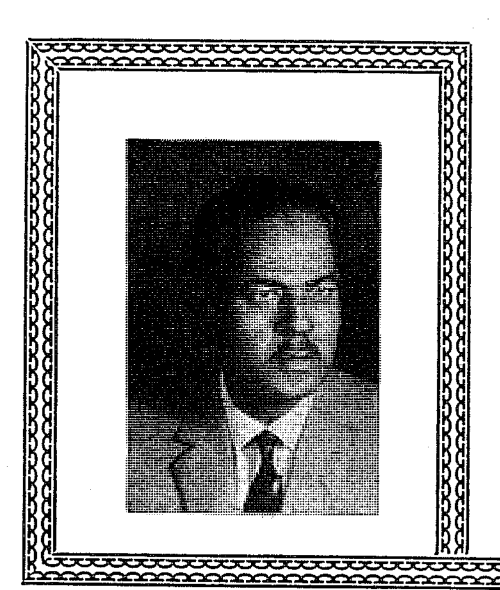
القصص القرآني في منطوقه ومفهومه

الكتاب يقع فى «٤٢٦» صفحة من القطع الكبير ، مقدمة فى عشر صفحات، ومدخل للبحث فى ست وعشرين صفحة ، وقد قدم المؤلف دراسة بعد ذلك فى تسعة ابواب تناول فيها : القصة ومفهومها فى القرآن، عناصر القصة فى القرآن، الحركة والحوار ، القوى الغيبية فى القصص القرآنى ، القدر وحسابه فى القصص القرآنى ، الصراع فى القصص القرآنى ، التكرار فى القصص القرآنى ، الرمز والقصص القرآنى ، ثم منهج فى دراسة القصة وتعقيبات على القصة .

القصة أول رفيق للانسان

اشار المؤلف فى مقدمة البحث الى أن القصة كانت أول رفيق صحب الانسان منذ خطواته الاولى على هذا الكوكب الارضى كما كانت أقدم ما عرف ذلك الانسان من تصورات عقله وطوارق احلامه ، وهواجس رؤاه ، والدين فى صورته الاولى لم يكن سوى القصة أو الحكاية أو ممثالة على مسرح الحياة فى خطوات الانسان الاول ، وفى خطواته ووساوسه وأوهامه ، ويمكننا أن ندرك بعض المرامى التى قصد اليها القرآن الكريم من هذا القصص الكثير ، ففى هذا القصص يلتقى الانسان مع أقوى دوافعه وعواطفه التى ولدت فى ضباب طفولته .

كما أشار المؤلف أيضا الى أن دراسته محاولة للكشف عن أسلوب من أساليب القرآن فى تبليغ الرسالة السماوية ، **فالقصص هو أحد الاساليب التى حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه فى هذا شأن**



تأليف عبد الكريم الخطيب

نقد وتعريف محمد عبد الله السمان

ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز والوعد والوعيد والتهديد ... وغيرها .

واقعية الصور الادبية

وفى مدخل المؤلف الى الدراسة تناول نقطتين :

الاولى : القصة فى الحياة العربية ، واشار الى أن حياة الامة العربية وحظها من الاحداث ، والفواجع كان موفورا — كانت قصة طويلة مثيرة فى صراعها العنيف المرير معالحياة ومطالب **العيش من ناحية ، وفى صراعها الدامى** المتصل فيما بين أفرادها وجماعاتها من ناحية اخرى .

والنقطة الاخرى : القصة فى الادب العربي، واشار المؤلف الى واقعية الصور الادبية عند العرب سواء ما كان منها **شعرا أم نثرا ، وذكر أن هناك اقتراحين لا ثالث لهما . فاما أن يكون الادبالعربى** قد اهتم بالخيال فى دور مبكر من حياته دور الرؤى والاحلام فكان هناك شعر مفرق فى الخيال يصور المواقع الحربية على نحو ما فعل شعراء اليونان ، ولكن هذا الشعر قد ذهب به النسيان ، وهذا الافتراض لم يقم له شاهد من شواهد التاريخ . واما أن الطبيعة العربية لم تكن تتقبل احلام اليقظة هذه ، حتى فى دور طفولتها الاولى وانها كانت فى وعي دائم تحت ظروف الحياة القاسية ، وهذا **الافتراض مال اليه المؤلف واخذ به فى** التعليل لخلو الادب العربى من قصص الاساطير ، وشعر الملاحم .

بناء القصة القرآنية

فى الباب الاول تناول المؤلف القصة ومفهومها فى القرآن ، **فالقصص القرآني كله عرض لاحداث تاريخية مضى بها الزمن ، وهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدى التاريخ من وثائق ، المؤلف فى دراسته هنا للقصة القرآنية** لا يقف كثيرا عند هذه الحقيقة — **يعنى** واقعية القصص القرآنى — من حيث **أنها** ذات قيمة كبيرة فىالدراسات التاريخية، لان الذى يعنيه منها اولا ، ذلك الاثر الذى لها فى الجو الفني للقصة ، **بمعنى** ان القصة الادبية فى القديم والحديث لم

تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، بل اعتمدت على عنصر الخيال الذى من شأنه أن يكسو الاحداث بألوان غير ألوانها ، وهناك سؤال : هل اذا اعتمدت القصة اعتمادا كليا على الحقيقة المطلقة — كما فى القرآن — يمكن أن تكون قصة بالمعنى المفهوم للقصة ؟ وان المؤلف أرجأ الاجابة للصفحات التالية ، الا انه اشار الى أنه من المقرر أن القصة فى القرآن بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة التى لا يطوف بجمالها طائف من خيال ، ولا يطرقها طارق منه ، ثم هى مع هذا قصة ، حيث سمى القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصصا : **« نحن نقص عليك أحسن القصص » « ان هذا لهو القصص الحق »** .

عناصر القصة القرآنية وحركتها

وفى البابين : الثانى والثالث ، تناول المؤلف عناصر القصة فى القرآن من حيث القالب والمضمون واسلوب العرض ، والزمان والمكان والاسماء والمسميات ، والمرأة فى القصص القرآنى .

كما تناول الحركة فى القصة بوجه عام ، فهي أعم من أن تكون حركة مادية، ينتقل بها أشخاص القصة من مكان الى مكان ، أو تختفى شخصية لتحل مكانها أخرى ، اما الحركة فى القصة القرآنية فالذى لا ريب فيه أن القصص القرآنى يستخدم الحركة استخداما لم تستطع اللغة — اى لغة — أن تبلغ شيئا مما بلغه القرآن فى هذا المجال ، فهو يحرك الاحداث من أعماقها فتتجه الى غايتها اتجاه السهم الى الرمية ، ذلك ان القرآن يمسك بها من جميع أطرافها ويستولى على كيانها كله فلا يكون هناك تخلخل بين ظاهر الشخصية وباطنها .

القوى الغيبية فى القصص القرآنى

وفى البابين الرابع والخامس : تحدث المؤلف عن القوى الغيبية فى القصص القرآني ، فناقش قضية المعجزات والخوارق ، فالمعلوم أنها دخلت القصة، وليست من تدبير الانسان ولا من عمل الطبيعة ، وانما هي من تدبير الله وتقديره ، ولهذا فان هذا العنصر يدخل **دخولا مفاجئا مباغتا لا يتوقعه أحد ممن** يشتركون فى الصراع المحتدم على مسرح الاحداث ، وان صدق الحدث الذى **تحمله المعجزة معها وواقعيته ، هى** التى تجمع الناس عليه ، وتمسك بهم ليشهدوه .

كما تحدث المؤلف عن النظم القرآنى ، فهو فى ذاته قوة غيبية ، أشبه بتلك القوى الحسية التى نشهدها فى الحدث الاعجازى ، ذلك لان نظم القرآن جاء على صورة معجزة متحدية فى مجال الكلمة ، وفى مقام البلاغة والبيان .. بالاسلوب الكلامي .

كما تناول المؤلف ، القدر وحسابه فى القصص القرآنى ، فأشار الى أن أبرز صورة يلتزم فيها القصص القرآنى رعاية الاصول التى قامت عليها الشريعة الاسلامية ، هى التى تحتكم الى القدر على الوجه الذى صورته له ، وأقامت مفهومه عليه ، ومنطقة القدر تتسع وتضيق حسب ما عند الناس من علم ومعرفة ، ومع هذا فستظل هناك منطقة فسيحة للقدر ، لا يستطيع الانسان أن يرى فيها رؤية كاشفة مهما بلغ من معرفة .

أسرار التكرار فى القرآن

وفى البابين : السادس والسابع ، تناول المؤلف الصراع فى القصص

القرآنى ، وأثر القرآن فى هذا الصراع ، كما تناول التكرار فى قصص القرآن ، فناقش أصحاب الاهواء الذين وجدوا فى التكرار مدخلا ملتويا للنيل من البلاغة القرآنية ، وأشار الى ان هناك أسرارا كامنة وراء هذا التكرار، فكل مرة تعرض فيها القصة تكشف عنجانب منجوانبها، أو تجسم صورة من صورها .. الامر الذى لا يمكن أن يتم فى عرض واحد مستقل .

مع الفن القصصى فى القرآن

وتعرض المؤلف لكتاب « الفنالقصصى فى القرآن » للدكتور محمد أحمد خلف الله ، الذى تناول قصص القرآن تناوله للنصوص الادبية ، وحكم فيه مقاييس الفن ، والحقه بالقصص الاسطورى ، أو التمثيلي دون اعتبار أن القرآن كلمات الله تجمع الى الصدق المطلق الجمال المطلق ، وان ما فى آيات الله من جمال ، انما هو جمال الصدق لا جمال الصنعة وتهاويل الفن ...

دفع الرمزية

وفى البابين الاخيرين: الثامن والتاسع، ناقش أصحاب الرمزية الذين يحاولون دفع الرمزية الى ساحة القرآن ، وهي باطل الاباطيل ، من حيث أنها فى ذاتها لا تصلح أن يستقيم عليها أى فن من فنون القول، لانها لا تعترف للغة بمدلول كلماتها ، ومفهوم أساليبها .

منهج فى دراسة القصة

وعرض المؤلف بعد ذلك لمنهج فى دراسة القصة القرآنية ، فى وقفات مع قصة آدم وخروجه من الجنة ، وختم الدراسة بتعقيبات على القصة ، تناولت آدم ومادة خلقه ، والانسان وهل هو مخلوق سماوى أو أرضى ، والقرآن وخلق آدم ثم الشجرة التى أكل منها والجنة التى أهبط منها .

ملاحظات

وبعد :

فما من شك فى أن المؤلف الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، قد قدم لنا دراسة ممتعة ، وعلى جانب من الدقة والخطورة ، وهو فى دراسته صاحب منهج ، وصاحب رأى أيضا ، لا يكتفي بأن يستنير بآراء الاقدمين ، ولكنه يدلى برأى جديد ، لاثبات وجوده .

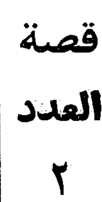
ولكنى كنت أود :

أولا : أن يركز عناصر القضية التى يتناولها كمدخل لها بدل أن يبذل معظم جهده فى بسط عام للقضية تكاد تختفى مع هذا البسط حيثيات حكمه فى القضية نفسها .

ثانيا : فى محاولته مثلا للكشف عن أسرار التكرار فى القصص القرآنى وردشبهات أصحاب الاهواء قدم لنا نموذجا من قصة موسى وعرض منها صورا عديدة وكان خيرا لو أنه عرض أكثر من نموذج مكتفيا بتقديم صورة أو اثنتين من كل قصة .

ثالثا : أن بعض تفاسير القرآن المبسطة القت كثيرا من الدخل على القصص القرآني وكانت هذه التفاسير معينا لاصحاب الاهواء على أن يجدوا مدخلا للطعن فى القصص القرآنى ، والعجيب أن المؤلف لم يهتم فى دراسته بما استوعبته كتب التفاسير من اسرائيليات ذهبت بموضع البلاغة من القصة القرآنية وأهدافها من العظة والعبرة .

هذه بعض ملاحظات عابرة ، لا تقلل من أهمية هذه الدراسة التى قدمها لنا المؤلف فى دقة وعمق عن القصص القرآنى .



ملخص ما نشر

كعب بن مالك من كبار المجاهدين ، تثاقل مرة عن صلاة الفجر ، ليلة عرسه ، فعز ذلك على نفس طاهر ، الصبي الذى يرعاه كعب فى بيته بعد استشهاد أبيه ، وعاتبه على تثاقله عن الصلاة . وأحرج كعب، لكنه أعجب بالصبي ... وأثناء ذلك أقبلت خادمته تخبره بـأن رجلا بالباب يطلبه ..



كعب بن مالك

بقلم الأستاذ محمد لبيب البوهي

فأذن له كعب .. وجاء الرجـل ، فألقى فى وقار تحية الاسلام ثم اردف : يا كعب بن مالك ان الجنـة قد فتحت أبوابها اليوم ، اذ أزمع النبي صلى اللـه عليه وسلم خروجا للجهاد فى سبيل‌الله ، وقد دعا كل قادر من المسـلمين الى

الخروج معه ، فهيـا بنا فانهـا ان تكن الشهادة فهي الجنة وان تكن العودة فهي سعادة الدنيا .. ان اليوم يوم الجهاد .. وان الجهاد لذروة سنام الاسلام، لا يناله الا خيار الناس ، كما قال رسول الله ، وكما قال ايضا صلى الله عليه وسـلم عن نفسه « لوددت أن أجاهد في سـبيل الله حتى اقتـل ثم أحيا فأجاهد حتى اقتل ، ثم أحيا فأجاهد حتى أقتل » .. هيا يا كعب لا تدع لحظة واحدة تمر دون ان تسرع الى تلبية نداء الله ... وسكت الرجل قليلا ، ثم استطرد ..

لم اكن أعلم مكان دارك حتى مـررت بها اليوم ، فجئتـك كي تعينني بدابـة وسلاح ، وكي أذكرك بأمر الجهاد ، فقـد امرنا ان يذكّر بعضنا بعضا ، فانالذكرى تنفع المؤمنين ، وامرنا أن نتواصى بالحق وان الجهاد حق وها انذا أوصيك بـه ، واذكرك .. هيا يا كعب بن مالك ضـع يدك في يدي ، ولنذهب على بركة الله ! .

وقام كعب الى الرجل ، فقبله ، فقـد تأثـر باسلوب الكلام ، وان الاسلوب الطيب في الخطاب ليستنهض الهمم ، ويستفز العزائـم ، وصـاح بخادمه يطلب اليه ان يعد راحلتين ، وان يهيء عدة القتال ، ثم اتجه كعب صوب امراته التـي تزوجها بالامس يريد ان يزف اليها بشرى خروجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانهـا بصبرها على فراقه ايام الجهاد انما تنال أجـر الصابرات من المؤمنات ، فنظرت اليه أميمة نظرة تفيض بالحزن العميق ، وقد اخضـلت عيناها بالدمع الذي تكاظمه ، وبان على وجههـا الأسى العظيم ، وراحت تندب سوء حظها ، اذ تزف الى رجل بالأمس ليدعها اليوم .. ورات في ذلـك اهانة لهـا ، وفرارا منها ، وطلبت اليه أن يعيدها قبل ان يذهب الى اهلها ..

واضطرب كعب ، وزاغت منه الأبصار وراح قلبه من الاضطراب يدق دقا عنيفا كأنها دقات الطبول ، فقد كان يحب امراته كل الحب .

وقد كان كعب بن مالك شغوفا بامرأته تلك مأخوذا بهذه اللذة المنهومة التي لـم يتذوقها الا بالأمس - وعز عليه أن يدعها تذهب كما أرادت الى حال سبيلها ، فقام بينه وبين شيطان الفتنة جدل كبـير ، وللشيطان اسلوب رائعفيالتماس المعاذير قال الشيطان في صدره وهو يوسوس له .. ماذا عليك يا كعب لو تخلفت عـن هذه الغزوة .. ؟ الم تذهب مـع النبي في جميع غزواته السابقات .. ؟ الست على استعداد للخروج معه في المـرات القادمات ؟ . اذن فلم العجلـة ، وانت تعلم انك ستعوض في الغد ما يفوتـك اليوم .. ان المسلمين الوفغيرك والوف، ومـا انت الا فـرد واحد ، وان الدنيـا لن تنهار اذا تخلف من المسلمين انسـان محب .. هيا يا كعب .. عد الى هـذا الاعرابي الذي جاء اليوم يطرق بابـك ، فاعتذر اليه بمرضك ، واعنه بدابـة وسلاح ، ودعه يذهب وحـده . وبعد قليل جاء الخادم يعلنانهاعد الراحلتين ، وانه أعد عليهما عدة القتال من ذخـيرة وزاد .. وظل كعب صامتا لا يجيب،ففي صدره أتـون يشتعل مـن الحـيرة .. وحرب مسـتعرة الأوار بـين الاقدام والاحجام ، بين شرف الجهاد ، وبـين هذه المتعة التي تبذلها له امراته الحسناء

وعاد الخادم يقـول .. ايها السـيد بماذا تجيب .. ؟

فتحرك كعب بوجه متجهم ، وسـار مضطرب الخطى ، والشيطان من حوله في كوكبة من اعوانه يزفونه حتى جاء الاعرابي ، فقال لـه كعب : أي صاح .. انما أنا مريض ، فـلا تلمني اذ أتخلف عنك .. اذهب ، فاعتذر بمرضي عند رسول الله .

وحملق طاهر الفتى اليعقوبي في وجه صاحبه كعب ، ثم فاضت عيناه بالدموع ، اذ أدرك الصغير هذه الهوة من النار التي يوشك أن يتردى فيهـا

صاحبه .. لقد تخلف عن النبي ويا لذلك من ذنب عظيم !

وأطرق الأعرابي ، ولم يجب ، وذهب يضرب في الارض وحده يحث الخطا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونوره يسعى بين يديه ، وملائكة السماء تهلل من حوله وتكبر .

ونظر كعب بن مالك ، فرأى الفتى الصغير يهرول عنه مسرعا الى الأعرابي ليلحق به في طريق الجهاد .

فاغضى كعب خجلا وحياء ، وهو يغوص الى أذنيه في عاره ، وخيل اليه أنه يسمع من بعيد ضحكات عريضة مجهولة لا يدرى مصدرها ، لأنها كانت ضحكات الشيطان .

***

مرت الأيام تباعا سراعا ، بعد أن خرج الرجال والفتيان الى الجهاد ، ولم يبق من الناس الا الغلمان والمرضى والعجزة والنساء ، وهؤلاء جميعا يقضون بياض نهارهم وسواد ليلهم في صلاة دائمة ، ودعاء متصل لله سبحانه أن ينصر جنده، ويعلى بهم كلمته ، ليعيش الناس جميعا في ظل الدين الحنيف الحياة السعيدة الحقة ، فان السعادة سعادة القلوب والأرواح ، وأما الذين يعيشون من أجل لذاتهم وشهواتهم انما يمتعون أجسادا مصيرها حتما الى التراب ، ثم ينالهم من ورائها عذاب غليظ .

وخرج كعب بن مالك لبعض حاجته ، فركبه مما رأى عار كبير ، اذ رأى القرى خالية من الرجال ، فلم يصادف فى طريقه الا المرضى والغلمان ، وكان القوم اذ يرونه ينظرون اليه شذرا في ازدراء متهامسين .. .. انظروا ، هذا رجل قوى فيه من الصحة ما يكفى لمصارعة الفيلة ، ثم هو يرضى لنفسه أن يكون قاعدا متخلفا عن رسول الله .. فيا للخزى العظيم .. ويقبل عليه من يعرفه متسائلا : ماذا دهاك يا كعب بن مالك ، انك يا رجل لم تتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ، وانا لا نرى بك مرضا ، ولا نحس عليك بأسا ، فماذا أصابك أيها الرجل الرشيد .. ؟

ولا يجد كعب بن مالك ما يجيب به السائلين ، فهو لا يريد أن يكذبهم مرة أخرى بعد أن كذب على رسول الله ، فيستمر في طريقه صامتا كأنه قطعة من حجر تتحرك في الطريق ، يريد لو يتخذ في الأرض سربا يلوذ به من سخرية الساخرين .

ومر في طريقه ذات يوم بصبية يلعبون فقال قائلهم : أيها الصغار لقد كنتم تبكون اذ أردتم أن تخرجوا مع آباءكم وأجدادكم الى القتال ، فردكم الرسول الكريم ردا كريما ، ودعا لكم بالخير ، وانكم من تخلفكم لصغر سنكم لفي حزن عميق .. هيا انظروا هذا الذى ارتضى لنفسه القعود عن فريضة يتنافس من اجلها الصالحون ، فاذا بالصبية لا يجدون له وقارا ..واذا بالاشقياء منهم يرمونه بالاحجار حتى يضطرونه الى جدار يلوذ به من أذى الصبية فتنقذه من بين يديهم امرأة كانت تعبر الطريق .. ثم اجتمع الصبية حول المرأة يسألونها الدعاء ، ويقبلون يديها ، ويهشون لها ، ويبتسمون .. فقد علموا أنها فقدت زوجها ووحيدها في غزوات سابقات ، فلا غرو اذا اقبل الصبية حولها يستمعون لنصحها ، ويتركون كعب بن مالك في ذله وعاره يستأنف السير .. فذهب يمشى ذليلا لم يغن عنه ماله الكثير ، ولا جاهه العريض ، ولا صيته البعيد ، كان كعب من أكرم الناس حين كان من اتقاهم ، أما وقد أهان نفسه ، فقد صارت على الناس أشد هوانا ، ولم تعد له من كرامة عندهم .

لقد رفعه الله مكانا عليا ، اذ اختار طريق الله وسبيل الرسول ، أما وقد أخلد الى اللذات

والشهوات ، فقد انهارت منزلته . وها هو يحس بخزى لم يشعر به من قبل .. خزى يشمله من قمة رأسه الى أصابع قدميه ، وتصور الشيطان وهو يمشى معه يحف به من أمامه ومن خلفه ، ومن يمين ومن شمال ، يهزأ به ، ويسخر منه .

وفى سيره لم يعد يلقى بالا الى الطريق ، فهو ذاهل عن كل شيء ، حتى انحرف بالرغم منه الى حقل قام على حراسته كلب كبير ، فما راعه الا والكلب يهاجمه ، ويأخذ بتلابيبه ، فاستخلص نفسه منه بجهد جهيد ، وعاد يتفكر فى شأن هذا الكلب القائم على حراسة حقل سيده لا ينى عنه لحظة .. ويرى كعب بن مالك أن الله تعالى قد أقامه كما أقام غيره من المسلمين حارسا على دينه الحنيف ، ولكنه اذ رأى الكفار يريدون بهذا الدين شرا لم يخرج مع الخارجين ليدفع أذاهم ، لقد خان الأمانة بينما هو يرى هذا الكلب لا يخون أمانة صاحبه .. ان الكلب يغار على الحقل أكثر مما يغار هو على دينه ، فيا له من عار .

وعاد الى داره كئيبا حزينا ، واستقبلته امرأته الحسناء بوجه عبوس ، ثم أقبلت عليه تعاتبه .. أراك يا كعب نادما أو كالنادم على أننى قد قمت بينك وبين الخروج مع رسول الله ، وقد صددتك عن واجبك صدودا .. أجبني يا كعب ، أليس هذا ظنك وزعمك .. ؟

قال كعب : أجل أميمة .. انما يراودني هذا الخاطر وبودى لو كنت خرجت مع القوم ، واستجبت لنداء الله والرسول .. فازورت عنه قائلة : لقد بدا لي الآن ضعفك يا كعب ، وإني لأشعر من ضعفك هذا بخزي عظيم .. انك قد أطعتني فى عصيان الله والرسول ، وما يسر المرأة أن يكون رجلها خوار العزيمة ، ينزل عند كل رغبة من رغباتها .. أجل يا كعب ان المرأة قد ترضى بهذا قليلا ، ولكنها تحزن حين تستبين حقائق الأمور ، وترى أن رجلها لم يميز الخبيث من الطيب ، ولم يفرق بين الحق والباطل ، ولم يدرك النافع من الضار ، ان المرأة لا تريد من الرجال الا ذوى البصائر بعواقب الأمور ، فاذا أرادات أن تثنى زوجها عن أمر عظيم قال بكل قوته : لا ثم ذهب يقنعها بالحجة والبرهان .. ان بعض النساء يا كعب كالطفل الصغير ، فالطفل قد يمد أصبعه الى النار وهو لا يدرك خطر ذلك ، بل يظنها لهوا ومسلاة ، فنحن نرده عن ذلك ردا حكيما ، لا نلقى بالا الى صراخه وشكاته ، انما أزلك الشيطان ، فلا تلم يا كعب الا نفسك واعلم أنك بضعفك هذا قد جنيت على دينك وعلى نفسك وعلى رجولتك ، وأضعت ثقتي فيك ، فان من يفرط فى حق الله لحقيق بعد حين أن يفرط فى حق امرأته ، انني أشعر من عملك هذا وتخلفك ذاك بعار كبير .

ونظر كعب فاذا كل شيء يولى عنه ويدبر .. الناس يهجرونه ، والصبية فى الطرقات يحصبونه، وهو يسخر من نفسه ، وهذه أميمة الجميلة الحسناء التي نزل عند رأيها تضمر له الازدراء .. ومرت على ذلك ايام وايام ، وعاد الرسول ومن خرج معه من غزوتهم تلك .. منهم من استشهد فنال أجر الشهداء فى جنات عرضها السموات والارض ، ومنهم من عاد من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر . جهاد النفس ضد شهواتها .

***

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالمسلمين فى مسجده شكرا لله سبحانه اذ نصر عبده ، وأعز جنده ، حين جاء المنافقون صفوفا صفوفا ممن تخلفوا عن النبي يقدمون أعذارا كذابا، ومن عادة هؤلاء أن يجتمعوا كالذباب حول كل صاحب رسالة أو دعوة أو جاه يوالونه فى أوقات السلم والدعة ، ويحيطون به الليل والنهار ما أشرقت له شمس الدنيا ، فاذا بدأت الأحوال تتبدل فان لهم حاسة يتشممون بها ريح الشدائد المقبلة ، فيتخففون من ملازمتهم له ، ويتجنبونه هونا ما ، حتى اذا حلت الشدائد ، وابرقت الأزمات ، اختفوا من الطريق تماما كأنما انشقت الارض فابتلعتهم ، وظلوا فى جحورهم يرقبون الظروف ، فاذا عادت رخاء كما كانت ، برزوا من مكانهم وعادوا سيرتهم الأولى من التملق والاعتذار، وانهم لفلاسفة كبار فى التماس الاعذار ، يبررون بها تخلفهم ويأسفون أشد الاسف لتلك الصعاب الشداد التي أقعدتهم ، ثم يجددون العهود ، ويؤكدونها بأغلظ الايمان على صدقهم وصفاء

نفوسهم ، هؤلاء هم الذين قد تعجبك اقوالهم في الحياة الدنيا ، ويشهدون الله على ما في قلوبهم ، والله يعلم انهم لك من الد الخصام .. وان كعب بن مالك ليرى جموعا منهم في الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه ليعلم أنهم يعتذرون بين يدى النبي باعذار مفتعلة كذاب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بامرهم ، ولكنه كان يتقبل أعذارهم الظاهرة ، ويكل أمرهم الى الله .. وقد جاء أحدهم الى كعب بن مالك يقول : خير لك يا كعب حين تقف بين يدى الرسول أن تدعي المرض ، وان تقسم على ذلك ، وان تتخذني على هذا اذا اردت شهيدا ، كي تفوز بعفو الرسول ، وكي يستغفر لك الله .. فنظر اليه كعب ، واغضى الى الارض دون أن يجيب حتى اذا كان بين يدى الرسول ابتسم له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقربه اليه وسأله عما أقعده ، فارتعش كعب بن مالك ، واضطربت أوصاله ، حتى لكأنه ريشة تضربها الرياح الهوج ، واشتد وجيب قلبه ، وارتفعت ضرباته ، واكتسى وجهه اصفرارا ، وأغضى حياء ، ثم تكلم بصوت خافت هامس مرتجف كأنما يتكلم من جوف بئر سحيق ، قال : **والله يا رسول الله حين دعوتني للجهاد لم يكن احد أشد مني قوة ، ولا أهدأ بالا ولا أكثر مالا ، ولم يكن بي من بأس قريب أو بعيد ، وانما هي نزغة من نزغات الشيطان ، واني لأرى أني قد أتيت منكرا من الفعل ، ولن يخفف عني عذاب النفس وألم الضمير الا أن تأخذني يا رسول الله بعقاب شديد، وأن تجعلني درسا من بعدى لكل من تحدثه نفسه بالجبن والقعود .**

وغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبان في وجهه الغضب ، اذ علم أن تخلف كعب بن مالك لم يكن لعذر قاهر ، ثم أشاح عنه ، ونظر المسلمون الى كعب نظرتهم الى رجل قد أغضب اللهورسوله، ولقيه من المنافقين قوم قالوا له يا كعب ألم نقل لك التمس عند رسول الله عذرا غير ذلك كما فعلنا ، فاعرض عنهم ، وذهب في طريقه كئيبا حزينا يردد : والله ما كان لي أن اكذب على رسول الله مرتين .

وتهامس الناس جميعا بغضب النبي على كعب ابن مالك وعلى اثنين آخرين اعترفا مثله بذنبهما ، فكان القوم اذ يرون كعبا من بعيد يظنونه انسانا آخر ، فاذا تبينوه أعرضوا عنه ، واجتنبوه ، ورمقوه بنظرات الازدراء والتحقير ، اما الصبية ، فكانوا يسيرون خلفه يسخرون منه ، ويضحكون وما ان وصل داره في يومه ذاك وقد ولى النهار حتى لقيته امراته الجميلة الحسناء التي كانت سبب تخلفه وبلائه ، وقد سبقته اليها الشائعات تردد غضب رسول الله من بعلها ، فأشاحت عنه ، وقد تهيات للانصراف قائلة : انك رجل قد باء بغضب من الله ورسوله ، وما كان لي كامرأة مسلمة ان أقيم مع رجل هذا شانه ، انني منصرفة الى اهلي ، وجاء خدمه وأتباعه يتقدمون اليه واحدا بعد واحد يعتذرون عن البقاء الى جوار رجل غضب عليه الله والرسول .. وقام كعب بن مالك في وحدته يصلي ، ودموعه تسيل على وجنتيه من الندم انهارا ، ومرت الأيام بغيضة ثقيلة ينوء بحملها كأنها أحجار ثقال تنحط فوق كاهله حتى وقع بعد ايام فريسة المرض والحمى ، فارسل في طلب الطبيب ، فاعتذر اكثر من طبيب عن مداوة رجل أغضب الله والرسول ... وهجره أهله وجيرانه ، وفر منه أقرب الناس رحما اليه ، فلم يعد له من سبيل الى البقاء في داره ، فاعتزم بيعها والرحيل عنها الى مكان بعيد يجتر احزانه ويتغذى بهمومه .. ويتفرغ للتوبة والندم حتى يأتي أمر الله .

ولكن أحدا لم يرض ان يشترى دار رجل عاص ، ولا أن يتعامل معه ، ولا أن يبيعه شيئا مما يباع ، ومرت أيام وأيام ، وجاء قوم من اليهود يطرقون بابه قائلين: يا كعب بن مالك ، ان قومك ليذيقونك العذاب ألوانا فانت تلقى منهم التحقير صنوفا ، وانك مع هذا لصاحب فضل عليهم ، وصاحب جاه فيهم ولقد تنكر محمد وأصحابه لك ، وانك اذا انضممت

الينا ، فسنجعل منك سيدا ، وسنقيمك زعيما علينا ، وسيكون لك الأمر وعلينا الطاعة ، واذا قام محمد في وجهك حاربناه حتى ننصرك عليه .. فاقبل يا كعب رجاءنا ، فان الدنيا قد جاءت اليك تسعى ، فمد لها يدا لتنال من السعادة الوانا ، فاربد وجه كعب بن مالك ، وقد رأى الهوان يمعن به اسفافا حتى أصبح موضع مساومة أعداء الله ، وأدرك أن الشيطان ما زال يحيك حوله الشباك فطردهم من داره واغلق عليه بابه ، وقضى ليله محموما يبكي حتى اذا جاء الصباح كان مالك قد اعتزم امرا جديدا ، فتخلى عن كل شيء ، وترك كل ماله ، وخرج يهيم على وجهه حتى آوى الى كهف فى الجبل يجتر احزانه .

وامتدت به الايام فى هذا الظلام الكثيف ، وذاب جسده كما تذوب الشمعة من النار ، وشحب لونه ، وزاغت عيناه ، ولم يقو على عناء السهر المتصل ، فأخلد ساعات الى النعاس المضطرب ، فلاحقته الأحلام المخيفة ، لتواصل عذابه فى النوم ، فهو يرى الحيات تطارده ، وهو يفر منها فوق رؤوس الجبال يصرخ صراخا عاليا ، ويرده الصراخ الى اليقظة التي ينهشه فيها ضميره حتى ابيضت عيناه من الحزن ، واضطرب عقله من الهم ، وشفت نفسه من الاستغفار والندم ، وتطهر قلبه بالتوبة الصادقة النصوح ، وانه ليصلى الفجر ذات صباح اذ يسمع صوتا هادئا خافتا يهمس باسمه .. يا كعب بن مالك .. يا كعب بن مالك .. فيجفل ، ويرسل أذنيه مع الريح يتسمع هذا النداء ، وقد ظنه من صنع الشيطان ، فقد كان اللعين يوسوس له احيانا وينصحه بالانتحار خلاصا من هذا العذاب ، يريد ان يهلكه بهذا الاثم الكبير ، فيستعيذ بالله من الشيطان ، ولكن الصوت الخافت لا ينتهى وانما يزداد قوة ووضوحا .

بل ان النداء ليقترن بكلمة اخرى حبيبة الى نفسه يتمناها ، ولو دفع ثمنها حياته .. انه يسمع قائلا يردد .. أبشر أبشر يا كعب .. أبشر .. أبشر .. وينهض مسرعا يندفع الى باب الكهف ينظر فى لهفة يمينا ويسارا ، فيسمع النداء بالبشرى يشتد ويرى شبحا حبيبا مقبلا نحوه .. لقد كانت امه العجوز هي التي اسرعت مهرولة تريد ان تسابق الريح ، فتقع على احجار الجبل ، ولكن الفرحة تدفعها ، فتنهض مبهورة الانفاس ، لتستأنف السير كي تزف البشرى الى ولدها الحبيب وتقدمت اليه باسطة ذراعيها تمسح بوجهه الناحل المريض دمعها الغزير الهتون ، ومن خلفها قوم من صحابه جاءوا الى الجبل أفواجا يزفون اليه بشرى قبول توبته والعفو عنه ، وأن الله تعالى قد أنزل فيه ، وفى هلال بن أمية ومرارة بن الربيع قرآنا خالدا ما دامت السموات والارض ... (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) .

تلك قصة رجل عرف كيف يدفع الشيطان عن نفسه ويعود الى طريق الله .



« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو في ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

العقيقة

السؤال :

لي أربعة أولاد ، لم أعق عن واحد منهم ، وأريد أن أعرف العقيقة وحكمها ، وهل يجب علي أن أعق عنهم بعد ما كبروا واذا لم أفعل فهل يخشى عليهم من ذلك .

الاجابة :

العقيقة هي الذبيحة التي يتقرب بها أهل المولود بمناسبة ولادته الى الله عزل وجل ، شكرا له على هذه النعمة الكبرى التي أنعم بها عليهم ، واعلانا للناس بهذا النبأ السعيد ، وتعبيرا عن الفرحة التي غمرت قلوب الابوين والاقارب والمحبين .

والدليل على مشروعيتها قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، ويماط عنه الاذى » .. وجمهور الائمة رضوان الله عليهم يرون أن العقيقة سنة ، وليست بفرض ، وذهب الامام أحمد وأبو حنيفة الى انها ليست فرضا ولا سنة ، ولكنها تطوع ومباحة .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن العقيقة : « لا أحب العقوق ومن ولد له ولد ، فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل » .

ولقد كانت هذه العادة موجودة في الجاهلية ، فاستحسنها الاسلام ، وأدخل عليها شيئا من التعديل وكان يلطخ بدمها رأس الطفل ، فعمد الاسلام الى عمل أدعى الى النظافة وأرفق بالمساكين .. فسن حلق شعر الطفل يوم السابع والتصدق بزنته فضة ، عن أبي بريدة قال : كنا في الجاهلية اذا ولد لاحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها ، فلما جاء الاسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران . وروى الامام مالك في الموطأ أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقت شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، وتصدقت بزنة ذلك فضة .

والصحيح أنه يعق عن الذكر والانثى ، ويتأدى أصل السنة عن الغلام بشاة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا . ولا يجوز للولي ان يعق من مال اليتيم لان العقيقة تبرع وهو ممنوع من مال الصغير . ووقت ذبحها هو وقت الاضحية ، وهو ضحى اليوم السابع من الولادة . ويجزىء فيها ما يجزىء في الاضحية شاة على أن تكون خالية من العيوب (يهدى منها الثلث الى الاقارب والمحبين ويتصدق بالثلث على الفقراء والمساكين والثلث الباقي لاهل المولود) . ويسن طبخها في بعض المذاهب كسائر الولائم بخلاف الاضحية لما روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنه السنة .

واذا عرفنا ذلك تبين لنا أن العقيقة سنة للقادر عليها ، ومحددة باليوم السابع من ولادة الطفل .. واذا كان الوقت قد فات فلا موجب لفعلها ، وتبين كذلك أنها قربة الى الله ، وأن تركها لا يضر صاحبها بشيء ما في نفسه أو بدنه .

الشغار

السؤال :

هل يجوز لأحد أن يزوج ابنته أو اخته لآخر على أن يزوجه ابنته أو اخته ، وليس بينهما صداق ؟

الاجابة :

هذه المسالة تسمى بنكاح الشغار .. وهو منهي عنه ، ولا يجوز باجماع العلماء ، فقد صح النهي عنه بأحاديث كثيرة . منها ما روى في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

« لا شغار فى الاسلام » وفى حديث ابن عمر ، الشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس فيهما صداق .

وفى حديث معاوية - رضي الله عنه - أن العباس بن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - زوج عبد الرحمن بن الحكم ابنته ، وزوجه عبد الرحمن ابنته . فكتب معاوية الى مروان يأمره بالتفريق بينهما ، وقال « هذا الشغار الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وجمهور الائمة يرى أن هذا الزواج باطل ، لأن الأصل فى النساء التحريم الا ما أحله الله بشروطه ، أما الأحناف فذهبوا الى صحة العقد ولكن يجب لكل واحدة منهما مهر المثل .. والسبب فى النهي جعل كل واحد من العقدين شرطا فى الآخر وجعل كل واحدة منهما مهرا للاخرى ، فلا يرجع المهر اليها بل يعود الى وليها . وهذا ظلم لكل واحدة من المرأتين ، واخلاء لزواجها عن مهر تنتفع به .. وهذا كله اذا لم يكن لكل منهما صداق ، وكانت كل واحدة منهما مهرا للاخرى . أما اذا سمى لكل منهما مهر فلا شيء فى هذا الزواج . وبهذا تظهر حكمة النهي .

من يملك الصداق

السؤال :

هل يجوز للأب ان يأخذ صداق ابنته كله أو بعضه لنفسه دون أن يعطيها اياه ؟

الاجابة :

ان صداق المرأة ملك لها وحدها ، وليس لأحد حق فيه . ولها الحق فى أن تتصرف فيه كيف تشاء بحكم أن الشرع أباح لها حرية التملك والتصرف . فاذا رأت أن تسهم به أو ببعضه فى تأثيث بيت الزوجية كان اسهاما مشكورا ، وليس واجبا عليها الا على رأى الامام مالك .

واذا كان بعض الآباء يعلل أخذ صداق ابنته بأن ذلك فى مقابل تربيتها فالواقع أن هذا التعليل لا سند له .. وتربية الأولاد سواء اكانوا ذكورا أم أناثا أمر تفرضه الشريعة على الآباء وتحتمه الطبيعة وتوجبه الفريزة والعاطفة . والا فأى مقابل لتربية الذكور ؟ ولماذا نريد أن نأخذ أجرا فى تربية البنت دون الابن ؟ بل المعروف الآن ان الأب هو الذى يدفع لابنه صداق خطيبته من جيبه وبطيب خاطر .

فالصداق حق للمرأة وعطية ، ولا يجوز لأحد من الأولياء أو الأزواج أخذه أو أخذ شيء منه الا برضاها والا اذا طابت نفسها بذلك ، والله تبارك وتعالى يقول (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئا) قال بعض المفسرين وهذا الخطاب يجوز أن يكون للآباء ويجوز أن يكون للأزواج ويجوز أن يكون للمسلمين عموما .

من المسئول ؟

ورد الى المجلة سؤال من السيد / عبد الله الوحيدى بالهفوف بالسعودية يقول فيه :

ان لباس المرأة القصير مخالف للشرع فمن المسئول عن ذلك وهل يطلق الرجل زوجته اذا نصحها ولم تمتثل مع العلم بأن لها أولادا منه ؟

الاجابة :

الجانب الاكبر من الاثم يقع على المرأة المخالفة باعتبارها مكلفة ، ولا شك أن الرجل بسكوته على هذه المخالفة يصبح شريكا للمرأة فى الاثم ومن الواجب عليه أن يتخذ كل الوسائل الممكنة لارجاعها الى حكم الشريعة من نصح وزجر .. الخ ..

ولم تطلب الشريعة من الزوج أن يطلق زوجته لانها وقعت فى معصية السفور .. بل تأمره أن يأخذها بالرفق والاقناع بأن رضا الله خير وأولى من رضا الناس ومسايرتهم فى المعاصي ولا سيما اذا كان له منها أولاد فان الطلاق فى هذه الحالة يترتب عليه من المضار لهما وللاولاد والمجتمع اكثر مما يترتب على الملابس القصيرة ومن القواعد العامة فى الشريعة أن الضرر لا يزال بالضرر .

على أن هذه المسئولية الفردية على الزوج لا تخلى الحاكم المسلم من مسئوليته تجاه أوامر الشريعة لان المفروض فى الحاكم أن يرعى حدود الله وتعاليمه ويعمل على تنفيذها فى رعيته ، كما يعمل على تنفيذ القوانين التي تسنها الدولة . فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. والامام راع ومسئول عن رعيته ..



بريد « الوعي الاسلامي » زاخر بشتى المقالات والبحوث ،والدراسات التي تقاطرت على المجلة من كافة انحاء العالم الاسلامي .

وانها لبادرة طيبة ، أكدت المعنى الاسلامي العميق الذى يوحد قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها .

ويسرنا ان نستعرض مع الاخوة القراء ، مقتطفات من بعض الرسائل التي وردت الى المجلة ... ونعتذر للسادة الذين لم نستطع فى هذا المجال الضيق تقديم رسائلهم معربين لهم عن بالغ شكرنا وتقديرنا وأملنا كبير فى ان تكون « الوعي الاسلامي » عند حسن ظن الجميع بها

بعث السيد الحاج عبد الحميد نعمان سفير الجمهورية العراقية بالكويت برسالة رقيقة نشكره على تمنياته الطيبة ونرجو أن نكون عند حسن ظنه ، قال سيادته :

« تلقيت بمزيد الشكر هديتكم الثمينة مجلة الوعي الاسلامي ، قرأتها بامعان ، فوجدتها طافحة بالبحوث المفيدة والتوجيهات الصافية السليمة بأسلوب أدبى رائع فأهنئكم ... داعيا الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيديكم الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين وأمتنا العربية المجيدة » .

يقول الاستاذ احمد ابو القاسم ابو فارس بالجامعة الاسلامية بليبيا بمناسبة صدور مجلة الوعي الاسلامي .

« انها انطلاقة كبرى فى محيط الثقافة الاسلامية والبلاغة القرآنية ونشر الدعوة الاسلامية وصورة رائعة فى مجال الأدب والحكمة ، ونور ساطع ينير ويقضي على كل انحراف ويقوم كل اعوجاج ، فالى الامام وسيروا على بركة الله » .

يقول الاستاذ الكبير السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية :ـ

« لا شك أن نشر الوعي الاسلامي والتوجيه الديني الصحيح هو خير أداة لتهذيب السلوك الفردى والجماعى ، وقلع جذور الفساد من المجتمع .

والخطوة المباركة التى تقوم بها ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الاوقاف الجليلة فى دولة الكويت تبعث على كثير من السرور والامل .

ونأمل من الهيئة المشرفة على المجلة . أن تحاول دائما أن يكون سير المجلة توجيها اسلاميا خالصا ، وتجند امكانياتها الفكرية لمواجهة الدعوات غير الاسلامية والفئات التى تحاول ان تقضي على أصول العقيدة والفكر الاسلامي ....

وستحاول « جامعة النجف الدينية » أن تقوم بنصيبها فى هذا المجال ... ونكرر الدعاء لكم بالتوفيق والسداد .. والسلام عليكم » .

ويقول الاستاذ الفاضل البهى الخولى مراقب عام الدعوة والارشاد سابقا بوزارة الاوقاف المصرية : ـ

« انه مما يسر كل مسلم أن يظهر فى كل أفق اسلامي ضــوء من كتاب الله ينير السـبيل ، ويحيي القلب ، ويقدم للنفوس زادها الحق من المعرفة والعبرة .. لـذا سرني أن تصدر وزارة الأوقاف بالكويت مجلة اسلامية فى البلد الكريم ، تذكر بالحق وتدعو اليه ..

وأســأل الله تعالى أن يؤيد جهودكم فى اعلاء كلمته . وأن يوفق قـادة الكويت العزيز الى ما فيه نفع العروبة والاسلام فى الكويت وخارجه . والسلام عليكم » .

ومن رســالة بعث بها الدكتور محمد عبد الله العربي عميد معهد الدراســات الاسلامية بالقاهرة يقول فيها : ـ

« اني ليسعدني أن تصدر وزارة الأوقاف بدولة الكويت مجلة اسلامية شهرية تعنى بشؤون الثقافة الاسلامية فى شتى نواحيها على مسـتوى أصيل ورفيع . فان عالمنا الاسلامي فى حاجة ماسة الى مزيد من أدوات الاعلام فى نطاق الهداية الاسلامية .

بل ان عالمنا المعاصر ـ الذى يضــطرب بين مذاهب وضــعية تنكرت للهـداية الالهية ـ فى أشد الحاجة الى ابراز التعاليم الاسلامية لتنقذه من الهاوية التي ينحدر اليها ، ولتقوده الى شاطىء الأمن والسلام ، ثم لتنقذ أبناءنا من الغزو الثقافي الدخيل .

واني ليسعدني أن اسهم فى تزويد مجلتكم ببحوث شهرية فى هذا المجال ، كما اني على استعداد لتلبية ما يعن لكم من اقتراحات فيه » .

وفى رسالة بعث بها الاستاذ عبد الله زكريا الأنصارى الملحق الثقافي بســفارة الكويت بالقاهرة يقول : ـ

« لا شك ان توجيها ثقافيا اسلاميا ، سليما من البدع التي كثيرا مـا يختبىء وراءها دعـاة الاصلاح لتضليل الناس والهائهم عن الأغراض الشخصية الخبيثة التي يرمون اليهـا ، لا شـك أن توجيها من هذا النوع سيساعد على توعية الناس فى الكويت بحيث تتميز الخبيث من الطيب ، لا سيما فى هذا البلد الذى اخذت فيه المـادة تطغى بشكل مخيف » .

ويقول الاستاذ محمد أحمد بمدرسة الرازى بالكويت : ـ

« لا شك أن اصدار مجلة دينية شهرية ثقافية لهو حدث يدعو للاعتزاز والفخر ، خاصة ونحن فى ظرف اكثر ما نحتاج فيه الى ثقافة دينية أصيلة تقف صامدة لمواجهة تيارات الالحاد والاباحية والكفر ، هذه التيارات التي تريد أن تعصف بالاسلام . ولكن الاسلام نور لن تطفئه قوى الظلام مجتمعة » .

ويقول الاستاذ محمد علي ضناوى فى رسالة بعث بها من طرابلس ـ لبنان : ـ

« فقد سرني اصدار مجلة اسلامية تهتم بقضايا الفكر على مستوى رفيع وأصيل . والحقيقة أن العرب والمسلمين فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخهم ، بامس الحاجة الى عمل فكري كهذا العمل يخدم قضاياهم فى الاهتداء الى ما اختلف فيه الحق . ولعل ابرز ما فى العمل أنه يصدر عن مصدر رسمي فى دولة الكويت العربية ، وانها لسنة حسنة نرجو أن تتبعها بقية الوزارات فى العالمين العربي والاسلامي .

وانني اذ اقدر هذه الخطوة المباركة ، ادعو الله العلي القدير ان يوفقكم فى اصدارها ، ويؤتي ثمارها ، ويجعلها منارة هدى وارشاد ، ويبارك لكم فى جهودكم ويجزيكم عن دينه خير الثواب » .



* أصدر الدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد بالجمهورية العربية المتحدة قرارا يحظر فيه حظرا تاما أن يتضمن أى عمل فني في المسرح أو السينما أو التلفزيون أو الاذاعة تناول رجال الدين أو اظهارهم في صورة غير لائقة أو عرض الشعائر الدينية على نحو لا يتوفر فيه الاحترام .

– شكرا .

* تم ترجمة بعض كتب الاستاذ سيد قطب الى اللغة التركية مثل كتاب (هذا الدين) وكتاب (العدالة الاجتماعية) كما ترجمت بعض مؤلفات الأستاذ ابى الأعلى المودودي مثل كتاب « نظام الحياة في الاسلام » وكتاب « الدين الحق » ، و « الربا » ، و «الحجاب» ، و « تفسير سورة النور » بالاضافة الى ترجمة كتاب « شبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب ، و « الاسلام دين ودولة » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ، وكتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للاستاذ ابى الحسن الندى .

– وعي اسلامي مشكور نرجو له الاطراد والازدهار ..

* تتخذ وزارة التربية في الكويت العدة لانشاء تفتيش خاص بالدين في مدارسها زيادة في العناية بدراسته .

– اتجاه أصيل نرجو أن يتم في أول السنة الدراسية القادمة .

* تبرعت دولة الكويت بمبلغ ٢٠ الف دينار لبناء مركز اسلامي في مدينة « مانيلا » عاصمة الفيلبين .

* أسرة الصحافة في الكويت استقبلت في أوائل شهر صفر مجلة أسبوعية سياسية هي مجلة « السياسة » ولقد لفت نظرنا اليها ما جاء في افتتاحية العدد الأول منها « ان منطق هذه الجريدة في رسالتها التوجيهية والاعلامية والتثقيفية يرتكز أول ما يرتكز على قاعدة فكرية واضحة تحدد على ضوئها حملتنا في نشر الوعي الثقافي وعيا كاملا على كل شأن من شؤون الحياة .. أما هذه القاعدة الفكرية فقد قالت المجلة عنها بعد ذلك « أنها الأسلام الذي أراده الله دينا للبشرية جمعاء وسيرتفع صوتنا مدويا لا تحرر ولا انطلاق بدون قيادة فكرية متميزة أساسها الاسلام » .

– هذا اتجاه جديد في المجلات السياسية ولكنه أصيل يجب أن تتخذه مجلاتنا وصحفنا دائما دستورا لها في كل ما تكتب .. واننا نرجو للسياسة النمو والانتشار كما نرجو لها أن تستمسك دائما بهذا الدستور . وتكون مثلا ناجحا لما نرجوه لصحافتنا ..

* تأسست في الرياض مؤسسة للدعوة يديرها الأستاذ عبد العزيز بن عبد المنعم وقد أصدرت المؤسسة أول العام الهجري جريدة « الدعوة » تحمل رسالة الاسلام مبسطة نقية الى الناس ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الله بن ادريس .

مرحبا بزميلة الجهاد في سبيل الاسلام مع تمنيات التوفيق .

* زار الكويت في الشهر الماضي السيد ابراهيم نياس الزعيم المسلم النيجيري الذي اسلم واسلم معه حوالي ١٢ الفا من أتباعه وكان من كبار القسس في شرق نيجيريا وهو يطوف البلاد الاسلامية لفرض المساعدة في بناء مسجد ومدرسة ومستشفى للمسلمين هناك .

* زارت الكويت أيضا الزعيمة المسلمة السيدة سانجداوسيا التى ترعى الحركة النسائية الاسلامية في تايلاند .. وقد اعتنقت الاسلام بعد دراسته وهي تطوف البلاد الاسلامية لجمع معونات تساعدها

على اتمام مشروعاتها الاسلامية هناك وتبرعت لها الحكومة بستين ألف دولار كما تبرع الشعب بعشرين ألفا ..

* مع الأسف حجزت حكومة سوريا العدد الاول من مجلة « الوعي الاسلامي » في المطار ولم تفرج عنه حتى آخر الشهر . ولذا اضطررنا لعدم ارسال العدد الثاني الى سوريا فنعتذر للقراء والكتاب الذين كتبوا الينا من سوريا يسألون ، وفي الوقت نفسه طلبت أقطار عربية متعددة مضاعفة الكميات التي ترسل لها فاستجبنا لها ، ونفدت في القاهرة بعد ساعتين من نزولها كما وافانا مراسلنا هناك وشركة التوزيع .

* كون مؤتمر علماء المسلمين الذي انعقد في القاهرة خمس لجان .

لجنة التشريع الاسلامي وقد عهد اليها دراسة المعاملات الحديثة ، وتقنين الفقه الاسلامي وبحث مشكلات الطلاق والزواج ، وتنظيم الاسرة ورعايتها في ظل الاسلام .

لجنة البحوث الاسلامية ، وقد عهد اليها دراسة المشكلات المذهبية ، والتطورات الحديثة في حياة المجتمع الاسلامي ، ومشاكل التأمين والمعاملات المصرفية ونظام البنوك والادخار .

لجنة نشر الدعوة الاسلامية ، وقد عهد اليها التخطيط للدعوة الاسلامية في الداخل والخارج ، وبحث موضوع انشاء المراكز والمؤسسات الاسلامية في الخارج ، واعداد دعاة للاسلام في مختلف بلدان العالم ، وتنشئة الشباب على أساس العقيدة الاسلامية .

لجنة احياء التراث الاسلامي وقد عهد اليها دراسة الوسائل التي يتم بها عرض الاسلام في مجالات الثقافات العالمية .

لجنة تنظيم العلاقات الاسلامية ، وستحدد وسائل الاتصال بالعالم الاسلامي ودعم الروابط التي يجب أن تقوم بين المسلمين في جميع انحاء العالم .

● ذكرت جريدة الاوبزرفر أن مجلس الفاتيكان قرر وضع مشروع تبرئة اليهود من دم المسيح على الرف في جلسته الختامية التي ستنعقد في سبتمبر القادم وقيل أن سبب ذلك هو حرص الفاتيكان على علاقاته الودية مع الدول العربية .

● أقامة سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير اوقاف الكويت حفل غداء للسيد احمد توفيق المدني وزير اوقاف الجزائر الذى يطوف البلاد العربية للوساطة في حل مشكلة اليمن دعا اليه بعض كبار المسئولين والمعنيين بالشئون الاسلامية .

* قرر مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بشأن المعاملات المصرفية ان الفائدة بكل أنواعها محرمة كما قرر ان تعدد الزوجات والطلاق مباح دون حاجة الى اذن القاضي وانه لا يصح وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل ودعا الى الاهتمام بتربية الشباب تربية دينية واشاعة الايمان والخير في قلوبهم وجعل التربية الدينية جزءا أساسيا من مناهج التعليم في جميع معاهد المعلمين والمعلمات وأعلن ان الدفاع عن فلسطين فرض على كل مسلم .

* زار الكويت في الفترة الأخيرة الاستاذ عيسى عبده ابراهيم أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس بالقاهرة وذلك بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعي وقد ألقى الدكتور ثلاث محاضرات .

١ ـ الاولى بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعي وموضوعها « الزكاة وأثرها في النشاط الاقتصادى » وذلك بقاعة ثانوية كيفان .

٢ ـ الثانية بدعوة من وزارة الاوقاف وموضوعها « الاسلام والمعاملات الحديثة » وذلك بقاعة دار الثقافة والتوجيه بالشامية .

٣ ـ الثالثة بدعوة من الجمعية الطبية الكويتية وموضوعها « اصول الاقتصاد من القرآن الكريم » وذلك بنادى الجمعية الطبية بالصليبخات .

وقد أقبل الجمهور عليها اقبالا منقطع النظير لغزارة مادتها وحسن عرضها .

* وافق مجلس الامة الكويتي على المشروع المقدم من النائبين المحترمين حمد المشارى وراشد الفرحان الذى يقضي بأن تقوم وزارة الاوقاف بنشر الدعوة الاسلامية في العالم وخاصة في افريقيا لمقاومة الافكار المستوردة والنشاط التبشيرى الاستعمارى والصهيونية العالمية .

كما وافق المجلس على احتضان مشروع الموسوعة الفقهية الاسلامية .

وقد تضمن الرد على الخطاب الاميرى هذه الموافقة .

ـ شكرا ، والله يسدد خطى العاملين .

بقية : اعرف وطنك نيجيريا

.. كانت غايتها محاربة الاسلام أولا .. واستغلال البلاد بجميع مواردها وطاقاتها ثانيا ..

واستعانوا على ذلك بمختلف الوسائل .. فحاربوا الاسلام واللغة العربية ، وفرضوا القيود والغرامات على تدريس القرآن الكريم .

بدأ الأوربيون يدخلون افريقيا لشراء الرقيق ، ليحلوا محل الهنود الحمر فى امريكا .. فأخذوا يشترون اولئك العبيد بأرخص الأثمان ، ويسترقونهم بأبشع الطرق ، وينقلونهم بأخس الأساليب ، ويعاملونهم بأبشع الصور .

وحين شعرت بريطانيا بمزاحمة المصانع الامريكية لها ، والتي تديرها الأيدى العاملة الزنجية الرخيصة ، بدأت حملة باسم الانسانية لتحريم الرق .. وعلى الرغم من القوانين النظرية فى هذا الصدد الا أن نظرة الاوربي الى سكان افريقيا لم تتغير وهي نظرة السادة الى العبيد ، وقد جاء ذلك فى اقوال مصلحيهم امثال (مونتسيكيو) رائد الفكر الغربي ، فيقول فى كتابه (روح القوانين) .

« ان لنا حقا مكتسبا فى أخذ الزنوج خدما وعبيدا .. فما هذه الشعوب الا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس الى اخمص القدم ، ولا يمكن أن نتصور أن الله وهو ذو الحكمة يضع روحا طيبة فى مثل هذا الجسم الاسود » ..

وهكذا دخل الاستعمار الى افريقيا .. وبدأ بالتوسع والانتشار والتعرف بشؤون البلاد ، وجاء الانجليز الى نيجيريا منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت البلاد فى تلك الفترة قسمين :

الجنوب والشمال . ففرق ليسود .. ولكن الوعي العام تنبه أخيرا الى خطر الاستعمار الذى سام ابناء البلاد سوء العذاب ، فناضل وكافح حتى كتب له الاستقلال ، وتكونت بذلك الجمهورية النيجيرية الاتحادية ، وهي تتكون الآن من اربعة اقاليم .

١ ــ نيجيريا الغربية ، وسكانها ٨ ملايين ، خمسة ملايين منهم مسلمون .

٢ ــ نيجيريا الشرقية ، وسكانها ١٢ مليونا ، ونصف ، مليونان منهم مسلمون .

٣ ــ الشمالية وسكانها ٢٩ مليون نسمة ، ونسبة المسلمين فيهم ٩٨٪ .

٤ ــ لاغوس .. وفيها عاصمةالدولة الاتحادية .

التحرير والنضال

ان اهم احزاب نيجيريا هو حزب هيئة الشمال .. ورئيس هذا الحزب هو الحاج احمد بيللو رئيس وزراء الشمال ، وقد **رفض هذا الزعيم المسلم أن ينحني لارادة الاستعمار الانجليزى ، فلقد رفض رفضا قاطعا زيارة وزيرة خارجية اسرائيل لبلاده ، وقال ان بلده اسلامي ، ولا يسمح شعبه المسلم لمن دنس حرمة فلسطين ومناطقها المقدسة أن يدخل بلاده .**

ومن زعماء هذا الحزب أبو بكر تفاوه وهو رئيس الوزراء الاتحادى . وقد ساهم مساهمة فعالة فى دعم استقلال البلاد ، وبفضل هذا الحزب وبقية الجماعات ، حصلت البلاد على استقلالها فى ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٠ .

مسؤولياتنا : ــ

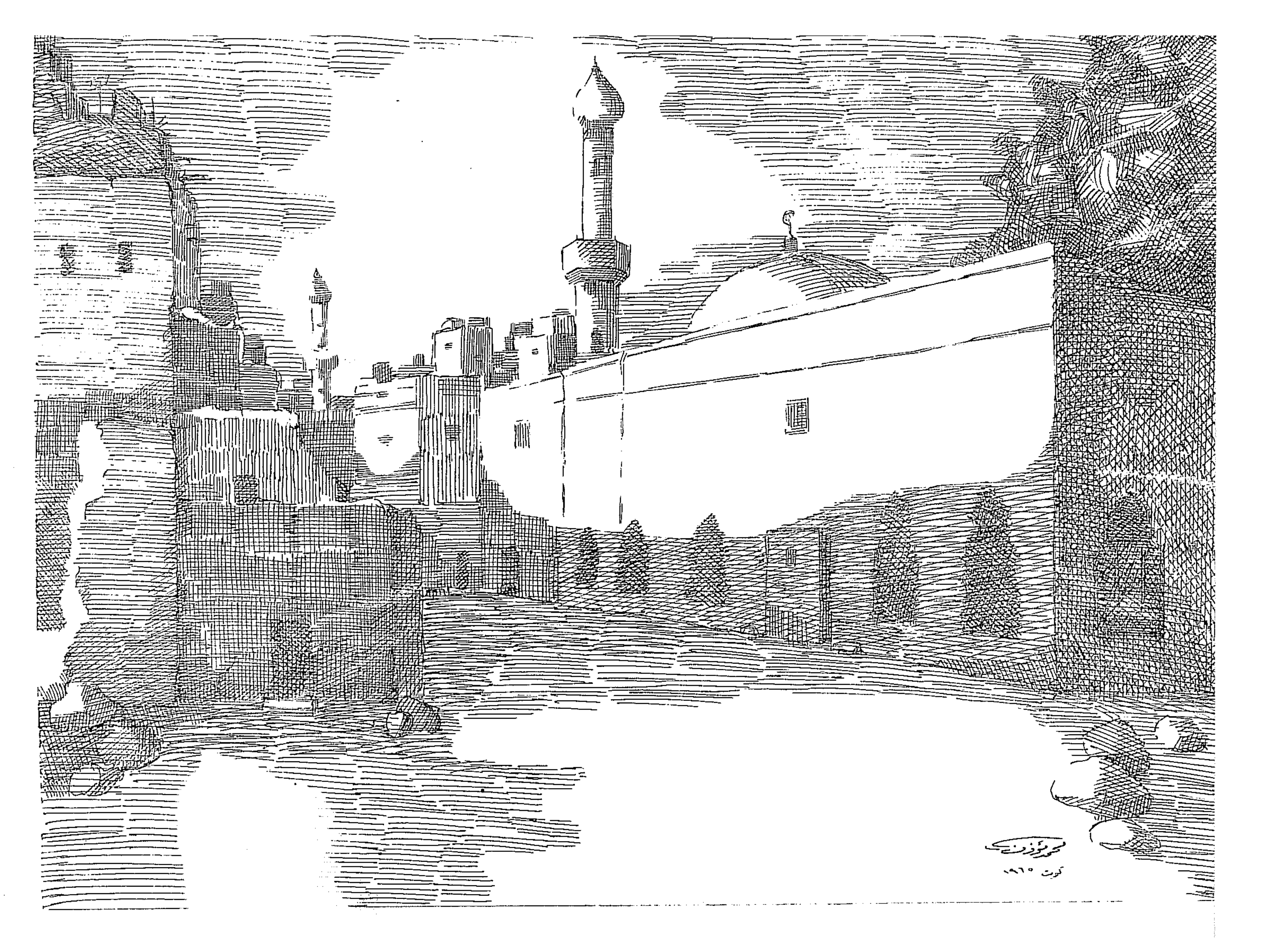
ونحن بحكم موقفنا كأمة آمنت بالاسلام الذى لا يعرف الحدود ، نشعر بثقل الواجب الذى نيط بنا .. فهذه الشعوب الافريقية قاب قوسين منا . وكلها يميل الى الاسلام ، ومعظمها يعتنقه . ويقف رجالها من أمثال بيللو وسيكوتورى وعبد الله عثمان وغيرهم ليدافعوا بحرارة الايمان الذى فى صدورهم عن الحق الاسلامي فى فلسطين ، ويقولوها صريحة مدوية (ان قضية فلسطين قضيتنا) وهي ليست قضية عربية فقط ، بل هي اوسع وأشمل لأنها اسلامية تخص المسلمين جميعا .

فعلينا أن نقابل التحية بأحسن منها .. وأن نشعر بالواجب فنؤديه .. وأن نقدر العقيدة التي تطالبنا بنصرة قضايا الاسلام فى افريقيا . فى نيجيريا وفى الصومال وفى اريتريا وفى كل مكان .

ولا بد من وعي كامل لذاتنا ولامكانياتنا البشرية والاجتماعية .. حتى نتمكن من الاسهام فى تاريخ الانسان الحديث على اساس حضارى ذاتي سليم .

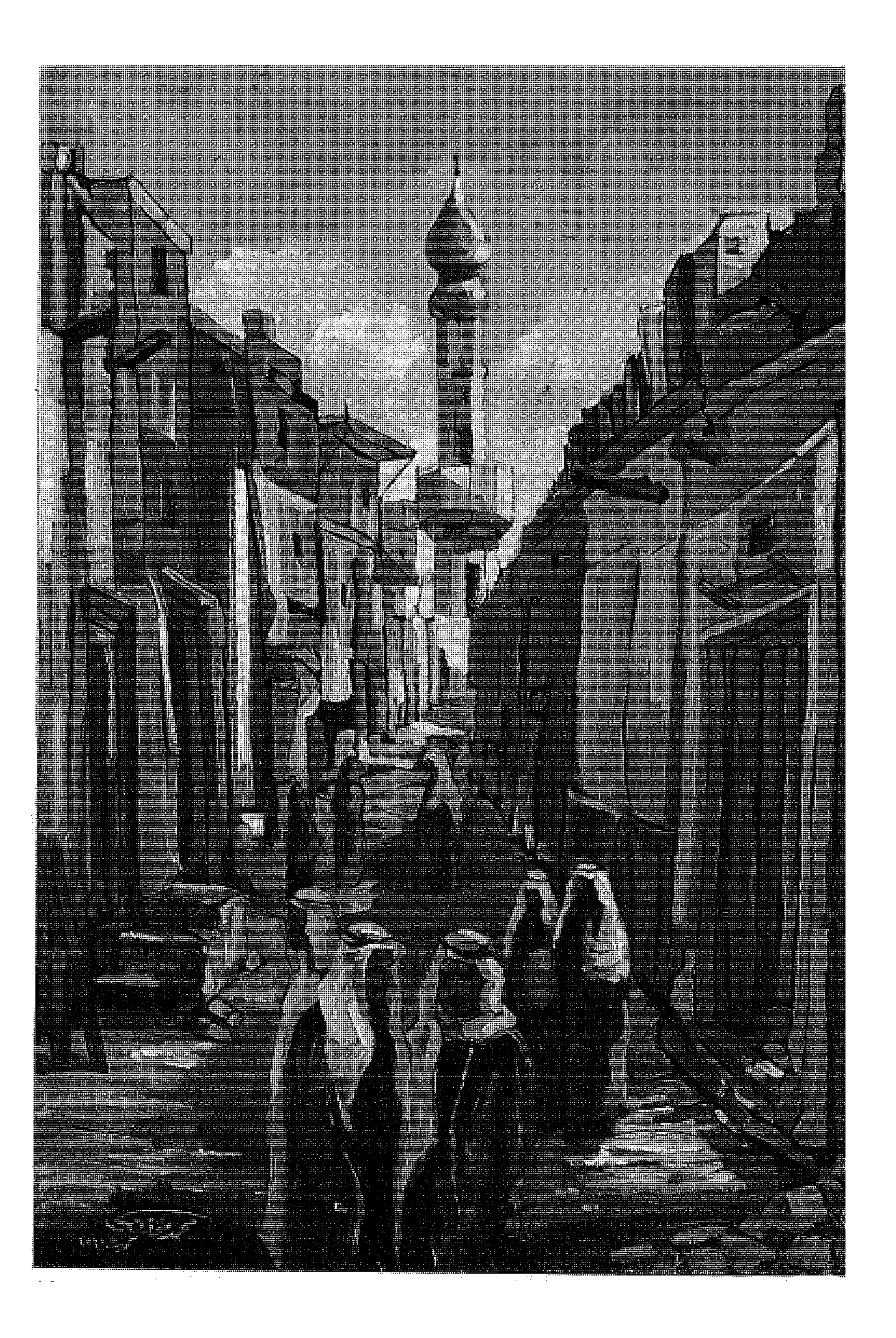
وحتى لا نبني قصور الاوهام والاحلام على تموجات الاثير الذى يحمل الينا فى كل صباح صدى خطب السياسيين الرنانة وتصفيق الجماهير البلهاء ... !

وان فجر الاسلام قريب والمستقبل لهذا الدين الخالد باذن الله .



مسجد حديث
فى احد الأحياء
القديمة فى الكويت

بريشة محمد مؤذن





السنة الاولى * العدد الرابع * ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ ـ أغسطس ١٩٦٥ م

قصة العدد ((الفارس الاسير)) ص ٨٨

صلاح الدين الايوبى محطم الصليبيين



عضو لجنة تقرير التوسم بالجامعة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

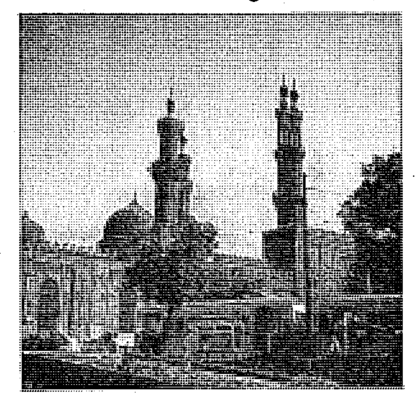
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



الجامع الازهر
قبلة العلماء وطلاب المعرفة والعلم
من اقطار العالم الاسلامى

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

معالى
وزيــر
الأوقاف



يتحدث
فى ذكرى
المولد النبوي
الشريف

الكلمة التى القاها معالى عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف :

أيها الاخوة الكرام . احييكم اكرم تحيـــة . واهنىء المســـلمين فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى ميلاد سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه ربه سبحانه وتعالى ليحمل اعظم رسالة وافضل هداية واحسن توجيه الى الناس كافة . « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » فحمل الرسالة ، وادى الامانة ، وبلغ كما امره الله ان يبلغ .

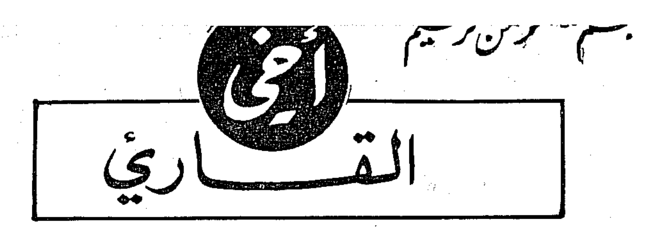
كان صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى للانسانية الكاملة الفاضلة . والقدوة المثالية فى كل خير . « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

حققت تعاليم الاسلام التى بلغها رسول الله فى الارض العدل بـين الناس والتراحم بين العبـاد وحسن الصلة بقيـوم السموات والارض ، وكانت تعاليمه بردا وسلاما وراحة وامنا فى الحياة الاولى ودرجات عالية ورضوانا من الله فى الدار الآخرة .

والمسلمون فى كل عام يحتفلون بمولد رسول الله ، ويحيون ذكراه ونسأل الله ان يوفقنا جميعا للسير على سنته صلى الله عليه وسلم ، وان يعيد هذا اليوم المبارك الكريم على امة محمد وهى مطبقة لاحكام شريعته عاملة بتوجيهه سائرة على نهجه . وحينئذ نكون قد اعطينا هذه الذكرى حقها من الاحتفال بها على اكمل وجه .

كما نسأله سبحانه وتعالى ان يديم لبلادنا التوفيق والخير ، ويحفظ لها قائدها ورائد نهضتها صاحب السمو امير البلاد المعظم .

ويسعدنى ان اكرر التهانى لكم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه .



السلام عليكم

شخصية الامة لا تكتمل بمجرد استقلالها السياسي ، بل لا بد لها مع هذا من الغاء تبعيتها لغيرها فى مجال الثقافة والتشريع ، حتى تكون كل مقوماتها أصيلة غير مستوردة .

ولقد بهرنا – نحن الامم الاسلامية التي بليت بالاستعمار – أننا نجحنا فى الحصول على استقلالنا السياسي ، واعتبرنا ذلك غاية النصر ، فعكفنا على التغني به ، وشغلنا عن مخلفات الاستعمار الأخرى التي تعيش بيننا ، وتتحكم فينا ، غافلين عن ضرورة التخلص منها ، حتى يكون لنا كياننا القائم على الأسس الأصيلة من ديننا وتقاليدنا ..

من هذه المخلفات التي لا تزال تتمتع بسيطرتها علينا : بعض القوانين المستوردة التي نبتت فى جو غير جونا ، وأملتها تقاليد غير تقاليدنا ، ونظرة فى الجريمة والعقاب تخالف نظرتنا المستمدة من ديننا .. ومن هنا كانت الفجوة العميقة بينها وبيننا .. لأن القانون – أى قانون – يجب أن يكون نابعا من ضمير الأمة ، وملائما لتقاليدها ، ومتسقا مع روحها حتى يتحقق له الاحترام والهيمنة على النفوس ..

ذلك امر نحسه ونلمسه من واقعنا ، ونرى حتى مفكرى الغرب كذلك يقررونه ، فيقول الفيلسوف نبتام ((متى صارت الأمة من حزب القانون قل أمل المجرمين فى الهرب من العقاب)) وذلك لأن الأمة فى هذه الحالة ستكون حارسة للقانون بروحها وتحملها يقظتها واخلاصها على متابعة المجرم وتضييق فرص النجاة من العقاب أمامه . ويقول ايضا : ((ان ميل الأمة او نفورها ربما كان أعظم الأشياء التي تجب مراعاتها عند وضع القوانين)) وذلك ليكون للقوانين احترامها والخضوع لها ..

ولذلك كان من فضل الله على هذه الأمة ، أن الاسلام لم يقتصر على تقرير العقيدة السليمة ، والوصايا الخلقية لها ، بل أقام على العقيدة تشريعا كاملا لتنظيم الحياة وضبط سلوك الفرد والجماعة فيها ، ووضع العلاج المناسب لأمراضها ، وجعل ذلك من مقومات الايمان فى المسلم ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) .

ولم يكن ذلك الا لحكمة عليا هي ضمان الاستقرار للأمة الاسلامية وتوفير الأمن والهدوء لها عن طريق احترام القانون الذى يحكمها ، فان المسلم كلما أحس أن هذا القانون انما هو قانون الله الذى يعلم السر والنجوى ، واليه المرجع والمصير ، وأنه لا مفر من العقاب على مخالفته ان لم يكن فى الدنيا ففي الآخرة حمله احساسه هذا على احترام القانون والالتزام به وذلك على العكس من القوانين التي تنبعث من رأى الفرد ولا تتلاقى مع حكم الله ، ويترك أمر حراستها لرجال الشرطة .. فان للانسان ألف حيلة وحيلة في التخلص منها ، والتمرد عليهـا .

ومن هنا كان من مصلحة الحاكم الذى يرغب جادا فى توفير الأمـن والاستقرار لأمته أن يربط بين قوانينها ودينها ، حتى تحظى القوانين بالاحترام الذى يضمن لها السيادة والنفوذ .. وحتى يكون العقاب على المخالفين هو حكم الله العادل الذى لا مفر من التسليم به ..

ذلك كلام نقوله بصدد القوانين عامة .

ثم نقترب من الهدف الذى نرمي اليه بكلمتنا ، وهو تلك المواد التي جاءت فى باب هتك العرض والزنى وصدر بتنفيذها قرار من الحكام المسلمين !!

في هذه المواد مفارقات وتناقضات أو فجوات عميقة بينها وبين دين الأمة وتقاليدها وروحها الاسلامية الأصيلة . وهذه المفارقات ضرورية لأنها مواد مستجلبة نبتت فى جو غير جونا ، وما كان لها أن تعيش بيننا طويلا لكنها ــ مع الأسف ــ عاشت فى جو مصطنع ولا زالت تعيش بين الغفلة منا والتدليس ..

قامت هذه المواد أصلا على أساس أن الزنى وهتك العرض مجرد اعتداء شخصي على حق الفرد دون اعتبار لحق الله وحق المجتمع ..

ولهذا كان لا عقاب فى قوانين بعض الدول الاسلامية على من يهتك عرض انثى برضاها اذا تجاوزت الثامنة عشرة ، أى سن الرشــد لأنه تم برضا الاثنــين !! فان كانت أقل مــن ذلــك وكان برضاها عوقب الرجل لمجرد أنه غرر بفتاة قاصرة !!!

أما الزوجة فتعاقب بالسجن اذا زنت في أى مكان .. ولا يعاقب الزوج الا اذا زنى فى منزل الزوجية ولا يجوز له فى هذه الحالة ان يرفع دعوى الزنى على زوجته .. لأنها فعلت كما فعل !!!

والزوجة لا تعاقب الا اذا رفع الزوج دعوى عليها .. لأنه الذى وقع عليه الاعتداء وهو حر يرفع الدعوى أو يقبل ويسكت .

وبمقتضى هذا يجوز له أن يوقف الدعوى أثناء نظرها ، او يوقف تنفيذ العقوبة لأنه ــ كما قلنا أو قال القانون الفرنسي ــ صاحب الحق وحده ، أما حق الله ، حق المجتمع ، ما يترتب على ذلك من شيوع الفساد واختلاط الأنساب وفتح باب الفرص لكل « ديوث » متهاون في عرضه أو متكسب به .. أما ذلك كله فلا اعتبار له في نظر القانون الذى استوردناه !!!

ومن العجب ــ غاية العجب ــ ان نجد لهذا القانون سدنة وحماة يدافعون عنه ويعملون على ذيوعه وانتشاره في بلاد اسلامية . ولم نجد مع الأسف الشديد من يحمل لواء الهجوم عليه والعمل الجــاد لتغييره ، اللهم الا أصوات فردية حملها اخلاصها لدينها ومجتمعها على المناداة بالغائه ، ولكن ضاعت هذه الأصوات فى زحمة الأصوات المتحمسة له ..

بل اننا ــ مع الألم المرير ــ نسمع حملات واعتراضات عنيفة على فكرة الأخذ بالشريعة الاسلامية فى قوانيننا ولا نسمع مثل هذه الحملات والاعتراضات على هذا القانون المستورد المتنافر مع روحنا وتقاليدنا والذى يعتبر وصمة عار في جبيننا !!

فالى متى يستمر هذا الوضع الشاذ ؟! الى متى تبقى هذه الوصمة ومن المسئول عن بقائها ؟ ! بصراحة أرجو أن يتقبلها الجميع : ان المسئولين من حكام المسلمين وأعضاء المجالس النيابية ، هم الذين يتحملون أولا تبعة بقاء هذه القوانين بيننا ..

ولا عذر لهم يبيح السكوت عليها فان روح المجتمع الاسلامي فى كل بلد تمقتها ولا تعترف بها ، وعلى الشعب المسلم في كل مكان أن يقوم كذلك بمسئوليته ، ويسلك كل الطرق المشروعة لتغييرها ..



اذا قلبت الكتاب الكريم ظهرا لبطن ، وتتبعت آياته طردا وعكسا ، ورجعت البصر كرتين بعد كرتين ، متأملا متبصرا ، فانك لا تجد من بين الامم كلها ، قديمها وحديثها ، الا امة واحدة شغلت جزءا كبيرا من القرآن الكريم ، لم تشغله امة غيرها من الغابرين والحاضرين ، وكذا لا تجد نبيا من انبياء الله الكثيرين ، شغل جزءا كبيرا من القرآن ، مثل نبي هذه الامة ، فقد حظى من العناية بما لم يحظ به نبى غيره ، وخصه الله بمزية لم يشاركه فيها سواه .

ولعلك ادركت ان هذهالامة هي امةبني اسرائيل، وان نبيها المراد هو كليم الله موسى عليه السلام . هذه الامة تعرض القرآن لها منمبدأ تكوينها ، وأخذ يقص علينا احداثها ، من اول يوم تكونت ، الى مبعث خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام .

نشأة موسى

وكذلك شرح القرآن أحوال رسولها من يوم مولده ، الى وفاته فى صحراء التيه ، وكيف دبر له العليم الخبير المراضع ، فى بيت عدوه الذى اشتد فتكه ببنى جنسه (بنى اسرائيل) ، يقتل أبناءهم ، ويستحيى نساءهم أقرأ قوله تعالى « وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه ... » آية (٧) الى آخر آية (١٣) من سورة القصص . وكيف فر موسى من مصر الى مدين خائفا يترقب ، فزعا من ان يناله فرعون بسوء ، واقرأ فى هذا قوله تعالى « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى .. » (آيتي ٢٠ و ٢١) من سورة القصص .

ثم بين كيف استأجره رجل مؤمن من آل مدين، على رعي غنمه عشر سنين ، على ان يزوجه احدى ابنتيه ، واقرأ الآيات (٢٣) الى آخر (٢٨) من سورة القصص .

وبعد أن أتم مدة السنين العشر قفل راجعا الى مسقط رأسه ، يسوقه الحنين الى عشيرته عله يتنسم ريحها ، ويطرب لاخبارها ، اذا لم يستطع ان يلقاها فى الخفاء وهو آمن ، فأزمع الرجوع الى مصر .

وكيف حاول معالجة قسوة البرد ، ومتاهة ظلمة صحراء سيناء ، حين اوشك ان يضل الطريق ، او يهلك هو واهله من زمهرير الجبال ، واخذ يتلمس الهادى الى سواء السبيل (١) ، ويتحسس جذوة نار يصطلى بها (٢) .

بعثته

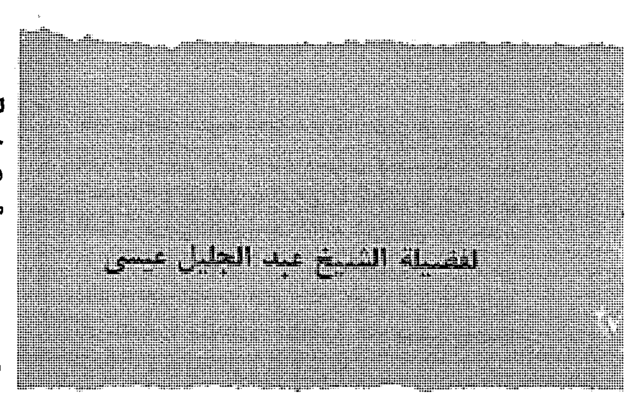
ثم كيف فاجأته العناية الالهية بالنعمة العظمى ، والمنزلة الرفيعة ، التى اختص بها سبحانه قلة من خلقه الذين اصطفاهم ، واعدهم لها ، تلك هى منزلة السفارة بين الله وخلقه ، هذه المنزلة هى الوحيدة التى لا تنال بجد ، ولا تعب ، ولا بكثرة الضراعة ، ولا مشقة العبادة ، كما قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » آية ١٢٤ من سورة الانعام ، وكما قال المرحوم اللقانى فى جوهرته :

ولم تكن نبوة مكتسبه
ولو رقى فى الخير أعلى درجة

---

(١) « أو أجد على النار هدى » آية (١٠) من سورة طه .

(٢) « أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » آية ٢٩) من سورة القصص ، اى تستدفئون لدفع البرد .



كليم الله

ولم يكتف القرآن بهذا الاجمال ، بل بين كيف كان وحى الله سبحانه لنبيه موسى نوعا خاصا به لم يشاركه فيه احد من اخوانه الانبياء ، ذلك انه كلمه مباشرة من وراء حجاب بدون واسطة من ملك ، او ايحاء يلقى فى القلب او رؤيا صادقة ، كما فعل مع خليله ابراهيم عليه السلام حين امره بذبح ولده اسماعيل ، اقرأ قوله تعالى : ((وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا)) آية ٥١ من سورة الشورى ، وقوله تعالى : ((يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)) آية ١٤٤ من سورة الاعراف .

وكذلك لم يحدثنا القرآن عن معجزات كثيرة لنبى من الانبياء ، وكرر ذكرها فى القرآن كما حدثنا عن معجزات رسول بني اسرائيل ، قال سبحانه : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) آية ١٠١ من سورة الاسراء ، وقال : ((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (١) ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون)) آية ١٣٠ من سورة الاعراف ، وقال : ((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل(٢) والضفادع والدم آيات مفصلات)) آية ١٣٣ من سورة الاعراف .

موسى يواجه فرعون

وايضا نراه سبحانه لم يترك موسى يواجه فرعون وقومه اعزل من سلاح حجته ، منتظرا ان يطلبوا منه دليل صدقه فيقدمه اليهم كما فعل سبحانه مع كل الرسل قبله ، لم يفعل سبحانه ذلك مع موسى ، بل سلحه ببرهان صدقه من اول لحظة ارسلهفيها ، فأراه ما يفعل حتى تصير عصاه حية تسعى ، انظر قوله تعالى : ((وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ..)) آية ٣١ من سورة القصص .

موسى وهارون

ولم يكتف سبحانه بذلك بل قص علينا ما ظهر من خوف موسى عند تشريفه بهذه الرسالة ، وكيف طمأنه سبحانه فقال : ((واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال رب انى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون)) الآيات من ١٠ وما بعدها من سورة الشعراء .

وايضا لم يكتف سبحانه بذلك ، بل قص علينا كيف علم موسى ما يقوله لفرعون لفظا ، وكيفية ، فقال : ((فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني اسرائيل)) آيتي ١٦ و ١٧ من سورة الشعراء ، وقال : ((اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى . اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى)) آيات ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ من سورة طه ، وقال : ((هل أتاك حديث موسى . أذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى ان تزكى . واهديك الى ربك فتخشى)) آيات ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة النازعات .

ثم تابعه القرآن من اول لحظة واجه فيها فرعون ، واقام حجة المعجزة المفحمة على صدقه ، مفصلا كل ما دار بينهما من نقاش سلك فرعون فيه القسوة على موسى تارة ، والاستهزاء به تارة اخرى ، من ذلك قوله : ((قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله الا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الاولين. قال انرسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين)) آيات ٢٣ الى ٢٨ من سورة الشعراء .

---

(١) المراد بها القحط .

(٢) جمع مفرده قملة بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة وهى حشرة صغيرة تتلف الزرع .

وقال : « ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين » آيات من ٥١ الى ٥٤ من سورة الزخرف ، وقال : « وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم او أن يظهر فى الارض الفساد » آية ٢٦ من سورة غافر .

ثم بين القرآن بعد ذلك كيف لج فرعون فى العناد والغرور حينما خشى ان يفلت من يده زمام الامور، فطفق يجمع كبار قومه عارضا عليهم طريق التخلص من هذا الكاذب الساحر ، كما زعم ، وكيف ارسل فى المدائن حاشرين يدعون له كبار السحرة فى دولته، ثم رتب كيفية لقاء هؤلاء السحرة بموسى على مشهد من قومه أجمعين ، اقرأ ان شئت من اول آية ٥٦ الى آخر ٦٩ من سورة طه ، ثم بين سبحانه كيف ركب فرعون متن التضليل والتمويه عندما هزت كيانه سطوة الدليل ، وبطل سحر الساحرين، الذين آمنوا فى الحال برب موسى وهارون ، اقرأ من آية ٧٠ الى ٧٣ من سورة طه .

ركب فرعون متن التضليل ، فتوارى تحت ستار التعمية والتمويه بعد تهديد السحرة بالقتل ، فنادى مظهرا السخرية بهذا الاله الذى يزعمه موسى فقال : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان (١) على الطين (٢) فاجعل لى صرحا (٣) لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق » آيتي ٣٨ و ٣٩ من سورة القصص .

ملاحظة هامة

يعلم كل من اطلع على جبروت فرعون هذا انه كان صاحب صولة وقوة ، وانه سبق ان اثخن بني اسرائيل قبل مجيء موسى وبعده تقتيلا وتعذيبا ، وانه كان يملك من السلطان ما يمكنه من الفتك بموسى الذى يقف امامه اعزل من كل سلاح معروف عند الناس ، فما هو الذى غل يديه عن ذلك وألجم فمه عن الامر بقتل موسى ، وجعله يلجأ الى المداورة والمحاورة الكلامية عله يستر بهما ضعفه ، وحقيقة أمره أمام قومه .

فرعون يرهب موسى

نقول : السر فى ذلك واضح جاءت الاشارة اليه فى القرآن نفسه ، ذلك هو ان فرعون اذعن من صميم قلبه ان موسى رسول الله حقا ، وان ما جاء به من المعجزة الكبرى يستحيل ان تكون من صنع البشر ، لانها ليست مما عهدوه من السحر الذى يعتمد على التعليم والتعلم ككل الصناعات التي يستعان بها على التمويه والتخييل مما كان معروفا عند فرعون ، انظر قوله لسحرته عندما آمنوا بموسى : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر » آية ٧١ من سورة طه ، وقول الله سبحانه : « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى » آية ٦٦ من سورة طه .

وايضا كان فرعون يعلم انه من المستحيل ان تدخل جميع تلك الاجسام الضخام من الحبال والعصى التى اعدها سحرته فى حيز جسم صغير كعصى موسى مع بقائها على حجمها ، اقرأ فى كل ذلك قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » الى قوله : « فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض » آيتي ١٠١ ، ١٠٢ من سورة الاسراء ، وقوله تعالى : « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين. وجحدوا (٤) بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » آيتي ١٣ و ١٤ من سورة النمل .

---

(١) هامان كبير وزراء فرعون

(٢) المراد بالطين هنا القوالب التى تصنع من الطين فاذا جفت بفعل الشمس توقد عليها النار فتصير آجرا احمر .

(٣) الصرح هو البناء العالى .

(٤) الجحود هو انكار الشيء مكابرة مع اليقين به فى قرارة النفس كما قال سبحانه لنبينا صلى الله عليه وسلم : « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » آية ٣٣ من سورة الانعام .

من كل هذا نعلم ان فرعون كان موقنا انه لو حاول ان يمس موسى بسوء فانه يهلك لساعته ، كما حصل للجبابرة قبله من قوم عاد وثمود وغيرهم ..

ليته فعل

ولا يظن ان خروجه هو وجنوده وراء موسى وبنى اسرائيل كما سيأتي كان لقصد قتل موسى ، كلا ، بل كان لأمور أخرى منها منع بني اسرائيل من الخروج من سلطانه حتى يقضى عليهم خوف ان يكثروا ويستعينوا عليه بقوم آخرين ، فينتزعوا منه ملكه . ومنها انه اراد ان يسترد اموال المصريين التى استولى عليها بنو اسرائيل بطرقهم المعروفة ، وترى ذلك واضحا فى ضخامة اموال قارون الذى هو من قوم موسى كما قال سبحانه : ((ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه (١) لتنوء (٢) بالعصبة اولى القوة)) آية ٧٦ من سورة القصص .

غرق فرعون

ثم تابع القرآن بعد ذلك الحديث عن موسى فأشار الى فراره وقومه من فرعون على غفلة منه ، ولم يدركهم فرعون الا وسط البحر فاندفع خلفهم، وكان فى ذلك هلاكه ، فقال سبحانه فى ذلك : ((ولقد اوحينا الى موسى أن أسر(٣) بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم)) آيتي ٧٧ و ٧٨ من سورة طه ، وقال فى ذلك ايضا : ((وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون)) الى ان قال : ((فأتبعوهم مشرقين . (٤) فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معى ربى سيهدين . فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا(٥) ثم(٦) الآخرين(٧) وأنجينا موسى ومن معه اجمعين . ثم أغرقنا الآخرين)) آيات من ٥٢ الى ٦٦ من سورة الشعراء .

والى هنا انتهى الحديث عن موسى وما حصل له مع فرعون وبقى ما حصل له مع قومه وهو لا يقل غرابة عما حصل مع فرعون ان لم يكن اغرب كما ستعلمه بعد ، ولا تعجب ايها القارىء الكريم من اختيارنا هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، فانا اردنا قطع ألسنة قوم يتشدقون بأنهم شعب الله المختار ، وانهم وحدهم هم أولياء الله واحباؤه ، ويوهمون بسطاء المسلمين بأن القرآن مليء بالتنويه بشأنهم ، وتفضيلهم على العالمين ، وقد يخفى على كثير ممن يقع تحت تضليلهم ان الله سبحانه لم يغدق عليهم تلك النعم حبا فيهم بل ليزدادوا طغيانا وكفرا فيزيدهم غضبا ونكالا الى يوم الدين .

هذا ما سيمر بك فيما يأتى ، ومنها تعلم علم اليقين ان ما ظنوه خيرا لهم انما هو وبال عليهم كما قال سبحانه : ((ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون)) آيتي ٥٥ ، ٥٦ سورة المؤمنون . وقال : ((ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين)) آية ١٧٨ آل عمران .

وستعلم ان ما مر عليهم من فترات رفعوا فيها رءوسهم بعد هذا الوعيد مدة تطول نسبيا وقد لا تطول فما هي فى قياس الزمن الا صحوات محموم ، لا يكادون يتمتعون بها حتى تلاحقهم صواعق غضب جبار السموات والارض ، وهكذا دواليك حتى امسوا فى يد القدر كالكرة يتقاذفها الولدان لا يتركونها تستقر حتى تلاحقها ضرباتهم ...

والى اللقاء ان شاء الله .

---

(١) المفتاح جمع مفتح ، بفتح الميم وسكون الفاء ، بوزن مرصد ، وهو المخزون ، قال ابن عباس — مفاتح قارون هى خزائن امواله واوعيتها .

(٢) تنوء بالعصبة اى تثقل عليهم اذا أرادوا حملها يقول العربي : ناء بفلان الحمل اذا أثقله حتى أمال ظهره .

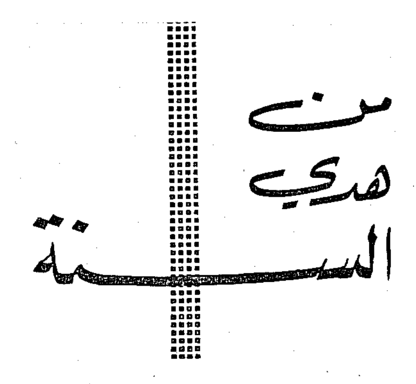
(٣) أسر أى سر فى الليل .

(٤) المشرق هو الداخل فى وقت الشروق .

(٥) اى قربنا الى وسط البحر .

(٦) ثم أى هناك فى وسط البحر .

(٧) الآخرين هم فرعون وجنوده .



لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

حقوق وواجبات بين الآباء والأبناء

تمهيد

الاولاد هم أشهى ثمرات الحياة ، يدرك ذلك من وهبه الله اياهم ومن ابتلاه بالحرمان منهم ، عليهم عمارة الدنيا ، وبهم سيادة الأمم قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقال صلى الله عليه وسلم (الولد ثمرة القلب) ، وحب الولد كامن في طبيعة الانسان كمون النار في الحجر الصلد ، علت درجته في الانسانية أو هبطت ، يستوى في ذلك صفوة الله من خلقه وهم الانبياء والمرسلون ، ومن عداهم من سائر البشر ، فقد تضرع سيدنا ابراهيم عليه السلام الى ربه ان يهب له ذرية صالحة « . . . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم » (١) ونادى زكريا ربه نداء خفيا « . . . واني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . . » (٢) .

وقد قرر الاسلام حقوقا تقابلها واجبات لكل من الوالد والمولود قبل الاخر تضمن استمرار حسن العلاقات بينهما ، كما تقيم اسرة قوية متماسكة تبني مجتمعا فاضلا ، يشيد امة عزيزة صالحة للقيادة والسيادة ، وسأحاول ـ مستعينا بالله ـ رسم الخطوط العريضة لما يجب ان تقوم عليه الصلة بين الوالدين والمولودين مستمدة من كتاب الله تعالى وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : ـ حقوق الأبناء على الآباء

١ ـ أول ما يجب على الوالد حيال أولاده قبل أن يوجدوا ، هو أن يختار أمهم ذات خلق ودين وعفة ومروءة ، قال عليه الصلاة والسلام (حق الولد على والده أن يحسن موضعه(٣) وأن يحسن

---

(١) الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ من سورة الصافات .

(٢) الآيتان ٥ ، ٦ من سورة مريم .

(٣) أى يختار والدته من اصل طيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اعدلوا بين أولادكم فى النحل(١) كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر والعطف)) (٢) .

اسمه وأدبه) وقال عليه السلام : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) وقال رجل يمن على أولاده :

وأول احسـاني اليكم تخـيري
لمـا جدة الأعراق بـاد عفافهـا

٢ : ـ فاذا برز الولد الى الوجود وهبط مـن مستقره فى بطن أمه الى الأرض بدت حقوقه على والديه قوية واضـحة فهـو فى مهده محتاج الى عطف والديه وحنانهم ، وعندما يدرج على البسيطة يستحق الرعاية والتوجيه الى الآداب المحمودة ، روى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اكرموا اولادكم واحسنوا أدبهـم) وروى الشيخان(٣) ((.. أن أناسـا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا : هل تقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم . فقالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال النبي صلي الله عليه وسلم : أوأملك ان كان اللـه قد نـزع الرحمة مـن قلوبكم ..))

٣ : ـ ومن حسن رعاية الولد العناية بطعامه وشرابه ، روى البخارى (.. يقول الولد أطعمني. الى من تدعني ؟) وروى أبو داود والحاكم واحمد فى مسنده (... كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت) .. واذا تعدد الأولاد وجب العدل بينهم فى العطف والعطاء ، روى الطبراني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين اولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البـر والعطف) وفى قصة يوسف عليه السلام مثـال واضح لما أثاره الشعور بتفضيل يوسـف على اخوته من شقاق ونفار بينه وبينهم ، ولننصت الى القرآن الكريم وهو يحكي طرفا مما كان مـن أمرهم (... اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضـلال مبـين . اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجـه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صـالحين ..) الآيات الكريمة . ومنعا لأسباب الشنآن والعداوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ولو فى القبلة) . وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم التمييز بـين البنين والبنات فى المعاملة حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم فقال عليه السـلام (ساووا بين أولادكم فى العطية فلو كنت مفضـلا أحدا لفضلت النساء) . وكان صلى الله عليـه وسلم اذا رآى فاطمة الزهراء رضي الله عنهـا مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ بيدها فقبلها ، وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنهـا قالت ، (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلممع أبي وعلي قميص أخضر فقال صلى الله عليه وسلم (حسنة حسـنة(٤) . قالت فذهبت ألعب بخاتـم النبوة ، فنهاني أبي ، فقال رسول الله : دعها ، ثم قال : أبليوأخلقى، أبلى وأخلقى) (٥) .

٤ : ـ ومن الواجب على الوالدين أن يوجهوا أبناءهم الى باريء الكون سبحانه ويغرسوا فيهم الايمان بقدرتـه وقيوميتـه ، ايمانا مبنيـا على الاستدلال لا مجرد التلقين ، وقد رسم القـرآن الكريم الطريق الواضح فى وصية لقمان لابنه حيث يقول (واذ قال لقمان لابنه وهـو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) (٦) ثم يمضي

---

(١) النحل بضم النون المشددة وسكون الحاء المهملة ـ العطاء ، مصدر نحله ينحله نحلا أى أعطاه والنحلى بوزن الحبلى العطية .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) البخارى ومسلم .
(٤) يمتدح ثوبها وهى يومئذ طفلة .
(٥) دعاء لها بطول العمر والسعادة
(٦) الآية ١٣ من سورة لقمان .

معه مستدلا على قدرة اللــه بالبرهان العقلي (يا بني أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بهـا الله ان الله لطيف خبير) (١) ثم يأمره بعبادة الله وحده والتجرد له والتفاعل الكريم مع المجتمع الذى يعيش فيه وتحمل الآلام في سبيل الله نشرا للفضيلة واجتثاثا للرذيلة (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) (٢) ثم يدله على الخلق الكريم الذى يمكن له في قلوب الناس ويجعل منه القدوة الممتازة الصالحة في السلوك القويم (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشـيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصـوت الحمير (٣) .

٥ : ــ كما يجب أن يتناول الوالدان طعامهما مع أولادهما في مواعيد منتظمة ايناسا لهم وقياما بحق رعايتهم وتمكينا للآداب الاجتماعية الاسلامية فيهم ، فعن سفيان رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة ، ويجمـع الفضل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما نحل والد ولده من نحل أفضل من خلق حسن) وقال حكيم عربي : (لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اجعل الحبل على غاربـه) .

٦ : ــ وحب الأولاد يغرى الانسان بالحيـاة ، ويحمله على القيام بواجباته حيالهم ميله الفريزي اليهم ، قال الأحنف لمعاوية وقد غضب يومـا على ابنه يزيد فهجره « يا أمير المؤمنين ، انما أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورها ونحن لهم سـماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة، ان غضبوا فأرضهم ، وان سألوك فأعطهم ، وان لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم ، ويحبـوك دهرهم ، ولا تنظر اليهم شزرا ، ولا تكن عليهـم ثقيلا فيتمنوا موتـك ، ويكرهوا قربـك ، ويملوا حياتك » .. وقال ابو تمام :

وانمـا أولادنـا بيننـا
أكبادنا تمشـي على الارض
لو هبت الريـح على بعضهم
لامتنعت عيني عـن الغمض

ثانيا : ــ حقوق الآباء على الأبناء

١ : ــ اكد القرآن الكريم حقوق الوالدين على أولادهم تأكيدا قاطعا حيث قرن الله سـبحانه طاعته بطاعتهم ، والايمان به بالاحسان اليهـم ، فقال تبارك وتعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (٤) وقال عز من قائل « وقضى ربـك ألا تعبـدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقـل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٥) .

٢ : ــ وأوجب لهما حق الطاعة ولو كانا كافرين مالم يأمرا بما يخالف قواعد الاسلام « وانجاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » (٦) فقد تحملا كثيرا من المشقات والآلام في سبيل ولدهما ، وتبرز بعض الآيات الكريمة فضل الأم وتبين مقدار ما تحملت وحدها من متاعب وما لاقت مـن صعاب في حمل الولد جنينا في بطنها وما تكبدته في ولادته وارضاعه مما يوجب لها حقا زائدا على حق الوالد وان كانا حقيقـين ببر الولد ومعروفه جـزاء وفاقا على

---

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .
(٢) الآية ١٧ من سورة لقمان .
(٣) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة لقمان .
(٤) من الآية ٣٦ من سورة النساء
(٥) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة الاسراء
(٦) الآية (١٥) من سورة لقمان .

ما أسلفا له من خير ، قال تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي فى ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » (١) وقد استجاب الله دعاء من فعل هذا مع والديه وأعد له الثواب العظيم عنده وهيأ له المكان اللائق فى الجنة فقال جل شأنه « اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » (٢) .

٣ : ـ ثم حذر الله تبارك وتعالى من عقوق الوالدين وأنذر من أساء اليهما بالعذاب الأليم ، وخسران أعماله ، واستحقاقه لغضب الله وعقابه قال تعالى « والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين . ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » (٣) ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل قول أو عمل يجر الاهانة والايذاء اليهما ولو بسبب بعيد لا يكونان فيه الهدف المباشر فقال عليه الصلاة والسلام « ان من اكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه » .

٤ : ـ وهكذا نجد الاسلام السمح الكريم يحافظ كل المحافظة على علاقة الآباء مع الأبناء فى صورة نقية طاهرة عفة توثق روابط الأسرة ، ويحكمها أحكاما تاما لا يتسرب اليه الخلل أبدا ، لينشأ فتيان الاسلام وفتياته فى ظل أبوة رحيمة حانية وأسرة قوية مترابطة ، فيشبوا متزنين يقودون أمتهم الى العزة والمجد، ويفقهون دورهم القيادى على الأرض فى ارشاد العالم الى الله تعالى، وبالتالى الى السعادة الدائمة فى الدارين والسلام الحقيقي فى الدنيا، وليكونوا فى الآخرة (اخوانا على سرر متقابلين) فالدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون . فاللهم فقهنا فى دينك ووفقنا لاتباع سنة نبيك وهدى حبيبك المصطفى ، وخذ بأيدينا الى ما يرضيك انك أنت وحدك الهادى الى سواء السبيل (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

فاصنع ما أحب الله :

تغيظ عبد الملك بن مروان على رجاء بن حيوة فقال :

« والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا »

فلما صار بين يديه قال له رجاء ابن حيوة :

« يا أمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب الله »

فعفا عنه ، وأمر له بصلة .

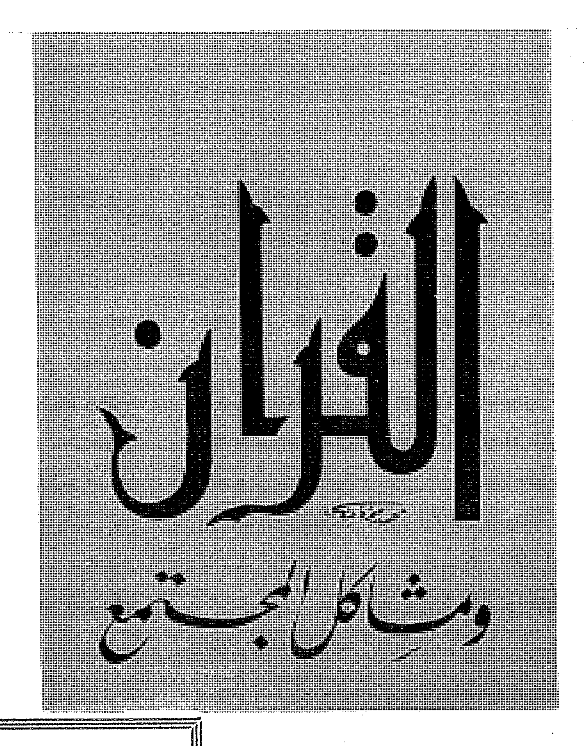


عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلك على سيد الاستغفار

(اللهم أنت ربي لا اله الا أنت .
خلقتني ، وأنا عبدك .
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .
أعوذ بك من شر ما صنعت .
أبوء لك بنعمتك عليَّ .
وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، وارحمني فانك أنت الغفور الرحيم) .

« أخرجه البخارى »

(١ ، ٢ ، ٣) الآيات (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) من سورة الاحقاف .



للدكتور : محمد بيصار

استاذ مساعد بكلية اصول الدين جامعة الأزهر ووكيل كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية فى ليبيا

فى أسعد ساعة من ساعات التاريخ ، وعلى أطهر بقعة من بقاع الأرض ، وفى أشد أوقات الانسانية احتياجا الى اصلاح ما فسد من شؤونها ، وتقويم ما اعوج من أمورها ، وتصحيح ما زاغ من عقائدها وآرائها ، بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة مبلغا عن ربه رسالة السماء .

وكانت كلمة الله الجامعة التي خاطب بها رسوله عليه السلام وضمنها كل مقومات هذه الرسالة وما اشتملت عليه من تصحيح عقائد الناس ، ثم تنظيم علاقاتهم بخالقهم أولا وعلاقات بعضهم ببعض ثانيا ، هي (القرآن الكريم) ثم ما أوحاه الله اليه أو وجهه به من تفسير للقرآن وبيان لمغلقه وتوضيح لمتشابهه مما تمثل فى سنته عليه السلام ، قولية كانت أو عملية أو تقريرية .

مهام القرآن

وحيث كان من مهام القرآن الكبرى ووظائفه الضرورية تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادا كانوا أو جماعات ، بجانب ما رسمه من قوانين وقواعد لتنظيم علاقاتهم بربهم ، كان من الطبيعي أن يواجه مشاكل الاجتماع الانساني ، وأن يضع لها الحلول والحدود ، وأن يعرض لمعالجتها فى محيط المبادىء الانسانية التيرسمها ، وعلى ضوء التوجيه الآلهي الصادر من لدن الحكيم العليم بأمراض النفوس البشريةونزواتها الطبيعية، الخبير بأدوائها وعلاجاتها .

ولما كان من أهم ما يحرص عليه الناس فى حياتهم الاجتماعية انما هو :

١ ـ العقيدة ٢ ـ والنفس ٣ ـ والعرض ٤ ـ والملكية ٥ ـ وبناء الأسرة .

فقد اعتنى القرآن بوضع الأسس والتشريعات التي تضمن لهم حرية الاعتقاد بعد أن صححه لهم . والمحافظة على حق الحياة وحرمتها ، وصيانة العرض والعفاف ، واحترام الملكيات المشروعة

يجب أن تظم شؤونها ، وبين حدودها ، وسلامة الوطن والدولة ووضع النظام الاسرة الى غير ذلك من مشاكل تتصل بهذا أو ذاك من قريب أو من بعيد .

قواعد كلية

والقرآن وان لم يعرض لكل التفاصيل الجزئية المتعلقة بذلك عالج هذه المشاكل على وجه كلي . وبقواعد عامة ، تاركا للمشرعين والمجتهدين والمصلحين استعمال عقولهم في تطبيقها على مختلف المجتمعات ، كل بما يناسبه وتلائم مع مقتضيات حاجاته الضرورية وظروفه الخاصة ما دام ذلك التطبيق لا يتنافى مع أصل من أصول الاسلام ، او نص قاطع من نصوص القرآن ، أو يقضي على فوائد أعم ، أو مصالح انفع للجماعة الاسلامية .

ولم يقتصر القرآن في تشريعاته بهذا الصدد على الأحوال والمشاكل التي تطرأ على العلاقات بين المسلم والمسلم ، أو تعترى صلات أفراد المجتمع الاسلامي أو طوائفه بعضها ببعض فحسب ، وانما بجانب ذلك تناول العلاقات الانسانية كلها بالتنظيم والتهذيب على أساس من الاخاء العام ، والحب الاكيد ، والتعاون المتبادل على حفظ الحقوق المقدسة ومراعاة حرماتها بصرف النظر عن فوارق اللون أو الجنس او اللغة او الدين ، أو الوضع الجغرافي ، وما شاكل ذلك من حدود مصطنعة وفواصل طارئة من شأنها ان تصرف عن التعاون ، وان تحد من التعارف الانساني والالفة الطبيعية ، التي هي في الحقيقة مفتاح كل تعاون ، وباب كل تفاهم بل هي الطريق الأوحد لأن يفهم الناس بعضهم بعضا ، وان يتبادلوا فيما بينهم المعارف والمنافع والآراء ، ليستفيد جاهلهم من عالمهم ، ومتأخرهم من متقدمهم ، وغبيهم من ذكيهم ، فيكمل الناس بعضهم بعضا ، ويستعيض كل منا فيه من نقص ، بما قد يكون عند الآخر من كمال .

وهذا هو الذي عناه القرآن الكريم بقوله :

... **(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** فأصل الناس جميعا واحد هو آدم وحواء ، ولهذا كانت المساواة في النشأة والاشتراك في الأصل ، فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى **(كلكم لآدم وآدم من تراب)** .

ولكن طبيعة الحياة تقضي بأن يختلف الناس ، وأن تتكون مجتمعاتهم ، وتنمو وتتطور طبقا لبيئاتهم ، وتبعا لعوامل متعددة ، بحيث تكون كل جماعة صورة ناطقة للعوامل التي اثرت فيها ، والبيئة التي نشأت بها ، طبيعية كانت هذه البيئة او غير طبيعية ، وراثية كانت هذه العوامل او مكتسبة .

ولكن ذلك كله لا ينبغي - في نظر القرآن - أن يضع الحدود والفواصل بين الانسان وأخيه الانسان ، وانما يجب ان يعمل الناس على تحقيق وحدة الأصل في نهايتهم ، فيلتقوا معا كذلك على أصول واحدة ، كما نشأوا معا من أصل واحد ، على ان يكون ذلك اللقاء وهذه الوحدة في الهدف لخير الانسانية جمعاء ، وتبادل المنافع بين الانسان والانسان ، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ما عناه القرآن الكريم في آيته المتقدمة بقوله عليه السلام : **(المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس انفعهم للناس)** .

١ - مشكلة التدين

وقد عالج القرآن المشكلة العقدية والدينية ، وما ذهب اليه الناس من انحرافات في شؤون العقيدة عند مختلف المذاهب ومتعدد المعتقدات .

فمن الناس من تصور الاله على صورة مجسمة واضاف اليه بعض صفات المخلوقين . ومنهم من جرده تجريدا كليا حتى عن الصفات الايجابية التي لا بد منها لكماله وجلاله ، ومنهم كذلك من الحد فأنكر الالوهية مطلقا وفكرة التدين كلية .

ولكن القرآن الكريم لكي يرد الناس جميعا الى العقيدة الحقة ، عقيدة الايمان بوجود الله وبوحدانيته ، واثبات صفات الكمال لذاته الأقدس نبههم اولا الى فطرتهم ، وذكرهم بأن التدين مركوز في طباعهم ناشئ من اصل خلقتهم ، لا يمكن أن يتخلى عنه انسان كامل الانسانية او ناقصها .

فالدين في الانسان كوجوده وحقيقته ، ذاتي له لا يستطيع مهما كابر وجحد ان ينفك عن الاحساس به ، والشعور بهاتفه في نفسه والاتصال بقوة عليا ، وأصل أساسي لكل ما في هذا الوجود من

حركات وسكنات وتصرفات . **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) (١) .**

وبعد أن يقنع القرآن الناس بضرورة الدين للمجتمعات البشرية يتدرج بهم شيئا فشيئا ويرقى بهم سلما سلما من دركات الحس والمادة الى سمو العقل والوجدان ، متخذا من آثار قدرة الله في الكون المحسوس ، ودلائل رحمته بخلقه ، دليلا على وجود خالق لهذا الكون ، اليه يستند في أصل نشأته ، وفي احكام تدبيره ، واتقان تسييره . وفي ذلك قوله جل وعلا :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (٢) .

وقوله تعالى « ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين » (٣) .

وقوله تعالى « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٤) .

وقوله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » (٥) .

ولا نطيل الاستطراد من ذكر الشواهد من القرآن الكريم على تصحيح عقائد المجتمع الانساني بدعوتهم الى عبادة اله واحد قادر مدبر للكون ، محيط به ، خبير بأسراره وخالق لكل ما فيه من نواميس وقوانين ونظم .

ولكن الذي يسترعي الانتباه أن القرآن الكريم لم يكتف بتصحيح عقائد المجتمعات الانسانية المنحرفة في تدينها ، وانما وضع نفسه موضع الحكم بين عقائدها المختلفة ودياناتها المتصارعة ، فخاطب اليهود والنصارى طالبا اليهم أن يتركوا النزاع والتنابذ ، وأن يرجع كل منهم الى دينه الحق ، الى التوراة كما أوحى بها الى موسى ، والى الانجيل كما أوحى به الى عيسى . وهذا هو نداء القرآن الكريم في هذا الصدد .

(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) (٦) ثم يقول « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (٧) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم للمجتمعات الانسانية العقيدة الحقة والدين القويم المتضمن لكل مقومات الحياة الانسانية عقدية كانت أو تشريعية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية .. (ذلك الدين القيم) وهو دين الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » وقد صدق الله تعالى حين قال في محكم كتابه . « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » (٨) .

٢ ـ مشكلة حق الحياة

أما مشكلة حق الحياة فقد عالجها القرآن بما يهيء لكل فرد من أفراد البشر حياة الأمن والسلام ، وبما يوقر في نفسه أن حياته ودمه وكل أعضائه الظاهرة والباطنة مصونة من الاعتداء، محفوظة حرماتها من الانتهاك ، فقد سنّ القرآن الحدود الزاجرة والعقوبات الرادعة على مختلف الجرائم ، ولكنه كان أكثر صراحة وأعنف تشددا في تحديد العقاب على جريمة القتل لما يترتب عليها من انتشار الفزع في المجتمع وارتفاع الثقة من بين أفراده ، مما يؤدى لا محالة الى انهياره

---

(١) ٣٠ سورة الروم (٢) ١٩٠ ، ١٩١ سورة آل عمران (٣) ٣ سورة الجاثية
(٤) ١٨٤ الاعراف (٥) ٣٧ : سورة فصلت .
(٦) ١١٣ سورة البقرة (٧) ٦٨ : المائدة (٨) ٩ : الاسراء .

وتحلله وذهاب سطوته وبأسه ، وقد جاءت النظرية القرآنية فى تحديد العقوبات عامة ، وفى العقوبة على جريمة القتل خاصة ، متفقة مع طبائع البشر ، ملائمة لأسمى ما وصلت اليه القوانين الوضعية الحديثة ، بل تجاوزتها سموا وتقديرا للأمور وعمقا فى معرفة الأسرار والدوافع والكشف عن البواعث النفسية التي تدفع الى الجريمة ، روعي ذلك وأكثر منه فى دستور القرآن وشريعته منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام .

هذه المبادىء التي راعتها شريعة القرآن فى علاج مشكلة حق الحياة هي :

أولا : ـ أن الجريمة مرض ينتاب المجرم ، وعلى هذا فالعقوبة قصد بها أحد أمرين أو هما معا . (١) علاج المجرم من مرض الاجرام (٢) حماية المجتمع من أضراره وما يترتب عليه من مفاسد .

وثانيا : ـ أن القصاص مصلحة اجتماعية .

وثالثا : ـ اذا تطرق الشك الى أدلة اثبات للجريمة لا يدان المتهم بل تسقط عنه العقوبة

ورابعا : ـ مصلحة المجتمع مقدمة على مصلحة الفرد ، حين تتعارض المصلحتان .

وعلى ضوء هذه المبادىء وضع القرآن الكريم العقوبة على جريمة القتل وعلى جريمة الاعتداء على أى عضو من أعضاء البدن ، وتعطيل أى جهاز من أجهزة الفرد الضرورية حسيا كان أو معنويا .

وقد رهن القرآن حياة المجتمع كله ، وأوقفها على تنفيذ العقوبات المفروضة على هذه الجرائم بدقة ، ولهذا قرر أن يضحي بحياة فرد من أفراد المجتمع فى سبيل الابقاء على حياة المجتمع وصيانة سلامته كله .

يعبر القرآن عن هذا المعنى تعبيرا واضحا فى الآيتين الكريمتين ، وهما قوله تعالى :

« ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون (١) .

وقوله « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٢) .

وتحريا للعدالة فى تطبيق العقوبة وتفريقا بين القتل الناشيء عن قصد وروية وبين القتل الناشيء عن خطأ ، ومن غير قصد اليه أو ارادة له ، قسم القرآن القتل الى هذين النوعين ، وشدد فى عقوبة النوع الأول ، فجعلها القتل لقوله **« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى »** . بينما جعل عقوبة النوع الثاني دفع الدية من القاتل أو أوليائه الى أولياء المقتول ، ما دام القاتل لم يصدر فى تصرفه عن حب للجريمة أو ميل اليها بل لم يقصد اليها . وانما جاء ذلك منه عفوا وبغير قصد . فكانت الدية بمثابة تطييب لخاطر أولياء الدم أو تعويض لهم عن بعض ما فقدوا بفقد عائلهم من مورد رزق أو ايناس بصحبه.

أما العقوبات التي حمى بها أعضاء أفراد المجتمع وحافظ بها على كمالهم الجسماني ليظل كل فرد عاملا حيا وعضوا نافعا ليس معطل الحركة ولا مشلول النشاط فلم يهملها القرآن ، وانما شرعها وميز بين انواعها المختلفة فى تكييف الجريمة والحكم عليها وتحديد العقوبة لها . وقد جمعت العقوبة على تعطيل حاسة من حواس الجسم أو وظيفة من وظائفه الظاهرة أو الباطنة فى قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له » . (٣) كان ذلك مكتوبا فى التوراة وأقره القرآن فصار شريعة لنا كذلك .

---

(١) ١٧٩ سورة البقرة (٢) ٣٢ : المائدة . (٣) ٤٥ سورة المائدة

ولما كان ايقاع القصاص بقتل القاتل أو قطع عضو من أعضاء الجاني نظير ما قطع أو عطل من أعضاء غيره ، قد تترتب عليه أضرار اجتماعية أو يلزمه ارتكاب خطيئة أكبر فى حق الغير ، فتح القرآن لصاحب الحق فى العقوبة باب العفو ان رأى ذلك وفضله لاعتبارات اجتماعية ، ولتفادى أضرار قد تلحق بالجماعة كلها أو ببعض أفرادها اذا ما استمسك بحقه فى تنفيذ القصاص . ومن أجل أمثال هذه الحالات لم يوجب القرآن عقوبة القتل كما لم يوجب القصاص بالمثل فى غيره وانما جعل ولي الحق مخيرا بين القصاص وبين العفو فى مقابل دية من القاتل او القاطع يدفعها لأولياء المقتول أو المقطوع وفى هذا يقول القرآن الكريم

((فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)) (١) . ثم يزيد ما عناه فى تلك الآية السابقة ايضاحا فيقول ((فمن تصدق به فهو كفارة له)) .

هذه هي عقوبة القرآن فى دنيا الناس ، وعلى أساس الأحكام الظاهرة التي يجريها القضاء ، أو يقضي بها الحاكم طبقا لما ظهر من شواهد ، وما اتضح عنده من بينات . فقد يهتدى الحاكم فى قضائه الى الحق ، وقد يجانبه ذلك بسبب ما يضلّل به من شواهد ، أو يزيف عليه من بينات يضلّل به من شواهد،أو يزيف عليه من بينات وأدلة، ولذلك يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »

وهذه الولاية من الله سبحانه لسرائر الناس قضت بأن يلحقهم العقاب فى الآخرة ، مهما أفلتوا منه فى الدنيا ، ولهذا سن القرآن العقوبات الأخروية بجانب الدنيوية أو بدلا منها على الخلاف فيما اذا كانت الحدود زواجر أو جوابر . فقال جل من قائل .

((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)) (٢) .

هذا هو موقف القرآن الكريم من مشكلة حق الحياة . عالجها بحكمة وواجهها بصرامة وصراحة ووضوح فأحاطها بما يحول بين الناس وبين اهدارها أو الاستهانة بها ، وكان فى كل حكم شرعه أو عقوبة سنها أو تحذير وجهه لا يراعى الا مصلحة الجماعة والحفاظ على ترابطها وقوة تماسكها وسلامتها من الأمراض الفتاكة والعلل المهلكة ، والآفات الاجتماعية التي تهدد حياة المجتمعات الانسانية وتزلزل كيانها وتجعل مصائرها فى متناول الأنواء ومهب الأعاصير .

أما حق الملكية فله حديث آخر .

نغمة العفو

قال الاصمعي :

سمعت أعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله: « آلهي . ما توهمت سعة رحمتك الا كانت نغمة عفوك تقرع مسامعي ، أن قد غفرت لك ، فصدق ظني بك ، وحقق رجائي فيك ، يا الهي » .



كم صديقا لك ؟

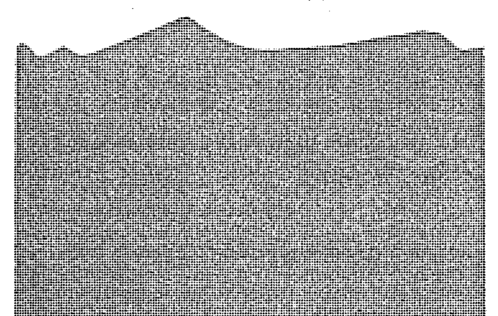
قيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال لا أدرى . الدنيا مقبلة علي والناس كلهم أصدقائي ، وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني .

---

(١) ١٧٨ سورة البقرة (٢) ٩٣ سورة النساء .

فلسفة الصحوة الإسلامية

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة
بجامعة دمشق



يتساءل رجال الفكر الاسلامي اليوم : كيف ، ومتى ، والى أين يسير المسلمون في ركب الحياة المعاصرة ، وما هو طريق الاصلاح المنشود ، وما هي الدعائم التي تحقق الأمل المرتجى ، وما هي الوسائل التي يستطيع بها المسلمون السير وفق خطة موضوعية متكاملة شاملة لجميع مرافق الحياة ؟

هذه أسئلة تجول في أذهان الناس ، وعلى لسان كل مسلم غيور على دينه ، متطلع الى مستقبل أفضل لهذا الدين ، بحيث يصبح الرائد الأول لجميع الاتجاهات ، والحاكم الفاصل في كل القضايا وشؤون الحياة .

وفي رأيي أن الطريق واضحة وأنه يمكن للمسلمين القيام بدور ايجابي في معالجة أوضاع المجتمع الحديث ، على أساس من الاتزان والاعتدال ، وفي روح متجردة ، وفي اطار تربوي سليم يتلاءم في نهجه وهدفه مع تغير الزمان والمكان ، وأحوال المدنية الجديدة ، ويمكن تحقيق ذلك من جانبين :

الجانب الأول : ـ

تأصيل وتقرير الفكرة الاسلامية وابراز القانون الاسلامي واثارة الوعي الديني الصحيح ، عن طريق نشر الثقافة الاسلامية ، وتركيز أهدافها من قبل أولئكم الرجال المخلصين ((المحايدين)) الذين لم يقعوا في أسر فئة معينة أو حزب معروف ، او ممالأة السلطات الحاكمة .

الجانب الثاني : ـ

مساندة السلطات الاسلامية لرجال الفكر الاسلامي الناضج ، بتشجيعهم ، وتبني آرائهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، وتكليفهم في ظل دولة ـ كدولة الكويت الفتية الفنية ـ بوضع نظام اسلامي شامل لجميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية .

وبهذين الجانبين يمكن السير قدما الى الأمام ، اذ لا يكفي الاعتماد على العواطف المجردة ، والتفكير السطحي ، والذهاب مع الخيال ، وترديد

مثل قوله تعالى: ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) أو قوله صلى الله عليه وسلم ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)).

والى أن يتم تحقيق مثل هذا الحلم أبين شيئا عن الخطوط العامة لتفاعل الاسلام مع الحياة .

الاسلام أساس المجتمع الفاضل

الدين الاسلامي باعتباره دين الفطرة يعتبر نظاما قائما بذاته وشاملا لجميع ميادين الحياة ، بل هو عصب الحياة ، وأساس كل مجتمع انساني سليم ، فليس الدين قاصرا على الفرد ، ودور العبادة أو الزوايا أو التكايا ، وانما هو طريق السعادة الاجتماعية ، والحارس الأمين على مصالح المجتمع ، وتنظيم العلاقات بين الأفراد في معاملاتهم وسلوكهم وفاعلياتهم المادية أو الاقتصادية .

والسر في تأثير الدين - فضلا عن أنه من لدن حكيم خبير - هو ما ينطوى عليه من مثالية وقوة روحية وسلطان قلبي ، ودافع ذاتي ، يدفع الناس الى التزام جادة الأخلاق ، والخشية من الله وحده ، وطهارة القلب ، وعلو النفس ، ويقظة الضمير ، والشعور بالواجب .

الدين والضمير

واذا انحسر الدين عن الحياة - لا سيما في أوساطنا العربية - اضطربت الجماعة ، وسادت الفوضى ، وانتشر الفساد والقلق بين العباد ، وهذا هو تعليل الضعف الذى ندركه في مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، التي يسارع الناس في كل فرصة للخروج على مقتضياتها وأحكامها بكل جرأة وصراحة وعلانية ، وسبب ذلك هو أن القوانين تنظم فقط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، وتترك علاقة الفرد بربه ، وعلاقته بنفسه ، فكان الاسلام - دون تعصب - هو الدرع الواقي من كل انحلال خلقي ، أو تعثر مسلكي وسياسي ، بما تجسد في مبادئه ومقدساته من ضوابط عامة ، ورقابة متلازمة نابعة من الضمير ، وخشية الله وحده وبما تهيأ في تشريعه الخالد من تنظيم لعلاقات الانسان الثلاث : علاقته بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بمجتمعه .

كما أن الاسلام ليس دينا روحيا فقط ، ولا دينا ماديا فقط ، وانما هو دين روحي ومادى معا ، فهو يعني عناية أصيلة بتربية الفرد ، بحيث تقوى نفسه وروحه ، وتعلو همته ، وتحفظ كرامته ، فاذا انطلق الى المجتمع كان عضوا صالحا ، نفاعا لغيره ، قائما بالخيرات ، مبتعدا عن الشرور والسيئات ، متفانيا في القيام بواجبه .

وقد كان توفيق الاسلام بين الحاجات الروحانية ، والمطالب المادية على أساس شريف مثالي عملي ، فلم يهمل الاسلام في تشريعه المطالبة بالعمل من أجل الحياة ، قال الله تعالى : ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين)) وقد ورد في الأثر عن بعض الصحابة ما هو معروف من قول سيدنا علي كرم الله وجهه : ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)) ، كما أن هناك نصوصا كثيرة في مصادر التشريع الاسلامي تطالب بالزراعة والتجارة والصناعة ، وتعتبر ذلك من فروض الكفايات ، لأن المجتمعات تكون قوية بقوة أفرادها العاملين ، وغنى المجتمع يؤدى بدوره الى توفير الغنى للدولة وتقويتها والحفاظ على هيبتها ومنعتها وكرامتها أمام الأعداء ، قال عليه السلام : ((المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)) .

واذا كان الانسان مفطورا على حب الذات، والسعى وراء مطامعه الشخصية وأهوائه الخاصة ، الا أن ذلك في تقدير الاسلام لا ينبغي أن يؤدى الى طغيان مصالح الفرد على مصالح الجماعة ، أو تحقيقها على حساب المجتمع ، لأنه اذا كان من حق الفرد توفير حريته وكرامته وانسانيته ، فان وظيفة التشريع : أن يوازن بميزان دقيق بين مصالح الأفراد : وأن ينظم علاقات الناس بحيث يهيء لكل موهبة فردية أو طاقة انتاجية سبيل الازدهار والنمو في اطار المصلحة العامة ، حتى انه يعتبر الاعتداء على الجماعة بمثابة الاعتداء على كل فرد بعينه ، وهذا ما سلكه الاسلام .

والدين ليس عبئا على المجتمع كما يظن بعض الناس ، كما أنه ليس قيدا على حرية الفرد كما يظن بعضهم الآخر ، وانما وظيفة الدين : هي صقل النفوس وتهذيب الأخلاق ، للحفاظ على مصالح الفرد والجماعة كما بينا .

ومما يثبت أن الاسلام دين اجتماعي : أنه جعل

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر باعثا على الفضائل ، ورقيبا على الاعمال ، ومذكرا بالخيرات ، فمن راقب الله وخشي بطشه وعقابه أقبل على فعل المعروف والنفع العام ، وأحجم عن الشر والمنكر وارتكاب القبائح ، وكان في عمله ومهنته رحيما بغيره ، محبا لأبناء وطنه وجنسه ، متعاونا مع بني قومه : لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله .

وكذلك العبادات في الاسلام تجعل من الدين مظهرا اجتماعيا ، فالحج في أساسه وجوهره أمر اجتماعي ، ولا يصح أن يكون بشكل فردى خاص ، وهو أكبر مؤتمر اسلامي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد ، تتوحد فيه مشاعرهم ، وتتآلف قلوبهم ، ويتذاكرون في مصالحهم ، وينظمون فيه جهودهم وجهادهم نحو العدو .

والصوم ايضا ظاهرة اجتماعية، يصوم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في يوم واحد ، وشهر واحد ، ولهم عيد واحد ، وهو ليس عبادة فقط ، وانما فيه جانب تربوى عظيم ، بحيث يعتبر مدرسة لتعليم الفضائل ، وتنمية المثل العليا اذ انه منهاج أصيل في تهذيب النفس ، وترقية الغرائز ، وضبط الهوى والشهوة ، وحفظ اللسان وصيانة السمع والابصار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

وبالصوم يصفو الفكر ، وتقوى الارادة ، وتشحذ العزيمة ، ويتغلب حكم العقل على حكم الهوى ، لأن شهر الصوم شهر الصبر ، وما أحوج المسلمين والعرب اليوم الى تقوية عزائمهم واحكام ارادتهم ، لتطهير بلادهم من العدو الدخيل .

وفي شهر الصوم باعتباره شهر المواساة : تنمو عواطف الخير ، وتزداد الأحاسيس والمشاعر ، ويشعر الناس بضرورة العطف على الفقراء والمساكين ، ومسح دموع الأرامل والمحتاجين ، وكأن الصوم محطة لتعبئة القوى الروحية طيلة أيام السنة .

والزكاة أيضا ظاهرة اجتماعية كما هو واضح ، لانها تشرك الفقراء في أموال الاغنياء ، وتقيم التوازن بين مختلف فئات الناس ، وتخفف من حدة تكديس الأموال والثروات الضخمة بيد طبقة معينة .

وما أجدرنا أن نذكر اليوم قوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .

أسباب التخلف

واذا كنا نشاهد في وقتنا الحاضر بعض التهاون في أحكام الدين ، فذلك يرجع لعوامل كثيرة منها : عامل تاريخي : وهو أن الناس يعشقون بطبيعتهم كل جديد ، وينفرون من كل قديم ، غير أنهم في هذا بالنسبة لأمر التدين آثمون مخطئون ، لأن التدين فطرى أيضا في النفوس ، ودين الاسلام لا تبلى جدته ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ومنها : الاستعمار : فقد حاول المستعمرون اضعاف الدين عند الناس ، وأغروهم بالخروج على شعائره ومقدساته باسم المدنية والحضارة وتطور الزمان .

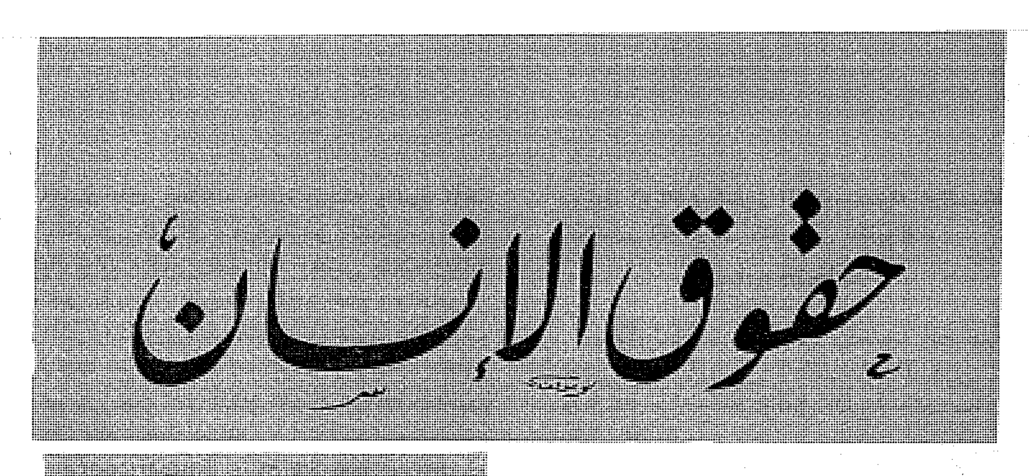
ومنها : تأثير الثقافة الغربية : وهذا واضح في مدارسنا وأفكار الكثير من شبابنا ورجال التعليم فينا ، فقد غزانا الغرب بثقافاته وأفكاره ، وشوهوا لنا جمال صورة الاسلام النقية ، عن طريق الدعايات ، والمستشرقين ، والتأثير في طلاب البعثات الى أوروبا ، فكانت النتيجة اقتناع المثقفين والناشئة بزخرف الحياة الغربية وهجران تعاليم الاسلام .

ومعالم الاصلاح واضحة أولا ــ في مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وثانيا : ــ مجال التوجيه الصحيح ونشر الثقافة الاسلامية الناضجة ، وافهام الناس بحقيقة الاسلام ، وتصحيح مفاهيمهم ، واصلاح اخطائهم وتصوراتهم عن منهج الاسلام ، وذلك في دور التعليم والتربية والمدارس والجامعات .

وثالثا : ــ يجب تغيير ما بالنفوس ، وتقوية الايمان ، وارساخ العقيدة ، والايمان برسالة الاسلام عن بينة وحجة وبرهان . وصدق الله تعالى حيث يقول :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » .



حقوق الانسان

للشيخ عبد الحميد السائح

كل سنة تحتفى دول العالم فى ١٠ ديسمبر ، استجابة لقرار الامم المتحدة بيوم حقوق الانسان .

والامم المتحدة نشأت وتكونت سنة ١٩٤٥ ، وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة وثيقة حقوق الانسان ، وفى سنة ١٩٥٠ تقرر ذلك اليوم ميعادا لاحتفال عالمي .

وتلك الوثيقة التي كانت نتيجة عصارة اكبر ادمغة فى هذا العالم ، تمثل معظم تلك الدول التي كانت اذ ذاك ممثلة فى هيئة الامم ، احتوت على ثلاثين مادة ، تدور حول الحرية بانواعها ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ، والعدل فى المعاملة ، وان يكون قوام الحكم مشيئة الشعب .

وانا لا اريد ان اكون متجنيا ولا متزمتا ، ولا متحيزا ، وانما اريد ان اكون منصفا الانصاف كله ، متخليا من كل ميل او عاطفة ، تجرني الى رأى غير سديد ، او قول يجافي الحقيقة .

ان وضع تلك الحقوق ، بقرار اجماعي ، يصدر عن دول تمثل معظم شعوب العالم ، خطوة ايجابية محمودة ، ومرحلة اجتماعية هامة .

ولكن الذى اريد ان اتعرض له هنا نقطتين ، اولاهما : اى الدول اشد حاجة الى تطبيق تلك المبادىء ، وتنفيذ روح تلك الحقوق ؟ واخراهما : هل سبق الامم المتحدة غيرها فى اقرار هذه الحقوق او لا ؟ .

اما الجواب عن النقطة الاولى ، فواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ذلك ان جميع الامم مهما كانت انظمة الحكم فيها ، تحتاج الى تقنين او تعارف ، يحول دون الظلم فيها ، او منها على غيرها ، ولكن هذه الحاجة فى الدول الكبرى ذات البطش الشديد والقوة والبأس ، أشد واكثر ضرورة .

الحاجة الى التطبيق

ودليلنا على ذلك ، ان الظلم بانواعه يقع فى تلك الدول ويصدر عنها اكثر من الدول الصغيرة ، فان اميركا مثلا ، وهي من اعظم دول العالم قوة وثراء ، وبسطة فى النفوذ ، لا يزال حتى الآن والى الغد ، فيها تمييز بين اسود وابيض ، وفيها ظلم من الابيض على الاسود ، وفيها اعتداء صارخ على ابسط الحقوق البشرية ، ومنها يتكرر الظلم باساليبه وانواعه ، بتأييد الاستعمار والعدوان ، ودعم الطغيان ، سواء فى اسرائيل التي خلقوها على ارض عربية اسلامية ، وأيدوا طرد اهلها من ارضهم التي ولدوا وعاشوا عليها ، وحرمانهم من معابدهم التي حرصوا على التردد اليها ، وأمدوها بالسلاح والاموال للامعان فى عدوانها ، وتأييد باطلها وتسليح ظلمها ، أما فى غير اسرائيل من البلاد التي فيها بعض الخلافات والنزاعات ، فان اميركا وتسندها احيانا انكلترا والمانيا وغيرهما من دول الاستعمار ، ينحازون لفريق دون آخر ، ويحرضون فريقا ضد آخر ، ويمدون فريقا بالاعتدة والسلاح ليعتدى على الفريق الآخر .

وقل مثل ذلك بالنسبة لسائر الدول الكبرى ، مهما كان نظام الحكم القائم فيها ، اذن فهذه الحقوق التي اقرتها الوثيقة ، تشتد حاجة الدول الكبرى الى تطبيقها ، لا لمصلحتها وحسب ، بل لمصلحة السلم العالمي ، ولمصلحة سائر الدول

الصغرى ، ولمصلحة المنطق الانساني والحق الانساني المحض .

والواقع المشاهد ان الدول الكبرى في هيئة الامم ، لا تترك للدول الصغرى حريتها في ابداء الراي الذي تريد ، ولا تدعها تدعم العقل المطلق الذي تعتقده ، بل تستعمل معها وسائل الاغراء والتهديد ، لتحملها على راي معين ولو خالف رايها ، وحملها على دعم ما تعتقده ظلما وعدوانا !!

فما هذه الحقوق المدونة على ورقة بيضاء او صفراء او زرقاء او حمراء ؟ وما قيمة هذه الوثيقة اذا لم يصن حقوقها اكابر واضعيها ، وهم القوة المحركة الفعالة في هيئة الامم وفي معظم لجانها وتشكيلاتها ؟

وهنا يتضاعف واجب الدول الصغرى ، في ضرورة تماسكها لمحاربة هذا الظلم ، ومقاومة هذا الطغيان ، حتى تحمي نفسها ، وخير للامم الصغيرة ان تغلب لبعضها في بعض الحقوق والحدود غير الجوهرية ، من ان تترك للكبار حق التسلط والنفوذ ، فان ما يضيع منها في الحالة الاولى قد تعوضه في مناسبة او اخرى ، واما في الحالة الثانية فان ما يضيع منها عزيز وغال ، وهو حريتها وكرامتها وعزها وحق انسانيتها .

هل سبق الامم غيرها

اما النقطة الاخرى وهي : هل سبق الامم المتحدة غيرها في وضع هذه الحقوق وتشريعها ؟!!

نعم ، ان بعض الاديان في القديم حاول دعوة الناس الى المحبة ، والى وضع حدود بين ما هو حلال وبين ما هو حرام ، ثم ظهر افراد في التاريخ ممن شعروا بظلم صارخ احاط بهم ، فلم يطيقوا صبرا دون ان يحاولوا اشعار الناس بالانصاف ، وهنا نذكر حلف الفضول حيث تحالف جماعة من قريش قبيل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، الا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها ، او من غيرهم من سائر الناس ، الا كانوا معه حتى ترد اليه مظلمته ، ثم اخذ بعض المصلحين هنا وهناك يكتبون وينبهون والناس في كثير من انحاء العالم في اغراق من الظلمة والمظالم ، ثم في سنة ١٦٨٨ حصلت ثورة في انكلترا ، نتج عنها اقرار حق الشعب ، وان راى البرلمان الممثل للشعب مرجح على راى الملك .

ثم في سنة ١٧٨٩ قامت الثورة الفرنسية ، التي نشا عنها اعلان الحريات والحقوق الانسانية على الوجه المبين في ميثاقها .

وكثير من الناس ينسبون هذه الحريات التي يتمتعون بها والتسوية في الحقوق والواجبات الى الثورة الافرنسية ، ثم الى وثيقة الامم المتحدة ، ولكن هذا او ذاك تجاوز على الحقيقة واغراق في البعد عنها ، وذلك لان الاسلام عالج هذه الحقوق معالجة جذرية وقررها في غير لبس ولا ابهام ولا مداورة .

حرية العقيدة

اما الحرية بانواعها ، فان القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الخالد ، الذي لم يتطرق اليه التغيير والتبديل ، قد تكفلها ، وسيرة الرسول واصحابه قد دعمتها بما لا يبقى معه مجال لاحتمال . من ذلك : ــ

١ ــ قوله تعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » الاية (٢٥٦) من سورة البقرة .

اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن سعيد بن جبير قال : كانت المراة من الانصار اذا كانت نزرة او مقلاة ، تنذر لئن ولدت ولدا لتجعلنه في اليهود ، تلتمس بذلك طول بقائه ، فجاء الاسلام ، وفيهم منهم . فلما اجليت النضير ، قالت الانصار يا رسول الله ، ابناؤنا واخواننا فيهم ، فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : «لا اكراه في الدين»... الاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد خير اصحابكم ، فان اختاروكم فهم منكم ، وان اختاروهم فهم منهم فاجلوهم معهم) .

٢ ــ وقوله : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ... الاية (٩٩) من سورة يونس .

حريــة الرأي

٣ ـ كان اصحاب رسول الله يتمتعون بحرية تامة في مجالس الرسول ومخاطبته ، حتى ان الحباب بن المنذر اشار على الرسول في غزوة بدر ان ينزل في مكان غير الذى نزلوا فيه اول الامر ، ثم يتغوير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل اليه المشركون ، فقبل الرسول اقتراحه واخذ برأيه .

وكذلك في غزوة الخندق حين استشار الرسول اصحابه فاشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، عند المنفذ الذى خيف ان يهجم منه الاعداء على المدينة فقبل الرسول رأيه وامر بحفر الخندق .

وكان اصحابه يعترضون على بعض اعماله ، حين توزيع الغنائم مثلا ، ويستوضحون منه أى امر غمض عليهم:فلم يمنعهم الرسول من حرية الرأى .

٤ ـ حينما شكى فتى قبطي الى عمربن الخطاب، ابن عمرو بن العاص ، الذى كان ابوه حاكـــم مصر ، قال عمر لعمرو قولته المشهورة (منذ كم يا عمرو استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) .

المساواة

واما المساواة في الحقوق والواجبات ، فـــان الاسلام اقرها في عدة مجالات ، من ذلك : ـ

١ ـ قوله تعالى : يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) ـ الآية ١٣ من سورة الحجرات ـ

٢ ـ قوله تعالى : ((قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)) ـ الآية (٦٤) من سـورة آل عمران ـ

٣ ـ خطب رسول الله في حجة الوداع فقال : ايها الناس الا ان ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ، ولا لاحمر على اسود ، الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

٤ ـ حينما سرقت امرأة من بني مخزوم (وهم من اشراف قريش) ووصلت قضيتها للرسول ، اراد ان يعاقبها ، فعظم على قومها ذلك ، وارسلوا أسامة بن زيد شفيعا للرسول ـ (وكان محببا اليه ومقربا لديه) ـ فقال الرســول لاسامة : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم دعـــا الناس وخطبهم ، وقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا الحد عليه ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ـ رواه البخارى ـ .

٥ ـ قال عمر بن الخطاب في وصـيته لسـعد ابن ابى وقاص : ان الله ليس بينه وبين أحـد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهـم ووضيعهم في ذات الله سواء :

٦ ـ غضب ابو ذر الغفارى من بلال بن رباح ، فقال له يا ابن الحمراء ، فشكاه الى الرسول ، فغضب صلى الله عليه وسلم وقـال لابي ذر : انك امرؤ فيك جاهلية يا ابا ذر : ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود ، الا ان تفضله بعمل صالح .

٧ ـ اسلم جبلة بن الايهم وكان زعيمـا في(١) قومه ، وحينما كان يطوف حول الكعبـة ، داس ازاره شخص من بني فزارة ، فلطمه جبلة، وحينما رفع الامر الى عمر بن الخطاب ، أمر ان يقتص من جبلة جزاء عدوانه على الفزارى ، فاستعظم جبلة ان يقتص منه لشخص عادى ، فقال له عمر : الاسلام سوى بينكما .

٨ ـ كان لذلك التشريع الالهي اثره العميـق الايجابي في نفوس المسلمين وتصرفاتهم ، حتى ان علي بن ابي طالب حينما جلس مـع يهـودى متخاصمين بين يدى عمر بن الخطاب ، انكر علي عمر ان يناديه بلقبه ابي الحسن ، حيث ينادى خصمه اليهودى باسمه ، وكان الخليفة يجلس مع بين يدى القاضي ليطبق عليهما حكم الاسلام .

---

١ ـ كان ملك الغساسنة ، وأسلم مع خمسمائة من قومه ثم ارتد بسبب رفض سيدنا عمر التمييز بينه وبين الفزارى .

معنى المساواة

والمساواة التي اقرها الاسلام هي ان يحوز الانسان المجد ، ومظاهر الحياة والسلطان ، ونعمة المال والمناصب والوظائف حسب جهده واستعداده ، وكفايته لا يحول دون ذلك ضآلة نسب ، ولا معابة لون،فالعربي والعجمي والاسود والابيض لهم ان يتمتعوا حسب نصوص الاسلام بالحقوق العامة كحق الحياةوحق الملكية والحقوق الاخرى من غير تفريق ، ويسرى القانون عليهم جميعا من غير تمييز .

وليس القصد من المساواة ان يكون الناس متساوين فى الثروة ، لا غني ولا فقير لا عامل ولا صاحب عمل ، فان ذلك يجافي الطبيعة البشرية ويصرف ذوى الجد والذكاء ، والملكات عن استخدم قواهم ومواهبهم فى ترقية الحياة وتقدمها بالابتكارات والتفكير والنشاط .

العدل

واما العدل فى المعاملة فان الاسلام اقره بصورته المطلقة الواسعة ويتضح ذلك مما يلي : —

١ — قول الله سبحانه : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا أعدلوا هو اقرب للتقوى » — الآية (٨) من سورة المائدة .

٢ — قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » — الآية (١٣٥) من سورة النساء — . أى لا يجوز ان يحملكم عداوة قوم او كرههم على ان تظلموهم فى المعاملة او فى الشهادة ، فان العداوة والصداقة والمحبة والكراهية ، والقرابة وعدم القرابة والغنى والفقر والمركز والجاه واللون والجنس والدين ، تستبعد كلها : حين التعامل وحين التقاضي وعند الشهادة ، والواجب هو العدل المطلق باوسع معانيه واكمل مشتملاته .

٣ — قوله سبحانه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » — الآية (٨) من سورة الممتحنة — .

٤ — قال الامام ابو يوسف : وحدثني عمر بن نافع عن ابي بكر قال : مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل ، وهو شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عمر عضده من خلفه ، وقال : من اى اهل الكتاب انت ؟

فقال : يهودى .

قال : فما الجأك الى ما أرى ؟

قال : اسأل الجزية والحاجة والسن .

فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله واعطاه ما تيسر ، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » ، والفقراء هم المسلمون ، والمساكين اهل الكتاب وهذا منهم .

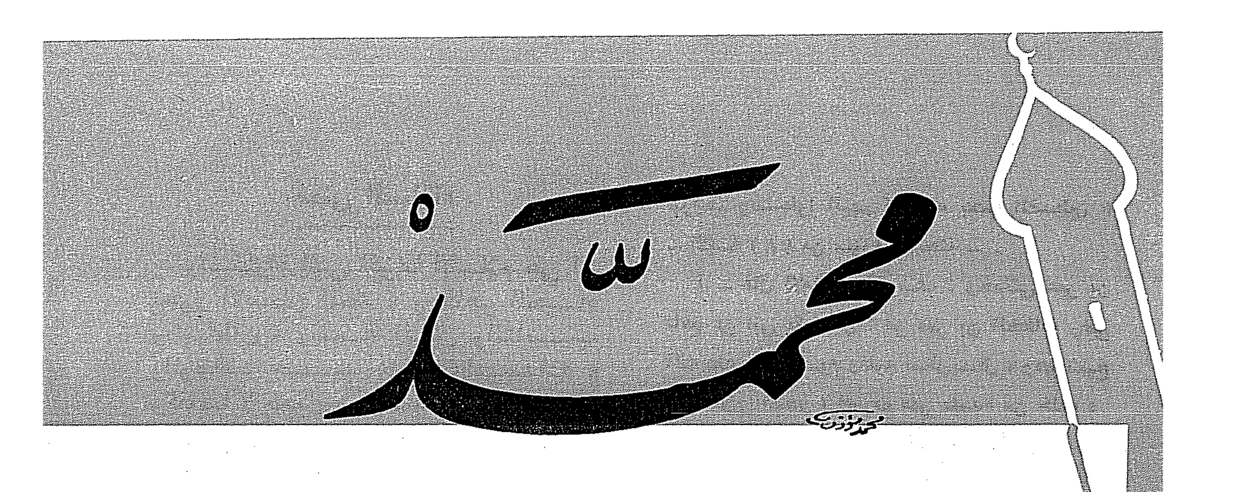
٥ — وقال ابو يوسف فى وصاياه لامير المؤمنين هرون الرشيد « وينبغي ان تتقدم فى الرفق باهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من اموالهم الا بحق يجب عليهم ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا حجيجه » .

وقال ايضا : « وحدثني بعض المشايخ المتقدمين يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه ولى عبد الله بن ارقم على جزية اهل الذمة ، فلما ولى من عنده ناداه ، فقال : الا من ظلم معاهدا ، او كلفه فوق طاقته ، او انتقصه ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامة » . — انظر كتاب الخراج صفحة ١٢٥ — ١٢٦ — .

٦ — قول الرسول : « اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه » .

وهو هدي ظاهر فى ضرورة العدل والرفق فى معاملة الخدم وعدم ظلمهم او تحميلهم من العمل

البقية على ص ٣٠



الدين عندك ملـــةٌ ســـــمحاءُ | والحـق نارٌ في الـورى وضيـاءُ
ياصاحب الديـن الحنيف تحيـــةً | تُجـزى بها آلاؤُك الغـــــرَّاء
لما حملـــتَ البينات تـــلألأت | في الخافقـيْن من الهـدى أضـواءُ
وشرعْتَ منهـاج الصـوابِ وطالما | ضل الطريـقَ مُشَـرّعٌ وقضـاء

* * *

حطمت أوهام العبيـد فكلُّــهم | والمالكـون رقابُهـمْ أكـْفـــاء
ما ضـرَّهم أن قد تفـرّقَ لونُهـم | فجميعهم فيما شـرعْتَ ســـواء
لا القـوة الرعْنـاءُ تحكُمُ بينهـم | أبدا ولا تتحكَّـمُ الأهـــواء
فالناس كلُّ النـاسِ فـردٌ واحـد | لافـــرق الا تلكـمُ الأسماء

* * *

لا الفقـر يـُزْرى بالفقـير ولا الـغنيَ | يُطْغِـي الغَنـِيَّ فتَـهْلِكُ الفقـراء
فالمـال في عنـق الغـنيّ أمانـــةٌ | يسعى بها فيمـا سعى الأمنـــاءُ
فعليـه من حق الزكـاة فريضـــةٌ | ولِكلّ من طلب العطـاءَ عطاءُ
حتى إذا أعطى فَسِـرٌّ مُغْلَـــقٌ | يـُودِي بجُـل ثوابـه الإفْشَـاءُ
وإذا أقام المـال عن إنفـــاقه | فلـه إذا حـل الحسـابُ جـزاء
فالمـالُ مالُ اللـه في عليـــائه | والناس في ملك الـورى شـركاء

* * *

وفـرَضْتَ أيام الصيـام ليلتقـى | أهـلُ الـغنى في الجوعِ والبؤسـاءُ

للاستاذ محمد النهامي

وجعلتَ للحج المناسكَ يلتقي | في ظلها وجلالها الغرباء
ولديك للآباء من أبنائهم | في غير كفر طاعةٌ عمياءُ
والأسرة البيضاء تخلق أمةً | في أصلها وفعالها بيضاءُ

***

حالفتَ أصحاب الكتاب فضمّهم | والمسلمين تعاهدٌ واخاءُ
وأخذت للحلفاء كلّ حقوقهم | ممن هديت فكلُّهم نظراء
سيان عندك في القضاء أميركم | والعبدُ إن ضم الجميعَ قضاءُ
ومشى القوى لدى لوائك صاغراً | لما احتمى بلوائك الضعفاء

***

وإذا أصر الجاهلون فما لهم | الا الصراع وأخْذَةٌ نكراء
ما حيلة الهادين في متجاهل | في قلبه مَطْويةٌ صماء
وإذا تَركْتَ الحربَ لا تَنسى لها | عُدداً ولا تدع السلام يُساء
أوْعَيتَ حين جمعت كل فضيلة | والفضل ما شهدت به الأعداء

***

يا سيدى حَنّتْ إليكَ جوانحى | وتدلهتْ في حبك الأحناءُ
واهتاجني أني لدى غسق الدجى | اذ ما ذكرتُكَ فالظلامُ ضياء
يا سيدى إنا نسير بقفرة | زاد الهجيرُ بها وقل الماء
يا سيدى كن للنجاة شفيعَنا | يا خيرَ من شهِدتْ له الشفعاء

بقية ـ حقوق الانسان

ما يشق عليهم ، وقد كان ابو ذر الغفاري رضي الله عنه يلبس خادمه مثل ما يلبس ، فلما سئل عن ذلك ، ذكر الحديث .

الشورى

واما الاعتماد على ذوى الرأى ، واستشارة ذوى المعرفة من الشعب والامة ، فان الله سبحانه ذكر في القرآن آيتين كريمتين تعتبران هما الاساس الاول في الشورى وهما قوله تعالى : « وشاورهم في الامر » الآية (١٥٩) من سورة آل عمران ، وقوله : «وأمرهم شورى بينهم» ـ الآية (٣٨) من سورة الشورى ـ وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير اصحابه فيما لم ينزل عليه بخصوص وحي كما حصل يوم بدر ويوم احد ويوم الاحزاب وفي مناسبات اخرى كثيرة .

وكذلك استشار ابو بكر يوم اقترح عليه عمر ابن الخطاب جمع القرآن ، كما استشار في حوادث كثيرة .

وعمر كان يشاور اصحاب رسول الله ،ويناظرهم حتى ينكشف الخفاء ، ولذلك صارت غالب قضاياه وفتاواه متبعة في مشارق الارض ومغاربها ، كما ذكر في(حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١٠٥ ») وكان يعارض بعض الآراء ولكنه يعدل عن معارضته حين يعلم ان مصدر الرأى هو الشورى ، ويتضح ذلك من الحادثة التالية :

علم ان جيش المسلمين بالشام قرد الانتقال من حمص الى دمشق ، فكتب الى واليه ابى عبيدة ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح ، والى الذين معه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، والمجاهدين في سبيل الله .

سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو . اما بعد ، فقد بلغني توجهكم من ارض حمص الى ارض دمشق،وتركتم بلادا قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم ، وخرجتم منها طائعين، فكرهت هذا عن رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم أعن رأى من جميعكم ذلك ؟ فقال ان ذلك من رأى خياركم واولى النهى منكم وجماعتكم ، فعلمت ان الله لم يجمع رأيكم الا على صواب ورشد في العاجلة والآجلة فهون ذلك علي ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم ، وقد سألني رسولكم المدد لكم ، واني ممدكم قبل ان يقرأ عليكم كتابي هذا ...

والامام علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله ، الامر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه عنك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين : او قال : العابدين من المسلمين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد .

الى غير ذلك من الحوادث الكثيرة والتعاليم المتعددة في الاعتماد على الشورى والاخذ بها .

القرآن وثيقة حقوق الانسان

بعد هذا الاستعراض ، تبين لنا ان الاسلام سبق العالم طرا في دعوته الصريحة للمساواة والحرية ، والعدل في المعاملة ، واقراره الحقوق الانسانية ، بصورة لا تدع مجالا لريب او تردد ، وان العالم يوم يسود دوله ومجتمعاته التخلي عن الاعراض والامراض الفتاكة والاهواء القاتلة والانحرافات الجارفة ، يعلن هذه الحقيقة ، ويقرر ان الاحتفال بيوم حقوق الانسان هو يوم الاسلام ، يوم انبثق نوره ، ورست قواعده ونشرت اعلامه ، ورفرفت راياته ، ذلك اليوم ، هو اليوم الذى اقرت فيه حقوق الانسان من لدن حكيم خبير ، وان تلك الحقوق سجلت في دستور المسلمين الخالد ، الذى لا يعتريه التغيير والتبديل ، وان تأثير آياته ونوره في العالم الاسلامي قديما وحديثا ، أفعل الف مرة من ميثاق الامم المتحدة او أى تشريع آخر .

ونحن نرى في هذا العصر ان مشكلة الزنوج في اميركا ، ومشكلة المنبوذين في الهند مثلا لا تزال من العقد البارزة ، وانه رغم ما سنت حكوماتهما من تشريعات صارمة ، ورغم الاحكام التي صدرت عن المحاكم والتوجيهات من الزعماء ، فلا يزال التمرد قائما ولا يزال التمييز بارزا ، ولا تزال المشاكل متوالية ، وانا اعتقد انه لا يحل هذه

المشاكل وامثالها الا الاسلام ، يوم يعتقده هؤلاء دين المساواة الحقيقية ، وانه ليس من وضع البشر ، ولا يمكن التخلى عن مبدأ أقره « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » – الآية (٦٥) من سورة النساء – .

والاسلام فى عصوره الزاهرة كان المثل الاعلى فى تنفيذ حقوق الانسان ، لا يفرق بين لون ولون ، او بين دين ودين ، واذا وقع فى التاريخ الاسلامي حوادث تنافي ذلك ، فانما هي نتيجة الانحراف عن المبادىء الاسلامية او الجهل بها ، والبعد عن ادراك معناها ومغزاها .

حاجة العالم الى الاسلام

وكما كان العالم حين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى امس الحاجة الى رسالة عامة تنقذ البشرية من الضلالات الفاشية ، والمظالم الطاغية ، فان العالم اليوم فى اشد الحاجة الى نشر مبادىء الاسلام ، واذاعة تعاليمه والتوعية بها وازالة الحجب الكثيفة التي احاطت بها وخلقتها المطامع والاهواء والانانية .

وحينئذ تتضح معالم هذا الدين بانه الملجأ الوحيد للهداية البشرية الذى يحفظ للناس حقوقهم كاملة .

وقد قال الكاتب الانكليزي الكبير برناردشو :

كنت ولا ازال اتناول دين محمد فاقدره تقديرا عظيما ، بروحيته العجيبة وحيويته العظيمة ، انه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير ، وملاءمة الازمنة ، فهو الحرى بان يكون دين الجميع فى كل دور وطور ، لقد تنبأت عن دين محمد انه سيكون مقبولا وملائما لاوروبا فى الوقت الحاضر ، ان قساوسة القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الاعمى ، قد رسموا الدين الاسلامي بالوان سوداء .. الخ .

العصر الاسلامي الأوربي

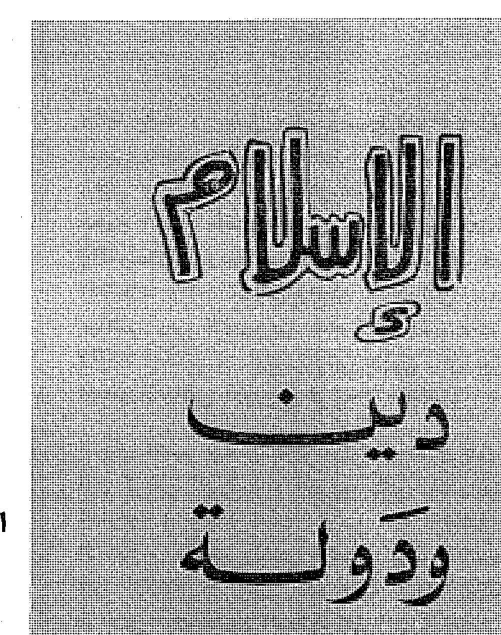
ثم قال ان اوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وانها بادئة فى عشق دينه وفلسفته ، كما انها ستبرىءالعقيدة الاسلامية عما اتهمت بهمناراجيف رجال اوروبا فى القرون الوسطى ، سيكون دين محمد النظام الذى تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشاكل والعقد ، ان كثيرا من مواطني ومن الاوروبيين يقدسون تعاليم محمد ولذلك يمكنني ان اؤكد نبوءتي فاقول : ان بوادر العصر الاسلامي الاوروبي قريبة لا محالة .

وان السير توماس ووكر آرنولد ، الذى شغل اول كرسي للدراسات العربية بكلية الدراسات الشرقية فى جامعة لندن ، وضع عدة مؤلفات عن الاسلام ومحاسنه واشهر مؤلفاته كتاب « الدعوة الى الاسلام » الذى ألفه سنة ١٨٩٦ وكتاب « تاريخ الخلفاء من البداية الى النهاية » .

ويقول المطلعون ان اهمية السير توماس لا تعود الى سعة اطلاعه فى الشئون الاسلامية والى مؤلفاته العديدة بقدر ما تعود الى الروح العلمية الاسلامية التي بثها فى نفوس طلابه النابهين الذين اصبح الكثير منهم طليعة المجتمع الاسلامي النير وفى مقدمتهم المرحوم الشاعر والمفكر الاسلامي الكبير محمد اقبال .

واني أختم كلمتي بدعوة شبابنا ورجالنا ونسائنا الى المطالعة ، والدأب على البحث العلمي النزيه ، ليصلوا الى النتيجة التي توصل اليها غيرهم نتيجة بحثهم ، وحينئذ يشعرون بضآلة اذا هم تمسكوا بأى مذهب ومبدأ ينافي تعاليم الاسلام ،ويدركون الخجالة التيتحوطهم، حين تتفتح لهم كنوز المعرفة ، وقد كانوا بعيدين عنها ،وهيكنوز آبائهم واجدادهم وثمرة حضارتهم ، ونتاج جهودهم، وهذا كله اذا كان القصد الوصول الى الحقيقة المجردة ، ولم تستولى فكرة المكابرة والجحود وفى مثل هذه الحالة لا تنفع الحجج ولا تفيد البراهين .

وقانا الله جميعا شر العناد المطغى وهدانا سواء السبيل ، انه سميع مجيب



كيف طغت القوانين الوضعية على الشريعة الاسلامية فى البلاد العربية :

ظلت الشريعة الاسلامية تحكم البلاد الاسلامية ، ومنها البلاد العربية قرابة أربعة عشر قرنا ، وكان المفروض ألا تحكم البلاد الاسلامية بقوانين وضعية الى الآن امتثالا لقول الله تعالى **(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون)** وفى آية ثانية **(هم الظالمون)** وفى ثالثة **(هم الكافرون)** . وقوله تبارك وتعالى **(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)**.

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة استئناف مصر

ولقد كانت سماحة الاسلام سببا فى الاعتداء على شريعته ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون انتشار هذا الدين عن تدبر واقتناع ، ليكون الايمان به وطيدا وضيئا يملاء القلوب نورا. وأبى سبحانه وتعالى أن يكره الناس على ذلك **(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)** ، **(افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** ، **(لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر . ان الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم)** .

ولذلك أمرنا أن نترك أهل الكتاب من الذميين والمستأمنين ومـا يدينون ، فكانوا يتحاكمون فى أقضيتهم فى الاحوال الشخصية ان أرادوا الى دينهم ، وكان لهم بالاندلس قاض منهم يدعى القومس ، بدأ هذا النظام تسامحا ومنة من الاسلام والمسلمين ، ولما ضعفت الخلافة الاسلامية فى آخر عهد سلاطين آل عثمان اعتبره الاجانب امتيازا ، وتوسعت هذه الامتيازات فشملت الاقضية المدنية

والتجارية ، فأخذوا يتحاكمون فيها الى قناصل دولهم ، وتنكب هؤلاء أحكام المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، وغدوا يطبقون أحكام قوانين بلادهم الاصلية وازاء ضعف الولاة فى الولايات العربية الاسلاميةفى أواخر عهد الدولة العلية انتزعقناصل الدول الاجنبية من المحاكم الشرعية سلطة الحكم فيما يقترفه رعاياهم من جرائم سواء وقعت على أجانب أو وطنيين ، وبذلك تقلص اختصاص المحاكم الشرعية – بل زال – فى قضايا الاحوال الشخصية،والقضايا المدنية والتجارية وفىالجرائم

ومما زاد الطين بلة أن اضطر الوطنيون فى البلاد العربية الاسلامية لكي يحصلوا على احكام بحقوقهم ضد الاجانب . اضطروا – الى رفع دعاواهم أمام المحاكم القنصلية . ومن عجب أن أحكام تلك المحاكم القنصلية كانت تستأنف أمام المحاكم العليا فى البلاد الاجنبية الاصلية ، فأحكام قناصل دولة اليونان مثلا تستانف فى أثينا وكان على المصرى مثلا الذى حكم ضده لصالح فرنسى، أن يرفع استئنافه فى باريس . وفى ذلك مافيه من العنت والمشقة والحرج ، مما حمل بعض الحكام فى بعض الولايات الى اتخاذ هذه الفوضى ذريعة الى التوسع فى ادخال القوانين الاجنبية واستقدام قضاة أجانب ، ومن هؤلاء المخادعين «نوبار باشا » الذى ولى رئاسة الوزارة فى مصر وهو ارمنى الاصل فرنسى الثقافة، حيث فكر فى انشاء محاكم مختلطة يجلس فيها قضاة أجانب، يمثلون جميع الدول المتمتعة بنظام الامتيازات الاجنبية ، ويحكمون وفق قوانين وضعية نقلت عن القوانين الاجنبية ، وعلى الاخص القانونين الفرنسىوالايطالى بموافقة الدولالاجنبية التىكانت تحرص على ان يكون التشريع الموحد لهذه المحاكم المختلطة غير اسلامي ، وافتتحت هذه المحاكم المختلطة فى مصر سنة ١٨٧٦ م .

سد باب الاجتهاد وتكالب الاستعمار على بلاد الاسلام :

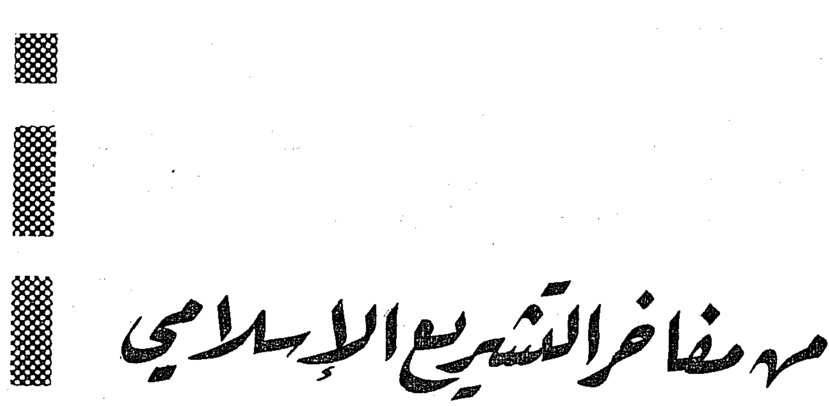
وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، بلغت الدولة العلية من الضعف والهوان ما حمل سكان أوربا على أن يطلقوا عليها اسم (الرجل المريض) ، واشتد المرض ، وبلغ بصاحبه حالة النزع والاحتضار ، وتنكب المسلمون اوامر ربهم واحكام دينهم ، فصدقت فيهم مقالة نبيهم ، وتداعت عليهم ذئاب الاستعمار كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، ولم يكن ذلك عن قلة فيهم ، ولكنهم كانوا كغثاء السيل يعيشون على هامش الحياة ، وتطلعت الدول المستعمرة المسيحية الى تركة الرجل المريض فرنت انجلترا الى العراق ومصر والسودان والجنوب العربي ، وتاقت فرنسا الى سوريا ولبنان والجزائر وتونس ، حتى ايطاليا طمعت فى ليبيا ، واسبانيا طمعت فى المغرب . وانتهى الامر بموت الرجل المريض والقضاء على الخلافة الاسلامية وأخلفت الدول الغربية وعودها للدول العربية واقتسمت التركة فيما بينها .

وفى هذا الليل البهيم خشى المسلمون على دينهم وشريعتهم ، حيث كانوا قد عموا بجهالة ، فخافوا عليها من أن يفتى فيها من ليس اهلا للاجتهاد ، فنادى الكثيرون فى معظم البلاد الاسلامية العربية باغلاق باب الاجتهاد . وكان ذلك سببا فى الاتجاه الى التشريعات الاجنبية ، بل والارتماء فى أحضان القوانين الوضعية . وأنشئت فى مصر محاكم وطنية على غرار المحاكم فى فرنسا ، ووضعت لها مجموعات من القوانين الوضعية الغريبة عنشريعتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ولم يبق للشريعة الاسلامية من سلطان سوى الحكم فى قضايا الاحوال الشخصية للمسلمين فقط ، وانتقلت هذه المحاكم الوطنية بقوانينها الوضعيةالىمعظم البلاد العربيةالاسلامية كسورياوالعراق والاردن وليبيا والجزائر وتونس .

التناقض مدعاة الى اليقظة :

قديما قالوا : بضدها تتميز الاشياء . ولم يطل العهد بالمسلمين فى البلاد العربية حتى تنبهوا الى هذه الحكمة ، فهم بعد النكبة التي حلت ببلادهم بدأوا يحسون بأن الاستعمار الغربى والشرقى يريدهم ان ينسلخوا من تقاليدهم واخلاقهم وشريعتهم ، ولا يرتضى منهم دون ذلك ، شعر المسلمون العرب بأن ما يفرض عليهم من قوانين ، ونظم أجنبية باسم الحضارة والتقدم يخالف فى الكثير أحكام دينهم وشريعتهم ، وبدت الحاجة ملحة الى وجوب المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وهيأ الله لهذا الامر نفرا من فقهاء المسلمين جمعوا بين الثقافتين الشرعية والوضعية ، فاستطاعوا بذلك أن يثبتوا كمال ما انتهى اليه الخالق فى شرعه ، ونقص ما انتهى اليه المخلوق فى وضعه .

البقية على ص ٤٧



من مفاخر التشريع الإسلامي

للدكتور عبد العزيز عامر
رئيس محكمة القاهرة

أرسل الله خاتم النبيين بخير دين ، رحمة وهدى للعالمين ، وبه كمل الدين ، وتمت النعمة ، ولما كان دين الاسلام هو دين الدنيا والآخرة ، والباقي الى يوم القيامة ، فقد رسم الله للمسلمين طريقهم نحو العزة والكرامة ، وسن لهم من التشريع ما يمكنهم من بلوغ غاياتهم نحو خير الدنيا والآخرة ، وأبقى بين ظهرانيهم كتابا فيه هدى ونور ، وسنة تهديهم الى سواء السبيل ، من تمسك بهما ، فقد عصم من الضلال . يقول صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا من بعدى أبدا : كتاب الله ، وسنتي ... »

وقد جمع تشريع الاسلام من الاحكام ما يضمن له الدوام ، ولا عجب فهو من صنع أحكم الحاكمين الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، فلا غرو أن يأتي هذا التشريع متفقا مع طبائع البشر ، متمشيا مع كل زمان ومكان ، صالحا لاقامة أعظم دولة وأحكم نظام .

وقد امتاز هذا التشريع فى نواح كثيرة بأحكام فريدة ، لا يغض منها ان كثيرا منها تعرض لهجوم غير المسلمين ، ولنقد من بعض المسلمين ممن لم يعلمهم الله علم هذا الدين ، ففتنوا بالغرب ، وبما عند الغرب .. لهذا فسأحاول على صفحات هذه المجلة الغراء أن أبرز بعض المفاخر التي امتاز بها التشريع الاسلامي ؛ لعل فيها ردا على اعداء الاسلام ، ونورا لمن لا يفهمها من المسلمين ، وأختار فى هذه المقالة موضوع « تعدد الزوجات »

تعدد الزوجات

الاقتصار على زوجة واحدة من المسلّمات في جميع القوانين الغربية فى الوقت الحاضر ، وهذا الامر كان قديما مبدأ من مبادىء تنظيم الزواج فى القانون الروماني ، وقد أخذ به المسيحيون ، فأضحى بتأثير المسيحية من سمات الحضارة الاوربية .

فعلى سبيل المثال تنص المادة ١٤٧ من المجموعة المدنية الفرنسية على انه :

(لا يجوز عقد زواج ثان الا بعد انحلال الاول) فاذا عقد قبل ذلك كان باطلا ، وفضلا عن بطلان الزواج الثاني ، فان القانون الفرنسى يجعل ابرام الزواج الثاني أثناء قيام الزوجية السابقة ، ومع العلم بقيامها جريمة يعاقب مرتكبها بالحبس والغرامة .

وفى القانون الايطالي تعتبر الزوجية القائمة مانعا من الزواج ، واذا تم الزواج مخالفا لهذا المنع كان باطلا (المواد ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ من المجموعة المدنية الايطالية) .

والحال كذلك فى القانون اليوناني ، ففيه يمتنع ابرام زواج جديد ممن يرتبط بزوجية سابقة ، واذا أبرم هذا الزواج كان باطلا (المادتان ١٣٥٤ ، ١٣٧٢ من القانون المدني اليوناني) .

أما فى الشريعة الاسلامية فان الامر يختلف عن ذلك ، اذ تعدد الزوجات فيها مباح ، وهو مقصور على أربع زوجات ... ، والاساس فى هذا الامر قوله تعالى :

« وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)) .

وجمهور المفسرين والفقهاء على أن هذه الآية تبيح تعدد الزوجات ، ولكنها تقصره على أربع . والكلام فى تعـدد الزوجات متشعب ولكن الذى يعنينا فى هذا المقام هو الكلام فى بعض مسائل التعـدد .

العدل والقدرة على الانفاق

وأول هذه المسائل ما يشترط لاباحة التعدد ، وقد اتفق الفقهاء على أنه يشترط لذلك العدل بين الزوجات ، واختلف فى شرط آخر هو شرط القدرة على الانفاق :

اولا : ـ اما شرط العدل بين الزوجات عنـد التعدد فسنده قوله تعالى ، : (.... فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ....) ومقتضاه أن من خاف الجور اذا عدد لزمه أن يقتصر على العدد الذى لا يكون فيه الخوف من الجور ، فان لم يكن ذلك الا فى الاقتصار على واحدة ، لزم أن يقتصر عليها .

ولكن هل يوجد تعارض بين الآية المذكورة وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) .

جمهور المفسرين على أن المقصود بالعدل فى الآية الاولى هو العدل فى القسم والنفقة ، فقد قـال الامام القرطبي : انها منعت من الزيادة التي تؤدى الى ترك العدل فى القَسم ، وحسن العشرة ، وقال الحصاص : إن العدل المطلوب فى هـذه الآية هو العـدل الظاهر ، وهو القسم بين الزوجـات والمساواة فى الانفـاق ، والمساواة فى المعاملة الظاهرة ، وليس هو العدل فى المحبة الباطنة ، فان هذا أمر غير مستطاع والله تعالى يقول : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

أما الآية الاخرى فالعدل المنصوص عليه فيهـا هو العدل فى المحبة : قال الزمخشري : قيل معناه أن تعدلوا فى المحبة ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ، فيعدل ، ويقول : (هـذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ، ولا أملك) يعني المحبة ، لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه . ، والقرطبي يقول فيهـا أيضا : ان ذلك ميل الطبع فى المحبة والجماع والحظ مـن القلب ، فالبشر بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض دون بعض ؛ ولذلك فانه تعالى لم ينه عن الميل هنا لانه خارج عن طاقة البشر ، والذى نهى عنه هو كل الميل فى قوله تعالى :

(فلا تميلوا كل الميل ، فتذروها كالمعلقة) .

العدل المادي لا العاطفي

وبناء على ما تقدم يكون هناك عدل فى المسائل المادية الظاهرة ، من مثـل القسم بين الزوجات والنفقة ، فهذا كله مستطاع ، ويجب توافره فيمن يعدد الزوجات ، وليس ذلك فقط ، بل ان الخوف من عدم توافره موجب لعدم التعدد .

أما العدل فى ميل القلب والحب ، ومسـائل العاطفة التي لا يستطيع البشر التحكم فيها ، فلا يمكن التكليف به ؛ لانه لا يستطاع ؛ لخروجه عن الطاقة ؛ وأقوى دليل على ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يقـدر عليه ، وفضلا عن ذلك فالمرأة بطبيعتها تحب أن تستولي على عاطفـة الرجل ، كما انها تغار من الأخرى بالفطرة ، فميل القلب غير مستطاع العدل فيه ؛ اذ من المحال أن يكون واحدا لجميع الزوجات لاختلاف طبائعهن .

واذا كان ميل القلب غير مقدور عليه ، فان الميل كل الميل فى هذا السبيل منهى عنه لقوله تعـالى : (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) . وقـد حثت هذه الآية على الاصلاح ، وان لم يكن هـذا الاصلاح ، وكان الميل كله ، فان الطلاق دواء لهـذه الحالة ، والله يعطى كلا مـن يحبه ، والله تعالى يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) .

وبما قلت يوفق بين الآيتين الكريمتين ، أمـا عدم التوفيق فليس من القرآن ، وليس من الاسلام ، وليس عليه أحد يعتد له برأي ، والقرآن كـله يفسر بعضه بعضا ، وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم البيان على ما ذكرت ، وليس بعد بيانه بيان ، فهو صاحب السلطة فى تبيين القرآن لقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكـر لتبين للناس ما نزّل اليهم) .

ثانيا : ـ واما شرط القدرة على الانفاق ، فسنده قوله تعالى : (.... فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) ، وقـد فسرها الامام الشافعي : بألا يكثر عيالكم ، ووجهه : عال الرجل عياله يعولهم ، كقولهم ما نهم يمونهـم اذا أنفق عليهم ؛ لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم ،

وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظــــة على حــــدود الكسب ، وحدود الورع ، وكسب المال والرزق الطيب . وقد انحاز الزمخشري الى ما ذهب اليه الشافعي ، وقال ان كلامه حقيق أن يحمل على الصحة والسداد ، وألا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا . وقــــد سلك القرطبي مسلك الزمخشري فقال : ان تفسير الشافعي المذكور أخذ به الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة ، فالعرب تقول : عـال يعول وأعال يعيل ، أي كثر عياله . وقال الثعلبي المفسر : قال استاذنا ابو القاســـم بن حبيب : سألت أبا عمر الدورى عن هذا ، وكان اماما فى اللغة غير مدافع ، فقال : هي لغة حمير ، وأنشد :

وان المـوت يأخـــــد كــــل حي

بلا شـــــك وان أمشــى وعــــالا

فعلى تفسير الامام الشافعي يكون للتعدد شرط آخر هو ان يكون راغب التعدد قادرا على الانفاق على زوجاته بعد التعدد ، وعلى ما يحتمل له من أولاد كثيرين بسببه فضلا عن قيامه بالنفقة على من تجب عليه نفقته من أقربائه ، بصفة كونه عضوا فى اسرة ، أما عند من قالوا ان معنى العبارة : ذلك أقرب ألا تميلوا فيكون شرط التعدد الوحيد هـو عدم خوف الجور .

واني اميل الى الرأي الاول ، فالشافعي رضى الله عنه كان عليمـــا بلغة العرب ، عليما بمعانى القرآن الكريم ، وكلام العرب واشعارهم يؤيـــد ما ذهب اليه ، فضـــلا عن أئمة المفسرين ، وعلى ذلك تكون القدرة على الانفاق بالوجه السابق شرطا فى التعدد يضاف لشرط العدل .

أثر تخلف الشرطين

ولكن جرى علماء الفقه مع ذلك على ان شرطى التعدد ليسا من شروط الصحة ، فالزواج بدونهما يقع صحيحا ، لكن من يعدد هنا يأثم ، وتلحقـــه العقـوبة الأخروية . وبنـاء على ذلك لا يمكـن — قضاء — الحكم بفسخ عقد الزواج بدعوى عدم تحقق أي من الشرطين المذكورين .

ومرد ذلك ان خوف الجور أمر نفسى لا يجرى عليه الاثبات القضائي ، فلا يمكن تبعا أن تجرى عليه أحكام القضاء ، فالقضاء لا يتغلغل فى النيات الباطنة ، بل له الظاهر . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمـــن قضيت له من حق أخيه بشيء ، فانما أقطع له قطعة من النار) .

والذى يقال فى خوف الجور يقال فى عــــدم استطاعة الزوج الانفاق !! كمـا ان تعـــــدد الزوجات قد يترتب عليه انخفاض فى مســـتوى المعيشة معيشة المعدِّد مع بقاء ما يكفي حاجياته ، فهنا لا يمكن أن نمنعه من التعـــــدد لنوفر عليه العيش الهنيء ، لان هذا قد يدفعه الى الزنى ، وقد يؤدى لمفاسد لا تحصى .

سلطة القضاء

ولا يمكن التسليم بجعل التحقق من توافـــر الشرطين المذكورين من سلطة القضاء ، فهذا أمر لم تكن عليه الامة الاسلامية من لدن النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن ، لم يشذ عن ذلك أحـــــد يعتدله برأي ، فضلا عن ان الاثبات هنا متعذر لتعلق الامر بباطن النفس ، ولضعف الوازع الديني لدى الشهود ، وفى ضمير الناس مما يجعل مهمة القاضى صعبة ، ان لم تكن مستحيلة . وزيادة على ذلك فان ترك الامر للقاضى ليس حلا عمليا ، بل قد يترتب عليه أخطار شنيعة : منها أن من يمنعه القاضى من الزواج بثانية مثلا قد يلجأ الى مخادنتها سرا ، أو التزوج بها عرفيا .

صيحات مستوردة

ولقد قامت فى بعض بلاد العالم الاســـلامي فى هذه الايام دعوات ملحة لتقييد تعدد الزوجات ، ومنها ما يطالب بمنع التعدد وفى اعتقادى أن هذه الدعوات غريبة عن عالمنا ، واردة لنا من بلاد غير بلادنا ، ذات تقاليد ودين يختلف عن تقاليدنـــا وديننا ، وذلك فى الوقت الذى أخذ فيه علمــــاء الغرب يؤمنون بحكمة التعدد ومزاياه ، وأنه أفضل من شيوع العلاقات الجنسية غير المشروعة .

وقد تأثرت بعض التشريعات بهذه النظرة ، ومنها التشريع الفرنسى الذى جعل جريمة التعدد جنحة بعد أن كانت حتى فبراير سنة ١٩٣٣ جنـــاية يعاقب مرتكبها بالاشغال الشاقة ، وفضلا عن ذلك فانه فى القانون الفرنسى يمكن الاعتراف بالنسب الشرعي لاولاد يولدون من علاقة غير شرعية أثنـاء الزواج ، وهذا يعتبر تسليما جزئيا بالتعدد .

ولا يمكن التذرع فى هذا السبيل بان الناس قد شاع فيهم التعدد ، لان الاحصائيات تدل على ان التعدد لا يعدو نسبة مئوية ضئيلة عندنا ، وتدل أيضا على ان هذه النسبة آخذة على مر الايام فى النقص ، وزيادة على ذلك فان الشرائع لا تغير لمجرد اساءة الناس استعمالها ، والقانون الحكيم فى ذاته لا يبدل من أجل جهل الناس به أو اساءتهم تطبيقه، ولكن يجب أن يعلّم الناس لكي يحسنوا تطبيقه ، وذلك يكون بنشر الوعي الديني لدى جماهير المسلمين ، وتبصيرهم بما لهم وما عليهم ، حتى يسيروا فى الطريق السوى ، ويكونوا أهلا لتحمل ما عليهم من تبعات بدلا من فتح باب التقاضى فى أمر التعدد ؛ فان فى هذا من المضار أكثر مما فيه من المنافع .

تساؤل

والى هؤلاء الذين يهاجمون التعدد كنظام مشروع فى الاسلام أقول :

١ ــ أيهما أفضل : تعدد محدود على النظام الاسلامي ، يصان فيه العرض والشرف ، وتحفظ فيه الانساب ، أم تعدد الى غير حد فى علاقات غير شرعية ينسدى لها الجبين ، وثمرتها أبناء غير شرعيين ، ليس لهم من والد ينسبون اليه ، ولا من يقوم على شئونهم وتربيتهم .

٢ ــ ان الدين الاسلامي جاء للاحمر والابيض والاسود والاصفر من الناس ، وجاء دينا باقيا الى يوم القيامة ، وختمت به جميع الرسالات ، والناس على طبائع شتى ، وهو يخاطب الجميع فكان لا بد من مخرج لبعض الناس ، حتى لا تستبد بهم طبيعتهم فتلقى بهم فى المهالك ، وتوقعهم فى الزنى ..

٣ ــ والتعدد قد يكون علاجا لحالات نقص الرجال ، فهم بطبيعتهم معرضون للفناء اكثر من النساء ، ومن طرق فنائهم الحروب التي تعصف بالكثير منهم ، وأكبر شاهد على ذلك ما كان فى الحربين العالميتين الاخيرتين ، فقد نقص عدد الرجال فى بعض البلاد الاوربية لدرجة كبيرة ، حتى ان الرجل يقابل فيها عددا من النسوة ، فالتعدد يعالج هذا الاختلال فى الميزان بين الجنسين ، وبه تجد المرأة من يعولها ، ويكثر النسل ؛ فيعوض ما أكلته الحروب .

٤ ــ والتعدد مفيد لمن تقبل الزواج على أخرى، لانها ترى ان فى هذا الوضع خيرا كثيرا لها دفعها الى قبوله على ما فيه . اما بالنسبة للزوجة التي يحصل الزواج عليها ، فكثيرا ما يكون بها ما يدعو لهذا الزواج من عقم أو مرض أو غير ذلك ، فخير لها ان تظل مع زوجها على التعدد من ان تكون غير ذات زوج .

ويمكن لمثل هذه الزوجة أن تشترط على زوجها حال الزواج بها ألا يتزوج عليها ، فان فعل يكون لها حق الفسخ لعدم الوفاء بالشرط ، وهذا سائغ فى مذهب أحمد ، بل ان هذا المذهب خصب جدا فى الشروط ، ويمكن الاقتباس منه فى كثير من أحكامه مما يساعد على حل كثير من المسائل ، ونصوصه مستفيضة فى هذا المجال ، والزوجة ان اشترطت هذا الشرط ، وأخل به الزوج ، فان رضيت بالحال الجديدة فبها ونعمت ، وان لم ترض بها استعملت مقتضى الشرط ، فلها أن تطلب الفسخ ، وبه تتحلل من هذه الرابطة .

ولما كان اعمال الشرط هنا فى جميع الاحوال قد يضر بثمرة الزوجية فيستحسن أن يكون مجال تطبيق مثل الشرط المذكور فى حالة عدم الدخول ، أو بعده حين لا يكون هناك أولاد ، أما فى حالة وجود ذرية منهما فيكون اعطاء حق الفسخ للزوجة حينئذ مما يجعل الحياة الزوجية تحت رحمتها ، وفى ذلك ما فيه من مضار .

واخيرا لا يتبادرن الى الذهن ان الاسلام يدعو لشيوع التعدد ، بل ان عدم التعدد هو النظام المفضل ، اذ يلتزم فيه الشخص الجانب الآمن ، ويكون فى منأى عن عدم العدل ، ولا يكون معرضا لامتحان فى عدالته ، كثيرا ما تكون نتيجته الاخفاق، فيجب على كل من أشرب قلبه بهذا الدين ألا يقدم على التعدد الا اذا تحقق من توافر شروطه ، وكان هناك من الاسباب ما يبرره ، كمن يتزوج عن قدرة ليعف نساء مسلمات ، وينفق عليهن ، ويعف نفسه، أو لمرض زوجته مرضا مستعصيا ، أو لانها عاقر .

وبعد فلست مبالغا ــ اذن ــ اذا قلت ان نظام تعدد الزوجات لا يمكن أن يؤخذ على شريعة الاسلام ، ولكنه يعتبر بحق من مفاخر هذه الشريعة ، ومن الادلة على حيويتها ، وانها استهدفت فى أحكامها مصالح الناس .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه.

عقيدة التوحيد وأزمة المثقفين

وأثرها فى الاصلاح السياسي والاجتماعي

لا يغيب عن الباحثين اليوم ما يعرفونه عن الأزمات العقلية والعقدية حول معرفة الله والايمان به ، تلك الازمات التي يعانيها كثير من المثقفين وشباب الطلاب،ولهذه الازمات مظهر يهم موضوعنا هذا ، وأعنى به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الدينى لدى شبابنا الجامعي ، الشباب الذى يتجه الى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الاسلامية الشخصية ، وتأثير الدراسات الفلسفية فى أقسام الفلسفة بالجامعات ، وهي تميد بأفكار الطلاب الى معان وعقائد قد لا تكون من الاسلام فى شيء ، وليس لدى هؤلاء الطلاب من المعارف الاسلامية ما يقاوم ، أو يوازن هذه النظريات العقدية التى يتلقونها ، فيبيتون حيارى أمام ما يعرفونه من العقائد الموروثة وبين ما يتلقونه .

والشباب المسلم المثقف يرى نفسه مضطرا الى أن يلجأ الى مصادر المؤلفين الاجانب خضوعا لمقتضيات عقلية جديدة ، ولعله يقدر الى حد كبير منهجها الوضعى الديكارتى ، ومن العجب أن نذكر ما تتمتع هذه الافكار من مجاملة .

كان لهذه الأمور أثرها فى وهن العقائد الدينية الذى أصاب يقظة الضمير ، والقى بالظل على بواعث المراقبة مما قد يعزى اليه السبب فى العزوف عن أحكام الدين وعقائده وآدابه .

وانه ليبدو أن تعقيد المسائل الدينية العقدية عند ما تعرض على النحو الذى بحثت به منذ نشأ فن التوحيد ، ومدى ما انتهى اليه أمر هذا الفن على يد الفرق الكثيرة ، وما أصابه من نزعاتهم وأهوائهم ، ثم خلطه بالفلسفة ابان تطوره . يبدو أن ذلك قد أضل الأفكار الديكارتية،

ويبدو كذلك معه ان الشباب ما زال بلا شك مزعزعا امام المشاكل التي تشتمل على ربط أمور متباينة كمذهب الوحدانية ووحدة الوجود ، وكذلك تلك الآراء المشتجرة حول المسائل العقدية الكثيرة كالجبر والاختيار وخلق الافعال ، ومثل هذه الحالة تثيرها عصور الاضطرابات السياسية والاجتماعية والخلل الروحي ، وهي التي تخلق الصراع بين العلم والدين وتثير محافز النشاط الفكرى لانتزاع الآراء ، والتشكيك فيما يكون قد صح من حقائق اجابة لصرخات الأهواء والأغراض التي تنبعث من أعماق نفوسهم .

أعاصير الفتن

يؤيد هذا ما حدث فى آخر عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وعند قتله ، فقد اشرأبت أعناق الفتنة ، وكان من العاملين عليها ومن النافخين فى أبواقها عبد الله بن سبأ الذى كان يهوديا فأسلم ، وغلا فى حب علي كرم الله وجهه حتى زعم أن الله قد حل فيه ، وزعم أنه الأحق بالخلافة من عثمان الذى نفاه وظل الى عصر علي يتابع دعوته ، فنفاه الى المدائن ، وكان رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب . فنبتت نابتة الشيطان فى حقول الرأى والعقيدة ، وشغل الناس بالرأى والجدل وباللدد والخصام ، وشققوا الكلام بالرأى والهوى ، فنشأت بوادر من النظر ، وعندئذ نجم الخلاف ، وانتهى الخلاف الى الجرأة ، فتصدع بناء الجماعة وانفصمت عرى الوحدة ، وتفرقت بهم المذاهب ، وأخذت الاحزاب والفرق فى تأييد ارائهم كل ينصر رأيه على رأى غيره بالقول والعمل . وكانت نشأة الاختراع فى الرواية والتأويل ، وغلا الخوارج فكفروا من عداهم ، وغلا بعض الشيعة فرفعوا

لفضيلة الشيخ محمد محمد رمضان

عليا وبعض ذريته الى مقام الألوهية أو ما يقرب منها ، وتبع ذلك خلاف كثير في العقائد ، وكانت أول مسألة ظهر فيها الخلاف مسألة الاختيار واستقلال الانسان بارادته وأفعاله الاختيارية ومسألة من ارتكب المعصية ، وقد اختلف فيهما واصل بن عطاء وأستاذه حسن البصرى وقد اعتزله يعلم أصولا لم يكن قد أخذها عنه ، ثم امتد الخلاف الى غير ذلك ، ثم تفرقت السبل بأبناء واصل وهم المعتزلة ، وقد نشأت الفرق السفسطائية ، واختلطت مسائل هذا الفن بالنظر الفلسفي . لقد نجمت هذه المسائل التي خرجت بعلم التوحيد عن سبيله القصد وعن مسلكه في القرآن الكريم كنتيجة كما قلنا للاضطراب السياسي والاجتماعي ، والاخلال الروحي ثم للانطلاق الفكرى البعيد المدى الذى دعا اليه القرآن .

ثم يؤيد هذا أيضا ما ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثانية من العقائد أو أبراز بعض العقائد القديمة في عرض حديث ، ثم خروج هذه العقائد من مجالها الذهني الى مجالاتها الخارجة كالوجودية والشيوعية الماركسية والفوضوية ، ثم ما انبعثت منها في ظل الاستعمار لافساد الدين كالقاديانية ، وكذلك التطورات التصوفية ونزوع بعضها الى الغلو الروحي الذى لا أثر له في الدين ، ثم ما كان من انسياقها فيخدمة الاستعمار في شمال افريقيا فهذا كله ايضا ظاهرة من ظواهر الاضطراب السياسي والاجتماعي .

هذه الاعاصير التي تعصف بقواعد العقيدة في القلب والعقل وتحصب آثارها خارج مجالاتها العقلية والذهنية من الاحكام والاخلاق والمعاملات هي التي تحفز لاعادة النظر في بحوث هذا العلم لان العقيدة الصحيحة كانت دائما أساسا لدعوة قادة الفكر الاسلامي . فالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هو الركن الشديد والأصل الأصيل الذى تنهض عليه أحكام الدين أوامره ونواهيه وكل ما يتصل بتعاليمه ، وكل ما يتم من الاحكام الشرعية على غير اساسه باطل لا نفع فيه .

وكذلك كل ما يتصل بقضايا الحياة قضايا العمران والاجتماع اذا لم ينهض على أساس من الايمان بالله فهو الى الضياع ، وما اضطراب الحياة في العالم وعدم الامن والطمأنينة على المستقبل البشرى الا نتيجةلفقدالعقائد الصحيحة.

لقد كان لتأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني كما قلنا أثر كبير في ايجاد الأزمات العقدية وفي هذه الهزات التي خلخلت أصولها في القلب . فالنهضة الاسلامية كما قلنا تتلقى كل افكارها واتجاهاتها عن الثقافة الغربية ، وانه مما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية وأحيانا دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين ، وقد أوغل الاستشراق في الحياة العقلية للمسلمين محددا لها بذلك اتجاهها الى درجة كبيرة .

الحقد الأعمى

تلك هى اسباب الازمة الخطيرة التى يعانيها شباب الاسلام اليوم والتي تدفعنا الى أن ننحى جانبا هذه الاساليب التي أبتدعها الاستشراق ، فأحدث مفاهيم جديدة لحقائق العقائد الدينية مدفوعا بالهوى السياسي الدينى ، ولم يكن الاب لامانس الذى ظل نموذجا للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله — الحالة الوحيدة التي يمكن أن نلحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الاسلام ، فقد كشف هذا الرجل عن بغضه الشديد للقرآن الكريم ولمحمدصلى الله عليه وسلم، وأزاح الستار عن الاتجاهات الاستشراقية التي لا يعنيها الموضوع العملي المجرد بقدر ما يعنيها الحط من كرامة الاسلام . نعم انه لحق لمن يريد أن يصل الى الحق في أمر عقائده أن ينحى هذا الاسلوب الاستشراقي الذى خبث نبعه ، ويعود الى أصوله المستقيمة وينابيعه الصافية فذلك كفيل بادراك

البقية على ص ٨٦

وجهت المجلة سؤالا فى العدد الاول منها لاقطاب الرأى والفكر فى العالم الاسلامى حول بيان حكم التصرف فى فوائد الاموال المودعة فى المصارف .

وقد تفضلت لجنة الفتوى بالازهر بالاجابة ، وننشر فيما يلي ما ورد الينا بهذا الشأن.



فوائد الأموال المودعة فى المصارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر
مكتب الامام الاكبر
شيخ الازهر

السيد الاستاذ الكبير المشرف على مجلة الوعى الاسلامى
وزارة الاوقاف ــ الكويت ــ ص.ب. (١٣)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد ورد استفتاء بالصحيفة ٩٢ من مجلة الوعى الاسلامى بالكويت ــ العدد الاول من السنة الاولى والصادر فى شهر محرم سنة ١٣٨٥هـ مايو سنة ١٩٦٥ عن مصير فوائد اموال احد المسلمين المودعة فى احد المصارف والذى تورع عن أخذها فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية ، هل من الممكن شرعا ان تؤخذ هذه الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

وقد عرض الاستفتاء على لجنة الفتوى بالازهر الشريف فأصدرت اللجنة فتواها الى نرسلها رفق كتابنا هذا .

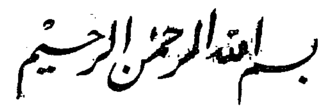
وانا نشكر للقائمين على أمر هذه المجلة الفتية حرصهم على أمور دينهم ، وسعة صدرهم لمثل هذه الاستفتاءات،راجين التكرم بنشر هذه الفتوى على صفحات المجلة ليكون المسلمون على بصيرة من أمر دينهم.

والله نسأل ان يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين بالسير على هدى الدين الاسلامي وتعاليمه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

١٣ من صفر ١٣٨٥هـ
١٣ من يونية ١٩٦٥ م

مدير مكتب
شــــيخ الازهـــر
محمد متولى الشعراوى



الازهـر : (لجنة الفتوى)

السؤال من : مجلة الوعى الاسلامى
بالكويت

تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة فى أحد المصارف الاجنبية فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية .

هل من الممكن شرعا ان تؤخذ الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين ، وما أكثرها وأشد حاجتها ؟ بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ــ امــا بعـــد : ــ

فنفيد بأن هذه الاموال التى تجمعت من الربا سبيلها أن تصرف فى مصالح المسلمين وطريق ذلك ان يتناولها المودع لينفقها فى المصالح العامة ، وفى الصدقات على المساكين او يدفعها الى الحاكم المسلم ليتولى هذا بنفسه ــ وصرفها هكذا هو ما نص عليه الفقهاء فى المذاهب الاربعة عند الكلام على مصارف المال الحرام ، ونص عليه أئمة التفسير كالامام القرطبى عند تفسيره لقول الله تعالى ((وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم)) .

وليس معنى هذا ان المال الذى استولى عليه المودع دخل فى ملكه ــ لان المفروض انه حرام،وانما هذا توصل الى حفظ المال من الضياع ، والى صرفه فى مصرفه الشرعى بارتكاب أخف الضررين،كما أنه لا يقتضى اباحة التعامل الربوى بوجه ما .

والله تعالى أعلم .

تحريرا فى ١٩٦٥/٦/١٢

رئيس لجنة الفتوى بالازهر
عبد اللطيف السبكى

منعت السلطات البريطانية التصريح للمركز الاسلامي بلندن باقامة مسجد جديد فى العاصمة البريطانية ، وكان سبب المنع أن مئذنة المسجد ستكون طويلة . وقد أثار هذا استياء المسلمين الذين اجتمعوا فى المركز الاسلامي للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ــ قد بدت البغضاء مــن أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ــ

خواطر من هنا وهناك

المدارس التبشيرية

لا يزال يوجد الى الآن فى الكويت الدولة المسلمة الخالصة لأهلها مدارس أجنبية تنفث سمومها فى صدور أطفال العرب المسلمين ، ومن العجيب أن هذه المدارس ظلت — الى اليوم — لا تخضع لرقابة ، ولا لتفتيش وزارة التربية ، وليس لأحد عليها هيمنة ولا اشراف سوى القائمين بشؤونها .

وكلنا نعلم مدى خطورة هذا النوع من التعليم على عقيدة الجيل الصاعد وتربيته ، وهو الذي سيئول اليه مصير هذا البلد بعد سنوات معدودات .

وليست الكويت وحدها هي البلد الوحيد الذى ابتلى بهذا النوع من التعليم ، بل لقد ابتليت بلاد المسلمين بهذه المدارس الأجنبية حين كانت هذه البلاد تعيش فى عصور الضعف والتخلف والتبعية كما ابتليت بالمستشفيات الأجنبية التى تستغل ضعف المرضى النفسي والمادى فتجمعهم فى أفنيتها وتغريهم بأداء الطقوس والصلوات المسيحية قبل الكشف عليهم ، وتتصيد منهم المرضى الذين انهارت اعصابهم واختل توازنهم العقلى تحت تأثير الألم والفقر ، فتحملهم بمختلف الأساليب على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ، وتتعهدهم فى فترة النقاهة ، وتلاحقهم بعد الشفاء ، وتوطد صلاتها بهم ، وتعقد لهم الندوات وتمطرهم بالنشرات والمصورات والرسائل التبشيرية وتمد لهم يد العون الخبيث والمساعدة المغرضة ، فتسعى سعيها الجاد لالحاق العاطل منهم بعمل فى المؤسسات الأجنبية أو فى الدوائر الحكومية بواسطة أصحاب النفوذ فيها من أبناء عقيدتهم ، وكم شهدنا من حوادث ورأينا من حالات فضحت نوايا هؤلاء الذين يلبسون مسوح الرهبان ، ويدعون أنهم ملائكة الرحمة ، ورسل العلم ، ويذيبون السم الناقع فى العسل ..

ولا يخفى أن لهذه المنشآت التعليمية والصحية مخططا تبشيريا ضخما . ترسم سياسته ، وتنفق على تنفيذه منظمات غنية تعمل ليلا ونهارا لتشكيك المسلمين فى دينهم، وزحزحتهم عن عقيدتهم وغزوهم فكريا وثقافيا . وهذا أخطر أنواع الغزو الحديث ، وأمضى سلاح لتذويب شخصية الأمة الاسلامية ، والقضاء على معنوياتها ومقوماتها .

وقد تنبه كثير من الدول الاسلامية التى استقلت حديثا الى مدى الخطر الذى يصيب ابناءها من جراء ترك هذه المدارس تعمل دون رقابة ولا قيد ، فسنت التشريعات لاخضاعها لرقابتها والزمتها بتدريس الدين الاسلامى والتاريخ واللغة العربية لأبناء المسلمين الذين يلتحقون بها ، وأشرفت على وضع مناهج هذه المواد واختيار مدرسيها ، وأنشأت تفتيش المدارس الأجنبية فى وزارة التربية ، ومهمته مداومة تفقد سير الدراسة بها حتى تسير فىالاتجاه الذى لا يسىء الى دين البلاد وتاريخها ولغتها .

وما كنت أظن أن هذه المدارس الأجنبية بقيت — الى اليوم — فى الكويت تعمل غير خاضعة لوزارة التربية حتى طالعتنا صحيفة الرأى العام الكويتية بمقال تحت عنوان مفكرة فى العدد (١٠٠٢) بتاريخ ٦٥/٧/٥ جاء فيه .

وهنا فى الكويت .. البلد الاسلامى .. البلد العربى .. الذى بلا شك يحرص جيدا على التمسك بتعاليم دينه .. وبالقيم الروحية

والاخلاقية .. في هـذا البلد .. تقوم مدارس التبشير .. أي نعم .. مدارس التبشير بيننا .. ونحن لا نحاول أن نعمل أي شيء لايقاف هـذه المدارس عند حدها أو على الأقل لجعلها تسير في الخط الذي لا يسيء الى كويتنا الحبيب .

وبعيدا عن الحديث عما يجري داخل هـذه المدارس .. فانني أود من المسؤولين أن يستعيدوا في أذهانهم قصة المدارس الأجنبية في الجمهورية العربية المتحدة وعندها ــ وانني لعلى يقين مـن ذلك ــ عندها سيتقدمون أكثر من خطوة الى هذه المدارس .. ثم ستجد حتما منهم القوانين التي تحفظ للكويت قوته وعروبته ودينه .

أن الأعداء الذين يكيدون للاسلام وأهله كثيرون لاينامون ، ولا يبخلون ولا يألون جهدا في بلبلة عقول المسلمين .. وأذكر أنه منذ شهر تقريبـا امتلأت جميع صناديق البريد الخاصة في الكويت بنشرات ورسائل تبشيرية قوبلـت بالاستهجـان والاستنكار والسـخط .. وكانت وقودا للنـار (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عـن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون) .

ولا يفوتني أن أوجه أنظار الآباء وأولياء الأمور الى أن يتقوا الله في أبنائهم ودينهم ووطنهم ، فلا يزجوا بأطفالهم الاغرار الأطهار في هذه المدارس (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

الأمراض الجنسية

نشرت منظمة الصحة العالمية في صحيفتهـا الصادرة في ابريـل ٦٥ تحقيقا أعـده الدكتور امبروز كنـج رئيس الاتحـاد العالمي لمكافحـة الامراض الجنسية عن الزهري والسيلان بـين الاحداث ، ولهذا التقرير اهمية خاصة اذ انـه يتناول مشكلة الانحراف بين الشباب والفتيـات الذي يزداد بصورة مخيفة يوما فيوما في البلاد المتحضرة ، ويشغل بال كثير من المعنيين بشـؤون التربية الصحية . فعلى الرغم من العقاقـير الجديدة وتطوير وسائل العلاج الحديثة فـان الاصابات بالامراض الجنسية تزداد بشكل مقلق ملحوظ بين صغار السن ، وهذه الاحصائية الطبية التي قام بها الاخصائيون لا تصور العدد الحقيقي لحالات الزهري والسيلان فان كثيرا من الحالات تعالج بمعرفة اطباء خصوصين ولا تظهر فـي الاحصائيات التي تم اعدادها من البيانات المسجلة في العيادات العامة .

وهذه المشكلة الصحية الخطرة ترجع فياصلها الى مشكلة اجتماعية واخلاقية ، اذ ان موجـة العبث بالقيم والمثل اصبحت شائعة تبعاللتغييرات الاجتماعية الواسعة التي طرأت على المجتمـع الانساني .

وقد تعرض التقرير للاسباب التي تكمـن وراء جذور هذه المشكلة ، فذكر ان ضعف الايمان يعتبر سببا لازدياد العبث بالاخلاق ، وان الايمان بالدين يعتبر رادعا قويا ضد هذا الانحراف وان انفلات المرأة وتحررها من كل القيود قد اثـر بالتأكيد على المشكلة ، فلم تعد الفتيات تخضع للرقابة بل اصبح الشباب يجتمعون في جلسـات خاصة بدون رقابة ، وفي اماكن تدار فيها كؤوس الخمر ، وان الاهمال وعدم الاهتمام من جـانب الوالدين ــ الذين يكونان في بعض الاحيان مثـلا سيئا جدا في الاداب والاخلاق ــ ساعد الابنـاء على اشباع نزواتهم ، هذا فضلا عن أن ما يعرض على الجمهور من كتب وقصص وتمثيليات وافلام في الاذاعة والتلفزيون قد ادى الى هذه الكارثة الخلقية .. وان الفكرة القائلة بأن الرادع النفسي في العلاقات الجنسية يؤدى الى الكبت الذي يلحق الضرر بالشخصية ــ هذه الفكرة التي يحملها كثير من الناس خاطئة من اساسها،وان الاخصائيين النفسيين المسئولين لا يؤيدون وجهة النظر التي تقول : ان ضبط النفس في هذه المسائل يربك الميزان العقلي ويسبب القلق .. بل ان ضبط الاهواء ، والسيطرة على النزعات امر يجب التعود عليه طوال الحياة لمصلحة الفرد والمجتمع ، وتطالب النشرة الحكومات والهيئات الدينية والاخصائيين النفسيين ان يقوموا بدورهم في علاج هذا الانحراف الذي يهدد الانسانية .

ونرى ان التربية الدينية هي الكفيلة بتنشئة الاجيال على الخلق والفضيلة ، وتكوين الوازع النفسي الذي يعصمهم من التردد في الرذيلة .. وان الحدود الاسلامية هي العلاج الحاسم لـردع المنحرفين ، وترويض الشاذين .. فهل من عودة الى حكم الله ، وتنفيذ لما أمر الله ؟

الدعوة الإسلامية

بين وضوح البرهان وقوة السيف

دعوة الحق والاصلاح فى كل وحين تتركز دائما حول تكوين الخلق الكريم وتدعيم بنائه ، واحاطته بسياج حصين يمنع عنه عوادى الضعف والوهن ، وليست الاخلاق سلعة يمكن ان تباع وتشترى حتى يتبادلها الناس فيما بينهم اينما شاءوا وكلما أرادوا .. ولا هي كساء ظاهرى يمكن ان يخلعه الانسان حينا ويلبسه حينا آخر ، ولا هى نص من نصوص القانون الوضعى يمكن ان يخضع تأويله للهوى والغرض حتى يتستر بعض الناس فى مسوحه ويقوموا بتنفيذ هيكله دون روحه .. ولكنما الاخلاق صفات أصيلة فى النفوس ترجع فى اساسها الاول الى قوانين السماء ، ويتوارثها الابناء والاحفاد عن الآباء والأجداد ، وتؤثر فيها عوامل البيئة والتربية منذ فجر الحياة ، كما تتأثر الشجرة بطبيعة الارض واعتدال الجو وحسن الرعاية منذ تنفلق بها الحبة والنواة .

منهج الدعوة

وطريق المصلحين الى تكوين هذه الاخلاق طريق طويل داجى الجوانب مليء بالمتاعب ، ذلك بأن النفس الانسانية امارة بالسوء نزاعة الى الشر ، وثقل الانسان المادى يساعد على الانـزلاق الى الرذيلة وكثيرا ما يعوق عن الصعود الى مستوى الفضيلة ، ومن اجل ذلك كان لزاما على من يسلك طريق الدعوة الى الحق والاصلاح ان يتخذ الاسباب الموصلة ، ويتزود بالزاد النافع ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » فهذه الآية الكريمة ، وهذا الامر الالهى للنبى من لدن العليم الخبير يضع لنا المشاعل المضيئة على طريق الدعوة ، ويعلمنا ان قوة البيان ووضوح البرهان اجدى وانفع من قوة السيف فى الوصول الى الغرض وتحقيق الهدف ..

والدعوة الاسلامية وهي دعوة الحق والاصلاح ، ودعوة الخلق الكريم لم تقم على صليل السلاح والتراشق بالاسنة والرماح ، وانما قامت على الحجة البينة والمنطق السليم والبرهان الواضح ، وما كان السيف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل وفى سائر ايام الفتوحات الاسلامية الا لرد الظلم ، او الدفاع عن النفس او تأمين حرية العقيدة حتى ينضوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة ..

القتال ضرورة

فاما عن القتال فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان من يتتبع الآيات القرآنية فى هـذه الناحية يتجلى له انها تتجه الى مثل هذه الاغراض ، فلقد نزل عن غزوة بدر وهي اول غـزوة وقعت بين رسول الله وبين المشركين قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض

للشيخ محمد الطيب النجار
المدرس بكلية الشريعة ببغداد

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » . وفى هذه الآيات يظهر السبب الذى من اجله فرض القتال على المسلمين وهو انهم ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ، .... ثم ينبه الله المؤمنين الذين اذن لهم فى القتال الىما يجب انيفعلوه اذا هم انتصروا على عدوهم وهو : ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر حتى يكونوا خير دعاية لهذا الدين الحنيف .

ثم تتابع نزول آيات القتال بتتابع الاسباب التي كانت تدعو اليه ، فنجد الله سبحانه يأمر المسلمين بعد انردوا الظلم والعدوان الذى اصابهم من قريش بأن يقاتلوا كل من يعترض لهم بسوء ، او يبدؤهم بشر فيقول فى سورة البقرة « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » .. ثم يأمرهم بالقتال لتقرير حرية العقيدة والبعد بها عن الاهواء والاغراض ، كى يكتمل لها الجو الملائم فلا يصد عن الاسلام من يريد الدخول فيه ، ولا يفتن من دخل فى الاسلام عن دينه ، وذلك بقوله فى السورة نفسها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » وقوله فى سورة الانفال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » .

مرحبا بالسلام

ثم يأمر الله بالجنوح للسلم متى جنح لها أعداء الاسلام ، لان الغرض هو تأمين الدعوة وألا تكون فتنة والسلام كفيل بذلك فيقول سبحانه فى سورة الانفال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكلعلى الله انه هو السميع العليم » ويبين الله فى كتابه الكريم ان المسلمين لا سبيل لهم على من يعتزل الفتنة من المشركين ، ويترك القتال ويلقى للمسلمين بالسلام فيقول « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ، اما اذا لم يكن ميلهم للسلام حقيقيا بل كانوا مذبذبين مخادعين فعلى المسلمين ان يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ، ويقطعوا دابر الفتنة ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : « ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهمكلما ردوا الى الفتنةأركسوا فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » .

وكان الامر بالقتال مقصورا على قريش ومن يعاونهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب المختلفة على المسلمين امر المسلمون بقتال المشركين من كافة القبائل فقال سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة » .

وبهذه الآيات التى سقناها من الكتاب الكريم يتبين لنا ان الاسلام لم يشرع القتال للمسلمين الا للدفاع عن انفسهم ، ولتأمين الدعوة من ان تقف الفتنة فى طريقها ، وحسبنا برهانا على تلك الروح الطيبة المسالمة ، ان الاسلام لا ينهى عن البر والاحسان لمن يخالفوننا فى الدين ما داموا هادئين مسالمين ، وفى ذلك يقول عز وجل فى سورة الممتحنة « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد كانت جميع الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليهوسلم متمشيةمعهذه المبادىء ، بل كانت تطبيقا عمليا لها ، فلم يعرف عن الرسول الكريم انه كان يبدأ أعداءه بعدوان أو اساءة ،.. وليس هذا مجرد ادعاء ولكنه الحق الذى لا ريب فيه ، وسوف يتأكد لنا ذلك حينما نعرض للدوافع والاسباب التي ادت الى غزوات الرسول جميعا فى مقال قريب وفى تفصيل يوضع به الحق فى نصابه ان شاء الله ..

واما عن الفتوحات الاسلامية التي وقعت بعد عهد الرسول . فقد وضع الرسول بذرتها الاولى حينما كتب الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام ، ومنهم هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس حاكم مصر ، وقد تجلت فى هذه الكتب روح المسالمة ووضح للعالم كله ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد ملكا وسلطانا ، ولا بغيا وعدوانا ، وانما يريد ان ينفذ امر الله فى تبليغ الدعوة الاسلامية لجميع الناس .. ، الا ان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تطل بعد ذلك حتى يشرف بنفسه على تبليغ الدعوة الى الامم والشعوب فى سائر الارجاء ، فأصبح من واجب الخلفاء ان يبلغوا هذا الدين الى الناس كافة لانه دين العالمين ، ولكن بدا من ظلم الحكام الذين لا يدينون بالاسلام فى ذلك العصر ، انهم يريدون ان يطفئوا نور الله فأوصدوا دونه الابواب ، واقاموا الحواجز القوية بين المسلمين وبين تلك الامم التى كانت مغلوبة على امرها ، والتى كانت تعانى من جور هؤلاء الحكام وطغيانهم ، ومن هنا كان لا بد من الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية ..

الحروب الاسلامية حروب تحرير

فالفتوحات الاسلامية اذن لم تكن حبا فى السيطرة والغلبة ، ولا طمعا فى الدنيا ومتاعها القليل ، وانما كانت تحريرا من العبودية وانقاذا من الفساد وسموا بالانسانية ، ولو ان المسلمين لم يبادروا الى فتح تلك البلاد وانقاذها مما كانت تتخبط فيه لما سكت حكامها الطغاة عنهم ، بل كانوا سيجتمعون ويتجهون الى الجزيرة العربية لخنق الدعوة الاسلامية التى تنادى بالحرية والعزة واحترام حقوق الانسان .. ولو ان هؤلاء الملوك والرؤساء فى ذلك العصر ظهر منهم من حسن النية ما يطمئن المسلمين على مستقبل الدعوة الاسلامية فى هذه الارض ففتحوا الابواب وأزالوا الحواجز ، وتركوا المجال للعقائد تسرى فى جو حر طليق ، لما كان للمسلمين سبيل الى الحرب والقتال ، بل لأصبح قتالهم لهذه الدول ظلما وعدوانا يبرأ منه الله ورسوله ..

وقد ظهر بطريقة عملية ان المسلمين حينما كانوا يفتحون تلك البلاد لم يرغموا احدا على اعتناق الاسلام لان تعاليم دينهم تنادى بانه (لا اكراه فى الدين) وتقول (فمن شاء فليؤمن ومنشاء فليكفر) وتقول (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) ..

وبعد : فان وضوح البرهان فى الدعوة الاسلامية، كان وحده السيف القاطع الذى مكن الله به للمسلمين فى الارض ، والامل وطيد ان شاء الله فى ان يكون « الوعى الاسلامى » مجالا واسعا تزدهر فيه الدعوة الاسلامية ببرهانها الواضح وآياتها البينات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بقية (الاسلام دين ودولة)

وضربنا لكم الامثال :

ونكتفى مؤقتا فى هذا الصدد بان نضرب مثلا يظهر مدى التناقص البين بين ما وضع لنا من قوانين وضعية ، وبين شريعتنا .

اما مسألة التناقض فتتمثل فى قانون العقوبات الذى وضع فى مصر نقلا عن القوانين الغربية ثم نقل عنها الى كثير من البلاد العربية الاسلامية، كسوريا والعراق وليبيا ، فقد أهمل الحدود المنصوص عليها فى الشريعة الاسلامية فالاتصال الجنسي مثلا مباح فى عرف القانون الوضعى ما دام لا اكراه فيه ، وكان التراضي **على اقتراف هذه الجريمة بين ذكر وانثى غير متزوجة فوق سن معينة هي ١٨ سنة (تراجع المادة ٢٦٩ عقوبات).**

ومعنى ذلك ان القانون الوضعى أحل الزنى فى ظروف معينة ، ولا عقا بالا فى حالة الاكراه أو صغر السن ، أما الزوجة المحصنة فأمر ارتكابها للجريمة لم يترك للجماعة والنيابة العامة انما ترك لرغبة الزوج ، فان أراد مؤاخذة الزوجة أبلغ الأمر الى النيابة ، وان بدت له فكرة العدول أثناء التحقيق أوقفت النيابة التحقيق وأخلى سبيل المرأة ، فان بقى مصرا على بلاغه ووصلت الزانية الى المحكمة ، فينص القانون الوضعي على عقابها بالحبس دون الرجم وهو الحد الشرعى .

والقانون المصرىالوضعى فرقحتى فىمقدار العقوبة فى الجريمة الواحدة ، فعقوبة الزاني لا تزيد على ستة أشهر المادة ٢٧٧ وعقوبة الزوجة الزانية الحبس مما لا يزيد علىسنتين م ٢٧٤،ويمكن القول بان الزنى فى القانون الوضعى معناه خيانة العلاقة الزوجية ــ بينما الشريعة الاسلامية تعتبر الزنى كل صلة جنسية محرمة بين رجل وامرأة ــ ويصح للقاضى أن ينزل بعقوبة الحبس الى حد وقف التنفيذ ، فان كان الحبس مع النفاذ ساغ للزوج أن يتنازل عن حقه ، فتخرج المرأة من الحبس رغم صدور حكم نهائي عليها . وكذلك الزوج الزاني لا يجوز محاكمته ما لم تقدمالزوجة شكوى وتطلب محاكمته «المواد ٢٧٣ و ٢٧٤ عقوبات و ١٣٢ اجراءات .

ومن عجب أن التناقض بين قانون العقوبات الوضعى والقانون المدنى ظاهر، اذ ان الاخير يجعل المرأة غير أهل للتصرف فى القليل من مالها الا اذا بلغت سن الواحدة والعشرين ، وأباح لها قانون العقوبات ان تسلم فى عرضها متى بلغت سن ١٨ سنة ، فالعرض فى شرع القوانين الوضعية اهون من المال !!!

ولقد شهدت لجنة تقرير القانون الهولندى الجديد ، بأن عقوبات الحبس والغرامة فى جرائم الزنى غير زاجرة .

ومن عجب ان القانون الفرنسى ينص فى المادة ٣٣٩ عقوبات على ان الزوج المحصن اذا زنى لا يعاقب الا اذا زنى غير مرة فى منزل الزوجية بامرأة أعدها لذلك ، **فالنص كما هو ظاهر لا يعاقب على جريمة الزنى ، بل يعاقب على امتهان الزوج لحرمة بيت الزوجية ، بشرط ان يتكرر منه ذلك، فله ان يزنى بمن شاء ، وكلما شاء خارج منزل الزوجية** ولكي يعاقب يشترط القانون ان يعد امرأة معينة كعشيقة ، او خليلة ، ويزنى بها أكثر من مرة فى منزل الزوجية ، والعقوبة التى نصت عليها المادة تافهة ، فهى غرامة مالية بين مائة فرنك ، والفى فرنك ، أى تتراوح بين عشرة قروش ومائتي قرش فى حين تنص المادة ٣٤٠فرنسي على معاقبة الزوج الذى يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال زواجه الاول بالاشغال الشاقة ،فتعدد **المشيقات والخليلات كما يبدو أحب الى القانون الفرنسى من تعدد الزوجات .**

وكذلك فان القاتل فى قوانينا الوضعية لايقتص منه بالاعدام الا اذا اقترن بالجريمة جريمة اخرى ، كالسرقة او الزنى ، او اذا اقترنت بظروف مشددة كسبق الاصرار والترصد ، وعلى ذلك تعطل احكام الشريعة الاسلامية من حيث وجوب القصاص منالقاتل عمدا ، هذا ورأىالمفتى فى تنفيذ الاعدام واجب أخذه ، ولكنه استشارى، غير ملزم لمحكمة الجنايات .

وحد الخمر ايضا معطل بحكم القوانينالوضعية، مع ان بلادا غير اسلامية كأمريكا حرمت الخمر فترة طويلة ، فى حين ان القانون المصري أباح شرب الخمر والاتجار بها (١) ، الا انه جعل عقوبة من يتجر فى المخدرات كالحشيش وغيره الاشغال الشاقة المؤبدة ، رغم ان الخمر حرمت بنص القرآن ، والمخدر حرم قياسا عليها .

للبحث بقية

(١) أصدرت حكومة الكويت قرارا بمنع شرب الخمر والاتجار فيها ــ (الوعي الاسلامي) .

أعمال تذكر فتشكر

في سبيل الدعوة الإسلامية

للاستاذ عبد العزيز العلي

أولا : ـ اقترح السيدان الفاضلان حمد المشارى وراشد الفرحان ، عضوا مجلس الأمة الكويتي ، أن يصدر المجلس الى الحكومة رغبة يوصيها فيها بالاسهام في نشر الدعوة الاسلامية في الخارج ، وفي خدمة الدين الحنيف في مختلف المجالات . ولذلك يستحق هذا الاقتراح أن يسجل بالشكر الجزيل والثناء الكبير وفيما يلي نص الاقتراح المذكور .

سعادة رئيس مجلس الامة الموقر :

« نظرا لكون الكويت دولة اسلامية في واقعها وبصريح دستورها ، ونظرا كذلك لأن شعوبا كبيرة في القارتين الافريقية والآسيوية لا تزال على الفطرة دون اعتناق لدين معين ، وقد تفتحت قلوب هذه الشعوب لتقبل الدعوة الدينية ، فقد أصبح واجبا علينا وعلى سائر البلاد الاسلامية حمل رسالة الدين الاسلامي الى تلك البلاد وهذه الشعوب .

لذلك أرجو أن يتفضل المجلس الموقر بالموافقة على هذا الاقتراح برغبة الى الحكومة ، بأن تمد ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف نشاطها الى الدول والشعوب المشار اليها ، مستعينة على ذلك بما يرصد في ميزانيتها السنوية لهذا الفرض ، وبما يقدمه المواطنون من زكوات وتبرعات ، على أن تخصص الوزارة لهذه المهمة الجليلة صندوقا خاصا ، وأن تنشىء هيئة من موظفيها المختصين وبعض أهل الرأى من المواطنين المهتمين بمثل هذه الرسالة .

وأعتقد أنه لا يخفى على أحد مقدار ما يبذل من جهود لحساب التبشير بالديانات والملل الأخرى بل والمبادىء الهدامة ، وليس بخاف على حضرات الأعضاء الكرام ما تبذله الدعاية الصهيونية ضد العرب في البلاد الاسلامية والعقيدة الاسلامية التي يدينون بها ، متخذة من هذه البلاد مراكز انطلاق للمؤامرات اليهودية العالمية ضد القومية العربية والاسلام ، فنشر الاسلام في تلك البلاد الافريقية فريضة على كل مسلم ، وهو هداية دينية لعشرات الملايين من البشر ، وعصمة لها من الانزلاق وراء الدعايات والمبادىء الهدامة .

ثانيا : ـ يذكر بالشكر لحضرة صاحب السمو الأمير المحبوب ولحكومته الاهتمام الواضح بالشؤون الدينية ، مما عبر عنه الخطاب الأميري الذى افتتحت به الدورة النيابية الثالثة لمجلس الأمة حيث جاء بالخطاب المذكور ما يلي : ـ

وان حكومتي ايمانا منها برسالة الدين في اصلاح المجتمع ، تواصل انشاء المساجد داخل المدينة وفي المناطق السكنية الجديدة والقرى مع مراعاة البساطة والاقتصاد في النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها ، والسهر في الوقت نفسه على راحة الأئمة والمؤذنين . كما قررت انشاء معهد للامامة في احد المساجد واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الأئمة والوعاظ وتمكينهم من أداء رسالتهم الروحية في المجتمع وتثقيف

الجمهور بالثقافة الاسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف .

وتولي الحكومة((الوقف))عنايتها باستثمار امواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنها معنية بدراسة احياء التراث الاسلامى الذى يبرز معالم الثقافة الاسلامية والسبق العلمي الذى عرف به مفكرو الاسلام قديما وحديثا وانشأت قسما للترجمة والبحوث الاسلامية .

ثالثا : ـ يذكر ويشكر كذلك ما جاء فى رد مجلس الأمة على الخطاب الأميري من دعوة صريحة للحكومة للعمل علىنشر الدين الحنيف فى الخارج وتمكين جذور العقيدة الصحيحة بين المسلمين كافة . فقد جاء فى هذا الرد الذى رفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد ما يلي ـ

((.. يود المجلس أن تلحق مكتبة دينية ثقافية بكل مسجد لكي يتسنى للجمهور الاطلاع على الكتب الثقافية والدينية ، ولهذا تكون المساجد قد أدت جانبا هاما من رسالتها الدينية والثقافية، وتكون الكويت بذلك قد عممّت مراكز التثقيف فى جميع انحاء البلاد .

... وان المجلس ليبارك عناية الحكومة بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنه يشجع الحكومة على أحياء التراث الاسلامي الذى يبرز معالم الثقافة الاسلامية قديما وحديثا ، ويدعو المجلس وزارة الأوقاف للقيام بواجبها الديني ، وهو واجب المسلمين كافة نحو بث الدعوة الاسلامية السمحاء فى البلاد الافريقية الحديثة الاستقلال التي حال المستعمر عهدا طويلا دون دخول الاسلام اليها أو انتشاره فيها ، وأن تسهم فى نشر الدين الاسلامي فى هذه البلاد وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية واللغات المحلية قدر المستطاع ، وأن تعنى الوزارة بالاسهام فى نشر موسوعة للفقه الاسلامي على المذاهب الاسلامية المختلفة ، لكي تكون مرجعا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذى يخشى ضياعه بتناقص العلماء والمختصين فى التشريع الاسلامي .

والآن ، ما هو واجب وزارة الأوقاف بعد هذه التوجيهات وازاء تلك الرغبات ... ؟

انه مما يستحق الذكر بالشكر كذلك ما تبذله وزارة الاوقاف ـ فىصمت وايمان ـ لتمكين الدين القيم فى النفوس، ولتمسك المجتمع بالقيم الدينية التى ساد بها المسلمون العالم قديما ، والتى هى سبيلهم الكفيل باعادة مجدهم الغابر . ولسنا بصدد تعداد مظاهر اهتمامها ببيوت الله ، انشاء وتعميرا وصيانة ، وبغير ذلك من الأمور الاسلامية التي تقوم هذه الوزارة عليها ، ولكنا بصدد المطالبة ببرنامج للعمل مستقبلا بالاضافة الى مهامها الحالية المشكورة . ان الآمال معقودة على أن تتحقق تلك الرغبات والتوجيهات السامية التي سبق ذكر جانب منها ، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الآتية ـ

١ : ـ تنظيم هيئة بالوزارة تضم الى جانب كبار موظفيها عددا كافيا من ذوى الرأى المعنيين بالشؤون الدينية من أبناء الكويت لمعاونة الوزارة فى رسالتها المتزايدة يوما بعد يوم ، وبخاصة فى شأن الدعوة الاسلامية فى الخارج .

٢ : ـ مضاعفة الاهتمام بالوعي والارشاد الديني فى الكويت عن طريق المساجد والمحاضرات ومختلف وسائل النشر ، من اذاعة وتلفزيون وصحافة ، بحيث تكون هذه الوسائل اداة لتمكين العقيدة والخلق الاسلامي ومحاربة كل مظاهر التحلل الخلقى التى تهدد الاجيال الصاعدة والنشء الذى عليه مستقبل الأمة .

٣ : ـ بذل كل عون مستطاع لشد أزر الداعين للاسلام فى الدول الافريقية والآسيوية التى لم تبلغها الدعوة الاسلامية بعد ، وانشاء المراكز الاسلامية التي تقوم على هذه المهمة السامية ، والاستعانة بالوفود الموثوق بها الى تلك البلاد تحقيقا لهذه الغاية وتوطيدا لروابط الاخوة بين البلاد الاسلامية عامة .

٤ : ـ زيادة العناية بمجلة الوزارة (الوعي الاسلامي) التي أحسن المسلمون استقبالها بزيادة حجمها ومضاعفة الكميات المطبوعة منها ، وترجمة بعض موضوعاتها الى اللغات الحية وغيرها من اللغات كالاوردية والسواحلية وغيرها وارسالها الى جميع الأقطار ، وطبع النافع المفيد من كتب التراث الاسلامي .

((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)) .

صرح مصدر كبير مسئول فى الوزارة بأن رسالتها الاصيلة هى نشر الدعوة الاسلامية وهى لا تألو جهدا فى سبيل تحقيق هذه الغاية السامية بمختلف الوسائل والأساليب ، وقد أنشأت حديثا ادارة الدعوة والارشاد وادارة الشؤونالاسلامية .



للشيخ محمد محمد خليفة
المفتش بالازهر

كانت الدعوة الى الله أول اشراقة من نور الحق ، انفرج عنها فم محمد صلى الله عليه وسلم، فى بلد الوثنية ، لتصل الناس برب الناس ، ولتبدد ما ران على النفوس من الارجاس ، لتبعدها عن الزلفى الى تلك الآلهة التي صنعتها يد الباطل، ونحتتها حماقات البشرية معبودات تساق لها القرابين ، وتخر لديها الجباه .

أدبني ربي

صنع الله صاحب الدعوة ، فجعل من حياته قبل بعثته دروسا له تؤهله لخطر تلك الدعوة، فعلمه يتمه الرحمة ، وعلمه فقد الكفيل والعائل العمل والسعي ، وعلمه فقد الامومة الحانية الصبر وقوة الاحتمال ، وعلمته الوحدة التفكير الذى نما معه ، وسما عن محيط البشرية فارتقى به الى التفكير فى صانع البشرية ، وعلمه رعي الغنم رعاية الرعية ، وكيف يسوسها ، ويوجهها الى الخير ، ويجنبها مراتع الهلكة ، ويذود عنها ضراوة النفوس المتذئبة ، وعلمته التجارة حب الكسب الطيب والصدق والأمانة .

وقد تضافرت كل هذه الدروس وغيرها ، فخلقت فيه صلوات الله وسلامه عليه نفسا لا كالنفوس الطينية التي ارتبطت حياتها بالأرض ، وعاشت مستعبدة لمن عليها وما عليها ، وما يخرج منها ، ولكنها النفس السماوية المتألقة بصفاتها وفضائلها . النفس التي أعدتها قدرة الله لتحمل الى الوجود أعظم دعوة عرفها الوجود ، فكانت فيها قوة الاشعة الشمسية تمتد من عالمها السامي الى البصائر ، فتنفد اليها لتبدد ظلامها وتنشر فيها نور الحق ، وتشرق فى دنيا الناس « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » .

يأيها المدثر

وحينما شاء الله أن يبعثه مست رسالته قلب المدثر تأمره أن ينذر العاكفين على الاصنام والمتخبطين فى الخطايا بأس الله وعذابه ، وتأمره أن يكبر ربه الذى خلق كل شيء ، وأن يطهر روحه من كل ما يعلق بها من دنيا البشر ، فانتفضت روحه حين مسها تيار الحق ، ثم قرت له ، فسكن فيها ، وامتزج بها ، وخلق فيها طاقات من الايمان به تتحرك قواها فى المجتمع ، فتولد حرارتها الايمان العامل فى كل نفس بشرية مستها . وكما خلق فيها ، تلك الطاقات المؤمنة خلق فيها كذلك حب البذل والتضحية والاستهانة بالدنيا وبكل اسلحة الشر وما تعبيء وحشية الجبارين للنيل من ايمان المعتصم بالله .

فكان الداعي الأول الى الله قوة تعمل لتصنع خير أمة ، كمالا من الفضائل يقف على النفوس فيرسل فيها ينابيع الحق تطهرها من خطايا الجاهلية ، ويربيها أحسن ما تكون التربية ويهيؤها للقيادة الروحية ويعدها لحياة حربية لأعداء الكمال الانساني ، ويخلق فى كل نفس ما يجعل منها أمة تعمل حيثما كانت فى كل مجال .

وكان صلوات الله وسلامه عليه الامام الذى ترى فيه كل فضيلة مثلها الحي ، ويرى فيه كل مسلم الحكمة التي تنساب روحها فى المجتمع كما ينساب الغدير فى الصحراء الصادية فيرويها ويحولها الى جنات وارفة الظلال يانعة الثمار .

مدرسة النبوة

ويرى فيه كل مسلم كذلك المعلم الذى وهب حياته لله وللدعوة الى الله ، فكانت دار بني الأرقم فى مكة أول معهد للدعوة تتلمذ فيه عشرات من السابقين الأولين ، وكان مسجده فى المدينة المعهد الثاني او الجامعة التي تخرج فيها الألوف من اليثربيين ومن الوافدين من آفاق الجزيرة ، لينبعثوا بعد ذلك فى العالم انبعاث الربيع ينشر الجمال الروحي ، ويحول صخب الدنيا الى الدعة والوداعة اللتين تحب أن تعيش فيهما الحياة .

وكانت دعوتهم الى الله قوة تستمد قدرتها على العمل من الله ، وتصنع من الايمان به سلاحا تعجز عن مجابهته أسلحة الباطل ، ولن يجابه عتاد الباطل الارضي سلاح الحق السماوى .

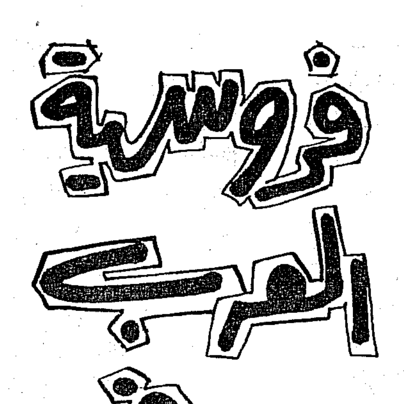
وتلقى الدعوة عنهم أقوام ومن بعدهم أقوام عاشوا جميعا مع الزمن ، يبعثون فيه الحياة فكانوا فى أجيالهم رواد الخير ، وقواد النفوس الى الحق، ومرشدى التائهين فى خضم المادية الى مرافيء السعادة الحقة — السعادة الروحية — فى ظلال الخير الخالص ، ثم وارى الزمن هؤلاء الدعاة وأولئك « فخلف من بعدهم خلف » « نسوا الله فأنساهم انفسهم » وخافوا كل سلطان ، فاضاعوا من أيديهم كل سلطان ، وعاشت الدعوة فى أفواههم الفاظا لا روح فيها ، وهم وان أهلتهم حياتهم ودراستهم للدعوة الا أنهم ربما كرهوا المشقة فى سبيلها ، وربما كرهوا التضحية بالجهد والعافية والمال فى سبيل ما قد تكسبه الدعوة .

الايمان والرجال

فما أحوج الاسلام اليوم ، وما أحوج دعوته الى دعاة مخلصين لله يسلمون وجوههم اليه ، ويستمسكون أبدا بحبله ، ثم الى كرماء يبذلون ، وينفقون كلما دعاهم داعي البذل فى سبيل الله .

ما أحوج الاسلام الى داعية يسيح فى الأرض لا يتقيد باقليمية يحتبس فيها نشاطه بل يؤمن بوجوب الدعوة عليه للناس كافة ، فليس للدعوة الاسلامية وطن محدود تعيش فيه ، وتعمل داخل حدوده ، وانما عليه أن يضرب فى الأرض حاملا مشعل دعوته لا ترهبه الأدغال ولا تثنيه ظلمة

البقية على ص ٩١





فروسية العرب في الإسلام

للدكتور احمـد شوكت الشطي

الفروسية فى الاصل حذق امر الخيل وما يتصل به ، وقد وسـع مدلولهـا ، فأريد به ايضا مجموعـة المزايا التـى يجب أن يتحلى بها الفرسان ـ خاصـة منهمفرسان الحرب ـ منجرأةوشجاعة، ورباطة جاش ، وثبات جنان ، وصولة واقدام ، يضاف الى ذلك اخلاق كريمة كاغاثة الملهوف وتلبية المستجير وحماية الضعيف ورحابة الصدر وكرم النفس واليد ، وما الى ذلك من الصفات ،ونبل الاهداف والغايات .

ولقد تحلى العرب بالفروسية فى جاهليتهم كما يشهد بذلك كثير من قصصهم ، ثم جاء الاسلام فهذ بها ، ووجهها شطر الانسانية والخير ، حتى أصبحت حديث الخاص والعام ، تسطر للعرب مفاخر لم يبلغ مستواها غيرهم من الامم فى يوم من الايام ، وكان منها وصفهم بان التاريخ لم يعرف ارحم منهم فاتحا ، ولا اكثر منهم متسامحا ، والواقع ان فى تاريخ فرسان العرب فى الاسلام من الاعمال مالايكاد يصدق من معالجة النفس الانسانية معالجة جملتهم بتلك الصفات النبيلة والبطولات الخارقة التى زخر بها صدر الاسلام،وفيها من ضبط النفس وتوجيهها شطر التضحية والاخلاص للمبادىء ما يحسن بنا ان نتذكرها ، ونذكرها لانها امثلة معجبة لا يتمالك الانسان من ان يحدس فى ضميره وطيات وجدانه ليتساءل عما اذا كان فى مكنة بشر ان يفعل ما فعله فرسان العرب ؟

هذا علي بن ابي طالب يمكنه الله من احد أعدائه واحد اعداء الاسلام فى احدى المواقع ، حتى ليجلس على صدره ، ويأخذ بسيفه ، ثم ينهض عنه ويتركه ، طليقا ، ويعجب رجل كان يشاهد الحادث ، ويسأل عليا لم تركت عدو الله ! وقـد امكنـك الله منه فيقول : حينما هممت ان احتز رأسه بصق فى وجهي فخشيت ان أنا فعلت أكون قد قتلته غضبا لنفسي لا لله (١) .

---

(١) راجع للتوسع كتاب الانسان بين المادية والاسلام ص ١٣٢و١٣٥ .

ان عليا يعرف أن من اطلقه قد يعود ، فيقتله ، ولكن فروسية الاسلام أدبته ، فبلغته من ضبط الجسم والنفس ان نسي الاول — الجسم — غرائزه حتى كأنه ليس من لحم ودم ، ونسيت الثانية — النفس — العواطف وحوافزها حتى كأنها ليست نفس انسان بل لها صفة تتميز بها ملائكة الرحمن .

وفي قصة أبي محجن الثقفي ، مظهر من مظاهر الفروسية والاخلاص للمبدأ ينسيه كل شيء مما تجيش به خفايا الانفس الا الاخلاص للدين القويم ، والهدى العظيم ، وابو محجن الثقفي هذا ، احد ابطال المسلمين في فتح فارس كان صاحب خمر في الجاهلية ، وظل يتغنى بها حتى بعد أن جاء الاسلام ، فحبسه سعد بن أبي وقاص في داره ، ووضع القيد في رجليه ليستتيبه مما قال .

ويخرج سعد لقتال الفرس ، وأبو محجن حبيس في داره، ثم يمرض القائد، فلا يستطيع ركوب فرسه ، وتملؤه الحسرة ان يعجز عن الخروج بنفسه الى المعركة والقتال مستعر . وأبو محجن يسمع ذلك ويرى وهو حبيس ، فلا يطيق أن يقعد عن نصرة دين الله ورسوله ، فيرجو سعداً ان يُطلقه ، ليقاتل ، فلا يفعل ، ويلحُ في الرجاء ، ولكن سعداً لا يستجيب ، ولكن أبامحجن لا ييأس . انه يحاول لدى امرأة سعد ! ويستعطفها ان تفكّ قيده ، ليخرج الى القتال . ويعدها — أن هو لم يستشهد في المعركة — ان يعود اليها ويضع هو نفسُه القيد في رجليه ! ورقّ قلبها له ، فأطلقته ! فأخذ فرس سعد وانطلق بها الى القتال . وهجم على العدو هجمة صادقة ، فرجحت كفة المسلمين . حتى اذا اقبل المساء عاد : عاد البطل المنتصر الى دار سعد ، فربط الفرس ، ثم وضع القيد في رجليه كما وعد من قبل !

وظل على ذلك ثلاثة ايام حتى كتب الله النصر المؤزر للمسلمين ، وسعد يطل على ميدان المعركة من نافذته ويقول لامرأته : رأيت فارسا على البلقاء يضرب كأحسن ما يكون الضرب ، ولولا محبس ابي محجن لقلت هذا أبو محجن ! فتقص له امرأته قصته ، فيناديه اليه ويقول : اذهب : فما أنا مؤخذك بشيء تقوله حتى تفعله ! فيرد أبو محجن قائلا : لا جرم والله لا أجيب لساني الى وصف قبيح ابدا .

لقد كان ابو محجن في حل من القتال وهو حبيس وكان مستطيعا — وقد حارب وانتصر — ان يتحلل من وعده ومن محبسه . ولكنها بطولة نفسية خارقة ، وفروسية امرها عجيب، وحديثها عجاب أيقظها الاسلام في اغوار الوجدان وأعماق الضمير ، فكان من الثقفي ما كان .

واذا كانت امثلة هذه البطولات النفسية قد تواترت في صدر الاسلام ، فانها لم تنقطع بعد ذلك على مرّ العصور . وهذا صلاح الدين يصل في معاملته لاسرى الصليبيين اعدائه في الدين وفي الحرب ، الى درجة جعلت أولئك الصليبيين انفسهم يكتبون عنه القصص المبدعة ويصوغون حوله الاساطير !

صلاح الدين ينقذ قلب الاسد

وقد كان الصليبيون يعاملون المسلمين بوحشية لا مثيل لها . وكانوا يهجمون

عليهم فى بيوت الله ، فيحولونها بركا من الدماء . وكان المسلمون فى حل من أن ينكلوا بهم اطاعة لامر السماء : (ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب) ، (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) . ولكنهم لم يفعلوا ، بل ان صلاح الدين يتطوع ليمرض اسيراً وقع بين يديه ، ويسهر عليه حتى يتماثل للشفاء !!

يقول فى هذا الشأن غوستاف لوبون مقارنا بين فظائــــع الملوك الصليبيـــين وفروسية صلاح الدين : لقد وفر دماء الصليبيين فى فلسطين ، وقدم لكل من فيليب أوغست وقلب الاسد فى مرضهما الاغذية والمرطبات ، فأظهر نبله هذا ، الفارقَ الكبير بين رجل السلطان المتمدن الانساني ، وصاحب السلطان المتوحش الاناني .

واليك قصة عن فروسية صلاح الدين هي أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة كأنها حكاية من الاساطير ، ولكن العــدو وصفها ، فلا بد من تصديقها خاصــة وان امثالها كثير فى سيرة الابطال من المسلمين العرب .

جــاء فــى الكتب الــى بحثت عــن الفتــح القــدسي انـــه وصلت فـــى مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة استخلص الملك ريكاردوس قلب الاسد احداهن لنفسه فكانت تقوم على خدمته وتعني براحته مع اختـــه وزوجتـــه ، فاخلصت له كل الاخلاص ، فكانت عينه على اقرانه واذنه بين قواده . فعلمت من طريقها الخاص أن فريقا من القادة قد ضاقوا بحدة طبعه ، وشراسة خلقه ، فتآمروا على قتله . فاخبرته بما علمت ، فاتهم الخبر ، وأبى أن يصدق أن احدا من خلــق الله يجرؤ على مواجهتـــه بالسيف .

وكان من عادة ريكاردوس ان يطوف بالليل على قواده واجناده ، ليتعرف حالهم ، ويطمئن بالهم ، فافتقدته الفتاة فى خيمته ذات ساعة من الليل ، فلم تجده . فخرجت تبحث عنه ، فضلت الطريق، ودخلت فى معسكر العرب . فظنها احد الحراس جاسوسا ، فرماها بسهم ، فسقطت على الارض تتلوى ، وتئن ، واتفق حينئذ ان مر صلاح الدين فى طوافه بهذا المكان ، فسمع الانين ، فاقترب من مصدره ، فاذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعي ، فاحتملها على ذراعيه الى اول خيمـة فى المعسكر . ودعا لها بطبيب اخرج النصل من فخذها ، وتعهدها بالعلاج حتى برئت ، وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين ،وانزلها على الرحب من عطفه . وفى احدى الاماسي عرض قواده عليه بعض كبار الاسرى وهو فى خيمته ، فعرفت الفتاة من بينهم قائدا من خواص قلب الاسد ، فاستاذنت السلطان ان تتحدث اليه ، فاذن . فلما سألته عن مولاها اخبرها انه سمع اليوم اثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله فى هذه الليلة . ولولا أنه وقع فى الاسر لذهب اليه يخبره ويحذره . فجزعت الفتاة على ملكها ولم تملك سوابق دمعها ، فاسترسلت فى البكاء فسألها صلاح الدين عما بها وعما قال الاسير لها ، فافضت اليه بجلية الامر (١) .

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفروسيـة العربية لاغتبط بهذه المؤامرة التى ستكفيه شر عدوه ، وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الاول ، ولكنه فعل ما نشر فى آفاق الغرب فضله ، وخلد على وجـه

---

(١) مجلة العربى ع ٣٦ ص ٢٤

الزمان ذكره ، فأرسل الى مكان المؤامرة الذى عينه الاسير سرية من اشجع الفرسان، لينقذوا الملكمن كيد خصومه وكان قلب الاسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد احوال جنده ، وكان قد خرج فى هذه الليلة وحده لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه فى جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران فى اليوم نفسه . أخذ يمشي فى ساحة القتال ساهما حزينا يتسمع الانات ، فيترحم على القتلى ، ويتألم للجرحى ، وينحني على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة او يشجعه بالامل ،حتى رأى قائد مكبا على وجهه ، فجثا على ركبتيه يقلبه ، فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه ، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده . فلما أدار ظهره ، لينصرف نهض عن رقدته ، ونفخ فى بوق صغير ، فاذا رجال يقومون من بين القتلى ، ويحدقون بريكادوس ، وقد شهروا السيوف ! فدهش الملك من المفاجأة أول الامر ، ثم تذكر سيفه ، فاعمله فيهم ، وكاد يأتي عليهم لولا أن احتوشوه فى الظلام ، وطوقوه بالكثرة ، فايقن انه هالك .وفى هذهاللحظة الحرجة جاءته نجدة صلاح الدين فصرعتهم من حوله . ثم طلبوا اليه ان يصحبهم الى السلطان ، فسار معهم مطمئن القلب لاعتقاده ان الملك الذى ينقذ عدوه من القتل يستحيل عليه ان يسلم ضيفه الى الاسر . وكان لقاء السلطان للملك جميلا نبيلا ، وكأنهما لم يقتتلا طوال اليوم ، ولن يقتتلا طوال الغد ! وبالغ صلاحالدين فى اكرام ضيفه ، فدعا بالفتاة اليه ، فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك ، وساوره عليها الغضب ، ولكن بطل العرب والاسلام ورمز الفروسية أخبره بما كان منها وبما حدث لها . فقدر الملكاخلاصها ، وخرج بها معززا الى معسكره ليعيد سيرته فى الكر والفر على صلاح الدين . (١)

لبيك أينتها الجارية

ويحلولي إناتابع البحثعنالفروسية فى طيات التاريخ العربي الاسلامي لارى فيه النجدة والمروءة من ذلك ما روى عن المعتصم(٢) حين وقف عليه رجل وقال له يا امير المؤمنين ، كنت بعمورية (٣) وجارية من أحسن النساء سيرة قد لطمها علج(٤) فى وجهها ، فنادت ، وامعتصماه ! فقال العلج : وما يقدر عليه

---

(١) يخيل الى ان القارىء متهمى بفقدان الصلة بين العنوان والبحث عن صلاح الدين ما لم اثبت عروبته . والى المتتبع أدلتى : جاء فى الجزء (٦) ص (٣) من كتاب ملوك مصر والقاهرة أن جد صلاحالدين هو مروان من أولاد خلفاء امية وأكد هذا الكتاب النفيس ذلك ثانية فثبت نسب صلاح الدين ودرجه الى نزار بن معد بن عدنان ، وتلاه على صلاح الدين فاقرّه . زد على ذلك توجيه الحديث الشريف الىالتعريف بالعربى حين انكر رجل من الاعراب على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى ان يكونوا عربا بقوله ان الرب واحد والاب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى ، فاذا اردنا أن نستمد من هذا القول تعريف العربى جازلنا أن نقول : هو من تكلم العربية وتشربت نفسه بحب بلادها ومبادئها وأخلص لها وعلى هذا الاساس يكون صلاح الدين عربيا بَيِّنَ العروبة .

(٢) خليفة من اعاظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاتح عمورية سنة ٢٢٧هـ .

(٣) بلدة كانت بالروم .

(٤) العلج : الواحد من كفار العجم

فروسية العرب

المعتصم ؟ أيجيء على ابلق وينصرك ! وزاد فى ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فقام الرجل وأشار الى جهتها : ها هى ذى ، فرد المعتصم وجهه اليها ، وقال : لبيك أيتها الجارية ! لبيك ! هذا المعتصم بالله اجابك ، ثم تجهز اليها فى اثني عشر الف فارس على خيول بلق ، وحاصرها .

ثم عاد الرجل الذى بلّغه الحديث ـ حديث الجارية ـ فقال له : سربي الى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار به ، واخرجها من موضعها ، وقال لها : ياجارية ، هل اجابك المعتصم !!

ويذكر ارفينغ واشنطن (١) فى كتابه الشهير عن قصص الحمراء فروسية العرب ، فيقول فيها : لقد كان العرب فى بدء توسع ملكهم غزاة من انبل الغزاة ، متحلين بكرم لا مثيل له وبتسامح لا حد له ، تفوقوا بهما على جميع القوى التي حاولت محاذاتهم ، وعلى جميع الامم التي نافستهم . حتى ان رجال الحرب فى البلاد الغربية قصدوا المدن العربية ليتعلموا من مدارسها العسكرية تعاليم النبل فى الكفاح، وامجاد الفروسية فى المعارك والبطاح ، ولقد ذكر رنول فى كتابه (تاريخ الجيش الفرنسي) ان الفرنسيين خاصة والاوروبيين عامة اخذوا عن العرب فكرة الفرسان كما اخذوا عنهم فكرة الفرسان المجردين من الدروع والاسلحة الثقيلة .

العرب وملكة قشتالة

وينسب سيديو (٢) الى العرب ابتكار قصص الفروسية التي انتشرت من بعدهم فى اسبانيا. ومما يروى عن نبل الفرسان العرب ، وتعففهم عن ايذاء الضعفاء ، والتعرض للنساء ، ما حدث سنة ١١٣٩ ميلادية عندما حاصرت جماعة منهم احدى القلاع الاسبانية ، وكانت توجد بها ملكة قشتالة زوجة الملك الفونسو السابع ، فأرسلت اليهم تعاتبهم على مهاجمة قلعة تدافع عنها امرأة ، فمس فيهم ذلك العتاب وترا حساسا ،وألهبت نخوتهم العربية ، فاكتفوا بأن التمسوا منها ان تطل عليهم من شرفتها . فلما فعلت ، قدموا لها اسمى ضروب الاحترام وفكوا عنها الحصار ، ورحلوا على الفور.

وقد روى هذه القصة نفسها غوستاف لوبون فى كتابه الشهير عن مدنية العرب، ولكن بتفصيل اوسع فقال (٣) :

---

(١) Erving wachington : أديب اميركي عاش فى اسبانيا طالبا وسفيرا ، سكن حمراء غرناطة فأعجب بقصورها وبالعرب مشيديها فوضع فيهم كتابا اسماه قصص الحمراء

(٢) Sedillot : بحاثة مشهور عن تراث العرب

(٣) Le walie de Cordue ayant en 1139 assiege Tolèdi, la reine Bérangère, qui était enfermée. lui envoya un héraut pour lui dire qu'il n'etail pas digne d'un chevalier brave, galant et genereux d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine.

حاصر والي قرطبةطليطلة،وكانت السيدة « به رانجير » (١) ملكة عليها ، فأرسلت الى أحد فرسانه بطاقة تذكره فيهـا بفروسية العرب وفرسانهم ، وما عليهم من كرم النفس ، وانه لا يليق بواحـد منهم ان يهاجم امرأة ، فما كان مـن القائد العربي الا التشرف بتحية الملكة وتقديم الاحترام لها وفك الحصار عن قلعتها والانسحاب من حولها .

وأسفاه على الفنسو

ولقد جاء ايضا فى كتاب لارفينـغ واشنطن عند الكلام عن فروسية يوسف ابي الحجاج ان يوسف المذكور حـاول تجديد الهدنة مع ملوك الاسبان بعـد وقعة سالاد ، فرفضوا ، **بل هاجم عدوه** ملك قشتالة مدينة جبل **طارق العربية** وحاصرها حصارا شديدا مما اضطـر يوسف الى محاربته ، وكانت ريح الحرب فى جانبه ، وسمـع آنذاك بان خصـمه العنيد مات متأثرا من الطاعون ، فلـم يعـول على الاستفادة مـن اضطـراب الجيش بموت قائده وانزعج من الخبر بدلا من ان يسر به وقال : جملة مشهورة ليس فى الموت شماته وا أسـفاه علـى الفونسو ، فقد خسرناه ملكا كاملا يفرض احترامه على محبيه واعدائه على السواء وحزن حزنا شديدا على فقده ، وقـد امر الملك يوسف فرسانه بفتح الثغور أمام موكب الملك الراحل ودعا قواده الى المساهمة فى تشييع جنازة الملك وتحية النعش لدى مروره في الاراضى التابعة له وذلك مابين جبل طارق واشبيليه ، هذا مع العلم أن خصومه كانوا يستغلون مثل هذه الظروف لمصلحتهم الحربية .

عروس فى المعركة

وللعربيات المسلمات قصص فروسية تعطر تاريخ المرأة العربية على كر الايام ، فتحلهن فى حلبة الفروسـية والوفـاء والمجد والولاء أسمى مقام، من ذلك ما روى عـن ابان بـن سعيد بـن العـاص الذى اصابه سهـم فمات على اثره ، وكانت له زوجة وهى بنت عم له قريبة عهد بعرسها لا يزال الخضاب فى يدهـا ورائحة العطر تفوح من رأسها .

وكانت امرأة من أهل الشجاعة والبراعة والغيرة فبلغها وفاة زوجها ، فاتته تهرع(٢) مسرعة تتعثر(٣) فى مشـيتها ، لما اصابها حتى وقفت فـوق رأسه ، ونظرت اليه والناس ينظرون ماذا تقول : فصبرت ، واحتسبت مصيبتها ، وملكت عبرتها ، ولم يرتفع لها صوت غير انها قالت مهنئة له بما نال من الشهـادة ورضوان الله : هنئت بمـا اعطيت ، ومضيت الى جوار ربك الذى جمـع بيننا ، ثم فرق . ولأجهدن (٤) حتى الحق بك ، وانى لمشوقة اليك ، حرام علي ان يمسني بعدك احد ، واني قد حبست نفسي فى سبيل الله على ان الحق بك وارجو ان يكون ذلك عاجلا . ثم حفر له ، ودفن مكانه ، وصلى عليه خالد بن الوليد، فتركته مدفونا ، ولم تقف على قبره بل أخذت سلاحه ، ولحقت بالجيش ، ولم تعلم خالـدا بذلك وقالت : على أى باب قتل بعلي ؟ فاشير اليه ، فاختلطت بالمقاتلين ، وقاتلت قتالا لم ير مثله وابلت بلاء حسنا ، وكانت ارمى النـاس بالنبال ، فلا يقع سهم منها على الارض حتى لقيت وجه ربها .

هذه شابة من الشواب العربيات المسلمات فى

البقية على : ص ٧١

١ ـ Bérangére

٢ ـ تتعثّر : عثر الرجل فى ثوبه يعثر عثارا أو عثورا (مصباح) .

٣ ـ تهرع : هرع وأهرع اذا اعجل على الاسراع (قاموس) .

٤ ـ لأجهدن : الجهد بالضم والفتح الوسع والطاقة .

التصوف بين الاستقامة والانحراف

للاستاذ عبد الحكيم نعناع
مدير المكتب الفني للادارة العامة
للمعاهد الأزهرية

التصوف فى حقيقته جزء جوهرى من الدين الاسلامي الذى ارتضاه الله سبحانه دينا للبشرية عامـة .

ويخطىء كل الخطأ من يتصور أنه أمر غريب او مبتدع أضيف الى الاسلام ، ذلك لأنه يستمد أصوله مباشرة من مصدرين أساسيين . هما كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والسنة النبوية المطهرة ، مع خلوص النية ، وصدق الاخلاص فى العمل .

والتصوف فى الاسلام هو الكمال فى الايمان ، والكمال فى العمل ، هو لب الدين وثمرة اليقين .

انه الآفق الأعلى للدعوة الاسلامية ، والوجه المشرق لآدابها ومثلها العليا .

انه أسمى صور الايمان فى العقيدة الاسلامية ، يعيش صاحبه تحت ظل التوحيد النقي الصافي ، فيرى الله فى كل شيء ، ويراقبه فى حركاته وسكناته ، بل يراقبه فى كل نفس من أنفاسه،لأنه يؤمن به ، مطلعا على خواطر القلب ، وهمسات النجوى ((يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)) .

وعلى هذه الصورة الوضيئة ، عاش سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ودعا اليها وورثها أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، فمنهم جمع كبير نهج نهجه ، واقتفى أثره ، وتخلقوا بخلقه الرباني ، وتجملوا بكماله النفسي ، وتبعهم فى هذا السلوك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من التابعين وتابعي التابعين ، يدعون اليه ، ولا يحيدون عنه .

وهؤلاء جميعا هم قادة التصوف الاسلامي قبل ان يطلق عليهم اسم ((الصوفية)) وان كان قد اطلق عليهم اسم العباد أو الزهاد .

ومن هنا كان وجود التصوف والصوفية سابقا لهذه التسمية بقرن على الأقل ، وقائما فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده .

ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وانفسحت رقعة العالم الاسلامي ، وتعددت شعوبه وأممه ، وترجمت كتب اليونان وغيرهم ، وتسربت فلسفتهم الى المسلمين ، وبعد ما بينهموبينالوحي والرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ودخلت الدنيا على الناس ، وأخذت الشهوات والنزوات والمطامع والأهواء تلعب دورها ، وتنحرف بالقلوب عن عقيدتها ، لما كان ذلك كذلك هب فريق من هؤلاء

العباد والزهاد ، يحفظون حدود الله ويذودون عن جوهر الاسلام وروح العبادة ، ويدعون الى المثل العليا التي ورثوها عن اسلافهم الصــالحين ، وتميز هذا النفر بالطائفة الصوفية ، وعرفوا بهذا الاسم قبل المئتين من الهجرة النبوية ، يقومون على الحق ، ويهدفون الى تزكية النفوس ، وتصـفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الاسلامية الرفيعة والمحبة الخالصة لله .

قال ابن خلدون فى مقدمته عن التصوف : ((.. وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تـزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم ((الصوفية)) .

أثر التصوف فى نشر الدعوة

ولقد كان للتصوف اثر بعيد فى سيادة الايمـان وصيانـة العقيدة ، وفى نشر الاسلام . فقد استطاع ايام ازدهاره ان ينشر الدعوة الاسلامية بدون غـزو او سلاح ، والصوفية هم الذين اشاعـوا نورها وحملوا هداها بين ربوع افريقيـة التي لم تفتحهـا الجيوش الاسلامية ، وكان لهم الفضل الأكبر فى نشر كلمـة التوحيد فى اندونيسيا والفلبين والصين وغيرها مـن الأقطار النائيـة ينشرونها بالقدوة الطيبة ، والعمل الصالح، والخلق الكريم ، وكان الكثير منهم من المرابطين الذين عاشوا علىحدود الدولة الاسلامية، يصدون عنها غارات الأعداء .

والتصوف هو الذى وقف صامدا فى وجـه تيارات الالحاد ، وغزوات الانحلال ، وهو الـذى وقف حصنا منيعا يدفع عن شعوب الاسلام وثنية التتار ، وعصبية الصليبيين ، وطغيان الاستعمار .

فهذا صاحب تاريخ بغداد يذكر ان الخليفـة المتوكل حينما عصفت الحروب بالدولة العباسية ، نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا اليه من كـل مكان ، فكانوا جيشـه الكبير الذى حمى ديـار الاسلام وصان حدوده .

والجبرتي يحدث ان هزيمة الفرنسيين فى مصر انما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الصوفية وشيوخها .

وقبل ذلك كان لهم الفضل الأكبر فى هزيمـة الصليبيين فى معركة حطين ، وفى أسر قائدهـم لويس التاسع فى بيت ابن لقمان بالمنصورة .

ولا يزال التصوف يحمل ميراث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ينير البصائر ، ويفتح القلوب على معرفة الحق ، ويعمرها بصدق العبودية لله رب العالمين ، ويربط عليها وسط تيارات الالحاد والانحلال .

مدارس التصوف

وكما نشأت مدارس الحديث، ومدارس التفسير ومدارس الفقه ، ومدارس علم الـكلام ، ودونت قواعدها وحددت أصولها وفروعهـا ، مستمدة من الكتاب والسـنة ، نشأت كـذلك مدارس التصوف ، واجتهد علماؤه ، ودونوا معارفهم فى العبادات والأخلاق ، ومناهجهم فى السلوك وعلل النفوس ، ونوازع الخير والشر ، وأنواع الذكر ، ومقومات الشخصية الاسلامية الكاملة .

وكان مستمدهم فى هذا كله الكتاب والسنة ، وحسـن المتابعـة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليـه فىميراثـه الروحي ، لا يحيدون أبدا عما تلقوه عن أسلافهم .

يقول الجنيد ــ سـيد هذه الطائفة وامامهم كما يقول القشـيرى : ((من لم يحفظ الكتاب ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، وقال : علمنا هذا مقيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)) . وقال : ((الطرق كلها مسدودة على الخلق ، الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سـنته ، ولزم طريقته)) .

وسهل التستري ــ وهو من هو بين أعلام الصوفية ــ يقول معبرا عن اصول التصوف : ((أصـول طريقنا سـبعة ، التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسـنة ،

وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم القربة ، وأداء الحقوق)) . وأبو يزيد البسطامي يقول : ((لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)) .

وهكذا نجد التصوف الحق يعتصم بالكتاب والسنة ، ويدعو الى الاستمساك بهما من غير زيغ ولا خروج عن جادة الدين .

القوة الثالثة

ولقد أثار التصوف الاسلامي منذ تميز – ولا يزال – جدلا وحوارا في الفكر الاسلامي وفي الحياة الاسلامية ، وكانت له خصومات تنكر منحاه في التربية ، ومنهجه في السلوك ولا تزال .

وليس ذلك بغريب فالأمر فيه كما يقول ابن السبكي في طبقاته – ((الناس أعداء ما جهلوا ، فكل فريق يخاصم من الآراء الرأى الذى لم يعرفه ، والعلم الذى لم يتذوقه)) .

وتلك كلمة حق فنرى أهل السنة – وهم يقولون : ان الدين نص تفسره أسباب النزول واللغة والرواية ، والمعتزلة يقولون : ان الدين نص يفسره العقل ويوضحه ، نراهما قوتين اسلاميتين تتخاصمان وتصطرعان قبل ان يتميز التصوف كعلم وعمل ، وكلتاهما تنكر على الأخرى مسلكها ومنهجها ، وهما معا تنكران على الصوفية مسلكهم ومنهجهم ، حين أصبحوا القوة الثالثة في دنيا الاسلام ، لا هي نصية فقط ، ولا هي عقلية فقط ، ولكنها الى جانب ذلك بصيرة وضاءة ، وروح صافية .

وقد ورد في كتب التصوف ، وأثر عن بعض اعلامه عبارات وأقوال اثارت جدلا وانكارا . وفي هذا المجال يقول الامام الشعراني في طبقاته الكبرى دفاعا عن محيي الدين بن العربي : ((وما انكر من انكر عليه الا لدقة كلامه لا غير ، فانكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة في معتقده يموت عليها لا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ)) .

ذلك أن ((من ذاق عرف)) ومن هنا نجد الذين لم يتذوقوا علم التصوف ، ولم تتهيأ استعداداتهم لفهم حقيقته ، يرمون التصوف وأهله بادعاءات باطله في علومهم ومعارفهم ، وفي أذواقهم ومشاربهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم ، وفي نظرتهم السامية العميقة في هذا الوجود ، وحقائقه .

ولو أن هؤلاء أخذوا انفسهم بمثل ما يأخذ به الصوفية أنفسهم من تقواهم لله حق تقاته ، ومن اخلاصهم العبادة لله سبحانه في ظل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ((اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك)) لو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا وما رموا هؤلاء الأعلام بما يرمونهم به ، وحسبهم أن شيخ التصوف الأكبر (محيي الدين بن العربي) هو الذى يقول : لقد أجمع أهل التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه ، وانما هو فهم يعطى في القرآن لرجال الله ، كما ثبت من حديث علي بن ابي طالب ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نورا)).

ما دخل على التصوف

ولا جدال في ان التصوف الاسلامي قد دخل عليه في عصوره الأخيرة ما ليس منه ، وطاف في سماء مناهجه الأصيلة كثير من الضباب والغبار ، كما أصابه ما أصاب حياة المسلمين من جمود وضعف ، وعادات وتقاليد شوهت جماله ، وذلك وضع لم يسلم منه أمر من أمور المسلمين .

وان الأمة الاسلامية قد أخذت تنفض عن كاهلها غبار ماض بغيض فرضه عليها طغيان الاستعمار ، وبغي الصهيونية ، وعداوة الصليبية ، ومشت فيها روح جديدة تنبه القوى الغافية ، وتوقظ الأحلام ، فالتفتت الى ما ضيها توقظ آمالها وتحيي تراثها .

وانها في بعثها الجديد لفي أشد الحاجة الى ان تتسلح بزاد الايمان وروح الاسلام ، وقوة اليقين ، وصفاء العقيدة .

وجماع ذلك كله التصوف ، فالتصوف في حقيقته هو الايمان في أوضح اشراقاته ، والخلق في أعلى مثله ، والعلم في أصفى موارده ، والجهاد في أقوى ذراه ، وتلك هي الدعائم التي ارتكزت عليها دول الاسلام في أقوى نهضاتها ، واستندت اليها شعوبه في أمضى وثباتها ، وهي الملامح الأصيلة لاعظم القوى الروحية في العالم ، وأطهر الدعوات النبوية في التاريخ .



للأستاذ علي الجندي

آيات الرجاء فى القرآن

آيات الرجاء كثيرة فى القرآن ، منها قوله تعالى ((قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) .

وسبب نزولها أن قوما قالوا : (يا رسول الله ، أيغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره) .

ويقول ثوبان لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم : ((ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية)) .

ومعنى الآية أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب .

ويقول علي كرم الله وجهه : انها أرجى آية فى القرآن .

وقيل : أرجى آية ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) .

وقيل : ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

وقال زين العابدين رضي الله عنه : ((أرجى آية قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى)) .

فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لا يرضى وواحد من أمته فى النار

أفضل آية

عن علي كرم الله وجهه انه قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى ، قال قوله تعالى ((وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير)) . ثم قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ما أصابك من بلاء أو عقوبة ، او مرض فى الدنيا فبما كسبت يداك ، والله اكرم من ان يثنى على عبده فى الآخرة العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا ، فالله اكرم من ان يعود بالعقوبة بعد عفوه .

قال الواحدى : ولذلك قالوا : ان هذه الآية أرجى آية فى القرآن ، لأنه جعل تعالى ذنوب المؤمنين صنفين . صنف تكفيره بالمصائب ، وصنف عفا عنه ، وهو ــ جلا وعلا ــ كريم لا يعود فى عفوه .

القرْن

القرن : بفتح فسكون ، أربعون سنة ، أو عشرة : أو عشرون ، أو ثلاثون ، أو خمسون ، أو ستون ، أو سبعون ، أو ثمانون ، أو مائة ، أو مائة وعشرون ، والأصح أنه مائة لقوله صلى الله عليه وسلى لغلام ((عش قرنا)) ، فعاش مائة سنة .

ومن معانى القرن : الخصلة من الشعر ، ومن الشمس ناحيتها أو أعلاها أو أول شعاعها ، ومن القوم سيدهم وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، وأهل زمان واحد ، وأمة بعد أمة .

وميقات أهل نجد ، وهى بلدة عند الطائف ، أو اسم الوادى كله ، وغلط الجوهرى فى تحريكه ، كما غلط فى نسبة (أويس القرنى) اليه ، لأنه منسوب الى قرن ــ بوزن قمر ــ ابن رَدْمان ــ وزن شعبان ــ ابن ناجية أحد أجداده .

الرسول ينشد الشعر

تمثل النبى صلى الله عليه وسلم بقول الشاعر :

ان تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبد لك لا ألما

وصار من جملة الأحاديث : أورده السيوطى فى جامعه الصغير .

وعن الحاكم فى الايمان ، والتوبة عن ابن عباس ، وقال المناوى فى شرحه الكبير : يجوز انشاد الشعر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وانما الممنوع انشاؤه .

دين القوة

نظرت السيدة عائشة رضى الله عنها الى رجل متماوت فقالت : ما هذا ؟ فقالوا لها رجل من القراء .

فقالت : كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع : واذا ضرب أوجع !!

ونظر عمر رضى الله عنه رجلا مطأطئا رأسه ، فقال ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض !!

ورآى رجلا متماوتا يظهر النسك ، فخفقه بالدرة ، وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ؟؟

شدة الصوت

قال ابن عطية : رأيت من بعض أقوياء العرب انه كان يمكو (يصوت) على الصفا ، فيسمع صوته من حراء ، وبينهما أربعة أميال .

لطف العلماء

كان للامام ابن الجوزى زوجة تسمى « نسيم الصبا » وكان يحبها حبا شديدا ، فاتفق أن حدثت بينهما جفوة ، فحصل له قلق شديد وهيام حتى كاد يشرف على التلف !!

وفى يوم من الايام حضرت الزوجة مجلس وعظه ، فسر بها واستبشر وسرعان ما حضرت امرأتان وجلستا أمامه ، فحالتا بينه وبين رؤيتها ، فأنشد ابن الجوزى متمثلا :

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت
على قلب مهموم تجلت همومها

والبيتان لمجنون ليلى

واحدة بواحدة

جاء رجل الى الأعمش وهو جالس على شاطىء خليج وعليه فروة خلقه فأقامه وركب فوقه ، وقال عدنى هذا الخليج ثم تلا قوله تعالى « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » .

فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج فرمى به وهو يتلو قوله تعالى « رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

ومعنى « مقرنين » أى « مطيقين »

أرجى وأحسن

قال أبو بكر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل كل يعمل على شاكلته » . فانه لا يشاكل العبد الا العصيان، ولا يشاكل المولى الا الغفران !

وقال عمر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر أرجى وأحسن من قوله تعالى « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » . فانه قدم غفران الذنب على قبول التوب .

وقال عثمان رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « نبىء عبادي أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » ، فقدم الغفران والرحمة على أليم العذاب .

وقال علي رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وقال القرطبي : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وقال الشيخ عبد الرحمن الصفورى : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى » .

لبيك وسعديك

قال العلماء يجوز استعمال لبيك وحده . وأما سعديك فلا يستعمل الا تابعا للبيك .

المتوكلون من أصحاب الحرف

أفتى ابن عباس رضي الله عنهما فيمن أوصى للمتوكلين بأنهم الزراع فيصرف لهم ما أوصى به الموصى ، وذلك لأن الزراع يحرثون ويضعون البذر فى الارض ، فهم المتوكلون على الله تعالى فى ذلك .

ويؤيده ما رواه البيهقى والعسكرى من أن عمر بن الخطاب لقي أناسا من أهل اليمن فقال من أنتم ؟ فقالوا متوكلون !! فقال كذبتم !! انما المتوكلون رجال القوا الحب فى التراب ، وتوكلوا على رب الارباب !

وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديما .

وقال الرافعى والنووى : احتج من فضل الزراعة على غيرها من الحرف بأنها أقرب الى التوكل .

الرجوع على الاعقاب

فى حديث السيدة أسماء رضى الله عنها « آتى على حوضى حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دونى ، فأقول يا رب أمتى ومن أمتى ، فيقول ما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » .

قالوا احسن ما قيل فى هذا الحديث « أنه يتعلق بمن ارتدوا بعد رسول الله وكفروا فتتخطفهم النار » .

وعليه يحمل حديث مالك فى الموطأ الذى جاء فيه « فيذاد رجال عن الحوض . . »

وكان ابن أبى مليكة اذا ذكر هذا الحديث يقول : « اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا !! »

مزية الشبان

فى الحديث الشريف « وسعوا للشبان فى المجالس وافهموهم الحديث » .

وكان عمر اذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال : هم أحَدُ قاوبا .

الصلاة تضاف الى وقتها

كل صلاة تضاف الى وقتها ، تقول صلاة الغداة « الصبح » وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، أو صلاة العشاء الأولى ، وصلاة العشاء الآخرة . واعراب البادية يقولون : صلاة العتمة ، وقد جاء فى الآثار كراهة ذلك ، فقد ورد « لا يغلبنكم الأعراب على صلاتكم العشاء » .

سورة التوديع

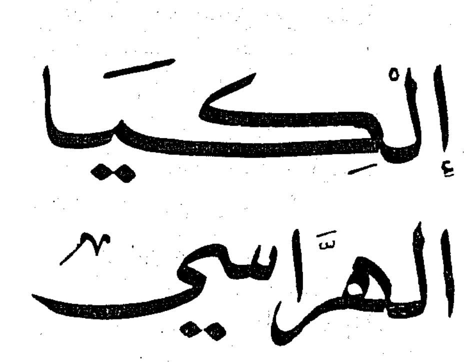
قال البغوى فى تفسيره عن الحسن ، علم النبى - صلى الله عليه وسلم - اقتراب أجله من قوله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح .... » السورة .

قال قتادة : عاش النبي بعدها عامين .

وقيل : انه عليه السلام لم يضحك فى هذين العامين .

وهذه السورة تسمى سورة التوديع «





الكيا الهراسي

للاستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي
بغداد

من هو الكيا الهراسي

هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى الملقب : «عماد الدين» المعروف «بالكيا الهراسى». والكيا بهمزة مكسورة ولام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء ، معناه الكبير بلغة الفرس ، والهراسي براء مشددة وسين مهملة لا تعلم نسبته لأى شيء (١) .

ولادته وموطنه

يقول ابن خلكان « وكانت ولادة الكيا فى ذى القعدة من سنة خمسين واربعمائة (٢) وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة اربع وخمسمائة ببغداد ، ودفن فى تربة الشيخ أبي اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى ، وحضر دفنه الشيخ ابو طالب الزينبى وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغانى ، وكانا من مقدمى الحنفية وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الدامغاني متمثلا :

وما تغني النوادب والبواكي
وقد اصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي

عقم النساء فلا تلدن شبيهه
ان النساء بمثله عقم

تعليمه الأول

لقد بقي الكيا فى طبرستان منذ ولادته حتى بلغ الثامنة عشرة وهناك تلقى تعليمه الأول قبل أن يخرج الى نيسابور .

ولكن تعليمه فى هذه المدة لا نعرف عنه شيئا ، ولعل السبب فى ذلك أن الاهتمام بالعلماء يأتي دوما بعد اكتمال تحصيلهم العلمي وبروزهم ، أما قبل ذلك فهم عرضة لعدم الاهتمام .

لذا فنحن لا نجد فى ترجمة أكثر العلماء ما يكشف عن مقتبل حياتهم وأيام تعليمهم الأولى الا اليسير ، وهكذا كان شأن الكيا ، فنحن لا نعرف كثيرا عن عائلته وبيئته أو شيوخه الذين تتلمذ لهم الا أننا نفهم أن دراسته فى طبرستان أهلته لأن يكون بين طلاب امام الحرمين ، وأن يكون مستعدا للأخذ عنه ، وهو شيخ الشافعية فى زمنه والذى جاب الآفاق ، ثم عاد الى بلده (نيسابور) ليمكث اكثر من ربع قرن مدرسا وواعظا وخطيبا ، ولعل من النافع أن نذكر نبذة مختصرة عن حياة هذا

١ ــ شذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ٨ .

٢ ــ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٨

* تتلمذ لإمام الحرمين

* شارك الغزالي في الدرس

* ولد بطبرستان وتعلم بنيسابور، وعلم في بغداد

* هل كان باطنيا اسماعيليا ؟

* ما معني ((الكيا)) و ((الهراسي)) ؟

* كاد أن يقتل فنجا بتوسط الخليفة !

* هل استفاد من شهرة الغزالي أم خسر؟

الشيخ الذى كون لنفسه ـ على ما يبدو ـ مدرسة فكرية كان من تلامذتها النجباء الامام الفزالي والكيا وكثير من امثالهم . فمن هو شيخ الحرمين ؟ ؟

امام الحرمين

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن عبد الله الجوينى النيسابورى امام الحرمين ابو المعالي .

ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة (٤١٩) .

يقول السبكى فيه (١) : ((ولا شك أنه كان أعلم أهل الارض بالكلام والأصول والفقه واكثرهم تحقيقا ، بل الكل من بحره يغترفون .. توفي والده وسنه نحو العشرين وهو مع ذلك من الأئمة المحققين ، فاقعد مكانه فى التدريس،فكان يدرس ، ثم يذهب بعد ذلك الى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول عند استاذه ابي القاسم الاسكافى الاسفراييني .

قال عبد الغافر الفارسى الحافظ فيما نقله السبكى(٢) : ((فاضطر الى السفر والخروج عن البلد وخرج الى بغداد ـ ثم جاور بمكة اربع سنين يدرس ، ويفتي ، ويجتهد فى العبادة ونشر العلم .. ثم عاد الى نيسابور بعد ولاية السلطان (ألب أرسلان) ... فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور ، وأقعد للتدريس فيها ، واستقامت امور الطلبة ، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مسلما له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس الذكر يوم الجمعة والمناظرة ، وهجرت المجالس من أجله ، وانغمر غيره من الفقهاء بعلمه وكسدت الاسواق فى جنبه ، ونفق سوق المحققين من خواصه وتلامذته ، فظهرت تصانيفهوحضر درسه الاكابر والجمع العظيم من الطلبة ، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو ثلثمائة رجل من الأئمة والطلبة ...الى أن قلد زعامة الاصحاب ورياسة الطائفة وفوضت امور الأوقاف اليه ، وقوله فى الفتوى مرجع العظماء والاكابر والولاة .. وبدت عليه مخايل الموت وهو فى ليلة الاربعاء بعد صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ونقل فى الليلة التى توفي فيها للبلد ، وقام الصياح فى كل جانب ..

---

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ ٣ ص ٢٤٩

٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ ٣ ص ٢٤٩

وكسر منبره في الجامع (المنيفي) .. وكان الطلبة فيه ما بين اربعمائة نفر يطوفون في البلد نائحين عليه مكسرين المحابر والأقلام مبالغين في الصـياح والجزع » .

الكيا في نيسابور

بعد أن امضى الكيا (١٨) سنة من عمره في طبرستان سلك ما كان يسلكه أكثر الطلبة آنذاك من الهجرة لطلب العلم على وفق ما وردت به السنة من اعتبار هذه الهجرة جهادا ، وبما يعود على الطالب نفسه من العلم الوفير والشهرة والصيت ، لذا رأينا الكيا يغادر طبرستان الى نيسابور ، ولا شك أنه سمع بشهرة امام الحرمين ، فتطلعت نفسه الى لقيـاه والتتلمذ عليه . يقول ابن عساكر (١) : « ورد نيسـابور في شـبابه وقـد تفقه ، وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظر مليح الـكلام ، فحصـل طريقة امـام الحرمين ونبغ فيها ، وصار من وجـوه الاصحاب ورءوس المعيدين في الدرس ، وكان ثان الغزالي ، بل املح واطيب في النظر والصوت ، وأبين في العبـارة والتقدير منه ، وان كان الغزالي أحد وأصـوب خاطرا وأسرع بيانا وعبارة منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظبا على الافادة والاستفادة ، ثم اتصل بعد مـوت امام الحرمين بمجد الدين ، وحظي عنده ، ثـم خرج الى العراق، وأقام مدة يدرس ببغداد في المدرسة النظامية الى أن توفي فيها » .

أما السبكي (٢) فيترجم له بنفس هذه المعاني فيقول : « أحـد فحـول العلماء ورءوس الائمـة فقها وأصولا وجدلا وحفظا لمتون احاديث الاحكام ، ولد خامس ذى القعدة سنة خمس واربعمائة ، وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعـد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمـين وابي علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ، روى عنـه السلفى وسعد الخير بن محمد الانصارى وآخرون. قال فيه عبد الغافر « الامام البالغ في النظر مبلغ الفحول ، ورد نيسابور في شبابه » ثم ينقل النص السابق الذى ساقه ابن عساكر .

اما ابن خلكان (٣) فهو الآخر ينقل ما نقلـه غيره باختصـار فيقـول « ...وكان من أهـل طبرستان ، وخرج الى نيسابور ، وتفقه على امام الحرمين ابي المعالي الجويني مدة الى أن برع ... ثم خرج من نيسابور الى (بيهق) ودرس بها مدة ، ثم خرج الى العـراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفى » .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج أن الكيا كان في نيسابور طالبا مجدا كل الجد، وأنه كان يحفظ العلوم ويكررها وفق طريقة ذكرها بنفسه ، ونقلت عنه ، وملخصها : « كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت اذا حفظت الدرس أنزل القناة ، وأعيد الدرس في كل درجـة مرة في الصعود والنزول ، وكذا كنت أفعل في كـل درس حفظته » (٤) .

ثم صار من كبار تلاميذ امام الحرمين حتى أنه كان يقوم باعادة دروسه على كثير من اخوانه حتى تخرجوا عليه . وعلى هذا النحو بقي في نيسابور الى أن توفى شيخه (٤٧٨) فانتقل الى بيهق .

الكيا في بيهق

بعد أن اكمل الكيا تحصيله على يد شيخه امام الحرمين ، وبعد أن اصبح قادرا على اعـادة دروس شيخه،وبعد وفاة هذا الشيخ الجليل ،خرج الكيا من نيسابور ميمما وجهه شطر (بيهق)، وكان الوقت مناسبا ليظهر علمه هناك ومنهجه الـذى تلقاه على امام زمانه ، ومما لا شك فيه أنه حاول ابراز موهبته وغزارة علمـه حتى لفت أنظـار الولاة هناك اليه الا أن المصادر لا تزودنا عن هذه الفترة التي بقي فيها من سنة ٤٧٨ الى ٤٩٢ حيث دخل بغداد .

---

١ ــ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٢٨٨

٢ ــ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص (٢٨١ ــ ٢٨٢)

٣ ــ ابن خلكان / وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .

٤ ــ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٨٢ ومرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٧ .

فهذا ابن خلكان يقول : « كان من أهل طبرستان ، وخرج الى نيسابور .. ثم خرج من (٢) نيسابور الى بيهق ودرس بها مدة ، ثم خرج الى العراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفي » .

ثم يعود ابن خلكان لينقل عن الحافظ عبدالغافر قوله : « ثم اتصل بخدمة الملك بركيا روق بن ملكشاه السلجوقي ، وحظي عنده بالمال والجاه ، وارتفع شأنه ، وتولى القضاء بتلك الدولة .. » وقد نقل ابن العماد هذا الخبر كذلك .

ويذكر الاستاذ الداغستاني نقلا عن الكامل في حوادث سنة ٤٩٢ قوله (٣) : « هذه السنة من شعبان وصل الكيا ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراسي الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيا روق الى الخليفة .. » (والخليفة في هذه المدة هو المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدى بامر الله المتوفى سنة ٥١٢) .

ثم يعلق الاستاذ الداغستاني بقوله: « ومن هذا نرى ان الكيا قد عظم شأنه،وأنه بعد أن درس مدة في بيهق اختير قاضيا في سلطنة بركيا روق السلجوقي وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفة ببغداد » .

ومن الطبيعي..بعد أن تستشرف نفس الكيا بعد الدراسة في طبرستان ونيسابور وبيهق أن تتوجه الى بغداد حيث سوق العلم والعلماء نافقة فيعرض بضاعته وفطنته وحذاقته .

الكيا في بغداد

لقد وصل الكيا بغداد في شعبان من سنة ٤٩٢ وهو يحمل رسالة بركيا روق الى الخليفة كما يقول ابن الاثير،ومن الطبيعي أن تخدمه هذه المهمة الدبلوماسية فتعرفه أولا على حاشية الخليفة ، وتجعله أهلا للاحترام ، لذلك يذكر ابن الاثير ان مجد الملك البلاساني اعتنى به ، أما الوزير عميد الدولة (ابن جهير) فقد قام له عندما دخل عليه ـ وهو الذى كان أكبر متكبر يعد كلامه عدا ولا يكلم أحدا .

ثم تسكت المراجع عن ذكر ما صار للكيا بعد ذلك خلال عام الى ان تعود له مرة أخرى عند تعيينه مدرسا (بالنظامية) سنة ٤٩٣ فيقول ابن شهبة في طبقات الشافعية : «وتولى النظامية في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين واربعمائة واستمر بها عظيم الجاه، رفيع المحل، يتخرج عليه الطلبة الى أن توفي في المحرم سنة اربع وخمسمائة (٥٠٤) (١) .

هل كان الكيا باطنيا

من غريب ما حدث للكيا ما تناقلته بعض الكتب من أنه اتهم بالباطنية والاسماعيلية وأنه رجم أو كاد وأن المستظهر حماه ، وسوف ننقل بعض هذه النصوص ونناقشها .

١ : نقل السبكي في طبقاته دون أن يسند الخبر لأحد أنه: « من غريب ما (٢) اتفق له أنه أشيع أن الكيا باطني يرى رأى الاسماعيلية فنسبت له فتنة هائلة وهو برىء من ذلك ، ولكن وقع الاشتباه على الناقل فان صاحب اللاطوت ابن الصباح الباطني الاسماعيلي كان يلقب بالكيا أيضا ثم ظهر الأمر ، وفرجت كربة شمس الاسلام رحمه الله تعالى ، وعلم أنه أتى من توافق الكنيتين (الكيا لقب وليس كنية) .

فالسبكي يعرض القضية على أساس ان ابن الصباح يلقب بالكيا وهو باطني معروف، وأن الكيا الهراسي يلقب أيضا كذلك فحصل اشتباه ، ثم انجلى الأمر ، وانتهى كل شيء عند هذا الحد فلننظر ما يقول غيره .

٢ : أما ابن القيم(٣) فقد عرض القضية بصورة اخرى دون أن يسمي المصدر الذى نقل عنه أيضا فقال : « وقدم بغداد ودرس بالنظامية ووعظ وذكر مذهب الاشعرى فرجم ، وثارت الفتن واتهم بمذهب الباطنية فأراد السلطان قتله فمنعه المستظهر وشهد له » .

---

١ ـ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .
٢ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٣ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٤ ـ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٨٢ .
٥ ـ مرآة الزمان لسبط ابن القيم جـ ٨ ص ٣٧

فان صح هذا الخبر فهو يختلف عما نقله السبكي اذ يحدد ان الكيا تكلم في الامام الاشعري بما لا يرضى مما أهاج الناس، فبسبب ذلك نقمة السلطان الذي اراد قتله لولا شفاعة المستظهر والشهادة لـه .

٣ : وقد ذكر الخبر من المتأخرين الزركلي (١) وكأنه ينقله عن مرآة الزمان باختصار فيقول « وسكن بغداد فدرس بالنظامية ووعظ واتهم بمذهب الباطنية فرجم واراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له » .

ومن يمعن النظر في هذه الاخبار يجد ان ما ذكره ابن القيم اقرب للقبول، ذلك ان الكيا قد درس على امام الحرمين فيما درس علم الكلام ، وكان يناظر فيه ويناقش ، فمن غير المستبعد ان يرفض بعض آراء الامام الاشعري ويتبرى لمناقشتها ، وحيث ان التنافس بين العلماء امره معروف ــ فمن المحتمل ان اراء الكيا نشرت بين الناس فهاج الناس لهذا النقد ، وربما رجموا صاحبه وطالبوا السلطان بقتله وان المستظهر شهد له وحماه .

اما ان لقبه هو الذي جنى عليه ــ كما يرى السبكي ــ فامر نستبعده لان الكيا شخصية معروفة، وهو استاذ في النظامية ، وابن الصباح مشهور معروف ولا لبس في القضية كما تصور من هذه الجهة .

اما انه اسماعيلي فذلك امر مستبعد ايضا ، لانه لو عرف بذلك لما استطاع ان يصل الى مدرس في النظامية، ولو عرف عنه ذلك في النظامية لما استطاع البقاء فيها مدرسا حتى وفاته .

كما ان دراسته السابقة واكتمال تحصيله ببلدان بيئته وبين امثال هذه الافكار ، فهو شافعي لم يخرج عن نطاق المذهب . وكتبه تشهد له ولا سيما « احكام القرآن » الذي سنتكلم عنه بعد قليـل .

شيوخه

لقد عاش الكيا للعلم فمنحه حياته ، وقد جد واجتهد حتى صار « شيخ الشافعية » في بغداد ، وتطلعت اليه العيون ولكن مع هذا كله فنحن لا نعرف من هم شيوخه في طبرستان او نيسابور ، وكل الذي يزودنا به السبكي (٢) قوله : « وتفقه على امام الحرمين وهو اجل تلامذته بعد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمين ، وابي علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما » هذا كل ما نجده ولكن من هم هؤلاء « الغير » لا نعلمهم للأسف .

ومثل هذا يقال عمن أخذ العلم عن الكيا، فنحن لا نعرف كثيرا ممن تتلمذوا له ، وان كان السبكي يذكر احيانا عند ترجمته ان « فلانا » اخذ العلم عن الكيا ، الا ان جل هؤلاء هم ممن تتلمذ له في « نظامية بغداد » اما الذين درسوا على يديه في « بيهق » مثلا فلا ذكر لهم .

تلاميذ الكيا

١ : عبد السلام بن الفضل ــ ابو القاسم الجيلي اقام ببغداد مدة متفقها بالمدرسة النظامية على الكيا وولي قضاء البصرة وسمع بمكة صحيح مسلم من الحسين الطبري ، وكان فقيها اصوليا توفي في جمادى الآخرة ٥٣٤ . (طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٥٤) .

٢ : عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزالي ــ الفقيه ابو منصور تفقه على الكيا الهراسي ، وسمع الحديث من ابي الغنائم بن المأمون وغيره ، روى عنه السلفي ، مات في رجب سنة ٥١٣ .

٣ : عبد الله بن محمد بن غالب ــ ابو محمد الجيلي تفقه ببغداد على الكيا ثم انتقل الى الانبار واستوطنها ومات سنة ٥٦٠ .

٤ : علي بن احمد بن محمد ــ ابو المكارم البخاري تفقه ببغداد على الكيا الهراسي، وولي قضاء واسط وكان يدرس الفقه بجامع واسط مات سنة ٥٢٠ .

٥ : الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن عماد الموصلي ــ الشيخ ابو البركات شيخ ابن الصلاح ولد بالموصل سنة ٤٧٧ ، وتفقه ببغداد على الكيا والشاشي واسعد الميهني ومات بالموصل سنة ٥٢٩ .

---

١ ــ الاعلام لخير الدين الزركلي جـ ٥ ص ١٤٩ الطبعة الثانية .

٢ ــ طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨١ .

٦ : الخضر بن نصر بن عقيل – ابو العباس الاربلي تفقه ببغداد على الشاشي والكيا ، وكان من الائمة ، وصنف في التفسير والفقه ومات سنة ٥٦٧ .

٧ : سعيد بن محمد بن عمر بن منصور – الإمام ابو منصور ابن الرزاز من كبار ائمة بغداد فقها واصولا وخلافا ولد سنة ٤٦٢ وتفقه على الغزالي وصاحب ابي بكر الشاشي والكيا الهراسي واسعد الميهني ، توفي ٥٣٩ .

٨ : شافع بن عبد الرشيد بن قاسم – ابو عبد الله تفقه على الكيا الهراسي وابي حامد الغزالي وسمع بالبصرة ابا عمر النهاوندي القاضي ... وكان من ائمة الفقه ، له بجامع المنصور حلقة للمناظرة يحضرها الفقهاء كل جمعة توفي سنة ٥٤١ .

راى العلماء في الكيا

تقدم راى الحافظ عبد الغافر في الكيا وهو شريكه في الدرس على امام الحرمين، كما تقدم وصف السبكي له ، وهو من اطال كثيرا في وصفه وان كان جل نقله عن عبد الغافر .

اما ابو طاهر السلفي (١) فينقل موازنة بين الكيا والغزالي يتناقلها فقهاء بغداد عن امام الحرمين فيقول « سمعت الفقهاء ببغداد يقولون كان ابو المعالي الجويني – امام الحرمين – يقول في تلامذته اذا ناظروا التحقيق للخوافي والجريان للغزالي والبيان للكيا » .

اما اليهنسي فيقول(٢) : «انه تفقه ببلده وقصد امام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع في الفقه والاصول ، وكان هو والغزالي والخوافي اكبر تلامذته ومعيدي درسه . وكان اماما نظارا قوى البحث دقيق الفكر، ذكيا فصيحا جهوري الصوت.

وقد نعته ابن شهبة في طبقاته بحسن النعوت وكذا ابن خلكان(٣) وابن عساكر(٤) وابن العماد(٥) الحنبلي والسبكي(٦) وسائر من ترجموا للكيا الهراسي وسبب ذلك انهم جميعا – على ما يبدو – نقلوا عن مصدر واحد هو « تاريخ نيسابور » للحافظ عبد الغافر الفارسي الذي كان معاصرا للكيا ومن تلاميذ امام الحرمين .

لهذا جاءت اخبار الكيا كلها متشابهة ما عدا بعض فروق صغيرة .

مناظرات الكيا

كانت المناظرات في القرن الرابع وما بعده تعقد في المسائل الفقهية الخلافية التي كانت بين المذاهب ، ذلك ان الجراة على الاجتهاد والاستقلال بالبحث واعلان الاراء المخالفة لائمة المذاهب – صار غير مقبول الى حد ما . ولم تكن هناك الجراة الادبية التي تدفع بصاحبها الى هذا المقام ، حتى كبار العلماء – لم يحاولوا الاجتهاد المطلق مع توفر الامكانيات لديهم ، بل اكتفوا بالتصريح بمتابعتهم لاحد الائمة وان استقلوا احيانا بالبحث والموازنة ، لهذا نرى المناظرات بعد ان كانت تخوض في موضوعات شتى كالعقائد وعلم الكلام ، او المناقشة بين المجتهدين في المسائل الاجتهادية ، صارت في القرن الرابع وما تلاه تكاد تنحصر في دائرة الفروع الفقهية وبين انصار المذاهب الذين تحزبوا لمذاهبهم وهبوا للدفاع عنها .

واكثر ما نجد هذه المناظرات بين الاحناف والشافعية ، حيث كانت المنافسة على اشدها ، وقد سجل ابن خلكان (١) جانبا من هذا النقاش عند ترجمته للكيا فقال : « وحضر دفنه الشيخ ابو الطالب الزينبي وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ، وكانا من مقدمي الحنفية وكان بينه وبينهما في حال الحياة منافسة وتنافر ... »

وقد سجل السبكي (٢) للكيا مناظراته كما سجل وصفا له وهو يناظر فقال : « وكانت في الكيا

---

١ – مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٣ – وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .
٥ – الشذرات لابن العماد جـ ٤ ص ٨
٧ – وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٥٢

٢ – مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٤ – يلاحظ كذب المفترى ص ٢٨٨
٦ – طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٥٥ .
٨ – طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٨٢ .

لطافة عند مناظرته ربما ناظر بعض علماء العراق فانشـد :

ارفق بعبدك ان فيه يبوسـة
جبليـة ولـك العـراق وماؤه

فتاوى الكيا

ينقل بعض الذين ترجموا للكيا نتفا من فتاواه . ومن هؤلاء ابن خلكان الذى نقل اجابة الكيا عـن سؤال فى ايقاف شخص كتبه هل تدخـل كتب الحديث ام لا ؟

كما ينقل فتواه حول يزيد بن معاوية وهل هو مسلم ام غير مسلم ، وبعد أن ينقل رأى الكيا يذكر رد الامام الغزالي عليه . (فمن يرغب فى الاطلاع على ذلك فليراجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٤٨ ـ ٤٥٢) .

مؤلفات الكيا

ذكر السبكي بعد ترجمة الكيا اسماء الـكتب التي ألفها وهي :

١ : شفاء المسترشدين ـ ووصفه بأنه اجـود كتب الخلافيات (طبقات الشافعية ج ٤ ص٢٨٢) .

٢ : نقد كتاب مفردات الامام احمد (المرجـع السابق) .

٣ : كتاب فى اصول الفقه ـ ثم زاد على ذلـك بقوله ((وغير ذلك)) (المصدر السابق) .

وقد سمى كحاله الكتاب الأخير باسم ((التعليق فى اصول الفقه)) (معجم المؤلفين لكحاله ج ٧ ص ٢٧٠) .

اما حاجي خليفة فقد ذكر من كتب الكيا أ ـ التعليق فى اصول الفقه ب ـ شفاء المسترشدين ج ـ لوامع الدلائل فى زوايا المسائل (يلاحـظ كشف الظنون على التوالي ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ١٠٥٦ ، ج ٢ ص ١٥٦٩) .

وزاد البغدادى كتابا آخر وهو أهم كتب الكيا ((احكام القرآن)) (يلاحظ هدية العارفين ج ١ ص ٦٩٤) .

كتاب احكام القرآن

هو نوع من التفسير المذهبي عرف بعد تحزب اصحاب المذاهب لمذاهبهم ، فراحوا يفسرون آيات الاحكام وفقا لقواعد المذهب مع محاولة تأييد وجهة نظرهم جهد الامكان ، ويذكر حاجي خليفة ان الامام الشافعي كان أول من سبق الى هذا التفسير ، وقيمة ((احكام القرآن)) متأتية من ناحية كونه يبرز النظرة الشافعية للأحكام ، ومحاولة فهم الآيات من خلال هذه النظرة ، وان كان هذا النوع من التفسير غير محمود لأنه يفرض على صاحبه نظرة مسبقة فهو يحاول أن يستشهد بالقرآن على سلامة نهجه ونهج امامه ، بنظريات مثبتة لا أن يحاول فهم القرآن مستقلا عن هذه الآراء ، فالقرآن حجة على هذه الآراء وأصحابها لا محجوجا ، وهو متبوع لا تابع ، وهذا المنهج هو الأسـلم ـ كما اعتقد ـ والأبعد عن الشطط والتعسف وغرابة التأويل .

ومع كل ذلك فان قيمة الكتاب تتأتي من النظرة المذهبية لآيات الأحكام ، وكيفية فهمها والتزام قواعد المذهب فيها دائما . وتوجد نسخة خطية جيدة فى مكتبة الأوقاف ببغداد .

وفى الختام

لا ندرى هل استفاد الكيا من شركته للغزالي فى الدرس على امام الحرمين ام ان شهرة الغزالي غمرته ودفعته بعيدا عما يستحق من الصدارة فى العلم والاهتمام ؟ ؟ وهل هناك توافق فى المنهـج بين الغزالي وشريكه ام هما مستقلان منهجا ؟ ؟

لقد بقي الكيا الى اليوم مغمورا مجهولا وقـد سمعت أن كتابه ((احكام القرآن)) فى طريقـه الى الطبع فعسى أن يتحقق ذلك فينصف الرجل بعد اهمال طويل .

كيا آخر

خلال مطالعتي لكتاب طبقات الشافعية وجدت شخصا آخر يحمل لقب ((الكيا)) وهو ((علي بن ابي الحسن بن أبي هاشم بن محمد الاملي الطبرى ثم الجرجاني ـ المعروف بالكيا من اهل جرجـان تفقه على عمر السلطان وتوفي بقرية (بشـق) ليلة الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة احدى وستين وخمسمائة ذكره ابـن أبي باطيش)) (طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨٤) .

بقية ــ فروسية العرب

صدر الاسلام تخرجت من مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعملت بتعاليمه ، فأرتنا نتاج مدرسته ، فحق لابناء امثال هذه المرأة ان يحكموا العالم ويثلوا العروش الطاغية ، وينالوا المجد المؤثل ما داموا درجوا من بطون تلك الامهات .

آداب الحرب فى الاسلام

ولقد كان من آداب الحرب والفروسية عند العرب وفى الاسلام ان وجههم الى الافراج عن الاسير فى حالات كثيرة : منها المبادلة والفداء ، كما جعل الاسلام تعليم اطفال المسلمين وسيلة لتحرير الاسير ، وحبب الى الناس اكرام الاسير بشتى الوسائل ، فعدّ القائمين بذلك فى زمرة الابرار ، وذلك بالآيات الكريمة (١) ((ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبهمسكيناويتيما وأسيرا))(٢) ، مسلما كان او غير مسلم او مشركا فان اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى(٣) ، كما انكر الاسلام قتل الرهبان وان قاتلوا ، وانكر قتل النساء والاولاد ولو احتمى بهم العدو وغير ذلك من مبادىء فروسية العرب فى الاسلام ، مبادىءالرسول وخلفائه فى غزواتهم التى ما زالت كلماتهم ابلغ ما يمكن ان يقال فى هذا الميدان البطولي ، اذ عممت الرحمة الى الانسان والنبات والحيوان ، ان توصياتهم لقوادهم كلمات خالدة يجب انيهتز لها رجال السلام ، وهل من قول فى حرب ينم عن الرحمة والفروسية ابلغ من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده حين تعقد الالوية على امراء الجيوش : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فىالصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، اندفعوا باسم الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر ، وبلزوم الحق والصبر ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تقتلوا عسيفا ولا اسيفا . أى : لا تقتلوا الشيخ ولا الاسير ، وفى حديث علي رضي الله عنه : لا يتبعمدبر ، ولا يقتل أسير ، ولا يذفف على جريح ، وقد قال احدهم مشيدا ، بفروسية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خليفة الاسلام الثانى وكأنه يخاطبه :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وتضرم فى تلك العواطف خابيا
تقول لهم : لا تحملوا غير زادكم
ولا تفسدوا عذبا من الماء جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى
ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الاسرى فرب محارب
الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

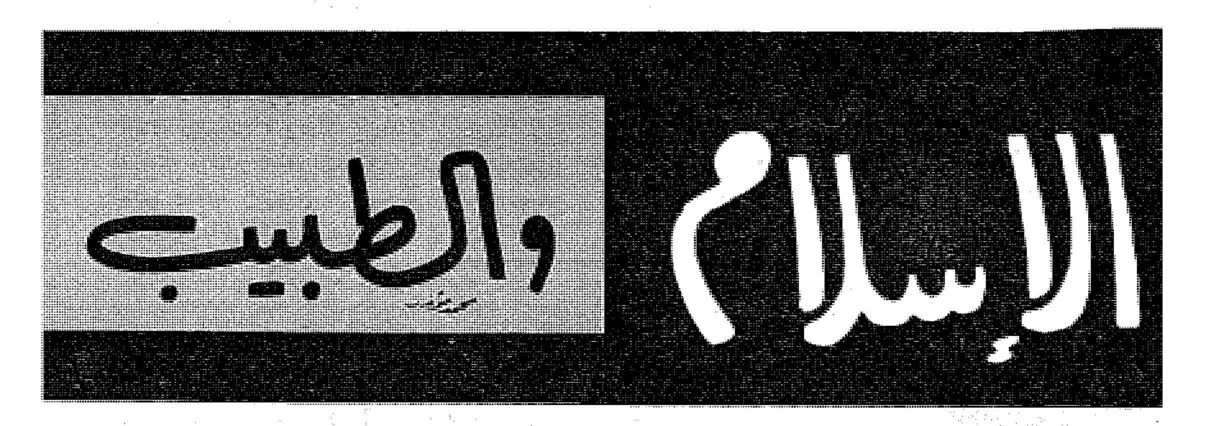
تلك هى صور وألوان من فروسية العرب الشجعان سطرت نبذا منها فى هذه المجلة الراقية شاكرا القائمين عليها دعوتي الى الاسهام بها والسلام

---

١ ــ سورة الانسان آيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

٢ ــ وقد خصّ الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم فان المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه ، واليتيم ماتمن يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصفره ، والاسير لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة .

٣ ــ تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦٠١٢ قال فى الاكليل : والآية تدل على ان اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى لقوله سبحانه « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة » .





هـل للاسلام علاقة مباشرة مع الطبيب ؟ وهل وضع للطبيب آدابا وسـلوكا معينا ؟ .. وما مسؤولية الطبيب امام الله ؟ ..

نعم لم يغفل الاسلام ناحية صغيرة او كبـيرة فى حياة الانســان دون ان يحيطها برعايته ، فيضع لها أسسا عامة أو قواعد تفصيلية ..

هذا الطبيب الذى تخرج اليوم بعد ان قضى اعوامـا مرهقـة فى احدى كليات الطب .. يستقبل المريض وقد منح الحق فى فحصه ومعالجته ووقايته من المرض .. ويقف امام الناس وجها لوجه يعمل ويقدم لهم خدماته .. كيف يسلك ؟ وأى وجهة هو موليها ؟ ..

طبيبنا المسلم يقرأ علومه فى كليات الغرب ، او كليات أسست على قواعد غربية .. وهو يتعلم شيئا فى السلوك الطبي .. ولا بد انه قد قرأ قبلا أصول معاملة النـاس فى دروسه فى المدارس قبل كلية الطب .. ولعل بعض هؤلاء الاطباء قد طالع شـيئا من كتب الاجتماع والفلسفة وكتب الاخلاق ، فامامه عديد من النظريات ، لمجموعات مـن الشخصيات ... أى واحد معه الحق ؟.. وأية هذه الآراء الصائبة ؟ .

وما هي غاية الطبيب من عمله ؟ أهي جمع المال ؟ أم أرضاء الضمير ؟ ام أرضاء للناس ؟ أم أداء لواجبات المهنة وادابها فحسب ؟ .

انا لا أناقش هذه الاراء الفلسفية ومـدى صلاحيتها للطبيب أو لغيره ، بل لا أرى أن مجرد الاعتماد على ما يسمى بالضمير يصلح ان يكون طريقا صحيحا لسلوك البشر ، فالضمير كما قال عنه احد الفلاسفة (انه لا يولد مع الشخص انما يكتسب بالخبـرة والعقيدة والاعراف والتقاليد للمجموعة التي يكون الشخص احد افرادها (١)) وفى رأى آخـر (ان الضـمير ما هو الا عـادة لطيفة (٢)) ..

(1) Overolser Hand book of Psychiatry.
(2) Siddiqi After Sccularism W0at.



اذاً لينظر الطبيب المسلم فيرى ماذا أعد له الاسلام ، أو اي نور يقدمه الله عز وجل يضيء له الطريق ! ..

واني احاول بما ساكتب ان ابين ما استطعت قبسات من هذا النور ، وأتوخى اعلام الطبيب ان دينه (الاسلام) قد جاء بهدى ينقذه من كل ضلاله ، فاذا ما عمل بما قرأ وسمع ، صارت له شخصية مستقلة هي شخصية الطبيب المسلم الذى لا يقدم على خطوة الا ظهر للناس ان هذا من عمل المسلمين ، اى ان يكون الطبيب اسلاما متحركا حيا بين الناس ، وسيرى عاقبة ذلك خيرا كثيرا .. هذا الخير الذى اكرمني الله به خلال اكثر من عشرين عاما منذ ان كنت طبيبا احب ان ينال اى أخ لي او أى طبيب يتبع هذا النور ، فيحيا الحياة الطيبة فى هذه الدنيا وتكون له خالصة يوم القيامة .

من هو الطبيب

الطبيب هو ذلك الشخص الذى يمنح شهادة من احدى كليات الطب تؤهله ان يتحمل مسؤولية معالجة وفحص المريض ووقايته .

ولعل ابيو قراط (١) من السابقين الاولين فى وصف الطبيب حيث وضع له سبع صفات خلقية (٢) .

وتعني كلمة الطب عند العرب الاصلاح .

قال الشاعر :

واذا تغير من تميم امرها
كنت الطبيب لها برأى ثاقب

وتعني كذلك الحذق .. قال الشاعر :

فان تسألوني بالنساء فانني
خبير بادواء النساء طبيب

وورد الطب بمعنى السحر يقال رجل مطبوب أى مسحور .

قال ابن الاسلت :

الا من مبلغ حسان عني
أسحر كان طبك ام جنون

وسمي الطبيب حكيما ، والحكيم هو الذى يضع الشيء في محله « ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » .

وأول من علم الطب للناس من غير اولاده هو ابيو قراط من حكماء اليونان القدماء ، اذ كان تعلم الطب مقصورا على اولاد الطبيب فقط وذريته . وربما كان فردريك الثاني اول امبراطور فى اوروبا وضع قانونا يلزم كل من يتعاطى مهنة الطب ان يأخذ دروسا معينة وذلك سنة ١٢٢٤ ميلادية(٣) ، ولعل أول من أسس مدرسة للطب هو الملك روجرز من صقليا(٤) ،بينما كانت الامبراطورية

---

(١) ابيوقراط Hippocrates اول طبيب يوناني قام بتدريس مهنة الطب وسمي بابي الطب وله قسم مشهور لا يزال متبعا فى معظم جامعات العالم .

(٢) من اراد المفصل عن هذه الصفات فليراجع (عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعه) وكتاب الطب عند العرب (أمين اسعد خير الله) .

(٣) Hadfield law & Eihics for Doctors

(٤) Kineth Walker Patients & Doctors

الاسلامية قد سبقت اوروبا بقرون فى تأسيس مدارس الطب .

الطبيب والناس

١ : القاعدة العامة :

للطبيب علاقة مع الناس بصورة عامة ، ومع المرضى الذين هم قسم من الناس ، وكذلك له علاقة مباشرة مع زملائه الاطباء وغيرهم من ذوى المهن الطبية كالصيادلة والموظفين الصحيين والمرضات .. الخ . وقد وضعت النقابات الطبية قواعد عامة فى سلوك الطبيب ولست بصدد ذكرها وبحثها ، وانما اقول ان الاسلام قد جعل قاعدة عامة فى هذا السلوك وهي انه يقبل أى ارشاد او اوامر تصدرها النقابات للاطباء ان كانت مستمدة من الشريعة الاسلامية او لا تتعارض مع نص من نصوصها معارضة صريحة او مع روح الشريعة ... وارى ان الواجب على الطبيب المسلم ان يعلم القواعد العامة للنظام الخلقي فى الاسلام وكذلك يتعرف على تفصيل للاسس التي وضعها الله تبارك وتعالى بالنسبة الى مهنته ، فعليه ان يسأل اهل الذكر ان لم يكن يعلم ، واى دولة تدعى أنها مسلمة مطلوب منها تدريس هذه القواعد الكلية فى مدارسها الطبية وذلك لبناء مجتمع يتميز فيه الفرد بانسانيته المسلمة، الانسانية التيتنقاد الى امر الله، وتسلم له من دون اقل حرج : كمال قال عز وجل (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . وكذلك يقبل اى تعليمات فى سلوك الطبيب جاءت عن طريق العرف او العادة او التقاليد ما لم تكن متعارضة بصورة واضحة مع اصول الشريعة الاسلامية .

٢ : الطبيب صاحب مهنة :

فالطب حرفة وعلم وفن ، فهو حرفة لانه يعمل بيديه وهو علم يدرسه فى كلية خاصة ، وهو فن يكتسبه الطبيب بالتجربة وعلى مر الاعوام ...

والاسلام الذى يكرم صاحب المهنة ويجعل كسبه من افضل الكسب (١) يطلب من الطبيب ان يؤدى حق المهنة باتقانها (٢) وبكسب حلال حتى يتم له الفضل فالاسلام يريد من الطبيب ان يخدم مهنته كفاية ويسعى لرقيها وتطورها .. لا لأجل الحصول على المال فقط ...

ولأجل ان يؤدى حق المهنة على الطبيب ان يهيء العدة لذلك ، فهذه عيادته يجب ان تحتوى على كل الالات والوسائل اللازمة لفحص ومعالجة المريض على الوجه الاكمل ، والا فاهماله مخالفة للاسلام .. كما انه ملزم بتهيئة ما يؤمن راحة المريض .. ولا يجوز أن يكون فى عيادة الطبيب المسلم صور خليعة او غير لائقة يملأ الطبيب فيها جدران عيادته .. او يكون فيها من المجلات او الجرائد او الكتب المبتذلة التي تنشر الفساد او تثير الفريزة الجنسية .. ولا بأس أن يكون فىغرف الانتظار من الكتب والمجلات ما تفيد المراجع فائدة علمية أو خلقية أو طبية ، كما اني لا أرى صوابا وضع الايات القرآنية او الاحاديث النبوية فى اطارات واماكن بارزة فى العيادة غشا من الطبيب اى خداعا للمريض او حسب اعتقاده تبركا وتفاؤلا فانما نزل القرآن ليعمل به لا لتزخرف آياته فى اطارات ذهبية او فضية ... ويجب ان تكون غرفة الانتظار للنساء منفصلة عن الرجال فان الاسلام لا يقبل اختلاط الرجال بالنساء من غير ضرورة شرعية .

٣ : الطبيب والمريض :

هذا المريض او اى مراجع امام الطبيب فى عيادته ... يجب على الطبيب المسلم ان يتبع احدث الوسائل فى فحصه .. هذا من الناحية المادية ، وما ضره أن يقول فى سره او جهره (باسم الله) عند الفحص او عند اجراء العملية أو التداوى ، وبذلك يحصل على القوة المعنوية ، القوة الروحية مع المادية ، تلك القوة التي تكون له نعم العون فى الشدائد ووقت الحيرة ..

---

(١) عن المقداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما كسب احد طعاما قط خير من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده) اخرجه البخارى .

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه) اخرجه البيهقي فى شعب الايمان .

فليستعن بالله وليسأل الله لطفه وعونه وليدع لمريضه بالشفاء ، وليدع الله ان يشرح صدره ويعينه فى فحصه وعلاجه وتشخيص مرضه (١) .

اخي الطبيب .. استقبل مريضك بوجه طلق باسم ، قد يكون ذلك مما تتعلمه من خبرتك وتجاربك ، مهلا انه امر اسلامي نطق به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو لك عبادة وهو مندوب بل واجب يعتبر عند الله صدقة لك ، والصدقة تطفيء غضب الرب (٢) كما قال عليه الصلاة والسلام .

واذا كان الاسلام قد سمح للمريض ان يكشف من جسمه ما يعين الطبيب على معرفة الداء فان ذلك لا يخرج الطبيب من القواعد الاخلاقية العامة فى غض البصر وعدم رؤية العورة ولذلك لا يجوز مطلقا ان يرى او يلمس الطبيب من جسم مريضه اذا كان امرأة اى عضو وجزء الا لضرورة الفحص والعلاج فقط .

وفى هذا العصر اصبحت الالة شيئا مهما فى تشخيص المرض كالاشعة واجهزة التحليل واجهزة فحص القلب ... وغير ذلك .. وقد يلجأ كثير من الاخوان الاطباء الى هذه الوسائل ، وهذا صحيح ولكن الذى ارجوه ان لا يكون الاعتماد على الماكينة كليا وعلى حساب الحواس .. لقد اعطانا الله هذه الحواس لنفحص بها المرضى ونستعين اولا بما يتيسر من الآلات الصغيرة فى العيادة كالسماعة مثلا ومقياس الحرارة .. ومن بعد نلجأ الى الاشعة والتحليلات المرضية .. والا فاهمال هذه الحواس كفران بنعمة الله علينا ، عدا ما يصيب المريض من عنت وتعب فى اجراء فحوصات لا ضرورة لها .. اضافة الى ضياع المال وضياع الوقت حيث يكون الطبيب المسلم مسؤولا امام الله عن هذا الضياع وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك(٣) ، أما أن يتعمد الطبيب ذلك لقاء عمولة او محاباة لصديق له صاحب اشعة أو محلل ، فان ذلك يعتبر فى نظر الاسلام خيانة للعهد الذى بين المريض وطبيبه وغشا له (٤) .

واذا زرت المريض فى بيته فما ضرك لو سألت الله العون فدعوت فى سرك (اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج) او قلت (اللهم ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ان فى ذلك قوة روحية عظيمة تعينك فى كل عمل لك ..

اخي الطبيب وانت تفحص مريضك فلا تنظر عيناك هنا وهناك الى النساء او الى المتاع والاثاث او اى شيء آخر مما لا علاقة له بمهنتك .. صحيح انك قد تحتاج ان تنظر نظرة عامة الى البيت لتقرر ما تراه فى معالجة المريض مثلا هل تنقله الى المستشفى لعدم صلاحية داره ، كما اني اذكرك ان لا تخوض بحديث لا ينفعك فى المعالجة او يفيد المريض او ذويه من الناحية الطبية او الاجتماعية (٥) .

---

(١) ارجو الا يظن القاريء الكريم انني ادعو الى التداوى الروحي فقط ، فهذا قد يكون له بعض الفائدة فى حالات معينة نفسية ولكنه ليس القاعدة ، بل ان الاصل هو ادماج القوة المادية والمعنوية فى التداوى حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما رواه اسامه بن شريك (يا عباد الله تداووا فان الله ما انزل من داء الا وانزل معه الدواء الا الهرم) أخرجه مسلم .. واما حديث (سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) والذى اخرجه البخارى فاني اراه مؤكدا وجوب التداوى وعدم التواكل على القضايا الروحية فقط بل يجب التوكل على الله وذلك باتباع سننه وهو التداوى .

(٢) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل سلامي من بني آدم صدقه) اخرجه البخارى .

(٣) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) أخرجه الشيخان .

(٤) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من غشنا فليس منا) اخرجه الطبراني فى الاوسط .

(٥) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) اخرجه الترمذي .

وفي كلامك وسؤالك للمريض او ذويه تخير الكلمات اللائقة والمعبرة بصورة غير مباشرة خاصة مع النساء فتقول مثلا كيف العادة بدل الحيض.. هذا الادب الذي ادبنا الله عز وجل به في القرآن الكريم وعلى لسان سيد الخلق مثل استعمال الملامسة والمباشرة كناية عن الجماع واستعمال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كلمة (تطهري) .

وقد (كتب الله الاحسان على كل شيء (١) كما قال نبينا الاكرم ولذلك يجب على الطبيب الرفق بمريضه وعدم نقله الى محل آخر او تكليفه باشياء او طلب ذلك من ذويه ما لم يكن في ذلك ضرورة قصوى .

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ادب عيادة المريض اذ هي مطلوبة من العائد فان ذلك مطلوب من الطبيب ايضا الذي هو عائد لمريضه وذلك عند تيسر الظرف المناسب لادائه .. كان النبي الأعظم حين يزور المريض يجلس بجانبه ويضع يده الشريفة على رأس المريض ويقرأ المعوذتين ثم يدعو له (٢) ويقول (اللهم رب الناس اذهب البأس اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) (٣) وكان عليه السلام يشجع المريض ويصابره ويقول له كيف ان الصبر على المرض فيه اجر عظيم وكفارة للذنوب (٤) بل ان الصبر على مرض لا يرجى شفاؤه ثوابه الجنة (٥) .

وعلى كل فان اقل ما يطلب من الطبيب هو التشجيع والتنفيس عن المريض (٦) وان يكون متفائلا ولو كان مخطئا خير من ان يكون متشائما الا في حالات ضرورية تستدعي اخبار اهل المريض عن المرض ليكونوا على بينة من امرهم .

وفي العلاج على الطبيب المسلم ان يتحرى اعطاء اقل ما يمكن من الادوية اذ ان الزيادة عدا كونها مضرة بالجسم فهي اسراف وتبذير ، وضياع للمال يكون الطبيب مسؤولا عنه امام الله ، وعليه ان يختار العلاج الذي فيه اقل عنت او اذى فمثلا يفضل الحبوب على الابر ان كان ذلك موافقا للمعالجة الصحية .

وبالنظر لوجود طبيبات وممرضات فارى أن لا يجوز معالجة الرجل المرأة عند وجود طبيبة بمثل كفاءته تماما وقد نالت ثقة المريضة .. اما عند وجود الطبيبة التي هي اقل من الرجل كفاءة في معالجة هذا المرض فيجب على المريضة مراجعة الطبيب .. وقد ورد بذلك حديث شريف سنأتي على ذكره وبيانه في موضوع مسؤولية الطبيب الجنائية ..

وكذلك اذكر القارىء الكريم ان الاسلام قد اجاز للمرأة فحص الرجل المريض ومعالجته فعن ام عطيه قالت (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم في رحالهم واصنع لهم الطعام واجبر على الجرحى واداوي المرضى) .. اخرجه مسلم ..

---

(١) من حديث اخرجه الشيخان عن شداد بن اوس .
(٢) اخرج هذا الحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها .
(٣) اخرج هذا الحديث الشيخان ، واحمد .
(٤) ما من مسلم يصيبه اذى من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه) اخرجه الشيخان .
(٥) عن عطاء بن ابي رباح قال قال لي ابن عباس الا اريك امرأة من اهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء اتت النبي فقالت يا رسول اني اصرع واني اتكشف فادع الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة ... فقالت اصبر) اخرجه الشيخان .
(٦) قال صلى الله عليه وسلم (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له من اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب بنفسه) اخرجه الترمذي .

الفجر الأخضر

للشاعر عبده بدوي

أورق الفجر واستدارت عليه ... قطرات رضيعة من ضياء

أيها الفجر قد نظمت نشيدا ... من خلود في القبة الزرقاء

وبهرت العيون في كل أرض ... فاستراحتْ على جبين السماء

قد رآك الراعى فصفّق للخصب ... وللدفء في القرى الخرساء

ورآك الفلاح أغمار قمح ... ذهبي ... متوج بالحياء

ورآك الفقير في بيته الخبز ... وهمسًا من شمعة شقراء

ورآك اليتيم من سجف الدّ ... مع حنانا ، وجنة من عطاء

ذلك الفجر قد تدلّى على صَدْ ... ر الدياجي من كرمة الأنبياء

فاستفاق الوجود ! واخضرت الر ... وح ! ودبّ الحنين في الصحراء

★★★

علم الناس كيف عاشوا كرامًا ... فالوجوه السمراء كالبيضاء

ورعى الخلق في حنان رطيب ... فاق فيه رعاية الآباء

.. أيها الشرقُ كم طلعت على ... الدنيا بنور معطر ، وإخاء

أنت أهديت للوجود منارًا ... فتباهى ، وعشت في الظلماء

قد ضللت الطريق للنبع حينا ... فتلفت لعله في الوراء

إن أردت السلام يمشى على ... الأرض بزيتون أخضر ، ونماء

فاذا ما شدا مع الصبح قلب ... غردّ النور في ضمير المساء

وإذا ما جاءتْ يد ليتيم ... ملأتها الأشجار بالانحناء

.. فاقبس الهَدْىَ من هتاف منير ... يتعالى من ماذن بيضاء

ينبع الخير في حنان وديع ... من وجوه شرقية سمراء

ذلك الدين رقّق الناس حتى ... لتراهم من التقى في بكاء

لكأنى أحس من كل صوب ... بوجوه مكيّةٍ غراء

حملت رهبة التقى في الدياجى ... فهى لونُ السكينة السمحاء

... انني سامعٌ صليلَ قلوب ... يغمر الأفقَ عند غارِ حراء

أأرانى أرى على كل أرض ... عودة للنبي تحت اللواء

اعرف وطنك ٢

الإسلام في عالم الملايو

للدكتور محمد عبد الرءوف
وكيل ادارة البعوث الاسلامية بالازهر

تحدثنا فى المقال الماضي عن العلاقات بين عالم الملايو وشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وتبين لنا كيف كانت هذه العلاقات ـ تجارية وثقافية ـ وسيلة لتعرف عالم الملايو على الاسلام منذ انتشر فى البلاد العربية ، ولكنه مع ذلك لم ينتشر ببلاد الملايو انتشارا محسوسا ابان القرون السبعة الاولى من الهجرة ، وان كان قد اعتنقه أفراد متفرقون فى الارخبيل هنا وهناك .

وقد كانت هذه الحقبة الطويلة من التاريخ بمثابة فترة اعداد وتمهيد لانتشار الاسلام السريع بين الملايويين فيما بعد ، فقد طال اختلاطهم بالقادمين عليهم من تجار المسلمين ، وتكررت مشاهداتهم لاقامة الشعائر الاسلامية ، واستماعهم للادعية والاذكار الدينية ، وبطول العهد أصبحوا يألفونها ، ولا يزهدونها ، ويأنسون اليها ولاينفرون منها ، وقد شجع على ذلك ما أشرنا اليه من قبل من نشاط الصوفية وكبار المرشدين ، وما أذيع بين الخاصة والعامة عن كراماتهم وعجائبهم ، ثم ما كان يتمتع به المسلمون من نجاح فى تجارتهم ، وتفوقهم فى الذكاء وفى مستوى المعيشة ، فلما تيسرت الأسباب وتوافرت العوامل فى نهاية القرن السابع الهجرى لانتشار الاسلام بالجملة ـ ان صح هذا التعبير ـ بادر الناس بالدخول فى الاسلام أفواجا عن رغبة واقتناع وحماس ، وطرحوا الوثنية الى غير رجعة ، وآمنوا عن فهم وادراك ووعي ، لا عن اكراه وقسر ولا عن جبر واضطرار ، وأصبح الاسلام هديهم فى حياتهم ، وسادت تعاليمه بينهم فى سهولة ويسر ، وأضحى مميزا من مميزاتهم ، وخاصة من خصائصهم .

كان من أهم تلك الأحداث التي كانت بمثابة عوامل مباشرة أدت الى هذا الفتح السلمي الكبير للاسلام فى الشرق ـ هجرة الكثيرين من المسلمين الى البلاد النائية ، ومنها جزر الارخبيل الملايوى ، فرارا من ويلات الحروب التي شنتها على دولة الاسلام قبائل المغول ، والتي قضت على الخلافة العباسية فى بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨) م ، وقد أدت هذه الهجرة واقامة الكثير من المهاجرين المسلمين ببعض الجهات الساحلية هناك بصفة دائمة يزاولون اعمال التجارة ـ الى جانب نشاطهم الديني باماكن العبادة التي بنوها لانفسهم وسموها بالزوايا أدت الى خلق جو اسلامي فعال تضاعفت فيه جهود الدعاة ، وخاصة من بين رجال الطرق الصوفية .

أسلام سلطان برلاك

وقد توجت جهودهم باسلام حاكم ولاية صغيرة بشمال سومطرة كانت تعرف باسم « برلاك » Perlak وعند اسلام هذا الحاكم اطلق على نفسه لقب « السلطان » ذلك اللقب الاسلامي « الذى اختاره من قبل الامراء الغزنويون فى افغانستان وامراء الهند فى دلهي ، وقد تلا اسلام هذا الحاكم اسلام رعيته لأن الناس ـ كما يقال ـ على دين ملوكهم .

نشرنا المقال الاول فى العدد الاول من مجلة الوعي الاسلامي

كان انتشار الاسلام فى ولاية « برلاك » قبيل نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) حيث سجل ماركو بولو Marco Polo الملاح الايطالي الشهير فى مذكراته عن رحلاته فى تلك الاصقاع عام ١٢٩٢ م (٦٩١ هـ) انه وجد ولاية « برلاك » تدين بدين محمد وحدها دون ما حولها من ممالك ودويلات ، ويعتبر اسلام حاكم هذه الولاية بحق حجر الزاوية فى انتشار الاسلام السريع،وقيام سلطنات اسلامية كثيرة أخرى فى شتى أنحاء الارخبيل وبداية عصر اسلامي زاهر بالبلاد ، علا فيه شأن الاسلام والمسلمين ، وساد سلطانهم ، وعزت فيه كلمتهم ، وراجت فيه تجارتهم ، كما قامت فى أثنائه حركة علمية اسلامية ممتازة .

اسلام حكام الولايات

فلما اسلم حاكم برلاك عمل على اسلام جيرانه من الحكام ، ونجحت جهوده لدى حاكم ولاية « ساموديا » Samudra الذى كان يسمى باسم هندوكى هو « مره سيلو Morah Silu » فلما اسلم صاهو سلطان برلاك وتسمى باسم « الملك الصالح » وقد توفى الملك الصالح هذا عام ١٢٩٧ م فخلفه ابنه الملك الظاهر الذى زار قصره الرحالة الاسلامي الشهير ابن بطوطه عام ١٣٤٣ م وتحدث كثيرا عن تدين هذا السلطان ، وتفقهه على مذهب الشافعية .

وبطريقة مماثلة اسلم حاكم ولاية « باساى » Pasai بسومطرة ايضا ، وتسمى حاليا باسم « اتشه Achah » فنجحت جهوده بدوره فى اسلام حاكم « ملقا » الواقعة على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو حوالي عام ١٤١٠ م وكان الاسم الهندوكى لهذا الحاكم « ماهارسوار Mahareswara » فلما اسلم تسمى باسم السلطان مجات اسكندر شاه « واسس مملكة عظيمة قوية تتابع السلاطين على عرشها من اسرة الاسكندر شاه ، وأخذ السلاطين على عاتقهم بث الدعوة الاسلامية بالطرق السلمية على يد الدعاة والمرشدين .

ومن قبل دخول ملقا فى الاسلام كانت للاسلام دولة فى شرق شبه جزيرة الملايو يشهد لذلك حجر عثر عليه اخيرا منقوش عليه تعليمات اسلامية رسمية يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي .

ملقا بغداد الأرخبيل

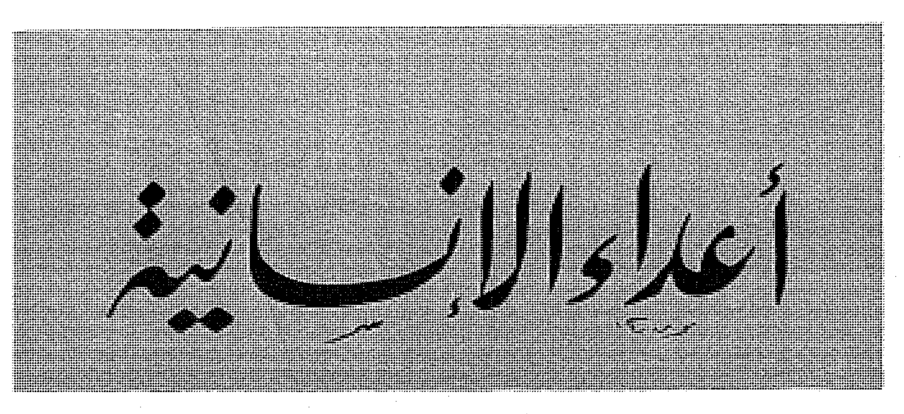
ومنذ اسلمت ملقا بدأت عهدا زاهرا مجيدا زهاء قرن من الزمان راجت فيه تجارتها الى أبعد مدى ، وجلبت لها الخيرات من كل مكان ، واستمتع اهلها المسلمون بحياة تشبه فى رغدها ما كانت عليه بغداد ايام الرشيد ، غير ان ملقا حملت راية الاسلام ، فبعثت بالدعاة والمرشدين مع سفنها أينما ذهبت فأدت جهودها الى نشر الاسلام فى كثير من سائر بقاع الملايو وسومطره وجاوه وبورنيو وسيليليز وغيرها وبذا اصبحت لملقا امبراطورية اسلامية عظيمة فى الشرق يهابها جيرانها وارتبطت بصلات ودية مع امبراطور الصين ، فكان لهذه الصلات اثر طيب فى حماية حدود الامبراطورية شمال شبه جزيرة الملايو ضد تحرشات سيام (تايلاند) التي كانت كثيرا ما تحاول مناواة ملقا ، وتخشى عاقبة اتساع نفوذها .

هذا ولم تلق الدعوة الاسلامية مقاومة مسلحة فى الارخبيل الملايوى كله الا من قبل امبراطورية « ماجاباهيت Maja Pahit » الهندوكية بجاوة ، وقد كان يتبعها عدد من الامارات فى جاوه وبورنيو ، وقد حدث أن أسلم أمراء هذه الدويلات التابعة لماجاباهيت على أيدى الدعاة ، ثم نشأت خصومات سياسية بين هؤلاء الامراء والامبراطور الهندوكى أدت الى تضافر هؤلاء الحكام ضده ، وقامت معارك دموية انتهت فى عام ١٤٧٨ م بهزيمة ماجاباهيت ، وبذا تحطم اكبر معقل للوثنية فى الارخبيل .

دخول الاسلام فى الفلبين

وكان من خيرة من أبلى بلاء حسنا من الدعاة فى الارخبيل « مخدوم ابراهيم الاكبر ابن جمال الدين

البقية على ص ٨٧



اعرف عدوك

للاستاذ محمد محمد أبو شهبه

قال الحق تبارك وتعـالى ((واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانـه لغفـور رحيم))(١) .

هذا اعلام من الله سبحانه صادق بأنه سيسلط على اليهود الى يوم القيامة من ينزل بهم اشنع العذاب واسوأه اذا ما ضلوا ، وفجروا ، وعاثوا فى الارض فسادا ، وذلك لان الله جلت حكمته سريع العقاب لمن عصاه ، وغفور رحيم لمن أطاعه ، وأناب اليه .

وكما كتب الله على اليهود تسليط الغير عليهم بسبب عصيانهم وافسادهم فى الارض ، كتب عليهم ان يفرقهم فى الارض بددا ، وان منهم الصالحين ، وكثير منهم الطالحون المفسدون ، وان الله سيبتليهم بالخصب والجدب ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والغنى والفقر ، لعلهم يرجعون عن غيهم وافسادهم ، وتطاولهم على الانبياء ، واسرافهم فى قتلهم والنيل منهم، قال عز شانه ((وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون(٢))) .

وما ذكـره القـرآن الكريم على لسان نبينـا الصادق الامي الذى لم يقـرأ ولم يكتب ، ولم يعرف عنه انه أخذ عن احد من اهل الكتاب والعلم بالتواريخ شيئا ، هو الحق الذى ايده التاريخ الصحيح ، وشهدت به الوقائع الجارية ، فهم من قبل موسى عليه الصلاة والسلام والله يسلط عليهم بين الحين والحين من يقتص منهم ويسومهم سوء العذاب ، وقد نجاهم الله على يد موسى مما اصابهم من فرعون وقومه ، ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة الجلى ، وغيرها ، وكفروا بالله ، وبما جاء به الانبياء والمرسلون ، وما كان ربك لليهود ظالما ، فسبحانه ثم سبحانه من ان يكـون ذلك ((وما ربك بظلام للعبيد)) ولكنهم قوم مرنوا على سفك الدماء ، وانتهاك الاعراض ، واغتصـاب الاموال ، والسعى فى الارض بشتى أنواع المفاسد، وهم ان قدروا ، أو ملكوا لا يراعون الاً ولا ذمة ، ولا يلتزمون بشريعة ، ولا يحترمون حقا ، ولا عرفا ، ولا خلقا كريما ، ويضربون بالمقررات والحقـوق الانسانية عرض الحائط ، وان ضعفوا وذلوا كانوا اداة غدر وخيانة ، ودسائس ومؤامرات ، وعوامل تخريب وافساد وشر .

عصابة متمردة

وقد وصفهم نبى الله موسى عليـه السـلام فى التوراة بأنهم متمردون ، ورقابهم صلبة ، وقلوبهم قاسية ، واخبر انهم بعد موته سيكونون اشد تمردا وعصيانا ففي سفر التثنيـة الاصحاح ٣١ فقرة ٢٤ – ٣٠ (٢٤) فعندما كمل موسى كتابة هـذه التوراة فى كتاب الى تمامها (٢٥) امر موسى

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٧ – وتأذن : أعلم .

(٢) سورة الاعراف : ١٦٨ .

اللاويين حاملى التابوت عهد الرب قائلا (٢٦) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب اليكم ليكون هناك شاهدا عليكم (٢٧) لانى انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هو ذا وانا بعد حي معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الـرب فكـم بالحرى بعد موتى (٢٨) اجمعوا الي كل شيوخ أسـباطكم وعرفائكم لأنطـق فى مسامعهم بهـذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والارض (٢٩) لاني عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام،لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال ايديكم (٣٠) فنطق موسى فى مسامع كل جماعة اسرائيل بكلمات هذا النشيد الى تمامه » .

وقد جاء القرآن الصادق الهيمن على الكتب السماوية السابقة بتصديق ذلك وأفاض فى ذكر مثالبهم ، وتعداد مساوئهم وتجرئهم وسفاههم على ربهم ، وعلى انبيائه ، وعلى الناس قاطبة ، فالله سبحانه حينما يسلط عليهم من يخزيهم ويذلهم انما يجازيهم بأفعالهم ، ويؤاخذهـم بجرائمهم ، وصدق الله حيث يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (١) .

لقد سلط الله عليهم لـما طغـوا وتجبـروا « بختنصر » البابلى فقتلهم ، وخرب ديارهم ، واسر الكثيرين منهم ، واذلهم حينا من الزمان ، ثم لما قووا ، وعلوا فى الارض ، واكثروا من الافساد وقتل الانبياء سلط الله عليهم ايضا من ملوك فارس والروم « كطيطوس » النصراني فأذل كبرياءهم ، واسام وجوههم وتبر ديارهم ، وعاشوا مستذلين حقبا من الزمان .

واليك قول الحق تبـارك وتعالى فى هـذا : « وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شـديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعـد الآخـرة ليسوءوا وجوهكـم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا . عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »(٢) .

فتأمل معي فى قوله سبحانه « وان عدتم عدنا » يعنى ان عدتم الى المعاصى والافساد عـدنا الى تسليطنا عليكم من يذلكم فى الدنيا ، هذا عدا ما ندخره لكم من عذاب أليم فى الآخرة .

الاعداء الالداء

هذه بعض جرائمهم(٣) ، وهذه بعض عقوبات الله لهم على يد عباد من عباده قبل مجيء خاتم الانبياء ، فلما جاء الاسلام ، وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام الى المدينة أحسن اليهم، وأقرهم على دينهم ودنياهم ، ولكنهم قابلوا الاحسـان بالاساءة ، والتسامح بالخديعة ، والعفو بمحاولة القتل ، وألبوا عليه الاعداء ، ونقضوا العهـود وأرادوا غير مرة طعنه وأصحابه من الظهر ، وأسفوا اسفافا لا يرتضيه انسان فيه بقية من حياء أو خلق ، فما كان من الرسـول والصحابة الا أن أذلوهم وهزموهم شر هزيمة ، وأجلوهم عن الارض الطيبة — أرض المدينة — الى خيبر وغيرها ، ثم لم يلبث يهود خيبـر وما جاورها أن غـدروا وأفسدوا ، فحاصرهم المسلمون وأذلوهم ، فلم يجدوا بدا من النزول على حكم الله ورسوله ، وبذلك أدال الله دولتهم ، وأذهب عزهم ، وقضى

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) سورة الاسراء ٤ — ٨ .

(٣) ومن أعظم جرائمهم قتل أحد ملوكهم يحيى عليه السلام من اجل امرأة بغي ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام ومكرهم به لولا ان أنجاه الله منهم ورفعه اليه ورميهم السيدة العذراء مريم بالزنا فهل نسيت دول الاستعمار اليوم وهى مسيحية هذه الجرائم .؟!!

على سلطانهم فى الجزيرة العربية، وعاشوا فى خيبر وما جاورها أذلاء صاغرين ، ثم تولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة ، فأجلاهم عن أرض خيبر وما جاورها ، وبهذا طهر أرض الحجاز من رجسهم ، وغدرهم وخيانتهم ، وشرهم المستطير وكما ابتلى اليهود فى القديم بمن أذلهم ، وشردهم ، ابتلوا فى العصر الحديث بحكام ألمانيا النازية فساموهم سوء العذاب ، وطردهم من بلادهم شر طردة ، وشردوهم فى الآفاق .

أن موعدهم الصبح

وقد لاحت لهم بارقة أمل فى هذا العصر لما احتضنهم المستعمرون ، أعداء الاسلام ، وأعداء العرب ، وأعداء الانسانية ، ووعدوهم بالوطن القومى ، وجمعوهم مـن الآفاق ، وأسكنوهم فى الأرض المباركة أرض فلسطين الشهيدة ، وأمدوهم بأسلحة الهلاك والدمار ، والغدر والخيـانة ، فذبحوا وقتلـوا العـرب الآمنين ، أهل البلاد الاصليين ، وانتهكوا الأعراض ، واغتصبوا الاموال، ثم كان ما كان من اجلاء العرب أبناء البلاد ، وتمتع المغتصبين بخيرات البلاد وبركاتها ، وبقىأهل البلاد مشردين فى الصحراء والعراء ، يفترشون الارض، ويلتحفون السماء ، وهد من كيانهم الجوع والعرى والبرد والحر ، كل ذلك على مرأى ومسمع من العالم الحر ، عالم القرن العشرين ، ولئن عـز عليهم عدل أهل الارض ، فلن ييأسوا من عدل السماء، وصدق الله العظيم : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (١) » .

ان الباطل مهما علا وتجبر فلا بد أن يكون مآله الىالعفاء والفناء ، والحقمهما ضعف وتوارى وراء حجب الباطل فلا بد له يوما من الظهـور والاستعلاء ، وما يتراءى لاسرائيل اليوم من قوة ومنعة فانما هى فورة قدر ، سرعان ما تزول ، وسحابة صيف عن قريب تقشع ، ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة وهذه سنة الله فى الكون ، ولنتجد لسنة الله تبديلا ، وصدق الله : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كـذلك يضرب اللـه الامثال(٢) » « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »(٣) « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »(٤) .

أيها المسلمون : لقد سمعتم فى القـرآن الكريم ـ الذى هو ذكركم وشرفكم ـ كيف قرن اللـه سبحانه بين علوهم علوا كبيرا ، وافسادهم فىالارض أفسادا كبيرا ،وسمعتم أناليهود لما علوا واستكبروا فى الارض ، سلط الله عليهم فى كل مرة من أذلهم وتبر ديارهم ، وسمعتم ما أوعد الله به من تسليط من يسومهم سوء العذاب الىيوم القيامة ، وسمعتم قوله : « وان عدتم عدنا » فهل بعد ذلك يشك مؤمن معتز بدينه وعروبته فى أن الله القوى القاهر سيديل ـ على أيديكم ـ دولتهم ، ويكسر شوكتهم، ويصيرهم مثلا وعبرة فى الآخرين ؟ لقد وعدنا الله سبحانه ، ووعدهم بلفور وأعوانـه ، فأين وعـد بلفور المتجنى الآثم . من وعد الله الحق الصادق ؟ لقد سمعتم أن الله سبحانه جرت سنته مع اليهود أن يدعهم حتى يبلغ أفسادهم وظلمهم المـدى ، وحينئذ يأخذهم بأيدى عباد له أشداء أخذ عزيز مقتدر ، وان هذا اليوم لقريب ان شاء الله اذا ما سار المسلمون فىالطريق اللاحب(٥)،طريق الوحدة، وجمع الكلمة ، ولم الشمل ، وأخذوا أنفسهم بهدى القرآن من اعداد العدة ، وأخذ الاهبة للاعداء ، وعقد العزم على ارجاع الحق المغتصب وصدق الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ومن ربـاط الخيل ترهبون به عـدو الله وعدوكـم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما

(١) سورة ابراهيم ٤٢
(٢) سورة الرعد ١٧
(٣) سورة الاسراء ٨١
(٤) سورة الأنبياء ١٨

لقد لاحت أضواء الفجر ، وبدت بواكير النصر ، وذلك بعقد المؤتمرات والمشاورات بين ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم ، وستؤتى أكلها قريبا بأذن الله سبحانه ، وان غدا لناظره قريب ، انأملنا ورجاءنا كبير أن ينصر الله الفئة المؤمنة على الفئة الكافرة الغادرة،وأن ينصر أهلالحق علىأهل الباطل،وأهل الصلاح على أهل الفساد ، ولكن لذلك ثمنا غاليا، أننعتز باسلامنا كأقوى ما يكون الاعتزاز ، ونهتدى بهدى شريعتنا التى صيرت من العرب خير أمة اخرجت للناس ، واذا تآزر الاسلام والعروبة فقل على المستعمرين والباغين العفاء .

ولا يسعنى الا أن اختم مقالى بهذا الحديث النبوى الشريف « روى الامام مسلم فى صحيحة بسنده عن ابن عمر وأبى هريرة رضى اللـه عنهما ان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قال : « لا تقـوم السـاعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر ، والشـجر ، فيقـول الحجر او الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفي فتعال فاقتله » .

الهجرة الصهيونية

فتحت السلطات اليهودية ابواب فلسطينلليهود بعد عام ١٩٤٨ ، وفيما يلي صورة عن هذه الهجرة بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٠ حسب البلاد التى قدم منها الهاجرون .

أوروبا

رومانيا	١٤٥ر٠٠٠
بولندة	١٣٠ر٠٠٠
بلغاريا	٠٣٩ر٠٠٠
هنغاريا	٠٢٧ر٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٠١٨ر٠٠٠
يوغوسلافيا	٠٠٧ر٥٠٠
أقطار أوروبية أخرى	٠٤٥ر٠٠٠
المجموع	٤١٦ر٥٠٠

أميركا

الولايات المتحدة	٠٥ر٠٠٠
أقطار أميركية اخرى	١٠ر٠٠٠
المجموع	١٥ر٠٠٠

آسيا

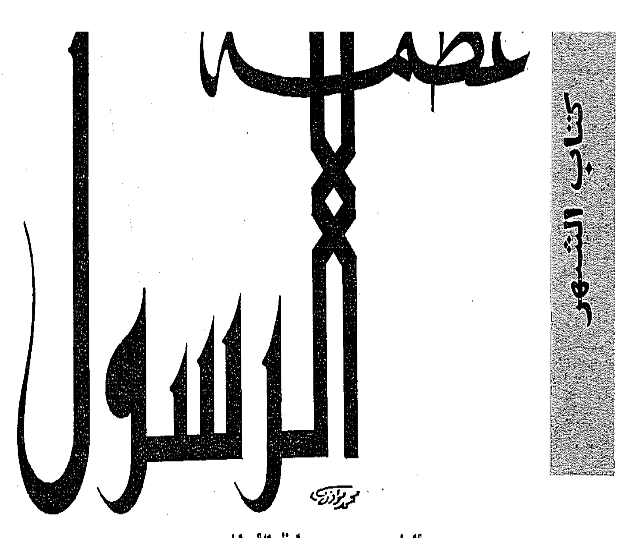
العـراق	١٢٠ر٠٠٠
اليمن	٠٥٠ر٠٠٠
تركيا	٠٣٦ر٠٠٠
ايران	٠٣٣ر٠٠٠
الهند	٠٠٥ر٥٠٠
المجموع	٢٤٤ر٥٠٠

افريقيا

الجزائر ، تونس ، مراكش	١٥٠ر٠٠٠
ليبيا	٠٣٢ر٠٠٠
ج٠ع٠م٠	٠٢٥ر٠٠٠
المجموع	٢٠٧ر٠٠٠
أقطار لم تحدد	٠٢٢ر٠٠٠
المجموع العام	٩٠٥ر٠٠٠

(نقلا عن نشرة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت)

يقـول الرســول صلى الله عليه وسلم .
(لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)
« رواه مسلم »



كتاب الشهر

تأليف ـ محمد عطية الأبراشي
تقديم ـ الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذى نشرته دار القلم بالقاهرة ، والذى يقع في اكثر من ثلثمائة صفحة ـ دراسة طيبة عن عظمة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جاءت فى ثلاثة عشر فصلا :

فى الفصل الأول عرض المؤلف للعرب قبل الاسلام ، فقدم صورة واضحة المعالم عن أخلاق العرب فى تلك الفترة ، حيث قامت على أسس من الظلم والأنانية والفساد ، وامتهان العبيد ، وتجاهل المرأة ، وان لم تخل مما طبع عليه العرب من خلق الوفاء والاباء والنجدة والمروءة والكرم .

وفى الفصل الثاني والثالث عرض المؤلف لحياة الرسول عليه السلام قبل البعثة ، فتحدث عن نشأته طفلا صغيرا ، وشابا يافعا ، ورب أسرة مخلصا متفانيا ، كما عرض لوجوده قبيل الرسالة فتحدث عما امتاز به من اخلاق رفيعة ومثل عليا ، وتحدث عن خلوته فى غار « حراء » ، وتهيئته لحمل أعباء الرسالة .

وفى الفصلين الرابع والخامس ، عرض المؤلف للموقف بين قريش والرسول ، واحتمال الرسول وصحبه لأذى قريش واضطهادها لهم ، ومؤازرة ابي طالب له ، وهجرة البعض الى الحبشة ، واسلام كل من حمزة وعمر ، فأعز الله الاسلام والمسلمين المستضعفين بهما ، كما عرض لحادثة

أما الفصل السادس ، فقد عرض المؤلف فيه لجوانب العظمة فى شخص الرسول ، مستشهدا بالتاريخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأقوال بعض من كتاب الغرب المنصفين ، كسير وليام موير فى كتابه « سيرة محمد » حيث قال : « لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ، ويسر دينه ، وأنه اتم من الأعمال ما يدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة كما فعل محمد » .

وكاللورد هدلي الذى قرر أن رسالة محمد رسالة الهية صادقة لا ريب فيها ، جاءت مخففة لصرامة احكام التوراة مكملة لكتاب المسيح .

وأما الفصل السابع ، فقد تناول المؤلف أثر الاسلام فى الحياة العربية ، والحياة غير العربية بعد أن تم له فتح الامبراطوريتين الشاسعتين ، الرومانية والفارسية ، وأشار الى المبادىء المثالية فى الاسلام ، فى جوانب الاخلاق والسياسة والاجتماع ، وأكد أن الاسلام انما انتشر بمبادئه الانسانية وآرائه المنطقية ، وأن المسلمين لم يتخلفوا اليوم فى مضمار الحضارة والتقدم بسبب دينهم ، وانما بسبب انحرافهم عن مثل دينهم الرفيعة ، وقيمه العليا ، فاذا أراد المسلمون اليوم أن يستعيدوا مجدهم القديم ، فليس أمامهم الا أن

شاملين ، واخاء قائم على الحب والعدل والمساواة .

أما الفصلان الثامن والتاسع ، فقد عرض المؤلف لدعائم الاسلام الخمس ، وهي : الشهادتان ، والصلاة،والزكاة ، والصوم،والحج . كما عرض للايمان بالله ، فهو أساس الاسلام وسر القوة الاسلامية ، وأشار الى ما يتطلبه الايمان الحق بالله ، من عبادة خالصة لوجه الله ، وطهارة وصفاء واخلاص وعمل عن عقيدة صادقة .

ويعرض المؤلف فى الفصل العاشر لمكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام ، فيشير أولا الى مكانتها التي لا تحسد عليها قبل الاسلام فى الجزيرة العربية ، حيث لم تكن الا كمًّا مهملا ، ومتاعا هينا ، وجزءا من ميراث الأب والزوج على السواء ، وفى اليونان بلاد الحضارة والمدنية من قديم الزمان ، حيث كانت المرأة فى أثينا سلعة تباع وتشترى ، ورجسا من عمل الشيطان ، وفى دولة الرومان ، حيث كانت المرأة متعة جسدية رخيصة ، وعند اليهود حيث كانت المرأة فى منزلة الخدم والرقيق ، وعند الفرس ، حيث عاشت المرأة مجهولة القدر ، مهضومة الحق ، وجاء الاسلام فأنصف المرأة ، واعترف لها بكيانها كاملا .

وفى الفصول الثلاثة الأخيرة ، الحادى عشر والثاني عشر ، والثالث عشر ، عرض المؤلف لموقف الاسلام من تعدد الزوجات ، ومن الطلاق ، ومن تعليم المرأة ، فأشار الى أن تعدد الزوجات قبل الاسلام كان بغير تحديد ، والى أن الاسلام لم يأت ولم يبتكر نظام تعدد الزوجات ، وانما حدده ، وارتفع به عن الفوضى التي كانت تشمله ، ولقد ناقش المؤلف افتراء الكاتب المتعصب ، ادوارد وليم لين فى كتابه « الأخلاق والعادات للمصريين المحدثين » حيث ذكر فى كتابه أن كثيرين من المصريين يتزوجون فى عشر سنين بأكثر من عشرين أو ثلاثين من زوجات صغيرات فى السن ، وأنه قد سمع عن رجال اعتادوا أن يتزوجوا زوجا جديدة كل شهر تقريبا .. كما فند المؤلف بعد ذلك مطاعن المستشرقين على زواج النبي .

وتحدث المؤلف عن قضية الطلاق ، فأشار الى أن الاسلام قد أباح الطلاق بقيود عادلة ، ثم

ومن اشتهرن فى علم الحديث ، كريمة المروزية ، وسيدة الوزراء ، وكانتا من أهم راويات أحاديث البخارى ، هذا وقد أشار الى أن الحافظ ابن عساكر ذكر أن عدد شيوخه من النساء ، كان بضعا وثمانين استاذة .

هذا وقد عرض المؤلف لرأيين متناقضين تجاه تعليم المرأة فى الاسلام ، رأى يقول بتعليم المرأة القرآن والدين ليس غير ، وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر لأنها ناقصة عقل ودين ، ومن أصحاب هذا الرأى القابسى الفقيه القيرواني ، وهو رأى ـ كما يقول المؤلف ـ يسيء الظن بالمرأة المسلمة .

أما الرأى الثاني فينادي بتعليم المرأة المسلمة ، وهو رأى سديد يستمد قوة عظيمة من استناده الى أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة ، وهذا ما حدث فعلا ، يوم أن وصلت المرأة المسلمة الى أسمى درجات العلم والأدب والثقافة ، وكتب الأدب مزدحمة بشهيرات النساء المسلمات العالمات الأديبات ، واذا تجاوزنا بعض أمهات المؤمنين فان هناك زبيدة زوج هارون الرشيد ، وشهدة الملقبة بفخر النساء فى القرن الخامس الهجرى ، والتي كانت تلقي فى جامع بغداد على الجمهور دروسا فى الأدب والتاريخ ، والخيزران امرأة المهدى الخليفة العباسي الثالث ، وبوران زوجة المأمون ، وقطر الندى زوجة المعتضد بالله وأم المكتفي العالمة الفذة الخبيرة بالشريعة الاسلامية والقضاء ، والشاعرة النابغة عليه بنت المهدى ، وغير هؤلاء كثيرات .

وبعد :

فهذا عرض موجز للكتاب ، ولا ننكران أن فى الكتاب عرضا واسعا لكثير من المعاني الاسلامية ، ولفتات ذهنية خصبة ، مثال ذلك ما أشار اليه المؤلف من أن كل عظيم هو روح عصره ، ومتجاوب بيئته ، ففي الصين وفارس والهند ، حيث أخذت هذه البيئات جميعها بنصيب منحرية الفكر ، ظهر فلاسفة عظماء ، مفكرون أحرار ، أمثال كونفشيوس ، وزرادشت ، وغوتاما ، كما ظهر فى

على هذه البيئة ، فقد ظهر والعرب قد سقطوا في هاوية الانحلال الاجتماعي والخلقي ، ولا يمكن أن تنتج مثل هذه البيئة عظيما كمحمد ، ذلك الذى رفع أمة من الحضيض وأنشأ دولة من العدم ، وتلك هي العظمة الحقة ، التي ليس للبيئة أي فضل في انتاجها .

ولكن اذا أردنا أن نطابق بين عنوان الكتاب وموضوعاته لم نجد مكانا لهذا التطابق الا في صفحات معدودة من أكثر من ثلثمائة صفحة ، وكان من الممكن أن يكون لهذا الكتاب أي عنوان الا عنوانه هذا ، فالقارىء ينتظر من عنوان ((عظمة الرسول)) تحليلا دقيقا شاملا لسلوك الرسول الشخصي ، لا يتعداه الى غيره من الموضوعات العديدة ، التي يصلح كل منها أن يكون كتابا ، ولو أن هذه الموضوعات من الموضوعات التي لم تطرق أو التي أضيف اليها جديد ، لهان الأمر ، ولكنها موضوعات مطروقة ، تناولتها كتب السيرة القديمة والمؤلفات الحديثة عشرات المرات .

فصل واحد من فصول الكتاب الثلاثة عشر ((عظمة الرسول)) يمكن ـ مع التساهل ـ أن يكون تطبيقا على عنوان الكتاب .

فالمؤلف استغرق أكثر من ثلثي الكتاب في موضوعات لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالعنوان ، كدعائم الاسلام الخمس ، وأثر الاسلام ، والايمان بالله ومكانة المرأة ، والطلاق وتعدد الزوجات .

ثم ان المؤلف ـ وهو أديب عالم ـ جارى كتب السيرة فيما أتخمت نفسها من روايات يجب أن تتنزه عنها الدراسات المتصلة بعظمة الرسول ، ومنها ما حدث في ليلة ميلاد الرسول ، وفي أثناء ولادته ، وهي روايات لا تستند الى مصدر موثوق به .

هذه ملاحظات لا نضيف اليها الا اغفال المؤلف

الحق في أمرها ، وما من سبيل أقوم الى الايمان الحق سوى القرآن ، ولكن كيف يكون القرآن سبيلا للمعرفة والتوحيد وكيف يسيطر على العقول والفهوم ؟ وكيف تخضع له الافكار وتطمئن له القلوب في مواجهة النظر الديكارتي ، ان ذلك لن يكون الا اذا ثبت أن القرآن معجز وأنه ليس من كلام البشر ، وثبت ثبوتا قاطعا أنه من عند الله ، عند ذلك يجب أن يكون القرآن هو المصدر الأعلى للايمان والتوحيد لدى المنصفين بل لدى أصحاب الفطر التي لم تزغها الأهواء ولم تصرفها عن مقتضياتها .

انك اليوم حينما تجادل في أمر العقائد مستندا الى القرآن الكريم فانما يقول لك من تجادلهم : هبنا غير مؤمنين بالقرآن أو هبنا غير مصدقين بانه من عند الله . من أجل ذلك وجب أن نسير أولا في اثبات أن القرآن من عند الله ، مستندين الى القضايا العقلية والحقائق الواقعية والى الظروف والملابسات التى لابست اعلان القرآن ، فاذا انتهت بنا الى اليقين بأن القرآن من عند الله وأنه ليس من نوع كلام البشر ، وأن حامله الى الناس لا يستطيع الانباء به من عند نفسه ، وأنه ليس له من العلم مثل ما أخبر عنه القرآن فانه يجب بحكم هذا أن يكون القرآن مصدر المعرفة والتوحيد ووجب أن تعنو له جباه العقول والافكار لا لشيء سوى أنه الحق المفروض والواجب المحتوم الذى تتقبله الفطر رضية به منقادة اليه .

ان الرجوع على القرآن بعد الذى قررنا أمر يريحنا من التكلفات العقلية والنظرية والتشككات الفلسفية والسوفسطائية ، ويسد الباب عن ذوى الاغراض الذين يتسترون وراء العقائد التي يبتدعونها لتحقيق هذه الاغراض ، ويسد الطريق على الغرب الذى يجعل من مستشرقيه الطلائع الاولى لانهاك القوى الاسلامية عن طريق التشكيك في أمر العقيدة باسم الدراسات العلمية الحرة ، وهم لا يريدون الا نقض العقيدة الاسلامية التي

الحسيني » وقد زاول نشاطه في الدعوة للاسلام في مجموعة جزر صولو « Sulu » التي هي جزء من دولة الفليبين حاليا ، وقد اسلم على يـده خلق كثير في منتصف القرن الرابع عشر الميلادى وقد تبعه داعية آخر من سومطرة يسمى « ابا بكر » وقد نجح في اقامة سلطنة اسلامية هناك وتوفي عام ١٤٨٠ م ،وكان من هؤلاء الدعاة الناجحين ايضا « الشريف مولانا ابراهيـم » وهـو ابن الشريف مخدوم ابراهيم الاكبر المذكور آنفا وقد كان لمولانا ابراهيم هذا فضل في اسلام عدد من امراء الولايات التابعة لامبراطورية « ماجاباهيت » الهندوكيـة وقد توفي عام ١٤١٩ م ، وكان من بين الولايـات التي دخلت في الاسلام على أثر هزيمة ماجاباهيت دويلة « بروناي Brunai » الواقعة على الساحل الغربي لجزيرة بورنيو وقـد اسس امـير عربي سلطنتها عام ١٥١٠م ولا زالت اسرته تتوالى على عرشها حتى الآن ، وقد كان مفروضا ان تنضم هذه السلطنة الى ملايزيا التي قامت عام ١٩٦٣م ولكن لم يتم ذلك لاسباب سياسية ، فبقيت وحدهـا محمية انجليزية ، ورغم صغر هـذه السلطنة في مساحتها الا انها ذات ثراء عظيـم بسبب آبـار البترول الغنية بها .

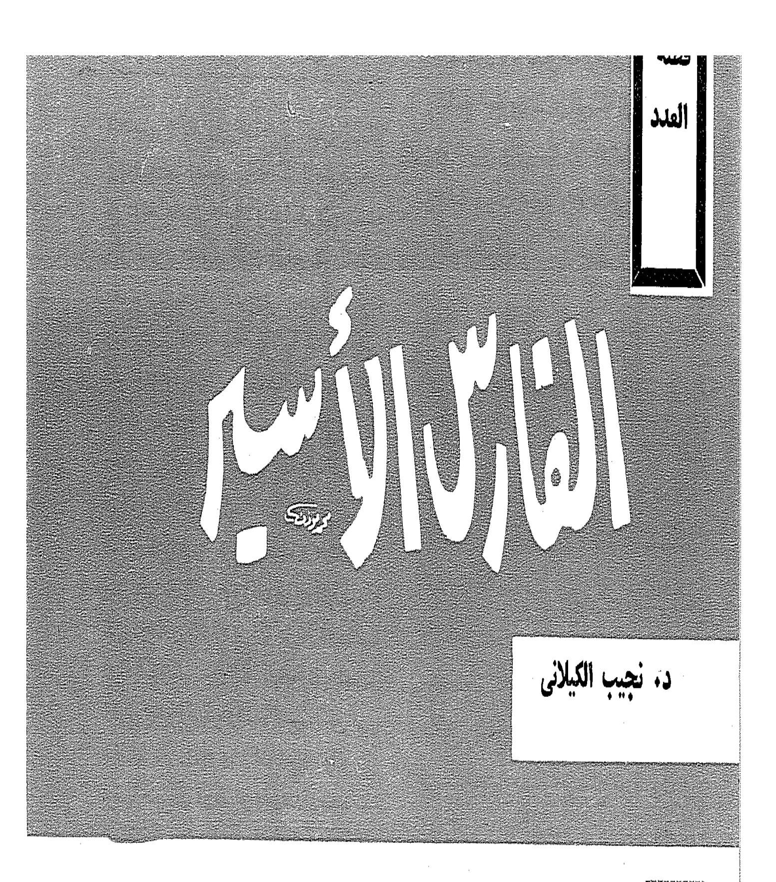
ومن أهم هؤلاء الدعاة أيضا « الشريف محمد كيبنجسوان kabungsuan » الذى رحل من الملايو الى جزيرة « مندناو Mindanao » بالفيلبين حوالى عام ١٤٧٥ م ونجح في اقناع خلق كثـير مـن الوثنيين باعتنـاق الاسـلام ، وحفر لهم بئرا فكان لا يقبل اسلام أحد الا بعد أن ينغمس في الماء ليتطهر ، ويتشهد ، ولا تزال آثار هذه البئر باقية حتى الآن ، كما نجح في اقامة سلطنة اسلامية عظيمة امتد نفوذها الى انحاء الجزيرة الكبيرة ، ومن مندناو وصولو انتشر الاسلام في سائر الجزر التي تكون الفيلبين حاليا .

وسوف لا نرهق القارىء بذكر اسـماء سائر الجزر والجزيرات وتاريخ انتشار الاسلام في كـل منها ، فحسبنا أن نعلم انه ما كاد ينقضى القرن والتاسع الهجريين ـ من الوثنية الى التوحيد ، ومن الفوضى والوحشية الى النظـام والحضارة والمدنية ، ومن الجهل والامية الى نور الهداية والعلم والعرفان .

سر انتشار الاسلام

وكان من اهم العوامل التي ادت الى هذا الانتشار السلمي السريـع بساطة الاسلام وتقدميتـه ، والـف السـكان للشعائر الاسلامية التى كان يؤديها من خالطهم من المسلمين على مراى ومسمع منهم ابان القرون الاولى من الهجرة ، ثم ما كان يتمتع به الكثير من هؤلاء المسلمين من شخصية ممتازة ونجاح مرمـوق في تجاراتهم ، ثم الهجرة فرارا من ويلات الحروب المغولية والصليبية ، ثم نجـاح الدعاة مـن ذوى النزعات الصـوفية في اقناع الحكام والولاة الذيـن اثـروا على رعيتهم ، وقامـوا بدورهـم بالدعايـة للاسلام مع امثالهم من الحكام عن طريق الدعاة والمصاهرة .

بقي الحديث اذن عن الخصومة حول من كان لهم الفضل في نشر الاسلام في ربوع الملايو أهم العرب ام المسلمون من الهند ؟ وهو نزاع أثاره في السنوات الاخيرة بعض المستشرقين لنوايا في انفسهم نشك في موضوعيتها ، كما بقي الحديث عن الاصلاحات التي احدثها الاسلام في عالم الملايو ، ثم عـن الاستعمار الغربي وموقفه من الاسلام في الشرق منذ بدأ باحتـلال البرتغاليين « جوا Goa » بالهند ، ثم ملقا بالملايو عام ١٥١١ م ، ثم عن أهم التطورات والاحداث منذ ذلك الحـين وموقف



دق « الفــارس الصــليبي » الأرض بقدميه فى جنون ، وأخذ يشد شــعره فى عنف ، ثم يضرب رأسه فى الحائط ، ويرفع سيفه ، ثم يهزه هزات عشــواء فكأنما كان يطارد أشباحا غير منظورة ، وعاد ينظر الى مرافقه ويقول فى ثورة :

« مستحيل .. مستحيل أن تسقط طرابلس فى أيدى قوات صلاح الدين .. ان حصونها ورجالها الأشداء ، ومجدهــا الزاهر الذى شيدناه فى ظــلال سيوفنا منذ عشرات الســنين ، مســتحيل أن تدوس ذلك كله أقدام المسلمين » .

طأطأ المرافق رأسه حزينا ، وانسكبت على خده ولحيته الشقراء قطرات من دموع على الرغم منه ، وتمتــم :

وها نحن محصــورون فى القصر .. فى انتظار السطور الدامية لنهاية المأساة » .

ونظر الفارس العظيم ، والشر يتطاير من عينيه وهتف :

ـ معنى ذلك أننا أسرى الآن ؟؟

ـ « أجــل » .

ـ « وصلاح الدين لن يتركنا أحياء .. آه .. ضاع كل شيء .. لقد قتلنا من المسلمين سبعين ألفا فى بيت المقدس يوم دخلناهــا فاتحين منذ سنين طويلة .. لم نرحم شيخا ولا طفلا ولا امرأة .. كانت حرب ابادة .. انها قسوة لن ينساها العرب ، وقد حان وقت الأخذ بالثأر .. سيقتلنا صلاح الدين .. يا للمصيبة ! ! زوجتي تنتظرني فى بيت المقدس .. وأولادي ينتظرون .. لا أريد أن أموت » .

ثم أمسك بتلابيب مرافقه وصرخ :

ـ « أتسمعنى ؟؟ لا أريد أن أموت .. لتذهبوا

ـ « أنتم تخدعوننا .. لا تنسوا أنني ملـك طرابلس » .

ـ « نحن نعرف .. وثق أننا لا نكذب .. اننا نحمل سيوفنا دفاعا عن الشرف وكرامة الانسان.. ... ومـن ثـم فمـن العـار أن نسفح دم الفضيلة ، لم نحارب الا لنسترد أرضنا من أيدى الغزاة الطامعين » .

وبعد فترة صمت قصيرة قال قائد العسكر :

ـ « هيـا بنا .. »

قال الفارس مرتجفا :

ـ « الى أيـن ؟ ؟ »

ـ « صلاح الدين يطلبك » .

ومشى الملك مطأطيء الرأس ، واجم النظرات ، يفكر فى الماضي فى الحروب الصليبية الداميـة ، والحملات المتكررة التيقادها ملوكأوروبا وفرسانها ورهبانها ، وكيف احتلوا أغلب أراضي الشـام وبيت المقدس ، منتهزين فرصة تشـتت العـرب وتناحرهم من أجل الأطماع الشخصية .. وكيف اقاموا الممالك والامارات فى أرض العرب ، وغرقوا فى الخيرات والنعيم .. حتى أنهم أيقنوا أن الأرض أرضهم .. وأن خروجهم من هذه الديار أمـر مستحيل .. ونظر الفارس الأسير فرأى عساكر العرب يملأون شوارع طرابلس وأزقتها وساحاتها .. ورأى القصور والمقاصر والبساتين التي كـان ينعم فيها الغزاة منذ أيام واجمة حزينة .. يجللها أسى عميق .. ورأى جنوده ـ ورموز الصلبان على صدورهم ـ يمضون منكسي الرءوس لا حول لهم ولا قوة .. كل شيء قد تغير بين عشـية وضحاها .. انهار المجد الكبير .. تحول الحكام المستبدون والغزاة المتجبرون الى أذلاء أصـاغر .. وهمهم « أكذوبة .. أكذوبة كبرى .. تلـك الحياة » وعاد الفارس يفكر فى مصيره .. أمـن المعقول الا يقتله صلاح الدين ؟ ؟ وماذا ستقول زوجه فى بيت المقدس عندما يبلغها نبأ نهايتـه المفجعة ؟ ؟ آه .. وأولاده الصغار .. مسـاكين سينتظرونه حتى يعود .. ولكنه لن يعود .. يا له من غر أحمق .. لماذا أتى من أوروبا ؟ ؟ ولمـاذا



أن اموت .. ما جئت هنا لكي أبعثر سـنوات عمري فى هذه الحرب الطائشة » .

ونظر اليه المرافق فى حنق وقال :

ـ « ليس لنا فى الأمر حيلة .. لقد سقط ملك بيت المقدس فى الأسر .. وسقطكذلكقائد فرسان « الداوية » .. والثغور ، استولى عليها صلاح الدين .. والعرب المتنافرون أصبحوا كتلة واحدة .. ولا ينتظر أن تصلنا أية نجدة .. انها النهاية يا مولاي » .

قال الفارس الأمير وسيما الجنون على محياه :

ـ « لا بد من الهرب » .

ـ « كيف » ؟؟

وعندئذ أطبقت عليهم كوكبـة من فرسـان المسلمين مدججة بالسلاح ، وشحب وجه الفارس ، وسقط السيف من يده ، وارتعشت مفاصلـه ،

خدعنا الناس وخاصة جنودنا البلهاء .. مستحيلين أن نخدع أنفسنا .. ان هزيمتي قد كشفت القناع .. أزالت كل الأكاذيب والشعارات الجوفاء التافهة .. لم نكن غير مستعمرين .. سكرنا بخمرة النصر الذى حققناه بأقذر الوسائل والذى حققه أجدادنا .. وما أن جاءتني صفعة صلاح الدين حتى أفقت الى نفسي .. »

كان الفارس الأسير يمضي ذاهلا شاردا ، حينما همس فى أذنه قائد المعسكر قائلا :

ـ « أفق من ذهولك .. أنت فى حضرة صلاح الدين » .

لم يصدق الفارس الأسير عينيه ، وهو يرى رجلا بسيطا هادئا ، لا أثر على وجهه لانفعالات الشماتة والحقد ، ولم يصدق أذنيه ، وهو يستمع الى كلمات صلاح الدين التي تفيض بالأمن والرحمة والايمان ، وخيل اليه أنه فى حلم حينما أجلسه صلاح الدين الى جواره وطلب له الماء البارد .. لحظات غريبة مرت بالفارس المشدوه ، عاد ـ بعدها ـ اليه الاطمئنان ، وفكت عقدة لسانه ، فأخذ يفاوض صلاح الدين ، ويبحث معه أطراف المشكلة . ولم يستمع الى صلاح الدين بكل حواسه وهو يقول :

ـ « اننا لا نجني من وراء قتل النفوس شيئا ذا بال .. ويؤسفني أن يطول أمد المعركة بلا مبرر ، وخاصة أن نصرنا قد تدعم ولا جدوى من مقاومتكم فى القدس .. فيا حبذا لو سلمتم حقنا للدماء .. ثم لا تنسى أننا أصحاب الأرض الشرعيين .. »

لم يكن الفارس يفكر فى كلمات صلاح الدين الكبيرة ، بقدر ما يفكر فى خلاص نفسه ، وعجب صلاح الدين حينما سمعه يقول :

ـ « ان لي زوجة وأولادا فى بيت المقدس ، وكل ما أتمناه أن تطلق سراحي ، وتأمر بحمايتي حتى أصل هناك .. وعندما أصل فانني سأجمع أولادي وزوجتي ونرحل الى أوروبا .. وأعدك وعد رجل شريف لرجل شريف ألا أبقى فى بيت المقدس أكثر من ليلة واحدة .. أعرف أن قانون الحرب يعطيك

ـ « ليلة واحدة فى بيت المقدس .. »

ـ « أقسم على ذلك .. »

ـ « لك ما شئت .. »

لم تكن « بيت المقدس » قد سقطت فى يد العرب بعد ، وان كان ملكها قد وقع أسيرا فى يد صلاح الدين قرب عين جالوت ، والصليبيون قد تجمع عدد كبير منهم داخل المدينة المقدسة محتمين بقلاعها وحصونها وما بقى ـ بعد المعركة السابقة ـ من جنودها ، وهرول « الفارس الصليبي » الى بيت المقدس مبتهجا سعيدا ، لم يكن يصدق أنه قد نجا بجلده ، وكتبت له الحياة من جديد .. ومع ذلك فقد كان يذكر الهزيمة المرة التي مني بها ، ويذكر الأرض الخضراء ـ أرض طرابلس ـ التي أخرج منها طريدا شريدا كما طرد ابليس من جنة الله ـ .. فيستشعر الحقد والمرارة .. لم يفكر فى مرافقه ولا فى رجاله وجنوده الذين تركهم وراءه بقدر ما كان يفكر فى لقاء زوجه وبنيه ..

وتنفس الفارس الصعداء حينما دخل شوارع بيت القدس .. ها هو يحيا من جديد .. لكن الناس المذعورين يتحلقون حوله ، مستنجدين مستغيثين وقد عرفوا فيه أمير طرابلس .. لقد شعر الضائعون الذين أسر ملكهم .. أن هذا الرجل يمكن أن يهبهم الأمن والثقة ، أن يحل محل ملكهم حتى تتغير الأحوال .. وأحاط به خلق كثير ، يتكلمون ويستفسرون ، فقال ورنة الحزن والأسى بادية فى صوته :

« لسوف آخذ أهلي وأرحل ، ولن أبقى بينكم أكثر من ليلة واحدة .. »

ـ « ونحن ماذا نفعل ؟؟ »

ـ « سلوا ملككم »

ـ وأين هو ؟؟

ـ أسير عند صلاح الدين .

وهدر صوت الجموع .. القساوسة والرهبان وفرسان الداوية وبقايا الجنود .. والمتعصبون .. هدروا قائلين :

« أنت ملكنا .. »

ـ « ملك بيت المقدس ؟ ؟ »

الكهوف أو شواهق الجبال ، ويجب أن يعيش معه ايمانه برسالته فوق ظهر البحر الى المجال الذى يراه خصيبا لدعوته ، وبين أحراش افريقيا وأدغالها وصحاريها وبين سهول آسيا وجبالها قبل قراها ومدنها ، كما عاش ذلك الايمان مع أسلافه الدعاة وهم يجتازون المخاطر فى الهند والصين وفيما وراء الهند والصين ، وان الله يحتسب له كل خطوة خطاها ، ويأجره على كل عقبة تخطاها ، ويثيبه على كل مشقة احتملها ، وصبر عليها وكل كلمة قالها ، وعمل أداه ، وهو مصيخ أبدا الى نداء ربه ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) وهو حيث يكشف دعوة الحق ، ويصور سبيلها للخلق ويقف بأرواحهم على مبادىء الاسلام وآدابه وسماحته ، ينادى فيهم ((هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله)) .

المال

ثم ما أحوج الدعوة الى مال يكفل للدعاة سبل العيش والأسفار ، ويشق للدعوة الطريق بين الارساليات التي ألبستها المسيحية أثواب الدين والعلم ، وبعثتها توطد أقدام الاستعمار ، وتمهد له حيثما كانت أسباب الحياة .

وما أحوج الدعوة الى مال كذلك تشيد به المساجد والمعاهد حيثما لقيت الدعوة الآذان والقلوب .

وان خزائن أثرياء المسلمين فى العالم وخزائن الدول الاسلامية لن تعجز عن امداد الدعوة وامداد منظماتها ـ التي ينبغي أن تكون ـ بالمال

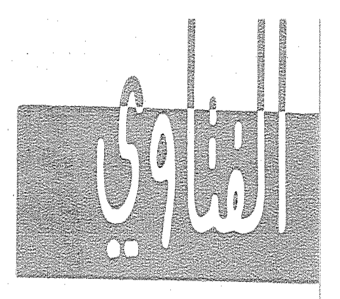
وهذه النفقات هي الصالحات الباقيات . ألا ليت هذه الصيحات تطرق مسامع المسلمين ، فتتجاوب معها القلوب ، وتنتفض المشاعر ، وتهتز الأريحيات للبذل فى سبيل الله .

وليتها تجمع قلوب العاملين للاسلام فى مشارق الارض ومغاربها وتحفزهم الى العمل لا الى الكتابة والخطابة فى عصر انطلقت فيه الوف المبشرين بالمسيحية تعمل لنشرها فى البلاد المتخلفة وجمع القلوب من حولها . ونحن أولى من هؤلاء بالدعوة الى دين الله ((ان الدين عند الله الاسلام)) .

وان الدعوة الى الله ليست وقفا على العلماء وحدهم والانفاق عليها ليس وقفا على الاثرياء وحدهم بل على كل مسلم ومسلمة تجب الدعوة ويجب الانفاق عليها .

ولقد حمل رسالتها الداعي الأول وحده وبعد ثلاث وعشرين سنة من بدء دعوته تجاوز المؤمنون بها مئات الألوف ، فما لنا ونحن الألوف من الدعاة نهز المنابر ، ونكاد نشق الحناجر ، فلا يستجاب لنا ولا نضيف الى عدد المسلمين فى قرن بل فى قرون قدر ما كسبه الرسول فى قرابة ربع قرن ، ان الدعوة الى الله التي دعا بها محمد صلى الله عليه وسلم هي الدعوة التي ننادى بها ولكن أين ايماننا من ايمانه ؟ وأين اخلاصنا لها من اخلاصه؟ وأين تضحيتنا وتفانينا من تضحياته وتفانيه ؟ وأين المنفقون منا من انفاق أصحابه فى سبيلها ؟ .

اننا يوم نؤمن ونخلص ونضحي وننفق كايمان محمد صلى الله عليه وسلم واخلاصه وتضحيته وانفاقه هو وصحابته ويوم ننتصر على المادية والانحلالية واللادينية سنسود الدنيا كما سادها اسلافنا الأولون ، ونخضع هامات الجبارين كما اخضعوها ، ونقود العالم يومئذ الى ظلال الحق



« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

التخلف عن صلاة الجمعة

السؤال :ـ

أنا طبيب مسلم حريص على أداء الصلوات لاوقاتها ، وأعمل بمستشفى حكومي بالتناوب مع زميل لي ، وقد تقتضي النوبة احيانا أن أعمل في يوم الجمعة من الصباح حتى المساء ولا أستطيع الخروج أثناء النهار لاداء صلاة الجمعة .

فهل يجوز لي ترك صلاة الجمعة وأصلى بدلها ظهرا)

وما الحكم اذا أدركت الامام في الركعة الاخيرة هل أكملها جمعة أم ظهرا ؟

الاجابة :ـ

فرض الله صلاة الجمعة على كل مسلم بالغ

اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ».

ولقد نص الفقهاء رحمهم الله على أن خوف الانسان على نفسه او على ماله او عرضه يعتبر من الاعذار المبيحة له للتخلف عن صلاة الجمعة ، فيجوز لمن خشى تعطيل المصالح العامة أو الحاق الاذى او الضرر به أن يتخلف عن أداء صلاةالجمعة ويصلي الظهر بدلا منها ، وعلى هذا فاذا كان خروج السائل لصلاة الجمعة سيترتب عليه ضرر يلحقه فى العمل ، او يخشى حدوث اخطار للمرضى تنجم عن خروجه أو تأخير اسعاف او غير ذلك فقد اباح له الشارع الحكيم التخلف عن صلاة الجمعة واداء الظهر بدلا عنها،فالدين يسر ولايكلف الله نفسا الا وسعها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا).

واما حكم من فاته ادراك الامام في أول ركعة من الجمعة فان ادرك معه الركعة الثانية اتمها جمعة وان لم يدرك معه الركعة الثانية بأن أدركه بعد قيامه من الركوع فانه يتم صلاته ظهرا وعند

السؤال :ـ

لي صديق يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ، ويتقي الله فى جميع اموره ، ولكنه يتعاطى المخدرات ولما كلمته فى ذلك قال: ان المخدرات لم يرد بتحريمها نص من كتاب او سنة فهل قوله صحيح ؟ أرجو بيان ذلك ...

الاجابة :ـ

لقد كرم الله الانسان على كثير من خلقه ، ولم يكرمه من حيث هو جسم فقط ، أو روح فقط ، وانما كرم فيه عقله الذى هو مناط التكليف ، وبه يعرف الخير من الشر ، ويميز الهوى من الضلال فاذا عطل الانسان عقله بوسيلة من الوسائل كان بذلك معطلا لوجوده كانسان .. ومن أجل هذا حرم الله الخمر تحريما قاطعا لا شبهة فيه بأى وجه من الوجوه فقال تعالى ((يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)) .

والخمر هي كل مادة تخامر العقل وتغلبه ، ولا عبرة بخصوص المادة التي تسبب الاسكار ، فكل ما أسكر يعتبر خمرا ، سواء كان مأخوذا من العنب أو من غيره ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ان من الحنطة خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر) .. ومن المسلم به شرعا أن تحريم الخمر ليس أمرا تعبديا لا يدرك الانسان سر تكليفه به ، بل السر فى تحريمها يرجع الى المحافظة على العقل الذى يصل الانسان بربه ، ويأخذ بيده الى طريق الله .. وعلى هذا فكل شيء يخامر العقل ويغلبه يعتبره الشارع خمرا مهما كان نوع هذا الشيء، مشروبا كان أو مأكولا ،

انكاره بحال من الاحوال ..

أما ما يزعمه صديقك من أنه لم يرد نص يحرم هذه المخدرات بأسمائها فهذا ليس بشيء لأن المخدرات لم تكن موجودة بأسمائها فى عهد الرسول أو الصحابة أو التابعين بل ظهرت فى العالم الاسلامي فيما بين المائة السادسة والمائة السابعة من الهجرة .. ولما كان الاسلام قد نهى عن الخمر واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمرا كانت المخدرات بجميع أنواعها كالخمر يحرم تعاطيها وبيعها وشراؤها .. والله أعلم ....

كفارة اليمين

السؤال :ـ

ما الحكم اذا حلف الانسان وحنث فى يمنيه وتكرر منه الحلف والحنث .

الاجابة :ـ

المسلم حين يقسم بالله تعالى أو بصفة من صفاته العليا ، أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلاله ، مستشعرا ألوهيته وربوبيته ، فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه ، فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه ، خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه قد اقتحم هذا المانع القوى ، وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى أقسم به . ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يسترها ويكفرها .

وقد شرع الاسلام الكفارة اذا حنث الانسان فى يمينه ، وهذه الكفارة تطهير للانسان من خطئه

بآبائكم فمن حالفا فليحلف باللـــه أو ليصمت)
وروى ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع رجلا يقول : لا والكعبة فقال ـ لا تحلفوا بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من حلف بغير الله فقد اشرك) واليمين بغير الله لا تنعقد ولا كفارة فيها ، ويجب على الانســـان أن يحنث فى يمنيه اذا حلف على الامتناع عـــن فعل الخير ، قال تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبـون أن يغفر الله لكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت التي هي خير وليكفر عن يمنيه) .

والكفارة المطلوبة هــي اطعام عشرة مســـاكين وجبتين مشبعتين أو كسوتهم بما يستر أبدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق ، فكفارته أن يصوم ثلاثة أيام ، ويكفي صومها متفرقة والأفضل أن تكون متتابعة وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ... والله أعلـم »»

الاصبع الزائدة

السؤال :ـ

ولد لي ولد ، فى كل كف من يديـه ست أصابع ، والاصبع الزائدة كالخرقة متدلية وقد أشار علي بعض أصدقائي بقطعها بواسطة الطبيب لأنه لا فائـدة فيها فضلا عن أن منظرها يشوه المولود .. فهل يجوز ذلك شرعا .

الاجابة :ـ

ما دامت هذه الاصبع زائدة غير ثابتة وليست متماسكة ، بل هي تتدلى وليس لها عصب يحركها مع الأصابع ومنظرها يشوه الـــكف ـ فاننا نرى أنه لا بأس من قطعها لعدم فائدتها ولانها تؤذى

ان احلام المجد الذاهب تراوده .. وعار الهزيمة يلاحقه .. حتى عطف صلاح الدين وحدبه عليه اصبح يثير فى نفسه الاحتقار والضيق والمرارة .. ورائحة بساتين طرابلس المثيرة ما زالت تتسلل عبر خياشيمه .. وثورة المطامع والأمجاد تتحرك فى قلبه من جديد .. فيضرب بعهده مع صلاح الدين عرض الحائط ، ويهتف فى جنون .

ـ «لن نستسلم لصلاح الدين.. وسنحارب ..»

ويستغرق فى اعداد الجنود ، وتجهيز الحصون ، مستسلما لنشوة الحقد ، تطغى على قلبه وعقله وشهوة الانتقام ، والأمـل الكاذب يراوده مـن جديد ...

لكن مواقع الصليبيين تتساقط فى يد صـلاح الدين واحدا بعد الآخر ، والدائرة تضيق حـول بيت المقدس : والملك الأسير يرسل الى أهـل المدينة كي يستسلموا حقنا للدماء فيرفضون .. ويتقدم صلاح الدين الى الأسوار الشـاهقة .. أسوار المدينة الخالدة .. وسيوف الحـق فى أيدى رجاله تلتمع تحت وهج الشمس الساطعة .. وصلاح الدين يتنقل بجواده من مكان الى آخـر باحثا عن ثغرة يتسـلل منهـا جنوده .. وما أن يفعل ذلك .. وتكاد المدينة تقع فى قبضته حتى يهرول فارس طرابلس الغادر بارسـال الكاتبات والرسل الى صـلاح الديـن طالبا التسليم .. ويعتذر عن غدره ..

ويبتسم صـلاح الديـن عندما يلقـاه فيهتف الفارس الحزين :

ـ أعترف بجريمتي ..

فيرد صلاح الدين :

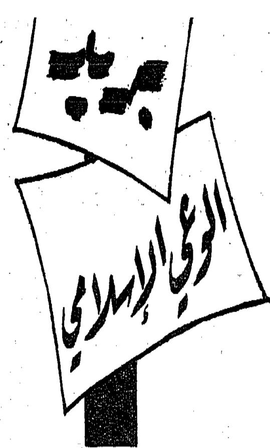
ـ « ها قد التقينا .. »

ـ « نحن رهـــن يمنيك .. فلتفعل بنا مـــا شئت » .

ـ « من أراد أن يرحل فليدفع الفدية البسيطة المقررة عشرة دنانير .. ومن أراد ان يبقى فليدفع الجزية .. ومن يثبت عجزه قمنا عنه بالسداد..»

ـ « وأنـا ؟ ؟ »

ـ « أأدفع عشرة دنانير وأرحل » .



باشراف ـ محمد أبو غوش

سررنا كثيرا حينما علمنا بصدور مجلة « الوعي الاسلامي » وانها وايم الحق بادرة طيبة يفرح لها كل مسلم غيور يبتغي مرضاة الله ، هذه البادرة الطيبة التي نسأل الله ان يجعلها الدعامة القوية لرفع راية الاسلام ، والعمل على تطبيق شريعته.

نبارك لكم هذه الخطوة سائلين الله ان يكلل مساعيكم بالنجاح ، وان يأخذ بيدكم للعمـــل على مرضاته .

(رئيس جمعية المكتبة الاسلامية ـ البصرة ـ العراق) .

تلقى بريد الوعي الاسلامي مئات الرسائل من السادة القراء في مختلف الاقطار الاسلامية، وقد أفصحت هذه الرسائل عن ايمان عميق الجذور ، ووعي ناضج ، وأمل كبير في ان تقوم هـذه المجلة التى ولدت عملاقا بدورها الايجابي الفعال في التوجيه السليم وجمع كلمـة الامــة .

ويسرنا ان نستعرض مقتطفات من بعض هذه الرسائل ، ومعذرة للاخوة الذين لم تتمكن من نشر رسائلهم لضيق المجال .

المجد الخالد

ارسل الينا السيد احمد أبو المجد عيسى مـن الجمهورية العربية المتحدة قصيدة بعنوان « المجد الخالد » نقتطف منها هذه الابيات :

جلال الحـق يشرق في ســـناه ... ونـور اللـــه بـاد في هـــداه
أطــل فشـــع في الآفاق فجر ... بـه لمح الســعادة مـــن رآه
ضــياء من سنا الرحمـن يسعى ... بأرض اللـــه تشـرق صـفحتاه
سرى أمــلا بمكــة في ظــلام ... مـن الاوهـام قـد أرخى دجـاه
فأحيا أمــه وأنــار شـــعبا ... دهـــاه من الضـلالـة ما دهاه
محمـد خـير خلق اللـه طـــرا ... وأكـرمهم اذا فخــروا وتاهـوا
لــه ذكــر عــلى الايـــام باق ... يعطـر صــفحة الدنيـــا شذاه
يــردده الزمان نشـيد مجـــد ... أجـل بشاشـــة الدنيـا صداه
ومــن في النــاس أكرم مـن نبي ... بآى الـذكر جـبريل أتـــاه ؟!
بآى مشرقـــــات رائعــــات ... تخـر لذكــرها الحلــو الجباه
بها أروى قلـــوبا ظامئـــات ... شجاها مـــن هواها مـا شجاه
سقاها عـــزة فعـلت وعــزت ... بملك أدهش الدنيـــا مـداه
عـلى الايمـــان أسسها صروحـا ... فعز بنـــاؤها ممـــن بنـــاه
وليس المجـــد ما يبنيــه فــرد ... ويهدمــه عـــلى عجـــل سواه

« كانت تأتيني الرسائل من القاهرة فأقرأ عن تقدير القراء لمجلتنا ، وحرصهم على اقتنائها وتعبهم فى الحصول عليها ولو بأضعاف ثمنها فكنت أسر وأحمد الله الذى لا يضيع اجر العاملين ، وأحس أن هذه أول مجلة اسلامية تأخذ هذه المكانة بعد العددين الاول والثاني من صدورها ، وأنها بذلك حطمت الاسطورة السائدة عن عدم اقبال القراء على المجلات الاسلامية فكان هذا كله يملأ نفوسنا سرورا وشكرا لله ويدفعنا الى مزيد من الجهد والتضحية .. حتى لمست على الطبيعة مكانة المجلة وتلهف القراء على الحصول عليها ، عرفت ذلك من شركات التوزيع هنا .. ومن متعهدى الصحف . من المكتبات . من القراء .. وكان من اعجب ما سمعته ما حدثني به مفتش فى وزارة الداخلية حين كان يفتش فى احدى عواصم الصعيد ، ولجأ الى مأمور المركز كي يساعده لدى متعهد الصحف هناك فى الحصول على العدد الثاني من المجلة .. ومع ذلك لم يحصل عليها لان ما وصل منها قد نفذ ساعة وصوله . ان هذا مما يزيد ثقتنا فى الله ويضاعف من شكرنا له ويحملنا من الاعباء ما نرجو من الله العون عليها والتوفيق للقيام بها .. »

ومن باكستان بعث السيد أ . حسين بمقال تحت عنوان : نحو وحدة اسلامية جاء فى مقدمته :

« رحب العالم اجمع بالمؤتمر الاسلامي العالمي الـذى انعقد فى مكة المكرمة فى اعقاب حج هذا العام وقد حضره زعماء المسلمين فى كثير من الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول الاسلامية يعمل على تمهيد الطرق لرأب أى صدع فى وحدة العالم الاسلامي . وليس بمستبعد أن يشهد موسم حج العام القادم اجتماعا لرؤساء الدول الاسلامية بغية تحقيق اماني كل مسلم غيور .

ونحن اذ نشكر السيد حسين على اهتمامه بالوعي الاسلامي ، فانا لنرحب بما يصلنا من انتاجه وانتاج الكتاب فى شتى الاقطار الاسلامية .

ردود قصيرة

＊ السيد على عبد الرحيم ملكاى ـ الاردن

ـ يمكنك الكتابة مباشرة الى وزارة التربية ذات الاختصاص فى هذا الموضوع

＊ السيد مكرم السيد احمد ـ العراق

ـ يرجى ارسال المقال كاملا ، اذ يتعذر علينا

ـ شكرا على اقتراحك الذى قمنا بتنفيذه ابتداء من هذا العدد .

＊ السيد غانم محمود شهاب ـ الموصل العراق

ـ وكيل التوزيع فى العراق ـ هو السيد قاسم محمد الرجب ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .

＊ السيد بدر عبد الله السديرس ـ ص.ب ٥٥٨٩ الكويت .

ـ وصلتنا رسالتك ، وأرسلنا لك الاعداد .

＊ السيد عبد الله احمد اسماعيل عبد العال المنامة ـ البحرين .

ـ المجلة تباع بالاسواق ، ووكيلها بالبحرين السيد فاروق ابراه ـ المكتبة الوطنية وفروعها .

＊ السيد محمد كاظم ـ العراق

ـ ستنشر المجلة فى اعدادها المقبلة تحقيقات مصورة عن الاثار والاماكن الدينية فى العالم الاسلامي ، اما « أخبار العالم الاسلامي » فهي زاوية ثابتة ابتداء من العدد الثالث .

＊ السيد عبد الله محمد الحافظ ص.ب ٣٩٠١ كويت : أرسلنا لك المجلة على العنوان المذكور .

وأما اقتراحك حول الترقيم فقد احلناه الى اسرة التحرير لدراسته .

＊ السيد عبد الرحمن قني ـ الاسكندرية .

ـ يمكنك الاتصال بالموزع لتزويدك مباشرة بالمجلة ، ولا داعي لارسالها من الكويت .

＊ السيد محمد القاضي ـ راس بعلبك ـ لبنان .



احتفال وزارة الاوقاف بذكرى المولد النبوى الشريف

احتفلت الكويت حكومة وشعبا فى الشهر الماضى بعيد المولد النبوى الشريف . جريا على عادتها كل عام وشاركت الصحافة والاذاعة والتلفزيون واجهزة الاعلام المختلفة فى هذه الاحتفالات ، وقد اقامت وزارة الاوقاف حفلها فى مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الجمعة ١١ من ربيع الاول الموافق ٩ من يولية ، وحضره عدد كبير ، يتقدمهم معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ومعالى وزير الصحة وكثير من اعضاء السلك السياسى والعربى ، وقد افتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم ، ثم القى معالى وزير الاوقاف كلمة هنأ فيها العالم الاسلامي بهذه المناسبة الكريمة ودعا فيها الى العمل بكتاب الله والتأسى بالرسول الكريم والتزام سنته والسير على هداه .

ثم تعاقب الخطباء والشعراء فتناولوا تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة ، وهدايته للبشرية ، وفضله على الانسانية واهابوا بالمسلمين ان يستمسكوا بمبادىء الاسلام ، ليتصدروا موكب الحضارة ، كما فعل اسلافهم الغر الميامين .

وقد اختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم . وقامت الاذاعة والتلفزيون بنقل برنامج الاحتفال، اعاد الله هذه الذكرى المباركة على الامة الاسلامية بالامن والامان .

طهران

غادر طهران فى الشهر الماضي البروفسور بديع الزمان فيروز عميد كلية العلوم الاسلامية فى جامعة طهران قاصدا الكويت فى زيارة استغرقت اسبوعا، وقد زار سيادته وزارة الاوقاف واجتمع بسيادة الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل الوزارة، وتحدثا فى كثير من القضايا الاسلامية ، وقد استغـرق الحديث حول معهد الامامة والخطابة الذىانشأته الوزارة فى العام الماضي وقتا طويلا ، وقد أعجب سيادته بفكرة المعهد ومهمته وتمنى له التقـدم والازدهار .

الكويت

زار الكويت فى الشهر الماضي وفد نيجيريـا برئاسة السيد احمدو بللو رئيس الوزراء بدعوة

الكويتي والنيجيرى ، حول المسائل ذات المصالح المتبادلة بين البلدين وساد المباحثات جو من الصداقة والنوايا الطيبة .

« وتعاونوا على البر والتقوى » .

بغداد

نشرت صحيفة المنار العراقية تصريحا لفخامة المشير الركن عبد السلام محمد عارف جاء فيـه ان العلاقات بين البلدين الشقيقين الكويتوالعراق هي علاقات اخوة ومصالح مشتركة وستزداد قوة ورسوخا بمرور الزمن .

الكويت

قام سمو الشيخ صباح السالم الصباح ولـى عهد دولة الكويت ورئيس مجلس الوزراء بزيـارة

استمرار العمل من اجل كل ما من شأنه ان يدعم الروابط الاخوية القائمة ويزيدها وثوقا .

* تصادر دولة الكويت شهريا عددا كبيرا من الصحف والمجلات الاجنبية التي تقوم بترويج الدعاية الصهيونية ، وقد طالبت مجلة الهدف من دخول البلاد نهائيا .

* وافقت الكويت على الاشتراك بالمركز الثقافي الاسلامي بلندن اسوة ببقية الدول العربية الاسلامية المشتركة فيه . وسيكون نصيب الكويت في هذا المركز مبلغ ٣٠٠ جنيه استرليني تدفع سنويا .

المؤتمر الاسلامي العراقي الاول

عقد المؤتمر العراقي الاسلامي الاول في بغداد في الفترة بين ٢ ربيع الاول ١٣٨٥ الى ٦ منه وقد حضره اكثر من ٥٠٠ عالم من علماء العراق كما دعي اليه فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر وسماحة مفتي الاردن وسوريا ، وقد القى الشيخ هاشم الاعظمي رسالة السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية في حفل الافتتاح جاء فيها : ـ

يسرني أن ارحب بكم جميعا وارجو النجاح التام لمؤتمركم الاسلامي الاول الذي ينعقد في بغداد عاصمة الرأي والتشريع ويسرني ان يصادف انعقاده يوما خالدا في ذكريات العراق حيث اندلعت ثورة العشرين في مثل هذا اليوم قبل خمسة واربعين عاما وكانت تستند الى الروح الاسلامية التي لا ترضى الهوان ولا تصبر على حكم الظالم المستعمر .

أن الاسلام يستند الى العدل والمساواة ، ومحبة الانسان لاخيه الانسان وجمع الشمل ، ويحترم الاديان جميعها وعلى اسس هذه المثل السامية التي يتحلى الاسلام بها آمل ان تتوج مقررات مؤتمركم بالتوفيق والكمال .

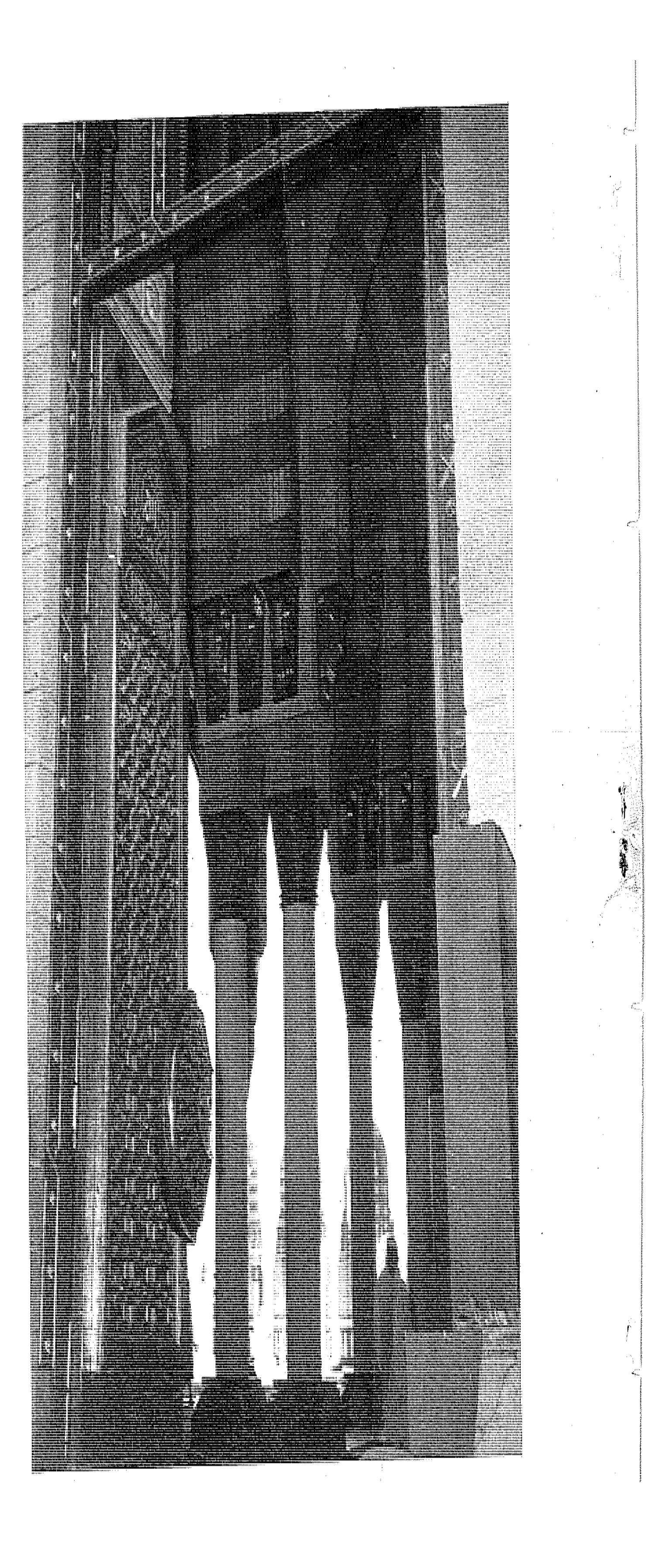
ثم القى سماحة الحاج نجم الدين الواعظ مفتي الجمهورية العراقية كلمة شكر فيها أعضاء المؤتمر على حضورهم ، كما شكرهم على اختياره رئيسا للمؤتمر ، ثم تتابع العلماء ممثلو الالوية العراقية والقوا كلمات مناسبة وفي ختام حفل الافتتاح القى فضيلة الاستاذ الاكبر كلمة أعرب فيها عن سروره بما رأى من الاخوة بين كافة المسلمين في العراق وقال : ان الخلافات الفرعية والجزئية لا يمكن ان تبعد المسلم عن اخيه المسلم ، ودعا فضيلته بالتوفيق للمؤتمر وتحقيق وحدة المسلمين والوفاق فيما بينهم .

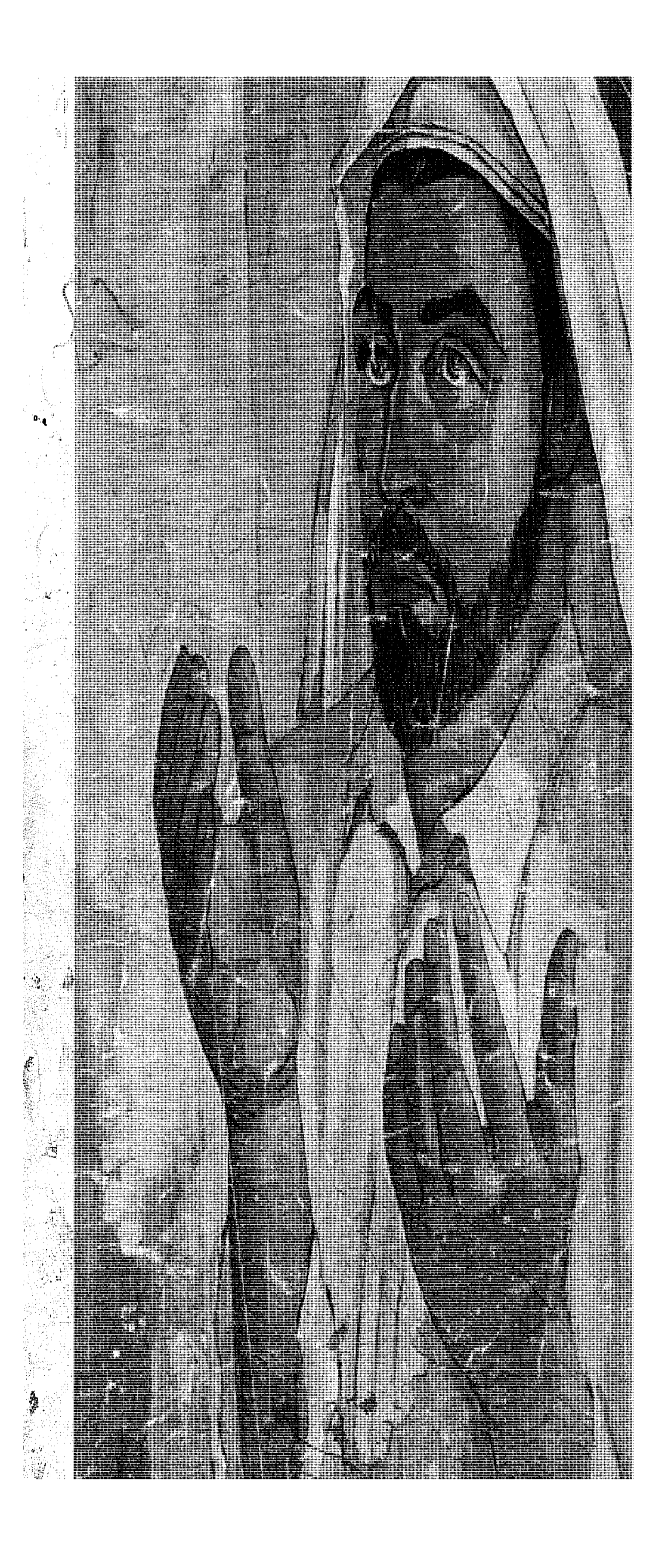
قرارات المؤتمر وتوصياته

وقد اتخذ المؤتمر في جلسته الختامية القرارات والتوصيات الاتية : ـ

تأييد الوسائل الاعلامية السلمية والتي تتذرع بها الدول العربية والاسلامية للقضاء على المسخ الصهيوني الذي فرضه الاستعمار على ارضنا الاسلامية . ومؤازرة الكفاح المدني والعماني ضد الاستعمار الانكليزي ، كما قرر العمل على ايقاظ مسلمي القارة الافريقية على خطر التغلغل الصهيوني في مرافقهم العامة وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية لايقاف تياره والاجهاز عليه .

وفي مجال الثقافة الدينية قرر المؤتمر : تأليف مجلس اسلامي اعلى لرعاية البحوث الاسلامية يلزم بطبع وترويج الآثار الفكرية التي تخدم التراث الاسلامي ، واستقدام ابرز رجال الفكر الاسلامي من الخارج لالقاء المحاضرات الموسمية عند الحاجة ، وتنظيم بعثات دينية لخريجي معاهد الشريعة الاسلامية في العراق للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة والشريعة من جامعات البلدان الاسلامية . وقرر المؤتمر ايضا تدعيم علاقات الود والاخوة الصادقة بين علماء الدين في العراق على اختلاف مذاهبهم بتبادل الزيارات ووجهات النظر ليكونوا قدرة حسنة لابناء الشعب ، كما قرر تنسيق الجهود المبذولة لتحقيق التقارب بين المسلمين في جو يسوده الاحترام والتسامح بعيد عن الحقد والتعصب ليكون ذلك ممهدا للتعاون على البر والتقوى .

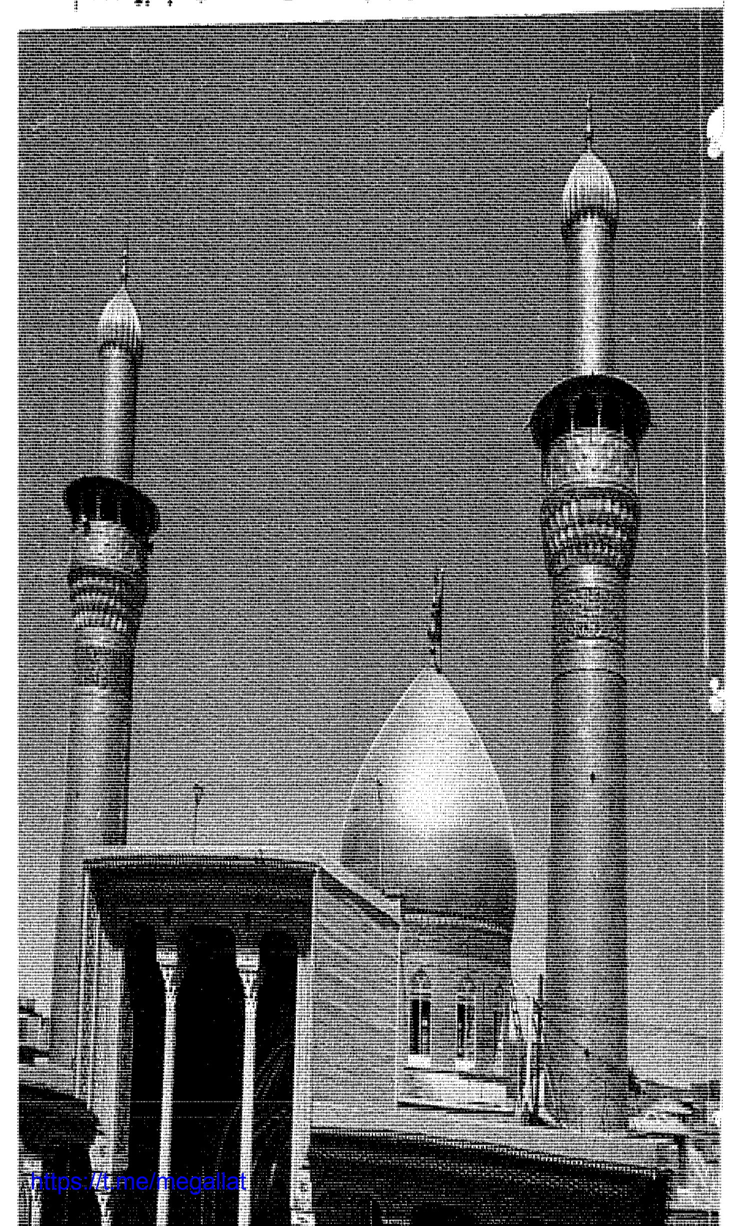




الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الاولى * العدد الخامس * جمادي الأولى ١٣٨٥ هـ * سبتمبر ١٩٦٥ م



قصة العدد (بشر الحافى)



بشر الحافى يتحدث الى عامرة الجاريـة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

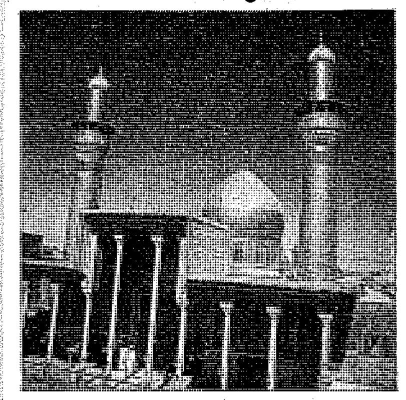
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد الامام علي ــ كرم اللــه وجهه ــ بالنجف الأشرف ، وتظهر في الصورة المنارتان والقبة وهي مغطاة بطبقة من الذهب .
(تصوير مجلة العربي)

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلساً
ليبيـا	١٠ قروش
المغـرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

في الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك في البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : (مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف



أخي القارئ

السلام عليكم

أحببت ان يكون حديثي معك هذا الشهر عن مجلتك ((الوعي الاسلامي)) بعد ان صدر منها اربعة اعداد ومضى من عمرها الطويل ان شاء الله اربعة شهور .

وحديثي معك هنا ليس حديث خيال او حديث امل ولكنه حديث حقائق جمعتها من الواقع الذى مر بنا خلال هذه الشهور الاربعة وما سبقها من شهور كنا نرسم فيها ونخطط ونعمل لاصدار العدد الاول منها ....

لقد كان فى ذهننا حينذاك ما تلقاه المجلات الاسلامية من رواج محدود لدى طبقة معينة من القراء وكانت الخبرة الطويلة التي مرت بنا فى الحقل الاسلامي والصحفى والاجتماعي تكاد تضع أيدينا على الاسباب التي تجعل هذه المجلات قليلة الرواج بالنسبة للمجلات الاخــرى ..

واستعرضنا من جديد ــ هذه المجلات ــ ولم تكن غريبة عنا فأكثرها أسهمنا فى الكتابة بها ودرسنا اتجاهاتها وبحوثها واخراجهـا . وخرجنا من ذلـك كله بحصيلة وضعناها بجانب الهدف الذى نرمى اليه من اصدار مجلة اسلامية .

لم يكن الهدف مطلقا ان يقال ان الكويت تصدر مجلة اسلامية تزيد عدد هــذه المجلات ، وان وزارة الاوقاف بها تقوم بهذه المهمة ــ بل كان الهدف ان نصدر مجلة تغزو الاوساط التي لم تتعود على قراءة المجلات الدينية ــ ان نكسب نوعا جديدا من القراء ونجذبه الى الثقافة الاسلامية التي ظل بعيدا عنها او قليل الاكتراث بها ..

وكان هذا يقتضى منا ان نجعل المجلة تتفاعل مع النفوس ومشكلاتها على اختلاف مستوياتها ، وتعيش مع الناس فى أفكارهم وآمالهم ، وتعمق حبهم لدينهم ، وتصــل حاضرهم الذى يبنونه بماضيهم الذى يتغنون بأمجاده ، وتتصدى للوباء الوافد عليهم من الغرب والشرق ، وتقضي على جراثيمه لتحميهم من العدوى بها ، وتنزع من الافكار بعض الصور المشوهة التي علقت بالاسلام وهي دخيلة عليه ...

ولم يغب عن ذهننا بجوار ذلك ان اسلوب العرض والاخراج له تأثــير كبير على نفسية الناس فى كل شيء تعرضه عليهم .

وعلى هدى هذا كله سرنا فى اصدار المجلة ، وظهر العدد الاول منها وانتظرنا حكم القراء عليه ولم ننتظر طويلا حتى توالت علينا الرسائل وكلها تعتبر المجلة مفاجأة سارة جذبت انتباههم وانتزعت اعجابهم وتقديرهم .. وان كنا نحن من جانبنا لم نعده مطلقا كما حسبوه بل اعتبرناه خطوة على الطريق الصاعد الذى وطدنا العزم على ان نسلكه ونجتاز عقباته حتى نصل الى قمته ..

وجاءت الاعداد ــ الثاني والثالث والرابع خطوات كذلك على هذا الطريــق ــ شجعنا على خطوها عزمنا على الاجادة ، وخلوص النية فى العمــل ووضوح الرؤيــة للهدف . والتصميم الحازم على الوصول اليه .. بجانب ما سمعناه من تقدير وما وصل الينا من مئات الرسائل التي اعتبرت المجلة فتحا جديدا فى عالم المجلات الاسلامية .

ولأول مرة فى تاريخ المجلات الاسلامية بل وغير الاسلامية تنفد اعداد المجلة من القاهرة مثلا بعد اقل من ساعتين من ظهورها .

ولأول مرة تصلنا الرسائل بأنها تباع فى السوق السوداء بضعف ثمنها ، ويقابلني زميل فيشكو الي بأنه اشتراها يوم ظهورها فى القاهرة بعشرة قروش بعد أن تعب فى البحث عنها . وتنهال علينا مئات الرسائل تطلب العدد الأول منها ، وتتقدم شركة التوزيع تطلب كذلك اعادة طبعه استجابة لما تلقته من طلبات متعهديها فى الاقطار الاسلامية .

ولأول مرة فى مجلة اسلامية تضغط شركة التوزيع لزيادة المطبوع منها حتى وصل ما طلبته من العدد الرابع ضعف ما طبعناه من العدد الاول .

وحين سافرت للقاهرة وجدتها فرصة سانحة للدراسة على الطبيعة ، فمررت على اكشاك باعة الصحف بعد ساعتين من توزيعها فلم اجدها .. لقد نفدت سريعا ومن هنا ادركت السر فيما سمعته من كثيرين من أن المجلة لا تنزل للسوق ... انهم يتأخرون فى طلبها بعض الوقت فلا يجدونها .

وقابلني كثيرون وتلقيت محادثات هاتفية كثيرة وبعضها من قراء مثقفين ما كان من المعهود فيهم عنايتهم بالمجلات الاسلامية .. وكلهم يهنئون الكويت ووزارة الاوقاف على اصدار هذه المجلة ويطلبون ما صدر منها من اعداد حتى يحتفظوا باعدادها كاملة .

وكان مما اثر فى نفسي حقيقة محادثة من قارىء أعرف اسمه لأنه من كبار الموسيقيين فى الاذاعة والتلفزيون يرجو الحصول على العدد الاول .. ولم املك امام هذه الروح الجديدة الطيبة الا أن اعده به . فكان فرحه بهذا الوعد اضعاف سروري بهذا الطلب .

انها اذن الروح الاسلامية الاصيلة الظامئة للمعرفة والثقافة الاسلامية . انه الوعي الاسلامي المتفتح الذى رأى فى مجلة الوعى ضالته وصورته . انها القوة الاسلامية الكامنة فى هذا الشعب المسلم الذى يحتضن العمل الجاد المثمر ويباركه وينميه .

لقد قلت فى افتتاحية العدد الثاني « اذا كانوا يقولون ان حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا وايقانا فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ويضاعف من جهودهم ليقدموا لك فى كل عدد من خلاصة افكارهم ما يسرك ويرضيك » .

ونحن نحمد الله على هذا التجاوب الطبيعي الذى قضى على اسطورة عدم رواج المجلات الدينية او عدم اهتمام الناس بها ، ونرى من واجب الوفاء للوعد الذى قطعناه والهدف الذى رجوناه ان نضاعف نحن وحضرات السادة الكتاب من الجهود المبذولة لتكون المجلة دائما ميدانا للبحث العلمي الجديد الهادف ، ومنارا للعاطفة الاسلامية الصادقة .. والله وحده هو الموفق والمعين .

رئيس التحرير

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني

الفاظ حرفت معانيها

الفاظ كثيرة حرفت عن مواضعها ، وفهمت على غير وجهها ، وما زال أهل العلم ، وأرباب الحصافة والفهم ، فى جهاد مع الناس فيها يجادلونهم عنها ، ويردونهم الى الله ورسوله فى شأنها ، ولكنها مع ذلك تجاوزت الينا القرون بعد القرون ، حتى كأن احدا من المسلمين لم يعلم علمها ، ولم يكشف عن مواطن الزيف فيها . ذلك بأن الحلف المعادى للاسلام من الجهل والكيد والفتنة واعجاب كل ذى رأى برأيه قد وقف للمسلمين بالمرصاد ، وأرجف عليهم بخيله ورجله ، وما بثه من روايات مدخولة ، وآراء مأفونة ، وما حرص عليه من بلبلة الأفكار ، وزلزلة العقول ، وافساد الحقائق بالأوهام ، فطالت المعركة بين الحق والباطل ، وتعددت ميادينها ، وكانت الحرب فيها سجالا بين المصلحين والمفسدين ، فى كل شعب ، وفى كل زمان .

❊ فمن ذلك لفظ « الايمان » .

ان بعض الناس يظنه ذلك الاذعان السلبي الصامت الذى لا يكلف صاحبه عملا ، ولا يبعث فى قلبه خشية ، ولا يؤثر فى خلقه تهذيبا ، ولا يدعوه الى مشاركة فى بر ، أو معاونة على اصلاح أو خير ، انما قصاراه فى نظره أن يؤدى صور العبادات المفروضة ، ويحرص على المظاهر الجوفاء ، ويتشدق بكلام أهل التقى والصلاح ، ويرائي بالغيرة أحيانا ، وبالعبرة أحيانا ، ولا يبدو الا فى زى الصالحين ، وسمت المتقين !

يظن بعض الناس أن مثل هذا الايمان مقبول عند الله ، موصل للنجاة ، وهم يتلون الكتاب ، ويعرفون ما وصف الله به عباده المؤمنين فى كثير من آياته .

فالقرآن يعرف المؤمنين مستيقنين غير مرتابين ، ويعرفهم مجاهدين صابرين ، ويعرفهم أصحاب رأى ، وأهل غيرة على المجتمع ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويعرفهم متحابين لم يفسد قلوبهم الغل ، ولم تفرقهم الأهواء ، ويعرفهم أقوياء بالحق « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » ويعرفهم خاشعي القلوب ، غير مستكبرين على أمر الله « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » ويعرفهم حراصا باقامة الصلاة على توطيد صلتهم بربهم ، وبايتاء الزكاة على تحصين كرائم أموالهم ، ويعرفهم بغير ذلك من أوصاف الخير والبر التي لا صلاح الا بها ، ولا استقامة الا عليها



« اولئك هم المؤمنون حقا » فى نظر القرآن « وأولئك هم المفلحون » .

* ومن الناس من يخطىء فى فهم « بركات الايمان » حين يقرأ مثل قوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» ويظن أن الله يحابي قوما من خلقه لمجرد انتسابهم للايمان ، ويخذل فريقا من خلقه لمجرد أنهم منسوبون الى الكفر ، وقد أصيب المسلمون من جراء هذا الوهم الذى سيطر على كثير من العامة فى مختلف الشعوب ، بمصائب جمة ، حيث سهل عليهم أن يفرطوا فيما أمروا به من أخذ الأهبة ، واعداد العدة ، والتمسك بأسباب القوة ، اعتمادا على ما يسمونه « الأمل فى وجه الله » و « الثقة فى نصره للمؤمنين » ، حتى لقد حدثنا التاريخ أن شعبا من المسلمين كان يستغيث من شدة الاعداء ببركات الأولياء ، وأن قوما آخرين قابلوا صولة عدوهم الضارى ، بالاجتماع لقراءة البخارى !

هذا مع أنهم أيضا يتلون كتاب الله ، ويعلمون منه أن للنصر اسبابا وللخذلان أسباباً ، وان سنة الله فى خلقه جارية على أن يربط بين الأسباب ومسبباتها ، ولذلك أمرنا بأن نكون أقوياء لنرهب عدو الله وعدونا ، والا نتنازع فنفشل وتذهب ريحنا ، وأن نذكر الله ليذكرنا ، وننصره لينصرنا ، « اذكروني اذكركم » « وأوفوا بعهدى أوف بعهودكم » « ولينصرن الله من ينصره » .

هذه وأمثالها تعاليم القرآن ، ووصاياه التي يزجيها لأهل الايمان ، ولكن الناس مع هذا متأثرون بما زيف عليهم من أقوال ، وخيل اليهم من أوهام ، ولو كان من مقتضيات الايمان – كما يزعمون أن نهزل وأعداؤنا جادون ، وأن نكتفي بالآمال الحمقاء وأعداؤنا عاملون ، وأن ننتظر خوارق السماء ونحن عما سخره الله لنا فى الأرض معرضون ، لما كان الايمان – وحاشاه – الا نكبة يختص بها المؤمنون .

*** ومن الكلمات التي حرفت عن مواضعها كلمه « الصبر » .**

لقد ذكر الصبر فى كتاب الله عز وجل اكثر من تسعين مرة،عرف الله فيها عباده بثمراته الطيبة وما له من عاقبة حسنة ، فى الدنيا والآخرة ، وأنه أساس من أسس الدين ، وينبوع لكثير مما سواه من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الشريفة .

فما هو الصبر ؟

أهو الاستسلام والخضوع وقبول النكبات والمصائب قبول الترحيب والرضا ؟

أهو الركود والبلادة والاقامة على الضيم ، والاذعان للخسف ؟

كذلك تصوره الذين يحرفون الكلم عن مواضعه : وكذلك صوروه للناس ، فرضي الفقير بفقره باسم الصبر ، ورضي المريض بمرضه باسم الصبر ، ورضي الذليل بذله باسم الصبر ، ورضي المظلوم بظلمه باسم الصبر .

والشعوب وما أدراك ما الشعوب ؟ لقد أضلوها السبيل فعلموها أن جور أهل الجور قضاء وقدر ، فيجب أن يصبر عليه ، وأن ظلم أهل الظلم مظهر من مظاهر التأديب الالهي، فعليهم أن يتقبلوه بالرضا ، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لا فكاك منهما ، ولا ارادة لأحد فيهما ، وهكذا أضعفوا الهمم ، وثبطوا العزائم ، وأدخلوا فى روع الناس أن الصبر واليأس مترادفان .

فهل هذا هو الصبر الذى يعرفه القرآن ؟ وهل يمكن أن يكون الله تعالى قد أراد هذا المعنى حين أمر عباده بالصبر، وأثنى عليه ، ورغب فيه ، وضمن حسن عاقبته ، وأعلن أنه يحب أهله ، وأنه سيوفيهم أجورهم بغير حساب .. الخ ؟

لا ورب البيت ! فما كان الصبر الذى يعرفه القرآن ، ويأمر به منزل القرآن ، الا خلقا عمليا ، يهدى الى الأعمال الصالحة وتقوى به النفوس المؤمنة .

ان الصبر حقا هو مجاهدة النفس وحبسها عن الضجر والتبرم ، ولكن مع اطراد العمل والسعي وعدم الانكماش والانكسار ، ولذلك كان الصبر هو المعنى الباطن فى كثير من الأخلاق العلمية ، والصفات الايجابية وان عبر عنها بأسماء أخرى .

فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد .

والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف .

والكتمان هو الصبر على المثيرات والمحفظات .. وهكذا .

ان الانسان بالصبر يكون شبيها بالآلة القوية المتينة الصنع ، الأصيلة فى مادتها وتركيبها ، اذا اعتراها خلل لم تسارع بالوقوف والتعطل ، ولكنها تقاوم بقوتها ، وتستمر فى عملها ، وتحتمل .

أما تلك الآلة الضعيفة الخفيفة الضئيلة الرخيصة التي تتعطل لأوهى الأسباب ، وتقف عند أول احتكاك فما أشد تفاهتها ، وما أشبهها بذلك الانسان الذى لا يعمل ، ولا يثمر الا اذا كانت الحياة على ما يحب من الاستقامة والاطراد ، وهيهات أن تستقيم الحياة أو تطرد على ما يحب الناس ولو كانوا من الأنبياء المرسلين ، أو من الأتقياء الصالحين .

وقد قص الله علينا قصة داود وجالوت حين احتربا ، وكان « جالوت » على الباطل و « داود » على الحق ، فلما رأى اصحاب داود ما عليه جالوت وأصحابه من القوة والكثرة ، وقال قائل منهم « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله وهم الصابرون على أمر الله الماضون لما ندبهم اليه « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين » .

لم تهلهم الكثرة الساحقة ، ولم تذهلهم القوة التي تبدو ماحقة ، ولم يتعللوا بعدم التكافؤ فيعودوا من حيث أتوا ، ناكصين على أعقابهم ، ملتوين عن قصدهم ، ولكنهم مضوا فى طريقهم عالمين أن القوة انما هي قوة الأرواح لا قوة الأشباح ، وأن القلة المتماسكة ، خير من الكثرة المتفككة ، وأن الله مع الصابرين ، وبذلك انبعثوا ،فلم يكن صبرهم رضوخا ولا استسلاما ، وانما كان شجاعة واقداما «ولما برزوا لجالوت وجنوده» لم يفتروا ، ولم ينسوا ربهم ، ولم يغفلوا عن تقوية أنفسهم بدعائه ، والاعتماد على قوته ومعونته ، والتوثق بنصره وتأييده ولكن « قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة » وكذلك يجزى الله الصابرين .

هذا هو حظ الايمان والصبر من تحريف المحرفين ، ولا نكاد نعرف لفظا من الألفاظ الاسلامية التي أرادها الله للناس خيرا ورشادا واصلاحا ، الا وقد أصابه مثل هذا التحريف : التقوى ، التوكل ، الزهد ، الصلاح ، القضاء ، القدر ، بركات الطاعة ، شؤم المعصية ، التعبد بتلاوة القرآن ، الاستشفاء بآيات القرآن ، الرقي ، التعاويذ ، الاستخارة ، التوسل ، التبرك بالأولياء .. الخ .

كل هذه ألفاظ ذات حقائق فى الشريعة تتفق وما جاءت به من عقائد صحيحة ، وأحكام راشدة ، ولكن الناس حرفوها عن مواضعها ، ولعلي أوفق ان شاء الله الى تحريرها فى الحين بعد الحين ، وبيان الحق فيها بيانا يشفي صدور المؤمنين ، وبالله التوفيق ،،

من هدي السنة

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(طلب العلم فريضة على كل مسلم) * .

١ : ــ العلم النافع هو أفضل مطالب العقلاء ، وأجل ما يقصد فى هذه الحياة ، اذ هو غاية الغايات لحاملي مشاعل النور الذين يضيئون بجهادهم مسالك الدنيا ، ويطهرون دروبها مما يعوق السير فيهـا الى الأهداف الكريمـة والغايات النبيلة التي تخدم الانسانية ، وتمضي بها قدما الى السمو والكمال .

وطلب العلم فى الاسلام ليس نافلة ولا امرا كماليا ، بل هو فـرض وضرورة ، ضرورة الغذاء والشراب والهواء ، ولهذا نرى الرسول الكريم يصرح بذلك تصريحا لا مجال فيه للتأويل فيقول صلوات الله عليه : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

٢ : ــ وللعلم رجال أفنوا أعمارهم فى طلبه ، واقتحموا المصاعب فى سـبيله ، ودافعوا كل العوائق سعيا وراء تحصيله، جابوا كل فج ، وخاضوا كل لج ، أولئك نخبة من البشر ايقنوا أن للعمر حدا لا يعدوه، وللأجل نهاية يقف عندها، فاغتنموا كل فرصة ، واستغلوا كل لحظة منذ أن عقلوا ، ولم يثنهم عن مقاصدهم الحميدة معوق مهما عظـم ، .. بذلـوا النفس والنفيس حتى أربــوا على المقصـد ، وضربوا أروع المثل للجهاد العلمي الخالص من علائق المنافع الشخصية التافهـة ، فذوت أجسادهم وذبلت ، فى الوقت الذى قويت فيه عقولهم واستقامت ، فعظمت آثارهم وخلدت .

واذا كـانت النفـوس كبـارا
تعبت فـي مرادها الأجسـام

٣ : ــ وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم على العابد ، فعن أبي أمامة الباهلى، قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال « فضل العالـم على العابد كفضلي على أدناكم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته واهل السـموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحـوت

* وزاد شراح الحديث « ومسلمة » وهي داخلة فى الخطاب دون حاجة الى النص كما هو الشأن كثيرا فى الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة .

ليصلون على معلم الناس الخير » وفى حديث رواه الامام احمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ومن حديث رواه الامام مسلم فى صحيحه « .. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ».

٤ : ــ وقد وعى التاريخ أسماء كريمة لفحول العلماء ذوى الهمم القعساء فى الدرس والتحصيل ، ومن هؤلاء الذين أرغموه على أن يفتح لهم أوسع أبوابه ليلجوا خالدين ما دامت السموات والأرض تتناقل الأعصر أخبارهم وتتدارس الرجال آثارهم . أئمة الفقه والتشريع فى الاسلام(١) الذين دونت ثمار عقولهم فى مجلدات ومجلدات ، وعاش على فتات موائدهم العلمية ألوف وألوف ممن جاءوا فى الأعصر التالية لعصورهم .

وفى مجال الحديث الشريف الحافظ ابن أبي حاتم ، فقد قدم القاهرة ليتلقى عن شيوخها ما عز عليه تحصيله فى مسقط رأسه فمكث فيها عشرة أشهر كاملة لم يجد خلالها وقتا يهيىء فيه لنفسه طعاما خاصا ، وكان يطوف نهاره على وعاة ما حضر من أجله ، ويسطر ليله ما حصل من علومهم . وقد رحل أبو ايوب الأنصارى من المدينة المنورة الى عقبة بن نافع فى مصر ليروى عنه حديثا واحدا ، ولما قدم مصر ترجل عن راحلته ولم يفك رحلها فسمع الحديث وقفل راجعا الى المدينة ، وكان سعيد بن المسيب يسير الأيام والليالي الطوال فى طلب الحديث ، وكذلك كان يفعل الامام البخارى .

٥ : ــ وروى عن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا فى تاريخه الذى أملاه بنفسه أنه لم ينم عن مذاكرة العلم ليلة كاملة منذ عقل ، ولم يملأ نهاره بسوى تدوين ما درس ، وكان يقول « لازمت العلم ، وكنت كلما أتحير فى مسألة أتردد على الجامع وأصلي ، وأبتهل الى مبدع الكون حتى ينفتح لي المنغلق ويتيسر المتعسر ، وأرجع بالليل الى دارى وأضع السراج بين يدى ، وأشتغل بالقراءة والكتابة ، واذا أخذني النوم أحلم بالمسائل بعينها حتى ان كثيرا منها اتضحت لي وجوهه في المنام ، ولم أزل كذلك حتى استحكمت لي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان البشرى » .....

وأما العالم ابن رشد فلم يترك النظر والقراءة منذ شب عن الطوق الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله !! .

٦ : ــ ولم يقتصر طلاب العلم على البحث عنه فى مواطن نشأتهم بل استقلوا ظهور المطايا وضربوا آباط الابل الى مظان وجود شيوخه الاعلام ، وما عم العلم ولا انتشر فى ربوع العالم الاسلامي فى عهوده الزاهرة الا برجال كبرت هممهم فى طلبه فساحوا فى بلاده ، ولاقوا العناء فى رحلاتهم القاسية الشاقة المضنية فى دروب غير ممهدة وعلى ظهور دواب بطيئة السير ، ومن هؤلاء الأفذاذ أولي القوة والأيد أسد بن الفرات وابو الوليد الباجي وأبو بكر بن العربي وابن خلدون وياقوت الحموى وغيرهم كثيرون .

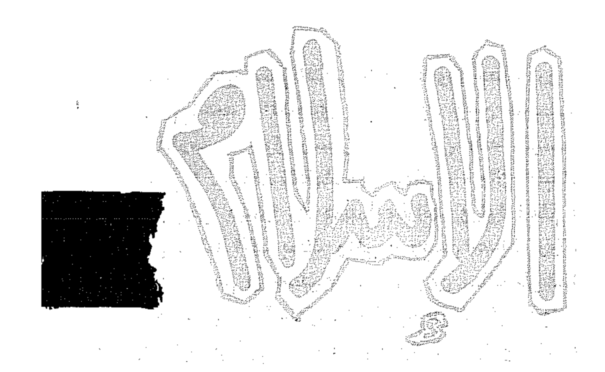
٧ : ــ وطالما سعد هؤلاء وأثلجت صدورهم واطمأنت قلوبهم حين تغلبوا على معضلة علمية ، وكلما ارتقوا درجة فى سلم المعرفة الانسانية ومنهم القائل :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي
من وصل غانية وطيب عناق

وأين وصل الغواني وطيب العناق الذى تتخلف عنه الحسرات والآلام وتتجرع النفس بعده غصص الفراق

البقية على ص ٢٣

(١) منهم الامام جعفر الصادق وابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم جميعا .



موقف الإسلام

أخذ كثير من باحثي الفرنجة على الاسلام أنه أباح الرق ، وأنه بذلك قد أهدر آدمية طائفة من بني الانسان ، وجردهم من جميع مظاهر الحرية المدنية ، فليس للرقيق أهلية فى مباشرة العقود ، ولا تحمل الالتزامات ، وليس له الحق فى التملك ، بل ان القانون لينظر اليه هو نفسه على أنه ملك لغيره بالمعنى الحقيقي الكامل لكلمة الملك .

وردنا على هؤلاء يتلخص فى ثلاث نقاط : أولاها أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ، وتجعل كل محاولة لالغائه الغاء سريعا مرة واحدة أمرا مقضيا عليه بالفشل والاخفاق .

والثانية أن الاسلام لم يقر الرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج .

والثالثة أن الشريعة الاسلامية لم تهدر آدمية الرقيق ، ولم تجرده من جميع الحقوق المدنية كما فعلت الشرائع الأخرى السابقة لها ، بل اعترفت بانسانيته ، وأبقت على كثير من حقوقه .

١ : ــ فقد ظهر الاسلام فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج فى معظم شعوب العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي فى شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا أتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدى تشريعه الى أضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا الحاضرة اذا ألغي بشكل فجائي نظام البنوك ، أو حظر استخدام العمال ، وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو استخدام السكك الحديدية . أو استخدام البخار . فالرقيق كان بخار الآلة الاقتصادية فى تلك العصور .

٢ : ــ لذلك أقر الاسلام الرق ، ولكنه أقره فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج بدون أن يحدث ذلك أى أثر سيىء فى نظام المجتمع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير فى مجرى الحياة . والوسيلة التي ارتضاها للوصول الى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص فى العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرق ، وتغذيه ، وتكفل بقاءه ، وفى توسيع المنافذ التي

بقلم الأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

من نظام الرق

تؤدى الى العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بجدول كثرت مصباته ، وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق فى صورة سلمية هادئة ، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

٣ : — وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه ، والتي كانت تهدر آدميته ، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه ، وتحترم انسانيته ، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

هذا هو مجمل موقف الاسلام من الرق . وسنبين فيما يلي كل ناحية من نواحي هذا الموقف بشيء من التفصيل .

مصادر الرق فى الجاهلية

أولا : — موقف الاسلام حيال روافد الرق . كانت روافد الرق فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كثيرة متنوعة يرجع أهمها الى سبعة روافد . أحدها الحرب بجميع أنواعها ، فكان الأسير فى حرب خارجية أو أهلية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

وثانيها : — القرصنة والخطف والسبي ، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب فيضرب عليهم الرق ، ويباعون بيع الرقيق .

وثالثها : — ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والزنا والسرقة ، فكان يحكم على مرتكبها بالرق لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليهم أو أسراتهم .

ورابعها : — عجز المدين عن دفع دينه ، فكان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

وخامسها : — سلطة الوالد على أولاده فكان يباح له فى حالة عوزه وعسرته أن يبيعهم بيع الرقيق .

وسادسها : — سلطة الشخص على نفسه ، فكان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ويبيع نفسه لقاء ثمن يفرج به أزمته .

وسابعها : — تناسل الرقيق ، فكان ولد الجارية ذكرا كان أم انثى يولد رقيقا ولو كان أبوه حرا ، ولو كان أبوه السيد نفسه .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم فى تيار الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس حتى ان عدد الأرقاء كان يزيد فى كثير من الأمم زيادة كبيرة على عدد الأحرار .

الاسلام يضيق مجال الرق

جاء الاسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، فحرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين وهما . رق الوراثة وهو الذى يفرض على من تلده الأمة ، ورق الحرب وهو الذى يفرض على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

فمن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه أولاد الجوارى من أسيادهن . فقرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا ، ويلتحق نسبه بالسيد . واذا لاحظنا أن الغالب فى أولاد الجوارى أن يكونوا من مواليهن أنفسهم ، لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ، تبين لنا أن هذا القيد الذى قيد به الاسلام رق الوراثة ، وانفرد به من بين جميع الشرائع السابقة له ، كفيل بالعمل على جفاف هذا الرافد نفسه ونضوب معينه بعد أمد غير طويل .

ومن أهم القيود التي قيد بها الرافد الثاني وهو رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون فى حرب بين طائفتين من المسلمين ، فقرر أن هؤلاء لا يجوز أن يضرب عليهم الرق سواء أكانوا من الطائفة الباغية أم من الطائفة الأخرى . أما الحروب التي تنشب بين المسلمين وغيرهم فانها لا يمكن أن تؤدى الى استرقاق من يؤسرون فيها بحسب قواعد الاسلام الا بشروط كثيرة من أهمها أن تكون الحرب شرعية أى يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين . وحتى مع توافر هذه الشروط فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح للامام أن يمن على الاسرى بدون مقابل ، أو يطلق سراحهم فى نظير فدية . بل ان القرآن قد تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للامام أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن والفداء ، فقال تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » . وفعل الرسول عليه السلام فى غزواته يدل على أنه كان يؤثر المن أو الفداء على الاسترقاق .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال رق الحرب المسلك نفسه الذى سلكه حيال رق الوراثة . فقد قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام . ولم يرغب فيه ، بل رغب فى غيره وفضله عليه . هذا الى أنه لم يجز الالتجاء اليه الا بشروط لا تكاد تتوافر الا فى الحروب التي اضطر اليها الاسلام فى مبدأ ظهوره . أما بعد استقراره وتنظيم العلاقات بين أممه والأمم الأخرى فيندر أن تتوافر هذه الشروط ــ ومعنى هذا أن الاسلام لم يبح هذا النوع من الرق الا لأجل معلوم .

هذا ما فعله الاسلام حيال روافد الرق ــ قضى عليها جميعا ما عدا رافدين اثنين ، وقيد هذين الرافدين بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

الاسلام يفتح ابواب الحرية

ثانيا : ــ كانت منافذ العتق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق ، فلم تكن له الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى فى تحرير عبده . فبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرق أن يظل هو وذريته راسفين فى أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده الا فى حالات خاصة وبشروط قاسية وبعد اجراءات قضائية وطقوس دينية مفعقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد ، فضلا عن هذا كله ، غرامة مالية كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعاً لحق من حقوقها .

جاء الاسلام وهذه حال العتق فى ضيق منافذه وقسوة شروطه . فحطم كل هذه

القيود ، وفتح للرقيق أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافا من الفرص ، وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

فجعل الاسلام من أسباب العتق أن يجرى على لسان السيد ، فى أية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، حتى لو كان مكرها أو هازلا أو غير قاصد له أو فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات فى رأى كثير من فقهاء الاسلام . ومن هذا يظهر أن الاسلام يتلمس أوهى الأسباب لتحرير الرقيق .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يجرى على لسان السيد فى أية صورة لفظ يفيد « التدبير » أى يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يأتي السيد من جاريته بولد . ففي هذه الحالة يعتبر الولد حرا من يوم ولادته ويلتحق نسبه بالسيد كما تقدم بيان ذلك ، وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يكاتب السيد عبده أى يتفق معه على أن يعتقه اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد وسائل الحصول على المال فى صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، فيبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ويتملكوا العقار والمنقول، حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتحرر رقابهم . وحث جميع المسلمين على مساعدتهم ، فقال تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ويدل ظاهر القرآن فى هذه الآية على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول المكاتبة متى أبدى العبد رغبته فى تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه . وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح فقال « أواجب علي اذا طلب مني مملوكي الكتابة أن اكاتبه ؟ » فأجابه بقوله « ماأراه الا واجبا » واستدل بالآية الكريمة السابقة .

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرقيق . فبينما كانت الجرائم فى الشرائع السابقة للاسلام تؤدى الى استرقاق الأحرار اذا بها تصبح فى شريعة الاسلام مؤدية الى تحرير العبيد . فجعل الاسلام تحرير الرقيق تكفيرا للقتل الناشيء عن خطأ وما فى حكمه ، وللحنث فى اليمين ، وللافطار العمد فى رمضان بدون عذر ، ولمراجعة المرأة اذا أوقع عليها زوجها ظهارا بأن قال لها أنت علي كظهر أمي أو عبارة من هذا القبيل ، على ما هو مبين فى مؤلفات الفقه الاسلامي وما ورد بصدد ذلك فى القرآن الكريم(١) .

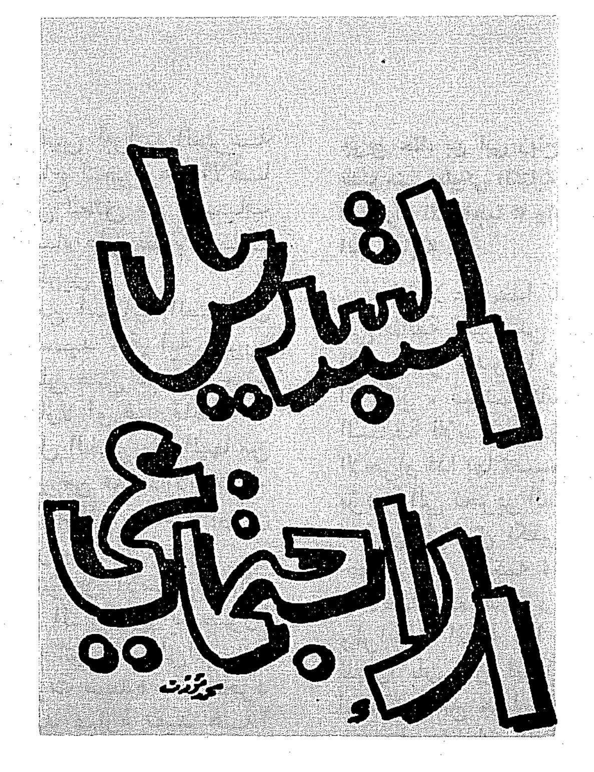
وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الرقيق وجعله قربة يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى، حتى ان الرسول عليه السلام ليضرب به المثل فى جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة » أو « يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة » .

دور الدولة فى تحرير الرقيق

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص كذلك سهما من مال الزكاة ، أي جزءا من ميزانية الدولة الاسلامية ، للانفاق على تحرير العبيد وتخليصهم من الرق ومساعدة من يحتاج منهم الى مساعدة فى سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب » أى فى فك

البقية على ص ٣٤

(١) انظر مثلا آية ٩٢ من سورة النساء ، وآية ٨٩ من سورة المائدة ، وآية ٣ من سورة المجادلة .



بقلم الاستاذ محمد الحسناوى

المجتمع الاسلامي هو التجسيد المادى للاسلام فى الصحة والاعتلال . ولما كان الاسلام مثلا أعلى فى الكمال والصحة ، ولما كانت الشبهات التي تثار حول الاسلام ، والحملات التي تجيش ضده ، وانحسار ظله الحقيقي عن ثغوره ، والحيف الذى حاق به عبر التاريخ .. انما يرجع اكثر ذلك الى المسلمين أنفسهم ، الى الذين هانت نفوسهم ، وانشقت عصاهم بجهلهم لدينهم ، وانصرافهم عنه ، وجمودهم على رسوم جوف لا تغني ولا تسمن من جوع ، ولا تدفع ظلما ولا تبني مجدا ، فضلا عن أن تقيم حضارة جديدة ، وتسعد انسانية ، ولما كان اهتمام الدعاة الأكبر الى يومنا هذا منصرفا الى عرض الاسلام روحا وفكرا وتشريعا وتاريخا .. لهذا كله ــ وجب الالتفات الى المجتمع الاسلامي الحديث ، لتيسير تطبيق الاسلام وبناء مجتمعه الأمثل على أسس راسخة وتخطيط واع .

ميزة الحركات الاسلامية

وهذا لا يعني أن المسلمين ، بما فيهم العاملون ، قد غفلوا عن المجتمع تماما ، بل ان الميزة الأولى للحركات الاسلامية فى عصر النهضة هذا .. هو ذلك الاحتفال المتعاظم بالاصلاح الاجتماعي ، والاهتمام الواضح بأحوال المسلمين فى شرق الأرض وغربها ، لكنه اهتمام الجريح بالجريح تأسيا وتسلية ، لا اهتمام المغيث بالمستغيث على الأغلب ،

لاعتبارات كثيرة (١) . ومن نافلة القول أن نشير الى أن الاستعمار ودوائر استخباراته وحركات التبشير على وعي تام ومعرفة كاملة بالمجتمع الاسلامي واتجاهاته وظروفه وثغراته ، وعلى أساس من هذا الوعي والمعرفة يتلاعب الاستعمار والتبشير والصهيونية بمجتمعاتنا ومقدراتنا واتجاهاتنا ايما تلاعب(٢) . فلا أقل من أن نعرف أنفسنا بقدر معرفة أعدائنا بنا .

طريق الاصلاح

أما دراسة المجتمع الاسلامي لاصلاحه ، فليست بالأمر السهل ، ولكن الذى يسهل الدراسة شق الطريق واقامة الصوى والسير الحثيث المستقيم . وأول مرحلة موضوعية من مراحل الدراسة التعرف على الشيء المدروس تعرفا أوليا واضح المعالم والأبعاد ، وحسبنا ما عانى العاملون من الخوض فى المجتمع على غير هدى كالخابط فى الظلام أو الحارث فى البحر ، وهل وعظ بعض الوعاظ وخطب نفر من الخطباء الا من هذا القبيل ؟

ان احدنا اذا دعي الى قيادة سيارة ، ولم يكن قد مارس قيادتها من قبل ، يجد نفسه بحاجة الى معرفة أجزائها وأجهزتها وأساليب توجيهها ، ان لم نقل بحاجة الى دورة تدريبية عليها . هذا اذا كانت السيارة سليمة صالحة للسير ، فهل يعرف الداعية المسلم مجتمعه مثل هذه المعرفة ، وهل مر بدورة تدريبية على فن الدعوة والاصلاح والتربية ، مع العلم أن السيارة آلة جامدة لا تعصي قائدها ما أمرها ، على حين أن تكوين الانسان الفرد أكثر تعقيدا وأشد مراسا ، فكيف بالمجتمع الذى هو مجموعة أفراد ومجموعة صلات متشابكة تزداد صعوبة وتعقدا فى أحوال الضعف والانحلال .

وان هناك نفرا من الناس ــ صالحين أو طالحين ــ قادرون على التأثير البعيد فى المجتمع ، كاللاعبين المهرة فى لعبة الشطرنج . وما مخطط الشطرنج الا مثل مبسط لمخطط المجتمع . فتبديل حجر بحجر قد يعني الفوز الباهر ، كما يعني الخسارة الفادحة ، وعلى قدر احاطة اللاعب بدور كل حجر وبموضعه وعلاقته بغيره سلبا وايجابا فى الحاضر والمستقبل .. تتحدد النتيجة . وكما أن المهارة فى فن من الفنون كلعب الشطرنج ترجع الى واحد من اثنين ــ الموهبة أو الخبرة المكتسبة ، ومثل ذلك التبديل الاجتماعي . لكنما مصير المجتمع لا يعلق ، ولا يجوز أن يعلق بظهور الموهوبين ، لأن خسارة شوط الشطرنج ليست كخسارة مجتمع بأسره . فالحريص على الفوز فى لعبة الشطرنج ازاء منافس ماهر .. تراه يستعين بالأنصار والمشيرين فاذا الكثرة تغلب الشجاعة كما يقال . فلنتعرف على مجتمعنا ، ولنتبين سبلنا خلال شعابه ومفازاته .

عناصر المجتمع

ان المجتمع أى مجتمع كل يتألف من أجزاء ومن مجموعة علاقات وصلات متراكبة متشابكة تخضع لقوانين معتبرة على الرغم من صعوبة التقنين والتأويل

(١) انظر (الاسلام فى القرن العشرين) لعباس محمود العقاد . و (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) لأبي الأعلى المودودى . و (حاضر العالم الاسلامي) لشكيب ارسلان ولوثروب ستودارد . و (المسلمون فى الهند) لأبي الحسن الندوى .

(٢) انظر كتاب (التبشير والاستعمار) لفروخ والخالدى . و (الاستعمار الفرنسي فى افريقيا السوداء) لفيليب فونداسي .

في العلوم الانسانية (وتتلخص هذه العلاقات في تفاعل فرد مع آخر أو مع الجماعة أو مع الثقافة القائمة ، وهو مؤثر فيها أو متأثر بها . هذا وتمتد هذه العلاقة الى تبيان أثر الجماعة في جماعة أخرى ومدى تأثرها بها) (١) .

ولكي نتجاوز النظرة الكلية الى المجتمع خشية أن نصدم بشكل عام مبهم تنطبع عليه أوهامنا وتصوراتنا الخاصة المسبقة انطباع الناظرين الى بطاقات (رورشاخ) (٢) فنقع فيما وقع فيه نفر من المسلمين فتفاءلوا كثيرا ، أو تشاءموا فيئسوا فماتوا غيظا أو انقلبوا على الأعقاب .. علينا أن ننظر نظرات تحليلية احصائية موضوعية متفحصة ، ولنطبق منجزات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي على مجتمعاتنا العربية والاسلامية ، فاذا مجتمعنا يتألف من فرد وأسرة وحي وقرية ومدينة وقطر ، كما يتألف من مؤسسات عامة وخاصة مثل مؤسسات التعليم والارشاد والاعلام والنقابات والنوادي والطوائف الدينية والعنصرية والقطاعات المدنية والعسكرية وما الى ذلك . واذا تركيب كل من هذه الأجزاء والمجموعات يختلف من واحدة لأخرى بحسب البيئة والثقافة والسلوك، فمنها البسيط والمعقد ، ومنها الوارد والشارد ، ومنها الصحيح والعليل ، واذا بنا نقف على تناقضات وعوالم طريفة كلما ازددنا بحثا وتمحيصا ، مع العلم أن غايتنا أبعد من غاية العالم الاجتماعي الذي يكتفي بالوصف والاحصاء والتقرير فنحن نمضي معه حيثما يمضي تمهيدا لوضع الحلول وتأليف تركيبات اجتماعية أصلح وأفضل بعد الافادة من معطيات المجتمع الواقعية وقوانين الاجتماع المطردة .

وفي طريقنا سنصادف أنماطا شتى من السالكين اللابسين لباس الاصلاح عن حسن نية أو سوء طوية ، فالانقلابيون يعششون في الجيش ، والانتهازيون يتهافتون على أبواب الحكام أو على أعمدة الصحافة وأجهزة الاعلام ، على حين يربض الاحتكاريون في ميادين الاقتصاد ، والماركسيون في الاحياء العمالية وأكواخ الفقراء ، فأين ميدان دعاة الاسلام بالضبط ؟

منهج الدعاة

الحق أن الاسلام رسالة عامة شاملة لا تنحصر بزمان أو مكان ولا بجنس أو فئة أو طبقة ، وواجب دعاته ايضاح ذلك ، وميدانهم هو المجتمع بأسره . المجتمع العربي والاسلامي أولا ، والمجتمع الانساني الكبير ثانيا . وهذه مهمة شاقة لا ينهض بها الا الرجال أولو العزم والقوة البريئون من الأغراض والمطامع ،الواهبون نفوسهم لله . فاذا كان المجتمع كله ميدانا للدعاة فهل يعني ذلك أن يعملوا على قلة العدد والعدة في الجبهات جميعا ؟ أو يعني أن يختاروا بعض الميادين دون غيرها ، أو بعض الأساليب دون سواها ؟ والجواب على هذا السؤال يختلف من وطن الى وطن ، ويتأثر بامكانيات الدعاة من جهة وبظروف البيئة نفسها من جهة ثانية ، حتى اذا كانت البيئة متقلبة لا سيما من الناحية السياسية لزم تلاؤم العمل الاسلامي وكل ظرف جديد لا تلاؤم التبعية ولا تلاؤم الانتحار ، بل تلاؤم الذكي الذي يشق دروبه الوعرة بوعي وأناة ، فاذا انسد بعضها انطلق في بعضها الآخر . يتيسر هذا التكيف الحي بسرعة للعاملين اذا كانوا على معرفة مسبقة بالعناصر التي يتركب منها

---

(١) من كتاب (علم النفس الاجتماعي) لفؤاد البهي السيد — ص ٧٧ . وانظر (علم النفس الاجتماعي) لاوتوكلينبرغ ترجمة الجمالي .

(٢) وهي بطاقات عليها بقع من (الحبر) غير محددة الاشكال يفسرها الناظر فيها تفسيرا معبرا عن نفسيته بشكل عفوي ، وقد يختلف تفسيره قليلا أو كثيرا عن ناظر آخر ، مما يخدم التحليل النفسي .

المجتمع وباحتمالات تبدلها عاجلا أم آجلا . وعلى الرغم من ذلك تضطرد أمور عامة ثابتة ، يحسن أن يفطن اليها الدعاة على اختلاف الأوطان منها ما يلي : —

١ : — ليذكروا أن عليهم اختيار ميادين اكثر جدوى وأبعد أثرا وأكثر ملاءمة لدعوتهم ، وبالمقابل ألا يغفلوا عن الميادين الأخرى التي يغزوها عدو خطير ، وليكن دور الاسلام فيها على الأقل دور الدفاع .

٢ : — المجتمع الاسلامي قد ابتعد عن الاسلام ببطء ، ولن يعود اليه بسرعة أو بطفرة أو بقسر أو بمغامرة ، بل بالتربية والاقناع ، سيما وأن الجيل المتقدم الذى نشأ على أصل معوج يصعب تقويمه ، وهذه المقدمات تسلمنا الى الاهتمام البالغ بالجيل الجديد الناشىء وبأجهزة التعليم — مناهج وأساتذة وطلابا للبناء ، وبأجهزة التوجيه والارشاد كالمساجد والنوادى الثقافية للدعم ، وبأجهزة الاعلام للتنشيط أو للدفاع على الأقل .

٣ : — رصد الفرص والمناسبات لخطوات اجتماعية واسعة ، ذلك لأن المجتمع على اتساعه وكثرة اجزائه وتعقيده يهتز ويتأثر بادنى تبديل يطرأ على جانب من جوانبه كمثل الجسد الواحد ، أو كمثل كفتي الميزان . فالتحكم بالمناسبة المواتية ضرب من التحكم بدفة المجتمع باسره . والعقبة الكأداء قد تصبح فرجا مفاجئا ، والقوة القاهرة قد تنقلب الى قوة صديقة بحسن تدبر . فالانسان القديم حين اعترض النهر سبيله ولم يقدر على اجتيازه ألقى بجذع شجرة يابسة على صفحته وركبها . والذى يداهمه ثور هائج فى مكان ضيق ربما حطم قرنيه بقفزة الى أعلى أو يمين أو شمال .

٤ : — التصدى لقضايا المجتمع الكبرى بعد استقراء مشاكل قطاعات المجتمع جميعا ، مثل الاستقلال والسلم والحرب ، والاقتصاد والدستور .

٥ : — تهيئة قادة اجتماعيين بالاصطفاء والاعداد للتخطيط أو للقيادة ، فرب فرد أغنى مالا يغنيه عدد كبير من الناس .

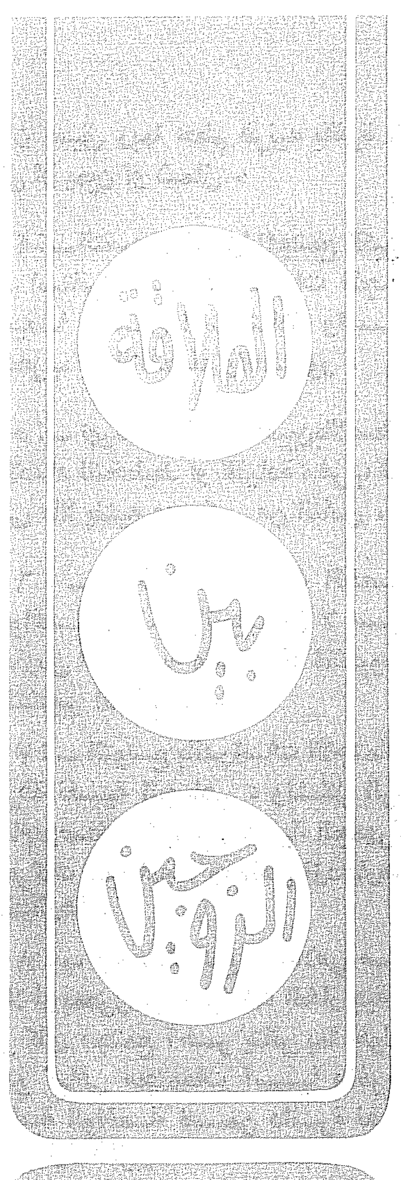
٦ : — مراقبة حركات الخصم ومواقعه (الاستراتيجية) لا سيما المدارس التبشيرية والصحافة المشبوهة ، والتشهير الدائم بها .

٧ : — التوسع بالدراسات الاجتماعية لمعرفة نفسية الجماهير ، وتشكل الرأى العام ، وصفات الزعيم ونفسية الجمهرة ، وحركات الجماعة ، وعوامل ازدهارها واندثارها .

٨ : — ليس المجتمع الاسلامي مادة غفلا أو بمعزل عن التيارات الخارجية بل هو كأى مجتمع آخر يتأثر بما حوله ، وهو كباقي مجتمعات آسيا وافريقيا النامية الواقعة ضمن دائرة نفوذ الحضارة الغربية .

٩ : — تبني الدعوة الى استقلال مجتمعاتنا عن مجتمع الحضارة الغربية فى العادات والمثل العليا والأخلاق حفاظا على شخصيتنا ووجودنا ، وتمهيدا لانشاء حضارة جديدة أسمى من حضارة الغرب العرجاء .

ولعلي أخيرا أكون قد وفقت الى لفت نظر اخواني العاملين الى امر لم يغفلوا عنه كل الغفلة ولكنهم لم يقدروه حق التقدير — وهذا حسبي .





الزواج طمأنينة

عني الاسلام باظهار الاهداف الروحية من الزواج ، وقد جعلها الركائز التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية والدعائم التي تحقق الألفة والمودة ، وتتمثل فى سكون النفس مع اضطرابها الجنسي الفطرى بالحب بين الزوجين وتوسيع دوائر المودة والألفة بين العشيرتين بالمصاهرة واكتمال عواطف الحنان والرحمة الانسانية وانتشارها بين الزوجين لتنتقل الى البنين والبنات ، والى هذه المعاني الروحية يرشدنا تعالى بقوله ((ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) .

الصلة الجسدية

ومع هذا لم يغفل الاسلام الجانب الجنسي والعلاقة الجسديةبين الزوجين، فقد هدى بها الى أقوم سبيل ، وأرشد طريق ، لتحقيق أهداف حق الفطرة الغريزية ، وبذلك تجنب الانحراف والاعوجاج ، فقد كان اليهود والمجوس يبالغون فى التباعد عن المراة حال حيضها ، والنصارى كانوا يجامعونها فى الحيض ولا يبالون ، وعرب الجاهليةتأثروا باليهود فى هذه الناحية ، فكانوا اذا حاضت المرأة لا يؤاكلونها ، ولا يشاربونها ، ولا يجالسونها على فراش ، ولا يساكنونها فى بيت ، لذلك توجه بعض المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم للسؤال عما يحل لهم وما يحرم عليهم فى معاملة الحائض فنزلت الآية الكريمة «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وفهم بعض الأعراب أن الاعتزال الا يساكنوهن ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم المراد من الآية وقال انما

أمركم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ، ولم آمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم ، فلما سمع اليهود ذلك قالوا هذا الرجل يريد الا يدع شيئا من أمرنا الا خالفنا فيه .

وإذا رجعنا الى الطب الحديث نجده قد كشف النقاب عما يوجد فى افرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم اذا بقيت فيه،وكذلك كشف عن سر الاعتزال أثناء الحيض ، فالأعصاب التناسلية تكون فى وضع احتقان والأعصاب مضطربة بسبب افرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسي يضرها ضررا بليغا وربما كان سببا فى منع نزول الحيض ، وقد يكون سببا فى التهاب الأعضاء التناسلية .

وفى الآية تشبيه للقاح الجنسي بالانبات وان الغاية من الحرث والزرع هو الانتاج، وكذلك الغاية من اللقاح الجنسي هو التوالد والتناسل ، ومكان ذلك معلوم ، وما عداه فهو محظور ممنوع منهي عنه ، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى الرجال عن اتيان المرأة فى غير المكان الطبيعي الذى أعد لذلك وقال لا تأتوا النساء فى أدبارهن ، وقال لعن الله من أتى امرأة فى دبرها ، وقال فى الذى يأتى امرأة فى دبرها هو اللوطية الصغرى .

حفظ أسرار الزوجية

وقد أثنى القرآن على المرأة التي تحفظ السر بالغيب فقال سبحانه « قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » وفى جملة الغيب الذى يجب أن تحفظه المرأة بل هو فى طليعة ذلك ما كان من أسرار الزوجية ، فلا يصح أن تذكره فى المجالس وتجعله مادة لسمرها مع صويحباتها ، وكذلك يجب على الرجل ما يجب على المرأة فى هذا المضمار من كتمان للسر وحفظ للحاجات والمتع الزوجية ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجهه ، فقال : مجالسكم .

هل منكم الرجل اذا أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج ، فيحدث ، فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت كذا ؟ فسكتوا ، فأقبل على النساء ، فقال : منكن من تحدث فجئت فتاة كعاب على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمع كلامها فقالت : أى والله انهم يتحدثون ، وانهن يتحدثن ، فقال عليه السلام : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون اليه .

وفى هذا التشبيه ما فيه من تحقير وازدراء لهذه العادة الخسيسة والحماقة الوضيعة .

المعاشرة الزوجية

عقد الزواج عهد وثيق ربط بين قلب الرجل وقلب المرأة ، وبذلك أصبح كل فرد منهما أليفا للآخر ، ويسمى زوجا بعدما كان فردا لأن كل واحد من الرجل والمرأة يمثل أليفه وخليله ، ويحمل بين ضلوعه وحناياه آماله وآلامه .

وقد صور القرآن الكريم قوة هذا الرباط بين الزوجين وعظمته فقال تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وهو تعبير بليغ معجز يكشف عن مقدار الاندماج والستر والحماية والطهر والجمال الذى يحققه كل منهما لصاحبه، ومن أجل ذلك كان على كل من الزوجين حقوق وواجبات للآخر ينبغي تحقيقها والنزول عند رغباتها وأهدافها كما قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ما حق زوجة أحدنا عليه قال : أن تطعمها اذا طعمت،وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ، ولا تهجر فى المبيت . فلا يجوز للزوج المسلم أن يترك زوجته بلا نفقة وبلا كسوة ومسكن ، وفى

لحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع مـن يقوت ، ولا يجوز أن يضرب وجه زوجته ا فيه من اهانة واحتقار ومذلة للانسان ع ما فى ذلك من خطر جسيم على أجمل ضو فى الانسان ، فالوجه هو جماع حاسن الجسم البشرى وفيه حواس لذوق والشم والبصر .

واذا كانت الشريعة الاسلامية أجازت لمسلم عند الضرورة أن يؤدب زوجته لناشزة المتمردة الخارجة على بيت لزوجية وعش الحياة فهي لم تبح له ع هذه الضرورات ضربها ضربا مبرحا ؤلما يصيب وجهها أو مقاتلها ، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يهين زوجته بأن يؤذيها لسانه ، ويسمعها مر الكلام كأن يقول لها قبحك الله ، وما شابه ذلك أو شاكله من الكلمات الجارحات المؤذيات .

وللزوج كذلك على المرأة حقوق ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد فى الدخول الى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج منه وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه اذا كانت أقوى منه جسدا ، وبذلك تسعد فى حياتها ، ويرضى عنها ربها ، وتكون لها الدرجات العلى .

سياسة البيت

وعلى المسلم أن يصبر على زوجته اذا رأى منها ما يكره من تصرفاتها العاطفية ، فالمرأة سريعة الغضب سريعة الانفعال سريعة الرضى ، ويجب أن يذكر حسناتها وما تقوم فيه من الخدمة المنزلية وتربية الأبناء وادخال السرور على الجميع فى حالات الرضى ، و فى الحديث لا يفرك (لا يبغض) مؤمن مؤمنة ان سخط منها خلقا رضي منها غيره .

وقال تعالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وكذلك أوجب الاسلام على المرأة أن تسترضي زوجها ، وتدخل عليه السرور والسعادة ، وتكون معه فى أزمات الحياة ، وحذرها من أن تدع زوجها يبيت وهو غاضب عليها ، وفى الحديث ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرا رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصادمان (متخاصمان) .

وطالما أن الرجل سيد البيت وقطب الرحى وهو محور لسعادة الأسرة ونقطة ارتكازها فعلى المراة ان تطيعه أولا فان تمردت ، وعصت ، وخرجت عن طاعته فسدت الشركة ، واضطربت سفينة المنزل وقد تغرق طالما تسير بدون ربان وبدون قيادة .

واذا لاحظ الزوج على زوجته آثار النشوز ومظاهر العصيان والتعالى ، فعليه أن يحاول اصلاحها بما يقدر وبما يستطيع من صبر وأناه وكلمات طيبات ومعاملة رقيقة فان لم تنجح هذه المعاملة فى اصلاحها هجرها فى المضجع فان لم تفد هذه التجربةالقاسية عمد الىتأديبها بالضرب غير المبرح ، وهو علاج قد يجدى احيانا فى بعض النساء ضعيفات المعرفة والعقل ، ومع هذا الذى اباحه الاسلام فنجد أن الضرب غير مرغوب فيه فهو الضرورة القاسية والعلاج الأخير الذى لا يعمد اليه الا بعد أن تعجزه الحيلة ، وينفد الصبر ولات مناص ، فقد نفر الرسول من الضرب فقال : يضرب احدكم امرأته ضرب العبد ولعله ان يجامعها آخر اليوم فان لم تنفع جميع هذه الوسائل فعلى المجتمع الاسلامي أن يتدخل وعلى أهل الرأى والخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ان يتدخلوا للاصلاح فيبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها لعل الله يوفق بينهما .

وفى هذا كله قال تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » .

بقية من هدى السنه

وتباريح الفصام وعظم الوزر ، من ذكر حسن لا يبلى وخلود ما تعاقب الجديدان لعالم اكتشف حقيقة كونية أو أزاح النقاب عن خبيئة علمية استعصت على غيره فاهتدى بها الحائرون وسار على ضوئها المدلجون واطمأن فى حماها الحيارى والتائهون ؟ .

٨ : ـ واقتضت حكمة مبدع السموات والأرض وخالق الليل والنهار اختلاف الميول وتباين الاتجاهات فى طلب العلوم ، وتفاوت الاستعداد لها ، ومن هنا نشأت الفنون المختلفة والصنائع الكثيرة وتعددت أنواعها لينتظم أمر الحياة ، وتتوافر وسائل السعادة فيها .

ومن أروع الأمثلة التي رواها التاريخ لسادة من العلماء نسلوا من أبوين ، وشبوا فى بيئة واحدة ، ودرجوا فى جو واحد ، ومع هذا اختلفت ميولهم الى أنواع العلوم ، فسبق كل منهم فى العلم الذى صادف هوى فى نفسه ، ووجه اليه همته ، وألقى فيه دلوه .. أبناء الاثير الثلاثة نصر الدين الذى برع فى الأدب وتحرير الرسائل وهو صاحب كتاب (المثل السائر) . فى الوقت الذى جلى فيه اخوه محمد مجد الدين فى الحديث وعلومه وألف كتاب (النهاية فى غريب الحديث) وكتاب (جامع الأصول فى أحاديث الرسول) . وأما ثالثهم فهو الامام الذى لا يشق له غبار في الفراسات التاريخية وتفصيل أحوال الأمم .. مؤلف كتاب (الكامل فى التاريخ) ذلكم العلم الشامخ هو علي عز الدين ... وسبحان منخالف الميول لينتظم أمر الكون ... وفى عصرنا نجد من الاسرة الواحدة المتخصص فى الطب والبارع فى الهندسة ، والمتعمق فى العلوم البحتة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٩ : ـ ومن الصفات التي لازمت العلماء العاملين ، ويجب أن يتسم بها كل باحث عن الحقيقة هي خلة الامانة واحترام السابقين مهما كانت درجتهم العلمية ، وقد أحسن كثيرا ابن مالك النحوى المشهور بألفيته التي سار بها الركبان ، حين أثنى فى مقدمتها على سلفه فى نفس العلم فقال فى ابن معطي .

وهو بسبق حائز تفضيلا
مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة
لي وله فى درجات الآخرة

ولو ذهبنا نستقصيهم واحدا واحدا ، ونسجل دلائل أمانتهم وشديد حرصهم على تنقية العلوم من الشوائب الدخيلة لطال المقام ، والأمثلة فى الماضي والحاضر كثيرة لمن يطلبها .

وأخيرا

فانا نأمل أن ينسج أبناؤنا على منوال السابقين فيقبلوا على الارتشاف من مناهل العلوم الصحيحة بهمم وثابة ، وعزائم قوية ، ورغبة صادقة ومثابرة لا تنقطع وقرائح نقادة ، نفاذة الى اللباب الخالص فقد قيل... (العلم لا يعطيك بعضه الا اذا أعطيته كلك واذا أعطيته كلك فأنت من اعطائه البعض على خطر) . فاطرقوا ـ معاشر الابناء ـ أبواب العلوم بقوة وعزم يبلى الملوان وهو صارم صقيل ، واحرصوا على تحصيله حرص البخيل على درهمه ، حرصا لا يشفى الغليل معه الا أن تغترفوا من العلوم وتعبوا من أنهارها بكأس دهاق ، فغوصوا على دررها ولآلئها ، ولا تدعوا وعورة المسلك تحول بينكم وبين أهدافكم وبلوغ غاياتكم ، ولا تتهيبوا طول الطريق وبعد الشقة فلولا الصعاب والعقبات ما برز الرجال ولا لمعت بالتاريخ أسماء ، فالحرص الحرص على ما ينفع أمتنا ، بل الأمم جميعا ، فما كان ولن يكون العلم ملكا لقوم دون آخرين ، ولا وقفا على جماعة دون جماعة ، وبالجد والصبر والكفاح تخصب بلادنا وتنتج عبقريات ممتازة ، كما هي منذ عصور الاسلام الأولى منابت الخالدين ، ومطالع القادة فى كل ميدان .

وما سمت الانسانية ، ولا تقدمت الدنيا ، ولا قطعت الحضارة أشواطها البعيدة فى سبيل المعرفة الحقة الا بالعلم وجهود العلماء ، وما اكثر ما حث القرآن الكريم ورسول الله الهادى الأمين على التأمل والبحث حتى تنتشر الهداية فى الدنيا ، ويأخذ الناس طريقهم الى الله عن معرفة ويقين مصدرهما البرهان والاستدلال فاعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم ومن سار على الدرب وصل ... والله سبحانه هو الهادى الىسواء السبيل .

يا ابنة الشرق

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

سافرى .. حولكِ المُنَى البسّامه ثم عُودِى .. مصحوبةً بالسّلامهْ

يدرك المجدَ من يشمرُّ للمجـ ـد ، فيمضى على هدىً واستقامه

واغترابُ النفوس حق عليها حين تبغى بين النجومِ إقامه

أنتِ أهلٌ لكلِّ مجدٍ عظيمٍ ورقيٍّ وعزةٍ وكرامه

عملٌ دائبٌ ، ونفسٌ طَموحٌ بالمعالى مشغوفة مستهامه

وذكاء تَوهَّجَ النورُ منهُ فرأينا في نوره إلْهَامَهْ

ونبوغٌ يهدى النفوسَ ، فلا تمـ ـلكُ الا تقديرَه واحترامَه

وَمضَاءٌ في كل أمرٍ ، وحزمٌ ليس يلقى صعبا يفُلُّ حُسَامه

وخلالٌ مثلِ الربيعِ تجلى فكسا الكونَ رقةً وَوَسَامه

أو كشمس الصَّباحِ تُشرِقُ بالنو ر ، فتجلو عن الوجودِ ظَلاَمَه

أو كَزَهْرِ الرياضِ يحلم في اللي لِ ، ويُهْدِى في عطرِه أحلامَه

هكذا أنتِ .. بَلْ أجل وأسمى من قصيدى .. مهما أجدتُ نظامَه

فاعذِرِينى اذا سموتِ عن الوصـ فِ ، فأوجزتُ بدءَه وختَامَه

لو أفضْتُ الكلاَمَ فيكِ لأعجز تَ قصيدى .. فلم أجد أنغامَه

فاقبلى صمتَ البليغَ ، ففى الصم تِ على قوة الشعورِ علامَه

***

يا ابنة الشرق .. ياابنة النورِ والإشـ راقِ .. يا رمزَ مجدِه وقوامَه

« قيلت فى حفل وداع عائلي أقيم لسيدة شرقية مسلمة .. تسافر الى الغرب مع زوجها المسافر فى بعثة دراسية » .

حدثنى الغربَ أننا قد نهضنا — فملكنا من كل مجد زمامه
وملأنا الأيام عزا ، وكانت — يوم هُنّا ذليلةً مُسْتَضامه
وجعلنا الاسلامَ أسمى شعارٍ — ورفعنا القرآنَ نورًا أمامه
وحده يجمع الشعوب لتقوى — وله وحده تكون الزّعامه
وبنينا بالعلم صرحا مكينا — وجعلنا الأخلاق فيه الدعامه
وملكنا من قوة الخير والاصـ — ـلاح ما يهدم القوى الهدامه
فاذا ما أراد حربا ... فحرب — أو سلاما .. فما نرد سلامه
نحن نبغى الحياة غصناً نضيرا — تتغنى على ذراه حمامه

* * *

يا ابنة الشرق ، والرحيل قريب — فاذكرى الشرق ، واذكرى ايامه
نحن في موقف يجل عن الوصـ — ـف ، ويقصى عن البليغ كلامه
نبصر البشر قائما يتغنى — ونرى الحزن ناشرا أعلامه
ولقد تبسم القلوب وتبكى — انما القلب .. دمعة وابتسامه

* * *

يا ابنة الشرق لا أقول وداعا — بل لقاء يعطى البعيد مرامه
سافرى .. حولك المنى البسامه — ثم عودى .. مصحوبة بالسلامه



كان المجتمع الانساني فى جزيرة العرب وما حولها قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعا مضطربا بعيدا عن الاستقرار والاعتدال والمثالية ، يقل فيه التعاون على البر ، والتناصر لمصلحة الجماعة . ويسوده التفكك فى صلة أبنائه بعضهم ببعض ، والانحلال فى الاخلاق والروابط ، وتتغلب على أفراده نوازع الأثرة وحب الذات : لا يعرف أكثرهم الا ما يرضى نفسه وحسه ، والا ما يشبع غرائزه الدنيا وعواطفه الفردية ويكثر فيه بغى القادرين على العاجزين ، وانتقام الأقوياء ممن دونهم ، وطغيان ذوى السلطان والنفوذ على من حرموا من ذلك . اعتزازا بمالهم من قوة أو جاه ، أو كثرة عددية ، أو عصبية قبلية .

كان الفرس والروم ــ وهما دولتا العالم المتنازعتان على سيادته اذ ذاك ــ تعمهما الفوضى ، وتسيطر عليهما الأهواء ، وتحكمهما الشهوات ، وتجرى بينهما المعارك التي يستهان فيها بالدماء والأرواح ، وتستباح فيها الأموال والأعراض والحرمات : كل واحدة منهما ترجو أن تكون هي الغالبة ، وأن تكون هي صاحبة الكلمة النافذة والراية الخفاقة على الارض ، ارضاء لشهوة ، لا نشرا لفكرة ، ولا دفاعا عن عقيدة .

مجتمع جاهلي

وكان العرب ــ بين هاتين الدولتين ــ امة قد وقعت بين أبنائها الفرقة ، واختلفت الكلمة ، وانحلت عرى الألفة ، وعزّ أن تخضع لمنطق أو تدين بقانون ، أو تعترف لأحد بسلطان تنقاد لنفوذه وتعمل على تثبيته . واصبح أبناء القبائل من أجل ذلك لا يعرف احد منهم لأحد حقا ، الا ما اثبتته القوة ، أو ما أملته العصبية أو النعرة الجاهلية .

كانوا ــ فى الأعم الأغلب من أحوالهم ــ متدابرين

متقاطعين قلما تقرب الرحم قلوب بعضهم الى بعض ، أو ينعطف الجوار باحسان أحد الى أحد . كانوا يتنادون الى السلاح أن سفه أحد رأى غيره ، أو غلبت فرسه فرسه فى سباق أو نحوه ، أو ذكر واحد بعض ما كان بين الأسلاف من ترات ومعارك ، وتدور بينهم الحروب السنين الطوال ، تهلك شبابهم وشيبهم،وتأتيعلى أخضرهم ويابسهم، لاحقر الأمور وأتفه الأسباب . وفيما حدثت به مصادر التاريخ مما كان فى حرب البسوس التي استمرت أربعينعاما والسبب قتل كليب بن ربيعة ، ناقة البسوس بنت منقذ ، ومما كان بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء ، وهما فرسا الرهان ، والسبب صد أحد الفرسين عن الغاية ليسبق الاخر ، ومما كان فى أيام معاركهم ووقائعهم كيوم بعاث بين الأوس والخزرج ، وغيره من أيامهم ما يشهد على ذلك ويفصح عنه .

وكانوا الى ذلك خاضعين فى حياتهم العامة والخاصة لأفكار رديئة ، أفقدتهم ارق العواطف الانسانية وأحسنها ، وحرمتهم آثارها الطيبة بالنسبة الى الأفراد والمجتمع ، وسلكت بهم سبلا بعيدة عن التهذيب والاعتدال . الم يكن من دأبهم الاندفاع للأخذ بالثأر فى غير عدل ولا عقل ، وحرصهم على ذلك مهما طال الزمن وتغيرت الاوضاع ؟ الم يكن فيما كان من تصرفاتهم المعيبة قتل أولادهم سفها بغير علم ، ووأد بناتهم خشيةعار متوهم وخوف املاق مظنون ؟؟

نعم كان العرب ـ بين هاتين الدولتين ـ كذلك وأكثر من ذلك زمنا تعاونت فيه ظروف الاحوال على تضييع معالم الرسالات السابقة وآثار هداية السماء . ثم شاءت حكمة الله تعالى ـ على حين فترة من الرسل ـ رحمة بعباده ، وسيرا بهم على الصراط السوى ، وأخذا بيدهم الى ما يريد لهم من الصلاح والخير : أن ينتشلهم من البلاء الذى تورطوا فيه ، وينقذهم من الآلام التي القوا بأيديهم

للشيخ عبد العزيز محمد عيسى

اليها . فارسل اليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق . بكتاب عربى مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

فنادى فيهم كما أمره ربه : « يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ، فآمنوا ، فنقلهم ذلك الايمان من صفات الشر التي كانوا عليها الى خلال الخير التي هداهم الاسلام اليها ، وأخرجهم من ظلمات الشرك والجهل الى نور التوحيد والمعرفة ، وأبدلهم من القسوة والفلظة وحب الانتقام وجمود العواطف ، رقة ورحمة ، ولينا ومودة ، وايثارا واخوة ، ليكونوا بذلك أسوة لمن عاصرهم ، ومثلا لمن يجىء بعدهم ، وليجعلهم خير امة أخرجت للناس ، وخير قدوة لمن أراد الاقتداء . ثم امتن عليهم بذلك فكان أبرز ما لفت الانظار اليه فى هذا الامتنان ما منحهم من صفة الاخاء : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » .

نعم جعلهم اخوانا متحابين ، بعد أن كانوا أعداء متحاربين، جعلهم أبناء مجتمع متعاون متكافل متضامن : يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، بل يحب له أكثر مما يحب لنفسه ، بعد أن كانوا ذوى أنانية وشح وأثرة ، ونبه فيهم عواطف الأخوة الانسانية ، وبواعث المودة واللين والرحمة ، بعد أن كانت عواطفهم غليظة قاسية ، لا تعرف أخوة ، ولا ترق لبنوة : ولا تخضع لانسانية .

ثم حدثهم القرآن عن أخوة الاسلام وما ينبغى لها ، ليظل معنى الاخاء آخذا

نفسهم ، ماثلا أمامهم متمكنا من حنايا سدورهم ، ولتكون أعمالهم وتصرفاتهم ى دائرة ما يحفظ هذا الاخاء وينميه ويعين ليه ويرعى بقاءه « انما المؤمنون خوة فأصلحوا بين أخويكم » . « يأيها لذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء سى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا نفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون المعروف وينهون عن المنكر ويقيمون لصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله . » « ربنا غفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » .

وحدثهم الرسول الأمين صلوات الله عليه عن هذه الأخوة فى المناسبات المتعددة حديثا مستفيضا موجها ، ليظلوا خرصاء عليها ، ممكنين لها ، ساعين فى تعزيزها ، راغبين فى تحصيل ثمارها ومغانمها : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره » . « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » . « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . « المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى » .

التشريع يدعم الاخاء

وجاءت تشريعات الاسلام فى عباداته ومعاملاته تؤكد معنى الاخاء ، وتعلنه ، وتقوى عاطفته ، وتحمل على رعايته والاعتزاز به .

فالصلاة تدعو اليه حين يحاذى بين المناكب فى صفوفها الحاكمون والمحكومون ، والواجدون والمحرومون ، والأقوياء والضعفاء ، والشباب والشيب ، لا حواجز ولا مراتب ولا درجات ، وتعلن عنه حين ينتظم الجمع خلف واحد منهم يقومون بقيامه ، ويركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ولا يخرجون من صلاتهم قبل خروجه .

ان هذا لمظهر رائع من مظاهر الأخوة يطامن من أنفس المتعالين ، ويلفت نظرهم الى تماثلهم مع غيرهم فى هذه الاخوة حينا بعد حين ، فيقربهم اليهم ، ويقبل بهم عليهم ، وهو فى الوقت نفسه يرفع من انفس الاخوة الآخرين ، ويعلى من معنوياتهم حين يشعرهم بالتساوى مع أولئك الذين تحاول مظاهر الحياة الدنيا أن تبعدهم أو تبعد عنهم معانى الاخوة ، وتحمل الناس على نسيانها .

والصيام يعزز معناه ويبرزه ، حين يسوى فى فريضته بين العامة والخاصة ، والسادة والسوقة ، والرجال والنساء ، والأغنياء والفقراء . وينادى به حين يرى الكل أنفسهم سواء أمام فريضته ، وسواء أمام نظامه وأحكامه : لكل منهم أن يأكل ، ويشرب حتى يتبين له الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر . فاذا تبين ذاك كان الامساك فريضتهم جميعا الى الليل يستوى فى ذلك كل من لزمه الصوم ، ووجب عليه أداؤه . من العامة كان أو من أصحاب الجاه والسيطرة . لا يفتدى أحد منهم نفسه من ذلك بمال ، ولا يتميز على غيره بمنزلة أو سلطان .

والزكاة تعاون وتكافل واشتراك أو اشتراكية ينبعث عن هذه الأخوة ويجرى بَيْنَ الناس أثراً لها واستجابة لعاطفتها ودواعيها .

والحج يفصح عن ذلك ، وينادى بـه فى شعائره ومظاهـره : فى الاحـرام على طراز واحد ، والطواف حول بيت واحد ، والسعى فى مكان واحد ، والوقـوف فى صعيد واحد ، والرمى فى اتجـاه واحد ، والتلبية والدعاء على نظام واحد ، والتوجه بذلك كله الى اله واحد ، ليشعروا من ثنايا ذلك وهديه بمعنى الاخاء ، ويستجيبوا اليه ، وتـكون تصرفاتهم فى اطـاره وفى دائرة ما يحققه ، ويرفع من شأنه .

وفى جانب المعاملات ورد النهى عن أن يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يتـرك البائـع قبله أو يأذن ، أو أن يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن . وروى الأئمة : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء ما فى انائها ، فانما رزقها على الله » ولكل ما قدر لها ، ولو تتبعنا أنواع العبـادات والمعامـلات أو اكثرها لوجدناهـا تهدف الى تحقيـق معنى الاخاء ، وتأخذ الناس به ، وتحملهم عليـه .

وقد كان عمله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه خير ما يمكن فى هذا الشأن ، وأعظم قدوة يقتدى بها . تنفيذا للسياسة الاسـلامية الحكيمة فى اعلان شعار تجتمع الأمة حوله ، وتخير مبدإٍ قويم تلتقى عنده ، يربط بين قلوب أبنائها ، ويوجه الى هدفها المقصود ، ويدعو الى فكرتها السـامية ، ويبعد عنها معانى العصبية والجنسية واللونيـة والاقليمية . فكان ذلك هو الاخاء الذى أرسى دعائمه رسول الله صلى عليه وسلم منذ أن استقر فى المدينة المنورة ليجمع به كلمة المسلمين ، ويقضى به على كل خلاف كان أو يكون بينهـم على مـر السنين .

ولهذا آخى صلوات الله وسلامه عليه بين الأوس والخزرج مؤاخاة عامة ، وهما قبيلتا يثـرب الكبيرتـين المتنازعتـين ، المعروفتين بمعاداة كل منهما للأخـرى ، الى أن جاء الاسلام . كما آخى هـذه المؤاخاة العامة بين المهاجرين والأنصـار وهم أهل بلدين مختلفين ، لم يسـبق أن كان بينهما وفاق أو اشتراك فى خير . الى أن كانت هذه المؤاخـاة ، فكان مـن حسن تقبل الانصار لها ، وجميل تصرف المهاجرين فى أمرها ، ما جعلها المثل الاعلى فى الصلات الانسانية ، وما جعل القرآن الكريم يشيد بها فى قوله تعالى : « والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبـون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شـح نفسـه فأؤلئك هم المفلحون » .

وزيادة على هذه المؤاخاة العامة . دعا رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى التآخى فى الله : اثنين اثنين ، فكان هو وابن عمه علي بن ابى طالب أخويـن ، وعمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه وحبه زيد بن حارثة الكلبى أخوين . وصدّيقه أبو بكر بن أبى قحافة وصاحبه خارجة ابن زيد الانصارى أخوين ، وعمـر بن الخطاب العدوى القرشي وعِتْبان بن مالك العوفى الخزرجى أخوين ، وسـعد بـن الربيع الانصارى وعبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى أخوين .

اباء وشمم

ويجمل بنا ونحن نتحدث عن الاخاء ، ونذكر ما كان من المؤاخاة بين سعد بـن الربيع وعبد الرحمن بن عوف أن نشير الى مـا روى البخارى فى شأنهمـا مما يتحدث عن الايثار فى أكمـل مظاهـره ، وعن علو الهمة ، وعدم اغتنام الفرصـة

...تي قد يرنو اليها آلاف الرجال ، ترفعا لنفس أن تكون كلا على غيرها .

ذلك أن عبد الرحمن لم يكن يملك بالمدينة أول قامه بها مالا ولا غيره ، وأن سعدا كان من سراتها اصحاب الثروة فيها ، ومن اكثر الانصار مالا ، قد عرض على عبد الرحمن نصف مالـه – على فرته – يعطيه اياه طائعا مختارا دون بـدل أو وض . كما عرض عليه – وفاء بحق الاخاء – أن طلق من أجله احدى زوجتيه أو أعجبهما اليـه . حتى اذا حلت تزوجها . فأبى عبد الرحمن شاكرا اعيا . قائلا له : بارك الله لك في أهلك ومالك ، طلب الى الحاضرين أن يدلوه على سوقهم فدلوه لى سوق بني قينقاع : سوق المدينة اذ ذاك فأخذ تردد عليه ، ويتابع الغدو والرواح اليه ، يبيع يشترى ، مبتدئا ببعض أصناف الطعام ، ثم لـم لبث كثيرا حتى صار من كبار التجار ، وأخذت رواحل تجارته وقوافلها تجوب نواحى الجزيـرة لعربية بالسلع المختلفة ، وترجع اليه بالمال الوفير ن كل جهة ، وأصبح من أغنياء المدينة ، يتزوج احدى بنات الأنصار ، ويمهرها وزن نواة مـن ذهب ، ويتصدق بنصف ماله ، ثم يتبع ذلك بأربعين لف دينار من النصف الباقي له ، ثم يحمل للجهاد ى سبيل الله على خمسمائة فرس وخمسـمائة راحلة ، ثم يعتق عشرات الآلاف من الأرقاء شكرا للنعمة وابتغاء لوجه الله .

استطردت بالاشارة الى ذلك لألفت النظـر الى هذا اللون من الاخاء الذى بلغ هذا الحد مـن الايثار ، والى هذا اللون من الاباء والعزوف عـن ثروة غير منتظرة ، ونعمةغير مترقبة ، ترفعا بالنفس وعلو همة كانا طريقا قصـيرة ممهدة الى الغنى العريض والثروة الواسعة ، والعمل الكريم .

وأعود بعد ذلك الى هذه المؤاخاة الثنائية التي دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشـارك فيها . لقد أراد صلوات الله وسلامه عليه بهذا اللون من المؤاخاة أن يكون كل واحد من أبناء الامة عضوا في خلية ثنائية متنقلة متكررة تبذل طاقاتها لصالح المجتمع ، وتعمل له ، وتسعى لخيره ، وتدرأ عنه الشر والفساد وعوامل السوء ، ولعله أراد أن يلفت نظر المسلمين بعد عصره اليها ، ليحققوا في مجتمعاتهم ما حققته في المجتمع الاسلامي الاول ، من اسعاد ابنائه ، واصلاح امرهم ، والترفيه عنهم ، وتحقيق التعاون بينهم على البر والتقوى . ولعل أبناء الامة الاسلامية الآن يحيون هـذه المؤاخاة الثنائية في الله على نحو ما كانت يوم شرعها رسول الله ، ويتحلون بها ، ويحققون معانيها ، فيسعد بهم مجتمعهم ، وتنهض بهم أمتهم ، ويصبحوا يدا على من سواهم .

أخوة عامة

وامعانا في الدعوة الى الاخاء – شارة المجتمع الاسلامي وشعاره – نبه الاسلام أبناءه على الأخوة الانسـانية وزينهـا في قلوبهم ، فبين لهم أن الناس سواسية ، وأنهم جميعا من جنس واحد : من سلالة من طين ، وأنهم يرجعون الى اصل واحد ، لا يفضل أحدٌ منهم فيـه أحدا : كلهـم لآدمَ وآدم من تراب . لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بعمل ينفع المجتمع ويرفه عنه « يأيها النـاس انا خلقناكم مـن ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وجه الاسلام أبناءه الى هذه الأخوة الانسانية العامة ، ترفعا بهم عن معانى العصبية البغيضة ، وتقريبا للقلوب ، وليدفع عنهم سيطرة الغرائز الحيوانية الدنيا ، وما تدعو اليه من الأثرة والغيرة والشك ، وحب السيطرة والتغلب على المخالفين للمبدأ والفكرة ، وليحملهم بذلك على الاسهام في ايجاد مجتمـع مثالى نظيف متعاون متكافـل ، يسوده العقل ، ويسيطر عليه العـدل ، وتصرف شئونه عواطف الخير والمحبة والانصاف ، ويتلاقى

النـاس فيه على أنهم جميعا خلق الـه واحد ، وأبناء أب واحد ، وأصحاب أهداف متقاربـــة ومصالح متشابكة .

ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى أقر الأسس وأوضح المعالم فى هذا الشأن حين جاء فى تعاليمه بالنسبة الى مخالفيه من أهل الكتاب : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وحين ترفع عن العنصرية فأجاز أكل ذبيحة الكتابى ، وأوجب قتل المسلم بالذمى . بل حين ترقى ، فأذن للمسلم أن يتزوج الكتابية ، مع تركها حـرة فى بقائها على دينها ، واباحته لها أداء تكاليفه والتعبد على طريقتها فى كنيسته وحـين وجه أبناءه عامـة أن يترفقوا بهـؤلاء ، ويحسنوا اليهم : « لا ينهاكم الله عـن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » .

هذا هو الاخاء كما يدعو اليه الاسلام وانه لمبدؤه الخالد ، وشعاره الواضح ، وعمل أهلـه الـذى لا ينكر ، منذ ألف وأربعمائة عام ، وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ، دون ما تنكر له أو أغضاء من شأنه أو انحراف عنـه او خـروج على قواعد تطبيقه من جانبهم ، مع ترفع عن مقابلة الشر بالشر أو الاساءة بمثلها .

فأين من ذلك ما يزعمه الفرنسـيون بعد أن قاموا بثورتهم المشهورة وما يتفنون به ويتغنى به كتابهم وذوو الأقلام فيهم من أنهم أصحاب مبدأ الاخاء ، والداعون اليه ، والمنادون به هذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقد عرف العالم كله ما لهم من فظائع تبطل دعواهم وتطعنها فى الصميم . وفيما كان من أمر البلاد التي شـقيت بحكمهم لهـا واستعمارهم اياها ، وفيما خضبت بـه أرض الجزائر من دماء الشـهداء : رجالهم ونسـائهم وشبابهم وكهولهم ، على مدى سـبع سـنوات شداد ، بله ما سبقها ما يرد على هؤلاء الزاعمين ، ويسكت أصوات المتغنين .

وأين منه كذلك ما تتمدح به أرقى الأمم حضارة من اعلانها حقوق الانسان واحتفائها بذكرى هذا الاعلان كل عام ، وهي التي يقع تحت سمعها وبصرها وفى ديارها وفى البلد الذى اتخذته مقرا لها . ما يلقاه الزنوج على يد البيض من مطاردة ومقاطعة وتحقير ، وهم جميعا أبناء وطن واحد ، ودين واحد ، وجنسية واحدة ، وثقافة واحدة ، وحضارة واحدة .

ان المآسى المعروفة الناتجة عن قضايا الأجناس والالوان ، وقضايا سـيطرة الاوربيين على من لا يزالون يئنون مـن وجودهم بينهم واغتصابهم حقوقهـم وأموالهم ، وتدخلهم فى شئونهم وبلادهم، وهم أبعد الناس عنا . ان هذه المآسـي مخجلة لأمم الحضارة . دالة على نقص كبير فى عقول القائمين علىأمرهاوالمصرفين لسياستها . وعلى أن غرائزهم ما تـزال بعيدة عـن معانى السـمو ، ومعانى الانسانية العالية الرشيدة ، وأن علـوم هذه الحضارة ومعارفها وكل ما أوجدته لم يهذبها التهذيب الحقيقي ، ولم يصقلها الصقل الذى يشعرها بالأخوة الانسانية ، اذ لم تصل بعد الى ما وصل الاسـلام بأبنائه اليه فى مجتمعاتهم ، وفىالبلاد التي افتتحوها ، منذ أكثر من الف عام ، ومـا تزال تلك طريقتهم والحمد لله .

أليس يحق لنا من أجل ذلك كلـه أن ندعو العقلاء على اختلاف نحلهموعقائدهم أن يتدبروا بحق تعاليم الاسلام،ويرجعوا الى هدى الاسلام ؟ ! انهم ان استجابوا حلوا جميع مشاكلهم وأصبحوا مع الناس اخوة متساوين فالاسلام وحده هو دين الاخـاء .

خواطر من هنا وهناك

وانا له لحافظون :

فى سنة ١٩٦٠ قامت العصابات الصهيونية بطبع الوف النسخ من القرآن الكريم ، بعد ان عمدت الى تحريفه وتزييفه ، فأسقطت منه بعض الآيات ، وغيرت فيه بعض الحروف والكلمات ، ثم قامت بتوزيعه فى كثير من الدول الافريقية والآسيوية بعد ان طبعت عليه الشعار الاسرائيلي المعروف .

وقد اثار هذا العمل الاجرامي يومئذ ثائرة المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وفزعوا له واحتجت الدول والهيئات الاسلامية فى العالم على هذا العدوان على كتاب السماء الوحيد الذى بقي سليما محررا الى يومنا هذا وتناقلته الاجيال عبر القرون الماضية نصا وأداء كما أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

وكان هذا الاجتراء على كتاب الله احد الاسباب التي دعت الجمهورية العربية المتحدة الى الاسراع فى تسجيل المصحف المرتل وطبعه وتوزيعه على اذاعات الدول الاسلامية وغيرها ... وكان هذا مظهرا من مظاهر الحفظ والصون التي خص الله بها هذا الكتاب العزيز ✻ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ✻ .. انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ✻ .

وقد تناقلت الصحف فى هذه الايام نبأ مفاده انه نمى الى الدول العربية أن العصابات الاسرائيلية شرعت فى اعادة طبع المصحف المحرف الذى سبق ان قامت بطبعه فى سنة ١٩٦٠ .

وهذا العمل الخسيس الذى مرنت عليه اليهودية من قديم الزمان وسجله عليهم القرآن الكريم ✻ فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ✻ فبما نقضيهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ..

هذا التحريف والتزوير يؤكد للعالم كله ، لجميع الاجناس والشعوب، لجميع الملل والنحل ان الصهيونية بلاء عالمي يهدم القيم الروحية والمثل الاخلاقية ويهدد الانسانية بالتفسخ الديني والخلقي والاجتماعي ، ولا يتورع عن استخدام اسوأ الوسائل كالتحريف والتدليس والدسائس والمؤامرات والذهب والنساء لاشاعة الرذيلة وافساد الاخلاق .

ويؤكد مرة اخرى ان اليهودية المزيفة التي يعتنقها الصهاينة دين متعصب حقود يلعن الاديان كلها ويسعى لافسادها للتخلص منها .

ان اصرار الصهاينة على تحريف كتاب الله يؤكد ان القضية الفلسطينية ليست صراعا بين مليونين من العرب أخرجوا من ديارهم واموالهم بغير حق وبين مليونين من اليهود حلوا محلهم واغتصبوا ديارهم واموالهم ... ليست القضية قضية قطعة من الارض المقدسة اغتصبها هؤلاء من اولئك انما هي قضية عقيدة ، قضية دين ، قضية الاسلام الذى يعتنقة أكثر من ستمائة مليون مسلم تسعى اسرائيل لازالته من الوجود بطمس حقائقه واطفاء نوره وماذا يبقى من الاسلام وماذا يبقى للمسلمين اذا حُرِّف كتاب الله .. يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فما يقول بعد هذا المسلمون الذين يريدون ان يصفوا القضية الفلسطينية على اساس الاعتراف بالامر الواقع مع مجرمين محترفين قطع الله الامل فى اصلاحهم ... أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

والى متى تستمر حملات السباب والمهاترات بين المسلمين واعداء الله الذين قاتلوا الانبياء منذ العصور الاولى يسعون جاهدين ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا .. ؟

وقف الاعراس :

نشرنا فى هذا الباب من العدد الرابع تحت عنوان المدارس التبشيرية صورة من صور الخير المزيف ولونا من الوان البر المزور ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، ونعرض اليوم صورة مقابلة .. صورة مشرقة تمثل البرّ فى ارقى معانيه والمعروف بوجهه الحسن الوضاء ... صورة للعاطفة الانسانية الرحيمة كيف يسمو بها الاسلام الى مستويات مثالية تظل من يحيا فى محيطها بظلال حانية رحيمة .

وانا نستهدف من وراء نشرها ان تهتز اريحية مياسير المسلمين لامداد هذا النبع الصافى الذى كاد يجف بعد ان كان ثراراً يرده العافون من كل حدب وصوب .

وهذا النبع يتمثل فى نظام الوقف الخيري الذى شرعه الاسلام وأمده المسلمون السابقون بفيض اموالهم فقد كان كثير من اغنيائهم يجعل لله نصيبا مما رزقه يرصده للانفاق فى وجوه الخير العام لتشييد المساجد والمدارس واقامة المستشفيات ابتغاء المثوبة والقربة عند الله تبارك وتعالى ووفاء بحق المجتمع واداء للحقوق الواجبة له واسهاما مع الدولة فى تحقيق العدالة الاجتماعية لافراد الامة التي هو جزء منها وعضو فيها .

وقد تطورت الجهات الموقوف عليها تطورا كبيرا تبعا لاختلاف البيئات وتقدم الزمن وحاجة المجتمع . فبعد ان كانت الارض والعقارات تحبس على حفر بئر او سبيل للسقيا ، او على توزيع صدقات

البقية على ص ٩٦

بقية موقف الاسلام من نظام الرق

قيود الرق عن رقاب الرقيق . والمقصود بالصدقات فى الآية الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة . فبينما كانت الشرائع السابقة للاسلام تفرض على من يعتق عبده غرامة يدفعها الى الدولة ، اذا بالشريعة الاسلامية تخصص جزءا من ميزانية الدولة للانفاق منه على تحرير العبيد .

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن الاسلام لم يقر الرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج . وذلك بأن ضيق روافده، ولم يسمح ببقاء ما أبقاه منها الا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق الى أبعد الحدود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه موارده التى يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف .

الاسلام ينصف الأرقاء

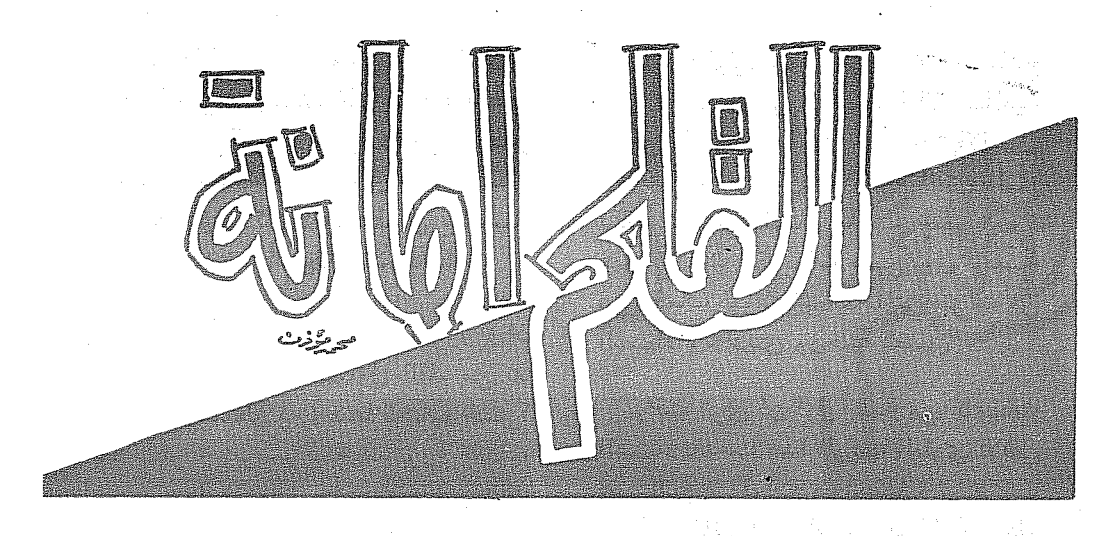
ثالثا : ـ موقف الاسلام حيال حقوق الرقيق ـ وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه والتي كانت تهدر آدميته ، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه ، وتحترم انسانيته ، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

فمن ذلك أن الاسلام قد أقر أن يكون للرقيق أسرة بالمعنى القانوني الكامل لهذه الكلمة ، وأباح للرقيق الذكر الزواج من أمة مثله ومن حرة ، وأباح للأمة الزواج من رقيق مثلها ومن حر ، بنفس الأوضاع والشروط والعقود التي يتزوج بها الأحرار ، فيما عدا اشراف السيد على عقد الزواج لعبده أو أمته . ويذهب الامام احمد بن حنبل أنه اذا كان الرقيق بالغا عاقلا فان السيد لا يملك اجباره لأنه يملك الطلاق فلا يجبر على النكاح .

وقد كانت الشرائع السابقة للاسلام لا تعترف لطائفة الرقيق بحق الزواج ولا بالحق فى أن تكون لهم أسرة بالمعنى القانوني الكامل . وكان الاتصال بين ذكورهم واناثهم لا يعتبر زواجا ، وانما كان يتم باختيار مواليهم وفى صورة يقصد منها مجرد التناسل وتكاثر عدد الرقيق كما يحدث بين الأنعام . وكان يحظر على الحر أن يتزوج أمة ، وعلى الحرة أن تتزوج رقيقا . بل ان معظم هذه الشرائع كانت توقع على الحرة التي تتزوج رقيقا عقوبة قاسية وصلت في بعض هذه الشرائع الى حد الاعدام (القانون الروماني مثلا) .

ومن ذلك أيضا أن الشريعة الاسلامية جعلت طلاق زوجة العبد من حقه هو نفسه لا من حق مولاه . فقد روى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس أنه قال . جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم رقيق وقال له . « يا رسول الله، سيدى زوجني أمته ، وهو يريد أن يفرق بيني وبينها » . فقال عليه السلام « أيها الناس ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ؟ ! انما الطلاق لمن أخذ بالساق » . ويقصد بذلك أن حق الطلاق فى هذه الحالة لا يكون الا للزوج نفسه لا لسيده .

ومن ذلك أن الاسلام جعل الامان الذى يعطيه عبد مسلم من المقاتلين ملزما للجيش كله وواجبا احترامه كالأمان الذى يعطيه الحر سواء بسواء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » وروى البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » أن المسلمين قد حاصروا حصنا فى بلاد فارس حتى أوشكوا أن يفتحوه ، ولكن عبدا مسلما فى جيش المسلمين كتب من نفسه أمانا لأهل الحصن ، ورمى به اليهم فى سهم ، فكتب المسلمون بذلك الى عمر ابن الخطاب ، فكتب اليهم يقول « ان العبد المسلم من المسلمين ، ذمته كذمتهم، فلينفذوا أمانه » .



للأستاذ عبد الكريم الخطيب

وصف الجاحظ الكتاب وصفا كاشفا مجليا ، لا نحسب أن احدا من الكتاب قد سبق « الجاحظ » او لحقه في الكشف عن تلك السمات المشرقة الوضيئة التي عرضها للكتاب فى هذا الوصف المستقصي والرائع معا .

« والجاحظ » بهذه الصورة الكريمة التي عرض فيها للكتاب ، وبهذا التصوير البليغ الدقيق له ـ قد فتح للكتاب طرقا كثيرة مستقيمة الى العقول والقلوب ، وجعل له فى الناس شهوة يتشهونها لكل متعة من متع الجسد ، أو رغيبة من رغائب النفس والروح ، فيجدون فى طلبها ، ويبالغون فى الحصول عليها .

ولا نكذب الواقع اذا نحن عزونا الى الجاحظ ، والى هذا الأثر الخالد الذى تركه فى وصف الكتاب بصفة خاصة ـ فضلا ظاهرا فى خلق تلك الحركة القوية الدائبة التي شملت الحياة الأدبية فى عصره ، والتي كان جمع نفائس الكتب واقتناؤها واستنساخها اللون الغالب فيها ، لا فرق فى ذلك بين الخاصة والعامة ، ولا الأدباء وطلاب الأدب . . وكان من ذلك ظهور تلك المكتبات العامة والخاصة التي عمرت بنفائس الكتب ، ومذخورات العلوم والفنون عند العلماء والأمراء والوزراء والقادة ، فضلا عن الخلفاء وأبناء الخلفاء ، وكان وصف الجاحظ للكتاب ـ على ما نحسب ـ هو الذى أغرى الناس باقتنائه ، وعده ذخرا كريما يكسب من يضمه اليه مجدا وشرفا ان يكن قد أعياه اطلاع منازل المجد والشرف ، على حين يزداد به أصحاب الوجاهة والعزة وجاهة وعزة .

ولا نريد أن نعرض هنا تلك الرائعة من روائع الأدب العربي الجاحظي في وصف الكتاب ، فهي أشهر من أن يدل عليها عند كل من اتصل بالأدب العربي من قريب أو بعيد .

ولكن الذى أريد أن أحدث لك منه ذكرا من أمر هذه الرائعة الجاحظية هو

أنها على ما ضمت عليه من آيات البلاغة وسطوة البيان لم تبلغ غاية الوصف الحق للكتاب .. فالكتاب شيء عظيم ، يقصر عنه كل وصف ، ويستخزى دونه كل واصف ، ولو كان الجاحظ فى بيانه المبين ، وبلاغته البليغة المشرقة ! .

ولا تعجل فترمي بكلمة « الغرور » اذ تحسب أننا نريد أن نتناول القلم من يد الجاحظ فنسطر به وصفا للكتاب خيرا مما سطر ، ونرسم به صورة للكتاب أحسن مما صور ، حتى نقيم من ذلك الوصف الذى قلنا ان الجاحظ لم يبلغ به ما ينبغي أن يوصف به الكتاب ! .

وكلا ، فما تحدثنا النفس بشيء من هذا أبدا ونحن فى مواجهة أدب الجاحظ ــ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقرر أننا نجد بين أيدينا صورة للكتاب تقف منها الصورة الجاحظية موقف الحصا من الدر ، والتراب من الذهب ، والأرض من السماء .

ومهلا مرة أخرى ، ولا تلق بكلمة « الجهل » حين يكبر فى صدرك أدب الجاحظ ــ وهو أهل لأن يكبر وأن يعظم ــ فتقول وهل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ، وهل فوق بيانه بيان ؟ .

ولا نريد أن نعطيك الجواب على هذا ، فهو متروك لك تضعه ايجابا أو سلبا ، بعد أن نفرغ معا من هذا الحديث .

منزلة القلم فى القرآن

ذكر القرآن الكريم « القلم » في موضعين منه .

المرة الأولى .. فى أول آيات استفتح بهن الوحي الالهي الرسالة الاسلامية « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .. فهذه الآيات الكريمات هن أول دفعة من دفعات غيوث الرحمة التي تنزلت من السماء .. هدى ورحمة للعالمين .

وأنت ترى أن أول كلمة من كلمات السماء تقدمت هذا الموكب العلوى الالهي هي كلمة « اقرأ » ولواحقها ، ثم تلتها كلمة « خلق » وتوابعها ، ثم كلمة « علم بالقلم » ... فالقراءة ، والخلق والتعليم بالقلم هن طلائع هذا النور الالهي ، وهن رائدات هذه الحملة السماوية المرسلة من رب الناس الى الناس ، وما في محاميلها الا الخير والرحمة والنور .

والقراءة لا تكون الا من كتاب ، والكتاب لا يكون الا مما يسطر ويخلق القلم !

وكما خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بالكلمة « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وكما خلق جل شأنه الانسان ، وأنشأه على تلك الصورة الكريمة .. من علق .. من نطفة .. من ماء مهين كذلك يخلق الانسان بالقلم الذى وضعه الله تعالى في يد الكاتبين من عباده ، وأقدرهم على التصرف به ــ كلمات سويات الخلق ، تخلقن من رؤى ، وخواطر ، وأمشاج مختلطة من الرؤى والخواطر .. فكنّ علما ، وكنّ حكمة ، وكنّ أدبا !

ولا تنظر الى علم اللسان ، وما تتحرك به الشفتان فهو من وراء علم القلم ، ومن جنى ثمره ، وداني قطوفه .. اذ أن علم

القلم هو العلم الذى يمسك بأحسن معطيات العقل وأكرمها .. انه العلم الذى يأتي عن روية ،وتدبر ، وتفكير .. انه العلم المنخول المتخير الذى يتخلى عن الرأى الفطير الذى لم ينضج ويتجاوز سقط الكلام وسفسافه ، ولا يرضى من صاحبه أن يمسك به الا على حذر واشفاق من أن يخط بيمينه ما يسجل عليه الحماقة ، والسخف والجهل ، ففي ذلك عار الدهر ، وسبة الأبد ، وخزى الوالد وما ولد ! اذ أن ما يخطه القلم من زين أو شين ، وما يسطره من حسن أو قبيح هيهات أن تمحوه الأيام ، أو تذهب به السنون .

القلم عصمة لصاحبه

ان القلم هو عصمة لصاحبه من كثير من الهفوات والسقطات والعثرات ، وما عثر صاحب قلم مرة الا كان عثاره بلسانه أضعاف ذلك مرات ومرات .

وقد يبدو القلم عند كثير من الناس أنه مجرد أداة عاملة متحركة فى يد الكاتب بلا تقدير ولا حساب ، يضرب به يمينا وشمالا حسبما يشاء ، دون أن يعوقه عائق أو يصده عن ذلك صاد .

وكلا ..فانالقلم رقابة حكيمة واقية، تدفع عن الممسك به كثيرا من الزلات والعثرات التي كان جديرا أن ينزلق اليها لو أنه أسلم نفسه لمعطيات لسانه ، ووصل شفتيه بما يجرى فى خاطره .. فحين يمسك صاحب القلم بالقلم تجتمع اليه خواطره المشتتة ، ويضيء اليه رأيه العازب ، ويتعطل لسانه عن الثرثرة ، ان كان من أصحاب الثرثرة ، ثم اذا خط بالقلم شيئا ، وصور به فكرة أو رأيا رأى هذه المخلوقات التي صورها رأى العين ، وعرف وجوه الحسن والقبح منها ، وكان له على ذلك السلطان المبين .. فله أن يمحو ما يشاء ويثبت ، وكان له أن يعدل ويبدل من خلقها ، حتى تستقيم فى نظره على أحسن ما يمكن أن تسمح به قدرته وصفته .. وليس كذلك ما ينطق به اللسان ، اذ لا سبيل الى اعادة النظر فيه ، وتقليب وجوه الحسن والقبحمنه .

وأريدك أن تستحضر هنا صورة هذه الأسراب الطائرة الى معاهد العلم من مطلع الصباح ، وبين يدى شعاعات النور التي تتقدم موكب الفجر .. من كبار وصغار ، ومن بنين وبنات .. تجد أنها انما تنهض جميعها بجنا حين .. أحدهما القلم ، والآخر الكتاب .. ولو ذهبت تجرد أى طائر منها من قلمه أو كتابه لقعد فى مكانه ، مهيض الجناح ، كسير الخاطر ، ولما كان له الى مناهل العلم غدو أو رواح ! .

وأريدك مرة أخرى أن تنفذ بعيني خيالك الى حجرة من حجرات الدرس فى مدارس الطفولة .. انك لتجد الأقلام تتحرك بين تلك الأنامل الرخصة الدقيقة اللطيفة ، فتخط علي الورق رؤى الطفولة وأحلامها وترسم على القراطيس نزعاتها ورغباتها .. فى أمانة وصدق ، لم يختلط بشيء من الصنعة والمداراة .

ان تلك الخطوط المتقطعة المضطربة هي عالم الطفولة كله .. فى باطنه وظاهره جميعا .. انها كتب مسطورة تحدث ــ من يحسن الاستماع اليها ــ بأبلغ حديث عن عالم الطفولة ، وما يموج فيه من ألوان وحبور .

وكذلك الشأن فيما بين القلم وبين من جاوزوا مراحل الطفولة ومبادىء العلم الى مراحل النضج العقلي والعلمي .. فما تخط أقلامهم هو الصميم من وجودهم،وهو النطف المصفاة من خلجات صدورهم ومسارب أفكارهم .

لهذا كان تنويه القرآن الكريم بالقلم على تلك الصورة التي تجعله مع أول كلمات منكلمات الله ، تستفتح بهن رسالة الاسلام ، ويكون مع اول كلمات يتلقاهن النبي الكريم من وحي السماء ! .

والاحتفاء بالقلم هذا الاحتفاء الكريم هو احتفاء ضمني بالكتاب ، اذ الكتاب هو الثمرة التي تمخض عنها القلم ، وألقى بحصاده كله فيها ، وانه ما كان للثمرة أن تطيب وأنتزكو الا اذا طابت نبتتها ، وزكت وبوركت شجرتها .

استمع الى قوله تعالى ، وقد ذكر القلم ذكرا ثانيا «ن والقلم وما يسطرون» مقسما به ، مع ذاتين غيره .. « النون » وهو حرف يمثل المقاطع التي تتشكل منها الكلمات ، ثم الذات الأخرى وهي « ما يسطرون » أى ما يسطر الكاتبون بأقلامهم ، وما يقيمون من كلمات بوساطة الحروف ، وضم بعضها الى بعض ..

فالحروف ، والقلم الذى يجمع هذه الحروف ويصورها ، والكلمات التي تجتمع مما يخط القلم والصور قد جاءت جميعها فى مقام التشريف والتكريم اذ أقسم الله سبحانه بها ، وكان القلم واسطة عقدها ، وناظم درها ، وجامع شملها .

والقسم من الله بمخلوقاته تشريف ، وتكريم لها ، وتنويه بها ، ورفع لذكرها !

ولقد أخذ بعض المستشرقين على القرآن الكريم أنه يضع اللهسبحانه موضع المقسم بمخلوقاته ، والقسم عادة يكون ممن هو أدنى بمن هو أعلى .. وبهذا لا يكون القسم الا بالله ، كما يصرح بذلك الا نجيل ..

ونقول وكذلك القرآن يجعل الحلف من المخلوقين بالخالق وحده دون غيره ، ويوصي بأن يكون ذلك فى اقتصاد ، واحتراز .. « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » .. ويقول نبي الاسلام « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

ولكن هذا شيء والقسم من الله ببعض مخلوقاته شيء آخر .. فلله وحده أن يعظم ، ويكرم ما يشاء من خلقه ، ويفضل على مايشاء من مخلوقاته، وعرضها فى هذا المعرض العظيم الكريم .. « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

(رسالة القلم)

ونعود الى القلم .. فنقول ـ

ان القلم الذى هو الوسيلة الى الكتاب شيء كريم على الله ، عظيم عنده .. فكيف بما يسطر القلم ويصور ؟ ان القلم انما استأهل هذه المنزلة الكريمة بما سطره .. والا فهو مجرد شيء لا يلتفت اليه ، ولا يؤبه له .

وتدبر هذه اللفتة السماوية الرائعة حقا ، والتي ألقت على حملة « القلم » امانة حفظه ، وحياطته من أن ينزل عن تلك المنزلة الكريمة الرفيعة التي رفعه الله اليها ، وأن ينحرف فى أيديهم الى مهاوى الضلال والفساد .. ولهذا أقسم الحق سبحانه بما يكتب الكاتبون « والقلم ومايسطرون » فهذا الذى يسطره أصحاب

« القلم » أو الذي ينبغي أن يسطروه يجب أن يكون شيئاً عظيماً طيباً نافعاً يستأهل هذا التشريف والتكريم من رب العالمين فيصبح في عداد الأكوان العظيمة التي تعرض لهذا التشريف منه الله وتكون فيما يقسم به منها وهذا يعني أكثر من حكمة . .

فأولاً : — أن يعرف صاحب القلم أنه إنما يحمل أمانة عظيمة ، ينظر إليها الله كأعظم وأكرم نعمة التي أنعم بها على عباده ، وأن عليه لكي لا يحسب في خائني الأمانات أن يرعاها حق رعايتها ، وأن يحفظها من كل سوء يعرض لها .

ثانياً : — أن يذكر صاحب القلم ما لهذا القلم في يده من رسالة كريمة في الحياة ، وأنه بهذه الرسالة كان أول محمول من السماء إلى الأرض في رسالة الإسلام ، ليشارك في بناء مجتمع انساني معافى من العلل والآفات النفسية والروحية والعقلية ، بما يفتح للناس من سبيل الحق ، والعدل ، وما يرفع لهم من معالم الهدى والنور .

فاذا لم يستقم صاحب القلم والممسك به على هذا الوجه الذي يحفظ للقلم جلاله وبهاءه ، وإذا لم يسطر به ما ينظر الله إليه فيجده على الكمال والتمام الذي يستحق به أن يدخل مدخل ما أقسم به مما يسطر القلم ، فقد خرج صاحب القلم من زمرة الكرام الكاتبين ، وسقط من يده هذا القلم الكريم الذي أقسم الله به ، وبقيت في يده قطعة من خشب أو معدن يسود بها وجوه الورق الأبيض له .

ونعود إلى سؤالنا الذي تركناه آنفاً هل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ؟ وهل فوق بيانه بيان ؟ وإنا لنظلم « الجاحظ » ونظلم كل كاتب إذا نحن عرضنا أدبه وكتابته في مواجهة آية من آيات الله ، أو كلمة من كلماته !

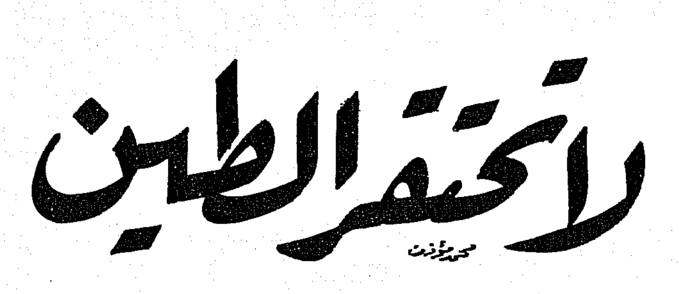
وندع الجاحظ وما كتب في الكتاب !

ونقف بين يدي هاتين الكلمتين من كلمات الله ، وقفة خشوع وخضوع « والقلم وما يسطرون » . . ففي كلمتين اثنتين جمع القرآن رسالة العلم والعلماء في الحياة . . في أكرم صورة يمكن أن يتجلى عنها علم العلماء ، وفي أطيب موقع يمكن أن يقع من الحياة .

وننظر فنجد أن القلم على جلاله وعظمته ليس في ذاتيته قدرة يملك بها أمر الكاتبين فيحول بينهم وبين أن يعدلوا به عن غاياته الكريمة ، وأن يستملوه من مداد آسن آثم ، وأن يسطروا به المآثم والشرور ، فكم سجل التاريخ لأصحاب الأقلام من ضلالات وانحرافات ، وكم شقي الناس بما أذاعت فيهم مسطورات الأقلام من إفك وبهتان ؟

ولقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين يخونون أمانة القلم فيخطون به الزور والضلال ، ويزينون به الآثم ، ويحرفون به الكلم عن مواضعه . . فقال تعالى ((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون)).

فليذكر أصحاب الأقلام أن في أيديهم آية من آيات الله ، وأن من شأن هذه الأقلام أن تكون معجزات تتفجر منها ينابيع الخير والهدى ، فإن مكروا بها مكر الله بهم ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله .



للاستاذ عبد العزيز العلي

لقد اقتضت حكمة الباري جلت عظمته أن جعل ملائكته الكرام من نور ، يملأ كل حيز مفتوح للنور ، وينفذ من كل نافذة مفتوحة لاستقباله ، وخلق الشيطان من مارج من نار ، يمثل الظلام الذى يحل تلقائيا فى كل مكان مغلق عن استمداد النور ، ثم خلق الانسان من سلالة من طين : أى جهاز طيني قابل لاستمداد النور واشعاعه‌ان ذَكَر وصلح، والعكس ان غفل وفسد ، ومعلوم ما هو حاصل من التخالف بين النور والظلام كسنة كونية .

والملائكة الكرام يغارون الا يقدر الله حق قدره ، ويسبح حق تسبيحه ، ويقدس حق تقديسه بغفلة مثل هذا الانسان الحيادى الوسط ذى القابليتين والمجال الأول للطاقتين المتضادتين ، فيغلق نوافذه عن النور ، فيهوى الى الفساد والافساد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، وقد ظهر ذلك من الحوار بين الله وملائكته فى هذه الآية « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون » .

التقدم العلمي ميزة الانسان

كما ظهر من الامتحان العلمي الذى نجح به آدم فى الملأ الأعلى بعد ذلك أن لدى هذا المخلوق الآدمي ناحية ليست موجودة لدى الملائكة الكرام ، وهي التقدم العلمي والتطور الفكرى ، وان للانسان تصرفا وطموحا ، وأنه ينشد الكمال ، ويحارب الحرمان ، فاذا لم يخرج به ذلك عن انسانيته الجزئية فى هذا الكون فانه يسمو على الملائكة فضلا عن المخلوقات الأخرى ، فامر الله ملائكته الكرام بالسجود لآدم تقديرا للخير الذى نجح به ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستنكف ابليس مع سقوطه فى الامتحان العلمي اعتزازا بناريته واحتقارا للطينة الآدمية « فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا » « قال انا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين » فطرده الله من رحمته .

ومن الغريب أني أرى البعض يحتقرون الطينة الآدمية باسمها احيانا وباسم المادة احيانا اخرى اعتقادا منهم ان فى ذلك تقربا الى الله، والذى يظهر مما تقدم ان الذى يحتقر الطينة الآدمية يحاكي الشيطان فى فعلته ويستحق البعد والعقاب او التنبيه والعتاب وفى قصة آدم عليه السلام ما يوضح ذلك :

بينما كان أبونا آدم عليه السلام غارقا فى طموحه وتفكيره متجاوزا انسانيته المحدودة ، متسائلا عن أمور ثلاثة حرم منها كانسان مخلوق طيني له ملكية محدودة ، وله عمر محدود ، ويجب أن تكون له أنظمة وقوانين يلتزم بتطبيقها وهذه الأمور الثلاثة :

١ ـ لماذا لم يكن كالملائكة فى نورانيتهم وانطلاقهم ؟ .

٢ ـ لماذا ينقص عمره فى كل يوم يمر عليه ؟

٣ ـ لماذا حرمت عليه هذه الشجرة الواحدة ؟ .

فكانت نظرته أنانية بحتة متجهة نحو الحرمان ناشدة الكمال ، اذ لو ارتفع بتفكيره لما احتقر الآدمية التي امر الله من فى الملأ الأعلى بالسجود لها ، كما أن الخلود لا يكون الا لله وحده ، وان كامل الملك لا يكون الا لله كذلك ، فكانت لآدم فترة غفلة عن استقبال النور « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » استغلها الظلام كسنة كونية ليحقر الطينة عنده ويخلصه منها ويغريه أيضا بتحقيق الحرمانين الآخرين وهما ـ ادخال الشجرة الواحدة فى ضمن ملكه الواسع واباحة الأكل منها ، ومعرفة فلسفة تحريمها والأمر الثاني أو الثالث هو الخلود ، وقد اخبرنا القرآن عن ذلك « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين » . « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » .

فى معترك الحياة

ونرى ان الله جلت حكمته انتصر للآدمية الصالحة فى جميع المواقف اذ أمر الملائكة الكرام بالسجود لآدم ، وعاقب الشيطان بالطرد من رحمته عندما احتقرها وامتنع من السجود ، وعاتب آدم نفسه عندما فكر فى التخلص من الطينة بالهبوط الى الأرض ليؤدى هو وذريته الامتحانات العلمية المتواصلة المقرونة بالايمان والتقوى ، فالناجح فى تسخير الأرض واكتشاف كنوزها وخباياها وفي سبر اغوار الفضاء ومعرفة اسراره الكونية يفوز بجنة الخلد والنعيم المقيم والراسب فى مختلف شؤون الحياة من علمية وعبادية أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه .

وان من يتأمل فى المخلوقات الثلاثة الايجابي والسلبي والحيادى قد يخطر له ما خطر لي من المقارنة بينها وبين عناصر الذرة التي تتكون منها المخلوقات فى الأرض وفى السماء وهي ـ البروتون ايجابي ، والالكترون سلبي والنترون حيادى ، ولولا اختصام الملأ الأعلى لأصبح الجميع ايجابيين وتعطلت التقدمية العلمية التي فضلها الله ، وانتصر لها

فى جميع المواقف ، وتعطل بقاء الانسان فى الوسط الطبيعي بين السلب والايجاب ليؤدى رسالته .

والنفس هي مناط الخير والشر فى مصيرها ومصير الجهاز الآدمي ما وجدت فيه وتفاعلت معه ، وحكمها فيما يظهر لي كحكم سائق السيارة ان احسن امساك المقود ، ولزم الطريق السوى وتحاشى الاصطدام بحدود استطاعته قد ينجو وتنجو السيارة والعكس بالعكس .

وبانفصال النفس عن الجسم ينقطع عمل الانسان الا مما قدمه من خير أو ما خلفه من أثر طيب كصدقة جارية وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له ، وكل من مات ندم على عمل الشر وعدم الاستزادة من الخير . « ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » .

ولذلك يجب الا نسقط دور الجهاز الطيني فى مقبل حياتنا الاخروية أو أن نقلل من أهمية المرحلة الأرضية التي تجتازها نفوسنا من خلال اجهزتنا الفانية التي تترتب عليها ، كما يجب علينا بمقتضى انتصارنا العلمي عند اختصام الملأ الأعلى ان نستغل كياننا الآدمي بكل امكانياته لنحقق من الخير ما ميز الله به آدم على سائر المخلوقات وفى الحديث الشريف « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض وحتى الحيتان فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير» وفى الأثر عنه صلى الله عليه وسلم « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » . « ومن تساوى يوماه فهو مغبون » .

وعلى ضوء ما تقدم أهيب برجال العلم والمعرفة ألا يحتقروا الآدمية التي نصرها الله فى الملأ الأعلى وفى جميع المواقف بالعلم الخير ، والعلماء مهما مالوا او انحرفوا فى البداية فلا بد من الاستقرار للعلم الصحيح على الايمان لقوله جلت حكمته « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله سبحانه « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » وقوله جل شأنه « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » نعم سيقول العلماء بعد ما يتبين لهم الحق لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية .

عن نصيح العنسي عن ركب المصرى قال . قال رسول الله صلى **الله عليه وسلم :**

« طوبي .

لمن تواضع فى غير منقصه

وذل فى نفسه من غير مسألة

وأنفق مالا جمعه فى غير معصية

ورحم أهل الذل والمسكنة

وخالط أهل الفقه والحكمة

« طوبي .

لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ،

وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره.

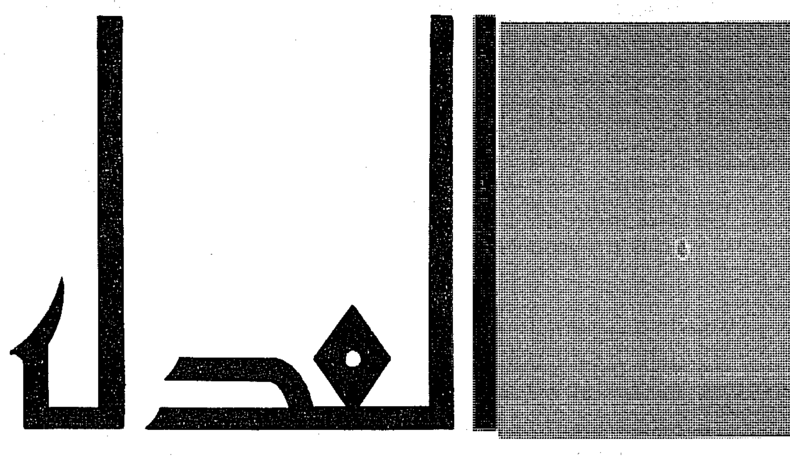
« طوبي .

لمن عمل بعلمه

وأنفق الفضل من ماله

وأمسك الفضل من قوله

« رواه الطبراني »



للاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم

العدل لغة الاستقامة ، وهو ضد الميل والانحراف ، والعدل قوام كل شيء ، فلا تستقيم الأمور الا به ، ولا تكون الأشياء في نصابها الا معه .

والمجتمع الذى تسوده العدالة يصبح متماسك الجوانب ، خيِّر الانتاج ، وافر الثروة ، رتيب النظام ، كامل الطمأنينة ، لا تؤثر فيه العوامل المفسدة ، ولا تحركه النوازع الخبيثة ، واذا شاعت العدالة في المجتمع نما الوازع الأخلاقي،وانبثت روح المساواة والايثار ، وتقدم المجتمع نحو الرقي الحضاري ، وتسابق الناس الى الانتاج المثمر والعمل المفيد ، ذلك أن العدالة توفر لهم الأمن والطمأنينة النفسية ، وتهييء لهم ظروف المعيشة الشريفة ، وقد قيل : (عدل السلطان خير من خصب الزمان) وبالعدل يبلغ الانسان المرتبة التي خلق لها وهي الخلافة في الأرض .

ولقد اتجهت الشريعة الاسلامية الى تثبيت قواعد العدل ، وألزمت الناس به فى كل صغيرة وكبيرة ، وأبانت أن لا حياة ولا استقرار الا به ، فهو قوام لصلاح النفس وصلاح البيت وصلاح المجتمع ، وفى كل مناسبة واتجاه ألزمت به وأمرت باتباعه ، ففي السورة التي يقرؤها كل مسلم سبع عشرة مرة فى صلاته المفروضة يتلو قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) (١) وهكذا يظهر الاسلام قيمة العدل فى أدق تعبير وأجمل تصوير، وهل يمكن أن نتصور استقامة على الصراط دون عدل ؟ .

والاسلام ينحو الى تركيز العدل وتثبيت أصوله تثبيتا الزاميا منطقيا فيقول تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) (٢) ولن تجد احكاما كهذا الاحكام فى توضيح منزلة العدل وأهميتها العظمى ، فقرن سبحانه وتعالى رفع العوالم بوضع العدل ، وهذا منتهى العظمة ومبلغ الاستقامة ، ثمّ امر سبحانه بعد هذه

(١) سورة الفاتحة

(٢) سورة الرحمن .

الآية بالتمسك بالعدل واقامته وحذر الانسان من أن ينحرف عن هذه القاعدة السليمة أو أن ينحدر عن هذه الاستقامة، فيقول تعالى (الاّ تطغوا فى الميزان) (١) وتثبيتا للغاية المثلى أمر سبحانه فى الآية التالية بالتخصيص الدقيق والافهام القريب فقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) (٢) فكان هذا التنبيه نهاية المطاف لزجر النفس عن الهوى .

العدل فوق العاطفة

والشريعة الاسلامية تفهم الناس أن العدل من الأمور التي أوجبها الله على عباده ، وجعل صلاحهم مقيدا بها ، وتعلمهم أنه لا يمكن أن تصلح نفوسهم ولا أحوالهم الا باقامتها (قل أمر ربي بالقسط) (٣) (انّ الله يأمر بالعدل) (٤) . ولعلّ القارىء يدرك ما فى هذا الاخبار والأمر من عظات بالغات ، ولقد عني الاسلام عناية فائقة فى تركيز العدل في النفس ، وتوضيح المواقف التي قد تؤثر على الانسان بسبب العاطفة أو الهوى ، وأمر بعدم الانسياق فى تيارها ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فانّ الله كان بما تعملون خبيرا) (٥) واذا كان الانسان شاهدا على نفسه محاسبا لها ابتعدت عنه الأنانية ، وحينما يكون شاهدا على الوالدين والأقربين بالحق يبتعد عنه تأثير العاطفة القوية والصلات الوثقى التي قد تميل به مع الهوى ، ولذلك كله يحيط الاسلام الانسان بكثير من التحذير والتنبيه حتى لا يقع فريسة لاتباع الشهوات ، ولقد أدرك الاسلام تأثير العداوة والبغضاء والحسد فى نفوس الناس ، فنبّه الى أن العدل حق مفروض يجب ألا ينحرف الانسان عنه بسبب دخائل فى النفوس أو ضغائن فى القلوب فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون) (٦) .

وينظر الاسلام الى تطبيق أحكام العدل نظرة فيها الكثير من التدقيق والملاحظة الصائبة (انّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل انّ الله نعمّا يعظكم به انّ الله كان سميعا بصيرا) (٧) ثمّ يبيّن للناس انّ عليهم ان يراقبوا أنفسهم ، تجاه حقوق الناس (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) (٨) .

والاسلام يدرك أن تطبيق العدل من أصعب الأمور وأجلها وأكثرها دقة، ولهذا نرى الشريعة دائما توجبة ، وتذكر به ، لتفهم النفوس عظم مهمته ، وكثيرا ما تقرن ذلك بالتحذير من الانزلاق والميل عن الصراط السوى ، وتضرب الأمثال لشطط الانسان ، وتؤكد بأنّ الانسان خطاء ولكن تحذره من أن ينحرف فى هذا الخطأ ، فيتخذه طريقا ، فتأمر بالتراجع الى الحق والصواب ، وتوجب ذلك وجوبا قطعيا لا هوادة فيه قال تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . انّ هذا أخي

---

(١) سورة الرحمن . (٢) سورة الرحمن . (٣) سورة النساء ، آية ١٣٥ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٨
(٧) سورة النساء ، آية ٥٨ . (٨) سورة الاسراء ، آية ٣٥

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وانّ كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنّ داود أن ما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله انّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (١) .

وهكذا تصور لنا هذه الآيات خطأ الانسان وتسرّعه ولو كان خليفة الله فى أرضه ونبيّه . ولكن الآيات تقرّر شيئا آخر وهو أن النفوس الأبية قد طبعها الله على حب العدل والتمسك به ، فلا تستقرّ على الجور ، بل لا بدّ من محاسبة النفس والرجوع الى الصواب .

العدل الالهي

والعدل الرباني لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره) (٢) والآية تشير الى يوم القيامة ولكن الذى ندركه هي تلك الدقة المتناهية فى الحساب العادل الذى لا يفرط فى شيء مهما كان ضئيلا .

ولقد أبان القرآن نظرية من أعظم النظريات القيّمة أوضح فيها منزلة العلم وأهله ومعرفتهم بناموس العدالة الربانية الذى اكتملت الأشياء به قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) (٣) ولعمرى انها أعظم شهادة وأحراها بالتفهم والاعتبار . وهذه الشهادة العليا تعطي بيانا جليا للعدالة الشاملة التي تحيط بنا فى نظام الكون وتسييره .

والعدل قبل هذا مهمة نفسية لن تكتمل سعادة النفوس الاّ بأدائها ، أما النفوس الكريمة الراقية فلا يهدأ لها بال ، ولا يقرّ لها قرار اذا ما مالت أو انحرفت ولو بعض شيء حتى ترجع الى الانصاف والحق ، معترفة بالخطأ والتقصير ، منيبة مستغفرة ، وبعكس ذلك النفوس التي انحطت الى درك الحيوانية ، بل أسفل ، فجمعت مركبات النقص ، وسيطر عليها الحقد الدّفين ، وأعماها الشره والبطر ، واستحوذت عليها شهواتها ، فعميت عن سبيل الحق والعدل ، وسارت فى طريق عمايتها همها الجرح والاضرار .

لو تتبعنا أسباب انهيار الأمم وتحطم الشعوب لوجدنا أنّ أهمّ ذلك فقدان العدل وظهور الجور . فكم مجتمع تحطم كيانه ، وفقد حيويته بفقدانه العدالة ، وكم دولة انفرط عقدها ، وضعفت صولتها ، وأصبحت لقى فى مهب الرياح بانعدام العدل فيها ، وكم بيت ترفرف عليه السعادة وتحوطه العناية فقد اطمئنانه بفقد العدل بين أفراده .

وهكذا تصبح مجانبة العدل سببا فى تدهور المعنويات وتحطم القوى وتأخر المجتمع .

---

(١) سورة ص آيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٦ ، ٧ .



١ ـ القـرآن

كتاب الله ، ومعجزة خاتم أنبيائـه ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاء موعظة من الله ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

هدى الناس الى طريق الحق ، وشفى صدورهم مما فيها من عداوات واحن ، وطهر قلـوبهم مـن ضـلالات الشرك ، وحماقات الأهواء .

نزل بالحق ، ونطق بالصدق ، وتحدث فكان أحسن الحديث (ومن أصدق من الله حديثا) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشـون ربهم ثم تلـين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هـدى الله يهدى به من يشاء) .

شرع الله فيه من الدين ما وصى بـه نوحا والنبيين من بعده وما وصى بـه ابراهيم وموسى وعيسى ، وأودع فيه من سياسة الدنيا ما يضمن السعادة والأمن ، والطمأنينة والسلام للمؤمنين .

فيه كما قال الرسـول عليه الصلاة والسلام : « نبأ من قبلكم ، وخبر مـا بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصـل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضـله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلـق على كثرة الـرد ، ولا تنقضـي عجائبه ، وهـو الذى لم تنته الجـن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ،

من علم عليه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

بين فبلغ الغاية في البيان ، أوجز حيث لا يحمد الا الايجاز ، واطنب فما جاء الا بالاعجاز ، وتحدى فما طمع في الاتيان بمثله ، أو بأقصر سورة منه انس ولا جان .

وناجى فسرى مسرى الحياة الى القلوب ، وأسمع فارتعدت الفرائص ، وتجافت عن المضاجع الجنوب ، ووعد المؤمنين بالجنان والحور ، وأوعد الكافرين بالويل والثبور ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وهو — في كل ذلك — يسوس الغرائز والطبائع سياسة الحكيم الخبير ، ويوجه الميول والنوازع توجيه العالم البصير .

تلاوته راحة النفس ، ومدارسته البهجة والأنس ، والتأمل في معانيه يشيع السكينة في الخواطر المضطربة ، ويرفع الشكوك عن الهواجس القلقة ، ويغمر بالرضا واليقين قلوب المؤمنين المخلصين (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الا بذكر الله تطمئن القلوب) .

٢ — تعرف نفسك —

ليس عالم النفس بأضيق دائرة ، ولا بأقل عجائب وغرائب من عالم المشاهدة والحس .

فلئن كان المتأمل اللبيب يرى في مجالي الطبيعة ، وفي آفاق الكون من عجائب الصنع ، ودلائل القدرة ما يقف أمامه حائراً مأخوذاً ، ثم يعود بعد أن يفيق من سبحاته — ان كان سليم الوجدان — مؤمناً عميق الايمان ، مسلماً وجهه للذي فطر السموات والأرض .

لئن كان يرى كل ذلك فيكون أمره الى الاذعان والتسليم ، لانه حين يسبح بفكره الثاقب في آفاق النفس ، يكتنه أسرارها ، ويتلمس خفاياها يرى ما هو أدق وأعجب ، وأسمى وأروع ، وأدل على قدرة الصانع ، وأشهد على حكمة الحكيم .

ومنذ عهد سحيق في التاريخ اهتدى أحد فلاسفة اليونان الى أن السبيل الوحيد الى العلم والمعرفة ، والى الفضيلة والخير أن يعرف الانسان نفسه ، ولذلك كتب على جبين معبده هذه الكلمة الخالدة : (اعرف نفسك بنفسك) .

فمراقبة النفس ، وملاحظة ما يجري في داخلها ، والتعرف على غرائزها ، وطبائعها ، ونزعاتها وميولها ، وعواطفها وقواها ، كل ذلك يمكن صاحبها من أن يعلم الحقائق الكبرى في الحياة ، ويدرك كنه الخير والشر ، والعلم الصحيح سبيل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضل ، ومعرفة النفس أمر ضروري لأي منهج يهدف الى تربيتها ، ولأي قانون يوضع لتقويمها ، وتهذيبها ، ولا فائدة من أي عمل أو نظام يقصد منه الاصلاح والتقويم ما لم يكن أساسه دراسة النفس .

وكلما ازداد الانسان علما بنفسه ، ووقوفا على ما يصحها ويمرضها ، وما ينبغي أن تقبل أو تدع كان أقدر على تهذيب أخلاقه ، وعلى التأثير فيمن حوله .

ولقد عرض القرآن الكريم لهذه القضية الكبرى في مواضع ، ولكنه كان ــ كما لا بد أن يكون ــ أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا ، وأحسن تأتيا ، وأوضح غاية ، وأنبل مقصدا .

جاء في سورة (فصلت) قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

وقد كانت هذه الآية توجيها لأنظار غفلت عن قدرة الله ، ولعقول ضلت الطريق الأقوم .

فبعد أن وصفت الآيات السابقة ما عليه الانسان من دءوب على طلب الخير ، ومن يأس وقنوط ، اذا مسه الشر ، ومن كبرياء وجحود واعراض اذا بدل الله ضره رحمة ، وبعد أن أشير الى أن القرآن حق ، وأنه من عند الله ، وأن الضالين حقا هم من لم ينظروا فيؤمنوا عن دليل ، أو يجحدوا عن برهان « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » . بعد كل ذلك توعدهم بأنه سيهريهم آياته في الآفاق فيشهدوا انتصار الدعوة المحمدية بعدد قليل من المسلمين يتغلبون على دول ذات عدة وعدد ، وحين يرون هذه العجائب في نشر الدعوة على أيدي فئة قليلة يدركون مدى ما تصنع قوة الايمان ، ويتبين لهم أن دين الاسلام حق،وان الثبات والاستقامة هما صفة الحق والصدق ، والاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور ، وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ــ كما يقول جار الله الزمخشري .

ولئن كان كثير من العلماء حملوا (آيات الأنفس والآفاق) على ما يتصل بالدعوة ، والقرآن ، والايمان بالله ، والبعث ، فان الآية مطلقة ، وهي تنبيه للغافلين على النظر في ملكوت الله ، وعلى البحث في أعماق نفوسهم ، فانهم سيرون من آيات الله ما ينتفي معه الشك فيما جاء به الرسول ، من الدين والحق ، والكتاب العربي المبين ، وما أوعد به من البعث للحساب والجزاء .

وفي كل شيء له آية
تدلُ على أنه الواحد

ثم كانت آية (الذاريات) « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » أدل على التنبيه، بل على التعنيف .

وقد سبقها قوله تعالى : « وفي الأرض آيات للموقنين » وجاء بعدها « وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

ففي الأرض آيات ، وفي الأنفس آيات ، ولكنها ليست آيات للكسالى عن النظر ، الغافلين عن عجائب صنع الله ، ولا لمراض القلوب ، ضعاف الأفهام ، بل هي آيات واضحات للذين ينظرون فينعمون النظر ، ويقبلون على تعرف ما أودع الخالق في عالميهم الظاهر والباطن ، بوجدان صادق ، ونفوس راغبة في الوصول الى أقصى درجات اليقين .

ولعل النظر في ظواهر النفوس من اختلاف الألسن والألوان ، ومن دقائق التركيب في الخلقة ، وعجائب اللطف في الحواس ووظائفها التي لا يكاد التأمل فيها ينتهي الى غاية ، وربما أشار الناظر الى روائع منها ، وان كانت لا تعد شيئا

بجانب ما فيها من جلائل ، كما قال ابو العلاء المعرى : ـ

أمـا يرى الانســان في نفسه
آيـات ربٍّ كلهـا غــرُّ
في فمـه عذب وفـي عينيـه
ملـحٌ ، وفـي مسمعه مــرُّ

أقول لعل النظر فى كل أولئـك أيسر على الدارس ، وأهون على المتأمـل مـن النظر فيما ركب في النفوس من عجائب الفطر ، وما ركـز فيهـا من مخيِّلـة ، وحافظة ، وذاكرة ، وما تزخر به من عواطف وانفعالات .

والنفس الانسانية ـ على الرغم مـن الجهود الكبيرة التي بذلت لدراسـتها ـ لا تزال مجهلا يعيي السـالكين مهما أوتوا من معرفة وبصر وقوة .

بل ان علم وظائف الأعضاء وهو يعتمد على التجارب الحسية لا يزال يكتشف كل يوم جديدا ، فما بالنا بعلم النفس ، وهو انما يعتمد على التجارب المعنوية .

ان ما توصل اليه علماء التشريح مـن وظائف عضو واحد ليحير أنفذ العقـول ذكاء ، ويهدى أقوى المعاندين جحودا ، فقد قرأت مقالا عن الكبد ، ووظائفه فى جسم الانسان لعالم من علماء التشريح ، وكان ممـا ذكـره الكاتب أن الوظائـف المعروفة للكبد حتىالآنتبلغ الخمسـمائة.

ان الانسان ليعجب أن يكون من بـين من يقرأ هذه المعارف ، أو من يتوصـل اليها بعلمه وعقله من ينكر وجود الله !

ومن الآيات التي دعت الى البحث في أعماق النفس قولـه تعالى في سـورة الروم « أو لم يتفكروا في أنفسهم مـا خلق الله السموات والأرض الا بالحــق وأجل مسمى » .

فهذهدعوةصريحة الى التأمل والتفكر، واطالة النظر في ثنايا النفس ، لأن هذا الدرس سيهديهم حتما ـ ان انتفعوا بما علموا ـ الى أن الله وحده هو الذى خلق السـموات والأرض ومـا بينهما ، وانه خلقهما بالحق ، فلم يخلقهما باطـلا ، ولا عبثا ، بل خلقهما لغرض صحيح ، وحكمة بالغة ، وأن لهذه المخلوقات أجلا معلومـا تنتهي اليه ، كما تنتهي نفوسهم الى وقت معلوم ، غير أن الكثرة الكاثرة من النـاس لا يتفكرون فى أنفسهم فيبقون فى ظـلام الجهل بما أودع الله فيها ممـا يدل على عظيم حكمته ، وكامل قدرتـه ، ويظلون بعيدين عن اليقين بالله وبالبعث « وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » .

وهكذا يتضح لنا جليا أن الفرض منالدعوة الى التفكر فى النفس انما هو الوصول الى الحقيقة الكبرى ، وهي خلق الله تعالى لهذا العالم ، وعلى هذه الحقيقة تترتب حقائق أخرى يتحتم الايمان بها ، ومنها لقاء الله الذى لا ريب فيه .

كما يتضح لنا المدى الواســع بـين هدف الفيلسوف اليوناني القديم من دعوتـه لمعرفـة النفس ، وهدف القرآن الكريم .

ولما كانت الفطـرة التي أودعها اللــه نفوس خلقه هي القـوى الأولى المنبثـة فيها ،وكانتمعرفتها على وجههاالصحيح هي العامل الأوحد فى تنشـئة الأفـراد والجماعات على الخير والحق ، كان لزاما على كل من يتحدث عن النفس البشرية ان ينظر فى هذه الفطرة .

وموعدنا بهذا النظر مقال تال ان شاء اللــه .



الى الرجال

((يأيها النبي قــل لأزواجــك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلــك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما)) .

(قرآن كريم ـ الأحزاب ٥٩)

عز الايمان

لقد كنــا أذلاء فى الجاهلية ، فأعزنا الله بالايمان به ، فمهما طلبنا العز من غيره أذلنا الله .

عمر بن الخطاب

وقت المؤمن

قال علي كرم الله وجهه : مــن أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو خــير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه .

أرباب ضعفاء

سأل النبي صلى الله عليــه وســلم عمران بن حصين قبل اسلامه : كم لك من اله ؟ قال : عشرة . قال : فمن لغمك وكربك ورفع الأمر العظيم اذا نزل بك ؟ قال : الله . فقال عليه الصلاة والسلام : مالك من اله الا هو .

زوجة مثالية

أثر عن السيدة فاطمة بنت رســول الله صلى الله عليه وسلم : من أجل مــا منّ الله علي به أني لــم أفش سرا لعلي ، ولم أنظر لغيره .

حاكم مؤمن

ارسل عمر الى أهل حمص ليكتبوا له أسماء الفقراء لديهم ليعطيهم ، فكتبوا له فى أول القائمة اسم حاكمهم (سعيد ابن عامر) .

عــزاء

أوصى الاسكندر المقدوني أمــه عند موته بأن تصنع طعاما بعد دفنه تدعو اليه من لم يصبه حزن قط ، ففعلت ، فمــا أتاها أحد فقالت . ما عزاني أحد بمثــل ما عزاني ولدى .

يملك ولا يشتهي

لما فرغ ابن عباس من طعام الوليمة قال : الحمد لله الذى جعلنا نشتهيه ، فقال له صديق ، وهل من أحد لا يشتهي مثل هذا فقال : نعم كثيرون يملكون ولا يشتهون ، وكثيرون يشتهون ولا يملكون، وكثيرون لا يشتهون ولا يملكون .

شرط وزير المالية

قـال اجعلني على خزائـن الارض اني حفيظ عليم .

ــ قرآن كريم ــ

عدل ووفاء

كتب أحد حكام المأمون اليه ان الجند قد شغبوا ، ونهبوا ، فرد عليه يقول : اعدل بينهم فلا يشغبوا ، ووف لهم فلا ينهبوا .

ام المؤمنين

بكت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ذات يوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك ؟فقالت:ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟فقال عليه الصلاة والسلام : اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد احدا

عند تطاير الكتب حتى يعلم كـل انسان أيؤتى كتابه بيمينه أم شماله

وعند وضع الميزان حتى يعلم أيخف أم يثقـل

وعند الصراط حتى يعلم أيجوز أم يسقط .

مفاتح الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة

١ ــ اصدقوا اذا حدثتم

٢ ــ وأوفوا اذا وعدتم

٣ ــ وأدوا اذا ائتمنتم

٤ ــ وغضوا أبصاركم

٥ ــ واحفظوا فروجكم

٦ ــ وكفوا أيديكم

شـــهوة

قيل للامام الشافعي : كيف شهوتك للعلم

قال : أسمع بالحرف ما لم أسـمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به مثل ما تنعمت أذناى .

قيل : فكيف حرصك عليه ؟

قال : حرص الجمـوع المنـوع فى بلوغ لذته بالمال .

قيل : فكيف طلبك له ؟

قال : طلب المرأة المضلة ولدها ليس لهـا غيره .

فى بر الوالدين

قيـل لعمر بن ذر ، كيف بر ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ، ولا ليلا الا مشى أمامي ، ولا رقى سطحا وأنا تحته .



للدكتور عبد الرحمن عثمان

الهالة التي رسمها التاريخ للخليفة عمر بن الخطاب تضم بين أقطارها مجدا لم نعرفه لحاكم قديم أو حديث ، والمؤرخون على اختلاف نحلهم وأجناسهم وأزمانهم لم تجتمع آراؤهم فى الاشادة بمنهج فى مباشرة أمور الرعية استطاع أن يوائم بين الحزم والرفق ، ويلائم بين الشدة والرحمة مثلما اجتمعت فى تقدير أعمال ابن الخطاب ، حينما أرسى قواعد العدل فى ربوع الدولة الاسلامية ، وحين نصب موازين النزاهة ليحاكم اليها ولاته ومساعديه ، وكان قضاؤه الميزان القسط فيما يعرض عليه من خصومات ، فقد خفض جناحه للضعفاء ممن لا حيلة لهم ولا حول ، واستخشن للأقوياء الذين يتلفتون بعنجهيتهم التي ورثوها الى قانون الجاهلية وبغيها .

ومثل هذا الاجماع الذى لم يسبق اليه مثيل يشعرنا أن التاريخ كان صادقا فى تقديم عمر بصورته الحقيقية ، فلم يحاول التاريخ أن ينتحل المحامد التي لا وجود لها الا فى رءوس منتحليها كما صنع بعض المؤرخين فى كثير من المواقف، ولم يقصد الى جحد أمجاد خالدة تتأبى بطبيعتها على جحد الجاحدين، وتستعصي على كل تجاهل أو انكار ، فسيرة عمر واضحة المعالم بينة الملامح بحيث لا تحتاج الى اضافات، ولاتأنس الى افتعال، كما أنها لا تستقيم حين يقتطع منها جزء لا يقوم الكل الا به .

ولعل المجتهد الكبير الامام احمد بن حنبل لم يكن يقصد مهاجمة هذا النسق

من الاجماع التاريخي حينما وسم التاريخ بالكذب ، ورمى التاريخ بالتزيد والافتعال بالجرى وراء المثيرات ، واستسلامهم أحيانا الى تهاويل المبالغة والخيال .

العدالة المثالية

وأكثر قرائنا فى عصرنا الحديث لا يكادون يعرفون عن الخليفة الثاني الا هذا الجانب المشرق من جوانب عمر ، لأنه حافل بما يغالب النفس الانسانية ويقهرها ، ولأنه يرتفع بنا الى المثالية الكاملة من فهم العدالة التي تريدها قوانين السماء لأهل الأرض ، تلك المثالية التي جهد الفلاسفة والمفكرون فى اقرارها بين الناس فعجزوا ، ومن قبل نادى بها الفيلسوف الاغريقي « أفلاطون » وخطط لها فى « مدينته الفاضلة » ولكنه باء بالفشل ، فأما عمر بن الخطاب فقد استطاع تطبيقها عمليا فى الأصقاع الاسلامية المترامية الأطراف ، حتى استقرت مبادؤها بكلمات صارمة منه ، فى حين أنه كان رابضا بالمدينة المنورة يرقب أبناءها فى يقظة وتربص ، ويراقب سيرها مراقبة من يرى ويسمع على سوء ما نعرف من وسائل المواصلات وبطئها حينذاك .

لقد كان كل وال من ولاته فى شتى الأقاليم يشعر شعورا لا يخالطه ريب أن الخليفة الحازم يقف منتصبا على رأسه فى مجالس قضائه بين الرعية ، فكان لا بد له من أن يأخذ من الناس ما وجب عليهم ، وأن يسارع فى أعطائهم ما يستحقون من حقوق قبل الدولة الاسلامية .

وليس مرد ذلك فى ظني الى أن ابن الخطاب كان قوى الايمان بتعاليم القرآن الكريم ، فالخلفاء رضي الله عنهم كانوا على مثل ايمانه وقوة عقيدته ، وانما مرده الى شخصيته القادرة ، وانفاذه السريع للأحكام التي تصدر عن آراء لها عنده سندها من الكتاب أو السنة أو الاجتهاد ، ومرده كذلك الى « حسن التوقيت » الذى كان عمر فيه موفقا كل التوفيق ، واصاخته الواعية الى ما يحوك فى صدره من الهامات تجاه الأحداث وقبل الأشخاص ، وبهذه الألمعية العمرية نزل القرآن الكريم برأيه فى اكثر من موضع .

الألمعي الذى يظن بك الظن كأن رأى وقد سمعا

شخصية عمر الأدبية

وأكثر قرائنا معذورون حينما يستهوى أبصارهم هذا التوفيق العجيب الذى كان لابن الخطاب مدة خلافته ، فهم بهذا مصروفون عن التعرف الى مكانته فى الأدب ، أو التطلع الى موضعه الرفيع فى تقدير الشعر وتوجيه الشعراء .

واعلم أن طائفة من هذه الكثرة لم تتوهم أن الخليفة الصارم الجاد يمكن أن يلقي بالا للشعراء ، أو يبعثر وقته فى استنشاد شعر اسلامي فضلا عن سماع أنماطه الجاهلية الموغلة فى الهجر والافتراء ، لأن الشعر جاهليه واسلاميه لا يزيد عن أن يكون كلاما جميلا ، وعمر لا يحب الا العمل الجليل .. !! ، ونسيت تلك الطائفة أن العمل انما هو انجاز فكرة جرت فقراتها فى الخاطر ، أو هو تحقيق رأى لهج به اللسان أو خطه البنان .

وقد عرف المتقدمون الخليفة الثاني محبا للشعر يوجهه وينقده ، ونحن نجد هذا عند محمد بن سلام الجمحي فى « طبقات الشعراء » وعند الجاحظ فى اكثر كتبه ، وعند ابن رشيق فى « العمدة » ، ولو شئنا الاستقصاء لمضينا فى ذكر كثير من كبار كتاب العربية ممن لا يغيبون عن ذاكرة القراء الواعين .

البقية على ص ٦٤

رسول الله بين منصفيه

كانت شخصية رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وما تــزال وستظل موضع اهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة فى غير بيئــات المسلمين الفكــرية

فقد كان ظهور رسول الاسلام حدثا ضخما فى تاريخ الانســـانية ، لا سبيل الى تجاهل أثره وفعاليته ، ومرد هذا فى الاغلب يرجع الى امرين كبيرين .

الاول : ــ خلق محمد (ص) وطريقته فى تصريف الامور على نحــو رائع ، فيه ما يناقض القيم الغربية والمفاهيم البشريــة التي طالما أثارت الحروب من أجل أمور أغضى عنها الرسول عفوا منه وسماحة . بل ربما قدم لخصومه الذين آذوه مزيدا مــن التســامح والعطاء . ثــم حياتــه البسيطة فى مظهرها مع شخصيته ذات النفوذ الغلاب .

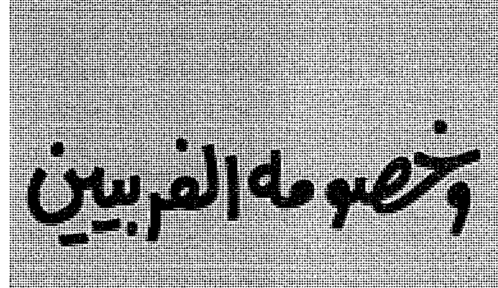
الثاني : ــ الدعوة التي حملها الى البشرية ، والتي لم تكن دينــا فحسب ، بل تشريعا ربانيا ومجتمعا وحضارة وفكرا له قيمه ومفاهيمه واسسه ذات الطابع الايجابي ، الجامع بين الروح والمادة ، والضميروالعقل المفتوح على آفاق الانسانية ، يأخذ منها ويعطي ..

ولقد انقسم هؤلاء الكتاب الذين أولوا شخصية النبي صلى الله عليه وسلم اهتمامهم ، بــين الانصاف والجحود ، وظل موقفهم يتأرجح بــين الاعجاب والتقدير وبين الخصومة والتعصــب . وربما عابوا ما جاء به ، ولم يعيبوه ، وربما حملوا عليه مرة : واعجبوا به اخرى ، مترددين دون قول الحق ، ما عدا قلة قليلة هي التي أولت شخصيته مزيدا من التقدير والاعجاب الخالص .

بل لعل الامر كــان ابعد مدى من ذلك ، فان كتابا من الغرب عرفوا وجه الحقيقة ، قد عارضوا كتابا أيضا من الغرب ظلموا شخصية النبي ، فان حملات « مرجليوث » والقس كانون سل ، والاب لا منس الذى أفرد كتابا خاصا عنوانه « هل كان محمد صادقا » استغل فيه ما امكن اســتغلاله من الشــبهات المختلفة التــي وردت فى كتب الشعوبية ، كل هؤلاء قد جاء من بعدهم من نقض ما ذهبوا اليه » .

شهاب أضاء العالم

١ ــ يقول كارليل . لسنا نعد محمدا هذا قط



وخصومه الغربيين

للاستاذ انور الجندي

رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيه ، أو يطمع الى درجة ملك او سلطان او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة ألتي أداها الا حق صراح،وما كلمته الا صوت صادر من العالم المجهول ، كلا ، ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وانما **هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع .**

ويزعم المتعصبون ان محمدا لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وايم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتوقد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى ونهى ، غير المطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . كيف وتلك نفس صامتة كبيرة ، ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ، اذ ترى محمدا لم يرض ان يلتفع بمألوف الاكاذيب ، ويتوشح بمتبع الاباطيل **لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور .. »**

أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق

٢ ــ ويصور « وليم موير » أسلوب محمد وبيانه فيقول : امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الاعمال ما يدهش العقول **ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس واحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير** كما فعل محمد .

٣ ــ وعنى « دوزى » فى بعض فصوله من كتاب « ملوك الطوائف » بالرد على ما ردده خصوم الاسلام فقال فى ص (٤٠٥) : لو صح ما قاله القساوسة من ان محمدا نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى ، وتتلو احداها الاخرى ؟ وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد ، وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول ؟ لقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة ، فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة ، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ، ولكن انتظارهم هذه المعجزة قد طال وذهب ادراج الرياح ، واعجب من ذلك ان معجزة اعظم قد حدثت وكانت معجزة أعظم مما كان يتوهمه القديسون انفسهم ، وأى معجزة أعظم وأروع من ان ترى شعبا كان الى زمن قليل فى غاية من الخمول ، ثم ظهر الى الدنيا فجأة وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها .

رءوف رحيم

٤ ــ أما المؤرخ « سيديو » فقد حاول الرد على اتهام النبي بالقسوة او الجبن مما جاء فى كتابات خصوم الاسلام فقال : من التجني على حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب الى محمد القسوة والجبن ، فقد نسي هؤلاء ان محمدا لم يأل جهدا فى الغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة ... وكأن أولئك الكتاب لم يقرأوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة ، وكأنهم لم يفكروا فى العفو الكريم الذى أنعم به على أعدائه بعد فتح مكة ، ولا فى الرحمة التي حبا بها كثيرا من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة ، ولا الى ما ابداه من أسف

لى بعض الاحكام المبتسرة ، وكأنهم لم يعلموا
ن محمدا لم يسىء استعمال ما اتفق له من
لسلطان العظيم ، قضاء لشهوة القسوة الدنيئة ـ
وانه لم يأل جهدا فى الغالب ـ فى تقويم من
جور من اصحابه وكل يعلم انه رفض بعد غزوة
در رأى عمر بن الخطاب ـ فى قتل الاسرى وانه
ندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم
ى مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ . وانه
صفح عن قاتل عمه حمزة ، وانه لم يرفض قط ما
طلب اليه من اللطاف والسماح ، وليس بمجهول
ن خالد بن الوليد ـ الذى كان من اشجع قواده
م يستطع ان يرعوى بعد اسلامه ـ من روح
لقسوة والصولة التي كانت تلازمة فى زمن الجاهلية
فلاحت له الفرصة بأن يثأر لقريبه القتيل فأثخن
ى بني خزيمة ، فأجمع المسلمون على استفظاع
عمله ، فلما نبىء محمد بما صنع خالد ، اسرع فى
ذمه جهارا فرفع يديه الى السماء قائلا « اللهم
اني ابرأ اليك مما صنع خالد ... »

منقذ الانسانية

٥ ـ ولقد وجد « برناردشو » فى شخصية
النبي ما دعاه لان يصفه بمنقذ الانسانية « لقد
عمد رجال الاكليروس فى العصور الوسطى الى
تصوير الاسلام فى أحلك الالوان ، وذلك بسبب
الجهل او بسبب التعصب الذميم ، والواقع
انهم كانوا يسرفون فى كراهية محمد وكراهية
دينه،ويعدونه خصما للمسيح ، **أما أنا فأرى واجبا
ان يدعي محمد منقذ الانسانية ، واعتقد ان رجلا
مثله اذا تولى زعامة العالم الحديث نجح فى حل
مشكلاته ، واحل فى العالم السلام والسعادة ،
وما اشد حاجة العالم اليوم اليهما .. »**

٦ ـ وقد أعلم أميل درمنجم « فى كتابه حياة
محمد » انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه
أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون
بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ،
وكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقي مع رجل من
الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من
الانسانية ، اما من الجهة الاوروبية فقد كانت
الاوهام والعداوات الدنيئة تحول دون درس حقيقى
علمي لعظمة منشىء الاسلام .

ويضيف جون سيمون « ان محمدا قد رفع اعلام
التمدن » اما الدكتور « ماردوس » المستشرق
الفرنسي فيرى أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكا
قد خضعوا لسلطان تأثير محمد .

**اما جوته فعنده أن أهل اوروبا لم يصلوا بعد
الى ما وصل اليه محمد فيقول : « اننا ـ أى أهل
اوروبا ـ بجميع مناهجنا لم نصل الى أبعد مما
وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عليه أحد .. »**

٧ ـ اما الدكتورة لورا فينشا فاليرى الكاتبة
الايطالية فتدافع عن النبي بحماس وايمان وصدق
فتقول : « قام أعداء الاسلام الالداء الذين أعماهم
الحقد والتعصب واتهموا رسول الله ، ذلك الرجل
النبيل ، الذى كان ينظر اليه قبل الرسالة
نظرة اكبار واجلال من جميع مواطنيه ، لما تحلى
به من الامانة والسجايا الكريمة ، وكانت هذه
التهمة التي رموه بها لا يقبلها عقل ، ولا يمكن أن
يسلم بها عاقل ، فضلا عن أنها لا تقوم على
أى أساس ، وهي تهمة الغش والخداع ، وليت
شعرى كيف ان هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم :
اذا كان النبي فى الحقيقة كاذبا فكيف اجترأ
على أن يوجه فى القرآن الى الكذابين والمخادعين
أشد عبارات الذم وأقساها ، وكيف توعدهم بالنار
وسوء العذاب ، واذا كان كاذبا فى دعوته كما يفترون،
فكيف صمد للمقاومة اكثر من عشر سنين وهو
فى مكة) احتمل اثنائها الشيء الكثير من صنوف
الاضطهاد والآلام ، وهو ذلك الرجل الوديع
الهادىء الطباع ، وكيف تهيأ له أن ينحاز اليه
طواعية واختيارا ، بل وبمنتهى التحمس جماعات
كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم ، وان ينضووا
تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد .

اما تهمة القسوة التي يوجهونها اليه فمن
السهل دفعها ، لان محمدا الذى كان على رأس
حكومة ، ويتولى الدفاع عن حياة الشعب وحريته ،
كان يحكم الخارجين على القانون بصرامة وشدة ،
اقتضتهما ظروف البيئة التي كان يعيش فيها .

**ولقد كان محمد ـ كرسول يدعو الى الله ـ رجلا
رحيما لين الجانب حتى لاعدائه الشخصيين ،
وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان ، كلتاهما أكبر
الفضائل التي يتصورها العقل البشرى وهما :
الرحمة والعدالة .**

وبحسبه ان الحرب التي هي أقصى ضرورات
الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية
وقسوة ، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا
شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا يهدموا بيوتا لم
تتخذ كمعاقل حربية .

... وقد أراد اعداء الاسلام ان يظهروا النبى فى صورة رجل شهواني اباحي بأن اتخذوا من زيجاته المتعددة حجة لاتهامه بضعف خلقى لا يتفق ومركز النبوة ولكن فاتهم أمر هام لم يحسبوا له حسابا ، وهو ان النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج الا من امرأة واحدة ، ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت ، مع انه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج ، وكان يندر ان يقتصر الرجل منهم على زوجة واحدة ، ولما فقدت وكانت سنه حين ذاك خمسين سنة تزوج من اخرى ، كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت فى اغلب الاحيان لدواع اجتماعية او سياسية لانه كان يريد بهذه الطريقة ان يكتسب الى صفه رجالا اتقياء او نساء تقيات ، ويرتبط بروابط المصاهرة بأسر قوية ... »

« وكان كل ذلك بقصد نشر الاسلام » (١)

٨ — ويدافع الكونت هنرى دى كاسترى عن اتهام النبي بتأليف القرآن ، ويقول « وكيف يعقل ان النبي ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى ، مع انها فى **الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم الصالحون** ، وقد شاهدنا ان اناسا — وما كان اكثرهم — أميين قاموا فى أمة العرب ، وادعوا النبوة منهم مسيلمة الذى زعم انه قرين محمد ، اتى بسور سخر منها العرب ، **ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الأقطار ويأخذ بمجامع القلوب .**

اتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التى تعذر فك طلاسمها ، ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بأنه منزل من الله ، اللهم الا اذا اعتمدنا على قول ممجدى الدين المسيحى مما كنا نرتاح اليه أيام شبيبتنا ، وهو يرجع الى أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته ، فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا اودعه بعض قواعد الادب والدين .. واضاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته .

وعلى كل حال — اى سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن ام لا ، — فلا ينكر احد ان مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها ، لان النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل يملي على الناس امر ربه ويعتقد حقا ان ما يقوله آت من عند الله .

خاتم الانبياء

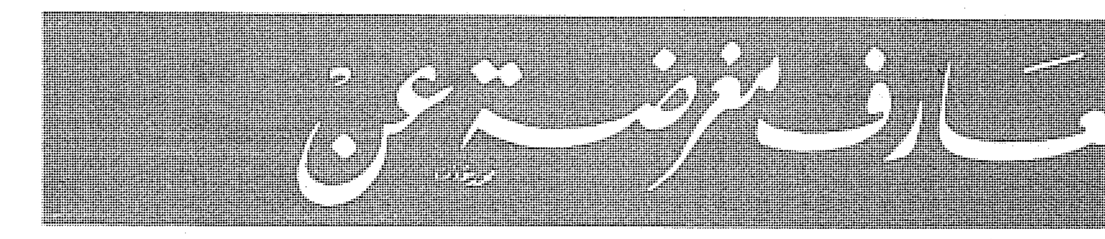
ومحمد كما قال (ايوالد) عن انبياء بني اسرائيل اعتقد ان روحا من الله استولت على لبه ، فلم يشعر بأن له فكرا خاصا ، بل انه اوتيه من عند ربه ، واختفت فى نظره انانيته ، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ، ومن ذلك الحين اخذت شفتاه تنطق بالالفاظ بعضها أشد قوة وابعد مرمى من بعض ، والافكار تتدفق من فمه على الدوام ، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم ان به جنة ، وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد الاربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك اى اعتلال فى الجسم او اضطراب فى القوة المادية ... »

اذن ليس محمد من المبتدعين ، ولا من المنتحلين كتابهم ، وليس هو نبيا سلابا كما يقول (سايوس)، نعم : قد ترى تشابها بين القرآن والتوراة فى بعض المواضع الا ان سببه ميسور المعرفة ، ذلك أن محمدا يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية ، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب فى بعض المواضع ، خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما ان محمدا هو خاتم الانبياء .. » (١)

ومن جماع هذه الآراء تبدو صورة محمد صلى الله عليه وسلم واضحة فى نفوس المنصفين من الغربيين على نحو قريب جدا مما هي فى نفوس المسلمين ، ولا شك ان مصدر هذا النصر هو قوة الاسلام الذاتية فى فرض تعاليمه وتاريخه وافكاره على الفكر العالمي وتأثيره فيه ، بالرغم من كل المحاولات التي اتخذت لتمزيق صفحته ، وتشويه ملامحه فقد استطاع ان يحفر تيارا قويا على ايدى مجموعة من الاعلام من رجال الفكر والادب والبحث العلمي .

أ/ك/ محاسن الاسلام . طبع يافا ١٩٣٤ ترجمة طه فوزى .

(١) الاسلام . خواطر وسوانح . تأليف هنرى دى كاسترى . ترجمة أحمد فتحي زغلول — سنة ١٩١١ .....



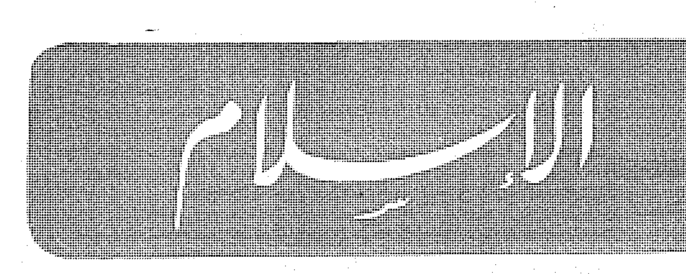
خطة مريبة

حين ظهرت الترجمة لدائرة المعارف الاسلامية كانت موضع الارتياح من أناس كثيرين ، كما قوبلت بنقد عاصف من الجهات المحافظة ، عبر عنه الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى بقوله نقلا عن مجلة الأزهر (نور الاسلام سابقا) ربيع الأول ١٩٥٣ .

« ان هذه الدائرة تشتمل على الشيء الكثير من التهم الباطلة على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورجالاته الصالحين ، ولا يدفع ببعض هؤلاء المستشرقين الى التورط فى هذه الخطة المريبة ألا ما يحملونه فى صدورهم من البغضاء لهذا الدين ، فلا يصح والحالة هذه أن يحمل المترجمون أنفسهم اثم نقل هذه السفاسف الى لغتهم وبأقلامهم ، ليقرأها الناس فى جميع بلاد المسلمين ، فالذى أراه أن يمتنعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل ، وأن يكتفوا بالاشارة اليها مشفوعة بما يدحضها ، ويبين فسادها بكل دليل » .

ونقد العلامة الأستاذ فريد وجدى رحمه الله ينصب على المفتريات الصارخة من أمثال ما نقلوه عن حديث الافك وايمان ابى بكر وأبى هريرة والسنة والحديث والاجماع والتصوف فى الاسلام ، مما اعتوره الخطأ المقصود والتدليس الآفك وقد رأى الاستاذ أن التعقيبات الخاطفة فى هوامش الدائرة لا تكفى للاطاحة بهذه الشبهات البغيضة لأننا نترجم هذه الشبه بافاضة ، ثم نوجز نقدها ايجازا لا يقطع الشك ، والأولى أن نمتنع عن ترجمتها أصلا .

على أن هناك ناحية هامة من نواحي الخطر فيما يترجم من أعداد الدائرة لم نر من تعرض لها بالتحليل والايضاح ، وهي تسطير البدع الدخيلة على الدين الاسلامي باستفاضة مثيرة ، فقد أمعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها وكأنها أصول مقررة لا بدع دخيلة ! ! والافاضة فى تسطير هذه البدع على أنها من المعارف الاسلامية شيء غريب حقا ، لأن الاسلام يبرأ منها ، وما جاء الا لمحاربتها ، فكيف تكون من بين المعارف الاسلامية التي



للأستاذ ـ محمد رجب البيو[مي]

يعني الباحثون بتسجيلها فى دوائر عامة تأخذ منزلة القواميس والمعاجم فى الذيوع والاشتهار .

خلط متعمد

وكان على المؤلفين لو صدقت نياتهم أن يبتعدوا عن تسجيل هذه البدع فى دائرة يقال انها تحصى المعارف الاسلامية ، ولهم أن يتحدثوا عنها فى كتب أخرى تتحدث عن عادات الشعوب وتقاليدها ، أما أن يبحثوا عن الخرافات فى كتب العادات والتقاليد ، لتدون بعد فى دوائر المعارف الاسلامية ، فهذا خلط مقصود متعمد ، أما أنه خلط فأوضح من أن يدل عليه ، وأما أنه متعمد فلان مؤلفي الدائرة ليسوا من البلاهة بحيث لا يفرقون بين أساطير البدع وحقائق الشريعة ! وسنوضح ما نعنيه بمثال من أمثلة الدائرة يدل بمغزاه على عشرات النظائر والأشباه .

قدم المستشرق الانجليزي المستر ادورد وليم لين الى مصر فى يوليه سنة ١٨٢٥ لدراسة آثار المصريين القدماء ، ولكنه اختلط بطبقات الشعب المختلفة ، فعرف من عاداتهم وتقاليدهم فى المواسم والأعياد والأفراح والأحزان والصحة والمرض ما حبب اليه أن ينقل طرائف نادرة عما يرى ويسمع ، وقد اتخذ لنفسه منزلا فى العاصمة وسمى نفسه منصور أفندى ، وتزيا بزى الأتراك ، وادعى الاسلام ليتمكن من محادثة المسلمين فى اسرار معتقداتهم كما يقول ، وجعل يغشى المساجد وحفلات الذكر وموالد الأولياء ، ويتسمع الى أحاديث الكرامة والمعجزات والخوارق حتى تسنى له أن يكتب مؤلفه الذائع عن شمائل المصريين المحدثين وعاداتهم فى جزءين كبيرين ، فاهتمت به دوائر الاستشراق فى اوروبا ، وتناقلته اللغات المختلفة فى الشرق والغرب ، وأصبح لدى المنصفين مرجعا شعبيا لمن يدرس العادات والتقاليد ! كما صار فى الوقت نفسه أحد المراجع الهامة لمؤلفي دائرة المعارف الاسلامية ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق ، وليس على الرجل نقد فيما كتب ، فهو يعترف أنه يتحدث عن عادات وتقاليد ! ولكن المؤاخذة كل المؤاخذة تتجه لمن سولت لهم نفوسهم أن يحشدوا الغرائب

العجيبة فىدائرة المعارف لتصير فى رأيهم بمرور الزمن حقائق متداولة! وهيظاهرة البطلان فى نظر السذج بله المثقفين الثقاة.

الدوسة

من أطرف ما ذكره الأستاذ ادورد وليم لين ما يسمى بالدوسة لدى بعض الفرق المتسبة للطرق الصوفية ، وهي ملهاة مضحكة تدل على غفلة العقول فى عصور التأخر والانحطاط ، وقد لخصها استاذنا الدكتور احمد أمين فى كتابه المعروف بقاموس العادات والتقاليد المصرية ، وقال عنها : انها تحدث فى ربيع الأول من كل عام اذ يجتمع أرباب الطرق على نظام خاص ، ثم يسير الموكب متنقلا فى شوارع العاصمة ببيارقه وأعلامه وطبوله وراياته ، وبه كثير من المشعوذين بعضهم يأكل الزجاج، وبعضهم يأكل الثعابين وبعضهم يضرب صدره بدبوس ذى رأس كبير فى عنف وقسوة ، ومنهم من يضع حد السيف فى بطنه ثم ينام فوقه ، ويأتي شيخ الطريقة ، فيبل يده بريقه ، ثم يمسح على بطن المريد حتى لا يتأذى من حد السيف ، وعندما تصل هذه المواكب الى ساحة المولد ينبطح الكثيرون ، على وجوههم فى صف كبير ، فيمر فوقهم شيخ السادة السعدية بحصانه ، يقوده اثنان من اتباعه ، ويعتقدون أنهم سينالون من ذلك بركة كبيرة ! !

هذه طرفة نادرة ، ولا على الأستاذ لين أن يذكرها بين ما شاهد فى كتاب عن عادات المصريين فى بعض عصور الانحطاط ، ولا على الاستاذ احمد أمين أن يسردها فى قاموس العادات والتقاليد الشعبية ، انما الحرج أن تكون بين المعارف الاسلامية ، فتخصص لها ثلاثة أعمدة طوال فى صفحات ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ من المجلد التاسع حيث تحتشد أسماء الأولياء من أمثال السلطان الحنفى والدشطوطي ويونس السعدى والبكرى ، ويزاد على ذلك ما يوهم التعلق بأصل اسلامي ، فيقول كاتب الدائرة : ولا شك أن اصطناع الطريقة السعدية للجواد يتصل برتبة صاحب طريقتهم بوصفه من سلالة النبي ! وقول الكاتب لا شك بصيغة الجزم والايقان يدعو الى السخرية فان نسبة شيخ السعدية الى السلالة النبوية محاطة بالشكوك القوية من ناحية، واصطناع الجواد على هذه الصورة المنكرة لم يعرف اطلاقا عند آل الرسول وسلالته حتى يكون هذا التقليد جائزا مستساغا لرجل يدعي الانتساب الى آل محمد صلى الله عليه وسلم ! وليت شعرى فى أى كتاب تاريخي نص على اختصاص سلالة الرسول الأطهر بما يأباه نبي الاسلام ، ويدعو الى محاربته ! ومتى كان لأحد افراد هذه السلالة أن يبتدع ما لم يأذن به الله حتى يكون فعله الجرىء تقليدا اسلاميا يذكر دون اعتراض ! !

ان الحرص على تسطير هذه المأساة ومحاولة الصاقها بمصدر دينى ليفصح عن دخيلة عليلة لدى من يسرهم أن يشوهوا محاسن الدين الاسلامي بالتي هي أقبح وأفدح .

لا تترجموا الدخيل

هذا مثال من عشرات ، وهو يدعو الى النظر الدقيق فيما نشر بالعربية من اعداد دائرة المعارف الاسلامية ! ونحن قبل كل شيء نعترف بجهود حضرات المترجمين وخلوص نياتهم الصادقة ، وروائع همتهم البارعة فى انجاز هذا العمل الضخم بما لا يجرؤ على انكاره منصف يزن الأعمال بميزانها القويم ، ولسنا مع الأستاذ فريد وجدى حين نادى بوقف

الترجمة وامتناعها كيلا تسيء الى الشبيبة الاسلامية بما تقدم من آراء مدخولة لا يتبين وجه الصواب فيها غير الدارسين المتبصرين ولكننا درءا للخطر ، وأخذا بالحيطة ندعو الى الاقتصار فى الترجمة فيما سيجيء من الاعداد على الصحيح المتيقن من خالص القول وصادق الرأى ، مع اغفال ما يحوطه الريب ، ويعتوره الشك ، ولسنا بذلك نخل بالترجمة العربية ، اذ نعلن أن خطتنا أن نقتصر على النافع المفيد من وجهة النظر الاسلامية ، ولن يعنينا أن تكون الترجمة حرفية مستوعبة اذ أن الحرص على ذلك يقذف بالتهم ظلما الى الاسلام والمسلمين .

وقد يقول قائل ان البتر والحذف فى الترجمة اهدار للأمانة العلمية فى النقل ، ونحن نرد على ذلك اذا ووفق على اقتراحنا الراهن بأننا سنظهر خطتنا الجديدة للناس ، فنعلن أننا نختار من الدائرة فقط لا أننا نلتزم بكل ما بها من بحوث ، ولن يكون ذلك اهدارا للأمانة العلمية بل توقيا لأوهام تتجسد حتى تكون سحبا قاتمة تغشى نور الحق ، وتطمس لألاء الاسلام .

أما محاولة الرد فى الهوامش وفى أعقاب المباحث فقد روعيت فيما نشر من الأعداد العربية ، ولم تستطع فى بعضها ــ لا فى جميعها ــ أن تفي بالمراد ، فقد تكون الشبه المسطورة مطيلة مسهبة كما لاحظ العلامة الكبير الاستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله ، ثم يأتي التعليق موجزا مبهما لا يؤدى رسالته ، بل ان التعقيب فى بعض المباحث يكون ــ على طوله ــ فاترا ضعيفا يوحي بقوة الشبهة واطالتها ، واذ ذاك يثبت الباطل ويضيع الحق !

مستشرقون مبشرون

على أننا لاندرى لماذا نجبن عن الاعتراف بأن اكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الاسلام لا أن ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب والضيق ! ومن كان كذلك ، لقي من زملائه قارع التأنيب وعنيف النقد ، وليس كتاب الدائرة وحدهم من هذا النمط ، بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية لا يتجاوزون صناعة التبشير ، تعرفهم فى لحن القول بتخيلاتهم المريضة واستنباطهم المغرض ، وافتراضهم المتمحل ، وأقرب مثال لنا هو المستر توماس باترك هيوز صاحب قاموس الاسلام ، وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوروبية فقد قضى القس المؤلف فى وظيفته التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهميين والبوذيين اكثر من عشرين سنة ونشر معجمه ــ كما يقول ــ هداية للموظفين الانجليز ممن كانوا يتولون الحكم ببلاد الهند فى أواخر القرن الماضي ، ومساعدة للمبشرين بالمسيحية ممن يجادلون علماء الاسلام ، وللباحثين فى الأديان المقارنة ، وقاموس كذلك يصدره قس مبشر متعصب لايمكن أن توصف أبحاثه بالحيدة والانصاف ، وما أكثر ما يدور فى فلكه من الدوائر والمعاجم والقواميس ، أفيجوز لهؤلاء وأشباههم أن يقولوا فى الاسلام ما يشاءون ، ولا يجوز لنا فى الترجمة العربية من دائرة المعارف الاسلامية أن نختار ما نشاء فان فعلنا ذلك كنا ــ فى نظر سدنة الاستشراق ــ غلاة متعصبين ! ! .

قرارات مؤتمر البحوث الاسلامية

سبق ان نشرنا فى العدد الثالث بعض قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة فى شهر المحرم الماضي وها نحن أولاء ننشرها كاملة لما تضمنته من آراء قيمة فيها بلا شك نفع للاسلام والمسلمين .

وقد جاءت هذه التوصيات والقرارات المشار اليها على فترتين ..

توصيات الفترة الاولى :

أولا : ان تقف الدول الاسلامية صفا واحدا فى كل ما يمس مصالح المسلمين فى حياتهم الدينية والدنيوية ، وان تحكم تعاليم الاسلام فى حياتها ، وفيما عسى ان يشجر بين المسلمين من خلاف حتى تظل الاخوة الاسلامية قائمة وفعالة .

ثانيا : (أ) يجب الاسراع فى تحديد الوسائل العملية لنشر الاسلام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وبحث طريقة تمويل هذه الوسائل حتى يمضي مجمع البحوث الاسلامية فى مهمته العظمى التي من اهم اهدافها حمل امانة دعوة الناس كافة الى الاسلام .

(ب) تفويض الامام الاكبر شيخ الازهر فى تأليف اللجان التى يوكل اليها بحث هذه المهمة .

(جـ) تأييد جميع الحكومات الاسلامية والمسلمين هذه المهمة وأن يمدوها بالاموال والامكانيات التي تكفل لها النجاح .

ثالثا : يرى المؤتمر ان قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعا لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم . وانه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الارض المقدسة الى اهلها وان فى وجود اسرائيل فى فلسطين خطرا يهدد المسجد الاقصى طريق الحرمين الشريفين والسبيل الى قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ مما يجعل تحرير فلسطين وامنها لازما لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية لجميع المسلمين فى المشارق والمغارب .

لذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضا على كل مسلم، وكان القعود عنه اثما كبيرا ، ومن ثم يوصي المؤتمر فى شأن هذه القضية بما يلي :

١ ـ أن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربي الاسلامي المغتصب تحريرا كاملا .

٢ ـ أن تسحب الدول الاسلامية التي اعترفت بحكومة اسرائيل هذا الاعتراف وان توقف الدول والشعوب الاسلامية التي تتعامل مع اسرائيل هذا التعاون .

٣ ـ ان تتولى الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى كل بلد اسلامي متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها ، وانشاء مراكز اسلامية فى القدس .

٤ ـ أن تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا ، وان تساندها الدول الاسلامية

فى ذلك مساندة كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج على هذه القرارات لأنه لا يوجد حل لمشكلة فلسطين غير عودة الحقوق الى اهلها وازالة اسرائيل .

٥ ــ مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية لكى تؤدى واجبها فى الدفاع عن الوطن السليب فى مختلف المجالات .

٦ ــ والى ان يعود الحق الى أهله يوصى المؤتمر ان يجعل المسلمون يوم ١٥ مايو يوم ذكرى وتجديد العهد على انقاذ فلسطين من الشرذمة الباغية التي تعيث فى الارض فسادا .

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

الشئون المالية والاقتصادية

أولا : التأمين

قرر المؤتمر بشأن التأمين ما يلي :

١ ــ التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لاعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات : أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ ــ نظام المعاشات الحكومي وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول اخرى : كل هذا من الاعمال الجائزة .

٣ ــ أما انواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بالحوادث التي لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما فى حكمه : فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف ــ قبل ابداء الرأى ــ على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية ، بالقدر المستطاع .

ثانيا : المعاملات المصرفية

قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي :

١ ــ الفائدة على انواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

٢ ــ كثير الربا وقليله حرام كما يشير الى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ﴾ .

٣ ــ الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة .

وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

٤ ــ اعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل . كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة . وما يؤخذ فى نظير هذه الاعمال ليس من الربا .

٥ ــ الحسابات ذات الاجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر انواع الاقراض نظير فائدة كلها من المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية ، اجل النظر فيها الى ان يتم بحثها .

البقية فى العدد القادم

بقية ابن الخطاب

وحين أقدم لقراء « الوعي الاسلامي » شخصية عمر الأدبية أرجو أن أكون قد صنعت خيرا لطبقة من شبابنا المسلم انخدعت فترة من الدهر بما يسميه « مستوردوه » بمذهب « الالتزام » فى الأدب الوجودى الذى يتزعمه اليوم فى أوروبا الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » فراحت تنادى به فى جامعاتنا العربية المسلمة كأنما هو كشف أدبي جديد اهتدت اليه الوجودية أواخر النصف الأول من القرن العشرين أو قبل ذلك بقليل .

وسترى هذه الطبقة من شبابنا المسلم أنها خدعت عن ماضيها الجليل بما وقر فى أسماعها من أباطيل احتشد للترويج لها علماء من العرب والمسلمين ، اما عن جهل بما يزخر به تراثنا القديم ، واما عن علم يقود زمامه الهوى والغرض !!

وسترى هذه الطبقة كذلك أن الدعوة التي تثار من حين الى آخر لتوجيه الأدب الى الفضيلة والبناء ليست جديدة على الأدب من حيث هو فن هادف بطبيعته ، فان التوجيه أخص صفة عرفت للفنون منذ نشأتها ، ولا نكاد نتصور أدبا لا غاية له ولا هدف الا فى أحاديث المخلّطين والمجانين .

ان عمر بن الخطاب لم يشأ أن يقصر مبدأ الالتزام على النثر كما قصرته الوجودية الحديثة ، بل جعله واجبا فى الشعر ، وأغرى به شعراء عصره ، وان كان اختلاف النظرة الى مبدأ الالتزام من جانب عمر والجانب الوجودى يقوم على بواعث فنية قد نعرض لها فى مناسبة أخرى .

توجيهاته للشعراء

كانت توجيهات عمر للشعراء صادرة عن التوجيه القرآني الذى نزلت به الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر انهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » فالقرآن الكريم لا يرى للشعراء أن يميلوا مع الغي والهوى، ولا يرضى لهم أن يجوسوا منحرفات السبل ، ومعوج الشعاب ، كمن يهيم على وجهه ، ولا يحب لهم أن يحمدوا بقول لا يعضده عمل ، بل يرى لهم أن يصبحوا من ذوى العقائد ، فان العقيدة تذكى فى النفس روح النضال فى سبيل ثباتها وانتشارها ، وتفجر فى القلب ينابيع الخير والصلاح .

وتلك أنبل رسالة نراها للشعر منذ ان جرى على الألسنة ، رسمها القرآن الكريم وأجاد تطبيقها عمر بن الخطاب فى بصر وحذق .

يروى الجاحظ عن ابن سلام الجمحي أنه ما يكاد يعرض لعمر أمر الا أنشد فيه بيت شعر ، وهذه الرواية تهدينا الى تعلق الخليفة بذلك الفن الذى يخالط النفس العربية ويستهويها ، ولا يصرفها عن حبه ما قد يجد لها من شؤون الحياة مهما كان جليل الخطر ، فذلك فى العربي الأصيل يعتبر مما يلتصق بالطبع ، ويرتكز على الفطرة .

ولكن هذا الحب لم يزحزح ابن الخطاب عن منهجه الاسلامي قيد أنملة ، ولم يزين له أن يغيِّر نظرته الجادة الى الحياة الجديدة .. حياة البناء ودعم الكيان

الاسلامي الوليد ، ومن ثم خطا خطوات موفقة فى الشعر ودفع به الى سبل لا عوج فيها ولا التواء ، وقاد الشعراء الى الوجهة التي حشد اليها عزائم الأمة فى نضالها من أجل سيادتها وعظمتها .

لقد كان الفاروق من أعلم العرب بفنون الشعر على عصره ، ومن أدقهم نظرة فى فهم رسالته ، ومن أرقهم ذوقا فى الاهتداء الى مواطن الجمال فى هذا الفن الجميل وفى هذا الاطار العام سنبرز الشخصية الأدبية لابن الخطاب عسى أن نلمس ما أحدثت من مفاهيم جديدة فى طبيعة الرسالة التي حمل لواءها فن القول المثير على ألسنة شاعرة وخواطر جياشة .

على أننا نأمل أن تمتد أبصارنا فى الحديث عن توجيهات الخليفة الأديب الى أعماق ما نقرأ له ، فقد يتاح لها أن تتبين مدى تذوقه للفن الشعرى ، وأن تشعر بتلك الهزة التي كانت تنتظم كيان عمر من حلاوة ما يسمع من شعر ، ولكنه كان يغالبها فى وقار وجد ، وهيهات أن تختفي أو تغلب ، لأنها كثيرا ما تمض فى تعليقاته الدقيقة وميض الحور من عيون كحيلة ، وترف نديّة رفيف الابتسامة على ثغر جميل .

وبهذا النسق سأكشف للقراء عن الجانب الفني لشخصية مثلت فى نفوسنا ومن حولها هالة من الجد والوقار .

أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب قوله :ـ

عميرة ودّع ان تجهزت عاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر : لو قلت شعرك مثل هذا لأعطيتك عليه ، فلما قال :ـ

فبتنا وسادانا الى علجّانة
وحقف تهاداه الرياح تهاديا
وهبّت شمالا آخر الليل قرّة
ولا ثوب الاّ درعها وردائيا
فما زال بردى طيّبا من ردائها
الى الحول حتى أنهج البرد باليا

قال له ابن الخطاب ويلك ، انك مقتول ! !

وعمر فى تعليقه على مطلع القصيدة راض كل الرضا على المنهج الشعرى حتى أنه أراد أن يعطى عليه العطاء ، وهو فى تعليقه على الأبيات راض كل الرضا على السهولة والجمال اللتين تلوحان فى ليلة الشاعر ، ولهذا كان تعليقه عليه . ويلك ، وهي كلمة على ما تتضمن من اشفاق وزجر ، تتضمن أيضا قبولا لهذه العذوبة المستحبة التي جرت على لسان شاعر مسلم تعلق فىصدر قصيدته بالاسلام ، ثم مضى فيها خاليا الى نفسه وذكرياته الحلوة فى ليلة قضاها مع حبيبته على غير تصريح بالفحش والفجور .

وفى مقال تال نتابع حديثنا عن ابن الخطاب والشعراء .

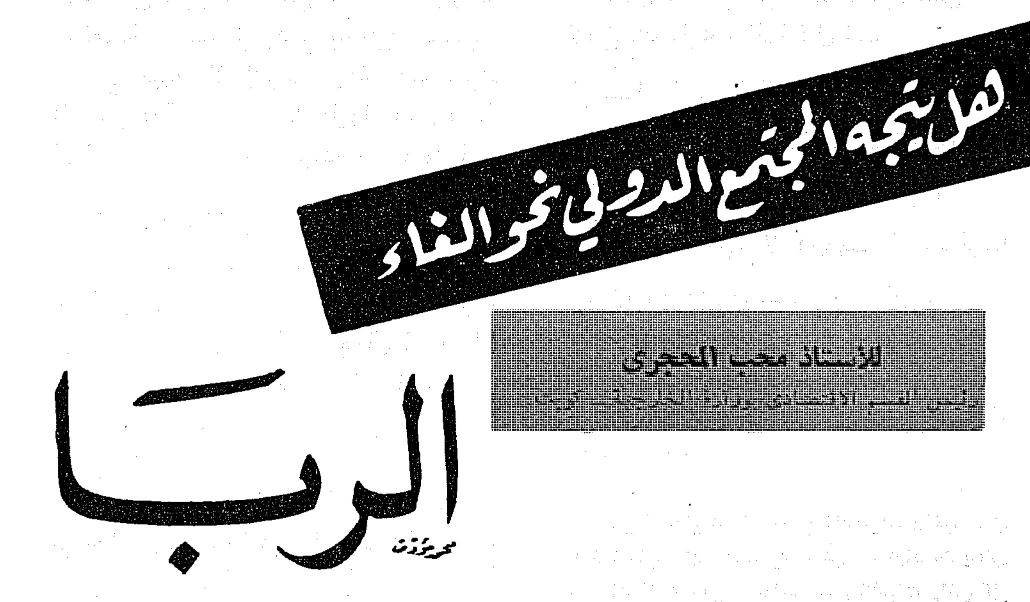
جاءت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

« ان أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل الامر لها .

فقالت :

قد أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أعلم النساء أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء »

« رواه أحمد والنسائي »



قال الله تعالى فى كتابه الكريم « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون. وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » صدق الله العظيم .

وفى الحديث الشريف « وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين .. »

وتتوالى الآيات والأحاديث التي تحرم الربا وتتناول بعض جوانب المعاملات المختلفة فتؤكد شمولها لهذا الجانب المحرم وتميزها عن معاملات البيع الأخرى ، ولكن الفقه الاسلامي لم يواجه بعض المعاملات الربوية الموجودة فى واقعنا الآن ، فجاء فقهاء المسلمين فى العصر الحديث يدلون بدلوهم ، ويجتهدون فى حل كثير من المشاكل ، ويفتون الناس فيما اختلط عليهم فى شأن معاملات البنوك والاستثمارات المختلفة ،وهل سعر الفائدة فيها محرم أو أنه بعيد عن دائرة الحرام ، فوجدنا من قطع بالتحريم ، ومن نادى بالاباحة ومن آثر التريث والانتظار .

وقد اجتمع فى القاهرة نخبة من علماء المسلمين (مجمع البحوث الاسلامية) وقطعوا فى هذا الأمر برأى قاطع يقضي بأن سعر الفائدة محرم أيا كان شكله أو الغرض منه .

ولقد أفاء الله حديثا على أمتنا وعلى العالم أجمع بجمهرة من الاقتصاديين الذين تناولوا تحليل المشاكل الاقتصادية وظاهرة الكساد والدورات الاقتصادية ، فوجدوا أن سعر الفائدة يشكل أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدى لهذه المشاكل .

مساوىء سعر الفائدة فى القروض الدولية

وسنتناول فى هذه المقالة جانبا من الأضرار التي يحدثها الربا ، ومدى

التطور والتغيير الذى طرأ على التفكير الدولي بهذا الشأن .

وهذا الجانب هو سعر الفائدة فى القروض الدولية . ويقصد بالقروض الدولية التي تحصل عليها الدولة أو هيئاتها الداخلية من دولة أو هيئات أجنبية ودولية .

وقد أخذت ظاهرة اقتراض الدولة من الخارج فى الزيادة والتوسع فى القرن الماضي والحالي حتى أصبحت اليوم ضرورة لا يمكن أن تستغنى عنها الدول الصغيرة أو الكبيرة .

وأقبلت الحكومات على وضع خطط وبرامج لتطوير اقتصادها وأوضاعها ، فظهرت برامج السنوات الثلاث والخمس والسبع والعشر ، والحكومات تهدف من وراء هذه البرامج تشغيل مواردها الداخلية الى الحد الأقصى لدفع عجلة النمو الاقتصادى ومضاعفة الدخل الأهلي .

وقد وجدت حكومات الدول النامية ـ المتخلفة اقتصاديا ـ ان لديها الكثير من الموارد الطبيعية غير المستغلة تحتاج لتصنيعها الى عدد وآلات تستوردها من الخارج بعملات صعبة ومبيعاتها من المواد الخام للدول المتقدمة لا تغطي حاجتها من هذه العملات ، مما اضطرها للاقتراض من الدول والهيئات الأجنبية والدولية .

ولم تراع حكومات الدول المتقدمة التي تقدم القروض المبادىء الانسانية (التي اشتملت عليها الآية الكريمة التي سقناها فى صدر هذا المقال) فأخذت تحدد سعر الفائدة مرتفعا مع شروط قاسية للاقتراض والسداد .

وأصبحت القروض التي تحمل في معناها اسم المساعدات والمعونات للدول النامية وسيلة من وسائل الدول الغنية فى تصريف منتجاتها من عدد وآلات وبضائع مختلفة وفرض السعر الذى تراه ، وأحيانا يزيد عن اسعار السوق العالمية ، كما أنها تحسب فى القرض مكافآت الموظفين والفنيين الذين يشرفون على تنفيذ المصانع والمشاريع التي تتم القرض من أجل اتمامها وعادة ما تكون مكافآت عالية مغالى فيها ، وكذلك فهي تضيف على أعباء الدولة المقترضة أجور الشحن والتأمين لشركات تابعة لها بأسعار مجزية تربو على أسعار غيرها من الشركات .

وهكذا أصبحت القروض من أحسن الوسائل للدول الصناعية لترويج منتجاتها ، وتشغيل مصانعها . ووحداتها الانتاجية ، والقضاء على البطالة فيها ، وتحقيق الرواج والرفاهية لمجتمعاتها .

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الدول النامية المقترضة تقبل فى كثير من الأحيان تحت ضغط ظروفها وقلة خبراتها سلعا وخدمات أقل فى الجودة من المستوى المطلوب أو تقنع بتركيب مصانع وآلات أصبحت فى العرف الصناعي قديمة مرت عليها عدة مراحل من التطور والتغيير فلا تحظى منتجاتها فى المستقبل بالقدرة على منافسة منتجات المصانع الحديثة فى الدول الصناعية المتقدمة، كما أنها تفقد كثيرا من مميزات حرية الاختيار سواء فى مجال الخبرات الفنية أو النقل أو التأمين بل تلتزم بشروط واسعار محددة، وتضحي بشروط وأسعار أفضل خارج هذا النطاق الاحتكارى المفروض .

وكثيرا ما تتأخر الدول المقرضة عن تنفيذ عقودها أو تمتنع عن الالتزام بشروطها لأسباب سياسية أو غير سياسية مما يترتب عليه تعطيل الانتاج فى الدول المقترضة ، وتأخر قيام مشاريعها فتختل التقديرات الموضوعة فى الخطة العامة ، أو تجد الحكومة أن العملات الصعبة التي كانت تحرص على توفيرها قد امتنعت أسباب توفرها ، فالسلع التي كانت ستوفر عليها الاستيراد من الخارج أو ستقوم بتصديرها فتزداد بذلك حصيلتها من العملات الصعبة لم تنتج بعد ، فتستمر الدولة فى الاستيراد بل تضطر الى زيادة وارداتها ـ نتيجة لارتفاع القوة الشرائية ـ ويزيد العجز فى ميزانها التجارى ، وكثيرا ما يضطرها ذلك الى تعطيل تنفيذ سياسة التصنيع أو تمديد فتراتها ، وتسعى لسداد ديون وفوائد هذه الديون أولا محافظة منها على سمعتها الدولية ، كما تعمل على تنفيذ

سياسات التقشف فى الداخل فتمتنع عن استيراد الكماليات وتعمد الى تصدير بعض الضروريات لتعويض ما فقدته من نقد أجنبي ، وكل هذا يثقل كاهل الشعوب الفقيرة ويزيد من ضنكها .

وهكذا نرى كيف أصبحت القروض عاملا قويا فى زيادة الرفاهية للدول الغنية وارهاق شعوب الدول الفقيرة واستنزاف مواردها .

وأحب أن أؤكد معنى هاما أود ألا يغيب على القارىء وهو انني أتعرض للقروض الدولية من جانبها الاقتصادى فقط ، أما الجوانب السياسية والعسكرية والقروض التي تقدمها الدول الكبيرة لأسباب استراتيجية ولتعزيز مراكزها ضد الدول الكبرى الأخرى فهذا شيء آخر لا أتعرض له فى هذه العجالة .

كما أود أن أؤكد أيضا أن الشروط القاسية التي تضعها الدول الغنية وتفرضها على الدول المقترضة لا تقل فى ضررها عن سعر الفائدة المرتفع ولذا نرى أن آية تحريم الربا قد قرنت الاثنين معا كما سنوضح فيما بعد .

قروض البنك الدولي ومؤسسة التنمية الدولية

انشىء البنك الدولي للانشاء والتعمير فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بقصد اعانة الدول الأعضاء على تعمير المناطق التي دمرتها الحرب ، والنهوض بالبلدان المتخلفة اقتصاديا ، وتشجيع التبادل التجارى الدولي ، ورفع مستوى المعيشة بين الشعوب .

ويقوم البنك بتقديم القروض للدول صاحبة المشاريع الاقتصادية مباشرة أو بضمان قروض لهذه المشاريع تقدمها مؤسسات أهلية ، وقد يشترك البنك الدولي مع الرأسمال الخاص فى التمويل .

واذا نظرنا الى هذه الأهداف بدون التعمق فى التفاصيل نجد أنها تتفق تماما مع مبادىء ديننا الحنيف فى التكافل والتعاون ، ونحن نجد بين أبواب الزكاة ما يغطي هذه الأهداف ، كما نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال والأقوال ما يضمن تحقيق ما هو أبعد بكثير من هذه الأهداف .

ولكننا اذا انتقلنا من الغايات الى الوسائل التي يتبعها البنك نجد أنه يقرض بسعر فائدة مرتفع يصل الى ٦٪ سنويا حيث أن البنك يقوم بسياسة الاقتراض لتغطية قروضه فيطرح الأسهم والسندات بسعر فائدة معين ثم يعود فيقرض هذه الأموال بسعر فائدة أعلى كما أن القروض التي يقدمها البنك يشترط قبل تقديمها توفر كثير من الضمانات التي تعجز أغلب الدول النامية عن توفيرها هذا علاوة على أن مدة القروض قصيرة أو متوسطة الأجل .

وقد أحست الدول المتخلفة اقتصاديا أن قروض الدول الغنية والبنك الدولي تشكل بالنسبة اليها عبئا كبيرا فبدأت تناضل فى عالم يقدس المال وصاحبه ولا يأبه للفقير وحاجاته ، وقد عزز هذا النضال ازدياد عدد الدول المستقلة حديثا فى الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .

واستجاب البنك لندائها المتواصل الملح وأنشأ فى عام ١٩٥٩ مؤسسة لتمويل المشاريع الاقتصادية فى هذه الدول ورصد لها رأسمال قدره ألف مليون دولار ووضع شروطا للاقراض اكثر يسرا من قروض البنك ، فالمؤسسة تمنح قروضها لمدة خمسين عاما ، ولا تبدأ الدولة المقترضة فى السداد الا بعد عشر سنوات من موعد الاستحقاق ولا تدفع فوائد فى هذه السنوات العشر ثم تدفع ١٪ فائدة سنويا فى العشر سنوات التالية و ٣٪ فى الثلاثين سنة الباقية ويتم السداد بمعدل ٢ ١/٢٪ من قيمة القرض لمدة أربعين عاما .

ولا شك أن هذه الشروط فيها كثير من التيسير على الدول النامية غير أن مبلغ ألف مليون دولار يعتبر مبلغا ضئيلا لتمويل مشروعات الدول النامية التي تقدر بثلاثة آلاف مليون دولار سنويا ، لكي ترفع من دخلها القومي بنسبة أكبر من زيادة عدد السكان فيها ، وأخذت مجموعة الدول النامية تقوى ويشتد عودها في الأمم المتحدة ولكن مصالح الدول الصناعية الغنية كانت دائما ما تقف عقبة أمام تحقيق التطور المنشود وازالة العقبات من الطريق .

القروض وسعر الفائدة فى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية

استمرت الدول النامية فى كفاحها ضد التخلف والجوع والأمراض الاجتماعية المستشرية فى شعوبها وفى كل عام تزداد حاجتها للقروض والمعونات الأجنبية وتزداد بالتالي اعباؤها فى سداد الديون.

كما أخذت الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة تزداد يوما بعد يوم ، فالأولى فى تقدم متزايد والثانية لا تكاد تحس أنها خطت الى الأمام خطوة أو خطوتين .

وكان من بين الجهود الكبيرة التي حققتها الأمم المتحدة فى السنوات الأخيرة نتيجة لضغط الاكثرية العددية من الدول النامية عقد مؤتمر كبير فى ربيع ١٩٦٤ فى جنيف لمدة ثلاثة شهور ضم (١٢٠) دولة وجميع الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ، وناقش مشاكل الدول النامية فى مختلف شؤون التجارة والتنمية الاقتصادية .

وناقش المجتمعون جميع المسائل بصراحة ووضوح ، وأصبحت المشاكل جميعها معروفة وحلولها مرسومة ، وبقي أن توافق الدول المتقدمة وتسلم بأن عليها واجبا لا بد أن تفي به وتؤديه ، كما أن التعاون الوثيق المستمر بين ٧٧ دولة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية سيصل ولا شك الى اعتراف الدول المتقدمة بهذا الواجب فى المستقبل ان شاء الله .

وقد كون المؤتمر لجنة لدراسة مشاكل التمويل والقروض والمساعدات المالية للدول النامية وانتهت اللجنة الى اصدار بعض التوصيات الهامة بعد أن عرض عليها ما يزيد عن ١٠٠ اقتراح نذكر منها : ــ

ــ يجب ألا يزيد سعر الفائدة فى القروض الدولية عن ٣٪ سنويا .

ــ يجب على الدول والهيئات التي تقدم القروض أن تقبل سداد الديون عينا فى صورة بضائع تنتجها الدول النامية وبصفة خاصة منتجات المشاريع التي غذتها بقروضها .

ــ تقبل الدول التي تمنح القروض سداد جزء من ديونها بالعملات الوطنية للدول المقترضة .

ــ لا تقل مدة القروض عن ٢٠ سنة .

ــ يجب أن تقترن الهبات بالقروض فى حالات الدول النامية التي لا يمكنها سداد القروض .

ــ يجب ألا تفرض الدول المقرضة شروطا بشأن النقل والتأمين على الدولة المقترضة ، بل تترك الأخيرة حرة فى نقل بضائعها على السفن التي تختارها والتأمين فى شركات التأمين التي تفضلها .

ــ يجب أن توافق الدول المقرضة على تجميع قروضها للدول المقترضة وتوحيد السداد على فترات طويلة وبطرق ميسرة .

ونود أن نوضح مرة أخرى بأن هذه التوصيات لم تجد حينئذ قبولا وموافقة من الدول المتقدمة التي تقدم القروض ،

البقية على ص ٧٧

الفقه الاسلامي ثروة عالمية فى مجال التقنين والتشريع .. وهذا المقال عن الشيباني الفقيه المسلم يبرز خصائص التشريع الاسلامي على المستوى العالمي ..

وحسب الشيباني تقديرا أنه تتلمذ على أبي حنيفة ومالك وتلقى عنه الشافعي .. وأن فقهاء القانون الدولي فى مختلف بلاد العالم أسسوا جمعية باسمه للتعريف به واظهار آرائه ، ونشر مؤلفاته .

((الوعي الاسلامي))



الشيباني

فى جوتنجن بألمانيا ...

تأسست ((جمعية الشيباني للقانون الدولي)) وضمت فقهاء القانون الدولي والمشتغلين به فى مختلف بلاد العالم،واختير لرئاستها الفقيه المصرى الدكتور عبد الحميد بدوى ...

وتهدف الجمعية الى التعريف بالشيباني واظهار آرائه ونشر مؤلفاته فى مجال القانون الدولي ....

فمن هو ((الشيباني)) الذى لقى هذا التقدير العالمي الكبير ؟ ؟

ميلاد رجل .... مع ميلاد دولة :

ولد محمد بن الحسن الشيباني فى واسط من العراق عام ١٣٢ هـ ، وهو العام الذى شهد نهاية دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين .

ونشأ محمد بالكوفة التي كانت مركزا متألقا من مراكز النشاط الفكرى الاسلامي ، وكانت ملتقى كبار علماء الدين واللغة من أمثال أبي حنيفة وأبي يوسف والثورى والكسائي والفراء وثعلب ، وفى هذا (المناخ) الفكرى تنفس محمد بن الحسن ....

وكان أبوه قد خلف له ثروة أنفقها فى طلب العلم ...

* لازم أبا حنيفة ٤ سنوات حتى توفى ١٥٠ هـ ، فواصل الدرس على صاحبه الفقيه الكبير « أبي يوسف » .

* وقصد الشام طلبا لعلم الأوزاعي ، كما طلب علم سفيان بن عيينة فى مكة وعبد الله بن المبارك فى خراسان . بجانب ما أفاده من علم الكثيرين بالبصرة .

*** ثم قصد ((المدينة)) حيث تلقى عن مالك ، ولازمه ٣ سنوات ، وسمع منه الموطأ مرات . فاستفاد من فقه الحجاز ، كما استفاد من فقه العراق ، ودرس فى مدرسة ((الرأى)) كما درس فى مدرسة ((النصوص)) .**

وعاد محمد بن الحسن الى العراق ، فاشتهر ، وأقبل عليه طلاب العلم وكان ممن أخذ عنه أسد بن الفرات الفقيه المجاهد الذى قاد جيش المسلمين لفتح صقلية والذي دوّن (الأسدية) التي كانت الأصل لمدونة (سحنون) فى الفقه المالكى وكان الشافعى من بين من تلقى العلم

والقانون الدولي

للاستاذ ـ فتحي عثمان ـ
القاهرة

عن محمد بن الحسن . وقد أفاد من علم محمد كثيرون آخرون من أهل العلم : مثل أبى حفص الكبير الذى درس عليه البخارى ، وأبى سليمان الجوزجاني الذى انتشرت عن طريقه الكتب الستة فى الحديث ، وأبى عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب (الأموال) ويحيى بن أكثم واسماعيل بن توبة وغيرهم .

وقد ازدهر فقهأبى حنيفة وأصحابه فى حكم الرشيد ، فكان « أبو يوسف » مستشار الخليفة بلغة عصرنا ، وكان يشغل منصب قاضي القضاة كعمل رسمي ، وهو الذى كتب للخليفة كتاب « الخراج » ليكون دستوره فى السياسة الاقتصادية والمالية . ويعتبر هذا الكتاب ، بجانب كتاب آخر بنفس الاسم ليحيى بن آدم القرشى ، وكتاب « الاموال » المشار اليه لأبى عبيد القاسم بن سلام من ذخائر التراث الاسلامي فى الفكر الاقتصادى .

وتولى محمد بن الحسن قضاء « الرقة » في عصر الرشيد . لكنه أغضب الخليفة فى فتوى ... انه رفض أن يساير القوم فى اباحة نقض العهود ، اذ كانوا ينزعون نزعة « مكيافيلية » فى تأمين خصومهم ثم البطش بهم . فعزل عن القضاء ، وفتشت كتبه لعلهم يجدون دليل تواطؤ مع (الطالبيين) فى ثوراتهم . ولكن استقامت علاقة محمد بن الحسن مع الرشيد بعد ذلك ، وتولى منصب قاضي القضاة بعد وفاة أبي يوسف . ومات فى عام ١٨٩ هـ خلال رحلة صحب فيها الرشيد الى الريّ ، ومات الكسائي فى هذه الرحلة أيضا .

القانون الدولي :

هذا عن محمد بن الحسن .. فماذا عن القانون الدولى ودور الاسلام فيه ؟؟ ان الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى قد درس هذا الموضوع ، ونال فيه درجة الدكتوراه من جامعة بون ، وله كتاب قيم بالانجليزية أسماه « سيرة الدولة الاسلامية فى المجال الدولى » Moslim Conduct of state قدّمه الى القراء بقوله :

« لم يكن هناك قانون دولي فى أوربا قبل عام ١٨٥٦ م ، ومن المسلم به أن ما كان هناك قبل ذلك ليس الا مجرد قانون للأمم المسيحية . ففي عام ١٨٥٦ م حدث للمرة الأولى أن اعتبرت دولة غير مسيحية ـ هي تركيا ـ أهلا للانتفاع من القانون الأوربى العام للأمم ، وكانت هي البداية الحقيقية لتحويل القانون العام للأمم المسيحية الى قانون دولى عام . ولا يعنى هذا أن القانون الدولى بمضمونه الحديث قد ولد فى ذلك الزمان والمكان وانما تحقق وجوده من قبل فى بقعة أخرى .

ان الاسلام قد اعترف لكل الدول ـ بصرف النظر عن الدين والجنس ـ بنفس الحقوق والالتزامات . فعلى خلاف أية أمة قديمة ، لم يعلن المسلمون قانونهم للأمم من أجل تحديد سياسة

الدولة الاسلامية وحدها ، ولا على أساس اسقاط الدول غير المسلمة من الاعتبار ، بل ان القانون الدولى ليدين كذلك للمسلمين العرب فى العصر الأموى باعتباره **علما منفصلا مستقلا** فهم قد فصلوا بينه وبين علم السياسة وبين القانون بوجه عام ، **وان لم يجردوه من أساسه الأخلاقي .**

ويتتبع الدكتور الحيدر أبادى العلاقات الدولية فى التاريخ ... المعاهدة المعقودة بين رمسيس الثاني (١٢٩٢ : ١٢٢٥ ق.م . وملك الحيثيين ... العلاقات بين الفينيقيين والاغريق ... علاقات العبرانيين مع سكان فلسطين وحروبهم التي أعملوا خلالها القتل فى الشيوخ والنساء والأطفال فى عقر دورهم (التوراة صموئيل : ١٥ مثلا) .... والعلاقات بين الدول المدن فى اليونان وتأسيس عصبة أمم اغريقية بين هذه المدن — مع النظر الى غير الاغريق باعتبارهم برابرة ، ومعاهدات الرومان — التي كان بغيرها لا يأمن الأجنبي على حياته أو ماله داخل اقليم روماني « ويمكن القول بأن القوانين الرومانية للسلم كانت أكثر انتشارا وبوجه خاص القانون الدولي الخاص ، أما قوانين الحرب فقد كانت فى أغلبها من ثمار فكر فردى هو فكر القواد المختلفين ، ويمكن أن نتعقب قواعد السلوك بين المتحاربين خلال الحروب التي شنها الرومان على الفرس وعلى غيرهم » .

وبالنسبة الى العرب ، يلاحظ الدكتور الحيدر أبادى أن حرص العرب الشديد على الانساب كان يستثير العزلة المدنية ، وقد أدت روح الانفصال والعزلة الى تعذر الوحدة السياسية للعرب قبل الاسلام . وعند قيام الاسلام كانت الممالك التي قامت فى اليمن قد تفككت . وعلى الرغم من حياة الصراع المستمر بين القبائل فقد وجد لدى العرب نزوع الى حياة السلم تمثل فى « الأشهر الحرم » و « خفارة » طرق القوافل ، و (الايلاف) أو المواثيق التي كان يعقدها أهل مكة تأمينا لقوافلهم خلال الطرق التي تسلكها الى اليمن أو الشام ، و « الاحلاف » القبلية ومنها « حلف الفضول » الذى شهده محمد قبل بعثته و « الاسواق » التي كانت تجمع العرب فى أماكن معينة خلال مواسم معينة والتي رأى فيها الدكتور الحيدر أبادى نوعا من الاتحاد الاقتصادى لشبه جزيرة العرب .

ومیزة النظام الحديث فى القانون الدولى أنه يعرف للمحارب حقه ، فقد تأتى حالة الحرب على بعض الحقوق ، ولكن ثمة حقوقا متعددة للدولة المستقلة تبقى دون أن تمس ، حتى لو وجد الطرفان نفسيهما فى حالة الحرب . وقد كان القانون الروماني لا يعترف بحقوق للمحاربين ولا يعرف للعدو غير الروماني سوى الحذر والتربص . ولم تؤثر تعاليم الحب المسيحي فى واقع العلاقات الدولية ويذكر جروسيوس Grotius أبو القانون الدولي الحديث فى مقدمة كتابه (قانون الحرب والسلم) المنشور ١٦٢٥ م : ان الأمم المسيحية فى وقته كانت تسلك فى حروبها طرقا قد يخجل منها البرابرة أنفسهم ! !

وجاء الاسلام :

وجاء الاسلام دعوة عالمية ....

*** كتابه : بلغة العرب ولهجة قريش ، لكن أولى آياته تحمل دعوة تتعالى على كل الحدود :**

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » ... « علم الانسان ما لم يعلم » .

واستهلال سورة « بسم الله الرحمن الرحيم » ورحمة الله وسعت كل شيء وفاتحته « الحمد لله رب العالمين » .

*** ونداء الاسلام : دعوة عامة للفلاح يرددها الأذان خمس مرات كل يوم .**

*** وشعائره : صلاة تتأكد فيها المساواة نفسيا من الأعماق ، وزكاة تعمل على تذويب الفوارق فى الواقع ، وحج يجمع المؤمنين من شتى البلدان والأقوام .**

*** وشريعة الاسلام : لا تتعصب ضد بلد أو ضد أمة « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » وهي لا تضيق باختلاف الأديان اذا برىء من العدوان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ».**

*** والمجتمع الاسلامي الأول : كان يضم بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي بجانب أساطين العرب .**

وهكذا جاءت دعوة الاسلام عالمية تنادى العالمين :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ومن أجل هذا أرسل رسول الاسلام رسلهوكتبه الى من حوله من ملوك الأرض ! !

وبينما كان المسلمون يعانون من كفار قريش ما زاغت منه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، كان القرآن يبسط أمامهم الأفق والأمل ، ويفتح أعينهم على العالم الرحيب :

« غُلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

والقانون الدولى يفترض وجود مجتمع دولى ... والاسلام بدعوته الانسانية العالمية قد هيأ المجال النفسي الفكرى والمجال الواقعي لنشاط القانون الدولى ، ثم مارس الاسلام بشريعته صور التعاون الدولى :

* فالمعاهدات : الثنائية والمتعددة الأطراف محترمة مصونة بأمر الاسلام « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

* والتعاون الدولي : مفترض مفروض فى شتى المجالات ، فالبحار مفتوحة للناس أجمعين « والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس » والفقه الاسلامي يقوّم فى مال غير المسلم من الخمر ولحم الخنزير ما يهدره بالنسبة للمسلم ، والاتصال الفكرى مطلوب بكل سبيل اذ « الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق بها » .

* والسلم : هو الأصل فى العلاقات الدولية « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » والاسلام يقيم عدالة دولية لصيانة السلم العالمي عن طريق الاحتكام الى الرأى ثم الالتجاء الى القوة للردع « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

* والحرب : مشروعة بحكم الضرورة التي تبيح المحظور ، فلا بد من اجازة استعمال القوة فى حالة الدفاع « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » فاذا نشبت الحرب كان للاسلام تعاليمه التي لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كهلا ولا راهبا غير مقاتل ، ولا تتبع مدبرا ولا تجهز على جريح . والاسلام يواصل هدايته بالقول والخلق حتى فى ميدان القتال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فاذا بدرت بادرة للاقلاع عن العدوان وجب الرجوع الى الأصل وهو السلم « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وجاء واقع الاسلام التاريخي يخلق المجال التطبيقي لشريعته الدولية فلقد حارب المسلمون فى جزيرة العرب وفى العراق وفارس والشام ومصر وبلاد المغرب وفى غير ذلك من الأرجاء ما بين الأندلس وديار الهند ، وحارب المسلمون المشركين والمرتدين والبغاة والخوارج وفى ظل هذه العمليات الحربية وما صاحبها وتلاها من علاقات دولية نما الفقه الاسلامي ليلبى الاحتياجات الجديدة. ونحن نرى تراث هذا الفقه زاخرا بأحكام السلم والحرب ، وأحكام أهل الذمة وأهل العهد والمستأمنين والمحاربين ، وولاية الجند وقسمة الغنائم والفىء ، وأحكام الأرض التي فتحت عنوة والتي فتحت صلحا ، الى آخر هذه المباحث التي يعنى بها القانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص (الجنسية ومركز الأجانب ، تنازع القوانين) . وقد كانت القواعد التي تحكم سير الدولة فى المجال الدولى تعالج فى كتب الفقه الاسلامي تحت عنوان (السير) ، ومن هنا أتت تسمية الكتاب الشهير لمحمد بن الحسن الشيباني (السير) .

السير ... أو العلاقات الدولية فى التراث الاسلامي :

وقد استعمل أبو حنيفة (المتوفى ١٥٠ هـ) مصطلح (السير) لتمييز مجموعة دروسه التي تتناول قواعد الاسلام فى الحرب والسلم ، وقد ورد نفس الاصطلاح بنفس الاستعمال فى الكتاب المنسوب لزيد بن على المتوفى ١٢٠ هـ باسم

(المجموع) . وقد نشرت دروس أبى حنيفة منقحة على أيدى تلاميذه ، وقد نقد فقيه الشام الأوزاعى (المتوفى ١٥٧ هـ) آراء فقيه العراق ، فردّ عن أبي حنيفة تلميذه الكبير أبو يوسف (المتوفى ١٩٢ هـ) فى كتابه (الرد على سير الأوزاعى) ، ويشير الشافعي الى هذا الكتاب والى كتاب (السير) للواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) . والف محمد بن الحسن الشيباني (السير الصغير) و (السير الكبير) . ومن ثم يبدو أنالكلمة قد صارت مصطلحا فنيا يشيع استعماله بين الفقهاء ، ويقول محمد بن أحمد السرخسي (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ شارح السير الكبير لمحمد بن الحسن) فى كتابه (المبسوط) :

« اعلم أن السير جمع سيرة ، وبه سمى الكتاب ، لانه بيّن فيه سيرة المسلمين فى المعاملةمع المشتركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ، ومع المرتدين ، ومع أهل البغى ... » . ويستعمل مصطلح (سيرة) عند المؤرخين للدلالة على سيرة الرسول بوجه خاص ، وفى (المحيط) لرضى الدين السرخسي أن هذا المصطلح « فى عرف الشرع متى أطلق يراد به طريقة رسول الله فى مغازيه على الخصوص » .

وفى التراث الاسلامي كتب تتعرض لموضوعات من القانون الدولى : منها كتب (المغازى) وكتب (الجهاد) ومن مؤلفيها عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١ هـ) والطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) والكرماستى (المتوفى ٩٠٦ هـ) وابن الخطيب (٩٠١ هـ) ، وهناك ما تضمنته المباحث المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه والفتاوى والتاريخ وكتب السياسة ونصائح الملوك والموسوعات مثل نهاية الأرب للنويرى وصبح الأعشى للقلقشندى وغير ذلك .

السير الكبير للشيباني :

تتجلى فى مؤلفات الشيباني عمق تفكيره الفقهي ودقة معرفته بالعربية وقد كان منأكثر فقهاء القرن الثانى انتاجا ، وقد أثرت آراؤه فى مؤلفات من تلقوا عنه من أصحاب المذاهب الأخرى ، نرى ذلك فى (الاسدية) و (المدونة) من مراجع الفقه المالكى وفى كتاب (الأم) للشافعي .

وقد ألف الشيباني (المبسوط) و (الجامع الكبير) ، وملحقه (الزيادات) و (زيادة الزيادات) و (الجامع الصغير) الذى روى فيه ما سمعه عن أبي يوسف رواية عن أبي حنيفة ، و (السير الصغير) الذى روى سير أبي حنيفة ، و (الحجج) فى الرد على أهل المدينة بالنصوص وهو مثال مبكر للتأليف فى اختلاف المذاهب ، وكتاب (الآثار) ويروى أحاديث عن طريق أبى حنيفة عن ابراهيم النخعي ، و (الرقيات) الذى يتضمن ما عرض له محمد بن الحسن أثناء عمله فى القضاء بالرقة .

وآخر ما كتب الشيباني « السير الكبير » .

يذكر السرخسي أن كتاب « السير الصغير » الذى روى فيه محمد سير أبى حنيفة وقع فى يد الأوزاعى فقيه الشام فقال : ما لأهل العراق والتصنيف فى السير ؟ ويقول السرخسي ان الأوزاعي كان يقصد أن مغازى الرسول كانت من جانب الحجاز والشام فأهلها أعلم بها ، فبلغ محمد بن الحسن قول الأوزاعى فانصرف الى تأليف « السير الكبير » فأخرجه فى ستين دفترا .

ويتناول الكتاب أحكام الحرب ، فيعرض لأهل الاسلام وأهل الحرب المشركين وأحكام أسرى الفريقين رجالا ونساء وأطفالا ، واسلام المشركين ، كما يعرض للأمان على اختلاف ضروبه والفاظه والمستأمنين والسفراء وحصاناتهم ، ويعرض للغنائم والصلح والتحكيم والفداء وأحكام السلاح والأراضى التي يستولى عليها أهل الحرب ووضع المسلمين فى دار الحرب ، ونقض العهود وجرائم الحرب ، الى غير ذلك مما يتعلق بأهل الحرب وصلاتهم مع المسلمين فى الحرب والسلم .

واعتمد الشيباني على نصوص القرآن والسنة ، وعلى سوابق الأحكام فى حروب المسلمين وفتوحهم، كما استفاد من (القياس) كمصدر شرعي فى الوصول الى أحكام للوقائع التي تعذر الوصول فيها الى نصوص مباشرة .

انسانية ... حتى فى القتال :

ان انسانية « الانسان » تظهر فى تعامله مع الخصوم والأعداء ... والقانون الدولى يعنى بتصحيح أصول التعامل مع المحاربين يورد محمد ابن الحسن وصية أبى بكر لقائد جيشه :

« انك ستلقى أقواما زعموا أنهم قد فرغوا

أنفسهم لله فى الصوامع ، فذرهم وما فرغوا له أنفسهم ...

« ولا تقتلن مولودا ولا أمرأة ولا شيخا كبيرا .

« ولا تعقرن شجرا بدا ثمره ولا تحرقن نخلا ولا تقطعن كرما ...

« ولا تذبحن بقرة ولا شاة ولا ما سوى ذلك من المواشى الا لأكل .. »

ويذكر محمد « ينبغي للامام اذا بعث سرية قلت أو كثرت ألا يبعثهم حتى يؤمر عليهم بعضهم ... وينبغي أن يستعمل على ذلك **البصير بأمر الحرب ، الحسن التدبير لذلك ، ليس ممن يقحم بهم فى المهالك ، ولا ممن يمنعهم عن الفرصة اذا رأوها .... »**

« وينبغي أن يؤمر على الجند : العاقل الفاضل العالم بالحرب الرفيق » .

ويورد محمد حديثا عن النبي يدعو الى تربية الأولاد رياضيا بتعليم السباحة والرمى ، وكلمة لعمر توصي بالفروسيةأيضا . واذا كانت « الحرب خدعة » فان الخداع فى الحرب له حدود لا ينبغي أن يتجاوزها ... يقول محمد « ولو أن رهطا من المسلمين أتوا أول مسالح أهل الحرب ، فقالوا : نحن رسل الخليفة ، وأخرجوا كتابا يشبه كتاب الخليفة ، أو لم يخرجوا وكان ذلك خديعة منهم للمشركين ، فقالوا لهم : ادخلوا ، فدخلوا دار الحرب ، فليس يحل لهم قتل أحد منأهلالحرب، ولا أخذ شيء من أموالهم ما داموا فى دارهم » .

واذا كانت هذه هي السياسة مع المحاربين ، فكيف بالسياسة مع من ربطتهم بالمسلمين عهود ؟ يقول محمد « واذا أودع المسلمون قوما من المشركين فليس يحلُّ لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم الا بطيب أنفسهم للعهد الذى جرى بيننا وبينهم ، فان ذلك العهد فى حرمة التعرض للأموال والنفوس **بمنزلة الاسلام** فكما لا يحلُّ شيء من أموال المسلمين الا بطيب انفسهم فكذلك لا يحلُّ شيء من أموال المعاهدين .

وفقيهنا يقدر (**شرف الكلمة**) الى أبعد الحدود ... انه يقول « امان الرجل الحر المسلم جائز على أهل الاسلام كلهم ، عدلا كان أو فاسقا ، لقوله عليه السلام (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم) ، **والمراد بالذمة العهد مؤقتا كان أو مؤبدا ، وذلك الأمان وعقد الذمة .... ويصح أمان الحرة المسلمة ... ويجوز أمان العبد المسلم** اذا كان يقاتل ، والأمة كالعبد فى ذلك ... واذا أمن رجل من المسلمين قوما من المشركين فأغار عليهم قوم آخرون من المسلمين ، ثم علموا بالأمان ، فعلى القاتلين دية القتلى ، والنساء والأموال مردودة عليهم .... **وانما يتحقق طرح الأمان باعلامهم واعادتهم الى ما كانوا عليه قبل الأمان ...** واذا نادى المسلمون أهل الحرب بالأمان فهم **آمنون جميعا اذا سمعوا أصواتهم بأى لسان نادوهم به** فان الأمان التزام الكف عن التعرض لهم بالقتل والسبى حقا لله تعالى ، والله لا يغرب عنه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية واذا قال المسلمون للحربى : أنت آمن أو لا تخف أو كلمة تشبه هذا فهو كله أمان ... وكذلك الاشارة ... والكتابة » .

جهاد المرأة :

ومحمد بن الحسن يرضى أن تعينالمرأة المجاهدين بما يتناسب مع طبيعتها وبنيتها ، ويرضى أن تحمل المرأة السلاح فى الميدان عند الضرورة ....

يقول : « لا يعجبنا أن يقاتل النساء مع الرجال فى الحرب الا أن يضطر المسلمون الى ذلك ، ولا بأس أن يحضر منهن الحرب العجوز الكبيرة فتداوى الجرحى وتسقى الماء وتطبخ للغزاة اذا احتاجوا الى ذلك ، لحديث عبد الله بن قرط الأزدى : كانت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمرات يحملن الماء للمجاهدينيرتجزن وهو يقاتل الروم » .

وهو لا يشفق على المرأة من الاقامة فى الأماكن النائية على الاطراف والتخوم مع الرجال المرابطين لحماية الحدود وسدِّ الثغور يقول « ولا بأس للذين يسكنون الثغور من المسلمين أن يتخذوا فيها النساء والذرارى وان لم يكن بين الثغور وبين أرض العدو أرض للمسلمين . لكن هذا اذا كانوا بحيث لو نزلت بهم جلبة العدو قدروا على دفع شرهم عن أنفسهم وعن ذراريهم وتمكنوا من أن يخرجوهم الى ارض الاسلام » .

ويعلق السرخسي شارح « السير الكبير » على هذا النص بقوله « لأن ساكني الثغور يندبون الى

المقام فيها ، وانما يتمكنون من المقام بالنساء والذراري ، فالنساء سكن للرجال . ولأنهم اذا قاموا في ذلك الموضع بالنساء والذراري كثروا بمرور الزمان حتى يصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين ويتخذ المسلمون وراء ذلك ثغرا بالقرب من العدو » .

على أن محمد بن الحسن يفرق بين دور المرأة في حالة (النفير العام) أو (التعبئة العامة) حين تتعرض البلاد لهجوم الأعداء فيكون الجهاد فرضا يتعين على كل فرد ، وبين دورها في العمليات الحربية الأخرى التي اذا قام فيها البعض بالواجب كفوا الباقين مئونته . يقول : « والنساء اذا كانت بهن قوة القتال فليخرجن اذا كان النفير عاما .... أما الصوائف (الحملات التي كانت تخرج صيفا للجهاد على حدود الروم) ونحوها فلا ينبغي للشواب أن يخرجن ، فأما العجائز فلا بأس أن يخرجن مع الصوائف لمداواة الجرحى. ولا يعجبني أن يباشرن القتال لأن بالرجال غنية عن قتال النساء فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة ، وعند تحقق الضرورة بوضوح النفير عاماً لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير اذن زوجها ، وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا اذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام وان كره ذلك الآباء والأمهات » .

حقوق الأسرى :

وينقل محمد بن الحسن وحماد بن أبي سليمان كراهية قتل الأسير بعدما وضعت الحرب أوزارها . ومن أسانيد ذلك أن عبد الله بن عمر ابى أن يقتل أسيرا وقال : أما والله مصرورا فلا أقتله ، يعنى بعدما شددتموه وأسرتموه فلا أقتله .

ويقرر محمد انه لا يجوز تعذيب الأسير بالعطش والجوع .

بين الشرق والغرب :

ترى هل انتقلت هذه الشريعة الدولية الانسانية الى أوربا ... حين احتكت بالاسلام في الأندلس ، وجنوبي أوربا ، وخلال الحروب الصليبية ؟ ؟

ان الفقيه الروسي دى توب يقول في محاضراته في أكاديمية القانون الدولي في لاهاى ١٩٢٦ « ان النظم المختلفة في العصور الوسطى الأوروبية تحمل علامة باقية ، ان لم تكن علامة على أصلها الشرقي الخالص البسيط ، فهي على الأقل علامة على اعتمادها القوى على نظم حربية مشابهة لما في الشرق الاسلامي » .

والدكتور حميد الله الحيدر ابادى يؤكد ذلك ويقول :

« اننا حين ندرس المؤلفات العربية الأولى في القانون الدولي وما يتصل به من موضوعات نجد لدينا فكرة جلية عن علاقات المسلمين بالروم (البيزنطيين) وغيرهم في وقت الحرب والسلم على السواء ونرى كيف كانت الاتصالات تجرى بين الفريقين ليس فقط في مجال فنون الحرب بل في مجال قواعد القانون الدولي نفسه ونحن نعثر لأول مرة على رأى مستكمل في تقرير حقوق العدو في كل وقت في الحرب والسلم على السواء ، وهي حقوق تستند الى القرآن والسنة وسيرة الخلفاء . بل يلاحظ أن مؤلفات قوانين الحرب لايالا وفيتوريا وجنتلس وجروسيوس وغيرهم لا نجد لها مقابلا في الفكر الروماني والاغريقي ، وهي ثمرة عصر لم تكن العبقرية الأوروبية قد وصلت فيه الى ما وصلته الآن ، ونحن لا نرى سوى صدى لكتب الجهاد والسير العربية . وفي هذه الكتب ينبغي أن ننشد الحلقة التي تصل بين عصر الرومان والعصر الحديث ونتعرف على أصل التغيير والخلاف في مفهوم القانون الدولي الذى ساد العصر ونرى دور الاسلام في التاريخ العالمي للقانون الدولي ! » .

هل يستغرب اذن أن تقوم في أوربا « جمعية الشيباني للقانون الدولي ؟ » .

بقيــة الربــا

ولكن المباحثات والاتصــالات مــا زالت مستمرة وقد شكلت منظمة دولية يتبعها مجلس يرعى شؤون التجارة والتنمية ، وانشأ المجلس لجنة دائمــة لشــؤون التمويل لمتابعة هذه التوصيات والعمــل على حل مشاكل التمويل الدولية .

قروض بلا فائدة

تمت فى الســنوات الأخــيرة بعض القروض بدون فوائد ، فهذه دولة الكويت تقدم لشقيقاتها العربيات عشرات الملايين من الدنانير بدون فوائد مــن الاحتياطي العام ، وهذه الصين الشعبية تهب لدول افريقية وأسيوية قروضا بلا فائدة ، وقد أعلنت أخيرا السيدة بربارة كاسل وزيرة التنمية البريطانية أن حكومتها قــررت تقديم قروض بدون فائدة لبعض الدول النامية ، وأعلن أخيرا أن محادثات تجرى بين بريطانيا والأردن لمنح الأخيرة قرضــا بمليوني جنيه استرليني بدون فوائــد بقصد انشاء محطة كهرباء ، وهناك بعض الأمثلة الأخرى لهذا الاتجــاه الجديد فى سياسة التمويل الدولية .

الحكمة السامية فى آية تحريم الربا

ونعود الآن بعد سوق هذه اللامح السريعة على مشاكل الاقراض الدولي الى الآية الكريمة التي ذكرت فأوعت ولم تترك بابا من أبواب المشــاكل التي يعاني منها المقترض سواء كان فردا أو هيئــة أو دولة الا وضعت لها حلا وعلاجا .

فالله سبحانه وتعالى يقول « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » وهذا يعني الغاء سعر الفائدة تماما وليس فقط تخفيضه الى حد معين .

ويقول « فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .. هكذا يجب أن تكون المعاملة الشريفة، والروح الانسانية بين المقرض والمقترض . يجب ألا يكــون هناك استغلال أو غبن ، بــل يعاد رأس المال بنفس الكم الذى قدم به . ثم يقول « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وتشمل الميسرة هنا كل ما سبق ذكره من تمديد فترة السداد ، والســداد بالعملات الوطنية ، وتوحيد الديون ، والسداد بسلع ومنتجات محلية ... الخ .

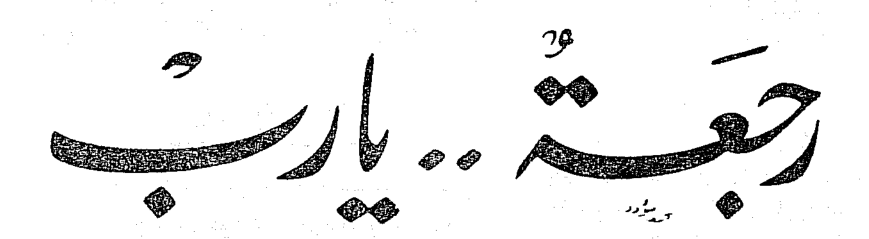
ويأتي فى خاتمة الآية هذا المعنى السامي الكريم. « وأن تصــدقوا خــير لكم ان كنتم تعلمون » . لا أظن أن هناك أسمى ولا أرفع من هذه العبارة التي يخاطب بها رب العالمين قلوب القرضــين ليحثهم على أن يستمروا فى تيسيرهم على المقترض حتى اذا لم يكن هناك شيء من التيسير غير التصدق بالدين واعفاء المدين من ســداد ديونه فعليهم أن يفعلوا ذلك فهــو خــير لهم فى الدنيــا أولا ثم فى الآخرة ثانيا .

وبعد هذا نتســاءل هــل آن للعالم بشــقيه الغربــي والشرقــي وبمذاهبه المتعددة وشعوبه المختلفة أن يؤمن بحكمة هــذه الآيــة الكريمة ، وهــل سيتجه باخلاص نحو الغاء الربا فى معاملاته المالية الدولية ؟ ؟

وهل سيتم التعاون بين صاحب المال الــذى يفيض ماله عــن حاجته والقادر المحتاج الى المال لاستثمار موارده تحت ظلال معاني الأخوة والتعاون الانســاني ؟ ؟

وهل ستوجه هذه الملايين التي تجرى وراء سعر فائدة تافه ضئيل للمشــاركة فى اســتثمار المــوارد الطبيعية الهائلــة الموجودة فى أمتنا العربية والاسلامية وفى مختلف بقاع العالم فيعم الرخاء ويسود الاخاء ؟ ؟

نرجو أن يتحقق ذلك فى أقرب وقت بمشيئة الله .



ربَّـــــاه انــى قد عرفتُــك خفقــــةً فـــى أضلعــى
وهتفْـــتُ باســـمك يالَـــهُ لحنا يــرنُّ بمسمعِـــى
أنا من يذوب تحرقـــاً بالشـــوق دون توجـــع
قـــد فاض كأسى بالأســـىِ حتى سئمـــتُ تجرعِـــى
يا رب ... انى قـــد غسلت خطيئتى فـــى أدمعـــى
يا رب ياتســـبيحتى ... في مســـجدى أو مهجَعِـــى!
يارب إنـــى ضـــارعٌ .. أفـــلا قبلْـــتَ تضـــرُّعـــى؟!
إن لم تـــكنْ لى فى جراحِـــى مَنْ يكـــونُ إذنْ معـــى؟!

***

ربَّـــاه كم أمعنتُ فكرى وزرعتُ من نثـــرى وشعرى
أبغـــى جـــنىً حلـــواً فما عادت يـــداى بغيرِ مُـــرّ
ربَّـــاه قـــد عصفـــتْ جراحُ الصدرِ حـــتى ضاق صدرِى
ومضيت في تيهٍ بعيـــد الغـــورِ حتى ضـــاع عمـــرِى

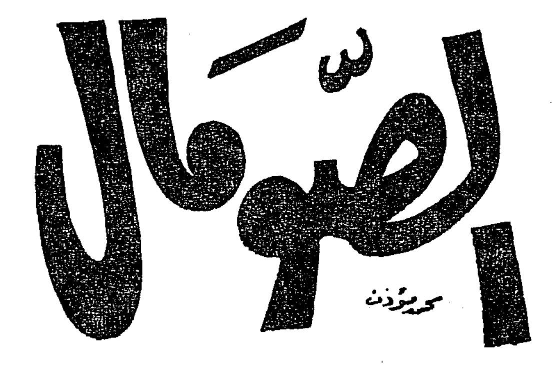
للاستاذ يوسف العظم

وصبرتُ ياربــَّاه في الآلام حــتى عِيــلَ صبْــرِى
وظللــتُ أرقــبُ رغــم طــولِ الحالكــاتِ طلوعَ فجرى
ياكاتبــاً سِفْرَ السعادةِ والهنــا .. جُــدْ لِى بسطرِ
ان كنت لاتدرى بِحالى .. يالٰهى .. منْ سَيدْرِى ؟!

***

يارب في جــوف الليالِى .. كم ندمتُ وكم بكيْــتْ
ولكم رجوتك خاشعــاً .. وإلى رحابك كــم ســعَيتْ
قد كنــتُ يومــا حائــراً واليــومَ يارب اهتديْــتْ
يا رب من لِى غــير نــورِكَ إن ضللت وان غــوَيْتْ
واذا نويــتُ البــرَّيا ألله فاقبــلْ مانويْــتْ !!
أنــا ان رميــتُ ضــلالتى فبســهم رَبِّــى قــد رميْتْ
إن كنتَ تعــرض جنــةً للبيــع بالنفــسِ اشتريتْ
أو كنــتَ تدعــونى .. الهــى ... للرجــوع .. فقدأتيتْ !!

اعرف وطنك الاسلامي



للأستاذ فريد قنصوه
القاضي بالكويت

هجرة المسلمين الى شرق افريقيا

لما اشتد أذى كفار قريش للرسول وأصحابه شجع الرسول صلوات الله عليه أصحابه على الهجرة ، فقال : « من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة » ، وزاد على ذلك قوله صلوات الله عليه : « تفرقوا فى الأرض فان الله سيجمعكم » قال نفر من صحابته : الى أين يا رسول الله ؟ فقال : « ها هنا وأشار بيده الى جهة الحبشة » ، فاتفق عدد منهم على أن يهاجروا مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ، وكان من بين هؤلاء المهاجرين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج هؤلاء كما تروى كتب السيرة ، متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فركبوا سفينتين من السفن التجارية ، وكان خروج هؤلاء المهاجرين الكرام فى رجب من السنة الخامسة من النبوة .

لم تكن هذه الرحلة أول رحلة للعرب الى الشاطىء الشرقي للقارة الافريقية حيث تمتد أرض الصومال والحبشة ، فلم تكن صلة الصوماليين منبتة بالعرب ، ولكن سبقتها ــ عبر القرون المتدة ــ رحلات ورحلات كانت السفن ، خلالها ، تأتي الى الساحل الشرقي الافريقي بقصد التجارة . تحمل معها منتجات اليمن ، ثم تعود محملة بالمنتجات الافريقية .

وفى عهد الفراعنة كانت السفن تأتي من الصومال محملة بالبخور والتوابل وسن الفيل والذهب وريش النعام ، وكان المصريون يطلقون على أرض الصومال يومئذ اسم بلاد بونت .

ولكن كانت هذه الرحلة الميمونة أول رحلة يقوم بها أتباع الدين الجديد الى افريقية عبر البحر ، وعن طريقها تأكد لسكان ساحل افريقيا الشرقي ما رددته الأنباء التي كان يحملها البحارة

والتجار من أن الله قد أرسل رسولا عربيا الى البشر كافة يدعوهم الى الايمان به وحده لا شريك له ، ويأمرهم بالبر ، وينهاهم عن عبادة الأصنام ، ويحضهم على مكارم الأخلاق ، فاتجهت أنظارهم الى مصدر ذلك الاشعاع الروحي يلتمسون الهداية والرشد ، وسرعان ما خفقت القلوب بهذا الدين الجديد الذى يسوى بين الناس كافة ، فلا يجعل فضلا لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود ، وليس فى شرعته تمييز عنصرى فبدأ القوم يدخلون فى دين الله أفواجا .

انتشار الاسلام فى شرق افريقيا

ولعل أعظم حقبة حقق فيها الاسلام انتشارا فى شرق افريقيا ، الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسادس الهجرى ، ففي هذه الفترة أخذت راية الاسلام تظل المناطق الداخلية من القارة ، فقامت عدة سلطنات وامارات اسلامية على طول الحافة الشرقية والجنوبية للهضبة الحبشية كان من أهمها امارتا عدل وهرر وكانتا ــ ولفترة طويلة ــ من المراكز المهمة للتجارة والثقافة الاسلامية .

وفى القرن السادس عشر الميلادى نشب صراع رهيب بين الامارات الاسلامية والحبشة أوشكت فيه الحبشة أن تنتهي كدولة لولا أن استعان امبراطورها بالبرتغاليين الذين تدخلوا لمساعدته .

ويحدثنا المؤرخون ان هجرة العرب الى الصومال ظلت متتابعة نشيطة ، فاستوطن الصومال عدد كبير منهم ، واسسوا عددا من المدن منها مدينة مقديشيو عاصمة الصومال التي أسسها عرب الاحساء ، وأنه بعد أن استقر الأمر للاسلام فى الصومال أخذ الصوماليون الذين تحولوا الى الاسلام يحملون رسالته الى قلب القارة حتى أوشك الدين الجديد أن يعم الحبشة .

وظل شعب الصومال المسلم فى القرنين التاليين يشغل مساحة واسعة من أراضي الساحل الشرقي لافريقيا تطل على البحر الأحمر والمحيط الهادى ، وكان بهذا يتحكم فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب ، ويتحكم فى تجارة الحبشة مع العالم الخارجي وفى التجارة بين آسيا وافريقيا ، ولعل هذا المركز التجارى والاستراتيجي الممتاز هو الذى جعل انظار الدول الاوروبية تتجه اليه ، وتتكالب فى العمل على الاستيلاء عليه .

الاستعمار فى الصومال

وبعد أن ظل شعب الصومال ينعم بالأمن والسلام والرواج الاقتصادى والتقدم الثقافى لفترة طويلة شارك خلالها أبناؤه أبناء وادى النيل ووسط افريقية فى حكومة متميزة بنفسها عما سواها بدأ التنافس جليا بين كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا للاستيلاء على جزء من ترابه ، فمنذ سنة ١٨٣٥ بدأت فرنسا فى ارسال حملاتها الاستكشافية ، وبدأت هذه الحملات فى شراء العملاء ، ثم شراء الأرض ممن لا سلطة لهم عليها ، ولعل أبرز هؤلاء العملاء دنى احمد ابو بكر الذى قام بالتوقيع على معاهدة اوبوك فى ١١ من مارس سنة ١٨٦٢ وتم بموجبها التنازل لفرنسا عن ميناء اوبوك قرب رأس بير مع السهل الممتد من رأس على من الجنوب الى دميرا نظير مبلغ قدره عشرة آلاف ريال أى ما يوازى (٥٠٥٠٠) فرنك فرنسي ، وتعهد المذكور بتسهيل صلات الفرنسيين فى اوبوك مع داخلية البلاد ، وقد اتبعت ايطاليا نفس السياسة التي اتبعتها فرنسا ، أما بريطانيا فقد زادت عليها بأن عملت على جلاء المصريين من الصومال وقطع صلة الصومال بمصر ، كما ساهمت قواتها الموجودة بعدن على احتلال الجزء الذى أعلنت عليه حمايتها من أرض الصومال .

وكان من نتيجة هذا التنافس الاستعمارى أن أصبحت أرض الصومال مقسمة بين كل من ايطاليا وفرنسا

وبريطانيا ، كما ضمت منطقة اوجادين التي كان يسكنها ثلاثة أرباع المليون صومالي مسلم ، ومدينة هرر بعد أن اخلاها المصريون الى الحبشة دون رغبة أهلها ، ودون أى سند من القانون ، وضمت الى كينيا المنطقة التي تكون الآن الجزء الشمالي الشرقي من المديرية الشمالية فى كينيا .

ظل الصومال يعاني مرارة التقسيم وبشاعة الاستعمار ، وصفحات التاريخ فى هذه الفترة مليئة بالحسرة والمرارة ، ولكنها فى نفس الوقت تضم سطورا من نور عن كفاح العديد من المؤمنين من أهل الصومال الذين هالهم ما وصل اليه حال بلادهم نتيجة جهل بعض ابنائه وتفريط البعض الآخر ، فلم يذلوا ولم يستكينوا ، بل جمعوا صفوفهم ، وأعلنوا الجهاد في سبيل الله ، وكان على رأس هؤلاء البطل الكبير الملقب بمهدى الصومال .

كان محمد بن عبد الله بن حسن قائد حركة اسلامية اصلاحية كبرى ، دعا الى تزكية النفوس ، وتوحيد الصفوف ، وازالة القبلية ، والعودة الى التمسك بتعاليم الأسلام ، وتطهير البلاد من مغتصبيها ، فلما اجتمع حوله عدد من الصوماليين ، أعلن الجهاد ، وراح ومن معه من المجاهدين يهاجمون مواقع المستعمرين فى الصومال الفرنسي تارة والبريطاني تارة أخرى والايطالي تارة ثالثة ، بل شملت هجماتهم المناطق المجاورة للحبشة ، وكان من نتيجة ذلك أن اصبح المستعمرون فى رعب دائم مستمر حتى اضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار الأوامر لقواتها بالصومال بالانسحاب الى المناطق الساحلية حتى تكون فى حماية اسطولها .

وسار البطل من نصر الى نصر وكانت أنباء انتصاراته يتردد صداها فى جميع أرجاء الوطن الاسلامي ، فتسر لها نفوس المؤمنين .

ولكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها حتى نسقت الدول الاستعمارية الثلاث جهودها للقضاء على حركة الكفاح الصومالي ، وساندتها فى ذلك عوامل لم تتوافر للمجاهدين من ابنائه ، منها توفر الأسلحة الحديثة والطائرات لديهم ، وخروجهم منتصرين من الحرب العالمية ، وما لاقاه المجاهدون بسبب طول مدة الجهاد ، فتمكنت قوات الغدر والوحشية فى سنة ١٩٢٠ من قتل البطل المجاهد بعد كفاح مرير باسل .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بالدور المهم الذى لعبه رجال التبشير المسيحيين فى مساندة المستعمرين والتمكين لهم فى أثناء عمليات الاغتصاب التي انتهت باحتلال الصومال وغيره من الدول الافريقية .

واستمر المستعمرون يستنزفون خيرات الصومال،ويسخرون الصوماليين فى خدمة مصالحهم دون أن يعنوا بنشر التعليم بينهم أو النهوض باقتصادهم أو العمل على المحافظة على صحتهم ، الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من أن الصوماليين قد اسهموا مساهمة فعلية فى اخراج الايطاليين من الصومال الايطالي ، وفي اجبارهم على التسليم فى الصومال البريطاني ، وعلى الرغم من أن الدعاية البريطانية كانت تبشر بقرب قيام دولة الصومال التي تجمع تحت لوائها الصومال البريطاني والصومال الايطالي والجزء الذى كانت الحبشة قد اقتطعته من أرض الصومال ، فقد كانت الصدمة عنيفة على نفوس أهل الصومال عندما تقدمت فرنسا باقتراح فرض وصاية دولية على الصومال الايطالي تتولى الادارة خلالها ايطاليا ! ! وساندتها روسيا فى اقتراحها فأصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها فى سنة ١٩٥٠ بأن يصبح الصومال الايطالي دولة مستقلة ذات سيادة ، ويصبح هذا الاستقلال نافذا فى نهاية عشر سنوات من موافقة الجمعية

البقية على ص ٩٢

العصبية القبلية

وأثرها في الشعر الأموي

للدكتور زكي المحاسني

كتاب ضخم قيّم ونفيس الفه الدكتور احسان النصّ وحاز به على درجة الشرف الأولى بالدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .

ولقد وقف بيني وبين هذا الكتاب بيت لأبي تمام الطائي شاعرنا القديم العظيم ، قاله فى كريم مانح ، عطاياه سمحة غزيرة :

هو البحر من أى الوجوه اتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

وليس البحر الذى اريد هو ابو دلف العجلي ممدوح ابي تمام ، وانما هو هذا الكتاب الكبير الذى اوعى الدراسات المتعاقبة ، وجمع الفصول المتلاحمة فى موضوعه العسير ، ذى القباب والشعاب، فلقد شغلت العصبية القبلية شعرنا العربي فى الجاهلية والاسلام ، واقامت دنيا أدبنا واقعدته ، فى طويل العصور ، فكانت تغيّر معالم السياسة ، وتزحزح اركان الخلافة او تثبتها وكانت العصبية القبلية مجالا متوسعا للخلاف النسبي وتطاحن الرجال وتلاحم السيوف ، في سبيل السلسلة النسبية التي كان يحرص المنسوب اليها على كل حلقة من حلقاتها ولو تكبّد فيها المشقة حتى يرقى بنسبه الى آدم .

ولقد جاء الاسلام بتعاليمه الاشتراكية الحكيمة التي جعلت السيادة للاخلاق والفضائل وارادت ان تبعد عن التمسك بالانسال ، فكان من هذه التعاليم القول المأثور منها : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

غير ان عصبية النسب على القبيلة التي تجمع وحدتها وتصرّف أمورها ، قد غابت قليلا أيام الحكم الراشدى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل ثم هبت من مكامنها لتجرف كل شيء فكانت

بلية فى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى
صر الاموى ثائرة كالأعصار ، تأخذ
سبيلها كل حائل وتقيم الحكم،وترسي
ادير السلطة على أساسها المتينة التي
لو بها الاصلاب حتى اعماق الجاهلية .
قد بلغت ساحات الوغى فكانت قطع
حروب تسير وفاقا لها فاذا اصطف
جيشان المتقاتلان كما كانت تصنع
يوش الخوارج الثائرين وجيوش
مويين فى الشام والزبيريين فى العراق
رز فارس من هؤلاء لقتال فارس من
لئك ، فاذا لم يكونا ندّين وفارسين
سوبين ، تعلو بكل منهما عروقه الى
ر ونزار او الى بكر او قيس عيلان
ى عدنان ، انف كل منهما قتال الآخر ،
ى يبرز للخصم عديله فى النسب
لجاه والسلاح .

وقد عاش الشعر العربي فى العصر
موى تعجُ عجاجاته وتروى قصائده
لحماته ، ويتداوله الأدب بمجالسه فى
ر الخلافة وبيوت العلم والمساجد
جامعة وفيه تلك النقائض التي عاش
بها الفرزدق وجرير والأخطل وابن
غسان ومع كل واحد منهمعديد ينضح
قصيد نضح النبال ، كل هذا الشعر فى
ماساته وذخره ، وفى وصفه وتصويره
عل الدكتور احسان النص كتابه فيه .

ولهذا فقد يتهيّب الدارس الكلام
ى مثل هذا الأثر الضخم ، حين يريد
حلله بمقال فيحار كيف يلم به ولا يترك
يئا وبحسبي فى هذه السانحة ان
ول فى الكتاب تجوال الفراش على
زهر يكفيه منه مسّ الرحيق ويبقى
روض مضخما ومحلى بجماله .

يبدأ المؤلف النابغ كتابه بتحليل
الحوافز التي نزعت به الى اختيار هذا
الموضوع بان الشعر العربي كان مرآة
العرب وديوانها ، فكان من الطبيعي ان
تنعكس الحياة الفكرية والعملية فى صور
هذا الشعر فتجلت به النزعة القبلية
والعصبية النسبية فى شعر العصر
الأموى حيث غلت هذه النوازع واحتدمت
اكثر من كل عصر فى تاريخ العرب
والاسلام .

ووجد ان عليه ليمهد لبحثه المتعب ان يعني بدراسة الانساب عند العرب . ولقد تقدمه فى العصور القديمة علماء وقفوا حياتهم على تأليف المجلدات فى علم الانساب عند العرب فكانوا هم النسّابين وقد راح الدكتور المؤلف يجوب هذه الكتب ليحقق فى التمهيد لكتابه مكانة الانساب عند العرب وغلوهم فى تقديسها حتى العبادة .

ثم اخذ يدرس المجتمعات القبلية
واثرها فى السياسة والحكم ، وصورها
فى الشعر الذى كان يشبه الصحف
السياسية فى ايامنا ، بل لعله كان ابعد
شيوعا واعلى شأنا ، لانه يتصل بالادب
نفسه وبتاريخه ولا تتداوله الايام لتهمله
بعد حين ، وانما ليضم الى سجل التراث
العربي المقيم زمنا بعد زمن .

وحين استوفى الكلمات على العصبيات
والقبليات وما كان لها من مكانة وتأثير
عقد فصلا اضافياً مستقلا للقصائد
والشعر الذى صدر عن تلك العصبيات ،
وكان لكل ذلك التأثير البعيد فى سياسة
الدولة وفى ايقاد الخصومات الدموية
وحقنها ، فجاء على ذكر الهجاء والمديح
والفخر والرثاء فى فنون الشعر واغراضه،

وكيف كان الشعراء الأمويون كل يكيل للآخر قصيدة هجاء وفخر من البحر والروى الذى تلقاه وبخاصة فى القصائد التي تسمى « النقائض » .

وقد نظرت فى مصادر المؤلف فى البحث والتأليف فوجدته ذكر المصادر القديمة باعيانها والحديثة بما يتصل بموضوعه وكان احتفاؤه بالمصادر القديمة والحديثة على السواء ، وان يكن فاته بعضها الحديث ككتاب ((آلات الحرب والقتال عند العرب))للدكتور عبد الرحمن زكي وكتاب ((شعر الحرب فى ادب العرب)) للمحاسني ، وكلا الكتابين من المصادر الجامعية التي يجب الاعتماد عليها ولهما الصلة الوثيقة فى بحثه الرائع . ولم يزود كتابه بالفهارس العلمية التي تعود الجامعيون ان يردفوا آثارهم بها ، ولعله يستدرك كل ذلك فى الطبعة الآتية من هذا الكتاب الجليل ، ولئن فاتته الفهارس العلمية التي توضح اسماء الأعلام والاماكن والكتب ، فقد الحق بكتابه كشوفا للانساب العدنانية جميعا والقحطانية ومخططا تصويريا لبلاد العرب ومواطن القبائل العربية قبل الاسلام ، وكان هو الصانع لهذه الثبوت العلمية القيمة وقد جاء كتابه فى نحو ستمئة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

على اني لست ارى انتهاء العصبية القبلية فى العصر الأموى الا من حيث اخذ السلطة بها اخذا وثيقا لتقوم عليها اذ كنت اقول لئن كان العصر الأموى مجتمع العصبية القبلية ، وتطاحن بعضها ببعض ، من اجل الحكم والسلطة ، فاني اجد العصر العباسي استمرارا للعصبية بتطاحنها مع الاعاجم الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على الحكم فى ديار العروبة والاسلام ، كما كان ينتوى البرامكة ، ولعل الاستاذ الكبير الدكتور احسان النص يوافي الدراسات الأدبية المعاصرة التي تفاخر باثره ، بمؤلف جديد عن العصبية وحروبها للشعوبية فى العصر العباسي واثر ذلك فى الشعر ، فلقد كانت لها حروب فى ساحات الأدب لا تقل حميما عن ساحات القتال ، منذ بدأ بالشعوبية بشار ثم تلاه ابو نؤاس الذى يقول حين دعا الى شرب الخمور وترك المآثر العربية القديمة التي عاش عليها الشعر الجاهلي وبعض الشعر الأموى :

لا درَّ درُّ الذى يبكي على حجر
ولا صبا قلب من يصبو الى وتد

وكم اتمنى حين يعيد الدكتور احسان النص طبع كتابه عما قريب ، ان يثبت الى جانب العنوان البيت الذى يدل دلالة جاهرة على موضوع كتابه فى العصبية القبلية واثرها فى الشعر العربي بقول شاعرها :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

قصة العدد

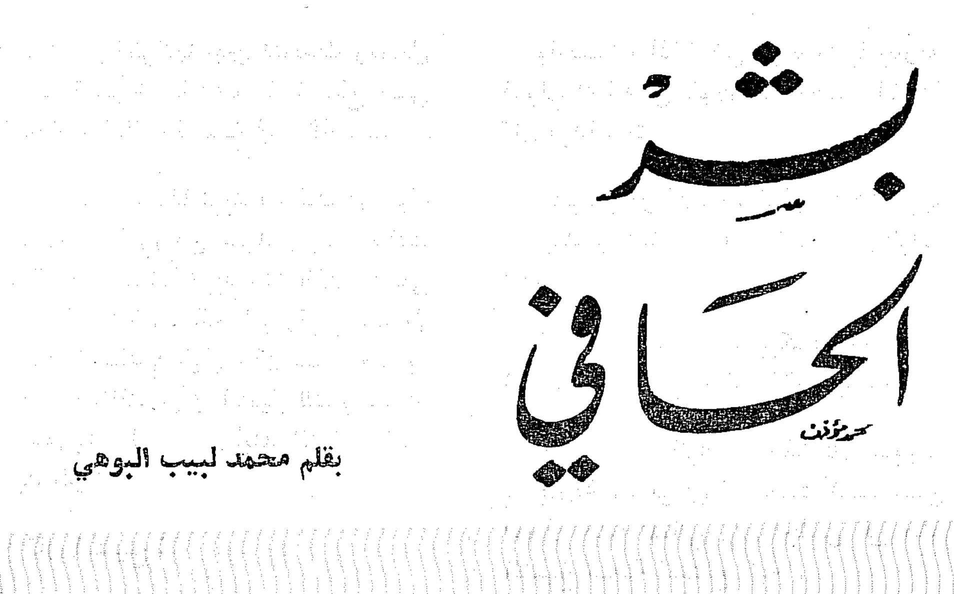


جاء من أقصى المدينة شيخ يسعى ، كان فى نحو التسعين له لحية بيضاء تملأ صدره ، عريض المنكبين فارع الطول ، يتوكأ على عصا غليظة كأنها جذع شجرة ، ومن عينيه ينبعث بريق حاد ، وعلى سمته مهابة .

وكان الناس حين يرونه يوسعون له الطريق ، ويردون عليه تحية الاسلام التي يطالعهم بها ، ثم ينظر بعضهم الى بعض فى عجب ، وفى عين كل منهم دهشة ، وعلى لسانه سؤال .

من الشيخ ؟ ومن أين يأتي .. ؟ وماذا يريد .. ؟

كان هذا الشيخ يلم بالمدينة حينا بعد حين ، قد يطول هذا الحين ويمتد حتى يبلغ شهورا ، وقد يقصر أمده الى أسابيع أو أيام ، ولكن الشيء الذى لا ريب فيه ، أنه عقب كل زيارة لهذا الشيخ تحدث فى المدينة أحداث جديدة عجيبة ، حتى لقد ظن البعض به الظنون ، فمن قائل أنه صوفي جوال من أهل الطريق ، ومن



بقلم محمد لبيب البوهي

قائل أنه عبد من عباد الله وهب حياتــه للنصح والتوجيه ، وبالغ بعضهم فى الظن حتى تصــوره روحا متجســـدا وقـــال بعضهم انه أحد الجن الصالحين ، يتخذ صورة الانسان حينا بعد حين لأمر يراد .

وكان فى كل مرة يصل الى هدفــه فى خط مستقيم لا عــوج فيه ، يأتي مــن حيث يأتي ، من مكانه البعيد أو القريب الذى احتفظ بسره لنفسه ثم يقصد أحد الناس ، ثم يلقى اليه بكلمات فيها مــن التلميح أكثر مما فيها من التصريح وفيها مــن الاشارة اكثر مما فيها من الاعلان ، ولكنها تترك أثرها البعيد فى نفس سامعها الذى يتضح أنه كان فى مسيس الحاجــة اليها كما تكون الأرض الجدباء فى حاجة الى الماء .

وفى هذا المساء جاءيسألعن دار بشر .

كان بشر فتى فى نحو الثلاثين أوتي من جميع مباهج الحياة حظا وفيرا ، الجاه العريض ، والصيت البعيد ، والشـــباب الغض والوسامة والمــال والشيء الذى كان يشيع فى حياته كلها هــو الفراغ ، الفراغ الذى لا أول له ولا آخر . والذى أخذ على نفســه أن يملأ كل لحظة منــه باللهو ومسرات الشباب .

وعندما مات أبوه وورث بشر أمواله وقصره الكبير وهب هــذا القصر لرفاق السوء يتخذون منه مقاما لانتهاب الملذات وكان من سعة المال بحيث كان ينفق .. وينفق .. وينفق وهو لا يخشى فقرا ولا حرمانا .

وكان الوقت قبيل الغروب ، حــين وقف الشيخ المجهول عند الباب الكبير وأخذ يدقه بعصاه ، وفتح الباب وظهرت من خلفه حدائق غناء ذات أشجار لفــاء يسرح فيها البصر وتتنزه فيها الخواطر ، وصاح حارس الباب . ـ

يا عامرة انه الشيخ الذى جاء فى المرة السابقة يسأل عن سيدك بشر .

وجاءت عامرة على عجل ، كانت جارية شديدة المراس متجهمة الوجــه تعودت

ن تحد من نظراتها حين تتحدث وتجعل كلماتها قاسية تتقاذف كأنها قطع من الأحجار ، فقالت للشيخ فى غلظة . —

من أنت ؟ وماذا تريد ؟ جئت فى الليلة الماضية تسألني عن سيدى بشر وقلت لك انه نائم فماذا تريد منه الآن ؟ أتبغي أن تسأل عنه .. انه نائم ولن يستيقظ الا عندما يتقدم الليل ، ان ساعة صحوه حين يأخذ الناس فى التهيؤ للنوم .. ان سيدى بشر ليس من أبناء النهار ، انه سيد الليالي .

قال الشيخ :

اذن فسيدك بشر هو سيد الليالي

قالت عامرة فى مزيد من الجفاء :

بل سيد الدنيا كلها ، يمسكها بيمينه وينفق منها بشماله فماذا تريد ؟

قال الشيخ مخافتا :

كان بودى أن ارى ذلك الذى هو سيد الدنيا لأساله سؤالا واحدا ، أحر هو أم عبد ؟

وانفجرت الجارية فى ضحك ساخر عريض واشارت الى حارس الباب وهي تصيح تعال انظر ذلك الشيخ الخرف انه يسأل أحر سيدى أم عبد ؟

ثم اقتربت منه وقالت فى لهجة المعلم للتلميذ ، ماذا يكون الذى يملك المال .. والجاه .. والصيت البعيد ويستطيع أن يملأ الليالي بما يشاء .. هه .. انه حر .. وحر .. حر .

قال الشيخ وهو يتحول عنها .

واحسرتاه اذا نهض من نومه يا جارية فقولي له انه لن يكون حرا بحق الا اذا كان عبدا بحق .

وهم الرجل أن ينصرف والفتاة تضرب يدا بيد ولكنها نظرت فاذا بحارس الباب يبكي .

قالت عامرة . ماذا يبكيك يا حارس الباب ؟ هل أصبت أنت الآخر بلوثة ؟

قال حارس الباب . هذا كلام عجيب يا جارية .. بودى لو فهمت شيئا من أعماق هذه المعاني وان اجلس الى هذا الشيخ ساعة استمع اليه .

وأسرع حارس الباب يجرى يمينا وأسرعت الجارية تجرى يسارا ولكن أحدا منهما لم يقع للشيخ على أثر .

وعاد حارس الباب يضرب كفا بكف وهو يردد أين ذهب الشيخ ؟ ترى أهو شبح كما يقولون أم انه روح هائم ؟ قالت عامرة .

لقد انتهز فرصة انشغالنا بالحديث وانصرف موليا او احتجب عنا خلف أشجار الطريق .

ومضت ساعات وحارس الباب غارق فى أفكاره وعامرة تردد هذه الكلمات العجيبة لن يكون سيدك حرا بحق حتى يصبح عبدا بحق .

وجاءت عربة فاخرة تجرها جياد مطهمة ونزل منها شباب جاءوا لزيارة بشر كما أقبل آخرون وآخرون مشاة وركبانا من سمار الليالي فى دار المسرات .

واستيقظ سيد الليالي ، بشر زين

الشباب وارتفعت فى الدار أنغام الموسيقى والغناء ودارت الكؤوس وانتشرت النشوى فى الأوصال ونادى بشر على جاريته عامرة . وسألها ألم يحدث شيء وهو نائم .

فلما ذكرت له قصة الشيخ والكلمات العجيبة التي تحدث بها . ارتفعت الضحكات الهازئة الساخرة من جميع الأركان ولكن الكأس توقفت فى يد بشر ماذا ؟ ماذا قال يا فتاة ؟ لن اكون حرا بحق حتى اصبح عبدا بحق .. ؟ ما هذا الكلام العجيب الغريب الذى اسمعه لأول مرة ؟

وهم بشر أن يضحك مع الضاحكين ولكن عقله شرد الى بعيد ، كان فى اعماق الكلمات شيء يشده بقوة فهز رأسه وصفق بيديه وطلب المزيد من الشراب .

وغفلت عامرة عن طفل لها فى الثانية كان يحبو من خلفها كان يريد أن يتعلم كيف يقف على قدميه كان يقف ثم يحاول أن يسير ثم يتعثر ثم يصرخ وصاح حارس الباب .. امسكي ولدك انه لن يستطيع أن يسير حتى يستند الى يدك .

وكان بشر يلاحظ الطفل فلما استمع الى هذه الكلمات توهجت عيناه وهمس فى نفسه .. لا يستطيع الطفل أن يسير حتى يستند الى شيء ؟

ونحن ــ ألسنا فى الحياة اطفالا .. اننا لن نستطيع أن نسير الا اذا استندنا الى شيء ــ الى شيء قوى ــ شيء عظيم ، شيء يوجهنا ويأخذ بيدنا ، وانا .. الى أى شيء استند ؟

وانتشر فى رأس بشر صداع أخذ يدقه بعنف فاستأذن من أصحابه وقام الى النوم .

وفى النوم كان هناك صوت خافت يهمس لا بد أن تستند الى شيء والا فأنت لا تسير .. أنت تتعثر .. أنت تقع .. أنت تتحطم وأخذ الهمس يعلو .. ويعلو .. ويعلو وأحس بشر فى النوم أنه غارق فيما يشبه الضباب ، لن تكون حرا بحق حتى تصبح عبدا بحق .. تضع يدك فى يد سيدك .. حينئذ تستطيع أن تسير ، أن ترى معالم الطريق .. ألا تخاف .. لأنك حين تتعثر سيشدك ، وارتفعت الكلمات فى الرؤيا وأصبح لها ضجيج كأنها دقات الطبول .

وصرخ بشر .. وكان الشيخ قد جاء عند الباب وأخذت عامرة تنهره فلما سألها بشر ، قالت فى عنف انه نفس الرجل جاء يسأل نفس السؤال .

وهب بشر من نومه على عجل ، وأسرع خلف الرجل حافي القدمين .. قائلا لبيك .. لبيك . ولكن الشيخ كان قد اختفى .

وأخذ بشر يجرى .. ويجرى .. ويجرى باحثا عن الشيخ .. أو عن الكلمة .. أو عن المعنى الجديد الذى أصبح مشدودا اليه يريد أن يختم على سره حياته وبعدها ظل بشر حافيا .. لم ينتعل نعلا أبدا لأنه ظل بعد ذلك مدى الحياة .. وكأنه فى صلاة .

محمد لبيب البوهي

الفتاوى

فى الأيام الأخيرة انتشرت بين سيداتنا المسلمات عادة صبغ الأظافر بمختلف الألوان ــ فما حكم الشرع فى ذلك ــ وهل يجوز الوضوء مع بقاء الطلاء على الأظافر ؟ .

يجب على المرأة المسلمة أن تقوم بغسل هذا الطلاء عند الوضوء لأنه يمنع وصول الماء فعلا الى الأظافر ، ويشترط لصحة الوضوء ازالة ما يمنع وصول الماء الى البشرة ، فاذا توضأت المرأة بدون أن تنزع هذا الطلاء فوضوؤها باطل شرعا لفقده شرطا من شروط صحته .

ووصول الماء الى البشرة والأظافر شرط أيضا فى صحة الغسل . كما هو شرط فى صحة الوضوء .

والاسلام لا يمنع المرأة من التزين والتجمل فى الحدود التي رسمها القرآن الكريم (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) و (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) و (ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) .

هل يجوز للزوجة أن تتنازل عن بعض صداقها لزوجها اذا كانت سنها حوالى ست عشرة سنة ؟؟ .

يعتبر الشخص رشيدا اذا كان سنه خمس عشرة سنة أو ظهرت عليه العلامات الطبيعية للبلوغ ، وكان حسن التصرف فى ماله ، وعلى هذا فما أقدمت عليه الزوجة المذكورة من تنازلها عن بعض صداقها جائز شرعا ولا حرمة فيه ، لأن الصداق حق من حقوقها ، ولها وحدها حق التصرف فيه لقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) ولا يجوز ــ كما هو مفهوم من الآية ــ اجبار الزوجة على التنازل عن أى جزء من صداقها بطريق القهر والاكراه .

نذرت لله أثناء النوم ــ ان انقذ الله ابني ــ أن اصوم ثلاثة أيام، ولما استيقظت تذكرت هذا النذر فهل يجب الوفاء به ؟.

لا يجب عليك الوفاء بهذا النذر الذى تلفظت به أثناء الاستغراق فى النوم لأن التكليف مرفوع عن النائم حتى يستيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق .

العنب يتخذ منه الخمر ، والخمر محرم شرعا ، فهل يحل زراعة العنب .

العنب يتخذ للغذاء والتفكه فزراعته حلال ، ولا يمنع حل زراعته اتخاذ بعض الناس الخمر منه ، وهذا الحكم يطبق على جميع المواد التي يتخذ منها الخمر أو المخدر ، فاذا كانت لا تصلح الا لصنع المسكر فزراعتها حرام ، أما اذا صلحت لغير الاسكار كالبلح مثلا فلا حرمة فى زراعتها .

ونفيد بأن صنع الخمر والاتجار فيها بيعا وشراء حرام شرعا يأثم عليه مرتكبه .

أنا خادم فى خمارة ، وأناول الزبائن زجاجات الخمر ، فهل علي ذنب فى ذلك ؟ .

كما لا يصح أن تتناول خمرا كذلك لا يحل أن تعين على تناولها . وتناول الخمر حرام لذاته ، والاعانة على تناولها حرام لغيره ، والمحرم لغيره يباح لضرورة ، فاذا كان السائل لا يجد عملا يرتزق منه غير هذا العمل فانه يباح له للضرورة - وعليه أن يسعى ليلا ونهارا للبحث عن عمل آخر يكتسب منه ، فاذا وجده حرم عليه أن يستمر فى خدمة الخمارة والمخمورين .

ما حكم الله فى مشروب البيرة التي تباع فى بعض المحلات التجارية هل هي حلال أم حرام ؟ .

المعروف أن الكثير من البيرة يسكر فهي خمر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام . وفى رواية كل مسكر خمر وكل خمر حرام ، وصح عنه أنه قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

تذكرت وأنا فى الصلاة أنني تركت ساعتي فى مكان الوضوء ، ولو أتممت الصلاة لضاع الأمل فى العثور على الساعة فهل يجوز لي أن أقطع الصلاة لأبحث عنها ؟ مع العلم بأنني فى جماعة وفى الصف الأول .

من القواعد المقررة أن الضرورات تبيح المحظورات ، ومن المعروف أنه لا يجوز قطع الصلاة الا لضرورة ، ولا شك أن انقاذ المال أو النفس ضرورة يجوز معها قطع الصلاة . قال ابن قدامه فى (المغني) : وان احتاج (أى المصلي) الى الفعل الكثير فى الصلاة لضرورة كان له أن يقطعها قال احمد - كما اذا رأى صبيين يقتتلان . يتخوف أن يلقى أحدهما صاحبه فى البئر فانه يذهب اليهما فيخلصهما ويعود الى صلاته.. وهكذا لو رأى حريقا يريد اطفاءه ، أو غريقا يريد انقاذه خرج اليه .

وأما كونه فى الصف الأول وخروجه من الصلاة الى مكان الساعة يدعوه الى المرور بين أيدى المصلين فلا اثم عليه فى هذا المرور . قال شمس الدين محمد ابى العباس المشهور بالشافعي الصغير فى كتاب (نهاية المحتاج) : - نعم قد يضطر المار الى المرور بحيث يلزمه المبادرة لأسباب لا تخفى كانذار نحو مشرف على الهلاك تعين المرور لانقاذه وقال الشبراملسى فى حاشيته - : لو توقف انقاذ المسروق على المرور فلا يحرم المرور ، ولا يجوز للمصلي أن يدفع المار فى هذه الحالة .

وعلى هذا يجوز للسائل قطع الصلاة لانقاذ ساعته ، ويجوز له المرور فى هذه الحالة بين الصفوف .

العمومية على اتفاقية الوصاية ، وخلال الفترة المذكورة يوضع الصومال تحت الوصاية الدولية وتكون ايطاليا السلطة القائمة بالادارة ، ويساعد السلطة القائمة بالوصاية ، ويقدم لها النصيحة مجلس استشارى يتكون من ممثلي دول كولومبيا ومصر والفلبين ، يكون مقره مقديشيو .

وعادت ايطاليا تتولى الادارة من جديد ، فأنشأت مجالس قبلية ، ومجالس مديريات ، ومجالس بلدية ، وتمسكت ايطاليا بأن يكون تشكيل المجالس بالتعيين فى حين أصر الشعب على أن يكون ذلك بالانتخاب ، وهنا تدخل المجلس الاستشارى ، وتكون المجلس الاقليمي من ٣٥ عضوا منهم ٢١ يمثلون القبائل ، ٧ يمثلون الأحزاب السياسية .

وفى ٢٥ فبراير ١٩٥٦ اجريت الانتخابات لجمعية تشريعية من سبعين عضوا منهم عشرة أعضاء يمثلون الأقلية غير الصومالية ، وقد حصل حزب الوحدة خلالها على الأغلبية ، فعهد الى أمينه العام عبد الله عيسى برئاسة أول وزارة وطنية .

وفى أعقاب قيام أول جمعية تشريعية شهد الصومال العديد من الانقسامات والتعديلات فى أحزابه فقد حدث شقاق فى حزب الوحدة اسفر عن تأليف حزب جديد باسم عصبة الصومال الكبير برئاسة الرئيس السابق لحزب الوحدة ، أهم برامجه توحيد جميع أراضي الصومال فى دولة واحدة ، أما حزب دجل ومريفله فتحول الى الحزب الدستورى المستقل ، واندمج الحزب الديمقراطي وحزب الشباب الصومالى الحر ليكون حزب الشباب الصومالي الحر ، وأطلق حزب شباب البنادر على نفسه حزب الاتحاد الوطني الصومالي .

أما فى الصومال البريطاني فكان يتولى تدبير أموره حاكم عسكرى ، الى أن صدر قرار فى سنة ١٩٥٩ بتكوين مجلس تشريعي ووزارة وطنية ، فأجريت الانتخابات فى فبراير ١٩٦٠ اعقبها تشكيل أول وزارة صومالية فى الاقليم ، وأعرب الاهالي عن رغبتهم فى الانضمام الى أشقائهم فى جزء الصومال الذى كانت تديره ايطاليا والذى كانت مدة وصاية الأمم المتحدة عليه قد انتهت ، فلم تر بريطانيا بدا من أن ترحل مختارة .

استقلال الصومال

وفى عام ١٩٦٠ أعلن استقلال جزأي الصومال اللذين كانا يحتلهما كل من بريطانيا وايطاليا ، وظهرت الى الوجود جمهورية افريقية اسلامية جديدة انضمت الى الركب المتحرر .

وفى ٦ من يوليو سنة ١٩٦١ انتخب السيد / ادن عبد الله عثمان رئيسا للجمهورية الصومالية وهو من مواليد سنة ١٩٠٨ وكان قد تلقى دراسته الأولية فى مدارس البعثات التبشيرية ، ثم عمل فى سنة ١٩٣٤ رئيسا لمرضي مستشفى دى مارتينو ، ثم أصبح فى سنة ١٩٤٤ من أبرز الشخصيات فى حزب وحدة الشباب الصومالي فرئيسا له فى عام ١٩٥٦ وانتخب نائبا بالجمعية التشريعية فى نفس السنة ، ثم انتخبته الجمعية رئيسا لها ، وهو عصامي مجاهد تواق لنصرة الاسلام .

مشاكل الصومال السياسية

وتواجه الصومال الآن مشاكل سياسية رئيسية فما زالت فرنسا تضع اليد على جزء من تراب الصومال ، وتدعي أنه جزء منها ، ثم تفسح المجال فيه لاسرائيل ، وما زالت منطقة أوجادين التي سمحت بريطانيا للحبشة بضمها الى أرضها نظير حيادها أثناء حركة استرجاع السودان وهرر التي استولت عليها الحبشة بعد انسحاب المصريين منها ، وما زالتا فى حيازة الحبشة ، كذا الأمر بالنسبة للمنطقة التي كانت قد ضمت الى كينيا ، وما زال الرأى العام الصومالي ينادى بوجوب استرداد هذه المناطق جميعا .

الحالة الاقتصادية

أما من الناحية الاقتصادية فقد ترك المستعمرون الصومال فى حالة تخلف اقتصادى تعمل الحكومة الآن على مواجهتها وتخليص البلاد منها .

فما زالت المراعي التى تشغل معظم مساحة الصومال والتي تزخر بالعدد الضخم من الماشية فى حاجة الى التنظيم الفني الحديث ، وما زال عدم وجود الطرق المرصوفة والسكك الحديدية عقبة تحول دون تصدير العدد الكبير منها الى الخارج .

وما زالت الزراعة لا تتجاوز ضفاف الأنهار والبحيرات الصغيرة العذبة او الينابيع والآبار ، وما زالت الطرق البدائية فى الزراعة هي السائدة . فى حين أنه يمكن زيادة رقعة الأرض المنزرعة كثيرا وزيادة الحاصلات الزراعية عن طريق ذلك ، وعن طريق اتباع الطرق الحديثة فى الزراعة .

أما المعادن مثل الملح والجبس والميكا والبترول والفحم فما زالت حبيسة فى جوف الأرض لم يستغل منها الا النزر اليسير .

ولا توجد بالصومال الا بعض الصناعات الصغيرة ، ويؤسفنا أن نقرر أن هذه الصناعات ، معظمها ، فى أيدى غير الصوماليين الذين لا يدفعون للعمال الصوماليين الا اجورا تافهة كما أنهم لا يحسنون معاملتهم .

مساعدة الدول العربية للصومال

ويحرص الصومال على تدعيم صلاته بشقيقاته الدول العربية والاسلامية التي حرصت منذ اعلان استقلال جمهورية الصومال على مؤازرتها أدبيا وماديا ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة بتزويد الصومال بالفنيين والخبراء ، كما وضعت تحت تصرفه تسهيلات ائتمانية قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية على أن يستغل هذا المبلغ فى اقامة مصانع للغزل والنسيج والسكك الحديدية وتوسيع مطار مقديشيو وانشاء طرق ومساكن وتمويل بعض الصناعات الصغيرة .

وفى الشهور الماضية قام وفد من غرفة التجارة الكويتية بزيارة جمهورية الصومال واجتمع بالمسئولين فيها والأمل أن يتم انشاء شركات عربية ـ صومالية للنهوض بالمستوى الاقتصادى للبلاد واستغلال مواردها استغلالا يهيىء النفع للعرب ، ويهيىء فرص العمل للعمال الصوماليين ، ويحقق الرخاء لبلادهم . والمجال فى ذلك فسيح فيمكن أن تقوم شركات لتصدير المواشي واستخراج المعادن وانشاء صناعات غزل ونسيج القطن وغزل ونسج الصوف ودبغ الجلود وعمل الأحذية والمصنوعات الجلدية ، كما يمكن انشاء مصانع للمنتجات الغذائية مثل السكر من قصب السكر والزيوت من بذرة القطن والسمسم والفول السوداني ، كما يمكن تعليب اللحوم والأسماك للوفاء بحاجة الجمهورية الصومالية للتصدير .

ولو أن شركات عربية صومالية مشتركة قامت بتنفيذ بعض ما سبق أن ذكرنا لاستفادت كثيرا ، ولساهمت فى رفع المستوى الاقتصادى لاخوانهم الصوماليين فى وقف النشاط الاسرائيلي والدعوات الهدامة .

بعض المراجع :

١ ـ التنافس الدولى فى بلاد الصومال للدكتور جلال يحيى

٢ ـ مشكلات القارة الافريقية للدكتور **راشد البراوى**

٣ ـ افريقيا وراء الصحراء للدكتور عبد الملك عوده

٤ ـ العلاقات المصرية الصومالية للدكتور جلال يحيى

بريد الوعي الاسلامي

إعداد : محمد ابوغوش

في بريد المجلة رسالة من الأستاذ الشيخ عبد الله النورى المحامي بالكويت يقول فيها : —

المجلة والحق يقال ، غزيرة فى مادتها ، نافعة فى كلماتها ، جزلة فى محتوياتها ، قشيبةفىمظهرها ، وامنيتي — واسأل الله أن يحققها — هي أن يحرص المسؤولون فيها على أن تبقى هذه المجلة حاملة لواء التعليم الديني ليعرف المسلمون من سطورها أمور دينهم فتشب ناشئتهم على ما يفهمه الآباء منهـــا .

ومن الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي — بمكة المكرمة وصلتنا هذه الرسالة : —

« ... ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي لترحب بهذه المجلة وزمـالتها فى الـكفاح لنشر « الوعي الاسلامي » والدعوة الى اعلاء كلمة الله ، ونقدر فى اعجاب الجهد المشكور الذى بـــذل فى اخراجها بهذه الصورة المشرفة .

لماذا لا تصل الرياض

وتلقينا رسالة من الأستاذ عبد الله بن ادريس رئيس تحرير صحيفة الدعوة بالرياض يقول فيها :

(.. لقد قرأنا الاعلان عـــن صدور المجلـــة الاسلامية « الوعي الاسلامي » واستبشرنا خـيرا بميلاد مجلة ثقافية اسلامية ، وتطلعنا بشـــوق لقراءتها والاطلاع عليها ، ولكننا بكل أسف ، لـم نر هذه المجلة ، ولم نجدها فى مكتبات الرياض بأجمعها ولا عند أحد ممن نعــرف ، كي نحظى برؤيتها .. فنرجو الافـادة عن توزيعها وكيفيـة الحصول عليها ...

— شكرا على مشاعرك الكريمة تجاه « الوعي الاسلامي » وموزع المجلة فى السعودية الأستاذ سعيد بابيضان — ص.ب (٧٦) الخبــر مكتبة النجاح الثقافية . وقد كتبنا الى شركة التوزيع بذلك .

ويقول فضيلة الشيخ محمد النجار شيخ رواق المجاورة بالأزهر

« ... لقد سررنا غاية السرور بهذا الحدث الهام وذلك المولود الجديد الذى انطلق رائدا فى محيط الفكر الاسلامي .. فان « الوعي الاسلامي » بما حوته مــن مقالات وأبحاث اسلامية وثقافية تعد فى رأينا من المنارات الاسلامية الجديدة التي ولدت قوية وانطلقت جبارة فى مواجهة تيارات الفكر المادى والالحادىالذى يريد أن يزعزع كيان الفكر الروحي » .

ومن السنغال وصلتنا هذه الرسالة من السيد صالح انجاى — بدكار

« ... يسعدني جدا أن ابعث اليكم هـــذه الرسالة المتواضعة تعبيرا عما يجيش فى صدرنا من فرح وسرور بصدور مجلة « الوعي الاســـلامي » راجيا تزويدى بالبيانات المطلوبة لأكون فى عداد المشتركين فى المجلة التي نعتز بها كثيرا .

شكرا وسنعمل على توزيعها فى السنغال .

ردود سريعة

الأستاذ محمد المجذوب ـ الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة .

ـ المجلة ترحب بما يصلها من أشعاركم وقد سبق للمجلة أن كتبت اليكم لتسهموا فيها بمقالاتكم . وشكرا .

السـيد محمد الخياط ـ بور توفيق ـ ج٠ع٠م .

ـ نأسف لعدم اجابة طلبك لنفاد العددين الأول والثاني .

السيد علي يوسف القاضي ـ الوجه القبلي ـ ج٠ع٠م .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول اما الاشتراك فيمكنك الاتصال بمندوب المجلة فى القاهرة صب (١٤٨٣) .

السيد نبيل شعبان ـ بغداد ـ العراق .

ـ « الوعي الاسلامي » يهمها نوعية المقال ، لا هوية صاحبه ، والمجلة تفتح صدرها لكل مقال صالح يتفق وسياسة المجلة الاسلامية . أما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد محمد عبد الرضا مجيد ـ قضاء الشامية ـ العراق .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول ، وأما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد جعفر حسين جنوش ـ الكوفة ـ العراق .

ـ لا يوجد فى مكتبة الوزارة فائض من الكتب للتوزيع ، نأمل أن تتاح لنا الظروف لتزويدكم بما تحتاجون .

السيد سعيد مريع ناصر ـ تبوك ـ السعودية .

ـ نعتذر عن عدم تزويدك بالعددين الأول والثاني لنفادهما ، وبخصوص الاشتراك يمكنك تحويل ما قيمته (١٥٠و١) فلسا عن طريق أحد المصارف .

السيدان احمد يوسف آل وهاب ومحمد كاظم ـ العراق .

ـ أرسلت اليكما رسالتان بقيمة الاشتراك ولعدم وضوح عنوانيكما ، فقد أعادهما البريد والقيمة ١٫٧٥٠ فلسا .

السيدان سليمان جار الله الريث ـ الجيش الكويتي ـ الكويت .

ـ شكرا على اهتمامك بـ « الوعي الاسلامي » ويمكنك أن ترسل قيمة الاشتراك مع اسم وعنوان المشترك لترسل اليه المجلة .

السيد الدكتور محمود الحاج قاسم ـ موصل ـ العراق .

ـ ارسلنا اليك العدد الثاني بتاريخ ٦٥/٦/٣ عن طريق البريد الجوى ، ويمكنك مراجعة البريد لديكم للتأكد من الوصول ، وشكرا ،

السيد محمد هادى البتى .

ـ شكرا على اقتراحاتك القيمة وهي موضع الدراسة مع بقية الاقتراحات بالمجلة .

السادة مبرح عبد المجيد سعدون . سلطان غانم ، وعبد المنعم محمد أرسلوا مقالات وقصائد منوعة .

ـ نأمل أن نتمكن من نشر مقتطفات منها فى الأعداد المقبلة .

بقية خواطر

لى الفقراء والمساكين الى غير ذلك من
جوه البر والمعونة اصبحنا نجد اوقافا
لى بعثات تعليمية توفد الى الجامعات
لعلمية ، او على جوائز تعطى للمتفوقين
ى مراحل الدراسة المختلفة ، او فى مادة
ن المواد التي تخفف ويلات الانسانية
تقوم بدور كبير فى رفاهية المجتمع ،
و على بناء مصنع لتعليم الصناعات الى
ير ذلك من وجوه البر والمعروف ،
الناظر فى حجج اوقاف المسلمين يجد
لشيء الكثير من هذا .

وما كان يدور بخلد احد ان المشاعر
ـرق وتسمو حتى تصل الى
ا نشرته صحيفة الاهرام القاهرية في
٦٥/٤/٢١ فقد جاء فيها –

اكتشفت فى وزارة الاوقاف المصرية
لاث حجج لاوقاف فى منتهى الغرابة
سمى الوقف الاول منها باسم « وقف
لزبادى » ويصرف منه على دار خاصة
ضم كميات كبيرة من الاوانى الخزفية
والاوعية والصينى والبلور وتعطى للخدم
الذين تكسر فى ايديهم اوانى مخدوميهم
حتى لا يضار الخدم وتسوء العلاقة
بينهم وبين مخدوميهم .

وسمى الوقف الثاني «وقف الاعراس»
ومهمته اعارة الحلى الذهبية والزينة
« لكل عروس فقيرة » حتى تبدو ليلة
زفافها الى عريسها الفقير فى أكمل زينة
وأجملها .

وسمى الوقف الثالث « وقف
المغاضبات » ومهمته تأسيس دار
لاستضافة السيدات الغاضبات من
ازواجهن ، اللواتي لا يجدن مأوى لهن ،
وليست لهن اسر يلجأن اليها . او تكون
اسرهن فى بلاد بعيدة . وهذه الدار
جميع موظفيها من النساء ، ويعد فيها
الطعام والشراب والاقامة حتى لا يتعرضن
للاخطار . وتضم الدار (مرشدة) تهيىء
نفوس النزيلات وتعالج اسباب الغضب
معهن حتى تعود العلاقة الطيبة بين
المرأة الغاضبة وزوجها .

ولعل من قبيل المصادفات التي ساقها
القدر ساعة تدوين هذه السطور قصة
من صميم الحياة ومشكلة من مشكلات
المجتمع الذى نعيش فيه تتصل بهذا
الموضوع اتصالا وثيقا – فهذه سيدة
تدلف الى وزارة الاوقاف للبحث
عن حل لما تعانيه من قسوة زوجها
وانحرافه . تزوجها فى لبنان وانتقل بها
الى الكويت ومضى على زواجهما ست
سنوات،انجبت خلالها اربعة اولاد قاست
فيها الامرين وهي عاملة وزوجها سكير
مستهتر يأخذ راتبها ويضربها صباحا
ومساء ويدخل عليها كل ليلة فى حال
مزرية وعصبية حمقاء واخيرا حاول ان
ينتقل بها الى بلاده ، وهي تخافه
وتخشاه،فماذا تصنع ؟! أشار عليها بعض
السامعين لقصتها ان تعود الى وطنها
بأولادها لتعيش فى حماية اسرتها ،
فاعتذرت بأن جواز سفر الاولاد مع جواز
سفره واشار عليها آخر بأن ترفع عليه
دعوى التفريق للضرر ، فاجابت كيف
يمكن ذلك وانا اعيش معه فى بيت واحد ،
وابدت استعدادها لتنفيذ هذا الحل
اذا وجدت بيتا يأويها ويحميها – فأين
بيت المغاضبات .... ؟ ؟

من أخبار العالم الإسلامي

القاهرة

ـ نشرت صحيفة الأهرام القاهرية أن الدوائر المسئولة علمت أن اسرائيل تعيد الآن طبع الآف النسخ من المصحف الشريف الذى حرفته عام ١٩٦٠ ،لتوزعه فى الدول الافريقية والآسيوية ، وعليه الشعار الرسمي لاسرائيل. وأن المهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء للأوقاف طلب موافاته ببيانات تفصيلية عاجلة لاتخاذ الاجراءات من أجل تحذير المسلمين فى هذه الدول من تداول هذا المصحف المحرف .

ويتناول التحريف اسقاط بعض الآيات القرآنية وتحريف بعض الكلمات وعشرات من الأخطاء المطبعية واللفظية .

ـ تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية حاليا باتصالات دبلوماسية مستمرة لاقناع حكومات عدد كبير من دول العالم وخاصة الدول الآسيوية والافريقية ودول عدم الانحياز بعدم السماح لليهود فيها بالهجرة الى اسرائيل لان هؤلاء المهاجرين يشكلون خطرا على العالم العربي واقناع هذه الدول بأن السماح لرعاياها اليهود بالهجرة الى اسرائيل من شأنه أن يؤثر فى العلاقات الودية بينها وبين الدول العربية .

بيروت

ـ أوصت الدورة التاسعة للجمعية العامة لاتحاد السفر والسياحة فى البلدان العربية التي أنهت اجتماعاتها فى بيروت فى الشهر الماضي بالغاء نظام جوازات السفر بالنسبة للمواطنين العرب أثناء تنقلهم بين البلدان العربية . كما دعت الى اجراء تخفيض فى تكاليف السفر بين البلدان العربية . وقد قررت الأردن اعفاء رعايا دول السوق العربية المشتركة من تأشيرات الدخول الى الاردن والاكتفاء بالتأشير على جوازات سفرهم عند دخولهم من مراكز الحدود .

الكويت

أذاع راديو الكويت ان صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت المعظم تبرع بمبلغ عشرين الف دينار للجامعة الازهرية .

وسيطلق اسم سموه على أحد مدرجات الجامعة الازهرية .

* استقبل سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف العامة فى مكتبه فى الشهر الماضي السيد احمد ديمانكو رئيس الاتحاد الاسلامي فى الفلبين ، ودامت المقابلة زهاء ساعة ، دار الحديث خلالها حول طلب رئيس الاتحاد قبول طلاب من بلاده لتلقي العلوم الدينية فى الكويت ، ومساعدة الاتحاد ماديا لبناء مساجد ومدارس لتعليم أبناء المسلمين هناك الدين الحنيف ، وقد لقي الضيف كل رعاية واهتمام من سعادة الوزير .

* قررت وزارة الأوقاف تزويد مساجد الكويت ببرادات للمياه .

* طلبت وزارة الارشاد والأنباء من

وزارة الأوقاف تزويدها بمائتي نسخة شهريا من مجلة الوعي الاسلامي وذلك بناء على طلب من وزارة التربية التي ستقوم بتوزيعها على المكتبات العامة والمعاهد الدينية فى الكويت .

الرياض

– يبحث مندوبو وزارة المواصلات والمالية والتجارة ومندوبون عن الكويت والأردن امكانية ربط هذه الدول بخط مسفلت لتسهيل المواصلات بينها .. هذا بناء على توصيات المجلس الاقتصادى فى الجامعة العربية .

* تدرس الجهات المختصة موضوع انشاء المجلس الأعلى لنشر الثقافة العربية . ويستهدف المجلس العمل على نشر الثقافة العربية واللغة العربية خارج الوطن العربي ، والتعريف بالقضايا العربية وبالوطن العربي وامكانياته الثقافية والحضارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية عن طريق النشر والمطبوعات وغير ذلك .

* وجه المركز الاسلامي فى مانيلا دعوة لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف لزيارة الفلبين وقد قبل سعادته الدعوة ، ولم يحدد موعد القيام بها .

* أصدر الاتحاد الاسترالي للجمعيات الاسلامية فى مدينة اولايد باستراليا الجنوبية مجلة المنار ويرأس تحريرها الأستاذ رشيد دون ج. كريج وهي تستهدف تعريف غير المسلمين بالاسلام ، وتوثيق الصلات بين المسلمين فى أقطار الأرض .

نرحب بالزميلة ونرجو لها التوفيق فى مهمتها السامية .

* تقدمت زامبيا بعد استقلالها بطلب لهيئة الأمم المتحدة لقبولها عضوا فيها ومما يذكر أن المسلمين فيها يبلغون ٨٤٪ من عدد السكان .

*** أدرج فى ميزانية وزارة الأوقاف الكويتية هذا العام مبلغ عشرة آلاف دينار لاحياء التراث الاسلامي وثلاثة آلاف دينار لشراء كتب تزود بها مكتبة الوزارة وألف وخمسمائة دينار للموسم الثقافي واستضافة بعض كبار الأساتذة المحاضرين من الدول الاسلامية لالقاء محاضرات فى المشكلات المعاصرة التي تواجه المسلمين .**

* كما تضمنت الميزانية عددا من الوظائف لدعم جهاز الدعوة والارشاد ، وتتعاقد الوزارة مع عدد من علماء الأزهر ليقوموا بمهمة الامامة والخطابة والتدريس فى مساجد الكويت .

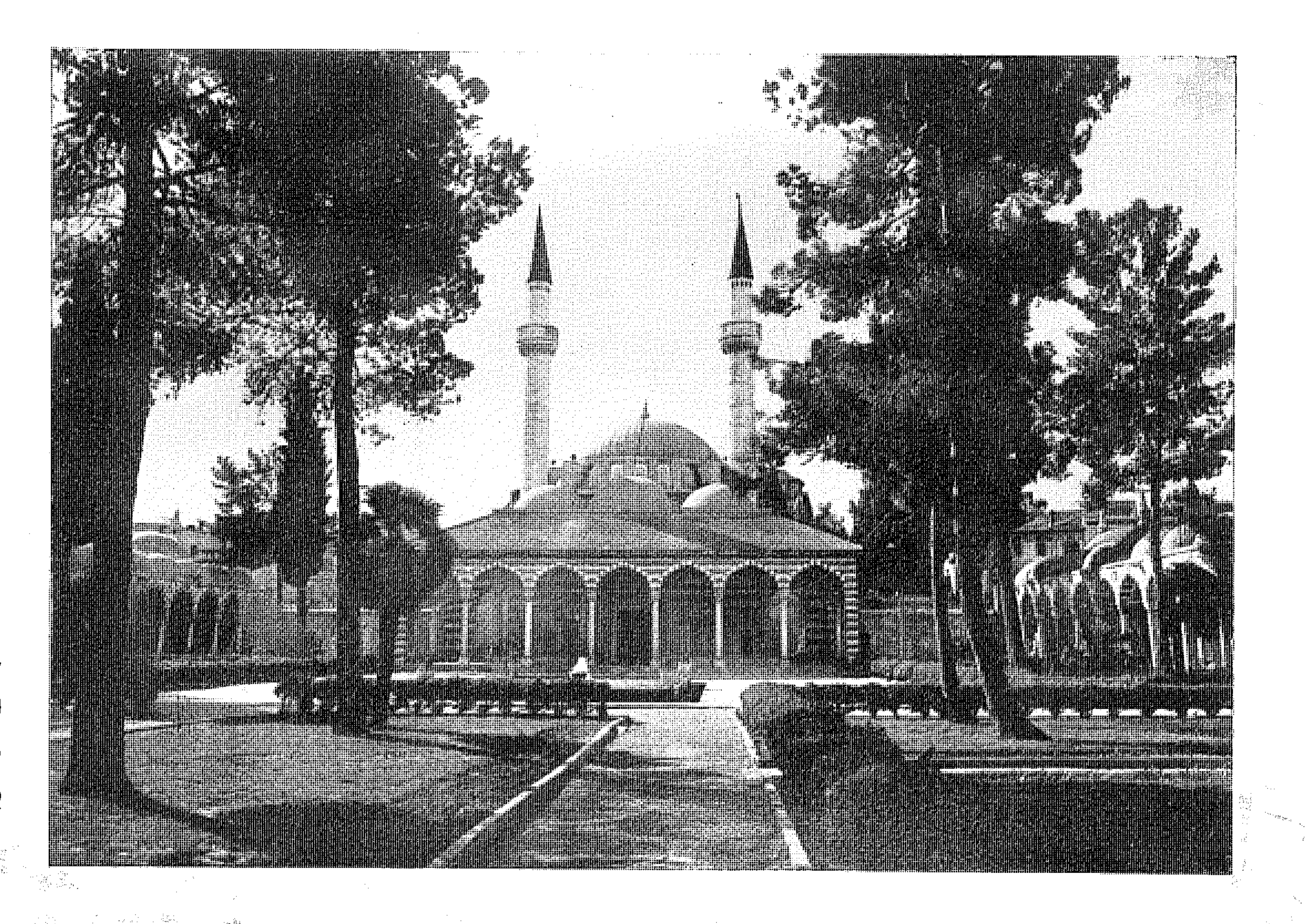
* وخطت الوزارة خطوات واسعة فى مشروع انشاء مسجد الدولة الكبير قرب قصر السيف يتسع هذا المسجد لسبعة آلاف مصل ، ويلحق به مكتبة ومصلى للسيدات ومساكن لموظفيه ، وتقدر تكاليف انشائه بمبلغ (٨٠٠٠٠٠) ألف دينار ، وسينشا على الطراز الأندلسي ، وقد طلبت وزارة الخارجية من سفارة الكويت بالمغرب اختيار مهندس مغربي لوضع التصميمات المطلوبة لهذا المشروع الضخم .

* وتقوم الوزارة حاليا باستلام عدد من المساجد التي أقيمت حديثا .

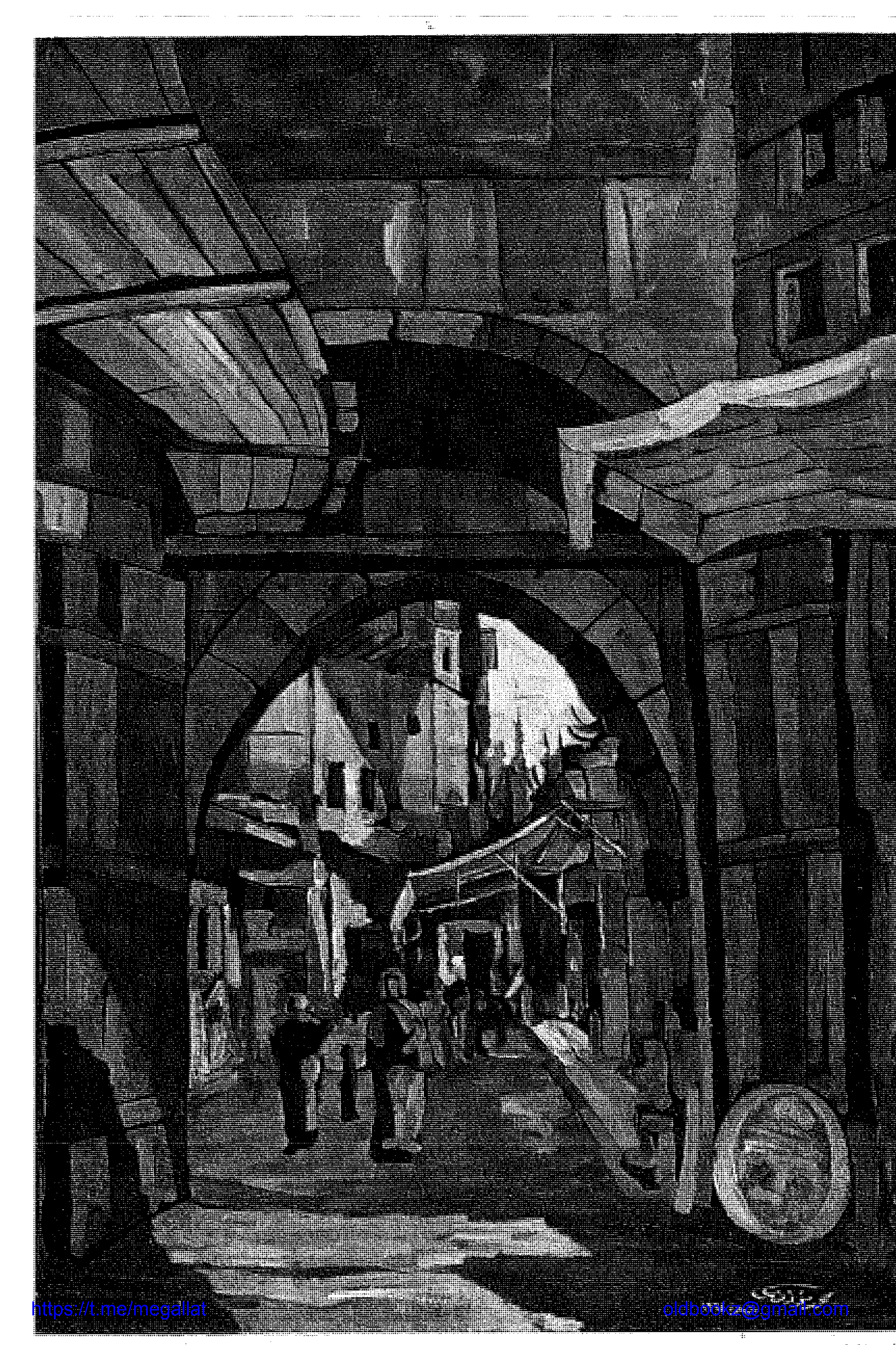
وقد قررت الوزارة اقامة مدينة سكنيه بمكة واخرى بالمدينة ليقيم فيها الحجاج الكويتيون فى موسم الحج والزيارة ، وقد تم اختيار الارض اللازمة لذلك .

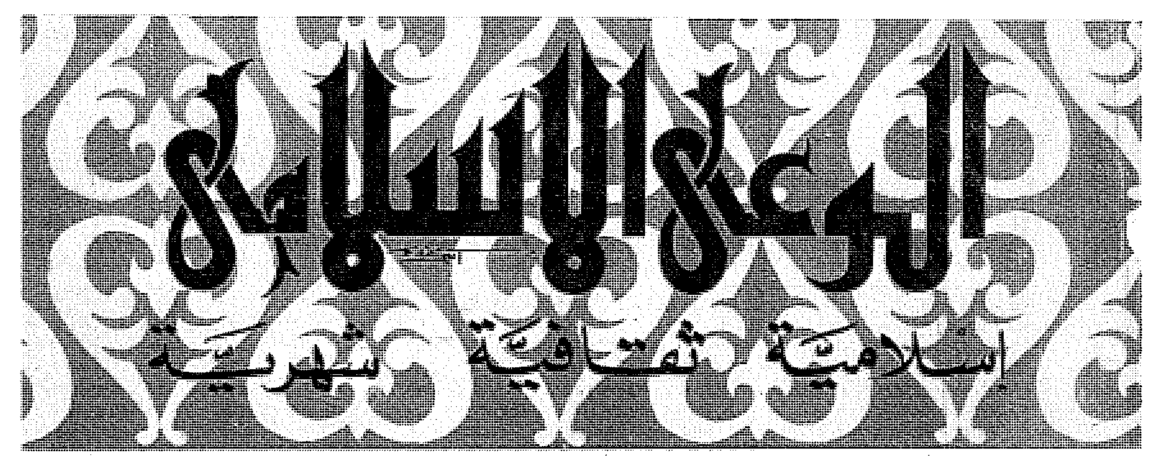
اجتمع سعادة خالد المسعود وزير التربية بفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر ، وبحث معه موضوع انشاء كلية لأصول الدين بجامعة الكويت التي ستفتح قريبا ، وتطبيق النظم والمناهج التي تسير عليها كلية اصول الدين بجامعة الازهر .

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية ان حوادث المرور الناجمة عن الخمور انخفضت بنسبة ٩٥٪ عما كانت عليه قبل صدور قانون منع الخمر ، ولم يبق الا ٥٪ وهذه النسبة الضئيلة ينتظر ان تنعدم فى المستقبل القريب .



جامع السلطان سليم بدمشق





السنة الاولى * العدد السادس جمادى الآخر ١٣٨٥ هـ * اكتوبر ١٩٦٥ م



زاهد وخليفة

ص : ٨٤

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

...

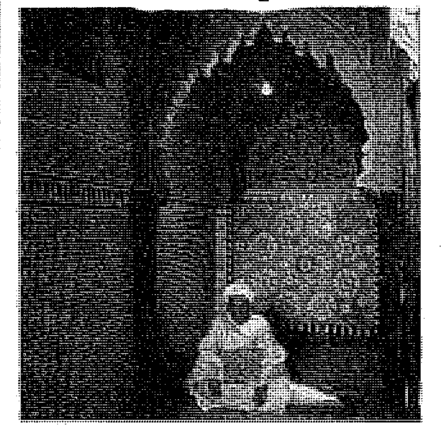
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



جمال الروح وجمال الفن محراب دقيق الصنع بمسجد الرباط بالمملكة المغربيـة .

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
المغـرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

في الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك في البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد



نظمت الاذاعة الكويتية برنامجا تحت هذا العنـوان لنشر الثقافة القانونيـة وتوعيـة المواطنين ، وقد افتتح هذا البرنامج سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ووزير العدل بالنيابة وألقى الكلمة التالية

المواطن والقانون

يسرني غاية السرور أن افتتح هذا البرنامج الاذاعي الجديد ، برنامج المواطن والقانون ، وهو برنامج ، الغرض منه تعريف المواطنين فى بساطة ويسر بأحكام القانون التي تهمهم فى الأحوال العادية وتبصيرهم بما ينبغي أتباعه فى شتى الامور .

والواقع أن القوانين المختلفة تستـهدف تنظيـم الجماعـة وبيان ما للافراد من حقوق وما عليهم من واجبات .

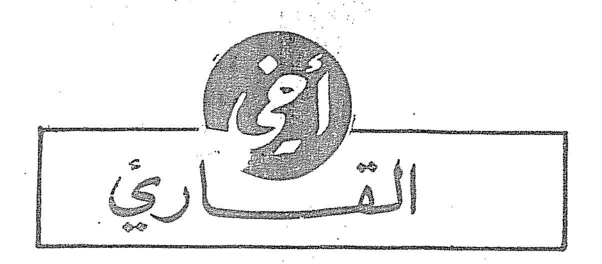
ولهذا يوضع القانون لحماية الحقوق من العبث والضياع ، وعلى الجميع أن يطيع أوامره ونواهيه حتى تنتظم أحوالهم وتحفظ حقوقهم ، ومن المصلحة أن يلم كل فرد بالاحكام الاولية التي يستأنس بها فى تصرفاته حتى تصدر عنه سليمة صحيحة فيتجنب الـكثير من المزالق والجهود والنفقات .

ولهذا يقتضى الصالح العام تزويد المواطنين بما ينفعهم من القواعد القانونية البسيطة وهذا هو الغرض الذى توخاه القائمون بهذا البرنامج والمشرفون عليه . وهو غرض طيب نباركه ونشجعه ونرجو أن يؤتى ثمرته وأن يتحقق من ورائه نفع جزيل للمواطنين .

وأنه ليسر وزارة العدل أن تصبح الثقافة القانونيـة فى صـورتها البسيطة قريبة التناول والانتشار لما يحققه ذلك من امكان فض المنازعات بالطريق الودى والاستغناء عن قضايا عدة كثيرا ما يكون الباعث عليهـا عدم الالمام بحقيقة الوضع القانوني .

ولما كان البرنامج الذى تقدمه الاذاعة اليوم ، وسيلة حسنة مـن وسائل نشر الثقافة القانونية وتيسيرها فاننا نتمنى للقائمين عليه التوفيق وتأدية مهمتهم على احسن الوجوه بفضـل توجيهات وارشـادات رائد النهضة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم



من شهور مضت تقدم أحد اعضاء مجلس الامة بالجمهورية العربية المتحدة بأقتراح الى المجلس يقضى بقطع يد السارق اذا عاد للسرقة ، دون حاجة تضطره الى ذلك .

ولا أريد الان ان أتعرض للاقتراح من ناحية مطابقته التامة للشريعة او عدم مطابقته ولكنى اريد ان أتحدث عن البواعث التي حملت النائب على تقديم اقتراحه وانا أعرف عنه أنه ليس من رجال الدين ولا من المشتغلين بالمسائل القانونية أو الدينية ولكنه من العمال المحنكين الذين درسوا الحياة وخبروها فلم يحمله على تقديم اقتراحه ـ اذن كما قال لى ـ الا انه وجد فيه العلاج لما يعانيه المجتمع من قلق وخوف نتيجة استهانة اللصوص بعقوبة السجن التي يفرضها القانون ، وتماديهم فى العبث بأمن الناس وراحتهم . والذى نعرفه ان السارق حينما يدخل السجن يتلاقى فيه مع كبار اللصوص الذين يقضون وقت فراغهم فى سرد مغامراتهم ومهارتهم فى سلب اموال الناس ويصنع كل واحد من نفسه بطلا ليضفى على نفسه مهابة امام زملائه ، فيخرج السجين وقد تأصلت فيه روح الشر واكتسب مهارة جديدة فى السلب والتحايل على القانون ، حتى وجدنا لكثير منهم رصيدا من السوابق وأصبح الكثير منهم ايضا معروفا لدى رجال الامن .

وقد أدت هذه الحالة الى ان تصل حوادث السرقة والنشل فى بعض البلاد الى عشرات الالوف بينما هناك آلاف اخرى من الحوادث لم تصل الى علم رجال الأمن ولم تدخل ارقام الاحصائيات ومثل هذا يحصل ـ على تفاوت ـ فى البلاد الاسلامية الاخرى حتى اصبح الناس يعيشون فى رعب وفزع ، ويتلفتون حولهم الى علاج رادع يريحهم من شرور هؤلاء العابثين ... وينتظرون من حكوماتهم ان تتخذ موقفا حاسما يوفر لهم الامن والاستقرار .

ومن هنا انبعثت الاصوات فى كل مكان تطالب بأستعمال العلاج الربانى لهذا المرض الاجتماعي وقطع يد السارق ، وقد شجعهم على ذلك انهم رأوا بلدا اسلاميا كان مسرحا للعبث والنهب فصار بعد استعمال هذا العلاج واحة للامن والاستقرار ،

عشت فيه مدة كما عاش الكثيرون غيرى ، وشعرت كما شعروا بنعمة الامان فى ظـل هذا القانون الربانى .

وكان ثمن هذا الامن عدة من الايدى قطعت ربما كانت عشرين أو اكثر ولكن مـا أرخصه من ثمن فى سبيل استقرار المجتمع وأمنه حتى لو كانت ارواح عشرين او مائة من العابثين بالامن هى الثمن لهذا الاستقرار .

اننا نعرف ان بعض الافراد من هذه الدولة الآمنة يتخطون حدود بلادهم ليباشروا انحرافهم فى ترويع جيرانهم وما ذلك الا لأن قانون الجيران يقضى بسجنهم لا بقطع ايديهـم .

ولقد رأينا بعض الدول المتحضرة تقتل من يتلاعب بأسعارها رميا بالرصاص فى الميادين العامة فهل يوجد لنا مبرر فى الاحجام عن تنفيذ قانون القطع ، وقد أصبح علاجا ضروريا فوق انه قانون الله ؟ ؟ ان العالم كله يشيد بالامان الذى وفره تنفيذ هذا القانون فى العصر الحديث ولا يلقى بالا للايدى التى قطعت فى سبيل هذا الامان .

ولقد كان مجرد اعلان هذا القانون وتنفيذه كافيا فى ردع الناس وتوفير الجهود والاموال التي تبذلها الدول الاخرى لتوفير الامن ومطاردة اللصوص ....

ومع ذلك لم تستطع هذه الجهود والاموال المبذولة توفير الامن للناس كما وفره قانون القطع بل رأينا خطر اللصوص يزداد وجرأتهم تشتد سنة بعد أخرى .

ان الكويت بلد لا تزال قوانينها فى طور الاختبار والتعديل . فلماذا لا تأخـذ بقانون القطع حتى تقضى على موجة العصابات الوافدة التى لم تعهدها البلاد من قبل . وبجوارها تجربة ناجحـة ؟ !

ولماذا لا تعلن الحكومات الاسلامية جميعها عقوبة القطع وتنفذها حتى تقضى على شر اللصوص الذى يأخذ فى الضراوة ؟ لقد جربت قانون السجن مدة طويلة فلم يثمر الا ما نراه ونلمسه ، فلتجرب قانون القطع .... وسترى انها حققت لشعوبها الامن والراحة ووفرت الكثير من الاموال والجهود .

خذوا بهذا القانون السماوى العادل الرحيم ، لأنه قانون الله الذى خلق النفوس وهو الخبير بعلاجها ولأنها تجربة معاصرة مر على نجاحها أمامنا الآن اربعون سنة ..

جربوا .. والله معكم .

رئيس التحرير

من هدي القرآن

٢ التبني وموقف الإسلام منه

الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم فى جامعة القاهرة

« واذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه، امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً * » .

(سورة الأحزاب : ٣٧)

١٥ : ــ أسلفنا فى مقالنا الأول لمحة موجزة عن التبنى عند العرب ، فى الجاهلية وفى السنوات الأولى بعد مجيء الاسلام ، ثم عن موقف الاسلام منه كما تصوره وتستدل له الآيات الأولى فى سورة الأحزاب(١) .

وفى ذلك المقال وعدنا بأن نقدم فى مقال تال دليلا من التشريع العملى ، على ابطال الاسلام لجميع آثار التبنى . وهذا الدليل ذكرته ــ أو ذكرت قصته ــ آيات أخرى ، فى النصف الأخير من سورة الأحزاب نفسها . وهو زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، مع أن العرب كانوا ينظرون الى المتبنى نظرتهم الى الابن : وكانوا يحرمون مطلقته على المتبنى ، باعتبارها مطلقة ابن ! ..

وقبل أن نذكر الآيات التي قدمت هذا الدليل ، نحب أن نذكر القصة كما وردت فى بعض الآثار التي لم تصح ، وأن نقف قليلا عند نقط الضعف فى سندها ومتنها ، فقد قبلها ــ دون بحث علمي ــ بعض أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين ، واتخذوا منها وسيلة للطعن فى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . ثم قبلها كذلك بعض المسلمين المعاصرين ، وعللوا قبولهم لها بأن فيها تأكيدا لبشرية محمد ، ولتساميه على نوازع النفس البشرية وميولها ! ..

وبين موقف هؤلاء وموقف أولئك ، لنا نحن موقف تدعمه مبادىء الاسلام وأصول الرواية وشروطها ، وواقع الحادثة وظروفها ، وصريح نص القرآن الكريم ومضمونه ! ..

١٦ : ــ أما القصة كما ترويها الآثار ، فهذه هي ، ننقلها على ما فيها ، لننقد متنها وسندها ...

افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا ، فذهب الى منزله يطلبه .

---

(١) انظر العدد الثالث من هذه المجلة .

وهرعت زينب للقائه وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها ، فقالت : « ليس هو ههنا يا رسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي » ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل ، وولى وهو يهمهم (يحدث نفسه) بكلمات ميزت فيها زينب قوله : « سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب (١) » .

(وأقامت زينب في مكانها ، تفكر فيما سمعته من قول ابن خالها — اذ كانت أمها هي أميمة بنت عبد المطلب ، شقيقة عبد الله والد الرسول — ، حتى اذا جاء زيد كان أول ما لقيته به أن الرسول أتى منزله .

سألها زيد : الا قلت له ادخل ؟

فأجابت : بلى . قد عرضت عليه ذلك فأبى .

واستطرد زيد مستفسرا : فسمعته يقول شيئا ؟

قالت : سمعته يقول حين ولى : « سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب » .

فأطرق زيد برهة ، ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبي أنت وأمى ؟ .

ثم أضاف متسائلا : فأفارقها ؟

فقال الرسول : مالك ؟ أرابك منها شيء ؟

فأجاب زيد : لا يا رسول الله ، ما رابنى منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم علي لشرفها ، وأن فيها كبرا ، تؤذيني بلسانها !

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك ! ..

١٧ : — هذه هي القصة كما رواها الطبرى في تاريخه : وصاحب السمط الثمين . وكما قبلتها دون مناقشة الدكتورة بنت الشاطىء في كتابها نساء النبي (٢) ، بل مضت تدافع عن صحتها دون أساس تعتمد عليه .

ومع احتياط الذين اختلقوا هذه القصة ولفقوها ، ومع حرصهم على ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبح الله ولهج بذكره عندما رآها وهى حاسرة كما يزعمون ، ومع أنهم قد حكوا ما نصح به الرسول زيدا من امساكها والابقاء على زوجيتها — نراهم قد افتضح ما لفقوه على رغمهم : في كلمات القصة كما صوروها، وفي وقائعها كما زعموا ! ..

١٨ : — فهم أولا يوردون رؤية الرسول لها على أنها حدث طارىء عليه، وكأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرفها من قبل . وبعبارة أخرى : هم يدّعون أن الرسول قد فاجأه جمالها حتى لم يجد ملاذا الا التسبيح باسم الله ، وتذكر أنه مصرف القلوب . وفى هذا تجاهل لصلة القرابة الوثيقة التي كانت تربط بينه صلى الله عليه وسلم وبين زينب ، فهى ابنة عمته أميمة ، وهو الذى خطبها لزيد وزوّجها منه ،والتاريخ يسجل أنها كانت تعارض هذا الزواج وترفضه هى وأخوها عبد الله بن جحش ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه بشأنها قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣) وانه قد جرى بينه وبين زينب حديث فى هذا الأمر قبل أن تنزل الآية ، فلما نزلت سألت الرسول : هل رضيته لى زوجا ؟ وأجابها : نعم ،

---

١ — أى محول القلوب ، وموجهها الى حيث يريد .
٢ — انظر ص ١٢٨ — ١٢٩ من هذا الكتاب ، طبعة دار الهلال
٣ — الآية ٣٦ فى سورة الاحزاب .

قد رضيته ! فقالت : قد انكحته نفسي ! . . .

أيتصور بعد هذا كله أن جمالها قد فاجأه عندما رآها في دار زيد كما تقول الرواية ، فوقع حبها في قلبه ؟ .

١٩ : — وهم ثانيا يدعون أن زينب قد لقيت الرسول دون أن تستكمل ثيابها (وفي رواية أخرى أن الريح قد رفعت الستارة المصنوعة من الشعر ، وهي التي كانت على باب زينب ، فرآها الرسول وهي حاسرة) . وهم اذ يدعون هذا أو ذاك ينسون أن ورع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعه من أن ينظر ، وأن ما عرفت به زينب رضي الله عنها من تمسك شديد باوامر دينها يمنعها من أن تستقبل الرسول وهي غير مستكملة ثيابها .

ويبدو أن الذين وضعوا الرواية الثانية كانوا أعرف بفن الوضع ، فجعلوا الريح ترفع الستارة ، على رغم زينب ، حتى يقع نظر الرسول عليها دون أن يقصد الى النظر . لكنها مع هذا ملفقة مصنوعة ، مدسوسة على الرسول وعلى زينب معا ، وحسبنا أنها لم ترو الا عن عبد الرحمن بن زيد ، وهو ضعيف جدا لاتقبل روايته عند جميع رجال الحديث(١) ! . . .

٢٠ : — وهم ثالثا لايلبثون أن يفتضح أمرهم ، عندما يحكون قصة لقاء زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دار فيها من حديث . فهم يدعون أن ما دار بينهما من حديث كان هكذا :

(يا رسول الله ، بلغني أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بابي أنت وأمي ؟ !) ثم أضاف متسائلا : (فأفارقها ؟ !) .

وهنا نحب أن نقف قليلا ، لنتساءل عن سر هذا الانتقال المفاجىء ، من حديث عن ذهاب الرسول اليه في منزله : الى عرض لاستعداده أن يفارق زوجه ، مكنيا عنها بضميرها . فهل كل من زار انسانا في منزله فلم يجده ، يذهب اليه ذلك الانسان ليعرض عليه استعداده لفراق زوجه ؟ ومن أجل ماذا ؟

لنقرأ باقي الحديث كما تذكره الرواية . . .

لقد سأله الرسول : أرابك منها شيء(٢) ؟

فأجاب : لا والله يا رسول الله ، ما رابني منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم علي لشرفها ، وان فيها كبرا تؤذيني بلسانها ! .

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك !

٢١ : — أما انه اذا كان مما قيل : « يكاد المريب يقول خذوني » — فان المريب في قصتنا قد قالها فعلا ، وفضح نفسه دون أن يدري ! لقد حكى واضعو تلك الآثار — وهي من الاسرائيليات قطعا — ماكان من رجاء زيد أن يكون الرسول قد دخل بيته ، عندما زاره فلم يجده . لكنهم انتقلوا — دون رابط على الاطلاق — الى عرضه أن يفارق زينب ، كأن فراقه لها أمر يهم الرسول أن يقع ، ويتمناه في قرارة نفسه ! ولما سأله الرسول عما اذا كان يشك في شيء من تصرفاتها ، بادر فنفى كل شك ، وأكد أنه لم ير منها الا خيرا ، ثم شكا تعظيمها وتعاليها عليه بشرفها ، وكبرها ، وتعييرها اياه بماضيه في الرق . وأجاب الرسول على عرضه في قوة وحسم : أمسك عليك زوجك ، تعبيرا عن عدم اقتناعه بوجاهة ماذكر من أسباب لفراقه اياها .

واذن فلا مناسبة لعرض استعداده لفراقها تعقب حديثه عن مجيء الرسول

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد : جـ ٥ ص ٣١٢ ، وفي تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٢) يقال رابه الشيء اذا اثار شكه . ومنه : دع ما يريبك الى مالا يريبك .

الـى منزله : مادامت أسـباب الفراق لاعلاقة لها بالرسول !

٢٢ : ـ علـى أن لنـا هنـا وقفـة أخرى ... عند نقطة نراها جديرة بأن تعرض ، ويبسط القول فيها .

لقد كان العـرب حتى ذلك التاريخ يرون أن التزوج بمطلقة المتبني لا يجوز ، لأن له حقوق الابن . وكان القرآن قد نزل بابطال التبني ، وابطال جميع مـا يرتبونه عليه مـن آثار ، لكـن التشريع العملى الذى يواجه المجتمع بهذا لم يكن قـد نزل بعد . ففى ظل أى المفهومين وضعت تلك الآثار ؟ ..

نحب أن ننبه أولا على أن جميع مـا ورد من آثار تحمل تلك القصة الملفقة لم تصح من ناحية السند ولم ينسب واحد منها ـ أى واحد ـ الى صحابى . ونحب ثانيا أن نشير الى أن جميع المفسريـن الذين أوردوها قد نقلوها عن الطبرى ، دون أن يعنـوا بالبحث فى أسـانيدها ! ونحب ثالثا أن نسجل ـ مع التقدير ـ موقف المفسر العالم ، والحافظ المحدث، ابن كثير الذى لم يرو شـيئا منها ، لا لأنهـا لم تبلغه ، ولكن لأنـه يراها غير صحيحة . انه يقول : (ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير (الطبرى) ههنا آثارا عـن بعض السلف رضى الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صـحتها ، فلا نوردها(١)) .

ونعود الى بحث المفهوم الذى وضعت فى ظله تلك الآثار ، فلا نجـد لهـا مكانا على مفهوم العرب ، وحرمة زوجة المتبنى على متبنيه بعد طلاقها ، لأنهـا حينئذ بمنزلة ابنته ! . ولا نجد لها مكانا كذلك على المفهـوم الاسـلامي ، الذى يبيح للمتبنىً التزوج بمطلقـة متبنـاه ، لأن الله عز وجل حينما أمر رسـوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالزواج مـن زينب ، ليبطل بهـذا الزواج كل أثـر للتبنى ، لم يزوجـه اياها لأنـه وقـع الاعجاب بها فى نفسـه كما تقول الآثار . ألم يقل الله عـز وجل لرسـوله بهـذا الشأن : « فلما قضى زيـد منهـا وطرا زوجناكها ، **لكيـلا يكـون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا »** ! ؟ ، فقد حدد الله عـز وجـل الغاية مـن هـذا الزواج ، ولم يدعها للاسرائيليات تصورها بالصـورة التي تسىء بها الى محمد صلى اللـه عليـه وسلم ! ..

٢٣ : ـ نعم ، جاء فى الآية التي حددت الغاية من ذلك الزواج تعبير أخطأ بعض المفسرين فهم المراد منه ، فلم يوفقوا فى تفسير الآية ، ولم يهتدوا الى الحقيقة . هذا التعبير هو قوله عز وجل : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشـاه » . ونحن نكتفى فى تفسير هذا التعبير وبيان المراد منه بما رواه ابن أبى حاتم ، قال : (حدثنا أبى ، حدثنا علي بن هاشم عن مرزوق ، حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيـد بن جدعان ، قال : سألنى علي بن الحسين رضى الله عنهما : ما يقـول الحسن فى قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشـاه » ، فذكرت له ، فقال : لا ، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون مـن أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : « اتق الله وأمسـك عليك زوجك » فقال : قـد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك) .

على أنا نضيف أن الله عز وجل قـد وصف ما يخفيه صلى الله عليه وسلم

البقية على ص ١٥

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩١ طبعة عيسى البابي الحلبي .

لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

صمام الأمن الحياة وسبيل النجاة في الآخرة في ثلاث

حب الله ورسوله ، والتحاب فى الله ، وكراهة الرجوع الى الكفر بعد الايمان .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان » .

أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما : وان يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .. رواه البخارى .

١ ـ راوى هذا الحديث هو أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه ، كان خادما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أثر عنه قوله « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي فى شيء فعلته لم فعلته ، ولا فى شيء تركته لم تركته » . وجاءت أمه يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادع لخويدمك أنس بكثرة المال والولد وطول العمر ، فقال الرسول الكريم عليه السلام « اللهم اكثر ماله وولده ، وبارك فيه ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه » واستجاب الله لنبيه دعاءه لأنس ، فقد روى أنه عاش ما يقارب المائة عام ، وكان له نخل وبستان يجني منه ثمارا كثيرة ، ونسل له أولاد عديدون ، يقول أنس : قد حقق الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ، وأرجو أن تتحقق لي المغفرة يوم يقوم الاشهاد .

٢ ـ الخلال الثلاث التي وردت فى هذا الكلم الطيب كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم هي صمام الأمن فى الحياة الأولى والآخرة ، فقد جمعت أطراف الخير وملكت نواصيه ، وفى الوصول اليها والحصول عليها والاتصاف بها لذة روحية وسعادة نفسية وراحة قلبية وأمان من كل ضر ، ثمرتها حلاوة الايمان ، والقرب من الديان والانتظام فى سلك أوليائه الذين عرفوه ففنوا فيه ، وتعلقت آمالهم برحابه ، وصقلت قلوبهم بصقاله فلا يصدرون ولا يوردون الا عن طريقه القويم ، ولا يدرجون الا فى سبله المستقيمة التي لا تميل يمنة ولا يسرة مهما لوح لهم بما يلهي غيرهم من عرض وجوهر ، فما العرض والجوهر الا من واديه ، ولا يعرف كنه الشيء الا مبدعه من لا شيء ، يقفون عند الحد المرسوم « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه » ويمضون بعيدا عن مدار النهي « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

ان لان لهم المسلك واستنار ، قالوا

هذا فضل ربنا ، وان تحول شائكا مستعصيا معنتا او قاتلا قالوا : صبرا فالموعد الجنة والراحة هناك « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » وتساوت لديهم بأساء الحياة ونعماؤها ، ما دامت حلاوة الايمان تعمر قلوبهم ، وتسكن اليها نفوسهم ، وتنتشي بها أرواحهم، وأولئك هم الذين يمضون فى الطريق طريق رسل الله ، حملة رسالته وأمناء وحيه ، غير هيابين ولا وجلين ، يمرون بالحياة مرور الكرام يصلحون ولا يفسدون ، يحسنون ولا يسيئون ، يقدمون الخير للبشرية ولا ينتظرون الجزاء العاجل منها ، هم ملح الحياة وأساتها ، وقادتها الحقيقيون وسادتها ، لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، والا لهلك الحرث والنسل وانهار بنيان الوجود ، هم شموع على الطريق تضيء للسالكين ، وبدور تمحو دجية الليل البهيم ، غيوث أينما حلوا أرووا ، وحيثما هطلوا أثمروا ، وليوث عرينهم محمي ، وحماهم مصان « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »..

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا .. وان الله لقوى عزيز » ..

وهم منبثون فى أرض الله ، قد تراهم ولا تعرفهم ، وقد تعرفهم ولا تلقي اليهم بالا « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » لهم صفات تحدثت عنها سورة الفرقان قرب نهايتها وعددتها دون حصر فاتحتها « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وخاتمتها الجزاء الأوفى فى رحاب من أحبوا ومن احتسبوا عنده بلاءهم وابتلاءهم « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » لا يريمون الموضع الذى اختاره حبيبهم لهم ولا يبرحونه « خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » وما أحسن المستقر وما أجمل المقام .

٣ ـ ثلاث خصال خص المتصفون بها بهذا الفضل لأنها من أعمال القلوب لا يجد الرياء اليها سبيلا ، ولا يطلع عليها الا علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى فهي خالصة لله ، المتخلقون بها يعبدون الله ولا يشركون به شيئا « مخلصين له الدين » .

وهذه الصفات الثلاث

١ ـ أن يقدم العبد حب الله ورسوله على كل شيء .

٢ ـ أن تقوم العلاقات بين الأفراد على اللقاء تحت كلمة الله ورسوله .

٣ ـ النتيجة الحتمية لصدق حب الله ورسوله والحب فيهما هي كراهية ما يبعد عن ساحتهما وبالتالي اتقاء ما يلقى بصاحبه فى السعير وهو الكفر بعد الايمان ، فمن أحبهما وأحب فيهما أقام على الاسلام وفني فيه وشطن عن كل ما يحول بينه وبينه ، وحفظ نفسه من الكفر كما يحفظها من النار والدمار .. ولنأت على تفصيل القول فى هذه الخلال الثلاث واحدة واحدة ، ونبدأ بالتي بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : هذا الكلام الموجز الدقيق ، ألقى أول ما ألقى وبرز الى الوجود أول ما برز الى صحابة رسول الله من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا كان موقفهم منه ؟ هل قالوا ان فى حلاوة الايمان استعارة بالكناية ، وأن اثبات الحلاوة تخييل .. الى آخر ما هنالك من لغويات ؟ لا ـ لم يفعلوا شيئا من هذا، لأنهم يعونه بفطرتهم، ويعرفونه بسليقتهم العربية الخالصة ولسان حالهم يقول :

ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليقى أقول فأعرب

ولأنهم لا يهتمون بالشكل اللفظي ، وانما بجوهره ومعناه ، وجوهره ومعناه ينسابان الى قلوبهم انسيابا يجعله مدركا

بالجنان والبصائر ، فيبحث كل سامع في دخيلة نفسه عما يتعارض مع حب الله ورسوله من مال وولد ووالد ونفس ونفيس فينقي منه قلبه ووجدانه ، ليحل هنـاك في القلب والوجدان حب اللـه ورسوله ((قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسـادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من اللـه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللـه بامره واللـه لا يهدى القوم الفاسقين)) .

وحب الله مرتبط دائما بحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ((قـل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) كما ارتبطت طاعة الله بطاعة رسولـه ((يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) .. ((ومن يطع الرسول فقد أطاع اللـه)) .. وكان هـذا الارتباط الوثيق لأن الله سبحانـه هو مصـدر الشريعة وموحيها ، والرسول هو المختار لتبليغها وايصالها الى البشرية جميعـا ((يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك مـن ربك وان لم تفعل فما بلغت رسـالته والله يعصمك من الناس)) .

لماذا نحب الله ورسوله ؟

١ ـ أما حبنا لله تعالى فمبعثه أن الله تبارك وتعالى هو الذى خلقنا وهو الذى بيده مقاليد أمورنا « لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيـل » هو مدبر أحوالنا وهو رازقنا « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وهو المالك لكل شيء « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وهو المعبود بحق ، لا اله في الكون كله الا هو ، فلا شريك له ولا ند ولا مشابه .

وفـي كـل شـيء لـه آيـة
تـدل على أنـه الواحـد

ولنتساءل من الذى أوجد الكون من العدم ؟ من الذى يجرى الفلك ؟ من ذا الذى يمسـك السـموات والأرض أن تزولا ؟ من يعاقب الليل والنهار ؟ مـن يأتي بالشمس من المشرق ؟ مـن يحيي ويميت ؟ ومن .. ومن.. التي لا تنتهي. جوابها واحد هو الله سـبحانه وتعالي (تبارك الذى بيده الملك وهو على كـل شيء قدير الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيـز الغفور) .

ان نظرت الى السماء هالتك نجومها ، وان تأملت نبات الأرض بهرتك أشكاله وألوانه : واذا فكرت في البحار وعوالمها لم تسبر غورها ، وناهيـك بالجبـال والرمال والوديان والصحارى وما أجنت الأرض في بطنها وما حملت على ظهورها ، كل ذلك يتساوق في نظام دقيق مدبـر محكم بديع ذلك تقدير العزيز العليم .

٢ ـ أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذى فتح العيـون العمى والقلوب الغلف والآذان الصم علىآيات الله ، وجاء بالتشريع والتنظيم لحيـاة الانسـان في جميع صورها وأشـكالها وتحدث بمـا أوحى اليه عن أسرار الوجود وما بعـد الحياة وهدانـا اللـه بـه الى الصراط المستقيم .

فاذا لم نحب اللـه ورسـوله فمن الجدير بالحب بعدهما .

أما كيف يكون حبهما وما هـو الحب المطلوب منا في هذا الحديث وغيره وماذا أنتج حبهما مع الصحابة الكرام ومـاذا يجب أن ينتج معنا كل هذه التساؤلات في العدد القادم ان شاء الله جوابها وهو سبحانه الموفق والمستعان .

بأنه هو مبديه ، فهل أبدى الله عز وجل أنه قد أحب زينب ، ومن أجل هذا الحب زوجه إياها ؟ ولماذا اذن قال : « . . . لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » ؟ ! . .

تعالى الله عن أن يتناقض كلامه في كتابه ، أو يختلف . .

٢٤ : ــ بقي ما تمسكت به الدكتورة بنت الشاطيء ، ودافعت عنه في حماس ، وهو بشرية الرسول ، ومحاولتها قبول تلك الآثار باسم هذه البشرية .

ونحن لا ننكر بشرية الرسول ، لكنا لا ننسى أنه معصوم عن الخطأ . والذي لا نشك فيه كما أسلفنا أن جمال زينب لم يفاجيء الرسول ، وكيف وهو منها بمنزلة ولي الأمر ، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وهو الذي خطبها لزيد وزوجها منه ؟ كذلك لا نشك في أنه لم يكن من خلق الرسول أن ينظر الى امرأة يعلم أنها حرام عليه ، والا فلماذا لم يعرف ذلك عنه الا في قصة زينب على ما يزعمون ، مع أن زواجه بها بعد طلاقها من زيد أثار زوبعة في المجتمع العربي ، مصدرها أنه تزوج امرأة كانت ذات يوم زوجة ابنه ؟ وشيء آخر ، هل تعد القصة ــ كما نقلتها الينا الآثار الموضوعة ــ مفخرة لمحمد وللاسلام ؟ ان الدكتورة الفاضلة تقول هذا ، بعد أن تذكر أن القصة نقلها الينا رواة غير متهمين ــ ولا أدري من أين جاءت بهذا الحكم العجيب ، وكيف جرؤت عليه دون دراسة لهؤلاء الرواة ــ ، كما تذكر أنها (أي القصة) ترتفع برسولنا عليه السلام الى أقصى ما تطيقه بشرية من عفة وضبط نفس **واعتقال للهوى !!** ،

فما ادعى نبينا قط أن قلبه بيده يصرفه حيث شاء ، ولا زعم مرة أنه مبرأ من عواطف البشر ، منزه عن أهوائهم ! ! !

ولا تنسى الدكتورة أخيرا أن تذكر أن كل ما وجه للقصة من نقد يكفي للرد عليه ما قاله الزمخشري في تفسير الآية . ومع اجلالنا لهذا المفسر لانستطيع أن ننسى جانبا هاما من جوانب ثقافته وعلمه ، هو أنه لم يكن من رجال الحديث ، فليس محدثا ، ولا حافظا ، ولا علم له بالرواة تجريحا وتعديلا . ومن لم لايعد و فيما ذكر أن يكون ناقلا عن الطبري(١) ! . .

٢٥ : ــ أما الطبري نفسه ، وهو الذي نقل عنه سائر المفسرين ، فقد كان يورد الصحيح من الآثار وغير الصحيح ، في تفسيره وفي تاريخه معا . ويترك للقاريء مهمة دراسة أسانيده التي يذكرها ، والحكم على الآثار بالصحة أو بالضعف نتيجة لهذه الدراسة . وقد أورد هذه القصة مروية عن قتادة بسند صحيح ، وعن عبد الرحمن بن زيد . فأما قتادة فهو من تابعي التابعين ، وقد كان تلميذا لمجاهد ، ومجاهد تلميذ لابن عباس رضي الله عنهما ، ومع ذلك لم يرفع هذا الأثر الى أحدهما ، مع أنه خطير في مدلوله لاتصاله بشخص الرسول ، ويدل هذا على أنه مجرد رأي له في تفسير الآية ، وهو رأي يجب أن يرفض ولا يقبل ، لعدم اتفاقه مع ما هو مقرر من عصمة الرسول .

وأما عبد الرحمن بن زيد ، فقد اتفق نقاد الحديث على تجريحه وعدم قبول ما يرويه . وحسبنا أن نذكر رأي الامام مالك فيه هنا ، ليعلم مقدار ضعفه ، فقد روى عن الشافعي أن رجلا ذكر لمالك حديثا منقطعا ، فقال له مالك :

---

(١) تجد ترجمته في وفيات الأعيان ٨١/٢ ، وارشاد الأريب ١٤٧/٧ ، ولسان الميزان ٤/٦ ، والجواهر المضية ١٦٠/٢ ، وغيرها .

اذهب الى عبد الرحمن بن زيد ، يحدثك عن أبيه ، عن نوح عليه السلام (١) ! ..

فما رواه الطبرى من آثار هنا ، هو اذن اما موضوع لا أساس له من الصحة، واما رأى لتابعي متأخر يحتمل فيه الخطأ ، وهو خطأ لا يحتمل الصواب ، لمنافاته لصريح القرآن ، ولعصمة الرسول ! ..

٢٦ : ـ بقى الرأى الذى رجحه الطبرى فى تفسيره ، وذكره بقوله : (وذلك أن زينب بنت جحش ـ فيما ذكر ـ رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبته وهى فى حبال مولاه ، فألقى فى نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ماوقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك) ، وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه ، لينكحها . (واتق الله) ، وخف الله فى الواجب عليك فى زوجتك . (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) يقول : وتخفى فى نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها ، والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يقول تعالي ذكره : وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس (٢) .

ونلاحظ أنه قد تحفظ وهو يبني تفسير الآية على الآثار ، فقال : وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها الخ ، لكنا نأخذ عليه أنه نسب الى الرسول نصحه لزيد بغير ما يحب هو ، وأن الرسول قد أحب زينب وهي فى حبال مولاه ، وأن ما عتبت الآية على الرسول اخفاءه كان هو محبة أن يفارقها زيد ليتزوجها هو ، وأن ما خشى الناس فيه كان هو قولهم انه أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها بعد الطلاق ! نأخذ عليه هذا كله لأنه اضطراب منه فى تفسير الآية : ثم لأنه لايتفق مع ما عرف يقينا من أخلاق الرسول ، ولا مع ما تقرره الآية من أن الله قد زوجه اياها **لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ! ..**

ومرة ثانية ، رضى الله عن ابن كثير الذى رفض أن يقبل تلك الآثار ، وفسر الآية على نحو سليم لايناقض المقرر من مبادىء الاسلام ، وليس فيه تجن على أخلاق الرسول ، ولا على ما يجب له من العصمة ! ..

٢٧ : ـ وبعد ، فقد كانت زينب رضى الله عنها متعلقا لحكمين شرعيين كلاهما جديد على المجتمع العربى . أولهما هو تحطيم تلك الفوارق الوهمية التي كانت تمنع بعض الأسر من مصاهرة بعضها الآخر ، اذ كان زواجها من زيد وهو مولى أعتقه ثم تبناه الرسول ، مع أنها كانت من أشرف بيوتات قريش وأعرقها ـ ايذانا بأن المسلمين سواسية، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم له .

والحكم الثاني هو ابطال آثار التبني، فقد كان العرب ـ قبل أن يبطل الاسلام التبني ـ ينظرون الى المتبني على أنه ابن ، فلا يرون بأسا فى أن يخلو بزوجة من تبناه ، وبناته ، ثم هم يحرمون عليه وعلى أنفسهم ما يحرم بسبب البنوة النسبية الحقيقية ، ثم يرثونه اذا مات قبلهم ، ويرثهم اذا ماتوا قبله . فلما حكم الله ببطلان التبني ـ بطلت كل هذه الأحكام ، وأصبح المتبنى غريبا على أسرة

---

(١) ترجمه ابن سعد فى الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤١٣ ، وابن حجر العسقلاني فى تهذيب التهذيب : جـ ٦ ص ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢٢ ص ١٠ من الطبعة الأولى ببولاق .

متبنيه . فلا تجوز الخلوة ، ولا تحرم المصاهرة ، ولا يثبت الميراث . وأراد الله أن يعزز هذا بتشريع عملي فاختار رسوله محلا لهذا التشريع ، وكان زيد متبناه فيما سبق قد طلق زوجه زينب بنت جحش ، فأمر الله رسوله أن يتزوج منها . ولما ثارت ضجة بسبب هذا الزواج ، وقالوا : كيف يتزوج مطلقة ابنه — نزل قوله تعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ولما تحرج الرسول وخشى الناس قبل الزواج — نزل قوله تعالى : « ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا » ! ..

وهكذا اختار الله زينب رضى الله عنها ، ليشرع فى زيجتها حكمين جديدين فى الاسلام ! ..

٢٨ : — لاحب هنالك اذن ، ولا اعجاب ! انما هو التشريع الالهي لابطال آثار التبني بطريقة عملية ، ينفذها قبل الناس جميعا المسلم الأول . وينفذها فى آل بيته لافى غيرهم ، فان زيدا كان أقرب الناس اليه ، منذ آثر البقاء معه على العودة مع أبيه وعمه . وزينب هي ابنة عمته أميمة ، جدها لأمها هو جده لأبيه : عبد المطلب . ولو كان فى زواجه صلى الله عليه وسلم بها أدنى حرج لما أقدم عليه ، لكن الله أمره به ، ونفى عنه الحرج فيه . وكان هذا هو منطق الفطرة المستقيمة مادام زيد هو ابن حارثة ، وليس ابن محمد ! ..

وقد تتساءل يا أخي : وما لنا نحن وهذه القصة ؟ .. وما الذى نفيده من الحديث عن التبني الآن ؟ .

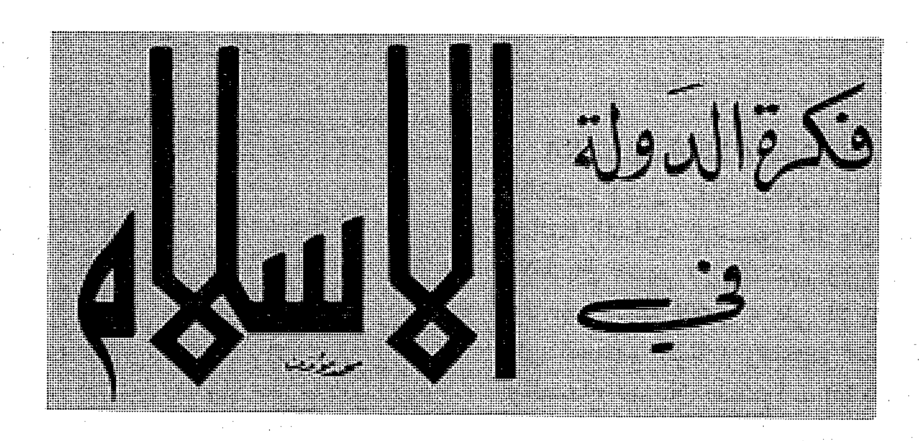
ولا أبادر باجابة عن هذا التساؤل ، فانى أرجو أن تجد أنت الجواب عنه ، فى واقعنا الذى نتبنى فيه ، ونمنح المتبني من الحقوق ما ليس له ! .

اننا نتبنى أطفالا ، نستوردهم من الملاجىء ودور رعاية الطفل ، اذا كانت حالتنا المالية تسمح لنا بأن نتولى الانفاق عليهم ، وتنشئتهم وتربيتهم . ولا بأس بهذا القدر ، على ألا نتجاوزه الى نسبتهم الينا ، ومنحهم أسماءنا ، والسماح لهم بأن يعيشوا — اذا شبوا — مع زوجاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وقد تفرض عليهم ظروف المعيشة معنا ان يخلوا بهن ، مع أنهم غرباء عن الأسرة ، وأجانب ، فلا يحل لهم أن يروا من نسائها أحدا الا للضرورة ، وبشرط أن تكون ملابسهن سابغة لاتكشف من مفاتنهن شيئا ! .. وعلى ألا نحرّم عليهم الزواج ببناتنا ، وأخواتنا ، ومطلقاتنا ، ولا نحرّم على أنفسنا الزواج بمطلقاتهم وبناتهم ! ..

كذلك لا يحل لهم أن يدخلوا بيوت متبنيهم الا أن يؤذن لهم ، ماداموا قد بلغوا الحلم . وليس من حقهم أن يرثوا متبنيهم ، وليس من حق متبنيهم أن يرثوهم . ولعل فى الهبة ، والوصية ، والهدية مجالا فسيحا أمام المتبنين لبرهم والرحمة بهم ، ومكافأتهم على ما عسى أن يكونوا قد قدموا لهم من أعمال وخدمات ، فان الاسلام هو دين الرحمة والبر ، ودين المحبة والسلام .

تصحيح

صورة غلاف العدد السابق لمرقد الامام — الحسين رضى الله عنه وليست لمسجد الامام علي كما نشر ، فلزم التنويه .



الفكرة الغربية عن الدولة هي أنها أرض وشعب وحكومة ، فمتى توافرت هذه العناصر المادية تم نشوء الدولة .

هذا هو التصوير الغربي للدولة ، فهل هناك تصوير اسلامي يقابله ، وهل قنع التصوير الاسلامي بهذا الهيكل المادى البحت الذى اقامه التصوير الغربي . وقبل ذلك هل اتخذ الاسلام باعتباره دينا سماويا موقفا ايجابيا فى أمر الدولة وبنيانها ونظامها ؟

الفكر السياسى الغربى يرى أن الاديان السماوية ليس لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم . فهذه من شئون الدنيا ، التي ينفرد البشر بتنظيمها ، على أساس ان ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، ومع الاستعانة أحيانا على حسن قبول هذا التنظيم باثارة بعض تعاليم الدين الخلقية .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان ، وهو البصير بما سوف يفضي اليه تطور الانسانية ، كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها ، فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية . فوضع الأصول التي يجب على كل مجتمع انساني أن يسير فى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، على ضوء تطورات كل زمان ، ما دام ذلك فى نطاق هذه الأصول العامة .

والاسلام مع ذلك يقر الهيكل المادى للدولة كما يصوره الفقه الغربي فى عناصره الثلاثة ــ أرض وشعب وحكومة ــ لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطار من روحانياته ، يتمثل فى هذه الأصول العامة التي فرضت تعاليم كلية ، خلقية واقتصادية وسياسية . ثم يتخذ فى أحد هذه العناصر المادية ــ عنصر القومية ــ اتجاها اوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

وسنبدأ (أولا) بهذه التعاليم الكلية التي ترسم هذا الاطار الروحي ، لأن هذا الاطار هو الذى يكيف بنيان الدولة الاسلامية فى جميع

أوضاعه التنظيمية وجزئياته المادية . ثم نعقب (ثانيا) بنظرة موجزة فى عناصر الهيكل المادى الذى يقتصر عليه التصوير الغربى .

تعاليم كلية يجب أن تتساند فى بنيان الدولة الاسلامية . خلقية واقتصادية وحكومية

للدكتور محمد عبد الله العربى

هذه الأصول العامة فى أمر الدولة تناولت تعاليم يعتبرها الشرع الاسلامي فى مرتبة الفرائض الالزامية .. تعاليم خلقية ، وتعاليم اقتصادية ، وتعاليم حكومية . ولا يمكن الكشف عن فكرة الدولة فى الاسلام الا بضم هذه الفصائل الثلاثة من تعاليمه جنبا الى جنب لأنها متعاونة متساندة ، وكل منها تتأثر وتؤثر فى نفاذ الأخرى . فبغير التعاليم الخلقية يختل النظام الاقتصادى ، ويتسرب الفساد الى النظام الحكومي ، وبغير التعاليم الاقتصادية ينهار كيان المجتمع ، وبغير التعاليم الحكومية يتعذر انفاذ ما تقضى به التعاليم الخلقية والتعاليم الاقتصادية .

وهذا التساند فى الفصائل الثلاثة هو ميزة النظام الاسلامي على جميع النظم الوضعية السابقة والمعاصرة .

التعاليم الخلقية

أما فى التعاليم الخلقية فدعامتها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، لا يعبد صنما ولا مخلوقا ولا هوى من الأهواء . والاسلام جعل الانسان خليفة الله فى الأرض ، فوضع كرامة الفرد على أمتن اساس ، وجعل قيامه على الفضائل نتيجة منطقية لهذه الخلافة . ثم لم يقتصر على هذا التوجيه الوجداني ، بل اتجه اتجاها عمليا لتحقيق هذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعّال على تدعيم هذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابة الالهية على نشاطه اليومي .

التعاليم الاقتصادية

وأما فى التعاليم الاقتصادية فقد جعل من كل مجتمع اسلامي بيئة تعاونية ، مفروضا عليها أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادى ، متعاونة متكافلة ، على أساس نظر الاسلام الى المال والعمل .

أما نظرته الى المال فهي أن المال كله ملك لله وحده ، الذى له ملكوت السموات والأرض وخالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وخالق الشيء هو مالكه . وأما الانسان فى اختصاصاته ببعض هذا المال فليس الا خليفة الله فيه . استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب عليه أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، ويحسن القيام بتكاليفها .

وهي اما تكاليف ايجابية تشمل (اولا) فريضة الزكاة التي حدد الاسلام نصابها ومصارفها وتشمل (ثانيا) فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهي أوسع نطاقا من فريضة الزكاة ، لأنها تمتد الى كل انفاق فى سبيل مصلحة المجتمع ، وتشمل (ثالثا) وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ، حتى يساهم بهذا الاستثمار فى تنمية الثروة القومية ، فاذا احجم عن هذا الاستثمار جاز للجماعة أن تسترد منه ما ملك . وأما التكاليف السلبية فأولها كف المالك عن استعمال ماله فى الحاق الاذى أو الضرر بمصلحة الغير فردا كان او جماعة، ويتفرع عن هذا التكليف تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة . وثانيها تحريم الربا ، وقد اعترف الاقتصاد الغربي الآن بمساوئه

فكرة الدولة فى الاسلام

الخطيرة ، وثالثها تحريم الاسراف والشح على السـواء .

وأما نظرته الى العمـل فالاسلام يقدسـه ، ويدعو الى الجد والاتقان فيه ، ويضفى على كـل عمل نافع صبغة تعبدية ، فى ظل رقابـة الهيـة توجه نشاط كل فرد الى نفع ذاته ونفع المجتمع على السـواء .

والاضطلاع بهذه التكاليف يؤدى ـ فى المجال الاقتصادى ـ الى نتائج تميز المجتمع الاسلامي عن سـائر المجتمعـات المعاصرة ، وتيسر مهمـة الدولة فى بلوغ اهدافها .

فالنتيجة الاولى هي اجازة ملكية المـال ـ أو بالتعبير الأصح ملكية منفعة المال ـ بغير قيد الا القيام بتكاليف هذه الملكية من ايجابية وسلبية . واذن يستقيم هذا الوضع مع غريزة الانسـان الفطرية فى تملك المال له ولعياله ولذريته مـن بعده ، لرفع مستواه ومستواهم المعيشي عـن طريق الكسب المشروع ، ولابتغاء ثواب الآخـرة بالانفاق فى سبيل الله . كما ان من مقتضى هذا الوضع ان تجد الأمة الاسلامية فى هذه التعاليم الاقتصادية اكبر حافز لها على تزكيـة الانتاج وتنمية الثروة القومية .

والنتيجة الثانية هي ضمان حسن توزيع الثروة بين افراد المجتمع . لأن فضول مال الأغنياء قد فرض الاسلام لها مصارف سنوية بالزكاة والانفاق فى سبيل الله ، مما يحـول دون تكدس الثروة عند فئة قليلة تفسد أجهزة الحكم وتمحق حريات الشعب . كما ان نظام الارث يؤدى الى توزع مـا تجمع من الثروة بعد أداء كل هذه الفرائض .

والنتيجة الثالثة هي قيام التكافل بين افراد المجتمع الاسلامي . وهذا التكافل التعاوني بـين جميع الطبقات من شانه ان يفضي الى تماسك القوة الشرائية ليتحقق التوازن المفقود فى الاقتصاد الغربي بين الانتاج والاستهلاك ، وما يعتريه من اجل ذلك من أزمات اقتصادية خانقة .

هذا عن تعاليم الاسلام الاقتصادية فى جوهرها واصولها العامـة .

التعاليم الحكومية . أصول عامة قابلة للتفصيل والبناء عليهـا

وأما فى التعاليم الحكومية فقد أمر الاسلام بأن تقوم فى كل مجتمع هيئـة تتولى زمام تنظيمـه السياسى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخـير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

فأول ما يفرضه هذا الارشاد الالهي على أى مجتمع اسلامي هو اقامة هيئة فيه تضطلع بأداء وظائف ثلاثـة :

الوظيفة الاولى هي الدعوة الى « الخير » . والدعوة الى الخير اذا قامت بها الهيئـة ذات السلطان فى المجتمع فليس معناها الاكتفاء بالدعوة، بل العمل الايجابى على تحقيق مقتضيات الخـير للمجتمع . واذن فالدولة الاسلامية لن تـكون الا دولة « خيّرة » ، دولة شعارها تحقيق فلاح المجتمع فى كل آفاقه . وهـو ما يحاول الفقـه السياسي الحديث فى الغرب أن يصل اليه . ولا ننسى النداء الذى يوجه الى المسلمين كافة حكاما ومحكومين فى كل صلاة : « حي على الفلاح » . الوظيفة الثانية لهذه الهيئةهي الأمر بالمعروف، « والمعروف » هو كل الأصول الكلية التي فرضها الاسلام لصالح المجتمع الاسلامي ، وكل ما ينبنى عليها ويتفرع منهـا .

الوظيفة الثالثـة هي النهى عن المنـكر ، « والمنكر » هو كل ما نهت عنه هذه الأصـول

الكلية ، وكل ما يقاس عليهـا فى الحاق الضرر بالمجتمع .

هذه هي الوظائف الثلاثة للهيئة التى تتولى زمام الحكم فى المجتمع الاسلامي : انفاذ الخـــير وتحقيق الفلاح فى المجتمع ، والأمر بالمعــروف ، والنهى عن المنكر .

واما كيفية تكوين هذه الهيئـة التي تتولى الأمر وزمام الحكم فقد اكتفى بأصل كلى واحد هو الشورى (وأمرهم شورى بينهم) فالمجتمع يجب ان يستشار فى تكوين هذه الهيئة ، وفى كل ما يتصل ببنيانها ونظامها ، ووظائفها واهدافها ، وفى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التى أتى بها الاسلام . وليس لهذه الهيئة « سـيادة » على المجتمع بالمعنى المعروف فى الفقه الغربى ، بـل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود . ولكن الشعب وقد استشير فى تـكوين الهيئــة التى تتولى زمـام « الامــر بالمعروف » و « والنهي عن المنكر » وظل بعــد ذلك هو المرجع فى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التي أتى بها الاسلام ، حتى صار لزاما على كـل فرد ان يغير « المنكر » بيده او يدعو الى تغييره فقد صار لهذه « الشورى » اثرها الالزامى فى كل ما يقام من نظم حكومية ، واصبح للمجتمع بمقتضى هذا التفويض حق النيابة عن صاحب السيادة ـ الله وحده ـ واصبح المسلم اذ يذعن للتشريع الذى تصدره الهيئة التي تولتزمامالامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يذعن لأمر المجتمع الـذى هو لبنة من لبناته ، ويذعن بطريق غير مباشر لأمر الله . وفى ذلك ضمان وجدانى يعزز ضمان القوة الحكومية فى نفاذ التشريع الاسلامي فى اقل مشقة وأقل اكراه حكومي .

فالسيادة فى الاسلام لله وحده ، لا لملـك او لرئيس من البشر ، على عكس ما زعمـــه بعض الغربيين من تيوقراطية الدولة الاسلامية . وليس ادل على ذلك من ان النبي نفسه وهو الذى يتلقى الوحى ولا ينطق عن الهوى ـ أمره الله بالاستشارة فى شئون الدنيا التي يحرص الاسلام كل الحرص على اسعاد البشر فيها ، لأنها مزرعة الآخـرة ، انفاذ الفلسفة الشاملة فى التوفيق بين المـادية والروحية فى الانسان . فقال تعالى « وشاورهم فى الأمر » .

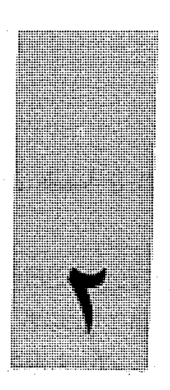
أما كيف يكون تنظيم هذه الهيئة التي تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتولى انفاذ هذا الأمر والنهى ، وهل تنقسم الى شعبة تتولى وضع الأمر والنهى ، وشعبة تضطلع بتنفيذ هذا الأمر والنهى ، وشعبة تتوفر على البت فيما ينشأ عن هذا الأمر والنهى من نزاع وخصومات ، وكيف يكون اختيار ، أو اصطفاء كل شعبة مــن هذه الشعب الثلاثة ، وكيف يكون التنظيم الداخلى لكل شعبة ، فكل هذا قد عهد به الاســلام الى جهود العقل الانسانى ، يمضى فيها باجتهاده ، ليصطفى اكثر الاوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، علىضوء المبادىء العامة التي يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الـكريـم .

ذلك لأن الاسلام امتاز بعنايته البالغة بتنمية العقل الانساني وتدريبه . حتى العقائد كعقيدة وحدانية الله وعقيدة البعث ويوم الحســـاب ـ وهيأمور لاتلمسها الحواس ولا تدركها الأبصار ـ لم يفرضها الاسلام على الانسان فرضا جامدا ، عن طريق المعجزات القاهرة التي ان أقنعت الجيل المعاصر لها لم تلبث أن يتلاشى تأثيرها فى الأجيال التالية ، بل سعى الى التدليل عليها عن طريق مخاطبة العقل الانساني ، ونجح فى اثباتها عـن طريق الاستدلال العقلى ، فحفل القرآن بمئات الآيات التي كفلت للعقل الانساني اثبات هـذه الحقائق غير المنظورة ، ومحت ريبة كل مرتاب .

وفى سبيل تنمية العقل الانساني سلك الاسلام سبيل حث المسلم على طلب العلم ، واعتبـره

البقية على ص : ٢٩





والمجتمع المثالي (٢)

لفضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد
عميد كلية الدراسات العربية جامعة الازهر

ونأخذ اليوم بيان الصفات التي أراد الله ورسوله للمؤمن أن يتصف بها في نفسه ، ونود ـ قبل أن نفيض في بيانها ـ أن نلفت الذهن الى بعض ما قدمنا الاشارة اليه ، وهو أن المقصد الاسمى من التكاليف الشرعية هو وصل ما بين المؤمن وربه ، وتوثيق هذه الصلة حتى يصير مراقبا له في كل ما يأتي وما يذر ، وحتى يعلم أنه سبحانه هو وحده النافع الضار ، وأن يثق بأن الناس جميعا لو اتفقوا على أن ينفعوه بشيء لم يرده الله لم يستطيعوا السبيل الى ذلك ، وأن الناس كلهم لو أجمعوا على أن يضروه بشيء لم يرده الله ما استطاعوه ، ولذلك تجد التكاليف الشرعية كلها قد اشترط لصحتها أن تسبق بالنية وأن تتصل هذه النية بها ، ومن أجزاء هذه النية أنه يفعل هذا الفعل خالصا لوجه الله تعالى ، وهو يبدأ صلاته بقوله ((الله أكبر)) ويأخذ في نية صومه ((ايمانا واحتسابا لوجه الله تعالى)) ويبتدىء أعمال حجه بعد النية بقوله ((لبيك اللهم لبيك)) وهكذا كل عمل من أعمال البر ، فاذا لاحظ العبد ذلك ظل مراقبا لربه عالما أنه مطلع عليه ، فاذا استمر على هذه الحال طهر قلبه فصار نقيا صافيا خالصا من ادران المادية وما يجره التعلق بالمادية من الحقد والحسد والتباغض واضمار الشحناء والكيد والوقيعة، وطهرت نفسه فاصبحت قريبة من الكمالات الانسانية من نحو المودة وحب الخير للناس الى حد الايثار والتضحية في سبيلهم ، ومالم يؤد فعل التكاليف الشرعية الى ما ذكرنا من طهارة القلب وزكاة النفس فانها تكون قليلة الحظ من القبول فلينظر المؤمن الى نفسه فمالم يجد قلبه مشرقا ، ومالم يحس بأن حظوظ الشيطان قد فارقته ، ومالم يجد نفسه أنه لايضمر غير ما يظهر ، ومالم يجد أنه لايأتي من أعمال البر شيئا الا رغبة في عمل البر ومرضاة لربه وطلبا لنفع الناس في غير امتنان على أحد منهم ولاحب في مثوبتهم ، مالم يجد

ذلك كله من نفسه فليعلم انه لا يؤدى ما يؤديه من التكاليف على الوجه الذى اراده الله ، وان اداءه هذه التكاليف قليل الجدوى وقليل القبول ، وهذا سر من اسرار قوله صلى الله عليه وسلم « رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » او كما قال .

ثم نقول : فى القرآن الكريم آيات كثيرة تعرضت لصفات المؤمن التى يجب عليه ان يتصف بها نفسه ؛ ولحن لو تتبعنا هذه الآيات كلها وبينا ما فى كل آية منها طال بنا القول طولا نخشى ان يمله القارىء فلنجتزىء من ذلك بموضعين من القرآن الكريم ذكر الله تعالى فيهما جماع ما ينبغى للمؤمن ان يتصف به .

الموضع الاول

الآيات الكريمة التى فى آخر سورة الفرقان ، وذلك قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لايدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لايشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ، اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما » .

الموضع الثانى

قوله تعالى فى مفتتح سورة المؤمنون : « قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

تضمنت هذه الآيات الكريمة ثمانى عشرة خصلة من خصال المؤمنين ، من ذلك فى آيات سورة الفرقان اثنتا عشرة خصلة ، وست الخصال الباقية فى آيات سورة « المؤمنون » ، ولكن مجموع المذكور فيهما من الخصال عند التحقيق خمس عشرة خصلة ، وذلك لان خصلتين منها قد تكررتا فى الموضعين وخصلة اخرى ذكرت فى آيات سورة « المؤمنون » مرتين ذكرت فى كل مرة منهما بناحية من نواحيها والموضوع العام فى الموضعين واحد .

ومما يحسن التنبيه له ان فى القرآن الكريم مواضع كثيرة نص فى بعضها على خلال من هذه الخلال ، ونص فى بعضها على خلال اخرى غير هذه الخلال ، ولكنا نعتبر هذه الخلال الخمس عشرة نموذجا عاليا لما يجمل بالمؤمن ان يتخلق به ولما لو تخلق به انسان لجره الى جميع خلال البر والتقوى ، والخير يدفع الى الخير ، فاذا — نحن اكتفينا ببيان هذه الخصال وبيان ما تجلبه لمن يتصف بها من كمال نفسى واشراق روحى واستمساك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها كنا كمن اخذ من الامر بلبابه وكمن وضع يده على مفاتيح الخيرات كلها فهو يطرقها من اى الابواب اراد .

التواضع ، وقد كنى الله تعالى عن هذه الصفة بقوله سبحانه في آيات سورة الفرقان (الذين يمشون على الارض هونا) ، كما كنى عن ضدها ــ وهو التعالى على الناس والاستكبار والجبرية ــ بقوله جلت كلمته في سورة لقمان (ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور) ، وكنى عن ذلك مرة أخرى في سورة الاسراء بقوله (ولا تمش في الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ، ولن تبلغ الجبال طولا) .

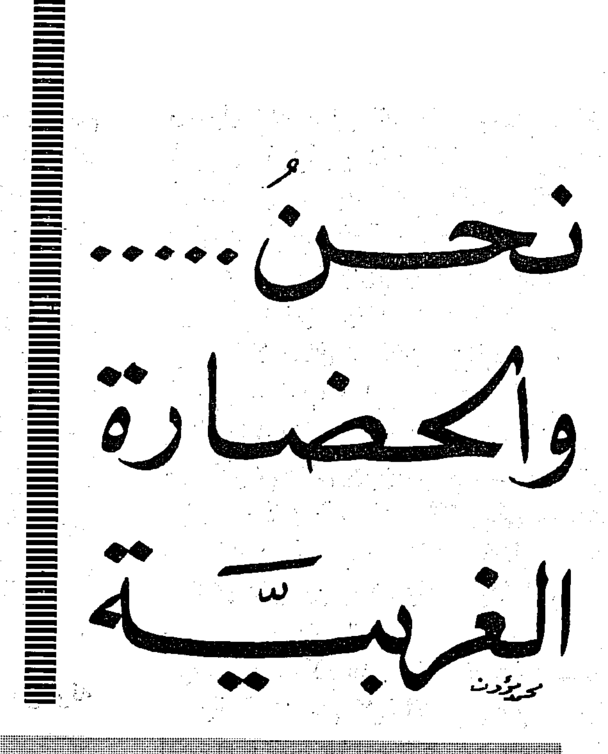
والتواضع أسمى معايير الكمال النفسى ، وهو من صفات الانبياء والمرسلين ، وهى صفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بما عنده من علم لانه يعلم أن كل ما أوتيه من علم فهو قليل بالنظر الى مالا يزال مطويا عنه ، وعسى أن يكون عند غيره ممن هو أقل منه مالا علم له به ، فاذا تيقن ذلك كله اندفع يطلب علم مالم يعلم ، ولم ير غيره ممن لم يذع له صيت فى العلم أقل من أن يأخذ عنه .

وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك فى قصة موسى والعبد الصالح حيث دفعه الى أن يقول للعبد الصالح « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا » واحتمل فى سبيل هذا ــ وهو نبى يكلمه الله ــ أن يقول له العبد الصالح (انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) ، كما أن هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الايعتد بما عنده من مال وفير وجاه خطير ، لانه يعلم أن الله لو شاء لجعل ما فى يده فى يد غيره ممن هم فى حاجة اليه وجعله هو صاحب الحاجة الى هؤلاء ، كما أنه يعلم أن المال غاد ورائح ، ورب حادثة لايلقى لها بالا اجتاحت هذا المال كله في طرفة عين ، فاذا علم ــ مع ذلك ــ أن الذكر بالخير باق على الدنيا ما بقى فيها ناس ، وأن ثواب الانفاق فى الخير أعظم ربحا وأكثر فائدة من اكتناز الاموال ، واستيقنت نفسه ذلك اندفع ينفق فى سبيل الله تعالى فنال خير المثوبة ، وقد ضرب الله لنا مثل من اغتر بماله وزعم أن حذقه وخبرته بضروب تثمير المال سبب ما عنده فلم يرع فيه حق الضعفاء والمعوزين ، ثم كانت عاقبته ما ختم الله به قصته فى سورة القصص ، وذلك قوله سبحانه (فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين) وبالجملة فان هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الا يعتد بشىء عنده مما يتميز به بعض الناس من جاه او مال او رفعة نسب او صحة أو قوة جسم او بسطة علم او نحو ذلك ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى في هذه الصفة ، فقد كان يكون فى مهنة أهله ، وقد كان يحمل حاجته بنفسه ويقول : صاحب الحاجة أحق بحملها ، وقد كان يأكل على الارض ، وقد كان يقول : انما أنا عبد آكل كما يأكل البعيد ، ويقول : ابن امرأة كانت تأكل القديد ، كل ذلك وهو رسول الله وصفوته من خلقه أجمعين وهو من اشرف العرب نسبا وأرفعهم بيتا ، وقد كان يجالس المستضعفين والموالى ، حتى ان صناديد قريش رغبوا له ان ينحى عن مجلسه هؤلاء الموالى ووعدوه أن نحاهم ان يدخلوا فى دينه ــ وكان ذلك أحب شيء أليه ــ فكان أن أنزل الله تعالى عليه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الآية ٢٨ من سورة الكهف ، ونظير هذه الاية قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم

فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله أعلم بالشاكرين) — الايتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الانعام . وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع فى غير حديث ، وحذر من الكبر والتعالى والجبروت والزهو والخيلاء فى غير حديث ، فمما ورد عنه من الحث على التواضع وبيان ما أعد الله للمتواضعين فى الدنيا والاخرة ما رواه مسلم فى صحيحه (٢٨٥/٢ ط بولاق ، كتاب البر) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه) ومنه ما رواه البخارى فى صحيحه (٨٤/٧ ط بولاق — ٤٠٨/١٠ بهامش فتح البارى ط بولاق) ورواه مسلم فى صحيحه (٣٥٤/٢ ط بولاق) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ .. كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، الا أخبركم بأهل النار ؟ .. كل عتل جواظ مستكبر) ، العتل بضم العين والتاء وتشديد اللام — الاكول المنوع . والجواظ — بفتح الجيم وتشديد الواو — فسروه بالجموع المنوع، وفسروه بالقصير البطين ، وفسروه بالكثير اللحم المختال فى مشيته ، وفسروه بالغليظ الفظ ، والمستكبر — ومثله المتكبر — الذى يتشبع بما ليس عنده او الذى يستعلى على الناس يرى ان ما عنده خير مما عندهم وهو الذى يقول الله تعالى فى شأنه (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) من الاية ٣٥ من سورة غافر ، ومنه ما رواه مسلم فى صحيحه (٣٥٣/٢ ط بولاق — كتاب الجنة) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون ، والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء المسلمين ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : انك الجنة رحمتى ارحم بك من أشاء ، وانك النار عذابى اعذب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فان الجبار ما يزال يعنف بالناس ، ويشتط فى معاملتهم ، ويأخذهم بالقسر والاعنات حتى يسلبهم حقوقهم ، ويدفعهم عنها ، وقد يسلبهم اموالهم وارواحهم بغير حق فيتفاقم الشر ، وتغدو الحياة الى جواره جحيما لا يطاق ، فكان جزاؤه ان جعله الله فى العذاب الأليم ، وان المتكبر ما يزال يتيه بنفسه ، ويزهى على الناس ، ويحتقرهم حتى يهون امرهم عليه ، وحتى يرى انه لا يدانيه احد فلا يبالى — بعد ان تتأصل فى طباعه هذه الخلال — ان يعتدى على من يعاشرونه ، وما ابدع ما وصف الله به المتكبرين فى الاية التى تلوناها او الكلام على هذه الصفة من سورة لقمان وفى الاية الاخرى من سورة الاسراء ، ثم ما اروع هذه السخرية بالمتكبر التى ختمت بها اية سورة الاسراء (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) .**

نعم انه — مهما يشمخ بأنفه ، ومهما يتعال برأسه ، ومهما يتطاول ببدنه لن يبلغ الجبال طولا ، وانه مهما يدب بقدميه ، ومهما يثقل ببدنه لن يخرق الارض ، فليكفكف من غلوائه ، وليترك تيهه وتعاليه ، وليكن مع الناس يفيدهم ويفيدونه ، ويتعاون معهم ويتعاونون معه ، فالانسان قليل بنفسه مهما يعظم قدره كثير باخوانه ، وقد تقتل الفيل نملة ، وقد تموت الافاعى من سموم العقارب .

نسأل الله تعالى ان يبصرنا بقدر انفسنا ، وان يباعد بيننا وبين الباو والصلف والكبرياء انه اكبر مسؤول ، والى عدد مقبل نأخذ فيه فى بعض ما بدأناه ، ان شاء الله .



نحن.... والحضارة الغربية

للاستاذ
علي الطنطاوي

زرت (الرياض) من سنتين ، بعد غيبة عنها امتدت ثلاثين سنة ، فتفضل جماعة من طلبة العلم فاستقبلوني في المطار ، وصحبوني الى البلد ، وسلكت بنا السيارة شارع الوزارات ، نمر بتلك المغاني (الفيلات) الجميلات ، وتلك الأبنية الكبيرات المشرفات ، وأنا انظر اليها نظر المندهش الذي يفاجأ بما لم يكن يتوقع فقد كان عهدي بتلك البقاع أنها صحراء جرداء ما فيها نبت ولا ماء ، وليس فيها من بناء ، وأراها الآن شارعا ضخما في وسطه حديقة ممتدة ، فيها الورد والزهر ، وفيها انواع الشجر ، والماء يجري فيها متدفقا من الانابيب ، والعمارات على جانبيها والسيارات تجري على طرقها ...

... وكان أصحابي كلما رأوني أزداد دهشة ازدادوا اندفاعا في الوصف ومبالغة في البيان .

ثم قال لي واحد منهم وقد اخذته نشوة كل دليل يطلع الغريب على جمال بلده :

ـ أهذه أول مرة ترى فيها الرياض ؟

ـ قلت : اني أعرفها من قبل أن تولد ، ولكن ليست هذه هي (الرياض) التي أعرفها ، وكانت السيارة قد بلغت بنا (الديرة) وصرنا في جوار المسجد الكبير ، فتهلل وجهي وأحسست مثل ما يحسه الغريب الضال ، اذا أبصر في زحمة الناس وجه حبيب يعرفه ويألفه ، وصحت :

ـ هذه هي (الرياض) التي أعرفها ، هذه الأسواق الضيقة وهذه المنازل المبنية من اللبن والطين ، ان لي هنا ذكريات ، والذكريات هي الحياة ، أما تلك الشوارع التي مررنا بها بعد المطار ، فليس لي فيها ذكرى ، فهي على جمالها غريبة

عنى ، وهذه على ... على ما هى عليه أحسن كأنى منها أو كأنها منى .

وأعجب هذا الكلام أحد الجماعة وأثار كمائن نفسه فقال :

— اى والله ، هذه هى بلدنا وهذه حياتنا ، فيا ليت هذه المدنية الغربية لم تصل الينا ولم نرها ، ان هذه البيوت المبنية من الطين التى لا تنيرها الكهرباء ، ولا تصل اليها السيارات ، وليس فيها البرادات ولا الغسالات ، خير من تلك العمارات وما فيها ، لقد افسدت هذه المدنية اخلاقنا ، واضاعت علينا ديننا وما جاءنا منها الا الشر ، وانبرى له آخر ، فقال له :

— أتريد منا أن نعود الى عهد البداوة ، فى عصر الذرة والصاروخ ، وأن ندع ثمرات الحضارة ، ونعيش محرومين منها ، على حين يستمتع الناس من حولنا بها ؟

انها مدنية العصر ، ليست لأمة دون أمة ، ولا لبلد دون بلد .

وكثر المتكلمون وتداخلت الاصوات ، ولكن الاقوال كلها كانت تتردد بين رأيين :

هل علينا أن نأخذ بهذه المدنية بكل ما فيها ، ونقبلها بخيرها وشرها ، لأنه لا بد منها ، ولا انفكاك عنها ، أم أن علينا أن نتركها ونبتعد عنها ، لانها لا توافق أحكام ديننا ، ولا تمشى مع خلائقنا ، ولان الاسلام ينكر الاقبال عليها والأخذ بها .

وانا رجل من المخضرمين ، عرفت هذه البلاد قبل ان تتصل بها الحضارة الغربية ، وعرفتها بعدها .

لقد زرت (جدة) أيام كانت جدة محاطة بسور له أبواب تغلق كل عشية ، وتفتح فى النهار ، ولا يدخل اليها ولا يخرج منها الا من هذه الابواب ، وعرفتها وقد أوشكت ان تصير مثل الاسكندرية أو بيروت .

وعرفت دمشق وما فيها سيارة واحدة وما فيها الا عشرون دارا فيها الكهرباء وليس فيها الا شارع واحد شقه جمال باشا سنة ١٩١٦ ، اما الراءه (الراديو) والرائى (التلفزيون) وأمثالهما ، فلم يكن قد اخترع من ذلك شيء .

وعرفت الرياض سنة ١٩٣٥ ، والرياض التى ترونها الآن .. وانى لافكر وأوازن بين الحالين واسأل نفسى : هل ربحنا أم خسرنا ؟ .

أى الفريقين أهدى وأصوب رأيا : من يريد منا أن نأخذ بهذه الحضارة أخذا كاملا ، أمن يريد أن نتركها وننصرف عنها ؟

الحق . الحق بين الفريقين فلا هؤلاء على حق ولا هؤلاء ، لقد ربحنا باقتباسنا من هذه الحضارة وخسرنا ، وكل شىء فى الدنيا فيه ربح وفيه خسارة .

ان هذه الحضارة ليست شرا محضا ، وليست كذلك خيرا محضا ، فالقول بأن نتركها كلها مردود ، والقول بأن نأخذها كلها مردود .

وهل نستطيع أن نتركها بعد ما انغمسنا فيها ، وصارت هى عماد حياتنا ؟

ان من يطلب ذلك يطلب مالا يكون ، ولو نحن استطعنا تركها فهل من المصلحة أن نتركها ؟

أيريد هؤلاء أن نغلق المستشفيات ، ونطرد الاطباء وأن نلغى شركة الخطوط الجوية ونبيع طياراتها ، وان نذهب الى الحج من الرياض الى مكة على الابل فنمضى على الطريق عشرين يوما بدلا من أن نذهب فى ساعة وبعض الساعة فى طيارة البوينج وان نحل شركة الكهرباء ونرفع أسلاكها من الشوارع ، ونرجع الى الشمع وسرج الزيت ، وان نحارب اليهود بالسيف والرمح بدلا من المدفع والصاروخ ؟

ولماذا نفعل ذلك ؟

اما الاسلام فلا يوجب علينا أن نترك هذه الحضارة بكل ما فيها فلا تحتجوا بالاسلام .

الاسلام قد حرم محرمات وفرض

فرائـض ، وترك أمورا عـلى الاباحـة الأصلية ، فما حرمه الاسلام نتركه ، ولو أجمع اهل الارض على قبوله والعمل به ، وما أوجبه نأتيه ، ولو اتفق سكان المعمورة على استنكاره والاعراض عنه ، وما كان من المباحات ممالم يدع الاسلام الى الاخذ به ولا الى تركه ، ننظر فان كان فيه نفع لنا اخذناه لأن الحكمة ضالة المؤمن ، ولان المصلحة العامة هنا مقصد من مقاصد الشارع وفى مثل هذا لا فيما ورد فيـه النص (١) يقول ابن القـيم (٢) : ان الحكم الشـرعى يدور مـع المصلحة فحيثما تحققت فثم شرع الله ، ولان علينا ان نعمل لدنيانا كمـا نعمل لآخرتنا (ولا تنس نصيبك من الدنيا) (قل من حـرم زينة الله التى اخـرج لعباده والطيبات من الرزق) .

ثم اننا لسنا غرباء عن هذه الحضارة ، ولا واغلين عليها بل نحن شركاء فيها نحن من أصحابها .

ان الحضارات نوعان كمـا قسمهـا (شبنكلر) فى كتابه المشهور : حضارات محلية كحضارات الهند والصين وحضارة عالمية ، والحضارة العالمية بناء من ثلاثة ادوار اشترك فيه ثلاثة بانين .

أما الدور الاول فقد بنـاه المصريون والفينقيون واليونان ، ومن شاركهم فيه وأعانهم عليـه .

والثانى بناه المسلمون

والثالث بناه الغربيون

وكل دور منها يقوم على ما تحتـه فلولاه ما قام .... فنحن شركاء فى هذه العمارة لنا فيها (دور) من ثلاثة ولسنا مستأجرين ولا مستجدين ولا معتدين ، نحن من أصحاب الدار .

ولكن ليس معنى هذا أن نقبلها بكل ما فيها .. ان فيها شرورا كثيرة ومفاسد مردها جميعا الى أصلين :

أحدهما ما تحمله من افكار ومبادىء فيها ما يزيغ المؤمن عن شرعة الحق وما يضله عن سبيل الهدى .

والثانى وهو أشد وأنكى ما يغلب على هذه الحضارة من تهاون بمسائل الجنس واطلاق للشهوات ... وهو أشد ، لان الاول وان كان فيه الكفر أحيانا ، لا يجد عند كل شاب استعدادا لقبوله ، أمـا الثانى فانه يجد القبول فى كل نفس لان الله ركب فى نفس كل شاب الميل الى المرأة ، فمن عمد الى اثـارة الشهوات وأيقظ الغريزة ، استهوى بذلك الشباب جميعـا ، الا من عصم اللـه بعصمته ، وقليل ما هم بل اقل من القليل .

فاذا اردنا أن نصحح موقفنا من هذه الحضارة ، فلنصنع مثل الذى صـنع أجدادنا لما اتصلوا بالفرس وغيرهم من الشعوب ذوات الحضارات الاولى .

انهم أخذوا من حضاراتهم وعيونهم مفتحـة ، وعقولهم حاضرة ، وميـزان الشرع فى ايديهم ، لم يأخذوها عمى ولا تقليدا ، ولم يقلدوا أهلها تقليد القردة بلا نظر ولا علم .

هذا هو الحق وهذا هو طريق الاعتدال لا أفراط ولا تفريط ، فما كان فيها من مخترعات نافعة وما كان من تقدم علمى ، وما كان من رفاهية وراحة ليس فيهـا محرم نأخذه كله .

وما كان فيها من تهاون بالفضـائل والعفاف ، واطلاق الغرائز والشهوات ، وتسهيل للزنا ، وتصعيب للزواج وهذه القصص التى فيهـا الادب المكشوف ، والأفلام التى تعلم الناشئة فنون الغرام ، وطرق الاجرام نتركه كله ، كمـا نترك كل فلسفة وكل علم وكل مذهب اجتماعى ينافى أحكام ديننا .

ولا بد من تفصيل لهذا الاجمال يأتى ان شاء الله فيما سيجىء من المقال .

١ ــ كما ظن خطأ الاستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف فى كتابه « السياسة الشرعية »

٢ ــ هو ابن قيم الجوزيـة وكثير من الناس بخلطون بينه وبين ابن الجوزى مع ان ابن الجوزى بغدادى وهذا شـامى ، والجوزية مدرسـة بناهـا ابن الجوزى ...

بقية فكرة الدولة فى الاسلام

فريضة من أجل الفرائض التي يتقرب بها المسلم الى ربه ، ومد آفاق العلم الىكل شيء فىالوجود.

فتح الاسلام للانسان مغاليق الكونلينفذ اليها ، ويطلع على قدرة الخالق الذى سخّر له كل ما فى السموات والأرض ، فيزداد ايمانا بالله وقربا من الله . وذمّ المسلم الذى لا يعلم ، ومدحالمسلم الذى يعلم ، وميّز آدم على الملائكة بأنه يعلم ما لا نعلم .

معايير الفقه الاسلامي فىمواجهة التطور :

وكان من هذا التوجيه الاسلامي فى استخدام العقل ان استخلص فقهاء الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله الكريم معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية من خلقية واقتصادية وحكومية ، أى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامي فيما عدا الشئون التعبدية . هذه المعايير العامة تكفل اكبر قسط من المرونة فى التشريع ، وأوسع قدرة على مواجهة كل جديد فى احداث الحياة غير المحدودة وتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائمافىنطاق هذه التعاليم الكلية . من هذه المعايير العامة « القياس » وما يتفرع عنه ويقترن به من « استحسان » و « استصلاح » و « استصحاب » مما لا يتسع المقام للتفصيل فيه . وكلها تقوم على تحقيق مصلحة المجتمع ودفع المفاسد عنه ، وتكفل له كل الخير .

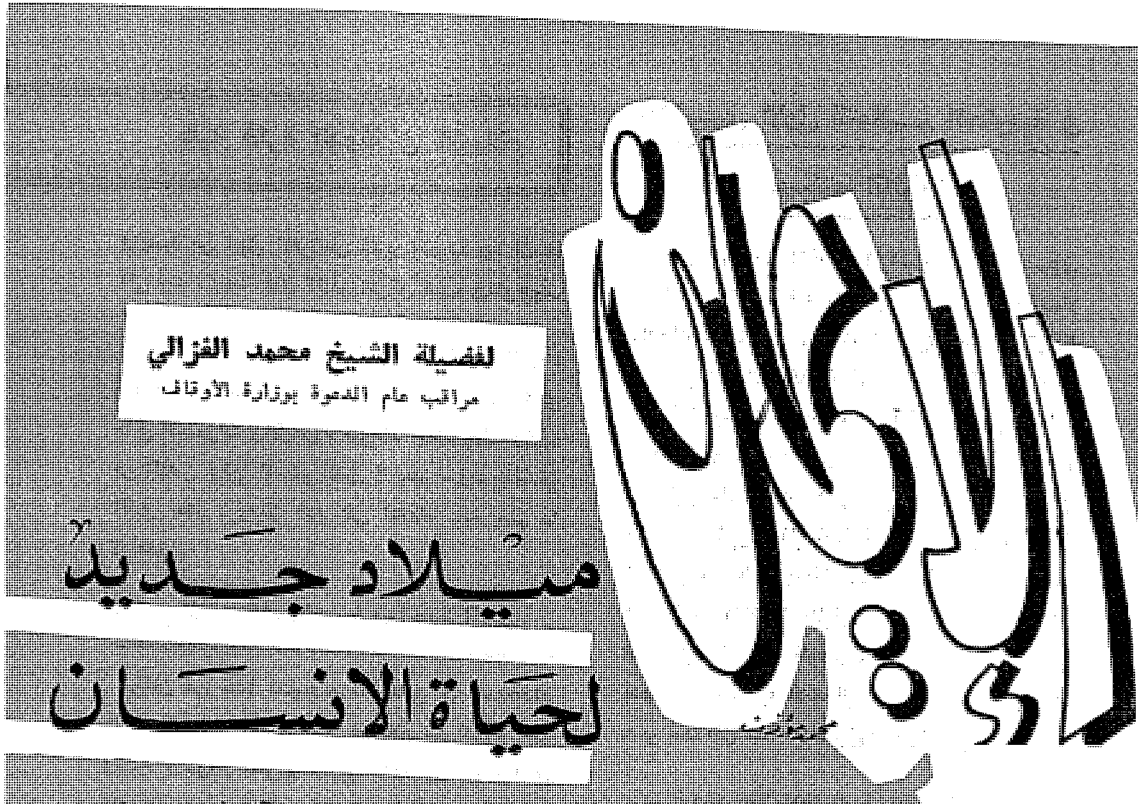
غير أن هذه المعايير العامة التي كان يجب الاهتداء بها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا ، لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ كان نصيبها من المسلمين الاغفال فى الغالب ، فحلّ الجمود محل التقدم المنشود ، واتجه اللوم الى الاسلام لا الى المسلمين .

التطبيق الأول للتعاليم الحكومية فى صبغتها الكلية :

على أن عصر الخلفاء الراشدين قد سجل التطبيق الأول لهذه التعاليم الكلية فى بناء الدولة الاسلامية . فقد تمسكوا تمسكا متينا بتعاليم الاسلام الكلية فى فصائلها الثلاثة . الخلقية والاقتصادية والحكومية . فلم يعزلوا احداها عن الأخرى ، ولم يترددوا فىأن يفرعوا من التعاليم الحكومية ما يلائم احتياجات عصرهم ومستوى البيئة البدائية التى كان يعيش فيها المجتمع الاسلامي يومئذ .. جعلوا اختيار رئيس الدولة او الخليفة بالمبايعة ، وهي ما يقابل الانتخاب العام فى العصر الحديث ، ولكن لم يفصّلوا اساليب الانتخاب لأن الحاجة لم تكن تدعو بعد الى هذا التفصيل فى مجتمعهم المحدود .

ثم قيدوا هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى وهي ما يقابل النظام البرلماني الحديث . ولكن لم يذهبوا وراء ذلك فى تفصيل لأوضاع الشورى واجراءاتها . ذلك لأن التعاليم الكلية فى فصائلها الثلاثة السالفة الذكر كانت تغنيهم عن هذا التفصيل ، اذ كانت تفى كل الوفاء بحاجات زمانهم ، فى ظل ما ساد مجتمعهم من صدق العبودية لله وحده ، ومن التزام المساواة بينافراد مجتمعهممهما اختلفت الوانهم وأجناسهم، وتباينت دياناتهم وأقدارهم ، ومن تعاون وتكافل بين الطبقات جعلها بمثابة طبقة واحدة ، ومن عدل مطلق لا قيد عليه ، ومن حرية فى القول والرأى والنقد ، نقد الحكام فى سبيل المصلحة العامة الى حد تبرير المقاومة الثائرة . هذا الى ما استقر فى نفوسهم ، وغرسته العبادات الاسلامية فى وجدانهم ودربتهم عليه تدريبا قويا ، من التمسك بتعاليم الاسلام الخلقية ورفعها فوق كل زخارف الحياة ومناعمها ، فكانت خير وقاية لبنيانهم الاجتماعي والحكومي مما انحدرت اليه المدنية الغربية المادية من انحلال خلقى أفسد انظمتها الاجتماعية والاقتصادية والحكومية .

البقية فى العدد القادم



الايمان شيء فوق ما يتصور كثير من الناس .

انه ليس رأيا في شخص من الاشخاص ، أو حكما في قضية من القضايا ، أو اعتناقا نظريا لفلسفة من الفلسفات ، أو اصطباغا نفسيا بلون من الوان الفن ...

انه تعامل جاد خطير بين طرفين احدهما الحي القيوم ، وعلاقة تشد المرء من أخفى أغواره وابرز أحواله الى من نشأه من عدم ، ورباه من ضياع ..

وكما يلتحق العاطل بوظيفة جديدة تستغرق أوقاته ، وتصون حاضره ومستقبله يلتحق الانسان بركب الايمان فيصبح ويمسي وهو مشغول بواجبات وضعه الجديد ، ووسائل قيامه به ونجاحه فيه .

الرسالات فجر الانسانية

وقد بين الكتاب العزيز أن الناس قبل دعوة الله اشتاتا فوضى ، وأن

انقيادهم للمرسلين مشرق فجر جديد في أنفسهم وأفكارهم وأخلاقهم ومسالكهم ...

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ... » .

ان الحياة الحقيقية ليست صورة اللحم والدم ، ولا اكتناز العضلات وقوة الحركات ...

كلا فتلك حياة يشترك فيها البشر والسباع والدواب والزواحف ، بل لعل حظوظ الانعام منها أوفر ..

الحياة الحقيقية هي هذه الصلة التي تنشأ مع الله بعد معرفته ...

هي هذا الانتظام الجديد مع أوامر الله ونواهيه بعد أن أعلن اللسان هذه البداية بقوله « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ... » .

أجل مع هذا الاقرار السمح ، لا يبطىء الزمن في الانتقال الى عالمه الجديد ،

حيث يسلم وجهه لله وحده ، ويتحرك فوق ظهر هذه الأرض وفق ما يطلب منه مولاه .

فهو محكوم فى امتداده وانكماشه وحبه وبغضه وسلمه وحربه بحدود الحلال والحرام والثواب والعقاب وطلب الزلفى من ربه ، والوجل من طرده ...

هذا الايمان ينشىء حياة جديدة كل الجدة ...

اننا نعد الزنجي التائه فى مجاهل افريقية انسانا متأخرا جدا بالنسبة الى زميله عالم الذرة فى أرقى البيئات .

ففكرة أحدهما عن الكون والحياة تغاير كل المغايرة فكرة الآخر ، ولا شك أن مسافة التخلف بين هذا وذاك بعيدة . ان هذا البعد يساوى كذلك مسافة التخلف بين امرىء يعرف الله وآخر يجهله ..

الغافل حيوان ضائع

ان ذلك المرء الغافل عن ربه ــ مهما ارتقى وضعه المادى ــ حيوان ضائع ...

ربما كان حيوانا ذكيا فى بعض الأمور ، بيد أن جهله بالله هوى به الى أسفل سافلين ، فهو ليس متأخرا فقط ، انه ميت ولو حلق فى أجواز الفضاء .

ان الجهل بالله ظلمة كالحة السواد شديدة الوحشة ، ولذلك يقول الله « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يفعلون » .

والفارق بين المؤمن والكافر يتضح من هذا الوصف الذى قررته الآية .

فللمؤمن نوره الذى يمشي به بين الناس ...

ترى ما هذا النور النابع من حياة الايمان ؟

انه نور الضمير المشع فى حناياه يعرف به الخير من الشر ، ويميز المعروف من المنكر ...

وهل يرجح الايمان ويستحق التكريم الا بهذه الميزة ؟

المقطوعون عن الله لا تلفتهم الا الحياة الدنيا ومآربهم منها ، وما يتورعون عن قتل ولا ختل ، ولا افك ولا غش .

أما الموصولون بالله فهم طلاب كمال وعدل ، وعفاف وتقوى .

وما تنتشر البركة فى الأرض والطمأنينة فى المجتمع الا فى ظلال هذا الايمان ، الذى يشق طريقه فى ضمان السماء .

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

الايمان بالله حياة

أجل ان الايمان حياة ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم عمل الايمان فى الأنفس بعمل المطر فى الأرض « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير .. الخ » .

وهل سمي الوحي روحا الا لأنه يحيي القلوب الميتة ، ويبصّر الضمائر الضريرة ؟

ان فيصل التفرقة بين الايمان الصحيح والايمان المزيف . أن الأول يولد به المرء ولادة جديدة ويحيا به حياة رشيدة ، أما الآخر فلا يصنع شيئا .

الاول يتحول قوة دافعة الى فعل الخير ونصرة الحق كما يتحول الوقود فى الآلة الى حركة دوارة ، أما الآخر فصفر .

الأول يعيد تشكيل الكيان الانساني على نحو يجعل المرء تابعا لله فى هذه الدنيا ، فهو باسمه يصول وباسمه ينطلق . أما الآخر ، فالانسان تابع هواه فحسب ..

مطاردة الايمان المزيف

واذا كانت الدول تكافح تزييف النقد

المتداول بين الناس ضبطا لقيم الأشياء ، وحربا على البطالين والسراق ، فما أحرانا بمطاردة الايمان المزيف حتى تبقى لليقين الصحيح قيمته وآثاره ومنافعه المادية والأدبية ...

ولو عقلنا لعرفنا أن الحفاظ على صحة الايمان أهم من الحفاظ على سلامة الذهب والفضة وما يمثلهما من أوراق .. ولنسرد من كتاب الله الكريم بعض الدلائل التي تشرح ما نقول .

فى الحياة التي ينشئها الايمان لامكان للشك وللريبة مهما أظلم الجو واربد الأفق ..

بل يجب على أهل الايمان أن يتماسكوا ويصبروا « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » .

ومواقف الايمان ليست محصورة ولا محددة فى مسلك واحد ، فما تملى به أعباء الحق يجب الانقياد اليه مهما تغايرت الظروف .

فبعض الناس قد يكلف بالانتقال هنا أو هناك والبعض الآخر قد يكلف بالثبات فى مكانه والبذل من ماله «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ويستحيل فى ظل حياة يقيمها الايمان أن يسير الخطأ دون نكير يلاحقه أو يبقى العوج دون نصيح يطارده وان طال المدى وفدحت التكاليف .

فشيمة المؤمنين — كي يتجنبوا الخسار — التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وقد يفزع بعض الناس من بطش الجبابرة فيستكينون ، أو تغريهم طراوة العيش فيستلينون ، بيد أن الايمان الصحيح ينشد رضا واحدا ويقلق من غضب واحد .

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ... » .

وهناك من يشغله توطيد مكانته الخاصة عن أى أمر آخر ، فهو يريد أن يستبي القلوب بكل ما أوتي من مواهب .

الرياء مهلكة الايمان

وفى عصرنا هذا شاعت عبادة الفرد للجماهير وعبادة الجماهير للفرد .

أما أن يبصر الانسان وجه الله فيما يعمل ويترك ، ويتحرى ذاته فيما ينفق ويمسك فلا مكان لذلك فى نفسه .

وهذا هو الرياء الذى يحيط الأعمال . ويكشف عن خراب القلوب من معنى الخير .

قال الجنيد : لو أن عبدا اتى بافتقار آدم ، وزهد عيسي ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيى ، واستقامة ادريس ، وود الخليل، وخلق الحبيب ، وكان فى قلبه ذرة لغير الله ، فليس لله فيه حاجة ...

والحق أن لصوق الرياء بقلب واستبداده به مهلكة للايمان وممحقة للمثوبة ..

ان الغيث ينزل بالأرض الخصبة ، فيكشف عن صلاحيتها للنماء والخير ، وينزل بالصخر فيكشف عن جفاف طبيعته وقسوتها واقفارها ..

وكذلك ضرب الله المثل للمرائي « فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ان الحياة التي ينشئها الايمان تتسم بالاخلاص العميق والتجرد التام لله رب العالمين ..

ولنتجاوز هذه النماذج المتناثرة فى وصف الحياة التي ينشئها الايمان لنقول ان الايمان عمل حاكم فى تحويل الغرائز والعواطف الانسانية من وجهة الى وجهة ..

الانسان العارى من أى صبغة دينية أو مذهبية يجوع ويشبع ، ويفرح ويحزن ، ويغضب ويحلم ويتكبر ويتواضع ، ويحنو ويقسو ، وييأس

ويرجو .. الى آخر ما يعترى الطبيعة البشرية البحتة من عوارض لا تخلو عنها أبـدا .

والايمان المعزول عن هذه العوارض لا يثيرها ، ولا يسكنها ايمان مغشوش ..

وقد تحدث علماء التربية قديما عن ضرورة خوف الانسان من الله ورجائه فيه وانابته اليه واعتماده عليه الى غير ذلك من أحوال نفسية فاضلة .

وهـذا حسن ، لكنه تصـوير جزئي للحقيقة المنشودة ، أو تصـوير جانبي للحيـاة التي ينصـب الايمان سرادقها الرحب .

والتصور فى ذلك جاء نتيجة أفهـام الناس ، وما أحسبه مرادا لهؤلاء العلماء الكبار .

اننا جميعا متفقون على أن الايمـان صبر وشكر ، وخوف ورجاء .

تمـام الايمـان

بيد أن البعض فهم أن هذه المشاعر يدخل بها الايمان على النفس مع بقاء هذه النفس على طبيعتها العامة تخاف الله حينا وتخاف غيره حينا ، وترجـو الله حينا وترجو غيره حينا وهكذا .

وليس ذلك هو المراد ولا هما تمام الايمان وخلوصه من الشوائب .

فالمؤمن فى تعامله مع الله وتوحيده له وادراكه لأسمائه الحسني وصـفاته المحيطة يبني سـلوكه فى الحيـاة على التفرغ الكامل لمولاه والارتباط المطلق به وحده والتجاهل لما عداه .

وليس التـوحيد أن تكفر بأصـنام الحجارة ، ثم نجعل من المال صنما أو الجاه صنما أو المرأة صنما أو الحاكم صنما ، ثم نتوجه ببعض مشـاعرنا أو كلها الى هذه الأصنام الجديدة .

فاذا أغلب النشاط الظاهر والباطن لها واذا أقله لله الصمد ! !

اننا بالملاحظة العابرة نحس أن كثيرا من الناس يبخسون الخـالق من أحر عواطفهم ، على حـين يتجهـون بهـذه العواطف المشبوبة الى غيره ، فأى ايمان هذا ؟ ؟

وهذا هو السر فى أن البعض يزعـم أنـه يرجـو الله مثلا ، فاذا فتشت فى سلوكه لم تجد لذلك الرجاء أثرا .

ما بال دينك ترضى أن تدنسـه
وان ثوبك مغسول مـن الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لاتجرى على اليبس

لقد انهارت حضـارات دينية كثيرة لان العنوان الذى عرفت به يغاير الحقيقة التي تحيا بها .

ويوم يفلت زمام النفس الانسـانية من قيادة الايمان الصاحي ، ويقع فى يد الهوى الطائش فهيهات أن يغني عنوان أو تجوز خدعة ..

ان المعصـية تـولد قوية غالبا لأن وراءها انفعالات عنيفة فهل يراد أن يولد الايمـان ضـعيفا لأنـه واهي الصـلة بالمشاعر الجياشة فى النفس الانسانية ؟

اذا لم يكـن الايمـان حيـاة عميقة الجذور فى أغوار الانسان فهـو ايمـان معلول يحتاج الـى الطبيب كي يصـح ويستقيم .

فالتوكل على الله مثلا يجب أن يكون فى نفس المؤمن ارسخ من الاعتماد على السلطة فى نفس الجائر المستعلي .

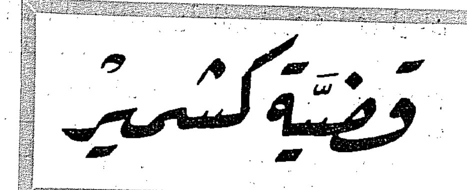
وايثار الآخرة يجب أن يكون أقوى فى نفس المؤمن مـن اشتهاء العجلـين للدنيا .

وعلى ضـوء هذا تفهم قوله تعالـى « ومن الناس من يتخذ مـن دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » .

أمـا أن ترى الملحد أيقظ عقلا مـن المؤمن ، وأرهف حسا ، وأعلى همة فهذا هو الايمان الكذوب .

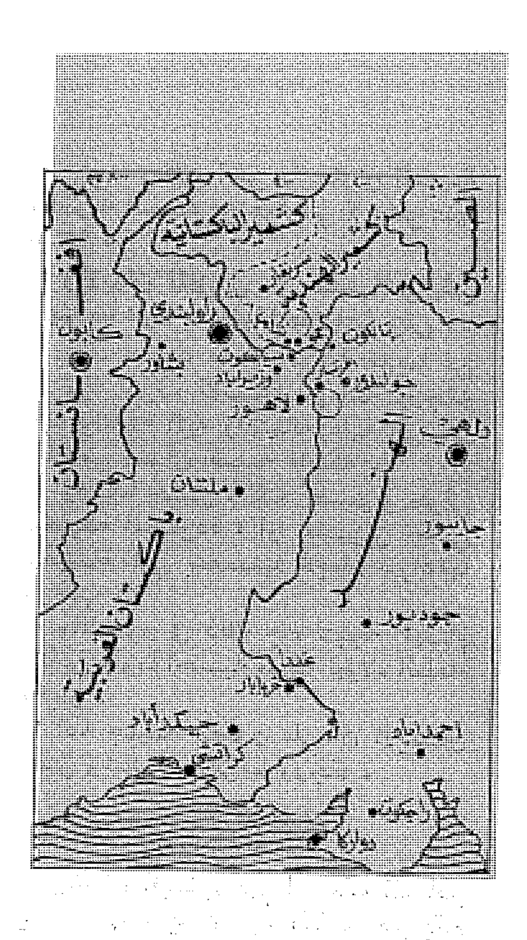
ان المواهب الأدبية تفتق بالايمان كما تفتق الأكمام عن أزهارها .

وان الايمان ليخلق مـن الموت حياة حافلة بالقـوة والنماء جديـرة بالبقاء والاحترام .



اللغم الذي تركه الاستعمار وراءه

للاستاذ . ع . ن



لعل أهم ما يشغلنا من الأحداث العالمية الآن هي الحرب الدائرة بين الهند وباكستان . ولعلها كذلك تمثل جرحا غائرا فى النفوس يحتاج الى علاج سريع ، فقد كانت الدولتان الى عهد قريب دولة واحدة عاشت على مر الآلاف من السنين شعبا واحدا فى آماله وآلامه وجابهت الاستعمار الانجليزي أخيرا صفا واحدا وروحا واحدة ، حتى ظفرت بالاستقلال فى اغسطس ١٩٤٧ وفى الوقت نفسه انقسمت الى دولتين على أساس ديني : دولة أغلبيتها الكبرى من الهندوس ، ودولة أغلبيتها الكبرى كذلك من المسلمين ..

وبالرغم من أن الحكم الاسلامي سيطر على الهند الدولة الواحدة قرابة ثمانية قرون ونصف حتى انتهى على يد الانجليز سنة ١٨٥٧ م حين قبضوا على آخر امبراطور مسلم ونفوه الى « رانجون » وظل فى منفاه حتى مات . اقول بالرغم من استمرار الحكم الاسلامي للهند هذه المدة الطويلة، فان أغلبية الشعب ظلت تدين بالهندوسية لأن الولاة المسلمين لم يجبروا أحدا على اعتناق الاسلام ، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك . بل ربما كانوا من المعوقين فى انتشار الاسلام ، بينما كان لرجال الصوفية والدعوة الاسلامية الأثر الأكبر فى جذب هذا العدد للاسلام ..

وحين حدث التقسيم على أساس أن الولايات التي تسكنها أغلبية هندوسية تصبح من الهند ، والولايات التي تسكنها أغلبية مسلمة تصبح من الدولة الجديدة ((باكستان)) أو الأرض الطاهرة .. كان شرق الهند — أو البنغال — وغربها من نصيب الدولة الجديدة، وباقي رقعة الهند الكبرى من نصيب الهند الحديثة أو ((بهارت)) كما يحب أن يسميها الهندوس الذين يتمسكون بالعودة الى الطابع الهندوسي القديم ..

وكان سكان باكستان حين التقسيم نحوا من ٧٥ مليونا ، نسبة الأقليات الغير مسلمة فيهم

١٤٪ ثم كان آخر احصاء لها أن بلغت نحو ٩٣ مليونـا .

أما الهند فكان عدد سكانها حين التقسيم ٣٦٠ مليونا منهم نحو ٤٠ مليونا من المسلمين . ووصل آخر احصاء لها الى ما فوق الاربعمائـة مليون نسـمة .

وكان من سوء حظ باكستان على صغر حجمها وقلة عدد سكانها أنها تكونت من رقعتين منفصلتين تبعد الواحدة منهما عن الأخرى نحو ألف ومائتي ميل ..

واذا لاحظنا مع ذلك أن الهند الجديدة قامت على الاساس الذى كانت تقوم عليه الدولة القديمة الكبرى .

وأنها كانت وريثة هذه الدولة فى كل شيء ، وان باكستان اخذت تبني نفسها من البداية .

وان الهند ورثت مراكز الصـناعة والتعدين والمدن الكبرى الهامة والمطارات والموانيء ، وأن باكستان لم ينلها من ذلك شيء وكانت كالأخ الذى يخرج من بيت الأسرة المدعم المؤثث المنظم ليبدأ بناء بيت ، واقامة حياة جديدة ، عرفنا من ذلك كله مدى ما عانته باكستان فى سبيل بناء نفسها والاحتفاظ بكيانها .

سر دخولها الأحلاف الغربية

ولعل هـذه الصـعوبات التي واجهت زعماء الدولة الحديثة ، وشعورهم بالحاجة الى عـون يساعدهم على بناء دولتهـم ، والانتصـار على التحديات التي واجهتهم ، لعل ذلك هو الـذى دفع بالحكومات الباكستانية الى طلب المعونة من الغرب ((انجلترا وامريكا)) وبالتالي الى السير فى الاتجاه الذى تسير فيه السياسة الغربية ..

ولقد استفادت باكستان فعلا بهذه المعونات فى تنظيم شؤونها ، واقامة المصانع والمنشئات وتكوين جيش قوى مسلح بأحدث الأسلحة .. ولولا هذه المعونات لما استطاعت أن تخطو فى هذه السنوات القليلة هذه الخطوات الواسعة فى النواحى الصناعية والعمرانية والحربية .. وهذه ناحية قد تغيب عن كثيرين ممن يسارعون فى الحكم ، وتشغلهم ظواهر الأمور عن أسبابها وبواطنها ، فيعيبون على باكستان أنها سارت فى خط السياسة الغربية .. مع أنها لم تكن الا كما يقول المثل العربي ((مرغم أخاك لا بطل)) .

والارغام الحقيقي هنا كان مبعثه الرغبـة فى اقامة الدولة الوليدة بمختلف الضرورات التـي يقتضيها قيام دولة فى ظروف صعبة ، وفى وجـه تيارات عاصفة ، وأمـام تحديات وانذارات ممن كانوا يعارضون التقسيم ، ويقولون سوف تضطر للرجوع الى الدولـة الأم ، كما يحتاج الأخ أو الولـد المنفصـل عن بيت الأسرة الى الرجوع أخيرا اليه ، بعد أن تقهره الأيام وتحنى ظهـره الصعوبات .

شعب مسلم

ومع أن الحكام فى باكستان كانوا يسيرون غالبا فى هذا الاتجاه ، ويجاملون الغرب ، فان الشعب المسلم فيها كان يعيش دائما مع المسلمين فى آمالهم وآلامهـم . وكان ينتفض أحيانا على حكومته ، ويثور عليها لأنها وقفت موقفا أعطت فيه ظهرها لأحد الشعوب المسلمة مجاملة للغرب . وقد تمثل ذلك بوضوح حين الاعتداء الثلاثي على مصر ، فقد ثار الشعب على حكومته ثورة عارمـة ، واجتاحت المظاهرات المدن والقرى ، تطالب بمساعدة مصر ، وتجمع المعونات لها ..

باكستان وفلسطين

ولا نستطيع مع ذلك أن ننكر أن حكومة باكستان وقفت مع العرب ولا تزال تقف ضد اسرائيل وقفة صلبة فلم تعترف بها ، ولم تتبادل معهـا أى تمثيل على أى مستوى انتصارا منها لقضـية فلسـطين .

بينما الهند الدولة الصديقة للعرب تتبادل مع اسرائيل التمثيل القنصلي ، ولاسرائيل قنصـل فيها يقوم بنشاط ملحوظ ضد البلاد العربية ، مما أدى أخيرا الى لفت نظره من حكومة الهند بعد أن أدى السفراء العرب واجبهم ازاء هـذا النشاط ..

بل ان بلادا اسلامية ودولا صديقة للعرب فى الشرق والغرب تتبادل مع الدولة اللقيطة التمثيل السياسي أو القنصلي والتجارى ..

وكان موقف باكستان المشرف من قضية فلسطين هو احدى الحجج القويـة التي يتذرع بهـا الباكستانيون لدى العـرب ، حين يطالبونهـم بالوقوف فى صفهم من أجل قضية كشمير ، كما يقفون معهم فى قضية فلسطين .

كشمير في التاريخ

والآن نأتي دور عرض قضية كشمير على القراء عرضاً تاريخياً بعد أن قامت الحرب الطاحنة بين الدولتين بسببها ..

كانت كشمير جزءاً من الامبراطورية الاسلامية حين كان الحكم الاسلامي قائماً بالهند . وحين ضعف هذا الحكم في أواخر أيامه انتهز « السيخ » في البنجاب هذه الفرصة ، وزحفوا على كشمير واستولوا عليها سنة ١٨١٩ م .

وحين أخذ الانجليز يطوون البلاد الهندية ويستولون عليها ولاية بعد ولاية أخضعوا أسمى كشمير لهم . وأقروا حاكمها لها تحت نفوذهم ، حتى جاء التقسيم وأميرها أو حاكمها هو المهراجا « هارى سنك » .

وكشمير من الولايات التي سكانها أغلبية مسلمة ، فان عدد سكانها يبلغون أكثر من أربعة ملايين ، المسلمون منهم فوق الثلاثة ملايين .. بحيث يمكن أن نقول : ان نسبة المسلمين فيها يبلغ نحو الثمانين في المائة ..

وقد قام حكم المهراجا فيها على أساس الضغط على المسلمين واضطهادهم بعد أن انتزع أجداده الحكم فيها منهم . فكان ينظر اليهم على أنهم أعداء يتربصون به ويتحينون الفرص لينقضوا عليه فكانت سياسته تقليم أظافرهم ، وتجويعهم ، والحيلولة بينهم وبين المناصب الكبيرة عسكرية ومدنية ..

وحين اضطر الانجليز والهندوس الى الرضوخ لفكرة تقسيم الهند الى دولتين على أساس ديني ، أي حسب دين أغلبية السكان في الولاية .. كما أراد زعماء باكستان كان هناك بجوار الولايات التي حكمها الانجليز في الهند حكماً مباشراً ولايات أبقوا حكامها القدماء عليها أمراء تحت نفوذهم ، وكانت تبلغ في جسم الهند الكبير أكثر من خمسمائة امارة تعيش بقعاً على الجسم الكبير . من هذه الامارات امارة كشمير التي كان يحكمها المهراجا « هارى سنك » كما قلنا سابقاً .

مصير هذه الامارات

وحين أخذ الانجليز والزعماء الهندوس والمسلمون يضعون خطط التقسيم لم يكن النص على مصير هذه الامارات واضحاً محدداً كما حصل في المناطق التي يحكمها الانجليز حكماً مباشراً ، وقيام التقسيم فيها على أساس الأغلبية الدينية ، فقد أراد الانجليز أن يجاملوا الأمراء ، فأعطوهم الرأي في مصير ولاياتهم . ولكن « لورد مونتباتن » نائب الملك في الهند والذي كان يتولى عملية التصفية والتقسيم وجه نصيحة الى أمراء الولايات بأن يراعوا في تقرير مصير ولاياتهم في الانضمام للهند أو باكستان رغبة الشعب ، ودين الأغلبية فيه ، والموقع الجغرافي للولاية . وهذه الميوعة في تحديد مصير الولايات كانت سبباً في الحوادث التي حدثت في بعض الولايات . فقد انضمت الولايات كلها اما الى الهند واما الى باكستان دون ضجيج بناء على هذه النصيحة ، لكن ثلاثة منها صاحب انضمامها شيء من الحوادث .

١ : ـ حيدر أباد

فقد أخذ حاكمها المسلم مهلة للتفكير وظهرت رغبته في عدم الانضمام للهند ، وآثر ان لم ينضم لباكستان أن يبقى شبه مستقل ويكون علاقته مع الهند كما كان مع انجلترا ، وينتقل المعاهدات التي كانت بينه وبين انجلترا الى الهند ، وهذه الولاية تقع في وسط الهند الجنوبي تحيط بها أرض الدولة الهندية ، وسكانها نحو ١٧ مليوناً أغلبيتهم الكبرى من الهندوس .. وقد تذرعت حكومة الهند بهذا فهجمت على الولاية بجيشها وقامت حرب بين الجيشين لم تستمر طويلاً ، وضمتها الى الدولة الهندية وذلك قبل انقضاء المهلة التي أخذها ..

٢ : ـ جوناكدا

وهذه الولاية تقع على الحدود بين الهند وباكستان الغربية وأميرها كان مسلماً كذلك وأعلن رغبته في الانضمام الى باكستان برغم أن أغلبيتها من الهندوس فاحتجت الحكومة الهندية على قبول باكستان انضمامه واعتبرت ذلك « خرقاً فاضحاً للمبادىء التي تم الاتفاق بموجبها على تقسيم الهند وتقلب .

ثم قام الشعب ببعض المناوشات ، مما اتخذته الهند وسيلة لتدخلها ، وزحفت بجيشها على الولاية ، وفر الأمير الى باكستان ، وأعلنت الهند ضمها الى أراضيها . فقامت الباكستان تحتج لدى مجلس الأمن على تدخل الهند في ولايتي حيدر أباد وجوناكدا وضمها اليها بالقوة . ولم يجد الاحتجاج نفعاً .. وانتهى كل شيء في الولايتين .

ويلاحظ هنا أن الهند لم تعتد برأى الأميرين ونظرت الى أغلبية الشعب وزحفت بجيشها تحقق رغبة هذه الأغلبية .

٣ : ــ كشمير

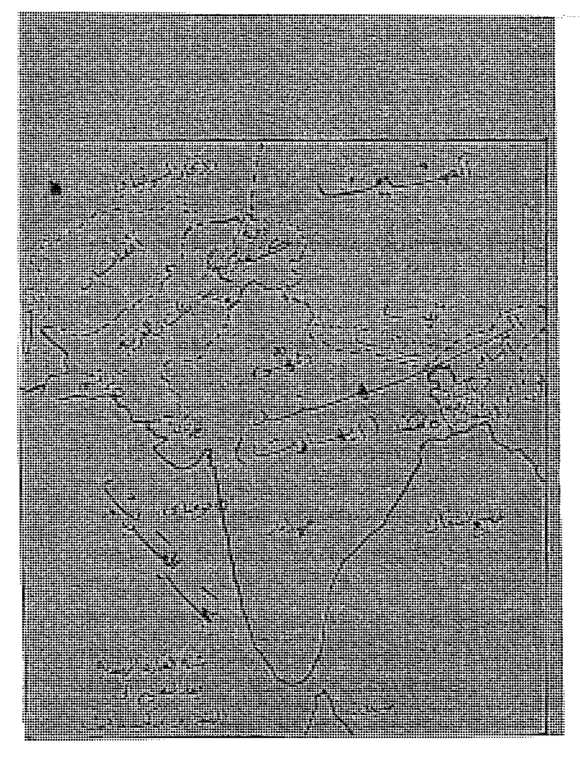
ــ ونظرا لأن اغلبية شعبها من المسلمين ــ كما عرفنا ــ قامت هذه الأغلبية قبيل التقسيم وأعلنت رأيها فى الانضمام لباكستان ، وذلك على لسان مختلف الطوائف والمنظمات فيها .. وقابل الأمير هذه الرغبة الشعبية بالعنف والاضهاد وشن على المسلمين حملة من الارهاب منقطعة النظير ، وقامت بين قواته والشعب التحامات دموية مما جعل رجال القبائل المسلمين فى باكستان يهبون لنجدة اخوانهم فى كشمير .

وفى هذا الجو المشتعل كان زعماء الهند يعملون لضم المهراجا الى جانبهم ، بالرغم مما كان بينه وبينهم قبل من عداء . فزاره غاندى ومكث فى الولاية بضعة أيام فى الوقت الذى كانت المذابح الدموية تجتاح الهند كلها من اجل التقسيم ، وبرر هذه الزيارة بأنها وفاء بعهد قديم لوالد المهراجا بزيارة كشمير ! !

الشيخ عبد الله

ولعب الشيخ عبد الله الذى تطلق عليه الصحافة الآن ((أسد كشمير)) لعبته بالاتفاق مع زعماء حزب المؤتمر فى دلهي، ومع الحاكم فى كشمير للحيلولة بين انضمام كشمير لباكستان . وكان الشيخ عبد الله يمثل حزب المؤتمر فى كشمير وكان المهراجا ينظر اليه والى حزب المؤتمر فى الهند نظرة عداء مما جعله يحول مرة بين نهرو وبين زيارة كشمير من قبل ، ويرده بعد أن اجتاز حدود الولاية وجعله يزج بالشيخ عبد الله نفسه فى السجن وصدر عليه حكم بالسجن تسع سنوات بحجة أنه يخل بأمن الولاية .

ولكن هذا العداء بين المهراجا وبين زعماء حزب المؤتمر وممثلهم فى كشمير الشيخ عبد الله انقلب الى صفاء تام حين جمع بين المتنافرين المتخاصمين روح العداء لباكستان والعمل على عدم ضم كشمير اليها فاخرج المهراجا الشيخ عبد الله من السجن بعد مرور سنة وشهور عليه وهذا ذهب بدوره الى دلهي وقابل نهرو .. وأخذ الخطة المرسومة



ورجع الى كشمير نصيرا ومعاونا للمهراجا بعد شهر من اطلاق سراحه فعينه مديرا لادارة الطوارىء فى الولاية ثم رئيسا للوزارة وبدأ الشيخ عبد الله يلعب لعبته مع المهراجا ضد باكستان .

وفى ٢٦ اكتوبر ٤٧ اعلن المهراجا انضمام ولايته الى الهند وأعلنت الهند من جانبها قبول هذا الانضمام وزحفت القوات الهندية على كشمير واخذت تخمد الثورة القائمة فيها ضد المهراجا ..

وثار الشعب الباكستاني وطالب زعماءه بدخول القوات الباكستانية كشمير لانقاذ شعبها ولكن ((الفيلد مارشال أوكنلك عارضه فى ذلك فلم تتحرك القوات الباكستانية .

بينما كانت هناك قوات أهلية باكستانية زحفت على الجزء الشمالي الغربي من الولاية ، واستولت عليها ، وكونت منها ((كشمير الحرة)) أو ((آزاد كشمير)) .

وازاء تعذر دخول القوات النظامية الباكستانية الى كشمير بعد انذار القائد الانجليزي اقترح ((جناح ولياقت علي خان)) ايقاف القتال الدائر فى كشمير بين الجيش الهندي والقوات الأهلية واصدار بلاغ مشترك من الحكومتين ينوه باجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين .

ولكن حكومة الهند رأت ان ((كشمير))

أصبحت جزءا لا يتجزأ من الهند وليست من حق الباكستان فى شيء فاذا أجرى استفتاء فالهند هي التي تقوم به .

وفى يناير ١٩٤٨ رفعت شكوى الى مجلس الأمن تتهم فيها باكستان بمساعدة رجال القبائل لاثارة الفوضى فى بلادها .

وأرسل مجلس الأمن مندوبين عنه لحل هذه المشكلة ولكن لم ينجح أحد فى حلها نظرا لاصرار كل فريق على وجهة نظره ، ولأن الهند لا تريد أن تتخلى عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها معتمدة فى ذلك على رأى حاكم كشمير (١)

ومنذ ذلك الوقت وقضية كشمير معلقة أمام مجلس الأمن لم يصل الى حل عملي لها ، وبقيت كالخراج فى جسم كل من الدولتين أو بقيت كاللغم الصالح للانفجار فى أى وقت .. ولم تنجح المفاوضات المباشرة بين الدولتين ولا المساعي المبذولة من محبي السلام فى انهاء هذه القضية ..

وافقت كل من الدولتين أولا على اجراء استفتاء لتقرير المصير كما قرر مجلس الأمن ولكن وضعت كل منهما شروطا لتنفيذ هذا الاستفتاء جعل من الصعب اجراءه ..

ومرت الأيام والسنون والهند تثبت اقدامها فى أرض كشمير ، وتجري الاصلاحات فيها بعد أن ضمتها نهائيا بمقتضى الدستور الهندي سنة ١٩٥٦ واصبحت ولاية من ولاياتها ، لا يمكن لاى هندي أن يفرط فيها والا اتهم بالخيانة والمروق .

بينما باكستان ترى من العار عليها ان تترك شعبا مسلما تضمه الهند اليها بالقوة فى الوقت الذي لا يرغب فيه فى هذا الانضمام .

سياسة الأمر الواقع

يقول نهرو فى محادثاته مع رئيس وزراء باكستان سنة ١٩٥٦ ((ان عليكم أن تعترفوا بالحقائق كما هي ، اذ لن يجدي فتيلا آن يظل العمل قائما على أسس قديمة قد تغيرت وتبدلت معالمها ، لما ينطوي عليه ذلك من تجاهل لحقائق الموقف)) .

وفى هذا الكلام يبدو نهرو مناديا بالخضوع لسياسة الأمر الواقع فى كشمير حيث لم تصبح هناك فائدة فى أية مفاوضات تغير من الوضع القائم وعلى باكستان أن ترضخ لذلك ، وتسلم به ، وتنفض يدها نهائيا من هذه القضية .. منطق يشبه منطق اسرائيل والمساندين لها فى اغتصاب فلسطين !!

ويقول نهرو ((لقد جاء انضمام كشمير الى الهند مستوفيا لجميع الشرائط القانونية والدستورية هذه حقيقة لا يمكن أن يأتيها الباطل من خلفها ولا من قدامها)) .

وجهة نظر باكستان

ويقول السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان فى خطاب القاه سنة ١٩٥٥ .

((انه لم تكن هناك ضرورة لقيام نزاع حول كشمير ، ولو كانت الهند قد احترمت بعض الاتفاقات التي تضمنت الأساس الصحيح لتقسيم شبه القارة أو أنها التزمت بالاجراء الذي اتبعته فى قضايا ضم الولايات اليها لما كان هناك بالمرة قضية بشأن كشمير)) .

ويقول ((ان كل الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية فوق أن أغلبيتها مسلمة تجعل انضمام كشمير لباكستان امرا طبيعيا)) .

وجاء فى كتاب ((ملامح الهند)) (٢) .

((ان كشمير يبلغ تعداد سكانها ٤ ملايين نسمة أغلبهم من المسلمين . وارتباط كشمير الاقتصادي بالباكستان أقوى من ارتباطها بالهند ومن ثم فالحق أوضح فى موضوع ضمها لباكستان دون الهند وجاء فى كتاب ((كفاح المسلمين فى تحرير الهند (٣))) .. وتحت عنوان : موقف متناقض :

((اعتمدت الهند على رأى امير كشمير واعلانه الانضمام للهند فقبلت منه ذلك ولم تبال برأى الأغلبية المسلمة التي تعارض الانضمام للهند ... هذا فى كشمير .

أما ولاية ((جوناكدا)) على الحدود الغربية للهند فقد كان أميرها مسلما ولكن أغلبية سكانها من الهندوس . فأعلن الأمير انضمامه لباكستان

---

١ ــ نقلا عن باكستان فى ماضيها وحاضرها تأليف الأستاذين البطريق وعطا ص ١٠٤

٢ ــ للدكتورين محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد ص ١٩٣ ــ ١٩٤ .

٣ ــ للاستاذ عبد المنعم النمر ص ٣١٢ .

ولكن أغلبية الشعب ثارت ضده فأرسلت حكومة الهند قواتها النظامية تلبية لرغبة الشعب فاقتحمت الولاية واجرت استفتاء شعبيا كان من الطبيعي أن تكون النتيجة فيه انضمام الولاية للهند بأغلبية ٩٠٪ . »

« فالهند قبلت رأى الأمير الهندوسي واعتبرته فى كشمير ، ولم تبال بأغلبية الشعب المسلم ولا بثورته وأرسلت قواتها لاخماده ومعاونه الأمير . ولم تعتمد رأى الأمير المسلم فى « جوناكدا » وأرسلت قواتها لتنجد الشعب الهندوسي اعتمادا على رأى أغلبية الهندوس » !!!

وفى حيدر أباد « لم تعبأ الهند مرة ثانية برأى الأمير المسلم واعتمدت على أن أغلبية الشعب فى الامارة من الهندوس واستعملت القوة فى ضمها »

« وظهر التناقض فى تصرفاتها ازاء الامارات الثلاثة واضحا جليا . فلو كانت العبرة فى الضم برأى أغلبية الشعب وموقع الولاية الجغرافي ، ومصالحها المشتركة لفقدت الهند حجتها فى كشمير . »

« ولو كانت العبرة برأى الأمير دون مراعاة لرأى الشعب فى الولاية لوجدت الحجة فى كشمير وفقدتها فى « جوناكدا » « وحيدر أباد » .

« وهكذا لم تتصرف الهند تصرفا مقبولا ولا معقولا ولا متسقا فى الاستيلاء على الولايات الثلاثة مستعملة حجة هنا ونقيضها هناك مما يعيد الى ذاكرتنا تصرفات المستعمر القوي المتناقضة » !

ولقد كانت الميوعة التي صيغ بها قرار مصير الولايات ، وعدم الحسم فى اختيار الأساس الذي تضم على أساسه هو السبب فى كل ما حدث .. وهل كان يغيب عن المستعمرين الذين أرغموا على ترك « درة التاج البريطاني » عواقب هذه الميوعة ؟ وهل كان يهمهم بعد أن يخرجوا أن تستقر الحال فى البلاد التي تركوها ؟

لقد تعودنا منهم دائما أن يتركوا وراءهم فى كل بلد يتخلص منهم مشكلات تشغل الشعب المتحرر عن النهوض وتثير أمامه العقبات ..

واذا كنا نرى فى موقف الهند تناقضا فاننا حين نتجه الى باكستان نجد نفس هذا التناقض تجاه الولايات الثلاثة ..

جاء فى كتاب كفاح المسلمين فى تحرير الهند (١)

« لماذا قبلت الباكستان رأى الأمير المسلم فى الانضمام اليها ولم تراع أغلبية الشعب الهندوسي؟ فهل كانت العبرة عندها برأى الأمير أم ماذا ؟ أظن أن المسألة تركت عائمة بدون تحديد تام ، ومن هنا جاء التخبط فى تصرف الدولتين..الخ ».

ومن هنا نجد من الضرورى أن نلقي تبعة هذا التخبط وما ترتب عليه من مشكلات ، ودماء مهدرة ، ومن حرب طاحنة تدور رحاها بين الدولتين الآن على المستعمر وعلى الذين كان فى يدهم الحسم والبت من زعماء الهند وباكستان ..

ان أحدا خارج الهند وباكستان لا يستطيع أن يتصور الآن المآسي التي يفرق فيها كلا الشعبين..

وكان هؤلاء الى عهد قريب اخوة يجابهون المستعمر صفا واحدا ، وروحا واحدة ..

انني لا أتوجه الى مجلس الأمن ومندوبه بأى رجاء أو أمل فقد ضاعت هيبة المجلس بعد أن ظلت القضية معلقة امامه سبعة عشر عاما ولكني أتوجه الىزعماء العرب والمسلمين والىزعماء المؤتمر الافريقىالآسيوي ودولعدمالانحياز برجاء الا يكتفوا بالكلام والبرقيات لزعماء الدولتين، بل عليهم أن يخطوا خطواتعملية سريعة ويتصلوا بقادةالدولتين لايقاف الحرب الدائرة ثم يبدأوا فى حل المشكلة على أساس من الحق والعدل الذي ينادي به الجميع ، ويتم استفتاء « تقرير المصير » فى جو محايد يضمن الحرية للشعب فى تقرير مصيره .

واذا كانت الهند دولة صديقة للعرب وكنا نحن جميعا من محبي السلام والوئام فاننا لا يمكن أن نكتم عواطفنا تجاه الشعب المسلم ، فذلك أمر طبيعي لا سبيل الى حبسه ، ومع ذلك فاننا ندعو الله فى كل نفس يتردد أن يظلل الشعبين برحمته ، ويلهم قادتهما الرشد والصواب .. وكفى ما أصابهما من خسارة فى الأرواح والأموال..

ع . ن

---

١ ـ هامش ص ٣١٩ للاستاذ عبد المنعم النمر .

نفحة الصحراء

محمد شرف

يا شعر يانغـم الخلـود   يانفحـةَ المجد التليـد
يا ناشرَ الامجـادِ أنشـر قصةَ النصر الفريـد
أنشر وردّد نفحـة الصحـراء ، واصـدحْ بالنشـيد
وانثر على هـام الزمـان قلائدَ الـدُّرِ النضيـد
هي في الزمـان مشعّـة   لاتُمّحـى أبـدَ الابيـد
تبقى على مـر العصـو   رمنـارةَ الفجـرِ الجديـد
يشتاقها الطمـاح طَـلاّ   بُ التقـدم والصعـود
تفنى الدهـور ونورُهـا   يسرى بآفـاق الوجـود
من نورهـا قبس الزمـان   فراح يرفُلُ فـي السعـود
ياشـعرُ هـاتِ حديثَهـا   فحديثُهـا وحـيُ الخلـود

* * *

كان الظـلام مخيِّمـاً   في الأرض .. في رحب المرابعْ
والعالم المسـكين يبحـث عن مواسٍ أو مُدافـع
والظـلم قد عـم البـلا   دَ ، فلا تجـد الا المطامـع
والبغـى يفتكُ في الربـو   ع فتستحيل ربـىً بلاقـع
تشـكو الجمـوعُ من المفـا   سد والمباذل والزعـازع
تترقـب الانـوارَ تسـأل   نفسَها أين المطالـع
من أين يأتى النـورُ ، فالـظلمات طبقـتِ المواقـع
ومتى تجـود بخيرهـا   تلك السـماواتُ اللوامـع
فاتى النـداء مـرددا :   ألنور في الصحـراء ساطـع
بشـراك يـا صحـراء إنَّ   النـور للظلمـات قاطـع

* * *

بشـراك يا أُمَّ القـرى   بالمرسَل الهـادى البشـيرِ
بشـراك بالنـور الـذى   غمـر المرابـعَ بالسـرور

بشـرى الصحـارى انهـا صـارت منارات العصـور
وغـدت معينـا صـافيـا للحق والخـيرِ الوفيـر
بشـرى الجماهـيرِ الـتى حنت إلى الحـق المنـير
يا فرحـة الانسـان في كل المدائـنِ والثغـور
يا فرحـة الضعفـاء قـد وافاهُمُ عـزُّ الدهـور
عز سيبقـى خـالدا في مسمـعِ الزمـن الوقـور
متلالئ الانـوار وضـاحٌ إلى يـوم النشـور
متفاوحٌ بالعطـر ريـانُ الحواشـى بالعبـير

★ ★ ★

ظهر النبي محمـد في قلب صحـراء الاعـاربْ
فانجـاب عن أرجائهـا ليلٌ ، وأزهرتِ المضـارب
وتجمـع الشمـل البديـد فصـار صفا غير خائـب
ومضـى النبي بنـوره يجاوعن الحـى الغياهـب
فغدت به أرض الجزيـرة موطناً ، للمجـد ، طالـب
وغدا به الديـن الحنيـف مظفرا في كل جانـب
وغدت ترفرف رايـة الاسـلام عاليـة الذوائـب
والنصر خفـاق اللـواء عـلى الفيالـق والمواكـب
وجوانب الصحراء تسبـحُ في مجاليهـا الكواكـب
أنوارُها الغـراء طبقـت المشـارقَ والمغـارب

★ ★ ★

قد جاء نصر الله . يـا صحـراء تيهـى بالطيـوبِ
وتدفق الخـيرُ العميـم عليك من كل الـدروب
والكون هـلل باسمـا للنصـر والفتحِ القريـب
وتَقَدّمَ الاسـلام فـى شـتى الممالك والشعـوب

يدعو إلى العليـــاء يَنشـــــــــرُراية المجـدِ المهيـــب
فأقام في رحـــب الأبـــــا طح دولـــةَ العــز الخصيـــب
هي دولةٌ كالشــمس تسخـــــــو لا تكفُّ عن الوهـــوب
في الشرق مجـــدٌ مالــــــه أبد الاداهــر من ضريـــب
في الغــرب ذكــرٌ عاطـــر عــزت ذراه علــى المغيـــب
والفضــل للصحــراء فهـــي مواطــن السعى الـــدءوب

★★★

الفتح لم يك غـــــاية بل كان بابـــا للمفاخـــرْ
قد كان بابـــا للعلـــــو م وللمعـــارف والمآثـــر
أهدى الحضـــارةَ للشـــعو ب فازهرت فيهـــا المنائـــر
وغدت تجـــود بفيضهـــا وتسح بالسُّحُبِ المواطـــر
سُحُبٌ من الامجـــــاد لا تبلـــى على مــر الاداهـــر
قد أهدت الدنيـــا معينـــــــا من مآثرهـــا العواطـــر
وغدت معلمة العصـــــو ربما افاضــت من ذخائـــر
فصحائف التاريخ تذكـــر كل وضّــاح وباهـــــر
وبقية الآثـــار تشـــــــهدُ للمغاويـــر العباقـــر
تزهـــو على مــر العصـــو ر وتنطــقُ الكلــمَ الزواهـــر

★★★

يانفحة الصحــــراء عـــو دى وازدهـــى بين الجمـــوعِ
واهدى الاباطـــح من شعــــا عك واستمـــرى فـــى السطـــوع
ورِدِى الديار وعطرى الدنـــــيا بانفاس الربيـــــع
ودَعي الشـــذا الفـــواح يعبـــــق في ثنيّـــات الربـــوع
فلقـــد حننـــا للمــــآثــــــر وازدرينـــا بالهجـــوع
وتطلعـــت أطماحُنَـــــا للفخـــر والنصـــر الينيــــع
والشـــوق للامجـــــاد ير قص في الحنايـــا والضلـــوع
هـُبِّي علينا وانفحينـــــــا من ذرى العـــز الرفيـــع
واستلهمـــى الماضـــى ففيـــــه روائعُ الدر اللميـــع
يانفحة الصحـــــــراء يـــا وهّابـــة المجـــد المنيـــع

نظرة التشريع الجنائي



للاستاذ
احمد فتحي البهنسي

دعانى الى الكتابة فى هذا الموضوع ما قرأت اخيرا فى كتاب عن « السلوك الاجرامى » من أن حكمة التشريع الجنائى الوضعى اصبحت هى المصلحة الاجتماعية التى لا تعنى بأوامر الدين ونواهيه ، ولا دواعى الاخلاق ، ولا أحكام التقاليد ، والآداب من حيث هى كذلك ، فاذا استجاب قانون العقوبات أحيانا لبعض هذه الاعتبارات فانما يكون ذلك لما اكتسبته هذه الاعتبارات من قيمة اجتماعية وعلى قدر هذه القيمة .

واستدل المؤلف على ذلك بهذه الجرائم القليلة الاهمية التى يطلق عليها فى قانون العقوبات المصرى مثلا : « الجنح المتعلقة بالاديان » وتكاد تكون آخر صلة بين قانون العقوبات والدين ، والتى لا تهدف الى حماية الدين فى ذاته بل الى حماية حرية الاعتقاد ، واقامة الشعائر الدينية ، وتوفيرا لحكمة اجتماعية هى أن يعيش أهل الملل المختلفة فى سلام ووئام .

والحق أنه رأى خطـير ، ولا أدرى اذا كان ما نصت عليه المادة السابعة من قانون العقوبات المصرى وهى « : لا تخل احكام هذا القانون فى أى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء » يلفت النظر الى ما للدين من أثر لا يمكن أن يترك فى التشريع .

ولسنا هنا نناقش السيد المؤلف فى شرحه للواقع الخطر، وما اذا كانت حكمة التشريع الجنائى الوضعى قـد انقلبت كذلك .

وانما نريد أن نعرض على السـادة القراء نظرة الشريعة الثاقبة الى السلوك الاجرامى ، سواء كان ذلك متعلقا بذات المجرم ، او بالجريمة أو بالعقوبة ، حتى يرى الناس نفحات جلية فى تشريعهم الجنائى الاسلامى .

النظرة تجاه المجرم :

كان المشرع الاسلامي ولا يزال ينظر الى المجرم نظرته الى شخص ضـــل الطريق ، فهو يريد ان يأخذ بيده ويرشده الى سواء الســبيل .

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل : قال :

« أذنب عبدي ذنبا فقال : اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى :

اذنب عبدي ذنبا ، فعلم ان له ربا ، يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عــاد فاذنب فقال : اي رب اغفر لي ذنبي » . فذكر مثله مرتين — وفي آخره : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » . اخــرجه مســلم .

وفي هذا الحديث دليل على صــحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب ، لان التوبة الاولى طاعة وقد انقضت وصحت ، وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثاني الى توبة آخرى مستأنفة ، والعود الى الذنب وان كان أقبح من ابتدائه ، لانه اضاف الى الذنب نقض التوبة ، فالعود الى التوبة احسن من ابتدائها .

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وســلم بالرفق في حق من تنفذ عليــه العقوبة ، فلا يســب ولا يلعن ، تلمس ذلك من الآثار الآتية :

١ — قال أبو هريرة رضي الله عنه : أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب قال :

« اضربوه » . فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضــارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم ، اخزاك الله . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان » . رواه البخاري وابو داود .

٢ — كان رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يسمى عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وســلم . وكان قد جلده في الشراب فاتي به يوما فامر به فجلد فقال بعض القوم : اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى؟ فقال النبي صلى الــله عليــه وســلم : « لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله » رواه البخاري .

قال بعض الشراح : فيه النهي عــن اللعن ، وفيما قبله النهي عن مطلق الدعاء على المرتكب ، بل المطلوب الدعاء لــــه بالهدايــة .

قال الدهلوي في « حجة الله البالغة » : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعن المحدود والوقوع فيه ، لئلا يكون سببا لامتناع الناس من اقامة الحد ، ولان الحد كفــارة والشــيء اذا تدورك بالكفارة صار كان لم يكن ، وهو قــوله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، انه لفي انهار الجنة منغمس بها » .

٣ — وورد في الموطأ .

حدثني مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان رجلا من اسلم جاء الى ابي بكر الصديق فقال له : ان الاخر زنى — فقــال لــه ابو بكر : هل ذكرت هذا لاحد غيري ؟ فقال : لا ، فقال له ابو بكر : تب الى الله واستتر بستر الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده ، فلم تقرره

نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب فقال له مثلما قال لابى بكر ، فقال له عمر مثل ما قال له ابو بكر ، فلم تقره نفسه حتى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ان الآخر زنى فقال سعيد : فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ـ كل ذلك يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أكثر عليه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله . فقال : « أيشتكى أم به جنة » ؟ فقالوا : يا رسول الله انه لصحيح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم« أبكر أم ثيب » . فقالوا : بلثيب يا رسول الله . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم .

وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلين من اصحابه يقول احدهما لصاحبه : الم تر الى هذا الذى ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجليه فقال : « اين فلان وفلان » ؟ فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، فقال : انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار ، « فقالا : يانبى الله من يأكل هذا ؟ قال : « فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذى نفسى بيده أنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها » .

وفى رواية أبى داود قال : لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم برجم ماعز خرجنا به الى البقيع، فوالله ما أوثقناه ولا حفرنا له ، ولكنه قام لنا فرميناه بالعظام والمدر والخزف ، فاشتد الى قوله حتى سكت ـ قال بعده : فما استغفر له ولا سبه .

وفى رواية اخرى له قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نحوه ، وليس بتمامه . قال : ذهبوا يسبونه فنهاهم ، قال : ذهبوا يستغفرون له ، فنهاهم . قال : « هو رجل اصاب ذنبا ، حسيبه الله » .

٤ ـ كما ورد فى الموطأ :

حدثنى يحيى عن مالك عن عبدالرحمن ابن القاسم عن أبيه أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم على أبى بكر الصديق فشكا اليه أن عامل اليمن قد ظلمه .

فكان يصلى من الليل فيقول أبو بكر : وأبيك ما ليلك بليل سارق . ثم انهم فقدوا عقداً لأسماء بنت أبي عميس امراة أبي بكر الصديق . فجعل الرجل يطوف معهم ويقول : اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح. فوجدوا الحلى عند صائغ زعم ان الاقطع جاءه به فاعترف به الاقطع او شهد عليه به . فأمر به ابو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى . وقال ابو بكر : والله لدعاؤه على نفسه اشد عندى عليه من سرقته .

فهذا القول الاخير من ابيبكر الصديق يرينا الناحية الانسانية التي دفعت الخليفة لهذا القول .

ولكى يعاقب المجرم يجب أن يكون :

١ ـ مختارا غير مكره ولا مضطر .

أ ـ روى البخارى عن نافع مولى ابن عمر : أن صفية بنت أبي عبيد اخبرته : ان عبدا من رقيق الامارة وقع على وليدة من الخمس ، فاستكرهها حتى افتضها فجلده عمر ، ولم يجلدها من أجل انه استكرهها .

وفى رواية للترمذى قال : استكرهت

امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدرأ عنها الحد . وأقامه على الذى أصابها .

ب ـ والمضطر الى شرب الخمر لا يعاقب اذا كان شربه لها لدفع غصة « وهى ما يقف فى الحلق من عظم ونحوه»

قال الشافعى : فيحل ما حرم : من الميتة والدم ولحم الخنزير وكل ما حرم ـ ممالا يغير العقل من الخمر للمضطر . والمضطر : الرجل يكون بالموضع ، لاطعام معه فيه ، ولا شىء يسد فورة جوعه ، من لبن ، وما اشبهه ، ويبلغه الجوع ما يخاف منه الموت ، او المرض ، وان لم يخف الموت ، أو يضعفه او يضره ، أو يعتل ، او يكون ماشيا فيضعف عن بلوغ حيث يريد او راكبا فيضعف عن ركوب دابته . اوما فى هذا المعنى من الضرر البين .

ويشترط فى المضطر أن يكون غير باغ، ولا عاد ولا متجانف لاثم .

واذا اضطرت المرأة او الرجل على ارتكاب الزنا وتوافرت شروط الضرورة لا يعاقب واحد منهما .

فى السنن للبيهقى عن ابى عبد الرحمن السلمى أنهاتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع فاستسقت فابى أن يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ففعلت فشاور الناس فى رجمها فقال على : هذه مضطرة أرى أن يخلى سبيلها ، ففعل .

قال ابن قيم الجوزيه :

والعمل على هذا ، لو اضطرت المرأة الى طعام او شراب عند رجل فمنعها الا بنفسها ، وخافت الهلاك فمكنته من نفسها ، فلا حد عليها ، لان حكمها حكم المكرهة بالقتل على الزنا ، والمكرهة لا حد عليها ، ولها ان تفتدى من القتل بذلك .

وكتب الفقه عامرة بمثل هذه الفروض فى جرائم القتل والاتلاف الذى تدرأ فيه العقوبة لوجود حالة الاضطرار .

٢ ـ بالغا .

٣ ـ عاقلا .

عن الترمذى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » .

وذلك لأن العقل والبلوغ شرط لأهلية العقوبات كلهــا .

وعن عبد الله بن عباس قال : اتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسا فأمر بها عمر ان ترجم فمر بها على بن ابى طالب فقال : ما شأن هذه ؟ قالوا مجنونة بنى فلان زنت ، فامر بها عمر أن ترجم ، فقال : ارجعوا بها ، ثم أتــاه فقال : يا أمير المؤمنين اما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة : عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يعقل ؟ فقال : بلى .

قال : فما بال هذه ؟ قال : لا شىء ، فارسلها. فارسلها عمر . قال : فجعل يكبر .

٤ ـ عامدا .

أى أن يكون قاصدا للاجرام فان كان مخطئا تغير وضعه فعقوبة القتل العمد القصاص ، اما القتل الخطأ ففيه الاثم دون اثم القتل العمد ، والدية والكفارة ، وحرمان الميراث .

٥ ـ ألا يكون جاهلا .

فالجهل في الفقه الاسلامي يصبح عذرا اذا لم يصحبه تقصير من الجانى قال محمد بن حزم : من أصاب شيئا محرما فيه حد اولا حد فيه وهو جاهل بتحريم الله تعالى فلا شيء عليه فيه ، لا اثم ولا حد ولا ملامة ، لكن يعلم ، فان عاد أقيم عليه حد الله تعالى ، فان ادعى جهالة نظر فان كان ذلك ممكنا فلاحد عليه أصلا ، وقد قال قوم بتحليفه ، ولا نرى عليه حدا ولا تحليفا ، وان كان متيقنا انه كاذب لم يلتفت الى دعواه .

وقال ابن قدامة فى « المغنى » : لاحد على من لم يعلم تحريم الزنا : قال عمر وعثمان وعلى : لا حد الا على من علمه وبهذا قال عامة أهل العلم ، فان ادعى الزانى الجهل بالتحريم وكان يحتمل ان يجهله كحديث العهد بالاسلام والناشيء ببادية ، وان كان ممن لا يخفى عليه ذلك كالمسلم الناشيء بين المسلمين وأهل العلم، لم يقبل لان تحريم الزنا لا يخفى على من هو كذلك فقد علم كذبه .

روى البخارى عن حمزة بن عمرو الاسلمى ان عمر رضى الله عنه بعثه مصدقا فوقع رجل على جارية امرأته ، فأخذ حمزة من الرجل كفلاء ، حتى قدم على عمر فأخبره . وكان عمر قد جلد ذلك الرجل مائة اذ كان بكرا باعترافه على نفسه فأخبره ، فادعى الجهل فى هذه فصدقه وعذره بالجهالة .

وروى عن سعيد بن المسيب ان عاملا لعمر بن الخطاب كتب الى عمر يخبره ان رجلا اعترف عنده بالزنا ، فكتب اليه عمر أن سله هل كان يعلم انه حرام ؟ فان قال : نعم فأقم عليه الحد ، وان قال: لا فاعلمه أنه حرام ، فان عاد فاحدده .

وعن الهيثم بن بدر عن حرقوص قال: أتت امرأة الى على بن ابى طالب فقالت : ان زوجى زنى بجاريتى ، فقال : صدقت هى ومالها لى حل ، فقال له على : اذهب ولا تعد ، كأنه درأ عنه الحد بالجهالة .

ورد فى احكام القرآن لابن العربى : شرط فى السارق ستة معان منها : العقل لان من لا يعقل لا يخاطب عقلا ، والبلوغ لان من لم يبلغ لا يتوجه اليه الخطاب شرعا ، وبلوغ الدعوة لان من كان حديث عهد بالاسلام ولم يثافن « يجالس المسلمين ويلازمهم » حتى يعرف الاحكام وادعى الجل فيما أتى من السرقة والزنا، وظهر صدقه لم تجب عليه عقوبة كالأب فى مال ابنه . **اما من علم تحريم شيء ، وجهل ما يترتب عليه ، لم يفده ذلك كمن علم تحريم الزنا وشرب الخمر وجهل وجوب الحد ، يحد بالاتفاق لانه كان حقه الامتناع .**

وخلاصة القول أن الفقهاء يفرقون بين جهلين :

جهل بالتحريم وجهل بعقوبة التحريم ، فالجهل بالتحريم يعفى من العقاب اذا كان حديث عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين من قبل ، والجهل بالعقوبة ، وذلك بأن يعلم أن الفعل محرم ولكن يجهل عقوبته فلا يعفيه جهله من هذه العقوبة .



ليس للتصوف شكل واحد معروف ليستطيع الانسان أن يعطى فيه رأيه ، ولكن التصوف أشــكال متعددة : منها المعروف ، ومنها غير المعروف ، فالمسلم لايقر منها الا الايمان الصالح وذلك باسم الايمان والعمل الصالح لاباسم الصوفية المختلف على معناهـا والمختلف علـى تاريخهـا ، والمسـلم المؤمـن العامـل للصالحات لايرتاح للانتماء لاسم لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله .

واذا كان للمؤمنين العاملين للصالحات من رجال الصــوفية دور مذكــور في افريقيا فى نشر الدعــوة الاسلامية فى مختلف ارجائها فأن ذلك أمر يقدره لهم المسلمون في العالم بأسره ، كما أنهم في الوقت نفســه يعتقدون ان الباطنيات والخــرافات والبــدع وممالأة الاجنبي والانعزالية والكسل كانت سببا رئيسيا من أسباب تأخرنا في الوقت الحاضر وكل ما نرجوه مــن المؤمنــين العاملين للصالحــات أن يســيطروا على هــذه الفوضى ، ويجمعــوا على نبذ المظاهــر غير اللائقة التى ادخلت على اساليب هذه الطرق واجتناب البدع والخرافات المستهجنة التي لا تليق بديننا الحنيف ولا بعقلية العصر الذى نعيش فيه ، وان اختيار رجل عصرى لمشيخة هذه الطرق جميعها فى مصر أرجو أن يكون اختيارا موفقا نرجو من ورائه تنقية هذه الطرق وتصفيتهــا والعودة بهــا جميعهــا الى الطريق السليم والصراط المســتقيم ﴿ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

ولقد وقع في يدى وانا اكتب هذه الخواطر تحقيقا صحفيا مصورا نشرته مجلة المصور العربية بتاريخ ٦ محرم ١٣٨٥ في العدد ٢١١٧ تحت عنوان « رأى الصوفيين في انفســهم ورأى الدين في الصوفيين» رأيت اثبات بعض ما جاء فيه **لمن لـم يطلع على العـدد** المذكور وقــد جاء بعــد المقدمــة عن التصوف .

للاستاذ عبد العزيز العلي

ولـكن .... هـل بقى مـن التصـوف الآن شيء .. غـير المواكب وحلقـات الذكر والثيـاب المزركشـة والـرايات والبيـادر الملونـة وعشرات الطرق والطوائف والهمهمات الغامضـة والحركات الهستيرية والعزلة عن الحياة العامة والغـذاء الوهمي للملايين مـن البسطاء من ابناء شعبنا الذين يتطلعون الى غذاء حقيقي .

ولقد استغل الاسـتعمار والرجعية هذه الطرق الصوفية فى بلادنا فى بعض الظروف واتخذ منها وسيلة لاستنفاد الطاقات العاطفية لجماهـير شـعبنا واستغراقهم فيها عن التفكير فى احـوال دنياهم وفى البحث عن الفهـم الصحيح لدينهم وما هـو موقفنا اليوم من هذه الطرق التي تضم الآلاف من ابناء شعبنا وانحرافهم عـن المشاركـة الفعالـة فى حياتنا .

هل يمكن ان تصـبح هذه الطـرق جميعا طريقا موحدا غير منعزل عن هذه الحياة ، وهـل يمكن ان تصـبح بحق مدارس للوعى الروحي والعلمي معا . ؟

وعدد الطرق كما صرح بـه الشـيخ محمد محمود علوان هي (٦٣) طريقة كل منها تحمـل اسـم صاحبها وهى منتشرة فى القاهـرة والمدن الاخـرى والقـرى .

وكتب الشـيخ علوان : بعد الثـورة وجدنا العون لنعود من جديد الى العمل والنشاط بعد تفكك وذوبان اسـتمر طويلا ، فوضعنا برنامجـا ، واتصـلنا بالجماهـير ، وعقـدت الاجتمـاعات ، وتحدث الخطبـاء ، وتفتحت القلـوب ، وكانت اعيادا ايمانية ووطنية دلت على روح الامة الدينية وتعلقها العظيم بدينها وتقدير الثـورة .

ومما كتب كمال سعد : « لماذا لا نلغى كلمة (الصوفية) ونحولهـا الى كلمـة الدينية ، فكلمة الصـوفية كما نعـرف جاءت من هذا الرداء الصوف الخشـن الذى كان يرتديه المشايخ زهدا فىالدنيا ، وهذا الرداء اصبح مشـايخ الطـرق يحاربونه بأنفسهم » .

لماذا لا نقبل ذلك وخاصة ان هناك اطبـاء ومحامـين ومهندسـين بـدأوا يندرجون تحت لواء هذه الطرق بعد ان تغيرت صورتها التخاذلية ، وان هناك

البقية على ص ٦٣



شخصية سلفية من الرعيل الاول من اسلافنا الصالحين ، تملأ النفس اعجابا ، وتفسح الصدور انشراحا ، شغلت فراغا فى كثير من العلوم والوظائف الاسلامية ، واخذت مكانا فى الحديث والفقه والادب والتاريخ ، كما اخذت مكانا فى الوظائف القضائية والسياسية ، وقبل ان نتحدث عن مكان هذه الشخصية فيما شغلت من العلوم والوظائف يحسن بنا أن نتحدث عما رشحها لان تشغل ما شغلت فى توفيق ونجاح .

ان الذى أهل الشعبي لان يحتل مكانا بارزا بين الشخصيات الاسلامية، ويحتل مكانا فى التاريخ الاسلامي هو ما منحه الله من المواهب ، وما اخذ به نفسه من النشاط ، وما رسمه من منهج علمي التزمه مدى حياته ، ذلك الى أنه أنسيء له فى عمره ، فدخل فى عداد المعمرين .

رزق الشعبي حافظة قوية جعلته يحفظ الحديث لأول ما يسمع ، ولا يلجىء المحدث أن يعيد الحديث، ولقوة حافظته استغنى عن الكتابة وكان يقول : ما كتبت سوداء فى بيضاء ولا حدثني رجل بحديث الا حفظته ، ولا حدثني رجل بحديث ، فأحببت أن يعيده ، وضرب به المثل فى الحفظ فقيل : أحفظ من الشعبي .

وكان من نشاطه العلمي أن يسعى الى العلم حيث وجد ، لا يضن بمجهود مهما عظم : ويقول : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمر رأيت أن سفره لم يضع .

وكانت الأمانة العلمية جزءا من منهجه ويقول فى ذلك : اذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم ، فانه علم حسن كما كان من منهجه العلمي أنه يتواضع فى طلب العلم قيل له مرة : ان فلانا عالم ، قال : ما رأيت عليه بهاء العلم ، قيل : وما بهاؤه ، قال :

السكينة ، اذا علّم لا يعنف . واذا علّم لا يأنف . وكان يرى أن أهم وسائل التحصيل العلمي العقل والصلاح ، ويقول : انما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان ، العقل والنسك، فان كان عاقلا ، ولم يكن ناسكا قيل : ان هذا أمر لا يناله الا النساك فلم تطلبه ، وان كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمر لا يطلبه الا العقلاء فلم تطلبه ؟ وكان حريصا على سمعته العلمية فقال : لو أصبت تسعا وتسعين وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة، وتركوا



لفضيلة الشيخ ابو الوفا المراغي
مدير المكتبة الازهرية

التسع والتسعين ، وكان يكره الجدال فى المسائل التي تثير الفرقة بين المسلمين، وتبلبل أفكارهم ، قيل له يوما ، ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين – يعني عليا وعثمان – فقال انه والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيما لعلي وعثمان رضي الله عنهما ، وغفر لنا ولهما .

بهذه المواهب ، وبهذا النشاط ، وبهذه الرغبة فى تحصيل العلم والاستهانة فى سبيله بكل مجهود – كون الشعبي شخصيته العلمية ، وبالتالي شخصيته القضائية والسياسية على ما سنذكر ، والعلم ثلاثة أرباع الشخصية ان لم يكن أكثر من ذلك ، واذ أجملنا الكلام عن تكوين الشعبي العلمي ، فلنتحدث فى تفصيل عن هذه الشخصية من جوانبها المختلفة :

الشعبي المحدث

عاصر الشعبي كثيرا من الصحابة وسمع منهم كما سمع من بعض

الشعبي

التابعين ، وتروي كتب الرجال عنه أنه أخذ من ثمانية وأربعين صحابيا . منهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر ، ومعاوية ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأخذ عن جمع من التابعين . منهم سويد بن غفلة ، وشريح القاضي ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وأخذ عنه خلق كثير ، وكانت له مكانة مرموقة في الحديث حتى إنه كان يسأل وبعض الصحابة حاضرون . حدث أبو بكر الهذلي قال : قال لي محمد بن سيرين يا أبا بكر اذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فانه كان ليسأل وأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأحياء .

وحدث ابن شبرمة قال : سمعت الشعبي يقول : ما سمعت منذ عشرين سنة رجلا يحدث بحديث الا أنا أعلم به منه . وقال عاصم بن سليمان : ما رأيت أحدا كان أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي . وقد روى له صاحب الحلية جملة من غرائب الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، والمتأمل فيما ذكره صاحب التقريب وصاحب الحلية عنه يحس بأن المحدثين كانوا ينظرون الى روايته للحديث بشيء من الحذر ، فقد قال ابن معين : اذا حدث الشعبي عن رجل ، فسماه فهو ثقة يحتج بحديثه . ومن غرائب ما روى عنه ما رواه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليعمر لقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم . وما رواه عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى الضحى ، وصام ثلاثة أيام من الشهر ، ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد .

الشعبي الفقيه

اتفق من ترجم للشعبي على أنه كان فقيها ، وأنه كان أحد أربعة من فقهاء زمانه تصدروا الفقهاء في المدن الاسلامية : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والحسن ابن أبي الحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام ، والشعبي بالكوفة ، وشهد له زميله مكحول فقال : ما لقيت مثل الشعبي . وقال يونس بن اسحق : كنت مع الشعبي والناس يسألونه من صلاة العصر الى المغرب ، فقال : لو كنت تلقموني الخبيص لكرهته . (الخبيص طعام من لبن وتمر) .

وقد عرف بالعلم بالفرائض والجراحات ، وسأله الحجاج يوما عن مسألة ، فقال له : ما تقول في أخت وأم وجد ؟ قلت : اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم . قال : فما قال فيها ابن عباس ان كان لتقيا ؟ قلت : جعل الجد أبا ، وأعطى الأم الثلث ، ولم يعط الأخت شيئا . قال : فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان ؟ قال : جعلها أثلاثا .

قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قلت : جعلها من تسعة ، فأعطى الأم ثلاثا ، وأعطى الجد أربعا ، وأعطى الأخت سهمين . قال : فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ست أعطى الأخت ثلاثا وأعطى الأم سهما وأعطى الجد سهمين . قال فما قال فيها أبو تراب ؟ يعني عليا . قلت : جعلها من ستة ، أعطى الأخت ثلاثا ، وأعطى الجد سهما ، وأعطى الأم سهمين . قال : قل للقاضي : فليمضها على ما أمضاها عليه

أمير المؤمنين عثمان . ويروي بعض من ترجموا له أن ما تفقه الشعبي عن علي من الفرائض لم يسمعه كله منه ، وإنما استفهم الحسن في بعض مسائله . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبيه أنه سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن علي فقال : هذا عندي ما قاسه الشعبي على قول علي ، وما أرى عليا كان يتفرغ لهذا . ولكن يرى في ترجمة الشعبي أنه كان يكره المقاييس ، ولا يعمل إلا بالنقل والرواية ، فقد روى عنه أنه قال : إنما هلكتم بأنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس . ولقد بغض إلي هؤلاء المسجد حتى إنه لأبغض إلي من كناسة داري — يعني أصحاب الرأي — وقال صالح بن مسلم : سألت الشعبي عن مسألة فقال : قال فيها عمر بن الخطاب كذا ، وقال علي بن أبي طالب فيها كذا . فقلت للشعبي ما ترى ؟ قال : ما تصنع برأيي بعد قولهما . إذا أخبرتك برأيي فبل عليه . وكان يقول : إياكم والقياس في الدين ، فإنه من قاس في الدين فقد زاد في الدين .

ومما استدل به على إبطال القياس ما روى الهذلي أنه قال لأصحابه يوما : أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس وقتل معه صبي أكانت ديتهما سواء ، أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه ؟ قلنا : بل سواء . قال : فليس القياس بشيء .

ومن فقهه ما رواه عمر بن عبد الله النخعي أن رجلا أتى الشعبي فسأله عن [illegible] فيها كتابي [illegible] فاشهد على ما فيها ؟ قال : لا ، إلا أن يكون [illegible] الناس يكتبون ما يشاءون ، ويشهدون على ما يعلمون .

وروى الحسن بن عبد الرحمن قال : رأيت الشعبي سلم على موسى النصراني فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فقيل له في ذلك ، فقال : أوليس في رحمة الله ؟ لو لم يكن في رحمة الله هلك . وقال :

ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجرا من مال تركه لولده يتعفف به عن الناس .

الشعبي الأديب والشاعر

ذكر كثير ممن ترجموا للشعبي أنه كان أديبا شاعرا . قال ابن حبان : إنه كان فقيها شاعرا . وقال الطبري في طبقات الفقهاء : كان ذا أدب وفقه وعلم . وروى عنه الخطيب البغدادي في تاريخه أنه قال : ما أروي شيئا أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شهرا . ولم يذكر كتاب التراجم شيئا من شعره ، ولعل الشعبي كان يتحرج من أن يعرف بالشعر مراعاة لتقاليد العلماء في عصره . وقد روى صاحب الحلية أنه كان يترنم بهذا البيت :

ليست الأحلام في حين الرضا
إنما الأحلام في وقت الغضب

وأنه كان يقول :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء

ومر يوما برجل يغتابه فأنشد :

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقد رويت عنه أقوال مأثورة تدل على تمكن الملكة الأدبية في نفسه . ومما رواه عنه صاحب الحلية : نعم الشيء الغوغاء ، يسدون السيل ، ويطفئون الحريق ، ويشغبون على ولاة السوء . [illegible] ومن طرائف ما روي عنه مما يدل على سعة أفقه ، وتضلعه من معارف عصره أنه قال : مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب ، فقال الذئب : أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب ، فقال

الشعبي

الأسد : اذا حضر فأعلمني ، فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء ، فقال له الأسد : يا أبا الحصين عادني السباع كلهم .. فلم لم تعدني . قال الثعلب بلغني مرض الملك ، فكنت في طلب الدواء : قال : فأي شيء أصبت قالوا : خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج . قال : فضرب الأسد بمخالبه الى ساق الذئب ، فانسل الثعلب ، وقعد على الطريق ، فمر به الذئب ، والدماء تسيل عليه ، فناداه الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر : اذا قعدت بعد هذا عند السلطان فانظر ماذا يخرج من رأسك ، وأما هذه فقد خرجت من رجلك .

ويكفي للدلالة على أدب الشعبي شهادة الأخطل له : فقد روى الأصمعي : أن الشعبي اجتمع هو والأخطل عند عبد الملك ، فلما خرجا قال الأخطل للشعبي : ارفق بي فانك تغرف من آنية شتى وأنا أغرف من اناء واحد .

الشعبي المؤرخ

رزق الشعبي حافظة قوية أعانته على أن يكون مؤرخا للسير والمغازى دقيقا فى رواياتها حتى كأنه يشاهد ما يروى فى الدقة والصحة : قال عبد الملك بن عمير : مر ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازى فقال : لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها مني . وقال : كأنه كان شاهدا معنا .

الشعبي القاضي

عرف الشعبي بالفقه ، وكان طبيعيا أن تتجه الأنظار اليه ليشغل وظيفة القضاء ، وقد شغل قضاء الكوفة فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وكان يؤثر الأخذ بظواهر الأحوال . روى عنه أنه قال : كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها ، وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا ، فقلت أصلحك الله ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها ، قال لا تفعل فان اخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وكان حريصا على حرمة مجلس القضاء دخل عليه فى مجلس القضاء رجل ومعه امرأته ، وهي من أجمل النساء ، فاختصما اليه ، فأدلت المرأة بحجتها وقربت بينتها ، فقال الشعبي للزوج : هل عندك من مَدْفَع فأنشأ يقول :

فتن الشعبي لما ... رفع الطرف اليها
فتنته بدلال ... وبخطي حاجبيها

قال للجلواز قربها : وأحضر شاهديها، فقضى جورا على الخصم ، ولم يقض عليها .

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك ابن مروان فلما نظر الي تبسم وقال :

فتن الشعبي لما ... رفع الطرف اليها

الشعبي السياسي

غريب ألا يشغل الشعبي فقهه وحديثه عن تتبع مجارى السياسة ومناورات السياسيين ، فيكون سياسيا ، بل سياسيا من الطراز الرفيع يتفهم لغة الملوك والساسة ، ويتفطن لمراميهم البعيدة ، وأهدافهم المقنعة بمعسول أقوالهم ، وحادثة واحدة وقعت بينه وبين ملك الروم تكشف لنا عن مقدار ما وصل اليه الشعبي فى فن الدبلوماسية . روى الاصمعى قال : وجه عبد الملك بن مروان عامرا الشعبي الى ملك الروم في بعض الأمر ، فاستكبر الشعبي فقال له : من أهل بيت الملك أنت ؟ قال لا . قال : فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله

رقعة لطيفة وقال : اذا رجعت الى صاحبك ، فأبلغته جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا ، فادفع اليه هذه الرقعة ، فلما صار الشعبي الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ، ونهض من عنده ، فلما خرج ، ذكر الرقعة ، فرجع . فقال : يا أمير المؤمنين انه حملني اليك رقعة أنسيتها حتى خرجت ، وكانت في آخر ما حملني ، فدفعها اليه ، ونهض ، فقرأها عبد الملك ، فأمر برده فقال : أعلمت ما في هذه الرقعة ؟ قال : لا قال : فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا ! ! أفتدرى لم كتب اليّ بهذا ؟ فقال : لا . فقال حسدني بك ، فأراد أن يغريني بقتلك . فقال الشعبي : لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني . فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال : لله أبوه والله ما أردت الا ذاك ! ! .

خلق الشعبي

قبس الشعبي من أضواء من عاشرهم من صحابة رسول الله في أخلاقه، واقتفى آثارهم ، وتأدب بالأدب النبوى الذى تأدبوا به ،فزكت نفسه،وعفت جوارحه. روى عنه أنه قال : ما حللت حبوتي الى شيء مما ينظر الناس اليه ، ولا ضربت مملوكا لي قط . وما مات ذو قرابة لي وعليه دين الا قضيته عنه .

وكان يخشى الا يؤدى حق العلم ، ويقول : ليتني لم أتعلم قط ، وودت أن أخرج منه كفافا لا علي ولا لي . وكان ذا تجمل في هيئته وزيه ، ومما قاله في ذلك : البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبه عليك العلماء ، وكان ذا دعابة ولطف يمزح بما لا ينافى وقارالعلماء، ولا يخدش حياء الصالحين .

دخل عليه رجل ، وكان مع امرأته ، فقال أيكم الشعبي ؟ ! ! فقال : هذه ، وأشار الى امرأته ، وقال له الحجاج كم عطاءك ، فقال : ألفين فقال : ويحك ! ! كم عطاؤك ، فقال : ألفان . قال الحجاج كيف لحنت أولا ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير ، وأعرب أنا ، فاستحسن ذلك منه ، وأجازه ، وسأله رجل : كيف كانت تسمى امرأة ابليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاح لم نشهده .

وكتب عبد الملك الى الحجاج : ابعث الي رجلا يصلح للدين وللدنيا اتخذه سميرا ، فبعث اليه الشعبي .

ولادته ووفاته

ولد الشعبي سنة ٢٠ هـ قال الشعبي ولدت عام جلولاء ، واختلف في سنة وفاته ، وذكرت فيها أقوال كثيرة ، قيل انها سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة ١٠٤ وقيل سنة ١٢٠ وقيل غير ذلك ، وقد شعر العلماء بالخسارة بوفاته .

روى محمد بن فضل بن عاصم : قال حدثت الحسن بموت الشعبي فقال : رحمه الله ان كان من الاسلام بمكان . وعن سوار عن أبيه قال : لما هلك الشعبي قال : انا لله وانا اليه راجعون ان كان لقديم السن ، كثير العلم : وانه لمن الاسلام بمكان ، ثم أتيت محمد بن سيرين فقلت يا أبا بكر هلك الشعبي فقال مثل ما قال الحسن .

اسمه وكنيته ونسبه

في ابن خلكان : هو أبو عمرو عامر بن شراحيل من عبد ذى كبار ـ وذو كبار قيل من أقيال اليمن ـ الشعبي وهو من حمير وعداده في همدان . وشراحيل بفتح الشين المعجمة والراء والحاء المهملة المكسورة ، والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين الى شعب ، بطن من همدان وقيل : الى جبل باليمن .

أبو بكر و عمر

لفضيلة الشيخ عبد الجليل شلبي
[illegible]

أكثر ما يتحدث الناس عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون عن هذين الصحابيين العظيمين • وقد ربطت بينهما الأحداث والصحبة فى الحياة ، كما ربطت بينهما الذكرى ونظرات التاريخ بعد الوفاة •

وربما كان الحديث عن عمر أبعد ذيوعا وأكثر ترددا ، وربما حاطت الأحداث سيرته بهالة من البهاء والجلال لم يظفر بمثلها أبو بكر ، ولكن سيرة أبى بكر وعظمته ومناقبه الوضاءة لم تكن تخفى فى غمرة هذا اللألاء ولا تتضاءل أمام هذا الجلال ، وكل ما هناك أن عهد عمر كان أطول زمنا واحفل بالأحداث ، كما كانت الدولة الاسلامية فيه أفسح رقعة وأكثر مشاكل ، ويخيل الي أنه لو امتد عهد أبى بكر الي الزمن الذى انتهى فيه عهد عمر ما تغيرت الأحداث الكبرى فى الدولة الناشئة ولا اختلفت القضايا الكبرى فى الفكر الاسلامي ، وقصارى ما يقال فى الرجلين أنهما صفيا فى مدرسة النبوة ، وصنعا على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يصهر المعدنان النفيسان فى البوتقة فيزول عن كل منهما ما به من أدران وخبث ، ويبقى المعدن النقي الكريم ، ولكن يبقى أيضا لكل معدن خواصه وصفاته •

وقد عاش الرجلان فى ظلال الاسلام من عهده الأول ، وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فجر الدعوة ، وكانا معه دائما عونين وصديقين ومستشارين ، فلما انتقل صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه تردد المسلمون فى اختيار أى أصحابه خليفة ، ولكن استقرت الأنظار منذ اللحظة الأولى عليهما •

قال أبو بكر لعمر ــ امدد يدك أبايعك بالخلافة •

عمر ــ أنت أفضل مني •

أبو بكر ــ أنت أقوى مني •

عمر ــ لك قوتي مع فضلك •

فضل أبى بكر وقوة عمر

وبويع أبو بكر بالخلافة ، فكانت له قوة عمر مع فضله ، ولكن كان له من نفسه قوة أكبر .

ويبدو أن امتياز أبى بكر بالفضل وامتياز عمر بالقوة هو موقف الفصل بينهما فى أدق فروقه وأصغر ما يتباينان فيه ، ولهما بعد ذلك صفاتهما المشتركة الكبرى التي تجمعهما روح الاسلام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومراقبة الله رب العالمين .

ويصدق هذا ما شبههما به النبي - قال لأبي بكر : مثلك فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برحمة الله وعفوه ، ومثلك فى الأنبياء كمثل ابراهيم ، اذ قال لقومه أف لكم ولما تعبدون من دون الله . وكمثل عيسى اذ قال لربه : ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، وقال لعمر : مثلك فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط والنقمة ومثلك فى الأنبياء كمثل نوح اذ قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، وكمثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

وهو تشبيه الصادق الأمين فجبريل وميكائيل مهما اختلفا من الملائكة وابراهيم وعيسى ونوح وموسى مهما اختلفوا كلهم أنبياء لا يخلو واحد منهم من فضل وقوة .

وقد غذت مدرسة النبوة كلا من الرجلين بما قربه الى صاحبه ، لأنها قربتهما جميعا من أخلاق النبوة ، ودربتهما على النهوض بعبء الدعوة ، ووضحت لهما معا أقرب السبل وأقومها الى بناء الأمة الاسلامية وحسن المحافظة على الاسلام .

كما اشتهر بين المؤرخين فضل أبى بكر وقوة عمر اشتهر أيضا أن أبا بكر أكثر محافظة وعمر أكثر اجتهادا وأوسع حيلة فى التصرف . والأمر كذلك ولكنه لا يطرد دائما فى كلا الوجهين اللهم الا ما كان فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو بكر أكثر طاعة وأقل مناقشة ، بينما كان عمر أكثر مناقشة وجدلا . ولكن نظرة فى موقفهما من حروب الردة ويوم عزم أبى بكر على جمع القرآن تظهر أن أبا بكر كان أكثر صلابة وقوة فى الأولى كما كان أدنى الى الاجتهاد فى الثانية وكان عمر ذا لين ومحافظة .

اسلامهما

كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، بلا تردد ، فلم يكن بينه وبين النبي أو بينه وبين المسلمين أى عداء أو مقاومة ، أما عمر فأسلم بعد نضال ومقاومة لدعوة الاسلام ولمن يعتنق الاسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، الا ما كان من أبى بكر ما عتم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

وقد يفهم من هذا أنه قبل الاسلام من غير نظر عميق وحسن تدبر ، أو أنه اندفاع كانت تنقصه الروية . لكننا اذا لاحظنا أن أبا بكر لم يسجد فى الجاهلية لصنم قط ، وأنه اذ قاده ابوه يوما الى مخدع الأصنام ليسجد لمعبودهم أخذ يسائله . اني جائع فاطعمني ، اني عار فاكسني .. ولم يكن يتوقع اجابة وانما هو اظهار لما فى نفسه من استخفاف بهذه الالهة ، .. وأخيرا رمى صنمهم بحجر تلاه لوجهه ومضى ، وهو اذ نفر من هذه الحالة الدينية قابل فى الجزيرة وفى الشام بعض التحنفين الذين عرفوا الله ، ونبذوا الوثنية ، وبشروا بنبي من العرب أظل زمانه . فأبو بكر لا يكتفي برفض الوثنية وانما يترقب فى نفسه الديانة الصحيحة ، وهو قد عرف محمدا من قبل ، وقدر ما فيه من صدق وأمانة وفضل وأخلاق هي أخلاق النبوة الأولى ، لهذا ولما عرفه من قبل من تبشير ورقة بن نوفل وبحيرى الراهب بنبوته قبل أبو بكر دعوة الاسلام بلا تردد .

ولا نقف طويلا عند هذه المسألة ، ولكننا نجد عمر الذى حارب الاسلام والمسلمين قبل اسلامه يدخل الاسلام فى لحظة سريعة تماما كصاحبه ولمجرد سماعه آيات من القرآن الكريم .

ودخل عمر الاسلام بحمية كالتي كان يحاربه بها ، وأعز الله به الاسلام والمسلمين ، لكننا نجد لاسلام أبي بكر أثرا لا يقل عن هذا الأثر ، ولا يتضاءل بجانب أثر عمر ، والفارق بين الأثرين هو الفارق بين طبيعة الرجلين .

عمر يجهر باسلامه فراح يذيعه ويخبر به أشد الأعداء خصومة ولددا . بكر يدق باب أبى جهل ليخبره فى تحد أنه دخل الاسلام ، وغاظ ذلك أبا جهل حتى ضرب بابه فى وجه عمر . كذلك ذهب يخبر جميل بن معمر الثقفي لما يعرف من حبه اشاعة الأنباء وبث الحديث — وأثار جميل عليه عامة قريش فقاوموه وقاتلوه وهو يقول . افعلوا ما تريدون فوالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا ، وهو الذى جعل المسلمين يجهرون بالآذان، ويخرجون الى الحرم للصلاة — فلما استجاب له الرسول خرج بين صفين : فى أحدهما عمر ، وفى الآخر حمزة ، ولهما كديد ككديد الطحين ، فدخلوا المسجد ، وقريش تعلوها كآبة ، ولا يجرؤ أن يقربهم عاقل ولا سفيه .

ولسنا بحاجة الى بيان ما لهذا من أثر فى الاقبال على الاسلام .

وقد ناصبت قريش عمر العداء ، وصممت يوما على قتله ، وبات الوادى من حول بيته يسيل بالأعداء ، وبات عمر نفسه خائفا يترقب حتى أجاره العاص ابن وائل ، فزاده هذا الجوار جراة .

أما أبو بكر فلم يصحب اسلامه كل هذه الجلبة ، ولكن كان من مبادرته لقبول الاسلام واصراره على القيام بشعائره جهرا أيضا ودعائه اليه ذوى الوجاهة والظهور من قريش أثر ايجابي ، له أثره العظيم فى الاقبال على الاسلام .

دعا أبو بكر عددا ممن كان لهم أثر اىأثر فى الفتح الاسلامي والفكر الاسلامي جميعا . دخل الاسلام بدعوته عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، وأقنع بدعوته أباه وأمه ، فحول البيت كله الى بيت اسلامي . كذلك ألح وأكثر من الالحاح على النبي أن يظهر بالمسلمين فى نواحي المسجد وأن يجهر بخطبته بين المسلمين لتسمعها قريش ، وكان المسلمون يومئذ قلة دون الأربعين . وعادت قريش أبا بكر وآذته ايذاء أشفى به على الموت ، وهم بالهجرة . فلما أبعد عن مكة قليلا رده ابن الدغنة ، وأجاره من قريش على نحو ما فعل العاص بعمر ، وقد كان لأبي بكر مسجد أمام بيته وكان اذا صلى فيه ورتل القرآن بكى ، فيجتمع عليه الناس حتى شكت قريش الى ابن الدغنة ، فقال لأبي بكر لم أجرك لتؤذى قومك . فرد أبو بكر عليه جواره وقال حسبي جوار الله .

وموقف أبى بكر يوم الاسراء لا ينسى أثره فى اعادة المرتدين الى الاسلام وقطع السنة الساخرين ، لقد لفت الناس الى ناحية الاعجاز الالهي وقوة السماء ، قال انا نصدقه فى الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ، فهذا أعجب مما تعجبون منه .. والذين كذبوا الخبر ، واستبعدوا وقوع الحادث نظروا اليه من الناحية المادية ، وقاسوه بطاقة البشر ، ولو التفتوا الى ما فيه من معجزة ومدد الهي ما كذبوه .

ففضل أبى بكر دعا الى الاسلام ما دعت اليه قوة عمر .

موقفهما يوم وفاة الرسول

ونذكر فى جانب القوة والفضل جميعا موقفهما يوم مات الرسول عليه الصلاة والسلام . كان عمر هو الذى سبق الى بيته وكشف عن وجهه ، فذهبت الصدمة بلبه حتى ظنها غيبوبة أو غيبة سيعود منها . وخرج الى المسجد يخطب الناس « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى الى ربه ... ثم رجع اليهم بعد أن قيل قد مات .. والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى .. الخ .

وعجز المغيرة بن شعبة أن يقنعه أو يهدئه ، فوقف يعلن ما يعلن فى الناس وهم من حوله ذاهلون .

وجاء ابو بكر ، فدخل على النبي ايضا ، فلما كشف عن وجهه ، وأيقن موته قال : طبت حيا وطبت ميتا .. بأبى أنت وأمي ... الخ . وخرج الى المسجد والناس حول عمر فناداه . على رسلك يا عمر أنصت .. ولم ينصت عمر ، ولكن الناس انصرفوا الى ابى بكر ، فخطب فيهم خطبته المشهورة ... من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .. وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

وبهذا فاء عمر الى رشده ، وقال : كأني لم أسمع هذه الآية من قبل .

لم يكن أبو بكر اذن ضعيفا ولم يكن عمر ناقص الفضل .

ومن الممكن أن نقول ان أبا بكر كان فى هدوئه أحكم وأعمق ، وان عمر كان أنشط وأمضى . وهو تمييز تقريبي ولا ريب لأنه لا تنقص عمر الحكمة ولا ينقص صاحبه النشاط .

والفرق بين الرجلين هو الفرق بين طبيعتين قبل كل شيء ، ولكن نضيف لذلك أن ابا بكر عرف محمدا صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ، وربط بينهما من الصلات ما لم يكن لعمر ، وأحبه أبو بكر أيضا وأعجب بصفاته وأخلاقه ، فلما آمن برسالته أحبها أيضا ، وأعجب بها ، وكان نتيجة ذلك الحب وذلك الاعجاب بالرسالة والرسول أن استسلم لتعاليم النبي استسلاما ملك عليه كل جوارحه ، فلم يناقش النبي فى مسألة أو يحاجه فى شأن عمل ، وانما أصبح جنديا للهولدين الله وطوع اوامر الرسول ، يؤمر فيطيع ، ولا شيء وراء هذا .

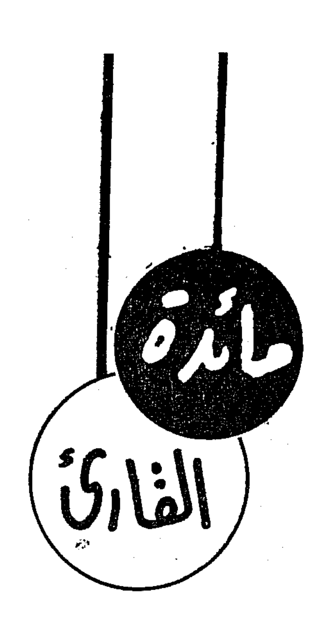
أما عمر فقد تأخر اسلامه ريثما يقتنع ولم يكن فى جاهليته نافرا من عبادة الجاهليين وعاداتهم . وانما كان لها فى قلبه نصيب فلم يتركها الا بعد بحث الاسلام والاقتناع به . فهو لهذا ولطبيعته أيضا يسأل ، ويجادل حتى يقتنع ، وقد يقترح على الرسول وكثيرا ما أيد الوحي اقتراحه ، وكثيرا ما اقتنع بخطته فى الاقتراح وفى الجدال .

ويفسر طبيعة الرجلين موقفهما من صلح الحديبية ، فقد ظنه الصحابة مجحفا بالمسلمين ، وغضب له عمر وغير عمر ، وقبله أبو بكر راضيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه . وفى حدة الجدال بينهما لا يزيد أبو بكر على أن يقول لعمر الزم غرزك فاني أشهد أنه رسول الله .

واذن فرسول الله فى نظره اكبر من أن يحاج ويعارض ، ولذلك لم يحاججه من قبل أو يعارضه كما كان يفعل عمر .

وتمضي الأيام بالرجلين فاذا أبو بكر خليفة بعد رسول الله ، واذا الرجل اللين

البقية على ص ٦٢



على مائدة الخمر

رفع قوم شربوا الخمر الى عمر بن عبد العزيز ، فأمر بجلدهم ، فقيل له ان فيهم فلانا وقد كان صائما ، فقال ابدأوا به ، أما سمعتم قول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) .

أربعة ضائعة

سراج فى الشمس ، ومطر فى سبخة ، وحسناء عند عنين ،وطعام عند سكران .

مثاليـة

روى أن عبد الحميد لقي ابن المقفع فقال له : بلغني عنك شيء أكرهه ، فقال : لا أبالي ، قال : ولم ؟ قال : لأنه ان كان كان باطلا لم تقبله ، وان كان حقا عفوت عنـه .

الى الميدان ...

قالت أمية بنت قيس الغفارية : اتيت الرسـول صـلى الله عليـه وسلم فى نسوة من غفار ، فقلنا : يارسول الله قد أردنا الخروج معك الى وجهك هذا — وكان يسير الىخيبر — فنداوىالجرحى: ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركـة اللـه .

الصغيرة والكبيرة

ذكر ابن عباس فى تفسير قول الله عز وجل : لا يغادر صغـيرة ولا كبـيرة الا أحصاها ، قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحـك .

لا تحتاج الى تأويل

سئل الجاحظ : ما تأويل هذه الآية « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » ؟ فقال : تأويلها تلاوتها .

ضمان

استقرض الاصمعي صديق له ، فقال : حبا وكرامة ، ولكن سكن قلبي برهن يساوى ضعف ما تطلبه ، فقال : يا أبا سعيد أما تثق بي ؟ قال : بلى وان خليل الله كان واثقا بربه ، وقد قال له : ولكن ليطمئن قلبي .

سائل لبق

وقف اعرابي على حلقة الحسن البصرى ، فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسي من كفاف ، أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابي احدا منكم حتى طالبه بالصدقة .

صلح ... وسلح

قال بعض الادباء فى مجلس الوزير ابي الحسن بن الفرات : تقام السين مقام الصاد فى كل موضع ، فقال الوزير أتقول : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم » . ام سلح ، فخجل الرجل وانقطع عن مجلسه .

رد مفحم

قال يهودى لعلى – كرم الله وجهه – مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم ؟ فقال علي : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم : يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ؟



بين عجوز وزوجها

قالت عجوز لزوجها : أما تستحي أن تفعل ما يوجب رجمك ، ولك حلال طيب قال : اما حلال فنعم ، واما طيب فلا .

أثكلتها القافية

[illegible]

سؤال وجواب

قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به ، قال : فان عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به قال : فان عدمه؟ قال : مال يستره . قال : فان عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه وتريح العباد منه .

تربية عربية

[illegible]

الهادىء أشد ما يكون صلابة فى اقامة الدين والمحافظة على سنة الرسول حتى ليبدو عمر القوى الشديد أقل منه صلابة وأقرب الى اللين .

لم ير عمر أن يخوض المسلمون حروب الردة فأجابه أبو بكر أن ماذا يا عمر ؟ أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله لحاربتهم عليه . ومع ما فى هذه العبارة من روح المحافظة فان أبا بكر لم ينقصه التطور . بل كان أسبق اليه من عمر .

وأصبح عمر خليفة أيضا .

واذا الصارم العنيف يهدأ ويلين ، ويرفق حتى لتراجعه امرأة من رعيته فيقبل مراجعتها ، ولا شك أن رصيده من التجارب الطويلة الان من حدته ، وكفكف من غرب اندفاعه ، وأقنعته الحوادث بقصر نظره بجانب الرسول فى حوادث شتى منها صلح الحديبية الذى تبين فيما بعد أنه كان برا وبركة على المسلمين حتى طلبت قريش أن تتنازل عما طلبته لنفسها فى هذا الصلح من شروط .

ومنها موقفه من الصلاة على عبد الله ابن أبي .

وقد كان عبد الله من أشد أعداء المسلمين لددا ، وهو الذى مشى بقالة السوء بين الناس وكادت دعوته تحدث فرقة بين المهاجرين والأنصار ، واقترح عمر يومئذ قتله ، وأراد ابنه أن يقتله ان اراد النبي ذلك ، ولكن النبي قال انا لا نقتله بل نرفق به ، ونحسن اليه ما دام فينا ، فلما مرض طلب قميص النبي ليستشفى به فوجهه اليه ، فلما مات قام يصلي عليه ، فوقف عمر فى صدره يصده وهو عليه السلام يبتسم ، ويقول أخر عني يا عمر .

وصدقت فراسة الرسول ، اذ أسلم ألف من أتباعه اذ رأوه يستشفى ببردة الرسول .

وشبيه بهذا موقفه من سهيل ابن عمر .

كان خطيبا مفوها اعتاد أن يشن بخطبه حروبا على المسلمين ، وأسر يوم بدر ، فاقترح عمر أن تخلع ثنيتاه السفليان ، وكان أفلج واذن فلن يستطيع الكلام فضلا عن الخطابة .

ورفض النبي هذه العقوبة قائلا لعمر عسى أن تراه فى موقف لا نذمه فيه . ورآه عمر فى حرب الردة يخطب ضد المرتدين بما هو أقوى من السيف، فتذكر موقفه وكلمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وخالف عمر أبا بكر فى توزيع الفيء ، فلم يسو بين الناس وانما قسم بحسب منازلهم ، لكنه ما لبث أن رجع عن طريقته ، وأعلن أنه سيقسم حسب الرءوس لا حسب البيوت . لان عمر لرعيته ولكنه اشتد على نفسه وعلى ولاته ، حاسب نفسه أعنف حساب ، وجار عليها ، وحاسب ولاته ، ولم يجر عليهم ، ورفق برعيته رفقا عظيما الا أن يخرجوا عن حدود الله .

مهما يكن من شيء فهذان الرجلان من أعدل ما شهد التاريخ ، وأنقى ما شهد التاريخ ، وأنفع ما شهد التاريخ للمبادىء العليا ولاسعاد الأمة وبناء الدولة ، ولا عجب فهما أيضا من أنبغ وأوعى ما أنجبت مدرسة النبوة .

بقية التصوف

بعض الدجالين الذين يندسون بين صفوف مشايخ الطرق بملابسهم القذرة المهلهلة التي يظنون انها دليل على تصوفهم ، هؤلاء استطاعوا ان يسيئوا الى الصوفية لفترة طويلة وساعد على انتشار هذه الصورة المشوهة عن الصوفية فى اذهان الناس ما سمعناه من قصص تاريخية عن بعض المارقين والمنبوذين الذين كانوا يتظاهرون بالدين فى سبيل الحصول على المناصب والامتيازات .

ومما قالوه : يكفى ان لدينا ٦٣ شيخ طريقة يتبعهم خمسة ملايين داخل جمهوريتنا ، وعشرة ملايين فى البلاد الاسلامية الاخرى وهؤلاء جميعهم يربطهم تاريخ قديم فالجنس البشرى عرف التصوف قبل الاديان السماوية وعرفه من الاغريق ثم من الهنود ، وجاءت بعد ذلك الاديان لتهذيب فكرته ، ولتضع اهدافه الجديدة فى خدمة رسالتها وحملها الى كل العباد ، ولم يعرف المسلمون حكمة التصوف الا عندما ترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية فىعصر العباسيين وعندماوصلت هذه الدعوة الى مصر التي تدعو الى الاتصال بالله عن طريق الزهد والمعرفة .

ونحن بدورنا نسأل علماء الجيل ولجان الفتوى فى العالم الاسلامي : هل كانت مهمة الرسل الربانية تجديد الصوفية اليونانية والهندية وحملها الى كل العباد ؟ ..

ثم ختمت المجلة التحقيق بما اجاب فضيلة الشيخ احمد الشرباصي وهو :

توجد دراسات كثيرة حول التصوف ونشأته ولكن من المؤكد ان التصوف بطرقه المعروفة وصوره الشائعة بين الناس لم يكن معروفا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فى عهد خلفائه الراشدين ولا من قرب منهم فى العهد والتاريخ واذا كان هناك خلاففىموضوع التصوف وحتى فى نشأته واسمه فان الغالب على الظن هو ان الاتجاه الصوفي قد شاع فى المجتمع الاسلامي بسبب ضعف الاقبال على الدين .

فرأى الدعاة والزهاد ان يقوموا بحركة مضادة لهذا الشغف بالدنيا ومتاعها ، ويبدو ان بعض الذين انتسبوا الى هذا الاتجاه اسرفوا فيه قليلا او كثيرا ، فخرجوا به عن سواء السبيل ، ثم تعقدت الامور بعد ذلك ، وظهرت العناية بالاشكالوالصور اكثر منالعناية بالمبادىء والقيم ، وفى ظل هذا الانحراف تكاثرت الطرق الصوفية ما بين مستقيم ومعوج وبعيد عن روح الاسلام ، **ومع هذا نستطيع اذا تذكرنا الهدفالاساسي لاعلام الصوفية الذين احسنوا الجمع بين احكام الشريعة ومبادىء التصوف ، وعنوا بتطهير النفس البشرية من أدرانها وشهواتها ان نقول ان الهدف الاسمى للتصوف هو تحقيق صفة الاحسان التي يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ((الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)) ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة سيطرت عليه روح المراقبة فلم يرتكب فى الانفراد والاجتماع بالناس ما يسيء الى دينه او يغضب خالقه ولكن السؤال الذى يحتاج الى جواب هو ما مدى قرب او بعد الطرق الصوفية القائمة بأشكالها وصورها من هذا الاحسان الذى اشار اليه رسولنا الكريم ؟ ..**

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام

للدكتور :
محمد كامل الفقي
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر

العرب منذ فجر التاريخ أمة تجارية ، قامت علاقة التجارة بينها وبين فارس والروم ومصر والحبشة وغيرها .

وبلاد العرب لم تكن سواء في الجدب والنماء ، فجل اليمن زرع وثمر ، على غير ما نجده في نجد ، وبعض الحجاز واد غير ذي زرع ، وبعضه ذو خصب يزرع .

يقول الألوسي : (وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر ، فكانت تجاراتهم كثيرة ، ومعايشهم وافرة ، لما في بلادهم من الخصب والرخاء ، والذخائر المتنوعة ، والمعادن الجيدة ، وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى ، وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة . لأن الغالب على ارضهم الرمال ، فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة) .

فللعرب شأن اى شأن في التجارة ، وقيام المعاملة بينهم وبين غيرهم من الدول المحيطة بهم ، وبينهم وبين أنفسهم .

وقد كان الانباط يختلفون بين بلاد الشام والحجاز والعراق في الجاهلية ، أما الحجازيون فقد كانت التجارة من أهم مرافق الحياة عندهم ، حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة ، وصيت بعيد ... ويمكن أن يقال ان تجارة التمر والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال الحجاز (١) .

ولأمر ما حفل القرآن الكريم بذكر التجارة ، وأدارها في غير موضع منه ، وترددت عبارات : التجارة والبيع والشراء والكسب والقرض والربا في جوانب عدة من سورة البقرة . يقول الله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٢) . « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياى فاتقون » (٣) . « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » (٤) . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (٥) . « ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » (٦) « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ،

---

(١) ص ٢٢ من أسواق العرب لسعيد الأفغاني نقلا عن تاريخ اليهود في بلاد العرب .
(٢) الآية ١٦ (٣) الآية ٤١ (٤) الآية ٧٩ (٥) الآية ٨٦ (٦) الآية ١٠٢

ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار »(١)

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » . « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » (٢)

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلة ، ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » (٣) « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض » (٤) . « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ، فله ما سلف ، وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات » (٥) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ... الى قوله : « وان كان ذو عسرة » .... الآية . « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الآية ... » (٦) .

وفى لغة العرب وفى أشعارهم وأمثالهم فيض من الالفاظ الدالة على المال والربح والقرض ، سواء استعملت فى معانيها الوضعية ، أم أريد فيها التجوز ، وفى هذا كله ما يدل على شغف العرب بالتجارة ، وشدة احتفالهم بها ، وتعويلهم عليها ، وأنها أهم مصادر حياتهم .

كان ذلك شأن التجارة فى الجاهلية ، فتون بها ، وتوفر عليها ، فلما أشرقت شمس الاسلام لم تفتر سوقها ، فهي عمل وكفاح ، والاسلام دين العمل والكفاح ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبل الرسالة بحظ منها ، فكان أروع الأمثال فى الأمانة ، وقد رأينا الاسلام ينظم شؤون التجارة ، ويبين حلالها وحرامها ، ويضع لها دستورا يكفل حق المعاملات كافة ..

الاسلام ينظم شئون التجارة

وهنا التفاتة الى امرين كلاهما يفصح أشد افصاح عن تداول التجارة بين العرب، واستغراقهم فيها .. فالله سبحانه وتعالي يقول : « قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . (٧)

وهذا القول الكريم انما يبين مدى حبهم للتجارة وغلوائهم فيها .

وهو سبحانه يقول كذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع .. » (٨) . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » وقد قال الزمخشرى فى تفسير الآيتين . ان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم ، وينصبّون الى المصر من كل أوب وقت هبوطهم واجتماعهم .. وعند اغتصاص الاسواق بهم ، اذا انتفخ النهار ، وتعالى الضحى ، ودنا وقت الظهيرة، حينئذ تنشط التجارة ، ويتكاثر الشراء ، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد ، قيل لهم بادروا الى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا الى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأربح ..

هذا ولا يظن ظان أن النهي عن البيع فى هذا الوقت من يوم الجمعة يراد به ما بعد نزول الآية فحسب ، انما هي لشره التجارة وحدتها قبل النزول ، فهي تروض المؤمنين من قبل ومن بعد ، على ايثار الصلاة على البيع والشراء ، وآثارها المادية .

وقد تطلع التجار الى الوحي أن يبين لهم أثمان السلع ، فيشتروها اذا انحط الثمن ، ويبيعوها اذا ارتفع وعلا ، ليزيد ذلك فى اموالهم حتى نزل قوله تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب

---

١ — الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ ٢ — الآيتان ٢٠٧ و ٢٤٥ . ٣ — الآية ٢٥٤
٤ — الآية ٢٦٧ ٥ — الآيتان ٢٧٥ و ٢٧٦ ٦ — الآيات ٢٧٨ و ٢٧٩و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢
٧ — الآية ٢٤ من سورة التوبة ٨ — الآية ٩ و ١٠ من سورة الجمعة

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) . (١)

هذه الديباجة تكشف عن ولوع العرب بالتجارة فى جاهليتهم واسلامهم . وعن نشاطهم فى عرض سلعهم ، وهي تتأدى بنا الى القول بضرورة اقامة الاسواق فى أهم مدن الجزيرة ، وفي أعظم مواسمها ، تفدو القوافل اليها من مختلف الجهات، وتعرض ما حملته من شتى السلع ، يتلقاها الطالبون فى رغبة وانتظار ، وقد كانت هذه الاسواق تمشي على نسق دقيق ، ونظام تجارى محكم ، وتؤدى الى الغاية التي يؤديها العمل الذى تهيمن عليه الحكومة ، ويخضع لسلطانها .

ولو أن هذه الاسواق ظلت تحمل الطابع التجارى وحده ، ولم يكن هم روادها الا البيع والشراء ، والكسب والمغانم ، لما حمل التاريخ كثيرا من خيرها ، وما نقلت الآثار الا النزر اليسير من أحوالها وأمورها ، ولما كان لها بحياتنا الادبية صلة ، ولما اهتم دارسو الادب الجاهلي والاسلامى بدرسها والبحث والتنقيب فى آثارها ، ولما شفت عن صور ناطقة من حياتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها .

لكنها صارت فيما بعد كما سنبينه بالتفصيل — مواسم اجتماعية ، ومؤتمرات أدبية نابضة بالحس والحياة ، وكانت نبعا لدواوين ادب وشعر ، نجد فى درسه ومتابعته متعة للنفس والروح ، ثم هي بهذه المثابة كفلت تراثا مجيدا للعروبة وآدابها ورواياتها ما كنا نغنمه لو لم تكن هذه الاسواق التي تشغل العام كله ، وتنتقل فى خلاله من مكان الى مكان ..

تأمين أسواق العرب التجارية

كان للعرب اشهر حرم تضع فيها سلاحها ، حتى يلقى الرجل قاتل أبيه ، فلا يتعرض له بأذى ، وهذه الاشهر هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، وأطلقت العرب اسم حروب الفجار على حروب قريش وهوازن فى عكاظ ، لفجورهم باقتتالهم فى الشهر الحرام ، وسموا رجبا بالاصم لانه كان لا ينادى فيه (يا صباحاه) ولا (يا لفلان) فيقطع فيه صوت الاسلحة ، وفى هذا المعني يقول الطبرى : وتسمى مضر الشهر الحرام بالاصم لسكون اصوات السلاح فيه (٢) .

وحين أوفد النبي صلى الله عليه وسلم سرية عبد الله بن جحش تترقب عير قريش وتعود بخبرهم ، فقتلت السرية عمرو بن الحضرمي فى نخلة بين مكة والطائف ، وحضرت السرية بالعير وبالاسيرين الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غضب النبي (صلى الله عليه وسلم) من اقدام السرية على القتل فى رجب ، وأبى أخذ الخمس من الغنائم ، وراح من بالمدينة يدافع عن عبد الله وصحبه بقولهم : ان قتل الحضرمي كان أول شعبان، ثم تشدق أعداء الاسلام من قريش بهذا الحادث وراحوا يشيعون بين الناس ان محمدا وصحبه انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، وأخذوا الاموال وأسروا الرجال ، وأهاجوا بذلك العرب على النبي، ومن معه حتى نزل قوله تعالى : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) . الآية (٣) .

ولشدة تعظيم العرب لرجب قيل له رجب مضر ، ولم يكن يستحله « الاحيان » : خثعم وطيء (٤) .

اقام العرب أغلب أسواقهم فى الاشهر الحرم ، لتقوم تجارتهم فى حمى الامن ، وفى ظل الاستقرار، وليكونوا بأموالهم فى منجاة من الفتن وأهوالها ، والحرب ووبالها ، وذلك هو الذى كفل لقريش التي تسكن الحرم ان تكون لها الزعامة فى التجارة.

---

(١) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) جـ ٢ : ٢٠١ — يقول المرزوقي . وكانت العرب تعظم رجبا وتسميه منصل الأسنة ومنصل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة من الرماح والحراب توطينا للنفس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبهم جـ ١ ص ٨٩

(٣) الآية ٢١٧ من سورة البقرة . (٤) الأزمنة والأمكنة ١ : ٩٠ .

في رجب كانت تقوم سوق حباشة وصحار ، وفي ذي القعدة كانت تقوم سوق حضرموت ، وفي ذي القعدة وذي الحجة كـانت تقوم عكاظ وذو المجاز .

لكن قيام الاسواق لم يطرد في الاشهر الحرم ، ولم تنتظم جميعها في خلال حرماته ، يقول المرزوقي: (قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي في اسناد ذكره : ان اسواق العرب الكبيرة كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سوقا ، فأولها قيامـا سوق دومة الجندل ، وهي على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة وعلى عشر مراحل من الكوفة وعلى عشر مراحل من دمشق ، ثم صحار . ثم دبا ثم الشحر ، ثم رابية حضرموت ، ثم ذو المجـاز ، ثم نطاة خيبر ، ثم المشقر ثم حجر باليمامة ، ثم منى ، ثم عكاظ ثم عدن ، ثم صنعاء ، وكانت هذه الاسواق منها ما يقوم في الاشهر الحرم ، ولا يقوم في غيرها ، ومنها ما لا يقوم في الاشهر الحـرم ، ويقوم في غيرها ، لكن أحدا لا يصل اليها الا بخفير ، ولا يرجع الا بخفير (١) .

فالعرب لم يكونوا في شتى أسواقهم ،ومختلف احيانهم يوقرون حرمة هذا الشهر ، وقد كان مما يحط من شأن القبيلة ، ويزرى بها بين أقرانها أن تهتك قدسيته ، وتحمل فيه سلاحها . يقول ابن هشام : أتى آت قريشا فقال : ان البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ (٢) وقد قال ذلك استعظاما لهذه القتلة ، واستنكارا لذلك الاثم ..

وكما حرم العرب على أنفسهم أن يقتتلوا فـي هذه الاسواق ، اذ كانت تقع في الاشهر الحرم ، كان الاغريق يحرمون على انفسهم ان يقتتلوا في مجامعهم التي سبقوا العرب اليها ، باحتشـادهم في (الجمناسيوم) للالعاب البدنية التي كـانوا يقيمونها كل اربع سنين كلما حجوا هيكل المشترى في اولمبية ، فلما استوثق لهم الامر ، وتأيد الملك كانت عاقبة أمر هذه المجامع ان اصبحت اندية لانشاد اشعارهم ، وعرض افكارهم ، ومن اثر ذلك كان اطلاق لفظ الجمناسيوم اليوم على دور التعليم في اوروبا وعلى الاخص في ألمانيا (٣) .

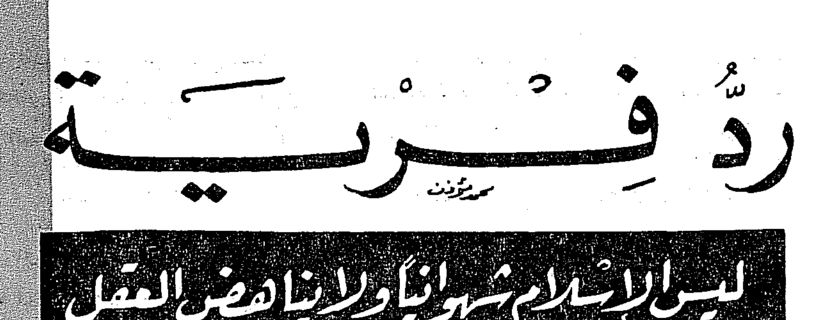
أسواق التجارة مؤتمرات أدبية

وبصدد مشابهة اسواق العرب للاندية الرياضية يقول سيديو : (أنشأ العرب اسواقا عامـة يتعارفون فيها ، فلم تكن هذه الاسـواق في عكاظ ومجنة وذي المجـاز سـوى مؤتمرات للشـعر في الحقيقة خالية من التحكم على النفوس .

ولا شيء اروع من تلك الاسـواق على ما كان يسودها من البساطة ، فقد كانت تشابه الالعاب الاولومبية ، فكان ينهض مقاتل شجاع متزن الخطا أمـام الجمهور ، صامت جامع لحواسه ، لم يكن عليه من الزينة ما يشير الى أنه مـن طبقة عالية ، فكانت الابصـار تشخص اليه ، فينشد بصوته الرخيم من فـوق مرتقى قصيدة بأسرها ، فتراه يترنـم بأعماله السامية ، وشرف عشيرته أحيانا ، وتراه يمدح القوة والشجاعة احيـانا ، وتراه يصور عجائب الطبيعة وعزلـة الصحراء والمناهل المنتفاة ، ويصـف الغزال أحيانا ، وذلك على حين يسـير الجمهور مع المشاعر التي يود الشاعر أن يومىء بها اليـه ، فيشـاهد على وجهه المتنبه ، علائم الاعجاب بالبطل الصابـر في الضراء ، كما تشاهد علائم احتقـار الجبان النذل ، وما كان المستمعـون يخفون عواطفهم ، والشاعر كلما توسم اعتراف الجمهور بقدرته ، عاد الـى نشيده بحماسة جديدة .

(يتبع)

١ ـ الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١ ٢ ـ سيرة ابن هشام طبعة أوربا ١١٨
٣ ـ هامش تاريخ الادب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ١٥ .



لفضيلة الشيخ عبد العزيز خياط
عميد كلية الشريعة
عمـان

دعني اسكب نفسي فى ذوب من العطر : فقد سئمت روائح العفن !

دعني ابدد من حواليَّ أنفاس السموم تلقي بها ريح الشبهات، فقد اشتقت الى أريج الزهر تلقي بها رياح الجنان !

دعني انقط من ذوب العطر على يديك ، والقي من أرجه أمام أنفاسك !

وأى عطر هذا غير عطر الاسلام ؟

وأى اسلام !

اسلام غلَّف حقه أباطيل الشبهات ، ودسائس الحانقين فمنعوا العطر أن يفوح ، والأريج أن يعبق !

كان هذا (الاسلام) الدين القيم ، واضح المعالم ، بيّن الآيات ، ظاهر الحجة ، يوم فقهه محمد صلى الله عليه وسلم وحمله أصحابه فى عهده وبعد مماته ، فنشروه فى الآفاق ، وهدوا به الضالين ، وأناروا به السبل ، فاقبل عليه الناس من كل جانب ، وتدارسوه فى كل قبيل، وتعلم لغته أهل كل لسان ، حتى انتشرت اللغة بانتشار الدين فى كل صقع ، وأصبحت اللغة العربية أوسع اللغات انتشارا ، واصبح الاسلام دين الأكثرية ، قمع الله به حجة المجوس وباطل الهندوس ، وأزال به لجلجة المجادلين ، وتجادل أهل الدين وادال به دولة الفرس ، وخضد به شوكةالرومان، وأصبح للمسلمين الشوكة والسلطان ، والظهور والقوة ، وقد كانوا أمة أمية متفرقة ضائعة ، لا يجمعها كيان ، ولا توحدها دولة ، ولا ينتشر لها عرفان ..

فكان عطر الاسلام ، هو الطيب الذى سيطر على أجواء الكون دهورا بلغت عدتها اكثر من الف وثلاثمائة عام ..

الدس على الاسلام

وعلى الرغم من أولئك الذين هالتهم قوة الاسلام فىدولته ، وروعته فى حكمه، ونصاعته فى أحكامه ، وتفاعله مع أتباعه،

فاخذوا يدسون فى الدين ما ليس منه ، بطريقة خفية خبيثة كالذى فعله كعب الأحبار فى الاسرائيليات ، وابن سبأ فى السياسيات والعقائد ، والوضاعون فى الاحاديث ، والزنادقة فى الأدب ، والمنافقون فى احاديث النسب والمدح ، والمتصوفة فى الحلول ووحدة الوجود ، على الرغم مما فعله هؤلاء فقد ظل فى المسلمين من يقرع الحجة بالحجة ، ويزيل الباطل ببرهان الصدق ، حتى ضعف أمر المسلمين وهانت قوتهم ، وابتعدوا عن ينابيع الاسلام فى تفكيرهم واحكامهم ، فبدأ الغربيون من المستشرقين واشباههم يدسون على الاسلام ويكيدون له بطرق متعددة ، وافكار متجددة ، ادخلوها الى الاسلام فى دولة المسلمين ، وازيل حكم الاسلام عن بلاد المسلمين ، وتوزعها الغرب اسلابا ممزقة الاوصال ، وقسمها الى عالم اسلامي ، وعالم عربي ، ثم قسم العالم الاسلامي الى دول متفرقة ، وجزأ العالم العربي الى اشلاء ممزقة استعمرها ــ وما زال يسيطر على قسم منها ــ ثم لما استقل عنه بعضها كان قد افلح فى ابعاد الاسلام من دساتيرها وقوانينها ..

وقد وردني منذ ايام كتاب من مستفسر هاله ان يسمع من صديق له أن الاسلام شهواني وان محمدا عليه السلام قد سن للمسلمين تلك السنة بتعدد زوجاته فتذكرت أن المستشرقين منصفين ومغرضين قد تعرضوا لكثير من المسلمين بأمثال هذه الشبهات فما كان ولزود وزى وجولد تسيهر وكارليل وجيلمان ودرمنغهم وغريم ونولدكة ومرجليوث وماكس مايرهوف وبرتلمي سانت هيلير وهوار ومونته وريبون ، من المنصفين ، وزويمر وجيب ولامانس وسبرنقر ورينان وغيرهم من المغرضين ، الا متعرضين لذلك بتحامل أو بغير تحامل ، ومن ذلك ما ردده تنمان[1] قائلا : (العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة ، ولقد كان أولا صابئيا ثم استغل حماسته دينية وحربية من دين محمد المتوفى سنة ٦٣٢ م وهو دين شهواني وعقلي معا[2] . ثم يتحدث عن العقبات التي عاقت الفلسفة عن التقدم عند العرب ويرجعها الى : ــ

١ : ــ كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلي الحر .

٢ : ــ حزب اهل السنة وهو حزب متمسك بالنصوص .

٣ : ــ ما فى طبيعتهم القومية من ميل الى التأثر بالاوهام (٣) .

أهذا الاسلام شهواني ؟!

أيه احكام جائرة يلقيها هذا وأمثاله ؟

ان كان فى شخص رسول الاسلام ــ فما عرف عن محمد صلى الله عليه وسلم انه خاض فى لهو او سار فى عبث ، او اعجبه هذا الذى يعجب الفتيان فى سنه يوم كان شابا فى مقتبل العمر ، لم يتنزل عليه وحي ولم يحمل رسالة ، بل كانت احكام الجاهلية هي المسيطرة المسيرة للناس من حوله ، روى ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم اعرض عن اللهو فى صباه مرتين ، القى الله عليه النوم فلم يدخل مع الشبان فى عبثهم ولهو الأعراس .

وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج امرأة ثيبا تكبره بخمسة عشر عاما فلم يختر فتاة كاعبا ، مع تهافت الأسر على تزويجه وقد عرفا بالصادق الأمين ، وبقيت معه حتى توفيت فى الرابعة والستين وهو فى سن الحادية والخمسين فقضى شبابه وكهولته وأشرف على الشيخوخة وهو لم يتزوج غير خديجة ، ولم تتطلع عيناه الى دنيا سواها ، أفكان محمد شهوانيا لأنه كان كذلك ؟ وظل ثلاث سنوات بعد ذلك مع امرأة ايم غير جميلة انقذها بالزواج بعد

١ ــ فرنسي مستشرق توفي سنة ١٨١٩ .

٢ ــ كتاب « المختصر فى تاريخ الفلسفة » .

٣ ــ الكتاب السابق ص ٣٥٨

وفاة زوجها المسلم ومعاداة أهلها لها ، ثم لم يتزوج بعد ذلك أية امرأة الا لتحقيق مصلحة دينية تتعلق باقرار حكم كابطال التبنى واحكامه فى زواجه من زينب بنت عمته ، وكابطال الرق فى زواجه من جويرية بنت الحارث ، او تتعلق بتوكيد الصلات كزواجه من عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر ، او تتعلق برعاية أسرة وكفالة أيتام كزواجه من ام سلمة ، وكل اللواتي تزوجهن باستثناء عائشة كن أرامل قد فقدن الزوج او العائل !

فاين مكان الشهوة فى حياة محمد بعد هذا ؟! .

واما الدين نفسه ففيه القصد حتى من انصياع الانسان للشهوات المباحة قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (الاية) وفيه الانكار على اولئك الذين يتمرغون فى الشهوات ، ويحيون للذات ، ويحبون ان تشيع الفاحشة « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وفيه التنظيم الشامل للعلاقة الجنسية ، والحد من الانطلاق فى الشهوة ، فالزواج وما يتعلق به من أحكام وشروط الشهود عند عقد النكاح وتقدير العلاقة الزوجية وما يترتب عليها من المهر وحقوق الزوجين وكراهية الطلاق وتحبيذ الاقتصار على الزوجة الواحدة .. انما شرع ذلك من أجل أن يعرف الانسان حده فلا يتجاوزه .

والاسلام يمنع المسلم أن يتزوّج المشركات ولو أعجبنه (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) حتى لا ينطلق وراء الغريزة كيفما يشاء ، وحدد للمسلم حدودا فلا يباح له الزنا ، فان فعل ذلك عوقب أشد العقوبة وكذلك المرأة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

ولا يباح للمرأة أن تخون زوجها فان فعلت فان عليها لعنة الله وغضبه (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) أى فى خيانتها له وقد نهى الاسلام أشد النهي عن الأمور المنكرة من الفواحش حتى لا يكون الانسان شهوانيا (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) .

والاسلام يدعو الى عدم الاسراف فى المأكل والمشرب والملبس ، وهي شهوات (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال صلى الله عليه وسلم (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة) ونهى عن شرب الخمر ، وأمر بغض البصر . « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

أدين شهواني هذا الذى يبالغ فى العفة والطهر ، ويدعو الى الصوم والعبادة ، ويمنع الترف والسرف ، ويحرم الزنا والعهر ؟ .

شهادة منصف

ما أجمل ما يقوله كارليل فى انصاف الاسلام (وقد قيل وكتب كثيرا فى شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى كل ما قيل وكتب جورا وظلما ، فان الذى أباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه وانما كان جاريا متبعا لدى العرب من قديم الأزل ، وقد قلل

محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها من الحدود ما كان فى امكانه ان يجعل ، والدين المحمدى بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم والقواعد الصعبة الشديدة ، وفيه الصلاة خمس فى اليوم والحرمان من الخمر) . وانه لتناقض ان يثبت أن الاسلام عقلي ثم ينفيه بعد ذلك حين يقرر ان الاسلام يعوق النظر العقلي الحر وأن من طبيعة العرب التأثر بالأوهام ..

فالاسلام « يقوم على العقل ويقدر التفكير ويدفع اليه ، ويقيم العقيدة على النظر العقلي قال تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

ثم هو ينعي على اولئك الذين لا يفكرون ولا يعقلون (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين) .

والاسلام يكرر فى كثير من آياته الدعوة الى التفكير (لعلهم يفقهون) (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (ان فى ذلك لعبرة لأولي الابصار) (أفلا يبصرون) (أفلا يعقلون) الى آخر هذه التذييلات فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم وهو يرفع بذلك شأن العقل والتفكير ، والعلم والعلماء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

والاسلام يعتبر مجلس العلم خيرا من عبادة ستين سنة ، ويجعل طلب العلم فريضة ، ويقيم العالمين بمنزلة الشهداء ، ويجعل الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم .. وكل ذلك رفع من شأن العقل والعلم ، فكيف يكون عائقا عن النظر العقلي ؟ ؟ .

ونظرة سريعة الى تاريخ الفكر الاسلامي لتشهد الروعة متجسمة فى المفكرين الأوائل فى تاريخ الاسلام ، فمعاذ ابن جبل وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والخليل ابن احمد الفراهيدى وابن سيرين وعطاء ابن ابى رباح وابن المسيب والحسن البصرى والنظام والعلاف والجاحظ وأبو حنيفة النعمان والشافعي ومالك والثورى والليث بن سعد والأوزاعي وابن رشد والكندى والفارابي وابن سينا وغيرهم من الذين فكروا فى الكون الفسيح وبحثوا فى الله وصفاته وفى أفعال الانسان وصلاح الكون ، والذين وضعوا قواعد الفكر فى الأصول والفقه والذين توسعوا فى العلوم الأخرى كابن الهيثم وابن حنين وبختيشوع والرازى وابن حيان وغيرهم .

أكان الاسلام عائقا لهؤلاء عن التفكير ؟ اهؤلاء تعلقوا بالأوهام ؟ أم أن اوروبا هي التي كانت غارقة فى ضلال الأوهام وخرافات السحر ، وسخافات الأساطير ..

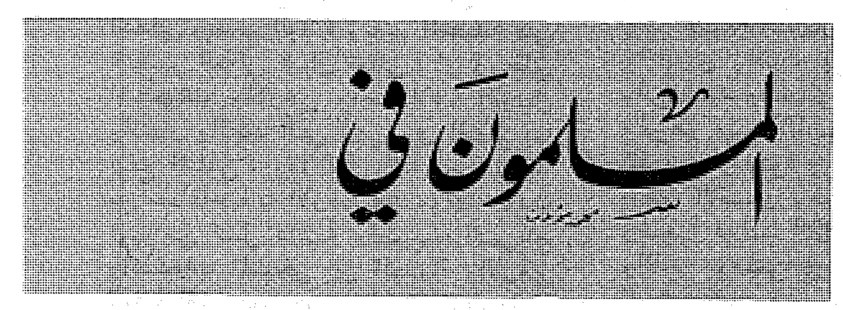
فدعني يا ايها الحاقد امسح بعطر الاسلام جبهة عقلك لعلي واياك والناس ندرك ما فيه من روعة وعظمة .

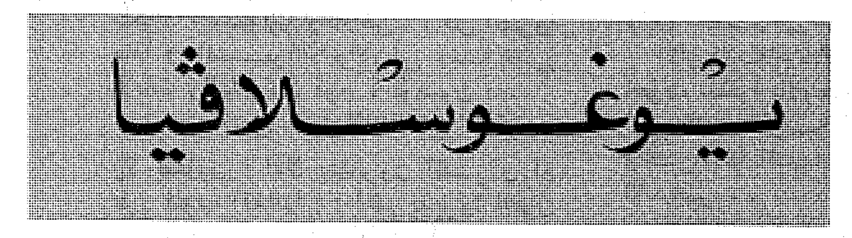
ودعني يا قارئي الكريم واياك نكون من الناشرين لأريج عطره فى جميع الأرجاء كما يقول الحافظ الشيرازى —

وبيناى فى الحمام اذ وصلت الى
يدى طينة فواحة من يدى حبي
فقلت : أمسك أنت أم انت عنبر
فنفحك هذا قد تعشقه قلبي
فقالت : تراب لست شيئا وانما
جلست بظل الورد حينا على العشب
فصحبته أعلت مقامي كما ترى
وان كنت طينا لا أزال من الترب



بشناق بلباسه التقليدى



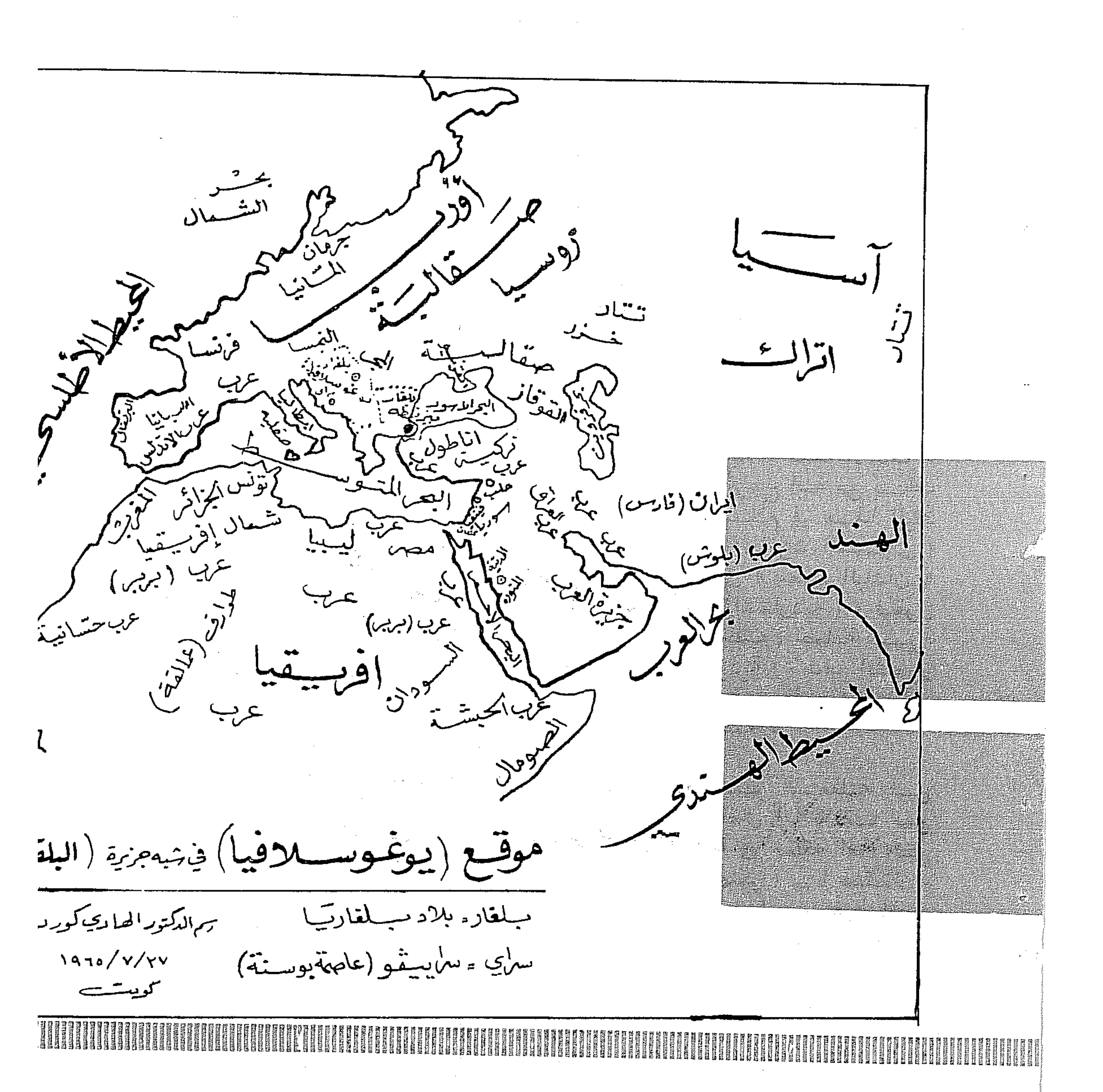


بقلم الدكتور الهادى كورده
قسم البحوث والترجمة بوزارة الاوقاف
الكويت

انتشار الاسلام فى البلقان قبل الفتح العثماني

المزاعم

لقد راج زعم غير المحققين من كتبة التاريخ أن الاسلام لم يدخل أوروبا الجنوبية الشرقية الا فى زمن الفاتحين الأتراك ، وأن جماعات قليلة من سكان البلقان قد أكرهوا على اعتناق الدين الاسلامي عندما احتل العثمانيون بلدان المنطقة وهي : يوغوسلافيا و (ألبانيا) و (مقدونيا) و (بلغاريا) و (رومانيا) و(المجر) ، وأن البلقانيين وجدوا أنفسهم امام الامر بين الدخول فى الاسلام او السيف . وهذا الزعم قام بنشره أعداء الدين الحنيف الذين قاموا بدعاية مفرضة نظّموها فى الكنائس والاجتماعات



والكتب المدرسية ، حتى رسخت فى العقول ، وحارب بها الأوروبيون الدول الاسلامية . فنظموا الحملات العسكرية الانتقامية ضد الدول العربية فى أوربا وآسيا وافريقيا لابادة المسلمين فى كل بلد ، كما فعلوا فى اسبانيا والبرتغال وصقلية وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا حيث ازدهرت الحضارة الاسلامية . ثم توجهوا الى جنوب روسيا (القرم) والى القوقاز وأواسط آسيا ، واستولوا على الدول الاسلامية هناك (تركستان وتاجيكستان وكزاكستان وأزبيكستان وكرقيسزستان وأذربيجان) وأزالوا منها معالم الحضارة المحمدية واللغة العربية ، ولم يبق سوى وسائل الدعاية المزيفة ...

وبعد خروج العثمانيين من (البلقان) وقع حصار على المسلمين ومضايقات

المسلمون فى

يوغوسلافيا

حولت بلادهم الى جحيم ، مما اضطرهم الى الجلاء اذا امتنعوا من الارتداد والعودة الى دين أجدادهم . فتمكن أعداء الاسلام من القضاء على الوجود الاسلامي فى (صربيا) و (المجر) وسلافونيا و (دالماسيا) . ولم يبق سبيل للمسلمين فى بضعة أماكن فى يوغوسلافيا وبلغاريا الا بتحمل الأذى أو الهجرة أو الارتداد طيلة ثلاثة قرون والى يومنا هذا .

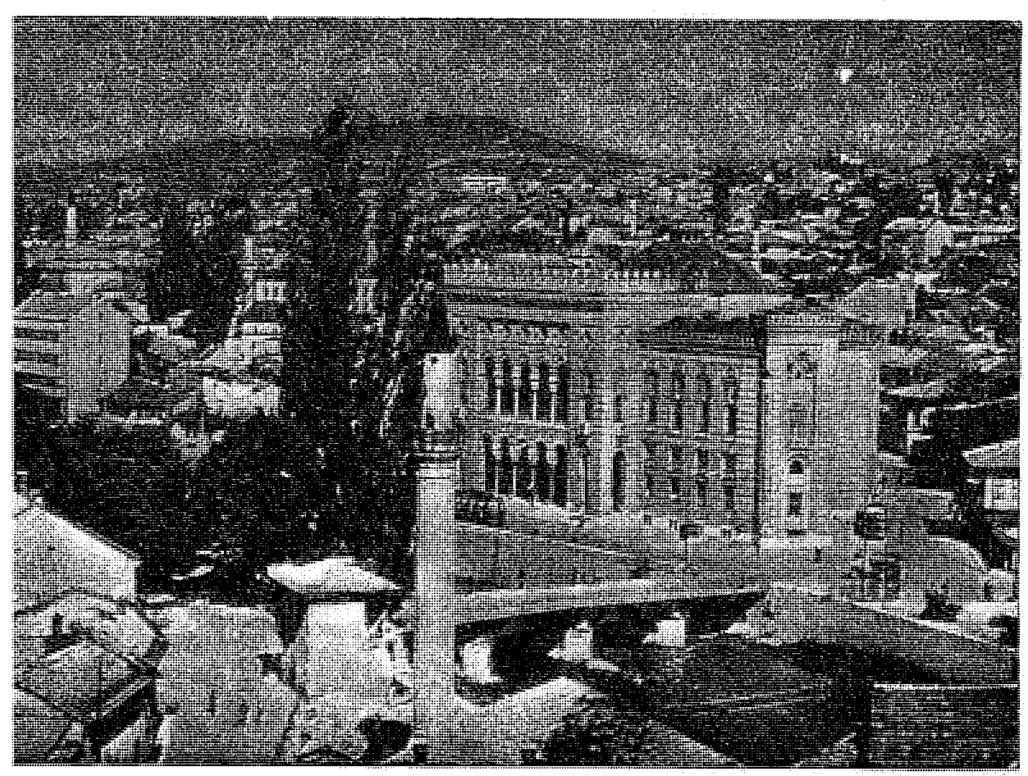
التاريخ الحقيقي

لكن اذا محصنا الوثائق التاريخية الأصيلة ودرسناها بانصاف ، تجلى لنا أن انتشار الاسلام ابتدأ قبل أواخر القرن التاسع الميلادى (ولم يدخل الأتراك يوغوسلافيا الا فى عام ١٩٤٣ م) على يد تجار مسلمين وسياح وزهاد وبعض الأسرى ، فبثوا الدعوة الاسلامية بمجهودهم الخاص ، وحببوا الدين الى قلوب السكان بالموعظة والحكمة . ثم تلتهم جماعات من الشعوب التركية أو قبائل (كومان وبجناك ويازيغ وأوغر وبلغار والخزر .. الخ) تطوعوا لخدمة الاسلام ، وعاشواحياةالسكان واختلطوا بهم فصاروا منهم . فامتد الاسلام من مناطق القوقاز وما حولها الىأراضي نهر الدانوب وروافده (تيسا ، سافا ، مورافا ، ورينا) التي تمر ببلاد رومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا . فتكونت دويلات اسلامية على شكل واحات جميلة فى شبه جزيرة البلقان . سعدت بتعاليم الدين الحنيف فهما وتطبيقا وذاع صيتها ، فزارها العلماء العرب من مؤرخين وجغرافيين واقتصاديين ودعوا (البجناك) الى زيارة العواصم العربية لربط الصلة بالعلم والمصاهرة .

المؤرخون العرب فى البلقان

يذكر (عبد الله البكرى) (المتوفى فى قرطبة ١٠٩٤ م) في «المسالك والممالك» فئات من علماء الفقه والتوحيد بين اليازيغ والبجناك والبلغار . وزار (ابو حامد الغرناطي) سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) المسلمين فى (بشغرديا) وقص علينا اقامته فيهم فى كتابه « تحفة الألباب » وكيف فرحوا به وتزوج ابنه من بنات أعيان فرسان الاسلام فى هذا البلد المزدهر . ويخبرنا (ياقوت الحموى) فى سنة ١٢٢٨ م فى « معجم البلدان » بتعرفه بطائفة (الباشغاردية) ، فيقول وجدت بمدينة (حلب) جماعة كبيرة يقال لهم (الباشغردية) ، شقر الشعور والوجوه جدا ، يتفقون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة أمة من أوربا يقال لهم (الهنكر) = (هنغار ، المجر) ، ونحن مسلمون رعية لملكهم فى ناحية من مملكته ، نعيش فى ثلاثين قرية يكثر فيها العمران والمباني الجميلة والمساجد ، مما يعطي لكل قرية شكل بليدة منظمة ، ولكن بغير تحصينات ولا سور ، حيث أن اقامة السور ممنوع علينا من طرف ملك الهنكر النصارى لئلا نثور على نظام هؤلاء . ونحن نخدم الجندية مع الهنكر ونلبس زيهم ونتكلم لسانهم ونذود عن الوطن مع الجيش الهنكر الذى كان يحارب مجاوريه وهم دائما من النصارى . فسألته عن سبب اسلامهم مع وجودهم فى اواسط اوربا الكافرة . فقال سمعت فئة من أجدادنا يتحدثون أنه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد (بلغار) وسكنوا بيننا وتلطفوا فىتعريفنا



سراييڤو ـ منظر عـام
الماء والخضرة والوجه الحسن مبنى كلية الشريعةالذى أصبح متحفا

ما نحن عليه من الضلال ، وارشـدونا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعا وشرح الله صدورنا للايمان ونحن نقدم الى هذا البلد ونتفقه فاذا رجعنـا الى بـلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم . فسألته لم تحلقون لحاكم كما تفعل الافرنـج ؟ فقال : يحلقها منا المجندون ويلبسـون لبسة السلاح مثل الافرنج أما غيرهـم فلا . قلت فكم تبلغ المسافة بيننا وبين بلادكم ؟ فقال من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصف ، ومن القسطنطينية الى بلادنا نحو ذلك .

والمراد من بلاد (بشغرديا) هو أرض (هنغاريا) أى المجر ، حسب ما أثبته المؤرخ الألماني (ماركسفارد)فى(موسوعة الاسلام) ويتجلى من تقريـر (ياقوت الحموى) أن المسلمين فى هذا البلد كانوا على مذهب أبي حنيفة .

ونستنتج من روايـة (ياقوت) أن ملوك المجر كانوا لا يثقـون بالمسـلمين العائشين فى المجر ، رغم ولائهم لهؤلاء الملوك ، ومشاركتهم فى الحروب ، تحت راية المجر ، فى محاصرة مدينة (ميلانو) بايطاليا عام ١١٥٨ م ، وفى (مورافيا) (١٢٦٠ م) وضد التتار سنة ١٢٤١ م على تخوم (هنغاريا) باخلاص وبسالة نادرين .

ولكن لما اشتد سـاعد ملوك المجـر وخاصة من ٩٩٧ م الى ١٠٣٨ م ، حين قـوى الملـك الكاثوليـكي (اسـتيفان

المسلمون فى

يوغوسلافيا

القديس) تضاعف الاضطهاد ضد المسلمين . فصادر هذا الملك المتعصب أملاك المسلمين البجناك وأموالهم ليبني بها فى مدينة (فروأر) الكنيسة الموجودة الى الآن . وفرضت ألوان من المضايقات ضد المسلمين ، بايعاز من البابا بروما الذى اعتبر المسلمين كفارا ، وأمر بابادتهم بجميع الوسائل .

وفى عهد الملك المجرى (كارل‌روبرت) (١٣١٠ — ١٣٤٢) تفاقمت اجراءات التعسف ضد الاسلام ، فاستعان (كارل) بتعاليم البابا الصادرة عام (١٣٤١ م) والقاضية بازالة آثار الاسلام والمسلمين، وذلك بأن يغادر هؤلاء المجر أو أن‌يعتنقوا الكثلكة ويدفعوا نصف ثروتهم للكنيسة ويقدموا أبنائهم كزوجات للمسيحيين ، وأن يأكلوا لحم الخنزير ويشربوا الخمر، ويقيموا الكنائس ، ويعلقوا لوحةالصليب فى كل بيت ، ويزيلوا معالم اللغة العربية ويحرقوا القرآن الكريم . فطال التنكيل بالمسلمين على مدى ٣٥٠ سنة هاجر خلالها غالبيتهم من بلاد المجر وانتهى بذلك وجود الاسلام ببلاد (هنغاريا) .

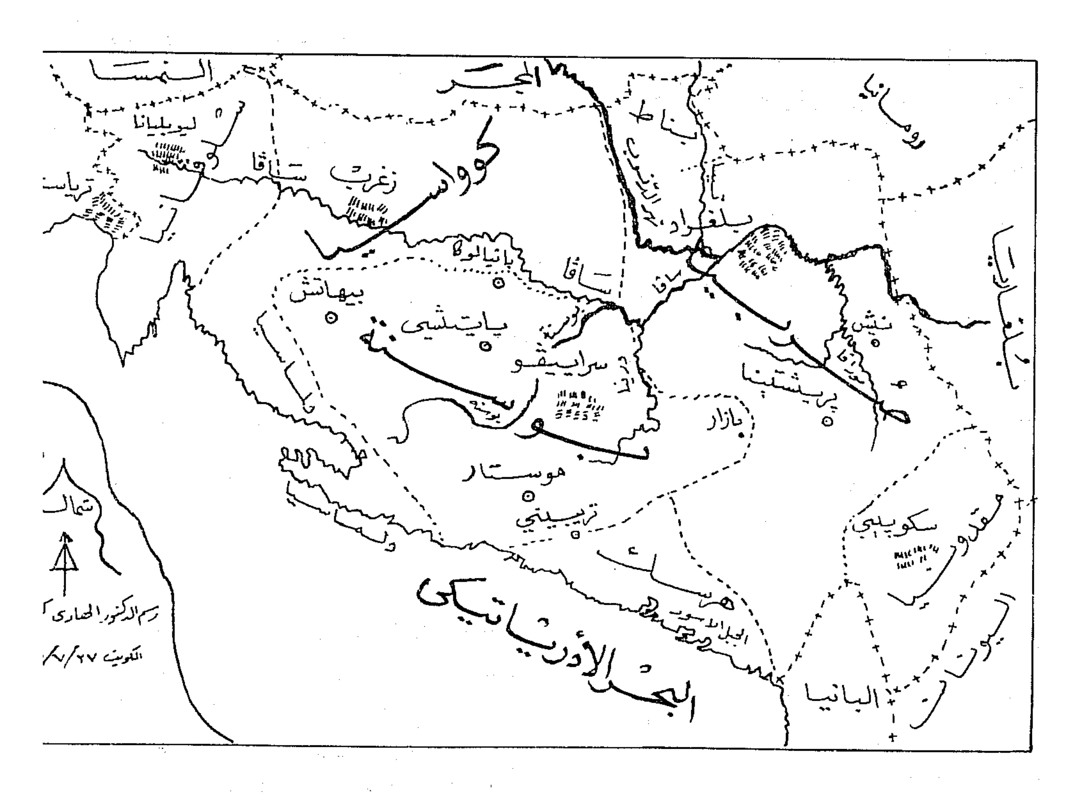
ووصل الكثير منهم الى (بوسنة) فى يوغوسلافيا .

وكانت قبائل البجناك قد اختلطت مع الصقالبة فى بلاد المجر وتكلمت لغتهم . وفى سنة ٩٧٣ م قام (ابراهيم ابن يعقوب الاندلسى) برحلة خلال المانيا وبلاد شرقي أوربا ، ولاحظ أن شعب البجناك ينطق باللغة الصقلبية بحكم اندماجهم فى الصقالبة فى (هنغاريا) ثم تمركزوا فى (بوسنا) حيث يدين السكان الصقالبة بدين « يطابق (١) » تعاليم الاسلام ويحمل اسم المذهب (البوغوميلى) فاختلط البجناك (بالبوغوميلي) وعدلوا بعض عقائدهم واندمج الشعبان وامتد دينهم الى بلاد (هرسك) فتمسكوا بالاسلام الى دخول العثمانيين عام ١٤٦٣ م . فصمموا بعض تعاليم طبق المذهب الحنفى واصبحوا من أقوى الدعاة للدين الحنيف رغم المضايقة المسيحية حولهم .

مناطق المسلمين وشعوبهم فى يوغوسلافيا

يوجد فى يوغسلافيا ثلاثة أجناس من المسلمين (الألبان) و (الأتراك) . في الجنوب (مقدونيا) ومقاطعة (قصوة — متوخيا) . ويقطن وسط يوغسلافيا الصقالبة فى بوسنة و (هرسك) و (سنجق بني بازار) وهم الأكثرية من

(١) ان اللفظة الصقلبية « بوغوميلي » تعني « أحباء الله » وتمتد أصول هذه الفرقة الدينية بادىء ذى بدء الى « المانوية » التي دخلت عليها تأثيرات مسيحية وبوذية . ثم تنقحت بعناصر اسلامية مستمرة فى تسربها الى بلاد المجر عن طريق التجار العرب ومن بعد بواسطة روايات المسافرين المجر الى البلاد الاسلامية . ثم اقتربت من تعاليم الاسلام حتى اصبحت تطابقها . وهكذا كان « البوغوميلي » يصلون خمس مرات بالنهار ويعبدون الله وهم ساجدون ، غير أنهم ما كانوا يؤدون الشهادتين على النمط الذى رتبه الاسلام وسيأتي فيما بعد المزيد عن تاريخ المعتقد « البوغوميلى » (أنظر : الدكتور س.م. عبد الله) « الاسلام فى يوغسلافيا » المجلة الاسلامية ، برلين دي غ — ١٩٣٦) .



المسلمين وعرقهم الصقلبي أنقى عناصر الصقالبة فى البلقان وكذلك فى (الجبل الأسود) وفى بعض مناطق (مقدونيا) . و (صقلب) لفظة عربية تقابلها كلمة (سلاف) باللغات الأوروبية ، استعملها المؤرخون العرب كأمثال (المسعودى) فى « مروج الذهب » وغيره .

وأوسع منطقة اسلامية وأجملها وأغناها فى يوغسلافيا هي (بوسنة) مع جزئها الجنوبي (هرسك) والجنوبي الشرقى (سنجق بنى بازار) بين نهر (سافا) شمالا ، ونهر (درينا) شرقا ، وبلاد (دلماسيا) غربا ، و (الجبل الأسود) جنوبا . ولها مساحة تبلغ ٥١٠٦٤ ميلا مربعا ويسكنها مليون ونصف مليون نسمة واذا أضفنا لهذا العدد سكان مقدونيا ومقاطعة (قصوة) يصل المسلمون فى يوغسلافيا الى مليوني نسمة رغم أن عددا كبيرا يغادر بلاده الى تركيا تحت الضغط الشيوعي الحالي .

أصل أهالي بوسنة وهرسك

ان اجداد اليوغسلاف (أى سلاف الجنوب) من أواسط أوربا وراء جبال (كربات) . وكانوا من الوثنيين، ونزحوا الى البلقان بينما كانت هذه البلاد مأهولة من (الالير) ، وهم الأهالي الأصليون . وقبائل الصقالب الجنوبية كانت تحمل أربعة أسماء رئيسية ، أطلعت فيما بعد على الأقاليم التي تمركزت فيها على النمط التالي :ــ

١ : ــ فى الوسط والجنوب الغربي

المسلمون فى

يوغوسلافيا

البجناك (بوسنة وهرسك) و (بنى بازار) .

٢ : ــ فى الشمال الغربي الكروات (كرواسيا) .

٣ : ــ فى أقصى الشمال الغربي سلوفان (سلوفانيا) .

٤ : ــ فى الجنوب الشرقي فى الصرب (صربيا) .

ولما تم استقرار هذه القبائل فىالقرن السابع الميلادى ، بسطتعليها (بيزنطة) أطراف سلطنتها ، ودفعت بالصقالبة لمحاربة العرب ، خاصة ضد حصون (سيف الدولة الحمداني) فى القرن العاشر الميلادى ولكن كان الكثير من هؤلاء الصقالبة يفرون الى العرب ويعيشون فى (حلب) ، أو يقعون فى أسر (سيف الدولة) فيحسن اليهم ، ويدخلون فى الاسلام . وذكر الصحابي (أبو ذر الغفارى) أن أربعة من الصقالبة رافقوه فى سفره من دمشق الى المدينة المنورة .

تكوين دولة يوغسلافيا

وكان الصقالبة فى هذا البلد وثنيين ولم يدخلوا فى النصرانية عنوة الا بعد منتصف القرن التاسع من الميلاد . فأجبر (الكروات) على اعتناق الكثلكة وانضموا الى معظم مملكة المجر سنة ١١٠٢ م ما عدا جزء منهم ، استولت عليه المملكة النمسوية ولما أخضعته لحكمها التعسفي سنة ١٥٢٦ م . فلما امتد الحكم التركي الى المجر ، سقط الكروات تحت سيطرة العثمانيين، وبقي الجزء الآخر تابعا للحكم النمساوى المجرى : الى نهاية الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٨ حينتأسستمملكة (الصرب والكروات والسلوفان) . أما الصرب فقد انفصلوا عن نفوذ (بيزنطة) وتحصنوا فى جبالهم تحت قيادة أمرائهم، وكونوا ممالك متفرقة ، دينها الأرثوذكسية ، متزاحمة فيما بينها . مما أدى الى سقوطها تحت السلطنة العثمانية ، التي حكمتهم الى انعقاد مؤتمر برلين (١٨٧٨) حين احتضنتهم (روسيا) . فنالوا استقلالهم وكونوا النواة لملكة (الصرب والكروات والسلوفان) سنة ١٩١٨ تحت أسرة (قارة جورجفتش) الى عام ١٩٢٩ ، حيث أصبح اسمها (يوغسلافيا) . ومنذ سنة ١٩٤٥ أعلنت الجمهورية الاشتراكية الشيوعية بزعامة (يوزيب بروزتيتو) الذى كان يشتغل قفالا ثم أمينا عاما للحزب الشيوعي الصربي (اليوغسلافي) .

وكانتدولتا الكروات والصربتعاديان مملكة بوسنةوهرسك) بايعاز منالبابا . فكانت المملكة بوسنة فى حالة حروب دفاعية ضد المنطقتين المذكورتين طيلة ثلاثة قرون مليئة بالحملات الصليبية ضد كيانها الاسلامي المهدد بالفناء . ففى عام ١٤٦٣ دخل السلطان العثمانى (محمد الفاتح) مدينة (سراييفو) عاصمة بوسنة ثم الى عام ١٤٨٣ م اصبحت (هرسك) خاضعة للباب العالي وتبعهما (سنجق بني بازار) فشملهم السلم



سيدة مسلمة تطالع المصحف الشريف قبل اهداء القهوة اليمنية للضيوف بمدينة (تريسبيني) .

الاسلامي وانتشرت الحضارة وشيدت المساجد في كل قرية ، منها ثمانون جامعا بمدينة (سراى) وحدها . الى أن نص مؤتمر برلين (١٨٧٨) على ادماج (بوسنة وهرسك) في المملكة النمساوية ـ المجرية فقامت النمسا تفرض الكثلكة بالقوة وشيدت المحصنات العسكرية وعبدت طرقات للاحتلال العسكرى . ولكن وعدت بأن يكون احتلالها مؤقتا على ان تستمر السلطة الاسمية للباب العالي على المناطق الاسلامية في يوغوسلافيا . فما كانت سنة ١٩٠٨ حتى أعلن ملك النمسا (فرانز يوسب) ادماج (بوسنةوهرسك) وجعل الأولوية للدين الكاثوليكي كدين الدولة النمساوية ـ المجرية . وفي عام ١٩١٨ احتلت (صربيا) ولاتنف (بوسنة وهرسك) والجبل الأسود وكرواسيا ، وكونت مملكة (يوغوسلافيا) واستقلت من الحكم النمساوى . وفي عام ١٩٤١ احتل هتلر وموسوليني هذه الدولة في عاصمتها (بلغراد) وفصلا (كرواسيا) عنهما على أن تكون تحت الحماية الايطالية وتتبعها (بوسنة وهرسك) كجزء منها . وتحت قيادة (تيتو) أصبحت يوغوسلافيا تتألف من ست جمهوريات اتحادية اشتراكية عاصمتها (بلغراد) من جديد .

ـ يتبع ـ

أعرف عدوك

هيئة دراسات الشرق الأوسط
الحلول السلمية لقضية فلسطين

ايثل ماتين الكاتبة العالمية

فى بريطانيا منظمة تطلق على نفسها اسم « لجنة المائة » ، تضم مفكرين وعلماء وأعضاء عاديين من مختلف أنحاء العالم ، وهي تدعو الى اقرار السلام العالمي وتجنب الحرب وحظر التجارب النووية وتحويل ما ينفق على أجهزة الحرب والدمار الى ما ينفع الانسانية .

لقد انبثق عن هذه اللجنة هيئات متعددة ، منها « هيئة دراسات الشرق الأوسط » ، التي نشرت مؤخرا مشروعا لحل سلمي للقضية الفلسطينية .

ان بعض اليهود الذين ينتحلون صفة الاشتراكية قد اشترك فى وضع هذا المشروع الذى قصد منه فتح حوار على مستوى عالمي حول موضوع الحل السلمي لمشكلة فلسطين يكسب منه اليهود فقط .

ومن الأمور البارزة فى هذا المشروع القول بأن اسرائيل وجدت لتبقى مع وضع بعض الشروط التي لا يمكن أن ترضي الحق العربي فى فلسطين .

وفى ((يوم فلسطين)) الذى أقيم فى لندن ، وزع هذا المشروع فى منشور صغير وكانت ايثيل مانين الكاتبة العالمية الشهيرة ومؤلفة ((الطريق الى بئر السبع)) من بين الحضور الذين تلقوا هذا الكراس ، فردت المشروع المعروض مبينة الأخطاء الشنيعة التي وقع فيها واضعوه .

وفيما يلي مشروع الهيئة ، ثم رد الكاتبة عليه ...

كانت مشكلة فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي وما تزال مصدرا دائما لسفك الدماء وللألم والظلم منذ عدة سنوات ، كما كانت (نزيفا) للموارد الاقتصادية فى الشرق الأوسط ، ومبررا للتدخل الاستعماري والعدوان العسكرى فى ذلك الجزء من العالم ، وتهديدا دائما للسلام العالمي .

وهذا الصراع ، من غير أن تخفف منه الايام ، ازداد حدة ومرارة بل وخطورة ، اذ أن معاناة وآلام اللاجئين الفلسطينيين تطول ، وحدة الشك والكراهية تزداد عمقا ما بين العرب واليهود .

ان الزعماء الاسرائيليين يعلنون أنهم على استعداد لاقامة سلام مع العالم العربي ، وان العقبة الوحيدة أمام ذلك هو رفض العرب اقامة سلام مع (اسرائيل) ، وعلى أية حال ، فقد أوضح هؤلاء الزعماء أنفسهم ، بما لا يقبل

الشك ، أنهم هم أنفسهم ليسوا على استعداد للقيام بأية تنازلات للوصول الى تسوية سلمية ، وحين يتكلمون عن « السلام مع العرب » فانهم يعنون بذلك تسوية يقبل فيها العرب « بسلام الأمر الواقع » ، وهذا يعني أن الصهيونيين يطلبون من العرب أن يعترفوا ويقبلوا (باسرائيل) فى شكلها الصهيوني الحالي، ويسلموا بأن خطوط هدنة ١٩٤٩ هي حدود ثابتة دائمة ، وأن يتنازل اللاجئون

يحتمل فى وسطه دولة صهيونية هدفها المعلن ليس للتعبير السياسي عن سكانها فقط ، بل لتكون رأس جسر وأداة سياسية ومقر نهائي لليهود من جميع أقطار العالم ... ، والاطالة من « الأمر الواقع » هو اطالة وتعميق للصراع الحالي والمغامرة بعراك عسكرى قد تكون نتائجه دمار (اسرائيل) .

وحتى لو أوقف الجمود العسكرى

تقول : من السفاهة ايجاد حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي

تدمير اسرائيل هو الحل الوحيد للمش

الفلسطينيون والعرب والمسلمون يعرفون طريق الح

الفلسطينيون العرب عن حقوقهم فى العودة الى وطنهم .

الجواب العربي

ومن الجانب الآخر ، فان كثيرا من القادة العرب ، مع بعض الاستثناءات الواضحة ، ينادون صراحة بأن الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية هو فى تدمير اسرائيل وحرمان السكان اليهود من حقهم فى تقرير مصيرهم السياسي .

ان كلا هذين الجانبين لعلى خطأ وبالغ الخطورة ، وهما لا يضعان برامج لتسوية النزاع ، بل على النقيض يخططون لاطالته الى أجل غير مسمى ، فالعرب لا ولن يستطيعوا قبول الأمر الواقع كأساس للتسوية ،والعرب الفلسطينيون لن يتنازلوا عن حقوقهم الفردية والوطنية فى فلسطين ، كما أن العالم العربي لن

الصدام النهائي ، (فاسرائيل) المعزولة المحاصرة لا يمكن لها أن تستمر ما لم تصبح أداة للاستعمار .. ، والاستعمار نهايته حتمية فى الشرق الأوسط .

ومن الجانب الآخر فان دمار (اسرائيل) ورفض حق (الامة العبرية الاسرائيلية) فى تقرير المصير لن يحل المشكلة الحالية ولكن سيقلبها رأسا على عقب ، وأية محاولة للوصول الى حل كهذا لا تعني فقط المزيد من الآلام وسفك الدماء ، بل تعني أيضا استمرار حالة الحرب ، فضلا عن ايجاد مبرر للتدخل .

المبادىء الثمانية

لذلك نرى أن أى حل عادل وثابت يكون متفقا مع آمال الشعوب العربية فى الوحدة المبنية على الاشتراكية ، ومع

اعرف عدوك

حق (الشعب العبرى الاسرائيلي ! !) فى تقرير المصير ، ومع الحقوق الفرديــة والوطنية للفلسطينيين العرب ، يجب أن يكون مبنيا على المبادىء الثمانية التالية :

١ : ــ تمتنع (اسرائيل) عن أن تكون دولة صهيونية (أى دولة لجميع الشعب اليهودى فى كافة أنحاء العالم) ، وتصبح دولة لسكانها فقـط ، ويجب أن تلغى جميع القوانين والاجــراءات التي تميز بين اليهود وغيرهم ، ولا سيما « قانون العودة » الذى يمنح اليهود حيثما كانوا حقوقا مطلقة وأوتوماتيكية فى الهجــرة الى (اسرائيل) ، وأن يصبح مواطنــا اسرائيليا ، وكل طلب للهجــرة يجب أن ينظر فيه على انفراد وحسب استحقاقه بدون أى تمييز يقوم على أسس عنصرية أو دينية .

٢ : ــ يمنح اللاجئون الفلسطينيون العــرب حــق العــودة ، وتســتوعب (اسرائيــل) اجتماعيــا وسياســيا واقتصاديا هــؤلاء الذيــن يرغبــون فى العودة ، أما أولئك الذين يفضلون عــدم العودة فيجب أن يعوضوا بشكل مناسب عن ممتلكاتهم ومآسيهم الفردية .

٣ : ــ تلغى جميع اجراءات « الأمن » المتخذة ضد السكان العرب فى (اسرائيل)، ويدفع تعويض كامل عن جميع انتزاعات الملكية والاضرار (فى الأرض والثروة والأفراد) التي وقعت بســبب هــذه الاجراءات والقوانين الأخرى غير العادية.

٤ : ــ تعمل (اسرائيل) على تنفيذ سياسة معادية للاستعمار : وتشــترك بصورة فعالة فى النضــال الــرامي الى تشكيل وحدة أو اتحاد لأقطار الشرق الأوسط .

٥ : ــ يجرى النضال العربي للوحدة المبنيــة على الاشتراكية مــع الهدف والاستعداد لاقامة (اسرائيل) غــير صهيونية شريكا فى وحدة كهذه .

٦ : ــ الى أن تتــم اقامــة وحدة أو اتحاد كهذا ، على الحكومات العربية أن تعمل على تنفيذ سياسة اعادة الأمــور الى حالتها الطبيعية تماما فى علاقاتهــم السياسية والاقتصادية والثقافية مــع (اسرائيل) الجديدة غير الصهيونية ، وتسوّى جميع الخلافات سلميا فى روح صداقة وتعاون .

تقرير المصير

٧ : ــ يسمح للفلسطينيين العرب أن يقرروا كيف يمارسون حقهم فى تقرير المصير ، وعلى (اسرائيل) والعرب ألا يتخذوا أية خطوات قد تتحيز أو تتدخل بهذا القــرار .

٨ : ــ فى حالــة تقرير الفلسطينيين اقامة كيان أو دولة خاصة بهم يســبق والى حين اقامــة الوحــدة أو الاتحاد المنوّه عنهما فيما سبق ، فان على الدول التي تدير حاليا جزءا من المنطقة ، غربي نهر الأردن ، نتيجة اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ ، أن تتخذ عن طريق التشــاور المتبادل ، التدبيرات المتعلقــة بالحدود والضرورية لتسهيل اقامة هذا الــكيان المستقل .

اننا ندعو جميع محبي السلام مــن العرب واليهود على حد سواء ، وجميع الأحزاب والأفراد الذين يهتمون بالوصول الى حل عادل وثابت للمشكلة الفلسطينية ندعوهم الى المصادقة على هذا البرنامج والنضال لتحقيقه .

وبعد

هذا هو نص مشروع « هيئة دراسات الشرق الأوسط » التابعة للجنة المائة ، وقد نشرت الوثيقة السابقة التي تحتويه فى عدد من الصحف اليهودية والعالمية ، **ولا بد قبل ايراد تعليق الكاتبة ايثيل مانين عليه من التنبيــه الى أن الحــق العربي فى فلسطين الذى استلب عنوة ، لا بد أن يعود بقوة السلاح العربي .**

ان (اسرائيـل) أداة الاســـتعمار والسرطان الذى يهدد الوجود العربي ، فى عرف هذه الهيئات واللجان الدولية ، باقيـة ويجـب أن تبقى .. لأن اليد اليهودية ذات أثـر فعـال فى مقـررات ودعوات هذه الهيئات واللجان ، وهي يد عملت على أقامة دولة مغتصبة فى قلب الوطن العربي ، ولن يكون سحق هـذه الدولة الا بالعملالعربيوالعربي فقط..

ان هذه الدعوات المشبوهة التي كان مصدرها غربي ويهودى لـن تجد عند الشعب العربي الا كل حرب ، وستلقى ، مع الكيان اليهودى المصطنع فى فلسطين، النهاية التي لا بد منها ...

لقد أثارت الكاتبة مانين كثيرا مـن النقـاط فى ردهـا على هـذا المشروع المشبوه .

وفيما يلي نورد رد الكاتبة :

أهنالك حل سلمي ؟ ..

أظهرت مسـودة مشروعكم لحـل الصراع العربي ـ الاسرائيلي والمسلّمة اليّ فىاجتماع « يوم فلسطين » ، أظهرت وأرجو المعذرة ، نقصا كامـلا فى تفهـم حقائق الوضع .

١ : ـ قلتم بأن من الخطأ للعرب أن يرغبوا فى تدمير (اسرائيل) ، وفى قول هذا فشلتم تمامـا فى ادراك الحقيقـة الأساســية الأولى وهي أن المدعـوة (اسرائيل) مـا هي الا فلسـطين التي تحتلها الصهيونية ، والتيشـّرد ايجادها مليونا من الفلسطينيين وحرمهـم مـن ممتلكاتهم،وهمأصحاب البلاد الشرعيون، وحين أقر قرار التقسيم فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، منح اليهود ، وهـم ثلث السكان ، ثلثي البلاد .

٢ : ـ انكم تشـيرون الى « الأمـة العبرية » ، بينما كون المرء يهوديا أمـر يتعلق بالدين ، وليس بالجنسـية .

لقد كان اعلان فكرة «اليهود كجنس» هو الأساس الذى استندت اليه النازية فى عدائها للسامية ، كمـا أنـه الاساس الذى تقوم عليه الصهيونية ، والأمـر الثابت فى علم الأجناس أن اليهود ليسوا جميعا ساميين ، ولا يجوز أن يمنح حق تقرير المصير لمجموع خليط من الناس ذوى لغات متعددة يسمون باليهـود ، أكثر مما هو جائز لمجمـوع خليط مـن النـاس ذوى لغـات متعددة يسـمون بالمسيحيين .

فاليهودى الأميركي هو شخص أميركي يدين باليهودية ، واليهودى الانجليزي انجليزيأيضا ويدينباليهوديةوهكذا...

٣ : ـ لا يمكن (لاسرائيل) أن تتوقف عن كونها دولة صهيونية ، ففي هـذا تناقض فى القول ، (فاسرائيل) ، الدولة اليهودية ، هي من خلـق الصهيونية ، وأنتم تقولون أنها ستصبح دولة لسكانها فقط ، ولكن من هم سكان (اسرائيل) ؟

أنهم يهود من كافة أقطـار الأرض ، يضاف اليهـم :

* مائتا ألف من العرب الذين بقوا وهم مسلمون ومسيحيون .

* واليهود الآخرون الذين كانوا قبل عام ١٩٤٨ ، وكثير من هؤلاء لهم حـق البقاء كالعرب ، اذ كان هنالكمنذ عصور قديمة ، يهود فى فلسطين ، ولكن الغالبية العظمى الموجـودة الآن قدمت نتيجـة حملات الضغط والهجرة التي تمارسها الصهيونية على يهود العالم .

البقية على ص ٩٨

قصة العدد

زاهد وخليفة ...

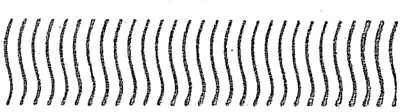


* أفل نجم بني أمية وأظلمت سماء خلافتهم بمقتل « مـروان بـن محمد » الخليفة الأموى الثالث عشر والأخير على أربـاض مصر فى عـام ١٣٢ للهجـرة ، وانقضت بذلك أيام خلافتهم التي دامت قرابة قرن من الزمان ..

ومهما قيل من خير أو سوء فى خلافة بني أمية ، وما تناولته احاديث الرواة ، وسطرته اقلام المؤرخين ، فقـد كانت خلافة عربية فى مضمونها وأهدافها وكاد أن يكون مذهبها السياسي ... العرب للعرب وبالعرب .

ولقد عاصرت المتاعب طريق بني أمية وزرعت على جانبيه الاشواك والمحن منذ أول خلفائهم ، معاوية بن أبي سفيان ، حتى لفظت هذه الخلافة آخر أنفاسها بمقتل مروان بن محمد .

نعم . فمنذ اليـوم الأول لخلافـة معاوية ، زرعت الأحقـاد والضـغائن فى نفوس الطالبيين ، ومن ورائهم الشـيعة والخوارج ، ورأى معاوية نفسه مدفوعا لمصارعة أكثر من عدو فى أكثر من جبهة وميدان ، وأحس المسلمون أنهم يوشكون أن يتفرقوا شيعا وأحزابا تتطاحـن على الملك وتتناطـح على السـلطان ، ورأوا انفسـهم على مفترق طرق كثيرة يميلون



الى هذا الفريق حينا ، أو يتبعون ذلك الحزب حينا آخر ، وأوشك أن يصـير الدين والحفاظ عليـه أمرا يهـون الى جانب الحظوة بالملك والسلطان .

ولولا أن « معاوية » كان يملك رصيدا ضخما من الحلم والذكاء والأناة ، ولولا أنه كان يملك طول باع وحسن سياسة لما قدر لبنى أمية أن تطول أيامهم حتى قاربت مائة عام واتسعت على مدارهـا فتوحات المسلمين ، فانفسحت فى المشرق حتى جاوزت خراسان وبلاد السند ، وبلغت مشارف الصين ، وامتـدت فى اقصى الغـرب حتى لامسـت حـدود فرنسا .

على أن مكمن الخطر الذى لم يفطن اليه بنو أمية ، ولم يدخروا له حسابا ، أو يلقوا اليه انتباها ، انما كان مخبوءا فى لفائف تلك الدعوة الجديدة التي نبتت فى بيت بني العبـاس بأن يتولى أمراؤه زمام خلافة المسلمين بعد أن يتقـوض حكم بني أمية الذى بدأ الفساد يدب فيه منذ مات « عمر بن عبد العزيز » وتولى الخلافة من بعده ، يزيد بن عبد الملـك عام ١٠١ للهجرة .

للاستاذ : حسين الطوخي

كان طبيعيا أن ينحرف حكم بني أمية منذ اللحظة الأولى التي أسلموا أنفسهم فيها لمفاتن الدنيا وزينتها ، ومنذ اتخذوا الدور الباهرة والقصور الفاخرة مقاما لسكناهم ، ومنذ عزلوا أنفسهم عن جماهير المسلمين خلف جدران كسيت برقائق الفضة والذهب ومنذ استعملوا حجابا يقفون بأبوابهم يأذنون لهذا النفر بالدخول ويمنعون ذلك النفر من المثول.

وكان طبيعيا كذلك أن يتزعزع سلطان الدين ويخفت صوته فى نفوس المسلمين وهم يشهدون خلفاءهم ينزعون الى اتخاذ دمشق عاصمة للخلافة بديلا عن مكة والمدينة مع ما لهما فى قلوب المسلمين من قداسة لا تهتز أو تهون .

وعلى كر الاعوام ، يتراخى حرص الخلفاء على دينهم مثلما يتراخى الحبل المشدود بين الطاعة والمعصية ، فلا تلبث العيون أن تزيغ فيما يسمعون ويشهدون من سلوك الامويين الذين استبدلوا فى مجالسهم القيان والجوارى والغلمان بالعلماء والفقهاء وذوي الفضل،واتخذوا منهم سمارا وندماء لهم فى مراحهم ونزواتهم ، ومن ثم أصبح المسلمون ، وأمسوا يرتقبون بزوغ فجر جديد ...

وحملت الرياح من خراسان دعوة بني العباس وبيعة ((أبي العباس عبد الله)) خليفة للمسلمين الى العراق ، والشام ومصر ، ودخل الى الكوفة أبو العباس أول خليفة عباسى فى الثالث عشر من شهر ربيع الاول لعام ١٣٢ للهجرة ، واتجه الى المسجد فصلى بالناس ، ثم خطب فيهم بعد أن حمد الله ، واثنى عليه وافتخر بقرابته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين ، واثنى عليهم ، ونعى على بنى حرب وبنى مروان أثرتهم وظلمهم وقال :

((واني لأرجو الا يأتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله .. يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فأنا السفاح المبيح والثائر المتيح .

افتتح ((عبد الله السفاح)) خلافته بالقبض على الامويين ومطاردتهم أينما رحلوا أو أقاموا ، وأعمل السيوف فى أعناقهم وصادر أموالهم دون محاكمة أو مساءلة ولم يكن مداد صحائف حكمه الا دماء بني أمية وكل من يتشيع لهم أو يجرى بذكرهم لسانه .. كانت شهوة الانتقام من بني أمية عارمة وملتهبة طوال خلافة ((السفاح)) وأعانه على تقليب جمرها عماه « عبد الله بن علي » و ((داود بن علي)) وقد عمد عبد الله ايغالا

منه فى الوحشية الى قبور بني أمية فنبشها حتى يمحو آثارهم ، وحين نبش قبر ((معاوية)) لم يجد بداخله الا خيطا مثل الهباء .

الخليفة العالم

ولم تطل أيام السفاح التي قضاها يريق دماء الامويين ويَوَدُّ لَوْ يمحو سني خلافتهم من سجل الزمن ، ومات بالانبار فى شهر ذى الحجة لعام ١٣٦ للهجرة . وبويع بالخلافة لأخيه ((أبي جعفر عبد الله)) ولم يعد هناك من خوف على خلافة العباسيين بعد أن بادت دولة الامويين ، ولم تبق منهم بقية يخشى لها بأس ، أو يدخر لها حساب ...

أصبح ((ابو جعفر المنصور)) وأمسى ذات يوم ليجد نفسه خليفة للمسلمين وأمينا على ملك عريض ودين يضرب بسهامه فى أغلب قارات الأرض . وجاءته بعوث قسطنطين الخامس ملك الروم وشارلمان ملك فرنسا يخطبون وده ، ويتبادلون الهدايا والمواثيق ليرعى كل ملك حقوق جيرانه ، ويفتح بلاده ليعيش الناس هنا أو هناك فى وئام وسلام ...

والحق أن ((أبا جعفر عبد الله ــ المنصور)) يعد مفخرة فى جبين الدولة العباسية ، وهو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة العظيمة ، أقام لها شامخ البنيان على ركائز رضينة من أخلاقيات الاسلام، وتعاليم دينه وثقافته العميقة ، كما كان فى شبابه المبكر يختلف الى حلقات الفقهاء والمحدثين ، ويغترف من نبع فضلهم وعلمهم وهو اذ أصبح ذات يوم فوجد نفسه اماما وخليفة للمسلمين ، ارتكز فى سياسته على ما وعاه قلبه واشربت به روحه من خشية الله فيما يسر أو يعلن .

كما رأى ان يكف عن قتال بني أمية بعد أن كفاه أبو العباس طوال سنوات خلافته الاربعة ، مؤنة القضاء على شوكتهم ، فأصبح لا هم يشغل ((المنصور)) منذ تولى الخلافة ، الا تثبيت دعائمها واعلاء مناراتها والحفاظ على ملكها ، ولو دفعه ذلك الى أن يستعين بغير العرب الخلص ، على نقيض ما حرص عليه بنو أمية بأن يستعين العرب بالعرب .

وبنى المنصور مدينة ((بغداد)) لتكون حاضرة الخلافة العباسية ،ولتغدو بعد ذلك كعبة القصاد من ممالك الشرق والغرب ، وأنفق على تشييدها ثمانية عشر ألف ألف دينار ،وحشد اليهاالعلماء والفقهاء من كل بلد واقليم ، فأمها الناس أفواجا ، ولم تزل تتعاظم ، ويزداد عمرانها حتى غدت عروس الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة الاسلامية ، وأربى قطانها على مليونين من الانفس يتعاطون شؤون التجارة والعلم والتثقيف وكل ما يتصل بالحياة التي انفتحت عليها أسباب الرغد والأمان والعيش الرخى ...

وهدأت انفاس المنصور بعد أن فرغ من بناء بغداد ، وتطامن فؤاده بعد أن خلص ممن كان يخشى بأسهم من المقربين اليه ، وكان على قائمتهم عمه ((عبد الله ابن علي » و « أبو مسلم الخرساني » صاحب دعوة العباسيين فى خراسان .

ثم صفا الجو لأبي جعفر المنصور ، وانقشعت من سماء خلافته غيوم كثيرة، وحين يتلفت حواليه يجد ملك المسلمين قد انفسحت رقعته وامتدت سطوته ، واذا بحضارة الاسلام تغزو الممالك قبل أن تغزوها الجيوش .

كان شغله فى صدر النهار أن يجلس فى ايوانه يستطلع أخبار الولايات ، ويناقش أصفياءه وخلصاءه فيمن يوليه

هذا الثغر أو من يعزله عن تلك الولاية ، ثم ينظر فى أمن السبل وطرق القوافل والتجارة وشؤون الخراج والنفقات ومصلحة معاش المسلمين حتى اذا انقضى النهار جلس الى أهل بيته يلاعب الصغير، ويداعب الكبير ، ويقضي حوائجهم فى غير اسراف .

وفى الليل بعد أن يصلى العشاء الآخرة ، يجلس الى سماره من ذوى الفضل والعلم يشاورهم ، وينظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والآفاق ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه ، وانصرف سماره ، فاذا مضى الثلث الثاني من الليل ، نهض من نومه فاسبغ وضوءه ، وصف محرابه ، حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس .

وتمضي الايام والاعوام بالمنصور وهو يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ولآخرته كأنه يموت غدا ، فيملأ خزائن الدولة بالاموال ، ويؤمن عيش المسلمين ، ويشيد المدن والقصور والمساجد ودور العلم ، ويجعل من بغداد حاضرة العباسيين كعبة أخرى تأتيها الوفود من أطراف الدنيا وآفاق الارض لتنهل من علوم الاسلام وحضارته ، ثم تذيعه بعد ذلك على العالمين .

ولا ينسى المنصور آخرته ، فيشخص ما استطاع سبيلا فى كل عام الى حج بيت الله . حتى كان ذلك الموسم من الحج للعام الثامن والاربعين بعد المائة للهجرة ..

تجهز المنصور للسفر الى مكة يصحبه أهل بيته بعد أن وكل الى ولده وولى عهد الخلافة ((محمد المهدى)) أن يرعى الامور فى غيبته بالحق والموعظة الحسنة. وحطت قافلة الخليفة على بطحاء مكة بعد سفر شاق من بغداد الى أرض الحجاز وضربت الفساطيط فى نظام وقور وشكل مهيب ، وتميز فسطاط أمير المؤمنين بضخامته وعلو راية الخلافة على هامته . ومنذ أول يوم لوصول قافلة المنصور ، أقبل العلماء والفقهاء والشعراء من مكة ومن المدينة يسلمون على خليفة المسلمين ،ويقضون فى مجلسه وسمره أوقاتا طيبة يناقشون أمور الدين والدنيا ، ويضرعون الى الله أن يهدي الناس ، وأن يقيمهم على البر والخيرات وصالح الأعمال .

أركان الملك

ويسأل المنصور ذات مساء عن ((أبي حنيفة النعمان)) الذى افتقده منذ وصولهم ، فأجاب الربيع الحاجب : انه منذ جاء معنا الى مكة وهو لا يغادر الحرم ، وان شاء أمير المؤمنين بعثنا فى طلبه . قال المنصور : بل دعوه وشأنه ، فما حاجته الينا وقد جئنا نبتغي جميعا رضاء الله ومغفرته . وامتد السماط ليتناول المنصور العشاء مع خاصته ، وقبل أن تمتد الايدى الى الطعام ، دخل الربيع يعلن وقوف أبي حنيفة بالباب ، فأذن الخليفة بدخوله على الفور .

ولم يصب ابو حنيفة من طعام المنصور شيئا ، وانتحى مجلسا قريبا منه يتمتم بالادعية ويتلو من كتاب الله آيات بينات:

ولما فرغ المنصور من طعامه ، أقبل على أبي حنيفة يسأله عن حال المسلمين فى مكة : ويدور حديث عذب بين الجالسين ، ويستمع المنصور فى شغف الى حديث الفقهاء فى مجلسه ، ويتوجه ابو حنيفة الى المنصور يسأله عن تتمة حديثه الذى بدأه فى بغداد ليلة السفر

عن أركان الملك التي لا يصلح الا بهـا ، فيبتسم المنصور ويقول : جزى الله أبا حنيفة خيرا ان أثار هذه المسألة فمـا أحوجنى وأنا أمين على هذا الملك العريض الى أن يكون على بابى اربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم قال أبو حنيفـة : ومن همهؤلاء الأربعة يا أمير المؤمنين ؟؟.

سكت المنصـور لحظـة ، ثم تلاقت أنظار من فى المجلس على وجهه ، ثم قال : هؤلاء الاربعة هم أركان الملك ، ولا يصلح الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم ، اذا نقصت واحدة تداعي السرير ثم تهاوى . أمـا أحـد الاربعة فقاض لاتأخذه فى الله لومة لائم ،والثاني صاحب شرطة ينصف الضـعيف مـن القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني ، أمـا الرابع ...

وهنا سكت المنصور برهة ثم عض على أصبعه ثلاث مرات وقال : آه مـن هذا الرابع ...

قال ابو حنيفة : من هو ذلك الرابع يا أمير المؤمنين ؟ قال المنصـور وهـو ينفرس فى وجـه ابي حنيفة : الرابـع صاحب بريد يكتب عن هؤلاء الثلاثة على صحة ...

وانفض مجلس المنصور فى تلك الليلة، وأراد ابو حنيفة أن ينصرف الى شأنه فأشار اليه الخليفة ان يبقى معه ليصحبه فى الطواف حول الكعبة .

ولما شارفا مكان المسـجد الحرام ، بهرهما المشـهد الفريد لآلاف الضارعين والساجدين والطائفين بالكعبة ، بينمـا القناديل المضاءة من حولهم تكاد تجعل الليل نهارا ..

وسمعا دعاء الحجيج الى رب الكعبة والناس ان يحفظ لهم دينا أخرجهم من الظلمات الى النور ، وهو بعد ، خير دين أنزل للناس .

رأى المنصور الناس من كل بلد ولون وجنس لا فـرق بينهم فى هـذا المقام المهيب حيث لا يتقدم غني على فقير ولا قوى على ضعيف ، وانما الكل سواسية يذكرون الله ، ويرفعون الـى سـاحته أكف الضراعة ان يقبل توبتهم وان يقيل عثرتهم وأن يهديهم الى صراط مستقيم .

فى جوار الكعبة

وبينما المنصور وابو حنيفة يطوفان بالكعبة ، رأى المنصـور رجلا فى ركـن قريب يتطلعالىالسماء ولميلبثأنسمعه يقول فى ضراعة : ((اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفسـاد فى الارض ومـا يحول بين الحق وأهله من الطمع)) .

جزع المنصور من دعاء الرجل ، فلم يكمل طوافه ، وخرج فجلس فى ناحية من المسجد مهموما ، ولمـا أقبل الربيع حاجبه طلب اليه أن يذهب الى صاحب الدعاء ويدعوه الى لقاء خليفة المسلمين ، ثم أشار الى أبي حنيفة أن يجلس قريبا منه ليسمع معه حديث صاحب الدعاء .

ذهب الـربيع الحاجب الـى حيث يجلس الرجـل وابتدره قائلا : سمعك أمير المؤمنين تشكو الى الله ظهور البغي والفساد فى الارض وقد أراد أعزه الله ان يراك وان يسمع اليك .. قال الرجل

فى هدوء رصين : قد كنت أشكو الى الله وليس الى المنصور . اذهب عنى أصلحك الله .

أدرك الربيع أن الرجل واحد من الزهاد ، وان الجدال معه لا طائل من ورائه ، فلم يكن امامه الا أن يستفزه ، ويثيره فقال له : أراك تخاطب الله ، ولا تخشى لقاءه ، فحرى بك الا تهاب لقاء عبد من عباده الصالحين . هيا ، وقم معي الى لقاء أمير المؤمنين فهو حظوة للسعداء . وهنا طلب الرجل الزاهد من حاجب الخليفة ان يمهله حتى يصلي ركعتين ، ثم يذهب معه الى حيث يجلس خليفة المسلمين دون ان ينتبه اليه أحد.

وسلم الرجل على الخليفة ، وهنأه بسلامة الوصول الى أرض الله المقدسة، ثم سكت ، فدعاه المنصور ان يجلس قبالته فجلس . قال المنصور فى وداعة : سمعتك فى طوافي تشكو الى الله ظهور البغي والفساد فى الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فوالله لقد حشوت مسامعي بما أوجعني .

قال الرجل : قد شكوت الى الله وحده ، ولم أشك الى المنصور .

قال المنصور : اعلم ذلك ، وما من سلطان لي عليك فى هذا الحرم ، انما أحببت ان تعين لي بعض ما تراه من البغي والفساد لعلنا نقدر على الا يكون فى أيامنا بغي او فساد .. قال الرجل وهو يرفع عينيه الى وجه المنصور : يا أمير المؤمنين .. ان امنتني على نفسي أنبأتك بالامور من اصولها ، والا احتجزت منك واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل ..

قال المنصور على مسمع من الربيع ومن ابي حنيفة : أنت آمن على نفسك ، فقل ما تحب ان تقوله ولا تبق شيئا مما تحدثك به نفسك .

وسكت الرجل برهة كأنما يستجمع ويرتب أفكاره ثم قال :

ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لهو أنت يا خليفة المسلمين ...

تعجب المنصور من جراة الرجل ، وكادت وداعته ان تزايله ، لكنه كظم ما يدور فى أعماقه ثم قال : ويحك .. كيف يدخلني الطمع بينما ذهب الدنيا فى يميني وفضتها فى شمالي ، وعندى من الطعام حلوه وحامضه . ؟

أجاب الرجل : وهل دخل احد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين واموالهم ، فأغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك فى جباية الاموال وجمعها، وقويتهم بالرجال والسلاح ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق معلوم .

وهنا تململ الربيع الحاجب ، وهم بالوقوف ، لكن المنصور نظر اليه بوجه صارم ، فعاد الى جلسته الاولى ، ثم اتجه بجوارحه الى الرجل وقال : اني مصغ اليك يا أخي فهات كل ما عندك .

استأنف الرجل حديثه بعد أن حدج الربيع بنظرة نافذة :

وأعلم يا أمير المؤمنين ان هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت الا يحجبوا عنك ، لما رأوك تجبي الاموال وتجمعها ، ولا تقسمها قالوا عنك . . هذا قد خان الله، فما بالنا لا نخونه ، وقد سجن لنا نفسه، ثم انهم ائتمروا فيما بينهم الا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما أرادوا . واذا ما خرج لك عامل يخالف أمرهم ويقضي بين الرعية بالحق والعدل ، عابوه عندك حتى تسقط منزلته : ويصغر قدره . فلما انتشر ذلك عنك وعن بطانتك والمقربين اليك بلا حجاب ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان اول من صانعهم بالهدايا والاموال عمالك ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك من غير بطانتك ، ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من هم دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل .

وسكت الرجل برهة ونكس رأسه الى الارض ، ثم رفع عينيه بغتة الى المنصور ، فلمح فى عينيه دموعا توشك ان تنساب على صفحة وجهه الا ان الخليفة تمالك نفسه ، واندفع يقول فى صوت متحشرج : ويحي من نفسي ومن حساب الآخرة . ولكنك تعلم يا أخي ، ويعلم المسلمون فى أقطار الارض انني أجلس الى الناس فى كل يوم لاسمع مظالمهم ثم انفذ كلمة الحق بينهم . فما الذى تنكره علينا فى ذلك ، ولكل امرىء قلب ولسان يتحدثان عنه فى السر وفى العلانية ؟

ابتسم الرجل الزاهد ، واحس المنصور بمرارة تحبس فى صدر الرجل هي افصح من اى كلام ، ثم قال الزاهد : اصلح الله أمير المؤمنين وجمله بالعافية. الذى نعلمه انه اذا جاءك متظلم ، حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، حتى اذا بلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم الا يرفع مظلمته اليك اذا كان المشكو منه واحدا من بطانتك او من يلوذ بهم . ولا يزال المظلوم يختلف الى صاحب المظالم الذى اقمته ، ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه . واذا ما أفلح المظلوم فى ان يلقاك وان يصرخ بين يديك شاكيا ، ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر . الا ليت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يعلم قصة ملك الصين فى هذا المقام . .

ملك الصين

وسكت الرجل لحظة ريثما يأذن المنصور بالحديث عن ملك الصين ، ثم ارسل المنصور نظره الى ساحة الحرم ، فرأى اسراب الحمام الابيض تقف على اكتاف المصلين تارة ، وتحط على ظهور الساجدين تارة اخرى ، بينما عمد أكثر الحجيج الى النوم ساعة من الليل ريثما يؤذن لصلاة الفجر .

وأحب المنصور حقا ان ينصت الى حديث الرجل عن ملك الصين فقال :

ليس أحب الينا من سماع حديثك عن ذلك الملك الذى يعيش هناك فى أقصى المشرق لعل فى ذلك عظة وعبرة .

قال الرجل : قد كنت يا أمير المؤمنين اسافر الى بلاد الصين فقدمتها مرة وقد اصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال: لست أبكي للبلية النازلة بي ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا اسمع صوته . اما اذ ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب . نادوا فى الناس .. على كل متظلم ان يرتدى ثوبا احمر . وكان هذا الملك يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر فى الناس ، ثم يدعو اليه كل من يلبس ثوبا احمر ، وينظر بنفسه فى ظلامته .

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه . وأنت مؤمن بالله ومن أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطفل يسقط من بطن امه وماله على الارض مال ، ولست بالذى تعطي ، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء . وان قلت انما اجمع المال لاشيد السلطان ، فقد أراك الله عبرا فى بني أمية ما أغنى عنهم مالهم ، وما جمعوا من الذهب والفضة ، وما أعدوا من الرجال والسلاح حتى اراد الله بهم وبكم ما أراد .

لم يقو المنصور على أن يوقف مسيل الدموع من عينيه المخضلتين ، بل اخذ ينشج فى صمت ، ويمسح عبراته بينما ابو حنيفة والربيع ينظران الى الرجل تارة والى المنصور تارة اخرى ، حتى اذا ما هدأت نفس المنصور ، واسترد جأشه قال لمحدثه : يا ليتني لم أخلق ، ويحك كيف احتال لنفسي لتغلب حسناتي سيئاتي يوم الحساب ؟ .

قال الرجل يجيب على تساؤل المنصور : يا أمير المؤمنين ان للناس اعلاما وأئمة يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك .

قال المنصور : قد بعثت اليهم فهربوا مني وتباعدوا عني .

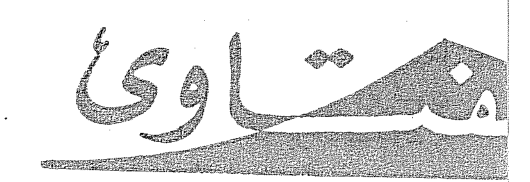
قال الرجل : خافوا ان تحملهم على طريقتك ، ولكن عليك ان تفتح بابك وتسهل حجابك ، وان تنصر المظلوم وتقمع المظالم ، وأن تأخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ثم تقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عنهم ان يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .

وانطلق صوت المؤذن لصلاة الفجر فقام الناس واصطفوا للصلاة ، ثم عاد المنصور الى فسطاطه والوجوم يكسو وجهه والهم يجثم على صدره ، لم ينم لحظة ، وظل يتقلب على فراشه نهبا لافكاره الثقيلة حتى طلع الصباح .

واعتزم المنصور فى نفسه امرا . اعتزم ان يستعمل ذلك الزاهد أمينا على الخراج وشؤون مظالم الناس ولو أغضب فى ذلك كثيرا ممن يشاورهم او يعهد اليهم مصالح المسلمين .

وحين دخل اليه الربيع الحاجب طلب اليه ان يبعث بمن يحضر رجل الامس ولم يكاشف حاجبه بما يعتزم . وذهب الربيع فى صحبة غلمانه وخدمه يبحثون عن الرجل الذى طلبه خليفة المسلمين .

غابوا طيلة النهار يروحون ويجيئون بين الحجيج يتفرسون ويسألون ، ولكنهم لم يعثروا على أثر للرجل ..



المكان لمن سبق

السؤال : —

ما حكم من يحجز مكانا فى الصف الاول فى المسجد بمسبحة ونحوها وهل يجوز لمن سبق أن يصلي فى هذا المكان المحجوز ؟ .

الاجابة : —

المكان فى الصف لمن سبق ، وحضر بنفسه : وشغل المكان ، ولم يؤثر عن السلف الصالح ، أنهم فعلوا ذلك .

وقد أنكر الشيخ تقي الدين بن تيمية هذا العمل ، وقال رحمه الله : وأماما يفعله بعض الناس من تقديم المفارش الى المسجد فى أول الوقت أو قبله ، فتفرش له ، ويقعد هو الى أن يمتلىء المسجد بالناس ، ثم يأتي كان غاصبا لذلك المكان الذى فرشت فيه السجادة . وقال رحمه الله يجوز لمن سبق أن يرفع السجادة أو المسبحة التي وضعها الغير ، ويصلي فى هذا المكان لأن الانسان مأمور بسد الفرج فى الصف .

طلاق الناس

السؤال : —

حلفت بالطلاق أنه ليس معي الا دينار ، ثم تبين أن معي أكثر ، وعند الحلف كنت اعتقد أنه ليس فى حافظتي الا دينار فهل يقعهذا الطلاق ؟ .

الاجابة : —

قال الله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . والحلف فىهذه الحالة حلف عن يقين أو على غلبة الظن ، فقد حلف على شيء يظن صدقه ، فظهر خلافه ، فلا حنث ولا يقع هذا اليمين لأنه لم يقصد المخالفة . هذا ظاهر مذهب الشافعية ورواية راجحةعنالامام أحمد وبه أفتى ابن تيمية .

خير الصداق أيسره

السؤال : —

خطبت ابنة عمي فطلب والدها « ٥٠٠ دينار » مهرا ، وليس فى استطاعتي . فهل يحرم عليه ذلك ؟ .

الاجابة : —

المهر لا حد لأكثره ولا حد لأقله ، وقد ترك الشارع تقديره للناس تبعا لظروفهم المادية والاجتماعية ، فهو يختلف باختلاف الزمان وأحوال الناس وتفاوتهم ، وصداق كل انسان على حسب حاله وحال من يريد التزوج بها .

وقد دعا الشارع الى تيسير المهور وعدم التغالي فيها . قال صلى الله عليه وسلم « أخف النساء صداقاأعظمهن بركة » وعن أبي هريرة قال : « كان صداقنا اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر أواق وقيمتها أربعمائة درهم » . وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كم كان صداق رسول الله ، فقالت : كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية . وقيمتها خمسمائة درهم .

فالمغالاة فى المهور خلاف السنة قال صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

قاتل نفسه

السؤال : ـ

ما حكم من قتل نفسه ؟ .

الاجابة : ـ

قتل الانسان نفسه أفظع أنواع القتل وأشدها عقوبة ، لأنه يأس من رحمة الله وهدم لبنيان بناه الله واذا كان الله سبحانه قد توعد بالعذاب الشديد من قتل غيره فقال سبحانه : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » فانهذا الوعد الشديد والعذاب الاليم جزاء من يقتل نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ « يضرب » بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو متردٍ في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل ممن يدعي الاسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل ذلك الرجل قتالا شديدا ، فأصابه جراح ، فقيل : يا رسول الله : الذى قلت آنفا أنه من أهل النار قد قاتل قتالا شديدا وقد مات . فقال صلى الله عليه وسلم الى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك اذ قيل له : انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة ، فلما كان الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ ذباب سيفه فتمايل عليه ، فقتل نفسه ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله أكبر ، أشهد أني عبدالله ورسوله .. » .

تأخير الصلاة عن وقتها

السؤال : ـ

هل يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لتاجر لا يمكنه عمله من أدائها في وقتها ؟ .

الاجابة : ـ

الصلوات الخمس المفروضة لها أوقات معلومة بدءا ونهاية قال تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وقد بينت السنة الصحيحة هذه الاوقات ، والاشتغال بالتجارة لا ينهض عذرا في تأخير الصلاة عن وقتها ، واخراج الصلاة عن وقتها كبيرة من الكبائر . قيل في تفسير قوله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » ليس المقصود بهم الذين يتركون الصلاة ، بل المقصود بهم الذين يصلون ولكنهم يؤخرونها عن أوقاتها .

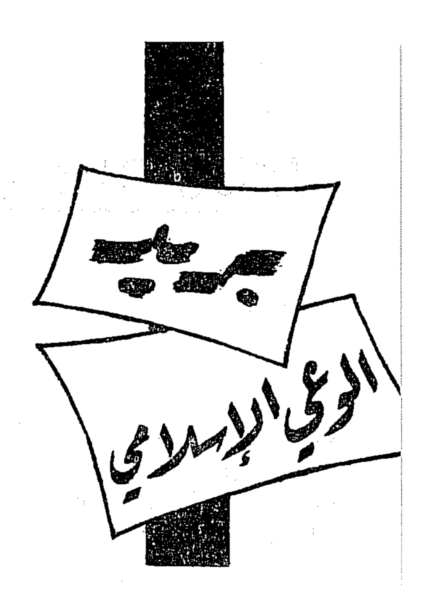
الزار

السؤال : ـ

زوجتي مريضة بمرض عصبي وطلبت أن أقيم لها حفلة زار ـ فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

الاجابة : ـ

يكثر الدجالون والمشعوذون في البيئات المتخلفة عقليا ، ولهم حيل وأساليب شيطانية في التأثير على السذج وضعاف العقول وخاصة السيدات ، وكثيرا ما يقع في حبائل هؤلاء النصابين بعض المرضى والمريضات بأمراض عصبية فيلقون في روعهم أن في استطاعتهم علاجهم بالزار وهذا علاج ما أنزل الله به من سلطان ، وهو محرم شرعا لما يحدث فيه اختلاط الرجال بالنساء وشرب الدم المسفوح ، وصبغ الجسم به والرقص والمفاخرة والاسراف ، وتعريض المريض للهلاك ، والطريق المشروع للعلاج هو طريق الطب والله يقول : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .



تلقت المجلة رسائل كثيرة من السادة القراء فى الأقطار الاسلامية والعربية يعربون فيها عن رغبتهم فى الحصول على الأعداد السابقة من المجلة ، كما وصلتنا رسائل أخرى يستفسر فيها أصحابها عن قيمة الاشتراك وكيفيته .

وعلى الرغم من أننا أجبنا على كثير من هذه الرسائل على هذه الصفحات أو فى ردود خاصة فلا يزال يرد الى المجلة كثير منها ، ومع تقديرنا للمشاعر الطيبة التي تسود هذه الرسائل فاننا نوجه نظر أصحابها الى أن الأعداد السابقة من المجلة نفدت وأن قيمة الاشتراك وكيفيته مبينة فى كل عدد منها .

السودان

تلقينا من الزميل الاستاذ حسن نجيلة بصحيفة الرأى العام بالخرطوم رسالة مطولة جاء فيها :

ان هذه المجلة القيمة منذ صدورها حتى الآن لم يرسل منها عدد واحد للسودان وان الاعداد التي ارسلتموها باسمي هي الوحيدة التي دخلت السودان وكان لها صدى عظيم مما جعلني أطلب منكم برقيا ارسال مائة نسخة وقد أحلتموني على شركة التوزيع ، وكنت أحب أن يكون للسودان موقف خاص لديكم فى مجال التعاون لنشر المجلة لظروف عديدة .

ومهما يكن من أمر فاني ما زلت أرى مراجعة الأمر وتخصيص مائتي نسخة شهريا لنا ، وأؤكد لكم أني سأرفع العدد الى خمسمائة نسخة .

وأؤكد لكم مرة أخرى أني أؤمن بالمجلة وأهدافها ، وأننا فى حاجة اليها لمحاربة التيارات الدخيلة والأفكار الالحادية التي تنتشر بيننا .

الوعي : نحيي فيكم هذه الغيرة الاسلامية ونشد على أيديكم ، ونحن معكم على الطريق ، وسنعمل لتحقيق مطلبكم .

* * *

ووصلتنا رسالة من المديرية الاستوائية بجنوب السودان بعث بها الأخ محمد خير الأمين من جوبا يقول فيها :

أهنىء وزارة الأوقاف بالكويت على اصدار مجلة الوعي الاسلامي الغراء وقد لقيت هذه المجلة منا كل اقبال وترحاب لما تحمله من وعي اسلامي رشيد ، يغذى القلوب ، وينير العقول ، ويزيد المؤمنين ايمانا ، ويشرح صدور غير المسلمين لهذا الدين الحنيف .

واني أرجو للمجلة كل توفيق حتى تحقق الغاية التي انشئت من أجلها سائلا المولى العلي القدير أن يعين المسلمين أفرادا وجماعات على اظهار الحق وازهاق الباطل ، ونشر النور وتبديد الظلام ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

المملكة العربية السعودية

ووصلتنا رسالة من الأستاذ عثمان الصالح

مدير معهد العاصمة النموذجي بالرياض ــ جاء فيهــا :

ان مجلة الوعي الاسلامي الغراء ينبوع فياض من ينابيع الاســلام ، وفيض غزير مــن حكمتــه وهدايته وارشاده ، وكنت بها مسرورا ولا سيما لصدورها عن الكويت الشقيقة التي تربطنا بها روابط الجوار والدين والعروبة . وهذه المجلة دعوة خالصة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الجمهورية العراقية

وأرسل السيد شــاكر عبد الكاظــم حبيب من الديوانية بالجمهورية العراقية يقول :

لقد كان لصدورمجلة الوعي الاسلامي سرور بالغ فى نفسي ، واني لأبارك هذه المجلة ، حيث أن مولدها كان فى الوقت المناسب وصدورها من أعظم الأعمــال الناجحة لنشر الدعوة الاسلامية .

اسأل الله أن يجعلها مفتاحا للعمــل على تطبيق الشريعة الاسلامية .

الجمهورية العربية المتحدة

وأرسل الينا الشاب المسلم عاطف محمد صادق من حلوان ج.ع.م الرسالة التالية ننشرها كاملة لأنها على بساطتها تنطوى على معان كبيرة يفيض بها قلبه العامر بالايمان .

تحية طيبة من قلب يكن لكم الحب والاخلاص ، ونفس تعترف بعملكم المخلص لصالح المســلمين وخيرهم وبعد :

فأنه يطيب لي أن أعرب لــكم عما يختلــج فى صدرى من الاكبار والتعظيم للمجهودات الضخمة التي تبذلونها فى المجلة لاقناع القلوب الحائــرة وارواء النفوس المتعطشة للهداية والرشاد . هذا واني احرص كل الحرص على اقتنــاء مجموعــة الوعي الاسلامي ، فقد اقتصدت من (مصروفي) الخاص المبلغ المطلوب للاشتراك ، وذهبت الى مكتب بريد حلوان لارسل لــكم حوالة بالمبلــغ ولكنهم قالوا ان هذا ليس من اختصــاصــهم ، فحزنت لذلك حزنا عظيما ...

والمجلة : تحيي هذه الشبيبة المسلمة ونرجو أن تكون مثالا لشبابنا فى التعلق بالاسلام والتفهــم لمعانيه ونلفت نظر الأخ الى أنه يمكنه الاشــتراك فى المجلة عن طريق مندوبنا فى القاهرة الاســتاذ محمد عبد الله السمان وعنوانه القاهرة ــ ص.ب (١٤٨٣) .

ردود قصيرة

*** الأخ سعيد محمد الشمالي مــن السالمية بالكويت**

نشكرك على رسالتك الرقيقة ، وقد نشرنا الاجابة على سؤالك فى باب الفتاوى من هذا العدد .

*** الأخ محمد عبد الحليم غربية من الكويت .**

تفصيل ما جاء فى مائدة القارىء من العدد الخامس سنعرض له فى الأعداد القادمة .

*** السيد شرف الدين احمد حنفي نصار من شبرا ــ الجمهورية العربيــة المتحدة .**

فى المستقبل القريب ــ ان شاء الله سنخصص بابا للمسابقات .

استدراك ..

● فى العدد الخامس السابق ص ٨ ذكر فى الآيــة عمود ١ ((اوف بعهودكم)) وصحتها ((بعهدكم))

● اكتشفنا فى طبع الغلاف خطأ فى ((جمادى الآخرة))فطبعت((جمادى الآخر)) .. عفوا ..



مؤتمر القمة الثالث

اجتمع مؤتمر القمة للملوك والرؤساءالعرب بالمملكة المغربية فيما بين الاثنين ١٣ سبتمبر الى ١٧ منه .. وأصدر قراراته فى كل ما يتصل بالشؤون العربية والعالمية مما اطلع عليه القراء فى الصحفاليومية ..
((والوعي الاسـلامي)) حين تباركهذه الجهود التي يبذلها الملوك والرؤساء للنهوض بدولهم ، وجمع كلمة العـرب وتوحيـد صفوفهم لمجابهة قـوى الشر التي تتربص بهم ، ولتطهير أراضيهم منالغاصبين . لتتوجه الى الله العلى القدير أن يرعى هذه الجهود ويوفق القـادةلابرازهـا الى حيز الوجـود عملا بناء يلمسه كل عربي وينشرح صدره له كما ترجو الله سبحانه أن يوفقهم لدعـم ميثاق التضامن العربي وتصفية الجـومن كل ما يعكر الصفو ويثير الخلافات حتى يسير العرب جميعا صفا واحـداالى أهدافهم الكريمة ...

الكويت

أدلى سـعادة عبد اللـه المشـارى الروضانوزير الأوقاف بتصريحلصحيفة الرأى العام الكويتية جاء فيه — ان الـوزارة أدرجـت فى مشروع ميزانيتها الجديدة ٦٦/٦٧ مبلغ مائتي الف دينار لطبع القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية التي سترسل الى الدول الافريقية — هذا فضـلا عما خصـص لمساعدة هذه الدول فى مجال الشؤون الاسلامية .

* أصدرت لجنة احياء التراثبوزارة الارشاد والانباء الكتب الآتية —

١ — الذخائر والتحف	للقاضي الرشيد بن الزبير
٢ — الاضداد فى اللغة	لمحمد بن القاسم الأنبارى
٣ — المصون فى الأدب	لأبي الحسن بن عبد الله العسكرى
٤ — العبر فى خبر من غبر	للحافظ الذهبي
٥ — رسائل الصابي والشريف الرضي	للشريف الرضي
٦ — مجالس العلماء	لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي
. — مآثر الأنافة	للقلقشندى
٨ — خلق الانسان	لثابت بن أبي ثابت
٩ — شرح ديوان لبيد	تحقيق الدكتور احسان عباس

١٠ — الجزء الأول من تاج العروس فى٥٢٣ من القطع الكبير ويقع فى حـوالي ٤٠ جزءا .
وتحت الطبع الآن كتاب النبات . لأبى حنيفة الدينورى

❊ وتلقى معاليه رسالة من الدكتور محمد الشريف عيدروس رئيس المجمع الاسلامي فى مقديشو عاصمة الجمهورية الصومالية يشرح فيها ظروف الدعـوة الاسلامية بالبلاد ، ويطلب معاونة دولة الكويت فى بناء المجمع الذى يضم عدة مدارس ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

❊ مساحة المدينـة السـكنية التي ستنشئها وزارة الأوقاف بالمدينة المنورة للحجاج الكويتيين (٩٦٨٣٩٧) متـرا مربعا ، وسيلحق بهذه المدينة مقر البعثة الطبية الكويتية .

❊ تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لمدارس كمال الاسلام فى الفيليبين وبمبلغ ألف دينار للجمعية الاسـلامية ببغداد .

❊ وجهت حكومة ماليزيا دعـوة الى الكويت لايفاد مندوبين عنها للاشتراك فى الاحتفال الرسمي الذى سيقام بمناسبة افتتاح مسجد نقارا ـ المسجد الوطني ـ فى كوالا لمبور .

القاهرة

❊ رشـح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر مديرا للمركز الاسلامي بلندن .

❊ بدأ هدم قبة طائفة البهائيين التي صدر قرار جمهورى بحلها منذ خمس سنوات لانحرافها . القبة كانت تعلو مقر البهائيين فى ميدان مستشفى الدمرداش وهو الذى منحته الدولة للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريـم ، ليكون مقرا لها ومركزا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم . وسيبنى مسجد بجوار المقر .

❊ ستقدم مراقبـة جنـة الأطفـال بالتلفزيون برنامجا دينيا جديدا بعنوان ((مع الله)) فى حلقات متتالية تتناول كل منها شرح احدى قواعد الدين الاسلامي شرحا تفصيليا . كمـا تحكي الحلقـة موقفا خالدا من مواقف الاسلام .

❊ طلبت وزارة الثقافـة السوفيتية الى مكتبة الاسكندرية تزويدها بصورة من مجموعة المخطوطات القديمة التـي الفها رائد علم البصريات ، العالم العربي ابن الهيثم . ومما يذكر ان ابن الهيثم يتحدث فى بعض أجزاء هذه المخطوطات عن طبيعة البقع القمرية .

مكة المكرمة

❊ تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ (٩٤/٠٠٠) جنيـه اسـترليني لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع اصلاح المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، ومما يذكر أن تـكاليف هذه المرحلـة تبلـغ (٣٥/٠٠٠) جنيه استرليني .

❊ كما تبرعت بمبلـغ (٣٧/٠٠٠) ألف ريال لجمعية المسـلمين اليابانيين فى طوكيو .

❊ تقوم الرابطـة الاسـلامية بمكة بترجمة معاني القـرآن الكريـم للغـة اليابانية ، وستعرضها قبل الطبـع على المختصين بهذه اللغة وفى علوم التفسير لمراجعتها .

بغداد

❊ تبرعت الجمهورية العراقية بمبلغ عشرين ألف دينار للمسـاهمة فى بنـاء مسجد جمعية محمد الأمير الاسلامية فى بيروت .

الجزائر

❊ بلغ عـدد المعاهد الدينيـة التي انشأتها وزارة الأوقـاف خمسـة عشر معهدا بها أربعة آلاف طالب ، ويدرس بها مواد شرعية عربية وحديثة .

❊ بلـغ عدد الـكتاتيب التي تحفظ القرآن أربعة آلاف ، وعدد طلبتها يزيد على خمسين الف طالب .

❊ ترسـل وزارة الأوقاف دروسـا بالمراسـلة مجانـا فى التوحيد والفقـه والسيرة والاخلاق وبلغ عدد المراسلين ثمانية آلاف .

بقية اعرف عدوك

٤ : ـ تتكلمون عن (اسرائيل) والحكومات العربية ، وهذا قول هراء ، (فاسرائيل) هي فلسطين ... فلسطين المحتلة ، وحين يتم تحريرها ستعود عربية من جديد .

ان العرب يقولون ... فلسطين عربية وسوف « يتم تحريرها في الوقت المناسب بعمل عسكري : وهذا ما يدركه وينتظره كل عربي ، ولا حل بديل له » .

وبعد أن أجابت أمانة سر « هيئة دراسات الشرق الأوسط » الكاتبة مانين على رسالتها ، عادت وتلقت رسالة أخرى منها .. جاء فيها ... :

« انني أعلم أن هيئتكم تؤمن بأن من الممكن التوصل الى حل سلمي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لانني قرأت نشرتكم ، غير أن ما تقترحونه لا يرضى به العالم العربي الذي ينشد استعادة فلسطين جميعها ، لتعود ثانية عربية فيها حكومة فلسطينية » .

« ان هذا ليس هدف الفلسطينيين المشردين الذين أبعدوا عن بلادهم فحسب ، بل هو هدف العالم العربي جميعه ، وليس على الأجانب الذين هم بمنأى عن الموضوع أن يعلّموا العرب ما يفعلونه في هذه القضية ، ومن السفاهة محاولة ذلك .

« هنالك الآن جيش تحرير فلسطيني ، وفي الوقت المناسب سيتم تحرير فلسطين بالأسلوب ذاته وبالوسيلة نفسها التي تحررت بها الأقطار المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية ، أي بالسلاح » .

« نعم .. سيموت كثيرون ، ولكن ملايين العرب على استعداد لذلك ، مفضلين الموت على ظروف الحالة الحاضرة الجائرة المهينة » .

لقد اعتدت أن أكون مسالمة وعميقة الايمان باللاعنف ، ولكني لمّا أعد كذلك بعد ، ولم أدرك الآن فقط أن هنالك سبيلا وحيدا لاستعادة الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين لحقهم .

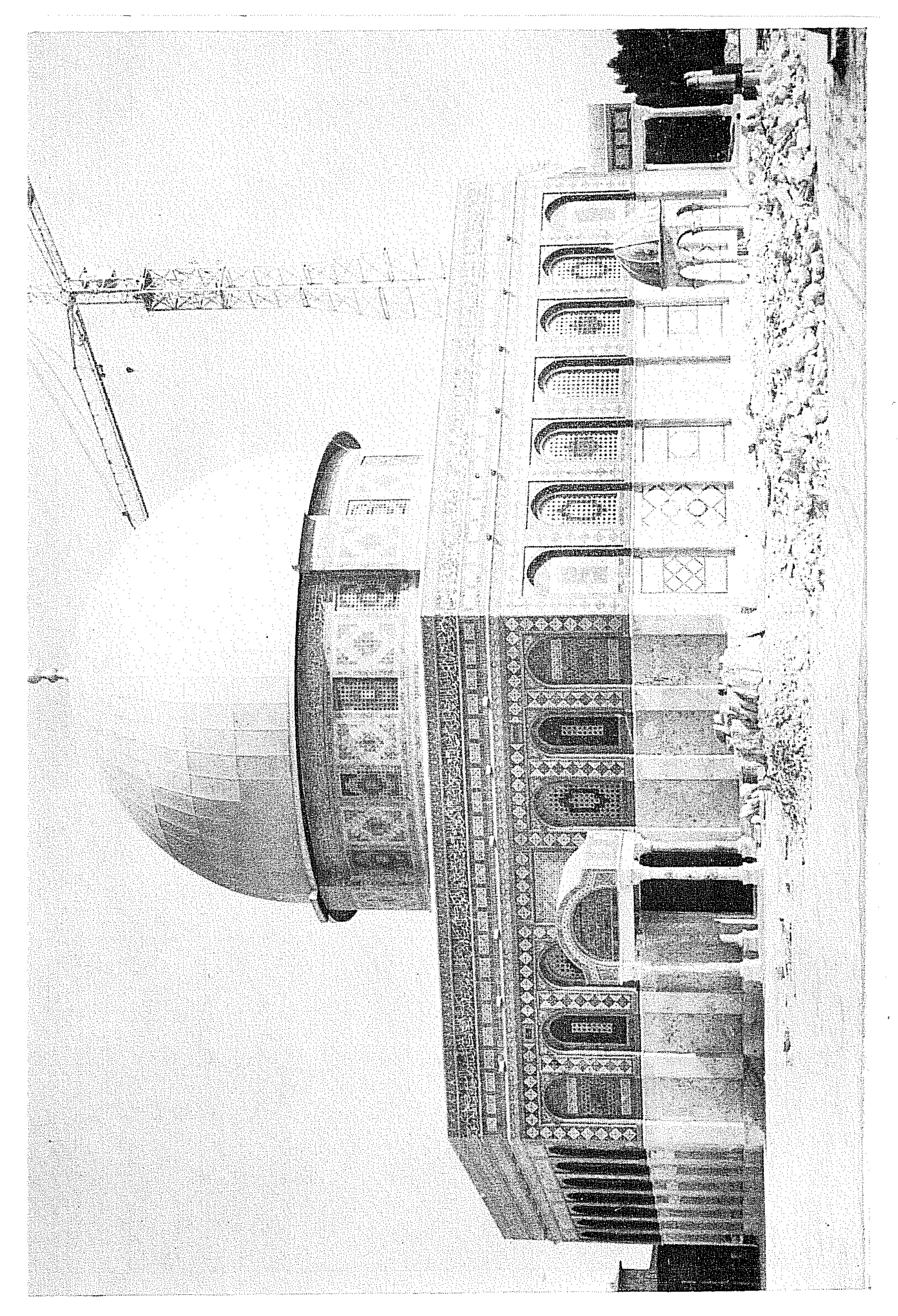
« يجب أن « تلغى » (اسرائيل) ، كانت البلد فلسطين وللفلسطينيين ويجب أن تعود ثانية كذلك ، ولا داعي لأن نكون عاطفيين فيما يتعلق بالعنف في هذه الناحية . ان العرب ليسوا كذلك ، وليس لهيئتكم أو أية هيئة أخرى حق البحث عن « حل سلمى » ، فالفلسطينيون والعرب جميعهم يعرفون الحل ، ولا يوجد حل سواه ... » .

وقد تابعت الكاتبة رسالتها فرفضت رجاء لحضور اجتماع « هيئة الدراسات ... » .

« لا أستطيع تحمل الاستماع الى الكثير من الهراء الوهمي حول الحلول السلمية . فأنا أعرف العالم العربي والشعور العربي ، وأنا كليا مع أعضاء حركة تحرير فلسطين ، وهم يقبلونني واحدة منهم ، انني الآن مواطنة شرف فلسطينية ، وهذا ما أفخر به .

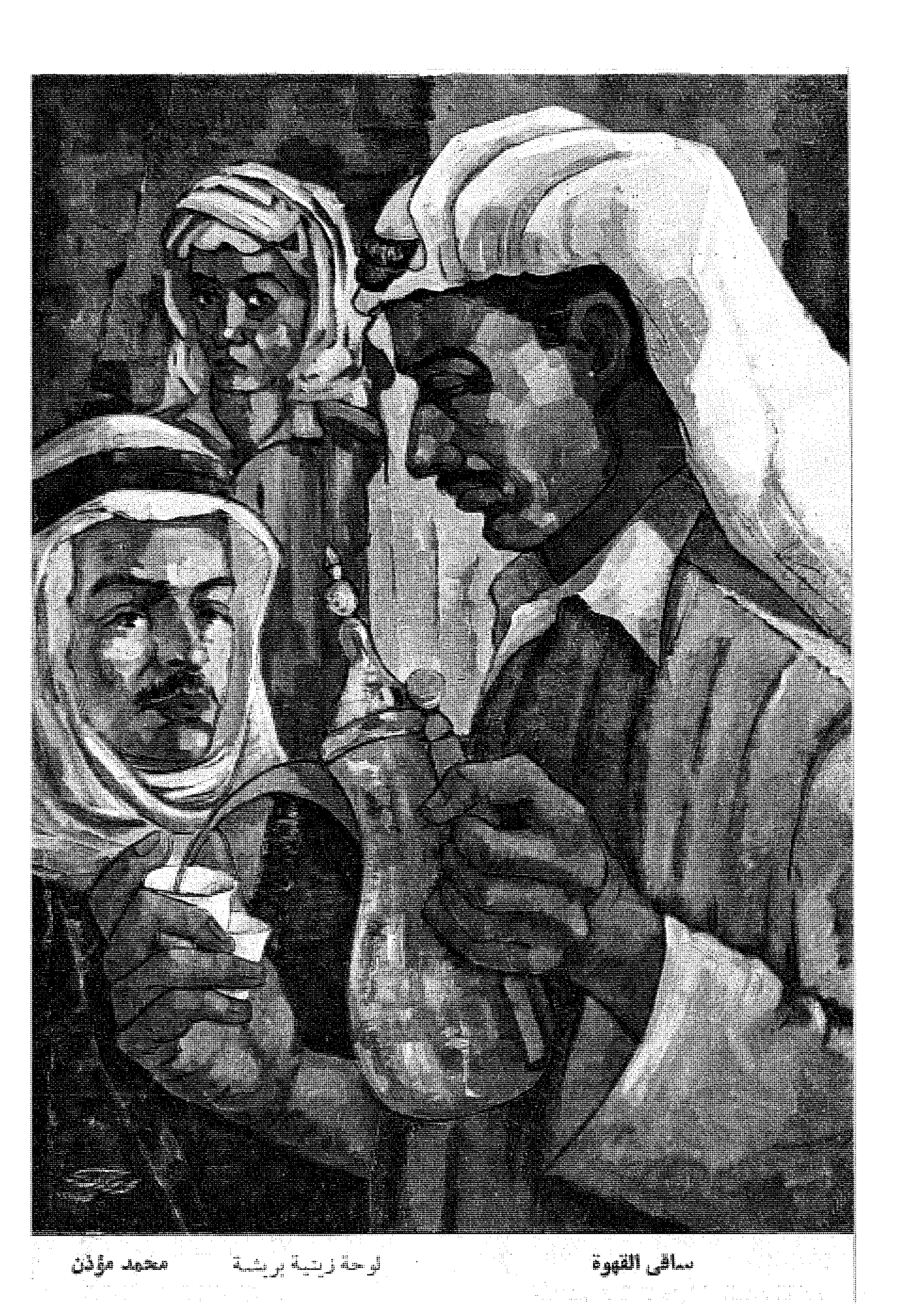
« انني غير مهتمة بمساعدة « هيئة الدراسات » ولكنني أهتم فقط بتحرير فلسطين ... » .

● من نشرة فلسطين التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية .



قبة الصخرة المشرفة

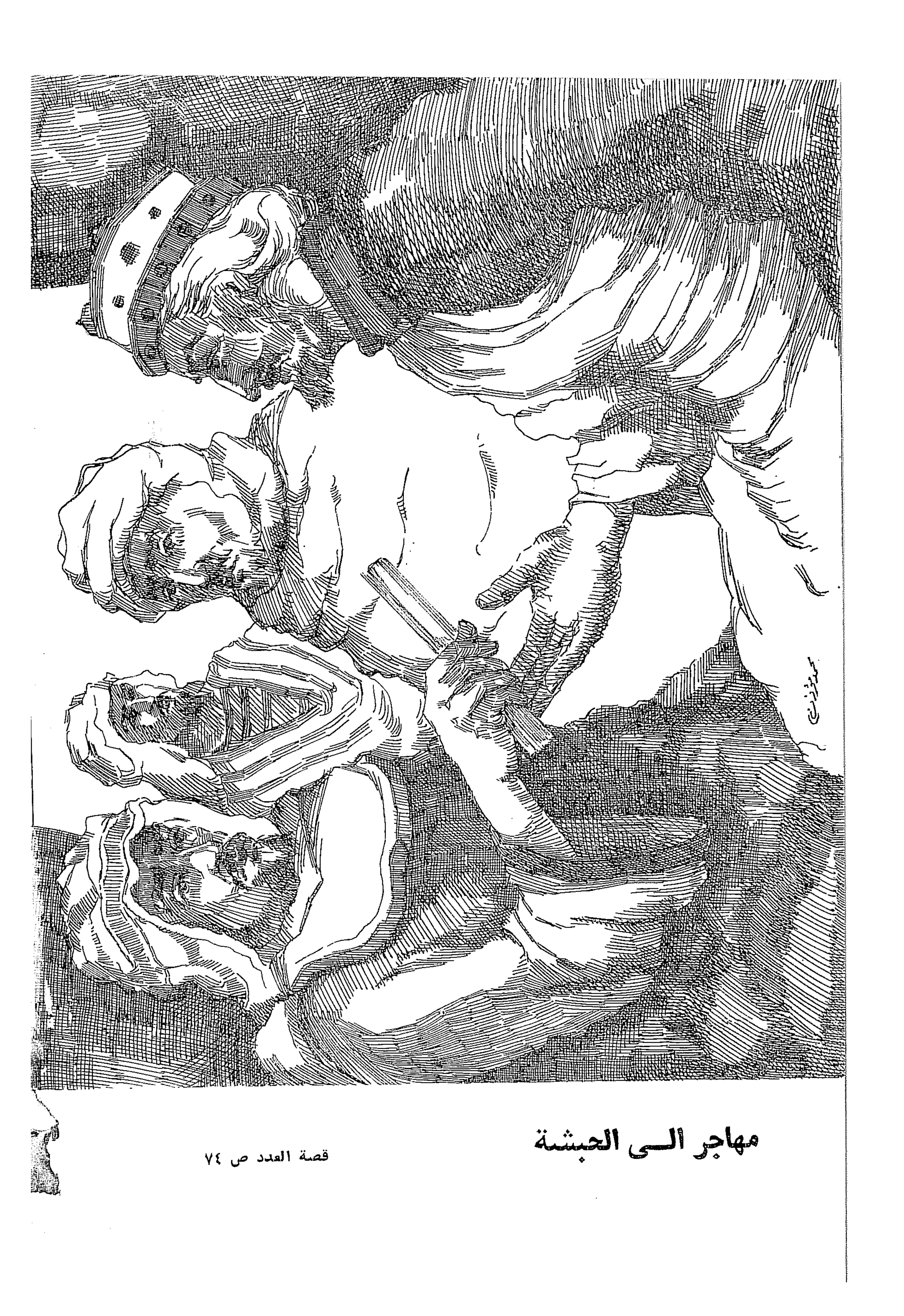
سننشر تحقيقا عنها في العدد القادم



ساقي القهوة   لوحة زيتية بريشة   محمد مؤذن



السنة الأولى ـ العدد السابع ـ رجب ١٣٨٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٦٥ م



مهاجر الـى الحبشة

قصة العدد ص ٧٤

الوعي الاسلامي

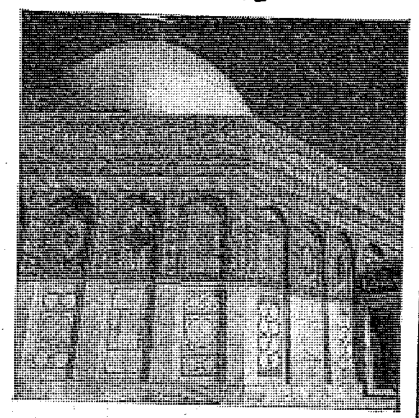
اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع السنة الاولى
رجب سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



قبة الصخرة المشرفة كما
تبدو بنقوشها الاثرية الرائعة
« اقرأ التحقيق الوافي عنها في هذا العدد »
« تصوير مجلة الوعي »

الثمن

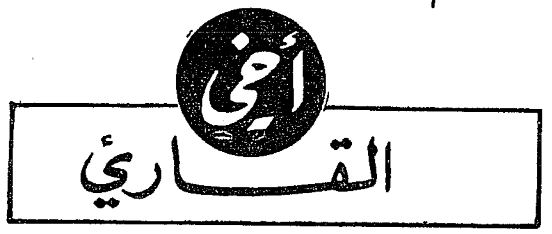
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

في الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك في البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد



كلما أقبل على المسلمين شهر رجب من كل عام عنيت الصحف والمجلات والجماعات الأسلامية بالحديث عن الاسراء والمعراج ... واحتفلوا بالليلة التى اشتهر بينهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام أسرى به الله فيها ((ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى)) ثم عرج به الى السموات العلا وهى ليلة السابع والعشرين من رجب ...

وكلما تجدد الحديث عن الاسراء والمعراج تجدد ذكر الخلاف فى الرأى حول التفاصيل التي حدثت للرسول فى تلك الليلة .. والخلاف فى الرأى هذا قديم حفلت به بطون الكتب التي تعرضت لهذا الحادث .. ولكل وجهة هو مولاها ... وان كان المختلفون فى التفاصيل لا يمتد اختلافهم الى وقوع الحادث نفسه ..

ولكن نبتت نابتة من شبابنا وكتابنا فى هذه الايام طغى التفكير المادى على تفكيرهم وحكموا قوانين الطبيعة فى هذا الحادث ، فاستبعدوا أن يقطع الرسول صلى الله عليه وسلم المسافة بين مكة والمسجد الاقصى فى لحظات ، ثم أنكروا ان يعرج به الى السموات، ويخترق فى طريقه مناطق الفضاء التى يتعرض فيها الانسان للموت المحقق ، وان يقطع هذه المسافات الشاسعة فى البعد ، الى حيث السموات السبع ، ويعود فى الليلة نفسها الى مكانه فى مكة .

ولا شك ان تفكير هؤلاء خاضع كما قلنا لقواعد التفكير المادى المجرد القائم على القوانين المستمدة من الطبيعة والتجربة ، والذين يخضعون انفسهم لمثل هذا التفكير يسجنون افكارهم وعقولهم داخل اطار المادة وقوانينها ، فلا يحسون ناحية هامة اخرى من نواحى الحياة وهى الناحية الروحية .. فهم فى هذا كمن يتنفس برئة واحدة ، أو كمن شدت عنقه الى ناحية ، فلا يستطيع ان ينظر الى غيرها .. وهم لهذا يؤمنون بما قامت به امريكا وروسيا من غزو الفضاء ، ولا يستطيعون أن يتخذوا من هذا دليلا يقرب الى عقولهم وقائع الاسراء والمعراج .

واذا كان مثل هذا المشدود العنق يحس نقصا فى ادراكه لما حوله ، ولا يستطيع ان ينكر ما لا يراه ، فان الذين يعتمدون فى تفكيرهم على الاتجاه المادى الصرف لا يحسون مع الاسف مثل هذا النقص فيهم ، فيدعون ان مالم يخضع للقوانين العلمية المادية لا يمكن الاعتراف به .. ونسوا ان هناك جانبا من الحياة له وجوده وأهميته لا يمكن لهذه القوانين ان تتناوله ، بل هى تعجز عجزا تاما عن ادراكه واخضاعه لمقاييسها ..

واذا كان بعض هؤلاء لا يزالون حسنى الانتساب لدينهم ، ومقرين بأن محمدا رسول من عند الله فان مما يعترفون به ولا ينكرونه أن باب الرسالة ليس مفتوحا لكل من يلجه ويدعيه ، بل هو قاصر على من يختاره الله ، وان من الضرورى أن يجابه الرسول بالمعاندين الذين ينكرون رسالته ، ومن هنا كان مما تقتضيه حكمة الله ورحمته أيضا بخلقه ان يؤيد رسوله بشىء خارق لعادة الناس ومصطلحاتهم وللقوانين الطبيعية التى الفوها فى حياتهم ، ويستطيعون مزاولتها بقدراتهم .



حتى يظهر للناس أن هذا الرسول مؤيد بقوة فوق قوة البشر جميعا هي قوة الله .. والأمر متروك لهم بعد أن تقوم هذه الحجة ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ويتحمل كل مسؤولية ما يتجه اليه .

ومن هذا الشيء الخارج على القوانين الطبيعية العصا التي أيد الله بها موسى حين القاها . ((فاذا هى حية تسعى)) ((تلقف ما يأفكون)) وما أيد به عيسى ((اني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله وأبرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله ..)) .

فهل يمكن للمأخوذ بروعة العلم الطبيعي وقوانينه من المسلمين المقربين بالرسل ـ وكلامي موجه اليهم لا الى الملحدين المنكرين للرسالات ـ هل يمكن لهؤلاء ان يحكموا القوانين العلمية الطبيعية ، ويفسروا لنا على ضوئها هذا الذى حدث مع موسى وعيسى عليهما السـلام .

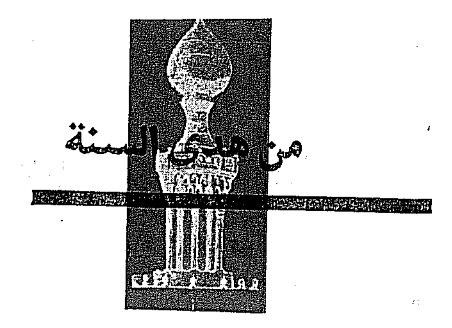
واذا كان التفسير العلمي المادى يقف عاجزا امـام هـذا وذاك فلماذا يريدون ان يحكموه فيما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعراج ؟ ! .

لقد كان من حكمة الله الضرورية فى غمرة الحزن التي انتابت الرسول لفقدان النصيرين خديجة وأبى طالب . وفى الجـو الذى ارتفعت فيه اسـهم الشرك وقويت صولته فى مكة حتى كاد يخنق الدعوة والداعية ، كان من حكمة الله ان يشد عزم رسوله ومصطفاه بشيء لافت لانظارهم ، خارج عن قدراتهم وعن القوانين الطبيعية المألوفة لديهم ، فأسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . ثم عرج به الى السموات العلا ((عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)) ولقد قال الله للمكذبين حين ذاك : ((أفتمارونه على ما يرى)) .

ونحن نعيدها على سمع المكذبين الآن المستكثرين على قدرة الله ان توقف قوانين الطبيعة التي صنعتها ، وتكرم محمدا رسول الله بنواميس وقوانين أخرى غير مألوفة حتى يصعد الى حيث يرى من آيات ربه الكبرى ، نقول لهم ما جابه الله به المكذبين قديما . ((افتمارونه على ما يرى)) ؟ .

واحدة من اثنتين امام المسلم وكل من ينتسب لدين سماوي : اما ان يظل على ولائه لدينه وتصديقه بارسال الرسل وحينئذ لا مناص له من الاعتراف بأن الله يكرم رسله ، ويؤيدهم بما شاء ، وقد أسرى بعبده محمد وعرج به ((وهو على كل شيء قدير)) . وأما ان يعيش فى دائرة العلم الطبيعي وحده ، ويقصر عليه ولاءه وايمانه ، وهذا نقول له : اخرج من القمقم وافتح قلبك لنسائم المعرفة .عش حياتك بجناحيها الروح والمادة ، لا بجناح واحد . والا فانك ستظل عبدا للتراب ، محروما من نعمـة الاحساس بالسمو الروحي الذى يقدمه لك حسن ايمانك باللـه ..

رئيس التحرير



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد

الرحلتان القدسيتان

أخرج الشيخان والترمذى والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما انا فى الحجر — وفى رواية الحطيم — بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه ، الحديث » (١) .

تمهيد

أ : — الاسراء (٢) هو السير بالليل خاصة ، والمراد به هنا . سير رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فى السنة الاولى قبل الهجرة ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد على أصح الأقوال .

والمعراج (٣) هو السلم ، والمقصود به فى بحثنا هذا ، عروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى الى السموات الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام حيث ناجاه ربه السميع العليم .

ب : — والاسراء والمعراج من الأمور الايمانية السمعية التي عرفت بالتواتر ووردت بالقرآن الكريم والسنة المشرفة، بما لا يدع مجالا للشك فيها أو الارتياب فى وقوعها لدى من آمن بالذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان كان بعض العلماء يرى أن القرآن الكريم نص صراحة على الاسراء فى السورة الكريمة المعروفة بهذا الاسم (الاسراء) وأشار اشارة الى المعراج فى سورة « النجم » وأيدت السنة الشريفة الصحيحة وقوعهما فى ليلة واحدة فعلا لصاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحديث طويل جدا ونكتفى باثبات هذا القدر منه هنا ومن أراد استقصاءه فليرجع اليه فى صحيح البخارى فى باب « الصلاة »

(٢) فى اللغة : سرى يسرى سرى (بضم السين المهملة) ومسرى وأسرى . أى سار ليلا ، وبالألف لغة أهل الحجاز ، وأسراه وأسرى به ، مثل : أخذ الخطام وأخذ بالخطام ، قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ... »

(٣) فى اللغة : عرج فى السلم ، ارتقى ، والمعراج ، السلم ، ومنه ليلة المعراج ، والجمع معارج ومعاريج ، قال الأخفش ، ان شئت جعلت الواحد معرج ومعرج (بفتح الميم وكسرها) كما تقول مرقاة ومرقاة ، والمعارج المصاعد .

وعلى هذا :

فالبحث يتناول : أولا : اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

ثانيا : عروجه عليه السلام من المسجد الأقصى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام .

فالأول : ــ وهو الأسراء جاء صريحا فى قول الله تبارك وتعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى(١) الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » كما أخرج الشيخان وغيرهما ــ فى هذا ــ الحديث الصحيح الذى أشرنا اليه فى أول البحث .

ولنسر فى بحثنا مع ما رواه الشيخان فهو يحكي الواقعة وما حدث فيها خطوة خطوة .

١ : ــ حادثة شق صدره الشريف وحشوه ايمانا وحكمة ورأفة ورحمة ، قال كثير من المحققين يجب التصديق بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله عن ظاهره لانه داخل فى محيط قدرة الله عز وجل .

٢ : ــ أسرى به عليه السلام وهو راكب « البراق » الذى ورد فى وصفه أنه دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ، وكان اذا أتى على واد طالت يداه وقصرت رجلاه ، واذا أتى على عقبة ، طالت رجلاه وقصرت يداه ، كما كان جبريل مرافقا لرسول الله فى هذه الرحلة المباركة ، وكان هذا للايناس كالمتاد فى سفر البشر عامة

فالقلب اليه أميل والنفس به آنس فالرحلتان جرتا على سنن ما ألفه البشر وان كان الله سبحانه قادرا على نقل رسوله الى اى مكان يشاء فى طرفة عين « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

٣ : ــ فى آية الاسراء ورد قول الله تعالى (لنريه من آياتنا) .. وفى سورة النجم (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وقد مثلت لرسول الله فى رحلته من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى صور كثيرة مما يعرض للناس فى هذه الحياة وما سيترتب على ذلك يوم القيامة ولنورد طرفا من تلك المشاهد التى رآها صلى الله عليه وسلم كما وردت فى صحيحى الشيخين وغيرهما .

أ ــ أتى على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ب ــ ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء (أى لا ينقطع) فقال يا جبريل ما هذا . فقال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ، وهذا تمثيل وتشخيص لما ستكون عليه أمته من ترك الصلاة كسلا او تأخيرها عن وقتها ، وبيان ما يترتب على ذلك من العذاب الشديد المستمر الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ج : ــ ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما

---

١ ــ هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال وهو ثاني مسجد وضع فى الارض لخبر أبي ذر . قلت يا رسول الله أى مسجد فى الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة ، ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه . وقد اسسه يعقوب بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة وجدده سليمان او أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير .

تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع (١) والزقـوم (٢) ورضف جهنـم (٣) وحجارتها . فقال من هؤلاء الرجال يـا جبريـل ؟ قـال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وهو تشخيص لمانعى الزكاة من أمتـه عليه السـلام وتمثيل لحالتهم التى سيكونون عليها يوم القيامة .

د : ــ ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدورهم ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون النيء الخبيث ويدعون الطيب النضيج ، فقـال من هؤلاء يـا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال فيتركها ويأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، فمثل الزنا بأكل اللحم النيء الخبيث اشـارة الى أن ذوى الطباع السليمة والنفوس المستقيمة لا يقربونه لما فيـه من الضرر والخبث وما يترتب عليه من المفاسد .

هـ : ــ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقارض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم . فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون فهم يعملون عـلى الفتنـة ليصـلوا الى هدف دنيوى ولا يريدون الامر بالمعروف ولا النهى عـن المنكر فهم يفسدون ولا يصلحون قاتلهم الله أنى يؤفكون .

و : ــ ثم مر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع . فقال ما هذا يـا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمـة العظيمـة ثم يندم عليهـا فلا يستطيع أن يردها ، فقد يفوه المرء بمـا يودى به ويهلكه ، قال الشاعر الحكيم .

يموت الفتى من عثرة بلسـانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول توجب قتله
وعثرته بالرجل تبرا على مهـــل

وفى الحديث الشريف (من كان يؤمن باللـه واليوم الآخـر فليقل خـيرا أو ليصمت) (٤)

ز : ــ ولما وصل صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى مثل له الأنبياء جميعـا عليهم الصلاة والسلام فأمهم فى الصلاة ايذانا بأن رسالته خاتمة الرسالات وهى شاملة لكل ما جاء به سابقوه من الأنبياء والرسل جميعا وتزيد أنها دائمة عامـة باقية الى يوم يرث الله الارض وما عليها ومن عليها .

والثاني : ــ وهو المعراج .

١ : ــ لقد كان المعراج من المسـجد الاقصى الى السموات العلى ، وفى حديث البخارى (... ثم عرج بي الى السماء ..) وقد اجتمع فى كل سماء مع نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واطلع على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ، ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة المعراج فى مملكة الله تعالى خلقا كهيئة الرجال على خيل بلق شاكين السلاح لا يرى أولهم ولا آخرهم فقال يـا جبريل من هؤلاء ؟ فقال ألـم تسمع قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدرى من أين يجيئون ولا أين ينتهون .

٢ : ــ وانتهى به عليه السلام المطاف الى مكان علوى رفعت اليه فيه سدرة

---

١ ــ الضريع . شوك شائك لا تطيق الدواب أكله لخبثـه ، وقيل هو الشـوك اليابس .
٢ ــ الزقوم . نبت شديد المرارة كان ينبت فى صحراء تهامة .
٣ ــ رضـف جهنم . (بفتح الراء وسكـون الضـاد المعجمة) جمرها وهى حجارتها المحماة .
٤ ــ وما شاهده عليه السلام فى هذه الرحلة كثير ، فقد مثلت له الدنيا ، والمرابون ، وقطاع الطرق ، والخائضـون فى أعـراض النـاس ، والنســاء المنحرفات ... الخ ممـا لو استقصيناه لطـال المقام وامتد البحث .

المنتهى وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم .. (... ورفعت لى سدرة المنتهى فاذا نبتها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيلة ... ، ثم فرضت على الصلاة خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى .. فقال ما صنعت ؟ قلت فرضت علي خمسون صلاة قال أنا أعلم بالناس منك عالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة وان أمتك لا تطيق فارجع الى ربك فسله ، فرجعت فسألته ... (١) وما زال يتردد بين ربه وموسى حتى استقر على خمس صلوات فى اليوم والليلة ، والصلاة هى العبادة الوحيدة التى فرضت فى السماء دون وساطة جبريل عليه السلام ، وهذا دليل على عظم شأنها ولا غرو .. فقد قال صلى الله عليه وسلم (الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين » وورد أنها هى العبادة الوحيدة الباقية الى النفخة الاولى .

هذا : ــ ولما عاد صلى الله عليه وسلم الى مكة وأصبح الصباح كان لا بد أن يعلم القوم بما رأى وما شاهد ، وتروى كتب السيرة أنه خرج الى المسجد وأخبر قريشا فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا ، وارتد أناس ممن آمنوا به عليه الصلاة والسلام من ضعاف الايمان ، وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال « ان كان قال ذلك لقد صدق » فقالوا تصدقه على ذلك ، قال انى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، فسمى الصديق ، وكان فى القوم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه اياه فجلاه الله له فجعل ينظر اليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فيه ، ثم أخبرهم عن عيرهم التي تحمل تجارتهم وعن موعد أوبتها وصدق عليه السلام فى كل ما قال ولكن لم يؤمنوا . ومن أعمى الله قلبه وأضله فلن يؤمن (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

الخلاصة

١ : ــ الاسراء والمعراج وقعا فعلا كما أخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم ، ونحن نؤمن بوقوعهما ايمانا عميقا قويا لا يتزعزع لأن قدرة الله لا تحد ، ومما يقوى هذا الايمان ويثبته ما يحدث فى زماننا على أيدى البشر من دوران حول الارض ، وارسال الصواريخ الى القمر ، وما نرى ونشاهد من نقل الصوت والصورة بل والطيران بالسرعة الخارقة وغير ذلك ، فاذا كانت علوم البشر المحدودة وصلت الى قهر البر والبحر والجو ، فكيف يمكن أن تقف قدرة الله وعلمه عند حد ، .

٢ : ــ مما ذكره القدماء فى حكمة الاسراء والمعراج انهما كانتا للمناجاة ولهذا وقعتا من غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم ، وكان التكليم مع موسى عن مواعدة وموافاة وشتان ما بين المقامين ، وأيضا كانت الحكمة فى أن يشاهد عالم السموات العلى وما فوقها كما شاهد الارض حين طيف به فتمت سياحته صلى الله عليه وسلم فى العالمين العلوى والسفلى . ورأى من ملكوت ربه ودلائل عظمته ما رأى .

نسأل الله تعالى القدير أن يعيد هذه الذكرى المباركة الطيبة على الامة العربية خاصة والاسلامية عامة بالسعادة والتقدم فى الميدان العلمى تقدما يسبقون به الشرق والغرب ، كما نسأله جلت قدرته أن يجمع كلمة العرب والمسلمين ويوحد جهودهم ويرزقهم الأمن والاستقرار والرخاء والبركات انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

---

١ ــ وفى رواية أخرى للبخارى ثم علا به فوق ذلك بمالا يعلمه الا الله حتى جاءت سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة .. الخ الحديث .



لفضيلة الشيخ عطيه صقر
مراقب الوعظ والارشاد بالأزهر

الدين فى حقيقته نظام الهي ، اختاره الله لهداية البشر واصلاح دنياهم ، واخراهم ، وقضية كونه نظاما الهيا ، تحتم أن يكون فى دقته واحكامه متناسبا مع ما يتصف به الاله من صفات العدل والحق والحكمة ، وأن يكون بعيدا عن مجال الشك والارتياب .

وهداية الله للبشرية فيض من رحمته ، وقبس من عطفه ، وتأكيد لقصور الانسان عن معرفة كل ما يصلح أمره ، ويهديه السبيل .

وغاية الدين تبدو واضحة فى مظهرين هما عمارة الكون بالخير تحقيقا لحكمة خلق الله آدم ، ليكون خليفة فى الأرض ، وربط المخلوق بالخضوع لعظمته واستمداد العون منه ، وتحمله مسؤولية ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، والرجوع اليه بعد البعث ، ليلقى جزاءه على ما كسب من خير ، واكتسب من شر .

هذه الهدايات الالهية نزل بها الوحي متتابعا فى جميع عصور التاريخ على رسل اصطفاهم الله لحمل تبعة الرسالة ، وقيادة الناس الى الخير .

والأديان فى مبادئها العامة الهادفة الى تحقيق الغاية من وجود الانسان ، لا تختلف على مر العصور وفى مختلف البيئات . فعبادة الله وحده والشعور بالمسئولية الكبرى أمامه ، والايمان باليوم الآخر ، وكذلك مبادىء العدالة والحرية والمساواة والأخوة ، وأخلاق الصدق والعفة والرحمة والتعاون وأمثالها من المبادىء والأخلاق الانسانية والاجتماعية كلها قدر مشترك بين جميع الأديان غير أن علاج الدين لمشاكل الانسانية ، ورسم الطريق لبلوغ الغاية المرجوة قد أخذ أشكالا متعددة ، يتناسب كل شكل منها مع حاجة المجتمع الى نوع معين من الهداية ، وأسلوب خاص من السلوك ومع استعداده للتجاوب مع ما تقرره هذه الهداية وتدعو اليه .

تطور المجتمعات البشرية

والمجتمع البشرى فى تطور دائم وتغير مستمر ، وهو فى تنوعه بحسب الأقاليم والبيئات والظروف متفاوت فى مشاكله ،

وفى الطرق المثلى لحل هذه المشاكل ، كما أن التاريخ فى سيره الحثيث يخلق مشاكل جديدة ويتنفس عن أحداث تقتضي علاجا مناسبا قد لا تكون هناك صلة بينه وبين ما قرر من آلاف السنين.
وتعاليم الأديان كلما مست مشاكل الفرد والمجتمع ، وكانت فى أساليبها متجاوبة مع الفطرة متفقة مع العقل لا توجد رد فعل عام تنفر منه الطباع السليمة والعقول المتزنة الحرة ــ كان ذلك دليلا قويا على صدق هذا الدين وحيويته ، وعلى جدارته بأن يكون منسوبا لله الذى لا يصدر عنه الا كل عمل حكيم .

غير أن آفة الأديان عامة هي تشويه القائمين عليها من البشر لتعاليمها ، واساءة فهم مقاصدها ، والميل بها عن هدفها الأصيل ، وتحكيم الأغراض والشهوات فيها ، بغيا بينهم وتنافسا على مصالح دنيوية (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» .

والأديان السماوية التي تقدمت فى التاريخ على الاسلام كانت كلها مؤقتة جاءت لفترة معينة من الزمن ، أو لقوم مخصوصين ، لهم مشكلتهم الخاصة . وكان الدين اللاحق ناسخا للدين السابق مؤذنا بانتهاء مهمته . جاء يؤكد الأصول الأولى التي دعا اليها الدين السابق ، وينبه الى الأخطاء التي ارتكبها أتباع هذا الدين ويقرر مبادىء أخرى جديدة تصلح للطور الجديد . كما أن الرسالة التي تخص جماعة معينة لا تنافيها أن تكون هناك رسالة أخرى معاصرة لها جاءت لقوم آخرين لهم مشاكلهم الخاصة ، كما اجتمعت فى وقت واحد رسالة سيدنا ابراهيم وسيدنا لوط « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » .

الاسلام دين عام

ولم يسبق الاسلام دين عام للبشرية جميعا يعم أجناسهم وألوانهم ، ويشمل كل بيئاتهم . ولعل ذلك راجع الى عدم تكامل المقومات الأساسية للمجتمع العام من حيث النضج العقلي ، ومن حيث الشعور بالروح الجماعية والتعاون الشامل ، نظرا لعدم سهولة المواصلات واكتفاء كل مجتمع اكتفاء ذاتيا بما يغطى مطالبه الضرورية التى اقتضاها وضعهم الاجتماعي المبسط ، ومشاكلهم التي لا تستصعب على الحل . ويشير الى خصوصية تلك الرسالات قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » كما أن الرسالات السابقة انتهت مهمتها بظهور الاسلام الذى ختمت به الرسالات كلها ، وكان هو دين البشرية حتى تقوم الساعة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين بنص القرآن الكريم ، وقد تحدث عن نفسه بذلك فى عدة أحاديث .

والهداية الاسلامية فى أبعادها الطولية والعرضية خصبة خصوبة تامة بالحلول الدقيقة لجميع مشاكل الناس وعلى مدى التاريخ ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

والاسلام يحمل خاصية العموم والخلود من أول يوم صاح فيه النبي صيحته المدوية بين العرب: « اني رسول اليكم خاصة والى الناس كافة » « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا» . وكان يقرر هذه الحقيقة حتى فى أشد أوقات الأزمات التي لا يظن معها خلاص أو نجاة . فكان فى غزوة الخندق والأحزاب مجتمعون حول المدينة يريدون أن يقضوا على الدعوة مرة واحدة ، يتفاءل ويستبشر ، ويمد نظره الى الأفق الواسع فى رحاب الدنيا العريضة ، والى المدى

البعيد فى احضان المستقبل . فهو يقول عندما ضرب الصخرة ثلاث مرات : « أعطيت مفاتيح الشام وفارس وصنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها » .

دعوة الملوك والشعوب

وكتب الى الأمراء والملوك ورؤساء الدول المجاورة يدعوهم الى التعاون معه على كلمة سواء هي العقيدة الصحيحة وتخليص الانسان من عبوديته للانسان ، وتقرير مبادىء العدل والحق والمساواة ، وهو حين يدعوهم الى ذلك يقدر أسوأ النتائج برفض هذه الدعوة ، فلا يفوته أن يدعوهم الى الاعتراف بالدولة الاسلامية الجديدة كقوة لها كيانها ومقوماتها ، يجب أن تعامل دوليا كبقية الدول المعترف بها ، يتبين ذلك واضحا من هذه الآية التي كتب بها الى الملوك « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبدوا الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وفى الوقت الذى بزغت فيه شمس الرسالة الاسلامية كان هناك دينان ما يزال لهما سلطان على رقعة واسعة من الأرض هما اليهودية والنصرانية . ولكن الاسلام بقوته الذاتية التي تتمثل فى مبادئه استطاع أن يكتسح سلطان هذين الدينين فى زمن وجيز ، وامتد رواقه فى أقل من قرن من الزمان الى حدود الصين شرقا ، وشواطىء المحيط الأطلسي غربا فى افريقيا وأوربا .

حضارة الاسلام

ظهر الاسلام فى الشرق بقوته ، وازدهرت حضارته ، وغطت على الحضارات الأخرى ، وحدثت عدة لقاءات بين الغرب والشرق ، اطلع فيها الغرب المتأخر على حضارة الشرق المنبثقة من الدين الجديد فانكب رواد المعرفة على التزود من ثقافة الاسلام ، ولم يستنكف الأحبار والرهبان أن يكونوا تلاميذ لعلماء المسلمين فى جامعات الأندلس وغيرها ، بل ان البلاط الانجليزي أوفد بعثات من نسائه ليتعلمن الآداب والمراسيم فى البلاط الاسلامي ، واستدعت دول أوروبا مهندسين مسلمين لاقامة المنشآت والاستنارة بأفكارهم فى المجالات المختلفة . وتحرك فى نفوس الغربيين عامة شوق كبير الى الانفلات من قيود الأوضاع التي تسود بلادهم ، والثورة على التعاليم الدينية التي كانت تتحكم فى جميع شؤونهم ، فانبعثت فى عصر النهضة صيحات وصيحات تريد التحرر من القديم ، والانطلاق الى العالم الفسيح بعلومه واكتشافاته وحضارته ، كما انطلق المسلمون من قبل وملكوا ناصية السلطان .

وبعد عراك دموى، واصطدامات سجلها التاريخ بين القديم والحديث، انطلق مارد الغرب من القمقم، وجال جولته الناهضة التي يعيش الناس فى ظلها الآن ، وكان من عقابيل هذه النهضة عقدة نفسية ضد الدين الذى كان يسيطر من قبل على مشاعرهم وأفكارهم ويحول بينهم وبين الانطلاق والتحضر ، وشهدت المؤلفات حملات قوية تهاجم الدين وتأخذ بجريرته الأديان الأخرى ـ ظنا من الناس أنها جميعا على وتيرة واحدة ، لا تتجاوب مع العلم ولا تساعد على النهوض ، وكان الدين الاسلامي من الأديان التي أصيبت ببعض هذه السهام الطائشة ، ووقر فى نفوس بعض الشبان الذين تخرجوا فى مدارس الثقافة الغربية المستوردة أن الاسلام كبقية الأديان حجر عثرة فى سبيل التقدم والنهوض . وكان من واجبنا فى هذه الأيام أن نتصدى لرد الشبهات ، وابراز محاسن الاسلام وتفاعله مع المدنية ،وان نعبىء كل قوانا للجهاد فى هذا الميدان الذي نزلت فيه هذه المجلة المسلمة قوية نرجو لها ولأمثالها النصر ان شاء الله .

« الحديث موصول »



بعد موت أبي طالب ، وموت خديجة ، اشتد الأذى بالرسول صلى الله عليه وسلم الى حد لم يكن يخطر على بال . وأسرف أهل مكة فى التعرض له والتجرؤ عليه والوقوف فى سبيله الى حد استأسد فيه الجبان ، وتجرأ فيه الصبيان ، واعتدى عليه من لا يدفع عن نفسه .

وخرج الرسول الى الطائف لعله يجد قلوبا تتطلع الى الهدى وتتفتح له كما تتطلع الزهرة الى أشعة الشمس . ولكنه وجدها أشد ضراوة وجهلا ، وأكثر عداوة وسوءا : وأقوى ظلاما وظلما ، أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يرمونه بالحجارة حتى دمى عقباه .

وبلغ منه الجهد والألم والاعياء كل مبلغ ، فجلس يستظل تحت شجرة يرفع من عندها شكايته .. ترى من يشكو ؟ أيشكو هؤلاء الذين أهانوه حين كان ينبغي اكرامه ، وأدموه حين كان يجب عليهم اعظامه ؟ أيشكو هؤلاء الذين اعتدوا على رجل يقول ربي الله ؟ .

كلا . ولكنه يشكو الى الله نفسه ،



تكريم وتأييد

لفضيلة الشيخ احمد جلباية

عضو بعثة الازهر بالاوقاف

يشكو ضعفه ، يشكو هوانه . ويخشى أن يكون الله قد غضب عليه فوكله الى هؤلاء .. فيقول فى شكواه « اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمرى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو يحل بي سخطك . ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

يا لله . أبعد كل هذا يستعيذ بنور ربه من غضبه وسخطه ؟ ويعتذر اليه عن ضعفه وهوانه ؟ ويلجأ الى رحمته وربوبيته ؟ وهكذا العظماء ، مهما بلغوا من مراتب العظمة يستصغرون أعمالهم .. وهكذا الحلماء ، مهما لقوا من عدوان وبغي .. يتهمون أنفسهم ..

وانظر بينما كان الدم يسيل، والاعياء يشتد ، والشكوى ترتفع ، ينزل ملك الجبال يضع نفسه تحت تصرفه ، ويقول : يا رسول الله . ان شئتاطبقت عليهم الأخشبين ! ! فيقولالرجل الكبير ، ذو القلب الكبير ، والأمل الكبير ، لا يا أخي . اني لأرجو أن يخرج من بين اصلابهممن يعبد اللهولا يشرك به احدا .

يا للعجب . ! ! لقد كان الرسول غاضبا ، ولكن غضبه لم يتحول الى عداوة ... وكان دمه يسيل ، ولكنه لم يجاوز أكثر من قدمه .. وكان ألمه يزيد ، ولكنه استطاع أن يحول الألم الى أمل . أمل فى الذين لم يروا بعد نور الحياة .. فى الذين لم ينزلوا بعد الى هذا الكوكب .. فى الذين لا يزالون فى عالم الغيب .. فى الذين لا يزالون فى الأصلاب .... ! !

أرأيت الى هذه العظمة منهذا الرجل العظيم ؟ ؟ يغضب ، ولكنه لا يجور .. ويشكو ولكنه لا يثور ... ويقدر ولكنه لا ينتقم .. أليس من وصاياه التي لا تنسى « والعدل فى الرضا والغضب » ؟؟!!

ويعود الى مكة . ولكنه يمنع من دخولها .

الاسراء والمعراج

مكة الوطن ــ أحب البلاد اليه ، وأحب البلاد الى الله ــ مفتحة الأبواب لكل الناس ، ولكنها مغلقة أمامه.. حلال لكل الناس .. ولكنها حرام عليه ... لماذا ؟ هل خان الأمانة ؟ كلا بل لأنه حملها .

هل أساء الى الوطن أو الى أحد ؟ كلا بل لأنه أحسن الى كل شيء ، وطبيعته الاحسان الى كل شيء .

فماذا اذن ؟ ؟ ؟ انه طغيان الباطل ، وتسلط الحسد ، وتعنت الكبر .

وفى هذا الجو المظلم ، وهذا الاستبداد الكافر ، وهذا الحقد الجائر ... ومن بين عذابه فى مكة ، وهوانه فى الطائف ، ودخوله فى جوار المطعم ، تتراءى حكمة الاسراء والمعراج .. تثبيتا لقلبه لأن الله معه .. وترويحا لنفسه ، بهذه الرحلة الخالدة .. وجلاء لصدره ، من هموم هذه الدنيا .. واحتفالا به ، باعتباره رجل هذه الأمة ، رجل الساعة ، الى أن تقوم الساعة .

رجل هذه الأمة التى يقودها فى حياته بحكمته ، ويقودها بعد مماته بسنته . رجل هذه الأمة ، وكل أمة .. رجل الانسانية كلها .

ألا ترى الى جميع الأنبياء والرسل ، وهم يصلون خلفه ، ويلتفون حوله « كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم » .

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . منهم من كلم الله . ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس » .

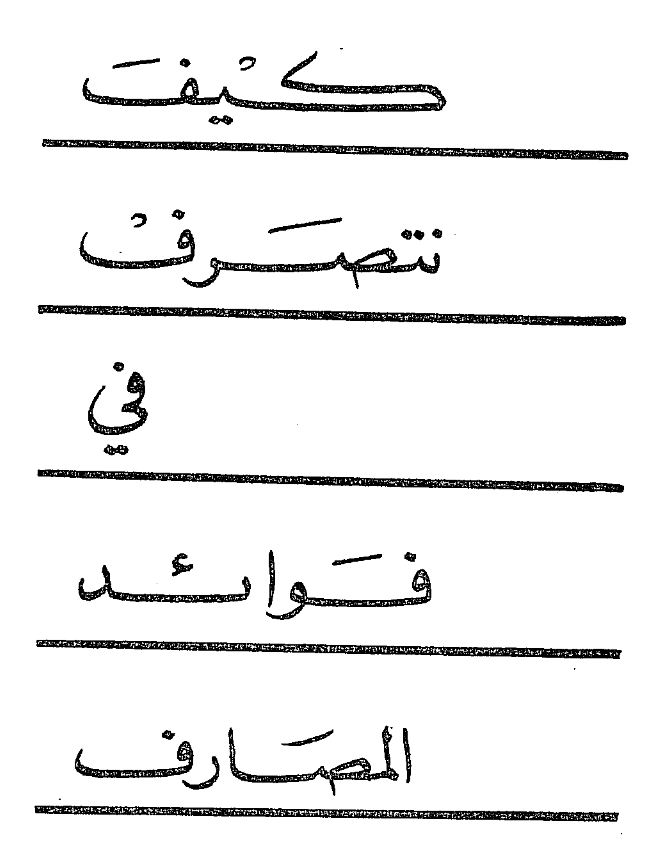
نعم . وصدق الله « واتخذ الله ابراهيم خليلا » ... « وكلم الله موسى تكليما » .. وجعل عيسى كلمته وآيته . آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله ! ! .

ولكن انظر الى هذا الرجل العظيم . والأرض تطوى من تحته ، والسموات تتفتح من فوقه .. والكون يسهر من اجله .. والقوانين تعطل له .. والبعيد يقرب .. والمسافات تتداخل .. والحجب تمزق .. والحواجز تذهب .. والأبعاد تزول .. والزمن يصغر ، ويتحول الى لحظات .. واللحظات تتسع لآيات وآيات .. آيات الأرض والسموات . تتسع وتتسع للصعود والنزول .. والذهاب والاياب .. والصلاة والسلام .. من المسجد الحرام .. الى المسجد الأقصى .. الى سدرة المنتهى .. الى جنة المأوى .. الى التشريع للدين .. الى التخطيط للدنيا ..... !! «أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

هل فاز بهذه الدرجة العالية أحد ؟ ؟ هل حظي بهذا الشرف الرفيع غيره .

ومع ذلك فنعوذ بالله من أن نضل أو نضل . أو نزل أو نزل ، فنرفعه فوق قدره .

فهو مهما صعد أو نزل ، أو حل أو ارتحل ، فهو عبد الله ورسوله « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ».



بين لجنة الفتوى بالأزهر
ورئيس رابطة علماء العراق

كنا قد نشرنا فى العدد الأول استفتاء عن كيفية التصرف فى الفوائد التي تدفعها البنوك . هل نتنازل عنها للبنك أو نأخذها ونصرفها فيما يحتاجه المسلمون من مصالح ..

وقد جاءنا من لجنة الفتوى بالأزهر رد نشرناه فى العدد الرابع يقول (نفيد بأن هذه الأموال التي تجمعت من الربا سبيلها أن تصرف فى مصالح المسلمين وطريق ذلك أن يتناولها المودع لينفقها فى المصالح العامة وفى الصدقات على المساكين أو يدفعها للحاكم المسلم ليتولى هذا بنفسه .

وصرفها هكذا هو ما نص عليه الفقهاء في المذاهب الأربعة عند الكلام على مصارف المال الحرام ونص عليه أئمة التفسير كالامام القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى ((فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم)) .

وليس معنى هذا أن المال الذي استولى عليه المودع دخل في ملكه ، لأن المفروض أنه حرام ، وانما هذا توصل الى حفظ المال من الضياع ، والى صرفه في مصرفه الشرعي بارتكاب أخف الضررين ، كما أنه لا يقتضي اباحة التعامل الربوي بوجه ما ".

ثم جاءنا من صاحب السماحة الأستاذ الكبير الشيخ أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق هذه الفتوى التي يمكن اعتبارها تعليقا على فتوى الأزهر لأنه اطلع على العدد الذي نشرت فيه يقول فضيلته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد .

فقد اطلعت على الاستفتاء المنشور في مجلة الوعي الاسلامي الغراء الكويتية في العدد الرابع ، شهر ربيع الثاني ١٣٨٥ حول فوائد الأموال المودعة في المصارف وهذا نص الاستفتاء .

السؤال :

تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة في أحد المصارف الأجنبية فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية . هل من الممكن شرعا أن تؤخذ الفوائد وتستغل في المنافع العامة للمسلمين وما أكثرها وأشد حاجتها ؟ بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

الجواب :

انه لا يجوز شرعا أخذ هذه الفوائد بحال ، حتى لو صرفت الى جهة خيرية اسلامية ، لأنها اذا أخذت ولو لهذا القصد النبيل تم أخذ الربا ، واستحق آخذها العقوبة الشرعية ، التي ذكرت في الكتاب والسنة ولا يخفف عنه الاثم صرفه الى جهة خيرية . وهذا لا يخالف فيه مجتهد من مجتهدي الأمة الاسلامية، لأن دافع الربا معلوم وهو المصرف. وانما جاز صرف المال الحرام الى المساكين والمصالح الاسلامية اذا لم يعلم المأخوذ منه . اما اذا علم وعرف فلا يجزي الا رده عليه ، وهذا ما أجمع عليه المذاهب الاربعة ، وصرح به الامام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم)حيث قال في ص٣٦٦ ج الثالث ط / دار الكتب المصرية .

(قلت قال علماؤنا : أن سبيل التوبة مما بيده من الأموال الحرام : ان كانت من ربا فليردها على من أربى عليه ، ويطلبه أن لم يكن حاضرا ، فان أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه)

والله أعلم

وظاهر من النظر في كلتا الفتويين أن فتوى الأزهر ـ أباحت لمن وصلت الى

يده فائدة من البنك – أن يتخلص منها بصرفها فى مصالح المسلمين ، لأنها لا تدخل فى ملكيته ، وعملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين ، لأن تركها للبنك يزيد فى أموال المساهمين الأجانب ويقوي ثرواتهم التي يصرفونها غالبا ضد مصالح المسلمين وفى سبيل التسلط عليهم وبناء الكنائس .. الخ .. وهذا ضرر يلحق بالمسلمين ..

وأخذها فيه ضرر على الآخذ ، لكنه ضرر خفف منه أنها صرفت فى مصالح المسلمين العامة ، فاستفاد منها المسلم ، وقطع الطريق بذلك على استغلال غيره لها ...

أما فتوى فضيلة الشيخ أمجد الزهاوى فانها لا تبيح ذلك مطلقا ، ولا تنظر الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين .

وانما تحتم ترك الفوائد للبنك، باعتبار أنه جهة معلومة يمكن رد الفوائد اليها ..

أما اذا لم يعرف دافع الربا فيمكن حينئذ التصدق به عنه ..

وكلتا الفتويين تستند الى ما قاله أئمة المذاهب الأربعة ، والى ما قاله الامام القرطبي فى تفسيره ..

ولكن يظهر أن لجنة الفتوى لم تعتبر وجود البنك ومعرفته مبررا فى رد المال اليه ، لأن رده فيه ضرر على عامة المسلمين .. فانتقلت الى الحالة الثانية ، وهي حالة عدم معرفة دافع الربا . وهذه الحالة لا خلاف فيها بين العلماء فى جواز التخلص من الفوائد بصرفها فى مصالح المسلمين ..

وهذا كما يبدو لي تصرف واجتهاد من لجنة الفتوى ..

أما فضيلة الشيخ أمجد فلم ير أن يتصرف أو يجتهد كما اجتهدت لجنة الفتوى وهذا هو محل الخلاف بين الفتويين .. أدع الكلام فيه للطرفين ولأهل العلم الذين يستطيعون أن يدلوا بدلوهم ويتقدموا بآرائهم ...

والله من وراء القصد وهو الموفق للصواب ؟؟؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه ، لا ينزع يده من يده ، حتى يكون الرجل هو الذى ينزع .

ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه . ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له »

« رواه الترمذى »



عن عائشة قالت :

جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم عجوز ، فقال لها :

من أنت ؟ قالت جثّامة المزَنية .

فقال : بل أنت حسانة المزنية .

كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعد ذا ؟

قالت : بخير .

فلما خرجت ، قلت : تقبل هذا الاقبال على هذه ؟

قال صلى الله عليه وسلم :

(انها كانت تأتينا أيام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان)

قال الحاكم . صحيح على شرطهما ولا علة له

الإجارة في الإسلام

للاستاذ عيسى عبده
أستاذ الاقتصاد بكلية التجارة
جامعة القاهرة

تمهيد

جاء الاسلام بجملة النظم التي تصلح من شأن الانسان في حياته الأولى والآخرة .. وتميز بأمور لا يجادل فيها من يؤمن به ومن لا يؤمن على السواء .. ولذلك نجدها محل الاجماع عند الباحثين في هذا الدين بأسلوب يقال له الأسلوب العلمي .

أما هذه الأمور التي يتميز بها فهي : انه لا يجعل بين العبد وربه واسطة أيا كانت ، فلا كهانة ، ولا اتجار بالدين ، وأنه يربط الجزاء بالعمل ربطا وثيقا ، فللمحسن ثوابه وللمسيء جزاؤه ، ولا تحمل نفس عن نفس شيئا ، قال تعالى « وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » سورة فاطر .

وأنه يقرن الأولى بالآخرة في كل صغيرة وكبيرة ، ويعتبر الحياة الأولى دار اجتهاد وابتلاء وتزود للحياة الباقية .. ومن ثم لا سبيل الى الفصل بين الدين وبين النشاط في الأرض من أى لون .. في السلم وفي الدفاع .. في الشئون العامة والخاصة .

وأنه الدين الخاتم الذى أقر الأديان السابقة ، وأكملها وأتمها .. فلم تأت من بعده أية دعوى مناظرة للرسالات التي جاءت من عند الله .. بهذا أنبأنا القرآن الكريم .. ثم صدقه تعاقب الأجيال فضلا عن تصديق المؤمنين به لأسباب لا محل للافاضة فيها .

هذه المزايا المجتمعة جعلت للاسلام — عند من يعرفه — قداسة تامة وثباتا تطمئن اليه النفس ..

وهذا التحفظ الذى نورده في قولنا (عند من يعرفه) مقصود به التحديد العلمي لجملة أحكام الاسلام ومعاييره ومفاهيمه .. اذ يتوقف العلم بهذا كله على فهم القرآن وعلومه والسنة الصحيحة وطائفة حسنة من التراث الاسلامي .. مع الايمان الذى يحمل على العمل بهذه الأحكام ..

فاذا قرأت ، مثلا ، لباحث عربي أو لمستشرق لا يقرأ القرآن كما جاء به الوحي من عند الله .. فان معرفته بأمور الاسلام لا تزيد على المحاولة

السطحية التي قد تصيب وقد تخطىء (١) .

وللقرآن الكريم وصف محدّد للعلم والعلماء .. حين يقول « انما يخشى الله من عباده العلماء » اذن لأحكام الاسلام قداسة وثبات .. وهنا يواجه الباحث مشكلة عاجلة .. تتلخص في المقابلة بين الجمود والمرونة .. بين الرجعيّة (كما يقال أحيانا) وبين التطور مع الزمن .. ولهذا الأمر صلة وثيقة بقضيّة الأجور .. ولذلك نعرض للفرق بين الدين والنظم الوضعية .. من هذه الزاوية التي يفرضها على الباحث تطور الزمن .. وفزع البعض من أن ينسب الى الاسلام أنه جامد ثابت .. وبالتالي متخلف عن الزمن .

ومن حيث أن الاجارة وما يتفرع عليها .. تقع في مجال البحث الاقتصادى كما تقع في ميدان التشريع الوضعي .. فانه من المفيد أن ننظر الى كل منهما بدوره .. والأول أكبر أهمية .. وفي التمهيد لبحث موجز ، يكفى أن نقدم ما هو متفق عليه بين العلماء اذ المسائل الخلافية يطول القول فيها .

ومن أهم ما تجب الاشارة اليه .. ما هو مستقر عند علماء الاقتصاد في القرنين الاخيرين بوجه خاص ، من أن الاقتصاد الحديث لا شأن له بالدين .. فقد نجد في الدين كلاما متواضعا عن الحقائق الأولية والكلية .. ولكنه خال تماما من الثروة الفكرية التي جاء بها الانسان الى عالم الوجود .. باجتهاده .. دون دخل للوحى ولا لرجال الدين .. يقول هذا عشرات وعشرات .. منهم « شاميتير » و « ايرك رول » و «هانى» و « رست » وان كان بعضهم يترفق في القول ، وبعض آخر لا يخفى سخريته من الربط بين الاقتصاد والدين ..

هذا قدر متفق عليه ولا سبيل الى انكار اطراده في المكتبة الغربية والشرقية (أى في الفكر الرأسمالى والشيوعي) وان أحدا من المسلمين لا ينكر على الاقتصاد الحديث أنه موضوع .. بمعنى أنه منفصل عن الدين تماما .. ولكن الفصل بين الاقتصاد الموضوع وبين الدين يعتبر قضية قائمة بذاتها .. ونحن نسلم بها .. أما القول بأن الدين قد جاء خاليا من جملة الأوضاع والقواعد التى يصلح عليها النشاط الاقتصادى .. فقضية أخرى نرفضها رفضا باتا .. ونعلم أن كثرة من المتخصصيين العرب تعارض ما نقول به .

بقيت مسألة هامة .. تحسن الاشارة اليها في هذا التمهيد .. وهي الكلام الكثير الذى يدور حول النظرية العلمية .. وما بذله العلماء من عهد الطبيعيين (أى من نحو مائتي عام) الى الآن .. لوضع نظرية سليمة أو صحيحة أو عادلة للأجور .

أسهم في ذلك .. الدارسون للاجتماع والاقتصاد والقانون .. ولكنه من المعلوم عند كل مشتغل بهذه الدراسات ، أن الوصول الى وضع نظرية مستقرة للأجور .. عند مدرسة فكرية معتمدة .. أو في اقليم معين .. لم يتم بعد .. كما أن الاتفاق بين الاقاليم التي تعتنق مذهبا واحدا لم يتم ، بل لم يقترب . وذلك لأن الاجر هو نصيب العمل بوصفه واحدا من عناصر الانتاج .. فان وصل الاقتصاديون الى وضع نظرية عادلة للتوزيع ، فانها ستشمل العمل من غير شك ، ومن ثم يكون للأجور نظرية عادلة .. أو نظرية مستقرة .

ولكن علماء الاقتصاد ، بدون استثناء ، قد اجمعوا على أن وضع هذه النظرية قد تعذر الى الآن .. وان كان بعضهم قد تلطف في التعبير وقال بأن الاقتصاديين

(١) مؤلفات المستشرقين زاخرة بالأمثال .

الإجارة في الإسلام

الجواب : لا [illegible]

[illegible]

هل يستطيع الدين الإسلامي (وهو الدين الخاتم) أن يقدم الى الباحث او المتسائل مادة صالحة لبناء اسس نظرية وقواعد مسلمة تؤلف في جملتها نظرية عادلة للأجور ؟

وان كان ولا بد من ربط الأجور بالتوزيع (وهذا حق) فهل يستطيع الإسلام ان يقدم لنا نظرية عادلة للتوزيع .. كله .. حتى تستقر العلاقات بين عوامل الانتاج ؟

راجع L'Economie du 20ème Siècle, F. Perroux

وراجع ايضا The Theory of Capital, edited by Lutz, International Economic Association 1963.

القرن التاسع عشر .. بعد الفصل التام بينه وبين الدين عندهم ، وما من سبب واحد مقنع لترك الشريعة الى التقنين الفرنسي .

ولكن ، اذا كانت الشريعة الاسلامية لا تسعفنا بنظرية عادلة للأجور وللتوزيع .. فكيف نلجأ اليها اذن لحل مشكلاتنا الاقتصادية ؟ .

ذلك أننا نبحث عن التقعيد النظرى حيث لا لزوم له .. وحيث لا سبيل اليه ، لأنه ليس من اختصاص الانسان أن يضع القواعد للأمور الانسانية بغير ضابط من الدين.. كما لو حاول الباحث وضع نظرية للزواج والطلاق والميراث وتفاوت الارزاق ..

لذلك كان حتما أن يبقى نشاط الفكر الانساني فى كل ما يتصل بالأمور الانسانية ملتزما للأوضاع والنظم التي جاء بها الدين .

اجارة الأشخاص

اشتمل الفقه الاسلامي على أدق أحكام ((الاجارات)) بالجمع .. سواء أكانت تقع على منفعة عين أم جهدشخص يقوم بعمل أو يخصص وقته لصاحب عمل .

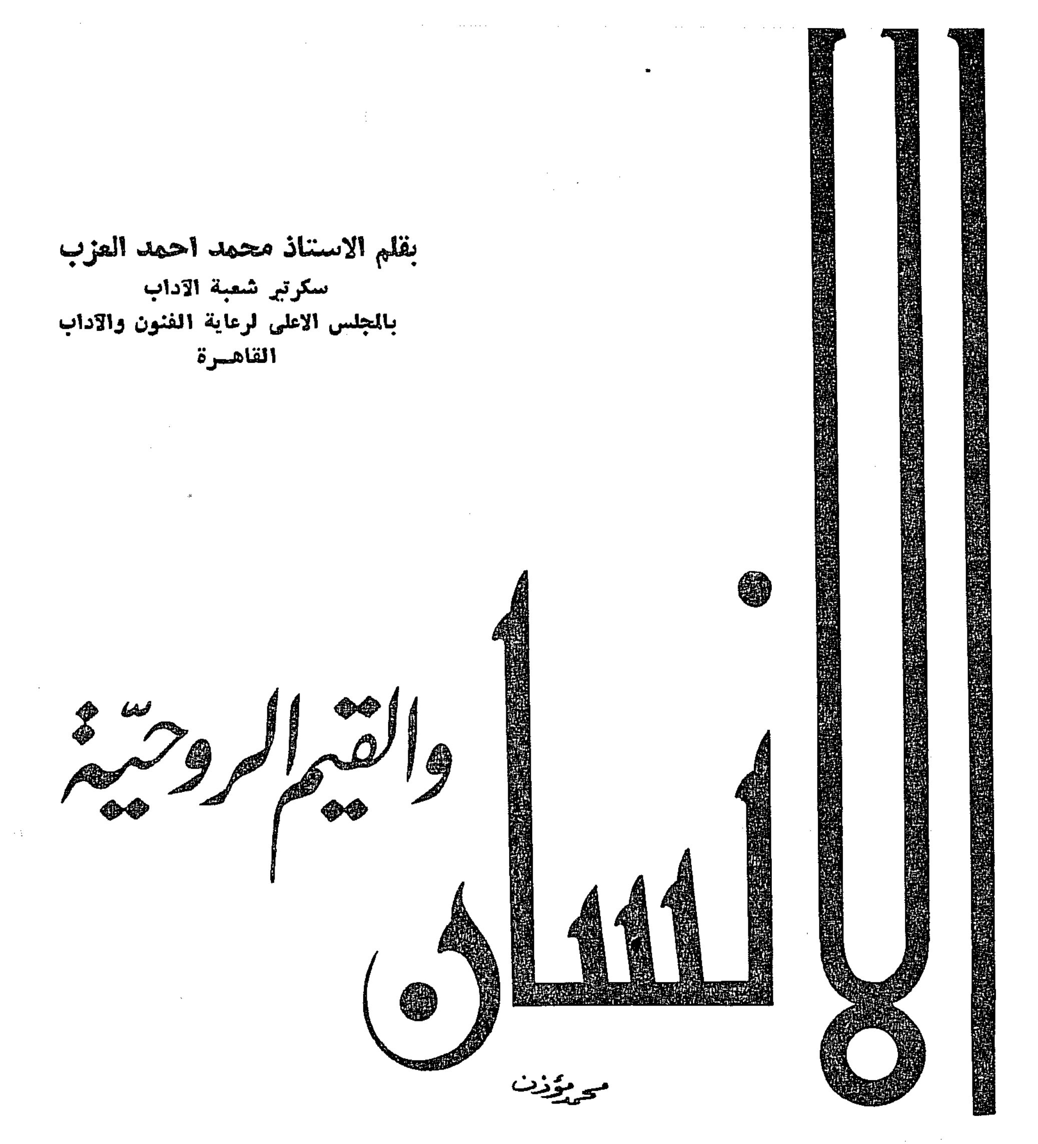
والاجارة عقد من عقود المعاوضات ، أو نوع من البيع ، لأنها تمليك للمنافع فى مقابل قيمة معلومة .

يقول ابن قدامه فى كتابه « المغنى » ما يلى بالنص « وجملة ذلك أنه يجوز استئجار الآدمى بغير خلاف بين أهل العلم » وبمثل هذا يقول الجمهور (أى معظم الفقهاء) ولا وزن لما ورد بخلاف ذلك .. يقول ابن قدامه فىالمرجع المشار اليه « وأجمع أهل العلم فى كل عصر وكل مصر على جواز الاجارة .. الا ما يحكى عن عبد الرحمن بن الأصم أنه قال : لا يجوز ذلك فهو غرر .. يعني أنه يعقد على منافع لم تخلق » ثم يستطرد ابن قدامه ليقرر ما يلى « وهذا غلط .. لا يمنع انعقاد الاجماع الذى سبق فى الأعصار وسار فى الأمصار .. والعبرة أيضا دالة عليها .. فان الحاجة الى المنافع كالحاجة الى الأعيان .. فلما جاز العقد على الأعيان وجب أن تجوز الاجارة على المنافع .. ولا يخفى ما بالناس من الحاجة الى ذلك » ثم يضرب بعض الأمثال ، بقوله « فانه ليس لكل أحد دار يملكها ولا يقدر كل مسافر على بعير أو دابة يملكها .. ولا يلزم أصحاب الأملاك اسكانهم وحملهم تطوعا . وكذلك أصحاب الصنائع يعملون بأجر ولا يمكن كل أحد عمل ذلك .. ولا يجد متطوعا به .. فلا بد من الاجارة لذلك » ثم يزيد ابن قدامه توكيدا لنظره السليم فى فقه الأحكام حين يقول « بل ذلك مما جعله الله طريقا للرزق .. حتى أن أكثر المكاسب بالصنائع » .

واضح من أقوال هذا الفقيه (وهي نموذج صالح لأقوال الكثيرين) أن اجارة الاعيان واجارة الاشخاص جائزة شرعا .. على خلاف ما ذهب اليه الفقه الفرنسي فى أواخر القرن التاسع عشر وتابعه بعض شراح القانون الوضعي من العرب المسلمين .. وعلى خلاف ما ذهب اليه الاقتصاد الوضعي المتطرف فى الثور على ملكية الأعيان وأدوات الانتاج جميعا .

والواقع هو أن كلام فقهاء المسلمين عن اجازة الاجارة .. هو أسلوب تقليدى عندهم يتفق مع عنايتهم بالتمييز بين ما هو حلال وما هو حرام .. وما بين ذلك من درجات .. كالعفو والكراهة ..

البقية على ص : ٢٩



بقلم الاستاذ محمد احمد العزب
سكرتير شعبة الآداب
بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب
القاهـرة

يخيل الى أن الباحث فى مجالات القيم الروحية لا يمكن أن يقف على مشارف مرحلة زمانية أو مكانية جامدة ، لان القيم الروحية ليست بنت اليوم ، ولا وليدة الامس ، وانما هى طليعة وجودية زاملت رحلة الكون منذ فجر الوجود .. ولا بد للباحث فى مجالاتها من ارتياد كل الدروب والانفاق ، حتى والغابات ، من أجل أن يعانق حقيقة ناصعة ، أو يبلور مفهوما وسيم السمات ! ! ! فكيف بمن يبحث ليس فى مجال القيم الروحية وحدها كحقيقة مجردة ، وانما كذلك فى مجال ارتباطها العضوى وتشابك حياتها بحيـاة الانسان ؟ والانسان كما نعرف ليس شيئا عائما فى حركة الوجود الكبير ؟ ! ..

الانسان محور الوجود

اذا كانت القيم الروحيـة محـورا للاديـان السماوية كلها منذ البدء ، فالانسان محور الاديان والزمان كذلك منذ البدء ... وقد أزعم هنا .. أن الدين لم يكن ليأخذ طريقه الى عالم الوجود لو لم يوجد الانسان .. فالانسان وحده هو الذى استمطر السماء هذا الضوء الرسالى العظيم ، الذى نسميه الدين ..

وقد أزعم كذلك أن الزمان ليس شيئا بـلا

انسان ، انه فراغ بازغ من العدم ، ومنته الى العدم ، والانسان وحده ، هو الذى يعطيه مدلوله الحى ، وواقعه الاصيل .

فقل لى : أيستطيع الباحث المتأمل فى مجالات القيم وتشابك حياتها بحياة الانسان الا أن يخوض عباب المسافات الزمانية والمكانية ما ضيا مع الموج الى أبعد الابعاد ؟ !!«

لقد فعلت .. وآمل أن تكون كلماتى بكل ما تنحنى عليه من صداقة للقيم ، وحدب على الانسان ، قبسا يلوح به ساعد شاب عاش حياة « سيزيف » ، وهو يحاول اليوم أن يلوح من بعيد لكل المتعبين الراكضين فى سفوح هذا الكون الهائل الرحيب ، ربما أضاء قبسه لانسان .. أى انسان !!!

وقبل أن أمضى .. دعونى أؤكد لكم أننى لن احشد هذه الصفحات نقولا من هنا أو من هناك .. لان الذى أفهمه من تناول الانسان لبحث من البحوث ، أن يقول كلمته هو .. رأيه هو .. لا أن يستحيل ناقلا يلتقط الحصى من كل درب ... ان السطور – فيما يخيل الى – لا تعطينا جديدا طالما هى تدور فى فلك ناقل مكرور ، أما حين تعطينى شخصيةصاحبها وشخصيتها .. فسأحبها .. حتى ولو أخطأت ... ولنبدأ معا :

ما القيم الروحية

لنتساءل أولا : ما هى القيم الروحية ؟ هل هناك مناطق عازلة بين القيم الروحية والقيم المادية ؟

أما أنا – فانه ليخيل الى أن كل قيمة روحية لا بد أن تنطوى على قيمة مادية ، أو على معنى من معانى القيم المادية .. الخير مثلا .. أليس قيمة روحية نابعة من ضمير الاديان ؟ أجل !! ولكنه لا يمكن أن يكون ، الا اذا عانق مدلوله الواقعى أى مدلوله المادى ، ان الخير فكرة مجردة ربما تدور لاهثة فى أدمغة الفلاسفة والمفكرين ، ولكنه حين ينزل الى الارض ، ويعايش البشر ، ويقف مع الانسان على صعيد هذا الكون ، يرحم انة الجائع ، ويؤوى تشرد الضائع ، ويناضل عن قضية الكادحين .

حينذاك .. نستطيع أن نومىء اليه هادرين : أجل .. هذا هو الخير !!«

انا هنا لا أنكر وجود الحقائق المجردة .. فهى موجودة رضيت أم أبيت .. ولكنى أحاول فحسب ان أؤكد أن وجود الحقائق المجردة ليس سوى وجود بالقوة لا بالفعل ، ولا يمكن أن يحس أو يشاهد الا حين يرتبط بهذا الكائن الارقى الذى هو الانسان ..

الدين للحياة

وهنا – توحىالينا حتمية انطواء القيم الروحية على معنى من معانى القيم المادية وارتباط ذلك كله بالانسان بقضية هائلة .. أو قل بحقيقة هائلة .. هى أن الدين للحياة .. وأن كل رسالة منرسالات السماء ليست هروبا فى معبد ، ولا تقوقعا فى دير ، ولا تشنجا على عتبات تابوت .. وانما هى دعوة حارة وهادفة من أجل أن يتعانق الدين والدنيا ، وأن تتجاوب الدنيا مع الدين !

ان الدين هو المحتوى الحى الذى يسرى فى اطار الحياة ، فيعطى الحياة كل قيمتها الشامخة ، وكل أمجادها الضخام ، ولا يمكن أن ينفصل المحتوى عن اطاره ، ولا الاطار عن محتواه ، الا اذا أردنا لاحدهما أو كليهما معا أن يعيشا على شاطىء الكون نباتا ناضبا هشا يتحطم فى معارك الرياح !!!

فى خدمة الانسان

وحين نقف على أرض صلبة من الايمان بتكامل الوحدات : الدين والكون والانسان .. أو قل بعناقها جميعا ، نجدنا واقفين أمام علامة استفهام منتصبة شاهقة : كيف تقدر القيم الروحية على هداية الانسان ؟ ولكى نجيب .. يجب أن نؤمن بأنه لو كانت هذه القيم الروحية مبتوتة الصلة بالانسان ، أو غير قادرة على التعبير الصاعد الواعى عن كل ما يحيا فى داخله من دنياوات .. أو كان هدفها شيئا غير التصعيد به ككل متكامل عريض الى أعلى ... ربما لم تكن لتستطيع أن تصمد كل هذه الاجيال ، لان الانسان الذى انتصر على كل ما فى الكون من طاقات وقدرات ، والذى استطاع أن يسخرها لارادته الصلبة ، وصلابته الارادية ، والذى نحى عن طريقة الصاعد كل ما تراكم على حواشيه من صخور ، وعقبات .. كان

الانسان والقيم الروحية

يستطيع أن ينتصر على عواطفه الدينية ، ويهزمها في أعماقه وأعماق الملايين ، لو أنها كانت شيئا ضاريا يمزق وحدته ، أو شيئا هابطا يشده الى أغوار الحضيض ! ! !

ان العكس هو الذى حدث .. فالمد الدينى قد تراحب وانساح ، ومد جناحيه الباسلين على آفاق وأبعاد جديدة ، مما يؤكد أن الدين شىء يمضى بقضية الانسان والحياة جميعا الى فوق .. والى أمام « ! ! !

ولكن .. ماذا نقصد من قولنا « هداية الانسان » ؟

هل وجد الانسان ضالا فنبعت الحاجة الى هدايته ؟

وهل الهداية هنا هداية مرحلية تعنى تعريفه الطريق وتركه يسعى فيه وحده على هون .. أو فى تدفع محموم ؟

أم هى هداية أخرى .. من نوع آخر جديد ؟ الذى أعرفه .. أن هداية القيم الروحية للانسان لم تبدأ من فراغ .. لم تبدأ من نقطة وجوده ضالا يتشوف الى كلمة هادية ، أو يد حانية ، أو قلب رءوم ... لانها لوبدأت من هناك، لأكدت أن الانسان قد دفع به الى معركة من غير تزويده بالسلاح .. وأنه قد أريد على أن يجابه الشر الذى هو ثمرة الاجتماع الآدمى .. بلا خير ، وبلا فضيلة ! ! !

.. ان هداية القيم للانسان نابعة من التلازم الوجودى بينهما ، وليس من كون الانسان ضالا يتطلع الى هداية من هنا .. أو من هناك ...

مع الانسان دائما

وكذلك لا يمكن أن تكون هداية القيم للانسان هداية مرحلية ، تقفه على أول الطريق ، ثم تنسل هاربة لتغيب فى ضباب المجاهيل ..

انها هداية حياتية ، تزامل رحلة الانسان فى الارض ، وتصادق كل لحظة من لحظات وجوده الفردي والعام ... ولكنها لا تزامل رحلته ولا تصادق خطواته فى اطار من الجبر والالتزام ، والا لعاش حياته ملكا أو شيئا يشبه الملك .. انها مزاملة صديقة حرة تلوح له بالمشعل ، وتضع يده على حقائق الاشياء ثم تترك له الحرية من بعد ، لينتصب واقفا على الارض ، ملاكا هاديا ، أو شيطانا غويا ! ! !

وبقدر ما يتجاوب فى أعماق الانسان من قيم ، ويفرد فى حياته من مثل ، بقدر ما يكون فى يده من سلاح باتر مرهف ، يناضل به ضد كل قوى الهبوط ، والتدلى ، والانهيار ... لقد قاتل بالقيم كل جحافل الظلام . قاتل بها الفقر ، والتخلف ، والاسفاف ، والعبودية ، والخناعة ، والهروب ، وتوثين الاشياء والاحياء .

ولسنا ندرى بعد ، ماذا كانت تكون حياة الانسان لو أنها أقفرت من هذه القيم التى تنبثق منمشرق الدين ؟ أغلب الظن .. أنها كانت ستكون واحدا من اثنين .. اما تجميد للحياة عند حافة البدء .. أو استسلام مريض لكل العواصف والاعاصير .. وكلا الفرضين تشويه لفطرة الخلق ، وتكبيل لطموح الحياة ! ! !

هداية عملية

وهنا .. لا بد أن نتذكر أن هداية القيم الروحية للانسان ، ليست مجرد تطويع القلب البشرى لحقيقة الايمان .. وانما هى هداية أرحب وأعلي وأشمل .. انها هداية الى اثراء الحياة ، واخصاب الواقع ، وتطوير الوجود ، بما نبذل فى كل أولئك من طاقات هائلة ، وبما نبدع من قوى خلاقة تسيطر على روافد الخصب وعلى مصباته جميعا ..

ان هداية القيم للانسان .. لو قبعت فى زاوية التعلية الروحية وحدها ، لأصابت المادة والروح جميعا بشلل كونى رهيب .. لان المادة بغير روح .. شبح لا حياة فيه ، والروح بغير مادة ارتعاشات فرضية تهوم فى فراغ .. ومن هنا .. فقد حرصت كل أديان السماء على أن تزاوج بين الروح والمادة ، وأن تصالح بين المادة والروح ،

في إطار من التعادل القائم الذكي ، المتكافئ على حركة التوفيق الواعي مع خلاصة ولطائف (...) .

وليست حكمتي في حاجة إلى نصوص كثيرة ، أؤيد بها ما ذهبت إليه . ولكن حسبي أن أشير هنا بصورة دالة إلى العهد القديم ، والعهد الجديد ، والقرآن الكريم .. لنعرف إلى أي مدى تهتم هذه الكتب بالمتاعة الروح والمادة .

في العهد القديم : « من يشتغل بحقله يشبع خبزاً أما تابع البطالين فهو عديم الفهم » .

وفي الإنجيل عن المسيح : « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » .

وفي القرآن الكريم : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

إن هذه الإشارات الثلاث ، لتدل دلالة واضحة على مدى اهتمامات الأديان بالجانب المادي في حياة الكون وحياة الإنسان على السواء ، وليس في ذلك ما يعيب الأديان بالقيم الروحية ، بل على النقيض .. فإن القيم الروحية حتى في مجالات عطلها الكلام تشكل حركات اجتماعية ونفسية لانهائية حضارات إنسانية شامخة ، بل إن في الحضارات من أسس مادية ملموسة تحسها وتركز في بيوتها شيئاً ..

على أننا قد فرغنا الآن من هذه التقدمة [illegible] النساء الروح بالمادة ، على حقيقة الحضارات والأديان ، القيم تومض بالحب ، وترتبط بالعاطفة ، وتجسد بكل ألوان السلام ..

شواهد من الإسلام

فيما يلي بعض دلالات [illegible] شواهد تاريخية ترتبط [illegible] القيم الروحية التي بعثت الحضارات ، ودفعتها لحركاتها العلوية ..

[illegible] أود [illegible] إلى أمثلة [illegible] ، وإنما أقف على [illegible] الواقع العربي ، فالحدث [illegible] انبعاث الإسلام [illegible] ماديا [illegible] الناحية [illegible] خلفت [illegible] الجاهلية [illegible] .

أجل .. لقد أحدث الإسلام أكبر ثورة على [illegible] القيم الروحية [illegible] نقابات الحضارة [illegible] والناس لكل عصر [illegible] .

كانت ثورة [illegible] مفاهيم البشر من [illegible] عبادة الأحجار إلى عبادة الله .. وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ..

وكانت ثورة علمية ، فتحت مغاليق الكون ، [illegible] العقل الإنساني ، [illegible] الوشائج [illegible] الأزلية الفكرية « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ ! .

وكانت ثورة حضارية إنسانية ، أقام العلاقات بين البشر على أسس جديدة ، أساسها [illegible] بالحب ، والحرية ، والعدالة ، والمساواة ، حتى [illegible] الذين [illegible] لا يستطيعون عن [illegible] مبادئ [illegible] الإسلام [illegible] الحب ، والحرية ، والعدالة ، والمساواة ! !

وكانت ثورة اجتماعية ، استهدفت في [illegible] الأولى أن تكون الإنسان ، والزمان ، والمكان [illegible] الإنسان من حيث هو كائن عاقل [illegible] يتخطى مراحل البداية القائمة إلى [illegible] الإنساني [illegible] .. والزمان من حيث هو إطار [illegible] يجري داخله حركة الكون وحركة التاريخ ، حتى [illegible] إطاراً فاصلاً [illegible] .. والمكان من حيث هو إطار [illegible] [illegible] التي [illegible] الناحية الثانية [illegible] .

وهكذا كانت بالإسلام [illegible] أقرب [illegible] الإنسانية [illegible] وتوضيح [illegible] الكريم [illegible] على كل القيم الروحية التي [illegible] بها الأديان من قبله [illegible] « إن الدين عند الله الإسلام » [illegible] العقل [illegible] الموضوعية [illegible] القيم التي جاء بها الإسلام [illegible] .

الانسان والقيم الروحية

دين شعب معين ومرحلة معينة ، بينما كان الاسلام وما يزال ، دين البشرية الهائلة ... الذى يغطى كل مساحاتها البشرية والزمانية .. فاذا نحن دللنا به ، فانما ندلل بالحقيقة التى لا يرقى اليها الشك ، وبالدين الذى لا يعتوره الحيف من هنا أو من هناك » !

مع وجود الانسان

ولكن .. هل القيم الروحية عريقة كل هذه العراقة فى حياة الكون وحياة الانسان جميعا ؟ أم انها أثر من آثار التطور الحضارى نبتت على شاطىء الاجتماع ؟

الذى أعرفه .. أن أرضا كأرضنا هذه ، قد عرفت الدين ــ كمنطلق للقيم الروحية ــ منذ اقدم العصور ، حتى قبل أن ينبثق على سهولها شعاع النبوات والرسالات ، مما يؤكد أن الانسان متدين بالطبع .. وأنه قد زامل الدين لما احسه فى أعماقه من جوع طبيعى لممارسة هذا اللون من الوان السلوك العقيدى ...

وفى هذا الصدد يحدثنا « العقاد » فى كتابه « الله » فيقول :

« ... حق لا يقبل المراء ان الحاسة الدينية بعيدة الغور فى طبيعة الانسان ، وحق لا يقبل المراء أن الانسان يجب أن يؤمن ولا يستقر فى وسط هذه العوالم بغير ايمان .. وهو قد وجد فى وسط هذه العوالم لا مراء . فاذا كان الايمان هو الحالة التى يتطلبها منه وجوده ــ فضعف الايمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ، ويدل على خلل فى الكيان » ا . هـ .

ولعل ما يطمئننا هنا ان العقيدة الدينية قد أخذت ترتبىء قمة عالية من الترقى والاكتمال منذ أبعد العصور ايغالا فى القدم ، الشىء الذى يدلنا على انها مرحلة ليست مبتوتة الصلة بما قبلها من مراحل .. وانما هى حلقة فى سلسلة هائلة متتابعة الحلقات ... وهذه ترنيمة كهان طيبة الناطقة بعقيدة الالوهية ووحدة الاله .

الله واحد أحد لا شريك له

الله واحد وقد أبدع مخلوقاته وحده

الله حقيقة لا يراها الانسان ، خفية عن كل شىء ..

الله هو الله منذ البداية ، هو الله قبل ان يكون شىء ..

هو سيد المخلوقات . وأبو الجميع . هو الاله الدائم ..

الله هو الموجود الخالد الذى لا يفنى ، لا بداية له ولا نهاية ..

الله لم تكن له بداية . وليس له نهاية . وسيظل كذلك على الدوام ..

الله خفى ، لا يعرف انسان شكله ولا شبهه ..

الله هو الحق ، ويحيا على الحق ، انه الملك الحق ..

الله هو الحياة ، ولا حياة للناس بدونه ، هو البداية ، هو الواحد الاحد ... » ا . هـ .

اذا زعمت الآن أن القيم الروحية والانسان يعيشان فى زمالة كونية واعية منذ القدم .. اترانى جانحا الى الشطط ؟ أو ضاربا فى متاهات الخيال ؟؟

أبدا « فالغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، والعناية بالجانب الالهى نزعة عامة خالدة للانسانية ، ولا تذبل غريزة التدين الا فى فترات الاسراف فى الحضارة ، وعند عدد قليل جدا من الافراد ، لكنها لايمكن أن تموت : كما يقرر معجم لاروس » ...

« والجماعة قد توجد بغير علم أو فن أو فلسفة .. ولكن لا توجد جماعة بغير دين .. كما ينادى هنرى برجسون .. »

ان القيم الروحية هى روح الحياة ، ولا يمكن للحياة أن تحيا شبحا خاويا بلا روح !!

((بقية))
الاجارة
فـــي
الاسلام

واقوالهم هذه تنير الطريق لكل باحث عن التطبيق الصحيح لأحكام الشريعــة الاسلامية .. ولكنها لا تغنى عن اعـــادة النظر فى مصادرها .. والوصــول الى تقرير قواعد أكثر صراحة من مجــرد الاجازة .. وعنـــدنا أن ((الاجـــارات)) بالجمع .. هى أصل من أصول التنظيم السليم للنشاط الاقتصادى فى جميـــع صوره .. ما كان منها بالغ البساطة . وما كان شـــديد التعقيد وفقا لتطـــور الزمـــن ..

وهكذا يكون تقريـــر (الاجـارات) واعتمادها وثيق الصلة بسعى الانســـان لتدبير معاشه وحثهعلىالادخار والاقتناء والتملك وتوظيف المدخرات .. فهـذه كلها أوضـــاع تجد ضوابطهـــا فى الدين .. وهى فى تكاملهـــا تهيىء للمجتمـــع الانساني فرص الحركة الدائبة فى كـــل جيل مع تجنيب قدر من الثروة وتنميته .. وهذا هو أقوى الدوافع على اتقان العمل والاعتـــدال فى النفقـــة وتوظيف المدخرات .

أما أن تكون الاجارات أصلا مستقرا (لا مجرد عقد يجيزه الفقهاء) فنجـــد سنده من القرآن الكريم والسنة المطهرة واجماع العلماء .

على أن هـــذا البحث الوجيـــز .. مقصور على اجارة الأشخاص .. ولذلك سنترك ما عداه .

فاما الكتاب ففى قوله تعالى ((فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن)) وقوله ((قالت احداهما يا أبت استأجره أن خير من استأجرت القوى الأمين . قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك)) ومن آيات الذكر الحكيـــم أيضا قوله تعالى ((فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقص فأقامه قال لو شـــئت لاتخذت عليه أجرا)) .

وأما السنة المطهـــرة .. فثابت أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم رعى الغنم وخرج فى التجارة لحساب السيدة خديجة رضى الله عنها .. ثم أنه بعـــد الاسلام استؤجر واستأجر .. بـــل فى أدق المواقف اتخذ أجيرا حـــين خـــرج مهاجـــرا الى المدينـــــة .. فاســـتأجر عبد الله بن أرقط .. وائتمنه على سر خطير هو الخروج سرا من مكة .. وكان الأجير من الكفار ، ولكن الرســـول .. صلوات الله عليه ، وثق فيـــه وواعده فى المكان والـــزمان .. ليكون دليـــلا فى الطريق .. وفى هذه الجزئية فقه عظيم وشاهد على سماحة الاسلام ورعايتـــه للفطرة والانسانية .. بحيث أن كلطالب عمل مـــن غـــير المســـلمين .. يجده فى أرضهم ويؤتمن على كـــل مـــا يجوز أن يؤتمن عليه الأجير .. بشرط واحد .. هو الوفاء بالعهد وترك الخيانة .

وأما اجمـــاع الفقهـــاء والعلماء فقد أشرنا اليه فيما تقدم اشارة عابرة عند الكلام عن اجازة ((الاجارة)) .

(للبحث بقية)



سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً الى حَرَمِ ... كَمَا سَرَى البَدْرُ في داجٍ من الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَى الى أن نِلْتَ منزلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وقدَّمتْكَ جميعُ الأنبياءِ بها ... والرسلِ تقديمَ مخدومٍ على خَدَمِ

وأنتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطباقَ بهم ... في موكبٍ كُنْتَ فيه صاحبَ العَلَمِ

حتى اذا لم تَدعْ شأواً لمستبق ... من الدُّنُوِّ ولا مرقىً لِمُسْتَنِمِ

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالاضافةِ اذ ... نوديتَ بالرفعِ مثل المفردِ العَلَمِ

كيما تفوزَ بوصلٍ أى مستترٍ ... عن العيونِ وسِرٍّ أى مكتتمِ

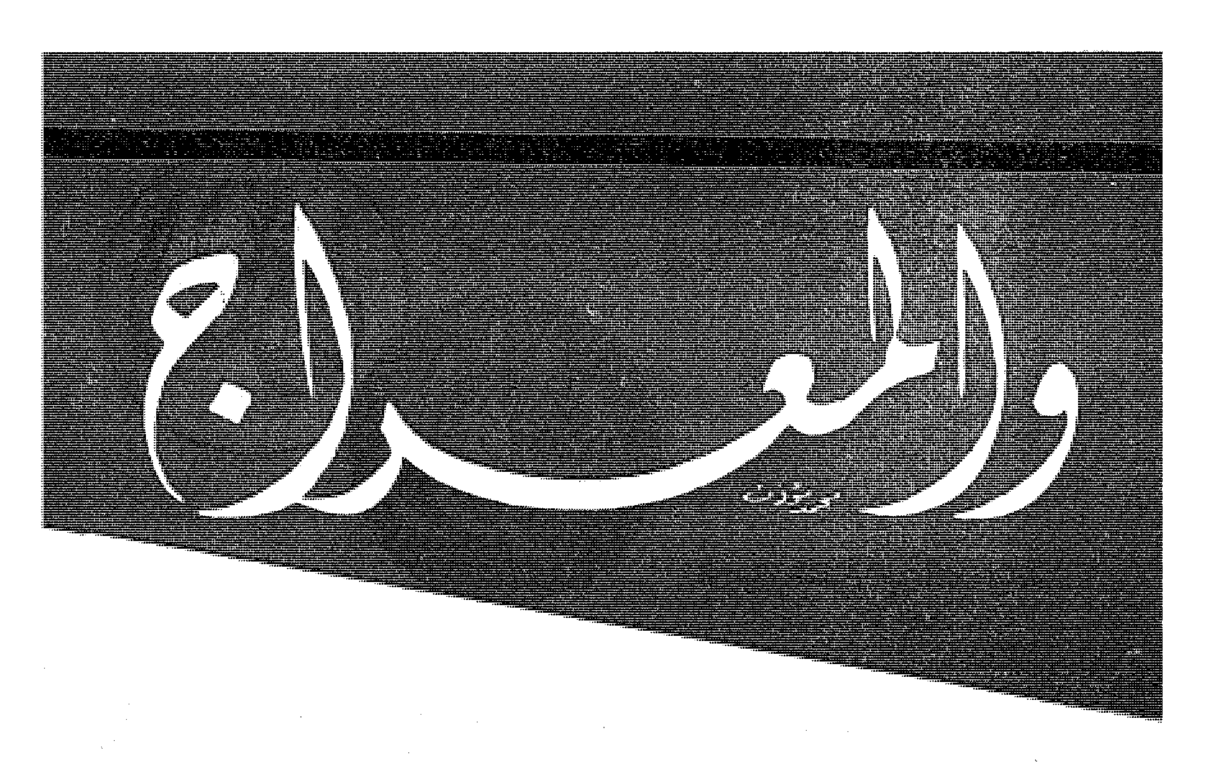
فَحُزْتَ كلَّ فَخَارٍ غير مشتركٍ ... وجُزْتَ كلَّ مقامٍ غير مزدحم

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ إدْرَاكُ مَا أُوليتَ مِنْ نِعَمِ

بشرى لنا معشرَ الاسلامِ ان لنا ... من العنايةِ ركناً غيرَ مُنْهَدِمِ

لمَّا دعا الله داعينا لطاعتِهِ ... بأكرمِ الرسلِ كنَّا أكرَمَ الأممِ

البوصيري



أسرى بك اللهُ ليلاً إذ ملائكهُ ... والرسلُ في المسجدِ الأقصى على قدمِ

لما خطرتَ به التفوا بسيدِهم ... كالشهبِ بالبدرِ أو كالجند بالعلمِ

صلّى وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ ... ومن يفزْ بحبيبِ الله يأتممِ

جُبْتَ السمواتِ أو ما فوقهن بهمْ ... على منوَّرةٍ دُريّةِ اللُّجُمِ

ركوبةً لكَ من عزٍ ومن شرفٍ ... لا في الجيادِ ولا في الأينُقِ الرُّسُمِ

مشيئةُ الخالقِ الباري وصنعتُه ... وقدرةُ الله فوق الشكِ والتُّهَمِ

حتى بلغت سماءً لا يطارُ لها ... على جناح ولا يُسعَى على قدمِ

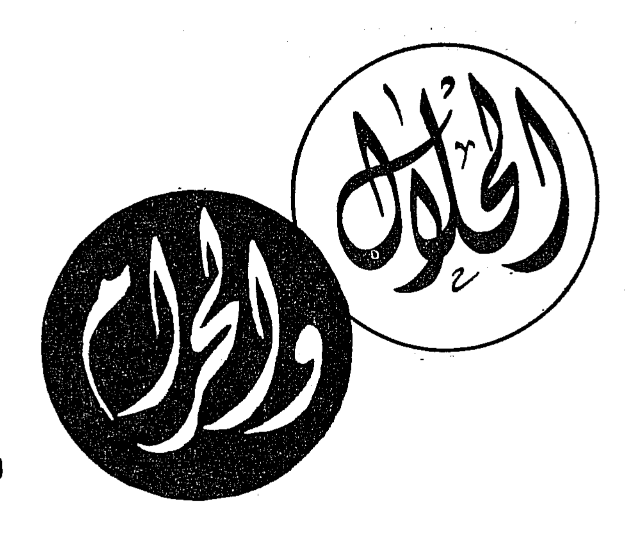
وقيل كلُّ نبي عند رتبتِه ... ويا محمدُ هذا العرشُ فاستلمِ

خططْتَ للدين والدنيا علومَهما ... يا قارئَ اللوحِ بلْ يا لامس القلمِ

أحطْتَ بينهما بالسر وانكشفت ... لك الخزائنُ من علمٍ ومن حكمِ

وضاعف القربُ ما قُلِّدت من مننٍ ... بلا عدادٍ وما طُوِّقْتَ من نِعَمِ

شوقي



لفضيلة الشيخ عبد الله خياط
مكة المكرمة

في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألاوان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب .

هذا الحديث اصل من اصول الدين وقاعدة من قواعده ، ففيه ايضاح عن الحلال والحرام ، وبيان المشتبه بهما ، وتوجيه الانظار للاعراض عن الأخذ به طلبا لبراءة الدين والعرض ، وحيث انتفت الشبهة ارتفع الحرج ، وقد أورد العلماء رحمهم الله خلافا فى اصل تحريم الاشياء ، وهل الاصل فيها الحرمة فلا حلال الا ما دل الدليل على تحليله ، ام ان الاصل فى الاشياء الاباحة ، فيجوز للمرء أن يأكل ويشرب ويتمتع بالطيبات ما لم يرد نص على التحريم ، وهذا هو رأى الجمهور ، وهو الذى تؤيده الآيات والاحاديث .

المشتبهات

والمشتبه ما اشتبه بالحلال والحرام ، ولا توجد قرينة تصرفه الى احدهما ، ولا يعرف اكثر الناس حرمته او حله ، فهو ملتبس عليهم ، والورع بالنسبة لهم تركه والانصراف عنه ، ففي ذلك البراءة للدين والعرض ، أما البراءة للدين فلأن الاخذ بالشبهة قد يكون سببا فى مزلة الاقدام ، فيقع المرء فى الحرام نتيجة لعدم التورع ــ نقل من حديث الحسن بن علي قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) اى اترك ما يقع فى نفسك منه شبهة من طعام او شراب او مال او اى متاع ، ولم تطب به نفسك ، وخذ بالشيء الواضح المتيقن حِله ، الذى تطمئن اليه النفس ، ويسكن اليه القلب .

التمتع بالطيبات

وهذا هو الورع المطلوب شرعا ، لا الورع المزعوم المصطنع الذى يزهد فى الحلال ، ويمنع عن التمتع بالطيبات المباحة ، ذكر المفسرون عند تفسير قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما ، فوصف القيامة واهوالها ، فبكى الناس ورقت قلوبهم ، فاجتمع نفر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتزموا الترهّب ، وان يلبسوا الخشن من الثياب ، ويصوموا الدهر ، ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفرش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا يقربوا النساء والطيب ، ويسيحوا فى الارض ، فبلغ ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم وقال : (اني لم أومر بذلك ثم قال : ان لنفسك عليك حقـــا فصوموا وافطروا ، وقوموا وناموا ، فانى اقــوم وانام ، أصوم وافطر ، وآكل اللحم والدســم ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بهذا البيــــان الشافي لمن جنح الى الترهب ، بـل قام خطيبا واعلنها مدوية في المجموع ، قياما بواجب البلاغ وقال : (اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا ، فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ، ولا اتخاذ الصوامع ، وان سياحة أمتى الصــوم ورهبانيتهم الجهاد . اعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وحجوا ، واعتمروا ، واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضــــان ، واستقيموا يستقم لكم ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع) .

وفى هذا البيان النبوى الكريم الضافى رد على كل متنطع او متزهد فيما احل الله او محرم لما اباحه لعباده من متع الحياة . « قل من حـرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصـــة يوم القيامة » .

مواقف الريبة

وعلى عكس هذا الصنف الزاهد فى الحــلال من يتسامح فى الاخذ بالشبهة، فينزلق فى الحرام، ويستمرئه ، ويندفع فى تحقيق شـــهوات النفس المحرمة وملذاتها وانطلاقاتها فى كل ما تريد غـير مكترث بوعيد ولا ملتفت لسوط عذاب ، وهو من شبّهه الرسول الكريم صلى الله عليه وســلم بالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيــه وهو لا شك واقع .

اما البراءة للعرض فلأن من يقع فى مواطــن الريَب تنطلق الالسنة فيه بالغيبة ، والاستطالة عليه بما هو منه بريء ، وينسبون اليه السوء روى عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه قال : ايّاك وما يسبق الى القلـوب انكاره ، وان كـان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا ، وفى حديث عن النبي صلى اللــه عليه وسلم انه قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) ورأى بعض اصحابه زوجة من زوجاته صلى الله عليه وسلم تمشي وراءه فبادرهم بقوله ـ انها صفية بنت حيي ـ دفعا بهم عن سوء الظن فيهلكوا ، ورسما لطريق السلامة للامــة .

هذا وهو رسول الله المعصوم من الزلـــل ، فكيف بمن كان فى اعقاب الزمن ، وقد فســدت الضمائر والذمم ، وغلب على اكثر الناس سـوء الظن، أليس جديرا به أن يرتفع عن مواطن التهم، وعن كل ما يحمل على اساءة الظن !

وفى الحديث ايضا تصوير للسياج المنيع الذى ضربه الله على حدوده وما حرمه على عباده حيث شبّهه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بالحِمى يحميه الملوك ، ويحظرون وروده والرعى فيه على رعاياهم ، فمن قاربه وقع فيه لا محالة ، وفيـه أيضا تصوير للقلب النفسى (وهو مركز الوجدان والشعور الذى تصدر منه الايعازات للنفس،فتعمل باشـاراته وايعـازاته) بالقلب المـادى وهــو مركز الدورة الدموية ، فكما أن الجسد يصلح ويصحّ بسلامة القلب ، والجوارح تقوم بواجبها تبعا لذلك ، فكذلك مركز الوجدان والشعور من النفس اذا كان صحيحا سليما صحت الارادات والنيات ، واندفعت الجوارح نحو الخير والصلاح ، فلا تصدر الا عن خير ، ولا تحجـم الا عـن شر ومفسدة .

وبعد : فان الحلال ما أحلـه اللـه ، والحرام ما حرمه الله ، ومن الورع اذا اراد المرء القدوم على أمـر أن يراجـع فيه قلبه قبل القدوم عليه ، فان اطمأنّ اليه وسكن فعله، والاّ تركه، ففى الحلال البينّ الواضح غنية عن كل مشتبه فيه أو ملتبس على المرء حقيقته .

والله الموفق



الحرم القدسي آية الإسلام

تمهيد

المسلمون جميعا مهما تباعدت ديارهم عن مهاد الاسلام الأولى ، كلهم ، ومنذ تفتح مداركهم ، وبداية وعيهم ـ يسمعون بالضرورة عن بقعة من الأرض في القدس من أرض فلسطين بارك الله فيها وما حولها ، وكانت أول قبلة اتجهت أبصار النبي وصحبه اليها ، ثم كانت منطلق الرحلة القدسية الى السماء ، وقنوة الأمل في خواطر المجاهدين والشهداء ، والمحور الذي تدور عليه عواطف المسلمين ومشاعرهم ، ويلتاع ـ اذا مسه السوء ـ قلوبهم وخواطرهم ، وتهتز للخطر ـ اذا حاق به ـ وجداناتهم .





تحقيق صحفي كتبه

الاستاذ احمد العناني

عمـان الاردن

لكن المسلمين جميعا ليسوا سواء فيما يعرفون عن هذه البقعة الطهور .

مظاهر حضارة

فلقد تكاثرت فيها ، وفى صخرتها وأقصاها ، فى أرباضها وساحاتها فى مدارسها وزواياها ، وفى سبلها واطرافها ـ آيات تنطق بعظمة اهل الاسلام وتنبض بكل شارات الحياة التي يحيونها ، والحضارة التي ينشئونها .... انها تستطيع ان تشكل مادة كاملة لدراسة علمية لا فى الفن والهندسة والبناء وحدها ، ولكن فى الكيفية الخاصة للروح الاسلامي ، فى طريقة الاسلام وأهله فى اخلاصهم لدينهم ، فى تصورهم لعلاقاتهم بربهم ، فى استحضارهم اطياف الآخرة نصب اعينهم ، وفى استماتتهم فى التقرب الى الله .

أن للاسلام آية خالدة فى القدس الشريف ، ومعرضا للدين والدنيا عز ان يطلب له شبيه ... ولم تكن القدس لأهلها وحدهم فى يوم من الايام ، ولكنك دائما واجد فى رحابها تآخى القوميات والاجناس والالوان ، فى نطاق السماحة المثلى للاسلام .

ويقف الزائر فوق الرحاب الفسيحة المحيطة بمسجدى الصخرة والاقصى المشرفين ليشاهد وضعا فذا فى الوجود كأنما يحس ان السماء والارض تتصافحان فى المكان الذى صعد منه اليتيم الامين الطهور ليرى عجائب خلق الله فى ملكه الشاسع ، الذى لا يحده حساب ، ولا يحصر ابعاده خيال .

وحين يصفر القلب ليصبح الوعاء الملائم لحركة الذهن يستطيع الفكر المؤمن فى الارض التي اختارها حجة الاسلام الغزالي معتكفا يستكمل فيه افكاره عن احياء علوم الدين ، ان يستشعر مع صفاء الانسام على الربوات المباركة ، كيف يستطيع ابناء آدم ان يتحرروا من حركة الباطل ، ودوافع الغرور ، وان يجمعوا خير الدنيا بخير الآخرة ، وقوة الارادة فى اطار الحق ، وجمال الآمال التي تولدها آلة العمل والجهاد الساعية الى رضوان الله .

وعلى الربوات المباركة من حول الصخرة المشرفة ترى حقب التاريخ المتلاحقة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تجمعت

اضواء منها فى هذه البؤرة النورانية ... ها هنا موطىء البراق ، وهناك آثار من عبد الملك والوليد وثمت روائع من أيام العباسيين والأيوبيين والماليك والعثمانيين كلها تزهو بالاعلان عن نفسها ، بنقوش بلغة القرآن ، وكلها تفصح عن ثقافة واحـدة ، وتجانس عجيب فى الروح على رغم الزمان ، وكثرة الاحداث ، واختلاف الليل والنهار ، وتعدد الالسن وتنوع العناصر والامزجة والالوان .

مع التاريخ

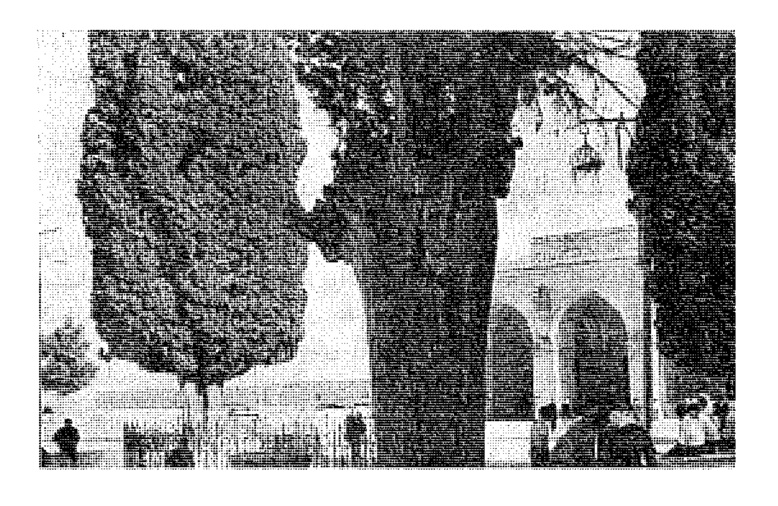
كان ذلك قبل ثلاث عشرة مئةوربع المائةتقريبا من هجرة الرسول عليه السلام ، والمسلمون يحيون فترة مضطربة حزينة أعقبت دفقة الفتح العجيب الاولى . كان الحرمان الشريفان فى مكة والمدينة فى حوزة عبد الله بن الزبير الذى عاش سـنوات هناك يخاطب بامارة المؤمنين ، برغم وجود عبدالملك ابن مروان فى امارة المؤمنين بالشام .

وكانت خطة الخليفة الاموى ان يوطد الامـر فى مصر والعراق الى جانب الشام . وكان لا بد من مداراة الرغبة فى استمرار الحج بما عسى ان ينشغل به الناس قبل استكمال الخطة السياسية ـ هذه واحدة ...

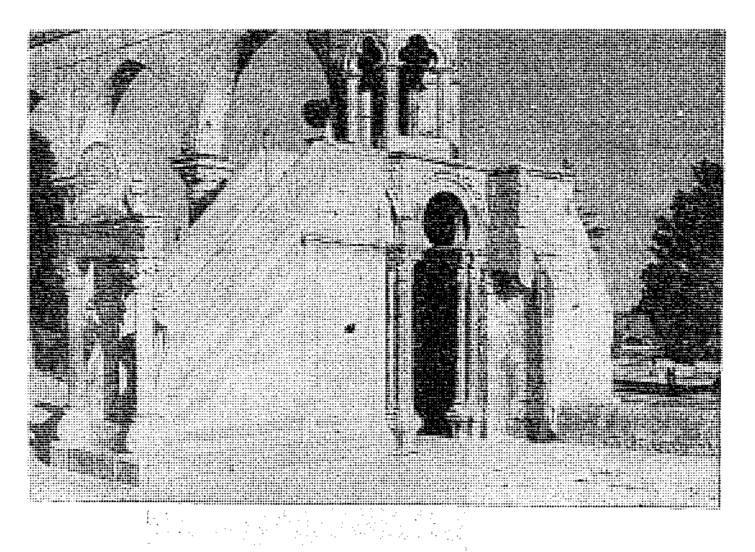
واما الناحية الاخرى فهي استمرار لـما نادى به معاوية من قبل على مسمع من ابن الخطاب نفسه ، وهى ضرورة مجاراة المسـلمين لسـمات الحكم عند الامم الاخرى حفاظا على هيبة الحكم..

كانت الشام تزخر من قبل بكنائس المسيحيين الباذخـة البنيـان ، فأراد عبد الملك لهذه وتلك أن ينشيء مسجد الصخرة المشرفة ، فشكل لذلك لجنة من خيرة الناس ممن لاترقى اليهم شبهة، واوقف لهم خراج مصر لبضع سنين ، وامدهم بأهل الحرف والبنائين ، ودام العمل ستة أعوام ، وزاد المال المخصص للغاية مئة الف دينار ، واراد عبد الملك ان يهديها للذين وفروها بجهودهم فكان جوابهم « نحن اولى ان نزيد المال بحلى نسائنا فضلا عن اموالنا » .

وما يزال اثر عبد الملك باقيا فى كتابة مزخرفة بالفسيفساء تقول « بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان امير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين ، تقبل الله منه آمين » .



منطقة الكأس بين الصخرة والأقصى
الأشـجار القديمـة التي طالما ظللت أفواج المصلين مدى مئات السنين فوق المصاطب المبلطة بالحجر القاسي الأملس حيث تقام فى فصل الصـيف صلوات الجماعـة ولا سـيما العصر والمغرب .



في الطرف الجنوبي من فناء مسجد الصخرة المشرفة ... القنطرة التي يهبط عبرها المتجهون الى الأقصى على الدرج الذى ينتهي آخره بالكأس . لاحظ المنبر والمحراب الرخاميين جدا لآخر مرة منذ حوالي مئتي سنة . وعلى القنطرة ساعة شمسية (مزولة) لتعيين أوقات الصلاة .

المنبر والمحراب يستخدمان عند الصلاة بالفناء فى أيام الحر الشديد .

وهكذا وفى غمرة الفرح العظيم بالذى انجزه عبد الملك ورجاله ، وكانوا ذات يوم يوجسون خيفة من الا يتم ولا يكون ، لم ينس الرجل ان يتكلم بروح الاسلام فيؤكد عبوديته لله على اغلى ما أستطاعت ان تصنع يداه .

وكان قطر القبة من الداخل عشرين مترا وتزيد وكانت اقامة هذا الكيان العظيم ، على أسس المتانة والدقة التي قاوم بها الزمان ، أعجوبة فى الفهم والذكاء ، فضلا عن دقة الاتقان وعمق الاخلاص .

وكان جمع القبة للطرازات الفارسية والرومية وغيرها نموذجا ساطع البيان على طريقة الاسلام وأهله فى الابقاء على كل علم نافع ، والاقبال على اقتباس كل مفيد ، وهى ناحية من أبرز نواحى الحضارة التي جمعت خيرات الذهن البشرى ، وكرمت كل نتاجات العلم السالف ، وجنحت الى دولية مطلقة فى الجانب المادى من حضارة البشر ، وان كانت قد صبت ذلك كله فى قالبها هي ، واثبتت عليه شارتها هي ايضا ، آلا وهى شارة التوحيد .

وفى وسع المرء ان يحشد استشهادات واقتباسات من اقوال علماء ورحالين وفنانين ، شرقيين وغربيين ، مسلمين وغير مسلمين ، عقدت روعة البناء ، ودهشة الرؤية العجيبة ألسنتهم ، فأتفقوا باجماع على ان هذه القبة أعظم آثار البناء فى تاريخ الانسان حتى هذا الزمان .

فى عهد المأمون

ثم نجد الخطوة التالية بعد عبد الملك أعظم الامويين ، تجيء فى عهد المأمون أعظم العباسيين .

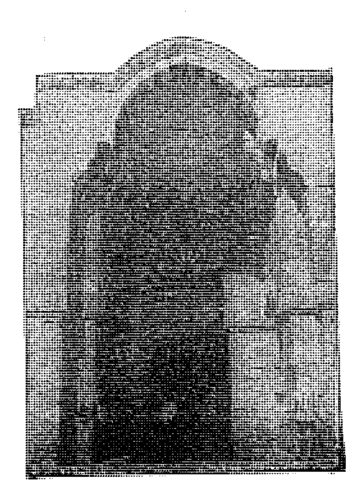
كان هناك مئة وخمسون سنة بين الرجلين الماجدين ، وهى فترة تكفى لاظهار أثر الامطار والرياح وعوامل التعرية والتفتيت فى البناء .

ويبدو أن المأمون قد بذل فى الترميم من الجهد ما جعله أو جعل رجاله ، يرى أو يرون له من الحق ما يضع اسمه فى مكان عبد الملك حيث يوجد ، ولكن البقعة التي شهدت حقا من اسطع الحق فى التاريخ يأبى لها الله الحق الا ان تظل تحمل اسم عبد الملك .

ولقد كان المسلمون وما يزالون يواجهون تحديات الزمن المتواصلة لكل من مسجد الصخرة ، والمسجد الاقصى متمثلة فى فعل الرياح والامطار والزلازل والحرائق والتآكل الطبيعي بحيث اصبح من الواجبات الطبيعية لكل جيل من المسلمين ، ولكل دولهم فى منطقة الشرق الادنى خاصة مواصلة الاهتمام والترميم ، ومعالجة ضروب التشعث والشقوق ، وآثار تسرب الرطوبة فى الاسس والاعمدة .

المسجد الأقصى

وكانت هذه التحديات فيما يبدو اشق بالنسبة للمسجد الاقصى المبارك الذى بدىء بعمارته فى



عهد عبد الملك أو فى عهد الوليد ابنه ، وعلى نفس الموقع الذى كان يقوم عليه مسجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وسبب المشقة هنا اتساع رقعة المسجد ، وانفساح مسافات عقوده ، بحيث تفعل الزلازل فعلها الشديد غير مرة واحدة فى شق العقود والزام المسلمين بأعادة البناء ، ومحاولات التضييق والتوسيع من مساحات المسجد ، كما حدث فى عهد المهدى الذى اعاد بناء الاقصى بعد أن أنقص من الطول وزاد فى العرض ومع ذلك فقد اعادت الزلازل كرتها على المسجد ذى الرواق الاوسط الضخم الامتداد بحيث احتاج الفاطميون ان يعيدوا البناء كرة اخرى .

واذا كانت الابنية الخارجية فى باحات الحرم الواسعة ، ومصاطبه ، والدور المحيطة به ، تستفز همم بعض المسلمين على مدى العصور للاسهام على قدر الطاقة فى الزيادات والاستحداثات ، ومختلف اشكال التسهيل المعيشي على سدنة الحرم ، والمصلين الذين يعمرونه ، فى كل وقت من اوقات الصلاة ، وكذلك على طلبة العلم والوافدين والمجاورين والمعتكفين ، فليس ذلك شأن القبة من فوق الصخرة ، ولا شأن العقود الضخمة فوق اروقة الاقصى .

عناية خاصة

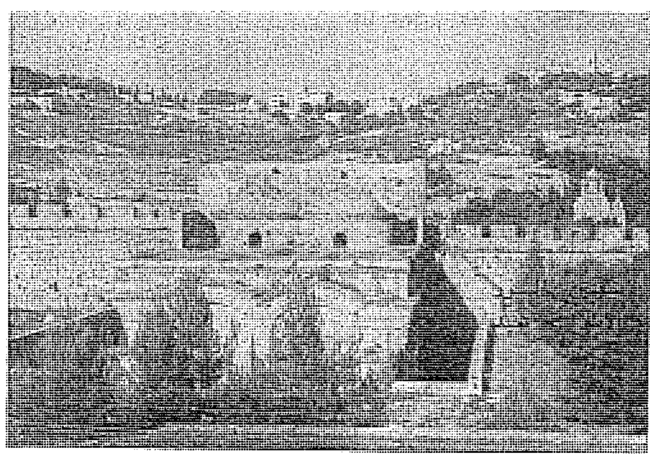
لقد كان الحفاظ على هذين الموقعين كان وما زال يعتبر شيئا لازما لزوم الحياة للمسلمين ، بل ان اعزازهم لقبة الصخرة واعتزازهم بهما ليفوقان حد الوصف ، وقد وردفى غير مصدر واحد من المصادر الكثيرة التي اقتصرت على بحث هذا الاثر الخالد ـ ان المسلمين ظلوا فترات طويلة وفى كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران ، ويمزجونه بالورد والمسك ، ويدعون المزيج ليختمر فى الليل ، حتى اذا طلع الصبح ، أمروا السدنة والخدم ، فدخل هؤلاء الحمامات فأغتسلوا وتطهروا ، ثم أتوا مسجد الصخرة حاملين ذلك الورد والمسك ، ثم أتوا بمجامر العود والند ممزوجا بالمسك والعنبر وباشروا غسل الصخرة ، ثم يطوفون بالبخور على الاعمدة قبل أن ينادوا : أن قد فتحت الصخرة للصلاة .

لقد كانت مختلف ينابيع الفنون الاسلامية ترسل احسن نتاجاتها لخدمة الصخرة والاقصى ، وكان اروع المهنيين اقتدارا يجدون فرضا عليهم ان يهبوا افضل ثمرات خبراتهم ومواهبهم لذلك الاثر الخالد ، أو ما حوله ، ويشترك فى هذه الحملة البناءون . والنحاتون ، وقاطعوا الرخام ، والصاغة والنقاشون ، والخطاطون والمزخرفون واصحاب الحرف الخشبية على اختلاف اشكالها ، وصناع الزجاج ومزخرفوه ، والدهانون والملونون، وحفار الآبار والمبلطون ، واصحاب الحرف التزيينية : من تشجير وتنميق وتطعيم وتلبيس ، وصهرة الرصاص وصانعو اللباد ومهندسو الاروقة والقباب ، والمهرة فى صناعة الفسيفساء ، والخبراء فى الجص وتثبيت الاسس ، وتوزيع الاثقال على الاعمدة وبناء المحاريب والاروقة .

كل ذلك ظاهرة آثاره ، وأكثر الكثير منه لا يزال قائما حيث وضع ، أو رمم مرة بعد مرة ، وبعضه محفوظ فى المتحف الاسلامي المجاور للاقصى ، واشياء كثيرة ضاعت او انتهبت فى فترة الاحتلال الصليبي الغاشم .

وصف مجمل للصخرة والأقصى

الداخلون عبر اسوار القدس ولا سيما من الشرق والجنوب تطالعهم وسط الافنية الرحيبة قبة الصخرة الواقعة وسط واحد منها مرتفع عما جاوره يهبط منه الهابطون على الادراج من الغرب والجنوب ليتصلوا بأبواب الاقصى او ساحاته . ينيف ارتفاع القبة على اثنين وثلاثين مترا أو ما يساوى ثمانية طوابق من الابنية الحديثة ، ويقارب محيط دائرتها الاربعة والستين مترا .



معتكف الامام الغزالي فى حجرتين ... عند أقصى الجـانب الجنوبي ... النظرة مفعمة بصنوف التأملات .

وهي مؤلفة من طبقتين من الخشب القوى ، الخارجية منها مكسوة بصفائح من الرصاص ، والاخرى داخلية منقوشةنقشا عجيبا منالفصوص الملونة من الذهب بشكل زخارف عربيـة تخلب الالباب وفى أعلاها — قريبا من القمة — آيــة الكرسي مكتوبة بأستدارة تصل الى غاية الاتقان والفـن .

وتحت القبة : الصخرة المشرفة . يحف بها « درابزين » خشبي ، منقوش ومدهون ، ويوصل الى المغارة من تحتها بأحدى عشرة درجة ، حيث يقوم محرابان وصفتان . وينظر الرائي الى أعلى فى المسجد الواقع بين درابزين الصخرة والبناء المثمن المحيط بها فيرى القبة الشـامخة ، على كرسي ذى نوافذ زجاجية باهرة الاشكال . وهو بدوره ينهض على اثنى عشر عمودا رخاميا واربع قوائم مربعة . طول كل ضلع من اضلاعها ثلاثة امتـار .

وللبناء المثمن ست وخمسون نافذة منها أربعون مفتوحة . وهناك التثمينة الداخلية التي يرتكز عليها السقفوهيمحمولة على الاعمدةوالاسطوانات ويضيق الوصف ذرعا بتفصيلات زخارف الاعمدة والنوافذ ، وانواع الزخارف والسور القرآنيـة المكتوبة بأروع الخطوط . والتثمينة الخارجيـة لبناء المسجد ، أدناها الى الارض مغطى بالرخام ، واعلاها مكسو بالقشاني البديع منقوشة فيه سورة « يس » بخط ثلثى ضخم على أفريز بارز باهـر الـرواء .

وللمسجد اربعة ابواب هائلة مكسو خشـبها بصفائح الرصاص ، وأمام الباب القبلي المواجه للاقصى رواق مفروش بالرخام يقابل الداخل منه عن اليمين المحراب وفى مواجهته دكة المؤذنين ، وفى



قبة سليمان فى أقصى الشرق من ساحة الحرم القدسي حيث يهيمن هدوء روحي عجيب وسط اشجار قديمة ويأوي العابدون فى وحدة مفعمة بالتأملات فيما كان ويكون على مقربة من السور الذي يحيط بالقدس .



كل زاوية وحنية ، وأينما اتجه البصر ، هنالك كل شيء يحمل آيات من بدائع الفنون الهندسية والنقشية ، بما لا يغني عنه وصف ، ولا يسد مسده كلام ولا بيان .

المسجد الأقصى

اما المسجد الاقصى المبارك فيقارب طوله الثمانين مترا ، وعرضه خمسة وخمسون مترا ، وينهض سقفه على ثلاثة وخمسين عمودا ، وتسع واربعين سارية مربعة ، وهي مكسوة بالرخام البديع التعريق ، وفى صدر المسجد قبته المصنوعة من الخشب المتين ، الموشاة من الداخل بالذهب الملون ، والمكسو خارجها بصفائح الرصاص . ويرجح انها صنعت فى عهد الخليفة المهدى العباسي ، ثم رممت فى عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ثم جددت فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أما اعمدتها الحالية فقد وضعت منذ حوالي الاربعين سنة فقط .

منبر تاريخي ثمين

ومن أروع ما فى المسجد الاقصى منبر نور الدين زنكى القائم حاليا بكل بدائع الترصيع بالعاج والابنوس فى خشبه المتين ، وكان صلاح الدين الأيوبي قد نقله بعد الفتح من حلب حيث كان السلطان الشهيد قد توفى قبل تحقيق تلك الامنية. وبقرب المنبر المحراب الهيب ، وفى مقابله دكة المؤذنين القائمة على عمد من الرخام ، وهناك مجموعة اخرى من المحاريب البديعة البناء منها : محراب عمر ، ومحراب معاوية ، وللجامع أحد عشر بابا منها واحد خاص بدخول النساء الى مصلاهن ، وينتهى المسجد فى غير جانب واحد منه بجوامع : يدعى احدها جامع عمر وهناك امور وروائع لا تستطيع هذه العجالة الاحاطة بها ..

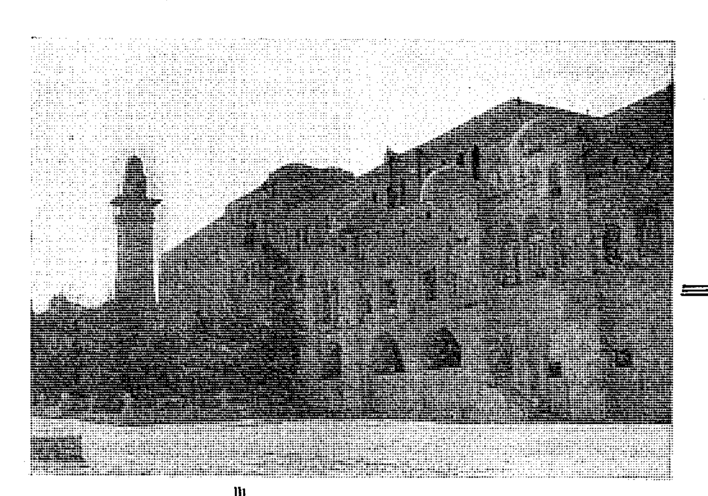
حول المسجدين

يتوسط مسجد الصخرة المشرفة فناء رحب تبلغ ابعاده ما يتراوح بين ١٧٠ مترا و ١٩٠ مترا ويوصل اليه من جهاته الاربع بأدراج يعلو كلا منها قنطرة بديعة يجاورها محراب او محاريب ، ويرجع بناؤها الى عهد المماليك ولا سيما قلاوون او الى عهد العثمانيين على تفاوت بين ايام السلطان سليمان وعبد الحميد وهناك مجموعة من القباب وبيوت بأطراف الفناء لموظفي الحرم وسدنته ، كما تنتشر القباب فى افنية واطراف المصاطب حتى تتصل بالسور من الناحية الشرقية ، ونذكر على سبيل التعريف لا الحصر قبة السلسلة التي لا تبعد سوى بضعة أمتار عن مسجد الصخرة نفسه وفيها صفان من الأعمدة الحسناء وقبة المعراج غربى المسجد ، وقبة يوسف والنحوية والشيخ الخليلي والخضر وموسى وسليمان واما المصاطب فمنها مصطبة العشاق (التي يظن انها اكتسبت هذا الاسم ايام ازدهار الصوفية) ومصطبة الكرك ومصطبة علاء الدين البصيري .

وعند منتهى اطراف الافنية والمصاطب من كل جهة هناك مآذن المسجدين الاربعة ثم الاروقة المتصلة الممتدة على معظم جهات الحرم فيما عدا الشرق ومن فوقها العمائر التي حفلت بالمدارس مئات السنين حتى خبا نور العلم فى الفترة المظلمة وتحول كثير من الاروقة الى سجون او ملاجىء للمحاويج والعجزة والنزلاء .

اما الابواب العامة للحرم والمحيطة به فهي عشرة مفتوحة واربعة مغلقة وحولها وفيها آثارها ونقوشها وكتاباتها ومن الابواب المغلقة فى الشرق باب الرحمة وباب التوبة وفوقهما الزاوية التي اعتكف بها الغزالي اعتكافه المشهور.

وفى مختلف اطراف الحرم سبعة وعشرون بئرا بعضها معطل خرب .



فى الجانب الشمالي المطل على باب الأسباط تلتقي الأروقة والمآذن والمحاريب ومواقع المدارس التي طالما حفلت بطلبة العلم من أبناء المسلمين من كل مكان .
كل شيء يحتفظ بجلال وعظمة الصناعة التي تمت بتقديس وحب وتقرب الى الله تعالى .

بين الماضي والحاضر

يطول الحديث بلا ريب لمن يريد ان يستقصى الحقيقة كلها عن آية الاسلام الخالدة فى القدس ، فلقد كتب الكثير وما يزال يكتب على مدى الايام ، وانك لواجد مؤلفات مستقلة عن الموضوع كتبها مسلمون واجانب ، كما تجد شذرات مستفيضة فى ثنايا الكتب منذ القرن الرابع الهجرى وهناك غير مخطوط واحد عن فضائل القدس وغير مطبوع واحد عن المسجد الاقصى ، وغير كتاب عن الرحلات الى الاقصى وحسبي ان اشير من المؤلفين الى ابن عساكر ، وابن الجوزى ، واحمد بن ابي بلد المقدسي ، وابن هبة الله الشافعي ، وصاحب مسالك الابصار ، والسلوك لمعرفة دول الملوك ، وكتاب الانس الجليلللقاضيمجير الدين الحنبلي، ومن الاجانب الى رينشموند ولويس وفرجوسون وولسون وورن وغيرهم .

ومع ذلك فلا يغنيك عن المسجد الذى تشد اليه الرحال خبر عن عيان ، ولا يسد مسد الحقيقة غير الزيارة والرؤية ، وليس الغابرون الذين كانوا يتجشمون الاهوال فى رحلاتهم الى القدس بأحق منا فى عهد الطيارة والسيارة .

كل شيء يشير الى ان الصخرة والاقصى كانا كانسان العين عزة ونفاسة وكرامة حينما كانت الروح الاسلامية قادرة على الكشف عن ابعاد حماستها وعلاقتها بالله فى شكل الاعمال المنفذة دون الاقوال المنمقة .

ولكن الانصاف يقتضيني ان اقول بأننا ننهض اليوم من حفرة لم ننحدر اليها بأرادتنا او ملك انفسنا ، وانما هي حفرت وتهيأت دواعى السقطة فيها فى الفترات الحزينة من تاريخنا ، فقد كان لا بد تحت رواق الجهل والتقليد ، والخمول والتواكل البليد ان تتبدل الاشياء من حقائقها ثيابا من التمويه السطحى الواهن الذى يشبه الاصبغة الكاذبة على الوجه المروض .

وليست محنة الاسلام فى التوقف عن الاضافات والعمائر الجدد والترميمات فحسب ، وانما هي فى الوهن الذى اصاب حركة الروح التي حفظت الاقصى والصخرة مركزين للاشعاع المستديم ، والبحث الجاد ، والعبادة المتصلة ، وجعلت منهما قلب العقيدة الذى يحرك بدمائه الفوارة دفعة واحدة مشاعر المسلمين فى كل مكان يحيون فيه تحت الشمس .

ولقد كانت لفترة الانحطاط فجائع ووجائع ، كثير منها ما نلحظه اليوم عيانا ... لقد يفتت القلب اسى انك قد ترى المسجد عامرا بمئات الالوف من الخلق فى جمعات رمضان ، ثم تزوره ذات ضحى فى فصل شتاء فلا يغشاك الا سكون رهيب يهيمن على الافنية الفساح والاروقة الواسعة ، بل حتى الجامع نفسه ما تسمع فيه غير دبيب بعض اقدام الأذنة او المسترزقين ...

وتسائل النفس ، وكبدك توشك ان تتصدع من الاسى اين همهمات الدارسين، وهينمات العابدين ، وحركة الفقهاء والمتعلمين .. اين الركع السجود ، ومن شغلهم التهجد عن الهجود .. اين المركز الحافل بالالوف الالوف .

ثم قد تزور فى وقت غير ذلك الوقت ، فاذا بعض حركة وحياة ، ولكن اية حركة واية حياة !! ان طائفة ممن توشك ان تأنس بهم يشعرونك انهم اصبحوا محترفين لا علماء ، موظفين لا متطوعين ، وطائفة اخرى اهمتهم الخرافات ، وشغلتهم اوهام الجهل الموروث فعدوا على دينهم مع عداته ، يعظمون الحجارة وينسبون لها ما لم يقم عليه دليل فى هدى او كتاب منير .

والدمع يغشى العيون وانت ترى البون الهائل بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون .

نظرة هناك عند الكأس فى المتوضأ تجد صنوفا من الوان الناس يتآخون فى العبادة بغير تعاظم من احد ولا تصاغر فى سواه .. اخوة بكل معنى الاخوة ينتظمهم خط من نور الاسلام ما كان له ان يخبو نوره برغم سواد المصائب ومعتم الحدثان .

ومع ذلك فعلى بعد امتار ترى زمرة من العميان يكررون آى القرآن ويلتمسون بالهذرمة قروشا بخسة واخرين يستمنون المار ويتعلقون بثياب الغريب .

لقد فعلت عصور الجهل فعلها المخرب الفادح .

لم تبل فى الواقع سقوف الخشب التي اعيد مؤخرا تجديدها بسهولة فحسب ، ولم تبل الدعامات وصفائح المعدن ، وانما تعطلت قوة الدفع وآلة التطوير المستمر فى الروح التى ينبغى ان تعمر الاقصى والصخرة وما حولهما بما ينبغى ان تعمر به من علم وفقه واجتهاد .

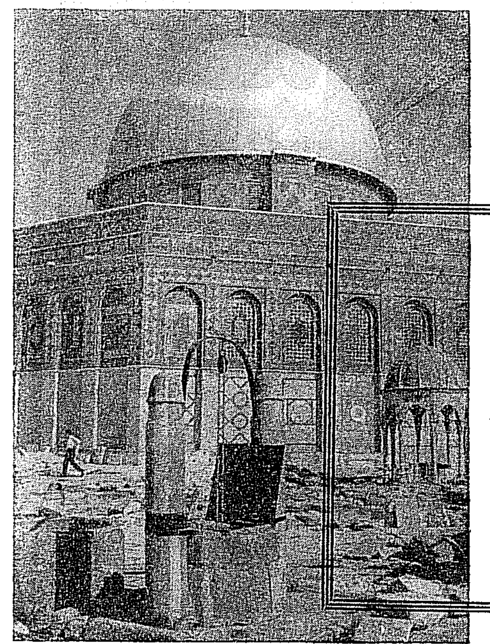
لقد كان كل ما للعقل فى حياة المسلمين قد انحدر الى القلب ، فكانت هناك دفقات عواطف ، وتواجدات تصوف ، ولكن الاسلام دين ينهض على دعامتين من العقل المستنير والقلب الطهور ... ولقد يصح ان يقال ان جانب العقل آخذ فى الظهور ، ولكن جانب القلب فى ضمور ... ولا يمكن ان نصل الى ما نبتغى بغير احسن التآخى بين الامرين .

أول الغيث

تشاء ارادة الله القدير ان يستيقظ المسلمون على ما اصاب الحرم القدسى فى عمائره ومدارسه وقبابه وعمده من تلف فى فترة من اقسى فترات التحدى التى واجهوها فى تاريخهم وهى فترة الغزو الصهيونى المعزز بالعدوان الاوروبى المقنع على ديارنا وكراماتنا ومقدساتنا .

وعلى ما لقيه ويلقاه سكان البلد المقدس من بغى غشوم وعدوان اثيم كان منه اصابات القنابل التي لحقت بمسجد الصخرة ، وبعض الابنية والأفنية ، وعلى الرغم من نكبة النكبات فى تشريد الآمنين ، وترويع الاهلين الوادعين ، واقتطاع معظم رقعة الارض فى فلسطين ، الا ان الجهود بدأت منذ اربعين سنة تندفع نحو اداء الواجب الاقدس فى البلد الكريم وحرمه العظيم .

وقد بدأت حركة الترميم فى الاقصى الشريف ثم شملت اخيرا قبه الصخرة



مشهد فى غربي مسجد الصخرة المشرفة يظهر فيه بوضوح تجديد كتابة سورة يس على الافريز المكسو بالقاشاني الأزرق .

لاحظ البئر القديمة والحوض حيث يستقي الماء بواسطة الرافعة المثبتة على البئر .

فى الحرم ٢٥ بئرا عاملة كلها من نفس الطراز .

ومسجدها المباركين ثم هى الآن آخذة سبيلها فى أفنية الحرم وباحاته .

ويستطيع المرء ان يستشف الكثير من حماسة المؤمنين فيما هو جار من اعمال يستطيع ان يتلاقى مع غير ظاهرة واحدة من ظواهر الروح الجبارة المندفعة ، التى تطلع من غشاوات الليالى والاحزان طلوع بدر التم من متكاثف الغمام .

وكذلك شرع فى نواة متواضعة للغاية بأنشاء معهد القدس الدينى ولكن الطريق وان استؤنف السير عليها طريق طويلة مفعمة بالتحديات ، والفرص الضخام لجلائل الاعمال .

لقد ذكرت حجة الاسلام الغزالي فى غير موقع واحد من هذا المقال ... لقد شهد الرجل اول امارات الوهن الذى اصاب حماسة المسلمين فى اعزاز الحرم القدسى .

ولقد بكى الغزالي فيما يقال لانه لم يجد فى الحرم الا ثلاثمائة وستين مدرسا .

واذا كان ابو حامد بكاها دموعا سخينة فاننا حقيقون بدمع ساجم من دم .

ان المساحة التى يشغلها الحرم الشريف لاتزيد الا قليلا على ستة وعشرين الف متر مربع ... أفلا يستطيع المسلمون ان يملأوها عمرانا . ويعيدوا كل حنية وزاوية فى ارجائها معرضا لكل العظمة البسيطة فى توحيدهم الذى تخرج فنونه للانسان فى الارض كل آيات العظمة الطهور السائفة .

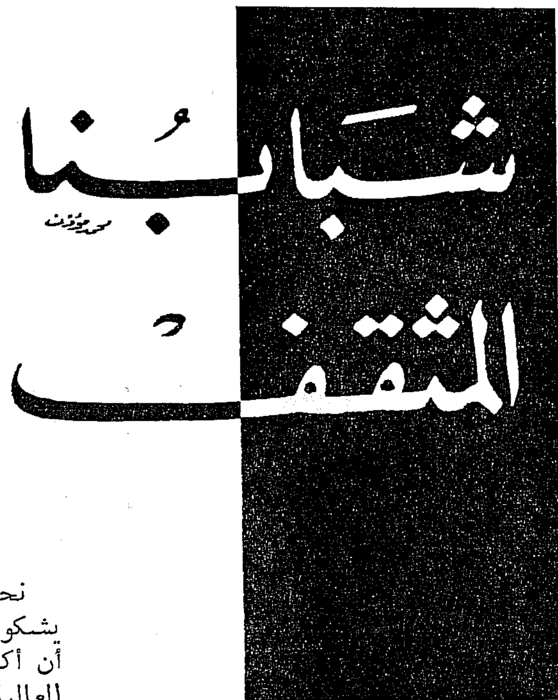
ثم السنا اليوم فى معركة مع العدوان الباغى ؟

وفى معركة مع الافكار المظلمة ؟

اليس الحرم القدسى مركز الاشعاع الخالد الذى ينبغى ان تنطلق منه حركة التجديد الاسلامى فتية جبارة لاسعاد الناس فى الارض ؟

فالى كل مسلم فى أرض الله الواسعة .

وحيثما شرقت هذه المجلة أو غربت ، وحيثما أغار بها الركبان وانجدوا ، انادى كل مسلم واناشده ان يسأل نفسه : اين موقعه فى أرض المعركة المستعرة حيث الاسلام يصارع آخر امواج التحديات العنيفة ليثبت بحول الله حيويته المتجددة الى آخر الزمان .



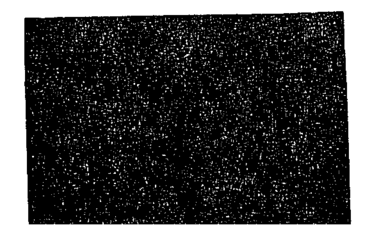
أمام الايمان والتدين

لفضيلة الشيخ
نديم الجسر
لبنان

نحن امام ظاهرة اجتماعية خطيرة يشكو منها العالم الاسلامي بأسره ، هي أن أكثر شبابنا المثقف بالثقافة العلمية العالية هم أقرب الى الالحاد ، وأن القلة المؤمنين منهم أميل الى اهمال العبادات والشعائر . هذه الظاهرة بدأت مع عصر النهضة العلمية فى بلاد العرب والاسلام ، وأخذت تزداد خطرا كلما ازدادت النهضة انتشارا وازدهارا ، وقد منيت بالفشل كل المحاولات التي قام بها المصلحون فى سبيل معالجتها .

ولكى نتوصل الى دراسة صحيحة لاسباب هذه الظاهرة المزدوجة المتجلية بالالحاد واهمال الشعائر ، علينا أن ندرس شخصية شبابنا ، والمحيط الذى يعيشون فيه ، والافكار التي تغزو عقولهم ، فشبابنا فى عقله وجسده وميوله واخلاقه يقف حائرا مرتبكا بين عدة تيارات : سلطان العقل . اوهام العقل ، سلطان العلم . اوهام العلم . سلطان الجهل بحقيقة الاسلام . عدوى الملحدين . كيد المستعمرين . أخطاء المستشرقين والمؤرخين . العقد النفسية . فساد المحيط .

هذه اسباب ظاهرتنا الغريبة ، نراها كثيرة معقدة ومتشابكة منها الخارجي ، ومنها الداخلي المحلي ، ومنها العقلى ، ومنها النفساني ، ومنها الذى يستشرى



فى قطر أكثر من قطر آخر ، ومن كل هذا التعقيد والتشابك والتنوع والظهور والخفاء ــ كان الفشل فى العلاج ، فما لم نقنع شبابنا بأن الايمان بالله هو من اصدق واوجب احكام العقل ، ومالم لم نقنعهم بان قضايا الدين لا تتناقض مع العقل ولا مع العلم لن يكونوا مؤمنين ، ومالم نيسر لهم التربية الصالحة ، والمعرفة الميسرة والقدوة الكريمة لن يكونوا عاملين .

سلطان العقل فى الاسلام

ان مزية الاسلام هو أنه قد جعل للعقل السلطان الاعلى فى فهم النصوص المنزلة هذا العقل الذى امرنا الله فى آيات كثيرة من القرآن امرا قاطعا ان نحتكم اليه عند جدلنا مع انفسنا فى معركة الشك ــ واليقين ، وعند جدلنا مع غيرنا من الملحدين والمشركين ، يشمل بسلطانه كل معنى فى الوجود ، ابتداء من أبسط الامور ــ كاماطة الاذى عن الطريق الى اعظم معنى فى الوجود وهو الالوهية والوحدانية ، وليس فى الاسلام ايمان يتناقض مع العقل ولا نص يتناقض مع العقل ، فكل نص يوجب ظاهره تناقضا عقليا فى الذهن يتحتم علينا تأويله تأويلا يرتفع به التناقض العقلي .

أوهام التعقل

لابد لي قبل أن اضرب الامثلة على سلطان العقل فى قضايا الايمان والدين ان اكشف النقاب عن أوهام التعقل مبينا الفرق :

١ : ــ بين المستحيل العقلي والمستحيل العادى .

٢ : ــ استحالة التعقل وصعوبة التصور .

٣ : ــ بين حكم عقلي عام تتفق عليه كل العقول السليمة ، وبين نظرة فردية خالصة تختلف بشأنها العقول السليمة .

٤ : ــ بين الحقائق العلمية والمقطوع نهائيا بصحتها ، والاراء العلمية غير المقطوع نهائيا بصحتها ، والتي تبزغ وتظهر على مسرح التفكير حقبة من الزمن ثم تخبو الى الابد .

ان الخلط بين هذه الحقائق والفوارق هو من اوهام التعقل التي يقع فى اغاليطها كثير من الناس ، حتى المثقفون بأعلى الثقافات ، فمن الواجب على الشاب الذى يدخل فى جدل مع نفسه ، أو غيره، حول اية قضية دينية أن يقف تمام الوقوف على هذه الفوارق كي لا يقع فى أوهام التعقل .

فالمستحيل العقلي هو الذى يوجب تصور وجوده او تصور عدمه تناقضا عقليا فى الذهن كقولنا : الواحد نصف الثلاثة أو الجزء أكبر من الكل . أما المستحيل العادى : فلا يوجب تصور حصوله او عدم حصوله تناقضا عقليا فى الذهن ولكن جرت العادة ان نعده مستحيلا فى العادة : كخرق النواميس الكونية بالمعجزات الالهية . كذلك نقول عن الفرق بين استحالة تعقل الشيء وبين صعوبة تصوره : كم من حقيقة يمكن تعقلها ولكن يصعب على الذهن تصورها : كعدد ذبذبات الصوت التي اثبت العلم انها قد تبلغ بالحساب الدقيق القاطع الى نصف مليون ذبذبة فى الثانية فيمكن تعقل هذه الحقيقة ولكن لا يمكن تصورها مطلقا فى الذهن لاننا مهما جمعنا خيالنا وركزنا لا نستطيع ان نتصور ان

* ملخص البحث الذى ألقاه فضيلته فى المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامي الذى انعقد بالقاهرة فى شهر المحرم الماضى ، وقام بالتخليص مندوب المجلة فى القاهرة .

ثانية من الزمن تتسع لنصف ـ مليون ذبذبة ولكـن يجب ألا تحملنا صـعوبة التصور على القول باستحالة التعقل فما كل شيء يصعب تصوره يكون مستحيلا عقلا ولا كل معقول يسهل تصوره .

كذلك نقول عـن الفرق بين النظـر العقلي العام الذى تتفق على صحته كل العقول السليمة بلا خلاف وبين النظرة ـ الخاصة التي تختلف فيها العقول . فلا يقولن الشـاب اثناء الجدل العقلي على قضية من قضايا الدين : هذا رأيي وهذا عقلي لاننا نقول له : عقلك وحدك ليس حجة على الحكم الصحيح ، ولكن اتفاق كل العقول هو الحجة .

كذلك نقول عن الفرق بين الحقائق العلمية المقطوع عقليا ونهائيا بصحتها ، وبين الآراء والنظريات العلمية الظنيـة المرجحـة التي لم يقم دليل قاطع على صحتها ويحتمل ان تظهر ادلة جديدة تنفي صحتها وتوجب بطلانها ، والامثلة كثيرة ـ كروية الارض ، حركة الشمس ، الجاذبية الكهربائية ، اوهام التاريخ التي تلبس ثـوب الحقيقة القاطعـة ، فعلى الشـباب الا يبنـوا آراءهم النهائيـة وجـدلهم فى انكار القضـايا والاخـبار الدينية على اساس آراء علمية خاطئة او ناقصة ، يظنونها حقائق علمية ثم يظهر لهم بعد ذلك ان هذا الاساس الذى بنوا عليه جدلهم وجحودهم والحادهم ، هو اساس باطل ، تعبوا فى البناء عليه ، ثم لما ظهر الحق خر البناء من القواعد .

أمثلة على سلطان العقل فى الاسلام

١ : ـ قضية وجود الله الخالق لهذا الكون : هي حقيقة ذكرتها الكتب المنزلة، وعند عرضـها على العاقل ، نجـد أن اقرارها لا يشكل تناقضـا عقليا ، بـل انكارها هو الذى يشكل تناقضا عقليا ، لانه يجعل العالم الممكن الحادث المعلول موجودا ـ بغير علة ولا فاعـل ، وهـذا مستحيل يشكل تناقضا عقليا فاضحا ، او يجعل المعلول عين العلة ، هذا ايضـا مستحيل يشكل تناقضا عقليا فاضحا ، وعـن هذين المستحيلين عـبر القرآن بقوله : أم خلقوا مـن غير شيء ، أم هم الخالقون ؟ .

٢ : ـ والوحدانية حقيقة ذكرتها كل الكتب السـماوية : وعند عرضـها على العقل نجد ان اقرارها لا يوجب تناقضا عقليا بل القول بتعدد الالهة هـو الذى يشكل تناقضا عقليا .

٣ : ـ قضية المعجزات التي ذكرتها الكتب السـماوية : وعند عرضـها على العقل لا نجد ان تصور حصولها يوجب تناقضـا عقليا ، بل ادعاء اسـتحالتها اسـتحالة عقلية لا عادية ، هـو الذى يوجب تناقضا عقليا عند من يؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق النواميس ، لان المعجـزات هـي خـرق النواميس الكونية ، وهـذا الخـرق مستحيل فى العادة ولكنه غير مستحيل عقلا لان الذى خلق النواميس قادر على خرقها ، ونحن نستنكر تفسير المعجزات الالهية تفسيرا علميا لان هـذا التفسير يفقـد المعجزة معناها ويرد الشباب المثقف الذى نريد حمله على تصديق المعجزة الى نكسـة عقلية فى معجزات يستحيل تفسيرها على اساس علمي .

٤ : ـ قضـية البعـث التي ذكرها وأكدها القرآن : عند عرضها على العقل لا نجد ان تصور حصول البعث يوجب تناقضـا عقليا ، بـل القول باستحالة حصول البعث هو الذى يوجب تناقضا عقليا ، لان البعث هو خلق جديد ، والذى خلق الانسان اول مرة قادر على اعادة خلقه بل هو اهون عليه .

تيسير الفهم والتفهم

أن تيسير فهم النصوص ، وفهم حكمة احكام الدين ، له أثر كبير في جذب الشباب المثقف نحو القيام بالعبادات والشعائر ، وشبابنا مسدودة في وجوههم اسباب هذا التيسير للفهم من كل النواحي : في البيت ، في المدرسة ، بالكتب الضخمة التي يجفل الشباب من مجرد رؤيتها بل يعسر فهمها حتى على بعض علماء الدين ، ومسدودة بجمود كثير من المسلمين المرشدين الذى يقابلون كل سؤال بغضبة ، وكل استفهام بلعنة ، وكل بحث عن المعقول بالتكفير ، وأضرب على عدم تيسير الفهم مثلا بسيطا : فهذا القرآن الذى يخاطب العرب بقوله : ((انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)).

فيه أكثر من ألف كلمة عربية لايعرف شبابنا المثقف معناها اللغوى ، وهو يسمعها فى كل يوم وليلة من الاذاعات فكيف الحال مع غير العرب ؟

يجب ان نضع بين ايدى الشباب كتبا دينية واضحة سهلة جذابة وان نقيم على تعليمهم فى المعاهد اساتذة يحسنون الفهم والتفهيم ، ويدركون اساليب التربية الفنية ، ولهم صدور واسعة ، وعقول نيرة ، وثقافات تتناسب مع ثقافة الشباب المعاصر .

المثقفون والخرافات

ومن اعظم ما ينفر الشباب المثقف من الدين تلك البدع والشوائب والخرافات التي الصقت بالاسلام وهو براء منها ، وليس ادل على بعد الاسلام وترفعه عنها من هدى القرآن والسنة الصحيحة ، وهما المنبعان الاصيلان ـ للتشريع فاذا تصفح الشباب القرآن وجدوا انه فى كل سورة بل فى كل صفحة يعلى كلمة الحق ، ويجعل العقل اليه هاديا والعمل عليه دليلا ، والعلماء عليه شهداء ، ويحذر من الظن الذى لا يغني عن الحق شيئا ، ويستهزىء بالخرافات والاساطير ، ويفصل فصلا صارما بين الالوهية والبشرية ، ويخوف اشد التخوف من الشرك الخفي ، ويجعل صلة العبد بالله من غير وسيط .

واذا تصفح الشباب السنة الصحيحة وهي هدى الرسول قولا وعملا ، وجدوا أنه عليه السلام كان ابعد الناس عن اوهام الخرافات ، واشدهم انكارا للتنجيم والعرافة والشعوذة والاستجارة بغير الله ، كان اعظم الناس تبرأ من كل ما يرفعه عن مستوى البشرية والعبودية لله ، كان عليه السلام اكثر الناس ذكرا لله ولكنه لم يخرج عن سمت الوقار والاخبات الى هرج الطقوس والحركات والرقص ، وكان اعظم الناس زهدا وتقشفا ، لكنه لم يخرج فى زهده وتقشفه وتصوفه ـ اذا جاز هذا ـ التعبير ، عن بساطة الاخلاص الى تعقيد الرياء الذى سرت طقوسه الى المسلمين من الامم التى اختلطوا بها بعد الفتح .

عقدتا الكبت والتقنيط

من اسباب انصراف الشباب عن ممارسة الشعائر عقدتا الكبت والتقنيط، فالطريقة التي بها ساق الاب ابنه فى صغره او المعلم فى المدرسة ، الى اقامة الشعائر ، سببت له كبتا نفسيا جعله ينفر من الشعائر ، هذا الكبت النفسي ، يجب أن يحل محله التشويق والترغيب والايحاء والاستهواء بالنسبة للصغار ، أما الشباب البالغون ، فمن أهم اساليب

الايحاء لهم ان تعتمل الجماعات الرياضية والكشفية وأمثالها على ادخال اقامة الصلاة وصيام رمضان فى نظامها ، وأخيرا يجدر بنا ونحن ندرس عقدة الكبت ان نيسر لهم أمر التطهر بالماء وبغير الماء عند المانع كي يستسهلوا الصلاة ، ويتعودوا عليها (١) ، وأن نيسر لهم ايضا الجمع بين الصلاتين عند العذر اخذا لمذهب الحنابلة ، وفى هذا العصر عصر الكدح السريع المرير .

والشبان بحكم مرح الشباب وفورته وجموحه ولهوه ، لا بد ان تكون لهم مزالق فى حياتهم ، فاذا سمعوا من الوعاظ اهوال المنذرات تكونت فى صدورهم عقدة القنوط ، ولو ان الوعاظ اتبعوا نهج القرآن فى الترغيب والترهيب لفتحوا لذلك الشباب فى جدار يأسه كوة ينفذ منها الى الامل ، ويخرج منها الى التوبة .

ان الخطر الكامن خلف عقدة القنوط . هو أن تتكون عند الشباب المسترسل فى الالحاد والفساد لذة التنفيس عن نفسه بطرائق ثلاث : الجدل فى الالحاد ، الاستهزاء بالشعائر ، ثم جر الرفاق الى الانزلاق . ولقد سرت الى شبابنا المثقف عدوى التقليد بعد ان قرأ تاريخ النزاع الطويل بين المفكرين ورجال الدين فى اوروبا ، الذى انتهى عند بعض المفكرين الى الشك ، وانتهى عند الماركسية المادية الى الكفر والالحاد ، واحتقار الشعائر الدينية ومحاربة الدين ورجاله . ان شبابنا الذى فتحت فى تفكيره هوة من الفراغ بسبب ما يحمل فى راسه من غرور العقل وأوهام التعقل والجهل لحقيقة الاسلام ، وما يحمل فى صدره من عقد الكبت والقنوط أصبح بحاجة طبيعية لملء هذا الفراغ بأية فكرة تلائم نفسيته ، فانجرف مع تقليد الغربيين فى شكوكهم ثم زادته المشاكل الاقتصادية المعاصرة فراغا فانجرف مع تقليد الماركسية بشيوعيتها والحادها .

عقدة التخاذل والاستخذاء

وهي تظهر عند بعض الشبان الذين لم تتحمل رؤوسهم زهد الثقافة، فتخلوا باسم التقدمية عن شعائر دينهم وعزتهم الاسلامية فى آن واحد ، وهؤلاء المخاذيل ليسوا كلهم ملحدين بل قد يكونون فى قرارة إنفسهم من المؤمنين ، ولكن اذا ضمتهم المجالس والنوادى مع الافرنج والمتفرنجين اظهروا من باب التفاخر بالتقدمية العصرية انهم لا يبالون بشعائر الدين ولو كان احدهم منتسبا الى فرقة رياضية صغيرة ، او حزب سياسي هزيل او حزب عقائدى ملحد ، لرأيته يحمل شارتها ويرفع شعارها ، ويفخر بها ويدافع عنها ، ولكنه وهو المنسوب الى امة عظيمة لها فى تاريخها ما يرفعها فى كل مستويات المثل العليا فوق الامم يتعير منها ومن شعائرها وتقاليدها ، هذا الاستخذاء سببه جهل شبابنا للتاريخ ولو زعموا انهم قرأوه واجتازوا به الامتحانات بجداره .

وربما كان من اعظم اسباب ضعف الايمان عند الشباب سوء القدوة فى البيت والمدرسة والمسجد ، ذلك لان القدوة انما تبنى على الاحترام والثقة وما لم يكن للشباب فى قرارة نفوسهم احترام لرجل الدين وثقة بعلمه وخلقه قولا وعملا ، لا يمكن ان يتخذوا منه قدوة ، بل يكون غير الصالح من رجال الدين سببا لتجرىء الشباب على الالحاد ، وعلاج هذا الامر يحتاج الى اعداد جيل كامل من رجال الدين يتولى هو بدوره تخريج جيل من الاباء والامهات والمعلمين الصالحين للقدوة ــ لتستكمل الحلقة دورتها .

---

١ ــ فى حدود ما بينه فقهاء المسلمين الذين يعتد برايهم .

سلطان الرأى العام

ان اولئك المصابين من شبابنا بتلك العقد ، والذين بلغ الامر بهم الى حد اعلان الالحاد والاستهزاء بالدين ، واغواء الاخرين وتخذيل الامة ، هم مرضى ، يجب ان نعالجهم كما نعالج **كل الامراض النفسية ، والعقلية ، اى تارة بالايحاء والاستهواء والارشاد ،وتارة بشىء من القسوة ، وعلاج القسوة من عمل الرأى العام ، هذا الرأى العام الذى وضع به التشريع الاسلامي اعظم ركائز الاصلاح والزجر فى المجتمع ، فلو أن الرأى العام درج على اظهار الاستنكار والاحتقار للجاهرين بالالحاد لاحدث ذلك اثرا عظيما فى الاصلاح .**

واخيرا ... الايمان بالله ضرورة

ان اخر طرق العلاج مع الشباب المثقف ، بل اولها عند البعض ، ان نقنعهم بجدوى الايمان وانه ضرورة انسانية فى فلسفة البراغماتيزم اى فلسفة الذرائع . ان الفكرة انما تكون حقا لانها نافعة ، وانما تكون نافعة لانها حق ، وان الحق والنافع يعبران عن شيء واحد ، هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياسا للحقيقة ليست صحيحة في اساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها ، ولكننا نتخذ منها منطلقا لطرح السؤال الاتي :

هل نبدأ التفكير فى الحق اولا لنستخرج منه النافع ام نبدأ التفكير فى النافع الضرورى لنقول عنه انه حق ؟

ارى ان نبدأ بالثاني ولكن من اى جوانب النفع والضرورة نمسك خيوط الجدل مع هذا الشباب الذين تحيطبهم الشكوك فى الدين من كل جانب ؟

لا ريب انالبداية يجب ان تكون امرا نتفق نحن والشباب على انه « حق وضرورة » فما هو هذا الامر ؟ انه « انسانيتنا » التي يمكن ان يجادل الشباب فى كل شيء الا فيها .

يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير، ابن مسكويه ، ان المزية الوحيدة التي يتميز بها الانسان عن الحيوانات كلها هي « مكارم الاخلاق » . كأن يقال : ان الانسان يمتاز عن الحيوانات بمزية **واحدة هي ((النطق أى العقل)) . ولكن التحقيق العلمي أثبت ان الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيرا من امور معيشتها لذلك صار علينا ان نبحث عن مزية اخرى خاصة ، يمتاز بها الانسان عن الحيوان ، وبها يسمى انسانا ،وهذه المزية الخاصة هي الاخلاقية التي تنجلى بالضمير الانساني . وجاء ((دارون))بعد ابن مسكوية بعصور يقول : ان الضمير او الحي الاخلاقى هو أظهر فاصل يفرق بين الانسان والحيوان ، وجاء ((كانط)) يتخذ من هذا الشعور الاخلاقي منطلقا لاثبات خلود الارواح ويوم الحساب ووجود الله الحكم العدل ... هذا الضمير الاخلاقي انما يصونه الصيانة الكاملة شيء واحد : وهو الايمان بوجود الله الحكم العدل القدير .**

فتحقيق انسانيتنا ضرورة اجتماعية، وانسانيتنا لا تتحقق الا بأخلاقيتنا ، واخلاقيتنا لا تصان الا بالايمان ،فالايمان اذن ، امر ضرورى لانه يمسك اخلاقيتنا التي تثبت بها انسانيتنا .



-٢-

الغزالي والفلسفة :

درس الغزالي الفلسفة حتى أحاط بموضوعاتها ومقولاتها ، وهو يحدثنا في كتابه « المنقذ من الضلال » انه بعد فراغه من دراسة « علم الكلام » أخذ يدرس الفلسفة ، مؤمنا بأنه لا يستطيع أن ينقدها ، ويحكم عليها الا اذا وقف على منتهى العلم بها ، حتى يجاوز في هذا العلم ما بلغه أهلوها ، وأنه شمر عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب : دون استعانة بأستاذ ، وشغل نفسه بذلك في أوقات فراغه من التصنيف والتدريس ، وأنه اطلع على منتهى علوم الفلاسفة في أقل من سنتين ، ثم واظب على التفكير في الفلسفة بعد فهمها قريبا من سنة ، يعاودها ويرددها ، ويتفقد غوائلها حتى اطلع على ما فيها من خداع وتحقيق ، وتلبيس وتخييل اطلاعا لم يشك فيه .

---

(١) أنظر العدد الثالث

الأمام الغزالي ولد ببلدة « طوس » سنة ٤٥٠ هـ وسلك مسلك العلماء المبرزين ، وخلف لنا ثروة نعتز بها ونضعها في مقدمة تراثنا الاسلامي الفكري في شتى مجالاته حتى عرف بحجة الأسلام. وبعد أن طاف بالبلاد الأسلامية وأخذ من علمائها وبذل من علمه ، وافته منيته بالبلدة التي ولد فيها « طوس » سنة ٥٠٥ هـ .

« الوعي »

وألف الغزالي كتابه « مقاصد الفلاسفة » فكان عنوانا لهذا العلم الواسع بالفلسفة ، ثم ألف كتابه « تهافت الفلاسفة » فكان ضربة موجهة سددها الى أهل الفلسفة .

ولقد ألم الغزالي بالفلسفة اليونانية وبكثير من مسائل الفلسفة الشرقية ، وأدمن النظر فى كتاب « رسائل اخوان الصفا » وهي رسائل خطيرة فيها السم الزعاف ، ولولا أن حجة الاسلام كان من من كبار الاذكياء وخيار المخلصين لتلف.

وما دام أمر الغزالي مع الفلسفة هكذا فلا بد من حديث قصير يدور حول : « الغزالي والفلسفة » : ويزداد هذا الحديث وجوبا حينما نسمع الامام أبا بكر العربي يقول عن الغزالي : « شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقايأهم فما استطاع » . ويقول الامام ابن تيمية : « شيخنا أبو حامد دخل فى بطون الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر » ! .

وتقول طائفة من الباحثين الغربيين ان هناك صلة وثيقة بين الغزالي والقديس توما الاكويني صاحب كتاب « الخلاصة الفلسفية » ، كما يعقد بعض الباحثين مقارنةبينالغزالي والفيلسوف « أوجست كانت » ، لأن « كانت » كان يحاول بكتاباته اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية ، واصلاح الشئون السياسية ، وكذلك كان الغزالي يحاول بكتاباته اصلاح الحياة الاجتماعية عن طريق اصلاح الناس وهدايتهم الىالصراط المستقيم .

وقد أنكر الغزالي على الفلاسفة فى كتابه « التهافت » أمورا ضلوا فيها سواء السبيل ، منها ثلاثة أمور كفَّرهم بها وهى : قدم العالم : وأن الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات ، وانكار البعث والحشر . وليست هذه الامور هى كل ما أنكره عليهم ، فهناك ما يقرب من عشرين مسألة نقدهم فيها دون أن يكفرهم بها .

وهناك من يعتقد أن الغزالي لم يكن يعتقد مخالفة الفلاسفة فى جميع الآراء : وانما ظهر فى كتابه بمظهر المخالف لهم فى كل شيء « على طول الخط » لتزداد ثقة أهل السنة به . وهذا اعتقاد ينأى نأيا بعيدا عن حمى القبول ، فالظاهر أن الغزالي أراد بكتابه « مقاصد الفلاسفة » أن يشرح مبادىء الفلاسفة شرحا وافيا ليعود اليها بالنقد والهدم فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ، بدليل أن الغزالي صرح بهذا فى المقدمة التي قدم بها كتابه « مقاصد الفلاسفة » ، وهذه المقدمة لم تنشر — كما جاء فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام — فى كل النسخ الخطية اللاتينية من الكتاب ، ولا فى طبعة فينيس (البندقية) ، ولكنها موجودة فى نسختين خطيتين باللغة العبرية .

يقول الغزالي فى هذه المقدمة : تسألني يا أخي تأليف كتاب كامل واضح للرد على الفلاسفة ، وتبيين خطأ مبادئهم ، لتتقى بذلك الوقوع فى الخطأ ، ولكن هذا عبث قبل أن تعرف مبادئهم وتعاليمهم تمام المعرفة ، لأن الرغبة فى الوقوف على خطأ بعض الآراء قبل الوقوف عليها تمام الوقوف تعد خطأ ينتهي بالعمى والخلط .

فظهر لي من الضرورى قبل الشروع فى نقض آراء الفلاسفة أن أضع كتابا أشرح فيه ميول علومهم المنطقية والطبيعية والالهية ، دون التمييز بين الخطأ والصواب فى مبادئهم ، لأن غايتي هي شرح نتائج أقوالهم ، دون الاسهاب فى أمور زائدة عن الحاجة ولا علاقة لها بالبحث .

فسأكتفى بشرح مبادئهم مضيفا اليها

الادلة التي يثبتون بها اقوالهم ، فغاية هذا الكتاب هي شرح مقاصد الفلاسفة ، ولهذا اخترت له هذا الاسم .

ويمكن أن نقول هنا أيضا أن الفلاسفة قد بحثوا موضوعات ليست من المعتقدات الدينية أو لا ترتبط بها ، ومثل هذه الموضوعات قد عرضها الغزالي ، ولم يجد نفسه بحاجة الى الرد عليها أو الانكار لها ، ولذلك يقسم الغزالي علوم الفلاسفة الى رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية ، ويقرر أن علومهم الرياضية لا يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفيا واثباتا ، بل هى أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها ، وان كان يتولد منها بعض الآفات .

كما يقرر أن علومهم المنطقية لا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا ، بل هى نظر فى طرق الادلة والمقاييس ، وليس فى هذا ما ينبغي أن ينكر . ويقرر أن علومهم الطبيعية لايوجد منها ما يستحق الانكار الا القليل ، ويقرر ان الفلاسفة أخذوا علومهم السياسية من كتب الله المنزلة على الانبياء ، ومن الحكم المأثورة عن سلف الانبياء ، ويقرر أن الفلاسفة أخذوا علومهم الاخلاقية من كلام الصوفية(١) ، ويقرر أن علومهم الالهية هي التي تكثر فيها الاغاليط ، وأنهم غلطوا فى عشرين مسألة ويجب تكفيرهم فى ثلاثة منها كما أشرنا ، ويوجب نسبتهم الى الابتداع فى بقية هذه المسائل .

ومعنى هذا انه كان للفلاسفة انواع من العلوم لا تدخل فى المعتقدات الدينية، ومن الممكن للغزالي أن يصورها بما يستطيع دون أن يعاب أو يلام ، ولعل هذا كان من اسباب توسعه فى عرض مقاصد الفلاسفة .

وهناك من يؤكد أن الغزالي قد اعتمد فى كتابه « تهافت الفلاسفة » على كتاب ليحيى النحوى رد به على كتاب « حجج برقلس فى قدم العالم » الذى ألفه الفيلسوف اليوناني الافلاطوني برقلس ، وقد ترجمه الى العربية اسحاق بن حنين ، ورد عليه يحيى النحوى بعد ترجمته وقد انتفع الغزالي بهذا الرد فذكر خلاصته وان لم يصرح باسمه .

هذا وقد رد ابن رشد على كتاب « تهافت الفلاسفة » بكتاب سماه « تهافت التهافت » ، وكان هذا الرد بعد ظهور كتاب الغزالي بنحو مئة سنة ، وان استعراض آراء كل منهما وحججه موضوع لا يتسع له هذا النطاق .

الغزالي والاخلاق

لا يشك شاك فى أن حجة الاسلام الغزالي قد عنى بالاخلاق عناية كبيرة ، والمطالع لكتابه « الاحياء » يستطيع أن يقول انه أقرب الى أن يكون كتاب أخلاق منه الى أى موضوع آخر ، وقد عنى الغزالي بالدعوة الى الفضائل الفردية ، والاخلاق الاجتماعية ، كما عنى بمحاربة الرذائل الفردية والجماعية .

ونستطيع أن نذهب مذهب من يرون أن الغزالي هو الذى دون علم الاخلاق

(١) فلنلاحظ أن الغزالي لم ينس ذكر الصوفية فى هذا المجال .

وفنه ، وصور فلسفته فى ضوء المبادىء القرآنية والتعاليم الاسلامية ، ويتمثل هذا بوضوح فى كتابيه « احياء علوم الدين » و « كيمياء السعادة » .

والغزالي يجعل للاخلاق أبعادا ثلاثة : البعد النفسى ، وهو يعني علاقة الفرد مع نفسه ومع ربه ، والبعد الاجتماعي وهو معاملاته مع الناس وسلوكه فى المجتمع ، والبعد الميتافيزيقي وهو عقيدته وقيمه ومثله .

واذا كان أرسطاليس فى كتابه عن « الاخلاق » يبحث أصول الاخلاق من الناحية النظرية ليقنع العقل ، فان حجة الاسلام يبحثها من الناحية النظرية ، ويعني فوق ذلك باضاءة القلب، ويمكننا استنادا الى هذا أن نقول ان كتاب « الاخلاق » لأرسطاليس علم فقط ، وكتاب « الاحياء » للغزالي علم وهداية .

ويذهب الغزالي الى أن الفضائل جميعها يلم شملها أربع فضائل هي : الحكمة ، أى فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية ، والعفة وهي فضيلة القوة الشهوية ، والعدالة ومعناها وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب لها ، فبهذه العدالة تتم جميع الامور وتستقيم ، ولذلك قيل : بالعدل قامت السموات والارض ؟.

وقد اشار الغزالي فى كتاباته الاخلاقية الى الغرائز وتصعيدها والتسامى بها ، حيث شبه الغريزة بنواة تنبت منها أشجار الفضيلة البواسق ولا يكون ذلك ــ فيما نفهم ــ الا اذا حرص صاحب الغريزة على توجيه قوتها نحو الخير والاستقامة . ولعله استنبط هذا من قول القرآن الكريم : « ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

والغزالي لا ينسى الاخلاق فى مجال السياسة ، فهو يفهم السياسة على أنها استصلاح الخلق وارشادهم، فلها مفهوم أخلاقي عنده ، لأنه يؤمن بترابط الدين والدنيا ، وللسياسة مع ذلك مفهوم قانوني فى تصور الغزالي ، وهذا المفهوم هو ردع الافراد عن جموح الاهواء وبغى الشهوات ، وهو هنا يجعل الدنيا لازمة للدين ، كما أن الدين لازم للدنيا .

واذا كانت السياسة قد جذبت الغزالي فى بعض مواقفه الى أنواعها ، فليس معنى هذا أنه خنع لها أو استمر يتابعها ، وهذا هو الغزالي يكتب رسالته « أيها الولد » يوصي بها أحد تلاميذه ، فيأمره فيها بألا يخاطب الامراء ، والسلاطين ، لأن ذلك آفة عظيمة ، ويخبره بأن مدح الامراء والسلاطين شر من ذلك ، ويحذره أن يقبل عطاءهم أو هداياهم ، لأن الطمع فيهم يفسد الدين.

يقول الغزالي فى ذلك : « لا تقبل شيئا من عطاء الامراء(١) وهداياهم ، وان علمت أنها من الحلال ، لأن الطمع فيهم يفسد الدين ، لأنه يتولد منه المداهنة ، ومراعاة جانبهم ، والموافقة فى ظلمهم ، وهذا كله فساد فى الدين ، وأقل مضرته أنك اذا قبلت عطاياهم ، وانتفعت من دنياهم أحببتهم ، ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة ، وفى محبة بقاء الظالم ارادة فى الظلم على عباد الله

البقية على ص ٦٤

(١) يقصد الامراء الظالين بدليل ما سيأتي بعد قليل .



تواضع الرسول

أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصحابه في سفر بذبح شـــاة
فقال رجل : على ذبحهـــا
وقال آخر : على سلخها
وقال آخر : على طبخها
فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم
(وعلى أن اجمع لكم الحطب)

للاستاذ : علي الجندى
عميد كلية العلوم جامعة القاهرة سابقا

طـــه

قيل فيه : انه اسم من اسمائه ـ تعالى ـ
وقيل : هو اسم من اسماء الرســـول ـ عليـــه الصلاة والسلام
وقال ابو بكر الصديق : هو من اسرار الله التى انفرد بعلمها
وقال ابن عباس : معناه : ـ يارجل

الحج الأكبر

قال الرازى : اختلفوا فى الحج الاكبر ، فقال ابن عباس وغيره : هو يوم النحر
وقال مجاهد والثورى : أيام منى كلهـــا
وقال سعيد بن المسيب وطاوس : هو يوم عرفه
قال النـــووى : والصحيـــح الاول
وقيل تعرض رجل لعلى : عليه السلام ـ وهو راكب يوم النحر ، فامسك بلجام فرسه
وقال له : أى يوم يوم الحج الاكبر
فقال له : هذا اليوم هو الحج الاكبر ، خل عن دابتى لأسير
وانما قيل : الحج الاكبر ، لان الناس يسمون العمرة ، الحج الاصفر

الشـــهداء

الشـهداء تسع : الميت تحت الهـــدم ، والغريب ، والمقتــول دون ماله ، والمبطون والمطعون ، والغريق ، والمحروق ، وذوات الطلق (الولادة) والمقتول فى سبيل الله وبخاصة اذا غزا فى البحر لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » .

التشميت والتسميت

تشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة

فالاول : اشارة الى جمع الشمل ، لان العرب تقول : أشمتت الابل : اذا اجتمعت فى المرعى

وقيل : معناه ــ الدعاء لشوامته ــ والشوامت : اسم للاطراف

اما بالسين : فاشارة الى ان يرزق السمت الحسن ، وهو الهيئة

ومن قول الامام على فى التشميت : ان احدكم ليدع تشميت أخيه اذا عطس فيطالبه به يوم القيامه : فيقضى له عليه .

البركة

تقول العرب : بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك ففيها أربع لغات

وما أحسن قول الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا
وبوركت عند الشيب اذ أنت ذا شيب

رجب

يسمى : رجب ، وهو من الترجيب الذى هو التعظيم ، يقال رجبت الشىء : اذ أعظمته

ويسمى : الاصم ، لان الحروب ترفع فيه ، فلا يسمع للسلاح قعقعة .

ويسمى : الاصب ، لان الرحمة تصب فيه صبا

ويسمى : الرجم ، لان الشياطين ترجم فيه ، لئلا يؤذوا المؤمنين .

السلام عليكم

قيل : معناه ــ الله معكم ، لان السلام من اسمائه تعالى ، فعلى بمعنى مع

وقيل : معناه ــ اسم الله عليكم

وقيل : معناه السلام ملازم لكم

واما السلام فى التشهد ، فمعناه السلامة

خيل الفرنج والابل

لما عبر يوسف بن تاشفين ملك المغرب الى الاندلس ، لنصرة المعتمد بن عباد ، امر بعبور الجمال فعبر منها عدد ضخم غصت به جزيرة الاندلس ، وارتفع رغاؤها الى السماء ؟؟

ولم يكن اهل الاندلس رأوا جملا قط ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها فكانت تذعر منها وتحجم عنها فاسرعت اليهم الهزيمة .

تأويل منج

غضب الفضل بن الربيع على ابى نواس ، وقال له : انت القائل لبعض ندمائك :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة
قم سيدي نعص جبار السموات

فقال : نعم ؟ ؟

فسأل جماعة من الفقهاء فى ذلك ، فأفتى الجميع بحل دمه ؟ ؟

فقال لهم ابو نواس : ان كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحا لها ؟ ؟ او تخمينا فما أبعدكم من العقل ؟ ؟ هل للسماء من جبر او كان بها كسر فأحتيج الى ان يجبر ؟؟

وذلك من تلاعب ابى نواس بالالفاظ وشدة عارضته وقدرته على الافتنان ، والا فهو لم يرد غير ما فهموا أولا .

النهى عن السؤال فى المسجد

السؤال فى المسجد منهى عنه لا لتخطى الرقاب فحسب ، بل لمراعاة الادب ، فلا يسأل فى بيت الله غير الله .

آيات الشفاء فى القرآن

آيات الشفاء فى القرآن الكريم ست وهي : ((ويشف صدور قوم مؤمنين)) ((وشفاء لما فى الصدور)) . ((فيه شفاء للناس)) ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)) ((واذا مرضت فهو يشفين)) ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)) .

المنامات الصادقة

قال بعض خواص يحيى بن خالد البرمكى : كنت اكتب بين يديه ايام الرشيد ، فاغفى برهة ثم انتبه مذعورا ، وهو يقول : الامر كما كان والله ؟؟ ذهب ملكنا ، وذل عزنا ، وانقضت أيام دولتنا ؟

فقلت : وماذاك ؟ أصلح الله الوزير ؟

قال سمعت منشدا ينشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته من غير روية :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

قال الراوى : فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه أكتب على عادتى اذ جاءه انسان واكب عليه واخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة ؟؟

قال : فما زاد على ان رمى القلم من يده ، وقال : هكذا تقوم الساعة بغتة ؟؟

وصية جليلة لمن يسكن المدينة المنورة ؟؟

قال بعض الصوفية لفتى مخزومى رآه فى روضة الرسول : يا فتى ، اسمع مقالتى واعرض قلبك على كلامي ، وافهم منى عظتي ، فاني قد بدأتك بالنصيحة لما أملت لك من الله - عز وجل - فيها من حسن الجزاء وجميل الثناء ؟ ؟ اتدرى من يراك ومن يشهد عليك ؟

قال : ومن هما يا عم

قال الله - تعالى - يراك ، ونبيه يشهد عليك ، فاياك واقتراف المعاصي بحضرة نبيك صلى الله عليه وسلم - فانك لا تأتى أمرا فى هذه البلدة يكون عليكفيه تبعة الا والله - تعالى- له حفيظ ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - عليك به شهيد ، واصحابه لك خصوم ، وكفى الانسان خصما ان يكون القاضي عليه خالقه ، والشاهد عليه نبيه ، والخصوم خيرة الله من خلقه ، الصالحون من عباده .

فما كاد يفرغ من كلامه حتى انتفض الغلام ، وسقط مغشيا عليه ؟ ؟

فاجتمع الناس فاحتملوه الى منزله ، فما أتت عليه ثلاثة أيام حتى مات - رحمه الله ؟ ؟

بيت بألف دينار

لما تم الامر لعبد المؤمن على صاحب المغرب ، قصده الشعراء بأسنى المدائح، وكان أن انشده عبد الله التيفاشي مطلع قصيدته وهو :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فأشار عليه انيقتصر على هذا البيت، وامر له بألف دينار ؟ ؟

القدوس

القدوس : من اسمائه تعالى ، ومعناه : المنزه عن كل معنى يدركه حسّ ، او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم .

قال الغزالي : ولست أقول منزه عن العيوب ، لان ذلك يقرب من ترك الادب ، فليس من الادب ان يقال : ملك البلد ليس بحائك ؟؟

تعزية نبوية

كتب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى معاذ بن جبل لما مات ابنه « سلام الله عليك ؟ » فاني احمد الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، فأعظم الله لك الاجر ، والهمك الصبر ورزقنا وايـاك الشكر ، ثم ان انفسنا واموالنا واهلينا من مواهب الله المستودعة ، وعواريه المستردة متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كثير ان صبرت واحتسبت .

العوارى : جمع عارية مشددتين ومخففتين .

استنباط بديـع

كتب الحجاج الى قتيبـة بن مسـلم الباهلى والى خرسان : أن ابعث الى بيحيى بن يعمر ، فلما قام بين يديه قـال : انت الذى تـزعم ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله ؟؟ والله لألقين الاكثر منك ، او لتخرجن من ذلك ؟ ؟ أى تخرج بالتأويل المقنع .

قال يحيى : فهو أمانى ان خرجت ؟ قال نعم .

قال يحيى : فان الله ــ جل ثناؤه ــ يقول : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل * ومن ذريته داود وسليمان الى قوله : وعيسى » .

ثم قال : وما بين عيسى وابراهيم اكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ

فقال الحجاج : ما أراك الا خرجت منها والله لقد قرأتها وما علمت بها قط ؟ ؟

قال بن خلكان : وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة ؟ ؟

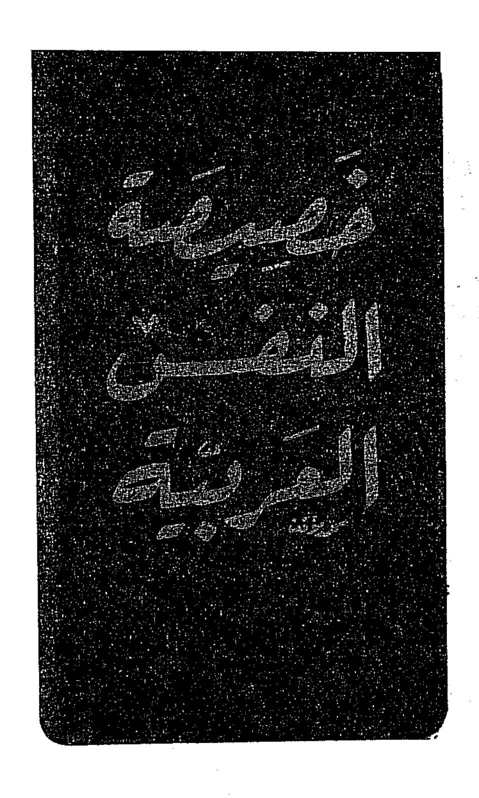
وانما خص عيسى بالتنظير لانه يتصل بأبراهيم من ناحية مريم لانه ليس له أب .

مشاركة المخلوق فى بعض صفات الخالق

صفات الله ــ تعالى أعلى الصفات وأجلها ، فما استعمل فى المخلوقـين على تلك الالفاظ ــ وان خالفت فى الحكم ــ فحسن جميل : كقولك : فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا التكبر والتجبر ، فأنك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه عيبا ونقصا ، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحـق والصـدق وبعدهما من الصواب لانهمـا للمبدىء المعيد ، الخالق البارىء ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشـبعة وتنقصه اللحظة وهو فى كل أموره مدبر؟؟

بين الرسول وزوج أبي سفيان

كانت هند بنت عتبة ممن حضرن بيعة النساء ، فلما قال رسول الله (ولا يسرقن)
قالت هند : ان أبا سفيان رجل مسيك فهل على حرج أن آخذ ما يكفيني وولدى .
قال : لا . الا بالمعروف .
ولما قال : (ولا يزنين)
قالت : أو تزني الحرة ! !
ثم قال : (ولا يقتلن أولادهن)
قالت : ربيناهم صغارا ، وقتلتموهم كبارا ــ قتل ابنها حنظله يوم بدر ــ فتبسم رسول الله .
فلما قال : (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) والبهتان أن تلتقط الزوجة ولدا من غيرها وتنسبه الى زوجها .
قالت : والله ان البهتان لقبيح ، وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الأخلاق .
ولما قال : (ولا يعصينك فى معروف) .
قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء .



للاستاذ أحمد محمد بريرى

بنـــي اســـد ان تقتلـــوني تحـــاربوا
تميمـا اذا الحرب العوانُ اشْمَعَلّت
ولســـتُ وان كانت الـــيّ حبيبـــةً
ببـــاك على الدنيـــا اذا مـــا تولـت

فحولة حق الفحولة تلك التي يعبر عنها مرة بن محكان في شعره هذا ، انه ليس بدعا من البـدع أن يقتله ذلك الاسدى ، الذى كلفه ابن الزبير أن يضرب رأسه ، فهو في الواقع يؤدى عمل الجـلاد بله مباشرة الجلاد بالسيف في ميـــدان الشرف والجهاد . بيد انه مع هذا كان له مندوحة ، لو اراد الا يحمل تبعة عمله ذاك . فمرة ينذره مبينا له أن دمه ليس حراما على السيف ، بل هو من قوم يأبون الا أن يقولوا أو يتمثلوا .

تســـيل على حـــد الظبـــاة نفوســـنا
وليســـت عـــلى غير الظبـــاة تســـيل

ولكنه سيل بعده الويل . فحتم من الحتم بعد على قومه بني أسد أن يحاربوا تميما .. حـــربا لا هوادة فيها ، فهي الحرب العوان تشمعل أى تشـــعل وتشمل ، فمـــا كان « الاشمعلال » الا « الشمول » « والاشعال » ...

ظاهرتان اذا اجتمعتا كونتا ظاهرة واحدة دل عليها بلفظ واحد منحوت من لفظين يدل كل منهما على واحدة من الظاهرتين فذلك هو أصل الوضع.

لقد أعذر من أنذر ، ولو أن المنـــذر عليم بأنه لا جدوى من وراء انذاره ، وأنه لجدير ألا ينتظر جدوى ، وحسبك بيته الثاني دلالة على صدق تلك النفس غير الخوارة ، فهي لا تتقطع حسرات عـلى هذه الدنيا المولية ، وهو لا يبكي عليها ، الا انه لا يكذبك فيزعم أنه يكره الحياة.. كلا فانـــه ممتلىء حبالها أو هي اليـــه حبيبة على حد تعبيره الذى أداه في جملة معترضة الا أنها تزخر بيانا وصدقـــا تحسه ،ويسترعى انتباهك ، انه افصاح لا عن تلك النفس القوية وحدها ، بل عن النفس العربية عمومـا اذا أنت شملت شبه الجزيرة بنظرة فاحصة متأملة في الخلق العام حينذاك ، فنحن ما زلنا في المئة الاولى من الهجـــرة أو في أوائل النصف الثانى منها ، وانه لطابع عـــام أو خصيصة عربية كانت قد خلصت منذ الجاهلية الاولى وكانت مما أبقى عليـــه الاسلام من أخلاق السلف الصالحة .

وهل كانت بعثته صلى الله عليه وسلم الا ليتمم صالح الاخلاق كما هو نص الحديث الشريف نفسه .

انه سبحانه وتعالى لأعلم حيث يجعل رسالته ــ ولقد كان في الدنيا شرقيها وغربيها أمم ذوات حضارات ومعارف وفلسفات ولغات تمرست بكل اولئك ، وتهذبت ، ولكن حكمة الله أبت الا أن تختار العرب والعربية للدعوة الانسانية الكبرى التي أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدع بها ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذنه جل جلاله ، ويهديهم الى صراط العزيز الحميد .

واذا لم يكن صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل فكذلك لم يكن من البدع ــ أن يعد الله شبه الجزيرة ، ويهيئه الهيئة الصالحة لتقبل الرسالة القرآنية، ثم لحمل الدعوة هداية وهدية للعالمين أجمعين ، دون ما تفرقة أو تمييز ، فانه لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بتقوى الله ، فكلهم لآدم ، وآدم من تراب « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولكني أريد أن أقفك ، وأظهرك على جبلة النفس العربية تلك الجبلة التي شاء الله بعد تصفيتها من شوائب الجاهلية أن تكون قدوة للانسانية . قدوة ليست تحكمية ولا اضطرارية كلا، فانه « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ولكنها المثالية التي تقبل عليها النفوس الكريمة في اسماح ، بل ان النفوس غير السوية ترضاها ، وتدعيها ادعاء اذا هبطت بها عوامل النقص أن تسمو اليها ــ تلك الجبلة هي ما تعبر عنه لغة العرب بكلمة جامعة هي المروءة فما هي .. ؟

المروءة العربية وتكاليفها

أعني ماذا تريد العرب اذا هي تحدثت عن المروءة ؟ ان اللفظ ليس خفي الدلالة فهو من « المرء » كالرجولة من الرجل ، والانسانية من الانسان ، والبشرية من البشر ، ولكنك تعلم أنهم يعنون بها أول ما يعنون تلك الاريحية او السخاء في القرى والقيام بحق الضيف ، وهذا جانب أو أحد وجهي المروءة ، فأما الثاني فهو أن تجود بنفسك « والجود بالنفس أقصى غاية الجود » كما قال شاعر قديم .

ان من الحق على الانسان اذن أن يقوم للمروءة بما تتطلب ، ولو كان متطلبها حياته يقدمها في اسماح واجمال ــ من الجمال لا من الجملة ــ والا فهو ليس المرء بمعنى الكلمة . ان عليه أن يحمي حقيقته وما حقيقته الا المروءة . واذا هو لم يفعل فقد انتقص حقيقته بقدر ما قصر في حمايتها أو الذود عنها . فهو منقوص أو ممسوخ والعربي صادق العروبة يموت دون حقيقته ،ولن يضيره أن يموت اذا هي سلمت .

الم تريا أني حميت حقيقتي
وباشرت حد الموت والموت دونها

وها أنت ذا ترى صاحبنا هذا يباشر حد الموت في حماية حقيقته ، فتسلم ، ويسلم هو كذلك ، فان لكل أجل كتابا ، ولم يكن حان حينه ، أو دنت ساعته .

ان الانسانية ــ في الفلسفة الروحانية لهي حقيقة الانسان الجوهرية وليس هو ــ ذاتا أو فردا ــ الا ظاهرة ، فهي بهذا الوصف تسبقه وجودا ، ولكن ثم فلسفة أخرى تقوم منها مقام المضادة أو التناقض . فالانسان هو الوجود أو الموجود أولا ، ثم عليه فيما بعد أن يحقق ذاته أو انسانيته فهي ــ بالتالي ــ لاحقة ما دام هو السابق . أفترى المنطق العربي ، وهو منطق واقعي حقيقي يقفك مثل هذا الموقف من المروءة ، فتتساءل أيهما أسبق وجودا المرء أو المروءة .. ؟

أحرى بنا أن نتساءل : أفتؤدي كلمة انسانية هذا المعنى الضخم الفخم الذى

تؤديه كلمة مروءة ..؟ أذكر أني قرأت في بعض المراجع الفرنسية كلمة مروءة العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية ولم أفطن لمقصد الكاتب الا بعد لأى ، الا أني لم ألبث أن تبينت انه ما كان بمستطيع أن يعبر عنها بكلمة فرنسية واحدة تقابلها .. فما كان لفظ « انسانية » مثلا ليغني غناءها بل عسى أن يوضع منها موضع النقيض .

الفيلسوف الفرنسي وشريكته في السجن

واليك مصداقا لذلك ما كتب « أناتول فرانس » في كتابه « الحياة الادبية » ، فهو ثم يقص علينا قصص فيلسوف فرنسي قبض عليه في بعض أيام الفتنة الفرنسية ، وكان من حسن حظه أو سوئه أن تشاركه حجرة السجن فتاة طيبة جميلة كانت هي أيضا من جملة المقبوض عليهم .. ويشرق الفيلسوف الكبير بعبراته ، ويختلط دمعه وعرقه بشعث لحيته ورأسه ، فلا يسع الآنسة الكريمة الا أن تعمد الى قطعة «اسفنج» أو ما يشبهها والى بعض الماء ، فتغسل وجه الفيلسوف ، وتصلح من شأنه على قدر ما تستطيع ، ثم تحاول أن تسليه ، وتعزيه ، وتسأله : يا أستاذ انه من الممكن ومن الراجح أن يدعى كلينا الى المقصلة فليس المصير الذي ينتظرك أو تنتظره بأسوأ من المصير الذي ينتظرني، فما بالي صابرة راضية على خلافك !! فأنت جازع باك ..؟ فما كان جواب الفيلسوف الا أن قال : بل أنت ياسيدتي جميلة صغيرة غنية على خلافي ، فأنا شيخ كبير فقير ، فخسارتك ، اذ تخسرين حياتك ، لا شك أكبر من خسارتي ، بيد أنك يا سيدتي على خلافي أيضا لست أهلا للتفكير والتدبر فيما اليه مصير الامور .. فأما أنا فاني أفكر وأعلم نتيجة تفكيري ـ ماذا تعني الحياة وماذا يعني الموت ، فأنا أعرف على وجه الدقة ماذا سأفقد اذا فقدت حياتي ، وأما أنت فانك تجهلين ، ومن أجل هذا على وجه التحديد أحزن ولا تحزنين ، وأجزع ولا تجزعين، وأبكي بكاء العارفين ولا تبكين .

بيرون يأخذ الحكمة من الخنزير

ويقفز أناتول فرانس بضعة وعشرين قرنا ليوازن بين فيلسوفه الفرنسي وبين « بيرون » الاغريقي القديم الذي كان في سفينة عصفت بها العاصفة ، فكادت تغرقها ، فساد الجزع والهلع بين ركاب السفينة عدا « بيرون » فقد احتفظ بهدوئه ووقاره في أثناء العاصفة ، كما كان قبلها ، وسأله أصحابه : ما باله لا يحرك ساكنا ، أفليس واحدا منهم ؟. **فلا يفعل الفيلسوف أكثر من أن يوجه نظرهم الى خنزير صغير كان معهم في السفينة ، وكان يأكل والعاصفة تزمجر تماما ، كما كان يأكل قبل أن تثور ، وواضح أن الفيلسوف يوجه أصحابه الى أن يتعلموا الحكمة من الخنزير الصغير .**

ولا ينسى أناتول فرانس أن يذكر كذلك متحدثا عن عدم اكتراث بيرون لما يأتي به الدهر . أنه رأى استاذه في فلسفته تلك غير المكترثة يتردى في هوة سحيقة ، فلا يكلف نفسه أن يمد يد المساعدة لاستاذه فيستنقذه من الهوة.. وأعجب من هذا أن استاذه بعد أن نجاه الله على يد غير تلميذه لم يسعه الا أن يثني عليه ـ على تلميذه ـ ثناء عاطرا ، فلقد كان امينا على ما استحفظ عليه من الاصول الفلسفية ، والمهم فيما نحن بصدده أن أناتول فرانس يعد فيلسوفه الفرنسي اصدق انسانية من بيرون وأستاذه وسائر أصحابه الرواق من قدماء الاغريق .

فأما انت اذا رجعت الى منطقك منطق المروءة العربية فلا بد حاكم على قدماء الرواقيين ، وايضا على الفيلسوف الفرنسي بأنهم ساقطو المروءة ما في ذلك ريب .. ولكنك لن تبخل بتلك المروءة على المرأة أو الآنسة الفرنسية الشجاعة

الســـــخية التي غسلت رأس الشيخ الفيلسوف ولحيته .

ولأمر ما قالت العرب : رجل ولم تقل « رجله » ويغلب على ظني أنهـا لم تقل « انسانة » كما قالت « انسان » ولست أجهــل أن صاحب القاموس المحيط يستشهد بشعر قديم على صــحة انسانة هو ما يرويه .

انســـانـــة فتانـــة
بدر الدجا منهـا خجــل

ولكنك اذا قرأت البيت التـالي :

اذا زنـت عينـي بهــا
فبالـدموع تغتســـل

خامرك الشك ، وربما ساورك اليقين بأنه شعر مصنوع .

ولكنها قالت« مرء » ومرأة و «امرؤ» و « امرأة » وليس بذي خفـــاء أن مرد ذلك كله الى « المروءة » فالذكر والانثى من بني آدم تشركهما اللغـة العربيـــة فى تلك التسمية الكريمة حق الكرامة ، وأذا كنت ممن يألف النصوص العربية القديمـة فانه لن يفوتك أن تلاحظ أن العربي فى العهد الذهبي للغته كان مــن المألوف عنده أن يقول يا امرأة اذا هــو تحدث الى امرأته . ولست أرتاب فى أن اللفظ حينذاك ما كان يبعث فى الذهن الا المعاني السامية التي تؤول الى معنى المروءة ، واذا أنت وزنت أو وازنت بين تلك المرأة النبيلة حقـا وبين الفيلسوف منخوب الفؤاد رجحت كفتها ، وشـال الشيخ على سماجته فى الكفة الاخرى ، وما كان المنطق الوضعي يغنيه فتيلا أو شروى نقير مهما يقــم من أدلة على أنه جزع ، وهلع ، وبكى تدبرا وعقلا وعلى أن السيدة صبرت ، واطمأنت ،وواست رعونة وجهـلا . فذلك شيء لا يمكن أن يقبله منطق « أبى علاثة » الفطـــرى السليم .

ان الصحراء العربية ليست فريــدة فى نوعها . ولقد يعرف العالم القديم ، ويعرف أصحاب التاريخ والباحثون في خصائص السلالات ومختلف أصقاع هذه الارض التي تعيش عليها عدا الامـــة العربية ، بداة وبوادى ، وجبالا وسكان جبال ، ومواطن تشتد فيها الحرارة ، وأخرى تشتد فيها البرودة الى غير ذلك من ظروف المكان التي تطبع الانســـان بطوابعها الخاصة ، وتضطره اضطـرارا لا اختيار له فيه الى أن يتمرس بوسائل العيش الجاف وطرق المعاملة الغليظـة الجافية .

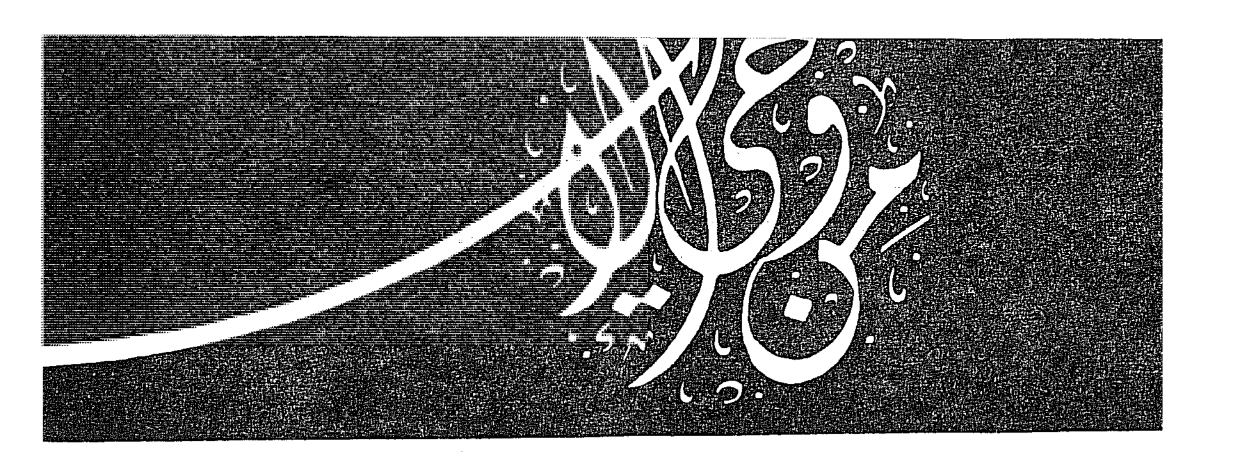
جنازة بربرية

ويحدثنا الكتاب والمفكرون الاوروبيون عن العادات والســنن عند « الغوط » و « والفيزيغوط » ، و « الفنــدال » وغيرهم من القبائل التي سموها بربرا . وانها لسنن دالة على شدة المراس وقوة الشكيمة والطاقة الهائلة التي لا يكـاد معينها ينضب ، ولكنها لا تستولي على اعجابك بــل عساها ان تهيجك الى السخرية والابتسام .

خذ مثلا فئة منهـم مات رئيسهم أو مليكهم ، وهم مضطرون الى الرحلة ، الا أنه يجب عليهـم أولا أن يدفنوا الملك ، وهم يخشون هؤلاء الاوروبيين أن يعرفوا جدث المليك فينبشوه ، ويعبثوا بما لا يجوز أن يكون موضع عبث، فماذا تراهم فاعلين ..؟ لقد نظروا فيما حواليهم : فرأوا نهرا كبيرا ، لم يمنعهم كبـــره أن يحولوا مجراه ثم يدفنوا الملك فى هـذا المجرى الجاف .. ولا تحسبنهم مغفلين فلقد أعادوا النهر سيرته الاولى أو مجراه الاول ..

هؤلاء السادة الذين أقاموا لمليكهـــم ((جنازة بربرية حقا)) على حد تعبيــر الاستاذ مؤرخ النظم الذي أنقل عنه هذا التعبير . كان من عاداتهم اذا حاقت بهم الهزيمة أن تتولى نساؤهم العمل الحربي الذى أعيا الرجال أن يضطلعوا بــه .. بيد أنهن كان من الحق عليهن قبـــل

البقية على ص ٦٥



جـــرى به الشـــوق فانسابت مدامعه … وهاجه الوجـــد فاهتزت أضالعـــه

قد عـــزه الصـــبر والسلوان لوعـــه … وأرق السهد فانقضت مضاجعـــــه

متيَّم لـــذّع الهجــــران مهجتـــه … ومدنف من جـــلال النـــور مصرعه

يبيت يـــرعى نجـــوم الليل في حرق … لله من فكـــرة باتـــت تلذعـــــه

يظـــل في الغـــار يدعـــو ربه أمـــلا … وليس الاه في الظلمـــاء يسمعـــــه

★★★

لمـــا تمـــادت قـــريش في غوايتهـــا … وطغمة الجهل قـــد راحت تروعـــه

فيـــمم الطـــائف المأمـــول نصرته … فلم يجـــد مـــن يواســـيه ويمنعـــه

جهـــالة البغـــى طـــافت في ربوعهم … والبغي يرتع قـــد طـــابت مراتعـــه

ضلـــت ضلالا كبـــيرا في غوايتها … وما ارعوت وشـــراب البغى تكرعه

فـــذاك يعبد صخـــرا ثم يحطمـــــه … وذا يؤلـــه تمـــــرا ثـــم يبلعـــــه

وذا يـــدس فتـــاة في الـــتراب ولا … يثنيه عـــن عزمـــه خلـــق ويمنعـــه

لم يخشـــى ضـــرا وعين الله تحرســـه … مـــن يتق الله حقـــــا لا يضيعـــه

إن لم تكـــن غاضبـــا عنى فلا أحـــد … أعـــز منى فمنـــك الخير أجمعـــه

★★★

تحسّر الليـــل عن فجـــر أضاء لـــه … شعاب مكـــة نحـــو القـــدس منزعه

سرى ألى حبـــه الأعلى على شـــغف … والشوق يلهبـــه والحـــب يدفعـــه

حتى أتـــاه وأمّ الأنبيـــــاء بـــه … وكلهـــم برســـول الله مطمعـــه

ثم ارتقـــى في السموات العلا صعدا … بالـــروح والجسم والاشـــواق تلذعه



للاستاذ : ضياء الدين الصابونى « حلب »

في سدرة المنتهى تغشاه عاطفة ... لولا الجمال لقد كادت تروعه
لقد رأى ربه فاهتزّ من طرب ... شوقا وقد طفرت في العين أدمعه
وفتحت لك أبواب السماء وقد ... عرفت كل نبي أين موضعه
هو الحبيب وقد أسرى به شرفا ... على بدائع خالق راح يطلعه
أعظم بها رحلة وضاء مشرقة ... على البراق وروح القدس يتبعه

★★★

هناك ناجاه رب الكون عن كثب ... كما يناجى حبيبا من يودعه
سل (يا محمد) ما ترجو بلا رهب ... عهد اليك لمن يهواك أقطعه
رباه مالى من ذخر ومن أمل ... فأمتى أمتى ذخرا أجمعه
رباه دعوة حق قد دعوت بها ... فمن سواك لصوت الحق يسمعه ؟
جاء الخطاب فقرت عين أحمدنا ... فيه من الكلم المختار أروعه
وعزتى وجلالى ما تقدم لى ... عبد بطاعته الا أشفعه

★★★

من شاء أن تبلغ العلياء رتبته ... فذا طريق عروج الروح تتبعه
ونق قلبك من حقد ومن كدر ... ولا تفكر بسوء سوف تصنعه
ومنْ تكن برسول الله قدوته ... أصاب نجحاً وجاء الكون يخضعه
مالى أروّع من نار الجحيم وقد ... وقفت في بابه المرجو أقرعه
وهل يخيب امرؤ قد بات متصلا ... بسيد الرسل مبغاه ومفزعه

تعالى ، وارادة خراب العالم ، فأى شيء يكون أضر من هذا بالدين والعاقبة .

واياك اياك أن يخدعك استهواء الشياطين ، أو قول بعض الناس لك ان الافضل والاولى أن تأخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقهما بين الفقراء والمساكين ، فانهم ينفقون فى الفسق والمعصية ، وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم ، فان اللعين (١) قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة ، وقد ذكرناه فى احياء العلوم فاطلبه ثمَّ » .

وتعمق الغزالي فى بحث النفس البشرية ، فيرى أن القوة الشهوية فيها لها مضرة ولها منفعة ، ويذكر أن مضرتها أنها تصرف الانسان عن طريق الاخرة ، ويعود فيذكر أن « الشهوة خلقت لفائدة ، وهى ضرورية فى الجبلة ، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ، ولو انقطعت شهوة الجماع لانقطع النسل .

ويقول عن شهوات النفس : « ليس المطلوب اماتة ذلك بالكلية ، بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط » .

وللغزالي فى تصوير فائدة الشهوة عبارة بليغة فى كتابه ((معارج القدس)) يقول فيها : ((وأما منفعتها فهى أن هذه الشهوة مهما أدبت فهى المبلغة للسعادة وجوار رب العزة ، حتى لو تصورت مرتفعة (٢) لما أمكن الوصول الى الآخرة وذلك أن الوصول الى الآخرة بالعبادة ، ولا سبيل الى العبادة الا بالحياة الدنيوية ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفظ البدن ، ولا سبيل لحفظه الا باعادة ما يتحلل منه ، ولا سبيل الى اعادة ما يتحلل منه الا بتناول الاغذية . ولا يمكن تناول الاغذية الا بالشهوة .

وأيضا فان الدنيا مزرعة الآخرة ، وقوام عمارة الارض وتزجية المعاش بهذه الشهوة ، فلو تصورت مرتفعة لاختل نظام الدين والدنيا ، وارتفعت المعاملات من بين الناس ، وارتفعت الشريعة والسياسة .

فاذن هذه القوة الشهوية مثل عدو يخشى مضرته من وجه ، ويرجى منفعته من وجه ، ومع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به)) .

وللغزالي أسلوب متميز فى بحثه لموضوعات الاخلاق والامور التهذيبية والروحية ، فهو يبدأ فيها بمقدمة بيانية فيها رمز أو اشارة الى الخلق الذى سيتحدث عنه ، ثم يورد ما جاء فيه من آيات القرآن الكريم ، ومن أحاديث نبوية ، ومن أقوال الصحابة وآثار السلف ، ثم يذكر ما يتعلق به من قصص وأمثال ، ثم يشرع فى التحليل وتفصيل القول حسب فكرته الاخلاقية ونزعته الصوفية ، وكتاب : « الاحياء » خير معرض نستعرض فيه نماذج كثيرة لهذا الاسلوب .

(يتبع)

---

١ — يقصد الشيطان ، وفى التنزيل الالهي المجيد : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

٢ — أى لو تصورنا أنها غير موجودة .

خصيصة النفس العربية (بقية)

مباشرة القتال ـ قتال الاعداء ـ أن يقتلن الأطفال ، أطفالهن ، ليفرغن للقاء العدو خفيفات نشيطات يائسات .. ويقول الاستاذ سالف الذكر أنهن كثيرا مـــا انتصرن على كبار قواد رومية الخالدة.. أفلا تراه أمراً بغيضا حقا لا يمكن أبدا أن تتقبله الفطرة أعني الطبع السليم ، فهو فطرة الله التي فطر الناس عليهـــا ، ولكنهم كذلك ينحرفون وعلى الله قصد السبيل وفيها جائر ولو شـاء لهداكم أجمعين .

قانون العربي

لا بأس بالموت اذا نزل

ولكن ابن رغال فى صحراء نجـــد ـ وقبله ابن دختنوس ـ ما كان ليكلفهـا هذا التكليف الذي لم تخلق له ، بـــل خلق هو له ..

كتب القتـــل والقتـال علينـــا
وعلى الغانيـــات جـــر الذيول

أو كما قال آخر فى اسماح عجيب : ـ

ان الرجال لهــم اليك وســـيلة
ان يأخـــذوك تكحلـي وتخضبي
ويكون مركبـــك القعود وحدجه
وابن النعامـــة يوم ذلك مركبي

على أنهم لن يأخذوها ما دام للسيف قائم ، أو ما دام هو جسما وروحا لـم ينفصلا ، فأما اذا انفصلا فهو قد أبـلغ نفسه عذرها ، ولا عار ولا لائمة عليـــه بعد . فليس هو على هذا الورى بمسيطر .. ولكن للمروءة عليه حقا هو الموت .. والموت حق فى رقاب العباد .. أو كمـا قالوا اقرارا به وتقبلا أن ينزل بهـــم « لا بأس بالموت اذا الموت نزل » . فذلك هو القانون الذي التزمه العربي قبل أن يكرمه الله ، ويشرفه بدعوة خير الانـام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

فكان حريا أن يتلقى دعوة ســـيد المرسلين ، وأن يبلغها هو أيضا للعالمين.

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهـم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن ســـبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

أفمعنى ذلك أن النفس العربيـــة مجبوله على ابغاض الحياة وحب الموت ، فهي داعيه حرب ، ما تنفك تصيح هـل من مبارز كي تريح ، وتستريح .. تميت أو تموت ..

الجواب بالنفى دون أدنى ريب ، وان الفرق لكبير والبون شاسـع بين اثنين احدهما متعطش الى الفناء يريده ، بـل يحبه فهو شارب كأسه اللذيذة بيده ، معدها بنفسه ، مـا دام غير متيسر أن يجد من يعدهـــا له .. والثاني تفيض نفسه حبا للحياة فملء اهابه حيويـة يكاد ينشق عنها أو هو متشقق عنهـــا بالفعل ، الا انه يرى ان من الحق عليـه أن يموت .. والا فهي حياة الخــزي والهوان ، أو هو موت الحياة القول فيه:

ليس مـــن مات فاستراح بميت
انما الميت ميـــت الاحيـــــاء
انمـــا الميت من يعيش كئيبـــا
كاسفا باله قليـــــل الرجـــاء

أخال الامر أوضح من أن يوضح .. أو كما قال سلفنا الصالح طاب ذكـرهم وذكراهم . توضيح الواضحات مـــن المشكلات ـ على أنه لا فضل لمنتحر أو راغب فى الانتحـــار .. وان الشجاعة لفضيلة جلت أن تزين غير الرجل الذي يؤثر التضحية على حب الحياة الدنيا.. نعم فان الشجاع هو الرجل الذى يحمل النفس على مكروهها ، فتستقر ، لا ذلك الذي يوردها المورد العذب الذي ترغب فيه وتشتهيه .

وحسبك أن تعود الى بداية المقال فان مرة بن محكان وهو الشـــجاع حق الشجاعة جلى عن نفسه بأصدق بيان . هذا على أني لا اريد أن أشق عليك فالى حديث قادم ان شاء الله .

وما توفيقي الا بالله عليـــه توكلت واليه أنيب .



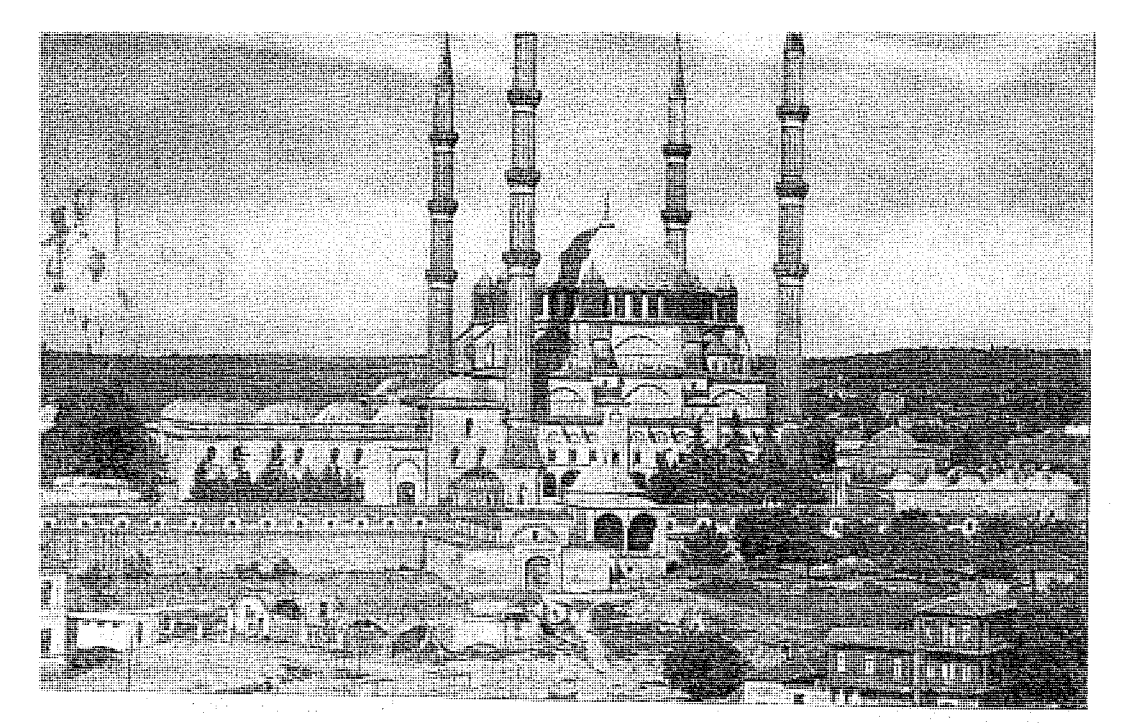
اعـداد
ادارة الشؤون الاسلامية
بوزارة الاوقاف

الإسلام والمسلمون في تركيا

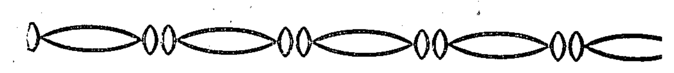
١ ـ مقدمة

لقد خالف النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية ، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس ، ولا آراء فى الكتب ، ولا كلمات على الافواه والشفاه ، ولكنه وضع لتركيزها مظاهر عملية ، وجعلها فرائض لا يمكن التهاون فى ادائها ابدا .

وعلى قواعد هذا النظام القرآنى العظيم قامت الدولة الاسلامية الاولى تؤمن ايمانا عميقا ، وتطبقه تطبيقا دقيقا ، وتنشره فى العالمين عدلا . ولقد طاردت هذه المبادىء القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها ، وطاردت اليهودية الماكرة ، فحصرتها فى نطاق ضيق ، وصارعت الصليبية حتى انحسر ظلها فى قارتي آسيا وأفريقيا وألحت على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها من الغرب ، حتى أجهدها الحصار والهجوم .



جامع السليمية ـ أدرنة



ومع هـذه القوة البالغة والسلطان الواسع ، فأن عوامل التحلل قد اخذت تتسلل الى كيان هذه الامة القرآنية ، وتعظم وتنتشر وتقوي شيئا فشيئا حتى مزقت هذا الكيان ، وقضت على الدولة الاسلامية المركزية فى القرن السادس الهجري على أيدي التتار ، وتركت وراءها أمما مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوثب للنهوض .

وتنبهت اوربا المسيحية ، وجمعت جموعها ، وقذفت الشرق المسلم بكتائبها فى تسع حملات صليبية حاقدة تمكنت بها من اقامة دولة صليبية فى بيت المقدس . **وشاءت الصليبية امرا وشاء الله امرا اخر .**

شاء الله أن تقوم للاسلام دولة وارفة الظل ، قوية البأس ، شديدة المراس ، تجمع كلمة أهله ، وتضم تحت لوائها معظم امه وشعوبه .

ويأبي لها علو الهمة الا أن تغزو المسيحية فى عقر دارها ، فتفتح القسطنطينية معقل الكفر ، ويمتد سلطانها فى قلب أوروبا حتى يصل الى فيينا ، تلك هي دولة العثمانين المسلمة .

٢ ـ دور الاستعمار فى القضاء على الدولة الاسلامية :

وهال الغرب والشرق على السواء هذه الدولة العظيمة الرابضة بقوة تهدد كل من يحاول الاعتداء على الاسلام واهله ، وبدأوا بالتآمر على هذا الكيان ، ولقد قدروا ان حربا صليبية عسكرية لن تنجح ، ولهذا بدأوا يفكرون فى غزو فكري ترافقه مؤامرات وفتن ، حتى لا يبقى من الاسلام فى نفوس المسلمين الا طقوس كهنوتية وشعائر روحية .

ولقد اجتمع مرة قيصر روسيا وزعماء فرنسا ، وأخذوا يناقشون أمر هـذه

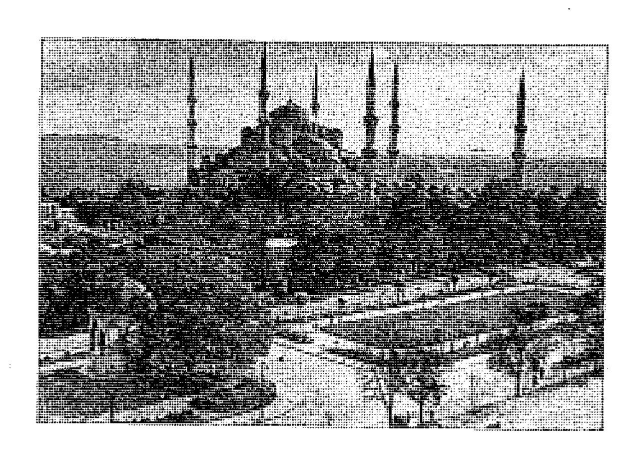
الدولة ، ويتآمرون فى سبيل القضاء عليها ، فاثاروا النعرة القومية فى البلدان الاوروبية والنزعة الانفصالية ، وحركوا اهل البلاد ، واخذوا يمدونهم بالسلاح والمال للثورة على الدولة العثمانية ، كما حصل فى بلاد الصرب واليونان ، وحاولوا ضرب الدولة الاسلامية من الخلف ، فقامت فرنسا بغزو مصر واحتلالها فى تموز سنة ١٧٩٨ ، ثم زحفت على فلسطين ، واحتلتها ، وأرادت ان تحتل باقى بلاد الشام ، لتضرب الدولة ضربة قاضية ، ولكنها هزمت بعد ذلك وعادت ادراجها خاسرة . وهكذا تبينت الدول الاستعمارية وخاصة انكلترا وفرنسا وروسيا أن الحرب المنظمة ، والقتال والهجوم لم يثمر كما أثمرت حركات اثارة النعرات القومية والتى ادت الى انفصال الصرب والمجر واليونان وبلغاريا .

لهذا بدأت السفارات الانكليزية والفرنسية فى استانبول وفى اهم البلدان الاسلامية تثير النعرات القومية والنزعات الاستقلالية ، وكانت اعمالها بارزة بشكل ظاهر فى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة واتخذت لها مركزين رئيسيين ، استانبول لضرب الدولة فى مركزها الرئيسي وبيروت لضربها فى الملحقات وخاصة فى البلاد التى يسكنها العرب .

اما بالنسبة لمركز بيروت فقد وضع له المخطط على ان يعمل للمدى الطويل وللنتائج البعيدة والتى نلمس بعض اثرها فى يومنا هذا ، ولقد بدأ هذا المخطط على شكل جمعيات مثل جمعية الفنون والعلوم والتى تولى رعايتها العميلان الانكليزيان « بطرس البستانى وناصيف اليازجى » الى جانب الكولونيل « تشرشل » من الانكليز « وكورنيلوس فان ديك » من الامريكان ، ولئن ظهرت هذه الجمعية بمظهر نشر العلوم والفنون الا ان الغرض الصحيح هو ما اشرنا من اثارة النعرات القومية والحركات الانفصالية عن الدولة ، ولم تقم هذه الجمعية بالقدر الذى اريد لها ، فأسست جمعية ثانية فى سنة ١٨٥٠ باسم الجمعية الشرقية أسست تحت رعاية الاب اليسوعى الافرنسى « هنرى دوبرو نير » الى غير ذلك من الجمعيات العلنية والسرية . وكانت اول جمعية أخذت شكل التنظيم السياسى الحزبى هى تلك التى تأسست عام ١٨٧٥ ، وقامت على اساس فكرة القومية العربية وكانت تعمل للعرب والعروبة وتثير العداء للدولة العثمانية ، وتعمل على فصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هى الاساس وتحويل الولاء عن العقيدة الاسلامية بين المسلمين وجعله للقومية العربية وحدها ...

وما زال هذا المركز حتى يومنا هذا يقذف بالزعماء الذين ينادون بالقومية والوطنية وكلهم ميشيل وقسطنطين وجورج وانطون وكلوفيس . اما بالنسبة لمركز استانبول وهو المركز الذى اتخذه الغربيون لضرب الدولة فى عاصمتها وفى رجال الحكم فيها ، فقد قاموا باعمال كثيرة كان أهمها انشاء جمعية تركيا الفتاة او الاتحاد والترقى ، فقد تأسست هذه الجمعية بادىء الامر فى باريس وبقيت تعمل ، وترسل المنشورات السرية مع البريد الدبلوماسى الاوروبى حتى تمكنت اخيرا مع تضافر العوامل كلها للقيام بحركتها الانقلابية عام ١٩٠٨ وتسلم زمام الامور ! وبذلك وصلت الفكرة التى اتخذها الغرب اداة لضرب الدولة وهدم الخلافة الى الحكم متمثلة فى جمعية تركيا الفتاة .

وهكذا تمكن الاستعمار من تمكين فكرة القومية التركية فى قلب استانبول ومن تمكين فكرة القومية العربية فى البلدان العربية ، وكان لابد لهاتين



جامع السلطان أحمد

الفكرتين من الصدام والتنافر والانفصال .

٣ ـ دور الماسونية والصهيونية العالمية فى القضاء على الدولة العثمانية :

وتكاتفت كل قوى الشر فى العالم الغربى والشرقى للقضاء على الخلافة الاسلامية فىاستانبول ففى زمن السلطان عبد الحميد استأذن بالدخول عليه احد قادة التنظيم الصهيونى المدعو « قره صو » وقال له « ان الدولة بحاجة الى معونة ونحن على استعداد لمدكم بالاموال التى تحتاجون اليها بشرط ان تمنحوا اليهود حقا باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، فما كان من عبد الحميد هذا الا ان قال .... من ادخل هذا الخنزير » وطرده من بلاده وأصدر أوامره بمنع هجرة اليهود الى فلسطين. فما كان من هذا القائد الصهيونى الا ان سافر الى ايطاليا ، ومن هناك ابرق الى عبد الحميد ... أن هذا الرفض سيكلفك ملكك ، وفعلا كان ذلك .. فحين قام الانقلاب على الدولة تم بتدبير المحافل الماسونية ، وعلى الاخص المحفل الايطالى الاكبر فى سلانيك التى كانت ترحب باعمال جمعية تركيا الفتاة ، وتبارك اعمالها ، وتقدم لها سائر المعونات ، وكانت جلسات هذه الجمعية تعقد فى غرف المحافل الماسونية التى يستحيل على الجواسيس ان يصلوا اليها مهما بذلوا من جهد ، وحين قام الانقلاب لم يجدوا لعبد الحميد حين نفى الا بيت احد اليهود ويدعى (سلمون) كى يستقر به حتى يموت فى مدينة (سلانيك) .

٤ ـ مصطفى كمال ... أو الذئب الاغبر :

هو من أصل يهودى .. ومن اقوام تدعى (الدونمه) فى اليونان .. أظهرت الاسلام ، وأبطنت اليهودية حتىتستطيع بالمكر والخديعة ان توقع فى صفوف المسلمين .

وقد استطاع وهو ضابط فى الجيش التركي ان يصبح الشخص الاول فى الحكومة وكان ذلك فى أيار ١٩١٩ وقد جاء دوره وأبرز للعيان على انه بطل من أبطال التحرير .... وعظيم من عظماء القومية التركية ، ومؤسس تركيا الحديثة ، وخالق العزة والكرامة فى نفوس شعبه .

ولقد احكمت المسرحية بحيثاستطاع هذا الرجل وتركيا خارجة من حرب أنهكتها استطاع ان يطرد اليونانيين من أزمير ، واستطاع انيطرد أنكلترا وفرنسا من مضائق الدردنيل والبوسفور ومرمره .. واستطاعانيفعل المعجزات.

كل ذلك والغرب ينفخ فى الرجل ..

فى تركيا

والغربيون يسمونه الذئب الاغبر .. حتى اصبح بطلا قوميا عظيما ، ولم ينس الغرب ان يقبض الثمن « ازالة الخلافة وفصل تركيا عن باقى اجزاء الدولة العثمانية ، او باختصار تحطيم الدولة العثمانية » .

وثمنا آخر قبضه هو ما فعله مصطفى كمال أو ابو الاتراك كما سمى نفسه من تغييرات فى داخل تركيا نفسها، فقد أعلن العلمانية فى تركيا ، وفصل الدين عن الدولة واضطهد المسلمين أبشع واحقر اضطهاد ، حتى انه كان يقتل بالعشرات ، ويعلق جثثهم على اعواد الشجر .. واغلق كثيرا من المساجد ، ومنع الاذان والصلاة باللغة العربية ، وحرم الشعب من كثير من مظاهره ، واجبره على اللباس الاوروبى .. والغى وزارة الاوقاف ، ومنع الصلاة فى جامع اياصوفيا ، واعاد اليه تماثيل السيدة العذراء وغيرها .. وحوله الى متحف .

واستبدل بالقانون الاسلامى الذى كان معمولا به فى صعيد العلاقات العائلية والزوجية القانون الوضعى ، ومنع تعدد الزوجات ، واستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

والغى دروس الدين الاسلامى من المدارس .. ودفع للشعب التركى عقيدة جديدة هى القومية الطورانية وفى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٨ توفى أتاتورك فى استانبول بمرض تشمع الكبد من كثرة تعاطيه للخمور ، وقد تعفنت جثته قبل موته ، وقبل موته اسس حزبا اسماه حزب الشعب .

٥ ـ تركيا اليوم :

لكن الشعب التركى الذى يعتز بأنه يدين بالاسلام ، ما تنكر يوما لهذا الدين الحنيف ولن يتنكر له أبدا ، فالايمان برسالة الاسلام يتدفق فى عروق كل مواطن هناك دما حارا وما فتىء يعبر عن ايمانه هذا بكل وسيلة من وسائل التعبير التى ينشدها المسلم الخالص لله ولدينه ، والذين يقدر لهم زيارة تركيا يلمسون عن كثب بأنفسهم مظاهر حرص هذا البلد على احترام شعائر الدين وقداستها ، فما ان اعلن بعض النواب فى بيانهم الانتخابي بعد وفاة اتاتورك عن انهم سيعيدون الأذان بالعربية حتى كان لهذا الحزب الذى تأسس حديثا وأسمى نفسه الحزب (الديمقراطى) الاغلبية المطلقة .. والتى جعلت حزب اتاتورك أفردا قلائل .. لا يحسب لهم اى حساب .

وهكذا شاء الله ان تمر تركيا بهذه المحنة لتعطى درسا قاسيا للغرب ولاذناب الغرب ، وللشرق وأذناب الشرق ان الاسلام رسالة حياة ، ورسالة ايمان، ورسالة صلاح لا يمكن ان تموت ، ولا يمكن ان تضعف مهما مرت الايام ، ومهما بدا للمراقبين ان الاسلام صامت ساكن فانه لا بد ان تنفجر طاقاته يوما ، ويرجع المعتدين الى جحورها فى احضان صانعيهم ، فى احضان الغرب والشرق .

ولقد حدثنى بعض المسلمين فى تركيا انه منذ (١٥) سنة حين اعادت الحكومة الأذان بالعربى كنت تجد الناس ساجدين فى الشوارع لله شكرا .. وكنت تسمع البكاء والعويل .. فرحا لله ان عادت للناس شعائر دينهم .

وفتحت معظم المساجد .. ولم يبق سوى مسجد اياصوفيا مغلقا وان الحكومة تحيطه فى كل حين بفرقة من الجنود ، لتمنع الشعب المسلم من أن يفتحه بالقوة .

ماذا فعل اذن الذئب الاغبر ؟؟

الذى أعطى الناس العزة والكرامة ..؟

اعطى الناس رد فعل يزلزل الجبال ،

فتماثيل اتاتورك لا تكـاد تستقر على الارض حتى بـدأت الحكومـة بـسن القوانين لحمايتها ، وتنزل اقصى العقوبات بمرتكبى نسف أصنام أتاتورك .

وتصدر الآن فى تركيا مجموعة مـن الصحـف الاسـلامية القوميـة تشرح الاسـلام شرحا صحيحا .. وتعيـد للاسلام بريقه الذى حاول بعض الحكام اثارة الغبار حوله .. وتقوم فى تركيا الآن حركة ترجمة واسعة للكتب الاسلامية العربية حتى اربى عدد المترجم منهـا على السبعين كتابا من الكتب الاسلامية الحديثـة لكبـار الكتـاب الاسـلاميين المعاصرين .

٦ ـ وأخيرا ..... :

فان الشـعب التركى يسـير بخط قويم نحو الاسلام .. وان المنحرفين مهما طغوا وحاولوا صد التيار من ان يبلـغ شاطئه فانه بالغه ولا ريب ، ولم يعـد يصعب على المراقب والمشاهد ان يرى فى تركيا تيارا اسلاميا واضحا قد يختلف ظهورا وتسترا ، ولكنه قائم على كـل حـال .

ونحـن فى البـلاد العربيـة علينـا مسؤوليات كبيرة بحكم موقفنا من الزمان والمكان .. فعلينا ان نمد يد العون الى اخواننا المسلمين فى كـل مكان مهمـا تباينت اللهجات والجنسيات والاسلام لم يعترف يوما بهذه الفروق الجاهلية الكريهة .

● ●

جامع أيا صوفيا ـ استنبول





صفحات مطوية من الماسونية

للاستاذ فتحي يكن ـ لبنان

ماهي الماسونية :

الماسونية او الصونية كما سماها البعض نسبة لصيانة الاسرار ، جمعية سرية قديمة لم تعرفها بلاد الاسلام الا فى العصور المتاخرة ، آخذة اياها عن البلاد الغربية من افرنسية وانكليزية وايطالية والمانية وغيرها ..

ان التوغل فى تاريخ الماسونية يستلزم مجلدات ضخمة كلها مأخوذة عن كتب الغربيين .. اما اذا شاء الباحث التنقيب فى كتب العرب وتواريخهم فلا يجد لها ذكرا ..

اما فيما كتبه المؤرخون المحدثون فهنالك طائفة من المؤلفات والكتب تعرضت للماسونية من جوانب مختلفة ، منها المؤيد ومنها المعارض .. واذكر من هذه الكتب على سبيل المثال :

(تاريخ الماسونية العام) لجرجى زيدان (الآداب الماسونية) لشاهين مكاريوس (شيعة الماسونية) للآباء اليسوعيين (البناية الحرة وروح الماسونية) لأحمد زكي ابو شادى . وغيرها .

والذى يلفت النظر .. ويدعو الى التساؤل وامعان الفكر على الدوام ان كل مصطلحات الماسونية وكلماتها واشاراتها ورموزها وتعابيرها كلها تقريبا (عبرية اللغة) مما يدل على أن لليهود اليد الطولى فى تأسيسها ..

نشأة الماسونية

اختلف المؤرخون فى منشأ هذه الحركة .. فمن قائل بحداثتها وانها لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر الميلادى .. ومنهم من قال انها انبثقت من جمعية الصليب الوردى التي تأسست عام ١٦١٦ ومنهم من اوصلها الى الحروب الصليبية ..

وزعم آخرون انها من ايام اليونان القدماء فى الجيل الثامن بعد الميلاد .. ومنهم من زعم انها نشأت فى هيكل سليمان .. ومنهم من اوصلها الى الكهانة المصرية والهندية وغيرها .. ومنهم من اشتط فقال ان مؤسسها سيدنا آدم عليه السلام .. والابلغ من ذلك زعم بعضهم ان الله سبحانه وتعالى اسسها فى جنة عدن وان الجنة كانت اول محفل ماسوني ، وان سيدنا ميكائيل رئيس الملائكة كان اول استاذ اعظم فيه ، الى غير ذلك من الهذر والهراء ..

والحقيقة ان الماسونية كانت ابتكارا يهوديا يهدف الى استقطاب القوى والامكانات اليهودية الموزعة فى انحاء المعمورة ، سعيا وراء غايتهم المنشودة وهي اعادة تأسيس مملكة اسرائيل ، واستئناف مجد يهوذا الزائل ...

واذا كانت المحافل الشرقية تجهل هذه الحقائق او تتجاهلها فلقد اكدت الاحداث وقامت الادلة بما لا يحتمل

الشك على صلة هذه الحركة فى الاساس بالحركة اليهودية ..

الماسونية تغزو الملوك والزعماء :

ولقد حرص اليهود منذ أنشأوا الحركة الماسونية على الاستفادة منها فى التقرب الى الملوك والحكام والزعماء ورجال الدين والكتاب للاستفادة منهم واستغلالهم وضمان تسخيرهم للمصلحة اليهودية .

وكان لهم ما ارادوا اذ استجاب لهم عدد ضخم من ملوك وحكام العالم .. وحتى يتبين القارىء مدى العلاقات التي اقامتها الحركة الماسونية مع المشاهير والساسة فى كل زمان ومكان يكفي ان يعرف عددا من البارزين منهم فى شتى انحاء المعمورة ..

كان منهم (ادوارد ملك انكلترا عام ١١٣٥) (اسكندر الثالث ملك اسكوتلاندا عام ١١٥٠)

(هنرى الثاني ملك انكلترا عام ١١٥٥)

(ريكاردوس قلب الاسد عام ١١٦٠)

(هنرى الرابع ملك انكلترا عام ١٣٩٨)

(هنرى الخامس ملك انكلترا عام ١٤١٢)

(كردينال وولس استاذ اعظم عام عام ١٥٠٩)

(باكون الفيلسوف الانكليزي ١٦٢٩)

(جورج الاول ملك انكلترا عام ١٧١٤) (صموئيل كلارك فيلسوف انجليزى عام ١٧٢٩)

(فريدريك وليم ولي عهد بروسيا عام ١٧٣٨) (هريكورت رئيس برلمان باريس عام ١٧٨٥)

(جستاف الثالث ملك اسوج عام ١٧٩٢) (جورج واشنطن مؤسس جمهورية اميركا عام ١٧٩٩)

(اسكندر امبراطور روسيا عام ١٨٠٣) (سان مارتين فيلسوف فرنسي عام ١٨٠٣)

(شارلس ملك اسوج عام ١٨١٠)

(هيغل الفيلسوف الالماني المشهور عام ١٨٣١)

(الملك جورج الخامس ملك انكلترا)

(فاروق الاول ملك مصر السابق)

(بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق) (سامى الصلح رئيس وزراء لبنان الاسبق)

وهنالك عدد كبير من حكام وزعماء العرب الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية .

الماسونية تتسلل الى الاكليروس :

ونتيجة للسعى المتواصل الذى قام به الماسونيون لاستغلال رجال السياسة والدين والعلم فى العالم فى الغايات البعيدة التى يعملون لها .. فقد تمكنوا عام ٦٢٠ من اشراك الاساقفة ورجال الاكليروس معهم ، وقلدوهم رئاسة محافلهم .. ومنذ ذلك الحين اضيف الى اسم رئيس المحفل كلمة (محترم) وهو لقب اكليركى لازال مستعملا حتى اليوم .. وكانت الاديرة ملجأ للماسونيين فى الحروب والثورات .. وفى سنة ٦٨٠ اقيم الاب (ويرال) مفتشا عاما للماسون الاحرار فى بريطانيا ..

ومن انكلترا انتشرت الماسونية فى العالم الاوروبى والشرق . وفى سنة ٩٦٠ ازداد انتشار الماسونية وكانت اذ ذاك برئاسة (بطريرك كنتربرى) الذى اصبح بعد ذلك القديس (دنستان) . وفى عام ١١٥٥ انتخب الماسون ريكاردوس قلب الاسد — استاذا اعظم — للمحافل الماسونية فى انكلترا . وكان استاذا اعظم لجماعات (الهيكليين) ايضا ، فقبل الدعوة ودام رئيسا للحركتين حتى توفى ..

ومن اسخف ما يستنتجه (جرجي زيدان) من معاملة صلاح الدين الايوبى الطيبة الكريمة لريكاردوس قلب الاسد فى الحروب الصليبية رغم كونه من

البقية على ص ٨٩

قصة اسلامية



كانت هجرة المسلمين الى الحبشة بداية نصرة قوية لدين الله ، ورمزا واضحا لاقناع كفار قريش بأن ما جهدوا فيه وكلفوا انفسهم مالا تطيق من محاربة الرسالة المحمدية سيقذف الله به كله الى هاوية العبث وانعدام الجدوى . فالوطن الذى نشأوا فيه يفارقونه غير باكين ولا آسفين . الى وطن لا يجدون فيه خوفا ولا فزعا ، ولا يتعرضون فيه لقضبان من الحديد المحمى تكوى بها ظهورهم وجنوبهم جزاء ما صنعوا من مخالفة عقيدة أهل الشرك ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولم يؤمنوا بهذه الاصنام التي يصنعونها بأيديهم ، ويزيفون لها القدسية والجلال .

ومن هؤلاء المؤمنين المهاجرين الى الحبشة (سهيل بن وهب) كان عبدا أعتقه عثمان بن عفان سيده ، غير انه ـ رغم انفكاك رقبته من اغلال العبودية ـ ظل مستضعفا ، فالنظام القبلي الذى كان يسود مكة حينذاك لم يكن يملأ عينيه سوى تراب الجحافل الكثيرة من ابناء القبيلة ، أما اولئك الذين لا تستند ظهورهم الى جدران راسخة من العصبية الغاشمة. فقد كان يكال لهم العذاب كما يكال الزيت والشعير ..

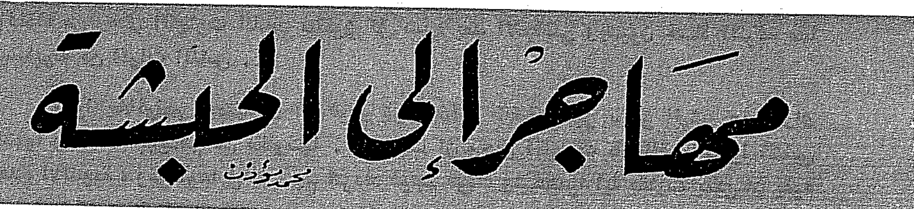
وصل المهاجرون الى الحبشة فنبتت المخاوف فى صدور كفار قريش ، خشية ان يجد المسلمون لهم عضدا قويا فى هذه الاصقاع ، والدلائل تشير الى أن محاربة قريش للدين الحنيف بدأت تهتز وتضعف ، والداخلون فى الاسلام يتكاثرون رغم ما يدركونه مما اعده لهم المشركون من وسائل التعذيب والاضطهاد ..

وفد قريش الى النجاشي

لذلك بعثوا الى النجاشي وفدا على رأسه عمرو بن العاص ، وقدموا اليه الهدايا اللائقة بملك عظيم ، واستمالوا اليهم رجال الكهنوت بالهدايا والرشاوى ، وامام النجاشي

راحوا يكيدون للمسلمين ، فزعموا ان الاسلام ينكر الدين المسيحي وينبذ المسيح وامه البتـول ..

وجاء المسلمون فحطموا هذه الاتهامات ، وقالوا : لقد كنا فى امة تعبد الاصنام وتقترف الكبائر . وجاءنا محمد الذى نعرفه صادقا أمينا فدعانا الى عبادة الله والى صلاح امورنا وسلوك الطريق السوى ، اما المسيح فانه الرسول الكريم وامه العذراء الطاهرة ..



للاستاذ محمد علي غريب

ولقد رفض النجاشي ان يسلم المسلمين الى اعدائهم ، ورفض هداياهم ، والزمهم أن يعودوا الى قريش مخذولين خائبين ..

ولقد غادر الكثيرون من المهاجرين الحبشة بعد ان اذن الرسول الاعظم ، صلوات الله عليه بالهجرة الى المدينة وبقى منهم عدد قليل ..

سهيل يدعو الى الاسلام

ومن هؤلاء سهيل بن وهب

كان فتى مديد القامة ، موفور العافية ، مكتمل الرجولة . غنيا رغم فقره بايمانه الذى لا يتزعزع .. وكان قد حفظ ما انزل على النبي الكريم من آيات الذكر الحكيم وهو فى مكة ، وان المرء ليعجب كيف تسنى له أن يملأ صدره بما بقى من كتاب الله ، وهو بعيد عن يثرب فى هذه البقاع ؟ .

كان اهل المدينة اصحاب تجارة مع البلاد القريبة والنائية . وكـان من المسلمين من يفد على الحبشة فى تجارة له . يبيع ويشـترى ، وعن هؤلاء تلقى سهيل بن وهب ما كانوا يحفظونه من كتاب الله ، حتى اكتمل له القرآن الشريف كله .

وانطلق داعية لله فى هذه الامة العظيمة يبشر وينذر ، ولم يكن عاجزا ولا كلا ، كان يشقى ويعمل .. متجملا بالقناعة والصبر ، راضيا بما يمنحه الغيب من رزق محدود ، فما ابتغى الثراء العريض ولا الرفاهية المدودة ، ولا راح يركض وراء جياد المنى والاحلام ..

ولقد حذق اللغة الامهرية ، واجاد الحديث بها ، فاتاح له ذلك فرصة الاتصال باهل الحبشة ، ومعرفة ما فى حياتهم من اسرار ، وما فى هذه الاسرار من خبايا ومنعرجات ..

وكانوا قد خبروه وايقنوا انه صادق لا يكذب ، امين لا يغدر ، منحته استقامته وطيبته عزة ومنعة فكانوا يحترمونه ولا يقوى اشد الناس توقحا وبذاءة على ان يخدشه بكلمة سوء ..

وكان لا بد ان يجرى بينه وبينهم حديث مستفيض عن دينه الذى يعتنقه وانه ليوضح لهم ما عسى ان يكون قد غمض عليهم من تعاليمه القويمة ، ومن اهدافه المرجوة لخير البشرية جمعاء ، ومن دعوته الصادقة الى التآخى والتكاتف بين الناس ، لا فرق بين غني وفقير ، ولا بين عظيم وحقير ، الا بتقوى الله وحسن عبادته ..

وكان يتلو عليهم بصوته العذب الرخيم آيات من كتاب الله الحكيم ، ويحاول ان يفسر لهم معانيها الشريفة بلغتهم الامهرية فيقبلون عليه ، وقد القى فى قلوبهم السحر الذى لا يقاوم وانه لتأخذهم مما يسمعون الدهشة والعجب ، وان عقولهم لتتفتح لما يصفون اليه كانما هي تطلب المزيد .

ولقد آمن منهم كثيرون بالدين القويم ولكنهم كتموا ايمانهم فى صدورهم خشية اولئك الطغاة من رجال الكهنوت الذين يملكون كل شيء بعد النجاشي ويحيون حـاة الترف مما يسلبونه من اقوات الناس ..

كانوا يخافونهم ويعتقدون ان فيهم قوى خفية طاغية يعجز سائر البشر عن ادراك كنهها وتضعف جهودهم عن مقاومتها . ولا ريب ان رجال الكهنوت هم الذين لقنوا الناس هذه الاكذوبة ، وغرسوها فى نفوسهم لتزداد قوتهم قوة ، وليحطموا اية مقاومة يمكن ان يقوم بها المتشككون المرتابون .

وكان اهل منطقته يثقون به ، ويجزلون له الود والوفاء بعد ان عرفوا فيه سـلامة الطوية ، واكتمال المروءة ، واستقامة القصد ، فلا تهبط به الكبرياء الى التعالي السخيف والزهو المقوت ..

انتصاره للضعفاء

وذات يوم رأى رجلا ضخم الجثة ، شديد الاسر ، يؤذى سيدة عجوزا فقيرة ويمعن فى النكال بها . ويبالغ فى اذلالها ، ولقد هم بضربها ، فامسك به سهيل ، يرده عن الاذى ، ويبذل غاية جهده فى ان يخفف من سورة غضبه حتى هدأت ثائرته ، وتكشف ان السبب من التفاهة والهوان بحيث لم يكن يستأهل الخصومة ولا الغضب المحموم .

وعرفت هذه المرأة العجوز الفقيرة ما لهذا الفتى النبيل من فضل ، فاغدقت عليه كل ما تملك من حب ووفاء ، وكانت خير رسول الى مواطنيها تشيد بمناقبه ، وتروى لكل اسرة حادث انقاذه اياها من براثن هذا الوحش الذى كان الناس يخشونه ويفزعون منه بمجرد ان يـروه ..

كان هذا الرجل قد اشتهر بشراسته وفظاظته وسوء خلقه ، والناس فى كل زمان ومكان يحاذرون من ان يواجهوا الشر تجنبا لعواقبه السيئة ، وما دمت قادرا على ان تهرب من الوحش الكاسر فما جدوى اظهار البطولة امام الموت المحقق ..

اما سهيل فقد قهر هذا الرجل الفظ ، واسقط امامه على الارض قلامات اظفاره وما زال به حتى اصبح كالنعامة يوشك ان يخفى رأسه فى الرمال .

حوار بينه وبين ماكونات

ولزمت (ماكونات) ــ وهذا اسم المرأة ــ منزله ، تقوم على رعايته ، وتسهر على قضاء حاجاته وتحرص على مرضاته ، كانت له بمثابة الام ، شفقة ورحمة وحنانا ..

وكانت تصغى اليه وهو يرتل آى الذكر الحكيم ، فتأخذها هزة من العجب والدهشة والرضى ، ولكنها ــ لضعف ادراكها ــ لم تكن تستطيع ان تفطن الى حقيقة ما يرتله ... كانت تنطوى على نفسها وتخلد الى السكون المطلق . وهى تحس نشوة ومتعة ، ولـكنها لفرط سذاجتها لم تكن بقادرة على أن تسأل :

ـ ما هو هذا السحر الذى ينفذ الى قلبها ولا تقوى على فهمه ولا ادراكه ؟

واحس ما هى عليه من حيرة ولهفة وتطلع ، وفطن ببصيرته النافذة الى السر الذى يؤرقها ويملأ عليها حياتها ، فراح يستدرجها الى ان تفضى اليه بمكنون صدرها ، بما يشغل بالها ويورثها القلق والاضطراب ..

وقالت لـه :

ـ انني استمع اليك وانت تردد حديثا لا افهمه لانه بلغة غير لغتي ، ولكنني احس له وقعا فى نفسي ، فهل انت تخاطب الجان وتفرض عليهم ارادتك ليقتلوا اعداءك أو يغيروا من طبائع الحياة التي يحياها الناس من حولك ؟

وابتسم لها ابتسامة الاعزاز والاشفاق ، وقال لها :

ـ لست ساحرا يا اماه ، وليس لي سلطان على الجان ، وانما انا عبد من عباد الله .

قالت لـه :

ـ اذا فانت لست مسيحيا ؟ هكذا سمعت ممن يتحدثون عنك من اهل هذه البلدة ، وكانوا يقولون ان دينك يخالف ديننا .

قال لها :

ـ لست مسيحيا ولكنني مسلم ، وان ديني ليأمرني بأن أؤمن بالمسيح كرسول من عند الله وليس الها .

وظل يحادثها وقتا غير قصير ، وهو يبذل اقصى جهده ليبين لها ما غمض عليها مـن امور دينه الحنيف ، ويخاطبها على قدر ما يعرف عنها من بساطة فى التفكير ، فهو يوضح لها معالم دينه بالاسلوب الذى يعتقد انه خليق بان ينفذ الى عقلها ، ويستقر فى قلبها ، دون ان تشوبه شوائب الغموض والابهام .

وهكذا استطاعت ان تدرك القليل مما سمعته ووعته ، وان كان ذلك لم يؤثر كثيرا فى عقيدتها التي نشأت عليها وصاحبتها فى حياتها الطويلة المضنية ، ذلك لان قلبها لم يكن قد تفتح لتقبل الدين الجديد الذى رأته يخالف دينها القديم .

ورغم هذا ، فانها كانت راضية عما استمعت اليه ، فلم تحس ضيقا ولا حرجا بسبب هذا التصادم بين العقيدتين .... انها كانت لفرط نقاء سريرتها ، توشك ان تستجيب لهذه العقيدة التي رأت فيها ما يسمو بالنفس الانسانية فى هذه الحياة الدنيا ، ويستكمل اهبتها لتلقى فيوض النعيم فى الحياة الاخرى ..

على انها كانت جد حائرة تستهدى بغريزتها للوصول الى الغاية المرجوة من ايمانها ، ولكنها ما ان تخطو خطوة فى هذا السبيل حتى تتعثر قدماها فتعود الى البداية من جديد ، لتواصل السير فى هذا الطريق الذى تسلكه لأول مرة فى حياتها .

كانت هناك عقبات أمامها تقف تجاهها مضطربة مشدوهة ، غير ان فطرتها السليمة تذلل لها هذه العقبات ، فهى قد عذبت فى حياتها عذابا اليما ، وأوذيت بما لا يستطيع كثير من البشر ان يحتملوه ، وذلك بسبب فقرها وضعفها واستكانتها ، حتى زوجها الذى فقدته منذ سنوات بعيدة والذى كانت تحيا معه حياة الاستقامة والشرف كان يضطهدها ويسومها الخسف والهوان ، فلما تولى عنها لقيت من الناس ما يلقاه الذليل العاجز الذى لا يقوى على رد الاساءة بمثلها ولا اللطمة بأيسر منها ، وكانت تصبر على الاذى كما يصبر الـزرع على هطول الامطار فى فصل الشتاء .

ولقيت (ماكونات) ذات يوم فتاة من اهل بلدتها ، ذات جمال طاغ وفتنة لا تقاوم ، وكانت فى ربيع العمر ، فسألتها عن حالها ، ولما عرفت منها انها تقيم فى منزل ذلك الرجل المسلم ، راحت تستفسر منها عن خصائصه وشئونه ، وقالت لها ، انها رأته ذات يوم وحدثوها عنه كثيرا وكيف انه يعتكف فى منزله لتلاوة كتابه الذى يؤمن به ، وانها شغوفة بأن تسمع منه بعض ما يتلوه من هذا الكتاب اذ هى تحب بطبيعتها ان تقف على كل جديد ، وان تعرف معرفة وافية كل ما تجهله .

كان اسم هذه الفتاة (سومانيل) وكانت بارعة فى الحديث ، وهي كذلك تحسن الاصغاء، وربما وسعت موهبتها الفطرية جودة الفهم وحسن الادراك ، لما تعيه مما يتناثر امامها فى المجالس التي تشهدها من شتى الموضوعات .

ووعدتها (ماكونات) بأن تمهد لها لقاء سهيل ، فلما حدثته عنها ابدى دهشته وعجبه ، اذ كان قد رأى الفتاة وعرف عنها الشيء الكثير .

عرف عنها انها ابنة أخ واحد من رجال الكهنوت اسمه (ميخائيل) ، وان هذا الرجل من اشد رجال الكهنوت سيطرة وجبروتا ، وانه هو الذى استقبل عمرو بن العاص حين وفد الى الحبشة ، ووعده بمعاضدته لدى النجاشي فى اخراج المسلمين المهاجرين الى الحبشة واعادتهم الى مكة .

كان هذا الرجل يبغض المسلمين المهاجرين بغضا شديدا ، أن ضيق افق تفكيره وجهله وانطماس بصيرته جعله متعصبا شديد النقمة على من يخالفه فى الدين ، وهو بذلك يخالف مولاه النجاشي الذى كان موفور السماحة ، لين الجانب ، بعيدا عن التعصب المقوت .

لم يكن (سهيل) يعير هذه الفتاة ولا غيرها من فتيات البلدة عناية ولا اهتماما ، فقد كان منصرفا الى عمله والى عبادته ، وقد ركب الله فى طبعه عفة تعصمه عن الوقوع فى حبائل الشيطان ورغم شبابه المتفجر ، فانه كان يجد له متنفسا فى عمله وفى عبادته ، وما من قوة فى هذه الارض ، يمكن لها ان تغريه بتنكب هذه الجادة التي يسلكها فى هدى ووعى وايمان .

سومانيل تعتنق الاسلام

وجاءته الفتاة ، فغض من بصره لدى رؤيتها ، وقالت له :

– اقرأ لي شيئا من كتابك .

فجلس على الارض وراح يقرأ فى صوت خاشع :

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون) .

فأحست الفتاة الرهبة والاعجاب مما سمعت ، واستزادته ، فمضى يتلو عليها آيات من الذكر الحكيم ، وهى تصغى فى سكون ، وقد أمتلأ قلبها رضى وغبطة ، وشرح الله صدرها للايمان فآمنت .

وكان سرور (سهيل) بما وقع بالغا حده واجتاحته موجات من البشر والتأثر الشديدين ، حتى انه لم يتمالك نفسه فاجهش فى البكاء .

وسأل الفتاة :

– ألا تخافين من عمك (ميخائيل) ؟

وقالت الفتاة :

ـ أنني لا أخاف من أحد ، فان عقلى هو الذى هداني الى الدين الصحيح ، وما من أحد يستطيع أن يحول بيني وبين عقيدتي التي اعتنقتها عن طواعية وحسن اختيار .

ثم صمتت الفتاة قليلا واستطردت تقول :

ـ وأنت ! ألم تغادر وطنك الذى نشأت فيه فى سبيل الحرص على عقيدتك التي اتخذتها لنفسك ، والتي أنت على أتم استعداد لان تضحي بحياتك فى سبيلها ؟

واطرق (سهيل) برأسه ثم قال :

ـ ان الايمان اذا حل بقلب ملكه كله ولم يعد فى استطاعة البشر جميعا أن ينتزعوه منه حتى يوسد فى التراب .

وتعاهدا على الوفاء للدين الذى آمنا به ، وان ينشراه فى كل مكان يحلان به ولو لقيا فى سبيل الدعوة اليه شتى صنوف الاذى والاضطهاد .

كتاب الرسول الى النجاشي

وفى هذه الايام تلقى (النجاشي) ـ واسمه اصحمة بن ابحر ـ رسالة من الرسول الاعظم محمد بن عبد الله هذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة أسلم أنت فاني احمد اليك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وانى ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فاني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءوك فاقرهم ودع التجبر فانى ادعوك وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى) .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو .

(بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله . من النجاشي الاصحم بن ابحر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا اله الا هو الذى هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت بهالينا ، وقد قرينا ابنعمك واصحابه فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وارسلت اليك بابنى (ارها بن الاصحم بن ابحر) فانى لا املك الا نفسي وان شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله) .

اسلام النجاشي

وعندما اسلم النجاشي ، فتحت الابواب المغلقة فى الحبشة امام الدعوة المحمدية ، وانطلق الدعاة يقتحمونها بكل ما أوتوا من قوة وعزم وايمان .

وكان اسبقهم الى اقتحام هذه الابواب (سهيل بن وهب) الذى حذق وسائل الدعوة بالمران والتدريب حتى اصبح من اعلامها المبرزين .

وكان رجل الكهنوت (ميخائيل) قد سمع عن اسلام ابنة اخيه ، فغضب لذلك غضبا

شديدا وكان قد اختار لها أن تتزوج من ابن اخته (عفرام) وكان (عفرام) هذا شابا احمق طائشا ، يثير بسلوكه المعوج الفتن والمشكلات ، معتمدا في ذلك على سطوة خاله رجل الكهنوت ، فكان الناس يتحاشون الدخول معه في مجادلات تفضى بطبيعتها الى شر كثير .

ولم تكن (سومانيل) تميل اليه ، بل انها كانت تبغضه أشد البغض ، وتنفر منه أشد النفور ، وكانت لا تحب ان تلتقي به حتى في هذه الجلسات العائلية ، فانه كان دائما صخابا لعانا ينطق بفحش القول ويتعمد الاساءة الى اقرب الناس اليه .

لقد احبت (سومانيل) فتاها (سهيل بن وهب) حبا ملك عليها شغاف قلبها ، وان لم تكن على يقين من ان فتاها يحبها .

وكانت تلقاه في اكثر الاوقات ، ولكن لم تجر بينهما اية كلمة عن هذا الحب .

كانا يتدارسان القرآن الكريم ويتحدثان عن العبادات والفرائض ، وتدور بينهما مناقشات هادئة حول تيسير سبل الدعوة الى الاسلام في الحبشة ، وكانت الفتاة أشد دراية بما يجب ان يتبع في هذا الصدد لان ذلك هو وطنها .

مؤامرات ميخائيل

على ان العواطف كانت تثور دائما في منزل اهل الفتاة ، بسبب اسلامها وكان خالها رجل الكهنوت يوقد النيران ويحرك الفتنة ، وتتفجر غضباته وصواعق سخطه وهو ينادى بالويل والثبور وعظائم الامور ، وانه ليتهدد اسرة الفتاة بالشر المستطير اذا لم ترجع الفتاة عن دينها الذى اختارته .

على ان اهل الفتاة كانوا لا يلقون بالا الى هذه الصرخات المحمومة من رجل الكهنوت فقد كانوا لا يتشددون كثيرا في مسائل دينهم المسيحي .

وذات يوم اختفى (عفرام) وبحثوا عنه كثيرا فلم يعثروا له على اثر ، ولم يكن قد تعود الغياب عن اسرته ، فاضطربت نفوسهم وراحوا ينشدونه في كل مكان .

وعرفوا كذلك أن (سهيل بن وهب) اختفى هو ايضا ، ولا تسل عما حل بالفتاة (سومانيل) من الخوف والجزع على غياب حبيبها ، لم تكن خائفة ولا جزعة لغياب قريبها (عفرام) بل لعلها كانت في قرارة نفسها تتمنى ان يكون غيابه الى الابد .

اما حبيبها الذى لم يبح لها بأية كلمة تشتم منها رائحة الوله والصبابة ، فانها كانت طوال فترة اختفائه تضع يدها على قلبها خشية ان يقفز من بين ضلوعها هلعا وفزعا .

اما رجل الكهنوت (ميخائيل) فقد اقام الدنيا واقعدها بسبب غياب ابن اخته (عفرام) واخيرا اعلن في ثورة غضبه وهياجه انه لا بد ان (سهيل بن وهب) قتل ابن اخته (عفرام) بسبب تنافسهما على حب الفتاة (سومانيل) .

وجمع اطراف القضية ونقلها برمتها الى النجاشي متهما (سهيل بن وهب) بهذه الجريمة البشعة ، ولم يستطع ان يقدم دليلا واحدا على صدق اتهامه سوى هذا الدليل الواهي الذى ابتكرته مخيلته المريضة وهو ان بين الاثنين تنافسا على حب هذه الفتاة .

واستمع النجاشي في هدوء الى هذه القصة المحزنة واعرب عن موفور اقتناعه بأن هذا الذى ذكره رجل الكهنوت لا يمكن ان يرقى الى مرتبة الدليل الحاسم على صحة الاتهام ، واضاف الامبراطور الى قوله هذا انه اذا ثبت ان ذلك الرجل المسلم قتل (عفرام) فلا

بد ان يقتل . وسرت الشائعات فى المدينة عن هذا الحـادث حتى غمرتهـا ، وكان كثيرون يؤكدون ان هذا الرجل المسلم الطيب لا يمكن ان يكون قاتلا ، اذ هم على يقين من سماحة خلقه ونقاء سريرته واستقامته ، وهو فوق هذا رجل يحب الخير للناس جميعا ولا يضمر عداوة ولا بغضاء لأحد .

ثم ظهر (سهيل بن وهب) بعد قليل وهو منهوك القوى مثخن بالجراح ، فقادوه الى حضرة النجاشي وهو على هذه الحال ، وكان يكتم آلامه فى صبر وشجاعة ، ويتمالك رباطة جاشه وهو يكاد يتهاوى على الارض من فرط ما يحس به من تعب وعناء .

وسألوه اين كان ، وما هذه الجراح التي تملأ جسده ثم سألوه اين (عفرام) ؟

وأجاب على أسئلتهم وهو يلهث لشدة ما يعانيه من آلام مبرحة فقال : أنه كان قد سمع بأن (عفرام) خرج الى الغابات ليصطاد اسدا كان يسطو على منازل الاهلين ويفتك بمن يلقاه فى طريقه وقد رأى (سهيل) من واجبه ان يمضى ليكون عونا له فى اداء هذه المهمة القاسية .

وقد حدث ما كان يتوقعه، فأن الاسد ضاق بعفرام ذرعا وهو يصطاده فى عنف وتحد ، فهجم عليه هجمة شديدة كادت تكون القاضية لولا ان برزت للاسد ورحنا نصاوله ونجاوله حتى قتله (عفرام) .

وصاح رجل الكهنوت (ميخائيل) مغضبا :

ـ هذاكذب ... لقد قتلت عفرام .

وراح النجاشي يهدىء من ثورة (ميخائيل) ويسأل (سهيل بن وهب) :

ـ وأين عفرام ؟

وقال سـهيل :

ـ لقد تركته يسلخ جلد الاسد وهو قادم فى اثرى .

اسلام عفرام

وجاء عفرام متهالكا وقد نقشت مخالب الاسد على جسده سطورا دامية ، ثم روى القصة بحذافيرها ، واعترف بأن الذى قتل الاسد هو (سهيل بن وهب) .

وقال عفرام :

ـ ان هذا الرجل الذى ما ابغضت مخلوقا فى هذه الدنيا مثل ما ابغضته قد انقذ حياتي من موت محقق ، وانني اليوم لا احب احدا فى هذه الدنيا كما أحبه ، ولقد اسلمت لله رب العالمين .

وصرخ رجل الكهنوت (ميخائيل) من اعماق قلبه صرخات مدوية وراح يقول وهـو مبهور الانفاس :

ـ يا للهول .... يا للكارثة لقد جن ابن اختى .

ثم غادر المجلس وهو يكاد ينشق من الغيظ ولم يعرف بعد ذلك مصيره أحد .

وتزوج (سهيل بن وهب) من فتاته وانجبا ، ولقد عمرا طويلا ، ولكنهما امضيا عمرهما الطويل فى نشر الدعوة المحمدية حتى لحقا بالرفيق الاعلى .

كتاب الشهر

بقلم الاستاذ م . ع

شرح الاصول الخمسة

للقاضي عبد الجبار

تحقيق د . عبد الكريم عثمان

القاضي عبد الجبار بن احمد امام من أئمة الفكر الاسلامي ، وعلم من أعلام المعتزلة فى النصف الأخير من القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى ومؤلفاته من الكثرة بمكان ، وان كان أشهرها هذا الكتاب ، وكتابه المشهور « المغنى » ، الذى عثر عليه اخيرا باليمن فى عشرين جزءا ، طبع منها بضعة أجزاء فى القاهرة .

والأصول الخمسة . التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي الأصول التي يجتمع حولها سائر المعتزلة ، والتي لا يوصف المتكلم بأنه معتزلي الا اذا قال بها واعتنقها ، وآمن بها ، ودافع عنها ، ويذكر استاذنا الدكتور احمد فؤاد الأهواني فى تقديمه لهذا الكتاب . أن هذا الترتيب على هذا النحو لم يكن الاجماع منعقدا عليه ، ومما لا شك فيه أنه لم يكن كذلك منذ بدء ظهور المعتزلة ، اذا أخذنا بالرواية التي تذهب الى أن المعتزلة انما نشأوا عندما انفصل واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد عن حلقة الحسن البصرى بسبب قولهما بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل فى « منزلة بين المنزلتين » اذن فهذا الاصل ـ المنزلة بين المنزلتين ـ هو أول الأصول الخمسة .

والمحقق الدكتور عبد الكريم عثمان عالم سورى فاضل ، وأديب باحث محقق ، قد أقدم على عمل كبير ، أحجم عنه كثير قبله ، وقد أعانه على هذا الاقدام ـ كما يشير الدكتور الأهواني ـ أنه مشتغل بالفعل بالكلام والاعتزال ، لأن رسالته التي أعدها للحصول على اجازة الدكتوراة تبحث فى القاضي عبد الجبار وآرائه الكلامية ومنزلته عند المعتزلة ، فلا جرم أنه أصلح من يتمكن من تحقيق هذه الرسالة الخطية .

وقد اعتمد المحقق فى تحقيق الكتاب على تعليق احمد بن ابي هاشم المشهور بـ (مانكديم) وهو أحد ائمة الزيدية والمتوفي عام ٤٢٥ هـ ، وذلك فى نسختين رئيسيتين .

الأولى : ـ نسخة أحمد الثالث باستنبول وتتكون من ١٩٧ ورقة وتاريخ نسخها عام ٧٥٦ هـ وهي من مصورات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

الثانية : ـ نسخة صنعاء وهي من مصورات دار الكتب المصرية وتتكون من ١٥٣ ورقة وهي من مكتبةالامام عبد الله ابن حمزة ، احد ائمة الزيدية والمتوفي عام ٦١٤ هـ ، وكان له اكبر الأثر في الحفاظ على تراث المعتزلة .

واذا رأينا المحقق قد أخرج هذا الكتاب فى اكثر من ثمانمائة صفحة ، اتضح لنا المجهود الشاق الذى بذله ، والعمل الكبير الذى قدمه ، هذا ولم يكتف بضبط النص ، بل ترجم لكثير من الأعلام ، وعلق أحيانا على بعض آراء القاضي ، وقدم مقدمة للكتاب فى أربع وعشرين صفحة ، جاءت بمثابة مفتاح لهذا الأثر الجليل .

عرض فى هذه المقدمة منزلة القاضي فى الفكر الاسلامي ، فقد بدأ حياته العلمية فقيها على مذهب الامام الشافعي ودرس أصول الفقه ، وألف فيه كتبا مطولة منها كتاب العمد ، كما درس التفسير وله فيه كتب عديدة منها تنزيه القرآن عن المطاعن ومتشابه القرآن ، وهو بالاضافة الى ذلك مؤلف أفضل كتاب فى تثبيت دلائل النبوة ، وهو بعنوان « تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » ولا يعرف له الا نسخة واحدة مخطوطة هي نسخة « شهيد علي » باستنبول ، وهي فى طريقها الى المطبعة بتحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان أيضا .

كما عرض لموضوع الكتاب ، فأشار الى أن القارىء له ، يستطيع أن يأخذ فكرة شاملة عن تطور بحوث الكلام ، وأصول الدين عند المسلمين حتى بداية القرن الخامس الهجرى ، وأن ينتهى الى أن القاضى كان احد الأفذاذ الذين وقفوا ضد المحاولات التي كانت تبذل لتمييع الثقافة الاسلامية واخفاء شخصيتها بالمؤثرات الأجنبية ، فلم يساير أمثال ابن سينا وابن رشد وابن طفيل ، وغيرهم ممن أرخوا العنان لهذه المؤثرات أن تتسلل الى تفكيراتهم وتحرمهم أحيانا كثيرة التفكير المستقل .

كما أن الدكتور المحقق اشار الى نقطة جوهرية فى الموضوع ، ذلك أن بحث القاضي لهذه الأصول الخمسة التي ضمنها هذا الكتاب ، لم يكن على هذا التصنيف فى جميع كتبه ، ففي كتابه « المغنى » اعتمد على أصلين . العدل والتوحيد ، وأدخل ما عداهما فيهما ، وفى كتابه مختصر الحسنى ، ذكر أن الأصول أربعة . العدل والتوحيد والنبوات والشرائع .

والقاضي عبد الجبار قدم دراسة تمهيدية مطولة ، قبل أن يتعرض لشرح الأصول الخمسة ، تناول فيها أول الواجبات وهو النظر المؤدى الى معرفة الله وحقيقة النظر ، ومعنى الفكر والمعرفة ، ومعنى الضرورة والمشاهدة ، ومعنى المنفعة وحقيقة الشكر ، والاستدلال بالأعراض على الله ، كما ناقش أصحاب الالهام والمعارف وأبا القاسم البلخي .

وعند ما تعرض القاضي للأصل الأول وهو التوحيد ، ذكر أن أول ما يعرف استدلالا من صفات القديم جل وعز انما هو كونه قادرا ، وما عداه من الصفات يترتب عليه ، لان الدلالة التى دلت على أنه تعالى هو المحدث للعالم ، دلت على كونه قادرا من غير واسطة ، وليست كذلك باقى الصفات ، لأنا نحتاج فيها الى واسطة أو واسطتين أو وسائط .

وتحرير الدلالة على ذلك ، هو انه تعالى قد صح منه الفعل ، وصحة الفعل تدل على كونه قادرا ، وهذه الدلالة هى صحة الفعل لا وقوعه ، لأنه لو وقع ـ لا على طريق الصحة بل على طريق الوجوب ـ لم يدل على كونه قادرا ، والدلالة بعد ذلك مبنية على أصلين . صحة الفعل، وصحة الفعل دليل قدرته.

واستطرد القاضي يعرض صفات الله صفة صفة ، ثم عرض لما يجب أن ينفى عن الله ، فالله غنى فتنفى الحاجة عنه ، ولا يجوز أن يكون جسما ، او عرضا ، وليس معه ثان ، ثم ناقش شبه المخالفين فى مسألة رؤية الرب التى ينفيها القاضى، ومن هؤلاء الاشعرية والمجسمة .

وعندما تعرض القاضى للأصل الثانى وهو العدل ، اشار الى حقيقته ، فهو كلام يرجع الى أفعال القديم جل وعلا ، وما يجوز عليه وما لا يجوز ، كما أشار الى خلق الأفعال ، والخلاف فيه مع المجبرة ، والى أقسام الأفعال ، وحقيقة الظلم ، وأفعال العباد ، ثم عرض للنبوات وصفات الرسول ، ومعجزاته ، وحقيقة المعجزة ، وقد ناقش الأشعرية فى قولهم . انه تعالى مريد بارادة قديمة ، ورد عليهم بأنه لو كان القديم مريدا بارادة قديمة ، لوجب ان تكون هذه الارادة مِثْلاً لله تعالى ، لأن القدم صفة من صفات النفس ، والاشتراك فيها يوجب التماثل، وقد عرف فساد هذا ، كما ناقش المجبرة والملاحدة ، وكل من أثاروا شبهات تتصل بهذا الأصل الذى استغرق وحده اكثر من ثلثمائة صفحة .

أما الأصل الثالث . وهو الوعد والوعيد ، فقد فصله القاضى فى ثلاثة مواضع .

أولا : الكلام فى المستحق بالافعال وهو المدح والذم ، وما يتبعهما فى الثواب والعقاب ، وما يتبعه الثواب من جهة الله تعالى فانه لا يستحق الا على الطاعة ، وما لا يتبعه الثواب فهو المدح المقابل للنعمة ، والذم على ضربين . ضرب يتبعه العقاب من جهة الله ، وذلك لا يستحق الا على المعصية ، وضرب لا يتبعه العقاب من جهة الله .

ثانيا ــ : الشروط التي معها نستحق هذه الاحكام ، ففي استحقاق العقاب شرطان ، أن يكون الفعل قبيحا ، وأن يعلم فاعله قبحه أو يتمكن من العلم بذلك ، وكذلك فى العقاب الذى ليس من جهة الله شرطان . أن يكون الفعل اساءة ، وأن يكون الفاعل قد قصد الاساءة ــ والمدح بقسميه : ما يتبعه الثواب من الله ، وفيه شرطان أن يكون الفعل ذا منفعة زائدة على حسنه ، وان يكون الفاعل عالما بذلك ، وما لا يتبعه الثواب من الله فيه شرطان أيضا . أن يكون احسانا ، وأن يكون الفاعل قاصدا به وجه الاحسان اليه .

ثالثا ــ : كيفية الاستحقاق . أهو على طريق الدوام أم على طريق الانقطاع .

وأما الأصل الرابع وهو المنزلة بين المنزلتين ، والخلاصة أن صاحب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا ، بل له منزلة بينهما هي « الفاسق » وليس حكمه أيضا حكم الكافر الخالد فى النار ، ولا حكم المؤمن الخالد فى الجنة ، بل له منزلة بين المنزلتين ، وهذا الفاسق لا يسمى مؤمنا خلاف ما يقوله المرجئة ، ولا يسمى كافرا خلاف ما يقوله الخوارج لأنه استحق بارتكابه الكبيرة الذم واللعن، وثبت أن المؤمن مستحق للمدح والتعظيم ، فلا يسمى مؤمنا ، ولأن الشرع جعل الكافر مستحقا للعقاب العظيم ، وخصه بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين ، وليست هذه منطبقة على مرتكب الكبيرة ، فلا يسمى كافرا .

وأما الأصل الخامس والأخير . وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا خلاف بين الأمة فى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا ما يحكى عن شرذمة من الامامية ، والاجماع بعد ذلك دليله فى كثير من آيات القرآن ، وأظهرها قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وهناك خلاف بين أبي علي وأبي هاشم

من أئمة المعتزلة فى أن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعلم عقلا وشرعا ، فذهب أبو علي الى ان ذلك يعلم عقلا ، وذهب أبو هاشم الى أن ذلك لا يعلم عقلا الا في موضع واحد ، هو أن يرى احدنا غيره يظلم أحدا فيلحقه بذلك غم ، فانه يجب عليه النهى لذلك الضرر الذى لحقه من الغم ، فأما فيما عدا ذلك فلا يجب شرعا وهو الصحيح من المذهب ـ هذا وقد عقد القاضي فصلا فى التوبة ، فمن اعتقد اعتقادا ثم ظهر له فساده وجب عليه أن يتوب عنه ، ويندم عليه لا محالة ، أما فصل الامامة بعد ذلك فقد بدا فيه التعصب، لمذهب معلق شرح الاصول الخمسة ، وهو ما نكديم الزيدى ، وقد عرضت القضية فى خمسة مواضع . حقيقة الامام ، وفيما له ولأجله يحتاج الى الامام ، وصفات الامام ، وطرق الامامة، ثم تعيين الامام ، وكان عرضها جدلا بين رأى المعتزلة التى ترى العقد والاختيار طريق الامامة ورأى الشيعة التى ترى الامامة مقصورة على آل البيت .

وبعد : ـ مما لا ريب فيه أن الكتاب ثروة فكرية خصبة ، وجزء لا يتجزأ من تاريخ الفكر الاسلامي ، ودراسة يجب أن توضع موضع العناية والتقدير ، شأنها شأن كل الدراسات التي تتصل بشتى المذاهب الاسلامية الفكرية ، وأعتقد أنه قد مضى الزمن الذى كان المسلم يتحرج فيه من أن يمتد عقله خارج مذاهب أهل السنة ، وللمسلم أن يتحرج اذا تسلل التعصب الى الاهتمام بالمذاهب الاسلامية ، وكان له أثره فى تفريق كلمة المسلمين ، واذا كانت الدوائر العلمية فى الغرب لم يفتها الاهتمام بتراثنا الفكرى ، ولدى مكتباتها نصيب موفور من مخطوطاته ، أفلسنا أحق بالاهتمام بتراثنا الذى يمثل جزءا من حضارة المسلمين فى العصور السابقة ؟

ولا بد من كلمة انصاف للدكتور عبد الكريم عثمان ، فالمجهود الذى بذله مجهود مشكور ، وقد ساعده على ذلك طول صبره ، فالتحقيق عمل شاق وله مسئولياته وتبعاته ، ولا ينقص قدر مجهوده أنه وجه معظمه الى ضبط النص .

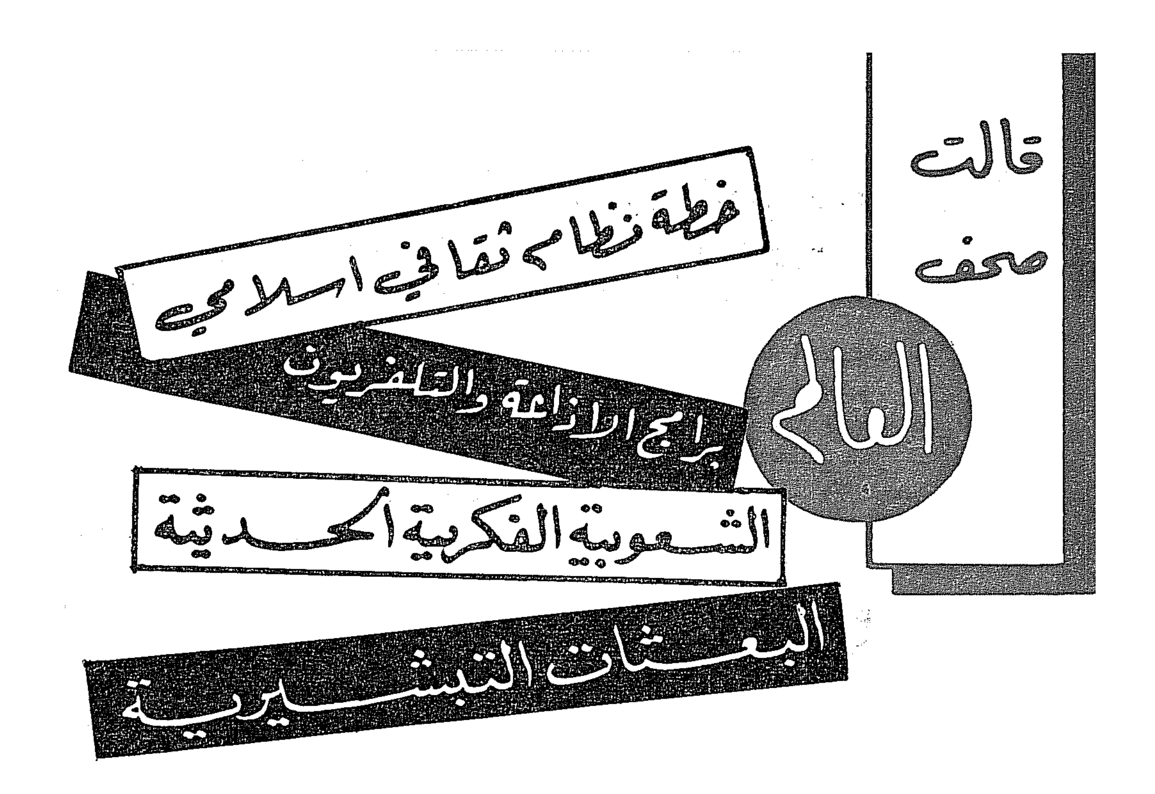
أقول . كنت أود أن يعني المحقق عناية اكثر بالترجمة عن الاعلام التي وردت فى الكتاب ، وكذلك بتحقيق الاحاديث التي وردت فيه ، وكنت أود أخيرا أن نلمس فى تعليقه على آراء المعتزلة لونا واضحا من المقارنة بين آراء المعتزلة وغيرها من الآراء ، فيما لم يكن واضحا فى أصل بحث القاضي عبد الجبار ، وتعليق ما نكديم على آراء القاضي .

ان الدكتور عبد الكريم عثمان له الفضل فى احياء تراث الفكر الاعتزالي ، ولو لم تكن وزارة الثقافة والارشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة قائمة بنشر كتاب « المغنى » للقاضي عبد الجبار ، لظل هذه الانتاج الخصب يمثل ركنا من اركان الاهمال .

وموعدنا ان شاء الله مع القاضي عبد الجبار والدكتور عبد الكريم عثمان فى الكتاب القادم . دلائل ثبوت نبوة سيدنا محمد .

من أحسن ما قيل فى الرجاء

« واني لأرجو الله حتى كأنني
أرى بجميل الظن ما الله صانع»



خطة لنظام ثقافى اسلامي

يجب أن توضع للبلاد الاسلامية خطة لنظام ثقافى اسلامي يبنى على الاسس التالية : ــ

١ : ــ وضع نظام ثقافى اسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر .

٢ : ــ صبغ التعليم فى جميع درجاته وأنواعه بالصبغة الاسلامية .

٣ : ــ احداث وعي اسلامي عام بحيث يكون هذا الوعي ــ العقلي والنفسي ــ وعيا لمبادىء الاسلام وتعاليمه وقضايا الاسلام الكبرى فى العصر الحاضر ووعيا لوحدة العالم الاسلامي ومصادر قوته وما يجابه من أخطار .

٤ : ــ وصل ما بين الدين والحياة فتعلم مبادىء الاسلام وأحكامه ، وتعرض المشكلات الحاضرة على اختلاف أنواعها على أساس الاسلام ونظرته .

٥ : ــ اختيار الطرق والاساليب الصالحة المناسبة لتعليم الدين وادخاله فى النفوس فيراعى فى ذلك السن والمستوى العقلي مع العناية بالاصول والمبادىء وتقديم القضايا الهامة والعودة الى القرآن والسنة ووصل ما بينهما وبين الآراء الفقهية .

(رابطة العالم الاسلامي) ــ مكة المكرمة

حول برامج الاذاعة والتلفزيون

ان حرصنا على اصلاح هذه البرامج ناتج من علمنا بأن الشعوب وهي في طريقها الى التقدم تعتمد الى حد بعيد فى ثقافتها على السماع دون القراءة . وان نسبة ٧٠٪ من هذه الثقافة يصل الناس عن هذا الطريق .

ومن هنا وجب الالتفات الى برامج التلفزيون بنوعيها ، برامج الثقافة وبرامج التسلية . ونحن نرى أن كلا منهما يعدل الآخر أهمية . فالثقافة عن طريق التسلية لها من الاهمية والمكانة ما جعل رجال التربية فى العالم اليوم ينظرون اليها نظرة اعتبار . وعلى هذا يعتبر التلفزيون مدرسة الشعب على اختلاف طبقاته لانه اقتحم عليهم جدران بيوتهم دون غيره من وسائل الثقافة .

ان السيطرة على برامج التلفزيون ميسورة وذلك لان زمامها بأيدي المسؤولين مباشرة بينما غيرها من دول أخرى بأيدى شركات استثمارية تجارية ، لا تبالي أن تبيع أخلاق الناس لتشترى أموالهم ، وهذا يعني ان مـا يذاع يعكس فى الواقع اتجاهات المسؤولين فى الدولة . وهنا يبرز دور الرقابة الفعالة وخطورة الاختيار والا يقتصر على ما يقال بل يتعداه الى كل ما يرى الناس ويسمعون ، فرب هفوة صغيرة جرت الى ويلات كبار .

اننا فى الوقت الذى نريد أن نخلص النصح نقول بأننا جزء من هذا الشعب الذى يرى ويسمع والذي أبدى نفورا واضحا ازاء الكثير مما يشاهد . ونضرب مثلا لذلك واحدا لافلام السهرة العربية منها وعلى الاخص التي تتضمن الاغاني المبتذلة والرقص الخليع ، هذا بالاضافة الى ما يتخلل برامج التلفزيون مـن الحفلات الغنائية والاغانى المسجلة التي يتنافى اخراجها وتوجيه الناشئة .

اننا لسنا بمعرض نقد لما يقدم ، لذا لا نريد أن نكثر من الامثلة ولكننا بمعرض نصح وتذكرة وهما مقياس التعاون .

(التربية الاسـلامية ـ بغداد)

الشعوبية الفكرية الحديثة

حلت ((الشعوبية)) مكان ((الاحتلال)) فالغزو الثقافي الذي قام به الاسـتعمار خلال اقامته فى وطننا فى مدى قرون كان تقريبا قد خلف قوى تعمل بعد جلائه العسكرى والسياسى . هذه القوى تعمل لتبقى النفوذ الاجنبي ، ولتقضى على مقومات أمتنا حتى لا نستطيع أن نجمع فكرنا ، ونتوحد لنواجه الحياة قوة ضخمة ذات نفوذ ،وليبقى له بعـد ذلك سيطرته الاقتصادية .

والشعوبية الفكرية الحديثة انما تحاول القضاء على (١) شخصيتنا (٢) قيمنا الفكرية والروحية (٣) تراثنا (٤) لغتنا العربية الفصحى (٥) تاريخنا .

وقد تشكلت هذه الشعوبية منذ الثلاثينيات من هذا القرن فى صورة أحـزاب وهيئات وجماعات ذات طابع براق . على مستويات مختلفة قومية واقليمية ، سياسية وفكرية ، وحاولت أن تشق طريقها ، وتجمع حولها الشباب الغض تصنعه وفق مخطط دقيق مدروس .

وقد مهد الاستعمار لها الطريق بدعوات مختلفة :

١ : ــ العودة الى الثقافات والحضارات القديمة كالفينيقية والفرعونية والبابلية والآشــورية .

٢ : ــ التفرقة بين عناصر الامة والدين الواحد فانبعثت قضايا البربرية والكردية والصراع بين المسلمين وغير المسلمين وبين السنة والشيعة .

٣ : ــ كشف الآثار القديمة واستغلالها فى هذه الدعوات .

٤ : ــ رفع صوت الآداب الاقليمية واللهجات الاقليمية والتراث الاقليمي .

وليس كيد الشعوبية موجها الى العرب كأمة فقط ولكنه موجه أساسا للقضاء على مقومات الفكر العربي والاسلامي الذى هو المصدر الاول للحياة العقلية والروحية لهذه المنطقة ، فى محاولة لاثارة الشكوك وخلق التفرقة ، والانتقاص من التاريخ والتراث وتشويه الماضى وهدم اللغة والانتقاص من فضل العرب والمسلمين على الحضارة مع الاعلاء من شأن الفكر الغربي والحضــارة الغربية واعلام الغــرب وابطالهم فى مجــال السياسة والفكر والاختراع .

المنهل ــ مكة المكرمة

أضواء على العالم الاسلامي

يتكون العالم الاسلامي الآن بفضل الله من ٣٧ دولة مستقلة وعدد آخر من الدول التى تتمتع باستقلال داخلي فقط ــ ولكنها فى طريقها الى الاستقلال ــ فى قارتى آسيا وافريقيا تمتد من مراكش الى أندونيسيا ، ومن تركيا الى تانزانيا . انه لحق عالم واسع فسيح الارجاء به ما لا يقل عن (٦٥٠) مليونا من البشر من مجموع سكان العالم الذى يبلغ (٣٠٠٠) مليون . لهذا فان لهذا العالم الاسلامي أهمية خاصة هى توفر الايدى العاملة بشكل هائل ، واذا اتيح لنا استخدام هذه القوة الهائلة لاصبحنا قوة عالمية عظيمة يعترف بها العالم أجمع .

ومن الناحية الاستراتيجية فاننا نجد أن العالم الاسلامي يحتوى على مناطق استراتيجية هامة تبدأ من الغرب فى أبواب البحر الابيض المتوسط ، وبذلك نجد أن هذا البحر يعتبر بحرا اسلاميا بنسبة تقرب من ٦٠٪ ، فشماله مضيق الدردنيل لنا ، وقناة السويس لنا ، كذلك البحر الاحمر ، وبعد ذلك من يستطيع أن ينكر أيضا أهمية عدن ــ واستقلالها ليس ببعيد ــ فاذا ما تحركنا شرقا نجد خليج البصرة وهو أيضا بحيرة اسلامية وفى جنوب شرقي آسيا فى ماليزيا هناك جزيرة سنغافورة التى هى لنا ، وعلى مسافة قريبة منها نجد الجزر الاندونيسية الواقعة على أبواب الغرب فى الشرق .

(الايمان ــ المغرب)

اعدائه ، ان صلاح الدين كان ماسونيا على حد زعمه .. ولقد جهل (تلميذ المستشرقين) او تجاهل ان المسلمين في فتوحاتهم كانوا ارحم الناس واعدلهم مع جميع الشعوب . وان صلاح الدين لم يكن بحاجة — وقد كفاه الله بالاسلام — الى الماسونية واخلاقها .. وحسبه مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خصومه واعدائه شاهدا على السماحة والرحمة والعدل ..

الدرجات الماسونية وكلماتها العبرية :

صنفت الماسونية عضويتها الى ثلاثة وثلاثين درجة .. جعلت لكل درجة شروطا واطلقت عليها اسما . وكتبت درجات الماسونية كلها باللغة العبرية واليك ما جاء فيها :

الدرجة الاولى : وتسمى درجة التلميذ وفى العبرية (بوعز) .

الدرجة الثانية : المعاون وفى العبرية (يافين) .

الدرجة الثالثة : الاستاذ وفى العبرية (موابيون — وتوبال قايين) .

الدرجة الرابعة : الاستاذ السرى وفى العبرية (درابزين) .

الدرجة الخامسة : الاستاذ الكامل وفى العبرية (يهوفاه) .

الدرجة السادسة : الاستاذ الطفيلى وفى العبرية (زربال) .

الدرجة السابعة : القاضى وفى العبرية (نينو — حزقيال — حيرام) .

الدرجة الثامنة : استاذ اسرائيل وفى العبرية (حوريم) .

الدرجة التاسعة : الاستاذ المنتخب من تسعة وفى العبرية (بيكوهال شول . نيكام) ومعناها انتقام ..

الدرجة العاشرة : مختار الخمسة عشر الشهير وفى العبرية (اليكام) .

الدرجة الحادية عشرة : الفارس المختار وفى العبرية (استولكين) .

الدرجة الثانية عشرة : الاستاذ الاعظم البنّاء وفى العبرية (دوريكى — توسكانى — ايونيكى) .

الدرجة الثالثة عشرة : فارس العقد الملوكى وفى العبرية (جاموجور — جاهب — يهوفاه — جابولون) وبهذه الدرجة يمثلون مجلس الملك سليمان .

الدرجة الرابعة عشرة : الاسكوتلاندى الاعظم وفى العبرية (سليمان — حيرام) .

الدرجة الخامسة عشرة : فارس الشرق وفى العبرية (عزريا ، يهوذا) .

الدرجة السادسة عشرة : امير اورشليم وفى العبرية (اسريم — ادار — شلاس اسريم) وفيها ذكرى تقديم الشكر لله على تجديد بناء الهيكل ، وهذه الذكرى اقامها اليهود يوم ذاك .

وهكذا تتابع الدرجات الماسونية باللغة العبرية حتى الدرجة الثلاثة والثلاثين الخاصة بالحاكم المفتش الاعظم العمومى مما يثبت هويتها (اليهودية). والملاحظ ان الدرجات جميعا لا تمثل الا ما يرمى الى هيكل سليمان ، وايقاظ الافكار وتوجيه المشاعر لاحيائه وبنائه وبالتالى اقامة المملكة اليهودية ..

فاليهود نظرا لضعفهم وقلتهم فى البسيطة عمدوا الى طريقة تساعدهم على تحقيق رغباتهم عن طريق (الاخوة الماسونية) وربط الناس بأقسام وايمان غموس على مساعدة بعضهم تحت ستار التكاتف البشرى والتعاضد الاخوى المزيف ..

فالامة الاسلامية وهى تواجه فى حاضرها معركة مصير مع اسرائيل ووراءها اليهودية العالمية والاستعمار ينبغى ان تطهر مجتمعاتها وصفوفها من كل هذه الحركات والاتجاهات الغريبة والمريبة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ..

الفتاوي

السن الذهبية

السؤال : ـ

ما حكم الشريعة الاسلامية فى السن الذهبية والعين الزجاجية ؟

الجواب : ـ

يحرم على الرجال التحلى بالذهب والفضة ، ويحل للنساء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : احل الذهب والحرير لاناث أمتي،وحرم على ذكورها. واستثنى الفقهاء من تحريم الذهب على الرجل أتخاذ أنف من ذهب للمجدوع واتخاذ سن لمن ذهبت سنه . اما الانف فلما روى أن عرفجة بن أسعد قطع انفه يوم الكلاب ، فاتخذ انفا من ورق ، فأنتن عليه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ انفا من ذهب ـ رواه الترمذى وحسنه وابن حيان وصححه .

واما السن فقياسا على الأنف ، والحكمة فى الاباحة ان الذهب لا يصدأ. وقد شد عثمان رضي الله عنه وغيره اسنانهم بالذهب ولم ينكره احد .

واما بالنسبة للعين الزجاجية فلا نرى فى الشريعة الاسلامية ما يمنع من وضعها والاصل فى الاشياء الحل حتى يرد نص بالتحريم .

حديث الذباب

السؤال : ـ

روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وقع الذباب فى شراب احدكم او طعامه فليغمسه ، ثم لينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . ما مبلغ هذا الحديث من الصحة والضعف ؟ .

الجواب : ـ

هذا الحديث ورد فى صحيح البخارى بهذه الرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فان فى احد جناحيه شفاء وفى الآخر داء .

وكذلك رواه ابن ماجه وابو داود وابن حبان ، ورواه احمد والنسائي والحاكم عن أبى سعيد بلفظ آخر . فليس هذا الحديث ضعيفا ، ولكن اذا كان فى نفس السائل شيء مبعثه ما يوهم مخالفة هذا الحديث لظاهر العلم وأصول الطب فأحب أن أطمئن السيد السائل بأن العلم الحديث لا يزال خاضعا للاحتمالات والتجارب ، ولا داعى للشك فى احاديث صحيحة وردت من عدة طرق ما دام العلم لم يصل بعد الى نهايته .. ولا يزال ..

ذبيحة الكتابي

السؤال : ـ

أنا موظف مسلم ، أعمل فى قرية مسلمة ، فيها بعض المسيحيين . هل يجوز لي أن آكل من طعامهم وخاصة أن قسما من ذبائحهم يقوم المسيحيون بذبحها على طريقتهم الخاصة ؟ .

الجواب : ــ

ذهب جمهور الأئمة الى أن ذبيحةالكتابي حلال لقول اللهتعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وطعامهم أى ذبائحهم كما يقول المفسرون وهذا الحكم بالحل على شرط الا يذكر الكتابي عند الذبح غير اسم الله تعالى ، فان ذكر اسما آخر كاسم المسيح أو الصليب مثلا حرمت ذبيحته لقول الله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » وهذا الأمر مبني على العلم فاذا لم نعلم حلت ذبيحته . ففي صحيح البخارى عن الزهرى قال لابأس بذبيحة نصارى العرب وان سمعته يسمى غير الله فلا تأكل ، وان لم تسمعه فقد أحله الله لهم وعلم كفرهم .

ماء (الكنديشن)

السؤال : ــ

هل يجوز الوضوء من ماء (الكونديشن) ؟

الاجابة : ــ

الماء الذى يتساقط من المكيف طاهر مطهر ، فيجوز الوضوء والاغتسال منه وهو يرفع الحدث الأصغر والاكبر ويزيل الخبث ، ولا بأس فى استعماله وان كان قد تغير لونه لطول المكث فى مقره واستدل العلماء على صحة التطهر به مع تغيره بما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ بماء آسن (أى متغير) .

لا يحرم .. ولكن

السؤال : ــ

رجل رضع من زوجته فهل تحرم عليه .

الاجابه : ــ

هذا العمل تأباه الطباع السليمة ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، ولا يليق بالرجل أن تنسيه المتعة الحلال هيبته ووقاره ، وفى الاعتدال فى كل شىء غناء أى غناء . وجمهور الصحابة والتابعين والفقهاء على أن رضاع الكبير لا يحرم ولا يترتب عليه أى أثر من آثار الرضاع قال تعالى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » وعن ابن عباس رضي الله عنه « لا يحرم من الرضاع الا ما كان فى الحولين » وعن أم سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام » .

الغسالة والثلاجة

السؤال :

هل تجب الزكاةفى أثاث البيت وادواته كالغسالة والثلاجة .

الاجابة : ــ

كل ما يستعمله الانسان فى منزله من اثاث وأوان وأدوات كالغسالة والثلاجة والراديو والتلفزيون والمسجل وغيرها لازكاة فيها مادام الانسان يقتنيها للانتفاع بها أما اذا كان يقتنيها للتجارة فحكمها حكم عروض التجارة



زواج المسلمة بالشيوعي

وصلتنا رسائل كثيرةتسأل عن حقيقة ما نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٦٥/٩/٩ من أن لجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعي الذى ينكر وجود الله ، ثم ما نشرته جريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ١٩٦٥/٩/١١ من أن مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر أصدر بيانا ينفيفيه صدور مثل هذه الفتوى عناللجنة . ويزيد أصحاب هذه الرسائل فيسألوننا رأينا فى هذا الموضوع .. أعنى حكم زواج المسلمة من شيوعى وبالعكس ..

ونحن نجيب السائلين عن الجزء الاول من سؤالهم بما وقفنا عليه من ملابسات حول ما نشر فى الصحف .

فنقول لهم ان لجنة الفتوى حقيقة لم تصدر رأيا فى هذا الموضوع ، ولكن مجلة « نور الاسلام » التى يصدرها قسم الوعظ فى الأزهر هى التى أصدرت هذه الفتوى بعددها الصادر فى ربيع الآخر ١٣٨٥هـ فذكرتها الأهرام ملخصة على أنها فتوى صادرة من اللجنة . ونشرتها فى صفحتها الأولى . وكان لها آثارها ودويها ..

ومن هنا نعلم أن بيان شيخ الجامع الأزهر بأن اللجنة لم تصدر هذه الفتوى صحيح . ولكن كان اقتصار البيان على تكذيب صدور الفتوى من اللجنة دون التعرض للموضوع سببا فى اثارة عاصفة من التساؤل فى كل مكان ، ما رأى شيخ الجامع الأزهر فى الموضوع ذاته ؟ .. ولو أن البيان ذكر أن هذه الفتوى صحيحة وان كانت لم تصدر حقيقة عن اللجنة لاتضحت الحقيقة واستقرت النفوس .. ولما تلقينا هذا السيل الجارف من التعليقات والاسئلة ..

وهناك جانب من الحقيقة يكمل الصورة لم يعرفه القراء لان الصحف اليومية لم تتعرض له .. وأحب أن اذكره هنا ليطمئن المؤمنون ، وليعرف الذين يصاهرون الشيوعيين رأى الدين فى هذه المصاهرة ويحددوا موقفهم على ضوئه ان كانوا حريصين على سلامة دينهم ، وطهارة مصاهرتهم ..

فقد أصدر فضيلة شيخ الجامع الأزهر بعد ذلك بيانا فى هذا الموضوع فى الخامس والعشرين منشهر أغسطس ١٩٦٥ من حسن الحظ أنه جاءنا فى بريد المجلة كما جاءتنا مجلة « الاعتصام » التى تصدرها الجمعية الشرعية فى القاهرة عدد جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ وفيها نفس هذا البيان . -

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرت احدى الصحف اليومية منذ بضعة أيام ان لجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعى ، وبالتحرى تبين أن لجنة الفتوى بالأزهر لم يطلب منها فتوى فى هذا الموضوع ، وبالتالى لم تصدر فتوى منها فى ذلك ، فأرسل مكتبنا تكذيبا لهذه النسبة دون تعرض للموضوع .. وقد طلب منا فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد المدرس بالأزهر أن نعرف الناس حكم الاسلام فى هذا الزواج منعا للبلبلة ، وأداء للواجب الذى أوجبه الله على علماء الاسلام .

وواضح أن المسلم الذى يعامل بأحكام الاسلام ، ويحل له الزواج بالمسلمة هو المسلم الذى يؤمن بالله **وحده ، ويؤمن برسله ، ويؤمن باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئا مما علم من الدين بالضرورة . والا عد مرتدا ، وعومل معاملة المرتدين ، فيحرم عليه الزواج بالمسلمة ، ويبطل زواجه ان كان متزوجا بها »** ا هـ

ونحن نقول ان المعلوم عن مبادىء الشيوعية انها تنكر الأديان جملةوتفصيلا ولا تعترف بوجود الله ..

وتقول عنه سبحانه انهمحض خرافة. ولمؤسسي الشيوعية وزعمائها أقوال معروفة مدونة في كتبهم وخطبهم ضد الأديان .

. . والذين يعتنقون الشيوعية الآن ويعملون لها يجاهرون بآرائهم في انكار الله ، ويجتهـدون في محاربة الأديان وزعزعتها في نفوس معتنقيها . فالمسلم الذى يعتنق مبادىء الشيوعيـة يعتبر مرتدا عن دينه ، وان سمي بمحمد أو أحمد في شهادة الميلاد ، أو بين الناس فلا عبرة بالأسماء في هذا الحالة .

واذا كان الاسلام لم يجز زواج المسلمة بمشرك ، أو كتابي يعترف بوجود الله ، فمن البديهي أنه لا يجيز زواجها بملحد يحارب الأديان وينكر وجود الله .

بقيت بعد ذلـك نقطة أثارهـا أمامي أستاذ كبير حينما كنا نتحدث في هذا الموضوع .. ولا بد أنها في ذهن كثير من القراء . فقد تساءل الاستاذ عن حكـم الاسلامفىالزيجات التي يعقدها المسلمون الذينيعيشونفى البلادالشيوعية..ونحن نرد على تساؤله ونقول . ان المسلم الذى ظل ـ برغم الضغط عليـه ـ محتفظا بعقيدته في ظل الحكم الشيوعي ، يجوز له أن يتزوج بمسلمة محتفظة بعقيدتها كذلك . .

أماالذى جرفته المبادىء الشيوعية من هؤلاء وأصبحت عقيدة له فلا يصح أن يتزوج بمسلمة محتفظة بدينها .

. . وكـذلك الحال بالنسبة للمرأة الشيوعيـة لا يجـوز التزوج منها لأن الاسلام لا يجتمع مع الشيوعية في قلب انسان . فاما هو أو هي . .

وعلى الأسر المسلمة في كل مكان أن تتنبه لهذا ، فـان كثيرا مـن الشبان المتسبين لأسر مسلمة يتقدمـون اليها للمصاهرة ، باعتبار أنهم مسلمون ، وهم شيوعيون ينكرون الله وكتابه ، ويهزءون برسوله . .

وأنا أعـرف والـدا مسلمـا غيورا اكتشفت بنته ـ وهيطبيبة ـ أن زوجها الطبيب شيوعي ،يهزأ بالقرآن وبالرسول ويها جمها في عقيدتهـا ، ويسخر من تعبدها . فسـارعت بالانفصال عنـه ـ وكانا في شهر العسل ـحفاظا على دينها وعقيدتها . .

فليحرص الشباب المسلم والشابات المسلمات والآباء الغيورون على ان يكونوا البيـوت ويقيموها على تقوى مـن الله ورضوان . .

والله سبحانه يناديهم « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا .. » ..

حفظ الله علينا ديننا ووقانا عذاب النـار .

من علامات الساعة

قرأت في بعض كتب الحديث أن دابة تخرج فى آخر الزمان تحدث الناس وتكلمهم وأن طـولها ستون ذراعا بذراع آدم ، وأن لها وجه انسان ورأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ، وأنه لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وأنها تحمل عصا موسى وخاتم سليمان ، فما مبلغ ذلك من الصحة ، واذا كانهذا سيحدث فبأى لغة تخاطب الدابة الناس.

(آدم الطاهر من الملكال بالسودان)

الخبر عن هذه الدابة ورد في القرآن الكريم قال تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) سورة النمل (٨٢) ففي هذه الآية اخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر الله كمقدمة من مقدمات الساعة ،وحينما لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا .

ولا ينبغي أن يبحث عما وراء ذلك من الغرائب التي قيلت في وصف هذه الدابة فذلك لم يصح منه شيء . وخروج هذه الدابة غيب من الغيوب ، فيجب علينا الوقوف عند ما أخبـر بـه القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيهما سوى أن دابة سوف تخرج في آخر الزمان وتكلم الناس وذلك من أمارات الساعة . روى مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أول الآيات خروجـا طلوع الشمس مـن مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى » .

لا تخرجوهن من بيوتهن

مضى على زواجنا أكثر من عشرين سنة كنت لزوجي فيها الزوجة والأم والأخت والبنت ، كنت له كل شيء في دنياه ، وكان لي الزوج والأب والأخ والابن ، كان لي كل شيء في دنياي ، انتقلت معه الى بلاد متباعدة وأجواء مختلفة سعيا وراء لقمة العيش ، فلم يشعر بغربة ، ولم أحس بوحشة ، على الرغم من مفارقة الأهل والوطن ، لم نختلف في هذه الفترة الطويلة اختلافا ينسف البنيان ويزلزل القاعدة ، وانما كانت خلافات عارضة لا تلبث أن تزول عند البسمة الهادئة ، أو الكلمة اللينة ، وكل ما كان يشوب سعادتنا أننا لم ننجب ، وقد بذلنا جهدنا في التردد على الأطباء لازالة أسباب العقم التي تبين أنها فيه ، ولكننا لم ننجح وأخيرا رضينا بقضاء الله ورضخت للأمر الواقع .

ثم تغير زوجي فجأة ، فتبدلت طباعه ، وساءت معاملته ، وأصبح لا يطيق النظر الي ، ولا يصبر على البقاء في البيت الا قليلا ، وقد حاولت التعرف على أسباب هذا الانقلاب المفاجيء ففشلت ، لم يطرأ على حياتنا شيء يمكن أن أعزو اليه هذا التحول ، اللهم الا ثراء ساقه الله الينا ، فقد وسع الله عليه في تجارته ، وبسط له في نعمته . . ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو السبب فكل ما يملك تحت يدى ، ولم يخف عني شيئا من أسراره .

وأخيرا ومنذ أيام طلقني ، وأصر على طردي من المنزل فورا لأنني لم أصبح له زوجة ، ولا يجوز شرعا أن أبقى في بيته لحظة بعد هذا — هكذا يقول ويتعلل — ومن الانصاف له أقول انه متدين وهو من قراء مجلة الوعي الاسلامي . لهذا بادرت بارسال هذه الرسالة اليكم لعلكم تجدون حلا لمشكلتي تنشرونه على صفحات مجلتكم ، مع ثقتي في أن شرع الله يأبي أن تزول هذه العلاقة الوثيقة بكلمة ، أو أن أطرد من البيت الذى لبثنا فيه أكثر من عشرين سنة بهذه البساطة ولعلكم تسرعون بالحل والنشر قبل فوات الفرصة .

ع . م

آثرنا نشر هذه الرسالة — على طولها — لأن المشكلة التي عرضتها ليست مشكلة فردية ، بل هي مشكلة يتعرض لها كثير من الأسر المسلمة ونقلنا موضوعها من نطاق الفتوى الذى يأخذ عادة طابع الاقتصار على بيان الحكم الشرعي في لفظ موجز وعبارة محكمة — الى هذا الباب الذى يستهدف تناول ما يبعث به القراء من المشكلات الاجتماعية وغيرها — بشيء من البسط والتحليل .

يبدو يا سيدتي أن التغير الفجائي الذى طرأ على زوجك فغير من طباعه ونظرته اليك ليس مرده الى الثروة التي أنعم الله بها عليه — كمافهم من رسالتك ، ولا الى كراهية عميقة الجذور في صدره حملته على التخلص منك بالطلاق والاسراع في طردك من بيتك — فقد وضع كل ثروته في يدك ، وأفضى اليك بجميع أسراره الى آخر لحظة قبل الطلاق فهو لا يزال — على الرغم مما حدث — يحمل لك في قرارة نفسه ودا يستعصي على السحب العارضة ، وستثبت الأيام القريبة صدق وده وعمق حبه اذا تصرفت بحكمة حتى تطيب نفسه وتهدأ العاصفة .

ولعل السبب الحقيقي في كل ما حدث هو شعور خفي في أعماق نفسه ، وأمل قوى في الانجاب يراوده حتى تكتحل عيناه بولد — يرى فيه امتدادا لحياته بعد أن تقدمت به السن — ووارثا لثروته من بعده ، ولم يعد يصدق كلام الأطباء ، أو يستمر في النزول على رأيهم ، فهو يريد أن يجرب حظه مع زوجة جديدة لعل الأمل يتحقق ، وقد تصرف هذا التصرف معك فرارا من ماض طويل بدا له أنه لا يستطيع الدخول في هذه التجربة الجديدة الا اذا اسدل عليه ستار النسيان بالطلاق .

والزواج بأخرى في هذه الحالة حق مشروع من حقوقه التي قررها الاسلام ، وليس من حقك ولا من حق أى انسان أن يمنعه من ممارسة هذا الحق ، ولا أن يتوجه اليه بنقد ولا عتب ، لأن السبب الدافع له

الى الزواج سبب وجيه مقبول . وعليك أن تفاتحيه في الموضوع ، وتعرضي عليه الزواج وتساعديه لتحقيق رغبته لأن وقوفك في وجهه أنانية ليست في صالحك .

ولا يزعجنك ما حدث من طلاق ، فهذا هو اليمين الاول ـ كما يبدو من الرسالة وله مراجعتك ما دامت العدة لم تنقض ، فان انقضت عاد اليك بعقد جديد .

أما عزمه على طردك من البيت بمجرد صدور لفظ الطلاق منه ، واعتقاده بأن بقاءك فى المنزل بعد هذا محرم شرعا ـ فهو مخطىء فى هذا ، وآثم اذا أخرجك قبل انقضاء العدة ، فالله يقول فى شأن المطلقات (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلكحدود اللهومن يتعد حدود اللهفقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدثبعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) . فاذا وقع طلاق تركت المرأة فى بيتها حتى تنقضي عدتها ، ولا يجوز للزوج أن يرغم زوجته على الخروج من بيت الزوجية غصبا عليها أو كراهية لمساكنتها ، أو لحاجته الى المسكن ، فهو مسكنها ما دامت فى عدتها ، ويظل سلطانه مبسوطا عليها فى حدود حقه ، فله أن يمنعها أن تخرج من البيت اذا طلبت ذلك ، وليس لهـــا أن تخرج من غير اذنه اذا أرادت الخروج ـ الا فى بعض الاحوال التى نصت عليها الآية .

والحكمة فى ابقاء المطلقة فى بيت الزوجية مدة العدة ـ هي اتاحة الفرصة للعودة واستثارة عواطف المودة وذكريات الحياة المشتركة حيث تكون الزوجة قريبة من عين الزوج فقد تتغير الاحوال وتتبدل الى هناء ورضى ، وصدق الله العظيم لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

وانا نناشد ضمير الزوج ودينه وعقله أن يبقى على زوجه التى شاركته سراء الحياة وضراءها ، ويحفظ لها عشرتها ووفاءها ، وما دام فى سعة من الرزق تمكنه من أن يجمع بينها وبين زوجة أخرى فقد أحل الله له ذلك ، وسيجد فى زوجه الوفية عونا على تحقيق رغبته .

ردود قصيرة

* السيد محمد حسن من الفحيحيل ـ كويت

أعاد الرسول صلى الله عليه وسـلم السيدة زينب كبرى بناته الى زوجهـا أبى العاص بن الربيع بعد اسلامه ، ولم تتزوج برجل آخر .

* الاخ اسماعيل الشواف ـ الاردن

نعم هناك تناقض واضح فى المقـال الذى نشرته مجلة العربى الغـراء فى عددها الحادى والثمانين تحت عنـوان « مسلمات خالدات » فقـد جاء فى الصفحة (٢١) وأقر أبو العاص .. ان صلة الزوجية الفعلية قد انقطعت بينه وبينها (يعنى السيدة زينب) منـذ أسلمت ودخلت فى دين الله . وقـد أسلمت بعد بعثة الرسول مباشرة وجاء فى الصفحة (٢٢) منه أن هبـار بن الاسود الاسدى اقترب برمحه مـن السيدة زينب وهي فى طريقها الى المدينة ونخس البعير الذى يحملهـا برمحه ، فألقى بها على صخرة وكانت زينب حاملا فطرحت حملها !! . وقد سافرت السيدة زينب الى المدينة بعد غزوة بدر .

* الاستاذ ج٠ع٠م ـ الكويت

أول من أسـلم من النساء السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وأول من أسلم ممن هم دون البلوغ سيدنا علي كرم الله وجهه . أسـلم بعد السيدة خديجـة وكانت سنه يومذاك ثماني سنوات .

وأول من أسلم من الرجال أبو بكـر الصديق رضى الله عنه ، وكانت سـنه عند اسلامه ستا أو سبعا وثلاثين .

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقـد أسلم وسنه ست وعشرون سنة وروى ابن الجوزي أنه أسلم بعـد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله .



الكويت

أصدرت مجلة « الامم الناهضة » التي يصدرها الدكتور حسني خليفة باللغة الانجليزية فى نيويورك عددا خاصا عن الكويت يتناول تاريخ الكويت وجغرافيتها ودستورها ونظام الحكم فيها والتعليم والصحة والعلاج والمياه والزراعة والبترول وصندوق التنمية بأقلام كبار أساتذة الجامعات والعلماء والكتـاب المرموقين فى الغرب وفى الكويت .

وقد جاء هذا العدد تحفة فى الاخراج والطباعة والتبويب بالاضافة الى مادته الدسمة التي تلقي الأضواء على حاضر الكويت .

وهذا العدد الخاص عن الكويت هو العدد الأول من مجلة الأمم الناهضة ، وستخصص المجلة كل عدد من أعدادها المقبلة لدولة من الدول الصاعدة وقد كان عدد الكويت بداية هذه السلسلة .

* وصل الى الكويت بدعوة من مجلس التخطيط المهندسان المغربيان السيدان عبد القادر فارس ومصطفى بورى . وذلك لوضع تصميم خاص على الطراز الأندلسي لمسجد الدولة الكبير المقرر انشاؤه فى الكويت .

تبرعت دولة الكويت بمبلغ (٨٠) ألف دينار للجامعة الأزهرية .

القاهـــرة

* بناء على رغبة الملايين من أبناء العالم الاسلامي قررت اذاعة محطة القرآن الكريم بالجمهورية العربية المتحدة تقديم « التفسير المقروء » وذلك بعد نجاح اذاعـــة المصحف المرتل . وقد تكونت لجنة خاصة لمراجعة تفاسير القرآن الكريم واختيار الصالح منها لاذاعتـــه .

وقد سجل كل من المشايخ مصطفى اسماعيل وعبد الباسط عبد الصمد ومحمد المنشاوى القرآن الكريم بقراءة حفص بطريقة التوسط وسبق أن سجل الشيخ محمود خليل الحصرى قراءة حفص بطريقة القصر وبقراءة ورش .

جامعة الأزهر

* انتهت جامعة الأزهر من تطوير برامج الدراسة بكلية القانون والشريعـــة بالجامعة وستكون مدة الدراسة فى الكلية خمس سنوات وتتضمن مقررات فى الشريعة الاسلامية لا تقل فى مستواها عن المستوى الجامعي فى كلية الشريعة ومقررات فى القانون لا تقل فى مستواها عن مستوى كليات الحقوق فى الجامعات .

وتمنح جامعة الأزهر خريجي كلية القانون والشريعة درجة الاجازة العالية فى القانون والشريعة ويكون لحاملي هذه الدرجة كافة الحقوق المقررة لحاملي درجـــة الليســانس فى الحقوق من كليات الحقوق فضلا عن الحقوق المقررة لحاملي درجـــة الاجازة العالية فى الشريعة .

* تقرر انشاء معهد جديد للغات الأجنبية لتخريج علماء ازهريين لتدريس هذه اللغات بالأزهر والمدارس المحلية ومعاهد البلاد الاسلامية والافريقية والآسيوية ، للاستغناء بهم عن استعارة مدرسين لها من الدول الاستعمارية .

الجزائر

تكونت في الجزائر هيئة عليا تتولى العمل على المحافظة على القيم الاسلامية ويرجع اليها في كل ما يتعلق بالدين والسلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد . وتقرر أن يرأس هذه الهيئة السيد صديق سعداوي .

وأذاعت وزارة الأوقاف الجزائرية بيانا بهذا الصدد قالت فيه : ان الهيئة تألفت من أجل المحافظة على التراث الروحي الاسلامي . حتى تسير الأمة الجزائرية في طليعة الأمم الاسلامية المتقدمة والمتطلعة الى مستقبل عظيم .

الاتحاد السوفيتي

(وهذا الخبر للعالم الاسلامي لامنه طبعا)

قدم اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي مشروعا كاملا لادخال اصلاحات جذرية على النظام الاقتصادى السوفيتي . ويعد هذا المشروع من أكبر التغييرات الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي منذ قيام الثورة الشيوعية قبل ٤٧ عاما .

ويقضي البرنامج السوفيتي الجديد بأن تعمل المصانع لا على أساس حصص الانتاج وانما على أساس الربح وتحسين ظروف المعيشة وتخصيص جزء من ارباح المصنع لتحسين الوسائل الفنية للانتاج . وهذه عودة لقيمة الحافز الفردى في رفع مستوى الانتاج بعد أن أنكرته التعاليم الماركسية ولكن بعد حين !!

الوعى (ومكلف الايام ضد طباعها)

بيروت

تسعى دولة العصابات الصهيونية لاقناع المسئولين في الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الشيوعية بفتح باب الهجرة أمام نصف مليون يهودى من مليونين ونصف يقيمون في الدول الشيوعية .

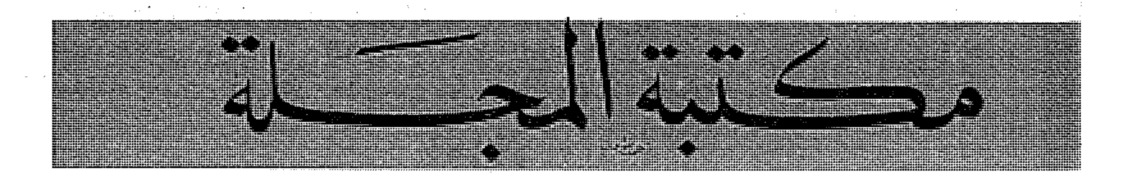
*** يقوم في لبنان الآن نشاط يضم الشيوعيين والحركيين في جبهة واحدة وقد عقد مهرجان لهذه الجبهة الموحدة من أجل الدعوة لمبادئها !!**

جدة

أقامت لجنة نصرة الباكستان بجدة مهرجانا شعبيا كبيرا في فندق بلاس شهده جمهور كبير من أبناء الشعب العربي السعودى ، وجمع في هذا الحفل مبلغ كبير لمناصرة باكستان .

أندونيسيا

*** اتحدت الهيئات الدينية في أندونيسيا مسلمة ومسيحية ضد نشاط الشيوعيين وعقدت اجتماعات ضمت نحو خمسة آلاف عضو . وطالبت سوكارنو بحظر نشاط الحزب الشيوعي .. وقامت مظاهرات حطمت بعض مراكزه هناك ...**



تلقينا بعض الكتب التى تفضل الاساتذة المؤلفون باهدائها للمجلة مشكورين وسنعمل على ارشاد القراء الى ما يصلنا تباعا تحت هذا الباب

((الوعي))

بطل الأبطال

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام ، والكتاب مطبوع على نفقة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، وأهدى نسخة منه الى المجلة السيد محمد بن علي من الدمام بالمملكة العربية السعودية ، والكتاب يقع فى ١١٨ صفحة وهو يتحدث عن أبرز صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

اسرائيل جناية وخيانة

للدكتور سعيد بيسو ، صدرت طبعته الثانية فى اغسطس ٩٦٥ وأهداه مؤلفه الى أرواح الشهداء الأبرار ..

ويقع الكتاب فى ١٩٢ صفحة ويباع بمبلغ ٢٥٠ قرشا سوريا . ويشتمل الكتاب على أدوار الحركة الصهيونية ، وسياسة تهويد فلسطين ، ثم نضال عرب فلسطين واستعدادهم لمركة الحياة أو الموت .

الرحمن الرحيم

بهذا العنوان أصدر الأستاذ عبد الرزاق نوفل كتابه الجديد . ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية ، وهو يحتوي على ١٩٢ صفحة ويباع بمبلغ ٢٠ قرشا .. وهذا الكتاب مقدم الى بني الانسان جميعا ، ويوضح بعض آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده فى الدنيا والآخرة .

الحكومة الوطنية ومشكلة الشمال

هذا الكتاب من منشورات دار الجمهورية للطباعة والنشر ببغداد ، طبع فى عام ٩٦٥ وثمنه ١٠٠ فلس وعدد صفحاته ١٣٢ صفحة . والكتاب مزود بالصور الفوتوغرافية والاحصائيات البيانية والخرائط التوضيحية لمشكلة الاكراد فى شمال العراق .

((غارة الاستعمار والتبشير)) ((على العالمين العربي والاسلامي))

قصة تمثيلية بقلم الأستاذ محمود مهدي استانبولي طبع مطبعة الترقى بدمشق وثمنها ٥٠ قرشا سوريا وتقع فى ٥٦ صفحة .. وموضوع القصة يدور حول السموم الفتاكة التي تختفي وراء المشروعات الأجنبية والمدارس التبشيرية .

((اللب فى الاسلام والطب))

للدكتور شوكت الشطي من مطبوعات جامعة دمشق ويقع فى ٣٥٥ صفحة من الورق المصقول وهو بحث ممتع فى الصحة والاسلام والطب النبوي والمرضات فى صدر الاسلام وتاريخ العلوم الطبية عند العرب وأشهر اطباء العرب والاسلام .

((مع الشعر والشعراء))

وفى دنيا الشعر وصل الى ادارة المجلة ديوانان الأول ديوان الشيخ محسن الخضري وهو يقع فى ١٩٨ صفحة حاويا الكثير من فنون الشعر المختلفة كالغزل والمراثي والنوادر والفكاهات والمراسلات الشعرية . والديوان الثانى للاستاذ سليمان هادي الطعمه بعنوان « الأشواق الحائرة » طبع مطبعة المعارف ببغداد ويقع فى ٨٨ صفحة وتمتاز قصائد الديوان بالعاطفة الدافقة والصدق فى القول والوطنية العربية الأصيلة .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة فى البريد رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين : ــ

بغداد : ــ مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان : ــ وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

بيروت : ــ دار الصياد ــ السيد رشيد القاضى ــ لبنان .

القاهرة : ــ توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ــ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ــ السعودية

مكة المكرمة : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

الخبر : ــ مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب (٧٦) السعودية

عدن : ــ وكالات الاهرام التجارية ــ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ــ المكتبة الوطنية وفروعها ــ السيد فاروق ابراهيم

المكلا : ــ مكتبة الشعب ــ ص ب (٢٨) المكلا ــ حضرموت

دبى : ــ المكتبة الاهلية ــ ص ب (٢٦١) .

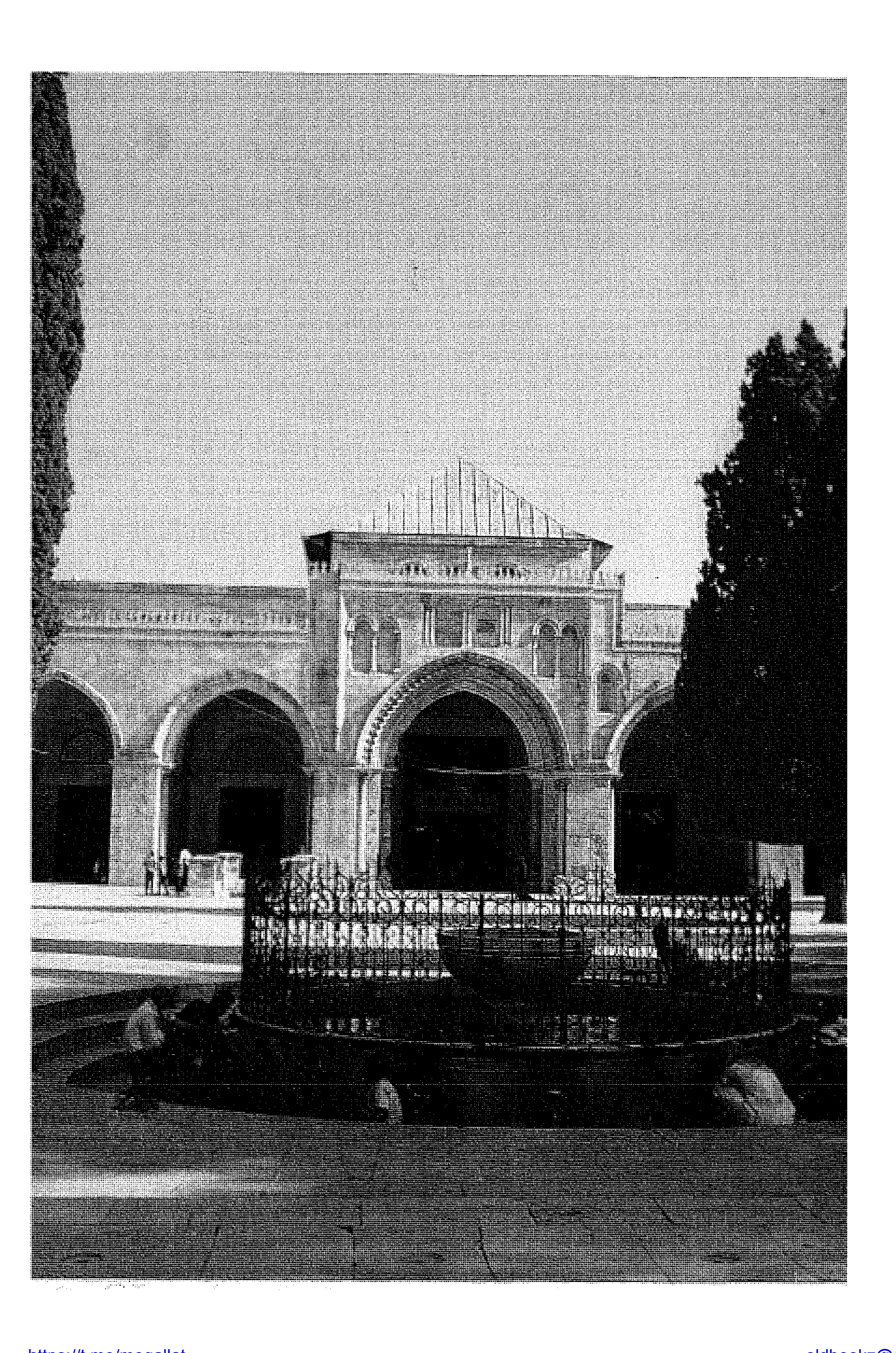
مسقط : ــ المكتبة الاهلية ــ السيد حسن قمر سلطان .

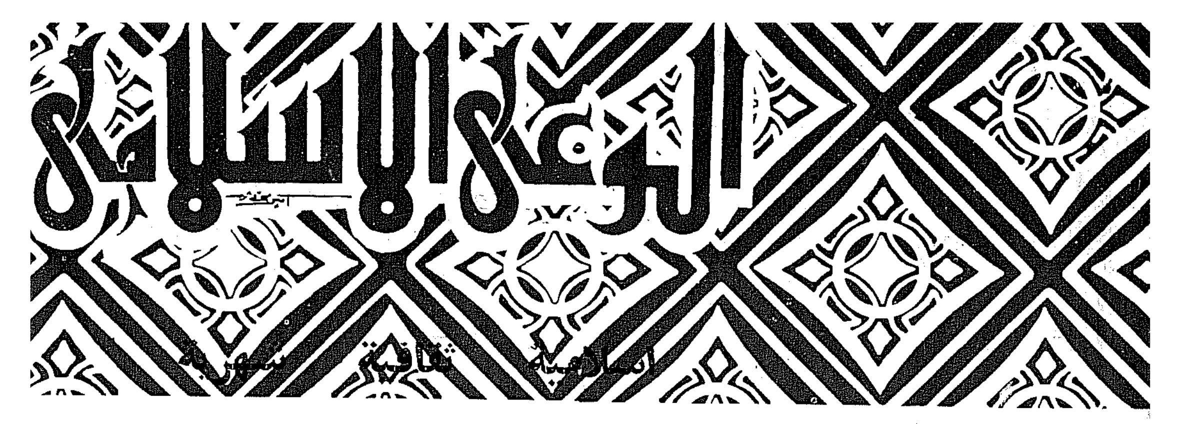
قطر : ــ مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب (٨٤٢)

السودان : ــ السيد أحمد النور علي ــ الخرطوم ــ صب (١٩٥٦).

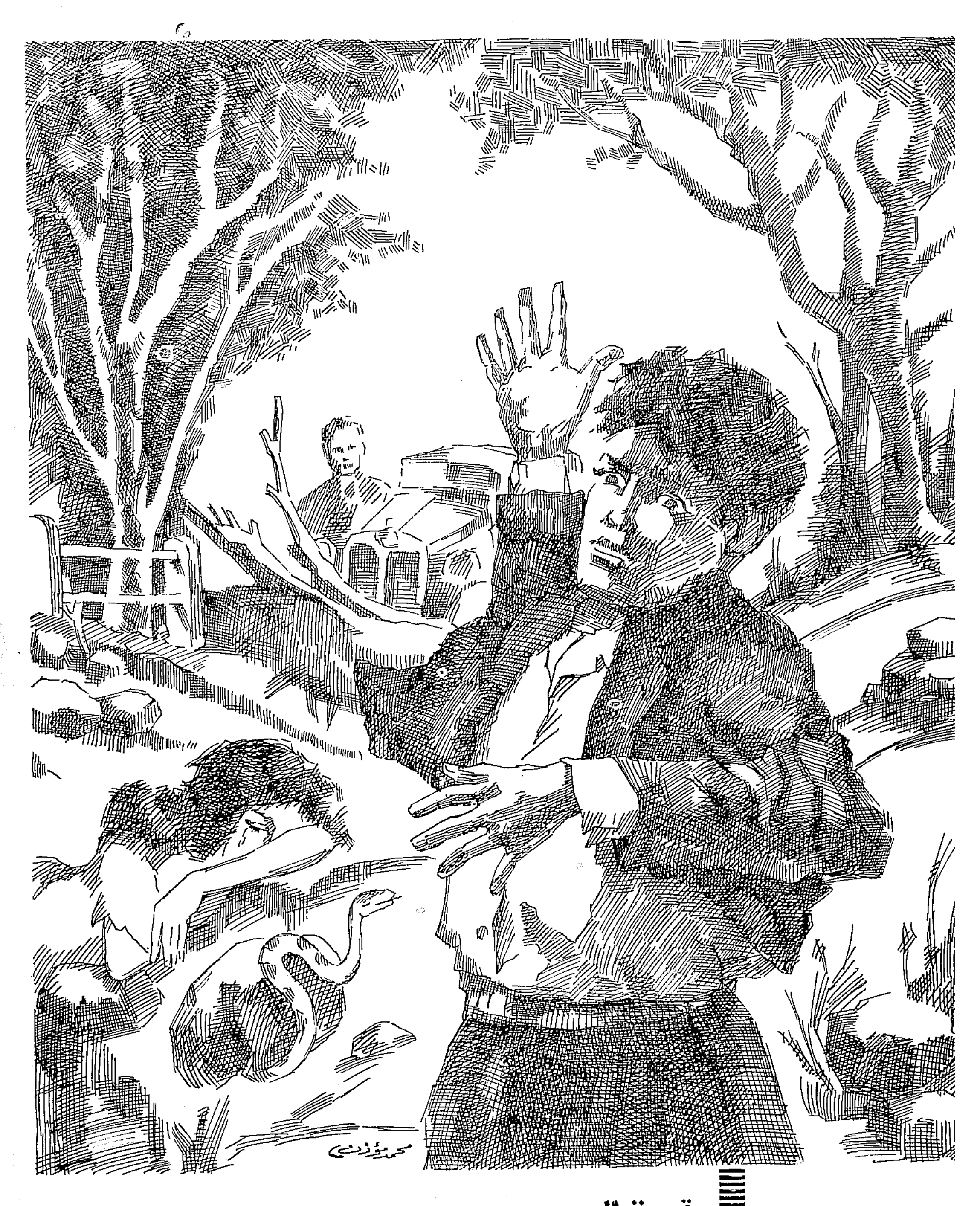
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

الكويت ــ شركة منار للتوزيع





السنة الاولى * العدد الثامن * شعبان ١٣٨٥ هـ ـ ديسمبر ١٩٦٥ م ..



قصة العـــدد

عدالة السماء

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن السنة الاولى

شعبان سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

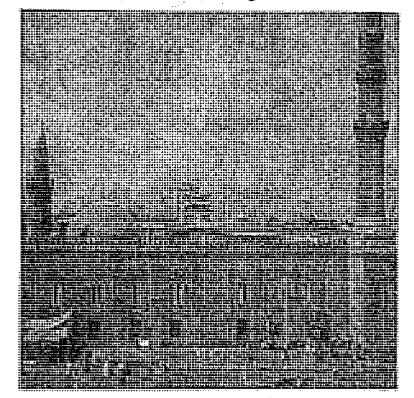
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد الامام الحسين رضى الله عنه بالقاهـرة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص.ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧



تفضل حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع لمجلس الامة صباح الثلاثاء ٢ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٦٥/١٠/٢٦ وألقى سموه الكلمة التالية .

أبنائي أعضاء مجلس الأمة .
أحييكم وأبارك لكم

وباسمه تعالى - جل شأنه - أفتتح دور الانعقاد العادي الرابع للمجلس متمنياً لكم كأعضاء في الأسرة الواحدة دوام التوفيق في أعمالكم بالتعاون الوثيق المثمر بينكم وبين الحكومة في خدمة كويتنا العزيزة والأمة العربية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم



البلاد الاسلامية ذات المجد والحضارة ، والعقيدة والتقاليد ، تتعرض منذ زمن لغزو فكرى سام ، يسلط عليها كل قذائفه ووسائله ، ليفرغ نفوس ابنائها من ايمانها بربها ، ووطنها وتاريخها وامجادها ، ويشحنها بالولاء والتبعية لغير دينها ووطنها ..

هذا اخطر غزو تعرضت له بلادنا فى تاريخها . فقد تعرضت فى تاريخها الطويل للكثير من الغزوات الفكرية والمسلحة ، ومع ذلك لم تستطع ان تفقدها شخصيتها ، او تجردها من دينها ، بل ظلت على اعتزازها بنفسها وولائها لعقيدتها .. واذا كانت هذه الغزوات قد تركت لها آثارا فى حياتنا وفى افكارنا .. فان الايمان ــ الذى لا يزال يغمر النفوس ــ يطارد هذه الآثار ، ويعمل على تخليص مجتمعنا منها ..

اما الغزو الفكرى السام فانه لا يترك فى نفوس المسلمين شيئا من الحنين للدين او المبادىء والنظم التى جاء بها ، او التراث العظيم الذى ورثنا اياه ، او المثل العليا التى عشنا بها ولها ..

انه يهدر الالوهية ويعتبر وجود الله خرافة .. ويحارب الاديان ، ويعدها مخدرا معطلا للتقدم البشرى ، ويشدد حملته على الاسلام بخاصة ، لانه دين له شخصيته المستقلة ، ومبادئه الرشيدة فى تنظيم الحياة ، ورفع مستواها ، وله تاريخ مجيد ، وتجربة ناجحة فى تكوين المجتمعات السعيدة ..

فالمصير الرهيب الذى ينتظرنا من نجاح هذا الغزو ــ لا قدر الله ــ هو تجريدنا من ايماننا بالله ، وتحويل قبلتنا من مكة الى مدن غيرها ، وتغيير ولائنا لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ماركس اليهودى الاصل وخلفائه ، وانتزاع تقديسنا للقرآن كلام الله ، ودستوره الخالد .. لنقدس كتاب « رأس المال » لماركس ونتخذه دستورا ...

لا اقول هذا الكلام من باب التهويل ، ولكنه الحقيقة التى تنطق بها كتبهم وصحافتهم ، ويدعمها الواقع الملموس فى حياتهم وتصرفاتهم .

ولا اريد ان انقل للقارىء هنا نصوصا من كلام ماركس وزملائه ضد الدين ، ولكنى اذكر فقط ما نقلته جريدة « الاخبار » القاهرية فى ٦٤/٣/٣ عن الجريدة الناطقة بلسان الحزب الشيوعى ، حيث تقول : « اعترفت صحيفة « برفدا » بان قسما من الشعب الروسى لا يزال متمسكا بالدين ، وطالبت بضرورة زيادة الدعاية اللازمة لوقف الايمان بالله » .

ونعرف من تجاربنا واتصالنا بالاشخاص الذين وقعوا فريسة لهذا الغزو ، انهم تجردوا تماما من **ايمانهم ، ومن ولائهم لاوطانهم ، رأينا ذلك فى تاييد الشيوعيين فى العالم العربى لتقسيم فلسطين ، برغم اجماع العرب على معارضة التقسيم حينذاك ، لان مبعث وحيهم كان يؤيد القرار ! ! وفى معارضة الشيوعيين الانجليز لميثاق الاطلنطى . لان مبعث وحيهم كان يعارضه مع ان مصلحة انجلترا كانت تقتضيه ! ! ثم ما نراه فى كتابة هؤلاء الطافحة بعدائهم للدين واستهتارهم به ، وبث سمومهم لهدمه والتخلص منه ..**

كل ذلك ـ وهو قليل ـ يعطى العربى المسلم فكرة عن خطر هذا الغزو الفكرى على كيانه ووجوده .

ان الشيوعية فكرة تفرض على كل معتنق لها ان ينسى دينه ووطنه فى سبيلها ، وهى لا تسمح لاى نظام آخر ان يعيش معها .. والشيوعيون فى اى مكان كعرائس المسرح ، تجذبهم وترخيهم خيوط ممتدة من بعيد خارج اوطانهم .. يعملون بكل الوسائل على الوثوب الى كراسى الحكم لينفذوا مخططهم .. وهم حين يهادنون انما يمكرون ويتربصون ، ليضربوا ضربتهم فى الوقت المناسب ..

ان على كل بلد مسلم ـ ولا سيما البلاد العربية ، قلب العالم الاسلامي ، ومناط رجائه ـ ان يأخذ حذره ، ويعتبر بما حدث فى الماضى ، ويحدث فى الحاضر ..

ولا يكفى فى اخذ الحذر والحيطة ، ان تسن القوانين ضد هذا الغزو .. فذلك اسلوب لم يعد يجدى فى ضد التيار الفكرى ، الذى يعتبر رأس حربة لهذا الغزو ..

ان الجيل الحاضر من المسلمين ، ولا سيما من يملكون التوجيه والعمل ـ تقع عليه مسئولية كبرى لحفظ دين هذه الامة ، وتاريخها وامجادها ، بل كيانها وشخصيتها ، وصيانة مستقبلها ، وعليه ان يواجه هذه المسئولية بشجاعة وايمان ..

ان الحصون التى تستطيع الصمود لهذا الغزو ، انما تستمد قوتها ومناعتها من احياء روح الايمان بالله فى النفوس ، ومن الاقبال على تنظيم مجتمعاتنا على ضوء تعاليم الاسلام .. لا يكفينا مجرد الكلام فى الكتب أو فى المحاضرات والخطب .. بل لا بد من عمل .. لا بد من تخطيط أسلامي للحياة يجد طريقه الى التنفيذ ..

ان هذا الغزو يتخذ من اطلاق كلمة المساواة ، وعدم ظلم طبقة لطبقة ، وغير ذلك من الكلمات البراقة ، مادة يجذب بها نفوس الساخطين ويوقعهم فى اخطبوطه .

وليس هناك نظام يوفر المساواة الحقة العادلة والحرية البناءة المشرفة كنظام الاسلام .. ولكن اين هو فى قوانيننا ؟؟ أين هو فى برامجنا ؟ أين هو فى واقع حياتنا ؟!

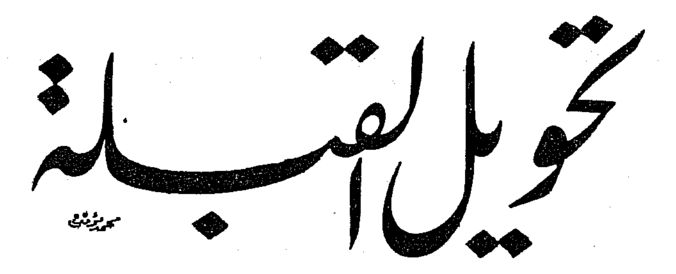
اننا بتراخينا ، وعدم مسارعتنا الى تطبيق النظام الاسلامى فى مجتمعاتنا ، انما نشارك فى ايجاد الفراغ الذى يملؤه هؤلاء بغازاتهم الخانقة !

وعبرتنا الماثلة الآن ما تعانيه بعض الدول الاسلامية من هؤلاء .

انهم ينشطون ويحاربون الدين فى كل اتجاه وبكل الاساليب .. يحاربونه حتى بالقصة .. بالقصيدة .. بالمقالة .. بالرسم .. يدسون سمومهم فى كل هذا .. ويتخذون من الظلم الاجتماعى فى اى مجتمع من المجتمعات سلاحا يهاجمونه به ، وينفذون بواسطته الى النفوس .. والدين برىء من اى ظلم اجتماعى . فالى متى نترك لهم الميدان ، ونتيح لهم الفرص ، ونمكنهم من تشديد قبضتهم . وتسديد ضرباتهم ..

يا قوم .. حصنوا النفوس بالايمان ، وحصنوا الايمان بالعمل ، تحفظوا دينكم ، وتصونوا تاريخكم ، وترفعوا على دعامتهما حاضركم ومستقبلكم .. والله معكم ،،

رئيس التحرير



تحويل القبلة

> قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .
> ١٤٤ سورة البقرة

هذا بحث نقدمه بين يدى القراء عما قيل بمناسبة ليلة النصف من شعبان ، متضمنا تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، وحكمة التوجه الى بيت المقدس ، ثم العدول عنه ، ومدة التوجه الى بيت المقدس ، والتعرض لما أثير حول ذلك .

ان ربط هذا البحث الجليل بليلة النصف من شعبان أشبه بربط المزادة برحل المسافر بخيط من العنكبوت ، وهو أوهى الخيوط ، وذلك ان محققي العلماء أثبتوا أنه ليس لليلة النصف هذه من مزية خاصة تلحقها بليلة القدر مثلا ، أو بالعشر الأوائل من ذى الحجة ، وهي التي أقسم الله سبحانه بها فى أول سورة الفجر ، ووردت الأحاديث الصحيحة فيها وفيما يماثلها باثبات فضلها على غيرها ، وأن للعمل الصالح فيها أجرا خاصا . قال ابن القيم فى « زاد المعاد » جزء أول : (من خص بعض الأمكنة أو الأزمنة من عند نفسه بعبادات كان مبتدعا كما ابتدع أهل الكتاب قبله .

ولما كان لا يثبت فضل لمكان على مكان ، ولا لزمان على زمان الا من قبل الله سبحانه ، لأنه تشريع ، والتشريع مختص بالله وحده ، كان فعل ذلك ابتداعا فى الدين ، ولذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه احتفل بليلة الاسراء ، ولا طلب من المسلمين تخصيصها بعبادة ، بخلاف ليلة القدر فانه رغب فى قيامها ، وجعل لهذا أجرا خاصا ، وذلك أن الله سبحانه هو الذى شرع له ذلك ، ففعل ، وبلغ ، وكذلك لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه جعل للعمل بغار حراء الذى نزل عليه فيه القرآن لم يجعل له مزية على غيره من الأمكنة ، ولا قصده هو ولا أحد من أصحابه للزيارة مدة مقامه بمكة ولا بعدها ، مع أنه المكان الذى نزل عليه فيه أثمن هدية منحها الله سبحانه خلقه .

فاذن متى حدثت بدعة ليلة نصف شعبان ؟

يحدثنا أبو اسحاق الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ م فى كتابه « الاعتصام » عن المقدسي فيقول « قال المقدسي : لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة فى ليلة

لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

النصف من شعبان ، وأول حدوثها عندنا كان فى سنة ٤٤٨ هـ . حين قدم علينا رجل يعرف بابن الحمراء ، وكان حسن التلاوة ، فقام فصلى بالمسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فصلى خلفه رجل ، ثم انضاف اليهما ثالث ، ورابع ، فما ختم صلاته الا وهو فى جماعة كبيرة ، ثم جاء العام القادم فصلى معه خلق كثير ، وشاعت فى المسجد وانتشرت لأنها لم تجد من ينهي عنها ، ثم استمرت كأنها سنة » .

وبعد ذلك لم تعدم من يروجها ويروى فيها أحاديث تؤيدها حتى جاءوا فى ذلك بالعجائب والغرائب التي تناقض صريح القرآن الكريم . ألم يرووا فيها أدعية منها (اللهم ان كنت كتبتني عندك فى أم الكتاب شقيا .. الخ فامح شقاوتي واثبتني سعيدا .. الخ) وهذا فيه من الغلط ما يأتي :

أولا : مخالفته لصريح القرآن فى قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وفسر السلف أم الكتاب بأنه اللوح المحفوظ ، أو علم الله ، وكلاهما لا محو فيه ولا اثبات ، وانما ذلك فى صحف الملائكة .

وثانيا : ما قرره علماء الحديث أنه اذا عارض الحديث ظاهر القرآن لا يلتفت للحديث مهما كان صحيحا ، فكيف يكون حال أحاديث ضعيفة ، أو موضوعة ، ولهذا رد أبو حيان هذا الدعاء لما بلغه . ونقل أبو شامة الشافعي عن القاضي أبى بكر بن العربي أنه قال : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه ! ! .

وبعد كل هذا نقول : فما هي اذن المناسبة بينها وبين تحويل القبلة ؟

الواقع أنه لا مناسبة تذكر الا أن بعض علماء هذا العصر الذى نعيش فيه ممن درسوا الفرق بين السنة والبدعة ، وأشفقوا على الأمة من خطر الابتداع فى الدين ، ووجدوا أن العوام وأشباه العوام من أهل العلم يحتفلون بهذه الليلة: ظنوا أنهم اذا تلمسوا لها مناسبة مهما كانت ضعيفة فانهم ينقذون المسلمين من الابتداع فى دينهم ، فربطوها بتحويل القبلة ، وما ظنوا أنهم حتى بهذا التحايل لم يخرجوهم من دائرة الابتداع .

وبيان ذلك أن العلماء قد اختلفوا فى وقت تحويل القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام ، فقال بعضهم انه كان بعد مقدمه صلى اللهعليهوسلم المدينة بسبعة عشر شهرا ، ورأى آخرون أنه كان بعد ستة عشر شهرا ، وقيل كان قبل غزوة بدر ، بشهرين وذلك فى رجب ٢ هـ ، وقيل كان تحويلها يوم الثلاثاء للنصف من شعبان، وبالجملة فهذه قطرة منبحر هذا الموضوع ، وهو موضوع جدير بالتحرى والبحث ليرجع المسلمون الى نبع دينهم الصافى .

كانت القبلة الى بيت المقدس من أول لحظة فرضت فيها الصلاة بمكة (١) . وبيان ذلك أن أول ما فرض من الصلاة

(١) لم نعثر على توقيت وثيق لاتجاهه صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى ، وقد روى أن النبى كان فى مكة يتجه فى صلاته الى الكعبة ، ثم اتجه الى المسجد الاقصى عزوفا عما كان فيها من أصنام ، وتفاديا من اشتراكه فى الاتجاه اليها مع المشركين ، ولعله فعل ذلك عند هجرته من مكة لهذين السببين .

على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كان قيام الليل . فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ان الله عز وجل افترض قيام الليل بأول سورة المزمل ، فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واستمر على ذلك حتى نزلت آية آخر السورة بالتخفيف ، رواه مسلم والامام أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي . وفهمت عائشة هذا الوجوب على المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة منها (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ... الآية) .

وفهمت عائشة بثاقب نظرها أن (من) فى قوله تعالى (وطائفة من الذين معك) بيانية لا تبعيضية ، كما فى قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) آية ٣٠ من سورة الحج ، وقوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) آية ١٧٢ آل عمران ، وكل هؤلاء محسنون متقون ، وكل الأوثان رجس .

واتفق ابن عباس مع عائشة فى أنه كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أول الأمر ، قال القرطبي وهذا هو الصحيح .

كما اتفق المحققون على أن قيام الليل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مقدارا معينا من الليل ، وهو المبين أول سورة المزمل ، ثم خفف الله على الأمة فجعله تطوعا ، ومن غير تحديد زمن ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعله كذلك من غير تحديد زمن لكنه لا زال واجبا عليه هو بخاصة ، بدليل قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك .. الخ) آية ٧٩ من سورة الاسراء .

فالأمر فى أول سورة المزمل وفى آخرها للوجوب عليه صلى الله عليه وسلم ، الا أن الواجب فى أولها كان قيام زمن معين وفى آخرها كان قيام زمن مطلقا .

وقال كثير من العلماء انه سبحانه لما رفع عن المؤمنين فرض قيام الليل ، أوجب عليهم وعلى النبي صلوات الله عليه ، صلاة ركعتين فى وقت الصبح وركعتين فى المغرب ، وأخذوا ذلك من قوله تعالى فى آخر سورة المزمل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله فى آية ٥٥ من سورة غافر (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) .

واستمر الحال على ذلك الى أن غير كل ذلك بفرض الصلوات الخمس فى ليلة الاسراء الذى كان قبل الهجرة بعام كما جزم بذلك النووى .

ويجب أن نعلم أن المؤمنين بمكة كانوا أول الأمر قلة تخاف الجهر بالايمان من بطش قريش وايذائها للمؤمنين ، ولذلك كانت صلاتهم فى داخل بيوتهم وهم متجهون الى بيت المقدس كما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يتجه اليه ، وهو فى بيته ملاحظا أن تكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، واذا صلى عند الكعبة أحيانا كان يفعل ذلك خشية أن يزيد قريشا نفورا منه اذا استدبرها ، لأنهم كانوا يعظمون البيت الذى بناه جدهم ابراهيم عليه السلام ، وكان قبلته فى صلاته .

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تعذر عليه الجمع بين الاتجاه الى بيت المقدس والى الكعبة فى آن واحد ، لأن الأول فى شمال المدينة والكعبة فى جنوبها ، فصار فى صلاته الى بيت المقدس يستدبر الكعبة ، ومكث صلى الله عليه وسلم على هذا الحال بالمدينة سبعة عشر شهرا ، فانتهز ذلك

المشركون والمنافقون واليهود ، وأطلقوا بين الناس ما يظنونه يوقع الريبة فى قلوب المسلمين من تصرفاته صلوات الله عليه فينصرفون عن اتباعه ، فالمشركون والمنافقون قالوا انه ترك قبلته ، وقالت اليهود لو كان صاحب دين جديد لما استقبل قبلتنا . فضاق صدره الشريف بما يرجفون ، فتوجه برجائه الى ربه أن يأذنه بالتوجه الى قبلة أبيه ابراهيم الذى جاء لاحياء ملته ، كما فى آخر سورة الحج ، وليكون ذلك سببا فى تمهيد الطريق لايمان قومه ، فأجاب سبحانه رجاءه وأمره بالتوجه الى الكعبة .

ذكر العلماء أن الأمر بالاتجاه الى الكعبة نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بني سلمة يصلي بالناس صلاة العصر بعد ركعتين منها ، فتحول الى الكعبة وتحول من خلفه وأتم بهم الصلاة ، ولم يقطعها ، ولهذا سمي هذا المسجد « مسجد القبلتين » أى أنه صليت فيه صلاة واحدة جزء منها الى قبلة ، والآخر الى قبلة أخرى ، فتكون مدة الصلاة الى بيت المقدس ١٣ سنة قبل الهجرة و ١٧ شهرا بعد الهجرة ، ويكون مجموع ذلك أربعة عشر عاما وخمسة شهور .

وبعد ذلك فماذا فعل خصومه صلى الله عليه وسلم من تلك الطوائف الثلاث المتقدم ذكرهم (المشركون والمنافقون واليهود) ؟ هل كفوا ألسنتهم عن اللغو ؟ كلا ، فان المعاند المبطل لا يعدم كلاما يلوكه ، ولو ناقض به نفسه .

قال ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد فى هدى خير العباد) الجزء الثاني : « وكان فى جعل القبلة أولا الى بيت المقدس ، ثم تحويلها الى الكعبة حكم عظيمة ، ومحنة **للمسلمين ، والمشركين ، واليهود ، والمنافقين** . أما المسلمون فقالوا سمعنا وأطعنا ، آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ، ولم يكن تحويل القبلة شاقا عليهم . وأما المشركون فقالوا رجع محمد الى قبلتنا ، ويوشك أن يرجع الى ديننا لأنه ما رجع اليها الا لأنها الحق . وأما اليهود فقالوا خالف محمد قبلة الأنبياء قبله ، ولو كان نبيا حقا لاستمر على الصلاة الى قبلة الأنبياء ، أى الى بيت المقدس .

وقال المنافقون والله ما ندرى أين يتجه محمد ؟ ان كانت القبلة الأولى حقا فقد تركها ، وان كانت الثانية هي الحق فقد كان أولا على باطل .

وهكذا كثرت أقاويل السفهاء من الناس . قال تعالى (وان كانت **لكبيرة الا على الذين هدى الله**) .

ومن كل هذا نعلم أن تحويل القبلة كان ابتلاء وامتحانا يطهر الله به جو المسلمين مما قد يكون عالقا به من أمراض النفاق وضعف اليقين — التي من شأنها أنها تفتك بكل وسط تخالطه . وهذه هي سنته تعالى فى امتحان عباده سواء منهم من كان سليم الطبع أو سقيمه ليظهر للملأ كلا على حقيقته ، وليكون ذلك حجة عليه يوم الحساب . اقرأ فى ذلك قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) آيتي ٢ ، ٣ من سورة العنكبوت وقوله (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) آية ١٧٩ من سورة آل عمران وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه

البقية على ص ٣٦



لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى للوزارة

صمام أمن الحياة وسبيل النجاة في الآخرة في ثلاث

حب الله ورسوله ، والتحاب فى الله وكراهية الرجوع الى الكفر بعد الايمان

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان . أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .
رواه البخارى

مضى بنا القول فى هذا الحديث الشريف (١) عن الخلال الثلاث التى وردت فيه اجمالا ، وأشرنا الى أنها جمعت أطراف الخير ، وملكت نواحيه ، وأن الحصول عليها والاتصاف بها سعادة ما بعدها سعادة ، وراحة قلبية لا تعادلها راحة ، ثم تساءلنا لماذا نحب الله ورسوله ؟ وأجبنا على هذا التساؤل ، ولم يتسع المقام لتفصيل كيفية حب الله ورسوله حبا منتجا نافعا ، ثم الافصاح عن التحاب فى الله تعالى ، والابانة عن وجوب كراهية العود الى الكفر بعد الايمان ، وكل أولئك هو ما سنعرض له فى هذا المقال .

أولا : ــ حب الله ورسوله وكيف يكون ؟

١ ــ حب الله يكون بامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه ، فالحبيب منقاد دائما لمن يحب ، مطيع لما يأمر ، منفذ لما يشير به ، والله تبارك وتعالى لا يأمر الا بما ينفع ويسعد ، فهو سبحانه يريد للانسان أن يعمر الدنيا بالعلم النافع والعمل المفيد ، فقد جعله خليفة فى الارض (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة ..) «٢» (وعلمه الاسماء كلها مما سيمر عليه فى هذه الحياة ليدأب فى البحث عنها وينتفع بها حين يكتشفها) (وعلم آدم الاسماء كلها ... (٣) ... قال المفسرون (المراد من الاسماء المسميات ، وعبر بها عنها للصلة الوثيقة بين الدال والمدلول وسرعة الانتقال من أحدهما الى الآخر ، وأيا كان فان العلم الحقيقي انما هو ادراك المعلومات ، أما الالفاظ الدالة عليها فهي تختلف باختلاف اللغات التى تجرى بالمواضعة والاصطلاح) .

(١) فى العدد السادس . (٢) الآية ٣٠ من سورة البقرة . (٣) الآية ٣١ من سورة البقرة .

والحكمة فى تعليم الله آدم أسماء الاشياء أو مسمياتها ان الله تبارك وتعالى أراد تشريفه وبيان علة اصطفائه له ، كيلا يفخر عليه الملائكة بما علموا ، وعرفوا مما علمهم الله وعرفهم . وأما اظهار أسرار العلوم المكنونة فى غيبه سبحانه فيحصل واقعا على يد من يشاء الله من عباده فى مختلف الاجيال والعصور .

٢ ـ وما دام الانسان خليفة فى الارض فلا بد له أن يوجد مجتمعات فاضلة تسودها المحبة والاخاء والتعاون والتواد والسلام والامن والطمأنينة ، حتى يستطيع العاملون أن ينتجوا ، وينشئوا حياة حرة كريمة تدفع العالم فى مدارج التقدم والرقي على أساس متين من تعاليم الله التى أوحاها الى رسله عليهم السلام ، وختمهم بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (١) ...) الذى أنزل الله عليه الكتاب تفصيلا وتبيانا لكل شيء ، وكانت سيرته ـ فى المدة التي عاشها داعيا ومشرعا وقائدا وحاكما وهاديا ومرشدا ـ تحمل الخطوط العريضة لكل مسالك الحياة ودروبها .

٣ ـ وقد رسم الرسول عليه السلام القاعدة التي يمكن فى ظلها الانتاج البشرى الصالح فى كلمات قصيرة اللفظ عميقة المعنى واسعة الدلالة فقال : (اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال .) فالقلق والخوف والجوع والمرض مزعجات تتلاشى معها القوى العاملة ، وتبيد فى ظلها كل عوامل الخير والرشاد ، وتسود الفوضى ، ويعم الفساد .

والطمأنينة والامن والقوة والعافية كل أولئك يحمل الانسان على الدأب والتنقيب والبحث عن مكنونات الوجود لخير الناس جميعا ، فيكتشف مخبآت الارض والبحار والهواء والماء وكل ما يحيط به من علويات وسفليات ، وما يشاء الله له أن يعرف من أسرار الكون ويستخدم معلوماته فى تخفيف آلام البشرية وايجاد مستويات متقدمة أرقى وأفضل .

فلهذا كان حب الله ورسوله عاملا أساسيا على تثبيت أركان الفلاح والصلاح فى هذه الحياة الدنيا ، فمن أحب الله ورسوله سلم الناس من لسانه ويده ، فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم ، وتكاتفوا ، وشد بعضهم أزر بعض ، وسد واجدهم حاجة معدمهم ، فساروا كتلة متراصة لا ينفذ اليها الضعف : ولا يعترض الوهن ولا الخور سبيلها .

ثانيا : ـ التحاب فى الله .

١ ـ لو جعل الناس أساس علاقاتهم وقوام صلاتهم المنافع المادية البحتة لتقطعت بهم السبل ، وضلوا الطريق ، فمن يستطيع أن يرضى الناس جميعا بماله مثلا ولو كانت عنده خزائن قارون وله ملك سليمان ؟ لا أحد ! وفى الاثر (انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) ومن تحابا فى الله جعلا أساس علاقاتهما رضاه فصفت نفوسهما للخير ، وصغت لداعي البر والمعروف ، وأخمدت جذوة الغضب ، وقلت بوادر الشقاق والعنف والعداء ، وحمل كل منهما حال صاحبه على الخير حتى ولو أساء اذ يلتمس لاساءته عذرا ، فيستر خطأه ، ويبارك صوابه ، يحفظ عرضه وماله ارضاء لله وتلبية لداعي الحب فيه .

٢ ـ ومن عجب انا لو دققنا قليلا فى أحوال المتحابين فى الله لوجدناهم ملتقين على المنافع المادية أو فى وأكمل وأعظم ما يلتقي الناس من حيث لا يشعرون ، فلا يرضى أحدهم أن يساء أخوه أو يجوع أو يعرى وهو يستطيع أن يصد عنه الاساءة ،

(١) الآية ٤٠ من سورة الاحزاب

ويسد جوعته ، ويستر عريه ، يؤثره على نفسه ولو كانت به خصاصة لانه يرجو بمساعدته عون الله وتوفيقه ، ولانـــه يؤثر الآجل فيصبر على العاجل ، وحين يشقى من أجله ظاهرا يسعد باطنا، ويهدأ نفسا ويطيب قلبا . لانه يثق أن الحياة الدنيا متاع فيكفيه قليلها ، ويصل أخاه فى الله بكثيرها ، ويؤمن أن الدار الآخرة هي الحيوان فيعبر اليها عن طريق بذل كل جهد وقوة ومال وولـد فى سـبيل الآخرين واسعادهم ــ ليحظى عند العلى الكبير بما أعده له وما ادخره لامثاله من الجزاء الحسن .

٣ ــ والمتحابون فى الله تسعد بهـم أوطانهم وأقوامهم حيث لا يصدر عنهم الا العفــو والعافيــة ، ويعملون دائبين متعاونين فى حقول الكرامة والايثار يكفون أيديهم عما يؤذى ، ويبسطونها بما يفيد ويجدى ، يمرون باللغو كراما ، يزرعون الحب ويقتلعون الغل والحقد والحسد ، ينمون الفضائــل ويبيدون الرذائــل ، يستلون السخائم من النفوس ويملأونها مودة ورحمة وعافية وتراحما وأمـــلا كريما .

ثالثا : ــ كراهية الرجوع الى الكفر بعد الايمان .

١ ــ من آمن بالله ودخل فى زمرة المصدقين برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسعد بما يسعد به مــن استظل برايــة الاسلام وذاق حــلاوة الايمان مع المؤمنين ، وعاش فى أوطانهم وهو واحد منهم ، له ما لهم وعليه مــا عليهم ، وخالطت معرفة الله وجدانه ، وملكت عليه حواسه ، لا يستطيع أن يفلت من ربقة الاسلام ، ولا يمكن أن يعود الى الكفر بعد الايمان ، فايمانه يبغض اليه الكفر ، وينفره من اسمه فضلا عن العودة اليه ، وقد شبه الرسول صلوات الله عليه وسلامه كراهية العود الى الـكفر بكراهة القذف فى النار ، لان كراهـــة القذف فى النار أشد على النفس مــن غيرها .

٢ ــ وقد حدد الشارع جزاء قاسيا لمن تسول له نفسه الرجوع عن الايمان وهو القتل ، وسماه « مرتدا » ونظيره فى التشريعات المعاصرة ما يطلق عليه الخيانة العظمى وهــي افشــاء اسرار الوطــن واطلاع العدو عليها لينال منه ، وعقوبة الخيانة العظمى الاعدام وهو جزاء عادل لمن تسول له نفسه هتك ستر البــلاد والعباد التي نعم بالعيش فى ظلها دهراً طويلا .

الخلاصة

١ ــ الايمان نور يقذفه الله فى القلوب ، ويشرح له الصدور ، والارض الصالحة تنبت اذا أصابها الوابل ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٢ ــ للايمان حلاوة ولذة روحية وعقلية يجدها من تجافى عــن الماديات ، وأخذ منها بالقدر الذى يمسك الذماء ، ويبقى على الحياة ، وجعل فى ماله حقا للسائل والمحروم ، وفى قوتــه فضــلا للعاجــز المستغيث ، وفى علمه هداية للجاهل ، وطلب جزاء كل ذلك ممن بيده مقاليــد الامور ، فدفع بالتي هي أحسن ، وأخذ العفو وأمر بالمعروف ، وأعرض عن الدنايا وسفاسف الامور . ولو كانت الصلة بالله ورسوله وارتباط الناس جميعا قائمة على أساس الحب القلبي ــ اذن لانجابت كل الشرور وبادت كل عوامل الفســاد والافساد .

فاللهم اجعلنا ممن أحبوك وأحبــوا رسولك وتحابوا فيك ومروا بالحيــاة هادين مهديين ، لا يسيئون ولا يساءون ، ينفعون ولا يضرون يعيشون للصالــح العام ولا تجد الانانية الى أنفسهم سبيلا محاطين برعايتك وعنايتك وتوفيقك ولا حول ولا قوة الا بالله هو حسبنا عليــه نتوكل واليه ننيب .

الرئيس عبد السلام محمد عارف

يقول : العراق يستمد نظامه ومبادئه من القرآن

النظريات الماركسية غريبة علينا ونرفضها بشدة

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية فى عددها الصادر بتاريخ ٣/١١/٦٥ حديثا مستفيضا أجراه مندوبها مع سيادة الرئيس عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية تناول فيه كثيرا من الشؤون العربية .

ويسر مجلة الوعي الاسلامي أن تسجل هنا مقتطفات من هذا الحديث ، وتسجل فى الوقت نفسه تقديرها وتقدير المسلمين جميعا للزعيم الكبير لاستمساكه بتعاليم الاسلام : وحرصه على تطبيقها فى القطر العراقي الشقيق ورفضه للمبادىء الدخيلة ، ووقوفه فى وجه التيارات المنحرفة ، وتطهير هذا الجزء العريق فى الوطن العربي الاسلامي من الافكار الغريبة التي لم تعرف طريقها الى الدول الاسلامية الا فى غفلة المسلمين عن دينهم ، الذى ارتضاه الله دينا للبشرية جمعاء .

قال الرئيس عارف : لقد قال لي السفير الروسي — أثناء تقديم أوراق اعتماده ان روسيا السوفييتية تستمد مبادئها من نظريات ماركس ولينين .

وكان ردى عليه ان العراق يستمد نظامه ومبادئه من الاسلام والقرآن . والاسلام وحده عدالة مطلقة ، ويكفي أن نطبقها حتى نصبح فى غنى عن استيراد المبادىء والنظم من الخارج . ان الاسلام ومبادىء محمد صلى الله عليه وسلم هي التي نسير على نهجها هنا .

وتحدث سيادته عن الحركة الفاشلة التي قامت أخيرا فى العراق فقال :

غريب أمر هؤلاء الحركيين فهم يظنون أنهم وحدهم العرب ، وهم وحدهم التقدميون وسواهم رجعي متخلف متأخر ، والحقيقة أنهم بأفكارهم الحزبية هذه ، وبماركسيتهم العرجاء يعوقون تقدم الأمة العربية .

ومع الأسف اندس الشيوعيون فى صفوفهم فحملوا النظريات الماركسية ، ووضعوا أمامهم غاية الغايات وهي الوصول الى مقاليد الحكم بأى ثمن وأى طريقة ... وأذكر أنني حين قلت لهم اننا نريد تطبيق مبادىء الاسلام رفضوا بشدة ، ودفعتهم عجرفتهم وغرورهم الى السير وراء النظريات الغريبة . وهم يعرفون قبل سواهم أنها لا تصلح لنا ، ونرفضها بشدة .

وختم المندوب حديثه مع سيادته بقوله : لقد كانت نظرتي لا تفارق الرئيس عارف مدة ساعة ونصف الساعة استغرقها الحديث معه .. كنت أنظر اليه بعمق ، فقد تغير شكله بالنسبة لي ، وقد عرفت أنه كان يتبع (رجيما) خاصا أثر عليه . فضلا عن أنه يصوم ثلاثة أشهر فى العام هي رجب وشعبان ورمضان ، وقد ازدادت نزعاته الروحية خلال السنة والنصف التي مضت على تشرفي بمقابلته لأول مرة ، فكلامه كان لا يخلو من العبارات الدينية العميقة التي تنم عن المام شامل بأمور الدين وتعاليمه .



ربما يعجب القارىء لمسارعة هذه الدولة الناشئة ، وحرصها على الاخذ بأساليب الحكم الديمقراطي بعد أن استكملت مظاهر استقلالها ولكن عجبه يزول حين يعرف أن طبيعة هذا الشعب انما هي طبيعة الشعب المسلم العربي، الذى يعشق الحرية والشورى ، كمبدأ من مبادىء الاسلام المهمة ..

وحين يعرف أن سمو أمير البلاد المعظم ـ الذى يلقبه الشعب هنا بالامير الوالد ـ حريص كل الحرص على أن يتمتع شعبه بحريته وبكل مظاهر الحياة الكريمة فى الامم الناهضة ..

وسيرى القارىء من خلال حديث سعادة رئيس مجلس الامة كيف كانت هذه المسارعة الطيبة ..

واذا كان من المهم أن تأخذ الامم بمبدأ الشورى الذى يضمن لها حريتها ، فان الاهم من ذلك أن تباشر هذه الامم سلطتها فعلا ، ويتمتع نوابها بحرياتهم كاملة فى ابداء آرائهم ، مع حسن استغلال مبدأ الشورى فى كل ما يحفظ للامة كيانها ، ويضمن لها حقوقها .

وقد رأينا مجلس الامة فى دولة الكويت ـ بالرغم من حداثة هذا النظام بها ـ تتوفر له الضمانات الكاملة لمباشرة سلطته ، وتترعرع فى جوه الحرية التى تتيح لكل عضو من أعضائه ـ البالغ عددهم خمسين عضوا ـ أن يدلي بما يراه من آراء ..

كنت على موعد مع سعادة السيد/سعود العبد الرزاق رئيس مجلس الامة الكويتي لاقدم الى قراء هذه المجلة صورة مشرقة من صور الحياة الديمقراطية السليمة ، التى تنعم بها الكويت ، بمناسبة افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة فى ٢٦ اكتوبر الماضي .

بدأ سعادته الحديث بتحية مجلة الوعي الاسلامي ، ونهجها القوى الجديد فى خدمة الثقافة الاسلامية ، وذكر ما نشر فى افتتاحية العدد الماضي بشأن قطع يد السارق ..

وقال : اننا فعلا نلمس موجة من حوادث السرقة ، وجراة اللصوص ، لم يكن للكويت عهد بها من قبل ولا بد من جزاء يردع كل من تحدثه نفسه بالاعتداء على الآمنين . وفى شرع الله الضمان الكامل لسعادة الامم بلا شك . فشكرته على هذه التحية ، وهذه الروح الاسلامية الاصيلة .

الحمد لله

((أثناء افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة ـ وحين القاء الخطاب الاميرى ـ شعر سمو أمير البلاد المعظم بألم اضطره لمغادرة قاعة المجلس : وألزمه الفراش ، واستدعى لعلاجه كبار الاطباء العالميين ، حتى تماثل سموه للشفاء والحمد لله ..

والظاهرة الكريمة التى تستحق الاعجاب ، هي روح الشعب الطيبة ، التىتبدت نحو سمو الامير اثناء مرضه . لم تكن مجرد ظاهرة رسمية من محكومين لحاكمهم ، بل كانت روح أبناء نحو والدهم .. كانت الكلمة السائدة على لسان الجميع ((أميرنا ووالدنا))

((رعى الله الامير والشعب))





سعادة رئيس مجلس الامة ..

ثم قلت لسعادته .

ان مجلة ((الوعي الاسلامي)) يسعدها أن تسجل ـ بمناسبة بدء الدورة العادية الرابعة لمجلس الامة ـ مواقف هذا المجلس الموقر ، وبخاصة تجاه الشؤون الاسلامية ، وتذكر اقتراحات حضرات النواب المحترمين وآراءهم بهذا الصدد ، وقد سبق لها أن سجلت على صفحاتها جانبا مما جاء بالخطابات الاميرية ، وأجوبة مجلس الامة عليها فى حينها .

والآن ـ بمناسبة الدورة الجديدة التى بدأت فى ٢٦ اكتوبر الماضي ـ يسعد المجلة أن تتقدم لسعادتكم ببعض الاسئلة وحينرحب سعادتهبالاجابة على اسئلتنا قلت له : ـ

ان الكويت لم تستكمل مظاهر الاستقلال الا قريبا بمعاهدة سنة ١٩٦١ ومع ذلك فان الاصلاحات الدستورية التى قادها سمو الامير قد جعلت تجربة الكويت الديمقراطية تجربة رائدة فى العالم العربي . فهل لسعادتكم أن تحدثونا عن مراحل ارساء هذه التجربة ؟ .

قال سعادته : حقيقة ان معاهدة سنة ١٩٦١ لم تكن أكثر من استكمال مظاهر الاستقلال ، لأن الكويتيين كانوا قبلها يتمتعون بالكثير من مظاهر الاستقلال ، وكانت لهم الكلمة فى أكثر شؤون الكويت ، وعقب ابرام هذه المعاهدة مباشرة ، بدأت المراسيم الاميرية والقرارات تصدر متلاحقة ، لايجاد مجلس تأسيسي منتخب ، ولاعداد دستور للبلاد ، بجانب قيامه بمهمة المجالس النيابية العادية ، وفقا للنظام الدستورى المؤقت ، الذىتضمنه القانون الاساسي رقم ١ لسنة ١٩٦٢.

وقد افتتح سمو الامير المجلس المذكور يــوم ١٩٦٢/١/٢٠ ، وضم عشرين عضوا منتخبا ، كما ضم الوزراء بحكم وظائفهم ، وكان عددهم حينذاك أربعة عشر وزيرا .

وقد حددت مدة سنة لاتمام مهمــة المجلس التأسيسي ، وفعلا أعد مشروع الدستور خــلال بضعة شهور ، ثم صدق عليه سمو الامير وأصدره يوم ١٩٦٢/١١/١١ ، وعلى أساسه انتخب مجلس الامة ، الذى عقد أول جلسة له يوم ١٩٦٣/١/٢٩ أى فور نهاية الســنة المحــددة لمهمــة المجلس التأسيسي

ويشرفني أنني كنت عضوا فى المجلس التأسيسي المذكور ، الذى كان يرأسه سعادة زميلي الصديق السيد عبد اللطيف محمد ثنيان الغانم ، كمــا كنت عضوا بلجنة الدستور الفرعية الخماسية ، مع زملائي : رئيس المجلس التأسيسي ، والشيخ سعد العبد الله السالم ، وسعادة حمود الزيد الخالد وزير العدل الاسبق ، والنائب المحترم يعقوب الحميضي ، كذلك تشرفت بعضوية مجلس الامة . وأتشرف برئاسته منذ ١٩٦٥/٣/٢ خلفا لزميلي وصديقي سعادة عبد العزيز حمد الصقر .

ولقد شهد الجميع ـ بالكويت وخارجها ـ كيف تتابعت بصورة مشرفة ، دورات مجلس الامة العادية ، حتى بلغت اليوم الرابعة (بالاضافة الى الدورة الاستثنائية التى عقدت صيف سنة ١٩٦٣) حيث كانتمليئة بالاعمالالبناءة للمواطنين فى الكويت ، وللعروبة بأسرها ، حتى أصبحت حياتنا الديمقراطية مثلا يحتذى ، وتجربة رائدة بحق فى العالم العربي .

والسبب فى ذلك أن جوهر الحكم الديمقراطي كان قائما بيننا قبل الاستقلال ، وقبل الدستور ، كجزء من تقاليدنا الاسلامية ، وتراثنا العربي ، وأتمنى أن نحافظ على هذه الروح دائما ، حتى تظل ديمقراطيتنا أداة لمزيد من الود ، والمشاركة والتعاطف الاخوى بيننا ، فى ظل رعاية والدنا جميعا وأميرنا المفدى .

قلت ذلك ما نرجوه جميعا .

ثم هل تتفضلون سعادتكم فتحدثونا عن أبرز معالم الدستور الكويتي ، وبخاصة ما يتعلق منها بالناحيتين الاسلامية والعربية ؟ .

قال سعادته . ان معالم الدستور الكويتي كثيرة ، أبرزها عنايته بالناحيتــين الاســلامية والعربية . فمن أبرز المعالم الاسلامية فى الدستور مانصت عليه مادته الثانية من « أن دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيســى للتشريع » ، وكذلك ما نصت عليه المادة التاسعة من أن « الاسرة أساس المجتمع ، قوامها الديــن والاخلاق وحب الوطن » . كما أذكر المادة ١٢ التى تنص أيضا على أن « تصون الدولة التراث الاسلامي والعربي .. » ، ثم المادة ١٨ القائلة فى فقرتها الاخيرة ان « الميراث حق تحكمه الشريعة الاسلامية » .

وفيما يتعلق بالناحية العربية ، حسبي أن أذكر نص المادة الاولى من الدستور التى تقول « وشعب الكويت جزء من الامة العربية » ، وكذلك ما نصت عليه المادة ١٥٧ من أن « سلامة الوطن ـ أى الكويت ـ أمانة فى عنق كل مواطن ، وهي جزء من سلامة الوطن العربي الكبير » .

فقلت لسعادته هذا شيء طيب وطبيعي من أمة حريصة على اسلامها وعروبتها ، ولكني أود بهذه المناسبةوقد كنتم عضوا فى المجلسالتأسيسي، وفى لجنة الدستور الخماسية ان أسألكم رأيكم فى نص المادة الثانية من الدستور التى ذكرتموها ، اذ تقول « الشريعة الاسلامية مصدر رئيســي للتشريع » ؟ لماذا لم ينص على أن هذه الشريعة هى المصدر الرئيسي الوحيد ، وليست أحــد المصادر ، كما يفهم من النص ، وبخاصة لان الكويت بيئة اسلامية حريصة على التقاليد الاسلامية ؟ .

فأجاب سعادته : لو ترجع الى محاضر اللجنة الفرعية الخماسية ، ومحاضر المجلس التأسيسى ، تجدنى وبعض زملائي كنا شديدى الحرص على ان تضــاف الى المــادة « الالــف والــلام » للتعريف ، حتى تكون الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى الوحيد ، لا احد مصادرها ، وكان اتجاه المجلس قويا فى هذا المعنى ، ولكنه لم يقبل النص الحالى الا مراعاة لضرورة التمهيد تشريعيا للتحول الى حكم الاسلام الكامل،وقد اصبحالامر بعد ذلكفى عنق المشرع ، لينظمه بتشريعات جديدة تحل محل التشريعات القائمة ، ولذلك حرصنا على ان تتضمن المذكرة التفسيرية للدستور هذا المعنى ، وقد جاء فيها بخصوصه قولها « يلاحظ ان النص الوارد

بالدستور – على ان الشريعة مصـــدر رئيسي للتشريع – انما يحمل المشرع امانة الاخذ بأحكام الشريعة الاسلامية ما وسعه ذلك ، ويدعوه الى هذا النهج دعوة صريحة واضحة ، ومن ثم لا يمنع النص المذكور من الاخذ ، عاجلا او آجلا ، بالاحكام الشرعية كاملة وفى كل الامور ، اذا رأى المشرع ذلــك » .

فقلت لسعادته : حقيقة ، قد يضطر المشرع الى التدرج مراعاة للظروف والارتباطات القائمة. والمهم صدق النية فى العمل والتصميم لبلوغ الغاية .

ثم انتقلت بالحديث الى امر هام ، انفردت به الكويت من بين الدول الاسلامية جميعها وقلت لسعادته: كان للقانون الحكيم الخاص بتحريم الخمور فى الكويت صدى طيب فى نفوس المسلمين فى جميع اقطارهم فهل لسعادتكم ان تحدثونا عن مدى نجاح هذا القانون فى تحقيق الاصلاح الاجتماعى الذى هدف اليه فى الكويت ؟

فأجاب سعادته : نعم لقد نجح هذا القانــون النجاح المأمول ، فامتنعت العلانية فى المعصية ، وانتفى الجهر بالسوء وحيل بــين الناس وبــين الاندفاع فى تدمير صحتهم ، وتبديد اموالهم ، وكل ما يقال عن ضحايا لتطبيق هذا القانون ، انما هو من قبيل الدعاية ضد تحريم الخمور – وهى كما هو معلوم – ام الكبائر »

وكان لا بد ان يتطرق الحــديث أخيرا الى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وما بدأ فيها من نهضة لحمل رسالتها . وما تضطلع به الآن من مسئوليات اسلامية فى الداخل والخارج .

فقال سعادته : لا شك ان هذا الاتجاه هــام وضرورى ، لان الاسلام يدعونا اليه،ويحملنا واجب نشر الدين وتعاليمه ، لا داخل البلاد فحسب ، بل وخارجها ايضا . فقيام وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بهذا الواجب امر تشكر عليه ، وقد سبق ان سجل اعضاء مجلس الامة شعورهم فى هــــذا الخصوص وعبروا عنه فى جوابهم على الخطاب الاميرى كما تعلم ، فأسأل الله للقائمين عليهـــا والعاملين بها التوفيق والثواب .

وكان لا بد ان ينتهى بنا الحديث بعد ان اخذنا من الوقت طويلا فشكرت سعادته وحييته مرة ثانية باسم المجلة .

وبعد . فلعلنا اخى القارىء قد هيأنا لك بهذا الحديث نافذة تطل منها على جانب من جوانب الحياة فى الكويت ، ونرجو ان نهيىء لك امثالها فى الاعداد المقبلة ان شاء الله .

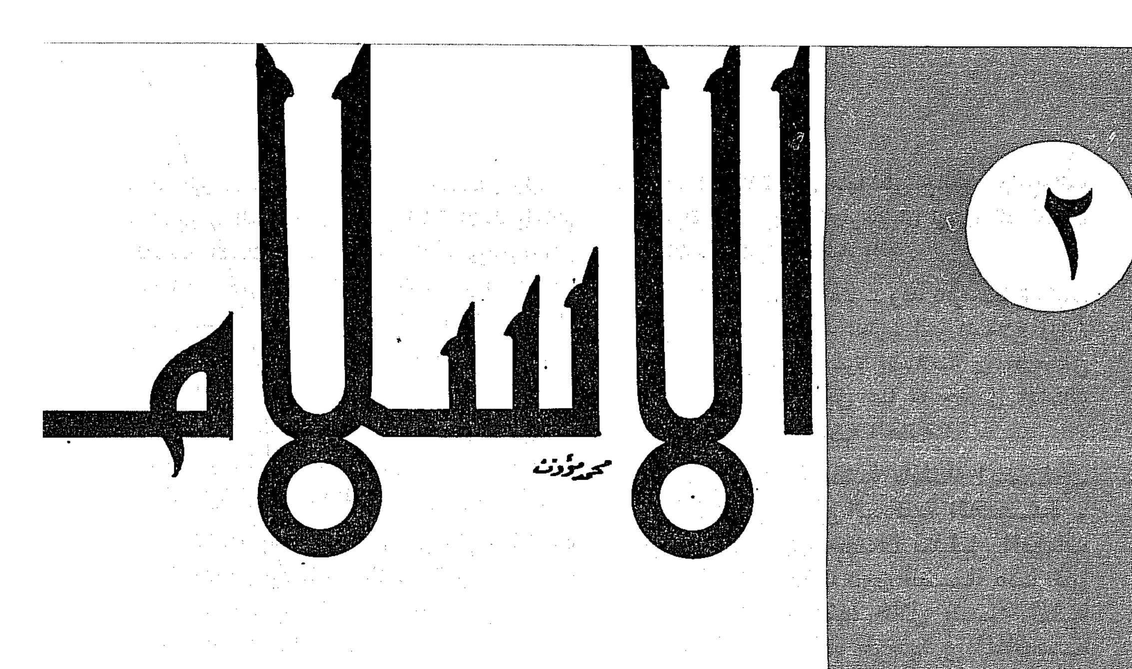
ولعل من المناسب هنا – وقد ذكر سعادة رئيس المجلس شعور الاعضاء الطيب نحو اضطلاع وزارة الاوقاف بمهمة الدعــوة الاسلامية فى الــداخل والخارج – ان نسجل هنا ما جاء فى الخطاب الاميرى فى افتتاح الدورة الحالية :

« والحكومة معنية بانشاء المســاجد فى القرى والمناطق السكنية الجديــدة . وتبذل قصارى جهدها لتذليل العقبات الفنية التى حالت دون انشــاء مــا كان مقررا انشاؤه منها خلال السنة المالية الماضية رغم اعادة طرحها فى المناقصــة العامة اكثر من مرة . ويجرى الآن دراسة انشاء الجامع الكبير قرب قصر السيف وسوف يخصص فيه جنــاح للسيدات ومكتبة ستضم نوادر المخطوطات الاسلامية لتكون مرجعا لطلاب العلم والباحثين . بالاضافة الى المــكتبات الصــغيرة التى ستلحق بكل مسجد .

وقطع معهد الامامة والخطابة الــذى انشيء فى العام الماضى مرحلــة كبيرة فى تحقيق الغاية المنشودة منه .

كما ادرجت بميزانية وزارة الاوقاف مبالغ معينة لنشر الــدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية ، وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية ، واللغات المحلية السائدة فى تلك البلاد ، وانشئت فى هذا العام بالوزارة المذكورة ادارة للشئون الاسلامية لدراسة احوال المسلمين فى العالم ، وتوثيق عرى الروابط الاخــوية بــين الشعوب الاسلامـــيـة ، والاسهام فى المؤتمرات الاسلامية المختلفة.

وتم اصدار مجلة الوعى الاسلامى فى اول العام الهجرى الجديد، فسدت فراغا كان يشعر به الكثيرون ، وستقوم الوزارة تنفيذا لرغبة المجلس بطبع موسوعة الفقه الاسلامي وخصصت لذلك الاعتمادات اللازمة بمشروع ميزانية السنة الماليــة القادمة » .

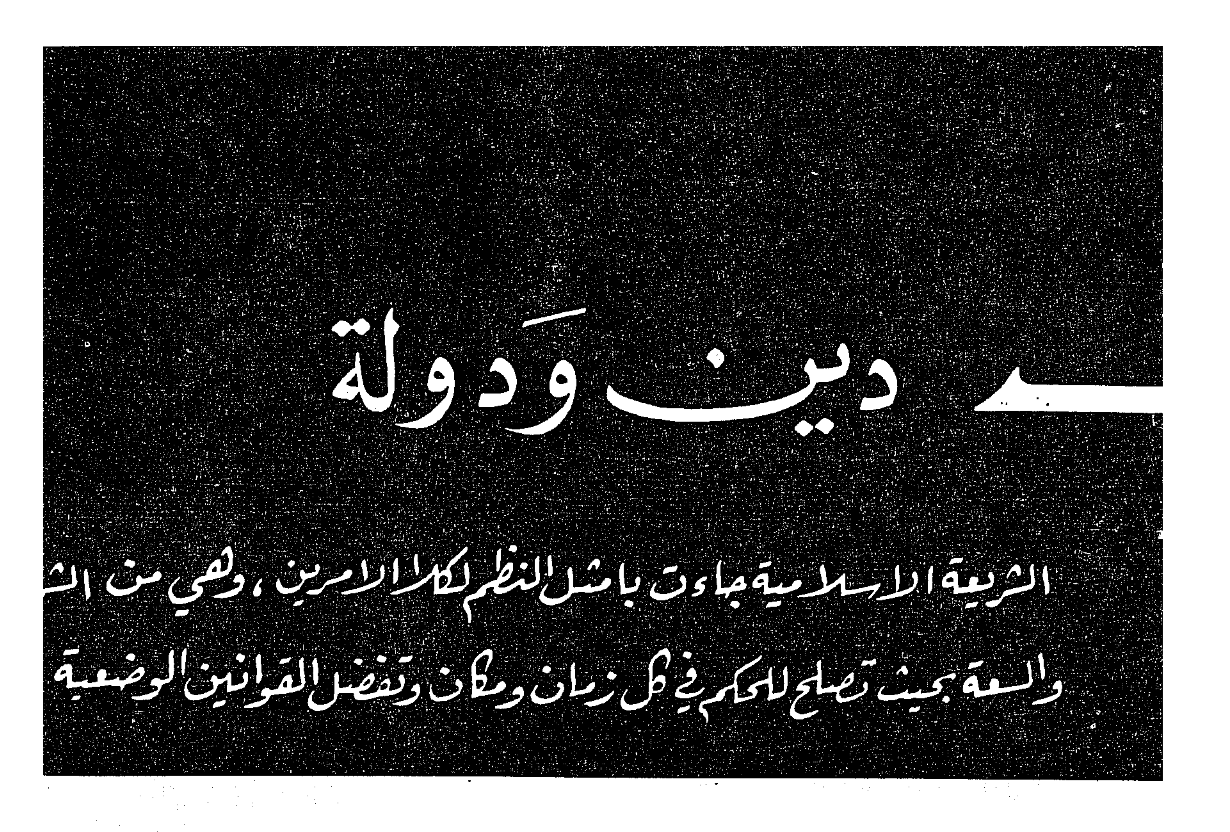


للمستشار على على منصور
الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بمصر

مكانة الشريعة الاسلامية فى نصوص القوانين الوضعية :

بينا فى مقال سابق(١) كيف دخلت القوانين الوضعية البلاد العربية الاسلامية وكيف طلعت على الشريعة الاسلامية ، وزحزحتها من مكان الصدارة وجعلتها مصدرا ثانويا ، ودليلنا على ذلك ما ورد فى القانون المدنى المصرى الذى يطبق الآن فى كثير من البلاد العربية ، فقد نصت المادة الاولى فى القانون المدنى على انه ((**اذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه ، حكم القاضي بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى احكام الشريعة الاسلامية ، واذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعي وقواعد العدالة**)) . ومعنى ذلك ان مكانة الشريعة الاسلامية فى المسائل المدنية هى الثالثة ، بمعنى انه لا يلجأ

(١) انظر العدد الرابع ربيع الثانى ١٣٨٥هـ



القاضى لتطبيق احكامها الا اذا انعدم النص فى القانون المدنى الوضعى الـذى يمكنه به ان يواجه دعوى الخصوم ، وبعد الا يجد فيمـا تعارف عليه الناس قاعدة تحكم واقعة النزاع .

تفوق الفقه الاسلامي علىالفقه الوضعى :

ظهرت فىالتشريعات الغربية الجرمانية نظريات قانونية حديثة استدعاها التطور الصناعى فى اوربا ، ولم تكن معروفة من قبل لديها ، فاستنبطوا لهـا الاحكام ، وظنوا انهم اول من قال بها ، واذا بهـا جميعا موجودة مؤصلـة ومفصلـة فى الشريعة الاسلامية ومنها على سبيـل المثال .

١ : ـ نظرية التعسف فى استعمال الحق . ومصدرها فى الشريعة القاعـدة (لا ضرر ولا ضرار) ، وقد توسع الفقهاء فيها فى مختلف ابواب الفقه الاسلامي بما لم تصل اليه احدث التشريعات .

٢ : ـ نظرية الحوادث الطارئة : وهى ما يطرأ على العقد من ظروف لم تكـن متوقعة وقت ألتعاقد تجعل التزام احد الطرفين مخلا بالنسبة لالتزام الطرف الآخر بما يـؤدى الى اختـلال التوازن المالى للعقـد ، ولذا لجـات التشريعات الحديثة الى القول بوجوب الحد مـن قاعدة « أن العقد شريعة المتعاقدين » ـ تحقيقا للعدالة التى يجب أن تقوم بين طرفى العقد . وهذه النظرية التى يظنون أنهم منشئوها متفرقة فى ابواب الفقـه الاسلامى تأسيسا على نظرية (لا ضرر ولاضرار) ، ونظرية « الضرورة » ونظرية « العذر »، فالشريعة الاسلامية تقضى بأن (الضرورات تبيح المحظورات) (والضرورة تقدر بقدرهـا) ، (وان حقـوق الناس ليست مطلقة) . ونجد هذا كله فى باب العبادات مثـلا ، حيث يكون الاكتفـاء بالتيمم عند الضرورة لعدم وجود المـاء او عند العذر للمرض مثلا ، وكذلك قصر الصلاة الرباعية عند السفر ، وجمـع الصلاتين فى الحج والتحلل مـن بعض مناسكه ، واباحة الصلاة للمريض حسب

استطاعته ، وهذه النظرية اخذ القانون المدنى المصرى الحديث باحكام الشريعة فيها (١) ، كما أخذ منها أحكاما وجدها أعدل من غيرها ولقد عثرت اخيرا على مقال للاستاذ الدكتور عبد السلام ذهنى تحت عنوان « تجميع القوانين والشريعة الاسلامية » (٢) ورد فيه **« لما كنت فى مدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه فى سنة ١٩١١ ، سنة ١٩٢٠ كان استاذنا لامبير ، يرى ان الفقه الاسلامى فى المعاملات كنز لايفني ومعين لا ينضب ، وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع اليه ، لوضع رسائلهم فى الدكتوراه فى مواضع من الشريعة الاسلامية . وفعلا وضع (الدكتور محمد فتحى) رسالة فى الدكتوراه عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق ، والخروج عما شرع له عند فقهاء الاسلام ، وما كادت الرسالة تطبع فى كتاب حتى نفدت فى ستة اشهر ، وكتبت عنه المجلات القانونية كثيرا ، واشادت بعظمة التشريع الاسلامى .**

ومما كتبه الفقيه الالمانى الكبير كوهلر فى مقال له : ان الالمان كانوا يتيهون على غيرهم ، لخلقهم نظرية الاعتساف فى استعمال الحق ، وادخالها ضمن التشريع فى القانون المدنى الالمانى ، الذى وضع سنة ١٨٨٧ . أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى ، وافاض فى شرح هذه النظرية ، نقلا عن رجال الفقه الاسلامى ، فانه يجدر بعلماء القانون الالمانى أن يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لانفسهم ، ويعترفوا بالفضل لاهله وهم فقهاء الاسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الالمان بعشرة قرون » .

ويقول (الدكتور السنهورى) فى بحث له بمجلة القضاء العراقية العدد الاول من السنة الثانية : « ان الكثيرين من فقهاء الغرب ، ومنهم كوهلر الالمانى ودليفيشبو الايطالى ، وويجور الامريكي ، أنصفوا الشريعة الاسلامية ، وشهدوا بما هى عليه من مرونة.. الى أن قال الدكتور السنهورى : ان فى الشريعة عناصر لو تولتها يد الصياغة فاحسنت صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادىء لا تقل فى الرقى والشمول ومسايرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي نتلقاها عن الفقه الغربى الحديث ، وضرب أربعة أمثلة . فقال : ان كل مطلع على فقه الغرب يدرك أن من أحدث نظرياته فى القرن العشرين نظرية التعسف فى استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية حمل التبعة ، ومسئولية عدم التمييز ، ولكل من هذه النظريات أساس كبير فى الشريعة الاسلامية لا يحتاج الا الى الصياغة والبناء .

دعائم الشريعة الاسلامية :

للشريعة الاسلامية دعائم قوية ، واحكام تفصيلية ، تجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، فأما مرجع صلاحيتها فانها تكفلت بذكر القواعد العامة فى القرآن الكريم ، وتركت ما وراء ذلك من

---

(١) نصت المادة ١٤٧ من ق المدنى الجديد فى الفقرة الاولى على أن (العقد شريعة المتعاقدين) فلا يجوز نقضه ولا تعديله الا باتفاق الطرفين ، أو للاسباب التى يقررها القانون ، ثم نص فى الفقرة الثانية على نظرية الظروف الطارئة بالقول (ومع ذلك اذا طرأت حوادث استثنائية عامة لم تكن متوقعة وترتب على حدوثها ان تنفيذ الالتزام التعاقدى ــ وان لم يصبح مستحيلا ــ صار مرهقا للمدين بحيث يهدده بخسارة فادحة جاز للقاضى تبعا للظروف وبعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن يرد الالتزام المرهق الى الحد المعقول ويقع باطلا كل اتفاق يخالف ذلك) .

(٢) المقال نشر فى الجريدة القضائية فى ٢٣ من يناير ١٩٣٧ م والدكتور ذهنى كان استاذا فى مدرسة الحقوق القديمة ثم بكلية حقوق القاهرة ثم مستشارا بمحاكم الاستئناف الوطنية ثم مستشارا بمحاكم الاستئناف المختلطة حيث كانت له وقفة مشرفة اذ تمسك بكتابة احكامه باللغة العربية وظل مصرا على ذلك حتى الغيت المحاكم المختلطة .

أحكام تفصيلية فرعية للاجتهاد بحسب ظـروف البيئة والزمان .

ويذهب الاصوليون الى تقسيم أحكام الشريعة الاسلامية الى قسمين : قطعيات وظنيات .

فالاحكام القطعية : هى التى قام الدليل على أنها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ومنها :

١ ـ العقائد التى يجب الايمانبها لقيام الدليل اليقينى على أنها الحد الفاصل بين المسلمينوغير المسلمين ، ومن جحد منها شيئا فقد خرج عـن ربقة الاسلام . كالتوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب وختم النبوة بمحمد صلى الله عليـه وسلم والبعث والجزاء الخ ..

٢ ـ الاحكام العملية التى جاءت بها الشريعـة بطريقة واضحة حاسمة فى جانب الايجاب أو المنع أو التخيير ، كوجوب الصلاة والزكاة وصـوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

٣ ـ القواعد الكلية التى أخذت من الشريعة بنص واضح وليس فيها ما يعارضها تقـريرا أو تفريعا وتجعلها الشريعة أساسا لاحكامها كقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وقاعدة (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقاعدة (لا يعبد الله الا بماشرع) وقولهم (المعاملات طلق حتى يثبت المنع) .

أما النوع الثاني : وهو الاحكامالظنية، فهى التي لم تجىء على سبيل القطع بل جاء ما يدل عليها أو يشير اليها ، بحيث تختلف الافهام فيها،وهذا النوع جعلته الشريعة الاسلامية موضع اجتهـاد المجتهدين ، ومجالا للنظر والموازنة والترجيح .

والحكمة فى ذلك : ان أمر الناس لا يصلح اذا جاءت الاحكام الشرعية على نمط واحد ، فـلا يصح فى أمور العقائد وأصول الدين أن يتـرك الناس لعقولهم وأفهامهم ، كما لا يصح ذلك فى حقائق العبادات وصورها ورسومها . فكان من رحمة اللهبعباده أن وقاهم شر التفرق فيها، ورسم لهم دائرة محدودة ، أما الفروع التى لا يضـر الاختلاف فيها ، سواء كانت نظرية أو عملية فلم يكن يصلح أمر الناس على توحيدها ، والا لجمدت العقول ولاصطدمت الشريعة فى كل زمان ومكان بما يجد للناس من صور للمعاملات وحوادث ، وبما لا بد فيه من مراعاة المصالح ودرء المفاسد ،

ولذلك كان من رحمة الله ان فتح باب النظـر والاجتهاد بما يساير مصالحهم .

وليس الاجتهاد مباحا لكل من هب ودب ، على نحو ما يذهب اليه الكثيرون ممن تفتح لهـم الصحف اليومية صدرها فى هذه الايام ،فيهرفون بما لا يعرفون ، بل ان للاجتهاد شرائطه ، وأهمها الامانة والتقوى ، والاحاطة بجميع علوم القـرآن والسنة والاجماع ، وبطرق القياس والاستنباط ، والا لجاز فى منطق هؤلاء أن يجـرى المهندس الزراعى ، أو الكاتب الاديب أكبر وأدق العمليات الجراحية فى الاحشاء .

ومن دعائم الشريعة الاسلامية أيضا .

١ ـ نفى الحرج عن الناس قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)وقال(يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر) .

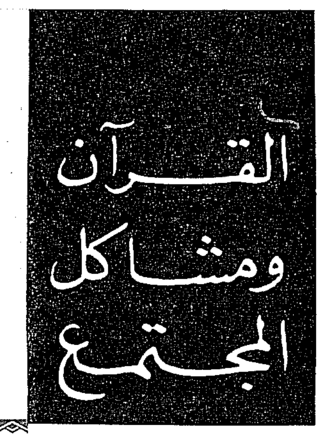
٢ ـ فلسفة التكاليف قال تعالى (يا أيهـا الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكـم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ، قـد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) .

٣ ـ التدرج فى الاحكام . فالخمر مثلا حرمت على مراحل ، قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) ثم قال (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) . ثم قال : (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم قال مصرحا بالنهى (يأيها الذين آمنوا انما الخمـر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمـل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يـريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

٤ ـ مسايرة مصالح الناس حتى أنه قيل اذا وجدت المصلحة فثم شرع الله .

٥ ـ تحقيق العدالة بين الجميع بالتسـاوى ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) .

للكلام بقية





فى أواخر القرن السادس عشر ، وأوائل السابع عشر الميلادى ، ظهر الفيلسوف الانجليزى ((هوبز)) .. الذى ضرب صفحا عن كل المبادىء الانسانية ، وحذف من تفكيره أى اعتداد بالقيم الروحية ، والمبادىء الاخلاقية ، وبنى فلسفته على أساس المنفعة الشخصية ، والانانية الفردية ، التى تعتبر الذات أو (الأنا) المحور الذى تدور حوله أعمال الانسان وتعلل به كل تصرفاته ، ويشكل على أساسه نظامه الاقتصادى والاجتماعى .

فما يستنبط المشرعون من تشريعات، وما يخط السياسيون من نظم ، وما يضع الاقتصاديون من قواعد ، والاجتماعيون من قوانين ، والاخلاقيون من مبادىء السلوك لا يقصد به جميعه الا نفع الانسان ، والانسان الفرد هو فى نظر « هوبز » غاية كل تنظيم والهدف من أى تشريع .

وكان من الطبيعى أن يأتى العقد الاجتماعى فى نظر « هوبز » نتيجة منطقية لمذهبه فى الانانية،وتبادل المنفعة.

أما الفيلسوف الفرنسى « جان جاك روسو » .. الذى جاء بعد « هوبز » فقد جرد مفاهيم العقد الاجتماعى ، وحلل عناصره ودوافعه على نحو أدق وأعمق ، وفى محيط أعم وأشمل .

والذى يعنينا فى تفكير روسو هو رأيه فى هذا العقد الاجتماعى ، وربطه بالنظام الاقتصادى والسياسى لأى مجتمع انسانى ، وبعبارة أخرى يعنينا من مذهبه النقاط الرئيسية التى تصور حد الالتقاء بين فكرته فى الحضارة الانسانية ، وتصوره لحقيقة الملكية ، وتبرز هذه النقاط وتحدد فى أربع :

الاولى : ـ ان المرحلة الفطرية من حياة

للدكتور محمد بيصار

وكيل كلية اللغة العربية

الجامعة الاسلامية ــ ليبيا

الانسان هى التى تمثل طبيعته البشرية فى ثوبها الحقيقى .

الثانية : ــ ان تطور الانسان وانتقاله الى الدور الحضارى خروج عن طبيعته الاولى وتبدد لحريته ، وسبب رئيسى فى خلق الفوارق وحدوث الطبقات .

الثالثة : ــ ان ظاهرة الملكية تتنافى مع فطرة الانسان ، واليها ترجع كل المفاسد والآثام . ومنها خلقت كل الصعوبات التى تعانيها البشرية وتقاسى من ويلاتها .

الرابعة : ــ ان العقد الاجتماعى ــ مع هذا ــ ضرورة اجتماعية لتنظيم حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية ، لأنه الطريق الوحيد للتغلب على ما أحدثته الحياة الحضارية للانسان بعد اكتشافه للملكية من مفاسد وشرور ، وما أثارته من منازعات وخصومات .

والنقطة البارزة التى تهمنا هنا وفى حديثنا عن معالجة القرآن لمشكلة الملكية هي ذلك المبدأ الذى اعتنقه روسو وآمن به وهو **« أن الملكية شر و وبال على المجتمعات، وأن اكتشاف الزراعة الذى نبه الانسان الى فكرة التملك كان السبب الرئيسى فيما تعانيه الانسانية من مفاسد ، وما تقاسيه من ويلات الحروب الطاحنة والمنازعات والصراع الذى لا ينقطع بين الانسان والانسان فى كل عصر ومكان »** .

ولم يكن رأى روسو هذا فى الواقع الا انعكاسا للبلبلة الفكرية التى عانتها أوروبا فى العصور التى تلت العصور الوسطى ، من رواسب النظام الطبقى ، وسيطرة الاقطاع ، وطغيان رأس المال واستبداد الموسرين بالمعدمين ، الى حد أنهم ربطوهم بالارض كقطعة جامدة منها، تباع وتشترى بشرائها .

وكان رأى «روسو» طرفا من عدة أطراف فى الرأى ، غالى كل منها فى اتجاهه ، ولكنها فى مجموعها انحصرت فى طرفين ، وترددت بين الافراط والتفريط .. **الافراط المؤيد لفكرة الرأسمالية المستغلة ،** وتكديس رأس المال فى يد فرد ، أو عدة أفراد ،يستغلونه حسبما يشاءون ، لا فيما يعود على مجتمعاتهم بالخير والرفاهية والتقدم . ولكن فيما يشبع نهمهم، ويغذى شهوتهم فى السيطرة على من لا مال له ، أوعلى من هم أقل منهم مالا ... **أما التفريط فيتمثل فى الرأى المنادى بوجوب الغاء الملكية الفردية ومحاربة فكرة التملك .**

وقد جاء هذا الرأى كرد فعل عكسى لمبالغة أصحاب الرأى الاول فى الاعتداد برأس المال ، واستغلاله للتسلط واذلال الآخرين . ولم يكن رأى « روسو » الا صورة من صور رد الفعل هذا ، وشاهدا على تحكمه فى توجيه التفكير الانسانى فى أوروبا حينذاك ، وكان فعلا الشرارة الاولى التي اندلعت منها نار الثورة الاشتراكية المتطرفة .

ولو أتيح لهؤلاء وهؤلاء دراسة القرآن، وفهم أسراره وطريقته فى علاج مشكلة التملك ، ورأس المال ، لكفوا أنفسهم

مؤونة هذا الشطط ، وتلكم المبالغة فى كل من طرفى الافراط والتفريط ، ولاجتمعوا معا كما أرادهم القرآن — على حل وسط للمشكلة المالية ، يقر الملكية الفردية ، ويفرضها كضرورة اقتصادية لا بد منها فى حياة الأمم والجماعات ، ويحد فى الوقت نفسه من تسلطها ، فيحيطها بمختلف القيود والتحفظات التى تحولها الى وظيفة اجتماعية ، وأداة انسانية ، لا ينتفع بها فرد دون فرد ، وانما يعم خيرها ، ويعود نفعها الى كل أفراد المجتمع ، من غير تفرقة بين غنى وفقير ، أو عظيم وحقير ، أو عامل معدم ، وصاحب مال غنى .

ان النظام الاقتصادى فى القرآن لم يكن صورة طبق الأصل لنظام مستورد أو تقليدا لمذهب اجتماعى معين ، وانما كانت له سماته المميزة وصفاته الخاصة وذاتيته المستقلة .

انه ينبذ من اعتباره مساوىء الرأسمالية ومثالبها ، ويضع فى تقديره أحسن ما جاءت به الاشتراكية أخيرا ؟ من مقومات وعناصر ، ثم من هذا وذاك وضع لنا نظاما لا هو بالرأسمالى البغيض ، ولا بالاشتراكى المتطرف ، وفوق هذا وذاك تحاشى القرآن وضع الحدود أو القيود التى تجمد شكل نظامه الاقتصادى ، وتوقع المجتمع الاسلامى فى الحرج اذا هو تجاوزه أو تخطاه . وانما راعى فى هذا النظام أن يكون من المرونة بحيث يسمح للمصلحين والمشرعين ، أن يكون لهم عند التطبيق حق استنباط التفاصيل المناسبة لظروف المجتمع ، والاحكام الجزئية الملائمة لمعالجة مشاكله ، ولما قد يقوم بينه وبين غيره من علاقات وصلات ، ما دام ذلك الاستنباط مترسما خطى المبادىء العامة التى وضعها القرآن ، وفى حدود الصالح العام للجماعة الاسلامية وضمان سيرها المستقيم . ان القرآن يعتبر أن دولاب الحياة فى أى جماعة انسانية يتوقف على المال ، وأن ماتنشده الأمة من عمران ، وما تطلبه من قوة ، وما تريده لافرادها ومجتمعاتها من سعادة ورقى ، لا يكون الا بالمال ، ولهذا جعل المال قواما للناس (أموالكم التى جعل الله لكم قياما) (١) فلا يستقيم لهم شأن الا به .

وحث على تحصيله : اما من الزراعة أو التجارة أو الصناعة . وهى الطرق الثلاثة التى يقوم على أساسها عماد الاقتصاد القومى للامة الناهضة . « فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم » (٢) .

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٣) .

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (٤) . لكى يدعم القرآن ملكية المال ، ويحول بين الناس وبين تبديدها والتبذير فيها شرع من القوانين والاحكام ما يحميها من اعتداء المعتدين ، أو اغتصاب المغتصبين . فحرم السرقة وحدد لها العقوبات الزاجرة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (٥) .

ووصف قطاع الطرق الذين يغتصبون أموال الناس كرها بأنهم أعداء الله ورسوله تغليظا لاثمهم واستثارة لهمم المؤمنين فى مقاومتهم .

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن

---

(١) من آية ٥ سورة النساء
(٢) ٢٤ — ٣٢ من سورة عبس
(٣) ٩ من سورة الجمعة
(٤) ١٥ من سورة الملك
(٥) ٣٨ من سورة المائدة

يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (١) .

وكذلك أوجب القرآن الحجر على السفهاء الذين لا يحسنون التصرف فى أموالهم ... « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » (٢) .

وأوجب التأكد من قدرة اليتامى على التصرف فى أموالهم وحسن تدبيرها قبل دفعها اليهم فقال « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (٣) .

وحرم على الناس أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل بطريق مباشر أو بطريق الرشوة سواء كانت للحاكمين أو المحكومين مما يعد اضرارا بمصالح المجتمع ، وتلاعبا بأهدافه العليا ، وخططه العمرانية والاقتصادية المرسومة فقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (٤) كما حرم الربا والقمار لما فيهما من قضاء على رأس مال المعطى والآخذ على السواء ولما يحدثانه فى بعض أفراد المجتمع من العداوة والبغضاء ، وتفكك الروابط الانسانية مما يقوض دعائم المجتمع ويضعف شوكته . **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » (٥) « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » (٦) .**

وفوق هذا وذاك قد ذم القرآن الاسراف والتبذير على وجه كلى وبصفة أعم وأشمل ونهى عنه وحذر من عواقبه فقال « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (٧) . « ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (٨) .

وهكذا يحض القرآن على طلب المال وتحصيله، والسعى فى الارض ابتغاء فضل الله ورحمته ، التماسا لما يفىء به الله على عباده من خير ونعمة، وثروات نافعة ، تتوقف عليها الحياة فى وجودها وفى كمالها ورقيها . كما أنه يحرص على صيانته وحفظه ، لانه عصب الحياة ، وذخيرة العمران ، فيضع الخطط والقوانين لضمان الاشراف عليه ، وتوجيهه الى ما فيه خير المجتمع كله . وليكون بحكم القرآن كذلك ــ زينة الحياة وبهجتها « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وهو فوق هذا وذاك فتنة للنفس وباعث لغرورها وعامل من عوامل طغيانها واستغلالها : « كلا أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ، (اعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة » (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) .

وما دام هذا شأن المال فمن الممكن أن يستغل لتسخير الآخرين واذلالهم ، بل ربما تجاوز صاحبه ــ اذا خبثت نفسه ونضب معين الخير والرحمة من قلبه ــ الحد به الى الافساد فى الارض أكثر من ذلك كنتيجة طبيعية لما هو فيه من سكرات المادة ومباهج الترف .

وعندئذ يكون الانحراف بالمال ــ على هذا النحو خطرا يهدد المجتمعات ، فتأتى نتيجة المال عكسية، ويصبح الامر الذى أراده الله وسيلة لعمار الكون وخير المجتمع ، شرا ووبالا عليه ، وعامل هدم وتخريب وافساد وتدمير .

وحينئذ يوصف رأس المال بأنه رأس مال مستغل ، ولم يغفل القرآن عما قد يطرأ على رأس المال من انحراف ، أو توجيه غير سليم الى أهداف ذميمة ممقوتة ، تضر بمصالح المجتمع فعالج هذا الانحراف بمختلف الوسائل التى من شأنها أن تحد من طغيانه ، وتقوم انحرافه، وذلك ما سنتناوله فى أحاديثنا المقبلة . والله ولى التوفيق .

---

(١) ٣٣ من سورة المائدة
(٢) ٥ من سورة النساء
(٣) ٦ من سورة النساء
(٤) ١٨٨ من سورة البقرة
(٥) ٢٧٨ سورة البقرة
(٦) ٩٠ من سورة المائدة
(٧) ٣١ من سورة الاعراف .
(٨) ٢٦ من سورة الاسراء



لقد فهم السلف الصالح من القضاء والقدر ـ كما سبق ـ أنه لا يثبط عن العمل ، ولا يعوق عن السعي ، ولا يبيح الرضا بذلة أو مهانة أو ضعف ، بل انه دافع الى العمل وباعث ، ورضا بالنتائج فى غير ما سخط على الدهر ، وبغضة للحياة ويأس واستسلام .

لهذا كانوا يتخذون لكل أمر أهبته غير متواكلين أو مقصرين . فقد خرج عمر بن الخطاب الى الشام ، ولقيه بعض القواد ، وأخبروه بانتشار وباء بها ، فاستشار المهاجرين والانصار ، فأجمع المهاجرون على الرجوع ، واستجاب عمر لمشورتهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها ؟! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، ولم يكتف عمر بذلك ، بل ضرب لأبي عبيدة مثالا محسوسا لا مندوحة من الاقتناع به اذ قال له : أرأيت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان (١) احداهما خصيبة والأخرى جديبة ، أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ .

ولم يطق عمر أن يتعلل سارق بقضاء الله ، فقد جيء اليه بسارق ، فقال له : ما حملك على السرقة ؟ قال : قضاء الله وقدره . فضربه ثلاثين سوطا ، ثم قطع يده ، وقال له : قطعت يدك لسرقتك ، وضربتك لكذبك على الله .

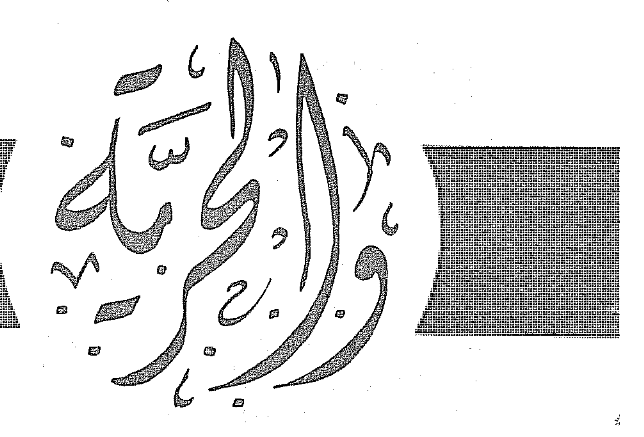
وسئل ابن عمر عمن يرتكبون الموبقات ، ويقولون كان ذلك فى علم الله ، فغضب وقال : كان ذلك فى علمه ، ولم يكن علمه يحملهم عليه .

القدر لا ينافى الحرية

فالقدر اذاً لا ينافي حرية الانسان فى أفعاله ، ولا يؤدى الى قهر واجبار ، لأن قضاء الله منوط بعلمه السابق الذى لا يعلم الانسان شيئا منه حينما يقدم على عمل أو يحجم ، كما قال ابن عمر : كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه يحملهم عليه .

ثم ان الانسان مأمور بفعل الخير وموعود بالثواب عليه ، ومنهى عن عمل الشر ، ومهدد بالعقاب عليه ، ولا معنى

(١) العدوة : الجانب .



للدكتور احمد الحوفي

الاستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

للثواب والعقاب الا بأن يكون على عمل صادر عن حرية واختيار . ومن الخطأ أن يحمل أحد علم الله السابق لما يفعل الانسان على أنه جبر والزام . فاذا ما رجعنا الى الآيات الكريمة التي يتضح منها هذا المعنى استطعنا أن نقسمها قسمين .

الانسان حر في عمله

القسم الأول آيات تبين أن الانسان مسؤول عن عمله وهي قوله تعالى :

١ : ــ كل امرىء بما كسب رهين(١) .

٢ : ــ قل ان ضللت فانما أضل على نفسي ، وان اهتديت فبما يوحي الي ربي (٢) .

٣ : ــ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل (٣) .

٤ : ــ من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد(٤) .

٥ : ــ وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم (٥) .

٦ : ــ ولا تزر وازرة وزر أخرى (٦) .

٧ : ــ وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٧) .

٨ : ــ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون (٨) .

٩ : ــ ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٩) .

١٠ : ــ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (١٠) .

١١ : ــ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت(١١) .

... ومَجْزِيٌّ عليه

والقسم الثاني آيات ترتب الجزاء على العمل ، وهي قوله تعالى :

١ : ــ ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون (١٢) .

---

١ ــ سورة الطور ٢١
٢ ــ سورة سبأ ٥٠
٣ ــ سورة يونس ١٠٨
٤ ــ سورة فصلت ٤٦
٥ ــ سورة ابراهيم ٢٢
٦ ــ سورة الانعام ١٦٤
٧ ــ سورة النجم ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
٨ ــ سورة البقرة ٤٨
٩ ــ سورة الاعراف ٢٣
١٠ ــ سورة آل عمران ٧٠ ــ ٧١
١١ ــ سورة البقرة ٢٨٦
١٢ ــ سورة الزمر ٧٠

٢ : ــ ووفيت كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون (١) .

٣ : ــ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (٢) .

٤ : ــ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٣) .

٥ : ــ من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد (٤) .

٦ : ــ وما تجزون الا ما كنتم تعملون (٥) .

٧ : ــ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين (٦) .

٨ : ــ وأما ثمود فهديناهم، فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (٧) .

٩ : ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨) .

والذى يفهم من هذه الآيات ومن تلك أن الانسان مسؤول عن أعماله ، حر في أفعاله ، يثاب على الخير والطاعة ويعاقب على الشر والمعصية ، جزاء وفاقا لما عمل وقدم ، وان الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا من خلقه .

ومن السهل أن نفهم الآيات الاخرى التي توهم الجبر ، وهي بعيدة عن فكرة الجبر ، على ضوء ما تقدم من بيان . مثل قوله تعالى : ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا (٩) .

وقوله تعالى : ان هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاءون الا أن يشاء الله (١٠) .

وقوله تعالى : ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها (١١) .

فان الفرض من هذه الآيات أن الله لو أراد أن يكون الناس جميعا مؤمنين لأجبرهم على الايمان ، ولكنه تركهم أحرارا بعد أن أنار لهم طريق الهدى ، وحببه اليهم ورغبهم فيه ، وبعد أن حذرهم طريق الضلال ، وبغضه اليهم ، وحذرهم أن يسلكوه ، ليكون مناط الثواب والعقاب والحرية والاختيار .

... وليس مجبرا

بقيت آيات يستدل بها الجبريون ليست متصلة بالمشيئة كالآيات السابقة ، مثل قوله تعالى :

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم (١٢) .

وقوله تعالى على لسان نوح لقومه : ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ، ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (١٣) .

وقوله تعالى على لسان ابراهيم : لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين (١٤) .

وقوله تعالى على لسان شعيب : وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (١٥) .

وقوله تعالى على لسان أهل الجنة :

---

١ ــ سورة آل عمران ٢٥ | ٢ ــ سورة الشورى ٣٠ | ٣ ــ سورة الانفال ٥٣
٤ ــ سورة فصلت ٤٦ | ٥ ــ سورة الصافات ٣٩ | ٦ ــ سورة الاعراف ١٤٦
٧ ــ سورة فصلت ١٧ | ٨ ــ سورة الزلزلة ٧ ــ ٨ | ٩ ــ سورة يونس ٩٩
١٠ ــ سورة الانسان ٢٩ ، ٣٠ | ١١ ــ سورة السجدة ١٣ | ١٢ ــ سورة البقرة ٧
١٣ ــ سورة هود ٣٤ | ١٤ ــ سورة الانعام ٧٧ | ١٥ ــ سورة هود ٨٨

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله (١) .

وقوله على لسان أهل النار : لو هدانا الله لهديناكم (٢) .

وهذه الآيات لا تعني الجبر والالزام ، بل تعني أنه سبق فى علم الله تعالى ، أن بعض عباده سيصرون على الكفر وتكذيب الأنبياء ، فقضى عليهم بما سبق فى علمه ، وهو أنهم عمى عن الحق ، صم عن الخير ، وسبق فى علمه أن بعض عباده ـ سيسارعون الى الايمان به ،والى تصديق أنبيائه ، فقضى لهم بما سبق فى علمه من هداية وتوفيق .

فالختم على القلوب والآذان ، والتغشية على الابصار ، والعذاب العظيم فى الآية الاولى نتيجة لكفرهم الذى علمه الله من قبل ، والآيات التى بعدها تبين أن الاغواء والهداية والتوفيق من الله ، باعتبار أنها سابقة فى علمه قبل وقوعها . وقد جاء هذا المعنى واضحا فى آيات أخرى ، كقوله تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم (٣) .

وكقوله تعالى : فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين (٤)

وكقوله تعالى : وما يضل به الا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض ، أولئك هم الخاسرون (٥) .

وكقوله تعالى : فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الانبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون الا قليلا (٦)

وذلك أن الآية الاولى تنص على أن الذين آثروا تكذيب الرسول على تصديقه ـ بعد أن تبينت لهم الادلة على صدقه ـ هم الذين اختاروا لانفسهم الضلال على الهدى ، وكان علم الله قد سبق الى ذلك ، فجعلهم أهلا لما اختاروه ، وقضى بعقابهم على كفرهم .

أما الآية الثانية فانها بينة الدلالة على أن الفاسقين ضلوا ، فأضل الله قلوبهم ، فهم كالسابقين أحرار فيما اختاروا وأهل لما يستحقون من عقاب .

وأما الآية الثالثة فانها تبين أن العصاة والفساق الذين يكفرون بالله ، يعيثون فى الارض فسادا ، هم الذين استحبوا طريق الشر وسلكوه ، ولم يجبرهم الله على ذلك بل انه علم بما سيفعلون ، وان علمه لحق ويقين .

وكذلك الآية الرابعة صريحة واضحة فى أن الله طبع على قلوب اليهود بسبب كفرهم ونقضهم العهد ، وقتلهم الانبياء .

على أن بعض الناس قد يخطىء فيستدل بقوله تعالى : والله خلقكم وما تعملون . متوهما أن الخطاب من الله الى البشر ، والحقيقة أنه من ابراهيم عليه السلام الى قومه الذين كانوا يعبدون الاصنام التى كانوا ينحتونها بأيديهم ، فهم واصنامهم من خلق الله ، فلا يصح أن يعبدوها ، لانهم صانعوها ، وهم والاحجار أو الاخشاب التي نحتوها منها مما خلق الله . ويتبين هذا من الآية السابقة لهذه الآية وهى قوله تعالى على لسان ابراهيم : قال أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون (٧) .

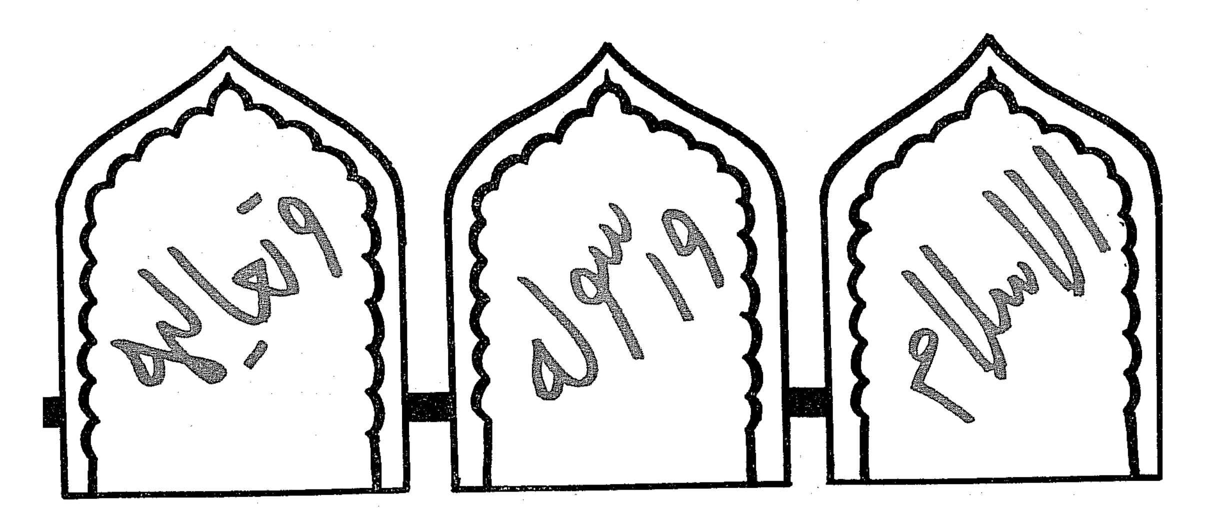
وشتان ما بين المعنيين .

أما بعد :

فان قضاء الله وقدره حق ، والتصديق به دلالة على رسوخ العقيدة ووثاقة الايمان ، وحافز الى العمل للحياة الدنيا وللحياة الآخرة ، وليست به شائبة من بواعث التواكل والتواني أو القعود عن الجهاد الدائب للصعود نحو الكمال ، وحماية الدين ، واعزاز الوطن .

---

١ ـ سورة الاعراف ٤٣   ٢ ـ سورة ابراهيم ٢١   ٣ ـ سورة النساء ١١٥
٤ ـ سورة الصف ٥   ٥ ـ سورة البقرة ٢٧   ٦ ـ سورة النساء ١٥٥
٧ ـ سورة الصافات ٩٥ ـ ٩٦



لكل عصر لغة خاصة به ، واسلوب ومنهاج يتم تبادل الأفكار من خلاله ، وكون أى مجتمع يتعامل بلغة واحدة طوال بضعة قرون لا يغير من هـذه الحقيقة ، وذلك أن ثبات اللغة من حيث كونهـا أصواتا معينة يتلفظ بها ، وصورا معينة يكتب بها ، لا يعنى بحال أن تظل على حال واحد لا يتغير بتغير الزمن ، ان اللغة باعتبارها ظاهرة تتصل بالانسان الحي ، لا يمكن الا أن تكون كائنا حيا تجرى عليها نواميس الحياة ، وأخص خصـائص الحياة التغير الدائم .

وليس أدل على ذلك من ان أى انسان متعلم فى العصر الحديث لا يستطيع أن يفهم أى مقطوعة شـعرية كتبت منذ عـدة قرون الا اذا رجع الى المعجم فى كل كلمة تقريبا وحتى المعجم نفسه قد لا يسـعفه ، اذا كانت الكلمة تشير لأسـماء بعض الامكنة التي اندثرت ، أو اسماء الاعلام ، ولا سبيل امامنا الا أن نرجع لبعض الشروح القديمة لهذه النصوص لنفهم المراد من كل لفظ فيها .

(بل ان كثيرا من الكلمات التي نعرفها مثـل كلمات قعد او قام أو قال ، أو ضرب أو قتـل ، تستعمل للتعبير عن معاني لا تخطر لنا على بال) ، ومن الناحيـة الاخـرى لو تصـورنا بعث انسان يتكلم بالعربية من العصر العباسى أو الاموى فى عصرنا الحديث ـ ما فهم شيئا من صحفنا العربية التي تتحدث عن التلفزيون والسينما والتليفون والراديو وهيئة الامم والسكرتير العام ، والدبابة والصـواريخ . بل انـه بدوره لـن يفهم بعض الكلمات العربية البحتة من أمثال كلمة الجامعة ، والكلية ، والسيارة ، والقومية والاشتراكية والامة، مثلما نفهم نحن اليوم من هذه الكلمات .

هذا فيما يتصل بمداول كل كلمة على حدة ، وليس ذلك قاصرا على اللغة العربية بل انهـا ظاهرة عامة فى كل اللغات . ومعجم أية لغة يحوى عشرات الألوف من الكلمات الميتة التي لم تعـد تسـتعمل ، وعشرات الألوف مـن الكلمات التى أصبحت تستعمل استعمالا جديدا . بل ان لغات عالمية كاللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية للامبراطورية الرومانية التي حكمت حوض البحر الابيض المتوسط ألف سنة ، قد ماتت واندرست وعشرات غـيرها مـن اللغات ، واذا كانت اللغة العربية لا تزال حيـة مزدهـرة ، فليس ذلك الا بفضل القرآن الكريم ، الذى حفظ قدرا كبيرا من الألفاظ العربية وحدد معانيها باعتبار ان القرآن كتاب المسلمين المقدس الذى يتوارثونه ويحفظونه ويدرسونه لكل متعلم ، ولذلك أبقى على قدر من الفهم المشترك بيننا اليوم وبين المسلمين منـذ القرن الاول .

على أن القرآن الكريم اذا كان قـد حال دون اندراس اللغة العربية وحافظ على تراكيب جملها وعديد من الفاظها ، فان ذلك لم يمنع من دخول عشرات الألوف مـن الألفاظ التي نتعامل بها فى حياتنا اليومية وهي ليست من العربية ، فاللغة



بقلم الاستاذ

احمد حسين ـ المحامي

العربية اليوم تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة فى القرون الأولى .

منهاج المعرفة

والتغير لا يلحق الألفاظ ومدلولاتها من جيل الى جيل فحسب، بل ان التغير يلحق منهاج المعرفة نفسها من عصر الى عصر ، فالى ما قبل قرنين فى اوربا ، وقرن واحد فى البلاد الشرقية ـ كان العلم منتهى العلم أن ينقل الانسان عمن سبق وكان بحسب الانسان ان يقول حدثني فلان عن فلان فى أى موضوع من الموضوعات لكي يكون ذلك علما يقينيا لا يتعرض لأى لون من ألوان النقد فضلا عن التمحيص والاخضاع للتجربة .

وقديما اعتبر عمل جامعي الأحاديث النبوية من أمثال البخارى ومسلم وغيرهما ثورة على الاوضاع المتوارثة فى القرون السابقة عليهم ، عندما حاولوا أن يضعوا بعض المقاييس والمعايير ليفرقوا بها بين الحديث الصحيح والحديث الزائف وقد كانت السوق مغمورة بمئات الألوف من الأحاديث المدسوسة والمحرفة والمكذوبة وكلها تنسب الى رسول الله ، دون أن توضع مقاييس لغربلتها وبيان صحة نسبتها الى الرسول ، مادامت تروى له فى الصيغة العلمية حدثنا فلان عن فلان . حتى كان البخارى فاقدم على هذا العمل العظيم ، وهو محاولة نقد هذا الحشد من الاحاديث وتحديد الصحيح منها من الزائف ، ولم تتعد عملية النقد التي قام بها هؤلاء الائمة ، تحرى السند الذى يُرْوَى الحديث من خلاله ، أى سلسلة الرواة الذين تناقلوا الحديث ، فهل هم اشخاص حقيقيون عاشوا وعرفهم الناس ، وهل كانوا أشخاصا عدولا لم يشتهر عنهم كذب أو نسيان ، ولم يكن فى دينهم أو أخلاقهم مطعن ، وهل تعاصر هؤلاء الاشخاص فعلا بحيث لا يستبعد العقل امكان التقائهم ونقل بعضهم عن بعض ، وهل السند موصول لا ينقطع حتى يصل الى رسول الله ، فاذا استوفيت هذه الشرائط كلها ، فالحديث اذن صحيح ونسبته الى رسول الله لا يداخلها شك ، واصبح كتاب البخارى أصح كتاب بعد القرآن ، واذا اطلق اسم الصحيح دل ذلك على أن المقصود به كتاب البخارى .

وهذا الذى فعله البخارى قد اعتبر فى عصره اجتراء وفتحا جديدا وخروجا وتعسفا ، واضفى على كتابه بعد وفاته ما يشبه القداسة ثم سايره أئمة آخرون ساروا على نهجه وصار علم نقد الحديث من جهة الرواية مما تميزت به هذه الأمة لكن ذلك لم يمتد حتى يشمل مثلا موضوع الحديث أو ما يعبرون عنه بمتن الحديث أو يشمل فروع المعرفة الأخرى .

ثم جاء عصر خبا فيه نور المعرفة والعقل والاجتهاد . واكتفى علماء هذا العصر بالنقل ـ نقل كل ما جاء فى الكتب القديمة دون نقد أو تمحيص ، كأن أى كتاب قديم باللغة العربية فى التاريخ او الادب او النحو أو الفقة أو التفسير قد اصبح بدوره لا يأتيه الباطل من بين يديه او من خلفه ، حتى لو كان هذا الكتاب هو الأغانى بكل ما فيه من فحش ومهاترة ووصف لمجتمع لا يفيق من الخمر والزنا واللواط .

وحتى لو كان ما يقال ويروى لا يقبله العقل وتتقزز منه النفس ، . ولا ينبغى ان نلوم القدماء كثيرا على تصديقهم لكل شيء وعدم انكارهم شيئا، فقد كان العالم امامهم يغص بالعجائب والغرائب . وكانوا لا يستبعدون شيئا على قدرة الله ، وكان منتهى ما يقوله احد المؤرخين أو الكتاب اذا ما نقلت اليه رواية لا يصدقها عقله هو ، ان يثبتها مع ذلك ثم يردفها بقوله « والله أعلم » . وكان العالم منهم يهدد طلبته بغضب الله « وعدم الفتوح عليه » ان هو اجترأ على نقد شيء مما جاء في الكتاب ..

صدمة المفكرين المحدثين من المسلمين

ومن هنا كانت صدمة المفكرين من المسلمين في العصر الحديث عصر البخار والكهرباء والآلات الحديثة ، وبعد أن فقد المسلمون استقلالهم ، وتفشى المستعمر الاجنبي أرضهم . وما استتبع ذلك من شعور بالهزيمة ، وفقدان الثقة بالنفس ، عندما اتيح لبعضهم السفر الى اوربا فرأوا فيها من مظاهر التمدن والعمران ، ما جعلهم يشعرون بمرارة التخلف ، ويبحثون عن اسباب ما يرون من تقدم فوجدوه في العلم الأوربي الجديد ، ومنهاج المعرفة الذى لا يقوم على النقل ، بقدر ما يقوم على التجربة ، ورد كل شيء الى العقل ، وتمحيص كل القضايا ، ورفض أية قضية لا يقوم عليها دليل أو برهان ، حتى أصبح الطريق العادى لاى طالب في أية مدرسة ، لا ان يحفظ عن ظهر قلب مسلّمات ، بل ان يفهم ويدرك ويعي ، فالحساب والجبر والهندسة ، اصبحت مسائل عقلية ، يقام عليها الدليل والبرهان ، والطبيعة والكيمياء أصبحت من المسائل التي يشتغل فيها كل طالب ويجرى التجارب بنفسه ، حتى يقتنع ، فليس يكفي ان يقال له : ان الماء اذا تجمد تمدد وزاد حجمه ، بل يجب ان يعطى كل طالب انبوبة مليئة بالماء ، ثم يراها كيف تنفجر اذا برد الماء وتجمد نتيجة للتمدد .

حتى العلوم النظرية كالقانون والآداب ، أصبحت عندهم تعتمد على العقل والمنطق فليس يكفي ان يروى التاريخ رواية ، بل يجب ان تساق — على ما يروى — الشواهد من آثار تاريخية ، والجغرافيا أصبحت كلها قضايا لابد من أثباتها ، فكروية الارض لابد من اقامة الدليل عليها وكذلك دورانها ، وعمر الارض لم يعد يكفي فيه ان يقال : ان التوارة تقدرها بأربعة آلاف سنة ، فقد أثبتت الجغرافيا الأثرية ان قدماء المصريين عاشوا ضعف ذلك القدر من السنين على الأرض وهكذا .

ومن هنا عاد طليعة مفكرينا من أوربا ، وهم يحملون المعاول لهدم كل قديم فلايكاد يذكر أمامهم التراث العربي حتى يسخروا منه ، ولايكاد يذكر أمامهم اسم بعض الكتب القديمة حتى ينعتوها بالصفراء ثم يطالبوا بحرقها ، حتى الدين نفسه راحوا يهزون اكتافهم ويلوون كشحهم عنه ، ووصل بعضهم الى حد الكتابة والاشهار فراحوا يشككون ويغضون من شان كل مقدساتنا .

واعتبر الجيل الجديد من الشباب الذى بدأ يرتوى من قشور العلم الجديد ، هذا النفر من الكتاب هم ائمة الفكر وقادة النهضة ، ودوت اسماؤهم كمجددين مصلحين ثائرين على القديم ، واشتهر من هؤلاء العائدين من أوربا في الجيل الذى سبق علينا منصور فهمي ، وحسين هيكل ، وطه حسين ، ولحق بهم كاتب عملاق آخر وان لم يسافر الى اوربا ويتعلم بها ، فقد انتقلت اوربا اليه من خلال كتبها ، هو عباس محمود العقاد .

انقلاب

ثم فوجيء المجتمع الاسلامي بهذا النفر يتحول بالتدريج الى اكبر داعية للتراث القديم ، والدين بصفة خاصة ، وتحول رجل كالدكتور منصور فهمي — في أخريات حياته — الى صوفى درويش لا يطيق سماع كلمة الثقافة أو العقل فضلا عن الحضارة الغربية التي كان مفتونا بها .

اما حسين هيكل فقد بعث الحياة من جديد في السيرة النبوية واستصفاء بكتابيه « حياة محمد » وفى « منزل الوحي » مئات الألوف من ابناء الجيل الجديد ، وتلاه طه حسين ، فاذا به يكتب على هامش السيرة أعظم ما كتب ، وجاء عباس محمود العقاد في خاتمة المطاف بعبقرياته ، فاكتسح بها سوق المعرفة الاسلامية .

ما السر في ذلك ؟

ما السر في هذا التطور الذى يشبه أن يكون قاعدة وناموسا ،وما الذىيجعلالمفكرين المسلمين في

العصر الحديث يبدأون بالثورة والتمرد على التراث والـدين ثم ينقلبـون متحمسين لهـذا التراث مدافعين عنه ؟

السر عندنا انهم ثاروا على الأسلوب القديم والمنهاج القديم واللغة القديمـة التي كانت تفرض عليهم ان يطفئوا نور عقولهم ، وان يسمعوا لكل ما ينقل اليهم مع ان القرآن دعـوة مسـتمرة متصلة تحرض على استخدام العقل واستعماله فى كل شيء « أفلا يعقلون ــ أفلا يتفكرون ــ أفلا يتدبـرون » فلما أن طاب مـن المفكريـن الا يفكروا ثاروا وتمـردوا ، وحـق لهم ذلك ، فقد ظنوا ان التراث القديم والدين والاسلام يقوم على اطفاء نور العقل فأنكروه .

وشاءت الظروف ان تقع فى أيدى هؤلاء بالذات ما كتبه ويكتبه المستشرقون من علماء اوربا عـن التراث العربي والاسلامي وعـن نبي المسلمين ، فوجدوا فيما يقوله المستشرقون فى بعض الاحيان تقديـرا لهـذا التراث وتمجيدا له ، واشـادة بمواقف النبي الكـريم ، كمـا وجـدوا فى بعض المواطن الاخـرى ذما وقـدحا وانكارا .. فـراح اصحابنا الى المراجع التي رجع اليها المستشرقون، وطبقوا قواعد التمحيص والنقد المتفق عليهـا ، على هذه المراجع ، فخرجوا من بحثهم بالاعجاب المضاعف لما أعجب به المستشرقون ، كما اكتشفوا التجني والانحراف فى المواضع التي كانت محـل قدح المستشرقين أو انكارهم .

اكتشاف

ومن هنا بـدأ اهتمام مفكرينا الاعلام بالتراث العربي والدين الاسلامي ، وسرعان ما اكتشـفوا انهم كانوا ظالمين عندما انكروا هذا التراث جملة ، وعندما غضوا مـن تعاليم الدين ومبادئه ، فقـد وجدوا انفسهم يبشرون بمدارس فى النقد والادب، وفهم تعاليم الدين قد سبقوا اليها مـن بضـعة قرون ، ووجدوا أنه من السهل تمييز الغث من السمين فى أدبنا العربي وتاريخنا وتراثنا ، وأن التراث العربي والاسلامي والديني يخضع لاقسى اساليب النقد وقواعـد التمحيص العلمي ، وأن قدرا كبيرا منه يظل قائما كحقيقة علمية تتحـدى اكثر المكابرين تعنتا بثبوتها وحقيقتها .

وهكذا انقلب هؤلاء الدعاة للتجديد ، وانكار القديم ، الى اشد الناس حماسة لهذا القديم ، وتعلقابه ، وحرصا على نشر صفحاته المطوية .وقد تم هذا الانقلاب عندما تعلموا أن يطالعوا التراث القديم ، والاسلام وتعاليمه ، بلغة العصر واسلوبه ومنهاجه .

والحق أنه ليس أضر على الاسـلام وتعاليمه وقـرآنه ــ فى وقت اصبح الراديو والتلفزيون والصحافة والكتب ، لا تتحدث فيه الا عن حتمية التاريخ ، والماديـة الجدليـة ، وقوانين الطبيعة ، والصـراع الطبقي ، والاشتراكية والشـيوعية ، يعزز ذلك ويقويه سفن كشف الفضاء فى طريقها الى القمر والكواكب الاخرى ــ ليس أضر على الاسـلام وتعاليمه مـن ان يظل المتحدثون باسم الدين او الشارحون لتعاليمه ، او الذين يتصدون لمقاومة الالحاد ان يكون كل دليلهم على ما يقولون ان فلانا قد قال ، وأن فلانا قد روى عـن فلان ، أو ان يحظروا على العقل أن يفكر ، أو ان يفرض، أو أن يقارن ، أو أن يتسـاءل فى تشكك فى كـل الاحوال .

يجب على كل من يتصدى للكتابة عن الاسلام اليوم ــ وخاصة للجيل الجديد ــ الا يتصور أن كلامه سيؤخـذ كقضية مسلم بها لمجرد أنـه يقـول ، ويجب أن يفرض دائما ان فى العقـول شكوكا ، وشغفا للاطمئنان الى هـذا الذى يقال لهم ، فيجتهد أن يسوقه بقدر الامكان بلغة العصر ومفاهيمه ، ومنهاجه فى التدليل والقياس والبرهان.

واذا كانت مجلة « الوعي الاسلامي » على ما يبدولي قد أنشئت لتضطلع بهذه الرسالة بالذات ، كما ينم على ذلك هذا الحشـد مـن المقالات التي اختـيرت للنشر بهـا ، وكما يـدل على ذلـك فى الدرجة الاولى نداءات المشرفين عليهـا فاني لأرجو أن ادلي بدلوى فى الدلاء وأن يوفقني الله لاقدم للجيل الجديد محاولة لشرح الاسلام وتعاليمه وسيرة نبيه بلغة العصر ومنهاج المعرفـة .. لغـة النقد والتمحيص وعدم تقبل شيء الا بدليل ترتاح اليه النفس ، ولست ابغى مـن وراء ذلك الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

بقية : تحويل القبلة

بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) آية ٩٤ من سورة المائدة ، وقال سبحانه فى محنة المسلمين فى غزوة أحد عندما انسابت همسات المنافقين وغمزاتهم فى المؤمنين (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) آية ١٦٨ آل عمران ، ثم قال سبحانه فيهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك : يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) آية ١٥٤ من سورة آل عمران .

بقي أن يقال ان هذا الاختبار كان يمكن حصوله لو أمرهم سبحانه باستقبال مكان ما غير بيت المقدس ، ثم يحولهم الى الكعبة ، فما هو السر اذن فى اختيار بيت المقدس بخاصة فى جعله ثاني القبلتين .

نقول : الحكمة فى ذلك هي الحكمة فى الاسراء اليه دون غيره ، وفى جعله ثالث المساجد التي لا تشد الرحال الا اليها ، وهي حكمة تستأهل وحدها مقالات خاصة بها ، لا مقالا واحدا ، فضلا عن جزء من مقال .

ولنكتف هنا بالرمز اليها لعلها تفتح عيونا أثقلها سبات الغفلة عن أهمية هذا المكان بالنسبة للمسلمين . أليس فى ذلك ما يوجب عليهم سواء منهم من كان فى مشارق الأرض أو مغاربها أن يكونوا دائما على استعداد للتضحية فى سبيل الحفاظ على هذا المكان الذى ربط الله بينهم وبينه بهذا الرباط المقدس (قبلتهم الأولى) و (مسرى نبيهم) صلى الله عليه وسلم و (ثالث مساجدهم) ذات الميزة الخاصة ، ثم أليس فيه تحذير شديد لهم من أن يمكنوا أحدا غير مسلم أن يدنو من ساحته متحكما فى أرضه ، وبالأخص اذا كان خبيثا ماكرا ارتكب افظع الجرائم التي يعرفها البشر ، وهي الجرأة على قتل النفس بغير الحق وقتل أنبيائهم الذين ما أرسلهم الله لهم الا رحمة بهم . (ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ألا يخشى المسلمون أنه اذا تمكن من الاستقرار فى هذه البقعة المقدسة ان يتخذ من ذلك مقفزا يسطو منه على غيرها من قلب البلاد العربية . وفى ذلك العار والدمار لا قدر الله .

فاليقظة اليقظة أيها المسلمون، وخذوا حذركم ، واخشوا غضب ربكم فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة يوم يقوم الحساب ، اذا تراخيتم عن تطهير هذا المكان المقدس .

نسأل الله التوفيق ""

مكتبة المجلة

النظرات السبع

خواطر وذكريات وأناشيد فى العروبة الصادقة والعمل الجاد والوطنية الصحيحة . من نظم وتأليف المرحوم الأستاذ ابى الاقبال اليعقوبي شاعر فلسطين ، وقد قامت بطبع الكتاب مطبعة النصر التجارية بنابلس .

الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي

مجموعة ابحاث فى الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي . من تأليف الدكتور احمد شوكت الشطي ، والكتاب من مطبوعات جامعة دمشق ، ويحتوى على ٢٠٠ صفحة وتشمل ابحاثه حضارة العرب، قبل الاسلام وبعده ،وحركة النقل والترجمة فى البلاد العربية ، والعصور الذهبية فى الحضارة والثقافة العربية ومقارنتها بالحياة الغربية .

مقالات

كتاب يقع فى ١٨٠ صفحة قامت بطبعه مطبعة الآداب فى النجف الأشرف وثمنه ١٥٠ فلسا ، جمع مؤلفه الأستاذ محمد المهدى الحسيني الشيرازى فيه ٣٦ مقالا حيا من المقالات الأدبية الداعية الى اتباع الفضيلة وحسن الخلق .

تاريخ العلوم الرياضية

للدكتور احمد شوكت الشطي وهو من مجموعة ابحاثه المتعددة فى هذا المجال ، ويشتمل الكتاب على ٨٢ صفحة ، تجمع بين ثناياها العديد من العلوم الرياضية عند العرب مثل علم الحساب والجبر والهندسة والفلك والمراصد ، ومزودا بمعجم لأعلام حكماء العرب والاسلام فى الرياضيات مع موجز عن تاريخ حياة كل منهم .

المقاصد فى نوازع العرب وسجاياهم

ألفته الكاتبة الكويتية هداية سلطان السالم . وهو بحث تاريخي علمي وأدبي يتناول الكلام عن العرب من لدن نشأتهم الأولى وفى عصورهم المختلفة وحتى عصرنا الحاضر ، والكتاب فى جزأين صدر منه الجزء الأول فى ٣٦٤ صفحة وطبعته مطبعة حكومة الكويت .

تاريخ العلوم الطبيعية

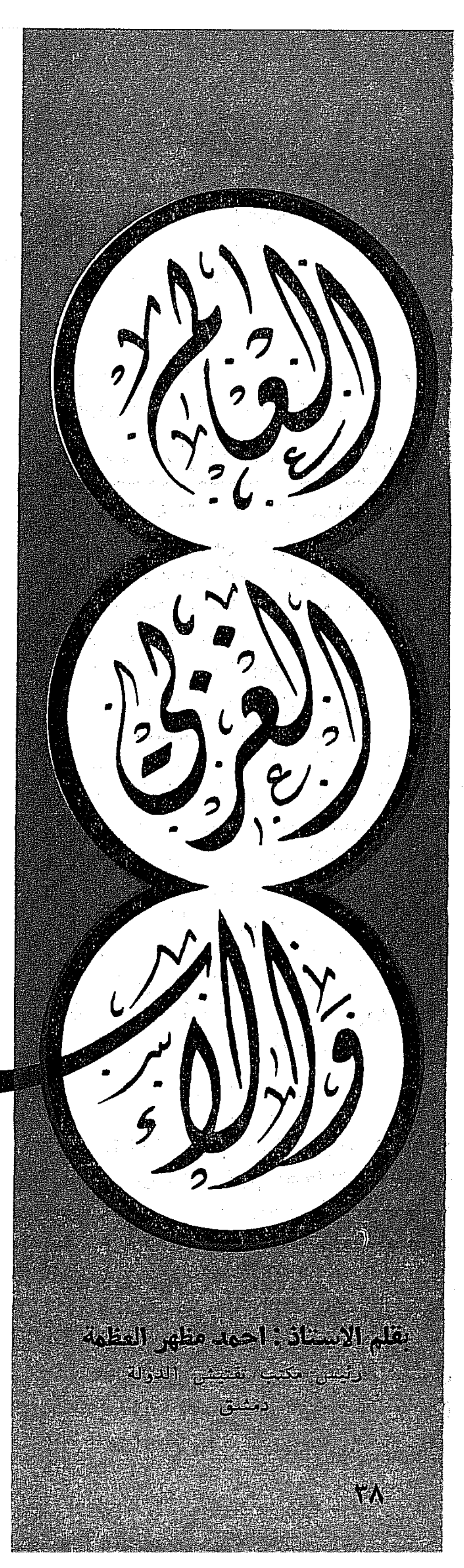
كتاب يبحث عن تراث العرب العلمي والحضارة العربية الاسلامية فى المجتمع العربي ، طبع بمطبعة جامعة دمشق فى ٨٨ صفحة ، وهو من تأليف الدكتور احمد شوكت الشطي الأستاذ بكلية الطب ، ويحتوى الكتاب على موجز لتاريخ علم الفيزياء وأشهر علمائه عند العرب، وكذلك علمي الكيمياء والنبات عند العرب أيضا ، والكتاب رغم ايجازه يعطينا صورة كاملة عن مدى تقدم العرب العلمي .

غزوة أحد

من تأليف الأستاذ محمد احمد باشميل ، وقام بتقديمه ومراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية اللواء الركن محمود شيت خطاب . والكتاب ضمن مجموعة تصدر تباعا عن المؤلف وتتناول الحديث عن معارك الاسلام الفاصلة .

وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني فى هذه المجموعة، أما الكتاب الأول فكان عن غزوة بدر الكبرى .

والكتاب الذى بين أيدينا « غزوة أحد » سبق أن اذاع المؤلف نصوصه من اذاعة صوت الاسلام بمكة المكرمة .



بقلم الاستاذ : احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة
دمشق

عرف العالم آثار الثورة الفرنسية التي كافحت الظلم والظالمين ، وثلت عروش المستكبرين ، ورفعت منار الحرية والمساواة .

وعرف العالم الثورة الروسية مثلا التي طوحت بعهد ، وأقامت عهدا ، ودفنت مفهومات ، وبعثت مفهومات .. وليس يعنينا الآن البحث فى حقيقة هذه الثورة ، أو تلك ، أو غيرها من الثورات السياسية والاجتماعية ، ولكن الذى يعنينا الآن التساؤل عن الثورة الاسلامية الكبرى ، التي نعتقد أنها الثورة المثالية التى زلزلت صروح الضلال ، ودمرت حصون الطغيان ، ورفعت منار الحق والعدل والمساواة قبل أية ثورة فى العالم .

لماذا غفلت عنها أوروبا ولا تزال غافلة فى جملتها ، مع أنها الثورة المنشودة بمبادئها السامية ، التي تلبي حاجاتها الروحية والمادية ، وتحل مشكلاتها على أنواعها ؟ .

ألم تكن ـ كما نعتقد نحن المسلمين ، وكما هو الوضع الذى تؤيده النصوص

والوقائع ـ تحريرية بناءة بكل ما لهذين الوصفين من معان عديدة ؟ .

ألم تكن ثورة على الضلال والظلم ؟

ألم تكن ثورة على الجهل والتخلف ؟

ألم تكن ثورة على الوهن والمرض ؟

ألم تكن ثورة على التقليد الاعمى فى كل شيء ؟

ألم تكن دعوة وعملا لليقظة الشاملة فى كل خير ؟

ألم تقم دينا ساميا عمليا ، وتحقق دولة قوية شورية ، وتشييد حضارة رفيعة مشرقة ، وتخلف مجدا زاهرا عظيما ؟

لقد اثبتت هذه الثورة صلاحها التام فى كل حين طبق المسلمون فيه مبادئها ، وسلكوا مناهجها ، واتجهوا نحو مقاصدها .

وكان من ضروب الخيال أن يقال ان أمة ناشئة تقوى علىمثل الفرس والروم، ولكن الحقيقة التاريخية فى الفتح تؤيد أن المسلمين الهادين المهتدين قوضوا فى الشرق دولة الاكاسرة ، وزلزلوا فى الشمال والغرب دولة القياصرة ، فزال سلطانها الذى كان ممتدا بين بلاد الشام وأفريقية الشمالية ، وأقامت مقامه (عدالة الاسلام) ترعى الحقوق،وتحفظ الكرامة وتحقق المساواة ، وتصون الحريات الموزونة بكل ما أوتيت من قوة .

فلماذا غفل العالم الغربي ـ حتىاليوم عن الاسلام ، مع مزاياه هذه وأمثالها ؟

لماذا غفل عنه وهو الدين والنظام الانسانيان الاجتماعيان ؟

بل لماذا تنكّروا وقلبوا له ظهر المجن ؟

لعل مرد ذلك الى اسباب أهمها ما يلي :

١ : ـ تمسك الانسان غالبا بما ألفه وتوارثه تمسكا عاطفيا ، وتنكره للجديد الصالح حتى يمر عليه زمن كاف لاستساغته ، ولقد كانت حال العرب من الاسلام ـ أول امرهم معه ـ كحال الغربيين اليوم فى تنكرهم للاسلام ، وفى القرآن الكريم آيات عديدة تسجل تمسك العرب المشركين بما وجدوا عليه آباءهم رغم ضلالهم المبين بوثنيتهم ، وتفاوت طبقاتهم فى مجتمعهم ، وتحكم المستغلين بهم ماديا ومعنويا ...

من تلك الآيات الكريمة قوله تعالى « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١) » .

٢ : ـ افتراء الكنائس والحاقدين على الاسلام الافتراءات الكثيرة .

وقد كتب فى ذلك افرنسي منصف هو « السيد هنرى دى كاسترى » فى كتابه (خواطر وسوانح) فذكر كثيرا من الاوهام التى يزعم ذووها أنها من صفات محمد صلىالله عليه وسلم أو مما ورد فى القرآن العظيم ، أو من وحشية المسلمين ... والقرآن ومحمد صلوات الله عليه والمسلمون براء من ذلك كله،ولكن الجهل والحقد والعصبية العمياء تملي على ذويها ما تملي من ظنون ومزاعم ، لا تلبث أن تنقشع كما ينقشع السحاب عن وجه الشمس المشرقة .

وقد أشار الاستاذ عبد الرؤوف المصرى الى آثار هذه العصبية الدينية الذميمة المفترية فى الغرب ، فذكّر بالحروب الصليبية ومزاعمها ،وبالمقالات التي كان يكتبها الغلاة فى ذم الاسلام ، وبالاغنيات والقصص التي تنتشر فى

---

١ ـ سورة المائدة : ١٠٤ .

اوساط شتى ، كأغنية (انطاكية) التي طعن بها على محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، وجاء فيها : (من رأى صنم ماهوم (محمد) مصنوعا من ذهب ، وقد جلس فوق فيل ...) .

واغنية (رولان) التي صور فيها فرسان شارلمان يحطمون الاوثان فى المساجد ، وزعم ان مسلمي الاندلس يعبدون ثالوثا من : ترافاجان ، وماهوم ، وابولون .

وقصة محمد التي يزعم واضعها أن محمدا يبيح للمرأة أن تعدد الازواج (مجتمعين) ! .

وأشار الاستاذ المصرى الى ماصدر عن بعض من يدعون العلم ، كفوستر (عام ١٨٦٢) ودورتي (عام ١٨٧٦) .

واشار كذلك الى طعن بعض من زعموا أنهم توسعوا فى الدراسات الاسلامية مثل بيير (فزايل) الذى ترجم القرآن فى القرن الثاني عشر الى اللاتينية وجعل فى الترجمة ما جعل من مزاعم ومفتريات .

ومثل بيير (باسكال) الذى قال فى القرن الرابع عشر : (ان محمدا دجال عدو للمسيح) . واشار الى بعض القصائد التي كان ناظموها يثيرون على الاسلام الخرافات والافتراءات ، كزعمهم ان محمدا لص نوق متهالك على اللهو ، ساحر ، رئيس عصابة من قطاع الطرق ، قس روماني مغيظ محنق اذ لم ينتخب لكرسي البابوية ، وجعله بعضهم الها زائفا ، وزعم جبير دوتوجين ان محمدا مات فى نوبة سكر ...(١) .

كانت هذه المزاعم والطعون مع سماحة الاسلام الصريحة ومحاربته الوثنية دون ما هوادة ، واجلاله الأنبياء والمرسلين جميعا ، ودعوته الى الايمان بهم ، وتسجيله معجزات المسيح عليه السلام ... ولكن قاتل الله العصبية العمياء فانها تبيح لنفسها قول الهراء والافتراء وتكذيب الارض والسماء .

ولا شك ان ما اشرنا اليه من آثار هذا الحقد الدفين والجهل الاعمى ، شرّق وغرّب فى اوروبا ، وصدقه العوام وكثير من الخواص ، واذا اتيحت مناسبة للمسلم سمع من ذلك الاعاجيب ، ومن ذلك ان امرأة عجوزا قالت لي فى باريز حين علمت انى مسلم : اصحيح انكم تعبدون محمدا ، اصحيح انكم لا تؤمنون بالآخرة ... فلما نفيت لها ذلك مثبتا عبادتنا لله وحده ، وايماننا باليوم الآخر اكبرتني وراعتني فيما اشتريته من لدنها اكراما وتقديرا .

وقد يحدث لبعض العلماء المتعصبين شيء مشابه لذلك ، فيرجعون عن الخطأ ويكفون عن الزلل ، نقل المؤرخ التركي مراد : ان ((اوغست كونت)) احد فلاسفة الفرنسيين كان يطعن فى الاسلام ونبيه ، متأثرا بروح التعصب الكنسي ، واتفق ان زار الاندلس ، ووقف تلقاء آثار المسلمين فيها ، وانتقل الى روما ، وعكف على بعض الكتب التى تعرف بالاسلام ونبيالاسلام والمسلمين يطالعها، وكان فى مقدمة ما يلفت نظره أمية الرسول ، وكثيرا ما كان يتساءل : كيف يتاح لمن عاش فى الصحارى ، ولم يدرس أو يقرأ ، أو يكتب ، أن ينشىء مثل الشريعة الاسلامية التي لا تماثلها شريعة فى أحكامها وفلسفتها ؟ .

وبدا له أن يجتمع بالبابا بيوس التاسع ، ويسأله عن رأيه ، وبعد حديث

(١) المنتقى فى تاريخ القرآن ص ٥٣ و ٥٤ .

معه فى ذلك قال له أصحيح أن محمدا كان أميا كما يدعي المسلمون ، وتـذكر التواريخ ، لا يعرف القراءة والكتابـة ؟ فأجابه بجوابه المشهور : نعم انـه كان أميـا ...

قال المؤرخ (مراد) : ان « أوغست كونت » لطم عند ذلك وجهـه وقـال : (واخجلتاه منك يا محمد ، انني ظلمتك، فالويل لك يا اوغست ... الا أنني أقر ، وأعترف بأن محمدا أصغر من اله ، ولكنه بكل حال أسمى من البشر) (١) .

ولعلى ابين فى مقال آخر أثر المعرفة والانصاف فى هداية ذويهما من الغربيين الى الاسلام .

٣ : ــ تأخر المسلمين فى كثـير مـن المجالات : هذه الظاهرة كثيرا ما تحدو بالغربيين الى البعد عن الاسلام ، فهـم يريدون الكمال فى أمور دنياهم ، ونحن فى دنيانا مقصرون ، فضلا عن تقصيرنا فى كثير من نواحي آخرتنا . والاسـلام انما ينشد الكمال ، ويدعو الى اتقـان العمل الصالح دنيويا وأخرويا .

ويعجبني قول الامام ابن الجوزى : منذ القرن السادس الهجرى « من أعمل فـكره الصـافى دلـه على طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الـرضى بالنقص فى كل حال . وقال ابو الطيب المتنبي :

ولـم أر فى عيـوب الناس عيبـا
كنقص القادريـن عـلى التمـام

« فينبغي للعاقل أن ينتهي الى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصور لآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض » .

« ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر فى تحصيلها فى حضيض . غير أنه اذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن » .

« والسـيرة الجميلـة عند الحكماء خروج النفس الى غاية كمالها الممكن لها فى العلم والعمل وأنا اشرح من ذلك مـا يدل مذكوره على مغفله » .

« اما فى البدن : فليسـت الصـورة داخلة تحت كسب الآدمي ، بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها » .

« فقبيح بالعاقل اهمال نفسه ، وقد نبه الشرع على الكل بالبعض . فأمـر بقص الاظفار ونتف الابط ، وحلق العانة ونهى عن أكل الثوم والبصل النيء لأجل الرائحة » .

« وينبغي لـه ان يقيس على ذلـك ويطلب غاية النظافة ونهاية الزينة » .

« وقد كان النبي صلى الله عليـه وسلم يعرف مجيئه بريح الطيب ، فكان الغاية فى النظافة والنزاهة .

« ولست آمر بزيادة التقشف الذى يستعمله الموسوس ، ولكن التوسط هو المحمود » .

ثم ينبغي له أن يرفق ببدنه الـذى هو راحلته ولا ينقص من قوتها ، فتنقص قوتـه » .

الى ان قال :

وينبغي لـه ان يجتهد فى التجـارة والكسب ليفضل على غيره ولا يفضـل غيره عليه .

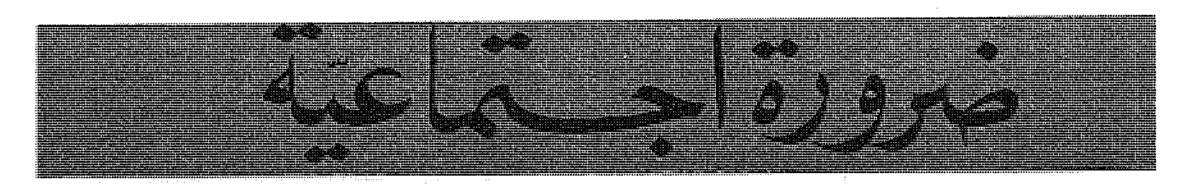
وليبلغ من ذلك غايةلا تمنعه عن العلم، ثم ينبغي له ان يطلب الغاية فى العلم .

ومـن اقبـح النقص التقليد : فان قويت همته رقته الى ان يختار لنفسه

البقية على ص ٥٢

(١) مجلة التمدن الاسلامي المجلد ٣ ص ١٢١ من مقال للمرحوم الأستاذ طه المدور .





قال الله تعالى وصدق الله العظيم « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . ٨٣ ــ ٨٥ سورة آل عمران .

ان الحاجة الى الاصلاح أصبحت ضرورة لا مفر منها ولا مناص ، وعلى الصفوة أن تحقق اليوم وفى الغد ، أكثر مما يجعلنا نفاخر فقط بما حققناه فى أمسنا القريب والبعيد واذا كنا قد حاولنا أن نرتفع لمستوى ماضينا العظيم فاننا فى الوقت ذاته ندرك أن هذا الماضى لا قيمة له ولا جدوى فيه ــ اذا كانت أمجاده تاريخا يروى ، يشب خيالنا اليه ، وتقصر أعمالنا عن الوصول الى مستواه .

ان سلطة القانون ، أو الدعوة الاخلاقية، أو النهضةالعلمية ، أو الانظمة الاقتصادية ، أو المذاهب الفلسفية ، كل أولئك وغيره مما يستولده الفكر البشرى فى أدق صوره ، وأعمق مغازيه ، وأوفى مفاهيمه ، لن يكون أساسا لاصلاح ثابت الدعائم ، دائم الاثر ، فياض الموجات ، يأخذ بيد المجتمعات والشعوب لتحقيق حياة أفضل ،وغد مشرق سعيد .

ان القانون يتناول من أمور الناس ما

ظهر منها دون ما بطن ، ومجاله فى الثواب محدود ، ونظرته الى ذوى الفضائل قاصرة ، وكل عيون القانون مفتوحة ومركزة لرصد المنحرفين عن الجادة ، أو لتنظيم الحياة اليومية العادية فى صورها المادية الظاهرة .

هذا وربما نجحت الدعوة الى مكارم الاخلاق فى الأخذ بيد المجتمع نحو حياة تسودها بعض الفضائل والمثل والقيم الرفيعة ، وقد تنجح هذه الدعوة فى بث الوان من صور المروءة فى النفوس ، فيقل الكذب ، ويندر الغش ويكثر الايثار ، ويشيع حب الجار ، ولكن هل

للاستاذ السيد محمد ابو المجد

بهذا وحده تتحقق الحياة المثلى للفرد والمجتمع بصورة عملية ؟ أو هل يظل الفرد أمينا لمبادئه الاخلاقية السامية ، لو رأى عمليا عدم جدواها فى مجتمع يأكل قويه ضعيفه ؟ ؟ ! ثم ما هذه المثل الاخلاقية ؟ ! وما مقاييسها ؟ وهل هى ثابتة لا تتغير من زمن لآخر ، أو من مجتمع الى مجتمع ؟ ! ! ألم تكن موائد الميسر ومعاقرة الخمر من مفاخر بعض المجتمعات ، وهى اليوم سبة اجتماعية ورذيلة تتابع بالزجر والعقاب ؟

ان كثيرا من الفضائل الخلقية هنا رذائل خلقية هناك ، فكيف نطمئن فى اصلاح مجتمعنا بطريقة ثابتة دائمة الى هذه القواعد الخلقية وحدها ، وهى على ما رأينا من قصور واختلاف ؟ ؟

ولا شك أن للعلم معاييره فى الاصلاح ، بيد أنه واقعى مادى قد يحقق للانسان الربح ، ويضمن له الكسب ، ويتيح له لونا من ألوان الرفاهية ، وقد يعطى الدولة فرصا طيبة لبسط السلطان ، ونفوذ الجاه ، وعلو المنزلة ، ولكن هل به وحده تتحقق سعادة المجتمع ؟ ! وهل بهذه المظاهر المادية تسمو النفوس وتصفو الارواح وتطمئن القلوب ؟ ! !

انه مما لا شك فيه ان الجانب المادى شطر من وجودنا ، والجانب الروحى شطر أصيل فينا ، ولا بد للمصلح أن يراعى فى اصلاحه الى جوانب المظهر المادى الجوانب الروحية ، حتى تهدأ أرواح مضطربة ، وتسعد نفوس حائرة ، وتطمئن قلوب قلقة .

ولا سبيل الى ذلك الا عن طريق الدين الصحيح ، والايمان الراسخ ، والعقيدة القوية ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) نعم . لا بد من الاعتماد فى كل اصلاح على سلطة الدين المستقرة فى النفوس ، وقوة العقيدة الفطرية فى القلوب ، حتى يثمر الاصلاح ، ويبقى أثره على مر الحقب ، وتطاول القرون .

التدين أمر فطرى

ولا نحاول ولن نحاول بهذا أن نعرض على نفوس الناس ما يعارض فطرتهم ، أو يخالف طبائعهم ، لأن الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها . « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » آية ٣٠ من سورة الروم .

الدين ضرورة اجتماعية

ومنذ وجدت الجماعات البشرية اتجهت فى سموها الى هذه الروح الدينية ، وكل مجتمع كان ينحو فى فهم تدينه على حسب ما يهديه اليه عقله ، أو ترشده اليه بيئته ، أو يوحي به اليه مفكروه ، أو ينذره به رسله ولكنها جميعا كانت تلتقى عند قدر واحد هو الدين فى ذاته ، والعبادة فى مبدئها .

وبغير الدين تصبح الجماعات البشرية الى الحيوانية أقرب ، وتصير حياتنا فى هذه الارض مبتورة الصلات ، محدودة الهدف ، منبهمة القيمة ، ولهذا رأينا كل المجتمعات — حتى البدائى منها — لا تستطيع أن تقيم حياتها على غير دين .

وقد رأينا ابن المقفع يوم أن أزمع اعتناق الاسلام يكره أن يبيت ليلة واحدة على غير دين ، فقد وعد أن يسلم من الغد ، ثم أدى بعض مراسيم العبادة المجوسية فى المساء ، ولما سئل كيف تفعل ذلك وأنت على وعد بالاسلام من الغد قال « كرهت أن أبيت على غير دين » .

بل ان الملاحدة انفسهم يفزعون الى الدين عندما تنزل بهم النوازل ، وتصيبهم الاحداث ، أو تتقدم بهم السن « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .

وكثيرا ما ردد الاجتماعيون ضرورة الدين كظاهرة اجتماعية ، وكثير ما سمعنا منهم « لو لم يكن الله موجودا لوجب أن يوجد » وعلى هذا سارت كل المجتمعات حتى الوثني منها ، وما الاصنام الا ظواهر لمحاولة البشر خلق الديانات ، واطلاق اثرها فى النفوس ، حتى تكون هديا للمجتمع ، ودافعا له على السمو فى مضمار الحياة .

الدين القيم

وقد أغنانا الله جل جلاله بدين قويم ، يجمع بين فلاح الدنيا وصلاح الآخرة ، ويأخذ من الفرد فتزدهر الجماعة ، وينظم الاسرة فترقى الدولة ، ويرسم النظم للمجتمع المتكامل المتعاون القوى السليم .

فهل نترك أصوله لنلتمس وسائل الاصلاح من غيره ، وهو أس كل صلاح ودعامة كل خير ؟ وقد حقق بالفعل رسالة الخير والصلاح والقوة لمجتمع لم تتهيأ له أسباب النهضة الا بهذا الدين « قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

ان الاسلام هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد الاسلامية وما ران عليها من آثار الماضى البغيض ، لانه يعالج الظاهر والباطن ، وينهض بالمادة والروح ، ويسمو بالحياة الدنيا ، ويطهر النفس ، وينظم المعاملات ، ويسن الشرائع ، ويقر العقيدة فى سماحة ويسر ، يسعد بها الفرد ، وتستقر الجماعة . فلا يصدر المسلم فى كل حركاته وسكناته الا متجها الى الله ، فاذا عمل عملا اتجه فيه الى الله ، فلا رقيب عليه الا وازعه الدينى ، ولا يخشى فى تصرفاته الا فاطر الارض والسموات ، المطلع على سرائر القلوب

الملم بخلجات النفوس ، مستحضرا قول الرسول الكريم فى الاحسان « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » واثقا بأن الله مطلع على دخائل النفوس ، ملم بهواجس القلوب « ألم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم » .

وبهذا يصبح مشتغلا بالله مقبلا عليه فى يقظته ومنامه ، فى سكونه وحركاته ، فى خلوته واجتماعه ، فلا يراعى الا الله ، ولا يخشى فى الحق غير الله ، ولا يطيع مخلوقا فى معصية الخالق ، فاذا ما دعا داعى التضحية بالنفس والمال أسرع ملبيا النداء ، هاتفا من أعماق قلبه فى قوة وايمان « وعجلت اليك رب لترضى » .

وبهذا كان المسلمون مجتمعا متماسكا قويا ، يلتف تحت راية واحدة هى راية الاسلام ، ويعتز بعقيدة واحدة هى عقيدة الاسلام ، ويجاهد فى سبيل هدف واحد هو هدف اعزاز الاسلام ، حتى غدا المسلمون جميعا « أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا » وصاروا قوما يحبهم الله ويحبونه « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم » ٥٤ المائدة .

ترى المسلم منهم فى رمضان قد برح به الجوع ، وأرمضه العطش ، ولا رقيب عليه ولا حسيب ، ولو شاء لسد جوعه ، وبل غلته ، ولكن ضميره الدينى يبقى واقفا له بالمرصاد ، مذكرا اياه بربه منبها اياه الى دينه ، فيمسك عن الطعام ، والشراب . وهكذا يتولى الدين البواطن والسرائر ، كما يتولى الظاهر والظواهر ، ويعالج الارواح كما يعالج الابدان ، ويعنى بشؤون الدنيا كما يعنى بشؤون الآخرة ، ويمنع عن الانسان الضرر ، كما يجلب اليه النفع .

وهو بهذا لا يدع وسيلة للشر الا دفعها ، ولا بابا للخير الا فتحه على مصراعيه ، فهو وحده المنهج القويم « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وبه تتخلص الجماعة من سمات التخلف التى لا يصل اليها القانون وحده ، ولا تجدى فيها التعاليم الخلقية وحدها ، ولا يبرىء منها التعليم وحده ، بل لا يرسم علاجها الدائم الناجع الا الدين وتعاليمه ، والعقيدة وسلطانها .

فعلى أساس الدين وحده نستطيع أن نصل ماضينا الزاهر بمستقبلنا الباسم ، ونطهر نفوسنا من الخوف والضعف ، والاثرة والحقد ، وسوء الظن بأنفسنا وبالناس ، ونتجنب الغرور السلبى الذى يحملنا على المباهاة بغير عمل ، والتعصب الاعمى الذى يحملنا على الكفر بكل ما يخالفنا ، ولو كان صوابا ، ويجعلنا نتتبع أخطاء غيرنا ، دون أن نرتفع بأنفسنا عن مستواها .

ان عصورا مظلمة أفسدت نفوسنا ، وتركت فيها كثيرا من الرذائل ، تركت فيها الخوف من حمل التبعات ، والاستهتار بها ، تركت فيها الخوف من القانون والاحتيال على التخلص منه ، دون شجاعة لطلب تغييره ان كان معيبا

البقية على ص ٥٧

البيوت من أبوابها

اصلح الاسس للحكم الناجح

للاستاذ : ع.ن.

الثقافة الاسلامية خير أصلح

ترتفع الشكوى بين الحين والحين فى كثير من البلاد الاسلامية ـ ان لم تكن فيها كلها ـ من الروح السيئة التى تعيش فى جوها انظمة الجهاز الحكومى ، سواء اكان ذلك من الانظمة نفسها ام من المنفذين لها ويبذل الغيارى من المسئولين جهودهم للقضاء على هذه الروح ، باصدار تعديلات للنظم القائمة .. ونداءات يناشدون فيها العاملين الاخلاص فى عملهم ومراعاة مصالح امتهم .

ولكن كل هذه الجهود كثيرا ما تذهب هباء لان هناك ما يشبه الفجوة بين هذه الانظمة وبين روح القائمين بتنفيذها .

وكثيرا ما ارتفعت الاصوات بمحاولة علاج هذه الحالة علاجا جذريا ، يقوم على ربط النظم السائدة بدين الامة وخلقها وثقافتها الاصيلة ، والدخول الى البيوت من ابوابها ، وعدم الاعتماد على التقليد الصرف ، او الاعتماد على الالفاظ الرنانة مثل الواجب والمصلحة الوطنية والقومية الخ لاثارة روح الاخلاص فى العاملين ، فان هذه الالفاظ كثيرا ما تذهب مع الريح ، ولا تمس القلوب فضلا عن ان تثيرها . ولكن اصحاب الاصوات المخلصة كثيرا ما يتهمون بالرجعية والتخلف .. فتذهب اصواتهم هباء ، بينما تذهب جهود المصلحين للنظام هباء كذلك، ويظل الفساد او النقص يسرى ويستشرى ، والشكوى ترتفع والثقة تضيع ، ومن بين هذا وذاك يدس دعاة الهدم انوفهم، ويستغلون سخط الساخطين ليبثوا فيهم سمومهم ، ويصورون لهم الانقاذ فى انظمة ومبادىء تقلب حياتهم رأسا على عقب ، وتسلبهم عقيدتهم وتراثهم بل انسانيتهم ،

وتحيلهم الى « تروس » صماء فى آلة كبيرة يسيطر عليها فرد واحد .

ومن هنا يهب الخطر على البلاد الاسلامية ، ويصبح من واجب رجالها والمسئولين عن مصيرها وكيانها ان يسارعوا الى علاج الفساد فى مجتمعاتهم علاجا يقضى عليه قضاء تاما ، ولا يدع مجالا لساخط او هدام منتهز للفرص .

ولا اعتقد ان هناك علاجا جذريا خيرا من استيحاء مبادىء الدين والثقافة الاصيلة للشعب فى سن الانظمة والقوانين ، وربطها يعيشون على فتات موائده نسوق لهم اليوم بعض ما جاء فى تقرير لم يضعه علماء مسلمون يمكن أن يقال عنهم انهم متعصبون أو رجعيون ، ولكن وضعه خبيران استقدمتهما حكومة الجمهورية العربية المتحدة للبحث فى « تنظيم الادارة الحكومية » بها ، وتقدما بهذا التقرير الى اللجنة المركزية لتنظيم الادارة الحكومية فى صيف ١٩٦٢ .. والخبيران هما « لوثر جيوليك ، وجيمس هـ . بولوك » ..

الاسس للحكم الناجح في العصر الحديث

بعقيدة الشعب ومثله التى غرسها الاسلام فى نفوسهم ، ثم حراسة تنفيذها من الرؤساء على اساس من العدل الذى يطمئن الجميع على مصالحهم ، ويوفر لهم الاستقرار المنشود ، من سن القوانين ..

حينئذ يطمئن المحكوم ويخلص فى العمل ، ويطمئن الحاكم ويضاعف من جهوده لوفرة الانتاج والارتفاع بمستوى العمل الموكل به ..

هذه دعوة نادينا بها من قبل على صفحات هذه المجلة كما نادى غيرنا ، ولعل دعوتنا هذه صادفت من قال عنا رجعيون متخلفون أو حالمون خياليون ، وهذا وان كان لا يفت فى عضدنا أو يثنينا عن دعوتنا ، الا أننا نحب أن نسوق للمفتونين دائما بما يرد عن الغرب ، والذين

قالا فى صدر هذا التقرير (١) الذى عنى اولا بالمبادىء والاسس التى يجب ان يقوم عليها أى نظام ناجح : « اننا ندرك حق الادراك ان النظم الحكومية تتكيف وفق مقتضيات الجو الثقافى الذى توجد فيه ، ولا يمكن بحث خطط اعادة تنظيم جهاز اية حكومة او اجراءاتها بمعزل عن تعرف التيارات العامة التى تسود حياة الامة ، والمعتقدات الاساسية التى تدين بها .

غير ان الحكومة ايضا تعتبر من القوى الايجابية فى التغيير والتطوير ، وآية ذلك واضحة فيما تم خلال العشرة الاعوام التى انقضت على قيام الثورة المصرية ، لهذا كان على من يتأمل المستقبل ، ويقترح ادخال تغييرات هامة ، ان يعني حق العناية بدراسة قوتين كبيرتين :

(١) كما فى نشرة أصدرها المركز العام للشبان المسلمين فى القاهرة باسم « دعوة الاسلام » .

اولاهما : التأثير القوى للثقافة ، الذى يميل الى الابقاء على التقاليد الموروثة .

ثانيتهما : القيم الاخلاقيـة المبدعـة للجديد من الافكار والنظم التى قد تغير وضع شعب من الشعوب ـ بأن تدفعه الى حيـاة جديدة ذات قيم ومعتقدات جديدة .

ومن المهم ان نعترف منذ البداية بأن امر جهاز الحكـم ليس بأهـم الامـور ، فالمعتقدات والقيـم التى يرتكـز عليها تفوقه اهمية وخطورة ، فاذا اسـتطاع الجهاز الجديد ان يبعث هذه المعتقدات والقيم ، وان يصوغها ويشكلها فى صورة نظم ، فان التقدم الذى يحـرزه الشعب حقا لا يكمن فى النظم الحكومية ، بل فيما تقوم عليه مـن قوى اخلاقية وفلسفية وروحية .

لهـذا كان على المسئولين عـن اعادة تنظيم الجهاز الحكومي على نحو جذرى ان يستهدوا بهدى ثقافة الامة ذاتهـا ، وفهم المعتقدات والقيم التى تسير عليها الامة فى حياتها . وكان من المتعذر علينا ان نفهم تلك المعتقدات والقيم،لاننا ننتمى الى ثقافة اخرى ، لهذا بذلنـا جهـدا متصلا للتعرف عليها ، لا عن طريق القراءة فحسب ، بل كذلك عن طريق الاجتمـاع بالقـادة فى ميـادين الـدين والاخـلاق والفلسفة ، لكي نتبين تيارات الثقافـة المصرية التى يبدو ان لها تأثيرا اساسيا فى المشكلات التى نبحثها .

وقـد راعنـا خـلال هـذا البحث ان اهتـدينا الى عـدد مـن المعتقدات الاساسية الوثيقة الصلة بتلك المشكلات واننا لنورد تلك المعتقدات فيما يلي ، فى صورة بالغة الايجاز ، خالية مما تستحق من افاضة وتفصيل :

شرع الله اقامة الدولة كنظام اخلاقى واقتصادى وسـياسى ، وللانسـان ان يشكل هذا النظام بفضل ما يتاح له من اتساع فى المعرفة والخبرة والتفكير ، وذلك على اساس المبادىء الاخلاقية الاساسية المقررة .

الناس سواسية امام الله ، ومن ثم امام القانون .

ليس للحاكم ، ولا لرجل الدين ، ولا لاى طبقة او فئة ، ان تحول بين المرء وحقوقه وواجباته ، او تفصل بينه وبين الله .

الاستغلال الشخصى للنفوذ امر يأباه الخلق الكريم .

نظام القيادة نظام مستحب من حيث المبدأ ، ولكن كل راع مسئول امام الله عن رعيته ، وبذا يكون مسئولا عن رعاية شئون الناس .

الاخذ بالشورى فى مختلف المستويات امر لا بد منه فى اتخاذ القرارات والاعمال الحكومية .

نظام الملكية الفردية حـق مقـدس ، ينطوى على ضرورة استخدام الممتلكات على نحو مثمر ، مع تخصيص قدر من الدخل فى عون المعوزين وخدمة المجتمع والضرائب . (الزكاة والانفاق) .

للمجتمع وللحكومة التى يقيمها المجتمع على أساس الشورى ان يقررا ما يدخل فى بـاب ((المعروف)) ومـا يدخل فى باب

« المنكر » استنادا الى المبادىء الخلقية والدينية المقررة .

العمل له نبالته الخاصة ، ويستحق العامل أجرا عادلا على عمله .

الانسان مكلف بكسب العلم ، واعمال العقل ، واستخدام المعرفة التى حصلها على هذا النحو فى نفع الناس ومرضاة الله .

ويتجلى من تعمق هذه النقط أن الثقافة الاسلامية من اصلح الاسس للحكم الناجح فى العصر الحديث . وليس هذا فحسب بل انها كذلك تقدم للشعب المصرى المبادىء التى يمكن ان يقيموا عليها ديمقراطيتهم الجديدة التى تتميز بالقيادة الايجابية الفعالة ، ومشاركة الشعب فى الحكم ، وتحرس استخدام الثروة الخاصة والعامة لخير الامة .

اذا صح ما ذهبنا اليه فى تلك العجالة القصيرة ، فان الثقافة الاسلامية تكون ابعد الاشياء عن اعاقة سير التقدم والتطور فى النظم الحكومية ، كما تكون ابعد الاشياء عن الدعوة الى الطاعة العمياء او التشبث بالتقاليد العتيقة ، ذلك ان الثقافة الاسلامية تشجع الانسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث ، مع الاطمئنان الى القيادة المسئولة، وتبادل الرأى والمشورة ، وهذا على التحديد هو المنهج الذى صارت الحاجة ماسة اليه » اهـ ..

هل يسمع هذا المؤمنون من الحكام فيقبلوا على اصلاح شئون امتهم على النهج الاسلامى غير هيابين مما يقوله المدعون والمتخرصون والمفتونون بالغرب او الشرق والاستيراد منه ؟

فان مصلحتهم ومصلحة امتهم ــ بعد طاعتهم لخالقهم ــ اولى بالرعاية والاهتمام .

وهل يقرأ هذا اخواننا وابناؤنا من المسلمين الذين وقعوا تحت تأثير الالفاظ البراقة التى يطلقها دعاة الهدم والتضليل ليصدوهم عن الاعتزاز بدينهم وثقافتهم وامجادهم وينزعوهم من احضان اوطانهم ، ويحملوهم على التنكر لتاريخهم، ليعيشوا عبيدا وتبعا لغيرهم ؟

وهؤلاء الذين يحلو لهم ــ تبعا لهواهم ــ ان يربطوا بين الاسلام والرجعية ، ويدعون ان الاسلام قد استنفد اغراضه فى عصوره الاولى .. الا يسمعون كلمة الانصاف من خبيرين غير مسلمين .

« الثقافة الاسلامية من اصلح الاسس للحكم الناجح فى العصر الحديث » ؟ !

عن ابي سعيد ــ رضي الله عنه ــ قال :

« ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي الى امرأته ، وتفضي اليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه »

« رواه مسلم وأبو داود »



بهائم جهنم

قال حاتم : الأصم المغتاب والنمام ، قردا أهل النار !!
والكذاب كلب أهل النار !!
والحاسد خنزير أهل النار !!

وقفة خاشعة

قدمتُ شعرى لها في الحب قُربانا ... وذُبْتُ في صوغه روحاً ووجدانا

غيداءُ لا تسأمُ الأنظارُ رؤيتها ... إن ملَّت العينُ بعضَ الغيد أحيانا..

الحسنُ بالكبر يُغرى قلبَ صاحبه ... وحسنُها زادها عطفاً واحسانا

تجود بالوصل ان ضنَّ البخيلُ به ... في اليوم خمساً ، ويبقى الشوقُ ظمآنا.

بنتُ السماء بدت والأرضُ مجدبةٌ ... فصيَّرت جدبَها رَوْحاً وريحانا

رفَّتْ على الكونِ انساماً معطرةً ... تأسو جراحاً ، وتمحو منه أضغانا

جاءت إلى الناس ، والأحقادُ تشعلها ... حرباً ، فعادت بهم للسلم اخوانا

شفتْ نفوساً من الدنيا وزخرفها ... وأبرأت من سقام الجهلِ أذهانا..

وَعوَّدَتْ طاعةَ الرحمنِ مَنْ درجوا ... على التمرد والعصيان أزمانا ..

وأسلست لقياد الدين أفئدةً ... كانت دليلا على الفوضى وعنوانا

★★★

ياويح نفسى ، والذكرى مؤرِّقةٌ ... انى ذكرتُ الذى لم أنسه الآنا

ذكرتُ صوتَ « بلال » حين أعلنها ... للناس نوراً وإخلاصاً وإيماناً..

كم من جُنوبٍ بها قرَّتْ مضاجعُها ... سرعان ما نشطت للصوتِ سرعانا..

سُقْيًا لعهدِ نبيٍ كان مسجدُه ... في السلم روضاً ، وفي الهيجاء ميدانا

للاستاذ يوسف زاهر
المدرس بمدرسة التحرير الثانوية بالاسكندرية

ان حيَّ على الهاتفُ الداعي بهاسَحَراً ... لم يعرف النومُ للنُّوامِ أجفانا..
قومٌ مناجيدُ لا يَعتاقُ عزْمَتَهُم ... على العبادة خطبٌ جلّ أوهانا
اذا دجا ليلهم صاروا ملائكةً ... وان بدا الصبحُ هبَّ القومُ فرسانا
لم يشهد الكونُ والتاريخُ قبلهمُ ... رُعاة شاءٍ بَنَوْا مُلْكاً وسلطانا
لم يفتَحوا بسيوف اللهِ من بلدٍ ... الا وقد عمَّروا بالسلم بلدانا..
لله ذلك من عهدٍ ، قد ازدحمتْ ... به المفاخرُ اسراراً واعلانا..
قد مرّ كالحُلْمِ في أجفانِ غانيةٍ ... وإن بذكراه عاش الكونُ أزمانا

★★★

عَهْدَ النبوةِ لولا فضلُ نسبتنا ... لديننا الحق كنت اليومَ تنعانا ..
كم مسجدٍ هجر العُبَّادُ ساحته ... يظلُّ من زحمةِ الأسواقِ غيْرَانا
وكم مُصَلٍّ كأن الدهرَ يُلْهِبُهُ ... بالسوط ، فهو يؤدى الفرض عجلانا
يا أمةَ المصطفى عفواً ومغفرةً ... إن هاج ماقلتُه في القلبِ أشجانا
رُدُّوا على المسجدِ الماضى الذى سلفتْ ... آياتُه ، واسجدوا لله شكرانا..
ان الصلاة عماد الدينِ فاستبقوا ... الى الصلاةِ زرافات ووحدانا
وما الأذانُ سوى « رضوانَ » يحفزكم ... الى الجنانِ ، فلبُّوا اليومَ «رضوانا»

مذهبا ولا يتنهب لاحد فان المقلد اعمى يقوده مقلده (١) .

ثم ينبغي ان يطلب الغاية في معرفة الله تعالى ومعاملته ، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الا حصلها ، فان القنوع حالة الارذال .

فكن رجلا رجله في الثرى
وهامة همته في الثريا

ولو امكنك عبور كل احد من العلماء والزهاد فافعل ، فانهم كانوا رجالا وانت رجل .

وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة وخساستها .

واعلم انك في ميدان سباق والاوقات تنتهب . ولا تخلد الى كسل .

فما فات ما فات الا بالكسل . ولا نال من نال الا بالجد والعزم .

وان الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور ، وقد قال بعض من سلف :

ليس لي مال سوى كدي
فيه أحيا من العدم
قنعت نفسي بما رزقت
وتمطت في العلا هممي (٢)

ارأيت هذه الحوافز القوية لنشدان الكمال في شؤون الدنيا والآخرة ، في العلم والعمل ، فأين المسلمون منها اليوم ؟ .

٤ : — فقدان المصادر الصحيحة الكافية باللغات الأجنبية عن الاسلام ، وهذا امر واجب التدارك لان الغربي لا يمكنه ان يقرأ عن الاسلام ، ويقدر مزاياه وحاجة العالم اليه ، الا من مصادر علمية مكتوبة باللغة التي يعرفها .

من امثلة ذلك اني اوفدت عام ١٩٥٠ (وقد كنت عضوا في لجنة التربية والتعليم بوزارة المعارف) للاشتراك في دورة تدريبية في ((بروكسل)) للتفاهم الدولي والتعاون على نشر السلام بواسطة الكتب المدرسية السليمة من شوائب الضغائن والاحقاد وضروب الافتراء .... وكان مما لفت النظر وجود طعن على الاسلام في جملة من كتب التاريخ المدرسية ، وقد لفت النظر الى هذا النقص ، وكانت المعذرة — التى قدموها — هي اعتماد المؤلفين على مصادر غربية في التاريخ الاسلامي والعربي ، لجهلهم اللغة العربية ومصادرها .

أليس مما يحز في النفس عدم وجود ترجمة موثوق بها شاملة لمعاني القرآن الكريم ؟

أليس مما يؤلم ويحزن كذلك عدم وجود عرض شامل صحيح للسيرة النبوية ومقاصدها ، وعدم وجود عرض كامل لمحاسن الاسلام ومزاياه ولحلوله للمشكلات المختلفة في العالم ، روحية كانت او خلقية او اجتماعية او اقتصادية أو سياسية ..؟

أليس مما يمض ويشجي أن تشريعنا الاسلامي العظيم لا يكاد يذكر مآثره أحد من رجال التشريع الغربيين الا ذكرا عابرا ...

لا يرضيني كما لا يرضى اي عالم بالاسلام وجود ترجمات تكتنفها الشوائب ، ولا سيما التي تعمّد ذووها الحط من قدر الاسلام ، كما لا يرضينا وجود بحوث متناثرة هنا وهناك ، اذ المشكو من فقدانه الأثر الصحيح المنسق الدال على عظمة الاسلام ، والآخذ اليه بأيدي المطلعين عليه ، ومحبو الحقيقة

---

١ — مات ابن الجوزى عام ٥٩٧ ، والناس على مذاهب ، وهو يريد النصوص الثابتة من كتاب وسنة واستنباط الاحكام منها .

٢ — صيد الخاطر للامام عبد الرحمن بن الجوزى ص ١٥٩ — ١٦١ .

حين يلوح لهم شيء من ذلك يعجبون به اعجابا يتوقون اليه توقانا ، ومن أظهر ادلة ذلك ما انتهى اليه مؤتمر الحقوق فى جامعة باريز فى الثاني من تموز عام ١٩٥١(١) . فقد اشترك فيه من مصر اربعة من الأساتذة، مثلوا الأزهر وجامعة فؤاد وجامعة ابراهيم ، كما اشترك استاذان مثلا الجامعة السورية ، والقوا باللغة الفرنسية محاضراتهم التي عينها مكتب المجمع الدولي للحقوق ، وبعد ان تمت المناقشة وكتب التوفيق لهؤلاء الباحثين المسلمين ، وقف رئيس المؤتمر الأستاذ ميّو استاذ التشريع الاسلامي فى كلية الحقوق بجامعة باريس وقال ما ترجمته : (انا لا اعرف كيف اوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسلامي وعدم صلوحه اساسا تشريعيا يفي بحاجات المجتمع العصرى المتطور ، وبين ما نسمعه الآن فى المحاضرات ومناقشاتها ، مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادىء) .

وجاء فى تقرير المؤتمر :

آ : ــ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .

ب : ــ وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

واعلن المؤتمر رغبته فى استمرار اسبوع الفقه الاسلامي فى متابعة اعماله ، ورجا المؤتمر كذلك تأليف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع بها الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (٢) .

لعلنا بعدهذا كله نكون قد وقفنا ـ نحن المسلمين ـ على حقيقة الأمر من تقصيرنا الواضح نحو ديننا ، وتفريطنا الظاهر فيما يجب علينا من تعريف بالاسلام ، وعرض لمآثره ومزاياه وحلوله . ولا شك أن القيام بالواجب يحتاج الى جد وبذل واقدام ونظام ، يسهل ذلك الى حد ما ، أن المسافات النائية قد تدانت ، وكثير من العصبيات العمياء قد هانت ، والجهالات قد انقشعت ، والجماعات التي تنشد الحقائق قد تكاثرت ، فلنمد اليهم ايدينا مصافحين مبشرين ، فان لسعينا فى هذه السبيل ما بعده من نشر الهداية والسعادة والسلام .

ويبدو لي ان على حكوماتنا الاسلامية ان تضطلع بواجب الدعوة ، فتجعل في وزاراتها الخارجية ادارات للدعوة والتعاون الاسلامي والعربي ...

وعلى اغنيائنا ريثما تعي الحكومات هذا الواجب الخطير ، ان يمدوا الجمعيات الاسلامية العلمية بالمال ، لتبشر هي بالاسلام بالكتب والأقوال والأعمال ، واجدر بها ان تنسق الأعمال بينها وتستفيد وسعها ، فيتهيأ لها متعاونة ما لا يتهيأ لها منفردة متفرقة .

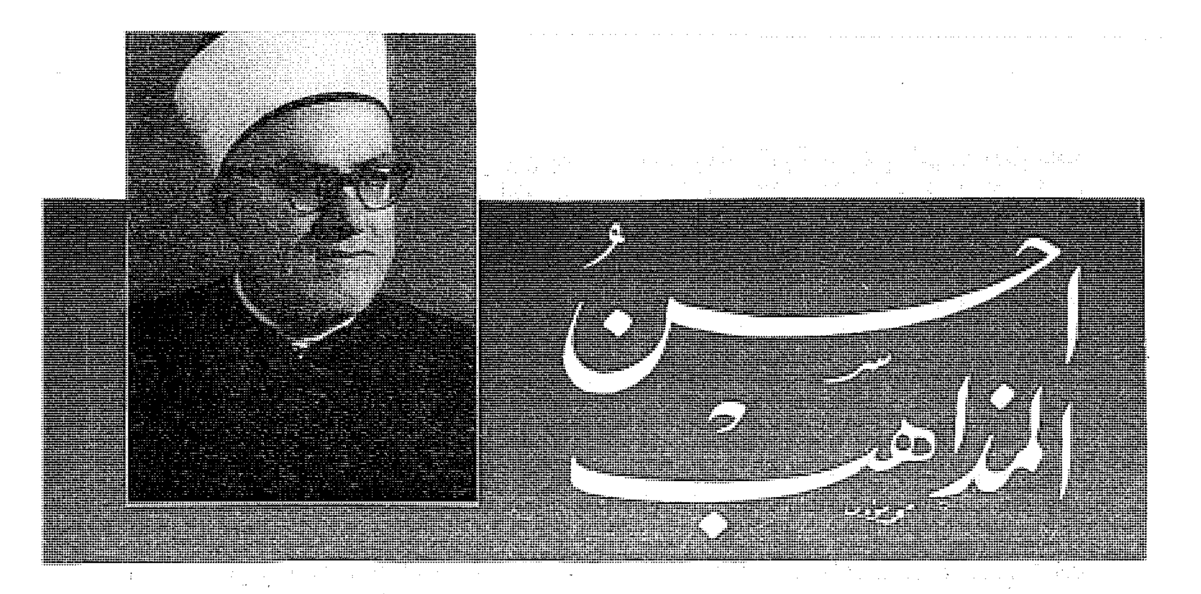
وليذكر اغنياؤنا ما كان ينفقه المحسنون من سلفنا الصالح فى سبيل الله ، وليذكروا ما ينفقه المبطلون الآن لنشر الباطل والضلال فى الأرض ، والله سبحانه وتعالى يقول : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٣) .

---

١ ــ عقدت هذا المؤتمر شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة ، وعقد فى لاهاى عام ١٣٦٥ هـ ١٩٣٧ م مؤتمر للتشريع المقارن ، وتقرر فيه اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام (اى القانون المقارن) واعتبارها صالحة للتطور ، واعتبارها قائمة بذاتها .

٢ ــ المدخل الفقهى ج ١ ص ٧ و ٨ للاستاذ مصطفى أحمد الزرقا .

٣ ــ سورة التوبة : ٤١ .



لست اعنى بالمذاهب هنا ، المذاهب الفقهية الاسلامية ، وانما اعنى اننا فى البيئات العربية ، نعيش فى مجتمعات تتعدد فيها الدعوات ، وتتفاوت فيها الاتجاهات ، وتختلف فيها المذاهب والآراء ، وتكثر فيها الاحزاب السياسية ذات المناهج المتضاربة ، والبرامج المتفاوتة ، وقد كان لهذه المناهج والمذاهب آثارا بعيدة المدى فى معظم البلاد العربية ، مما حمل اكثر من بلد عربي على حل الاحزاب ، او السلوك بالبلد على طريقة الحزب الواحد .

ولست هنا فى موقف التفاضل بين هذا السلوك او ذاك ، وانما اقرر حقيقة ملموسة واضحة ، هي : أن هذه المجتمعات مجتمعات اسلامية تستمد عقيدتها وآدابها من كتاب الله ، وسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وان بعض تلك الاحزاب تتنكر للمبادىء الروحية والعقائد الدينية ، وتعتبرها مخدرا او ما يشبهه ، وعائقا دون التقدم والازدهار .

واذا كانت هذه المجتمعات اسلامية ، فواجبنا ان نحكم فيما نذهب اليه من آراء وما ندين به من مبادىء ، وما نسلكه من طرائق ، كتاب الله وسنة رسوله ، فما اقراه اقررناه ، مهما كان مصدره ومأخذه ، لان الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها التقطها .

وما حارباه حاربناه ، مهما كان القائلون ، والواضعون والمخططون ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) (١) .

وقد اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن رضى الله عنه فى هذه الآية :

قال : هو المؤمن عمل صالحا ، ودعا الى الله تعالى .

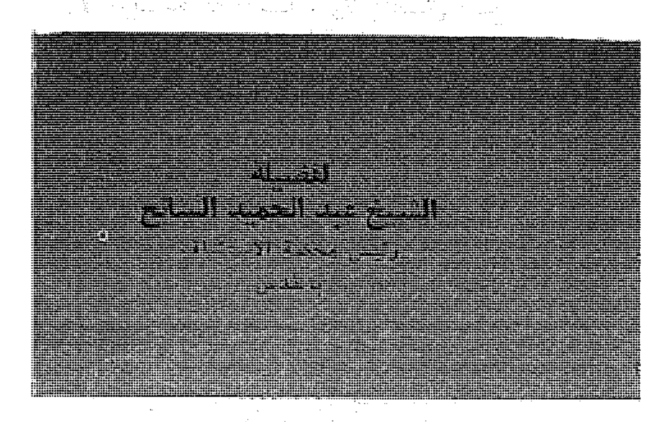
واخرج عبد بن حميد عن قتادة رضى الله عنه ، فيها قال : هذا عبد صدق قوله وعمله ومولجه ومخرجه وسره وعلانيته ومشهده ومغيبه .

فهذه الآية الكريمة فى صيغتها العربية تعنى ان احسن الناس قولا ومذهبا ، من توفرت فيه الصفات الثلاثة فى الآية :

١ : ـ الدعوة الى الله .

---

١ ـ الآية (٣٣) من سورة فصلت



٢ : ـ العمل الصالح

٣ : ـ الجهر بانه من المسلمين .

اما الدعوة الى الله ، فانما تعنى تعريف الناس بخالقهم وموجدهم ، حتى يؤدوا له واجبه ولا يقبلوا العبودية لغيره ، ولا يذلوا لاحد سواه ، وهذا يخلق فى الانسان العزة والشعور بالكرامة ، والترفع عن الدنايا ، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (١) .

وشخص هذا شأنه لا يرضى لنفسه ان يكون آلة فى يد مستعمر ، او دخيل ، ولا يقبل ان يفقد عزته فى سبيل ارضاء شخص مهما كانت قوته وجبروته وسلطانه ، لان العزة صفة المؤمن ، ولا يتخلى عنها فى وقت من الاوقات .

أما العمل الصالح ، فانما يعنى ان يتجرد الانسان لصالح الاعمال التى تنفع قومه وأمته ، ويجند نفسه للعمل فى شتى الميادين ، واذاعة النفع والخير ، سواء بماله او جهده او معاملته ، واذا امكنه ان يعم بخيره سائر الناس ، فذلك من الاعمال الصالحة التى دعا اليها الاسلام وحض عليها ورغب فيها .

ولذلك قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه انفعهم لعباده » .

فكل عمل مهما كان شكله ونوعه ـ يعود بالخير على الامة او على قسم منها كان من الصالحات ، وكل مصنع ينشأ او معمل يجهز لتأمين حاجات الامة ولوازمها مهما كانت ، سواء كانت لتأمين المأكل والمشرب ، او لتأمين الكساء والمسكن ، او كانت لتقوية الامة فى مجالاتها العسكرية والحربية ، تعتبر من الاعمال الصالحة ، التى يؤجر الانسان عليها اذا قصد بذلك ارضاء الله ، وتأمين النفع للمجموع ، ولم يقصد استغلال الضعفاء والفقراء ، ولا استخذاء العمال والصناع ، ولا العدوان والطغيان ، ولا اكراه الناس على السير فى ركابه ، وان يكونوا ببغاوات مرددة لما يقول ويرى ، بلا فهم ولا قناعة .

واما الصفة الثالثة فهى ان يجهر الانسان بمبدئه ، ويعلن مذهبه ، ويوجه الناس اليه ، فى اسلوب حكيم ، ويجادل الآخرين بالحجة والبرهان والمنطق السليم ، كما قال سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن (٢) .

النقد البناء

وليس القصد ان يعلن المسلم اسلامه بلسانه وكفى ، بل عليه ان ينقى مجتمعه من انحرافاته ويقوم فساده ، وينقد اعوجاجه ، على وجه يشرح سبيل البناء السليم النافع ، ويعمل على دعمه بسيره وخططه ، فى سره وعلانيته فى مشهده ومغيبه ، وفى سائر احواله .

وهذا يقتضيه ان لا يقر ظالما على ظلمه ، ولا فاسدا على فساده ، ولا

---

١ ـ الآية (٨) من سورة المنافقين .

٢ ـ الآية (١٢٥) من سورة النحل .

منحرفا على انحرافه وان يكون جنديا للحق بجميع صوره واشكاله ، وان يكون مع المظلوم حتى يعود اليه حقه ، وان يكون ضد الظالم حتى يرعوى عن ظلمه ، وان يكون عنصر خير فى جميع ميادينه .

المذاهب الاخرى

وكل هذا يلزم المسلم ان يكون موقفه من المذاهب الاخرى نابعا من عقيدته واسلامه ، فان كانت مبادئها متفقة مع مبادىء الاسلام ، فهى من الاسلام لا تخالفه ولا تنافيه وان كانت غير متفقة مع قواعد الاسلام واهدافه ، فالاسلام حرب عليها ، ولا يجوز اقرارها وسيادتها ولا ممارسة مبادئها وتحقيق اهدافها ، والا كان اسلامنا غير صحيح ، وعقيدتنا غير سليمة .

ولو ان الحكومات والجماعات الاسلامية طبقت هذا المبدأ لكانت مجتمعاتها سليمة مما يعكرها ، سائرة فى الاتجاه الصحيح ، الذى ينجيها من الفتن والاضطرابات والانقلابات .

واتباعنا سبيل الاسلام لا يمنع من الاختلاف الاجتهادى ضمن اطار الاسلام ، وفى دائرة المصالح العامة ، على أساس من الشورى التى ترجح رأيا على آخر ، وتفضل اجتهادا على غيره ، وتحسم مادة النقمة والاضطراب ، (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) (١) وما لم يكن فيه نص قاطع ورأى حاسم ، فرأى الاكثرية فى الشورى من قواعد الاسلام ، وهذا هو الطريق السليم الذى لا يخالفه الا متجن او مغرض .

ومن كل هذا يتضح لنا انه فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية لسنا بحاجة الى مذهب دخيل ، او مبدأ مستورد يفرض علينا ، ولا تقره تقاليدنا ، ولا تؤيده عقائدنا ، ولا يتفق مع مصالحنا ، وان علينا ان نستفيد من تجارب الآخرين ، ونطور انفسنا ضمن اطارنا وحدودنا ، ففى ذلك الخير كل الخير والسلامة كل السلامة .

وتاريخ الاسلام ملىء بما يؤكد هذا الاتجاه وقواعده العامة مرنة كل المرونة ، تهيىء لنا ان نضع الخطوط المستقيمة السليمة التى تحفظ لنا شخصيتنا ، وتخلق فينا روح الاعتزاز والكرامة لا بنسب نتصل به ، ولا بحسب نعتمد عليه ولا بطبقة او قبيلة نمت اليها ، وانما نعتز باسلامنا ، بمبدئنا السليم ، بروح التقدم ، بالعدالة المطلقة ، بالاستقامة ، بالتفانى فى سبيل المصالح العامة ، باهدار الانانيات ، بالقضاء على العصبيات ، وذلك كله يتمثل جليا بقوله : وقال اننى من المسلمين .

ولا بد لى من الاشارة الى ان وجود أقلية غير اسلامية فى بعض البلاد العربية لا يغير من كل ما قلناه شيئا ، واننا لا نريد من المواطنين المسيحيين اكثر من ان يحتفظوا بجوهر عقيدتهم ، وان يحرصوا على تجنب كل ما يبعدهم عن الله ، وان تلك المذاهب التى أشرت اليها هى دخيلة عليهم ، كما هى دخيلة علينا ، وان الخير فى ان يتعاون جميع المواطنين على اختلاف مشاربهم على ان يقصوا كل ما هو غريب هدام ، حتى لا يعم شره ، ويتناثر ضرره ، ويتغلغل فساده ، فان الوقاية خير من العلاج ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وكلما ابعدت جراثيم الامراض عن الجسم ، واتخذت الاحتياطات الواقية كان الجسم معافى ، نشيطا فعالا ، بعيدا عن العلل والامراض .

رزقنا الله العافية فى ديننا ودنيانا .

---

١ ـ الآية (٥٩) من سورة النساء

بقية : الدين ضرورة اجتماعية

أو به قصور ، تركت فى نفوسنا كما يقول أحد رواد المصلحين « وحدانية وثنية تحمل كل واحد منا على الايمان بنفسه وسوء الظن بغيره ، والانطواء فى علاقاتنا بالناس على كثير من الخوف والحذر ، ومن الرغبة فى الكيد ، ومن محاولة الاستعلاء والتسلط ، ومن الحرص على انتهاز الفرص » .

وليس من سبيل افعل ــ فى ازالة كل ذلك من الدين ، فمن الضرورى ــ والحالة هذه ــ أن نتجه اتجاها صادقا الى الله نترسم هديه ، متمثلا فى دينه الحنيف ، نلتمس منه العون فى اعادة تنظيم حياتنا ، بما يكفل لنا أسرع طريق الى الاصلاح ، وأضمن وسيلة وأثبتها للوصول الى ما ننشده للامة الاسلامية

والاسلام آخر كلمة أنزلها الله من السماء ورسوله خاتم الرسل والانبياء ودعوته مكملة للديانات السابقة ، شارحة لها ومهيمنة عليها « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » فالرسول صلوات الله عليه ليس بدعا من الرسل ، ولا شريعته بدعا من الديانات « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » واذا كانت بعض الديانات قد اقتصرت بحكم التطور على جانب دون جانب ، أو تناولت ــ لظروف خاصة ــ بعض شؤون الحياة دون البعض ، فان الاسلام وهو آخر الديانات جميعا تناول شؤون الحياتين جميعا ، وأعد أتباعه للدنيا كما أعدهم للآخرة، وجمع بين العقيدة والايمان ، كما جمع بين العلم والعمل « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .

وقد أجمع كبار المشرعين وعلماء القانون ــ حتى من غير المسلمين فى جميع بقاع العالم ــ على أن الاسلام مصدر هام من مصادر التشريع ، وهو بهذا كفيل باستئناف نهضة قوية صالحة تجدد العهد بثورته الاصلاحية منذ ثلاثة عشر قرنا ، ننهج نهجها ، ونحذو حذوها ، ونهتدى بهديها الى الصراط المستقيم « صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، الا الى الله تصير الأمور » .

لا أحكم على غائب

قيل لشريح القاضي : أيهما أطيب : اللوزينق أو الجوزينق ؟ فقال لا أحكم على غائب .



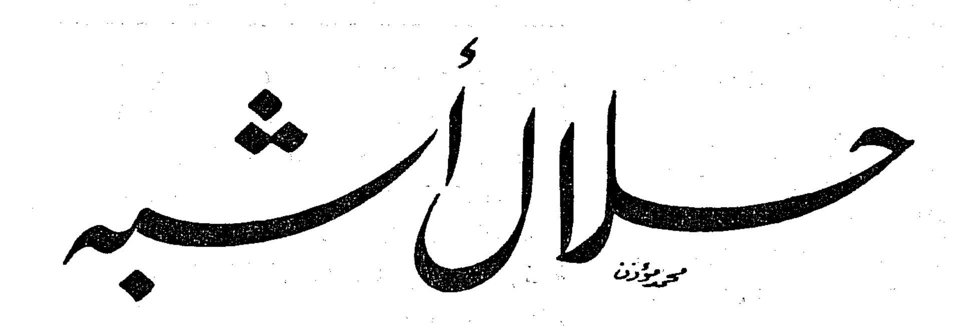
أدب الطعام

قال فرقد لاصحابه : اذا أكلتم فشدوا الازار على اوساطكم ، وصفروا اللقم ، وشدوا المضغ ، ومصوا الماء ، ولا يحل أحدكم ازاره فيتسع معاه ، ويأكل كل واحد ما بين يديه .



أسماء الطعام

الوليمة : طعام العرس . والنقيعة طعام الاملاك والاعذار طعام الختان . والخرس طعام الولادة . والعقيقة طعام سابع الاولاد . والنقيعة : طعام يصنع عند قدوم الرجل من سفره ، والوكيره : طعام يصنع عند البناء يبنيه الرجل فى داره . والمأدبة : كل طعام يصنع لدعوة ، والسلفة : طعام يتعلل به قبل الغداء .



اتفقت الطبائع والشرائع على أن الطلاق

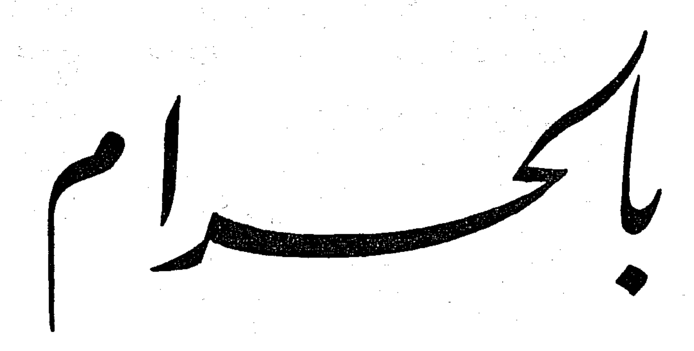
رباط الزوجية

الطلاق من ابشع الكلمات ، وأدلها على غلاظة الكبد ، وبلادة الحس ونضوب المرءوة ..

اتفقت على ذلك الطبائع والشرائع . لأن الصلة بين زوج وزوجة ، ليست كالصلة بين صديق وصديق ، تقوم على الوفاء والمنفعة تذهب اليوم وتأتى فى الغد . وليست كالصلة بين قريب وقريب ، تقوم على العصبية . اذا قطعتها دهرا ، فلا يمكنك التنصل منها ... لا . هى خلاف ذلك متانة وحساسية وسموا ، هي أبعد من ذلك أثرا . فالشركة بين زوج وزوجة اتفاق على تكوين أرواح جديدة ، تستمد منهما بقاءها فى التربية ودرء العوادى ، حتى تكتمل وتتحصن وتندمج فى تيار الحياة العاملة ، ولن يتهيأ ذلك على وجهه اذا ما شهر هذا السيف الظلوم ، فقطع هذا الرباط الحقيق بالوثاقة والتمتين . ليس الأمر فى الطلاق ــ اذن ــ أمر شركة قامت ثم انفضت ، ولا أمر « ثوب » لبس ثم خلع ، كما يعبر الغشمة الجاهلون . ولكنه من جهة المرأة ضربة قاسية تصيب سمعتها ، وتصرف عنها كل راغب ، وتصد كل خاطب ، وتطلق ألسنة الناس فيها بالحق أحيانا وبالباطل ، ويكون شبحها شبح الفشل والخيبة وسوء الطالع . فاذا ما كان بين الزوجين اولاد فأولئك هم الايتام حقا ، اذ يفقدون حنو الأب وحنو الناس معا . وجدير بمن قسا عليه قلب أبيه فشرده شر مشرد ، أن تغلظ عليه أكباد الناس ، ولا يجد منهم نصرة ولا عطفا . فاذا انشقت كبد على مظلوم فعلى هؤلاء فلتنشق الالاكباد .

رقة المسيح

ومن هنا جعل المسيح ــ عليه السلام ــ أمر الطلاق قسوة وفظاظة . جاءت اليه طائفة من اليهود يسألونه فى أمر الطلاق فسألهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : أذن أن يكتب كتاب طلاق فنطلق. فقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية .



بالحرام

لفضيلة الشيخ : كامل شاهين
المفتش بالازهر

من ابشع الكلمات وادلها على بلادة الحس ونضوب الضمير

نعم . فليس شك أن قلبا رقيقا لا يقدم على الطلاق ، ولقد كان المسيح يرمي الى تكوين أمة مهذبة متسامحة لينة ، رحيمة ، فحرم فى شريعته الطلاق .(١)

الاسلام دين الفطرة

ولكن البشر بشر ، فيهم الشر والخير ، وتتجاذبهم النوازع المختلفة ، وتنتابهم الشكاسة والعناد ، فلم يكن عمليا أن يقف الناس عند حدود الكمال لا يتخطونها . نعم ان قوة الروح وصفاء النفس ، يبعثان على السمو والتهذيب ، ويمنعان من السقوط والتدلى ، ولكن أنى لكل للناس قوة الروح وصفاء النفس .. لذلك جاء الاسلام محلا للطلاق آذنا فيه ، لا لأنه أمر مقبول فهو معيف خبيث ــ ولكن لانه ضرورة قد تلجىء اليها ظروف **الحياة** .

فقد تختلف طباع الزوجين وميولهما الى حد أن يبرم كل منهما بالآخر ، ويضيق به ، ويود لو انخلع منه بخلع الروح ، وقد تكون الزوجة أشدهما ضيقا ، وأكثرهما فى التخلص رغبة هنالك فليشرع الطلاق ، لانه مصلحة الطرفين ورغبة الزوجين .

خطورة سد المنافذ

فاذا بلغ الشقاق بين الزوجين حدا يجعل حياتهما علقما مسموما ، ثم نظرا فوجدا أنه لا سبيل لهما الى الخلاص ، فان أقرب ما يفكران فيه هو الجريمة .. جريمة القتل . والاسلام حريص على أن يجعل حياة الناس أقرب الى الصفاء والوئام والتراحم ، حريص كذلك على ألا يغلق بابا من الشر ليفتح بابا آخر أكثر اتساعا ، وأشد نكرا . فلقد نعلم ان

---

(١) **المذهب الكاثوليكى** يحرم الطلاق تحريما باتا ، **والكنيسة الرومية** لا تبيح الطلاق الا فى حالة الخيانة الزوجية وتحرم على من ارتكب هذا الجرم من الزوجين أن يتزوج بعد ذلك .

والمذهب البروتستنتى يبيح الطلاق فى حالات محدودة من أهمها الخيانة الزوجية وورد فى انجيل مرقص اصحاح عشرة آيتى ٨ ، ٩ (يصبح الزوجان بعد الزواج جسما واحدا فلا يعودان بعد ذلك اثنين ، بل هما جسم واحد . فالذى جمعه اللـه لا يفرقه الانسان .) .... وجاء الاسلام بعد ذلك ليضع الحل الوسط (وكذلك جعلناكم وسطا) . ــ الوعى ــ

جريمة قتل الازواج فى الولايات المتحدة كانت منتشرة الى أبعد مدى ، وبلغ الاحتيال على ذلك والافتنان فيه حدا عجيبا ، فلما شرع الطلاق فيها خفت هذه الحدة ، وكادت تختفى الجرائم من هذا النوع . وأى حياة هذه التى تقوم على المشاحنة والختل والمكر ، وانتهاز الفرص لازهاق الروح ؟ !

الاذن فى الطلاق

أذن الاسلام فى الطلاق ولكنه لم يطلق هذا الاذن حتى قرنه بالتبغيض والاستكراه فقال صلوات الله وسلامه عليه « أبغض الحلال الى الله الطلاق » . وفى التوجيهات الاسلامية ما يؤذن ببذل الجهود للتوفيق والاصلاح . فنفورا من الطلاق جعل للرجل حق القوامة على المرأة حتى تنحسم مادة الخلاف ، وحتى يتحمل وحده تبعة ما يجر اليه تصرفه من نتائج ، فتنجو المرأة من اللوم والاذى والمضرة .

ونفورا من الطلاق جعل للرجل حق « التنفيس » عن نفسه اذا ما أدرك المرأة شىء من الرعونة والطيش ، فوجهه الى نصحها ، وأذن له فى هجراتها ، واستكره منه ضربها ، وجعله نوعا من قلة الحياء ، فذلك قوله صلى الله عليه وسلم « يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبيد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحى » وجعل الضارب شريرا فذلك قوله صلوات الله عليه « اضربوهن ولا يضرب الا شراركم » ومهما يكن من أمر الضرب ، فينبغي أن يكون بعيدا عن البغي والعدوان ، وأن يكون مقترنا بالرفق قريبا من حدود المداعبة .

ونفورا من الطلاق وجه الى اتخاذ حكمين أحدهما من جانب الزوجة ، والآخر من جانب الزوج ليكونا فى حال نفسية هادئة ، قادرة على علاج شؤون الزوجين ، بمنآة من الغضب والحدة والتوتر . فالقرآن الكريم فى ذلك كله حريص على بقاء عرى الزوجية ، حريص على الا تبت حبالها لاختلاف الرأيين ، ونزوع كل منهما الى رأيه ، واصراره عليه .

فاذا ما عز التوفيق فليكن الفراق . . . والفراق حينئذ رحمة جليلة . فليس أشق على النفس من أن تلزم بما تكره . والناس انما يتزاوجون ليكون بينهم مودة ورحمة لاجفوة وقسوة . والمنازعات الزوجية جناية من أكبر الجنايات على الاولاد ، بما تورثهم اياه من الانزواء ، واكتساب شخصية باطنية مظلمة ، وايثار الكذب والمكر ، وبما يخلفه فيهم من العقد النفسية التى تعرقل سبيلهم فى الحياة ، فالفراق أعدل ، وأهدى سبيلا ، وأسلم مغبة .

حماية الزوجة

واذ شرع الاسلام الطلاق ، حاط الزوجة بضروب من الحماية هي أقصى ما يمكن أن يفرض ، فألزم الرجل أن يؤدى لها باقى حقها من الصداق ، وأوجب عليه أن يتحرى الوقت المناسب للطلاق ، بحيث تشرع فى عدتها بمجرد التطليق « اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » . وأمره ألا يزعجها عن مسكنها . « لا تخرجوهن من بيوتهن » . وحبب اليه أن يمتعها فيعطيها تعويضا ماليا مناسبا . وألزمه أن ينفق عليها طوال العدة ، وأذن لها بعد العدة أن تتزوج بغيره مهما علا مقامه ، كل هذا تضييق وكبح لاستخفاف الرجل بأمر الزوجية ، وتوجيه الى علاج المشاكل ، وعدم اللجوء الى الطلاق الا اذا ضاقت الحيل وعزت الحلول .. وكان الاسلام بهذا الاحسان الذى يحيط به الطلاق ، يرمي الى الابقاء على علائق المودة والرحمة حتى بعد الطلاق ، فندب الى أن يكون الطلاق — على نكارته — رقيقا مشوبا بما يحد من ثقله حتى اذا هدأت الثائرة ، وخمدت النزوات ، وذاق الطرفان لذع الفراق ، وعرفا مرارة الشتات وذكرا الليالي الاوانس والايام البواسم هاجمهما الحنين ،

فتلاقيا على مودة أصفى، وتماسك أوثق، بعد أن محصتهما التجربة وهيأت حياتهما للاستقرار .

الطلاق بيد المرأة أيضا

وقد يبدو أن الاسلام لم يرع حق المرأة حين جعل عقدة النكاح بيد الرجل ... وما ينبغي للاسلام أن تتضارب نظراته فيحتفي بالمرأة حتى يجعل طلاقها حلالا أشبه بالحرام ثم يجعل الرجل مستأثرا بحق فك هذا الميثاق الغليظ . فالواقع أنه — عند الاطلاق — قد جعل هذا الحق بيد الرجل قصدا الى تكريم المرأة والعلو بها ، فان امساك الرجل لها معناه الاعتزاز بها ، وأنه يؤثر بقاءها ، فتتوفر بذلك كرامتها .

ولو أن حق الطلاق بيد المرأة ما تحقق لها معنى الكرامة بامساكها للرجل ، اذ تبدو طالبة لا مطلوبة ، راغبة لا مرغوبا فيها . ولقد أعرف زوجات أبين على أزواجهن أن تجعل العصمة بأيديهن ، اذ أدركن فى ذلك معنى الزهادة فيهن .

ولا يخلو جعل هذا الحق للرجل من لفتة الى أن الرجل أضبط لعواطفه وأعرف بمصالح الاسرة بحكم اتصاله بالمجتمع ، واندماجه فى المضطرب الحيوى . فاما المرأة فسريعة الاستجابة لعواطفها ، قليلة التقدير لمصالح الاسرة ، وحكمنا هذا على الكثرة التى هي مناط التشريع .

على أنا نظلم الاسلام بين الظلم اذا ادعينا أنه جعل الطلاق حقا للرجل دون المرأة . فقد قرر أن للمرأة أن تشترط فى العقد ، ان تكون عقدة الزوجية بيدها أيضا ، أو بيدها دون زوجها . وانما ينبغي أن تجنح لذلك اذا عرف الرجل بالشذوذ والحدة وسوء السيرة ، ثم زوج الى امرأة عاقلة حكيمة مصونة ، فهي حينئذ أقدر على تعقل الأمور ، وأعرف بتدبير المصالح .

وأبعد من هذا انصافا للمرأة — أن الاسلام سوغ لها أن تشترط على زوجها تعويضا ماليا معينا اذا ما خشيت أن يطلقها أو يتزوج عليها . فاذا لم يلتفت الآباء ، ولم تلتفت النساء الى هذه الحقوق فليس ذلك عيب الاسلام ، وانما هى الغفلة عن مزايا هذا الدين ، والجهل بمراميه فى اسعاد البشرية .

كلمة صريحة

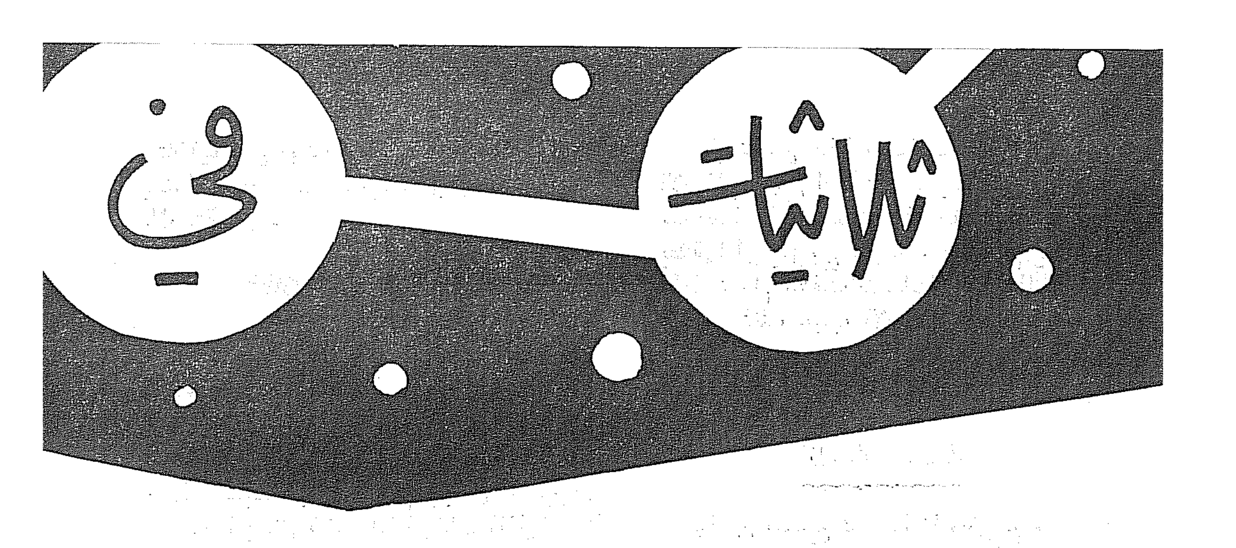
ونحن ننصح لسيداتنا الكرائم :

١ — أن يذكرن أن الطلاق معناه الحرية ، ففيه معنى الاطلاق . وان الزواج معناه الارتهان ففيه معنى الاسر، فلا بد لكل من الزوجين — وبخاصة المرأة — أن يروض على النزول عن كثير من حريته ، فى سبيل استدامة العلاقة التى تستهدف رعاية نشء يكون مددا لحياتهما ، ومحطا لآمالهما .

٢ — أن يدرسن حقوقهن فى وعي ويقظة ، وأن يعالجن مشاكلهن على أساس من هدى الدين ، وسيجدن فيه ان شاء الله — متى خلصت النوايا ، واطمأنت القلوب — حلا لكل مشكل ، وتفريجا لكل أزمة .

٣ — ألا يبادرن باتهام الفقهاء الاقدمين، والعلماء المقتفين لآثارهم ، فان يكن هناك زلل ، فما هو من قصدهم ، وانما هو أثر اختلاف الزمن وتبدل العوائد ، وألا يطمعن فى تعطيل النصوص — نصوص القرآن الكريم ، فتلك الكارثة التي تخرج المرأة من ايمانها ، وتفسق بها عن دينها .

٤ — أن يطمئن الى أن الله — تعالت عدالته — لا يحابي جنسا ، ولا يقر ظلما ولا هضما ... فليتخذن من القرآن نورا يهتدين به ، ومن أحكامه حصنا يأوين اليه ، فذلك خير من الولولة وشد الشعور.. وليثقن أن سبيله هو السبيل الاهدى ، وحكمه هو الحكم الاقوم ، وان رغمت أنوف ، وشقت مرائر .



جلَّ شأنُ اللهِ خلاقُ البرايا
خلق الدودةَ في البحر وفي الأرضِ المطايَا
وعلى الماء جرت فلكٌ كأمثالِ السَّرايا

★★★

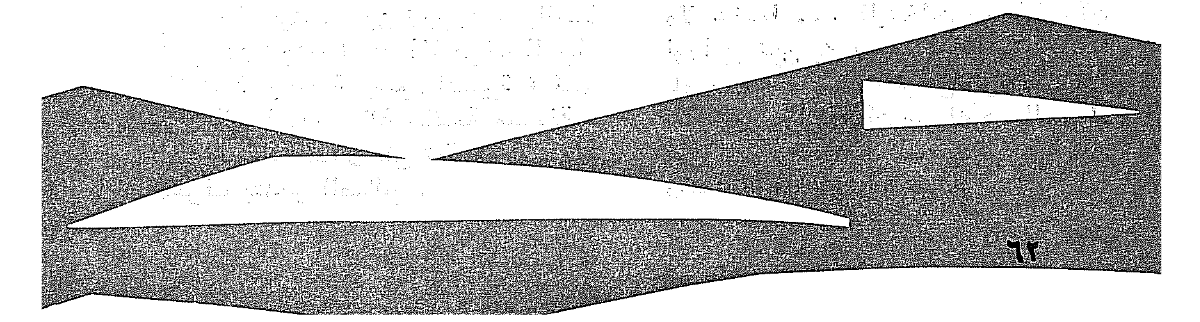
أفسحب فوق سحب ينزل الماءُ الفراتْ
فتعيشُ الأرضُ منه ثم يخضرُّ النباتْ
فلماذا هذه الحرب التى تفنى الكُمَاة

★★★

ينزلُ المولودُ طفلاً لا يعى سرَّ الوجودْ
ثم يحبو ثم يكبُرُ والى الشَّدْيِ يَعُود
وإذا بالعام يمضى فإذا الطفلُ رشِيدْ

★★★

من أنارَ البدر ليلاً فإذا الليل مُنِيرْ
ونجومٌ تتعالى ونجومٌ تَسْتَدِيرْ





للاستاذ جاسم عبد الرحمن
وزارة العدل ـ الكويت

وشُعاعُ الليلِ يخبو وشعاعُ الصبحِ نُور

★ ★ ★

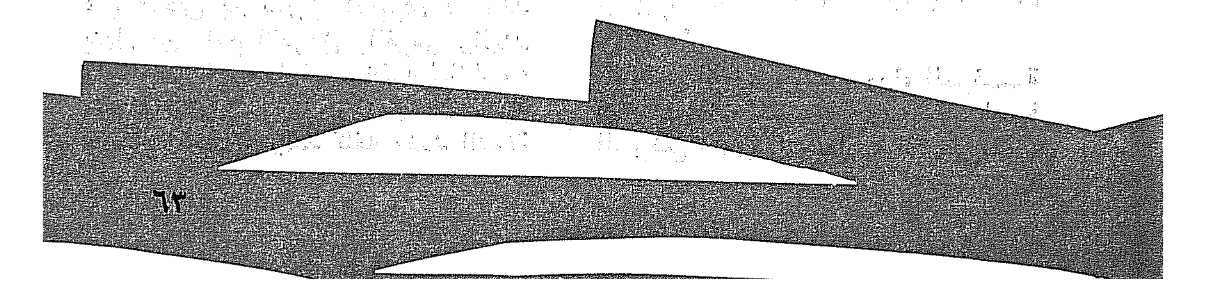
هذه الأرضُ جميعاً من بحارٍ وجبال
ووهادٍ ونجاد وسهول وتِلال
كلُّها صيغتْ بأيام وسبعٍ من ليَالى

★ ★ ★

ياحكيماً حكّم العقلَ ودَعْ عنك الظُّنُون
فحياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ يُنْشَرُون
والى جنةِ عدنٍ أو جحيم يسعَرُون

★ ★ ★

ياكريمَ الجودِ عفواً إن ذنبي لَعظيم
وخطايايَ كرَمْلٍ وحياتى كالهشيم
وعلى دربِك سِرْنَا إنَّهُ الحقُّ القويم



من اعلام الطب في الإسلام

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

الطبيب الانساني ، وحيد زمانه ، وفريد عصره فى علمه واتساع أفقه . عرف واجبه حق المعرفة ، فوقف بجانب سرير المريض واخذ يراقب ويفكر ، ويبحث ويستقصي ويجرى التجارب ، ويمعن النظر فى كل شيء فاخلص لرسالة الطب وقدسها ، وسما بها الى المكانة التي تليق بها ، فاستحق ان يكون فخر المسلمين ، بما الف فى الطب وفروعه المختلفة وبما قدم للعلم من موسوعات نادرة فى الطب والمنطق والهندسة والفلسفة وغيرها .

ولد الرازى وشب « بالرى » في خراسان ، فى اواسط القرن التاسع الميلادى ، وكان طويل القامة اشقر الشعر ، وتعلم الموسيقى ، وكان يضرب على العود ، ويغني ، ولكنه ضاق ذرعا بالفراغ الذى كان يعانيه ، ونزع عن الغناء وقال « كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف » ثم انطلق الى بغداد كعبة العلم والعلماء لا فى الشرق وحده ، بل فى العالم اجمع آنذاك . وهناك تتلمذ على « على بن سهيل الطبرى » واخذ ينهل من علوم الاغريق والفرس والهند واستوعب كل معارف سالفيه فى الطب ، وساغها ، ثم زاد عليها ، وقدمها للانسانية احسن تقديم . ولقد كلفه عضد الدولة واستشاره فى بناء المستشفى (البيمارستان) وفى أحسن موضع يكون فيه فامر بعض الغلمان ان يعلق شقة لحم فى كل ناحية من بغداد ، ثم اشار بان يبنى المستشفى فى الناحية التي ظل بها اللحم بغير فساد أطول وقت ممكن .

ولقد اختير من بين مائة طبيب مشهور فى ذلك الوقت ليكون رئيسا للاطباء فى المستشفى الكبير ، وتفتحت امامه ابواب قصور الخليفة ليعمل بها كطبيب خاص . وما لبث ان ذاع صيته فى أرجاء الامبراطورية العربية ، فاخذ طلاب العلم يفدون عليه يرتشفون من علمه الزاخر ، فتعلموا منه فنون المعالجة والكشف ، ولقد كان اول من اهتم الاهتمام البالغ بفحص المريض وملاحظته عمليا وهو ما يسمى بالفحص السريرى ، واصبح الرازى حجة فى الطب ، وتتلمذ عليه الكثير . وكان المرجع للحالات المستعصية . وكان مع ذلك كريما بارا بالناس يعطف على الفقراء ، يمرضهم ، بل ويجرى عليهم « الجرايات » أى العطايا .

وكان الرازى يسعى وراء المعرفة فى صفحات الكتب ، وبجانب اسرة المرضى ، وفى التجارب الكيماوية ،



للدكتور محمد أبو شوك
رئيس الوحدة الباطنية ــ المستشفى الاميري
الكويت

والتجارب على الحيوانات ، ثم انه كان يزرع الفضيلة ، وحسن الاخلاق فى تلاميذه ، رافعا من قدسية المهنة الطبية، منقيا لها من اساليب الدجل والشعوذة ، التي انتشرت فى ذلك **العهد ، حتى اجمع المستشرقون بتاريخ الطب على ان الرازى اعظم طبيب انجبته النهضة الاسلامية بلا استثناء ، بل لقد وضعه بعضهم على قدم المساواة مع ابقراط .**

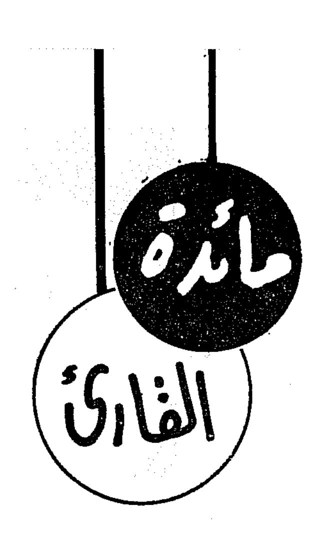
واذا استعرضنا بعض القصص فى حياة الطبيب العربي فانه يتضح لنا مدى تفهمه واستقصائه لاحوال المرضى واستعراضه للتجارب المختلفة ، واستنتاجاته لما يرى ، ورغم قصور الآلات والادوات الطبية ــ فانه توصل بعقله فى ذلك الوقت، الى ما يقرب مما يدور فى عالم الطب الآن ، رغم الاستعدادات الشاسعة ، والتقدم الكبير فى مضمار الطب الحديث . ولقد تداول الناس فيما بينهم حتى بعد ٢٠٠ سنة من وفاته القصة الآتية :ــ

أتى شاب يوما الى الرازى يشكو من انه يقذف دما من فيه ، فعاينه الرازى بهدوء كبير ، ولم يمكنه ان يعثر عن سبب ظاهر لهذه الحالة . فطلب من الشاب ان يصبر ، حتى يتوصل الى تشخيص مرضه ، فصاح الشاب وبكى ، وقال : « اذا كان امير اطباء العالم عاجزا عن معرفة ما بي فقل علي السلام » . ثم اخذ الرازى يبحث عن سبب لمرضه ، ثم سأله اى ماء شربت فى رحلتك ؟ فأجاب الفتى : « لقد شربت هنا وهناك من ماء الآبار والمستنقعات » فقال له : « لا ريب انك ابتلعت علقة دموية فارجع لي غداً ، حتى اجرى لك العلاج الخاص على أن تصدر امرا لخدمك أن ينفذوا تعليماتي » . وفى اليوم التالي اتى خدم الشاب بكمية من الطحلب ، فأشار الرازى على المريض ان يتناولها ، واخذ يأكلها حتى انه لم يتمكن من أكل أكثر مما أكل ، فاخذ الرازى يدس الطحلب فى فيه الى ان تقايأ فخرجت مع القيء علقة دموية وبرىء من مرضه . وانطلق يذيع على الملأ معجزة « أمير الاطباء» وابو قراط العرب .

وكان الرازى يجرب كل العقاقير الجديدة قبل ان يصفها لمرضاه ، ويدرس تأثيرها على الحيوانات ، ويخلص الى نتائج علمية ، وذلك كما يفعله الاخصائيون فى علم العقاقير ، وما يفعله الاطباء فى وقتنا الحاضر .

وقد حدث مرة ان اعطى قردا جرعة

البقية على ص ٦٨



عمر يتصدق بقميصه

قدم رجل من الأعراب على عمر ، ومعه صبية لـه وزوجته ، فقال يخاطبه ــ

يـا عمـر الخـير جـزيت الجنـة
أكسـن بنيـاتي وأمهنـه
أقسـمت باللـه لتفعلنـه

فقال عمر : فان لم أفعل يكون ماذا ؟
قال : اذا أبا حفص لأذهبنه .
قال : فاذا ذهبت يكون ماذا ؟
قال : يكون عن حالي لتسألنه .
قال عمر : متى ؟ قال

يـوم تكـون الأعطيـات جنـه
والواقـف المسـئول بينهنـه
امـا الـى نـار وامـا جنـه

فقال لغلامه :
يا غلام اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره .

حسن الحيلة

فاجأ الشرطي اثنين يصطادان الحيوان فى مكان محظور فيـه الصيد بدون تصريح ، فطلب منهما التصريح ، فأطلق أحدهما ساقيه للريح ، فجـرى خلفه الشرطي الى مسـافة بعيـدة وأمسك به ، فأخرج له الرخصة فقال الشرطي وما سبب هروبك اذا ؟ فأجـاب لأن صـديقي ليست معه رخصة .

خطبة لم تتم

خطب أعرابي الى قوم ، فقالوا ما تبذل من الصـداق ؟ وارتفـع الستر فرأى وجه مخطوبته فكرهه ، فقال ــ والله ما عندى نقد ، واني لاكره ان يكون علي دين وانصرف .

آية جمعت ما فى الكتب السماوية

روى اسلم قـال بينما عمـر قائـم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذا برجل من دهاقين الروم قائم على راسه يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فقـال له عمر ما شأنك ؟ قال الرجل أسلمت لله ، فقال عمر هل لذلك سبب ؟ قال نعم ، لقد قرأت التوراة والزبور والانجيل ، ثم سمعت أسيرا يتلو هـذه الآية « ومن يطع الله ، بأداء فرائضه ، ورسوله ، بأداء السنن ، ويخش الله ، فيما مضى من عمره ، ويتقه فيما بقي منه ، فأولئـك هـم الفائزون » والفائز من نجا من النار وادخـل الجنـة ، فقد جمعت الآية ما قرأت فى الكتب السماوية .

فقال عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « اوتيت جوامع الكلم » .

■ ■ ■

القاضي للمتهم . كيف تخون الذين يأتمنونك .
المتهم . لأن الـذين لا يأتمنونني لا يمكن خيانتهم .

موسى بن عمران

ادعى رجل النبوة ، وادعى انه موسى ابن عمران ، فبلغ خبره الخليفة،فأحضره وقال له من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم ، قال : وهذه عصاك التي صارت ثعبانا ؟ قال نعم . قال : فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاي ثعبانا كما فعل موسى .

خليفة حذر

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة ، فقال لأصحابه . اذا شئتم ، فقاموا ، فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له اياك أن تمدحني فاني أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى الي بأحد ، وان شئت أقلتك ، قال أقلني .

الصراط المستقيم

ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعرجوا ، فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله تعالى ، والأبواب محارم الله ، والداعي القرآن . (حديث شريف)

الله اكبر

الله اكبر . بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف أيها المؤمن . ان كنت أصبت فى الساعات التى مضت ، فاجتهد للساعات التى تتلو ، وان كنت أخطأت فكفى ، وامح ساعة بساعة .. الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل كبير فى رحمة الله . (الرافعى)

زهد ابن الخطاب

أراد الصحابة أن يزيدوا فى راتب عمر بن الخطاب لما يعانيه من جهد العيش فقال لهم .

انما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا ، فمضى الاول بسبيله ، وقد تزود ، فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر (يقصد أبا بكر) فسلك سبيله ، فأفضى اليه ، ثم اتبعهما الثالث (يقصد نفسه) فان لزم طريقهما ، ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقا غير طريقهما لم يلقهما .

أوضاع مقلوبة

على الصبى اذا بلغ الثالثة عشرة من عمره أن يضع نقابا على وجهه لا يرفعه الا عند تناول الطعام ، أما نساء قبائل الطوارق فى شمال افريقيا فيسرن سافرات على عكس الرجال .

الشريك المغفل

كان فقيرا وأصبح ثريا فسأله صديقه ؟ كيف أصبحت لديك كل هذه الثروة ؟
ـ شاركت أحد الأغنياء . هو بالمال وأنا بالخبرة .
ـ ثم ماذا ؟
ـ أصبح لدى المال ولديه الخبرة .

راكب القطار

طلب مفتش القطار من الراكب تذكرته ، فبحث عنها فلم يجدها ، فانصرف المفتش بلطف وطمأنه الراكب ، ولكنه ظل يبحث عنها فقال له المفتش لا داعى لهذا فقال الراكب . انا أبحث عن التذكرة لاعرف الى أين أذهب .

لبس السواد

سأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد ، فقال لا أحرمه،ولكني أكرهه ، قال ولم ؟ قال : لأنه لا تجلس فيه عروس ، ولا يلبى فيه محرم ، ولا يكفن فيه ميت .

من الزئبق فأخذ القرد يحرك نفسه يمنة ويسرة ، ويضع يده على خاصرته من شدة الالم ، فاستنتج ان الزئبق يسبب آلاما حادة فى مكان الكلى والامعاء . ثم مشاهدة اخرى تدل على حكمة الرازى. فلقد كان عبد الله بن سوادة تعتريه حمى قوية كل سنة ، واحيانا كل يومين واحيانا أخرى كل اربعة ايام ، وكان يصحبها رجفة وتغير فى بوله ، فقال الرازى ان هذه الحالة تنتج عن حمى الملاريا ، او عن دمل فى كلوته . ثم وجد ان البول به صديد فرجح وجود الدمل بالكلية ووصف مدرا للبول حتى صفا البول من الصديد . ويقول الرازى فى ذلك : انه من واجبنا عدم اهمال أى شيء وبذل العناية القصوى فى البحث كما اراد الله . فاكرم بها من عبرة وموعظة لاطبائنا فى هذا العصر من الرازى الجليل.

وكان الرازى يحذر تلاميذه من تشخيص المرض من استعراض البول فقط ، كما كان متبعا عند الاغريق ، وكافح ــ بكل ما لديه ــ المشعوذين الذين كانوا يدعون قراءة ماضى المرضى وحاضرهم والتنبؤ بمستقبلهم كلما رأوا انبوبة البول . وكانوا يعرفون ذلك بارسال جواسيس لهم ليكتشفوا اخبار مرضاهم البسطاء ، ويعرفوا اسرار حياتهم ، حتى اذا ما جاء هؤلاء اليهم عرفوهم عن كل شيء . واخذ اهل الدجل يسردون لهم كل هذا بنظرة الى بولهم ، قائلين لهم ان البول يفضح السر، وبانهم اهل خبرة فى علم الطب . فيقع هذا فى روع العامة ، ويصدقون ما يقولونه لهم . وما اشبه ما قاسى الرازى فى ايامه بما نقاسيه نحن الاطباء فى ايامنا هذه ، من اهل الدجل والشعوذة وادعياء الطب .

بما قاله ابوقراط الذى عرف الطب بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة ، ويبتعد عن معالجة الاشخاص الذين لا امل فى شفائهم ، اذ ان المرء يعلم ان من الطب ما لا نفع له فى هذا الميدان .

سبق انساني

بل لقد ذهب الرازى الى سبق انساني كبير حينما طالب الطبيب ان يوهم مريضه الذى لا امل فى شفائه بالصحة ويرجيه بها ، وان لم يثق هو بذلك معتقدا ان مزاج الجسم تابع للحالة النفسية . واذا قارنا هذا الموقف النبيل لفخر العرب بما كان يصنعه اطباء العرب فى هذه الحقبة من الزمن لرأينا العجب. فقد كانوا يعتقدون بان المرض المستعصي ما هو الا لعنة من السماء حلت بصاحبها عقابا له على اثم ارتكبه ، او ان شيطانا دخل جسمه فكان مثل هؤلاء المرضى يوضعون فى سجون مظلمة ، وتقيد ايديهم وارجلهم ، ويعزلون عن العالم وعن اهلهم فى « المستشفى السجن » او « البيت العجيب » او « برج المجانين » او « القفص العجيب » كما سموها فى تلك الايام . ويقوم على هؤلاء المرضى المساكين رجال اشداء ، غلاظ الاكباد ، لا يعرفون الا السياط للتفاهم مع هؤلاء المرضى .

وبعد الرازى بسبعة قرون او اكثر تجرأت انجلترا فى فك سجن هؤلاء المرضى ، وبعدها بقرن تبعتها فرنسا بتحرير المرضى السجناء وتسليمهم الى الاطباء . وهكذا سبق الرازى الغرب بقرون فى معاملة مرضاه المعاملة الحسنة واستحق لقب الطبيب الانساني كبير القلب .

كان الرازى اول من فكر فى معالجة المرضى الميئوس من شفائهم ، واهتم بهم كل الاهتمام ضاربا عرض الحائط

والرازى اهتم كثيرا بعوامل الحرارة والرياح والرطوبة وانارة البيوت ونقاء هوائها ونظافة مائها ، وبامكانيات الاغتسال الذى كانت ترى اوروبا فيه

ـ في العصور الوسطى ـ انمأى اثم، وعارا اى عار ، فحرمته كما حرمت الحركات الجسدية وممارسة الرياضة البدنية . وكان حريصا دائما على انزال المرضي فى انسب الامكنة موقعا وهواء وصحة ونظافة ، ويشدد على اتباع النظافة وتغيير هواء الغرف بشكل متواصل .

كتاب ((الحاوى))

واذا ما تطرقنا الى ما الف الرازى لوجدنا الشيء الكثير . فلقد جمعت الاوراق التى كان يكتبها عن الامراض المختلفة والمرضى الذين كانوا يزورونه ، وجمعت كل هذه فى كتاب خرج الى النور وسمى باسم « الحاوى » ويقع فى ثلاثين جزءا ، جمعت كل المعارف التي توصل اليها العقل البشرى منذ ايام ابوقراط الى ايام الرازى . وكان « الحاوى » عمدة الاطباء فى النقل منه ، والرجوع اليه ، عند الاختلافات . وظل المرجع الاساسي فى اوروبا لمدة تزيد عن ٤٠٠ عام دون ان يزاحمه مزاحم او يأخذ مكانه مؤلف . ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم،وبفضل صاحبه على الطب فاقاموا له نصبا فى ساحة القاعة الكبيرة فى مدرسة الطب لديهم ، ولقد ترجم الحاوى الى اللاتينية مرتين الأولى عام ١٤٥٢م والثانية عام١٤٨٦م.

وكذلك كتابه « المنصورى » وكتاب « برء الساعة » من اهم ما كتب وابدع ووصف رسالته الذائعة الصيت عن الجدرى والحصبة ، وظهرت باللاتينية فى فينيسيا عام ١٥٦٥ ، وترجمت مرة اخرى الى اللاتينية سنة ١٧٦٦ ، وترجمت الى الانجليزية ونشرت عام ١٨٤٨ ، وقد **وصفها المؤرخ الطبي المشهور ((بنوبرجر)) بأن هذه الرسالة تعد حلية جميلة فى جيد الطب العربي .** ولها اهمية عظمى فى تاريخ الامراض الوبائية ، لانها اول بحث سطر عن مرض الجدرى . ومن رسائله المشهورة مقالة فى حصى الكلى والمثانة . وقد ترجمت الى الفرنسية ، ونشرت بليون عام ١٨٩٦ على يد المستشرق Dehoning

ويعد الرازى اول من ابتكر خيوط الجراحة ، واول من عمل مراهم الزئبق، واكتشف الكحول ، وغير ذلك الكثير مما يعجز القلم عن وصفه .

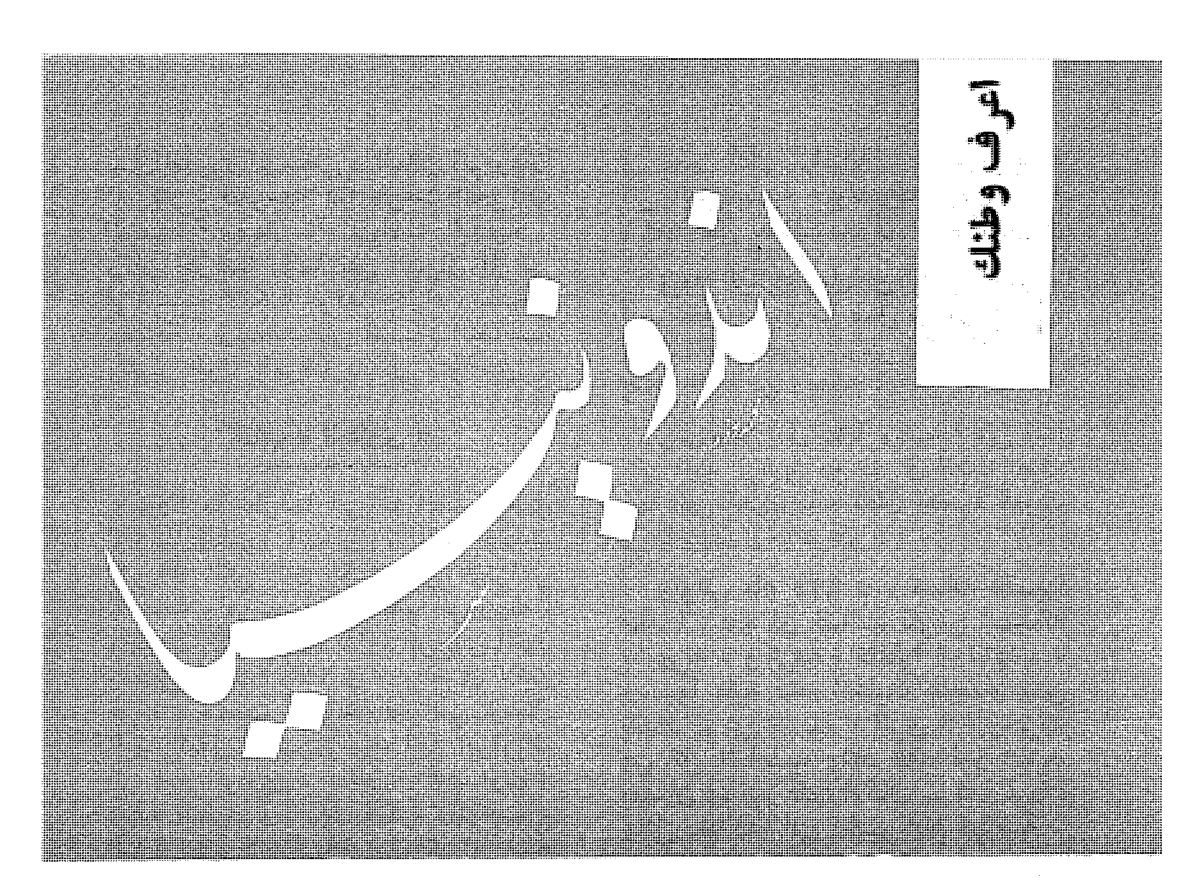
وكل هذا يدل دلالة واضحة على ما كان عليه الرازى من علم فى الطب تفوق فيه على اهل زمانه فكان مفخرة للعرب فى ماضيهم وحاضرهم .

وتوفي عام ٩٢٥ م . مات فقيرا معدما ، بعد أن ضاقت نفوس أعدائه بشهرته ، وبكرمه ، فلفقوا له التهم ، ودسوا عليه عند الخليفة فابعده عن بغداد ثم عن مدينة ((الرى)) ، وحرمه من كل المناصب ولقد فقد نور عينيه بعد أن عم نور علمه الآفاق شرقا وغربا ، وظل عالما فذا الى آخر ايام حياته .

جاء طبيب ليجرى له عملية جراحية فى عينيه ليرى النور من جديد ، ولكنه سأل الطبيب قبل أن يباشر عمله عن عدد طبقات انسجة العين . فاضطرب وسكت، عندئذ قال الرازى ((ان من يجهل جواب هذا السؤال عليه ان لا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عيني)) . ورغم الالحاح الشديد وكل المحاولات لاقناعه رفض العملية وقال : ((لقد شاهدت الكثير من هذا العالم وقد شبعت)) .

فالى كل عربي يفخر بعروبته ان يهتدى بهذا النبراس القوى فى عالم الطب . هذا الطبيب الذى عرف واجبه حق المعرفة وقدس رسالته كل التقديس فملأت قلبه ونفسه ، ومد يده الى الفقراء والمعوزين وقضى حياته يبحث ويدق ، ويعلم ويؤلف ، ويداوى مرضاه، فكان جديرا بتخليد اسمه وسيبقى اسم الرازى على مدى الايام علما خفاقا فى عالم الطب والانسانية .

رحمه الله . وطيب دائما ذكراه .



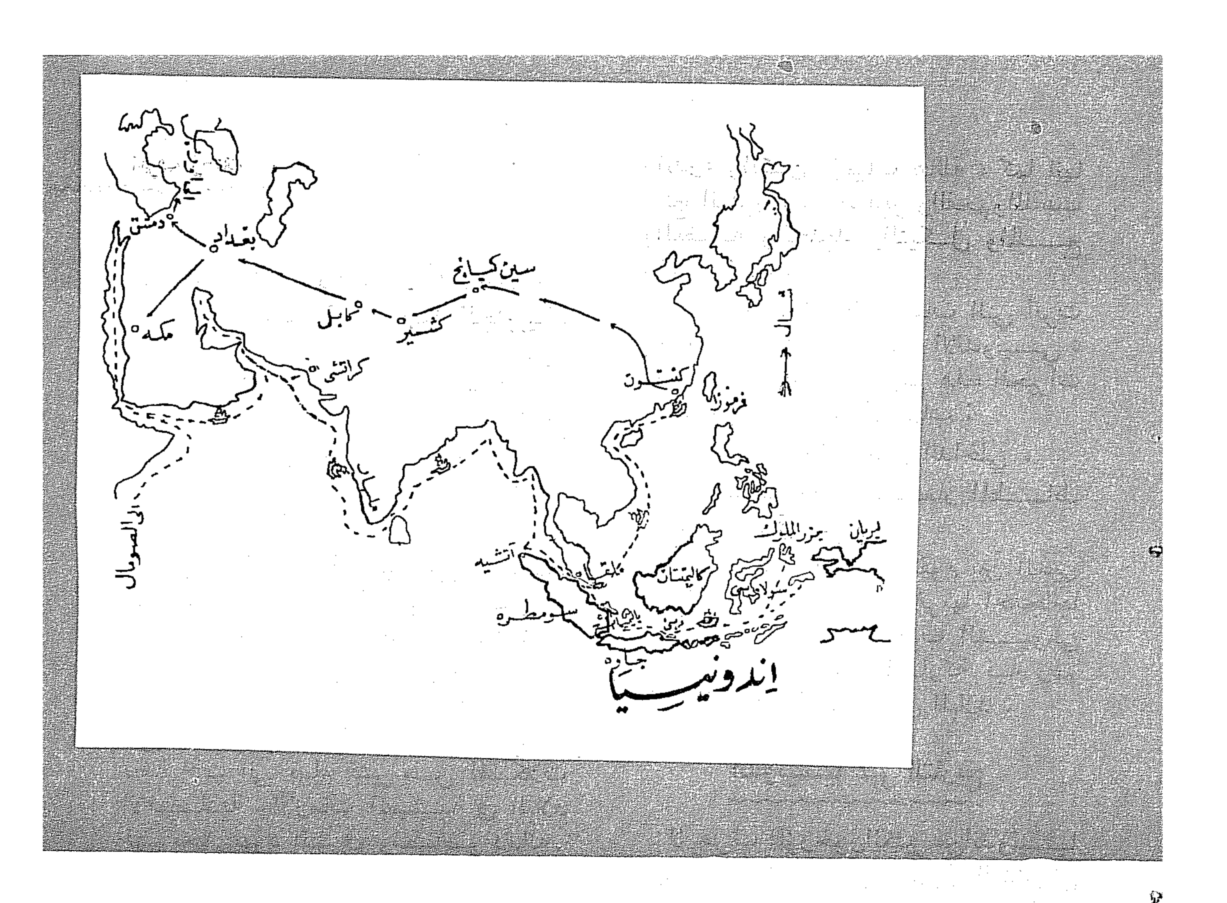
اعداد ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة

مقدمة :

كثر الحديث فى الآونة الاخيرة عن اندونيسيا ، فقد وقعت فيها سلسلة من الحوادث الدامية أعقبتها سلسلة من ردود الفعل العنيفة التى قد يكون لها أثر كبير ، ليس فى سياسة هذا القطر وحده بل فى سياسة جنوب شرقي آسيا والشرق الاقصى معا .

واندونيسيا التىنتحدث عنها اليوم بلد مسلمتربطنا به أمتنالروابط، وتشدنا اليه اقوى الصلات ، ولقد كانت قضايانا كفلسطين والجنوب والمغرب العربي ايام استعماره فى مقدمة القضايا التي كان الشعب الاندونيسى المسلم يدافع عنها ، ويبذل كل ما يستطيع من أجلها وفى سبيل تحريرها .

لهذا وجدنا من واجبناان نلقى بعض الضوء على هذه البلاد الاسلامية التي تنتشر جزرها فى المحيط الهادىء كالدر المنثور .



جغرافيتها

تتألف اندونيسيا من ارخبيل مترامى الاطراف يمتد من الشرق مسافة تساوى مسافة ما بين لندن والقاهرة ، ويضم هذا الارخبيل اكثر من ثلاثة الاف جزيرة متناثرة بين قارتي آسيا واستراليا .

واهم هذه الجزر هى : جاوه التي بها عاصمة البلاد ، فسومطره ، وكاليمنتان ، وبالي ، ولومبوك ، وسومبا ، وسومباوا ، وتيمور ، وجزر الملوك ، وايريان الغربية، (وسولاويسي) ... وغيرها .

وتبلغ مساحة اندونيسيا (٧٣٥٨٦٥) ميلا مربعا تقريبا ، وتعتبر اندونيسيا من المناطق المتصدعة التي لم تهدأ بعد ..

ويقول علماء الجغرافيا ان بها امكانيات ضخمة لاحتمال ظهور براكين جديدة .

ومناخ اندونيسيا معتدل دائم الامطار كثير الخصب تكاد الغابات الكثيفة والاراضي الصالحة للزراعة تغطي كل اراضيها .

السكان

يبلغ عدد سكان اندونيسيا حوالي المائة مليون من الناس ، واكثرهم فى جزيرتي جاوه التي يقطنها حوالي (٦٠) مليونا وسومطره التي يقطنها قرابة (١٥) مليونا وبقية السكان موزعون فى الجزر الاخرى .

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد اصل السكان ، فمنهم من زعم انهم ينتمون الى

اصل تتارى .. بينما زعم آخرون انهم قدموا من سيلان أو الهند الجنوبية ، وذكر آخرون انهم خليط من اصول مصرية وهندية وتتار وعرب وصين ... وليس هنا ما هو ثابت على وجه القطع والجزم ، وعلى أى حال فقد جمعتهم اليوم وحدة الدين الاسلامي الحنيف ووحدة الوطن .

وفى البلاد جالية عربية كبيرة معظمها قدم من حضرموت والجنوب العربي ، ولا زالوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم العربية ، واما الصينيون فيقدر عددهم بحوالي مليوني نسمة وهم المسيطرون على زمام التجارة والاقتصاد سيطرة تامة ادت الى قيام كثير من المشكلات الاقتصادية والازمات المعيشية فى البلاد فهم بحق يهود الشرق ومصاصو دمائه.

التقسيم الأدارى

تنقسم اندونيسيا الى عشرة أقاليم تعرف باسم (الولايات) وهي سومطره الشمالية سومطره الوسطى ، سومطره الجنوبية ، جاوه الغربية ، جاوه الوسطى ، جاوه الشرقية ، نوسانتغارا ، كاليمنتان ، سولا ويسي ، الملوك .. ثم أضيف اليها اخيرا ولاية ايريان الغربية بعد تحريرها من ايدى المستعمرين الهولنديين .

وتتبع اندونيسيا النظام المركزى فى حكمها مما يسبب لها بعض المشاكل والصعوبات فى حكم هذه المناطق المترامية .

الحالة الاقتصادية

تعتبر اندونيسيا من البلاد الغنية فى العالم ، فهى تنتج المطاط والشاى والبن والسكر والتوابل والتبغ وزيت جوز الهند والارز والخيزران والخشب والذرة والكنين بكميات هائلة ، كما انها تنتج البترول والقصدير والفحم والذهب والفضة والحديد والنيكل والملح وغيرها ...

وهناك بعض الاسباب التي أثرت تأثيرا سيئا على الاقتصاد الاندونيسي ، وسببت تدهور عملته رغم هذه الخيرات الوفيرة ، ومن هذه الاسباب :

١ : ــ عدم الاستقرار الداخلي .

٢ : ــ هبوط اسعار المطاط الاندونيسي فى العالم .

٣ : ــ الثورات التى تقوم بين الحين والآخر فى شرق البلاد وغربها احتجاجا على سماح الحكومة للحزب الشيوعي بالتقرب من الحكم والمشاركة فيه رغم غلبة الاحزاب الاسلامية فى البلاد .

اندونيسيا عبر التاريخ

لا يعرف المؤرخون الكثير عن أندونيسيا وعن حضارتها قبل الغزو الهندوكي الذى بدأ فى القرن الرابع الميلادى، وامتد نفوذه فيما بين القرن السابع والعاشر فى الوقت الذى بدأ الاسلام يسلط اضواءه على هذا الارخبيل، ولقد انتشرت الديانة البرهمية فى بعض انحاء اندونيسيا بعد الغزو الهندوكي ، ثم انتشرت بعض الوقت العقيدة البوذية القائمة على التقشف والبعد عن سنن الفطرة ، ومنذ بداية القرن السابع الميلادى كان بعض التجار العرب من الحضارمة وغيرهم يتوافدون الى تلك البلاد طلبا للتجارة والرزق .. وقد استطاع هؤلاء الحضارمة ان يندمجوا فى الشعب الاندونيسي اندماجا كاملا، واستطاعوا ايضا بما أوتوا من الجلد والصبر والذكاء والامانة فى المعاملة ان يفتحوا قلوب السكان للاسلام ، وهكذا دخل الاندونيسيون فى الاسلام افواجا أفواجا بما عرفت عنهم من بساطة فى العيش وطيبة فى القلب .

وتعتبر (ملقا) من اوائل المناطق التي بدأت منها جحافل الدعاة المسلمين بدك



اعضاء وفد دولة الكويت مع بعض الوفود الاسلامية فى مؤتمر باندونج

معاقل الكفر والالحاد والوثنية والهندوكية وقد سبب اقبال الاهالي على الدعــوة الاسلامية مجيء المزيد من الدعاة مــن اقطار اســلامية شتى كرســوا حياتهم لانقاذ سكان هذه الجزر النائيــة مــن دياجير الظلم والظلمات ، وكان فى طليعة هؤلاء الدعاة الشيخ سيدى عبد العزيز ولعله مــن الاندلس والشــيخ القاضي عبد الله اليماني .

ثم شق الاسلام طريقــه الى جزيرة (سومطره) حيث ان الصلات التجارية التي تربط هذه الجزيــرة مع (ملقــا) قوية متينة منذ اقدم العصور ، وكان ذلك ايضا على ايدى التجار والدعاة ، ومن أوائل هؤلاء الشيخ محمد العارف الذى لعب دورا خطيرا فى ارساء قواعد الدعوة الاسلامية بسومطرة ، ثم الشيخ محمد هلال من تونس ثم الشيخ عبدالله ابن محمد العباسي وغيرهم .

والملاحظ أن ســكان هــذه المناطق الساحلية مثل سومطره وملقا يمتازون عن غيرهم من سكان المناطق الداخليــة بمظاهر حياتهم الاسلامية وذلك لسبقهم الى الاسلام .

واما جزيرة جاوه المكتظة بالسكان ، فلم يصلها الاسلام الا فى القــرن الثاني عشر الميلادى ، حيث قام بالدعوة هناك امــير مــن مملكة (بجاجــاران) بجاوه الغربية اسمه الامير بورا ، وجاء بعــده مولانا (الملكابراهيم) ويعتبر هذا الرجل اعظم شخصية فىتاريخ الدعوة الاسلامية باندونيسيا كلها ، فكان عهده يعد بحق نهاية العهد الهندوكي البائد وبداية النور الذى تسلل مع خيوط فجره اول نواة لعصر من ازهى العصور التي عاشــتها اندونيسيا فى تلك القرون . والملــك ابراهيم هذا رجــل مــن المغرب او من حضرموت ، وأياما كان فقد دعا الناس الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، واستطاع بما أوتى من الدهاء والتخلق بالاخلاق الكريمة ان ينفــذ الى اعماق قلوب الاهالي ، بحيث لم تمض فترة الا

وقد اجتمع حوله رهط كبير من الانصار دخلوا جميعا فى دين الاسلام ، وقد اتخذ له من مدينة (غرسيء) مركزا لنشاطه ، وافتتح بها معهدا اسلاميا كان يعرف باسم معهد سيدا سريما ، كما اسس مسجدا ما زال حتى يومنا هذا .

ولقد ظل الاسلام العقيدة الراسخة فى قلوب المسلمين هناك على الرغم من محاولات التبشير الصليبي والاستعمار الهولندى والياباني المستمرة لصرف المسلمين عن دينهم .

وكان للاحزاب الاسلامية فى اندونيسيا دور كبير فى حرب التحرير وبث الوعي الاسلامي فى صفوف الجماهير والهاب حماس الشعب للجهاد ضد اعداء البلاد.
ومن اهم هذه الاحزاب الاسلامية : ــ

١ : ــ شركة اسلام : الذى اسسه الاستاذ الاكبر (عمر سعيد شكرو امينوتو) وهو اول حزب اسلامي فى اندونيسيا وقد تأسس عام ١٩١٠ .

٢ : ــ الجمعية المحمدية : اسسها (الحاج أحمد الدحلان) سنة ١٩١٢ .

٣ : ــ جمعية الارشاد : وقد اسسها (احمد السوركتى الانصارى) وهو سودانى الاصل سنة ١٩١٢ .

٤ : ــ جمعية نهضة العلماء : اسسها الشيخ هاشم الاشوى عام ١٩١٤ .

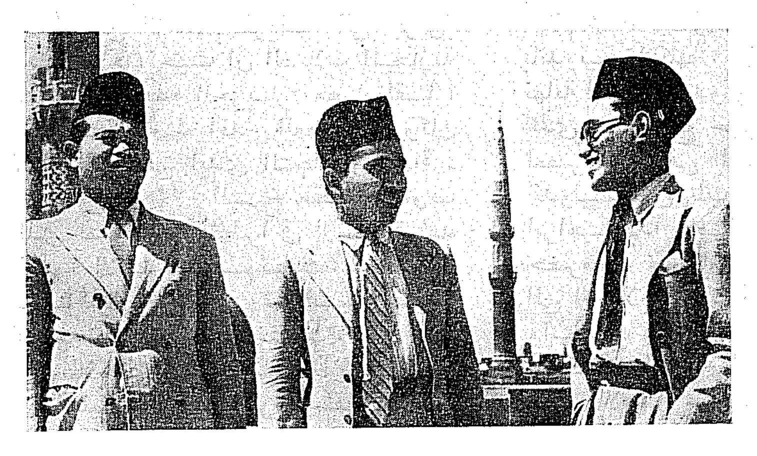
٥ : ــ جمعية وحدة العلماء : تأسست عام ١٩٣٠ .

وغير ذلك من الاحزاب الاسلامية وفى الفترة بين الحربين العالميتين تقاربت هذه الاحزاب الاسلامية وشكلت فيما بينها اتحادا باسم « المجلس الاسلامي الاعلى »، واشتغل المجلس بقضايا استقلال اندونيسيا وبقضايا العرب فى فلسطين وفى برقه وعمل على مقاطعة ايطاليا ، ثم جاء الاحتلال اليابانى ، فكان بلاء هان معه بلاء الاستعمار الهولندى .

... ولقد كان لليابان فضل واحد حيث دربت الناس هناك عسكريا ، والفوا منهم فرقا للدفاع الوطني أرادوا أن تكون عونا لهم على الحلفاء .. فكان منها العون على الاستقلال .

وفى ايام حكم اليابان اجتمعت الجمعيات والاحزاب الاسلامية وكونت (مجلس الشورى الاسلامي) وبعد الاستقلال تحول هذا المجلس الى حزب (ماشومي).

ويعتبر حزب ماشومى اكبر احزاب اندونيسيا واقواها ومعظم قياداته من الشباب المثقف خريجي الجامعات وقد انتخب الحزب لرياسته أول الامر (سوكيمانه) ورئيسه الحالي هو الاستاذ محمد ناصر، وهو رجل عالم فاضل متواضع زار البلاد العربية والاسلامية عدة مرات،



بعض الطلبة الاندونيسيين بالجامعة الازهرية .



اعضاء الوفد الكويتي مع الجنرال عبد الحارث فى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد بأندونيسيا فى أوائل هذا العام

وحضر المؤتمرات الاسلامية الشعبية التي عقدت فى مختلف البلاد الاسلامية ، ويقدر عدد المنتسبين الى هذا الحزب بأكثر من أحد عشر مليونا من الاعضاء ، وأهم مبادئه المطالبة بجعل القرآن دستورا لاندونيسيا وتحكيم الشريعة الاسلامية والعمل على الوحدة الاسلامية الكبرى .

وقد قاوم هذا الحزب الاسلامي الكبير الحزب الشيوعي الاندونيسي واصر على ابعاده عن الحكم فى جميع الاحوال التي اشترك فيها حزب ماشومى الاسلامي بالحكم ، غير ان الحكام جنحوا للتعاون مع الشيوعيين فى الفترة الأخيرة: واخذوا يضيقون على الاحزاب الاسلامية، وخاصة (ماشومى) الذى زج برئيسه وقادته فى السجن ، وبرز الشيوعيون الى الميدان مستغلين هذه الفرصة المناسبة التي ضربت فيها الحركة الاسلامية بأندونيسيا من قبل الحاكمين ، وصار الحزب الشيوعي الاندونيسي بدعم من الصين الشعبية يصول ويجول ويسيطر على النقابات والاتحادات والاندية والجمعيات ، ويفتعل الحوادث بين الحين والحين للوقيعة بين المسلمين وحكامهم .

ولكن رغم هذه الضراوة فى الحرب ظل المسلمون على اسلامهم ، وزادتهم المحنة صلابة وثباتا لان الاسلام لا يمكن باية حال ان يخضع للاستعمار ولا ان يذل للطغاة ولا يمكن ان يلقى السلاح مهما قدم من تضحيات ومهما تكالب عليه الاعداء من المستعمرين الصليبيين والملاحدة الشيوعيين والصهاينة الماسونيين .

ولنا فى الحوادث الاخيرة والانفجار العنيف وردود الفعل لدى مسلمي اندونيسيا ضد الشيوعيين اكبر عبرة وعظة .

ان طلائع الكتائب المؤمنة تتحرك اليوم فى كل مكان من العالم الاسلامي لتأخذ مكانها اللائق ، وان الايام القادمة ستكشف زيف كل الدعوات المستوردة والمبادىء الوافدة والحركات الهدامة .

والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الحلقة الثانية للبحوث القانونية والسياسية تجتمع في الكويت وتناقش :

١ : ــ فلسفة الفكرة الاتحادية
٢ : ــ التشريع وتحقيق العدالة الاجتماعية في العالم
٣ : ــ دور القضاء الادارى فى نشاط الجهاز الحكومي
٤ : ــ التشريعات العمالية فى العالم العربي
٥ : ــ الوضع القانوني للأنهار الدولية فى العالم العربي
٦ : ــ الملكية ووظيفتها الاجتماعية

يضطلع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة بعقد حلقات دراسية فى مختلف المجالات فى نطاق عربي شامل . وذلك لتحقيق التعاون والترابط الثقافي والعلمي والتشريعي فى جميع أنحاء الوطن العربي .

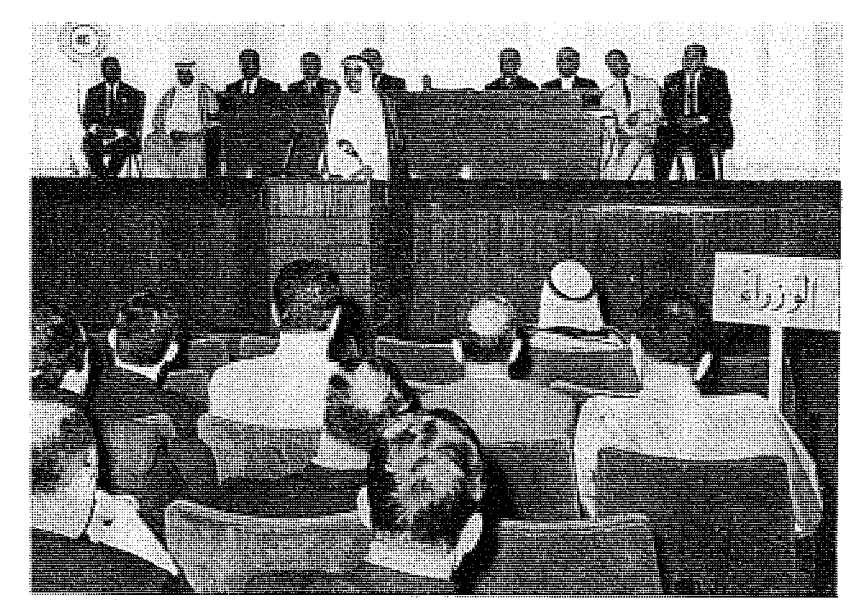
ومن اللجان التي انبثقت عن المجلس لجنة القانون والعلوم السياسية التي تستهدف العمل على توحيد أو تقريب النظم القانونية والمناهج السياسية فى الأقطار العربية : وقد نظمت هذه اللجنة سلسلة من الحلقات الدراسية انعقدت الحلقة الأولى منها فى القاهرة فى الفترة من ٢٣ ــ ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٦٠ .

الحلقة الثانية

وانعقدت الحلقة الثانية فى الكويت فى الفترة من ٢٤ ــ ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ واشترك فيها وفود الدول العربية : الكويت ، الجمهورية العربية المتحدة ، الأردن ، الجزائر ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، المملكة المغربية ، ممثلون لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفى حفل الافتتاح القى سعادة الشيخ خالد احمد الجسار وزير العدل فى الكويت كلمة مناسبة رحب فيها بالحاضرين وتمنى لهم التوفيق فى مهمتهم السامية ، وبعد أن ألقى رؤساء الوفود كلماتهم بدأت الحلقة أعمالها برئاسة سعادة عبد العزيز الصرعاوى وزير الشؤون الاجتماعية والعمل وانقسمت الى عدة لجان .

١ : ــ لجنة فلسفة الفكرة الاتحادية .
٢ : ــ لجنة التشريع وتحقيق العدالة الاجتماعية فى العالم العربي .
٣ : ــ لجنة دور القضاء الادارى فى نشاط الجهاز الحكومي .
٤ : ــ لجنة التشريعات العمالية فى العالم العربي .
٥ : ــ لجنة الوضع القانوني للأنهار الدولية فى العالم العربي .



سعادة الشيخ خالد أحمد الجسار يلقي كلمة الافتتاح .

٦ : ـ لجنة الملكية ووظيفتها الاجتماعية فى العالم العربي .

واتخذت كل لجنة من هذه اللجان توصيات هامة اذيعت فى ختام الحلقة . وقد القى سعادة رئيس الحلقة كلمة فى الحفل الختامي شكر فيها أعضاء اللجان على ما بذلوه من جهود ، وما حققوه من نجاح فى معالجة الموضوعات العلمية والقانونية التى تضمنها جدول أعمال الحلقة ، والتي تمس كياننا العربي مسا مباشرا فى وضعه الحاضر المتطلع الى التقدم وارساء دعائم الحق والعدالة وتكافؤ الفرص .

والوعي الاسلامي اذ تشيد بمثل هذه الاجتماعات والدراسات التي تزيد من تقارب الدول العربية وتخطو بها خطوات حثيثة نحو وحدتها المرجوة . ترجو أن تعنى الحكومات العربية عناية جدية بالتوصيات التي صدرت عن هذه الحلقة ..

ولا يفوتنا أن ننوه بالكلمة الطيبة التي ألقاها ممثل الكويت فى حفل الافتتاح فهي تعبر عن الخط المستقيم الذى ينبغى أن تسير عليه الدول الاسلامية من الاعتماد على التشريع الاسلامي فى جميع القوانين والأنظمة التي تسود هذه البلاد ، ونقتطف منها الفقرة التالية ـ

الهدف الثاني : الذى نتغياه من هذا اللقاء الكريم هو أن نربط هذه الدراسة المشتركة والبحوث المقارنة بواقع تراثنا الفقهي ونظمنا وعاداتنا ومقتضيات بيئتنا ، فتأتي التشريعات الموحدة المرجوة متجاوبة مع بيئتنا ، منبثقة من أفكارنا ومشاعرنا ومصالحنا ، وليس معنى ذلك ألا نفيد من تجارب غيرنا ، أو أن نغض النظر عما استحدثته الحضارات الأخرى من نظم وأفكار .

والهدف الثالث : الذى يأمل وفد الكويت أن يكون واسطة العقد فى كل أعمالنا ، هو أن نتغيا فى اتجاهنا وبحوثنا اعطاء الصدارة لأحكام الاسلام وللشريعة الاسلامية السمحاء التي يتسع صدرها لكل مستحسن نافع للمجتمع لا يهدم أصلا لازما ولا يخالف حكما قطعيا .



— ١ —

كان رجلا معدما ولكنه كان سعيدا .

وكانت له عائلة من زوجة وخمسة أولاد وأختين ووالدة طاعنة في السن ، له حانوت يبيع فيه الخضروات .. اليقطين والباذنجان والسلق والفجل والطماطم ... الخ .

حانوته هذا في طريق فرعية، يبيع فيه سلعته على جيرانه من الفقراء، فلم يكن له من المال ما يؤجر به حانوتا في موقع ممتاز أو يشترى به سلعة ممتازة .

اما داره الخربة فتسمى من باب المجاز دارا ، وهي في حقيقتها غرفة واحدة حولها ركام من الأنقاض ، وفي هذه الغرفة ينام أفراد العائلة ويطبخون ويستحمون .

واذا ما عاد الرجل الى داره بعد غروب الشمس ، ومعه الخضرة واللحم والخبز ، تستقبله العائلة كلها بالفرح والتصفيق والأغاني والأهازيج ، ويتناولون منه ما بيديه من طعام ، ويهرعون الى القدر لاعداد العشاء .

ولم يكن في كل يوم يحضر اللحم ، فاذا كان مبيعه اليومي رابحا استطاع أن يشترى لحما ، والا فعشاء عائلته من بقايا ما كسد من خضرة حانوته .

وكانت تلك العائلة تسكن الى جوار حاكم في المحكمة العليا ، وكان ذلك الحاكم يعطف على تلك العائلة ويزورها بين حين وآخر .

وهذا الحاكم كثيرا ما حدثني عن عائلة جاره قائلا « لم أر في حياتي عائلة سعيدة مثل



بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

بغداد

هذه العائلة ، ولم أر فرحا غامرا كالفرح الذى يشيع فى العائلة عندما يعود ربها من عمله مساء ، وكنت كثيرا ما أحب أن أعيش وقتا سعيدا بينها حين يصل جارى الى داره فتستقبله العائلة كلها بالتهليل والتكبير ، ثم يبدأ عملها الدائب فى اعداد العشاء ، فاذا نضج الطعام بدأوا بتناوله من اناء كبير فاذا انتهوا من عشائهم حمدوا الله وشكروه ، وأكثروا من حمده وشكره ، ثم آووا الى فراشهم الخلق البسيط فرحين قانعين ، لا يتمنون على الله غير الستر والعافية وألا يحتاجون الى انسان » .

وفى يوم من أيام الخريف ، كانت العائلة تنتظر رجلها مساء على باب الدار ، فاذا بهم يرون بعض الشرطة يحملون نعشا ، فلما تبينت العائلة الأمر وجدت معيلها الوحيد هو المحمول فى النعش .

كان قد أغلق حانوته ، وقصد القصاب المجاور فاشترى لحما ، وقصد الخباز القريب فاشترى خبزا ، وحمل بقايا خضرته من دكانه ، فلما أراد عبور الشارع دهسته سيارة طائشة ، فمات الرجل فورا ، وتبعثر ما كان معه من زاد .

وتجمع الجيران حول النعش ، وجمعوا من سراتهم بعض المال ، وأنفقوا على تجهيز الجثة الهامدة بعض ما جمعوه ، وقدموا ما تبقى من مال زهيد الى العائلة ، وفى صباح اليوم التالي واروا الفقيد الى مقره الأخير .

وكان أكبر أولاده فى سن الخامسة عشرة ، يدرس فى الصف الثاني فى المدرسة المتوسطة الشرقية ، ليعد نفسه ليكون موظفا صغيرا بعد تخرجه من الاعدادية فيعاون أهله .

وبعد يومين من موت والده ، نفد آخر ما جمعه الجيران من مال للعائلة ، وفى اليوم الثالث قصد حانوت والده .

وبدأ يعمل فيه ليعول أمه واخوته الصغار وعمته وجدته ..

وكان يعود كل يوم الى أهله بعد غروب الشمس كما كان يفعل والده ..

ولكن الابتسامات غاضت الى غير رجعة .. والفرح مات الى الأبد .. وكان الطعام الذى تتناوله العائلة ممزوجا بالدموع ....

لقد دفنت العائلة سعادتها مع فقيدها الحبيب ...

— ٢ —

ومرت الأيام ثقيلة بطيئة ، ودار الزمن دورته ، فانقضت ثلاث سنوات ، ودعي الولد الكبير الى الخدمة فى الجندية بعد أن استكمل الثامنة عشرة من عمره ..

واجتمعت العائلة تتداول الرأى هل يترك الابن الثاني مدرسته وقد أصبح فى الصف الرابع الاعدادى ولم تبق له غير سنة ليتخرج من الاعدادية ليتولى ادارة حانوت أخيه ؟ واذا لم يفعل فمن يعيل أهله ؟ .

واستقر رأى العائلة على بيع الدار ، ولو أن الخروج منها كخروج الشاة من جلدها ، لا يسمى الا موتا أو سلخا .... !

والتحق الابن الكبير بالجندية فى بلد مجاور يتدرب على استعمال السلاح ، وكان معلم التدريب العسكرى يلاحظه فيجد فيه ذهولا وانصرافا عن التدريب ، فكان ينصحه تارة ، ويعاقبه بالتعليم الاضافي تارة أخرى .. دون جدوى .

لقد كان حاضرا كالغائب ، وكان جسمه فقط مع اخوانه الجنود فى التدريب ، ولكن عقله كان بعيدا .. بعيدا .. هناك عند عائلته .

واستدعاه معلمه يوما ، وسأله عن مشكلته ، ففتح له قلبه وأخبره بأمره ، فبادله المعلم الانسان حزنا بحزن وأسى بأسى ، وكف عن ملاحقته فى أمر اتقان التدريب .

وعرض المعلم مشكلته على آمر الفصيلة ، فأمر بتعيينه فى مطبخ الجنود يغسل القدور ، ويقطع اللحم ، ويوقد النار ، ويوزع الطعام ، أما أمه ... فكانت هي أيضا حاضرة كالغائبة . استقرضت بعض المال من أحد سماسرة بيع الدور لتطعم العائلة به ، ورهنت سند الدار عند السمسار وعرضت الدار للبيع ....

واستمر عرض الدار أياما على الراغبين بشرائه ، وأخيرا وبعد مرور عشرين يوما ، باعت الدار بأربعمائة دينار ، ثم قضت تسعة أيام فى معاملات حكومية رتيبة لنقل ملكيتها الى المالك الجديد .

وبقي يوم واحد على موعد اعطاء البدل النقدى عن ولدها ، وكان عليها أن تسافر الى المدينة التي استقر فيها ولدها فى الجندية مساء اليوم التاسع والعشرين ، لتسلم البدل النقدى صباح اليوم الثلاثين ، فاذا تأخرت عن ذلك الموعد ساعة فلن يقبل من ابنها البدل النقدى .

— ٣ —

وقصدت الام مأوى السيارات التي تنقل الركاب من بلدتها الى بلدة ولدها ، فوجدت السيارات ولم تجد الركاب .

كان الوقت قبيل الغروب من أيام الصيف ، وانتظرت ساعة فى مأوى السيارات دون أن يحضر مسافر واحد . وانتظرت على أحر من الجمر ، وقد غابت الشمس ، والمسافة بين المدينتين حوالي أربعين ومائتي كيلو متر تقطع بالسيارات فى ساعتين ونصف ، فاذا لم تسافر ليلا ضاع عليها الوقت ولن تصل الى مدينة ولدها الا فى صباح اليوم التالي .

وعرضت على سائق احدى السيارات انتستأجر ـ وحدها ـ سيارته على أن يسافر بها فورا . وقبض السائق أجرة سيارته كاملة من المرأة وتحركت السيارة فى طرق جبلية ، وفى الطريق تحدث السائق الى المرأة ، فعلم منها قصة بيع الدار ، وقصة دفع البدل النقدى عن ولدهـا .

وتدخل الشيطان بينهما ، فلعب دوره فى تخريب ضمير السائق ، فعزم على تنفيذ خطة لاغتصاب المال من المرأة المسكينة .

وفى احدى منعطفات الطريق ، حيث يستقر الى جانب الطريق الأيمن واد صخرى سحيق ، أوقف السائق سيارته فجأة ، وسحب المرأة قسرا من السيارة الى خارجها ، ونزلا الى مسافة عشرين مترا فى الوادى السحيق ، وهناك طعن المرأة بخنجره عدة طعنات ، فلما تراخت وظن أنها فارقت الحياة ، سلبها مالها ، وعاد الى سيارته تاركا المرأة فى مكانها تنزف الدماء من جروحها .

وقصد المدينةالتي كانمتجها اليها فقد خشي أن يعود الى المدينة التي خلفها وراءه لئلا ينكشف أمره ، اذ يعود اليها بدون مسافرين ، وقبل الوقت المعقول لذهابه وايابه ..... ! وعندما وصل الى المدينة ، آوى الى مأوى السيارات ، فزعم لأصحابه أن المسافرين الذين كانوا معه غادروا سيارته بعد عبور الجسر . ووجد ركابا ينتظرون السفر الى البلدة التي غادرها مساء ، فسافر بهم عائدا من نفس الطريق .

وحين وصل الى المكان الذى ارتكب فيه جريمته الشنعاء ، أوقف سيارته ، وادعى لركابها بأنه يريد أن يقضي حاجته ثم يعود اليهم فورا .... ! وانحدر الى الوادى ، فسمع أنينا خافتا ، فقصد المرأة السابحة ببركة من الدم ، وقال لها « ملعونة ألا تزالين على قيد الحياة حتى الآن) ! وجمدت المرأة فى مكانها ، وانتظرت مزيدا من الطعنات .... ! » .

وانحنى السائق الى صخرة ضخمة ليحطم بها رأس المرأة الجريح ، وما كاد يضع يديه تحت الصخرة الا وصرخ صرخة عظيمة هزتالوادى الصخرى السحيق ، ورددتهـا جنباته الخالية الا من الوحوش والأفاعي والهوام ، وسمعها ركاب السيارة ، فهرعوا لنجدته .

كانت تحت تلك الصخرة الضخمة التي أراد السائق المجرم رفعها ليقذف بها رأس المرأة الجريح ، حية سامة لدغته حين كان يهم بحمل الصخرة العاتية ، فسقط الى جانب المرأة يستغيث ويتألم ..... !

وحمل المسافرون السائق ، وحملوا المرأة ، وانتظروا حتى قدمت سيارة أخـرى ، فاستوقفوها وطلبوا من سائقها حمل المرأة والسائق الى المستشفى التي كانت فى المدينة التي يستقر فيها ولد المرأة الجريح .

وفى الطريق فارق الحياة ذلك السائق المجرم متأثرا بالسم الزعاف .

وفى المستشفى ، قدم الشرطة والمحققون العدليون ، فعرفوا القصة كاملة ، وانتزعوا مال المرأة من طيات جيوب السائق اللعين . وطلبت المرأة حضور ولدها ، فحضر فى الهزيع الأخير من الليل ... وراحت المرأة فى غيبوبة عميقة ، فظن الأطباء والمرضون أنها تعاني سكرات الموت .. وعمل الطبيب على نقل الدم اليها .

وفى ضحى اليوم التالي فتحت عينيها لتقول لولدها « ادفع البدل النقدى سريعا » ثم أغمضت عينيها وراحت فى سبات عميق . ودفع الولد بدله النقدى ، وسرح من الجيش .. وتحسنت صحة أمه يوما بعد يوم ، حتى تماثلت للشفاء ، حيث غادرت المستشفى الى أهلهـا ..

وذهبت قصة نجاتها ، وقصة موت السائق ، وقصة الحية المنقذة ، شرقا وغـربا ، وأصبح حديثها حديث الناس جميعا .. ولقد كان الوادى الذى ارتكب السائق فيـه جريمته ، والذى قذف بين صخوره المرأة الجريح ، من الوديان الموحشة الخالية من المـاء والكلأ ، فلا يسلكه الناس ولا يطرقونه ، حتى الرعاة لا يجدون فيه ما يفيد ماشيتهم فأصبح موطنا آمنا للذئاب والأفاعي .

وما كانت المرأة الجريح لتسلم من الموت الأكيد ، لو لم يعد اليها الجاني مدفوعا بفريزة حب الاستطلاع .

وما كان المسافرون مع الجاني ليعرفوا موضع المرأة ، لو لم يصرخ الجاني صرخة مدوية بدون شعور ولا تفكير متألما من لدغة الأفعى السامة .

وما كان ولدها ليدفع البدل النقدى او قدمت أول سيارة من المدينة التي كان فيها ، لأنها ستنقل أمه ، ولضاع عليه الوقت المحدود لدفع البدل النقدى . لقد كان ذلك كله من تدبير العلي القدير ....

— ٤ —

قال الحاكم الذى هو جار لتلك العائلة ((سمعت قصة جارتنا كما سـمعها الناس ، فاشتركت مع الجيران الآخرين لجمع ثمن دارها ، حتى تستعيدها من صاحبها الجديد .

وسمع صاحب الدار الجديد هو الآخر بقصتها ، فأعاد اليها سند الدار وملكيتها ... وبقي المبلغ الذى جمعه لها الجيران مع ثلاثمائة دينار من أصل ثمن الدار ، فجددت بذلك المبلغ بناء الدار . وأقبل الناس على حانوت ولدها ، يشترون سلعته ويتسابقون على معاونته .. وفى خلال سنة واحدة تضخم عمله ، وأقبلت عليه الدنيا ، فانتقل الى حانوت كبـير فى شارع عام فى موقع محترم ...

ومرت السنون ، وفى كل عام كان فى الدار بناء جديد ..

وتخرج الأولاد من مدارسهم واحدا بعد الآخر ، فأصبح أحدهم مهندسا والآخر طبيبا والثالث ضابطا فى الجيش ... ولم يعد طعامهم اليومى من الشاى والخبز أو من الخبز والخضرة بل كان لهم لحم فى كل يوم مع الوان شهية اخرى من الطعام وفتح الله عليهم باب بركاته ، وأغدق عليهم رعايته ، وجعلهم مثالا للخلق الكريم بين الناس متعاونين فى السراء والضراء .

وعلى ضفاف دجلة ، قـرب الجسر الـكبير فى بغداد ، دار عامـرة بالخـير والوفاق والسعادة . هى الدار الجديدة التي انتقلت اليها العائلة الصابرة المحتسبة عام (١٣٨٥) ، وقد تضاعف عدد العائلة فأصبحت أربع عائلات ، فقد تزوج الأولاد الكبار الثلاثة وأخصبوا ، ولكن رباط العائلة ما زال قويا ، وأم الأولاد لا تزال سيدة البيت بدون استثارة أو ازعاج .

لقد سمعت قصة هذه العائلة من صديقي الحاكم الكبير ، فأردت أن أسمعها من أحد أفرادهـا .

وسألت الابن الكبير الذى كان خضريا فقيرا فأصبح تاجرا كبيرا ، أن يحدثني حديث أمه فقال ((ولماذا لا تسمع حديثها منها ؟)) .

وكنت ذات مساء فى دارهم العامرة على ضفاف دجلة أسرح النظر فى انعكاس نـور القمر على الماء الرائق المتدفق ، وأنا أصغي الى أغاني ملاحي السفن الشراعية والسـفن التجارية وترديد ركابها ، منتظرا انقضاء صلاة الوالدة . وجاءت الأم وقد أحاطت شعرها الأبيض بغلالة بيضاء ، وفى وجهها نور ، وعلى قسماته ابتسامة ، وعلى لسانها ذكر الله ...



وروت لي قصتها كاملة ، فقلت لها « وماذا كان شعورك حين تركك الجاني وحيدة تشخب جروحك دما فى بطن الوادى السحيق » .

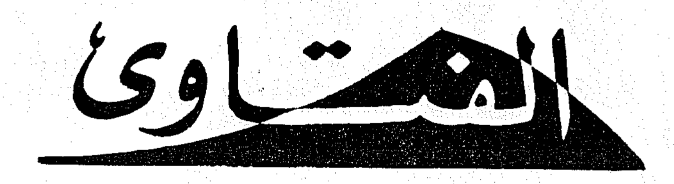
فقالت والايمان الصادق يشع من كلماتها « كنت أخاطب الله عز وجل بقولي يا جبار السموات والأرض أنت أعلم بحالي ... فهيىء لي بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقدى عن ولدى ، ليعود الى أهله ويعيلهم .. يا رب .. » .

واستجاب الله دعاءها وأعاد اليها مالها وولدها ، وانتقم لها من خصمها ، وبدل حال العائلة كلها الى أحسن حال .

تلك قصة من الواقع ... ولكن حوادثها أغرب من الخيال ... وسيقول بعض الناس أن ما حدث صدفة ... وليقل هؤلاء ما يقولون ... ولكنني لا أشك أن ما حدث من تدبير العلي القدير ... فليس من المعقول أن يحدث كل ذلك صدفة ... ولو أراد انسان ان يوقت حوادث هذه القصة مثل هذا التوقيت الدقيق ، لعجز .

ان الناس يغفلون وينامون ، والله وحده لا يغفل ولا ينام . وما من دابة الا على الله رزقها .. والله لا ينسى رزق النملة فى الصخرة القاسية وسط عباب المحيط ، فكيف ينسى أرزاق الأرامل واليتامى ؟ ! والناس يخشون الناس ، والله أحق أن يخشوه ... والله يمهل ... ولكن لا يهمل ...

ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ..



الولى فى عقد الزواج

السؤال : ــ

لي بنت عم شقيق تجاوزت سن الرشد وأرغب فى الزواج منها ، وهى راغبة ، ولكن والدها يعارض فى هذا الزواج ، وجميع اشقائها الرجال البالغين يوافقون على اتمام الزواج . فهل يجوز لأحد اخوتها أن يعقد لي عليها مع وجود أبيها)

الاجابة : ــ

الولي فى النكاح هو الذى يتوقف عليه صحة النكاح فلا يصح بدونه ــ وهو الاب او وصيه ثم السلطان .

وقد ذهب جمهور الفقهاء الى أنه لا يصح النكاح الا بولي قال صلى الله عليه وسلم (ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل) (لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها) .

وقد ذهب السادة الحنفية الى ان المرأة البالغة العاقلة الرشيدة بكرا كانت أم ثيبا ــ ليس لأحد عليها ولاية فى النكاح . بل لها أن تباشر عقد زواجها ممن تحب بشرط ان تضع نفسها من كفء . فاذا وضعت نفسها فى غير كفء فللولي حق الاعتراض . لأن المرأة ما دامت عاقلة حسنة التصرف غير محجور عليها كان من حقها أن تتصرف فى شؤونها وبيعها وشرائها . فكذلك لها أن تزوج نفسها بمن تراه صالحا لها ولائقا بها .

ترتيب الاولياء : ــ

١ ــ المالكية : ــ الولاية عندهم للاب ثم من يليه فى الدرجة على أرجح الاقوال .

٢ : ــ الشافعية الولاية عندهم للاب ثم الجد ثم الاخ الشقيق وهكذا ــ فاذا عدم هؤلاء فالولاية للحاكم .

٣ ــ الحنفية : ــ الابن وابنه ثم الأب ثم الجد ثم الاخ الشقيق (أى تراعى العصوبة) ثم الحاكم .

وقد أخذ القانون بترتيب **الولاية من ناحية** العصوبة .

((اذا زوج الابعد مع وجود الأقرب))

المالكية : ــ

ذهبوا الى أنه يجوز أن يباشر العقد الولي الابعد مع وجود الاقرب فمثلا اذا وجد أخ مع عم . وقد باشر العم فالعقد صحيح (الا مع الولي المجبر وهو الاب . فانه لا يجوز أن يباشر العقد غيره مع وجوده) .

الشافعية :ـ

الترتيب فى الولاية شرط . ولا تنتقل الولاية من الاقرب الى الابعد الا اذا كان صغيرا أو مجنونا أو فاسقا أو مختلا أوعاضلا فتنتقل الولاية للسلطان أو نائبه.

الحنفية : ـ

قالوا : الترتيب بين الاولياء ضرورى ،واذا عقد الابعد مع وجود الاقرب فصحة العقد موقوفة على اجازة الاقرب فاذا أجازه نفذ والا فلا .

وتنتقل الولاية من الولي الاقرب الى الابعد كالأب مع الاخ ـ اذا منعها الاب من التزوج بالكفء) .

الحنابلة : ـ

قالوا : الترتيب بين الاولياء لازم وضرورى لا بد منه ـ ولكن يسقط حقه فى امور منها .

ان يمنع من له عليها الولاية من الزوج الذى رضيت به وبما قدره لها من مهر يصلح للامهار .

ويعلم مما ذكرنا من أدلة الفقهاء أنه لا يجوز للولي الابعد أن يتولى العقد مع وجود الولي الاقرب الا اذا كان الولي الاقرب عاضلا .. بمعنى أن يمنع تزويج فتاته بالزوج المناسب لها فانه يجوز حينئذ للولى الابعد أن يزوج الفتاة مع وجود الولي الاقرب لانه عاضل والعضل منهي عنه فى كتاب الله تعالى ـ فضلا عن أن لها الحق فى اتمام عقد الزواج بنفسها أو بوكيلها اذا كانت راغبة فيه ما دامت رشيدة وذلك على مذهب ابي حنيفة .

الزكوات المتأخرة

السؤال : ـ

رجل كان يملك فى سنة ١٩٥٤ عشرة آلاف روبية ، والآن فى سنة ١٩٦٥ يملك (٢٠٠٠٠٠) ألف روبية ولم يزكها طيلة هذه المدة ولا قبلها أى قبل سنة ١٩٥٤ ، مع العلم أنه لا يملك دارا للسكنى ومريض بمرض يمنعه من العمل ، فهل تجب عليه زكاة المال عن جميع السنوات الماضية وما مقدارها ؟

الاجابة : ـ

نفيد بانه يجب اخراج زكاة هذه المال من يوم أن بلغ النصاب، ونصاب المال حوالي (٤٥) دينارا كويتيا بواقع (٢و٥٪) وذلك على أساس قيمة العشرين مثقالا ذهبا الذى هو نصاب الزكاة .

مع ملاحظة أن المبلغ الواجب اخراجه قد استقر فى ذمة المالك وأصبح دينا يجب عليه سداده للمستحقين .

ويمكنه أن يراجع حساباته ، وأن يتذكر المستحق اخراجه فى كل عام مضى . واذا لم يستطع اخراج الزكاة الماضية مرة واحدة فيمكنه اخراج ما استقر فى ذمته على دفعات كلما استطاع . ولا دخل لعدم تملكه دارا للسكنى ولا لحالة العجز والمرض فى عدم اخراج الزكاة .



اخى القارىء

هذا الباب لك .. ربما تكون عندك فكرة طيبة . ربما تنفعل نفسك بموضوع تود أن ينتقل منك الى غيرك . ويشاركك فيه أكبر عدد من اخوانك . ربما تكتب الينا رسالة قصيرة تحمل دعوة كريمة . ومع ذلك قد لا تتسع صفحات المجلة لها أو تطغي عليها البحوث والمقالات الطويلة .. ولاجل هذا فتحنا هذا الباب لنتلاقى فيه معنا ومع قراء المجلة .. المهم أن تكون الافكار والكلمات أصيلة .

أضواء على الاقتصاد الاسلامي

تحت هذا العنوان أرسل الاستاذ (أبو مصطفى) مقالا جاء فيه :

تنبثق أنظمة الشريعة الاسلامية على اختلاف فروعها من وحي الفطرة الاصيلة فى الانسان،بمعنى أن دوافع الفطرة ومقتضياتها هي التى تضع الخطوط العريضة لها .(حيث أن الاسلام ينظر الى الفطرة الكاملة فى النفس كما لو كانت مصباحا فى غرفة مظلمة فان اطفأته انقلب المكان كله الى ظلمة موحشة) .

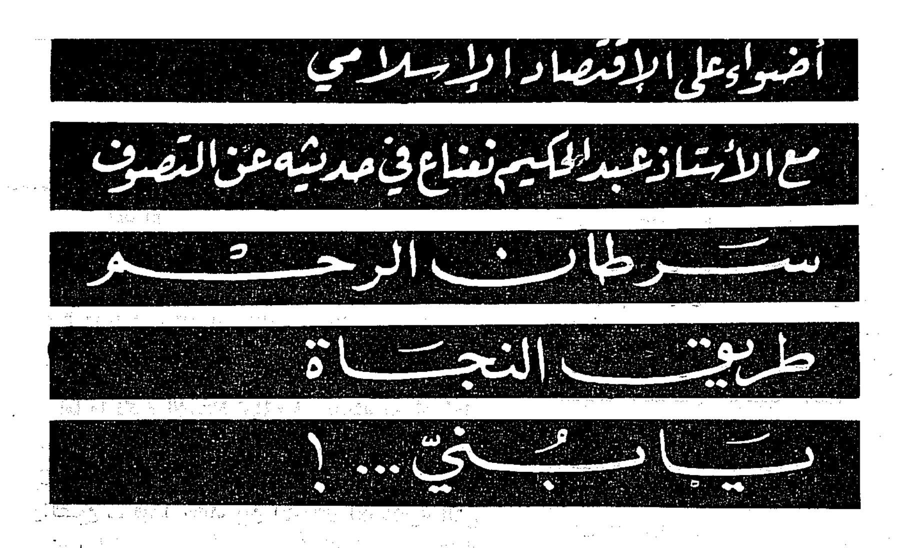
والاساس الاول للاقتصاد الاسلامى يوضح لنا مدى تقديس الاسلام للفطرة البشرية والعمل على تحقيقها ، مع العمل فى الوقت نفسه على ترقية هذه الفطرة وتنشئتها تنشئة سوية متلائمة مع المجتمع المثالي،وذلك حين حرص على ((تقديس حق الملكية الفردية مع ضمان العدالة الاجتماعية)) . وهذا أساس يتكون من فقرتين : أما الاولى فتمثل نوازع الفطرة الطبيعية البشرية العامة ، وأما آخراهما فتمثل جانب العمل التربوى لهذه الفطرة.

أولاهما — دافع التملك فى النفس الانسانية ويعتبر من أهم الدوافع الاصيلة ، ولا يكاد يوجد بين علماء النفس فى هذا أى خلاف ، وأكبر دليل على ذلك هو أن المولود الصغير لا يكاد يمضى أشهرا من عمره حتى تتفتح لديه طبيعة حب الاشياء والاستيلاء عليها ، فاذا أصبح طفلا يمشى وجدته يملأ جيوبه بهنات وتوافه مختلفة يفاخر بها أقرانه ، حتى اذا شب عن الطوق وبدأ عقله ينضج تحولت رغبته عن تلك الهنات الى الدراهم والنقود.

ثانيهما — ضمان العدالة الاجتماعية .

فان ملكية المال يجب أن تتناسب وسير العدالة الاجتماعية بين مجموع الشعب ، فلا يمكن أن يفنى المجموع لحساب أفراد تمتلىء كروشهم ، ولا يمكن أن يفنى الفرد لحساب المجموع بدعوى الصالح العام وكيف يكون الصالح العام مبررا وهو وأمثاله لا يجد من مقومات الحياة وأسباب سعادتها شيئا ؟ لذلك أخذ الاسلام على عاتقه تهذيب الملكية وتسييرها فى المجتمع بشكل يرضى نزعته الفطرية وصالح المجتمع وحقوقه ، دون أن يكون هناك ظلم واجحاف. فوضع ملكية للفرد وملكية للمجتمع وملكية للدولة . وكل من هذه الملكيات الثلاث تتناسب مع بعضها البعض ، وتختص بمختلف شؤون الحياة الاقتصادية لتحقق للفرد حياة سعيدة تتخللها البهجة والسرور ، وتتوفر فيها أسباب السعادة للمجتمع ، فهل يدرك — بعد ذلك المسلمون قيمة نظامهم الاسلامى الرائع ويلتزمون بتعاليمه ؟

■ ■ ■



وجاء فى رسالة للاستاذ محمد داعى الحق بالعراق تعليقا على مقال « التصوف بين الاستقامة والانحراف »

للاستاذ عبد الحكيم نعناع

دعانى الى كتابة هذا الموضوع ما قرأته فى مجلتنا الغراء « الوعى الاسلامى » فى صفحة (٥٨) العدد الرابع للاستاذ عبد الحكيم نعناع تحت عنوان « التصوف بين الاستقامة والانحراف » وخلاصة ما جاء فيه أن التصوف ليس مذهبا مستحدثا فى العهد العباسى وانما هو الاسلام الصحيح فى قلبه وقالبه وأمام الصوفية فى ذلك هو رسول الاسلام محمد (ص) وصحابته الاوائل . أما لماذا أنكر الناس على الصوفيين فانه يعود لانحراف المجتمع الاسلامي ، عن الاسلام ولهذا عد التصوف مذهبا غريبا عنه . هذا مجمل ما كتبه الاستاذ نعناع .

وتعال معى قارئى العزيز نبحث معا الفرق الشاسع بين التصوف والزهد على أضواء السيرة المحمدية الشريفة .

يذكر المؤرخون ان كلمة التصوف جاءت نتيجة لارتداء جماعة التصوفين للصوف ، وهذا أرجح تفسير أخذ به الباحثون لكثرة ما ورد فى تفسير الكلمة من معان أخرجها البعض عن العربية .ولكن كلمة التصوف عربية ومذهب التصوف اسلامى صرف فى بداية نشأته ، نشأ كرد فعل للاوضاع الشاذةفى العصر العباسىحيث ظهر الفنون والشعراء الماجنون على المسرح ، وتمادى الخلفاء فى اللهو فأعلن هؤلاء سخطهم على هذه الاوضاع الشاذة عن الاسلام وعدم رضاهم ، وهذا جعلهم ينعزلون عن المجتمع كليا تحت سقوف المساجد ولكن هذا العمل لم يقف عند هذا الحد وانما تعدى أكثر من ذلك حيث ادعى المتصوفون أنهم سيمرون بمراحل آخرها مرحلة الذوبان فى ذات الله تعالى ، ومن هنا انفردوا بفلسفة خاصة وأدب خاص وتقاليد خاصة ، فالتصوف كان فى البداية زهدا محضا كالزهد الذى اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حيث كان الرسول « ص » يشد الحجر على بطنه ، وكانت النار لا توقد فى بيته للطهى ليالى عدة . ولكن زهدهم هذا لم يمنعهم كما منع المتصوفين عن تبليغ الدعوة الى الاصقاع البعيدة،ولم يحل بينهم وبين تطبيق العدالة واقامة الحدود والغزو لاعدائهم .

فكم هنا ـ قارئى العزيز ـ من فرق شاسع بين الزهد الذىكان عليه رسول الله (ص) وصحابته والتصوف الذى ظهر فى العهد العباسى الذى يقوم على العزلة والزهد والادمان فى الذكر . فالتصوف كان فى نشأته اسلاميا صرفا كما ذكرنا فى سياق حديثنا الا أنه فيما بعد تحول الى فلسفة ومفاهيم خاصة تفلسف الحياة وتجعل المتصوفين منفردين عن المسلمين فى آرائهم مثل

باقلام القرأء

فكرة الحلول والاتحاد بالله سبحانه وهى المرحلة الاخيرة من سلوك الصوفية .

أما ما ذكره الاستاذ نعناع فى حديثه من أن أهل التصوف كانت لهم اليد الطولى فى حماية الدولة الاسلامية وفى نشر الاسلام فى اندونيسيا والفيليبين والصين ـ فهذا خلط بين الاخلاق الاسلامية التى تمتع بها المسلمون الذين نشروا الاسلام هنا وهناك بوحى من عقيدتهم وبين المتصوفين .

ويظهر أن الاستاذ نعناع قد سمى كل انسان التزم بالخلق الاسلامي النبيل ، وتمسك بمفهوم الحلال والحرام الاسلامى صوفيا بحتا ، وهذا خطأ لا يدعمه سند واقعى .

ان الامة المسلمة ليست بحاجة الى التعرف على التصوف بقدر حاجتها الى معرفة الاسلام من ينابيعه الصافية ، علما بأن الاسلام فى واد والتصوف فى واد آخر ، وهو مع الاسلام على طرفى نقيض بعد ظهور نظرياته المراة عن الصواب فى الحلول فى الذات الالهية وغيرها .

■ ■ ■

سرطان الرحم (Uteral Cancer)

يفاجأ العلم الحديث اليوم بظاهرة غريبة مدهشة احتارت فيها عقول القرن العشرين فى المجالات الطبية العالمية . فقد أثبتت الاحصاءات الدولية أن حوادث الاصابات السرطانية الرحمية بدأت تزداد نسبتها عند النساء اللواتى يتزوجن من رجال لم تجر عليهم عملية الختان . أما المرأة المسلمة التى يتزوجها دائما رجل مسلم كما أمر الاسلام حيث قد أجريت عليه عملية الختان فى حياة طفولته (عملية الطهور)(Circumcision) فان اصابات السرطان لم تظهر على عضو رحمها الا بمعدل احتمال نسبى ضئيل جدا . وقد اكتشف الطب الحديث اليوم مادة ضارة تفرزها جلدة القلفة من غددها المحيطية تدعى بمادة (Smegma) حيث أن هذا الغطاء الجلدى الذى يقطع بعملية الختان الجراحية ويكون بعدها رأس القضيب عاريا مكشوفا عند الرجال المسلمين، يقوم عند الاناس الآخرين بافراز هذه المادة الضارة التى تلوث عنق الرحم بشدة (Uteral Collun) فى الرحم المعرض للصدمات الجنسية والاحتكاك اثناء عملية الاتصال الجنسي ، مما يؤدى الى تخريش وتهييج عضو الرحم المعرض لاحداث اصابات السرطان الرهيبة التى تنبثق من (النوية السرطانية) الناشئة بين الخلايا الرحمية فى منطقة العنق . والاسلام العظيم عندما أمر بعملية الختان فانه بذلك كان قد أنقذ آلاف الاناث البريئات من اصابات مرض السرطان القاتلة فى عضو الرحم (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

(د . ابراهيم الراوى)

■ ■ ■

طريق النجاة

خدعونا باسم المدنية الجديدة خدعونا من حيث لا ندرى ولا نعلم ، وسرنا فى نفس الطريق الذى رسموه لنا بعد أن زينوا لنا عبوره ، فأخذنا عن الغربيين عاداتهم وأخلاقهم ، .. لقد تجاهلنا الحقيقة فصارت أسطورة نعتز بها كما يحلو لنا .. تجاهلنا انفسنا . وكان الأجدر بنا أن نسير على خطا أجدادنا ـ ونسير على طريقتهم المستقيمة فى الحياة ، تجاهلنا كل هذا ونحن فى غمرة النشوة اللعينة ، واللذة الباطلة ، وانقلبت مفاهيمنا للأشياء ، صار الحق فى نظرنا باطلا والباطل حقا . كما شوهت الفلسفات الغربية والمذاهب المادية المستوردة عقول شبابنا . شبابنا الذين عقدت الأمة عليهم الآمال ، وادخرتهم لتحمل الأعباء والمسؤوليات .

واني لأتساءل الى متى سنظل هكذا نسير فى هذا الدرب أما آن لنا أن نصحوا أما آن لنا أن نأخذ ما ينفعنا ويفيدنا ونترك ما يضرنا ويؤذينا ان المسؤولين والمفكرين مدعوون للعمل الجاد من أجل بحث هذه المشكلات بحثا وافيا عميقا وتقديم الحلول النافعة المفيدة للقضاء على جذور الفساد

والرذيلة والالحاد .. كما أن كل فرد منا مدعو لأن يساهم فى صيانة نفسه والحفاظ على دينه ، بالتسلح بالايمان ، والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، والابتعاد عن دروب الشر والرذيلة .

وعلينا أيضا أن ندحض كل فكرة دخيلة غريبة على عاداتنا وتقاليدنا بالحجج والبراهين القوية حتى يظهر الحق واضحا جليا ، وان نخطط تخطيطا كاملا من أجل بناء قوتنا .

والله مع العاملين المخلصين .

زياد عودة عبد القادر
الزرقاء ـ الأردن

المؤذن المظلوم

سرق حذاء أحد المصلين فى المسجد ، فأمسك بخناق المؤذن وطالبه بالحذاء ، فقال له المؤذن وما ذنبى ؟ فقال له أنت الذى أذنت فدعوت الناس فجاء السارق وسرق الحذاء .

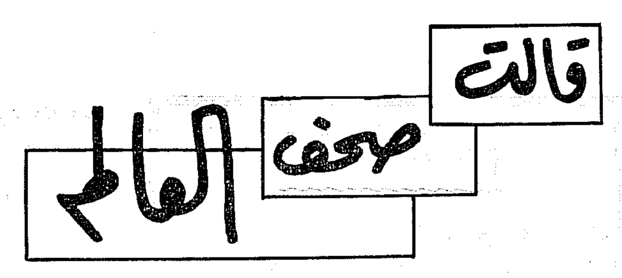
من أحق بالرحمة ؟!!

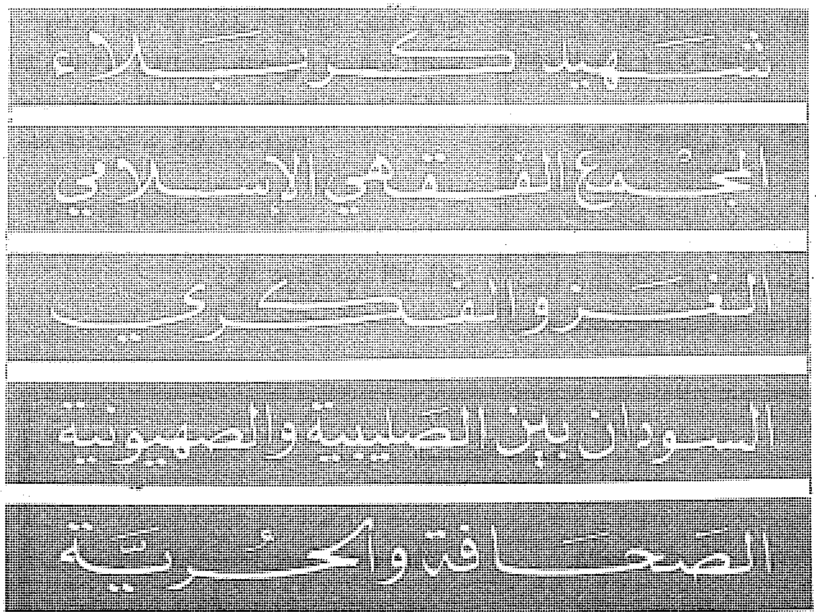
« قال رجل لعمرو بن عبيد انى لارحمك مما يقول الناس فيك ! ! قال افتسمعنى أقول فيهم شيئا ؟ قال لا . قال فاياهم فارحم » .

يا بني

قم صباحا يا بنيا	واترك النوم الشهيا
واعبد الله وشاهد	منظر الكون البهيا
ربنا الحق ولو لا	ذلكم ما كنت شيا
ان من يزعم ربا	غيره يهوى هويا
غيره خلق سيفنى	لم يكن عنه غنيا
من برب العرش يشرك	صار بالنار حريا
رتل القرآن ترتيـ	ـلا غدوا وعشيا
فهو معراج المعالي	أهله نالوا الرقيا
ان دين الله يأبى	دون أن نرقى الثريا
انه دين متين	أهله ليسوا مطيا
بل همو أهل المعالي	وحدوا الله العليا

عبد المنعم محمد حلمي عبد الرحمن
الخطاط بمراقبة التخطيط والمتابعة بمحافظة القاهرة بميدان التحرير





شهيد كربلاء

قالت مجلة لواء الاسلام القاهرية :

نحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة نابعة من ايماننا بالله وشكرنا لنعمته ، ونحب أهل البيت من وفائنا للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديرنا لرسالته ، وكل امرىء فى عنقه دين لصاحب الرسالة اذ أنه بجهاده وبلائه كان السبب فى استنارة قلبه بالايمان وبقائه على الصراط المستقيم . واذا كانت الدول الآن تعطي لورثة الموظف (من زوج وأولاد) نوعا من التكريم المادى والأدبي لأنه خدمها حينا من الدهر قل أو كثر ، فأظن أنأسرة النبي صلى الله عليه وسلم من حقها على الأمة الاسلامية لا معاشا ماديا يكفل لها حياة نقية كريمة، بلتكريما أدبيا يحفها بالتكريم والاجلال الذىتستحقه.

هذه مقدمة لا بد منها عندما نتحدث عن الامام الحسين رضي الله عنه .

هل كان الحسين عندما خرج على يزيد طالب رياسة ، يشتهي امارة المؤمنين ، يحب ما يحيط بالرياسات والمناصب العالية من جاه وشرف وجباياتللأموال وانحناءات للهامات وغير ذلك ؟ لا أظن . اني أوقن بأنه عند التامل فى حياة الحسين (نحو خمسين سنة أو أكثر مضت عليه قبل أن يشتبك فى هذه المعركة التي استشهد فيها) كان

مأثورا عنه أنه رجل متعبد طيب القلب نقي الضمير ، بعيد عن المنازعة فى الدنيا وما يتصل بهذه الشؤون : وأبعد وأبعد فى نفي هذه الظنة ، أن رجلا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد شباب أهل الجنة ، كما وصفه بأنه منه ، لا يمكن بأن يوصف بأنه خرج يطلب لنفسه ملكا أو يبتغي دنيا أو يسعى لمنصب من هذه المناصب التي تتحلب لها أفواه ناس كثير .

لقد طهر الله أهل البيت من هذه الآفات النفسية فوجدنا أن الحسين ، وأن أخاه من قبل ، وأن أباهم جميعا ، كانوا أبعد الناس عن طلب المنصب لأنه شهوة .

بل كانوا يرون أن امارة المؤمنين عبء ، وأن الرياسة مغرم ، وأن السعي الى قيادة الأمة تكليف تنحني له الأصلاب من الاعياء والتعب ، وأن أعصاب أهل الايمان تتعب دائما من تحمل آلام المؤمنين والعناية بشؤونهم . فمن ظن أن الرياسة شرف لبعض الناس : فهي بالنسبة لأهل الايمان تكليف مر ، وعنت للأعصاب وأهل الايمان احصف من أن يتعرضوا لطلب الامارة أو يسارعوا الى هذا . فاذا كلفوا بالامارة كانت عبئـا على كواهلهم ، وهم أكبر من أن يعتبروا الامارة غاية يسعون اليها ويشتهون أن يكونوا فى منصبها .

المجمع الفقهي الاسلامي

ونشرت مجلة الايمان المغربية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

اذا أردنا أن نعيد للشريعة وفقهها روحها وحيويتها بالاجتهاد الواجب استمراره شرعا والذى هو السبيل الوحيد لمواجهة المشـكلات الزمنية الـكثيرة بحلول شرعية حكيمة عميقة البحث متينة الدليل بعيدة عن الشبهات والريب والمطاعن ، وتهـزم الآراء والعقول الجامدة والجاحدة على السواء فالوسيلة الوحيدة الى ذلـك هي أن نؤسس أسلوبا جديدا للاجتهاد هو اجتهاد الجماعة بدلا من الاجتهاد الفردى . وبذلك نرجع الاجتهاد الى سيرته الأولى فى عصر (أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) .

وطريقة ذلك أن يؤسس مجمع للفقه الاسلامي على طريقة المجامع العلمية واللغوية (الاكاديميات) ويضم هذا المجمع من كل بلد اسلامي أشهر فقهائه الراسخين ممن جمعوا بين العلم الشرعي والاستنارة الزمنية وصلاح السيرة والتقوى ، ويضـم الى هؤلاء علماء مسلمون موثوقون فى دينهم من مختلف الاختصاصات الزمنية اللازمـة فى شؤون الاقتصاد والاجتماع والقانون والطب ونحو ذلك ، ليكونوا بمثابة خبراء يعتمد الفقهاء رأيهم فى الاختصاصات الفنية ، ويتفرغ جميع أعضاء هذا المجمع الفقهي لهذا العمل . ويزودون بمكتبة حافلة ، وتجرى عليهم رواتب كافية . وينصرفون للدراسة الاجتهادية وتقرير حكم الاسلام فى كل ما تدعو الحاجـة الى بحثه مـن موضـوعات ومشكلات زمنية كما يقومون باصدار مجلة لبحوثهم وبانشاء موسوعة للفقه الاسلامي مرتبة على حروف المعجم على نسق الموسوعات القانونية الأجنبية . كما يقومون بفهرسة أمهات الكتب الفقهية التي يستدعيها العصر الحاضر بجانب الاجتهاد .

وهذا المشروع يحتاج الى موازنة كافية لا يستطاع تأمينها الا بأحد طريقين :

اما جباية شعبية من الشعوب الاسلامية كافة (وهذا مسـتحيل الآن للتفكك الملحوظ وقلة الوعي فى جماهير المسلمين وقلة الحرص على الاسلام فى طبقاتهم المثقفة .

وأما بأن تتبنى هذا المشروع دولة فأكثر من الدول الاسلامية ، وترصد له المـال اللازم فى موازنتها المالية اما مباشرة واما بواسطة منظمة اسلامية .

الغزو الفكرى

ونشرت مجلة حضارة الاسلام ـ دمشق ـ مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

يبدو أن الدواء الناجع فى مثل أزمتنا أن تكون لنا فلسفة شاملة تمس كل ما هو جوهرى فى الحياة العربية ، وتقرر المبادىء والمثل الكاملة التي ترفع مجتمعنا الى ذروة الكمال . ومن دون هذه الفلسفة لا نستطيع أن نجابه عدوا غزا حياتنا على الجهات كلها .

والحق ان افتقارنا الى نظرية فلسفية كاملة للحياة العربية بأبعادها كلها يجعلنا مضيعين لا ندرى أين نتجه ، ولا ماذا نأخذ أو ندع . فلقد دخل حياتنا من العلوم والفنون والفلسفات ما قلب تفكيرنا وأحدث فى جونا الفكرى بلبلة خطيرة وانشقاقا فى وجهات النظر . ولذلك نرى المثقفين فى العالم العربي منشعبين فى الموضوعات كلها : كل يدين بمذهب . وقد يقال ان هذا من الحيوية فنقول انه ليس كذلك ، فانما يكون الخلاف من علامات الحيوية حين يكون المخالفون قلة فى مقابل اجماع أغلبية على شيء ما

أما عندما يزول الاجماع ولا يبقى الا الخلاف فان ذلك ناقوس الخطر يدل على قيام تخلخل ذاهب فى الأساس الفكرى للامة .

أما بنود هذه الفلسفة التي نطلبها فينبغي أن تدعو الى وضعها الحكومات العربية ، على أن تجمع لها أهل العلم والفضل والنظر والعربية ، فيتفقوا على ما ينفع ويضر ، ويحددوا الطريق . فاذا اجتمعوا على شيء أخذت الحكومات على نفسها تطبيق هذه الفلسفة تطبيقا كاملا بالوسائل التالية : ـ

١ : ـ تعديل مناهج التعليم فى المدارس العربية تعديلا يتناول الجذور والأسس مع الالحاح على موضوع اللغة العربية ، واضافة موضوع الأخلاق الى السنوات كلها .

٢ : ـ انشاء مؤسسة عربية كبيرة تشرف على الترجمة وتنسق جهود المترجمين العرب فى ديارهم كلها . وسيكون من واجب هذه المؤسسة أن تدرس ما يحتاج المواطن العربي الى ترجمته دونما نظر الى عالمية الأسماء ، فقد يكون الأديب عالميا وتكون فلسفته مناقضة لأهدافنا فتسيء الينا بدلا من أن تخدمنا .

٣ : ـ انشاء قانون جديد للطباعة والنشر يجعل الصحافة والانتاج فى خدمة الأمة العربية لا فى مصلحة المؤسسات الأجنبية وتجار الافكار والقيم . وهذا كفيل بأن يطهر الاسواق من كتب الجنس والابتذال والسطحية .

٤ : ـ تحديد مجال الاذاعات وخاصة المرئية منها ، ووضع فلسفة عامة لمناهجها تراعى فيها مصلحة المواطن وستترفع هذه الفلسفة عن اقرار افلام العصابات والسفاكين وروايات التفسخ الخلقي ، لأن مشاهدة الصبيان والبنات لمثل هذه الأشرطة كل مساء حرى بأن يهدم كل ما تبنيه المدرسة والتربية المنزلية من مثل اخلاقية .

السودان بين الصليبية والصهيونية

وقالت مجلة المنهل بمكة تحت هذا العنوان :

السودان بلد عربي اسلامي فى أغلبيته وعموم أسباب حضارته وثقافته وهو يشكل رأس الرمح الاسلامي العربي فى افريقيا ويشكل طلائع الغزو السلمي الانساني فى مجاهل افريقيا ولذلك فانه يلقى عداء الصليبيين وأصحاب النعرات العنصرية كالقومية الافريقية والقومية الزنجية الى آخره .

ويلقى عداوة اسرائيل التي تريد أن تتخذ من البلاد الافريقية الناشئة أسواقا لتجارتها وميادين لدعايتها المسمومة ضد العرب والمسلمين وبذلك يتكون تحالف عدائي خطير بين الصليبيين واسرائيل ضد السودان والسودانيين مما جعلهم يثيرون العناصر السودانية من جنوب السودان ويجعلونهم يهددون وحدة

البلاد ليخلقوا دولة جديدة فى جزء من السودان تشكل سدا منيعا فى وجه الزحف الحضارى الاسلامي العربي الى أعماق افريقيا .

ولكن هذا الحلف الصليبي ــ الاسرائيلي لن ينجح ولن يفلح لأن السودانيين يقفون صفا واحدا عن ايمان وعقيدة يدفعون الأذى عن بلادهم وعن دينهم الاسلامي العظيم ناشرين الثقافة الاسلامية وينمون المصالح المشتركة ويتعهدون بالزحف الاسلامي المقدس من أمن وسلام الى أعماق القارة السوداء ليجعلوا منها قارة بيضاء مضيئة فى خط نور الاسلام الذى لا يفرق بين الناس الا بقدر تقواهم وما يحسنون من عمل ، وعلى الدول والشعوب الاسلامية عامة والدول والشعوب العربية بصفة خاصة أن تنصر الشعب السوداني العربي المسلم وتناصره فى كفاحه الجديد من أجل الاسلام وفى سياسته الاسلامية الزاحفة الى تلك البقاع الافريقية المختلفة بالتبشير والمجادلة بالتي هي أحسن ، وبالدعاية المنظمة والقدوة الحسنة .

الصحافة .. والحرية ..

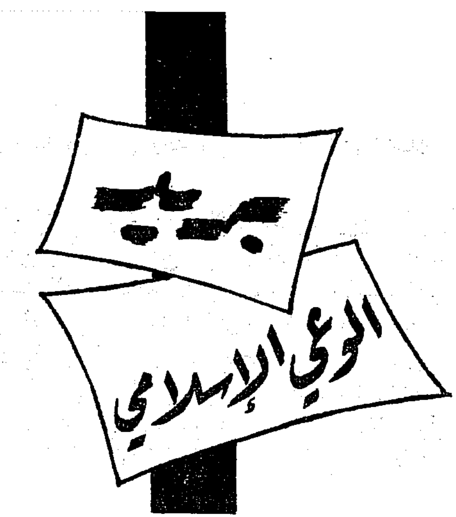
نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

الصحافة عندما تفرغ الى رسالتها خالصة مخلصة ، تكون من أقوى القوى الفاعلية البانية ، فى المجتمعات الانسانية .

وهي ، لكي تستطيع أن تتفرغ لرسالتها ، لا بد لها من توافر السدنة الحقيقيين الذين يملكون الفطرة والسلوكية والكفاءة الضرورية القادرة على أداء تلك الرسالة الانسانية العظيمة . كما لا بد من توفر القدر الكافي من الحرية الوارفة لتستطيع القلوب والعقول أن تنبض وتتحرك بحرية وحيوية ، من أجل تحقيق الخير والتفوق للمجتمع . وبدون توفر هاتين الدعامتين للصحافة : لا يمكن أن تكون قادرة على الاضطلاع بدورها البنائي ، كاملا غير أبتر ولا منقوص .

ويذهب المفكرون الى القول ان القلوب المخلصة والعقول الواعية لا تستطيع أن تترجم وعيها واخلاصها ، فى مجال العمل الصحفي بالذات ، الى واقع مشرف ملموس ، بلا حرية كافية . وكذلك الحرية المطلقة عندما تمنح لمن لا يملك الكفاءةالفكرية والنفسية لتقييم الحرية وتقديرها حق قدرها ، فهي لا تجدى نفعا . بل انها فى الأغلب الأعم ، تؤتي ردة فعل عكسية تضر بالمصلحة العامة ، أبشع الضرر .

ولقد كان من رأينا دائما أن يتعهد مجتمعنا ، بواجهته الرسمية ونواته الشعبية : حركة الصحافة النامية فى هذا البلد ، وأن يسبغ عليها من عنايته وتوجيهه وتشجيعه ما يمنحها مزيدا من القوة والقدرة على النماء والصمود لحمل الرسالة الاعلامية والتوجيهية ، فى هذه المرحلة المخاضية المزهرة بالأمل ، من حياة دولتنا الطالعة فى طريق النهضة والعز والتفوق . بل اننا نرى أن مسؤولية المواطنين فى تشجيع الصحافة ورعايتها لا تقل بحال من الاحوال عن مسؤولية الدولة . ولعل اكبر قسط من هذه المسؤولية يقع على عاتق رجال الصحافة أنفسهم ، باعتبارهم ربابنة الصحافة وقادتها فى دروب التجربة والدأب والبناء . وهم يدركون أن من واجبهم استلهام طبيعة بلدنا ومناخات مجتمعنا ، تقاليد وعادات وتراثا ، أمالا وآلاما وتطلعا ، فى كل ما يكتبون ويعالجون . فذلك أجدى وأنفع فى تدعيم البناء : وأكثر انسجاما مع طبيعة الواقع والمصلحة العامة ، ونحن مع غيرنا من المواطنين ، ننكر كل تهور أو شطط أو مغامرة ، سواء فى الكلمة أو الفكرة أو العمل . لأننا نؤمن بأن التهور لا يبني أمة ، كما أن الشطط لا يخدم مجتمعا ...



حول قطع يد السارق

وردت الينا رسالة طويلة بتوقيع (مسلم والحمد لله) جاء فيها : ـ

أقدم لكم قبل الحديث الذى أود أن ارسله اليكم كل تحية واعزاز بهذه المجلة الحبيبة الى كل قلب يعمره الايمان ... الى أن قال ـ

قرأت فى العدد السادس فى مقال ((أخي القارىء)) لرئيس التحرير حديثا عن السرقة ، وأنه يطالب الحكومات العربية بتنفيذ هذا الحد علاجا للسرقة التي أصبحت مرضا اجتماعيا خطيرا ، وأنا كأحد القراء المسلمين أطالب بتنفيذ هذا الحكم ، ولكن تعالوا معنا يا رجال الاسلام ومفكريه نحدد من هم اللصوص ، هل هم أولئك الذين يطرقون أبواب العمل فى البلاد الاسلامية فيجدونها مقفلة ، فى وجوههم ، هل أولئك الذين أساء اليهم المجتمع فشذوا عنه وقابلوا الاساءة بالاساءة ، بل بالاساءات ، هل السارق هو ذلك الجائع المشرد الضال الذى يسرق دريهمات يقتات بها أم هو رجل آخر يجلس وراء مكتبه يمسك بالقلم المذهب فى يد والتليفون فى أخرى وتحت يده خزانة مملوءة بالأموال ، فكيف جمع هذا الرجل هذه الثروة الخطيرة ، أليس هو لص يحميه القانون ، هؤلاء يا سيدى هم لصوص المجتمع ، تجار البلاد الرأسمالية ، مصاصو الدماء ، هؤلاء هم الذين يجب أن تقف لهم الحكومات بالمرصاد ، فتفرض عليهم المراقبة حتى لا يتلاعبوا بأقوات الناس باسم التجارة الحرة ، ثم ان حد السرقة ان كان حكما ربانيا يجب تطبيقه فان هناك احكاما اجل وأخطر لو طالبتم بها كان أعظم درجة وأقوى برهانا ، طالبوا يا سيدى بالزكاة تقضوا على جميع الأمراض الاجتماعية ومن ضمنها السرقة ، ثم اني أود أن أقول ان تطبيق الحدود من شأن خليفة الاسلام فأين هو ؟ ... الى أن قال .. أأصبحتم سيفا آخر من سيوف التجار الجشعين يسلط على رقاب العباد ؟

والسيد (مسلم والحمد لله) يشكر على تحيته التي وجهها للمجلة ...

ثم نقول له اننا حين طالبنا بتنفيذ عقوبة قطع يد السارق لم يخطر ببالنا التفرقة بين سارق وسارق بل كان أمامنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق منهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) . وكان امامنا كذلك الضمانات التي وضعها الاسلام لتنفيذ عقوبة القطع ـ وكذلك تشريع عمر رضي الله عنه الذى أسقط الحد عـن غلمان حاطب بن أبى بلتعـة حـين سرقوا ، وقال لعبد الرحمن بن حاطب ((أما والله لولا أني أعلم أنكم تستغلونهم وتجيعونهم ـ حتى ان أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ـ لقطعت أيديهم ، وايم الله اذ لم أفعل لاغرمنك غرامة توجعك)) .

وأود أن أقول للسيد / ((مسلم)) ان التجار ليسوا كلهم من هذا النوع الذى يحمل عليه بالأسلوب الذى اعتاده نوع من الناس ، على أن الاسلام يقف بالمرصاد لكل مال يأتي عن طريق غير شرعي سواء أكان صاحبه تاجرا أم غير تاجر .

هذه كلها أمور أعتقد أنها مفهومة كما أن من المفهوم أيضا أن الاسلام يجب أن يعمل أهله على تطبيق مبادئه كلها حتى يتكون المجتمع المسلم الصحيح .. وهذا ما نادينا وننادى به دائما ..

على أن ما يستحق الوقوف عنده هو تساؤل صاحب الرسالة ؟ أين خليفة الاسلام الذى له وحده حق تطبيق الحدود وتنفيذ الأحكام هل هو ملك أو رئيس جمهورية ؟ فان هذا الكلام يعني أنه ليس من حق أحد من ملوك المسلمين أو رؤسائهم أن يطبق الحدود . لأنه ليس بخليفة للمسلمين جميعا ..

نعم يا سيد (مسلم) وجود خليفة للمسلمين جميعا ينطوون تحت لوائه ويوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم ويصدر الاحكام امر مثالي الآن نرجو تحقيقه .. **ولكن هل تعطل الحدود والأحكام الشرعية لعدم وجود مثل هذا الخليفة ؟ .. أظن أن هذا أمر غير مفهوم ولامستساغ . فكل ملك أو رئيس فى دولة اسلامية هو حاكمها الشرعي الذى يصدر القوانين وهو مطالب بتنفيذ أحكام الله فى حدود دولته ..**

ولا أعتقد أن التمسك بوجود خليفة وتعطيل الأحكام والحدود حتى يوجد أمر صادر عن وعي اسلامي رشيد ....

ومن المغرب

وهذه رسالة تعتز بها المجلة لأنها جاءت من المحيط الى الخليج أرسلها الأستاذ المدني الحمراوى الموظف بوزارة العدل بالرباط ــ فى المملكة المغربية مع قصيدة بعنوان « طريق النور » سيراها القراء فى عدد قادم ان شاء الله .

يقول السيد / المدني فى رسالته ــ

انها والله لوثبة صادقة من وثبات الاسلام صدرت هذه المرة من الكويت الناهضة المتأهبة للأخذ بعضد هذا الدين الذى تكالبت عليه المادية والاستعمار والالحاد والصهيونية . فمرحى . مرحى .. اننا لأول مرة نرى فى مجلة الوعي الاسلامي المجلة الاسلامية الصادقة التي استحوذت على الباب المخلصين من ابناء العروبة والاسلام ، اذ رأوا فيها مرآة الاسلام ولسانه الصادق ، وغيرته الحامية للخلق والفضيلة والمجتمع والأسرة وجميع مقومات الأمة الاسلامية ومقدساتها .

فيا اخواني تمسكوا بهذه اليد التي جعلها الله من نصيبكم فانها مأثرة باقية ومفخرة سامية رفعت من شأن الكويت ورجاله المخلصين العاملين ....

ونحن نكتفي بهذا من رسالة الأخ الفاضل ونشكر له غيرته وتقديره لجهودنا المتواضعة ولما تقدمه الكويت من خدمات للاسلام والمسلمين ، ونسأله سبحانه التوفيق لنكون دائما عند حسن ظنه وظن القراء .. كما نرجوه الثبات على الطريق .. طريق الله الذى له ما فى السموات والأرض ....

أما الاخ محمد الوكيل من الرباط أيضا فانه يسأل عن المتعهد الذى يقوم بتوزيع المجلة فى المغرب حتى يستطيع عن طريقه الحصول على أعداد المجلة بانتظام .. ان لم يمكن الاشتراك فى المجلة عن طريقنا .

ونحن نقول للأخ ان الشركة القومية بالقاهرة التي ترسل المجلة لوكلائها في المغرب وشمال افريقيا كله ويمكنك الاتصال بمتعهد بيع الصحف والاتفاق معه وسنتصل بالشركة لنحصل منها على أسماء المتعهدين وننشرها ان شاء الله .

ومن السيد / محمد عبد العزيز جاسم الكويت يشكو فيها من تعنت أصحاب المكتبات التي تبيع المجلة واستغلالهم للطلب المتزايد عليها فيطلبون فيها مائة فلس مع أن ثمنها خمسون فلسا ..

ونحن نشير على الأخ أن يشترك فى المجلة عن طريق المكتبة ويدفع لها الثمن مقدما حتى تحتفظ له بالعدد ان تأخر عن طلبه حين صدوره لأننا اضطررنا الى عدم قبول اشتراكات جديدة بعد ما حصلت لنا وللمشتركين مضايقات بسبب ضياع المجلة فى طريقها اليهم مع الأسف .

على أننا نناشد اخواننا اصحاب المكتبات أن يقنعوا بالربح الحلال حتى يبارك الله لهم فيه ويتجنبوا الاستغلال المحرم ولا سيما فى مجلة اسلامية تعتبر المساهمة فى تسهيل وصولها للقراء خدمة اسلامية يجزيهم الله عليها .

شبهات زائفة

بعث الينا السيد / فاروق محمد السائح من الكويت بالرسالة التالية ـ

زميل لي مسلم من الباكستان وجه الي سؤالا تلقاه من أحد أصدقائه غير المسلمين يقول فيه : نحن عندما نصلي نصلي لله ، ونضع تمثالا أو رمزا أمامنا ، مع أننا نعتقد بأن الصلاة لله ، وأنتم أيها المسلمون لماذا تصلون تجاه الكعبة ، وتحجون اليها ، ولا يتم لكم حج الا اذا طفتم بها ؟ علما بأن صلاتكم لله ، وكثير منكم أو جميع من يحج يقبل الحجر الاسود مع أنه حجر ، والكعبة أيضا من الاحجار فهل القدسية والعبادة للكعبة أم لله ، واذا كانت العبادة لله فالله موجود فى كل مكان .. فما هي الحكمة فى اضفاء هذه القدسية على الكعبة بالذات ..

هذا السؤال قديم قدم البيت . ردده قبل هذا السائل أناس كثيرون يحاولون به بلبلة عقول المسلمين وتشكيكهم ، فى دينهم وصرفهم عن أداء شعائرهم ومناسكهم وكم أثار أعداء الاسلام من شبه حاولوا أن يطعنوا بها الاسلام ونبى الاسلام ، وكتاب الاسلام نفسه .. القرآن الكريم تصدى لهم ففضح أمرهم ، وكشف سترهم ، وعرض للكثير من دسائسهم ومفترياتهم .

وهذا السؤال من غير المسلم يذكرنى بالمثل العربى القائل « رمتنى بدائها وانسلت » .

ولقد وجه هذا السؤال الى داعية مسلم كبير فقال ردا عليه :

وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة ، والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم هذه الفرصة ، فيغمزون الاسلام بانه لا يزال متأثرا ببقية من وثنية العرب ، وأن الكعبة والطواف حولها ، والحجر الاسود واستلامه، وما يحيط بذلك من معانى التكريم ـ ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثر .. وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة ، أو يستلم الحجر يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع وانما هو يقدس المعبود الحق جل جلاله ، ويكرم معنى الاخوة الانسانية الشاملة والوحدة العالمية الجامعة ويذكر فى ذلك قول الله العلي الكبير « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .

ويقول الاستاذ العقاد فى كتابه حقائق الاسلام : فالعبادات شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها ، ولا يتجه الاعتراض الى وضع من أوضاعها الا اذا أمكن أن يتجه الى الوضع الآخر ، لو استبدل منها ما اقترحه المقترح بما جرى عليه العمل ، وقامت عليه الفريضة من نشأتها .

ولماذا يكون الصوم ثلاثين يوما ، ولا يكون ثلاثة أسابيع أو خمسة ؟

ولماذا تكون حصة الزكاة جزءا من عشرة أجزاء ولا تكون جزءا من تسعة أو من خمسة عشر)

لماذا نركع ونسجد ، ولا نصلي قياما أو قياما وركوعا بغير سجود ؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات فليس يمنعه أن يعود الى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع ، أو فرضت الزكاة فوق مقدارها أو دون هذا المقدار .

أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها الذى جاء به الدين .

ويسرى هذا على كل تنظيم فى أمور الدنيا ، ولا يسرى على أمور الدين وحده .

فلماذا يكون عدد الكتيبة فى جيش هذه الامة خمسين مثلا ، ويكون فى أمة غيرها أربعين أو مائة ؟

ولماذا يجعل اللون الاخضر رمزا لهذا المعنى فى ألوان العلم القومي عند قوم من الاقوام وهو مجعول لغير هذا المعنى عند أقوام آخرين .

لا مناص فى النهاية من أسباب توقيفية يكون التسليم بها أقرب الى العقل من المجادلة (١) .

وليس أدل على صفاء العقيدة الاسلامية وتجردها من كل شوائب الشرك والوثنية من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يتجه الى الحجر الاسود ! انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

---

(١) كتاب حقائق الاسلام للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد



الكويت

اذاع راديو الكويت تصريحا لسعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية الكويتية اعرب فيه عن استنكار الكويت للتصريحات التى ادلى بها جورج طومسون وزير الدولة البريطانى وقال فيها ان بريطانيا لن تقف على الحياد اذا نشبت حرب بسبب دولة العصابات الصهيونية فى فلسطين .

وقال سعادته اننا كنا نأمل من بريطانيا وهى تحاول ان توثق علاقاتها بالعرب على اسس من الصداقة والمصالح المتبادلة ان تلتزم جانب الحياد ان لم تستطع احترام الحق وتأييده .

تلقت الجهات المختصة فى الكويت دعوة من حكومة ماليزيا لارسال مراقب عنها لحضور المسابقة التي ستقام خلال الفترة الواقعة ما بين ٨ و ١٣ يناير ١٩٦٦ فى كوالالامبور لتلاوة القرآن الكريم .

وافق مجلس وزراء الكويت على مذكرة وزارة الخارجية التي توصى فيها بالموافقة على تبرع ثان لمشروع مبنى المركز الاسلامى فى نيويورك ، الذى سبق ان اسهمت فيه الكويت بمائة الف دولار ، وقرر المجلس الاسهام مرة اخرى بمبلغ مائة الف دولار .

قبل سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت الدعوة التى وجهها اليه سماحة الشيخ عبد الله غوشة قاضى قضاة الاردن لحضور الاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج فى رحاب المسجد الاقصى المبارك . وقد سافر سعادته وشارك فى الاحتفال المذكور .

وصلت الكويت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) أستاذة الادب العربى بجامعة عين شمس بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعى ، وألقت محاضرة عن المرأة المسلمة فى المجتمع الحديث وذلك فى قاعة المحاضرات بثانوية الشويخ ، وقد أقبل عليها جمهور كبير ، وفى مقدمتهم بعض الوزراء والوكلاء ، وكثير من المسئولين والمعنيين بالشئون الاسلامية والاجتماعية ، كما شهدها لفيف كبير من السيدات .

الجمهورية العربية المتحدة

كشفت بعثة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة مجموعة من الآثار الاسلامية الهامة فى منطقة كلبا بمريوط بينها نص باللغة العربية يرجع الى عام ٦٤٠ ميلادية يتعهد فيه عمرو بن العاص حاكم مصر بضمان المحافظة على جميع الاديرة المسيحية فى مصر .

القى السفير التركى فى الجمهورية العربية كلمة فى حفل تقديم اوراق اعتماده الى سيادة رئيس الجمهورية جاء فيها ان هناك مبدأ من اهم مبادىء السياسة الخارجية لتركيا هو تنمية العلاقات الودية مع الدول العربية الشقيقة والتى ترتبط بها تركيا بروابط الاسلام التاريخية والثقافية .

السعودية

نشرت صحيفة الدعوة التى تصدر من الرياض ان جلالة الملك فيصل ابدى عناية خاصة بوجوب اضطلاع المملكة بواجبها فى الدعوة الاسلامية فى آسيا وافريقيا .

الوعى : وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

ترأس سمو الامير عبد المحسن بن عبد العزيز امير المدينة المنورة اجتماعا هاما لدراسة مشروع الاصلاحات والترميمات للمسجد النبوى الشريف . المسجد تمت توسعته منذ سنوات قليلة . وقد تم وضع توصيات لترميم القباب وتجديد النقوش وطلاء الاعمدة .

الجمهورية العراقية

كل الانباء الصادرة من عاصمة العراق تؤكد تصميم حكومتها على صيانة الحكم فيها من النزعات الشيوعية مع الحرص التام على الاسلام ومبادئه والحد من سياسة التأميم .

قال الرئيس العراقى : جاءنى واحد يقول اننى اريد انشاء مصنع ولكننى اخاف التأميم . فقلت له : انشيء مصنعا بمليون دينار ولا تخش التأميم .

الاردن

دعت الاردن الدول الاسلامية للاحتفال بالاسراء والمعراج فى المسجد الاقصى . منتهى الاسراء ومبدأ المعراج .

فكرة عظيمة لعلها تشد عزيمة المسلمين لتطهير ما حول المسجد وتخليصه لاهله .. من ايدى الأفاكين ..

الجزائر

البعثة الازهرية التى تدرس بمعاهد الجزائر الدينية تقرر زيادتها الى ١٤٠ مدرسا . كانت فى العام الماضى مكونة من مائة مدرس ...

اعتقلت الجزائر بعض الفرنسيين المقيمين بها لقيامهم بنشاط هدام يعرض امن الدولة للخطر ...

تركيـــا

ابلغ الاتحاد العام للغرف التجارية قناصل الدول العربية فى استنبول بانه لم تنشأ اية غرفة تجارية مشتركة بين تركيا واسرائيل ، وان تركيا قررت مقاطعة مؤتمر الغرف التجارية الاسرائيلية الذى عقد فى تـل ابيب .

وقد ابلغ القناصل العرب مذكرة اتحاد الغرف التجارية التركية الى الجامعة العربية واجهزة المقاطعة فيها .

اندونيسيا

أعلن الدكتور سوكارنو انه سيتخذ الاجراءات المناسبة ضـد الحزب الشيوعي فى اندونيسيا لاشتراكه فى محاولة الانقلاب الفاشلة .

تشتد حملة اليمينيين الآن للقضاء على الشيوعيين وتقليم اظفارهم فى اندونيسيا بينما تظهر الدول الشيوعية قلقها وحمايتها للحزب هناك !!

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ــ

بغداد : ــ مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان : ــ وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

بيروت : ــ دار الصياد ــ السيد رشيد القاضى ــ لبنان .

القاهرة : ــ توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ــ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ــ السعودية

مكة المكرمة : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

الخبر : ــ مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب (٧٦) السعودية

عدن : ــ وكالات الاهرام التجارية ــ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ــ المكتبة الوطنية وفروعها ــ السيد فاروق ابراهيم

المكلا : ــ مكتبة الشعب ــ ص ب (٢٨) المكلا ــ حضرموت

دبى : ــ المكتبة الاهلية ــ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ــ المكتبة الاهلية ــ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ــ مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب (٨٤٢)

السودان : ــ السيد أحمد النور علي ــ الخرطوم ــ ص‌ب (١٩٥٦) .

الكويت ــ مكتب منار للتوزيع ــ شارع الجهرة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



حى شعبى اسلامى من القلعة (بالقاهرة)

لوحة زيتية بريشة : **محمد مؤذن**



السنة الأولى ـ العدد التاسع رمضان ١٣٨٥ هـ ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ م



قصة العدد ..

((اللهم لك الحمد))

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع السنة الاولى
رمضان سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

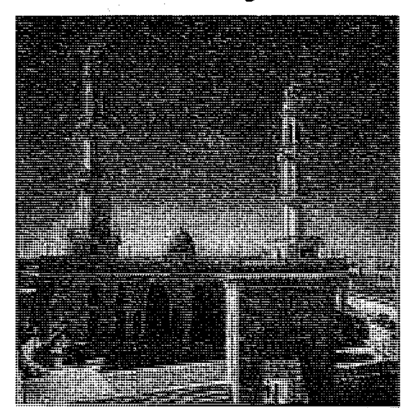
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



مسجد العثمان أفخم مسجد فى الكويت بناه المحسن الكبير المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان الذى انتقل الى جوار ربه فى أواخر شعبان سنة ١٣٨٥ هـ رحمة الله وأجزل ثوابه

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي — وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص.ب ١٣ — هاتف ٢٣٢٢٧

> « ان العـــين تدمـع ، والقلب يحـزن
> ولا نقـــول الا ما يرضـــى الرب » .
> « حديث شريف »

وداعاً أيها الراحل الكريم

لصاحب السعادة عبد الله المشاري الروضان
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

منذ أيام ودعت الكويت قائدها ، ورائد نهضتها ، وراعى حماها ، سمو أميرها المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح ـ الوداع الاخير ـ رفـع الله درجاته مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وأحله فى عليين مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وما أشدها مرارة على المرء ان يتحدث عن الحاكم الذى عاش حياة عريضة مليئة بالمحبة الخالصة بينه وبين رعاياه ، حتى تلاشت صفة الحاكمية فيه ، واستقرت بديلا عنها أبوة رحيمة حانية ، على أبناء بررة يقدرونه حق قدره ، ويعرفون له فضله ، ويفدونه بالمهـج والارواح .

عرفه شعبه عن كثب ، فلم يكن منعزلا فى برج عاجى ، بعيدا عن أبناء الوطن ، بل كان رحمه الله يتجول كل يوم فى البلد فيحييه الشعب ، وهو يرد التحية بأحسن منها ، ثم يئوب الى قصره قرير العين جذلان .

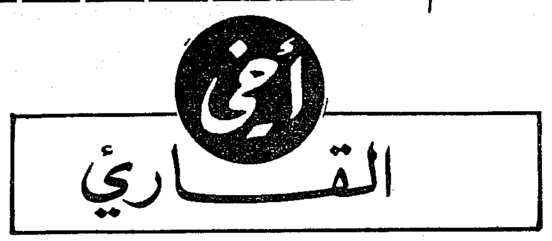
أما عن الاصلاح والتعمير فى عهده الميمون فحدث ولا حرج ، فها هى ذى الصروح المشادة للدين والعلم والطب والثقافة ، شاهد صدق على مدى ما وصلت اليـه البلاد فى عهده من تقدم ورقى ، فقد قطعت دولة الكويت فى مدة يسيرة مراحل حضارية ـ قطعها غيرها فى عشرات السنين ـ واحتلت مكانة مرموقة فى المجال الدولى العام .

وقد طوّف خير الكويت فى عهده فشرّق وغرّب ، ونال منه القاصى والدانى ، فرحم الله فقيدنا العزيز رحمة واسعة .

وانا لنضرع الى الله جلت قدرته ، أن يمد فى عمر خلفه صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم ، وأن يجعل عهده عهد يمن وخير وبركات ، وأن يؤيده بقوة وعون من عنده .

عبد الله المشارى الروضان
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



كلما أهل علينا شهر رمضان ، أحيا فى نفوسنا عاطر الذكريات ، وشعر المؤمنون بما خصه الله به من نفحات. فهو الشهر الذى بدأ فيه نزول القرآن ، وفرض علينا صيامه ، ومجاهدة النفس فيه تقربا اليه ، وتحدثا بنعمته ، وسن لنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه الاكثار من الصلاة ، وقيام الليل ، وقراءة القرآن ، والاحسان الى المحتاجين . وفرض علينا زكاة الفطر ، حتى يجد الفقراء مما تجمع فى أيديهم من هذه الزكاة ، ما يجابهون به حاجات أسرهم فى هذا الشهر ، وفى أيام العيد ، حتى لا يشعروا بمرارة الحرمان فى هذه الايام السعيدة ..

هذه المعانى الكريمة نعرفها ، ونحسها كلما أقبل علينا شهر رمضان .. ولكن هناك ناحية أخرى من ذكريات هذا الشهر لا يحسها الا قليل من الناس .. وهي ناحية تتصل بتاريخنا وأمجادنا ، ومن الواجب علينا أن نعني باحيائها ودراستها ، لنستمد منها زادا لأرواحنا وقوة لنفوسنا ، ونحن نخوض مع أعدائنا المعارك الحارة والباردة ، لنستعيد مكانتنا ، ونحمي تراثنا وعقيدتنا وحريتنا ...

ولست أريد هنا أن أستقصي هذه الامجاد ، التى اقترنت بهذا الشهر ، ولكني أريد الاقتصار على اثنين منها لاقترانهما بمبدأ الدعوة الاسلامية ، ولأنهما كانا مفتاح تحول عظيم فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفيهما خير الزاد لأصحاب المثل والدعوات الكريمة .

أما أولهما : فموقف وقفه الرسول وصحابته فى السنة الثانية من الهجرة ، ولا يزال الاسلام قريب عهد بالمدينة ، وجراح الهجرة ومخلفاتها فى النفوس لا تزال متفتحة .. وكان المسلمون منذ بدء الدعوة فى مكة يقابلون الاساءات بالعفو ، ويتحملون الاعتداءات بالصفح .. لأنهم لم يكونوا يملكون من القوة ما يدفعون به بغي الكثرة .. حتى اذن الله للدعوة أن تنفتح لها قلوب فى غير منبتها ، ويتجمع حولها جنود فدائيون ، يحمون الرسول مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم ، وهم وان كانوا قلة الا أنهم بايمانهم الراسخ يستطيعون الدفاع والاقتصاص ممن يعتدى عليهم ، فكان من الطبيعي أن يأذن الله لهم بالدفاع والقتال ، ولم يكن خطب الرسول وصحابته بتركهم وطنهم خطبا يسيرا يمكن للنفس أن تنساه ، أو تنام عليه ، فاخذ الرسول القائد يضع الخطط للاقتصاص من هؤلاء الطغاة الذين تحجرت قلوبهم ، وطاردوه حين ترك وطنه ، ليقضوا عليه وعلى دعوته .. فكانت موقعة بدر التى اقترن تاريخها بهذا الشهر . والتى يصور الرسول صلى الله عليه وسلم أهميتها فى تاريخ الدعوة وهو يناجي ربه وقت المعركة ((ويدعوه)) اللهم فنصرك الذى وعدتني .. اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .

لم يخرج الرسول والمؤمنون لخوض معركة حربية أخذوا جميعا أهبتهم لها ، ولكن خرج بعضهم معه يريدون قافلة تجارية يعوضون بها خسائرهم فى مكة على يد أهلها . ولكن أفلتت القافلة ، ولو أن المكيين اكتفوا بهذا ، ورجعوا لما كانت هذه الموقعة ، ولكن الله سبحانه أرادها لتكون درسا خالدا يسجله القرآن ، ويلفت النظر الى مكان العبرة فيه وهو يقول ((قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار)) .

نعم لو رجعوا لما كان الدرس ، ولما كانت الآية والعبرة ، ولما خلد الانصار موقفهم الرائع حين قالوا للرسول وهو يستشيرهم فى مجابهة القوة الزاحفة ((أمض بنا لما أردت فنحن معك ، والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد)) .

كان المسلمون مع قلتهم يملكون أقوى عدة للنصر ، وهي الايمان الذى يصنع المعجزات ، فتجلى الله عليهم بعونه ومدده ((اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)) .

وكان من الطبيعي أن ينتصر الايمان على الشرك والطهر على الرجس والفساد ، وبقى هذا الانتصار آية خالدة لما يفعله الايمان بالنفوس ، وما يحققه لأصحابه من عزة وكرامة .

وأما ثاني هذين الموقفين فقد كان فتح مكة .

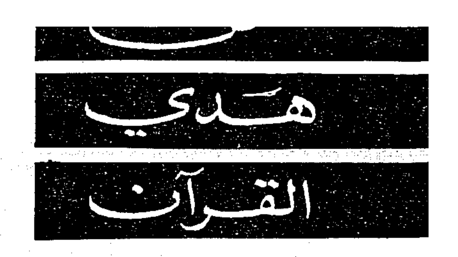
زحف الرسول اليها بجيش عدته عشرة آلاف . وهو الذى خرج منها مستخفيا يطارده كفارها ، وبعد ثماني سنوات عاد اليها بهذا الجيش المؤمن المكافح فى شهر رمضان ، وفى شعاب الجزيرة وحرها ، ليحرر أحب البلاد الى الله من الوثنية ، ويطهرها من الرجس والفساد .. ولم يستطع الذين حاربوه طوال هذه المدة . أن يصمدوا أمام قوة الايمان الزاحفة فاستسلموا له ، وأتوا اليه مذعنين ، يرجون منه الصفح والمغفرة وهم الذين لم يعرفوا طوال حياتهم معه معنى للعدل والانسانية . ولكن كان رسول الله كريما معهم ، فعفا عنهم ، وهو قادر على الانتقام منهم وقال لهم : ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) ..

أخي . هكذا فعل الايمان ، وتلك هي ثمرته فى هذه المدة القصيرة ، ألا ترى أننا الآن أحوج ما يكون الى هذا الدرس والى هذه القدوة .. بعد ما تشبع جونا بالمهاترات ، وبالكلام الحماسي ، بينما فتر فيه العمل المنتج ، لا لشيء الا لفتور الايمان فى النفوس .. وتوزع قلوب المسلمين شرقا وغربا ، وجريهم وراء أهواء شخصية ، تبدد كل آمالهم وجهودهم .

اننا لا ينقصنا وضوح الرؤية لأهدافنا وآمالنا ، ولكن ينقصنا ذلك الايمان ، الذى يجند أصحابه دائما للفداء والتضحية فى سبيل عزتهم وكرامتهم ..

فهل نستيقظ ؟ أرجو ..

رئيس التحرير





يقول الله تبارك وتعالى ((يأيها الذين آمنوا كتب عليكم

فى هذه الآية الكريمة ثلاث معان كبار بارزة ـ

المعنى الاول

أن الله تعالى كتب علينا ـ نحن المسلمين الصيام ، أى جعله فريضة لازمة .. وهذا ما يتضمنه قوله تعالى ((يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)) .

المعنى الثانى

أن الله تعالى كتب الصيام فى جميع الملل السابقة ، على كل أمة سلفت ، الى أن ختمت الرسالات بخاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم .. قال فى المنار ((فالصيام عبادة قديمة جاءت بها الملل السابقة ، فكان ركنا من كل دين ... والمعروف أنه مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية ، فهو معروف عند قدماء المصريين فى أيام وثنيتهم ، وانتقل منهم الى اليونان ، فكانوا يفرضونه ، ولا سيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ...)) .. وهذا المعنى هو ما يتضمنه قول الله تعالى فى الآية الكريمة ((كما كتب على الذين من قبلكم)) .. وقد استندائمة التفسير فى هذا التعميم الى قوله تعالى ((وان من أمة الا خلا فيها نذير)) .

المعنى الثالث

ان هذا الصيام منهاج ، يراد به تحقيق غاية سامية ، يترتب عليها صلاح النفس والمجتمع ، وهى تقوى الله تعالى .. وذلك قوله سبحانه فى الآية الكريمة ((لعلكم تتقون)) أى كتب عليكم الصيام رجاء أن تتحقق لكم به تقوى الله عز وجل ...

وقد يقتضينا المقام أن نورد كلمة عن كل معنى من هذه المعانى الثلاثة ، ايناسا للقارىء الكريم فى صيامه ، وبسطا لما أجملنا فى شرح الآية الكريمة .

المعنى الاول

وقد لا يكون القارىء بحاجة الى أن نذكر له أن الصيام الذى كتبه الله علينا ، يقتضينا الامساك عن الطعام والشراب ، والصلة الجنسية ، وسائر المحظورات من طلوع الفجر الى غروب الشمس من كل يوم من أيام شهر رمضان .. ولكن قد يطيب

للاستاذ البهي الخولي

« الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

له أن يعرف أن صيامنا نحن المسلمين قد مر بأطوار او احوال اربعة حتى انتهى الى الصورة التى نؤدية عليها الآن .

الاولى وفيها يقول الامام ابن كثير « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ... وصام يوم عاشوراء » ... فلم يكن فى هذا الطور – أو فى هذه الحال – من صوم واجب على المسلمين الا هذه الايام الثلاثة من كل شهر حتى لقد ذهب معاذ وقتادة وعطاء – رواية عن ابن عباس الى ان هذه الايام الثلاثة هي مراد الله تعالى بقوله « أياما معدودات ، فمن كان منكم ... » عقب قوله « كتب عليكم الصيام » الآية ... ومع أن المحققين يذهبون الى غير هذا فى تفسير الايام المعدودات ، فان احدا منهم لم يتعرض لنفي وجوب صيام هذه الايام الثلاثة من كل شهر فى هذا الطور ...

وأما عاشوراء ، فقد ذكر ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فرأى اليهود تصوم عاشوراء ، فقال « ما هذا ؟ » فقالوا يوم صالح ، نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال عليه السلام أنا احق بموسى منكم فصامه .. وأمر بصيامه » .. وأرسل عليه السلام رجلا ينادى فى الناس يوم عاشوراء « ان من أكل فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل ، فليصم ، فان اليوم يوم عاشوراء » ..

ولما نزل فرض صيام شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، نسخ صيام هذه الايام ، وقال عليه الصلاة والسلام « ان صوم رمضان نسخ كل صوم » وقالت عائشة عن عاشوراء لما فرض صوم رمضان قال عليه السلام « من شاء صامه ، ومن شاء تركه » .

وأما الحالة الثانية ، ففيها يقول ابن كثير ايضا ثم ان الله فرض عليه صوم رمضان ، وأنزل الله تعالى قوله « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. الى قوله لعلكم تتقون .. الى قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر ، فعدة من أيام أخر .. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ... » الآية .. ومن معنى الآيتين ان لكل من المريض والمسافر ان يفطر فى رمضان ، ثم يصوم فى غير رمضان أياما بعدد التى أفطرها بعد زوال المرض أو انتهاء السفر .. أما من ليس مريضا ولا مسافرا – وهو المقيم الصحيح الذى يطيق الصيام – فهو بالخيار اذاشاء صام .. واذا شاء أفطر على أن يخرج الفدية ،



وهى اطعام مسكين عن كل يوم يفطر فيه ، قال معاذ رضى الله عنه « كان فى ابتداء الامر من شاء صام .. ومن شاء أفطر ، وأطعم عن كل يوم مسكينا ... وروى البخارى فى ذلك اكثر من حديث ، وكلها تدور حول أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بالخيار أول الامر من شاء منهم صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا ، أخذا من قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أى على القادرين على الصيام اذا أرادوا الافطار أن يعطى كل منهم فدية اطعام مسكين عن كل يوم (١) ...

وأما الحالة الثالثة فبدأت بنزول قوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هـدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ... الآية » .

ويلاحظ أن الآية ذكرت حكم المريض والمسافر ، ولم تذكر شيئا عن « الذين يطيقونه » ومن‌هنا روى البخارى عن كثير من الصحابة ، أن هذه الآيـة نسخت التى قبلها ، وألزمت القادرين على الصيام أن يصوموا ولا بد « فمن شـهد منكم الشهـر فليصمه » .. وبعد أن كان الصحابة فى المرحلة السابقة مخيرين بين الصيام .. والافطار مع‌الفدية ، صاروا بعد هذا النسخ ملزمين بالصيام ..

وأما الحالة الرابعة ، فهي خاصة بجعل الصيام مقصورا على النهار وحده ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ورفع ما كان مكتوبا منه بالليل .. فقد كان الرجل اذا حل له الافطار ، يحل له الاكل والشرب ، والجماع ثم يمسك عن ذلك :

١ : اذا صلى العشاء ...

٢ : اذا نام قبل صلاة العشاء ...

فكل من صلاة العشاء والنوم قبلها كان يلزم الرجل أن يمتنع عن المحظورات سائر ليلته ويومه التـالى حتى يمسى ، وكان ذلـك شـاقا على المسلمين .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغه ما يلقون فى ذلك من مشقة ، وحدث أن قيس بن صرمة كان يعمل فى أرض له وهو صائم ، ودخل منزله عند الافطار ، فقامت زوجته تعد له فطوره ، فلما عادت به وجدته قد استغرق فى نومه .. فلما استيقظ أمسك عن الاكل .. فلما انتصف النهار ساءت حالته ، وغشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل الوحي يبيح الجمـاع ، والأكل ، والشرب في جميع الليل وجاء في ذلك قوله تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن . . الى قوله : « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم‌الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل » . . وبهذه الرخصة انتهى الصيام الى صورته التي نؤديه عليها الآن ، وتحقق للمسلمين بها موعود قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

... وبهذه الأحوال ، أو الأطوار الاربعة جاءت الفريضة سهلة ميسرة ، تحقق قـول الله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكـم العسر » ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .

المعنى الثاني

وفى المعنى الثاني الذى يتعلق بصيام الذين من قبلنا ، اختلف العلماء فى المراد بالتشبيه فى قوله تعالى « كتب عليكـم الصيام كمـا كتب على الذين من قبلكم » فقال بعضهم ان التشبيه يرجع الى توحيدوقت الصيام عند الجميع بمعنى أن الله كتب على قوم موسى ، وقوم عيسى ومن قبلهم صيام شهر رمضان .. ولكن القوم غيروا وبدلوا . ! ! .. ومنهم من قال : ان التشـبيه لا يرجع الى وقت الصيام وزمنه ، بل يرجـع الى صـفته التي تقـوم بحبس النفس عـن المحظورات ..

وذهب آخرون الى أن التشبيه لا يتعلق بالوقت ولا بصفة الصوم ، انما يتعلق بأصل وجوبـه وفرضيته ، بمعنى أننا نشترك واياهم فى فريضـة الصيام ، ويفترق كل فى الزمن الذى يقع فيه ، والكيفية التي يؤدى بها .. وهذا الرأى‌هو الأقرب الى الفهم .

(١) هذا رأى فى الآية وهناك آراء أخرى ..

وعلى أى حال فالكل مجمع على أنه كان للامم السابقة صيام كتبه الله عليهم كما كتب علينا صيامنا الذى نؤديه فى شهر رمضان ، وواقع التاريخ فى ذلك يسير مع نص القرآن .. وقد قدمنا ـ عن المنار ـ أن الصيام كان معروفا عند قدماء المصريين ، وعند اليونان ، وعند الرومان .. ونزيد أنه كان ولا يزال معروفا عند الهنود ، وعند الصابئين .. وعند المانوية وغيرهم .. الى ما هو معروف الى اليوم من صيام اليهود ، والمسيحيين .. ونورد كلمة عن صيام كل من هؤلاء يتضح بها المقام ، مع ملاحظة ما أدخل على هذه الديانات من تحريف تغير به الصوم عن أصله .

أ ـ صيام وثنية الهند

وعمدتنا فيما نذكر عن صيام وثنيي الهند هو العلامة البيروني فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة » ... وهو يذكر فى ذلك من التفاصيل والعجائب ما يضيق المقام عن ايراده ، فنكتفي منه بما يأتي : ـ

١ : ـ فمن الصيام ما هو لله .. ومنه ما هو للملائكة ، أو لأحد منهم .. ومنه ما هو لأحد ملوك الأساطير مثل « باسديو » الذى كان بينه وبين « اندرو » أى شيعته ـ منافسة ـ يطول ذكرها ـ انتهت بفوز « باسديو » .

٢ : ـ وهناك أربعة أشهر ينام فيها باسديو ، فاذا نام صاموا له واجتنبوا اللحم ، والسمك والحلوى واقتراب النساء ، وهجروا فرشهم ، وجعلوا الأرض فراشا لهم .. فاذا انتبه باسديو صاموا له صوم الانتباه ، قال البيروني « وفى هذا اليوم يتلوثون باخثاء البقر ـ لأنها معظمة ـ ويفطرون بلبنها ، وبولها وأخثائها مقطوبة » أى يفطرون بها ممتزجة بعضها ببعض ! ! ! .

٣ : ـ ومنه صوم اسمه « ماسواس » وهو أن يصوم بالوصال شهرا متوالي الأيام لا يفطر خلالها بتة ..

٤ : ـ ومن عقائدهم أن روح الميت تعود الى الحياة فى جسم جديد .. ويستطيع كل انسان ان يحدد لروحه نوع السعادة التي يريدها لها ، اذا رجعت ثانية الى الارض .. فمن كان يريد لها الغنى ونجابة الأولاد ، فان التمهيد لذلك هو صيام شهر « جيتر » وهو أحد شهور السنة ـ صيام وصال متواليا لا يفطر خلاله .. ومن كان يريد لها الماشية ووفرة الصحة ، فلذلك صيام شهر « بهادربت » صيام وصال أيضا .. واذا أراد لها الجاه فى قبيلته .. أو أن يكون مظفرا على أعدائه .. أو أراد العلم .. أو الولاية فى أطيب مملكة .. وهكذا فان لكل واحدة من هذه العادات وصال شهر معين باسمه بين شهور السنة الاثنى عشر ..

٥ : ـ ومن واصل صيام جميع الشهور ، فلم يفطر فى السنة الا اثنتى عشر مرة ، ـ على رأس كل شهر مرة ـ فهذا يمكث فى الجنة عشرة آلاف سنة ، ثم يعود منها الى الأرض ، ليكون بها فى بيت ذى شرف ، ورفعة وحسب » ! ! .

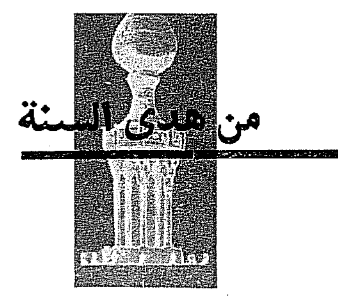
ب ـ الصيام عند الصابئين .. والمانوية

ويؤخذ مما جاء فى الفهرست لابن النديم أن الصابئين كانوا يصومون تعظيما للقمر ، وكانت مدة صيامهم ثلاثين يوما تبدأ من اليوم الثامن لشهر آذار ـ مارس ـ يمسكون فيها عن الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها . وأما المانوية ـ اتباع ماني ـ فقد كان صيامهم ثلاثين يوما أيضا ـ على ما ذكر ابن النديم ـ يصومونها تعظيما للكواكب ، وعبارته « اذا أهل الهلال ، ونزلت الشمس الدلو ، ومضى من الشهر ثمانية أيام يصام حينئذ ثلاثون يوما » .. وكان صيامهم كصيام الصابئين ، امساكا عن الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها ..

جـ ـ وصيام اليهود والنصارى

وقد جاء عن ذلك فى تفسير المنار للأستاذ الامام محمد عبده « وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ، مشروعا ، ومعدودا من العبادات ... واليهود فى هذه الأزمنة يصومون اسبوعا تذكارا لخراب اورشليم .. ويصومون يوما من شهر آب .... وينقل أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع ، وأنهم كانوا يصومونه

البقية على ص ٢٦ ـ ٢٧



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . (رواه البخارى)

١ ــ الصيام عبادة قديمة ، فرضها الله على الامم التي سلفت وبادت ، كما فرضها على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وعرفه الوثنيون وأخذوا أنفسهم به ، كقدماء المصريين واليونان والرومان ، الا انه لم يكن بالطريقة التي حددها الاسلام خاتم الاديان السماوية .

والصوم فى لغة العرب معناه الامساك والكف عن الشيء مطلقا ، وفي التنزيل الحكيم « فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » فسمى الامساك عن الكلام صوما ، ويخصه الشارع الحكيم بالامساك عن قضاء شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا لوجه الله تعالى .

٢ ــ والصوم هو الركن الوحيد من اركان الاسلام الذى لا يدخله الرياء ولا المباهاة ، ونظرة عجلي على سائر الاركان الاربعة الاخرى (كلمة التوحيد ، الصلاة ، الزكاة الحج) ترينا منافذ الرياء فيها مفتوحة على مصاريعها ، فمن الممكن أن يردد انسان ما الشهادتين بلسانه رياء وخديعة دون أن يكون لذلك أثر مستقر فى قلبه ، ولهذا لم يدخل القرآن الناطقين بها بألسنتهم فى عداد المؤمنين (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) واجابة سيدنا عمر رضي الله عنه لصاحبه الذى حدث عن آخر مادحا لانه شاهده يصلي ويطيل الصلاة ــ معروفة مشهورة ــ حيث قال له « أغرك رفع رأسه وخفضها فى المسجد » وكذلك أمر الزكاة ، فقد تخرج ليقال فلان ينفق ويزكي ، وليسير بحديثه الركبان وما الحج عن ذلك ببعيد .

٣ ــ أما الصائم فلا يعلم حاله على حقيقته الا علام الغيوب ، فهو سبحانه المراقب له وحده والمطلع عليه وحده ، حيث ان فرص التخفي فيه عن الناس

كثيرة . ولهذا ختمت الآية الكريمة التي فرض الله بها الصوم بقوله تبارك وتعالى « لعلكم تتقون » فهذا الختام يشير صراحة الى أن الله سبحانه فرض على المسلمين هذا الركن من أركان الدين ليعدهم لتقواه بالابتعاد عن المباحات الميسورة امتثالا لامره ، واحتسابا للاجر عنده ، وبذلك تتكون وتقوى فيهم العزيمة وقوة الارادة على ضبط النفس عند الملمات المثيرة .

٤ ـ فالامساك ـ اختيارا ـ عن قضاء الشهوات الملحة التي تقتضيها طبيعة البشر ، ويستلزمها التكوين الخلقي للانسان والتي لا استمرار لوجوده الا بها ، لا شك يعود المرء على خشية ربه دائما سرا وجهارا ، ليلا ونهارا ، فمن يمنع الصائم من أكل شهى، وشراب لذيذ مع الحاح الجوع والظمأ ، ومن يدافعه عن مواقعة حليلته حين لا يطلع عليه احد شهرا كاملا غير خوفه من سلطان ربه ، واقراره بطاعة خالقه ، ووقوفه عند حدوده ، امتثالا لاوامره واجتنابا لنواهيه ، رغبة فيما أعد له من أجر ، وما ينتظره من مثوبة عنده اكبر . وتلك خلال من اعتادها وأخذ نفسه بها حتى صارت له خلقا أبعدته عن سفساف الامور ورذائل السلوك ، فلا يكذب ولا يمين ، ولا يخادع ولا يمارى ، ولا يقترف منكرا ولا يجترح سيئة ، ولو ألم باليسير سارع الى التوبة ، وبادر بالندم ، فأبصر وأناب « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ».

٥ ـ وللصوم فوق فوائده الصحية التي ندع الحديث عنها للطبيب المختص فهو بها أدرى وعلى تشخيصها أقدر ـ ولا ينبئك مثل خبير ـ ومع تربية النفس تربية روحية ، له جانب آخر مادى حيث يبعد عن الوقوع فيما يغضب الله حين يضعف القوة الشهوانية ـ كما حدث بذلك من لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة وأزكى السلام فقال « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء (١) .

ومن ثماره كذلك تربية الشعور بالتجاوب الانساني فى السراء والضراء ، فمن أصابه ضر ثم عوفى أزال ضر غيره ان استطاع ، ومن جاع أو ظمىء علم ان فى الناس من يجوع ومن يظمأ ، ومن مرض رأى الصحة نعمة لا تدانيها نعمة ، فبذل جهده حتى يقوى فى اغاثة المحتاجين وسد عوز السائلين ، وبذل خيره وعم معروفه من عرف ومن لم يعرف ابتغاء مرضاة الله ، واجابة لداعي الحق والخير .

ومن استطاع قهر نفسه التي بين جنبيه ، وأمكنه التغلب على نوازعها المضادة أمكنه أن يوجه قواه الى كل نافع مفيد للانسانية ، وسار فى ركب الذين حملوا الامانة ، فحملوها ، وكلفوا بالدعوة فبلغوها ، ورأوا عثرات غيرهم فأقالوها ، وصاروا قدوة فى التضحية فى جميع مجالات المحبة والسلام ، ورفع راية العدل واقرار قواعد الاسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

٦ ـ ومن استطاع الصوم كما يرضي الله برىء من النفاق والنفار والشقاق وقول الزور وكان في المجموعة الانسانية لبنة طيبة كريمة تسد الفراغ ، وترتق الخرق ، وتدفع ركب الحياة الى أمن تنشده الدنيا ، وكان داعية سلام نادى به الفلاسفة والعقلاء ، واستقرار ينتج ازدهارا وأزهارا عبقة يغمر أرجها الوجود فتبيد الحروب الباردة والساخنة وتوجه الناس الى بارئهم ، وتلتقي بهم فى رحاب خالقهم ومدبر أمورهم ، وتنفي الغل

---

(١) والوجاء لغة . رض الانثيين ، وهو كالخصاء مضعف للشهوة الجنسية .

والحقد والكيد والحسد ، وتلك عوامل بوار لو بادت لنما الوفاق والحب وغمر الكون جو المدينة الفاضلة التى انشأها الفلاسفة فى مخيلاتهم بعد أن عجزوا عن تحقيقها فى واقعهم ، وقصارى القول : لا طريق يهدى الى الخير المحض الخالص الا طريق الاسلام ولا وسيلة تقضى على آلام البشرية وتمحوها الا الوسائل التى أوحاها رب كل شيء الى عبده ورسوله سيدنا محمد عليه السلام ، وللعبادات الاسلامية جوانب فوق ما يحس البشر وما يرون ، وما بينهم وبين الوصول الى كنهها الا الاستقامة على الدين واخلاص النية لله رب العالمين .

٧ ــ وأخيرا اذا كان فضل الصوم بهذه المثابة من القوة ، وتلك منزلته من العبادات المفروضة فما جزاء الصائم ، وما مكافأته التى أعدها الله له ؟ ونترك حديث الجزاء والثواب لمن يستطيع الحديث فيه ، للرءوف الرحيم الموحى اليه من الحى القيوم ونستمع لصحابى جليل يحدثنا عنه صلى الله عليه وسلم كما حدثهم واصفا ثواب الصائم ومبينا بعض ما يجب أن يكون عليه حاله من الكمال الاخلاقي ، يقول عبد الرحمن ابن صخر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل عمل ابن آدم يضاعف ــ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى ، الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم » (١) .

وما بعد بيان رسول الله بيان ، فذلكم هو الصوم المطلوب وهاكم جزاؤه عند الله ، فلا تعلم نفس ما أخفى للصائمين من قرة أعين جزاء بما قدموا فى الايام الخالية ، وما راقبوا أنفسهم عند خلوتهم بأنفسهم بعيدا عن أعين الناس ، وما امتثلوا من تعاليم حبيب الله ورسوله الرؤوف الرحيم .

٨ ــ وفى الختام أحب أن يقف الصائمون على بعض ما ورد عن الرسول الكريم من الكلم الطيب فى شهر رمضان وصيامه فالفطر النقية الطاهرة الصافية تتلاقى فى هذا الوادى الخصيب الذى الذى يخرج نباته باذن ربه ، ويتعهده أقرب خلق الله الى الله وأعرفهم به وأعطف البشر على البشر ، دون حاجة الى شرح أو بيان .

أ ــ فى حديث متفق عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب السماء ، وفى رواية فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين .

ب ــ وقال عليه السلام « فى الجنة ثمانية ابواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » (٢) .

جـ ــ وقال عليه افضل الصلاة وأزكى السلام « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (٣) .

ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض احكام الصيام .

---

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

أ ـ قوله « تسحروا فان فى السحور بركة . (١)

ب ـ وقوله « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه مسلم .

جـ ـ وقوله « اذا اقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » متفق عليه .

د ـ وقوله « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » متفق عليه .

وحثا على بذل المعروف فى رمضان قال صلى الله عليه وسلم :

« من فطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره » رواه احمد وآخرون من أصحاب السنة .

وورد أن جبريل كان يلتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم خلال شهر رمضان فيدارسه القرآن . وكان عليه السلام جوادا وفى رمضان كان اجود بالخير من الريح المرسلة .

هذا غيض من فيض من توجيهات رسول الله للصائمين ومن تعاليمه الحكيمة لأمته ، فاللهم وفقنا للعمل بما يرضيك فى خلوتنا وجلوتنا فى مصبحنا وممسانا فى قيامنا وقعودنا فى صيامنا وافطارنا ، وفى كل أحوالنا ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه ، واجعل شهر الصيام شهر خير ويمن وبركة وسلام يشمل الدنيا جميعا ويعمها برحمة منك ورضوان انك سميع مجيب.

---

(١) متفق عليه

من كلمات الامير الراحل

« ان ثروة الكويت ملك للشعب ، وانا حارسها »

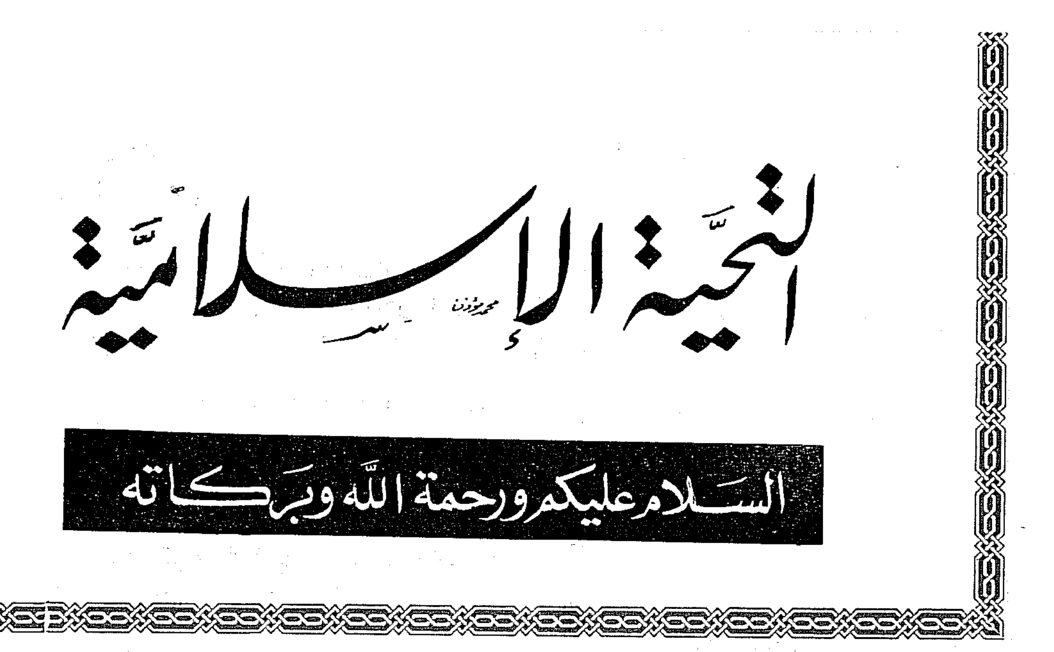
■

« الكويت تؤمن بالوحدة بجميع اشكالها ، عندما تكون نابعة من ارادة الشعب »

« . . . لا تقولوا هذا مصرى وذاك لبناني . انما نحن عرب ، حبنا بعضنا لبعض فيه الوفاق والتضامن . . ان الكويت عربية قبل كل شيء ، وهى تضحي فى سبيل العرب بكل شيء . ولن تسلم سمعة العرب الا عندما نكون يدا واحدة ، لأن التعاون هو القوة »

■

« انني اومن بأن الفتاة التي تمثل نصف المجتمع والتي ترعى المنزل لتربي جيلنا الجديد يجب أن تنال قسطها الكامل من التربية والتعليم . فالمجتمع الذى لا تتعلم فيه الفتاة لن يستطيع النهوض على قدميه فى عالمنا الحديث . ولذلك فانني اشعر بالغبطة وانا أرى فتاتنا الكويتية وهي تأخذ نصيبها من التعليم كاملا ، وتتحمل مسئولياتها فى الحياة . . . » .



هذه تحية الاسلام ، قوامها السلام والرحمة والبركة . ومفروض على المسلم ان يدعو بها عشرات المرات فى صلاته كل يوم ، وعشرات المرات فى لقائه بمواطنيه، فهي اذن تطبع حياته اليومية بطابع انساني متألق ، يجعل منه دستور سلوكه اليومي

تأملت طويلا فى معانيها ، وانتهيت الى أنها تحمل فى ثناياها مفاتح السعادة للانسانية جمعاء ، فلو وعاها البشر ، وحرصوا على انفاذ مدلولها ، لانتفت البغضاء بينهم ، وامتنعت الحروب المدمرة ، واستقر السلام والرخاء فى الأرض .

السلام

الركن الاول هو السلام ، تبشر به التحية ، وتدعو الى بثه فى ربوع الأرض ، وتجعله البداية الخيرة فى كل اتصال للانسان بأخيه الانسان ، حتى يصير السلام أساس جميع العلاقات الاجتماعية ، والركن الثانى هو الرحمة ، فالتحية تبرز عاطفة الرحمة ، وابراز هذه العاطفة يهدف الى تحقيق التراحم والتعاون بين الأفراد والشعوب . والركن الثالث هو البركة ، هي ثمرة تفاعل هذين الركنين : السلام والرحمة .

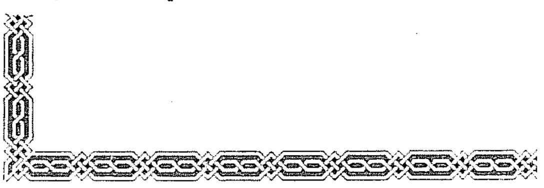
والسلام صفة من صفات الله ، واسم من أسمائه الحسنى . والرحمة صفة من صفات الله ، فهو الرحمن الرحيم الذى كتب على نفسه الرحمة . والبركة هبة من هبات الله ، يهبها أينما يستقر السلام ، وتسود الرحمة بين البشر .

ونحن بنى آدم الذين فضلنا الله على جميع خلقه ، وجعلنا خلفاءه فى الأرض ، قد أمرنا بأن نتخلق بأخلاق الله . فأصبح لزاما علينا أن نرفع لواء السلام ، وأن نؤدى كل الالتزامات التى



للدكتور محمد عبد الله العربى

عميد معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة



تفرضها الرحمة ، وتنبثق من معنى الرحمـــة . ومتى أنجزنا هاتين الفريضتين بكل ما تشتملان عليه غمرت بركات الله أرجاء الأرض .

هذه تحية الاسلام ، نرددها عشرات المـرات فى صلواتنا ، وفى لقائنا بمواطنينا ، فهـلا تأملنا مدلول هذه التحية ، وهلا استوعبنا معانيها ، حتى تستقر فى وجداننا ، ونهتدى بها فى سلوكنا اليومي اهتداء طائعا مختارا .

ألا فلنشترك معا فى تدبر هذه المعانى :

ولنبدأ بالركن الأول ، ركن السلام ، الـذى أفاض القرآن فى الدعوة اليه ، وجعله سمة مـن سمات نعيم الجنة :

« يهدى به الله من اتبـع رضوانه سـبل السلام » (المائدة ١٦) .

« ونادوا أصحاب الجنة ان ســـلام عليكم » (الاعراف ٤٦) .

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيهـا سلام » (يونس ١٠) .

« والله يدعو الى دار السلام » (يونس ٢٥) .

« قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك » (هود ٤٨) .

« خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » (ابراهيم ٢٣) .

« يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (النحل ٣٢) .

« لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما.الا قيلا سلاما سلاما » (الواقعة ٥ ، و ٢٦) .

السلام نوعان

والسلام يشف عن معنيين : عن معنى فردى داخلى ، وعن معنى جماعي خارجي .

اما المعنى الفردى فهو تلك السكينة التي تغمر قلب المؤمن عندما يشعر أنه قد قام بكل ما فرضه عليه ربه نحو نفسه ونحو المجتمع . عندمـا يشعر أنه قد أسهم فى انتاج خير يعود على ذاته ، وعلى من يعولهم وعلى المجتمع معا . عندما يشعر أنه قد أخذ بيد الضعيف ، وآسى المكلوم ، وداوى الجريح ، ونصر المظلوم . عندما يشــعر فى اداء واجبه أنه انما يؤديه ابتغاء وجه الله قبل ابتغاء الجزاء المادى .

والسلام بهذا المعنى النفسي أمنية عزيزة المنال ، لا سيما فى عصور الانحلال المادى . والناس فى الظفر بـه مراتب ،

اعلاها مرتبة النفس المطمئنة التي تعيش فى عصمة سلامها الداخلى ، وفى قوة لا غالب لها مهما عصفت حولها الأحداث ومهما تكاثرت عليها الشدائد ، حتى تعود الى ربها فى نهاية المطاف راضية مرضية .

على ان السلام النفسي اذا كان مطلبا عزيز المنال ، فان السلام الخارجي أمنية أعز منالا . السلام النفسي يتطلب التدريب الذاتي . والعبادات الاسلامية اذا استكملت أهدافها تقوم بأكبر دور فى هذا التدريب . أما السلام الخارجي فيصطدم فى كل خطوة بنزعات الشر التي تهدد كيانه ، وحوافز البغى التي تحطم بنيانه .

فكل مجتمع ــ مهما تفاوت أفراده فى مراتب السلام النفسى ــ يود أن يعيش فى اطار منيع من السلام الخارجي ، حيث لا تفكر أمة فى الاعتداء على امة،ولا يخف بلد الى غزو بلد آخر . وشعور كل مجتمع بانه فى مأمن من العدوان الخارجى عليه وانه قد أعد العدة لصد هذا العدوان ، شرط أساسي لتحقيق ما ينشده المجتمع من فلاح وعمران .

ولكن كل مجتمع يتألف من أفراد ، من نفوس بشرية خصتها خالقها بحرية اختيار بين النجدين بين الخير والشر . وكل مجتمع يضم بين جنبيه رعاة ورعية ، حكاما ومحكومين ، قادة ومقودين . ومن بين أولئك وهؤلاء نفوس نزاعة الى الشر والبغى ، وما فتىء تاريخ الانسانية حافلا بمعارك عدوانية بين الأمم ، وبالدفع والصراع بين المعتدين والمعتدى عليهم :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ومن هنا كان العمل على صون السلام بهذا المعنى مطلبا محفوفا بالمكاره يقتضى السهر الدائم والكدح المستمر من أجله ، ويفرض الاعداد الكامل لدفع كل ما ينقضه ، والتأهب الناجز لرد كل عادية عليه .

لذلك ندبنا خالقنا ــ وهو العليم البصير بنزعات النفس البشرية ــ الى مداومة التأهب والاستعداد لصد كل عدوان على السلام من المفسدين فى الأرض ، فقال جلت حكمته « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وحدد لنا هدف هذا الاستعداد بأن يكون الارهاب الرادع لا الاعتداء الباغى . كما حدد صفة عدونا هذا بأن يكون عدو الله ، أى عدو الحق والعدل وخير الانسانية جمعاء . ثم أطلق التعبير « بالقوة » لتنصرف الى القوة المعنوية والقوة المادية معا .

معنى القوة فى الآية

تنصرف الى القوة المعنوية بما يتفرع عنها ، وما تغرسه فى نفوسنا من فضائل خلقية وصلابة قومية . اذ بغير هذه القوة المعنوية لا يكون لأى سلاح أو عتاد تأثير ناجح فى صد العدوان .

وتنصرف الى القوة المادية بل تشتمل عليه من اعداد الكفاية من الجند والسلاح والعتاد ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة فى « رباط الخيل » وبما تشتمل عليه من تعبئة الموارد الاقتصادية على نحو يكفل اكبر قسط من الاكتفاء الذاتى فى المؤن والاقوات ، ويكفل التصنيع القادر على موالاة الامداد بالسلاح والعتاد .

لا بد للسلام من قوة

هذه القوة فى مادياتها ومعنوياتها هي الشرط اللازم لحفظ السلام الذى نتنادى به فى تحيتنا

الاسلامية ، لكي نتذاكر مقتضيات السلام ، فلا نغفل لحظة عنها ، ولا نتراخى في استكمالها ، على الوجه الذى يلائم مطالب كل عصر ..

الرحمة

أما الركن الثاني في تحيتنا اليومية فهو ركن الرحمة ، رحمة الله كما أرادها أن تكون بين عباده، وما أوسع آفاق هذه الرحمة ، وما يترتب على كل معنى من معانيها .

فالرحمة متى انتشر لواؤها في مجتمع عاش ابناؤه في تواصل وتعاون ، فلا تجد فئة مترفة الى جانب كثرة في متربة .

والرحمة متى ازدهرت في وجدان المجتمع سار أفراده في ابتغاء الرزق وفي سعيهم الاقتصادى بالرفق والعدل وبالتعاون والتكافل ، لا بالكيد والجشع والاثرة والتناحر .

والرحمة متى سادت في مجتمع انتفى منه البغى والاستغلال وصار كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وربنا الرحمن الرحيم كتب على نفسه الرحمة بعباده وآيات رحمته لا يحصيها العد ، حتى كتبه التي أنزلها على رسله لهداية البشر كانت من آيات رحمته بعباده .

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء ١٧)

« تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين » (لقمان ٢ ، ٣)

« وانه لهدى ورحمة للمؤمنين » (النمل ٧٧)

« هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »

« وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » (البلد ١٧)

« بصائر للناس وهدى لعلهم يتذكرون » (القصص ٤٣)

« قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » (الزمر ٥٣)

« قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء » (الاعراف ١٥٦)

« فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته » (الجاثية ٣٠)

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (النحل ٨٩)

« ان رحمة الله قريب من المحسنين » (الاعراف ٥٦)

« فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » (الانعام ٥٤)

ونحن اذ نتبادل تحيتنا الاسلامية انما نتذاكر فريضة الرحمة ، ونتذاكر آيات رحمة الله بعباده . فلا غرو أن تكون الرحمة ـ وكل ما ينبني عليها من معان واتجاهات ـ هي شعار كل مجتمع اسلامى في علاقاته الاجتماعية .

البركة

أما الركن الثالث في تحيتنا الاسلامية فهو ركن البركة ، بركة الله التي يغدقها على كل مجتمع تسوده الرحمة ويحرص على مقتضيات السلام .

فاذا تداعينا ببركات الله في تحيتنا اليومية فلنتذاكر شرائط استحقاقها فبغير عمل دائب يصون السلام لاتكون بركة ولانماء ، وبغير الرحمة لايكون تعاون وتكافل بين الناس، فيحل الصراع الطبقي في داخل كل شعب، ويحل الصراع العالمي بين الشعوب .

وبعد فهذه بعض المعاني التي تتدفق من ثنايا تحيتنا الاسلامية ، حبذا لو وعاها كل مسلم وعمل على هديها .



للاستاذ علي طنطاوى

فكرت اليوم في أمر الرزق ،فوجدت أمر الرزق عجيبا، كل امرىء يأكل رغيفه ،لا يبيت أحد جائعا ولكن كلا يجد رغيفه في مكان .

الموظف جعل الله رغيفه على مكتبه ، يقعد على كرسيه يدخن دخينته ويترشف قهوته ، ويمد يده فيأخذه . ومنهم من يكون ساكنا فى مكة (مثلا) ، ورغيفه فى جدة ، فهو يذهب كل يوم ، يقطع أكثر من سبعين كيلا (١) ليأتي به ويرجع ، فاذا لم يذهب اليه لم يأخذه .

ومنهم من يكون من أهل الشام أو مصر ، ولكن الله يضع له رغيفه ، فى بعض السنين فى الكويت أو فى الرياض. . والطيار وضع رغيفه فوق السحاب وقيل له : اصعد لتأخذه ، والغواص وضع رغيفه فى أعماق البحار وقيل له : انزل لتأخذه ، وعامل المنجم رغيفه فى بطن الأرض ، أو فى وسط الصخر الصلد، لا يصل اليه حتى يفجره بالديناميت .

والعطار يتناوله بيد مضمخة بالعطر ، والزبال يتناوله بيد ملطخة بالزبل .

ومن يأكله هنيئا مريئا ، ومن يأكله ليحاسب عليه من بعد حسابا عسيرا ، وقد يصلى به سعيرا .

ومن الناس من يكون مثل أمين الصندوق فى المصرف ، تحت يده مئات الآلاف ، وماله منها آخر الشهر الا خمسون دينارا ، وهو الغني البخيل ، تكون عنده الأموال الطائلة ، ويعيش هو وأهله على القليل فهو (أمين صندوق) يحفظها ليستمتع الورثة من بعده بها ، ويكون عليه حسابها .

---

١ ـ الكيل وجمعه اكيال ، مثل الميل والاميال ، تعريف كيلو متر .

ومن يكون مثل (المعتمد المالي) اعني الموظف الذى يوكله اخوانه فى الدائرة باستلام الرواتب من الخزانة وتوزيعها ، وهذا هو الغني الذى يلهمه الله الانفاق على الفقراء ، انه يعطي كلا رزقه لا يعطيه من رزق نفسه ، فهو كالمعتمد ، ولكن الموظف المعتمد يكون جزاؤه كلمة شكر ، وربما حرموه من كلمة الشكر وهذا المحسن يوصل الى الفقراء أرزاقهم ، ويكون له عن كل مائة دينار يوزعها سبعون الف دينار : حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

★ ★ ★

ومن يكون حافظا لمال والمال مقسوم لغيره

حدثنى مرة الشيخ صادق المجددى سفير الافغان سابقا فى مصر ، انه كلف مرة بمهمة سياسية عاجلة فى روسيا ، وخاف ان يمر ببلد لا تؤكل ذبيحة اهله شرعا ، وكان عنده دجاجتان فأمر بذبحهما ، واتخذت له زوجته سفرة (١) منهما ، حملها معه ، فلما وصل الى طاشقند (٢) دعاه شيخ مسلم . فكره ان يأخذ الدجاجتين معه الى دار الشيخ ، ورأى فى طريقه امرأة مسلمة فقيرة معها اولادها ، ورأى الجوع باديا عليهم وعليها ، فدفع اليها الدجاجتين .

فلم تمض ساعة حتى جاءته برقية ان ارجع فقد صرف النظر عن « المهمة » فكانت هذه الرحلة لامر واحد هو ان الدجاجتين كانتا فى داره ولكنهما ليستا له ولا لاهله ، انهما لهذه المرأة واولادها ، قطبختهما زوجته وحملهما بنفسه اربعة آلاف كيل ليوصلهما اليهما .

وقرأت مرة ولست اذكر الآن اين قرأت ، خبر رجل تاجر كان فى بغداد على عهد الموفق وابن طولون فأضاق وافتقر حتى نقض داره وباع انقاضها، ولم يبق له شيء ، فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له : اذهب الى مصر ، الى حارة كذا ، فى جهة كذا ، يأتك الرزق ، فلم يلق لذلك بالا ، فعاودته الرؤيا ، مرات ، كل مرة يجد هذا القائل ، ويسمع منه هذا القول ، فاستدان من المال ما استطاع السفر به الى مصر ، فلما وصلها سأل عن الجهة والحارة والدار ، فاذا هى دار صاحب شرطة احمد بن طولون ، فقبض عليه ، وقال له انت جاسوس للموفق ، وضربه عشر مقارع ليقر ، وهو يتنصل ، ويقول : ما انا بجاسوس .

قال له : فما الذى جاء بك الى دارى .

فقص عليه القصة ، فضحك منه وقال له : انت مجنون ، انا من شهور اجد فى المنام من يقول لى ، ان فى دار فلان التاجر فى بغداد تحت الشجرة جرة فيها خمسة الاف دينار ، فلا ابالى ، وانت تسمع كلمة فى المنام ، ولعل رؤياك من اضغاث الاحلام ، فتصدق ؟

وكانت الدار التى ذكرها صاحب الشرطة داره هو فعاد الى بغداد ، واستخرج الجرة من تحت الشجرة ..

★ ★ ★

والرزق ليس المال وحده ، وقد يعطى الرجل المال الوفير ، ويحرم ما هو احب اليه ، واعز عليه من المال .

اما سمعتم قصة السيد الغنى الذى كان له القصر الفخم ، ومن حوله الخدم

البقية على ص ٤٧

---

١ ــ السفرة زاد **المسافر** .

٢ ــ وكانت تسمى الشاش ومنها الشاشي **الكبير** والشاشي الصغير الفقيهان الشافعيان .



فقدت الكويت أميرها ووالدها سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح حيث وافاه الاجل فى الساعة الخامسة من مساء الاربعاء الثاني من شعبان ١٣٨٥هـ الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٦٥ بعد وعكة قلبية أصيب بها وهو يفتتح الدورة الرابعة لمجلس الامة فى الثاني من شهر رجب ١٣٨٥هـ .

ولقد قضى الشعب الكويتي مع أميره شهر المرض فى دعاء وأمـل أن يمن الله عليه بالشفاء ، وتجلت روح الشعب الاصيلة الوفية فى هذا الشهر .. ولكنها كانت أكثر بروزا وتجليا حين انتقل سموه الى رحمة الله .. كنت أحس ان الشعب كله أسرة واحدة فقدت والدها الذى منحها كل بره وعطفه ورعايته اثناء حياته .

ولم يكن الشعب فى ابداء شعوره رسميا أو متكلفا ، بل كان يصدر عن عاطفة صادقة وحب طبيعي واحساس عميق بمقدار الخسارة فيه ، وخرج كله حول جثمانه يودعه الى مقره الاخير .

واذا كان الموت حقا عبرة وعظة تتكرران كل يوم فان هذه العظة قد كملت صورتها وتجسدت معالمها حتى نفذت الى كل قلب يعي ويتدبر ، حين رأينا جثمان الفقيد يوارى فى لحد عادى على حافة القبور الاخرى ، شأنه فى ذلك شأن أى فرد عادى من أفراد الشعب . أحسست أنه يرقد بين أفراد شعبه وأسرته الكبيرة دون حاجز أو تمييز كما كان يعيش بينهم فى حياته .



للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

وتلك هي البساطة والمساواة التى حرص الاسلام على تحقيقهـا ، لتكون فى القبور وزيارتها عظة خالصة مجردة من زخارف الحياة الدنيا وزينتها التى حرص كثير من الناس ـ مع الاسف ـ على نقلها الى ساحة الموت ، لتظل الفوارق ـ فى نظرهم ـ بالزخرف والزينة بعد المـوت كما كانت من قبله .

وذلك هو الخطأ الذى نبه الاسلام الى تجنبه بعد أن سوى الموت بين الجميع ، لا تفرقة بينهم الا بالعمل الصالح الذى جعله الله مقياسا لعباده يوم لقائه .

وقد رقد الامير الذى كان يملك الملايين ، والذى كان من الممكن أن تستغل بعض ثروته فى بناء أفخم مقبرة له فى العالم . رقد كما يرقد من حوله من لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ..

تلك هي العظة ، وهذه هي تعاليم ديننا الحنيف ...

والوعى الاسلامى اذ تنعى الى قرائها والد الكويت وأميرها ، وراعى نهضتها تقدم خالص عزائها للاسرة الحاكمة وللشعب الكويتي والاسلام، وتسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ، ويوفق أخاه وخلفه سمو الامير صباح السالم الصباح لتحقيق أماني الوطن والاسلام والعروبة فيه .

هذا وقد رأت الوعى الاسلامى من الوفاء تجاه العاملين لنهضـة شعوبهم أن تقدم لقرائها نبذة عن الوالد الراحل بقلم أحد أبناء الكويت

الوالد الراحل

الذى كانت له بسموه صلة خاصة طيلة حياته وهو الاستاذ الحاج عبد العزيز العلي المطوع الذى عرفه القراء بمقالاته التى قدمها فى أعداد سابقة .

وتلك هي الكلمة التى جاءت ـ مع ايجازها ـ معبرة ومؤثرة ـ

فى هذا العصر الذى طغى فيه زخرف الدنيا على الناس ، واستهوت مظاهر الابهة الكثير من ذوى الغنى والنفوذ فى العالم ، كان فقيدنا الراحل، مع ما له من سلطة وهيبة ، ومن أسباب للثراء الواسع ، ومن تقدير واحترام ، شاملين ، وطاعة تامة من الجميع ـ كان زاهدا فى الجاه والسلطان والمال ، لا يغريه أى من ذلك ، ولا يخرجه عن بساطه العيش التى آثرها طوال حياته ، ولا يجعله يتعالى على الناس ، أو يعمد الى القهر والقوة ، أو يبذر الاموال الطائلة فى غير أوجه الخير والاصلاح ، ولذلك كان لفقده رحمه الله أسى فى قلوب الناس كافة ، وصدى فى جميع أرجاء العالم وفى مختلف الدول والمنتديات الدولية عامة ، والعربية والاسلامية خاصة .

ولست مبالغا اذا قلت ان كل بيت فى الكويت يعتبر وفاته مصابا نازلا به ، حتى لم يعد مأتمه مأتما للأسرة الحاكمة وحدها ، بل للشعب الكويتي بأسره .

وان من يتعمق فى ما قيل ، أو كتب بمناسبة هذا المصاب الجلل ـ عن سمو الامير الراحل ليشعر بوضوح ان الكلمات التى قيلت ، أو كتبت فى تأبينه انما صدرت عن مشاعر صادقة وقلوب محبة ، وانها لم تكن كلمات مجاملة تقتضيها المناسبة ، أو مواساة شكلية لا تتجاوز الافواه أو أسنة الاقلام . كيف لا وقد أحس الفقيد الراحل للجميع ، وفى عهده ازدهرت البلاد بما أفاء الله عليها من خير عميم ، وكان رحمه الله أبا رحيما للجميع ، واتسع قلبه للكبير والصغير .

ولقد كنت ممن اسعدهم الحظ فى حياة الامير الراحل بالتشرف بلقائه فى مناسبات عديدة ، وقد لمست هذه الصفات عن قرب فى سموه ، وان أنس لا أنس حدبه وحنانه عندما قال بصدد حديث جرى بين سموه وبيني وقد رأى اني ربما تجاوزت فيه رأيا ، « عبد العزيز لقد عشت فترة من الزمن وحيدا مدللا عند أبويك » ، ولا أنسى كذلك رضاه وابتسامه عندما عقبت على عبارة سموه هذه بقولي : نعم لقد دللني والدى ، وانتقل الى جوار ربه ، ولم يبق لي أب يدللني بعده الا أبو الجميع . سموكم ، ولقد استمر دلالي لديه حتى توفاه الله واختاره الى جواره .

ومن العلامات التى تلفت النظر فى حياة الفقيد العزيز انه وقد آثر حكم الشورى والاسلوب الديمقراطي فى هذا البلد كان آخر اختصاص

دستوري بارز مارسه في حياته مرتبطا بهذا الاسلوب في الحكم وهو افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة ، قبل وفاته بشهر ، فقد الت به ـ داخل المجلس ـ تلك الوعكة القلبية التي انتقل في اعقابها الى جوار ربه راضيا مرضيا ، والعالم كله يشيد بهذه التضحية وتلك الروح الديمقراطية التي بذل حياته في سبيلها ، فضاعف بذلك من مكانته في الداخل والخارج .

وضاعف تقدير التاريخ لهذا الاتجـاه الشـعبي الديمقراطي لدى المغفور له سمو الامير الراحل انه كان سباقا الى هذا الاسلوب بدافع من فكره الصائب ، وشعوره المرهف وتقديره الحكيم ، فسبق الحوادث ، ولم تسبقه ، وعمل مختارا ، ولم ترغمه ، فجزاه الله عن كل ذلك خير الجزاء وشمله بسابغ رحمته وغفرانه ورضاه ، وألهم الامة العربية والاسـلامية عامة وشعبه واسرته خاصة الصبر الجميل ، وجعل عهد حضرة صاحب السمو خليفته الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت عهدا مباركـا ميمونا من عزة وسؤدد واعلاء لكلمة الله ، واقامة لشريعته ونشر لدينه ، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

الامير الراحل في سطور

ـ ولد ـ رحمه الله ـ عام ١٨٩٥

ـ نشأ سموه على حب الادب والتاريخ وعلوم اللغة العربية

ـ في فترة ولايته للعهد ترأس المجلس التشريعي عام ١٩٣٨ ثم مجلس الشورى بعده كما قام بتنظيم مالية الكويت .

ـ تسلم شؤون الحكم في ٢٥ فبراير ١٩٥٠ خلفا للمغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح .

ـ عمل من اول يوم من ايام حكمه على زيادة حصة الكويت في عائدات النفط وتحقق له ذلك في الاتفاقية التي عقدها مع الشركة .

ـ اعلن استقلال الكويت في التاسع عشر من يونيو سنة ١٩٦١

ـ صدر اول دستور كويتي في اليوم الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩٦٢ .

ـ قفزت الكويت في عهده قفزات واسعة في مجالات الحضارة والتقدم .

ـ جرى انتخاب مجلس الامة يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٢ وافتتحه بنفسه يوم ٢٩ من يناير سنة ١٩٦٣ .

ـ حضر مؤتمرات القمة العربية الثلاثة واسهم في حل ما يصادفها من متاعب ومشكلات ..

ـ اصابته وعكة صحية اثناء حضوره افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة يوم ٢٦ من اكتوبر ١٩٦٥ .

ـ في الساعة الخامسة من مساء الاربعاء الموافق ٢٤ من نوفمبر ١٩٦٥ وافاه الاجل المحتوم مأسوفا عليه من جميع العرب والمسلمين ..

رحمه الله واجزل ثوابـه .. ..

بليله ، ولعلهم كانوا يسمونه عاشوراء .. ولهم أيام أخر يصومونها ..

وأشهر صوم النصارى وأقدمه الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى ، وكان يصومه عيسى عليهما السلام ، والحواريون رضي الله عنهم ... ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام .. ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك ، وصوم عن البيض واللبن ... وكان الصوم المشروع عن الأولين منهم — كصوم اليهود يأكلون فى اليوم والليلة مرة واحدة .. فغيروه ، وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار » .

المعنى الثالث

وأما المعنى الثالث الذى يتعلق بحكمة الصيام ، ويتضمنه قول الله تعالى « لعلكم تتقون» فمفتاحه أن تقوى الله قبل أن تكون أمرا ظاهريا فى العبادة وفعل الخير ، هي وجدانات عالية ينشئها فى النفس حب الله وخشيته ، بملاحظة نعمه ومقامه الجليل فى الكون ، فيكسبها ذلك حذرا تتقي به الفساد ، الذى ينحرف بها عن فطرة الخير فيها .

ونلاحظ فى الآية على هذا أمرين :

الأمر الأول أن الصيام المأمور به شرعا اذا أداه المرء احتسابا وطاعة لله عز وجل ، كانت ثمرته التقوى ولا بد ، « كتب عليكم الصيام .. لعلكم تتقون » .. أى كانت ثمرته تلك الوجدانات العليا .. وهي حقائق ذات معان ثرية تمتزج فيها القوة بصدق الاحساس ، فيكون لها على ضمير المرء ومواهبه أمرة الهيمنة والتوجيه .. ويكون من أثرها فى ظاهر الحياة طاعة الله ، وكل نهج صالح ..

والأمر الثانى أن الصيام اذ كتب علينا وعلى الذين من قبلنا — أى على الناس كافة — انما أريد به هذه النتيجة نفسها وهى أن ينشأ فى الضمائر ذلك التنبيه الوازع الذى له خصوصية الوقاية ، واقامة النفس على سمت صحتها .. وفى هذا من أصول الحقائق ما يأتي : —

أ — وحدة العلة فى البشرية كلها .. ووحدة العلاج لها فى كل عصر وبيئة .. فالنص الكريم يمتد مفهومه — من حيث الكم — على طول الزمان والمكان حتى يشمل البشرية كافة .. وينفذ الى الأعماق — من حيث النوع أو الكيف — حتى يبلغ جوهر حقيقة الانسان ، فيرى من وحدة العلة فى الجميع ما يستدعي الوقاية منه بعلاج واحد ، هو التقوى .

وتقوى الله واجبة فى كل زمان ومكان ، ولكن المقام يلزمنا التقيد بحال الصائم المحتسب ، فانه لم يمتثل الصيام بامتناعه عن حظوظ بشريته ، الا وهو يتمثل قيام هيمنة الله فى ضميره .. وهي حال يتفتح فيها من مشاعر السمو والوقار والتحفظ ما يقوم حاجزا أو وقاية للمرء من آفات ضعفه البشرى ، فليس الصيام وحده هو الذى يحقق التقوى بل الانبعاث اليه بنية طاعة الله ، وقصد التقرب اليه ، على ما قال سبحانه فى الحديث القدسي « يدع طعامه وشهوته من أجلي » .

على أن مرادنا لا يتعلق ببيان الصوم الذى يثمر التقوى ، والذى لا يثمرها ، بل يتعلق بمفهوم الآية الكريمة اذ ينفذ الى الجوهر فى حقيقة كل آدمي ، فيرى من وحدة العلة فى الجميع ما يستدعى علاجه بعلاج واحد هو التقوى .

ب — واذ ينفذ مفهوم الآية الى « حقيقة الانسان » — أو فطرته — بين أنها تحتاج الى وقاية .. وقاية فقط « لعلكم تتقون » .. والشيء اذا لم يحتج الا الى الوقاية ، فهو سليم الجوهر ، نقي المعدن .. أى أن معدن حقيقة الانسان خير كله ، يتضمن كل مبادىء الخير وعقائد الحق ، ولا ينقصه لكي يؤتي ثمر ذلك الا أن تكون له وقاية تقيه ما يعوق ظهوره ..

ج ـ ولكن ما تلك الآفات التي تعرض لجوهر الانسان ؟ .. وما الثمر الذى يتحقق بردها عنه ؟ . ان الآية الكريمة بنفوذها الى جوهر حقيقة الانسان ، انما تنفذ الى صميم فلسفة النفس ، وما لها من مباحث دقيقة قيمة .

ومن عجيب نظم القرآن أن الحق تعالى اذ ضمنه أقوم حقائق تلك الفلسفة ، جعل لكل لفظ من ألفاظه خصوصيتين احداهما خصوصية المفتاح ، اذ يغرى من يشاء من أهل النظر أن يستفتح به ما وراءه من كنوز الحقائق .. والأخرى خصوصية العنوان، اذ تبدو فى خصوصها كأنها اللافتة على الطريق ، تشير الى الغاية : وتزود السمرين اليها بعزائم الجد والعمل ..

ولعل طبيعة المقام تقتضينا فى بيان ما يعرض لجوهر الانسان من آفات ، أن نأخذ بالخصوصية الثانية التي تدل مباشرة على الثمرة ، وتشد عزائم الجد اليها .. فالآفات قد دل على حقيقتها « الصيام » بوجوب الامتناع عن الطعام ، والشراب والصلة الجنسية ، وهذه الثلاثة ـ بدلالة الواقع وشهادة الطبيعة ـ هي قوام مطالب الحيوان فى الانسان وهدف خصائص البشرية فيه ، وليس الطعام والشراب والجنس فى ذاته آفة ، انما الآفة فى أن المطلب الحسي يقترن عادة برغبة قد تستحيل الى لذة أو شهوة ، اذا أضرت بالسلوك الاجتماعي ، فهي الجائحة التي يجب أن يتوقاها الانسان لانها تؤذى جانبه الانساني ، أو « جوهر الانسان » فيه ، فلا يظهر له فى حياته أثر ولا ثمر ، وفى هذا يلفى الدقيق الذى يدخل مطالب الحس المباحة فى محظورات التقوى يقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ المرء أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذرا مما به البأس » .... وهو قول دقيق ، يشمل ـ فيما يشمل ـ التحرز من مطالب الحس لما يلابسها من الشهوة فلا يقربها العقلاء الا للضرورة ، وقد أسلفنا قول الله تعالى فى الحديث القدسي عن الصائم « يدع طعامه وشهوته من أجلى » .

د ـ وأما ثمرة التقوى ، فان الآية ـ اذ لم تدل عليها باللفظ ـ فقد شف عنها نظمها المضيء حتى لترى من خلاله فى غير خفاء .. فالوجود الحق للفرد هو انسانيته التي تتضمن جوهر عقائده ومثله وسائر المعانى والاستعدادات الروحية التي تؤلف « معنى الانسان » ، وهي بهذا الاعتبار معارضة من بشرية المرء بآفات من شهوات الحس وأهواء الفردية ونحوها من خلائق الشح والبغي ، واذ كتب علينا الصيام فقد كتب أن يكون لب اهتمام المرء متجها الى وقاية ذلك الجوهر وتحريره من تلك الآفات وتزكيته بالفكرة العلوية والوجدان الصالح اللذين هما قوام الصيام ولب تقوى الله تعالى ، فاذا حرر المرء ما كتب عليه من ذلك ، فقد نمت فيه خصائصه القدسية التي تثبت له فى الحياة « وجود انسان » ، والا فهو صورة بلا روح ، أو قشرة انسان لا لب لها ، تعبث بها أهواء الباطل ، وتصرفها شهواته انى شاءت ، وما أعجب فيلسوفنا العظيم الامام المفسر الفخر الرازى ، اذ يلمح الرابطة بين التقوى ومعنى الانسان فى قول الله تعالى عن القرآن فى أول سورة البقرة انه « هدى للمتقين » وقوله عنه فى آية صوم رمضان الذى أنزل فيه القرآن انه « هدى للناس » ، فيقول ويبدع « ولو لم يكن للمتقي فضيلة الا ما فى قوله تعالى «هدى للمتقين» كفاه ، لأنه تعالى بين أن القرآن « هدى للناس » ثم قال هنا ـ فى أول البقرة ـ هدى للمتقين فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيا ، فليس بانسان » ..

فاذا كان الصيام منهاجا يحقق به المرء وجوده الحق فى الحياة فهو منهاج انساني للناس كافة ولا جرم كان فريضة علينا وعلى الذين من قبلنا ويجب ان يكون فريضة على كل قبيل فى الارض ، وكل جيل يأتي ، اذا اردنا ان تكون الارض سكنا للانسان « لا سكنا لكائنات لا تمت لحقيقة الانسان بصلة » .



صاحب السمو
أمير الكويت

الشيخ صباح السالم الصباح

- ولد سموه حفظه الله في مدينة الكويت عام ١٣٣٤هـ ــ الموافق ١٩١٤ .
- تلقى تعليمه فى الكويت .
- بدأ حياته العملية بتولى رئاسة الشرطة .
- تولى مهام دائرة الصحة بعد وفاة أخيه المرحوم الشيخ فهد السالم .
- كان أول وزير لوزارة الخارجية .
- أول من تولى رئاسة مجلس الوزراء .
- عين سموه وليا للعهد بالاضافة الى رئاسة مجلس الوزراء .
- نودى بسموه أميرا لدولة الكويت عقب وفاة الامير الراحل .
- أدى سموه اليمين الدستورية فى الجلسة الاستثنائية التى عقدها مجلس الامة يوم السبت ٦٥/١١/٢٧ .
- تمثل سموه ــ حفظه الله ــ بهذين البيتين عقب انصرافه من الجلسة :

انى وحق الوفا منكم على ثقة ... والعهد ما بيننا والود لا زالا

سلوا ضمائركم فالحق ما شهدت ... به الضمائر شح الدهر أو طالا

- من كلمات سموه فى أول خطاب له فى مجلس الامة :

((ان الغرس الصالح الذى غرسه عبدالله السالم الصباح بيديه وظل يرعاه بنفسه وقلبه الكبيرين حتى أينع وأثمر فى حياته لن يذوى ، أو يذبل بعد وفاته ، ما دمنا حافظين لعهده سائرين على نهجه ، مقتفين لآثاره فى سياسته الداخلية والخارجية التي استهدفت دائما خدمة هذا البلد وأهله ، والامة العربية التي نحن جزء منها ، والانسانية عامة)) .

أمير على نبضات القلوب

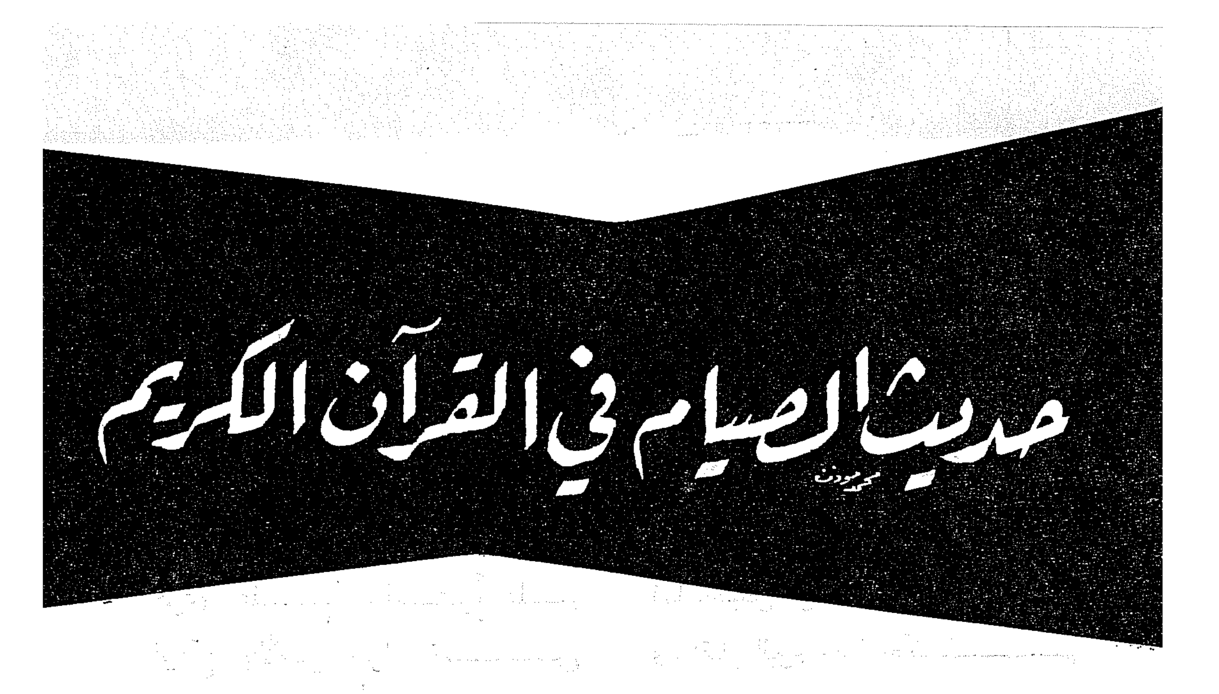
للاستاذ مرسي شاكر الطنطاوى

هوى علـــمٌ واستتبَّ علـــم ... فما احتبس الودق حتى انســـجم
نودّع بالأمس حرا مضـــى ... ونستقبل اليوم حرا حكـــم
كلا القمرين سنىً البهـــاءِ ... وحسب الكرامةِ ذاك العظـــم
ففى العين وحشة نأيٍ ســـبى ... وفي القلب بهجة أنسٍ عصـــم

إلى رحمة الله ذاك الأميـــر ... وفي كنف الله هـــذا العلـــم
وفي موكب المجـد آثـار مـــن ... تولّى القيـــادة في المقتحـــم
فكم قاوم الحادثـــات بمـــا ... يمـــدُّ إلى السيف صوت القلـــم
وأصلح ما أفسدته الســـنون ... بقلب نمتْهُ عيـــون الحكـــم
وأذكى العزائم بالمعجـــزات ... نهوضـا تقصـــى حدودَ الهمـــم

ووصّى بها القائـــد المستعان ... بحكمتـــه في جـــلاء الغُمـــم
أميرٌ على نبضـــات القلـــوب ... مليكٌ بأخلاقـــه والشـــيم

فيا وارثَ المجد عن ماجـــد ... أقـــرَّ السعادة فيمـــا رســـم
وخصَّ "الكويت" بما عمّهـــا ... كفاءً من المجـــد عالى القمـــم
يعزك بالملك عرش ســـما ... وتاج زها ، ونعـــيم ، أتـــم



١ : ــ تذكر المعاجم اللغوية لمادة « صوم » معاني متعددة ، غير أنها كلها تدور فى فلك الامساك عن الشىء والترك له . ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس « الصاد والواو والميم أصل يدل على امساك وركود فى مكان . من ذلك صوم الصائم ، هو امساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه ، ويكون الامساك عن الكلام صوما ، قالوا فى قوله تعالى « اني نذرت للرحمن صوما » انه الامساك عن الكلام . وأما الركود فيقال للقائم صائم ، وقال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصوم ركود الريح ، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار ، كأنها ركدت عند تدويمها ، اى « دورانها » .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى صام ، صمت ، صامت الريح ركدت . وفى القاموس للفيروز ابادى صام صوما وصياما واصطام ، أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير ، والصوم : الصمت وركود الريح .

وفى لسان العرب لابن منظور الصوم فى اللغة الامساك عن الشىء والترك له ، وقيل للصائم صائم لامساكه عن الطعام ، وقيل للفرس لامساكه عن العلف مع قيامه .

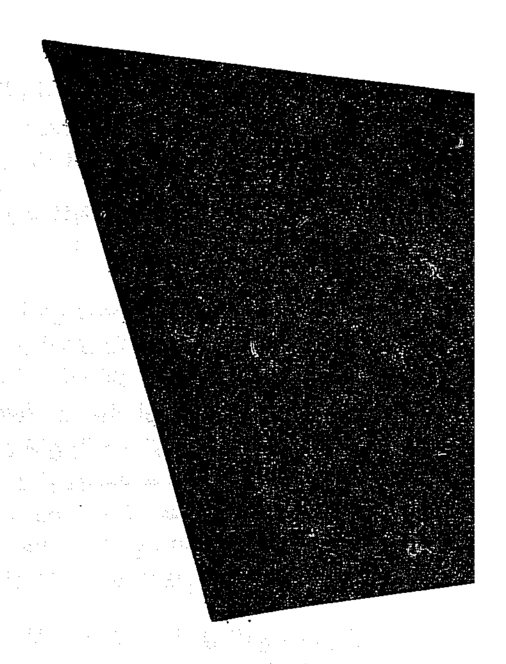
قال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام ، أو كلام ، أو سير فهو صائم . فهذه النصوص اللغوية تبين أن الصوم من الناحية اللغوية يدل على الامساك ، أو التوقف عن فعل شىء ما ، أو ترك التنقل من حال الى حال .

ومعنى الصوم شرعا وثيق الصلة بمعناه من الناحية اللغوية ، اذ هو الامساك عن المفطرات ، مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات ، وعدم الوقوع فى المحرمات ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه من أجله » فالصيام شرعا امساك عن المفطرات من طعام وغيره بشرط أن تصحبه نية ليكون عبادة وطاعة ، مع مراعاة آدابه ، ليؤدى الصوم رسالته على أكمل وجه ، وأكرم غاية .

فى القرآن خمس عشرة مرة

٢ : ــ فاذا تركنا معاجم اللغة الامهات الى القرآن الكريم كتاب العربية الخالد وبيانها المعجز، ألفينا أن مادة « الصوم قد ورد ذكرها فيه خمس عشرة مرة ، سبع فى سورة البقرة ، ومرتان فى المائدة ، والاحزاب ، وفى كل من النساء ومريم والمجادلة جاءت مادة الصوم مرة واحدة .

وسأحاول هنا عرض هذه المادة ، والحديث عنها حديثا لا يهتم بالجزئيات والتفريعات واختلافات



للاستاذ محمد الدسوقي

المحرر بمجمع اللغة العربية ـ القاهرة

المفسرين والفقهاء ، ولكن يهتم بالمعنى الكلي والفكرة العامة مع ملاحظة ترتيبها فى المصحف .

٣ : ـ أما سورة البقرة فقد وردت فيها مادة الصوم سبع مرات ثلاث منها فى ثلاث آيات متتاليات ، وأربع فى آيتين غير متتاليتين .

والآيات الثلاث هي ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) الآية .

والآية الاولى من هذه الآيات تتحدث عن فريضة الصيام ،فالله تبارك وتعالى قد كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا ، لأن قوله تعالى ((كتب عليكم)) معناه فرض عليكم مثل قوله ((كتب عليكم القتال)) وقوله ((كتب عليكم القصاص فى القتلى)) .

والقرآن الكريم فى حديثه عن الصيام ـ كما يبدو من هذه الآيات ـ يسير على طريقته من الترغيب والتحبيب ، فالصيام فريضة خالدة على المؤمنين بالله فى كل دين ، تحقيقا لوصل قلوبهم بالله واستشعارها خشيته ومراقبته وتقواه ، وقد فرض علينا كما فرض على غيرنا وفى هذا تحبيب للنفوس للاقبال على الحفاظ على هذه الفريضة وأدائها كاملة .

سماحة الاسلام ويسره

ثم قررت الآية الثانية أن الصوم أيام معدودات فليس فريضة العمر ، وتكليف الدهر ، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تخفيفا وتيسيرا ، والذين يمكنهم أن يصوموا ولكن ينالهم بسببه جهد ومشقة بالغة مثل بعض المرضى المزمنين والشيوخ الهرمين ، لهم أن يفطروا ، وأن يطعموا كل يوم مسكينا فدية عن أنفسهم ، ومن أراد أن يغالب المشقة مادام ذلك فى طوقه دون ضرر ولا عاقبة سيئة كاحداث مرض بسبب الجهد ، أو زيادة ضعف يؤدى الى الاستعداد للمرض ، من أراد أن يغالب المشقة دون حدوث هذه المضاعفات فمن الخير له أن يصوم ((وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون)) .

أما الآية الثالثة فقد حددت وقت الصيام وزمانه فهو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، فهو شهر له منزلة خاصة وفضل كبير ، فيه نزل القرآن الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور ورسم لهم سبيل الرشاد والفلاح فى العاجلة والآجلة فهو شهر خليق بأن

حديث الصيام

يتقرب فيه الى الله بالعبـادة وذلك عن طريق صيامه وقيامه ، والله الرحيم الرحمن لا يريـد بعباده العسر ولكن يريـد بهم اليسر ، ولذلك رخص للمريض والمسافر أن يفطر ثم يصوم بعـد ذلك ، لأن الفرض من الصيام ليس العسر والمشقة ولكن التقوى والطاعة والعمل الصالح .

والصوم علىهذا نعمة تستحقالشكر والاعتراف بالنعمة ((ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكـم تشكرون)) .

٤ : ـ والآية التي ذكر فيها الصوم مرتين أولا هي : ـ

((أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم ، وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل)) الآية .

تشير هذه الآية الى أن الصائم بعد افطاره كان اذا نام ، ثم صحا قبل الفجر فان المباشرة للنساء والطعام والشراب لا تحل له ، وكان هذا يشق على بعضهم فيخالفونه فخفف الله عن عباده ((علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم)) فأباح لهم كل ما يبيحه الفطر طوال الوقت مـن المغرب الى أن يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .

روى البخارى عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار ، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى ، وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما ـ وفى رواية كان يعمل بالنخيل بالنهـار وكان صائما ـ فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام ؟ قالت . لا . ولكن انطلق فاطلب لك . وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءت امرأته ، فلما رأته قالت : خيبة لك ! فلما انتصف النهار غشى عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ((أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم))ففرحوا فرحا شديدا فنزلت. ((وكلوا واشربوا)) .. الخ .. (تفسـير القرطبي جـ ٢ ص ٢٩٤) .

٥ ـ وأما الآية الثانية التى جاءت فى سـورة البقرة وذكر فيها الصوم مرتين فهي :

وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فمـا استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجـد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحـرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب)) .

تتحدث الآية عن الاحصـار فى الحج ، وهو أن يعرض للمحرم ما يحول بينه وبين اتمام الحج أو العمرة من مرض أو عدو أو سجن مثلا .

فاذا أحصر المحرم عن ركن من أركان الحج ، فان غلب على ظنه زوال الحصر فى مدة يمكنه بعدهـا ادراك الحج ، أو يتيقن المعتمر قرب زوال المانع فى ثلاثة أيام لم يتحلل من احرامه حتى يتم حجه أو عمرته ، وان لم يغلب ذلك على ظنه فله أن يتحلل بذبح مـا استيسر من الهدى ، وأقله شاة تجزىء فى الاضحية فان كان الاحصار فى الحرم وجب الذبح فيه وان كان فى الحـل فالاحسن أن يرسل الهدى الى الحرم ليذبح فيه ان أمكن ذلك ، وعليه ألا يحل من احـرامه حتى يبلغ الهـدى محله ، ويذبح فيه ، فان لم يمكنه ذلك ذبح حيث أحصر ولو فى غير الحرم ، ومن عجز عن الشاة أخرج بقيمتها طعاما يجزىء فى الفطرة ، وفرقه على مساكين المحل الذى أحصر فيه ، فان عجز صام عن كل مـد يوما ، ولا تسقط الفريضة بذلك عن المحصر ولكن عليه القضاء .

هذا ما يتعلق بشطر الآية الاول ، أما الشطر الثاني « فاذا أمنتم » .. الخ فمعناه أن يحرم الرجل — من غير مكة — بعمرة فى أشهر الحج حتى اذا أداها أقام غير محرم بمكة الى أن أنشأ الحج منها فى عامه ذلك قبل رجوعه الى بلده ، أو قبل خروجه الى ميقات أهل ناحيته ، فاذا فعل ذلك كان متمتعا ، وعليه ما أوجب الله على المتمتع ، وذلك ما تيسر من الهدى يذبحه ويعطيه للمساكين بمنى أو بمكة فان لم يجد صام ثلاثة أيام وسبعة اذا رجع الى بلده ، وليس له صيام يوم النحر باجماع المسلمين ، واختلف فى صيام أيام التشريق . (تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٦٨) .

صيام الكفارة

٦ — وفى سورة النساء يقول الله تعالى آية ٩٢ .

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » .

موضوع هذه الآية القتل الخطأ وآثاره وهي تشير فى مستهلها الى أن القتل العمد محرم ، لأنه كبيرة لا ترتكب مع ايمان ، فما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا .

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

اما اذا وقع القتل الخطأ فاما ان يكون القتيل مؤمنا من قوم مؤمنين فيجب عندئذ تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله ، واما ان يكون مؤمنا ولكن اهله كفار بينهم وبين المسلمين عداوة ، ففى هذه الحالة لا دية لانه لا يجوز ان يدفع المسلمون مالهم الى عدوهم ليحاربهم به ، ولكن يجب تحرير رقبة مؤمنة ، تعويضا للحياة وللمؤمنين عن ذلك القتيل ، فاذا كان هذا من قوم معاهدين او ذميين معصومى الدم ، بينهم وبين المسلمين ميثاق وعهد، فيجب تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله ، ولا يذكر النص ان كان هو مؤمنا او كافرا او ذميا، مما يشعر بأن الميثاق يسوى بين الجميع فى الدية والفدية ، وهذا موقف تشريعى لا نظير له فى التشريعات الوضعية ، عدالة مع الجميع ، ومراعاة لحقوق المعاهدين والمستأمنين ومساواتهم بغيرهم من المسلمين ..

فاذا عجز القاتل عن تحرير رقبة بأن لم يجدها، او يجد ثمنها ، وكذلك اذا عجز عن دية يدفعها ، فعليه صيام شهرين متتابعين،شهرين يراقب فيهما ربه ، ويطهر نفسه بحبسها عن شهواتها لتصفو ، وتتخلص مما بها من ادران الاثم ، ليلقى المؤمن ربه طاهرا خاليا من الذنوب والاوزار .

٧ : — وفى سورة المائدة وردت مادة الصوم فى آيتين :

الاولى — « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، او كسوتهم او تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

الثانية — يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام .

تتحدث الآية الاولى عن عدم المؤخذة فى لغو اليمين ، وعن الحنث فى اليمين المراد وكفارته ، واللغو فى اليمين هو قول الرجل فى الكلام من غير قصد لا والله وبلى والله ، وقيل اليمين فى الغضب

حديث الصيام

وقيل فى النسيان ، وقيل هو الحلف على ترك المآكل والمشرب والملبس ونحو ذلك لقوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم » .

قال الراغب اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر ، فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ، الى ان قال : ومنه اللغو فى الايمان اى مالا عقد عليه وهو ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة .

والقرآن الكريم عندما يبين ان لغو اليمين لا شيء فيه فانه يؤاخذ المسلم على حنثه فى يمينه المقصود، ففرض عليه نظير حنثه كفارة اطعام عشرة مساكين من اوسط ما يأكل الناس او كسوتهم فاذا لم يستطع ذلك فعليه تحرير رقبة مؤمنة فان عجز فعليه صيام ثلاثة ايام ، وهى ادنى ما يكفر به عن يمينه فان عجز عنها لمرض نوى الصيام عند القدرة فان لم يقدر استغفر ربه لعله يقبله ويعفو عنه ..

والآية بعد هذا تدعو الى حفظ الايمان فلا تبذل فى كل مجال ولا تقال الا لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، وقوله « واحفظوا ايمانكم » ايماء الى التقليل من الايمان الصادقة فضلا عن الكاذبة وصدق الله العظيم « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم » .

اما الآية الثانية فتتحدث عن الصيد فى الحرم ، فقد جعل الله مكة حرما ، وجعل بيته فيها مثابة للناس وأمنا ، فالمحرم لا يجوز ان يقتل صيدا فيها وهو الحيوان الوحشى غير الضار ، وكما لا يجوز قتله لا يجوز صيده او تنفيره ، فمن قتل صيدا — وهو محرم — فكفارته ان يذبح بهيمة من الانعام من مستوى الصيد الذى قتله ، فالغزالة مثلا تجزىء فيها نعجة ، وهكذا على ان يتولى الحكم فى هذا رجلان عدلان من المسلمين ، فاذا لم يكن هناك من الانعام مثل الصيد المقتول ، فالحكمان يقومانه بمال يشترى به ذبيحة تذبح عند الكعبة « هديا بالغ الكعبة » وينال لحومها الفقراء ، هذا او كفارة طعام مساكين بما يعادل ثمن الهدى المقدر ، او صيام ايام بعدد المساكين الذين كان ينالهم الاطعام ...

وقد شدد الاسلام فى هذه العقوبة ، ليظل الحرم امانا ليس فيه ما يعكر الصفو او يكدر الخاطر حتى ولو كان تنفير حيوان وحشى وليس أول على شدة العقوبة من قوله تعالى — ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (تفسير الامام محمد عبده ج ٧) .

٨ — وفى سورة مريم جاءت مادة الصوم فى قوله تعالى : « فكلي واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا » .

والآية تشير الى طرف من قصة مريم ، وعيسى عليهما السلام ، فعندما فاجأ المخاض مريم، اتخذت من جذع النخلة سندا وستارا وتصورت ماذا سيقول لها الناس وهى العذراء التى لم يمسسها بشر ، فقالت « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » ولكن الملك الذى بشرها بغلامها ناداها لا تحزنى فبجوارك النهر والنخيل ، فكلى من الرطب الطيب واشربى وطيبى نفسا فاذا رايت احدا من البشر ينكر عليك امرك ، فاشيرى اليه بانك صائمة عن الكلام ولن تتحدثي الى احد .

فالصوم فى هذه الآية يقصد به امساك عن القول ويؤكده آخر الآية « فلن اكلم اليوم انسيا » .

٩ : — وفى سورة الاحزاب يقول الله تبارك وتعالى :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » .

هذه الآية تتحدث عن صفات واخلاق الذين رضى

الله عنهم وغفر لهم ، وتجاوز عن زلاتهم وأعد لهم ثوابا عظيما واجرا جزيلا ، وقد جاء الصوم فيها من صفات ومميزات هؤلاء الاطهار الابرار من الرجال والنساء .

١٠ : ـ والآية الأخيرة التى جاءت فى سورة المجادلة هى : ـ

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبلان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا « الآية » .

الظهار هو ان يحلف الرجل على امرأته بأنها محرمة عليه كظهر امه ، او من جرى مجراها من ذوات المحارم التي لا يجوز له التزوج بهن بحال .

فاذا قال الزوج ذلك ثم عاد لما قال ، بأن اراد امساكها والوطء معا ، او عزم على وطئها فقط ، فقد اختلف الفقهاء فى تفسير معنى العود (راجع بداية المجتهد لابن رشد) .

اذا عاد الزوج فيجب عليه كفارة قبل ان يطأ زوجته هى تحرير رقبة مؤمنة فاذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان عجز عن الصيام ، اطعم ستين مسكينا ، ثم تحذر الآية بعد ذلك من اهمال حدود الله .

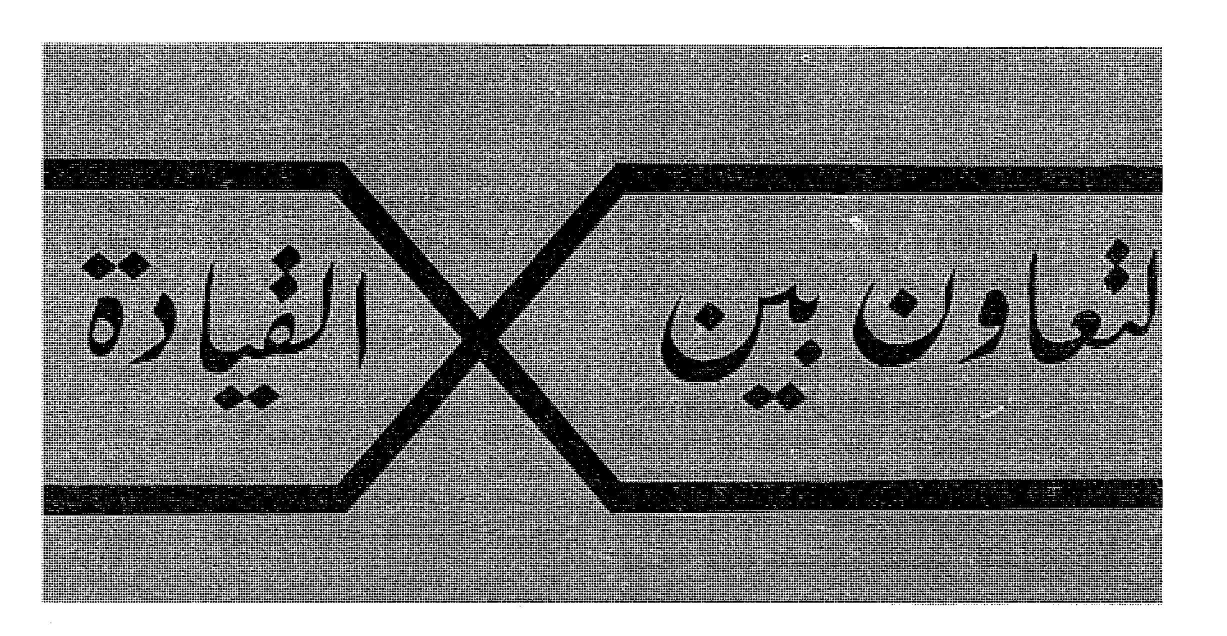
١١ : ـ وبعد فقد تحدث القرآن عن الصيام حديثا مجملا ، ذكر انه فرض ، وان وقته رمضان ، واشار الى الذين لا يستطيعون ان يصوموا ، وماذا يجب عليهم ، وبين انه كفارة لبعض الذنوب ، وهذا هو منهج القرآن عامة فى تقرير الاحكام ، لا يهتم بالتفصيلات والجزئيات ولكن بالقواعد الكلية والاسس العامة ، اللهم الا فيما اقتضت الضرورة مثل احكام المواريث وقد تكفلتالسنة النبوية بالشرح والتفصيل لاحكام القرآن ، وهى لهذا تعد المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .

وقد تحدث القرآن عن الصيام من الناحية الشرعية ، كما تحدث عنه من الناحية اللغوية ، لانه كتاب لغة وتشريع، فلولاه لاندرست العربية فى بلاد كثيرة ، ومن اجله وفى سبيل فهمه نشأت علوم وقامت فى الوطن الاسلامى نهضة علمية رائعة .

والصيام فضلا عن كونه عبادة روحية سامية ، وتربية نفسية واجتماعية عالية، جعله الله بابا من ابواب تكفير بعض الذنوب والخطايا ، ليكون امام المذنبين مجال رحب لتطهير انفسهم وتزكية ارواحهم ، وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم . ””

أدب الصوم

اذا لم يكن في السمع مني تصامم ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي من صومي هو الجوع والصدى ... وان قلت اني صمت يوما فما صمت



من المصطلحات التي كثر تداولها فى الدراسات العلمية الحديثة حتى استقرت فى شتى مجالات التفكير والتعبير ، اصطلاح القيادة واصطلاح القاعدة ، وينصرف مدلول المصطلح الأول الى تلك الصفة التي تخلعها الجماعة على فرد من أفرادها تتوافر فيه مناقب ، وقدرات معينة تجعله أهلا للصدارة ، وأحق بالرئاسة ، فتنزله الجماعة منها منزلة الحاكم ، وتكل اليه تدبير شؤونها ، وحل مشكلاتها ، وتوفير أمنها ورخائها .

وقد ينصرف معنى القيادة الى السلطة الرئاسية التي يفوضها الشعب الى أحد ابنائه ، أو الى جمع منهم توسمت فيه القدرة على السير بها فى سبيل تحقيق الأهداف والآمال التي تجيش فى صدرها .

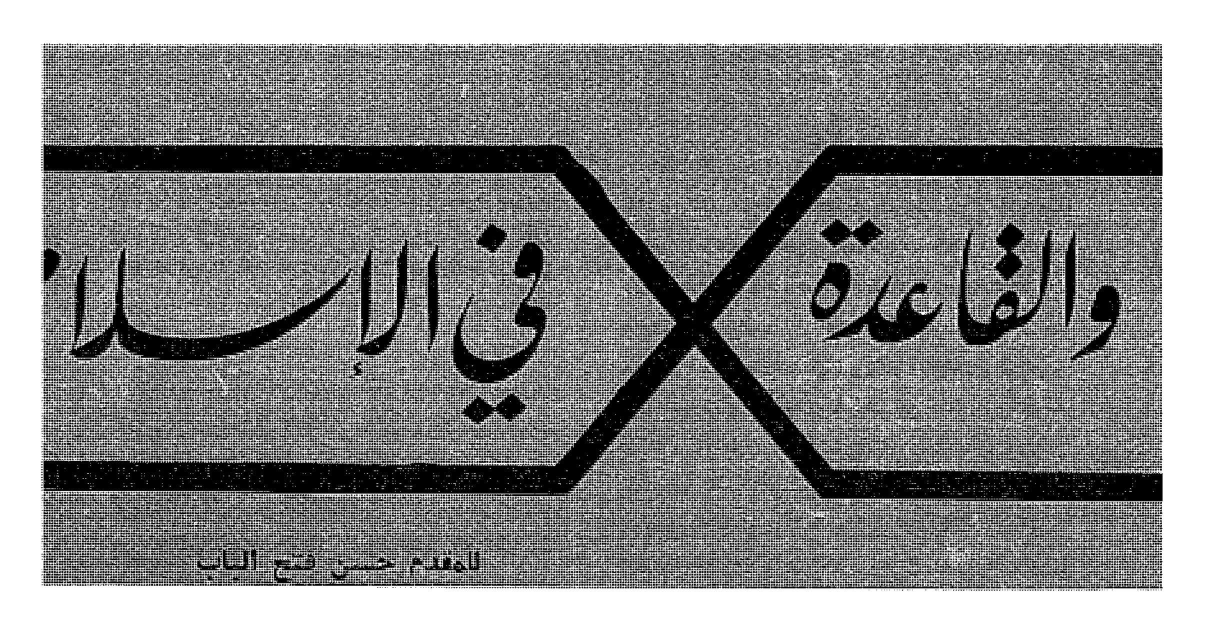
كذلك فان لفظ القيادة قد يرمز به الى صاحبها ، فتصبح القيادة بهذا المعنى هي الجماعة الحاكمة التي تحتل المراكز العليا فى المجتمع ، وتشغل منه الصفوف الأمامية ، ويسمى أعضاء الجماعة حينئذ بالقاعدة نسبة الى مكانهم من البنيان السياسي ، وموقعهم من خط السلطة .

القيادة الناجحة

ويقاس نجاح القيادة بمدى قدرتها على كسب رضاء القاعدة عنها وولاء أفرادها لها ، ولا يتأتى لها ذلك الا ببذل المزيد من الجهود لانجاز الرسالة التي ائتمنها عليها المحكومون ، وهي تحقيق الصالح العام ، ويجمع الباحثون فى جوهر القيادة ومقوماتها وأسباب نجاحها ، على أن التقاء القادة بالشعب هو أقوم السبيل المؤدية الى تعاون مختلف الفئات فى سبيل صلاح المجتمع وتقدمه ، ذلك لأن القائد لن يستطيع بمفرده ـ مهما أوتى من موهبة ومقدرة ـ أن يتغلب على جميع المشكلات التي تعترض طريقه ، ويقيم صرح المجتمع على أسس راسخة وطيدة . كذلك فان المحكومين ليس فى وسعهم أن يحققوا أهدافهم فى اقامة العدل والمساواة والرخاء ما لم يكن لهم دليل يحدوهم الى هذه الغاية . ولقد أدرك الناس بالبداهة هذا المعنى منذ فجر التاريخ فقال الشاعر القديم : ـ

البيت لا يبتنى الا له عمد
ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فالقائد يمثل الرأس بالنسبة الى الجسد ، فهو القوة المفكرة والطاقة الدافعة ، أما بقية أفراد الجماعة فهم بمثابة أعضاء هذا الجسد ، فلا غنى له عنها ، ولا غنى لها عنه . ومن ذلك يتبين أن المجتمع الصالح هو الذى تتآلف فيه كل أعضائه ـ ابتداء من الصف الأول حتى الصف الأخير ـ وتتحد فى نظام متسق ، وتعمل فى تعاون تام ، فلا تنافر ، ولا تضارب بينها ، وانما وحدة قوية متماسكة .



على أن مهمة توفير هذه الوحدة وذلك التناسق انما تقع على عاتق رئيس الجماعة لأنه على قدر السلطة تكون المسئولية ، ولأنه يملك من الموهبة والتجربة والسلطان ما يستطيع به رسم الطريق الصحيح الذى يسلكه أفراد المجتمع ، وتهيئة هؤلاء الأفراد وتدريبهم على السير فى هذا الطريق ، وممارسة العمل الجماعي المثمر .

الرسول القائد

وتثبت الدراسات المقارنة لتاريخ المجتمعات والحضارات الانسانية أن المجتمع الاسلامي فى عصوره الأولى كان مجتمعا مثاليا فى تماسكه وتعاونه ووحدته بفضل القيادة الرشيدة الواعية .

وقد كان النظام الاسلامي أفضل الأنظمة السياسية والاجتماعية التي حققت أهدافها فى جميع الميادين بما أتيح له من قادة مؤمنين مستنيرين استطاعوا بكفايتهم الفذة أن يلتقوا بالقاعدة ، ويرفعوها الى أعلى المستويات كفاءة وأمنا وعدلا .

ولقد تمثلت فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم صفات القائد ومناقبه ، وتوافرت فى خلفائه وسائر صحابته المؤهلات اللازمة للقيادة الحكيمة ، فقيض الله على أيديهم رفعة الاسلام وازدهار حضارته فى مشارق الأرض ومغاربها ،وأنجبت الأمةالاسلامية فى عهودهم الزاهية أفضل الرجال على مدار التاريخ فى مختلف مناحي الحياة ـ من دين وسياسة واجتماع واقتصاد ودبلوماسية وحرب وغير ذلك من المجالات ، هؤلاء العظماء الذين أثروا وجدان العالم أحقابا طوالا بآيات من العقيدة والفلسفة والآداب والعلوم والفنون ، وما زالت مبادئهم وتعاليمهم قادرة على هداية الناس الى ما فيه صلاح الانسانية ورقيها .

والتعاون الايجابي بين القمة والقاعدة ـ نتيجة لالتقائهما ـ هو أول أسباب النجاح الذى أحرزه هؤلاء القادة كل فى ميدانه . ولقد بنى هذا التعاون على أساس ايمان القائد برسالته ، وحرصه على خدمة الجماعة ، وايمان الجماعة بقائدها وولائها له . ولم يكن هذا الايمان ليتحقق حتى يصبح ركيزة أساسية للتعاون لولا ما أوتيه القائد فى المجتمع الاسلامي من خصائص عديدة تتصل بالفكر والسلوك وتميزه عن غيره من الرجال .

القائد من صميم الشعب

فالقائد الذى تؤمن الجماعة بأفكاره وتستجيب لنصائحه وتذعن لقراراته ، هو الرجل الذى يولد فى كنفها ، ويشب فى رعايتها ، ويتمثل فيه ماضيها وتتبلور آمالها فى المستقبل ، فهو لسانها المعبر

وقلبها النابض ، وهو عقلها المدبر وضميرها الاجتماعي . وتتجلى هذه الصفات في أكرم صورها في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول الله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

فلقد نزل القرآن في مكة عاصمة الجزيرة العربية ، واختار الله لرسالته رجلا من صميم العرب ، فهو من أهم المدن العربية وهو من قريش أكبر قبائلها ، وهو من بني هاشم أعرق بيوتها . ولا تعنى العراقة هنا الغنى والثروة بقدر ما تعنى توافر خلاصة الطباع العربية الأصيلة . فالبيئة التي ولد فيها محمد عليه السلام هي اكثر البيئات العربية تمثيلا لهذه الطباع ، والرسول هو صفوة أبناء الجزيرة فيما وهبوا من شمائل الخير ومقومات الصلاح ، فالسماحة والمروءة والصدق والأمانة والشجاعة والبلاغة والحكمة ـ تلك المناقب التي تجمع المثل العليا عند العرب قد بلغت أعلى مراتبها وأوج اكتمالها في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى في صفته عليه السلام « وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد استتبع ذلك ثقة الناس في محمد عليه السلام حتى قبل بعثته ، لأنه أهل لتلك الثقة بحكم انبعاثه من بينهم وتمثيله لأسمى خصائصهم.

وكذلك الأمر بالنسبة لرؤساء الدولة الاسلامية الأولى وعمالهم على الأقاليم وهم الخلفاء الراشدون وولاة الامصار ، اذ أنهم جميعا من البيئة العربية مولدا ونشأة ولقد تسلموا مقاليد القيادة بعد عهد النبي الكريم باتفاق المسلمين واجماع أهل العقد منهم ، فلم يفرض على المجتمع الاسلامي في « المدينة » العاصمة حاكم غريب عليه ينصب خليفة على المسلمين دون اختيارهم ومشيئتهم الحرة ، بل كان الخلفاء جميعا ينتمون في نسبتهم الى الأصل العربي العريق ، وتكتمل فيهم صفاته ومقوماته الذاتية ، ومن ثم صلح أمر الاسلام والمسلمين جميعا .

فلما تغيرت الحال بعد عدة قرون من الزمن وفرض على الرعية حكام غرباء عنها ـ انعدمت الثقة العامة في هؤلاء الحكام ، فكانوا يحكمون بمقتضى القوة المفروضة لا القيادة الحقيقية ، ودب الخلاف بين المسلمين فاستشرى الوهن في أطراف دولتهم بسبب الانفصال ، وتعذر التفاهم والتجاوب بين الرأس والقاعدة وما نجم عن ذلك من الفرقة وانتفاء التعاون بل استحالته . فالقائد الذي ينبع من قلب المجتمع هو الذى يدرك طبيعة هذا المجتمع ، ويكون أشد دراية بمشكلاته وأساليب حلها ، وأعرف باحتياجاته وطرق اشباعها ، وهو الأحرص على الاستجابة لآماله والشعور بآلامه والعمل على تقدمه .

القائد صاحب رسالة

ومن أبرز مقومات القائد ـ بعد انبثاقه من صميم البيئة ـ أن يكون ذا رسالة اصلاحية أصيلة تهدف الى تلبية مطالب الناس في العيش الحر الكريم ، وتتفق مع ظروف الزمان والمكان ، وأن يكون بصيرا بطبيعة هذه الرسالة وأفضل الوسائل لابلاغها ، وأن يوضح أهدافه ويحكم تحديدها .

وليس أسمى من رسالة الاسلام هدفا ولا أعظم منها ولا أهدى عقيدة تتفق مع الفطرة السليمة ، فهي في جوهرها تحرير للفرد وللمجتمع من اسار العبودية والجور ومن السلوك المنافي للقيم العليا والفضائل الانسانية . وليس أجلى بيانا ووضوحا من كتاب الله وأحاديث رسول الله ووصايا صحابته . فرسالة الاسلام تعكس الجانب الوضيء من النفس الانسانية ، كما تتلاءم مع مطالب الانسان الكريمة في كل مكان وكل أوان وحاجته الى الأمن والتقدم .

ولقد حدد القرآن والحديث ـ وهما دستورا الشريعة الاسلامية ـ مقاصد الاسلام في قواعد أساسية لا غموض فيها ولا تعقيد . فالدين

الاسلامي قـــد بني على فرائض خمس محددة ، والدولة الاسلامية قامت لتحقيق أهداف محددة هي الحرية والعدل والتكافل الاجتماعي والوحدة فى مختلف مناحيها . وفى وضوح رسالة الاسلام يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الحلال بين والحرام بين » . ويرجـع الى ســمو الهدف ووضوحه ـ كما جاء به الاسلام ـ اقتناع الناس به واتحادهم لنصرته وتضحيتهم فى سبيل تثبيته وتدعيمه ونشره على أوسع نطاق وفى أقل زمن . وتبدو أهمية هذا المقـوم الأساسي مـن مقومات القيادة وهو الوضوح الفكرى لطبيعــة الرسالة وغاياتها ، اذا لاحظنا ما يجره غموض الهدف ولو كان شريفا من اختلاف فى التفسير والتأويل ، وما يؤدى اليه ذلك من جدل طويل متشعب ، وقــد يسفر فى النهاية عن اختلاف الناس مذاهب وشيعا وأحزابا متفرقة، مما يهدد وحدة الجماعة بالتفكك، ويفت فىعضدها ، ويطمع فيها أعداءها ، فيتسللون اليها فى غمرة انغماسها فى المجادلات العقيمة ، نافذين الى الجبهة من خلال الثغرات التي يحدثها الانقسام فى الرأى ، ليزيدوا الخرق اتســاعا حتى يصعبعلى الراتقكما يعبرر الشاعر العربي القديم، ولم يبتل الاسلام بمحنة فى عصوره المتأخرة كمــا ابتلي بالخصومة في الـرأى والصراع المذهبي ، نتيجة لما أثاره المغرضــون والجاهلون مــن ريب حول مفاهيم العقيدة وأهدافها ، برغم وضوحها البين فى القواعد والمبــادىء الأساسية ، أمــا التفاصيل فهي لا تؤثر فى الجوهر ومن ثم لا تقوم مبررا لشدة الخلاف وتفرق وجهات النظر .

لذلك فان الآيات القرآنية التى تحدد الهدف من الدعوة الاسلامية لا تقع تحتحصر ،ولقد ساقها الله تعالى فى اسلوب واضح محكم منعــا للبس والغموض . وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه من قول او فعل فى تعريف العقيدة وتحديد اهدافها ، اذ كان يتحرى الايضاح والبساطة ومخاطبة الناس على قدر عقولهــم ، وتقريب المعنى فى ايسر واقل لفظ ، وصولا الى سهولة الفهم ويسر الاقتناع . وقد طالما انذر المشرع الاسلامى فى القران والحديث منمغبة الخلاف حول تفسير الهدف من الدعوة اتقاء لآثاره الوخيمة على الاسلام والمسلمين ، ذلك لان وحدة الصف فى العالم الاسلامى لا يمكن ان تقوم لها قائمة دون وحدة الهدف ، ووحدة الهدف بدورها لا تتـــأتى الا بايضاحه وتحديده .

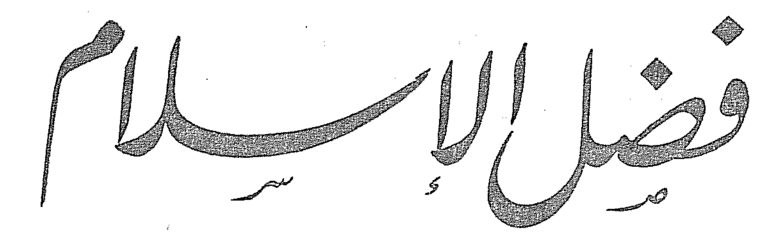
على ان وضوح اسلوب تحقيق الهدف ووسائله لا يقل اهمية عن وضوح الهدف ذاته ، اذ يتعذر العمل السليم دون الاتفاق على الغاية والوسيلة معا ، ولا يمكن الفصل بينهما لانهما يشكلان وحدة اساسية واحدة ، او هما يكونان ـ بعبارة اخرى ـ عملة واحدة ذات وجهين ، فاذا اصاب الضعف او القصور احدهما تأثر الآخر بالتبعية وانعكستعليه مساوىء الاول . ولا شك فى ان اشد مظاهر الضعف هو الانقسام حول طبيعةالهدف او اسلوب تنفيذه.

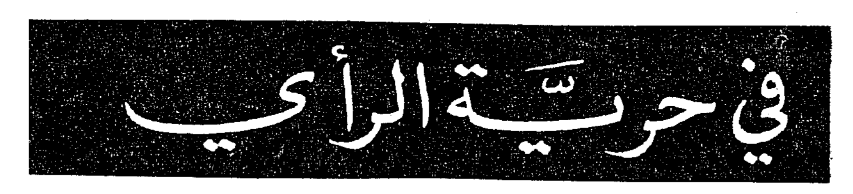
والاسلام يحرم « الميكيافيلية » التى تزعم ان الغاية تبرر الوسيلة بمعنى انه طالما كانت الغاية مشروعة فلا بأس من الوصول اليها بأية وسيلة ، سواء اكانت مشروعة ام غير مشروعة . فالمشروعية فىالاسلام شرط اساسى للهدف والوسيلة معا اتفاقا مع كمال الرسالة ودعوتها الى نبذ الخداع والى التخلق بآداب الشرع الحكيم فى الصدق والامانة والاخلاص . فالغاية التى تتم عن طريق لا اخلاقى مثل الكـذب والتضليل والتغـرير ، او العسف والجور والاضطهاد ، لا يمكن ان توسم بالشرف او توصف بالصحة والسلامة . لان كل ما يترتب على الباطل فهو باطل كما تقضى بذلكالمبادىء القانونية السليمة . والرسول عليه السلام يقول « مـن غشنا فليس منا » .

القائد قدوة

ومن اهم صفات القائدة الحق ان يكون قدوة للناس ولن يتأتى له ذلك الا اذا طابق فعله قوله ، فتتأكد ثقة الناس فيه ، ويحتذيه اتباعه فى سلوكه، ويزداد ايمانهم بفضله واكبارهم لقيادته . ولقد كان الرسول صلى الله عليـه وسـلم خير قـدوة يحتذيها المسلمون ثقة به وايمانا بدعوته . وصدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » فما نطق الرسول بقول ولا اعلن مبدأ دون

البقية على ص ٤٦





العصور الوسطى المظلمة كانت مظلمة في اوروبا

بين الفكر والدين

فى الوقت الذى استحكمت فيه العداوة بين حرية الرأى وقداسة الدين فى أوروبا ، كانت هناك مدنية اسلامية عظيمة تنادى بالمواءمة بين العقل والشرع ، أو بين الفكر والدين ، وتقول بلسان الفيلسوف الاسلامي العظيم أبى الوليد ابن رشد « **واذا كانت هذه الشرائع حقا ، داعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق ، فانا معشر المسلمين نعلم على ــ القطع ــ أنه لا يؤدى النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له ..** » .

وانطلقت فلسفة ابن رشد هذه فى جنوب فرنسا وايطاليا ففزعت خفافيش الكهانة من نورها الوهاج ، ولاذت بسراديب « محاكم التفتيش » (١) الأوروبية ، وقرر مجمع « الاتران » أن كل من ينظر فى فلسفة ابن رشد ملعون مطرود من رحمة الكنيسة والرب ، وما أكثر اللعنات التي صبها « الدومينكان » بغير حساب على ابن رشد ، وفلسفة ابن رشد ، **ولكن بعض جامعات اوروبا لم تعبأ بهذه اللعنات الحمقاء ، فاتخذت من كتب ابن رشد ، وآرائه فى الفلسفة والطب منارة هادية ، وشهدت له بأنه أول من فهم وظيفة شبكة العين ، وأول من لاحظ أن الذى يمرض بالجدرى مرة لا يمرض به مرة ثانية .**

وظلت فلسفة ابن رشد قرونا عدة ،

---

(١) هذه المحاكم سبة عار فى جبين التاريخ الأوروبي ، وانظر شيئا من مهازلها وجرائمها فى « قصة النزاع بين الدين والفلسفة » للدكتور توفيق الطويل من ص ٣٨ وكتاب « محاكم التفتيش » ترجمة الدكتور علي مظهر .

على أوروبا والعقيدة

للاستاذ الغزالي حرب
ـ القاهرة ـ

كانت البلاد الإسلامية في تلك العصور يشع منها نور العلم والحضارة

وهي الدرة الوضاءة الهادية للعالم بأسره ، ولا سيما أوروبا ، وفى ضوئها اكتشف « كريستوف كولمب » الدنيا الجديدة كما اعترف هو نفسه بذلك ، فأثار عليه الكنيسة والكهانة ، وحكم عليه مجمع « سلامانك » بأنه خالف أصول الدين ، لا لشيء الا لأنه أقر لابن رشد وفلسفته بفضل دفعه الى الرحلة والاستكشاف ! ! .

هذه المواءمة بين الفكر والدين ـ التى هي لباب فلسفة ابن رشد ـ ليست الا من صميم الاسلام ، الذى كفل حرية الرأى والعقيدة كفالة هي مضرب الأمثال فى أرقى العصور ، فضلا عن العصور الوسطى ، وأزاح كل عقبة وضعتها الكهانة وحلفاؤها فى طريقها ، وحررها من كل سلطة تحول بينها وبين الانطلاق والتحرر والتقدم الوثاب المستنير .

سلطة التقاليد

١ : ـ حررها من سلطة التقاليد التي كانت لها قداستها عند العرب فى الجاهلية ، فدعاهم الاسلام الى الثورة عليها ، والتخلص منها بآيات كثيرة ، حسبنا منها الآية القائلة : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ ! .

وكانت لها قداستها عند الكهانة فى اوروبا مئات السنين ، وما زالت لها قداستها حتى كتابة هذه السطور عند الارثوذوكس والكاثوليك الذين يسمون نفوسهم « المسيحيين التقليديين » ويعتبرون التقاليد بمنزلة الانجيل ، قال الأب لويس معلوف اليسوعي (١) « التقاليد عند النصارى هي ما اتصل بنا من العقائد أو أمور العبادة خلفا عن

(١) المنجد ص ٤٦٥ .

سلف ، مما أوحى الله به الى كنيسته ، دون أن يسطر فى الكتاب المقدس » .

ولأمر ما آمن المسيحيون بالعقيدة الجديدة التي ارتضاها البابا منذ عهد ليس ببعيد ، وأعنى بها عقيدة رفع السيدة مريم العذراء بجسدها الى السماء ، وفى ذلك يقول الأستاذ مجدى دوس رئيس جمعية الشباب الكاثوليكي بمصر ما نصه : « صحيح أن الانجيل لم يذكر ارتفاع السيدة مريم العذراء بجسدها الى السماء ، ولكن الانجيل فى عرف الكنائس التقليدية ، أعنى الأرثوذكسية والكاثوليكية ليس هو مصدر الايمان الوحيد ، بل ان هناك تعاليم كثيرة لم تدون بالانجيل ، ولكن الخلف تلقوها عن السلف ، فحافظوا عليها واحترموها ، فتعتبر بذلك من التقاليد الثابتة المرعية التي لا تقل عن الكتاب نفسه قوة وثباتا ، وعقيدة انتقال العذراء مريم الى السماء بجسدها ثابتة بالتقليد ، منذ العصر الأول » ! ! .

هذه التقاليد التي قدسها أهل الأديان السابقة على الاسلام لم يعترف بها الاسلام أدنى اعتراف بل حاربها ، وحارب الجامدين عليها فى غير ما هوادة أو لين ، لأنه رآها عقبة كأداء فى سبيل المواءمة بين حرية الفكر والدين ، واذا كان البروتستانت قد ثاروا على التقاليد بقيادة « مارتن لوثر » فى القرن السادس عشر فان الفضل فى هذه الثورة التقدمية ولا شك للاسلام ، الذى سرى بروحه وتعاليمه ومدنيته الى الغرب الأوروبى على ثلاثة جسور ، أولها الشام فى العهد الصليبي (١٠٩٨ — ١٣٠٠) وثانيها صقلية فى عهد الاغلبيين (٨٣١ — ١٠٩١) وثالثها النورمنديون واسبانيا فى عهدها الاسلامي .

على أن البروتستانت مع الأسف يلتقون والمسيحيين التقليديين عند تقديم الايمان الأعمى على التفكير البصير عملا منهم بمبدأ القديس ((أنسليم)) : ((يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت)) .

أما الاسلام فيقدم النظر والبحث على الايمان ويقول لأتباعه أولا « انظروا ماذا فى السموات والارض » « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » « فلينظر الانسان الى طعامه » « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا ... » ثم يقول لهم ثانيا « آمنوا بالله ورسوله » لا كما آمن آباؤكم واسلافكم،ولكن كما تراءى لكم فى ضوء النظر والبحث ...

سلطة رجال الدين

٢ : — وكما حرر الاسلام حرية الرأى والعقيدة من سلطة التقاليد حررها من سلطة رجال الدين ، فليس فى الاسلام « رجال دين » لهم ما لرجال الدين فى المسيحية مثلا من سلطة روحية فى اية صورة من الصور وليست فيه آية واحدة من طراز آية انجيل متى ١٦ ، ١٩ « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات ! ! .

ورسول الاسلام نفسه ليست له أية سلطة على أى انسان ، ولا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ، وما هو الا انسان مبلغ للرسالة « ما على الرسول الا البلاغ » ، ووظيفته التذكير والارشاد ، لا السيطرة ولا الهداية الفعلية « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » انك لا تهدى من أحببت الخ » .. وحينما طلب كفار قريش اليه ما هو فوق طاقة البشر أجابهم فى تواضع الانسان العظيم بانسانيته « سبحان ربي .. هل كنت الا بشرا رسولا ؟ ! ! « وليس فى الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ما لا يزال معترفا به حتى اليوم لبعض آباء الكنيسة ، وهو ما يسمى « قرارات الحرمان » التي لها ضحاياها قديما وحديثا مع الأسف الشديد ...

الانقياد الأعمى

٣ : ـ وحرر الاسلام أيضا حرية الرأى والعقيدة من سلطة الانقياد الأعمى لكل ما يقال كائنا ما كان القول ، وكائنا من كان القائل . فلا قبول لقول ولا تسليم به الا بعد البحث والنظر . فى حرية تامة ، أوضح ابن رشد معالمها بقوله : « **ينبغي لنا أن نضرب بأيدينا الى كتب الأوائل ، فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه** » وقوله « **يجب علينا ان لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا فى الموجودات واعتبارا لها بحسب ما تقتضيه شرائط البرهان ، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك ، وما أثبتوه فى كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان فيه غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه ، وعذرناهم** » واذن فلا بد من النظر والبحث ، ولا بأس على الباحث من الشك الذى أشاد به « الغزالى » قبل « ديكارت » بعدة قرون ، واعتبره سبيلا الى اليقين .

ومن أدب الاسلام السمح الكريم أن نحسن الظن بكل ما يصدر عن طلاب الحقيقة،ولو صدر عنهم ما يحتمل الكفر ويحتمل الايمان فواجبنا أن نحمله على الايمان « ومن كفر مسلما فقد كفر » كما قال عليه الصلاة والسلام . ومن طرائف الاستاذ الامام محمد عبده قوله(١) فى اثناء الحديث عن الاتهام بالالحاد والزندقة : « لا أكاد أخطىء القارىء اذا زعم أن المسلم انما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه اذ كانوا يقولون هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي ، أو ما يماثل ذلك ، أو زعم أن قد فشت فى المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة ، وأن الذى سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين ، بجهلهم بأصوله ومقوماته ، ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض ــ كما هو معلوم » .

الحكمة ضالة المؤمن

والباحثون عن الحقيقة فى الاسلام يجب أن يطرحوا التعصب على حسابها ،

---

(١) العلم والمدنية للاستاذ محمد عبده .

فليلتمسوها أنى وجدوها ، ولو عند من لا يدين بدينهم ، والى هذه السماحة المثالية الرحيبة دعا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها .. يأخذها من أى وعاء خرجت .. يأخذها ولو من أهل النفاق (١) » وقد هيأت المدنية الاسلامية للباحثين عن الحقيقة جميع وسائل البحث ماديا وأدبيا ، وذلك فى الوقت الذى كانت أوروبا فيه تتخبط فى دياجير الجهالة والكهانة والخرافات ، ومن هذه الوسائل تلك المكتبات الاسلامية العظيمة التي حفلت بها بغداد ، وقرطبة ، ومصر عامرة بآلاف المجلدات فى شتى العلوم والفنون والآداب ، وبذلك سبق الاسلام أوروبا بمئات السنين الى محاربة الجهالة والأمية ، من سمرقند ، وبخارى ، الى فارس وقرطبة ، كما اعترف بذلك جبون وغيره من منصفي الأوروبيين .

وكان المسلمون على الرغم من انقسامهم الى عباسيين فى آسيا وأمويين فى أوروبا وفاطميين فى افريقية ـ يتنافسون جاهدين فى محو الأمية ، ونشر الثقافة واتاحة حرية البحث والنظر كاملة لجميع الفلاسفة والعلماء والأدباء ، دون ما نظر الى أديانهم أو عقائدهم أو أوطانهم أو أجناسهم ، وكما وسعت سماحة الدولة الاسلامية الفلاسفة المسلمين أمثال : الكندى والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد ومحمد بن موسى الخوارزمي وأحمد الفرغاني وعلي ابن ابى الرجال ، وأبي معشر البلخي ومحمد بن جابر الحراني المشهور بالبتاني .. وسعت كذلك غير المسلمين من المسيحيين واليهود والوثنيين وغيرهم أمثال يوحنا بن ماسويه ، وجيور جيس بن بختيشوع ، ونوبخت المنجم ، وولده أبى سهيل ، وابن توما النصراني ، ومتى بن يونس المنطقي أستاذ الفارابى ، وأولاد موسى بن شاكر ، وثابت قرة ، وحنين بن اسحق شيخ المترجمين فى عصر المأمون ، وابن ميمون اليهودى المتوفى عام ١٢٠٤ م ، وكثير من الصابئين وعباد النجوم ، الذين نقلوا فى ظلال هذه الحرية من اليونانية الى العربية مؤلفات اقليدس ، وأرخميدس ، وبطليموس وغيرهم ..

ومن أسطع الادلة العملية على كفالة الدولة الاسلامية لحرية الرأى والعقيدة كاملة غير منقوصة أن عدد الفرق الدينية والفلسفية والعلمية التي كان بعضها يصارع بعضا فى ظلالها أربى على مائة وعشرين فرقة تحدثت عنها مؤلفات اسلامية كثيرة منها كتاب « الفصل فى الملل والنحل » لابن حزم الظاهرى المتوفى عام ٤٥٦ هـ وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ وكتاب « الفرق بين الفرق » وكتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م . والى جانب هذه الفرق والمذاهب الفلسفية والدينية والعلمية نجد المذاهب الفقهية الكثيرة : كمذهب أبى حنيفة ومذهب مالك ، ومذهب الشافعي ، ومذهب ابن حنبل ، ومذهب الزيدية ، ومذهب

(١) صحيح الترمذى وغيره .

الأوزاعي ، ومذهب الليث بن سعد ، كما نجد آراء علمية مستقلة تنسب الى أصحابها من الصحابة أو التابعين أو المتأخرين كعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن مسعود ، ومعاذبن جبل، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفارى ، وأبي هريرة والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وأبي يوسف وسحنون والمزنى ، والبويطي ،وابن أبي ليلي ، وابن شبرمة ، والثورى ، وابن جرير الطبرى ، وداود الظاهرى،والغزالى وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والشوكاني والصنعاني ومحمدعبده(١) ، ومحمد مصطفى المراغي وعبد الحميد سليم ، ومن هؤلاء الأحرار، الذين لهم آراؤهم المستقلة أحيانا ، وطالما ثاروا على التقليد لاى امام من الأئمة ، ورحم الله المزني صاحبالامامالشافعي، فقد نقل فى أول مختصره « نهي الشافعي عن تقليده وتقليد غيره ، لأن التقليد ألد أعداء حرية الرأى » « وهل يقلد الا عصبي أو غبي » كما قال علي بن حرب (١) ؟ ! .

هذه الحرية العظيمة السمحة ، التي وسعتها الدولة الاسلامية ، ظلت أوروبا محرومة منها أكثر من عشرة قرون أزهقت الكهانة خلالها آلاف الأرواح البشرية ، ولاحقت بلعناتها الأحرار .. بل أبناؤهم وذريتهم الأبرياء ، التي استباحت الكهانة أن تأخذهم بذنوب آبائهم ، ولا ذنب لهم الا حب الحرية — وأن تمن عليهم بقول البابا انوسان الثالث « لا يجوز أن نترك لأولاد الجاحدين الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية سوى الحياة ، وترك الحياة لهم من « واحسان .... !! » .

★ ★ ★

فمن الانصاف للحقيقة والتاريخ ، اذا تحدثنا عن القرون الوسطى الا يطغى الظلام الذى كان يسود أوروبا خلالها على المدنية الاسلامية والحضارة الاسلامية التي كانت هي العامل الأول فى التعجيل بنهاية تلك القرون المظلمة الى غير رجعة ، وبداية النهضة الأوروبية التي تدين للاسلام وحضارته بأياد بيضاء ، وأفضال غراء شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء ، ولن أعرض لهذه الشهادات حتى لا يخرج بي الاستطراد عن دائرة حرية الرأى والعقيدة التي كان الاسلام كشريعة ودولة أعظم كافل لها ، وأول حفى بها فى العالم أجمع ، وصدق جوستاف لوبون الذى يقول « ان فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

(١) هو قاضى مصر عام ٢٩٣ هـ وهو غير القاضى محمد عبده بن حرب قاضى مصر عام ٢٧٧ هـ انظر الولاة والقضاة للكندى ص ٤٨٠ — ٥٠٥ — ٥١٦

ان يلتزم به قبل ان يلزم المسلمين . وما دعا الى احتمال مشقة من المشاق او الصمود لمحنة من المحن ، دون ان يبدأ بنفسه فى ممارسة الجلد وقوة التحمل .

ومن ثم يهون الامر على أصحابه فيقبلون على اتباعه والاحتذاء به اعلانا منهم انهم بدورهم اهل للثقة وانه أحق بالاتباع .

والانسان بطبعه يعظم القائد حين يراه فى مقدمة الصفوف عملا وجهادا فيثق فى صحة مبادئه ويتفاعل معه ، فى صدق وعزم واقدام . والاسلام يشجب مخالفة القول للفعل ويصفها بأقبح النعوت ، وهى النفاق . ولقد وصف الله تعالى المنافقين بانهم يقولون مالا يفعلون .

ومن ثم كان القائد فى الاسلام اخا فى العقيدة والعمل لكل فرد فى القاعدة ، وكان المجتمع الاسلامى يقوم على اساس ان الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، فشاعت فى اعماقه روح الاخاء والتعاون ، وارتفعت معنويات افراده ، فثبت ايمانهم واستقام سلوكهم وانتظمت صفوفهم وتزايد انتاجهم ، وكانوا يتنافسون بالعمل الصالح فى اكتساب مرضاة الله ورسوله والمؤمنين . فدبت الحيوية فى ربوع هذا المجتمع الوليد وانتقل من مرحلة البداوة والتخلف الى مرحلة التقدم والانطلاق. وكانت نقطة التحول هى الايمان بصدق ما جاء به الرسول ، والالتفاف حول هذا القائد المرسل العظيم الذى بعثه الله نورا ورحمة للناس جميعا .

وقد سجل التاريخ اعظم الصفحات لصفات القائد العظيم فى سيرة الرسول عليه السلام ، اذ كان خير قدوة للمسلمين فى السلم والحرب معا ، فقد كان يشارك بنفسه فى الغزوات بل كان فى طليعة رجاله حين تحتدم نار الحرب ويهاب شواظها من لا يهاب وكان علي بن ابى طالب رضى الله عنه وهو فارس الفرسان يقول : « كنا اذا حمى البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب منه الى العدو » . ولولا ثباته فى وقعة حنين ، وقد ولت جمهرة الجيش واوشك ان ينفرد وحده فى وجه الرماة والطاعنين ، لحقت الهزيمة على المسلمين . وفى ذلك يقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه عبقرية محمد :

« ان مشاركته عليه السلام فى الوقعات الاخرى هى مشاركة القائد الذى لا يعفى نفسه — وقد اعفته القيادة — من مشاركة الجند عامة فيما يستهدفون له ، فهى شجاعة لا تؤثر ان تتوارى حيث يتاح لها ان تتوارى ، وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود .

واذا كان القائد خبيرا بالحرب قديرا عليها غير هياب لمخاوفها ، ثم اكتفى منها بالضرورى الذى لا محيص عنه ، فذلك هو الرسول تأتيه الشهادة بالرسالة عن طريق القيادة العسكرية ، وتأتى جميع صفاته الحسنى تبعا لصفات الرسول » .

تلك مقومات ثلاث للقيادة الرشيدة لم تجتمع فى احد من العظماء والقادة كما اجتمعت فى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم فهو القائد الذى انبثق من صميم أمته ، فوثقت به وآمنت بدعوته . وهو القائد الذى جاء برسالة الحق من عند الله فآمن بها ، واوضح اهدافها ومقاصدها وحدد وسائلها للناس فالتفوا من حوله وتنافسوا فى التفانى والاخلاص . وهو القائد الذى طابق قوله فعله وكان خير اسوة لرجاله . ولقد تفاعلت هذه المقومات جميعا حتى نشأ عنها التقاء القيادة بالقاعدة ، وتعاون الجميع فى صف واحد ، وفى سبيل تحقيق هدف واحد هو نشر الدعوة الاسلامية ، ورفع راية الاسلام فى كل مكان ، وتثبيت قيمه الفاضلة القويمة ، فلا غرو ان تعلو كلمة الحق ، وان ينصر الله المسلمين الاوائل ، وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم » .

بقية سبحان مقسم الارزاق

والحشم ، وكان فى صندوقه الذهب والجوهر ، ولكنه كان مريضا قد اصطلحت عليه اضداد الامراض ، اجتمعت عليه على حين لا يجتمع الضدان وربطته بسريره سنوات ، فاشتهى يوما ان يرى بستان قصره فنحوا سريره حتى واجه النافذة ، فنظر فرأى الفلاح وزوجته وولده ، قد افترشوا التراب ، ووضعوا امامهم صحن الفول المدمس[1] وعصروا عليه الليمون ، ونقطوا عليه زيت الزيتون ، وهرسوا بصلات، فجعلوا منها فى الخبز الحار الخارج لتوه من التنور ، ثم غمسوها فى صحن الفول فأكلوا ، ثم اخذوا من الساقية فشربوا ثم شبعوا فمسحوا افواههم ، وقالوا من اعماق قلوبهم ، ربنا لك الحمد والشكر .

فقال الرجل : آه ليتني آكل مثل هذه الاكلة وابقى بلا مال .

واذا كانت هذه القصة مثلا مضروبا لا يدرى اهى من الواقع ام من الخيال ، فانى اعرف فى دمشق رجلا (توفى من سنين طوال) كانت له اعلى العمارات واكبرها ، وكان له اوسع الضياع واجلها، وكانت له آلاف الاسهم فى اشهر الشركات وله الحسابات الجارية فى اعظم المصارف، وكانت فى معدته قرحة خبيثة فهو لا يستطيع ان يدخل اليها شيئا الا الحليب وكان لا يبصر الا بنظارتين يركب احداهما على الاخرى ، ثم لا يفرق من بعد عشرة امتار بين الانسان والحمار ، اعنى الحمار الحقيقى لان الحمار المجازى فى ظاهره كالانسان .. وهو بعد هذا لا يقدر ان يقارب النسوان ، ولا ان يستمتع بلذة السمر مع الاخوان .

فماذا بقى له من لذائذ العيش ؟ الا يتمنى لو ذهب نصف ماله،لو ذهب ثلاثة ارباعه ، وكان كامل الصحة ، متين البناء، حاد البصر ، قادرا على .. على (الاشياء الأخر) ؟ .

وهاتوا افقر فقير لاسأله هل يرضى ان نقطع قطعة من انفه بمقدار راس الاصبع ، ونعطيه الف دينار ؟

هل يرضى ان نبتر ابهام يده ويأخذ الفي دينار ؟ هل يبيع عينه بعشرة آلاف دينار ؟

والفقير الذىعنده عشرة اولاد يشتكى من كثرتهم ، والانفاق عليهم ، اينزل عن واحد منهم لاكلة لحوم البشر . فيعملوا من لحمه (كفتة) ويأكلوه امامه ، ويأخذ خمسين الف دينار ؟

افليست هذه كلها نعما اكبر من نعمة المال ؟

البصر يا اخوان نعمة ، والمعدة الصحيحة نعمة ، والولد نعمة ، وكلها يدخل فى حساب الارزاق ، فلا تحسبوا الرزق (المرتب) وحده ، فهذه النعم كلها من الرزق .

فاسعوا لطلب الرزق ، وجدوا فيه ولا تدخروا وسعا ولا جهدا ، ثم ارضوا بعد ذلك بما جاءكم ، ولا تغضبوا ولا تسخطوا ، هل يغضب الموظفون على زميلهم الذى يعتمدونه لتوزيع الرواتب آخر الشهر ، ويقولون : لماذا اعطيت الرئيس اكثر مما اعطيت الفراش ؟

ام يعلمون ان الرواتب حددتها الحكومة من قبل ولم يحددها هو ، ولا يملك زيادة فيها ولا نقصا ، ولا تبديلا ولا تحويرا ؟

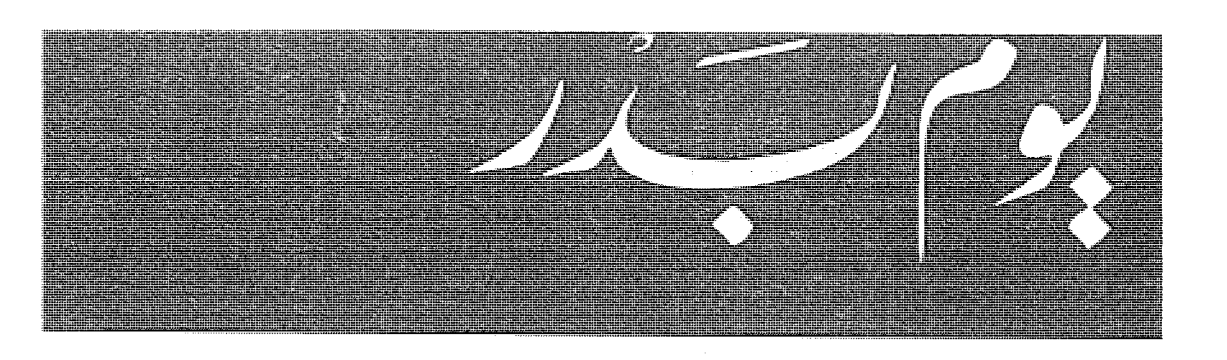
ان الارزاق مثلها ، انها محددة من قبل ، انها مقدرة من الازل ، والذى قدرها هو الله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم)

فنحن نعمل ونجد ونكافح ونتخذ الاسباب كلها ، لان الله امرنا بالعمل والجد والكفاح واتخاذ الاسباب ، ثم نرضى بعد هذا بما جاءنا من الله ، فلا نعيش خاملين ، ولا نحيا ساخطين، وهذا هو شأن المسلمين .

على طنطاوى

---

[1] ـ الديماس معربة بمعنى الحمام ، فكلمة (المدمس) اذن لها اصل فصيح .



سوف تبقى على مدى الأيـــــامِ ... شرعةُ الخير ، شرعةَ الاســــلامِ

فهي بعثٌ من البلــــى ، وشــفاءٌ ... لصدور مليئــةٍ بالســــقام

وهدى يمحقُ الضـــلالَ ،ونورٌ ... سرمديٌ يشــق قلــبَ الظـــلام

وصعودٌ إلى العـــلا ، وســموٌ ... عن حياةِ الشـــرورِ والآثـــام

***

يارعاك التاريخُ يايوم بـــــدرٍ ... أنت في الدهــرِ غرةُ الأيـــام

أنت معنى الكفاحِ في الحق ، لا فـــى ... باطــلٍ زينـــوه بالأوهـــام

أنت بدرٌ وافى الظلامَ ، فولّــــتْ ... من سنــاه كتائــبُ الاظـــلام

فيك أصغى الزمانُ ، والتفت الدهــــرُ .. إلى ساحة الوغى والصـــدام

حيث جندُ الضـــلالِ قد جاء يبغـــى ... نصرةَ الشرك بالقنـــا والسهـــام

والنبــيُّ الكريم بين صحــــابٍ ... كلٌّ فـــردٍ كالصـــارم الصمصـــام

لم يَرَوْا في الحياة الا حطامـــا ... فاشتَروْا دينهـــم بهـــذا الحطـــام

كَبَّرُوا ثم أرقلُـــوا بقلــــوبٍ ... ونفوس إلى الحمــــامِ ظـــوام

وتلاقي الجمعان أيَّ تـــــلاقٍ ... هل رأيت الأسـودَ في الآجـــام ؟

(يا يوم النصر العظيم . في السابع عشر من رمضان . هلا عدت مرة أخرى .. يا يوم النصر العظيم)

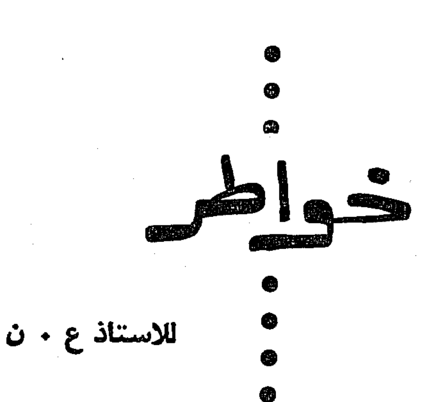
للاستاذ ابراهيم محمد نجا
مدرس اللغة العربية بمدرسة كركوك الثانوية ـ العراق

فأمدَّ اللهُ النبيَّ بجيشٍ ... من جنود مسوَّمينَ كرام
لم يرَ المشركون غيرَ سيوفٍ ... تتهاوى بالْهَامِ بعدَ الهام
عن يمينٍ وعن شمالٍ ضرابٌ ... وطعانٌ من خلفهم والأمام
ففريقٌ على الرمال صريعٌ ... وفريقٌ يُساقُ كالأنعام
وفريقٌ مُشَرَّدُونَ حيارَى ... في فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوانِ والذلِ عقبى ... ورضُوا بالنكوص والاحجام
هد رُكن الضلال وانصدع الشرْكُ ، وباءت فلولُه بانهزام
واستفاض الرشادُ ، وانقشع البغْيُ ، ودالت عبادةُ الأصنام
واستقام الاسلام حصناً قوياً ... ثابتَ الركن ، مستقرَّ الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم اللَّه ، لا باسم سلطةٍ وانتقام
أينما سار فالحياةُ رخاءٌ ... في سلام ، وعزةٌ في وئام
يالَقومي .. لقد تغيَّرَ قومي ... ورماهم زمانهم باصطلام
غيروا قوة بضعفٍ ، وعزا ... بهوانٍ وصحةً بسقام
واستعزُّوا بغيرهم ، فقضى ,, الغيرُ ،،عليهم بالعسفِ والارغام
ورماهم من شره بدواهٍ ... قاتلاتٍ .. شُلَّتْ يمينُ الرامي

فأقاموا على الهوان وساروا ... في طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم ، وكان حياةً ... وضياءً .. بعد الردى والظلام
أين مجدُ الاسلام ضخماً عريضاً ؟ ... أين بنيانُهُ المتينُ السامى ؟
لاتقولوا مضى إلى غير رجعى ... لا ، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه في كل يومٍ ... فقليلٌ ذكراه في كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحاً ... محكمَ الخلْق أيما احكام
ودعوا اليأسَ والتعلل بالوهم ، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمنى؟ ... أتريدون مجدَكم بالكلام
تَعِسَتْ أمةٌ تحاول بالقو ... ل بلوغَ المُنَى ، ونيلَ المرام
انما منطق الضعيف ضعيفٌ ... وكلام القويِّ حدُّ الحسام
فاتركوا الضعفَ ، وارفعوا الذلَّ عنكم ... واهجروا اليومَ مضجع النوام
واعملوا .. انما الحياةُ كفاحٌ ... وجهادٌ في ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتورَ ، وبثُّوا ... في النفوس القوى ..وفي الأجسام
انزعوا اليأس ، حطموا الخوفَ، هبُّوا ... هبة الأسْد رُوِّعَتْ في الموامى
واهزأوا بالخطوب ان عبس الدهـ ... ـرُ ، ولا تعبأوا بكيد الخصام
واحملوا مشعلَ الهداة وسيروا ... في طريق الحياة نحوَ الامام
وليكن حكمكُم بما حكمَ اللـ ... ـهُ ، ودستورُكم من الاسلام

* * *

سوف نبنى صرحَ السلام مكيناً ... مستقراً ... والويلُ للهدام
سوف نحمى الأخلاقَ من نزوة الشـ ... ـرِّ ، وبغيِ الهوى ، وجهلِ الطغام
ونعيدُ الحياة روضاً جميلاً ... يتغنى بزهره البسام
ونضم القلوبَ بعد انفصام ... ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجدَ القديمَ كما كا ... نَ ، وأنفُ الطغيان تحت الرغام
ولنا الدينُ.. غايةٌ وطريقٌ ... وامامٌ .. أنعم به من امام
ولنا اللهُ .. ناصرٌ ومعينٌ ... وهو نعم النصيرُ .. نعم الحامى



للاستاذ ع . ن

توحيد الصيام والاعياد

كلما استقبلنا شهر رمضان استقبلنا معه ـ للأسف ـ شيئا من بلبلة الأفكار والاختلاف حول بدء صيامه . دول تصوم ، ويبدأ عندها شهر رمضان ، ودول أخرى تظل تعيش فى آخر شعبان .. ويصبح حديثنا الموسمي المعتاد : من الذى صام ، ومن الذى أفطر من الشعوب الاسلامية ؟ ! ! .

كان الاختلاف فى بدء صوم رمضان جائزا ، بل كان أمرا طبيعيا فى العصور التى كان الناس محرومين فيها من وسائل الاتصال السريع ... فكانت كل قرية وكل مدينة لا تجد مفرا من الاعتماد على نفسها فى رؤية هلال رمضان .. وكان من الطبيعي أن يراه جماعة هنا ، فيصوموا ، ولا يوفق الى رؤيته جماعة هناك ، فيظلوا مفطرين .. وقد لا يعلم من هنا بأخبار من هناك الا بعد مرور شهر أو أكثر ...

وكان من الطبيعي بالتالي أن يعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم الاعتماد على رؤيتهم للهلال .. اذ لم تكن هناك وسيلة عامة وسريعة يعتمدون عليها فى ايصال اخبارهم وتعميمها على نطاق واسع ...

لكن الآن .. الان ووسائل الاتصال كما نعرف . والاتصال « باللاسلكي » أصبح أمرا سهلا وعاديا ، ويستعمله الأفراد والحكومات فى الاتصال وبث الأخبار وتلقيها من كل زاوية فى العالم حتى أصبح العالم كله داخل جهاز صغير نحمله بأيدينا وفى أى مكان ..

الآن ... والشعور الاسلامي فى كل مكان يزحف للتجمع والتكتل والتوحيد .. والاسلام من قديم يعمل لتوحيد الشعور والقلوب والصفوف ...

الآن نشعر بالمرارة الشديدة حين نجد أنفسنا مع اهتمامنا باثبات بدء الصيام نهمل استعمال « اللاسلكي » فيما بيننا لتوحيد بدء الصيام ..

لماذا لا يعمل المسئولون فى كل دولة على الاتفاق مع الدول الأخرى على أن يكونوا على اتصال مستمر فى تلك الليلة لتلقى أنباء رؤية الهلال حتى اذا رئى فى احداها سارعت الى اخبار الدول الأخرى ليعلن الجميع بدء صوم رمضان فى يوم واحد ..

نحن لا نكلف المسئولين أمرا صعبا ، وانما نطلب منهم مجرد الاهتمام بهذه الناحية واعطاءها شيئا من التفاهم .

اننا نلاحظ أن المسلمين فى أقطار الأرض يختلفون فى بدء الصيام كما يختلفون فى يوم العيد .. فأمة عندها عيد الفطر ، وأمة أخرى لا تزال فى آخر يوم من رمضان ، وقد يكون الاختلاف فى يوم أو يومين كما حدث فى العام الماضي .. وهذا شيء يبعث على الأسف ، ويولد المرارة فى النفوس ! ! .

المسلمون الذين وحد بينهم دينهم ، ودعاهم الى أن يوحدوا صفوفهم يختلفون فى أعيادهم ! ! .

لم يعد من المقبول أن نظل أغلب الليل على أن الغد من شعبان ، ثم نفاجأ قرب الفجر بأنه من رمضان ..
ولم يعد من المقبول أن ننام على أن غدا من رمضان فاذا بنا نفاجأ بأنه عيد

.. ولدينا الاذاعة وغيرها ومن الممكن أن توفر لنا الخبر اليقين فى الوقت المناسب.

شيئا من الاهتمام بفريضة هامة وبمظهر كريم من المظاهر الاسلامية ..

نعم .. شيئا من الاهتمام ...

الحياة بدون حرية !!

الذى حصل فى السودان بصدد الشيوعية والشيوعيين أعتقد أنه جاء متأخرا عن أوانه ، وبعد ما جنت السودان الثمرة المرة لترك هؤلاء يمرحون ، ويؤلفون جمعياتهم وأحزابهم ، ويبثون دعاياتهم المسمومة هنا وهناك .. حتى وجدنا لهم فى البرلمان أحد عشر عضوا .. ووجدنا لهم فى المحافل والأندية تنظيمات تمكنهم من استعمال نفوذهم ، واقامة المظاهرات الصاخبة ، للاعلان عن معارضتهم للقرار الذى يقضي بمصادرة نشاطهم المخرب الخطير ...

ان الشيوعية داء تجب محاصرته مثل داء الكوليرا تماما .. فان الذين يقولون : ان الدين خرافة ويكفرون بكل القيم الروحية والمثالية ، ويلتصقون بالارض ويلوثون الأفكار بالتراب ، ويعتدون على كل المقدسات . هؤلاء تجب محاصرتهم ، كما تحاصر الكوليرا ، ويجب أن يعنى المسئولون المسلمون فى كل بلد اسلامى باعطاء شعوبهم المصل الواقي منها ، ومن أخطارها المدمرة ..

والمصل بحمد الله موجود .. ومتوفر .. ولكنه مع الأسف لا يستعمل . انه يا أخي فى الاسلام ونظمه الاجتماعية التي تكفل للمسلم العدالة الاجتماعية ، مع الحرية ، نعم الحرية التي لا يشم نسيمها أى فرد يعيش فى ظل أى نظام شيوعي ..

والحرية — يا أخي — هي التي تميز الانسان عن الحيوان .. وتجعله يشعر بانسانيته وكرامته .. لا أقول ان الانسان الذى لا يتمتع بحريته كالحيوان .. ولكني أقول ان الحيوان يكون أسعد حالا منه .. لأن الحيوان لا يشعر ولا يحس المرارة التي يحسها الانسان حينما يفقد حريته . ويقاد من خطامه ويجبر على أن يعجب بمن يمقته ، ويهتف لمن يبغضه .

نعم .. ليس هناك شقاء وتعاسة تعادل شقاء الانسان الذى لا حرية له .

لا تنه عن خلق ...

مشكلة السود والبيض فى روديسيا هي امتداد للمشكلة نفسها فى امريكا وبريطانيا والدول التى تسمى نفسها متحضرة ، وتزن الناس بألوانهم .. والذين خلقوها فى الوطن الافريقي هم البيض النازحون الذين عاشوا مدللين من الاستعمار لأنهم ربائبة أو هم الذين مهدوا الارض له ليفرض سلطانه .. وقد عاشوا ، وعاش أجدادهم، وانتفخت جيوبهم ، وامتلأت خزائنهم وخزائن الدولة الحاكمة هناك فى الشمال من جهد العامل الافريقي وأرضه وثروته ..

هم مسلحون بالخبرة والمال والمعرفة ، وأهل البلاد لم يكن عندهم هذا السلاح .. ومن ثم سهل على المستعمر استغلال سذاجتهم وتسخيرهم لمآربه .. وعاش الجنس الأبيض فى وسط هذا الموج من الجنس الأسود يحكم ، ويستغل أزمانا طويلة ، ويضع الخطط لكي يبقى على غير أرضه ، وينهب مال غيره .. ويتحكم — مع قلته — فى مصير السكان الأصليين .. حتى جاء الوقت المناسب ليعلن بقاءه واعلان ملكيته للبلاد برغم أنف أهلها والكثرة الغالبة من أمم العالم ..

ولا أشك فى أن موقف جنوب افريقيا وفرض سيطرتهم على السود هناك غير مبالين بالأحداث التي ارتفعت هنا

وهناك بالاعتراض لا أشك فى أن هــذا الذى حصل فى جنوب افريقيا بتشجيع أو برضا من الدول الاستعمارية الكبرى فى العالم هو الذى شجع اخوانهم البيض فى روديسيا على أن يخطوا هــم الآخرون خطوتهم غير مبالين بأحد ..

واننا ـ كمسلمين ـ نبغض من كــل قلوبنا هذه التفرقة التي تتنافى تماما مع مبادىء الاسلام ومــع أبســط مبادىء الانسانية ، ونرفض سيطرة جنس على جنس وتحكمــه فى مصــالحه وتقــرير شؤونه ، لكنا لا نستطيع أن نغمض أعيننا عن الأسباب التي أتاحت لهؤلاء البيض أن يضربوا ضربتهم ، ويفرضوا على الكثرة سيطرتهم .. ان النظرة التي طبع عليها هؤلاء البيض نحو السود انما ساعد على تجسيدها فى عالم الواقع الى هذا الحد من التبجح تأخر الســكان الأصــليين ، ورضاهم زمنا طويلا بالمهانة التي عاشوا فيها ، ثم اختلافهم وتفرق صفوفهم حتى فى أشد أوقات المحنة التي تمر ببلادهم الآن ...

وهذه عبرة يجب ألا تفوتنا وســط الضجيج والصراخ والحماس .

وفى اللحظة التي أكتب فيهــا هــذه الكلمة يجتمــع مؤتمر وزراء خارجيــة المنظمة الافريقية ، وأستمع الى المذيــع يذيع انذارا موجها منهم لبريطانيا بقطع دول المنظمة علاقتها معها ، وانســحاب اعضاء الكومنولث منه ، ان لم تقــدم بريطانيا على اجراء حاسم يحفظ للكثرة الافريقية حقها ، ويوقف حكومة البيض عند حدها ، فى زمن أقصاه الخامس عشر من ديسمبر الحالي .. ولا اكتمك انني شــعرت بشيء مــن العــزة لأن الدول الافريقية التي لم يكن معظمها قد خرج الى الوجود لعهد قريب مضى أصبحت تملك قوة التهديد للدولة التى لم تغب الشمس عن أملاكها .. وهذا وان كــان طيبا الا أن الاطيب منه والأحســن أن نرى هذه الدول جادة فى كلمتها ، قادرة على تنفيذ تهديدها هذا ، وأكثر منه . والسير فى نصرة اخوانهم الافريقيين الى آخر مدى يستطيعونه ..

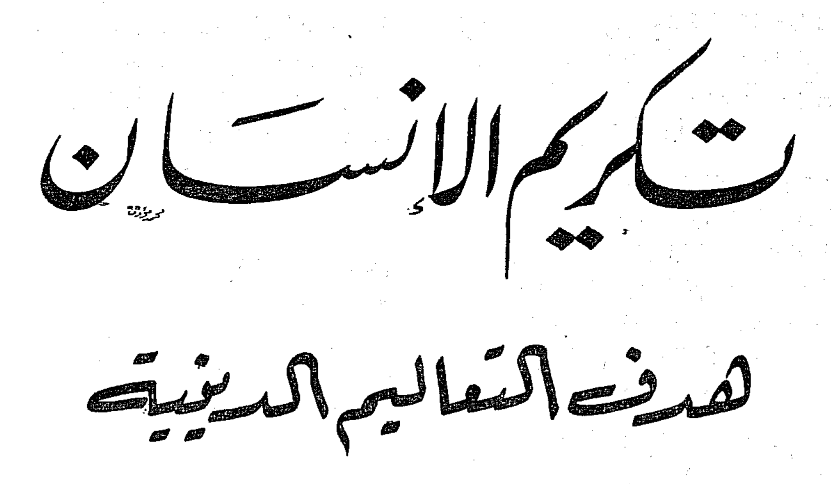
ذلك من وجهة نظر الاسلام أمر يحتمه . لأنه لا يعرف التفرقة بين الناس لألوانهم أو أجناسهم ولانه يبغض الاستغلال أيا كان نوعه استغلال فرد لفرد أو استغلال جماعة لجماعة أو أمة لأمة ، الا أنه يكون اكثر حتمية حين يكون المسلمون هــم الذين يقع عليهم هذا الاضطهاد .

ومن هنــا نطلقها شرارة مــن القلب لبعض الدول المجتمعة من أجل انقــاذ المغلوبين على أمرهم فى روديسيا ، ونقول وماذا تفعلون مع المسلمين الذين يعيشون تحت سلطانكم ؟ ألا يعانون عندكم أشد مما تعانيــه الــكثرة فى روديســيا ؟ ألا يضهدون فى دينهم وأرزاقهم ؟ ألا تعمل السلطة الحاكمة بكل جهدهــا لحمــل المسلمين على ترك دينهم وبالدخــول فى دين الدولة الحاكمة بالقــوة والارهاب ، ويحرمون من حقوقهم التي يتمتع بهــا الآخرون ؟ لا لشيء الا لأنهم مسلمون . فلماذا تحاربون التفرقــة فى روديســيا وتباشرون أسوأ أنواعها فى بلادكم ؟

لا تنــه عــن خلــق وتاتي مثله
عــار عليــك اذا فعلت عظيــم

وشيء آخر تمنيته وأنا اسمع خبر هذا التهديد .. تمنيت لو أن الــدول العربية صدر أو يصدر عنها مثل هــذا التهديد والحزم من اجل فلسطين، ونكبة العرب فيها أشد من نكبة الافريقيين فى روديسيا .. وفى يد الدول العربية مــن أسيالب الضــغط والتهديد على الدول التي تساند اسرائيل ، وتغذيها ، وتحميها أكثر وأشد فعاليــة ممــا تملكه الدول الافريقية أو دول الكومونولث ...

نعم تمنيت ولا زلت أتمنى ....



يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم :

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

تكريم الانسان قبل خلقه

هذه الآية التى سجل الله فيهـا تكريـم بنى الانسان فى كتابه الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم تكن انشاء لهذا التكريم وانما كانت تقريرا لهذه الكرامة التى سجلها الله للانسان قبل ان يرى نور الحياة وقبل ان ينفخ فيه من روحه،ويجعل له السمع والبصر والفؤاد .

فقبل ان يصبح الانسان انسانا فىصورته وخلقته نادى الله ملائكته بقوله تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا مـن صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين) الحجر : ٢٨ — ٢٩ .

وفى التعبير بكلمة (فقعوا له ساجدين) المقترنة بالفاء الدالة على وجوب وقوع السجود من الملائكة فورا ودون تراخ او ابطاء فى هذا التعبير ما يصور لنا عظمة هذا التكريم ، وسمو منزلة بنى الانسان

فلم يكتف الله تبارك وتعالى بمجرد الامـــر للملائكة بالسجود .

بل وامرهم ان ينفذوا هذا الامر فورا ودون تراخ او ابطاء .

امر الله الملائكة بهذا الامر قبل ان يخلق آدم ، وقبل ان ينفخ فيه من روحه ، وقبل ان يصبح كائنا من الكائنات ومخلوقا من المخلوقات ، امرهم بهذا الامر الحازم الحاسم ، بينما كان الإنسان فى عالم الغيب ، ليثبت ان كرامة بنى الانســـان صاحبته ولازمته منذ ان كان مجرد فكرة ومشيئة وارادة .

الانسان خليفة الله

ولكن لماذا كان هذا التكريم فى روعته وعظمته وجلاله وسموه . لان الله تبارك وتعالى اختار الانسان عن علم وخبرة ليكون خليفته فى أرضه . والخليفة يستمد سلطانه وجاهه مـن سلطان

لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي
ـ من علماء الأزهر ـ

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر على كثير ممن خلقنا تفضيلا » • الاسراء : ٧٠

وجاه من استخلفه ولا سلطان فوق سلطان الله ولا جاه فوق جاه الله .

واذا فتكون كرامةالانسان ـ خليفة الله ـ وعزته وجاهه هى التالية لكرامة الله وعزته وجاهه .

جزاء من يمتهن كرامة الانسان

ولما ابى ابليس الاعتراف بهذه الكرامة وابى السجود لهذا المخلوقالعظيم كان ذلك كافيا لطرده واخراجه من الجنة ، مذءوما مدحورا كما كان ذلك مبررا لتعرضه للعنة الله وغضبه الى يوم القيامة هو ومن يتبعه ممن يمتهن هذه الكرامة ولا يقدر لها قدرها ، ولا يعطى لها من التبجيل والتعظيم حقها فقال تعالى (اخرج منها مذءوما مدحورا) بل جعل الله هذا الحكم الصارم بمثابة الحق المؤكد والعدل المطلق فقال جل شانه (فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) ص : ٩ ـ ٨٥ .

تكريمه بعد خلقه

ثم بعد خلقه كرمه الله بانزاله فى الجنة وحقق له كل ما يتفق مع هذه الكرامة العالية ، وتلك المنزلة السامية ، فقال له (اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) .

اعطاه الله الحرية الكاملة فى ان ينعم نفسه بكل ما يشاء دون حرج او مشقة بل حقق له كل انواع السعادة التى يتمناها ، فاعطاه هذا العهد الوثيق المؤكد (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) .

حتى بعد المعصية

وحتى بعد ان عصى آدم ربه تلقى منه كلمات (فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

البقية على ص ٧٣



بين الإسلام والطب الحديث

للدكتور سالم نجم
دكتوراه في الأمعاء من جامعة كامبردج
واخصائي البحث العلمي بوزارة الصحة ـ الكويت

قدر فهدى

شاءت قدرة الخالق تبارك وتعالى ، أن يجعل لكل كائن حي على هذه الأرض ناموسا يسير عليه ، ليحفظ به نوعه من الانقراض ، وليعمر به هذا الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والانسان لا يعيش وحده على هذا الكوكب ، وانما يشاركه العيش الآلاف المؤلفة من الكائنات الحية ، لكل منها ناموس وقوانين ، أودعها الخالق فيها حتى تسير على هداها ، لتؤدى وظيفتها كاملة فى هذه الحياة . ونحن نعلم ـ وما نعلم الا القليل ـ أن لكل نوع من هذه المخلوقات قوانين خاصة بنوعها ، فهناك قوانين الوراثة ، والجنس ، والتكاثر ، وقوانين تلائم الكائن ، لينسجم مع بيئته وينطبع بطباعها ، ثم هناك قوانين تنظيم طبيعة العمل للكائن الحي ، وأخرى تهديه الى نوع الطعام الذى يمده بالحياة والحركة (صنع الله الذى أتقن كل شيء) .

ومن الملاحظ أن في الوجود كائنات تعيش ـ على حد علم الانسان ـ على الهواء والماء ، ومنها ما يقتات على النباتات دون غيرها من المأكولات ، وأخرى تعيش على اللحوم ـ ولا تأكل النبات ـ مهما استبد بها الجوع ، ثم حينما يأتي دور الانسان الذى فضله الله على سائر خلقه اذ يقول : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) ٧٠ الاسراء ــ نجد أن الخالق تبارك وتعالى قد اختصه بالطيبات وحرم عليه الخبائث (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) .

وداخل هذا الاطار استودع الله الانسان أسرار خلقه وحصنه بالنواميس والقوانين الثابتة . ويهمنا منها هنا القوانين الطعامية ، التي توفر له غذاء متكاملا متجانسا ، يفي بجميع احتياجاته البدنية ، حتى تتوفر له الطاقات الضرورية لأداء رسالته ، وليحيا حياة صحيحة ، بعيدة عن الأمراض ومهلكات الحياة . ولقد أتيح له أن يطعم من النباتات الطيبة ما شاء ، ومن لحوم الطير والماشية والأسماك ما هفت اليها نفسه .

والنفس تهفو للاشياء طبقا لقوانين ثابتة فى تكوينه الخلقي ، سدا لاحتياجاته الضرورية اللازمة لمواصلة الحياة بصورة سليمة ومرضية . ومن فضل الله على الانسان أنه ما حرم عليه الا أقل القليل من الطعام والشراب ، لما فى ذلك القليل من الضرر لصحة الانسان البدنية والعقلية ، وهذا الحظر لا يحرمه عنصرا اساسيا من عناصر الحياة الماخوذة من الطعام ، كما هو الشأن فى بعض المذاهب التي تحظر على أتباعها أكل طعام معين ــ وساتعرض لذلك بعد قليل ــ بل هو يجنبه بهذا التحريم أضرارا محققة تلحق بنفسه وبدنه ، فمثلا حينما يحرم الله تعالى أكل لحم الخنزير ــ على الاطلاق ــ سواء نشا هذا الخنزير فى حظيرة ماكله فيها الروث والقاذورات ، أو تربى فى مزرعة نموذجية على العلف النظيف والكيماويات السليمة ، فهو يحرمه لأنه الخبير العليم ، أعلم بمخلوقاته وبمواضع النفع والضر فيها . ولقد قيل قديما بأن الخنزير حرم لأنه كان ياكل القمامة، ويصاب بالديدان التي تنتقل الى الانسان ، فتهلكه ، وعلى هذا فاذا حسنت تربية هذه الخنازير واختير نوع طعامها فلا بأس من أكل لحومها لأن سبب التحريم قد انتفى ! ! .

لحم الخنزير والذبحة الصدرية

واقول ان هذا كلام ناقص لا يستند الى دليل مقنع . وحديثا أثبت العلماء ــ وفى البلاد التي أبيح فيها لحم الخنزير ــ أن لحومها تحتوى على احماض دهنية من ذوات النواة الطويلة ، لها تأثير سيء على سلامة شرايين الانسان ، وتساعد على انسدادها مما قد يؤدى الى الجلطة الدموية ، والذبحة الصدرية ، وكثير من أمراض الشرايين القاتلة .

ومن يدرى فلربما أثبت العلم مستقبلا أشياء وأشياء ، ترد بعض العقول الجامحة الى التبصر والتفكر فى موقفها من مادة طعامية يحرمها الله ، وتلزمها الادب فى مناقشتها ومقارعتها بالحجة البشرية التي تعتمد على علم الانسان القاصر ، والتي لا تستطيع الصمود طويلا أمام منطق القرآن الخالد وعلم الله الشامل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ..

ومما تجدر الاشارة اليه ان العلماء من أطباء الغرب قد حرموا أكل لحم الخنزير على فئات كثيرة من المصابين بأمراض الشرايين وأمراض المعدة والكبد ، وهنا وجب أن نسجد لله شكرا على أن هدانا لهذا الدين ، وان نكرر الشكر له تعالى جزاء ما أنعم به علينا من نعمة اتباع نهج كتابه ، وسنة خير خلقه صلوات الله وسلامه عليه .

وأود لو أتيحت لي الفرصة لمناقشة تحريم الخمر ، ولكن كفاها شرا أنها تذهب بأعز ما أودع الله الانسان وميزه به على سائر المخلوقات ، ألا وهو العقل ، غير أنني ساقصر كلامي هنا على مناقشة موضوع التكامل الغذائي للانسان ، وبيان ان الضرورة الحياتية تحتم عليه أن يتناول طعاما كاملا ، يحتوى على المواد الغذائية الأساسية ، نباتية كانت أم حيوانية ، وهنا أجد من الضرورى أن ألفت النظر الى بعض الطوائف الدينية التي تتخذ مذهبا طعاميا معينا ، كأن تحرم على أتباعها أكل لحوم الحيوان أو أكل الاسماك ، أو تحريم مواد معينة من النبات أو الحيوان ،هذه المجموعات البشرية تنافي فطرة الله تعالى وناموسه الذى أودعه فى خلقه ، ولهذا فليس غريبا أن نجد بين

هذه الفئات كثيرا من الأمراض الناتجة عن نقص المواد الغذائية الضرورية ، بل تكثر اصابتهم بالأمراض المعدية نتيجة لضعف مقاومتهم لنقص عناصر الدفاع فى أجسامهم .

نخلص مما تقدم الى أن الطعام المثالي للانسان يجب أن تتوفر فيه خاصية التنوع والشمول ، وأن يكون محتويا على العناصر الضرورية مما تنتج الأرض من الخضر والفاكهة ، وبهما قدر كاف من الأملاح والمعادن والفيتامينات بالاضافة الى المواد الغذائية الحيوانية ، من دهنيات وزلاليات ، وبها القدر المكمل من المعادن والأملاح والفيتامينات اللازمة لجسم الانسان وحيويته .

الهدف من التغذية

والاسلام الذى يأمر بهذا التكامل الغذائي للانسان ، ويبيح له الاستمتاع بالخيرات ، لا يجعل ذلك هدفا لذاته ، والا كان هو والسائمة فى درجة واحدة ((يأكلون كما تأكل الأنعام)) ، ولكن ليكون الجسم القوى السليم الذى يستطيع الاضطلاع بمهام الأمور ، حتى يؤدى رسالة المسلم فى هذه الحياة : سعي وتعمير واصلاح وسلام . فالطعام ليس غاية فى ذاته ، بل هو الوسيلة الى استمرار الحياة ((انما نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل)) .

توجيه نبوى

وحتى لا نصاب بالترهل والبطنة التي تقتل الحس ، وتميت القلب ، وتبطىء الحركة ، وتبلد الذهن ، وتدعو الى حياة الكسل والخمول .

يوصي الاسلام بالاعتدال فى الطعام ويقول عليه الصلاة والسلام : ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع)) كما يقول عليه السلام ((ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لمائه وثلث لهوائه)) جوامع كلم لرسولنا العظيم ، ولو فقه الناس هذين الحديثين ، وعملوا بهما ، لما تعددت أمراض المعدة والجهاز الهضمي التي تكون فى مجموعها أكثر من ٦٠٪ من أمراض هذه المنطقة من العالم ، فاذا أمعنا النظر فى الحديث الأول ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع)) فهمنا أنه عليه الصلاة والسلام يتحدث عن نفسه وعن أتباعه الى يوم القيامة ببدء الحديث بنحن ، وبذلك وجب علينا الالتزام بهذا النص واتباع ما يراد منه ، ثم هو يقرر أن الطعام وظيفته سد السغب ، وامساك غائلة الجوع ، حتى نتمكن من مواصلة القيام بأعباء الرسالة الكريمة .

ولا يقل عن هذا روعة وجمالا ما نفهمه نحن رجال الطب من المطابقة الرائعة لهذا الحديث مع فسيولوجيا الجسم ، فنحن نعلم أن الشعور بالجوع ـ انما يعكس حالة الجسم الكيماوية وينبهه لحاجته الى تصحيح نسبة الكيماويات الدموية ، التي لا تتحقق الا بالطعام ، فالشعور بالجوع ينشأ من عوامل مختلفة ، منها انخفاض نسبة السكر فى الدم ، ومنها نشاط بعض الغدد الصماء ، وخاصة الغدة النخامية ، والغدد فوق الكليتين ، وهذه بدورها تؤثر على افرازات غدة البنكرياس ـ حيث ينخفض انتاج مادة الانسولين ، ويقوم الجهاز العصبي المركزي والفرعي بدور فعال فى هذه العملية المعقدة حيث تتنبه أعصاب المعدة والأمعاء والجهاز المرارى لتنظيم افرازاتها وتحركاتها ، ومن المعدة تخرج رسالة خاصة الى مراكز الاحساس العليا فى المخ تترجم فى شعور الانسان الى الاحساس بالجوع والحاجة الى الطعام ، وفى هذه الأحوال يكون الجهاز الهضمي بما فى ذلك الكبد والجهاز المرارى مستعدا لاستقبال الطعام ، ومهيأ لعملية الهضم على خير وجه . ومن هنا يتضح حكمة الحديث الكريم ، ومدى فائدته اذا طبق كما أوصى بذلك سيد الخلق .

بل ان الرسول الكريم قد ذهب الى أبعد من ذلك توضيحا وارشادا لآداب الطعام ، فهو ينهى عن ادخال الطعام على الطعام وتعليل ذلك طبيا أنه يفسد عملية الهضم ، فيرتبك الجهاز المنظم للافرازات الهاضمة ، والجهاز المنظم لتحركات المعدة والأمعاء ، وينتج عن ذلك أعراض يسميها المرضى اسماء مختلفة منها . انتفاخ البطن ، تلبك الهضم ، غازات ، هواء ، ريح ، حرقان فى فم المعدة ، الى غير ذلك من الاصطلاحات التي تعارف عليها الناس ، وفى قوله عليه السلام : ((واذا أكلنا لا نشبع)) اشارة جميلة الى أن الانسان يجب أن

يقوم عن الطعام وهو اليه راغب ، لا أن يقوم وقد امتلات معدته ، حتى لم يبق فيها متسع . ونحن نعلم كذلك أن الطعام حينما يرد الى المعدة تقوم جدرانها بافرازات المواد الهاضمة الأولية ، وبتحركات منتظمة تساعد على خلط الطعام وهضمه ، ثم افراغ محتويات المعدة الى الأمعاء الدقيقة ، حيث تكتمل عملية الهضم والامتصاص والتمثيل ، فاذا ما أمتلات المعدة بالطعام والشراب، وتوترت جدرانها فقدت القدرة على الافراز ، وعلى التحركات المطلوبة لاتمام وظيفتها ، مما يؤدى الى أعراض مرضية تشبه ما ذكرت آنفا .

ومن هذا نتبين أن استقامة الصحة وكمالها يأتي بالاعتدال فى تناول الطعام وأن تظل المعدة فى حالة أقرب الى الفراغ منها الى الامتلاء . ومن هنا برزت روعة الاسلام فى فرض الصيام .

الصيام ضرورة صحية

ولن أعدد هنا فضائل الصوم التعبدية والاجتماعية والخلقية من ضبط للنفس ، وتقويتها لمواجهة الشهوات ، ومن تفوق للارادة ، ومن مشاركة وجدانية راقية ، فبيان ذلك يطول ، وقد تكفلت به مقالات أخر

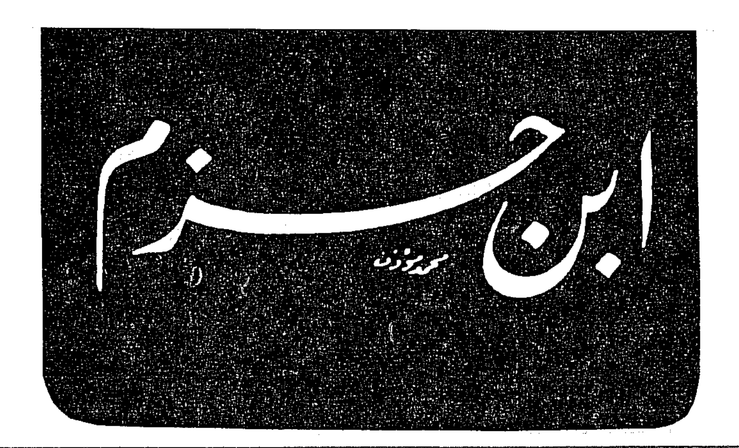
وانما الذى يعنيني تقريره هنا هو أن الصيام ضرورة صحية لازمة لبقاء الجهاز الهضمي فى حالة طبيعية مرضية لأداء وظيفته على الوجه المطلوب ..

ومن حكمة الله تعالى أنه فرض الصيام شهرا كل عام . وهذا الشهر يتغير وقت مجيئه من عام لآخر ، فحينا يأتي شهر الصوم فى فصل الصيف ، وحينا آخر فى فصل الشتاء ، ويدور حتى يشمل فصول السنة كلها . ذلك لأن شهر الصوم يتبع النظام القمرى للدورة الفلكية التي تكتمل كل ست وعشرين سنة تقريبا . وبذلك يعتاد الجسم الصيام فى جميع الاجواء ، وتحت كل الظروف ، حتى تكتمل ملاءمته للطقوس الجوية المحيطة به .

وقد يجانبني التوفيق اذا ما حاولت أن أفلسف الصيام على ضوء الاكتشافات الحديثة لعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وأن ما وصل اليه العلماء من وجوب اعطاء أجهزة الجسم قسطا من الراحة على فترات متباعدة تستجمع فيها نشاطها . أو أن الطب الحديث - حينما يصاب عضو من الجسم بأذى - يحتم على الطبيب أن يهيىء الظروف المناسبة لاعطاء هذا العضو الراحة التامة مع اعفائه من واجباته الفسيولوجية ما أمكن ذلك حتى تتجدد للعضو أو الجهاز حيويته ، ومن ثم يستأنف عمله على خير وجه .

انني أعتقد أن مجرد عقد مقارنة بين ما وصل اليه الطب الحديث وبين ما فرضه الخالق - جلت عظمته - على الناس من عبادات أو حتى محاولة التوفيق بين الاثنين افتراء على الله تعالت قدرته وحكمته ، فلربما اخطأ العلم اليوم ، والطب كما يعلم الجميع علم تجريبي يقوم على الخطأ والصواب ، فالنظرية الطبية التي كانت سائدة فى العالم منذ عشر سنوات، وحازت احترام الأوساط العلمية ، ربما نذكرها اليوم للتفكه والتسلية ، وقد انحلت حلقات عقدها ، وتفككت أسس بنائها وحاشانا أن نعقد مقارنة بين دستور الله وحكمه الفصل - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وبين انتاج عقل الانسان وادراكه ، الذى مهما بلغ من التقدم فهو قطرة فى بحر ، ولا يقاس بما فى هذا الكون من اعجاز منهل . والذى أقصد اليه ، هو أن نؤدى العمل التعبدى الذى يطلب منا لذاته ، ونفعله كما كان يفعله رسولنا الكريم . فمن المؤكد أن فى ذلك صلاح أمرنا ، واستقامة حياتنا فى الدنيا والآخرة والله تعالى من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

• فرض على



والعدالة الاجتماعية

● فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه .

● ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك .

● وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة !!

ليس هذا النص نقلا عن مفكر أو مشرع معاصر ..

وانما يطالع القارىء سطورا وردت فى باب (الزكاة) من كتاب (المحلى) فى الفقه الاسلامى ، للامام ابن حزم الذى عاش فى ديار الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ..اى منذ حوالي الف عام !!

فمن هو هذا الامام الفقيه صاحب هذه الصيحة الانسانية النبيلة ؟؟

ليس شافعيا ولا مالكيا

ان ابن حزم امام مجتهد لا يتبع مذهبا من المذاهب المعروفة المشهورة .. انه عقلية متحررة متفتحة تأبى الجمود وتثور على التقليد !

انه يورد بابا فى كتابه (الاحكام فى أصول الأحكام) يسميه : (باب فى اثبات حجج العقول) **يعلى فيه قدر العقل الانساني ويحكمه فيما يروى من النصوص للتحقق من سلامتها وثبوت ورودها فيقول :**

« بطل ان يعلم صحة الخبر — المروى عن النبى — بنفسه ، اذ لا فرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل ، فلا بد من دليل يفرق بينهما ، وليس ذلك الا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل » !!



لأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم

للاستاذ م . ف . عثمان

وابن حزم يدعو فى حرارة الى النقاش والجدال مستندا الى نصوص منها قوله تعالى « وجادلهم بالتى هى احسن » . ومن طريف ما استشهد به ان المسلمين مامورون باتباع ملة ابراهيم ابى الانبياء ، وقد كان من ملته الحجاج والمناظرة ، فلقد ناقش اهله وقومه فى اصول العقيدة « وحاجه قومه ... »(1) « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه .. » (1) وكان ابراهيم يفند دعاوى الشرك ويقيم ادلة التوحيد « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه »(3) !!

فابن حزم يريد أن يعيش الفكر فى النور .. ولا يؤمن بصيانة « الايمان » فى السراديب ! !

انه لا يشفق على (العقيدة) من المنطق ، ويقول : « وقد علّمنا الله الحجة على الدهرية (الطبيعيين) والثنوية (القائلين بالهين) وجميع الملل ، وأمر بالجدال على لسان رسوله (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) وقد علّمنا رسول الله وضع السؤال فى موضعه وكيفية المحاجة ،وقد تحاج المهاجرين والانصار وسائر الصحابة ، وحاج ابن عباس الخوارج بأمر علي ، وما أنكر أحد من الصحابة الجدال فى طلب الحق » ! ! .

وابن حزم يحارب التقليد ، ولا يقر أن يتابع انسان انسانا دون نظر واقتناع ، ولو انتهت المتابعة من الوجهة العملية الى حق أو خير .. وعنده أن المجتهد المخطىء أقرب الى الله من المقلد المصيب ، لأن للأول ثواب اجتهاده وليس عليه وزر خطئه ، والثاني موزور بتقليده وليس له ثواب ما أدركه من صواب ، لأنه لم يبذل جهدا ولم يتحر وجه الحق ! ! .

من هو ابن حزم

هذا المفكر الرائد هو ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ولد بقرطبة فى الاندلس فى أواخر القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) وكان أبوه من وزراء الدولة الاموية فى آخر عهدها الاول بالاندلس، وهكذا نشأ ابن حزم يطلب العلم حرصا على العلم لا لمغنم من مغانم الدنيا ، « فلم أرج به الا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة » ! ! .

ولما خرج السلطان من أيدى الأمويين الى أبى منصور العامرى وأسرته ، واضطربت أمور قرطبة منذ ٣٩٨ هـ ، تعرض ابن حزم وأسرته للشدائد التى يتحدث عنها فيقول « .... امتحنا بالاعتقال

1 ـ الآية ٨٠ من سورة الأنعام 2 ـ الآية ٢٥٨ من سورة البقرة 3 ـ الآية ٨٣ من سورة الأنعام

والتغريب والاغرام الفادح والاستتار ، الى أن توفى ابي الوزير ونحن فى هذه الأحوال (٤٠٢ هـ) ، وضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا ... »

واضطر ابن حزم للنزوح عن قرطبة سنة ٤٠٤ هـ ، فاتجه الى « المرية » ، ولكن واليها من قبل الحموديين الذين غلبوا على قرطبة لم يلبث ان اتهمه فى سنة ٤٠٧ هـ بالعمل للبيت الأموى ، فتعرض للتغريب وتحديد الاقامة . وتعددت محاولات الأمويين لاستعادة السلطة ، وكانت كل محاولة تلجا الى ابن حزم للاستعانة به ، وانتهت كل المحاولات بالفشل ، وانتهى آخر حكم أموى فى الأندلس ٤٢٢ هـ ، ورحل ابن حزم الى جزيرة ميورقة المجاورة ، ولقى تأييد واليها ابن رشيق ، فلما توفى سنة ٤٤٠ هـ هاج ضده العلماء وهيجوا ، حتى اضطر الى الرحيل ، فنزل اشبيلية وكان يحكمها المعتضد بن عباد ، وقد أمر هذا باحراق كتب ابن حزم . وكانت خاتمة مطاف ابن حزم قرية فيها ضياع أسلافه التي آلت اليه .

ولنستمع الى معاصر ابن حزم المؤرخ الأندلسي ابن حيان يرسم صورة هذا المهاجر الجوال ، الذى يتخلى عن منصبه وماله وموطنه ، ولكنه لا يتخلى عن فكره وعقيدته :

« طفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به الى منقطع أثره بتربة بلده من بادية (لبلة) ، وبها توفى رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ — ١٠٦٤ م ، وهو فى ذلك غير مرتدع ، ولا راجع الى ما أرادوا به . يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده ، يحدثهم ويفقههم ويدربهم ، ولا يدع المثابرة على العلم ، والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف » .

حقوق الانسان الاجتماعية

ومن المعروف أن الدساتير والمواثيق العالمية قد اتجهت أخيرا فقط الى تقرير حقوق الانسان الاجتماعية ، وتقرير مسئولية الدولة الايجابية عن ضمان حقوق الانسان . وكان الاعلان الأمريكي أو الفرنسي لحقوق الانسان عقب الثورتين الأمريكية والفرنسية يشيران الى الحقوق السياسية وحدها ، كما كانت مسئولية الدولة سلبية ازاء تلك الحقوق ، تكتفى بحمايتها من الاعتداء ، ولكنها لا تلتزم بالعمل الايجابي لتهيئة الوسائل التي تحقق مزاولة الانسان لحقوقه واستعماله لها . وعلى أثر قيام هيئة الأمم المتحدة ، أبرمت وثيقة جديدة لحقوق الانسان ، تشمل الحقوق الاجتماعية الى جانب الحقوق السياسية ، وتقرر مسئولية الدولة الايجابية تجاه تحقيق الوسائل والظروف التي تضمن للفرد استطاعة ممارسة حقوقه .

والنص الذى قرأته لابن حزم فى صدر هذا المقال ، يقرر :

التكافل الاجتماعي : اذ يفرض على الاغنياء أن يقوموا بفقرائهم .

مسئولية الدولة الايجابية : تجاه تحقيق هذا التكافل فى المجتمع :

اذ يوجب على السلطة الحاكمة أن تباشر الالزام عن طريق الاجبار ، ضمانا لقيام الأغنياء بالفقراء .

المستوى المعاشي الكريم الذى يعتبر (نصاب) الادمية ، أو الحد الأدنى المقرر لكل انسان : فى القوت واللباس والمسكن .

وابن حزم يؤيد رأيه بطائفة من النصوص ..

منها الحديث النبوى « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ومنها كلمة عمر « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء » .

وكلمة على « ان الله فرض على الأغنياء فى اموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فان جاعوا او عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء » .

وهكذا يمضى فى نقل النصوص من القرآن

والسنة ومن كلام الصحابة عمر وعلي وابن عمر وعائشة والحسن وغيرهم ، ثم يقول : « والنصوص من القرآن والحديث تكثر جدا ... وهذا اجماع مقطوع به من الصحابة لا مخالف له منهم » . وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس وغيرهم ، كلهم يقول : « فى المال حق سوى الزكاة » .

كذلك تؤيد السوابق التاريخية اتجاه ابن حزم فى الزام الدولة ضمان الحقوق الاجتماعية للافراد ، فقد راى عمر شيخا من غير المسلمين يسال الناس فأعلن مسئولية الدولة الاسلامية ازاء رعيتها اجمعين دون تفريق ، كما اعترف فى نقد ذاتى شجاع أن هذا العجوز لم ينل حقه من الانصاف ، وأن المجتمع قد أفاد من شبابه ونبذه فى كهولته ، وأسقط عمر عن الشيخ الذمى الجزية وأمر أن يعال من بيت المال هو وعياله .

وقد ضمن خالد بن الوليد حقوق الانسان الاجتماعية فيما فتحه من بلدان وقال فى رسالة كتبها للخليفة « وجعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته آفة من الآفات او كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله » .

والمستوى الذى يقرره ابن حزم للانسان ، هو المستوى الكريم اللائق بالانسان الكريم :

فهو القوت « الذى لا بد منه » : ولعلماء التغذية أن يحددوا ما يلزم الانسان من سعر حرارى وقيمة غذائية للطاقة وللنمو .. من كربوايدرات وبروتينيات ودهنيات ومعدنيات وفيتنامينات (١) ! ! .

واللباس يكون « للشتاء والصيف » : واللباس كلمة شاملة ، تشمل الملابس الداخلية والخارجية ، وملابس البيت والشارع .

والمسكن ينبغي أن «يكن من المطر والشمس وعيون المارة » : وهذا معناه أن يكون متينا قويا ، لا تعبث به الريح ولا ينفذ خلاله الغبار ، ولا تقتحمه العيون ! ! ...

وهكذا تتوفر كرامة الانسان التي أعلنها القرآن « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

الكفاح فى سبيل الحقوق الاجتماعية

ولبلوغ هذا المستوى المعاشي الكريم :

● يجعل الاسلام العمل حقا للفرد وواجبا عليه ، ولقد كان الرسول يحث على العمل ويدبر وسائله ويعين عليه ، ولا يرتضى أن يعيش الناس على الصدقات . وشريعة الاسلام تحمى حقوق العامل فى الأجر : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ، وتجعل ممن يخاصمهم الرسول يوم القيامة « رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . وهى تنظم العلاقات الانسانية على أساس من الأخوة العامة التي تشمل الرقيق الى أن يتحرر « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه » . ولقد أسقط عمر حد السرقة عن رجل كان يعمل عند قوم (بني مزينة) عرفوا بارهاق من يعمل عندهم وتجويعه وغرمهم .

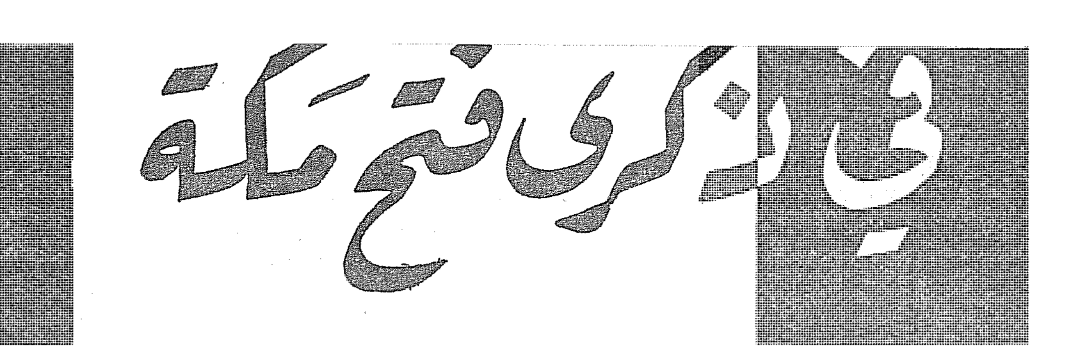
● فاذا حرم انسان السبيل الى العمل ، أو كان أجره لا يكفيه لسبب من الأسباب ، أو عجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فهو فى كفالة الجماعة فى صور شتى ... فى كفالة الأسرة التى ينتمى اليها اذ يأمر الشرع بالنفقة وصلة الأرحام .

وفى كفالة المجتمع كله « فمن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه » ـ على حد تعبير ابن حزم . فليس خذلان المرء لأخيه مقصورا على خذلانه فى ساحة المعركة ! ! ومن ترك انسانا يموت جوعا أو عريا ـ وهو قادر على تخليصه فلم يفعل ـ كان مرتكبا لجريمة القتل بطريق الترك أى بصورة سلبية . والتشريع الجنائي الحديث لا يغفل هذه الصورة من الاجرام ، ويسلط عليها أضواء البحث والتقدير وقد نص الامام الدردير من فقهاء المذهب المالكي فى الشريعة

البقية على صفحة ٦٦

---

١ ـ نعتقد أنه لا داعى لتدخل علماء التغذية فى هذه التحديدات فالبلد يعيش الفقير فيه هو الذى يحدد نوع القوت الذى لا بد منه كما يحدد نوع الملابس الخ .. « الوعى »



في مهبطِ الوحي دينُ الله يزْدهرُ ... وعن حماه ظلالُ الشرك تنحسرُ
أرضُ النبيين تعتز السماءُ بها ... وتنحني لرباها الشمسُ والقمر
وإن تسلل شيطانٌ له زُمَرٌ ... بالشهْب يحترقُ الشيطانُ والزمر

***

يابلدةً شرّفَ الرحمنُ رُقعتَها ... لا الزرع ينمو بواديها ولا الشجرُ
الله أنبتَ فيها نبتةً — عجبا ... للزارعين — أثارتْ غيظَ من كفروا
هذى الرسالاتُ — والاسلامُ خاتمُها ... نبتُ الهدايةِ ، بالاسلام تزدهرُ
أقام فيها خليلُ الله أعمدةً ... للبيت يقصده عافٍ ومقتدر
تهوى لها من بقاع الأرض أفئدةٌ ... يقضون حق الذرارى مثلَما أُمِرُوا
منذ ابن هاجر ، في المسعى قد ازدحموا ... يحجٍ من كان ذا تقوى ويعتمر

***

مضى زمانٌ علتْ للجهل ألويةٌ ... غطّتْ على العقل حتى أُلّه الحجر
فأرسل الله بالاسلام هادينَا ... يدعو اليه قريشاً بعد أن فَجَرُوا

***

لما رآهم نبيُّ الله في عَمَهٍ ... ولاحَ منهمْ على من آمنوا خطر
خلّى بمكةَ أهلاً يخذلون الى ... أهل المدينة قد آووْا وقد نصروا
بهم ومن هاجرُوا عزت مرفرفةً ... في الأرض أعلامُ دين اللهِ تنتصر
همْ غزوا قبل أن تُغْزَى معاقلُهم ... عشرين غزوا وما في كلها ظَفِروا

***

وبعد عشرين كان الفتحُ قد أزفَتْ ... أيامُه عندما الكفار قد غدروا
من ينقض العهدَ مُعْوَجٌّ وذو إحَنٍ ... والسيف وِرْدٌ لمن بالغدرِ قد صدروا

للشاعر احمد عنبر
مراقب الامتحانات بوزارة التربية ـ الكويت

وَرُبَّ ذى عوج لا شئَ يصلحُـــه   أوْلَى به أنه يُلوَى فَيَنْكَسِـــر

* * *

فتـح من الله للهـادى ، له اكتملت   يوم الحديبية الآراء والفكـــر
في يـوم مـكة تم الفتح إذ طهـرت   أرجاؤها وتولى الشـرك يندثـــر
« ماذا تظنون أنى فاعل » ؟ سئلـوا   قالوا « أخ » فقضـى بالعفو مقتـدر

* * *

يا أمة العربِ ذا تاريخُكم عظـةٌ   من فتحِ مكة قد لاحتْ لكم عِبَـــر
فطهِّروا منتهى مسرى الرسولِ كمـا   أزيلَ عنْ مبتداه الرجسُ والقـذر
هذى فلسطينُ هلاَّ تُسْتَعَادُ كمـا   أعاد مـكةَ للاسلامِ من غَبَـروا
لا تيأسوا انها لا شك عائـدةٌ   اذا قَدَرْتُمْ كمـا آباؤكـم قَـدَروا

* * *

فاستمسكوا بحبالِ الله مثلهـم   وأصلحوا كلَّ من في نفسه غِيَـر
واخشوشنوا ودعُوا عيشَ اللَّيَانِ فما   يرضى الوداعةَ الا الشَّـاءُ والبقر

* * *

أَمَّا الأسودُ كأجدادٍ لكم فهـمُ   يخشاهـم كلُّ بَطَّـاشٍ اذا زأروا
وإن أداروا الى عادٍ عيونَهـمُ   يُطِـلُ منهـا لهيبُ النار والشـرر
لايركنـون الى ذلٍّ ولا دَعـةٍ   ولاينامون والأعداءُ قد سَهِـروا

* * *

ياقائـدَ الفتح والاسلام تنشـرُه   عنايةُ الله لا بالسيفِ ينتشـر
قد كان سيفـك دفّاعا لـكل أذىً   بقوة الحق ان الحـقَّ منتصـر

الاسلامية فى كتاب الشرح الكبير : « يضمن من يترك تخليص مستهلك من نفس أو مال ،قدر على تخليصه بقدرته أو جاهه أو ماله ، فيضمن فى النفس الدية وفى المال القيمة » .

● والانسان فى كفالة الدولة أولا وأخيرا ، هي التي تلتزم بتهيئة وسائل العمل له وتضمن حقوقه فيه ، وهي التي تلتزم بالانفاق عليه أثناء البطالة أو المرض أو الشيخوخة . كذلك فان الدولة هي التيتنظم - بسلطةالحكم - التزاماتالاسرةوالمجتمع ازاء الفرد . وقد حدد الرسول الأصل الجامع فى مسئولية الدولة ازاء حقوق الأفراد الاجتماعية : « ما من مؤمن الا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة ، أقرأوا انشئتمقول اللهتعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك دينا (مفرد ديون) أو ضياعا (اى صغارا كان يعولهم) فليأتني فانا مولاه » .

● وابن حزم يعلن الجهاد اذا تنكر الطغيان لحقوق الانسان ، وذلك لاسترداد الحق المغصوب ودفع العدوان .

الأرض لمن يفلحها

وقد اقترب ابن حزم من مبدأ « الأرض لمن يفلحها » حين رفض اجارة الأرض ... انه يقول فى كتابه (المحلى) :

« ولا تجوز اجارة الأراضى أصلا ، لا للحرث فيها ، ولا للغرس فيها ، ولا للبناء فيها ، ولا لشيء من الأشياء أصلا .. لا لمدة مسماة قصيرة ولا طويلة ولا بغير مدة مسماة ، لا بدنانير ودراهم ولا بشيء أصلا .. فمتى وقع فسخ أبدا » .

وابن حزم كعادته لا يسوق القول على عواهنه ، وانما يستمده من الدراسة العميقة والبحث الرصين ، وهو يورد عن النبي أحاديث منها « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فان أبى فليمسك أرضه » ، « نهى رسول الله عن كراء الأرض » . وهكذا لا يكون لمالك الأرض الزراعية - عند ابن حزم - الا منحها دون مقابل ان لم يشا أن يستغلها بنفسه ، وهو لا يستطيع أن يمسكها دون استغلال أكثر من فترة قصيرة حددها الحديث « وليس لمحتكر حق بعد ثلاث سنين » !

وابن حزم يخالف جمهور الفقهاء فى هذا الرأى ، وأمانته العلمية تجعله يقرر ذلك ، ويناقش الرأى المقابل تفصيلا فهو يقول « اتفق أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو يوسف ومحمد وزفر وأبو سليمان على جواز كراء الأرض » .

ونحن نجد أن من الفقهاء الذين قرروا جواز اجارة الأرض ، من وضع مبدأ آخر يضمن عدم التعسف فى استعمال الحق ، وهو المبدأ الذى نجده عند ابن رشد من فقهاء الأندلس وابن تيمية من فقهاء الشام ونعنى به « وضع الجوائح » فاذا أصابت الزرع آفة وضعت الأجرة عن المستأجر .

الجوع العقلي

وابن حزم لا يغفل أن يكافح جوع العقل كما كافح جوع البطن !

ان التعليم فى الاسلام حق للفرد وواجب عليه كذلك ، والتعليم هو الذى يهيء فرص العمل ويعين على تقدم الانتاج . ولقد كان الاسلام دائما (دعوة) للهداية والارشاد ، وقد انتشر دعاة الاسلام منذ مبعث رسوله يقرئون القرآن ويروون الحديث ويخاطبون الجمع ويعلمون الدين ، وكان للنساء مجلسهن الذى يطلبن فيه العلم كالرجال والتعليم فى الاسلام الزامي ، وعلى الدولة أن تهيىء وسائله .

ونحن نجد ابن حزم هنا يحدد (نصابا) من العلم فى كتابه (الأحكام) يعتبره حدا أدنى أو (تربية أساسية) لا بد من توفره لكل فرد : ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا ، ويعتبر الفرد مسئولا عن تحصيله والدولة مسئولة عن كفالته ، يقول بعد أن عدد هذه الموضوعات الضرورية اللازمة للانسان : « وفرض عليهم أن يأخذوا فى تعلم ذلك

حين يبلفون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم . ويجبر الامام أزواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، أما بانفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم ، وفرض على الامام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال » .

والمرأة لها حق التعليم كالرجل سواء بسواء .. فاذا تعلمت المرأة أخذت مكانها فى التوجيه الفكرى بلا غضاضة ، وابن حزم يقرر ذلك فى وضوح « فان قالوا : فاوجبوا عليهن النفار للتفقه فى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قلنا : نعم هذا واجب عليهم كوجوبه على الرجال .. ولو تفقهت امرأة فى علوم الديانة للزمنا قبول توجيهاتها ، وقد كان ذلك ، فهؤلاء أزواج النبي وصواحبه قد نقلت عنهن احكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا فى ذلك » .

وابن حزم يجيز للمرأة أن تجلس فى مقعد القضاء .. فلقد قرر فى (المحلى) :

« وجائز أن تلى المرأة الحكم ، وهو قول أبى حنيفة (١) . وقد روى عن عمر أنه ولى الشفاء ـ امرأة من قومه ـ السوق . فان قيل : قد قال رسول الله : (لن يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة) قلنا : انما قال ذلك رسول الله فى الامر العام الذى هو الخلافة . وبرهان ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (المرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عن رعيتها) وقد اجاز المالكية ان تكون وصية ووكيلة ولم يات بنص من منعها أن تلى بعض الأمور » ! ! .

المفكر الرائد

هذا هو ابن حزم ... المفكر المتحرر ، الذى ابى أن ينقاد (العقل) للأهواء السائدة الشائعة المتمتعة بحماية السلطات ! ! ..

وهكذا ترك مذهب (مالك) ... ودرس مذهب (الشافعى) .. ولكنه فى خاتمة المطاف رفض أن يتبع غير المعنى الذى يفهمه من النص الصحيح ! ! .

ولقد اصدر المعتضد صاحب اشبيلية أوامره باحراق كتب ابن حزم استرضاء للمقلدين ... وفى هذا الحريق قال الامام شعرا :

دعوني من احراق رق وكاغد
وقولوا بعلم : كي يرى الناس من يدرى

فان تحرقوا القرطاس لن تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس ، بل هو فى صدرى

ولكن علم ابن حزم لم يدفن معه ، كما لم يحرق مع الورق المشتعل .... لقد بقى :

« التقريب » فى المنطق .

و « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » الذى اشتهر به ابن حزم فى الغرب كمؤسس لعلم الأديان المقارن كما يقول هـ . أ . د . جب .

و « الاحكام فى أصول الأحكام » فى أصول الفقه.

و « المحلى » فى الفقه ، وقد اختصر فى اجزائه الأحد عشر موسوعته الفقهية الضائعة (المحلى)

و « جوامع السير » فى السيرة والتاريخ .

و « طوق الحمامة » فى الحب .

ولقد ضاع من هذا التراث الجليل آثار قيمة .. ولكن بقى « ابن حزم » قمة مفردة فى تاريخ الفكر الاسلامي .

* * *

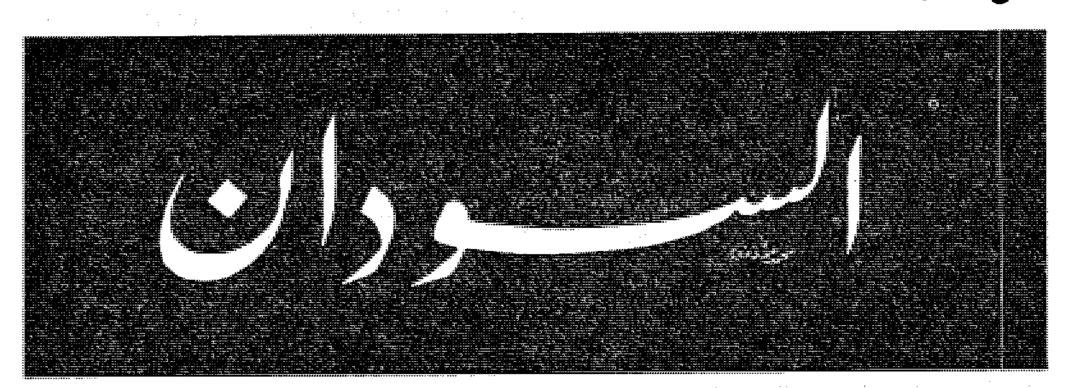
وذهب أصحاب الحريق .. أتت عليهم نار الزمن بعد نار الحقد « فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

صدق الله العظيم

---

١ ـ أجاز الاحناف توليها القضاء فى غير الجنايات (الوعي)

اعرف وطنك



اعداد
ادارة الشؤون الاسلامية
بالوزارة

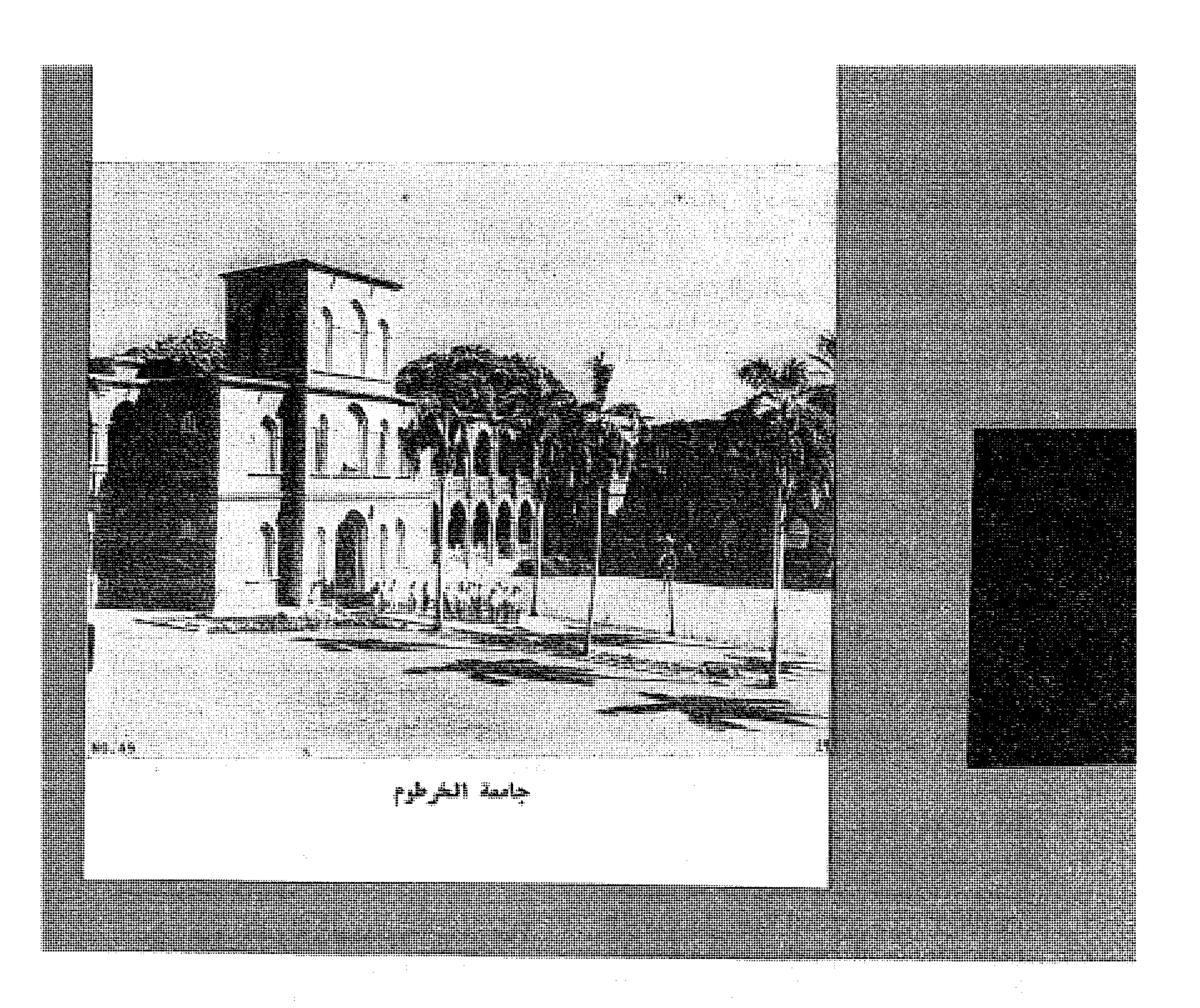
مقدمـة

ان الاحداث الاخيرة التي مرت على السودان وكان من ثمراتها زوال الحكم العسكري الدكتاتوري ، وقيام الحكم الشورى البرلماني ، لدليـل واضح على اصالة هذا الشعب الحر، وطيب اخلاقه وصلابة عقيدته ،وعمق ايمانه بالحرية التى هى من ابرز خصائص الاسلام الذى يدين به شعب السودان المسلم .

ولئن ظل السودان فترات من السنين يرسف تحت وطأة الاستعمار البريطاني الغاشم ، فان الثورات الاسلامية العارمة التي قادها دعاة الاسلام امثال الامام المهدى ومن جاء بعده من المجاهدين الصادقين ـ تعطى صورة مشرقة على ان الشعوب الاسلامية التي رضيت بالله ربا وبالاسلام عقيدة ومنهج حياة ـ لا يمكن ان تستكين لسلطان غير سلطان الله ، ولا ان تخضع لحكم غير حكم القرآن .

جغرافية السودان :

يقع السودان فى القسم الشرقي مــن افريقيا ، ويمتد على مساحة تقرب من المليون ميل مربع،يحده شمالا الجمهورية العربية المتحدة ، وشرقا البحر الاحمـر والحبشة ، ومن الجنوب كينيا واوغنده والكونغو ، ومن الغرب تشاد وليبيا .



جامعة الخرطوم

ويشكل السودان سهلا واحدا واسعا تحيط به الجبال من الشرق والجنوب ، يرويه نهر النيل وروافده : عطبره والنيل الازرق وسوبات والنيل الابيض ، ومناخ السودان فى الجنوب مناخ استوائي مع حرارة رطبة ، وامطار غزيرة،وفى الشمال مناخ صحراوى ، بارد فى الشتاء ، حار فى الصيف .

سكانه :

ويبلغ عدد سكان السودان حوالى ١٥ مليون نسمه تقريبا وتبلغ نسبة المسلمين ٨٥٪ واللغة العربية هي اللغة الشائعة فى السودان .

اقتصادياته :

يعتمد السودان فى اقتصاده على الزراعة بالدرجة الاولى ، ويعتبر القطن المادة الرئيسية فى اقتصاديات البلاد ، وهو من أجود انواع القطن فى العالم ، وكذلك الصمغ العربي الذى تنفرد السودان بتصديره للعالم وكذلك فستق العبيد ، والقمح والذرة والسمسم وغير ذلك من المحاصيل .

وهناك مشاريع زراعية كثيرة تقوم فى السودان كمشروع الجزيرة الواقع على النيل الابيض والنيل الازرق والذى يمكن ان يروى اكثر من اربعة ملايين فدان بعد انجازه عام ١٩٦٧ م .

اما صناعة السودان فهي فى اول الطريق ، فهناك مصانع للسكر ولدباغة الجلود والاسمنت والغزل والنسيج والورق والزجاج والبلاستيك والصابون والكبريت والمنتجات الكيماوية .

السودان عبر التاريخ :

لا يعرف عن السودان قبل الاسلام الا صورة عامة غامضة ، وكل ما يذكره التاريخ ان الرومان حين حكموا مصر وسعوا امبراطوريتهم نحو الجنوب فوصلوا السودان ، وفى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام المسلمون بفتح السودان بعد فتح مصر ، واخذ الاسلام يتغلغل فى صفوف السودانيين حتى كانت سنة ١٢٧٥ م حين دخل فى الاسلام (عبد الله بن سابنو) ملك نوبيا ، وفى هذه الفترة تعرضت البلاد لهجرات عربية واسعة حيث تم التزاوج ، واهتدى عدد كبير من النوبيين للاسلام ، وفى نهاية القرن الخامس عشر جاءت الى الحكم اسرة (فونجى) الجديدة ، وكانوا فى الغالب من اصل عربي ، واستمرت زهاء ثلاثة قرون .

الكفاح السياسي :

وفى عهد الدولة العثمانية اوفد حاكم مصر محمد علي حملة الى السودان عام ١٨٢٠ م واستطاع ضم السودان الى مصر واصبحت تحت ادارة واحدة،وحين تولى حكم مصر الخديوى اسماعيل فسدت الادارة ، وانتشرت تجارةالرقيق على يد الاوروبيين بشكل مخيف ، وسام الاوربيون الذين كانوا اصدقاء اسماعيل ــ السودانيين ــ الخسف والظلم ، وفى تلك الاثناء قام الامام (محمد احمد المهدى) بثورته الاسلامية المشهورة ، واعلن استقلال السودان عام ١٨٨٥ م وتخلص من الحكم الاجنبي ، وظل السودان يتمتع بالاستقلال التام حتى عام ١٨٩٩ م عندما اعيد احتلاله مرة اخرى بالقوات الانكليزية المصرية بقيادة لوردكتشنر بعدهزيمة القوات السودانية بقيادة المهدى عبد الله التعايشي ، على أن الامر ما كاد يستقر للبريطانيين حتى ظهرت بعض الحركات المسلحة لمقاومة الاستعمار وكان من اقواها حركة عبد القادر ودحبوبه وحركة البطل علي عبد اللطيف .

وما زال الوعي السياسي يزداد انتشارا بين جماهير الشعب السوداني المسلم الذى ظل يطالب بالاستقلال ، وجلاء القوات الاجنبية ، واتخذ كل اساليب المقاومة الممكنة ، حتى اضطرت حكومة الاستعمار البريطاني الى الدخول فى مفاوضاتمعحكومة مصر برئاسة اللواء محمد نجيب آنذاك لوضع حل لمشكلة السودان ، وكانت نتيجة ذلك انتمتوقيع اتفاقية ١٢/فبراير/١٩٥٣ بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية نصت على ان يمنح السودان فترة انتقالية لمدة ثلاث سنوات تحت اشراف هيئة دولية تمهيدا لتقرير السودانيين مصيرهم بأنفسهم .

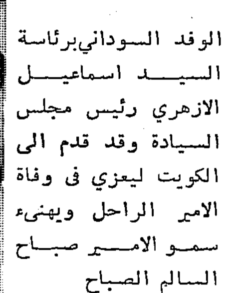
وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ اعلن برلمان السودان بالاجماع ان السودان جمهورية مستقلة ذات سيادة ، وظل الوضع على هذا الشكل حتى كانالانقلاب العسكرى سنة ١٩٥٨ الذى اطاح بالحكم الشورى ، واقام الدكتاتورية العسكرية ، وسيطر الجيش على كل مرافق الدولة ، وامسك بجميع السلطات .

وبقى الشعب السودانى المسلم تحت حكم عسكرى عنيف طيلة ست سنوات حتىكانتثورة اكتوبرسنة١٩٦٤الشعبية التى خاض غمارها الشعب السودانى الاعزل ــ وفى مقدمته الطلائع المؤمنة من شباب الجامعات وأساتذتها ــ ضد العساكر الطغاة ، فكان انهيار الحكم الدكتاتورى وزواله ، وقيام الحكم الشورى على أنقاضه ..

قضية الجنوب :

وعلى عادة الاستعمار فى كل مكان وزمان أنه لا يخرج من بلد الا ويترك فيها أسباب الفرقة والخلاف وهذا ما فعله فى السودان .





الوفد السوداني برئاسة السيد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة وقد قدم الى الكويت ليعزي فى وفاة الامير الراحل ويهنىء سمو الامير صباح السالم الصباح

فقد درجت الصحف الاوربية فى السنتين الاخيرتين على افساح المجال لحملة صليبية منظمة ضد السودان ، وطفقت تلك الصحف الغربية تصور ما أسمته باضطهاد المسيحيين فى جنوب السودان تحت عناوين ضخمة بارزة .

وحقيقة الامر أن الانكليز المستعمرين أبان حكمهم الطويل للسودان استقدموا معهم - كعادتهم دائما - جيشا جرارا من المبشرين فى محاولة لتنصير المسلمين ولما وجدوا أن شمال السودان لا يمكن أن ينفع مع أهله التبشير ، ضربوا حصارا فاصلا بين شمال السودان المسلم ، وبين جنوبه الذى كان أكثر سكانه من الوثنيين آملين ألا تمضى سنوات ، الا ويتنصر جنوب السودان ، وينفصل نهائيا عن شماله ، ولقد كانوا يأخذون الاطفال الجنوبيين الى مدارسهم منذ نعومة أظفارهم حتى المرحلة المتوسطة ، والعجيب أن وزارة المعارف السودانية آنذاك كانت تدفع ٩٨٪ من نفقات هذه المدارس التبشيرية دون أن تشرف عليها .

ولما أعلن استقلال السودان ، وسيطرت الحكومة الوطنية على كل مرافق الدولة ، ومنها وزارة التربية والتعليم شعر المبشرون بأن الاستقلال يعنى انتهاء الوضع الممتاز بالنسبة لهم ، ومن هنا راحوا يحيكون المؤامرات ويبثون الاراجيف والدعايات ويشجعون سكان الجنوب على الانفصال عن الشمال ، وحمل بعض القسس السلاح مع العصاة المتمردين ضد الحكومة ، واستعملت بعض الكنائس كمخازن لاسلحة البغاة الثائرين ، ولعبت حكومة الحبشة دورا خطيرا فى ايواء الثوار وامدادهم بالاسلحة .

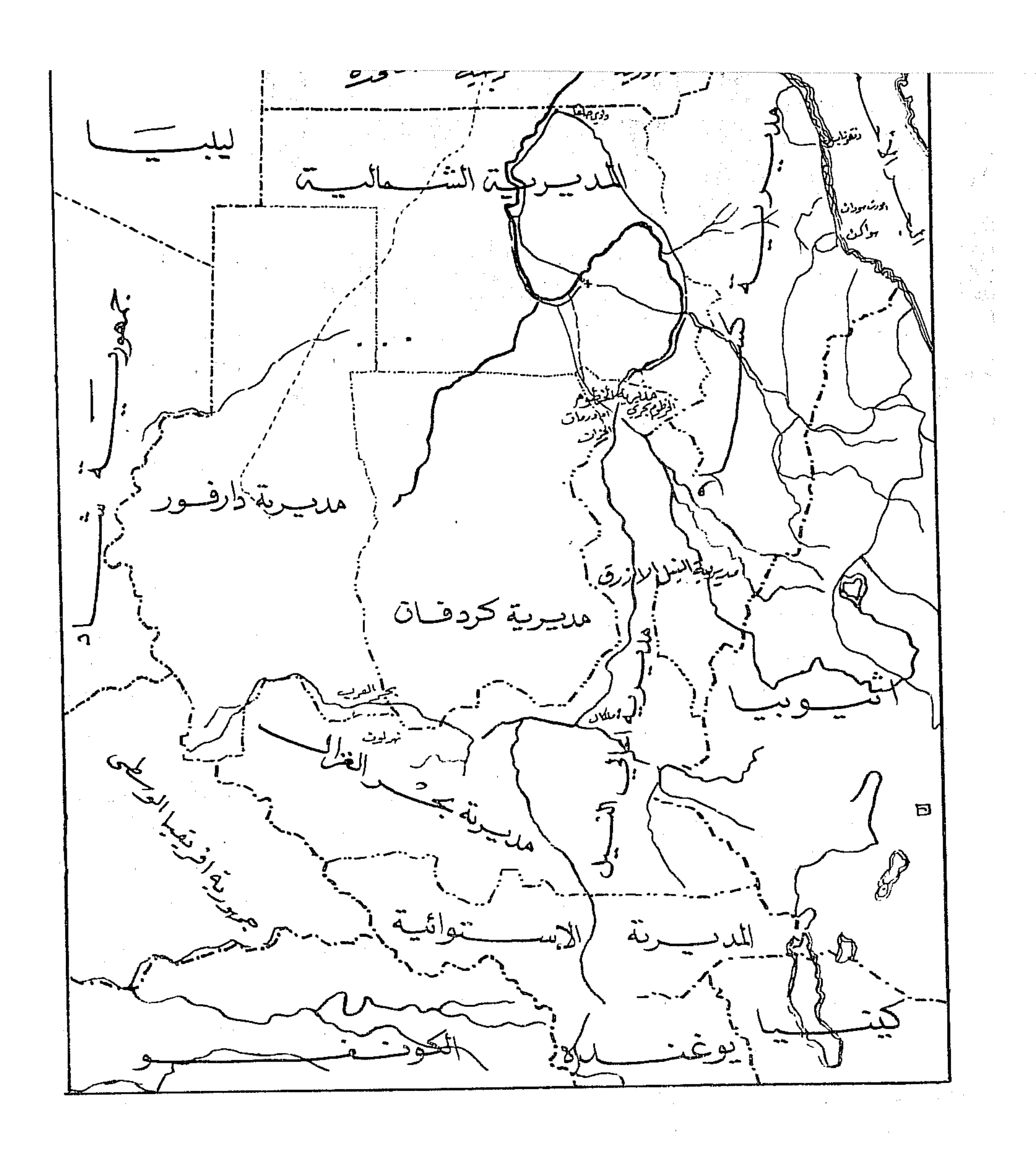
وأرادت حكومة السودان أن تضع حدا فاصلا بين التبشير المسيحى والعمل السياسى لصالح المستعمرين ، ولكن هيئات التبشير ثارت ثائرتها وأعلنت غضبها واعتبرت أن اشراف الحكومة على المدارس التبشيرية انما هو انتهاك لحريتها وتقييد لنشاطها .

واضطرت الحكومة السودانية أمام تمادى بعض القسس واستهتارهم بأوامر الحكومة ومناداتهم بالثورة المسلحة الى اقصاء بعضهم الى خارج البلاد ، وما أن تم هذا الاجراء حتى تنادى العالم المسيحى ، وعلى رأسه الفاتيكان يندد بحكومة السودان ، ويتهمها باضطهاد المسيحيين ، وتقييد حرية الدين ، ويطالبها باعادة المبشرين المطرودين وكان للصحافة الغربية والصحف العميلة فى الشرق دورها فى تشويه الحقائق .

ولكن الشعب السودانى المسلم عرف كيف يفرق بين المسيحية كدين وبين المبشرين كطلائع للاستعمار وخدام لمطامعه ، وعرف كيف يفرق بين الثقافة كعلم وبين مدارس التبشير كسم فى الدسم ، ولقد أعلن السودان رأيه بصراحة واضحة فى الرسالة التى بعث بها زعيم حزب الامة الى البابا حيث قال : (... نحن نرحب بالمبشرين من افريقيا والبلاد العربية ولكننا لن نقبل المبشرين الذين قدموا مع الاستعمار وكانوا من وسائل سيطرته).

خاتمـة :

ومما تقدم نلاحظ أن من أبرز المعالم فى صفات هذا الشعب أنه لا يطيق الصبر على الظلم ، ولا يستسلم لبطش الطغاة ، ولا يرضى بتقييد الحرية وتكميم الافواه ،



ولا يقبل غير الاسلام فكرة وعقيدة لان جذور الايمان فى السودان لها امتدادها وعمقها واصالتها .

وقد جاءت الانباء مؤخرا عن غضب الجماهير المؤمنة وسخطها على دعاة الالحاد والاباحية من الشيوعيين العملاء الذين تطاولوا على مقدسات الاسلام ، فكانت ثورة رجب الجماهيرية العارمة التى عمت البلاد من أقصاها الى أقصاها، فاستجابة الحكومة السودانية لمطالب الشعب وأصدرت الجمعية التأسيسية قرارها التاريخى بحل الحزب الشيوعى السودانى وتصفيته واعتبار الشيوعية جريمة يعاقب مروجها .

فكان هذا درسا ثالثا ــ بعد درس العراق واندونيسيا ــ يتلقاه دعاة الماركسية فى البلاد الاسلامية التى لم ولن تهضم الافكار الدخيلة والمبادىء المنحرفة لان فى مبادىء الاسلام ما يغنى عن سواه ✻ ((ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)) ✻ .

تكريم فى الارض

وبعد ان نزل آدم الى الارض احاطه هو وذريته برحمته ، وغمرهم بفضله وجعل لهم الارض ذلولا ، ليمشو فىمناكبها وياكلوا من رزقه .

وسخر لهم ما فى الارض جميعا ليصنعوا منه ما يحقق لهم السعادة والكرامة فى البر والبحـــر والجو .

ووفر لهم كل ما تشتهيه الانفس لحما شهيا وسمكا طريا وماء رويا وفاكهة كثيرة . ولم يتركهم ليضلوا الطريق ويتنكبوا سواء السبيل .

بل سخر لهم من ملائكة السماء من ينزل بالهدى والرشاد ، ليوحوا به الى من اصطفاهم من عباده من بنى جنسه ، كى يستبين لذريته معالم الطريق، آخذيـن بيدهـم الى ما يوطد كرامتهم ويدعـــم سعادتهم .

ولهذا امرهم بعبادة الله وحده حتى لا يذلوا انفسهم بطاعة مخلوق سوى الله الذى اعزهـــم وكرمهـــم .

كرامة الانسان فى غيبته وبعد موته

وكان من بين احكام الدين حفظ كرامة الانسان حتى فى غيبته ، فحرم الغيبة التى هى ذكر الانسان بما يكره ولا يحب فى غيبته ، بل بالغ فى المحافظة على كرامة الانسان وهو غائب مبالغة كبيرة فشبه من يغتاب اخاه بمن ياكل لحم الميتة او الجيفة .

وبعد موته أمر بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

مع انه اصبح مجرد جثة لا تحس كلهذه الانواع من التكريم .

تكريم الانسان شريعة الله فى الاسلام

واذا فكرامـــة الانســـان شريعة السماء لاهل الارض ، وارادة الخالق للخلق ، ونداء من الله لبنى الانسان ، ان يقدروا كرامتهم ، ويصونوا عزتهم ، وينفضوا عن انفسهم كل احساس بالمهانة والذل .

وشريعته فى كل الاديان

ولذا كانت عقيدة التوحيد هى اساس الاديان السماوية كلها ، لان وحدانية الله هي القوة التي حطمت عن الانسان اغلاله ، ومزقت قيوده وحطمت كل حاجز يحول الانسان وبين كرامته ، وهـــوت بالمتألهين الظالمين عن عروشهم الملحدة ، ودحرجت على الارض اولئكالطغاة المستبدين الذين انتفخت اوداجهم بالكبر وامتلات نفوسهم بالغرور .

وما دامت هـــذه شريعة اللـــه فى كل الاديان السماوية ـ فيكون كل من خرج عليها خارجا على شريعة الله مطرودا من رحمته ، كما اخرج اللـــه ابليس وطرده من رحمته .

واجبالانسان نحو كرامته

ولكن لا يكفى ان نجلجل بصوتنا فى آذان الطغاة الذين استذلوا بنى الانسان وامتهنوا كرامته . بل يجب على كل فرد فيه صفة الانسانية ان يحافظ على كرامته ، ولا يفرط فى هذه الكرامة ، ولا يسمح لكائن من كان ان يمسها او يخدشها .

ولكنذلك لا يكون بالجعجعة والصلف والفطرسة والادعاء ، فلا يكفى لانسان ان يدعى العزة وهو جاهلحقير . ولا يكفيلانسان ان يدعىالكرامة وهو ضعيف ذليل . بل ان من يريد الكرامة والعزة لا بد ان يعمل لهما ويدفع ثمنهما .

فكل شيء فى الدنيا له ثمن ، وكل شيء يتناسب ثمنه مع قيمته .

وثمن الكرامة والعزة هو ان يحقق الانســـان معنى الانسانية فى نفسه ويدعم معنى الكرامـــة فى عقله وشخصه .

فلا يأتى من الاعمال ما يتنافى مع الانسانية ، ولا يتفق مع الشرف والكرامة .

الكرامة كلها فى طاعة الله

ولن يستطيع اىانسانان يحقق معنى الانسانية فى نفسه ، ويدعم كرامته فى عقله وشخصه الا اذا حافظ اولا وقبل كل شيء علىكرامته مع ربه الذى كرمه قبل ان يخلقه وبعد ان خلقه ، بل كرمه حتى بعد موته .

ولا يمكن ان يتحقق للانسان ذلك الا اذا اخذ نفسه بتعاليم الدين وسار معها شبرا بشبرا وذراعا بذراع .

وقد قال تعالى (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) .



« كل نفس ذائقــة الموت ، وانمــا توفون أجــوركم يــوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنــة فقد فاز ومــا الحياةالدنيا الا متاع الغرور ».

(قرآن كريم)

« ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الادنين انهم لا يعلمون الا خيرا ، الا قال اللــه قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما تعلمون » .

حديث صحيح

لقاء فى جنازة

لقى الحسن البصرى الفرزدق فى جنازة ، فقال له الحســن ، مــا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رســول الله منذ ستين سنة ، وخمس نجائب .. يعنى الصلوات الخمس .

سكرات الموت

قال ابن عباس دخلت على عمرو بن العاص وهو يحتضر ، فقلت له ، يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟

قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض ، وانا بينهما ، وأراني كأنما أتنفس من خرت ابرة ، ثم قال :

اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت ، فركبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا قوى فأنتصر ، ولــكن لا اله الا الله ، ثم فاضت روحه .

أسى ولوعة

ومــن عجب أن بِــت مســتشعرَ الثــرى
وبــتْ بمــا زودْتَنِــي متمتعــا

ولــو أنني أنصــفتكَ الــودَّ لــم أبــتْ
خــلَافَكَ حتــى نَنْطَــوى معــا

نعيم الجنة

من يدخل الجنة ينعم ، ولا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه . فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(حديث شريف)

الوفاء بالبيعة

« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » .

(قرآن كريم)

الوزير الصدق

اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق : ان نسي ذكره وان ذكر أعانه ، واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه .

(حديث شريف)

بطانة الخير

ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة تأمره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله .

حديث صحيح

تفسير آية

سأل رجل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى « أولم ير الذين كفروا ، أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

فقال كانت السماء رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله تعالى للأرض أهلا فتق هذا بالمطر وهذه بالنبات .

الدعاء للحاكم

سئل أحد الحكماء اذا كانت لك دعوة مقبولة ، فلمن تدعو بها :

قال : ادعو بها للحاكم ، فان بصلاحه يصلح خلق كثير .

الزهد فى امارة

عن أبى موسى رضي الله عنه قال : دخلت انا ورجلان من بني عمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحد الرجلين . يا رسول الله أمّرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك . فقال انا والله لا نولى على هذا العمل احدا سأله ، ولا أحدا حرص عليه .

(حديث شريف)



رأينا أن نفرد للحديث عن « التوراة » فصلا خاصا ، انطلاقا من ايماننا بأن « التوراة » كانت — ولا تزال — ذات أثر بالغ عميق فى خلق مأساة فلسطين فى العصر الحديث . فهي التي تغذى الذات اليهودية — أينما ثقفت — بأساطير وخرافات تنمي الغرور والانانية والحقد فى الوجدان اليهودى ، ليس ضد العرب فحسب ، بل ضد الأسرة البشرية : بجماعها . والتوراة أيضا كانت سلاحا حادا ووسيلة فعالة ، اعتمد عليها الصهاينة فى خداع الغربيين ، زعماء وشعوبا ، واكتسابهم الى جانبهم في معركتهم مع العرب باسم الدين ، فقد استطاع دهاقنة اليهود أن يزينوا لجماهير المسيحيين أن التوراة هي أم « الانجيل » ومصدر الهامه ، فأطلقوا على التوراة اسم « العهد القديم » وعلى الانجيل « العهد الجديد » .. وأوهموا السذج والمغفلين من مسيحيي الغرب، أن ايمانهم يظل أبتر طعينا ، ما لم يؤمنوا بكل ما جاء فى العهد القديم ! .

والأطرف الأعجب أنهم قدروا أيضا : أن يدرجوا « التوراة » فى المناهج الدراسية فى دول الغرب ، حيث شرع فى تدريسها — وما يزال — على أنها مادة تاريخية تدرس كما تدرس آثار هيرودوت أو غيره من المؤرخين . ومن اليسير أن نجد — فى نهاية القرن العشرين هذا — مثقفا غربيا يجهل تاريخ الحضارة الاغريقية ويلم بأخبار وأساطير شمشون الجبار ! .. ولم يكن عسيرا على الصهاينة اليهود بعد ذلك ، أن يدخلوا فى روع الرأى العام الغربي ، أن فلسطين يهودية، وأن لهم فيها حقوقا تاريخية ودينية ، ما دام كل مواطن غربي درس فى طفولته فى مدارس حكومية التوراة بكل ما فيها من أضاليل ، وخرافات : وأكاذيب .

ليست التوراة الحقيقية

وقبل أن نوغل فى الحديث ، يتحتم أن نشير الى أن التوراة التي بين أيدينا ، هذه الأيام ، ليست هي « التوراة » الحقيقية التى تلقاها النبي موسى ، فى صحراء سيناء . وانما هي مجموعة من الأسفار التي لفقها أحبار اليهود ووضاعوهم ، فى فترات متباينة من التاريخ . ولقد أكدت المكتشفات الأثرية أن قصصا كثيرة وردت فى التوراة ، لم تكن فى الواقع سوى مقتبسات عن أساطير وقصص كانت متداولة قبل العهود التوراتية ، بزمن طويل . وفى مقدمة هذه المقتبسات التي يدعيها اليهود قصة الخلق التي وردت فى سفر « التكوين » ليضفى اليهود على توراتهم صفة الكتاب الذى يصلح مرجعا علميا . وقصة التكوين هذه « اسطورة سورية قديمة وجدت فى ملحمة أونوما ايليش » .

وهناك قصة الطوفان التي يرجح أنها منقولة عن الأساطير السومرية اذ كانت أراضي السومريين، بين النهرين عرضة للفيضانات والطوفان ، مما ألهم شعراءهم ومحدثيهم ابتداع ملاحم وأقاصيص من وحي الطوفان .



مم تتألف التوراة

((تتألف التوراة من تسعة وثلاثين سفرا حسب النسخة البروتستنتية ، وستة وأربعين حسب النسخة الكاثوليكية ، والخمسة الاولى منها منسوبة الى موسى ، (في القرن الثالث عشر ق.م) . وتتسم الاسفار بالسمة الدينية ، ومنها ما هو تاريخي مثل أسفار التكوين والخروج والعدل ويشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأخبار الأيام واستير وعزرا .. وغيرها . ومنها ما هو أخلاقي وتشريعي وحكم ومواعظ ومرائي وانذارات وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهي اسفار اللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة .

وفي ميسور القارىء أن يلاحظ روح المخطط الذي وضعت على نهجه التوراة ، لتأتي شاملة مؤدية للأغراض المشبوهة التي هدف اليها أحبار اليهود .

من كتب التوراة

ويسود الاعتقاد لدى جمهرة من المؤرخين والتوراتيين أن الأسفار كتبت بأقلام كتاب عديدين ، وفي أزمنة مختلفة . وهناك من يقول أنها ظلت تروى كأخبار متواترة جيلا عن جيل ، ثم بدأت كتابتها الفعلية في عهد داود وسليمان ، حوالي القرن العاشر قبل الميلاد . وهناك من يقول أنها كتبت بعد عودة بني اسرائيل من السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد .ونحن نميل الى ترجيح الرأي الثاني . ذلك أن اليهود بعد عودتهم من المنفى ، خافوا أن تنقرض توراتهم بعد أن تشردوا تحت كل كوكب ، فعمدوا الى تسجيل الأسفار حفظا لها من النسيان والضياع ، اذا ما قدر لهم أن يتشردوا مرة ثانية . وليس بعيدا أن تكون هناك بعض الأسفار قد سجلت في عهد داود أو سليمان وبخاصة الأسفار الخمسة التي تنسب الى موسى .

والتوراة ، كما هي بين أيدينا ((مملوءة بالارتباطات والاختلاطات والروايات المرتبة المصنوعة .. فالملاحظ في جميع الأسفار الاسرائيلية ميل ظاهر الى استخراج نظرية من انتظام الحوادث ، وهذه الأسفار لم تكتب لحفظ ذكرى الوقائع الممتعة فقط ، بل كانت غايتها أثبات شيء وهذه الأسفار جميعها اذا وضعت بصيغة الجزم بدا حسن النية فيها هزيلا)) (1) .

ضحية التغرير اليهودي

ومن المؤسف أن تنطلي أحابيل اليهود على العالم زمنا طويلا حتى أن اوروبا النصرانية ظلت زمنا طويلا تقرأ التوراة بالروح التي أرادها دهاقنة اليهود .

ومن المخجل جدا للفكر الغربي أن يظل ــ وهو على اعتاب خاتمة القرن العشرين بفعل عوامل وراثية ــ عبدا لاساطير بدائية ساذجة لفقها شراذم اليهود في بداوتهم الاولى لاغراض واطماع خاصة . على أن الأمل يظل معقودا على العلم وحده كضوء كاشف لا بد أن يفضح في يوم ما ، مزاعم وخداع اليهود التي انطلت على العالم

1 ــ لوبون .

الغربي خاصة ، ردحا من الدهر باسم الدين . ولن يكون غريبا ، أبدا أن يقول لنا العلم غدا ان اليهود لم يكتبوا من أسفار التوراة ، غير تلك الأسفار الفجة البدائية التي تروى قصص فسقهم وفجورهم وحقاراتهم . أما تلك الأسفار ذات الروح العلمية مثل سفر التكوين ، فلن يكون غريبا أن يقول العلم غدا انها ليست من وضعهم ، لا سيما وأنه لم يعرف عنهم حتى في ذروة نهضتهم وازدهارهم ، أى شغف علمي أو ميل الى التفكير العقلي .

التلمود : (١)

بعد تدمير أورشليم وتقويض دعائم الهيكل ، على يد جنود القيصر هادريان حوالى عام ١٣٢ م انصرف اليهود الى كتابة التلمود « ليكون لهم جامعة معنوية اذ لم تعد لهم جامعة وطنية » وقد جمعوا فى التلمود تقاليدهم وفتاواهم وأحكام رؤسائهم والمستطرف من عاداتهم . ويعتبر التلمود بمثابة التوراة الشفوية لليهود ، وقد وجدت منه نسختان واحدة فى فلسطين عثر عليها عام ٣٢٠ ميلادية وسميت بالتلمود الاورشليمي أكملها أحبار اليهود فى القرن الرابع . ووجدت الأخرى فى العراق عام ٥٠٠ م وسميت بالتلمود البابلي ، ألفه بعض الربيين بعد هجرتهم الى العراق ، وقيل فى رواية أخرى أن واضعه هو الحاخام (رب آشي) فى أواخر القرن الخامس . وهناك نفر من اليهود يعتقدون أن التلمود موحى به الى الذين كتبوه ، بينما يرى البعض انه اجتهادى .

أسلوبه :

والتلمود غامض العبارة ، بصورة متعمدة ، وغاص بأقاصيص القدماء من الوثنيين ، وهو قسمان : المشنا ومعناه الشريعة الثانية وهو الذى يشتمل على احكام دينية ويذكر المبادىء والقواعد بدون نقاش غالبا ، وهو مكتوب باللغة الآرامية ويشتمل على بحوث دينية وفقهية مسهبة بأسلوب جدلي .

وتكمن خطورة « التلمود » فى أن اليهود يفضلونه على سنة موسى عليه السلام ، وهم يقولون ان الاهتمام بالتوراة قد يكون له جزاء ، وقد لا يكون . وأما الاهتمام بالمشنا فيستحق الجزاء والمكافأة ، وأن الاهتمام بالجمارا فضيلة ليس أعظم منها .

وقد ظل هذا الكتاب مخفيا فى أطوار الربابنة اليهود حتى القرن السادس عشر ، اذ طبع لأول مرة فى (البندقية) فى اثنى عشر مجلدا سنة ١٥٢٠ ، وترجم سنة ١٨٣١ فى باريس الى الافرنسية .

وليس غريبا أن يأتي « التلمود » تأكيدا لأقانيم اليهودية ومبادئها ، التي تواترت عنها وعرفت بها على كر الاجيال ، فهو فى جماعه يدعم مبادىء العنصرية الضيقة ، والغرور والاستعلاء عن شعوب الأرض ، ويكرس العدوان والانعزالية والاستغلال . ولقد بلغ من أهميته وخطورته ، أن اليهود حفظوه كما لم يحفظوا التوراة واستقوا من تعاليمه ومبادئه أصول الصهيونية الحديثة التي طلعوا بها على العالم ، فى القرن التاسع عشر .. على الرغم من أنه مسخ — اكثر لؤما وهزلا — لتعاليم التوراة .

---

١ — التلمود : كلمة عبرية تعني تعاليم .

وحسب القارىء أن نضع بين يديه ، اقتباسات من تعاليم التلمود ، ليلمس بتصوره مدى خطورته

١ : ـ يباح لاسرائيل بل يفرض عليهم قتل من امكنهم من الجوييم واغتصاب ما لهم وسرقتهم (والجوييم تطلق على غير اليهودى) .

٢ : ـ ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهود امتلاكه .

٣ : ـ ان الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات الشعوب .

٤ : ـ ان اليهود أحب الى الله من الملائكة . وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفعه كمن يصفع الله . والموت جزاء الجوى اذا ضرب اليهودى .

٥ : ـ لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر .

٦ : ـ اليهود يفضلون الجوى كما يفضل الانسان البهيمة . والجوييم كالكلاب والخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة ، ويحرم على اليهودى أن يعطف عليهم ، وكل شر يفعله اليهودى معهم هو قربى الى الله .

٧ : ـ الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية ، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير.

٨ : ـ اذا كان الجوييم قد خلقوا على هيئة الانسان فما ذلك الا ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم (١) .

ولكي تنفذ تعاليم التلمود ، هذا الكتاب الأفعى ، أدخل الربانية في روع اليهود أن ((التلمود وجد قبل الخليقة ، ولولاه لزال الكون ، من يخالف حرفا منه يمت . ان الله يدرس التلمود : منتصبا على قدميه . من يعارض حاخاما أو يناقشه أو يتململ منه يناقش العزة الالهية نفسها . رأيت الله جالسا على كرسي مرتفع فقال : باركني يا بني فباركته وشكرني وسلم وانصرف . اذا احتدم الخلاف بين الحاخاميين والله ، فالحق مع الحاخاميين)) .

حق الزوج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حق الزوج على المرأة ألا تهجر فراشه ، وأن تبر قسمه ، وأن تطيع أمره ، وألا تخرج الا باذنه ، وألا تدخل اليه من يكره .



وحق الزوجة

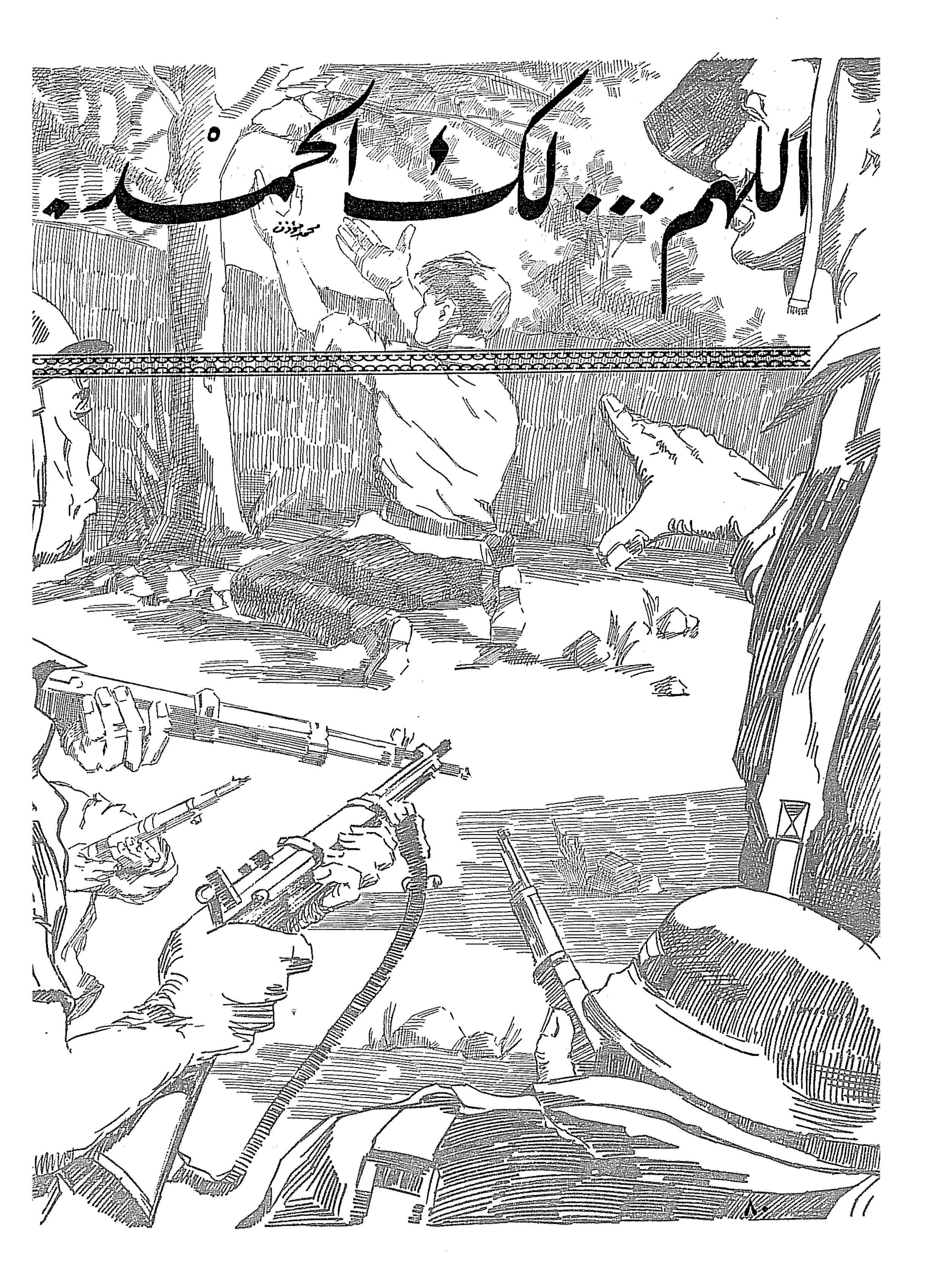
وحق المرأة على الزوج أن يطعمها اذا طعم ، ويكسوها اذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح ، ولا يهجر الا في البيت .



اضحك

روى أن عيسى بن مريم لقى يحيى بن زكريا ، فتبسم اليه يحيى، فقال له عيسى انك لتبسم تبسم آمن ، فقال له يحيى انك لتعبس عبوس قانط ، فأوصى الله الى عيسى : « ان الذى يفعل يحيى أحب الي » .

١ ـ اسرائيل بنت بريطانيا البكر للزعبي والتلمود . مجموعة كتب سياسية العدد ١٨ القاهرة .



اللهم... لك الحمد

للاستاذ
محمد المجذوب
المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

حدث هذا فى احد الايام من عام ١٩٢١ وفى مدينة – بانياس الساحلية ... كنت اذ ذاك فى الثالثة عشرة من سني ، ومع ذلك لم يــر والدى مانعا يحول دون ارسالي الى ذلك البلد . الذى كان من اخطر مناطق الاعمال الحربية التي تدور بين الثوار ومرتزقة الفرنســيين .. وكانت مهمتي فى هذه المغامرة تسقط اخبار جدتي العجوز التي لزمت مع بعض الاسر – فى قلعة المرقب – مساكنها ، على الرغم من الرعب الذى يثيره حولهم صباح مساء ازيز الطائرات ودوى القذائف التي لا تكاد تسكت ...

كانت جدتي اول الأمر قد تأخرت مع ولديها الفتيين لجني المحصول ، ولكن القدر سرعان ما حال بينها وبينهما ، اذ سقطا فى يد الحملة الفرنسية ، بينما كانا فى طريقهما الى احدى القرى القريبة .. وبذلك لبثت وحدها معرضة لمختلف الاحداث ، وهذا ما شــغل بال والدتي ، واقلق خواطــر الجميع ، فلم يكن بد من السعي لاســتنقاذها باية وسيلة ، وقد وقــع الاختيار عليّ ، لان صغر سني كفيل بأن يصرف عني الشبهات ، فيجعلني فى مأمن من مراقبة الفرنسيين ، الذين لن يمنعوني من التجول بين بانياس والقلعة عندما يتاح لي ذلك ...

واقمت فى بانياس اياما عند اقرباء والدتي ، وكثيرا ما دفعني الفضول الى التغلغل فى منطقة الميناء ، حيث تفرغ مشحونات الجيش الفرنسي من البواخر والسفن .. ولم اجد صعوبة فى التتبع لأخبار جدتي ، ومعرفة اوضاعها عن طريق بعض النساء اللواتي يترددن لأمر ما بين القلعة والمدينة فى مختلف اوقات النهار ، وكدت انجح فى التسلل مع بعضهن الى القلعة ذات صباح ، لولا ذلك الأزيز الهائل الذى فاجأ أسماع الناس فى بانياس منطلقا من مئات البنادق ، وعشرات المدافع وبعض الطائرات ! ....

وتسرب الهمس فى كل مكان : ان الثوار يهاجمون القوى الفرنسية .. وقد بوغت بهم العدو على مشارف البلد ! .. وما لبثت ان ابصرت احدى الطوائر تدور على نفسها قادمة من ناحية القلعة ، وقد اندفع من احد جانبيها الأغبرين سيل من الدخان لم يلبث ان استحال نارا لاهبة .. ثم رايتها تهوى متأرجحة على بعد غير يسير من طرف المدينة الجنوبي ! ..

وتتابع القذف من هنا وهنا .. وكانت الشوارع قد خلت من المارة . ورأيت جماعة من الجنود ينطلقون على غير هدى ويطلقون نيران بنادقهم دون هدف ! .

ويبدو ان الثوار لم يكونوا مصممين على احتلال البلد ، او على الاصح لم تكن لديهم القوة العددية الكافية للاعتصام بالبلد ، لذلك ما لبثوا ان انسحبوا من حيث اتوا ، بعد ان اوقعوا فى قلوب عدوهم دفقة من الذعر لا ينساها .. وحملوا ما استطاعوا من اسلحته ومؤنته .. وفى مساء ذلك اليوم سمعت عم والدتي الشيخ العجوز يقول لزوجته : هل علمت ان (مصطفى ليلى) .. قد سقط اسيرا فى ايدى الفرنسيين .. ؟ لقد نفذت ذخيرته ، ولم يبق فى البلد سواه من المجاهدين ، وكان على ابواب السجن يريد اطلاق من فيه عندما دهمه العدو ، واودعه السجن .. وتمتم الشيخ وزوجته فى ضراعة عميقة : اللهم احفظه ! .

ولقد استغرقني يومئذ شعور حار بالعطف على ذلك الأسير البطل .. واحسست بلهفة قلقة لمعرفة مصيره ، ولم يكن فى وسعي ان اصنع شيئا له سوى الدعاء عقيب كل صلاة : اللهم احفظه ..

وكان تطور الاحداث اثر ذلك قد قضى على املي فى الاتصال بجدتي العجوز ، ولكنني اصبحت مطمئن القلب عليها ، اذ علمت انها انتقلت من القلعة الى دار ابنتها الثانية فى قرية البساتين ، وهي القرية التي يحميها من الفرنسيين كونها مقر احدى الأسر ، التي عرفت باخلاصها لهم . وتفانيها فى الذود عن مصالحهم ، منذ وطئت اقدامهم هذه الارض ! .. ولهذا كان عليّ ان اغادر بانياس بعد ان استنفد وجودى فيها غرضه .

وانتهزت فرصة مرور احدى السفن الاروادية بميناء (بانياس) وكان ربانها من اقرباء والدى ، فأخذت منها مكانا الى (طرطوس) .. وبذلك فقدت كل اثر لأخبار ذلك الاسير .. ثم درجت الايام والاعوام على ذاكرتي ، فلم يخطر ذكره فى خلدى قط الا حين ايقظه حديث صديقي البانياسي بعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ ...

وكان صديقي حيّ الخيال ، دقيق الوصف ، تخير لحديثه طريقة العرض القصصي ، فردني الى الجو نفسه الذى عشته تلك الايام ..

قال صديقي البانياسي : كان الفرنسيون قد احتلوا دار جدّي ليجعلوا منها مقراً لقيادتهم ، وهي مجاورة لدارنا كما تعلم ، فاتاح لي ذلك ان اتعرف الكثير من انبائهم ، واعقد بعض الصلات مع اكثر من واحد من الجنود المغاربة ، الذين يقومون على حراسة المقر ...

وقد تجرات يومئذ على سؤال احد هؤلاء المغاربة عن مصير الاسير (مصطفى) فهمس فى اذني : انه هنا فى احدى غرف الدار .. امر القائد الفرنسى بنقله اليها حرصاً على بقائه .. وليتخذ منه وسيلة للضغط على الثوار ..

واخبرني الجندي أنه هو المكلف بحراسته ... والعناية بأمره ، ولكي يرضي فضولي راح يؤكد لي انه يوفر له كل ما يسعه من الرعاية ، فقد حل وثاقه ، وجعل يشاركه بطعامه . ويقدم اليه الشـاى والقهوة والتبغ ... وحتى الماء للوضوء .. ولا ينسى ان يؤكد عليَّ بضرورة الكتمان لذلك وخشية تسرب الخبر الى القائد ــ الحَلْوُف ــ كما سماه !...

وكان الحاجز بيننا وبين دار القيادة جدارا قصيرا .تجلله فـروع الياسمين والنسرين . فلم استطع منع نفسى من التطلع بين الحين والحين الى فناء القيادة من خلال تلك الفروع . رغبة فى رؤية ذلك الأسير المغوار .. ولكنه كان محجوبا عن عينى فى حجرة جانبية أُحكم اغلاقها . وسدت نوافذها . فما يتاح لأحد ان يطل على جوفها الا ذلك الجندى الموكل به . حتى كانت تلك الليلة .. وقد قارب فجرها ان يلوح .. فاذا نحن بطلقات رشاش تتعالى مـن البستان المقابل تؤازرها طلقات بنادق متقطعة هنـا وهناك .. ولم اعد اطيق لزوم الفراش . فتسللت من خلف والدى الى فناء المنزل ، ثم اخذت اتابع من خصاص الباب حال الجنود الذين كانوا فى حركة دائبة .. يتجمعون ثم يتفرقون .. وسمعت احدهم يهمس الى آخر : وكيف استطاع الهرب .. ؟

وهنا ادركت ان الأسير قـد فـر مـن مخبئـه . وان الجنـود يطاردون برصاصهم الفضاء ارهاباً .. فشعرت بمزيج غريب من البهجـة والحزن والخوف .. ثم رحت اتابع حركاتهم فى حذر بالغ ، وما هو الا يسير من الزمن حتى بصرت بالجندى المغربي ــ خليل ــ فى حراسة عدد من مرتزقة الفرنسيين ، يقتادونه الى دار القيـادة ، وقد امسكوا بيديـه ، واحاطوا به مـن كل جانب .

وتسلقت السلّم المسندة الى الجدار فى كثير من التؤدة ، ودسست رأسي خلال فروع الياسمين .. وجعلت اضغط على انفاسي ، فلا تتسرب الا فى اقل ما يمكن ..

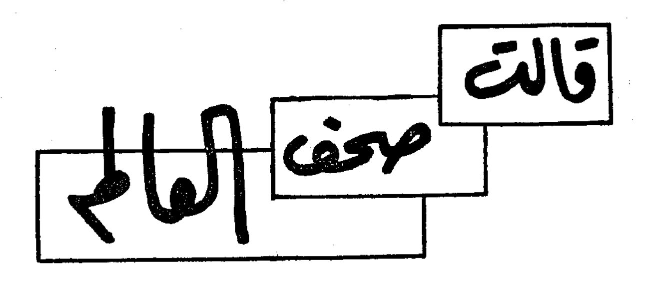
وفى سرعة كبيرة .. اخذ القائد الفرنسي مكانه على مقعد خلـف منضدة أحضرت لتوها من داخل البناء ، وأوقف الجندى المسكين تجاهه .. فى وسط نصف دائرة من الجنود الشاكي السلاح ..

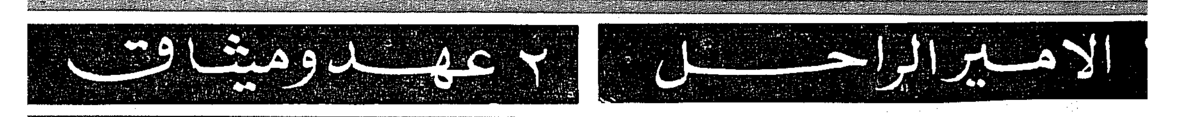
وارتفع صوت القائد ، ثم اعقبه يقول : بسرعة تكلم .. لـم أطلقت (الشتا) ؟ .. وكيف ؟ .. وكيف ؟ ..

وفى نبرة يمزقها اليأس والاستسلام تكلم خليل : لم اطلقه .. ولم انتبه اليه الا وهـو يتسلق الجدار الخارجي .. فحركت زناد البندقية لأطلق النار فوق رأسه .. ولكن الرصاصة لم تنطلق .. وهرعت وراءه وانا احرك الزناد .. دون جدوى ! ..

وبالطبع لم يكن (الحَلْوُف) راضيا عن هذا الدفاع ، فسمعت وقع أضراسه وهو يضرب بعضها ببعض من الغيظ .. ثم اخذ يتكلم .. واذا

البقية على صفحة ٩١





الأمير الراحل

نشرت مجلة السياسة الكويتية فى عددها السابع والعشرين كلمة فى رثاء الفقيد العظيم نقتطف منها ما يلي : ـ

من سمات الالم الكبير ، والحزن العميق للمصاب الكبير ، الا يجد الانسان وسيلة يعبر بها عن عذاباته وتصدعه ، سوى اطراقة خاشعة ، مستسلمة لقدر الله عز وجل ، فى تمتمة مجروحة : لكنها مؤمنة انا لله وانا اليه راجعون . وانا لفقدك يا عبد الله لمحزنون .

كان سمو المغفور له ، يختصر فى ضميره وعقله ، أماني الكويت منذ ان درجت فى مدارج النمو الزاهر المبشر بالخير ، واستطراد التقدم . ولقد وعى سموه بروحه الكبيرة ، كل طموح هذا الشعب الاصيل ، وآماله فى العيش الحر الكريم المسالم ، بعيدا عن التيارات المستوردة الضارة التى تجرح اصالة الكويت وعقيدة شعبها وتقاليدهم الخيرة . وقد استلهم الراحل الكبير ، من كل ذلك جميعا قوة دافعة وايمانا عظيما للسير بهذا البلد الصامد .. بلد الاسرة الاصيلة ، الى شواطىء الطمأنينة والسعادة والرخاء . حتى غدت ملامح الكويت التراثية تتمثل فى شخصيته كقائد ملهم ، وباني دولة ، وصانع نهضة .

ونحن اذ نطوى جوانحنا على ما بها ، نتطلع الى العلي القدير بأكف الضراعة بأن يلهمنا جميعا القوة والايمان ، والرشاد ، لمواصلة حمل المشعل ، وسط ظلمات الطريق ، لأداء الرسالة الملقاة على عاتق الكويت الحبيبة ، كدولة عربية مسلمة ، تؤمن بأن عليها أن تكون من الركب فى طليعته . ، فهي ما تعودت الا أن تكون سباقة للخير على الدوام . كما نسأل الله أن يحفظ صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أميرنا الجديد ، ليكون نعم الخلف لنعم السلف .. وان يمنحنا ـ عز وجل ـ مزيدا من عطفه واحسانه لنزداد قدرة على تحمل اشواك الطريق .

٣ الشيوعية والحرية والدين ٤ من نفحات رمضان

ونشرت صحيفة الحياة اللبنانية كلمة فى رثاء الراحل الكريم جاء فيها : ــ

كان الشيخ عبد الله السالم ، رحمه الله ، نسيجا فذا فى شخصيته ، يختلف عن المألوف من الزعامات العربية . فلقد اختار التواضع والسكوت والبعد منهجا . والذين كانوا ينظرون الى هذه الصفات على انها دليل ضعف وعجز ، اضطروا الى تبديل رأيهم حين لمسوا ضخامة النتائج . فما من شاردة أو واردة الا وكان الشيخ عبد الله يحيط بها ، وكان شبحه الخفي كامنا وراء كل خطوة خطتها حكومة الكويت . فقد كانت هيبته تخترق عزلته ، لتفرض نفسها على الجميع .

كان فى استطاعته ان يحيا حياة البذخ والترف بقدر لا يطاوله احد على سطح هذه الارض . ولكنه ابتعد عن البهارج ، وضرب لقومه مثالا فريدا فى تقوى الله ووداعة المخلــوق ؟

ولعل أعظم أثر خلفه الفقيد الكبير ، هو نقل الكويت من النظام التقليدى الموروث منذ القدم ، الى ارحب النظم الديمقراطية الحرة ، فأقام بذلك الدليل على بعد نظره ، وادراكه العميق لمقتضيات العصر ، ورفع عن امته العربية وزر الاستبدادية والتسلط.

وقال الاستاذ احمد الصاوى فى جريدة الاخبار القاهرية : ــ

« عبر الرئيس جمال عبد الناصر تعبيرا عميقا صادقا عن عواطفه وعن مشاعر شعب الجمهورية العربية المتحدة فى برقية التعزية المؤثرة التى بعث بها الى سمو الامير صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت بمناسبة وفاة المغفور له سمو الامير عبد الله السالم الصباح .

كان الفقيد الكبير رجلا مثاليا فى حياته الخاصة والعامة . وقد مرت بلاده ظروف عسيرة ولكنه قادها بحكمة ومقدرة الى بر الامان . ونهض بها نهضة مدهشة فى

فترة قصيرة من الزمن .. ودل بذلك على بعد نظره وسعة ادراكه وان الحضارة يجب أن تحيط بدولة الكويت من كل جانب ، وكان ذلك كله جديدا ، جريئا ، جميلا .

ونذكر كيف أن مئات المواطنين من جمهوريتنا يعملون فى كل واد فى الكويت ، وقد ظهرت آثارهم وفضائلهم ، وقد عملوا بهمة وذمة وأمانة وابداع ، فى ســاحات الهندسة والعمران والطب والتربية والتعليم والتجارة والصناعة والاقتصاد وما الى ذلــك .

وربطت ـ على يد الفقيد الكريم الراحل وأسرته ورجال حكومته ومجلس امته ـ حكومتهم بحكومتنا بأشد أواصر الود والتعاون والاخوة والولاء . وهو ما ربط شعبينا من أزمان طوال .

تغمد الله الامير الجليل بواسع رحمته ، وكتب التوفيق لخليفته ، وأعز دولة الكويت الصديقة وشعبها الحبيب ...

عهد وميثاق

وكتبت صحيفة الرأى العام الكويتية فى العدد ١١٢٨ تحت هذا العنوان تقول : ـ

اليوم دعا صاحب السمو أمير البلاد المعظم سعادة وزير الارشاد والانباء وأبلغه رغبته السامية فى أن تنهج الصحف الكويتية طريقا جديدة من التعاون ، والنهوض الى المستوى الكبير الذى يراد لها ، بعيدا عن التهجم والحملات التى تنشب فى حين بين بعضها وبين البعض الآخر .

ان اهتمام صاحب السمو المفدى بالصحافة المحلية يدل على مدى احترام سموه لدور الصحافة فى بناء الوطن ، وأهمية دورها فى دعم العمل الجبار الذى تقوم به الحكومة فى مختلف الميادين ، وعلى جميع المستويات .

ونحن اذ نتوجه بالشكر العظيم لصاحب السمو أمير البلاد لاهتمامه بتنقية الجو الصحفي ، نود أن نؤكد على أنفسنا العهد بأن نكون المستجيبين لرغبته النبيلة السامية ، وان نعمل بوحي من هذه الرغبة بعيدا عن كل ما يمكن أن يناقضها او يفسح المجال للتنكر لها .

اننا ندرك تمام الادراك ان هذه المرحلة من حياة الكويت تتطلب تضافر جميع الجهود وتماسك كـل الايدى لضمان الاستقرار والرصانة والهدوء ، حتى لا يتشوش العمل ولا يتعرقل ، وكي لا يتعرض لما يمكن أن يفسد نقاءه وصفاءه .

اننا ندرك دور الصحافة ومسؤوليتها فى الكلمة ، وضرورة الحفاظ على مستوى للحرف فيها لا يتدنى بحكم الخلافات وتضارب المبادىء والنظرات .

ونتمنى على كل من حمل شرف الصحافة واسمها ان يقف اليوم حيث يجب الوقوف ، فى الصف الواحد لدعم استمرار رسالة الخير فى وطن الخير والاستقرار . ذلك عهد علينا نلتزم به ميثاقا قدر التزامنا بالحقيقة ، ولتبق الكويت أبد الدهر دولة الولاء والبناء والمسؤولية .

الشيوعية والحرية والدين

وكتبت صحيفة المدينة التي تصدر فى جدة تحت هذا العنوان تقول :

هذا الشعب المسلم الأبى ، الذى خرجت جموعه على بكرة ابيها فى السودان الشقيق ، تنكر كفر الملحدين وتطاول الهدامين . وترفض أن يكون لهم فى أرضها وجود شرعى أو كيان محسوس .

هذا الشعب المؤمن البطل ، الذى لم يكد يفرغ من تحطيم الدكتاتورية ، وتصفية الطغيان ، واسقاط حكم الحديد والنار ، حتى هب يذود عن دينه ومعتقده ، وينافح دون ايمانه ومقدساته ، ويطهر أرضه من دنس الماركسية ، والحاد الشيوعية ، معطيا فى الحالين أروع قدوة وأكرم مثال .

هذا الشعب العربى المسلم ، له من أعماق كل قلب تحية اجلال واكبار ، وعلى كل لسان ، دعاء الى العلى القدير ، ان يحفظ تجربته الحرة ويصونها من العبث والزلل ، ويقيلها من العثرات .

ان الكافرين بالايمان ، المارقين عن الدين ، لا يجب أن يكون لهم فى مجتمعاتنا المسلمة مكان ، فضلا عن حرية العمل أو شرعية التنظيم .

بل ان الشيوعيين قد اثبتوا بتاريخهم وتنظيماتهم ومن خلال كتبهم وتعاليمهم ، انهم أعدى اعـداء الحرية وأعنف جلادى الديمقراطية وأكثر الطغاة والهدامين استباحة للحريات الشخصية ، واهـدارا للكرامة الآدمية .

من اجل ذلك لم يكن من حقهم فى أى مجتمع حر ، ان يتمتعوا بكل هذه المبادىء الكريمة ليغتالوها ، وأن يتاح لهم العمل فى ظلها ليدمروها .

ان الضرب بيد من حديد على الشيوعيين ، هو فى الحقيقة تكريم للايمان واجلال لقدسية الدين ، وهو بعد كل ذلك ، حماية للحريات الديمقراطية ، وحفاظ على الكرامة الانسانية ..

ثم هو فى النهاية . حماية للبشرية كلها من افدح الأخطار التى تتهددها ، وتتهدد كل مواريثها .

من نفحات رمضان

ونشرت مجلة ((حضارة الاسلام)) كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : ـ

ماذا على وأنا أتحدث عن رمضان شهر الصبر والامانة ، شهر القرآن وبدر والفتح أن ادعو ابناء هذه الامة لاستئناف الطريق من جديد ، فيوم كانت هذه الأمة الماجدة مسمرة الاقدام على الطريق النابعهداها من قلب الصحراء ، مديدة البصر تصل الىالنور اللامع وراء الافق حيثاستجابت رمال الجزيرة لهتـاف الوحى . يوم كانت فى ذاتها وفى ريادتها خير أمة اخرجت للناس حتى استوت على القمة السامقة البعيدة فى أرض التاريخ .

يوم كانت لا تعرف الا ساحات الجهاد عنوانا لتحركات ابطالها ، والا ميادين الفكر آفاقا لعقول أبنائها . يوم كانت تروح وتغدو ولا ترضى ان ترتكز الراية الا على رابية جديدة من الارض او صرح جديد من معالم الانسان يومذاك كانت هذه الامة على الخط الواضح فى ادراك ذاتها وعلى السبيل المستنيرة فى مقومات شخصيتها ، تلك الشخصية التى لمستها يد الاسلام الصناع فافادت من مواهبها وقومت معوجها وزودتها بكل ما هو معرفة وخير وحياة . ولئن كانت امتنا تتطلع اليوم الى عودة جديدة ، فما عليها الا أن تولى وجهها شطر القرآن من جديد وأن تصيخ بسمعها الى النداء الاول الذى هتف بالانسانية فالتمعت له رمال الصحراء واضاءت بنوره آفاق الارض .

نعم وما عليها الا ان تتزود من العطر ، عطر الدماء التى انساحت على الرمال هنا وهناك فى رمضان وغير رمضان يوم اشهر الباطل سيفه ، وجرد قواه ، واستمان على الحق بالكثرة الكاثرة ، والمال الوفير ، والزعامة الحاقدة المهددة بالفناء .

واذا كان الامر كذلك فعسى ان تنجلى القلوب ، تلك القلوب التي أصابها ما أصابها من حب الدنيا وكراهية الموت كيما تصحو على أذان سماوى لفجر جديد . الا وان فترة زمنية موحشة من العطاء مقفرة من النصر تمر بتاريخ هذه الامة ، لا تعنى طمس الحقيقة الكبرى التى طوف حولها التاريخ منذ أن أذن الله للانسانية ان تسمع حداء الاسلام ، تلك الحقيقة التى تهتف ان هذه الامة خير امة اخرجت للناس ، فهى الجديرة بحمل الامانة ، وهى الجديرة بقيادة ركب الانسانية ، وهى الجديرة بأن تقدم ابناءها الى ساحات الخير والنضال لتحمل سواعدهم الفتية المؤمنة مشاعل النور من جديد .



اخي القارىء

هذا الباب لك .. ربما تكون عندك فكرة طيبة . ربما تنفعل نفسك بموضوع تود أن ينتقل منك الى غيرك . ويشاركك فيه أكبر عدد من اخوانك . ربما تكتب الينا رسالة قصيرة تحمل دعوة كريمة ومع ذلك قد لا تتسع صفحات المجلة لها أو تطغي عليها البحوث والمقالات الطويلة .. ولاجل هذا فتحنا هذا الباب لنتلاقى فيه معنا ومع قراء المجلة .. المهم أن تكون الافكار والكلمات أصيلة .

فوائد المصارف مرجعها الحاكم الشرعي

تلقينا من الأستاذ محمد صادق الصدر رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفرى السابق ببغداد الرسالة التالية : ـ

« قرات فى العدد السابع من مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء جواب « لجنة الفتوى بالأزهر » وجواب سماحة الأخ الشيخ الزهاوى وتوضيحا لموضوع « الفوائد المصرفية » اقول ان الفوائد المترتبة على رؤوس الأموال ليست ملكا لصاحب المال لأنها لم تات بطريق مشروع ، فلا تضاف الى امواله . ولا تكون ملكا للمصرف لأن أساس المال ليس له ، فهي اذن مجهولة المالك ، والاحوال المجهولة معلوم أمرها بنظر الشريعة الاسلامية فان مردها الى الحاكم الشرعي المسلم اجتهاده وعدالته .

فالواجب اذن فى مثل هذه الفوائد ان يستلمها صاحب المال ثم يدفعها الى الحاكم الشرعي لينصرف بها حسبما يقرره الشارع او يأخذ صاحب المال الاذن من مرجعه الديني ليصرفها بنفسه فى المصالح الاسلامية العامة .

اما ترك هذه الفوائد فى المصارف فلا مبرر له ، ولا سيما بعد ان عرفنا ان له الطريق الشرعي فى التصرف بها تصرفا يعود بالنفع على الأمة وعلى مصالحها النافعة .

وحكام الشرع ـ وايديهم مبسوطة فى الخير ـ لا يضنون بالاذن الشرعي الخاص على مسلم يهدف فى عمله خدمة الاسلام والصالح العام وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والصلاح » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

والوعي الاسلامي تنتظر المزيد من آراء المعنيين بالدراسات الفقهية من علماء المسلمين فى جميع اقطار العالم ، وترحب بنشر كل ما يرد اليها فى هذا الموضوع ، والله من وراء القصد .

أثر العقيدة فى استقامة المؤمن

والصديق سلطان غانم المفتاح من الكويت شاب قارىء نشيط تبشر رسائله الكثيرة الى المجلة بكثرة الاطلاع وقد بعث الينا بهذه الرسالة نقتطف منها ما يلي : ـ

اذا وجدت مبلغا من المال فى الطريق فاني أسمع صوتا فى نفسي يقول لي ابحث عن صاحبه ورده اليه ولا تاخذ ما ليس لك فيه حق ، فاذا اصغيت الى هذا الصوت ، واستجبت له ، أحسست رضا وسرورا ، وذاق قلبي حلاوة الخير ، واذا خالفته ، وابقيت هذا المال لنفسي مدعيا أنه رزق سيق الي ، سمعت هذا الصوت يؤنبني ، ويشتد فى تانيبي ، ويعنفني ، ويبالغ فى تعنيفي ، وأحاول اسكاته فلا يسكت أبدا ، يقول لي كيف تستحل هذا المال وصاحبه ملهوف عليه الآن ؟ ولا تدرى ماذا يحدث له ضياعه منه ؟ ولعله دين عليه ، أو وديعة عنده ، وليس لديه بعد هذا المال ما يفي بما عليه من حقـــوق ، وهكذا يزعجني هذا الصوت فى يقظتي ومنامي ، ولا يدعني أستريح الا اذا رددت المال الى صاحبه .

هذا الصوت الذى وضعه الله فى قلب الانسان ليدعوه الى الخير ، ويزجره عن فعل الشر ، ويلومه ان اخطأ ليندم ويتوب عن الاثم هو ما يسميه العلماء الضمير أو النفس اللوامة ، قال تعالى « لا أقســم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « اذا أساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن » .

والضمير فى أكثر الأحوال هاد حكيم ، ومرشد لا يضل ، ومن الخير للناس أن يستمعوا الى صوته ويستجيبوا الى هديه ، ويصغوا الى تانيبه لانه يصل بهم الى الصلاح ، وبمجتمعهم الى الخير والفلاح ، وفى بعض الأحيان يفسد الضمير وينحرف عن الحق فيستسيغ الشر متأثرا بجهل صاحبه أمور الديــن أو بما شاع فى عصر من فساد وانحلال كالذى نراه فيمن يميلون الى الجريمة والمنكر من قتل وسرقة وغصب وما نجده فى الأمم المستعمرة التي تالف البغي وتستسيغ ظلم الشعوب ، لذلك كان الضمير الانساني فى حاجة الى تربية ليكون حكمه صادقا دائما فيشيع الخير ويقل الشر برقابته المستمرة .

موقف أعداء الاسلام من الاسلام

وبعث الينا الاستاذ عبد السلام داود العبادى ، ليسانس فى الشريعة الاسلامية من كلية الحسين بعمان ، كلمة ننشر منها فى هذا العدد ما يلي ـ

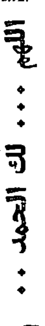
ان اعداء الاســـلام بمستشرقيهم ومبشريهم ومفكريهم ، وأذناب هؤلاء وهؤلاء سلكوا كل السبل فى اضعاف القيم الاسلامية فى اذهان المسلمين وتشويهها فى اذهان الغربيين وذلك بعرضها عرضا ينفر منها ويجعل الخلاص منها عنـد البعض ضرورة يحتمها الذوق الانساني والعقل البشري .

فلقد تمكن هؤلاء بسيطرتهم على أجهزة التربية والتعليم والتوجيه فى البــلاد الاسلامية لمدة طويلة من غرس هذه الافكار فى نفوس الاجيال الصاعدة ، فأصبحت ترى منهم من يؤمن بهذه الافكار ، ويعتبرها من المسلمات البديهية لديه ومن هنا نشأ جيل الشبهات الذي يعثر عليه الانسان فى كثير من مناطق اسلامنا . تلك الشبهات التي لم تترك ناحية من نواحي الاسلام الا وأصابتها .

هذا فى الشرق المسلم وأما فى الغرب بل وفى مناطق العالم كله فقد نشرت هــذه الافكار لتكون سدا منيعا فى وجه تقـــدم الاسلام وانتشاره . تقول رينيه فيبار فى كتابها (محمد رسول الله) (ان الجماهير الغربية ما زالت تقع فى أخطاء فادحة وأساسية فى نظرتها الى الاسلام ، الى تاريخه ، الى حياة مؤسسه قال لي رجل مثقف مثلا ان نبي المسلمين رجل ولد غنيا جدا ، مثل هذا الجهل أمر فاضح بالنسبة للعقل الاوروبي المعاصر) . ويقول محمد أسد فى كتابه الاسلام على مفترق الطرق (.... الا ان الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبـــل كل شيء وفى مقدمة كل شيء شرا ثقافيا. لقد نشأ تسميم العقل الاوروبي عما شوهه قادة الاوروبيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة فى أوروبا) وينقل احمد رضا بيك رئيس مجلس المبعوثان التركى السابق فى صفحه ١٩ من كتابه الخيبة الادبية عـن كليمنصو رئيس جريدة البلوك الفرنسية قوله (كل أوروبي يتزود من اخبار العــالم بما يمليه عليه رجال الكنيسة أو بعض أرباب الصحف من أنه ـ يقصد المسلم ـ رجل متوحش ملطخ دائما وأبدا بدماء ضحاياه وبأنه مسلم فهو متعصب حتما لا ينفك عن اضطهاد المسيحيين ناشرا بنودا مخضبة باحمرار محيط بهلال اذا فهو كوحش ضار ، علة كل الويلات التي احلت باوروبا وبما أن قلبه قد أفعم حقدا فلا يستحق ان يعامل الا بالحقد ، وعلى اجتياحه وابادته تتوقف راحة العالم) .

لهذا وجب على من يؤمنون بالاسلام رد هــذا التشويه والتهويش برد شبههم ومطاعنهم وبيان فسادها وسوء النية فى نشرها . ولا يدفع المؤمنين الى هــذا العمل رغبتهم فى الدفاع عن الاسلام ، فالاسلام ليس متهما فى قفص يريدون تبرئته كما أراد له الغربيون ، بل يدفعهم الى ذلك رغبتهم فى اظهار الحق وبيان الواقع وتعميم الخير ونشر الفضيلة ، يقول محمـــد أسد فى كتابه السابق (ويظهر فى جميع بحوثهـم ـ المستشرقون ـ على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمي بل على أنه متهم يقف أمــام قضاته ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي فى الدفاع فهو مع اقتناعه شخصيا باجترام موكله لا يستطيع اكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الاسباب المخففة .





الترجمان ينقل حكمه الى الجندى المسكين قائلا : ان القائد قرر ان تطلق عليك عشر رصاصات من جعبتك نفسـها .. وسيتضح حينئذ مدى صدقك فيما زعمت ! .

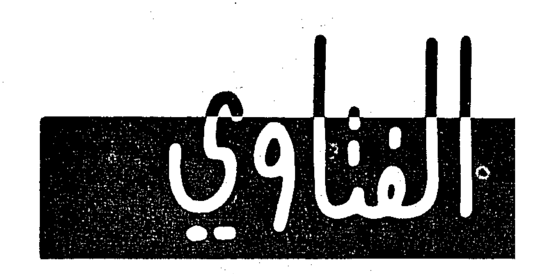
ولم يمهل القائد فريسته .. فاذا هو يقف ليصدر امره .. وما هي الا لحظات حتى كان خليل مشدوداً الى شجرة الازدرخت المواجهة لي .. وعشرة من الجنود يسددون اليه فوهات بنادقهم التي حشيت بعشر من خراطيشه ...

.. وكان الفجر قد بدأ يرسل خيوطـه الكاشفة على الأفـق .. فتتلاشى امامها اكداس الظلام .. ورأيت وجه خليل شاخصا الى السماء ، وهو يتمتم بالشهادتين .. ثم سمعت صوته يتدافـع فى مثـل حشرجة المحتضر ليقول : اللهم رحمتك ! ...

وهنا احسسـت ان الجدار يميد بي ، وكأنّ رجلي قد شـلتا فلم تمكناني من الهبوط .. فأغمضت عيني فى ذهول موجع .. وتراءى لي انني فى حلم مزعج .. ثم خيّل اليّ انني اسمع من خلال **ذلك الحلم صوت** الـ (الحلوف) يهتف فى وحشية رهيبة **(أتاش) ! ..**

واعقب ذلك دفقة من الصدمات الحديدية الجارحة .. الاّ انني لم اسمع قط ايّ اثر للانفجار .. ووجدتني انفض رأسي ، لأستوثق مما أرى .. ثم أرسلت بصرى من خلال الفروع كرة اخرى ، ادقق النظر فى اجزاء المشهد .. وشـدّ ما سعدت عندما رأيت (الحلّوف) يصـدر امـره بالافراج عن خليل .. ثم رأيت هذا ينزلق الى الارض ، وقد عجزت قدماه عن حمله ، واهوى بجبهته ساجدا على التراب ، وهو يقول : اللهم لـك الحمد ! ..

وكنا مأخوذين بقصة الصديق ، فاذا نحن ننسى ما بيننا وبين الحادثة من حواجز الزمن ، فنردد مع خليل فى خشوع فطرى حار:اللهم لك الحمد.



فى النسب

السؤال : ــ

عقد رجل على امرأة ، ولم يدخل بها ، ثم ولدت ولدا ، ونسبته الى من عقد عليها ، فهل يصح هذا النسب ، مع أنهما لم يتلاقيا مطلقا .

الاجابة : ــ

ذهب الاحناف الى انه يثبت الفراش فى الزوجة بمجرد العقد عليها من غير اشتراط امكان الدخول . فمتى أتت الزوجة بولد لأدنى مدة الحمل وهي ستة أشهر من حين العقد ثبت نسبه للزوج ، ولا ينتفى نسبه الا باللعان ، ويثبت هذا الحكم ولو لم يكن الدخول ممكنا بأن طلقها فى المجلس عقب تزوجها ، أو كان احد الزوجين بأقصى الشرق والآخر بالغرب ولم يلتقيا ــ لقوله عليه السلام « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ويؤسسون على هذا الحديث بأنالاعتبار فى النسببالعقد الذى هو مظنة الوطء .

أما جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة وفقهاء الجعفرية فقد ذهبوا الى أن الفراش فى الزوجية انما يثبت بالعقد بشرط امكان الدخول ، فلو تزوج رجل امرأة وطلقها فى مجلس العقد ــ أو تزوج مشرقي بمغربية، وقطع بأنه لم يصل اليها ، ثم أتت بولد لستة أشهر أو اكثر لم يثبت نسبه منه وذلك لأن العقد لا يقوم مقام الوطء الا اذا وجدت مظنة له .

وذهب ابن تيمية الى انه لا يثبت فراش الزوجية الا بمعرفة الدخول المحقق ، واستند فى ذلك الى أن العرف لا يعتبر المرأة فراشا الا بعد الدخول بها (والعرف فى الشرع له اعتبار) .

وقد أخذ قانون الجمهورية العربية المتحدة رقم ١٩٢٩/٢٩ بما ذهب اليه جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة فقضى فى المادة ١٥ من القانون سالف الذكر على أنه « لا تسمع عند الانكار دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقي بينها وبين زوجها من حين العقد » .

وأيضا فقد ورد فى القانون السورى ما يأتي : ــ

١ : ــ ولد كل زوجة فى النكاح الصحيح ينسب الى زوجها بالشرطين التاليين :

أ) أن يمضي على عقد الزواج أقل مدة الحمل .

ب) الا يثبت عدم التلاقيبينالزوجين بصورة محسوسة كما لو كان أحد الزوجين سجينا أو غائبا فى بلد بعيد أكثر مدة الحمل وأقلها ١٨٠ يوما وأكثرها سنة .

٢ : ــ اذا انتفى احد هذين الشرطين لا يثبت نسب الولد الا اذا أقر به أو ادعاه .

٣ : ــ اذا توافر هذان الشرطان لا ينتفي نسب المولود من الزوج الا باللعان .

وبناء على ما تقدم مما ذهب اليه جمهور الفقهاء ، يكون الجواب عن السؤال سالف البيان ــ هو انه لا يثبت النسب ــ والله أعلم .

الصلاة لا تسقط

السؤال : —

اوصى رجل ابنه بأن يتصدق بمبلغ (٥٠٠) دينار من تركته (تركة الوالد) على الفقراء بدلا عما فاته من صلوات ، فهل تصح هذه الوصية وهل تسقط عنه الصلاة .

الاجابة : —

تنفذ هذه الوصية فى حدود ثلث التركة باعتبارها لصالح الفقراء ، ولا تكفر عنه ما فاته من صلوات لعدم وجود نص شرعي يمكن الاعتماد عليه فى ذلك ، والعبادات يقتصر فيها على النص الوارد فى الكتاب والسنة .

والله أعلم ،،،،

طهارة الثوب

السؤال : —

هل تجوز الصلاة فى الثوب اذا كان به بعض نقط دم صغيرة ؟ .

الاجابة : —

تجب ازالة النجاسة عن بدن المصلي وثوبه ومكانه الا ما عفي عنه لتعذر أو عسر الاحتراز منه دفعا للحرج .

قال المالكية : ويعفى عما يصيب ثوب أو بدن الجزار والطبيب الذى يعالج الجروح وما يصيب ثوب المصلي أو بدنه أو مكانه من دمه أو دم غيره اذا كانت مساحته لا تزيد على قدر الدرهم .

وقال الحنابلة : ويعفى عن يسير دم وقيح وصديد ، واليسير مايعده الانسان فى نفسه يسيرا ، وبناء على هذا تجوز الصلاة فى هذا الثوب الذى أصابه دم يسير .

زكاة الحلي

السؤال : —

هل فى حلي المرأة زكاة ؟ .

الاجابة : —

ليس فى حلي المرأة زكاة اذا كانت تتزين بها فعلا أو تعيرها لغيرها من النساء بشرط الا يكون فيها سرف أو خيلاء والمدار فى ذلك كله على العرف الجارى بين الناس ، فاذا اشترت المرأة أو زوجها حليا لا يلبسها مثلها فى العادة كانت فيها الزكاة لأنها قد اتخذتها فرارا وتخلصا من زكاة المال وقد نهى الله عز وجل عن الاسراف فقال : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » . ونهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولامخيلة » وكذلك اذا كانت المرأة تختزن الحلى ولا تتخذها للزينة ، أو كانت تستعملها بقصد الحفظ فقط فان الحلي فى هذه الحالة تأخذ حكم النقد الزائد عن حاجات الانسان الاصلية ، وعلى هذا تجب فيها الزكاة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول بواقع ٢٫٥٪ سنويا . والمعتبر فى نصاب الحلى الوزن لا القيمة وهو عشرون مثقالا ونحن نرجو المسلمين جميعا الا يلجأوا الى السرف والخيلاء فى شراء كميات ضخمة من جواهر وحلي قد لا تتحلى بها المرأة الا مرات معدودة فى العمر كله بل عليهم أن يوجهوا أموالهم الى بناء المصانع وتكوين الشركات التجارية ، وغيرها من المشروعات الناجحة التي توفر للمجتمع الأمن والرخاء .



العدل بين الزوجات

هذه رسالة من السيد مصطفى مدني محمود بالجمهورية العربية المتحدة يقول فيها بعد أن حيا المجلة تحية نشكره عليها : ـ

قرأت فيما قرأت كتابا لفضيلة الاستاذ الشيخ عمر عبد الله وهو « أحكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية » وتعرض الاستاذ الموقر الى مسألة تعدد الزوجات وأورد آيتين من القرآن الكريم هما قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » . وقوله جل شانه « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وقال المؤلف ان العدل المقصود فى الآية الاولى انما هو العدل فى المأكل والملبس والمسكن والمبيت حسب المقدور عليه .

اما العـــدل المقصود فى الآية الاخرى « ولن تستطيعوا أن تعـــدلوا بين النساء ولو حرصتـــم » فخاص بالميل القلبى ولو كان العدل واحدا فى الآيتين لاصبح الامـر عبثا لأنـه سماح بالتعدد فـي الآيـة الاولى واستحالة التعدد فى الآية الثانية .

ودلل فضيلته على أن العدل نوعان عدل مستطاع جعله شرط تعدد الزوجات وعدل غير مستطاع لم يجعله شرطا لتعدد الزوجات بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » .

اما الاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود فيقول فى كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » فى الفقرة الاخيرة من الصفحة رقم ١٧٨ ما نصه « ومن حسنات التشريع فى جميع هذه الضرورات أنـه يحسب حسابها ، ولا ينسى الحيطة لاتقاء ما يتبقى من أضرارها ، ومن سوء التصرف فيها ، وكذلك صنع الاسلام بعد اباحة تعدد الزوجات للضرورة القصوى فانه اشترط فيه العدل ، ونبه الرجـال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . فكأن العقاد رحمه الله قد سوى بين العدلين فى كل من الآيتين .

فأرجو لو تفضلتم علينا بتوضيح الامر ولو أني مع ذلك أميل الى رأى الاستاذ عمر عبد اللـه فهو يسير مع المنطق والعقل فليس فى آيات الله تعارض بل التعارض فى عقولنا القاصرة .

« الوعى الاسلامى » الامر كما فهمت ـ يا سيد مصطفى ـ والحق فى الفهمين هو ما قرره أستاذ الشريعة الشيخ عمر عبد الله ، وكثير من المثقفين تؤثر فيهم حملة الغربيين على اباحة التعدد ، وسوء استعمال المسلمين لهذا الحق ، فيفسرون الآيتين تفسير المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد ، وكان المرحوم الاستاذ عبد العزيز فهمي شيخ القضاة فى أيامه يرى ـ فى بحث له ـ ما يراه الاستاذ العقاد . ولو كان ما ذهبا اليه صحيحا لوقع التعارض فى آيات الله وكان ذكر الاباحة فى آية وذكر ما يمنعهـا فى آية أخرى شبه تلاعب يستحيل على الله جل شأنه ،ثم انفهمهما هذا يؤدى الى أن التعدد ممنوع شرعا ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقره لبعض صحابته . .

وجرى الامر على ذلك أيام الخلفاء الراشدين وأيام الائمة والمجتهدين الى يومنا هذا ..
فهل كان فهم هؤلاء جميعا من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن خطأ ، وكان عملهم خطأ كذلك ؟ وفهم العقاد وعبد العزيز فهمي وأمثالهما هو الصحيح ؟!!
أظن ان الامر واضح ، وكان من الممكن أن يقفوا عند قوله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » لأن المنطوق الصريح لا يبيح التعدد عند خوف عدم العدل . ولا يأمن العدل بين الزوجات الا القليل . وحينئذ ينحصر التعدد المباح فى أضيق نطاق .

دور النشر والمجلات الاسلامية

وهذه رسالة من السيد/مصطفى عمر حميده مدرس اللغة العربية بمدرسة الرمل الاعدادية بالاسكندرية جاء فيها : ـ

لا أستطيع أن أعبر لكم عن مدى فرحتنا بصدور مجلتكم التى وجدنا فيها زادا طيبا نتزود به على الطريق ، وأشهد أن مجلتكم تمتاز بميزتين لا غنى عنهما لكل مجلة ناجحة ، وهما المادة القوية ، والاخراج الممتاز . فحق لها بذلك ان تتخذ مكان الصدارة بين مجلات الثقافة الاسلامية .

واقف قليلا عند مسالة الطباعة ، لاقول كلمة صغيرة ـ

« لقد كانت دور النشر المنتشرة فى العالم الاسلامي تضن على الاسلام باصدار مجلة تحمل ثقافته فى طباعة جيدة ، وكانت تتعلل بأن الطباعة التي تجارى المستوى العالمي الجيد تتكلف تكاليف باهظة ، والمجلات الاسلامية ـ فى رأيهم ـ لا تعود بالارباح التي تغطي تلك التكاليف ، فكيف يقدم أصحاب تلك الدور على تلك الخطوة وثمة مجلات من طراز آخر يستطيعون اصدارها وتعود عليهم بأرباح خيالية ؟..

وهكذا كانت مسالة الارباح العائدة ، وانتماء أصحاب عدد كبير من دور النشر فى العالم الاسلامي والعربي على الخصوص ، الى دين آخر غير الدين الاسلامي ، من أعظم الاسباب التى أدت الى عدم اصدار مجلة اسلامية يطالعها المسلمون ، فينتفعون بما فيها ، وفى الوقت ذاته .. يفتخرون بها .

ومن أجل هذا نحمد الله ونشكره أن وفق وزارة الاوقاف الكويتية لتجعل العلم الحديث فى خدمة الاسلام ، ذلك أنكم وضعتم مطابع من احدث المطابع فى الوطن العربى فى سبيل اصدار مجلة تدعو للاسلام ، وتعمل على تعليم المسلمين أمور دينهم الحنيف .

اني أرى من الواجب على كل مسلم أن يساهم فى تدعيم مجلتكم ، وأن يعاضدها بكل ما أوتي من قوة . ومن هذا المنطلق أضع أمامكم بعض آرائي ومقترحاتي .

ثم ذكر بعض المقترحات التى نعتقد أن المجلة قد حققت أغلبها فيما تلا ذلك من أعداد ، ونرجو أن يتم الباقي فى المستقبل ان شاء الله .

حقوق الابناء على الآباء

وتلقينا رسالة من السيد/م.م ـ بسلاح الطيران الكويتي . يشكو فيها من تصرفات والده الذى تركه منذ كان فى الخامسة من عمره ، وترك أخاه الذى يصغره ، ووالدتهما التى أصيبت من جراء تصرفاته بالصرع ، فقد انتزع منها جميع ما ورثته عن أبيها ـ تركهم جميعا يتكففون الناس ، ويبيتون على الطوى ، ولم يحاول مجرد زيارتهم بينما يعيش مع زوجته الاخرى ، ومع أولاده منها ، فى بحبوحة وسعة.
ويسأل . هل لهذا الوالد حق عليه ؟ وهل يمتنع عن مساعدته اذا أعوزه الدهر اليه ؟

ونحن نقول له :

اذا كانت الشريعة الاسلامية قد فرضت على الابناء البر بالآباء ، والاحسان اليهم وأن يخفضوا جناح الذل لهم ، فليس معنى ذلك انها أهملت حقوق الابناء .

فرغم أن حب الابناء غريزة وفطرة فى نفوس الآباء ، فان الاسلام قد فرض عليهم تربية الابناء، والانفاق عليهم ، وتعليمهم ، وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم ، وحسن رعايتهم فى حدود الاستطاعة والقدرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءا أعان ولده على بره » وقال كلكم راع ومسئول عن رعيته . الرجل راع ومسئول عن رعيته ..

ويؤسفنا أن يكون فى المجتمع الاسلامي أمثال هؤلاء الآباء ، الذين قست قلوبهم ، ونامت ضمائرهم وقصروا فى أداء الرسالة المنوطة بهم ، وألقوا بأفلاذ أكبادهم على الارض تتلظى من الجوع ، وتتلوى من الحرمان .. هؤلاء لا نقول لهم الا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس عندما رأى رسول الله يقبل ولده الحسن ، فقال له . ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام . ان من لا يرحم لا يرحم ، أو املك أن نزع الله الرحمة من قلبك .

صحف ابراهيم

وتلقينا رسالة من الاخ محمد خير من الابيض بالسودان يقول فيها : ـ

تحدث القرآن الكريم عن صحف ابراهيم خليل الرحمن فقال سبحانه فى سورة النجم « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى » وقال جل علاه فى سورة الاعلى « ان هذا لفي الصحف الاولى . صحف ابراهيم وموسى » .

فهل كانت صحف ابراهيم كتابا منزلا عليه من الله كالقرآن الذى أنزل على سيدنا محمد ، واذا كانت كتابا منزلا ، فهل يوجد منها شيء الآن يمكن أن تدلوني عليه للاطلاع .

ان لله سبحانه تعاليم ووصايا أوحاها الى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام قال عز من قائل « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» سورة البقرة آية ٢١٣ .

وهذه التعاليم الالهية منها ما دون وكان فى صورة كتب وصحف ، ومنها ما لا علم لنا به .

والكتب المدونة هي التوراة التى أنزلت على موسى والانجيل الذى انزل على عيسى والزبور الذى أنزل علي داود والصحف التى أنزلت على ابراهيم ، والقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية أنزل على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اخوانه النبيين والمرسلين .

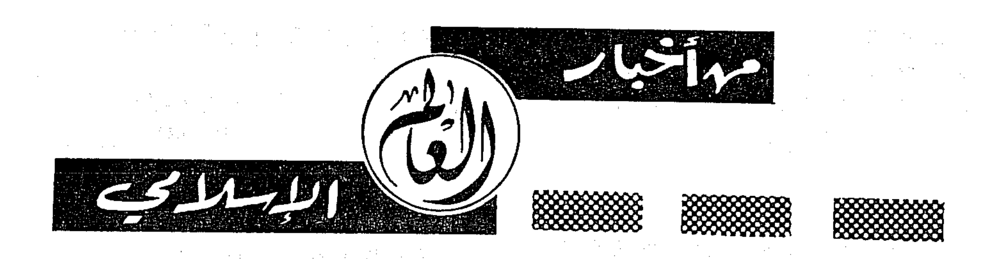
والكتب السماوية السابقة على نزول القرآن الكريم قد اندثر بعضها وتناول التحريف والتبديل البعض الآخر ، فلم يبق سليما محفوظا من التغيير والتبديل سوى القرآن الكريم الذى تكفل الله بحفظه رحمة بخلقه لأنه آخر الكتب السماوية الذى أودع الله فيه صفوة التعاليم والشرائع الالهية التى يصلح عليها أمر العباد فى الدنيا والآخرة .

وقد جاء فى بعض الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض فقرات مما كان فى صحف موسى . روى ابن حبان فى صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال كانت أمثالا كلها .

« أيها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر » .

« وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات فساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب » .

« وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا الا لثلاث . تزود لمعاد أو لمعاش أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه » .



الكويت

* تلقت المجلة سيلا من البرقيات والرسائل بعث بها أصحابها من مختلف الدول العربيـــة والاسلامية ، يعربون فيها عن بالغ ألمهم لـوفاة فقيد العروبة والاسلام صاحب الســمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير الكويت الراحـل ويضرعون الى العلى القدير أن يبوئه فراديس جنانــه .

والوعي الاسلامي تتقدم بوافر الشكر لأصحاب هذه البرقيات والرسائل على نبيل شعورهم .

* استقبلت البلاد عشرات الوفود التي تمثـل الدول العربية والاســلامية والدول الصديقة والمنظمات والهيئات الدوليــة والشعبية للاعراب عن أخلص العزاء وجميل المواساة فى فقد الأمير الراحل ورفع التهاني والتمنيات لصاحب السمو صباح السالم الصباح أمير الكويت بمناسبة تقلده امارة البلاد .

* تلقت وزارة الأوقاف والشؤون الاســلامية موافقة السادة الآتية اسماؤهم على الاشتراك فى الموسم الثقافى الذى تقيمه الوزارة وهم .

١ ـ الاستاذ مصطفى الزرقا
استاذ القانون المدني فى جامعة دمشق
٢ ـ الدكتور عبد الكريم زيدان
استاذ الشريعة الاسلامية فى جامعة بغداد
٣ ـ الدكتور محمد محمد حسين
استاذ الأدب العربي بجامعة الاسكندرية

* زار الكويت فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة بدعـوة من جمعية الاصلاح الاجتماعى والقى فضيلتـــه محاضرتين فى قاعة المحاضرات بثانوية الشويخ ، وقد امتلأت القاعة على اتساعها بجمهور كبير وفى مقدمتهم بعض الوزراء وكبار رجال الدولة ورجال الفكر والأدب .

الجمهورية العربية المتحدة

* انتهى فلمنتاج من اعداد فيلم مدتهساعة وربع ساعة عن قواعد الاسلام .. سيعرض فى جميع بلاد العالم . الفيلم يدبلج الآن بخمس عشرة لغة وهو بالالوان .

* قامت شركة صــوت القاهــرة بالاتفاق مـع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بتسجيل تعاليم الصلاة على اسطوانات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وقريبا باللغات الأوردية والسواحلية..

* أدلى فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى بتصريح أثنــاء حضــوره الاحتفــال بليلة الاسراء والمعــراج فى المسجد الاقصى قال فيه ان جــامعة الأزهر ستنشىء فرعا لكلية الطب فى القدس .

الجزائر

* نفى مصــدر مســؤول فى وزارة الخارجية الجزائرية ما رددته بعض وكالات الأنباء الأجنبية عـن احتمال عـودة العلاقات الديبلوماسـية بين الجزائر والمانيا الغربية وأكد المصــدر أن موقف الحكومة الجزائرية تجاه المانيا الغربية سيبقى متفقا مع موقف الدول العربية الأخرى .

الأردن

* الاتجاه الســائد فى اوســاط الشخصيات الاسلامية هو تأسيس صندوق مالي يرصد لتنمية الممتلكات العربية وصيانتها والبذل فى سبيل عدم انتقــال ملكيتها مــن أصــحابها الحاليين ، وذلك لاحباط المؤامرة الصهيونية وغيرها التي تستهدف شراء الممتلكات العربية فى مدينة القدس .

* زار سعادة عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف الكويتي جمعية البر بأبناء الشــهداء فى

مخيم العائدين بعقبة جبر وتبرع بألفي دينار للجمعية .

كما قام معاليه بزيارة دار الطفل العربي في القدس وتبرع بألف دينار للدار .

الجمهورية العراقية

* كشف السيد محمد بن عدى ممثل امامة عمان ، عن مؤامرة جديدة ترتكبها بريطانيا فى جزيرة ـ مصير ـ التي تقع فى الجنوب الشرقي من ساحل عمان ، وأعلن السيد بن عدى أن بريطانيا بدأت أخيرا فى تشريد المواطنين العرب فى الجزيرة واغرائهم بالمال ليرحلوا الى اقطار عربية أخرى ، تمهيدا لنقل قاعدتها العسكرية من عدن الى جزيرة مصير .

* نعى المجمع العلمي العراقي الشيخ محمد رضا الشبيبي الذى وافاه الأجل عن عمر يناهز ٧٨ عاما . وكان الشبيبي من الشعراء المشهورين فى العراق ، وتولى وزارة المعارف خمس مرات فى عام ١٩٢٤ ، كما انتخب معتمدا لحزب الجبهة الشعبية عام ١٩٥٢ .

كما تولى الشبيبي عضوية مجلس الأمة العراقي عدة مرات ، وشغل عضوية مجمع اللغة العربية فى القاهرة منذ عام ١٩٥٠ ، وانتخب فى العام الماضي رئيسا للمجمع العراقي .

باكستان

* من المقرر أن تعلن الحكومة الباكستانية قريبا جعل مدينة « اسلام اباد » عاصمة باكستان بدلا من « روالبندى » . وكانت الحكومة الباكستانية قد أبلغت الدول قرار جعل مدينة اسلام أباد عاصمة لها ونقل الدوائر الحكومية اليها وكذلك البعثات الدبلوماسية المعتمدة لديها .

* استأنفت مجلة الأدب الاسلامي التي كانت تصدر فى باكستان صدورها بعد أن توقفت مدة من الزمن ويشرف على نشرها الناشر محمد اشرف صاحب دار للنشر الاسلامي فى باكستان .

اندونيسيا

* افتتح بمدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو من جزيرة سومطرة باندونيسيا كلية تربية ذات شعبتين ، شعبة الشريعة الاسلامية ، وشعبة اللغة العربية ، بالاضافة الى وجود كلية الحقوق وكلية العلوم الفقهية التى تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية والاسلامية منذ سنوات ، وبهذه الكليات تألفت جامعة سومطرة الاسلامية وقد اعترفت الحكومة بها كاحدى جامعات أندونيسيا .

السودان

* أذاع راديو أم درمان بيانا هاما أصدره سماحة السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية فى السودان الشقيق، ندد فيه بالشيوعية والالحاد وطالب الحكومة والشعب باعلان الجمهورية الاسلامية كنظام للحكم يستند الى التشريع الاسلامي ويقوم على تطبيق الشريعة السمحاء وذلك كحل شامل لجميع مشكلات الحياة .

أخبار متفرقة

* يقدر عدد المسلمين فى [illegible]ينة تورينتو فى كندا بخمسة آلاف مسلم ولهم مركز اسلامي يجتمعون فيه لاداء الصلاة والاستماع ا[illegible] حاضرة الاسبوعية التى يلقيها أحد أعضاء المركز ، والجدير بالذكر ان رئاسة هذا المركز اسندت [illegible] أحد الطلبة المسلمين الذين يدرسون فى [illegible]يال فى كندا وأن هذا الطالب يقطع مسافة . [illegible] كل اسبوعين لاداء واجبه فى مركز تورينتو الاسلامي .

* بلغ عدد الجمعيات الطلابية الاسلامية فى انكلترا ٢٠ جمعية وفى ألمانيا ٢٣ جمعية . وقد انتظمت هذه الجمعيات فى اتحادات أشهرها : اتحاد الطلبة المسلمين فى أوروبا . واتحاد الطلبة المسلمين فى المملكة المتحدة . ورابطة الطلاب المسلمين فى فرنسا .

* حصل المركز الاسلامي فى مونتريال بكندا منذ أمد قصير وبعد جهد كبير على اعتراف الحكومة المحلية هناك ، بالاسلام كدين ومنح المسلمين هناك حرية ممارسة الشعائر الدينية .

* من أخبار الجمعية الاسلامية بجامعة كولون بالمانيا التى تأسست عام ١٩٥٨، انها بدأت بسبعة أعضاء كانوا يؤدون صلاة الجمعة فى المنتزهات العامة لعدم توفر المكان للصلاة ، ثم انتقلوا لادائها فى بيوت أعضائها ، ومع ازدياد اعضاء الجمعية واقبال المسلمين على الصلاة لم يعد هناك مكان يسع المصلين الا فى الحدائق والمنتزهات العامة والجمعية تفكر فى بناء مسجد فى مدينة كولون يكون منارة للاسلام هناك .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم :ـ

بغداد :ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان :ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

بيروت :ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة :ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض :ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية

الخبر :ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب (٧٦) السعودية

مكة المكرمة :ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف :ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

عدن :ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين :ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم

المكلا :ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت

دبى :ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

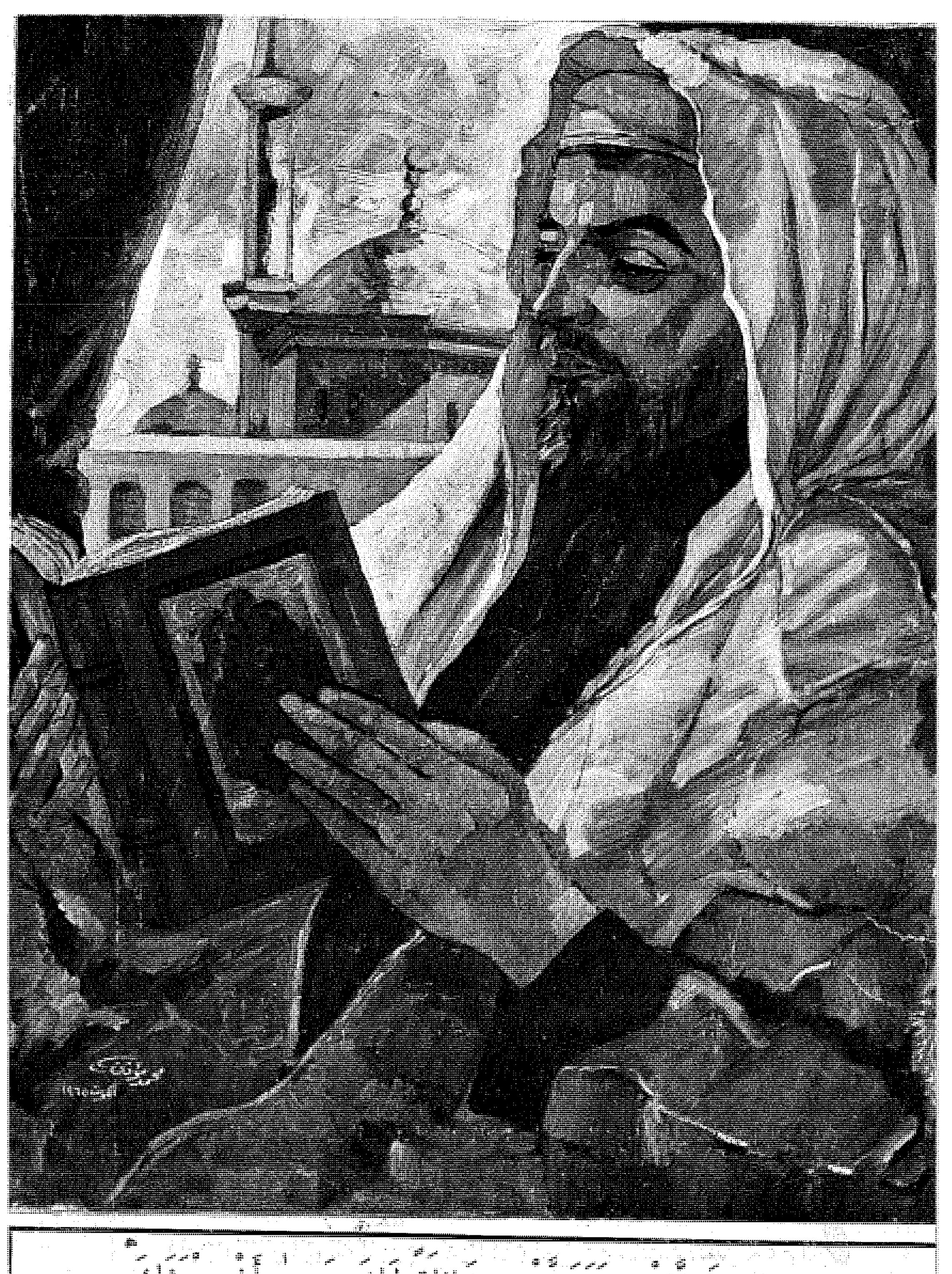
مسقط :ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر :ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢)

السودان :ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص‌ب (١٩٥٦).

الكويت ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ .

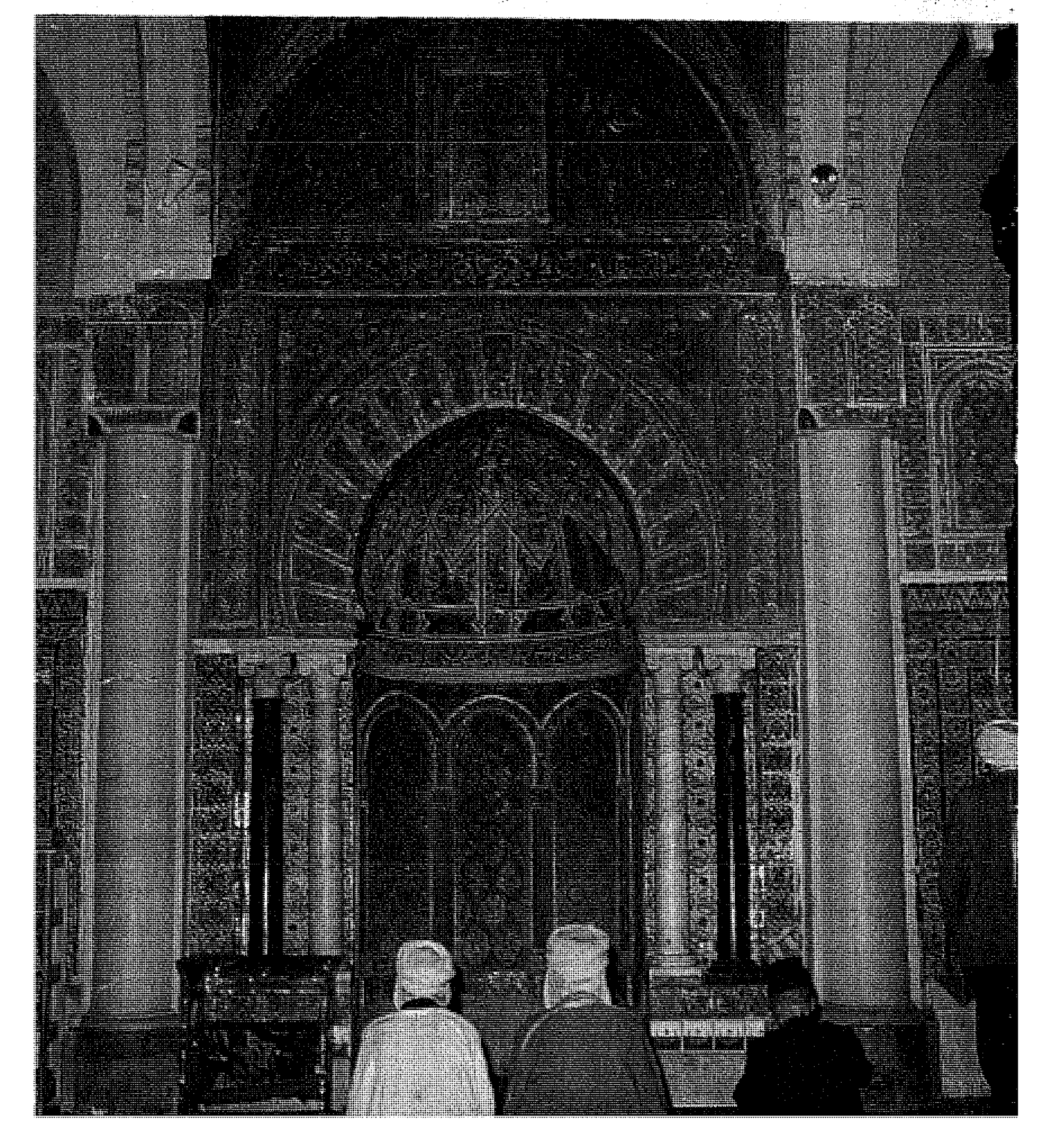
صدق الله العظيم

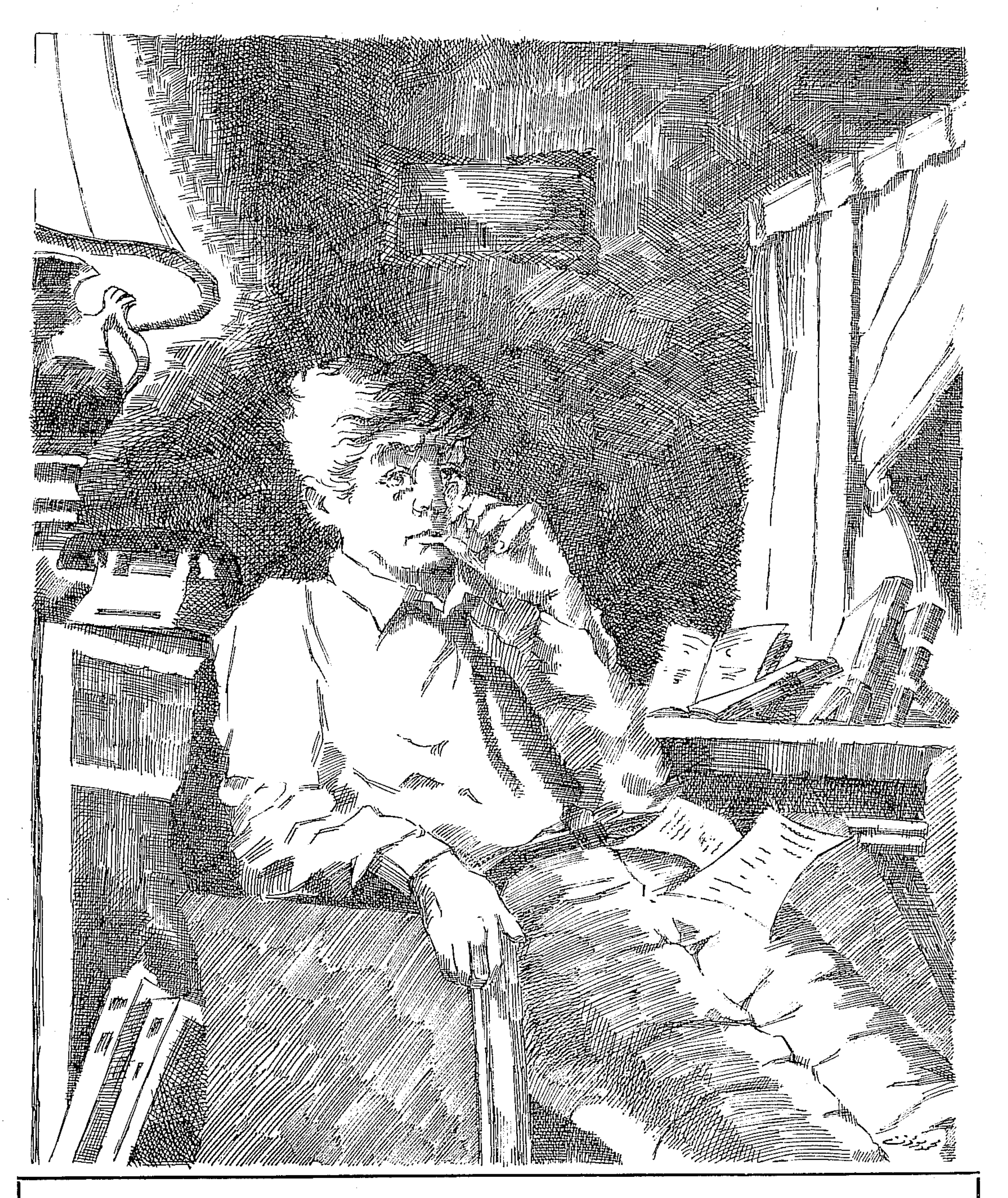
لوحة زيتية بريشة محمد مؤذن

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد العاشر ـ السنة الاولى ـ شوال ١٣٨٥هـ ـ ٢٢ يناير ١٩٦٦ م





قصة العدد

الوجودي

الوعي الاسلامي

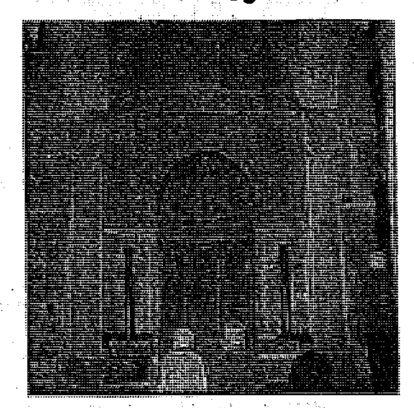
اسلامية ثقافية شهرية

العدد العاشر السنة الاولى
شوال سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



من صور الفن الاسلامى بأحد
مساجد بنزرت فى تونس

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

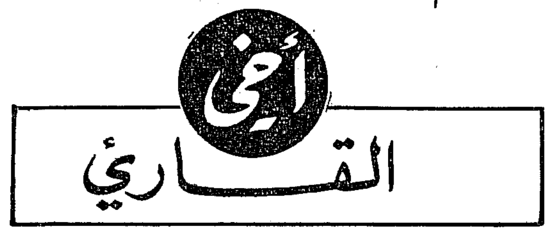
عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

اقرأ في هذا العدد

يستقبل القراء مع هذا العدد من المجلة
عيد الفطر المبارك بعد ان عاشوا شهر
الصوم في رحاب الرحمن .
وإنني باسم وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية وإسم اسرة المجلة انتهز
هذه الفرصة فأتقدم الى صاحب السمو
أمير البلاد المعظم والى الشعب الكويتي
والى كافة المسلمين في جميع
اقطارهم مهنئاً اياهم بالعيد
سائلاً المولى جل جلاله، أن
يشملنا جميعاً بعفوه ومغفرته وأن
يسدد خطانا ، ويوفق قادتنا إلى
ما يعيد للمسلمين أمجادهم ويوطد
لهم عزتهم ، ويحقق لهم حرياتهم في
كل بلادهم . والله الموفق والمعين

عبدالرحمن العجمي . المشرف العام على المجلة - ووكيل الوزارة

بسم الله الرحمن الرحيم



العيد .. وقفة قصيرة على قمة زمان مضى ، وجزء من العمر انقضى . وقفة نستريح فيها قليلا من عناء تحملناه ، وشوط في صحراء الحياة قطعناه .. وجهاد في سبيل البقاء بذلناه ..

وقفة نسترجع فيها بعض ذكرياتنا ، ونستعرض فيها شريط حياتنا ، ونتهيأ لشوط جديد من عمرنا .. لا ندرى متى وأين ينتهي بنا ..

وقفة نتبادل فيها التهاني والأماني : كل عام وأنتم بخير .. وعيد مبارك ..

كنت ـ وأنا صغير ـ أترقب العيد ، وأستعجل قدومه ، لأنه كان يحمل لي معه كل ما أفرح به ويفرح أمثالي ، حتى اذا أنتهت ايامه بدأت أرقب العيد الذى يليه ..

كانت دنياى كلها نفسي وحسي . فلما كبرت أخذت دنياى تتسع ، وبدأت معالم العيد ومعانيه تتغير وتتحور .. حتى أصبحت العبارة التقليدية التي نقولها : كل عام وأنتم بخير : لا تقنع بها نفسي ، ولا تتسق مع حسي ..

كل عام وأنتم بخير .. تثير في نفسي تساؤلا : هل وصلنا الى الخير الذى نرجوه حتى نقنع به ، ونتمنى أن يدوم كل عام ؟ ! وأين هذا الخير في واقعنا ؟ !

هل هو مجرد أننا نعيش ويرى كل فرد منا أنه وفر لبيته ما يريد ، أو بعض ما يريد ؟ برغم ما يراه حوله من اخوان له يذرفون الدموع بغزارة أيام العيد ، لأنهم لا يجدون لقمة العيش ، أولا يجدون الثوب الذي يلبسونه ، أو يوفرونه لفلذات اكبادهم ، ليفرحوا كبقية الاطفال حولهم ؟ ولو كان يحس انه مسلوب الحرية في وطنه ، أو أن له اخوانا يخنق المستعمر حرياتهم ، وينهب ثرواتهم ، ويمتهن كراماتهم ؟ او يعيشون بعيدين مشردين عن اوطانهم ؟ ؟ !

لا .. فلم يكن مقياس الحياة ولا ميزان الخير فيها لدى العقلاء الذين يحسون انسانيتهم هو مجرد الحياة والطعام والمتعة .. فلرب حياة خير منها الموت ، ولرب شبع خير منه المخمصة .

ان الحياة ليست غاية ، وليس الطعام فيها هو النهاية ، وانما هي وسيلة لتحقيق العزة والكرامة ، واشاعة الألفة والمحبة ، فاذا لم تتحقق فيها هذه المعاني الكريمة فبطن الأرض خير من ظهرها ..

وما كانت غاية المسلم أن يعيش ليأكل ، وانما يأكل ليعيش ويؤدى رسالته .. والا فما قيمة الحياة اذا كانت ممزقة الجوانب ، عارية من الكرامة ؟ وما قيمة الانسان الذى لا يعمل لهدف نبيل ، ولا يحس كرامة لنفسه ، ولا عزة لأوطانه واخوانه ؟ ما قيمة الانسان الذى يعيش مغلوبا على أمره ، فاقدا لحريته ـ أخص خصائص انسانيته ـ شاعرا بالمهانة في حياته ؟ .

وهل يكون الانسان انسانا اذا لم يحس الظلم الواقــع عليــه ، أو الأسى الذى يعيش فيه ويعمل للقضاء عليه ؟

ان من شأن المسلم ان تكون نفسه مرصدا حساسا لكل ما حوله ومن حوله ، ((ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)) .

فهل ترى ــ يا أخي ــ من خلال هذا المرصد اننا نعيش بخير ؟ ..

لا تغالط نفسك وتقول : اننا بخير ، وتتمنى أن يدوم هذا الخير كل عام .. بل قل . كل عام يأتي ونحن أحسن من العام الذى مضى ..

فلســنا نحن المسلمين الآن بخــير ، والا فهل من الخير الذى نعيش فيه ، ونتمنى أن يدوم ، اننا نغاضب الله ونعصي أمره ، ونحيد عن سبيله ، ونؤثر عليه رضا أهوائنا ؟!

هل من الخير الذى نعيش فيه ، وننعم به ، هذا التفكك الذى هد ــ ولا يزال يهد ــ كياننا ، ويضعف قوتنا ، ويوهن عزيمتنا ، ويمكن قبضة العدو من رقابنا ؟ !

هل من الخير الذى نعيش فيه ونقنع به ، ان نرى حفنة صغيرة من مشتتي العالم ، تتركز فى أرضنا وتطردنا من بيوتنا ، وتلحق العار بنا ؟ !

هل من الخير الذى ننعم به ، ونتمنى دوامه ، أن نعرف طريق القوة ولا نسـير فيه ، ونبصر الهدف ولا نركض اليــه ، ونتغنى بمبادىء الاســلام ولا نراها حية فى واقعنا ؟ ! .

هل تراني اثقلت عليك فى ايام العيد ؟

لا .. يا أخي ــ فليس العيد لمن لبس الجديد .. ويكفي أننــا نـرى أطفالنــا يعيشون فى عالمهم البرىء يمرحون ويزهون بالجديد ..

أما نحن الذين شاء الله لهم ان يكونوا رجالا يتحملون العبء ، فما كان لنا مطلقا ان نتخلص من واقعنا ، أو نتجرد من احساسنا ، أو نعيش لنفسنا ويومنا ..

حقا ان العيد فترة راحة واستجمام ، وأنس وبهجة . ولكن كيف نتهرب أو نتجرد من الواقع ؟ .

انني لا زلت أذكر دموعا سخينة ذرفتها فى يوم عيد .. لم تكن دموعا على عزيز لي فقدته ، أو منظر مؤلم رأيته ــ فقد كانت المناظر حولى كلها مفرحة ــ ولكن لأن فرنسا فى أيامها رأت ــ بقوتها وجبروتها ــ ان تهدى للمسلمين فى يوم العيد خبر القبض على السلطان محمد الخامس سلطان المغرب يومذاك ، ونقله مع اسرته الى منفاه .

ذرفت الدمــع من اجل ضعف المسلمين ، وتحكم المستعمر فيهم ، وعدم مبالاته بشعورهم ، حتى اهدى لهم ما اهداه فى يوم عيد ! ! . وتمثلت فى نفسي قول شوقي

اذا أن بالربــــاط جريــــح   لمس الشرق جنبــه فى عمانه

ومع أن المسلمين ــ بحمد الله ــ قد صحوا من غفوتهم ، وخطوا فى طريق العزة والمكانة الدولية خطوات .. الا أننا لا نزال نحس الجروح التي فى جسمنا ، ونشعر بأن الطريق الى المجد الذى نبتغيه لا يزال طويلا أمامنا ، وأنه يحتاج الى صبر وجهاد ، وايمان وتضحية ، حتى نصل الى الهدف الذى نرجوه .. بعون من الله ..

وكل عام يأتي ونحن أحسن حظا وأوفر مجدا من عامنا ..

رئيس التحرير

العيد وذكرياته

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ قالوا كنا فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما . يوم الأضحى ، ويوم الفطر رواه ابو داود .

١ ـ يصافح هذا العدد من مجلة الوعي الاسلامي أكف القراء فى غرة شهر شوال، فى يوم عيد الفطر المبارك، فيلتقي بهم وقد ودعوا شهرا حافلا بالاخلاص لله وحده ، عامرا بالجد فى العبادة والزلفى الى فاطر السموات والأرض ، صاموا راجين رضوانه ، آملين فى مغفرته ، طامعين فى الوصول الى خير ما أعد لهم من الثواب والجزاء ، لم يشركوا معه فى صومهم احدا ، فلم يراءوا ولم يداجوا ولم يراقبوا غيره سبحانه وتعالى، فلا غرو ان جعلوا لهذا التوفيق العظيم عيدا يجملونه بالبر بفقرائهم والعطف على المحرومين منهم ، والعمل على تفريج كربة المكروبين، وسد حاجة المعوزين، يطعمون فيه الطعام لوجه الله تعالى، متأسين بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا. انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) . ويكون جزاؤهم القبول والرضوان من العلي الكبير (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) . . .

٢ ـ وحق لهم ان يستقبلوا الشهر الجديد بعيد يفرحون فيه بمغفرة من الله وفضل ، ورحمة واسعاد وجنة عرضها السموات والأرض ينادون فيها (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) لأنكم أخلصتم عبادتكم لله ،

فادخر لكم مالا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزى به) فطوبى لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا وطوبى لمن قام ليله ايمانا واحتسابا ، وطوبى ثم طوبى لمن راقب ربه في كل عمل يعمله ، فان كنا لا نرى الله جهرة فان الله يرانا ، ولا يغفل عنا ، ولا يؤوده حفظنا، وهو يعلم سرنا ونجوانا (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولافي السماء) .

٣ ــ والعيد مبعث خواطر شتى ، ومثار ذكريات عديدة ، ومسرح جولات فكرية متشعبة ، وسبحات عقلية مجردة منوعة ، فالعيد في نشأته يذكرنا برسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ، والمكلف بارساء قواعد شريعة الهية خالدة ما دامت السموات والارض، وقد بسطت رواقها يوما على الكون فعمته الرحمة ، وساده التعاون في مجالات الخير ودفع الشر وشمله السلام الذى لا يميز بين جنس ولا لون ولا عنصر ، وتبددت حنادس الظلام والكفر وزالت من الوجود حوالك الشبهات ، وصفت حياة الناس مما يكدر ، وما غامت سماؤهم الا لتمطر وابلا تهتز له أرضهم وتربو وتنبت من كل زوج بهيج .

٤ ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث هاديا ومعلما ، ومصلحا ومرشدا ، بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة يدعو الى الله آناء الليل واطراف النهار، لا يني ولا يضعف ولا يتقاعس ولا يتواكل، ولا يتألم مطلقا لاساءة لحقت بشخصه مهما تعظم الاساءة ، فكم أهين وكم سب وشتم وكم وصف من الجاهلين بمالا يليق ، فقالوا : شاعر ، وقالوا مجنون ، وقالوا انما هي اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، وهم يعلمون علم اليقين انه لم يختلف الى مدرسة ، ولم يجلس الى معلم ، والقرآن الكريم يردد على اسماعهم (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) ، فما القرآن الا وحي يوحى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، كل هذا ورسول الله صامد صابر ، يأتيه الملك في اشد حالاته شدة وضيقا ، ويستأذنه ان يطبق الجبال على الكفار فيقضي عليهم ، فيأبى ويردد كلماته الخالدة « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » وصدق رسول الله ، فالناس اعداء ماجهلوا ويوم يعلمون فسيهتدون .

٥ ــ وما جنت الدنيا وشالت نعاقها ، وعمها الذعر والخوف ، وسادها الجور والظلم ، واختفى من بين أهلها الامن والطمأنينة ، والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، الا يوم غفلوا عن تعاليم السماء واعرضوا عن شريعة ربهم وحادوا عن السبيل الواضح الذى خطه ورسمه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

٦ ــ ويذكرنا العيد بدعوته عليه الصلاة والسلام الموجهة الى البشر كافة رجالا ونساء ان تواصوا بالخير والحق والصبر واعملوا صالحا ، وأقبلوا على العمل النافع المفيد للبشرية جمعاء ، وامامكم ينابيع الحكمة مسطورة في الكتاب والسنة فعبوا من رحيقها الصافى ونميرها العذب الشهي السائغ .

تأملي يا اختاه كيف حضك الرسول الكريم على التفقة في الدين وارتياد رياضه ، وقطف جناه ، وكيف دعاك الى المشاركة في المحافل والمجتمعات الطيبة الطاهرة ، يروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ام عطية رضى الله عنها قالت . أمرنا ان نخرج الحيض يوم العيدين ، وذوات الخدور ، فيشهدون جماعة المسلمين ودعوتهم ، وتعتزل الحيض عن مصلاهن ، قالت امرأة يا رسول الله احدانا ليس لها جلباب ؟ قال « لتلبسها صاحبتها من جلبابها » ثم فكرى في حثه صلى الله عليه وسلم على احسان تربية البنات والعناية بأمرهن واعدادهن لما يسعدهن في العاجلة والآجلة ، يروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت (جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت فدخل رسول الله صلى الله

البقية على ص ٣٢

الأمالي والمجالس

لفضيلة الاستاذ الشيخ
محمد محمد المدني



الإمام السرخسي أملى كتابه

ان عودة الدراسة فى ((الجامع الأزهر الشريف)) على نظام الحلقات والكراسي، أثارت فى نفسي ذكريات عاطرة من تاريخنا الفكرى العظيم ، حينما كان ((الجامع)) هو ((الجامعة)) وهو ((دار الندوة)) وهو ((مجلس القضاء)) ومكان ((الشورى)) .

والذي يهمنا الآن من هذا هو أن المسجد كان يقوم منذ العهد الأول للاسلام بمهمة الجامعة .

فقد ذكر الحافظ الهيثمي فى ((مجمع الزوائد)) عن قرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس جلس اليه أصحابه حلقا حلقا .

وقال انس رضى الله عنه : كان الصحابة اذا صلوا الغداة ، قعدوا حلقا حلقا ، يقرأون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن .

وأخرج ابن ماجة فى سننه عن عبدالله ابن عمرو قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد ، فاذا هو بحلقتين احداهما يقرأون القرآن ويدعون الله والاخرى يتعلمون ويعلمون ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ((كل على خير هؤلاء يقرأون القرآن ، ويدعون الله فان شاء أعطاهم ، وان شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون ، وانما بعثت معلما)) فجلس معهم .

من المسجد شع نور العلم

وهذه الآثار وغيرها تدل على أن المسجد قد قام منذ أول لحظة بدورآخر هام ، غير اجتماع الناس فيه للعبادة والصلاة ، هو دور الجامعة العلمية ، وأن الاسلام ربط بين هذين الدورين برباط وثيق فى نفوس المؤمنين ، حيث أراهم بصورة عملية أن العلم عبادة ، لأن العلم كشف ومعرفة ونور يهتدى به الى معرفة الواقع الصحيح ، فيما يبحث وينظر، وما جاء الاسلام الا لبيان الحقائق ومحاربة الأوهام والجهالات ، فكل ما يساعده على ذلك فهو صديقه ، بل هو منه ، والله تعالى يقول : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وذلك لان العلماء هم

بعض المساجد ربما غلب عليها الميل الى الأدب مثلا،وبعضها ربما غلب عليه النحو مثلا ، وهذا هو السر فى أن مذهب البصريين فى علم النحو كان يغلب عليه القياس ، وأن مذهب الكوفيين كان يغلب عليه السماع ، لأن الأولين كانوا يدرسون فى مسجد البصرة علم النحو والصرف متخصصين فيهما ، أما الكوفيون فكانوا يخلطون بذلك علم الأدب ورواية الشعر فكانوا يجدون فى النصوص الادبية والشعرية ما قد يخرج عن نطاق القواعد القياسية الصماء ، وبذلك انطبع مسجد البصرة بطابع معين ، وانطبع مسجد الكوفة بطابع آخر ، ولعل هذا يوحي الينا بمعنى هام يجب أن نلاحظه ، وذلك هو ألا تكون جامعاتنا المتعددة على طابع واحد،

"المبسوط" من نافذة سجنه

الذين تتجلى أمامهم الحقائق ، وتتضح لهم السنن العقلية والكونية ، فيعلمون أن للكون الها قادرا مدبرا حكيما ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى،ويرون من عظمة هذا الخالق بعظمة سننه وقوانينه ما يجعلهم يهابونه ويخشونه ، ويخضعون لجلاله .

ولقد استمر قيام المسجد بهذه الرسالة السامية فى مختلف العصور الاسلامية ، ولم تكن هذه الرسالة قاصرة أو مقصورة على العلوم الدينية فحسب، بل كانت تتعدى الى الأدب ، والشعر ، والقصص ، وعلوم اللغة العربية ، والرياضة ، والفلك والفنون ، وكانت

وأسلوب واحد ، كأنها صور كربونية لمكتوب واحد ، فان من الخير ان تتجه كل جامعةاتجاهاعلميا يميزها عما سواها من الجامعات الأخرى ، ولهذا تعتبر جامعة الأزهر جامعة فريدة فى بابها ما دامت تعطى العناية الكبرى لعلوم الاسلام من شرعية وعربية وتاريخية ، فاذا قصرت فى ذلك — وحاشاها — فقد صارت جامعة كسائر الجامعات ، يغني عنها غيرها ، ويبهت اللون الخاص الذى يميزها ، وتضيع الثقافة الأصلية التي لا يحفظها ولا يرعاها غيرها .

ولقد كان مسجد عمرو بن العاص مثلا فى جميع مختلف الألوان ، فكان فيه

الأمالي والمجالس

الفقهاء والمتكلمون والأدبـاء والشعراء ، وأصحاب النحـو والصرف والعروض والفلك والتاريخ والقصص وغيرهم .

ولسنا بصدد الاطالة فى بيان مـا كان للمسجد من فضل عظيم على الثقافة الاسلامية ، فان المقام لا يتسـع لذلك .

ولكننا نحب أن نلفت الى لون من هذه الدراسات الجامعية أو المسجدية ، عرفه تاريخ الفكر الاسلامى باسم «الامالى» او «المجالس» . فقد كان اصله واول امره ان يجلس الأستاذ فى المسجد ، ويتخذ لـه مكانا خاصا يعرف به ، ويذكر أنه مجلسه الخاص ، فيرد عليه الطلاب والمتعلمون ممن يريدون الاستفادة منه ، وقد احضروا كراساتهم وكناشاتهم كما يفعـل طلاب الجامعة الآن حين يذهبون الى استماع المحاضرات ، ويعدون العدة لكتابتهـا .

وكان هنـاك علماء متخصصـون فى مختلف الجوانب العلمية ، فمنهم من هو متخصص فى حفظ الحديث ومعرفة رواته ونقد طرقه ، فيحضر اليه الطلاب الهواة لهذا اللون من العلم ومعهم دفاترهم ومحابرهم ، ويستملونه فيمليهم على هينة حتى لا يعجلهم ، فيكتب كل منهم ما يسمعه عنه ، ويقابل بعضهم على بعض احيانا ، أو على الشيخ نفسه .

وقد يخطىء الطالب ، فيدرج فيما يمليـه الشيخ شيئا يظنه فينفرد به ، ولذلك يهتم رجال الحديث بالمقابلة ومعارضة النسخ ، ليثقوا بان الكاتب المستملي لم يخطىء فى السمـاع ، أو فى النسبة .

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن ماجة عن اسماعيل ابن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى العابد عن شريك الاعمش عن ابى سفيان عن جابر مرفوعا : «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» قال الحكم دخل ثابت على شريك وهو يملي ويقول : حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ـ وسكت ليكتب المستملى ـ فلما نظر الى ثابت قال : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقصد بذلك أن ثابتا لزهده وورعه وصلاته بالليل قد حسن وجهه وظهر عليه بهاء الطاعة ، فظن ثابت أن هذا الكلام الذى تكلم به شريك هو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الاسناد ، فكان ثابت يحدث به ، وقال ابن حبان انما هو قول شريك قاله لثابت ، والسند المذكور انما هو لحديث آخر أملاه بعد ذلك شريك وهو (يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم) فأدرج ثابت فى الخبر ما ليس منه خطأ) (١) .

ولكن علماء الحـديث نقدوه بعـد ان تعقبوه وتتبعوا رواياته عند من رواه غير ثابت فعرفوا سر الخطأ الذى وقع فيه ثابت بحسن نية ودون قصد سـيء ، فأصلحوه .

ومنهم من كان يعقد مجلسه للشعر والأدب ، فيأخذ عنه هواة ذلك اللون من الثقافة ما شاءوا .

وقد كان منهم ابو على القالي الذى سمى كتابه « الامالي » وهو كتاب معـروف بيد الناس يقول فيه أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر ابى على مبار لكتاب الكامل الذى جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب ابي

« الوعي الاسلامي » تحب أن تلفت النظر هنا الى هذه الدقة البالغة فى رواية الحديث وخدمة العلماء له ، فان ما وقع فيه شريك لم يتركه العلماء حتى صححوه .

العباس المبرد اكثر نحو وخبرا ، فان كتاب ابى علي القالي اكثر لغة وشعرا ».

ويقول ابو علي القالي فى مقدمته :

لما رأيت العلم أنفس بضاعة ايقنت أن طلبه أفضل تجارة ، فاغتربت للرواية ، ولزمت العلماء للدراية ، ثم اعملت نفسي فى جمعه ، وشغلت ذهني بحفظه ، حتى حويت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارده ، ورويت نادره ، وعلمت غامضه ، ووعيت واضحه .... فأمليت هذا الكتاب من حفظي فى الاخمسة بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة .

وهذا النص يفيد أن مؤلف الكتاب املاه على تلاميذه كما يدل على ذلك اسمه أيضا ، وأن املاءه كان بعد أن حصله وحققه ورحل من أجله وضبط شوارده ، وجمع فرائده ، وحفظها وصار يمليها من حفظه لا من صحيفة ولا من كتاب .

حتى من السجن

وقد كان هذا هو دأب العلماء الفطاحل ، والادباء الاساطين ، الذين تمرسوا بالعلم والادب منذ عهد الصبا ، وافنوا فى ذلك اعمارهم ، حتى اصبحوا قادرين على ان يملوا من حفظهم ، بل ان يكون ما ينطقون به فى مجالسهم ومحادثاتهم علما نافعا ، أو أدبا رائعا ، أو قولا جامعا . ولقد كان احدهم موسوعة علم متنقلة ينفع الله به من يشاء ، ويهدى الى علمه وفضله من يشاء ، حتى كانت الملوك والدول تتنافس عليهم ، وتعمل على استقدامهم الى بلادهم واستيطانهم اياها ، ليكونوا فخرا لها ، وكان أحدهم ربما نكب فسجن ، فلا يمنعه وجوده فى السجن من أن يملي علمه على من عسى أن يكونوا معه ، فان لم يجد من يستمليه من المسجونين ، أملى على الناس من نوافذ السجن ، **وكذلك فعل الامام السرخسي الحنفى صاحب كتاب « المبسوط » فى الفقة ، الذى يعد الموسوعة الكبرى فى مذهب أبى حنيفة ، فقد املى كتابه هذا وهو فى السجن وكان تلاميذه يذهبون اليه فى أوقات معلومة من الليل والنهار ، ويجلسون تحت نوافذ السجن ـ وهي عادة نوافذ عالية ـ وكان هو يحتال على التسلق ليسمعهم صوته ، فأملاهم كتابه فى بضع سنين لا يعتمد فيه الا على حافظته وملكة فقهه ، وبراعته فى التعليل والتخريج .**

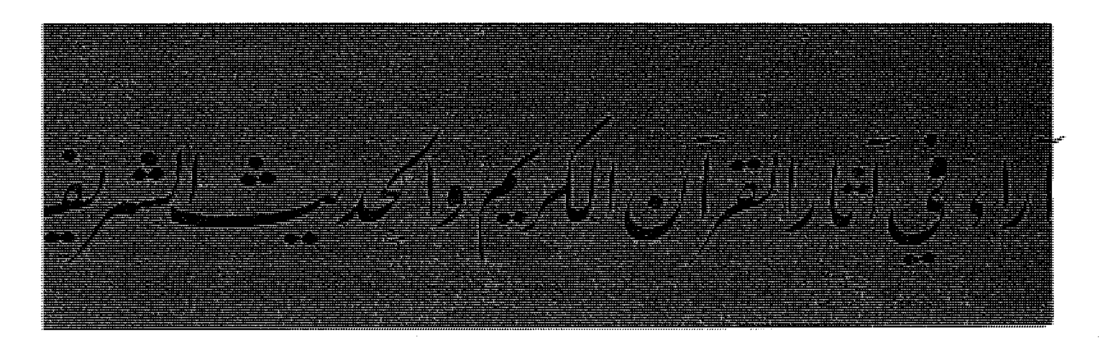
امالي المرتضى

ومن الادباء العلماء الذين جمعوا فى اماليهم ومجالسهم بين العلم والادب . السيد المرتضى،واسمه على بن الحسين، ويتصل نسبه بأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه .

فقد الف هذا العالم الاديب كتابا اسماه « الامالى » ويعرف ب « امالى المرتضى » لانه املاه على تلاميذه ، ومن عادته ان يسمي كل فصل من فصوله « المجلس » لانه املاه فى مجالس كان يعقدها بلغت عدتها الثمانين مجلسا .

وللكتاب طريقته الفذة فى الجمع بين العلم والادب ، أملى فيه مؤلفه مسائل متفرقة فى تأويل بعض الآيات او الاخبار النبوية ، او احاديث الادب ، او طرف الشعر ، فتراه يبدا بأحد هذه فيصور

البقية على ص ٣٣



آراء في آثار القرآن الكريم والحديث الشريف

وصف الاديب الكبير والشاعر الرقيق الطيب الذكر خليل مطران التحول الذى تم فى العرب بظهور القرآن فيهم بالكلمات الآتية (١) :

« قال العرب فى الجاهلية الشعر ، فما امتد النفس فى جيّده الى اطول من المعلقات ، وقالوا النثر ، فما يوشك المتخلف منه ان يملأ صحائف كراس صغير على الشتات بين المعاني والاغراض ، فلما اراد الله ان يبدى للعالمين آية من آيات قدرته ، أنزل كتابه المبين كتابا عربيا . ومم اتخذ مادته ؟ من ادوات تلك اللغة . لم يخلق معجما جديدا ، ولم يقض قضاء على السنن المتعارفة ، بل اخرج من ماثور ما الفه العرب ، واصطلحوا عليه وتفاهموا به ، تلك المثاني والمثالث التى حيَّرت الالباب ، وملآت النفوس بالعجب العجاب . أنزلها فى كلامهم ، واين منها كلامهم ، ألزمها حدود لسانهم ، ومعانيها وراء كل حد وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء » .

اوتيت جوامع الكلم

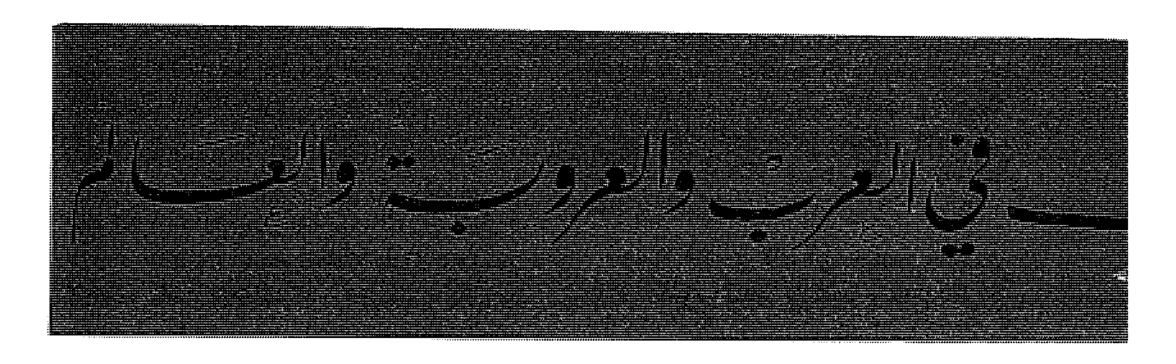
اخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية لغة استقل بها ، فلم تجار سبقها وهيهات ان تشبه بها محاسن الشعر ، وعيون النثر فى الجاهلية ، ولم يجارها ما بعدها فى البلاغة والفصاحة (مكانها من الاعجاز) ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان دانٍ على ما هبط به الوحي ، ونور الوحي متحدر اليها كتحدر شعاع الشمس من قمم الجبال الشماء ، الى رؤوس الهضاب المتضامنة بجانبها ، فاتصلت به اسباب التأصيل والتفريع ، واتسعت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع لغة جديدة تدفقت اليها جداول الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة ، فاذا الحوض الذى أفضت اليه بحر عذب ، يهيء الرى والغذاء للحدائق الفيحاء التي ازدهرت بها « الحضارة العربية » .

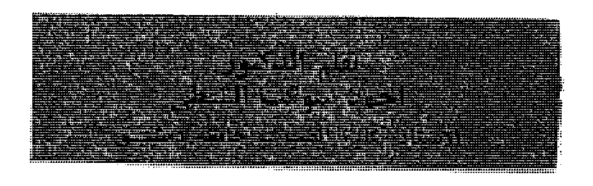
من هذه اللغة الجديدة استعار الخلفاء الراشدون — وناهيك منهم بالامام علي — جمال بيانهم وجلال تبيينهم . تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية ، لكنهم جاؤوا بمعان بديعة فى صور شائقة غير مسبوقة .

فكانت هنيهة من الدهر ، سنوات معدودة تم فيها الانقلاب الاول ، والتحول الاعظم فى لغة الضاد ، وطلع فجر جديد على البيان العربي فى الحقبة التي تلت ظهور الاسلام ، الى ما ناهز خمسة

---

(١) مقتطف ج ٧٧ ص ٥١٧





قرون ، وفى الضوء الساطع الذى اضاء ذلك الفجر به امم المشرق ، اخرجت القرائح أعاجيبها عقلا ونقلا ، وفقها وسياسة ، وابدت السجايا فى مختلف تلك الامم ضروب زيناتها باللهجات الفصحى ، كما ابرزت الالباب كوامن قواها فى استصلاح تلك الجهات لكل شأن من الشؤون العامة والخاصة نظما وترسلا .

لقد انتقل العرب برسالة القرآن من حال الى حال ، وشمل نورُها الانحاء ، وعم ضوءها الارجاء ، وما هو الا قرن بعد اعلانها حتى اصبح للعرب قدم فى الهند ، واخرى فى الاندلس ، وعم نور هديها نصف المعمورة ، ولولا تفرق كلمة العدد الكبير من خلفاء العرب وزعمائهم وسلاطينهم ، لعم نور الرسالة المعمورة ، ولقد كان لليهود شأن كبير فى رعاية بذور التفرقة ، بل فى بذرها .

اما بعد . فان العروبة لفظ تطور معناه على الاجيال ، على ان الذى خلده هو القرآن ، ولولاه لما كان العرب الآن ولما وجد من ينادى بالعروبة فى أي قطر أو مكان ، لا . بل لزال من اكثر العالم هذا اللسان ، وما فيه من فصيح البيان .

فالقرآن الكريم كتاب الهي عربي اللسان ، انزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، معجزة خالدة ، استمع العرب اليه فرأوا فيه كلاما لم يسمعوا مثله ، لا يشبه الشعر ، ويختلف عن النثر ، معانيه صريحة ، واهدافه واضحة ، حاول بلغاؤهم محاكاته ، فلم يفلحوا ، فآمنوا باعجازه ، ذلك هو رأى كل عربي فيه ، قرأه أو استمع اليه ، وفكّر فى معانيه ، سواء أكان مؤمنا برسالته أو غير مؤمن بها ، ولقد سعى بلغاء العرب وحكماؤهم الى الاستعانة بحكمه وبلاغته، والاقتباس من روائع آياته ، نذكر منهم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني النشأة ، العيسوى النحلة كما يصف نفسه ، فقد جاء فى كتابه « مجمع البحرين » ما يمكن معه الجزم بأن اليازجي كان مولعا بالقرآن ولعاً جعله يحفظ معظم آياته ، أن لم يكن قد حفظ القرآن كله (١) ، وقد احسن الاقتباس منه فى جميع الموضوعات

---

(١) مقتبسة من مقال بقلم الاستاذ ظافر القاسمي نشر فى مجلة المشرق عنوانه اليازجي والقرآن فى مجمع البحرين .

وكذلك الاساتذة فارس الخوري ، وفايز الخوري ، والدكتور مرشد خاطر ، وكثير غيرهم .

ولنا ان نتساءل الآن ؟ ما هو رأى الغرباء عن لغة القرآن ، البعيدين عما دعا اليه من ايمان ؟ انهم عديدون ، وجميعهم بعظمته مقرون ، وبسمو التعاليم التي جاءت في آياته معترفون ، نذكر من تقدمها لاشَجْبُه التمييز العنصرى ، شاغل العالم اليوم فحسب ، بل اجتذاذه من اصوله منذ زمن بعيد ، بعيد جدا ، ذلك لان القرآن يجعل العمل الصالح وحده الميزان ، الذى يرجح كفة انسان على انسان .

يقول جان جاك روسو في القرآن :
((من الناس من يلم بشيء من العربية فيقرأ القرآن فلا يدرك معانيه ولا ينصف الرأي فيه ، ولو انه سمع محمدا يقرأه ، بتلك اللغة الفصحى الرقيقة ، وذاك الصوت المقنع المطرب ، المؤثر في شغاف القلوب ، ورآه يؤيد احكام القرآن بقوة البيان ، لمد يداه الى محمد قانعاً بما بشر به ، وبما انزل عليه)) .

ويقول ((هنرى دى كاسترى : ((ان القرآن يستولي على الافكار ، ويأخذ بمجامع القلوب)) .

ويقول ارفينغ واشنطن : ((يحوى القرآن اسمى المبادىء واكثرها فائدة للمجتمع واخلاصا للانسانية)) .

ويقول الكس لوازون : ((القرآن آية البلاغة ، وسجل الاخلاق)) .

ومما قاله لوبون : ((حسب القرآن جلالة ومجدا ان الاربعة عشر قرنا التي جرت عليه لم تستطع ان تخفف ــ ولو بعض الشيء ــ من تأثيره الذى لا يزال غضا كأن عهده بالوجود امس)) .

ويقول الاديب الفرنسي كلود فارير : ان آيات القرآن رائعة ، في تلاوتها نغمة بديعة ، تأمر بالشجاعة والاقدام ، تعلي شأن الامانة ، تشجب الكذب والخيانة ، ترفع كلمة الحق ،تأمر بحماية الضعيف ، ولا تقر عبادة او عبودية الا لله العلي القدير اللطيف .

ومما قاله في القرآن جيمس متشنر :
((ان القلوب لتخشع عند سماع القرآن ، وتزداد ايمانا به ، وبسمو أهدافه النبيلة الانسانية)) .

ويقول جوته الفيلسوف الالماني :
((ان تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية)) .

ويقول ستشلدريك الحكيم الالماني :
((ليس القرآن كتاب دين فحسب ، بل هو اعظم هاد الى سعادة الفرد والمجتمع وقد أثر في نفسي من اول ما اطلعت عليه ، مع انني قرأته مترجما ، لم تستوعب الترجمة روائع معانيه)) .

ولقد بحثت اخيرا مؤلفة المانية عن رسالة القرآن ، فوضعت كتابا سمته ((شمس الرّب تنير الغرب على ايدى العرب (۱))) فقالت : ((نادى النبي العربي بالقرآن وبأحاديثه الى المعرفة ، والسعي الى العثور عليها في كل مكان وزمان ، لان المعرفة في رأيه تنير سبيل الايمان ، وقد أدى ذلك الى اندفاع الشعب العربي باسره الى المدارس يعلمون ويتعلمون ، بينما كان الغربيون في ظلام دامس من الجهل)) .

واخيرا يجمع جميع الباحثين في القرآن بانه ليس بين المسائل العلمية المنكشفة حديثا مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

ترجم ((جول لابوم)) الفرنسي القرآن الكريم ، وعلق عليه بما يبين عظمته ، وما له من شأن ، وذلك بعد ما احتل الفرنسيون الجزائر الحبيبة وغيرها من البلدان العربية والاسلامية ، وظن قواد

---

(۱) Le soleil d'elloh brille sur l'occident

المعارك الاستعمارية المغرورون ، ان الجزائر انتهي أمرها ، وان المغرب العربي لاحق بهـا ، وكان آنذاك « غوستاف لوبون » في عداد الباحثين في بعض الآيات الكريمة ، فخرج من تلك الدراسة ، وكأنه ينادى برجال قومه الطغاة : مهلا ايها القوم فلا يَغُرَّنكم نصركم ، فليس لكم في بلاد العرب والاسلام من قرار ، واعلموا ان الاستعمار في بلد مؤمن بالقرآن عديم الامكان ، لأن مبادىء الرسول العـربي ــ محمد الامـين اذا « نبتت في ارض خلدت قومهـا الى الابد » تلك هي كلمـة لوبون وذلك مغزاها ومعناها .

لقد مر ردح من الزمن ، ظن نفر من الناس الضعيفي الايمان ، ان الجزائريين نسـوا العربية ، فلم تعد لغة المخاطبـة حتى بين خواصـهم ، وان غوسـتاف لوبون وما شاكله من كتاب رجال ادب وكلام ، ذوو خيال واسع واحلام . وها هي ذي الايام تبين لنا صدق حدس هذا الكاتب الحكيم ، وهاهي ذي الجزائـر الحبيبـة محتفظـة بعـروبتها ، نابذة للاستعمار والطغيان ، بفضـل القرآن، ذلك المنبع الاصيل ، والمنهل الصـافي النبيل ، مجمع القوى المختزنة الكامنة ، التي تفجِّر روحا انسانية . فكتب لهـا الظفر والخلـود ، ما بقيت الدنيـا ودام الوجود .

ولا غرابة بعد ذلك ان يؤمن كثير مـن العظماء او يتظاهرون بالايمان برسـالة القرآن لغايات ، ويأتي في مقدمة هؤلاء نابليون الذى شعر بمكانة القرآن واثره العظيم ، فكان يفتتح كثيرا من مراسلاته بذكر « اسم الله الرحمن الرحيم » كما جاء في رسالته التى وجهها الى شـعب مصر ، وان يسمي نفسه فيها الشـيخ الكبير وان يصغي الى السيرة النبويـة تقرأ ليلة المولد في الجامع الازهر (!!!) .

ولقد انكر المؤرخون الفرنسيون ايمان نابليون برسالة القرآن ، واثبتها مؤرخو الانجليز ، ومن المعروف ان نابليون كـان يكره لحم الخنزير ، ويحرم جميع انواع المقامرة ، كما امر بذلك القرآن الكريم ، وكان يصرح دائما « سـأختم فتوحاتي بالحج الى مكة المكرمة » . (!!)

ان مما لا شك فيـه ان نابليـون كان يحترم الاسلام ويقدس القرآن حتى قيل ان نسخة منه ضمها صدره في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة . وسواء أكـان نابليون ومن هم على شـاكلته مؤمنـين بتعاليم القرآن ايمانا حقيقيا ، أو ايمانا يقصدون به خداع الناس ، فان ذلك يبين في كلتا الحالتين عظمة القرآن وأثره الكبير في نفوس من اطلـع عليـه ووعى معانيه من عظماء بني الانسان .

ان أثر القرآن في تخليد العرب لهو امر اكيد ، وحدث عظيم ، حتى انني لا اتردد عن القول بانه لولا القرآن لما وجد العرب اليوم .

ايها القارىء الكريم : لك ان تتهمني بما تشاء اذا لم تعجبك كلماتي ، فتزعم أن تراثا دينيا اثر في ضميري ووجداني ، وأن ايمانا قويا يشـغل جناني ، فأنطق لساني ، وان كلماتي وليدة عاطفة دينية، لم تحررها حياة جامعية عربية وغربية .

حنانيك ايها القارىء الكريم : تعال الي بعد ان تجرد نفسك من كل رأى غشوم ، وقارن معي بين الامم الغربية والامـة العربية ، وابحث معي عن تباعد شعوب الامم اللاتينية وتقارب شعوب الامـة العربية . وتساءل معي الم يكن اللاتين عبر التاريخ امة واحدة ؟ بلى ! .

تساءل معي الآن : لـم انقسـموا في سالف الزمان الى فرنسـيين وطليان ، وبرتغاليين واسبان ؟ الم يكن العامـل الاكبر في ذلك ، اللهجة اللاتينية الخاصة في كل قطر من هذه الاقطار ، تلك اللهجة التي تطورت مع الزمان ، فخلّفت شعبا خاصا بها في كل مكان .

تأمل معي يا أخي الكريم في لهجاتنا الاقليمية ! أفلم تكن معرضة لما تعرضت اليه اللهجات اللاتينية ؟ (كم اتمنى يا اخي القارىء ان تستمع الى اسـباني

البقية على ص ٤٨

إجازات العلماء لتلاميذهم

وتطورها إلى الشهادات العلمية

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

فى الفصل الوجيز كل الوجازة الذى عقده المستشرق المجرى « جولد تسهر » فى « دائرة المعارف الاسلامية » عن مادة « اجازة » نجد أن ذلك الباحث الكبير قد فاته كثير من المراجع والمصادر العربية التي تعين على استكمال بحث هذا الموضوع من جميع جوانبه العلمية والتاريخية والصياغية والحديثية . حتى لقد اضطر المحدث الجليل المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر أن يعلق فى الهامش على مادة . . « الاجازة » بسطور وجيزة ـ أيضا يشير فيها الى مبحث له عن « الاجازة » فى مصطلح الحديث فى خلال شرحه على كتاب « ألفية السيوطي فى مصطلح الحديث » الذى نشر بمصر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .

والحق أنه لا المستشرق جولد تسهر ، **ولا العالم المحدث المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر قد قالا فى موضوع « الاجازة »** كل ما يمكن أن يشفي النفس ، ويوفي الموضوع حقه من البحث . فلا تزال هناك فى هذا الموضوع الدقيق الطريف ثغرات كثيرة تحتاج الى من يسدها باطلاع واسع ، ورجوع طويل الى كثير من المصادر المتفرقة والمظان المبعثرة هنا وهناك .

ومن العجيب أن باحثا فى تاريخ الاسلام والعقيدة والسنة ، مثل المستشرق « جولد تسهر » يغويه أن يرجع الى مصدر هام من الاجازة ، هو كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندى ، المؤرخ الموسوعي الحلبي المصرى الذى تناول موضوع الاجازات بالفتيا والتدريس والرواية ، وعراضات الكتب بتفصيل تاريخي أدبي ، **لا نعهده الا فى مثل ما يكتب هذا العالم الموسوعي** الانشائي ، فلا يهتم بصيغ هذه الاجازات وطريقة كتابتها وأسلوبها ، والقلم الذى نكتب به ، ورقاع الورق التي تدون عليها . فقد وفى الحديث عن « الاجازات العلمية » من ناحية صناعة الانشاء **توفية لا مزيد عليها حتى عصره .**

ولم يهتم صاحب « الصبح » « بالاجازات » من ناحية أهميتها في في رواية الحديث النبوى ، ومن ناحية الأخذ بها وحجيتها في الرواية ، ومرتبتها من التوثيق ، وشروط صحتها . فقد ترك هذا الموضوع لأهله من رجال مصطلح الحديث الذين تناولوه في مؤلفاتهم . والواقع أن رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « الاجازة » هي موضع خلاف بين علماء الحديث ، وان كان الراجح عند الأكثرين جوازها .

ويلاحظ أن هناك فرقا دقيقا بين « الاجازة » و « السماع » فالسماع أقوى من الاجازة ، لأن طالب العلم في حالة السماع يسمع من شيخه المادة العلمية ، ثم يمنحه الشيخ بعد ذلك « سماعا » يبيح له فيه أن يروى عنه ما رواه له .. أما الاجازة فقد يكتفي فيها الشيخ المجيز بالاذن للطالب بأن يروى عنه مطلقا ، حتى ولو لم يكن قد سمع منه .. ومع هذا الفرق الدقيق لوحظ في تاريخ الاجازات عند علماء العرب والاسلام أن اصطلاح « الاجازة » أكثر تداولا ، وأوسع انتشارا من اصطلاح « السماع » .

ولفظ « الاجازة » فيه اكبر الدلالة على انتقال العلم من الشيخ الى طالب العلم ، وقد أشار الى هذا — الشهاب القسطلاني في كتاب المنهج حيث قال : « الاجازة مشتقة من التجوز ، وهو التعدى ، فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوى عنه .

وزاد العلامة اللغوى ابن فارس المسألة وضوحا في جزئه في المصطلح « حين قال : استجزت فلانا فأجازني اذا أسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك .. كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه اياه ، فالطالب مستجيز والعالم مجيز .

وللامام النووى والقسطلاني في « الاجازة » عند رجال الحديث كلام جيد ينبغي لطالب التوسع في البحث أن يرجع اليه ، على أن علامة الشام في عصرنا هذا المرحوم الامام جمال الدين القاسمي — صاحب التفسير المشهور والمصنفات القيمة — قد وفى هذا الموضوع حقه من البحث في شرحه على «الأربعين العجلونية»، للامام المحدث اسماعيل العجلوني ، وهو لا يزال مخطوطا في الخزانة القاسمية ، على أنه رحمه الله قد تناول الاجازة ببحث وجيز في كتابه المطبوع حديثا « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » الذى قام بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ الجليل محمد بهجت البيطار عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولم يكن موضوع « الاجازة » مما جاء في خلال كتب مصطلح الحديث وحسب ، ولكن هناك من المؤلفين من تناوله بالدرس في كتاب مستقل قائم بذاته . ونحن نعرف من هذه الكتب كتاب « الوجازة في صحة القول بأحكام الاجازة » لمؤلفه أبى العباس الوليد بن بكر ، وهو لما يزل مخطوطا في مكتبة الأستاذ الباحث العراقي المعاصر « عباس العزاوى » على أن المستشرق المجرى جولد تسهر يشير الى كتاب آخر لمؤلفه ميرزا على تقي عنوانه « الاجازات » وهو يشتمل على نصوص اجازات لكبار العلماء ، ويذكر أنه من مطبوعات سنة ١٨٦٩ م ، ولكنني لم أهتد اليه ، ولم أجد اشارة اليه في معجم المطبوعات العربية لسركيس .

وقد تكون « الاجازة » بالرواية الشفوية ، كما تكون مكتوبة . ونلاحظ أن الاجازات الشفوية كانت في العصور الأولى للاسلام ، أما بعد ذلك فاحتاج « المجاز » الى أن يحصل في يده على شهادة مسطورة ، تبيح له الفتيا والتدريس أو الرواية على الأقل ، واضطر « المجيز » الى أن يعطي تلك الاجازة المكتوبة طالبها ومريد الحصول عليها .

ابو حنيفة وتلميذه

ومن الاجازات الشفوية ما ذكر من ان ابا يوسف ـ احد صاحبي ابي حنيفة ـ قد مرض مرضا شديداً ، فعاد استاذه الامام قائلا : لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين . وعد ابو يوسف هذه شهادة له من شيخه واستاذه ابي حنيفة بالفتيا .. فلما برئ من علته عقد مجلسا له للفتيا ـ اعتمادا على شهادة شيخه ـ فلما عرف ذلك أبو حنيفة أدرك أن ابا يوسف قد تعجل بتصدره للافتاء .. فبعث له رجلاً يسأله الرأى فى خمس مسائل .

أولها قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصورا . هل يستحق الأجر أم لا ؟

وثانيتها هل الدخول فى الصلاة بالفرض أم بالسنة ؟

وثالثتها طير سقط فى قدر على النار فيها لحم ومرق ، هل يؤكل أم لا ؟

ورابعتها مسلم له زوجة ذمية ، ماتت وهي حامل منه ، ففي أي المقابر تدفن ؟

وخامستها أم ولد تزوجت بغير اذن مولاها ، فمات المولى هل تجب العدة من المولى ؟ .

وكانت اجابات أبي يوسف خاطئة وغير قاطعة ، فادرك من نفسه عدم القدرة على الفتيا ، وعاد الى شيخه الذى قال له ((تزببت قبل أن تحصرم ! . من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه)) .

على أن الاجازة بتدريس الحديث النبوى وروايته كانت موضع تدقيق كبير عند علماء المسلمين ، فلم يجترئ محدث على الرواية عن رسول الله دون اجازة من شيخه .

اقدم اجازة

ولقد كان التأريخ لأقدم الاجازات والشهادات موضع تحقيق عند كثير من العلماء . وتساءل الناس يا ترى ما هي أقدم اجازة وصلت الينا . ويذكر العالم المعاصر اغا بزرك أحد علماء النجف فى الجزء الرابع من كتابه « الذريعة الى تصانيف الشيعة » أن أقدم شهادة بقراءة كتاب وجواز روايته ، هي تلك التي منحها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري فى سنة ٣٠٤ هـ الى أبى عامر سعيد بن عمرو لكتاب « قرب الاسناد » ونص الشهادة كما رواه المصنف : (بسم الله الرحمن الرحيم . أطلقت لك يا أبا عامر سعيد بن عمرو أن تروى هذا الكتاب عني عن أبي علي ، تمام هذا الكتاب وما كان فيه عن بكر الأزدى وسعدان بن مسلم ... وكتبه محمد ابن عبد الله بن جعفر الحميري بخطه فى صفر ٣٠٤ هـ) .

واذا كان العلامة الشيعي المعاصر أغا بزرك قد رجع باقدم اجازة علمية معروفة الى سنة ٣٠٤ من الهجرة فان عالما سنيا من اهل عصرنا هذا ، هو المرحوم الامام جمال الدين القاسمي ، قد رجع باقدم اجازة الى تاريخ قبل هذا بثمانية وعشرين عاما ، فهو يذكر فى فصل عنوانه أقدم اجازة عثرت عليها ، من كتابه ((قواعد التحديث)) انه جاء فى شرح ألفية العراقي نقلا عن الامام أبي الحسن محمد بن اب الحسين بن الوزان قال : ((ألفيت بخط أبى بكر احمد بن ابي خثيمة زهير بن حرب الحافظ الشهير صاحب يحيى بن معين او صاحب التاريخ ، ما مثاله)) قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن مسلمة ان يروى عني ما أحب من كتاب التاريخ الذى سمعه مني أبو محمد القاسم بن الأصبغ ، ومحمد بن عبد الأعلى ، كما سمعاه مني ، وأذنت له فى ذلك ، ولمن أحب من اصحابه ، فان احب ان تكون الاجازة لاحد بعد هذا ، فانا اجزت له ذلك بكتابي هذا . وكتبه احمد بن ابي خيثمة بيده فى شوال من سنة ست وسبعين ومائتين)) .

اسلوب الاجازات

ولعلك تلاحظ أيها القارئ الكريم بساطة أسلوب هاتين الاجازتين فى القرن الثالث ، وأوائل الرابع الهجرى ، حيث

صارت أساليب الاجازات العلمية بعد ذلك تتسم بالصناعة اللفظية ، بل غلب على أكثرها في عصر الأيوبيين والمماليك استعمال الاسجاع والمحسنات الكلامية تبعا لذوق ذلك العصر في أساليب الكتابة . ولعل اجازة الامام ابن دقيق العيد لتلميذه شمس الدين بن المفضل بالفتوى والتدريس ، تمثل لنا طابع القرن السابع الهجري في أساليب الاجازات المسجوعة المصنوعة .

اما الاجازة التي منحها العلامة سراج الدين بن الملقن سنة ٧٧٨ هـ للقلقشندي العالم الموسوعي المؤرخ فهي تصور لنا عصر الصناعة الزخرفية في الكتابة العربية ، وتؤكد لنا أن كتابة «الاجازات» أو الشهادات العلمية ، صارت فنا له قواعده واصوله ومراسمه . وهي اجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعي . وتمتاز بطول عبارتها حتى لقد بلغت أكثر من اربع صفحات كبار من حجم كتاب « صبح الأعشى » كما تمتاز بطول فقراتها وجريانها كلها على طريقة السجع من أولها الى آخرها .

وقد جرت عادة الشيوخ والأساتذة أن يضفوا على طلابهم المجازين من القاب العلم والحفظ والذكاء والفضل ما تشام منه دائما مكارم هؤلاء الشيوخ . وقد تواضع صاحب صبح الاعشى ،فلم يذكر الالقاب التي أضفاها عليه شيخه ابن الملقن قائلا في سبيل ذلك : (وانما اهملت ذكر الالقاب في هذه الاجازة ، من حيث انه لا يليق باحد أن يذكر القاب نفسه في مصنف له ، لانه يصير كانه يثنى على نفسه ....) .

ولقد كان الطلاب وشداة العلم يحرصون اشد الحرص على طلب هذه الاجازات من شيوخهم ، ويعدون الظفر بذلك المارب نجاحا ما بعده نجاح ، وكانوا يتباهون بحمل هذه الاجازات اينما حلوا ورحلوا .. فهذا المؤيد شيخ المحمودى الذى كان سلطانا على مصر في العصر المملوكى — في القرن التاسع الهجرى — كان قد أجازه الامام الحافظ سراج الدين البلقيني برواية صحيح البخارى ، قبل ان تصير اليه سلطنة مصر ، وكانت الاجازة بخط البلقيني نفسه ، فكان المؤيد يحملها معه دائما في أسفاره لا يفارقها ، كما يروى ذلك المؤرخ المصرى العلامة السخاوى في الجزء الثالث من « الضوء اللامع » .

ومن ألطف ما وقفنا عليه من الاجازات الحديثة ، تلك الاجازة التي كتبها الشيخ محمد الاشموني لمحمد حفني ناصف — الشاعر الناثر الرقيق وخريج الأزهر ودار العلوم — بتاريخ ٣ من رجب سنة ١٣١٦ الموافق ١٧ من نوفمبر ١٨٩٨ ، وقد استجاز حفني ناصف شيخه فكتب له بعد سطور (فاجبته لطلبه ، وحققت له شريف رغبته ، وأجزته بما رويته من المنقول ، وتلقيته من المعقول ، والصقته بسلسلة أسانيدى في العلوم والفنون ، ووصلته بنسب مشايخي الأعلام ، الجهابذة الفخام ، بل الله ثراهم ، وجزاهم جزاء يوازي عناهم ...)

ويلاحظ أن هذه الاجازة كتبها خطاط بخط النسخ الجميل ووقع عليها الشيخ محمد الاشموني بخاتمه .

ويذكرنا هذا باجازة العالمية التي منحها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده من الجامع الأزهر سنة ١٨٧٧ م ، فقد كانت — مع الأسف — من الدرجة الثانية ، لظروف ذكرها المرحوم السيد رشيد رضا في كتابه عن تاريخ الامام ، وقد كانت موقعة بخاتم الخديوى اسماعيل ، وموجهة الى « العالم اللوذعي الأكمل ، والتحرير الألمعي الأمثل ، الشيخ محمد عبده خير الله الحنفي ، زيدت فضائله » ومحرر من ديوان الخديوى بناء على عرض (من حضرة مفتي الانام ، وشيخ الجامع الازهر قدوة الاعلام) وكلها كما ترى عبارات ديوانية محفوظة معروفة الا أنها أخف مغالاة ، وأقل عبارات من تلك الاجازات العلمية التي كان يفيض بها عصر المماليك بدولتيه البرجية والبحرية .

المجتمع الإسلامي

بين الواقع والمثال

هل الإسلام مسئول عن واقع المسلمين الآن كما

ما أسباب هذا الواقع

يوجه الباحثون الغربيون الى المسلمين نقدا لاذعا ، علينا ان نتأمل فيه ونبحثه صراحة ، سواء اعجبنا ام لم يعجبنا . وخلاصة ما يقولون : ان الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر . وبعبارة أخرى : ان الاسلام كما هو فى القرآن الكريم ، وفى كتب المسلمين يتضمن مبادىء سامية ، كالصدق والامانة والوفاء والعدل والانصاف والرحمة والرأفة والتعاون والتعاضد ، وما الى ذلك من مبادىء أكدها الاسلام ، وحث عليها ، على نحو لا نكاد نجد له نظيرا فى الديانات الاخرى ، الامر الذى ينبغى ان ينتج مجتمعا مثاليا فريدا يقرب من « المدينة الفاضلة » أو « الايتوبيا » التى تحدث عنها الفلاسفة . هذا من حيث المثال .

اما من حيث الواقع فان المجتمع الاسلامى — كما نراه — مجتمع نخر ، قرضت قلبه مساوىء اجتماعية ، يضرب بقبحها المثل فى المجتمعات الراقية . وهو مجتمع متفكك ، متعدد الشخصية ، يخشى أن يظهر على حاله فيتلون حسب الظروف ، فى ظاهره صف واحد — كما يبدو فى الصلاة — وفى باطنه صفوف متناحرة ، يثب بعضها على بعض .

هذا النقد نقرأه حينا فى الكتب ، ونسمعه حينا آخر ، فنرتاع ونلتاع . ولكنه على اى حال ذو نتائج غاية فى الاضرار بديننا وسمعتنا ، وقضايانا القومية وعلاقاتنا الدولية، لا سيما فى هذا الظرف الذى نواجه فيه عدوا ذا قدرة فائقة على بث السموم والدعايات، وتأليب الدنيا علينا .

للاستاذ
اسحق موسى الحسيني

يقول بعض الباحثين ؟
وما علاجه ؟

فى كل مجتمع مساوىء

ويحسن بنا قبل ان نبين الاسباب ونصف العلاج ان نقف عند النقد نفسه، نزنه ونضبطه ونقيده .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : اتخلو المجتمعات غير الاسلامية من مساوىء ؟ اتحافظ هذه المجتمعات على مبادئها الدينية ؟ وما اظن ان الجواب يحتاج الى اسهاب . ففى كل مجتمع مساوىء خاصة به، ناجمة عن الظروف المادية والمعنوية التى تحيط به . وكما ان مرض الانفلونزا يفتك فى البلاد الباردة الكثيرة الرطوبة ، فان المساوىء الاجتماعية تتأثر بالاجواء على مختلف انواعها . ففى البلاد الغربية المتحضرة — مثلا — تسامح فى العلاقة الجنسية لا نجد له نظيرا فى المجتمع الاسلامى . وفى العالم غير الاسلامى حكومات تشهر الحروب وتستبيح لنفسها التحكم فى رقاب امم مسالمة واذلالها ، ومنع تقدمها ، لتمتص دماء اهلها . والحكم الاسلامى لم يعرف هذا النوع من التحكم ، اذ كانت المصلحة العامة مقدمة على غيرها ، على نحو ما نقرأ فى تاريخ المسلمين فى الاندلس ، وشمالى افريقيا ، او على الاقل كان الخير عاما والبلاء عاما .

ولو كانت مبادئهم الدينية هناك سائدة لما وثبت الدول الغربية بعضها على بعضها مناقضة تعاليم السيد المسيح — عليه السلام — التى تقطر رحمة ونبلا وتسامحا .

واذن ففى المجتمعات غير الاسلامية مساوىء من نوع آخر لا نظير له فى المجتمع الاسلامى .

الاسلام برىء

والحقيقة ان الاسلام لا علاقة له البتة بواقع المسلمين السيىء .. والدليل على ذلك ان المسلمين كانوا — يوم فهموا دينهم والتزموا بتعاليمه — من ارقى امم العالم . ولو كان دينهم هو علة واقعهم الحالى لوجب ان يكونوا فى مؤخرة العالم طرا ، فى كل مرحلة من مراحل تاريخهم ، ولا سيما فى المرحلة التى كانوا فيها اشد تعلقا بمبادىء دينهم ، واصدق فهما لها.

ودليل آخر: ان المجتمع الاسلامى ليس **متساويا فى هذا البلاء الواقع فيه. والذى** يتنقل فى العالم الاسلامي من أندونيسيا شرقا ، الى **المغرب العربى غربا يجد**

فروقا بينة اوضح من ان يشار اليها . ولو كان المصدر واحدا لجاءت النتيجة واحدة أيضا . بل ان المجتمع الواحد في القطر الواحد متباين أشد تباين ، من مدنى وريفى وبدوى . وبعض المجتمعات الاسلامية يضرب بها المثل في صدق القول والامانة ، حتى لا يكتب بعضهم على بعضهم صكوكا ، ولا مواثيق، بقدر ما يضرب بغيرها المثل في عكس ذلك .

وامر ثالث : ان بعض الباحثين المغرضين يلفق الاقوال ويبهرجها . مثال ذلك ما رواه مؤلف عن (العقلية الاسلامية) من ان المسلمين يفصلون بين الدين والمعاملات ، فللمسلم ان يغش ويكذب ويحتال ما شاء ، وما عليه بعد ذلك الا ان يصلي ويصوم ، فيغفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر . ولو صح هذا القول لكان المسلمون جميعا لصوصا محتالين . والامر خلاف ذلك ، اذ حرم الاسلام السرقة، وبالغ في عقابها، كي يقطع دابرها ، كما حرم الخيانة والاحتيال والكذب وما اشبه ذلك . وقد اشتمل على العبادات والمعاملات معا ، حتى جعل لها ابوابا تفرد بها من دون الديانات الاخرى . والباحثون الغربيون انفسهم يتذمرون ويتبرمون بما تشتمل عليه الشريعة من حدود وعقوبات وقواعد واحكام .

ولكن مساوئنا شوهته

وهل ننتهى الى ان المجتمع الاسلامى محافظ على مبادىء الدين مراع احكامه خال من المساوىء ؟

نستغفر الله من قول ذلك . فهذه المساوىء قد طمت وعمت ، حتى لا يستطيع ان ينكرها انسان . انها مساوىء تسىء الى الدين بقدر اساءتها الى المسلمين انها مساوىء تنغص على المرء حياته ، وتزري بكرامته ، وتهيب به احيانا الى ان يدعو الله ان يرحمه فيريحه من امته او ان يريحها منه !! انها مساوىء تثقل الصدر والقلب والعقل ، وتحمل على الاعتقاد بأن الكفاح الاجتماعى لا يقل شرفا عن القتال الحربى، وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اضحى فريضة ، لا تقل شأنا عن الفرائض الاخرى . انها مساوىء شوهت هذا الوجه السمح الكريم الذى تجلى في بعض صفحات التاريخ الاسلامي فازدهت به الدنيا ردحا من الزمن ، ثم غاب وراء سحب دكناء . .

سبب هذا الواقع

وما الذى حدث حتى انقلب الحال الى اسوأ منقلب ؟

تبدو للمتأمل ثلاثة اسباب نجملها فيما يلى .

الاول : فساد الادارة بفساد الحكام الذين جعلوا من انفسهم طبقة تعبد من دون الله ، واتخذوا من حولهم حاشية تكون طبقة اخرى تسكت عن الفساد بفساد مثله . وهكذا ضاع الشعب المؤمن بربه ، وفقد ثقته بنفسه وبمبادئه، وانحرف وظل ينحرف حتى ضاعت القيم الاجتماعية ، واصبح القابض على مبدئه كالقابض على جمرة .

والثانى : الموقف السلبى الذى وقفه المسلم من مجتمعه ، نتيجة للمآسى التى عاناها والتجارب المريرة التى قاساها ، فانزوى بنفسه لا يبالي بمن حوله ، اعاشوا ام هلكوا . وما يفيده لو بالى وهو

لا يملك ضرا ولا نفعا . لقد كان المؤمن يملك ازالة الجبال يوم كان يؤمن فردا كان أم حاكما بأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ضرب من ضروب الايمان ، من فقده ضعف دينه . لقد كان المجتمع يومذاك مسئولا عن الفرد وكان الفرد مسئولا عن المجتمع ، كرب الاسرة ، يعنيها ما يعنيه ويعنيه ما يعنيها . كان الفرد ملتزما التزاما كاملا بدفع الاذى حيثما كان ، ومن أين جاء ، وبجلب النفع ولو من الصين واقاصى الدنيا . ثم همدت الهمم وفترت، وذهب كل فى سبيله متمثلا بالقول المأثور « انج سعد فقد هلك سعيد » . ولم يؤسس المجتمع الاسلامى على هذه القاعدة ، بل اسس على « الايجابية » التامة وتكافؤ الفرص ، والاندفاع فى معترك الحياة بكامل العدة ، وتوزيع خيرات الله على عباد الله .

والثالث : فهم الدين فهما هزيلا سطحيا . جعل بعض الناس يفهمون ــ خطأ ــ ان الدين عبادة ، وان العبادة هى ــ وحدها ــ القربى الى الله . اما ما سوى ذلك من ايمان عميق بالله ، ونية خالصة فى معرفته ، وحب الله بحب عباده وحسن معاملتهم فقد غاب عن اذهانهم . مع ان الاسلام قد اوثق الربط بين العبادات والمعاملات، بل امتاز باحكام الربط بينهما حتى جعل حسن المعاملة عبادة يثاب المرء عليها ، فجاء قوم فصلوا بينهما، وقطعوا الدين عن الدنيا ، ففقدوا الاثنين معا .

لقد توهموا ان العبادة غاية ، مع ان الله تعالى منزه عن الحاجة الى عبادة . ولم يفطنوا الى ان العبادة وسيلة الى توثيق الصلة بالله ، والالتصاق به ، وتنفيذ احكامه ، وتكوين ضمير الهى ، ومجتمع انسانى كامل .

وبعد فما العلاج ؟

ان المجتمع الانسانى ــ كالفرد ــ مفطور على المرونة والتكيف بالظروف والاحوال والمجتمع اما ان يسير الى الامام واما الى الوراء . اما المجتمع الثابت فلا وجود له واذا قيض الله للمجتمع قادة اولى حكمة وعزم وقوة يصدقونه النصح والقيادة ، ويؤثرونه على انفسهم بالحب والسعى ، يجددون انظمته ، ويحددون ادواءه ، ويحسنون علاجه ، ويؤسسونه على العدل والانصاف وتكافؤ الفرص ، ويشرحون الدين شرحا سليما ، فان المجتمع الاسلامى يسترد مكانته ، ويبرأ من ادوائه ، ويعود الى حيث اراده الله ان يكون فى طليعةالامم قيادة وريادة وبناء وابداعا . وما ذلك على الله بعزيز .

● وفد الربيع بن زياد على عمر ابن الخطاب فأعجبته هيئته ، فشكا عمر طعاما غليظا اكله فقال الربيع . يا أمير المؤمنين ، ان احق الناس بمطعم طيب ولباس لين ومركب وطيء لأنت ، فضرب عمر رأسه بجريدة وقال . والله ما أردت بهذا الا مقاربتي ، وان كنت لاحسب ان فيك خيرا . الا اخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم ، وقالوا انفقها علينا . فهل له ان يستأثر عليهم بشيء ؟ .

طريق النور

نبي الهدى لبيك ، في كل لمحة ... إذا هاجت الذكرى هتفتُ بمدحتي

وان عابها تقصيرُ شعري فانني ... أؤمل منك العفوَ عن كل هفوة

ومن أين لي قول يحيط بيانُه ... بقدرك وهو الشمس في أوج رفعة

ومن ناولتْه الشمسُ يوما بنانَها ... فيزعم أن الشمس مُسَّتْ بلَمْسة ؟

وهل يعبُر السبَّاح بحرا تعلقت ... سواحلُه فوق النجوم البعيدة ؟

لقد رامت الدنيا مديحَك فانثنَتْ ... وما في يديها منه مثقالُ حبَّة

إذا أنزل الرحمنُ مدحَك جامعا ... فما للُغات الخلق نفس المزيَّة

ولكنها أشواق أُمتك التي ... بذَلْتَ لها في النصح أصدقَ دعوة

هي الملة البيضاء حق ورحمة ... وسلم واحسان وعدل السوية

دعوتَ اليها والحياةُ طريحةٌ ... على مذبح الآلام في ليل كُرْبَة

فأشرقَتِ الأنوارُ في جنباتها ... ودبَّ الشفاءُ الحتْمُ في كل علة

وحركتَ الأكوانَ بعد خمودها ... وسيَّرتَ الآمالَ من بعد وقفة

وفتَّحتَ الآفاقَ للفكر فانبرى ... يخط طريق النور للبشرية

تلَمَّستَ الدنيا على يد أحمد ... مُنًى مشرقات كُنَّ في طي غيبة

وداعبت الأعماقَ بشرى ترددتْ ... مُدَوِّيةً من قلب تلك الجزيرة

عجبتُ من الصحراء كيف تفجَّرَتْ ... حياة تُشيع اليُمْنَ في كل بقعة

وعهدي بها قفرٌ ركودٌ كأنه ... مقابر للأحياء من غير ضجعة

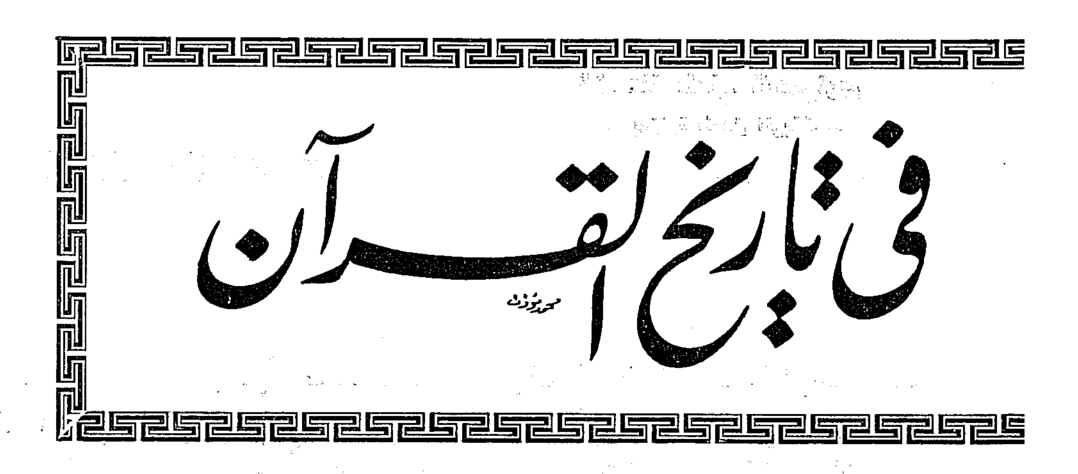
فمن تلكُم البيداء هبَّت رسالة ... فأنعشَتِ الانسانَ فورا وأحيت

بدين الهدى قد مهد الله أمره ... وأصلح من أحواله كل ذرَّة

أزاح به عن كل قلب غشاوةً ... من الشك والاشراك والوثنية

للاستاذ المدني الحمراوى
ـ بوزارة العدل الرباط ـ

فقام بأمر الله دينُ محمد ... يزف إلى الانسان خيرَ شريعة
وحقق فوق الأرض أروع ثورة ... لها كلَّ يوم جِدةٌ إثر جِدة
مبادئُ من عدل وحق وحكمة ... وعلمٍ وتَمْدِينٍ وخُلْق ورأفة
تسوس البرايا بالهدى وتصدُّهم ... عن الخطر الفتَّاك في كل شهوة
حقوق بنى الانسان فيها مصونة ... مواثيقها من قبل كل وثيقة
وما ملة الاسلام الا وقاية ... لمن أَنعم التفكيرَ فيها بفطنة
ولو أنصف الأقوامُ من كل مذهب ... لعضوا عليها دون أي تَعِلَّة
وما شُبَهٌ قد شعبوها ولفَّقوا ... بِمُغْنِيَة يوما ، ولا بِمُحقِّقة
وهل يستوى نورٌ من الله ساطع ... وظُلْمةُ أهواء تُقَال بغفلة ؟
الا ان هذا الدينَ دينَ محمد ... هو الحق لاتعلوه أية شُبْهَة
وهل ترك القرآن للناس مهرباً ... وفيه من الاقناع أبلغُ حجة ؟
فطوبى لقوم حكَّموه وطبَّقوا ... تعاليمه . واستنطقوه بِعِبْرة
فما هو الا بَلْسَم وسعادة ... وَروْحٌ ورَيحانُ القلوب الزكيَّة
إذا زاغت الأفكار بالناس لم تجد ... له أى زيغ عن سواء المحَجَّة
فطاب رسول الله إذ جاء بالهدى ... وعلَّم بالتبليغ كُلَّ فضيلة
هو النور قد ألقى على الأرض رَفْرَفاً ... بدائعُه تَفْتَرُّ عن كل بهجة
حياته للأجيال أشرف قدوة ... وسيرته في الدهر أَنْبَلُ سيرة
وأخلاقه عين الكمال ، وعلمه ... هو البحر لم تمخره أى سفينة
شهدت بأن المصطفى خير مرسل ... إلى الناس قد وفَّى بكل وديعة
وَبلَّغَ بالأعمال والقول شرعه ... من الله قد خُصَّت بنصر وعصمة
فجازى إله العالمين حبيبَه ... وصلّى عليه الله في كل لمحة



بقلم : الدكتور عبد الصبور شاهين
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

الحديث فى اعجاز القرآن ، وخلود آياته البينات ، حديث لا نهاية له ، من حيث هو كلام الله ، الذى استودعه اسرار هدايته للبشر خاصة ، وللعالمين كافة ، ولذلك كان كل مفسر للقرآن آخذا من معانيه بطرف ، متناولا بعض ما تحتمله آياته من ارادة الله المنزلة الى خلقه على خير خلقه ، وهو السر فى هذا التباين الكامل بين محاولات تفسيره على مر العصور ، بل بين بعض هذه المحاولات وبعضها الآخر فى عصر واحد . وكلما مضى الزمن بالناس تكشفت لبصائر العارفين منهم بخاصة ـ جوانب من اعجاز هذا الوحي ، خفيت عن أعين السابقين وقلوبهم وهكذا شأن المخلوقات امام كلام الخالق ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها ... وهذا هو معنى الخلود .

غير أن لهذا القرآن ، الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، خلال ثلاثة وعشرين عاما ، تاريخا حافلا بالمبهمات التي وقف الناس منها فى الماضي موقفا يحكمه الايمان بمضمون قوله سبحانه : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) . وهو وعد صادق ، تم انجازه كما نزله ، فقد وصل الينا النص القرآني كاملا ، خاليا من التحريف ، أو التغيير ، سالما من التناقض الذى أصاب ما سبقه من الكتب المقدسة ، ((التوراة والانجيل)) ، بحيث اختلط فى هذه الكتب ما كان من كلام الله بما هو من حكايات البشر ، ووضع الكهان ، وتخيلات أصحاب الاهواء ، على صورة تجعل نسبتها الى رسالات الانبياء ازراء بمقام الالوهية والنبوة معا .

أما القرآن فقد تحقق له وعد منزله سبحانه ، ولذا كان ايمان الناس قديما بهذا الوعد المنجز عاصما لهم من الزلل فى مواجهة مبهمات تاريخه ، فشغلوا أنفسهم بما تضمنته آياته من أوامر ونواه ، هي قواعد للسلوك الفردى والجماعي ، ومن أحكام ـ وشرائع سنها الحق سبحانه لتكون قوانين للحكومة العادلة ما تلمس الناس العدل ، ومن نظم وعقائد ارتضاها الله لعباده دينا أن

ابتغوا من غيره ضلوا وذلوا ، وان تمسكوا بحبله أتاح لهم من أسباب القوة ما يعز به جانبهم ، ويعلو به سلطانهم في الارض، هكذا كان الناس قديما ، وهكذا كان همهم الذى عليه يعكفون ، وان كان قليل منهم حاولوا الحديث في مبهمات تاريخ القرآن بأسلوب موجز شديد الايجاز يعتمد على الرمز ، ويكتفي بالتلميح ، اذ كانت قضايا هذا التاريخ مسلمة **الاساس في أذهانهم** ، وحسبهم أن يذكروا بعض أخبار السنة ، أو بعض الوقائع التي تمت علي عهد الصحابة ليزدادوا ايمانا بسلامة نص القرآن على ايمانهم .

انحراف عن دين الله

وجاء العصر الحديث ، بغزوه الفكرى، وبالشكوك التي زرعها حول المسلمات العقائدية ، لا سيما ما كان من حقائق الدين ، وكان هدف جميع الفلسفات التي نادى بها مفكروا هذا العصر تقويض دعائم الاعتقاد بوجود اله واحد ، بغض النظر عن البديل المقترح ، فمنها من يقترح الوهية المادة ، ومنها من يمضي الى الوهية الانسان ، ومنها من يجعل الفريزة محور تفسير الوجود ، والجنس سر الاسرار في تكون المجتمعات ونموها وارتقائها ... أمهاتهم شتى ، ولكن الهدف واحد . ولا ريب أن الدين الوحيد الذى صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك ، انما هو الاسلام على حين استمد تصورات غيره من الاديان ، وبعبارة أصح : أهل هذه الأديان ، لوحدانية الاله بالعجز عن تجريد هذه الوحدانية ، فالاله في عرف اليهود اله قومي ، لهم وحدهم ، دون غيرهم من الأميين ، وهو في عرف النصارى واحد في ثلاثة ، ولذلك لم تكن هذه التصورات ، بما خالطها من بقايا الشرك والانانية تمثل عقبة عقائدية أمام الفلسفات الحديثة ، لأن الفكر الانساني المتطور ماض ولا شك الى حد رفض هذه التصورات يوما ما ، فمشكلة هذه الاديان موقوتة بسيطرة بعض العوامل التاريخية ، زائلة بمجرد بلوغ الانسانية مستوى من الادراك الجماعي لمعنى المصير .

ولم يكن بد من أن تركز المبادىء والافكار الحديثة جهدها لهدم العقيدة التي تمثل في نظر أصحابها جوهر رسالات السماء ، عقيدة الاسلام . فكان هجومها أحيانا يتخذ طابع التحدى والتزييف المتعمد ، وأحيانا أخرى يصطبغ بالتفلسف والتظاهر بالانصاف ، ومن تحت هذا التحدى أو التظاهر هدف واحد يجمع المحاولتين ، هو تدمير العقيدة الاسلامية ، لأنها العقبة الكؤود في طريق سيطرة الاهواء الحديثة على مصائر البشر .

الصراع بين الاسلام والماركسية

واذا كانت الماركسية في حقيقتها تدميرا لفكرة الالوهية ، وربطا للانسان ومصيره بمصير المادة المحسة ، وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس منها ارادة الله وخلقه على أية حال فان عداءها الصريح لم يتوجه في الحقيقة الا الى الاسلام باعتباره ـ معقل الفكر الديني ، ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق الموحد . وهي تعد في ذلك أصرح حملة وجهها الفكر الحديث الى معقل الوحدانية ، وان بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت وبارت في نظر كثير من المفكرين ، بيد أن هنالك محاولة أقل غلوا ولكنها أشد مكرا من هذه ، هي محاولة الفلاسفة الوضعيين أن يهونوا من شأن ـ الاسلام وحركته التاريخية ، وربما كان ذلك مكشوفا في المقالات التي كتبها فيلسوف الوضعية (أوجست كونت) عن الاسلام وجمعها من بعده تلميذه ((كريستيان شرفيس)) في كتاب بهذا الاسم وقد سلك فيه المؤلف وهو فيلسوف الوضعية الحديثة

مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية ، فقد أشبع الرجل الاسلام مدحا وتمجيدا : ولكنه لم يزد على أن عده مرحلة كانت ضرورية ، كحلقة فى سلسلة تطور البشرية ، نحو الدين الجديد والنهائي ((الوضعية)) ... هكذا بكل صراحة .

وفى مواجهة هذا الاسلوب الملفوف يفقد القارىء العادى وعيه ، ويكاد يستسلم لما يعد فى نظر الاسلام خروجا على عقيدة الالوهية ذاتها ، اذ كان اعتبار الاسلام (مرحلة) مستتبعا انه وليد بعض الظروف ، وأنه سقط كما يسقط الحق — المتقادم بمضى المدة كيما تحل محله ديانة جديدة هي فى نظر صاحبها آخر حلقة فى سلسلة العقائد التي يؤمن بها الانسان والتي هي وليدة كفاحه ، على طريق التطور .

موقف المستشرقين من الاسلام

ولقد تشبعت أفكار الاوروبيين واتباعهم بهذه الفلسفات ، وأنشأوا يطبقون نتائجها المنهجية على تراثنا الذى هو عماد حياتنا ، وكانت وسيلتهم الى أهدافهم أن يتناولوا القرآن الذى صدرت عنه هذه الحياة الشاملة الكاملة بالدرس والتحليل — متظاهرين أحيانا باتباع المنهج العلمي فى البحث ، وكان أشدهم بأسا على الاسلام وكتابه أولئك الذين تناولوا تاريخ الاسلام أو تاريخ القرآن زاعمين دائما أن هدفهم هو الوصول الى الحق ، وازالة الغموض عن جوانب هذا التاريخ وكل ما يهدفون اليه فى الواقع هو خلخلة التماسك العقيدى بين المسلمين ، وزلزلة أركان هذا الدين بزرع الشكوك حول كتابه ودستوره ، وبذلك تتحقق لهم أهداف لم يبلغوها بقوة السلاح ومحاولات الغزو العديدة .

وهكذا ظهر فى الغرب وفى الشرق ((مستشرقون)) متخصصون فى دراسة تاريخ القرآن وذهب من عندنا دارسون — يتعلمون منهم هذا التاريخ على الطريقة الجديدة ، وجاء من قبل هؤلاء وأولئك خليط من الآراء ، وتلفيقات من النتائج يدهش لها من يقرأ مقدمتها ، ويعجب كيف ساغ لبعض العقلاء أو المتعاقلين أن يستخرجوا من الابريق بغلا ، وأن يصنعوا من الحبة قبة .

وهكذا أيضا بدت مبهمات تاريخ القرآن فى شكل أخطر مما كانت تبدو فيما مضى ، وأصبح من الغفلة بمكان أن نغمض عنها أعيننا ، وقد أمست ذريعة الى النيل من القرآن ذاته ، كنص مقدس موثق تمام التوثيق فان الذى يصل الى حد التشكيك فى وثاقة نص القرآن يدخل من هذه الطريق الى انفس الاغرار من طلاب الثقافة ، وبذلك تعم البلوى .

ومما لا شك فيه أن العقل الحديث يتطلب ممن يكتب له أشياء لم يكن يقتضيها العقل القديم ، أشياء فى المادة المدروسة وأشياء فى المنهج المتبع ، أما المادة موضوع الدراسة فينبغي أن تكون **شاملة لكل الجزئيات مستوعبة لجميع** التفاصيل الهامة والتافهة فرب تفصيل يستهين به المرء يقوده الى نتيجة صادقة اذا هو أحسن النظر اليه ، وغلغل الفكر فيه ، وأما المنهج فقد شغل العقل الحديث ببعض المظاهر المنهجية وغفل عن بعض الاصول ولذلك بدا سعيه نحو الحق مضطربا أشد الاضطراب وحسبنا أن نقرأ هذا التحديد لمنهج باحثي المستشرقين على لسان واحد من كبارهم هو ((آرثر جفرى)) حيث قال : ((وأما أهل التنقيب (يعني أبناء جلدته من المستشرقين) فطريقتهم فى البحث أن يجمعوا الاراء والظنون والاوهام والتصورات بأجمعها ، ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ماكان مطابقا

للمكان والزمان وظروف الاحوال معتبرين المتن دون الاسناد)) (١)

وأغلب الظن أن أهل التنقيب هؤلاء لم يخدعوا عن الوسيلة الصحيحة وانما تعمدوا أن يسلكوا هذا المنهج الغريب الذي يغفل أهم ركن قامت عليه ثقافة المسلمين ، وهو نقد الاسانيد بجوار نقد المتون ، أي استعمال النقد الخارجي للنص الى جانب النقد الداخلي ، وأمثال هذه القواعد المنهجية لا يمكن أن تؤدي بجامعيها الى اصابة كبد الحقيقة ، فان من الروايات التاريخية ما يبدو في ثوب الحق ، وهو خبيث المصدر ، فكيف يمكن من طريق الاقتصار على نقد المتن أن تكتشف الحقيقة على حين تختلط بالاوهام والتصورات والظنون ؟ وكيف يتم الوصول الى الحقيقة التاريخية المطابقة للزمان والمكان دون الاستعانة بالوسيلة الاولى وهو تاريخ الرجال الذين حملوا هذه الاراء أو بلغوا هذه التصورات ؟ ... هذا مع اختلاف زماننا عن زمانهم ، وظروفنا عن ظروفهم، ووسائلنا عن وسائلهم .

ان هذا التصور المنهجي لا يصدق الا في حدود ما عبر عنه بنسبية الزمان ، وذلك حين نفترض أن أحد هؤلاء المنقبين يسكن كوكبا بعيدا عن الارض بمسافة تبعد ألفا وثلثمائة سنة بحساب سرعة الضوء وأنه جالس الى منظار ((تلسكوبي)) يضع الأرض بين عينيه عبر هذا الزمان المترامي وأنه يرى ((الآن)) ما جرى على الارض منذ ثلاثة عشر قرنا ، باعتبار أن ذلك هو ما يحدث فعلا بالنسبة الى ظرفه الزمني .

فهل يمكن لمنهج الاستشراق أن يعبر صادقا مخلصا هذه المسافة من خلال نظره في الظنون والتصورات والآراء ، ليستخرج منها ماكان مطابقا للزمان والمكان وظروف الاحوال ؟ وأغلب الظن أنهم انما أعرضوا عن الأخذ بموازين نقد الاسانيد استنادا الى شكهم في صدق أحكام مراجعها مع أن مقتضى منهجهم أن ينصتوا الى كل ما قيل في جرح الراوي وتعديله ، ولهم أن يوازنوا بين مختلف الاحكام ومصادرها ثم يختارون من الروايات والاخبار ما خرج من مصفاة النقد الخارجي ، ليزنوه بميزان النقد الداخلي للمتن ، فلا مناص من الجمع بين المنهجين .

ومن عجب أن نجد بعض المعدودين في أفاضل العلماء يقتصر على هذا النقد الداخلي في بحوث تمس صميم العقيدة — وتاريخ الصحابة ، دون أن يدرك أنه يقع في مزلقة خطيرة ، منهجية ودينية ، ثم هو لا يقتصر على ذلك حتى يعد الدعوة الى مراجعة أسانيد النصوص ضربا من (الارهاب الفكري) ، الذي يقيد انطلاقة المفكر الحر كأنما كان مفكروا الاسلام عبيدا بفحصهم للاسانيد .

ليس هذا استطرادا بل هو حديث في صميم المشكلة التي سوف نتناولها .. مشكلة تاريخ القرآن لسوف نحاول فيما يلي من الدراسات التي يسمح بها مجال هذه المجلة الفتية أن نعرضه له من حيث هو قضية كبرى من قضايا العقيدة الاسلامية والثقافة الاسلامية ،والحضارة الاسلامية ، الى جانب علاقته الوثيقة بتاريخ هذه العربية الخالدة .

ولست أدعي مقدما أني واصل الى رأي قاطع أو تفسير نهائي لكل ما سنعرض له من المشكلات ولكني متذرع الى قولي بالنية الصالحة ، والرغبة الخيرة في أن تتلقى الاجيال الصاعدة تاريخ القرآن ، بطريقة نقدية ، فيها الكثير من الحق والتمحيص لما يقال .

---

(١) « انظر مقدمته لكتاب المصاحف ص ٤ » .

عليه وسلم فحدثته فقال : من يلي من هذه البنات شيئا فاحسن اليهن كن له سترا من النار) .

٧ ـ وكان من هديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد ان يرخص في المرح البريء الذى لا ينتقص المروءة ، ولا يخل بالخلق الكريم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت . ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تدففان وتضربان وفى رواية تغنيان بما تقاولت الانصار يوم بعاث ، والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما ابو بكر ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال (دعهما يا ابا بكرا فانها أيام عيد) . وفى رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا ، (١) وعن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال « ما هذان اليومان) » قالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد ابدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ، ويوم الفطر » رواه ابو داود .

٨ ـ ويذكرنا العيد بأئمة المسلمين العادلين وقادتهم الفاتحين وعلمائهم العاملين ، والمثوبة العظيمة التي اعدها الله للمقسط فى رعيته الساهر على مصلحة أمته ، فقد روى الامام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فى حديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم من ايام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام فى الارض أربى من مطر أربعين صباحا ».

وقوله صلى الله عليه وسلم « ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا » .

٩ ـ وها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس فى نفوس الجميع الرجولة الحقة ، ويضع أسس الشخصية الفذة التي تسود وتحكم ، محملا كل عامل مسئولية عمله ، رجلا كان او امرأة ، تابعا او متبوعا والدا او ولدا ، فمما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال « كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، قال ابن عمر وأحسب انه صلى الله عليه وسلم قال والولد راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » . فالرعاة جميعا مسئولون كل فى اختصاصه عما استرعى أمام من لا يضل ولا ينسى فلينظر كل امرىء أين يضع نفسه .

١٠ ـ تلك خواطر تجول وتتوارد على النفس أيام العيد ، ويمر امام المتأمل ركب الحياة فى نظام دقيق ثم يتلاشى رويدا رويدا ، ثم يعود ليظهر مرة أخرى وفى شكل آخر وهكذا حتى يرث الله الارض ومن عليها ، والعاقل من تدبر واعتبر ، وحاول سلوك الطريق الأقوم والسبيل الأهدى (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

١١ ـ وانا لنضرع الى العلي الكبير ان يحقق لأمة نبيه وحبيبه محمد عليه افضل وأزكى السلام ما أراد لها من العزة والكرامة ، وان يوفق كل عامل فى عمله ان يخلصه لوجهه الكريم ، وان يجعل هذه المواسم الاسلامية الكريمة ايام قبول لمن يتوب ورحمة وهداية لمن عصى ، اللهم اهدهم ووفقهم وأعزهم واسعدهم حتى يجتمعوا فى رحابك ويعملوا صالحا ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالمرحمة ، ويترابطوا ويعتصموا بحبلك المتين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، لا تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح المنتج المثمر ، والتجافى عن الراحة فى سبيل اسعاد المجموع ، مقتدين بنبيك سالكين طريقه مؤيدين بنصرك وعونك وقوتك حتى يئوبوا اليك وأنت عنهم راض ويلتقوا فى كنفك اخوانا على سرر متقابلين .

---

١ ـ متفق عليه .

لك معناها فى عبارة واضحة جلية ، او يوقفك على عقدة فيها تستحق السؤال والنظر ، ثم يمضي بك بعد ذلك فى رحلة فكرية شائقة ، كل خطوة من خطواتهـا متاع لنفسك وروحك ، وغذاء لعقلـك وقلبك ، فلا تنتهي رحلة منها الا وقـد تزودت زادا قيما صافيا متنوعا ، تشعر معه بالغبطة والسعادة والرضى .

ونحن نورد مثالا واحدا من هـذا الكتاب ، ليعلم القراء طريقته ، واسلوبه فى الجمع بين العلم والادب .

فقد عقـد مجلسا سـماه « المجلس الثاني » وعنى فيه بتفسير قوله تعالى « والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون » واورد **ما ذكره فى معنى الآية ابو مسلم بن محمد ابن بحر الاصبهاني،حين يقول« انما خص الموزون دون المكيل بالذكـر لوجهين : احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن ، لانسائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت فى باب الوزن ، وخرجت عن باب الكيل ، فكان الوزن اعم من الكيل ، والوجـه الآخر : ان فى الوزن معنى الكيل : لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ، ومقايسته اليه ، وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل وخص الوزن بالذكـر لاشتماله على معنى الكيل » .**

وهكذا نرى أن الرجل يذهب الـى معنـى الـوزن والكيـل فى المـوزونات والمكيلات ، كأن الله يمن على عباده بأنه أنبت لهم ما يوزن أو يكال ، ولذلك يرفض السيد المرتضى هذا المعنى ويقول .

« ووجه الآية وما شهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم ، وانما اراد اللـه تعالى بالموزون المقدر الواقـع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ، ولازائدا عليها زيادة مضرة أو داخلة فى باب العبث، ونظير ذلك من كلامهم قولهم : كلام فلان موزون ، وافعاله موزونة مقدرة ، وانما يراد ما أشرنا اليه ، وعلى هذا المعنـى تاول المفسرون ذكر الموازين فىالقرآن على أحد التأويلين ، وأنها التعديل والمواساة بين الثواب والعقاب ، قال الشاعر ــ وهو ذو الرمة .

لهـا بشر مثل الحرير ومنطق
رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

فالهراء الكثير ، والنزر القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ، ولا يزيد عليها ، وهذا يجرى مجرى أن يقول هو موزون ، وقال مالك بن اسماء بـن خارجة الفزارى .

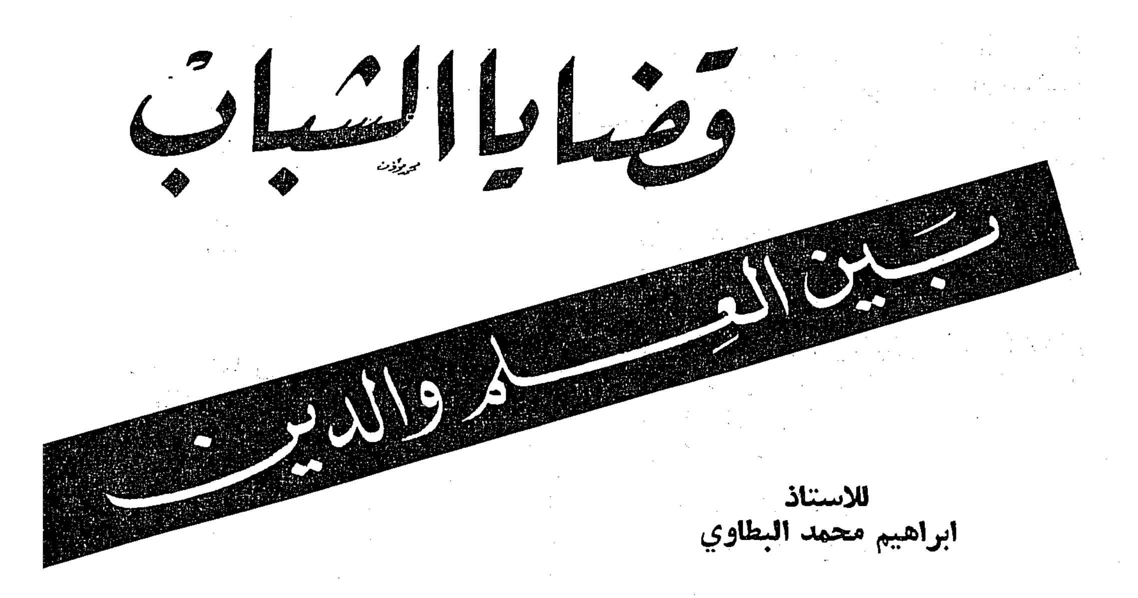
وحديث ألـذه هـو ممـا
ينعت الناعتـون يوزن وزنا

منطـق صائب وتلحـن احيـا
نا ، وأحلى الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذى ذكرناه،أشبه بمراد الله تعالىفى الآية ، وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائـر الفصحاء وبلاغتهم .

وقد استطرد السيد المرتضى بعـد ذلك ، ففسر اللحن الذى فى شعر مالك ، وبين انه ليس اللحن فى الاعراب الذى هو ضد الصواب ، وساق شواهد مـن الشعر والحديث والاخبار تفيد فى معرفة المراد منه ، فطـوف بذلـك فى أوديـة خصيبة ، واتى بما لا يزال يؤثر عنـه ، ويؤخذ منه .

وهكذا كانت « الامـالي » وكانـت « المجالس » .



للاستاذ
ابراهيم محمد البطاوي

هذا حديث اسوقه الى شبابنا الناهض والى المسئولين عنهم فى كل بلاد الاسلام .

ان للشباب دائما جماله ونضارته ، ورقته وحماسته ، وآماله وقوته ، له مثله وحياؤه ، وعالمه المتفتح لكل كلم مستحسن ، ولكل فعل جميل ، برغم كل المغريات والمثيرات الشيطانية التي تحدق به ، ويستخدم فيها ابليس كل فتنه وجبروته ، وله مع هذا تصميمه الأكيد على حذف كلمة (مستحيل) من قواميس الاحياء . هكذا كان الشباب قبلنا .

ولم يزل كذلك الشباب حتى يومنا ، والى ان تنتهي الحياة .

التربية والثقافة

ومن اجل هذا يوجه اولو الأمر وذوو الراي فى الأمم الحية الجادةمعظمعنايتهم الى تربية الشباب على المثل التي جعلوها غاية لهم فى الحياة ، ليجعلوا منهم حملة لواء نهضاتها وعقائدها وأمجادها فى معترك هذه الحياة .

ونحن هنا فى أرض التوحيد والمثل ، لا نكاد نهيىء لشبابنا المسكين منفذا أو رئة تتنسم منها روحه الغضة الطاهرة عبير الايمان والتوحيد لله خالصا من سموم الأهواء والتواء المقاصد ، وتناقض الأفكار ، والحاد المذاهب واضطراب المناهج ، مما يفضي فى النهاية الى تخبط الشباب ووقوعهم فريسة فى أيدى دعاة الهدم والتحلل والانحراف والبعد عن جادة الدين .

وقد ترتب على هذا ان صارت معظم افكار الناس وتصرفاتهم ومثلهم وفلسفاتهم وأحكامهم تلبية لنداء هذا الهوى المستحكم ، واستجابة لنزواته وجبروته، وتقديسا للضلالاتالاقتصادية والاجتماعية الزاحفة على شبابنا الأعزل البرىء من مهاد الشيطان فى الغرب

بشـــطريه الشـــيوعي المـادى الملحـد ، والاستعمارى الاباحي المنحل .

ولقد رحل عنا المستعمر بجيوشـه ووجهه الاحمر الذى كان يصدر الأوامر هنا وهناك ، وفرحنا باستقلالنا وبرحيله عنا وصيرورة الأمور الى ايدينا ، ولكن لو فكرنا قليـلا ، وبحثنا فيمـا حولنا لوجدنا نفس العدو المستعمر لم يـــزل بدمه ولحمه جاثما فوق كواهلنا يهدم ما بقي مـن عقائدنا وتقاليدنا وحضـارتنا بقوة اشد فتكا من جيوشه وقنابله .

كان من صالح اقتصادياتـه ان يجلو عسكريا عن بلاد المسلمين بعد ان تم لـه الاحتلال الفكرى والسياسي والروحي والخلقي والاجتماعي لأمم الاسلاموضمن بقاء هذا الاحتلال برجال أعدهم لتمكينه واعطاهم مقاليد الامور .

وبلغ بنا الهوان وفقدان الثقة بالنفس ان مناهج خطط وزارات التربيةوالتعليم التي تنشىء أجيالنا ورجالنا ، لم تـزل هي بعينهـا تلـك التي وضـعها ربيب الكهنوت المسيحي الاستعمارىالانجليزي (دنلوب) مستشار المعارف المصرية أيام الاحتـلال ، وكانت خطتـه معروفـــة للجميع ، والغاية منهاتدمير الاسلاموقتل مثله وتعاليمه واخلاقـه بعد تشـويهها والتشكيك فيها وتنفـير الشـبيبة عنها بافتراء نعوت كاذبة عن التخلف ينسبونها لامجاد الاسلام الخالدة ، حتى يتسنى للمستعمر تربية جيـل مـن شـــباب المسلمين على الكفر بتعاليم هذا الدين العظيم الذى يربى فى نفوس المؤمنين به الثورة على كل مغتصب لارض الاسلام .

وكانت نقطة البدء بطبيعـة الحال ـ هي الشباب ، وعلى الخصوص شـباب مصر التي حملت أعباء الزعامة الاسلامية والفكرية والسياسية للعالم الاســلامي قرونا طويلة بحكم وضعها فى هذا العالم ووجود اكبر جامعة اسلامية بعاصمتها فالأزهر الشريف كعبة المعارف والعلوم الاسلامية التي فرض الله على كل مسلم ان يتعلمها، واليه يبعث المسلمون بأبنائهم وشيوخهم من كل فج فى المشرق والمغرب وسائر بـلاد العالـم ، يتعلمون دينهـم خالصا ، والقرآن وعلومه ولغته ونظـم المجتمع الاسلامي الصحيح .

فـلا بد اذن لكي ينجح المســتعمر فى خططه ان يبدأ بالأزهر يهدمـه بطـرق ملتوية حيث عجز عن هدمه علانية، وأعد خطته على اساس الاغراء بالمال والوظائف الكبرى لخريجي التعليم غـير الديني ، ليصرف الناس عن الدين والأزهر حتى يغلق أبوابه الى الأبد .

الغزو الفكرى للشباب

وهداه الشيطان الى وسائل الاعـلام والثقافة ، فانشأ أجهزة النشر ، وزودها بالمال الوفير والعدد والرجال ، وخرجت تلك الأجهزة أجيالا ممن غزتهم بالأفكار ، واشترتهم بالمال ، وكانوا سببا لمعظـم البلاء الذى تعانيه امـم الاسـلام حتى اليوم . ولم يكن هم تلك الدور سوى ترجمة ونشر كتب الالحاد التي لم تجد رواجا فى بلاد مؤلفيها اذ حرم الفيورون هناك قراءتها . لخطورتها على الشباب ، كما عملت تلك الدور على اصدار بعض الصحف اليومية والشهرية والاسبوعية التي تحرض على الكفر علانية ، وتروج للانحلال بين الشبان والشابات فى المدرسة

والجامعة والمرقص والملعب ، وتنقل صور المنحلين ، وتجاهد لنشر الاباحية والاستهتار بالمقدسات وبذر بذور الشك فى صدور الشباب ، وهذا كله باسم التحضر والتحرر من الرجعية – أى ديننا الحنيف – فى زعمهم الكاذب . وصور للشباب رجل الدين والأزهر بصورة التخلف والرجعية والفقر الذى سجنوا فيه رجال الدين والفضيلة بحرمانهم من كل عمل لائق او ذى بال . وقصر ذلك على خريجي معاهد المعارف وجامعات التبشير .

كما كانت نظريات الملحدين من النشوئيين والطبيعيين ومدارس الدعارة النفسية الجنسية فى اوروبا مثل مدرسة فرويد تجد طريقها الى الشباب والشيوخ وتبلبل عقولهم وتزلزل طمأنينتهم .

فالتمسك بالدين الحنيف رجعية ! ! وتصون المرأة ومحافظتها على تعاليم دينها تخلف وجاهلية ، اما التسامح فى العرض ودفع البنات والنساء الى التيار المفضي الى الانحلال فهو نعم التقدم والتحضر والرقي والمدنية . . ! !

وتعددت تلك الدور والصحف المخربة ، وانشئت بجانبها مدارس التبشير وجامعاته ، وكانت من اخطر المصائب وافدحها ، واقيمت النوادى المختلفة العامة والخاصة لتشجيع هذا الانحلال وهدم عرف الاسلام فى التصون والاستقامة ، وبارك (كرومر) حينذاك كل هذا ، وتسابق بعض رجال الفكر الى دين المستعمر الجديد الذى يطلق عليه (التحرر الفكرى من التقاليد البالية) .

الجامعات

وانشئت الجامعة المصرية ، وكانت اشد اخلاصا للفكر الغربي والمثل الغربية من اهل الغرب انفسهم ، وكشف الغطاء عن الخبىء ، وابيح اختلاط الجنسين بين الشباب فى سن السعار الشهواني ، مع انه كان ولم يزل – فى الغرب حتى الآن كليات خاصة بالبنات ، ولم يستجب احد لصراخ المصلحين ، بل كانوا يفرون الصحف ألا تنشر افكارهم ، لأنها رجعية مسمومة ! ! وكم تعرض اولئك المصلحون لحملات السخرية والهزؤ علنا فى الصحف والكتب والنوادى . ثم كانت المناصب القيادية والرئيسية فى تلك الجامعة اقرب الى الملحدين والمفتونين ، من الغربيين والشرقيين من غيرهم . اللهم الا فئة قليلة من المؤمنين غير ذات خطر أراد الله ان يحفظ بهم بعض الشباب ، وكان يكفي ان الرجل يخون دينه ، ويعلن عداوته لعقيدته ليتبوأ منصب الاستاذية والعمادة والوزارة ، وله فى كل هذا مدافعون وحماة ، والدين اعزل ، والشباب اعزل ، ولكن له رب القدرة جل علاه .

المعاهد والمدارس

اما المدارس والمعاهد التي تتبع وزارات المعارف فلم يكن تدريس الدين وفضائل الاسلام والخلق فيها الا رمزا غير جدى ولا اجبارى شأنه شأن مادة الموسيقى ورقص الباليه ، ان لم يكن هذا اكثر اهمية عند القائمين بأمر تلك المعاهد فلا يترتب على دراسة الدين فيها أثر فى تقرير مصير الطالب من النجاح او الرسوب – حتى يهتم باستذكارها

واسـتيعابها ، كانت فى نظرهـم أمـرا يضحكون به على البسطاء ! ! .

لم يشعر احد مـن المسـئولين عـن التربية والتعليم فى جميع بلاد الاسلام بفداحة الخطر على مجتمعاتنا حين يمسك بزمامها اشخاص يمكن أن نعدهم غرباء فى أفكارهم وتربيتهم ومثلهم عن هـذا المجتمع العـريق وثقافتـه الاسـلامية الاصيلة اذ تربوا على مناهج لم تتـرك فرصة للطالب منهم أن يستوعب كتابا فى دينه أو تاريخ رجاله الافذاذ فى النواحي العلمية والحربيـة والطـب والحكمـة والسياسة والأدب واللغة ، وليس الذنب ذنب أبنائنا الابرياء المجني عليهم ، انمـا هو ذنب كل مسئول يعرف تلك المأساة العلمية التربويـة الخلقيـة ، ويؤجـل اصلاح فسادها وتقويم اعوجاجها بمـا يتلاءم وعـرفنا وديننا يومـا واحدا . وذنب كـل مسـئول يعـرف تلـك (الدنلوبيات) ويتكاسل عن العمل على التغيير الجاد المدروس بحكمة وسـعة أفق ، وبرجال مخلصين اتقياء اكفاء .

انهم لا يعرفون عن الدين شـيئا الا بحكم التقليد ، وليس للتقليد رسوخ ولا اصالة ، وكل معلومات على غير قاعـدة لا تلبث أن تتبدد كالسراب امـام اقـل شبهة مغرضة . انهم يتلقون دينهم عن جداتهم بالأقاصيص الخرافية والفهـم الابتر . ومع هذا فانهم يعرفـون كـل شيء عن تاريخ اوروبا وعظمائها وبطولاتهم ومعاركهـم واختراعاتهـم ونهضـتهم وعظمتهم وتفوقهم علينا فى كـل شيء ، مما يغرى بتقليدهم فى كل شيء بحجة اللحاق بهم ، ولا يعلمون انهم تتلمذوا على اجدادنا فى كل علم .

الاستعمار باق فى تشريعاتنا ونظمنا الاجتماعية

وانعكس هذا الفهـم الضـحل على افكارهـم وتصرفاتهم بشكل كان له اثر كبير على المجتمعات المسلمة فالقوانين والنظم والدساتير والمعامـلات والتشريعات كلها الا الأقل مستورد من الغرب ، ولهذا تجدها معبرة بوضوح عن الفكر والعـرف والمجتمع الغربي ، وليس فيها ظل للعرف والخلق والشريعة الاسلامية فى غير الاحوال الشخصية الا ما أخذه الغرب نفسه عن الاسلام ، فالربا مباح والزنا فى غير فراش الزوجية جائز ممهد سبيله ، فما دام بغير اكراه ولا علانية فلا عقوبة عليـه ، ونظم الاعمال لم يراع الاسلام فيها اطلاقا حتى وجدنا نسق حياتنا يسير على النسـق الغربي دون اعتبار لتعاليم الاسلام وآدابه .

طريق الخلاص

ليفهم الشباب ان كلمة التوحيد — وهي روح الاسلام — اذا لم توجد فى كل خاطر ، ومع كل عمل حتى الأكل وحتى معاشرة الرجل لزوجته فليس صاحبها بصادق فى اسلامه فانفصال العقيدة عن الحياة وتشريعاتها كفر بحكمة الخالق جل علاه، وانكار لشمول شريعته وعموميتها، ومن قال بغير ذلك فهو بين الجهـل أو الكفر يقول الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وان الخلاص من سرطان مناهج ومواد وخطط التربية الاستعمارية ، ووضـع مناهج وخطط تكفل نمو الاسلام ورسوخه فى النفوس فريضة جهاد واجبة على كل مسئول مسلم ان يعمل لها بالرجـال المخلصين الأكفاء منذ الآن ، والا فالزوال للجميع امام خطر الشيوعية الداهم .



ان الاسلام لا يعتبر الفرد مجرد آلة تتحـرك وتتقلب فى الحياة للمعيشة ، وتأمين العيش الضروري ، وانما يعتبره ــ وفقا لفطرته وطبيعته ــ انسانا كريما يتمتع بروح أصيلة ، ومعان خالـدة ، ومشاعر حيوية . فليس المهم الحصول على متع الحياة واطايبها المادية ، بـل الشعور بالسعادة النفسية ، والارتياح الذاتي ، والاطمئنان الخالص النابع من الحفاظ على القيم الخالـدة ، والمعاني الفاضلة ، كالعـزة والكرامة والمحبـة والشهامة والأخوة والتسامح والاحسان والتعاون .

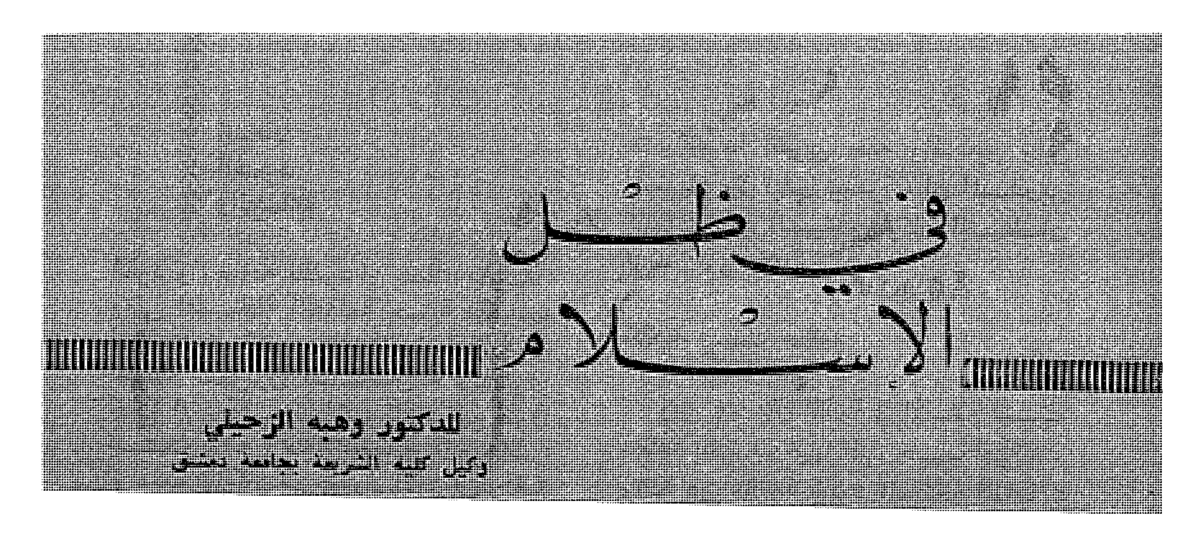
ولهذا كان النظـام المعيشي للفـرد والجماعة فى الاسلام قائما على أساس التعاون والتراحم ، والتكافل الاجتماعي واسـتغلال خيرات الأرض ، ومـوارد الطبيعة ، بما يعود بالنفع العام ، ويحقق المصالح الجماعية ، ويحمي كيان الفرد من التسلط عليه سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، فلا يكتفي احد بتأمين غذائه وكسائه ومسكنه ، وانما يشارك فى جميع حقوق الحياة الطبيعية،وتجتهد الدولةفى الحفاظ على ما يعرف بحقوق الانسان ، فى حفظ دينه وحفـظ نفسه وحفـظ عقله ، وحفظ ماله ، وحفـظ عرضـه أو نسبه .

واذا كان من هدف النظام الاشتراكي اشباع حاجات الأفراد وتوفير « الرفاه للجميع » ولكن بمقدار ضرورة هذه الحاجات فقط ، فان الاسلام يتخطى هذه الضرورة القاصرة ، ليؤمن للفـرد والجماعة حياة طيبة كريمة ، لا تحدها حـدود ولا قيود ، الا قيود الصالح العام ، وأهداف الأمة الاسلامية ، وذلك ضمن الاعتبار الذى اشرنا اليه . وهـو النظر الى الانسان كمـادة وروح يسيران متلازمين وفى خط واحد فى الحياة .

ومن هذا المنطلق كان من الواجب أن تعني الدولة الاسلامية ــ ليس فقط بتحقيق المساواة أمام القانون بين المواطنين جميعا ــ وانما ينبغي توفير المساواة فى تكافـؤ الفرص ، كمـا يتطلب الاسلام ، اذ لا قيمة للمساواة أمام القضاء وأمام القانون اذا انعدمت المساواة بين الناس فى فرص تحسين أحوالهم ، واصلاح أمورهم ، بالاسـهام والاستفادة من خيرات الحياة كلها ، ونعم الله الشـاملة ، لا فـرق بين غني وفقير ومحروم ومجدود .

وبذلك يمكن للمجتمع أن ينتعش فى ظل العدالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة ، وهذا ما يتطلبه الاسلام من ولاة الأمور . ويمكن ضرب الأمثال على ذلك .

اذا اشترك الأفراد فى وسائل الانتاج ، وتفتحت أمامهم مجالات العمل والكسب ، وسـاهموا فى توزيع الدخل العـام ، وتمتعوا بمطالب الحياة الحديثة من تعليم وطب وعلاج ، فان الرفاهية والرخاء والسعادة والارتقاء ، تعم جميع أوساط المجتمع ، ويشعر كل فرد بالاغتباط والارتياح ، لأن الدولة الحاكمة استطاعت تحقيق العدالـة بمختلف نواحيها ، فلم يطغ المنتج الصناعى على المنتج الزراعى ولا ذوو المال على الكادحين بأيديهم



او بعقولهم . وبعبارة اخرى قضت على الاحتكار بين فئات المجتمع ، لان الاحتكار طريق للتسلط على مقدرات الامة ، بل وعلى سياسة الدولة الحاكمة .

وهكذا فان الاسلام ينظر الى الامة والشعب نظرة مزدوجة كجماعة وكأفراد ، للجماعة واجبات على الأفراد ، وعليها حقوق لهؤلاء الأفراد ، وعلى الأفراد واجبات للجماعة ولهم حقوق فى ذمة الجماعة . ومن واجب الجماعة أو الدولة أن تهيء للأفراد فرص الحياة المختلفة كالعمل والتعليم والتداوي وكفالة العجز والشيخوخة ، وحماية الانوثة والطفولة من الخضوع للاستغلال أو الزج بهم فى مهن لا تلائمهم . ولهم حق التملك وفقا لمشيئتهم كما أن لهم حق التمتع بالحريات العامة كحرية ابداء الرأى ، وحرية الفكر ، وحرية الاعتقاد ، ونحو ذلك .

الاسلام بين نظامين

واذا كان العالم اليوم يتحكم فى مصيره دولتان كبيرتان ، تمثلان مبدأين معينين مبدأ الرأسمالية وعلى رأسه أمريكا ، ومبدأ الاشتراكية وعلى قمته روسيا ، فانه ينبغي أن نظهر معالم النظام الاسلامي ، لتخفيف حدة الصراع فى العالم ، بسبب هذين المبدأين،وبسبب تلك النظرة المادية المحضة التى شوهت معالم الحياة ، وفصلت الانسان عن مشاعره ووجدانه واحساساته حتى اصبح لا يشعر بمعنى السعادة الحقة ، ولا يتمكن من الاستمتاع بالاستقرار النفسي أو البشاشة التي ترتسم على ثغور الوادعين المطمئنين . وقد يفتر بعض الناس بمظاهر المدنية والحضارة السائدة فى الغرب أو الشرق ، ولكنهم لا يحسون المرارة والقلق اللذين يحيا فيهما الفرد فى تلك البلاد ، فان الحضارة اذا لم تنفذ ضمير الامة ووجدانها ، ولم تترجم عن متطلبات الروح أو آمالها العذبة فهي حضارة زائلة فى يوم من الأيام .

ولهذا نرى الاسلام يقيم حضارته وسعادة بنيه على أساس اسعاد الروح ، عن طريق ذلك الايمان الذى ينزرع فى قلب المسلم ، فيشعره بالسعادة تفيض بين جوانحه وفى حياته ، ذلك لأن العقيدة التي تتفق مع الفطرة تلازم نظام الحياة فى الاسلام .

ويمكنني الآن أن أضع الخطوط العامة لتحقيق السعادة الفردية والاجتماعية ، كما يقرها الاسلام فى ظل اقتصاد قوي متميز ، غير معتمد على الأفكار الرأسمالية أو الأفكار الاشتراكية .

اولا ــ وظيفة المال

ينبغي أن يكون المال فى خدمة مصالح

اسعاد الفرد والجماعة

الفرد والجماعة فللفرد أن يتملك ما شاء ، وعلى السلطة الحاكمة حماية ملكيته الخاصة ، ولكن فى ظل المصلحة العامة ، بحيث تتوازن المصلحتان ، وتسيران جنبا الى جنب فيراقب الفرد عن طرق استثمار ماله ، فاذا أنفقها فى المحرمات ، أو عبث بها،كان من حق ولي الامر ان يراقبه فى ذلك وان يجعل عليه قيما يدير له شؤونه . قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » (النساء ــ ٥) .

وقد حرم الاسلام اكتناز الأموال ، وعدم انفاقها فى المصالح العامة : والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون (التوبة ــ ٣٤ ، ٣٥) .

وحارب الاسلام الشح فقال عليه السلام : « اياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح » ، كما حارب مظاهر الترف والبذخ والاسراف لانها تخلق الحقد والضغينة بين الناس ، وتهدد الأمن والسكينة والاستقرار ، قال سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا(١) » ، « واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٢) »

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان السياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٣) » .

الملكية ليست مطلقه

ومن هنا فان الملكية فى الاسلام ليست مطلقة يتصرف فيها المرء حسب أهوائه ، وانما هى مقيدة بقيود المصلحة العامة ، مما يجعل للمال وظيفة اجتماعية فى هذا الكون ، لانه وسيلة لتعميره وطريق لاستغلال كوامن خيراته .

ويخطىء بعض الناس اذا ظن أن الزهد فى الدنيا معناه التخلى عن كسب المال الا بقدر الحاجة ، فان المال أساس لقوة الاقتصاد وقوة المجتمع والتهاون فى كسبه يؤدى الى افقار الأمة وضعفها كما ان امساكه والشح به يؤدى الى النتيجة نفسها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » . « نعم المال الصالح للرجل الصالح » اى أن الرجل الذى يستغل ماله فى الخير ، وفيما يعود بالنفع العام له فضله وثوابه عند الله ، لذلك قال علماؤنا « الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » .

ثانيا ــ حق الدولة فى التدخل

للدولة الاسلامية الحق فى توجيه النشاط الاقتصادى فى الوجوه التى تحقق خير البلاد وسعادة الافراد لان ولى الامر مسؤول عن تنظيم مصالح الامة

(١) سورة الاسراء (١٦)
(٣) سورة الاسراء (٢٦)
(٢) سورة الواقعة من (٤١ ــ ٥٦)

وتوجيهها وجهة سليمة . وقد أجمع فقهاء الاسلام على أن لولى الأمر حق انتزاع ملكية أى فرد مع تعويضه عنها التعويض المناسب لتوسيع مسجد أو شارع أو مصنع أو غير ذلك . وللدولة أيضا حق الاشراف والرقابة على طرق استثمار الأموال في ظل ما يسمى حديثا بنظام الاقتصاد المختلط حتى لا يسيء اصحابه طرق استغلاله ، أو يوجوه ضد مصالح الامة .

ثالثا ـ تقديس العمل

قدس الاسلام العمل ، وجعله أساس الحياة الحرة الكريمة ، وحارب العوز والفقر والسؤال قال تعالى « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور ». « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » وقال أيضا « اليد العليا خير من اليد السفلى » . « لان يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل ، فيأتى بحزمة من حطب على ظهره ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه او منعوه » ، وقال عليه السلام : « من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » .

واذا كانت الحياة كفاحا وصراعا فان الاسلام يهيب بأبنائه الا يعجزوا أو يكسلوا ، وانما عليهم ان ينشطوا فى الحياة بهمة لاتفتر وعزيمة لاتكل ، ولذا امر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « واستعن بالله ولا تعجز » وكان يستعيذ من العجز والكسل ، فيقول : « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل » .

رابعا . قوانين التكافل الاجتماعي ـ

صان الاسلام مجتمعه من العيوب الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، فقرر ضرورة القضاء على الفقر والجهل والمرض ، والبطالة والتخلف الاقتصادى ، والضعف العسكري والخضوع السياسي ، أو الاذلال المدني ، ويظهر ذلك من جعله التكافل الاجتماعي شاملا للحياتين المادية والمعنوية كما يظهر مما يأتي ـ

١ ـ التكافل الأدبي « أحب للناس ما تحب لنفسك »

٢ ـ التكافل العلمى « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا »،« ومن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

٣ ـ التكافل السياسي «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

٤ ـ التكافل الدفاعي « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله » .

٥ ـ التكافل الجنائي « لا يطل دم فى الاسلام » اى لا يذهب هدرا . « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب » ، « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله » .

البقية على ص ٤٩



دستورى ، قاض فقيه ، اديب مرب ، هكذا كان الماوردى ، طرازا غريبا بين علماء الاسلام ، لا نحسب ان نظراءه كثيرون . فقد نقرأ فى تراجم الكثير من علماء الاسلام أن فلانا فقيه ، او أديب ، أو قاض ، أو نحو ذلك من ألقاب الادب والفقه والحديث الا أنه يعوزنا الدليل على ما ذكر المترجمون من تلك الالقاب .

أما الماوردى فقد ترك لنا الادلة على فقهه ودستوريته وأدبه على انصع ما تكون الادلة ، وحسب الماوردى أن يترك لنا ((الاحكام السلطانية)) لنعرف كيف كان قانونيا دستوريا فى الاسلام ، وأن يترك لنا ((أدب الدنيا والدين)) لنعرف مبلغ تضلعه فى الادب ، وتذوقه للاساليب ، وفقهه فى تخير المستجاد منها ، وأن يترك لنا كتاب ((الحاوى الكبير)) فى فقه الشافعي لنعرف غزارة علمه بالفقه وقدرته على استقصاء مسائله . وهكذا تجد للماوردى شخصيات علمية متعددة ، وينبغي لمن يتحدث عنه أن يفرد كل شخصية بحديث خاص .

الماوردى القاضي

قال المترجمون للماوردى أنه أقضى القضاء ، وأنه لقب بذلك اللقب سنة ٤٢٩ هـ وأنه ولي القضاء فى بلاد كثيرة ، ولكنهم لم يذكروا لنا نادرة غريبة من نوادره فى القضاء ، كما ذكروا عن غيره ، الا أنهم ذكروا فى ترجمته حادثة فى الفتيا ، تدل على حريته واستقلاله فى الرأى ، وهى فتيا تتصل ببعض كبار رجال الدولة فى عصره . فقد أمر الخليفة أن يزاد فى لقب جلال الدولة ابن بويه لقب شاهنشاه الاعظم ملك الملوك — وخطب له بذلك ، فأفتى بعض الفقهاء بالمنع ، وأنه لا يقال ملك الملوك الا الله ، وانحاز

اليهم العامة ، ورموا الخطباء بالطوب ، وأفتى بعض الفقهاء بالجواز ، على تأويل أن المراد بلقب ملك الملوك : ملك ملوك الارض ــ والعبرة فى ذلك بالقصدوالنية، وكان ممن أفتى بالمنع ، وشدد فيــه ، الماوردى ، مع أنه كان صديقا لجلال الدولة ، ولما أفتى بالمنع انقطع عن جلال الدولة ، فطلبه وقال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدا لحابيتني لما بيني وبينك، وما حملك الا الدين ، فزاد بذلك محلك عندى »

الماوردى الدستورى القانونى

لقد كان الماوردى ــ بلغــة عصرنا ــ دستوريا بأوســع معانى الكلمة ، وكان دستوريا اسلاميا ، واذا قلنا دستوريا اسلاميا ، فمعنى ذلك ايضا انه قانونى

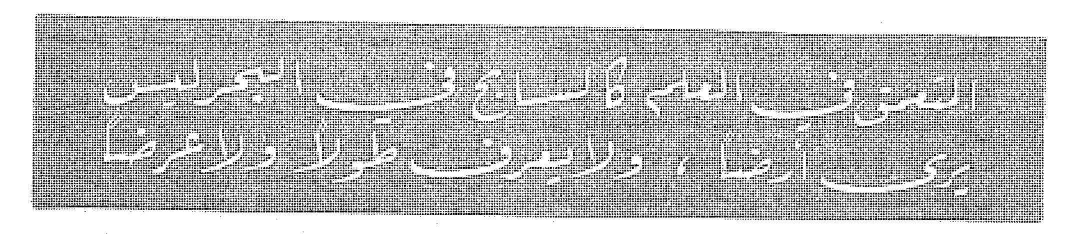
بقلم الاستاذ ابو الوفا المراغي

مدير مكتبة الأزهر

« تسهيل النظر وتعجيل الظفر » . ولم يصل الى ايدى العلمــاء فيمــا نعلم الا الاول ، وضاع الاخرون فيما ضاع من تراث الاسلام ، ولم تبق الا اسماؤها فى كتب التراجم .

الاحكام السلطانية

واذا كــان الكتاب مــرآة الكاتب . فالاحكام السلطانية بترتيبــه وتقنينــه وصياغتهمرآة صافيةلشخصية الماوردى الدستورية القانونية ، فلقد كانت القواعد الاسلامية ، الدستورية ، والاقتصادية ،



بأوسع معانى الكلمة ايضا ، فالدستورى الاسلامى يستمد مادتــه مــن الشريعة الاسلامية ، والشريعة تناولت كل مــا تحتاج اليه الدولة فى علاقتها بغيرها من الــدول ، او علاقــات رئيس الدولـــة بالمواطنين ، او علاقات الافراد بعضهــم ببعض ، واذا تناول العالم هذه العلاقات بالتقنين والترتيب كان دستوريا وكان قانونيا ، وهكذا كان الماوردى . فلقــد تناول هذه العلاقات بالدراسةوالتصنيف فكان نمطا غريبا بين علماء الاسلام .

تناول هذه العلاقات فى كتب اربعة ، وهي : الاحكام الســلطانية و « قانــون الوزارة » و « الســياسة والملــك » و

والادارية ، والجنائية ، والعســكرية ، ممتزجة بغيرها ، مبعثرة هنا وهناك ، موزعة قبله فى ابواب كتب الفقه وفصولها فانتدب لها واستخلصها من مظانهــا ، ووحــد موضوعاتها فجمــع النظير الى نظيره ، والشبيهالى شبيهه ،وجعلها كتابا موضوعيا خالصا ، يســهل على الولاة والمسئولين سبيل الرجوع اليها ، والبت فى الامور بدقة وسرعة ، وفى ذلك يقول فى خطبة ــ اى مقدمة ــ كتاب الاحكام السلطانية « ولما كانت الاحكام السلطانية بولاة الامور احق، وكان امتزاجها بجميع الاحكــام يقطعهم عــن تصفحها ، مــع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، افــردت لها كتابا امتثلت فيه امر من لزمت طاعته،

ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه ، وما عليه منها فيوفيه » .

وقد سبق الماوردى بعض العلماء فألفوا فى موضوعات خاصة من القانون ، فألف الامام ابو يوسف صاحب ابى حنيفة كتابا فى ناحية من نواحى الاقتصاد الاسلامى ، وهو كتاب الخراج ، الذى تناول فيه حقوق الدولة فى الاراضى المملوكة ثم توسع بعده الامام ابو عبيد القاسم بن سلام فألف كتابا شاملا فى النواحى الاقتصادية وهو كتاب الاموال. ولكن الماوردى كان اشمل نظرا واعم موضوعا ، فتناول فى كتابه ما سبق به ، ثم ضم اليه كل ما تحتاج اليه الدولة فى عصره ، من القوانين الدستورية والاقتصادية والجنائية والعسكرية .

فقد تناول الماوردى فى كتابه موضوع اختيار رئيس الدولة ، وقواعد اختيار الوزراء ، وفصل حقوقهم ، وهذا مما يدخل الآن فى القواعد الدستورية ، ثم تناول اختيار امراء الاجناد ونوابهم ، مما يدخل فى القوانين العسكرية ، ثم تناول طرق تحصيل الاموال للدولة من فىء وغنيمة وجزية وغيرها مما يدخل فى القوانين المالية ، ثم تناول احكام الجرائم والمظالم وغيرها ، مما تتناوله القوانين الجنائية .

تناول الماوردى ذلك كله ، وصاغه صياغة قانونية ، ليس بينها وبين الصياغات القانونية الحديثة الا الشكليات والاصطلاحات ، كتسمية القاعدة مادة ، والجملة منها فقرة ، ونحو ذلك مما لا ينقص من حظ الكتاب وقيمته العلمية . ولقد كانت طريقة تأليف الكتاب وترتيبه وصياغته ، حدثا غريبا فى عالم التأليف فى عصره ، حتى قال ان قاضى شهبة فيما نقله عنه ابن العماد فى الشذرات : « انه تصنيف عجيب » .

واخذ ذلك الكتاب مكانه بين تراث الاسلام القانونى قرونا عديدة ، وما زال مرجع المتحدثين فى تاريخ التقنين الاسلامى فى سائر فروعه ، ويعتبر هذا الكتاب من وجهة نظرنا مرحلة هامة من مراحل التقنين الاسلامى الموضوعى والشكلى ، وقد ترجم هذا الكتاب قديما الى اللغة الفرنسية ، اذ كانت فرنسا من الامم التى عرفت بالتخصص القانونى .

الماوردى الاديب

ليس الماوردى فى حاجة الى دليل على انه اديب بعد كتابيه ادب الدنيا والدين ، والاحكام السلطانية ، فما من اديب الا وكان ادب الدنيا والدين من مناهل ادبه، وما من واعظ الا وكان عدته وزاده ، وعليه اعتماده ، والكتاب فى اختياره وصياغته آية من آيات التضلع فى الادب والحكمة ، فقد جمع الى حكمة العرب حكمة الهند ، وآداب الفرس ، وفلسفة اليونان واذا كان الماوردى نسيج وحده فى تصنيف كتاب الاحكام السلطانية على ما اشرنا ، فهو نسيج وحده فى تصنيف ادب الدنيا والدين ، فقد صنف الاول ليكون دستور الحكام والامراء والولاة ، وصنف الثانى ليكون دستور المسلم فى دينه ودنياه ، وقد بناه على اساس اخلاقى ، فأدار الحديث فيه على الفضائل ، وما يقابلها من الرذائل، ليطمع المسلم فى الاولى ، ويكون على حذر من الثانية فيسير فى حياته على بصيرة تفضى به الى سعادة الدنيا والاخرة ، وتحدث عن الفضائل واصولها فى القرآن والسنة، وعن رسومها فى فلسفة اليونان ، وادب الفرس والعرب ، بما وسعته ثقافة عصره وثقافته ، فكان الكتاب مزيجا من الاخلاق والادب والحكمة ، افرغ فيه الماوردى ثقافته الادبية الخصبة التى ندر ان يتوافر مثلها لفقهاء الاسلام .

على أن الاحكام السلطانية أيضا آية من آيات الثقافة الادبية للماوردى ، فقد تناول ما اودعه فيه من الاحكام باسلوب سهل ، بعيد عن تعقيدات المصنفات الفقهية ، ولا يعسر على الدارس المتوسط تفهمه ، والافادة منه ، ورصعه فى بعض المواضع بفرائد من الشعر والمثل والحكمة ، لينسى القارى أنه يقرأ في كتاب فقه او قانون .

وقال المترجمون للماوردى انه شاعر ولكنهم لم يذكروا من شعره الا بيتين لم يقطع المترجمون بنسبتهما اليه ،فقد قال صاحب معجم الادباء : قرأت في كتاب سر السرور لمحمود النيسابورى ، هذين البيتين منسوبين للماوردى .

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله
واجسادهم دون القبور قبور
وان امرؤ لم يحى بالعلم صدره
فليس له حتى النشور نشور

مع ان الماوردى ذكرها فى كتاب أدب الدنيا والدين بعنوان : وانشدت لبعض أهل هذا العصر .

اسلوب الماوردى

واذا صح ان نتخذ من كتابي ادب الدنيا والدين والاحكام السلطانية نموذجا لثقافة الماوردى الادبية ، واسلوبه فى الكتابة ، حكمنا بأن الماوردى قد تشبع بثقافة عصره الادبية ، عربية كانت ام غير عربية ، ووعاها وحفظ كثيرا منها .وكان ينفق منها متى اراد ، ويستشهد بها فى مواطن الاستشهاد شعرا ونثرا ، وحكمة ومثلا ، وحكمنا بأن اسلوبه الكتابي من الاساليب الادبية المسجوعة على المعتاد من الاساليب فى ذلك العصر ، مع مراعاة حق المعنى . على انه كان يترسل احيانا وهاك نموذجا من كتابته فى « ادب الدنيا والدين » عن سلطان الهوى على النفوس : —

ولما كان الهوى غالبا ، والى سبيل المهالك موردا ، جعل العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته ويدفع خداع حيلته ، لان سلطان الهوى قوى ، ومدخل مكره خفي ، ومن هذين الوجهين يؤتي العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه ، أعني بأحد الوجهين قوى سلطانه وبالآخر خفاء مكره ، فأما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه ، حتى تستولي عليه مغالبة الهوى والشهوات فيكل العقل عن دفعها ويضعف عن منعها ، مع وضوح قبحها فى العقل المقهور بها ، وهذا يكون فى الاحداث اكثر ، وعلى الشباب اغلب ،لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم ، وانهم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير : —

كل يرى ان الشباب له
في كل مبلغ لذة عذر

وللماوردى رأى فى الادب ، وهو انه يتغير بتغير الاحوال . وتنقل العادات وان لكل عصر اسلوبا فى الادب خاصا به يكون اوقع فىالنفوس،واسبق الى الافهام ويقول فى ذلك فى ادب الدنيا والدين : ان لاهل كل وقت فى الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ، ليكون اوقع فى النفوس واسبق الى الافهام . وله حكمه فى استصفاء الادب وقبول بعضه ورفض بعض .

الماوردى الفقيه

احتل الماوردى مكانا بارزا بين فقهاء الشافعية ، وتردد اسمه . وشـاعت اقواله فى المراجع الكبرى من كتب الشافعية وقد قال الخطيب عنه : « كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعية ، وله فى الفقه كتابا الحاوى والاقناع ، ولا يخطىء من يعد كتاب الاحكام السلطانية كتابا من كتب الفقه ، حيث عالج ناحية خاصة منه ، وهي الاحكام المتعلقةبتنظيم الحكم الاسلامي ، وكتابه الحاوى من اشهر كتب الفقه ، وهو من اكبر الكتب واشهر المراجع المعتبرة فى المذهب . قال فى كشف الظنون : انه كتاب عظيم يقع عشر مجلدات ، ويقال انه لم يؤلف مثله وقال العلامة الاسنوى : لم يصنف مثله ، وقال ابن خلكان : لم يطالعه احد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب .

وكتاب الاقناع كتاب مختصر فى الاحكام المجردة عن الادلة ، قال الاسنوى عنه : يشتمل على غرائب . وقد نقل ابن السبكي فى طبقاته مختارات من فوائده الفقهية فى كتابيه الحاوى والاحكام السلطانية ، ولشهرة كتاب الحاوى عرف به الماوردى فقيل عنه انه صاحب كتاب الحاوى .

الماوردى المربي

قبل ان اتكلم عن الماوردى كعالم من علماء التربية ، يحسن ان اشير الى معنى التربية عند علماء التربية الاسلامية .. فهى عند هؤلاء ما يشمل تثقيف الذهن بالعلوم والمعارف ، وتزكية النفس بالآداب والفضائل . فهي تربية لسعادة الدنيا والآخرة وقد الح علماء التربية الاسلاميون فى أن تسير الترتيبات جنبا الى جنب لان الاخلال باحداهما اخلال ببناء الشخصية الاسلامية الكاملة ، فالعلم بلا خلق جهل او كالجهل . وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بنفسه وبرايه ، او يتكثر بعلمه ، والخلق بلا علم اجحاف بالعقل ، واهدار لمواهب الانسان .

ولقد تحدث الماوردى فى التربية بمعناها الواسع ، ولم يكن حديثه فى كثير من مسائلها حديث الراوى والحافظ والمقلد . ولكن كان حديثه حديث الملاحظ والمجرب والمبتكر . فقد مارس مهنة التعليم ، وعانى رياضة المتعلمين ، ودرس طبائعهم وأمزجتهم وتفطن الى تفاوت مواهبهم ، واختلاف درجاتهم فى الذكاء والاستعداد والتلقي . وخرج من تجاربه بنتائج فى التربية ، تكان تكون خلاصة لما اتفق عليه علماء التربية من القواعد : قديما وحديثا ، اودعها كتابه ادب الدنيا والدين .

ولا ندرى لماذا اهمل الكاتبون الماوردى كعالم من علماء التربية ، حين تحدثوا عن علماء التربية الاسلامية ، ورايناهم جميعا حين تصدوا للحديث فى التربية تخطوه الى من بعده بنصف قرن أو قرون ، فتحدثوا عن الفزالي ، وهو بعده بنصف قرن ، وعن ابن جماعة ، وابن خلدون ، وهما بعده بحوالي ثلاثة قرون . ويأخذ اللاحق من الكتاب عن السابق ، ولايتنبه احد منهم الى مكان الماوردى فى تاريخ التربية ، وهو أولى بأن يحتل مكان الصدارة فى هذا التاريخ ، فهو اسبق من الفزالي وابن خلدون وغيرهما ، وادق حديثا منهما فى مسائل التربية . فله

فضل السبق والابتكار، واذا انعمنا النظر فيما كتبه هؤلاء ، مما اتفقوا فيه مع الماوردى من مسائل التربية وجدناهم قد ساروا على خطاه ، واقتفوا آثاره فى كثير مما عالجوه منها . وللمقارنة بينهم وبينه مجال فسيح ، وهاك شيئا مما سجله الماوردى فى أدب الدنيا والدين من مسائل التربية .

١ ـ العلوم شريفة ، ولكل منها فضيلة، والاحاطة بجميعها محال ، والمتعمق في العلم كالسابح فى البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا .

٢ ـ اذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل، وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها ، والعناية بأولاها وأفضلها .

٣ ـ لكل علم أثر فى النفس ، فمن تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق طبعه .

٤ ـ ينبغي الا يمنع كبر السن من التعلم استحياء ، لان العلم اذا كان فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة ، ولان يكون شيخا متعلما ، اولى من ان يكون شيخا جاهلا ، والجهل بالكبير اقبح ونقصه عليه أفضح .

٥ ـ ينبقي على الانسان ان يجعل للعلم حظا من زمانه ، فليس كل الزمان زمان اكتساب ، ولا بد للمكتسب من اوقات استراحة ، وايام عطلة ، ومن صرف كل نفسه الى الكسب ، حتى لم يترك لها فراغا ، فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص .

٦ ـ ليس الكبير اقل استعدادا للتعلم من الصغير، ولكن شواغله اكثر، تستوعب زمانه وتستنفذ ايامه ، والصغير افرغ قلبا ، واقل شغلا ، واكثر تواضعا .

٧ ـ يجب ان يتجنب المتعلم الحفظ دون فهم للمعنى، حتى لا يروى بغير روية، ولا يخبر عن غير خبرة ، فيكون كالكتاب الذى لا يدفع شبهة ، ولا يؤيد حجة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم رعاة ، ولا تكونوا له رواة ، فقد يرعوى من لا يروى ويروى من لا يرعوى.

٨ ـ ينبغي الا يكتفي العالم بما تعلم، بل عليه ان يزداد منه وليكن مستقلا للفضيلة منه ، ليزداد منها ، ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي عنها . ولا يقنع من العلعم بما ادرك ، لان القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .

٩ ـ على العالم ان يرفق بالمتعلمين ولا يعنفهم ولا يحقرهم . ويبذل النصح لهم ، فان ذلك ادعى اليه واعطف عليه ، واحث على الرغبة فيما لديه ، وفي الآثار : علموا ولا تعنفوا ، فان المعلم خير من المصنف .

هذه بعض مسائل التربية التي تحدث فيها الماوردى ، فماذا كان موقف علماء التربية الاسلاميين ؟ ان بعضهم اقتبس منه ، واشار الى ذلك ، عملا بالامانة العلمية، واعترافا بالفضل لاهله، وبعضهم اقتبس منه وتغافل عن فضله عليه . والباحث فى تاريخ التربية ، والمتتبع لجهود علمائها بانصاف ، يعرف الى أي مدى كان فضل الماوردى فى بناء علم التربية ويعرف الى أي مدى كان جحود الكاتبين فى تاريخها لفضل الماوردى .

وبرتغالي يتكلمان ، انك لو فعلت او قدر لك ان تفعل ذلك في حين من الاحيان ، لرأيت بينهما من التقارب والتداني ، ما هو اكثر من تقارب العربية المحكية بين اقليم واقليم . فما السبب الذى باعد بينهما فجعلهما قومين) وما السبب الذى قارب بين التونسي والفلسطيني والمصري واليمني والجزائري والاردني والليبي والمغربي فجعل من السكان في كل هذه الاقاليم اخوانا يرجعون في لغتهم الاصيلة الى نفس اللسان ، ويهتدون بهدى لغة واحدة هي لغة القرآن . فالقرآن — اذن — هو موحدهم وجامع شملهم ، ولولاه لكانوا امما مختلفة الشأن واقواما مختلفي اللسان ، ولعلك تدرك بعد ذلك يا اخي ! لم استمات الاستعمار في تشجيع اللهجات المحلية وتشجيع العرب على التأليف فيها انه لم يفعل ذلك الا أملا منه في ان ينتزع بعض القوة من هذا السياج القدسي ، وذلك القرآن المبين الذى تسور العرب به ، فحماهم من الزوال ، وكتب لهم الخلود ، مهما تبدلت الاحوال .

يا اخي القارىء ، يا من خيل اليك ، امكان اتهامي بالجنوح في حديثي الى مقتضيات العاطفة ،فكر معي وتساءل ما عساه ان يكون شأن العرب لولا القرآن ، لقد حكمهم العثمانيون اكثر من ستمائة عام ، كان جزءا واحدا منها كافيا لتبديل امم بامم ، واقوام باقوام ، اين الرومان ؟ اين الآشوريون ؟ اين البابليون ؟ اين الفينيقيون ؟ ؟ اين الفراعنة ، انها امم واقوام كانت في هذه البلاد ثم اندثرت ولولا معالمها الباقية لطواها النسيان . مع ان هذه الامم لم تتعرض للنكبات التي تعرض لها العرب ، ومع ذلك فما زال العرب موجودين ، وسوف يبقون خالدين ، يحميهم القرآن ، وينبههم الى ما يلحق بهم من الذل والهوان ، انهم حملة رسالته الازلية ، الرسالة الخالدة الحقة ، وسدنة تعاليمه الابدية ، فهم باقون ما بقي القرآن ، فالقرآن المعجز دوحة عظيمة ، وما العروبة الا احدى ظلالها الوارفة . لقد كان القرآن الكريم الاساس المكين في حفظ اللغة العربية والعرب ، وكان بالامكان ان يستمر اكبر وسيلة لتعريب الكثير من العالمين لو وجد العرب الحكم الصالح لانفسهم كما يقول « دوزى » ، وأحسن خلفاؤهم وملوكهم وسلاطينهم وزعماؤهم حسن التبشير به ، والافصاح عن مقاصده الانسانية ، واهدافه في اسعاد البشرية .

ولقد نزل قرآنا عربيا ووصف بذلك اشارة الى ان العرب هم الاصل فيحمل الرسالة الانسانية .

وانني الخص كلماتي في هذا الشأن مستنتجا خلاصتها مما ذكرت ، معبرا عنها في كلمات معدودات هي : ان العرب أمة خلدها القرآن ، فرفع شأنها في كل مكان ، مشفعا هذه الخلاصة بالتعجب من حال اناس يدعون العروبة ، ويقولون بنبذ القرآن،ناقلا لهمقول الكاتبة الاديبة ((مي زيادة)) في فضل الكتاب الكريم على العرب بقولها : من ذا الذى لا يعرف للكتاب الكريم فضله في بقاء هذه اللغة ؟ ومن ذا الذى يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام حيا سائلا المولى ان يهدى هذا النذر اليسير من الناس الى الطريق القويم والصراط المستقيم .

ويحلو لي ختاما ان أقول ان القرآن الكريم بكلماته ، وأحاديث من اوحي به اليه ، أملنا الوحيد في القضاء علىالتفرقة والطائفية والانانية التي ظهرت في العالم العربي ففرقته الى ألوان من انقسامات يوقظ الأعداء لهيبها ، كلما هجعت نارها منذ وجد الرسول الى يومنا هذا ، ناسين ما جاء بالقرآن الكريم ((انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)) .

بقية أسعاد الفرد والجماعة

٦ ـ **التكافل الكفائي** : ويظهر ذلك فى فروض الكفايات الواجبة على كل مسلم ومسلمة كصلاة الجنازة ورد السلام وانكار المنكر .

٧ ـ **التكافل الاقتصادى** : « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، وتدلو بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » .

٨ ـ **التكافل الاخلاقي** : « من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

٩ ـ **التكافل الحضارى** : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

١٠ **التكافل المعيشي** : وله انواع كثيرة كتب فى بيانها كثير من الكتاب لحماية العجز والفاقة وتنشيط الضعفاء .

وموارد ذلك الزكاة والوقف والنفقات والوصايا ، والغنائم والركاز والمعادن والنذور والكفارات والأضاحي ، وصدقات الفطر والصدقات العامة ، وكفاية الفقراء . وما ترى الدولة تحصيله لتحقيق هذا التكافل بأنواعه اذا لم تف الموارد السابقة به .

« ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا او عروا ، الا بما يصنع اغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما » .

والكلمة الأخيرة هي انه يجب أن نطبق الاسلام كله وان نحييه فى قلوبنا ونفوسنا ، وان نأخذ احكام الاسلام كلها ، دون اخلال بجانب من جوانبه ، فاذا قال بعض الناس لانجد مجالا لتطبيق الاسلام فى الحياة الحديثة ، فذلك من قصور العقل وضعف الهمة والتفكير ، وعداء الجاهلين ، فان الاسلام كل لا يتجزأ ، صالح لعمارة الكون ، وللملاءمة مع كل زمان ومكان .

ونستطيع تلخيص اصول الاسلام بما يلي فى ضوء ما ذكرناه .

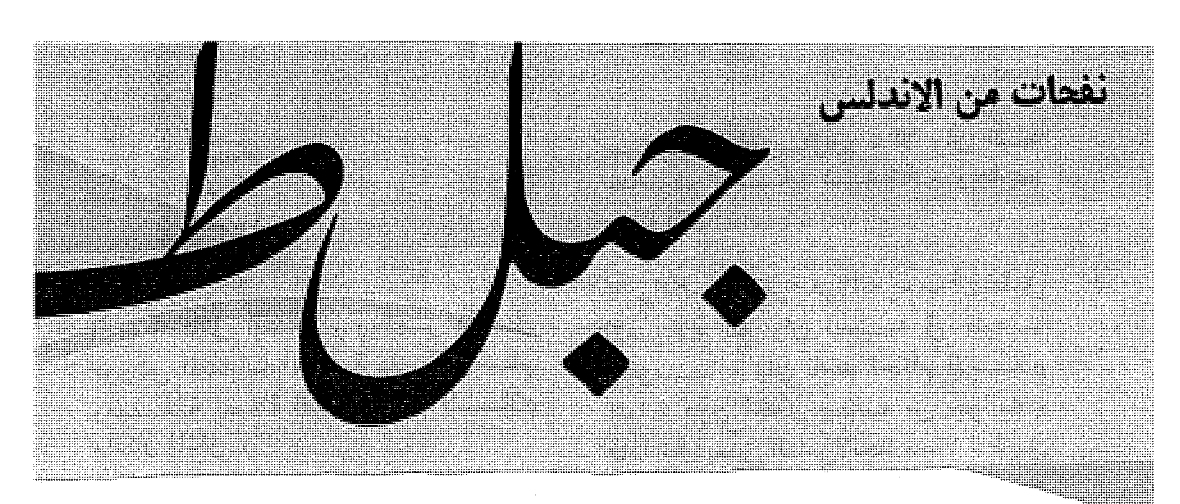
١ ـ ان نظرة الاسلام الى الحياة نظرة مادية وروحية معا وان قيام الحضارة الحديثة على الصعيد المادى فحسب يعجل بانهيارها وزوالها .

٢ ـ ان الاسلام عقيدة ونظام واخلاق .

٣ ـ ان الاسلام يتجاوب مع الفطرة الانسانية السليمة وينشد تحقيق المثل العليا .

٤ ـ ان السلطة الاسلامية مسئولة عن تأمين الرخاء والرفاهية لشعبها ، .

٥ ـ ان النظام الاسلامي يجمع بين مزايا النظام الرأسمالى ، ومزايا النظام الاشتراكي، بحيث يعد مثلا اعلى للاعتدال، والوسط وموازنة الاوضاع : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .



صرحٌ – مدى الأزمان – ناطقٌ يروي اقاصيص البواشقْ
يروي اقاصيص العُلى والمجد من أيام طارق
ويحدث التاريخ في صحف مطهرة نواطق
صحف تشامخ مجدها فتعطرت زهر المناطق
وبدتْ تُعطّر بالشذى بيض المرابع والمرافق
شهد البطولة ذلك الجبل الاشم ، رأى الحقائق
فمضى – يمجد باللسان الطلق أحداثا شوائق
ويسجل الدرر الخوالد في سجلاّت صوادق
شهدت ذراه طلائع الجُلّس واعلام الفيالق
وبداية الفتح المبين وموكبًا في الدهر سامق

***

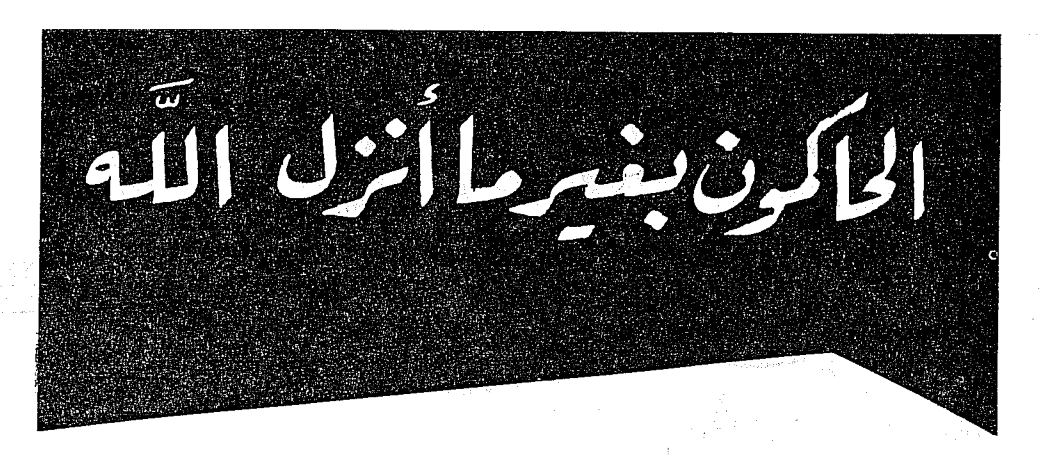
يا شامخًا في الافق حدّثْ فالحديث اليوم رائق
حدث عن الابطال للاجيال والعُصُر اللواحق
حدث ولا تبخل فقد حدثتَ اجيالاً سوابق
حدث عن السفن المواخر وهى تقتحم المغالق
وتميس فوق الماء تيها والخلود لها مرافق
تشتاق اندلسَ الجميلة شوق معشوق لعاشق



وبطولة ابن زياد تلهب في الجنود قوىً بواسق
يذكي النفوس بخطبة شمّاء حطمت العوائق
قد احرق السفن المنيعة وانبرى في الجند ناطق
في قوله فصل الخطاب لعسكرَ يهوى الشواهق :
يا أيها الابطال هيا لا مفر من المخانق
إن العدو أمامكم متربصٌ بكم المآزق
والبحرُ صار وراء كم والبحر صخابٌ ودافق
هيَا فليس لكم سوى الصبر الجميل على الضوائق
وأنا اقود الصف لا أخشى النوازل والخوارق
فانقضَّ جندُ المسلمين على الجحافل كالصواعق
وغدا الخصيمُ ممزقاً رغم التحصن في الخنادق
واذا بصخرة طارق تزهو براياتٍ خوافق
واذا بطارق خالد متلألئٌ في كلّ خافق

***

ياصخرة الفتح المبين لقد أتيت من المشارق
في قلبي الخفاق حب للحمى و هوى معانق



ترد الينا رسائل كثيرة تسأل عن الحكم في المسلم الذى يترك أحكام دينه الواضحة في القضايا والمسائل المعروضة عليه ، ويأخذ بغيرها من القوانين المستوردة المخالفة لأحكام الاسلام .. ويقول أصحاب هذه الرسائل . أليس هؤلاء ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) .

ونحن نحيل أصحاب هذه الرسائل الى فتاوى المرحوم الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السابق في الرد على هذا السؤال نفسه . وهي منشورة في كتابه ((الفتاوى)) ولكن اسعافا للسائلين وغيرهم ممن لا يتوفر لديهم هذا الكتاب ننقل نص ما جاء فيه قال رحمه الله وطيب ثراه : —

هذا السؤال لا يختص بالقاضي الذى يحكم حكما غير اسلامي ، وانما يتناول الحكام المسلمين الذين يأمرون بتقنين احكام غير اسلامية ، والمقننين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الاحكام ، والمتخاصمين المسلمين الذين يتحاكمون اليها ، ويرضون بها ، بل ان حاجة هؤلاء الى معرفة حكم الاسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام ، وخاصة من يكونون منهم في بلد اسلامي ، ليس لغيره عليه سلطان في تشريعه وأحكامه .

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين ان القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعي الذى تخالف احكامه احكام الاسلام كفار مرتدون عن الاسلام، معتمدين في ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) ويلزمهم أن يحكموا بكفر المقننين والآمرين بالتقنين ، فان هؤلاء — وان لم يكونوا يحكمون بها — قد وضعوها بأنفسهم ، أو أمروا بوضعها ، ولا شك أن واضعيها والآمرين بوضعها تبعتهم أشد من تبعة الحاكمين بها .

الحكم الاسلامي نوعان : قطعي واجتهادى

ولمعرفة الجواب الحق لهذا السؤال يجب أن نعلم أولا أن الحكم الاسلامي نوعان : حكم نص عليه القرآن أو السنة نصا صريحا لا يحتمل التأويل ، ولا يقبل الاجتهاد . ومثاله في الاحوال الشخصية حرمة المطلقة ثلاث مرات على مطلقها حتى تتزوج غيره .

وفي المدنيات حرمة الأرباح التي استغلت في سبيل الحصول عليها حاجة الفقير المحتاج المستحق للمعونة ، وتقسيم الميراث الذى ورد في القرآن .

ومثاله في العقوبات قطع يد السارق الذى توافرت فيه وفي سرقته شروط العقوبة .

هذا نوع ، والنوع الآخر حكم لم يرد به قرآن ولا سنة ، أو ورد به أحدهما ،

ولكن لم يكن الوارد به قطعيا فيه ، بل محتملا له ولغيره ، وكان بذلك محلا لاجتهاد الفقهاء والمشرعين ، فاجتهدوا فيه ، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره . وأكثر الأحكام الاسلامية من هذا النوع الاجتهادى .

فى النوع الاجتهادى متسع للقاضي

واذا علمنا هذا استطعنا أن نقول فى الجواب عن السؤال ان الحكم فى النوع الثاني — وهو النوع الاجتهادى — ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الاسلامية ما دام أساسه تحرى العدل والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة ، فان الاسلام لا يمنعه ، ولا يمقته فضلا عن أن يراه ردة يخرج القاضي به عن الاسلام ، ذلك أن الاسلام ليس له فى هذا النوع حكم معين وانما حكمه هو ما يصل اليه المجتهد باجتهاده المبني على تحرى المصلحة والعدل ، فمتى وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله وحكمه .

متى يحكم بالكفر ؟

أما النوع الأول وهو الحكم القطعي المنصوص عليه فى كتاب الله ، أو سنة رسوله الثابتة التي لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال — فان الحكم بغيره ان كان مبنيا على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة كان ولا شك ردة يخرج به القاضي عن الاسلام .

أما اذا كان القاضي الذى حكم بغيره مؤمنا بحكم الله وانه هو العدل والمصلحة دون سواه ، ولكنه فى بلد غير اسلامي أو بلد اسلامي مغلوب على أمره فى الحكم والتشريع ، واضطر أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والانكار ، فان الحكم فى تلك الحالة لا يكون كفرا ، وانما يكون معصية ، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها .

الواجب على القاضي المسلم

واذن يجب على القاضي المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع الى ذلك سبيلا ، واذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفا من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فان الاسلام يبيح له ذلك ارتكابا لأخف الضررين ما دام قلبه مطمئنا الى حكم الله .

تخريج آية المائدة

أما قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فقد جاء فى قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويعرفون حكم الله ، ويرفضونه مؤثرين عليه حكم الهوى والشهوة ، وفى شأنهم يقول الله « من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ويقول « ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهي « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ليست فى حق كل من حكم حكما غير اسلامي فى قضية ما .

الوعي : وحكم الاسلام على من قضى بغير ما أنزل الله بالكفر تارة ، وبالظلم ثانية ، وبالفسق مرة أخرى — أمر طبيعي ، فاننا نرى أصحاب المذاهب والمبادىء القديمة والحديثة يحاكمون كل من خرج على قوانينهم ومبادئهم ، ويعتبرونه متمردا ، وينزلون به أقسى العقوبات .

والقرآن الكريم أحكام الله التي شرعها لعباده ، وهو سبحانه غيور على شرعه وأحكامه وخلقه ، ومن الطبيعي أن يعتبر كل خارج على حكمه متمردا على الله ، مستحقا لعقابه فى الدنيا لخروجه عن السنن الحكيمة ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

---

(١) الآية ٤٢ من سورة المائدة .

حتمية انتصار الاسلام

بقلم الاستاذ احمد العناني

((كيف يمكن أن تردّ الناس الى كذا وكيت من أنواع الملابس ؟)) .

((لا يا أخي ــ أتريد أن تبعث الطائفية من جديد ؟)) .

دع عنك ما تقول ــ الدين خاصية من خصائص مراحل زالت من التاريخ)) .

هاه ! الناس يصعدون الى الكواكب وأنتم تحدثوننا عن عهود الحريم والرقيق)) .

((لا ، لن يسمحوا لنا باعادة أيام الجهاد)) .

((الناس تقدمت يا أخي ، نريد مصانع .. نريد صواريخ)) .

((الدين لله والوطن للجميع .. ما لنا حتى ولعبارة دين الدولة الاسلام)) .

((ماذا ؟ نحن عرب وكفى !)) .

((كيف ؟ تريد أن تحرمنا من السينما وصالات الموسيقى ؟))

((هذه أيام الحرية ــ المرأة مثل الرجل تماما .. هذه هي علامات الحرية)) .

((أين يوجد الاسلام ؟ تلك أيام جميلة مرت ! ايه ! أين هم المسلمون ؟)) .

هـذه المجموعـة مـن الملاحظـات والتساؤلات تعبر عن الظواهر الانخذالية والمضللة ، وتكاد تلخص ما ينطلق مـن الكثيرين اما بغباء عفوى مصحوب بهـز الأكتاف ، أو بحقد ممرور يدب خفيـا ليموه على النوايا السـود ، أو بنذالـة مترهلة على ألسنة الذيـن تورطوا الى الأذقـان فى الفواحش ، وبهـروا حتى الجنون بالبهارج ، وارتدوا عن وعي أو غير وعي منهم عن دين الله الخالد .

ولقد توحي النظـرة السـطحية فى الأمور لأول وهلة أن سفينة الاسلام قد مزقت اشرعتها الرياح وتدفق فى خروقها الماء ، فلن تبق الا ساعات حتى يبتلعها اليم وتزول ، لكن النظرة العميقة التي تعرف الأوزان الحقيقية للاشياء،وتنطلق من تقييم دقيق نزيه للامور ، وتفهم عما يكون اليوم وما كان ، وتستشف بفطنة مواقع اقدام المستقبل وخطاه ، مثـل هذه النظرة تستطيع بسهولة أن تخترق ضباب الأزمة الراهنة ، وتنفذ من أستار الوهن البادى ، وترى الاسلام الظافـر وقد علا صوته على كل صوت ، وارتفعت رايته فوق كل راية ، وتداعت اليه الامم المحزونة المفجوعة أفواجـا تحت كـل كوكب تتفيأ فيه ظلال الأمن بعد هجير الضياع ، وتتعوض سكينة اليقـين مـن شـقاوات التشرد ، وتلتمس سـعادة السلام الحق بعد عذاب الهدوء المريب الخادع .

هذه النظرة الى المسـتقبل مردهـا الاحترام العميق للانسانية ، وأساسها أن الانسان أعظم قيمة دنيويـة ، وهي ليست ناشئة من أرقـام تحصى عـدد المسلمين ، أو تقدر مدى قوتهم وتسلحهم وعمرانهم كما يفعل السياسيون .. انها النظـرة التي تسـتنكف أن تحكم على متانة العمارة بفحص دهان الأبواب وطلاء النوافذ ،أو حياة الشـجرة بتسـاقط أوراق لها فى دورة العام المتجددة ... ان الذين يحكمون على الاسلام ومستقبله بمجرد النظر فى جزئيات قشرية مـن سرحته الضرابة الجذور فى الارض ، انما يشبهون طائفة العميان فى الأقصوصـة المعروفة حين يتعرف واحدهم على الفيل لأول مرة فيحكم على حجمـه بالقياس لأذنه التي تقع عليها يده بمحض الصدفة.

صحيح أن البـون شاسع بـين مـا ينبغي أن يكون من حال المجتمع الاسلامي وبين ما هو كائن فعـلا ، وصـحيح ان انحرافات خطيرة قد حدثت فى الماضي ، وحادثة فى الحاضر ، ولكن كل النكسات التي حصلت وكل الزيغ الذى يحصل واضعاف ذلك وهذا ــ هي جميعها أضعف مـن أن تتحـدى الوجـود الاسـلامي وقابلياته المتوفرة للانطلاق ، وهي كلها أعجز عن أن تكم ومضات نـوره الباقي بين غيـوم التحديات المتنوعـة كتنوع الأجيال وحوادث الأيام .

ومن الخطأ الفادح أن يقارن مصـير الاسلام بأية مصائر انتهت اليها الاديان أو المبادىء الثورية اللادينية لأسـباب كثيرة اليك أهمها :

أولا ــ ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يلحق به تغيير أو تبديل أو تحريف ، أو اصابه مس أو غامت صفحته بشك أو ريبة مـن أى نوع .. فهو قائم موجود ، حامل آيته المعجزة بكل روائها على هامات الأجيال

وفى هذا الكتاب الكريم كل الدلائل على الوهيته لم يناقضها أى نشاط لتطور الذهنية البشرية ، بل ان هذا التطور انما يكشف الآفاق المستورة لمعانيه العجيبة ، ويقيم فى كل يوم دليلا على انه حق وتنزيل ، وأنه الوعاء الهائل السعة الذي ينتظم التوجيه المستوعب لنشاطات الوجود البشرى فى كل مجالات الحق والخير والابداع ، والذى ما يزال يشع الدوافع الباعثة لسمو النشاط الانساني الايجابي فى متاهات المجاهيل الشواسع .

وثانيا — ان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحمل جميع نماذج التطبيق فى نطاق النفس الانسانية وسلوكها لمبادىء القرآن الكريم على الحياة الناجحة المثلى فى أروع صور الحياة الكريمة .

وثالثا — حقق الاسلام أسمى أحلام الانسانية الشريفة باقامته نموذجا عمليا للدولة السعيدة التى تصور هدف البشر فى قيام الحكومة المثلى التي يتمثل فيها أقصى حد ممكن التحقيق من الحياة الطيبة حيث لا يضار الفرد بالحكومة فى نطاق كفاءته وحرياته ، ولا تضار الحكومة بطغيان فرد أو طموحه ، وحيث الشريعة الالهية السمحة فوق كل سلطة كائنة ما كانت ، وحيث تنعدم فرص الاستغلال والاستغفال بسلطان الشرع ، وبعزوف الفرد واستنكافه عن التضحية برضا ربه لمطامح الأهواء الجانحة ، وحيث الكفاية هي وسيلة الرفعة من دون العصبيات والاحساب والالوان ، وحيث الزكاة عبادة وضريبة يسارع الفرد لأدائها من قبل التفكير فى سلطان الدولة ، وحيث يقوم التوازن الرائع الذى يحفظ الفروق بين الأفراد فى حظوظ الحياة فروقا معقولة ، بالقدر الذى يجعل الحياة مفتوحة المجال لعلو الهمة صحيحة الشهية للعمل والانتاج ، وحيث العمل والحرفة واجب،والاحتكار والربا والغبن والغش تخرج أصحابها من الجماعة المتآخية الربانية المتعاونة على المعروف المتناهية عن المنكر .

رابعا — ان الهندسة المعجزة لنظام الاسلام تجعل فيه قابليات هائلة لمواجهة الظروف المختلفة ويبدو لي هذا البنيان وكأنما أنشىء من حجيرات فسيفسائية على أمتن جانب من الصلابة تتشكل فى مجموعات متلاحمة الالتصاق فوق سطح داخلي مصبوب فى قطعة مستحيلة التمزق ، ولقد تستطيع الرجات والهزاهز وعوامل الزمن أن تغشى ظاهر الفسيفساء بالغبار ، أو تنتزع بعض حصبائها أو تفتت بعض زوايا الحصباء الصغيرة ، ولكن يستطاع فى كل وقت أن يغسل ظاهر البناء وأن يرمم فى مكان الحجيرات المنزوعة عن السطح الداخلي الثابت فاذا كل شيء فى جدته وعظمته .

ولن أترك هذا التشبيه التمثيلي كما يقول البلاغيون قبل أن أوضح عناصره واحدا فى أثر واحد . ان الحصباء الكثيرة الأعداد من الفسيفساء تمثل الأفراد المسلمين فى مختلف العصور ، والمجموعات المتقاربة منها تمثل الأسر المسلمة ، والسطح الداخلي هو العناصر الثابتة من القرآن والسنة مندرجة فيهما صورة الحكومة الاسلامية المثلى وعلى رأسها رجل الانسانية الأمثل محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد أثبتت عبقرية الاسلام الخاصة على مدى التجارب التاريخية أن الفرد المسلم الواحد له من القدرة على البقاء ، والشجاعة فى المواجهة بحيث يستطيع الاحتفاظ بدينه ووجهة نظره فى الحياة تحت أقسى النظم الاجتماعية والسياسية التي تخالف دينه كل المخالفة ، وسر ذلك فى التجاوب الكامل بين الذات المسلمة وغايات الحياة المثلى .. فمن أخذ الاسلام واعيا فاهما وجد نفسه تحت فيض متواصل من اشعة النفس الداخلية .. فالمسلم كفرد يطلب منه الا يخاف شيئا الا ذنبه ، ولا يرجون أحدا الا ربه ، وهو يعلم أن العمر والرزق موقوفان على ارادة الله ، وأن الله محييه وموفق سعيه وناصره ما احتمى بالمسلك المؤمن المستقيم ، وهو يعلم أن المطلوب بذله منه هو جهد طاقته ، ويعلم أن الله تعالى الذى يرانا حيث لا نراه ، ويطلع على سرائر أنفسنا وما خفى منها هو اله عادل لا يظلم ابدا ، ورحيم لا تخفى دلائل رحمته الا حيث يريد رب الغيوب خيرا دق عن الفهم .. هذا المسلم الفرد الذى لا يخاف الا من ذنوبه ومنهاالكسل والعزوف عن احتراف العمل ومجانبة السعي الايجابي فى كل درب خير ، يستطيع أن يعيش مع أقسى الظروف المعادية له طالما أنه لا يستطيع مخلصا مدافعتها .. ان له عالما فى داخل نفسه يتحدى كل عادية لا ترد ، ويطمئن الى كل قدر لا يغالب ، وهو يمارس الوعي على عالمه هذا فى صلواته ، وفى تذكره الدائب لعلاقته بربه والكون الذى احاطه به ربه ، وهو يحاول جاهدا أن يجعل المحيط الذى حوله محيطا مهتديا بارادة الله الخيرة ، ولكنه يعلم أنه غير مسئول عما يتجاوز اصلاحه . طاقته الفردية .

ويتصل هذا الفرد المسلم بربه مباشرة يناجيه ويستانس باستلهام عونه وتلاوة كتابه ، وهو يعرف ان صلاته ونسكه ومحياه ومماته لربه ، يؤدى فروض الله ويعبد الهه فى علاقته بوالديه ، ورعايته لأطفاله ، وصلته لرحمه وفى كيفية العمل والمتاجرة والتقارب أو التباعد عن خلق الله .. كل ذلك وفق المرسوم فى القرآن والسنة ، و فى خارج ذلك يتنشق المسلم أنسام حرية مثلى ، ويتجاوز مع الاقارب والأباعد فى حدود ما أحل الله ـ هذا بالنسبة للفرد والى بقية الحديث فى العدد القادم باذن الله .

قيمة الرجل عقله

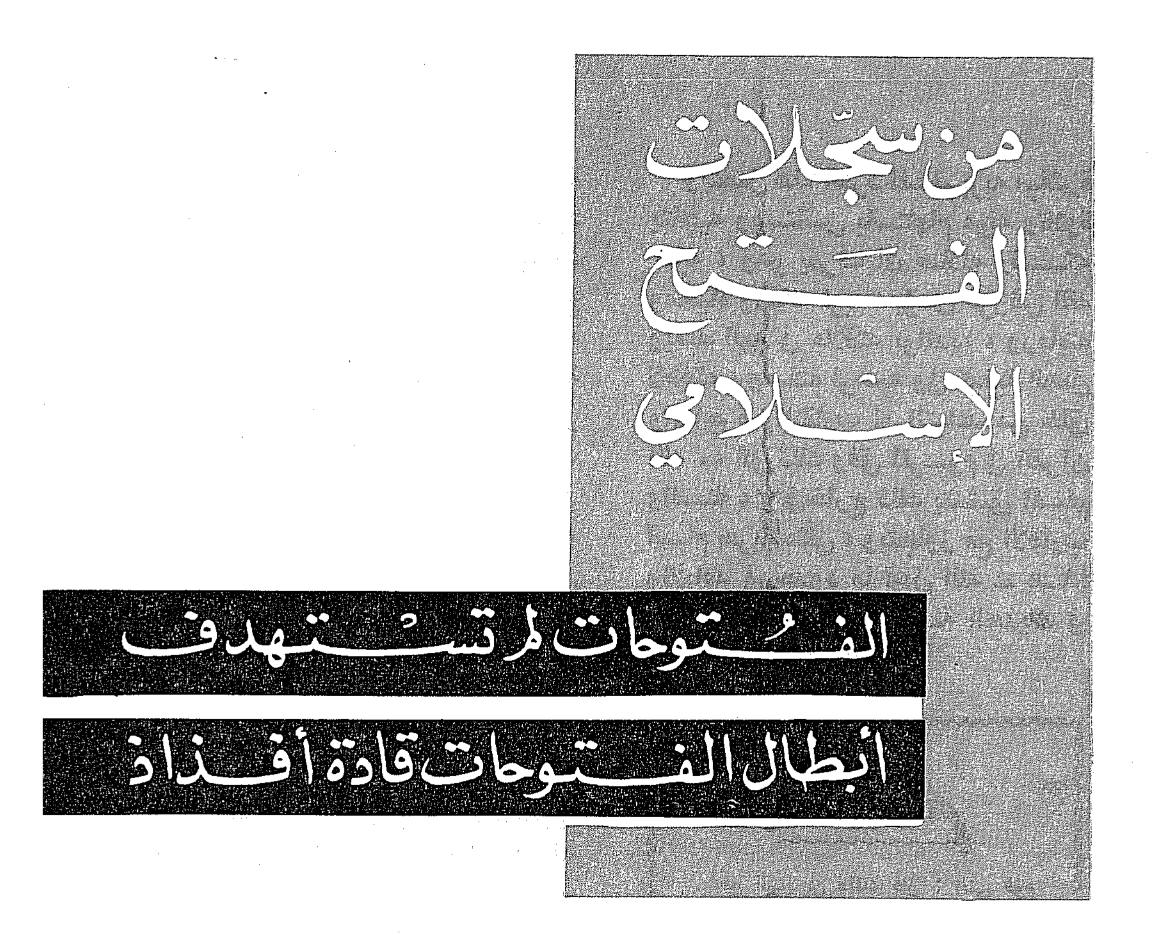
عن أنس بن مالك قال : أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا ، فقال رسول الله كيف عقله ؟ فقالوا : نخبرك عن اجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله ! .

فقال عليه الصلاة والسلام ان الأحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر ، وترتفع العباد غدا فى الدرجات على قدر عقولهم .

■

● ان القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

● رحم الله عبدا تكلم بخير فغنم او سكت فسلم .



يخطىء بعض الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامي اذ يصورون الفتوحات الاسلامية على انها مجرد أعمال عسكرية استهدفت تحقيق الامجاد وتوسيع رقعة الارض التي يسيطر عليها المسلمون .. فهم ينظرون اليها بمنظارهم المادى البحت ، وقد أدت هذه النظرة الخاطئة الى جنوحهم لتكريس بطولات نفر قليل من أبطال تلك الفتوحات ـ باعتبارهم شخصيات فذة طامحة الى السلطة .. مما سهل عليهم بناء «الامبراطورية العربية » فى زمن قياسي ..

والحقيقة التي يجب ألا تغرب عن البال لدى دراسة الفتوحات الاسلامية ـ هى أنها استهدفت نشر الدين الاسلامى أولا ـ وأخيرا ـ باعتباره دين الهداية البشرية جمعاء ، وأما الاهداف الفرعية الأخرى فهي ان وجدت فانما هي تابعة للهدف الأساسي .. وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم أسرار التضحيات الكبيرة والبسالة الفائقة فى مواجهة العدو فقد كان المجاهد يقاتل بائعا دنياه بآخرته مرتضيا لنفسه الشهادة باعتبارها الطريق الى جنان الخلود ..

الى جانب الهدف السامى والايمان العميق به والاستعداد للتضحية فى سبيله فقد هيأ الله تعالى لهذه الفتوحات نخبة ممتازة من الرجال ، أتقنت فن الحرب وابتكرت أروع أساليب القتال حتى أن المعاهد العسكرية الراقية لا تزال تدرس خططهم واستراتيجيتهم حتى اليوم ..

ولئن كانت الفتوحات الاسلامية لم تحتل مكانتها التاريخية الرفيعة الا فى عهد الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب ، فان الحديث عنها يجب أن يتجه أولا الى البداية الفذة التي انطلقت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تلك البداية التى نسج على منوالها خليفته أبو بكر الصديق وجاء من بعده عمر ليتابعها .

مقدمة فتح الشام فى عهد الرسول

كانت معركة مؤتة ذات طابع استطلاعي كمقدمة لفتح الشام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جهز حملة عددها (٣٠٠٠) مقاتل بقيادة زيد ابن حارثة وان استشهد فجعفر بن أبي طالب، وان

دراسة اعدها
الاستاذ موفق بني المرجة
محرر بمجلة الكويت

السيطرة وإنما نشر الدعوة

مازالت خططهم تدرس حتى اليوم

استشهد فعبد اللهبن رواحة،فاناستشهد فعليهم بانتخاب أميرهم ، وكان هدفها تأديب القبائل القحطانية التي كانت تعتدى على قوافل المسلمين والانتقام من أمير بصرى لسكوته على قتل رسول النبي صلى الله عليه وسلم والاستيلاء على السيوف المشرفية وأماكن صناعتها فى مؤتة والمدن والقرى المجاورة كي يستعملها المسلمون فى هجومهم المقبل على مكة ، فنمىخبر الحملة الى الفساسنة، فاستعدوا استعدادا عظيما واستنجدوا بهرقل فارسل لمساعدتهم جيشا كبيرا بلغ عدده (١٠٠) الف مقاتل بقيادة أخيه تيودور .

خالد والانسحاب العبقري

تقدم المسلمون حتى دخلوا البلقاء فى شرق الاردن ، ولما رأوا ضخامة جيش الاعداء تراجعوا الى قرية مؤتة (جنوب شرقي البحر الميت بين الكرك والطفيلة) ولوجود الموانع الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها (لقلة عددهم) فهاجمهم البيزنطيون والفساسنة واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبد الله ، فتحرج موقف المسلمين حتى تولى القيادة خالد بن الوليد ، فاعاد تنظيم قواته ليلا وانسحب بالمسلمين انسحابا عسكريا دل على عبقريته وخططه المحكمة ، وجدارته بلقب سيف الله المسلول الذى اطلقه عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد تلك المعركة وحينما عادوا الى المدينة المنورة استقبلهم أهلها بقولهم : (يا فرار فررتم فى سبيل الله) ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أجابهم : « انهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار أن شاء الله » (١) .

ثار المسلمين بعد الرسول

هذا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اعد حملة بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة ـ وجهتها مشارف الشام للاخذ بثار ابيه الذى قتل فى معركة مؤتة ، فحال مرض النبي صلى الله عليه وسلم دون ارسالها . فلما ولي أبو بكر الخلافة

(١)من كتاب « الرسول القائد » للمقيد أ . ح . شيت خطاب ـ المطبعة الاسلامية .

بادر بارسال الحملة تنفيذا لأمر الرسول الكريم فوصلت الى أيلة (العقبة) وجبال الكرك ، ثم عادت الى المدينة غانمة بعد غياب أربعين يوما .
وكانت هذه الحملة ـ كحملة مؤتة ـ مقدمة للفتوحات الاسلامية في بلاد الشام ، وقد عرفت بغزوة «ذات **السلاسل » التي اعادت للمسلمين هيبتهم كما مكنتهم من الحصول على الكثير من المعلومات الاستطلاعية للفتوحات القادمة ..**

فتح الشام في عهد أبي بكر

وفي سنة ٦٣٢ م . **ارسل ابو بكر أربعة جيوش لفتح الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته** دمشق ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الاردن (وقد اتخذ الاثنان طريق تبوك ـ معان) ، وعمرو **بن العاص ووجهته فلسطين (وقد اتخذ الطريق الساحلية الى ايله)** ، وأبي عبيدة ووجهته حمص **(وقد اتخذ طريق الحجاج المشهور من المدينة الى دمشق) واليه اسندت القيادة العامة . وقد اختلف المؤرخون في عدد هذه الجيوش فجعلوه يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٦ ألفا .**

أول اشتباك في فلسطين

وقع الاشتباك الاول بين العرب من جهة و(سرجيوس) حاكم فلسطين الرومي من جهة أخرى في وادي العربة ، فانتصر المسلمون ، وأخذ عمر يتقدم في فلسطين .

فتح مصر والعراق والشام

كان هرقل في أورقة ولما رأى تقدم الجيوش العربية الكاسح قام بتجهيز جيش لجب لصد العرب بقيادة أخيه تيودور . ويقول بعض المؤرخين انه عندما رأت جيوش المسلمين ـ تجمع الروم في جيش واحد ، خافوا أن يغلبوا منفردين فاجتمعوا على اليرموك، وحصروا الروم في شهر صفر والربيعين دون أن ينالوا منهم شيئا ، فاستنجدوا بأبي بكر الذي كان ما يزال حيا في ذلك الوقت ، واستشاروه في توحيد جيوشهم كما اشار بذلك عمرو بن العاص فوافق الخليفة ، فجمع كنانته وعجم عيدانها فلم يجد أصلب من خالد ولا أمرً منه مكسرا فاستطاب فكرة ارساله مددا الى الشام وقال : « خالد لها ، والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » . وبعث اليه لتوه بكتاب (١) يأمره بالسفر الى الشام سنة ٦٣٤ م : فترك القيادة العامة في العراق للمثنى ومعه نصف الجيش وسار هو بالنصف الآخر الى سوريا ، وقد اختلف المؤرخون في الطريق التي سلكها خالد بن الوليد فيقول المؤرخ (فيليب حتي) انه سار من الحيرة الى دومة الجندل المسماة اليوم بالجوف . وكان يمكنه أن يسير منها الى بصرى عن طريق وادي سرحان لولا وجود قلاع رومية محصنة في طريقه، ولذلك سار من دومة الجندل الى قراقر ، ثم اقتحم البوابة الثانية لسوريا ، وبين المكانين صحراء مجدبة ، استغرق في قطعها خمسة أيام كان دليله فيها رافع ابن عمير الطائي ، وقد ذاقوا خلال هذه الايام صنوف المشاق وألوان العذاب ، فوصل الى أطراف دمشق بعد ١٨ يوما ، وظهر في مؤخرة الجيش الرومي وهناك بدأ عملياته العسكرية ، فهزم الغساسنة في مرج راهط شرقي دمشق .

خالد ومرج راهط

لكن أكثر المؤرخين يقولون ان خالدا سار من الحيرة الى تدمر ومنها الى مرج راهط ، ونحن نستصوب هذا الرأي لقصر الطريق وصلاحيتها بعكس الطريق الأول الملتوية التي تستغرق وقتا اطول ، وثانيا لا لزوم للمسير الى دومة الجندل ما دامت القلاع المحصنة قائمة في الطريق الى بصرى البوابة الاولى لسوريا .

---

(١) وكان نص الكتاب كما يلي : « امض مخففا في أهل القوة من اصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى ابا عبيدة الجراح ومن معه من المسلمين واذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

سار خالد بعد انتصاره فى مرج راهط الى بصرى فافتتحها ثم تقدم ليلتقى بالجيوش العربية عند اليرموك .

التمهيد لمعركة اليرموك

فى اثناء ذلك كان هرقل قد اتم جمع جيشه الكبير وتقدم ليواجه العرب عند اليرموك بجزيرة العرب وهناك وقعت المعركة الفاصلة فى شهر آب سنة ٦٣٤ م.

معركة اليرموك

اجتمع الفريقان عند اليرموك وهو رافد لنهر الاردن يصب فيه جنوب بحيرة طبرية بقليل ، وكان جيش الروم يتراوح بين (١٤٠) الفا حسب تقدير المصادر الاجنبية و ٢٤٠ الفا حسب تقدير المصادر العربية ، ويقول المؤرخ (جبون) انه كان فى جيش الروم ٦٠ الفا من الجنود العرب بقيادة جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة ، كما كان فيه عدد كبير من الارمن بقيادة ملكهم ماهان .

المعركة الفاصلة

عبأ خالد جيش المسلمين البالغ أربعين ألفا تعبئة ممتازة ، فجعل فى قلبه كردوسا ، (الكردوس ١٠٠٠ جندى) ، وعليهم ابو عبيدة ، وفى ميمنته ١٠ كراديس عليهم شرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص،وفى ميسرته ١٠ كراديس عليهم يزيد بن أبى سفيان وعين أبا سفيان قاصا لتحميس الجنود ، وجعل على كل كردوس بطلا من المسلمين كالقعقاع وعكرمة وعياض ، واشتركت النساء المسلمات فى القتال وتضميد الجراح وتقديم الماء ، وبينما المعركة على اشد ما تكون جاء البريد من المدينة حاملا الى خالد رسالة العزل ، فطلب الى رجل البريد الا يخبر الجند لئلا تهن عزائمهم ووضع الرسالة فى كنانة سهامه ، ولسان حاله يقول :

انا نحارب كي يرضى الجهاد بنا
ولا نحارب كي يرضى بنا عمر

ودامت المعركة يوما وليلة، انتصر فيها المسلمون وقتل وغرق من الروم عدد كبير ، ولم يزد عدد شهداء المسلمين عن ٣٠٠٠ جندى .

كانت هذه المعركة فاصلة لأن سوريا كلها قد سقطت بعدها فى يد العرب دون قتال يذكر،وارتحل هرقل الى القسطنطينية تاركا سوريا لمصيرها ، وودعها قائلا : (سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده .. فهاهم جرذان الصحراء قد استولوا على ملكنا وحطموا سلطاننا) .

تعيين أبى عبيدة

كان عمر قد عيّن ابا عبيدة قائدا عاما للجيوش، بينما كان ابو بكر قد ذكر فى رسالته السالفة الموجهةالى خالد التى يأمره فيها بالمسيرة الى الشام ويعينه أميرا للجماعة بشكل صريح ،ويقول بعض المؤرخين بأن قواد الجيوش كانوا قد انتخبوا خالدا لقيادة معركة اليرموك ، والبعض الآخر يقول بأن الجيوش الأربعة كانت تحارب الروم على انفراد ، فخطب خالد الامراء والقواد وطلب اليهم توحيد الجيوش وقال (فلنتعاور الامارةوليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا ودعوني اليكم اليوم) .

وفى هذه السنة،أى سنة ٦٣٤م حمّ وتوفى أبو بكر رضي الله عنه ، بعد ان استخلف على المسلمين الفاروق عمر بن الخطاب ، حيث اشرف على الناس وقال « أترضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما وليت ذا قرابة واني وليت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا » فقالوا (سمعنا وأطعنا) .

وقد بويع عمر بالخلافة فى يوم وفاة أبى بكر ، واشتهر بالعدل والحزم واتصف بالزهد والتفاني فى خدمة الدين ، وكانت فاتحة أعماله ارسال المدد الى المسلمين فى العراق وتعيين ابي عبيدة قائدا عاما للمسلمين فى الشام .

وبعد المعركة اعيدت القيادة لأبي عبيدة فسار شمالا واستمر فى فتح مدن شمال سوريا حتى وصل الى جبال طوروس ولم تقف فى طريقه سوى قنسرين .

فتح دمشق

تقدم خالد فحاصر دمشق ، فسلمت له سنة ٦٣٥ م بعد حصار ستة أشهر على رأى المؤرخ (فيليب حتي) وسبعين يوما على رأى غيره ، بفضل مهارة المسلمين ومؤازرة رجال الدين المسيحيين وبعض السكان فيها ، وكانت الجزية دينارا واحدا وجريبا من القمح عن كل فرد . وكانت دمشق اذ ذاك منيعة جدا وكان خالد ساهرا دائما يراقب تحركات العدو حتى شاهد غفلة من

الحراس الذين غادروا اماكنهم ، فاستنح هذه الفرصة وتسلق السور بواسطة سلالم من الحبال اعدها لهذا الفرض ، فتبعه القعقاع ساعده الأيمن ومذعور بن عدى ، فقتلوا الحراس ونصبوا سلالم اخرى من الحبال رقي بواسطتها اركانهالى السور ثم انحدروا الى الداخل وفاجاوا حراس الابواب ، فقتلوهم وفتحوا الابواب وراحوا يكبرون ، فهجم المسلمون ودخلوا من الابواب المفتوحة . وذعر الروم لهذه الواقعة وسارعوا لمصالحة ابي عبيدة ، فدخل المدينة صلحا والتقى القائدان فى منتصفها هذا مقاتل وهذا مصالح ، فطلب ابو عبيدة الى خالد أن يكف السيف عنهم ، وفتحت المدينة ثم فتح بعلبك وحمص وحماه .

معركة فحل

ثم تقدم المسلمون الى فحل ، ـ من أعمال الاردن ـ وكان على مقدمة الجيش البطل الخالد خالد بن الوليد ، وفى ربى فحل اشتبك الجيشان فى معركة خاطفة انهار فيها الروم، فتقدم المسلمون واحتلوها سنة ٦٣٥ م ومنها تابعوا زحفهم الى دمشق .

فتح قنسرين

وهي قلعة حصينة لجا اليها اهلها والجنود المنهزمون من المعارك وصمموا على الثبات فيها فامر أبو عبيدة خالدا بفتحها ، فزحف عليها ابو سليمان (كنية خالد بن الوليد) والتقى بجموع الروم بقيادة (ميناس) فدافعوا دفاع اليائس ولكنه أطبق عليهم وفلجموعهم،ثم تابع زحفه الى المدينة فاعتصم اهلها بها وقرروا مواصلة الدفاع ، فغضب خالد وبعث اليهم (انكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم أو لانزلكم الينا) فصالحوه على صلح فابى ودخل المدينة عنوة وخربها .

وصار كل قائد الى المنطقة التي خصصت له سابقا ، ورجع عمرو بن العاص الى فلسطين التي لم يبق فيها معاقل سوى قيسارية وعسقلان والقدس ثم اقتحم هو وشرحبيل بنحسنة بيسان، عندئذ جمع الروم لعمرو جيشا عظيما بقيادة شقيق هرقل،ودارت بين الفريقين معركة هائلة انتصر فيها المسلمون وهى معركة اجنادين وبعدها أصبحالطريق ممهدا لفتح مصر .

فتح القدس

وقد سلمت القدس صلحا بعد حصار شديد سنة ١٥ هـ و ٦٣٧ م ، للخليفة عمر بن الخطاب الذى كان قد قدم من المدينة الى الجابية لتفقد جيوش المسلمين ومباحثة قواده فىادارة ما فتحوه، وكان فى استقباله خالد بن الوليد وأبو عبيدة الجراح ، ولقد شهد خالد فتح القدس وشارك فى حصارها ، ومن هناك سار الخليفة الى القدس ومعه كبار قواده وتسلمها من البطريرك (صفرونيوس) .

مرض الطاعون .. ومجيء معاوية

صادف أن حدث طاعون فى فلسطين اثناء وجود أبو عبيدة وبعض القواد ، سمي طاعون عمواس ، نسبة الى قرية عمواس وهي قرية تبعد نحو ١٧ كم الى الشمال الغربي من القدس ، فاباد ٢٠ ألفا من الجنود ومات فيه القائد أبو عبيدة ، فاسندت الادارة العامة لمعاذ بن جبل ، فمات بنفس الوباء فاسندت الى يزيد بن أبى سفيان فمات أيضا ، فتولى ولاية الشام كلها من بعده اخوه معاوية .

يهودى يساعد على فتح قيسارية

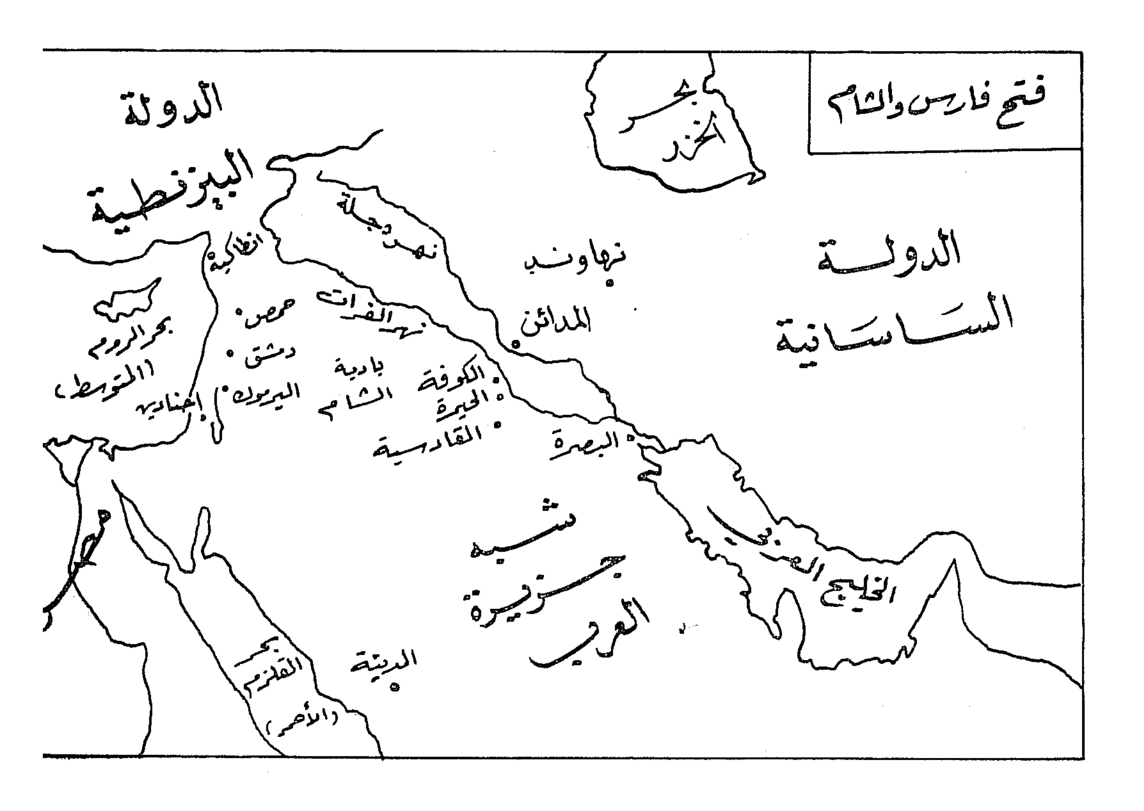
اما قيسارية فقد استعصت على المسلمين مدة لوصول المدد اليها من البحر ولم تسقط الا سنة ٦٤٠ م ، على يد معاوية الذى قام بهجوم ضار ساعدته فيه خيانة يهودى داخلها دلّه على نفق تسلل منه الجنود . وقد أبدى عمرو بن العاص بسالة ودهاء وحنكة فى التحضير للمعركة ..

وهكذا تم للمسلمين فتح جميع المناطق السورية وبسطوا سلطانهم على أراضيها وأخذوا يتوطنون فيها تدريجيا حتى اصبح الملك بايديهم فاعدوا قاعدة للانطلاق نحو الفتوحات الواسعة التي تمت فيما بعد ..

ادارة سوريا

قسم العرب سوريا بعد الفتح مباشرة الى (٤) مناطق عسكرية سميت اجنادا كما كانت زمن الرومان والبيزنطيين وهي :

أ ـ جند فلسطين ومركزه الرملة ويشمل الجزء الجنوبي من فلسطين وشرق الاردن جنوبي مرج ابن عامر .



ب ــ جند الاردن ومركزه طبرية ويشمل القسم الشمالي من فلسطين وشرق الاردن اى يضم جبال الجليل حتى بادية الشام .

ج ــ جند دمشق ومركزه دمشق ويضم القسم الجنوبي من سوريا ولبنان .

د ــ جند حمص ومركزه حمص ويشمل القسم الباقي من سوريا .

أما جند قنسرين الذى كان يشمل الجزء الشمالي من سوريا فقد اقتطع من جند حمص وأصبح وحدة ادارية خاصة زمن يزيد الاول الاموى وكانت تسمى مدنه بالثغور لمجاورتها للروم، وفى أيام الرشيد فصل الجزء الشمالي من جند قنسرين وجعل جندا خاصا سمي العواصم .

فتح العراق

قام المثنى بن حارثة الشيباني بمهاجمة العرب اللخميين التابعين للفرس على حدود العراق متشجعا بانتصار الشيبانيين السابق على الفرس فى معركة (ذى قار) سنة ٦١٠ م . لكن لما بدا الفرس يرسلون المدد الى عرب الحيرة خاف المثنى سوء العاقبة فاستنجد بأبي بكر وهوئن عليه امر الفرس واظهر له سهولة انتصار العرب ، ومن هذا نرى أن الظروف هي التي جعلت ابا بكر يرسل جيشا لفتح العراق وهو بادىء فى حملة الشام ، ارسل ابو بكر مددا للمثنى بقيادة خالد بن الوليد وعياض بن غانم ، وكانت وجهة عياض الشمال ووجهة خالد الحيرة ، فقام خالد بسلسلة من المعارك ضد الفرس اتسمت بطابع الجراة والاقدام والمباغتة وسرعة الحركة، ففتح خالد والمثنى الحيرة سنة ٦٣٣ م ،وفتح خالد وحده عين التمر حتى تم تأمين حوض الفرات ، ثم اتجه الى دومة الجندل وانقذ زميله عياض وعاد الى قاعدته الحيرة . ولما أمره أبو بكر بالسفر الى سوريا سنة ٦٣٤ م ترك القيادة العامة وأمور البلاد المفتوحة فى العراق للمثنى ومعه نصف الجيش . وسار هو بالنصف الآخر الى سوريا لنجدة الجيوش الاسلامية التي تجمعت فى اليرموك .



بقلم
محمد الحسناوي

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم

يوماً بعد يوم تبدو أهمية التعريف بالوطن الاسلامى(١) أرضا وسكانا واحوالا، فالوطن الاسلامي هو التجسيد المادي للاسلام بشكل ما ، وهو مهد البطولات والأمجاد والحضارات فى الماضي ، ومنبع الثروات والقوة البشرية ، ومحط الانظار والمؤامرات فى الحاضر . ولما كان الناس ينظرون الى المسلمين نظرهم الى الاسلام ، ولما كان مصير الاسلام ذا علاقة بمصير المسلمين ، ولما كانت الجماهير والنفوس البشرية اكثر تحسساً وفهماً للمدركات الحسية(٢) ، ولما كانت مشكلات بعض الاقطار الاسلامية ترتد بالأثر على الاقطار الاخرى . وجب تقدير هذا الميدان حق قدره .

لقد خَطَتْ بعض الشعوب الاسلامية لا سيما العرب ـ خطوات فى التعرف على وطنهم المباشر، فالوطن العربي مثلا بحدوده (من المحيط الى الخليج) وجغرافيته واقتصاده ، ومشكلاته السياسية والاجتماعية ، أضحى بمثابة الأحرف الابجدية فى أفواه الاجيال العربية ، وعقولها وضمائرها . ومن يقصر فى هذه الامور فانه متهم فى وعيه أو عقله أو ثقافته ، بل فى وطنيته كذلك . ولم يصل العرب الى ما وصلوا اليه فى التعرف على وطنهم المباشر بالوراثة او التحصيل العفوي ، بل بالتخطيط والدراسة ، واستخدام أجهزة التعليم والتوجيه والتوعية جميعا . فمن أناشيد الاطفال ، الى مناهج التعليم ، الى اجهزة الاعلام ، الى انظمة الدولة والجمعيات والاحزاب والنوادي ، الى كل مسألة صغيرة وكبيرة

---

(١) الوطن الاسلامي : هو العالم الاسلامي بأسره ، أو هو مجموع الاقطار التي يدين اهلها او غالبية اهلها بالاسلام حرة كانت ام مستعمرة . وهو يمتد (من المحيط الى المحيط) اى من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي . من أبرز اقطاره : العالم العربي ـ ايران ـ تركيا ـ اندونيسيا ـ باكستان .

(٢) ـ يراجع كتاب (التربية وطرق التدريس) لصالح عبد العزيز وزميله فى موضوعي (التعلم بطريق الادراك الحسي ص ١٩٥ ـ ج ١) و (وسائل الايضاح ص ٢٨١ ـ ج ١) .

تتصل بمعايش العرب وتفكيرهم . وكان لهذا أثره على الوعي ، والرغبة فى ازالة الحواجز بين الاقطار العربية،والاحساس المشترك فى السراء والضراء ، والتعاون المتزايد العاطفي والعملي على حل المشاكل ، وكل ما من شأنه تحقيق الوحدة والسلامة والرفاه . ومثل هذه الخطوة الضرورية لكل شعب مسلم هي حلقة فى سلسلة التعريف بالوطن الاسلامي . فاذا قعد العاملون للاسلام ، والحريصون على خير شعوبهم ، عند هذه الحلقة ، ولم يصلوا فيما بين الحلقات الاخرى بالربط والمقارنة ، وتبادل الخبرات ، انعكست الآية،وانقلب التعريف بالاوطان المحلية اقليمية وانغلاقاً . وربما اصبح عصبية جاهلية ، يؤججها الجهل ، او المصالح الخاصة ، أو التوجيه المعادي للاسلام .

هناك امثلة حية توضح مغزى معرفة الوطن الاسلامي أو الجهل به : فكم تذيع الاذاعات انباء عن كشمير ، او قبرص ، او عن اريتريا ، او الصومال،اومدغشقر، وهي تنطوي على الثبور وعظائم الامور . والمواطن المسلم العربي وغير العربي لا يعيرها الاهتمام اللازم ! ! انه يسمع بهذه الاسماء لاول مرة ، او من خلال وجهة نظر معينة ، ما انزل الله بها من سلطان ، فما هي كشمير ، وأين تقع ؟ ومن هم القبارصة الاتراك ، وما صلتنا بهم ؟ ! لماذا تقف بعض الحكومات « الاسلامية » موقفاً مخزياً من قضية فلسطين ؟ ! لماذا يضرب المسلمون بعضهم بعضاً وهم يعلمون ان المؤمنين اذا التقيا بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ؟ ! .

اما وقد بلغت الشعوب الاسلامية حداً جيدا من معرفة أوطانها المحلية ، ونما الوعي الاسلامي فى كثير من الاقطار الاسلامية ، فان الحاجة تدعو الى تعريف المسلمين بعضهم ببعض ، مما يساعد على لقاء شعوبهم ، وتعاون حكوماتهم،وتكامل هيئاتهم الاسلامية والعلمية ، وتوحيد جهودهم جميعاً فى التحرر والاستقلال والبناء ، ودفع العدوان ، ونبذ الاحلاف الاجنبية وتبادل الخيرات والانتاج والعلوم من جهة ، وقطع السبيل على الاستعمار ، والاقليمية والعنصرية والصهيونية أن تفت فى عضدهم ، أو تستغل جهلهم وتجزئة اوطانهم .

فاذا اقتنعنا باهمية التعريف بالوطن الاسلامي وخطورته ، فالواجب ان نتلمس السبل اللائمة المؤدية اليه . وقبل الشروع فى بحث هذه السبل ... يحسن ان نلاحظ فى أساليب العروض ثلاثة امور :

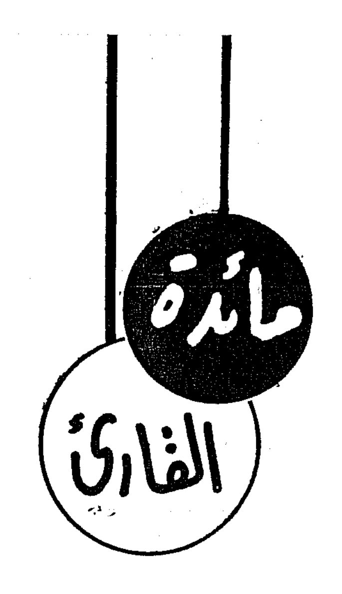
١ ـ ان عقد صلة بين الوطن الاسلامي العام ، والوطن المحلي الخاص : كتصوير القطر المحلي حلقة من سلسلة الاقطار الاسلامية ، أو ركنا فى اطار لوحة اكبر ، وابراز صلات القربى الفكرية والتكامل الاقتصادى ، أو وحدة التاريخ والآمال والآلام المشتركة ووحدة المصير .

٢ ـ الاهتمام بجوانب الوطن الاسلامي الرئيسية مثل : (الارض ـ السكان ـ الثروات ـ العواصم ...) .

٣ ـ افراد أبحاث خاصة للمشاكل التي تهم كل قطر على حدة ، أوتهم العالم الاسلامي بأسره مثل مشكلة (فلسطين) و (كشمير) و (اريتريا) .

وسبيل التعريف بالوطن الاسلامي

البقية على ص ٦٨



التوحيد فطرة

سعى الاساقفة الى تنصير المنذر الثالث ملك الحيرة ، وبينما كان المنذر ينصت الى حديثهم اذ دخل عليه أحد قواده فأسر اليه بضع كلمات ، فبدت على اسارير الملك امارات الحزن ، فسأله احد القسس عما أشجاه فقال لـه : ان رئيس الملائكة قد مات ، فرد القسيس : يستحيل ، فقال المنذر : أحق ما تقول ، وتريد أن تقنعني بأن الله ذاته صلب ومات .

هيبة النبوة

أراد فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فلما دنا منه التفت اليه النبي فقال له :

أفضاله ؟ قال : نعم . فضالة يا رسول الله .

قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء . أذكر الله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : استغفر الله .. ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه .

قال فضاله : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله أحب الي منه .

الرخاء فى عهد عثمان

قال الحسن البصرى : شهدت منادى عثمان رضي الله عنه ينادي يأيها الناس اغدوا على اعطياتكم ، فيغدون ، ويأخذونها وافية .. يأيها الناس اغدوا على ارزاقكم ، فيغدون فيأخذونها وافية ، حتى قال والله سمعته اذناى يقول : اغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل .

قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذاتُ بينٍ حسن ، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا الا ويوده ، وينصره ويألفه .

البراطيـــل

من نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الأباطيل .. والبراطيل جمـع برطيل بكسر الباء وهو الرشوة ، وأصل البرطيل المعول الذى تحفر بـه الأرض ، ويستخرج به ما فى باطنها ، فسميت به الرشوة لأنهـا كالمعول فى تحطيم الفضائل والاخلاق واستخراج رذائل الطباع .

دين لا خمر فيه

قال القس اسحق الانكليزي :

اني آسف من أن السكر والقمار انتشرا مع دعوة التبشير فى البلاد الشرقية ، وأنا اختار اسلاما لا سكر فيه على مسيحية فيها سكر .

موقع المستشفى

اراد السلطان عضد الدولة أن يبني مستشفى فى بغداد ، فطلب من الرازى الطبيب أن يبحث له عن أفضل مكان له ، فأوصى الرازى خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم فى أطراف بغداد ، ثم انتظر أربعا وعشرين ساعة . فانتقى المكان الذى ظل فيه اللحم أحسن حالة ليكون موقعا للمستشفى .

أهداف المؤمنين

بعث سعد بن أبي وقاص ربعى بن عامر الى رستم قائد جيوش الفرس ، فدخل عليه بفرسه القصيرة وترسه الغليظة وثيابه الخشنة ، وحول رستم الأتباع والجنود فقال له رستم . من أنت ؟ ... وما أنتم ... ؟ فقال ربعى . نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

دار الضيافة

قال حبيب بن عمرو : قدمنا وفد «سلامان» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سبعة نفر لنبايعه ، وصادف ان كان الرسول خارجا من المسجد لتشييع جنازة ، فالتفت الى غلامه ثوبان وقال له : انزل هؤلاء حيث ينزل الوفد ، فخرج بنا ثوبان الى دار واسعة فيها نخيل وبها وفود العرب فاذا هي دار رملة بنت الحرث .

رباطة جأش

لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد : « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » فقال الحجاج : شدوا به الى غير القبلة . فقال سعيد « فأينما تولوا فثم وجه الله » فقال الحجاج : كبوه على وجهه ، فقال سعيد « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » .

من كلام الحكماء

لا يكونن منكم المحدث لا ينصت له ، ولا الداخل فى سر اثنين لم يدخلاه فيه ، ولا الآتي الدعوة لم يدع اليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير عند عدوه .

رحلة الخلود

وما الموت الا رحلة غير أنها ... من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

عبد بطنه

يقول بني عمي وقد زرت مصرهم ... تهيأ أبا عمرو لشهر صيام

فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودى ... سلام عليكم فامكثوا بسلام

فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر ... علي ولا مناع أكل طعام

بقية التعريف بالوطن الاسلامي

واسعة ، يمكن تحقيقها على صعيد الدولة ، أو على صعيد الهيئات الشعبية ، كما يمكن الجمع بين الصعيدين وهو الافضل .

فعلى صعيد الدولة تظهر اهمية :

أ ــ التعليم بمختلف مستوياته (الابتدائية ــ الثانوية ــ الجامعية) وفى اكثر المواد (الجغرافيا ــ التاريخ ــ المجتمع ــ الديانة) .

ب ــ اجهزة الاعلام : كالصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما .

جـ ــ مكاتب السياحة والمتاحف والرحلات .

د ــ المعارض الموسمية والدائمة .

هـ ــ البعثات الدراسية والتدريسية و (الدبلوماسية) .

و ــ الطوابع البريدية وغير البريدية .

ز ــ اسماء الشوارع والمحلات العامة .

حـ ــ تنسيق علاقات الصداقة والاقتصاد والسياسة فى ضوء الاسلام .

ط ــ تنظيم الحج ، والتشجيع عليه لا سيما بين الشباب ، وتيسير التعارف فيه .

ى ــ انشاء مكاتب خاصة للتعريف والتعارف تلحق بالبعثات (الدبلوماسية) .

ك ــ اصدار مطبوعات خاصة لهذا الغرض من نشرات الى مجلات وكتب ودراسات (١) .

وعلى صعيد الهيئات الشعبية تبدو امور عدة منها :

١ ــ مطالبة الحكومات بالقيام بواجبها فى هذا المضمار كما وصفنا سابقا .

٢ ــ تأليف الابحاث والدراسات والكتب والنشرات حول هذا الموضوع .

٣ ــ الاكثار من الرحلات وتبادل الزيارات .

٤ ــ تأسيس ناد او نواد للمراسلة أو التشجيع عليها .

٥ ــ الافادة من اساليب الاعلان والتوجيه الاعلامي الحديث ، كالاستعانة بالصور والمصورات (الخرائط) .

والعمل على توزيعها عن طريق الاهداء ، او البيع ، او المسابقات ، او نشرها على صفحات التقويم ، وغير ذلك .

٦ ــ الاهتمام بهذا الجانب فى انواع التوجيه .

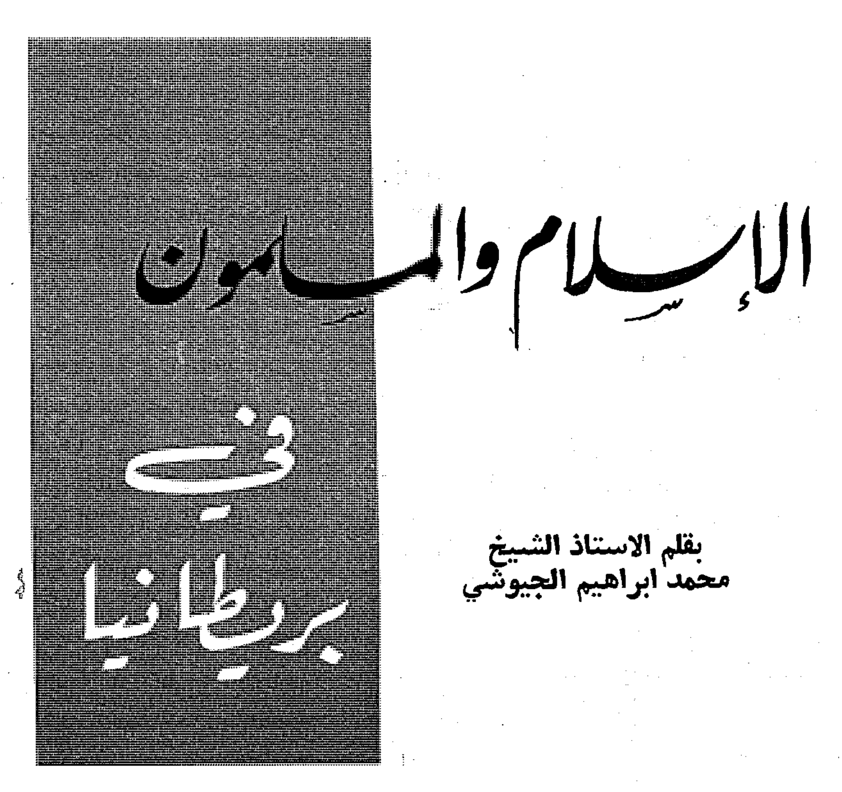
٧ ــ رعاية الطلاب الموفدين واعضاء البعوث الثقافية والحجاج والسياح .

وبهذه الاساليب كلها يمكن التعريف بالوطن الاسلامي واحياء روح التعاون والتعاطف بين أبنائه ووقوفهم صفا واحدا على اختلاف لغاتهم وأقطارهم امام أعدائهم . يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم .

---

(١) ــ مما يؤسف له ان دولة معادية لقطر اسلامي فى مشكلة ما كانت تزود القراء العرب عن طريق البريد بمثل هذه النشرات لتوضح وجهة نظرها ، على حين يغفل هذا القطر الاسلامي وغيره عن التعريف بنفسه ووجهة نظره . ؟ ؟ .

« الوعي الاسلامي » لعل فيما ننشره تحت عنوان « اعرف وطنك » مساهمة متواضعة فى القيام بهذا الواجب ، وتعريف المسلمين بوطنهم الأكبر ، ونرجو ان تتاح لنا الفرص فى المستقبل لتقديم مادة أوفر عن البلاد الاسلامية بطريق السفر اليها والكتابة عنها .



بقلم الاستاذ الشيخ
محمد ابراهيم الجيوشي

لم يصرح للآن بإقامة مسجد بالمركز الإسلامي في لندن !

المسلمون البريطانيون أصلا قليلون لا يتجاوز عددهم الخمسة آلاف ، وليس هناك احصاء دقيق لهم ، وانما ذلك تقدير تقريبي قابل للزيادة والنقصان ، ويرجع تاريخ ذلك الى أوائل هذا القرن، وبالتحديد حوالي عام١٩١٣م حينما أسلم أحد اللوردات الانجليز وأعلن ذلك فى كتابات له تناقلتها الصحف أيامها ، ولو راجعت مجلة المنار التى كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا فى مصر لوجدتها تنقل أحاديث عن هذا الرجل الذى أسلم ، وفيها يكشف عن الاسباب التى جعلته يعتنق الاسلام .

(وبدأ الاسلام يعرف طريقه الى الاسر الانجليزية منذ ذلك التاريخ ، ولكن على مهل لان الحكومة البريطانية كانت ــ ولا زالت تضع عقبات كثيرة أمام الانجليز الذين يدخلون فى الاسلام ، وتحاربهم فى كل الميادين ، حتى ان المتحدثين عن الاسلام فى هذه البلاد يذكرون ان أحد اللوردات أسلم ، وأعلن ذلك ، فجردته الحكومة البريطانية من لقبه وحرمته من كل الحقوق ، حتى صار فى حالة مزعجة، فاضطر الى اعلان عودته عن الاسلام ، وبذلك عاد اليه كل ما كان له من حقوق وهذا مثل يعطي اجابة عن سؤال ربما يتبادر الى ذهن القارىء حينما يعرف هذا العدد الضئيل من المسلمين الانجليز .

أما طريقة معرفتهم بالاسلام فترجع

الى قراءاتهم عن الاسلام فى مصادره السليمة ، وصلاتهم ببعض المسلمين صلات جوار أو عمل أو صداقة ، جعلتهم يقفون على حقيقة الاسلام الصحيحة بدون أن يشوبها أى تشويه من هؤلاء الذين يتعمدون أن يجنوا على الحقائق ، أو يعطوها لونا يتفق مع طبيعتهم ونظراتهم ، من غير التفات الى الحقيقة فى جوهرها ، ولئن كانت هذه الظاهرة سائدة فى كتابات الاوروبيين عن الاسلام من قبل ، الا أنها بدأت الآن الى حد ما تأخذ جانب الاعتدال ، ووجد كثير منهم يكتب عن الاسلام كتابة فى مجموعها أقرب الى الصواب ، وذلك لان الباحثين احسوا ان الاستمرار فى الطريق السابق غير السليم ، ومن ناحية أخرى اطلع كثير منهم على الاسلام فى مصادره الاصلية ، وعرف حقيقته ، فأخذ يكتب عنه كتابة غير بعيدة عن الاسلام الحق ، الا فى نقاط قليلة ، ربما يرجع اختلاف الرأى فيها الى أثر البيئة والمنهج . وبعض الانجليز عرفوا اللغة العربية ودرسوها دراسة وافية ، ومن ثم فهموا الاسلام فهما صحيحا فأسلموا ، ووالوا الدعوة اليه فى محيطهم الفردى ، وأخذوا يكتبون عنه فيما تسمح لهم فيه المجالات المحيطة بهم .

هذه هى الطريقة التى انتقل الاسلام بها الى انجلترا وأسلم بها بعض الاسر الانجليزية . أما اللغة التى يتحدثون بها فهي الانجليزية ، ويحرص كثير منهم ان يتعلم اداء الصلاة بالعربية ويحاول أن يتعلمها ليقرأ القرآن . والى جانب هؤلاء يوجد عدد ضخم من المسلمين يعيشون فى انجلترا ليسوا من الانجليز ولكن من البلاد الاخرى ، وخاصة البلاد التى لها علاقة سياسية بانجلترا مثل دول الكومنولث ، والمستعمرات مثل باكستان والهند وماليزيا وجنوب افريقيا ونيجيريا وغانا وكينيا وترنداد وعد كبير من دول أفريقيا وآسيا والجزر الخاضعة للحكم البريطاني ، وليس هناك احصاء دقيق يعطي الرقم الصحيح لعددهم وان كان هناك من يقدرهم بحوالي نصف مليون نسمة ، وهناك بعض العرب من اليمن ، وجنوب الجزيرة ، والصومال ، يعيشون فى بعض المدن الساحلية مثل ليفربول ، وكارديف ، وأغلبهم يعمل فى الموانيء والبواخر .

ووجود هؤلاء المسلمين يعتبر من العوامل التى تسبب اعتناق بعض الانجليز للاسلام ، بحكم المخالطة والاشتراك فى العمل ، والى جانب هذا يوجد كثير من الطلبة المسلمين فى جامعات انجلترا ، وكثيرون منهم يتمسكون باسلامهم وينعكس ذلك على مخالطيهم من الانجليز .

أما الاجهزة المسئولة عن الاسلام فى بريطانيا فليس لها الصبغة المعروفة عن الاجهزة المسيحية فى البلاد الاسلامية ، وتستطيع أن تقول انها فيما عدا واحدا منها تقوم على نشاط الافراد المسلمين ، ومحاولاتهم أن يوجدوا لهم جمعية ترعى شؤونهم ، وتنظم صلاتهم ، وعادة تنشأ هذه الجمعيات فى الاماكن التى يوجد فيها مسلمون، فانهم يحاولون أن يتماسكوا حتى لا يذوبوا فى المجتمع الانكليزى ، ويؤلفوا لهم رابطة تجمعهم ، لتتطور هذه الرابطة حتى تأخذ شكل جمعية ، ولا يجدون اسما جامعا لهم غير الاسلام فيسمونها باسمه ، ويسعون ان يوجدوا لهى مكانا يجتمعون فيه للصلاة ، وقد يتحول ذلك المكان الى مسجد فيما بعد ، كما هو الحال فى مدينة كارديف ، فانهم

بنوا لهم هناك مسجدا ومدرسة ، وهم يعتمدون على المعونات التى تأتيهم من البلاد الاسلامية ، وخاصة من الجمهورية العربية المتحدة ، لوجود وزارة الاوقاف والازهر فيها ، ويتلقون كثيرا من الكتب والمطبوعات الاسلامية وغالبا ما تجد عند كل جمعية من هذه الجمعيات نسخة أو أكثر من المصحف المرتل المسجل على اسطوانات ، يرسلها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة الى كل بلاد العالم .

وهذه الجمعيات التى حدثتك عن نشاطها ، ودوافع تكوينها ، توجد فى كثير من المدن الانجليزية مثل ليفربول ومانشستر وبرمنجهام واكسفورد وكمبردج وادنبره .

وكما حدثتك تعتمد هذه الجمعيات على نشاط افرادها وتعاونهم ، وعلى ما تتلقاه من معونات من الدول الاسلامية . وتستطيع ان تسميها جمعيات اهلية .

المركز الاسلامي

أما المؤسسة الاسلامية الكبرى فى انجلترا فهي المركز الثقافي الاسلامي ، وهو يعتبر المصدر الرئيسي المسئول عن المسلمين فى انجلترا ، وله صبغة رسمية وتشترك كل الدول الاسلامية فى مجلس ادارته المكون من سفراء الدول الاسلامية فى انجلترا ، واليه يرجع المسلمون فى انجلترا فى كل شؤونهم الخاصة بهم كمسلمين ، ومديره دائما من كبار رجال الازهر، وهو بمثابة شيخ الاسلام فى هذه البلاد ، ويقوم المركز بتعرف أحوال المسلمين ، والاجابة على فتواهم ، وعقد الزواج الخاص بهم بالطريقة الاسلامية ، والقاء محاضرات تنظم عن الاسلام، يلقيها كبار المسلمين فى انجلترا سواء كانوا من المسلمين المقيمين بانجلترا أو الزائرين لها . واحيانا يشترك فى هذه المحاضرات بعض الباحثين غير المسلمين من المهتمين بالدراسات الاسلامية ، من المستشرقين، وعادة يكونون من اساتذة الجامعات الانجليزية .

ويصدر المركز مجلة اسلامية باللغة الانجليزية ، مرة كل ثلاثة أشهر ، يشترك فيها مسلمون من مختلف جهات العالم الاسلامي ، الى جانب بعض الانجليز المهتمين بالدراسات الاسلامية .

ويوجد بالمركز مكتبة اسلامية ضخمة اغلبها باللغة العربية ، وبها جانب باللغة الانجليزية ، الا انها تحتاج الى نمو كبير لتؤدى واجبها كمكتبة اسلامية هامة .

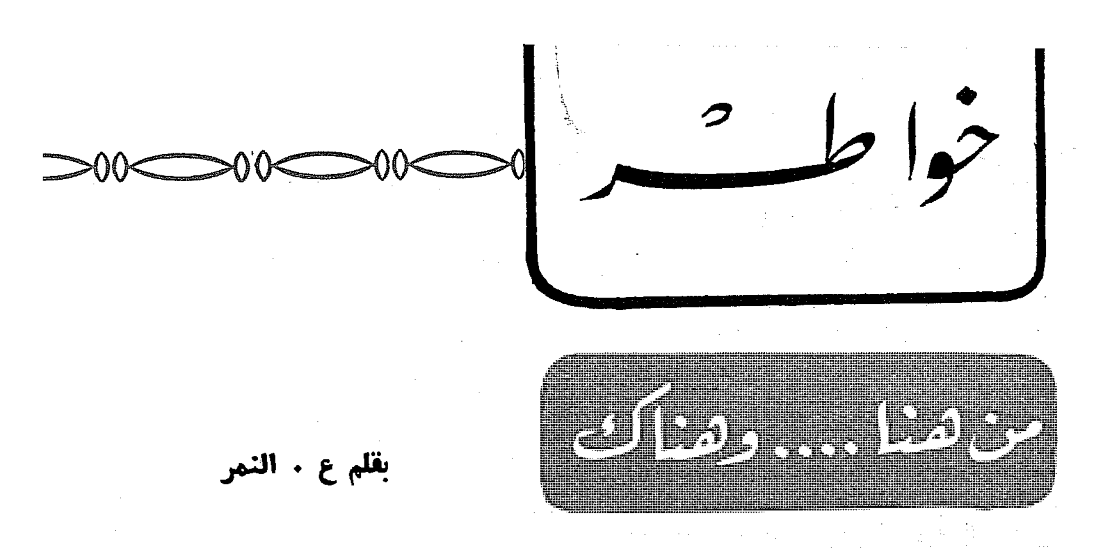
ويعتبر المركز مكانا رئيسيا بالنسبة لجميع المسلمين فى انجلترا ، أفراد وجماعات ، وتعقد فيه الجمعيات الاسلامية اجتماعاتها ، وتقيم حفلاتها فى المناسبات الاسلامية المختلفة على اختلاف مذاهبها سواء كانوا من أهل السنة أو من الشيعة .

واذا ما عرض على المحاكم الانجليزية موضوع يتصل بالاسلام ، فانها تعود الى المركز ، تطلب رأى الاسلام فى هذا الموضوع ، وتعتبره الرأى الاخير ، لانه جهة الاختصاص .

لا يوجد مساجد بالمركز

ويوجد بالمركز مكان خاص بالصلاة ، وتقام فيه صلاة الجمعة كل اسبوع ، وحتى الآن لا يوجد مسجد، لان الحكومة البريطانية لم تصرح حتى الآن ببنائه ، ويوجد فى لندن حوالي ستة عشر مكانا

البقية على ص ٧٥



بقلم ع . النمر

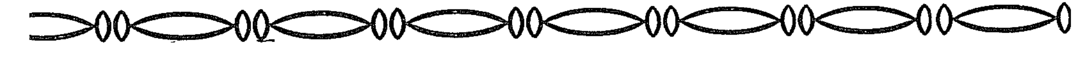
احتفل العالم الاسلامي والعالم المسيحي فى هذه الأيام بعيد الفطر وعيد الميلاد .. وللأعياد خواطر وشجون .. ان المفروض فى اعياد كل امة انها مظهر خاص من مظاهر شخصيتها الدينية أو الاجتماعية لأن الأعياد اما ان تكون نابعة من دينها او من تاريخها واحداث حياتها .. ومن هنا كانت الأعياد الدينية لكل امة خاصة بها دون بقية الأمم التي لا تشاركها دينها . او لا تشاركها عواطفها نحو ايامها واحداثها التاريخية ..

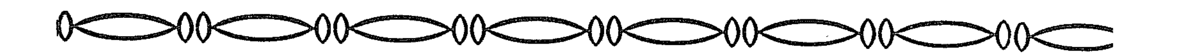
وهذا هو الذى حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو قائد هذه الأمة ومربيها وموجهها ـ حدا به الى أن يكمل شخصيتها من هذه الناحية فجعل لها اعيادا خاصة بها .. فعندما هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة وجد المسلمين فيها كغيرهم وكسابق عهدهم قبل الاسلام يحتفلون بعيدين فى السنة .. فلم يترك اتباعه يحتفلون بهما كما كانوا فى الماضي ، بل قال لهم ان الله ابدلكم بهما يومين خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر ..

شيء قد يظنه بعض الناس أمرا صغيرا ، ولكنه فى الواقع يتصل بصميم شخصية الأمة وكيانها .. فالأمة التي تتبع غيرها فى اعيادها أمة مهزوزة الشخصية ، تنماع فى غيرها ، والرسول صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على ان يجعل لأمته شخصيتها المستقلة ، سواء فى ذلك ما يتصل باللب او المظاهر ..

كان عليه الصلاة والسلام يكره ان يتشبه اتباعه بغيرهم من المشركين ، او من اهل الأديان السابقة ، وكثيرا ما كان يشير على اصحابه بالعمل ، ويعلل ذلك بقوله ((وخالفوا اليهود والنصارى)) .

ثم وضع لأتباعه قاعدة عامة فى هذه الناحية فقال ((من تشبه بقوم فهو منهم)) ((ليس منا من تشبه بغيرنا)) وذلك كله من اجل بناء الشخصية المستقلة للأمة ، لا لمجرد التعصب او كراهية الغير ، لأن الاسلام ـ مع احترامه لشعور الغير ـ لا يرضى





من المسلم ان يدفعه احترامه لشعور غيره الى حد التنازل عن شعوره هو ، واهدار خصائصه ، والذوبان فى غيره ـ فاحترام شعور الغير شيء والذوبان فيه شيء آخر .

ثم ان تقليد الغير فى خصائصه وشعائره ومظاهره الخاصة امر يدل على ضعف المقلد ، واهتزاز شخصيته . ويحمل الغير على ازدرائه وعدم احترامه .. ويزداد هذا كلما كان هذا الغير لا يشارك المقلد احتفاءه بأعياده ، او بمظاهره الخاصة ، لأنه يمثل التهافت من جانب ، والترفع او عدم الاكتراث من الجانب الآخر ..

وقد مر بنا فى الأيام القريبة عيد الميلاد . وعيد رأس السنة الميلادية .. وهما عيدان خاصان باخواننا المسيحيين يرتبطان بعقيدتهم الدينية ، واذا كنا نحن المسلمين نؤمن بعيسى عليه السلام رسولا من عند الله ، فان العيد الذى يتخذه اتباعه الآن يعتبر من خصائصهم ، وليس عيدا لنا .. ومع ذلك فاننا نرى كثيرا من المسلمين يهتمون بهذا العيد ، ويستعدون للاحتفال به اكثر مما يهتمون للاحتفال بأعيادهم . يعملون ذلك تقليدا لغيرهم ، وحبا فى الجرى وراءهم ، مندفعين بعامل خفي ، يمكن ان يفسره علماء النفس والاجتماع بعقدة النقص ، او عقدة الاحساس بالضعف ، ضعف الشخصية ومحاولة تكميلها بما يظنونه كمالا لها حين يتشبهون بالأقوياء ..

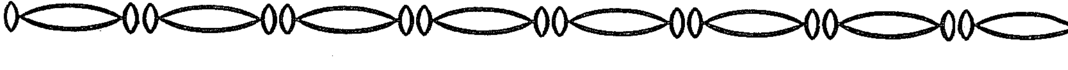
ان كل واحد منا لمس مقدار عناية المسلمين وتفننهم بعيد الميلاد فى مجتمع اكثريته الكاثرة من المسلمين .. فى الوقت الذى يلمس فيه فتور هؤلاء فى شعورهم نحو اعيادهم مع الأسف .

ما صلة المسلمين دينيا او اجتماعيا بهذا العيد ، حتى يتفننوا فى احتفالاتهم به .. قد يكون ذلك أمرا مقبولا اذا كان غيرنا يقف من اعيادنا ، مثلما نقف من أعيادهم ، ويشاركوننا شعورنا فى اعيادنا ، أما وموقفهم من اعيادنا كما نعرف ، فان من ضعف الشخصية ومما لا يقبله الاسلام من اتباعه أن يتهافتوا على أعياد غيرهم ، ويقحموا أنفسهم فى احتفالات لا صلة لهم بها فوق أن فيها مخالفات صريحة لدينهم .

كم تألمت .. وأنا أرى اناسا من المسلمين بلغ بهم ضعف كيانهم وشخصيتهم وتعلقهم بدينهم ان يفطروا رمضان ، ثم يهتموا بعيد ((الكريسماس)) ويحتفلوا به ، كما يحتفل الغربيون تماما ! ! ولعلك تعرف معنى تماما .. وفى رمضان ! ! . يخيل اهم وهمهم ان ذلك من مظاهر التقدم والمدنية ! .

همسة فى اذن المقلدين .. الا تشفقون على ولدكم الصغير الذى يقلد أخاه الكبير فى كل شيء وتخشون عليه ان يعيش فى الحياة ضائعا بلا شخصية محترمة ؟ ! .

ان الحياة لا تعطي مقاليدها هؤلاء المقلدين الضائعين ، وسيظلون ضائعين (صايعين) ! ! .





مكتبة المجلة

الموسوعة العربية الميسرة

موسوعة عالمية أصدرتها دار القلم بعد مجهود ضخم استغرق حوالي ست سنوات ، واشترك فيه اكثر من مائة عالم عربي ، والموسوعة العربية الميسرة تعتبر أول دائرة معارف عربية حديثة تضم (٢٠٥٠) صفحة من القطع الكبير وبها ٢١ الف مصطلح فى مليون ونصف مليون كلمة و (٢١٠٠٠) موضوع فى شتى أنواع المعرفة تأليفا واقتباسا وترجمة و ٣٠ لوحة و ١٩ خريطة و ٦ جداول رئيسية . وقد ترجمت معظم مواد هذه الموسوعة عن دائرة المعارف الامريكية « كولومبيا » وأضيفت اليها مصطلحات عربية كثيرة . وقد أشرف على اعداد هذه الموسوعة المرحوم محمد شفيق غربال .

قادة فتح بلاد فارس

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني من كتب قادة الفتح الاسلامي ، أما الكتاب الأول فكان عن قادة فتح العراق والجزيرة .

والكتاب الذى بين ايدينا يحتوى على سير القادة المسلمين الذين اصبحوا قادة العرب وسادة الدنيا قرونا طويلة .

ان قصة حياة هؤلاء القادة تبهر العقول والأبصار ، ولعل جهادهم يخرس الأصوات المنكرة المريبة التي تعمل جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا ، لتستورد لنا تاريخا وتراثا من وراء الحدود ، وسنقرأفى هذا الكتاب سير قادة فتح بلاد فارس الذين نشروا الاسلام فى ربوعها وجعلوا منها قاعدة أمامية للفتح الاسلامي الذى امتد الى الصين شرقا والى سيبريا شمالا والى البحر العربي جنوبا .

وطبع هذا الكتاب طباعة فاخرة بمطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية ببيروت ويحتوى على (٤٠٨) صفحات وقد اشتمل الكتاب على سيرة ٢٦ قائدا من بينهم حذيفة بن اليمان ، وابو موسى الأشعرى ، والأحنف بن قيس ، وغيرهم . واشتمل ايضا على خمس خرائط توضح اماكن الفتح الاسلامي فى تلك البقاع الفارسية .

المواعظ السنية فى ارشاد البرية

ثلاثون موعظة من المواعظ التي تتناول احكام الصيام وآدابه وفضل شهر رمضان والحث على الكرم والجود والانفاق فى وجوه الخير وفضل صلاة الجماعة ووجوب اخراج الزكاة وغير ذلك مما يتعلق بشهر رمضان المعظم من العبادات والفرائض وقد جمع هذه المواعظ والأحكام الشيخ عبد الرحمن ابن احمد بن يحيى الكمالي امام وخطيب مسجد الجهراء . وطبع الكتاب على نفقة جماعة من المحسنين ويوزع مجانا بدولة الكويت وهو يقع فى ١٨٠ صفحة .

قبس من الاسلام

كتاب من تأليف فضيلة الاستاذ معوض عوض ابراهيم الواعظ العام وهو يقع فى ٣٢٠ صفحة وطبعته دار النشر للجامعيين ضمن السلسلة التي تنشرها باسم « سلسلة الثقافة الاسلامية » وكتاب « قبس من الاسلام » يحتوى على أربعة وثلاثين موضوعا كلها تبصير بالشريعة الاسلامية ورد للناس الى دين الله واقامة الدليل على سعة الاسلام وشموله واحاطته بما ينبغي للحياة الطيبة من وسائل .

بقية الاسلام والمسلمون

تقام فيها الصلاة يوم الجمعة ، ولكن ليس لها صفة المسجد ، كما هو الحال فى بلادنا ، الا أنه يوجد مسجد فى مكان على بعد خمسين ميلا من لندن ، يسمى « ووكنج » له صورة المسجد ومئذنة (منارة) صغيرة .

أما اللغة التى تؤدى بها الصلاة فهي العربية لان كل مسلم يحرص على أن يتعلم كيف يصلي باللغة العربية من قراءة الفاتحة الى حفظ بعض آيات القرآن الكريم ، الى التكبيرات والتسبيحات والتشهد ، وبعض الادعية ليؤدى الصلاة بها ، اما خطبة الجمعة فتكون باللغتين العربية والانجليزية ، حرصا على أن يفهم المسلمون ما يأمر به الاسلام لأن كثيرا منهم لا يفهم اللغة العربية ، وان كان يعرف منها (السلام عليكم) وكيفية الصلاة .

أما اهتمام الحكومة البريطانية بالاسلام فهذا الاهتمام غير موجود بل الحقيقة التى يدل عليها الواقع ان الحكومة البريطانية لا تقدم أى مساعدة للاسلام ، ولا للمسلمين فى بلادها واذا عرفت ان المسجد الذى كان مفروضا ان يقام فى حديقة المركز الثقافي الاسلامي بلندن منذ عام ١٩٤٥ م لم يوافق على بنائه حتى الآن من الاجهزة البريطانية المسئولة عن المباني ، اذا عرفت ذلك ــ امكنك ان تعرف بسهولة مدى اهتمام الحكومة البريطانية بالاسلام .

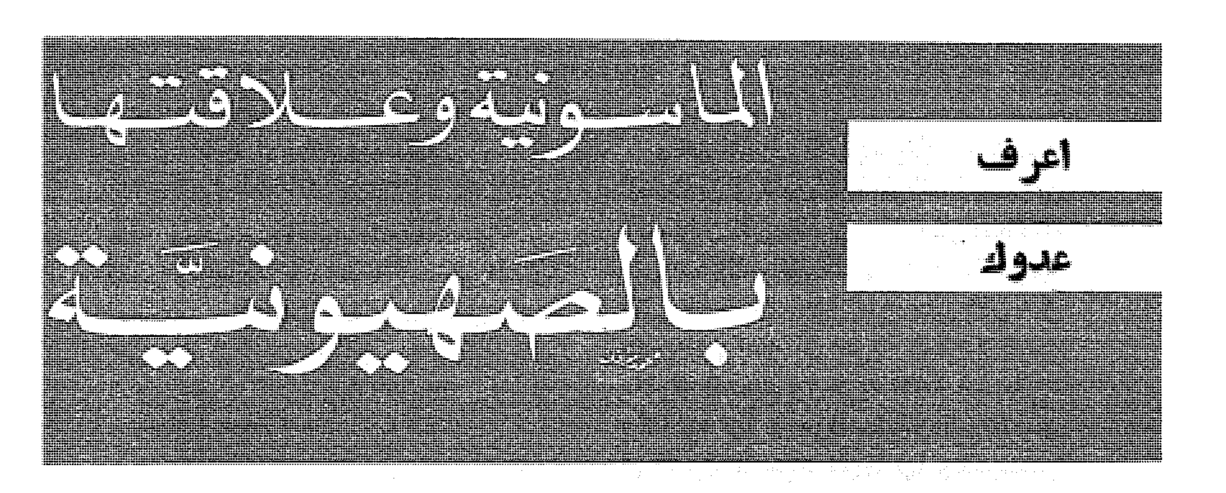
عراقيل

ويمكن أن يقال أن الاهتمام موجود ، ولكن للوقوف فى سبيله ، ووضع الحواجز أمام تقدمه ، وصرف انظار الناس عنه .

وكان المنتظر الا يجد بناء مسجد للمسلمين فى لندن هذا الموقف الشاذ من المسئولين البريطانيين ، ذلك الموقف الذى يثير تساؤلات كثيرة ، عن الدوافع الحقيقية التى تقف وراء هذا المنع حتى الآن ، فى بلد يدعي أهله ان حرية العقيدة فيه مكفولة للجميع ، وحرية اقامة الشعائر ، وكنا نود أن نرى من المسئولين البريطانيين فى قضية المسجد تفهما لها وتقديرا لمشاعر الملايين فى العالم الاسلامي ، واعطاء الفرصة لنصف مليون مسلم كي يزاولوا شعائر دينهم بدون تضييق .

أما ما يقوله البعض من ان نظام بناء المسجد يخالف الطريقة المتبعة فى المنطقة التى سيقام فيها المسجد فهذه حجة لا يؤيدها الواقع ، ذلك لان المباني الشاهقة اصبحت تتناثر فى احياء لندن ، وتخرج على النظام المألوف قديما ، والذى يزور لندن يطالعه ذلك المنظر فى كل شارع من شوارعها ، زد على هذا اننا لم نشترط على الجاليات الاجنبية فى بلادنا ان تبني معابدها على نسق المساجد ، لئلا يخرجوا على النظام المألوف للمباني عندنا ، ذلك لاننا نؤمن بحق اهل كل دين ان يزاولوا شعائرهم على الطريقة التى اعتادوها ، وهذه هي السماحة الحقة كما جاء بها الاسلام . فلماذا يتذرع الانجليز فى قضية المسجد بهذه الشكليات التى لا يلتزمونها فى مبانيهم العادية ؟ . وهل كانوا يظنون أننا سنبنى كنيسة من الخارج ومسجدا من الداخل ؟

انني أرجو أن يفهم المسئولون البريطانيون هذه الحقيقة واضحة ، ولعلنا نجد من صفحات هذه المجلة متسعا يسمح لنا بأن نتحدث عن واجب العالم الاسلامي فى هذه القضية فى عدد قادم .



... ثم تعصب عيناه بعصابة سوداء .. ويوضع حبل المشنقة فى رقبته .. ويصحبه جنديان شديدان الى الغرفة .. وينام فى التابوت الخالى لمدة تتروح بين ساعة وساعتين ... (١)

ليس هذا جزءا من قصة أو اسطورة قديمة ، أو مشهدا من مسرحية رمزية ، بل انها مراسيم تكريس لعضو جديد فى الجمعية الماسونية ..

فما هي هذه الماسونية ؟! الها مفهوم ظاهرى خاص ؟ أم ان حقيقتها تختلف عن وجودها ؟ هذه التساؤلات سنحاول الرد عليها فى هذا المقال للتحذير من هذا الاخطبوط الخطير الذى يهدد كياننا ووجودنا ..

وهذا البحث يتناول الماسونية من زوايا ثلاث :

١ : الماسونية بحسب ظاهرها الذى تعرضه للناس .

٢ : الماسونية بحسب وجودها التاريخي وأدوار نشأتها وكيفية تطورها ووصولها الى شكلها الحاضر ..

٣ : الماسونية من حيث الحقيقة والواقع .. (٢)

الماسونية بحسب ظاهرها

يزعم المروجون للماسونيةوالمخدوعون بها أن الماسونية هيئة غرضها محبة الانسان والحكمة والفلاح وممارسة التعاضد والاصلاح المادى والأدبى والاتقان وعمل الخير ، ومن مبادئها التسامح وحريةالضمير المطلقةوالتضامن البشرى وترك ما يتعلق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية وصرف النظر عن الحماس الديني والمذهبي وشعارها الاخاء والمساواة .

---

(١) مجلة القوات المسلحة المصرية ـ العدد (٤١٢) .

(٢) كتاب الماسونية اخطر الجمعيات السرية وأقدمها



العالمية

اعداد : محمد أبو غوش

ولكن الماسونية وهي تعرض مبادئها على الناس تتلون بكل لون ، وتلبس لكل مناسبة لبوسا ، وليس أدل على ذلك من قول « كلافل » وهو من اقطابها البارزين حين يوصي الماسونيين : « ان اراد اخواننا الماسون ان يدخلوا احدا فى شيعتنا فعليهم ان يقولوا لكل شخص ما يوافق حاله وعقله وميوله ، ليجذبوه بما يوافق هواه ، فان كان من أهل الفضول لمعرفة الأسرار قالوا له ان فى الماسونية اسرارا لا يعرفها غيرهم ، وان كان من اهل التجارة والصناعة أغروه بالربح وزيادة عدد المستهلكين(٣) .

وبهذه الصورة من النفاق يخرجون على الناس بين الحين والآخر ببيانات وتصريحات ونشرات ، يوهمون الناس فيها بأنهم دعاة خير ومحبة ، وان غاياتهم انسانية خالصة ، ولكن هذا الظاهر الزائف ينكشف أمره ، وتظهر حقيقته حين يطلع المرء على الاغراض البعيدة ، التي تعمل لها الماسونية ، والأهداف الأساسية التي ترمي اليها ، مما سنورده فى هذا البحث .

الماسونية بحسب وجودها التاريخي

ان استقراء الحوادث التاريخية المتعلقة بهذه الجمعية ، يمكن أن يقودنا الى قول نعده أقرب ما يكون الى الحقيقة على الرغم من التناقض الموجود فى أقوال الباحثين عن تاريخ الماسونية . . ولعل أقرب الروايات الى الحقيقة بهذا الخصوص هي رواية الاستاذ « عوض الخورى » فى كتابه تبديد الظلام فقد جاء فيه : ـ

« ان مؤسس ـ القوة الخفية ـ التي انقلبت الى الماسونية عند تجديدها هو « اغريبا » هيرودوس الثاني ، والي الرومان ، على بعض مناطق فلسطين من عام ٣٧ ـ ٤٤ م ويلقبه اليهود بالملك. وكان هيرودوس يهوديا مغاليا ، يرى حق الحياة محصورا على شعبه المختار ، ولا يقبل معذرة اله اسرائيل بايجاد شعوب ، الا اذا كانت مستعبدة لاسرائيل ،

---

(٣) صفحة ٢٠٠ من كتاب تبديد الظلام « لعوض الخورى وصفحة ٨٠ من كتاب « الماسونية منشئة ملك اسرائيل » .

وهيرودوس نفسه هو حفيد« هيرودوس الكبير » الذى حاول القضاء على السيد المسيح طفلا ، فورث هذا (أىهيرودوس الثاني) مكابرة جده(١) .

القوة الخفية

وفى عام ٤٣ م راجع طواغيت اليهود ملكهم « هيرودوس الثاني » وتناقشوا فى موضوع انتشار المسيحية ، فرأوا فيها وفى امتدادها قوة دينية شيطانية منظمة ، خرجت من شباك المؤامرات . فاقترحوا على الملك تأسيس جمعية باسم « القوة الخفية » ليقابلوا المسيحية بقوة تفوقها ، وكان يتزعم هذه الجماعة فى بلاط هيرودوس زعيمان يهوديان هما « حيروم آبيود وموآب لاوى » .

وفى أول اجتماع خطبهم هيرودوس قائلا : « ان الغاية من جمعيتنا هي ارجاع العالم الى اليهودية » وقال حيروم « على المؤسسين بالدرجة الأولى ان يقوموا بالقتل وصنع كل محرم فى سبيل حفظ كيان الدين اليهودى — وأن يبقى سر جمعيتنا محفوظا بيننا نحن التسعة وهو الاتحاد اليهودى » (٢) .

البناءون الاحرار

وبقيت هذه الجمعية تحمل اسم « القوة الخفية » حتى عام ١٧١٧ م ففي ٢٤ حزيران ١٧١٧ عقد فى « لندن » مجلس خفي ضم ورثة السر الثلاثة ، واثنين من العميان الكبار (أعلى مناصب الماسونية) هما (ديجون كوزاليبه ورفيقه جورج) فحذفوا من القوة الخفية ما أراد ورثة السر حذفهمن المصطلحات الغريبة، والرموز البالية ، واصدروا قراءات تعيد القوة الخفية الى قوة جديدة تغرى العميان ومطموسي البصائر بسمومها ومكرها .. وقد جاء ورثة السر الثلاثة الى (ديزاكوليبه) وهو الجندى الأول فى اخطبوط القوة الخفية ، والجندى الأول فى خطوط البروتستانتينية ، مما جعله أشد الناس نقمة على رومية وسعيا لزوال كرسيها من الوجود .. جاءوا اليه وأملوا عليه القرار التالي :

— يبدل اسم هيكل « بمحفل » .

— يبدل اسم القوة الخفية باسم « مزى سوزى » أى البنائين الأحرار .

هذا وقد استغل ورثة السر اسم البنائين الأحرار ، وشرعوا بلسان ديزا كوليبه (الأعمى الكبير) يستغلون جمعيات (البنائين الأحرار أو الرفاق البنائين الانجليزية) (٣) .

---

(١) يراجع « كتاب تبديد الظلام » وكتاب « الماسونية منشئة ملك اسرائيل لحمد الزغبي » وكتاب « اوقفوا هذا السرطان للدكتور سيف الدين البستاني » وكتاب « اسرار الحركة الماسونية » اصدار كلية الشريعة الاردنية — عمان .

(٢) يراجع كتاب « الماسونية اقدم الجمعيات السرية وأخطرها ص ١٠٣ » .

(٣) جمعية كانت فى بريطانيا منذ القرن الثامن عشر هدفها الاستفادة من كل جديد يطرأ على فن البناء ورعاية مصالح البنائين .

حقيقة الماسونية وعلاقتها باليهودية العالمية

على الرغم من محاولة الماسونيين اخفاء حقيقة علاقتهم باليهودية العالمية ومسارعتهم الى تكذيب(١) ونفي كل ما من شأنه الكشف عن تلك العلاقة ، فان ما ورد فى كتبهم ونشراتهم وما جاء على السنة قادتهم ليؤكد هذه العلاقة ..

فلقد جاء فى الصفحة ٧٤ من العدد الخامس للصحيفة اليهودية (لافارينا اسرائيليت :) ((ان روح الحركة الماسونية هي الروح اليهودية فى اعمق معتقداتها الاساسية ، انها افكارها ولغتها ، وتسير على نفس تنظيماتها ، وان الآمال التي تنير طريق الماسونية ، وتسند حركتها هي نفس الآمال التى تساعد وتنير طريق اسرائيل . وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذى ستكون اورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض)) .

وجاء فى البرتوكول الرابع من (برتوكولات حكماء صهيون) قولهم « من وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن ، المحفل الماسوني المنتشر فى كل انحاء العالم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا . ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة (الماسونية) فى خطة عملنا ، وفى مركز قيادتنا ، لا تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا » (٢) .

وكتب محرر انجليزي مبينا العلاقات بين الماسونية واليهودية قائلا : **((ان الماسوني وان لم يكن يهوديا بالولادة الا انه رجل متهود))** وقد عبر « هولت زنكر » رئيس محاكم فينا عن هذا الرأى بسخرية قائلا : « ان بين الماسونية المائة فى فينا مائة واثنين من اليهود » وهذا (الاتحاد الماسوني) الذى تعمل له الماسونية تظهر حقيقته حين نسمع رئيس منظمة (الياس يونيفد سال اسرائيليت) الياس الفرس اسحق بيرم يقول : « ان الاتحاد الذى نعمل لاجله هو اتحاد يهودى عالمي ، وان عملنا عظيم مقدس وانتصاره مؤكد ، وان «الشبكة» التي القاها بنو اسرائيل تبتلع العالم يوما بعد يوم ، وانها آخذة فى الاتساع .

ويقول السيد يوسف الحاج (الحائز على رتبة الاستاذ الاعظم والرئيس الأول والمندوب السامي العام فى الماسونية فى كتابه ((هيكل سليمان ص ٣٣)) : ((ان مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي الى تقديس ما ورد فى التوراة واحترام الدين اليهودى والعمل على تجديد الملكة اليهودية فى فلسطين واعادة هيكل سليمان)) .

وجاء فى كتاب الرمزية الصادر فى تموز عام ١٩٢٨ ((ان تمجيد العنصر اليهودى يجب أن يكون أهم واجبات الماسوني)) .

وقال الماسوني اليهودى : ((فيندل)) فى كتابه ((اليهودية والماسونية)) لا تبلغ

البقية على ص ٨٥

---

(١) يراجع بيان الماسونيين الاردنيين الصادر بتوقيع الدكتور سيف الدين الكيلاني وعبد المجيد مرتضى فى ١٠/٥/٦٤ .

(٢) كتاب حاضر العالم الاسلامي .



للاستاذ محمد لبيب البوهى

خيل الى صاحبنا انه أصبح قطبا من أقطاب العلم والمعرفة ، فقد قرأ من الكتب الكثير وفوق الكثير ،وطوف فى البلاد شرقا وغربا ، وجاس خلال الاقطار قطرا فقطرا ، ولكنه مع كل هذا كان يشعر فى اعماق نفسه بفراغ قاتل ، وان روحه تسبح فى ظلاف كثيف .

كان ينتهب اللذات انتهابا ، ولكنه لم يكن يجد فيها راحة البال ، وهدوء النفس ، ورضوان الضمير ، فشتان بين اللذة والسعادة ، ان الفرق بينهما كالفرق بين الزجاج والماس .. ولكنه كان ما يزال يبحث ، ويفتش عن شيء يملأ فراغ نفسه .

وكان ابوه رجلا حكيما يتحدث اليه فى بعض الاحيان ، فيقول لقد ابتعدت كثيرا يا بني عن مركز الدائرة . فكان يعلو وجهه الغضب ، ويثور فى نفسه الغيظ، ولكنه كان يكظم هذا كله ، ويمنعه شيء من أدب ان يسيء الى أبيه فى الجواب .

ومع هذا فقد كان يظن ظنا يقرب من اليقين ، انه ربما كان ابوه على شيء من الحق .. وانه يعنى بابتعاده عن مركز الدائرة انه ضل سواء السبيل . فقد كان ابوه يسترسل احيانا فى الحديث ، فيقول ان الحياة القويمة كالدائرة الكاملة الاستدارة ، وان الانسان السعيد هو الذى يستطيع ان يرسم لحياته دائرة كاملة ، يكون هو مركزها ، وراسم اتجاهاتها ، وان الدائرة لن تكون منتظمة كاملة الاستدارة ، ما لم ترسم بهندسة دقيقة ، وما هندسة الحياة غير القيم الفاضلة والخلق والدين .

ومع ان هذه الاقوال لم تكن تجد لها صدى فى نفسه ، اذ كان هناك جدار صفيق من الاهواء ، ومن الكلمات الخبيثة التى شربتها نفسه من بعض ما كان يحب ان يطالع — يحول بين قلبه وبين كلمات ابيه ، غير ان اباه كان ينتهز كل فرصة لمواصلة الحديث ، فكان يستطرد فيقول :

وعلى اطراف دائرة الحياة يا بني مصابيح مفتاحها فى يدك انت عند المركز ، ودوائر حياة الطيبين تتماس فى رفق ونظام فى نطاق الكون العظيم الذى جاء محمد صلى الله عليه وسلم بمفتاحه ، وما مفتاح دائرة الكون كله غير القرآن .

وكان صاحبنا عندما يصل الحديث الى هذه الغاية يتسلل لواذا من مجلس ابيه ضيق النفس ، ملتاث الفؤاد منطلقا الى وجوده الخاص يخبط فيه خبط عشواء ، يسخر مما سمع ، مما تأباه اذن الحضارة فى زعمه ، ثم يلوذ ببعض الكتب التى تمجد الفلسفة الوجودية والتى تقول للانسان فى خبث خبيث ، اهواؤك جزء منك ، ان هواتف نفسك التى تدعوك الى اللذة هى انجيلك وقرآنك .. فاقبل على كل ما تدعوك اليه نفسك تحقق وجودك ، واذا كفرت بأهوائك فانت كافر بالحياة مبتعد عنها نافر منها .

ويتنفس عند هذه المعانى فى عمق ، فقد وجد الاقراص المنومة التى تجعله يسبح فى عالم وردى الاحلام .

وكان ابوه قد اهداه بعض كتب الحديث والسيرة والتفسير من سنوات ، فكان ينحى هذه الكتب جانبا فى شيء من الرفق ، ويقبل على آخر ما اخرجته المطابع لسارتر ، او سيمون دى بوفوار ، فتمر ساعات الليل الطوال وهو ينهل من معين افكار ارباب المذهب الوجودى الحبيب .. لقد كان ذلك دأبه حتى انتهى الى اعتبار نفسه وجوديا معالوجوديين.. أليست الوجودية تقول « ايها الانسان، لقد ولدت على ما انت عليه ، كل رغباتك وشهوات نفسك قد ركبت فى كيانك تركيبا ، فأصبحت جزءا منك ، فاذا ذهبت تقاوم لنفسك رغبة ، او تقف فى طريق شهوة كنت كمن يعترض مجرى النهر ، ان النهر حينئذ سيفيض على الجانبين ، ويهلك الحرث والنسل ، وما رغباتك وشهواتك الا نهر حياتك ، فان حاولت ان تلوى عنانها فخذ آلام الكبت واحتراق الاعصاب وما الى ذلك من الامراض التي هى ميراث الاخذ بالتقاليد الاجتماعية والقيم والدين .

ومن الذى صنع هذه القيم ، وحدد خطوط الدين .. ؟ سيقولون لك الله .. فاسخر منهم ، ونح هذه الاحجار عن طريق نهر حياتك .. نفذ ما تريد ، واضرب بكل القيم والنصائح عرض الهواء ، فما هذه القيم وتلكالنصائح الا هذيان اقوام قد ماتوا فيجب ان يموت معهم كلامهم ، فاياك ان تجعل الموتى اوصياء عليك ، سيقولون لك : ولكن الله باق لا يموت ، وانه كلامه سيظل ما بقيت السموات والارض فاهزز كتفيك ، وامض عنهم بعيدا ، فما الله غير خرافة ، لانك لم تره ، وكل ما لا تراه فهو غيب والغيب جهل ، وانت وحدك الموجود ، فاصنع من اهواء نفسك دستور حياتك ، وامض على طريق اللذة تغنم فرصة الحياة التى تحياها مرة واحدة ، ثم تتبخر فى دنيا العدم كما تذهب فى الافق فقاعة الصابون .

انتهز ايام الحياة واصنع ما تريد ، فليس بعد ايامك هذه من شيء ..

***

وهكذا وجد صاحبنا لحياته فى تعاليم الوجودية دستورا ، ومضت الايام والشهور والسنون وهو يبشر بهذا الدستور ، ويكسب كل يوم الى صفه الانصار والاعوان ، فالامر كله لذيذ .. ، الدستور لذيذ .. والكلمات لذيذة .. ، والحياة على هذا المنوال مواتية ، فليس هناك من تبعة نحو شيء .

وانتشى صاحبنا ، ونبت له ريش وجناحان ، وراح يحلق فى أجواء الوجودية ، وخيل اليه انه

اصبح قطبا من اقطاب المذهب اللذيذ .. وامسك فى بعض الاحيان بالورق والقلم ، وحاول ان يسطر كلمات يدفع بها الى المطبعة ليؤكد لاصحابه ان له فى هذه الفلسفة مذهبا وتوجيها ، وسماه اصحابه بالوجودى العظيم ، وطاب له ان يتصور نفسه نبيا يبشر بمذهب يريح الناس ، وكان يصيح كالديك فى مناسبات شتى فى جماعة منتلاميذهمبشرا بآيات مذهبه « يا شارب الخمر اجرع فى لذة ونهم كاسك مثنى وثلاث ورباع ، ويا طالب الفاكهة المحرمة اقطف من كل الاغصان ما تشاء لا يردك عن كل ما تشتهى راد ، فليس بعد ايام الحياة من معقب وكان نفر من اصحابه يصفقون له ، ويحملونه فى مجلسهم الخاص على الاعناق ، ويطوفون به رحاب المجلس ويصبون الخمر فى راحتيه ، ثـم يرشفونها فى نشوة يطلبون الى نبيهم المزيد من الوصايا ، فيسترسل مسيلمة قائلا : سيقول لكم المخلفون من الناس انكم تتبعون طريق الشيطان ، فلا تحاولوا ان تجدوا لهذه الكلمات معنى ، هى كلمات فحسب قالها جدى لابى ، وقالها ابى لعمى ، وقالها عمى لخالى ، ولكن عهد الجدود والآباء والاعمام قد زال ، وبقى لنا عالمنا نحن .

وعند ذلك تصدح الموسيقى .

وسافر صاحبنا الى الخارج ، ونزل بكثير من ديار الغرب ، وحج الى كعبة الوجوديين ، واختار من بينهم زوجه وجودية ، وعاد بها الى الحواريين والتلاميذ ، ورزق الزوجان الوجوديان بطفلة لم يحب ابوها شيئا كما احبها .. لقد اصبحت قرة عينه يسعد بالحديث اليها ومداعبتها اكثر ساعات النهار ، ولاتخلو احلام الليل من صورتها فى كثير من الاحيان ، واخذ يرعاها وهى تشب عن الطوق عاما بعد عام ، واخذت السنون تنال منه وهو يدب الى الشيخوخة حتى نيفت الصبية على العشرين ، وكانت لها سيارة تلهو بها ، ولا تستمع الى نصح ابويها فى الانصراف عن جنون السرعة فى قيادتها حتى حدث ذات يوم ما كان يخشاه ، وما كان يود ان يدفع كل ما يملك من مال كثير ليتحشاه ، وما كان ليتردد فى ان يبذل حياته رخيصة دونه ، فقد اندفعت الفتاة فى جنون ، وكانت الى جانبها امها ، فتحطمت السيارة على جذع شجرة كبيرة ، واصيبت الفتاة بكسر فى ساقيها ، واصيبت امها باصابات شديدة استعصت على العلاج ، وران الهم على قلب الرجل وأظلمت الدنيا فى عينيه وشعر ان كل كلمات العزاء التى يصبها اصحابه وتلاميذه لا تزيده الا شعورا بالمأساة ، فقد كانت كلمات جوفاء لا روح فيها وهي تصدر من قلوب خلت من كل معانى المودة الخالصة التي تشيع فى الكلمات وفاء الحياة .. وخيل اليه ان هناك كلمات تقولها امه ــ ويقولها أبوه ــ ويقولها الناس حين تلم بهم الكوارث ، او يصابون بسوء وهم يرفعون بصرهم الى السماء ، وفى عيونهم امل ورجاء .

وتذكر من ذلك اشياء واشياء ، وتذكر كيف انه كان ينظر الى من تلم بهم الكارثة فيراهم ــ ببعض كلمات يقولونها فى صدق وحرارة وهم يرفعون اكف الضراعة الى السماء ــ يستردون كل اسباب الراحة والهدوء .

هناك قوة تحمل عن الناس همومهم ، وتمسح عنهم احزانهم ، وهو في هذه الساعة في شديد الحاجة الى عون من هذه القوة .. ولكنه نسي كل ذلك من زمن بعيد .

وخيل اليه انه فقد شيئا عظيما .. ثروة هائلة ، واحس بأنه يتيه في وديان من الضياع لا تمتد اليه فيها يد حانية .

نظر الى ابنته الكسيحة ، فبكى ، والى امرأته المهشمة فأغمض عينيه ، ونهضت من اعماق الماضي كلمات جده .. وأبيه .. وعمه .. الكلمات الدافئة الصادرة من يقين رسخ على مدار الاجيال ، واحس بأنه غريب عن كل هذا ..

وضاق صدره ، فخرج في جوف الليل الى العراء يلتمس بعض الهواء . وكان حزنه قد صار مضرب الامثال في الناس . فمر بجماعة سمعهم يتذاكرون امره ، ويعيدون الحديث عن قصته ووجوديته وزواجه ومأساة حزنه ، فتوقف ليستمع من حيث يسمعهم ولا يرونه ، فاذا بكلمة انخلع لهـا فؤاده ، وطاش صوابه قال احدهم :

لماذا الحزن ؟ الم يكن وجوديا .. الم يكن لامرأته الوجودية ان تصنع ما تشاء ؟ الم تكن تسافر كل عام لتقضي بضع شهور مع اصحابها هناك . ترى هل هو على يقين من .. وغامت الدنيا في عينيه .. وترنح حتى كاد يقع ارضا ، فهز رأسه في عنف وهو ينطلق مرددا لا .. لا .. من المحال ان يكون الامر فظيعا الى هذا الحد .

وعاد الى الدار ، وكان الطبيب قد اعطى الفتاة وامها المخدر ، فراح يمعن في وجه الفتاة النائمة وراح يفتش ملامحها بصورته في المرآة .

لقد استبد به خاطر واحد .. وفي ليلته تلك لم ينم ، واحصى في الصباح مائة عقب من اعقاب السجاير في المنفضة .

* * *

واشار عليه اصحابه ان يذهب بابنته وامرأته الى العلاج في الخارج، فسافر بهما ، واستودعهما احدى المصحات ، وعاد ليقضي اياما محمومة في انتظار مريع .. تلسع فؤاده مئات المرات في كل لحظة كلمة واحدة .. ويدور في خاطره سؤال واحد يحمل الى رأسه الحميم .. وشك قاتل يلسع قلبه بشواظ من نار .

حتى جاءه الجواب ذات يوم في خطاب كتبته امرأته في ساعاتها الاخيرة ، قبل ان تموت هناك في المصحة البعيدة .

وداعا .. انني اموت .. اسير الى العدم .. لقد انتهت ايامي .. واما الفتاة فسيرعاها البير .. انه هو ابوها .

بقية اعرف

عدوك

اهمية الكفاح فى سبيل الانسانية مبلغ أهميته فى سبيل اليهودية ، وسيادتها العالمية ، واليهودية تبتدىء فى ذلك الكفاح كقوة قاهرة ينبغي أن تخضع الماسونية لها ، ولا عجب فى ذلك لان اليهودية هي المسيطرة فعلا بطريقة خفية مقنعة على كثير من محافل اوروبا » .

وقال الحاخام الدكتور اسحق وايزمن فى كتابه «اسرائيليو امريكا» : ان الماسونية مؤسسة يهودية ، فتاريخها ودرجاتها وأهدافها ورموزها السرية ومصطلحاتها يهودية من أولها الى آخرها » .

وجاء فى مجلة « ذى جويش تريبيون » ــ وهي مجلة يهودية ــ المجلد ٩١ عدد ١٨ « ان الماسونية قائمة على اليهودية فاذا استؤصلت اليهودية من شعائر الماسونية ومصطلحاتها فما الذى يبقى بعد ذلك» .

ويقول رتشارد كارليل فى كتابه « الحركة الماسونية مبسطة وان المحفل الماسوني الأعظم يهودى برمته فى الوقت الحاضر (١) .

وجاء فى كتاب المؤامرة اليهودية « ان المحفل الامريكاني الماسوني الذى يدير الماسونية الكونية كل اعضائه من اعاظم اليهود وحدهم (٢) » .

وقالت الكاتبة اليهودية « بربارة توخمان » فى كتابها « التوراة والسيف » ص ٢١٧ « ... ان المؤسسين الأصليين للوطن القومي اليهودى ، وبالتالي لاسرائيل فى فلسطين ، هم الماسونيون(٣) » .

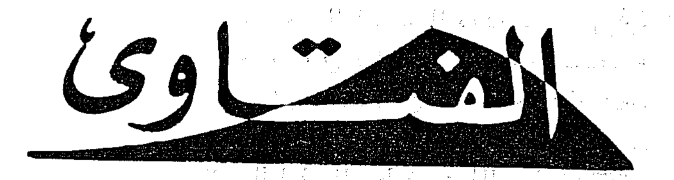
هذه النصوص الكثيرة التي أوردناها فى هذا المقال توضح بجلاء حقيقة الحركة الماسونية ، ومدى اتصالها بالصهيونية ، وخطورة هذه الحركة المستترة على الشباب، الذين يستهويهم بريقها الخلاب، ودعايتها المغرية ، وقد فطنت بعض الدول الاسلامية والعربية الى هذه الخطورة ، فحلوا المحافل الماسونية التي كانت فى بلادهم ، وجنبوا أممهم شر ويلاتها ، وقد نشطت حركة التاليف عنها ، فصدرت كتب كثيرة لكبار الكتاب المسلمين والمسيحيين على السواء ، تكشف النقاب عن النوايا المدخولة التي تستتر وراء الماسونية والماسونيين .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والله ما من احد احق بهذا المال من احد ، والله ما من احد من المسلمين الا وله فى هذا المال نصيب ، والله لئن عشت لهم ليصلن الراعي فى صنعاء حظه من هذا المال ، وهو يرعى مكانه .

(١) يراجع مجلة « المسلمون » المجلد السادس العدد الثامن .

(٢) كتاب اسرار الماسونية و كتاب اخطر الجمعيات وأقدمها .

(٣) كتاب التبشير والاستعمار .



سيارات الأجرة

السؤال : ـ

رجل يملك عددا من السيارات يؤجرها للغير ، ويقبض اجرتها ، فهل تجب عليه زكاة هذه السيارات ؟ .

الاجابة : ـ

صرح الفقهاء بأن الزكاة لا تجب فيما اعد للكراء من حيوان وعقار وغيرهما كالسيارات وعلى هذا فلو كان للانسان عدة بيوت او عقارات او حيوان او سيارات ، او تليفزيونات او غيرها يؤجرها ، ولم يتخذها للتجارة فلا زكاة عليه فيها ، ولكن يجب عليه ان يزكي ما ادخره من ريعها وأجرتها اذا بلغ نصابا بنفسه ، أو بضمه الى بقية ما له بشرط ان يحول عليه الحول . وذلك لأن الزكاة لا تجب الا فى الاموال المعدة للنماء والزيادة اما اذا تملك السيارات او البيوت بقصد التجارة فيها بالبيع والشراء فحكمها حكم سائر عروض التجارة تجب فيها الزكاة .

الغناء والموسيقى

السؤال : ـ

ما حكم سماع الغناء والموسيقى ، هل هو حرام ، أم جائز ؟ .

الاجابة : ـ

رخص الاسلام فى الغناء وضرب الدف وهو نوع من الموسيقى والاستماع اليهما فى المناسبات السارة كأيام العيد ، وعند الزفاف وقدوم الغائب ، وفى العقيقة والولادة ، عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام من (عيد الاضحى) تغنيان وتضربان ، والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوب ، فانتهرهما ابو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه ، وقال « دعهما يا أبا بكر فانها ايام عيد » رواه البخارى ومسلم .

وعن عائشة انها زفت امرأة الى رجل من الانصار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، ما كان معهم من لهو ؟ فان الانصار يعجبهم اللهو » رواه البخارى .

وذكر الامام الغزالي فى كتابه الاحياء عند الكلام على السماع احاديث غناء الجاريتين ولعب الحبشة فى مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتشجيعه لهم بقوله « دونكم يا بني أرفده » وقوله لعائشة تشتهين ان تنظرى . وقال الغزالي هذه احاديث كلها صحيحة ، وهي نص صريح فى ان الغناء واللعب ليس بحرام .

الا أنه يجب ان يقيد هذا بالقيود العامة التي تضمنتها الشريعة الاسلامية ومنها ان تكون الفاظ الاغنية ومعانيها متفقة مع الآداب الاسلامية ، فالاغاني التي تتناول الهجاء او تغرى بالفاحشة ، او تشيد بالخمر وغير ذلك والاداء الذى يشيع الاغراء بالشهوات واثارة الغرائز . كل هذا يجعل الغناء والموسيقى من اللهو المحرم ، حماية للمجتمع وسدا للفتنة .

دخول السينما

السؤال : ـ

هل يحل للمسلم ان يدخل السينما والمسرح ام يحرم عليه ذلك .

الاجابة : ـ

السينما والمسرح وغيرهما ـ اذا احسن استخدامهما للتوجيه والتوعية وذلك بعرض الافلام والتمثيليات الهادفة التي تصور مشكلة من المشكلات الاجتماعية كبيان اضرار شرب الخمر أو التدخين او عاقبة شاب طائش اسرف على نفسه او قسوة أب على اولاده واهمالهم وتركهم فريسة للتشرد والضياع ، او نتائج انتشار الرشوة فى المجتمع مثلا ، او كان الفيلم او الرواية يدور حول تمجيد البطولة والفداء والتضحية الى غير ذلك ـ اذا كان ما يعرض فى السينما من هذا القبيل فهو من اللهو المباح وبناء على هذا يجوز دخولهما والاستمتاع بما يعرض فيهما بشرطين : الا يكون هناك اختلاط بين الجنسين ، والا يترتب على ذلك ضياع او تأخير فرض من فرائض الصلاة مثلا .

التلقيح الصناعي

السؤال : ـ

وجاءنا من السيد م . س . ف . الموظف بالكويت هذا السؤال : ـ

حيواناتي المنوية قليلة ، ولا يمكن الانجاب الا بواسطة التلقيح كما قال المختصون حيث تؤخذ حيواناتي المنوية بواسطة طبيب وتحقن بها زوجتي بواسطة طبيبة . فهل هذا التلقيح مباح أم لا .. حيث ان لي رغبة ملحة فى الانجاب : ـ

الاجابة : ـ

التلقيح الصناعي ان كان بنطفة الزوج حل ولا شيء فيه ، وكثير من الاطباء يلجأون الى هذا عندما يعالجون مشكلة العقم بين الزوجين ويرون ان سببها سرعة القذف عند الزوج بحيث لا توجد فرصة لدى المادة المنوية للدخول فى رحم الزوجة .

اما اذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج فهو محرم شرعا والولد الناتج عن هذا التلقيح لا يصح نسبته الى الزوج . قال المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى التلقيح بماء الاجنبي ((هو جريمة منكرة واثم عظيم يلتقى مع الزنا فى اطار واحد جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة)) .

الوسيط التجارى

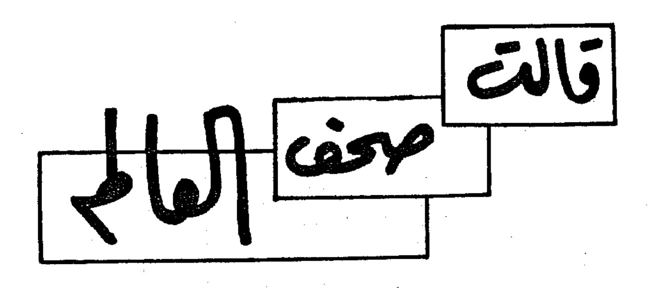
السؤال : ـ

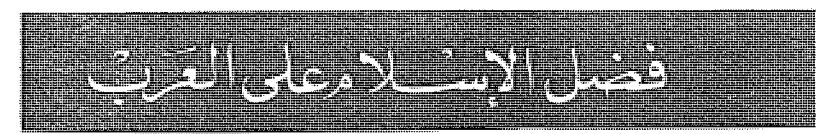
وجاءنا من ع . م . الكويت سؤال يقول فيه : ـ

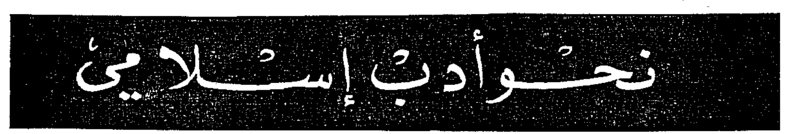
عملي اني أقوم بالتوسط بين البائع والمشترى ، وأسهل عملية البيع والشراء بين الطرفين ، ولي على ذلك عمولة . فهل هذا كسب حلال ؟ .

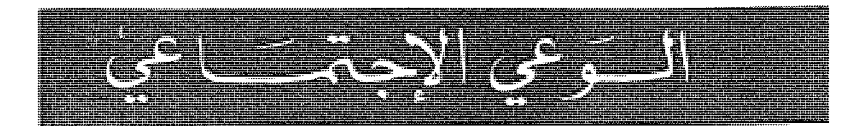
الاجابة : ـ

المعاملات التجارية اتسعت فى هذا العصر وتنوعت اشكالها وصورها ، وكثيرا ما تحتاج الى وسيط يسهل للبائع والمشترى تبادل السلع ، وهذا الوسيط او الدلال او السمسار يقوم بدور كبير فى اتمام الصفقة والتعاقد عليها ، فلا بأس ان يأخذ هذا السمسار على عمله هذا نقودا أو عمولة بنسبة معينة طبقا لما يتفق عليه من الشروط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المسلمون عند شروطهم)) وعلى السمسار الا يلجأ الى الغش والخداع لأى من البائع والمشترى .









فضل الاسلام على العرب

كان هذا الموضوع مدار الحديث فى الندوة الشهرية لمجلة لواء الاسلام القاهرية ، ومما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي فى هذه الندوة .

عندما نتحدث عن العروبة والاسلام اريد ان اتجاهل ما حدث فى التاريخ الانساني خلال المائة سنة الاخيرة ، فان القوميات نبتت فى بيئات شتى ، وأصبح تعلق الناس بأوطانهم وأجناسهم شارة العصر الحديث . ثم استمعنا الى من يقول المانيا فوق الجميع ، وأيطاليا فوق الجميع وغير ذلك من هذه النزعات الضيقة التي مزقت الانسانية بمفهومها الواسع ومعناها النبيل .

ثم للاسف وجدت نهضة عربية . هذه النهضة لحقها من وثنية القوميات التى نضج بها العصر الحديث ما جعلها تظن انها تستطيع الانسلاخ عن الاسلام ، او استصحابه كعامل مساعد او عامل ثانوى ، لكي يعيش فى ظل عروبة تستطيع ان تشمخ بأنفها بنسبها العربي وحده .

ان هذه النزعة العروبية المجردة البعيدةعن الاسلام نزعة سفيهة وجاهلة ومتجنية على التاريخ ، لان العرب ما كانوا من غير الاسلام وقبل الاسلام أمة ، بل كانوا أمة ذنبا لغيرهم او تابعا يدور فى فلك الآخرين ، أو أمة ليس لها من الموضوع ولا من العنوان ما يجعل لها شأنا مذكورا فى الحياة ، حتى جاء الاسلام فاذا الامة التابعة تصبح امة قائدة ورائدة ؟ هل هو المأثور من شعرهم الجاهلي ؟ هل هي مواهب بعض الفرسان

وبعض الفرسان وبعض الرجال الذين نبغوا بين القبائل ؟ لا : ان العرب بمواهبهم العربية وحدها لايصلحون لشيء ولا يمكن انيكونوا فىالدنيا الا كشعب كمبوديا فىآسيا أو شعب شيلي فى أمريكا أو الكونغو فى افريقيا أو أي شعب من مثل هذه الشعوب ، حتى جاء الاسلام فاذا هو يصنع من هؤلاء الناس وبطريقته السماوية الفريدة أمة لها رسالة ، أمة تقود العالم ، فاذا نظرنا الى المعنى الذى قادت به الامة العربية فانما هو الاسلام (وانه لذكر لك ولقومك فسوف تسألون) ــ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

بم تفتخر الامم ؟ أو بم تفتخر الشعوب ؟ تفتخر برقيها العقلي،بتطورها الاجتماعي برسوخها فى ميدان التشريع ، بكل المآثر الانسانية الضخمة التي يمكن ان تستفيد منها القارات الخمس ، فاذا نظرنا الى العرب من الناحية التشريعية من غير اسلام نجدهم صفرا ، وكذلك الناحية العقلية . كقصب السكر اذا استخرج منه السكر فانه لا يبقى الا حطام يرمى فىالنار ما بقي منه بعد ذلك كذلك العرب قبل الاسلام . ويجب أن يفهم هذا كل من يغالي بعروبته ويريد أن يجعل للعرب أمجادا موهومة ، وأن يجعل لهم فى تاريخ الدنيا حضارة لم يعرفها الانس ولا الجن . فان العرب كانوا فى صحرائهم امة تائهة ، لا وزن لها فى حضارات البشر القديمة ، ولا مكان لها فى دنيا الناس الا مكان الاتباع ، او مكان الذى يطلب من الدنيا الاكل والشرب فقط (المستوى المادى) . لكن الذى دفع بالعرب ودخل بهم التاريخ وجعلهم امة تلقى ظلالها على القارات المعمورة هو الاسلام . هذا المعنى اريد أن ابرزه جيدا .

نحو ادب اسلامي

وكتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :

الاديب المسلم بتصوره الاسلامي تتسع نظراته ، وتكبر دائرة مشاعره ، ويزداد تفاعله مع الكون كله بما فيه من نبات وحيوان وانسان ، ويصبح صوته المبدع وأدبه الاصيل ، هو صوت الانسان اينما كان ، لانه صوت الفطرة الشاعرة الاصيلة بل يزيد ابداعه ويغزر حتى يشمل مظاهر كثيرة يغفل عنها أدباء غيره .

ان المسلم الذى يعتقد انه خليفة الله فى الارض ، يستطيع ان يكون اديبا مبدعا ، وان ينتج ادبا عالميا انسانيا . يتسم بالاصالة والجمال والحقيقة ، ادبا يجد تجاوبا عميقا مع احساسات الانسانية ، ومظاهرها الطبيعية .

وعلى ضوء هذه النظرة ايضا تساهم فروع الادب كلها فى خلق الادب الاسلامي . من قصة ومسرحية ، وشعر ومقال ، وبحث ، ونقد ، وغيرها .

بهذا يختفي من عالم الادب او يتضاءل ادب الميوعة والجنس ، وأدب الاثارة واللذة وادب المناسبات والقرابات لانه ادب مصطنع لا يعبر عن مشاعر الشعب ، ولا يمثل حقيقة المشاعر الانسانية ، ولا يعطي الشعب ادبه المنتظر .

ويختفي أيضا من عالم الادب ، مدعو الأدب ومروجو الزيف ، وتجار الكلمة ، ودعاة الدعارة باسم الادب والفن والكلمة .

ان الامة الاسلامية التي تدين بالاسلام عليها ان تخلق ادبا اسلاميا بمشاعره وتصوراته وتطلعاته حتى لا يمثل هذا الشعب ادعياء الادب وهم تجار الزيف والفساد .
ان الادب الاسلامي هو الادب الاصيل حين ينبع من التصور الاسلامي الصحيح ، لأنه يعبر عن روح الامة ومشاعرها وآمالها ، ويستطيع أن ينقد الحياة والمجتمع، فيهدم

الصور المشوهة للادب ، ويرسم الصورة الصادقة لادب يعبر عن مشاعر النفس واحاسيسها وتطلعاتها وتعاطفها مع ما حولها .

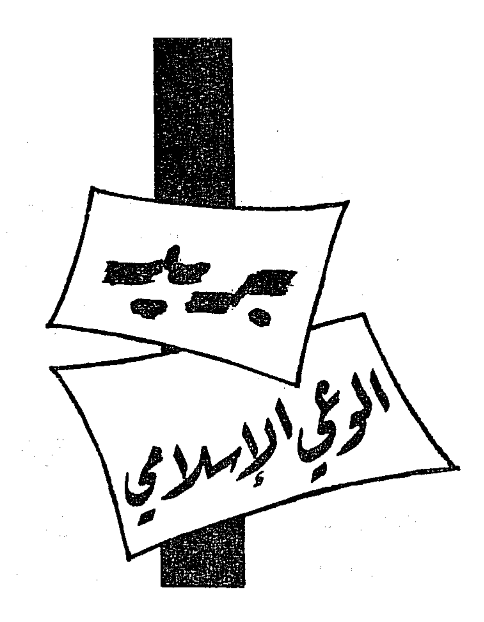
ان الحياة كلها ، والفطرة الانسانية ، والطبيعية الواسعة عالم رحب ، وحافز قوى للادب الاسلامي ولكن مسؤولية خلق هذا الادب تقع على عاتق الاديب المسلم الذى يعي رسالته ، ويعرف مواقع اقدامه وينطلق حاملا هذه الامانة ليرسم معالم ادب جديد لمجتمع اسلامي منشود ، ولن يكون احد اجدر من الاديب المسلم فى الحداء لهذا المجتمع الذى يؤمن بالاسلام فى اعماقه لانه عقيدة الفطرة .

الوعى الاجتماعي

وكتبت مجلة الايمان المغربية تحت هذا العنوان تقول : ـ

ان الغريزة الاجتماعية حالة مشتركة بين الناس من كان منهم واعيا وعيا اجتماعيا صحيحا ، او من كان على غير ذلك . والغريزة هذه ـ وان كانت تدفع عن الانسان السوى شدة ميله الى العزلة والتوحش ، شأن بعض الحيوانات المنعزلة حتى عن بني جنسها ـ فانها لا تخلق فيه بالضرورة .. الاستعداد الكافي ليتجاوب مع المجتمع الذى ينتسب اليه تجاوبا عميقا يحقق به مجتمعيته فى ابعادها الكاملة ووجوهها الصحيحة ، وانما الذى يخلق فى الفرد مثل هذا الاستعداد، هو توافر الشعور الاجتماعي عنده ، لا مجرد الغريزة الاجتماعية ، والشعور الاجتماعي حالة نفسانية ايجابية لا تجعل المرء يحس بانعطاف عميق نحو مجتمعه . انعطاف ليس من قبيل العاطفة السطحية . والنزعة المتهافتة ، بل هو انعطاف يقود الفرد الى الاحساس بعمق الرابطة التي تصله بكل فرد من افراد المجتمع ، وبما يمثله هؤلاء الأفراد من حضارة قائمة ، وقيم متوارثة ، وفاعليات مؤثرة وأوجه للحياة عديدة ومتميزة .

والانعطاف هذا لا يعني مجرد التعصب لكل ما هو موجود فى البلد من قيم وحقائق ، ولو كانت غير صالحة ، ان الانعطاف اولا هو غير التعصب ، انه يناقض فقط حالة الانفصال العشوائي عن المجتمع هذه الحالة التي تعترى بعض الأفراد الذين يعوزهم الوعي الاجتماعي ، او اصيبوا فى مجتمعيتهم لسبب أو آخر ، ان الانعطاف الواعي نحو المجتمع يقتضي الانعطاف نحو الحالة الأمثل ، التي يجب ان يكون عليها المجتمع . ومعنى ذلك ، أن الفرد ، وهو ينزع الى الارتباط بمجتمعه بما فيه من مساوىء ، فان هذا النزوع الى الارتباط ، لا بد ان يكون ممتزجا عند الفرد بفكرة العمل على التخفيف من المساوىء التي تلتصق بالمجتمع وتنمية الاوجه الايجابية التقدمية ، التي قد تكون بادية فى محيطه ، او بالتالي السعي الى التعاون مع الآخرين ـ على خلق هذه الاوجه التقدمية بشكل من الاشكال ، ويجب الا يغرب عن الذهن ، ان الدافع الى الانعطاف نحو شيء من الاشياء ، يكون ـ فى كثير من الحالات ـ دافعا نفسانيا قبل كل شيء ، لكن الحالة الشعورية التي تتمثل فى هذا الانعطاف ، يجب الا تبقى ذات أبعاد نفسانية فقط ، بل يجب ان تتطور ، ويتسع مداها لتصبح حالة ادراك منطقي ، تتبين فيه الحدود والمزايا والسبل المؤدية ، وعلى هذا ، فمن الضرورى ، ان يتشكل الوعي الاجتماعي ـ بعد ان تدفعه قوة الشعور الى مداه النفسي الاكثر عمقا ـ من الضرورى ان يتشكل هذا الشعور حينئذ فى اطار فكرة واضحة المعالم ، لها كل ما للأفكار من قوة الارتباط بالعقل . والاستمداد من وحيه ، وذلك ما من شأنه ان يساعد على تكييف مدركات الفرد حول الموضوع الاجتماعي الذى يحيط به ، واكساب هذا الفرد عقلية اجتماعية سوية ، يتبين بها وضعيته المنطقية داخل مجتمعه الضيق (المدينة) ومجتمعه الكبير (البلاد) ومجتمعه الاكبر (العالم العربي ـ الاسلامي مثلا) .





حول زواج الشيوعية بالمسلم

تلقينا الرسالة التالية من السيد : ن ش ق من الكويت .

لقد لفت نظرى ما جاء فى مجلة الوعي الاسلامي العدد السابع حول زواج الشيوعية بالمسلم « .. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الشيوعية ، لا يجوز التزوج منها .. الخ » .

فاذا كان هذا لا يجوز شرعا فهل هناك من آية او حديث يمنع ذلك صراحة ، وما رأيكم بمن تزوج بفتاة شيوعية من هنغاريا (المجر) منذ خمس سنوات وقد تم عقد القرآن حسب العادات الاسلامية فى بلد عربي شقيق .

هذا علما بأن الزوج مسلم محافظ على الدين بكل ما فى الكلمة من معنى ، واما الزوجة فانها تبدي احترامها البالغ للشعائر والطقوس الدينية التي يقوم بها زوجها ويؤديها ، وهما يعيشان حياة سعيدة هادئة طوال مدة زواجهما .

وبهذه المناسبة لا يفوتني أن اذكر لكم ان لهما ابنا عمره اربع سنوات نشأه تنشئة دينية قويمة .

هل يبقى الزواج بينهما قائما او انه يجب عليه ان يسرحها باحسان وبذلك يهدم بيته السعيد ؟ ! ماذا يفعل ، ارجو ان يكون جوابكم واضحا على صفحات مجلة الوعي الاسلامي العدد القبل .

ونحن نقول للاخ الفاضل ان مناط عدم الزواج بشيوعي او شيوعية هو انكارهم لوجود الله . وقد قلنا فى سياق التعليق على الفتوى ص ٩٣ العدد السابع ما نصه « واذا كان الاسلام لم يجز زواج المسلمة بمشرك او كتابي يعترف بوجود الله فمن البديهي انه لا يجيز زواجها بملحد يحارب الاديان وينكر وجود الله » .

وأنا اشير بهذا الى قوله تعالى فى الآية (٢٢١) من سورة البقرة **« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه .. »** وهذا دليل واضح وصريح ومعلل بقوله فى آخر الآية « اولئك يدعون الى النار .. » وهو يقطع بعدم صحة زواج المسلم من شيوعية تعتنق المذهب الشيوعي . اما اذا كانت من بلد حكومتها شيوعية كالزوجة التي تتحدث عنها فليس بلازم

ان تكون معتنقة للمذهب الشيوعي وما دامت قد ابدت احترامها البالغ للشعائر والطقوس الدينية التي يقوم بها زوجها ويؤديها وأن لهما ابنا عمره اربع سنوات نشآه تنشئة دينية قويمة » ما دام امر هذه الزوجة كذلك ولم يصدر عنها ما يدل على رفضها للأديان فهي كما اظن قد بقيت على دينها المسيحي . والزوج هو الذى يستطيع ان يلمس ذلك ويكيف روحها من ناحية الدين .. فاذا اطمأن الى احترامها لدينه ، وبقائها على المسيحية ابقى على الصلة الزوجية بينهما ولا يهدم بيته السعيد ..

وأحب ان تكون هذه هي القاعدة العامة فى تكييف حالة الزوجة اذا كان يظن فيها انها شيوعية ..

المذاهب الاسلامية

وتلقينا الرسالة التالية من الاستاذ محمد مهدى الخالصي بجامعة مدينة العلم بالكاظمية فى بغداد .

تابعت جامعتنا ومكتبتها وانا شخصيا ، الاعداد التي صدرت من مجلتكم فلفتت انظارنا من جملة ما لفت نقطتان حيويتان فى مجلتكم .

أولا : المستوى العالي من الوعي الذى ينعكس على المقدمات التي تكتبونها ، وعلى الاجوبة التي يرد بها على اسئلة القراء ، والذى من مظاهره ايضا حسن اختياركم المواد التي تأخذ طريقها للنشر .

ثانيا : المستوى الاسلامي الذى عصمها من ان تقع فريسة للمذهبية الضيقة التي تكون غالبا آفة المجلات والصحف وسائر النشاطات الدينية ، الأمر الذى يفقد تلك الصحف قيمتها العلمية ، كما يفقدها قيمتها الاستدلالية ثم يطبعها بطابع التعصب المقيت ، فتعجز عن اداء مهمتها ، ثم تنتهي ، وفى الحقيقة ان النقطة الثانية من مظاهر النقطة الأولى بل من أهم مظاهرها ، نظرا لأن الواعين المخلصين من دعاة الاسلام هم الذين يدركون حقيقة المعركة التي هي معركة بين الاسلام بجميع مذاهبه ، التى لم تخرج عن اصول الدين الاساسية ، وبين الكفربجميع اشكاله ، بينمايغفل المتعصبون – مذهبا – عن هذه النقطة مما يجعلهم فى دوامة من الصراع الجانبي الذى لا يخدم الاسلام ، بل يعمل على تفتيت الجهود ، واننا اذ نبارك لكم هذا الجهد المشكور ، وهذا النهج الواعي ، نسأله تعالى لكم مزيد التوفيق ودوام التسديد ، لخدمة الاسلام ، والاسهام فى تنبيه الأمة الى حقائق الاسلام ، ومساهمة منا فى دعم هذا النهج القويم ، اقترح ان يشتمل ما تنشرونه من آراء واحكام شرعية على جميع وجهات النظر الفقهية ، وفى المذاهب الاسلامية المحترمة ، بغية ابراز الوحدة الاسلامية ، وعرض الخصوبة الوافية فى الفقه الاسلامي ، ولا اشك بانكم سوف لا تغفلون هذه الناحية خاصة وان للمجلة قراءها فى كل من العراق وايران ولبنان والخليج والكويت ممن يتوقعون الا تغفل المجلة هذه الناحية ..

« والوعي الاسلامي تشكر للاستاذ الكبير روحه الطيبة وحسن استقباله هو واخوانه للمجلة . ونعده بأننا سنضع اقتراحاته أمام أعيننا فى المستقبل ان شاء الله ..

التحلي بالفضة

وتلقينا من فضيلة الشيخ محمد احمد علي صالح المراقب بمعهد اسيوط الديني التعقيب الآتي على الفتوى التي نشرناها فى العدد السابع تحت عنوان : « السن الذهبية »

فقد اطلعت على الفتوى « السن الذهبية » بالعدد السابع من السنة الأولى شهر رجب ١٣٨٥ هـ من مجلة الوعي الاسلامي والسؤال « ما حكم الشريعة الاسلامية فى السن الذهبية والعين الزجاجية » وجواب المجلة « يحرم على الرجال التحلي بالذهب والفضة ويحل للنساء ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : احل الذهب والحرير لاناث امتي وحرم على ذكورها. الخ » .

فقد نص الحديث على حرمة الذهب والحرير على الذكور دون الاناث ولم ينص على حرمة الفضة على الذكور ، كما جاء بصدر الفتوى . وحيث ان الحديث الذى معنا لم ينص على حرمة الفضة على الذكور فيكون التحلي بالفضة للرجال جائزا فى الامور الآتية : ـ

١ ـ اتخاذ الخاتم من الفضة فى وزن درهمين .

٢ ـ تحلية جلد المصحف الشريف تعظيما له .

٣ ـ تحلية السيف فى حق الرجال دون النساء وذلك ارهابا للعدو .

٤ ـ وفى تحلية السرج واللجام والسكين وتمويه الآنية النحاسية والرصاصية والاناء المضبب سواء كان من الخشب او الصيني ليلحم بسلك من فضة او ذهب قولان : المنع والكراهية على حد سواء .

أما الأول فقد روى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب أو فضة وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه « محمد رسول الله » فاتخذ الناس مثله ، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال : لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة ، قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان فى بئر أريس » وبئر اريس قريبة من مسجد قباء ، ومثل هذا الحديث رواه مسلم فمن هذا الحديث يعلم بطريق النص ان الرسول صلوات الله عليه نهى عن اتخاذ الخاتم من ذهب وقال لا البسه ابدا ثم اتخذه من فضة ، واتخذ الناس خواتمهم من الفضة ، ولم ينه الناس عنه حينما اتخذوا الفضة كما نهاهم عن الذهب،واستمر العمل به بعده من اصحاب رسول الله كأبي بكر وعثمان والحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين . وكلمة « الناس » الواردة فى الحديث أعم من الخلفاء الراشدين فقد تخطاهم العمل الى غيرهم كما جاء فى موطأ مالك رضي الله عنه عن صدقة بن يسار انه قال : (سألت سعيد بن المسيب عن لبس الخاتم قال البسه واخبر الناس اني افتيتك بذلك) .

وروى البخارى ايضا ان حميدا يحدث عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان خاتمه من فضة وكان فصه منه .

وروى البخارى ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم (كان يلبس خاتمه فى خنصره الاصبع الصغرى) لانه ابعد عن الافتتان والعجب . والاحاديث فى ذلك كثيرة على اتخاذ الخواتم من الفضة للرجال دون الذهب .

واشترط السادة المالكية فى لبس هذا الخاتم من الفضة شروطا منها :

ان يكون وزن درهمين كخاتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ما زاد على درهمين وان يكون واحدا فلا يجوز تعدده ولو كان وزن المتعدد درهمين فاقل كما لا يجوز ان يكون بعضه ذهبا وبعضه فضة .

وحكم التختم بالفضة انه مستحب اقتداء بالرسول ويستحب ان يكون فى خنصر اليسار منعا للتعجب ويكره وضعه فى اليمين .

اما عن الثاني والثالث والرابع من تحلية المصحف والسيف والسرج الى آخره فهذه الاحكام على مذهب الامام مالك رضي الله عنه .

والوعي الاسلامي تشكر لفضيلة الاستاذ عنايته وتتبعه وتعليقه الوافي : ومع ان الظاهر أن كلمة (الفضة) ذكرت سهوا لأن الحديث الذى استدل به ليس به الفضة الا ان هذا السهو كان سببا فى تعليق الأخ الفاضل هذا التعليق الوافى الدقيق. شكرا .

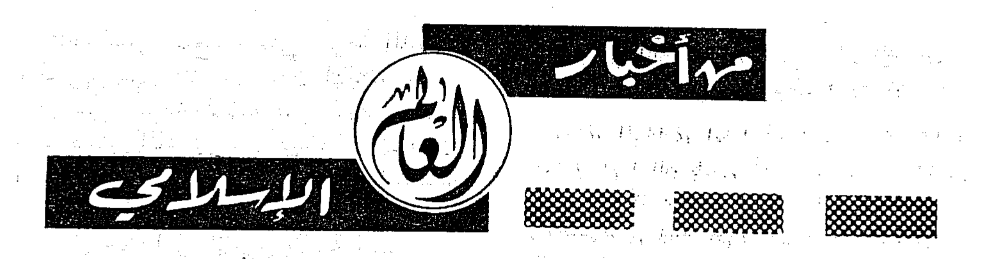
ردود قصيرة

الاستاذ توفيق بازرعه ـ المحامى ـ بالجيزة ـ

شكرا لكم على تهنئتكم للمجلة وأسرتها

السيد ابراهيم عبد الله ـ المنصورة بالجمهورية العربية المتحدة ـ

مع شكرنا لكم نأسف لعدم استطاعتنا ارسال الاعداد السابقة . ويمكنكم الاتصال بشركة توزيع الاخبار شارع الصحافة بالقاهرة . والاشتراك عن طريقها ..



الكويت

* أصدرت حكومة الكويت أمرا باغلاق المطاعم والمقاهي أثناء النهار حتى قبل الغروب بساعتين وذلك بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وجريا على العادة المتبعة في البلاد طيلة أيام هذا الشهر الكريم .

* انتقل الى رحمة الله الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح وزير البرق والبريد سابقا والنجل الثاني لسمو الامير الراحل وشقيق الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع . وقد وافته المنية في سويسرا يوم ٣ يناير ١٩٦٦ عن ٣٦ عاما ، ونقل جثمانه الى الكويت .

والوعى الاسلامي تقدم تعازيها لسمو أمير البلاد وللشيخ سعد العبد الله وللأسرة الكريمة وتسأل الله للفقيد الرحمة وللأسرة جميل الصبر .

* صرح الشيخ جابر الاحمد الصباح رئيس حكومة الكويت لمندوب صحيفة الأهرام القاهرية بأن الكويت يؤمن بسياسة العمل العربي الموحد ويؤيدها بكل قواه ، « ونرى أن مؤتمرات القمة العربية هي أسلوب ايجابي لممارسة ذلك العمل الذى يقوم على وحدة الهدف ويكون طريقا لتحرير الأرض العربية في فلسطين من الاستعمار الصهيوني » . وقال ان حكومة الكويت قررت ان تستمر معونتها الاخوية لامارات الخليج ، وأضاف انه لا يقبل ان تكون هذه المعونة عن غير طريقة مباشرة الى ان تتاح الظروف لممارسة صندوق الجامعة العربية مشروعات التنمية في الخليج .

وأوضح ان الضغط الخارجي هو سبب تأخير تقديم المعونة الى الخليج عن طريق الجامعة العربية لانه لا يمكن ان يكون شيوخ الخليج هم السبب . وقال ان اهم ما يشغل وقت الحكومة الآن هو العمل على وحدة الشعب الكويتي

والموضوع الثاني هو تنفيذ مشروع تزويد الكويت بالمياه من نهر الفرات الذى يتكلف ٧٠ مليون جنيه ويتم تنفيذه في ٣ سنوات ويؤدى الى ان تقلل الكويت من اعتمادها على دخل النفط كمصدر للثروة القومية ، اذ تستطيع ان تستغل فائض المياه في الانتاج الزراعي والحيواني .

القاهرة

* بلغ عدد القراء الذين أوفدتهم وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة الى انحاء الأقطار الاسلامية نحو ٥٠٠ قارىء . والجدير بالذكر أن النفقات الخاصة بهؤلاء القراء تتكفل بها الجمهورية العربية المتحدة .

* حددت جامعة الازهر عام ٦٧/٦٦ لافتتاح كلية الطب التى ستكون تابعة لها ومقرها مدينة القدس تيسيرا للطلاب العرب من ابناء الدول الشقيقة ...

* جرى اتصال بين الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر والشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية ، تناول موضوع توحيد رؤية الهلال في العالم الاسلامي ، والاتفاق على مقاييس ثابتة ويمكن الاعتماد عليها في اعلان بدء الصيام . وقد أرسل مفتي الجمهورية مذكرة مفصلة بوجهة نظره الى شيخ الأزهر .

وتم الاتفاق على عرض جميع البحوث التي تناولت هذا الموضوع على مؤتمر المجلس الأعلى للبحوث الاسلامية الذى سيعقد بالقاهرة في الصيف القادم ، للاتفاق على كيفية توحيد رؤية الهلال .

* طلبت حكومة سنغافورة ٢٢ طبيبا مصريا مقيما واخصائيين باثولوجيين للعمل بمستشفياتها لمدة سنة على ان تتحمل مرتباتهم . وقد بدأت وزارة الصحة في ترشيح هؤلاء الاطباء .

* وافقت شركة الطيران العربية المتحدة على تخصيص ٤ طائرات نفاثة لنقل افواج الحجاج بين مدينة بلانتير ـ عاصمة مالاوى ـ ومدينة جدة ، ابتداء من ١٥ مارس القادم .

* صرح الدكتور احمد رياض تركي رئيس مجلس البحث العلمي بأن مشروع الاكاديمية يحدد مهمتها فى تتبع التقدم العلمي داخل الجمهورية وفى العالم الخارجي ، وتعبئة الجهود العلمية وتنسيقها ، ومناقشة البحوث التي تعرض عليها ، وفحص الانتاج العلمي واختيار المستحقين لنيل جوائز الدولة .

العراق

* أرسل السيد محمد مهدي الخالصي عن الهيئة العلمية فى جامعة مدينة العلم ـ الكاظمية ـ البرقية التالية الى السيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة السوداني .

تحريمكم الشيوعية الملحدة تأكيد لشخصية السودان الاسلامية ، ودعم لحقوق الانسان على الأرض ، الهم الله حكام المسلمين السداد للاقتداء بكم وألهم الانسانية الرشاد للتخلص من اعدائها اعداء اللــه .

السعودية

* ستوفد المملكة العربية السعودية خمسين داعية للاسلام يقومون بنشر الدين الحنيف فى شتى البلدان الافريقية ، وستقام دورة تدريبية لتعليم الوعاظ اللغة الانجليزية والفرنسية ليستطيعوا أداء رسالتهم .

* قرر مجلس الوزراء انشاء وحدات ذبح تجريبية فى منى للاستفادة من لحوم الهدى .

* أصدرت المملكة العربية السعودية أمرا يحظر به على المبعوثين الدبلوماسيين من السعوديين اصطحاب زوجاتهم معهم فى الحفلات الرسمية التي يقيمها الدبلوماسيون كذلك حظرت عليهم المجاهرة بشرب الخمر فى هذه الحفلات ..

لبنان

* قررت مديرية الشؤون الثقافية فى وزارة الخارجية اللبنانية ايفاد معلمين لتدريس اللغة العربية ، الأول الى نيجيريا والثاني الى السنغال بالاضافة الى بعثة المعلمين اللبنانيين الموجودة فى كل من البلدين ، وذلك استجابة لرغبة الافريقيين وتزايد اقبالهم على درس اللغة العربية فى المعهدين اللذين انشأهما لبنان فى دكار ولاغوس بموجب برنامج المساعدات الثقافية اللبنانية لافريقيا .

السودان

* حكمت المحكمة العليا بالسجن ستة أشهر على طالب شيوعي اتهم بالتطاول على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اثناء اجتماع حلقة دراسية شيوعية .

وكان هذا الطالب ويدعى شوقي محمد علي قد اثار موجة من الاستياء فى صفوف الشعب السوداني مما أدى الى قيام حملة اسلامية على الحزب الشيوعي انتهت بحل الحزب واعتبار وجوده غير شرعي ..

وقد عدلت حكومة السيد محمد احمد محجوب الدستور لتمكينها من سن قانون لمنع الحزب الشيوعي وجعل نشر الشيوعية والالحاد جريمة يعاقب عليها القانون .

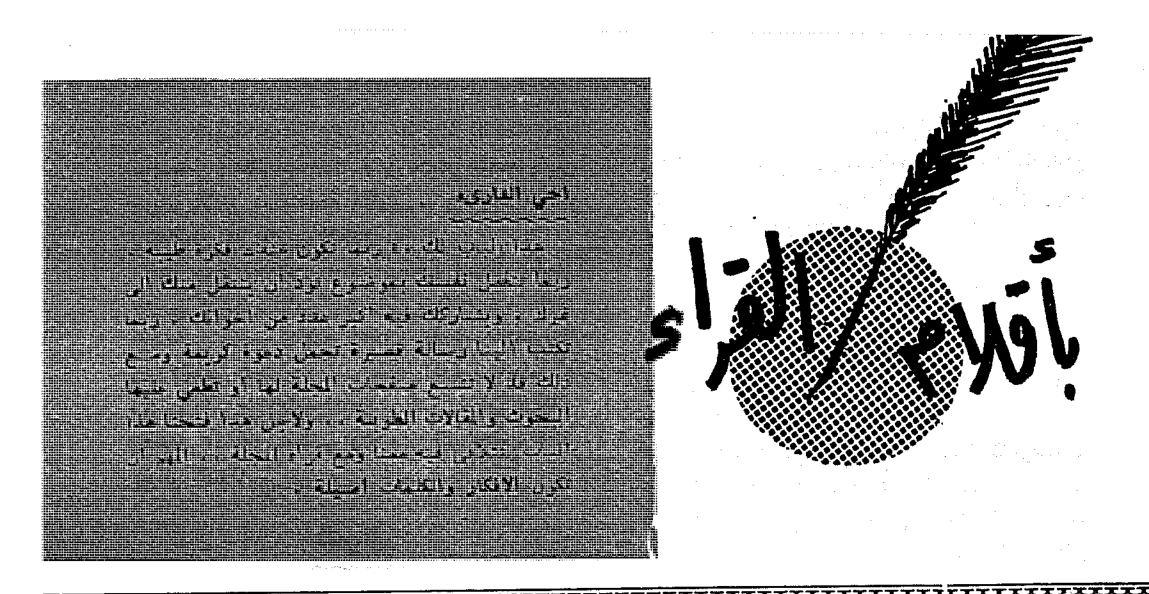
* اوصى المؤتمر الثامن للمحامين العرب بان تتم محاولات توحيد قوانين البلاد العربية على اساس استمداد تلك القوانين من الشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع فى قوانين تلك البلاد . كما ناشد المؤتمر حكومة السودان الاسراع فى وضع قانون مدني يكون مصدره الاساسي هو الشريعة الاسلامية وأصدر المؤتمر ايضا توصية مماثلة بحق القانون المدني الجديد فى الأردن .

عمان

* ينتظر ان يدعى العائدون الذين يحملون بطاقة اعاشة للتبرع بعشرة فلوس (١٢ قرشا لبنانيا) شهريا لانفاق حصيلتها على تحسين بعض الخدمات فى مخيمات العائدين . وما تزال الفكرة مطروحة للبحث وتحتاج لتنفيذها الى قرار من الحكومة .

* ذكرت صحيفة « الديلى تلغراف » اللندنية ان الأردن قرر ان يشترى من بريطانيا طائرات نفاثة مقاتلة تزيد سرعتها على سرعة الصوت .

وقالت الصحيفة ان مفاوضات شراء هذه الصفقة قد قاربت على الانتهاء وتبلغ قيمتها ٣٠ مليون جنيه .



صلاح الدين هل هو عربي ؟

كتب الينا السيد / عبد الله الشاكر من الموصل ـ العراق يقول : ـ

كان ظهور مجلتكم الغراء آية من آيات الوعي فى العالم الاسلامي الذي يضم ما يقارب ال ٦٠٠ مليون نسمة من الذين شرفهم الله بهذا الدين الحنيف ، وجعلهم ينعمون بالاخاء والمودة فى ظل عقيدة التوحيد السامية ... الى ان قال .. ولا يسعنا الا الابتهال الى البارى عز وجل ان يكلل جهودكم وجهود جميع المخلصين لاعلاء راية دينه واعادة بناء صرح الامة الصامدة . ثم قال تعليقا على ما نشر بالعدد الرابع عن اصل صلاح الدين .

أريد أن أعرض لكم حقيقة التاريخ عن أحد أبطال الجهاد الأفذاذ الذى كان فريد **عصره فى بطولته وجهاده الا وهو صلاح الدين الايوبي محطم قوى الضلال ومحرر بيت المقدس من أيدي العابثين السفاكين .**

لقد اختلفت المصادر فى تحديد اصل اسد الدين شيركوه واخيه ايوب والد صلاح الدين ، فذكر ابن الأثير (ان أصلهم من الاكراد) فى حين أنكر جماعة من ملوك بني ايوب نسبتهم الى الاكراد وقالوا « انما نحن عرب نزلنا عند الاكراد ، وتزوجنا منهم » وبعض من قالوا بهذا الاصل العربي نسبوا الايوبيين الى بني امية . ويبدو من دراسة موطن الايوبيين الاصلي ونشأتهم وسيرتهم بعد ذلك انهم اكراد الجنس، ويؤيد هذا الرأى مايرويه ابن **خلكان عن شيخه واستاذه بهاء الدين ابن شداد كاتب سيرة صلاح الدين ـ اذ ذكر انه سمع شيخه بهاء الدين يحكي عن السلطان صلاح الدين انه عندما سمع هذا النسب العربي انكره وقال « ليس لهذا أصل اصلا » (١) فى حين جاء فى هامش الصفحة (٥٥) من مجلتكم العدد الرابع من مقال « فروسية العرب فى الاسلام » للدكتور احمد شوكت الشطي ما يلي « يخيل الي ان القارىء سيتهمني بفقدان الصلة بين العنوان والبحث**

---

(١) نقلا عن كتاب « الناصر صلاح الدين » ص ٦٥ ـ ٦٦ للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

عن صلاح‌الدين ما لم اثبت عروبته)) ويمضي الدكتور الشطي ليثبت عروبة صلاح‌الدين ببعض الادلة ومنها . ما جاء فى الجزء ٦ ص ٣ من كتاب ملوك مصر والقاهرة ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر حديث له (من تكلم بالعربية فهو عربي) .

وكثيرا ما يحتج بعض الناس بهذا الحديث ليجعلوا من بعض شخصيات الاسلام عربيا فى قوميتهم تعصبا ـ وارجو الا يؤول كلامي هذا بالطعن فى مقال الدكتور الشطي ـ مع العلم بان الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال بشان سلمان الفارسي (سلمان منا اهل البيت) لم يرد بهذا ان سلمان من اهل البيت حقيقة ـ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها ليجعلها شرفا لسلمان على خدماته الجليلة (ومن الاكيد ان غير العرب من المسلمين يتشرفون بان يكونوا عربا لا من اجل جنس العرب بل لكونهم مسلمين فلغة القرآن العربية ونبي الاسلام عربي . فمن الذي يستنكف من الانتساب للعرب بعد كل هذه المزايا ؟ واسالكم بالله هل يمكن لغير العرب من المسلمين ان ينتسبوا لعروبة ابي جهل مثلا ؟ كلا والف كلا ، وختاما اقول نحن اخوة فى الدين لا فضل لأحد على احد الا بتقوى الله .

ابي الاسـلام لا اب لي سـواه   اذا افتخـروا بقيس او تميـم

((مناجاة))

وتلقينا من الاخ عبد الفتاح محمود الدربى / من طنطا بالجمهورية العربية المتحدة كلمة تحت هـذا العنوان نقتطف منها :

يا رسول الله : ايها الباحث عن الحقيقة فى غار حراء طيلة خمسة عشر عامـا ، لم يصبك فيها ملل ولم تقعد بك عن طلبها ملامة أهل أو شماتة عدو .

اية نشوة احسستها فى خلوتك ، واي جمال رأته عين بصيرتك ، واي سـناء هامت فيه مشاعرك ، اية حلاوة ذقتها فأضاعت مرارة يتمك ، واي كأس تلك التي شربتها ، فبدلت وحشتك أنسا .

يا رسول الحق وصفي المعرفة : لقد قسم الناس العلـم مراحل ، وجعلوا لكل مرحلة منه شهادة يحصل عليها من يتمها ، ومع ذلك فلم يصل منهم أحد الى النهاية ، فأي معرفة هي معرفتك ايها الامي الرسول .

يا نجي العرش : لقد أخبرتنا عن بعض ما رايته فى رحلتك الالهيـة ليلة الاسراء والمعراج ولم تخبرنا عن اشياء كثيرة لانها فوق مستوى عقلنا المحدود . ما المفاتيح التي اعطاكها جبريل . اية كلمات قيلت لك واية كلمات قلتها فبان كل محجوب ، وفتح كل مغلق . اي مقام هو هذا المقام .

يا رسول الله : ان صورتك الصبوحة تتراءى لي وانت بين أصـحابك فى ذلك المسجد من اللبن المسقوف بسعف النخيل تعلمهم الكتاب والحكمة ، وترسي قواعد حضارة وتاريخ أمة ومجد انسانية .

وأرى وجهـك الباسم وانت تؤاخي بين المهاجرين والانصار ، وتبذر المحبة فى قلوب المسلمين فعرفتهم العدالة الاجتماعية قبل أن يعرفها دعاة العصر الحديث .

واراك بين صفوف المسلمين فى غزوات الحق تقاتل قتال قائد يريد ان يعلي كلمة الله ، ثم أرى السماحة كلها يوم الفتح وانت تقف بين من أخرجوك من ديارك ، وآذوك فى أهلك ومالك ، تقول لهم لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

سيدي يا رسول الله :

اني أسير ولا زاد لي الا هديك . ولا طريق لي الا سنتك ، ولا ضياء لي الا الكتاب الذي انزل عليك (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم مت ويوم تبعث حيا .

المجلات الاسلامية الهادفة

جاءنا من الاخ عبد الله بن مشارى العلي من الرياض الرسالة التالية : ـ

سرني ـ كما سر كل مؤمن ـ صدور مجلة من الكويت القطر الشقيق تحمل آمال المسلمين ، وتبحث مشاكلهم وتدل على الاسباب التي أدت الى ما وصلوا اليه الآن من غربة فى ديارهم ، وتنكر لاعمالهم المجيدة ، حيث انطووا على انفسهم ، ولولا وعد من الله اكيد وتَنَفّس للاسلام طويل وعقيدة راسخة وفدائيون فى سبيل الحفاظ على العقيدة والذب عنها ، ولو انهم يلاقون فى هذه الدنيا الفانية كما لاقى سنمار ، الا ان ما اصابهم دليل على قوة ايمانهم ورسوخ عقيدتهم وتفانيهم فى مرضاة خالقهم وطاعة نبيهم ـ لكان لله شأن آخر فى مصير البشرية .

ان الحيارى التائهين الكثيرين فى ظلمة هـذا العصر من المسلمين عامة يستطيع النور ولو كان ضعيفا أن يريهم مواقع أقدامهم ، ثم يهديهم الى المنهج القويم . أليست الظلمات الكثيفة المصطنعة والتي تكاد تغطي كل شبر فى مجتمعاتنا هي مصدر الحيرة والقلاقل المتتابعة .

فما السبيل المؤدي الى انقشاع الظلام الرهيب ـ الذي كلما زاد امتداده اشتدت ظلمته ـ الا مشاعل من النور تهدى الى السبيل الواضحة المعالم .

ان المجلات الاسلامية الهادفة تمثل المشاعل الهادية .

ان اثر المجلات « المشاعل » لا يظهر بوضوح ـ فيستدل بهـا من تنكب عن الطريق ـ الا فى الظلام وان الطريق الذي ستسير فيه القوافل من المهتدين تلتقي عند نقطة واحدة بالسائرين السابقين لماذا لأن الغاية واحدة والزعيم واحد والدستور واحد والاماني واحدة ، لذلك ستتمزق الحجب التي منعت النور برهة من الزمن ، وسينقشع الظلام الذي أورث الحيرة والضلال ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولينصرن الله من ينصره .

انني لو ارخيت للقلم العنان لباح بما يجول فى خاطري من آلام وآمال ولكني آثرت الوقوف عند هذا الحد .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجيب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

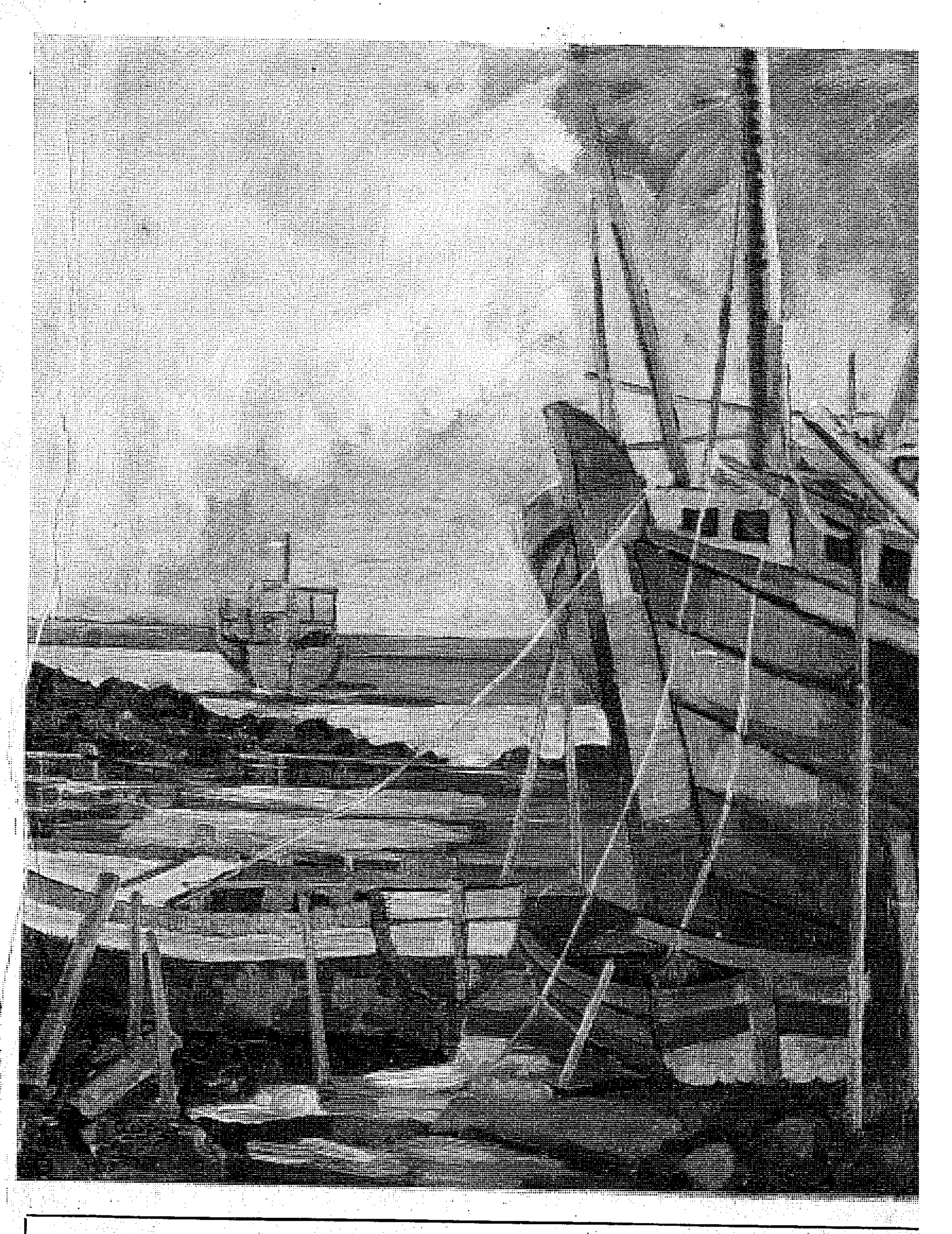
مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ صب (١٩٥٦) .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



على شاطىء الخليج العربي بالكويت

لوحة زيتية بريشة **محمد مؤذن**



السنة الأولى ــ العدد الحادي عشر ــ غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٥ هـ ــ ٢٠ فبراير ١٩٦٦ م



((قصة العدد))

عمير بن وهب

اقرأ في هذا العدد

الوعى الاسلامي

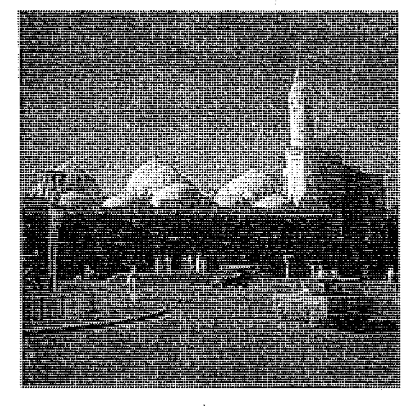
اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى عشر السنة الاولى
ذى القعدة سنة ١٣٨٥ هـ
٢٠ فبراير ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مسجد الغمامة بالمدينة المنورة
ويقع فى نهاية شارع المناخة بالمدينة
المنورة تصوير العربى

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



الدين شيء والسياسة شيء آخر

تلك قضية يطلقها فى عالمنا الاسلامي كثير من الناس ، يريدون بها أن الدين لا دخل له فى سياسة البلد ، وتنظيم حياتها ، وعلاقاتها مع غيرها ، وعليه أن يخلى الطريق فى ذلك للسياسة ، تسير فيه كما يحلو لها ، ويتخذ له طريقا آخر بعيدا عنها ، فى ركن أو محراب !!

ويذهب الكثير منا الى القاء تبعةشيوع هذه الفكرة علىالمجتمع الغربي، وما ورثناه او اخذناه عنه من نظم وأفكار . ذلك أن هذا المجتمع ، ضج فى وقت من الاوقات مـن تدخل رجال الدين المسيحي ، فى امور السياسة ، وتحكمهم فى كل شيء ، حتى كان البابا يصدر قراراته بحرمان اى ملك او امبراطور ، او عالم يخرج على أوامر الكنيسة او يقرر حقيقة لا تراها ، فيهوى الملك من فوق كرسيه ، لا رجلا عاديا ككل الناس ، بل رجلا ينبذه كل الناس ، لان البابا قد غضب عليه ، وبالتالي غضب الله عليه .. فلما قامت الثورات فى اوربا ، وفى مقدمتها الثورة الفرنسية ، كان من اهم اهدافها التخلص من تحكم رجال الدين ، والعمل على حصار نفوذهم ، داخل كنائسهم ، وترك العمل خارجها لرجال آخرين ، بعيدين عن الكنيسة ونفوذها ، يصرفون أمور الدولة حسب آرائهم غير مقيدين بآراء الدين ورجاله ...

وقد تم لاوربا الثائرة على نفوذ الكنيسة ما أرادت ، وحصل رد فعل عنيف للمرارة التي خلفها تحكم رجال الدين فى شؤون الحياة ، وتمثل ذلك فى عزل الدين ورجاله عزلا تاما عن سياسة الدولة ، وتنظيم امورها فى الداخل والخارج ، واتخذوا شعارهم ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

ثم انتقلت الينا هذه الفكرة مع ما نقلناه من اوربا من مفاهيم ونظم دون وعي وأصبح الفصل بين الدين وسياسة الدولة كأنه امر طبيعي ، وأصبح الكثير منا يردد فى اقتناع ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) دون أن يدركوا أن الاسلام انما هو تنظيم عام وشامل لعلاقة الانسان بربه ، وعلاقته مع الآخرين ، وأنه تكفل بهذا التنظيم فى كل ناحية من نواحي الحياة ، وفى حالتي الحرب والسلم معا ..

ثم أنهي كل ما تردد فى الاخذ بهذا التنظيم ، حين قال ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) .

واذا كنا نقول مع القائلين بأن الفصل بين الدين والحياة مفهوم وارد لنا من الغرب ، فاننا لا نقف عند هذا القول ، اننا نقول ان هذا صدق ولكن ليس كل الصدق . ان هذا جانب من الصورة لكن هناك جانب آخر يجب ان نعرفه كحقيقة من حقائق تاريخنا الماضي وآثارها فى الحاضر .

لا نريد ان نبالغ ، ونلقي تبعة كل عيب فينا على غيرنا ، فان ذلك قد يخفي عنا عيوبنا ويسدل ستارا كثيفا عليها ، يحول بيننا وبين معرفتها ، فنعيش بها دون ان نعالجها ، ونقضي عليها ...

اذا كان من الحق ان نقول ان هذا المفهوم هو بعض ما وفد علينا ، او استوردناه من مفاهيم او انظمة غريبة ، فان من الحق كذلك ان نقول : ان هذا الفهم الوافد لم يكن ليأخذ طريقةالى النفوس ، ويسيطر عليها كما يسيطر الآن ، لو لم يجد أرضا مهيأة من قبل لتقبله ، ويجد من يتعهده بالسقي والعناية منذ زمن ، حتى نما وترعرع ، ومد فروعه وظلاله هنا وهناك ..

ان الشجاعة التاريخية الأدبية تحتم علينا ان نقول ، اننا نحن الذين مهدنا الأرض لتقبل هذه المفاهيم ....

كان حكام المسلمين ـ منذ قرون مضت ـ قد بعدوا فى تصرفاتهم عن احكام الاسلام ، وتحللوا من انظمته ، ان لم يكن كلها فأغلبها ، حين لم تهضم نفوسهم ، ولم يرض غرورهم ورغبتهم فى السيطرة ان يتقيدوا بالنظم والمبادىء والآداب الاسلامية فى مباشرة سلطاتهم ، ومعاملة رعاياهم .. تلك المبادىء التيتلزمهم بالشورى والعدل والتسوية بين الرعية ، وحسن التصرف فى شؤونها وأموالها .. فأصبح كل واحد منهم يتصرف حسب هواه ، لا حسب رأى الدين . لا يعرف الدين واحكامه الا اذا وجد فى ذلك مصلحة له تؤيد حكمه ، او تدعم رأيه ، او حين يحتاج الى التفاف الشعب حوله .

فكانوا يستغلون الدين ورجاله فى مآربهم الشخصية ، حتى اصبح وأصبحوا سلعة يقبلون عليها حين يحتاجونها ، ثم يهملونها حين لا يكونون فى حاجة اليها .. كان الدين كالثوب المعلق على ((شماعة)) يلبسونه ويتدثرون به فى مواسم او ظروف خاصة ، ثم يتركونه ويعيدونه الى ((شماعته)) يعلوه الغبار !! .

وأصبح رجل الدين ، او بالأحرى الرجل الذى تخصص فى امور الدين ، لا مكان له الا فى محراب المسجد ، ينظر اليه المجتمع كما ينظر الى رجل متخلف ((ثقيل الدم)) لا يهتم به ولا بتوفير الحياة الكريمة له كما يُهتم بغيره ..

وأصبح القرآن الكريم لا يعني به الا للبركة ، أو للأحجبة ، او للقراءة على الأموات ، أو الاستماع اليه من قارىء حسن الصوت ..

وكان هذا ـ مع الأسف الشديد ـ هو الذى هيأ الأرض جيدا ، لتقبل هذه البذرة الوافدة ونموها ، وأتاح للمستعمرين حرية التصرف ، ليبعدوا الدين تماما

عن الحياة ، ويزيدوا من ضعفه فى نفوس المسلمين ، وتعلقهم به حتى يطول مكثهم ويصفو الجو لهم ولعملائهم ، فعملوا على بث هذه الفكرة فى الكتب الدراسية وغيرها حتى اصبحت فى اذهان الجيل الذى تربى فى اجوائهم ، كأنها من البديهيات التي يستهجن الخروج عليها ، وحتى اصبح كل من يتحدث من العلماء فى مبدأ من مبادىء الاسلام يتصل بحكم الشعوب وادارة امورها متدخلا فيما لا يعنيه ، (أى فى السياسة) .. اذا كان هذا الحديث لا يتفق مع رغبة الحاكمين .. ومن تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه .. ذلك لأن الدين شيء ، والسياسة شيء آخر ! !

واذا نقد وضعا اجتماعيا شاذا لا يتفق مع آداب الاسلام ، وتعاليمه سلط عليه الماجنون السنتهم ، وأقلامهم حتى يعود الى محرابه ..

وكانت تبعة الذين مهدوا الارض لتقبل البذرة الوافدة أشد ممن جاء بعدهم وألقى البذرة فى الأرض الممهدة .

لكن كل هذا تقييم للتاريخ ورصد له .. ، وأولى بنا الآن ان نجابه الحاضر معا ..

لست أدعي انني اكثر غيرة على الدين وتعاليمه ، وعلى مصير شعوبنا وكيانها ومستقبلها من غيري من المسئولين عن هذه الشعوب .. فذلك احتكار لا ارتضيه لنفسي ، ولا لغيري .. فكلنا ابناء الاسلام ، وكلنا غيارى عليه ..

لكن قد تكون هناك حجب من الماضي ، او عقبات من الحاضر .. ولا بد ان نتعاون جميعا فى ازالة هذه الحجب ، والقضاء على هذه العقبات ، ولو بالتدريج تقديرا لظروف وجودها ، .. حتى نتلاقى جميعا على بدء الطريق ، الذى يجب ان نسير فيه متكاتفين يشد كل منا على يد أخيه فى سبيل توفير حاضر اسعد ، ومستقبل أرغد لهذه الأمة فى ظل من مبادىء الاسلام ، ورضاء من الله ..

ولا بد لنا من اجل هذا كله ان نفهم جيدا ان التحضر والتمدن والترقي ليس فى تقليد الغرب فى مباذله ، وتقاليده الخارجة على الدين ، حتى على الدين المسيحي الذى يدين به .. ، ونفهم كذلك ان ديننا لا يحول بيننا وبين الرقي العف والتمدن غير المبتذل ، بل يوجب علينا ان نتعلم كل علم ، وفن ، ونكون سباقين اقوياء فى كل ميدان من ميادين الحياة ...

ونفهم ان رقي أية أمة لا يقاس فقط بما وصلت اليهمن تقدم فى مضمار العلوم والمخترعات والآلات ، ولكن يقاس أولا بالروح الفاضلة التي تكمن وراء هذه المظاهر وتوجهها الى خير الانسانية .

وان الاسلام الذى تحمل رسالته ، هو الدين الذى يحقق للانسانية تقدمها المادى ، والروحي معا .

وان العالم فى أزمته الروحيه الراهنة ، ووسط ضجيج الآلات ، وزمجرة الطائرات ، ودوى القنابل فى مسيس الحاجة الى أن يقدم له المسلمون العلاج مما يعانيه عن طريق الرسالة التي يحملونها ..

وأنه لا بد لهم لكي يضطلعوا بمسئوليتهم تجاه دينهم ، وتجاه العالم حولهم ان يقدموا للعالم النموذج الحي الخير ، الذى يصنعه هذا الدين لأتباعه ..

ونفهم ان ديننا يهدف فى كل تشريعاته الى تيسير الحياة ، وتحقيق مصالح المجتمع ، وتوفير السعادة والاطمئنان له ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) .

وان ما نراه احيانا من صعوبة الأخذ باحكام الدين ، انما هو تهيب ولدته فينا النظم الغريبة التي تعودناها ، ورتبنا حياتنا عليها زمنا طويلا ..

وان هناك من المبادىء والنظم الجديدة على العالم ما استطاع المؤمنون بها ان يفرضوها على امم لم تكن تعرفها ، ولم تلبث ان صارت نظاما جندوا لحراسته والدعوة اليه كل امكانيات الدول التي آمنت به .

وان المسلمين حين يعقدون العزم ، على احياء مبادىء الاسلام فى النفوس لا يحاولون جديدا ولا يتكلفون امرا صعبا أو غريبا ، فليس احب الى المسلمين من العودة الى دينهم ، وتحكيمه فى امورهم .

ان ممـا لا شك فيه ان هناك فجوة ، او فراغا فى النفوس يملؤها بالحسرة والألم والتطلع . فالقرآن الكريم ، وسنة رسول الله ، وأفعال السلف الصالح ، وأمجاد المسلمين الأول ، كل ذلك يتردد على مسامعهم صباح مساء فيفهمونه ، وينظرون الى الحياة حولهم . فيحسون الفجوة بين ما كان وما هو كائن .. ، . ويتطلعون حولهم الى من يملؤها ، ومن الخطر على دينهم ، وعلى المجتمع ، ان تبقى هذه الفجوة ، ويستمر هذا التطلع فربما حملهم ذلك على التماس ما يريدون من طريق آخر ، غير طريق الاسلام . وهذا هو الخطر الاكبر الذى كاد يحيق بدول اسلامية ، لولا ان تنبهت له ولكنها لا تزال تعاني آثاره ..

ان من الخير كل الخير للذين يسيطرون على الشعوب الاسلامية ان يقبلوا على علاج الاسلام لأدواء مجتمعاتهم وتحكيمه فى كل شئونهم ، حتى يوفروا لأنفسهم الطمأنينة ، ولشعوبهم الراحة والاستقرار بدلا من العلاج الآخر المستورد الذى لا يبقى شره ولا يذر ..

لا أشك فى اخلاص مسئول مسلم لدينه ، ولكني ارجو شيئا من الشجاعة والحكمة ، . حتى الذين لا يخلصون لدينهم قدر ما يحافظون على مراكزهم ، اقول لهم حتى المحافظة على المراكز والمال تدعوكم الى اللجوء لبعث الدين فى النفوس والتزامكم مبادئه وتعاليمه ، ففى ذلك ضمان لمراكزكم واموالكم من العواصف المدمرة ..

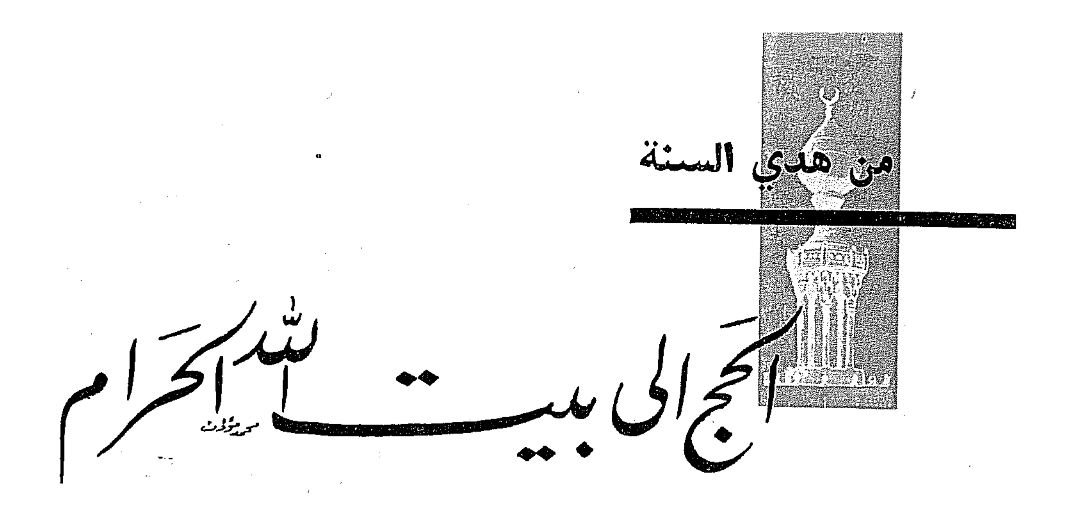
آمالنا وآلامنا كل شيء حولنا يدعونا الى ان نلبي نداء الله ، ونعيش فى ظلال دينه ونعتصم به ((ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)) ..

فالى متى نظل نتأرجح . ونبعد الاسلام عن واقعنا ، وكتاب الله بيننا هدى وشفاء ((ومن التمس الهدى فى غيره أضله الله)) .

ماذا نريد بأنفسنا . وهذا صوت النذير ؟

رب ان الهدى هداك فاهدنا ووفقنا الى رضاك ..

رئيس التحرير



الحج الى بيت الله الحرام

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

روى الامام مسلم في صحيحه ، عن عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه) .

الحج في التاريخ

الحج من الشؤون الدينية التي عرفت لدى جميع الأمم منذ فجر التاريخ الانساني ، فما من أمة خلت الا ولها مكان معين تحج اليه .

فقد كان لقدماء المصريين والبابليين هياكل مقدسة يحجون اليها، وللصينيين اماكن مقدسة يقصدونها للحج ، وللهنود كذلك ، واليونانيون القدماء كان لهم في بلادهم اماكن يمضون فيها اوقاتا للعبادة والنسك ، وقد أمر قوم سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ان يحجوا الى اورشليم .

ويختلف الحج في الاسلام عنه في جميع الأديان السابقة فقد كان اتباعها — ولا تزال بقيتهم — يحجون بقصد التبرك بقبور القديسين وما تركوه من الآثار والمباني ، وكان افضل الحج عندهم ما تحمل الانسان في سبيله المشاق وخاض المهالك ، وكان الكهنة والرهبان يفتنون لهم في تعيين ضروب المرهقات البدنية، فمنهم من يثقل كاهله بالسلاسل والاغلال ، ومنهم من يمشي على قدميه المسافات الشاسعة ، ومنهم من يسير داخل كيس يتعثر فيه كل خطوة وكان بعض الصينيين يطوفون حول معابدهم زحفا على بطونهم .

ولكن الاسلام كره ذلك ، وشرط ان لا يحج الا من كان قادرا على الحج ، ونهى ان يحمل الانسان نفسه ما يرهقها . روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى هرما يمشي بين ولديه فسأل عن شأنه فقيل له : انه نذر ان يحج ماشيا فكره ذلك وقال : ان الله غني عن تعذيب هذا نفسه ، وامر ان يحمل على بعير . وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم عملا بقول الله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله سبحانه : (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله عز وجل (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) .

الحج في الاسلام

الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة ثبتت فرضيته بالقرآن والسنة واجماع الامة على فعله منذ ان شرع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة وقبل السادسة من الهجرة الى يومنا هذا ، وسيظل الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

اما الدليل من القرآن الكريم : فقول الله تبارك وتعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .

واما الدليل من السنة : فقد روى مسلم والنسائي وأبو داود والترمذى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، وروى الترمذى وأحمد عن علي رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا)وذلك لقول الله تعالى في محكم كتابه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) . وجاء في حديث بنى الاسلام على خمس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) . ، واما الاجماع فتواتره لا يحتاج الى دليل .

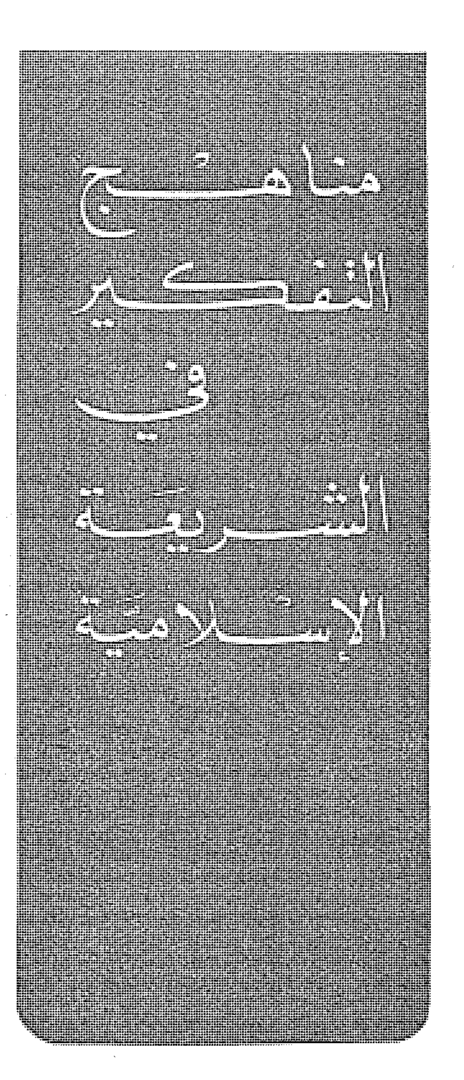
فالحج في الاسلام ثابت ومن انكره كان كافرا ، وهو في الشريعة : القصد الى بيت الله الحرام لأداء ركن من اركان الدين . وبيت الله الحرام : هو الكعبة المشرفة (١) فقد من الله على عباده فعين لهم مكانا وسماه بيته واضافه الى نفسه تتنزل فيه رحمته ويتجلى فيه

(١) قال الله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .. الآية ٩٧ من المائدة) .

رضاه ، وفيه جمع لقلوب الناس في التوجه الى جهة واحدة توحيدا للقصد ، وافرادا للغاية ، وارشادا لهم الى ان المراد هو التوجه الى الله لا الى ذات المكان، ويدل على ذلك أي على ان المقصود هو الانقياد لله وحده ، ان الايحاء الى ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل وأزكى السلام باتخاذ البيت كان مقيدا بنفي الشرك قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا) وكان اول ما طلب اليه هو تطهيره ليكون معبدا يعبد الله فيه عبادة صحيحة ، قال عز وجل : (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) . وقال عز شأنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) اي معبدا تعبدون فيه ربكم ورب البيت ، وجعل سبحانه الصد عن زيارة البيت كفرا كالصد عن سبيل الله اي دينه ، فقال سبحانه (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) . وكان اول شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فاتحا هو ازالته الاصنام والتماثيل من فوق سطح الكعبة وخارجها ، وكان عددها ثلاثمائة وستين صنما كما حكت كتب التاريخ .

وقد اهتم بالكعبة وكسوتها عظماء العرب ورؤساء القبائل من قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، فقد كساها (تبع) ملك حمير قبل الهجرة بما يقرب من مائتين وعشرين عاما ، كساها بالبرود المقصبة وعمل لها بابا ومفتاحا ، وفى زمن قصى من اجداد سيد الخلق كانت القبائل تكسوها ،وكان ابو ربيعة بن المغيرة يكسوها سنة وغيره سنة ، وكستها والدة العباس بن عبد المطلب ، وكساها اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم برودا يمانية ، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده واستمر الأمر كذلك الى ان استقر امر كسوتها عن طريق مصر ، وقد مرت بالكعبة المشرفة احداث كثيرة قبل الاسلام ، فقد اعادت جرهم بناءها بعد ابراهيم ، ولما آل امرها الى قصي بن كلاب هدمها وبناها فأحكم بناءها وجعل سقفها من جذوع النخيل ، وقد حاول الاعتداء عليها ابرهة الحبشي ولكن الله تبارك وتعالى رد كيده الى نحره وحكى ذلك القرآن الكريم فى سورة خاصة هي سورة الفيل ، وقبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمها السيل فبنتها قريش ، ولما انتهوا الى وضع الحجر الأسود اختلفوا فى أى القبائل تختص بشرف رفعه الى محله وكاد الأمر يقضي الى قتال لولا ان حسم النزاع مجيء الأمين سيدنا محمد بن عبد الله اليهم فحكموه فيما شجر بينهم ، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر وأمر القبائل فأخذت كل قبيلة بطرف من الرداء ورفعوه فلما وصلوا الى مكانه حمله بيده الشريفة الى مقره وأنهى النزاع . ولما قصرت بقريش النفقة تركوها على ما هي عليه الآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضى الله عنها (لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألصقتها بالارض وجعلت لها بابين ، بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر) .

هذه لمحة او فذلكة يسيرة عن الكعبة جر اليها الحديث عن الحج وكان لا بد منها ليلم المسلمون بشيء من تاريخ البيت الذى يؤمونه كل عام استجابة لأمر الله تعالى ، ونسأل الله القادر ان يوفقنا لاداء اركان الاسلام كاملة غير منقوصة ، والله يهب المسلمين نصره وعونه ، ان ربي سميع الدعاء .



"١" مواضع الاتفاق

"٢" الخلاف لا

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

ان الاحكام التي وردت بها الشريعة الاسلامية ترجع الى نوعين لا ثالث لهما : ـ

النوع الأول : هو ما كان قطعيا ثابتا فى وروده ومعناه، **بطريقة لا تحتمل الشك**، وذلك كأصول **العقائد والعبادات التي** اتفقت عليها الامة ، وجاءت بها النصوص واضحة قاطعة ، كوحدانية **الله تعالى** ، واتصافه بكل كمال ، وتنزهه عن كل نقصان ، وأن من شأنه ارسال الرسل ، وانزال الكتب ، وان هناك دارا بعد هذه الدار يلقي فيها الناس ما قدمت ايديهم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وان محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، وان القرآن هو كتاب الله المبين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وان الله فرض خمس **صلوات في** اليوم والليلة ، **وحدد** على لسان رسوله وفعله عدد **ركعات** كل صلاة منها ، وبين

هذا المقال بدء سلسلة من المقالات يكتبها لنا فضيلة الشيخ الاستاذ الجليل عن الأسس التي قام عليها اجتهاد الفقهاء وأسباب اختلاف وجهات نظرهم ، ومدى سماحتهم تجاه مخالفيهم ، وهي أبحاث أحسسنا ضرورتها لدى القراء في الوقت الذي ارتفعت فيه الاصوات لفتح الاجتهاد ، وبذل محاولات في هذا السبيل بغية الوصول الى حل المشاكل التي يواجهها المجتمع الاسلامي

ومواضع الاجتهاد

بين منع الانصاف

هيآتها واقوالها وأفعالها ، وأنه تعالى أوجب صيام رمضان ، وزكاة الاموال ، وحج البيت الحرام ، وحرم الربا ، والزنا وأكل الاموال بالباطل ، وقتل النفس بغير الحق ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، الى غير ذلك من الاحكام القطعية في الشريعة .

وهذا النوع من الاحكام ليس محلا للاجتهاد بين العلماء ولا يسوغ للامة الاختلاف فيه ، وهو الرباط الوثيق الجامع بين الأمة افرادا وطوائف وشعوبا ، من ارتبط به فهو منها ، ومن شذ عنه فقد شذ عنها ، وخرج من الدين خروجا لاشك فيه .

النوع الثاني : ما ثبت بطريق ظني ، بأن جاء هو أو ما يدل عليه على نحو يمكن ان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد وجهات النظر ، اما لأمر يتعلق بأصل الورود ، واما لأمر يتعلق بالدلالة والافادة .

وهذا النوع هو موضع اجتهاد المجتهدين ، وهو مجال النظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ، وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال ، الى غير ذلك من وجوه النظر ، وأسباب الاختلاف .

ونمثل لهذا النوع بمثالين ، **احدهما** يذكر في علم الكلام أي « علم التوحيد » على اعتبار أنه من النظريات الخلافية الحرة ، أي ان لكل باحث فيه ان يدلي برأيه دون الزام للناس به لأنه من المعارف الفكرية،لا من العقائد الاساسية، **والثاني** يذكر في علم الفقه ويبين طريقة استدلال اصحاب المذاهب الفقهية على ما يرون من احكام .

فالأول : ـ اختلاف النظر في شأن القضاء والقدر .

فمن الناس من تأملوا في القرآن والاحاديث ، فوجدوا اشياء ظاهرها ان الناس مجبورون مكرهون ، كقوله

تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وكقوله صلى الله عليه وسلم « السعيد من سعد في بطن امه ، والشقي من شقى في بطن امه » فبنوا هذا النوع على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة . .

ومن الناس من نظروا الى آيات أخر ، وأحاديث أخر تدل على ان العبد مستطيع ، مفوض امره اليه يفعل ما يشاء ، كقوله تعالى « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » — اي هما اللذان يجعلانه يهوديا ان كانا يهوديين ، او نصرانيا ان كانا نصرانيين او مجوسيا ان كانا مجوسيين ، فأخذوا من هذه النصوص رأيا أصلوه على ان العبد مخير ، مفوض اليه أمره ، يفعل ما يشاء .

ثم عمدت كل طائفة من هاتين الطائفتين الى ما خالف مذهبها من الآيات والاحاديث فأولته ما أمكنها التأويل وردت منه ما استطاعت رده .

وطائفة ثالثة توسطت فجمعت بين مشيئة العبد ، ومشيئة الرب ، على معنى ان للعبد مشيئة ، ولكنها لا تتم الا بمشيئة ربه ، وذلك اخذا من مثل قوله تعالى « وما تشاءون الا ان يشاء الله » « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » .

وروى عن الامام جعفر الصادق رضى الله عنه ان رجلا سأله ، هل العباد مجبرون ؟ فقال الله اعدل من أن يجبر عبده على معصية ثم يعذبه عليها ، فقال له السائل ، فهل امرهم مفوض اليهم ؟ فقال جعفر : الله اعز من ان يقع فى ملكه ما لا يريد ، فقال السائل فكيف الامر اذن ؟ فقال جعفر : أمر بين الامرين ، لا جبر ، ولا تفويض ((وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين)) .

وروى عن امير المؤمنين علي رضى الله عنه ، انه لما انصرف من ((صفين)) قام اليه شيخ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أرأيت مسيرنا الى صفين أبقضاء وقدر ؟ فقال علي رضي الله عنه ((والله ما علونا جبلا ولا هبطنا واديا ولا خطونا خطوة الا بقضاء وقدر)) .

فقال الشيخ : ((فعند الله احتسبت عنائي ، اذن ما لي من أجر)) . يريد انه ما دام مسيرا بقدر الله الذى لا مرد له ، فليس له عمل حتى يثاب .

فقال له علي : مه يا شيخ فان هذا قول اولياء الشيطان، وخصماء الرحمن ، قدرية هذه الامة — اى الذين يقولون ان القدر هو الجبر — ان الله تعالى امر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مكرها — بكسر الراء — فضحك الشيخ ونهض مسرورا ، ثم قال

أنت الامام الذى نرجو بطاعته
يوم القيامة من ذى العرش رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا
جزاك ربك عنا فيه احسانا

ويتلخص هذا في ان الله تعالى علم كل ما هو كائن ، قبل ان يكون ، ثم خلق الانسان ، فجعل له عقلا يرشده واستطاعة يصح بها تكليفه ، ثم طوى علمه السابق عن خلقه ، وأمرهم ونهاهم ، وأوجب عليهم الحجة من جهة أمرهم ونهيهم ، لا من جهة علمه السابق فيهم ، فهم يتصرفون بين مطيع وعاص ، وكلهم لا يعدو علم الله السابق فيه ، والا انقلب العلم جهلا ، تعالى الله عن ذلك .

وليس العلم من صفات التأثير حتى يكون في ذلك جبر للعبد واكراه ، فمن فعل شيئا فقد فعله باستطاعة منه في ظل المشيئة الالهية ، ولم تجر المشيئة

الالهية بأن تجبر احدا على اطاعة او معصية ، ولكن جرت على ان تخلى بين الناس وأنفسهم اختيارا لهم .

هذه هي مقالات الطوائف الثلاث في القدر ، وذلك سر اختلافهم في هذه المسألة ، والخير كل الخير في عدم الخوض في ذلك وأمثاله ، لأنه ليس فيه فائدة عملية ، ويكفينا ان نؤمن بقضاء الله وقدره دون محاولة للدخول في فلسفات تشغلنا عن العمل النافع .

والمثال الثاني : ـ يقول الشافعية ان الحيوان اذا ذبح وتركت التسمية عليه عمدا يحل اكله ، فيقول لهم الحنفية ان هذا مصادم لنص صريح هو قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق » فالله تعالى ينهى عن الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، ويصفه بأنه فسق ، فكيف جاز للشافعية ان يصادموا هذا النص ، ويحلوا فعل شيء وصفه الله تعالى بأنه فسق ؟

والى هنا قد يبدو موقف الشافعية امام الحنفية حرجا ، ولكنهم يتخلصون من هذا الحرج في براعة ولباقة ، اذ يقولون لهم : ان الله تعالى يقول في آية اخرى « قل لا أجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا أهل لغير الله به » فهذه الآية تفيد أن المحرم من الذبائح ـ في مسألة التسمية ـ انما هو الحيوان الذى اهل لغير الله به ، كأن يذكر اسم الصنم عليه ، وهذا غير الحيوان الذى لم يذكر اسم الله عليه عمدا او سهوا ، وبذلك يحمل النهى في قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » على ما أهل لغير الله به ، جمعا بين الآيتين .

وهذا الذى يقوله الشافعية له وجه من النظر مقبول ، فان الله تعالى وصف الفعل مرة بأنه فسق، ومرة أخرى وصف الفسق بأنه أهل لغير الله به ، فعلمنا من ذلك أنه يريد تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه بل ذكر عليه اسم سواه ، ويؤازر ذلك ما روى من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم يذبح على اسم الله سمى او لم يسم » .

وبهذا يتبين ان كلا من الحنفية والشافعية له وجهة نظره فى أمر محتمل، يسوغ الاجتهاد فيه .

وقد عهدنا العلماء الراسخين يتبعون الدليل من اي أفق ظهر ، ولا يعبأون بمخالفة مذاهبهم اذا وجدوا الحق في غيرها .

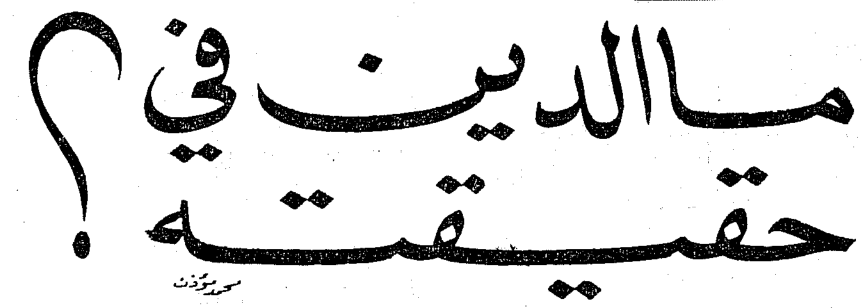
الاختلاف فى النظر امر طبيعي

ويجب أن نذكر هنا ان كلا من الاتفاق والاختلاف امر لازم لا مناص منه ، فلا يمكننا ان نتصور المسلمين ، أو أية أمة من الامم متفقين في كل شيء ، ولا أن نتصور هؤلاء واولئك مختلفين في كل شيء ، ولكن الذى هو واقع فعلا ، ولا مناص من أن يقع ، هو ان الامة الواحدة لها مواضيع كثيرة تتفق عليها ، وهي التي ربطت بينها ، وجعلتها أمة واحدة ، ولها مع ذلك مواضيع كثيرة تختلف فيها ، لاختلاف العقول ، والمصالح ، والادلة ، وهي بحكم اتفاقها فيما اتفقت فيه أمة واحدة ، وبحكم اختلافها فيما اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية الخاصة لا تخرج أهلها عن كونهم من الامة ، ولا تعطيهم في نفس الوقت حقا ليس لغيرهم ، ومن ثم لا يستطيع منصف ان يقول : مذهبي حق كله ، وصواب كله ، ومذهب غيرى باطل كله ، وخطأ كله ، ولكن يقول : ان هذا هو ما رأيته حسب فهمي واجتهادى وما علمته ، فأنا أرجحه ولا أقطع به، ويحتمل أن يكون ما رآه غيرى هو الحق والصواب

البقية على ص ٢٣

الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر

بقلم الاستاذ
احمد حسين المحامي



رحلة العقل البشري للبحث عن الله

لا يستطيع الانسان أن يعيش

والذين أنكروا الأديان وحاربوها أوجدوا لهم دينا جديدا لكل

معنى ان يكون الانسان مسلما ، ان يدين بدين الاسلام ، تمييزا له عمن يدين بالمسيحية او باليهودية أو البوذية أو غيرها ، وفي المجتمع البشري عديد من الاديان بعضها عالمي يعتنقه افراد من سائر الامم والشعوب ، والبعض الآخر محلي اقليمي لا يدين به سوى قبيلة معينة او جماعة من الناس مخصصة ، وبعض الاديان يناهز اتباعه مئات الملايين، بينما البعض الآخر قد لا يتجاوز معتنقوه بضعة آلاف (١) .

وقد سرى في القرنين التاسع عشر

---

(١) جاء فى بعض الاحصائيات الامريكية ان عدد المسيحيين حوالى ٩٠٠ مليون وعدد المسلمين وهم الذين يلونهم فى العدد حوالى ٤٤٥ مليون ثم الهندية ٣٨٦ مليون فالكنفوشيوسية ٣٤٢ مليون ، وهناك الزرداشتية التى لا يزيد اتباعها عن ١٤٥ الف واليهودية ١٣ مليونا .

يسر مجلة « الوعى الاسلامي » ان تواصل تقديم هذه البحوث القيمة التي يكتبها لها الاستاذ احمد حسين الذى عكف منذ ان ترك ميدان السياسة على الدراسات الدينية وقدم للمكتبة العربية فى هذه الناحية كتبا تعتز بها . وهو يعالج فى هذا البحث وما بعده ان شاء الله مشكلة من اخطر المشكلات التي تجابه الانسان المتدين وبخاصة المسلم فى عصرنا الحديث مشكلة الالحاد الذى تبشر به دول لها قوتها ووزنها وتضع فى خدمته كل قواها » .

والعشرين تيار فكري ، يقول ان الدين نظام من مخلفات الماضي ، لم يعد يليق بالعصر الحديث ، وذهب البعض الى حد وصفه بأنه أفيون الشعوب ، وأنه وسيلة استغلال الاقوياء للضعفاء (١) .

فما حقيقة الدين في جوهره ؟ اهو شيء عارض باستطاعة الانسان ان يستغني عنه ، ام هو شيء اصيل في حياة الانسان ، كل انسان ، ولا يمكن ان يقوم مجتمع انساني الا به ؟ .

جوهر التدين

الحق ان التدين فى جوهره ، ليس الا محاولة لتفسير علاقة الانسان بالوجود

بغير دين
مراسم الأديان الأخرى.

من حوله ، ومعرفة مكانه منه : لماذا هو حي ؟ من اين جاء والى اين يذهب ؟ ما علاقته بمن يحيط به من البشر والحيوان والنبات والعناصر ؟ ما حقه عليها وحقها عليه ؟ ما قدرته عليها وقدرتها عليه ؟ وليست الحياة حياة اى انسان الا الرد عن طريق الواقع والفعل على هذه الاسئلة ، والدين بهذا المعنى لا يمكن ان يكون شيئا زائدا عن الانسان .. أنه الانسان ذاته حياته وعلاقته بالوجود . ولنرد الامر تفصيلا أو بالاحرى تبسيطا .

عجز الانسان وقصوره

قد يتنبه الانسان الى نفسه ويدرك امره وأمر الوجود من حوله ، وهو يحس من نفسه الضعف والقصور عن فعل كل ما يريد ان يفعله ، وهو يرى من حوله ظواهر تفزعه ، وتذكره بضعفه **وعجزه ، وقوة الطبيعة من حوله ، عندما تتزلزل الارض زلزالا ، او تثور البراكين ، او تنطلق الاعاصير ، او تتدفق الامطار سيولا جارفة ، او تظلم الدنيا فى غير اوانها .**

على ان الظاهرة الكبرى التي روعت الانسان ، وستظل تروعه وتشعره بعجزه وقصوره ، وانطواء الوجود من حوله على اسرار كانت لا تزال حتى الآن مغلقة عليه ، هي ظاهرة الموت التي تعرض **لكل كائن حي ، ويرى الانسان فى نفسه القدرة على وضع حد لحياة الكائنات الاخرى بذبحها وأكلها احيانا ، ولكنه هو نفسه يموت ، وقد لا** يروعه الموت بقدر ما يروعه ما بعد الموت، حيث يتجيف **الانسان وينتن ، ويصبح اقوى الاقوياء ، واجمل الجميلات ، شيئا تعافه النفس . فتسرع بالتخلص منه عن طريق الدفن او الحرق او التفريق ، ثم لا يلبث الكائن الحي الذى دفن ان يتحول الى تراب كبقية تراب الارض .**

وكان مستحيلا على اى انسان ان لا يقف امام هذه الظاهرة متخلعا والها ، وان يتساءل ، ما هذا

(١) وهم الشيوعيون كما صرح بذلك زعماؤهم . بل قال لينين « الدين نوع من سيفوخا » . وسيفوخا اردأ انواع الفودكا ذو رائحة كريهة « الوعى » .

الموت ؟ من الذى يميتني ؟ ، ما الذى يحل بي بعد ان اموت ؟ اين يذهب هذا الضحك وهـذه البشاشة ، هذا الفكر وهذا العقل ، هذا الكمال وهذا الطموح ، أين يذهب ذلك كله وما هـو مصيره ؟ ... اهذه الجيفة النتنة هي خاتمة المطاف ، ويرتد السؤال الى الجانب المقابل ، من الذى جاء بنا ، لماذا جئنا ، ويروح الانسان منذ طفولته يسأل كل من حوله عن جواب لهذه الاسئلة، فيرد عليه الكبار بما يعلمون ، فيقنع بما يقال له ، ويرى فيه تفسيرا لما يشكل عليه ، اولا يرى فيه مقنعا ولا غنى ، فيواصل سؤاله ، ويواصل بحثه ، ويواصل تطلعه لايجاد حل لهذه المعميات.

وليست هذه مجرد مباحث نظرية او خيالية كما قد يتصور البعض ، بل هي أساسية لكي يستطيع الانسان ان يحيا ويعايش الآخرين ، لانه على اساس هذا الفهم كما قدمنا تقوم سائر العلاقات الانسانية مع كل ما يحيط به من عناصر وكائنات .

تطور التفسيرات بتطور الانسان

والطفل لا يتساءل فى طفولته المبكرة هذه الاسئلة ، فالكون كله يتلخص في هذا الثدى الذى يرضع منه ويمده بالحياة ، وكلما ازداد ادراكا وازداد احساسا ، اتسع الكون امامه ، فأصبح في هذه اليد الحانية التي ترفعه ،وهذا الصدر الذى يضمه ، وهذا الحجر الذى يطمئن اليه . ويظل الكون يتسع باتساع حواس الطفل ومداركه ، ولكن الام التي حملته في احشائها ، وانفصل عنها ، والتي يرضع من ثديها ، والتي تطعمه اذا جاع ، ويفزع اليها اذا خاف ، بقيت محفورة في عقل الانسان الاول ، كأصل لهذا الوجود . ويسأل الولد امه التي جاء منها من اين جاءت ، فتقول له أنها جاءت من ام اخرى هي جدته، والجدة من ام سابقة عليها .. وهكذا ، ومن العبث ان تظل السلسلة الى ما لا نهاية ، أن العقل الانساني لا يستطيع تصور ذلك ، فلا بد اذن أنه كانت هناك ام اولي قد وجدت بطريقة غير هذه الطريقة المألوفة ، ويجب الاطمئنان الى ذلك كنقطة ابتداء لكي يبني الانسان معارفه ويكيف تصرفاته وسلوكه ، ويعرف مآله وانه بعد ان يموت سيعود الى هذه الام الكبرى التي انبثق منها كل شيء .

هذا اللون من التفكير الذى يعرض للانسان فى مرحلة من مراحل حياته ابان طفولته ، وطفولة البشرية فى مجموعها ، قد ترك أثره في اللغة التي يتكلم بها ، حيث ترى العناصر الكبرى كلها في الطبيعة مؤنثة ، بل ان كلمة الطبيعة نفسها مؤنثة ، والسماء مؤنثة ، والشمس مؤنثة ، والارض مؤنثة ، والحياة مؤنثة ، وما اكثر ما نقول في حديثنا « امنا الارض » وهذا التأنيث للعناصر في اللغة ليس وقفا على لغة دون لغة ، بل هو عام وشامل .

فاذا تجاوزنا دلالة اللغة ، فان تاريخ العبادات القديمة تنطق كلها بأن الالهة الانثى ، كان لها دائما النصيب الاوفى من حب البشر وتعلقهم ، واسماء ايزيس وعشتروت وأثينا وهنرفا وافروديت وفينوس واللات والعزى معروفة من قديم .. (١)

ولا يظن كائن ان ذلك وقف على المجتمعات القديمة الوثنية ، بل هو عام وشائع في سائر المجتمعات ، فالمسيحيون الكاثوليك يقدسون الامومة ممثلة فى مريم حيث يرسمونها دائما

---

(١) الى هذا المعنى ألمح القرآن الكريم بقوله « ان يدعون من دونه الا اناثا » .

وهي تحمل الطفل (الالهي) كما كانت ايزيس تحمل حوريس .

الابوة الى جوار الامومة

ولكن العقل المتفتح ابدا ، المتسائل دوما ، الذى يكتشف فى كل يوم معارف جديدة ، ويلاحظ ويبحث وينقب،سرعان ما اكتشف ان الامومة وحدها ، لا يمكن ان تكون السبب الاول للوجود ، فلو ظلت الانثى وحدها ، ما بقيت ، فلن تنجب طفلا ، ولا بد من اتصال الذكر بها لتتم عملية الخلق والايجاد ، فكأن الذكورة اذن — وليست الأنوثة — هي السبب الاول، ومن هنا قامت عبادة الآباء والاجداد ، وخاصة هذا الاب الاول ، الذى منه تسلسلت بقية الآباء ، والذى لم يوجد بالطريق المألوف وانما اوجد نفسه ، او وجد بطريقة ما ، لا يستطيع العقل ان يدركها وانما ينبغي ان يسلم بها .

ولا تزال كلمة الأب كاسم للاله الخالق مما يستعمل فى المسيحية .

تأليه العناصر

ويمضي العقل الانساني في تجوله وتطلعه ، ومن يحظر على العقل الانساني ان يتطلع ويتسأل ويرتاد المجهول ، فكأنه يطلب منه ان يخرج عن طبيعته ، ان لا يؤدى وظيفته ، ان يتحول الى قطعة حجر او خشب او حديد ، او على احسن الفروض يطلب منه ان يهبط الى مخ الحيوان ، حيث لا يعرف الا ان يأكل ويتناسل ويموت . ومضى العقل فى تجوله وريادته : لا يمكن ان يكون اب او ام من لحم ودم هما معا او احدهما على انفراد هو سبب الاسباب في هذا الوجود ، ذلك ان كل ما كان من لحم ودم قصير الاجل يموت وينحل ويعود ليكون ترابا اذا دفن ، او دخانا اذا احترق ، فلا بد ان يكون التراب او بالاحرى الارض التي يدرج عليها كل كائن حي ، والتي تخرج النبات والشجر والغابات وترتفع فوقها الجبال والهضاب وتجرى في وديانها الانهار .. لا بد ان تكون هذه خالقة كل شيء وهي سبب الاسباب..!!

ولكن النبات لا ينبت ، الا اذا هطلت مياه السماء على الارض ، ونحن البشر لا نستطيع ان نعيش ، اذا لم نشرب الماء، وكل شيء يموت اذا لم يرو بالماء حتى الارض نفسها ، اذا غابت عنها المياه ، ماتت وتشققت ، واصبح شكلها مخيفا موحشا . والمطر يهطل من السماء ، فلا بد ان تكون السماء هي السبب الاول ، ويروح الانسان — كل انسان — يتحدث عن السماء والارض ، وان الحياة والوجود هما ثمرة تلاقيهما وتفاعلهما وتلاقحهما.

ويتطلع العقل للسماء بعد ان ينتقل من الارض بحثا عن السبب الاول ، عن العلة الاولى لهذا الوجود ولعلك قد لاحظت معي كيف ان معارف الانسان تزداد نموا ، من خلال هذه التطلعات . كيف ان علوم الانسان ومعارفه كلها ، تنبثق من هذا البحث ، البحث عن العلل والاسباب ، فليس باستطاعة الانسان ان يتحرك حركة واحدة ، او ينشط اى نشاط من اى نوع كان ، الا اذا حدد الغاية التي يسعى اليها ، وادرك الاسباب والعلل التي يستطيع عن طريقها تحقيق هذه الغاية .

الشمس والنور

واذ تطلع الانسان الى السماء تاركا الارض ، فقد كانت الشمس بانتظاره كاعظم ظاهرة في هذا الوجود ، فهي لا تكاد تغيب حتى يعم الظلام ، وتوحش الدنيا وتمتلئ بالاشباح ، وتهجع الكائنات، ويعترى الانسان هذا النوم العجيب ، الذى يكف فيه عن كل حركة ، وكأنه انسلخ من الحياة .

ثم تطلع الشمس ، فيشرق الكون بالضياء والبهاء ، وتتجلى الالوان ،وتبعث الكائنات ، ويفور الكون بالحياة والنشاط اتكون الشمس هي سبب الأسباب ؟

ولن نجد عبادة في القديم الا وتؤلف الشمس سداها ولحمتها ، فالشمس كانت معبودة بطريق مباشر ، او بطريق غير مباشر ،فالاله المعبود هو رمز الشمس ، او المنبثق عن الشمس ،انه ابن الشمس .
ولكن الشمس في خاتمة المطاف ، ليست الا احدى الظواهر التي تضمها السماء ... ففي الليل تتجلى الكواكب والنجوم التي تبدو بحيث لا يدركها الحصر ، وهذا القمر المضيء بالاشعة الفضية الساحرة ، وهذه النجوم اللامعة ... ان الامر أعمق واوسع واشمل من الشمس او القمر او كليهما معا . (١)

سبب يعلو فوق الاسباب

وتزداد معارف الانسان وتجاربه وخبرته : ان الرعد لا يخيف . انه مجرد زمجرة ، والحيوانات الكاسرة بكل وحشيتها يستطيع الانسان ان يتغلب عليها ، ويخضعها لسلطانه بل وان يقتلها ، والظلام والأشباح ان الانسان يستطيع ان يبدده ويطردها لو انه اشعل نارا ، والنهر لا يؤلف عقبة ، او حاجزا امامه ، فانه يستطيع ان يعوم في مياهه ويسبح ، بل انه يستطيع ان يعتليه ، ويستخدمه بالانتقال من مكان الى مكان ، عندما يطفو على قطعة من الخشب .. والشمس الحارقة ، يستطيع الانسان ، ان يتقيها اذا آوى الى كهف ، او استظل بشجرة .

والارض ... الارض الجرداء يستطيع الانسان أن يشقها ، ويرويها ويستنبتها ما يشاء ، انه يستطيع ان يسخر الحيوانات لخدمته ، والرياح ، والمياه ، والشمس وان يستفيد من ذلك كله ، لصالحه ومنفعته .

ويهتف الانسان ـ وقد وصل الى كمال نضجه العقلي ـ ان الام الاولى ، او الاب الاول ، ان سبب الاسباب والعلة الاولى ، كما لا يمكن ان تكون من لحم ودم ،فكذلك لا يمكن ان تكون من تراب ، أو ماء ،او نار ،او حجر ،او شمس ،اوقمر ، انها لا يمكن الا ان تكون شيئا ، يغاير ذلك كله ، ويعلو على ذلك كله .. شيئا لا تستطيع ان تراه ، او تلمسه او تذوقه لان كل ما استطعنا ان ندركه بحواسنا ، فنحن ارقى منه ، ونحن اقدر منه ما دام باستطاعتنا ان نحيط به ، وان نقيسه او نزنه او نكيله ، فليس يحيط بالشيء الا ما هو اوسع منه واعمق . لابد أن يكون سبب الاسباب ، او العلة الاولى ، شيئا لا يدرك بالحواس ، بل لا يستطيع العقل الذى كون كل معارفه واحكامه من خلال الحواس ، ان يحيط به ، وليس باستطاعة العقل ان يدرك الا انه موجود اما كيفية هذا الوجود فضلا عن ماهيته ، فشيء يستحيل ادراكه ، لان سبب الاسباب هو الكل ، والانسان بما فيه عقله ، ليس سوى جزء ، ويستحيل فى العقل ان يحيط الجزء بالكل .

وسوف نتحدث فى مقال تال عن ادلة العقل على وجود الله . اما الان فحسبنا ونحن نتابع رحلة العقل البشرى كما يسجلها تاريخ الاديان والمعتقدات ، ان نقف عند هذه الذروة .. عندما استطاع العقل البشرى عن طريق التفكير المجرد ،

---

(١) صور القرآن الكريم هذه الحركة العقلية فى قصة ابراهيم عليه السلام « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » . الانعام ـ ٧٦ ـ ٧٩ .

ان يصل الى ادراك وحدانية السبب الاول بالدليل والمنطق . وكان ذلك على يد فلاسفة الاغريق العظام من امثال سقراط وافلاطون وارسطو .

الوجدان كطريق للمعرفة

على انه يخطيء من يتصور ان سبيل المعرفة الانسانية هو العقل والحواس او على الاقل ــ لتكون داخل النطاق العلمي من البحث والتفكير ــ لا تزال التجربة تثبت ، ان ثمة معارف تنبثق فى ضمير الانسان ، ووجدانه ، دون ان يكون من المستطاع تفسيرها عن طريق الحواس ، فللحيوان احساسات اكمل وانضج من حواس الانسان ففى الحيوانات ما يسمع بأقوى مما يسمع الانسان ، وفيها ما يرى بأحد مما يرى الانسان . ومع ذلك فالانسان وحده من دون الكائنات الحاسة يقول شعرا ، ويرسم صورة ، ويؤلف قصة ، فلا بد اذن ان يكون فى الانسان طاقة تعلو طاقات مجرد الحواس والمعارف العقلية التى ترد عن طريق الحواس .

وبهذه الطاقة التى جرى الاصطلاح على تسميتها بالوجدان او الحدس ، والتى تعلم الانسان عن طريق الالهام ، وبهذا الوجدان ، وبهذا الالهام ، قال الانسان الشعر ، وعزف الموسيقى ، ونحت وصور وغنى وتكلم واكتشف واخترع .

وقد عرفت البشرية رجالا ، جاءوا يخاطبون هذا الوجدان الانسانى ، فاذا البشر يجدون فى خطابهم ، حلا لمشكلاتهم وتفسيرا لمعمياتهم ، وعزاء لالمهم ، واملا فى مستقبلهم فانصاعوا لهم ، واهتدوا بهديهم ، واستضاءوا بنورهم . اما هذا النفر ، الذين استطاعوا ان يقوموا بهذا الدور فى حياة البشر ، فهم من نطلق عليهم اسم الرسل ، وليس الآن مجال التحدث عنهم ، فنحن لا نزال فى دائرة استعراض تفسير ماهية الدين ، والذى يمكن تلخيص جوهره وعناصره فى ثلاثة خطوط .

الخط الاول : ــ هو محاولة كل انسان تعرف ما حوله ، ومكانه فى هذا الوجود ومن اين جاء ، والى اين يذهب .

الخط الثانى : ــ هو تكييف النشاط الانسانى ، وعلاقة الانسان بما يحيط به ، من كائنات على هدى ما يسفر عنه البحث وتستقر له النفس ، من اجابات على الاسئلة السابقة .

الخط الثالث : ــ هو ان السبيل لتعرف الانسان على هذه الحقائق ، لا يتم الا بواسطة نفر من البشر ، يفوقون البشر العاديين علما وادراكا ، وحساسية وقوة يقين .

لا يقوم مجتمع انسانى على غير هذه الاصول

هذه الخطوط الثلاثة ، او هذه العناصر الثلاثة ، التى تؤلف جوهر التدين ، لا يمكن ان تتصور اى مجتمع انسانى ، يقوم بغيرها ، الا اذا قلنا ، ان باستطاعة الانسان فضلا عن الجماعة ، ان تعيش بغير عقل ، فلا تحاول ان تعرف مكانها من الكون ، **وان تعيش بغير قانون ، او تشريع ينظم علاقتها ، وبغير نظرية ، تكون المنطلق لكل مناشطها فالقول اذن بأن الدين هو عنصر زائد على حياة الانسان** ، وانه **يستطيع ان يعيش بغيره ، وانه من تراث الماضى الذى يجب ان يزول ، هو قول ينطوى على عدم ادراك ماهية الدين ، وانه النظرية المنظمة لحياة الانسان ، والتى لا يمكن ان تستقيم حياة انسانية** بغيرها ، والصحيح ان يقال (من وجهة نظر القائلين بهذا القول) : انهم قد جاءوا بدين جديد ، **له كل خصائص الاديان من حيث كونه نظرية شاملة لتفسير الوجود وبرنامجا كاملا لتكييف حياة الانسان ، على هدى هذه النظرية ، وان الذى يقول بذلك ، هم نفر من الناس ، تلقوا عن انسان كامل تهيأ له من العلم ، ما لم يتهيأ لانسان من قبله ، او بعده .**

وما علينا الا ان نبحث هذه النظرية الجديدة ، التى ينادى بها الماديون والمحدثون ، ونتابع سلوكهم لنرى اننا بازاء دين جديد ، او بالاحرى دين قديم خلفته البشرية وراءها فى سيرها الطويل ، وهو عبادة المادة والعناصر الاولى من هواء وتراب وماء وزمان(١) يقولون (ولسنا الآن فى مجال مناقشة ما يقولون) **انه ليس ثمة فى هذا الكون غير المادة ، او بالتعبير**

---

(١) وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (سورة الجاثية)

الفنى (المادية الجدلية) وان هذه المادية الجدلية هى الاصل الذى انبثقت منه سائر الاشياء، والعناصر والكائنات ... ولا تسال : من الذى اوجد هذه المادة ، انها موجودة هكذا منذ القدم ، وستبقى حتى الازل ، وهذه حقيقة يجب ان نسلم بها وان نتخذ منها نقطة الانطلاق !!!

دين جديد

ويجب ان تشاد الحياة الانسانية والعلاقات بين الانسان وسائر الكائنات على اساس هذه المادة الجدلية وقوانينها وان انسانا ما وهو ((كارل ماركس)) هو الذى اهتدى الى سر الوجود ، والحياة، بعلم يفوق علم العلماء وادراك يفوق ادراك المدركين، حيث لم يسبقه سابق، وهيهات هيهات ان يلحق به لاحق !!!!

وتصبح كتابات كارل مارس كتبا مقدسة ، تفوق قداسة الكتب المنزلة ، فكل باحث ، وكل مفكر ليس يقبل منه قول او رأى الا اذا نقل سطرا ، او عبارة او كلمة واحيانا حرفا من كتاب ((كارل ماركس)) حتى يجد سميعا . وتعلق صور كارل ماركس كما تعلق صور مريم العذراء ويحاط جسد تلميذه لينين ليكون مزارا، تكتحل بمرآه عيون المؤمنين ، وتصبح موسكو — حيث يقال انها تطبق الدين الجديد — كعبة يحج اليها ، ويتولى الجالسون فى هذه الكعبة مهمة تفسير كتب كارل ماركس ولينين ، وليس لاحد حق التفسير الا هم ، وليس من يفهم نواميس المادية الجدلية الا هم !! فاذا جاء اقوام جدد ، يزعمون انهم يفهمون فهما مغايرا لتعاليم السيد الكبير، وان مقتضيات المادية الجدلية ان يكون السلوك على هذا الوجه او ذاك فهذا هو الانحراف والمروق، وهذه هى الخيانة والردة . . ولو كان القائلون بذلك هم سبعمائة مليون من البشر!! لو ان القائل بذلك كان يقيم فى موسكو، اذن لكان نصيبه القتل ، او الحرق تماما كما كان يحرق اى مخالف لاى دين من الاديان .

وهكذا نرى المذهب الجديد الذى جاء ليحرر البشرية — فى زعمه — من نير الاديان القديمة، قد جاء بنير اثقل واقسى والذى جاء ، ليقوض سلطان الكنيسة ، والكهنة، قد خلق طائفة اعتى من القسس ورجال الدين ، والذى جاء يسخر من فكرة القداسة ، قد خلع القداسة على رجاله !! والذى يسخر من الوحى والالهام قد جعل كتب صاحبهم هى الوحى نفسه ، والالهام ذاته ، هى الحقيقة وقد تحولت الى كلام !! .

فالثائرون على الدين اذن ، والقائلون بان المجتمع لا يحتاج الى دين ، لم يستطيعوا الا ان يوجدوا دينا جديدا ، او بالاحرى ان يعبدوا دينا قديما ، فعبادة الانسان للسماء ، او الشمس ليس شيئا جديدا ، كما قدمنا .

ويكون التدين اذن — بمعنى العيش وفق نظرية شاملة، تفسر الكون، وتستلهم نواميسه ، وسننه ، وتلقى هذه النظرية الشاملة ، والتفسير الكونى بواسطة نفر من البشر ، يكونون ائمة ، ويكونون قادة للانسانية — ظاهرة انسانية وضرورة اجتماعية ، لا يقوم الاجتماع البشرى بغيرها .

واذ وصلنا الى هذا الحد ، فقد بقى ان ننتقل الى السؤال الثانى :

اذا كان جحود الاله ، لا يمكن ان يتم الا من خلال دين — تماما — كالاديان ، التى تؤمن بوجود الاله ، فايهما افضل : ان نؤمن بالله ، ام ننكر وجوده ؟ ان نؤمن بالمادة ، كسبب الاسباب لهذا الوجود ام نؤمن بسبب يعلو على المادة ؟ وما هو الفارق بين النظريتين من حيث اثر كل منهما على الانسان ، وتحقيق اكبر قدر له من الخير والطمأنينة والسعادة ؟

موعدنا فى الرد على هذا السؤال المقال التالى ...

ولست مكلفا الا بما وصلت اليه ، وليس مخالفي مكلفا الا بما وصل هوايضا اليه.

وما من مجتهد الا روى عنه ما يدل على سماحته العلمية ، وأنه كان يأبى على الناس ان يقلدوه في كل ما قال ، ويلغوا ما سواه .

فأبو حنيفة رضي الله كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي ، وكان اذا أفتى يقول : هذا رأى النعمان بن ثابت ـ يعني نفسه ـ وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

والشافعي رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبي وقال مرة للمزني . يا ابراهيم . لا تقلدني في كل ما أقول ، وانظر في ذلك لنفسك فانه دين .

سماحة

وقد صلى الامام الشافعي صلاة الصبح مرة في مسجد الامام ابى حنيفة بالاعظمية ، فلم يقنت ـ أي لم يأت بدعاء القنوت كما هو مذهبه ـ فسئل بعد الصلاة . لماذا لم تأت بدعاء القنوت ؟ فقال لقد كان ابو حنيفة رحمه الله لا يرى القنوت في صلاة الصبح ، فرأيت أن أتأدب معه ، وأنا في جواره .

وهكذا بلغ من سماحة الشافعي ان يترك سنة من السنن في نظره ،ليقوم بواجب التأدب مع هذا الامام الجليل ، في قبره وطبعا لو كان القنوت في نظره فرضا لما تركه ، وانما فعل ذلك لأنه سنة مظنونة فنزل عن رأيه فيها تأدبا مع صاحبه .

وقد ابى الامام مالك ان يفرض على الناس كتابه « الموطأ » لما استشاره أمير المؤمنين ابو جعفر المنصور في أن يبعث به الى اقطار المسلمين ليحكموا بمقتضاه ، فقال مالك : **« لا تفعل يا أمير المؤمنين ، ودع الناس يأخذون بما علموه ، وبما يصلح لهم ، فقد سبق الى كل قطر مناقطار المسلمين بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فربما رووا عنهم ما ليس في كتابي هذا .**

وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول « ليس لاحد مع الله ورسوله كلام » وقال يوما لرجل « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكا ، ولا الاوزاعى ، ولا النخعى ، ولا غيرهم ، وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة » .

ومراده بذلك من له قدرة على النظر والاجتهاد ، واما من لا يقدر على ذلك ، وليست لديه شروطه وأدواته ، فيقلد اماما معروفا بالعلم والورع والرجاحة ، ويأخذ بما شاء من آراء العلماء .

وهذه النظرة المنصفة تغيب أحيانا عن بعض اهل العلم ، او تغمرها العصبية او المصلحة الشخصية،فيشتد الخلاف، وينقلب لجاجا وخصومة ، وان خير ما يقدمه خاصة اهل العلم الى امتهم فى هذا العصر ان يتناولوا بحوثهم العلمية في انصاف ورفق ، وان يكون رائدهم الحق من أي أفق ظهر ، وأن يحسن كل منهم الاستماع الى ما يقوله الاخرون ، فربما وجد عندهم صوابا، وربما استعان بهم على الوصول الى درجة الكمال .

هل تأثر الفقه الإسلامي

هل تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني ؟

ان طالب العلم طالب الحق . فيجب علينا أن نبحث في الحق ثم نتبعه ، فان الحق يعلو ولا يعلى عليه . فاذا كان القانون الاسلامي مأخوذا من القانون الروماني فلا ينقص قدره ، وان لم يكن كذلك فلا يزيد قدره . فهو ما هو .

وهذه المسألة لها نواح عديدة ، ولا يمكن احصاؤها في مقالة صغيرة ، ولهذا أكتفى بهذه العجالة ، فما لا يدرك كله لا يترك كله .

فمن ناحية التسمية نجد أن أهل روما عبروا بكلم « يس » (Jus) عن مجموعة الاحكام العملية عندهم لاحوال البشر فى مختلف الاحوال و «يس» معناه اللغوى « حق » . واستعمل الفرنسيون والالمان والطليان عين المصطلح لهذا العلم، فترجموا وقالوا : diritto, recht, droit أما العرب المسلمون فاستعملوا كلمة « الفقه » لهذا المفهوم . ومعناه « المعرفة » . أما كلمة « حقوق » المستعملة الآن فى البلاد العربية والفارسية والتركية ، فهي محدثة ، مترجمة من الفرنسية ، ولم يستعملها قدماء المسلمين ابدا فى هذا المعنى ، عربا كانوا أم عجما . فثبت ان الفقه لم يتأثر فى مسألة المصطلح لهذا العلم من القانون الروماني .

ومن ناحية المنهج نجد ان مؤلفي القانون الروماني ، قسموا المسائل في كتبهم الى ثلاثة اقسام الاشخاص ، والاشياء والخصومات او القضايا امام المحكمة العدلية . ولكن الفقهاء وضعوا كتبهم على اساس العبادات ، والمعاملات والعقوبات . فاذن لم تتأثر الكتب الفقهية بكتب القانون الروماني فيما يتعلق بالمنهج والترتيب ايضا .

ذلك ان المسلمين لم يفرقوا بين الروح والجسد ، ولم يهملوا أحدا منهما ، وفكروا أن الانسان مركب منهما جميعا .

فلو اعتنى احد بواحد منهما فحسب ، لم يتحقق الفرض من وجودنا ، فنصير اما ملائكة (وهناك ملائكة غير الانسان) ، واما شياطين (وقد خلق الله شياطين غيرنا) . فالنشوء المتعادل للانسان كله (فى روحه وجسده) يحتاج الى الاعتناء بكلا الامرين . ولهذا السبب ذكر الفقهاء فى كتبهم العبادات ، كما ذكروا المعاملات وليس كذلك عند الرومانيين . فكتب القانون أي (يس) عندهم لا تذكر المسائل الروحانية (أى العبادات) أبدا .

ان اساس القانون الاسلامي مستمد



بالقانون الروماني؟

للدكتور محمد حميد الله

من كلام الله (المنزل بالوحي) ،وأساس القانون الروماني مستمد من مشيئة الانسان . وخلاصة القانون الاسلامي كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » أى المقنن هو الله الواحد ، وهو الذى أنزل أوامره على رسوله ليبلغها الى سائر البشر . ومآخذ القانون الاسلامي ومصادرها تشتمل على كلام الله وسنة نبيه واستنباط المتخصصين بواسطة الاجماع أو القياس . بينما الرومانيون يبنون أحكامهم اما على اوامر رئيس الحكومة او على العرف والعادة . ومعنى هذا بوضوح ان المسلمين لم يتأثروا من روما في مصادر القوانين .

وبما ان المسلمين لم يفرقوا بين المسائل الروحانية ، والمادية ، نجد ان كتبهم لا تكتفي بذكر العبادات والمعاملات فحسب، بل تذكر أيضا المسائل الدستورية ، وأحكام الحقوق الدولية ، وغير ذلك أيضا . وليس كذلك فى كتب القانون الروماني ، فانها أهملت تماما حتى هذه المسائل العمومية ، وجعلتها من علم السياسة . فالامام عند الفقهاء هو امام صلاة الجماعة ، كما هو امام دولة المسلمين . ومسائل السير (الحقوق الدولية) قسم من الفقه ، تتعلق بها حقوق الناس ، كما فى سائر أجزاء المعاملات والعقوبات هذا فضلا عن ان العبادات تختلف تماما بين الموحدين (المسلمين) والمشركين عابدى الاصنام والاوثان (الرومانيين) .

والقانون الاسلامي والروماني يختلفان حتى في المسائل التي تذكر فى كتبهما على سبيل الاشتراك . مثلا فى العقوبات نجد ان الفقهاء قسموا الجرائم الى قسمين : الحدود ، والمظالم . فالحدود تتعلق بالجرائم التي لو ثبتت بالبينة تكون العقوبات معينة محددة ، لا تتحمل زيادة ولا نقصانا . أما المظالم فالعقوبات فيها حسب رأى القاضي ، ويجوز له العفو أيضا (والحدود تتعلق بقتل الانسان ، والسرقة ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والارتداد . والزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها ، وأما عقوبة الارتداد بالقتل فكانت موجودة عند الرومانيين . أما القتل والسرقة فهما محرمان عند سائر الامم منذ أقدم العصور . ولكن العقوبات عليها عند المسلمين والرومانيين تختلف كثيرا . فقطع اليد لا يوجد عند الرومانيين . وفى القتل تتشكل العقوبة عند المسلمين حسب النية من حيث العمد والخطأ وهي لا توجد عند الرومانيين فيما أعرف . وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين من حقوق ورثة المقتول، وعند الرومانيين

القصاص حق الدولة . وكذلك يوجد ما يسمى بالعاقلة عند المسلمين منذ عصر النبى عليه الصلاة والسلام ، وهي لا توجد عند الرومانيين (وهي عبارة عن تضامن الاسرة او القبيلة لاداء ما يفرض على أحد أفرادها من الدية) . فنرى من هذا أن القانونين لا يتشابهان حتى فى جريمة القتل . والفرق بين الحدود والمظالم لا يوجد عند الرومانيين .

وفى المعاملات لا مشابهة بين القانونين فى النكاح والطلاق . فالاسلام لا يعرف الا قسما واحدا من النكاح وهو عقد يجمع الزوجين برضاهما . وعند الرومانيين توجد اصناف عديدة للنكاح الجائز ، بينما يعتبر أكثرها عند المسلمين كالزنا . وحدد المسلمون النكاح بحيث لا يزيد عن أربع زوجات حسب أوامر القرآن وليس كذلك عند الرومانيين . والطلاق غير متشابه فى القانونين .

وقانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يغاير ما عند الرومانيين . وكذلك نظام القضاء وآداب القاضى ، ولزوم شاهدين اثنين عند المسلمين ، وتزكية الشهود كذلك لا توجد عند الرومانيين . وعند الرومانيين يلتزمون فى الخصومة كلمات معينة وحركات معينة ، لا تعرف عند المسلمين .

والقانونان يختلفان حتى في المعاملات المالية فمثلا الربا غير محرم عند الرومانيين . وحتى أساس التجارة يختلف عندهما . فالبيع عند الفقهاء عقد برضا العاقدين ، وهو عند الرومانيين عقد يتعلق بالمال .

ومن البديهي ان قانون العرب في جاهليتهم كان مبنيا على عرفهم وعادتهم من قبل الاسلام ، فلما جاء النبي عليه السلام قال فيما روى الامام احمد بن حنبل « يعمل في الاسلام بفضائل الجاهلية » ، فأقر عليه السلام بعض تلك العادات الجاهلية وغير أخرى . وبعض هذه القوانين العربية القديمة قد تطور من حضارات سبأ ومعين ، والبلدتان كانتا قبل تأسيس بلدة روما . وكانت حضارات راقية لم تمت ولم تندرس ، بل دامت حتى اتصلت بالعهد الاسلامي . فنحن نعرف ان آخر ملوك الحميريين هو سيف بن ذى يزن ، وقد وفد عليه عبد المطلب جد النبي عليه السلام فى وفادة سياسية ، وهنأه لما تمكن من اخراج الحبشة من اليمن . وهذا يدل على قيام العلاقات ومتانة الصلات بين مكة واليمن .

ومما يذكر ان المسلمين فتحوا فى نفس الوقت البلاد التي كانت قبل ذلك عند البيزنطيين وعند الساسانيين وغيرهم . فتأثير قانون روما دون قوانين سائر الامم المفتوحة ترجيح بلا مرجح . ومما يذكر انه لم يمض على وفاة النبي عليه السلام مدة حتى طرق المسلمون أبواب اوروبا من جهة والصين من جهة وارمينيا من جهة وفي الهند من جهة . فقد ذكر الطبرى والبلاذرى تلك الفتوح ، وقررت تواريخ الصين ما ذكره البلاذرى من فتح ما وراء النهر الصينية . ففي هذه البقاع الممتدة كانت توجد عدة من الحضارات وانظمة القوانين الراقية .

ومما لا ينسى أن المسلمين لما فتحوا العراق ، لم يغيروا قوانين الخراج للاراضي هناك (كما يؤكد المؤرخ المسعودى) بينما المسلمون لم يتبعوا ذلك فى سوريا ومصر ، بل غيروا كثيرا من قوانين الخراج البيزنطية فى تلك البلاد ، لانها كانت ظالمة . فلا يقال اذن ان القانون الروماني أثر على الفقه الاسلامي .

ان الفقهاء زمن « ولادة » القانون الاسلامي وتدوينه كانوا اما في الحجاز أو في العراق ، من اهل السنة كانوا أو الشيعة او الزيدية أو من الخوارج (الاباضية) ، ولم يكونوا من سوريا . والفقيه الوحيد من سوريا هو الامام الاوزاعي . فقد ذكر الذهبي فى تذكرة الحفاظ عن احواله : انالاوزاعي كان من سبي اهل السند (أى من باكستان الحالية) لا ممن نشأوا فى جو القانون الروماني ، حتى ينقل آثار الروم الى الفقه . والامام مالك من المدينة . والائمة ابو حنيفة والشافعي وابن حنبل وزيد ابن علي وجعفر الصادق كلهم اما من الحجاز او العراق . ولم يذهب الشافعي الى مصر الا فى آخر عمره حتى يقال انه تأثر من قانون روما فى مصر .

نعم كانت فى بيروت والاسكندرية مدارس القانون الروماني . ولكن عطلت وقفلت فى القرن الذى مضى قبل الاسلام .

ولما فتح المسلمون البلاد ، أعطوا لكل طائفة ــ حسبما امر به القرآن الكريم ــ الحرية التامة فى القضاء والقانون . فالنصارى كانوا يحضرون الى محاكمهم حيث الحكام كانوا نصارى ، وكانوا يطبقون قوانين الطائفة . وكذلك اليهود والمجوس وغير ذلك . فلم يكن هناك محل لتأثير قانون طائفي على القانون الاسلامي .

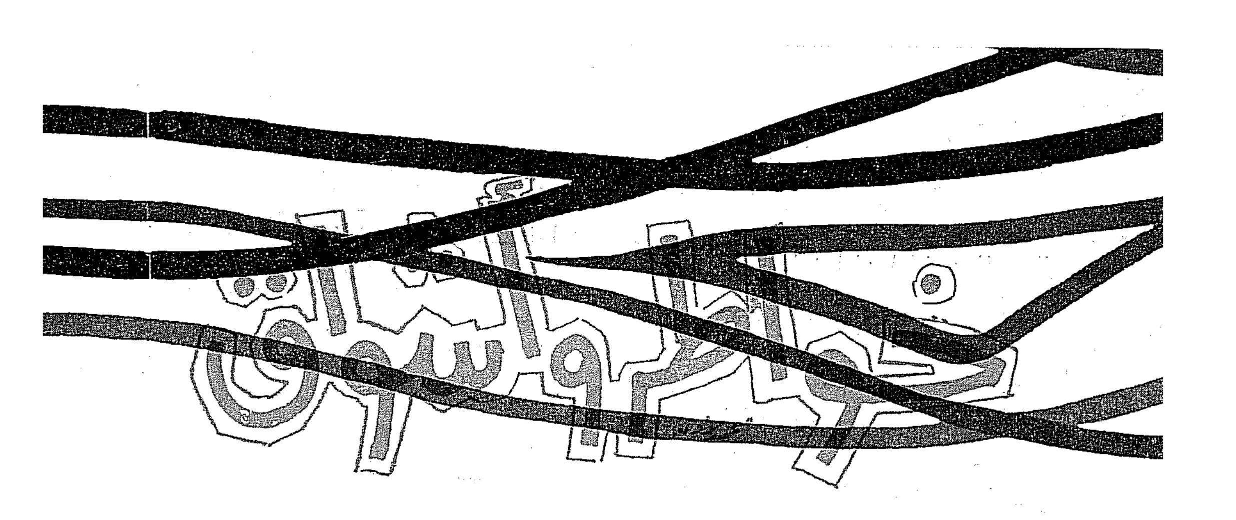
وما كان الفقهاء يعرفون اللغة اللاتينية (التي كتب بها القانون الروماني) ولم تترجم تلك القوانين الى العربية ابداقبل القرن العشرين الذى نعيش فيه . وأكد المستشرقون ان تلك القوانين لم تترجم حتىالىالسريانيةاو القبطية او العبرانية او الحبشية او الفارسية القديمة .

ومن المعلوم ايضا ان القانون الروماني لم يكن يطبق حتى فى بلادهم من الشرق الادنى . وهذا الاهمال كان منذ العصور الاخيرة قبل الاسلام . اذا استثنينا عواصم الولايات ومراكزها . اما في سائر البلاد فالناس كانوا يتحاكمون امام أساقفتهم ، وهؤلاء كانوا لا يعرفون القانون الروماني ، بل كانوايعملونحسب عادات بلادهم وتقاليدها وعرفها ، اما الحكام فى كبار البلدان فقد غادروا البلاد على فور ما بدأ المسلمون بصولتهم . حتى ان المدن التي فتحت فى خلافة سيدنا عمر ، كانت تعلن طاعتها على أيدى الاساقفة ، كما نرى فى كتب التواريخ والفتوح . ولم يذكر ابدا الموظفون المدنيون ولا قضاة المحاكم فى هذا الصدد .

المقنن عند الرومانيين هو موظف الدولة . اما المسلمون ، فالفقيه لم يكن ابدا الا رجل عادى من عامة الناس تعلم وتفقه فافتى ودون كتب الفقه .

ولما نشر المؤلف بوست Post كتاب قوانين الرومانيين لكايوس Kaius ذكر فى مقدمة ذلك الكتاب ان قانون اهل روما كان اولا همجيا ، متأخرا جدا ، ولم يتطور الا عندما تماسه قوانين اهل الشرق الادنى .

هذه نقط لا ينبغي للمتعلم الباحث ان يجهلها او يهملها عندما يتعرض لدراسة الصلات بين القانون الروماني والقانون الاسلامي (الفقه) . فلا يسمع الىادعاء أصحاب الغرض والعصبية بدون حجة قاطعة او برهان واضح .



ياساعيا من فجـاج الأرض في ولــه   قد أوهن الظلــف لما أبعد السفــرا

جهد المحبة أشــواق تبلّغنــــــا   وغاية الجهد ان نحظــى به فنــرى

للــه ما تبذل الأقــدام ساعيــــة   يمضى بها الشوق أو تقضى له وطــرا

فان دنوت لدى العتبات مفتقــرا   فأسعد الورد حتّى تحمـد الصــدرا

* * *

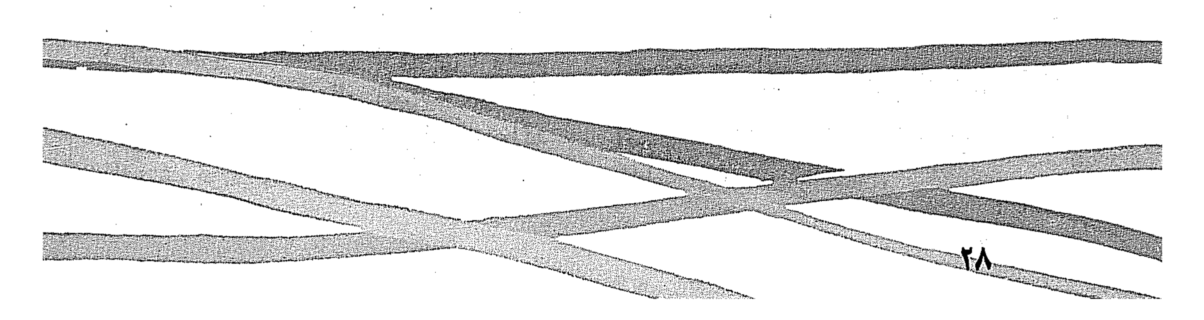
ياساعيا من فجاج الأرض في ولــه   قد أحسن الظن لما أزمـع السفــرا

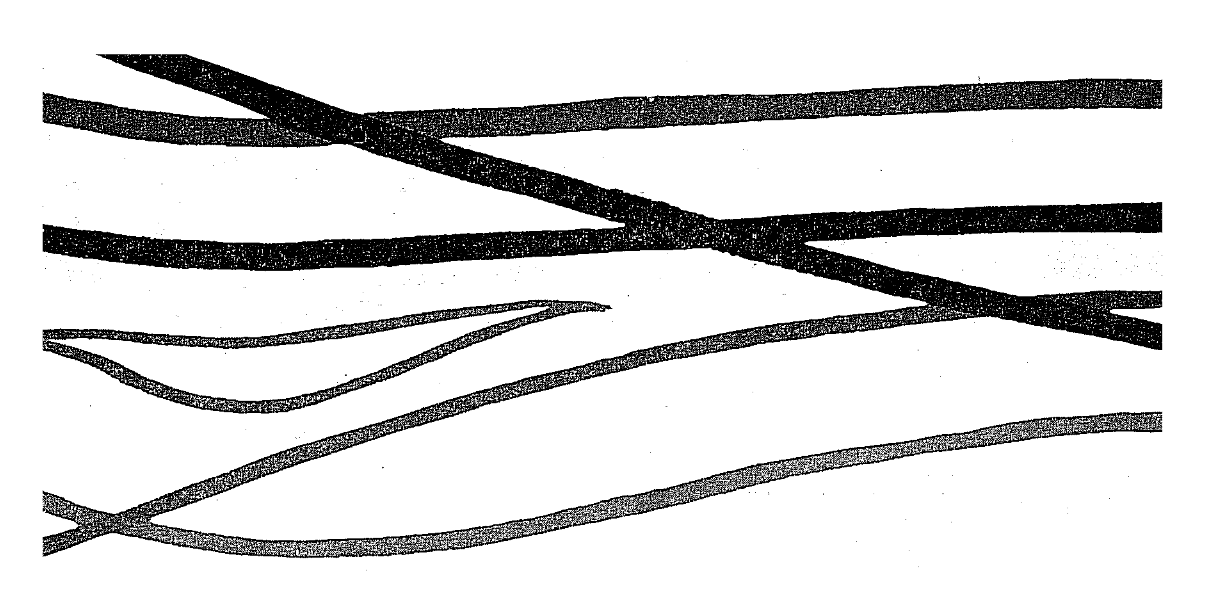
يروى على الجهد من ريا روائحــه   ويستحثّ المنى من ذكره عطــرا

وافي حمام الحمى للركب منطلقــا   فبلغ السفر عن خير الورى خــبرا

قد أمن الحب من وافي على ولــه   وبارك الشوق بيعا رابحـا فشــرى

* * *



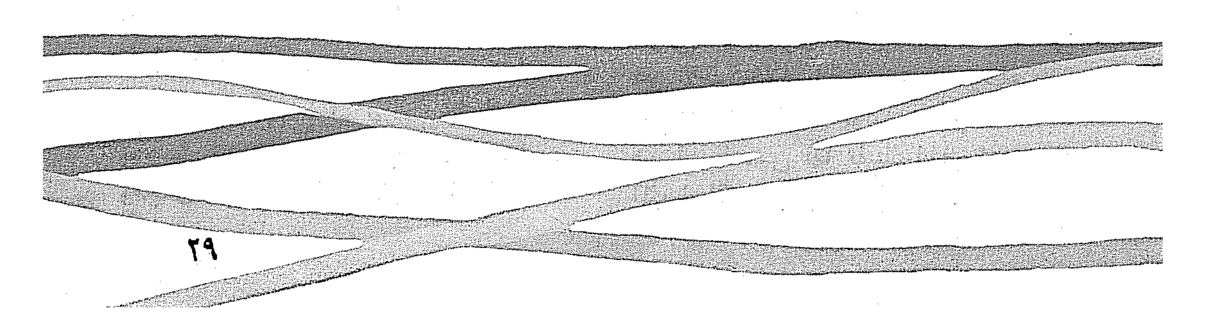


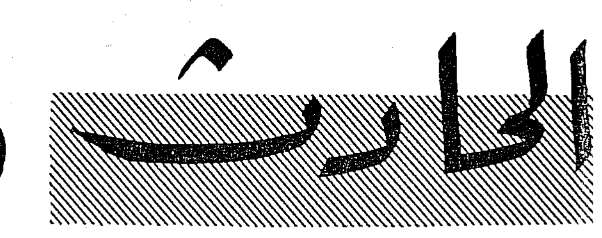
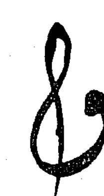
يا ساعيا من فجاج الأرض في ولـــه ملئ ركابك ان الشوق قد عـــبرا
قد يحبس الحب للأفواه ما نطقـــت ويسبق الشوق للأقدام ما سطـــرا

* * *

مددت كفك نحو الستر ملتمســـا غفر الشفيع فسال الدمع وانهمـــرا
وبان في العين لما سال مدمعهـــا شوق المحب إلى من نطق الحجـــرا
وقلت للسيد المتبوع معــــــذرة ياخير من أكرم المعذور واعتـــذرا
يا خير من وطئت رجلاه أرض منى فحال منها ثرى حصبـــائها دررا
لى عصبة من بناتى شاقهن هـــوى إلى رحابك جم بالحنين ســــرى
حملتنى شغفا جاءت لتشرحـــه ام ترى عند خـــير الرسل مدخـــرا
قدمتها بين ايدى من اليه ســـعت كل البرايــــا إلى اعتابه زمـــرا
ويافع من عزيز النجل حملـــنى مثل البنـــات فهل اكرمت من حضرا

محمود محمد الجرف (القاهرة)




الحادث والتاريخ

للاستاذ مالك بن نبي

مدير التعليم العالي بالجزائر

الاستاذ مالك بن نبي من كبار المفكرين الاسلاميين الجزائريين جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية .. وهو هنا يعالج موضوع كتابة التاريخ فى القديم والحديث : هل يكون مجرد سرد حوادث يشبه المتحف التاريخي او نبحث مع الحوادث اسبابها القريبة والبعيدة التي أثرت فيه ؟ ..

وقد قضى فترة من الزمن فى مصر اخرج فيها مؤلفاته التى تمتاز بالغيرة والعمق منها : الظاهرة القرآنية ومشكلة الحضارة . ووجهة العالم الاسلامي . ثم عاد الى الجزائر بعد تحريرها ليشارك فى بنائها عربية اسلامية مع ابنائها المخلصين » .

(الوعي الاسلامي)

لقد كان التاريخ الى حد القرن العشرين شبه متحف حيث كان يأتي المؤرخ ليتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك فى زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره .. ذلكم هـو التصور التقليدى للتاريخ .

بيد انه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يـلاحظ فى بعض الاوقات السمـة المشتركة وصلة الرحم بين بعض زوايا المتحف .. فهو اذ ذاك أمام « وحدة » تاريخية معينة .

ولقد يسمى ج.أ. توينبي هذه الوحدة بحقـل الدراسـة أو مجـال البحث . ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة التى يتم فيها النسيج التاريخي بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها وأسبابها ومسبباتها فى هذا المجال او الحقل .

وهكذا يوسع توينبي التصور التقليدى توسيعا ملحوظا يعمقه وذلك بتطعيمـه بمفهوم « مجال البحث » الذى يطيـح بالاطار الوطني حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليوناني (توسيديد) .

الا أن الاطار الجديد الذى يقترحه المؤرخ الانجليزى الكبير كان قد تداعى هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع حوادث تاريخية اقوى واكثر تشـابكا من ان نلتمس لها تفسيرا فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث .

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة ينسبها المؤرخون الى موجة المهاجرين العارمة التى تدافعت على شعوب الشرق الاوروبي ، فدفعت بهم الى غزو الغرب اللاتيني . ويفسر فعلا الحادث فى مشكلة كهذه فى نطاق « مجال البحث الاوروبي » بيد اننا اذا ذهبنا بالتحرى مذهبا أبعد بأن نطرح هذا السؤال .. ترى كيف نشأت هذه الموجة التى يسميها المؤرخون الالمان « الفولكار فاندرونغ » .

أى موجة الشعوب هي الاخرى ؟ ففي الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه المؤرخ الانجليزى بحقل الدراسة لان الظاهرة التي كانت الى الآن شيئا أوروبيا تصبح فجأة « حدثا » أسيويا . وبالفعل فان تداعي اسرة مالكة صينية قبل ذلك بقرون هو الذى دفع قبيلتين منغوليتين على المسارعة للنهب والسلب بحيث اصطدمتا ،فكان لاصطدامهما اثره البعيد فى دفع شعوب الشرق الاوروبي فى التيار المسمى « موجة الشعوب » أو «الفولكار فاندرونغ » . فهاهنا حدث معبر على تصور تاريخ عالمي على مستوى ذلك الزمن .

وهناك حدث آخر وقع بعد الف عام من ذلك لا يقل كشفا عن التصور التاريخي العالمي فى العصور الوسطى .. ذلكم هو تدخل « تيمورلنك » الذى يغير مجرى التاريخ لان حفيد جنكيز خان قد ظهر بالضبط فى الوقت الذى كان يستعد الامير العثماني « بايازيد » وملك القبيلة الموغولية المسماة بالقبيلة الذهبية « توغطاميش » ـ احدهما فى الغرب والثاني فى الشرق على غزو أوروبا تلك القارة التى كانت تنفض عنها غبار القرون الوسطى، واخذت تدخل طريق النهضة.

وهكذا ينقذ عمل تيمورلنك جميع آمال هذه النهضة التي تشكل من غير منازع المقدمة التاريخية لعصر الذرة الذى نعيش فيه .

هل « تيمورلنك » جد عصرنا ؟ فهذا تصور لم نعهده فى التاريخ وبزيادة على ذلك فهو تصور لا شك أنه كان يغيب عن وعي الامير التتارى نفسه .

وما هي قيمة معركة « مارينيان »على سبيل المثال اذا قيست بأحداث علىهذا المستوى من التاثير العالمي ؟ وعلى هذا يبدو لنا ان التاريخ نسيج معقد مما هو عارض وما هو مقدر .

وانني أتذكر وأنا اكتب هذه الجملة انتقادا وجه الي فى صحيفة باريسية غداة نشر كتاب « وجهة العالم الاسلامي » بانني أحمل السببية فى التاريخ أكثر مما تتحمل . ولو أجبت على هذا الانتقاد لقلت بكل بساطة انني لست أحمل التاريخ ، بل هو الذى يحملني . ولست ارىداعيا لازاحة البصر عن تصور يفرض نفسه علينا . والواقع ان هذا يستدعى اقامة نظرية كاملة للحادث التاريخى .

ان الحادث عند انقذافه يكون محملا بكل ما تستطيع الطبيعة البشريه أن تودعه فيه من غرض مصلحي وهوى وطموح وبغض ووهم الخ ...

انه صاروخ منطلق فى الزمان مدفوع بكل ما يحرك الانسان . ولا ريب ان اثره ذو بال ولو اقتصرنا على النظر اليه من هذا الجانب البشرى . فقد يكون غزوا يغير الخريطة السياسية او ثورة تغير حياة أمة أو ميلاد دولة أو سقوط اخرى أو ظهور فن صناعي او اختفاء فن آخر .

وكل هذا يتحقق ما يكون قد سبق تصميمه وتدبيره عند منشئه وقد لا يحققه ولكن دائما فى أطار « مجال بحث معين ».

لقد كانت الحرب العالمية الاولى حادثا تسببته ارادة التوسع الألمانية ـ اذا وضعنا حادث سراجيفو البسيط جانبا ـ

البقية على ص ٣٧



● امام من ائمة الفقه والحديث والورع

● والامـام الاوحـد في التمسـك بالحـق والاستهانة بصنوف العذاب والوان التنكيل التي قاساها عدة سنين .

● حياته درس وعبرة للعلماء والحكام .

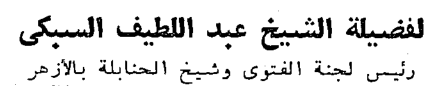
هو احمد ، بن محمد ، بن حنبل ، بن هلال الشيباني ، ويمتد نسبه الى نزار بن معد ، ثم يصعد في هذا الاصـل الشامخ الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ...

في سنة اربع وستـين ومائة مـن الهجرة خرج محمد بن حنبل من بلده (مروة الى بغداد مقر الخلافة العباسية .

وكانت زوجه صفية بنت عبد الملك الشيباني رفيقة سفره : وهي حامـل حينذاك ... ، وفي ربيـع الأول مـن السنة عينها وضعت الزوجة في بغداد طفلها ــ **احمد** بن حنبل ــ وهو امامنا الذى نتحدث عنه .

كان جده حنبل واليا على مرخس فى ظل العباسيين ، وكان ابوه محمد قائدا في الجيش بعد ، ولعل عمله في الجيش سبب انتقاله الى بغداد قاعدة الحكم ، وملتقى القواد .

غير أن احمد نشأ يتيما لوفاة والده ايام طفولته ، فلم ير أبا ، ولا جدا ، ولم يكن ابوه حين الوفاة قد جاوز الثلاثين من عمره ، فلم يدرك ان يدخر مالا او عقارا **الا دارا ببغداد كان يسكنهـا ، وبعـد** وفاته اقامت الزوجة مع طفلها احمد فى جانب من الدار ، واجرت الجانب الآخر بدريهمات ، كانت تستعين بهـا عـلى العيش ، حاضنة لولدها الصغير ، وعلى هذا الحال تعهدت الام صفية ابنها احمد حتى بلغ مبلغ الفتيان ، وانتهـى مـن تعلم القرآن ، مبرزا فيه تبريزا لفت اليه الانظار ، وأثار حوله العجب .



لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

رئيس لجنة الفتوى وشيخ الحنابلة بالأزهر



٢ : ـ في السادسة عشرة من عمره نهض الى طلب الحديث وجمعه في نشاط **غريب من مثله ، وكثير على سواه** حتى قال هو عن نفسه بعد : (كنت ربما اردت البكور في الحديث ، فتأخذ أمي بثيابي وتقول : حتى يصبح الناس توفر على الرواية .. ، وأكب على التحصيل .. فلم يشغله عن هذا طلب عيش ولا رقة حال ، ولا تعرف الى ذى سلطان ، ولم يقعد به خلو يده عن الاسفار والسعي وراء العلماء في كل واد :

رحل من بغداد الى الكوفة ، ونزل البصرة ومكة .. وطاف بالمدينة واليمن وقصد الشام والجزيرة ، وهبط على خراسان وفارس ، ويمم بلاداً أخرى **كثيرة يتتبع شيوخها ، ويلقى علماءها ، ويأخذ عن كل ما لديه من الحديث .**

مما يصح عنده ، ويطمئن اليه . فلم يفته عالم سمع به ، ولا بعدت عليه جهة يستقي منها العلم بسنة الرسول ، وما أثر عن اصحاب الرسول ، ولقد اعيته النفقة يوما عن الوصول الى بلاد الرى ليأخذ عن عالمها جرير بن عبد الحميد ، فكان يتأسف **لعجزه ويقول** : لو كانت عندى خمسون **درهما** كنت خرجت الى الرى الى جرير بن عبد الحميد ، ولكن خرج **بعض اصحابنا** ، ولم يمكنى **الخروج**،ولم يزل حريصا على **لقاءجرير هذا حتى لقية ببغداد** فى رحلة جاء فيها

جرير ، والتمس احمد من علمه ما تهيأ له ، ويحدثنا عنه احمد بن سنان من **سراة القوم فيواسط فيقول : قدم علينا** احمد بن حنبل فى جماعة من البغداديين **الىالشيخيزيد بنهرون ـ واستقرضوني** كلهم مالا وردوا الا احمد بن حنبل ، لم يستقرضني بل اعطاني فروة له فبعتها له بسبعة دراهم »

وقد هون على احمد هذه المشاق ، وسهل عنده تلك المصاعب حفظ نادر ، وفهم ممتاز ، ورغبة لا يلحقها ملل ، وتوفيق لم يعهد مثله الا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله ، وقيضهم لحفظ السنة ، وضبط الشريعة وصيانة الاحكام . قال أبو زرعة : كتب احمد بن حنبل ليس في اوائل اجزائها اسماء

المحدثين الذين سمع عنهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وقال كذلك حرزت كتب احمد في اليوم الذى مات فبلغت اثنى عشر حملا وعدلا ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا فى بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه ، والروايات عنه في تقدير مواهبه تملأ الصفحات ، وقد دأب احمد على رواية الحديث ، والتردد من بلد الى بلد ، ومن شيخ الى شيخ ، حتى بلغ الأربعين من عمره فاستوى له ان يجلس للتحديث ، وكان قبل يمتنع أن يجلس لذلك ويمتنع إن يجلس للفتوى ، الا ما كان يسأل عنه من علم عنده . وكثيرا ما كان يحيل السائلين على معاصرية من العلماء بعدا عن التورط في الفتوى وهي سنة الصحابة والتابعين .

مكانته في الحديث

استطاع احمد ان يجمع من الحديث خمسين الفا وسبعمائة الف حديث ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير حتى صفاها من الدخيل ، واستقر به الأمر على نحو من اربعين الفا دون احمد هذه الاحاديث في كتابه المشهور بالمسند وحرص عليه حرص البخيل على ماله ، وكان يقول لابنه عبد الله « احتفظ بهذا المسند فانه سيكون للناس اماما » ، ويقول اسحق بن حنبل قريبه وتلميذه جمعنا احمد : انا وصالح وعبد الله ابنا الامام ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه غيرنا ، وقال لنا (هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من اكثر من سبعمائة الف وخمسين الف حديث فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه فيه والا فليس بحجة) وكانت هذه هي مكانته في الحديث .

محنة الامام احمد

على عهد الرشيد توقدت جمرات الخلاف المذهبي بين المعتزلة وغيرهم من الطوائف ، ونبتت الفكرة بان القرآن مخلوق — يعني ليس بقديم — ثم اندلع لهيب الفتنة أيام المأمون والمعتصم من بعده ، وأخذت بدعة القرآن في مد وجزر بين الداعين اليها من امثال بشر المريس واحمد بن داود قاضي بغداد وبين المعارضين لها من أمثال احمد بن حنبل ومحمد بن نوح وغيرهما من وجوه العلماء ، وكان المأمون يشد ازر المبتدعين لهذه الاحدوثة ، ويعمل على كسب انصار لها من امثال احمد بن حنبل ممن هم في مكان القدوة بين الناس ، وبعد محاولات عدة ومناظرات حادة يئس المأمون من احمد ومن معه من المعارضين فأعمل سيفه في رقاب نفر منهم وزج في السجن بآخرين . منهم ابن حنبل .

فلبث في السجن ثمانية وعشرين شهرا — بين اخريات عهد المأمون واول عهد المعتظم — لقي فيها من ضروب الهوان والايذاء ، ما لا يطيقه انسان ولا يصفه قلم ، تقلبت عليه احداث وحيكت له الدسائس من رجال المعتصم ، وهو لا يلقى ذلك الا بيقين راسخ ، وصبر لا يهين ، وجلادة تزيد الخصوم بأسا منه وحيرة في أمره .

تمسكه برأيه

كان يؤتى به من السجن مقيدا مهانا الى مجالس المناظرة ، ويواجه فيها بأحمد ابن أبى داود ، واحمد بن رباح ، وأبى شعيب الحجام ، وأمثال هؤلاء من بطانة الخلفاء فيقيم عليهم الحجة ، ويلزمهم الخزى ، فيضاعفون القيد في رجليه ، ويعاد الى السجن مخلوع النعلين مسحوبا في مذلة ، ثم تتجدد المأساة من ساعة الى ساعة ويضرب بالسياط المبرحة مرة بعد مرة ، ويقطع عنه الزاد يوما وأياما ، فما يكون منه الا ثبات على حقه وازدراء لباطلهم ، واستهانة بكل ما يصنعون ، ومما اثر

عنه في ابان هذه المحنة ان الخليفة المعتصم أمر به يوما فجيء به من السجن وأوقفه بين يديه وقال له — وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربنك بالسياط حتى تقول كما اقول بخلق القرآن ، ثم التفت الى الجلاد ، وقال له خذه اليك ، فأخذه ناحيته وبدأ يضربه ، وحينما ضربه السوط الاول قال احمد باسم الله وفي الثاني قال ولا حول ولا قوة الا بالله ، وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق ، وفي الرابع قال لن يصيبنا الا ما كتبه الله لنا . ثم ما زال الجلاد يضربه الى تسعة وعشرين سوطا ويقول ميمون بن الاصبغ حينما بلغ الضرب الى السوط التاسع والعشرين انقطعت التكة من سراويل احمد (رباط اللباس) فقلت الساعة ينهتك ، فرمى احمد بطرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، فثبت السروال ولم ينزل ويقول بن الاصبغ هذا فدخلت الى احمد فى سجنه بعد سبعة ايام ، وقلت له يا أبا عبد الله ارأيتك يوم ضربوك قد انحل رباط سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، وحركت شفتيك فأى شيء قلت) قال احمد : قلت اللهم اني على الصواب فلا تهتك لي سترا . ولما تضاعفت المأساة بعد هذا تأذت نفس المروزى وهو صاحب احمد وتلميذه ، فدخل عليه السجن يوما ، وقال له : يا استاذ قال الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) يريد منه ان يوافق الخليفة على قوله — ولو ظاهرا — لينجو من الهلاك ، فقال احمد : يا مروزى اخرج فانظر أي شيء ترى ، فخرج المروزى الى رحبة دار الخليفة ، فوجد جمهرة من الناس لا يحصيها العدد ، وبأيديهم الأقلام ، والمحابر فسألهم المروزى اى شيء تعلمون ؟ فقالوا ننتظر ما يقول احمد فنكتبه ، فدخل المروزى على احمد واخبره بذلك فقال له احمد يا مروزى هل أضل هؤلاء كلهم ؟ ؟ انا اقتل نفسي ولا أضلهم .

وفى هذه المحنة واحاديثها فصول طوال ، وقصص عجيب ، كلها تدل على كمال الايمان ، ورسوخ العلم ، وقوة الحجة ، كما تدل على ان بطانة السوء شر ما يبتلى به الامراء والرؤساء .

تراجع المعتصم

وأخيرا يئس المعتصم من اخضاع احمد فأشار عليه بعض بطانة السوء ان يقتله ، ولكن آخرين منهم تخوفوا أن يكون قتله سببا فى فتنة شديدة ، وهياج عام لتعلق الناس به ، وتخوفوا كذلك ان يكون القتل سببا فى فتنة أخرى فى زيادة حب الناس لأحمد ، وتعلقهم به اكثر اذا رأوه وصبر حتى قتل .

هم يحسدوني على موتي فواعجبا
حتى على الموت لا اخلو من الحسد

وقد جنح المعتصم لهذا الرأي وحضر عم الامام احمد ، وبعض اهله، واشهدهم على ان احمد صحيح البدن ، وقال قد سلمته اليكم صحيح البدن .

فى عهد الواثق

وبهذا سكت الناس وهدأوا ، ولم يكد يخرج احمد من سجنه ويعود الى مجالس العلم اياما حتى توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله فاستدعى احمد ، وافهمه انه سوف لا يتعرض له ، وانما يطلب منه الا يظهرفى بلد يسكنه الخليفة ، فاعتكف احمد بعد ذلكنحو اربع سنوات من سنة ٢٢٨ — ٢٣٢ وكان اعتكافه فى دار ابراهيم بن هانيء النيسابورى .

ويروى عنه ابراهيم هذا انه طلب منه يوما ان ينقله من مكانه الى مكان سواه ، فقال ابراهيم اني اخشى عليك يا ابا عبد الله ان تراك العيون ، فقال له احمد ان فعلت افدتك ، فنقله الى دار اخرى ، فقال له يا ابراهيم اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثة ايام ثم تحول ، وليس ينبغي ان يتبع رسول الله فى الرخاء وفى الشدة .

تحول فى صالح الامام

وظل احمد على اختفائـه هذه المدة حتى تـوفى الـواثق ، وولي مـن بعده المتوكل . جاء المتوكل بسياسة جديدة ، فأنكر ما كان يدعو اليه المأمون والمعتصم، وقـاوم المفسـدين بشـجاعة لم تتهيأ للواثق ، وآزر اهل السـنة وشـجعهم بماله وسلطانه ، حتى خبت نار الفتنة ، وعاد الحق الى نصابه واستطاع الامام احمد وتلاميذه ان يستردوا حريتهـم المغصوبة ويعـودوا الى مجالس العلـم آمنين والى اعلان كلمة الحق مطمئنين .

مذهبه فى الفقه وما يقال عنه

غلبت على الامـام احمد نزعتـه الى روايات الحديث وتدوينه عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم فلم يـكن يعني بالتأليف فى الفقه ، ولا يدعو الناس الى التدوين عنه ، بـل كان ينهي ان يكتب كلامه سائله ، ويود لو ان الناس سلكوا مسلكه ، وتتبعوا حديث الرسول والمأثور عن اصحابه وكان يقول عليكم بالحديث ، ويقول انما أمـرنا أن نأخذ العلـم من فوق . ومن اجل ذلك لم تكن له مؤلفات بعد المسـند ، الا رسـائل محدودة فى الورع،وفى الصلاة وفى الناسخ والمنسوخ، وفى المتقدم والمؤخـر فى القـرآن ، وفى جوابات القرآن ، وفى المناسك .

وهذا التمنع عـن التأليف لئـلا يضيق وقته عن خدمة السنة ، والسنة عنده بعد القرآن هي كل شيء ، وأعـز من كل شيء ، واللـه سـبحانه وتعالى يعلم حسن قصده ، فحفظ علمه ونفع به عباده ، اذ وفق تلاميذه ان يدونوا مسائله ، ويثبتوا كل ما عرفوا عنه من احكام ، فكتبوا فى هذا اكثر من ثلاثين سفرا ، وظلت هذه الثروة العلمية تراثا خالدا للاسلام ، وشاء الله ان يمتد فضل هذا الامام فلم يبق مذهبه فى العراق ، بل امتد الى الشام ومصر ، بل صـار المذهب السـائد المعتمد به فى المملكـة العربية السعودية ، وأن مذهبا يقـوم على السنة ويستظل بلوائها ، لجديـر به ان تخفق رايته فى بلد تزعزعت فيـه السنة ، وأشرقت فيه شمس الاسلام .

مكانته فى الفقه الى جانب مكانته فى الحديث

لم يكن احمد معنيا بجمـع الحديث لمجرد الحفظ والشهرة ، بل جمعه وعنى نفسه فى تحصيله ـ ليصل الى كل مـا شرع الله ، وليعرف ما يتجه الينا فى خطاب الله ، وقد تسنى له ذلك على ضوء علمه الغزير بالسـنة ومعرفتـه الواسعة بكتاب الله ، وقدرته الممتازة على تأويل الآيات او تفسيرها ، وأخـذ ما يؤخذ من الفاظها ومعانيها فكان لـه فى الفقه مجال فسيح ، وفهم صحيح ، وكانت لمذهبه اصول وقواعد كلها موضع القبول عند الآخذين عنـه ، كما كانت موضع الاجلال عند معاصريه من عظماء زمانه .

وأى الناس أعرف بالامام احمد من اقرانه وشيوخـه وتلاميذه وهذا هـو الشافعي رضي الله عنه يقول « خرجت من بغداد ، وما تركت فيها احدا أورع ولا اتقى ولا افقه ولا اعلم من احمد بن حنبل » وهذه شهادة من شيخ لتلميذه ، وتلميذ لشيخه فقد اخذ كل منهما عن الآخر ، وكل يعرف صاحبه حقا ، وكذلك يقول قتيبة بن سعيد « لو أدرك احمد عصر الثورى ، ومالك والاوزاعي والليث ابن سعد ، لكان هو المقدم » وكان ابو القاسم بن الخليلي يقول كان احمد بن حنبل اذا سئل عن المسألة كان علـم الدنيا بين عينيه ، ويقول اسحق بـن راهوية ، كان احمد اماما للدنيا . فنحن ازاء هذه الشهادات وأمثالها ، وازاء ما نعرف عن مذهبه بمزاولتنا له ، لا يسعنا أن نضعه فى الفقه الا فى الصف الأول من الائمة ، كما اعتبروه فى الحديث امـام الائمة .

« يتبع ـ البقية فى عدد قادم »

بقية : الحادث والتاريخ

تلكم كانت شحنتها التاريخيـة عنـــد انطلاقه .

وقد كانت الحرب العالمية الثانية حادثا مماثلا اطلقته ارادة القوة « الهتلرية » . ولكن الصاروخ يذهب الى ابعد . انه يخرج بعد انقذافه عن المسار الذى قدره العقـل البشرى له . فكأني به تتغـير شحنته تدريجيا فى الطريق فلم يعـد يندفع فى الزمان او التاريخ تبعا لسببية ولكن بمقتضى غاية . وفى نهاية مستقره وغاية مطافه يصيب الحادث الوجـدان البشرى . ولا يحدد وقعه فى مجال حقل دراسة معين اى فى حياة أمة أو مجتمع ولكن فى مجال شامل للانسانية .

ان الحرب العالمية الاولى لا تطيح بآل « الهوهانزولارن ، والهابسبورغ » فقط، ولكنها تنشيء فكرة جديدة تجسدت فى شكل « عصبة الامم » .

ان وقع الحادث لم يهدم بعض البناءات السياسية فقط ولكنه ولد مفهوما دوليا للمسؤولية الا ان بعض التركيبات الذهنية الخاصة بالقرن التاسع عشر قد تخلفت كما نرى ذلك عندما تتوزع عصبة الامم المنبثقة من وعـي الانسـانية رغيف المستعمرات الاخرى .

ان الحرب العالمية الثانية لم تكتسح المطامـح الهتلرية والنظريات العنصرية فحســب ولكنـها اخـرجت الـى الوجود هيئة الامم المتحدة . وربمــا يقول حفدتنا ان القنبلة الذرية لم تهدم « هروشيمـا » و « نجازاكي » فقط ولكنها وترت وارهفت الشعور بالمسؤولية الدولية فعجلت بتكوين وعي عالمي .

ومن الغرور أن يقال ان هذا الامر كان يشغل العالم الفـزيائي أوبانهايمر عندما كان فى فياق النيفادا يضع آخر لمسة على القنبلة التى ستهدم هيروشيما .

ان وقع حادث ما اطلقت عنانه الارادة البشرية يخرج فى النهاية عن رقابتها . انه صاروخ مقذوف فى الزمان يتجاوز دائمـا تقديراتنا وحساباتنا الامر الذى اشار اليه عز وجل فى قوله .. (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . والواقع ان المؤرخين الذين يصنفون التاريـــخ يعوزهم شيء من الحرية . او بعبارة اخرى فالتاريخ الذى تهدف اليه ارادتنا يكون دوما دون التاريخ الذى تحققـه فسبب المنطق الكارتزيائي الذى يقتصر حكمه على الحوادث على النظر اليها من زاوية الاسباب يغيب على نظرهم جـزء اساسي من مدار الاحداث .

وبما ان الصاروخ لا يندفع ــ فى هذا الجـزء بفعـل قـوى تحصر فى مبـدأ السببية ولكنه يخضع فيما يبدو لمبدأ فان . فان المؤرخين يهملون بهذا جانبا عظيما من فلسفة التاريخ .

مع ان الحادث يحقق معناه الكامـل ومؤداه الشامل عندما يبلغ مرساه وغايته فى التاريخ . الا ان اكتشاف هذا الجانب الثاني من معنى الحادث يتطلب مـن المؤرخ مزيدا من الحرية على ما يمنحه المنطق الكارتيزيائي .

وان « ايمانوال مونيي » أحد هؤلاء « المتحررين » استطاع بصره ان يرى ــ على حد تعبيره ــ شمولا فى الظاهرة التاريخية بحيث يأتي كل حدث فيهـا ليقوم بدوره لخير المجموع ونجاته .

وهذا التصور لا يحيط رغم تعمقـه الا ببعض جوانب الموضوع . فعلينا ان نغوص فى قلبه وان نميز فى الظاهـرة التاريخية جانبين .. الجانب العرضي البشرى والجانب القدرى كمـا يـراه « مونيي » .

ولا أظن ان هذا التصـور التاريخى يمكن الاستغناء عنه فى لحظة بلغت فيها ماساة الانسـانية اشد توترها ، حيث نرى بروقا مهددة فـوق اعالي جبـال الكاشمير ومستنقعات الفيتنام .

بل صحيح البخاري

أصح الكتب بعد كتاب الله

نشرت مجلة العربى فى عددها الاخير الصادر فى فبراير ١٩٦٦ كلمة عن صحيح البخارى جعلت عنوانها « ليس كل ما فى البخارى صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراة فحسب بل منكرة » بقلم سكرتير التحرير الاستاذ عبد الوارث كبير .. وجعلت عنوان هذا الموضوع مادة للاعلان عن المجلة فى الاذاعة والتلفزيون والصحف .. مما لفت انظار الناس بشدة نحو هذا الموضوع واثار كثيرا من تساؤلهم واستنكارهم ، وشغلنا منذ صدور هذا العدد بكثير من الرسائل والمكالمات الهاتفية التى تسالنا راينا فيما نشر ..

والحق اننا عنينا منذ قرانا وسمعنا الاعلان عن المجلة بقراءة ما كتب فى هذا الموضوع وخرجنا من هذه القراءة باسف عميق ، فان كل كاتب يتصدى لما تصدى الكاتب له يجب عليه أن يدرس ويتثبت قبل أن يطعن ، ولا يكفيه مجرد الاعتماد على فهمه السطحى للحديث ...

وتوضيحا للحقيقة وتطمينا للنفوس نضع أمام القراء ما يلى :ــ

١ ــ : الاقوال التى أوردها الكاتب على أنها أحاديث فى بدء كلامه موهما القارىء أنها من صحيح البخارى مثل : « اختلاف أمتى رحمة » ، و « الدنيا حرام على اهل الآخرة » و « الطاعون وخز اخوانكم الجن » . « اتخذوا الحمام المقاصيص » « عليكم بالقرع» «زينوا موائدكم بالبقل» الخ.. كل هذه الاحاديث موضوعة أو ضعيفة ولا يعتد بها ، ولم ترد فى صحيح البخارى ، وقد نبه علماء الحديث الى ذلك فى كتبهم المتداولة ، ومن الممكن لمن يتصدى لمعرفة قيمة هذه الأحاديث أن يرجع الى هذه الكتب .

ولذلك لم يكن يصح ايراد هذه الاقوال وايهام القراء أنها من صحيح البخارى ، لأن المجال مجال التحدث عن صحيح البخارى ..

٢ ــ : بعد ذلك أورد الكاتب ثلاثة أحاديث أنكرها ، وصرح بأنها غير معقولة مع أن اثنين منها وردا فى صحيح البخارى .

الحديث الاول :

عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى فأتَّزر فيباشرنى وأنا حائض » (رواه مسلم والبخارى ..) وقد فهم الكاتب ــ خطأ ــ ان المباشرة معناها هنا الوطء ، ورتب على هذا الفهم أن فى الحديث مخالفة صريحة لقوله تعالى « فاعتزلوا النساء فى المحيض .. » وقال « فليس هذا الحديث صحيحا لأنه لا يعقل أن يصدر الفعل المنكر عن نبى بل عن سيد الانبياء » .

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح ، وليس معناه كما فهم الكاتب ، فقد فسر العلماء المباشرة هنا بملاصقة البشرة للبشرة ، فيما دون ما تحت الازار ، ولم يفسروها بالوطء كما فهم الكاتب ، وقد استند العلماء فى فهمهم هذا الى ما روى فى حديث آخر قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شىء الا النكاح » والاحاديث يفسر بعضها بعضا . وقد نقل الاجماع على جواز مباشرة الزوج لزوجته فى فترة الحيض فيما فوق السرة وتحت الركبة ..

وحكمة التشريع فى هذا واضحة ، اذ أن فى جواز ذلك تنفيسا عن الغريزة لدى الزوجين بعيدا عما أمر الله بالبعد عنه حالة الحيض .. وقد كان اليهود يتجنبون المرأة اجتنابا تاما فى هذه الحالة كأنها منبوذة ، فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يضاجعونها ، بل ولا يقيمون معها فى مكان واحد ، حتى ينقطع حيضها ، واثرت هذه العادة على العرب الذين يعيشون معهم ، وفى ذلك من العنت ما فيه ، فكان توضيح الرسول صلى الله عليه وسلم لمعنى الآية تصحيحا لهذا الوضع الخاطىء ، وازالة للعنت وتمشيا مع دين الفطرة الوسط .

روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها فى بيت واحد ، فسأل الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فنزلت آية « ويسألونك عن المحيض .. الآية » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شىء الا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل « يعنون النبى » ان يدع شيئا من أمرنا الا خالفنا فيه ، والحديث بتمامه مروى فى صحيح مسلم ، وفى كتب التفاسير لآية المحيض الواردة فى سورة البقرة ، وبهذا يتضح معنى الحديث الذى أنكره الكاتب ، ولو كلف نفسه الاطلاع على شرحه لما أنكره ، بل لأشاد بحكمة الشارع فيما ذهب اليه .

الحديث الثانى :

« ان رجلا أتى عمر فقال « انى أجنبت ، فلم أجد ماء ، فقال عمر لا تصل » هذا الحديث أنكره الكاتب بناء على فهمه الظاهرى او السطحى له اذ كيف يجهل عمر أن الجنب اذا لم يجد الماء تيمم كما ذكرت الآية « أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ... » وبناء على فهمه هذا سارع فانكر الحديث وطعن فى صحيح البخارى كله ..

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح وعمر رضى الله عنه لم يجهل آية التيمم ولكنه ــ وهو الرجل الحصيف دائما ــ لم يأمر الرجل به لأن التيمم مع مظنة وجود الماء قبل فوات وقت الصلاة باطل وعمر كان يرجح وجود الماء ويرى أن الرجل متهاون فى طلبه . فكان بذلك يعالج حالة خاصة ويخشى ارتكان الناس على الرخصة واستعمالهم اياها دون وجود مبرراتها ، فلم ينه عمر ــ اذن ــ عن الصلاة مطلقا فى هذه الحالة بل نهاه عن الصلاة حتى يحمله على طلب الماء وعدم الكسل فى البحث عنه .. وهذا وجه من وجوه الفهم للحديث ويقويه

حديث آخر صريح فى هذا المعنى (رواه البخارى ومسلم) فقد روى عن شقيق بن سلمة قال : كنت عند عبد الله وأبى موسى فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن اذا اجنب الرجل فلم يجد ماء كيف يصنع ؟ فقال عبد الله لا يصلى حتى يجد الماء الى أن قال .. انا لو رخصنا لهم فى هذا لأوشك اذا برد الماء على أحدهم أن يدعه ويتيمم ، فقلت لشقيق فانما كره عبد الله لهذا ؟ قال نعم، فكأن منعهم الناس من الصلاة حين عدم وجود الماء ليس معناه سقوط الصلاة عنهم نهائيا بل التشديد عليهم ، وعدم فتح باب الرخصة لهم ليستعملوها فى غير مكانها .. كما هو واضح صراحة من قول عبد الله .

وهذا المعنى جميل ، وكم كان لعمر رضى الله عنه من نظرات أصيلة فى فهم الدين أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده . منها على سبيل المثال منعه أبا هريرة من أن يبلغ قول الرسول « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » خوفا من أن يتكل الناس على ظاهرها ، وقد أقره الرسول على ما فعله ..

وكان على الكاتب أن يرجع الى شرح الحديث وما قاله العلماء فيه قبل أن يسارع بانكاره بناء على فهمه السطحى له ..

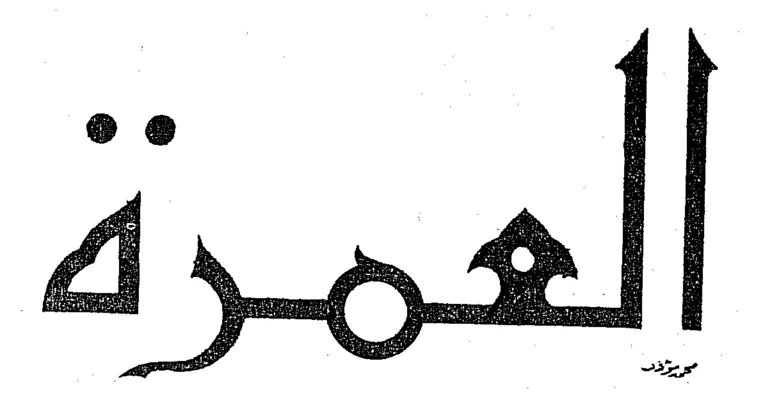
أما الحديث الثالث :

الذى أورده وهو الخاص بأكل البرد النازل من السماء فى رمضان والذى يفيد أن أكله لا يفطر الصائم .. فقد طعن فيه نقاد الحديث ولم يأخذوا به ،وقالوا عنه : انه منكر واسناده ضعيف ،وليس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم . وبالرغم من أن كثيرا من رواة الاحاديث رووه ، لكن نقاد الحديث تعقبوه وطعنوا فى رواته حتى بينوا ضعفه ، وعدم الثقة به ، أو الاعتماد عليه ولا سيما ما جاء فى آخره « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال خذها عن عمك » مما يوهم أن الرسول أقر ذلك .. فيبقى على أكثر تقدير فهما لاحد الصحابة لم يقره عليه أحد .. ولم يقل الذين تحدثوا عن هذا الحديث أنه موجود فى صحيح البخارى حتى يشنع عليه به.

وبعد . فاننا نرى من الواجب أن نقول لكل الذين يعتمدون على عقولهم فى قبول الاحاديث ورفضها أن هذا الطريق ليس مامون العواقب ، فان العقول كثيرا ما تضل وتزل ، ولو تركنا الباب مفتوحا للعقل يتحكم فى كل ما جاء فى كتب الحديث الصحيحة ـ فيقبلها أو يرفضها ـ لكان معنى ذلك تأرجح الاحاديث فى العصور المختلفة ، تبعا لافهام الناس ، فقد يرفض حديث فى زمن ، ثم يقبل فى زمن آخر ، وبالعكس وتكون النتيجة ضياع الثقة بالاحاديث ، ولا سيما تلك التى أفنى العلماء السابقون عمرهم فى البحث عنها وغربلتها ونقدها ، ونقد رجالها ، وانتهوا من كل ذلك الى أحاديث صحيحة لا يتطرق اليها الشك .

لقد وضع العلماء السابقون موازين مضبوطة لقبول الحديث أو رفضه ، وخدموا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمة كانت ولا تزال مثار اعجاب العالم كله . وكل حديث من الاحاديث المروية بينوا درجته من الصحة أو عدمها .. وفتح الباب للطعن على هذه الاحاديث بناء على عقل الطاعنين ، ودون دراسة أو تبصر ، أمر يهدم ثقة الامة باحاديث رسولها ، ويضيع عليها المصدر الثانى من مصادر التشريع بعد كتاب الله .. وفى ذلك من الخطر ما نرجو أن يحفظ الله الامة منه .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .



(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) حديث متفق عليه

للاستاذ الشيخ محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية الازهرى

كانوا يسمونها قديما « الحج الاصغر » ومعناها زيارة البيت الحرام بقصد التعظيم والتحية ، والتقرب من هذا السبيل الى رب البيت العتيق ، وكثيرا ما قرنت بالحج فى مقام التعبد والذكر .. ومن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها ، وفيه تقول للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. هل على النساء من جهاد .. ؟ قال : « نعم .. عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة » ، وبهذا الاسلوب نطق القرآن الكريم « واتموا الحج والعمرة لله .. » ويقولون حج فلان واعتمر ، ويقال الحجاج والعمار ، ..

وارجح الاراء انها سنة مؤكدة (كما يرى المالكية) ، وان من اتى بها مرة فى العمر كله .. فقد اقام السنة .. وكلما تكرر فعلها .. تضاعف اجرها ، وان افضل اوقاتها ابان شهر رمضان .. وهذا بالنسبة لمن يؤديها منفردة عن الحج .. اما من جمعها مع الحج فى اشهر الحج فلا شك فى افضلية هذا الجمع على الانفراد (على رأى الحنفية) وهذا يعنى ان من اراد الاتيان بالعمرة على أحسن وجوهها منفردة ففي رمضان ومن أراد الاتيان بالحج على أحسن وجوهه ، قرنه بالعمرة فى أشهره ، وان كان للمالكية والشافعية رأي اخر .

وقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته اربع مرات كلهن بعد الهجرة .. وكلهن فى ذى القعدة .. كلهن من خارج مكة .. بمعنى انه احرم بهن جميعا فى شهر ذى القعدة ..

ولم يحرم الرسول عليه الصلاة والسلام بعمراته فى رمضان ، مع انه ارشدنا الى ان شهر الصيام هو افضل اوقات العمرة .. لان رحمته بأمته اقتضته

احيانا ان يترك الشيء لا رغبة عنه .. بل تلطفا بأمته لانه كان بالمؤمنين رحيما .. حتى لا تقع الامة فى الحرج بمواظبتها على ذلك ، ونظير هذا قوله عليه الصلاة والسلام : (لـولا ان اشـق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

روى ابن عباس رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم « عمرة فى رمضان تعدل حجة » وفى طريق لمسلم « .. تقضى حجة » او « حجة معى » وفى رواية لابى داود « تعدل حجة معى من غير شك » .

وكانت عمرات الرسول عليه الصلاة والسلام فى فترات متباعدة .

الاولى : عمـرة الحديبية فى السنـة السادسة من الهجـرة ، وقـد صـده المشركون عنها عنادا وتعنتا .. وانتهى الامر الى صلح الحديبية الشهير..ونحر الرسول الهدى ، وحلق هو واصحابه ، ورجع الى المدينة .

الثانية : عمرة القضاء .. وكانت فى العام التالى ، لتكون قضاء عـما فاته فى السنة السابقة ، وقد سماها بهذا الاسم جمهور الصحابةوالسلف رضىالله عنهم .

الثالثة : عمرة الجعرانة حيث قسم غنائم حنين ، وذلك انه فى عودته من تلك الغزوة سنة ثمان دخل مكة ليلا بهـذه العمرة .. وخرج منها ليلا الى الجعرانة .. ومن ثمة خفيت على كثير منالناس .

الرابعة : عمرته التى قرن بها حجته الاخيرة في السـنة العـاشرة ، والتي سميت حجة الوداع وقد أحـرم بها فى ذى القعدة ، وفعلها فى ذى الحجة .

وليس لأدائها وقت محدد .. فجميع السنة وقت للاداء .. الليل والنهار فى ذلك سواء .. ما عدا خمسة ايام يكـره فيها فعلها وهي يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق الثلاثة، ومع هذا فلو اداها فى هذه الايـام الخمسة صـح اداؤها ، ويبقى محرما بها فيها .. لان الكراهة ليست لذات العمرة فهي عبادة .. وانما لغيرها .. وهو تعظيمامر الحج وتخليص وقته له .. فيصح الشروع فيها مـع الكراهة . .قال ابن عبـاس رضى اللـه عنهما « يوم عرفة ويوم النحر وثلاثة أيام التشريق .. اعتمر قبلها او بعدها مـا شئت » .

والصحيح انهاسنةمؤكدةلا فريضة(١) ... لان الفرض هو الحج وحده بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت مـن استطاع اليه سبيلا »فقد نزلت هذه الآية الكريمة فى آخـر السنة التاسعة بعـد العاشر من ذى الحجة على ارجح الاقوال .. وبها فرض الحج .. اذ كان وقتـه الصحيح قد حل اوانه ، ودخل مرحلة التوقيت الحقيقى .. وذلك ان الزمان بعد نزول هذه الآية الكريمة مباشرة، كان قد دار دورته ولف لفته بعد ان اخرجه عن سننه المنظم .. ما ادخله اهـل الجاهلية من النسيء الذين كانوا يقدمون فيه بعض الشهور على بعض ويتلاعبون بمواقيتها .. حتى انتهى بـه المطاف فى السنة العاشرة للهجـرة الى وضـعه الطبيعي كما خلقه الله تعالى يوم فطـر السماوات والارض ، وبذلك استقر يوم عرفة فى التاسع من ذى الحجة فى السنة العاشرة ، وهـذا هو السر فى تأخـير فريضة الحج الى تلك السنة الاخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم .. اذ علم الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه

---

(١) ويرى الشافعى واحمد انها فرض كالحج . بينما يرى أبو حنيفة انها واجبة وقد سار الكاتب فى ذلك على راى مالك (الوعى)

ان الزمان سيستدير كهيئته ، فتعود عشر ذى الحجة الى مقرها من العام ، ويشهد لذلك قوله عيه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض» ولذا لم يحج عليه الصلاة والسلام فى السنة التاسعة .. وانما ارسل لامارة الحج ابا بكر رضى الله عنه .

واما قوله تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله » فقد نزلت فى السنة السادسة من الهجرة ، وهى لا تفيد الا وجوب الاتمام ، وذلك بعد الشروع فيهما .. وكل من شرع فى عبادة ولو نفلا وجب عليه اتمامها . بقوله تعالى « ولا تبطلوا اعمالكم » واقترانها بالحج لا يفيد حتمية الوجوب ، فهو مثل قولنا « صم رمضان وستا من شوال » !!

وتتركز اعمال العمرة فى الامور الآتية على الترتيب : الاحرام من الميقات ، والطواف سبع مرات ، ثم السعى بين الصفا والمروة سبعا كذلك ، واخيرا الحلق او التقصير الذى تنتهى به اعمال العمرة . والمرأة فى جميع ذلك كالرجل غير انها لا تكشف رأسها ، وتكشف عن وجهها، ولا ترفع صوتها بالتلبية ولا ترمل فى الطواف ولا تهرول بين الميلين ولا تحلق رأسها ولكن تقصر .. ويرى ابو حنيفة رضى الله عنه ، ان كل من يمر بمواقيت الاحرام فى طريقه الى مكة لا يجوز له المرور الا محرما بحج او عمرة ، ووافقه فى ذلك مالك والشافعي فى القديم الا اذا تكرر مروره لقضاء مصالحه .. فلا يلزمه الاحرام فى كل مرة .

وبهذا صارت العمرة تعبيرا عمليا عن تحية البيت الحرام ، اتخذ طابعا منظما لا ينبغى لغير الكعبة ولا يليق بمن يؤم الاراضي المقدسة ان يجهله او يتجاهله ، ولقد تشدد بعض الائمة فى المطالبة بالعمرة حتى جعلها الشافعي واحمد رضى الله عنهما فريضة كالحج ، وابو حنيفة رضى الله عنه قد رأى فيها عبادة فوق السنة ودون الفرض وسماها « واجبا » ، ومالك رضي الله عنه قال : انها سنة مؤكدة مستدلا بما روى ان اعرابيا قال يا رسول الله : العمرة واجبة مثل الحج ؟ قال «لا، ولكن ان تعتمر خير لك» وروى عنه عليه الصلاة والسلام «الحج جهاد والعمرة تطوع » ويدل لذلك قراءة على وابن مسعود والشعبى « واتموا الحج والعمرة لله » برفع العمرة ونصب الحج كانهم قصدوا بذلك اخراجها من حكم الحج وهو الوجوب .

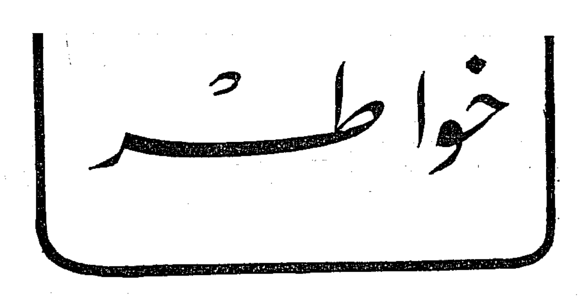
وبعد :

فقد تبين مما تقدم :

ان العمرة سنة مؤكدة . وانه لا وقت لها .. ويكره ايقاعها فى خمسة ايام . يوم عرفة . ويوم النحر وثلاثة ايام التشريق .

وان الرسول اعتمر اربع مرات كلهن فى شهر ذى القعدة ، وان افضل اوقات ادائها هو شهر رمضان .

وان اعمالها : احرام ، وطواف، وسعى بين الصفا والمروة ، وحلق ، وتقصير .
وان من الواجب على كل من جاوز المواقيت الى مكة (الا اصحاب المصالح فيها) ان يحرم بحج او عمرة تعظيما للبيت ، ورب البيت « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .





واجبنا نحوهم

في التاسع عشر من يناير الماضي يكون قد مضى على سيطرة الاستعمار على عدن والجنوب العربي نحو مائة وسبعة وعشرين عاما وهي مدة تساوى مدة الاستعمار في الجزائر .. ولقد تحررت الجزائر بحمد الله وبجهود ابنائها ومعاضدة المسلمين والعرب لهم في كل مكان .. وبقيت عدن والجنوب للآن تعاني الآلام من السيطرة الاجنبية .

ونحن لا نذكر هذا الآن رصدا منا لتاريخ الاستعمار في بلادنا ، ولكنا نريد ان نقول ان البلاد الاسلامية التي نالت استقلالها ، وتمتعت بحريتها تقع على عاتقها مسئولية كبرى نحو أخوان لهم لم ينالوا طعم الحرية بعد .. ويجاهدون الآن ، ويبذلون اموالهم ، ودماءهم طمعا في تذوق هذه الحرية .. والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ..

ومن هنا يتحمل كل مسلم على وجه الارض مسئولية نصر أخوانه ، ومساعدتهم على التحرر ، ويتحمل المسلمون العرب النصيب الأوفى من هذه المسئولية ..

ولقد اعتبر الاسلام المسلمين جسدا واحدا ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. واعتقد ان المسلمين الذين تمتعوا بحريتهم واستقلالهم لا يطيب لهم طعم هذه الحرية ، ولا يهنأ لهم بال بالاستقلال ، ولهم أخوان لا يزالون يئنون ، ويقاسون من وطأة الحكم الاجنبي .

وكيف ينامون هانئين ، وأخوان لهم لا يغمض لهم جفن من الألم ، ويبيتون ويصبحون وهم يقاسون الام الذل والاستعباد ، والتخلف الذى فرضه عليهم الحاكم الدخيل ؟ !

ولست ادعو بهذا الى مساندة هؤلاء الاخوان في مطاردتهم لاعدائهم فقط ، وانما اريد كذلك ان افتح عيون وقلوب المسلمين الاحرار في كل مكان الى ان اخوانهم في هذه المنطقة ، لا يزالون يعيشون متخلفين فيميادين العلم ، والصحة ، ومرافق الحياة الأخرى .. وليس من الاسلام في شيء ان ننعم بأموالنا حتى البذخ والترف ، ونوفر لأنفسنا مظاهر التقدم العلمي والصحي ، ولنا أخوان يحتاجون الى ما نبعثره في لهونا ومتعنا ، ليسدوا به ضرورة من ضروراتهم الملحة في نواحي التعليم والصحة وغيرها ..

وليس مما يشرف المسلم مهما يكن حظه وافرا من العلم ، والثقافة ، والصحة ، والتقدم الحضارى بصورة عامة ان يكون له اخوان متخلفون .. فأن الجسم لا يحس طعم الصحة والراحة وعضو من اعضائه مريض .

ومعانني اعرف ان الدول الاسلامية ، أو بعضها لها جهود مشكورة في هذه

الناحية — ومنها الكويت — فانني اطالب بالمزيد ، أو بتركيز العناية على هذا المجال لا من الحكومات فحسب ، ولكن من اثرياء المسلمين كذلك ..

تحريف

جاء فى الصفحة الاخيرة من مجلة هدى الاسلام التى تصدر فى الاردن عدد رجب ١٣٨٥ هـ سؤال موجه الى مفتى المملكة يقول السائل فيه « انه قرأ فى مجلة الوعي الاسلامي » الكويتية العدد الرابع (ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ) تحليلا بأخذ فائدة من البنك وقدرها ٢٪ على ان تستغل لصالح المسلمين » هكذا !!

وأحب ان أبادر اولا فأقول للسائل ان الذي قرأه ليس فيه تحليل لأخذ الفائدة . ولم يذكر فيه مطلقا لا ٢٪ ولا اكثر ولا اقل ولا أدرى من اين أتى السائل بها . .

والذى قرأه السائل هو رد لجنة الفتوى بالأزهر على سؤال وجهته « الوعي الاسلامي » عما يفعله المسلم الذى أودع ماله فى بنك اجنبي وترك فائدته فاستغلها البنك فى مشاريع تتنافى مع الاسلام ومصلحة المسلمين . فهل للمسلم ان يأخذ الفائدة ويستغلها لمصلحة المسلمين بدلا من تركها للأجانب يستغلونها ضد مصالح المسلمين .. فكان رد لجنة الفتوى بالازهر ان هذه الفائدة حرام . ولكن امام هذه الحالة يمكن المودع ان يتسلم الفائدة من البنك ويصرفها فى مصالح المسلمين عملا بارتكاب اخف الضررين . وهذا لا يقتضي اباحة التعامل الربوى بوجه ما .

وارجو من السائل ان يكون دقيقا فى كلامه ونقله كما ارجو من فضيلة المفتى ان يرجع الى ما جاء بالعدد الرابع من مجلتنا . — وقد ارسلناه لفضيلته — ويوافينا برأيه بعد الاطلاع عليه .

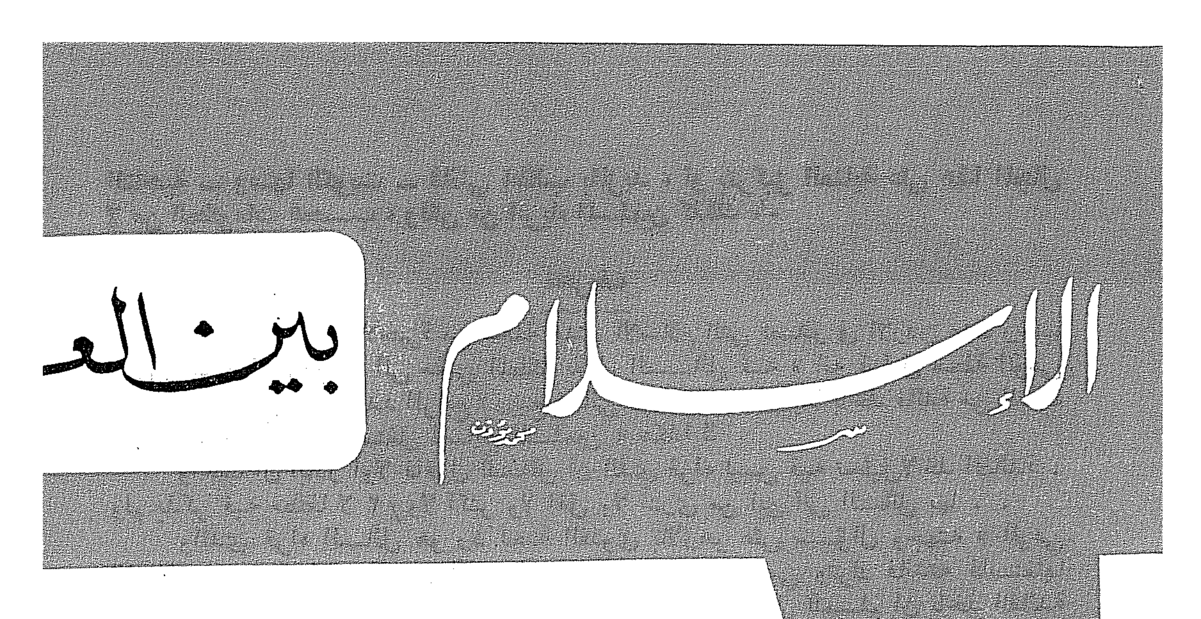
مع الأسف

تكرر فى عيد الفطر — مع الاسف — ما حدث فى بدء الصوم وما حدث فى كل سنة من بلبلة حول تحديد موعدهما كأنه أصبح من لوازمهما هذه البلبلة وهذه المرارة التي تملأ النفوس ، وتنطلق الألسنة تتحدث عنها مع فرحة العيد وبدء الصيام . . ولا أعتقد ان هناك انسانا لم يتحدث عن هذا الموضوع مرة ، ومرتين وفى كل مجلس . وكان أغرب ما نشر هو ما حدث فى باكستان فبالرغم من ان بعض البلاد العربية كالكويت والسعودية كان العيد فيهما يوم الجمعة ، وكان فى البلاد العربية الأخرى كما أعلم يوم السبت ، فان حكومة باكستان اعلنت ان العيد عندها هو يوم الاحد ، ومع ذلك ثار بعض الناس هناك على ما اعلنته الحكومة ، يريدون ان يكملوا رمضان ثلاثين يوما بصيام يوم الاحد .. يعني انهم بدأوا الصوم هناك متأخرين عن أغلب البلاد العربية بثلاثة أيام !!

وهذا شيء فى منتهى الغرابة . أالى هذا الحد يقع الاختلاف بين البلاد الاسلامية فى بدء عبادتها السنوية وتعيين يوم عيدها ؟ ! !

اعود فاقول بلسان كل مسلم الى متى تستمر هذه الظاهرة ، وتتكرر كل عام . . ان المسئولين فى كل دولة مسلمة مدعوون من كل مسلم ان يضعوا حدا لهذه البلبلة . . وفى امكان الجامعة العربية ان تتقدم بعمل مشكور فى هذا الامر الهام . بعد أن يقدم المجلس الاعلى للبحوث الاسلامية بالازهر رأيه بناء على المذكرة المرفوعة من فضيلة مفتى الجمهورية العربية المتحدة الى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر فى هذا الموضوع . .

لعل وعسى ، حتى نستريح ، ولا نعود فى العام القادم ، لنكرر مع الناس كافة نغمة الاسى والأسف من هذا الاختلاف . . .



للاستاذ
حسن الشيرازي

١ : ـ تحديد الموقف

انا حريصون على تبيان موقفنا ، في هذا العالم المزدحم بالأهواء والأفكار ، علما بأنه لا ينفعنا اليوم وكل يوم لا الانتهازيون ولا المنافقون : الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، وانما يعتز الاسلام بالمخلصين : الذين لا تزعزعهم الزوابع والأعاصير ، لذلك نبالغ في وضع النقاط على الحروف .. فالزرع لا يهتز على ساق الا بعد استئصال الاشواك، وتطهير التربة من السموم والديدان ، والبناء الشامخ الوطيد لا يتركز على بقايا العهد المباد . وانما يكون بالهدم ، والتشييد من جديد . كما هي سيرة الأنبياء والمفكرين ، وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا .

فنحن على أى حال في معترك صارم ، فيجب أن نعاضد الداخلين ، ونطارد الدخلاء ! ! .

وهذا المقال يحتوى على موضوعين متباينين نسبيا ، ولكن تجمعهما فكرة واحدة هي : ان الاسلام دين يجب ألا يعتمد لا على الاستشراق ولا على العلم الحديث . لذلك أوردناهما كموضوع واحد .

العلم الحديث والاستشراق

لقد أولع البعض بتطبيق الاسلام على العلم ، زاعمين انهم يؤدون بذلك أوسع رسالة انسانية ، ويوفرون للاسلام عوامل البقاء والخلود .. ! وهؤلاء فى موقفهم هذا يشبهون أولئك الذين عاشوا فى القرون الهجرية الأولى ، وكانوا يتكلفون تطبيق الاسلام على اكتشافات (بطليموس) ، وفلسفة (افلاطون) و (أرسطو) و (سقراط) .. !!

موقف الدين من العلم

كان هؤلاء يجهلون موقف الدين من العلم . ! ويحسبون ان الدين يجب ان يؤخذ من العلم .. ! ولا يعلمون انهما أمران متمايزان — وفى نفس الوقت — متجاذبان متداعمان ، فالعلم يدعو للايمان والايمان يدعو للعلم .

وكلاهما يرمى لهدف واحد ، فالله تعالى لما اطلق الانسان فى متاهات الحياة وملتويات الاجتماع ... جعل له رسولين فى مسراه الطويل ! هما الرسول الظاهر (النبي) والرسول الباطن (العقل) .

فهمة الدين تنظيم الحياة بأقرب الطرق ، وأدق الأساليب...!ومسئولية العلم ان يوفر للانسان وسائل الراحة والهدوء والرفاه !! .

على ضوء ذلك نرى ان الدين والعلم يعملان لسعادة الانسان .. فهما كمصراعي الباب .. لا يستغني البشر عنهما كما لا يستغني احدهما عن الآخر ، فلا خير فى دين يمنع عن العلم .. كما لا خير فى علم ليس معه دين ! ! .

غير ان الدين لما كان أدق وأثبت — حيث انه مأخوذ عن الله تعالى بمباشرة الوحي — كان على العلم ان يسير على ضوء الدين ، حتى لا يضر المجتمع عن قصد أو غير قصد ... اما اذا استقل العلم عن الدين ، فأخذ يكشف الموت والحياة ، ويخطىء ويصيب فليس على الدين أن يسايره ويقرر أخطاءه ...

التطبيق خطأ

فاذن ليس من واجبنا تطبيق الاسلام على النظريات الحديثة ، بل ربما يضر الاسلام ذلك ، ويعرضه للتضعضع والانهيار ! ! فانا لو اعترفنا بمبادىء الاسلام لأن العلم الحديث يقررها ، كان ذلك في الحقيقة تصديقا للاسلام ، تبعا للايمان بالعلم الحديث ، والعلم ليس مضمون البقاء ، لأنه يعتمد أكثر ما يعتمد على النظريات والتجريبات ، وهي ابدا مضطربة المنقلب والمصير ، فالعلم أثبت بالامس ما خطأه اليوم ، وسينكر الغد اكثر ما قرره اليوم ! ! .

ولقد جاء (دارون) يهز العالم بفلسفته .. فلما عرضت مزاعمه على مختبر الحياة ، وتناولتها افكار المدققين، انقشعت عن أوهام وأخطاء .. وانني أؤكد ـ على ثقة ودراية ان اكثر النظريات الحديثة التي لا تعتمد على الحس ، سوف تتبخر ـ بعد سنوات ـ ضبابا هائما ، يتضاءل امام اشعة العلم ، التي تحملها الينا نوافذ الغد .

فلو آمنا بالاسلام لشهادة النظريات الحديثة فحسب ، لكان مخاطرة بالاسلام كله .. لأن هذه الأفكار أو أكثرها ، ستنهار على عتبة المستقبل ، ويتبعها الاسلام على هذا الحساب .

قصور العلم الحديث

ولو ان العلم الحديث وحده كان يستقل بتنظيم الحياة تنظيما شاملا دقيقا ، لما بعث الله رسولا ...

واذا كان العقل والعلم يستغنيان عن الرسل ، لكافحا المآسي والويلات المتفشية اليوم فى كل قطر من العالم . ، فلا بد لنا من الاعتراف بأننا فى حاجة ماسة الى اتباع تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان لم نعقل فلسفتها . ، لأنه لا ينطق الا عن الله الذى احاط بكل شيء علما ، وأن نرضخ له بالطاعة المستمرة ، كما نخضع للطبيب وكما يسمع الجندى الأمين لقادته .. ـ على أقل تقدير ـ ...

غير أن هناك قوما يرفضون بعض شرائع الاسلام، بمجرد ما يسمعون بها ، ودون أن يراجعوا مصادرها ويطلعوا على فلسفتها ، وكأن هؤلاء يتصورون ان ثقافتهم المحدودة مقياس الخطأ والصواب فى كل شيء ... حتى اذا لم يلتئم شيء مع ذوقهم الفني المحيط حكموا بسخافته

وهؤلاء يشبهون ذلك المريض ، الذى يصف له الطبيب دواء ، فعندما يسمع المريض باسم الدواء يرفضه ، ويحكم حكما باتا بخطأ الطبيب دون أن يعرف المرض او الدواء ، لمجرد ان الاسم بدا متنافرا مع ذوقه .

ومما يجدر بالذكر ان جماهير المسلمين اليوم لا يعرفون شيئا من مصادر التشريع الاسلامي ، دع عنك فلسفة التشريع الاسلامي ... ، وأريد ان اوقفك الآن على مثال نموذجي لما أقول .. فانت ايها القارىء العزيز ! راجع ثقافتك ومحفوظاتك هل تحفظ الف حديث من الاسلام . ! ! اكثر الظن ان الجواب ٩٨٪ يكون سلبيا وأظنك تصدقني فيما أقول ... !

واذا كان ٩٨٪ من خيار المسلمين الذين يقرأون مثل هذه المجلات لا يحفظون الف حديث من الاسلام .. فبالطبع ان ٩٩٪ لا يعرفون فلسفة الاحكام .

ومتى كان الأمر هكذا فهل من الجائز على المسلم .ان يرفض بعض احكام الاسلام لأنه لا يتفق مع ثقافته البدائية .. ؟ كلا .. ثم كلا ..

ايمان ناقص

ثم ان من يتوقف فى ايمانه بالاسلام على موافقة العلم الحديث ، لن يكون مستسلما لله والرسول .. لأنه لا يعترف الا باحكام تتفق مع ثقافته المحدودة ، واكثر الناس لا يستطيعون الاحاطة بفلسفة الاحكام .. وانما يرضخون لما عرفوا حكمته ، ويرفضون ما لم يفهموا منه شيئا .. فيكونون أشبه باليهود الذين تهكم القرآن بهم صارخا فى وجوههم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

فلهم الخزى فى الحياة الدنيا ، لأنهم لا ينخرطون فى سلك واحد ، وانما يأتمرون بهواجسهم التائهة ، فيكونون عقدة فى الصف ، ومبعثا للتفرقة والانشقاق ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ، لأنهم لم يؤمنوا بدين ، وانما آمنوا بآرائهم الخاصة .

نؤمن بالحقائق

ولكنا نؤمن بالاسلام ، وقد كنا وسنبقى ، ولا نزال مؤمنين به ، لاننا نملك ملايين الأدلة الحسية والفطرية الصادقة على صحة مبادىء الاسلام كلها ، وبين يدينا البراهين التي استدل بها النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء لاقرار حقائق الاسلام . ولا يعوزنا دليل حتى نطلبه فى العلم الحديث ، وان كان يتفق مع أصول الدين وفروعه ، بيد انا لا نفرح بموافقته ، ولا نستاء لمخالفته .

لذلك سواء علينا . أأشرق الصباح عن غياهب المستقبل الغامض ، أو انتشرت سدف الظلام .. وسواء لدينا أأضمر الغد فشل العلم الحديث ، أو نجاحه ..

فلسنا نهاب فشل العلم الحديث ، لأننا لم نبن ديننا عليه ! ! ولا نخشى اتساعه ، لأنه معنا على أي حال ! ! . وان كنا نحب العلم اكثر من كل احد ، حيث اننا نعرف قيمته الذاتية والاجتماعية اضافة على ان ديننا يحفز على انتشاره وتوسعه .. وقد كنا آباء العلم الحديث وسنعود ..

لا نرفض الحق !

كل ذلك ! ونحن نعترف بحقائق العلم الحديث!ونعرفها احدى بينات الاسلام . وان كنا لا نعول عليها وحدها !! فلسنا من المتطرفين الذين يدوسون تراثهم الفكري العتيد بما يلقى اليهم من طارف جديد ، وكثيرا ما نستدل للاسلام بالعلم الحديث ، ونضفيه على تلك الحجج الواضحة ، لأولئك المسلمين الذين طال عهدهم بالاسلام الموروث ، على حين ابتعادهم عن الاسلام الفكرى الاصيل العميق .. تبعا لافتتانهم بالغرب ، وكل ما يأتي من الغرب من غث وسمين ، حتى أصبحوا وهم لا يعرفون الاسلام الا ترفا عقليا ، وطقوسا خاوية ، وتقاليد مموهة ..

مع العلم بأننا لا نرفض البراهين العلمية الواقعية المقتبسة من الحقائق على ضوء العقل ، والفطرة الثاقبة ، لا الآراء التي تنبثق من الافكار الضيقة ، والعقول الصلفة التيطغتعليها العواطف والاسماء ، والبيئات ، والضمائر التي ماتت فى معترك الصراعبينالمادةوالتيارات الجانبية المتخثرة ، والأدمغة النفعية الموتورة والمأجورة .

موقف الاستشراق

كبعض المستشرقين الذين يحاولون الوقيعة فى الاسلام . ولا أنكر ان فيهم من يشعر بوخز الضمير ، وطهارة الايمان ، ولكنهم على أى حال ، ينتمون الى زمرة تحمل مسؤولية التجسس والاغتيال ،لأنهم بحكم وظيفتهم يترصدون للاسلام ، ويكشفون عورات المسلمين ، والمستشرقون — جميعا — من ذيول الحروب الصليبية ، التي لا تزال خيوطها ممتدة فى بلاد المسلمين ! !

حروب باردة

ولقد زحف الغرب المسيحي — اكثر من مرة — على بلاد المسلمين،فباء بالفشل الذريع ، عند ذلك علم ان القوة لن تنال من المسلمين ما داموا مسلمين، فاستخدم بعد الحروب الصليبية هذه الطريقةوهي العمل على التفرقة بين الاسلاموالمسلمين ... حتى لا يبقى مجتمع اسلامي فى بلاد المسلمين ، وذلك انما يكون عن طريق نشر المستشرقين ، لأنهم يؤدون واجب التجسس والاستهتار بالاسلام فى وقت واحد ، فمهمة الاستشراق : ان تضعف ثقةالمسلمينبالاسلام ليفارقوه قليلا .. قليلا .. ثم يعتنقوا مبدأ أى مبدأ ؟ وعند ذلك يسهل للاستعمار السيطرة عليهم متى شاء ، لأن الاسلام

هو الدين الوحيد الذى يتمكن من مقاومة المبادىء الهدامة والمستعمرين ، والتغلب عليهم فى كل مجال . فالاستشراق اذن رائد الحملات النكراء ضد الاسـلام ، والمستشرقون دهاة متلصصون جندهم الاستعمار ليحاربوا الاسلام بهذا الاسلوب (١) . . . .

أحسنوا الظن

غير ان المسلمين يحسنون الظن بالمستشرقين ، ويحسبونهم اناسا طيبين محايدين يرحلون الى الشرق الاسلامي ليعرفوا الحقائق ، ويختاروا الدين الصحيح . . . ولذلك عندما يزور بلادنا مستشرق من أى مكان نحتفى به ونضع بين يديه اسرارنا وأوضاعنا ، ونحدثه عن كل ما يريد برحابة صدر ، وتدفق ايمان . ، ثم نصغي اليه طويلا ، ونلتقط كلماته بكل دقة واكبار ، فاذا كان فى اقواله كلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او الاسلام ، او القرآن ، تهللت أسارير وجوهنا فرحا واستبشارا بهذا الفوز والنجاح ، حيث نظن ان احتفاءنا به وتحدثنا اليه جعله مسلما اصيلا سوف يرجع الى بلاده وينشر الاسلام فى اقطارها ، فيكون ثواب ذلك عائدا الينا ـ والحمد لله ـ .

أما لو كتب فى الاسلام كتابا ، فكأنه الوحي المقدس ـ ما فى ذلك من شك ! ولا يستطيع احد منا مناقشته ، ولا الرد عليه ، فهو لا يتكلم الا عن خبرة واطلاع (٢) .

وهكذا يكتبون فى الاسلام الكتب ، والمقالات الطوال ، ليدسوا السم فى العسل ويثبتوا معاولهم على كيان الاسلام من حيث نحسن الظن بها ، ونأمل كل الخير منها . . .

وهؤلاء ان اختلفت اساليبهم ومخططاتهم لكنهم لا يتفرقون فى شيء الا ليتحدوا فى نقطة واحدة هي تشويه معالم الاسلام فى الصميم ، لانهم لا يهدفون الا المراكز الرئيسية ، والنقاط الحساسة . . واليك بعض منهم .

١ ــ بلييف .

المستشرق الكبير ، يقول عن الاسلام : (الاسلام ليس سوى صورة من صور الحنفية) . ويضيف قائلا (ان ابلغ مثال كامل غير متذبذب للحنفية يوجد فى تعاليم (مسيلمة) . . ثم يستطرد قائلا : (ان مسيلمة كان معاصرا أسبق ، ومعلما ثم حليفا فيما بعد لصاحب الشريعة الاسلامية . .) وقال (ان المؤرخين العرب احتفظوا بمقتطفات من المواعظ التى ادلى بها مسيلمة ، فاذا بها فى محتوياتها ونصوصها تكاد تسابق السور المكية . .) .

ويزعم هذا المستشرق (. . ان القرآن اشترك فى وضعه اناس من جزيرة العرب وخارجها ، وليس من تأليف شخص فرد (يعني النبي !) اذ أنه يجد مادته شديدة

(١) هذا الاسلوب هو دراسة تراث الشرق والكشف عن ذخائره . وقد انتجوا فعلا فى هذه الناحية ما لا يمكن انكاره ولكنهم عن هذا الطريق ينفثون ما يريدون من زعزعة لعقيدة المسلمين (الوعي) .

(٢) ربما كان فى هذا الحكم شيء من المبالغة ولكنه رأى الكاتب (الوعي) .

التنوع والاختلاف ، وكذلك ديباجته ..) (١)

أرأيت هذا المستشرق كيف ينادي بوقاحته المطبوعة ان مسيلمة كان معلما للنبي ونصوص قرآنه تكاد تسابق نصوص القرآن ؟؟

أرأيت شخصية المستشرقين الذين يكتبون عن الاسلام ؟ انهم جميعا من هذا النوع ، وان اختلفت مناهجهم وأساليبهم ... !!

٢ ـ كارل بروكلمان .

يقول ـ فى تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم (.. ولكنه على ما يظهر اعترف فى السنوات الاولى بآلهة الكعبة الثلاث اللواتى كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله . وقد اشار اليهن فى احدى الآيات الموحاة اليه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ...) (٢)

وعندما يتكلم عن ثقافة النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بهذه الكلمات (.. وليس من شك فى ان معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد الحدود ، وحافلة بالأخطاء ، وقد يكون مدينا ببعض هذه الاخطاء للاساطير اليهودية ، التي يحفل بها القصص التلمودى . ولكنه مدين بذلك دينا اكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة وحديث الاسكندر وغيرها ..) (٣)

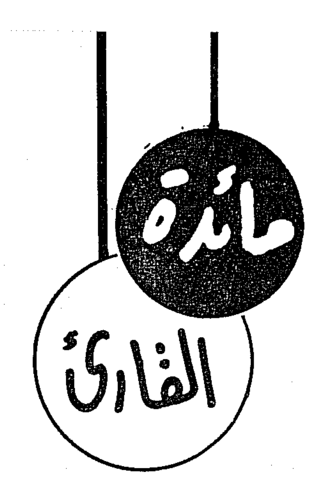
وحينما يبحث عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، ويقرر ان النبي صلى الله عليه وسلم تأثر فى اتجاهاته الدينية باليهود ، وانه وضع الصلوات الخمس ، وصلاة الليل، وصلاة الجمعة ، والاذان والوضوء .. ليكسب اليهود .. بعد ذلك يقول (.. ولم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه ، وبين احبار اليهود ، والواقع انهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل فى تلك البقعة النائية كانوا يفوقون النبي الامي فى المعلومات الوضعية وفى حدة الادراك ...) (٤)

ولما يكتب عن الجانب اللاهوتى من تعاليم محمد يستطرد الى حيث يقول (.. ولكن القسم الاعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ الا بعد قرنين من ظهور الاسلام ..) (٥)

وحيث يقلب صفحة يزيد بن معاوية ، ويعد الناقمين عليه يقول (... وكان زعماء الارستوقراطية الاسلامية الحسين ثانى ابناء على (٦) . ورجلين آخرين لم يتحدا مع الحسين فى فكره ، ثم يسترسل الى حيث يقول (.. والحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين ، والتي لم يكن لها أى أثر سياسي ..) (٧)

البقية على ص ٧١

(١) انظر ثورة الاسلام ص ١٣ ـ ١٤ احمد زكى ابو شادى
(٢) اقرأ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ٣٧
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣ .
(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥٢ ـ ٥٤
(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٨٤ .
(٦) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٣
(٧) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٤



المحافظة على امـوال الشعب

جاء عتبة بن سعيد الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكان صديقا له فقال : ان سليمان ابن عبد الملك كان قد أمر لي بعشرين الف دينار ، حتى انتهت الى ديوان الختم ، ولم يبق الا قبضها ، فتوفى على ذلك وأنت يا أمير المؤمنين أولى باتمام الصنيع ، فقال عمر : عشرون الف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين ، وأدفعها الى رجل واحد ؟ والله ما لي الى ذلك سبيل .

اتخذ خاتما من حـديد

بلغ عمر بن عبد العزيز ان احد اولاده اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم ، فكتب اليه : أما بعد . فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به الف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغي قال تعالى : يأيها الناس انما بغيكم على انفسكم .

والمكر قال سبحانه : ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

والنكث قال عز من قائل : فمن نكث فانما ينكث على نفسه .

افضـل الطعـام

قيل لبعض الحكماء اى وقت الطعام فيه اطيب وافضل ؟ قال أما لمن قدر فاذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فاذا وجد .

ما يحمد فى القاضي وما يكره

ثلاث اذا كن فى القاضي فليس بكامل اذا كره اللوائم ، وأحب المحامد وكره العزل .

وثلاث اذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وان كان عالما ، ولا يسمع شكية من احد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى اذا علـم .

طول العمـر

قال الاصمعى لاعرابي جاوز المائـة : ما أطول عمرك يا اعرابي !!
فرد عليه : تركت الحسد فعمرت !

حلم

تحدى أعرابي صديقا له ، فلم يلتفت اليه ، فقال له : يا هذا اياك أعنى فأجابه : وعنك أعرض !

النمام مخذول

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز فذكر عنده وشايةفيرجل فقال ان شئت حققنا هذا الامر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية « هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود اليه أبدا .

الكبر والمشيب

قيل لشيخ : ما بقي منك ؟ قال يسبقنى من بين يدى ، ويدركنى من خلفي ، وانسى الحديث ، واذكر القديم ، وانعس فى الملا ، واسهر في الخلاء،وان قمت قربت الأرض منى،واذا قعدت تباعدت عني .

أسرع من الضوء

قيل لعلي كرم الله وجهه : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .

دعاء

اللهم اني استغفرك من كل ذنب قوى عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطت اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيه عن الناس بسترك ، واتكلت فيه على اناتك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .

يطعمه ثم يقيده

سمع ابو الاسود رجلا يقول : من يعشى الجائع ؟ فقال : علي به .فعشاه ثم اراد السائل الانصراف ، فقال له ، أين تريد ؟ قال أريد أهلي . قال هيهات علي الا تؤذى المسلمين الليلة ، ووضع فى رجله القيد حتى أصبح .

نصيحة

شهد الحسن البصرى جنازة فقال لصاحبه :

أترى لو رجع الىالدنيا لعمل صالحا ؟

فقال صاحبه نعم .

فقال الحسن : فان لم يكن هو فكن أنت !!

رد حكيم

قيل لحكيم : كيف حال اخيك ؟ فقال : ان أخي قد مات . فقيل له : وما سبب موته ؟ فأجاب : حياته !!





للاستاذ محمد شمس الدين
مستشار محكمة الاستئناف بطرابلس ــ لبنان

عرف العرب القضاء ــ احد مقومات دولتهم الكبيرة ــ مؤسسة تطورت وازدهرت ، ولم تلبث بعامل التفاعل الحضاري والنمو الذاتي ان اصبحت في اواسط العصر العباسي علي شأن عظيم من الرقي تنظيماً وشمولاً ..

ولا بد للباحث فى تاريخ القضاء عند العرب من أن يرجع قليلا الى ما قبل الاسلام حيث لم يكن للقضاء شخصية مميزة ، وحيث كان نظام التحكيم السائد آنذاك ، هو كل شيء ..

والواقع ان التحكيم على ما عرفته الجاهلية لا يعد قضاء بالمعنى الموضوعي والاصطلاحي ، وانما يصح اعتباره مخرجا يلجأ اليه المتخاصمون لحل قضاياهم ، يرتكز عنصر « الالزام » فيه على رضى الطرفين ، وليس على القوة التي يتمتع بها حكم القاضي ، اذ ينفذ بالاكراه عند التمتع ..

ولمعرفة ميزات كل من القضاء والتحكيم على وجه دقيق نذكر الفوارق التالية : ــ

أولا : ــ القضاء منصب رسمي ، ومظهر من مظاهر الدولة وتنظيماتها ، اما نظام التحكيم فعماده افراد مختارون من قبل الناس لفض النزاعات التي يعرضها ذوو العلاقة ، بمعنى ان القاضي يضع يديه على الخلاف تلقائيا وباسم الدولة ، بينما يظل المحكم بعيدا عن المشكلة حتى تعرض عليه .

ثانيا : ــ لا أثر للالزام فى التحكيم اذ باستطاعة احد الطرفين ان لا يحضر مجلس الحكم ، اما فى القضاء فان للقاضى





سلطان السير فى المحاكمة بغياب المدعى عليـه .

ثالثا : ـ فى حال صدور قرار مـن قبـل المحكم ، يبقى الخيـار للطرفـين المتخاصمين فى تنفيذ القرار او اهماله ، او الانتقال الى محكم ثان فثالث،فالولاية هنا مرهونة برضى المتخاصمين ، أمـا قرار القاضي فله حرمته وقوته الملزمة المؤيدة بسلطة الدولة ..

يتبين مما تقدم ، ان التحكيم يستمد قوته من تراضي المتخاصـمين ، بينما يرتكز القضـاء على عنصر الالـزام فى المحاكمة والتنفيذ كما أسلفنا ..

ولا نكران فى أنه كانت عند العـرب طائفة من المحكمين ، اشتهرت بسـعة الاطلاع ، ونفوذ الفكر ، وقوة الاستنتاج، والتجرد والنزاهة ، عـرف منهـم بنو سهم فى مكة ، والاقرع بن حابس ، واكثم ابن صيفي ، وعبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليـه وسـلم ، وهند الايادية ، وحذام بنت الريان التي قيل فيها : ـ

اذا قالت حـذام فصـدقوها
فان القـول مـا قالت حـذام

على انه فى سياق الكلام على التحكيم والمحكمين فى العصر الجاهلي لا محيد عن ذكر رئيس العشيرة الذى كان يفصـل بحكم منصـبه بين الافراد التابعين لـه خشية اضـطراب حبل الأمن داخـل العشيرة ، وكذلك فان الكهان والعرافين كانوا مفزع كثير من المتخاصمين .

كل هذا اذا لم يتعد الخلاف افراد القبيلة او العشيرة الواحدة ، امـا اذا كان مدار الخلاف افردا من عدة قبائل فالحكم هو السيف وما يستتبعه مـن حرب وافناء ودمـار ، وليسـت عادة الثأر والتربص للقاتل ، او لأحـد أفراد عشيرته بغية اراقة دمه الا شاهدا على صـورة قائـمة مـن صـور الحيـاة الاجتماعية فى عصر الجاهلية ..

النبي والقضاء

في مطلع العهد الاسلامي كانت لا تزال تهيمن على الناس عادات الجاهلية ، فهناك التحكيم ، وهناك الاقتصاص بالذات ، وهناك اللجوء الى الكهان، وكانوا يحتكمون الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكونوا ملزمين بما حكم به ، واستمرت الحال على هذا المنوال ، حتى نزلت الآية الكريمة « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقيل ان سبب نزول هذه الآية الحادثة التالية :ــ

اختصم رجلان الى رسول الله فقضى بينهما ، فقال الذي قضي عليه :

ردنا الى عمر بن الخطاب . فقال عمر : اكذاك ؟ ! قال نعم . قال عمر : مكانكما حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما. فخرج اليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله ! وقد أصبح لحكم الرسول قوة ملزمة ، بمقتضى الآية المشار اليها « ويسلموا تسليما » وبذلك تكون صفة جوهرية من صفات القضاء ، قد تحققت ...

وإذا كان المحكم من قبل غير قادر على اجبار اي من الطرفين بالحضور لديه الا اذا رضي الطرف الآخر ، فقد أصبح الرسول يجبر محكميه ، على ان يحضروا بعد نزول الآية

« واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون. وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون .

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون (١)
وهذه هي الخطوة الثانية نحو القضاء ــ

ــ الأولى هي ان حكم الرسول اصبح ملزما .

ــ الثانية ان واحدا من الخصمين اذا دعي الى الرسول وجب ان يلبي الدعوة ، ولا ضرورة الى وقوع التراضي بينهما على ذلك من قبل .

« خطوتان لم يكن الناس في زمن النبي يحتاجون الى اكثر منهما ، وبهما تمت صفتا القضاء الجوهريتان،فالخصم يلزمه خصمه بالمسير الى النبي ، والنبي يلزم الخصمين معا بحكمه » وبذلك تسقط حجة الذين زعموا أن العرب لم يعرفوا القضاء ، بل انهم اقتبسوه عن الأمم التي تغلبوا عليها كالفرس والرومان.

التنظيم القضائي .. (أول من تولى منصب القضاء)

ليس في المصادر اية اشارة جازمة الى اول من تولى منصب القضاء ، اذ ان النبي حين كان يقضي بين الناس ، انما كان يعمد الى ذلك بحكم ما تنطوي عليه شخصيته ، من سلطة زمنية وروحية ، واذا كان بعض المؤرخين قد ذهبوا الى القول بأن علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل اللذين ولاهما الرسول على اليمن هما اول قاضيين في الاسلام فلأنهم كانوا يرون ان القضاء بين الناس هو من اكبر مهمات الوالي في الولاية التي يدير شؤونها .

على ان الأمر يختلف في عهد الخلفاء الراشدين ، حيث يجمع المؤلفون ، على ان عمر بن الخطاب هو اول من عين قاضيا ، ومن هذا القبيل نقرأ في مؤلف الكتاني « ما اتخذ رسول الله قاضيا ولا ابو بكر ولا عمر ، حتى كان في وسط خلافة عمر اذ قال لعلي اكفني بعض الأمور ، لأن عليا كان أقضى الصحابة

---

(١) سورة النور

وأعلمهم ، ودفع اليه امر القضاء فى بعض الأمور » .

وقد سار معاوية على هذا النهج ، فتخلى عن القضاء وترك أمره الى بعض الرجال الذين كانوا على مقدرة فى الفقه وأمور الدين ، وتمشى سائر الخلفاء الامويين على هذا النمط ، فولوا القضاة على الأمصار .

واختلف الامر فى العصر العباسي ، حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة» الذى تولاه «أبو يوسف» ووكلوا اليه أمر انتقاء القضاة وتعيينهم ، وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ، ومؤسسته الخاصة به .

صلاحية القضاة

كانت صلاحية القاضي بادىء الامر مقتصرة على القضايا المدنية والشرعية ، ثم اخذت تزداد سعة وشمولا حتى اصبحت تتناول كافة الأمور المعروفة فى عصرنا ، وحصرها بعضهم فى المسائل التالية .

١ ــ النظر فى الخلافات الحقوقية بين المتخاصمين .

٢ النظر فى الدعاوى الجزائية ، وهي التي يرفعها المتضررون،او المتعلقة بالحق العام .

٣ ــ النظر فى تنفيذ الاحكام المقضي بها .

٤ ــ النظر فى الحجر على السفهاء والمبذرين والولاية على القاصرين .

٥ ــ النظر فى تزويج الايامى ، اذا امسك أولياؤهن عن تزويجهن .

٦ ــ تصفح احوال الشهود وتزكيتهم.

٧ ــ النظر فى امور الاوقاف ، ، وتولية المتولين عليها .

وفيما يتصل بالصلاحية المكانية ، فقد كان القاضي يولي على مدينة بكاملها ، او ببعض الامور المحكي عنها آنفا ، او يعهد اليه بالقضاء فى جزء من المدينة ولمدة معينة .

وكان اسلوب « القاضي الفرد » هو المعول عليه ولم تشر امهات الكتب الى نظام محاكم الجماعة ، الا ان بعض المؤرخين، يذكرون انه اذا اشكل امر هام، فان عددا من كبار القضاة كان يجتمع لدرسه ، واعطائه الحل الملائم ، على غرار ما نعرفه فى عصرنا الحاضر ، حين تجتمع غرف محكمة التمييز « النقض والابرام » بكاملها للنظر فى توحيد الرأى ...

مظاهر القضاء

كان القاضي يجلس للفصل بين الناس ، اما فى المسجد ، او فى منزله ، او فى مكان يعرف بدار القضاء . وكان القضاة يعنون بمظهرهم ، ويديرون مجلس الحكم بوقار وهيبة ، ويتخذون كتابا لتسجيل الوقائع ، وضبط الافادات ، وحجابا لتبليغ اصحاب الدعاوى ، كما كانوا يساوون فى مجلسهم بين المتخاصمين ، وينظرون فى الخصومات بترتيب ودون محاباة ... وكانوا يتمتعون بحصانة ضد النقل والعزل الا فى الحالات النادرة ، ويروى فى هذا الصدد ان الخليفة اذا ولى وزيرا وقاضيا ثم مات ينعزل الوزير بموته ، ولا ينعزل القاضي باعتبار ان الوزير مرتبط بالخليفة فيذهب بذهابه ، اما القاضي فمرتبط بالامة فلذا يستمر فى منصبه ...

طلب القضاء

طالب الولاية لا يولي ، تلك هي القاعدة التي كانت متبعة فى تعيين القضاة ، ولذا كان على الخليفة او وكيله او قاضي القضاة ان يولى الكفء الصالح ، وكان

البقية على ص ٦١

الرسول العظيم

سأحكى لكم قصة يقتدى ... بها عن زمان قديم مضى

زمان به الناس مثل السوام ... تنام وتصحو بأم القرى

الهم حجر بالمزاد ... يباع ببخس كما يشترى

وليس بمكة من يرعوى ... عن الغى أو كاشف للعمى

تشد العقول بأوتادها ... ويسرح في اللهو أهل النهى

وتشهق قافية من هوان ... بسوق عكاظ وما قد حوى

وعود حزين إلى قينة ... وعشاقها في ليالى الهوى

تغنى لمجد ملوك القيان ... بليل الندامى ورشف اللمى

وفي الغار قد وكنت نجمة ... وأوراق فجر عظيم البها

به يبدأ الدهر من أول . . . ... وفي الفكر يسهل ما يعتصى

به تفهم الأرض حكم السما ... ويفهم ما في السما من سها

هو العقل أعظم ما ينطوى ... عليه الوجود وما قد حوى

وفي الغار زيتونة عرشت ... ليأوى اليها التقى والهدى

وفي الغار تسبيحة الكائنات ... ويقظتها من هزيع الكرى

بنى العنكبوت به عشه ... ليهدم قصرا لمن قد طغى

للأستاذ/محمد الفايز ـ الكويت

هناك تجلت إلى العالمين ... خفايا الحياة وسر البقا

وربة عوسجة في الفلا ... حوت الف سر بعيد المدى

تجل السماء بأن يرتقى ... لا قمارها عنكب قد قعى

وان تخضع الأرض مهما يطل ... ظلام السنين لأهل الهوى

فلم تشرق الشمس كى يستضيء ... عليها أبو لهب في منى

ولم ترتفع نجمة في السما ... ليسرى عليها لصوص الدجى

فكل له دورة في الوجود ... كأن الفناء وريث البقا

وقالو له: أين مأوى الذى ... تراه وتزعم أن لا نرى

فقال لهم: ملء هذا الزمان ... وملء المكان وملء الرؤى

أراه . ولكنني لا أراه ... ويسرى بعرقي مسرى الدما

وقالوا له: خل عنك الخيال ... وأحلام معتزل ما ارعوى

فقال لهم: ليتكم تفهمون ... ويا ليتكم تسمعون الهدى

وقالوا له: أنت ذو جنة ... تخبط في ليلها وانزوى

فكيف نصدق ما يدعى ... خيالك هذا البعيد المدى

فقال لهم: لست ذا جنة ... ولكنني ملهم قد سما

الرسول العظيم

ولا أكذبنكم أنـــــــــه ... رأى من تعسفهم مـــــــا رأى

وكانت رسالتـــه كالضيـــــاء ... بتلك الزوايـــــا وتلك الهـــــوى

وكانت رسالتـــه كالحيـــــاة ... ومثل الدواء ومثـــل الغـــــذا

ففيهـــا الرغيف إلى الجائعـــين ... وفيها الملاذ وفيهـــــا الذرى

وفيهـــــا الطريق إلى التائهين ... بصحراء مكة حيـــث العـــــرا

وما هى إلا مرور الغمـــــام ... وغمضة جفـــن وطيف سرى

وتهويمـــة الفجـــر في خاطـــر ... تخامـــــره خطوات الكـــــرى

أتاهم مشعـــا كدفق السنـــــا ... فـــتى يعـــربى سريـــع الخطى

وأوقد في ليلهـــم نجمـــــة ... إلى الآن في هديهـــا يهتـــدى

وفي الأرض روح الالـــه العظـــيم ... وروح الحيـــاة وكل القـــــوى

تتـــابع موكب هذا الزمـــــان ... وتدرى بأى الشواطى رســـــا

وليس العظيم الذى من يقــــيم ... كيانا ويـــترك كهفا سجـــــا

ولـكنه من يهز الحيـــــــاة ... بأعظم ما في القوى من قـــــوى

ويهـــوى بمعوله هادمـــــا ... ويبنى جديدا إذا ما انتهــــى

بقيــة
تطور القضاء

العلماء يتورعون عن طلب القضاء نظرا ، لخطورة المنصب ، وعظيم المسئولية . ومن القصص الرائعة فى هذا المجال ما حدث للامام الاعظم ابي حنيفة ، حين طلب اليه ان يقبل منصب قاض فرفض قائلا للخليفة المنصور « اتق الله ولا ترع فى امانتك الا من يخاف الله ، والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف اكون مأمــون الغضب ، ولو اتجه الحكم عليك ، ثــم تهددتني ان تغرقني فى الفرات ، او تلي الحكم لاخترت ان اغرق ، ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ، ولا أصلح لذلك » . .

فقــال المنصـــــور : كذبت ، أنــت تصلح ! . .

فقال قد حكمت لي على نفســك ، كيف يحل لك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب .

ويقال ان المنصور حبسه ثــم عاد فدعــاه الى القضــاء وهدده بالضرب فقبل وعاش بعد القضــاء ســتة أيام ، ويقال انه مات فى السجن . .

أسباب الحكم وأصوله

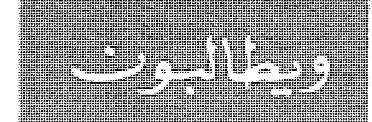
لا نرى فى ختام هذا البحث افضل من تثبيت رسالة عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى ، عاملة على الكوفة التي تعد بحق دستورا للقضاء، ونبراسا للقضاة ، يسيرون على ضوئه فى مجلس الحكم ، وحين تدقيق اضبارة الدعوى . . . « من عمر بن الخطاب الى ابــي موسى الاشعرى عامله على الكوفــة . اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا اولى اليك ، وانفذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع تلكــم بحق لا ينفــذ ، وآس بــين النــاس فى مجلسك ووجهــك وعد لــك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعي واليمين على من انكر . والصلحجائز بين المسلمين، الا صلحا احل حراما ، او حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس ، ثــم راجعت فيه نفسك ، وهديت فيـــه لرشدك ، ان ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، والرجوع الى الحق خــير مــن التمادى فى الباطل . الفهــم الفهــم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الامثال والاشــباه وقس الامور بنظائرها ، واعمد الـــى احب الامور الى الله تعالى ، واشبههــا بالحق فيما ترى » .

واجعل لمن يدعي حقا غائبا ، او بينة اجلا ينتهي اليه ، فان احضر بينة اخذ بحقه ، والا وجهت عليه القضاء فان ذلك اجلى للعمى وأبلغ للعذر . والمسلمــون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد ، او مجربا عليه شهادة زور ، او ظنينا فى ولاء ، او نسب ، فان الله تعالى تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالبينات والايمان . وايــاك والقلــق والضجــر والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر ، فانه من يصلح بينه وبين الله ــ ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، فما ظنك بثواب الله تعالى فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

تصويب

وقع خطأ مطبعي فى آيتين كريمتين فى مقال « اسعاد الفرد والجماعة » فى العدد العاشر من المجلة ، وتصويبه « فدمرناها » و « اخوان الشياطين » .





ويطالبون

انه لمن المؤسف ان نجد فئات من الناس ـ ممن بهرتهم مظاهر الحضارة الغربية دون لبابها ـ يدعون الى أخذ وتقليد كل ما هو غربي (حضارى) ونبذ كل ماهو شرقي أو علىحد تعبير آحادهم رجعي . وانهم يأخذون القشور المتداعية التي تلقي هوى فى نفوسهم لاشباع رغباتهم الجامحة . ولنأخذ مثلا الخمر .

هؤلاء الناس يدعون الى اباحتها ونشرها بين الناس ، وهم يتوهمون أن من علامات الرقي أن يكون فى منزل احدهم (بارا) يحوى العديد من صنوف الخمر ولا يعلمون ان الخمر ـ كما وصفها رسولنا الاعظم بأم الخبائث ـ هي معول يقوض الحضارات ولا يبنيها ولا هي من مستلزماتها . ولقد عشت فى بلاد الغرب حوالي الخمس سنوات وتعرفت على طباع الاوروبيين وعاداتهم وأخلاقهم . وكثيرا ما اثير النقاش حول ضرورة الخمر لمجتمع ما من حيث العادة الاجتماعية .

يدعون الى تغيير عاداتهم الإجتماعيّة

بحظر المشروبات الكحوليّة

وأقول ان الكثير منهم يصفون الخمر بألذع الصفات ويجدونها سوءة فى مجتمعاتهم يودون التخلص منها بكل الوسائل وليس أدل على ذلك مما نشر فى المجلة الطبية البريطانية فى مقالها الافتتاحي بتاريخ ١٩٦٦/١/١ ص ٣ ، ٤ والمجلة اسبوعية وهي لسان حال اتحاد الاطباء البريطانيين ، والمقالة مبنية على بحث قام به مجموعة من كبار العلماء الاطباء بتكليف من مجلس البحوث الطبية البريطانية ، والموضوع يبحث فى آثار الخمر على قيادة السيارات ، ولقد أصدرت الهيئة تقريرا أسمته الكتاب الابيض وهذا نص ترجمته :

Alcohol and Driving

ان الادلة تشير الى ان تعاطي الخمر ولو بكمية قليلة يؤثر تأثيرا سيئا على قدرة الانسان فى الحكم على الاشياء وعلى مهارته اليدوية . وعلى هذا فيجب على الشعب ان يتبين حاجته الملحة الى تغيير العادات الموروثة فى الحياة الاجتماعية المبنية على شرب الخمر . ومنذ زمن مضى وقبل ان يستبدل الحصان بالسيارة فان مدمن الخمر اذا ما تولى قيادة مركبة ما فانه يعتبر خطرا على المارة . والآن فلقد تعلم الجمهور ان الشخص الذى يتناول المشروبات الكحولية مع اصدقائه فى ليلة ما من الممكن ان يكون خطرا على الطريق .

والخطورة تزداد اذا ما ازدحمت الطرقات بالمارة وزاد من سرعة مركبته . ولقد نجح الكثير من الدول في استصدار القوانين التي تحرم شرب الخمر قبل قيادة السيارات والتزام تطبيقها بشدة على المخالفين . وتواجه الحكومة كثيرا من المشاكل فى تحديد نسبة المواد الكحولية فى دم السائق الذى يستحق العقاب فى حالة مخالفته لقوانين الحظر . فالمعمول به حاليا فى انجلترا وكثير من بلاد الغرب ان المخالف يستحق العقاب اذا بلغت نسبة الكحول فى دمه ٨٠ مجم فى ١٠٠ سم من الدم غير ان الكتاب الابيض الذى اصدرته اللجنة المنبثقة عن مجلس البحوث البريطانية توصي بأن يعاقب السائق اذا ما بلغت نسبة الكحول فى دمه ٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم مع العلم بأن هناك الكثير

من الحالات التي تقل نسبة الكحول فيها عن ٥٠ مجم والتى تحدث خللا عقليا يعرض السائق والمارة الى اخطار محققة .

ليست هناك نسبة مأمونة

There is no safe level

فان أية كمية من الخمر مهما قلت فان لها تأثيرا خطرا على حياة مستعملي الطرق ومنهم الشارب نفسه ثم يمضي التقرير فى وصف القوانين الاضافية التي استصدرت لحماية المارة من شاربي الخمر . ثم يتعرض للاحصائية التي قام بها الدكتور بوركين ستاين من الولايات المتحدة فى مدينة ميتشجن حيث يقارن أرقامه بالارقام الانجليزية فى مدى تأثير الكحول على حوادث المرور . ولقد دلت الاحصائيات على انه من الممكن تفادى (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين الف حادثة فى العام فى بريطانيا وحدها اذا ما انقصت نسبة الكحول فى الدم عن ٤٠ مجم فى ١٠٠ سم . ويشير تقرير ميتشجن الى أن حوادث المرور الناتجة عن شرب الخمر اكثر خطورة من الحوادث العادية الاخرى . ولقد جاء دور الجماهير فى ان تتبين الحاجة بأن تمنع أى شارب خمر من أن يقود سيارته ولكن دور الحكومة فى سن القوانين وتنفيذها يجب ان يكون العامل الاساسي فى معالجة المشكلة . وقد يتساءل بعض الناس ما هو القدر من الخمر الذى يتعاطاه السائق دون ان يؤثر على قدرته فى قيادة السيارة والجواب (None لا شيء) غير ان هذا الجواب لا يمكن ان يكون عمليا حيث ان عادات المجتمع فى الشرب مستحكمة ، ولهذا فنقول اذا نويت ان تقود فلا تشرب واذا شربت فلا تقد .

كما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ان الاجهاد الذى يصيب الشارب له دخل كبير فى الحد من قدرته على قيادة سليمة مأمونة وخاصة فى سن الشباب اكثر منه بين متوسطي الاعمار من الشاربين .

الحاجة الى عادات اجتماعية جديدة .

New Social Traditions

مما لا شك فيه ان عادات اجتماعية غير مبنية على الخمر بدأت تأخذ طريقها فى المجتمعات الغربية وسوف تنمو بمرور الزمن وذلك لوعي الجماهير المتزايد وشعورها بالخطر المترتب على شرب الخمر .

وعلى هذا فالاجيال القادمة سوف لا تواجه مشاكل اليوم بسبب الخمر ، ولكن بدون انقلاب اجتماعي فى عاداتنا الغربية — سوف نجد صعوبات شديدة فى تطبيق القوانين . ثم يختتم الكتاب الابيض تقريره عن الخمر بقوله :

(اذا أردنا ان نتجنب الوفيات والعاهات المترتبة عن حوادث المرور فيجب ان تتغير عاداتنا الاجتماعية . والناس يجب ان يمتنعوا عن شرب المواد الكحولية قبل قيادة سياراتهم وأن يمتنعوا عن قيادتها بعد الشرب وليس هناك طريق ثالث .

ان تعليم الجمهور بواسطة الخدمات الصحية والمنظمات الاصلاحية يجب ان يلعب دورا هاما لا يقل اهمية عن القوانين المقترحة لابعاد شاربي الخمر عن الطريق بسياراتهم) . انتهى الكتاب الابيض .

ان الهيئة التي قامت ببحث هذه المشكلة وكتابة هذا التقرير تتألف من فطاحل العلماء البريطانيين الاخصائيين

فى هذا الموضوع ، وذلك بتكليف من مجلس البحوث البريطانية (أعلى هيئة طبية رسمية فى (بريطانيا) تساندهم فى ذلك جمعية الاطباء البريطانيين وهي اكبر هيئة طبية حرة فى المملكة المتحدة بل فى العالم اجمع .

ويكفي ان نعلم أن مجلتها الاسبوعية ــ حيث نشر هذا المقال الافتتاحي ــ يطبع منها حوالي مائة الف نسخة توزع على نخبة الأطباء فى العالم . وبعد ان أبان التقرير خطورة الخمر على مستعملي الطرق وأن حوادث المرور سببها الرئيسي شرب الخمر وأنه من الممكن تجنب وقوع الحوادث التي يذهب ضحيتها الآلاف من المواطنين فضلا عن العاهات المستديمة الناتجة عن ذلك نجد ان التقرير يحتم الحد من شرب الخمر ، ويقضي بضرورة تغيير اجتماعي شامل فى الحياة الاجتماعية الغربية المبنية حاليا على شرب الخمر كضرورة اجتماعية . ولقد بدأت الهيئات الرسمية فعلا فى بلاد الغرب بالعمل على الحد من استعمال المشروبات الروحية واستبدالها بمشروبات أخرى كالقهوة وعصير الفواكه . ومن الشذوذ حقا ان نجد فى مجتمعنا من ينادى باباحة الخمر جريا على عادة الغربيين فى الوقت الذى هم انفسهم يودون التخلص منها بل وقطعوا شوطا بعيدا فى ذلك . اننا لا نأخذ هذا الدرس من بيئتنا وتقاليدنا وديننا بل ــ ويا للاسف ــ نأخذه من بلاد الغرب . وتلك حجة كبرى تدمغ حجة من ينادى باباحة الخمر ليظهر تقدمه وتحضره .

قارئي الكريم تلك هي عين الرجعية . ألا توافقني على ذلك !!

ومن الجدير بالذكر ان ننقل للقارئين هنا صورة ((زنكوغرافية)) لما نشرته جريدة الاهرام القاهرية الصادرة فى السابع من رمضان ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٥٦/١٢/٢٩ عما يجرى ازاء الخمر فى دول غير اسلامية :

قانون سوفيتي جديد لمعالجة مدمني الخمر "اجباريا"

ادمان الخمور أدى الى الاضرار بالاقتصاد القومي نتيجة انخفاض الكفاية الانتاجية

موسكو فى ٢٨ ـ لمراسل الاهرام ـ يجرى الان اعداد قانون جديد ضمن ((قانون الصحة العامة)) فى الاتحاد السوفييتي يقضى بمعالجه مدمنى الخمر اجباريا . كما يقضى بأن يقدم الاطباء مساعداتهم الاولية)) فى أى وقت وفى أي مكان)) لمدمنى الخمر

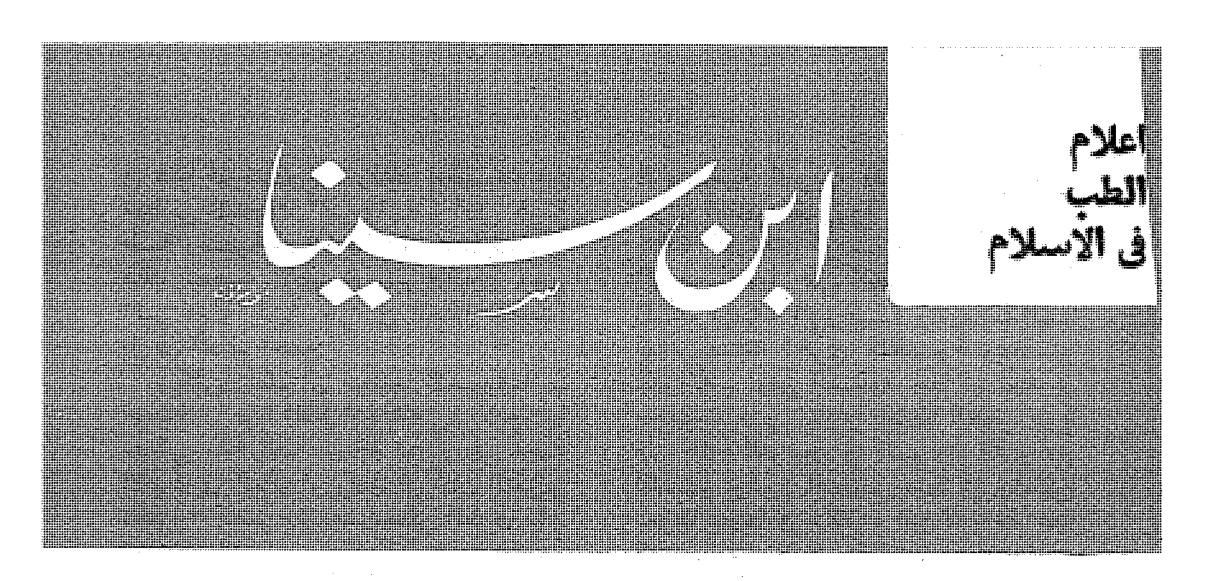
وينص القانون ـ الذى يعد الاول من نوعه فى تاريخ الدول الشرقية ـ على مسئولية المديرين الصناعيين وغيرهم من المسئولين الحكوميين فى تقديم كل عون ضرورى فى هذه الحالات

وقد نشر دكتور بوريس تروفسكى وزير الصحة العامة السوفييتى ـ فى حديث له مع صحيفة ازفستيا ـ جزءا من مشروع القانون الجديد الذى يجرى اعداده الان أمام اللجان القانونية المختصة فى مجلس السوفييت الاعلى . ويشترك فى اجتماعات هذه اللجان دكتور بتروفسكى نفسه وعدد من الاطباء البارزين وكبار المحامين وكبار الشخصيات العامة فى الاتحاد السوفييتى

ويرجع الاهتمام بقانون معالجة مدمنى الخمر اجباريا الى اشتداد الحملة فى الاتحاد السوفييتى اخيرا ضد شرب الخمر . وكانت الصحف السوفييتية قد دعت الي سن مثل هذا القانون كما دعت الى معاقبة العمال الذين يتعاطون الخمور بعقوبات من بينها الخصم من مرتباتهم والغاء أجازاتهم وشطبهم من قوائم المنتفعين بالمساكن الجديدة .

وتثير مشكلة ادمان الخمور قلق السلطات السوفييتية، لا لنتائجها الاجتماعية فحسب ، وانما بسبب الاضرار التى تصيب الاقتصاد القومى نتيجة لانخفاض الكفاية الانتاجية .

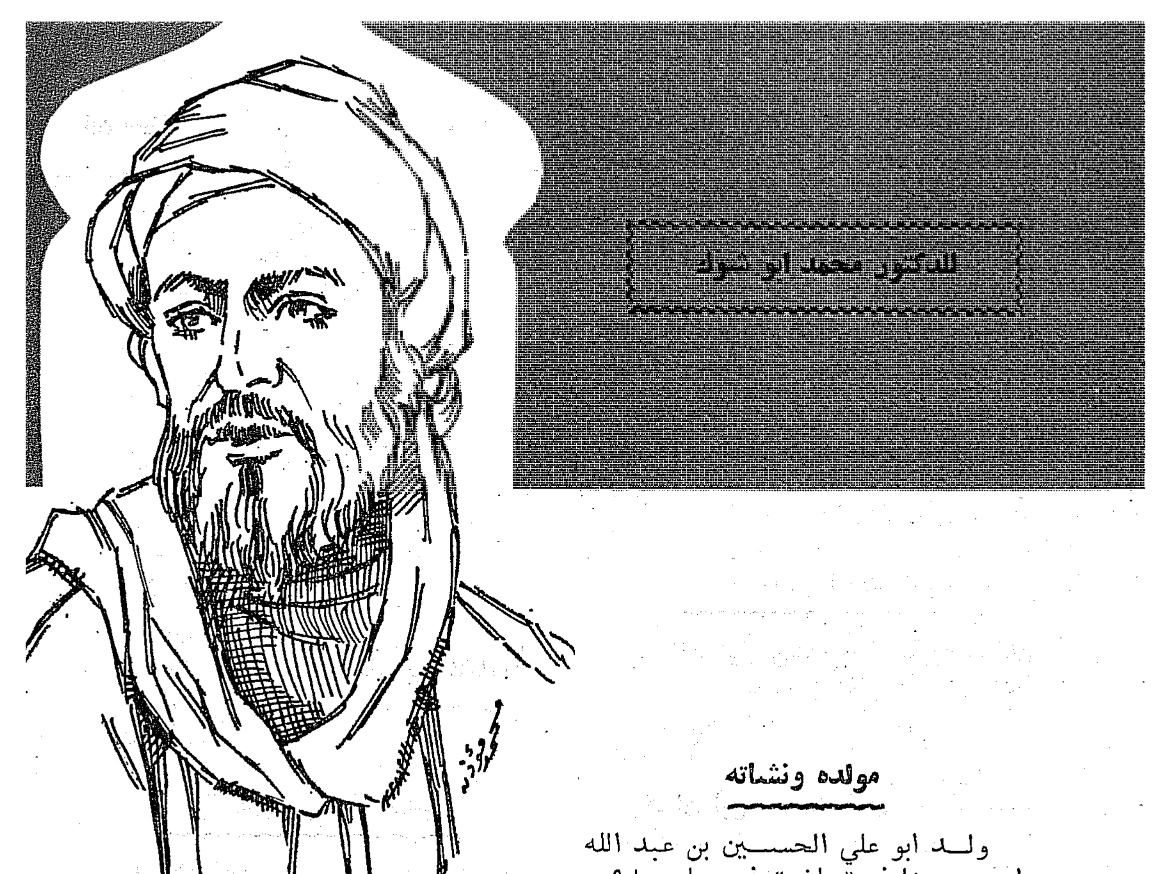
ويحدد القانون الجديد حقوق وواجبات الاطباء وكذلك حقوق والتزامات المرضى . كما يؤكد حق المرضى فى الرعاية الطبية المجانية . وينص على أن المواطنين السوفييت " ملزمون بالعناية بصحتهم وصحة أفراد عائلاتهم وصحة الاعضاء الاخرين فى المجتمع ، ومراعاة قوانين الصحة العامة "



عزيزي القارىء قبل ان اريك الصورة الساطعة لابي الطب ، وامام العلوم الشيخ الرئيس ، والمعلم الثاني ابن سينا ، دعني اعرض عليك ما قاله عنه الغربيون لتحس معي بفخر العرب وعزهم ، وما وصل اليه الطب فى ظل الاسلام الحنيف ، دين العلم والمعرفة ، فاستظل تحت لوائه كل مفكر ، وخرجت الى العالم العربي المؤلفات الرائعة ، والاستكشافات المحيرة ، التي شع نورها ، فعم انحاء المعمورة ، فصنعت التاريخ ، وامدت اجيالا من الاطباء الاوروبيين المبتكرة ، والموسوعات الضخمة ، التي كانت اساسا متينا للنهضة الحديثة .

يقول سودهوف : اية عظمة ، واية عبقرية هذه التى جمعت مثل هذه المعارف النظرية والعملية للطب مع كل فروعها ، ونظمتها بشكل فريد فى نوعه ، فاصبح كتاب ((القانون)) لابن سينا تحقيقا هاما فريدا من نوعه ، بين كتب الطب فى كل العصور .

وقال فيلادموفيتز مولندروف : ان الرئيس قد تفوق على الجميع بتنظيمه المنهجي وبتقسيمه المنطقي ، وبوضوحه البليغ ، وبترتيبه الباهر ، وتماسكه المحمود ، لقد تفوق بهذا كله على كل طرق جالينوس المعقدة حينا ، والعميقة احيانا ، والمغلوطة غالبا . ولقد وفق ابن سينا فى القاء الظل على شهرة جالينوس والاغريق ، وصار اعظم معلمي بلاد الغرب خلال سبعمائة سنة .



للدكتور محمد ابو شوك

مولده ونشاته

ولـد ابو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا فى « بلخ » فى عام ٩٨٠ م (٣٧٠) هـ وانتقل ابواه الى بخارى ، وفيها تلقى العلم ، وحفظ القرآن ، ولما يبلغ العاشرة من عمره ، ثم تفقه فى الدين ودرس الحساب والمنطق والهندسة والنجوم . ثم قرأ كتاب ما بعد الطبيعة . ويقول انه اعاد قراءته اربعين مرة ، فلم يفهمه ، إلى أن عثر على كتاب لابي نصر الفارابي فى اغراض ما بعد الطبيعة ، فأعانه ذلك فى فهم ارسطو . ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رغب فى الطب، فتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأدبا لا تكسبا ، ثم ارتقى علمه حتى فاق الأوائل والأواخر فى اقل مدة ، واصبح فيه عديم القرين فقيد المثل . قال ابن سينا « وبرزت فيه حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب ، وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من انواع المعالجات المقتبسة ما لا يوصف ، وكنت ارجع فى الليل الى داري ، واضع السراج بين يدى ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما بلغني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم ارجع الى القراءة حتى استحكم معي جميع فنون العلم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني » .

ولقد اطلع ابن سينا على مكتبة نوح ابن منصور ، الذى كان قد عالجه ، وشفي على يديه ، فنهل منها ما شاء الله ان ينهل ويشبع رغبته فى الاطلاع ، فظفر بفوائدها ، وألم بما فيها .

ولما مات ابوه ارتحل الى خوارزم ، ومنها الى جوزجان ، ثم الى الرى، ومنها سار الى همذان ، فاستوزره ، شمس الدولة فحدثت فتنة فى المعسكر ، ادت الى خلع ابن سينا وسجنه . وبعد مدة

مرض شمس الدولة فاخرج ابن سينا من سجنه ، وعالجه حتى شفي فأكره واعاده الى سابق مكانته .

وقال الجوزجاني « كان ابن سينا يقضي النهار فى خدمة الأمير ، والليل بين القراءة والتدريس والتأليف ، وكان يجتمع فى داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان يقرأ غيرى من القانون نوبة ، فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم، فغنوا واطربوا » .

ثم تولى تاج الدولة ولم يستوزره ، فذهب ابن سينا الى اصفهان وحل على اميرها علاء الدولة بن جعفر بن كاكاويه فرحب به وقربه اليه وظل معه حتى وافته منيته .

منزلة ابن سينا فى الطب :

لقد كان لابن سينا باع واسع فى الطب ، عمل فيه بفكره ووجدانه،وتطرق الى جميع فروعه ، فنبغ فيها ، وألف فاجاد التأليف . وهذا كتابه ((القانون)) اكبر دلالة على ذلك . فلقد كان نبراسا وموردا عذبا للغرب ، اخذ عنه،وارتشف منه مدة سبعمائة عام .

ولننظر معا فى بعض النواحي التي تطرق اليها ابن سينا لنرى ما وصل اليه من علم ودراية .

تحليل البول :

خذ مثلا فيما قاله عن البول « علينا الا نثق بنتائج تحليل البول الا اذا توافرت الشروط التالية :

ان يكون البول اول بول من المريض ؛ اى بول الصباح ، على ان لا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة ، او اكل ما يسبب تلوين البول كالزعفران ، كذلك يجب على المريض الا يقوم بحركات خاصة ، او يتبع نظاما على غير عادته ، كالصيام والتأخر فى النهوض، او الامعان فى التعب، لأن كل هذا يؤثر كثيرا فى تركيب البول ، كما ان القيء يؤثر على تركيبه . اذن فالنتائج التى نصل اليها من تحاليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ومدى صفائه او تعكره وعلى رائحته ورغوته » .

فنظرة واحدة الى هذا تجعل الطبيب منا يحس كل الاحساس قدرة هذا الرجل : فنحن لم نزدعلى ما قاله من شروط من الف سنة مضت الا النذر اليسير .

سبق الطب الحديث :

ثم كان اول من شرح التفرقة بين اليرقان الناشيء من انسداد القنوات الصفراوية، وبين الذى ينشأ من انحلال الكرات الدموية الحمراء .

وكان ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية ، كما سبق غيره الى معرفة بعض الامراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب ، وقال أن السبب فى ذلك يرجع الى وجود حيوانات دقيقة لا ترى بالعين ، يتعاطاها الانسان فى الماء دون ان يحسها . ومن هذا نرى انه يطابق ما توصلنا اليه بعد اكتشاف الميكرسكوب .

ثم انظر الى ابن سينا عندما خالف القدامى من ان الانسجة : مثل المخ والانسجة العظمية لا تلتهب فكان اول من اكتشف التهابات غشاء المخ وميزها عن الالتهابات المزمنة ووضع اول وصف دقيق عن التهاب السحايا فى تصلب عضلات الرقبة وانحنائها الى الوراء بالضبط كما نصفها ونشاهدها الآن . وينسبها الاوروبيون الى انفسهم .

ثم ان الشيخ الرئيس كان اول من وضع تشخيصا دقيقا عن التهاب الاضلاع ، والالتهاب الرئوى وخراج الكبد وفرق بين الالتهاب الرئوى والتهاب

البللورا . ثم وصف بدقة عوارض المغص المعوى والمغص الكلوى . وكذلك وصف سبب شلل عصب الوجه عن سبب مركزى بالمخ ناتج من التهابات او ضغط على العصب فى طريقه من المخ الى الوجه .

ابن سينا الجراح :

ثم نظرة الى طريقة علاجه للجروح . فلقد كان فى وقته فكرة تقول أن تقيح الجروح عملية طبيعية مرغوب فيها ، ويسعى الطبيب الى الاستمرار عليها ، ودعمها لكي يشفى الجرح . فخالف كل هذا ، وعمل كل ما فى وسعه لتجنب التقيح ، او استعمال اى مادة تسبب التقيح ، وأخذ يستعمل اللزوقات الساخنة ، مع الخمرة المعتقة القوية ، التي على ما يعتقد كانت السبب فى قتل الميكروب الذى يسبب التقيح .

وبهذه الطريقة العجيبة انتصر ابن سينا فى قديم الزمان ، ايام لم يكن هناك المضادات الحيوية كالبنسلين وغيرها ، انتصر على الجروح المزمنة المتقيحة ، التي كانت تستمر مددا طويلة وتقضي على المريض .

عنايته بنفسية المريض :

ثم نظرة واحدة الى فلسفة ابن سينا نحو الاثر النفسي فى حالة المريض ، التي ننادى بها الآن ، والتي كانت تنكرها اوروبا فى عصور الظلام ، ايام كان العلم يرفرف على الامبراطورية الاسلامية ، ويشع منها الى اجزاء العالم المختلفة ، فهذا قوله الخالد : علينا ان نعلم ان احسن العلاجات وانجعها هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسية والروحية ، وتشجيعه ؛ ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه واسماعه بما عذب من موسيقى وجمعه بالناس الذين يحبهم . ولقد تطرق ابن سينا الى الأمراض الجلدية العديدة ، ووصفها بدقة فائقة ، وكذلك الجهاز البولي ، والاجهزة التناسلية .

كيف نبصر :

ثم انه خالف الأطباء اليونانيين فى نظريتهم التي تقول بان شعاع الضوء يخرج من العين ويصطدم بالمرئيات فتحصل الرؤية ، وقال ما معناه أن اشعة الضوء القادمة من الجسم المرئي ، هي التي تدخل العين ، وتحولها العدسة الى شيء يمكن ادراكه ، وهذه اقرب الى الصواب من النظرية الحالية .

ثم ان ابن سينا وصف عضلات العين الداخلية وصفا دقيقا ، سبق به المشرحين الغربيين فى هذا المضمار .

اوروبا تتلمذ على كتابه :

وكتاب ابن سينا « القانون » كان منارا للطب فى الشرق والغرب » ولقد اعتمد عليه الغرب فى بدء نهضته ، فظهر فى ميلانو سنة ١٤٧٣ ، ثم بعد مرور سنتين طبع للمرة الثانية ، وظهرت له تعليقات وشروح بقلم ايطالي لقب « بروح ابن سينا » وظهرت الطبعة الثالثة للكتاب قبل ان تطبع مخطوطات جالينوس ، وحتى عام ١٥٠٠ م كان هناك ستة عشر طبعة للقانون ، مقابل طبعة واحدة لجالينوس فى جزأين اثنين .

وفى القرن الذى يليه زاد عدد الطبعات الى عشرين وظلت الطبعة تلي الطبعة الى منتصف القرن السابع عشر . وبهذا يكون كتاب « القانون » اكثر كتاب طبي درسه طلاب العلم فى تاريخ العالم .

وهذا والله فخر اى فخر ولا عجب فكتاب « القانون » يعتبر موسوعة علمية كبرى ، قال ابن سينا فى مقدمته « اما الآن فانني اجمع هذا الكتاب ، واقسمه الى كتب خمسة على هذا المثال : الكتاب الأول فى الأمور الكلية فى علم الطب . الكتاب الثاني فى الأدوية المفردة . الكتاب الثالث فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان عضوا عضوا من الفرق الى القدم ظاهرها وباطنها . الكتاب الرابع فى الامراض الجزئية التي اذا وقعت تختص بالعضو . وفى الزينة

كذلك . الكتاب الخامس . في تركيب الأدويـة .

ولكي نحس بعظمة « القانون » تعالوا نتصفح ما حوى من علم لتعرفوا مـدى ما وصل اليه ابن سينا . فالكتاب مـن كتب القانون مقسم الى ابواب سـماها ابن سـينا فنونا ، والفـن مقسـم الى مقالات سماها تعاليم ، والتعاليم مقسمة الى فصول .

ففي الكتاب الأول . بحث في تعريف الطب وموضوعاته ، ويحتوى على اربعة فنون .

الفن الأول / به ست تعاليم
أ ـ تعريف الطب واغراضه
ب ـ ابحاث العناصر الاربعة
جـ ـ ثلاث فصول في الامزجة
د ـ فصلين في الاخلاط
هـ ـ خاص بالتشريح
و ـ ابحاث في وظائف الاعضاء وعلم النفس .

الفن الثالث في خمسة تعاليم
أ ـ ثمانية فصول في تعريف الامراض واسبابها وانواعها .

ب ـ مسببات الامراض وعوامـل البيئة المختلفة ، واثرها في صحة الانسان كالطقس ، والتربة والغذاء والماء .

جـ ـ اعراض الامراض وعلامتهـا ، وبه ملحق في النبض وفصول في فحص البول والبراز .

الفن الثالث في خمسة تعاليم
أ ـ تدبير المولود وفصله عن الرضاعة وامراض الصبيان وعلاجهم .
ب ـ في الرياضة والحمـام وتدبـير الغذاء .
جـ ـ سـتة فصـول في امـراض الشيخوخة وتدبير الشيوخ .
د ـ في تدبير الامزجة واصلاحها .
هـ ـ في تدبير المسافرين .

الفن الرابع في العلاج

الكتاب الثاني من القانون خاص بعلم الصيدلة .

والكتاب الثالث يحتوى على نيف وعشرين فنا في امـراض الـرأس والدمـاغ والعقـل والأعصـاب والعـين والأنف والاذن والحنجـرة والفم والاسـنان والرئـه والقلب واعضـاء الهضم والتناسـل للذكور والاناث .

الكتاب الرابع يحتوى على :
١ ـ الحميات وعلاجها
٢ ـ مآل المرضى
٣ ـ في الاورام والبثور
٤ ـ الكسر والخلع والتجبير
٥ ـ في السموم
٦ ـ في الزينة

الكتاب الخامس كتاب الاقرباذين أعني تركيب الأدوية .

ونظرة الى ما احتواه كتاب « القانون » تظهر جليا عظمة الفيلسـوف والطبيب والعالم ابن سينا .

ولقد احصيت مؤلفات ابن سـينا فبلغت مائة وسبعة ، فلم تقتصر جهوده على الطب بل تعدتها الى سائر علـوم عصره ، فبرز فيها ونبـغ ، فاسـتحق لقب الشيخ الرئيس .

وفاتـه :

لقد مرض بتقرح في امعائه ، واشتد عليه المرض اثناء سفره مع علاء الدولة الى اصـفهان ، فازداد ضـعفه ، ولمـا احس انه لا امل في شفائه ، اغتسـل وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه واعتق مماليكه ، ومات في رمضان عام ٤٢٨ هجرية وعمره ثمان وخمسون سنة .

رحم الله الشيخ الرئيس فلقد خلف وراءه ذكرى وعلما وأدبا سيبقى عـلى مر الزمن مخلدا في سجل الخالدين .

تعليــق

هذه لقطات من الجزء الاول من كتابه .. وليس ما سجلناه هو كل الشذوذ من هذا الرجل ، ولو شئنا ان نحاسبه في محكمة العدل والانصاف ، ونحصي عليه أخطاءه لوجب ان نثبت جميع كتابه ، ونؤاخذه بكل كلمة .. كلمة ، ونصدر في رده مجلدات لاني لم أر في كتابه موضوعا نقله بامانة ، وانما شوه تاريخ الاسلام كما يشاء الاستعمار ..

فانظر الى هذا المستشرق المغرض الذي يسترسل في خدمة الاستعمار المسيحي الى ابعد الحدود ، ولا يعرف ذلك الشيء الذي يسمى : بـ « الضمير » ولا يؤمن بالتواريخ والسير .

فهو اولا ـ يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم مشركا في السنوات الاولى من بعثته ، والقرآن من تأليفه وجماعة آخرين من جزيرة العرب وخارجها ، ولا يعتبره من عند الله .. ثم يسجل في القرآن آية لم يعرفها حتى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) ... وذلك يدلنا على مدى ثقافة المستشرقين وتضلعهم في الاسلام .. واظن ان هذا الرجل حسب ان القرآن كتاب كالانجيل يحرف كل يوم .

ومثل هذا العميل الذي لا يشعر بوخز الضمير ، ولا يعرف مضض الكذب والافتراء على اي شيء كان ، من الهين عليه بعد ذلك ان يقول ان معرفة النبي بالكتاب المقدس كانت ضئيلة مغلوطة ، او يفرض على الناس كثيرا من العبادات تلبية لرغبات اليهود .. او ان احبار يهود المدينة كانوا اوسع ثقافة من النبي العظيم او ان اكثر الاحاديث دخيلة موضوعة بعد ظهور الاسلام بقرنين ..

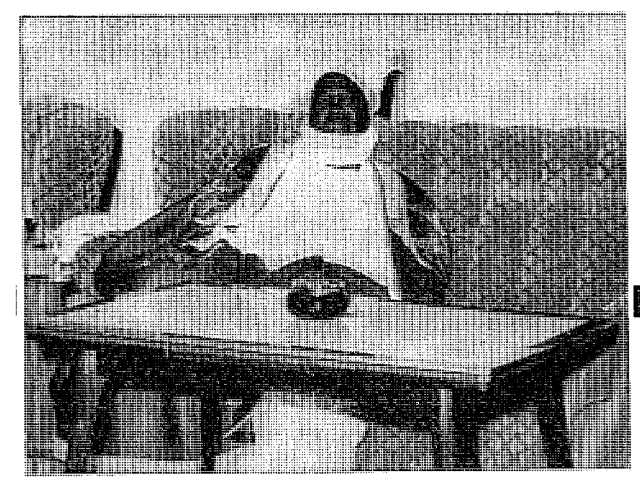
يقول هذه وأكثر منها ، ويحسب ان المسلمين معتوهون مثله ، او انهم لا يميزون اعداءهم من احبائهم ، ولكن المسيحي المأجور لا بد ان يكتب هكذا عن الاسلام ...

غير ان الذي يثير العجب من غباوته ان يدلف نحو الامام الحسين (عليه السلام) ويجعله منزعماءالارستوقراطية الذي لم يكن لموته اي اثر سياسي ، مع العلم ان الحسين (عليه السلام) هو من يعرفه الجميع ، ولم يكن جنديا تائها ، يتحدث عنه الناس بما يشاءون .. ولكنه ابو الاحرار ، وبطل الثورة على الظلم والطغيان التيعصفت بالعروش والتيجان حتى جعلتها هشيما تذروه الرياح ، وحولت السياسة العالمية ووسمتها بطابعها الثوري العتيد ، البارز الصور ، والالوان ، والجوانب ، والالواح .. ولكن المستشرقين لا يعقلون ..

ولكن هذه فلسفة المستشرقين ، وهكذا تكون ثقافتهم الواعية العميقة ، وكذلك تكون حقوق الابطال والتاريخ محفوظة عندهم ، وتلك هي امانة القلم ، وطهارة البيان في منطقهم ، وذلك هو حرصهم على نواميس الحقائق وأمجاد المسلمين ..

> ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه .

في جوار الله



اكبر دولة في افريقيا تضم نحو ستين مليونا من السكان ، واكبر دولة اسلامية من حيث تعداد المسلمين فيها اذ يبلغون نحوا من خمسة وثلاثين مليونا .. اكثرهم في الولاية الشمالية التي كان يرأس وزارتها المغفور له الشهيد احمدو بيللو ، وكـان من الطبيعي ان يكون رئيس الجمهورية من المسلمين ، لكـن مقتضيات التوازن الداخلي دعت لأن يكون رئيس الجمهورية من غير المسلمين على أن يكون رئيس الوزارة الاتحادية او المركزية مسلما ، وكان هو المغفور له الشهيد أبو بكر تيفاوا باليوا .. اى ان المسلمين كانوا يمثلون بذلك السلطة العليا تقريبا في الدولة ، وكان الزعيمان الشهيدان يمثلان مع هذه السلطة زعامة اسلامية مخلصة متفانية في خدمة دينها وبلادها ولا سيما أحمدو بيللو الذى كان يعتبر الاب الروحي لجميع المسلمين هناك ، عرفت المغفور له احمدو بيللو عن طريق الشيخ ابى بكر جومى قاضي قضاة نيجيريا الذى مثل نيجيريا في مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وقابلته مرتين : مرة في مكة اثناء الحج عام ١٣٨٣ هـ ومرة ثانية عندما زار الكويت أخيرا وكان يصحبه في المرتين قاضي القضاة الذى يجيد العربية والذي يعتبر هناك من ابرز الشخصيات العاملة في الحقل الاسلامي ..

كان احمدو بيللو حريصا دائما على تنمية العلاقات بينه وبين البلاد العربية ، وكان يقف في وجه كل نفوذ أو تسلل اسرائيلي في نيجيريا الشمالية ، لأن اى نشاط اسرائيلي سيكون موجها ضد العرب وهو يقف في الصف الأول مع العرب المدافعين عن قضية فلسطين . وطالما عرضت عليه اسرائيل مساعدات فنية او غير فنية فرفضها برغم شدة حاجة بلاده اليها ، وكان كثيرا ما يناشد العرب الا يتركوا فراغا في بلاده أو غير بـلاده يمكن اسرائيل ان تستغله لصالحها . فكان بذلك يعيش مع العرب في آمالهم وآلامهم .. أثناء التقائي بالحاج ابى بكر في القاهرة حدثني عن جمعية ((نصرة الاسلام)) التي تعمل هناك فى نشر الاسلام بين الوثنيين، وتعمل فى الوقت نفسه على تعميق المفاهيم الاسلامية بين المسلمين أنفسهم وقدم لي كراسة عن مبادىء الجمعية ومناهجها وعما أنجزته من اعمال .. فرجوته ان يبتعد بنشاط الجمعية عن ميدان السياسة ، ويقصر جهودها على بث الوعي الاسلامي الخالص وجذب أكبر عدد ممكن من الوثنيين اليه حتى لا تصطدم برجال السياسة فطمأنني قاضي القضاة وقال لي ان رئيس الجمعية فعلا هو الرئيس احمدو بيللو ، وهو الذي عمل على تأليفها ويرعى جهودها ، وأخرج لي برقية مرسلة اليه من الجمعية تبشره بأن عدد الذين اعتنقوا الاسلام بلغ ستين الفا في خمسة شهور .

وقبل اغتياله بنحو اسبوع كان يؤدى العمرة ويزور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقضي بضعة ايام من رمضان فى الرحاب المقدسة . وكان من المتفق عليه ان ينعقد في نيجيريا مؤتمر اسلامي في ١٥ شوال الماضي لبحث ما يهم المسلمين تحت اشرافه ..

وقبل ان ينعقد المؤتمر امتدت الايدى الآثمة لتغتاله هو وزوجته د الشمال ، بينما تمتد يد آثمة

أخـرى لتفتــال الزعيم المسلم الآخـر أبابكر تيفاوا في الجنوب ، ثم توافينــا الانباء بـأن الهـدف الأساسي من التمرد الذى تزعمه « نزوجو » كان اغتيال احمدو بيللو « بينما كان الجيش فى المنـــاطق الاخرى يعمل فى تناسق كامل وأن العملية كانت مخططة باحكام شديد » وانباء أخرى تقول : بأن يـد الوثنيين كانت من وراء ما حدث هناك . « ترى ما المقصود اذن من هذا التخطيط المحكم » وأية ضربة وجهت الى المسلمين هناك وفي كل مكان .. وأية خسارة أصيب بها العرب وقضية فلسطين في نيجيريا الشمالية باغتيال احمد وبيللو .

ثم ماذا كان صدى هذه الحادثة المشئومة في البلاد العربية وصحافتها وأجهزة اعلامها ؟

وما مدى عنايتها بفقد نصير عظيم للعروبة والاسلام هناك ؟

هل اهتمت به كما اهتمت بغيره ممن لم نعرف لهم مواقف كريمة في سبيل العروبة والاسلام ؟ آسف

رابطة العالم الاسلامي

وقد تلقينا من رابطة العالم الاسلامي بمكة هذه البرقية التي تنعي فيها الشهيد احمدو بيللو .

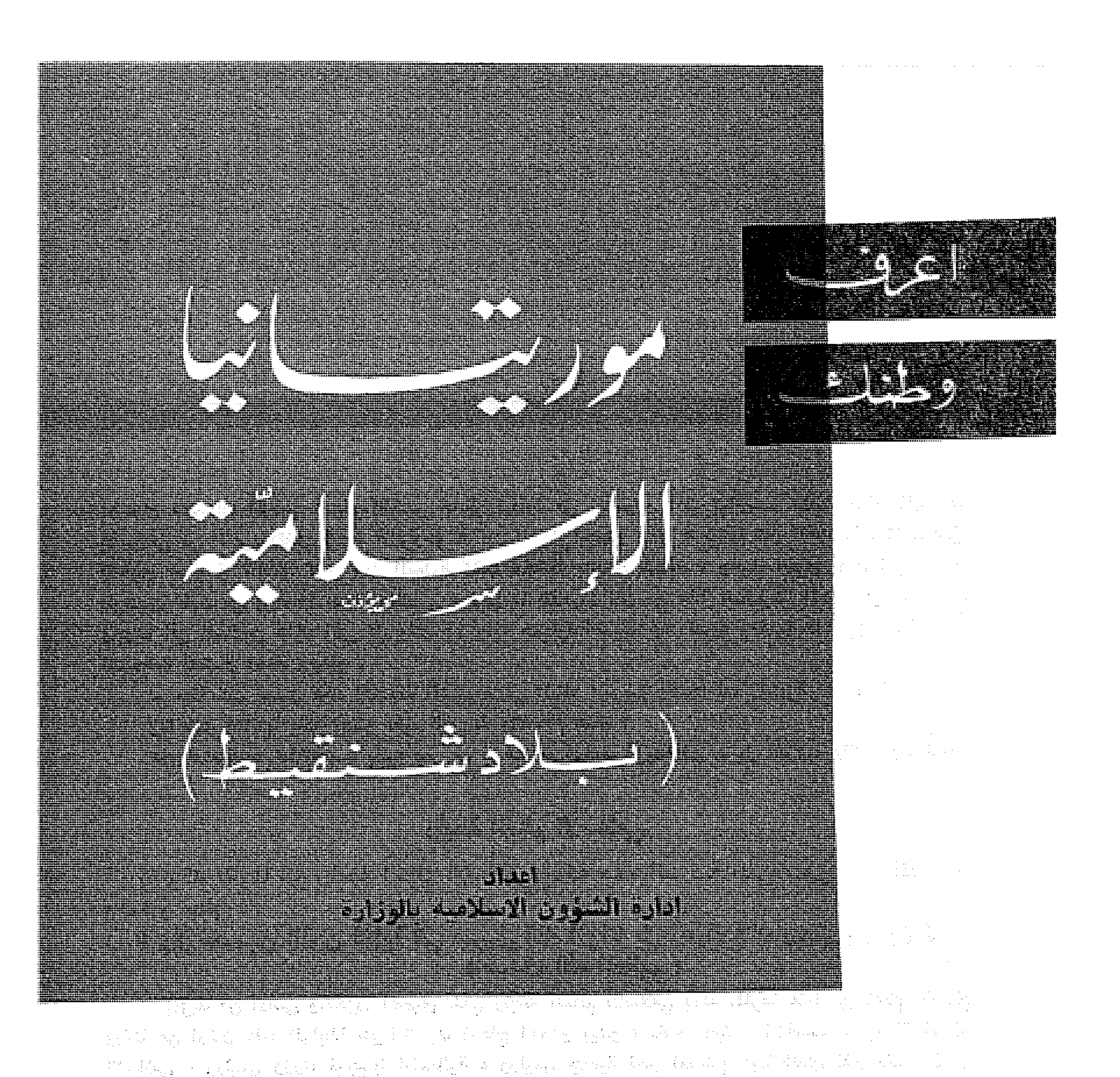
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون »
(صدق الله العظيم)

بمزيد من الاسى والحزن العميق تنعي رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة علما من اعلام الاسلام وركنا من اركان هذه الرابطة هو الشهيد الحاج احمدو بيللو ، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ، ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، ورئيس جمعية نصر الاسلام فيها الذى نذر نفسه لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية ، مضحيا بكل غال وثمين في سبيل ارضاء الله ولقد كان ماضيا في مسعاه بالنجاح ، الى ان انسلت يد الاثم والغدر والخيانة وطعنت القلب الكبير الذى كان لأيام خلت في هذا البلد الأمين يؤدى نسك العمرة ، ويردد قوله : « ان المسلمين لن يستقيم لهم حال ، ولن يقوم لهم مجد الا اذا جمعتهم اخوة الاسلام ، وبغير ذلك سيظلون مغلوبين على امرهم ، يتحكم فيهم اعداء الله جميعـــا » .

لقد صدق الشهيد اذ ادرك ان طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ، وان الأعداء بالمرصاد ، ولكن هذا الدم الزكي الذى اريق على أرض نيجيريا المسلمة ، سينبت باذن الله اغراسا طيبة ، تعمل بهدى الله ورسوله ، والمخلصين من عباد الله والشهداء والصديقين والصالحين ، وان الدعوة ماضية في أمرها ، وهذا اول شهيد لها ، نرجو ان يكون مسكنه جنات عدن مع الخالدين .

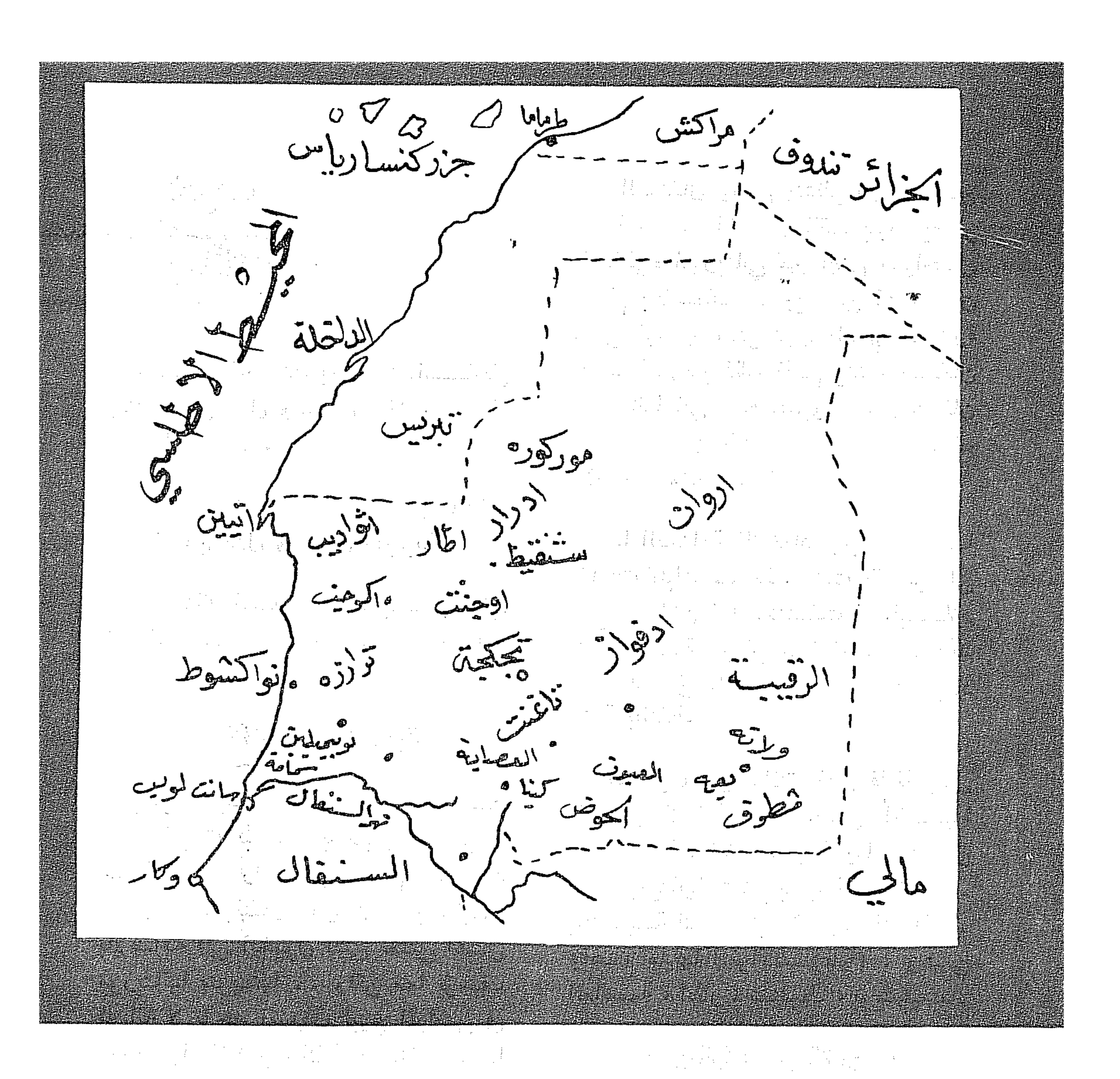
هذا هو الرجل الذى فقده العالم الاسلامي ، تغمده الله برحمته العظيمة اذ يقول « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وانا لله وانا اليه راجعون .

الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي



موريتانيا ليس الاسم العربي الاسلامي لهذه البلاد،وانما جاءها مع الاستعمار حيث تعني كلمة (مور) في الاسبانية السمر ، والاسم يدل على بلاد السمر أي ان سكان البلاد سمر الوانهم ، وكان الرومان يطلقون هذه الكلمة على كافة البلاد التي تقع غربي تونس .

اما الاسم العربي الاسلامي فهو (شنقيط) نسبة الى قرية صغيرة وسط البلاد ومعنى الكلمة البربرية عيون الخيل .. وحين وصل الاسلام الى هذه البلاد اخذت المنطقة بكاملها اسم هذه القرية التى اشتهرت بكثرة علمائها وقد بقى هذا الاسم يدل على هذه المنطقة طيلة العهود الاسلامية والى فترة قريبة جدا حيث جاء الاستعمار ، واحتلت فرنسا البلاد وقسمت المغرب ففصلت منه هذا الجزء واطلقت عليه الاسم الروماني القديم وهو ((موريتانيا)) .



موقعها :

موريتانيا او شنقيط كما سماها المسلمون من قبل هي تلك البلاد الواقعة في افريقيا الشمالية الغربية ، ويحدها من الشرق جمهورية مالي ، ومن الشمال الشرقي الصحراء الجزائرية ومن الشمال الغربي الصحراء الاسبانية ، ومن الغرب المحيط الاطلسي ومن الجنوب نهر السنغال وحكومة مالي وتمتد على مساحة (٤١٩) الف ميل مربع .

يسكنها ما يقارب المليون نسمة .. وهو عدد قليل الى هذه المساحة الواسعة وسيزداد هذا العدد بسرعة بعد ان اكتشفت المعادن وبدت علائم نهضة صناعية حديثة تظهر .

طبيعة البلاد :

تمتد موريتانيا بين خطى عرض ١٥ ـ ٥ر٢٧ شمال خط الاستواء .. اى ان مدار السرطان يخترقها من قسمها الشمالى مما يجعل هذه المنطقة صحراوية المناخ .. ويمكن ان نميز فى موريتانيا منطقتين :

اعرف وطنك

١ ـ منطقة تمتد بمحاذاة الساحل وتتألف من تلال وسهول وأثر البحر فى مناخها ضئيل .

٢ ـ منطقة صحراوية تمتد فى الداخل وتتألف من تلال وسهول حجرية .

ثم هناك السهول فى الجنوب على ضفاف نهر السنغال كسهول شمامة وبراكنا .

حالة البلاد الاقتصادية

يعتبر الرعي هو الطابع المميز لاقتصاديات البلاد ، ويرعى فى هذه البلاد سبعة ملايين رأس من الأغنام ومليون رأس من الأبقار ومليون من الابل بالاضافة الى الخيول التي يعتني أهل موريتانيا بتربيتها .. ولكن مما يؤسف له انه لا توجد اسواق لبيع المواشي فى موريتانيا ولا توجد الا فى السنغال مما يجعل اهل البلاد فريسة سهلة فى ايدى المحتكرين بالسنغال .

والزراعة فى موريتانيا بدائية جدا .. وهي اكثر ما تكون فى الجنوب حيث السهول الخصبة على ضفاف نهر السنغال ، فأرض شمامة هي أرض الزرع والضرع وعليها يعتمد سواد الموريتانيين من اهل الفلح والحيوان واهم المزروعات هي البطيخ والقمح والشعير والنخيل والصمغ العربي .

وهناك بعض السدود التي تقوم على نهر السنغال والتي ينتظر ان تحسن الزراعة ووسائلها فى القريب ويعتبر الشاطىء الموريتاني من اغنى سواحل العالم بالاسماك .. ويمكن ان تكون موريتانيا من أكثر دول العالم المصدرة للأسماك ومع ذلك فلم ينتبه سكان موريتانيا الى هذه الثروة .. وان كان من المقرر ان تقام هناك عدة مصانع للأسماك وتحضيرها .

اما الصناعة فلا تكاد توجد .. اما خامات البلد .. فقد كانت تقتصر على الملح اما الآن فقد اكتشفت فى البلاد كميات هائلة من اجود انواع الحديد والنحاس فى العالم كما يظن بأن البلاد غنية بالنفط .

اما طرق المواصلات فهي قليلة بل نادرة ولولا خط واحد انشىء اخيرا لكانت المواصلات معدومة وعلى كل فان موريتانيا تتقدم بسرعة مدهشة .. بالنسبة لثروة البلاد ومصادرها .. واهم مدنها (نواكشوط) . وهي العاصمة ، اطار ، شنقيط ، بويتمليت .

موريتانيا عبر التاريخ

لا يعرف شيء عن تاريخ هذه البلاد قبل الفتح الاسلامي ، ويعود تاريخ الاسلام فى تلك البلاد الى النصف الثاني من القرن الهجرى الأول .. حيث تم فتح تلك البلاد على يد عقبة بن نافع ثم موسى بن نصير ومن تلك الفترة خلت بلاد شنقيط من كل ديانة عدا الاسلام .

ولقد كانت بلاد شنقيط مراكز لدولة الادارسة التي اسسها ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب رضى الله عنهم فى عام

١٧٢ هـ والتى دانت لها دول المغـرب بأكملها .

وكذلك كانت شنقيط مركز دولـــة المرابطين التي كان لها فضل الجهاد ورد خطر الصليبيين عن المغـرب وتأخـير سقوط الاندلس بيد الاسبان بعد معركة الزلاقة معهم عام ٤٧٥ هـ وقـد أسس هذه الدولة العظيمة (يحيى بن ابراهيم الجدالى) من قبيلـة (المتونـة) احدى قبائل صنهاجة يساعده ويشد عضـده اخوه ابو بكر بن عمر الذى تولى الامامة بعده .. وقد استعان بابن عمه (يوسف ابن تاشفين) (١) الذى اتجه نحو الشمال وجاز البحر الى الاندلس ليرد الاسبان ويقف فى وجه الطغيان ..

وكذلك كانت بلاد شنقيط مركـزا لدولة الموحدين التى سارت على نهج المرابطين فعملت لنشـر الدين وضمت اجزاء المغـرب واجتازت البحـــر الى الاندلس لتقف فى وجـه الاسبان ورد الطغيان الصليبي ، وهكذا نجد فى الاسلام قوة وحيوية متجددة على مدى الايام ، تهزأ بالجيوش ، وتدك العروش ، وهي وان فترت بعض الوقت فحكمة من الله يرسمها ليؤمن من آمن عن بينة ويكفر من كفر عن بينة ، ففي الاوقات العصيبة يلجأ ضعاف الايمان الى أصحاب النفوذ، يبغون عرض الحيـاة الدنيـا ، ويقنـع المؤمنون بالكفاف ويصبرون على العذاب، ويطلبون النصر من الله ، (انا جعلنا ما على الارض زينة لهـا لنبلوهـم أيهـم احسن‌عملا ، وانا لجاعلون‌ما عليهاصعيدا جرزا) « الكهف » ثم قامت فى شنقيط الدولة السعدية سنة ٩١٥هـ ثم جاءت اخيرا الدولة العلوية منذ (١٠٦٩) هـ وفى عهد هذه الاسرة تعرضت البـلاد للاستعمار .. الذى قسمهـا اقساما سمى بعضها موريتانيا وبعضها المغرب.. وخضـــع بعضـها للاسبان وبعضـها للفرنسيين .. ولقد استطاعت فرنسا ان تحتل البلاد نهائيا فى عام ١٩٣٤ ، وقد

---

(١)هو يوسف بن ابي بكر ابراهيم المصالي الصنهاجي (نسبة الى صنهاجة وهى من اشـهر قبائل البربر) أمير المسلمين وملك الملثمين وبانى مدينة مراكش واول من دعى بأمير المسلمين ، ولد فى صحراء المغرب وولاه ابن عمه ابو بكر بن عمر امارة البربر ، كان ابن تاشفين هذا رجلا حازما شجاعا عادلا ، شديد التمسك بالاسلام ما زال يترقى فى المراتب حتى شمل سلطانه المغرب الاقصى والاوسط ودانت له الاندلس (اسبانيا) وكان لعدم افتتانه بابهة الملك يخطب لبنى العباس تمسكا بالوحدة الاسلامية وهو يشبه صلاح الدين الايوبي او يشبهه صلاح الدين من عدة وجوه فكما ان صلاح الدين انقذ فلسطين من ايدى الصليبيين وحرر المشرق العربى باسم الاسلام وهو من غير العرب فكذلك حرر ابن تاشفين المغرب العربى (اسبانيا) اذ انقذ هذا القطر من نصارى الشمال وسحق جيوشهم فيه باسم الاسلام وهو من غير العرب ولقد كان هذا الملك لا يعرف العربية الا قليلا ولذلك كان له مترجم يعرف العربية والبربرية ، ومن‌مظاهر تمسكه بالاسلام ووفائه للجامعة الاسلامية ان كتب على دنانير مملكته (لا اله الا الله محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب فى دائرة الدينار (ومن يبتغ غـير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وكتب على الصفحة الاخرى مـن الدينار) الامير عبد الله امير المؤمنين العباسي) (ومن ابرز صفاته العالية عزوفه عن الدنيا مع ترامبها تحت قدميه فقد حدث ان جمعت الغنائم بعد معركة (زلاقة) التى طحن فيها جيوش الاذفونش الصليبية باسبانيا فلما جمعها الجند بين يديه عف عنها ولم يأخذ منها فلسا واحدا بل تركها لعرب الاندلس بعد ان افهمهم انه لم يأت للسلب والنهب وانما جاء للجهاد فى سبيل الله فاكبره اهل الاندلس واحبوه فبايعه ملوكها (وكانوا ثلاثة عشر ملكا) وهؤلاء الملوك هم ملوك الطوائف الذين قضت على وحدتهم الاسلامية (نعراتهم القومية) مما اضطرهم امام تفرقهم وخطر الصليبية الزاحف من فرنسا عليهم الى الاستنجاد بهذا الملك البربرى المسلم الذى حضر ساعة الصفر فانقذهم بكفاحه واظلهم برماحه .... كان مولد هذا الملك العظيم (بصحراء المغرب) سنة ٤١٠ هـ ووفاته كانت بمدينة مراكش سنة ٥٥٥ هـ رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

اعرف وطنك

ظهرت فى هذه المعارك بطولات الاسلام الاولى وقتل فيها كثير من ضباط الاستعمار وجنوده واستشهد فيها عدد غير قليل من مجاهدى وابناء البلاد .

ولولا تفرق البلاد الى سبع امارات متخاذلة لما استطاع الاستعمار ان يقهر هذه البلاد الاسلامية ابدا .. وحين انتهت مقاومة الموريتانيين نهائيا عام ١٩٣٤ هـ احتلت اسبانيا منطقة (ايفنى) المراكشية واصدرت قرارا بضمها لبلادها وما زال الامر كذلك حتى اليوم.

ومنذ ان استتب الامر للمستعمرين عملوا قصارى جهودهم لمحاربة الاسلام والعربية بعد ان هالهم وادهشهم انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، فالاسلام دين الفطرة ، يدعوا الى المساواة ، فلا فرق بين الابيض والاسود ، وقد خطط المستعمرون لمحاربة الاسلام مناهج عديدة منها

١ ــ محاولة الفرنسيين فى بداية الامر التفريق بين المسلمين من بيض وزنوج. ولكنهم فشلوا حيث ان الاسلام لا يعبأ بالالوان والاجناس .

٢ ــ الغاء اللغة العربية واستبدالها بلغة المستعمر الدخيل .

٣ ــ محاولة نشر المخدرات والمسكرات وذلك لافساد الشباب وصرفهم عن قضايا دينهم .

٤ ــ الدعوة الى السفور والاختلاط وذلك لبث الفساد واشغال الناس بقضايا الجنس لتقتل فيهم الرجولة ــ والفضيلة .

ثم ما كان من فرنسا ان الحقت البلاد بالسنغال واصبحت عاصمتها فى سان لويس . ولكن فى عام ١٩٥٧ م اضطرت فرنسا امام تصميم الشعب الموريتانى الى اعطاء البلاد حكما شبه مستقل وتألفت اول حكومة برئاسة مختار بن داده وانتقلت العاصمة الى نواكشوط .

وفى عام ١٩٥٨ منحت فرنسا موريتانيا استقلالها ضمن الاطار الفرنسى وتشكلت بذلك الحكومة الاسلامية الموريتانية .

ثم فى عام ١٩٦٠ حصلت موريتانيا على الاستقلال التام وذلك فى ٢٦ تشرين الثانى ودخلت هيئة الامم المتحدة .

وأخيرا ....

فهذه موريتانيا الدولة المسلمة العربية التي أخرجت فطاحل العلماء والدعاة المسلمين والتي كانت فى فترة ما حامية لكل المغرب العربي من هجمات الصليبيين ، وأهلها كما وصفهم المؤرخ بن حوقل فى القرن الرابع الهجرى بقوله (وهم اهل بأس وممجزة ، مفطورون على الفروسية ويسرعون فى اخترط السيف وخوض غمار الحرب) .

أن موريتانيا تدعونا اليوم ان لا ندعها وحدها تخطط لنفسها بعيدة عن اخواتها الدول العربية والاسلامية الاخرى ، لأن المعارك الضارية التي تخوضها الأمة الاسلامية ضد قوى البغي والعدوان تستلزم تضافر جهود وتوحيد القوى وتوجيه الطاقات لضرب خصوم الاسلام المتربصين بنا الدوائر والذين لا يريدون للأمة الاسلامية ان تعيش فى ظل الاسلام وتحت راية القرآن (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .



مجموعة من طلبة موريتانيا الذين يتلقون تعليمهم فى مدارس الكويت وهم موزعون على الكلية الصناعية ومعهد المعلمين والمعهد الديني ..



فريق من الطلبة الموريتانيين فى قاعة الاستراحة بمساكن وزارة التربيـــة الكويتيـــة .



يظهر فى الصورة بعض من طلبـــة جمهورية موريتانيا الاسلامية العربية وهـــم يؤدون الصـلاة ، ونلاحــظ فى الصورة الزى الوطني التقليدى .



التجارة فى الحج

السؤال : ـ

بعث الينا السيد جعفر اسماعيل من البحرين بالسؤال الآتي : ـ
أنا احترف التجارة ، وقد تعودت السفر الى مكة المكرمة فى موسم الحج بقصد التجارة وأداء مناسك الحج ، ومضى على اكثر من عشرين سنة وأنا على هذا الحال ، فهل يكتب لي ثواب الحج فى كل مرة من هذه المرات مع العلم بأني فى غنى ويسر عن الكسب فى المواسم ؟

الاجابة : ـ

كان بعض التجار المسلمين ـ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلقون حوانيتهم ، ويتركون الاشتغال بتجارتهم فى موسم الحج ، ويتفرغون لأداء المناسك ظنا منهم ان التكسب بالتجارة يتنافى مع اداء هذه الشعيرة ، وقد لجأ كثير منهم الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يستفتيه فى هذا الشأن ، فنزل الوحي يعلمهم ان الاعمال بالنيات وأن مدار الثواب والجزاء هو الاخلاص ، وانه لا مانع من التكسب فى الحج بأي وسيلة من الوسائل المشروعة ـ تجارة كانت او غيرها ما دام الانسان قد أخلص نيته لله تعالى ، وابتغى بحجه ثواب الله ورضاه كما علمهم القرآن الكريم ان السعي على الرزق عبادة أيضا لأنه طلب لفضل الله والتماس لرزقه .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثموا ان يتجروا فى الموسم (امتنع المسلمون عن التجارة فى ايام الحج مخافة ان يحبط ذلك ثواب عبادتهم او يقلل مثوبتهم) فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » .

فأباحت الآية الكريمة لهم ذلك مع وجوب تجنب الجدال والرفث والفسوق قال تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

الرشوة حرام

السؤال : ـ

انا شاب مسلم وأبواى شيخان كبيران ولي زوجة وثلاثة اولاد ، ولا عائل لهم سواى ولا نملك شيئا من حطام الدنيا وقد حفيت قدماى فى البحث عن عمل فلم اجد ، وأخيرا وجدت من يتوسط فى الحاقي باحدى الشركات ولكنه اشترط علي دفع مبلغ من المال ليشترى به هدية يقدمها الى مسئول فى الشركة بيده الأمر والنهي ، فهل يجوز لي شرعا أن اقترض هذا المبلغ ، وأقدمه لطالبه كي احصل على عمل ؟

س.ع (طرابلس لبنان)

الاجابة : ـ

الرشوة السافرة والمقنعة محرمة فى الاسلام ، حرام على المسلم ان يدفعها ، وحرام عليه ان يقبلها ، وحرام عليه ان يكون وسيطا فيها بين المعطي والآخذ . هذا فضلا عن ان كل الأديان السماوية والقوانين الوضعية تمنعها منعا باتا وتعاقب كل من تثبت عليه ، فهي جريمة

منكرة تنشر الفساد ، وتشيع الظلم والفوضى فى المجتمع ، ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من يتصل بها بسبب من الاسباب فقد روى الامام احمد والحاكم عن ثوبان قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش . وهذا هو الوسيط فى عملية الرشوة .

وخير لك ان تمتنع عن السير فى هذا الطريق الشائك ، وأن تأخذ نفسك بالصبر وتسلك طريقا أخرى حتى يجعل الله لك من امرك يسرا . ان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا . وعليك بتقوى الله فانها السبيل الأقوم لتفريج الكروب قال سبحانه « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

فان ضاقت فى وجهك السبل ، واستنفدت جميع الوسائل المشروعة ، وقدمت هذه الرشوة المقنعة فلا اثم عليك ، والاثم على الآخذ ، بشرط الا يؤدى ذلك الى اخذ حق غيرك او تقديمك على من هو أكفأ منك .

وخير ما نذكر به هؤلاء الذين ولاهم الله امور الناس فخربت ذممهم وفسدت ضمائرهم ــ قول الله عز وجل « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

الطلاق المعلق

السؤال : ــ

نشب نزاع بيني وبين زوجتي تدخلت فيه اختها ، فأثارني هذا التدخل فقلت لزوجتي علي الطلاق بالثلاثة لا تحكي مع اختك . فما حكم الشرع فى هذا اليمين .

احمد سيد محمود

الكويت ــ نقرة الطوارىء

الاجابة : ــ

هذا اليمين من قبيل الطلاق المعلق ، والطلاق المعلق نوعان :

نوع قصد فيه الزوج ربط الطلاق بحادثة معينة ، لو وقعت يقع الطلاق ، كأن يعلق الزوج الطلاق على سفر زوجته مثلا او التكلم مع اختها كما فى هذا السؤال . والنوع الثاني . لا يقصد به ربط الطلاق بحادثة معينة ، بل قصد به الحمل على فعل شيء معين كمنع الزوجة من السفر أو منعها من التكلم مع اختها .

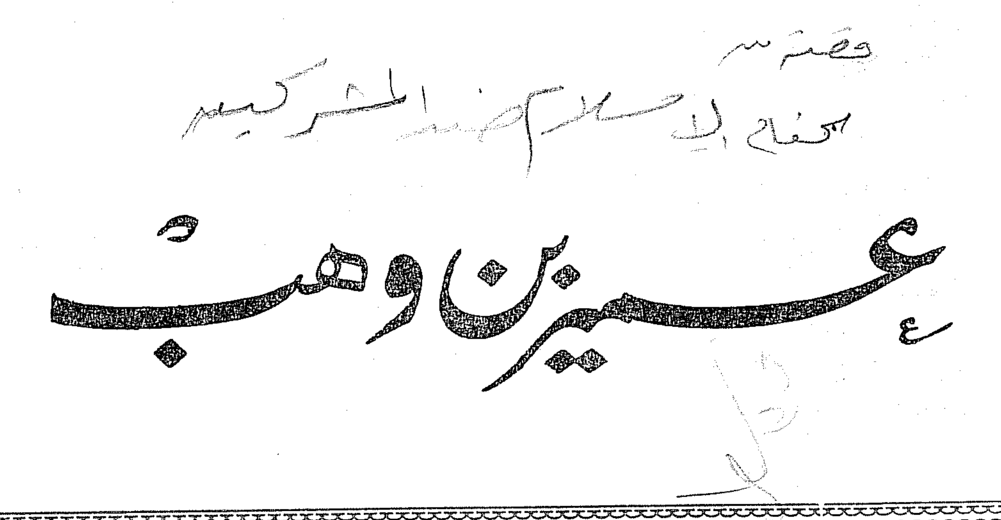
ويرى جمهور الفقهاء وقوع الطلاق فى النوعين عند وقوع المعلق عليه ، وهناك رأى للامام علي كرم الله وجهه وشريح وعطاء والحكم بن عتبة وداود الظاهرى وابن حزم بعدم وقوع الطلاق فى النوع الثاني وهو الذى قصد به الحمل او المنع من فعل الشيء ولم يكن قصد الزوج فيه الطلاق عند وقوع المحلوف عليه ، وبهذا الرأى افتى كثير من العلماء فى الايام الاخيرة تيسيرا على المسلمين ومحافظة على كيان الأسرة .

وأما الطلاق الثلاث فيرى جمهور الائمة انه يقع ثلاثا ، وبعض العلماء يرى ان الطلاق بلفظ الثلاث او بثلاث تطليقات متتابعات فى مجلس واحد يقع طلقة واحدة استنادا الى ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : كان الطلاق على عهد رسول الله وابي بكر وسنتين من خلافة عمر ــ طلاق الثلاث يقع واحدة ، فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا أمرا لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه ، فجعل الطلاق ثلاثا بلفظ واحد يقع ثلاثا .

وانا ننصح السائل وأمثاله بالا يلجأ الى الحلف بالطلاق فى مثل هذه الامور التافهة فان هذا لعب بدين الله واستخفاف برابطة الزوجية وعقدها ، وقد سماها الله سبحانه ميثاقا غليظا ، وما لمثل هذه الأسباب شرع الطلاق .

ونفتيه بأنه اذا كان قصد بيمينه هذا تطليق زوجته عند تكليمها مع اختها فانه يكون طلاقا واحدا وله مراجعتها فى عدتها اذا كان هذا الطلاق هو الأول او الثاني .

بقلم الأستاذ لطفي ملحس
المدرس بالكلية العلمية الاسلامية فى عمان ــ الاردن

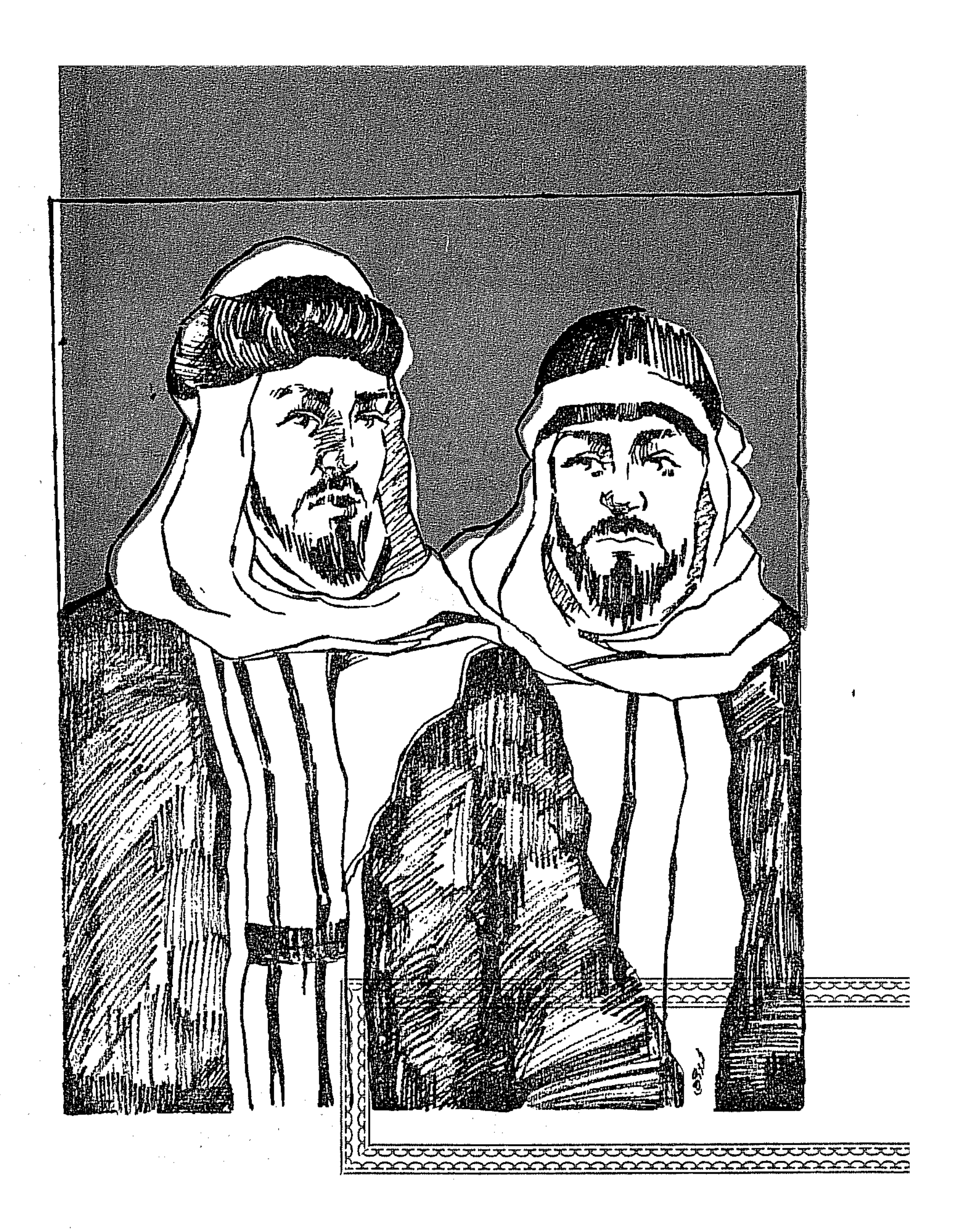


عمير بن وهب

ياشباب الاسلام ان الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب يحول النار نورا ، والشياطين ملائكة ، والقساة رحماء ...

كان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، فاتكا لا تؤمن بوائقه ، غضوبا للتوافه ، لم يعرف بحلم ساعة ، فان استعصى عليه مطلب اقتنصه بحد السيف مجابها ، أو غادرا ، او خائنا . فلما كرم الله الانسانية بالرسول الأعظم مبشرا ونذيرا اندفع (عمير بن وهب) ينكل بالمؤمنين ، فلقوا منه اشد الايذاء وكذلك من ابنه (وهب) الذى وقع أسيرا فى غزوة بدر ، اما الاب فقد افلت من القتل والأسر .. ومضت أيام وأيام على يوم بدر ، وعظماء قريش منكسة رؤوسهم مما لحقهم من الخزي ، والعار ، ومن هول ما فقدوا من ابطالهم ورجالاتهم .

وفى صبيحة يوم تلاقى عمير بن وهب مع صفوان بن امية ، فأخذا يتشاكيان ، ويتحرقان من شدة ما لحق قومهما من الانكسار على يد رجال محمد بن عبد الله ، وقد



ترك صفوان أباه (امية) قتيلا فى ساحات بدر ، واما الآخر ، وهو عمير فيكاد يتمزق الما على ابنه (وهب) المأسور لدى المسلمين . . وجرى بينهما حوار :

عمير (وقد بدت على وجهه علائم الاستخفاف بصفوان) : قل لي يا صفوان ، أراك تبرق وترعد ، وتزمجر وتهدد ، فما الذى انت فاعله بعد ان رايت فيك الرعب ، يأكل كبدك ، مذ لاقيت ابن عبد الله ، وبعد أن خلفت عند جماعته من بقى لنا من الاعلام الصناديد ؟!..

صفوان : والله ما فى العيش بعدهم خير يا عمير ، ولست ارى بعدهم الا هما ملفوفا بهم ، وحياة مجللة بالعار ، وقوما يرسفون فى الذل عند اعدائنا الاشرار ، ولست أعلم بعد ، اى مخلص ينجينا مما لحقنا ، ومما نحن فيه من آلام .

عمير (وقد لمعت عيناه بالشر) : اجل يا صفوان ان عارنا لا يمحوه الا ان نركب الشر ، ولو فى اوعر الدروب ، فنقتل محمدا ، او نقتل دونه ، ونخلص اسرانا العديدين ، ومن بينهم ابني وهب وحيدى ، وفلذة كبدى ..

صفوان : انت لها ، انت لها يا أبا وهب ، انه لا ينقذنا مما نحن فيه سواك ، انك لتغسل عن قومك عار الأبد ، وترفع رؤوسا قد نكسها الذل والكمد ، وتقيم أعوادا قد احناها الهوان ، وترغم الدنيا على التحدث باسمك فى كل مكان . فهيا أيها البطل المغوار ! ..

عمير (وقد اربد وجهه) : وديوني وعيالي يا صفوان ؟

صفوان (مطمئنا عمير) : علي ديونك اقضيها عنك ، واما عيالك فليكونوا بمنزلة عيالي ، لا يسعني شيء وأعجز عنهم .

عمير : احقا ما تقول) ؟

صفوان : نعم ، نعم ،

عمير : اذن اكتم شأني وشأنك ..

الى المدينة

ومضى عمير لتوه فشحذ سيفه وسممه وانطلق الى المدينة يقصد قتل الرسول ، وهناك فى مسجد الرسول فى المدينة كان نفر من المسلمين يتحدثون الى عمر بن الخطاب عما شاهدوه فى يوم بدر من شجاعة المسلمين ، وجبن المشركين ، وقد اخذوا يسردون اسماء اشخاص من كلا الفريقين ، كل بما قام به من افاعيل ، وقد اخذ الفتى (معاذ بن الجموح) يحدث عما شاهده بنفسه والله يا ابا حفص ، لقد كنت اعمد الى الرجل بسيفي اضربه ، فاذا برأسه تطير قبل ان يمسها السيف ، ولا يكاد يقترب مني آخر الا وكأنه هو نفسه يقدم عنقه للقتل ، فأيقنت انها ارادة الله ، وان الله لا بد ناصر جنده وبالغ امره .

فقال عمر نعم ، انه ليوم من ايام الله ، واني اعتقد ان له ما بعده ، (وبينما القوم على احاديثهم (البدرية) هذه استلفت انظارهم رجل متوشح سيفه ، وقد ظهر الغدر والشر على وجهه ، فاناخ بعيره على باب المسجد ، وسرعان ما عرفه بطل المسلمين عمر ابن الخطاب (أبو حفص) فقال لجماعته خذوا حذركم . هذا والله هو (عمير بن وهب) ما جاء الا لشر ، فاقطعوا عليه الطريق .. حتى ادخل الى رسول الله فاعلمه بمجيئه ، فان اذن له بالدخول ، فعليكم ان تحيطوا به ، وتجلسوا عنده ، لانه شيطان رجيم .

عند الرسول الكريم

ودخل عمر الى الرسول ، وحدثه بمجيء الرجل ، فقال النبي (ادخله علي) . فخرج عمر إليه ، فاخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلببه بها ، ثم قاده الى حيث يجلس الرسول .

فقال عمير : عموا صباحا .

فقال الرسول : لقد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، فالسلام تحية اهل الجنة . ثم قال النبي : وما مجيئك ياعمير ؟

قال عمير : جئت من اجل ابني (وهب) اسيركم .

قال النبي : وما هذا السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل اغنت عنا يوم بدر شيئا ؟

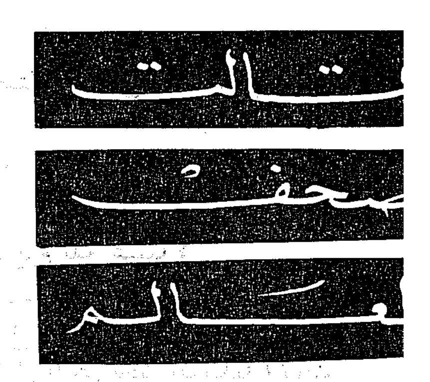
قال النبي : اصدقني ما الذى جئت له ؟ .. فسكت عمير .. وتحدث النبي ، فقال : (اسمع ياعمير انك قعدت انت وصفوان بن امية فى الحجر) فذكرتما اصحاب القليب (بئر بدر) من قريش ، وبعد أن تحدثتما حول العار الذى لحق بقومكما ، تعهد لك صفوان بتسديد ديونك ، واعالة اهلك على ان تجيء جيئتك هذه لقتلي . فثق يا عمير ان الله حائل بينك وبين ما تريد .

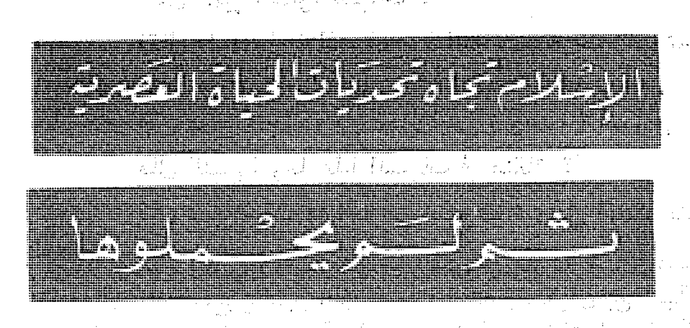
اسلام ...

بهت عمير ، وبعد صمت طويل ، قال : الله .. اشهد انك رسول الله ، فوالله ان ما ذكرته لم يحضره احد غيري وغير صفوان .. وانه لم يخبرك به احد غير الله .. فالحمد لله الذى هداني للاسلام ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. ثم وقع مغشيا عليه ..

ولما افاق قال النبي لاصحابه : فقهوا اخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له اسيره ومنذ هذه الساعة تحول عمير الفاتك الجبار ، والشيطان الرجيم الى ملاك رحيم ، قد انقلب الى شعلة من الايمان الحي الصادق ، وقد ذكر عن نفسه فقال (اني قدمت المدينة ، وأنا عازم على قتل محمد، ولو حال بيني وبين ذلك أهل الارض قاطبة ، وبقيت على هذا العزم ، فما ان وصلت المدينة حتى القى فى روعي ان السماء توشك ان تنقض على الأرض ، وخيل الي ان بعيري يسخر مني ، وان الأرض قد كرهت أن تحملني . وتبدى لي مسجد الرسول اسيافا متلاصقة ، وخلت كل ذرة من الهواء قد غدت سيفا مشدودا لمحاربتي . وما ان لبيني عمر حتى خلتني بين صخرتين عظيمتين تضغطان عظامي . ولما دخلت على الرسول وجدت من حوله رجالا قد شدت ابصارهم الي ، وأن لهما لبريقا يصرع الشجعان غيري ولكنني لم احفل بهم . وحادثت الرسول .. وقد كان القوم كلما نطق الرسول ، خشعت ابصارهم ، فأريد اغتنام الفرصة ، فاذا بيني وبين الرسول حائل ، واقسم لقد كنت كلما تحسست مقبض سيفي وجدت حول المقبض عشرات من الايدى كالحديد احسها ، ولكن لا ارى اصحابها ، وكلما هممت بذلك رأيت اسيافا وحرابا تسد الفضاء بيني وبين الرسول ـ وتبدى لي الرسول بعيدا . فايقنت ان الله حائل بيني وبينه ، كما قال لي ذلك محمد نفسه .. فلما كذبت على الرسول وما اراني الا كارها للكذب ، ولكنها الحرب خدعة ، واجهني بما كان بيني وبين صفوان فأيقنت ان الأمر جد لا هزل فيه ، فارتج علي وعرضت على عقلي ما انا فيه ، واختبرت نفسي ، وخبرت ما لدى من شواهد ، على صدق محمد فلم اتمالك ان قلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . واضحى قلبي معلقا بمحمد ، وما من احد من خلق الله احب الى قلبي منه .

البقية على ص ٨٩





الاسلام تجاه تحديات الحياة العصرية

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية تحت هذا العنوان : مقالا مستفيضا نقتطف منه ما يلي :

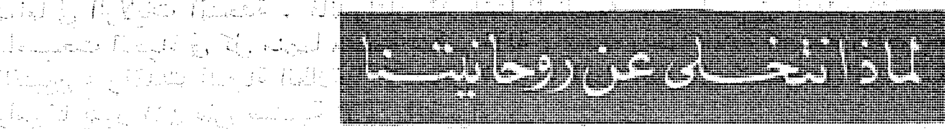
نعتقد ان مسؤولية مسلمي لبنان مسؤولية بالغة . ان الذى يغلب علينا بتأثير الوضع الطائفي الذى نعيشه فى لبنان ، هو التحدث عن الحقوق الطائفية .

وحقوق المسلمين لا تختلف فى شيء ، ولا يجب ان تختلف فى شيء عن حقوق وواجبات جميع طوائف اللبنانيين .

ولكن الأهم والأعمق من الحديث عن حقوق الطوائف فى لبنان اذا شئنا كمسلمين ان نرتفع للمستوى الالهي الانساني للرسالة الاسلامية هو أن نتحدث عن المسؤولية الاسلامية فى لبنان والمسؤولية الاسلامية فى لبنان هي قبل كل شيء مسؤولية بناء لبنان بكامله بناء جديدا . ومسؤولية صنع المجتمع اللبناني بكامله ، صنعا جديدا .

فهذه المسؤولية ، هي فريضة العقيدة علينا ، بقدر ما هي فريضة المواطنية ، وهي فرض عين لا فرض كفاية . اى ان على كل منا ايا كان ، ان يؤدى واجبه فى تحمل المسؤولية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) . وهذا الوعي العميق ، والمتجدد لمسؤوليتنا كبشر ، وكعرب ، وكمواطنين لبنانيين هو الوعي المطلوب منا بصورة خاصة تجاه تحديات الحياة المصرية لنا فى لبنان وفى العالم العربى ، وفى العالم كله ، فنتجه فى فعاليتنا الفكرية ، والعملية اتجاهين متكاملين : الاتجاه الأول ، هو نحو المشاركة مع سائر المواطنين اللبنانين فى تحضير لبنان وتنظيمه تنظيما حديثا ، تتبلور فيه الحرية والعدالة معا ، ونتجه فى نفس الوقت نحو تحضير وتنظيم مؤسساتنا الاسلامية الخاصة بمختلف فروعها ورفعها الى مستوى العصر الذى نعيش فيه ، والى مستوى الروح الاسلامية الحق . فلا يكفي بعد اليوم أن تكون لنا مؤسسة تربوية ، كالمقاصد نعتز بها ونفخر بما ندين به لها ، ولكن هذه المؤسسة لا تحقق اليوم غاية وجودها الا اذا كانت طليعة من طلائع التقدم التربوى لا فى لبنان ، او فى العالم العربي فحسب ، بل فى العالم كله .

ولا يكفي ان تكون لنا مساجد ، وان يكون لنا ائمة ووعاظ فى هذه المساجد ، ولكن يجب ان يكون لهؤلاء الوعاظ من الثقافة الدينيــة والعصرية ومـن السـمو الخلقي والتشوق الروحي ، ما يجعل مواعظهم ذات معنى لا للجيل الاسلامي الجديد فحسب ، بل ذات معنى ومغزى وتأثير بالنسبة للجيل الانساني الجديد كله .





ثم لم يحملوها

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ان الطريق طويلة وشاقة ، والتحالف الطبيعي الذى نراه دائما بين الصهيونية والاستعمار ، حيث يسير الركب الآثم ، وتنطلق المخططات الرهيبة الماكرة ، هو الذى كنا نراه فى صدر تاريخنا بين اليهود الوثنيين والمنافقين ، وليس لهذه العقدة الصماء اليوم الا السلاح الذى سحقها بالأمس ، وعبثا يحاول اعداؤنا ان يجعلونا بحربهم النفسية على صعيد ننكر فيه ذاتنا ، ونتخلى عن مقومات وجودنا ، فالأمر أبعد مما يتصورون ، والاحداث الكبيرة التي يترنح تحت مطارقها صلد الصخور لا تزيد المؤمن الا صمودا ورسوخا بما هو فيه ، وصدق انطلاق الى الغاية التي تناديه من اعماقه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

لقد وقفت أمتنا فى الماضي سبعين عاما تقارع اولئك الذين غزوا بلادنا تحت شعار الصليبية ، ثم كان لنا ما كان من النصر والتمكين ، لقد ثارت ريح المعارك من اول الطريق .. من اول يوم وطئت هذه الأرض أقدام الغزاة ، ثارت ريحها على كل شبر من ارضنا ، وفوق كل رابية من روابينا ، وفى البحر وعلى كل ساحل ، واشترك فيها تحت راية الاسلام كل قلب وكل عقل وكل ساعد ، وتعطر الثرى بالدماء ، وتوالت قوافل الشهداء ، ولم يهن المناضلون ... وارتحل الدخيل .

هذا وبعد الذى ذكرت ، اننا حين نقف على مستوى الوقائع وما تمليه طبائع الأشياء ، نستطيع ان ندرك الأبعاد التي يعطيها قول الله تبارك وتعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

هذا جانب من حديثنا مع الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها .. فهل تظل امتنا على خط البناء .... تحمل القرآن وتتابع الطريق ؟) .

لماذا نتخلى عن روحانيتنا

وكتبت صحيفة الحياة البيروتية تحت هذا العنوان تقول :

زار بيروت الفيلسوف الاميركي بيتر فيريك . وألقى محاضرة فى نادى الخريجين ، طرق فيها موضوعا حساسا وخطيرا ، من زاوية فلسفية .

قال فيريك ان الثورة الادبية التي نشهدها الآن فى الاتحاد السوفيتي ضد التزمت الحزبي والفكرى والمادى ، ليست ثورة عقائدية أو سياسية ، بل هي شبيهة بما يجرى تماما فى الولايات المتحدة . فالدولتان قد بلغتا العظمة عن طريق التقدم الآلي . فأصبحت الحياة فى كل منهما منظمة تنظيم الآلة . تحت رحمة المادة الصماء والخبراء الفنيين ، وفقدت الحياة انطلاقها الانساني الحر ، فجاء الجيل الجديد فى روسيا وأميركا يثور الآن على صنمية الآلة والخبراء .

وأضاف الفيلسوف مخاطبا العرب « أنتم فى العالم الثالث ، لم تحرركم التكنولوجيا بعد كما حررت اميركا وروسيا ، حتى تشعروا بالحاجة الى ردة من المادة الى الرومانطيقية ! » .

اقف عند هذه العبارة من محاضرة الفيلسوف الشاعر « فيريك » لاتساءل اذا كانت المادة ستضطرنا للعودة الى الروح ، فلماذا نتخلى عن روحنا ، ومن شرقنا نبعت جميع الروحانيات التي انارت ضمائر البشر ، انطفيء نورنا بأنفسنا ، ونعيش فى الظلمة ، لنعود بعد ذلك نفتش عن قبس ؟ .

ليسمع من في آذانهم وقر ، وفي عقولهم فراغ ! .

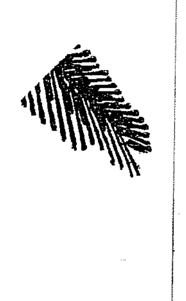
المساواة الروحية

ومن مقال « العدالة الاجتماعية الذى نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامي نقتطف الكلمة التالية » : ـ

المساواة فى الاسلام لا تعني بالجانب المادى الضيق وحده ، بل تمتد الى نفوس المسلمين ، وتحررها من كافة صنوف العبودية وترفع معنوياتها ، وتصقل مشاعرها حتى يحس المسلم انه اخو المسلم لا يرهبه ولا يخشى الا الله . وهذا النوع من المساواة النفسية التى أغفلها الغرب هي فى نظرى مفتاح النجاح الذى أحرزه مبدأ المساواة عندما طبق فى المجتمع الاسلامي . فنقطة البداية عندنا ايماننا المطلق برب واحد هو وحده يميت ويحيى ويملك كل أمرنا ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ، وليس بيننا وبينه وسيط او شفيع ، والكل له عبيد مهما علت مراتبهم او انخفضت مواهبهم . وقد حرص القرآن على تصوير هذه العبودية المطلقة فابرزها حتى بالنسبة للانبياء (قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .

وعندما يؤمن المسلمون بهذه المعاني الاساسية فى العقيدة الاسلامية يحس كل فرد مسلم باتصال شخصه الضعيف الفاني بقوة الاله القادر الرحيم اتصالا مباشرا لا وساطة فيه ، فيستمد من ذلك شجاعة وعزة تشعره بتساويه مع جميع افراد المجتمع امام الله سبحانه وتعالى ، وقد حرص الاسلام على تقرير هذه الصلة المباشرة بين العبد الضعيف والرب الرحيم حرصا ردده القرآن فى اكثر من موضع (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) (واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

وعندما يتحرر المسلم من خوف الفقر الا الى الله الرزاق ، وعندما يتحرر من عبودية المنصب فيؤمن بأن الله هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وعندما تسمو روحه عن الخوف على الحياة لأن الله وحده يحيى ويميت ، عندئذ يجتاز المجتمع الاسلامي العقبة الاولى نحو المساواة الحقة ، وعندئذ فقط تعطى التشريعات الاسلامية مفعولها الاكيد لخلق الامة التي وصفها القرآن بأنها خير امة اخرجت للناس .



الى مكة ...

وغادرت المدينة وكل قطرة من دمي قد وهبتها لرب محمد ، ولفداء محمد ، ودين محمد .. فلما رآه صفوان وكان ينتظر قدومه بذاهب الصبر تلقاه قائلا : مرحبا بالحبيب ، مرحبا بأبي الابطال وفخر الرجال ، ثم مد ذراعيه ليحتضنه ، ولكن عميرا راح يبتسم فى سخرية واضحة ، ثم يقول ويده تجرد السيف من غمده يا صفوان بن امية .. لقد علمت قريش ان محمدا بن عبد الله من أشرفها بيتا ، واصدقها حديثا ، واعرقها بالأمانة .. الم تستبشر قريش بمولده يوم ولد ؟ الم تحكمه فى امورها شابا ورجلا ؟ الم تلقبه بالأمين وهو أعز القابها ؟ هل جربتم عليه كذبا ؟ هل عرفتموه بخيانة ؟

يا قوم ، لقد آمنت بالله ورسوله ، وشهدت واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . والذى شرف محمدا بالرسالة العظمى لادعون الى اللــه فى اجوافكم ، ولأملأنها عليكم حربا ، او تؤمنوا بالله ورسوله ، وهذا سيفي ، فمن شاء ان تثكله امه فليلقني بما اكره .. قال هذا ، ومضى الى بيته ..

اما صفوان ، فقد زاغت منه العينان ، وخارت قواه ، وفغر فاه ، وبقي جامدا لا يدرى ما يقول .. وبعد أن عاد اليه صوابه سار واصحابه الى البيت الحرام ذاهلين من اقوال هذا الذى كانوا يعقدون عليه الرجاء فى قتل محمد واصحابه الاعداء .. وكان عمير قد سبقهم الى البيت الحرام وهو متقلد سيفه .

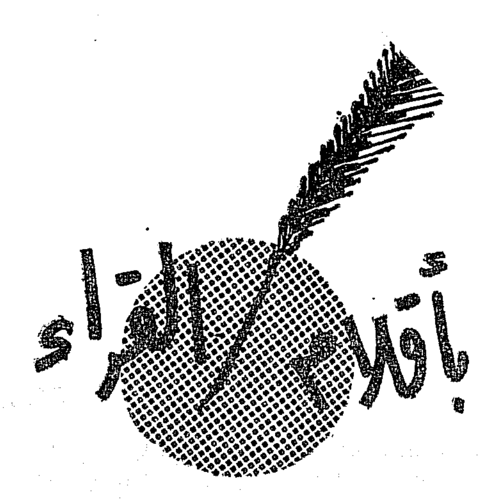
يدعو الى الاسلام

وفى البيت الحرام اخذ ـــ وهو كالأسد الهائج ـــ يتلو ما حفظه من الآيات ، فقرأ ما يأتي (ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم . فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ..

اعرض عنه من اعرض ، واستمع اليه من استمع . فدخل كثير من المشركين فى دين الله على يد عمير بن وهب الذى جاهد فى سبيله حق الجهاد بعد ان حارب بضراوة ضد الاسلام .

انه عمير الذى ذاق حلاوة الايمان بعد ان رفع راية الشرك والعصيان .. عمير (ابو وهب) الذى وصفه المسلمون ايام الشرك بالشيطان الرجيم ، قد انقلب وهو المسلم المؤمن حقا ، الى ملاك رحيم .

فرضي الله عن عمير بن وهب مجاهدا عظيما وبطلا فذا فى الأبطال الخالدين ...



حول تعدد الزوجات

كتب الاستاذ حلمى محمد قاعود من الجمهورية العربية المتحدة تعقيبا على ما نشر فى هذا الباب من العدد التاسع تحت هذا العنوان يقول :

للباحثين الاسلاميين اساليب مختلفة فى اخراج افكارهم وطرحها على صفحات الكتب أو الجرائد أو التكلم بها شفهيا .. فبعضهم يميل الىالبساطة بحيثيقرأ أفكاره كل مثقف عادى ، وبعضهم يجنح الى العمق والدخول الى الجوهر مع الاحتياج لكل كلمة وكل حرف يذكره فى كلامه .

تماما مثل الثوب القطنى .. والثوب الصوفى .. فان نسيج الاول يختلف عن الثاني .. كما ان مادته تختلف عن مادة الآخر ، ولاختبار النسيجين طرق خاصة يجب ان يلم بها من يريد شراء الثياب والا لوقع فيما لا يرغب ..

وهذا بالضبط ما حدث حين فهم الاخ مصطفى مدنى محمود من جمهوريتنا ، قول العقاد فى تعدد الزوجات (العدد ٩ من مجلة الوعى الاسلامى ــ البريد) .

فهو يذكر ما يفيد ان رأى العقاد لا يسير مع المنطق والعقل وقد ايدته الوعى فى ذلك ــ والحق ان الاستاذ العقاد رحمه الله عرف عنه انه ذو منهج تحليلي فى البحث يقوم على المنطق والموضوعية ، كذلك عرف عن اسلوبه .. انه اسلوب دقيق ، لكل كلمة فيه وزنها وقيمتها .. وبين يدى كتاب العقاد (حقائق الاسلام واباطيل خصومه) .. وقد قرأت الفصل الذى تناول فيه هذا الموضوع وهو بعنوان « الاسرة » فلم اجد سوى دفاع العقاد عن « اباحة تعدد الزوجات » ولم تؤثر فيه حملة الغربيين على اباحة التعدد .. وقد استشهد على وجود التعدد بدلائل كثيرة لدى الديانات السماوية والوضعية ، وهو مع ذلك يقول ما تقوله « الوعى » فيه ، يقول العقاد : وينبغى ان ننبه

الى وهم غالب بين الجهلاء والمتعجلين من المثقفين ، عن سنن الاسلام فى تعدد الازواج قبل الاسلام .. اذ الغالب على أوهامهم ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى اباح تعدد الزوجات او انه اول من اباحه بعد الموسوية والمسيحية » ص ١٧٧ من حقائق الاسلام .. ويمضي العقاد بعد ذلك فى بيان كيف كان التعدد مشروعا قبل الاسلام وفى الشرائع القديمــة ..

وعليه فان العقاد لم يكن من الذين أثرت عليهم حملة الغربيين فى اباحة التعدد .. بل هو الباحث الاصيل الذى يتكلم بصدق وموضوعية قلما نجدها عند باحث آخر ..

ويبدو ان الأخ مصطفى لم يمعن النظر فى الفقرة التي اوردها من كتاب العقاد ، .. فالمساواة بين العدلين اللذين وردا فى الآيتين الكريمتين لم يقل بها العقاد .. بل قال « وكذلك صنع الاسلام بعد اباحة تعدد الزوجات للضرورة القصوى فانه اشترط فيه العدل .. (الى هنا والكلام فيما اعتقد لا خطأ فيه) .. ونبه الرجال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه .. (وهناك فرق بين الصعوبة والاستحالة) »

اذا فان العقاد لم يسو بين العدلين !! وعلى ذلك فالصعوبة هنا تقترن بالميــل القلبي الذى قال به الشيخ عمر بن عبد الله .

ويقول العقاد فى موضع آخر من الكتاب نفسه ص ١٧٦ « ان الاسلام لم يمنع الاكتفاء بزوجة واحدة بل استحسنه وحض عليه ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل انكره وحذر منه ولكنه شرع لأزواج يعيشون على الأرض ، ولم يشرع لأرواح تعيش فى السماء ، ولا مناص فى كل تشريع من النظر الى جميع العوارض ، والتقدير لجميع الاحتمالات ، وفى هذه الاحتمالات ــ ولا ريب ــ ما يجعل اباحة التعدد خيرا وأسلم من تحريمه بغير تفرقة بين ظروف المجتمع المختلفة أو بين الظروف المختلفة التي يدفع اليها الأزواج ... » .

ولعل بعد هذا يتبين لنا الصدق الاسلامي عند العقاد ، فهو من الذين لم تبهرهم الحضارة الغربية ، او اغرتهم بالانشقاق على حضارتهم الاسلامية العظيمة ، فقد وقف عند كل آرائهم وفلسفاتهم نظرة المدقق الباحث لا المستقبل السلبي ، وقد كان رحمه الله يفرد بابا خاصا فى مجلة الأزهر يدفع فيه عن الاسلام التهم والأباطيل التي تقال عنه ، ويثبت فيه كذلك كل نصر له وكل انتصار .. وصدر له كتاب بهذا الاسم تحت عنوان « ما يقال عن الاسلام » .

وهذه كلمة اقولها لوجه الحق ، واكتبها لمجلة صاعدة ، أود ان تفسح صدرها ، حتى تكون النتيجة مثمرة وشافية لكل المتسائلين والقارئين .. والله يهدينا الــى الصــواب .

الى الحق ٠ ٠ ٠

وتلقينا هذا النشيد من الاستاذ حسان المجذوب بالمدينة المنورة
الى العصبة المؤمنة التي آلت على نفسها حمل لـواء
الاسلام ٠٠ فى دياجير الظلام ٠٠ ولم تخدعها زيوف البراقع
٠٠ فهي مطمئنة للنصر نصر الشهادة ٠٠ او نصر المعركة ٠٠

الـى الحـق هيـا شـباب الفـدا ... لنرفـع رايـات مجـد ثـوى
بظـل الأمـين رسـول العـلا ... بظـل السنـا والتقـى والهـدى

***

لنـا سالفـات مـن السـؤدد ... سيـوف مـن العـز لـم تغمـد
سهـرنا عليهـا ولـم نرقـد ... لنهـدم ما قـد بنـاه العـدى

***

سـلام ونـور علـى كـل مـن ... يريـد الاخـاء وعـز الوطـن
ونارتـدك صـروح الفتـن ... لنقذفهـا فـي جحيـم الـردى

***

ركبنـا المخاطـر فـي كـل حـين ... صفعنـا الطغـاة مـن العالمـين
فنحـن الأمانـي لدنيـا وديـن ... ونحـن أسـود الشـرى والنـدى

***

سـل المجـد عنـا وعـن عدلنـا ... فـانـا الهـداة حمـاة الأبـا
ستشـرق أوطاننـا بالمنـى ... لنحيـا جميعـا بظـل الهـدى

حسان المجذوب
المدينة المنوره

هيكل المجدد وتاريخ الاسلام

وأرسل الينا الأستاذ محمود زايد بالجامعة الامريكية كلمة تحت هذا العنوان تناول فيها حياة الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بالبحث والتحليل ، وتعرض لنشأته ، والمؤثرات فى حياته العلمية ، والأدبية والحوافز التي حـولته الى الناحية الروحية الاسلامية ، وقد جاء فيها : ((قال الدكتور هيكل)) ، وقد حاولت ان انقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية ، وحياته الروحيـة لنتخذهما جميعا هـدى ونبراسا ٠ لكنني ادركت بعد لأى أنني اضع البذر فى غير منبته ، فاذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة فيه ٠

فانقلب من ثم يلتمس فى تاريخ مصر البعيد ، فى عهد الفراعنة ، موئلا يستمد منه الثقافة المعنوية ، والحياة الروحية التي ينشدها ٠ ولكنه وجد أن الركود العقلي قد قطع الصلة بين ذلك العهد الغابر وحاضر الأمة ، فقرر انه لا يصـلح بذرا للنهضـة الجديدة ٠

ولم يجد بعد هذا مفرا من التحول الى الاسلام ، وتاريخه ، وحضارته ، يلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية ، وذلك لكي يخرج بأهله من الجمود الذى سيطر عليهم منذ قرون . وحفزه كذلك الى التحول الى الاسلام حملات الغرب وبعض المستشرقين والمبشرين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى تاريخ الاسلام والمسلمين . وتبين ان هناك خطة ترمي الى القضاء على الروح المعنوية فى مختلف بلاد الشرق. فشعر بأن عليه واجب الذب عن قومه ، وتراءى له بافساد تلك الخطة ، التي لا يصيب ضررها الاسلام والشرق فحسب ، بل والانسانية كلها . وهداه التفكير آخر الأمر الى دراسة صاحب الرسالة الاسلامية الرسول الأعظم ، الذى جمع شمل العرب ، وأقام صرح الأمة الاسلامية ، ووضع أسس نهضتهم الكبرى .

وكانت ثمرة جهده فى هذا السبيل كتاب « حياة محمد » صلى الله عليه وسلم ، وقد شجع كتابه هذا غيره من الكتاب على دراسة تاريخ الاسلام ، والاحتذاء بالمنهج الذى التزمه ، فقد شدد هيكل على ضرورة اتباع الطريقة العلمية فى الدراسة كما يفعل الغربيون . فواجب الباحث عنده « الا يثبت مسألة من المسائل ، والا ينفيها قبل أن يصل من تمحيصه وبحثه الى الاقتناع الذاتي الصحيح بأنه اطمأن كل الطمأنينة ، الى الوقوف فيها على الحقيقة كاملة غير مشوبة بشائبة « فشأن المؤرخ عنده هو شأن العالم فى الأمور الطبيعية ، وفى غيرها من العلوم جميعا . وكأن هيكل كذلك من اوائل من نبهوا الكتاب الى أن القرآن الكريم هو أصدق مراجع السيرة ، وانه غني بالاشارات الى كل حادث فى حياته الشريفة ، وأنه لا بد من أن يمحص الكاتب على ضيائه ، ما ورد فى كتب السنة ، وما جاء فى مختلف كتب السيرة .

ولم يلبث هيكل ان أدرك ضرورة الاهتمام بالحجاز منزل الوحي ، وموطن الرسول الاعظم . وهاله انصراف الكتاب والأدباء والشعراء عن الديار المقدسة ، وقلة ما كتب عنها مما له قيمة علمية . ووجد أن ما كتبه العلماء الأجانب بعيدا عن تناول الظواهر الروحية التي تغير لها وجه التاريخ منذ أربعة عشر قرنا ، والتي ستظل عاملا خالد الأثر فى حياة العالم ما كان للقوة الروحية فى توجيه العالم أثر وسلطان .

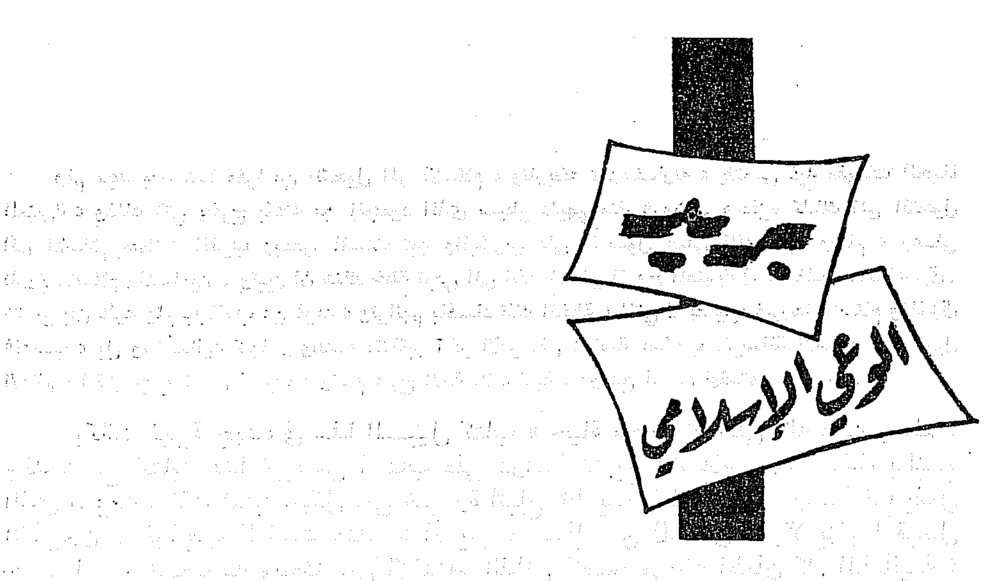
على أنه عند ما وقف على ما كتب عن موطن الوحي ، شعر بأنه سيظل ينقصه الجوهر ، اذا لم يذهب الى بلاد النبي العربي بنفسه ، ويقف حيث وقف فى مختلف مراحل البعثة النبوية الشريفة . فتوجه الى الحجاز ، وأدى فريضة الحج .

وكانت ثمرة هذه الزيارة كتاب « فى منزل الوحي » الذى رسم فيه صاحبه صورا دقيقة لمعالم الحجاز غنية بوصف الآثار وأهميتها ، وما بعثت فى نفسه من مشاعر وأحاسيس .

واندفع هيكل بعد ذلك يتابع دراساته الاسلامية القيمة ، وأمد القراء العرب بترجماته المعروفة لأبي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا . وبهذا أرخ للفترة الاسلامية الأولى التي كان يرى أنها شهدت وضع القواعد الاسلامية الصحيحة ، كما شهدت ، وحدة المسلمين فى ظل الخلفاء الأول .

ولم تكن هذه الأبحاث العظيمة فى تاريخ الاسلام ورجالاته ــ على أهميتها ــ الا جانبا من نتاج هيكل . فقد ألف فى مواضيع أخرى سياسية ، وأدبية وفلسفية واجتماعية . وبقي وفيا لأبحاثه لا يضن عليها بوقت ولا بجهد ، حتى عندما تقدمت به السن ، وغلبت على جسده العلل . فصح فيه قول معاصر للطبرى المؤرخ :

ما زلت تكتب فى التاريخ مجتهدا   حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا



انصح جارك

تقدم احد اصدقائي لخطبة ابنة جار من جيراني ، وقد جاءني هذا الجار يستشيرني ، ويسألني رأيي فى هذا الصديق ، ولما كنت أعلم عن صديقي الشيء الكثير من النقائص ، والمساوىء الخلقية بحكم اختلاطي به واطلاعي على الكثير من دخائله وافشائه لي اسراره ، فأنا فى حيرة من أمري ، وفى شدة الحرج الديني ، والدنيوى ، فواجب الصداقة يحتم علي أن أكتم ما أعلم من امره وان احفظ غيبته ، وحق الجار يتقاضاني ان اطلع جاري على كل ما أعلم ، أداء لحق الجوار ومنعا لحدوث كارثة أراها محققة الوقوع لو تمت المصاهرة بين الطرفين ، وأراني أميل الى أن أقف على الحياد تخلصا من هذا الحرج ، فلا أفضح صديقى ، ولا أنصح جاري ، بل أتجاهل وأطلب منه ان يلجأ الى غيري بحجة ان معلوماتي غير كافية عن الخاطب ، وأن عليه أن يتحرى من طريق آخر ، غير أن قلبي لا يطمئن كل الاطمئنان الى هذا الحل الأخير .

ابعث بهذه المشكلة الى بريد الوعي رجاء ان تنيروا لي الطريق الذى أسلكه حتى ابرىء ذمتي وأرضي الله ..

ابو خالد
الكويت ـ خيطان

يا أبا خالد لقد وازنت فى رسالتك بين أمرين ، الاول حفظ غيبة الصديق باخفاء نقائصه ، والتستر على عيوبه ، والثانى اخلاص النصيحة لجارك باطلاعه على حقيقة صديقك ،والاشارة عليه بعدم انفاذ هذه الخطبة وقد رجحت فى رسالتك الأمر الثاني ، وهو أن واجبك ، يحتم عليك مصارحة جارك ، بكل ما تعلم منعا لكارثة محققة الوقوع ، لو تمت هذه الخطبة ، وبهذا تكون أنت قد أفتيت نفسك ، وأزلت الحرج الذى يعتلج فى صدرك ، ووضعت المصابيح على الطريق الذى تسلكه ، وتبرأ به ذمتك وترضي به اللـه .

والحل الوسط الذى عرضته فى رسالتك ، وهو وقوفك موقفا سلبيا ، وفرارك من ابداء النصيحة بالتزام الحياد ، واحالة جارك على غيرك . هذا الحل هو كما قلت لا يطمئن اليه كل الاطمئنان ، بل قد يكون سببا فى وقوع الكارثة التي تجزم بوقوعها ، لو تمت الخطبة ، فقد يلجأ جارك الى من يغشه ، ولا يخلص له النصح ، وهذا السلوك

نوع من كتمان الشهادة ، التي أمر الله باقامتها بالحق ، ولو على الوالدين والأقربين قال سبحانه ((ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)) وقال ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين)) .

ولا بأس عليك ، ولا حرج فى الافضاء بعيوب صديقك الى جارك ، فهذا مما رخص الشرع فيه ، وأذن به الله ، بشرط ألا تتجاوز القدر اللازم للنصيحة ، وأن تقتصر على التصريح بالامور التى ترى أنها تمنع من المضي فى انفاذ الخطبة ، وبشرط الا يكون قصدك التشهير والانتقام ، فهناك فرق كبير بين الغيبة المحرمة والنصيحة الواجبة التي قال الرسول فيها ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)) .

وأنت يا أخي مستشار والمستشار مؤتمن ، ولن تبرأ ذمتك لا بالسلبية ولا بالكتمان .

وقد أباح الله للمظلوم ان يفضي بما يعرف من امور ظالمة ولم يعد هذا غيبة قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) .

ولكي يزداد قلبك اطمئنانا الى هذا الرأي ، أقص عليك ما روى من ان فاطمة بنت قيس ، أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم عن اثنين تقدما لخطبتها . فقال لها عن احدهما . انه لا مال له ، وقال عن الآخر انه لا يضع عصاه عن عاتقه .. يعني انه كثير الضرب للنساء .

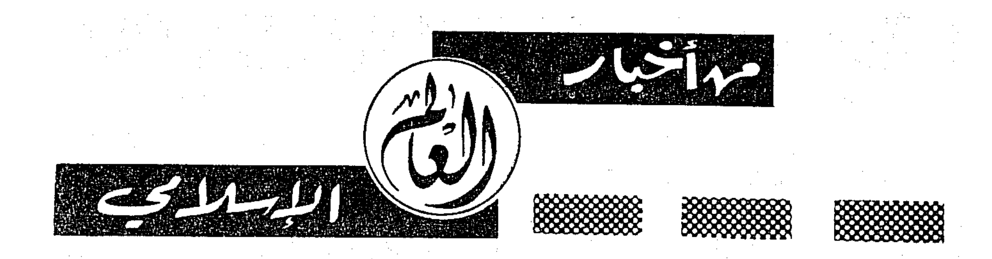
التربية لا التبني

أنا رجل كبرت سني ، ووهنت عظامي ، ولم أرزق بذرية ، وقد لجأت الى كل الوسائل الطبية المشروعة دون جدوى ، وأنفقت فى ذلك أموالا طائلة ، وتزوجت أكثر من زوجة ، ولكن هكذا أراد الله ، وأحس بحنين شديد الى صوت طفل ، يملأ علي البيت ، ويدخل علي السرور ، ويعوضني ما حرمت من الولد ، وكذلك تشعر زوجتي بهذا الحنين ، وتشاركني الرغبة ، وتلح علي فى أن احضر طفلا لقيطا من أحد المستشفيات ، تحتضنه وتربيه ، ونخصه بجزء من اموالنا . وقد طالعت فى مجلتكم الغراء أن التبني حرام فى الاسلام ، فهل يوجد لديكم حل لهذه المشكلة النفسية ، التي اعانيها أنا وزوجتي .

اسماعيل الحافظ

عمان

نبادر أولا الى أن نطمئن السيد اسماعيل الى ان مشكلته سهلة ميسورة الحل وأنه يمكن ان يحقق رغبته عن طريق التربية لا التبني ، والفرق بينهما كبير . فمعنى التبني الذى حرمه الاسلام ، ان يلحق الرجل بنسبه طفلا ، او طفلة ليس من صلبه ، ويثبت له كل ما يترتب على البنوة من آثار كالميراث ، وحرمة الزواج ، واباحة الاختلاط الى غير ذلك مما هو معروف . هذا هو الذى حرمه الله ، وقال فيه ((وما جعل ادعياءكم ابناءكم)) اما ان يضم الانسان اليه طفلا ، سواء أكان لقيطا ، أو يتيما ، أو غيرهما ، ويربيه ، ويحنو عليه ، ويطعمه ، ويكسوه ويعلمه فهذا أمر مشروع اباحه الاسلام ، بل رغب فيه ، ووعد فاعله الثواب الجزيل ، وما دمت يا سيدي لم تلحق هذا الولد بنسبك ، ولم تثبت له حقوق البنوة واحكامها فلا حرج عليك فى ان تؤوى الى بيتك من تشاء ، وتعامله هذه المعاملة الكريمة ، وبهذا تروى غلتك ، وتطفىء حنينك ، وحنين زوجتك الى الولد ، واذا أردت أن تمنح هذا الذى ربيته شيئا من مالك فى حياتك ، فلك ان تفعل ، ولا حرج ، واذا رغبت فى أن توصي له بجزء منه بعد وفاتك ، فلا بأس بشرط أن يكون فى حدود ثلث التركة .



الكويت

تفضل صاحب السمو أمير البلاد المعظم فأمر بشراء قطعتي الأرض اللتين تقام عليهما المدينتان السكنيتان فى مكة والمدينة للحجاج الكويتيين من ماله الخاص ، وقد بلغ ثمن هاتين القطعتين حوالي ثلاثمائة الف دينار كويتي .

وصرح معالي السيد عبد الله مشارى الروضـان وزيـر الأوقاف والشـؤون الاسلامية بأنه سيتم ايفاد عدد من المهندسين والمساحين الى المملكة العربية السعودية خلال الشهر القادم لاجراء الترتيبات اللازمة فيما يتعلق بالأراضي التي اشترتها الحكومة من اموال حضرة أمير البلاد فى السعودية بغية اقامة المباني المخصصة للحجاج .

وقال معاليه انه سيتم حاليا بناء مقر لأمير الحج وبعض المنازل المتعلقة بسكن بعثة الحج ريثما يتم بناء مدينة الحجاج خلال هذا العام .

تقيم جمعية المعلمين الكويتية معرضا للكتاب العربي فى اوائل شهر مارس القادم تشترك فيه الدول العربية .

افتتح الاستاذ مصطفى احمد الزرقـا استاذ الحقوق المدنية بجامعة دمشق الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية فألقى محاضرتين : فكرة مجمع الفقه الاسلامى ، والفقه الاسلامى مزاياه وخصائصه .

وقد استمع الى الاستاذ المحاضر عدد كبير من الشباب ورجال الفكر وكان في مقدمة الحاضرين بعض كبار المسئولين .

القاهرة

يعد المجلس الأعلى للفنون أول مشروع للتعريف بالشريعة الاسلامية واهدافها وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الشرائع الدولية المختلفة وذلك على مستوى دولي .

يقوم المجلس بترجمة عن الكتب والبيانات المختارة الى اللغتين الانجليزية والفرنسية تحقيقا لهذا الغرض .

ترجمت منظمة اليونسكو ٣ كتب اصدرها هذا العام وزير الأوقاف السـابق د . محمد البهي عن ((التأمين ـ الاسلام ونظم الحكم المعاصر ـ الفكر الاسلامي المعاصر)) الى الانجليزية والفرنسية . تجرى أيضا ترجمتها الى اللغة الالمانية .

بعث الدكتور احمد حلمي شاهين السكرتير العام بالهلال الاحمر الى لجنة الفتوى فى الأزهر يسالها راى الشرع الاسلامي فى التطوع بنقل الدم .

وقد اجابت اللجنة بان التطوع بنقل الدم جائز بشرط ان تكون صحة المنقول منه قوية وان يكون الدم خاليا من الامراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى الى غيره .

تدرس وزارة الأوقاف مشروعا بانشاء مراكز دائمة لتحفيظ القــرآن الكريــم في بلاد العالم الاسلامي لتخريج اكبر عدد من حفاظ القرآن من أبناء هذه البلاد .

السعودية

أعلنت الحكومة السعودية ان ميناء ينبع قد تم اعداده من الناحيتين البحرية والفنية لاستقبال السفن على اختلاف حمولتها .

كما تم اعداد جميع الترتيبات الكفيلة بتوفير الراحة للحجاج في ينبع حيث اقامت مدينة للحجاج على الطراز الحديث .

ويستقبل الميناء الحجاج القادمين من شمال البحر الاحمر الراغبين في الزيارة قبل الحج حتى ٢٥ من ذى القعدة على ان تكون عودتهم بعد اداء الفريضة من ميناء جدة .

ويستقبل ميناءجدة الحجاج القادمين من جنوب البحر الاحمر والقادمين من الشمال بعد ٢٥ من ذى القعدة على ان تكون عودتهم بعد الزيارة من ميناء ينبع .

العــراق

أعلن رسميا ان مجموع سكان العراق بلغ ثمانية ملايين ومائتين واثنين وستين نسمة بزيادة حوالي مليوني نسمة عن تعداد ١٩٥٧ .

اذاع راديو بغداد تصريحا للرئيس العراقى عبدالسلام عارف نفي فيه ما تردد بأن العراق ينوى الانضمام الى حلف اسلامي فى الشرق الأوسط .

الأردن

زار جلالة الملك فيصل البلاد بدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسين واستغرقت الزيارة اسبوعا ومرحبا بهذه الزيارات الكريمة التي توثق العلاقة الاخوية بين العاهلين الكبيرين العظيمين ...والشعبين الكريمين .

اكتشف فريق من علماء الآثار العرب والغربيين مبنى يرجع تاريخه الى عام ٦٨٠٠ق.م ويقع هذا المنزل فى قرية بيرا بالقرب من « البترا » المدينة الاثرية القديمة . وقد عثر داخل المبنى على عظام لحيوانات وبعض الآلات البدائية كما وجدت بعض القواقع التي تعيش فى البحرين الأبيض المتوسط والاحمر .

أندونيســيا

تتلقــى المنظمــات التبشيرية فى اندونيسيا كثيرا من الدعم المادي والسياسي من دول اوروبا وأمريكا فقد نشرت احدى الصحف اليومية الاندونيسية بأن المانيا الغربية تبرعت للمبشرين بمركبين لنقلهم بين جزر اندونيسيا وان استراليا تبرعت بـ ٥٪ من حاصل مبيع سيارات هولدن ولحقتهم امريكا فبنت من تبرعها الســنوى لطائفــة الادفينست مستشفى بجزيرة نياس بسومطرة تعد من احدث المستشفيات بالشرق الأقصى بعد أن سبق لها تبرع آخر من نوعه فى بندونغ وفى كديرى بجاوا الشرقية مع العلم أن المستشفيات من الوسائل التبشيرية الهامة التي تستخدمها الحركة التبشيرية العالميــة .

نيجيريـا

أصدر الميجور حسن كاسينا الحاكم العسكرى لاقليم نيجيريا الشمالية ، اكبر الاقاليم الثلاثة فى اتحاد نيجيريا ، امرا بالغاء جميع الاحتفالات بعيد الفطر حدادا على الحاج أحمد وبيللو وأبو بكر تيفاوا باليوا رئيس وزراء الاتحاد الذى عثر على جثته ملقاة فى بركة قرب لاجوس ، وكان الذين قاموا بحركة التمرد الأخيرة قد اختطفوه من منزله مع وزير المالية الذى قتل هو الآخر .

وقد دفن باليوا قرب موطن اسرته فى بلدة « بوشي » فى نيجيريا الشمالية ، وحضر مراسم الدفن مئات من المواطنين .

الجزائـر

أعلن السيد عبد القادر حاج علي الامين العام لوزارة العدل انه سيتم خلال هذا العام تعريب النظام القضائي فى البلاد .

أخبار متفرقة

صدر العدد الأول من مجلة افريقيا المسلمة التي يصـدرها الاتحـاد الـوطني للجمعيات الاسلامية فى السنغال ، وهي مجلة اسلامية ثقافيـة شهريـة تعني بنشر ومعالجة الموضوعات الاسلامية .

عقد اول مؤتمر من نوعه لجمعيات الدعوة الاسلامية فى منطقة الكاريبي وامريكا الجنوبية وقد ضم المؤتمر وفودا من سبع دول هي ترينداد ـ توباغو ـ جومايكا ـ باربادوس ـ كوراساو ـ سورينام ـ غويانا البريطانية ـ فنزويلا .

اصدر بعض الطلاب الالمان الذين اعتنقوا الاسلام مجلة حديثة بصورة بدائية سموها صوت الاسلام للرد على الافتراءات الموجهة ضد الاسلام فى التلفزيون والصحف والاذاعـة .

يصدر فى المانيا الغربية مجلة كنيسية تبشيرية اسمها بالالمانية ؟ Wadst - turn **وترجمتها بالعربية (برج الحراسة) وقد دأبت هذه المجلة على مهاجمة الاسلام والقرآن الكريم ومما ذكرته فى عددها الصادر فى ١ نوفمبر ١٩٦٥ فى مهاجمة القرآن الكريم انه من وضع البشر واستدلت على ذلك من مصادر يهودية صهيونية ، هذا وان المجلة تصدر بجميع اللغات الاجنبية والعربية ولها مراكز عديدة فى العالم للتوزيع .**

سيقوم رئيس الاتحاد الفدرالي الاسلامي فى استراليا الدكتور عبد الخالق القاضي بجولة علمية حول العالم خلال العام الحالى ١٩٦٦ ، راجين له التوفيق . وقد وصل الكويت فى الشهر الماضي .

بدأ اتحاد الطلبة المسلمين فى اوروبا بالتحضير للمؤتمر السنوى الذى يعقدونه كل عام حيث تجتمع فيه وفود من الطلبة المسلمين فى اوروبا يتدارسون فيه شؤونهم الخاصة ويعرضون فيه صورا من نشاطهم الاسلامي كما يدرسون المخطط الجديد للعمل الاسلامي فى العام القادم .. نرجو الله لهم السداد والتأييد .

واصلت العصابات الصهيونية حملات الارهاب والضغط على السكان العـرب فصادرت ٣١٢ الف فدان يملكونها كما أصدرت أوامرها بهدم الف منزل من منازلهم .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجيب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضي ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبي : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ صب (١٩٥٦) .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



لقد صار ابن سينا أعظم معلمي بلاد الغرب خلال سبعمائة سنة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

عدد الثاني عشر السنة الاولى
غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٥ هـ
٢٢ مارس ١٩٦٦ م

رها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

لة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

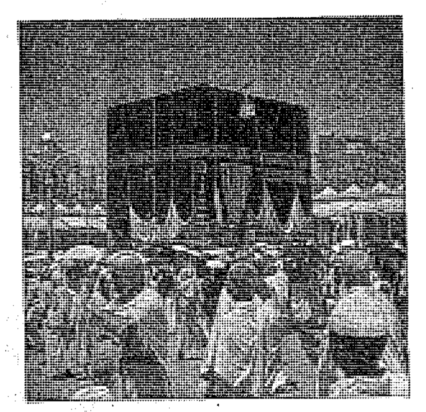
المشرف العام
د الرحمن المحجم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



وفود الحجاج تطوف بالكعبة المشرفة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : { مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨ }

اقرأ في هذا العدد

العيد الوطني لدولة الكويت



احتفلت دولة الكويت في يوم الجمعة الخامس من ذى القعدة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٩٦٦ بالذكرى الخامسة لاعلان استقلالها ، وشاركتها هذه البهجة الدول الشقيقة والصديقة .

وعبر الشعب عن فرحته بشتى وسائل التعبير ، وتوافد بمختلف طوائفه وهيآته ورجال السلك الدبلوماسي على القصر الاميرى يهنئون سمو الامير الشيخ صباح السالم الصباح بهذه المناسبة الكريمة ، واقامت وزارة التربية مهرجانا رياضيا كبيرا على ملعب ثانوية الشويخ تحت رعاية سمو الامير وقد افتتح سموه المهرجان بهذا التوجيه الابوى الكريم الى أبنائه الشباب :ـ

انه لمن دواعي سروري أن التقى بكم فى هذا اليوم المبارك ، يوم العيد الوطنى للكويت العزيز لاشاركم وأتحدث اليكم .

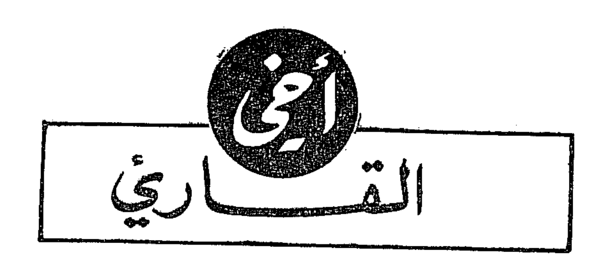
أبنائى ، انكم الثروة الحقيقية لامتكم ، فأنتم أغلى ما نملك وأسمى ما نعتز به ، انكم أمل يومنا ، وصورة غدنا ، ووسيلتنا الوحيدة لصنع مستقبل عظيم يساهم فى رقى أمتنا العربية وحضارة الانسان .

ان ثروة الكويت ليست بمالها فحسب ، بل ثروتها الحقة تكمن فى القلوب المؤمنة من أبنائها الذين يسعون لاسعادها ورقيها ونهضتها ويبذلون الروح والحياة رخيصة لحماية حريتها ووحدتها . وهكذا تدركون مدى المسؤولية التى تقع على كواهلكم والدور العظيم الذى تنتظره أمتكم منكم ، ولقد توفرت لكم بحمد الله وفضله كل الاسباب ، فاغتنموا هذه الفرصة وقدروا هذه النعمة ، ولئن عانى الشباب فى أماكن أخرى القلق والضياع الروحي ، فأنتم بنعمة الله فى أمن وطمأنينة بهدى الاسلام العظيم وتعاليمه وهو الداعى الى السلام والامن ، سلام النفس بالايمان ، وسلام المجتمع بالتآزر والتكاتف وسلام البشر بالمساواة والتعاون ، فكونوا يا أبنائي الاعزاء اقرياء قوة الحق الذى تدعون له ، رجالا قدر المهمة العظيمة التي تتطلعون لحملها لنهضة أمتكم ، وخذوا أنفسكم بالجد ، واحرصوا على المحبة والود فيما بينكم ، فما اختلف قوم الا ضاعوا وهلكوا ، وتسلحوا بالعلم فهو وسيلة الامم الى القوة والعزة والى مستوى اجتماعى يحقق الحياة الكريمة ، وكونوا الدرع الحصين لأمتكم العربية العريقة .

رعاكم الله وسدد خطاكم وكتب على أيديكم الخير . والسلام عليكم ورحمة الله .

« والوعى الاسلامى » التى يخفق قلبها بكل معنى من معانى العزة والسيادة والقوة للمسلمين ، ويسرها كل السرور أن تتأكد معانى الاستقلال والنهضة للدول الاسلامية المستقلة لتهنىء الامير والشعب بهذه الذكرى . وترجو أن ينعم المسلمون الذين لا يزالون يئنون من سطوة الاستعمار بحريتهم وسيادتهم بفضل جهادهم ، ومساعدة اخوانهم الذين أنعم الله عليهم بنعمة الحرية والاستقلال .

بسم الله الرحمن الرحيم



أخي القارئ

كلما اقبلت علينا اشهر الحج هاجت في نفسي الأشواق للأماكن المقدسة ، واسترجعت ذكريات السنين التي قضيتها في تلك الربوع الطاهرة ، ونعمت فيها بنسماتها الروحية الطيبة .

كنت خلال هذه السنين ، وكلما أديت الحج او العمرة ، او سرت في رحاب مكة او المدينة اشعر انني لا اعيش حاضري ، بل تشدني من هذا الحاضر الزاخر بالحوادث من حولي ، ذكريات الماضي الطويل الذي مر على هذه الاماكن ، منذ تفجر منها ينبوع الهدى ، وشع فيها نور المصطفى عليه الصلاة والسلام .

كنت اجدني اردد من اعماق نفسي كلما خطوت هناك أو هناك : هل أنا حقا اخطو الآن في أرض القرآن ، أرض الرسالة والبطولة ، هل اخطو في مكان خطا فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته المجاهدون الابرار ؟

.. وأشعر أنني قزم أسير في أرض عمالقة الايمان والجهاد .

كنت كلما نظرت الى جبل حراء من بعيد او قريب تحيا في نفسي ذكريات الرسالة على رؤيته من سفحه الى قمته .. وأقول :

على هذه الصخور الوعرة ، والى هذه القمة الصعبة المرتقى كان يتكلف الرسول قبيل بعثته الصعود اليها ، حتى يستقر بغار في اعلاها ، ليخلو الى تفكيره في ربه وخالقه ؟! وهناك على هذه القمة العالية الشامخة التي تصارع الزمان فتصرعه تلقى محمد رسالة ربه .. نور السماء للأرض ، حتى سمي ذلك الجبل ((جبل النور))؟!

وأنظر احيانا الى جبل ((ثور)) فأعيش اللحظات الرهيبة التي مرت على الرسول وصاحبه ، وهما مختفيان في غاره .. يسمعان وقع اقدام المطاردين . كنت أشعر بخفقات قلبي تضطرب ، وأعصابي تتوتر ، وأنا افكر في هذه اللحظات ، وفي الاحتمالات التي كانت متوقعة فيها حينذاك ، ولا ينقذني من هذه الحالة النفسية الا جمال الواقع الذي كان ، ويعظم في نفسي حينذاك فضل المنة ، والحماية الربانية ، ((الا تنصروه فقد نصره الله ....)) .

وكنت اذا طفت أثقلت مشيتي ، كأن لقدميّ لذة في التصاقهما بأرض المطاف ، وأعمل ـ ما استطعت ـ على ان اكون قريبا من الكعبة ، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف .

وإذا تسلمت الحجر الأسود ـ في غير زحام ـ قبلته ، ودرت بوجهي ويدي في فجوته ، لعل وجهي يمس مكانا مسه وجه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وأنا بهذا الخاطر جد سعيد ..

وإذا صليت فى ، مقام ابراهيم ، يغلبني هذا الخاطر حتى اذا سجدت تذكرت مع سبحات الفكر فى الله جل جلاله قول القائل الهائم :

لعلك أن تنال بحرّ وجه مكانا مسه قدم النبي

ثم أقول فى شبه تحسرة كيف ؟ وهذا رخام

وإذا سعيت بين الصفا والمروة ، مر بذهني شريط من التاريخ طويل ، منذ ايام الخليل ابراهيم عليه السلام وزوجه هاجر ، حتى ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعشت فى جو هذه الذكريات .

هنا على الصفا أو هنا على المروة اصعد كما صعد الرسول ، وأسعى بينهما كما سعى ؟ ! وشعرت حيذاك بلذة الأسوة وجمال القدوة ، وانطلق لساني يردد قول الله ((لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة)) وأدركت حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنه على تحرى الاماكن التي كان يجلس فيها الرسول ، أو يمشي ، أو يصلي ، فيفعل كما فعل الرسول ولو لم يكن فى عبادة .. لأنه كان يسعد بالاتباع والاقتداء .

يا لله اية لحظات تمر بي .. واى أرض اسير عليها ؟ !!

انها لحظات الصفاء .. انها ارض الرسالة والرسول .

لحظات طالما تمنيتها ، وعشت أحلم بها من صغرى ، حتى عشتها مرة ومرات ، ولا ينفك قلبي عن الشوق الى استرجاعها مرة ومرات ، بل طول الحياة .

ذهبت للمدينة مرات واقمت فيها سنة .. ولكن لم اشعر بسعادة تعادل ما غمرني منها أول مرة ذهبت اليها .

انني اذكرها . نعم ، واذكر كل لحظة مرت بي اثناءها ، بأجوائها وأضوائها ، واذكر بالخير والدعاء دائما كلما ذكرتها المرحوم الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف السعودية حينذاك .

كنت وقتها مدرسا بالطائف ، وكنت كلما استبد بي الشوق للمدينة أقول : سبحان مقسم الحظوظ !! لو أن الطائف هداها الله ، وفتحت قلبها للرسول ، لكان لها شأن المدينة الآن ، لقد اتيح لها في يوم من الأيام ان تكون البلدة المحظوظة ، التي تتعلق بها قلوب المسلمين ، وتكون مهوى افئدتهم ، فرفض زعماؤها في عناد وقسوة هذه المنحة التي ساقها الله اليهم : يوم ان جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعوهم للاسلام ، ويلتمس فيهم حماية دعوته ، بعد ان تحجرت قلوب المكيين امامها ، فردوه الرد القاسي العنيف ، الذى ترك آثاره الحزينة فيقلوب المسلمين علىمر التاريخ كلما ذكروه .. وحرم الطائف من مجد وعظمة ودور هام فى تاريخ الاسـلام .. ليكون ذلك كله ليثرب .. للمدينة التي يعيش كل مسلم على حبها ، ويهفو قلبه دائما اليهـا ..

ما أحلى تلك الساعات التي قضيتها في طريقي مع زملاء كرام ، نستبطىء السيارة في سيرها .. كأننا نريدها طائرة .. ومن يدرى ؟ لعلها لو كانت طائرة لاستبطأناها .. انه الشوق الى ارض الحبيب .. الشوق الذى لا نجد وصفا له الا في قول الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

فلا تسلني يا أخي كيف كان . وجرب لتعرف . والله يعينك، ويرزقك حلاوته..

لم يفتر لساننا لحظة عن الصلاة والسلام على رسول الله ، في حداء جميل .. وكانت حماستنا تزداد ، وشوقنا يضطرم ، واصواتنا ترتفع ، كلما احسسنا اننا نقترب شيئا فشيئا من مدينة الرسول .. حتى اذا اقتربنا منها اشرأبت الاعناق لنرى المآذن .. ثم لنرى المعالم ، ونبحث عن القبة الخضراء ، حتى نراها .. فتضج الأصوات تخنقها العبرات : الله أكبر . صلى عليك الله وسلم يا حبيب الله ومصطفاه ..

كنا ولا تسل كيف كنا ! رزقك الله جمال هذه اللحظة وحلاوتها .

وحين بدأنا ندخل المدينة ونزلنا من السيارة على ارضها ، كانت احاسيسي كلها توحي الى : خفف الوطء . هذه أرض رسول الله .

كم مشى عليها هو واصحابه ، وكم سعدت بهم مجاهدين ومرتلين وذاكرين الله .

حبيبي رسول الله .. هذه مدينتك التي سعدت بك وأحسنت استقبالك ونصرك ؟!

هذا مسجدك .. هذه روضتك .. وتحت هذه المقصورة جسدك الطاهر انت وصاحبيك ؟!

كم أحسست السعادة تغمرني ، وانا اصلي بالروضة بجانب المنبر ، وحسن ظني بالله يجعلني اعتقد انني أصلي في مكان صلى فيه رسول الله .

لحظات قضيتها في الروضه،بين المنبر والقبر ،أنشد نفسي من فخامتها ،والسجاد الفاخر الذى يغطي أرضها ، والرخام الناصع والملون الذى يبدو في جوانبها ، ويكسو قواعد اعمدتها ، لأتذكر الصورة الأولى لمسجد الرسول : كيف بناه ؟ وكيف كانت بساطته ؟ وكيف صنع مع ذلك كل هذا التاريخ ؟ وتمنيت ان لو حافظ المسلمون – حين وسعوه ، وأدخلوا فن العمارة فيه – على صورته الأولى ، ولو في جزء منه ، لنراه ونعتبر به ونستعيد برؤيته ذكرياته الغالية .

وأمام قبر الرسول ، وقفت في أدب وخشوع ، اسلم على خير خلق الله ، وأناجيه ، وأسلم على صاحبيه ، وكأنني في غيبوبة عما حولي ، أعيش أسعد لحظات عمرى ، وأحفلها بالحب ، والايمان ، والخشوع .

قد يهون العمر الا ساعة وتهون الأرض الا موضعا ..

عليك أفضل الصلوات والتسليم يا حبيب الله ومصطفاه ، ورزقنا الله القرب منك على قدر حبنا لك ، والغيرة على دينك ، ووفق امتك لتحيا في ظل هدايتك ، وتسعد بحسن شفاعتك . آمين ،

رئيس التحرير

الحياة المثالية الفاضلة تحققها أركان الاسلام

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » متفق عليه .

بين يدى البحث

١ : ــ للانســـان المكانــة الأولى فى الوجود ، من أجله خلق الله كل شيء ، وله سخر ما فى السموات وما فى الأرض، ومنحه مـــا يوصـــله الى اكتناه أسرار المخلوقـــات ، والوقوف على دقائــــق خفاياها ، وايضاح مبهماتها ، يعمل فكره فى المحسات،ويعكف مجيلا عقله فيما يرى وما يبصر ، ولا يقف عند حد الظواهر التي تناجيه من قريب أو من بعيد ، وانما يحاول رفع الغطاء والنفوذ الى ما وراء ما يحيط به ، باحثا عن الحقيقة ، آملا فى واحة يلقى عندها عصا السير ، بعد أن يعييه الجهد وينال منه الكد والوصب كل منال ، وقد يصل الى ما صبت اليه نفسه ، فيطيب عيشا ، ويقر عينا ، وقد يقضي نحبه دون هدفـــه ، ويجيء من بعده من يحاول ان يتم ما بدأه ، ويظل ركب البشرية متلاحقا فى متاهات الحياة ، يستقيم له الدرب مرة ، ويلتوى بـــه أخرى ، تطلـــع عليـــه شـــمس وتغيب ، ويجنه ليل يقشعه فجر ، واذا سـئل الى اين؟ اجاب : ننشد الراحة ونبحث عن المثالية المسعدة،حيث لا آلام ولا شكوى، ولا تبـــرم ولا ضـــيق ، ولا عـــدوان ولا معتدين ، حيث لا بطنة مفزعة ، ولا خواء قاتل .

٢ : ــ ونعود فنتساءل : هــل وقعت الانسانية على الخبير الذى يحيل بؤسها نعيما ، ويصير شــقاءها ســعادة ؟ . والجواب : قلب طرفــك شرقا وغربا ، وارجع البصر وانظر على ماذا يقع . فلا تجــد الا معذبا للون لا يد لــه فيــه ، ومستعبدا بغير ما اكتســب ، ومقتولا دون جناية فى حرب لم يسعرها ، ولم يشعل نارها ، وانما يصــطليها كارها ، ويخوض غمارها مرغما ، حرب تأتي على أخضره ويابسه ، واذا عن له أن يقــول متى تنتهي ؟ تلاشى صــوته فى ضجيج اصوات المبيدات ، دون ان يحظى بجواب او يقع على خبر . فهل من نطاسي بارع يبتر الداء ويقضي على العلة ؟ وبعد ان تثوب الانسانية العاقلة الى رشــــدها ، وتتسامى قليلا عن الماديات التي ظاهرها الرحمة وفى باطنها يكمن الهلاك ، عندئذ تجد الجواب ســهلا هينا فى متنــاول الآخذ ، تجده قويا فى رفق واضــحا فى غير خفاء ، تجده فى قواعد الاسلام ، فى رسالة السماء ، فى هداية الرحمن الرحيم فى تدبير العلي الحكيم ، فى الطريق الذى خططه من يعلــم السر وأخفى ... هنا الأمل المنشود ، والغاية المرجوة ، وليس هذا قولا يلقى على عواهنــه ، أو يقال تعلة ، وانما معه برهانه وفى طياته حكمته، هنا حين تفهم التوجيهات الاسلامية ، ويعي الناس ما تهدف اليه الدعوة الالهية، هنا السر الكامن فى اركان الاسلام .

كلمة التوحيد

١ : ــ تترابط اركان الاسلام ترابطا ، عجيبا ، ويأخذ بعضــها برقاب بعض ، لتسير بالانسانية فى طريق مستقيم يبدل خوفهــا أمنا وجفاءها صــلة ، وظمأها وجوعها شبعا وريا ، وبغضاءها محبة ، وحقدها شــعورا بالمودة والاخاء ، فقد دعا رسل الله جميعا الى توحيد اللــه وافراده سبحانه بالعبادة ، فلا يطأطىء من اسلم رأسه لغير بارئــه ، ولا تعنو جبهته الا لخالقه ، ورسول الله خاتــم الأنبياء وصفوة الله من خلقه ، دعا قومه الى التوحيد مقتفيا بذلك آثار الرسل من قبله، فمن آمن به نبذ عبادة الحجارة، وأسقط الاصنام من حسابه ، وقد كان آخرها ما فتته بيده الشريفة يوم الفتح ، وبذلــك انتهى عصر الاوثان مــن دنيــا المسلمين الى الأبد .

الصــلاة

٢ : ــ ولا بد ان تدوم الصلة بباريء السموات والأرض ، وأن يلقى المســلم رحاله فى رحابه حتى يقوى على مواجهة شدائد الحياة والتغلب عليها ، ففرض الله عليه الصلاة ، وكلفه ان يقيمها خمس مرات فى اليوم والليلة، فأول ما يفعله بعد ليل طويل ونوم عميق هو صلاة الفجر يستقبل بها اضــواء النهار ، ويســعى بعدها بهدى الله ضاربا فى الأرض ماشيا فى مناكبها مبتغيا من فضل الله ، متعاونا مع رفقائه وعشرائه فى اسعاد مجتمعهم الذى فى جوه يعيشــون وعلى ارضــه يدرجون ، وبخيراتــه ينتفعــون ، فاذا أكدهم العمل ونال منهم الدأب عاجــوا الى ربهم يطلبون منــه قوة على قوتهم وعونا على أعمالهم ، واستقامة لطريقهم ، ثم استراحوا فترة من النهــار يقومون بعدها قانتين ، ويعوجون الى مســالك حياتهم يلتمسون ما عند الله من الرزق فى تجــارة يديرونها بينهــم ، وزراعــة يرجون جناها ، ويؤملون خــيرها ، وفى أعمال اخرى مما هيأهم الله لها ، حتى اذا اقبل الليــل وآذنت شــمس النهار بالمغيب آبوا الى ربهم يستقبلون بلقائه ليلهم الذى فيه يســكنون ومــن وعثاء الجهد يستريحون ، وقبــل ان يأووا الى فراشهم يتجهون الى خالقهم ومن يمسك بأنفسهم ليرسلها الى اجل مسمى أن كان لها عيش لا زال ، او يقبضها اليه ان حل ميعاد الرحيل اليه .

وجعل الصلاة فى جماعة افضل منها فى الانفــراد بدرجات كثــيرة ليتــلاقى

المسلمون ما امكنهم التلاقي وليكونوا على علم بأحوال بعضهم ، فيعطى السائل ، ويطعم المحروم ، ويكسى العارى ، وتقضى لكل ذى حاجة حاجته ويعيش ابناء المنطقة الواحدة متعاونين متراحمين ، حتى اذا كان يوم الجمعة ونودى للصلاة اجاب كل مسلم النداء وتوافدوا على الجامع الكبير من اطراف البلد فيصلون ثم يبحث بعضهم احوال بعض فى اخوة صادقة ، ورعاية حقة ، واخلاص النية فى العمل لخير الجميع .

الزكاة

٣ : ــ ما دام المسلمون قد التأم جمعهم فى الصلاة ، وتداعوا الى البر والتقوى ، وجادت نفوس الواجدين بعطاء المحتاجين، فقد شرع الله لهم الزكاة حقا لمصارفها المذكورة فى القرآن الكريم ، ليشعر غنيهم بأن عليه واجبا فى ماله لا يعطيه تفضلا ولا يجود به منة ، وانما هو ما الزم به شرعا فى مال الله الذى أتاه اياه وجعله مستخلفا فيه ، حتى يجتث بــه الحقد والكراهية من المجتمع ويقيم الحب والتراضي مكانهما ، فتعم السعادة ، وتقتلع جذور الجريمة التي يبعثها الفقر وينميها البؤس وينمو المال المزكى ويزيد ، (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وهذا الركن من اركان الاسلام يكاد يكون معطلا ، ولو ان المسلمين اقاموه ونفذوه ما وجد فى بلاد الاسلام شاك ولا عان ولا محروم ، ولماتت المبادىء الهدامة فى مهدها وقضى على اكثر العلل الاجتماعية والافكار الوافدة التي تعاني منها مجتمعاتنا والتي لا تنمو الا فى بيئة الفقر والحرمان ، ومنع الغنى زكاة ماله يجنى ثماره فى الدنيا كراهية وحقدا من مواطنيه ، وسيمثل له ثعبانا اقرع ينهشه يوم القيامة ، وحبذا لو تدخلت الحكومات الاسلامية كلها فى جمع الزكاة من الأغنياء المانعين وصرفتها فى مصارفها الشرعية ، واذن لأقامت ركنا من اركان الاسلام يكاد يندثر ، وفتحت بابا كريما يجد فيه المعوزون ما يسد حاجتهم فى كرامة وعزة .

ومما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل الزكاة والصدقات عامة ما رواه البخارى عن عبد الرحمن ابن صخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لي مثل احد ذهبا ، لسرني انلا يمر علي ثلاث ليال وعندى منه شيء ، الا شيء ارصده لدين » . وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث متفق عليه « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » . وعن اسماء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انفقى ولا تحصي فيحصي الله عليك ، ولا توعى(١) فيوعى الله عليك ، ارضخي (٢) ما استطعت » متفق عليه ، وعن ابي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآني قال « هم الاخسرون ورب الكعبة ، فقلت : فداك ابى وأمى من هم ؟ قال هم الاكثرون اموالا ، الا من قال : هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم » متفق عليه .

وأعتقد اعتقادا جازما انه لو زكى الاغنياء اموالهم ، وبذل الواجدون للمحتاجين وأعطوا فضول ما يملكون كما أمر الله ورسوله لقضى على العوز والفقر

(١) الايعاء حفظ الامتعة بالوعاء ، والمراد هنا لا تمنعي فضل الزاد عمن احتاج اليه .

(٢) ارضخي اي اعطي ولو شيئا يسيرا .

قضاء مبرما ، ولما وجد فى ديار الاسلام من يستطيع رفع صوته بما يخالف الاسلام ولعمت المودة والرحمة والاستقرار والأمن والسلام ، ويا ليت قومي يعلمون .

الصيام

٤ : ــ وقد شرعه اللـه تبارك وتعالى لمعان عديدة ومقاصد كثيرة سبق الحديث عنها فى اعداد مضت (من مجلة الوعي الاسلامي) ، والذى نقصد اليه هنا مـن فوائده ومراميه هو ان الزكاة والصدقات لازمة لزوما لا شك فيه يقدمها اصحاب الأموال الى من ليس بيدهم مال ، ولكنهم قد يبخلون لأنهم لا يشعرون بحاجة غيرهم ، فمن طعم وشرب لا يحس ألم الجائع الظامىء ، كما ان المعافي لا يدرك قسوة المرض ، فكان حبس المسلم الغني عن الطعام والشراب طوال ايام رمضان تمكينا لاحساس الجوع والظمأ ان يلج علي الغني رغم كثرة ما تحت يده من طعام ، ليدرك مدى حاجة الخاوى الذى لا يجد ما يسد رمقه ويمسك ذماءه ، فتسخو نفسه وتجود يده بالعطاء مما افاء الله عليه من الخيرات التي يملكها .

الحج

ومتى تجافى الناس عن عبادة الأوثان وصدقوا برسالة خير الانام ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ايمانا واحتسابا ابتغاء مرضاة اللـه ورضوانه ، فقد سعدت بهم اوطانهم ، وارتقت مجتمعاتهم ، وسادت فيهم روح المحبة والتعاون ، والتفاني فى حب الله ورسوله ، وتوطدت بينهم اركان العدل والمساواة .

بعد ذلك تتهيأ نفوسهم وتتشوق الى آفاق أخرى واسعة ، تنتظم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيرتحلون من اقاصي المعمورة وأدانيها ، آمين البيت الحرام ، تلكم هي رحلة السلام الى ارض السلام ، رحلة الحج المقدسة التي تتم بها اركان الاسلام .

حكمة الحج

١ : ــ يرتحل الناس من بلد الى بلد فتصح اجسامهم ، وتنمو مداركهم ، ويروا مالا يستطيعون رؤيته لو أقاموا حيث نشأوا ، واستقروا حيث ولدوا ، ويتلاقى بعضهم ببعض فيتحقق ما أراد الله ان يتحقق (قل سيروا فى الأرض) ، (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وفى لقاءاتهم يتدارسون احوالهم المختلفة فتروج سلعهم ، ويتبادلون المنافع ، فيعمهم الخير ، ويرتفع مستواهم الادبى والمادي .

٢ : ــ فقد شاء الله تبارك وتعالى ان تختلف أقاليم الأرض فى المناخ ، وتتباين فيما تثمر ، فينتج هذا البلد الصناعي عديدا من المصنوعات ، ويخرج الآخر كنوزا خبيئة تحت ترابه لا توجد فى غيره ، ويغل ثالث الحبوب والأقوات ، فضلا عن التقدم الحضارى فى بعضها ، والتخلف عن الركب فى اماكن لم ينتشر فيها العلم ولا الوعي المفيد الدافع الى الرقي ، ومن انزوى فى عقر داره، او لبث مقيما حيث هو لا يتعدى حدود وطنه كيف يعلم علم الآخرين ومتى يساير المتحضرين ؟ لذا كان لا بد من لقاء الناس من مختلف الأوطان ، فى اقطار الأرض ، حتى تمتزج الحضارات ،

وتتقدم الانسانية جمعاء فى طريق واحد وسبيل مستقيم .

٣ : ــ والذين جمعهم الاسلام عقيدة ، ووحدهم منهاجا ، ووجههم فى عباداتهم اليومية نحو بيت الله الحرام ، هم اولى من فى الوجود ، بالتلاقي ، والتعارف ، والتقارب بالاجسام بعد التقارب بالافكار والارواح وبعد ان ازال الاسلام من بينهم كل اختلاف ، حتى يتزودوا روحيا من مشاهد الاماكن المقدسة التي سار على ثراها سيد الخلق ، ودوت فى ارجائها كلمة الله اول ما نودى الرسول للتبليغ ، ورفرفت فى سمائها اجنحة الملائكة ، وحمل الروح الأمين سائرا فى دروبها رسالة الله يبلغها رسوله ، ونهض من وديانها حملة الدعوة الى الناس كافة ، فبلغوا اهل المشارق والمغارب ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمكن لهم فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور . ويشهدوا منافع لهم ، تجارية وعلمية وثقافية ، فتقوى الروابط وتشتد الأواصر .

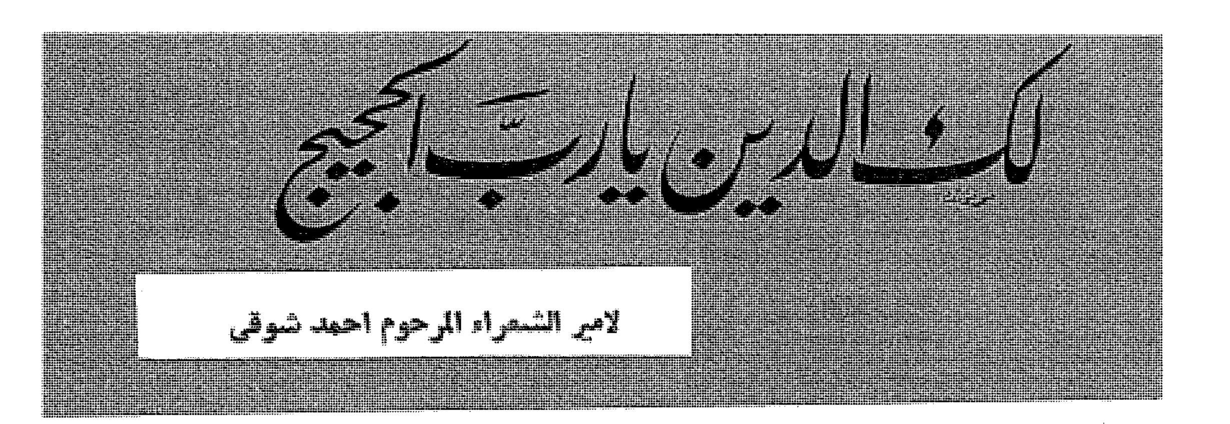
٤ : ــ فالحج سفارة بين المسلمين ، وتجارة رابحة رائجة ، وتعود على تحمل مشاق السفر وفراق الأهل والولد ، وسعادة روحية ما بعدها سعادة ، وتحصيل علوم وتبادل معارف ، وتزود للدنيا والآخرة ، وما جزاء الحج المبرور المبارك المقبول المؤدى باخلاص نية وصدق عزيمة وسلامة طوية الا الجنة ، فقد ورد عن ابى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ... والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وهو افضل الاعمال بعد الايمان والجهاد . كما اخرج الشيخان انرسول الله صلى الله عليه وسلم سئل « أى الأعمال افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم حج مبرور » .

والخلاصة

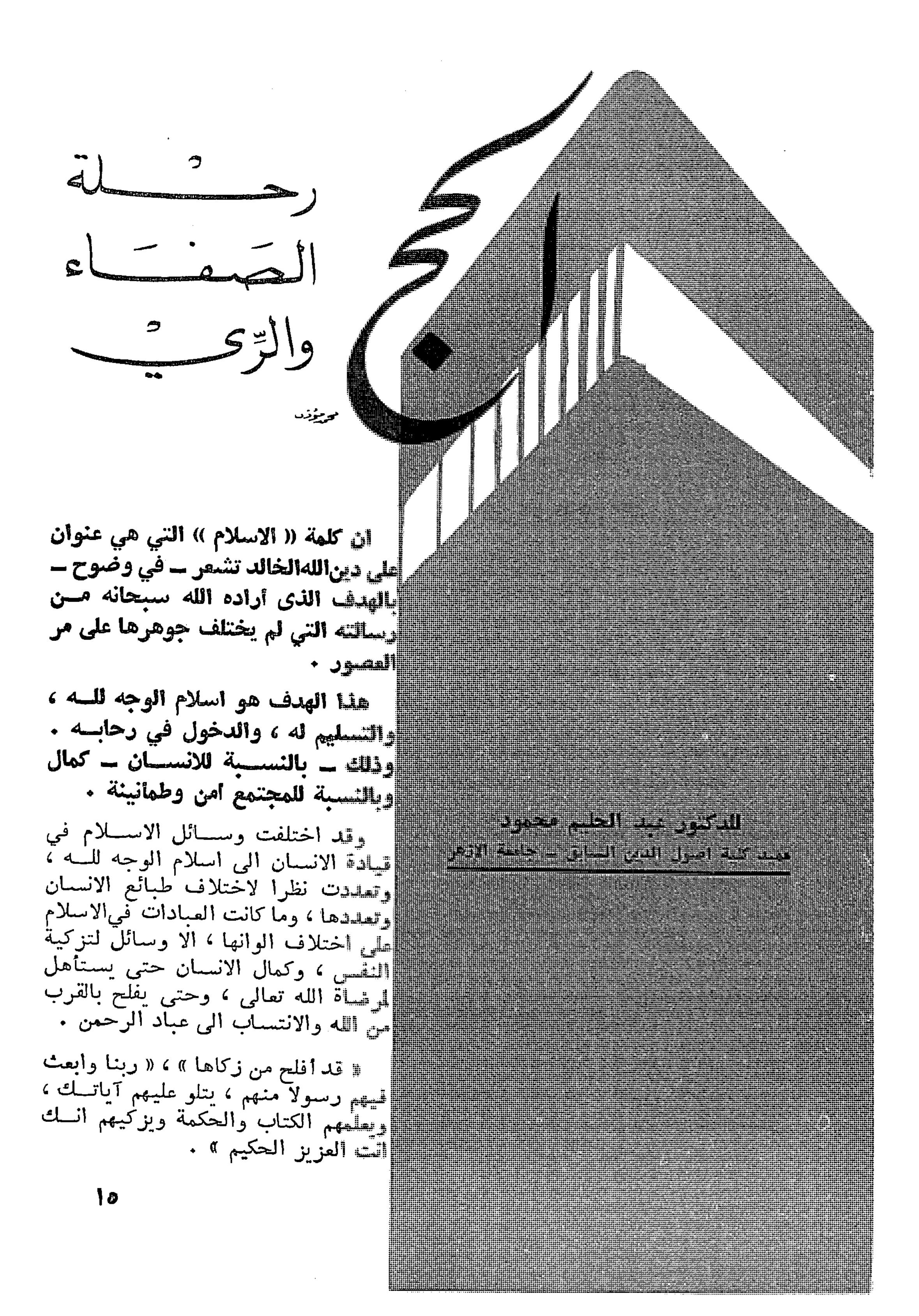
ان اركان الاسلام تضمن للبشرية نجاحا دنيويا فى شتى المجالات حين تجمعهم على التعاون الصادق ، والاخاء الكامل ، والتعاطف الذى يحل فيه المسلم أخاه محل نفسه فيضعه حيث يضع نفسه ، فيتأخر ليقدمه ، ويجوع ليشبعه ويعرى ليكسوه ، ويسهر الليالي كادحا ليريحه ، يشاركه بؤس الحياة ونعيمها،ومخاوفهاوامنها وشقوتها وسعادتها فى اخلاص خالص من الريب ، بعيد عن الشكوك لا يخالطه هوى الانفس ، ولا تنفك عنه القلوب .

ان أركان الاسلام تجمع البشرية فى وحدة روحية عبوديتها خالصة لله ، لتقف صفا قويا كالبنيان المرصوص امام عدوها الشيطان ، الذى يفرق الجمع ويشتت الشمل ويقضي على كل كمال ، وليلتقى البشر عامة متى آمنوا بالله ورسوله حين يرجعون الى ربهم آمنين مطمئنين ، احبابا على سرر متقابلين .

فلنتداعى الى الله ، ولنسلك طريقه ، ولنكن هداة بررة ، نحمل الرسالة ونؤديها الى الدنيا كافة ، ولا ننى ، ولا نضعف ، ولا نتقاعس ، ولا نخاف عدونا ، ما دمنا لا نريد الا الخير للكافة ، والهداية للعامة ، والسلام للأوطان ، والرحمة للعباد ، والله الموفق لكل صواب وسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير .



لك الدين يارب الحجيج جمعتهم ... لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس اصنافاً ومن كل بقعة ... اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت ... لديك ولا الأقدار مختلفات
عنت لك في الترب المقدس جبهة ... يدين لها العاتى من الجبهات
منورة كالبدر شماء كالسها ... وتخفض في حق وعند صلاة
ويارب لو سخرت ناقة (صالح) ... لعبدك ما كانت من السلسات
ويارب هل تغنى عن العبد حجة ... وفي العمر ما فيه من الهفوات
وأنت ولى العفو فامح بناصع ... من الصفح ما سودت من صفحاتى
ومن تضحك الدنيا اليه فيغترر ... يمت كقتيل الغيد بالبسمات
اذا زرت بعد البيت قبر محمد ... وقبلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة ... لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية ... وضاع اريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله : ياخير مرسل ... ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة ... فما بالهم في حالك الظلمات ؟
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون لآتى ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم في السماء وانشأوا ... بوارج في الأبراج ممتنعات
فقل رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات



الحج رحلة الصفاء والري

للدكتور عبد الحليم محمود
عميد كلية أصول الدين السابق – جامعة الأزهر

ان كلمة ((الاسلام)) التي هي عنوان على دين الله الخالد تشعر – في وضوح – بالهدف الذى أراده الله سبحانه من رسالته التي لم يختلف جوهرها على مر العصور .

هذا الهدف هو اسلام الوجه لله ، والتسليم له ، والدخول في رحابه . وذلك – بالنسبة للانسان – كمال وبالنسبة للمجتمع أمن وطمأنينة .

وقد اختلفت وسائل الاسلام في قيادة الانسان الى اسلام الوجه لله ، وتعددت نظرا لاختلاف طبائع الانسان وتعددها ، وما كانت العبادات في الاسلام على اختلاف الوانها ، الا وسائل لتزكية النفس ، وكمال الانسان حتى يستأهل لرضاة الله تعالى ، وحتى يفلح بالقرب من الله والانتساب الى عباد الرحمن .

« قد أفلح من زكاها » ، « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

وان من هذه العبادات الحج ، انه وسيلة من اسمى وسائل قيادة الانسان الى الله تعالى ، وهو مجموعة رائعة من الرموز الروحية ، التى تنتهي – اذا اقيمت على وضعها الصحيح – بالمسلم الى الدخول في المحيط الالهي .

وتبدأ أعمال الحج – بتوفيق الله تعالى – بالاغتسال الظاهر ، بالنظافة الجسمية . فاذا ما تم ذلك يتوب المسلم توبة خالصة نصوحا ، نادما على ما فعل من آثام ، مقلعا عن الذنب ، عازما عزما لا يلين على الا يعود الى ذنب أبدا ، متجها بتوبته الى الله تعالى طالبا منه العون والتوفيق راجيا مرضاته .

وتأكيدا لهذا التطهر الباطن ، والتطهر الظاهر يلبس ملابس الاحرام ، بيضاء ناصعة ، يلبسها على طبيعتها التىنسجت عليها دون ان تدخلها صنعة ، فتغير من معالمها ، أو تبدل من اوضاعها انه يلبسها على الفطرة وعلى النقاء ، تاركا ما عساه ان يكون قد تلوث بالاخطاء من ملابسه .

ثم يسجل العزم المصمم علىاستمرار الطهر ، فيما يستقبل من ايام ، بهذه الكلمات التي تعبر عن الاستجابة الكاملة لله سبحانه وتعالى .

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » .

ان هذه الاستجابة الى الله سبحانه وتعالى عهد منه الى الله بالتزام اسلام الوجه له سبحانه ، يكرر هذا العهد فى كل آونة بقوله اذا صعد ، وبقوله اذا نزل ، بقوله مصبحا ، وبقوله ممسيا ، فيرتسم في فؤاده بأحرف من نور الايمان ، ومن سناء الهداية .

حتى اذا ما وصل الى البيت الحرام ، فان من السنة ، ان يبتدىء الدخول في المسجد الحرام بالتعبير عنالاستجابةالى الله بصورة أخرى هي :

« بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وهذه الكلمات في روحها ومعناها تلبية واستجابة .

ويبدأ الطواف – يبدؤه ببسم الله ، والله اكبر .

وما كان البيت – هيكلا وبناء – في يوم من الايام المقصد الاخير ، للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ، وانما هدفهم الاول والاخير ، رب البيت .

ويستلم الحجر الاسود .

والحجر الأسود انما هو الحجر الذي بقي يتسم بطابع سيدنا ابراهيم الذي لم يكن يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، والذي تضرع الى الله سبحانه وتعالى ، أن يبعث في الجزيرة العربية ، رسولا عربيا هاديا ومزكيا ، فقال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهمآياتك ويعلمهمالكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

وكأن المسلم بهذا الاستلام ، لهذا الاثر الابراهيمي ، يعاهد الله على الا ينحرف عن الملة الحنيفية ، وان يكون على مرالسنين تابعا لهذا الرسولالعربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

انه يطوف معلقا قلبه وبصره وسمعه وكيانه كله برب البيت .

انه يطوف لعل الستائر ترتفع ، لعل الحجب تنكشف ، لعل الأقنعة تزول لعل الباب يفتح ، لعل ربالبيت يتفضل بالقبول ، لعل الله يرضى .

انه يطوف خاشعا خاضعا ، يدعو ويتضرع ، لعله يشعر بنسمات الرضى بنفحات الانس ، بكأس المحبة، بسلسبيل المعرفة .

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ويذهب الى السعي يبتدىء من الصفا أي من الصفاء ، ذاهبا الى المروة ، أي الى الرى والى المروءة يتزود منهما ، ويكر راجعا الى الصفاء من جديد ، ليزداد صفاء ، وليزداد نورا . . . وهكذا، من الصفاء الى الرى ، ومن الرى الى الصفاء . . . .

وفيوضات الله لا تنتهي ، ومنحه سبحانه وتعالى لا تحدها حدود . انه يسعى وهو متذكر لتلك السيدة الكريمة التي كانت تسعى وكلها رحمة بابنها .

انه يسعى رحمة بنفسه ، ويسعى ليكون رحمة في اسرته وفي عشيرته وفي وطنه وفي العالم بأسره .
انه يسعى ليصير رحمة .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » ويذهب الى عرفات للتعرف على الله ، سبحانه وتعالى ، وليقف متلقيا منه سبحانه رحمته .

والحج عرفة ، كما يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم انه تعرف على الله سبحانه وتعالى ، مصدر الخير كل الخير، ومصدر النعمة كل النعمة ، ومصدر الكمال على المعنى الصحيح للكمال الانساني .

ان الذي يتعرف على الله يصبح من الكمال الانساني في الذروة . وما كانت طريقة التعرف على الله في يوم من الايام قراءة آراء الفلاسفة وهي متضاربة متعارضة .

وانما سبيل التعرف على الله توبة نصوح ، **واستجابة مخلصة ، وطواف** بالبيت في تضرع وابتهال الى رب البيت ، وسياحة من الصفاء الى الرى ، ومن رى يزداد الى صفاء يصفو .

فاذا ما تزكت النفس بكل ذلك ، يفيض الله سبحانه وتعالى عليها نورا يعرفها به ، فتتعرف عليه وتلتزمه وتقف عنده وتنتهي اليه . « وان الى ربك المنتهى » .

وليس هناك منتهى دون الله سبحانه وتعالى ، وكل منتهى دونه هو منتهى مزيف فاسد ، أما المنتهى الحق فهو الله سبحانه وتعالى .

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير »

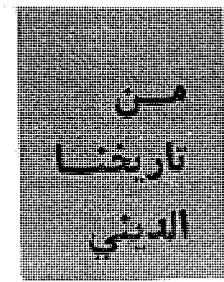
وتنتهى أعمال الحج بالذهاب الى منى والمكث فيها لرجم مصدر الشر . ابليس مرة ومرة ومرة . . . .

وما كان رجم ابليس الا رجما لعامل قوى من عوامل الفساد والمعصية والاثم .

ان المسلم يرجمه مؤكدا بذلك الرجم انه تخلص الى الابد من الشر ، من المعاصي من كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، وذلك هو العيد حقيقة والبهجة والسعادة .

والعيد الاسلامي عقب الحج انما هو احتفال عام في الأمة الاسلامية باكملها بمن انتهى بهم الحج الى اسلام الوجه لله .

ان العيد الاكبر انما هو حفل تكريم لمن استقام أمرهم على الجادة ، لمن دخلوا بالحج في عباد الرحمن ، لمن أسلموا وجوههم لله سبحانه وتعالى لمن أسلموا .





بقلم الدكتورة بنت الشاطىء
الاستاذة بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

أعنى بالعيد هنا : عيد الأمومة ...

ذلك الذى استوردناه من الغربيين ، ونقلنا عنهم يومه المختار للاحتفال به وبعض طقوس هذا الاحتفال ....

ثم اضفنا اليه من عندنا :

ضجة اعلانية فى الصحف والمجلات ، حيث تنتهز المتاجر هذه الفرصة ، فتتفنن فى الاعلان عن هدايا للامهات ترويجا للبضاعة .

وتهلل الصحف لهذه المناسبة ، لأنها تتيح لها الكسب المادى بالثمن الذى تقبضه من المعلنين .. وهو ثمن غال تضيفه المتاجر الى سعر البضاعة ، ثم تزيد عليه مبالغ اخرى ، نظير ما تتكلفه فى تنسيق الهدايا فى واجهات المتاجر ، وتغليفها تغليفا انيقا ، وربطها بشريط من الحرير الزاهى البراق ..

والى جانب هذه الضجة الاعلانية ، ضجة أخرى عن أخبار احتفال بالعيد يقام هنا أو هناك ، تدق له الطبول والاجراس ، وتؤخذ صور منه للنشر ، نرى فيها السيدة فلانة أو السيد علان ، أثناء التفضل بتقديم أكياس من الحلوى الى نزلاء الملاجىء ممن فقدوا أمهاتهم ، او للامهات المسكينات فى الاحياء الشعبية المنبوذة ..

ولا يخلو الامر من نشر صورة (تلفزيونية) للسيد الكريم وهو يتنازل فيصافح غلاما مسكينا ، او للسيدة صاحبة المقام العالى وهى تتواضع فتربت

نعت الينا الصحف ـ والعدد ماثل للطبع ـ فقيد العروبة والاسلام الاستاذ الشيخ أمين الخولى زوج الدكتورة بنت الشاطىء ، والمجلة تشاركها الأسى فى هذا المصاب ، وتسأل الله للفقيد الرحمة ولأسرته وتلاميذه جميل الصبر .

> «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»
> (قرآن كريم)

على كتف أم فقيرة ، أمام عدسات التصوير (التلفزيونية) ! ...

على هذا النحو نحتفل بعيد الامومة :

صور ...
واعلان ..
وانتهاز للفرصة ...
وترويج للتجارة ...

او هكذا مسخنا عيد الامومة عندنا ، فى احتفالنا به على هذا النحو فى اليوم الحادى والعشرين من مارس كل عام نقلا حرفيا من الغرب ، وليتنا مع ذلك ندرك مغزى اختيار الغرب لهذا اليوم فى مستهل الربيع حيث يتفتح الكون ، وتدب الحياة فى الكائنات ايذانا ببعث جديد من الاكفان الثلجية التى تكفنها فى الشتاء ..

ومن ثم يذكرون فى هذا البعث الامومة، واهبة الحياة وصانعة البشر !

أجل نقلنا العيد من الغرب بيومه وطقوسه ...

دون أن ندرى أن لنا عيدنا الأصيل ، يأتى كل عام فى موعده الذى لا يتخلف ونحتفل فيه بالامومة على مدار السنين ، منذ ما لا يحصى من دهور وأحقاب ..

الزمان : قديم موغل فى اعماق الماضى السحيق ...

والمكان: «مكة» عندما كانت قفرا يبابا فى الوادى الاجرد ، لا يعمرها انس ، وانما تلم بها بين حين وآخر جماعات من الرعاة ، يحطون رحالهم عند أطلال البيت العتيق ، التماسا للراحة والبركة ، ثم لا يلبثون أن يشدوا الرحال ويضربوا فى تيه الصحراء بحثا عن مساقط الغيث ومنازل المطر ..

فى تلك البقعة المهجورة ، وفى ذلك الزمن الغابر وراء التاريخ ، جاء « ابراهيم » عليه السلام يسعى من الشمال ومن ورائه « هاجر » تحمل فى حضنها وليدها « اسماعيل » ...

وفيم كان المسعى ؟

كان « ابراهيم » قد بلغ الشيخوخة ، وامرأته السيدة « سارة » عاقر لا تلد ، وبدا لها يوما أن تهبه جاريتها المصرية « هاجر » لعلها تعطيه الولد الذى يشتاق اليه ، او لعلها هى ايضا تعقم فلا تلد ، فيسكن « ابراهيم » الى راحة اليأس ويكف عن التعلق بالسراب .

وحملت « هاجر » فما كادت السيدة تراها أمامها فى حملها ، حتى خيل اليها انها مزهوة بهذا العطاء وأحست سيدتها بلواذع الغيرة ، لكنها كتمت قهرها ، وأقامت تنتظر وهى تعلل النفس بأن التجربة لم تتم بعد ، ومن يدرى .. لعل الجنين يسقط باجهاض !

لكن « هاجر » وضعت وليدها اسماعيل ، فكأنما اصابت سيدتها العاقر بسهم قاتل ، افقدها تماسكها فحدثت « ابراهيم » عن هذه الأمة التى تتعمد جرح كبرياء الانوثة فى سيدتها، بما تبدى من زهو بالغلام . قال ابراهيم :

من
تاريخنا
الديني

ـ هى امتك تصنعين بها ما شئت !

وشاءت السيدة أن تطرد هاجر وولدها ، وآلت على زوجها « الا يضمها وهذه الجارية سقف واحد » .

وخرج ابراهيم من أرض كنعان ، ضاربا فى طريق الجنوب الى البلد العتيق ومن ورائه الام « هاجر » مهزولة فى أعقاب نفاسها ، منصرفة عن التفكير فيما كان ويكون بهذا الصغير الرضيع الذى يسكن الى حضنها فينسيها كل الدنيا .

وعند اطلال البيت العتيق حط ابراهيم رحله ، ثم تهيأ للعودة من حيث جاء ، تاركا « هاجر » وولدها ، مع جراب فيه تمر ، وسقاء فيه ماء .

وأدارت هاجر عينيها فى هذا التيه القفر فسألت مرتاعة :

ـ أتتركنا هنا بهذا القفر الموحش ؟

قال :

ـ بلى

فأمسكت هاجر عن الكلام برهة ، ثم سألت سيدها ابراهيم :

ـ آلله أمرك بهذا ؟

اجاب :

ـ بلى

قالت :

ـ اذن فالله لن يضيعنا !

ولم تزد ...

وسار ابراهيم منصرفا ، حتى اذا بلغ ثنية الوادى رفع رأسه الى السماء وقال فى ضراعة وابتهال :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ومضى ...

وظلت « هاجر » تتبعه عيناها حتى غيبه منعطف الوادى ، فأقبلت على وليدها تستمد منه الانس فى وحشتها والقوة على احتمال محنتها !

حتى نفد الزاد الضئيل الذى تركه لها سيدها « ابراهيم » ونفد الماء .

وجف ثديها فلم يعد يبض بقطرة ..

اذ ذاك بدا لها أن تبحث هنا وهناك عن شىء يمسك الحياة على طفلها ، فراحت تضرب فيما حول الاطلال ... دون ان تهتدى الى شىء ....

وسعت الى جبل « الصفا » فعرجت الى قمته لتشرف من عل على الوادى ، لعلها تلمح من بعيد أثرا لحياة، ولا أثر..

وهبطت من « الصفا » وسعت مهرولة الى المروة فصعدت وحدقت فيما حولها لعل أحدا غيرها يضرب فى التيه .. ولا أحد .

وأعادت الكرة ..

ظلت تسعى مهرولة بين الصفا والمروة مرتين وثلاثا وسبعا ، حتى وهنت قواها وهدها اليأس ، فارتمت الى جانب طفلها ، لكنها لم تقو على احتمال رؤيته وهو يلهث ظمأ ، والحياة تتسرب من كيانه اللطيف .

« وغطت وجهها بلفاعها ، وقالت لا انظر موت الولد » .

ثم استسلمت لما يقضى به الله ..

وتفتحت السماء لتشهد « الام » فيما تكابد من هموم أمومتها ..

وتجلت رحمة الله فى طائر حط قريبا من هاجر وراح يحفر فى الارض المجدبة بمنقاره ، فتفجر « نبع » زمزم وهرولت الام الى النبع ، فارتوت وسقت وليدها

وردت الروح الى الطفل وامه ..

وبعثت الحياة فى الوادى الاجرد ، وقد استجاب الله لدعاء « ابراهيم » ! ..

أقبل قوم من الرعاة من جرهم ، يضربون فى التيه قريبا من موضع هاجر واسماعيل ، فما لمحوا الطير محوما على على المكان حتى ايقنوا انه لا يحوم الا على ماء .

ونزلوا حيث نزلت الام « هاجر » واستقروا حول نبع زمزم ، فعمر بهم المكان الموحش ، وشب « اسماعيل » فأصهر الى « جرهم » من العرب العاربة الاصيلة ، وبدأ تاريخ جديد لمكة والعرب منذ تلقى اسماعيل وابوه ابراهيم العهد الالهى باعداد البيت العتيق لعبادة الله :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود.واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم .

من ذلك العهد السحيق ، دخلت « هاجر » تاريخنا الدينى ، فكان مسعاها (مهرولة بين الصفا والمروة) شعيرة من شعائر حج العرب فى الجاهلية والاسلام .

(ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) .

و « هاجر » لم تدخل هذا التاريخ بشىء ما سوى هموم امومتها، فما كانت سوى أمة منبوذة غريبة عن الاهل والوطن ..

وتمضى الدهور والاحقاب ، والام « هاجر » ملء الحياة ، فكلما دار عام القمر دورته وأهل عيدنا الاكبر ، سعى الالوف من الحجيج بين الصفا والمروة مهرولين سبعة اشواط ، كما سعت « هاجر » من قبل التاريخ ! .

وهاجر هى ام العرب العدنانية ، من بنى ولدها اسماعيل ، ومنهم بعث محمد ابن عبد الله الهاشمى القرشى العدنانى « المصطفى خاتما للانبياء » .

ونحن المسلمين لا يكمل لنا ديننا حتى نحج بيت الله ، وهناك يتكرر المشهد الحى لذكرى الام الخالدة .

فى مكان بعينه بين الصفا والمروة .. وبالحركة نفسها : هرولة بينهما سبعة اشواط .

وفى موعده الذى لا يتخلف ، من عام القمر ... على مدار السنين من قديم بعيد والى الابد ! .

ذلك هو عيد الامومة عندنا ..

شعيرة من شعائر الله ..

فكيف جاز لنا ان نغفل عنه ونستبدل به هذا العيد الطارىء المجلوب ، قد مسخت فيه حقيقة عيدنا فصار الى ضجة اعلان وبريق صور وسوقا للبضاعة.

وانه لفى تاريخنا : دين وشعيرة مقدسة ! .

ألا هل بلغت .

اللهم فاشهد .



لفضيلة الشيخ
السيد سابق

الحج عبادة قديمة

الحج عبادة من العبادات القديمة التي عرفتها الامم جميعا منذ اقدم العصور ، فقد كان لكل امة مكان معين . او اكثر تحج اليه وتؤمه مرة او مرات ، عرفه قدمـــاء المصريـــين . والســـريـــان . والصينيون . والهنود . واليونانيون ، وعرفه الاسرائيليون . فقد كانوا يذهبون الى أورشليم ليقضوا عيد الفصح بهـــا حاجين متعبدين حسب ما امروا به .

ولما جاءت المسيحية جعلت الحج فى اول عهدها الى قبور الاولياء والشهداء والقديسين ثم اتجهت به الى أورشليم .

وكان العرب فى العهد الجاهلي يحجون الى البيت الحرام الذي بناه بمكة ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

الا ان حج العرب كان قد شابه الكثير من الوثنية — كما شابه الكثير من السيئات . فقد كانوا يلبون ويقولون فى تلبيتهم . « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » كما كانوا يطوفون بالبيت عراة الاجسام رجالا ونساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون . ويتعللون لذلك بانه لا ينبغي لهم ان يطوفوا بالبيت فى ملابس عصوا الله فيها . فسجل الله عليهم ذلك فقال : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) .

والمكاء هو الصفير .. والتصدية هي التصفيق . وأمرهم الله ان يستروا عوراتهم فقال :

(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) .

واذا كانالحج قد عرفته الامم القديمة جميعها . فالظاهر ان ذلك مستمد من الشرائع الالهية . ومن الاصل السماوى . باعتباره من دين الله الذي كلف به جميع الامم والشعوب . والى هذا تشير الآية الكريمة .

(لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه) .

الحج في الاسلام

فلما جاء الاسلام فرض الحج على المسلمين كما فرضته الشرائع السابقة ، وجعله احد اركان الاسلام الخمسة وفريضة من الفرائض التى علمت من الدين بالضرورة . فلو انكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الاسلام . يقول الله سبحانه : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين .)

متى فرض

والذي اختاره اكثر العلماء ان ايجابه كان سنة ست بعد الهجرة ، لأنه نزل فيها قول‌الله تعالى(وأتموا الحج والعمرة لله ..) وهذا مبني على ان الاتمام يراد به ابتداء الفرض . ويؤيد هذا قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي واقيموا —رواه الطبراني‌باسناد صحيح.

الترغيب فيه

اما ابن القيم فقد رجح ان افتراض الحج كان سنة تسع او عشر .

وقد رغب الشارع في اداء هذه الفريضة فاعتبرها من أفضل الاعمال . فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن‌افضل الاعمال . قال (ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا . قال ثم جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال ثم حج مبرور) .

والحج المبرور هوالحج الذي‌لا يخالطه اثم وقال الحسن ان يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة .

وعن الحسن ابن علي رضى الله عنهما — ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال (اني جبان واني ضعيف ، فقال هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج ومن ثم كان للحجاج عند الله المنزلة الرفيعة والمقام المحمود — يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم .

شروط وجوبه

وقد اشترط الفقهاء لوجوبه الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ، وانما تتحقق الاستطاعة بصحة البدن وأمن الطريق وملك ما يكفيه ويكفي من يعوله كفاية فاضلة عن حوائجه الاصلية

من مطعم وملبس ومسكن ، والا يوجد ما يمنع الناس من الذهاب الى الحج كالحبس والخوف من سلطان جائر يمنع الناس منه .

حكمته

قد يبدو أن الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى ، ولا ظاهرة الحكمة وأن ما يأتيه الانسان من أعمال انما هو امتثال للأمر واظهار للعبودية ، وقيام بحق الله ولكنه عند المتأمل تتجلى اسراره وتظهر آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية .

أسراره النفسية

ان شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذابا ، اذ أنها ترتبط بالواقع التاريخي لابي الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعا . والحج يلقي على هذه الذكريات من الظلال والالوان ما يجعلها شاخصة للعيون وماثلة في الاذهان . ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي رفع قواعد البيت واسماعيل . وهو اول بيت وضع لعبادة الله في الارض . ومن ثم أمر الحنفاء ان يتوجهوا اليه كلما توجهوا الى الله في صلاتهم ، وأن يتلاقوا عنده كل عام يحدوهم الحب في الله والاجتماع عليه ليعلنوا تضامنهم واتفاقهم على إقامة شريعة الله الواحد .

ولا تزال النفس الانسانية تهفو الى مصدر اشعاعها الاول وتحن اليه ، وتقيم لذلك المعالم الهادية وتتخذ منها حافزا يرقى بحاضرها وينهض بها الى حياة أهدى وأزكى .

ولقد جاشت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفعلت بهذه الذكريات فبكى وهو عند الكعبة وقال :-

(يا عمر : هنا تسكب العبرات) .

آثاره الخلقية

والحج نوع من السلوك ولون من الوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من اجل الوصول الى المثل الاعلى ، والاندماج في حياة روحية خالصة تمتلىء فيها القلوب بحب الله ، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية عليه . بينما يرتدى المرء ملابس الاحرام وهي ملابس خالية من الزينة ومن كل ما يثير في النفس دواعي العجب والخيلاء يقول الله تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله) . تشير هذه الآية الى ان المرء حينما يدخل في اعمال الحج يجب عليه ان يعيش في جو من العفاف والادب العالى فلا يتدلى الى رفث ولا يميل الى فسوق ولا ينطق بكلمة طائشة . أو ينظر نظرة فاحشة . كما تشير ايضا الى فعل الخير . وهو عمل ايجابي يجمل بكل مؤمن ان يهتم به ويحرص عليه .

آثاره الاجتماعية

يمكن تلخيص الحكم الاجتماعية للحج فيما يلي .

١ : ان الحج رحلة سياحية لتجميع اكبر عدد ممكن من افراد الامة الاسلامية ليشهدوا المنافع التي تعود عليهم بالخير والبركات . سواء اكانت منافع روحية ام منافع اقتصادية ام منافع سياسية .

٢ : ان فيه تعارف الشعوب الاسلامية وتوحيد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم الى حياة القوة والعزة والعلم والعمل . بما يفيده بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة والثقافات المتنوعة .

٣ : يمكن عقد معاهدات واتفاقات في موسم الحج ودراسة الوسائل لتيسير

التبادل الاقتصادي والثقافي مما تحتاج اليه هذه البلاد .

هذه هي بعض حكم الحج وأسراره .

فلننظر الى أرض اللـه الواسعة ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات ، فهل نجد مجتمعا أطهر وأبر من هـذا المجتمع مع هذا العدد الوفير . والكثرة الكاثرة ؟ . وصدق الله العظيم اذ يقول :

(واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) .

كيفيته . ومن الثابت ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حج حجة واحدة ، وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة وسميت حجته تلك بحجة الوداع ، وقد بين فيها الرسول صلوات الله عليه مناسك الحج وقال :

(خذوا عني مناسككم) . فمن اقتدى برسـول الله صلى اللـه عليه وسلم واهتدى بهدية في حجه كـان حجه صحيحا . وهذا بيان حجه كما رواه الامام مسلم . قال حدثنا أبو بكر بن ابي شيبة ، واسحق بن ابراهيم جميعا ، عن حاتم ، قال ابو بكر حدثنا حاتم بن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : دخلنا على جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، فسأل عن القوم حتى انتهى الي . فقلت انا محمد بن على بن حسين فأهوى بيده الى رأسي ، فنزع زرى الاعلى ، ثم نزع زرى الاسفل ، ثم وضع كفه بين ثديي ، وانا يومئذ غلام شاب .

فقال مرحبا بك يا ابن أخي ، سل عما شئت ؟ فسألته ــ وهو أعمى وحضر وقت الصلاة، فقام فى نساجة (١) ملتحفا بها ، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها اليه من صغرها ، ورداؤه الى جنبه على المشجب (٢) فصلى بنا ، فقلت أخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيده فعقد تسعا ، فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين (٣) لم يحج ثم أذن فى الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم برسول اللـه صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت (أسماء) بنت عميس : محمد ابن أبي بكر فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي واستقرى (٤) بثوب واحرمي. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، ثم ركب « القصواء » (٥) حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل (٦)

---

(١) نساجة ثوب يشبه الطيلسان

(٢) المشجب اسم لأعواد ــ يوضع عليها الثياب ــ ومتاع البدن أشبه بما يسمى عندنا بالشماعة .

(٣) تسع سنين . أى بالمدينة قبل أن يحج .

(٤) الاستثفار . ان تشد فى وسطها شيئا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها فى ذلك المشدود فى وسطها لمنع سيلان الدم ــ وفى هذا دليل على صحة احرام الحائض والنفساء بعد استثفارهما . وعلى ان غسل الاحرام سنة لهما . ولغيرهما من باب أولى .

(٥) القصواء . اسم لناقة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) أهلّ . من الاهلال وهو رفع الصوت بالتلبية .

بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك) وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته . قال جابر رضى الله عنه. لسنا ننوى الا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى اذا اتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ، ومشى اربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم عليه السلام فقرأ : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى « فجعل المقام بينه وبين البيت . فكان يقرأ في الركعتين « قل هو الله احد » « و » قل يايها الكافرون » ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ « ان الصفا والمروة من شعائر الله » « ابدأ بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت ، « واستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره ، وقال « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده، انجز وعده، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده » (١) . ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة ، حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى(٢) سعى ، حتى اذا صعدنا مشى ، حتى اتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا . حتى اذا كان آخر طوافه على المروة فقال « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم اسق الهدى ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة » . فقام سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال يا رسول الله العامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه ، واحدة في الاخرى ، وقال « دخلت العمرة في الحج مرتين ، لا ، بل لأبد أبد » .

وقدم « علي من اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حلّ .. ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فانكر ذلك عليها، فقالت : ان ابي امرنى بهذا . قال فكان علي يقول بالعراق . فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا (٣) على فاطمة للذي صنعت ، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته انّي انكرت ذلك عليها ، فقال صدقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ . قال :

قلت اللهم اني اهلّ بما أهل به رسولك « صلى الله عليه وسلم قال : فان معي الهدى فلا تحلّ .

قال فكان جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن . والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم « مائة » . قال فحلّ الناس كلّهم وقصروا (٤) ، الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية (٥)

---

(١) هزم الاحزاب وحده . أى هزمهم بغير قتال من الآدميين . ولا بسبب من جهتهم والمراد بالاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق .

(٢) بطن الوادى . هو الذى يقال له بين الميلين — والمراد بالسعى الرمل وهو مشروع فى كل الاشواط السبعة .

(٣) محرشا التحريش الاغراء — والمراد به انه كان يعتب عليها .

(٤) يؤخذ من هذا — جواز فسخ الحج الى العمرة — لمن لم يسق الهدى — كما فعل الصحابة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) يوم التروية — هو اليوم الثامن من ذى الحجة وسمى بذلك لانه مشتق من الرواية لأن الامام يروى للناس مناسكهم . وقيل من الارتواء لأنهم يرتوون الماء فى ذلك اليوم ويجمعونه بمنى .

توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب ، والعشاء والفجر (١) ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقيّة من شعر تضرب له بنمرة . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام . كما كانت قريش تصنع في الجاهلية (٢) . فأجاز (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت (٤) له فأتى بطن الوادى (٥) .

فخطب الناس قال : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا الا كلّ شيء من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع . ودماء الجاهلية موضوعة ، وان اول دم اضع من دمائنا ، دم ابن ربيعة بن الحارث . كان مسترضعا في بني سعد ، فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع (٦) وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب ، فانه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء . فانكم أخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ... الى قوله : ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده ، ان اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون . ؟ قالوا . نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة (٧) يرفعها الى السماء ينكتها الى الناس ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات ، ثم اذن ، ثم اقام فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا (٨) ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات، وجعل حبل المشاة (٩) بين يديه . واستقبل القبلة .

---

(١) يؤخذ من هذا أن من السنة صلاة خمسة اوقات بمنى . والمبيت بها هذه الليلة وهي ليلة التاسع من ذى الحجة . ومن السنة كذلك الا يخرج يوم عرفة من منى الا بعد طلوع الشمس ولا يدخل عرفات الا بعد زوال الشمس ، وهذا كله بحسب الاستطاعة .

(٢) كانت قريش فى الجاهلية تقف بالمشعر الحرام – وهو جبل فى المزدلفة يقال له قزح وقيل ان المشعرَ الحرام كل المزدلفة . وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات فظنت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم يقف فى المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه صلى الله عليه وسلم الى عرفات لان الله تعالى أمره بذلك فى قوله (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) أى سائر العرب غير قريش – وانما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم – وكانوا يقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه .

(٣) فأجاز – أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها . بل توجه الى عرفات .

(٤) فرحلت – أى جعل عليها الرحل .

(٥) بطن الوادى – هو وادى عرفه .

(٦) ربا الجاهلية موضوع . أى باطل .

(٧) فقال باصبعه السبابة أى يقلبها ويرددها الى الناس مشيرا اليهم .

(٨) فيه دليل على مشروعية الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم بسبب النسك او بسبب السفر – على خلاف فى ذلك .

(٩) حبل المشاة أى مجتمعهم .

فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وأردف اسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شنق(١) للقصواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله (٢) ويقول بيده اليمنى (٣) أيها الناس : السكينة السكينة كلما أتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا (٤) ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر . وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة . ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتىاسفر جدا. فدفع قبل ان تطلع الشمس .

وأردفالفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما (٥) فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن (٦) يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل . فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، وجههمنالشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر . فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى (٧) التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخزف ، رمى من بطن الوادى (٨) . ثم انصرف الى المنحر . فنحر ثلاثا وستين بيده (٩) ثم أعطى عليا . فنحر ما غبر (١٠) وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة (١١) فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأفاض الى

---

(١) شنق أى ضم وضيق .

(٢) المورك الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل اذا مل من الركوب .

(٣) ويقول بيده اليمنى أى يشير بها قائلا الزموا السكينة . وهي الرفق والطمأنينة .

(٤) لم يسبح بينهما شيئا أى لم يصل بينهما شيئا من الصلوات وهذا الجمع متفق عليه من العلماء .

(٥) وسيما جميلا .

(٦) ظعن جمع ظعينة وهي البعير الذى عليه امراة ــ ثم سميت به المرأة مجازا لملابستها البعير .

(٧) فيه دليل على ان سلوك هذا الطريق من عرفات سنة . وهو غير الطريق الذى ذهب فيه الى عرفات . وكان قد ذهب الى عرفات من طريق (ضب) ليخالف الطريق كما كان يفعل فى الخروج الى العيدين فى مخالفة طريق الذهاب والاياب .

(٨) بطن الوادى اى بحيث تكون منى وعرفات والمزدلفة عن يمينه ومكة عن يساره .

(٩) فنحر ثلاثا وستين بيده ــ فيه دليل على استحباب تكثير الهدى ــ وكان هدى النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة مائة بدنة .

(١٠) ما غبر ما بقى .

(١١) ببضعة أى بقطعة من اللحم .

البيت (١) فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا (٢) بنى عبد المطلب فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم (٣) لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه . قال العلماء واعلم ان هذا الحديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ، ونفائس من مهمات القواعد . قال القاضي عياض قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا ، وصنف فيه ابو بكر بن المنذر جزءا كبيرا أخرج فيه من الفقه مئة ونيفا وخمسين نوعا . قال ولو تقصى لزيد على هذا العدد قريب منه . قالوا وفيه دلالة على ان غسل الاحرام سنة للنفساء والحائض ولغيرهما بالاولى . وعلى استثفار الحائض والنفساء ، وعلى صحة احرامهما، وان يكون الاحرام عقب صلاة فرض او نفل ، وان يرفع المحرم صوته بالتلبية ويستحب الاقتصار على تلبية النبي صلى الله عليه وسلم . فان زاد فلا بأس ، فقد زاد عمر : لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا اليك .

وانه لينبغي للحاج القدوم اولا الى مكة ليطوف طواف القدوم وأن يتسلم الركن ــ الحجر الاسود ــ قبل طوافه ويرمل في الثلاثة الاشواط الاول . والرمل اسرع المشى مع تقارب الخطا وهو الخبب وهذا الرمل يفعله في ما عدا الركنين اليمانيين .

ثم يمشى اربعا على عادته وانه ياتي بعد تمام طوافه مقام ابراهيم ويتلو « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ثم يجعل المقام بينه وبين البيت ويصلى ركعتين . ويقرأ فيها ــ في الاولى ــ بعد الفاتحة ــ سورة الكافرون ــ وفى الثانية بعد الفاتحة « سورة الاخلاص » . ورد الحديث على انه يشرع له الاستلام عند الخروج من المسجد كما فعله عند الدخول . واتفق العلماء على ان الاستلام سنة . وانه يسعى بعد الطواف ويبدأ من الصفا ويرقى الى اعلاه ويقف عليه ، مستقبل القبلة ويذكر الله تعالى بهذا الذكر ويدعو ثلاث مرات ويرمل في بطن الوادى وهو الذي يقال له « بين الميلين » وهو ــ أي الرمل ــ مشروع في كل مرة من السبعة الاشواط . لا في الثلاثة الاول كما في طواف القدوم بالبيت وأنه يرقى ايضا على المروة كما رقى على الصفا ويذكر ويدعو .

وبتمام ذلك تتم عمرته .

فان حلق او قصر صار حلالا . وهكذا فعل الصحابة الذين أمرهم صلى الله عليه وسلم بفسخ الحج الى العمرة .

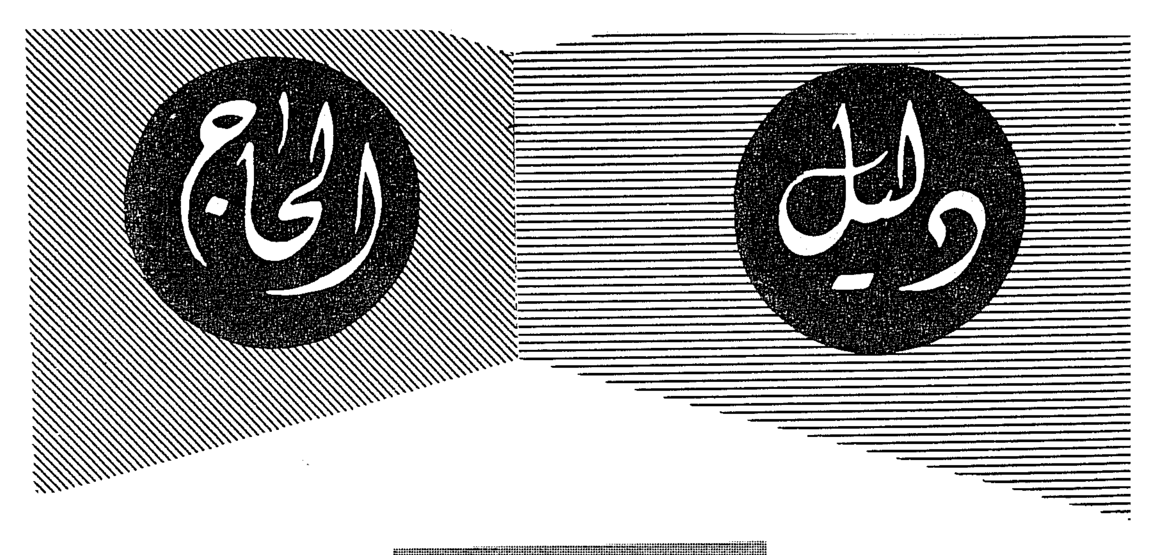
وأما من كان قارنا ، فانه لا يحلق ولا يقصر ويبقى على احرامه ثم في يوم التروية ــ وهو الثامن من ذى الحجة ــ يحرم من اراد الحج ممن حل من عمرته ويذهب هو ومن كان قارنا الى منى، والسنة ان يصلى بمنى الصلوات الخمس وان يبيت بها هذه الليلة ــ وهي ليلة التاسع من ذي الحجة ــ ومن السنة كذلك ان لا يخرج يوم عرفة من منى الا بعد طلوع الشمس ولا يدخل (عرفات) الا بعد زوال الشمس . وبعد صلاة

ــ البقية على ص ٣٥ ــ

(١) أفاض الى البيت أى طاف بالبيت طواف الافاضة .

(٢) انزعوا أى اسقوا بالادلاء وانزعوها بالرشاء أى الحبال .

(٣) ان يغلبكم الناس على سقايتكم معناه لولا خوفي ان يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحموا عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستسقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء .



بقلم الاستاذ علي الطنطاوي
مكة المكرمة

— ١ —

ياعازمين على الحج ، يا من يشد الرحال ، ويعد الاحمال ، ليصل الى فناء الحرم ، ويقوم عند الملتزم ، ويشرب من ماء زمزم ...

قفوا قليلا ، فاستمعوا مني كلمة ،ثم امضوا على بركة الله .. انكم ما حملتم مشاق السفر ، ولا رضيتم بفراق الاهل ، ولا انفقتم هذا المال ، الا ابتغاء ثواب الله ، وادخارا من الحسنات ليوم الحساب . فهل علمتم قبل أن تمشوا ان الحج حجان : حج مبرور وردت الاحاديث الصحاح بأنه ليس له ثواب الا الجنة ، وان صاحبه يرجع منه كيوم ولدته امه .

وحج ما فيه الا انفاق المال وارهاق الجسد ، وفراق العيال . فماذا تعملون ليرفع الله حجكم اليه ، ولا يرده عليكم ، فيضرب به وجوهكم . انا اقول لكم : هل ترتفع الطيارة اذا أثقلتها بالحديد ، وحملتها أضعاف ما تطيق ، ثم ربطتها بحبال الفولاذ الى صخور الجبل ؟ .

انها لا ترتفع الا اذا خففت أحمالها ، وقطعت عنها حبالها وكذلك الاعمال . فاذا أردتم ان يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم اثقال الذنوب ، واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات ، أو حلوها .

فاقعد يا أخي الحاج وحدك ، واحصر فكرك قبل ان تخطو اول خطوة فى طريق الحج ، وحاسب نفسك ، وانظر فى حياتك فى بيتك ، وصلاتك بأهلك ، وروابطك بأصحابك ، وسلوكك فى (وظيفتك) «١» او تجارتك وفى مصادر ثروتك . وطرق انفاقك ، فكر فيها كلها ، وقسها بمقياس الشرع ، فما وجدته منها محرما فتب منه ، واستسمح أصحابه قبل ان تمضي الى الحج .

(١) الوظيفة فى اللغة الراتب ولكني استعملتها بالمعنى الذي يفهمه الناس .

انظر هل انت تارك لفريضة من الفرائض ؟ هل انت مرتكب لمحرم من المحرمات ؟ هل اسأت رعاية من استرعاك الله امره من اهلك وولدك ؟ هل انت ظالم لزوجتك قد كرهت اليها بسوء معاملتك عيشها ، او انت منقاد اليها تتبع رغباتها التي تغضب ربها ؟ هل رضيت بترك اولادك الصلاة ؟ هل وضعتهم في مدارس غير المسلمين . ؟ هل اكلت مال احد ، او تعديت عليه ؟ هل لاحد في ذمتك دين لم تقضه ، او حق لم تسدده ؟ هل تقصر في عمل الوظيفة ان كنت موظفا ؟ هل تأخذ الرشوة ؟ هل تعامل الناس بالربا ان كنت تاجرا ؟ هل تعقد عقودا مخالفة للشرع ؟ انظر في هذا كله وامثاله ، فتب منه ، وليس يكفي ان تعزم على ترك الذنب بقلبك ، او أن تعلنه بلسانك ، بل ان تتخذ الاسباب لذلك .

فان كنت تتعامل بالربا ، واردت ان تتوب منه ، والاتعود اليه . فصف حساب عملائه ، واقطع صلاتك بهم . وخذ رأس مالك ودع موارد الربا ، ولا يغررك ان الربا سمي بـ (الفائدة) فلقد ورد ان الناس في آخر الزمان يسمون المحرمات بغير اسمائها ليستحلوها .

وان كنت تتكسب من عمل محرم ، كأن تكون عاملا في ناد يسقي الخمر ، ويجمع الجنسين . اوفي مصرف يرابي وأنت تشتغل فيه كاتبا للربا . او كنت في مؤسسة او مصلحة تنشر الالحاد ، او تؤذي المسلمين وأردت أن تتوب ، ففتش لنفسك عن عمل آخر ، والا لم تنفعك توبتك عنه وأنت ملازم له .

واعلم ان الله هو الرزاق ، وان من يتق الله لا من يعصه يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب . وكذلك الحال في كل محرم .

ثم تدبر امورك وامور عيالك في غيبتك ، لتريح بالك منها ، فلا تفكر فيها وانت في الحج . فتعطي اهلك من النفقة ما يكفيهم في غيابك ، وتوكل بهم من يقوم بأمرهم الى حين عودتك ، وتعهد بعملك الى من تثق به ، وتعتمد بعد الله عليه ،

واعلم يا أخي الحاج ، ان الحج غسل للقلب من اوضار الذنوب ، فهل يغسل احد جسده من الاوساخ بالماء الوسخ؟ فكيف اذن تبغي أن تتخلص بالحج من تبعات الحرام . اذا كان حجك بمال حرام ؟ ان الله طيب لا يقبل الا طيبا . فليكن اول ما تصنعه ان تعد لنفقات حجك مالا حلالا .

لا اريد بالمال الحلال ان يكون خاليا من كل شبهة فلقد ذكر العلماء من قرون طوال ان ذلك كان كالمتعذر في ازمانهم ، فكيف بزماننا ؟ ولكن اريد الا يكون المال الذى اعددته للحج ، مالا ظاهر الحرمة ، كأن يكون مغصوبا او متحصلا من الربا ، او من مهنة يحرمها الشرع كالاتجار بالخمر ، او زراعة الحشيش ، او نشر الكتب والمجلات المفسدة للدين وللأخلاق .

المال الحرام ردوه الى اصحابه الذين اخذ منهم ظلما . فهذا افضل من الحج ، ثم ان وجدتم بعد ذلك ما تحجون به من المال الحلال . والا فانتظروا حتى يبعثه الله اليكم فتحجوا .

ومن كان منكم موسرا فليحمل معه ما يزيد عن نفقات حجه ، ونفقات اهله في غيابه ، ولينو بذلك مساعدة المحتاج واسعاف المنقطع ، لا يوزعه على الشحاذين الذين اتخذوا السؤال حرفة ، ولعل فيهم من هو غني ، بل يعطي من يثق بحاجته ، ومن يكون عفيفا ، فيظنه الناس من عفته وابائه غنيا وهو في اشد الفقر .

امثـال هؤلاء فاعطوهـم ، واذا لم تعرفوهم فأسألوا عنهم من تثقون به من افاضل اهل الحرمين .

الرفيق قبل الطريق

واعلموا انعلى ألسنة الناسأقوالا سائرة يلقونها ، لا يفكرون بمعناها ، وكأنها من كثرة الترداد قـد صارت الفاظـا بلا معان ، وهي ثمرة تجارب بشرية طويلة ، منها قولهم (الرفيق قبل الطريق) .

وأولى سفرة باختيار الرفيق الصالح سفرة الحج ، ورب رفيق حججت معه فاستفدت من علمه ، واسترحت الـى حلمه، وأطمأننتالى امانته، ورب رفيق نغص عليك حجتك ، واضـاع عليـك ثوابك .

رفيق يجعل الحج مرددا مرفوضا ، ورفيق يجعله مبرورا مقبولا . فاختر لك رفيقا عالما بالمناسك ، فان لم تجد فخذ كتابا من كتب المناسك لعالم موثوق به ، ولا تركن الى هذه الكتب التي يؤلفها من ليسوا بعلماء ، ولو رأيت الاعـلان عنها ، والدعوة اليها ، فان فيهـا خطأ كثيرا ، ولا تأخذ كلام المطوفين قضيـة مسلمة فان اكثرهم من غير العلماء ، ولا تقبل من كل من يتكلم في العلم . فربما تكلم في العلم في زماننا ، وتصدر للاقتداء من ليس بعالم ولا بطالب علم .

فاذا أعددتم المال الحلال ، وانتقيتم الرفيق الصالح ، وتبتـم من ذنوبكم ، واديتم الحقوق التي عليكم ، فاخـلوا اذهانكم من همـوم العيش وخلفوهـا وراءكم ، وفرغوا قلوبكم ما اسـتطعتم لربكم ، فانكم تفكرون في الدنيا العمـر كله ، ففكروا في الآخرة هذه الايام فقط ، وتعملون طول حياتكم لما لا ينفعكم بعد موتكم ، فاعملوا هذه الايام فقط لما يبقى لكم ، ويفيدكم يوم العرض على ربكم .

ـ ٢ ـ

يا اخوتي الحجاج

انكم تقومـون للصلاة ، تنظرون الى مسير الشمس في النهار ، وتبحثون عن نجـم القطـب في الليـل ، وتضعـون (البوصلة) امامكم وتستحضرون موقع البلد في اذهانكم لتعرفوا اين تقع الكعبة ، فتجعلوها قبلتكم في صلاتكم . وبينكم وبينهـا الابعـاد والآماد وبينكم وبينهـا الصحـارى والبحـار . والجبـال والانهار ، لا يمنعكم بعدها ولا تصدكم العوائق دونها ، عن ان تتوجهوا اليهـا باجسادكم وقلوبكم ، وأن تتصوروهـا على الغيبة ، وتحنوا اليها على البعد ، فها انتم هؤلاء تمشون اليها كما يمشي المحب الى لقاء المحبوب ، ودونه الحجب والاستار ، فكلما جزتم اليها بادية ، أو ركبتم بحرا ، رفع لكم من دونها حجاب ، وكلما دنوتم منها شبرا ، رفع لكم ستر ، حتى وصلتم الى (المواقيت)

لباسه الرسمي

هذي مواقيت الحرم يا حجاج فقفوا ، هذه أعتاب ديار المحبوب ، هذه مشارف بيت المليك ، ان من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا، يلبس للمقابلة لباسها الرسمي، وهـذه ابواب حضرة ملك الملوك ، رب العالمين ، فاخلعوا عن اجسـادكم ثياب الدنيا ، والبسـوا للنسـك لباسـه الرسمي .

البسوا ثياب الاحرام ، التي لا يمتاز فيها غنى عن فقير ، ولا امير من أجير ، وانزعوا معها حب الدنيا وانزعوا مشاغلها ومشاكلها عن قلوبكم ، واغسلوا بالمـاء اجسادكم ، واغسـلوا بتجديد التوبة نفوسكم ، وانووا اما الحج وحده ، واما العمرة والحج مقرونين ، تدخلون بالعمرة فتطوفون وتسعون وتبقون محرمين الى انتهاء اعمال الحج ، وأما العمرة وحدها فاذا اكملتـم مناسـكها (اى طفتـم وسعيتم) حلقتم ولبستم ثيابكم وحللتم ،

ثم احرمتم بالحج يوم الحج ، والاول هو الافراد ، والثاني القران ، والثالث التمتع ، وكل ما تنوون حسن ، وكل من **الثلاثة هو الافضل فى احد المذاهب** ، وان كان التمتع هو آخر ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل به اولى .

اجيبوا داعي الله

ثم اصغوا تسمعوا صوت الشرع فى قلوبكم يأمركم بالتوحيد واخلاص العبادة لله ، واتباع سبل الخير ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، اسمعوا اوامر الله فى آيات كتابه واقوال نبيه ، فاذا تمثلت لأذهانكم ، فاجيبوا بالسنتكم وبقلوبكم :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك **لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا** شريك لك .

لبيك امرتنا فاطعنا ، ونهيتنا فاجتنبنا ، فاعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، فانا لا نستطيع ان نقوم بها بغير معونتك ، لا شريك لك فنطلب منه ، ولا اله سواك ، فنفر اليه ، لقد فررنا اليك ، وجئنا قاصدين بيتك ، فهل تردنا عن بابك خائبين ، وأنت اكرم الاكرمين ؟

هذه يا حجاج مواقيت الحرم (آبار علي) على ابواب المدينة ، و (الجحفة) عند رابغ (وقرن) عند السيل الكبير ، ووادى محرم قرب الطائف ، (ويلملم) فى الجنوب الشرقي من مكة ..

هذه حدود منزل الوحي ، لقد جزتموها الآن محرمين ، فجدوا السير ، واحدوا المطي أو استحثوا سائق السيارة .

لقد دنوتم الآن من الحرم ، اتعرفون يا اخوان ما الحرم ؟

هنا دار السلام ان عمت الأرض الحروب . هنا دار الأمن ان شمل الناس الخوف .

كل حي ها هنا آمن ،الناس والحيوان والنبات ، ليس ها هنا حرب ولا قتال ، **الحيوان هاهنا لايصاد، والاشجار لاتقطع . لاعدوان على أحد ، ولا تجاوز على شيء .**

هذه حدود الحرم ، الا ترون اعلامها؟

لقد أقام هذه العلامات ابو الأنبياء ابراهيم ، وبقيت حيث أقامها . **لقد دخلتم الآن الحرم** ، فجددوا التلبية واجهروا بها ، وقولوا **بقلوبكم مع** السنتكم .

لبيك اللهم ،قد دعوتنا فأجبنا ،سمعنا المؤذن يؤذن بالحج فجئنا رجالا وعلى كل ضامر ، اتينا من مكان بعيد ، نجزع الأرض ، نطوى البيد ، نركب الريح ، ونمتطي اللجج ، **امتثالا لامرك** ، وابتغاء رضاك .

لبوا يا حجاج ، واجهروا بالتلبية ، لبوا عند كل رابية وجبل ، تلب معكم الروابي والجبال ، لبوا كلما صعدتم نشزا ، لبوا كلما هبطتم واديا، لبوا **فهذه جبال مكة** ، بدت لكم .

لقد وصلتم ، لم يبق الا قليل ،فجدوا السير .

هذه مكة فادخلوها من اعلاها ، من جهة ذى طوى (حي الزاهر) ثم اهبطوا من الحجون ، من عند المقبرة ، فمن هناك دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم امشوا من عند المسعى حتى تدخلوا من باب السلام (باب بني شيبة) .

لقد زالت الحجب حجابا بعد حجاب، وتقاربت الابعاد ساعة بعد ساعة ، حتى

بلغتم الأرب فنسيتم التعب ، فهنيئا لكم،نلتم المرام،هذا باب السلام وهذه زمزم، وهذا المقام ، وهذه الكعبة البيت الحرام.

فلبوا وهللوا ، وادعوا فان دعاء المسلم أول ما يرى الكعبة مستجاب ، هذا هو المشهد الذى قطعتم من اجل رؤيته الآفاق ، وحملتم المشاق ، أني لن أنسى يوم وقفت هذا الموقف أول مرة ، من احدى وثلاثين سنة ، لقد سلكنا الصحارى من دمشق ، فكنا كلما دنونا يوما زاد الشوق بنا شهرا . حتى تمنيت ان تطوى لي الأرض ،وان ينصرم الزمن.

واكثر ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

حتى اذا وقفت على باب السلام صفق من الفرحة القلب ، وبكت من السرور العين ، فما رأيت الكعبة الا من خلال الدموع .

هـذه دارهـم وانت محب
ما بقاء الدموع فى الآماق !

اني لا اتمنى الا امنية واحدة ، هي أن انسى هذا المشهد لا ستمتع برؤيته من جديد . هذه مكافأة الحاج أنها لذة من لذائذ الروح لا مثيل لها ، فاشبهه بها لأدل عليها من لم يعرفها .

لذة لا يدرك مداها الا من ذاقها ، لذة لا توصف ولا تعرف

لايعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

اسأل الله ان يمن بذلك على كل راغب فيه ، مشتاق اليه .

الظهر والعصر جمعا بعرفات فانه صلى الله عليه وسلم نزل بنمرة وليست من عرفات . ولم يدخل ـ صلى الله عليه وسلم ـ الموقف الا بعد الصلاتين . ومن السنة ان لا يصلي بينهما شيئا ، وان يخطب الامام الناس قبل الصلاة وهذه احدى الخطب المسنونة في الحج .

والثانية ـ أى من الخطب المسنونة يوم السابع من ذى الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر .

والثالثة ـ أى من الخطب المسنونة يوم النحر

والرابعة يوم النفر الاول . وفي الحديث سنن وآداب منها :

أن يجعل الذهاب الى الموقف عند فراغه من الصلاتين ، وأن يقف فى عرفات راكبا أفضل . وأن يقف عند الصخرات ، عند موقف النبي صلى الله عليه وسلم ، أو قريبا منه ، وأن يقف مستقبل القبلة . وأن يبقى في الموقف حتى تغرب الشمس . ويكون في وقوفه داعيا الله عز وجل . رافعا يديه الى صدره . وأن يدفع بعد تحقق غروب الشمس بالسكينة ، ويأمر الناس بها ان كان مطاعا فاذا أتى المزدلفة نزل بها وصلى المغرب والعشاء جمعا بأذان واحد واقامتين ، دون ان يتطوع بينهما شيئا من الصلوات ، وهذا الجمع متفق عليه بين العلماء ، وانما اختلفوا فى سببه ، فقيل انه نسك ، وقيل لأنهم مسافرون ـ أى السفر هو العلة لمشروعية الجمع ـ

ومن السنن المبيت بمزدلفة وهو مجمع على انه نسك . وانما اختلفوا فى كونه ـ أى المبيت ـ واجبا أو سنة .

ومن السنة ان يصلي الصبح فى المزدلفة ثم يدفع منها بعد ذلك . فيأتي المشعر الحرام فيقف به ويدعو .

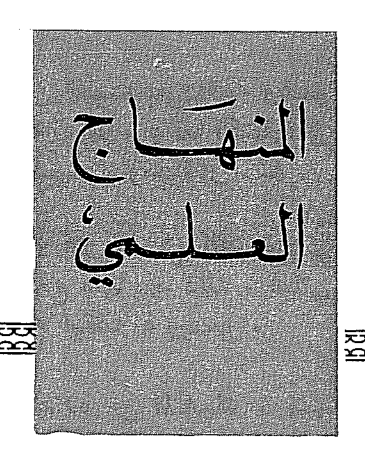
والوقوف عنده من المناسك . ثم يدفع منه عند اسفار الفجر اسفارا بليغا ، فيأتي بطن محسر ، فيسرع السير فيه ، لأنه محل غضب الله فيه على أصحاب الفيل ، فلا ينبغي الاناة فيه ولا البقاء فيه ، فاذا أتى الجمرة ـ وهي جمرة العقبة ـ نزل ببطن الوادى ورماها بسبع حصيات كل حصاة كحبة الباقلاء ـ اى الفول ـ يكبر مع كل حصاة . ثم ينصرف بعد ذلك الى المنحر فينحر ان كان عنده هدى ثم يحلق بعد نحره .

ثم يرجع الى مكة فيطوف طواف الافاضة وهو الذى يقال له طواف الزيارة .

ومن بعده يحل له كل ما حرم عليه بالاحرام . حتى وطء النساء ، واما اذا رمى جمرة العقبة ، ولم يطف هذا الطواف فانه يحل له كل شيء ما عدا النساء .

* * *

هذا هو هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجه والآتي به مقتد به صلى الله عليه وسلم وممتثل لقوله (خذوا عني مناسككم) وحجه صحيح .



للبخاري ورجال الحديث عندنا من خصائص الأمة الاسلامية

أثار المقال الذى نشرته مجلة العربى فى عدد فبراير ٦٦ حول صحيح الامام البخارى نفوس الغيورين على السنة النبوية ، والعارفين لقدر الامام البخارى ومكانته العلمية ، وقد نشرنا فى العدد السابق من مجلة « الوعي الاسلامى » كلمة هادئة موضوعية فيها انصاف للامام البخارى ، وبيان صريح لما التبس على كاتب المقال .

وكان فى تقديرنا ان الموضوع سينتهي عند هذا القدر . ولكن نفرا منهم الكاتب نقلوا هذا الموضوع الى بعض الصحف والمجلات المحلية .

وبعث الينا الكثيرون من مختلف الاقطار بردود كثيرة ، ولهذا رأينا ان ننشر هذا الرد للاستاذ ابراهيم البطاوى ، نائب رئيس لجنة احياء تراث السنة التي تشرف عليها جامعة الازهر ووزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة . وردا مختصرا آخر للاستاذ محمد الشيخ صالح آل ابراهيم من الكويت . مؤكدين للقراء أن الاسلام وان كان دين العقل الا ان اطلاق الزمام لكل عقل ليحكم فى قضايا الدين أو غيره من العلوم دون دراسة وتثبت أمر يتنافى مع العقل .

« الوعي »

القرآن والسنة :

قال رجل ــ ذات يوم ــ للتابعي المحدث الزاهد مطرف بن عبد الله « لا تحدثونا الا بالقرآن !! » فقال له مطرف « والله ما نريد بالقرآن بدلا ... ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا !! » .. يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم : فقد نزل القرآن دستورا لجميع الخلائق مجملا للاحكام الالهية وما فرض الله ، جامعا فى

بقلم الاستاذ ابراهيم محمد البطاوى

ايجاز لمكارم الاخلاق ، وتاريخ الامم والرسل والحضارات ، وحقائق الكائنات ، ومصائر البشر .

ولكن من يكشف كنوز القرآن فيفصل مجمله ، ويبين مشكله، ويبسط مختصره ، ويوضح معالمه ، ــ بقوله وفعله ــ من غير شطط فى الرأى ، او بعد عن القصد ، او ضلال من الهوى والجهل ؟ . ليس هناك قط غير المعصوم الذى رباه ربه وطهره وأهله، ثم اختاره لاشرف الرسالات وأكملها محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . الذى أمره ربه أن يبين للناس كل هذا بسنته حين أنزل عليه قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم).

البيان المحمدى (السنة) : ــ

والبيان الذى نشره الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس جميعا بنص الآية السابقة هو ما يسميه المسلمون (السنة) ، ويراد بها منهج النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته المطهرة .

وعلم السنة يعنى فى اصطلاح العلماء تدوين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الافعال والاقوال مما ليس من القرآن ، مع أنه قد يتضمن معنى ورد فيه ــ وكما يقول الشاطبي رحمه الله فى (موافقاته) : فلا تجد فى السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية ...، فالاستقراء التام دل على ذلك .

ليس هذا فحسب ، وانما لوجاء فى السنة أمر لم يوجبه القرآن وجب اتباعها كما يقول ابن القيم (فى اعلام الموقعين) جـ ٢ ص ٢٨٨ : فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، ويقول « فالله سبحانه وتعالى ولاه منصب البيان لما أراد بكلامه . بل ان كلامه كله بيان من الله « ص ٢٩٤ من أعلام الموقعين » .

ومما يدخل فى السنة اقرار النبي لكل فعل أو ترك ، فعله صحابي أو قال به وعلم بذلك الرسول فاجازه .

ومن هنا تظهر أهمية البيان المحمدى (السنة) فى الفهم الصحيح المعصوم للقرآن ــ ولهذا أمر الله المسلمين بأن يتبعوه ويطيعوه فى كل حال ، وجعل هذا الاتباع برهان حبه وثمن مغفرته (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم).

بل ان الله حكم بأن طاعة الرسول هى طاعة الله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . كما دعا النبي لكل مسلم سمع عنه شيئا من أمر أو نهى أو فعل أو ترك فبلغ ما سمع بالامانة والدقة اللازمتين ، فقال صلوات الله وسلامه عليه (رحم الله امرأ سمع مقالتي فاداها كما سمعها ، ورب مبلغ اوعى من سامع) رواه ابن حبان والترمذى وابو داود ، وقال صلوات الله وسلامه عليه ، « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . رواه ابن عبد البر .

منهاج المسلمين العلمي فى رواية الحديث ونقد الرجال :

من أجل هذا كانت عناية الصحابة والتابعين من بعدهم وسائر المسلمين بعد ذلك ــ بتبليغ السنة ، والرحلة فى طلبها وجمعها ، والتدقيق فى ذلك كله ، الى حد المغالاة فى تحرى عدالة الرواة وعدالة الشاهدين بعدالتهم ، وبعد هؤلاء وأولئك عن مظان الشبهات او الغفلة او السهو ، وكانت عنايتهم هذه معجزة فى ذاتها ، لانها لم

تحدث فى تاريخ أمة من الامم على الاطلاق بشهادة أعمالهم انفسهم ، ومناهجهم المدونة فى بحث السنة المروية أولا من حيث هي ومدى انطباقها على المتواتر من عمل المسلمين ، أو ما روى من طرق أخرى .

ثم البحث ثانيا فى رواتها وعرض ذلك كله مع سائر وثائقه على مختبرات القواعد المضبوطة فى علوم (الجرح والتعديل) ، (ومصطلح الحديث) ، و «أنساب الرجال» ومن الاهمية بمكان حسب أصول مناهجهم معرفة تواريخ ميلادهم ووفاتهم وشيوخهم ومعايشهم ، حتى أنهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة فى حياة الرواة مما يتصل بالشرف والامانة والصدق وما اليها الا جمعوها ، وعرضوها على مشرحة اصولهم العادلة وقواعدهم المحكمة ، لتحكم للراوى فى النهاية بالعدالة فتقبل روايته . او السقوط والتجريح فيترك حديثه أصلا ، ويتنبه جميع الباحثين الى ضعفه - وهم يقررون ان هذا العمل من أجل العبادات شرفا ، وأفضل أنواع القربات الى رب العالمين .

وقد أبدى جميع الدارسين للسنة دهشة لهذه الدقة المتناهية ، ولم يكتمها حتى اعداء الاسلام مثل « دوزى » و « مرجليوث » .. اذ صار هذا التدقيق عادة متأصلة فى الرواة العرب سواء رواة الحديث الشريف ، أو رواة التاريخ والانساب ، أو رواة الفقه ، أو حتى رواة الاشعار والادب بما فيها من جد أو مجون . فدققوا فى قبول كل أصناف الرواة والروايات وخاصة فى روايتهم لما يتعلق بأمر الدين ، لدرجة حسدنا عليها كبار مفكرى الغرب من المستشرقين الذين درسوا تراثنا ، وهذه نعمة عظمى انفرد بها الاسلام فحفظه الله بها صحيحا كاملا .

تاريخ بدء تدوين الحديث النبوى

١ - بدأ تدوين الحديث الشريف مبكرا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم . برغم ان من الصحابة من كانوا يخافون ان يلتبس عليهم بالقرآن فيما يروى البعض . ويرد على هذا بأن اعجاز القرآن لا يخفى نوره عن الرجل الامي فى عصرنا فضلا عن كل ذى بصر ، فضلا عن الصحابة - وبهذا الفهم كتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة بأمر رسول الله فيما يروى البخارى فى حديث قتيل خزاعة عام الفتح ، حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك « ان الله حبس عن مكة القتل أو الفيل الخ » .. قال فجاء رجل من أهل اليمن فقال اكتب لي يا رسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام « اكتبوا لابى شاه » رواه السنة .

٢ - صحف الصحابة التي كانوا يدونون فيها احاديث رسول الله حال سماعها ، مثل صحيفة عبد الله بن عمرو التى كان يسميها (الصادقة) وقد روى خبرها الامام أحمد والبيهقى ، كما يذكر ابن الاثير انها كانت تحتوى على الف حديث وقد روى احمد فى مسنده كثيرا من احاديث تلك الصحيفة . ويروى ابن عبد البر ان بعض الصحابة راجع عبد الله فى أمر كتابة الحديث وكانوا يكرهون ذلك غيرة على القرآن فى أول أمرهم بالاسلام ، فرجع عبد الله بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول « اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فمي الا حق » (جامع بيان العلم ٧٦/١) .

٣ - الا ان التدوين لم يأخذ شكله العلمي على مستوى الدولة الا فى عهد امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، الذى كتب أمرا الى عامله على المدينة المنورة قال له فيه « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم وضياع العلماء» ، كما كتب الى جميع عماله فى الامصار والمدن والى العلماء مثل الزهرى وغيره حتى شاع التدوين وأخذت السنة طريقها الى حياة الناس ، وبدأت الرحلات الطويلة الشاقة فى طلب الحديث ونقله عن الثقات العالمين من التابعين وتابعيهم .

وكان من أئمة هذا العلم الامام مالك والليث بن سعد وسفيان الثورى وأصحاب المسانيد مثل أحمد وابن أبى شيبة ، حتى جاء العصر الذهبي للحديث بظهور امام المحدثين والمحققين محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، فجمع كتابه الجليل مقتصرا فيه على ما صح سنده فقط من الاحاديث

وفق شروطه المحكمة وقواعده الدقيقة التي أشرنا الى بعضها .

ماذا وراء الحملات على البخاري والحديث؟

ولقد كان مما يلفت النظر حقا بعد هذا الضبط تلك الحملات التي تبدأ هجومها من نقطة واحدة هي (السنة المحمدية)،وبالذات على ما هو مسلم بصحته بداهة عند جميع المسلمين مثل (صحيح البخارى) الذى أجمع على صحته أهل العلـم الذين وهبوا أعمارهم كلها لخدمة الشريعة بالبحث في سنة خير الانام ، وقد ذكرنا يسـيرا من تلك الجهود الباهرات بايجاز فيما قدمنا من هـذا البحث .

بدأ الهجوم صليبيا غربيا

والعجيب أن تعرف أن هذه الحملات بدأها الصليبيون من المستشرقين الحاقدين على الاسلام في العصر الحاضر باسم « العلم » وخدمة تـراث العرب ، من أمثال « سبرنجـر Sbrenger » صاحب كتاب (الحديث عند العرب) ، وفيه من الطعن الصريح ما فيه ، ثم جاء من بعده وعلى نفس المنهاج المستشرق (جولد زيهر Gold Ziher) واستخدم نفس العبارات ، وزاد عليها طعنات في الاسـلام والسنة وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم بالذات . ومع هذا كانت لكليهمـا بعض مواقف لم يستطيعا فيها كتمان ما لمساه أثناء دراستهما للحديث من جهود علمائنا الامجـاد ، ودقتهم في تحرى الروايات ، فيما يختص بالحديث الشريف على أسس علمية ، لم توجد قبل العرب، وليس لها في تاريخ الحضارة العالمية قبلهم نظير. وان كان (جولد زيهر) بعد أن أشار الى تلك الحقيقة عاوده حقده فشكك في متن الحديث بعد ثنائه على الروايات والاسانيد ،مدعيا أن العرب تهاونوا فيه(1)، لانهم جعلوا مقياس صحة الحديث عندهم السند ورواته فصرفوا جهودهم اليه مهملين المتن ـ في زعمـه ـ واتخذ هو وأمثاله من هذا التدليس الكاذب ذريعة للتشكيك في الاسـلام ، والصحابة أنفسهم،والحديث الشريف متنه وسنده، لانه اذا هدم المتن انهدم السند تلقائيا وتلـك خطتهم .

وكان أمر المستشرقين جميعا مكشوفا لخاصة المسلمين ، محجوبا عن غالبيتهم ، لان كتاباتهم كان أغلبها بلغاتهم ، وقل من يطلع عليها مـن العرب المسلمين . وكان الاستعمار الصليبى في أوج سطوته على بلاد الاسلام بالذات ، وكان المسلمون مـن أمرهم على حذر ، فبدأ الاستعمار يفكر في وسيلة أخرى لا ينفر منها المسلمون ، حتى يصرع بسمومه عقائدهم ، فاستطاع بدهائه وخبرته وماله واغرائه أن ينفذ الى صفوف المسلمين أنفسهم ويتخذ منهم أسماء لامعة، أو بعبارة أخرى يتعهدها ويسخر لها جميع أسباب الظهور لتقوم بدوره الخبيث في الكيد للاسلام .

ولقد كان من المؤسف حقا أن يطلع علينا كاتب بمجلة « العربى » ـ ولها مكانتها في النفوس ـ في اعداد متلاحقة بآراء في الدين، ويطالب باحراق كتب التفسير والتصوف ثم ما نشره أخيرا تحت عنوان «ليس كل ما في البخارى صحيحا ..»

وما نشره بعد ذلك في الصحف المحلية من طعن على البخارى تحت عناوين مريبة مثل (أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يحفظوا من كلامه الا أسطرا فكيف صـارت عند البخارى ٧٢٧٥ حديثا) مستغلا استغلالا سيئا بعض عبارات لفضيلة الشيخ محمد ابو زهرة ، نترك لفضيلة الشيخ الرد عليها .

ولقد ترك ذلك كله آثاره في بلبلة الافكار وزعزعة الثقة في نفوس بعض القراء.وانا لنتساءل: ماذا يبقى للمسلمين من تراث لو استجبنا لرأيه وأحرقنـا هذه الكتب وماذا يبقى للمسلمين من المصدر الثانى لتشريعهم لو كذبنا البخارى وهو اصح كتب السنة؟!!

ان هذا الا شيء يراد

ان القضية ليست قضية حديث بذاته ، ولا مائة حديث دار حولهـا مقـال ، والا لهـان الخطب ، الا أن تكـرار اسـتعمال نفس المعـول وفى نفس الاتجـاه دق امـام جميـع المسلمين ناقـوس الخطـر الى مـا بيت مـن جـديد ضـد الدين المظلـوم ، الذى اسـتغل أعداؤه سماحته فولجوا أمن حماه ، وجعلوا يطعنـون فيه بكل قواهم لمحو أثره من النفوس بعد أن

(1) Etudes sur la Tradition Islamique (Gold - Ziher) - t t . - Par (Leon Bercher)

تمكنوا من محو نظامه وأحكامه ، ومحو جميع حدوده ومعظم أخلاقياته من تشريعات جميع الامم الاسلامية تقريبا ، ولم يبق منه بعد هذا الا شكليات فقط .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

لذا كان لا بد أن ننظر الى هذه الزوبعة الاخيرة بعين الاهتمام ، وأن نناقش كل ما أثير حول البخارى لان الشريعة كلها قرآنا وسنة وفقهها مقصودة بالتشكيك .

فعكفت على تخريج كل الاحاديث التى اوردها الكاتب فى العربى وجريدة اخبار الكويت كدليل يبرر به طعنه الصريح فى السنة،فوجدت أن معظم ما أورده وأوهم نسبته الى البخارى أو الى كتب الصحاح تدليس ليس له أصل فى صحيح البخارى أو مسلم أو أى كتاب من كتب الصحاح ، وانما وجدناه فى كتب الموضوعات وليس فى الصحاح اطلاقا والعجيب أنه يتكلم عن الصحاح وما أوردت . ثم يأتى بما ليس فيها وينقله من الكتب التى تخصصت فى بيان الاحاديث الموضوعة مثل كتاب ابن الجوزى فى الموضوعات وكتاب السيوطى (اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة) أو الطحاوى فى (مشكله) أو الاحاديث الموضوعة والضعيفة للالبانى ، اذ تقصاها العلماء منذ بدأ علم الحديث فى صدر الاسلام ، وأظهروا زيفها ، ولهذا لم يضيفوها الى كتب الحديث الصحيح وانما أفردوا لها كتبا خاصة كنماذج للعملات الزائفة حتى لا يضل بها العوام .

وبعد أن أورد هذه المقدمات الخاطئة وصل سريعا الى أحاديث فى البخارى وادعى أنها أحاديث مكذوبة،مع أن جميع رجال الحديث أثبتوا صحتها ولكنه هو لم يستطع فهمها .

أولا ـ فمن هذه الاحاديث الصحيحة التى ادعى أنها مكذوبة حديث المباشرة فى الحيض فقد زعم أن المباشرة جنسية وهى فى الحقيقة لا تعدو فى هذا الحديث بالذات مقاربة جسم بجسم ، أو كما يقول علماء اللغة ملامسة بشرة ببشرة . ولكن سوء الفهم حمله أن يقول ان المباشرة هنا هى الجماع ، وكأنه لم يقرأ قول أم المؤمنين فى نص الحديث « يأمرنى فأتزر » فتجاهل الحكمة فى أن الرسول أمرها لتتزر لتكون المباشرة فى غير ما ستره الازار وهذا ما بينته احاديث أخرى كالحديث الذى رواه مسلم(اصنعوا كل شىء الا النكاح)وأجمع شراح الحديث عليه . وحاشانا أن يفهم أحد منا معشر المسلمين غير القصد الصحيح بالنسبة لرسول الله الذى أراد به تصحيح عقيدة لليهود خاطئة بالنسبة للمرأة حين تحيض .

وكل ما طعن به على الصحاح فى أحاديثه القليلة التى اوردها للتمويه بجانب حشد كثير من الاحاديث الموضوعة انما هو من هذا القبيل الذى لم يحسن فهمه .

احمد امين والبخارى

نقل كاتب « العربى » عن أحمد أمين اعتراضه على البخارى « اقتصاره على نقد الرجال دون نقد المتن » وأن الحفاظ انتقدوه فى بعض احاديث بلغت ١١٠ واستدل بحديث العجوة من الجنة وأمثاله . هذه خلاصة ما نقل الكاتب عن أحمد أمين بعد تهجم وجرأة فى القول لم أشأ تكرارها .

ولا بأس أن نوضح هنا موضوع نقد متن الحديث عند المسلمين،ثم نرد على شبهته ودعواه اعتراض نقاد الحديث على البخارى .

أولا ـ نقدهم لمتن الحديث

الحق أن الحفاظ لم يعنوا بالسند وحده دون المتن ، كما زعم المستشرقون وتابعهم أحمد أمين ، فذلك قول لا يدعيه عاقل درس أوليات علم الحديث ، ويعرف أن من أصولهم : الحديث (رواية ودراية) و (فقه الحديث) . فهم يدققون فى المتن بنفس القدر والصراحة التى يدققون بها فى الرواة ، ولم ينفك هذا عن ذاك ، مع أن سلامة الطريق ـ وهى التدقيق فى الرواية ـ لا بد أن توصل الى المقصود ، ومع هذا كله نراهم لا يسلمون بجميع ما يرويه الثقات اذا كان فى الحديث لحن لغوى مثلا .

فعلم الحديث دراية كما يفهم من تعريف حجة الحفاظ ابن حجر يعنى بالجانب الموضوعى فى متن

الحديث لمعرفة حال المروى بعد معرفة حال الراوى من حيث القبول أو الرفض .

ولهذا كانوا يردون روايات سلمت أو حسنت، ولكن الراوى لحن فى الحديث ، كما قدمنا ، أو كان فى اسلوب المروى تعقيد أو تكلف كأقوال الفلاسفة والمتأخرين أو كان فيه ركة أو عيب فى لفته وبلاغته يجعل من المحال نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح البلغاء، الذى اعطاه الله جوامع الكلم ، وهذا شىء سهل معرفته على العرب الاول ، ومن هم فى درجة بلاغتهم من بعدهم فى تذوق العربية ، وفهم أسرارها وفنون بلاغتها ، ولهذا قال بعض الحفاظ « ان للحديث ضوءاكضوء النهار تعرفه به »»ويقول ابن حجر فى الركة «ان هذا الدين كله محاسن،والركة ترجع الى الرداءة» ، فهذا حكم بسقوط كل قول ركيك لانه لا يناسب أن يصدر عن نبينا جليل القدر فصيح البيان رفيع الكمالات .

تحكيم العقل

وحين يقولون فى أصولهم برد المخالف للعقل ، فليس فى حسبانهم عقل زائغ أو منكر . ولكنهم يقصدون بالعقل عقل الاجماع الاسلامى التقى الورع ـ أى عقل جماعات من علماء المسلمين العاملين المختصين ، فهو عقل يسير على هدى من نور الايمان ، وليس عقل فرد تضله الاهواء والشهوات .

نكتة سفينة نوح

جاء رجل يروى على مسمع من الامام مالك ، ويزعم فى روايته أن سفينة نوح طافت بالبيت الحرام ، وصلت خلف المقام . فضحك الامام وصحبه من سذاجة هذا الراوى وجعلوها مثلا يتفكهون به حين تأتى مناسبة غير معقولة ، فكان الامام مالك حين يذكر له أمر مستحيل يقول فيه: « هذا مثل سفينة نوح ! »

السنة بحر محيط
لا يدرك حقيقته الا الرجال

وقد افنت اجيال متلاحقة من العلماء أعمارها فى بحث الحديث وكل ما يتعلق به جيلا بعد جيل ، واستعانوا بكل وسيلة يمكن أن توصلهم الى أسرار الهدى المحمدى غير مشوه بفصل الدس ، أو الزيادة ، أو الادراج ، أو التبديل . فلم يقبلوا من الحديث الا القليل الذى تيقنوا صدقه ، وكانوا يقبلونه وجلين برغم شروطهم المحكمة .

فكان البخارى لا يكتب حديثا الا على وضوء ، وبعد صلاة ركعتين لله تعالى ، ليلهمه السداد فيما ينقل عن الرواة من كلام النبوة ، ومع هذا فقد رد البخارى وعلماء الحديث آلاف الاحاديث من آلاف الرواة ، لانها فقدت شرطا من شروطهم التى اتفقوا على وجوبها فى قبول الاحاديث .

فتصور مشقات جساما يترك فيها الرجل أهله وماله ووطنه فى سبيل جمع حديث واحد أو بضعة احاديث ، وربما يعود من غير أن يروى شيئا بسبب تلك الشروط القاسيات التي كانت قسوتها فى سبيل الوصول الى الحق المحمدى ، ولقد بلغ عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم البخارى (١٠٠٠ عالم) فيقول « تلقيت عن الف نفر من العلماء وزيادة » .

من أجل هذا لم يصل الينا علم السنة الا بعد أن انتهى العلماء من تمحيصه ودراسته وتحقيقه وغربلته ، فجاءنا سليما نقيا من كل شائبة ومعه نوره يسعى بين يديه ، فعرفنا صحيحه وحسنه وضعيفه من غير أن نتحمل ما تحملوا من جهد وعناء .

فالذى وضحوا لنا صحته من الحديث هو ما بلغ غاية الكمال . وأما ما دون الصحيح فلم يتركوا فيه مجهولا وانما وضعوا مع كل لفظ مفتاحه ، ولكل حديث وزنه ، انه علم جد دقيق محكم وهو من أجمل العلوم متعة وافادة لدارسه .ولكن الويل كل الويل للجاهلين به اذا عادوه .

امتحان البخارى

ولقد تعرض البخارى فى حياته كما تعرض صحيحه من بعده لامتحانات عسيرة ، وشدائد متكررة .

يروى ابن خلدون فى (مقدمته) وصاحب (الوفيات) انه حين سافر البخارى الى بغداد

اراد المحدثون امتحانه ، فسألوه عن مائة حديث قلبوا أسانيدها فقال (لا أعرف هذه - ولكن حدثنى فلان عن فلان .. ثم آتى بجميع تلك الاحاديث ، وأسانيدها على الوضع الصحيح ، ورد كل متن الى سنده فأقروا له بالامامة .)

اجماع المسلمين على صحة البخارى

وقد أجمع المسلمون فى جميع أقطارهم على صحة كل أحاديث البخارى (متنه وسنده) ولم يشذ عن هذا الاجماع أحد ولهذا سموه (صحيح البخارى) .

فاذا جاء مستشرق أو غير مستشرق فطعن فى حديث كالذى قالوه فى حديث التمر حين أشار النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يقى من السحر ، لانه لم يدرك حقيقته . فان هذا لن يكون أبدا سببا فى أن نشك فى تراثنا الجليل المحكم .

عقدة السحر والتمر

والدليل على زيفهم وسوء طويتهم انك لو سألت الرجل منهم : ما الذى حملك على الطعن فى حديث صحيح باجماع المسلمين فانكرت تحقق الحصانة بأكل التمر على الريق.هل عرفت حقيقة السحر حتى يكون الحكم على بينة ؟ .

واذا كان بعضهم يجهل حقيقة السحر فكيف يدعى العلم بما يشفى منه أو يضر ثم يحكم ببطلان أمر يجهل هو منه كل شىء .

١ - واذا كان ينكر وجود السحر اصلا فانكر الحديث لهذا السبب فانا نقول له : انك انكرت العلم والتجربة وانكرت القرآن لان هذه كلها أثبتت السحر كحقيقة واقعة ، وليس مجازا ، كما توهم البعض .

٢ - أما انكارهم لحديث العجوة وانها فى الجنة فانا نسألهم : هل رأى أحد منكم الجنة وفتش جميع اركانها فلم يجد فيها نخيلا ولا عجوة مما يثمره النخيل فانكر الحديث وعاد ينفخ فى مزماره يجمع الناس ليقول لهم انه تأكد من بطلان الحديث بنفسه حين شاهد الجنة وليس فيها العجوة ؟!! . حتى ينصرف الناس عن الحديث هيهات هيهات فان أقل أمى من المسلمين يدرك بفطرته السليمة ما خفى عن هؤلاء ويؤمن مصدقا بمقالة الحق فى جنتين من جناته فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨ سورة الرحمن) .

٣ - أما أن يكون للمسلم فى الجنة عدد من الحوريات كما يشاء فتلك مسألة تخص أهل الجنةوحدهمدون محروم - فقد وعدهم ربهم بأن يعطيهم كل ما يطلبون ! « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » جزاء طاعتهم لله ورسوله عن يقين وايمان ، وتسليمهم لله فى كل الامور .

تعليقات النقاد على البخارى
أو شبهة أل ١١٠ من الاحاديث

لم يدر ببال احد من الحفاظ الذين علقوا على صحيح البخارى ، فابدوا ملاحظاتهم الفنية على نيف ومائة حديث منه ، ان شخصا سيسىء فهم هذه الملاحظات العلمية ، ويتخذ منها ذريعة لمهاجمة أهم مصادر الشريعة بعد القرآن وهو الحديث الشريف ، واثارة التشكيك فى أصح كتبه .

وذلك لان هذه الملاحظات واضحة المعانى وليس فيها انكار واحد على البخارى فيما يختص بصحة متن الحديث ، وانما كانت ملاحظاتهم على طرق الرواية ، ومع ابدائهم لهذه الملاحظات ، فانهم لم يقولوا ان فيه حديثا مكذوبا بل شهدوا له بأن عمله كان معجزة فى حد ذاته ،وان كتابه أصح كتاب بعد القرآن، حتى قال ابن خزيمة«ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله من محمد بن اسماعيل البخارى » وهو الذى وصفه الامام مسلم بأنه « طبيب الحديث » .

وقد جمع البخارى صحيحه وفيه ستة آلاف حديث من بين ستمائة الف حديث كانت لديه ، بنسبة واحد بالمائة وذلك

لانه كما قال عن عمله « لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا . وما تركت من الصحيح أكثر » لانه لم يجمع فى كتابه الا ما أجمع الحفاظ على صحته .

أما ذلك النقد المزعوم للمتن وتكذيبه فان أحدا منهم لم يقل به ، وهذا رجل من الحفاظ الذين يوزن كلامهم بميزان الذهب وهو ابن حجر العسقلانى يقول فى هذه الاحاديث « وليست عللها كلها قادحة، بل اكثرها الجواب عنه محتمل » .

وهذه العلل سببها فقدان شرط كمالى لاجوهرى بالنسبة لرواة الاحاديث واليك البيان :

معنى صحة الحديث وضعفه عند البخارى

١ ـ الحديث الصحيح : « وهو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة » ـ « فاذا قيل غير صحيح فمعناه انه لم يصح اسناده وقد اشترط البخارى لاثبات صحة الحديث انه لا بد له أن يثبت بشهادة عدلين صادقين أن الراوى لقى بنفسه من يتحدث عنه . ولا يذكر البخارى فى كتابه حديثا الا اذا رواه صحابى مشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم . له راويان ثقتان فاكثر ـ ثم يرويه عنه تابعى مشهور بالثقة والرواية عن الصحابة له راويان ثقتان فأكثر . ويرويه عنه من اتباع الاتباع حافظ متقن مشهور على ذلك الشرط » انتهى من كلام العلامة الحافظ العينى فى مقدمة (شرح البخارى) .

٢ ـ الحديث الضعيف

فاذا سقط أحد رواة الحديث صار ضعيفا معتلا ـ فالضعف ضعف الرواية وليس ضعف المتن كما يتوهم أكثر الناس . وربما روى الحديث رجلان حسب شرط البخارى ولكن سقط احدهما فرفضه البخارى ولم يثبته، فبقيت رواية أخذها محدث آخر واثبتها ، لان عنده رواية من طريق ثانية ومن صحابى اخر مستوفية لشروطه ، فهى تعضد الاولى وتنهض لها بالحجة فارتقت بها الى مرتبة الصحيح ، ومن هنا لم تكن الاحاديث الصحيحة قصرا على البخارى وحده، وانما بلغت ستة كتب (البخارى ـ ومسلم ـ وابى داود ـ والترمذى ـ والنسائى ـ وابن ماجة وبعضهم يستبدل بهذا موطأ الامام مالك) . وهناك غير هذه الستة من الكتب المشتملة على الصحيح من الاحاديث .

تعليقات الحفاظ على البخارى

١ ـ لم يوجه احد من الحفاظ نقدا لمتن حديث واحد من البخارى قط ، وانما تعليقهم وليس نقدهم على بعض رواة الاحاديث المائة المذكورة بكلام محدد يجل البخارى ولا يقدح فى جهده العظيم . يقول العينى فى شرح البخارى: « فى صحيح البخارى جماعة جرحهم بعض المتقدمين ، وهو محمول على انه لم يثبت جرحهم بشرطه (أى البخارى)، فان الجرح لا يثبت الا مفسرا مبين السبب عند الجمهور » ثم عدهم بالاسم . ثم اثبت رد العلماء لبعض هذا الجرح اى تعديلهم اى ان بعضهم صار عدلا وهذا سر قول العسقلانى ان علل البخارى « ليست بقادحة » .

٢ ـ عكرمة

وأحد هؤلاء الرواة (عكرمة) لان الامام احمد قال فيه « انه يرى رأى الخوارج الصفرية » ، ومعلوم أن الخوارج كانوا شجعانا شعارهم الصدق القولى والشجاعة فى الرأى لدرجة التمرد والهلاك . ولكن كون المحدث يرى رأيهم فان علماء الحديث انتقدوا البخارى فيما رواه عنه ، والسبب عندهم هو مذهبه السياسي الذى لا يرتضونه فى راو لحديث رسول الله ، فهم يربأون به عن كافة الخصومات الشخصية ـ زيادة منهم فى التحوط والحذر ، ولهذا فضلوا ان لو كان البخارى أسقط روايته فى حديث كان عكرمة احد رواته ، لان مذهبه أعله ، وان كانت العلة لا تقدح فى الحديث ذاته كما علمت ، فربما روى من طريق آخر ليس بين رواته عكرمة .

وللدار قطنى كتاب تتبع فيه رواة الاحاديث الذين كان لاولئك العلماء عليهم مقال عند البخارى ـ سماه « الاستدراكات والتتبع » ذكره العينى فى شرحه على البخارى .

فتأمل دقة القوم العجيبة فى استقصاء كل امر

ـ البقية على الصفحة ٨٧ ـ

ردٌ علـــى رد

بقلم الاستاذ محمد الشيخ الصالح آل ابراهيم

قرأت فى العدد (٨٧) من مجلة العربي ردا على رسالة وردت اليه وقد تعرض فيها صاحب الرد الى الحديث النبوي وكتبه ، ولقد اثارني ماقرأت فى الـرد من اقوال لـم تكن تعتمد على المنطـق الصحيح ،ولم يكن فيهامايعتمد على التحقيق العلمي، وليعلم كاتب ذلك الرد انني لا اريد ان امسه بشيء ، ولكن ظهر لي ان هذا البحث الذى طرقه ليس من أهله ، وقد يكون متقنا لعلم آخر . ومن الغريب ان نرى فى مجلة العربي مثل هذا الرد ومثل هذا البحث الذى يتعرض لتراث ضخم قيم على الرغم مما فيه ومما قيل فيه . ولقد هالني ان يتهجم على هذا التراث الضخم بمثل هـذا التسرع المخل والبحث المتهافت ، ولقد كان الاولى ان لا ارد لولا انى رأيت ذلك واجبا لا مفر منه .

وكان احجامي عن الرد حذر ان ياتي منطق فى الجواب كالذى قرأت لان ذلك لا طائل من ورائه .

ولم يترك الاقدمون للمحدثين فى جميع الامم تراثا خالدا ، واصالة فنية ، مثل هـذا التراث الذى تركه له اسلافنا ، ولم تحظ حضارة بمثـل ذلك الا فى عصرنا الحاضر ، وفى التحقيقات العدلية فقط . وقد أتى اصحاب الحديث وعلماؤه بما لا مزيد وراءه من حرص على الامانة العلمية ونقل دقيق وتتبع شامل ، فهم يأتون بالحديث على عدة وجوه مع احتياطهم وضبطهم وتدقيقهم ، لمجرد ان يأتوا برواية تثبت زيادة حرف او نقصه ، وقد يأتون بالحديث وبما يعارضه وما ذلك الا امانة للعلم وحرصا للتحقيق ، وليجعلوا ذلك أمام من اراد التحقيق والتاكد ، وقد يأتون بذلك لسبب النسخ وقد يأتون بذلك لاسباب غيره . وفى تحقيقهـم للرجال والاسانيد وللمتن ما يدل على انهم بلغوا شأوا من العلم لم يتوصل اليه فى عصرنا الحاضر . وهم فى بعض الاحيـان قد يأتـون بالمكررات من الاحاديث واسانيدها ، ليعطوا تصورا للواقـــع وموضوعه ، وهم لم يغفلوا عن تأثير النقـل على الكلمة وما يعتورها من تغيير وتحوير دون قصد على الأكثـر ، أو بقصـد على الأقـل النـادر ، وهـذا منتهـى الأمـانـة العلميـة ، وهـو سـبق حـازتـه هـذه الأمـة دون غيرها . ولكن مع الاسف أن ياتي أبناؤها فيتهجمون من حيث لا مجال للتهجم . واني لا أعارض البحث والتحقيق فى الاحاديث، ولكن ليكن ذلك باطلاع ومقدرة وتفهم تؤهل للبحث وتساهم فى النفع لا تخرصا لم يبن على اساس علمي او منطقي .

ونظرة عابرة على ما كتب فى الرد تكشف بوضوح ان كاتب ذلك الكلام ليس له علم فيما تعرض له . فهو قد ضرب امثالا كان فى غنى عنها لو كان يفقه ذلك العلم ، ولو تفهم معناها لأحجم عن الاسترسال فى عدم فهم النصـوص وادراك المقصـود ، فهو يعترض على القول (اختلاف أصحابى رحمة) وما الى ذلك ويضرب الامثال بان ذلك مسـتحيل ، لأنه يعارض ما جاء فى القرآن عـن عدم التفرق والاختلاف . واريد ان انـه ان هذه الاقوال سواء

كانت احاديث او لم تكن ، فليس فيها شيء يعارض المفهوم الاسلامي ، فالمقصود في هذا الكلام ليس التفرق المذموم والا فهذا مفهوم لدى الجميع بأنه غير رحمة ، بل ومحذور منهي عنه ، ولكن الاختلاف المقصود هو الاختلاف في الفروع والتي يكون الاختلاف فيها مجالا للتخفيف والتيسير . ونضرب مثلا بسيطا لأخينا بمن اجاز المسح على الجوارب بينما منعه غيره . ويفهم صاحب الرد ان المباشرة التي جاءت في حديث عائشة رضوان الله عليها ان المراد بها الاتصال الجنسي ، ويستكبر ذلك ويستعظمه ، ولم يدرك المقصود من الحديث نفسه ، ولا تفهم معاني الفاظه . وفيها وحدها الاشارة والتنبيه فيما اورده من الحديث . ومن المفهوم البدهي ان المقصود الاستمتاع بما دون ذلك . ولو قرأ الحديث الذى أورد بروية لعرف منه ما جهل ، لان فيحديثها رضوان الله عليها امر من الرسول صلى الله عليه وسلم بالاتزار وفي ذلك ما يكفي لمن يفهم .

والا فلماذا امرها ان تتزر ؟

وللحديث تكملة لم يوردها صاحبنا وهي قولها رضوان الله عليها في الحديث نفسه (وأيكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه) .

واليك ما قاله في هذا الصدد لترى الى اى حد كان تهجمه :

(ليس هذا فقط يا جابر عثرات الكرام فان في صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث ما هو أدهى من ذلك وامر في مخالفة ما امر الله به عباده وانزله في محكم كتابه ... قال تعالى « ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » ، وهذا أمر صريح في ألا يقرب الرجل زوجته وهي في الحيض .. ولكن البخارى واصحابه ـ سامحهم الله وغفر لهم ينسبون الى السيدة عائشة في « كتاب الحيض » انها قالت (كان النبي يأمرني فأتزر فيباشرني وانا حائض) ونسبوا مثل ذلك الى ميمونة احدى زوجات الرسول .

فما الذى يفهمه الناس من هذه الاحاديث الا ان الرسول كان يباشر زوجاته في فترات حيضهن خلافا لما امره الله .

فهل يرضيك ذلك او يرضى احدا من المسلمين ؟ وهل يعقل ان يصدر هذا الفعل المنكر عن نبي بل عن سيد الانبياء ؟ .

ونحن نقول بدورنا ان هذا المنطق وهذا القول لا يرضى من يعقل ومن يفهم سواء كان مسلما او غير مسلم ، فلم يقل البخارى ولا غيره منالعلماء ان الرسول باشر ازواجه خلافا لما امره الله بل كان يباشرهن كما كان يرضى الله ، ولكن الفهم السقيم والاستنتاج العقيم يأتي بالعجائب ورحم الله امرا عرف قدر نفسه .

وفى الرد اقوال سقيمة يعوزها التدقيق والمعرفة وينقصها التحقيق والروية ، ولو أخذنا مقياس صاحبنا دليلا لاصبح القرآن متناقضا ولاصبحت جميع القوانين العالمية متناقضة، ولقبلنا المقدمات وفرضنا النتائج دون فهم صحيح ومعرفة تامة .

ويستغرب الكاتب قولا قيل انه حديث فيمن اطعم اخاه حتى اشبعه (الى قوله ابعده الله عن النار ـ الخ) وهذا وان طعن فيه نقاد الحديث الا ان هناك أحاديث صحيحة فيهاامثال هذا،وكان الاولى للكاتب قبل ان يخوض في هذه الناحية ان يتفهم اسلوب العرب في المخاطبة . فالمقصود في مثل هذا عظمة اطعام الجائع ورى العطشان .

ولو رحنا نقيس بهذا المقياس الذى اختاره الكاتب لاصبح القرآن بهذا الفهم غير معقول،ولقال القائل في قوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له » هل من المعقول ان يكون الله في حاجة ؟ حتى يقترض ؟ .

ولكن هذا منطق فاسد لا يصلح الا للعقول المتحجرة . والاولى بالعربي وكاتب الرد ان يعتذرا عما بدر ،وان لا يعودا لمثل هذه الاقوال التيتنبىء عما وراءها .



جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : امك . قال . ثم من ؟ قال : امك . قال . ثم من ؟ قال : امك . قال ثم من ؟ قال : أبوك .

عين زبيدة

لم يكن لأهل مكة من المناهل الا المسايل التي يجودها المطر احيانا ، وبعض البئار التي تفيض آنا وتجف آنا .

وكان الحجاج يحتملون من قرب الماء ما يؤودهم ، ويثقل ظهورهم، فلما حجت زبيدة بنت جعفر زوج أمير المؤمنين هارون الرشيد ، اعتزمت ان تحفر لآل مكة وقصاد البيت الحرام نهرا جاريا يتصل بمنابع الماء ومساقط المطر بالغة ما بلغت النفقة والشقة . فدعت خازن اموالها وأمرته ان يدعو المهندسين والعمال ، فتهيب خازنها من كثرة النفقة ، فقالت له اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا ، وتم انشاء عين زبيدة التي حملت ماء الحياة سائغة هنيئة الى أم القرى وأهلها وقصادها .

على قبر الصديق

لما توفى ابو بكر رضى الله عنه قامت عائشة ام المؤمنين على قبره فقالت :

نضر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وللآخرة معزا باقبالك عليها ، وان كان لاجل الارزاء بعد رسول الله رزؤك ، واكثر المصائب فقدك ، وان كتاب الله ليعد بجميل العزاء فيك ، وحسن العوض منك ، فانتجز من الله موعده فيك ، بالصبر عنك ، واستخلصه بالاستغفار لك .

دعـــاء

خرجت أعرابية الى منى فقطع بها الطريق ، فقالت يا رب أخذت وأعطيت ، وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك منك عدل وفضل ، والذي عظم على الخلائق أمرك ، لابسطت لساني بمسالة احد غيرك ، ولا بذلت رغبتي الا اليك ، يا قرة أعين السائلين أغنني بجود منك أتبحبح في فراديس نعمته ، وأتقلب في رواق نضرته وأغنني من العيلة ، واسدل علي سترك الذي لا تمزقه الرماح، ولا تزيله الرياح ، انك سميع الدعاء !

أسـواق العـرب

حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق عكاظ فى طفولته واستمع الى قس ابن ساعدة الايادى وهو يلقى خطبتـه الشهيرة التي بدأها بقوله : ايها الناس اسمعوا وعوا .. وقال فيها واله قس ابن ساعدة ما علىوجه الارض دينأفضل من دين قـد أظلكم زمانه ، وأدركـكم اوانه ، فطوبي لمن ادركه واتبعه ، وويل لمن خالفه .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد من اياد فقال لهم : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا مات يا رسول الله ، قال : كأني انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له اورق وهو يتكلـم بكلام عليه حلاوة ما اجدني احفظه .

ثلاث من الفواقـر

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث من الفواقر : جار مقامـه ان رأى حسنة سترها ، وان رأى سيئة اذاعها .

وامرأة ان دخلت عليها لَسَنَتْكَ ، وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان احسنت لم يحمدك ، وان اسأت قتلك .

دعهـا تصيح

سال رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان فى ثوبه أو فى خفه ؟ فقال ارم بها ، قال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد ، قال دعها حتى يشق حلقها ، قال الرجل أولها حلق ؟ قال . فمن اين تصيح ؟ !

الشر

شر المال مالا ينفـق منـه ، وشر الاخوان الخـاذل ، وشر السلطان من خافه البـرىء ، وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمـن .

قاضي الرشيد

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء ، فاعتذر قائلا : اني لا احسن القضاء ، ولا انا فقيه .

قال الرشيد : فيـك ثلاث خلال :

لك الشرف والشرف يمنع صاحبه الدناءة،ولك حلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ، وأنت رجل تشاور في أمرك ، ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه بـه .

نصيحة فقيـه

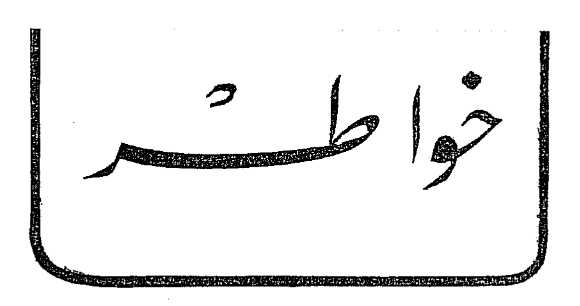
قال رجـل لبعض الفقهـاء ـ اذا نزعت ثيابي ودخلت النهر لأغتسل ، أأتوجه الى القبلة أم الى غيرها ؟ قال توجه الى ثيابـك التي نزعتها لئـلا تسرق .

بين الحجاج وزوجه

أمر الحجاج ابن القرية ان ياتي هند بنت اسماء ، فيطلقها بكلمتين ، ويمتعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها ، فقال لها ان الحجاج يقول لك كنت فبنت ، وهذه عشرة آلاف متعة لك .

فقالت قل له كنـا فما حمدنا ، وبنا فما ندمنا ،

وهذه العشرة آلاف لك ببشارتك اياى بالطلاق .



من هنا ... وهناك

للأستاذ الشيخ ع . ن

((مودة)) العصر

هل التهجم على الدين وزعزعة الثقة به أصبح من ((مودات)) هذا العصر الرائجة الآن ومن وسائل الشهرة والترويج للمجلة او الكتاب والكاتب ؟ .

من الأسف الشديد ان اقول ــ بعد استقراء الواقع ــ نعم اصبح النيل من الدين او التعرض لمقدساته ومصادمة شعور المؤمنين والتطاول عليهم هو احدى وسائل الشهرة لمن يريدها من اسهل طريق .

بعض الشباب قد يتشدق ــ بدون فهم طبعا ــ بالغض من التعاليم والمبادىء الاسلامية والمعارضة لها،ظانين ــ خطأ وطيشا ــ أن عملهم هذا قد يظهرهم أمام زملائهم بانهم مفكرون او أنهم متقدمون متمدنون ! ! .

وهؤلاء الذين يتطاولون على دينهم بسهولة لا يستطيعون ان يتناولوا بعض الاشخاص بالنقد والتجريح لمركزهم وخطرهم .

وكل واحد يدعي الفهم للدين ويتحدث فيه ويعترض دون احترام لدينه او لمادة التخصص فيه فى الوقت الذى لا يستطيع ان يخوض فى علم من العلوم ويدعي معرفته ويستنكر بعض قضاياه،واذا ناقشته او دعوته لاحترام دينه أو حتىلاحترام العلم الذى يتحدث فيه قال لك : حرية الرأى .. كان حرية الرأى لا تجد لها متنفسا الا فى التهجم على الدين والخوض فى قضاياه بدون علم .. واذا قام واحد وطعن فى احدى قضايا الدين الثابتة تلقفته ايدى المنحرفين واحتضنوه وروجوا له .. وفتحت الصحف له اذرعتها .. ونشروا له بالخط العريض كل كلمة يهذى بها .. وقالوا انها حرية الرأى .. وهذا هو الرجل الحر التقدمي ! ! .

واذا كتب كتابا روجوه وأعلنوا عنه وكتبوا له التحليلات التي تغري القراء بقراءته فيتهافتون عليه .. ويروج الكتاب ويزداد الكاتب غرورا وغيا فى السير فى هذا الطريق المنحرف .

التقيت مرة بصديق لي فى مكتبة تعهدت بنشر كتابي ــ الاسلام والشيوعية ــ

ادافع فيه عن قضايا الدين وكان لصديقي كتب تنشرها له المكتبة .. فحدثني عن رواج كتابه - وكان فيه انحراف - وتوزيع الكميات الضخمة منه..وكان توزيع كتابي أقل منه .. فدعاني لأن اشترك معه فى كتاب يهاجم او يخالف عقيدة من عقائد الناس لأن هذا هو الطريق لرواج الكتاب . فقلت له : وماذا بعد رواج الكتاب ؟ مبلغ نقبضه ، واسم يتردد على ألسنة الناس ! ! .

وما قيمة هذا كله فى رصيدنا عند الله حين نلقاه ونترك الدنيا وما عليها ؟! وهبنا وصلنا الى انnكون من اصحاب الملايين - ولن يكون - وهب ان شهرتنا طبقت الآفاق واجتازت الحدود فماذا يغني ذلك كله عند الله ؟ الشهرة والمال ! ما قيمتهما فى ميزاننا عند الله ان لم يكونا عن طريق يحبه الله ويرضى عنه ؟ دعك يا صديقي من هذا كله فلأن تعيش مغمورا فقيرا فى ظل كلمة حق تقولها وتتمسك بها وتدافع عنها خير لك من الشهرة والمال تصل اليهما عن هذا الطريق المنحرف .

ولكن هل العيب عيب هؤلاء الذين يطلبون الشهرة والمال وحدهم عن هذا الطريق ؟ .. لا ، فان العيب عيب الذين يمهدون لهم الطريق ويتقبلون كلامهم ويتشدقون به ، ويسارعون الى كتبهم فيبذلون فيها أموالهم . عيب الذين يعظمون هؤلاء ويضفون عليهم القابا تزيد من غرورهم وتجرئهم على الحق واستهتارهم بالعقائد.

كان الأزهر يبحث مرة فى شان احد المتهجمين على بعض قضايا الدين .. واشيع يومها ان اللجنة المؤلفة لذلك تبحث فى سحب شهادة العالمية منه .. فصرخ احد الذين وصلوا الى المراكز العليا عن طريق الطعن فى الدين وقضاياه .. وقال .. لو سحبوا العالمية منه فاني اتنبا له بانه سيكون وزيرا ! ! ! .. وقابلت فى تيار هذه الاشاعات هذا الرجل الذى يبحثون فى أمره .. فقال لى : ان فلانة - وكانت تعمل لحساب امريكا - عرضت علي اثناء محنتي التي امر بها سيارة وبيتا فخما اقيم فيه .. وعرضت علي - اذا سحبوا مني الشهادة - ان تعمل على سفرى لأمريكا لآخذ أرقى الشهادات من هناك .. فرفضت كل ذلك .

ماذا يعني هذا .. يعني ان هناك منظمات واشخاصا يعملون لتحطيم الروح الدينية واحتضان كل شخص يسير فى هذا الاتجاه حتى ينجرا وينجرا آخرون لخوض هذا الميدان ..

كنت فى معركة صحفية مع انسان دعا الى التحلل من بعض التعاليم الاسلامية .. وكان الصحفي الكبير رئيس تحرير هذه الصحيفة يحتضن هذا الانسان ويعني بابراز ما يكتبه ويكتب له العناوين الضخمة .. وذهبت اليه مرة أعطيه ردى على هذا الانسان .. فأخذ يجادل عنه وقامت بيننا مناقشة طويلة انهيتها بطلب مناظرة هذا الانسان فى احدى قاعات الصحيفة امام جميع الصحفيين .. فلف ودار وقال لي بصوت كان فيه شفقة علي .. يا فلان قد عرفناك شيخا متحررا فلماذا تقف هذا الموقف ؟ لماذا لا تكتب وتهاجم كذا ، او تهاجم فلانا - وكان شخصية دينية محترمة - وانا اضع الجريدة كلها تحت تصرفك فقلت له :

يا فلان قد اكون متحررا ولكني لست متحللا .. ثم ما الهدف من وراء هذا كله ؟

تريد تحطيم الروح الدينية وتحلل المسلمين من واجباتهم . وزعزعة الثقة بالعلماء ؟ ! انك بهذا تمهد الطريق للمذاهب الهدامة التي تقضي عليك وعلى أمثالك فى هذا البلد .. تريد الشهرة لي كصديق .. لا لست من طلابها عن هذا الطريق الملوث .

لقد كان من أشهر الصحفيين بل أشهرهم .. ولكن أين هو الآن ؟ ! .

« وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

آفة الأديان

وتكملة الحكمة المشهورة«من جهل الدعاة» وليس الجهل آفة الأديان فقط بل هو آفة لكل فكرة يتولى الدعوة لها جهال بها .. وقد قيل :

اذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

وليس الجهل معناه هنا فقط عدم العلم بالموضوع أو الفكرة أو الرسالة التي يحملها ويدعو اليها،بل الجهل أيضا عدم الحكمة والتبصر ووضع كل شيء فيموضعه، والتمييز بين النافع والضار واختيار الوسيلة الحكيمة فى الدعوة وتبليغ الرسالة .. فليست الغيرة وحدها كافية فى الوصول الى الهدف والا لم يقل الله لرسوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » والرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن تنقصه الغيرة .. فلا بد اذن من الحكمة والتفاهم بالحسنى .. والا انقلب الغرض وانعكس المقصود على الداعي .

وقد قابلتنا فى الحياة أنماط من الناس .. لم أشك أن عندهم غيرة وفيهم ايمان ، ومع ذلك كنتآسف لهملأنهم كانوا منفرين للناس من التدين—وهم لا يشعرون— لاداعين اليه . ومن قبل هؤلاء من قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم « ان فيكم منفرون .. انكم مضرون .. من صلى بالناس فليخفف،فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة .. » وكانوا من أشد الناس غيرة على الدين وحبا فى التدين .

من الناس من تراه يثور ويغضب على انسان لأنه ترك سنة مثلا وهو فى غضبه وحنقه يغتاب أخاه ويسبه ويرميه بالمروق عن الدين .. وما علم المسكين انه كان من الأولى له عند الله والناس الا يغضب ولا يسب ويغتاب .

ومنهم من يدعو للاسلام ويذوب غيرة عليه ولكنه يرتكب الآثام ويستحلها فى سبيل دعوته . والاسلام لم يعرف ذلك وليس من مبادئه « الغاية تبرر الوسيلة » .

ومنهم من يتمسك ببعض مبادئه لانها لا تكلفهمجهودا أو انفاقا وبذلا،أما ما يتطلب الجهد أو يقتضي البذل أو التنازل عن شيء من المال أو السلطة أو تقاليد الأسرة وهيبتها فلا .

وكلهم يتظاهرون بالغيرة على الاسلام ويدعون ان ما هم عليه هو الاسلام .

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

« الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

خطـر

نسمع أو نقرأ بين حين وآخر من بعض المسلمين كلمات لها خطرها ، ومن الواجب على كل مسلم أن يدرك مغزاها وأثرها .. هؤلاء الذين يقولون مثلا ان تعاليم الاسلام لم تعد صالحة لهذا العصر .. أو أن كذا من تعاليمه معناه التأخر والرجعية . أو يقولون لك اذا دعوتهم للعمل بالشريعة .. نحن في القرن العشرين .. يعني أن الشريعة لا تصلح له .. الى غير ذلك من الأقوال المتفرقة المتنوعة التي يجمعها هدف واحد هو أن تعاليم الاسلام التي صلحت في العصور الأولى لا تصلح لعصرنا .

هؤلاء يحكمون على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها غير خالدة .. وكأنهم يقولون انها استنفدت اغراضها .. وهذه ردة عن الاسلام يأخذ صاحبها حكم المرتد .

وهم بهذا يكذبون القرآن ، ويحكمون بأن منزله سبحانه وتعالىوقد أراده حكما لنا الى يوم القيامة غير عالمبمقتضيات كلعصر ..وهذا منأشد أنواع الكفر والارتداد..

أعتقد أن أغلبهم لا يدركون ما ينطوي عليه كلامهم ولكن هل يعذرون في جهلهم ؟ لو قالوا نعم يجب تطبيقها وهي صالحة لاقامة المجتمع الفاضل ولكن هناك أشياء يتعذر تنفيذها دفعة واحدة ومن الواجب ان نمهد لذلك لقبلنا قولهم .

أما أن يقولوا ان تطبيق احكام الشرع رجعية وتخلف فهذا هو الخطر علىدينهم، ومن اجله أسوق لهم ما قاله الله لأمثالهم ((واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)) (١) ((واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)) (٢) .

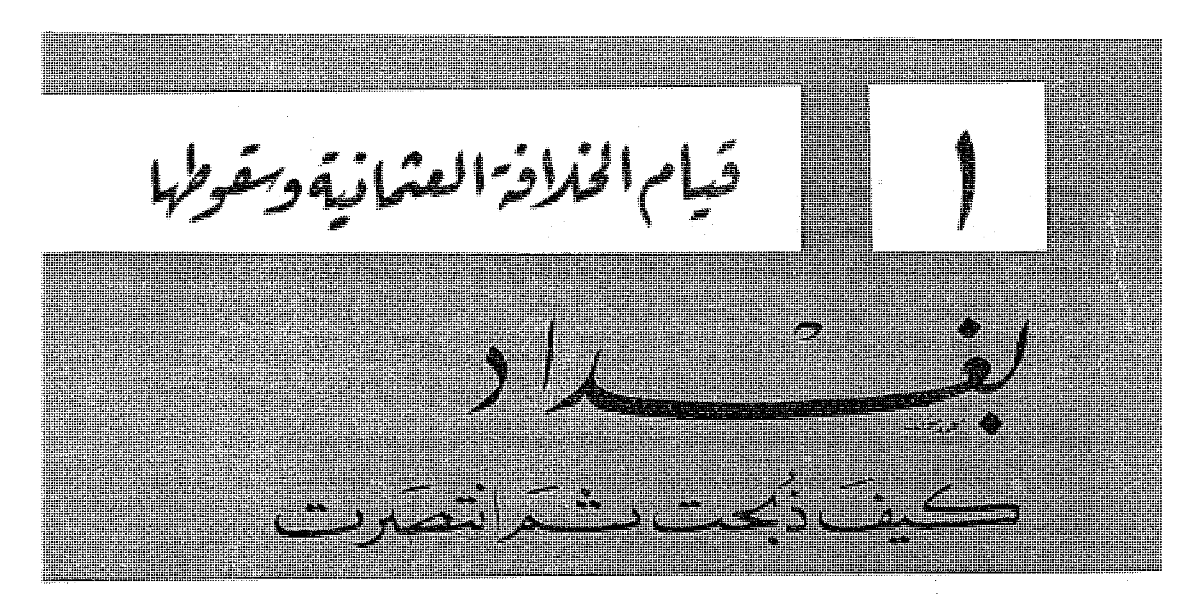
واخـيرا

ماذا نريد بانفسنا ؟ .. لو أن اعدى أعدائنا اختار لنا أعز أمنية له فينا لما وجد أمنية أحسن من واقعنا الذى نصنعه بأيدينا .. كلما لاحت لنا بارقة أمل في الاتحاد تفرقنا .. وكلما فرحنا بما نراه من تقارب تباعدنا .. نفوس تغلي هنا وهناك لا على العدو الذى طردنا من ديارنا ولا على المستعمر الذى يستمر في عدوانه علينا واستهتاره بنا ، ولكن على بعضنا البعض ! ! الواقع المر الذى مر بنا منذ سلبت فلسطين منا لم ناخذ منه الدرس الكافي ! ! .

يا قوم : ثوار فيتنام يدوخون امريكا ويمرغون سمعتها في التراب .. وعدوكم في طريقه الى صنع القنبلة الذرية وبعدها لا تستطيعون حتى الكلام ، وتفقدون حتى مجرد الأمل . وبعدها تقولون : ليت . ولكن . هل ينفع شيئا ليت ؟ .

---

(١) سورة النساء (٢) سورة النور .

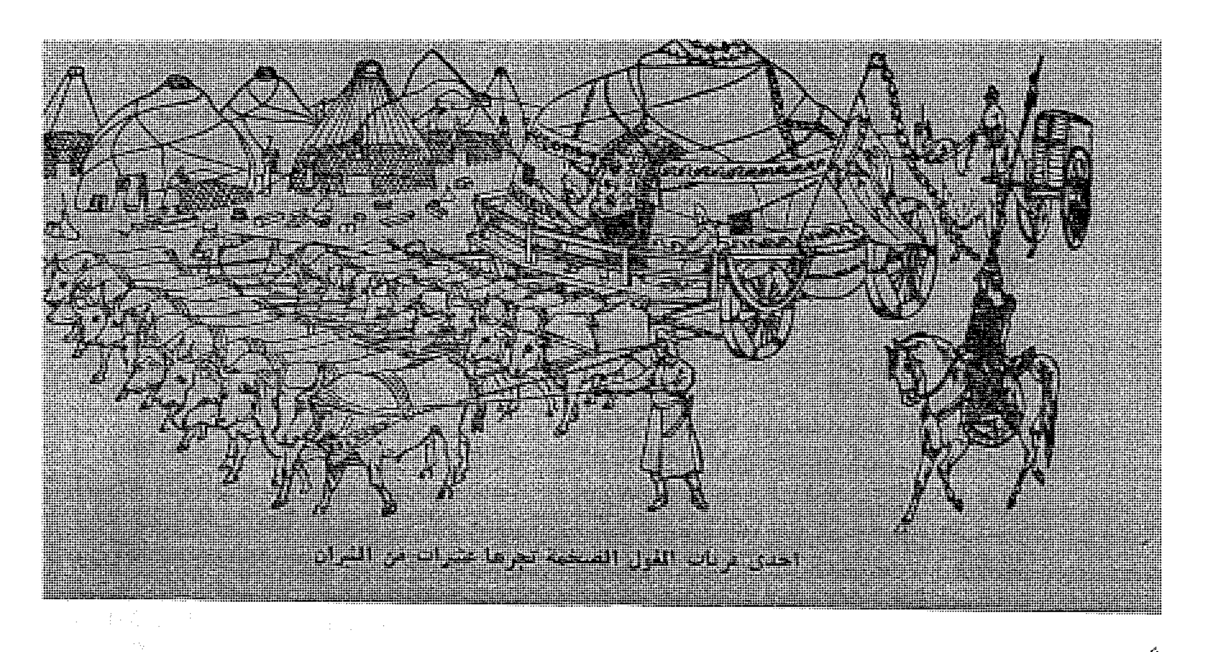


للاستاذ محمد صبيح

دولة الخلافة العثمانية ومواقفها فى خدمة الاسلام وامتداد رقعته وموقف الغرب المتعصب منها وتحالفه عليها . هذه امور قد تخفى على الجيل الحاضر . وقد آثرنا ان نكشف عنها وأن يتولى الاستاذ محمد صبيح هذه المهمة ، وهو كاتب معروف ومؤلف أخرج للمكتبة العربية عشرات الكتب فى التاريخ الاسلامي تعتز بها المكتبة .

قبل ان نعرض لاحداث التاريخ التي أدت الى قيام الخلافة العثمانية نقدم بين يدى البحث عرضا سريعا لسقوط الخلافة العباسية فى بغداد .

وكلنا يعلم ان بغداد سقطت صريعة امام الزحف المغولي الذى يشبه اعصارا مدمرا ، والذى بدأ به جنكيز خان من بكين وشواطىء المحيط الهادى حتى دمر به دولة المسلمين الشرقية فى خوارزم وخراسان . وقد سقطت تحت سنابك خيله مدن عظيمة شهيرة ، مثل بخارى التي وصفها المقدسي بأنها كانت مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع افراد



احدى عربات المغول الضخمة تجرها عشرات من الثيران

الزمان ومطلع نجوم ادباء الارض،وموسم فضلاء الدهر ، .. ولقيت سمرقند مصير بخارى ، ولحقت بهما بلخ ، وهراة والرى ونسا وهي من بلاد خراسان ، وكذلك مرو ، ونيسابور ، ثم توقف هذا الزحف ، بعد موت جنكيز ... وبعد سنين قليلة تولى حفيده هولاكو متابعة الزحف الى بقية البلاد الاسلامية ، وكان ذلك فى منتصف القرن السابع الهجرى.

بغداد تكفي ! !

وبينما هذه الاحداث الكبرى تجرى الى الشرق من بغداد ، كانت هذه المدينة الاسلامية العظيمة ، حاضرة الخلافة العباسية ترتعد خوفا وفرقا ..

يصف ابن الاثير صاحب الكامل فى التاريخ احساسه ، وهذه الاحداث تجرى فى ايامه ، وصفا مروعا .. اذ يقول « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها . فأنا اقدم اليه رجلا ، وأؤخر أخرى . فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين . ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك . فيا ليت امي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا ، .. فلو قال قائل ان اهل العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا. فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ، ولا ما يدانيها » .

وكان يمكن للخلافة العباسية ، وقد توقف الزحف المغولي حوالي ربع قرن بعد وفاة قائده الاول جنكيز ، ان تحزم أمرها ، وتعد للدفاع عدتها ، ولكن عوامل الشيخوخة كانت قد اصابت بالضعف الميت أوصال الخلفاء من هذه الاسرة ، بعد ان استمر حكمهم اكثر من خمسة قرون ، وخالطهم الاعاجم ، حتى غلبوهم على امرهم ، بل زاحموهم فى سرير حكمهم ، واصبح الخليفة العباسي فى هذه الظروف شبحا .. بل ربما اخافت **الاشباح بعض الناس ، وهؤلاء كانوا** لا يخيفون احدا .

كان المستعصم باللهآخر هؤلاء الخلفاء البغداديين ، يقول على ما روى ابن العبري « انا تكفيني بغداد . ولا يستكثرونها (اى المغول) على اذا نزلت لهم عن باقي البلاد . وهم لا يهجمون علي، وانا بها وهي بيتي، ودار مقامي !! » .

واذا استثنينا الخلفاء الخمسة أو الستة الأوائل من بني العباس ، فانا نجد مصائب هذا البيت جاءت من وزرائه . وعندما كانت خلافتهم فى اوج قوتها ، كان مصير الوزراء المنحرفين الابادة ، بل لقد حدث هذا لابى مسلم الخراسانى ، ثم للبرامكة فى فجر حكمهم، وكان وزير اخر خلفائهم هو مؤيد الدين بن العلقمي ، الذى كان يعتنق مذهب الشيعيين سرا ، والذى اعتمد عليه المغول فى تيسير مهمتهم عندما جاء دور بغداد فى قائمة المدن التي يستولون عليها ، وكانت اعظم الجوائز التي يطمعون فيها بعد زحفهم الهائل ، الذى كانت المسافة من حده الشرقي الى حده الغربي تقطع فى عام كامل بأسرع وسائل المواصلات فى وقتهم ذاك . .

المغول سادة الحروب

وقد يظن البعض ان المغول غلبوا آسيا وشرق أوروبا كله بالكثرة العددية ، والثقل العسكرى وحده . وانهم كانوا مثل قبائل الهون والوندال التى اكتسحت الدولة الرومانية قادمة من وسط اوروبا . وسموا وقتها بالبرابرة . وربما ساعد على نشر هذا الرأى ، عاطفتنا الاسلامية ، وقد رأينا من وصف ابن الاثير وغيره كيف تمت هذه المذابح الكبرى ، وكيف جرت الدماء انهارا فى طريق الزاحفين ، ولكن الدراسات الحديثة لخطط المغول الحربية أثبتت عكس هذا الرأى تماما ، وكشفت لنا عن كثير من اسرار هذه الموجة التاريخية العجيبة .

فلفظ « سياسة » الذى نستعمله الآن ، اصله من لغة المغول جاء من كلمتي (سى . يسا) أي المبادىء الثلاثة وكان من اهم عناصر النجاح فى معارك المغول الاستطلاع ودراسة المواقع ، وظروف الحكم والناس قبل القيام بالهجوم ، ونشر شبكة واسعة من الجاسوسية تساعدهم على جمع المعلومات التي يريدونها ، حتى أن احد وزراء «جنكيز» كان محمود بلواج ، او محمود الرسول الذى كان يبعث به للمفاوضة . وكذلك صنع هولاكو ، وهو وثني مثل سلفه ، اذ اختار مسلما استوزره هو نصر الدين الطوسي . وكان للمغول نظام متقن للاشارة ، بحيث يمكن تبليغ اوامر قياداتهم الى اطراف الجيش فى اسرع وقت ، على الرغم من ان جبهة القتال قد تمتد عشرات من الكيلومترات . وساعد ايضا على اتقانهم للعمل العسكرى انهم يتكلمون لغة واحدة ، وهم من عنصر واحد ، وكانت طاعتهم لقوادهم تامة . . ويزيد على هذا كله انهم احضروا معهم من الصين البارود ، واستعملوه فكانت مفاجأة كبرى لاعدائهم فى كل مكان .

ويصف المؤرخ هـ . ج . ويلز معركة المغول على نهر الفستولا ، ضد خيرة جيوش اوروبا الالمانية والمجرية ، بأنهم لم يصمدوا امام الغزاة اكثر من ثلاثة ايام ، وبدوا امام الزحف الاسيوى كأنهم اطفال من البرابرة ! !

مصير بغداد

نحن الآن فى عام ٦٥٦ هـ . وقد بلغت هولاكو الانباء من جواسيسه، بان حصونا جديدة تقام حول بغداد ، فأرسل كتابا الى الخليفة يقول له « عليك ان تهدم الحصون ، وتطم (تردم) الخنادق ، وتسلم ابنك المملكة ، ثم تتوجه لمقابلتنا .



زعيم المغول
جنكيز خان

وقد رد الخليفة ردا مضحكا ، اشار عليه به وزيره ، قال فيه :

« يا أيها الشاب الغر الذى لم يخبر **الايام بعد** ، والذى يتمنى قصر العمر .. الا تعلم انه من الشرق الى الغرب ، ومن الملوك الى الشحاذين ، ومن الشيوخ الى الشباب ، ممن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان ، كلهم عبيد هذا البلاط ، وجنود لى . اننى حينما اشير بجمع الشتات الخ . غير انى لا اود الحقد والخصام . فاذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة ، اسلك طريق الود وعد الى خراسان » .

وفى شتاء ذلك العام (١٠ فبراير سنة ١٢٥٨ م) كان هذا الخليفة الغافل ، يستسلم مع ابنائه الثلاثة والجسور تمد عبر نهر دجلة ، والمغول يتدفقون كسيل العرم .

وتوجه هولاكو الى قصر الخلافة ، وأمر باحضار المستعصم بالله ، وأمره بفتح خزائنه ، فاخرج منها اكداسا لا تحصى . حتى الذهب الذى دفن فى حفر عميقة بحدائق القصر دل عليه الخليفة بنفسه .

وجاءت المكافأة .. فقد امر هولاكو بوضع الخليفة وابنائه فى اجولة ، وامر حرسه بان يسيروا فوقهم وزفوا جميعا الى الموت ، وكان الوزير الخائن ابن العلقمي ، قد زعم ان ولي العهد سيتزوج بنت هولاكو ! .

يقول ابن كثير « ولما نودى بالامان ، خرج من تحت الارض من كان بالمطامير (السراديب) والقني والمقابر كأنهم الموتى ، اذا نبشوا قبورهم ، وقد انكر **بعضهم بعضا ، فلا يعرف الوالد** ولده ، ولا الأخ أخاه . وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا (هلكوا) وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى .

وكان من نتائج سقوط بغداد ما ذكره

براون فى تاريخ الادب العربى ، اذ قال « ان تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين ، وانزالها الى مرتبة المدن الاقليمية ، اصاب رباط الوحدةبينالامم الاسلامية، بلطمة شديدة .

كما اصاب مكانة اللغة العربية فى ايران بضربة قاصمة . فاذا وصلنا الى نهاية القرن السابع الهجرى ، لم نصادف الا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها فى ايران .

وما لبثت القاهرة ودمشق بعد هذه الفاجعة ، ان استقبلت الناجين من رجال الدين والفكر والأدب الذين تمكنوا من النجاة قبل سقوط بغداد وغيرها او بعدها .

معجزة الاسلام

وبينما كانت مصر تستعد لمعركة فاصلة مع المغول ، وقد ابت مصر الاستسلام الذى اختارته بغداد ، وجيوشها تتجمع فى غزة بقيادة الظاهر بيبرس ، اذ حدثت مفاجاة مذهلة ..

فقد تلقى سلطان مصر وفدا ، جاءه من قائد جيش المغول فى اوروبا ، يقول له فيه : ان عالما مسلما شرح له تعاليم الاسلام ، وان الله شرح صدره لهذا الدين ، فاعتنقه هو ورجاله ، وانه يريد من الظاهر بيبرس أن يرسل له وفدا كبيرا من العلماء ، لكي يفقهوا جيشه فى تعاليم هذا الدين .. ويقول له ايضا ، انه اذا كان يشعر بضيق او عجز عن مقابلة جيوش هولاكو ، فانه مستعد ان يزحف بجيشه من منطقة الدانوب الى الشام ، ويحارب هؤلاء الكفار كمسلم تجب عليه مؤازرة اخوانه المسلمين ..

ويختم رسالته بامضائه ، وكان الاسم الذى اختاره هو « بركة خان » طارحا الاسم المغولي (اقطاى) الذى عرف به ، وحمله فى بداية زحفه مع جيشه وكان يسمى القبيلة الذهبية .

وجاءت الانباء الى هولاكو بهذا النبأ العظيم ، ووجد ان الوسيلة التي يمكن ان يدرأ بها خطر حرب المسلمين الجدد ، وهم من بني قومه ، ان يتحالف مع الصليبيين ، الذين كانوا يحتلون بعض شواطيء الشام .

وخشي امبراطور بيزنطة ، من خطر القبيلة الذهبية التي اسلمت فآزر جهود هولاكو ، بل بعث بابنته ليتزوجها هولاكو ووليعهده . . وهرعالسفراء والقسيسون من أنحاء العالم المسيحى يحاولون نشر عقائدهم ، وتجنيد هذا الفريق من القوى المغولية الجبارة ، لمعاونتهم فى حربهم الصليبية ضد المسلمين فى مراكزهم بروسيا وشرق اوروبا .

وبلغ من تأثير الحملة المسيحية — فى معسكر هولاكو ، ان ابنه الثاني ، وكان اسمه «تكوار» تنصر واسمينفسه نقولا . وقد ملأت هذه الاحداث نفوس المسلمين المعسكرين فى غزة بقوة عظيمة ، وتمكنوا من هزيمة الجيش المغولي الذى وصل الى فلسطين .

ومات هولاكو ، وتولى ولي عهده ، وكان قد اعد جيشا هائلا يجتاح به مصر ، ولكن الموت فاجأه ايضا . وتولى القيادة أخوه الذى أسمى نفسه فىالصغر نقولا .

وهنا نجد المعجزة الثانية تحدث ، فان نقولا قد سمع لدعوة الاسلام ، واقبل عليه بنفس راضية وطرد قساوسة المسيحية من بلاطه . وقد كتب احدهم يقول « ما ان بلغ نقولا سن الرشد ، حتى ترك المسيحية ، واستمع الى دعاة



جيوش المغول تندفع عبر نهر دجلة مجتاحة بغداد

الاسلام ، واعتنق دينهم ، واصبح مسلما (١) !! وقد تسمى باسم احمد)) .

قال القلقشندى فى صبح الاعشى : ان سلطان مصر قلاوون تلقى كتابا من هذا الامير المغولى مع وفد رأسه « قدوة العارفين ، كمال الدين عبد الرحمن » يقول فيه انه وقد انعم الله عليه بالاسلام حرم على عساكره الغارة على بلاد المسلمين .

وكان وصول هذه الرسالة فى شهر رمضان سنة ٦٨١ هـ اى بعد سقوط بغداد بربع قرن .

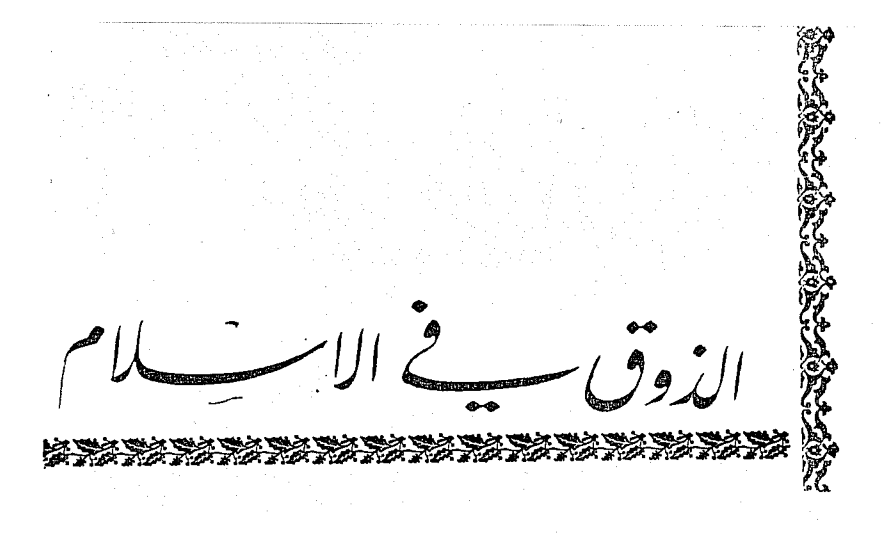
وقد اهتز العالم الاسلامي لهذا الحادث ، وعلق عليه السلطان قلاوون بقوله ان الله تعالى « انبت احسن النبت فى اخشن المنابت » .

وهكذا ارتفعت راية القرآن ، وعمل الايمان ما عجز عن صنعه السيف والطعان ، واخذت بغداد تضمد جراحها ، وتبتسم ابتسامة النصر الذى جاءها بغير قتال ، وافاقت مصر من كربها ، واوى اليها الهاربون من خلفاء العباسيين يعيشون فى كنف سلطانها ، حتى جاءهم الغزو العثماني ليحمل عنهم اللقب ، وينهي وجود الخلافة العباسية .

وفى بحثنا التالي سوف نتحدث ان شاء الله ، عن قيام القسطنطينية التي كانت عاصمة المسيحية فقدر لها ان تحمل راية الاسلام بدلا من بغداد والقاهرة .

---

(١) توماس ارنولد ــ الدعوة الاسلامية ص (٢٦٠) .



الذوق في الاسلام

نعني بكلمة الذوق ما يتوخاه المسلم الكامل فى قوله او عمله من اساليب تنم عن الكمال ودقة الشعور ، وسمو الادراك ، وتمام التهذيب ، وان يصل فى علاقته بالناس ومداخلته لهم الى معاملة نبيلة ، لو عومل بها من سواه لعجز عن شكرها وثناء بحمدها ، وغمرته بفنون من البهجة والسعادة .

وكلمة الذوق التي يقصر التعبير عنها ، وعن وصف اشراقها ، وروائها ، يكاد يدنو من معناها ما فى عرف الناس من حكمة ، او لباقة ، او كياسة ، او ادب .

ان الذوق الذى يرسمه الاسلام ليكون نسقا رفيعا يسلكه ذوو البصيرة والفطنة ، وينتهجه اولو الحس واليقظة ، يدق فى معناه ، ويرق فى مغزاه ، حتى يسمو على القوانين ، ويجل عن ان تسعه النظم واللوائح فلا تبلغ من دقائقه وأسراره شيئا ، فهو كالنور يرى ولا يلمس ، وكعبق المسك يشم ولا يمس .

ولم أجد فيما عرفت شرعا لغير المسلمين عنى بالذوق ، واحتفل به وعول عليه وهدى اليه مثل دين الله الذى شرح له الصدور ، واطمأنت به القلوب ، وكان للمؤمنين روحا وريحانا .

ان جميع القوانين التي تحدد معاملة الناس فى اقطار الأرض جافة بغير ذوق ، نابية ما لم ترع الذوق وتعش فى ظلاله ..

حتى القوانين التي يحتكم اليها (المسلمون) وليست من كتاب الله ولا سنة رسوله ، انما هي أخذ من قوانين غيرهم ومزج بين اشتاتها ، اقفرت من التعويل على الذوق ، والاحتكام اليه والاهتداء به .

والعلائق بين الناس فى عرف هذه القوانين علائق مادية تشبه ان تكون بيعا وشراء . لا روح فيها ولا شعور . ولا تعول القوانين فيما بينك وبين جارك الا على صيانة عرضك ومالك ، وسلامة هذين من كل اعتداء مادى .

اما الاسلام فانه يقيم بين المسلم وجاره محكمة الذوق . تحكم فى رفق وحب ، واناة وحنو ، ورحمة واخاء ، لا تضل ولا تجور ..

فالله يقرن بالأمر بعبادته الأمر بالاحسان الى الجار « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب » .

وفى الأدب النبوى « ما زال النبي

صلى الله عليه وسلم يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .

وفى الأدب النبوى أيضا ألا تباهي بالنعمة ، ولا تتطاول بها على جارك المحروم ..

للدكتور محمد كامل الفقي
الاستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الازهر

للساكن فى الدور الأول ان ينال من الماء ما شاء . لكن منطق الذوق الاسلامى يصده عن الاسراف الذى يظمىء جاره الأعلى ، ولا يكمل ايمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

الذوق الاسلامي يبصرك بأساليب راقية ، وبسلوك شريف فى معاملة جارك ، فهو يحملك وأنت قرير العين على ان تحفظ عرضه ، وتهنئه وتعزيه فيما يحب ويكره ، وتهب لنجدته بغاية مروءتك ، وتميط عنه الأذى ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

الذوق الاسلامي المهذب يأخذك بكرم المعاملة مع جارك ، ولو خالفك فى الدين . وبذلك يؤسس هذا السلوك المحمود حبا فى نفس جارك واخاء له وحرصا عليه ، ويقيم منك ومنه اسرة واحدة متحابة لا يصيبها شقاق ولا ضعف ولا فتور .

ارأيت الى ذوق الاسلام فيما يقوم بين المالك وعبده ، والسيد وخادمه ؟ . أن العلاقة بينهما لم تكن فى شرعة هذا الذوق الرفيع علاقة مادية جافة ، ولا صلة نفعية يابسة ، انه يأبى ذل العبد للكينه ، بل انه ليحرص على عنقه ويهيىء لذلك الوسائل والأسباب ، انه ليوصيك بالعبد ان تأخذه باللين والحسنى والعطف والرحمة .

حتى لقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول السيد لملوكه عبدى ، ولكن أن يقول فتاى وفتاتي .

ولعلنا لا نغفل اثر الذوق الاسلامي فى معاملة الخدم حين نرفق بهم ، ونحنو عليهم ، ونراقب فى السيطرة عليهم وجه الله . فنبلغ فيهم غاية الرحمة والاحسان ، واذ نأخذ أنفسنا بالأدب الاسلامي الراقي ، ونقبس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم هدى اذ يقول (اخوانكم خولكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس) .

فاذا ما انتهينا الى الذوق الاسلامي الكريم فى معاملتنا للحيوان والطير ، فاننا نجد من رقة هذا الذوق ومن شرفه آيات وآيات . فالقسوة فى سوق الحيوان والعنف عليه ضراوة تجافى الاسلام وتنافيه ، وتعذيب الحيوان يبس فى القلوب . ولأمر ما كره سن السكين على مرأى من الحيوان والطير ، ودخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هي اطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

الرحمة فى معاملة الطير من آثار الذوق وغاياته ، وقد ظفر بالمغفرة رجل سقى بنعله كلبا فدفع عنه الموت ظمأ .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (فى كل كبد رطبة أجر) .

ان كثيرا من تصرف الناس سكت عنه القانون ، فلم يرسم فيه سلوكا ، فللمرء أن يرعاه وله أن يغضى عنه ، فالقوانين الوضعية لم تلزم احدا بنجدة الغريق ، ولو كان المنجد ممن يحسن السباحة ، اما المسلمون الذين مس الذوق قلوبهم وبلغ ان يكون لديهم حاسة وعاطفة ، فهم امام تشريع يؤرقهم ويخزهم ان لم يرعوا دقائقه فى كل ما يأتون ويدعون.

ان جميع المعاملات والعبادات ، تحكم بدوافع قوية ، وأواصر متينة من ذوق الاسلام ، ولو

حرصنا على رعايتها لوجدنا مجتمعا اسلاميا قوى البناء ، (لا حسد فيه ولا خصام ، ولانتفى من محيط المسلمين كل مظهر من مظاهر المشاكل التي تأكل القلوب ، وتحيل الحياة الى لظى وجحيم) .

بحسبك ان تمعن النظر فى فريضة الصلاة ، ومدى هيمنة الذوق الاسلامي عليها ، وتوجيهه الى اشرف السلوك والمقاصد فى دقائقها ، لينطبع الناس حينما ينهلون من وردها خمس مرات كل يوم على توخى الذوق فى شتى تصرفهم ، واحوالهم مع الناس جميعا . فهي مدرسة تعلم وتهذب ، وتهدى وتصقل وتوجه .

من سنة الذوق للمسلمين ان يدخلوا الخلاء برجلهم اليسرى ، وأن لا يستقبلوا القبلة ولا يستدبروها ، ولا يستقبلوا الشمس والقمر عند البول والحاجة . وان يحرصوا على السواك لتطييب نكهة الفم ، وقد قالوا ان اربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء وقد شدد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى استعمال السواك . فقال : لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة .

ومن جلالة هذا الذوق ، ان تكون المضمضة باليد اليمنى ، والاستنشاق باليد اليسرى . وما كان ترتيب الوضوء عبثا ، فالذى هدى الى تقديم هذا وتأخير ذلك انما هو الذوق ، فلا ينبغي مثلا أن يكون الاستنشاق قبل المضمضة، ولا غسل الرجل قبل غسل الوجه .

والذوق الاسلامي العظيم هو الذى قضى ان لا نغشى المساجد وفى افواهنا ريح ثوم او بصل ، ومولانا النبي الأعظم عليه صلوات الله وسلامه يقول فى ذلك (من اكل ثوما او بصلا فليعتزلنا ــ او فليعتزل مساجدنا ــ وليقعد فى بيته) .

وكان رسول الله صلى الله عليهوسلم يكثر التطيب ، وتشتد عليه الرائحة الكريهة ، وتشق عليه . وشبه الجليس الصالح والجليس السوء بصاحب المسك وكير الحداد . وقال فيما رواه احمد فى مسنده (من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان له ولبس من احسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ، ثم يركع ان بدا له ، ولم يؤذ احدا ، ثم انصت اذا خرج امامه حتى يصلي ، كانت كفارة لما بينهما) .

ومن أثر هذا الذوق ان كان التطيب فى يوم الجمعة افضل منه فى غيره لشهود مؤتمر المسلمين،وأن السواك فيه احمد منه فى سواه .

وفى سنن ابي داود عن عبد الله بن سلام ، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر فى يوم الجمعة (ما على احدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته) .

وبالذوق الرفيع كره للمسلم حين يغشى المسجد ان يتخطى الرقاب ، وأمر أن يجلس حيث ينتهي به المجلس ، فاذا صلى لم يجهر بصلاته جهرا يشوش على المصلين ، واذا قرأ القرآن لم يصل بصوته الى حد أن يشغل مصليا عن خشوعه واستحضاره .

اما من أم بالناس فعليه ان يتخفف حتى لا يؤذي المأمومين .وفى ذلك يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (من ام بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة) .

وما أملح قول القائل :

رب امام عديم ذوق
يؤم بالناس ثم يجحف
خالف فى ذاك قول طه
من أم بالناس فليخفف

وقد روى صاحب زاد المعاد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل فى الصلاة وهو يريد اطالتها ، فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة ان يشق على أمته .

أنفاس النبوة في أصحاب محمد

للاستاذ عبد العزيز الخياط
عميد كلية الشريعة ـ عمان

عمل النبوة فى الانسان كعمل الربيع في النبات ، يبعث القوة فى كل الاجزاء ، وينشر العطر فى كل الارجاء .. وكما ان للربيع امتدادا يستمر الصيف كله ثمرا وخيرا ، كان عمل حوارى النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته امتدادا للنبوة فى معناها الرائع ، وعملها البناء .

ومحمد عليه السلام كان فى عمله النبوى تضحية تبذل ، وفكر يعصر ، وقدوة تحتذى .. الليل للعبادة والتفكير والنهار للجهاد والبناء ، والوقت فى التعليم والتوجيه .

ولئن بنى محمد صلى الله عليه وسلم هذه الامة على قواعد تثبت على ارض صلبة لا تميد ، وأقام بواسقها امتدادا سامقا فى شرفات السماء .. فى ارض جزيرة العرب ، فلقد كان بناؤه فى نفوس اصحابه اشد غورا وابعد اثرا .

فالصحابة الذين خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم امثلة حية على روعة البناء ، واعجاز يضاف الى معجزات محمد وكبراها القرآن .. هؤلاء الصحابة كانوا الضياء الوهاج المشع خلال الاعوام المضنية المجهدة التي تلت وفاة رسول الله .

والصحابة كانوا ترجمة عملية للاسلام فى تعاليمه او ان شئت فقل انفاس النبوة تتهدج فى نسيم الصحراء . فماذا عمل هؤلاء ؟!

انحيي آثارهم ، منشورة الـوية متعددة مركوزة فى عالم الفخر والثناء ؟

أم نذكر اعمالهم لواء جامعا يظلل كل باحث فى التاريخ ، او مسجل للنشاط الفكرى فى اوجهه المختلفة .

أجل : ان الصحابة فى جهادهم الحربي والفكرى والسياسي مثال لم يكن على مثال ، وقدوة لم تقتد بأحد .

وكانوا فى اخلاقهم آيات تدب على الارض ، تعيد الى الدنيا معنى طالما فقدته فى السمو والرفعة ، وأشعة تخترق كل شيء انارة او تدميرا ، استبصارا او تغطية .. انارة وتبصيرا لمن حاد عن الطريق السوى وآثر الهوى والغى ، وتدميرا للباطل فى أصحابه دولا او افرادا .

لما اشتد الاذى باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو بكر مهاجرا الى الحبشة فلما بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة سيد القارة (٢) فقال اين تريد يا ابا بكر ؟ ، فقال : اخرجني قومي ، فأريد ان اسيح فى الارض فأعبد ربى !

قال ابن الدغنة : ان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك .

ورجع ابو بكر فى حماية ابن الدغنة ، وقد علم اشراف قريش بذلك ، فقالوا لابن الدغنة : مره فليعبد ربه فى داره ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فأنا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا ، وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن ، فكانت نساء قريش وشبانها يزدحمون عليه وينصتون فى اعجاب الى قراءته ،وعلمت قريش بذلك فهرعت الى ابن الدغنة ، وآذنوه بخروج ابى بكر على عهد الجوار، وخيروه بين لزوم البيت او استرداد الجوار .

وهرع ابن الدغنة الى ابي بكر يخيره بين العبادة داخل بيته ، وبين استرداد عهد الجوار ، فقال ابو بكر قولة الرجل المطمئن المؤمن بربه ، المستعصم بدينه ومبدئه : فانى أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله تعالى .

ومثل آخر فى الخلق القرآني المتسامح، ما رواه البخارى عن أبي الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل ابو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى ابدى عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر .

وجاء ابو بكر فسلم وقال : اني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت اليه ، ثم ندمت فسألته ان يغفر لي فأبى علي فأقبلت اليك !

فقال النبى صلى الله عليه وسلم يغفر الله لك يا أبا بكر (قالها ثلاثا) .

ثم ان عمر بن الخطاب ندم فأتى منزل ابى بكر فسأل : أثم ابو بكر ؟ فقالوا لا ، فأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلم فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعر (يتغير) حتى اشفق ابو بكر فجثى على ركبتيه ، وقال يا رسول الله والله انا كنت اظلم ! (قالها مرتين) فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدق ، وواسانى بنفسه وماله . فهل انتم تاركو لى صاحبى (قالها مرتين) فما اوذى ابو بكر بعدها .

فما أروع هذه النفسية عند ابى بكر وعند اصحاب رسول الله !!

---

(١) موضع وراء مكة بخمسة اميال (٢) القارة أكمة سوداء نزل عندها جماعة من العرب فسموا بها

وشهد سعد بن معاذ سيد الأوس غزوة الاحزاب ، ولما شاع ان يهود بنى قريظة نقضوا العهد ، وحالفوا قريشا ارسله النبى صلى الله عليه وسلم وسعد ابن عبادة سيد الخزرج ليتبينا جلية الامر ، ويناشدا اليهود الا ينقضوا العهد والخطر محدق بالمدينة من كل جهة ، وقد حصنت بالخندق وتركت جهة اليهود غير محصنة اعتمادا على محالفتهم ، فأساء اليهود استقبال الزعيمين ، وتطاولوا عليهما وعلى رسول الله فحنق سعد بن معاذ عليهم لأنهم كانوا حلفاء قومه فى الجاهلية ، ووقفوا هذا الموقف الغادر ، فرجع الى القتال وفى نفسه شيء ، فلما اصيب بسهم من الاحزاب دعا الله قائلا : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، فاستمسك عرقه فلم تقطر منه قطرة ، حتى امكن الله للمسلمين من الاحزاب فهزموا ، ومن بنى قريظة فحوصروا ، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بما يرضى الله ورسوله . ان يقتل كل من حمل السلاح منهم وتسبى نساؤهم وذراريهم .

والصحابة فى تقواهم كانوا اطوع لله ورسوله من طاعتهم لانفسهم ، يتبعون ما يأمره الله ورسوله ولو اشارة او رمزا . روى الذهبى فى سير الاعلام والنبلاء عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر كان الرجل اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت غلاما عزبا شابا فكنت انام فى المسجد فرأيت كأن ملكين أتياني فذهبا بي الى النار فاذا هى مطوية كطى البئر ولها قرون كقرون البقر ، فرأيت فيها ناسا قد عرفتهم فجعلت اقول « اعوذ بالله من النار » فلقينا مالك (اى خازن النار) فقال لن ترع ، فذكرتها لحفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل ، قال سالم فكان بعد (اى عبد الله بن عمر) لا ينام من الليل الا القليل .

وهم فى كل ناحية من نواحى الحياة على بصيرة وفهم ، ودراية وعلم ، فكم خلفوا من ثروة لا تقدر فى الفقه والتشريع ، وكم تركوا من آثار لا تلحق فى ادارة الدولة والحكم ، وكم كانت لهم من روائع فى فهم كتاب الله والعمل به ، ويستوى فى ذلك كبارهم وصغارهم على السواء ، اما كبارهم فما اكثر ما علم المسلمون منها ، وردد المؤمنون من اتباعهم اخبارها ، واما صغارهم فهم على نحو كبارهم ، قرأت فى سيرة صحابى صغير هو جندب ابن كعب فيما روى أبو عثمان النهدى ان ساحرا كان يلعب عند الوليد بن عتبة فكان يأخذ سيفه فيذبح نفسه ولا يضره ، فقام جندب الى السيف فأخذه فضرب عنقه ثم قرأ (أفتأتون السحر وانتم تبصرون) وفى رواية انه قال (ان كان صادقا فليحيى نفسه) .

ومرجع ذلك الى ايمانهم القوى الغلاب قبل أى شيء فبه تعلموا القرآن ، وبه حفظوا الاسلام ، وبه نشروه فى الدنيا وفتحوا به الامصار ، وشادوا دعائم حضارة الاسلام .

وروى جندب بن عبد الله قال كنا غلمانا حزاورة (اى على وشك البلوغ) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا ، وبهذا الايمان استطاعوا ان يقيموا دعائم الاسلام منارات هدى ، ورواد علم ، وحملة رسالة وأساتذة أجيال .

الطريقة العلمية عند علماء المسلمين

للاستاذ قدري حافظ طوقان
نابلس ـ الاردن

ظهر من علماء المسلمين من دعا الى الدقة في العمل واجراء التجارب والاحتياط في الاستنتاج . ومن هؤلاء ((جابر بن حيان)) من اعلام علماء المسلمين الذين اسدوا أجل الخدمات الى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعا ((جابر)) الى الاهتمام بالتجربة وحث على اجرائها مع دقة الملاحظة ، كما دعا الى التأني وترك العجلة وقال : ((... ان واجب المشتغل في الكيمياء هو العمل واجراء التجربة وأن المعرفة لا تحصل الا بها ..)) وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية أن لا يحاولوا عمل شيء مستحيل أو عديم النفع ، وعليهم أن يعرفوا السبب في اجراء العملية ، وأن يفهموا التعليمات جيدا (لأن لكل صنعة اساليبها الفنية) على حد قوله . وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأني باستنباط النتائج . وكان لجابر هذا . فضل كبير على من أتى بعده من كيميائي العرب والمسلمين ، حتى أن بعض العلماء اعتبر الكتابة غير دقيقة ان لم تسبقها تجارب .

وقال الجلدكي عن الطغرائي ((... كان الطغرائي رجلا على جانب عظيم من الذكاء ولكنه لم يعمل الا قليلا من التجارب وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة ...)) .

ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا بالتدقيق ـ حين البحث في النبات ـ رشيد الدين بن الصوري . فقد كان يستصحب معه مصورا (حين البحث عن الحشائش في منابتها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

وننتقل الآن الى الدستور الذي وضعه بعض علماء المسلمين للبحث العلمي والفلسفي كما ورد في رسائل « اخوان الصفا » وقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع ، ويرى الباحثون انه وليد المنطق الذى اقتبسه المسلمون عن اليونان ، ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيغورياس) ، فلقد شرح الاستاذ « مظهر » في مقال ظهر له في كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية) ابواب دستور البحث العلمي ، ثم اعقب ذلك بشرح المقولات ، فثبت له « ان اسلوب البحث عند اسلافنا اصله يوناني ، او بالحرى مستمد من أصل يوناني » . ولا يخفى ان ليس في هذا ما يغير أو ينقص من قدر المسلمين العلمي ، فالانسان دائما وابدا يأخذ ما عمله غيره ويزيد عليه اذا استطاع . وزيادات المسلمين في هذا الميدان أساسية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا التي تبحث في الصنائع العلمية يتبين ان المسلمين اتبعوا دستورا محكما في البحث العلمي ينحصر في تسعة أحكام وهاهي كما يلي :

السؤال الأول : ـ هل هو ؟ يبحث عن وجدان شيء او عدمه ، والجواب نعم أو لا .

السؤال الثاني : ـ ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : ـ كم هو ؟ يبحث في مقدار الشيء .

السؤال الرابع : ـ كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشيء .

السؤال الخامس : ـ اى شيء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل .

السؤال السادس : ـ أين هو ؟ يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته .

السؤال السابع : ـ متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشيء .

السؤال الثامن : ـ لم هو ؟ يبحث عن الشيء المعلوم .

السؤال التاسع : ـ من هو ؟ يبحث في التعريف للشيء .

وتدل هذه الاسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان يسير عليه بعض العلماء المسلمين فى بحوثهم وكتاباتهم وهو يحصر اتجاهات العقل (... ولكن لا يقر المتجه الذي ينبغى ان يتجه فيه العقل ازاء كل بحث بعينه ..) .

ولا يقف الامر عند هذه الحدود ، بل نجد انه وجد فى المسلمين وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن ، والتي تميز هذه الحضارة عن التي سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتي : **هل وجد فى المسلمين من سار على الطريقة العلمية وسلك فى اصولها ؟ .**

ما كنت اظن ان للمسلمين أثرا فى كشف عناصرها والتمهيد الى اصولها حتى بحثت فى مآثر المسلمين في الفيزياء ، واطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم) بحوثه وكشوفه البصرية للاستاذ مصطفى نظيف .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة فى كتاب المناظر لابن الهيثم ، وفى مقالات اخرى . وبعد ان درسها الاستاذ مصطفى نظيف وفحصها واعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له ان ابن الهيثم « .. قد توافرت فيه (ميزات التفكير العلمي الصحيح) ، وهي تدل على مدى نضج الفكر ، وعمق النظر فى عصر ابن الهيثم على النحو الذي وردت في بحوثه في الضوء » .

وأرى قبل التدليل عليها ان الفت النظر الى ان علماء المسلمين لم يتوسعوا في الطريقة ، ولم ينقلوها على النحو الذي توسع فيها واستغلها علماء اوروبا واميركا الآن ، كما انهم لم يدركوا ما لهذا الاسلوب من شأن خطير ،كما ادركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول ان كتاب (المناظر) لابن الهيثم يدل على أنه وجد فى المسلمين من سار فى بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق (بيكون Bacon) في انشائها ، بل ومن زاد على طريقته التي لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة فى البحوث العلمية .

اما العناصر الاساسية في طريقة البحث العلمي الحديث فهى « الاستقراء والقياس والاعتماد والمشاهدة ، او التجربة والتمثيل .

ولقد أدرك (ابن الهيثم) الطريقة المثلى وقال بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد علىالمواقع الموجودة على المنوال المتبع فى البحوث العلمية الحديثة . ففي كتاب (المناظر) عند البحث مثلا في كيفية الابصار واختلاف العلماء فيه يقول « ونبتدىء في البحث باستقراء الموجودات وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار ، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس . ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل ، لا اتباع الهوى، ونتحرى فيسائر ما نميزه وننتقده طلب الحق الذي به مثلج الصدر ، ونصل بالتدرج واللطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم به مواد الشبهات .. وما نحن مع ذلك برءاء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد العون في جميع الامور ... » .

ومن اقواله هذه تتجلى لنا الخطة التي كان يسير عليها في بحوثه ، وان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه رسم الروح العلمية الصحيحة ، وبين ان الاسلوب العلمي هو في الواقع مدرسة للخلق العالي ، فقواعده التجرد عن الهوى والانصاف بين الآراء ، فيكون قد سبق علماء هذا العصر في كونه لمس المعاني وراء البحث العلمي الحديث .

وكان يرى في الطريق المؤدى الى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) على حد تعبيره وهذا ما يراه باحثو هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على اظهار الحق . فان وصلوا الى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون ... وابن الهيثم في طريقته العلمية التي اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (بيكون Bacon) فيطريقتهالاستقرائية وفوق ذلك سما عليه . وكان اوسع منه افقا وأعمق تفكيرا . وهو وان لم يعن كما عني (بيكون) بالبحث النظرى ، وتأليف المؤلفات التي يعرض فيها الآراء النظرية في طرق البحث ويلزم العلماء بها الزاما ، فحسبه انه اتبع الطريقة الصحيحة في بحوثه ، وجرى عليها عملا وفعلا . وان الامر جاء منه على بينة وروية وامعان فكر وحسن تقدير .

ويذهب الاستاذ مصطفى نظيف « الى أكثر من هذا فيقول » ... بل وان ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هو ابعد غورا مما يظن اول وهلة فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) ، وغيرهما من رجال العلم

الحديث في القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية، وادرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث . ويمكن القول من نصوص اقوال ابن الهيثم أن تفكيره اتجه الى الوجهة التى يتجه اليها التفكير العلمي الحديث (وأنه ليس من المغالاة ايضا القول أنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة في البحث العلمى وأدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية) . وفعلا سلك ابن الهيثم في بحوثه الطريقة الحديثة في البحث . وقد وصل بسلوكه الى الحقيقة التي ينشدها بالمعنىالذي رآه. وهذا يتجلى بأجلى بيان وابلغ صورة فى الكتاب النفيس « الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية» تأليف الاستاذ مصطفى نظيف .

ومن الحق ان اشير اشارة بسيطة الى موضوعات كتاب (المناظر) فلقد استدل ابن الهيثم في جميع بحوثه في الضوء على القواعد والقوانين الاساسية بتجارب ، واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذي نعنيه الان . وذهب الى ابعد من ذلك ، فلقد أدرك قيمة التجربة في البحوث العلمية ، فهو لا يعتمد على التجربة فى اثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين .

ومن مميزات ابن الهيثم انه كان يشرح الجهاز ويبين وظيفة اجزائه المختلفة ، واستعمل اجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف ، وتدل تجاربه وحساباته انه استطاع ان يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة (... يدل عليها صنع الاجهزة واستعمالها فى الأغراض المختلفة ..) .

وكذلك يمتاز كتاب (المناظر) بعناية (ابن الهيثم) بالقياس . فهو بعد ان يثبت المبادىء الاولية بالتجربة ، يتخذ تلك المبادىء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضي اليها ، ويشرح على هذا النمط كثيرا من الظواهر الهامة في الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب ايضا ان ((ابن الهيثم)) أدرك قيمة التمثيل في البحوث العلمية ، ولهذا استعان به في بعض المواضع ، وكان فيها موفقا وفي بعضها كان مبتكرا وملهما . والذي نستخلصه من مآثر ((ابن الهيثم)) ونتاجه الفكرى ، انه سلك في البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمي .

وقد خرج الاستاذ مصطفى نظيف من دراسته بحوث ابن الهيثم فى الضوء بالآتي ((.. ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات منتقدموه وبحوث من نقدوه ، فقد استفاد حتما طوعا او كرها ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الامور من جديد ، ونظر فيها جميعا نظرا جديدا لم يسبقه اليه احد من قبله . واتجه في هذا النظر وجهة جديدة لم يولها أحد من المتقدمين واصلح الاخطاء وأتم النقص ، وابتكر المستحدث من المباحث ، وأضاف الجديد من الكشوف، وسبق فى غير قليل من ذلك الاجيال والعصور ، واستوفى البحث اجمالا وتفصيلا ، وسلك في البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمي ، مع ما في هذه الطرق من قصور ومع ما فيها من ميزات . واستطاع ان يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الاجزاء على قدر ما كان يمكن ان ترتبط به اجزاؤها في عصره ، وان وجدنا فيها عيبا او نقصا فتلك سنة الله في المباحث العلمية وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب ، بل هو ايضا أقام بها الاسس التي انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده ...) .



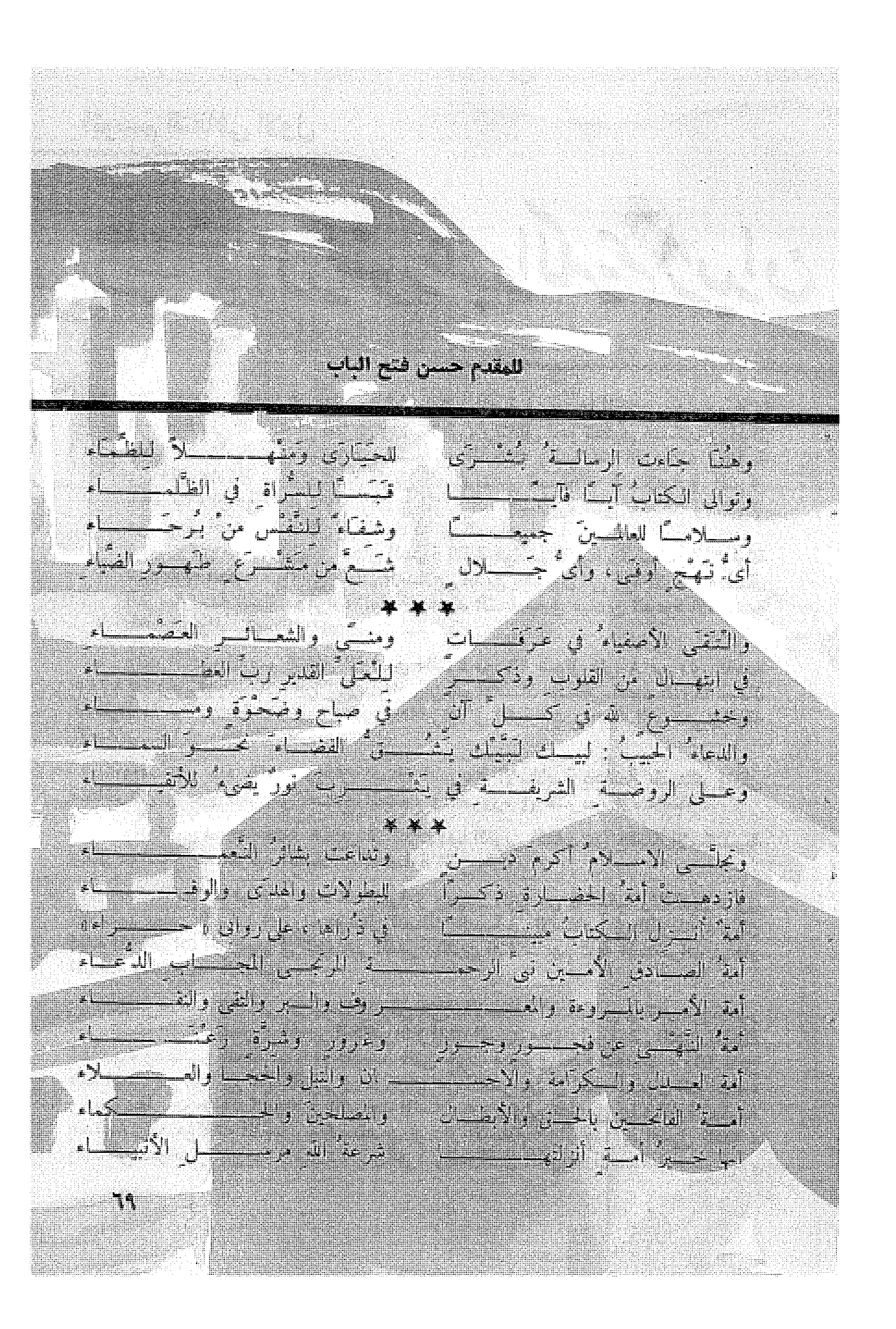
أمر الحق جل رب السماء ... فاستجابت عباده للنداء
أيها الناس سارعوا كل عام ... للديار المقدسة الأنحاء
وتعالوا من كل فج عميق ... لتروا غامراً من الآلاء

* * *

شرع الحج رحمة للبرايا ... من إله يجود بالنعماء
وحدة تحشد الصفوف جميعاً ... في صفاء وعزة وإباء
تجمع الشمل للملايين جاءت ... من بلاد قصية الأرجاء
وتضم القلوب حول معان ... خالدات من التقى والسناء
من إخاء بين الحجيج وعطف ... سابغ ظله على الفقراء
وخضوع لله جل علاه ... مالك الكون خالق الأشياء
وسلام للناس في كل أرض ... وكفاح دون العلا وفداء
ولقاء لنيل عليا الأماني ... واطراد الجهود نحو البناء

* * *

يا لهذا الصفاء في كل صوب ... وصل الأرض بوركت بالسماء
فتهفو أنفس إلى منزل الوحي ... ورقت شمائل الأحياء
وارتوت مهجة وقرت عيون ... واستفاض الوئام في الأجواء
وقلوب ذابت بمكة شوقاً ... للرحاب الظليلة الأفياء
ها هنا كم سرى الخليل نبي الله ... بالحق والهدى والصفاء
وفدى الطاهر المكرم اسماعيل ... أنعم بالمفتدى والفداء
وأقاما البيت الحرام ليسعى ... نحوه الناس في تقى وولاء



للمقدم حسن فتح الباب

وهنا جاءت الرسالة بشرى ... للحيارى ومنهلاً للظماء
وتوالى الكتاب آيا فآيا ... قبسا للسراة في الظلماء
وسلاما للعالمين جميعا ... وشفاء للنفس من برحاء
أي نهج أوفى، وأي جلال ... شع من مشرع طهور الضياء

* * *

والتقى الأصفياء في عرفات ... ومنى والشعائر العصماء
في ابتهال من القلوب وذكر ... للعلي القدير رب العطاء
وخشوع لله في كل آن ... في صباح وضحوة ومساء
والدعاء الحبيب: لبيك لبيك ... يشق الفضاء نحو السماء
وعلى الروضة الشريفة في يثرب ... نور يضيء للأتقياء

* * *

وتجلى الإسلام أكرم دين ... وتداعت بشائر النعماء
فازدهت أمة الحضارة ذكرا ... للبطولات والهدى والوفاء
أمة أنزل الكتاب مبينا ... في ذراها على روابي حراء
أمة الصادق الأمين نبي الرحمة ... المرتجى المجاب الدعاء
أمة الأمر بالمروءة والمعروف ... والبر والتقى والنقاء
أمة النهي عن فجور وجور ... وغرور وشرة رعناء
أمة العدل والكرامة والإحسان ... والنبل والإخا والعلاء
أمة الفاتحين بالحق والأبطال ... والمصلحين والحكماء
إنها خير أمة أنزلتها ... شرعة الله مرسل الأنبياء

حديث مع الدكتور عبد الكريم زيدان

تنهض وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى عهدها الجديد باداء رسالتها الروحية على الصعيدين العربى والاسلامى ، وتنطلق نحو تحقيق اهدافها فى ابراز القيم الاسلامية ، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة والتيارات الغربية ، محلقة فى آفاق واسعة ، سواء عن طريق العون المادى للمنشآت الاسلامية فى الشرق والغرب ، او عن طريق الاشتراك فى المؤتمرات الاسلامية التى تعقدهنا وهناك او عن طريق اصدار الرسائل او الصحافة او المحاضرات العامة .

وكان من مخططها فى مجال الدعوة اقامة مواسم ثقافية ، تستقدم للمشاركة فيها قادة الفكر والراى فى العالم الاسلامى الذين يجمعون الى قوة الايمان وصدق العزيمة سعة الثقافة وغزارة العلم ، وعديد التجارب فى ميادين الدعوة الاسلامية بأقلامهم والسنتهم .

وقد اقامت الموسم الثقافى الاول فى الفترة من ١٦ شوال الى ٨ من ذى القعدة ١٣٨٥ هـ واستقدمت ثلاثة من كبار المحاضرين هم الاستاذ مصطفى احمد الزرقا استاذ الحقوق المدنية بجامعة دمشق ، والقى محاضرتين فى فكرة مجمع الفقه الاسلامى،والفقه الاسلامى مزاياه وخصائصه .

والدكتور عبد الكريم زيدان استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة بغداد والقى محاضرتين فى دور الفرد فى اصلاح المجتمع والضرورة فى الشريعة الاسلامية .

والدكتور محمد محمد حسين أستاذ الادب العربى الحديثفى جامعة الاسكندرية وكان موضوع محاضرتيه الاسلام والحضارة الغربية .

وقد احتشد لسماع هذه المحاضرات جمهور كبير من الشباب والمثقفين ، وفى مقدمتهم بعض السادة الوزراء ورجال السلك السياسى الاسلامى فى الكويت ، وكان لهذه المحاضرات اثر طيب فى الجماهير الغفيرة الذين امتلات بهم قاعة المحاضرات فى دار الثقافة والتوجيه بالشامية .

وحرصت المجلة على ان تستطلع رأى هؤلاء الاساتذة المحاضرين فى كثير من الامور التي تشغلبال المسلمين فى العصر الحاضر،فأوفدت السيد محمد ابو غوش المحرر بالمجلة للقائهم ، وستنشر المجلة تباعا الاحاديث التى جرت معهم فى هذه اللقاءات ، ولقاؤنا فى هذا العدد مع الدكتور عبد الكريم زيدان وهو من المتخرجين فى كلية الحقوق العراقية ، وحصل على درجة الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، وتولى تدريس هذه المادة بجامعة بغداد ، ومن مؤلفاته الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام ، والوجيز فى أصول الفقه ، والمدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، والفرد والدولة فى الشريعة الاسلامية .



الدكتور عبد الكريم زيدان
أثناء القاء محاضرته فى قاعة
الثقافة والتوجيه الكبرى
بمنطقة الشامية

المشكلات المعاصرة

قال مندوبنا لسيادته : تواجه المسلمين فى الوقت الحاضر معاملات مستحدثة ، ومشكلات تحتاج الى حلها وعلاجها فى ضوء الشريعة والمصلحة ، فما هى الطريقة التى ترونها محققة هذا الهدف ؟

فأجاب : الطريقة المثلى لتحقيق ما ذكرته فى سؤالك تكوين مجمع فقهى يضم فقهاء العالم الاسلامى ، ويخصص لهذا المجمع كل ما يلزم لقيامه بمهمته التى تتلخص فى بحث جميع مشكلات العصر ومسائله الجديدة ، وما قد يرد اليه من مسائل لبيان حكم الشرع فيها ، ثم ينشر هذا المجمع ابحاثه وفتاواه فى نشرات دورية يوزعها فى مختلف البلاد الاسلامية ويطلب ممن عنده علم وفقه ولم يدع الى المجمع ان يبين رأيه فيما وصل اليه المجمع من آراء . وترسل هذه الملاحظات والآراء الى المجمع رأسا او بواسطة معتمد به فى الاقطار الاسلامية ليبحثها فقهاء المجمع ، ويعدلوا آراءهم على ضوئها ان وجدوا فيها ما يدعو الى التعديل ، او يصروا على آرائهم التى اعلنوها اذا لم يجدوا فيما وصل اليهم من آراء ما يدعو الى التعديل ثم يعلنوا آراءهم الاخيرة فى نشرات يوزعونها . ولا بأس بالاستعانة بالاذاعات اللاسلكية للبلاد الاسلامية لاذاعة آرائهم فى المرة الاولى والمرة الثانية ، والرأى الذى يصلون اليه بالاتفاق يعتبر قريبا من الاجماع الذى يتحدث عنه الفقهاء وعلماء اصول الفقه ، ويكون ملزما للمسلمين . اما اذا لم يصلوا الى اتفاق فيعتبر رأى الاكثرية ورأى الاقلية كلاهما رأيا سائغا يجوز الاخذ بواحد منهما ، ويمكن الترجيح بينهما بموجب النظر الفقهى وعلى ضوء ادلة الشريعة الاسلامية وحسب موازينها .

هذا ويجب ان يكون هذا المجمع الفقهى المقترح بمعزل عن تقلبات السياسة والسياسيين وتدخل الحكام ، حتى يمكن لاعضاء المجمع ان يبحثوا المسائل بحثا موضوعيا مجردا من الهوى والتأثير الخارجى . ويستحسن ان تكون نفقات هذا المجمع من صندوق خيرى عام يسهم فيه جميع المسلمين ويرصد للمصالح العامة التى تهم المسلمين ومنها هذا المجمع الفقهى .

قادة الفكر

ولكن : ما مدى تحمسكم لضرورة لقاءات مفكرى الاسلام ، وما هى الآثار البعيدة لهذه اللقاءات فى نظركم)

فأجاب : الاسلام يأمر بالاهتمام بامور المسلمين ومن مظاهر هذا الاهتمام تلاقى مفكرى المسلمين لبحث ما ينفع المسلمين

ويصلح امورهم واحوالهم . لان هذا البحث ومناقشة الآراء فيه يظهر الرأى الصواب ويكون منطلقا للعمل الجدى المثمر .. على ان يكون هذا التلاقى بين مفكرى المسلمين خالصا لخدمة الاسلام والمسلمين بعيدا عن اى غرض ، فان الاسلام اجل واعظم من ان يتخذ تكأة لاحد او خادما لاحد يناديه متى اراد ليقدم له ما يشتهى ثم يأمره بالانصراف .

حملات الالحاد

واستطرد بنا الحديث الى ما تتعرض له الشعوب الاسلامية من حملات الالحاد والتحلل الخلقى ، وضرورة وضع مخطط لمجابهة هذه التيارات فقال سيادته :

وسائل احياء الروح الدينية فى النفوس وتحصينها ضد الافكار الدخيلة تقوم على اشاعة الوعى الاسلامى بنشر مفاهيم الاسلام وتعميقها فى النفوس بكل وسيلة مشروعة كالكتابة والخطابة والمناقشة ، وبيان فساد الافكار المخالفة للاسلام بالحجة والبرهان ، لان الاسلام هو الحق وما عداه باطل واضح البطلان ، قال تعالى « قل ان هدى الله هو الهدى » وقال تعالى « فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون » فالآراء المخالفة للاسلام باطلة والادلة على بطلانها كثيرة ، والاسلام لا يخشى المناقشة ولا يخاف عرض افكاره واحكامه، فكلها قائمة على الدليل والبرهان ويقبلها العقل الصحيح الذى ينشد الحق الصريح . ولتحقيق نشر مفاهيم الاسلام يجب التمكين لهذا النشر وتسهيل مهمة الدعوة الى الاسلام ولا يجوز منع ذلك فى الشرع الاسلامى لانه صد عن سبيل الله ومصادمة لحق المسلم فى نشر دينه وبيان احكامه فى ديار الاسلام .

واما عن المناهج الدينية المقررة على الطلاب وهل هى كفيلة بذلك .

فالجواب ان المناهج الدينية قد تكون بذاتها صالحة ولكن صلاحها بذاتها لا يكفى ، بل لا بد من توفر المدرس الصالح المؤمن بهذه المناهج التى يقدمها الى الطلاب ، ويجب ان ينضم الى المنهج الصالح والمدرس الصالح حملة اصلاحية لتطهير المجتمع من الفساد الذى يهدم ما يبنيه المعلم الصالح فى نفوس طلابه ، ولكى يزول التناقض بين ما يدرسه المعلم من تعاليم الاسلام وبين ما هو واقع فعلا فى المجتمع . وتطهير المجتمع من الفساد المناقض لمناهج الاسلام واجب مشترك على الراعى والرعية ، الحاكم والمحكوم ، ويتحمل قسطه الاكبر الحاكم لان بيده الامر والنهى « والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

نشر الدعوة

قلت لسيادته : نسمع أصواتا تطالب بالدعوة الى الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم ، فما هى المقترحات التى ترونها كفيلة بخدمة هذا الغرض .

فقال : الدعوة الى الاسلام فرض من فروض الاسلام قال الله تعالى « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين » . وهذه الدعوة يقوم بها كل مسلم حسب قدرته واستطاعته فى



وقد غصت القاعة بالمستمعين الذين تابعوا المحاضرة باهتمام كبير

بيئته ، فى مدرسته ، وفى سوقه ، وفى سائر اعماله ، بالقول وبالسيرة الحسنة. كما تجب هذه الدعوة فى سائر بلاد العالم الاسلامية منها وغير الاسلامية ، ولا شك ان واجب تبليغ احكام الاسلام على هذا النطاق الواسع يستلزم جهدا كبيرا جدا وامكانيات واسعة لا يستطيع الفرد ان يقوم بها ، ولهذا وجب ان تقوم جماعة تتفرغ لواجب التبليغ لامر الله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » . ويجب على المسلمين معاونة هذه الجماعة بكل انواع المعاونة حتى تقوم بواجب التبليغ فترسل الدعاة الى القارة الافريقية وسائر بلاد العالم وتكوين المراكز لنشر الدعوة الاسلامية وانشاء المدارس والمساجد لتعليم الناس هناك امور الاسلام ، كما تقوم بنشر النشرات الاسلامية وطبع الكتب اللازمة لتوضيح معانى الاسلام .

وكما يجب قيام هذه الجماعة يجب على حكام المسلمين فى سائر ديارهم الاسهام فى مهمة التبليغ فيخصص كل واحد منهم فى ميزانية دولته مبلغا معينا سنويا لانفاقه على امور تبليغ الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم .

ان دول العالم اليوم تنفق مبالغ كثيرة للتبشير بعقائدها وافكارها ومبادئها خارج اقليمها ، فحكام المسلمين اولى ان يقوموا بتبليغ معانى الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم ، لان الاسلام يأمرهم بذلك ولانهم بهذا العمل سينقذون الملايين من الضلالة والغواية .. وانى واثق لو ان جهود المسلمين من حكام ومحكومين اتجهت هذه الناحية لصارت القارة الافريقية قارة اسلامية فى بضع سنين ، لان الاسلام دين الفطرة ليس فيه شيء يقول العقل السليم ليت الاسلام لم يأت به ..

مفتريات المستشرقين

وجرنا هذا الى الحديث عن المستشرقين ، ومفترياتهم على الاسلام فقلت لسيادته :

هل تؤيد سيادتكم الحملة على المستشرقين واعتبارهم اعداء طبيعيين للاسلام .

فقال الغالب على المستشرقين الهوى وسوء القصد والجهل ، فمن علم منهم الحق وعرف الاسلام كما هو لم يسلم من الهوى وسوء النية ، ومن سلم منهم من سوء النية اوقعه جهله بمعاني الاسلام باباطيل وافتراءات ، والقليل جدا منهم من سلمت كتابته من الهوى ، واقل من هذا القليل من سلمت كتاباته من الهوى وسوء النية والجهل .

ولهذا لا ارى اخذ احكام ديننا من المستشرقين ، ولا ارى اتخاذ كتاباتهم مصدرا للمعرفة بالاسلام . فان اهل مكة ادرى بشعابها ، وعلماء الاسلام الاعلام المشهود لهم بالعلم والتقى اولى بالاخذ عنهم ومعرفة الاسلام عن طريقهم . ان مثل ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام مثل الغابة الكثيفة الملتفة الاغصان ، يدخلها الانسان فى ظلمة الليل ولا مصباح معه فهو ان امن لسع العقارب والحيات لا يأمن نخس الاشواك .. ولا عبرة بالقلة القليلة من كتابات بعض المستشرقين الجيدة ، فالعبرة للغالب الشائع لا القليل النادر .

وعلى هذا فمن الخير تنبيه ابنائنا واخواننا المسلمين وتحذيرهم من شرور المستشرقين .

دور الصحافة

ثم استطلعت رأيه فى الصحافة واثرها فى خدمة الدعوة الاسلامية .

فقال : للصحافة تأثير بالغ فى توجيه الرأى العام الوجهة الصالحة او الوجهة الطالحة ، فهى تصلح ان تكون اداة خير ووسيلة نفع وسبيل ارشاد وتقويم ، كما تصلح ان تكون اداة شر ووسيلة ضرر وسبيل اضلال وافساد .. وهى تكون بهذه الكيفية او تلك بناء على صلاح او فساد القائمين عليها، فان صلحوا صلحت وان فسدوا فسدت . وعلى هذا فالصحافة الصالحة بصلاح القائمين عليها تكون اداة فعالة جدا فى خدمة الاسلام وخدمة قضاياه العادلة ، ويكون ذلك بتجلية مفاهيمه وافكاره ومناهجه بامانة وصدق ووضوح ، وبيان أحكامه فى جميع قضايا العصر ومشكلات الحياة . اننا — فى الواقع — بحاجة شديدة لمثل هذه الصحافة الصالحة التى تقوم باصلاح المجتمع فى ضوء تعاليم الاسلام وحسب مناهجه ، كما اننا بحاجة شديدة الى اسكات الالسن الباطلة التى تنفث سمومها فى الصحف والى تخليص الناس من شرور الصحافة الفاسدة التى ترى الاصلاح فى محاربة الاسلام وابعاد الناس عنه .

ثم قلت لسيادته : البلاد الاسلامية اليوم تستهدف لمحاولات نشر اللغة العامية والتشكيك فى السنة النبوية .

فقال : اللغة العربية هى اللغــة التى اختارها الله تعالى لتكون وعاء لوحيــه الذى انزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم « انا جعلناه قرآنا عربيا » فأية محاولة تستهدف زعزعــة كيان اللغة العــربية انمــا تستهدف فى النهاية زعزعة كتاب الله والكيد للاسلام، وقد قامت محاولات من هــذا القبيل اتخذت اشكالا مختلفة وراء دعاوى باطلة مضللة لتخفى وجهها القبيح وقصدهــا السيىء .

فمرة : المحاولات الدعوة الى الاخــذ باللغة العامية بحجة تسهيل الفهم على العامة .. ومنها الدعوة الــى تحــوير الخط العربى او تغييره بحجــة تسهيله علــى المتعلمة والناشئة . ومنها الدعوة الــى نبــذ اللغة العــربية جملــة وتفصيــلا والاستعاضة عنها بلغة اجنبية كما فعل كمال اتاتورك فى تركيا .

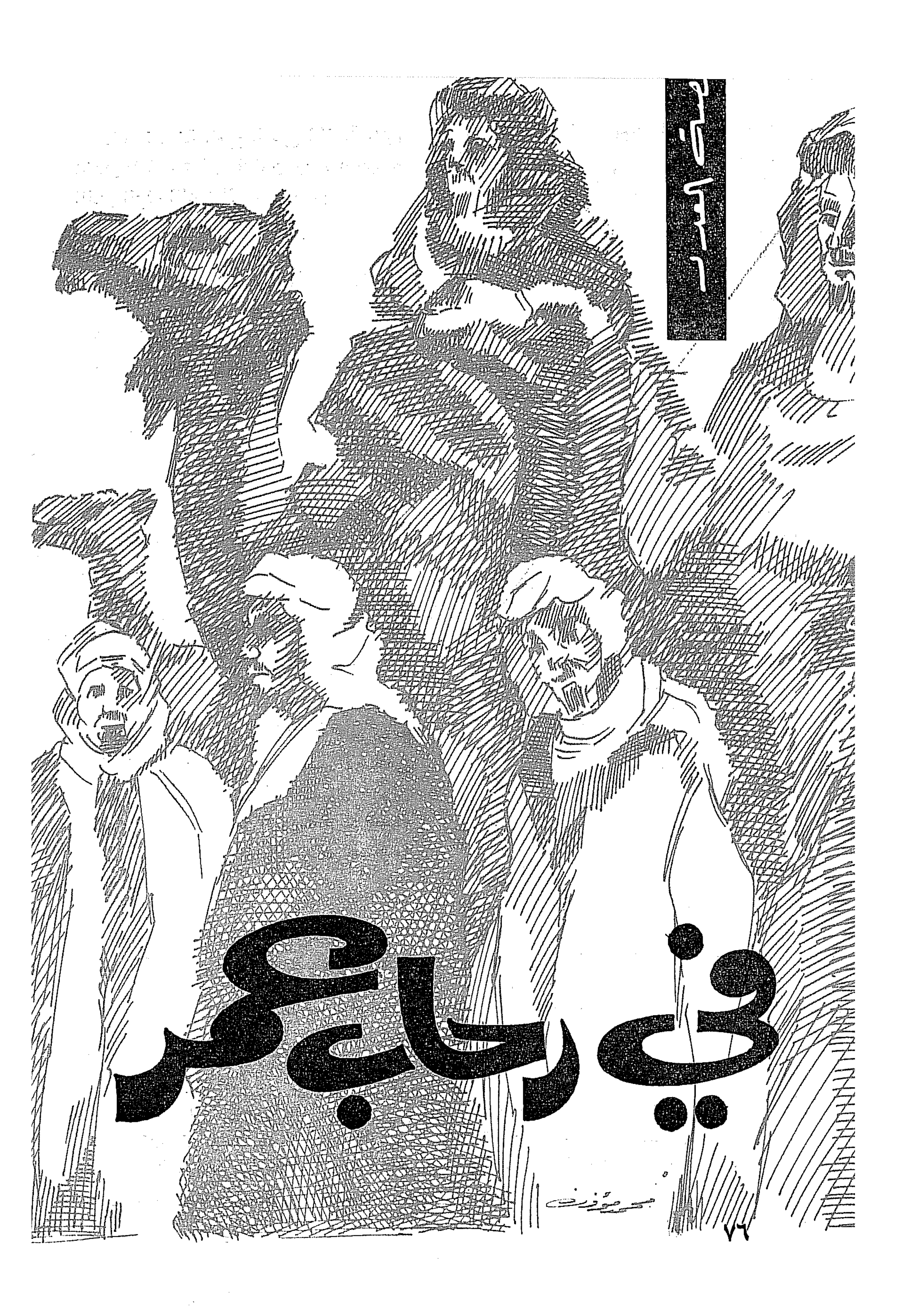
ان الاجهاز على كيان اللغة العربيــة قطع لصلة المسلمين بتراثهــم الاسلامى العظيم الذى تكون عبر القــرون . وان الابقاء على كيان اللغة العربية ابقاء للصلة بين جيلنا وبين تراثنا الاسلامي بينابيعه الاصيلة من قرآن وسنة .

وأما التشكيك فى الاحاديث النبوية الشريفة فهو جهد غير شريف يقوم به نفر من ابناء جلدتنا يتكلمون لغتنا ويتسمون بأسمائنا تبرعا منهم لوجه الشيطان او عمالة للحاقدين على الاسلام ، ومع هذا التشكيك فاننــا واثقون من عدم جدواه وفشــل مسعــاه ، لان صرح الحــديث النبوى الشريف امنع واقوى من ان تنال منه تخرصات المشككين . لقد فــرغ المسلمون منذ الف سنة مــن تمحيص الحديث النبوى الشريف ووضع قراعده واصوله ومعرفة رجاله ،حتى اقاموا علما جليلا لا مثيل له قط عند امم الارض ذلك هو علم الرجال او علم الجرح والتعديل، خدمة لحديث رسول الله من تلفيقات الملفقين وكذب الوضاعين، وقد استطاعوا بهذا العلم الجليــل ان يميــزوا السنة الصحيحة مما سواها واودعوها كتــب السنة الشريفة، وبهذا لم يتحقق الفرض الوضيع الذى اراده كــل وضــيع مــن الوضاعين. فمن اراد اعادة الكرة وترديد ما ذكره القدامى من الخراصين فلن يأتى بتشكيك جديد ،وانما يأتى بنغم قديم بال لم يستطع يوم كان جديدا مجهولا على الناس امره ان ينال من حديث رسول الله ، فكيف يستطيع ذلك اليوم وقــد انكشف امره وبانت حقيقته .

وفى نهاية هذا اللقاء حييت سـيادته باسم المجلة ، واعربت له عــن الشعور الطيــب والاثــر العميق الذى تــركته محاضراته فى نفوس الجماهير المؤمنة .

اعتراف

قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون :
لم نبحث فى الشرق الا عن منفعتنا ، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وأدبهم ، والشرقيون ليسوا من السـذج حتى يعتقدوا بكرم اخلاقنا ، وقد تحققوا بالشواهد اننا نرغب ان نبقيهم ضعفاء .


في رحاب عمر

بقلم

محمد الخضيرى عبد الحميد



فى طريقه الى رحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخذ (عمرو بن العاص) يسترجع فى ذهنه دقاق الفقرات والتفاصيل ، ويستعيد ويتفحص كل « حيثية » من حيثيات القضية الانسانية الصغيرة التي كان قد قبل — بدافع الاشفاق والعطف — الدفاع فيها حتى وان لم يُجْدِ دفاع .. وكان لا بد لـ (ابن العاص) من هذا الاستعداد وذلك الاستظهار . . فانها لكبيرة أن تثار من جديد « قضية عدل » فى ساحة رجل : العدل أسلوبه . . الرجل العظيم الذى هو — فضلا عن مكانته السامية الرفيعة عند نبي الهدى (محمد صلى الله عليه وسلم) فانه وارث العدل ، وممارسة القضاء منذ الجاهلية قبل أن يعمر بنور الاسلام قلبه ، وتضيء بالايمان روحه — وارثه من قبيلته وعن آبائه أنبه بيوت (بني عدى) ، فأبوه (الخطاب) وجده (نفيل) من سلالة عريقة ضاربة جذورها الى أعمق الاغوار فى مجالي الحكم بين الناس .

ولو أن الامر — على صغر القضية — كان سهلا يسيرا لهان الخطب .. ولكن الموضوع يتصل بـ « الحطيئة » .. ذلك من جانب كما يتصل بـ (عدل عمر) الذى لا ولن يوجد من يمارى فيه . . من جانب آخر . فأما (الحطيئة) فهو من هو من سوء فى الشعر ، وسوء فى الطباع ، وسوء فى الخلقة ، وسوء فى .. كل شيء ، أو ليس هو الذى لم يجد يوما « شيئا يهجوه » وآلمه ذلك كثيرا ، كانما لا بد له فى كل يوم تطلع شمسه من « شيء » ينصب عليه هجاؤه المقذع المر . فلما أعياه البحث بغير جدوى وهو يدور حول نفسه فى قلق وحيرة ، اذا به يطالع وجهه هو ، وجههغير الوسيم منعكسا على صفحة مياه بئر ، فتهلل اذ رأى — أخيرا — شيئا مفتقدا ، جديرا بالهجاء .. فقال :

أرى لي وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

بمثل تلك الخواطر والرؤى المستعادة انشأ (عمرو بن العاص) يناجي نفسه ،ويتدبر أمره ، ويقف فى متابعة خفية صامتة على أركان القضية التى أزمع فى يومه ذاك الدفاع فيها أمام عمر ابن الخطاب .

وأما عدل عمر فكيف يكون ثمَّ راد له ، وقد قال قولته ، واطلق كلمته ؟ . . من ذا الذى يمارى فى حكم أصدره (عمر) ؟ . . ان عمر قضى بحبس (الحطيئة) جزاء وفاقا لما نال الناس وأعراض الناس من بذيء لسانه ، ولاذع كلمه ، .. معنى ذلك الا سبيل الى نقض لمثل ذاك الحكم ، أو — على الاقل — (استئناف) ؟ . . لكن . . ماذا لوكان (المدخل) الى (قلب) عمر هو استثارة شفقته واستنفار بره وعطفه، واعادة بسط المصير الكئيب الذى يتعرض له أبناء الحطيئة بعد اذ قضى الامر ، وانتهى الى سجنه الرأى ؟

وعندما كان (ابن العاص) يصل فى ارتياد خواطره ، عودا على بدء ، الى نقطة الاستنجاد بعواطف الرحمة والخير من قلب (عمر بن الخطاب) لا يلبث أن يستشعر راحة ويحس ارتياحا وتفاؤلا ، ثم يوقن من أن (تفاؤله فى محله) وأن



القضية ناجحة كاسبة باذن الله « أوليس (عمر) على ما عرف به وشهر من الدقة البصيرة فى عدالته ، والحزم الواعي الحاسم فى تنفيذها . . هو هو الذى لم يأخذ بـ (حرفية) نص خطير من نصوص الاحكام ، فلم يقطع يد السارق فى عام المجاعة ، رعاية لفعل الزمن ، وتقديرا لحرج الظرف ؟ . . لا لا . . انها والله لسهلة هينة مهمتي عندك يا ابن الخطاب » .

وفي المجلس الذى اعتيد أن يتصدره عمر والذى لم يكن بحال ايوانا ولا روضا .. وانما هي البساطة الرفيعة تأخذ بمجامع القلوب لم يكن « عمر بن الخطاب » حاضرا حين أقبل عمرو .

ووقف القوم من مقيمين ورحل قادمين ، يحيون (عمرو بن العاص) ، تحايا تقدير وحسن احتفاء ، وأخذ هو بعد أن حيا بدوره الحاضرين مكانه ، ثم طعم مما قدم له من تمر وعسل ولبن ، وبعد أن تململ بعض الوقت تضجرا مكبوتا من طول غيبة عمر ، والحاضرون كثيرون ويتكاثرون .. لم يجد بدا من أن يميل على أذن جاره في المجلس ،وكان (اياس بن سلمة) فأخذ يهامسه .

ما على هذا النحو جرت عادة .. أين عمر ؟

عمر ذهب الى بطحاء بعيدة ، يستقبل أحد الولاة !

بخ بخ .. يستقبله بنفسه ، وعلى هذا المدى البعيد ؟ .. ولم كل هذا التكريم ؟

ما هذا هو التكريم .. **بل هو** ــ لو علمت ــ التهذيب الرائع والتأديب العظيم!

فماذا اذن ، أصدقني جعلت فداك ؟

ذلك الوالي العائد ثبتت عليه شبهة **التصرف في مال المسلمين داخل امارته** التي ولي أمرها ، أقول ثبتت شبهة ياابن العاص ولم أقل (تهمة) .. ومن أجل تلك الريب التي أحاطت به استدعاه عمر وذهب بنفسه يستقبله ، ليس عن تكريم، ولكن امعانا في ضمان الاقتضاء . فهناك على المشارف سيقاسمه نصف ماله .. يدع له النصف ، ويضم النصف المأخوذ منه عنوة الى بيت المال .. **تلك** يا صاح ــ حتى على الولاة ــ عدالة عمر .

وتمتم ابن العاص مبهورا (لله در ابن حنتمة) !

وكأنما كانت عبارة اياس تلك الأخيرة ــ عدالة عمر حتى على الولاة ــ معولا قوض دعائم حججه القوية المنمقة ، التي كان من كثرة ترديده اياها في ذهنه يكاد أن يحفظها عن ظهر قلب .. فاذا هي تتخلخل وتضطرب حتى لتوشك أن

تتداعى .. وعاد جاره في المجلس الموقر، يسأله .

ما أراك يا ابن العاص الا ويشغلك أمـر جلـل !

هو والله ذاك يا اياس .

فهات ما عندك ، ان لم يكن سرا من الأسرار ، نقطع الوقت حتى تحين اوبة عمـر ..

وحدثه (ابن العاص) بمجمل الأمـر في كلمات قصار ،بداها بقوله .الحطيئة

قبحه الله ! .. أو قد أصـابك ـ حتى أنت ـ شيء من هجائه ؟ !

لا يا أخي اياس ! .. ولكني أعتزم التشفع لـه !

بالله لا تفعل ! .. دعه في غياهبه ، فلقد أراحنا الله حينا ، نأمل أن يكون طويلا ، من بذيء قوله !

لكن للرجل أبناء ، وأبناء كثار ، يا ابن اياس !

فليعملوا ، والله رازقهم .. اما ابوهم فليتجرع الغصة حتى يتعفف فى مقبل أيامه عن قول الباطل والبهتان .. أو لم يأتك نبأ ما قال في (الزبرقان) ؟!

كان عمرو بن العاص قد علم بنبـأ الزبرقان والحطيئة .. ولكنه لم يرد أن يظهر بمظهر العارف بأمر هذه السـوأة أيضا .. وأدرك محدثه أنه قد لا يكون عليما بها فانطلق يسـرد على مسامعـه خبرها .. و (ابن العاص) ساهم يرسل بصره وذهنه بعيدا بعيدا الى حيث (أبو العدل) الذى خرج بنفسه ينتزع بيده لبيت مال المسلمين حقه !

.. الزبرقان رجل كريم .. وأولى الناس اقرارا وعرفانا بذلك الكرم هـو الحطيئة نفسه ، ذلك الذى جئت ـ يا ابن العاص ـ تتشـفع لـه ! .. كـان الزبرقان قادما الى هنا ، الى رحاب عمر، يؤدى عن صدقات قومـه .. فلقيـه الحطيئـة ، وشـكا اليـه مـن فاقة ومسغبة ، واستنجد به أن يدله على قوم يخصهم بالمدح مدى حياتـه ، فقط يجد عندهم (من يكفيني مئونـة عيالي) ! .. فرق له قلب (الحصين) الذى يكني بالزبرقان ، وأرسله الى بيته بعد أن مناه أنه سيجد هناك لدى زوجه (هنيده) وأمه (أم شـذرة) وعمـه (الفرزدق) فوق المأمول ، مـن كـريم الطعام وحسن الجوار ، وقد كان ... وهنا قاطعه ابن العاص .

لكن مهلا اياس ... مبلغ علمي أن (الزبرقان) أى الحصين ، عاد فأهمله بعد ذلك .

بئس ما قال ان كان هو الذى زعم هذا ! .. انك تعلم ان بني (أنف الناقة) على غير وفاق مع آل الزبرقان ! .. فلم يزل أولاء يحتالون عليه حتى جذبوه الى حمـاهم .. وكـانت (هنيدة) زوج الحصين (الزبرقان) وأمه قد ذهبتا الى النجعة طلبا للكلأ على أن يلحقهم هـو وبنوه لكنه كان تحت تأثير وعود شخص من الحي الآخر يقال له (علقمة) من بني أنف الناقة قد استجاب للاغراء .. ونبذ الموطن الكريم والعيش الرغيد ، واختار جوار (أنف الناقة) ! ..

أهـذا هو الذى أحفظ (الزبرقان) عليـه ؟ !

كلا وايم الحق ! .. فلقد قال لـه الزبرقان بعد أن عاد فعلم بمـا كـان (أفارقت جوارى عن سـخط وذم) ؟ قال (لا) قال (فلك ما شئت) وتركه لحال سبيله ، ورجع الزبرقان الى رحاب الخطاب يطلب ها هنا المشورة .

فكيف كانت ؟

حكم عمر أن يخرج الحطيئة حتى يقوم

لكن مع ذلك ...

صمتا ! .. اصغ الى هدير الابل ! .. لقد عاد عمر !

وكأنما ثغاء النوق آتيا من بعيد ترجع البيداء صداه قدآذن القوم بمقدم الرجل العظيم المهاب الذى كانوا ينتظرون .. فحدثت جلبة وهرج وضجيج .. ثم لم تلبث أن أهلت طلعة (عمر بن الخطاب) فدلف هاشا محييا ، بخطوه القوى ، وهامته السامقة المرفوعة ، ورقته العظيمة ، وبساطته السحرية الآسرة المذهلة .. وذهبت النوق المحملة الى بيت مال المسلمين تودع فيه مالا رأى من بيده مقاليد الامور أن ذاك الوالي الذى أثرى لم يستول عليه بحكم خاصية فريدة فى شخصه وانما هو ثراء (المنصب)، فوجب ـ اذن ـ اقتسامه ، عنوة واقتدارا ، صيحة تقول (من أين لك هذا) ؟! .

وان هي الا هنيهات حتى كان (عمر) قد فرغ ـ بمعهود حصافته ، ومضاء عزيمته ـ من تصريف غالبية القضايا التي عرضت عليه .. والتي كان ختامها حديثا ترفيهيا لطيفا آية في الرقة والطلاوة والعذوبة ، تبادله عمر مع بعض آل هرم بن سنان .. وهم الذين اختصهم الشاعر (زهير) بمدائحه .. فقال لهم عمر وهم يستأذنونه شاكرين في الرحيل .

أما وان زهيرا كان يقول فيكم فيحسن .. فعقب أحدهم يقول :

كذلك كنا يا ابن الخطاب ، نعطيه فنجزل العطاء !

لكن تعقيب « عمر » كان تعقيبا المعيا ذكيا دل على شاعريته وادبيته الى جانب اشتغاله بالحكم وشواغله .. فقد قال .

ذهب .. ما اعطيتموه ... وبقي ما اعطاكم !



في موضع خال بين الحيين ـ حي آل الزبرقان وحي بني أنف الناقة ـ وحده ، ويخلى سبيله ثم يكون جار أيهما يختار .

فاختار أنف الناقة ؟؟

ذلك ما كان ! .. وقال لهم شعرا بين فيه أن مكان (الأنف) من الناقة هو خير مكان .

قوم هم الأنف والاذناب غيرهم
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

واخذ يهجو الزبرقان !

على ما كان منه من بر وكرم وحسن جوار ؟

أو ما قلت انه سوء الطبع يودى بأهله ؟!

هنا فحسب تهلل وجه (عمرو بن العاص) وانبسطت أساريره ، وانفلتت من فيه في همسة جياشة بالاكبارجملته التي كان يرددها في اعجاب عظيم كلما بهره (عمر) .

« لله در ابن حنتمة .. أى رجل أنت » !

وهو قد رأى في اختتام المجلس بتلك الخاتمة الأدبية الشعرية خير (مناسبة) يدخل من خلالها قدماالى بسط قضيته.

وكان (عمر بن الخطاب) قد أشار الى ابن العاص فقربه اليه وراح يحاوره في شؤون الولاية ، حتى اذ فرغ تطرق ابن العاص الى الحديث عن .. عن (الحطيئة) !!

قطب عمر جبينه ، وصمت قليلا ، وهم بالكلام .. ولكن ابن العاص ؟ وقد لحظ يسر المسلك لم يدع له فرصة فمضي يصور بؤس العيال ، ويبين أثر التوبة وأصداء العفو .. حتى اذا توقف ليبتلع ريقه عاجله (ابن الخطاب) بقوله :

لقد أساء الحطيئة الى كثيرين من العرب .. ويسمى بضاعته تلك شعرا .. !

بضاعة مزجاة يا أمير المؤمنين ، سوف يشتغل بغيرها أفضل له ولقومه منها .

جاءني هنا الزبرقان يشكو هجو الحطيئة له، بعدما كان من مكارمه عليه. اليك هذا الذى قاله الحطيئة عن الزبرقان .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي!

يومها قلت (ما أسمع هجاء ، ولكنها معاتبة) ! .. فقال الزبرقان (أو ما تبلغ مروءتي الا أن آكل والبس) ؟ ! ..

وكان الحق بيده ! .. وتلك واحدة من آحاد ! .

ولكن (عمرو بن العاص) ظل يواصل استجداء الرحمة والعفو حتى أمر عمر أن يؤتى بالحطيئة ..

فجيء به.. فوقف خاشعا تائبا كمن تاب وأناب ، وأنشد بين يدى عمر :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ولم يكد يتم الأبيات حتى بكى عمر .. بكى وهو يردد (ماذا تقول لأفراخ)!! ..

عند ذاك قال ابن العاص :

ما أظلت الخضراء ، وأقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة)!

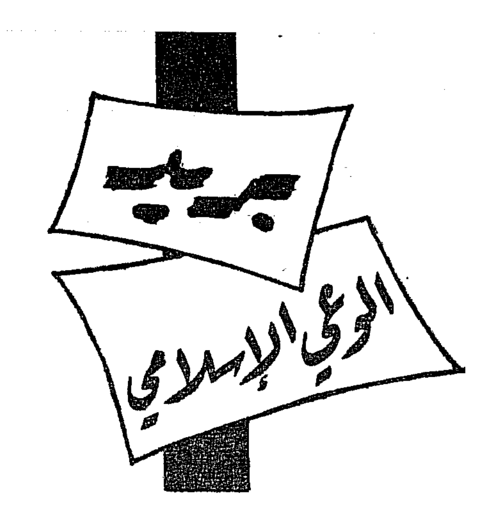
وقال عمر للرجل —

اياك يا حطيئة وهجاء الناس ، والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ، ولكن اذهب ولن يجوع عيالك !

وأمر له بثلاثة آلاف درهم ، عوضا له عن تركه الهجو والهجاء !

ولربما لعاشر مرة ، أو للمرة العشرين في يوم واحد ، قال عمرو بن العاص وهو ينصرف من رحاب الشدة في الحق والنزاهة فى القصد والعدالة فى الحكم .. رحاب عمر بن الخطاب .. قالها وهو يرقأ دمعتي اكبار وانبهار ترقرقتا على خديه قبل ان يمتطي راحلته عائدا بركبه الى مقر ولايته .

« لله در ابن حنتمة .. أى رجل كان » !



الوسوسة لا تضر

أنا شاب مسلم ، أؤدى ما افترضه الله علي ، واتقرب اليه سبحانه ببعض النوافل واجتنب المحرمات ، وأتقي الشبهات ، اللهم الا ما يقع مني لماما دون قصد ، او نتيجة فهم خاطيء ، وهوايتي قراءة الكتب الاسلامية ومطالعة الصحف والمجلات التي تسير في هذا الاتجاه ، وكل عمل اباشره انظر اليه من الزاوية الاسلامية .

ومشكلتي التي تؤلمني اشد الألم ـ انه بدأ ينتابني الوسواس في اعز ما احرص عليه في ايماني ، في عقيدتي ، وقد صدق علي المثل العربي « من مأمنه يؤتى الحذر » وهذا الوسواس لم يصل الى مرحلة الجهر والعمل ، فهو لا يتعدى حديث النفس وخاطرة القلب ، وكلما عرضت لي هذه الحالة تبت الى الله واستغفرته ، واستعذت به .

وكل ما اريد ان اتبينه هو : هل هذا الوسواس يؤثر في ديني وايماني أو يحبط ثواب عبادتي وما هو العلاج الذى تنصحون به . ؟

م ٠ ح
الخرطوم

هذه الوسوسة لا تضرك في عقيدتك ، ولا تؤثر في ثواب طاعتك ، وتخوفك منها ، واستعظامك للتصريح بما يعرض لك من هواجس دليل قوة ايمانك وصدق عقيدتك ، وقد عرضت مثل حالتك هذه على طبيب القلوب والأرواح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولا يثلج صدرك ، ويطمئن خاطرك. روى مسلم عن عبد الله رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة ، فقال تلك محض الايمان.

ومداخل الشيطان الى القلوب العامرة بالايمان كثيرة متشعبة ،والطريق الوحيد لسد هذه المنافذ هي الا يلقى الانسان بالا لما يعرض له في هذه الناحية ، بهذا يفوت على الشيطان قصده ، ويحصن نفسه من أبلسته وفتنته ، وكثيرا ما تعرض بعض الصحابة رضوان الله عليهم لهذه الخواطر ، وهم كما نعلم ارجح الناس ايمانا ،واصدقهم يقينا ،فنصحهم رسول الله بالاعتصام بالايمان ، والتعوذ بالله من كيد الشيطان . عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتى الشيطان احدكم ،فيقول من خلق كذا ، من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ، ولينته (رواه الثلاثة) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتى الشيطان احدكم فيقول من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول الله ، فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسوله .

فلعلك يا سيدى بعد هذه النصوص الصحيحة الصريحة المروية عن رسول الله . تهدأ بالا وتسير في الطريق الذى وفقك الله له ، ثبتنا الله وإياك على الايمان ، وحمانا من كيد الشيطان .

ردود قصيرة

الأخ احمد محمد عبد الكريم ـ القرية ٦ حلفا الجديدة ـ السودان .

نشكرك على تحيتك الرقيقة ونعتذر عن نشر الأبيات التي بعثت بها لعدم صلاحيتها .

السيد مزيد المحمود السليمان المزيد ـ السعودية ـ عنيزة ـ

مرحبا بك ايها الصديق الغيور على دين الله ومحارمه ، وانا نرحب بكل ما تبعث به للمجلة من افكار وآراء تستهدف خير الاسلام والمسلمين .

الجندى عبد الرحمن احمد حمبوز ـ الأردن ـ الزرقاء ـ شارع الملك حسين .

نحييك وأنت في ميدان الجهاد ، ونناشد اصحاب المكتبات والقراء الذين يوجد لديهم العدد العاشر من المجلة ان يبعثوا به اليك على عنوانك .

الأخ عبد الجليل سعيد احمد ـ مطار البحرين الدولي / البضائع الجوية .

المجلة ترحب بجميع ما يرد لها وتنشر ما يصلح للنشر منه ، وهي لا تفرق بين مذهب ومذهب ، ومقترحاتكم موضع الدراسة .

السيد محمد عبد الله احمد ـ عدن ـ شارع العيدروس ـ كريز .

لم يغب عنا هذا الفراغ الروحي الذى يحس به المؤمنون بالتقليد ، ونوجه انظار شبابنا الىالمقالات التي تنشرها المجلة تباعا تحت عنوان الاسلام ورسوله وتعاليمه للأستاذ احمد حسين ، فان فيها ما يعينهم على افحام الملحدين .

السيد احمد بن سعيد ـ مسقط .

يعنى علماء المسلمين في الوقت الحاضربموضوع توحيد الاعياد الاسلامية ، ونامل ان يوفقوا بعد الدراسة الى راى يحل هذه المشكلة .

وتلقينا من السيد / محمد عبد القادر من المنامة بالبحرين الرسالة التالية : ـ

لقد قرأت فى مجلة العربي العدد ٨٥ كلاما ضد الصوفية،حيث تفضل صاحب المقال وهاجم كبار رجال الصوفية كابن العربي والامام الشعراني والامام الجيلي . ومما لا يخفى ان هؤلاء الائمة كانوا حجة فى الفقه مع تعمقهم فى علوم الحقيقة ، ولا اظن انهم يكتبون او يقولون قولا يخالف الشريعة من بعيد او قريب كما ادعى صاحب المقال ، وطالب بحرق كتب الصوفية لكي تنقذ سمعة الدين . ارجو ان تبينوا صحة ما نشرته تلك المجلة .

يا سيد محمد :

ان الصوفية الخالصة منهج فى التعبد انتهجه وينتهجه صفوة مختارة من المسلمين ممن اوتوا حظا من صفاء النفس ورقة الحس وقوة اليقين ، وقد برز من هؤلاء المتصوفين اعلام تركوا آثارا خالدة فى التراث الاسلامي لا تزال مرجع الكثير من العلماء والادباء ، كما قامت الصوفية بجهود كبيرة فى نشر الدعوة الاسلامية فى كثير من بقاع الارض فى آسيا وافريقيا والى هذه الجهود المخلصة يرجع الفضل فى دخول ملايين من البشر فى دين الله .

وهذا لا ينفي ان لبعض الصوفية شطحات لم يستسغها او يهضمها كثير من الناس فعدوها مآخذ عليهم ، كما ان سلوك بعض مدعيها اساء الى حقيقتها وخاصة فى العصور المتأخرة ـ عصور الجهل والفاقه التي ألمت بالأمم الاسلامية فى عهود التخلف والاستعمار .

ولعل هذا هو السبب فيما نسمع ونقرا من شن الحملات عليهم دون تفرقة بين الغث والسمين .

وهؤلاء الاقطاب الذين وردت اسماؤهم فى هذه الرسالة قد تكون لهم عبارات غير مهضومة فى بعض كتبهم ، ولكن ليس معنى هذا ان تشن عليهم وعلى هذه الكتب مثل هذه الحملة التي تنادى بحرقها، والاولى ان تعمل على تهذيب الكتب تهذيبا يبقى على الصالح منها شانها شان الكتب الاخرى فى العلوم المختلفة ، فما من علم من العلوم الا وقد احتوت المؤلفات فيه على بعض الهنات، ولو اتخذنا الحرق مبدأ لكان معنى هذا القضاء على الكثير من تراثنا وهذا كما ترى غير معقول ولا مستساغ .



تحديد النسل . وحد النصل

مصطفى عبد الرازق

تحديد النسل . وحد النصل

بعث الينا الأستاذ محمد احمد فرج الباحث الفني بنيابة كفر الشيخ ج . ع . م بهذه الرسالة .

طلعت علينا مجلة المصور القاهرية في عددين صادرين ليس بينهما كبير وقت برأى لكاتبين لا معين حول تحديد النسل .

والرأى ساقه الاستاذ صالح جودت في عدد المصور رقم (٢١٥٠) الصادر في ٦٥/١٢/٢٤ تحت عنوان « هل نحن جادون في تحديد النسل ؟ » وصل فيه الى فقرة عنوانها « الاجهاض المشروع وغير المشروع » قائلا .. « وأخيرا نصل الى الحل الجذرى الذى سبقتنا اليه الدول التي تعاني موقفا كموقفنا » وفي طليعتها اليابان ، وكانت وسيلتها الأولى في هذا النجاح ، اباحة الاجهاض ، في اوسع الحدود ، ولكننا لا ننادى بأوسع الحدود حفاظا على كيان المجتمع « !!! » بل ننادى به كوسيلة لا بد منها للحد من التناسل في الحدود الآتية . ثم ساق امثلة ثمانية يهمنا منها ثلاثة .

١ ــ اذا ثبت ان الزوج في وضعه الاقتصادى الراهن لا يستطيع اعالة مزيد من الأولاد .

٢ ــ اذا كان للزوجين اكثر من ولدين .

٣ ــ اذا حدث انفصال او طلاق بين الزوجين اثناء الحمل . مما يعرض الولد

المنتظر للضياع والتشرد .. ثم ختم كلمته قائلا وهذا رأى اعرف انه جرىء واحتمل مغبة جراته .. الخ ما قال .

ونحو هذا الرأى اورده الاستاذ فكرى اباظة في عدد المصور الصادر في ٢٨ يناير ١٩٦٦ . وقال انه ينادى به من ثلاثين عاما ــ وهو مخضرم !! ــ فأثبت الاستاذ فكرى بذلك انه لم يستورد رأيه من الشرق الأقصى ــ وهذه حسنة !!

ولنرجع الى الرأى لمناقشته غاضين النظر عن كونه مستوردا . لأن الكاتب ادخل عليه تعديلات حرصا على كيان المجتمع !!! فلم يناد بالاباحة الا فيما ساق من امثلة . اوردنا منها ثلاثة . وكلنا يعرف ان الاجهاض جناية . اذ هو قتل نفس رعاهاالله عز وجل نطفة منذ بدايتها . فقال عز وجل « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » وعلى هذا تكون المناداة به مناداة صريحة بقتل نفس حرم الله قتلها الا بالحق . بل انه اخس انواع القتل .. لأنه قتل جنين لم يرتكب جرما ما . بل ان هذا الجنين قد يكونمفتاحا لسعادة البشرية جميعا .. وهذا يدخل تحت نص القرآن الكريم حين . قال صراحة : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » وقال « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » .

فأية كارثة تصيب البشرية اذا سمحنا لهذه الآراء ان تروج بيننا لنقول للرجل الفقير بادر الى قتل الجنين في بطن زوجتك فسيكون حملا عليك !! ؟ من أين يأكل ؟! . أليس القتل له رحمة ؟!

وكأن السماء لم تعد تمطر . والأرض لم تعد تنبت . وكأننا ضمنا حياة هذا الجنين سلفا ، وكأن العسر قد أصبح ضريبة على هذا الشخص . فلا يعقبه يسر أبدا . وكأن الله عز وجل لم يقل « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » .

ونقول لمن حملت زوجه وعنده ولدان يا للداهية التي دهتك !! ؟ والمصيبة التي نابتك !!! ؟ سيكون اولادك ثلاثة ! قم يا رجل !! بادر وحل مشكلتك !! .. اقتل الجنين، هذا هو الحـــل .

وانت اينها الثكلى ! مالك تتحسسين ظاهر احشائك ؟! ان الجنين يتحرك ؟! دعك من الوفاء ! فالمرحوم تركك عروسا لأشهر قليلة !تمتعى بشبابك !!تخلصي منالجنين.. وانت الأخرى اينها المطلقة انك تحملين مشكلة فتخلصي منها .

.. اقسم لو ان اعدى اعداء الانسان اراد الاضرار به ما دعاه الى اكثر من هذا !!! وان امثال هذه الدعوات ان هي الا حد نصل يساق ضد دعوة تنظيم الأسرة بمنع الحمل . قبل ان يكون جنينا بأية وسيلة من الوسائل . فتنظيم النسل او تحديد النسل قد يكون رأيا قابلا للمناقشة . تترك فيه حرية الاختيار للشخص الذى يريد ذلك دون ضغط او ارهاب .

اما اذا اطلقنا العنان لهذا الشطط في القول حول هذا الموضوع فليس ببعيد ان تسمع غدا من يقول اجمعوا ما زاد عن ثلاثة اطفال في كل اسرة في عربات كعربات الكلاب الضالة لنتخلص منهم بأى غاز سام كي يعيش الباقون في بحبوحة ويسر .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

مصطفى عبد الرازق

وبعث الينا الأستاذ عبد المنعم البحقيرى من نوسا الغيط ج ٠ ع ٠ م بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها : ـ

مرت ذكرى وفاته ٠٠ فتذكرنا رائدا صاحب مدرسة اسلامية حديثة ٠٠ وتذكرنا استاذا للفلسفة الاسلامية تلك الفلسفة التي قد تعرضت للاهمال زمنا طويلا٠

وتذكرنا هذه الذكرى برجل رسم الخطوط الاساسية للفلسفة الاسلامية ووقف في وجه اولئك الذين انكروا على فكرنا العربي الاسلامي قوته واصالته ، وقال موجها قوله لهؤلاء المنكرين (ان الفكر الاسلامي الحقيقي لا يلتمس في فلسفة الفارابي وابن سينا بقدر ما يلتمس في علم الكلام وفي اصول الفقه الاسلامي) ٠

وتذكرنا ذكراه بكفاحه من أجل تحقيق مبادىء أستاذه الامام محمد عبـده بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية فنراه يفعل الكثير من اجل ذلك ٠

واستاذنا يرى ان الاخلاق ينبغي ان تكون فنا للحياة !! بمعنى ان يكون للانسان في حياته خطة مرسومة يسير عليها ، ويحقق اهدافها بعيدا عن الاهواء والانفعالات ، ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة اصبح حكيما ٠

وعلامة الحكمة هنا ما يلازم سلوكه من اعمال طيبة ، بعيدة كل البعد عن اللذات ، او حب المال وغيرها من متاع الدنيا الزائف ، بل الخير عنده هو جمال الروح ٠٠ هو التسامح والحب ٠٠ هو المودة والصلة ٠٠ والهدف الأساسي من كل ما سبق هو الحب الطاهر النقي ٠ البعيد عن المطامع والأغراض ٠

وكم نادى بتحقيق الحب والتعاطف بين ابناء الانسانية ، كما كان يرى ان علاج امراضنا الاجتماعية لا يتحقق الا اذا قمنا باصلاح اخلاقي ، يرشدنا الى الخـير ، ويوجهنا الى الصالح من الأمور ويطهرنا من الحقد وادرانه ، ومن الأنانية ورقها ، وكان يقول في ذلك (يجب ان يقوم بناء المجتمع على السماحة والسلام اى على الشعور باننا جميعا اسرة واحدة متآزرة اصلها واحد ومصيرها واحد) ٠

ولقد اتفق المفكرون على ان مصطفى عبد الرازق كان فيلسوفا على الحقيقة ، او بالأحرى حكيما ، وحياته خير برهان ودليل على ذلك ، فحياته كانت مملوءة بنوازع الخير وبالتسامح والتواضع وضبط النفس والعواطف النبيلة ، ولقد توسم الامام محمد عبده فيه هذه الصفات ، فكتب اليه رسالة يسأل الله فيها ان يديم اخلاصه وحبه للخير ، وان يشد من ازره لدعوة قومه الى العمل النافع ، وطريق الخيروالسلام٠ ولقد قدم لنا الامام مصطفى عبد الرازق عديدا من المؤلفات مثل ((تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية)) ((وفيلسوف العرب والمعلم الثاني)) ((وسيرة الكندى والفارابي)) ((والدين والوحي والاسلام)) ((والبهاء زهير)) ((ومحمد عبده)) ((ومذكرات مسافر)) ((والامام الشافعي)) ((ومذكرات مقيم)) وترجمة فرنسية لرسالة التوحيد ٠

وقوام منهجه في البحث هو الاستقراء الذى يكاد لا يغادر مقدمة من المقدمات الا احصاها وعرفها ، وكانت له قدرة فائقة على جمع النصوص ، فهو صاحب الفلسفة التي خاطبت العقل ، وناصرت العلم ، وقدست الدين ، ودحضت افكار المستشرقين ودعاواهم على الاسلام والمسلمين ٠٠٠ وانتهت حياته ـ لكن افكاره وآراءه وأبحاثه ما زالت وستظل دليلا على الدور الذى قام به الرجل في خدمة الاسلام ٠٠ وخدمة اللغة العربية والفلسفة الاسلامية ٠٠

رحمه الله وجزاه عن الاسلام والمسلمين والانسانيةخير الجزاء

بقية المنهاج العلمي

مهما خفى عن حـال الرواة . وكانهم يطلبون فى البشر عصمة الانبياء كمالا .

ومع هذا فان فى سعة اللغة العربية واساليبها البلاغية شؤونا لا بد من مراعاتها عند دراســة الحديث كمخرج للشبهة ان وجدت ، وما اقل حاجة الانسان للمجاز لان السنة غاية فى الوضوح والاحكـام .

تلك اصول عقيدتنا واحكام شريعتنا نقية قوية الاركان ، شامخة البنيان ، ناصعة نصوعا ليس يحتاج الى بيان .

والآن :

وبعد أن قطعت معك هذا الشوط فى الرد على ما أثاروه من شبهات يحق لى ولك أن نتساءل عن القصد من اثارة مثل هذه الطعون فى وقت نشكو فيه جميعا من التحلل ومن انصراف الناس عـن دينهم ومن الهجمات التى توجه للاسلام من أعدائه؟

يقولون انهم حسنو النية ونحن لا نريد أن نحرمهم من شرف حسن النية ولكنهم اذكياء ولا يفوتهم بحال من الاحوال تلك الآثار السيئة التى تترتب على نشر مثل هذه الطعون .

فهل من حسن النية أن ينشر هذا الطعـــن بالاساليب والعناوين المثيرة التى نشر بها ؟

وهل من حسن النية أن يختار هذا الطعن مادة للاعلان عن المجلة فى الاذاعة والتلفزيون وكثير من الصحف العربية الواسعة الانتشار وفى صفحاتها الاولى ؟ والمجلة توزع اكثر من مائة الف فى العالم العربى . والذين قرءوا الاعلانات عنها يعدون بعشرات الملايين .

لقد التقط الشباب والمنحلون والشـيوعيون وغيرهـــم هذا الكـلام واطلقوا ابواقهـــم واتخذوا منه سلاحا جديدا ينفذون منه لما يريدون أو يجابهون كل من يذكر حديثا عن البخارى بما قرأوا ، وربما زادوا عليه لهوى فى نفوسهم ..

فهل خدم الكاتب الاسلام بما كتب أو خـدم أعداءه المتربصين به ومهد الطريق للمتحللـــين والمستهترين ليزدادوا فى تحللهم واستهتارهم .

وشىء آخر لا بد من حسمه وان كنت قـد ذكرته باختصار أثناء المقـــال .. لقد اعترض المعترضون على ما جاء فى رد الوعى الاسلامى فى العدد السابق من أنه لا يمكن الاعتماد على عقل الطاعنين ودون دراسة وتبصر فما وجه اعتراضهم؟

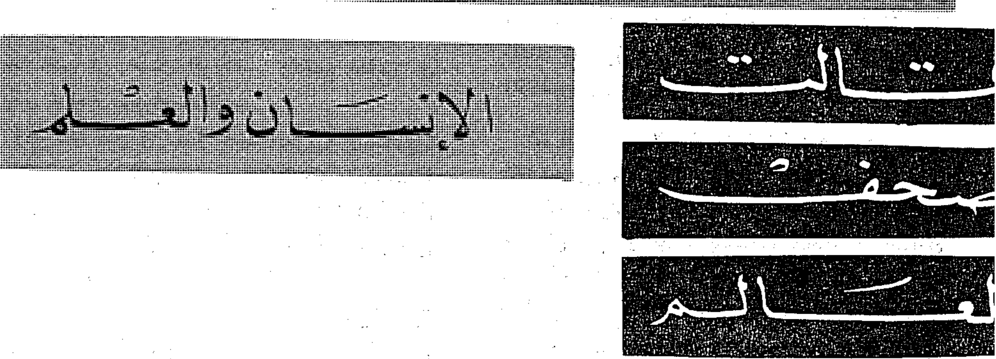
ان العقل فى الاسلام له اعتباره وهو دين العقل هذا صحيح .. ولكن أى عقل ؟ أهو عقل المختصين من الدارسين أم غير المختصين الدارسين ؟ واذا كان كل علم أو فن لا يستطيع الحكم فى قضاياه الا أهله الدارسون له فلماذا تجعل قضايا الدين نهبا مباحا لكل انسان ولو كـان غير دارس أو فاهم ؟ وهل الدين أهون علينا من غيره من العلوم والفنون الاخرى ؟ واذا كانوا يقولون لا رجال دين فى الاسلام فانهم لا يستطيعون ان يقولوا انه لا اختصاص فى فهم القرآن والسنة والشريعة عموما.

واذا كان الكاتب المهاجم نفسه لم يسـتطع أن يدرك مغزى قول السيدة عائشة فى الحديث « كان الرسول يأمرنى فأتزر » ، ولم يدرك الهدف من حرص الرسول على أن تلف مكان الجمــاع بالازار ... ولم يكلف نفسه تتبع بقية الاحاديث فى هذا الموضوع ومنها أن الرسول ـ فيما رواه مسلم فى صحيحه ـ قال حين نزلت آية الحيض « افعلوا كل شىء الا النكاح » . بل لم يكلف نفسه تتبع بقية الحديث الذى اتى ببعضه . وتكملته « وأيكم كان يملك اربه كما كان الرسول صـلى الله عليه وسلم يملك اربه » ومعنى ذلك أنه كان ينام بجانبها ويلاعبها لكنه كان يملك شهوته فلا يجامع . لتدفع عائشة بذلك ما قد يلتبس على بعض البسطاء .

اذا كان الكاتب لم يدرك هذا الكلام الصريح فكيف يريد أن ينصب عقله ميزانا فيما اجمــع العلماء الفطاحل الاتقياء على صحته؟ الا انه الهوى لا العقل ! .. والاسلام دين العقل السليم الدارس لا دين الهوى .

ما كان أغنانا عن هذا كله لو أن الكتاب اتقـوا الله فى حمل الامانة التى حملوها .

رحم الله امرأً قال خيرا فغنم أو سكت فسلم.
هدانا الله واياهم .



مسئولية داروين والأسلحة الذرية والحروب العدوانية عن موجة الالحـاد

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الجمهورية القاهرية في ملحقها الديني تقول :
الانسان كلما توغل في العلم ، تعمق في الايمان والتقوى ، وخشية الله تعالى ، وقد جاء فى كتابه الكريم « ... انما يخشى الله من عباده العلماء ان اللــه عزيز غفور .. »سورةفاطر ولهذا دعا سبحانه وتعالى عباده للأخذ بالعلم وحثهم على الاستزادة منه ، وفي هذا يقول الحق في سورة الزمر « .. قلهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ومع ذلك فمن الغريب ، ان تجد دعاة للعلم في هذا العصر ، يزعمون ان العلم لا يتفق مع الدين .. كل دين ، بل ويمضون في ضلالهم يحاولون ان يتخذوا من تقدم العلم في هذا العصر ، مادة للاستدلال والبرهان على أن الانسان قادر على كل شيء ، بعيدا عن سلطان ربه وارادتــه .

ويرجع تاريخ هذه الموجة من الالحاد المقرون ظلما وعدوانا بالعلم ، الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ظهور نظرية داروين التى ضمنها كتابين ، الأول : عن اصل الاجناس ، وصدر عام ١٨٥٩ ، والثاني عن سلالة الانسان وقد صدر عام ١٨٧١ .

ورغم ثورة الكنيسة على نظرية « داروين » العالم البريطاني الشهير ، فقد انبرى اكثر من عالم يؤيد داروين ، وتزعم الفريق العالم البريطاني الكاتب الكبير « جوليان هكسلي » وهو والد الكاتب المعاصر الاشهر « الدوس هكسلي » الذى مات في العام الماضي فقــط .

وتمادى هكسلي الاب فى دفاعه الحار عن نظرية داروين ، ومن ثم بدات موجة الالحاد ، التي التصقت بالعلم ظلما وعدوانا كما سبق ان ذكرت .

ورغم ان « جوليان هاكسلي » وجد من يجادله ويدحض مزاعمه ، ويثبت له بالدليل العلمي القاطع ان قدرة الله فوق كل شيء ، وانه سبحانه الواحد القهــار ، والخالق الذى لا يمكن ان يشاركه سواه ، رغم هذا فلا زالت هناك ظلال من الشك

والزيغ في قلوب البعض من شباب العلم المخدوعين الواهمين .. وكانت هذه النقطة الاخيرة هي الخيط الذى بدأت به الحديث مع قادة العلم واساتذته .

ونبدأ بالاستاذ الدكتور احمد رياض تركي رئيس المجلس الاعلى للبحث العلمي ، وهو العالم الانسان الذى قدم فجر شبابه في المانيا ، وامضى بها ما يقرب من اثنى عشر عاما ، حتى يتم دراسته الجامعية ودراسته العليا ايضا ، وعاد الى وطنه لا يقرب الخمر ، ويؤدى فروض ربه كاملة ، ولا تقتحم عليه جلسته الهادئه الا وتراه ممسكا بحبات دقيقة صفراء يسبح ربه ويطلب المغفرة والرحمة .. !

قلت للدكتورتركي . هل يوجد فى العلم ما يتعارض مع الدين .. أم ان العكس هـو الصحيح .

وأجاب سيادته على الفور . الحقيقة ان العلم يؤيد الدين ، ويقدم البرهان والدليل على قدرة الله الواحد الأحد ، يثبت ان خلق الكون لا يمكن ان يكون مجرد صدفة ، بل هو نظام متكامل تحكمه قوى هائلة ، تعمل بحساب دقيق منظم . يحفظ لها تناسقا ، وتضامنا ، وتكافلا ، يعجز العقل عن تصوره .

بل هناك ما هو ابعد من ذلك ، هناك تلك الحقائق التي يكشف العلم عنها يوما بعد يوم ، وكانت فى الماضى بعيـدة عن متناول عقـل الانسـان وفهمه ، وامكـن بعد التقدم التكنولوجي الهائل في هذا العصر سبرغورها واكتشاف اسرارها ، هذه الحقائق تؤكد ان معجزة الخلق واحدة لا تتغير في كل صغيرة وكبيرة ، معجزة الخلق في الكون كله ، تتمثل في قلب اصغر وحدة من المادة ، اعنى الذرة .

الانسان والعلم

وطالعتنا مجلة التمدن الاسلامي التي تصدر في دمشق بمقال تحت هذا العنوان للاستاذ محمد كمال الخطيب . يقول فيه :

ان زمننا هذا قد تنوعت فيه الثقافات والنظرات والمصالح والأهواء باحتكاك الامم ويسر التعريب والترجمة ، وانتشار الطباعة والتبادل الثقافي بين الحكومات على اختلاف العقائد والسياسات ، فاصبح الانسان بذلك تلقاء بحر خضم هائل ، ما يكاد يمسك بكتاب حتى تقذفه المطابع بكتب ، وما يكاد يمسك بمجلة حتى تقذفه بمجلات ، وما يكاد يسمع دعاية ثقافية مجردة اولها خبىء من مطامع الدعاة وأهوائهم ونظراتهم حتى تعترضه صحف ودعايات، وفي هذا من الوفرة والخير ما يشبه البحر الزاخر بأمواجه ودرره ووافر صيده واخطار صيده فهو يفيد السباح الماهر والغواص المتمكن، ويقتل الضعيف ويخيف الجبان، فيصبح على طرف الموج همه منخداع الثقافة (شهادة) كاذبة يعلو بها مدارج الحياة، ويتكسب عيشا (بوظيفة) و (راتب)، الى جانب ما تقذفه به الدعاية او تمر به العاصفة العابرة بكلمة تملأ سمعه ، فاذا هو يتقلب تقلب الدعايات يستحسن ما استحسنته ، ويقر ما أقرته ، هذا من اشراط الساعة واخطار الحياة ونكسة الانسانية (يمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح مؤمنا ويمسى كافرا) كما حذرنا ذلك الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان « التعليم » و « التثقيف » الحق بحاجة الى صخرة يرتكز عليها ، وسفينة يمخر العباب بها . ان العالم بحاجة الى هداية وامن واستقرار وطمأنينة ، والقلق يعصف في الأمم والأفراد وهذا من أدق ميزات العصر ، فمتى يجد العالم رسالة المعلم الهادية ..

اننا اذ عملنا بما علمنا الله ، وعلمنا ما سخر لنا الله ، وعلمنا اقدار أنفسـنا ومكانتنا في الحياة فان (من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) وزادنا العلم شرفا ورفعة وتربية وحكمة ، وجلدا وسموا ،وهذا ما نفتقد في تعليم اليوم سيرته ومناهجه.

مواقــف

وكتبت صحيفة الاخبار القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

الشذوذ الجنسي أصبح مشروعا في انجلترا . ياللعار ! الانحلال الاخلاقي اصبح دستورا ! ولا يمكن ان تكون انجلترا قد لجأت الى تشريع الشذوذ الا اذا كان الشذوذ ظاهرة اجتماعية اخلاقية لا يمكن القضاء عليها .

وابتداء من اليوم لن يفصل تلميذ من مدرسة ، ولا شاب من جامعة ولا موظف من عمل، ولا جندى من كتيبة .. فشذوذهم لا يهم اطلاقا .. ولا يهم ابدا شذوذ اعضاء مجلس العموم ولا اعضاء اللوردات .. فالشذوذ سلوك شخصي . وحتى اذا لم يكن شخصيا فهو قانوني !

ولا بد ان يعاد نشر المسرحيات والروايات التي منعتها الرقابة لأنها تصورالشذوذ الجنسي في انجلترا .

ولا بد ان تظهر مسرحية الكاتب الكاثوليكي جراهام جرين ، فقد حذفت الرقابة معظم صفحاتها التى يهمس فيها شاب همسا طويلا فى اذن **شاب آخر** .

ولا بد ان يصدر عفو شامل عن اوسكار وايلد صاحب الفضيحة الاخلاقية المشهورة . الفضيحة التي ختم بها القرن التاسع عشر .. ولا بد ان يصدر عفو آخر عن لورنس العرب وعفو آخر عن جلوب باشا .. فلم يكونوا شواذا وانما كانوا روادا لتشريع الشذوذ الاخلاقي في انجلترا !

ولا بد ان تعتذر الحكومة البريطانية للفتاة كريستين كيلر .. فما الذى فعلته هذه الفتاة ؟ انها كانت ضمن اخريات يعملن في احد بيوت الدعارة الانيقة .. ومــا دامت انجلترا ترى الشذوذ شيئا طبيعيا فكريستين كيلر طبيعية جدا .. والسبب الحقيقي لفضيحة كيلر ليس هو انحلالها الخلقي ، ولكن وقوع وزير الحربية البريطانية فريسة في شبكة الجاسوسية السوفياتية .. فكريستين كيلر وغيرها لسن الا ضحايا ساذجات وقعن في مصايد الجاسوسية .. اما سفالتهن الاخلاقية ، فشيء يوافق عليه القانــون !

ان انجلترا قد دخلت عصرا جديدا عصر الخنافس الذين يجمعون بين الانوثة والرجولة ، انوثة الصوت والشعر والرجولة الفسيولوجية . ان انجلترا اذا كانت قد بدأت تصفية امبرطوريتها السياسية والاقتصادية فانها ولا شك قد فتحت جبهة جديدة من اجل امبراطورية الشذوذ الجنسي ! .

واذا كانت انجلترا قد واجهت هذا المرض الاخلاقى بصراحة ، ولا اقول بشجاعة، وان هذا يدل على الواقعية ، فانها فى نفس الوقت قد استسلمت للأمر الواقع ..

والاستسلام للأمر الواقع ليس شجاعة .. وليس جراة ، وانما هو اقصى درجات الافلاس امام مرض بدأ من عشرات السنوات واصبح مستحيل العلاج .. فلم يملك القانون الا ان ينحنى امام ظواهر الطبيعة .. المنحلة !

استفتاء

أخي ... هذه مجلتك

وأنت مدعو لابداء رأيك

بهذا العدد تقطع المجلة سنة من حياتها الموفقة ان شاء الله .

والنجاح المنقطع النظير الذى لاقته فى سنتها الاولى لا ينسينا أن نراجع أنفسنا وأعمالنا فى هذه السنة استعدادا لوثبة أقوى فى سنتها الجديدة .

ومن حقك بل من الواجب عليك أن تشترك معنا برأيك ، والقاء ضوء على الطريق لنحث الخطى نحو المستوى الذى ترجوه ونرجوه .

اكتب الينا برأيك

ما الذى أعجبك فيها ؟

ما أحسن مقالات قرأتها ؟

ما الذى تحب أن تقرأه ؟

ما النقد الذى تراه وما الطريقة المثلى للعلاج ؟

من هم الكتاب الذين تحبهم ولم تقرأ لهم ، وما عنوانهم وتخصصهم ان عرفته ؟

ما هى اقتراحاتك ؟

ارسل الينا بردك سريعا واكتب على الزاوية العليا من الظرف « المجلة فى عام » .

أكثر الاصوات اتجاها واتفاقا ستجرى قرعة بين أصحابها .

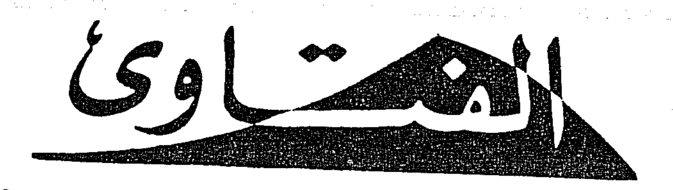
ويمنح الفائز الاول هدية مع اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

والاربعة الباقون يمنحون اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

ويمنح أصحاب الاقتراحات المفيدة والهادفة اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

وتنشر النتيجة فى المجلة والصحف وتذاع بالاذاعة والتلفزيون .

« مجلة الوعى الاسلامى . ص.ب ١٣ الكويت »



الدعاء فى الصلاة

السؤال : —

هل تصح الصلاة اذا دعا المصلي فى سجوده بأدعية دنيوية كأن يقول اللهم وسع رزقى وبارك فى ولدى واشف ابنتى وربحنى فى تجارتى الى غير ذلك .

اسماعيل سالم
البحرين

الاجابة : —

مذهب المالكية ان الدعاء فى الصلاة جائز بكل ما يطلب المصلي مما يجوز الدعاء به شرعا ولو كان الدعاء بأمر دنيوى من اللذائذ والنعيم . والصحيح من مذهب الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

اما الاحناف فانهم لا يجيزون الدعاء فى الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعاشهم الدنيوى .

ونفتى السائل بأنه يجوز الدعاء فى الصلاة بما شرع الله لعباده من المباح والمندوب والواجب كطلب الستر والغنى عن الناس والتوفيق لقراءة القرآن وأداء الحج .

فى الطلاق

السؤال : —

رجل طلق زوجته طلاقا اول ، وقبل ان يردها الى عصمته طلقها مرة ثانية ، ويريد الآن ان يعيدها اليه ، فهل يقع عليه طلاقان ، او طلاق واحد ؟ .

عوضين المبارك
الخرطوم

الاجابة : —

اذا طلق الرجل زوجته طلاقا اول بائنا بأن طلقها قبل الدخول مثلا ، أو طلقها على عوض ولم يجدد لها عقدا ، او طلقها طلاقا رجعيا ولكن عدتها انقضت قبل ان يراجعها ، ثم طلقها مرة ثانية فان الطلاق الثاني لا يلحق الطلاق الأول ، ولا يحسب عليه الا طلاق واحد لان الطلاق الثانى صدر بعد أن أصبحت الزوجة أجنبية عنه .

اما اذا طلقها طلاقا رجعيا ، ثم طلقها ثانية اثناء العدة فان هذا الطلاق يلحق الطلاق الأول لأن الطلاق الرجعي لم يخرجها عن كونها زوجة ، فيحسب عليه فى هذه الحالة طلاقان .

في الميراث

السؤال : —

توفي رجل وترك زوجة وثلاث بنات ، واما وسبعة اخوة اشقاء منهم اربعة ذكور وثلاث اناث ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

محمد الفلاييني
غـزة

الاجابة : —

جميع المذكورين فى هذا السؤال يرثون ، وتقسم بينهم التركة على النحو التالى للزوجة ثمن التركة فرضا لوجود الفرع الوارث وهو ثلاثة قراريط من اربعة وعشرين قيراطا تنقسم اليها التركة .

وللأم سدس التركة وهو أربعة قراريط منها لوجود الفرع الوارث .

ولبنات المتوفى ثلثا التركة وهو ستة عشر قيراطا توزع بينهن بالتساوى،وللاخوة الاشقاء ذكورا واناثا الباقي وهو قيراط واحد يقسم بينهم . للذكر مثل حظ الانثيين .

السؤال : —

توفى رجل عن ابوين وزوجة ، وثلاثة اخوة ذكور ، وأربع اخوات اناث ، والجميع اشقاء فما حكم الشريعة فى تقسيم هذه التركة .

د . سعيد
البحرين

الاجابة : —

لا يستحق الاخوة الذكور منهم والاناث شيئا فى هذه التركة لان الأب حجبهم حجب حرمان . وتقسم التركة على النحو التالي :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث .

وللأم السدس فرضا لحجبها حجب نقصان بوجود جمع من الاخوة، قال تعالى فى سورة النساء (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس . وللأب الباقي فرضا وتعصيبا .

فى العدة

السؤال : —

رجل طلق زوجته طلاقا رجعيا ، وقبل ان تنقضي عدتها منه توفى ، فهل تعتد عدة الرجعية ، او عدة المتوفى عنها زوجها ، ومتى تبدا هذه العدة .

سالم الخزنوى
طرابلس — لبنان

الاجابة : —

اذا طلق الرجل زوجته طلاقا رجعيا ، ثم مات عنها وهي فى العدة ، انتقلت الى عدة الوفاة ، وتحسب من يوم وفاته ، فعليها أن تنتظر أربعة أشهر وعشرا ان كانت غير حامل اما اذا كانت حاملا فان عدتها تنقضي بوضع الحمل .

وانما سقطت عنها عدة الطلاق ، وانتقلت الى عدة المتوفي عنها زوجها لأن زوجها توفى وهي في العدة ، فهي زوجة له لها احكام الزوجية من ميراث وغيره .

● حجرت المحكمة على رجل لعجزه عن ادارة املاكه بسبب فقدان ذاكرته ، واقامت زوجته قيما عليه . ثم حدث ان هذه الزوجة اساءت التصرف في املاك زوجها فهي تزور في كشف الحساب اليومي .

ولهذا الرجل بنتان من زوجة اخرى متوفاة تخشيان ان تبدد زوجة ابيهما ثروته . وقد تركت والدتهما المتوفاة بعض العقارات التي استولى عليها والدهما وباع جزءا منها وسجل الجزء الآخر منها باسم زوجته الثانية .

والمطلوب الاجابة عما ياتي

١ :ـ هل يحق لهاتين البنتين المطالبة بحقهما في ثروة ابيهما وهو على قيد الحياة ؟.
٢ :ـ هل يحق لهاتين البنتين المطالبة بنصيبهما في تركة امهما ؟ .

أ . ش .
الكويت

والجــواب

اما عن السؤال الأول فلا يحق لهاتين البنتين المطالبة بنصيبهما في ثروة ابيهما لانه لا يزال على قيد الحياة .

ولهما ان يرفعا الأمر للمحكمة الشرعية ويطالبا بعزل هذه الزوجة من القوامة على أبيهما للمحافظة على ثروته وستستجيب لهما المحكمة اذا قدمتا الادلة التى تثبت سوء تصرفها .

واما عن السؤال الثاني فلهما شرعا المطالبة بنصيبهما في تركة امهما .

عدة المتوفى عنها زوجها

السؤال :ـ

ما هي عدة الزوجة اذا توفى زوجها ؟

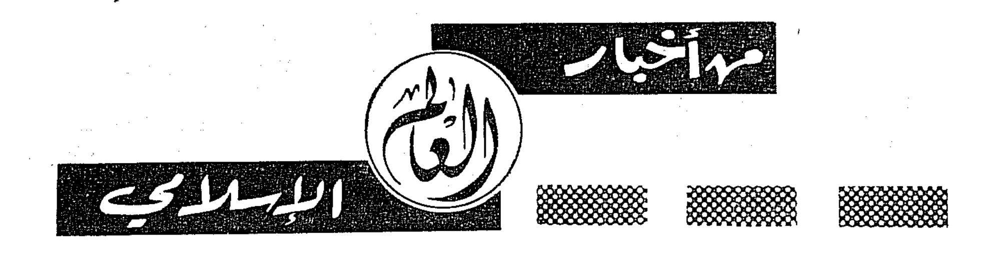
الاجابة :ـ

اذا كانت الزوجة غير حامل وتوفي زوجها فعدتها أربعة شهور وعشرة أيام قال تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا » سورة البقرة .

واذا كانت حاملا فعدتها تنتهي بوضع الحمل من غير تقييد بمدة قال تعالى « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » سورة الطلاق .

أخرج مالك والشافعي وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وابن المنذر عن ابن عمر أنه سئل عن المرأة يتوفى عنها زوجها وهي حامل،فقال اذا وضعت حملها فقد حلت ، فأخبره رجل من الأنصار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو ولدت وزوجها على السرير لم يدفن لحلت ، وأخرج عبد بن حميد في زوائد المسند وأبو يعلى والضياء في المختـار وابن مردويه عن أبي بن كعب قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم « وأولات الأحمال أجلهن ان يضعن حملهن » . أهي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها زوجها . قال هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها زوجها ، وصح أن سبيعة بنت الحرث الاسلمية كانت تحت سعد بن خولة ، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فوضعت بعد وفاته بثلاثة وعشرين يوما ، وفي رواية بخمس وعشرين ليلـة وفي أخرى بأربعين ليلة ، فاختضبت ، وتكحلت ، وتزينت تريد النكاح ، فانكر ذلك عليها ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ان تفعل فقد خلا أجلهـا .

وذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى أن عدة المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين ـ أطول المدتين ـ أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل.



الكويت

* زار حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الأردن بدعوة من أخيه صاحب الجلالة الملك حسين ، تفقد فيها سموه معالم النهضة الحديثة فى البلاد كما زار المواقع الامامية ، ولا شك أن من ثمار هذه اللقاءات العربية الاسلامية الكبيرة الخير كل الخير للاسلام والمسلمين ، وهذه ثاني زيارة لسموه خارج بلاده منذ اختياره أميرا لدولة الكويت ، وكانت الزيارة الأولى للسعودية .

* شكلت لجنة برياسة سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية والمالية للعمل على تنظيم حملة التبرعات لصالح جيش التحرير الفلسطيني ، وأعلن سعادته أن الكويت وضعت وستضع كل طاقاتها وامكانياتها لنصرة القضية الفلسطينية .

* سافر سعادة عبد الله مشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى الرباط لتمثيل الكويت فى احتفالات عيد استقلال المغرب .

* عقد السيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن الدور الكبير الذى تقوم به المنظمة من اجل قضية فلسطين ، كما أشار الى الانجازات التي حققتها المنظمة حتى الآن ، وفى مقدمتها انشاء كتائب التحرير الفلسطينية .

* تلقت الجهات المختصة مذكرة من سفارة الصين فى بغداد أن وفدا صينيا اسلاميا يرغب فى زيارة البلاد لتنمية الصداقة بين المسلمين ، وينتظر ان تتم هذه الزيارة خلال الشهرين القادمين .

القاهرة

* اقامت جامعة الأزهر حفل تأبين لأمير الكويت الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح .. حضره فضيلة الامام الشيخ حسن مأمون شيخ الازهر .. والقيت كلمات من الاستاذ احمد حسن الباقورى مدير الجامعة وبعض أساتذة الجامعة . والقى الاستاذ خالد العدسانى سفير الكويت كلمة شكر فى نهاية الاحتفال.

* من الخطوط العريضة لوزارة الثقافة .. اعداد اكبر مجموعة من الافلام الدينيـة التسـجيلية والدرامية ، وتهدف من انتاج هذه الافلام الرد على كل دعاية صهيونية تبثها اسرائيل فى الافلام العالمية التي تدعو لوجودها واحقيتها فى سلب فلسطين من اصحابها الشرعيين .. وطردهم فى العـراء نـزلاء فى المعسكرات والخيام .

* انتهت الادارة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر من الاعداد للمؤتمر الثالث لعلماء المسلمين الذى يعقد بالقاهرة عقب موسم الحج . وسيدعى اليه ممثلون لعلماء المسلمين فى ٤٠ دولة افريقية وآسيوية وأوربية ، وبينهم بعض الزعماء والوزراء وأساتذة الجامعات . ويتولى أمانته الدكتور محمود حب الله الامين العام للمجمع والمؤتمر ، وسيعرض المؤتمر شؤون ٦٠٠ مليون مسلم فى مختلف انحاء العالم لتوحيد

قواهم الفكرية وأهدافهم ، كما يعرض عليه تقرير للأمانة العامة عن متابعة تنفيذ قرارات المؤتمرين السابقين ، وتقارير اللجان الفرعية عن تنظيم العلاقات الاسلامية واحياء التراث الاسلامي .

* اعتمد مبلغ (٧٥) الف جنيه لمشروع الكتاب الاسلامي ، في الخطة الخمسية الثانيـــة لوزارة الأوقاف .. ستقوم الوزارة بطبع ونشر الكتب الاسلامية ، التي تتناول اصول العقائد والفقه والاخلاق والتاريخ الاسلامي على نحو مبسط يجمع بين النظرة الواقعية والنظرة العقلية الروحية .

كما ستعد الوزارة كتابا خاصا لتقريب العقيدة الاسلامية ونشرها بين مسلمي افريقيا وآسيا .

السعودية

* زار صاحب الجلالة الملك فيصل الجمهورية السودانية تلبية للدعوة الكريمة التي تلقاها جلالته من فخامة الرئيس اسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة واستغرقت هذه الزيارة ثمانية أيام استقبل فيها جلالة العاهل الكبير بالحفاوة والترحاب .

* قامت وزارة الحج والأوقاف بتأمين فرش جديد المسجد النبوي الشريف .

الاردن

* يطالب بعض المسئولين باجراء بعض التعديلات على قانون منع بيع الأراضي في القدس .

ويطلب هذا التعديل ادخال نص صريح على مواد القانون يجيز محاكمة كل شخص يتبين أنه يسيء التصرف في قطع الاراضي التي يمتلكها ، اذ ان القانون خلو من هذه المادة .

وتضمين القانون نصا صريحا لا يجيز بيع اراضي القدس العائدة لمواطنـين اردنيـين خارج المملكة الاردنية الهاشمية .

* تبرع حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت اثناء زيارته للاردن بمائة الف دينار لانشاء معهد لابناء الشهداء العرب .

الخرطوم

* قررت الوزارة السودانية تنفيذ مشروع احياء مصلحة الشؤون الدينية ، وقررت أيضا انشاء مركز تجريبي نموذجي للمحافظة على القرآن الكريم باحدى ضواحي الخرطوم وسيقام مركز اخر بمديرية دار فور

باكستان

* اوصت احدى دور الطباعة الباكستانية على عدد من آلات الطباعة البريطانية لكي تطبع بها الوف النسخ من القرآن الكريم بقصد توزيع هذه النسخ في مختلف انحاء الشرق الأوسط وشمال افريقيا وآسيا .

المغرب

* صرح وزير العدل المغربي بأن المحاكم في المغرب ستوحد توحيدا كاملا وستصبغ بالصبغة العربية

المغربية اعتبارا من مطلع العام الجديد ، وستكون اللغة العربية اجبارية فى جميع الاجراءات والمرافعات عوضا عن الفرنسية والاسبانية اللتين تستعملان حتى الان ، واعلن الوزير المغربى أيضا سلسلة من الاصلاحات دعت اليها حركة التوحيد والتعريب ، ولا سيما وضع نظام جديد بالعربية لاصول المحاكمات المدنية يحترم التقاليد الاسلامية .

اندونيسيا

* لأول مرة يفتتح فى مدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو فى جزيرة سومطرة كلية تربية تعلم الشريعة الاسلامية واللغة العربية فقط . ومدينة فاكن بارو بها كليتان للحقوق والعلوم الفقهية تدرس فيهما اللغة العربية والعلوم الدينية الاسلامية .. وبعد افتتاح كلية التربية اعترفت الحكومة الاندونيسية بأن هذه الكليات تشكل جامعة سومطرة الاسلامية احدى جامعات اندونيسيا .

* دعا أحد كبار المسلمين فى جاوا الغربية الاندونيسية الى مراجعة وتنقيح جمعية القوانين والانظمة التي صيغت تحت الضغط الشيوعي .

نيجيريا

* رفع تقرير عام للجامعة العربية من رؤساء البعثات الدبلوماسية فى نيجيريا قبل وقوع الانقلاب العسكري يتضمن معلومات خطيرة عن زيادة النفوذ الاقتصادى والسياسي للشركات الاستعمارية والصهيونية وسيطرتها على كثير من اجهزة الاعلام . وحذر التقرير من تزايد هذا النفوذ وضرورة قيام الدول العربية باجراءات موحدة لمقاومة النشاط الاستعماري الصهيوني الهدام .

الصومال

* اعلن سفير الصومال فى السودان السيد محمد عبد الرحمن ان ٢٥ نائبا صوماليا قدموا عريضة الى البرلمان الصومالى يطالبون فيها بانضمام بلادهم الى الجامعة العربية .

أخبار متفرقة

(تانزانيا)

* قاطع سفراء الدول العربية فى دار السلام حفل افتتاح فندق ـ كلمنجارو ـ فى دار السلام كمظهر استنكار لقيام اسرائيل بانشاء هذا الفندق .

(كندا)

* بلغ عدد المسلمين فى مدينة تورينتو (٥٠٠٠) . وهم يجتمعون اسبوعيا فى المركز الاسلامى بها لاداء فريضة الجمعة والاستماع الى المواعظ الدينية .

(تايلاند)

* ستنشأ لأول مرة مدرسة اسلامية بتايلاند ستقوم بخدمة ابناء المسلمين فى هذه المنطقة وتدريس اللغة العربية والتعريف بالاسلام .



مكتبة المجلة

أنا والناس

كتاب طبعته دار العلم للملايين ببيروت في ١٧٦ صفحة لكاتبه الاستاذ حسن عبد الله القرشي وهو مجموعة من المقالات القيمة والفصول القصيرة تحمل افكارا يرى كاتبها انها تؤدى دورا في مجال الخدمة العامة الذى نجند لهجميعا كل امكانياتنا ، وندخر له كل طاقاتنا واسلوب الكتاب سهل ممتع يحقق فعلا رأى مؤلفه .

تحديد النسل من وجهة نظر اسلامية

وهو الكتاب العاشر من سلسلة كتب « مختارات اسلامية » التي تصدرها مدرسة الخليلي بالنجف الأشرف ، والكتاب من تأليف الاستاذ عبد الرسول السيد علي خان ، وهو يبحث في مسألة تحديد النسل التي هى من أهم المسائل الاجتماعية التى عني بها الباحثون عناية كبرى بما كتبوه حولها من احكام وآراء . والمؤلف يعالج هذه المسألة من وجهة نظر اسلامية وبروح موضوعية ، وبحث مركز ، يلمس القارىء خلاله رأى التشريعالاسلامي فيها ، والكتاب يقع في ٧٦ صفحة وقامت بطبعه مطبعة النعمان بالنجف الأشرف .

تأملات فى قرآن الله وأوضاع الناس

كتاب يحتوى على ١٩٢ صفحة اهداه الى المجلة مؤلفه الاستاذ محمد محمد ابو علو ، وتناول فيه شرح سورة النور بما تعالجه من امراض اجتماعيةومشاكل نفسية واخلاقية ودينية وسياسية وجد الكاتب انها جديرة بالعناية والدراسة والتحليل ،وقامت مطبعة الفتوحبدمنهور ج . ع . م بطبع الكتاب ونشره .

الاسلام دين هداية

كتاب من تأليف فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب احد العلماء الفلسطينيين المجاهدين ، وهو فصول متتابعة شرح فيها المؤلف بطريقة أدبية دينية آيات من الذكر الحكيم ، رابطا بين الآيات وبين المشكلات ، مبينا لنا كيف قام هذا الدين على الاخاء والسماحة والسلام والعمل الصالح لا على العصبية او الانساب .

والكتاب من منشورات دار الحياة ببيروت ، ويقع في ٤٢٤ صفحة .

محاضرات الاساتذة الزائرين

ان برنامج الاستاذ الزائر الذى تطبقه كلية المعلمين بالكويت صورة طيبة للتعاون المثمر بين دولة الكويت وشقيقاتها العربيات في مجال الثقافة والتربية . فقد ادخلت كلية المعلمين في برنامجها خلال العام الدراسي ٦٤/٦٥ نظام الاستاذ الزائر ايمانا منها بأهمية هذا النظام في تفهم اسس التربية وعلم النفس للجيل الناشىء من معلمى المستقبل ، وحرصت الكلية على دعوة قادة التربية في العالم العربي لالقاء تلك المحاضرات التربوية .

وقد حققت هذه المحاضرات المتتابعة اهدافها المرجوة منها وحرصا من الكلية على ما تحمله هذه المحاضرات من خبرات وافكار جديدة في حقل التربية وعلم النفس رأت ان تقوم بجمعها وطبعها في كتاب حتى يكون نفعها اعم وأشمل ،وقد احتوى هذا الكتاب على تسع محاضرات في ٩٦ صفحة .

للأساتذة الدكتور عبد العزيز القوصي ، والدكتور محمد نسيم رأفت ، والدكتور عبد الله عبد الدايم ، والدكتور محمد خليفة .

وقد طبعته حكومة الكويت طبعا انيقا قيما ، وقامت كلية المعلمين مشكورة باهداء هذا الكتاب الى مكتبة المجلة .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتقاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم :ــ

بغداد : ــ مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

عمـــان : ــ وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

بيروت : ــ دار الصياد ــ السيد رشيد القاضى ــ لبنان .

القاهرة : ــ توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ــ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ــ السعودية .

الخبـــر : ــ مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ــ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

الطائف : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

المدينة المنورة : ــ مكتبة المنار .

عـــدن : ــ وكالات الاهرام التجارية ــ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ــ المكتبة الوطنية وفروعها ــ السيد فاروق ابراهيم .

المكـــلا : ــ مكتبة الشعب ــ ص ب (٢٨) المكلا ــ حضرموت .

دبـــى : ــ المكتبة الاهلية ــ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ــ المكتبة الاهلية ــ السيد حسن قمر سلطان .

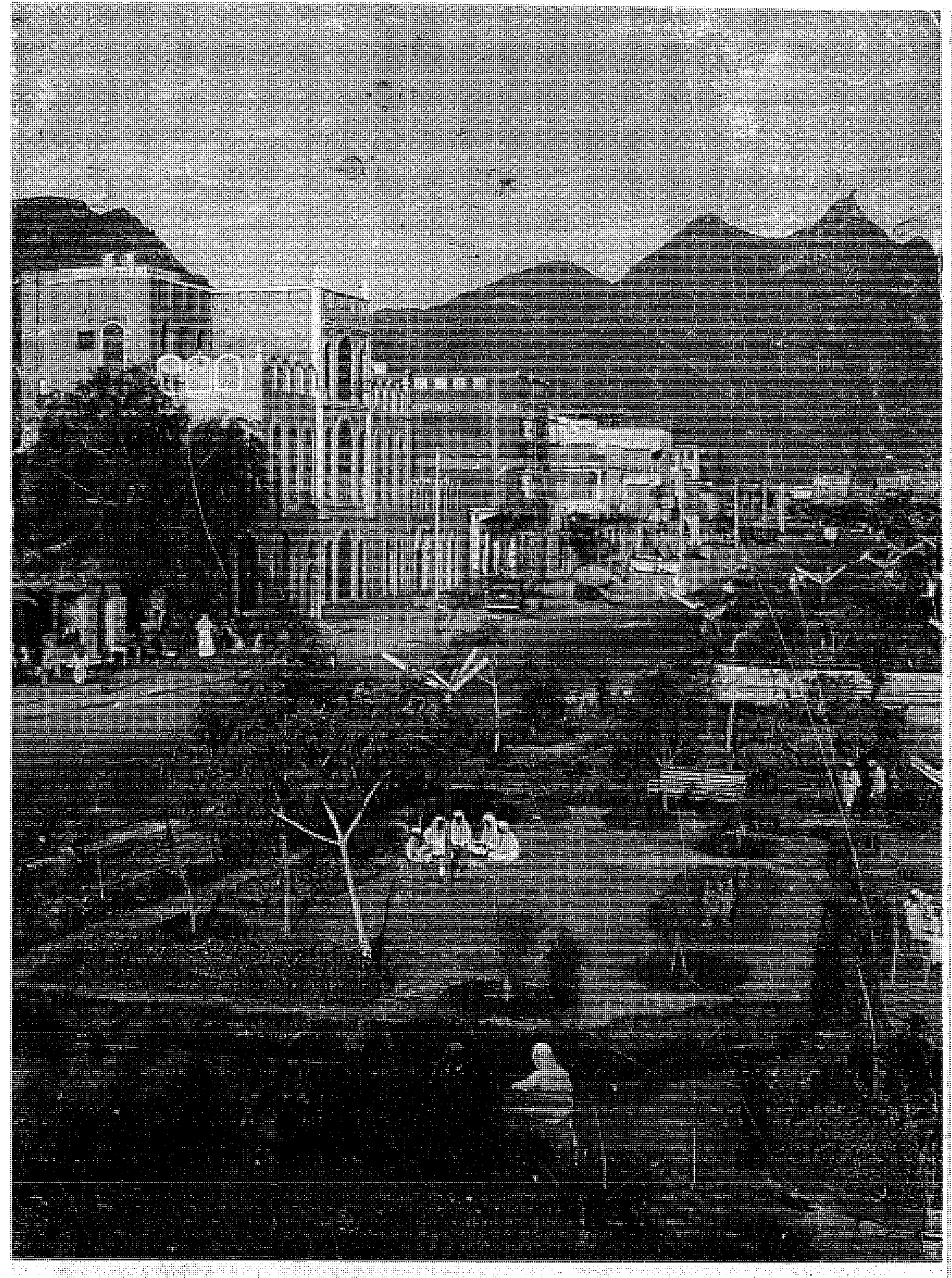
قطـــر : ــ مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ــ السيد أحمد النور علي ــ الخرطوم ــ ص‌ب (١٩٥٦) .

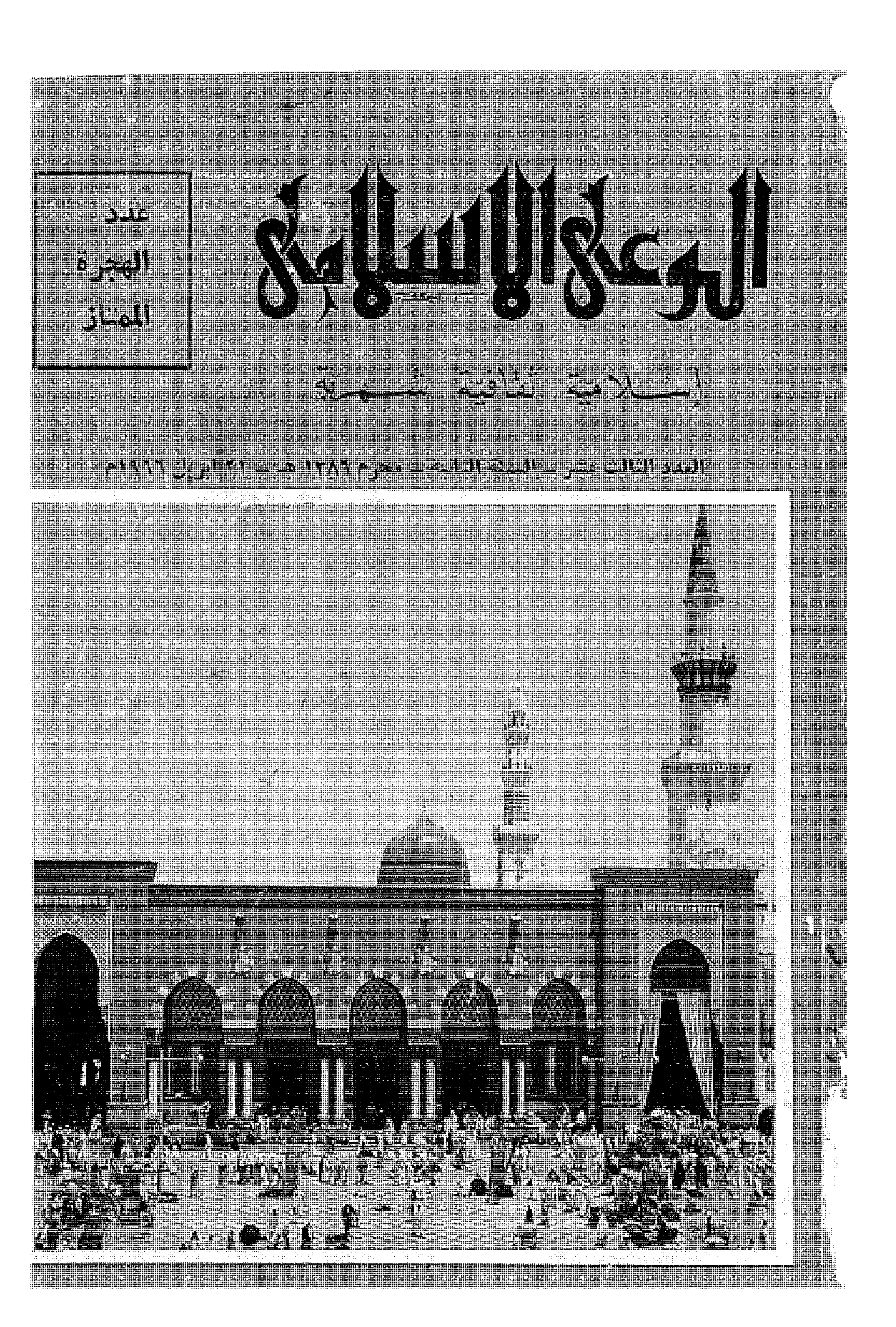
بورسودان : ــ مكتبة كرري ــ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

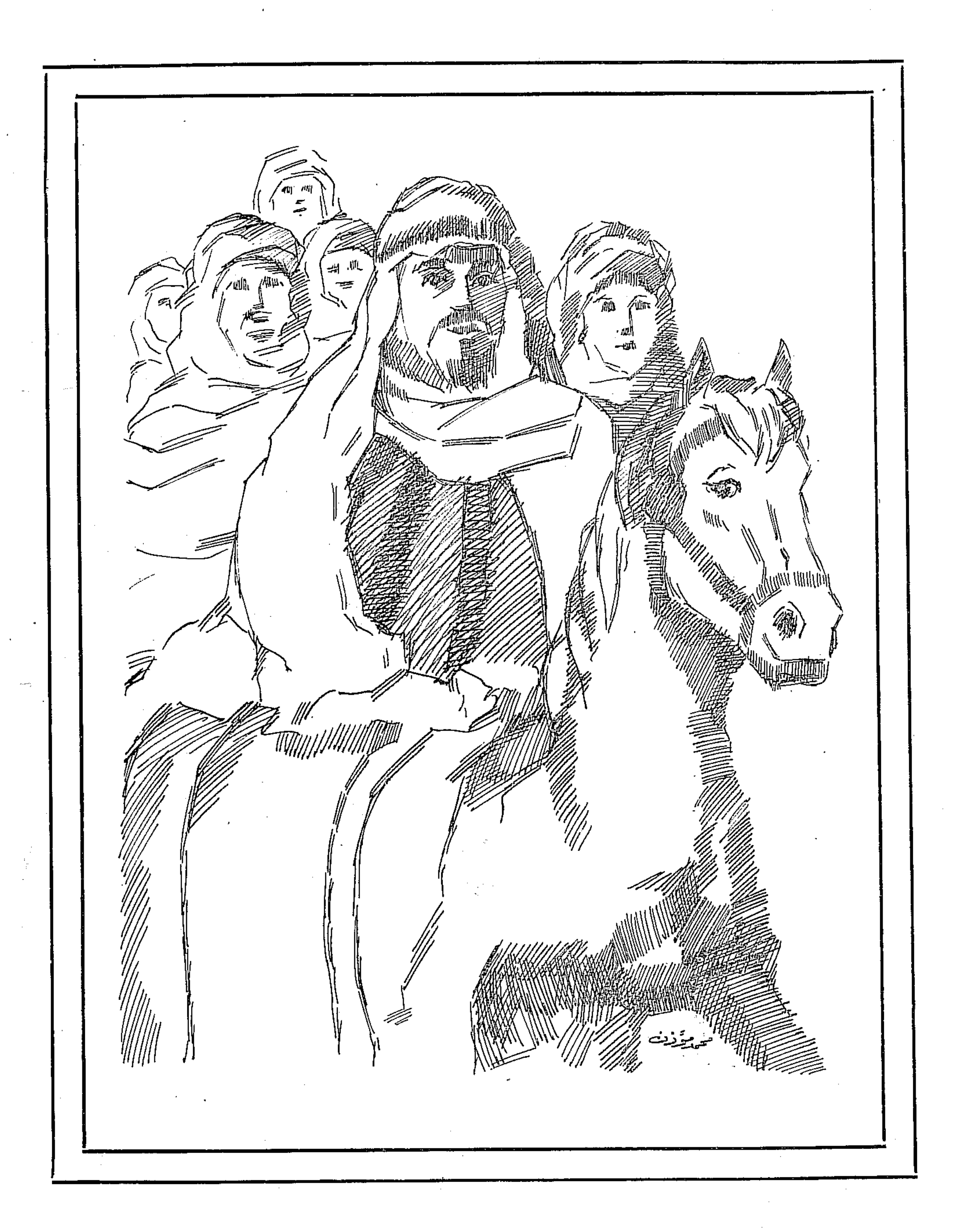
الكويت : ــ مكتب منار للتوزيع ــ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



أحد شوارع مكة المكرمة بعد أن امتدت اليها يد الاصلاح والتجميل


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد الثالث عشر – السنة الثانية – محرم ١٣٨٦ هـ – ٢١ ابريل ١٩٦٦م
عدد
الهجرة
الممتاز



قصة العدد :

اسلام جبلة

ص : ٨٦

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث عشر . السنة الثانية
غرة المحرم سنة ١٣٨٦ هـ
٢١ ابريل ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

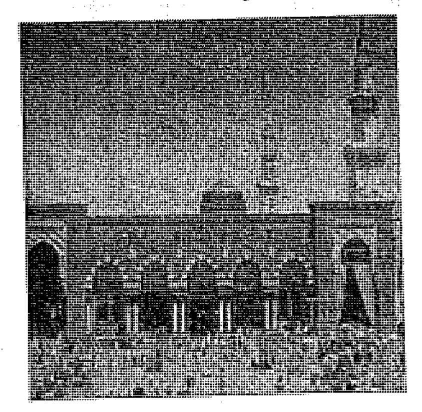
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد النبوي بالمدينة المنورة

الثمن

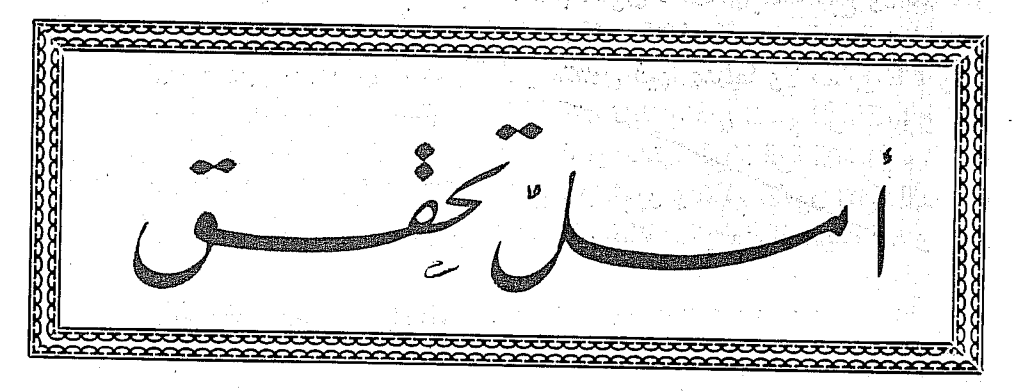
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيآت فقط
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

مع مطلع العام الهجري



للاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم
المشـرف العـام
ووكيل الوزارة

منذ أن بدأت أقرأ كتاب الله الذى أنزله على خاتم رسله وأنبيائه ، وجدتني أحمل حملا قويا على مطالعة أخبار المصطفى الذى أحال الجهل علما ، والضعف قوة ،والتفكك وحدة ، والانانية تضامنا وتراحما ، وجعل مـن الرعاة الضاربين فى متاهات الصحراء قادة للدنيا ، وبناة أجيال ، غيروا وجه التاريخ ، وقسروه قسرا على أن يتحدث عنهم حديث المعجب المفتون ، ساسوا البشرية فى حزم ورفق ، وقوة وتواضع وكياسة وفقه بالامور ، ولم تستعص عليهم مشكلة مهما كان نوعها فى السلم أو فى الحرب ، فى الاجتماع أو فى السياسة ، فى العلاقات الدولية أو التشريع المحلي ، ولم تقف أمامهم عقبة أيا كان مظهرها أو مصدرها •

فقد أوجدوا لكل داء دواء ، ولم يقولوا عن أمر ما : هذا عسير المنال ، أو بعيد لا يطاول ، أو صعب لا يرتقى •

وقف الزمان أمام أفعالهم مبهورا ، وانصاع لامرهم كل باغم وناطق ، وسار ركبهم عبر الاجيال المتلاحقة يحمل المشعل الوحيد الذى يضىء الطريق • فما رأت الدنيا عدلا كعدلهم ولا رفقا فى سلم أو حرب كرفقهم ، ولا برا كبرهم ، ولا رحمة بالضعيف والعاني كرحمتهم ،وكل هذا لا يحتاج الى برهان ليثبت ، ولا الى دليل ليدرك •

فكرت حينذاك ، وكلما مضى بي الزمان ، تعمقت الفكـرة ، ورسخت آثارها ، فساءلت تاريخنا ، كيف بدأ هذا الظل الوارف يتقلص ؟ ومتى أخذ هذا الضوء اللامع يخفت ؟ لماذا تخلت الامة الرائدة عن مركز القيادة ؟ وأين الخلفاء العمالقة الذين هزت اشاراتهم المشارق والمغارب ؟ ووجدت الجواب فى حروب داخلية استعرت حينا أدارها الحقد والكيد ، ولم يطل بي التنقيب حين التقيت بالحروب الصليبية السافرة وجها

لوجه ، وما كتل لها واعد ، وما جيش وجمع ، وشاهـدتها تنهار أمام صلابة صلاح الدين ، وايمان المسلمين .

ولاحقت العدو اللاهث أمام ضربات الحق القوى ، فما وجدته قبع ولا استكان وانما رأيته يجمع فلوله ، ليظهر بأسلحة اخرى أشد فتكا وأقـوى فعالية ، وأضمن نتيجة لما يراد ، وجدته يدخل فى معركة لا يستعمل فيها مدفعا ولا صاروخا ، وانما يلقى فتنة العقائد والمذاهب ، مستترا بالثقافة التي تنطوى على السم الزعاف ، والبلاء المبين ، وبرزت قرون الشيطان من كوى ومنافذ أوصدتها طويلا قوة الاسلام ، ظهرت تتحدث عن الفضائل الانسانية ، وتنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل المقدسات وتنعتها بالرجعية والانتكاسية والتقهقرية ، وما الى ذلك مما يطول الحديث عنه والكلام فيه .

هنا وقفت مليا أرقب الجواء المحيط بناء،فوجدت بلدنا بلدا فتيا قويا لم تدنسه يد غاصب ، ولم تطأ أرضه قدم فاتح مطلقا ، بلد حباه الله سكانا يكونون الدولة فى أكمل مظهر وأجمل سمت وأفضل مخبر ، وهم كالعائلة الواحدة المتماسكة المتحابة المتكاتفة المتعاونة على كل خير ، وقد أفاء الله عليهم فضله فى الجاه والمال والولد .

وتساءلت مرة اخرى ! لماذا لا نخوض المعركة ولدينا أقوى ذخيرة مـن ماضينا وحاضرنا ؟ لماذا لا يفكر المسئولون فى عمل جاد لخدمة الاسلام والحفاظ عليه ؟ . ما الذى يعوق اصدار مجلة تحمل اسم هذه الوزارة معلنة عن رسالتها الطاهرةالسامية ؟

وسعدت كثيرا حين أمكن التغلب على كل العقبات التي أثيرت ، واستعنا بالله مستمدين القوة منه سبحانه : ولتكن اذن تجربة !!.. وظهرت ((مجلة الوعي الاسلامي)) تحمل الزاد الكريم للناس جميعا ، وتنشر الضياء والنور فى حكمة حكيمة ، وقوةحانية وكلمة هادئة رفيقة .. وسارت بفضل الله تشق طريقهـا الى القراء فى أنحاء الوطن الاسلامي ، وصادفت النجاح الذى فاق ما كان يتصوره أشد المخلصين تفاؤلا ... وشجعنا القبول الذى حظيت به والمكانة الكريمة التي احتلتها ، وجاءت الكتب تترى الينا من كل فج عميق تشد عـلى ايدينا تطلب المزيد ، وترجمة مقتبسات منها الى اللغات الاخرى (١)

بث ذلك السعادة فى نفوسنا ، وأشعرنا أن الصيد فى جوف الفرا ، وأن الحقيقة التي لاتمارى هي أن الاسلام فاتح كريم للعقول والافهام على خير ما تريد وما يراد لها .

وها نحن أولاء نعد العدة لزيادة العدد المطبوع للعام الثاني من عمر المجلة المديـد بعون الله تعالى ، معتمدين على الله وعلى جهود المخلصين من أبناء وطننا الحبيب ،وعلى الكاتبين من مختلف ديار الاسلام ، والمحققين من علماء المسلمين .

وحين تودع المجلة عاما وتستقبل آخر ، لا يسعني الا أن أهنىء القائمين على أمور المجلة بهذا النصر المبين ، واسأل الله أن يديم للحق التأييد ، وأن يحفظ لدولة الكويت ترابط أبنائها وروحها الاسلامية القوية ، وسبقها فى كل ميادين الخير والفلاح .

---

(١) فى رسالة واردة الينا من مدير المركز الاسلامى بنيويورك الدكتور محمد عبد الرءوف أن بعض المجلات الامريكية تقتبس من مجلة الوعي الاسلامي الكويتية .

بسم الله الرحمن الرحيم



كل عام وأنتم بخير

وبعد . فهذه مجلتك تخطو الى عامها الثاني من حياتها الممتدة الموفقة ان شاء الله معتزة بما حباها الله من توفيق ، وما منحتها من ثقة .. مستمدة من هذا وذاك نورا وزادا .

نورا يلقي مزيدا من الضوء على طريقها كي تأمن العثار في خطوها ، وتكون أكثر تحديدا وتصويبا لاهدافها .

وزادا يقوي من عزمها ، ويشد من ازرهـــا ، ويساعدها على تذليل المصاعب والعقبات التي تعترضها .. ومـــا اكثر المصاعب التي تقف في وجه كل دعوة جادة ، ورسالة هادفة ، في وقت استمرأ كثير من الناس فيه التمرد على الدين ، والتحلل من القيم ، والعزوف عن كل نداء يحد من نزوات النفوس ، وجموح الشرور ، وتســلط الاهواء .

وما كانت دعوة الاسلام في يوم من الايام الا اصلاحا عميق الجذور يتعهد النفوس بالايمان ، والاخلاق بالاحسان ، والاعمال بالاتقان ، والاهداف بالطهارة ، والمجتمعات بالحب والائتلاف .

وكم يتطلب كل هذا من انتصار الانسان على هواه ، وكم يكلف هذا الانتصار من جهود وتضحيات ومن هنا ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) .

لا اريد يا اخي أن احدثك عن شيء من هذا فانت تحسه وتعرفه ، وتعرف بجوار ذلك أن السير في الطريق المنحدر أمر سهل لا يقتضي عزما .. ولا يكلف جهدا .. وما على الذين يختارونه ممن تصدوا لحمل أمانة الكلمـــة المكتوبة الا مجاراة النفوس في نزواتها ، واشباع غرائزها وشهواتها .. ولا يكلف ذلك الا صورة خليعة أو قصـــة جنسية ماجنة .. ومن وراء ذلك الرواج والمال .. اما ان يتقوا الله في دينهم وفي امتهم فشيء ليس في الحساب .

هذا شيء واقعي تعرفه ونعرفه ، وقد يصيبك او يصيبني بسببه كثير من الاسى والاسف .

ولكن التجربة التي خاضتها مجلتك ((الوعي الاسلامي)) وخضتها معها ، وعشت كل لحظة مرت بها خلال هذه السنة الاولى من حياتها ، تبدد ـ ولله الحمد ـ بعض هذا الاسى ، وتزرع بدله كثيرا من الامل والثقة فى هذه الامة ، وفى معدنها الاصيل .

ان هذه الامة ـ وان علا على سطحها كثير من الزيف ، الذي قد يغرى المزيفين بالمزيد من تزييفهم ـ لا يزال جوهرها الاصيل كامنا فيها ، يثور حينما تستثيره ، ويلمع كلما حركته .

حقيقة وضع كثير من المستغربين المساحيق الغربية على وجهها ، حتى كادت تبدو على غير طبيعتها ، ولكن السأم بدأ يداخلها من طول ما عانت من تزييف وجهها ، ورواج العملة الزائفة فيها ، وظهورها على غير طبيعتها ، فأصبحت من أجل هذا تحن الى أصلها ، وتتلمس الوسائل التي تعيدها الى حقيقتها ، وتردها الى دينها ، وتوقظ الروح الكامنة فى أعماقها .

واذا كان الغرب الذي استوردنا مساحيقه ، وأغرمنا بمظاهره ، قد انتابه السام مما فيه ، وبدأ يبحث عما يبدد به سآمته ، ويوفر له طمأنينته ، فليس بغريب على هذه الامة ذات المعدن الاصيل أن تسارع بالعودة الى روحها ، وتتلمس الهادى على الطريق .

ثم كان حرص المجلة منذ صدورها على أن تستقبلك بثوبها القشيب ، وتطير اليك بجناحين : جناح يخاطب روحك ، ويلهب عاطفتك ، ويستنفر نخوتك . ويستثير فيك الحمية لبعث أمجاد أمتك ، والعيش فى ظلال مثلك وقيمك . وجناح يخاطب عقلك ومنطقك ، ويعرفك بتراثك ، ويكشف لك عن كنوز شريعتك ، وما فيها من أصالة ، وما تكفله لك من نهضة .. وحشدت لذلك كله اخوان صدق فى دينهم وغيرتهم ، من ذوى الاقلام وكبار الكتاب والمفكرين ، من أصحاب الاختصاصات المتنوعة فى جميع الاقطار العربية .. تجاوبوا معنا فى دعوتنا ، وقدموا لك ـ مشكورين ـ نتاج فكرهم ، وعصارة تجاربهم .. وكل ذلك فى حسن تنسيق ، وروعة اخراج ، وجمال طباعة .

ومن هذا وذاك كان سر التقدير الذى لاقته ((الوعي الاسلامي)) فى جميع الاقطار ، ومن كل البيآت ، حتى الذين لم يكونوا يقرأون مجلات دينية كانوا أسبق الناس فى الحرص على قراءتها .

زارني مرة مسئول فى دار المجلة .. فقدمت اليه آخر عدد صدر منها ، ورأيته شبه عزوف عنها .. ونظرت اليه ونظر الي .. وقال : صدقني لا أقرأ المجلات الدينية. فقلت له لا بأس. خذ هذا واطلع عليه . فتناوله وعكف على تصفحه ومراجعة بعض ما جاء فيه .. ثم طلب الاعداد الماضية كلها فاعتذرت .. فقال : سأشكو الى وزير الاوقاف انك تصد الناس عن الاسلام وثقافته !! ولم يخرج الا بما تيسر لنا وجوده من أعداد .

ولقد بلغ حرص القراء عليها اننا تلقينا شكاوى من كثير من البلدان العربية ، حتى من الكويت بأنها تباع فى يوم صدورها بأكثر من ضعف ثمنها ، وجاءتنا رسائل تطلب العدد الاول ، وتعرض دينارين ثمنا له .

وحين كنا نعد العدة لاصدارها ، كان الفتور الذى تقابل به المجلات الدينية فى العالم العربي عادة ، لا يفارق تقديرنا ، ولا سيما فى تحديد الكمية التي نطبعها . والتمسنا متعهدا لتوزيعها ، واتجه نظرنا الى شركة كبيرة للتوزيع ، وأرسلنا اليهـا ، فلم تكلف نفسها حتى مئونة الرد علينا ، ولعلها هي الاخرى كانت تقدر الفتور الذى قدرناه ، ولم تجد ما يغرى فى توزيعها .. حتى صدر العدد الاول ، وتكفلت ((شركة منار)) فى الكويت بمهمة التوزيع .. وكل عدد يصدر منها تتقدم بعـده تطلب زيادة آلاف عما طبع قبله .. ومع طلب الزيادة بيان بأن مجموع دخلها فى كثير من الأقطار لا يغطي أجر شحنها بالطائرة .. ومع ذلك زدنا فى حدود الامكانيات المتاحة لنا ، فلم يكن هدف الوزارة منها ربحا أو تغطية نفقات ، بل كان أداء رسالة سامية تنهض بها .

ومرت الشهور ، وزاد الطلب اضعاف ما نطبع .. طلبت شركة توزيع الاخبار فى القاهرة وحدها عشرة آلاف بعد صدور الاعداد الاولى منها .. ثم زارنا مدير الشركة الكبرى ــ التي لم ترد على رسالتنا من قبل ــ يطلب أن تقوم هي بالتوزيع ، وأن نطبع على الاقل خمسين ألفا لتغطية الطلب عليها ،..ولم يكن قد مضت سنة على صدورها.

مرحى !. فهذا أول شيء من نوعه فى تاريخ المجلات الدينية .. وربما فى تاريخ مجلات تقوم على أساليب الاغراء واسترضاء الجنس !

هل ترى ذلك كله قد جاء اعتباطا ؟ أم أنه تجاوب الارواح المؤمنة المخلصة فى كل ركن من العالم الاسلامي مع المجلة وكتابها .

ليست لدينا صور الاغـــراء الخليعة ، ولسنا نحن ولا الكتاب ممن يستثيرون الجنس ، ويسترضون الغرائز ، ويتملقون الشهوات .. ولكن كل ما لدينـــا دعوة الاسلام الجادة لتطهير النفوس من ضعفها ، والنهوض بالمجتمعات من كبوتها ، ومحاربة الميوعة والتخنث والاستغراب فيها .

وعلى هذه الدعوة الجادة الحازمة الهادفة تلاقت القلوب ، وتنادت الارواح : حي على الفلاح .

ذلك شيء يسرنا ويسر كل مؤمن ، ويزيد من تفاؤلنا بمستقبل هذه الامة ، بالرغم من كل معاول الهدم التي تعمل فيها ، من داخلها وخارجها .. وان كلفنا ذلك مزيدا من الاعباء والجهود ، حتى نكون على مستوى هذه الثقة ، ونزحف بالركب خطوات وخطوات .. ونكسب أرضا جديدة كل عدد .. وكل عام .

وما أسعدنا بالاعباء نحملها ، وبالجهود الشاقة نبذلها ، ما دام ذلك كله فى سبيل الحق الذي نؤمن به ، ومن أجل الامة التي ننتسب اليها ((خير أمة أخرجت للناس)) .

★★★

بقيت لي كلمة مع اخواني الكتاب الذين يستجيبون لدعوتنا ، أو يتفضلون بارسال بحوثهم الينا . كلمة أبدأها بشكرهم جميعا ، ثم أنتقل بعد الشكر الى اعتذار . اعتذار عن عدم نشر بحوثهم فى الوقت الذي يقدرون . انها قد تتأخر أحيانا كثيرة ، لا صدوفا عنها ، ولا غضا من شأنها .. ولكن لطبيعة العمل فى المجلة ، والحرص على ان ننسق

لقرائها باقة مكتملة من كتاب البلاد العربية المتعددة،ومن المعارف والثقافات المتنوعة.. مرتفعين فوق مستوى الخلافات المذهبية أو السياسية .. وقد نقدم موضوعا لاهميته، وانشغال أفكار الناس به ، أو لانه يداوى مشكلة قائمة يعاني المجتمع منها ..او لانه وصل الينـــا فى مناسبته ، وقد يتاخر لان المناسبة فاتته .. ولكنه يبقى لينشر حين تعــود .

وصلنا مقال فى العام الماضي عن الهجرة بعد ان جهزنا عددهـــا .. فبقى حتى نشرناه فى هذا العدد . ومن عادتنا أن نخطط للعدد قبل صدوره بنحو شهرين .

وقد نترك المقال لانه قصير جدا لا يكمل صفحتين ، ولا يرتفـــع لمستوى بحث نقدمه لك حرصا منا على مستوى الكاتب والمجلة ، ونحن بعد ذلك نتقبل بصدر رحب كل عتب ، وبهذه الروح نرجو أن يقدر الاخوان الظروف ويتقبلوا العذر . والقافلة تسير .. وكلنا خدام هذا الركب .. والنوايا الطيبة متبادلة ومتوفرة بحمد الله .

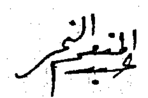
وكلمة اخيرة لكنها ليست بجديدة . انها كلمة انقلها هنا من افتتاحية العـــدد الاول لانني ما زلت مؤمنا بها ، راجيا من اخواننا الكتاب ان يبادلوني رايي فى العنـاية بها : ((ان القراء يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأي الدين فيهـــا . لم يعودوا يكتفون بتقرير أن الدين صالح لكل زمان ومكان . بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك)) .

((ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والاصوليون كتبهم وقواعدهم ... والعقلية الجديدة لم تعد تؤمن بأن باب الاجتهاد قد اغلق للابد ، أو أن الاوائل لم يتركوا للاواخر شيئا كما يقال ..)) ((فأين الاجتهاد اذن ؟ اين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة؟ ذلك هو ما أريد ان يحاوله كتابنا ، وما اريد أن افتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نامل ونرجو)) .

وأزيد على ذلك : الحيرة التي يعيش فيها شبابنا بين عقيدتهم وتشريعهم ، مذاهب غريبة تغزو الافكار ، وتتصل بالعقيدة ، أو بنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، هذه لا بد أن نعنى بعلاجها ، وان نقدم لشبابنا ما يخرجهم من هذه الحيرة ، ويثبت ايمانهم بعقيدتهم وتشريعهم .. ليواصلوا دورهم — حين ياتي — فى تدعيم كيان هـــذه الامة وخصائصها .

ولقد سرني أن يستجيب بعض كتابنا لعلاج هذه الناحية الهامــة فيما نشرناه وسننشره ان شاء الله ، وأحب أن الفت اليه نظر القراء وبخاصة الشباب .

وعلى بركة الله وهديه نشق الطريق . ومنه سبحانه العون والتوفيق .





للاستاذ البهي الخولي

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)) .

ـ ١ ـ

فى هذه الآية الكريمة من عبر الهجرة ، ما يثبت الايمان ، ويزيد المرء بصيرة بتوحيد الله عز وجل ، وثقة بأسرار الحق فى هذا الوجود .

فالله سبحانه يقرر فيها انه نصر رسوله صلى الله عليه وسلم فى ظروف تجمع فيها لعدوه كل ما يعرف الناس حينئذ من أسباب الغلبة ، دون ان يجتمع له منها سبب واحد .. ذلك لأن العبرة ليست بما يجمع الناس من أسباب

ظاهرة ، بل ما يخفي اللـه وراء تلـك الأسباب من عجائب القـوى ، وأسرار الغيب .

ان جهدنا فى هذا الوجود ان نتصرف فيما يبدو لنا من مادته على اختـلاف صورها وألوانها ، وفق ما رسم الله لنا من علم ، وكشف لنا من وسائل .. ولكن وراء المادة وما لها من صور وألوان عالما آخر واسع الآفاق ، عظيم القدر ، حافلا بأسرار القوى ، لا يرى بعين ، ولا يسمع بأذن ، ولا يلمس بيد ، ولا يعلم أحد جند الله فيه الا هو سبحانه .. وتلكالأسرار والقوى انما هيأمر مسخر لكل من عرف الحق ، واتخذ كل سبيل لنصرته .

— ٢ —

نعم هي أسرار مسـخرة لتأييده لا محالة . ما دام قائما بأمر الحق ، آخذا له بكل ما استطاع من سبب .. وهي فى الشدائد بوجه خاص ، جند مسـخرة لنصرته وتلبية مشيئته ، وجبر ما نقص من أسبابه وعدته ، فاذا لـم يسـتطع حشد الكثرة الكاثرة — مثلا — لمواجهة عدوه ، قامت هي له فى الخفاء مقـام الكثرة ، وما فوق الكثرة ، وتولت عنه علاج عدوه بما لا ترى العين ، ولا تسمع الأذن ، فاذا هو من حيث لا يدرى ، قد بطل كيده ، وضل تدبيره ، وختم على سمعه وقلبه ، وصار فى أيدى جند الله كالدمية الجامدة ، يصرفونها على حسب مشيئته سبحانه .

وذلك هو ما نقرأه فى عبرة الهجرة ، اذا كان العدو بخيله ورجله قد أحال مكة كلها ، وما يحيط بها من بطاح وهضاب ، ميدانا لمعركـة رهيبـة تطلب دم النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس معه مـن الاعوان سوى رجل واحد — وليس اقل فى العدد من واحد — لتسـلم العبرة ، ويقوم الشاهد أقوى ما يكون على ان الباطل لا حجة له مهما يكن عدده ، وأن الحق هو القوة الغالبة مهما يهن فى رأى العين شأنه ونصيره ، وذلك قول اللـه سبحانه « الا تنصروه فقد نصر الله » .

متى ؟ ! .. « اذ أخرجـه الذيـن كفروا » .

فى كم رجل ؟ ! .. « ثاني اثنين » .

ولكن اين المعركـة هنا ؟ .. وأيـن مظاهر النصر ؟ .

ان النـاس قـد اعتادوا الا يعترفوا بنصر ، ولا يقروا بمعركة،الا اذا شاهدوا جمعـين يلتقيـان ، فيغلب احدهمـا الآخر ، ثم يستخرجون من بعد ذلك مـا شاءوا من عبر النصر ، او نتائج الهزيمة . وهذا فهـم سـاذج ، وتقديـر فيـه قصور ، فان الغلبة فى الحقيقة ، انما هى غلبة فكـرة لفكرة .. ورأى لـرأى .. وعقيدة لعقيـدة ، وليس ضروريـا ان تلتقى الجنود ، ولا ان تقـوم المعـارك ، وتزهـق الأرواح ، وتتناثر الأشـلاء .

ان العبـرة فى النصر ان تغلب ارادة ارادة ، وأن ترجح وجهة نظر على وجهة نظر أخرى .. وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يهاجر .. وأراد الكفار ان يمنعوه مـن الخروج ، ويقهـروه على ارادته تلـك ، بالقتـل ، أو بالحبس ، وجمعوا لذلك من الرجال والسلاح مـا جمعوا ، ورصدوا له من الأمـوال مـا رصـدوا .. فماذا كانت النتيجة ؟ . هل نفعهم ما جمعوا ورصدوا ؟ .. الم تنتصر ارادة النبي وتنهزم ارادة عدوه ؟ .. الم تنفذ وجهـة النبـي ، وتنتكس وجهة عدوه ؟ .

لو أن ظروف النبي صلى الله عليـه وسلم امكنته ان يلقى تلك المعركةفيامثال عدتها من الـرجال والسـلاح ، ليغلب هؤلاء على ارادتهم ، ويمضي الى هجرته

التي أمر الله ، فماذا كنت تقدر لتلك المعركة من الرجال والمال والسلاح ؟ وماذا كنت تقدر لها من خسائر الضحايا والجرحى والمشوهين ؟ .

انك قد تبالغ فى تقدير حاجة المعركة الى الرجال ، وكثرة ما يكون فيها من خسائر الأنفس والثمرات ، وقد تذهب الى التهوين من امر ذلك كله ، وتنزل بتقدير عدد الرجال والخسائر التي تنجلي عنها المعركة الى اقل عدد يسيغه العقل المنصف ، او المكابر ، ولكن مهما تذهب فى تهوينك ، ومهما تنزل فى تقديرك ، فانك لن تبلغ ان تقول انه يكفي لمواجهة تلك المعركة ، وتنحية المشركين من وجه الهجرة ، وردهم على أعقابهم خاسرين ، لن يبلغ بك ان تقول انه يكفي لمواجهة ذلك كله رجل واحد ، وأنه لا يكون هناك من الضحايا أو الاصابة شيء مذكور .

وهذا هو لباب العبرة ، وسر تدبير الحق سبحانه من وراء الأسباب ، فأعز عبده بغير جند ، ونصره بغير معركة ، وكثره بغير عدد ، وهو من فقه الايمان ، وعجائب تصريف الحق فى عالم الخفاء ، التي تطالعنا من ثناياه قوله جل شأنه « الا تنصروه فقد نصره الله .. اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

— ٣ —

ونرى الآية الكريمة تمضي فى تجلية عجائب النصر ، فلا تكتفي بتقرير هوان الكثرة المبطلة ، بازاء القلة المؤمنة ، بل تعرض لأمر آخر لا يقل عجبا عن سابقه ، فتتحدث عن « استراتيجية » مكان المعركة ، وتبين أن العامل «الاستراتيجي» كان فى صالح الاعداء ، ولم يكن فى صالح الطرف الآخر بوجه من الوجوه .

فمن المقرر فى الحروب أن احد الخصمين اذا سبق خصمه الى احتلال أصلح المواقع ، واضطره الى النزال فى اماكن غير صالحة لتحركاته ، كان ذلك من عوامل النصر للسابق ، وعوامل الهزيمة لخصمه .. ولكن حين يحتشد الباطل لمنازلة الحق ينسخ الله كل ميزات « الاستراتيجية » اذا كانت ضد اهل الحق .. ولم يكن فى معركة الهجرة اضيق من غار ينزله احد طرفي المعركة ، ليقيم الله منه الحجة الباقية على ان قوانين الزمان والمكان ، انما تعمل بمشيئته سبحانه ، لا بمشيئة الطغاة من اهل الباطل ، فلقد كانت بطاح مكة ورباها كلها ، ميدانا حرا لتحركات العدو ، وكان الغار الضيق فى متناول ايديهم وتحت ابصارهم .. وهو بعد غار ضيق لا مجال فيه لحركة دفاع او هرب ، وما كان عليهم الا ان يمدوا ايديهم فيستولوا عليه ، ويأخذوه اخذا هينا سهلا ، ولكن هيهات لما يريدون ، فقوانين السماء تنسخ قوانين الأرض عندضرورة الحق ، لتنبعث آية النصر متحدية باذن الله كل تنظيم مكاني ، ناطقة بأن الحق وحده ، هو القوة الفاعلة الغالبة فى هذا الوجود ، وأن الباطل ان هو الا صور من الوهم ، لا سند لها ولا قرار ، وهو ما تقرره الآية الكريمة فى شأن الغار بقوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

فى أى مكان ؟ ..

« اذ هما فى الغار ! » ..

وكتاب الله الذى فصله على علم ، ما كان ليذكر كلمة الغار سدى ، ولا جزافا ، فهو المنزه عن اللغو والحشو ما ذكرها

سبحانه الا ليرفع منها علم هذه العبرة ، ليزيد العقول والقلوب علما بسعة تدبيره جل شأنه .

— ٤ —

ويمضي القول الكريم بعد ذلك ليقرر ان الرسول عليه الصلاة والسلام،اذ فقد فيهذهالجولة صلاحيةالمكان،وعامل الكثرة العددية ، فقد عاملا آخر ، لا غنى عنه في أية معركة ، هو عامل السلاح في الوقت الذي تسلح فيه عدوه بكل ما رأى من عدة كافية .. فاذا صار المرء المؤمن الى مثل هذا الموقف الاعزل المحصور ، تولته مقادير الله بما لا يدور في خلده من تدابير النصر ، فيشعر أنه من رعاية الحق في حصن أمنع من كل حصن ، وأنه من اعتزازه بحقه في امضى منعدة الكمي، وهذا هو بعض ما يطالعنا من نور قوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » .

وسر النصر كله في قوله تعالى « ان الله معنا » .

فلقد قلنا ان النصر يتبين في ظهور فكرة على فكرة ، ورأى على رأى ، وارادة على ارادة ، وذلك هو النصر في الأمور الجزئية ، ووقائع الصراع في سلسلة الجهاد الطويل ، اما النصر العام والقاعدة الكلية له ، أن يوفق المرء الى اعتقاد الحق ، والعمل له ، كما ان الخذلان العام ، والقاعدة الكلية للدمار ، أن يوكل المرء الى اعتقاد الباطل ، والعمل له .

ذلك ان الحق هو السر الذى قام به الوجود .. واذا تسامحنا في التعبير قلنا أن الحق هو المادة التي صور بها او صور عليها هذا الوجود ، ولكنه مادة غير مشاهدة ، وسر غير منظور .. فمناعتقد الحق فقد اسكن قلبه سر الحياة .. والقوة ، وبنى وجوده الحسي والمعنوى على الأساس الذى لا تعترف قوانين الوجود بسواه ، وذلك هو النصر كل النصر .

اما الباطل فهو وهم من تخيل الامزجة الفاسدة ، والعقول المضطربة ، وصور حائرة لا قرار لها ولا سند كما قدمنا . فمن ذهب هذا المذهب من الباطل فقد أبعد عن الحق ، وقطع نفسه عن موارده وأسكن قلبه سر البوار والكساد ، وذلك هو الخذلان الحق ، والهزيمة شر الهزيمة ؟ .. وقد نعى الله على قوم انهم أبعدوا عن الحق وناوأوه ، ووصف فعلهم بأنهم انما يهلكون انفسهم ، ولا يخذلونها فحسب ، وذلك قوله تعالى « وهمينهون عنه وينأون عنه ، وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون » .

ولقد تخلف الأعراب عن رسول الله في غزوة الحديبية ، وأعدوا في انفسهم ما يعتذرون له به ، فكشف الله له حقيقة امرهم ، وبين انهم ظنوا ظنونا سيئة ، واعتقدوا امورا باطلة زينها الوهم في صدورهم ، فأورثتهم الهلاك والبوار ، وهم ما يزالون احياء بين الناس ، وذلك قوله سبحانه « بل ظننتم ان لن ينقلب

الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء ، وكنتم قوما بورا » (... أى قوما هالكين ...) .

فاذا قلنا ان حقيقة النصر ، ان يعتقد المرء الحق .. وأن حقيقة الخذلان ، أن يوكل المرء الى الباطل فانما نصيب الحقيقة التي قررها كتاب الله عز وجل .

ولقد كانت كل حقائق النصر تزدحم فى وجدانه عليه السلام وهو يقول لصاحبه « لا تحزن ان الله معنا » وليس ادل على اعتقاد الحق فى اصفى صوره واعمقها واقواها ، من شعور المرء بمعية الله سبحانه ساطعة فى وجدانه ، ماثلة فى كل اقطار وعيه وحسه، تهون له كل ما عدا الله من جند او سلاح ، وتقر فى ادراكه يقين النصر ، ومدد المعونة فيقول « حسبنا الله ونعم الوكيل » اذا قال له الناس « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .. » او يقول اذا اجتمع العدو حول غاره وأوشكوا أن يطبقوا عليه « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » « لا تحزن ان الله معنا » ذلك درس عميق من معانى النصر يجب ان نعيه من عبر الهجرة .

— ٥ —

وبعد فاذا تلونا هذه الآية الكريمة فى ذكرى الهجرة او فى غير ذكراها ، فلنلحظ ان الله سبحانه كرر كلمة « اذ » ثلاث مرات .

اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ..

اذ هما فى الغار ..

اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ..

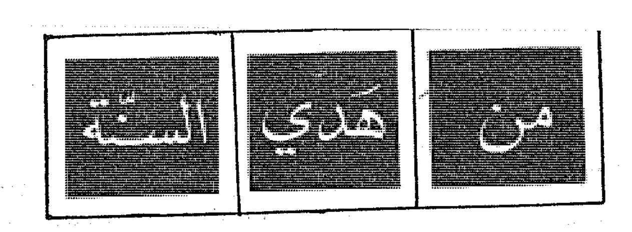
لينسخ فى الأولى عامل الكثرة العددية اذا كانت مبطلة .. وليبطل فى الثانية لعبده المؤمن المضطر ما يسمى « باستراتيجية » المكان .. ولينبه فى الثالثة الى ان حقيقة النصر ان يوفق المرء الى اعتقاد الحق والعمل به ، وأن كل ما عرف الناس من الوان السلاح ووسائل القتال انما هي فى نظر المؤمن ادوات مغلولة معطلة بازاء ما يملأ قلبه من ثقة بربه عز وجل .

نعم فلنلحظ هذا ، ولنعلم الى جانبه ، أن الله لا يعطل القوانين ، ولا يبطل السنن لأهل الكسل والتشدق بمعانى الايمان .. فان ايقاف السنن وخرق العادات امر خطير جليل لا يطوعه الله الا لمن مسك بالحق ، وأقام معالمه فى نفسه ، وغلب سلطانه على هواه ، وسخر له وقته ، وماله ، وعلمه ، وعقله ، وجوارحه ووجوده كله .

ان الحق هو حبل الله المتين ، الذى تحرك به فى السماء ما شاء الله من مقادير ، وسنن ، وجند ، وأسباب ، ولكن اذا عرفناه حق المعرفة وصبرنا عليه ، وجاهدنا فيه حق جهاده .

****

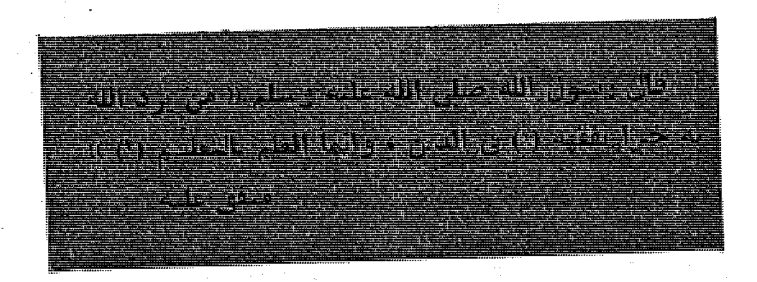
نسأل الله سبحانه أن يبصرنا بالحق ، ويهب لنا العزيمة عليه ، والحياة له وبه ، والممات فى سبيله ، انه سميع قريب ، مجيب الدعاء .



الفقه في الدين

المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاماً

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية



تمهيد :

١ ــ الدين الاسلامي الذى أوحاه الله سبحانه جملة وتفصيلا الى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، هو خلاصة ما بلغه رسل الله عليهم السلام من قبله، (٣) فجميع الشرائع التى جاءوا بها تنص صراحة على توحيد المعبود ، وافراده بالانقياد له ، والخضوع لجلاله ، وان بدا واضحا شيء من الاختلاف فى بعض التكاليف وصور الأعمال . فالمسلم الواعي العامل بدينه ، هو من خلّص قلبه من شوائب الشرك . وأسلم وجهه لله رب العالمين (ومن

(١) الفقه : بكسر الفاء العلم بالشيء والفهم له ، والفطنة .. وغلب على علم الدين لشرفه . ويقال : فاقهه ، باحثه فى العلم ففقهه ، غلبه فيه . (والدين) : بتشديد الدال (المهملة) وكسرها ، من استعمالاته ، انه يطلق اسما لجميع ما يتعبد الله عز وجل به ... وفى الحديث الشريف : كان النبي صلى الله عليه وسلم على دين قومه ، أى على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحتهم وبيوعهم وأساليبهم .. الخ .

(٢) فى اللغة . علم الرجل علما ، حصلت له حقيقة العلم ، وعلم الشيء عرفه وتيقنه وعلم الامر، أتقنه ، وهو فعل مطاوع ، يقال : علّمته فتعلم .

(٣) قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ....) ١٣ سورة الشورى .

أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) .

٢ ــ والله تبارك وتعالى عليم بما ينفع العباد وما يضرهم ، وخبير بما يدفعهم قدما الى ما يسعدهم فى الآجلة والعاجلة ، وما يعوق سيرهم ، وينحرف بهم الى جادة المغضوب عليهم والضالين ، وما يتردى بهم فى هاوية البغضاء والأنانية المقيتة القاتلة ، ويفسد جواء حياتهم بالحقد والتنافر والتعادى والتشاحن ، ويحيل المقام على الأرض جحيما وعذابا اليما . فتتبدل نعمة الله كفرا . ويئول أمر البشر الى بوار ودمار ، وما كان الله جلت قدرته ليترك الخلق سدى بددا دون هداية ، عباهل مباهل بلا راع ولا قائد .

٣ ــ فأرسل الرسل ، وقفاهم بسيد أولى العزم ، وأنزل عليه شريعة محكمة ، لم تغادر من أمور البشر شيئا الا كان لها فيه القول الفصل . مضت ترافق الانسان منذ أن جنه رحم أمه الى أن يواريه ثرى رمسه ، فترعاه جنينا وطفلا وصبيا وشارخا وكهلا ، وتدرس ما يحيط به فى تلك المراحل لا على أنه فذ يعيش فى برج مشيد ، وانما باعتباره عضوا فى مجتمع لجب صاخب ، لهذا المجتمع معاملاته وتشريعاته وقضاياه وحوائجه المعاشية ، مع احكام صلاته بغيره من أبناء جنسه ، بل ومع الحيوان والجماد أيضا ، فهو سيبنى الدور ، ويقيم المصانع ، ويشق الطرق ، وتكون له المزارع ليطعم ويكتسى وآلاتها لتنتج ما يكفيه فى مستوى لائق كريم .

٤ ــ فالاسلام فى جوهره وأصوله ، فى نصه وروحه ، يعطى ــ ان لم يكن تفصيلا ــ قواعد كلية تعالج كل مشكلة فى الحياة ، وتطب لكل داء ، ومن يتعمق فى فهم تراث الأولين ممن صحبوا رسول الله ، ومن سلك طريقهم من تابعيهم ، يجد تطبيقا للأحكام على الواقع ، الأحكام المنصوصة نصا ، او المستخلصة من النصوص ، بعد فهم وروية ، وتعاون صادق رائده المصلحة العامة ، ولهذا أعان ابا بكر أصحاب رسول الله بآرائهم فى المشكلات التي واجهته بعد حبيب الله ، ولأجله أيضا حبس عمر كبارهم عن الانتشار فى الاقطار المفتوحة ، ولما مضت بهم الأيام الى النهاية المحتومة هيأ الله رجالا حملوا الأمانة فكان الأئمة المجتهدون الذين تفقهوا فى الدين ففقهوه ، ووعوه وأدوه للأجيال التي عاصرتهم والتي جاءت من بعدهم ، اولئك الذين أراد الله بهم خيرا ففقههم فى الدين ، وتعلموا وعلموا فأفادوا وخلدوا .

الفقه فى الدين

١ ــ من استقصاء المعانى اللغوية (للفقه والدين) والربط بينها وبين مدلولاتها الشرعية ، نجد النور العقلي يضيء جوانب الدلالات الأصيلة ، ويغوص فى قوة ادراك ، وحمية ايمان باحثا عن لآلئها المخبأة ، وجواهرها المكنونة ، ليبرزها فى ثوب قشيب يتهافت على اقتنائها طلاب الحق ، ورواد المعارف الانسانية ، ومحبو السلام والاستقرار والحرية .

هذه حقيقة أدركها الذين باعوا أنفسهم لله ، والذين نفضوا عنهم غبار الجهالة حين بهرتهم الدعوة الملحة الى العلم

والتعلم والبحث والدرس والتي حملها الاسلام فى صراحة صريحة ، وسلك بها دروبا لم يسر فيها غيره وولج أبوابا لم يطرقها سواه ، فلا يعرف دين سبقه الى الحث على العلم كما حثت آيات قرآنه وسنة رسوله ، وما ذاك الا سعيا لابراز قوة الشريعة الاسلامية ليتجه اليها المتخصصون ، وليحملوها الى الناس كافة تدفع عنهم الضير وترفع الاصر ، وتحطم الأغلال .

٢ ـ الناس أعداء ما جهلوا ، ومن جهل شيئا عاداه ، والشريعة الاسلامية فى العصور المتأخرة لم تجهل فقط ، وانما جهلت وأهملت ، واذا ذكرت فانما تقرن بالسخرية والاستهزاء او الوحشية والاجرام والقهر والاذلال .

وتعالوا نتأمل وضعها فى القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، ونتأمل المسلمين عنوانها ، ودعاتها ، وحكام الأقاليم الموسومة بها ، نجد فى كل مكان جهلا فاضحا بالشريعة نفسها بين أبنائها ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك لا تغنى ولا تفيد ، يحقرها الغريب عنها ، ولا يشعر بوجودها المقيم فى رحابها .

ما الذى يدعو المفكرين الى البحث عن الاسلام ؟ أجهل ابنائه أم فقر دوله وظلم حكامها ، واستعباد الرعية وسومها الخسف والارهاق ، أم البروج العاجية التي يعيش فيها قادة الجند وزعماء الجاه والسلطان ؟ .

٣ ـ ولما بدأت أمم الاسلام تفرك عينيها ، وتحاول تحريك جسدها لتنهض على قدميها بهرها المنظر الساحر البراق فى واد غير واديها فتطاولت اليه أعناقها لا لتساير الرقى الصناعى وحسب ، ولكن لتتمرغ فى حمأة التشريعات الغريبة عن بيئتها والمصنوعة لغيرها ، تنقلها كما هي دون تدبر أو وعي أو تفكير فهوت جاثية أمام الغزو الفكرى المريع ، وأخذت بالدعاية البراقة الخادعة الماكرة ، ذات الظاهر الناعم الملمس ، والباطن المنطوى على العداء الماحق الفاجر ، ودكت حصونها حين خلت من المدافعين الأقوياء ، وماذا تجدى قلاع لا تحميها السواعد الفتية، ولا العقول الفاقهة النيرة ، وديس التراث ولاكته السنة السوء ممن ينتسبون اليه وهو منهم براء ، ممن يعيشون على اسمه ويلفون فى دمه ، ومَن يحتمون فى ظلاله ويقطعون أوصاله .

٤ ـ دفعا لمثل ما وقع فى الفترة التي غشى فيها الجهل كل مرافق الأمة الاسلامية ، وتحذيرا من الاندماج فيه ، كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعلم ، والفقه والتفقه .

وكلمة (خيرا) فى الحديث الشريف نكرة فى سياق الشرط فتعم كل خير وتنوينه للتعظيم ، فهو الخير الكامل ، وفيه بشرى عظيمة للمتفقه ، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما أنا قاسم والله يعطى) (١) وفى حديث آخر (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا) (٢) وروى الترمذى وابن

(١) متفق عليه

(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

ماجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) .

وقول الرسول الكريم (وانما العلم بالتعلم) يدفع الى تلقى العلم من اربابه فقد لا يستطيع طالب العلم البادىء الاستفادة من مجرد مطالعة الكتب ومراجعة ما لديه من موسوعات ، فللعلم اصطلاحات، وللمؤلفين اتجاهات واشارات وتوجيهات يعيى بها اللبيب ولا تدرك الا بموقّف (بتشديد القاف المكسورة) وفى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عبارات يحتاج فهمها على حقيقتها الى طول بحث وتدارس مع أستاذ فاقه واع، وقد تمضى بالمرء السنون وهو مقيم على فهم خاطىء لا يصححه الا توضيح موضح أو اجابة لوذعى مدره ، او الجلوس فى مجلسى حبر ذى قدم راسخ فى العلوم .

ولو كانت القضية مجرد اطلاع ، او استقلال بفهم ، ما حث القرآن على الهجرة فى طلب العلم من مظانه حين يقول (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وفى قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

٥ ــ والآن فى الحِقْبَةِ التى نعيشها نرى نور العلم العام آخذا طريقه الى كل مكان فى الامة الاسلامية ، يدخل اليها شعاعه من الكوى والنوافذ ويفتح لأبنائها مجاله ليلجوا من أوسع الأبواب ..

وأحب ان أضع بين يدى أبنائنا المسلمين حقيقة ما أظنها خافية على أولى الالباب وأصحاب الاطلاع الواسع،وذوى النظر الفاحص البعيد عن التعصب الغالِ للعقول عن الانطلاق فى حرية اتجاه وكمال توجيه، تلكم هي:ان الذين حاربوا الدين فى الغرب والشرق لم يكن لهم اطلاع موجّه على الاسلام وحقائقه ولا معرفة كاشفة لأصوله وفروعه ، ولهذا لم يكونوا متجهين بأسلحتهم المختلفة اليه بتاتا،وانما أرادوا بالاصالةحرب الاستعباد الديني الكهنوتى المتحكم فى تفكيرهم وأمور حياتهم ، والذى يسد عليهم منافذ الرحمة واللقاء مع الله ــ حتى ولا دعائه ــ الا اذا استعملوا المفتاح الذى بأيديهم هم (١) فكم من رأس هوى باسم الدين ، وكم من ضحية قدمت باسم الكهنوت المقوت الذى ثار عليه (مارتن لوثر) ومن نهج نهجه وعبر على طريقه .

ولكن .. جاء حرب الاسلام تبعا لحرب مطلق دين ، واعان الجهل بقواعد الاسلام ، على اذكاء تلك الحرب ،واشعال نارها ، ومن فضل الله علينا ان نرى بوادر اليقظة الاسلامية تأخذ طريقها الى الوجود وتتسع رويدا رويدا منذ حارب كثير من العلماء النصب والأزلام ، ومنذ ظهر على مسرح الحياة بعض الأفذاذ من رجال الاسلام المتمكنين فى بدء القرن العشرين الميلادى فى مختلف الأمصار ، وأشاعوا فى المسلمين الوعي الاسلامي القويم .

ــ البقية على ص ٣٧ ــ

(١) أى الكهنة


الهجرة النبوية
والأحداث التي جرت



بين النبي والمسلمين واليهود في

فزع قريش من البيعة

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى يثرب ثاني أعظم حادث في تاريخ الاسلام من حيث مداه ونتائجه . حيث كانت نقطة الانطلاق الى أبعد الآفاق في سبيل نشر الاسلام وعزته وقوته واستكمال شرائعه ، بعد ان نجح زعماء قريش في حصر السيد الرسول في عزلة ضيقة وقلة ضعيفة . وقد كانوا يتربصون به ريب المنون ، فينتهي أمره بزعمهم ، وتذهب حركته بدرا ، كما حكته آيات قرآنية عديدة . ولقد طار صوابهم ، وقلقوا أشد قلق لم يشعروا بمثلــه منذ بدء الدعوة ، حينمــا علموا بالاتفاق الذى تم بينه وبين بعض رجال يثرب من الاوس والخزرج على هجرته مع أصحابه اليهم والدفاع عنه ونصره ومؤازرتــه . لانهــم لــم يفتهــم ان هذه الهجرة ستكون كما قلنا نقطة انطلاق له ولدعوته الى أبعد الآفاق ، وانهــا ستتهددهم بأعظم الاخطار . لان يثرب طريق قوافلهم ومن مصادر تموينهــم الرئيسية . وحسبوا ان العداء سينشب بينهم ، وان الطريق ستنسد عليهــم ، فأجتمعوا ، وتآمروا على النبى لمنعه من ذلك . اما بحبسه أو قتله أو نفيه الى دار اقامة وعزلــة اجباريــة في مكان ما تحت سيطرتهم ، كما ذكرت ذلك آيــة الانفال هذه (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ....) .

يثرب : سكانها وبيئتها

ولقد كان في يثرب أولا بطون قبيلتين عربيتين قحطانيتين متفرعتين من قبيلة الازد اليمانية الكبرى : وهما الخزرج

والاوس اللتان كانتا هاجرتا اليهما فى سياق الهجرة القحطانية التى سببها سيل العرم وانهدام سد مأرب ، وهو من سدود اليمن التى كانت تنظم الرى عبر عشرات القرون . وكان ذلك قبل البعثة بمدة غير قصيرة ليس الى التحقق من مداها سبيل علمي . وكان ثانيا بطون ثلاث طوائف يهودية هي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . ولقد ذكرت بعض الروايات أن هذه الطوائف قبائل عربية متهودة . غير أن القرآن فى مخاطبته اياهم ببني اسرائيل جعل ذلك الزعم متهافتا .

وكل ما يمكن أن يصح أن يكون بعض أفراد من العرب فى يثرب قد تهودوا ، واندمجوا فيهم ، وأن يكون قام بينهم وبين بعض بيوت عربية مصاهرات متبادلة . وليس هناك امكان علمي لتحديد الوقت الذى جاءت فيه هذه الطوائف الى يثرب. ولكن شدة الاندماج بينها وبين العرب وغدو اللغة العربية لغة ثانية لها ، أو لغة جمهورهم واتخاذهم أسماء عربية لأجيال متوالية ، قد يدل على أن ذلك كان قبل البعثة النبوية ببضعة قرون . ولعله كان عقب انزال الرومان فى أواخر القرن الاول الميلادى ، ثم فى القرن الثاني ضرباتهم الشديدة على بني اسرائيل فى بيت المقدس وسائر أنحاء فلسطين وتشردهم فى آفاق الارض .

وقد كانت يثرب ذات مناخ معتدل نوعا ما . فيها العيون والآبار ، وتنزل فيها الامطار، وتسيل الوديان، وكانت تربتها خصبة ، ويحيط بها الهضاب . فسكن فريق من هذه الطوائف فى السهول ، وسكن فريق آخر فى الهضاب المتاخمة للشمال . واشتغل هؤلاء بالزراعة ، وأنشأوا بخاصة بساتين النخيل ، وهم بنو النضير وبنوا قريظة، فى حين اشتغلت الطائفة الثالثة التى سكنت فى السهل ، وهي بنو قينقاع بالتجارة والصناعة ، وصار لها سوق باسمها .

وهناك رواية تذكر أن هجرة هذه الطوائف الى يثرب كانت أسبق من هجرة الاوس والخزرج اليها . وقد تكون صحيحة لانه كان من الصعب على هذه الطوائف أن تتخذ يثرب سهلها وهضابها منازل لها ، وتعمرها كما تشاء لو كان الاوس والخزرج فيها قبلهم ، وليس الى تحقيق ذلك امكان علمي كذلك .

يهود شبه الجزيرة

ولم تكن يثرب وحدها منتجعا أو منزلا للمشردين من بني اسرائيل الى هذه الناحية ، حيث كانت هناك طوائف اسرائيلية اخرى حلت فى الواحات القريبة من يثرب على طريق الشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء والجرباء . بالاضافة الى طوائف اخرى منهم نزلت فى أماكن اكثر قربا الى الشام منها الى يثرب ، عرف منها بنو جبنة وبنو غاديا وبنو عريض ونزلاء متنا وأذرح . وقد يفيد هذا أن الاسرائيليين المشردين اتجهوا من فلسطين الى البلقاء ، ثم أوغلوا الى ناحية جزيرة العرب الشمالية، وأخذوا يستقرون فى أماكن متفرقة بين الشام ويثرب وجدوا فيها المناخ المناسب والتربة الخصبة والمياه الوفيرة ، وكان أبعدهم نجعة الطوائف الثلاث التي حلت فى يثرب ، ثم الطوائف الاخرى التى حلت فى الواحات القريبة منها .

وهناك روايات فيها كثير من الخيال تتحدث عن ملك لليهود فى يثرب وتسلسله وقدوم الاوس والخزرج فى عهده واشتغالهم عندهم عمالا زراعيين ، وكانوا

قد اعتادوا العمل الزراعي في اليمن . واضطهادهم اياهم واستطالة آخر ملوكهم المسمى الفيطون وهو الوحيد الذى ذكرت الروايات اسمه منهم — على أعراضهم مما أثار نخوة فتى منهم اسمه مالك بن العجلان ، فوثب على ذلك الملك، وقتله ، ثم فر لاجئا الى ملك حجر او ملك غسان على اختلاف الروايات مستغيثا على اليهود باسم قومه ، فلباه، وقاد حملة نكلت باليهود ، فذلوا منذئذ ، وانقلب الاستعلاء في الارض للاوس والخزرج .

الاوس والخزرج

ومهما يكن من أمر فان الواقع الذى كان قائما في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والذى اشارت اليه آيات القرآن اشارات خاطفة أو صريحة ، والذى قد يرجع الى نحو مائة سنة قبل البعثة يفيد ان الاوس والخزرج كانوا هم اصحاب الرأى في يثرب . وانه كان شيء من التناظر والتنافس بين القبيلتين كان يؤدى احيانا الى اشتباكات حربية وان بعض طوائف من اليهود كانت متحالفة مع الاوس وبعضها مع الخزرج ، وان كل فريق كان يعادى ويحارب مع حليفه الفريق الاخر الذى كان مؤلفا من عرب واسرائيليين ، وقد يفيد هذا أن طوائف الاسرائيليين لم تكن منسجمة ومتكتلة مع بعضها ، وقد يكون ذلك ناشئا من حب التفرد بالاستغلال والمنافع .

ومن هذا الواقع انه كان لطوائف اليهود في يثرب مركز اقتصادى وزراعي وتجارى وثقافي قوى بين جيرانهم العرب جعل هؤلاء الجيران ينظرون اليهم بنظر الاحترام والاعتبار والثقة . وفي القرآن كثير من الصور التى كان اليهود يعمدون اليها الى ترسيخ كل ذلك بين العرب ليضمنوا لانفسهم الاستقرار والاحترام والاستغلال.

ومع ذلك فان من الواقع الذى تؤيده اشارات قرآنية عديدة ان اليهود كانوا يعيشون في قرى محصنة ومساكن من وراء جدر وأسواق وحصون ، وكانوا يحرصون على حيازة كميات كبيرة من السلاح ليضمنوا لانفسهم الحماية في الوسط الذى كانوا على كل حال غرباء عنه ، ويظهر من تلك الاشارات ان اليهود كانوا مطمئنين الى مناعتهم ، وان جيرانهم العرب كانوا يحسبون انهم كذلك ايضا (ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) سورة الحشر .

ومن ذلك الواقع المؤيد بالاشارات القرآنية أنهم كانوا يبشرون ببعثة النبي الامي (أي العربي) الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ، ويقولون للعرب انهم سيكونون حزبا معه ، ويستفتحون به عليهم . ولقد ذكرت الروايات ان الفريق العربي اليثربي الذى اجتمع لاول مرة بالنبي قال بعضه لبعض : ان هذا لهو النبى الذى يذكره يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، ثم اسلموا ، وقالوا للنبى : انا تركنا قومنا — ولا قوم بينهم من العداء والشر ما بينهم — فعسى الله ان يجمعهم بك ، فان يجمعهم فلا رجل أعز منك .

ويتلخص مما تقدم ان المجتمع اليثربي قبيل الهجرة النبوية كان يتألف من بطون الاوس والخزرج ومن طوائف اليهود الثلاثة في الدرجة الاولى . وهناك رواية تذكر انه كان في يثرب جالية نصرانية تسكن في حي خاص بها لها فيه سوق . ولم نطلع على رواية تذكر انه كان فيها عرب آخرون . وان كان من المحتمل ان تكون أرياض المدينة منتجعا لطوائف من الاعراب موسمية الاقامة

سماحة الاسلام

ولقد كان بعض بني اسرائيل في مكة بالاضافة الى افراد من النصارى،فتلقوا جميعهم بعثة النبي بالابتهاج ، وآمنوا ، وصدقوا على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة ، فكان النبي يحسب انه سوف يلاقى من يهود يثرب نفس الموقف بالاضافة الى الترحيب والتشجيع الذى سمعه من رجال الخزرج والاوس الذين ظل يتصل بهم في ثلاث مواسم ، والذى تحقق مصداقه بما كان من نشر الاسلام بينهم حتى لم يخل منه بيت من بيوتهم قبل الهجرة ، وهو ما ذكرته آية سورة الحشر هذه بصيغتها الرائعة (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، فكان هذا او ذاك مما جعل النبى يقدم على تنفيذ عزيمته على الهجرة ،

وجعل قريشا يحسبون حساب الاخطار والاضرار العظيمة التى سوف تلحقهم منها .

ولقد كان ذلك مما سهل على النبي أمره ، فلم يكد يستقر فى يثرب حتى اخذ يمارس رئاسة الدولة الاسلامية فيها . وقد كتب كتابا يصح ان يسمى دستور هذه الدولة جعل فيه الحرية لليهود بالبقاء على دينهم ومنحهم الضمانات لاموالهم وبيعهم ونشاطهم الزراعي والتجارى ، وأبقاهم على محالفاتهم مع الاوس والخزرج ، وأوجب عليهم الاتفاق مع المسلمين ، وأوجب على المسلمين الدفاع عنهم نتيجة لهذه المحالفات . وكل ما شرطه عليهم ألا يغدروا ولا يظاهروا عدوا .

طمع اليهود الكاذب

ولم يكد النبى يستقر وتبدو بشائر نجاحه وقوة الاسلام فى مقامه الجديد حتى تطيروا منه ، واخذوا ينظرون نظر التوجس الى احتمال رسوخ قدمه وانتشار دعوته واجتماع شمل الاوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموى الطويل الذى كانوا يستغلونه فى تقوية مركزهم ، وخشوا على المركز الذى لهم والامتيازات الكبيرة التىكانوا يتمتعون بها، ويجنون منها اعظم الثمرات

ولقد كان ظنهم على ما يبدو انيجعلهم النبي خارج نطاقدعوته معتبرين انفسهم اهوى من أن تشملهم وامنع من أن يأمل النبى دخولهم فى دينه ، بل لقد كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمامه اليهم ولا سيما حينما رأوه يصلى الى قبلتهم ، ويعلن بلسان القرآن ايمانه بانبيائهم وكتبهم ، ويجعل ذلك جزءا من أركان دعوته ويقرر كون الله فضل بني اسرائيل على العالمين وآتاهم الكتاب والحكمة والنبوة ، فخابظنهم ورأوه يدعوهم فى جملة الناس ، بل ويختصهم بلسان القرآن احيانا بالدعوة، ويندد بهم لعدم مسارعتهم الىاستجابتها ولوقوفهم منها موقف الانقباض ، ثم موقف الكفر والتعطيل ، فكان هذا على ما هو المتبادر باعثا على تنكرهم للدعوة وحقدهم على صاحبها منذ الخطوات الاولى من العهد المدني . ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم ، ويتخذون النبي مرجعهم الاعلى ومرشدهم الاعظم وقائدهم المطاع ، فاستشعروا بالخطر العظيم يحدق بمركزهم الذى يتمتعون به بين العرب وامتيازاتهم التى كانوا يستغلون العرب بها اذا تم النجاح والاستقرار للنبي ودعوته ، فكان هذا عاملا فى اندفاعهم فى خطة الكفر والتنكر والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها ، باستثناء فريق قليل من علمائهم استطاعوا ان يتغلبوا علىاهوائهم ومآربهم الدنيوية ، ويروا فى النبي ورسالته حقا وصدقا متطابقينمع ما عندهم منالبشائر والصفات فآمنوا وصدقوا .

ولقد كان من المتوقع على ما تلهم الآيات القرآنية ان يجد النبي فى اليهود سندا وعضدا ، وان يكونوا أول من يؤمن به ويصدقه ويلتف حوله ، لما كان بين دعوته واسس دينهممنوحدة ولما احتواه القرآن من تقريرات متنوعة وكثيرة بأنه مصدقلما بينيديه ورافعللاصر والتكاليف التى كانت على الملل السابقة وحالا لما بينهم من خلافات ولما كان من حسن استجابة الكتابيين وفيهم اسرائيليون الى دعوته وايمانهم برسالته فى مكة ، فيكون فى تحقيق هذا المتوقع تيسيرا لانتشار الدعوة وحسن استقبالها من سائر العرب الذين كانوا ينظرون الى اليهود نظرة الواثق بعقولهم وبصيرتهم الدينية. فلما رأى منهم ما رأى من الانقباض اولا والتنكر والصد والتضليل ثانيا تأثر تأثرا عميقا من خيبة أمله ، ورددته آيات القرآن الكثيرة منكرة منددة مقرعة فاضحة لاخلاقهم وانحرافاتهم ، رابطة ما ظهر منها بما كان من مثل ذلك من

آبائهم مما حكته اسفارهم ذاكرة فيما هي ذاكرة كتمان الحق والباسه بالباطل والمكابرة وتفضيل منافع الدنيا والزهو والنفاق والخداع والتدليس والكذب على الله وتحريف كتبه والحسد ونقض العهد والخيانة واستحلال اموال الناس وقلة الادب مع الله ورسله ، واظهارهم الشرك والايمان بالاوثان فى سبيل التحالف مع اعداء الاسلام، والبخل بأى شيء والتعجيز والسخرية واللجاج ومخالفتهم لوصايا شرائعهم وكتبهم ، وما ضربه الله عليهم من اجل ذلك من ذلة ومسكنة ، وصبه عليهم من غضب ، وما جعله يؤذن بأن يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة .

ولقد كان احد زعماء الخزرج عبد الله بن ابى بن سلول يترشح ليكون ملكا على يثرب حتى لقد نظم له قومه التاج . فلما هاجر النبى اليها تعطل امره فحقد ونقم وشاركه فى ذلك بعض عشيرته ، فسارع اليهود الى استغلال ذلك أوسع استغلال بمختلف الاساليب حتى قامت تلك الفرقة التي سميت بالمنافقين والتي كان لها من المواقف الشديدة ازاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومشاريعهم ما كان له آثار سيئة فى نفس النبي والمهاجرين والمجتمع الاسلامي الذى انشأه ، وكانوا يوحون لهم بمواقف الكيد والمكر والتشكيك والسخرية والخديعة والدس والتآمر ضد الرسول والاسلام والمسلمين ، مما ذكرته نصوص القرآن الذى سمى اليهود شياطين المنافقين للدلالة على ذلك .

ولم يبقوا فى نطاق جحود نبوة النبي والقرآن وفى نطاق المكايدات والمماحكات الكلامية والتشكيكية والتحريف والتآمر فى كل ذلك مع المنافقين مما كان يتسع له صدر النبي ، ويراه غير كاف لنقض العهد معهم ، بل تجاوزوه الى نقض العهد والعداء الصريح الفعلى والتآمر الحربي مع قريش والقبائل المشركة العدوة منذ عهد مبكر مما تكررت الاشارة اليه فى القرآن فكانت مواقفهم هذه سببا أولا ليأس النبي منهم والتماسه من ربه تحويل القبلة عن بيت المقدس وثانيا لدور التنكيل الذى بدأت فصوله فى الربع الاول من العهد المدني،ثم استمرت الى ان تم اجلاؤهم عن المدينة وخضد شوكتهم واجلاء الخطرين منهم عن القرى الاخرى فى ظرف الربعين الثاني والثالث منه .

ولقد تعددت وقائع التنكيل فيهم وكانت تقع على واحدة دون اخرى وواحدة بعد اخرى من طوائفهم . وكان لكل واقعة أسبابها الخاصة، وكان الذين لا يقع عليهم التنكيل يقفون ساكنين ومتفرجين لانهم لم يكونوا اوغلوا فى الغدر والعداء ، وهذا دليل آخر على عدم تواثقهم فى سلك سياسي وحربي واحد بل وكونهم على خلاف ونزاع وتنافس فيما بينهم ايضا على ما ذكرناه قبل .

الوقائع الخمس

ولقد كانت اولى وقائع التنكيل التى سجلتها روايات السيرة القديمة اغتيال شاعر اسمه أبو عفك كان يهجو النبى ، ويحرض عليه فنذر أحد المسلمين سالم بن عمران يقتله أو يموت دونه ، ثم تربص به حتى وافته الفرصة وهو نائم بفناء بيته فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى نفذ الى فراشه وزهقت روحه .

وكانت ثانية الوقائع اجلاء بنى قينقاع وكان لهؤلاء سوق خاصة ، وكان السبب المباشر محاولة بعضهم العبث بأمراة عربية جاءت الى سوقهم وقعدت الى صائغ ، فارادها على كشف وجهها ، فأبت، فعقد ثوبها بظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها ، فصاحت فوثب مسلم

على الصائغ ، فقتله فشد اليهود عليه ، فقتلوه فاستصرخ اهله المسلمين ، فوقع الشر وانتهى الامر الىان حاصرهم النبى حتى نزلوا على حكمه . ولقد كانوا حلفاء عشيرة كبير المنافقين ابن سلول فتشفع فيهم والح فرأى النبى من الحكمة قبول شفاعته لان اكثر قومهمخلصون، فاكتفى باجلائهم الى الشام ، وسمح لهم بأخذ اموالهم واثقالهم وخفيف سلاحهم .

وفى القرآن آيات يتفق المفسرون على انها فىشأنهم . وفيها ما يفيدانهم نقضوا العهد مرة بعد مرة حيث يفيد هذا ان حادث المراة كان النقطة الاخيرة التي طفح بها الكأس .

وكانت ثالثة الوقائع اغتيال كعب بن الاشرف ، وكان هو الآخر شاعرا يهجوا النبي والمسلمين ، ويحرض عليهم ، فقال رسول الله : من لي بابن الاشرف فقد آذاني ، فتعهد محمد بن مسلمة ونفر من الاوس بقتله ، واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم باصطناع الحيلة الى ذلك لانه كان يقظا ، ويعيش فىحصن، فأذن لهم، فذهبوا اليه ، وتمكنوا بالحيلة من الدخول عليه وقتله .

وكانت رابعة الوقائع اجلاء بنى النضير ، وكان سببها المباشر ان النبى صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض اصحابه الىمحلتهم لطلب مساعدتهم فى بعض الديات لما يوجبه عليهم محالفاتهم فتآمروا على اغتياله ، وكشف الله له ذلك ، فنجا بنفسه، ثم زحف عليهم ، وضرب الحصار ، وانذرهم بالجلاء مع السماح لهم باقامة وكلاء على بساتين النخيل . فابوا الانصياع اركانا على حصونهم واسلحتهم ، وشجعهم كبير المنافقين ورفاقه الذين كان اليهود حلفاء لهم ، ووعدوهم بالنصر والتضامن ، وضيق النبى عليهم الخناق ، ولم يف المنافقون بما وعدوا ، فاستولى عليهم الرعب ، وقبلوا الجلاء بشروط اشد حيث سمح لهم بحمل منقولاتهم دون السلاح والتخلى عن مزارعهم وبساتينهم . وقد نزل الشطر الاكبر من سورة الحشر فى هذهالوقعة ، وفيه ما يدل على ان الحادث المذكور كان السبب المباشر وانه كان لهم قبله مواقف شديدة من المكر والعداء .

وكانت خامسة الوقائع التنكيل ببنى قريظة ، ولقد كان زعماء بنى النضير لما جلوا عن يثرب ذهبوا الى خيبر واقاموا فيها ، وتزعموا يهود المنطقة . وقد ذهبوا الى مكة وحرضوا قريشا على النبى والمسلمين وتحالفوا معهم . وقد ارتكسوا بسبيل ذلك فى ابشع جريمة دينية حيث اعلنوا ايمانهم باوثان مكة ، وشهدوا ان قريشا المشركين اهدى من محمد واصحابه الموحدين . ثم ذهبوا الى قبائل غطفان ، فحرضوهم ، وتحالفوا معهم . وادى ذلك الى زحف احزاب المشركين على يثرب بعدد عظيم وعزم على استئصال شأفة الاسلام . ثم جاء زعماء بنى النضير الى بنى قريظة وظلوا يحرضونهم حتى اعلنوا نقض العهد مع النبى وحلفائهم الاوس ، وظاهروا احزاب المشركين مما اثار الرعب والخوف بين المسلمين وزلزلهم زلزالا شديدا لانهم صاروا بين نارين ، وجعل المنافقين يكشفون البرقع عن وجوههم بوقاحة ولؤم . فلما كشف الله غمة الاحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا زحف النبى والمسلمون بأمر الله على محلة بنى قريظة وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى نزلوا على النبى . وجعل النبى الحكم الى رئيس الاوس سعد بن معاذ الذى كان ذهب اليهم ، وجابهوه باسوأ موقف ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم واطفالهم والاستيلاء على اموالهم وسلاحهم واراضيهم ، وكان التنكيل بهؤلاء اشد لان غدرهم وموقفهم كان اشد .

عهد جديد

وبالتنكيل ببنى قريظة تمالقضاء على يهود يثرب الذين كانوا هم الاشد والاقوى والانكى ، ولقد كان هذا فاتحة عهد جديد للاسلام ، فالمنافقون الذين فقدوا شياطينهم ومحركيهم الاقوياء الخبثاء لم يلبثوا ان اخذ شأنهم يضؤل وصوتهميخفت وقوتهم

تهن وكثرتهم تتناقص . والمشركون الذين غزوا يثرب تلك الغزوة الكبرى بتحريكهم . لم يعودوا يفكرون بالغزو ثانية . حتى لقد شجع ذلك النبى فاعتزم زيارة مكة واداء مناسك العمرة ونتج عن رحلته اعتراف قريش به نصرا وعقدهم معه صلحا هو صلح الحديبية .

والقبائل الكثيرة التى كانت متربصة تبدل موقفها واخذت تتقرب الى النبى بالموادعة او الاسلام . وفرغ بال النبى من الجبهة الداخلية فأرسل رسله وكتبه الى ملوك وامراء الجزيرة وخارجها يدعوهم الى الاسلام ، واخذ يفد عليه من اليمن وخارجها وفود مشركة وكتابية يبايعونه على الاسلام ، وبعد سنتين نقض اهل مكة وحلفاؤهم العهد بشكل ما فاغتنم الفرصة ، ورفض التجديد ، وزحف بجيش قوامه عشرة آلاف على مكة وفتحها ، فانهدم السور الكثيف الذى كانت تقيمه بين الاسلام وسائر العرب ، واخذ عشرات الوفود يفدون الى يثرب من مختلف انحاء الجزيرة ، ويدخل الناس فى دين الله افواجا .

تطهير البلاد المقدسة

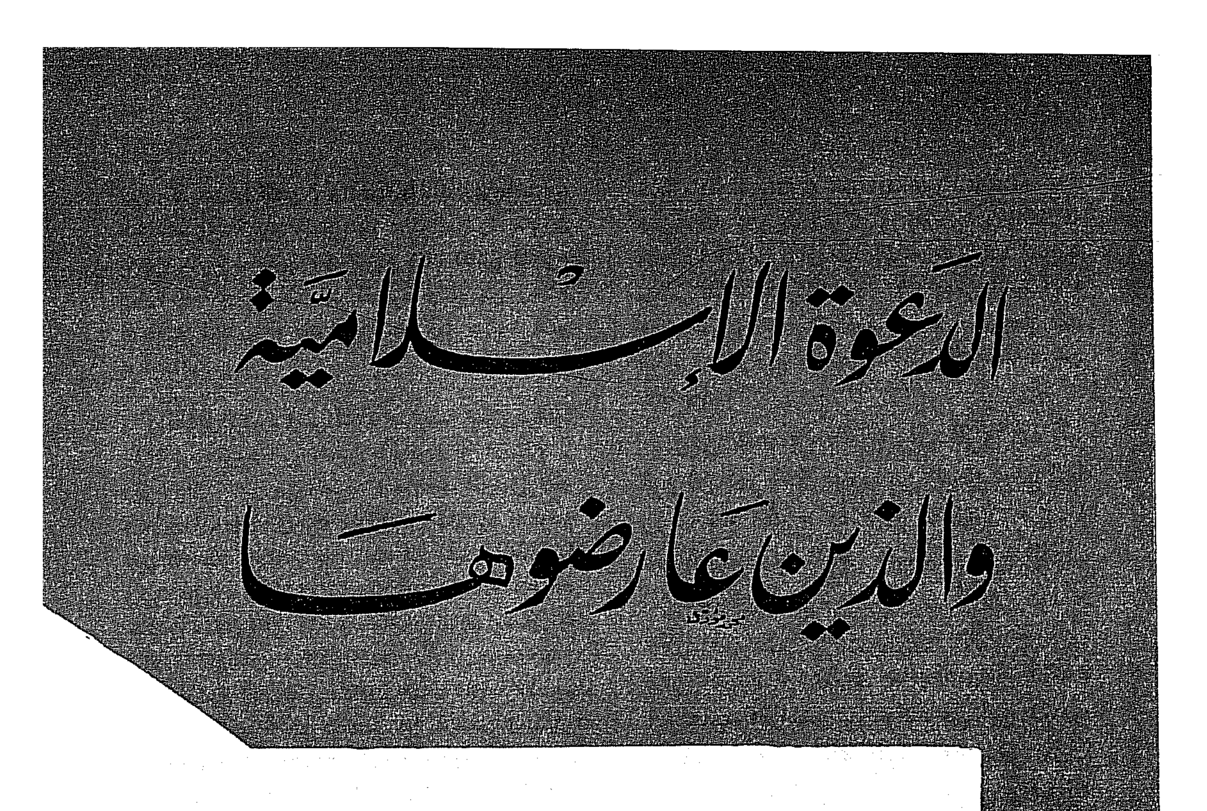
ولقد ازداد زعماء بنى النضير غيظا وحقدا واخذوا يحرضون يهود خيبر والقرى والقبائل المشركة الاخرى على حرب رسول الله والمسلمين فكان ذلك من اسباب مجيء دور التنكيل اليهم ، وكان من اولى وقائعه صلح الحديبية فلما تم هذا الصلح زحف النبى على خيبر فاستولى عليها ، وقتل واسر عددا كبيرا من مقاتلتها ، وغنم اموالها واراضيها للمسلمين ، وكلف الباقين الذين لم يبق منهم خطر بالاشراف على البساتين شركة على ان يجليهم المسلمون متى شاءوا فقبلوا ، وفعل مثل ذلك فى وادى القرى ، وهلع اهل فدك والجربان وتيماء ، وهرعوا الى النبى فى ذمته على نفس الشروط .

ولقد كان من آخر وصايا النبي اخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها دينان ، وانشغل خليفته الاول بالاحداث على قصر مدته فلم يستطع تنفيذ الوصية ، فنفذها الخليفة الثانى ، ومما ذكرته الروايات كسبب مباشر لذلك خبر اعتدائهم على بعض المسلمين ، فقال عمر : انا صالحناهم على أن نخرجهم متى شئنا ، فاخرجهم ، وطهر البلاد المقدسة من رجسهم .

ومن الجدير بالذكر ان الروايات لم ترو ان عمر اجلا يهودا عن اليمن ، مع انها روت انه اخرج نصارى نجران منها تنفيذا لوصية النبى حيث يسوغ القول انه لم يكن فى زمنه يهود فى اليمن ، ولم نطلع على رواية تذكر وجود يهود فيها فى زمن النبى ، وهناك حديث رواه الامام ابو عبيد القاسم بن سلام عن ابى عبيدة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((اخرجوا اهل نجران من اليمن واليهود من الحجاز)) ولم يذكر يهودا فى اليمن .

ولقد ذكرت الروايات أن بعض أحبار يهود يثرب استطاعوا نشر اليهودية فى عهد تبابعة حجر فى اليمن فالظاهر ان اليهودية بادت فيها حينما غزا الاحباش النصارى اليمن وسيطروا عليها بسبب ما كان من عدوان اليهود على نصاراها . ولقد كان فى العهود الاسلامية بعض شراذم يهودية فى اليمن ، فوهم بعضهم انهم من بقايا متهودة العرب معان الواضح مما تقدم ان ذلك غير صحيح . والراجح بل المؤكد عندنا انهم طوائف من اليهود الذين تشردوا من الاندلس حينما زال حكم العرب وسلطانهم عنها نتيجة لما كان من اضطهاد ومطاردة الاسبان للمسلمين واليهود معا .

مصادر البحث : القرآن الكريم ــ اسفار العهد القديم ــ كتب تفسير الطبرى والبغوى وابن كثير والخازن ــ سيرة ابن هشام ــ طبقات ابن سعد ــ كتاب الخراج لابى يوسف ــ كتاب الاموال لابى عبيد ــ فتوح البلدان للبلاذرى ــ تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ــ تاريخ الطبرى ــ تاريخ سورية للمطران الدبس ــ تاريخ يوسيفوس .



لماذا قاومت قريش دعوة الاسلام ، بكل هذا العنف الذى بدا منها ، خلال واحد وعشرين عاما من بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى فتح مكة ؟

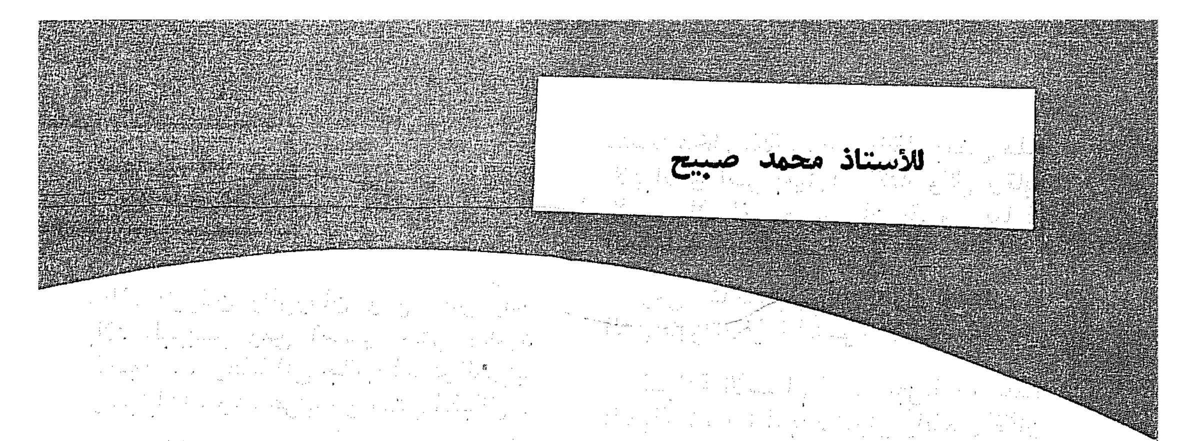
ان الرد الشائع على ألسنة المسلمين ، هو أن سيدنا محمدا عاب آلهة قريش ، وسفه أحلامها .. وهو رد صحيح ، ولكن يدخل تحته الكثير من التفاصيل ، التى يوسع النظر الحديث آفاق البحث عنها ، ويهتدى منها الى الكثير .

آلهة قريش

ما آلهة قريش ، وآلهة العرب جميعا التي كانت تعبد قبل البعثة النبوية وأثناءها ؟

كلنا نعلم انها أصنام ، ورد أسماء بعضها فى القرآن الكريم ، وحاول علماء الآثار واللغة ان يردوا هذه الاصنام الى أصول محلية ، واخرى مستوردة .

والصورة العامة للكعبة قبل الفتح ، انها كانت أشبه بمتحف،حرصت قريش



على ان تجمع فيه كل شارة من شارات العبادة القديمة ، سواء كانت تمثالا له معالم ، او قطعة حجر سوتها الريح على شكل من الأشكال ، او تحفة مستوردة مما صنع الفنانون الاغريقيون او المصريون . وقد روى الازرقي انه كان للمسيح تمثال تحمله أمه العذراء،ورجح بعض علماء اللغات ان « هبل » ماهو الا « ابولو » اله الشعر عند اليونانيين ، للتقارب بين اللفظين ، ولأن العرب كانت تغرم بالشعر غرام أبولو واصحابه به . وكذلك قالوا ان العزى ، اسم محرف عن ايزيس المصرية .. وكانت العزى شجرة هائلة خارج مكة لها كاهنة ، ويسمع لمرور الريح بين فجواتها وأغصانها صفير وفحيح مخيف .

ومعرض العبادات الذى اصطنعته قريش ، حول بيت التوحيد الخالد ، الذى انشأه ابراهيم وابنه اسماعيل ، لم يكن عن ايمان منها بكل هذا الزحام من الدمى والتهاويل وقد زاد عددها عن ثلاثمائة ولكنه كان محاولة ذكية بارعة لاسترضاء القبائل ، حين تفد للحج ولتبادل عروض التجارة ولعقد ندوات الشعر وللتحكيم فى الخصومات ، وهي الاسواق المشهورة فى ذلك الوقت .

والتجارة وما تفيئه من ربح كانت المحور الذى تدور حوله حياة قريش ، ولا تقل فى اهميتها عن شارات الشرف التي تعتز بها قريش بوصفها حارسة البيت العتيق .

ولكم ثارث الحروب لكي تنتزع من قريش هاتان الميزتان العظيمتان : التجارة وحراسة قوافلها عبر الجزيرة العربية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا،وحج الناس الى بيت الخليل ابراهيم .. ونفس الحج لم يكن عبادة فقط ولكن تحريم القتال فيه جعله أمنا ومثابة للناس كافة .. وما أكثر الخصومات التي كانت تثور بين القبائل ، وما أكثر الطلب بالثأر ومطاردة الأعداء .. هذه المطاردة التي ما ان تصل الى ظلال الكعبة حتى تنتهى ، وحتى يأخذ الناس نفس الراحة والتخفف من عداواتهم القديمة والحديثة .

ولقد أثرت قريش من هذه المزايا ثراء فادحا .. ودخل فى حوزة سادتها من الذهب والفضة وعروض التجارة الشيء الكثير .. وكان من اهم هذه العروض بما يمثلونه من قيمة مادية وما يمثلونه — أيضا — من طاقة انتاج وقوة عمل .. فاذا كان العربي رجلا محاربا ورجلا تاجرا ورجلا شاعرا ، فان القيام على شؤون الحدادة والنجارة والبناء وصناعة الرماح والسيوف والقسى وغيرها من معدات الحرب وأعمال النسيج والحلي وأدوات التطرية والتعطر والتجميل ورعي الابل والغنم والوراقة والكتابة وخدمة البيوت واعداد صنوف الطعام والحلوى والقيام على اعمال الترفيه من غناء وموسيقى .. كل ذلك واشباهه كان من مهام الرقيق .

والرقيق فى تلك الفترة كان مجلوبا من كل مكان : من افريقية والاناضول والقوقاز

وبلاد اليونان والرومان ومن مصر ومن بلاد البربر ومن آسيا حتى حدود الصين .. وهذا الى جانب اسرى الحرب وسباياها ، وهم عرب من شتى القبائل .

كم كان يقوم من هؤلاء الرقيق على خدمة كل أسرة عربية .. وكم كان يملك أثرياء قريش وساداتها من هذه الرقاب؟ لا يوجد احصاء دقيق لهم . ولكن تكفي اشارات لبعض كبار التجار فى هذه السلع الآدمية ، مثل عبد الله بن جدعان الذى كان يملك الفي عبد وامة، وكان متخصصا فى رقيق الاحباش حتى لقد عرض على رسول الله ان يزود الجيش الموجه لغزو حنين بعدد منهم ، فكره عليه السلام ذلك ولم يوافق عليه .

واذا تذكرنا قافلة من قوافل التجارة الى الشام وكان تعدادها الفي جمل بأحمالها مثل قافلة ابي سفيان التي تسببت فى غزوة بدر ، فانا نستطيع ان نقدر عدد الرقيق الذى كان فى خدمتها للعناية بالاحمال عندما كانت الجمال تنيخ فى محطات معروفة بالطريق مبنية بجوار الآبار يملكها كبار التجار من قريش.

حقيقة لم تكن هذه القوافل ملكا لواحد او عدد محدود من الأسر القرشية ، فقد كان رأسمالها يجمع من معظم هذه الاسر، وربما زاد تمويلها عن مائة ألف ذهبا .. ولكن كانت تتفاوت مساهمات هذه الأسر بحسب طاقتها وقدرتها على التعامل .

ولقد أسمى بعض الباحثين المحدثين نوع الحكومة فى قريش ، بأنها كانت حكومة تجارية . توزع أعباء الرياسة فيها على سقاية الحجيج واطعامهم ، وحمل راية الدفاع ، والقضاء فى الخصومات والتحكيم، ورقابة الأسواق .. وانا نرى رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما دخل مكة - أمر بابقاء بعض هذه الاعباء فى أسر بعينها ولكنه وكل رقابة الأسواق لغير من كان يقوم بها فى الجاهلية .

ومن هنا نستطيع ان ندرك جو الحياة التي ظهرت فيها الدعوة الاسلامية .

فعبادة الأصنام كانت جزءا من هذه الحياة .. اما الجزء المؤثر والفعال، فكان ما تدره هذه العبادات ، من مكاسب مادية ومعنوية .

الدعوة حين جاءت :

وعندما بدأت الدعوة الاسلامية، كانت تقوم على أساسين :

١ - توحيد الله تعالى .

٢ - رعاية حق الانسان - كل انسان - فى حياة حرة كريمة .

والتوحيد فى ذاته لم يكن ليضر قريشا وكان يعيش فى مكة ويفد اليها كثير من الموحدين : ناس من اليهود يعبدون الها واحدا . وناس من النصارى لهم ايضا توحيدهم . وناس من المتحنفين العرب الذين رفضوا عبادة الاصنام ، بل دأبوا على مهاجمتها فى الاسواق ، وبخطب بليغة بقيت لنا آثار منها . ولم نعلم أن احدا من قريش أو غيرها عرض لهؤلاء الموحدين بأذى ، او كره مقامهم فى مكة ، او اختلافهم الى اسواقها .. فقد كانوا دائما يحلون أهلا ، ماداموا لا يتعرضون لما تغنمه قريش من اصنامها واسواقها وقوافلها من مكاسب .

الحرب اذن ضد دعوة التوحيد الاسلامية ، لم تكن من اجل عقيدة راسخة ولكن من اجل نظام حياة بني على أوضاع معينة .. فمعنى التوحيد أن تزول هذه الاصنام التي كانت تعجب القبائل العربية حين تفد ، ويتقربون عن طريق التصفيق والصفير لها الى الله ، وهما المكاء والتصدية اللذان ورد ذكرهما فى القرآن

الكريم .. ومعنى زوال الأصنام توهم خطـر ، هو انصراف القبائل عن مكة ، ربماالى نجران التي كانت تحاول جاهدة ان تجذب لها القبائل .. وقد صنعتمن التماثيل ما يزيد طوله عن ثلاثين ذراعا ، ونقلتمن قصور بلقيس التحفوالنفائس النادرة لتخلب لب العـرب بها ، ولكن البيت العتيق ، وما حوله ، هو وحده الذى يجذبهم .

فهل كان فى الدعوة الاسلامية ما يبقي لقريش امتيـاز وفود الناس اليها ؟ . لقد ادركت قريش أن خطراكبيرا قديحل بها ولهذا كانت المقاومة .

هذا وجه من وجوه الخطر اذا انتهى نظام الاصنام .. وثمة خطر آخر له كل قدره ووزنه وهو هذه الدعوة الغريبة الجريئة التي تنادى بتحرير الانسان ، والتي تنهي ميراث السـيادة بالنسب وبالعصبية ، وربما امتـدت الى نظام الرقيق فالفته الغاء .

قريش التي عاشت سيـدة العرب جميعا يتساوى فرد منها بهذا العبـد الحبشي او الرومي او الفارسي الذى اشترى بالمال ، فلما أسلم اعتقه سيده المسلم ، فاصبح جليس محمـد بـن عبد الله ، وابي بكر بن قحافة ، وعثمان بن عفان ، وحمزة ، وعمر وغيرهم من الاشراف ، يؤاكلونه ، ويقفون معه فى صف واحد ، كتفا الى كتف ، ونداء مع نداء فى الصلاة .

يا عجبا !! ان ما يدعو اليه محمد وما تحقق حين تبعه بعض العرب وبعض الرقيق الذى تحرر ، لهو الهدم الكامل لقواعد الحياة .. لهو التسفيه لاحلام عاشت عليهـا وبها قريش بل قبائل العرب كلها بل دنيا الرومـان والفرس والحبش والهند وغيرهم من الذين علمت قريش أنباءهم او زارهم تجارها .

هذا هو التغيير الاساسي فى حياة قريش الذى لمحتـه قريش والدعـوة المحمدية تسرى وئيدة بطيئة فى أوصال حياتها .

وهذا هو سر المقاومة العنيدة العنيفة التي جابهت بها قريش دعوة الاسلام ..

ولو ان هذه الامتيازات الكبرى لم تكن فى يد قريش اذن لتركت محمـدا عليه السلام يقول ما يشاء ، وليتبعه من يريد وخلت بينه وبين العرب .

فلما انتقلت الدعوة بعد الهجرة الى بيئة مسالمة ، ليست فيها عقد الحياة ولا فوارقها الشاسعة التي كانت لقريش وجدت الاستجابة السريعة لكلمة الحق ، البسيطة النظيفة المسالمة .

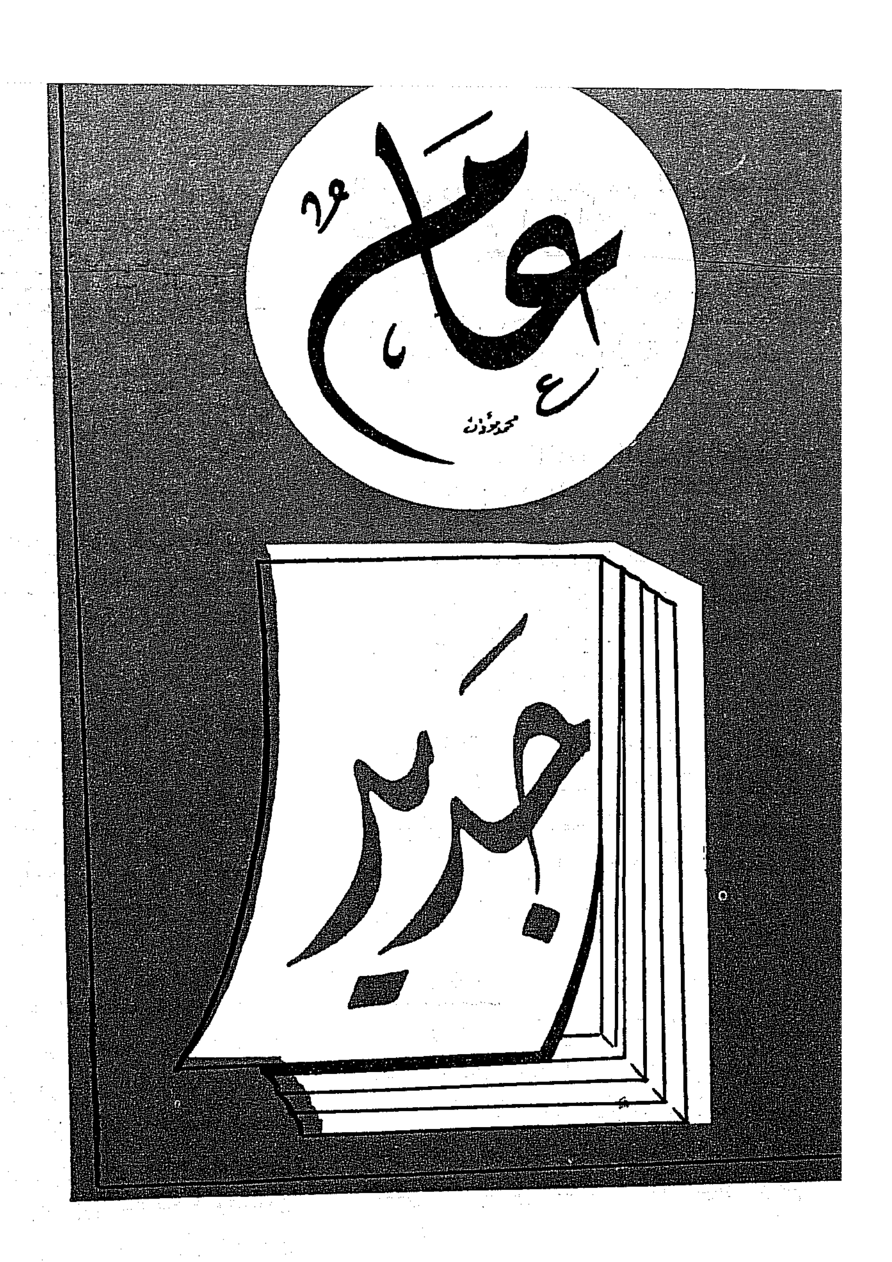
عداء اليهود :

واذا كان العرب فى يثرب قد لانت قلوبهم لهذا الايمان الجديد ، الذى جـاء بـه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فثمة عدو آخر كان يتابع فى حـذر تقـدم الدعوة ، ويمعن النظر فى تفاصيلها وهم اليهود .

واليهود بدورهم كانوا سـادة المـال مرابين وتجارا ، فى هـذه المنطقة مـن الحجاز التى آوتهم ، وكانوا قد هربوا اليها مذعورين مشردين من اضطهاد حل بهم فى الشمال .

ان الدعوة الجديدة ، لم تكن لترضيهم ولا تريحهم .. فـاذا كانوا قد قاوموا قبل خمسة قرون وبعض قرن دعـوة

ـ البقية على الصفحة ٤١ ـ



لما قعدت أكتب هذا الفصل ، لم يكن في ذهني شيء عن الموضوع الذى أكتب فيه ، ولكني نظرت في التقويم المعلق بالجدار فوجدت الموضوع . الموضوع (أول المحرم) .

أفيمر بكم اول المحرم ، كما يمر غيره من الأيام ، وفى صبيحته ولد عام ، وفى ليلته قضى عام ؟ .

يجتاز المسافر مرحلة من الطريق فيحط الرحال ، ويقف ليستريح ، فيتلفت وراءه ليرى كم قطع وينظر أمامه ليبصر كم بقى .

والتاجر تنتهى سنته ، فيقيم موازينه ويحسب غلته ، ليعلم ماذا ربح وماذا خسر .

وهذه (محطة) جديدة ، نقف فيها ونحن نسير على طريق الحياة ، وسنة أخرى تمضي من العمر ، أفلا نقف عليها

ساعة نفكر وندكر ونحسب ونعتبر ؟ .

نحن اليوم فى أول المحرم من سنةست وثمانين وثلاثمائة والف ننظر اليـه فى الفجر ، فنراه يوما طويلا يمتد امامنا ، نستطيع ان نعمل فيه ما نشاء ، نستمتع فيه (أن أردنا) بدنيانا ، ونحمله ما نريد حمله من الزاد الى أخرانا ، فاذا أمسى المساء وذهب اليوم — لم نعد نستطيع ان نستفيد منه ولا ان نستمتع فيه .

نظنه باقيا لنا ، ف (نبذر) فى دقائقه ، كما يبذر المسرف فى ماله ونضيع ساعاته، ولكنا لا نجده حتى نفقده . انه لا يكاد يبدأ حتى ينتهى ثم يمضي ، فلا يعود أبدا .

اذكروا الآن اول يوم من المحرم سنة خمس وثمانين .

لقد كنا نراه (ايضا) ونحن نستقبله طويلا ، وكنا نقدر ان نصنع فيه خـيرا كثيرا ، فأين هو منا اليوم ؟ . وأين الأول من المحرم سنة اربع وثمانين ؟ .

واين اوائل المحرمات التي مرت بنا ، أو مررنا نحن بها من قبل ؟ ماذا بقي منها فى أيدينا ؟ .

للأستاذ علي الطنطاوي
مستشار محكمة النقض في سورية

تمضي السنة وتجيء أخرى بعدها ، فمن لم يعمل خيرا فيها ، عمله فى التي تليها .

ان فاتك عمل الخير فى النهار ، فعندك الليل (خلفة) منه ، فاعمل الخير فيه . مواسم متتابعة ان اضعت الموسم فلـم تزرع فيه ، فازرع فى الذ ىيليه .

وان رسـبت فى الامتحـان فى دورة حزيران ، فعندك دورة أيلول .

هي خلفة لك ما بقيت حيا ، ولكـن هل تعلم كم تبقى حيا ؟ .

★★★

ينقضي العام — فتظن انك عشته ، وانت فى الحقيقة قدمته ، لا تعجبوا من هذا المقال ودعوني اوضح الفكرة بالمثال .

انت كالموظف الذى منـح اجازتـه السنوية ، شهرا كاملا ، اذا قضى فيها عشرة أيام يكون قد خسر منها عشرة أيام فصار الشهر عشرين ، فاذا مر عشرون صار الشهر عشرا ، فاذا تـم الشـهر انقضت الاجازة فكانها لم تكن .

اتظنون اني (اتفلسف) ؟ لا والله بل اصف الواقع .

نحن كلما ازداد عمر الواحد منا سنة فى العد ، نقصت من عمره سنةفىالحقيقة، حتى ينفذ العمر ، ويأتى الاجل،ونستقبل حياة أخرى تبدأ بالموت .

فتحت كتابي (من حديث النفس) فقرأت فيه فصلا نشرته فى العدد الممتاز من مجلة الرسالة فى مطلع سنة ١٩٣٨ ، عنوانه (على ابواب الثلاثين) لو تصورت يومئذ اني سأقرأه فى مطلـع سـنة ١٩٦٦ ، لتراءى لعيني دهر طويل ثمان وعشرون سنة ، انظر اليها الآن ، بعد ما مرت ، فأراها كأنها يوم وليلة .

ولـو نظـرت الآن الى مـا بعد ثمان وعشرين سنة الى سنة (١٩٩٤) لرأيتها بعيدة جدا ، ولكن من يقرأ هذا الفصل يومئذ سيرى سـنتنا هذه كأنما كانت بالأمس .

فنحن نوسع المستقبل بالأمل .

★★★

وما هذا المستقبل الذى نسعى اليه ، ونكد من اجله ؟ .

لما كنت طالبا كان مستقبلي فى نيـل الشهادة . فلما نلتها صار المستقبل فى

عام جديد

الوصول الى الوظيفة . فلما وصلت اليها صار المستقبل فى بناء الأسرة وانشاء الدار ، وانسال الولد ، فلما صارت لي الزوجة والدار والأولاد والحفدة ، صار المستقبل فى الترقيات والعلاوات والمال المدخر ، وفى الشهرة والمجد والكتب والمقالات ، فلما تم لي بفضل الله ذلك كله ، لم يبق لي مستقبل افكر فيه ، الا أن ينور الله بصيرتي ، ويريني طريقي ، فاعمل للمستقبل الباقي للآخرة واني لفى غفلة منها .

فالمستقبل فى الدنيا شيء لا وجود له . انه يوم لن يأتي أبدا ، لأنه ان جاء صار (حاضرا) وطفق صاحبه يفتش عن (مستقبل) آخر . يركض وراءه .

انه (كما قلت مرة) مثل حزمة الحشيش المعلقة بخشبة مربوطة بسرج الفرس تلوح أمام عينيه فهو يعدو ليصل اليها ، وهي تعدو معه فلا يدركها أبدا .

ان المستقبل الحق فى الآخرة ، فأين منا من يعمل له ؟ بل اين من يفكر فيه ؟.

★ ★ ★

وقد يكون هذا الذى اقوله (فلسفة) ، ولكنها فلسفة واقعية ، انها حقائق لا يفكر فيها احد منا .

نحن كالمسافر فى الباخرة او فى الطيارة ، همه الغرفة الجميلة ، او المقعد المريح ، يركب فى الدرجة الاولى ويأكل أطيب الطعام ، ويتصفح الجرائد والمجلات ينقل بصره فيما حوله او تحته من المشاهد ولكن هذا كله لأيام السفر ، وأيام السفر معدودة ، افما كان خيرا له لو فكر فيما يريحه فى اقامته فى البلد الذى يمضي اليه ؟ .

اما كان انفع له لو تحمل بعض المتاعب فى ليالي السفر القليلة ، ووفر ماله ليشترى به الراحة فى سنوات الاقامة الطويلة ؟ .

ام قد شغلته متعة السفر عن التفكير فى سبب السفر ، وجمال الطريق عن غاية الطريق ؟ .

الحياة سفر ، فكم من الناس يسأل نفسه لم السفر ؟ والى أين الرحيل ؟ كم منا من يسأل ما الحياة ؟ ولماذا خلقنا ؟ والام المصير ؟ .

★ ★ ★

اننا نقطع الوقت من الصباح الى المساء ، فى مشاغل نخترعها لننسى بها انفسنا ، ونبدد بها اعمارنا ، من احاديث تافهة ، ومجالس فارغة ، ومطالعات فى كتب لا تنفع ، او نظرات فى مجلات لا تفيد ، فان خلا احدنا بنفسه ، ثقلت عليه صحبة نفسه ، وحاول الهرب منها ، كأن نفسه عدو له لا يطيق مجالسته فهو يضيق بها ، ويفتش عما يشغله عنها ، وكأن عمره عبء عليه ، فهو يحاول ان يلقيه عن عاتقه ، وأن يتخلص منه .

★ ★ ★

نفر من نفوسنا ونبدد اعمارنا ، فى لذائذ نتوهمها ، ونسعى وراءها ولكنا لا ننالها .

ولما كنت اشرف على طبع كتاب ابن الجوزى (صيد الخاطر) الذى قدمت له وعلقت عليه ، وجدت فيه كلمة عظيمة ، يقول فيها (ان لذائذ الدنيا نماذج تعرض ولا تقبض) .

نماذج (ريكلامات) (١) للعرض والاعلان ، لا للبيع والاقتناء ، فأنت تسر برؤيتها ، ولكن لا تقدر على امتلاكها .

خذوا أكبر لذات الدنيا ، (اللذة المعروفة ...) تروا انها ليست فى الحقيقة الا لحظة دقيقة او دقيقتين ، لا تكاد تحس بأنك قد وصلت اليها ، حتى تجد أنك قد فقدتها .

انها ليست الا (نموذجا) للذة الآخرة، فما يستمر هنا دقيقة فقط ، يدوم هناك الى الأبد .

انك فيها كمن يعطى ملعقة من الطعام ليذوقه ويجد طعمه فى حلقه،فاذا ارتضاه اشترى منه فأكل حتى شبع .

فالذواق فى الدنيا والشبع فى الآخرة.

لذلك ترى الرجل الفاسق ، يشكو (الجوع الجنسي) مهما (ذاق) من الحرام . يعرف مائة من النساء ، ثم يرى الواحدة بعد المائة فتطلبها نفسه ، كأنه ما عرف أمرأة قط ، ولا يزال كذلك حتى يعجز جسده ، ولا تكل رغبته ، فهو كالعطشان الذى يشرب من ماء البحر ،وكلما ازداد شربا ، ازداد عطشا .

وما عهد (فاروق) ببعيد .

ومثلها لذة المال .

ان الفقير الذى ينام فى كوخ الطين ، ويأكل خبز الشعير ، ويمشي بالحذاء البالي ، او يركب عربة النقل ، التي يجرها الحمار ، يتصور انه لو نام يوما على فراش الغني ، او أكل على مائدته ، او ركب فى سيارته ، لنال اللذائذ كلها ولكن الغني الذى ألف ذلك لم يعد يجد فيه لذة ، بل يجد الألم ان فقد منه شيئا .

والشاب المغمور ، يتمنى ان يكون علما مشهورا ، تردد الاذاعات اسمه وتنشر الصحف رسمه ، ويتحدث الناس عنه، ولكن العالم المشهور الذى ألف ذلك لم يعد يهتم به ولا يباليه .

ان لذات الدنيا مثل السراب ، الا تعرفون السراب ؟ . تراه من بعيد غديرا ، فاذا جئته لم تجد الا الصحراء . فهو ماء ولكن من بعيد ! .

عفوا يا سادتي القراء ، ان جئت اعظكم وازهدكم ، فما أردت وعظا ولا تزهيدا ، وما أنا من الوعاظ الزهاد ، ولكنها خواطر أثارها فى نفسي اننا فى اليوم الأول من المحرم ، واني وقفت كما يقف المسافر ، وقعدت احسب كما يحسب التاجر .

اني انظر الى حياتنا هذه التي نعيشها ، فأرانا فيها كموكب من السيارات ، تمضي مجنونة مسرعة ، متسابقة ، هم كل واحدة ان تسبق الأخرى ، وتخلفها وراءها ، ولكن لو سألت سواقها الى أين يسيرون ولماذا يسرعون ؟ لما وجدت عندهم جوابا .

سباق الى المال ، سباق الى اللذات ، سباق الى الوظائف ، سباق فى كل طريق من طرق الحياة .

ثم ينتهي العمر ، فنترك كل ما استبقنا اليه ، ونمضي . فلنقف لحظات فى مطلع كل عام ، لنسائل انفسنا ما الذى نربحه من هذا السباق ؟ أو ليس (الربح) الحق فى جهة أخرى ، غير الجهة التي يتجه الناس كلهم اليها ، ويحسبون ان الربح المقصود فيها ؟ .

---

(١) صرنا نفسر العربي بالافرنجي ، هذا والله العجب !

عام جديد

ان هذا اليوم نذير لنا . بأن السنة المقبلة ستمضي كما مضت السنة المودعة ، وان كل واحدة منها تحمل معها جزءا من اعمارنا ، حتى تنفد اعمارنا ، فلنتدارك ما بقي ، ولنكن يوما واحدا في السنة من المتناصحين ومن المتواصين بالحق ، والمتواصين بالصبر .

انكم تقرأون في المجلات كلاما كثيرا ، كلاما جليلا يزيد ثقافة عقولكم ، وكلاما جميلا يدخل البهجة على قلوبكم وكل هذا خير ، ولكن خيرا منه ان تسمعوا كلمة تذكركم أخراكم ، وتنفعكم يوم العرض على ربكم .

وما أصلح والله لأن أقول أنا هذه الكلمة ، وأنا الى أن أوعظ فأتعظ ، أحوج مني الى أن اعظ ، ولكن (على مدير الكاس ان ينهى الجلاس) .

لما أردت أن اسافر الى جدة ، من بيروت ، قعدت في مطعم المطار ، افطر وانتظر ، وكان المطعم ممتلئا ، وكل من فيه يأكل ويشرب ويتحدث ، مثلما كنت آكل وأشرب واتحدث ، تراهم فتحسبهم اصدقاء متلازمين لا يفترقون . وان شملهم جميع لا يتشتت ، ولكن مطار بيروت الذى تحط فيه كل ربع ساعة طيارة ، وتقوم منه طيارة ، لا يلبث الصوت ان يخرج منه ينادى من (المكبر) .

ركاب طائرة BOAC المسافرة الى لندن ، يتوجهون الى ارض المطار .

فتترك أكلها وشربها جماعة من الحاضرين ، وتقوم .

ثم ينادى —

— ركاب طائرة KLM المسافرة الى جاكرتا .

فيترك ناس أكلهم وشربهم ويقومون .

وطائرة الى اميركا ، وأخرى الى الكونغو ، وثالثة الى ايران ، ورابعة الى موسكو .

فنظرت في الناس وقلت لأخي ، وكان معي . هذه هي حياتنا .

نعكف على طعامنا وشرابنا ، ومشاغل عيشنا ، واذا بالنداء يدعو من (جاء دوره) ليذهب الى حيث يحمل ، اما الى غابات افريقية ، واما الى ثلج سيبيريا ، واما الى ملاهي باريز ومشاهد نيويورك .

فمن كان مستعدا للسفر حاجاته مقضية ، وحقائبه معدة ، وحمله خفيف ، مضى مستريح البال ، ومن (جاء دوره) ، وهو لم يعد متاعه ، ولم يقض حاجته ذهب بلا زاد ، ومضى على غير استعداد .

أفلا نستعد للسفرة التي لا بد منها ، ونتزود لها الزاد الذى لا ينفع غيره فيها ؟

أم نحن نتناسى الموت وهو أمامنا نظنه أبعد شيء عنا ، وهو أقرب الأشياء منا ، نصلى على الأموات ونشيع الجنائز ، ونحن نفكر في أمور الدنيا ، كأنا مخلدون فيها ، وكأن الموت كتب على الناس كلهم الا علينا ؟

يا أخوتي القراء .

اننا نعيش الأيام كلها في غفلة ، فلننتبه اليوم ، ولنقف كما يقف المسافر على المحطة ، ينظر كم قطع من الطريق وكم بقي عليه منه ؟ ولنفتح دفاترنا كما يفتح دفاتره التاجر ، لنرى ماذا ربحنا في سنتنا التي مضت وماذا خسرنا ، ولنمد أيدينا ، فنقول يا ربنا . اغفر لنا ما سلف ، ووفقنا فيما بقي .

اللهم اذا كتبت لنا ، أن نعيش الى مثل هذا اليوم من قابل ، فاجعل ما يأتي خيرا لنا ، وللمسلمين مما ذهب ، ... والا ، فاكتب لنا بفضلك وكرمك حسن الخاتمة ، واغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الابرار .

ولا أظن ان مد الاسلام سيتوقف وانما آمل فى الله أن يستمر وينشط فقد انتشرت الآن قراءة القرآن متقنةبواسطة المصاحف المرتلة التي تذاع من مختلف اذاعات العالم حتى الكافر منها(١) وانبث علماء المسلمين من مختلفديارات الاسلام يحملون الحقيقة الاسلامية ويقدمونها للناس فى صورة جميلة مقبولة، وأنشئت المجامع للبحث العلمي الخالص لله ولخدمة المجتمع الاسلامي . يجتمع فيها علماء الأمصار الاسلاميةعلى اختلاف نشأتهم وطرقهم فى البحث والدرس محاولين الوصول الى قواعد تطابق العصر فى التقنين والتشريع وأمور المعاملات المختلفة مستقاة من روح الشرعالشريف وهم واصلون بعون الله متى صدقت النيات وصلحت الأعمال وهي صادقة وصالحة بتوفيق من بيده ملكوت كل شيء .

والخلاصة

ان فقه الدين ومعرفةمقاصد الشريعة ومراميها ودراستها دراسة فاحصة ، والالمام الكامل بتراث العلماء المجتهدين فى مختلف العصور يوصل تماما الى تثبيت أركان الاسلام ، ونشر احكامه حتى يصبح مصدر كل تشريع فى كل مجال ، فلا عدو للقيم الفاضلة كالجهل بها ، ولا مساعد على العمل بها كالعلم بفائدتها ، وما كان الاسلام ولن يكون مصدر ازعاج او اثارة او ظلم او اضطراب ، وانما هو المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاما وأمنا ، واخاء ومحبة ، وشبعا وريا ، واحسانا وعونا فى الملمات ، وقهرا للعدو الاكبر الشيطان ، وبثا لكل فضيلة ومحقا لكل رذيلة .

ويقرر الحديث الشريف عون الله ورضاه وتوفيقه لمن تفقه فى الدين لأنه سيصبح منار هدى ومصدر اشعاع للرحمة والخير ، يوزن مداده بدم الشهداء يوم القيامة ، فقد جاهد بعلمه ووقف حياته على خدمة دينالله والتمكين له فعل الشهداء سواء بسواء .

كما يبين الحديث الشريف فى غير لبس ولا غموض وجوب مدارسة العلم معاعلامه (وانما العلمبالتعلم) والتواضع له وتلقيه من مصادره الراسخة فيه ثم حمله فى أمانة واعتزاز ، وقوة مستمدة من الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وبعد . فانا نسوق هذا الحديث فى مستهل العام الجديد ، والمسلمون يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية التي كانت مصدر اعزاز للاسلام والمسلمين لنلفت الانظار الى ان نصرة الاسلام وحمايته فى هذا العصر تستلزم تسلح المسلمين بالعلم والفقه فى الدين ليردوا عنه عادية الملحدين ، وشبه المضللين ، وجهل الجاهلين ، وأن الاسلام لم يؤت من قبل اعدائه بمقدار ما أصيب به من جهل أبنائه .

ولا سبيل لنصرة دين الله واعزازه الا بفهم روحه والبصر بتعاليمه ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة .

(١) وهذا يعين على فهمه وتدبره



أيهـــا الخابطون عــبر الدروبِ — أنْظِرونِي أخْبِرْكُمُ بالعجيــــب

أنْظِرُونِي . لا رابكــم حـدُّ سيفي — واجتياحي الكثيــب بعــد الكثيب

إنمـا اسمي « سراقة » ان سألتم — من بني « جُعشمٍ » ، حماة الغريب

شاقني السبق واحتيازُ نيـــــاق — مُطبقات على فـؤاد اللبيــــب

رصـــدتهـــا قريشُ ، انّ قـريشـا — تُرخص المـال في الفـتى المطلوب

كيــف ينجـو « محمـد » من شباك — أحكمتهـــا نوابغ التنقيــــب

كيــف يسرى من داره مطمئنـــاً — ويــذرُّ التراب فـــوق الرقيـب

يالَراعٍ ، تحَيَّر القـــوم فيــــه — من عيُوبٍ لأمره ومُريـــب

عذبــوه ، وما دروا أنّ جَمْـــراً — يتلظّى بمجمــــر التعذيــــب

فـاذا يشربْ تجيـــب صــــداه — وتلبى بداميـــات القلـــــوب

واذا رهطــه يطيرون سِـــــرا — عــن رباع الصبـــا ، ودار الحبيب

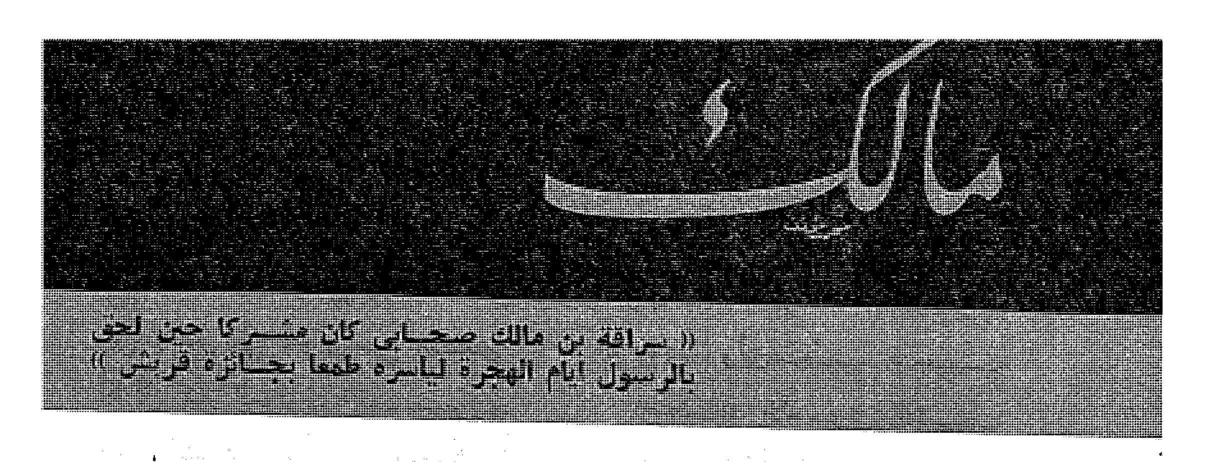
أين ولّى ؟ وكيــف أعجــز جيشا — من عيون تربصتْ ، ونيـــــوب

......أدركوه ، رُدُّوه قبلَ يُوافي — يثربا أو أتاكمُ بالخطـــــوب

انــه واحــد ، ونحــــن ألــوف — عــدد النجم والحــصى والــدروب

***

. . واحتواني ، جواديَ الفحل يهوى — كفؤادي . . . إلى الثـراء القريـب



((سراقة بن مالك صحابي كان مشركا حين لحق بالرسول ايام الهجرة ليأسره طمعا بجائزة قريش))



للاستاذ محمد الحسناوي
سوريا ـ حلب

أتقفَّاكُمْ بِسِرٍّ أتاني وسلاح كنزته للحروب
يالها نشوة ، أطارتْ صوابي حين شارفتُكمُ . ويا للكروب
كلما قارب الجواد خطاكم كفكفتْه حوافزُ التقريب
كم كبا فجأة ، وألْقِيتُ أرضا وسألتُ القِداح كشف الغيوب
خانني القِدح والجواد ثلاثا أسلمتْني إلى التماس الهروب

***

قيل (ما تبتغي اذن) قال عفوا وادِّكارا لمطمحي المحروب
قيل (ياهذا ، ما ترى في لباس من سِواري كسرى.. نفيس قشيب ؟)

والباساءُ . . . وانثنى يسأل النفس سؤال المقامر المخلوب
هل تصح المنى ، وأى منى هذى الدعاوى ، وأىُّ عُجْبٍ عجيبِ
أنا لا أكْبرُ السوارين اكبارى اصطياد الأسود بالتشبيب
صيد كسرى وعرشه وجيوشا حوله ، ما لبأسها من ضريب
يالَه من فتى ، حماه أبو بكر من الشمس ، والطوى ، واللغوب
يزدهينى بسلب كسرى ، وانى جِدُّ راضٍ بأينُقٍ وعسيب

***

أين عيناكَ يا سراقةُ لما فتح الله مُقفَلات الشعوب
دكّتِ (اللهُ أكبرُ) الظلمَ دكّا وتمشّى الضعيف غير هَيوب
لو ترى يا ابن مالك عرش كسرى وحُلاه نهبا ، وما من نهوب
لو ترى الفاتحين عبر الصحارى ينثرون الغنى ، وعبر السهوب
وأبا حفص العظيمَ ينادى في جموع الورى نداء الخطيب
حانت القسمة العتيدة لكنْ ... أين أمسى اخو الطِّماح الطّلُوب
أين أضحى سراقة يا صحابى فله في السهام أوفي نصيب
تاج كسرى له ، ومِنْطَقَةُ المُلْك . . وفاءً لعهدِ « طه » الحبيب
ألبستْه النبوة الملك تاجا ونطاقا ، فيالَه من كَسوب
أين أنت الغداة يا ابن البوادى يا بشير الفتوح ، يا ابن الدروب
ألف لبيك يا خليفة « طه » ألف لبيك يا أمير القلوب
كبرِّ اللهَ يا سُراقةُ واخْطِر بسوار ابن « هرمز » المغلوب
واحمد اللهَ مُلبَسا تاج كسرى بدويا خدين شاة وذيب
لا مليكا ، ولا سليل ملوك رَبّبَتْهُ معاهد التربيب

المسيح عليه السلام ، لأنه ناداهم أن ينبذوا احقادهم ، وان يعيشوا فى محبة ، والا تكون عبادة المال وانتهابه بكل وسيلة هي هدف حياتهم . وقد عاندوه وخاصموه الى السلطة الرومانية . وكذلك صنعوا مع انبياء سبقوا السيد المسيح حتى أن تنكيلهم بدعاة السماء فيهم كان جزءا من تاريخهم .

فهل يسمحون لهذا النبي الجديد ، بأن يتابع دعوته ، وقد وفد فى الديار التىأقاموا فيها وأثروا وأقاموا الحصون واصطنعوا الرقيق ؟!!

قبل كل شيء لقد ظهر هذا النبي من الاميين أى الامم غير بني اسرائيل . فهل يجوز أن تكون هناك نبوة خارج نطاقهم ؟ هذا ما رفضوه ابتداء .

ثم ان هذا النبي العربى له من قوة التأثير ومن الدأب على تبليغ دعوته ، ما جعله يتابعها فى مكة ثلاثة عشر عاما ، ثم انه يشق لها الآن طريقا يبدو أنه أكثر تمهيدا .

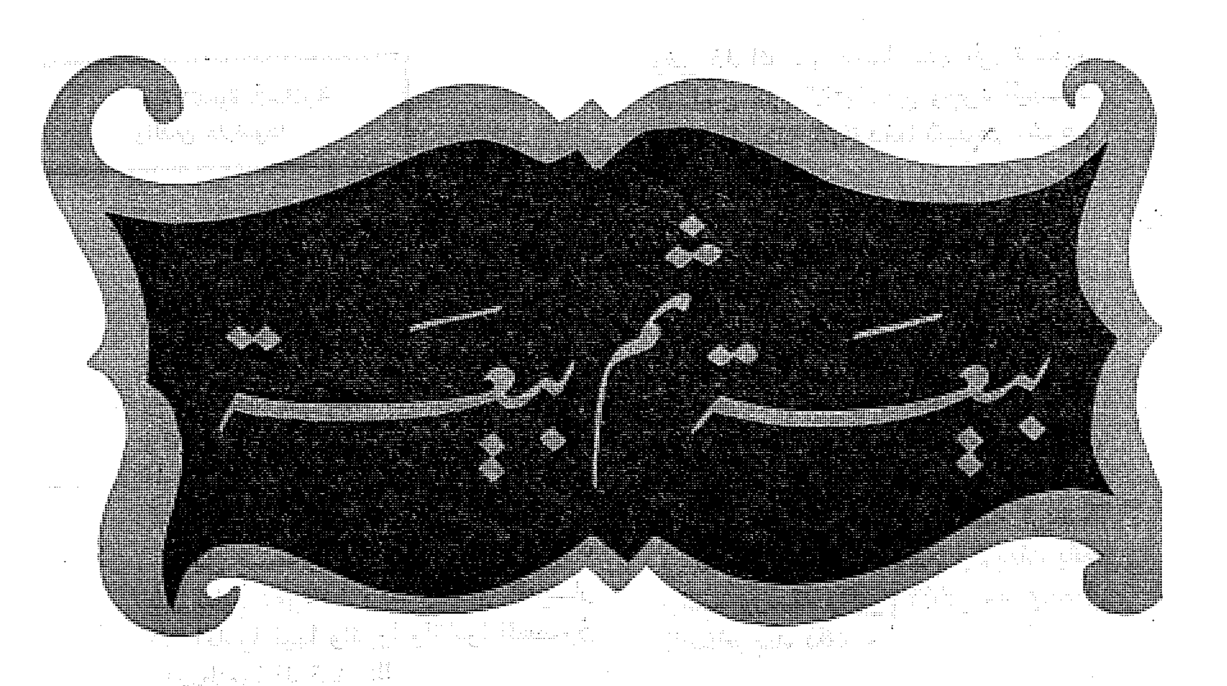
ورتب اليهود طريق معارضتهم .. بدأت بالجدال العقائدى . وقد أنفق القرآن الكريم فى جدالهم وقتا طويلا . وعنف معهم عنفا بالغا فى بعض الاحيان. ولما رأى اليهود أن هذا الحوار لم يفد شيئا اذ تابع العرب الاقبال على الدين الجديد ، أخذوا يجربون أسلوبا آخر وهو تحريضالقبائل والاتصالات الخبيثة مع قريش وغيرها ، كما جربوا أسلوب الاغتيال بالسم واسقاط الاحجار فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .. مما أدى الى تصميم المسلمين على الانتهاء من وجود اليهود فى هذه المنطقة كلها، دفعا لكيدهم وشرهم الذى لا ينتهي .

اسناد الدعـوة :

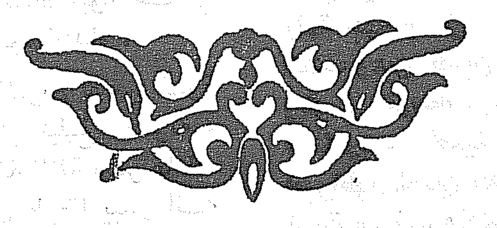
ولقد كان واضحا فى سير الدعوة أنها لا تطمع أن تلين لها قناة قريش وحدها ، ولا العرب وحدهم ولكنها مدت آفاقها الى الناس جميعا حيث يقيمون .. فكل انسان فى نظرها هو خليفة الله فى أرضه .. ووسيلته الى حياة مطمئنة كريمة فى الدارين ، هو الاسلام والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .. والعمل الصالح بعد ذلك .

ولهذا ما أن جاء العام السادس من الهجرة حتى كانت كتب رسول الله تصل الى الملوك والحكام فى كل مكان . وثمة جهة وصل اليها واحد من هذه الكتب وهين الصين . فقد كشف هـ.ج. ويلز فى تاريخه عن هذه الرسالة من مصادرها الصينية . وقد أكرم امبراطور الصين هذه البعثة واذن لها فى اقامة مسجد والتبشير بالدعوة ، فكان أول مسجد أقيم خارج الحجاز فى ذلك التاريخ .. وقد حاول هرقل أن يقلد المسلمين بعد هزيمته فى اليرموك وجلائه عن الشام ، فأرسل بعثة تدعو أهل الصين الى المسيحية ، وقوبلت أيضا مقابلة حسنة . وربما كان بعض أفراد البعثة المسيحية هم الذين نقلوا طرفا من نشاط المسلمين هناك .

هذه هي دعوة الحق ، ولمحات عنها فى عيد هجرة الرسول عليه أزكى صلاة وسلام .



بقلم الاستاذ الشيخ محمد الغزالى
مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف ـ القاهرة



في سبيل تحقيق السمو النفسي والاجتماعي لا يفرق الاسلام بين جهاد المرء لبلوغه الكمال فى خاصة نفسه ، وجهاده لتوطيد الحق فى أرجاء المجتمع الكبير .

فان الدعوة إلى الخير لا تسوغ من عليل القلب مضطرب السلوك ، كما ان سليم القلب شريف السيرة لا يسكت على بيئة مضطربة الضمير مهتزة الخلق .

والحضارة الحديثة تفرق بين السلوك الشخصى ، والسلوك العام ، وربما قبلت من الرجل ان يكون له جانبان . أحدهما ردىء فى حياته الخاصة ، والآخر حسن فى حياته العامة .

وهذا الانشطار فى النفس الانسانية غير مقبول ولا معقول من الناحية الدينية .

وقد كان الاسلام بعد عشر سنين على ظهوره فى مكة يعاني آلام الغربة الروحية والحصار الاقتصادى والاستضعاف الشائن ، وكان المسلمون جديرين بقبول النصرة من أى يد تمتد بها .

وجاء من يثرب وفد أنعش الآمال فى

فرج يبدد هذا الضيق ، وضياء يكشف تلك الغمة . ولكن الرسول الكريم استقبل هذا الوفد ، ليعلمه قبل كل شيء أصول العقيدة السليمة ، ويمسكه بمعاقد العمل الصالح .

ان الانبياء لا يكافحون بمرتزقة يحملون السيف فى ايديهم ، وانما يحاربون برجال يستبطنون الايمان والشرف فى قلوبهم وسلوكهم .

وهذا ما تنضح به الكلمات والوصايا والخطب التى وعاها التاريخ فى بيعتى العقبة الصغرى والكبرى .

فى البيعة الاولى جاء الرجال الذين شرح الله صدورهم بالاسلام .

وقد لقيهم النبى بالعقبة ، وعقد معهم بيعة على الايمان بالله وحده، والاستمساك بفضائل الاعمال والبعد عن مناكرها .

عن عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الاولى الا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه ، بين ايدينا وارجلنا ، ولا نعصيه فى معروف .

قال : فان وفيتم فلكم الجنة . وان غشيتم من ذلك شيئا ، فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له . وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله . ان شاء عذب وان شاء غفر ، هذا ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعو اليه وكانت الجاهلية تنكره عليه .

أيكره هذه العهود الا مجرم يحب للناس الريبة ، ويود للارض الفساد ؟ ؟

أتم وفد الانصار البيعة ، ثم قفل عائدا الى يثرب ، فرأى النبى أن يبعث معهم احد الثقاة من رجاله ليتعهد نماء الاسلام فى المدينة ويقرأ على أهلها القرآن ويفقههم فى الدين ، ووقع اختياره على « مصعب بن عمير » ليكون هذا المعلم الامين .

ونجح « مصعب » أيما نجاح فى نشر الاسلام ، وجمع الناس عليه ، واستطاع ان يتخطى الصعاب التى توجد ــ دائما ــ فى طريق كل نازح غريب ، يحاول أن ينقل الناس من موروثات الفوها الى نظام جديد يشمل الحاضر والمستقبل ويعم الايمان والعمل ، والخلق والسلوك .

ولا تحسبن « مصعبا » كأولئك المرتزقة من المبشرين الذين دسهم الاستعمار الغربى بين يدى زحفه على الشرق . فترى الواحد منهم يقبع تحت سرير مريض ليقول له : هذه القارورة تقدمها لك العذراء وهذا الرغيف يهديك اياه المسيح .

وربما فتح مدرسة ظاهرها الثقافة المجردة أو ملجأ ظاهره البر الخالص ، ثم لوى زمام الناشئة من حيث لا يدرون، ومال بهم حيث لا يريدون .

هذا ضرب من التلصص الروحى . يتوارى تحت اسم الدعوة الى الدين

والذين يمثلون هذه المساخر ، يجدون الجرأة على عملهم من الدول التى تبعث بهم ، فاذا رأيت اصرارهم ومغامراتهم فلا تنس القوى التى تساند ظهورهم فى البر والبحر والجو .

أما مصعب فكان من ورائه نبى مضطهد ، ورسالة معتبرة ضد القانون

السائد ، وما كان يملك من وسائل الاغراء ما يطمع طلاب الدنيا ونهازى الفرص كل ما لديه ثروة من الكياسة والفطنة قبسها من محمد صلى الله عليه وسلم واخلاص لله ، جعله يضحى بمال اسرته وجاهها فى سبيل عقيدته ... ثم هذا القرآن الذى يتأنق فى تلاوتـه ، ويتخير مـن روائعه ، ما يغزو به الالباب فاذا بالافئدة ترق له ، وتتفتح للدين الجديد .

وعاد « مصعب » الى رسول الله بمكة قبيل الموسم الحافل يخبره بما لقـى الاسـلام من قبول حسن فى « يثرب » ويبشره بأن جموعا غفيرة دخلت فيه عن اقتناع مس شغافهم وبصر أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين .

بيعة العقبة الكبرى

ان الرجال الذين اعتنقوا الاسـلام عرفوا ــ دون شك ــ تاريخه القريب والصعاب الهائلة التى لقيها وحـز فى نفوسهم ان يستضعف اخوانهم فى مكة وان يخرج نبيهم وهو يدعو الى الله ، فلا يجد الا آثما او كفورا .

ولذلك تساءلوا ــ وهم خارجون من المدينة قاصدين البيت العتيق ــ حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟

لقد بلغ الايمان أوجه فى هذه القلوب الفتية . وآن لها ان تنفس عن حماسها وان تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية .

قال جابر بن عبد الله : فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ قال صلى الله عليه وسلم تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقوموا فى اللـه ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى ان تنصرونى فتمنعونى ــ اذا قدمت عليكم ــ ممـا تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم . ولكم الجنة .

فقمنا اليه ، واخذ بيده « اسعد بن زراره » ــ وهو اصغر السبعين بعدى ــ فقال : رويدا يا اهل يثرب فانا لـم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله ، وان اخراجه اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم وان تعضكم السيوف .

فاما انتم قوم تصبرون على ذلـك فخذوه ، واجركم على الله ، واما انتم قوم تخافون من انفسكم خيفة فذروه.. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله

فقالوا يا « سعد » اعطنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقبلها فقمنا اليه رجلا رجلا فبايعناه .

وعن كعب بن مالك : نمنا تلك الليلة ــ ليلة العقبة ــ مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطـا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجـلا ، ومعنا امرأتـان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب واسماء بنت عمرو بن عدى .

موقف للعباس

فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على ديـن قومه ، الا انه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ، ويستوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم قال : يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه مـن

قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك .. وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم من الآن فدعوه ، فانه فى عزة ومنعه من قومه وبلده .

قال كعب : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب فى الاسلام ثم قال : أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

قال كعب : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ، فوالذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا ، فبايعنا رسول الله ، فنحن — والله — أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

فاعترض هذا القول — والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم — ابو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال — يعنى اليهود — حبالا وانا قاطعوها .

فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وانتم منى ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم .

وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا يكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم النقباء . تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومى .

تلكم بيعة العقبة . وما أبرم فيها من مواثيق ، وما دار فيها من محاورات .

ان روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت ، وبدا ان العواطف الفائرة ليست وحدها التى توجه الحديث او تملى العهود كلا . فان حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم ، والمغارم المتوقعة نظر اليها قبل المغانم الموهومة .

مغانم ؟ اين موضع المغانم فى هذه البيعة ؟؟ لقد قام الامر كله على التجرد المحض والبذل الخالص .

هؤلاء السبعون ، مثل لانتشار الاسلام عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخاص .

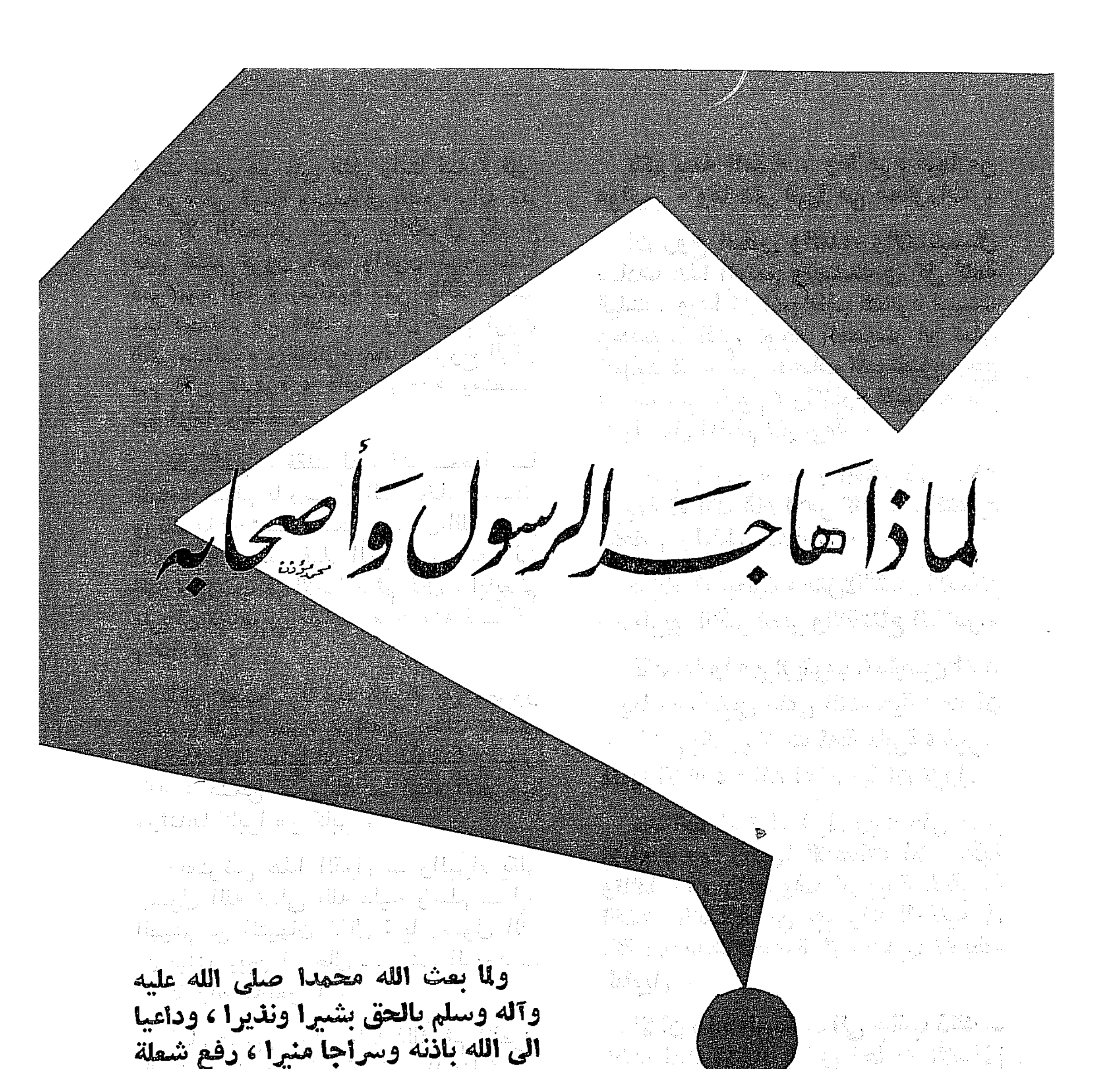
فقد جاءوا من ((يثرب)) مؤمنين اشد الايمان ، وملبين داعى التضحية ، مع أن معرفتهم بالنبى كانت لمحة عابرة ، غبرت عليها الايام ، وكان الظن بها ان تزول .

بيد انها لم تزل ، بل ربت على مر الايام ، وما زادتها الأحداث الا صلابة وتألقا ... والمعروف ان بيعة العقبة انقذت الاسلام من جبروت الوثنية فى مكة ، ومهدت للهجرة التى بدأ بها تاريخه الطويل .

الا ان هذه البيعة — الى جانب ذلك — كانت نداء الانقاذ الذى نجا به الاسلام من المآزق المتضايقة .

ففى غزوة حنين ، عندما فر الطلقاء والضعفاء للجولة الاولى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس ، وكان جهير الصوت فنادى يمنة ويسرة : يا اصحاب العقبة ، فثاب الرجال المؤمنون الى صاحب الرسالة ينعطفون نحوه ، وقد هاجت فى مشاعرهم اقدس الذكريات فكانت الجولة الاخرى وجاء بعدها النصر .

الا ما أجل عهود الشرف فى تاريخ الدعوات .



لماذا هاجر الرسول وأصحابه

محمد يونس

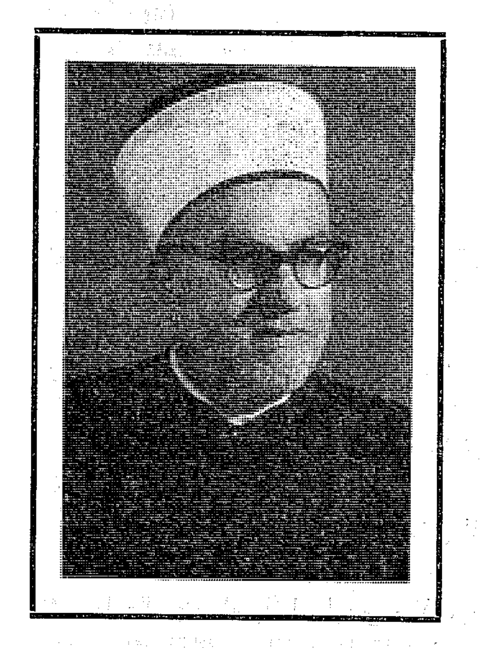
ليست الهجرة هجرة واحدة ، بل هى هجرة النفس لما تأباه ، وهجرة القلب لما ينكره ، وهجرة العقل لما يفسده ، وهجرة الارواح لما لا ينسجم معها .

هذه نسميها هجرة معنوية ، وهناك هجرة مادية ، وهى هجرة الجسم من بيئة فاسدة ومجتمع مسمم ، انتشر فيه الالحاد ، وظهر فيه الفسوق والعصيان ، وتغلبت فيه عناصر الشر والخسران .

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، رفع شعلة الهداية ، فاضاءت لها قلوب ، وانصاعت لها نفوس ، وانشرحت لها صدور ، وابتسمت لها أرواح ، وتمكنت فيها قواعد الهداية ، ورست فيها اسس الاصلاح ، فهجروا ما عليه القوم من عبادة الاوثان ، وتقديس الاصنام ، الى توحيد الله عز شأنه ، وجل سلطانه ، والعمل على مرضاته ، واعتبروا أنفسهم دعاة للحق ، وجنودا للرحمن ، وسعاة للخير ، ما خلقوا الا لهذا ، وما وجدوا على ظهر البسيطة ، الا ليؤدوا رسالة ، ويحفظوا أمانة ، فاذا حالت قوى الظلم

لفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح

رئيس محكمة الاستئناف الشرعية ـ القدس



والشر والطغيان ، دون تبرئة الذمة ، وتأدية المطلوب ، ورفع راية الحق، واقامة قسطاس العدل ، هاجروا بأبدانهم ، لبيئة اصلح ومجتمع اكثر استعدادا للخير ، حتى يتمكنوا من تأدية الرسالة .

من أجل هذا هاجر الرسول وأصحابه من مكة المكرمة ، للمدينة المنورة ، هاجروا من الوطن وهجروه ، لا فرارا من تنكيل وتعذيب ، ولا خوفا من أذى وعدوان ، ولا ضعفا فى العزيمة ، ولا خورا فى النفوس ، ولاتفاديا من الموت فى سبيل الله ، ولا طمعا فى مال ، ولا سعيا وراء جاه أو منصب . وانما هو الايمان الذى ملأ نفوسهم وقلوبهم ، أبى عليهم ان يقلهم بلد تهدد فيه الدعوة ، وتمنع فيه كلمة الحق ان تعلو وتظهر ، وعوامل الشر متوافرة ، وزبانية الفساد متغلغلة ، تحول دون اظهار عزة المؤمنين ، وتمنع اعلان رسالة الاصلاح ان تبلغ الاسماع ، او ان تذيع فى الاصقاع، خوفاعلى باطلهم المزيف ان يفتضح ، وقوتهم المصطنعة ان تنهار ، وزعامتهم الخادعة ان تتهدم .

أيها القارىء الكريم

لقد تهيأت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الاكرمين اسباب الهجرة الى المدينة بهجرة نفوسهم أولا ، ونفرة قلوبهم ، من كل ما أحاط بهم من اباطيل ، واستنكار ما هم عليه من عقائد فاسدة وتقاليد واعراف لا تمت الى رسالة الخير والاصلاح بصلة، ورضوا بهجرة الاوطان ، لصيانة العقائد والمبادىء ، فاذا صانوها استطاعوا ان يصوغوا النفوس المجاهدة ، والقلوب المناضلة المكافحة ، وان يبنوا امة تتحمل التضحيات فى سبيل مثلها وحماية ذمارها ، وحفظ كرامتها واستعادة أوطانها .

ولهذا فان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لما تمكن فى المدينة اقام دولة الاسلام العتيدة ، لتحمى الايمان

وتشريعاته ، وتصون الحقوق ، وتنصر الضعفاء وتكون النفوس المكافحة المؤمنة.

ولما اطمان لقوة العقيدة وسلامتها كون من الامة جيشا ، كل فرد فيه جندى مخلص ، متفان فى سبيل عقيدته ومثله ، وتنافس القوم فى التضحية ، وتباروا فى الفداء ، ولما استشارهم يوم بدر ، قال المقداد بن عمرو : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

ثم قال سعد بن معاذ صاحب راية الانصار : لقد آمنا بك وصدقناك،وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك مع ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أمرت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد .

أيها القارىء الكريم

حينما بدأ المسلمون بالهجرة الى المدينة فطنت قريش لنتائج الهجرة وآثارها البعيدة ، فبذلت كل ما تستطيع من جهد فى سبيل صرف المسلمين عنها ، واستعملت كل وسائل التنكيل والتعذيب والحبس والتشريد ، حتى فصلت الزوجة عن زوجها اذا كانت قرشية ،

ولما أراد صهيب الرومي أن يهاجر ، وكان صاحب مال وفير ، وقف له صناديد قريش ، وقالوا له:اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ فقالوا نعم ، فقال جعلت لكم مالي ، فتركوه حتى قدم على رسول الله ، فقال له : ربح بيعك .

فتلك النفوس السامية تعلقت بمثلها العليا واهدافها الكبيرة ، واستهانت فى سبيل ذلك بالمال وغير المال .

لذلك يجب علينا حينما نذكر الهجرة ان نذكر ما كان فيها من تضحيات بعيدة المدى ، تخلى الواحد منهم عن ماله ، وعن زوجته وعن أهله ،وأخيرا تخلي عن وطنه، ولكن لماذا هذا كله ؟ ليحمي ايمانه وعقيدته ، واذا سلم ذلك استطاع ان يصنع الاعاجيب ، ويسترد الاوطان ، وينقذ الكرامة ويحفظ الشخصية ، ويؤمن الحرية .

وحينما نذكر الهجرة،نذكر ان الرسول واصحابه ما هاجروا من وطنهم ليعبدوا ربهم فى سرهم وما هاجروا ليقبعوا فى مسجدهم يرددون آيات الله،وما هاجروا لينطووا على أنفسهم ، وانما هاجروا ليعلنوا دعوة ربهم ،ويرفعوا راية الاصلاح فى شتى الميادين .

ولهذا فان الرسول لما اذن لاصحابه فى الهجرة للحبشة ، وهاجر من هاجر منهم ، اراد ابو بكر ان يلحقهم ، فخرج من مكة حتى بلغ موضعا يسمى برك الغماد ، على خمسة أميال من مكة ، لقيه

ابن الدغنة ، وكان سيد جماعته ، فقال له اين تريد يا ابا بكر ؟ فقال اخرجني قومي ، وأريد ان اسيح فى الارض واعبد ربي ، فقال له ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانا لك مجير امنع من يؤذيك، فارجع واعبد ربك فى بلدك ، واعلم ابن الدغنة اشراف قريش بما أجار ، فوافقوا على أن يعبد ربه فى داره ، لانهم خافوا ان يفتن نساءهم وأبناءهم حين يطلعون على حقيقة الاسلام ، وبنى ابو بكر مسجدا صغيرا بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، ويتزاحمون مصغين لقراءة ابى بكر ، فأفزع ذلك اشراف قريش ، وأرسلوا الى ابن الدغنة يطلبون منه أن يتقيد ابو بكر بعبادة ربه فى داخل داره ، أو يسترد أمانه ، فلم يقبل أبو بكر هذا الشرط ، ورد عليه امانه ، وقال : ارضى بجوار الله وحمايته ، وكان هذا من أسباب الهجرة الى المدينة .

اذن انما هاجر الرسول ليغير عقائد كانت فاسدة ، ويبدل تقاليد كانت ضارة بالية ، فأقام الدولة الاسلامية تتكفل بالتشريع فى جميع نواحي الحياة ، من أحوال شخصية ومدنية وغيرها وعلاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بغيره ، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول .

وأقام تلك الدولة على مبادىء الاخوة فى الله ، والتضامن الانساني العام ، واقامة الحرية ومحاربة الظلم والطغيان ، ورفع راية العدل فى جميع افراد الامة ، وكان من مبادئها وقواعدها : الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله .

ولذلك فان التفكير فى فصل الدين عن الدولة أو الدولة عن الدين هو من مستوردات الغرب ومصادم للاسلام ، فالتشريع جزء من الاسلام ، الذى هو دين ودولة وعقيدة وعمل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

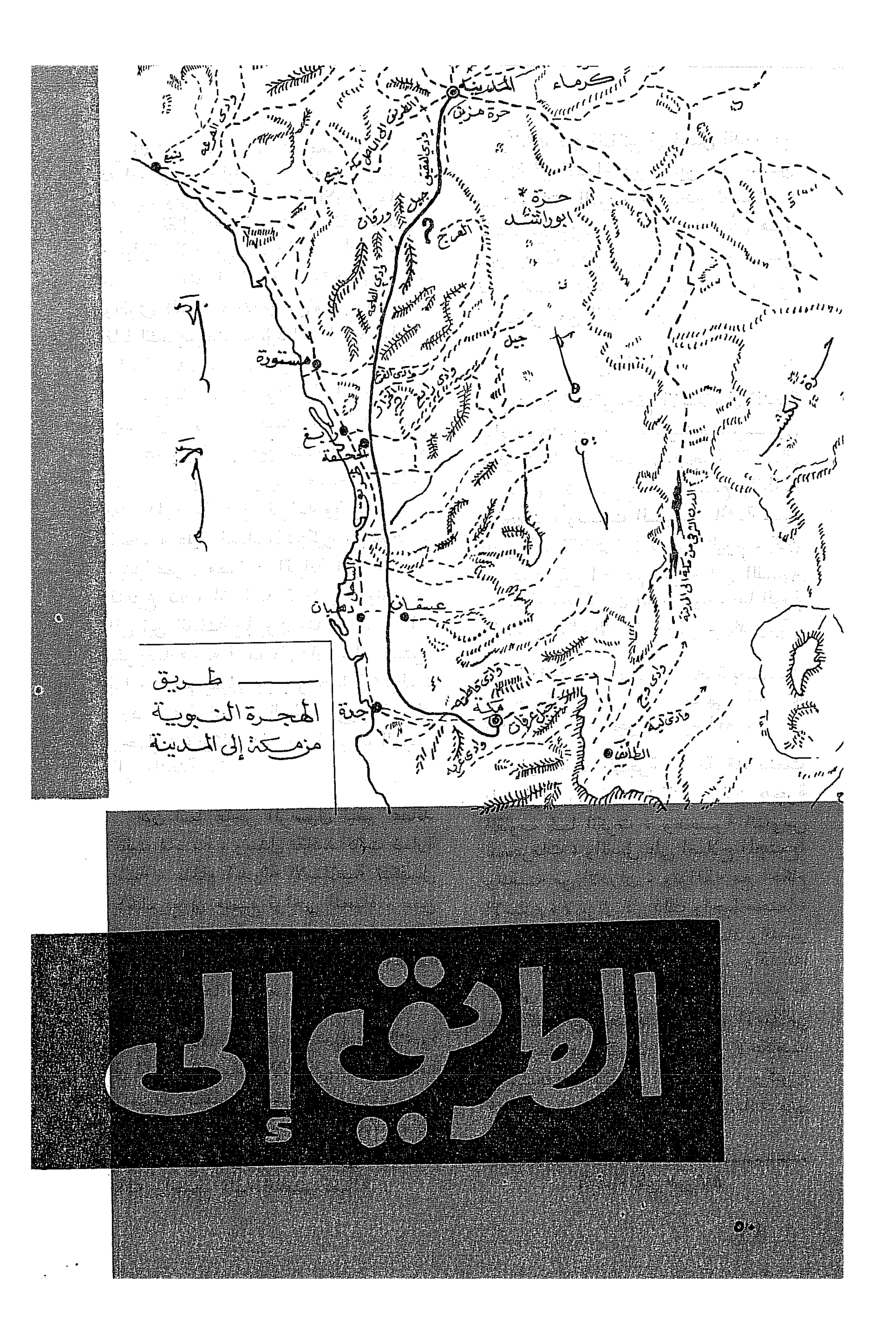
أيها السادة

بعد ان استقر حكم الاسلام فى المدينة جاء مجالد بن مسعود يبايع الرسول صلوات الله عليه على الهجرة فقال الرسول : لا ، نبايع على السمع والطاعة والجهاد ، وسئلت السيدة عائشة عن الهجرة ، فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر احدهم بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن عليه ، اما اليوم فقد اظهر الله الاسلام ،ولكن جهاد ونية .

وفى احاديث أخرى لا هجرة بعد الفتح والمهاجر من هجر مانهى الله عنه واعظم الهجرة هجر ما حرم الله .

وان كانت الهجرة المادية قد منعت باستقرار الاسلام وتمكنه ، فان هجرة القلوب لما انكرت ، وهجرة النفوس للمحرمات ، والعمل على اصلاح المجتمع، وتنقيته من الادران ، وتوافقه مع احكام الاسلام ، لا يزال كل ذلك واجبا محتما ، والتسامح فى ذلك يعرض للفساد والدمار والمسئولية العظمى امام الله . واذا كنا نحتفي بذكرى الهجرة فعلينا ان نذكر ما عليه كثير من المجتمعات فى العالم الاسلامي من بعد عن الاسلام ، وتنكر لاحكامه واستخفاف بتراثه الفكرى ، وكنوزه التشريعية واعراض عن الاستفادة منها والرجوع اليها .

البقية على ص ٥٧


المدينة
كرماء
ينبع
مستورة
رابغ
عسفان
ذهبان
جدة
مكة
الطائف
طريق
الهجرة النبوية
من مكة إلى المدينة
الطريق إلى

للدكتور عبد العزيز كامل
استاذ الجغرافيا المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة

ان من أول ما يسترعي الانتباه فى الهجرة أنها كانت ((عربية)) لم يترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام الجزيرة كما فعل أصحابه عندما أذن لهم فى الهجرة الى الحبشة ، وانما كان انتقال قاعـدة الاسلام من واحة الى واحة بحيث يظل المنطاق الاسلامي عربيا .

ومع وقوع مكة والمدينة على محور الواحات الممتد بين الشام واليمن الا ان هناك فروقا واسعة ـ طبيعية وبشريـة ـ تقتضي دراسة مقارنة بين البيئتين تأتي سابقة لوصف الطريق بينهما .

مكة

تقع مكة فى واد ضيق يبعد نحو ستين كيلو مترا عن شاطىء البحر الأحمر . وينحدر الوادي من الشمال ـ حيث المعلاة ـ الى الجنوب ـ حيث المسفلة ـ وترتفع الجبال على جانبي الوادي وتحيط بـه بحيث تحدد مداخله تحديدا دقيقا . ويبلغ ارتفاع بطن وادي مكة نحو ٣٦٠ مترا فوق مستوى سطح البحر . والى شرقه يرتفع جبل قعيقعان ، والى الغرب جبل ابى قبيس . وسفوح الجبال جرداء تتناثر فيها غيران تتباين عمقا واتساعا . وعند حضيض أبي قبيس ترتفع ربوة صغيرة هي الصفا تقابلها فى الجنوب الشرقي ربوة أخرى هي المروة. وفى منتصف الطريق بينهما تهبط الارض فى بطن الوادى، والى جنوب قعيقعان وغرب أبي قبيس يرتفع جبل عمر وكان اسمه العاقر فى الجاهلية . ويطلق على الجزء الشمالي من قعيقعان جبل الهندي لسكنى الهنود فيه .



هذه هي الجبال الرئيسية المشرفة على مكة . واذا رجعنا الى الأزرقى فى أخبار مكة وجدناه يذكر اسماء كثيرة لجبال أخرى أقل أهمية ، بعضها أجزاء من الكتل الرئيسية او امتدادات لها .

وأدى هذا التوزيع الى تحديد مداخل مكة الرئيسية الثلاثة :

١ ــ المدخل الغربي بين جبل قعيقعان وعمر وهو الموصل الى جده .

٢ ــ المدخل الجنوبي فى مسفلة مكة ويسمى طريق اليمن .

٣ ــ المدخل الشمالي من المعلاة ويوصل الى منى وعرفات والطائف .

وتؤدي هذه المداخل ــ أو الطرق الى بطن مكة وبينها اتصالات اهمها يوصل الى المدينة .

وأشهر موارد المياه فى مكة بئر زمزم فى الحرم، وقد أحصى الجغرافيون العرب موارد مياه المنطقة وأهمها عند جبل عرفات ، ويصل الى مكة بمجرى جوفي عليه آبار مفتوحة فى أكثر من مكان .

ولجفاف مكة وطبيعة تربتها وندرة موارد المياه فيها لم تكن الزراعة اساس حياتها الاقتصادية . واستفادت مكة من موقعها المتوسط كمركز تجاري بين الجنوب والشمال ، ومن حرمتها فكانت لقريش منزلة رفيعة فى الحياة العربية .

واذا كان من طبيعة العربي الحنين الى منازله ، فان القرشي ساكن مكة ــ حرم الله ــ كان أشد حنينا الى موطنه الذي يضم الميراث الممتد فى أعماق التاريخ ، وتدين له العرب .

على هذا نستطيع ان ندرك ان الهجرة لم تكن مجرد تغيير موطن بموطن ، او ان ارتباط النبي والصحابة بمكة كان ارتباطا لا يصل الى أعماق نفوسهم . لقد كانت فيهم العاطفة الدافقة نحو مكة ، بل لعلهم كانوا أشد أهل مكة احساسا بمنزلة مكة الحقيقية والدور الذى ينبغي ان تقوم به فى الحياة العربية فى ظل الاسلام .

المدينة

واذا كانت مكة تمثل بدء طريق الهجرة فان المدينة تمثل غايته و هدفه. وتبعد عن ساحل البحر الاحمر بنحو (١٦٠) كيلو مترا . وعن مكة ــ فى خط مستقيم ــ نحو (٣٣٥) كيلو مترا ، وان كان طول طريق الهجرة نحو اربعمائة كيلو مترا . وتشغل المدينة جزءا منخفضا من سهل مرتفع تحيط به المرتفعات من ثلاث جهات اما الجنوب فأكثر استواء وان كانت به بعض التلال .

والانحدار العام فى المدينة نحو الشمال الغربي واليه تجرى عدة أودية تتجمع فى وادى العقيق ــ ويطلق على الاجزاء المرتفعة فى الجنوب الشرقي العوالي أو عالية المدينة ، وعلى الجزء الشمالي سافلتها . ويتخذ انحدار المدينة ــ بهذا عكس الاتجاه الذي يأخذه الانحدار فى مكة . وموارد المياه فى المدينة وافرة وبخاصة على جوانب الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها ، وليس فى المدينة الجفاف الشديد الذي رأيناه فى مكة ، وانما تتوفر فيها بيئة زراعية تجعل لها طابعا مختلفا عن طابع مكة .

وللمدينة عدة مداخل أهمها :

١ ــ طريق قباء وهو الموصل الى مكة ويتبع وادي العقيق .

٢ ــ الطريق الغربي الى ينبع .

٣ ــ طريق نجد الذي يخترق حرة واقم شرق المدينة .

٤ ــ طريق الشام المتجه شمالا .

ويهمنا فى مجال المقارنة طريق نجد وطريق قباء .

ولقد اجتذبت المدينة بوفرة مائها وامكانياتها الاستقرار فيها ووقوعها على محور الواحات بين اليمن والشام .. اجتذبت بهذا كله انظار عرب الجنوب من الأوس والخزرج ، كما اجتذبت أنظار اليهود الذين جاءوها من الشام ولم تجتمع المدينة على رجل واحد ، ولم تعتمد ــ فى الجاهلية ــ على حرمة دينية كمكة ، فكثرت فيها الحصون والآطام يمتنع بها أهل الحي عندما يتعرض لهم عدو من المدينة أو من خارجها . وكان اكثر هذه الحصون فى العوالي حيث وفرة المياه وجودة الأرض . وقسم له اهميته منها كان تحت يد اليهود .

وعندما فتحت المدينة قلبها للرسول فى بيعة العقبة ، وبدأت تستقبل أصحابه حذرت قريش من خروج الرسول الى المدينة وتشاوروا بدار الندوة ثم اتفقوا على قتله ، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، وبهذا تحدد وقت الهجرة بعد أن تحدد هدفها .

مجال الهجرة

كانت الهجرة فى صيف عام ٦٢٢ ميلادية . وكانت ــ على الراجح ــ فى أوائل ربيع الأول . فى العام الثالث عشر من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام . ومع أن الجفاف والحرارة هما الطابعان الغالبان على الجزيرة العربية الا ان العربي كان يفضل وقت اعتدال الجو اذا ترك له الخيار من أمره .

وللطريق من مكة الى المدينة مميزات جغرافية لها ارتباطها بالتقسيم التقليدي الذي درج عليه العرب فقد كانوا يقسمون الجزيرة العربية الى تهامة والحجاز ــ وفيهما كان المجال الجغرافي للهجرة ــ واليمن ونجد والعروض . وأطلقوا عليها هذا الاسم لاعتراضها الطريق بين اليمن وفارس .

وتهامة اصطلاح له دلالة تضاريسية ومناخية فالتهمة هي الأرض المتصوبة الى البحر ، والتهم شدة الحر وركود الريح . اما الحجاز فهو ما حجز بين تهامة ونجد . وربط بعض الكتاب بين موقع الحجاز وبين التكوينات البركانية (الحرار) هناك ، قال الاصمعي : اذا عرضت لك الحرار بنجد فتلك الحجاز .

ولهذه الظاهرات الجغرافية تأثيرها على طرق الاتصال بين أجزاء الجزيرة العربية ، ويعنينا منها الطرق فى الحجاز وتهامة وبخاصة ما بين مكة والمدينة .

١ ــ فهناك طريق الساحل فى تهامة . ويستطيع سالكوه أن يعتمدوا على موارد المياه فى بطون الأودية المتحدرة من الحافة الغربية لجبال الحجاز نحو البحر الاحمر، ومن قديم عرف العرب هذا الطريق وسلكته قوافلهم . وكانت قوافل قريش تسلكه اذا أرادت ان تتجنب المرور بالمدينة . ولا زال الطريق الرئيسي بين مكة والمدينة يتبع السهل الساحلي ما بين جدة حتى بدر ، ثم ينحرف بعد هذا الى الشمال الشرقي مخترقا الجبال ليدخل المدينة من جنوبها الغربي .

٢ ــ أما الطريق الثاني فيطلق عليه الدرب الشرقي أو طريق نجد . ويتبع الحضيض الشرقي لحرة رهط وهي اكبر الحرار بين مكة والمدينة .

وبهذا نستطيع أن نميز فى أرض الحجاز ـ بمدلولها الواسع ـ بين السهل الساحلي ثم الجبال الساحلية ثم تنخفض الارض مرة اخرى لتعود الى الارتفاع فى الجبال والحرار الداخلية وتنحدر حافاتها الشرقية الى نجد . وتتبع القوافل اما طريق الساحل أو الطريق الشرقي بين الحرار .

وقد قامت المساحة المصرية السعودية وشركة ارامكو بدراسات مفصلة لهذه الأجزاء ولكنها ـ رغم اهميتها ـ لا تعنى عناية اساسية بتوقيع المعالم الجغرافية والاماكن التي ارتبطت باحداث التاريخ الاسلامي ، الا ما كان له قيمة بشرية ظاهرة .

ومن ثم بقيت ثغرات واسعة فى طريق الدراسة تحتاج الى دراسات ميدانية مفصلة توقع ـ على خرائط ـ هذه المعالم التي ذكرها الجغرافيون العرب فيما خلفوه من معاجم ومؤلفات . وبدون هذه الخرائط سيظل الاساس الجغرافي أو المكاني فى دراسة التاريخ الاسلامي غير عميق . وستظل فلسفة المكان غير محددة القسمات فى وصف وتحليل أحداث هذا التاريخ . نحن فى حاجة الى « اطلس الاسلام » فهل تتعاون الجامعات والهيئات العلمية فى الوطن الاسلامي على انجازه ؟ .. أمل أرجو ان يتحقق ..

ولنعرض بعد هذه المراحل طريق الهجرة .

من مكة الى الغار

رأينا كيف أن لمكة ثلاثة مداخل رئيسية : طريق الغرب وطريق الشمال وطريق المسفلة الجنوبي نحو اليمن . ويبدو لاول وهلة أن الطريقين الاول والثاني أقرب الى المدينة من الطريق الثالث . ومع هذا فقد كان خروج النبي عليه الصلاة والسلام للهجرة عن طريق المسفلة . أى أنه توجه تلقاء الجنوب ليتابع بعد هذا سيره الى الشمال . وغار ثور الذي لجأ اليه الرسول يقع على نحو خمسة كيلو مترات ونصف الى جنوب شرق مكة وارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر . والطريق الى الغار شاق حتى ان الرسول لم يبلغه الا بعد ان دمت قدماه .

وكان من المنتظر ان يبدأ البحث عن الرسول فى الاجزاء الشمالية والغربية من مكة وهي المؤدية الى المدينة . وألا يتبادر الى الذهن ان يسلك الرسول طريق اليمن بينما المدينة هدفه .

وبقى الرسول فى الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر . وكان خروجه من مكة ـ على الراجح ـ فى اوائل ربيع الأول . ولا نجد تحديدا دقيقا متفقا عليه فى أمهات كتب التاريخ الاسلامي ليوم خروجه من مكة (يراجع ابن هشام وتاريخ الطبري) . وان كان الاتفاق على يوم بلوغه قباء ودخوله المدينة ..

كان بلوغه قباء يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى (الطبري ٦ : ٣٨١ المعارف) وكان دخوله المدينة يوم الجمعة الذي يليه (نفس المرجع ٦ : ٣٨٣) .

ولو أخذنا بأن خروج الرسول كان يوم الاثنين، فسيكون الخامس من ربيع الاول ، فاذا طرحنا منها ثلاثة ايام بقيها فى الغار لبقيت عندنا أربعة ايام عليه أن يقطع فيها اربعمائة كيلو مترا .. أى أن متوسط الرحلة اليومية مائة كيلو مترا .. وهو رقم واضح الارتفاع ، بينما لو كان خروجه من الغار يوم اثنين لانخفض الرقم الى نحو ستين كيلو مترا .. وهو قريب من المنطق فى ظروف الهجرة ..

ونظم الرسول فى الغار أمرين أساسيين :

١ - ان يكون على علم بمجرى الحوادث فى مكة وما تقوم به قريش ويرتبط بهذا تدبير حصوله من مكة على طعامه وشرابه وزاده عند السير .

٢ - ان يكون طريق الهجرة أمامه مفتوحا الى المدينة .

اما عن الامر الاول فكان عبد الله بن ابى بكر يبيت عندهما فى الغار اذا اظلم الليل ثم يعود فى الفجر الى قريش فيظن أهل مكة أنه كان معهم. ويمضى نهاره بينهم يسمع ما يقولون ويرجع الى الغار ليخبر الرسول بما علم . وكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما بالطعام . اما آثار الأقدام التي يتركها سير اسماء وعبد الله فتكفل بها عامر بن ابى فهيرة مولى ابى بكر ، فيروح على الغار باغنامه بعد ان يرعى نهارا فيأخذ الرسول وصاحبه ما شاءا من البانها ولحومها ثم يتابع سيره بالقطيع دون ان يترك وراءه أثرا على سير انسان ..

وأما الشطر الثانى فكانت لأبى بكر راحلتان دفعهما الى عبد الله بن أريقط وكان دليلا ماهرا ليأتيهما بهما عندما ينقطع الرصد والبحث عن الرسول وصاحبه .

ورغم هذا الاحكام فقد استطاع قصاصوا الأثر ان يصلوا الى فم الغار بعد أيام أمضوها فى البحث ، ولكنهم لم يتابعوا البحث فيه وحفظت عناية الله الرسول وصاحبه .

على الساحل

وخرج الرسول من الغار بصحبة ابى بكر ورافقهما عامر واتجه الدليل غربا الى طريق الساحل . وتمثل الأودية المتحدرة من السفوح الغربية ، للجبال نحو البحر المعالم الرئيسية فى الطريق . ثم اتجه شمالا متجنبا مناطق الاستقرار أو التجمع ، مستفيدا فى نفس الوقت من موارد المياه الموجودة ، وان مر فى طريقه ببعض الرعاة . وتابع سيره شمالا مارا بالطريق أسفل عسفان . وهي بلدة صغيرة باقية . ومر بعد هذا بأمج - ولم يرد على الخرائط الحديثة - وهو واد يأخذ من حرة بني سليم وينتهي الى البحر ثم أجاز قديدا وهي قرية صغيرة على وادي ستارة ثم سلك الخرار وهو موضع بالحجاز ذكر ياقوت انه قرب الجحفة (معجم البلدان ٢ : ٣٥ ط بيروت) ولم يرد هذا الوادي على الخرائط الحديثة .

هذا هو القطاع الساحلي من طريق الهجرة ويبلغ امتداده نحو مائة وسبعين كيلو مترا . ولم يتبع فيه الرسول الجادة المطروقة وانما كان يتجنبها ليكون فى مأمن ممن يحاول ان يقفو أثره . وقد حاولها سراقة بن مالك .. ذهب طامعا وعاد ليصرف الناس عن تتبع الرسول .

من الساحل الى المدينة

وعند الجحفة سلك الرسول طريق الخرار - او طريق الحرار - الأول الوادي والثاني جمع حرة - وهو غير الطريق المعتاد بين مكة والمدينة . وكما تجنب الرسول الجادة المطروقة فى السهل الساحلي ، تجنبها كذلك عند سلوكه الجزء الجبلي من الطريق . وتذكر كتب السير الثنيات والعقبات والأودية التي مر بها (ابن هشام ٢ : ١٣٦ - ١٣٧ ط الحلبي بمصر) ويتبين منها انه حتى مع اختياره هذا الطريق ، كان يتجنب معالمه المعروفة اختصارا للوقت وزيادة فى الحيطة ، حتى انه سلك فيه واديا كان به قاطعا طريق - رغم علمه بذلك - وأسلما على يديه . واجتاز ثنية ركوبة عند العرج وهى عقبة شاقة شديدة المرتقى يضرب بها المثل .

وبعد أن عبر عدة أودية هبط بهما الدليل العرج ثم هبط وادي العقيق . وهذا الوادي تسجله الخرائط الحديثة. امـــا المعالم التي سلكها الرســول بين الساحل ووادي العقيق فلا نجد توقيعا لها على هذه الخرائط .

وقد تتبع الرسول وادي العقيق الى قباء وهي قرية صغيرة الى جنوب المدينة وأقام بها أربعة أيام وأسس فيها مسجدا، ولحق به فيها علي بن ابي طالب رضى الله عنه بعد أن نام فى فراش الرسول ليلة الهجرة ليصرف الأنظار عـن تتبع الرســول حتى الصـــباح ثم قام يرد الودائع .. ودخل الرسول المدينة يوم الجمعة فى الخامس عشر من ربيع الأول ويبلغ الجزء الجبلي من طريق الهجرة نحو مائتين وثلاثين كيلو مترا .

وصفوة القول

ان الهجرة كانت عربية ، وأن الطريق الذي سلكه الرسول فى هجرته بدأ باتجاه جنوبي مع أن هدفه المدينة شمالا ، ثم اختبأ فى الغار ثلاثا وتتبع طريق الساحل غـير سالك منازلهم المطـروقة ثـــم سلك الخرار متجها الى الشمال الشرقي متتبعا طرقا جبلية وعــرة حتى هبط العرج فوادي العقيق الى قباء ومنها الى المدينة . واتخذها دار هجرته وقاعدة لنشر الاسلام .

قالوا فى الهجرة

يفوق الخيال

قصة هي أضخم قصص الحيـــاة جميعا ، لانها تروى أضخم احداث التاريخ جميعا ، على انها قصة لم يلفقها الخيال، ولم يبتكر لها الابطال ، ولم يخترع لها الوقائع اختراعا ، ولم يبتدع لها النتائج ابتداعا ، ومع هذا فهي اجمل ما روى أصحاب القصص وأبدع وأفخم ما حاك خيال الروائيين وأروع ، هي قصة اذا لم تكن من نسج الخيال ، فان الحقيقة فيها سمت على محلق الخيال !

هي شيء لولا انه وقع ، لما صـــدق احد انه يقع ، ولولا انه كان ، لما ارتاب أحد فى انه لا يمكن أن يكون . ولقد جرت حوادث هذه القصة فى صـــدر القــرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام ، واما موضوعها فالصراع بين الحق والقوة ، واما مكانها فمكة ، فيثرب ، ثم مكة ، واما ابطالها فمحمد بن عبد الله ، وأما اشخاصها فصحبه من ناحية ، وقبائل قريش من ناحية أخرى .

هي قصة طويلة جدا ، فقد استهلكت حوادثها العنيفة الرائعة نيفا وعشرين سنة ، وهي مبسوطة مفصلة ، فى كتب التاريخ ، وفى كتب السـير .

. وبعد ، فليت هؤلاء الذين غصب عليهم حقهم ، والذين خرجوا أو اخرجوا ظلما من ديارهم ، ليتهم يبنون انفسهم على الصبر ، ويروضونها على شـــدة الاحتمال فى سبيل الحق ، ففي حديث الهجرة أصدق الخبر ، وفيه احســن العظات وأبلغ العبر .

عبد العزيز البشرى

بقية : لماذا هاجر الرسول وأصحابه

أذكر حينما كنت قاضيا فى القدس منذ عشرين سنة ، عرضت على حادثة ، طالبت فيها مطلقة مطلقها بخمسمائة ليرة عثمانية ذهبا ، مؤجل صداقها ، وقد كان التعامل بالذهب ممنوعا ، واختلف الفريقان فيما يجب على المطلق أن يدفع، هل قيمة الليرة يوم العقد ، أو قيمتها يوم الاستحقاق أو قيمتها يوم الخصومة، وراجعت فى المراجع الفقهية الاسلامية فوجدت انهم استعرضوا الاحتمالات الثلاثة ، ورجحوا اعتبار يوم الاستحقاق، وأبرز الى حينئذ حكم صادر من مجلس الملك فى لندن فى حادثة حقوقية مماثلة وقعت فى محاكم فلسطين، وقد استعرض مجلس الملك آراء الفقهاء الاسلاميين ، وغيرهم من الفقهاء ورجح ما رجحه فقهاء الاسلام .

واذكر هذه الحادثة الجزئية للدلالة على ان الغربيين كانوا ولا يزالون يستفيدون من كنوزنا ويستقصون ما فيها من تراث عظيم ، نحن أجدر بجعله أساسنا فى التشريع ، وملاذنا فى الاتجاه وعمدتنا فى التقنين .

واذا لم يحرص المسلمون والعرب على مصادر اعتزازهم ، ومدار فخارهم ومقومات شخصيتهم ، فانهم يندمجون فى غيرهم ، ويذوب وجودهم ، ويبقون فى كل شيء عالة على غيرهم .

ولئن ساغ للبلاد العربية الاسلامية ان يعتمدوا فى التشريع على القوانين الغربية والمصادر الاجنبية فى عصور كان للانتداب والاستعمار والميوعة والانحلال الاثر الكبير فيها ، فلا يجوز أن يكون فى عصور الاستقلال واليقظة ، والانطلاق من قيود الاجنبي .

واني اتساءل هنا عن القومية العربية، التي دعت او تدعو اليها جميع الدول العربية ، هلا تعنى الاحتفاظ بشخصيتنا كأمة ذات تشريع خالد ، وثروة فكرية عظيمة ، ساهم فى الاحتفاظ بها وشرحها المسيحيون المخلصون لعروبتهم ، كما ساهم فيها المسلمون ، باعتبارها ثروة قومية ترفع من شأن العرب وتضعهم فى ذروة القمة فى الامجاد .

أيها القارىء الكريم

لعله يتراءى لك أني بعدت عن الهجرة وما يتعلق بها ، ولكني أقول أنه يجب أن نهجر كل ما يتنافى مع شرائعنا وتقاليدنا كأمة عربية مجيدة ، ونجدد العزم على هذا فى حديثنا عن الهجرة ، فلا فائدة من الاحاديث والحفلات والخطابات اذا لم تمس مشاعر الناس فى عصرهم ، وتربط بين حاضرهم وماضيهم ، وتجعل من الماضي المجيد مشعلا يهدينا فى حاضرنا وحافزا يدعونا الى العمل الجدى المثمر .

واني فى حديثي عن الهجرة أهيب بالعرب والمسلمين فى سائر الاقطار أن يعملوا جادين على غسل العار ، والاخذ بالثأر ، وانقاذ الكرامة ، واستعادة ما غصب من فلسطين الحبيبة ، ولا سبيل لذلك الا التضامن والاعداد والقوة ، وان نستفيد من ماض لنا حافل بالامجاد وأسباب العزة والمنعة .

وليس القصد ان نتغنى بتلك الامجاد ونستعيد تلك المفاخر ، وانما القصد أن نسير سير البطولات ، ونتمثل فى أعمالنا بحقيقة التضحيات ، ونتخلى عن الارتماء فى أحضان الغير ، ونتخلص من مركب النقص فى نفوسنا ، ونشعر فى فخر بعزة المؤمنين ، وحينئذ تكون بحق خير أمة أخرجت للناس .



بقلم الاستاذ احمد حسين المحامي

مناقشة مفتوحة للنظرية المادية

الدين أى دين لا يخرج فى جوهره عن ان يكون نظرية شاملة لتفسير الوجود والكون وتكييف العلاقات الانسانية على أساس من هذه النظرية وتطبيقاتها ، والمحور الاساسي لاى نظرية دينية هو الايمان باله خالق لهذا الكون من طبيعة مثالية تغاير المادة وتعلو عليها ، اله يمثل الكمال المطلق الذى يرنو اليه الانسان ، اله حكيم عادل رحيم .

والمعارضون لفكرة التدين والايمان بالله ، يقولون ان لا شيء فى الوجود يغاير المادة المنظورة المحسوسة الملموسة، ولا شيء يعلوها او يهيمن عليها الا نواميسها الخاصة ، ثم راحوا يرتبون

● النظرية المادية هي مأساة البشرية في القرن العشرين

● لقد عجزت النظرية المادية فأفلست عن أن تفسر للانسان شيئا فضلا عن ان تفيده بشىء .

● الامتناع عن استخدام الافيون في حالات الضرورة افراط في تعذيب الانسان والقسوة عليه .

علاقات الانسان وتطورات التاريخ على هدى من هذه النظرية وهذا الاعتقاد ، بحيث انتهى التفكير المادى الى اقامة ما يمكن ان يوصف بأنه دين المادية في مواجهة اديان البشرية كلها ومعتقداتها التى ترتد كلها الى فكرة المثالية ، اى وجود مثل أعلى يعلو على المادة ويهيمن عليها .

أى طريق يختار الانسان ؟

ويصبح السؤال الآن ، أليس من الجائز ان يكون هذا الدين المادى اهدى سبيلا ، وأكثر نفعا للانسان كما يقول الدعاة اليه ؟ الا يجوز ان يكون الدين المادى اكثر قدرة على مواجهة مشاكل الانسان المعنوية والمادية ، وأنه يفسر ما يستعصي تفسيره على العقل ، ويمكن من القضاء على ما يعانيه البشر من متاعب وآلام ؟ .

وعندنا ان طرح السؤال على هذا الوجه ومحاولة الرد عليه ومناقشته ، هو فرض واجب على كل انسان مفكر واع ، فالايمان اصدق الايمان لا يكون الا بدليل ، ولا يكون الا ثمرة الاقتناع العميق ، واذا كان الانسان نزاعا بطبيعته الى تحقيق اكبر قدر من الخير لنفسه ، فحتم عليه ان يرتاد كل المظان والاحتمالات التى يمكن ان تحقق له هذا الخير ، وتفسر الوجود . فلو أن هذا الدين الجديد يقدم لنا نموذجا اصلح واكمل من النماذج الاجتماعية التى عرفها البشر حتى الآن .. لو انه قدم لنا مجتمعا يخلو من القهر والاعنات والظلم والالم ، مجتمعا تسوده الوفرة والرفاهية ويرفرف عليه الحب ، لكان هو الاولى بالاتباع والاعتناق، بل لوجدت البشرية نفسها مسوقة لاتباعه تلقائيا . أما اذا خرجنا من البحث ، بأن هذا الدين المادى ، لا يقدم لنا تفسيرا جديدا لما عجزنا عن فهمه وادراكه ، ولا يزودنا بمجتمع يفوق ما عرفه البشر حتى الآن من مجتمعات ،

بل اذا ظهر من البحث ان هذا الدين الجديد قد اضاف الكثير الى آلام البشر وتعاستهم ، فانه يكون قد أهدر مبرر وجوده ، وضاعف فى ان يزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم ، ويصبح حقا عليهم ان يتصدوا للقضاء على هذا الدين الجديد الذى لم تقف آثاره الضارة عند حد معتنقيه ، بل امتدت حتى الى مخالفيه .

النظرية المادية وتفسير نشأة الوجود

تقول الاديان ويؤمن المؤمنون أن هذا الوجود كما قدمنا — من خلق اله يعلو على المادة ويهيمن عليها ، فتساءل الماديون والملاحدة والمنكرون ، ومن الذى خلق الله ؟ فيقول المؤمنون وحاملو رسالات الاديان : ان الله قديم كان منذ الازل ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

فيقول الماديون: هذا كلام غيبي لا غناء فيه، وفرض لا يستسيغه العقل،وخروج عن جادة العلم اليقيني الذى يجب الا يتعدى حدود المحسوس والملموس .

فيقول المؤمنون : ولكن كيف يقوى العقل — وهو جزء مخلوق — ان يدرك اسرار الخالق ، اننا نسلم ان العقل الانساني يعيا عن ادراك حقيقة الله ، ويجب أن يظل هذا البحث خارج نطاق البحث العقلي وحسبنا ان الوجدان والعقل ذاته يؤديان بنا الى وجود الله ، اما بالنسبة لماهية الله فمسألة تستعصي على العقل .

فيقول الماديون : نحن لا نعرف سوى العقل سبيلا للادراك ، وكل حديث لا يتقبله العقل يكون ضربا من ضروب الاوهام والاساطير والغيبيات .

فيقول المؤمنون : اذن هاتوا ما عندكم ان كنتم صادقين ، أرونا كيف تفسر النظرية المادية ما يستعصي على العقل ادراكه .

فيقولون: ان الامر أبسط من البساطة، فليس ثمة خالق أو أصل لهذا الوجود سوى المادة المحسوسة الملموسة التى نراها مبثوثة فى الكون وفى انفسنا ، وهي التى تتطور ، وهي التى تتفاعل ، فكان هذا الوجود .

فنقول : آمنا وصدقنا ان المادة هي اساس كل شيء فى هذه الطبيعة ، فمن الذى خلق هذه المادة ؟ . وزودها بهذه القوانين والنواميس التى تتطور من خلالها ، لتبدع كل هذا الابداع وتخلق كل هذا الخلق ؟

فيقولون لنا : ان المادة قديمة ، هكذا وجدت منذ الازل ، وفيم نشغل انفسنا بهذا السؤال (الميتافيزيكي) أى المتعلق بما وراء الطبيعة ، ان العلم لا يشغل الا بكل ما هو مادى ومحسوس وملموس، ولا شأن له بالذهاب الى ما وراء الطبيعة.

ومعنى ذلك ان النظرية المادية لا تقدمنا خطوة واحدة فى تفسير نشأة الوجود ، وكيف كان . فالقول بأن المادة قديمة هو ذات القول بأن الله قديم ، والقول بأن التساؤل عن كيفية وجود المادة ، خروج عن نطاق العلم ، هو نفس القول بأن العقل يعيا عن ادراك ماهية الله وكيفيته .

وهكذا نرى انفسنا بعد طول جهد ومشقة قد فسرنا الماء بالماء .

النظرية المادية وتفسير تصاريف القدر

واذا كانت النظرية المادية تعجز عن

تفسير نشأة الوجود ، فهل تراها على تفسير حوادث الوجود وتصاريفه أقدر وأكفأ ؟

ان الماديين لا يجدون ما ينكرون بـه وجود اله حكيم عادل رحيم ، الا ان يشيروا الى ما يعانيه الانسان احيانا من ظلم وبؤس وشقاء ، فيقول المؤمنون ان هذه الدنيا ليست سوى دار ابتـلاء واختبار ، وهي معبر لحياة اخرى أكمل منها وأفضل ، تخلو من النقائص التى يعاني منها الانسان ، ويعوض فيها عن حرمانه فى هذه الدنيا ، وينال كل ذى حق حقه .

فيقول الماديون : أوهام وخرافـات ، وتعلق بالغيبيات ، وهروب من مواجهـة الواقع ، ومع ذلك فان الملاحظـة التى يوجهها الماديون ، بالنسبة لما تنطوى عليه الحياة الانسانية احيانا من بؤس وشقاء، نتيجة الشذوذ والانحرافات تظل قائمة تبحث عن جواب .

فما دامت الحياة تسير وفق سنن ونواميس محددة وقوانين صارمة ، لا يمكن ان تخطيء ، أو أن تتحول ، فلماذا نرى هذه النوامس أحيانا تختل وتضطرب لغير سبب مفهوم او علة ، فنراها لاتوزع عطاياها على بني الانسان على السواء ، بل تعطى وتسرف فى العطـاء احيانا ، وتمنع وتشتد فى المنع احيانا اخرى . فترزق اقواما بالبنين والبنات بلا عدد ولا حساب ، وتمنع النسل عن آخرين ، وتعطي ذكورا حيث المطلوب اناثا ، وتعطي اناثا حيث المراد ذكورا ، ما بال هـذه النواميس تفرق بين شقيقين تكونا فى رحم واحد ، ورضعا من ثدى واحد ، ثم يكون احدهما علما على الذكاء والنبوغ، والآخر علما على الغباء والغفلة . لمـاذا ـ والخلايا تنقسم وتتكاثر طبقا لناموس الحياة ـ تتوقف هذه العملية او تنحرف فاذا الجنين يولد ناقص التكوين ، أو بغير عينين أو بأكثر من رأس وأكثر من يدين .

ما الذى يجعل مولودا صحيحا قويا معافى ، يموت بعد ولادته .. ومولودا كسيحا ناقص التكوين يحيا ويعيش . لماذا يتساقط الاقوياء احيانا تحت منجل الموت المفاجيء فى الوقت الـذى يعيش فيه المشلولون والضعفاء ؟.

اين نواميس المادة ودقتها واطرادها ، ما الذى يحرفها ويعرقل سيرها ؟

فيرد الماديون بأن هذه الانحرافات ، انما تتم بدورها وفق قوانين وسنن ، نجهلها فى الوقت الحاضر، ولكننا سنعرفها فى المستقبل ، عندما نزداد علما بأسرار الحياة .

ومرة أخرى لا نجد انفسنا تقدمنـا خطوة واحدة ، فما من مؤمن الا وهو يعتقد ان وراء الاحداث ايا كان انحرافها وشذوذها ، حكمة ربانية وهي ان خفيت عن بعض العقول ، فسوف تعرف فى يوم قريب عندما يكشف الحجاب عن البشر .

جنة في الارض بدلا من جنة السماء

ويمضـي الماديـون فى الاحالة علـى المستقبل ، والتعلق بالعلم وقدرته على تحقيق ما نتصوره اليوم مستحيلا الى حد التبشير بجنة أرضية ، تكاد تكون صورة طبق الاصل من الجنة السماوية ، فسيجيء وقت ـ عندهم ـ يختفى فيه عن ظهر الارض كل مظاهر الاستغـلال والاستبداد والقهر ، سيجيء وقت تنعدم فيه الحاجة الى الشرطة أو السجون ، فضلا عن الجيش والدولة نفسها .

فسوف تسير الامور تلقائيا فى هـذا المجتمـع اللاطبقي من خـلال التعاون والتفاهم والمحبة الانسانية ، ولن يكدح

الانسان او يشقى ، فسوف تتولى الآلات والعلم خدمته ، ومده بكل حاجاته فى وفرة . ولن يكون مرض ، ولن يكون جوع ، بل قد يمكن العلم الانسان من التحكم فى الحياة والقضاء على الموت نفسه . ويعيا العقل بالمقاييس المادية البحتة ان يتصور كيف يمكن ان تتحقق هذه الجنة الارضية ، فالطبيعة الانسانية كما نعرفها ، والتى جعلت من الانسان انسانا ، انما تقوم على هذه العواطف الانسانية والاهواء والغرائز،بل والنقائص، وهى التى تجعل الانسان يتنافس ويتقاتل ويتحاسد ويتباغى ، ويحب ويكره ، ويتسلط ويستعلى ويستبد .والحضارة الانسانية والمدنية والعلم وكل ما حققه الانسان أو يمكن أن يحققه انما هو فى نظر العقيدة المادية قد انبثق من الصراع والتفاعل ، فكيف تقوم حياة انسانية خلت من الغرائز والحوافز والصراع ؟

وحيث تقوم الحياة اصلا بل الطبيعة كلها على التنوع واختلاف المستويات ، والتناقضات والتردد بين الحالة وعكسها، فكيف يمكن للعقل ان يتصور امكان حياة لا عمل فيها ولا كد من أى نوع كان ، حيث لا مرتفعات ولا منخفضات ، حيث لا مد ولا جزر ، وانما حياة سوية تسير على نمط واحد ونسق متكرر .

هنا ويقول الماديون ان عقولنا فى الوقت الحاضر تعيا عن تصور هذا المجتمع (اللاطبقي)لاننا لا نزال متأثرين برواسب الماضى وأدران الحاضر ، اما الاجيال التى ستولد فى ظل المجتمع الجديد فستكون اقدر منا على العيش فى هذا النعيم بعقول جديدة ونفوس طاهرة .

تفوق جنة السماء

وعندنا ان جنة السماء تتفوق على جنة الارض من الناحية العقلية البحتة ، او هى تنقل الجنة من هذه الارض بنواميسها الى السماء حيث تحكم نواميس غير النواميس ، وتسود اوضاع غير الاوضاع المألوفة على هذه الارض ، وما دام الانسان يرتدى هذا الثوب المادى الكثيف .. فمن المستحيل على العقل ان يتصور حياة غير هذه الحياة المألوفة، ولكن عندما يتحرر من قيود المادة ، عندما ينعتق من هذه الحياة الدنيا ، وينتقل الى الحياة الثانية فى السموات العلى، فستكون نواميس غير النواميس ، وقوانين غير القوانين . ولن يجد العقل صعوبة فى تصور حياة اكمل من حياتنا ، ما دامت ستكون خاضعة لنواميس غير نواميسنا، وأما الصعوبة التى تصل الى حد الاستحالة ، فهى تصور حياة اكمل وأفضل ، حياة لا يشوبها مرض ولا موت ولا الم فى ظل النواميس التى نعرفها . وها هي ذى الايام تكشف ، وقد بدأ الانسان يشق طريقه الى الفضاء الخارجي، وينعتق من الجاذبية الارضية، انه سيواجه احوالا غير الاحوال المعتادة ، وأوضاعا غير الاوضاع المألوفة ، ستقلب مفاهيمنا فى كثير من المسلمات بعد أن رأينا الانسان يسير فى الفضاء ، فلا يسقط هنا أو هناك ، ورواد الفضاء يحدثوننا عن الابتهاج والمسرة التى يحسون بها فى الفضاء، والعلماء يحدثوننا عن شفاء الامراض وطول الحياة فى الفضاء وفى الكواكب الاخرى .

وهكذا يصدق حس الانسان ، عندما يتطلع دائما صوب السماء ناقلا اليها الجنة التي تحكمها نواميس غير النواميس الارضية ، وهو في ذلك اهدى من النظرية المادية ، التي ربطت بين الانسان والارض واعتبرتها أصله ونهايته .

الجنة من نصيب من ؟

ولا يقف تفوق العقيدة الدينية على العقيدة المادية ، عند حد التفسير المنطقي لامكان قيام الجنة ، بل انها تتفوق اكثر من ذلك كله ، في جعلها الجنة من نصيب العاملين ، من نصيب الكادحين الصابرين المحتسبين ، من نصيب المظلومين والمحرومين في كل زمان ومكان منذ وجد الانسان الى أن ينتهي ، فالجنة السماوية هي من أجل هؤلاء ، وهي موعدهم ، وهي تعويضهم عما عانوه في هذه الارض .

اما الجنة المادية الموعودة ، هذا المجتمع اللاطبقي الذى يبشرون به ، فستكون من حظ من ؟؟

انها ستكون من حظ اجيال لم تولد بعد ولا يعرف متى تولد ، من حظ اجيال ستجد نفسها تلقائيا وسط هذه الجنة وهذا النعيم الذى لم تبذل جهدا من أجل تحقيقه ، وعلى الذين يدينون دين المادة ويؤمنون بنظريتها في أيامنا هذه في المجتمعات التى لم يصلوا فيها الى السلطة ان يشقوا ويكدحوا ، ويعرضوا انفسهم لمعاداة المجتمع والسجن والتشريد ، وأن يتآمروا ويثوروا اذا لزم الامر ، ويقاتلوا ويقتلوا بغير أمل في ان يشهدوا هذه الجنة الموعودة ، او حتى يتنسموا ريحها ، لان الجنة او المجتمع اللاطبقي الذى ينتفى منه القهر والاعنات ، وتظله الوفرة ، ويجد فيه كل انسان حاجته بغير كد ولا عناء ، ستكون من حظ الاجيال التى لم تولد بعد ، والتى لا تزال في عالم الغيب .

والحق أن مثل هذه الدعوة ، هي ذروة من ذرا التصوف والتجرد الذى ينكرونه على معتنقي الاديان وهي درجة قل من يصل اليها من المؤمنين بالله انفسهم ، فالكثرة الساحقة من البشر المتعبدين ، انما يتعبدون من أجل الحصول على الجزاء والمكافأة في الجنة الموعودة ، وليس أعجب من دعوة مادية تدعو معتنقيها الى أن يشقوا ويتألموا ويجوعوا ويضحوا ويموتوا اذا لزم الامر ، من أجل معنى صوفي مجرد وهو سعادة الاجيال المقبلة التي لم تولد بعد . وعندنا ان النظرية المادية انما تعلن افلاسها بمجرد التخلي عن المحسوس والملموس ، ثم التعلق بالافكار الغيبية والمعاني المجردة لانها تثبت بذلك علو الافكار والمعاني على المادة وهو ما يقول به المؤمنون المثاليون .

النظرية المادية على ضوء التجربة

لم يبق بعد ذلك الا أن نتساءل ، اذا كان هذا هو حظ النظرية المادية ، من الناحية النظرية البحتة سواء في تفسير الماضي السحيق . أو المستقبل البعيد ، أيكون حظها من التجربة والواقع احسن وأوفر ؟ .

ومن حسن الحظ ان النظرية المادية قد اتخذت اساسا للحياة ، ودينا رسميا في أوسع رقعة من رقاع العالم ، وأغزرها موارد ، وقد انقضى على بدء هذه التجربة نصف قرن ، وهي مدة كافية بمقاييس القرن العشرين وطاقاته لهدم العالم كله واعادة بنائه ، فقد اعيد بناء دول خرجت من الحرب العالمية الثانية ، وقد سويت مدنها بالارض وشرد شعبها ، وفككت مصانعها ، وجردت من وسائل مواصلاتها ، بل ومن علمائها وعمالها الفنيين ، ومع ذلك فقد استطاعت في أقل

من عشرين سنة ان تعيد بناء نفسها ، بل وتصبح علما على الفنى والازدهار والتفوق .. فالخمسون سنة اذن ليست بالشيء القليل فى القرن العشرين وهي كافية للحكم على نجاح أو اخفاق اية تجربة .

ولن نتحدث عن ملايين الضحايا التى تكبدتها هذه المجتمعات ، بل ولن نتحدث عن الآلام التى عانتها شعوب هذا الجزء من العالم ، فقد أغنانا عن ذلك قادة هذه المجتمعات فليرجع الى اقوالهم وخطبهم من يشاء .

وانما من حقنا ان نتساءل تساؤلا موضوعيا علميا مجردا من كل هدف الا الوصول الى الحقيقة عما حققته هذه المجتمعات بعد نصف قرن من العمل والانتاج ، وبعد احتمال ابنائها ما احتملوا من مشقات وآلام وحرمان ، هل تحقق شيء مما وعدت به النظرية المادية ، هل زال سلطان الدولة على مجتمعها او على الاقل ضعف سلطانها بالنسبة لغيرها من الدول ، هل ألغى نظام الشرطة واغلقت السجون وانتفى القهر ووسائل الاكراه ، هل استغنى المجتمع عن الجيوش وعن انتاج اسلحة الدمار ، هل يتمتع الناس بالوفرة التى لا يتمتع بها غيرهم فى المجتمعات الاخرى ممن لا تدين بدين المادة وتتخذه اساسا لحياتها ، ألهم مساكن خير من مساكن الآخرين ولهم اطعمة أوفر من مطاعمهم ؟ أخلا مجتمعهم من الجرائم والامراض والاحقاد والانحرافات ؟

وتقول لنا التقارير الرسمية ان الهدف المرتجى من هذه الناحية لم يتحقق بعد بل وتسلم أنها دون بعض المجتمعات الاخرى ، ولكنها تعد أن التفوق سيتحقق فى المستقبل القريب . ولنا الواقع المحسوس الملموس ما دمنا فى نطاق الايمان بالمادة ونواميسها ، والواقع يؤكد ان وجه المجتمع الذى اتخذ من النظرية المادية دينا رسميا ، لا يختلف فى جوهره عن غيره من المجتمعات الاخرى المتقدمة صناعيا .

مراجعة بعض تطبيقات النظرية

ولعل هذه الحقيقة هي التي حدت بزعماء هذه المجتمعات ان يراجعوا بعض التطبيقات النظرية المادية ، ويصل الامر بهم الى حد الدعوة الى الاخذ بمبادىء كان مجرد التلفظ بها منذ عشرين سنة يعتبر كفرا وخيانة ، ومروقا يؤدى بصاحبه الى النفي ان لم يكن الموت ، كالمبدأ القائل بضرورة تقوية الحافز الفردى ، او المبدأ القائل باتخاذ الربح كوسيلة للكشف عن مدى نجاح بعض الاعمال، وليكون هاديا ومرشدا لتحديد الانتاج .

وهكذا نرى انفسنا نعود دائما الى نقطة الابتداء ، نعود دائما الى ذات المبادى والاسس التى قامت النظرية المادية للاعتراض عليها ، فقد قام الجانب الاقتصادى فى النظرية المادية على اعتبار الربح هو لعنة البشر .

التصالح مع العقائد والاديان

وحيث لم يكن من عمل للحكومة فى المجتمعات التى تدين بالمذهب المادى ، الا ان تحارب الافكار المثالية والدين بصفة خاصة ، باعتباره افيون الشعوب ، وأن تبذل جهدها لتوعية الشعب ، ورفع الغشاوة عن عينه للتحرر من لعنة الدين ، وأن تدعم ذلك باغلاق الكنائس ومطاردة رجال الدين ، أصبح ما يجرى الآن فى هذه المجتمعات هو عكس ذلك ، فالدعوة الآن لترك الشعوب حرة فى مزاولة معتقداتها الدينية ، حيث لا تعارض بين تطبيق النظم الاقتصادية الجديدة والايمان بالله ، وعلى ذلك فقد فتحت الكنائس والمساجد ودور العبادة من جديد ، وأصبحت تغص بروادها، لا من الاجيال القديمة فحسب ، بل ومن الاجيال الصاعدة والناشئة فى ظل المجتمع المادى البحت .

ومعنى هذا أنه قد ثبت فوق ثبوت « ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . وان النظرية المادية لم تستطع ان تروى ظمأ الانسان للتعلق بالغيب والمجهول ، فرأت ان تقصر ميدانها على الاقتصاد .

تفوق العقيدة الدينية

والحق انه ما كان لنظرية مادية ، تجعل الحياة

قاصرة على هذه الدنيا ، وتؤمن بأن نهاية أىانسان هي حفنة من التراب ولا زيادة ، ما كان لنظرية هذا شأنها ان تتفوق على نظرية تقول بأن وراء هذه الحياة بنقائصها حياة أخرى اكمل واحسن ، وأن فى هذا الكون الها حكيما رحيما عادلا يتدخل دائما لصالح المظلومين والمحرومين والمكروبين .

ولو لم يكن فى هذه العقيدة الا انهـا تزود الانسان بالامل لكان ذلك كافيا لاثبات تفوقها ، فالانسان لا يمكن ان يحيا بغير أمل ، وحيث لا أمل فلا عمل ، واذا انعدم الامل من نفس الانسان فلا يبقى امامه الا أن يموت .

وما اكثر ما قال الماديون فى معرض التنديد بهذا الامل انه شبيه بالافيون ، ونحن نعلم انه من الناحية العلمية البحتة توجد حالات من الالم لا يجدى فى علاجها سوى استعمال الافيون . ويكون الامتناع عن استخدام الافيون فى هذه الحالات لا يعنى شيئا سوى تعذيب المتألم والافراط فى القسوة عليه .

والمتألمون الذين لا يجـدون ما يخفف آلامهم يضعون حدا لآلامهم بالانتحار ، وليس ينتحر من يكون فى قلبه ذرة من الايمان لانه لا يفقد الامل فى الله أبدا .

أما الذين خلت قلوبهم من هذا الايمان، فما اسرع ما يضعون حدا لحياتهم كلما حزبهم أمر من الامور ، وحسب الانسان ان يلقى نظرة على عـدد المنتحرين فى المجتمعات المادية ليرى ان هذا العـدد يتزايد عاما بعد عام طبقا للاحصاءات الرسمية . ولا غرابة فى ذلك ، فأى عزاء تقدمه النظرية المادية للام التى فقـدت وليدها ، أو للحبيب الذى فقد حبيبه ، ما دام هذا الفراق لن يكون بعده لقاء ؟!

أى عزاء لمريض فى ان يقال له انـه ليس امامه الا ان يتألم حتى يموت ، لان العلم لم يكتشف علاجا لمرضه او لوضع حد لآلامه ؟!

أى عزاء فى ان يقال لمظلوم او مضطهد، ان لا حيلة لانقاذه لان قوانين المادة ليست فى جانبه فى هذه اللحظة ؟

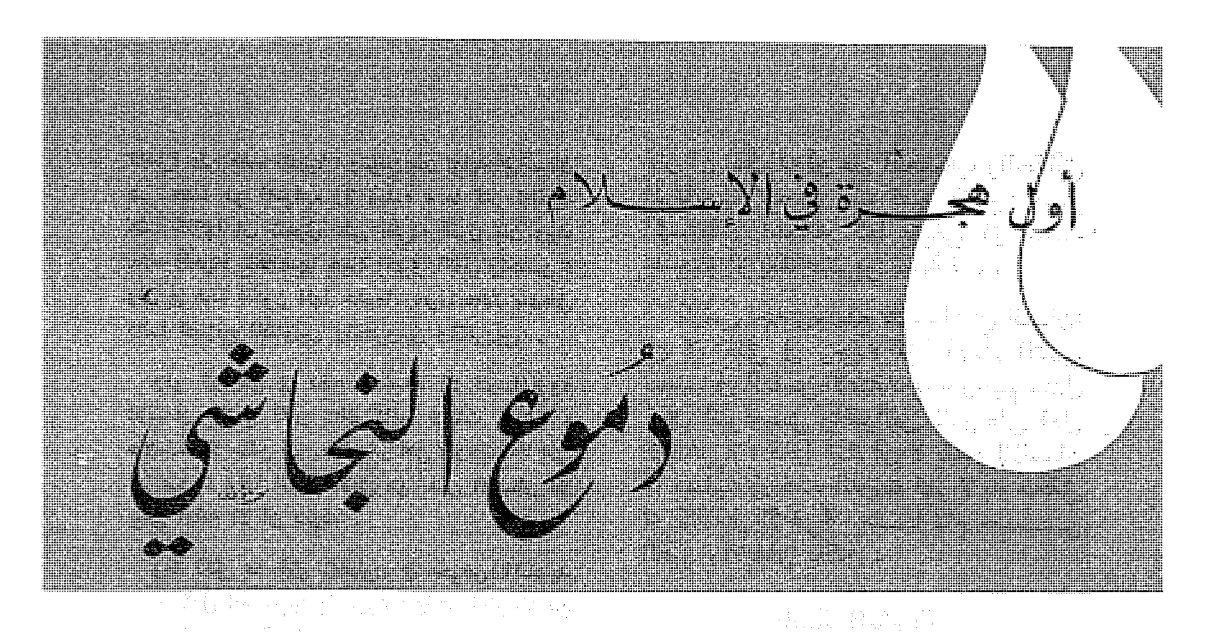
أى عزاء لجائع او محروم من أى نوع كان ان يقال له أن علم الحساب والحقائق الرياضية تقضي بأنه لـن يكـون مـن المستطاع اطعامه كما يتبغي او سـد حاجته الا بعد عشرين سنة ؟ . .

أليس اجدى وانفع للانسان أي انسان، ان لا تغلق فى وجهه كوة الامل التـى يبعثها فى النفس الاعتقاد باله رحيم عادل فوق النواميس والقوانين قادر على فعل كل شيء ، فاذا شاء أن لا يقدم للانسان ما يبتغيه فى هذه الدنيا، فهو لا بد محقق له ذلك فى الآخرة ، مـا دام حسـن الظن والايمان بالله .

مأساة البشرية

الحق ان سلب هذا اليقين من افئدة البشر ،وعدم تقديم بديل عنه الا الايمان بالصراع والمادة العمياء الصماء التى لا هدف لها الا ان تدور وتدور ، وتطحن وتطحن فى غير وعي ولا ادراك ، هـو مأساة البشرية فى القرن العشرين ، وهو ما جرد الحياة الانسانية من ظلالهـا ومائها وتوازنها واسلمها للقلق والجدب والهجير . وقد حدا ذلك ببعض علمـاء المادة انفسهم ان يقولوا لنا « ان اللـه ضرورة عقلية » وقال بعض آخر «ان الله ضرورة اجتماعية » . وقال بعض ثالث « لو لم يوجد الله لوجب على الانسان ان يوجده » .

وهكذا انتهى بنـا البحث الموضوعي البحت الى اثبات عجز النظرية المادية وأفلاسها عن أن تفسر للانسان شيئا ، فضلا عن أن تفيده بشيء .. ولعل هذا يرد على السؤال الذى جعلناه عنوانـا لهذه المقالة وهو لماذا نتدين .. فنحـن نتدين ونؤمن لان الدين يفسر كل شيء ويرتب الحياة الانسانية والعلاقات بين البشر أحسن ترتيب . أما كيف يحقق الدين ذلك فهـذا ما سوف نعرض له فيما بعد .



● ماهية الهجرة فى الاسلام

● ظروف الهجرة الى الحبشة

● لماذا الحبشة وليس غيرها ؟

● مهاجرون وهجرتان

● العناية الالهية وموقف النجاشي

● مصير المهاجرين ، كلمة ختامية .





أراني فى صدر هــذا المقال حقيقــا بالمجاهرة بمبدأ خطير من مبادىء الاسلام قبل الدخــول فى التفاصيل ، أو سرد الروايات وحشد المعلومات ، فلســـت والحمد لله ممن يبهرهم الشكل عــن المحتوى ، او يزدهيهم مظهر العارفــين فيلهيهم عن روح الرسالة .. ولم يكن أحد من أهل هذا العصر مع المهاجرين فى الحبشة ، ولا شهد الموقف فى بدر أو احد ، وكل من يكتب فى الاسلام ويعيد ، انما يغترف من نبع هذه المصادر والسير المحدودة المعروفة ، ونحن نكتب حين نكتب متوسلين الى القلوب التى لــم تنطفىء فيها مصابيح البصائر ، والعقول التى لم يزلزل يقينها بهرج التمدين أو زور المظاهر ، معتقدين أن اللباب هو وجه العبرة .... وما يمكن ان يعكسه الماضى على الحاضر .

واذا كانت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما اكتنفها من حوادث هي جزء لا انفصام له من رسالة الاســلام، وجانب لا يتزحزح من أسس هذه العقيدة الاسلامية ، فانه لا يقل عن الحادث شانا ادراك اهدافه، والعناية بالمواعظ المندرجة فى اسراره .

ولقد كانت الهجرات فى الاســـلام حوادث تجسم للعيان الى نهاية الزمان مبادىء معينة فى هذا الدين لعلي أوفق فى تلخيصها بالرقم كما يلي : ــ

أولا : ــ يفترض فى المسلم أن يجاهر بعقيدته ، وأن يمارس باصرار عباداته ، وأن ينطلق فى المنافحة عن دينه وقرآنه ونبيه ومقدساته الى النقطة التى يشعر عندها أن الكثرة الكاثرة الباطشـــة من حوله توشك ان تصفي حياته بالالحاح الباغي ، والتصميم الصارم على القتل . وفى هذا بيان ابدى الدلالة لكل أقليـــة مسلمة حيثما وجدت على الارض .

ثانيا : ــ حين تنصب الفتنة بسياط عذابها على المسلم بما يهدد صبره بالانهيار، أو حياته بالزوال فان المخرج الطبيعي هو التماس الامان فى بلد أينما كــانت مسافته فى البعد ، وكيفما كانت المشقة

في الخروج اليه .. ومعنى هذا أن الوطن الطبيعي للمسلم حيث يستطيع أن يواصل ممارسة الصلة بينه وبين خالقه ، والتجاوب مع اخوانه في الدين .

ثالثا : — حين تعترض هذه الحاجة للفرار الى الله دعوة الحياة المألوفة الحبيبة في أكناف الوطن ، ومرابع الاهل ، وذوي القربى ، وحين تعترض صور المساكن الطيبة ، أو التجارة النافقة ، أو صور الاهل والولد ، ما يكون لمسلم خيرة في أمره ، فالله جل وعلا أجل وأحق وأولى ، ولقد واجه صهيب رضي الله عنه مثل هذا الموقف حين هاجر من مكة ليثرب فيما بعد ، خلى لمكة المال الذي كسبه فيها عن طواعية واختيار ومهر به حريته في القدرة على الهجرة .

رابعا : — لا يتحقق معنى الوطن بغير معنى القدرة على اقامة شعائر الدين ، وحرية التصريح بالايمان ، والا فوطن المسلم هو وطن دينه .

خامسا : — يصح بالقياس أن تكون هناك هجرات اخرى على مقاييس متباينة ، يهاجر المرء من ملاذ النفس ، ويهاجر من علاقة عائلية أو مصلحية أو كائنا ما كان الامر حين يتهدد المبادىء التي اسلفت ذكرها خطر من أي من المصادر المذكورة ، مهما يكن التصاقها بالنفس وثيقا والفصال عنها شاقا أو متيسرا .

ان ظروف هجرة المسلمين الى الحبشة في خامس سنة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام هي أشق من أن يصورها القلم مهما يبلغ من قوة التعبير .

كانت هناك تحديات رهيبة ، وأهوال مذهلة .

كان أمية بن الصلت وهو من متحنثة الأحناف يشهد تعذيب بني جمح لبلال ابن أبي رباح رضي الله عنه فيعصف الاسى به فيما يرى من صنوف السفه الفاجر ، وبغي القوة المادية الباطشة برجل لا ذنب له الا أن يهتف لربه صائحا في ظلمة التعذيب « أحد أحد » ، فلا يملك أمية الا أن يهتف والدمع يغالب الفاظه « احد احد » والله يا بلال أحلف بالله لئن قتلتموه وهو على هذا لاتخذته حنانا أي لاجعلن قبره موضع رحمة استمطر عنده الدموع ، واستعدى على الظالمين من الناس رب الناس .

وكان هناك منطق متحجر قائم على نظام مرتبط بالمصالح وبالخرافة وبالتقليد وبعصبية الجاهلية ، وبعنترية الزعامة المتكبرة يريد ان يفجره الاسلام بالكلمة الطيبة ، وبالبيان الحق ، وكانت المهمة عسيرة صلدة عاتية متماسكة ، يقول رجل أدهشه القرآن ومع ذلك لم يزدد في كفره الا عتوا ، يقول لابي جهل « يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعته من محمد ؟ » .

« ماذا سمعت ؟ » « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فاعطينا حتى اذا تجاذبنا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا « منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!» .

ذلك المنطق المستميت يعطيك صورة العناد الباغي الذي تمت في ظروفه هجرة المسلمين الى الحبشة .

ويروي ابن هشام في تصويره للموقف اذ ذاك عن ابن اسحق ما يلي : انهم « أي كفار قريش) عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر .. الى آخر الرواية « ثم يقول ابن هشام رواية عن زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحق ايضا « فلما رأى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافيـــة لمكانه من الله وحماية ابي طالب اياه ، بينما هو (اى الرسول عليه الصـلاة والسلام) لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم « لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

لماذا الحبشــة ؟

وهنا يتبادر للذهن ســؤال يثــيره منطق الاشياء لماذا اختيرت الحبشة وهي بمنأى عن مكة ، ومن دونها اليمـــن ، واقرب منها اطراف الجزيرة والخليج ؟ الانها وهي النصرانية دينا وملكا أجدر بأن تساهم فى حماية الجار النزيل الذى يترفع عن عبادةالاصنام ، واذا كان كذلك فلماذا لا تكون نجران هي مكان الهجرة وهي أقرب ، أو أطراف الشام حيث الغساسنة ؟

فى رواية ابن اسحق عن الرســول صلى الله عليه وسلم السبب الحاسم المباشر لاختيار الحبشة ، فانه يؤخذ من مجمل الروايات التاريخية عن هذا النجاشي أنه كان ذا شخصية واضحة المعالم ، قوية لم تساورها اللوثات والعقد ، وليس مرد ذلك شرف الاصل فحسب ، وانما هو رجل كان تمرس بالآفات والثورات ، ولاقى مـــن تآمر المتآمرين ، وحســــد الحاسدين ما لاقى ، وقد نصره اللـــه مرارا وتكرارا فى مواقف تشبه الاساطير ، يشتد من حوله الهول ، وتنعقد سحب الحقد فى خطط محبوكة ماكرة لاغتصاب ملكه ، ولكن الله ينصره فى اللحظة الحرجة الحاسمة ، حتى ليزداد عمق الرجــل ونظــره فى الاشياء ، وتقديره الموزون لقيمة الولاء من الناس ، وحتى ليقر فى نفسه بالتجربة العملية الغالية التكاليف ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا ، وأن العزة والنصر هما بيد الله يؤتيهما من عباده من اعتز بخالقه وجعل لله ولاءه ،

وكان هذا الظرف رائعا ، وسواء أكان تقدير الرسول للموقف وحيا يوحى أو رأيا يتغلغل فى خفايا الادراك الواعي ، فلقد كان ذلك التقدير هو عين الصواب من المصطفى زينة بني آدم وسيدهــم صلى الله عليه وسلم .

كانت الهجرة الى الحبشة اذا اختيارا سليما للحل الانسب من بين متناقضات عجيبة .

فلقد اثبتت الايام ان اختيار اليمن لو تم لكان خطأ كله ، فاليمن كانت تحت حكم الفرس ، والاكاسرة كانوا أســوأ مستقبلين للاسلام من الاجانب . وهم فيما بعد بعثوا الى ((باذان)) عاملهم باليمن لكي يسير جنودا فى زعمهم يقبضون على محمد ، ثم اغرى الله بينهم العداوة والبغضاء على العرش حتى كانت فترة ائتمارهم على الرسول أسوأ فترة عرفها عرش فى الدنيا شدة تطاحن على الملك وتذابح على الولاية ، يدوم كسرى الجديد او ورثته له امرة شهورا أو أياما ثــم ياتمر به أقرب الناس اليه فيقتل او يخلع ، وما زالت تلك الملهاة او المأساة مستمرة حتى طلــع على ليلهـــا فجــر الاسلام الصادق .

وكذلك لم يكن ممكنا اختيار اللجوء الى اى من الطائفتين الكتابيتين المتنازعتين على ملء الفراغ العقائدى فى جـــزيرة العرب ، سواء منها من كانت فى نجران أو يثرب ، وقد اثبتت الايام فيما بعد حرصهما على محاربة الاسلام حين بدت أمارات انتصاره . أما مراكز القبائـــل العربية واطراف الشام والحيرة ، فهي بالاضافة الى بعدها كانت على صلــــة بمصالح مكة التجارية ، وقد كـــان فى حكاية الطائف فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اثبت هــــذه الحقيقة .

لقد كان الظرف البديع المواتي هو شخصية النجاشي ، ذلك الرجل المتكامل الايمان والشخصية ، ولولا صدق الصلة

بين ذلك الرجل وخالقه ، ولولا ما أبداه بحق من رجولة مؤمنة لا تساوم فى الحق اذا استبان لها ، لكان المسلمون جديرين بأن تنقلب الحبشة عليهم سجنا بدلا من أن تكون لهم مأوى .

هناك غير رواية واحدة عن دقائق التفاصيل المختصة بالهجرتين الى الحبشة .. ومن الناس من يعتبرهما هجرة متلاحقة واحدة ، ولكني وجدت تفسير صاحب « امتاع الاسماع » لهذا الالتباس تفسيرا وجيها ، فهو بعد ان يذكر هجرة الرعيل الاول من المؤمنين فى رجب ، يقول انهم اقاموا بالحبشة شعبان ورمضان فبلغهم مبلغ أن قريشا اسلمت فعاد منهم قوم ، وتخلف قوم ، فلما قدم الذين قدموا الى مكة علموا أن نبأ اسلام قريش كان باطلا فدخلوا مكة مستخفين أو مستجيرين ، ولكن الفتنة ظلت مستمرة ، وازداد أوارها فخرجت جماعة جديدة الى الحبشة منهم جعفر ابن ابى طالب رضي الله عنه . ثم عاد قوم وبقى قوم حتى كان آخر العائدين من الحبشة فى السنة السابعة للهجرة .

وأيما كان الحال فلا تختلف الروايات الا ابسط اختلاف فى عدة من هاجر لأول مرة ومجموع من هاجروا على كل حال ، فالمهاجرون الأولون : عشرة رجال وأربع نساء ، وعدة من هاجر ثانيا ثلاثة وثمانون رجلا ومعهم من النساء سبع عشرة سوى من خرج من الاولاد .. كما ولد بالحبشة عدد من ابناء المسلمين . وكان فى طلائع الهجرة الأولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو حذيفة والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف ، وكان المسئول عن امر هذا الرعيل الأول عثمان بن مظعون رضي الله عنهم جميعا . اما فى الهجرة الثانية فقد كان جعفر بن ابى طالب ، وهو الذى كان الناطق باسم المهاجرين امام أصحمة النجاشى .

لم تكن الهجرة امرا سهلا ، ولا بلاء هينا وحين يقرأ المرء فى المأثور من شعر الحنين للمهاجرين ، ويطلق عنان الخيال للمقارنة بين احوال من يلجأون اليوم الى غير اوطانهم وما يلمس على رغم المعونات لهم من لواعج احزانهم، وبين اولئك الفتية المؤمنين من فقراء المهاجرة الابرار يستطيع ان يعلم اية شحنات يملأ بها الأرواح هذا الاسلام .

ثم كانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى يثرب ، من بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية ، حيث وضع الاساس الذى بنيت عليه بداية النهاية للكفر والجريمة .. ثم جاءت بدر بمعجزتها الباهرة فلا تسل عن غيظ قريش وأحقادها ومحاولاتها .. لقد أصبح الخطر الماحق للكفر حقيقة ، ولم يعد ألهية لاه ، ولا حديث سامر ، ولم يكن بد لقريش ان تنظم حملتها ضد المسلمين فى الحبشة .

اذ ذاك كان ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة المخزومي(١) الى النجاشى وغيره من رجالات الحبشة والتحريض على المهاجرين . وبعقلية تجارية ماكرة لم تركن قريش الى وجاهة الموضوعات التى سيثيرها وفدها ، ولا الى حصافة الموفدين الذكيين ، ولكنها

(١) نقل احمد دحلان فى كتابه السيرة النبوية فى الآثار المحمدية ج ١ ص ٢٥٧ طبعة المكتبة التجارية أن المحققين على أن عمرو بن العاص سافر الى الحبشة قبل غزوة بدر يصحبه عمارة بن الوليد المخزومي ومعهما الهدايا للنجاشي وحاشيته ، وقد سافر عمرو مرة أخرى بعد غزوة بدر ، وكان يصحبه فى هذه السفرة عبد الله بن أبى ربيعة .

اشفعت ذلك بالهدايا لحاشية النجاشي ، ثم له هو ايضا وباتت تتربص ما يكون . ولو قضى فى الامور بمنطق المصالح المتبادلة لكانت قريش جديرة بالنجاح .

ولو قضى فيها بمنطق المقارنة بين مكة بقضها وقضيضها وتجارتها وجاهها وبين هؤلاء النفر من الفقراء المهاجرين لكانت النتيجة حرية أن تكون شيئا آخر .

ولو قضى فيها بمنطق الرشوة وذمم النفعيين الفاسدة لانتهى الحال الى غير ما انتهى اليه .

ولكن هذه الارض وما عليها ومن عليها هى لله الواحد القهار .

واذا خفيت عن الأبصار العشواء بدائع أحكامه الصائبة المتريثة فانها لا تخفى على نيرات البصائر .

وان المرء ليحس التشفى بهزيمة الشر احساسا لعل له شبيها فى فرحة المؤمنين بدخول الجنة .

فرب ذى طمرين باليين حين لا ظل الا ظل الله تفتح له ابواب الجنة على صراخ كل متكبر فى الارض او مفسد فيه تتلقمه النار .

لقد بذل عمرو بن العاص جهدا متواصلا متقنا ، وكانت الظروف مواتية ومحكمة، والحاشية قد شبعوا بما يكفي لقولة الباطل ، وتزكية الشر ، والمسرح كما يقولون اليوم مهيأ لانتصار ساحق لقريش .

ولكن ما الحيلة وهذا الرجل الرباني، اصحمة النجاشي ، يعرف الحق فى كلام جعفر بن ابي طالب فتفيض عيناه بالدموع مما عرف من الحق .

أشياء كثيرة تهز الاحساس هزا فى هذه المعركة .

لكن أروعها بلا ريب اصرار جعفر والمسلمين على أن يقولوا للنجاشي قولة الحق فى عيسى بن مريم كما جاءت فى القرآن الكريم .

مكيدة لم تنجح

لقد فطن عمرو بن العاص بدهائه العجيب ان هذه النقطة الحرجة التي يرتكس فيها الود بين المسلمين والنجاشى فى آخر لحظة .

فبعد أن فشلت الرشوة ، وبعد اقتناع النجاشي باخلاقية الدين الذى يدين به نزلاء بلاده المهاجرون ، ولا يتزحزحون عنه بالهجرة أو سواها لم تبق الا فكرة عرض خلاف الاسلام والمسيحية فى أمر عيسى بن مريم عليه السلام ، وكان عمرو يعلم أن بني قومه من المسلمين لا يزحزحهم شيء فيدفعهم الى الكذب فان نبيهم بالصدق جاء وبالحق نطق ، وهم لولا الحق والصدق ما ذاقوا مرارة التشريد .

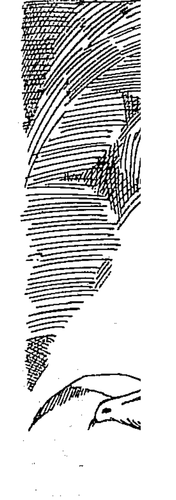
وحين جاءت الساعة الحرجة تلا جعفر ابن أبي طالب مبدأ الاسلام فى أمر المسيح كما جاءت فى التنزيل الكريم من سورة مريم .

ويا للمعجزة !! فبدلا من أن يثور النجاشى فيعرض تلك الرقاب على السيوف ، بكى واستبكى كل قلب شريف مما عرف من الحق ، ورد هدية قريش وهو يتأثم منها .

سلام على أولئك الطيبين المهاجرين وسلام على النجاشي الشجاع المكين ، سلام عطر كريم الى يوم الدين .

الله

في كل شيء



مِلْ بي وراءَ الدَّوْحِ غير بعيدِ — في ظلِّ فردوسٍ به ممـــــدودِ

نَشْهدْ جلالَ الله في ملـــكوتِـــهِ — وبديعَ صُنْـــعِ الخالقِ المعبـــود

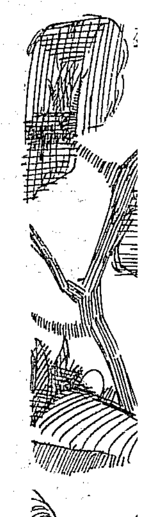
أأنامُ ، والأطيار ذاتُ ملاحن — تشدوا بِقُدْسِ الواحد الموجود!

والكونُ وحيُ اللهُ يُلْهَمُ بالذى — يَحْكى من التسبيح ، والتحميدِ

انى رأيتُ الله جلَّ جـــلالُـــهُ — في كلِّ شيءٍ في الورى موجودِ

ظهرتْ يداهُ بما يُجلُّ صَنيعَـــهُ — في الرَّوْض بين قلائدٍ وعقـــودِ

شاهدتُ ربِّى في خمائلِ فِتْنَةٍ — وعرفتُهُ في رقَّةِ الأملُـــودِ



مدَّ الحياة به ، وشَعْشَعَ ماءَهُ — وصفاءه في الرِّفْد ، والمرفودِ

وجلوتُ من سرِّ الوجود حقيقةً — عُلْيَا ، بها نادى الزمانُ ، ونُودِى

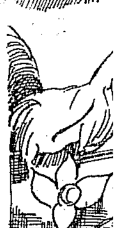
من أنشأ الجنَّاتِ فهى حدائقٌ — وأزاهرٌ ، وجنى ، وَحَبٌّ حصيد؟

من أيقظ الحدَقَ العِذَابَ تَهَلَّلَتْ — عبراتُهَا ، باللؤلؤ المنضـــود ؟

من للضِّفاف تضمُّ أعطافَ الجنَى — والزهرُ لمَّاحٌ بأنضر عـــودٍ ؟

من لِلْهضابِ الشُّمّ خَلْفَ تلاعِها — ذاتُ الدَّوِىِّ ، تُصِمُّ كلَّ عنيد

هى رحمةٌ لله يُومضُ برقُهـــا — خَلْفَ الذَّرا ، ويُمِدُّ كلَّ صَعيد



***

أرأيتَ وَجْه الشمس حين تَهلَّلتْ — بالأفْقِ ، واقْتحمتْ سماءَ البيد

للاستاذ محمد هارون الحلو

قطر النّدى بيمينها ، تسقى به
ما شاء ربّى من ظَمٍ ، وشريد

أرأيتها ، والبحر يُطْفىء جمرةً ..
منها بِحرٍّ لاهبٍ ، وشديد

نَشرَ السّحائبَ دونَهَا فتحجّبَتْ
من دونِه بشفائفٍ ، وبُرود

وإذا تُطِلُّ عليه تسكبُ سِحْرَهَا
في بسمةٍ منها ، ولفتةِ جيد

والله قدّرها سراجًا للورى
وحبا الورى منها بأعظم جُود

***

آياتُ ربِّك في السموات العُلا
تسمو بأفْقٍ للخيال مديد

تاهتْ عقولُ الناسِ في أسرارها
وبِهَا أُحلّقُ في سماءِ قصيدى

أنّى أتابعُ ما يضيء جوانحى
منها ، على التّعظيم ، والتّمجيد

فأرى لواءَ الحقّ نورًا ساطعا
ومداهُ منطلِق بغيرِ حدودِ

مَنْ ذلك الانسانُ يكفُر ربَّهُ
ونسيمُه من زَنْبقٍ ، وورودِ ؟

أوَ ما يقلّبُ فِكْرَهُ فيرى ويُبْصِرُ ، وهو يُلْقى الرأىَ غيرَ سديد

الليلُ يغشاه ، ويدركُ يومَهُ
غَدُهُ ، وفودٌ ، الحقَتْ بوفودِ

ويدورُ بالخلْقِ الزمانُ ، فماترى
من والدٍ يَبْقَى ، ولاَ مَوْلودِ

ما رنَّ عودٌ دونَ أنّة ثاكلٍ
ما قرَّ بِشْرٌ في حياة سعيد

والله يُنْبى عن جلالةِ قدرهِ
وعِمَادِه فِى مُلكِهِ المشدود

ـ البقية على الصفحة ٨٥ ـ



ذكرى الحصار الأول

ما أشبه الليلة بالبارحة

للاستاذ احمد محمد جمال

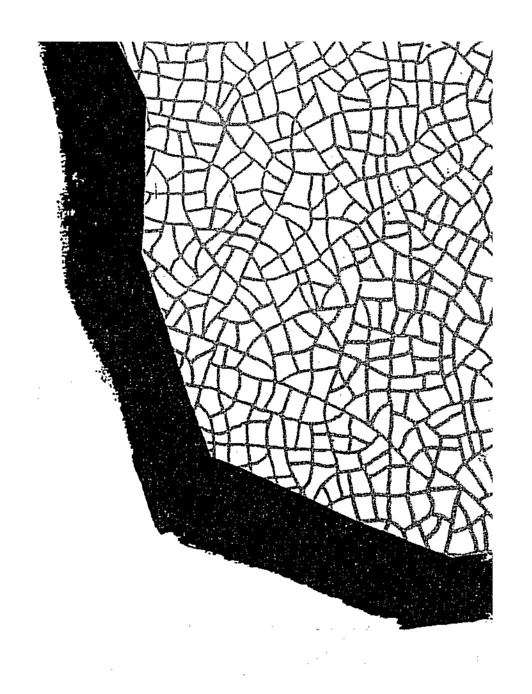
عضو مجلس الشورى / بمكة المكرمة

من حق المسلمين المؤمنين كلما زلزلوا زلزالا شديدا وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، واحاط بهم الاعداء من كل جانب كيدا للاسلام ومكرا بدعاته وحماته وحملة رسالته ، من حق هؤلاء المؤمنين ان يتساءلوا متى نصر الله ؟ كما تساءل آباؤهم وأجدادهم من قبل فأجابهم الله تبارك وتعالى ((ألا ان نصر الله قريب)) .

ولكى يطمئن المسلمون المؤمنون الى نصر الله لهم وحفظه لدينه ـ يجب عليهم ان يعيشوا ابدا على ذكرى من تاريخ الدعوة الاسلامية ، منذ ابتدائها حتى اليوم ، وهو تاريخ جميع الدعوات الدينية كلها .. من دعوة ابراهيم الى دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع انبيائه ورسله الكرام .

أجل ... انه تاريخ كل دعوة دينية وكل رسالة سماوية ، حيث تقابل بادىء الرأى بالتكذيب والاعراض ، وباضطهاد حملتها ودعاتها وحصارهم دون العمل على نشرها واذاعتها لهداية الناس الى الطريق القويم .

ثم يأتي نصر الله وتأييده لكل نبي وكل رسول وكل داعية مصلح فتنشرح أنوار الحق وتمتد ظلال الخير ، ويتعاون





الناس على البر والتقوى ويأمن بعضهم بعضا على الاعراض والاموال والحرمات.

ولكن رؤوس الفتنة ترتفع مرة اخرى بل مرات عديدة ، ويعود شياطين الانس الى حصار دعوة الحق والخير والكيد لاصحابها والمكر بهم ، وتجدد المعركة ويتكرر الاصطدام بين الحق والباطل ، وبين الشر والخير ، وبين الهدى والضلال ، وتتعدد الضحايا ، ويتكاثر الشهداء ، وتسيل الدماء لتنبت غروسا جديدة وتنمو وتكبر وتستوى على سوقها استعدادا لجهاد جديد مع أئمة الكفر وقادة الضلال .

ان تاريخ الاسلام هو هذا التاريخ .. جهاد وثبات وتضحية تجاه حصار واضطهاد ومكر .

والحديث عن هذا التاريخ وعن حلقاته ومراحله بين الكر والفر وبين النصر والهزيمة وبين هوان المسلمين تارة واستعلائهم تارة اخرى ـ الحديث عن ذلك يعرض ويطول ويحتاج الى اسفار كثيرة ، بل هو مرصود فى هذه الاسفار الكبار فليرجع اليه المسلمون المؤمنون الواثقون بانهم (الاعلون) وبأن نصر الله قريب .

وانما حسبي هنا فى هذا الحديث أن اتصدى لتذكير المسلمين المؤمنين بالحصار الاول لدعوة الاسلام وتنشيطهم لمقاومة الحصار الاخير .

لقد لقى نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم منذ بعثته فى مكة المكرمة من انكار قومه واذاهم وهجر قولهم وفحشه ، وتعذيب اصحابه الذين سارعوا الى الايمان بالله ورسوله ـ الوانا وصورا تدمي القلوب وتروع المسامع ، وتسوء الابصار .

والحصار الاجتماعي الذى فرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اهله وعشيرته والمؤمنين بدعوته ـ صورة واحدة ولون واحد من تلك الالوان والصور الاضطهادية التى ووجهت بها دعوة الاسلام .

فى السنة السابعة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نفذت قريش هذا الحصار الاجتماعى للرسول وصحبه واهله ، مدفوعة اليه بتعصبها لتقاليدها

الوثنية الموروثة وحـرصها على أرزاقها وتجارتها وحظوظها من السلطان والسيادة والحرية والاباحية الخلقية .

ومهدت لهذا التنفيذ بمفاوضة عجيبة مع عم الرسول ابى طالب فجاءه وفد من كبارها يقولون له ان ابن اخيك افسـد نساءنا وأبناءنا ونحن مجمعون على قتله .. فهل لك فى دية مضاعفة على ان يقتله رجل من غير قريش ؟ .

فأبى بنو هاشم هذا العرض اللئيم وظاهرهم عليه بنو المطلب . وعزموا ــ مؤمنهم وكافرهم ــ على حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهما كلفهم ذلـك من عناء وعذاب وتضحية .

وهنا نفذت قريش خطتها فى حصـار الرسول وبنى هاشـم وبنى المطلب فى الشعب ، وكتبوا صحيفة تتضمن هـذه القطيعة الاجتماعية ، وعلقوها بالكعبـة لتكون اكثر قيمة واكبر اعتبارا ، واضمن انتشارا بين العرب الوافدين الى البيت الحرام فى مواسم الحج .

وكان معنى هذا الحصار الاجتماعي الذى أحيط به الرسول وأهله وعشيرته وصحابته ــ ان تمتنع بطون قريش عن معاملة هؤلاء المحاصرين بالبيع والشراء والزواج والاختلاط بهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من طعام وشراب وكساء .

وظلت هـذه القطيعـة الاجتماعيـة الشنيعة سنوات ثلاثا متتابعة ابتداء من المحرم من السنة السابعة لبعثة الرسول الى السنة العاشرة .

ولقد حرصت قريش كل الحرص ، على تنفيذ هذا الحصار اللئيم ، فكانت اذا قدم بعض التجار الى مكة تحمـل عيرهم سلعا وارزاقا قام قائمها ــ ابو لهب وأمثاله ــ يدعو الناس الى المغالاة فى أثمانهـا ، على اصـحاب محمد حتى لا يـدركوا شـيئا منها ، ويلبى الكفرة الفجرة هذه الدعوة الشريرة ، فيزيدون فى أسعار السلع اضعافا مضـاعفة حتى يعـود أصحاب الرسـول الى أهليهـم وأولادهم فى الشـعب وليس معهـم ما يطعمونهم به .

وحدث مرة ان لقي حكيم بن حزام ، ومعه غلام يحمل قمحا الى عمته خديجة زوجة الرسول ، وهي معه فى الشعب ــ لقي أبا جهل فمنعه هذا وقال له : اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ وحضر المحاورة ابو البخترى ، فزجر ابا جهل قائـلا : « اتمنعه ان يأتي عمته بطعام . خل عنه » فابى ابو جهل واشتد بينهما الخصام حتى أخذ ابو البخترى لحى بعير فضرب به ابا جهل فشجه ووطئه وطأ شديدا .

وكان ابو طالب عم الرسول شـديد الخوف على ابن أخيـه .. فكان يأمر الرسول ان يأتي كل ليلة فراشه المعتاد حتى يراه من يريده بشر ، فاذا نام الناس امر ابو طالب أحد بنيه او اخوته او بنى عمه أن يضطجع على فراش الرسول وأمر الرسـول ان يأتي بعض فرشـهم لينام عليها . وكان ابـو طالب يقـول دائما لقريش أثناء الحصار لا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا .

لقد ظلت وثيقة الحصار كما أسلفنا ثلاثة أعوام تباعا نافذة المفعول ، وظلت قريش قاسية فى مراقبة تنفيذها خلال هـذه السـنوات العجـاف التي عانى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها هو وأهله وعشيرته وصحابته حرمانا شديدا من الاختلاط بالناس ومن الابتياع منهم ، والبيع عليهم ، ولم يشفع عند قريش ان هؤلاء الذين حاصروهم ومنعوهـم الطعام والشراب والاتصال بالناس ، انما هم أخوانهم وأصهارهم وأبناء عمومتهم .

وكان هناك خمسة نفر ضاقت صدورهم بهذه القطيعة الباهظة الفادحة التي نزلت ببنى هاشم وبنى المطلب وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم ــ وهو هشـام بن عمرو

العامرى — وحدث زهير بن ابي امية فى ذلك مستثيرا عطفه وحميته ومروءته «أقد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟؟ » ثم تعاهدا على تمزيق وثيقة الحصار ، وانضم اليهما المطعم ابن عدى وزمعة بن الاسود بن المطلب ، وابو البخترى العاصى بن هشام .

وذهب زهير بن ابى امية الى البيت الحرام ليطوف بالكعبة . فطاف بها سبعا ونادى فى قريش : « يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب ... وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتي تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة » .

وقام ابو جهل — كدأبه الماكر العنيد — ينكر على زهير ما قال فسارع اليه هشام بن عمرو يؤيد زهيرا ، كما نهض المطعم بن عدى ليشق الصحيفة القاطعة الظالمة فوجد (الارضة) قد أكلتها الا فاتحتها « باسمك اللهم » .

وبذلك اتيح للنبي صلى الله عليه وسلم ورفاقه فى الحصار ان يغادروا الشعب (١) وان يعودوا للحياة العادية ، فيختلطوا بالناس بائعين ومبتاعين ، وان كان الخصام بينهم وبين قريش لم يزل على حاله تتربص بهم شرا ، وتتمنى عليهم نصرا ... حتى اذن للرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة المنورة ، وكانت له بداية النصر والانتصار ، حيث لقى فيها الحماة والانصار ، ثم كانت العودة الى مكة فتحا مبينا تبعته فتوح وفتوح .

هذه خلاصة قصة الحصار الاجتماعى الذى ضربته قريش على الدعوة الاسلامية فى بداية عهدها . وقد تلته حصارات سياسية أخرى خلال مراحل التاريخ الاسلامي كما أسلفنا الاشارة الى ذلك فى صدر هذا الحديث .

.. نكتبها لمناسبة صدور هذا العدد الممتاز من مجلة (الوعى الاسلامى) فى المحرم ١٣٨٦هـ — وذكرى لحادث القطيعة التى وقعت للمسلمين الاول فى المحرم — ايضا — من السنة السابعة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعودا على بدء ، وانتفاعا من هذه الذكرى — نقول : ان الاسلام اليوم يعانى اكثر من حصار واحد .. انه يقاسى حصارا اجتماعيا ، وحصار اقتصاديا ، وحصارا سياسيا ، وحصارا ثقافيا ، وحصارا اخلاقيا . وقد تآمرت على هذا الحصار العام الشامل تجاه الاسلام والمسلمين جميع قوى الصليبية والصهيونية المتعاونة المتضامنة على تهديم الكيان الاسلامى وتخريب ذمم المسلمين وضمائرهم وقيمهم الاخلاقية .

وان من المؤسف المؤلم لكل قلب مؤمن وكل نفس مخلصة ان يستعين الثنائي الغادر الماكر (الصليبية والصهيونية) ببعض السادة والكبراء من المسلمين ليكونوا عملاء ووسطاء فى التخريب المقصود والتهديم المراد .... لكيان الاسلام وتراث المسلمين .

فالمذاهب الاقتصادية والاخلاقية والثقافية ووسائل الاعلام من كتب وصحف واذاعة وتلفزيون ، والجمعيات النسائية والرياضية — ومناهج التربية والتعليم كلها فى البلاد الاسلامية متأثرة متتبعة لتوجيهات ومخططات ذلك الثنائي اللئيم .

فهل لنا من ذكرى وهل لنا من يقظة وهل لنا من اعتبار .

(١) هو المكان المعروف الآن بشعب على ، ويذكر فى كتب التاريخ باسم (شعب بنى هاشم — أو شعب أبى طالب) وهو جزء من حى معروف باسم (سوق الليل) ويقع فى الجنوب الشرقى من مكة المكرمة . وفى هذا الشعب مولد الرسول ومولد على .



((إيمان وهجرة))

منذ أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته فى مكة وزعماؤها المتسلطون على الرأى العام فيها يرون فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على كيانهم، وتهديدا لوثنيتهم ، وقلبا لاوضاعهم الاجتماعية ، وذلك بما تبثه من توحيد للخالق واحترام للانسان ومساواة بين الناس .. وكان من الطبيعي ان يهب سدنة الوضع القديم الذين طابت لهم الحياة فى ظله ، والذين انتهت اليهم الرياسة والزعامة والثروة، كان من الطبيعي ان يهب هؤلاء ويستنفروا أتباعهم لخنق أنفاس الدعوة والداعي ، ومطاردة كل من يتحدث بها ، أو يميل اليها ومحاولة القضاء على كل من يعتنقها .

آمن بها نفر قليل .. ولكنهم كانوا معرضين للابادة على يد الطغاة من أهل مكة .. فالرسول لا يستطيع أن يحميهم من أعدائهم وهو نفسه معرض للخطر .

ماذا يكون الموقف والتيار جارف ؟ هل يقفون أمامه فيقضي عليهم أو يتركون له الطريق ؟ .. ولكن الى أين .. الى أى مكان فى الجزيرة ؟ ان كل من فى الجزيرة عباد صنم لا يؤمن جانبهم ، وهناك فى أطراف الجزيرة مسيحيون ، ولكن لا يؤمن



جانبهم فلهم بالعرب صلات وجوار .. فالى أين اذن يتجهون ؟ .

كان ذلك ما شغل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سنوات من بعثته .. وانتهى تفكيره الى ايثار الهجرة والفرار الى الحبشة .. التى يدين ملكها وشعبها بالمسيحية ويحاربون عبادة الاصنام .. حيث الاتفاق فى الاتجاه والهدف الذى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمن لاجله على أصحابه ويقول « فان فيها ملكا لا يظلم .. وان اللـــه سيجمعكم مرة ثانية » . كانت تجربة شاقة خاضها نفر من المسلمين لا جريا وراء كسب مادى ، أو هدف شخصي .. خاضوها ايمانا منهم بدينهم واطمئنانا لتوجيه رسولهم .

لم تكن رحلة يسيرة بل كانت محفوفة بالاخطار ، أخطار التخلص من مطارديهم فى مكة .. وأخطار البحر الذى سيركبونه ، ثم أخطار البيئة الجديدة التى سينزلون اليها غرباء عنها ، ولا يعرفـون مصيرهم فيها وهم رجال ونساء ، لكنه الايمان .. يعلو على الاخطار .

فقد كان هؤلاء يقومون بتجربة خطرة فى سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم ، ويقدمون على تضحية جسيمة فداء لايمانهم .

فمن هم هؤلاء الذين قاموا بدور الطليعة فى هذه التضحية ؟

من هم أولئك الذين كانوا أول من ركب البحر من أتباع محمد وأول من وطئت أقدامهم أرض افريقيا من المؤمنين بالدين الجديد .. الوليد .

تعرف عليهم ـ أخي القارىء ـ فى صفحـــة الشرف والمجد التى ضمت المؤمنين والمؤمنات والتى نقدمها هنا اليك : ـ

هجرة الحبشة الاولى

المهاجرون : عثمان بن عفان ، أبو سلمة . أبو سبرة . عامر بن ربيعة . أبو حذيفة بن عتبة . عبد الرحمن بن عوف . عثمان بن مظعون . مصعب بن عمير . سهل بن البيضاء . الزبير بن العوام .

لوحة الشرف

المهاجرات : السيدة رقية بنت الرسول زوج عثمان بن عفان . السيدة أم سلمة زوج أبى سلمة. السيدة أم كلثوم زوج أبى سبرة . السيدة ليلى زوج عامر بن ربيعة . السيدة سهلة بنت سهيل زوج أبى حذيفة بن عتبة .

هجرة الحبشة الثانية

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجرى الحبشة رجعوا الى مكة مرة ثانية حيث لم تطب لهم الاقامة هناك ، ولما ضاقت الحيل بكفار قريش أجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبنى المطلب والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، فلجأ رسول الله وقومه الى شعب بنى هاشم ، وأمام هذه العاصفة العاتية من عداء قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يهاجروا للحبشة مرة ثانية حتى لا يبادوا فهاجر منهم نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة ، فكانت هذه هي الهجرة الثانية للحبشة .

من المهاجرين : جعفر بن أبى طالب . عمرو بن سعيد بن العاص . خالد بن سعيد بن العاص . عبد الله بن جحش بن رئاب . عبيد الله بن جحش بن رئاب . قيس بن عبد الله . معيقيب بن أبى فاطمة . أبو موسى الاشعرى . عتبة بن غزوان . يزيد بن زمعة بن الاسود . عمرو بن أمية بن الحارث . طليب بن عمير بن وهب . سويبط بن سعد بن حريملة . جهم بن قيس . عمرو بن جهم . خزيمة بن جهم . أبو الروم بن عمير بن هاشم . فراس بن النضر بن الحارث . عامر بن أبى وقاص . المطلب بن أزهر . عبد الله بن مسعود . عتبة بن مسعود . المقداد بن الاسود. الحارث بن خالد التميمي . شرحبيل بن حسنة . عثمان بن ربيعة . خنيس بن حذافة . عبد الله بن الحارث . هشام بن العاص . قيس بن حذافة بن عدى . عبد الله بن حذافة بن عدى . أبو قيس بن الحارث بن عدى . الحارث بن الحارث بن عدى . عمرو بن عثمان بن كعب . شماس بن عثمان المخزومي . هبار بن سفيان المخزومي . عبد الله بن سفيان المخزومي . هشام بن أبى حذيفة المخزومي . سلمة بن هشام بن المغيرة . عياش بن أبى ربيعة . معتب بن عوف . قدامة بن مظعون . عبد الله بن مظعون . السائب بن عثمان بن مظعون . حاطب بن الحارث بن معمر . محمد ابن حاطب بن الحارث . الحارث بن حاطب بن الحارث . خطاب بن الحارث بن معمر . سفيان ابن معمر . جابر بن سفيان بن معمر . أبو عبيدة عامر الجراح . عمرو بن أبى سرح بن أبى ربيعة . عمرو بن الحارث بن زهير . سعيد بن عبد قيس . السائب بن الحارث بن عدى . معمر بن الحارث بن عدى . بشر بن الحارث بن عدى . سعيد بن الحارث بن عدى . سعيد بن عمرو التميمي . عمير بن رئاب . محمية بن جزء الزبيدى . معمر بن عبد الله العدوى . عروة بن عبد العزى . عدى بن فضلة بن عبد العزى . النعمان بن فضلة بن عبد العزى . عبد الله بن مخرمة العامرى . عبد الله بن سهيل بن عمرو . سليط بن عمرو . السكران بن عمرو . مالك بن ربيعة . أبو حاطب العامرى . سعدة بن خولة . سهيل بن بيضاء . عياض بن زهير بن شداد بن أبى ربيعة . عثمان ابن عبد غنم . الحارث بن عبد قيس .

من المهاجرات : أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب . فاطمة بنت صفوان زوج عمرو بن سعيد . أمينة بنت خلف الخزاعي زوج خالد بن سعيد . أم حبيبة بنت أبى سفيان . بركة بنت يسار زوج قيس بن عبد الله . أم حرملة بنت عبد الاسود زوج جهم بن قيس . رملة بنت أبى عوف زوج المطلب بن أزهر . ريطة بنت الحارث زوج الحارث بن خالد . فاطمة بنت المجلل زوج حاطب بن الحارث . فكيهة بنت يسار . حسنة زوج سفيان بن معمر . سودة بنت زمعة زوج السكران بن عمرو . عمرة بنت السعدى زوج مالك بن ربيعة . دعد بنت جحدم .

ويصف جعفر بن أبى طالب مقامهم بأرض

الحبشة ، وما كان بينهم وبين النجاشي ، وما كان من ملاحقة قريش لهم فيقول : ــ

لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا خير جار أمننا على ديننا، وعبدنا الله تعالى ، فلمابلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي وبطارقته لكي يسلمونا لهم فارسلوا فى أثرنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص ، فقالا للنجاشي قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت .. جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ، ولم يتبعه منا الا السفهاء ، وقد بعثنا اليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم .

فقال البطارقة : صدقوا أيها الملك . قومهم أعلم بهم ، فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي وقال : لا أسلمهم وقد جاوروني ونزلوا بلادى حتى أدعوهم فاسالهم عن حقيقة امرهم .

قال جعفر : فارسل الينا النجاشي ، فلما دخلنا عليه سلمنا ، فقال من حضره : ما لكم لا تسجدون للملك قلنا : لا نسجد الا لله تعالى، فقال النجاشي : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى ديني قلنا أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا . نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته ، فدعانا الى توحيد الله ، وخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الارحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به، فعدا عليناقومنا ليردونا الىعبادةالاصنام واستحلال الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ،وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك .

فقال النجاشي لجعفر : هل عندكم شيء مما جاء به ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ على ، فقرأت عليه صدرا من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، ورد عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مبعوثي قريش أقبح رد ، وعاش المهاجرون فى جوار النجاشي آمنين مطمئنين حتى استتب الامر للمسلمين فىالمدينة فأخذوا فى الرجوعاليها .

المبايعون فى العقبة

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس المعين والنصير ويعمل جاهدا لفتح آفاق جديدة للاسلام فانتهز فرصة مجيء العرب من كل ناحية للحج وكان المشركون يحجون للبيت فى أيام الجاهلية فكان يخرج اليهم ويتحدث معهم عن الدعوة التى أرسله الله بها ويدعوهم للاسلام . وكان زعماء الشرك يتابعونه أينما سار ليفسدوا عليه خطته ويحولوا بين الدعوة وبين الناس . ولكن الله سبحانه كان يدخر فضلا عظيما لاهل المدينة ، فقد أقبل جماعة منهم لموسم الحج وتحدث الرسول معهم عن الاسلام فشرح الله صدرهم له وأسلموا ، وكان عددهم ستة ، كلهم من قبيلة الخزرج ، وتفتحت بذلك بارقة أمل جديد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من الطبيعي حين رجع هؤلاء للمدينة أن يتحدثوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام ويتحمسوا له بعد أن اعتنقوه ويروجوا له بين قومهم .. فكانوا بذلك النواة الاولى الطيبة للاسلام فى المدينة ووضعوا بذلك الحجر الاساسي للعظمة والقداسة التى تمتعت بها بعد ذلك .

فقد زاد عدد القادمين لموسم الحج فى العام القادم الراغبين فى الاسلام ولقيهم الرسول وتحدث معهم ، فأسلموا .. وكان عددهم اثنى عشر من قبيلة الخزرج ورجلين من قبيلة الاوس . واجتمعوا مع الرسول سرا بين جبال العقبة حول جمرة العقبة أو الجمرة الثالثة الكبرى . وبايعوا

لوحة الشرف

الرسول على الاسلام فسميت هذه البيعة بيعة العقبة الاولى .

بيعة العقبة الاولى

من الاوس : أبو الهيثم بن القيهان . عويم بن ساعدة .

من الخزرج : أسعد بن زرارة . عوف بن الحارث . معاذ بن الحارث . رافع بن مالك . ذكوان بن قيس . عبادة بن الصامت . يزيد بن ثعلبة . العباس بن عبادة . عقبة بن عامر قطبة بن عامر .

وعاد هؤلاء للمدينة ومعهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم من قبل الرسول ليتعهدا المسلمين الجدد هناك بالتعليم والتفقيه فى أمور دينهم ، ويدعوا الآخرين الى الاسلام ـ وكان حقلا جديدا خصبا أتاحه الله للاسلام حتى أصبح حديثه على لسان أهل المدينة وشاغلهم ، وزاد عدد الداخلين فى الاسلام وفيهم بعض زعمائهم فلم يحل موعد الحج فى العام الثالث حتى كثر عدد المرتحلين الى مكة ليقابلوا رسول الله .

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتواعد معهم على اللقاء سرا فى منعطفات جبال العقبة بعد أن يتموا حجهم .. وتولدت فى هذا الجو المتفتح بالبشر والامل فكرة انتقال الرسول للمدينة . وفكر الرسول ... لماذا لا يترك مكة للمدينة بعد أن كثر عدد المسلمين فيها ، واصبحت بيئة صالحة لنشر الاسلام وحماية الدعوة . ومكة فى مدى ثلاث عشرة سنة لم يسلم فيها قدر من أسلم فى المدينة ، ولا زالت تقف للاسلام بالمرصاد حتى لم يعد فيها أمل .

وهناك فى ستر من الليل اجتمع بهم الرسول ومعه عمه العباس ليأمن على ابن أخيه فيما هو مقدم عليه وبايعوا الرسول على أن يهاجر اليهم ويحموه ويحموا دعوته وكانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأتين .. فكانت هذه هي بيعة العقبة الثانية .

وعادوا للمدينة يحملون خطة جديدة ويحملون معهم للمستقبل نصرا للدعوة .. ورأى الرسول أن ينظم أمرهم هناك حتى يلحق بهم فجعل عليهم اثنى عشر نقيبا يتعهدونهم فى أمر دينهم وفيما أخذوا مواثيقهم عليه ..

بيعة العقبة الثانية

عدد المبايعين (٧٣) رجلا وامرأتان وهم : ـ

من الاوس : أسيد بن حضير ، سعد بن خثيمة رفاعة بن عبد المنذر . (وهؤلاء من النقباء) أبو الهيثم بن التيهان . سلمة بن سلامة . ظهير بن رافع . أبو بردة بن دينار . فهير بن الهيثم . عبد الله بن جبير . معن بن عدى . عويم بن ساعدة

من الخزرج : أسعد بن زرارة . سعد بن الربيع عبد الله بن رواحة . رافع بن مالك . البراء بن معرور . عبادة بن الصامت . سعد بن عبادة . المنذر بن عمرو . عبد الله عمرو بن حرام (وهؤلاء من النقباء) . خالد بن زيد . معاذ بن الحارث . عوف بن الحارث . معوذ بن الحارث . عمارة بن حزم . سهل بن عتيك . أوس بن ثابت . زيد بن سهل . قيس بن أبى صعصعة . عمرو ابن غزية . خارجة بن زيد . بشير بن سعيد . عبد الله بن زيد بن ثعلبة . خلاد بن سويد . عقبة بن عمرو . زيادة بن لبيد . فروة بن عمرو . خالد بن قيس . ذكوان بن عبد قيس . عباد بن قيس . الحارث بن قيس . بشر بن البراء بن معرور . سنان بن صيفي . كعب بن مالك .

سليم بن عامر . قطبة بن عامر . يزيد بن عامر . كعب بن عمر . صيفي بن سواد . ثعلبة بن غنمة . عمرو بن غنمة . عبس بن عامر . خالد بن عمر . عبد الله بن أنيس . جابر بن عبد الله . معاذ ابن عمرو بن الجموح . ثابت بن الجذع . عمير بن الحارث . خديج بن سلامة . معاذ بن جبل . العباس بن عبادة بن نضلة . يزيد بن ثعلبة . الطفيل بن النعمان . معقل بن المنذر . يزيد بن المنذر . مسعود بن زيد . الضحاك بن حارثة . يزيد بن خزام . جبار بن صخر . الطفيل بن مالك . عمرو بن الحارث . رفاعة بن عمرو . عقبة بن وهب .

من النساء : نسيبة بنت كعب . أسماء بنت عمرو بن عدى .

★ ★ ★

وماج المسلمون فى المدينة – من رأى منهم رسول الله من قبل ومن لم يره – بالفرحة الغامرة . وأمسوا وأصبحوا ينتظرون قدومه هو وأصحابه المكيين ، وينتظرون مع مقدمه فجر حياة جديدة لهم، يلتئم فيها شمل القبيلتين المتنازعتين باستمرار وتندمل فيها جراحاتهم وتختفي فيها أحقادهم ، ويعودون فى ظل الاسلام أخوة يستريحون من عناء قتال ونزاع شغلا حياتهم .

كان هذا حال المسلمين الجدد فى المدينة أما حال الرسول وأصحابه فى مكة فقد ازداد سـوءا ، لقد علم زعماء قريش بما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة . وتسربت أخبـار البيعة اليهم ورأوا فيها أن الخطر الذى يحاصرونه ليقضوا عليه سيفلت منهم ، ويجد له متنفسا جديدا ورجالا جددا سيتجمعون حوله ويقـوى بهم أمره ويتفاحل خطره ؛ حتى يستطيع بهم أن يهدد مكة وينتصر عليها .

لقد ظلوا نحوا من ثلاثة عشر عاما يحاولون الحد من الدعوة الجديدة وخنقها والقضاء عليها .. وجربوا فى ذلك شتى الطرق وها هو ذا محمد سيفلت منهم ويخرج أمره من أيديهم .. ولا يدرون بعد ذلك ما يكون مصيرهم .. فلا بد اذن من عمل حاسم .

★ ★ ★

وبدأت الحملة الجديدة الجنونية على الرسول وصحابته .. الاضطهاد لم يعد يجدى ولا يحقق الهدف .. فلا بد معه اذن من تفكير فى عمل جديد ، لا بد من القضاء على حياة هذا الداعي الذى أقض مضجعهم كل هذه المدة .. والذى يفكر فى الخروج ليكون بعد ذلك نهاية مصيرهم وكان هذا كله مما دفع الرسول صلى الله عليه وسلم للتعجيل بالهجرة فأمر أصحابه أن يسبقوه الى المدينة .. ومكث هو فى مكة يرقب الحال وينتظر الاذن من ربه .

★ ★ ★

وسارت الايام .. وكل تدبير يقترب من نهاية أمره . المسلمون يهاجرون والمكيون يدبرون حتى اذا هاجر المسلمون كلهم أو كادوا .. وحتى اذا انتهى أمر المكيين وتدبيرهم الى قتل محمد .. جاءه الاذن بالهجرة فخرج فى ستر من الليل .. وبدأ رحلته الرهيبة هو وصاحبه الى المدينة .

ما الذى حمل المسلمين على ترك ديارهم وأموالهم ومصالحهم .. والاقبال على مجهول ليس لهم فيه من عدة لاحتمالاته ؟ . ما الذى جعلهم يقدمون على هذه التضحية وفيهم الرجل وفيهم المرأة ..

انه الايمان .. انها العقيدة التى تزلزل الرواسى وتقتحم الصعاب ، وتهزأ بالاخطار . انها الهجرة للـــه .

وكان هؤلاء وهم يتركون على الرمال وقع أقدامهم

لوحة الشرف

يسجل لهم التاريخ أروع ما قامت به جماعة انتصارا لعقيدتها ويفتح لهم سجلا خاصا بهم من المجد والفخار ..

وكان ممن حفظ التاريخ أسماءهم من المهاجرين والمهاجرات .

المهاجرون الى المدينة

من المهاجرين : أبو سلمة المخزومي . عامر بن أبى ربيعة . عبد الله بن جحش . أبو احمد عبد بن جحش . عكاشة بن محصن . شجاع ابن وهب . عقبة بن وهب . أربد بن جميرة . منقذ بن نباته . سعيد بن رقيش . محرز بن فضلة . قيس بن جابر . مالك بن عمرو . زيد بن رقيش . عمرو بن محصن . صفوان بن عمرو . ثقيف بن عمرو . الزبير بن عبيدة . سخبرة بن عبيدة . عمر بن الخطاب . عبد الله بن أم مكتوم . سعد بن أبى وقاص . زيد بن الخطاب . عبد الله ابن سراقة بن المعتمر . سعيد بن زيد . خولى ابن أبى خولى . اياس بن بكير . عاقل بن بكير . طلحة بن عبيد الله . حمزة بن عبد المطلب . أبو مرثد بن الحصين . أنسة مولى رسول الله . عبيدة بن الحارث . حصين بن الحارث . سويبط ابن سعد . خباب مولى عتبة بن غروان . الزبير ابن العوام . أبو حذيفة بن عتبة . عتبة بن غزوان. ربيعة بن أكثم . تمام بن عبيدة. محمد بن عبدالله ابن جحش . مصعب بن عمير . عمار بن ياسر . بلال (المؤذن) . عمرو بن سراقة بن المعتمر . خنيس بن خذافة السهمي . واقد بن عبد الله التميمى . مالك بن أبى خولى . خالد بن بكير . عامر بن بكير . صهيب بن سنان . زيد بن حارثة. مرثد الفنويان . أبو كبشة مولى رسول الله . الطفيل بن الحارث . مسطح بن أثاثة . طليب ابن عمير . عبد الرحمن بن عوف . أبو سبرة ابن أبى رهم . سالم مولى أبى حذيفة . عثمان ابن عفان . وآخرون .

من المهاجرات : أم سلمة . زينب بنت جحش . حمنة بنت جحش . أم حبيب بنت جحش . جدامة بنت جندل . أم قيس بنت محصن . أم حبيب بنت تمامة . آمنة بنت رقيش . سخبرة بنت تميم .

★ ★ ★

حل هؤلاء المهاجرون الابطال على اخوانهم المسلمين فى المدينة الذين سماهم القرآن « الانصار » ، ومنهم تكونت النواة القوية للمجتمع الاسلامي الاول الذى حمل اعباء الدعوة فى منطلقها الجديد ، واستحق من الله الرضا والمغفرة .

★ ★ ★

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (١)

★ ★ ★

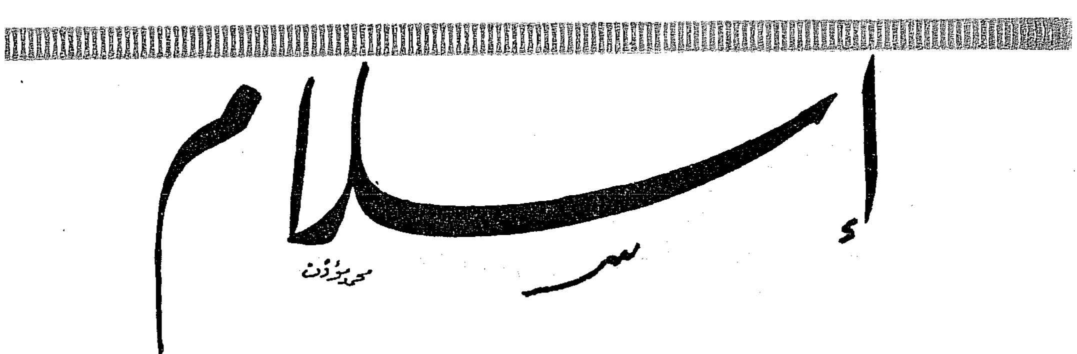
« أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب » (٢) صدق الله العظيم

(١) الانفال آية ٧٤
(٢) الزمر آية ١٨

بقية الله في كل شيء

آمنتُ فيما قد رأيتُ وانني ... لأرى وراء الغيْب طيفَ وجودي
وغداً أعودُ كما بدأتُ، وانني ... لألوذُ من ركْبِ العُلا بخلودِ
أنا ذلك الانسانُ آيةُ ربِّهِ ... في الكونِ، ظِلٌّ لوائهِ المعقودِ
أنا نفحةٌ من روحِهِ في آدمٍ ... قد أومضَتْ في الهيكل المفقودِ
حَسبي إذا أحصيتُ عمرىَ أنَّنى ... ما كنتُ شيئاً قبلُ في الموجودِ
حتى براني الله روحاً ساميا ... في هيْكلٍ متساوقٍ محمودِ
مدَّ الالهُ لآدمٍ من فضله .. ... قبسَ الهدى، وحباه بالتأييدِ
ودعا الملائكةَ الكرامَ ليشهدوا ... من مهرْجانِ الخلْدِ أكرمَ عيدِ
الوحْيُ يهتفُ، والملائكُ سُجَّدٌ ... وعلى الضِّفافِ مزاهرُ التغريدِ
هذا الذى سوَّيْتُهُ بشراً .. فكان مناطَ خيرٍ للورى، وسعُودِ
دعنِي، ودعْ ابليسَ فهومُضَلِّلٌ ... قد رُدَّ عن فرْدوسه بوعيدِ
ومضى يطاردُهُ الزمانُ بلعنةٍ ... هو شرٌّ ملعونٍ بها، وطريدِ
القصَّةُ الكبرى حياةُ محمَّدٍ ... هادى الورى للموقفِ المحمودِ
حمَلَ الرسالةَ بالهدى، وكتابُهُ ... بيدِ الزَّمان له لِسانُ خلودِ
وبه استقامَ الدينُ فهو شريعةٌ ... غرَّاءُ، تَهْدى للغدِ المنشُودِ
قد جاء خير الخلق يكشفُ للورى ... عن قدْرِ ذاتِ الخالقِ المعبودِ
صلى عليه الله، فهو صفيُّه ... ونجيُّهُ في الموقفِ المشهُودِ

للاستاذ سعيد زايد

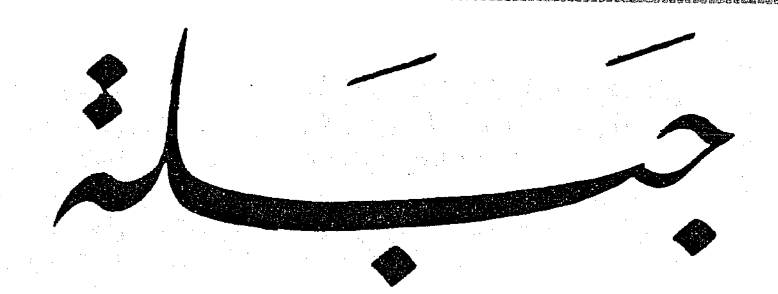


خرج اهل المدينة جميعا يستقبلون ضيف أمير المؤمنين ، وهو قادم يختال فوق جواده الاصهب وحوله ما يقرب من خمسمائة فارس يلبسون ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، انعكست عليها اشعة الشمس الوهاجة فانبعث منها بريق لامع يخطف الابصار ويحيل لون رمال الصحراء الى لون ذهبي رائع .. كان جبلة بن الايهم يختال فوق جواده كالطاووس ويضع فوق رأسه تاجا مثبتا فيه قرط جدته مارية فى أناقة وعجب ، ويلتفت ذات اليمين وذات اليسار فى حركات متئدة مصنوعة ، ويرد التحية بيده تارة وبايماءة من رأسه تارة أخرى ، وينظر الى ملابسه وملابس فرسانه فى زهو وخيلاء .

وكان جبلة قد كتب الى عمر بن الخطاب ينبئه برغبته فى الاسلام ، ويستأذنه فى القدوم اليه ، ففرح أمير المؤمنين بذلك فرحا شديدا هو وجميع المسلمين ، فان اسلام أمير غسان لا بد وأن يتبعه اسلام عدد كبير من الناس، فسرعان ما رد عليه عمر بأن ((أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا)).

وصل جبلة الى المدينة ، ونزل ضيفا على خليفة المسلمين ، ثم نطق بالشهادتين بين جمع غفير من الناس ، تحوطه مظاهر البهجة والسرور . ولما كان موسم الحج على وشك الحلول ، فقد انتظر فى المدينة حتى يؤدى الفريضة . وجاء موعد الحج وخرج جبلة فى صحبة أمير المؤمنين لتأدية الفريضة الخامسة من فرائض الاسلام ، وفرح أهل مكة ايضا باستقبال جبلة مسلما فى أرضهم ، وبهدايته الى السبيل السوى الذى ارتضاه دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتباروا فى اكرامه واعزازه ما وسعهم الاكرام والاعزاز .

وبينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ وطىء ازاره رجل من بني فزارة فحله . فالتفت اليه جبلة فى أنفة وكبرياء ، وقال له ((كيف تجرؤ على وطء ازارى أيها الاعرابي ؟)) ، ولم يلبث ان لطمه على وجهه لطمة قوية هشمت أنفه . فغضب الفزارى وذهب على التو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وشكا له .. وبعث الفاروق فى طلب جبلة ولما حضر قال له ((ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه ؟ ورد جبلة بلهجة فيها من عادات الجاهلية الشيء الكثير قائلا ((انه وطىء



ازارى فحله ، ولولا حرمة هذا البيت لضربته بين عينيه بالسيف)) ونظر اليه أمير المؤمنين نظرة كلها سخرية من هذا الذى أسلم ولم تتمكن منه صفات الاسلام بعد ، ولم تجر فى دمائه روح التسامح ، وأراد ان يلقنه أول درس عملي فى جوهر الدين ، فقال له فى قوة وحزم ((أما انت فقد اقررت ، أما أن ترضيه والا أقدته منك)) وطار صواب جبلة ، فلم يتعود على هذا الاسلوب من قبل ، بل عاش حياته يأمر فيطاع ، ويفعل الاثم فيقر عليه ، ويرتكب الخطيئة فيصورها له النفاق الذى يحيط به بأنها عين الصواب ، وقال موجها الكلام الى أمير المؤمنين فى جاهلية رعناء ((اتقيده مني ، وأنا ملك وهو سوقة ؟)) وابتسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابتسامة المدرك انه لا يوجد فى الدين ملك وسوقة ولا أمير وحقير ، وقال ((يا جبلة انه قد جمعك وإياه الاسلام ، فما تفضله بشيء الا بالعافية)) وتملكت ثورة الغضب من نفس أمير غسان ، وظل سادرا فى غيه لا يريد ان يفهم ما يصدر عن أمير المؤمنين من روح نقية ولا أن يعرف ان التسامح هو أول صفات المسلم الحق ، وقال ((والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز مني فى الجاهلية)) . فرد عليه الفاروق فى أباء قائلا ((دع عنك ذلك)) ولم يرعو جبلة ، ولم يشأ أن يجارى ابن الخطاب فيما يهدف اليه من معان سامية ، بل قال فى حمق ((اذن أتنصر)) . وهنا نفد صبر أمير المؤمنين ونظر اليه نظرة احتقار ، وقال له بصوت مرتفع وبلهجة حاسمة ((ان تنصرت ضربت عنقك)) .

وشاع الخبر بين العرب ، واجتمع قوم ابن الايهم يتشاورون فى الامر ويفكرون فى رد الاهانة التى لحقت بزعيمهم من وطء ازاره . ومن ناحية أخرى اجتمع بنو فزارة يرسمون خطة يدفعون بها ما لحق برجلهم من اعتداء ، وكادت أن تقوم فتنة .. وأرسل الفاروق الى جبلة ((يسأله عما استقر عليه رأيه فى ارضاء الفزارى ، فقال جبلة ((أخرني الى غد يا أمير المؤمنين ((فرد عليه عمر قائلا ((ذلك لك)) .

وكان ابن الايهم قد بيت فى نفسه أمرا ، فعندما انتصف الليل انسل هو وقومه هاربين الى القسطنطينية ونزل عند هرقل ، وتنصر .. وقد كان فرح هرقل وسروره بذلك شديدا ، فقد وهبه مالا جزيلا وأرضا شاسعة وقصرا منيفا فيه كل وسائل البهجة والترف ، ويحتوى على كل ما لذ وطاب .

ومرت الايام ، وأرسل عمر بن الخطاب رسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام أو المصالحة على دفع الجزية ، وكان من هؤلاء هرقل الذى ارتضى المصالحة على غير الاسلام . ولما أراد أن يكتب جواب عمر ، قال لرسول أمير المؤمنين ((القيت ابن عمك هذا الذى ببلدنا ، والذى أتانا راغبا فى ديننا)) ، ورد الرسول مستفسرا ، فقال هرقل ((جبلة بن الايهم)) قال رسول عمر ((وما شأنه فى هذا ؟)) فقال هرقل فى خبث ((القه ثم ائتني اعطك جواب كتابك)) .

ولعل هرقل كان يريد أن يوقف رسول أمير المؤمنين على النعمة التى يعيش فيها ابن الايهم ، لعله يبهر بتلك الابهة ويبقى الى جواره ويخون الرسالة التى وفد من اجلها ، ولكن هيهات .. وذهب الرسول الى بيت جبلة ، فراعه ما يقف على بابه من كثرة الحجاب والقهارمة كباب هرقل نفسه ، وطلب الاذن بالدخول ، فأذن له بعد فترة من الزمن ، ونظر فاذا بجبلة قاعدا على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من الذهب ورحب ابن الايهم برسول الفاروق وسأله عن المسلمين ، فأنبأه هذا بأنهم قد زادوا عددا وعدة ، ثم سأله عن ابن الخطاب فأنبأه ايضا بأنه بخير ، فظهر الغم على وجهه ودعا جبلة الرسول الى الجلوس بجانبه فوق السرير ، ولكن الرسول عزف عن ذلك ، فقال له جبلة ((لم تأبى الكرامة التى اكرمناك بها ؟)) فقال الرسول ((ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا)) فقال جبلة ((نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ، ولا تبال علام قعدت)) .. ودهش رسول ابن الخطاب عندما سمع ابن الايهم يقول ((صلى الله عليه وسلم)) وقال له فى قوة وعزم ((ويحك يا جبلة ألا تسلم ، وقد عرفت الاسلام وفضله)) ورد جبلة فى حسرة وندامة قائلا ((أبعد ما كان مني ؟)) قال رسول عمر مطمئنا اياه ومزيلا لحالة اليأس التى عنده ومقويا للامل الذى بدأ يداعب نفسه ((نعم قد فعل رجل من بني فزارة اكثر مما فعلت ، ارتد عن الاسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع الى الاسلام ، وقبل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلما)) ... وعادت أنفة الجاهلية الى نفس جبلة مرة أخرى ، فقال لرسول عمر ((ذرني من هذا ، ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الى الاسلام)) فقال رسول عمر ((ضمنت لك التزويج ولم اضمن لك الامرة)) .

وخرج الرسول من عند ابن الايهم ، وقد أخذ منه وعدا بالرجوع الى الاسلام ، أو على الاقل فهم منه رغبة وحنينا اليه ، ولم تنفع معه حيلة هرقل ، ولم تؤثر فى نفسه ، بل زادته ايمانا بالله واستمساكا بدينه وعزوفا عن مظاهر الدنيا الفانية . وذهب الى هرقل وأخذ منه ردا على رسالة أمير المؤمنين يتضمن رأيه فى المصالحة بينه وبينه .

وعاد رسول عمر الى بلاد العرب ، وأخبر الخليفة بما كان من شأنه مع هرقل وجبلة ومن انه دعاه الى الاسلام وضمن له التزويج ولم يضمن له الامرة . ففرح عمر فرحا شديدا ، فلم يكن أحب اليه من أن يزيد عدد المسلمين ويعزز الله جانبهم ، وقال لرسوله ((هلا ضمنت له الامرة ، فاذا افاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل)) .

وجهز ابن الخطاب رسوله الى القيصر ، وأمره أن يقابل جبلة ويضمن له ما اشترط به ، وقدم الرسول الى القسطنطينية وفى نفسه من الفرح ما فيها ، وتوجه على التو الى منزل جبلة ، واذا به يلمح جموعا منصرفة من حول المنزل ، وسأل عن الخبر ، فأخبر بأن جبلة قد مات واحنى رسول عمر رأسه الى الارض متأملا حكمة الله عز وجل ، وأدرك ان الشقاء قد غلب على جبلة فى أم الكتاب .

مسئوليه التناصح وأساسها في الإسلام

للاستاذ السيد محمد أبو المجد
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

ان الامة الرائدة التي تتفوق على مثيلاتها حضارة ورقيا ومنزلة مرموقة بين الامم هي الامة التي يسود بين افرادها ظاهرة التوجيه والتوعية والتناصح الصريح المضيء الذي تتفتح له القلوب ، فيشيع بين جوانبها عظمة الله وتنزيهه ويرفع مستوى النفوس فتطلب ان هي طلبت معالي الامور ، وتترفع عن سفاسفها . وتنشد المثل الاعلى ، وتتجمل بالمروءة وتشعر بعظيم التبعة التي من شأنها تنظيف المجتمع من المداهنة والمواربة والتصنع فيفعل المرء فى السر ما يفعله فى العلانية ، ويملأه الشعور بأن الله خالقه ، وبأن الله يراه ، وبأن الله يأمره وينهاه فيأتي ما يأتي من الخير ويذر ما يذر من الشر ،لا رغبة ولا رهبة ولكن حبا فى الله ومن احب امتثل واناب واطاع ، وما اجمل ما صور الشاعر من صورة تترقرق فى جوانبها تموجات الطاعة الصريحة والامتثال الشجاع الطليق .

تعصى الاله وانت تزعم حبه
هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

ان ظاهرة التوعية والتناصح الرشيد ان صدرت عن قلب تنظفت مضغته من الهوى الدنيوى ، وتبرأت من جمحات الطموح الشخصي انعطفت اليه القلوب ، وخلق من حوله الحواريين والانصار ، ولو استدرنا عبر التاريخ نسأله ونستفتيه لارانا ارباب الدعوات وكأن الفرد منهم امة وحده ، بخطو قانتا لله حنيفا فيقتحم ظلمات القلوب ويستل سخائمها ، ويقشع ضبابها ، ولا يتركها حتى يجعل منها موئلا للحق ، وكوكبا دريا يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور . ان ظاهرة التناصح لا تنبت فى ارض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها ولكنها تنبت فى أرض لم تمت عليها عزة المؤمنين ، ولم ينقطع بها الدرب لانها تاهت بين ركائز الاستعمار وفساد الحكم وبؤس الفقراء وتعطيل طاقات الشعب تحت وطأة الامتيازات الطبقية فلا يستشعر افراده جسامة المسئولية العامة التي لا تسأل الفرد عن نفسه الا وتسأله فى الوقت ذاته عن اخيه ، وعن امه وابيه وصاحبته وبنيه ، بل وترتفع المسؤولية فى الاسلام الى مستوى عظيم تتجاوز فيه الانسان الى الحيوان والنبات فالجماد . وما أمر المرأة التي دخلت النار فى هرة حبستها فمنعتها عن ان تقوت نفسها بخشاش الارض ولم تهيء لها فى محبسها لا طعاما ولا شرابا ، ما أمر هذه المرأة ببعيد عن القارىء العزيز لا سيما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفت الانظار اليه وشدد النكير عليه ، وهنا يتدخل القرآن المجيد ليرسي قواعد المجتمع وركائزه على أساس راسخ مكين عن طريق التحريض البالغ اثره فى النفوس ليأخذ الناس بعضهم بعضا بالتواصي بالحق فيقول وقوله الحق مهددا موعدا أولئك السلبيين الذين يقفون من الامراض الاجتماعية وقد استشرت واستترت تحت اقنعه علمية او فنية ففتنت ببريقها ، وخدعت بسرابها ، وهدمت من بعد ذلك اقوى اللبنات فى صرح المجتمع الرشيد العتيد مما جعل القرآن يواجه هؤلاء وجها لوجه ملقيا اليهم هذه الآية التي هي ان فضحتهم فلا تترك لهم مجالا للخلاص يوم القيامة (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) .

ان المسؤولية العامة التي نادى بها القرآن المجيد ليست منبثقة الا من نواميس المجتمعات الراقية المتحضرة ، وليست الا مولودة من مواليد الفطرة البشرية ، وليست الا جانبا حيويا خطيرا من جوانب الحياة الحقيقية حياة القلوب والارواح ، حياة الامن والرخاء ، والحياة العزيزة الكريمة للامم جمعاء ، ومن يمن هذه المسئولية العامة التي جعلها القرآن ناموسا من نواميس المجتمع ، ومرآة يرى فيها الفرد نفسه اذا ما اغطش الغرور طريقها فانحرفت ، وعميت عليها السبل فانجرفت الى قرار سحيق . من يمن هذه المسؤولية انها تنير البصيرة وتهب صاحبها احساسا يميز به بين الحق والباطل ، ويهديه سواء السبيل ، وما أصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه علما بمجريات الفطرة البشرية واساليب استوائها على نهج صادق رشيد اذ يجعل التناصح هو الدين كله فيقول « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله قال . لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وما قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالتناصح على هذه الصورة المانعة الجامعة الا باعتباره اصلا من اصول الدين ، وركنا من اركانه ، وترسا من تروس دولابه ان تحطم استجابت له بقية التروس بالتحطيم ، وما قول الرسول الا انعكاسا صادقا لهذه السورة التي على قصرها وايجازها تقيم ميزان الدنيا على سعتها واختلاف اقاليمها ، وهي تناشد المسلمين جميعا فى مشارق

الارض ومغاربها بما يتسمون به من وصف الايمان ان يلتزموا حدود الطاعة وان يستجيبوا لدعوة الله فيتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر ، وحسب هذه السورة فعالية فى تمتين روابط المجتمع وتنقيته من الشوائب والادواء ان الامام الشافعي قال فيها بعد ان سبر اغوارها واحاط علما بجوانبها وهو القرشي المضيء عقلا وروحا « لو عرفها المسلمون لكفتهم والعصر ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وان ما تبديه هذه السورة من بارع اللمحات فى بناية الصرح الاجتماعي انها كانت تقليدا من تقاليد الصحابة رضي الله عنهم ، فكان لا يفترق بعضهم عن بعض الا وهذه السورة تختتم مجالسهم وآخر ما يصدر عن قلوبهم عهدا وميثاقا .

ان المسؤولية العامة التي جعلت من كل فرد حكومة يسأل نفسه ويسأل أخاه عبر عنها الاسلام تعبيرا لا تسلط فيه ولا جبروت ، ولا انتقاصا لقدر او غضا من قيمة ، ولا غضاضة منه حتى يبقي على النفوس عزتها، وعلى الآدمية كرامتها فجاء تعبيره عن المسئولية مرغبا فيها لا منفرا منها ،وداعيا اليها فاسماها « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقد تولى القرآن المجيد ابرازها ، وطلب من القادرين عليها اقرارها ، وعلق عليها وحدها امر استقرار الشعوب وفلاحها فقال وصدق الله العظيم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

والقرآن المجيد يتابع المسؤولية فى اكثر من موضع ، ويتناولها من مظانها تنويها باثرها فى تقييم المجتمع ،وجعلها شأنا من شؤون المسلمين ، واثرا من آثار ايمانهم اقيمت به ولاية المؤمنين بعضهم على بعض فقال عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

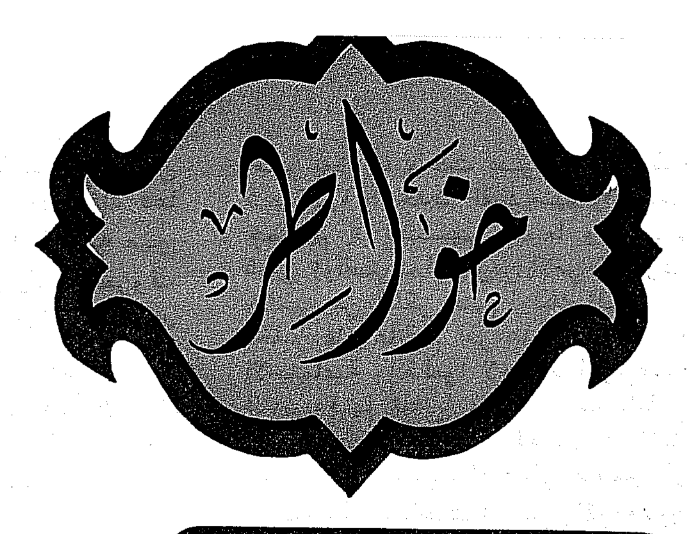
فلننظر ، ولنتابع النظر فى هذه الآية التي اوردت بعض الواجبات صراحة ، وقد وضعها الله وهو اعلم بمن خلق ؛ وضعا نحتاج معه الى روية وتدبر نكشف معهما كيف ان الله قدم فى الآية الكريمة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وجعل لهما الصدارة لفتا لذوى العقول والابصار . ان تحقيق المسؤولية العامة ينبثق اولا وبالذات من هذه الركيزة الاجتماعية التي تعتبر اما لجميع الركائز، واساسا لكل القيم ، ولعظيم امومتها وجلال خطرها كانت قبل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فهي منطلق الخير جميعا ، وان ما يوحى به وضع الآية بهذا الاحكام لامر ان وعته النفوس انطلقت اليه ممعنة فى نواله مهما بذلت او شقيت ، ان الآية تهيب بالفرد ان يكامن من انانيته ، وان يجعلها تغوص فى القاع من اعماقه ، وأن يقول اخي وأنا بدلا من ان يقول انا وحدى لان

طلب الشخص الخير لنفسه ابعد من ان يقع عند الله موضع القبول الا اذا دعا الناس جميعا الى ما يريد لنفسه من خير ، وما ينتظر لها من زكاة ومعروف فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولا يشد بنيان المجتمع بعضه الى بعض ويسد ثغراته الا التواصي بالحق ووضع قول الرسول صلي الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » موضع التطبيق والتنفيذ .

هكذا فهم المسلمون الاولون مبدأ المسئولية العامة فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وقاموا بواجب التناصح والارشاد والتوعية ، فنصح عالمهم جاهلهم ، وارشد كبيرهم صغيرهم بل لقد نصح الصغير الكبير ونصح المرءوس الرئيس ، ونصح المحكوم الحاكم ، وتقبل الجميع من الجميع،وظلوا كذلك متعاونين على البر والتقوى فاستقامت لهم الشئون وتقدمت بهم الحياة وقادوا العالم،واقاموا الحضارة ، وحفظوا تراث الانسانية من الضياع . فلما نبتت معهم على طول الطريق نابتة الشهوة ، وانفتحت عليهم الارض والسماء بما يحملان من كنوز وعطايا فغرقوا فى بلهنية من العيش والرخاء والنعيم ، وأتتهم الدنيا بما زينت لهم وأرتهم ما يتنافسون عليه ويتكاثرون به ، وأعطتهم حلواءها ، وسقتهم صنوفا من الجاه والرياسة سلبتهم سلطة القلب، وساطة الروح، وسلطة الضمير، وجعلتهم كالدمى ان اغرك مظهرها لا ترضيك حقيقتها ، واطفات بين جنوبهم نور التقوى ، وخذلت فى لهاتهم كلمة الحق لتفتح الطريق الى لقمة العيش ، وفرقت كلمتهم،وفتحت عيونهم وأعمت بصيرتهم، واضاعت امرهم بعد ان اضاع بعضهم امر بعض ، وحلت عراهم وربطت شهواتهم، وأوجدت الفرد منهم واضاعت جميعهم « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »وانصرف الناس عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اولئك الذين اخذوا على عاتقهم امر هذه التبعة الاجتماعية وانقطعوا لاحيائها وترغيب الناس فيها تفاديا من غضب الناس الذين اصبحت قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة او استبقاء على منصب او استدرارا للقمة عيش،وانطوى المجاهدون على انفسهم يحوقلون ويقولون (وليسعك بيتك) مكتفين بقولهم . فسد الزمان . (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل) . وكأني بالقرآن الكريم يتغلغل مع النفوس البشرية الى جذورها ويتوقع لها هذا الانخذال فى الطريق ، وأن كثيرا من الناس سيتخلى عن رعاية هذه الظاهرة الاجتماعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الظاهرة التي اودت بمصير الامم من قبلنا ، والتى قص القرآن علينا طرفا من اخبارها حين اغفلت التناصح بين افرادها وتركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر استثارة لنفسية المجاهدين وحرصا على الا يتسرب اليأس **الى قلوبهم ، فقال الله تعالى وهو اصدق القائلين (فلو لا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .**

ولما اندثرت ظاهرة التواصى بالحق تولدت بديلا منها ظاهرة التعالى التي تنكر عليك كلمة الحق تبديها ، او منهجا خاطئا ينتهي بالسائرين فيه الى متاهة

ـ البقية على الصفحة ٩٦ ـ



من هنا .... وهناك

يكتبها : ع . النمر

أنظر يا أخي حولك حين يصل هذا العدد اليك وطف بشوارع البلد وقارن بين ما رأيته من المسلمين فى رأس السنة الميلادية من مظاهر العناية والاحتفال والاهتمام ، وبين ما تراه منهم فىرأسالسنة الهجرية وهمالذينتعتبر الهجرة بالنسبةلهمنصرا لدينهم وفجرا جديدا انطلقت بعده اضواء دعوتهم حتى عمت الجزيرة العربية وزحفت منها كما يزحف ضوء الشمس شرقا وغربا ، حتى كان العالم الاسلامي وكانت الامبراطورية العربية الاسلامية التي سادت الدنيا بالعدل والمساواة وقدمت أرقى نموذج للحكم والحضارة والتمدن .

ستخرج مثلي من هذه المقارنة ، بالأسى والحسرة للفتور والبرود او الاهمال الذى نقابل به هذه المناسبة التاريخية الكبرى التي تعتبر بالنسبة لنا رأس مال ضخم لتاريخنا وأمجادنا .

قد يقال ان رأس السنة الهجرية ليس عيدا من أعيادنا الاسلامية اذ ليس لنا الا العيدان المعروفان .. هذا صحيح وصحيح ايضا ان اسلافنا لم يكونوا يحتفلون به ولا يقيمون الذكريات له .. ولكن أساليب العصر فى التذكير والتربية واظهار الشعور نحو الايام الفاصلةفىالتاريخ القريب والبعيد للامة جعلت مثل هذه الاحتفالاتمنمظاهر يقظة الأمة لماضيها وحاضرها وتقديرها لرجالها واصحاب الفضل عليها .

وكلما كان احساس الأمة بمقدار الحادث والرجل فى تاريخها ، وشعورها بنتائجه فى ماضيها ومستقبلها وأثره على كيانها كان تجاوبها النفسي مع ذكرى هذا الحادث او صاحبه .. واعتزازها بهذه الذكرى وكل ما يتصل بها .

والهجرة لم تكن حادثا يمر فينسى وهي التي كانت مفتاحا لهذا المجد الذى تعيش على حسابه وبفضله الأمة التي تنتسب للاسلام فى كل مكان ... وهي وان لم تكن قد وقعت فى المحرم الا ان عمر رضي الله عنه والصحابة حين رأوا ان يضعوا للمسلمين تاريخا يؤرخون به أيامهم وسنيهم واختاروا حادث الهجرة مبدأ لهذا التاريخ اختاروا الشهور العربية ــ أو بلغة العصر الرائجة الشهور القومية بالنسبة لهم ــ شهورا يؤرخون بها ، والمحرم هو بدء السنة العربية فهو بدء السنة الهجرية اذن .. فأصبح كلما دارت السنة دورتها وبدأنا به سنة جديدة يذكرنا بسنة أخرى مرت على هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وببدء عام جديد .

فكيف اذن نستقبل المحرم وهو يذكرنا كلما اقبل علينا بهجرة الرسول واصحابه للمدينة ؟ هل وعينا ان الهجرة كانت مفتاح النصر على المشركين فاحتفلنا بذكرى هذا النصر كما تحتفل الأمم بامجادها ؟ هل عنينا بتذكير اولادنا وتعليمهم معنى الهجرة ولماذا هاجر الرسول وكيف احتمل هو وصحابته صنوف الألم والعذاب ومرارة الاغتراب في سبيل الدفاع عن العقيدة التي هي اغلى شيء ، او يجب ان تكون اغلى شيء لدى الانسان؟ هل انتهزنا هذه الفرصة فتعلمنا وعلمنا أولادنامن خلال حوادثها روح التضحية والاقدام في سبيل عقيدة الانسان ، في سبيل الحق الذى يؤمن به ويدافع عنه ؟ ونحن في غمار الاحداث الجسيمة التي تمر بنا في اشد الحاجة الى ان نستلهم هذه المعاني ونربي اولادنا عليها .

هل فكرنا في مصير هذا الدين على ايدينا وفيما نقدمه له من خدمات او من لكمات وطعنات وقد عرض الرسول وصحابته انفسهم للموت في سبيل نشره ورفع رايته ؟ .

هل عرفنا انه ميراث ورثناه ويجب ان نحافظ عليه والله شاهد علينا ماذا نفعل به او له ؟ .

كنت وجهت نظر المسلمين في كلمة مذاعة ، وفي هذا المكان من المجلة أيضا ـ ايام الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية ـ الى ما يغرقون اويذوبون فيه من تقليد في الاحتفال بمناسبات غيرهم ، وقلنا هل يجاملكم غيركم ويحتفل بمناسباتكم الخاصة .. ؟ واليوم نعيد السؤال .. ولكن مع كلمة صريحة ومرة .

انني أتساءل ـ والاسف يعصر قلبي ـ هل رآنا غيرنا نعني بأيامنا وأمجادنا حتى يجاملنا ؟ اذا كان أصحاب المناسبة وأهلها لا يعنون بها فكيف يعنى بها غيرهم ممن لا تهمهم هذه المناسبة ؟ حقا ..

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا

ثم تقويمنا الهجرى أين هو وأين مكانه في تأريخنا لرسائلنا وأيامنا وحوادثنا ؟.

لقد كان التاريخ المعتمد حين كان المسلمون أقوياء وكانت لهم دولة فلم يكونوا يعرفون التاريخ الميلادى ولا يؤرخون به حوادثهم وايامهم .. والتاريخ الهجرى كلما دوناه في رسائلنا وجعلناه محددا وضابطا لاحداثنا وايامنا كان دائما مذكرا لنفوسنا بهذا الحادث وكنا على صلة مستمرة بمعانية ..

ان تقويمنا الهجرى مرتبط بديننا وعقيدتنا ورسولنا وذلك كله يرتبط به تاريخنا وتقوم عليه حضارتنا وأمجادنا ونستمد منه قوتنا وصلابتنا . فهو ليس مجرد تقويم لذكرى دينية لاارتباط لها بحياتنا في الماضي والحاضر والمستقبل . ان الغرب لم تقم له حضارة مستمدة من دينه كما قامت حضارتنا في الماضي ونأمل ان تقوم في الحاضر والمستقبل . فحادث الهجرة اذن جزء لا ينفصل عـن حياتنا .. فكيف ننساه أو نهمله اللهم الا اذا انسلخنا من المعانى التى تربطنا به ، وبنينا حياتنا بعيدا عنه وعما يتصل به؟ انها غفلة او غفوة لا نزال فيها بتخدير الاستعمار وقوته وفرضـه على حياتنا نظاما خاصا .. ولكن ألا نقول اننا صحونا .. استيقظنا .. فلماذا لا نتخلص من كل مخلفاته وآثاره ونعود أمة اسلامية شكلا وموضوعا ظاهرا وباطنا ؟ .

قد يظن بعض الناس ان هذا أمر سهل وأننا نسير مع العالم حيث يسير .. وكان من الممكن ان اقول كما يقولون ولا اشغل نفسي وأشغلهم بهذا الحديث لولا ما اعرفه ويقرره علماء الاجتماع من ان التبعية في أية ناحية من النواحي مهما تكن صغيرة انما هي من ضعف شخصية التابع ، وأن اهمال اى انسان لخصائصه ومقوماته واحداثه وتاريخه وتقليده لغيره دليل على عدم شعوره بكيانه وشخصيته وقيمته في الحياة .. وان الذى يتهاون في الصغير يتهاون في الكبير ..

فهل نرضى بذلك .. والى متى ؟ ..

تلتبس فيها السبل ، وتعالى الرئيس على مرءوسه ، فلا يسمع منه ولا يلقى باله اليه ، ولا يضع حتى رأى مرءوسيه موضع المناقشة والحوار ، وانه هو وحده الذى بيده مقاليد الفكر والرأى والتوجيه كان به عنجهية امرىء القيس حين يقول متبجحا :

ما يملك الناس منا حين نملكهم
كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا

وانتشر المرض في صفوف المسلمين جميعا فلا يسمع صغيرهم لكبيرهم ولا يسمع كبيرهم لصغيرهم ، وزحف هذا المرض الى غرف الدراسة نفسها فأفسد الجيل وخلق فيهم روحا متمردا في مواجهة الرواد الذين يعطونه خلاصة تجاربهم ، ويقدمون لهم افاويق المعرفة ليحملوا من بعدهم عبء ما حملوا ، فضاع امر المربين وانزوى بيت شوقي الخالد المضيء منطويا على نفسه .

قم للمعلم وفه التجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

ومما صح عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه في توجيهاته النبوية وقد اخذت الدعوة الاسلامية اهبتها للتطبيق في نشأة المجتمع الاسلامي الوليد ، تحديثه عن مجتمع عبرت به الايام قد انهارت قوائمه ، واندثرت معالمه حين توالدت بين افراده هذه الظاهرة السلبية التي تتكرر في كل وقت وتطل براسها بين حين وحين حتى اذا ما غلظت واشتدت واستوت على سوقها لم تترك مرفقا من مرافق المجتمع الا ملاته بجراثيمها ، وامتصت منه فعاليته وايجابيته ، ومما اورده في هذا المقام هو (انه لما وقع بنو اسرائيل في المعاصي ودخل النقص عليهم في دينهم نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وشتت شملهم وتلا عليه السلام قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

هذا ويجب ابراز أمرين اثنين كانا ابدا ودائما وما يزالان مثار لبس ، ومدار تساؤل ، وداعية استفتاء واستفسار ، اولهما ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما كانا يوما من الايام احتكارا لطائفة دون اخرى ولا وقفا على اناس غير آخرين ، وانما هو امر مفروض على كل من يتعرف الى المعروف انه اهين او انزوى او اهمل او انعزل عن مجالات الحياة والسلوك والتعامل ، وان المنكر قد احتل مكانه واعتادته النفوس فلا تغضب لحق اهتضم ولا تثور لظلم ارتكب ، ولا تهب مدافعة حتى نقضى عليه وليس ثمة من انسان حتى ولو كان متبديا لا يعرف المعروف بفطرته او يتعرف عليه ان شاء ، وثاني الامرين ان المعروف والتواصي على الامر به ، وان المنكر

والتواصي على النهي عنه ، امر مستقل بذاته لا يغني عنه في مقامه صلاة او صيام او زكاة ، فرعاية الاسرة وحياطتها وتوافر الضمانات لها ، وتنشئة الابناء تنشئة تتوازن بها شخصيتهم وينبثق شبابهم عن نفوس تعرف كيف تتحمل التبعات ، وكيف تشق طريقها مستعينة بالله ، مستمدة من هداه وكلمة حق ترد بها ظالما او تشد بها ازر مظلوم ، ورعاية مصالح الناس وتبصيرهم بأسلوب قضاء حوائجهم وافساح المجال لذوى المواهب ان يتصدروا الصفوف الاولى ، او ليس ذلك كله معروفا او ليس الاغضاء عنه والتنكر له منكرا وزورا .

ولو علم القادة والرواد والمربون ، وكل من يتصدى لقيادة الشعوب او يحمل امانة توجيهها ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم اشد لزوما واعظم وجوبا حتى يرتفع الى مستوى منازلهم وما يلون من مناصب او يحرزون من جاه .. لو علموا هذا لعرفوا ان الاسلام يشدد النطاق حولهم لان الفساد الذى لا يمكن اتقاؤه ، والفتق الذى يصعب رتقه هو ذلك الفساد الذى ينبثق من القمة وينحدر الى السفح ، وقد جعله القرآن وسيلة من وسائل انتقام الله وغضبه حيث يقول الحق (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنا تدميرا) .

وبعد

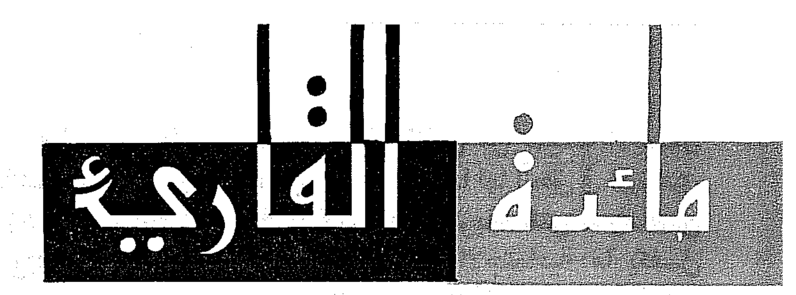
فان مسؤولية التناصح قد اشتقت وجودها من الاخوة الانسانية وعلت صيحتها في الناس من صيحة الايمان العليا ، فهي وحدها لها الحق في ان تنادى في الناس بالآية الكريمة التي تسرد من القيم الانسانية والاجتماعية ما يكفل وجود المجتمع المثالي الرشيد ، وما يحقق احلام الفلاسفة الذين اتعبوا رئتهم وهم يصيحون بالعالم الافضل والغد الاسعد . يقول الله وهو أصدق القائلين (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) .

الخلق السياسي في الاسلام

لما نشب الخلاف بين الامام علي ومعاوية ، ارسل ملك الروم الى معاوية يستعديه على الامام علي ، فقال : لقد عجبنا من جرأة صاحبك عليك ، وطمعه فيما بين يديك وما هو لذلك بأهل ، فان شئت امددناك بجيش لا يمس عندك حتى يصبح علي ورجاله في قبضة يدك .

فرد عليه معاوية ردا أفسد عليه خطة السوء ، وما دبر له من شر فقال :

أما بعد .. فما أنا وعلي الا اخوان نتنافس فضلا ، ونستبق خيرا ، ولئن عدت الى مثل ما ذكرت لألحقن بصاحبي ، ولآتينك من قبله على رأس جيش يكون أوله عندك وآخره عنده ، فلا أبيت ليلتي حتى أورثه من الأرض ما تحت قدميك » .



صفة رسول الله

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق هجرته الى المدينة بخيمة أم معبد ، وكان معه ابو بكر ، ورائده عبيد الله بن أريقط فاستراح قليلا ، ثم انصرف ، فلما حضر زوجها ابو معبد قالت له : مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت ، وكيت . قال : صفيه . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاء ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لـم تعبه ثجله (ضخامة البطن) ولم تزر به صَقْلة (نحولة الجسم) ، وسيما ، قسيما ، فى عينيه دعج (شدة سواد العين فى شدة بياضها ،) وفى أشفاره وطَف ، وفى صوته صَحَل (بحة فى الصوت) ، وفى عنقه سَطَع (طول) ، وفى لحيته كثاثة . أحور ، أزج ، أقرن (مقرن الحاجبين) . ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس ، وأبهاه من بعيد ، وأحسنه من قريب . حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر . كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون . ربعة ، لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصر . غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا . له رفقاء يحفون به ، أن قال أنصتوا لقوله ، وان أمر تبادروا الى أمره . محفود محشود (يخدمه أصحابه ويعظمونه) لا عابس ولا مفند .

قال ابو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره بمكة ماذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست صحبته ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا .

ســوارا كســرى

ادرك سراقة بن مالك مبعوث قريش رسول الله فى طريق الهجرة ، فدعا عليه النبي فساخت قوائم فرسه فى الارض ، فطلب الامان فأمنه رسول الله وقال له : كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ؟

فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه استدعى سراقة فالبسه السوارين ، وقال له : ارفع يديك وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الاعرابى .

فى ديوانية أبى أيوب

لما هاجر رسول الله الى المدينة أقام فى الطابق الاول من بناية أبى أيوب حتى بنى مسجد الرسول ومساكنه فانتقل اليها .

فقال ابو أيوب : قلت يا نبى الله : بأبى أنت وأمي ، اني لاكره وأعظم ان أكون فوقك ، فاظهر انت فكن فى العلو ، وننزل نحن ، فنكون فى السفل ، فقال :

يا أبا أيوب : انه أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت .

بين عمر بن الخطاب وأسماء بنت عميس

لما قدمت أسماء بنت عميس من أرض الحبشة ، قال لها عمر بن الخطاب : يا حبيشية سبقناكم بالهجرة . فقالت : اى لعمرى لقد صدقت ! كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم ، وكنا البعداء الطرداء . أما والله لآتين رسول الله فلأذكرن ذلك له ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ان رجالا يغمزون علينا ، ويزعمون انا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله : بل لكم هجرتان ، هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الى المدينة .

مسجد قباء

« .... لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » .

(قرآن كريم)

تاريخ الهجرة

كان وصول رسول الله المدينة – على أرجح الاقوال – يوم الأثنين الثانى عشر من ربيع الأول .

حيلة السيدة أسماء

قالت أسماء بنت أبى بكر لما هاجر أبى مع رسول الله احتمل ماله كله ، فدخل علينا جدى ابو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله اني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قلت : كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا ، فوضعتها فى كوة فى البيت ، ثم وضعت عليها ثيابا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

قالت أسماء : لا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت ان أسكن الشيخ بذلك .

الرسول على مشارف قباء

لما أشرف رسول الله على قباء رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته . يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فهرول المسلمون يستقبلونه فرأوه صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل نخلة ومعه ابو بكر ، فلما زال الظل قام ابو بكر فأظله بردائه ، فعرفه المسلمون عند ذلك .

حسان يشدو

وقد نزلتْ منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلَّتْ عليهم بأسعد
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يومٍ مقالةَ غائب	فتصديقُها في اليوم ، أو في ضحى الغد
ليَهْنِ ابابكر سعادةُ جَده	بصحبته ، من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

وحي

للاستاذ يوسف زاهر



أنقذَ اللهُ مصطفـــاهُ الأمينـا ... ويحكـمْ يا قريشُ ما تصنعونا ؟ !

قد مكرتمْ بـه ، ولله مكـرٌ ... ويَدُ اللهِ فـوقَ ما تمكـرونا !

وجمعتم لقتالـهِ كُلَّ جمـعٍ ... أين ولّى ما كنتمْ تجمعونـا ؟ !

أين مَن حاصروا النبي بليـلٍ ... أين فتيانُ مكـةَ الخمسـونا ؟ !

جـل ربي آمنتُ باللهِ ربـي ... مَن أذلَّ الطغـاةَ والظـالمينا

رَمْيَـةٌ بالترابِ أرسلهـا الهـا ... دي أدالَتْ قوىً وأعشتْ عيونا

ونسيجٌ من نَسجِ أضعـفِ خلقٍ ... صار حِصناً على الرسولِ حصينا

وحمامٌ على فمِ الغارِ حاكـى ... أسداً يحرسُ الحِمَى والعرينـا

***

مِلْءُ سمعِ الوجودِ هجرةُ طـه ... سيِّدِ الخلقِ خاتمِ المرسلينـا

ذكريـاتُ الجهادِ ينسخها المـا ... ضي كما ينسخُ اليقيـنُ الظنونـا

وجهادُ المختارِ يبقى علـى الدهـ ... ـرِ ، ويزهو على ممـرِّ السنينـا

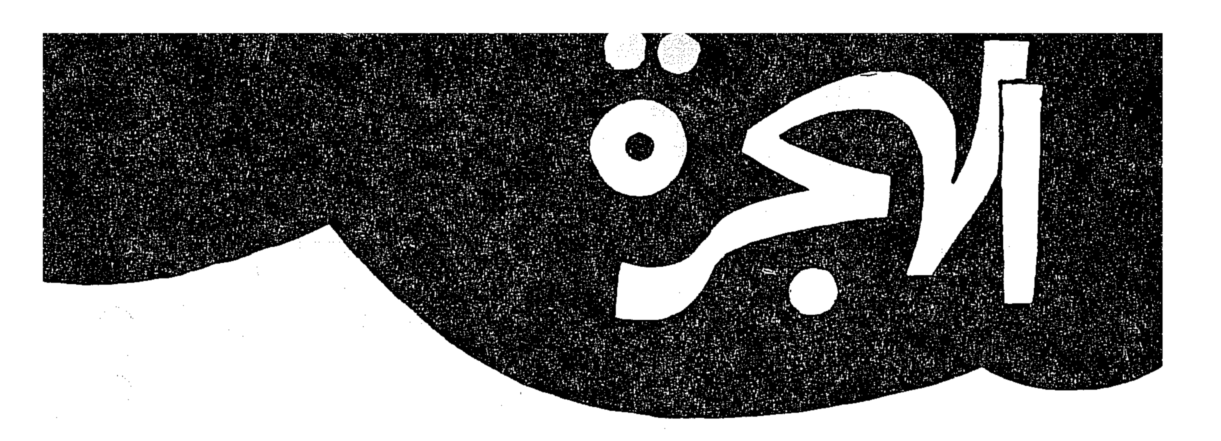
ويمـرُّ البِلَى عليـه ويمـضي ... خاسىءَ الطرفِ حائراً مفتونـا

وله العذرُ فالشموس اذا مـا ... أشرقتْ في الضحى بهرنَ العيونا

كيف يقوى البِلَى على نسخِ ماضٍ ... كان نصراً ، وكان فتحاً مبينـا ؟ !

قبسَ الغربُ نورَه فَـرَقِي ... وتحدَّى الوجـودَ والعالمينـا

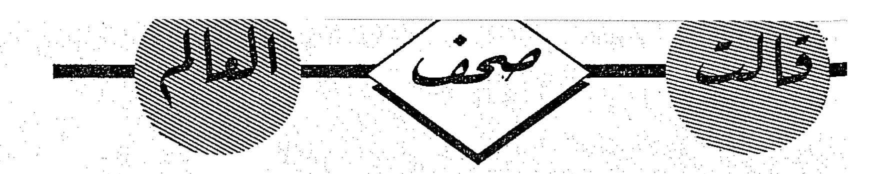
وعفـا الشرقُ عن هداه طويـلاً ... فسقاه الزمـانُ ذلاً وهُونـا



أينما سِرْتَ آنَذاكَ تُلاقي   ما يُثيرُ الأسى ويُورى الشجونا
أمما تعشق الخمولَ ، وأخرى   تعشق اللّهْوَ ، والهوى ، والمجونا
وشعوبا ترى السيادةَ كفرا   وشعوبا ترى « الحمايةَ » دينا ! !
وتَظلُ الزمانَ ترسفُ في القَيْـ   ـدِ ، وتحنى لآسريها الجبينا
جردتها السنون من ثورة الحـ   ـر فيا بِئسَ ما جنته السنونا

★★★

أيها اللائمُ السنينَ : رُوَيْداً   تلك – واللهِ – حجةُ العاجزينا
هل يهدُّ الزمانُ بنيانَ قومٍ   ركَّزوا تحته أساساً متينا ؟ !
او تنال الخطوبُ من مجدِ قوم   وقفوا حول مجدهمْ ساهرينا ؟!
ما غزا الغربُ بالحسام ، ولكن   هاجر الغربُ نحونا ، وبقينا
هجرةُ الغربِ مَكّنَتْهُ علينا   وَأرَتْنَا من العذابِ فنونا
وَسَقَتْهُ الشرابَ شهدا مصفى   وَسَقَتْنَا الشرابَ ماءً وطينا ! !
آنَ يا قوم أن تفيقُوا من النو   مِ ، وأن تهجروا الوَنَى والسكونا
إن هذى الحياةَ أضحَتْ سباقاً   فاز فيه الأوائِلِ السابقونا
أذكروا هجرةَ الرسول ، ففيها   عبرٌ تحفزُ النُّهَى واليقينا
أذكروها تَعلموا كيفَ تحيو   نَ كماةً ، أعِزَّةً ، أكرمينا
أذكروها ، اذكروا . فما أحوجَ الشر   قَ اليها ، وَأفقَرَ المسلمينا



- الاسلام دين علم
- الازهر جامعة المسلمين الكبرى
- دروس اجتماعية من درس جامعي

الاسلام دين علم

نشرت مجلة رابطة العالم الاسلامي كلمة تحت هذا العنوان بقلم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار نقتطف منها ما يلي :

ان الحكومة فى الاسلام هي روح الحق الصريح ، ومن مميزات الحكومةالاسلامية أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل ، (لا ضرر ولا ضرار) أى لا بالنفس ولا بالمال ، بخلاف القوانين الوضعية التي تبيح كثيرا من الضرر بالنفس والعقل والعرض (ومنها) أن القوانين البشرية التي يضعها أمثالنا لا تخلو من خلل أو شطط ، ومن أمثاله : فتح أبواب الميسر والمسكر والبغاء أمام الناس ، وذلك مدد قوى فى احداث الجرائم وزيادة المظالم ، وتكثير السجون والمحاكم ، بخلاف الشريعة السماوية التي تدعو الى ازالة ذلك كله « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه » كما ورد فى الحديث (ومنها) أن الشرائع الالهية مصحوبة بقوة تنفيذية فى قلب الانسان ، ووازع نفسي يحمله على مراعاتها سرا وجهرا ، بخلاف هذه النظم الموضوعة (ومنها) أن التمسك بالفضائل واجتثاث الرذائل هو الذى تدعو اليه الاديان ، وهو الذى لا يختلف مهما اختلف الزمان والمكان ، وتغيرت الشعوب والأقوام .

الازهر جامعة المسلمين الكبرى

تحدث الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر الى مندوب الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية حديثا تناول فيه صفحات مجيدة من تاريخ الازهر فى الريادة الدينية جاء فيه :

فى يوم مبارك ميمون من أيام شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ أراد الله لمصر أن تكون مركز الاشعاع الروحي للمسلمين ، وقبلة لطلاب الثقافة الدينية من شتى انحاء الارض .. فقد افتتح فى ذلك اليوم الجامع الأزهر الذى صار فيما بعد جامعة المسلمين الكبرى ومعهدهم الثقافي العتيق .

ومنذ ذلك اليوم البعيد المجيد والازهر قائم برسالته ، مضطلع بمسئوليته يشع فى الدنيا كلها نور الايمان ، والمعرفة ، ويحمل علماؤه ومبعوثوه الى كافة الأقطار مبادىء الاسلام وتعاليمه ، ويستقبل فى رحابه أبناء العالم الاسلامي الذين تجلت عليهم نعمة الله اذ جعلهم من المستجيبين للتوجيه الالهي والهدى الرباني فى قوله تعالى « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » .

ولم تقف علاقة الأزهر بطلابه الوافدين اليه من بلدان العالم الاسلامي عند مجرد تلقين العلم او منح الشهادة ثم تتفرق بهم سبل الحياة ، وانما تجاوزت العلاقة هذا

الحد الى تنمية الروابط والصلات بين الأزهر وسائر الشعوب الاسلامية بواسطة هؤلاء الخريجين الذين كانوا يرجعون الى أقوامهم وقد ارتبطوا بالأزهر عن طريق الروح والايمان ، ففاءوا الى أوطانهم ومعهم نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا .

ولم يقصر الأزهر فى تزويد الوافدين اليه بمختلف الثقافات والعلوم ، فالى جانب دراسة الدين الاسلامي واللغة العربية ، كانت تدرس علوم الحياة جميعها ، اذ وفد اليه كثير من العلماء بعد أن عفت معاهد بغداد وقرطبة ، فغدا الأزهر مركز الدراسات الاسلامية العامة والمسئول عن حياطة الدين واللغة .

ومن هنا كانت مسئولية الأزهر امام كافة المسلمين الذين أحاطوه بعواطفهم ، واستودعوه آمالهم ..باعتباره المنارة التي تتعلق بها أبصارهم ، ومركز الاشعاع الروحي الثقافي لهم .. ومن هنا أيضا كان حرص الأزهر على النهوض برسالته خلال هذه القرون العشرة .. رغم ما استهدف له فى بعض الأحيان من عسف وعنت واضطهاد .

واذا كان الأزهر قد انتابه فى فترات من تاريخه بعض ما أصاب الحركة الفكرية كلها من التدهور خلال محنة الاحتلال لمصر - فانه استطاع أن يكون ملاذا أخيرا للتراث الاسلامي ، ومعقلا حصينا للغة العربية - لغة القرآن الكريم ، يدرأ عنها عادية التدهور الخطير ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين .. وتمكن الأزهر مع ذلك أن يبقى بابه مفتوحا لطلاب العلوم الاسلامية والعربية حتى انزاح كابوس الاحتلال فعاد الأزهر يمارس نشاطه وفاعليته فى هذا المجال ويحمل الى الناس رسالة العلم والايمان.

دروس اجتماعية من درس جامعي

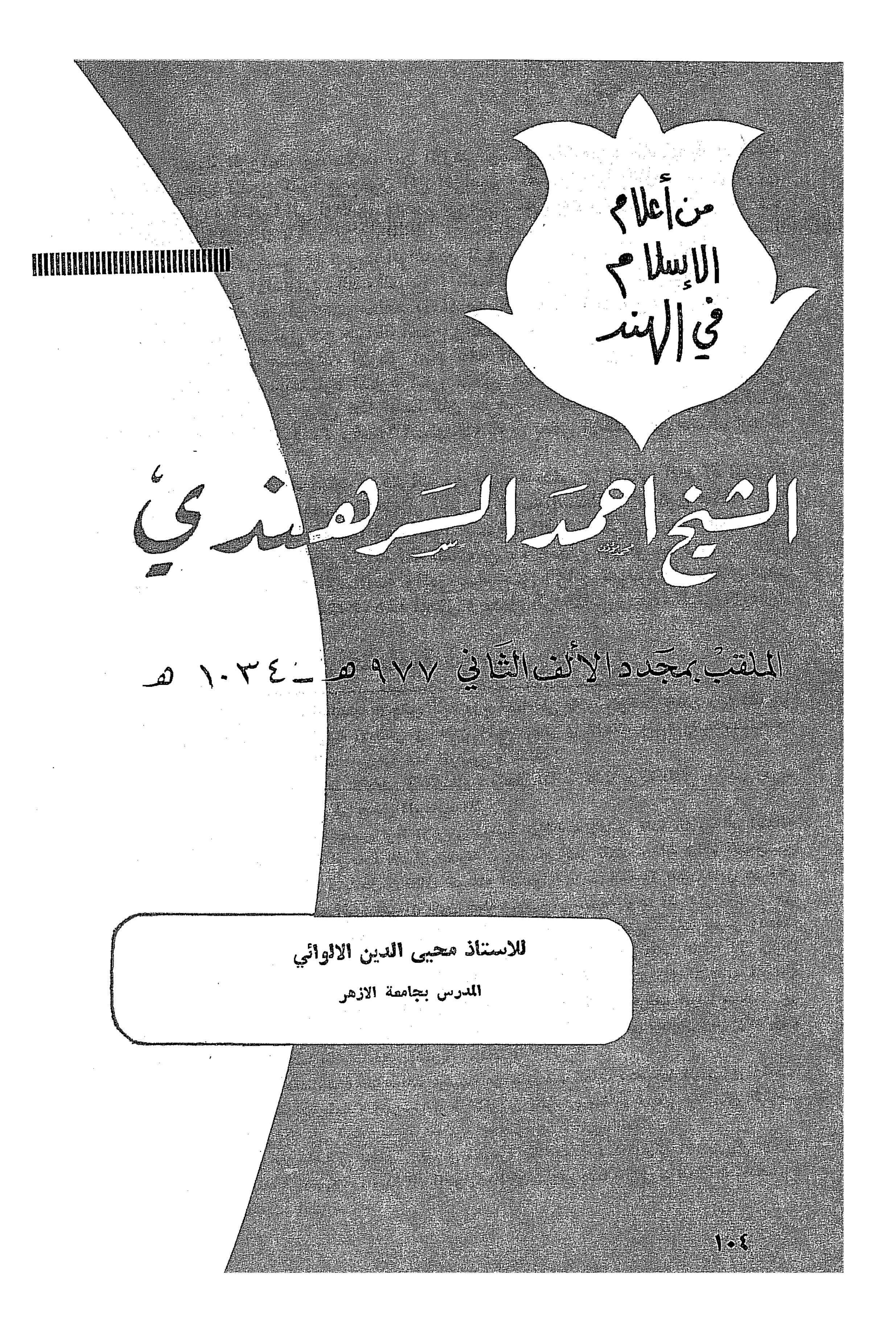
أبعدت جامعة بيروت أحد اساتذتها الاجانب لأنه وزع نصا على طلاب الجامعة تضمن رأيا للقديس توما الاكويني ، فيلسوف الكاثوليكية الايطالي فى القرن الثالث عشر فى الاسلام ونبيه واتباعه كله ذم وتشهير ، وقد تناولت مجلة الحوادث البيروتية هذا الموضوع ، فقالت :

تعالوا نتأمل رأى القديس توما الاكويني فى الاسلام ، ونحكم اذا ما كانت حرية الفكر أو حتى حرية التعليم ، تصاب بمكروه ، فيما لو لم يدخل البرنامج المقرر .

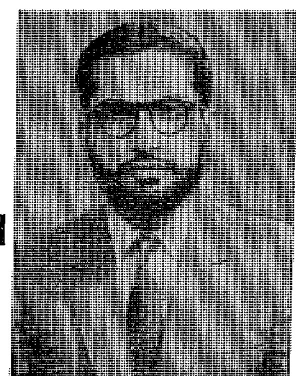
فالبرنامج يستهدف دراسة القديس توما الاكويني دراسة خاطفة ، لأنها فى مادة التربية أو الثقافة العامة ، وليست فى مادة الفلسفة او مادة الأديان المقارنة . وما دام الامر كذلك ، فأية فائدة للطلاب من معرفة رأيه فى الاسلام ، وهو رأى لا يدخل فى نطاق فلسفته الشمولية للمسيحية ولا للكون ، بل هو رأى لا يدخل فى نطاق أية فلسفة ، وهو أقرب الى ان يكون حملة سوقية او شتيمة توجه الى دين آخر ؟ أجل ان رأى توما الاكويني فى الاسلام ، ذلك الذى وزعته الجامعة على طلابها . واعتبرته مادة تدرس وتحفظ ويسأل فيها الطالب يوم الامتحان ، لا مجرد رأى فى بطن كتاب يوضع مع غيره من آلاف الكتب على رفوف مكتبة الجامعة ، نقول ان هذا الرأى ليس برأى الفيلسوف توما الاكويني ، وانما هو رأى المتعصب لدينه ، يرشق الآخرين بحجر دفاعا عن دينه ، خشية على دينه فى فترة من التاريخ عرفت صراعا محتدما بين المسيحية والاسلام . انه حملة موجهة الى العامة لصرفها عن الاسلام ، فلا هو نتيجة درس وتحليل ، ولا مقارعة الحجة بالحجة ، عدا أنه يستخف بالتاريخ استخفافا لا نظير له .

ومهما يكن من أمر ، فقد أكدت لنا سيدة عربية من سوريا ، أكملت تحصيلها العالي فى جامعة كاثوليكية بالولايات المتحدة الامريكية ، ودرست توما الاكويني أكثر من سنتين ، فلم يرد رأى الاكويني فى الاسلام يوما من الأيام ، لا على لسان أستاذ ، ولا فى محاضرة توزع على الطلبة .

وان للاميركان أكثر من جامعة فى العالم . لهم فى القاهرة مثلا جامعة . فهل رأى الاكويني فى الاسلام مادة تدرس فى جامعة القاهرة الامريكية . واذا كان الجواب بالنفي - وهو طبعا بالنفي - فلماذا « اختصت » جامعة بيروت الامريكية بهذه العناية .



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



يرجع فضل انتشار الاسلام ، واللغة العربيــة فى شبه القارة الهنديــة ، أولا وبالذات ، الى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، الذين تشبعوابالدعوةالاسلامية وتبحــروا فى الآداب العربيــة . وكان العرب هم الذين حملوا لواء الاسلام الى الهنــد أولا ، وتبعهم فى سبيل نشره المسلمون الهنود ، الذين تفقهوا فى العلوم الاسلامية ، وتمكنوا فى اللغة العربية ، حتى اصبحت الهند احدى المراكز الهامة للثقافــة الاسلاميــة ، وعرف علماؤها بشغفهم بالعلوم الدينية واللغة العربية ، وقد خرجت فطاحل العلماء الذين لهم صفحات مجيدة فى تاريخ خدمــة العلم والدين .

ونظرا للصلات الروحية والتاريخية الوثيقة بين مسلمي الهند وتاريخهم ، وبين اخوانهم العرب ، الذين كانوا طليعة الدعوة الاسلامية فى الهند،وحملة مشاعل النور والعرفان فى ربوعها ، نقــدم الى القراء الكرام بين الحين والآخر علما من اعلام الدعوة الاسلامية فى القارة الهندية، وذلك تعريفا بالدعوة الاسلاميةوتطوراتها فى هذه البلاد المترامية الاطراف ، وتنويها بجهود دعاتها المخلصين ، ومساعيهــم المتواصلة لاعلاء كلمــة الحق فى مجتمع مليء بانواع من الخرافات والترهات ، بقلوب حازمة ونفوس متفانية فى سبيل ربها . وحديثنا الآن عن عالم عظيم لقب بمجدد الالف الثاني من الهجرة .

نشأتــه

نشأ الشيخ احمــد بن عبد الاحــد الفاروقي السرهندى ،فى الربع الأخير من القــرن العاشر للهجــرة فى أيام حكــم الأمبراطورالمسلم المغولي العظيم «اكبر» ، ولقب الشيخ احمد بلقب السرهندى ، نسبة الى بلده « سرهند » الواقعة بين دلهي عاصمة الهند الحديثة ، وبنجاب . وكان الشيخ منذ طفولتهمكبا علىتحصيل العلوم الدينيــة مــن المنابع القرآنيــة والنبوية ، حتى تهذبت نفسه وتفتحت عيناه علىما صارت اليهالدعوةالاسلامية فى الهند مِنانحطاط وتقهقر بسبب انهماك الحكــام المســلمين فى توطيد ملكهــم ، وانفاق الاموال فى الترف والبذخ ولذائذ العيش ، وتسرب الوهن والضعف الى صفوف علماء الدين ، فتداركت هذه الحالة رحمة من رب العباد ، اذ قيض لها هذا الامام المجاهد العالم الصوفي ، فشمــر عن أذيالــه لتهــذيب نفوس المسلمين ومقاومة الفتن ، ونشر تعاليم الدين الحنيف .

جهاده

ونستطيـع ان نشير الى ثلاث نواح هامةمنجهاد الشيخ السرهندىوسعيه.

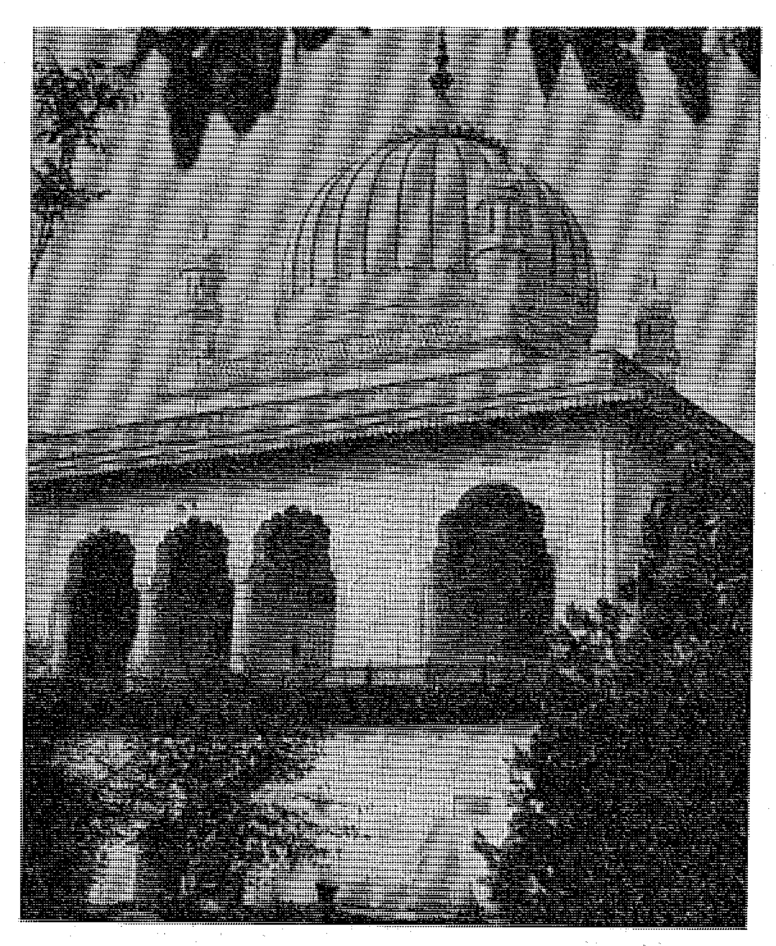
أولا : فقد فهم بثاقبفكره وواسع اطلاعه ان المسئولية الاولى فى سبيل نشر التعاليم الاسلاميـة الحقـة والمبادىء القرآنية الخالصة ، تقع على عواتق علماء المسلمين ، كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون منذلة وهوان ترجع فيمـا ترجع الى علمـاء السوء الذين يتهافتون على حطام الدنيا الدنيئـة ، مصداقا لقوله عليه الصـلاة والسـلام (صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس كلهم ، واذا فسدا فسد الناس كلهم . العلماء والأمراء) فجاهد جهادا مشكورا للكشف عن بدع وأباطيل علماء السوء ووقف قلمه للرد على ما ابتدعوه ونسبوه الى الدين الحنيف جهلا أو اهمالا .

ثانيا : ـ قـام الشيخ السرهنـدى بخـدمات جليلة وجهـود مشكورة فى سبيل اصلاح الأمراء والحكام الذين فى أيديهم شئون الحكومة ، ويتصرفون فى امور الأمة وكان يقول دائما فى خطبه وعظاته ورسائله ومقالاته « الناس على دين ملوكهم فاذا صلحوا صلحت البلاد والمجتمع،والا فسد المجتمعبحذافيره» . ولهذا كان يوجه اهتمامه الخاص نحو اسداء النصائح لحكام البلاد والمتصرفين فى شؤون الامة ، ونجحت مساعيه نجاحا باهرا ، وأثمرت شجرة جهاده ، فآتت اكلها طيبة تسر قلوب المؤمنين .

ثالثا : بعد ان أدى الشيخ واجبه فى المهمتين السابقتين ، وجه اهتمامه البالغ الى محاربة البدع والمنكرات ، وابطال العقائد الفاسدة، ونقض اقاويل اصحاب الخرافات،وترى كتبه ورسائله مشحونة بالبحوث القيمة فى بيان تعاليم الاسلام نقية من شوائب الشبهات ، وواضحة بحيث يسهل فهمها لكل من شرح الله صدره للاسلام .

ومن اهم الجماعات المسلمة التي قام الشيخ السرهنـدى بالرد على بدعهـا واباطيلها طائفة من الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأفكار الاخرى غير الاسلامية ، حتى اصبحوا يهربون وراء العقائد الباطلة ، والمزاعم الفلسفية،وقلما يهتمون باحكام الشريعةوأوامرها . وكان كل اعتمادهم على الاخبار والاقاصيص التي يحكيها شيوخهم ، ولو كانت لا تمت الى التعاليم القرآنية بصلة ، ورد الشيخ على فكرة وحـدة الوجـود والحلـول والاتحاد وغيرها مما يقول به اولئكالذين يتسمون بسمة الصوفية فى عصره .

وكان الشيخ السرهندى من انصار التصوف الاسلامي الخالص الذى ترجع اصوله الى المنابع القرآنيـة والنبوية ، وقد نشأت بعده طريقةصوفية منسوبة اليه،ومعروفة باسم «الطريقة المجددية» وكانت ابعد الطرق الصوفية عن البدع والخرافات فى اول الأمر ، ثم لم تلبث ان تطرقاليها الغلو بأيدى القائلين بالكرامات الخارقـة للعادات ، وعزوا الى الشيخ اعمالا واقوالا وهو منها برىء . ويوجد اتباع عديدون للطريقة المجددية فى كلمن الهند والباكستان وافغانستان .



ضريح المغفور له الشيخ احمد السرهندي بمدينة سرهند بالهند

وقد أشرنا من قبل الى ان نشأة الشيخ كانت فى ايام حكم الامبراطور المغولي« اكبر » . وقد تبوأ «أكبر» عرش الملك سنة ٩٦٤ للهجرة واستمر حكمه لمدة خمسين عاما الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة ١٠١٤ هـ ، وتضاربت آراء المؤرخين المسلمين وغيرهم فى نظرة هذا الملك الى الاسلام ، فمنهم من يدافع عنه وعن أعماله ، ومنهم من ينكر تصرفاته واعماله من وجهة نظر الاسلام (١) ، وفى مقدمة اعماله التي يعتبرها ناقدوه جريمة شنعاء فى حق الاسلام .

١ ــ اعلانه دينه الجديد باسم «الدين الالهي » المبني على مقتبسات من التعاليم الاسلامية ، ومن المراسم الهندوكية وجعل شعاره « الله اكبر » «٢»

٢ ــ تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم فى ملابسه وطرق معيشته ، ادعاء منه بأن هذه الطريقة تقربه الى قلوب أهالي البلاد ، وتوطد دعائم امبراطوريته .

(١) انظر تقييما وافيا لعقيدة اكبر وموقفه من الاسلام فى نظر المؤرخين فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » للاستاذ عبد المنعم النمر من صفحة ٢١٦ ــ ٢٢٣ . وسترى كيف كان فرح اعداء الاسلام بتصرفات هذا الملك ودفاعهم عنه .

(٢) لا بالمعنى المفهوم لدى جميع المسلمين ولكن بتحريف يناسب اسم هذا الملك « اكبر » .

٣ ــ تزوجه من بنات الملوك الهنادكة مع بقائهن على عقائدهن الوثنية،واداثهن شعائر ديانتهن فى القصر الملكي ، وتخصيصه لهن غرف العبادة الوثنية فى قصره .

٤ ــ استبداله بالتقويم الهجرىتقويما جديدا يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، باسم « التقويم الالهي » .

الفتنة الاكبرية

وقام جمهور من العلماء والفقهاء فى وجه هذا التيار الجارف ، وقاوموا هذه البدع والمنكرات باعتبار أن الاسلام لا يقرها وانها خرق لتعاليمه البينة ، ولكن لم يثبت بعض العلماء أمام جبروت سلطانه القاهر ، ولم يستنكروا صنيعه هذا، بل أقروه عليه وقدموا عريضة اليه باللغة الفارسية تخوله الحق فى ان يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الاحكام ما يريد . ولما رأى الشيخ السرهندى المجاهد هذه الفتنة الكبرى وأدرك ان هذه المحنة لا يثبت فيها الا الصابرون والمصابرون ، وقف موقفا مجيدا أمام هذه المحنة الشاقة واعتبرها بلاء مبينا ، ونزل فى ميدان الجهاد المزدوج ضد طغيان الملك ودعوته الضالة وفى وجه علماء السوء(١) الذين لم يتحرجوا من اقراره على ضلالته .

وكان الشيخ بمثابة فجر انبثق عند اشتداد الظلام وصبح مشرق انبلج عند ازدياد الحلكة ، كما جرت سنة الله فى خلقه ، وبدأ ظلام الباطل ينقشع امام نور الحق وشمس الهداية . وكان شأنهشأن القابض على الجمر فوقف الرجل المجاهد فى وجه هذا الطغيان وحزبه بقلب حازم وعقل واع . وايمان راسخ ، وكلمةالحق رائده ونور الهداية قائده ومجد الاسلام بغيته .

واستمرت الفتنة الاكبرية ــ ان صح هذا التعبير ــ من اواخر القرن العاشر الى منتصف القرن الحادى عشر للهجرة . وبعد ان تولى الملك ابنه « جهانكير » فى سنة ١٠١٤ هـ اشتدت هذهالفتنة وصار عدد من كبار العلماء والفقهاء عرضة للاضطهاد حتى امر الملك « جهانكير » بزج الشيخالسرهندى فىالسجن، فوضع فى سجن بمدينة « كواليار » فى الهند الوسطى ، وقد كانت هذه الحادثة نقطة تحول فى تاريخالدعوة الاسلامية فىالهند . اذ لم يمض الا أيام قلائل على دخوله السجن حتى صار شعلة يستضيء منها الجناة والعصاة داخل السجن ، فهداهم الله على يديه وصاروا يأتمرون بأوامر الشيخ ، ويصلون ويدعون الله للمغفرة ، وتابوا توبة نصوحا ، ورجعوا الى الحق حتى صار السجن كله مظهرا لعبادة الله والأخلاق الفاضلة ، سواء منهم المسلمون او غيرهم . فلما علم مدير السجن هذا التحول العجيب الذى حدث فى السجناء

(١) كان زعيمهم ابو الفيض واخوه الفضل الناقوريوكان العلماء يرمونهما بالزندقة والالحاد .
« الوعي »

بفضل هذا الشيخ الوقور، كتب الى الملك عن تفاصيل هذا الحدث الخطير ، وقال فى رسالته المرفوعة الى جلالته ان الشيخ السرهندى لم يعد نقمة على الدولة ولا على الملك بل هو نعمة من الله ، فلا يصح ان يزج بأمثاله فى غياهب السجون ، اذ لا تجود الأيام بمثله الا قليلا ولذلك ارجو من جلالتكم السماح باطلاق سراحه .

ولما اطلع الملك جهانكير على رسالة مدير السجن ، وعلم حقيقة الشيخ اصدر امره للافراج عنه فورا ، وارساله الى البلاط الملكي بكل تقدير واحترام . وعندما قرب موكب الشيخ الى العاصمة الملكية أرسل جهانكير ابنه وولي عهده شاهجهان للترحيب بمقدم الشيخ ورفقائه بكل حفاوة وتكريم فنزل معززا مكرما فى ضيافة « جهانكير » فى القصر الملكي .

وقد جرت العادة المتبعة فى تلك الأيام ان يسجد الناس امام الملك حينما يحضرون الى مجلسه ولكن الشيخ الجليل حضر الى الملك ، وسلم عليه وعلى حاشيته بتحية الاسلام ولم يسجد له بل ولم ينحن امامه .

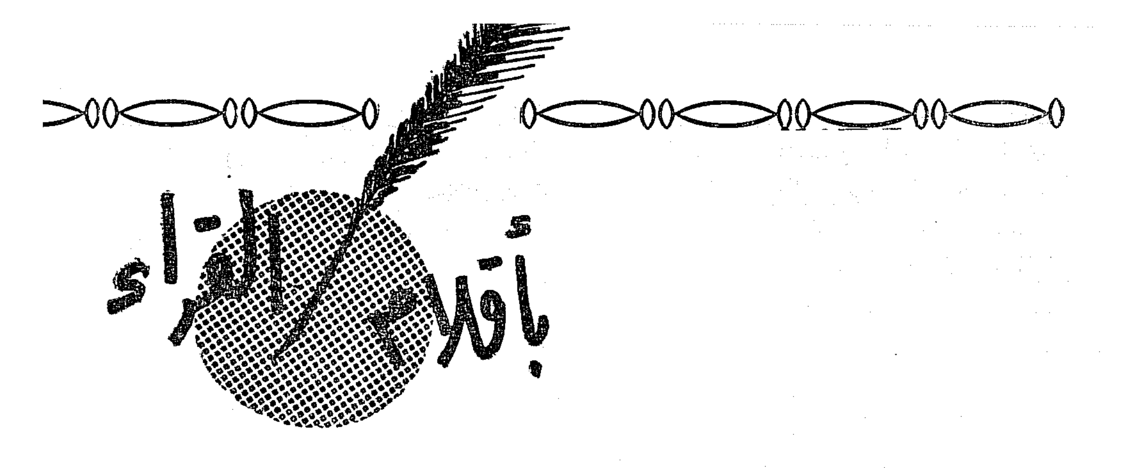
وكان من البوادر الطيبة من الملك ان عرض عليه الاقامة فى قصره لكي يتسنى له ان ينتفع بنصائحه ويتبرك بمجلسه ، فبقي الشيخ اياما فى القصر يسدى الى الملك ووزرائه وحاشيته مواعظه البالغة ونصائحه القيمة ، فكان من نتائج مساعيه الجميلة ان تفضل الملك بنفسه باصدار المراسم الملكية بالغاء كثير من البدع والمنكرات التي سادت البلاد ، ومنها ما ابتدعها ابوه نفسه او ما أقره هو .

وبفضل جهود الشيخ اصدر «جهانكير» امرا بتحريم السجود امام الملك تعظيما له ، وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعاليم الاسلامية ، وعين قضاة مسلمين فى كل بلدة ، كما أنه اذن بذبح البقر الذى قد منعه ابوه « اكبر » ارضاء لعواطف الهندوس ، فحصلت بهذا التحول المبارك نهضة جديدة ، ويقظة شاملة فى المجتمع الاسلامي فى الهند ، وخطت الدعوة الاسلامية خطوة موفقة الى الامام ، واستبشرت به قلوب المؤمنين وفاضت فيوض هذا الشيخ العالم المصلح على المسلمين فى طول البلاد وعرضها .

وفاته

وواصل الشيخ السرهندى المجاهد دعوته بين جميع طبقات الامة واتباعه ومريديه ، وكان يكاتب الامراء والرؤساء فى المصالح الحكومية والجيش ، يدعوهم الى اتباع الحق ورفع كلمته ، ويحارب البدع والمنكرات فى كل مكان الى ان كللت مساعيه المشكورة بنجاح منقطع النظير ، وظهرت آثار دعوته فى أرجاء البلاد . وتوفي الشيخ احمد بن عبد الاحد الفاروقي السرهندى سنة ١٠٣٤ هـ . فى اواخر حكم « جهانكير » ابن اكبر . وقد ذاع صيته فى الآفاق بلقب « مجدد الالف الثاني » . ودفن جثمانه الطاهر فى مدينة « سرهند » ، ومازال قبره هناك مزارا للناس .

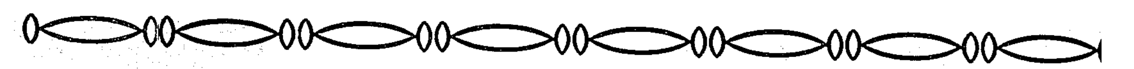
سقى الله ثراه ، وأفاض عليه من فيوض رحمته على ما قدمه من صفحات مجيدة فى تاريخ الاسلام فى الهند .



لا بد من اتباع محمد

تلقينا من الاستاذ عبد الله عقيل الديك ـ من الاردن مقالا تحت هذا العنوان عرض فيه للثورة الدينية والفكرية والاجتماعية التي احدثها الاسلام فى العرب خاصة والانسانية عامة بأسلوب سهل ممتع نقتطف منه ما يلي : ـ

وكم يطرب الانسان حينما يرى أن رسالة الاسلام لم تهمل شيئا يعود على البشر بالخير الا طرقته . ولقد استمدت تشريعها من طبائع البشر.نحتت من ذلك ما يضع حدا للشرور ويقوى عمل الخير . والله سبحانه وتعالى وهو المثل الاعلى تحمل صفاته القدسية كل وسائل الاغراء ليعمل البشر على مثالها فهو رب العزة اذن يدعونا لان نكون أعزة فلماذا نحن أذلاء ؟ .... وهو المؤمن ويجب أن نكون مؤمنين فلماذا نحن قليلو الايمان ؟ .. وهو المهيمن ويجب أن نهيمن فلماذا يهيمن علينا ؟ .. وهو الجبار ويجب أن نكون جبارين على الجبارين فلماذا يتجبر غيرنا علينا ؟ ... وهو غنى ويجب أن نكون أغنياء فلماذا نحن فقراء ولماذا ندعو الى الزهد ونهيم به ؟ ... وليس في أسماء الله الحسنى ما يشعر بالضعف والفقر أو يدعو اليهما . بل كلها تشير الى القوة والعزة والغنى . وهى جميعا خير مشجع لبناء اسمى شخصيات الامم . ومنها يجب ان نستمد ذخيرتنا للنهوض والتطلع للسمو الالهى ... ولذلك علينا أن نعتبر كل فكر يدعو للفقر والقناعة والزهد غير صادر عن الفكر الاسلامي ويتنافى مع سمو رسالته .... واتسمت رسالة الاسلام بطابع الحرية الفكرية التي أسبغت على المعمور جوا جميلا من التسامح الديني بلغ حدا لا يخطر على بال الانسان . حتى ان الفيلسوف النصرانى الكندى بعث برسالة لابن عم الخليفة يدعوه فيها للتنصر دون أن يخشى على حياته منه أو من الخليفة .. ولقد شجع الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه على أن يجهروا بآرائهم وشكوكهم .. وحارب التفرقة ودعا الى الالفة والاتحاد . وندد بالخلافات والطوائف المختلفة . ودعا الى البر والاحسان والعدل والانصاف ومساواة الناس أمام القانون . ومحاربة الفقر . ويصعب على المدقق ان يجد فكرا من الافكار العالمية التي سادت بعده أو تسود الآن العالم الا ويجد له جذورا في الرسالة المحمدية . وما عهد النهضة الاوروبية ومبادىء النهضة الفرنسة والانظمة البرلمانية والاتجاهات التعاونية والنهضات العالمية الا صدى لفلسفة نشوء الاسلام ونمو طبيعى لشعار رسالة ((اقرأ))



سيد الشهداء/ الحسين بن علي رضى الله عنه

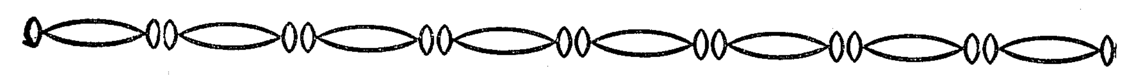
وبعث الاستاذ محمد اسماعيل العيسوى ـ المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية ـ بقصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها

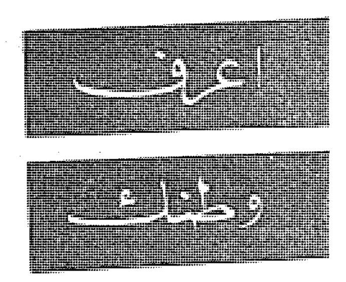
أحسين يا سبط النبى محمد ... وابن البتول وسيدا من سيد
ذكراك للتاريخ مجد خالد ... بل شعلة يسعى اليها المهتدى
كانت حياتك صفحة وضاءة ... وسجل فضل من سطوع المولد
أو ليس جدك يا حسين محمد ؟ ... فأتيت للدنيا عظيم المحتد
وتوسم الجد الكريم حصافة ... قد زانها زين الشباب الامجد
فأحبك المختار حب بنوة ... فنشأت عفا طاهرا لم تعتد
فى ذمة الديان نفس جاهدت ... فى جرأة وبساطة وتجلد
حتى التقى بالله جل جلاله ... فى جنة الفردوس مأوى السجد

هل آن للجيل الطيب أن ينقرض

وتلقينا كلمة تحت هذا العنوان للاستاذ عبد الله خليل شبيب ناظر مدرسة الصديق الثانوية برأس الخيمة نقتطف منها ما يلي :

يخيل لكل أولئك الضالين المضللين أعداء الاسلام ان هذا الجيل الطيب الذي يعرف ربه ويعمل لدينه ويمت بأقوى الاسباب الى تاريخه وامجاده يخيل لاولئك ان هؤلاء الى انقراض ، ولسان حالهم يقول : ما هؤلاء الا كهول وعجائز طيبون الى درجة الغفلة متداعون الى درجة الانهدام ، فقراء ـ غالبا ـ الى درجة العدم ، قليلون ـ فى بعض الاماكن والاحيان ـ الى درجة الانعدام ، كهول قربوا من الشيخوخة، وناءوا بما يحملون من أعباء ، أو شيوخ حنى ظهورهم الزمن وأخنى عليهم الدهر وهم يدبون الى قبورهم دبيبا ، وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا ، فكانوا تماما كما أراد لهم أئمة الضلالة تلاميذ نجباء لابليس وجنوده من الجن والانس ، نسوا تاريخهم ودينهم ، وداسوا أمجادهم ومفاخرهم ، وهزأوا بفضائل آبائهم ، واستهانوا بمنبع مجدهم ومصدر عزتهم فى ماضيهم ـ بقرآنهم المجيد ، واتخذوه وراءهم ظهريا وسقطت أخلاقهم وتدنت هممهم فأولعوابالتافه من القول والعمل ، ونسوا الله فانساهم أنفسهم والبسوا كل ذلك أثوابا مبرقشة من التقدمية ونحوها من نغمة أصبحت مملولة مكرورة ، واتخذوا لذلك شعارات زائفة لا تتعدى الحناجر ، يضحكون بها على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الناس أو على رب الناس ـ تعالى ـ (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم ، وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ، واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) . هؤلاء هم جند الشيطان ممن احتنكهم من ذرية آدم ، وكل منهم ـ من بعد ـ جندى عامل في جيش أعداء الاسلام من الصهيونيين والاستعماريين والضلاليين ، يطعن امته في ظهرها بخنجر مسموم ويمهد لعبوديتها وعبوديته معها لعدوه الالد . ولكن هل صحيح ان الجيل الطيب الى انقراض وان كل خلفه ضالون ؟ نترك جواب هذا السؤال الى الضمير الاسلامي فى أمة الاسلام ، وللمساجد التي تغص بالرعيل بعد الرعيل ، وللوعي الثاقب فى افكار شبيبة الاسلام شرقا وغربا (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (والله غالب على امره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .









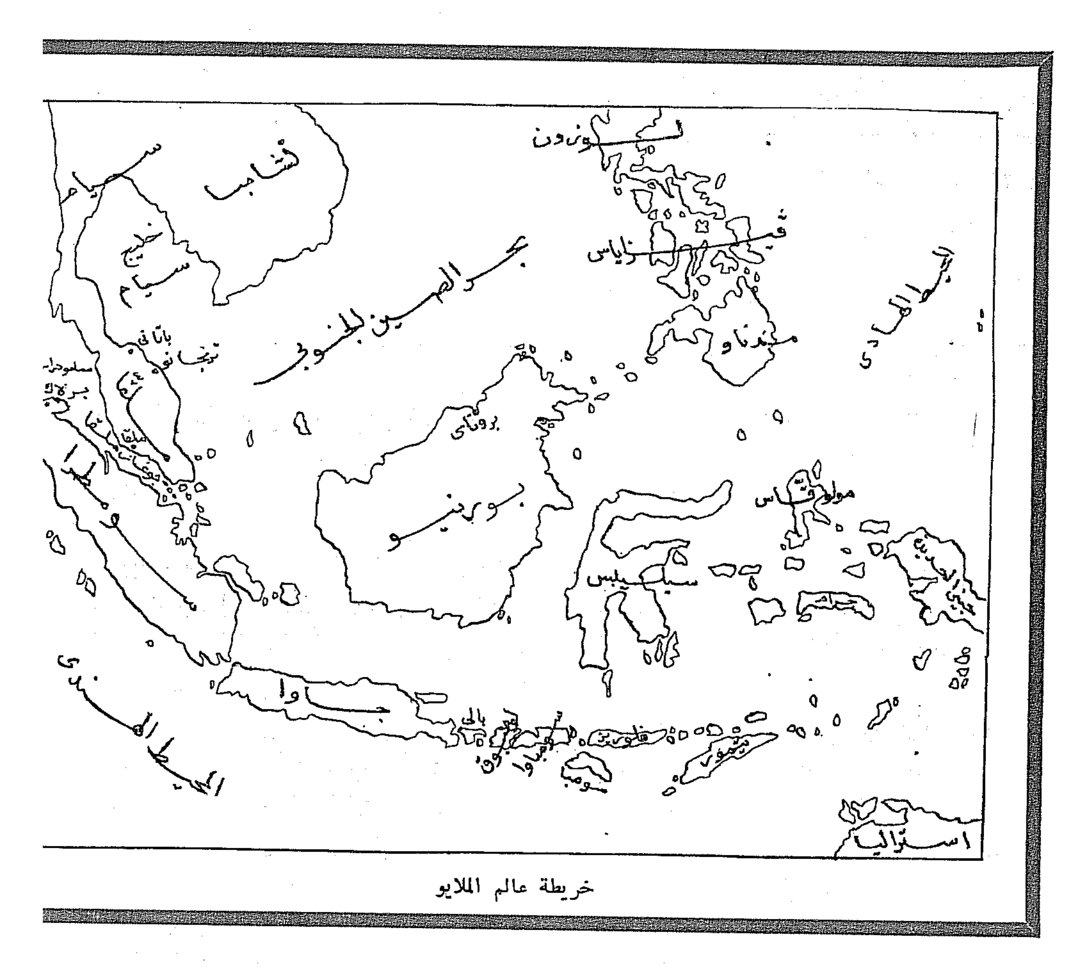
للدكتور
محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

كانت المنتجات الزراعيــة التي تجلب من أرخبيل الملايو هامة للغايــة لبــلاد أوروبا وبخاصةالتوابل التي كانت أوروبا تســتخدمها فى حفظ اللحــوم ، وكانت التجارة فى هذه البضائع تمر فى طريقها الىأوروبا ببلاد الشرقالاوسطالاسلامي، اما عن طــريق البحــر الاحمــر فمصر فالبحر الابيض المتوسط أو عن طريــق الخليج العربي ثم تنقل برا الى أوروبا ، وفى عــام ١٤٩٨ م أفلــح الاوروبيون فى كشف طريق آخر الى الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ولما وصل الاوروبيون الى بلاد الشرق من الطريــق الجديد وجدوا العــرب مسيطرين على التجارة هناك فحسدوهم على ما لهم من مكانة مادية وأدبية ،وعملوا جهدهم على أن يسلبوهم ما فى يدهــم وعلى أن يحلوا محلهم عن طريق القوة أو السلام ، فأقاموا لأنفسهم محطــات تجارية على طريق الهند بالمحيط الهندى وبدأوا يستعمرون الهند وما وراءها .

ولقد شاءت الاقدار أن يكون السبق لسكان شــبه جزيــرة ((ايبيريا)) مــن البرتغال وأسبانيا حيث كان الاســلام دولة مجيدة زاهرة ، ثم دالت قبــل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بعد حروب طويلة طاحنة بــين المســلمين والمسيحيين ، تركت فى النفوس ضغائن وأحقادا وفىالقلوب جراحا وآلاما ، لم تكن قد ضمدت بعد عندما بدأ البرتغاليون

يريد الكاتب بعالم الملايو شبه الجزيرة المعروفة الآن بالملايو ومــا يليها شرقا وجنوبا من جــزر تشمل سنغافورة واندونيسيا والفلبين الــخ .. وقد سبق نشر مقالين عنعالم الملايو للكاتبالفاضل فى العددين الاول والرابع من السنة الاولى .



خريطة عالم الملايو

والاسبان يجوبون ربوع الشرق الاسلامي ويستعمرون البلاد ويذلون العباد ، فنقلوا كراهيتهم لمسلمي الشرق الاوسط الى اخوانهم فى الشرق الاقصى فعذبوهم واضطهدوهم حين وجدوهم لا يرحمون طفلا بريئا ولا أما شفوقة ولا شيخا ضعيفا ، حتى انهم لم يرعووا عن اشعال النيران فى سفن الحجاج المسالمة واغراقها بمن فيها من نساء وشيوخ وولدان ، وان أحداث هذا الفجور والطغيان ومساءات المسلمين على أيدى هؤلاء مما يشيب له الوليد مما لا يتسع لتفاصيله المقام ، فلنكتف بهذه الاشارة ، ولنعد الى قصة الاستعمار والمستعمرين بأرخبيل الملايو .

وصل الاسطول البرتغالي الى مياه « ملكا » على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو عام ١٥٠٩ م ، وبدأ البرتغاليون يتحرشون بسلطان « ملكا » ثم ضربوا المدينة وسلطوا عليها مدافعهم ونيرانهم ، ودافع المسلمون عن بلادهم دفاعا مجيدا ، غير أن من كان بالمدينة من غير المسلمين من أجانب هنود أو نحوهم ائتمروا مع العدو ضد صالح البلاد التي أكرمتهم واستضافتهم وأثروا عن طريق خيراتها ، فاستطاع البرتغاليون أن يقتحموا المدينة ويستولوا عليها فى أغسطس عام ١٥١١ م . وسمحوا للقادرين من الدخلاء أن يخرجوا من

البلاد سالمين بتجاراتهم وأموالهم مكافأة لهم على غدرهم ، وما أن خلت البلاد منهم حتى صدرت الاوامر بقتل كل من بالمدينة بلا استثناء والاستيلاء على أملاكهم واموالهم ، كما صدرت الاوامر بهدم جميع المساجد وهدم قبور السلاطين ليبني المستعمرون من أنقاضها كنائسهم وقلاعهم .

وبعد سقوط ملكا لأقل من عشر سنوات وصل الاسبان الى شواطىء الجزر التي أطلقوا عليها « الفيلبين » تيمنا باسم ملكهم « فيليب » ، فضربوها بمدافعهم وسلطوا عليها نيرانهم فى غير ما شفقة ولا رحمة ، وأكرهوا الناس على اعتناق المسيحية فسقطت السلطنات الاسلامية بالجزر الشمالية بعد دفاع مجيد ، وكان من بين من استشهدوا « الملك سليمان » الذى كانت سلطنته تقع فى مكان « مانيلا » عاصمة الفيلبين الحالية ، لكن المسلمين فى جزيرة منراو ، وأرخبيل ، وصولو صمدوا للعدو ولم يبالوا به رغم تفوقه العظيم فى السلاح ، ورغم استخدامه ضدهم بني جلدتهم ممن سقط فى أيديهم وانضم اليهم ، مما سبب أحقادا لا تزال آثارها باقية الى الآن ، وظل هؤلاء المسلمون المكافحون محتفظين بسيادتهم واستقلالهم رغم ما عانوا من بؤس وفقر وموت وشقاء طوال القرن السادس عشر وما بعده ، حتى طرد الاسبان من البلاد على يد الامريكان فى نهاية القرن التاسع عشر .

أما الهولنديون فقد بدأ نشاطهم بأرخبيل الملايو فى نهاية القرن السادس عشر ، بعد أن استقلت هولندا عن اسبانيا وشرعوا ينافسون غيرهم فى تجارة الشرق بنجاح وتفوق ، وأنشأوا لأنفسهم محطات تجارية فى جزيرة جاوا وغيرها من الجزر التي تكون الآن أندونيسيا ، كما تعاونوا ضد البرتغاليين مع سلطنة جوهور فى جنوب الملايو التي قامت على أنقاض ملكا ، ثم انتهى النزاع بانتصار الهولنديين واستيلائهم على ملكا بعد أن طردوا البرتغاليين منها عام ١٦٤١ م ، وبذلك أصبح الهولنديون سادة الموقف حتى ظهر الانجليز فى الميدان ، فاستولوا على جزيرة « بناتج » فى الشمال الغربي لشبه جزيرة الملايو فى عام ١٧٨٦ ثم على جزيرة سنغافورة عام ١٨١٩ م ، وظلوا يناوئون الهولنديين هنا وهناك حتى عقد الطرفان معاهدة بلندن عام ١٨٢٤ أطلقت يد هولندا بمقتضاها فى جميع جزر أندونيسيا ، كما سلمت لبريطانيا « ملكا » فكونت منها ومن بناتج وسنغافورة مستعمرة أسمتها « مستعمرة المضايق البريطانية » ، كما أطلق نفوذها فى الساحل الغربي لجزيرة بورنيو الشاسعة فقسمته الى أقسام ثلاثة : الجزء الشمالي ، شمال بورنيو الانجليزي ، والجزء الجنوبي وأسمته « سرواك » وما بينهما يسمى «بروناى» .

ولا يفوتنا أن نذكر أنه أيام مجد الدولة «ملكا» كان سائر شبه جزيرة الملايو تابعا لها، رغم خصومة سيام ومحاولاتها التعدى على حدودها ، وكان امبراطور الصين يناصر « ملكا » فى خصومتها مع سيام ، فلما سقطت «ملكا» على أيدى البرتغاليين مدت سيام نفوذها على الكثير من شبه الجزيرة ، ولكن كان سلطان سيام على

بلاد الملايو يتأرجح على مـر السـنين ، فكانت أحيانا تفرض سلطانها كاملا عليها ، وأحيانا يضعف سلطانها فيبقى رمزيا يتمثل فى هدية سنوية يقدمها سلاطين البلاد اليها ، وهكذا بقي الحال بعد المعاهدة الهولندية البريطانية التي أشرنا اليها حتى عام ١٩٠٩ م ، حيث عقدت معاهدة بين سيام وبريطانيا ضمت سيام بمقتضاها أربع ولايات ملايوية اسلامية داخل حدودها،وأطلقت يد بريطانية فى سائر شبه جزيرة الملايو، وقد حددت هذه المعاهدة حدود اتحاد الملايو الشمالية حتى الآن .

وفى عام ١٩٤٥ م استقلت أندونيسيا كما استقلت الفيلبين فى العام الذى يليه ، وفى أغسطس ١٩٥٧ م استقل اتحاد الملايو ، وفىعام ١٩٦٣ دخلتسنغافورة(١) وسراواك وبورنيو الشمالية فى اتحاد مع اتحاد الملايو تحت اسم « ملايزيا ».

وبقيت « بروناى » محمية بريطانية ، وهكذا ينقسم أرخبيل الملايو حاليا الى وحدات سياسية أربعة هي : **أندونيسيا** وبها نحو تسعين مليون نسمة من المسلمين . **والفيلبين** : والمسلمون بها أقلية . يقال أن عددهم ثلاثة ملايين نسمة ، **واتحاد ملاييزيا** ويبلغ سكانه نحو عشرة ملايين نسمة من بينهم نحو أربعة ملايين من المسلمين ، والباقي مهاجرون من الصين والهند أو قبائل بدائية تتبع أديانا وثنية مختلفة ، وأخيرا تأتى سلطنة بروناى وهي دولة صغيرة عليها سلطان من أصل عربي وترجع أهميتها لغناها بآبار البترول رغم صغر مساحتها .

هذا موجز قصير لتاريخ الاستعمار بأرخبيل الملايو ، والذى يعنينا هو ما خلفه الاستعمار من آثار على الاسلام والمسلمين هناك ، وأول ما يلفت النظر ان الاستعمار فوت على المسلمين فى الشرق فرصة الاتحاد فيما بينهم ، فقبيل ظهور المستعمرين هناك كانت البشائر تدل على اتجاه نحو الوحدة لتقوم على اساسها امبراطورية اسلامية عظيمة لكن الاستعمار فرق مجموعة المسلمين ومزقها ، وجعلها وحدات سياسية منفصلة كما شاهدنا ، رغم انهم شعب واحد دما ولغة ودينا ، بل قد بذر الاستعمار بذور الفتنة والبغضاء بينهم ، مما نسمع عن بعض آثاره الآن من خصومة خطيرة بين أندونيسيا وملاييزيا .

ولقد أضعف الاستعمار الصلة بين المسلمين فى أرخبيل الملايو واخوانهم من مسلمي الشرق الاوسط لما يزيد عن أربعة قرون ، واستطاع بطغيانه وبطشه، أن يجعل المسلمين أقلية فى الفيلبين ، وتركهم فريسة للجهل والفقر والتعاسة، كما أدخل فى حدود دولة بوذية ((سيام)) أربع ولايات اسلامية ، يقال ان تعداد سكانها الآن يقرب من ثلاثة ملايين نسمة، ويعتبرون هناك أقلية مغلوبة على أمرها حتى أن الواحد منهم ليسمى باسمين ، احدهما اسم رسمي بوذي والآخر اسلامي يعرف به سرا لدى ذويه ، وينادى به فى المناسبات الدينية كالتلقين عند الموت .

ومن أخطر آثار الاستعمار خلط الدين بالعادة ، وذلك ان المستعمرين

(١) ثم انفصلت سنغافورة عن الاتحاد منذ شهور .

ارادوا أن يصدوا الناس عن مبادىء الاسلام بالمغالاة فى تمجيد العادات التي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم، وأدخلوا فى روعهم أن لها قداسة حيث انها تمثل تراث أسلافهم ، وكأن مبادىء الاسلام دخيلة أجنبية جلبها الاجانب من العرب، وكانت محاولات الهولنديين فى هذا الصدد واضحة ، واستخدموا فى ذلك رؤساء القبائل والعشائر التى لم تكن قد دخلت حظيرة الاسلام بعد .

أما الانجليز فقد كانت طريقتهم أدق وأخفى ، فقد نصوا فى المعاهدات التي عقدوها مع سلاطين الملايو على أن يعيش فى كل سلطنة مستشار انجليزي ، وأن على السلطان اتباع مشورته فى جميع امور الدولة ، ما عدا ما يتصل بالدين والعادات الملايوية ، وبذلك تجنبوا خطر اثارة العواطف الدينية ضدهم من ناحية ، ولكنهم فى الوقت نفسه رفعوا من شأن العادة التي اكتسبت تدريجيا أهمية وقداسة تضارع ما للدين ومبادئه، حتى أنه أسست فى كل سلطنة بالملايو ادارة حكومية يطلق عليها « ادارة الشؤون الدينية والعادات الملايوية » وحتى ليكاد يخيل للكثير أن مجموع ما خلفه الآباء : دينا كان او عادة وحدة غير متميزة . قل كله عادة ، أو كله دين . كما عمل الاستعمار ما استطاع ، ويعمل ما يستطيع نحو ايهام البعض أن اسلام القوم اسلام خاص بهم ، اسلام ملايوى ، كما أن هناك اسلاما عربيا ، وآخر صينيا، وهكذا يهدفون بذلك الى الهدم والتفريق وبلبلة الافكار .

على أن فجور المستعمرين وقسوتهم وحربهم الصارخ ضد الاسلام لم يفلح فى محو الاسلام ، بل بقي الاسلام على رغمهم ، وقد طردوا من البلاد ، وظل الاسلام دين عشرات الملايين ، ودين الدولة فى ملاييزيا وبروناى، ودين الاغلبية العظمى فى أندونيسيا ، على أن قسوتهم كانت سببا فى انتصارات للاسلام كدين — حيث أدت الى عكس ما يريدون . ففظاعة البرتغاليين فى الملايو ضاعفت حماسة الملايويين لدينهم ، وزادتهم استمساكا به ، وشجعت من كان مترددا فبادر باعتناق الدين الحنيف ، لما رأى من سماحته ووحشية أعدائه ، حتى انك لا تكاد ترى باتحاد الملايو ملايويا غير مسلم ، وحتى أصبحت « كلمة » ملايوى تستعمل مرادفا لكلمة « مسلم » ومن يسلم الآن من غير الملايويين لا يوصف بأنه دخل فى الاسلام بل بأنه « ماسوق ملايو » أى دخل فى الملايوية ، يقصدون أنه اعتنق الاسلام .

وقد بدأت مدارس التبشير المسيحية تنتشر بالبلاد فى ظل الحكومات الاستعمارية فى القرن الماضي ، ولقيت منها غاية التشجيع ، ولما بدأت هذه الحكومات تهتم بانشاء المدارس ، لسبب او لآخر ، كانت مدارسها على نمط مدارس المبشرين وكان مدرسوها ومدرساتها من بينهم ، ولم تكن تحتوى برامجها على شيء عن دين الاسلام ، الا تواريخ مبتورة مشوهة، وقد أقبل على هذه المدارس غير المسلمين من السكان ، لما تهيئه لخريجيها من مستقبل وأعمال ، بينما ضن المسلمون بأولادهم حرصا على سلامة عقائدهم .

ولقد نتج عن ذلك شيئان : أحدهما

أن عشرات الآلاف من غير المسلمين اعتنقوا المسيحية في سهولة ويسر وأصبحوا أقرب ثقافة وأكثر ميلا نحو اتجاهات المستعمر، كما أن ذلك أحدث فجوة اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وغير المسلمين من سكان البلاد ، فان هؤلاء الذين استفادوا من التعليم الغربي أصبحوا أحسن حالا فى شؤون الدنيا ملكوا زمام التجارة وكونوا الثروات الطائلة ، بينما كان حظ المسلمين ، وهم أبناء البلاد الاصليين جهلا وفقرا ومرضا .

ولما أدرك أولياء الامور المسلمون مغبة ذلك شرعوا يبعثون بأبنائهم الى هذه المدارس، لكنهم كانوا قد تخلفوا عن الركب لذا نجدهم في كثير من الاحيان دون غيرهم نجاحا(١) ، لكنهم بحمد الله سائرون على الدرب، وصادف التوفيق غير قليل منهم غير أنه نشأ عن ذلك وجود طبقة مسلمة مثقفة ثقافة غربية ، تختلط فيها التقاليد الموروثة والقيم الغربية ، والمعلومات المشوهة عن الاسلام التي يزودهم بها الكتاب الغربي المغرض ، والأمل كبير أن تصلح الاحوال وتتحسن الامور فى المستقبل غير البعيد .

ولقد استقلت البلاد وأصبح السلطان ومقاليد الامور بيد حكومات وطنية اسلامية غيورة على صالح الشعب وتقاليده ، وقد كان من أول ما بادرت به هذه الحكومات توجيه العناية بشؤون الاسلام والمدارس الدينية والعربية ، وجعلت مادة الدين احدى مواد الدراسة فى مدارس الدولة ويدرس الاسلام وثقافته ولغته على مستوى جامعي ، مما يبشر بتكوين أجيال مهذبة فى القريب ان شاء الله ، ثقافتها ملتئمة منسجمة ، تجمع بين معرفة صحيحة بحاجة العصر ، وفهم مستنير للاسلام ومبادئه .

---

(١) هذا الموقف عينه وقفه مسلمو الهند من الاستعمار البريطاني ومدارسه وكانت النتائج مثل النتائج تقريبا فى الثروة والثقافة .. لكن الهند تميزت بانشاء جامعة عليكرة فنهضت بالمسلمين على نمط الثقافة الغربية بينما كانت هناك مدارس اسلامية أصيلة محافظة قامت بمهمتها ولا تزال تقوم بحفظ مبادىء الدين وسلامة التقاليد والمفاهيم الاسلامية . « الوعى »

الشباب المخدوع

شباب العرب يا زين الشباب
ويا أشبال آساد غضاب
أرى منكم فريقا حين يمشي
يحك بأنفه متن السحاب !
كليث الغاب في صلف وكبر
وليس لدى الكريهة ليث غاب !
تفنن في محاكات العذارى
وخالفهن في وضع النقاب !
ولا يخشى على شيء .. ويخشى
اذا ثار الغبار على الثياب !

محمود غنيم



بريد الوعي

يحمل البريد الى هذا الباب عشرات الرسائل يوميا من أرجاء العالم العربي والاسلامي والاجنبي ، وما كان يدور بخلدنا ان تبلغ المجلة هذه الاقطار النائية فى هذه الفترة الوجيزة من حياتها . فتصل الى السنغال وجنوب السودان وتايلاند وواشنطون والنمسا والاتحاد السوفيتي ، وترد الرسائل من هذه البلاد ، بعضها يحمل أطيب التمنيات وبعضها يعرض بعض المشكلات ، والآخر يقدم مقترحات للنهوض بالمجلة .

وانا لنعتز بصداقة أصحاب هذه الرسائل ، ونشكرهم على تمنياتهم ونكرس جهودنا لدراسة مشكلاتهم ، ونعدهم بالاخذ بالنافع المفيد من مقترحاتهم ،وما كان لهذه المجلة ان تبلغ فى عامها الاول ما بلغت من الذيوع والانتشار لولا الوعى الناضج للجماهير المؤمنة ، وثقة القراء الغالية بها ، ولعله يتاح لهذا الباب مزيد من الصفحات حتى نتمكن من الاجابة على أكبر قدر ممكن من الرسائل التي ترد اليه .

ونظرا لشعور المجلة بأنها لا تزال فى بداية الطريق ، ورغبتها الملحة فى اسراع الخطى نحو تحقيق الآمال المعقودةعليها ، بعثنا برسائل الى قادة الفكر فى العالم العربي والاسلامي نستوضحهم رأيهم فى المجلة ، ومقترحاتهم للنهوض بها .

وقد بدأت الردود تصل الينا حاملة آراء الكتاب ومقترحاتهم وبدأت ترد كذلك رسائل القراء عن الاستفتاء المنشور فى العدد الماضى . وستكون هذه المقترحات بعد استكمال ورودها موضع دراسة وبحث عاملين على تنفيذ ما يمكن تنفيذه منها .

وبمناسبة عيد الاضحى المبارك ودخول المجلة عامها الثانى تلقينا رسائل كثيرة من القراء تحمل أخلص التهانى وأطيب التمنيات ، ولا يسعنا الا شكرهم والتوجه الى العلى القدير أن يوفقنا لنصرة دينه .

جمال الدين الافغاني

تلقينا من السيد بابكر عمر بالسودان رسالة يطلب فيها الاجابة على مجموعة من الاسئلة ونكتفي فى هذا العدد نظرا لكثرة المواد ، بالاجابة عن سؤاله عن السيد جمال الدين الافغاني .

اننا يا سيدي نذهب مذهب الذين يترجمون للشخصيات الكبيرة بسرد شيء من أقوالهم وفلسفتهم ، وسوق بعض الاحداث التي جرت لهم ، ونترك للقارىء بعد هذا أن يحكم عليهم أو لهم بما شاء .

١ : ـ سئل السيد جمال الدين عن تاريخ حياته فقال : قل لمن يسأل : ان العيان لا يحتاج الى ترجمان . قل له ما قال فلان عني (وفلان هذا عدو من أعدائه) انه متشرد ، أو أفاق ، وأي نفع لمن يذكر أنني ولدت عام ١٢٥٤ هـ وعمرت أكثر من نصف قرن ، واضطررت لترك بلادى ، وأكرهت على مبارحة الهند ، وأجبرت على الابتعاد عن مصر .

٢ : ـ وعاش جمال الدين عزبا لم يقترن فى حياته بامرأة ، وقد سئل هل تؤيد رأي ابي العلاء .

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد

فقال : كلا . كيف يصح لعاقل أن يعتبر الزواج جناية ، وبه بقاء النوع واستكمال العمران ، ولكن عجزي عن القيام بواجبات الزوجية دفعني أن اتقى ذلك ببقائي عزبا .

٣ : ـ وسئل عن قلة ثيابه فقال : كنت أول عهدي استصحب جبة ثانية وسراويل ، ولكن لما توالى النفي صرت استثقل الجبة الثانية ، فأترك التي علي الى أن تخلق ، فاستبدل بها غيرها .

٤ : ـ وكان يهزأ بمبدأ « دارون » الذي يعنون له بـ (تنازع البقاء) فيقول : التنازع القائم الآن تنازع الفناء لا تنازع البقاء ، لانه تنازع على اشياء تفنى ، والمنتزع والمنازع والمنزوع منه سواء فى المصير الى الفناء .

٥ : ـ وقيل له ما رأيك فى العالم التمدن فاجاب :

وما العالم التمدن ؟ هل رأينا غير مدن كبيرة وأبنية شامخة وقصور مزخرفة ينسج فيها القطن والحرير بأصباغ كيماوية مختلفة ، ومعادن ومناجم ، واحتكار تجارات أتت لهم بثروات ، ثم هــل غير التفنن فى اختراع المدافع المروعة ، والمدمرات والقذائف ، وباقي المخربات القاتلة للانسان تتبارى فيهـا تلك الامم الراقية المتمدنة اليوم .

٦ : ـ ومن فلسفته :

- الحقائق لا تزول بالاوهـــام .
- صاحب الحاجة اذا لم ينطق بحاجته أولى بالخرس .
- اسراف الانسان فى صحته أضر من اسرافه فى ثروته .
- شر الازمنة أن يتبجج الجاهل ، ويسكت العالم .
- القوى من الشجر لا يعجل بالثمر .
- العلم قد يكون فى الاحداث ، ولكن التجارب لا تكون الا فى الشيوخ .

ردود قصيرة

السيد أبو عبد الله ـ الموصل

شكرا على الطرائف التي أهديتها للمجلة ، وشكرا مرة أخرى على بيان مصادرها وسننشرها فى الاعداد التالية .

السيد ع.ص ـ غزة

قصتك « الايمان سلاح قوى » تصور الاثر الايجابي للايمــان فى توجيه سلوك الفرد ، وقدرته على مواجهة المغريات والتحديات ونعتذر عن عدم النشر لضيق المجال .

الاستاذ ابراهيم محمد الامين ـ السودان

سنعمل على زيادة اعداد المجلة المرسلة الى السودان ، ونأسف لنفاد الاعــداد المطلوبة ، ونظرا لفقدان بعض الاعداد المرسلة بطريق البريد رات ادارة المجلة عدم قبول الاشتراك فيها .

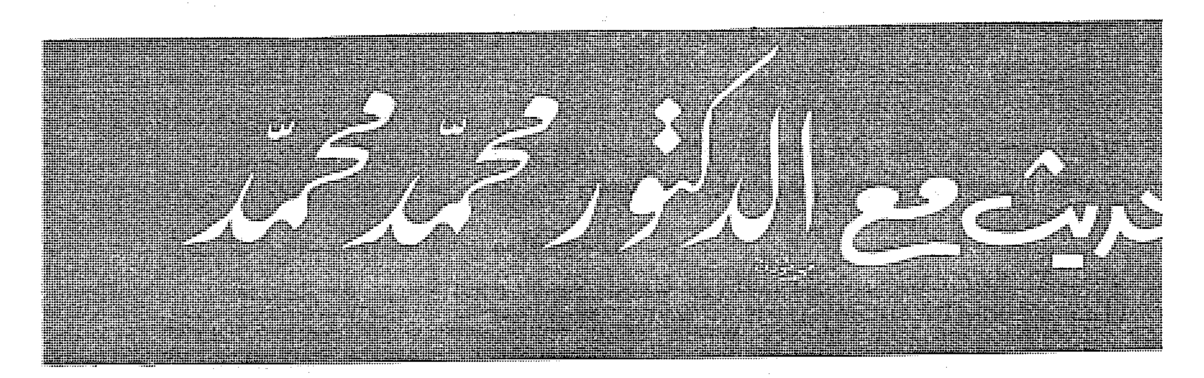
الاخ صلاح محمد علي ـ النجف الاشرف

أمير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه طراز فريد من الرجال وهو كما وصفت فى مقالك لا تقف عظمته عند حد . وقد ألفت فى مناقبه المجلدات الضخمة ، وهي مع ذلك لم توفه حقه من التبجيل والتعظيم ، ومن مخطط المجلة نشر الصفحات المطوية من تاريخ أبطال الاسلام . تمجيدا لهم ، وبعثا للتأسى بهم ، وسنتناول فى الاعـــداد القادمة السيرة الطاهرة لامير المؤمنين .

الاخ م.ح.م ـ عنيزة ـ القصيم بالسعودية

تحيتك الشعرية للمجلة مقبولة مشكورة ونعتذر عن عدم نشرها لعدم استقامة وزنهـــا .

* الاسلام وحل المشكلات الحديثة
* الشعر الحديث انحراف عن الاصالة العربية
* معنى الالتزام فى الادب



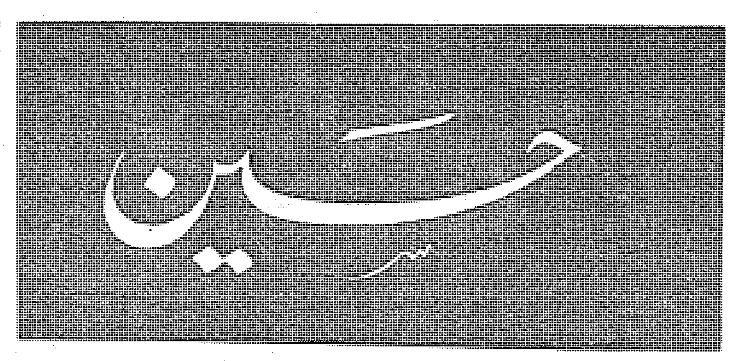
نشرنا فى العدد السابق حديثا اجراه السيد محمد ابو غوش المحرر بالمجلة مع الدكتور عبد الكريم زيدان استاذالشريعة الاسلامية بجامعة بغداد ، أثناء زيارته للكويت للاشتراك فى الموسم الثقافىالاول الذي اقامتــه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . ووعدنا باستطلاع رأي بقية السادة المحاضرين فيما يواجه العالـــم الاسلامي اليوم من مشكلات .

والدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي الحـــديث فى جامعـــة الاسكندرية أحد السادة المحاضرينالذين استضافتهم الوزارة لهـذا الغرض وهو من العلماء البارزين الذين وقفوا اقلامهم وألسنتهم على الدفاع عن الاسلام ، وقد القى محاضرتين فى الاسلام والحضـــارة الغربية .

وننشر فيما يلي الحديث الذي اجراه معه مندوبنا .



الدكتور المحاضر أثناء محاضرته في دار الثقافة والتوجيه بالشامية عن « الاسلام والحضارة الغربية » .



تحقيق كتبه
محمد أبو غوش

كان أول سؤال وجهه للدكتور عن مدى صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات التي تواجه العالم اليوم ؟ فقال :

الاسلام صالح لحل كل مشكلة طارئة . والذي يشك في ذلك لحظة ليس مسلما . لان معنى شكه في صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات — وهو خاتم الرسالات — اعتقاده انه لا يستطيع ان يحيا حياة الناس وهو محتفظ باسلامه ، وان عليه ان يختار بين ان يحيا وبين ان يحتفظ باسلامه ، أو بعبارة اخرى يعتقد أن عليه ان يضحي باسلامه لكي يضمن الحياة العزيزة الكريمة .

وهذه المشكلات التي يتحدث الناس عنها بعضها فني يرجع فيه الى العلوم الكونية التي تتصل بمادة الكون وطبيعة الكائنات ، ولا حرج على المسلمين ان

يبتكروا فيها ما شاءوا ، وينافسوا فيها غيرهم من الامم ، بل ان ذلك واجب شرعي مفروض عليهم . وبعضها الآخر يتصل بسلوك الانسان وعقيدته ومعاملاته وحاضره الراهن ومستقبله القريب والبعيد ، وهذا لا بد فيه من التقييد بالدين ، لان معرفة وجه الحق والخير فيه لا سبيل اليها الا بتوفيق من الله العليم الحكيم . وليس الدين فى حقيقة الامر قيدا الا بمقدار ما يصح لنا ان نقول ان المنطق قيد على الفكر بمعنى انه يعصم المفكر من الزلل .

على المسلمين اذن ان يعملوا عقولهم فى حل مشكلاتهم ، بشرط الا يخرجوا فيما يذهبون اليه من حلول عن حدود الاسلام ، يلتزمون ما امروا به ، وينتهون عما نهوا عنه ، وبشرط أن يراقبوا الله فى كل اعمالهم ، والا ينسوا ان اعمالهم كلها امانات يحاسبهم الله عليها ، وان حياتهم فى الدنيا جزء هين يسير من وجود طويل مديد . وهم بعد ذلك احرار فى ان يبتكروا ما شاءوا مما لا حرج عليهم فيه . وآفة المسلمين الكبرى هي أنهم يتكلمون أكثر مما يعملون ، ويتوهمون مشاكل لا وجود لها ، ثم يحاولون الاجابة عنها ، لانهم يقلدون غيرهم تقليدا أعمى . ولو نبذ المسلمون التواكل والكسل، والخلاف والجدل ، وعملوا على حل مشكلاتهم بوصفهم مسلمين لوجدوا الامر أهون مما يتصورون . ولكنهم لا يفعلون اكثر من أن يتساءلوا : هل يصلح الاسلام للحياة ؟ ثم يختلفون حول الاجابة على السؤال . ويرون ألف باب وباب للحل الحلال فلا يلجونه ، ويقفون امام الابواب المغلقة ، ابواب الحرام ، يتساءلون : لماذا لا نلج من هذه الابواب ؟ وأقبح من ذلك انهم يتجاهلون الدين فى بعض الاحيان ويحلون المسائل على هواهم ، كما يفعل الصبي العنيد حين يتجاهل نصائح ابيه ، ويحل الامور بتقليد هذا وذاك من اقرانه ، فلا يسلم من تقليد الشذاذ والمنحرفين .

قلت لسيادته. وما هي أسباب تواكل المسلمين وتجاهلهم لدينهم ، وهل كان ذلك نتيجة للاستعمار وتضليل المستشرقين فقال :

انحسر المفهوم الاصيل للاسلام حين ضعف المجتمع الاسلامي بسبب ميل المسلمين الى الدعة والترف وتخليهم عن حمل ما حملهم الله من أمانات . فشغل كل واحد بنفسه وبمصلحته وشهواته ، ولم يبق للناس من الاسلام الا ظواهر العبادة . عند ذلك لم يعد المسلم ربانيا ، وخلا قلبه من نور الدين ، وخلت اعماله من ان تكون لوجه الله ، واصبح يعبد نفسه فى حقيقة الامر ولا يعبد مولاه ، فوكله الله الى نفسه والى حوله . ولا حول ولا قوة الا بالله . عند ذلك سلط الله عليهم عدوهم ، فزادهم ضعفا الى ضعفهم ، وصغروا عند انفسهم ، وعظم شأن عدوهم فى وهمهم حتى صار كل ما يأتيه عندهم حسنا . فقلدوه عن وعي وعن غير وعي . وفسروا اسلامهم بمفاهيمه ، وبرروا انماطه باسلامهم . فزادوا الى بلائهم بلاء جديدا .

ولا شك ان الاستعمار والاستشراق قد ساعدا فى افساد مفاهيم الاسلام : الاول بتخطيطه ، والثاني بدراساته التي تخضع لذلك التخطيط . ولكن ذلك كله لم يكن ليثمر لو لم تكن نفوس المسلمين مهيأة له بسبب ما قدمته من عوامل وظروف .

وجرنا الحديث عن الاستعمار الى التساؤل عما يتردد من ان هزيمة المسلمين عسكريا جاءت نتيجة لغزوهم ثقافيا فقال :

الواقع ان الهزيمة العسكرية والهزيمة الثقافية وجهان لظاهرة واحدة هي فساد المجتمع الاسلامي وانحلاله . بحيث يمكن أن نقول ان الهزيمة

العسكرية جاءت من تفكك المجتمع الاسلامي وانحلاله ، حين مال المسلمون الى الدعة والترف وتخلوا عن واجبهم نحو انفسهم ونحو دينهم ونحو جماعة المسلمين . فلما زالت سيادتهم زال معها اعتزازهم بثقافتهم ودخلوا في ثقافة الذين غلبوهم واستعبدوهم . ويمكن من ناحية أخرى ان نقول أن من اسباب ضعف المجتمع الاسلامي وتفككه كثرة الثقافات الوافدة التي هزت قيمه واضعفت ايمانه ، فكان من آثار ذلك انفراط عقده وتهالكه على الشهوات .

وانتقلنا الى الحديث عن الشعر ودعوى التجديد فيه فقال :

الشعر الحديث وما يسميه اصحابه شعرا حديثا بعضه يجري في تجديده على قواعد عروضية هي نفسها قواعد العروض العربي منسقة في صورة جديدة . وبعضه الآخر يخرج على العروض خروجا كاملا ، ولا يقوم على نظام موسيقي واضح ، أو هو يقوم على نظام موسيقي غريب على ذوقنا العربي. والفريق الاول من هؤلاء يجددون وفيهم قدرة على الشعر العربي الاصيل . اما الفريق الثاني فهم يلبسون ثياب التجديد هروبا من الشعر الاصيل لانهم يعجزون عن تذوقه وعن انشائه . والفريقان كلاهما قد اقحما على الشعر العربي اساليب غريبة وصورا دخيلة ، تنحرف بفطرة الناشيء الذي يدمن قراءتهم بحيث يعجز عن تذوق تراثنا الطويل ، وتعزف نفسه عنه ويسوء ظنه به وبعباقرته . وهذا خطر شديد يهدد ذلك التراث الذي عاش أربعة عشر قرنا بالفناء ، ويهدد شخصيتنا العربية والاسلامية بالتميع والانحلال .

وهذه الموجة الوافدة او الهزة الطارئة ليست بدعا ولا عجبا . فالمجتمعات والفنون والثقافات تبتلي بمثل هذه الهزات ، فتموت او تستجمع قواها للدفاع عن كيانها فتزداد حياتها خصبا وقوة . وانا عظيم الثقة في الشعر العربي الاصيل ، واعتقد انه سيخرج من هذه المحنة أشد قوة ، بل اعتقد ان بعض دعاة التجديد ممن يجددون عن قدرة واصالة سوف يعودون الى احضان الشعر العربي الأصيل ، . اما العاجزون الذين يتسترون تحت ستار التجديد فزبد يذهب جفاء ، ولا يمكث في الارض.

وقد عرفنا من قبل في الادب الاندلسي الوانا من التجديد اشبعت نزوات طارئة وارضت حاجات عارضة ، ثم لم تلبث أن زالت وبادت . فلما جاءت النهضة الادبية في العصر الحديث على يد البارودي وجيله من الشعراء قامت على الاصول العربية الاولى الصحيحة . ولا اظن ان الحركة الشعرية الجديدة على كل ما يؤيدها من عوامل ستكون احسن حظا من الموشحات والازجال الاندلسية. ومع ذلك كله فالتجديد الاندلسي كان نابعا من واقع المجتمع الاسلامي في الاندلس . اما هذا الذي يسميه اصحابه تجديدا في ايامنا هذه فليس الا تقليدا لآداب اجنبية شرقية أو غربية ، في الاسلوب والمضمون جميعا . واعجب ما في أمر هؤلاء المقلدين للاجنبي انهم يسمون انفسهم مجددين، ويسمون الذين يحافظون على تراثهم مقلدين .

قلت ما مفهومكم لمبدأ الالتزام في الادب ، وكيف يكون الاديب ملتزما ، وهل يمكن للاديب ان يلتزم في ناحية ولا يلتزم بناحية اخرى . فقال :

الالتزام تعبير حديث يقابل ما يمكن ان نسميه (عقيدة) ، فالادب الملتزم او الادب المذهبي هو الادب الذى يصدر عن عقيدة صادقة راسخة تلازم صاحبها في كل ما يكتب ، وتترك ميسمها على كل ما ينتج . والالتزام قسمان : التزام في المضمون ، والتزام في الاسلوب. فالالتزام في المضمون هو التزام مذهب فكرى معين ، سواء كان هذا المذهب الفكرى نابعا عن عقيدة دينية او عن مذهب سياسي او فلسفي او اجتماعي . والالتزام في الاسلوب هو التزام مذهب

ادبى معين او طريقة معينة فى العرض او فى التعبير . والاديب الاصيل لا بد ان يكون ملتزما فى الاسلوب ، لانه لا يكون اصيلا وناضجا حتى تكون طريقته فى التعبير قد تحددت ، وحتى يكون اسلوبه ذا شخصية متميزة لا يستطيع هو نفسه ـ لو أراد ـ ان يغيرها . اذ تصبح هذه الخصائص كالعادات الراسخة الثابتة الجذور فى النفس . اما الالتزام فى المضمون او فى المذهب الفكرى فمن الممكن ان يخضع للتغيير والتطور . كما ان من الممكن ان تكون آراء الاديب موزعة بين مذاهب فكرية شتى لا تتعارض عناصرها ، وبذلك لا يكون ملتزما لمذهب بعينه يسخر كل مواهبه الادبية لخدمته .

قلت لسيادته ـ ما رأيكم فى الحملات التي تثار حول السنة ، فقال :

التشكيك فى الاحاديث النبوية الشريفة تشكيك فى الاسلام نفسه ، لان من المعروف ان كثيرا من أصول الاسلام مأخوذة من السنة عملية كانت او قولية . فكيفية الصلاة ، وعدد الركعات فى كل صلاة ، والوضوء والطهارة ، وحد شارب الخمر ، وحد الزاني المحصن ، كلها مستمدة من السنة وغير ذلك كثير . فاذا شككنا فى السنة فقد هدمنا احد الاعمدة الاساسية التى يقوم عليها الاسلام .

وأعجب ما فى امر المشككين انهم فى اغلب الاحيان من غير المتخصصين . واعجب ما فى العجب ان احدهم يجبن عن ان يقحم نفسه فيما لا يعلم من شؤون الطب والهندسة ، بل من شؤون القانون الوضعى المستجلب عن الغرب ، فلا يفتى فى القانون الدستورى ، ولا يفتى فى القانون الجنائى ، ولا فى القانون التجارى مثلا . واذا جرؤ على الافتاء فيها سكت ولم يكابر اذا رده الخبير بهذه الدراسات ولكنه يقحم نفسه فيما لا يدرى من شؤون العلوم الاسلامية . ولا يقتنع اذا رده العليم بها .

ولا بد من التنبية هنا الى خطأ الذين يقبلون الاحاديث او يرفضونها على اساس عقلى خالص ، ويظنون ان القدماء قد اخطأوا فى اعتمادهم على السند وحده ، والحقيقة ان المسائل الدينية لا سبيل الى تحقيقها الا من طريق السند ، لانها تقوم على التسليم والانقياد ، وعلى ان ما تغيب حكمته عن عقولنا احيانا لا يخلو من حكمة ارادها الشرع لنا فى دنيانا واخرانا . ان الذى يستطيع ان يحكم على الشىء بالصحة او الفساد ، وبالنفع او الضرر . هو الذى يعلم ما كان وما هو كائن وما سوف يكون . لان الحكم على الشىء فرع عن تصوره كما يقولون . وتصوره هو ادراك وجوده كله . والانسان لا يعلم الا بعض ما هو كائن ، فضلا عما كان وما سيكون . ولا يزال الناس يكتشفون فى كل يوم من الجديد فى انفسهم وفى عالمهم الارضى وفيما يحيط بهم من عوالم ، ما يدل دلالة واضحة على مبلغ جهل الانسان وضآلة معرفته . ولا يزال الانسان يقف حائرا امام اسئلة تتصل بالظواهر التى يحيا بينها ، بل تتصل بنفسه وبذاته ، فلا يجد الجواب عليها الا ظنا لا يغنى من الحق شيئا . بل لقد اثبت العلم ان حواس الانسان الخمس محدودة المدى ، وان ما ندركه من الموجات السمعية والبصرية ليس شيئا الى جانب ما تعجز بخلقتها وفطرتها عن ادراكه . والانسان مع جهله وضآلة ادراكه لحاضره لا يعرف من الماضى والمستقبل شيئا . ومن كان هذا مبلغ علمه ومنتهى معرفته كيف يسوغ له ان يقبل من حديث رسول الله الصحيح ويرفض على اساس علمه ومعرفته .!!

مكتبة المجلة

الشهيد احمدو بيللو

من غير المستطاع الالمام بكل ما كتبته الصحف والمجلات الاسلامية عن الشهيد الحاج احمدو بيللو فى مختلف انحاء العالم وجهاته . كما أن لخطورة هذا الحادث الجلل وأثره فى العالم الاسلامي أهمية بعثت على ضرورة التعجيل بفكرة اصدار هذا الكتاب .

والواقع ان ماكتب عن الشهيد احمدو بيللو ، سواء ما وصل الينا ، أو لم يصل شيء كثير يضيق به الحصر والاحصاء فقد حفلت الصحف العربية والاسلامية بأنباء استشهاده وجهاده ونضاله من أجل الاسلام والمسلمين بصفة عامة .

والكتاب الذى بين أيدينا باقة حزينة جامعة لكلمات كبار زعماء العالم وقادته ومفكريه وأدبائه فى تلك الفاجعة الاليمة ، أصدرته وطبعته فى ١٢٨ صفحة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ووزعت نسخه مجانا فى جميع أنحاء العالم ليطلع كل من فوق هذه الارض على سيرة ذلك البطل الاسلامي الشهيد احمدو بيللو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية .

لقد مات بللو شهيد الاسلام فى رمضان فلنذكره كل عيد فطر ولنحتسبه زكاة المجاهدين من أجل الغد الافضل للمسلمين .

لا تتخذوا القبور مساجد
ولا تجعلوا الاضرحة معابد

كتاب من تأليف الاستاذ عبد الفتاح سلامة يحارب أنواع البدع ، داعيا فيه الى التوحيد الذى جاء به الاسلام .

وقام المؤلف بتقسيم كتابه الى ثلاثة ابواب ، خص الاول منها بالمساجد موضحا الهدف الاساسي من اقامتها والثاني بالقبور والاضرحة والثالث بالنذور وانواعها .

والكتاب يقع فى ١١٨ صفحة وطبعته مطبعة السماح فى طنطا بالجمهورية العربية المتحدة .

احمد فارس الشدياق

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن وهو الكتاب الخمسون من سلسلة اعلام العرب التى تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة .

والكتاب فى ٢٠٠ صفحة ويحتوى على موجز لحياة احمد فارس الشدياق وملامح عصره ورحلاته ثم مصادر ثقافته واسلامه ، وبعد ذلك يتعرض الكاتب بصورة واسعة للدور الكبير الذى لعبه الشدياق فى التاليف والترجمة والتعريب والصحافة .

وفارس بن يوسف الشدياق مسيحي من لبنان اعتنق الدين الاسلامي على يد شيخ الاسلام فى تونس وتسمى باسم احمد فارس الشدياق وقد اتاحت له اقامته بمصر تلقى علوم اللغة والادب والنحو والبلاغة والصرف والشعر على يد علمائها .. وقام بعد ذلك بعدة رحلات الى مالطة وانجلترا وتركيا وتونس واشتغل بالصحافة فأصدر صحيفة ((الجوائب)) التى نالت شهرة كبيرة فى العالم الاسلامي من الناحيتين الدينية والادبية .



شاهد زور

السـؤال :

اقترض مني شخص مبلغا من المال بشهادة أحد الناس ، وعند مطالبته بالدين انكر ، فأقمت عليه دعوى فى المحكمة ، فطلب مني القاضى شاهدا ثانيا ، فهل يجوز لي شرعا أن أحضر شاهدا ثانيا ــ لم يرنى عند الاقراض ــ وذلك لتكميل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى الى حقى .

محمد الداعوق
طرابلس ــ لبنان

الاجابة :

لا يجوز لك أن تستحضر شاهدا ثانيا لم يكن حاضرا عند اعطائك المبلغ للمقترض، ولا يبرر هذا انك صاحب حق ، وهذا الشاهد الثاني شاهد زور لانه يشهد بما لم يعلم ولم ير ، وانت يا سيدى المقصر فى حق نفسك فالله يقول (يايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب أن يكتب كماعلمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) وكان ينبغى لك أن تحرر صكا بهذا المبلغ يشهد عليه شاهدان . وما دمت قد فرطت فى المحافظة على مالك ، فتحمل نتيجة ذلك ، ولا تتورط فى مخالفة اخرى .

زكاة المسجون

السـؤال :

محكوم علي بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وعندى أموال مدخرة ، فهل تجب علي زكاة هذه الاموال ، ومن الذى يخرجها ، وفى أى مكان أخرجها مع أنكم تعلمون أني لا أستطيع مغادرة السجن.

ابو عجمية
اللاذقية ــ سوريا

الاجابة :

السجن لا يمنع من وجوب الزكاة متى توافرت شروط وجوبها ، وعليك أن توكل من يخرج زكاتك عنك ، ويوزعها على الفقراء والمساكين فى البلد الذى يوجد به المال ، هذا ان امكن التوكيل والا ظلت الزكاة دينا عليك ، تخرجها حين تخرج من سجنك ولا تنقل الى بلد آخر ، الا اذا كان هناك مصلحة كقريب محتاج .

الزوجة العاملة

الســؤال :

زوجتي تعمل فى احدى المؤسسات ، وقد أنجبت منها ثلاثة أولاد ، وأصبح من العسير عليها أن توفق بين عملها وبين رعاية بيتها وأولادها ، وتحت ضغط الظروف طلبت منها أن تستقيل من عملها ، فرفضت ، فهل يعتبر هذا الرفض منها نشوزا . وهل تستحق مؤخر الصداق ونفقة العدة فى حالة الطلاق ، وهل لي حق حضانة أولادى منها .

الاجابة :

خروج الزوجة عن طاعة زوجها يعتبر شرعا نشوزا تسقط معه نفقة الزوجية الواجبة لها عليه ، وعدم استجابتها له فى الاستقالة من عملها خروج عن طاعته ، لكنه لا يسقط حقها فى مؤخر الصداق ونفقة العدة اذا طلقها الزوج ، لانها استحقت بالدخول جميع المهر عاجله وآجله ، واستحقت نفقة العدة لانها محبوسة فى أثنائها عن الزواج بغيره .

اما حق الحضانة بعد الطلاق فهو ثابت للزوجة شرعا الى أن يبلغ الاولاد السن التى تنتهي فيها الحضانة شرعا ، اذا لم يكن هناك سبب يسلب الزوجة هذا الحق ، وينتقل الحق فى الحضانة الى من يليها شرعا .

واننا ننصح الزوج بالا يتسرع فى الطلاق حفظا لكيان الاسرة ، وبالحكمة والتفاهم يمكن ازالة كثير من أسباب الخلاف التى تنشب بين الزوجين .

حمام البرج

الســؤال :

بنيت برجا للحمام ، ووضعت فيه عشرة أزواج وبعد مدة وجدت فى البرج حماما غريبا ، فهل يحل لي شرعا أكل هذا الحمام الغريب .

سيد الجاسم ــ حولي ــ الكويت

الاجابة :

اقامة هذا البرج جائز شرعا ، وكل ما يأوى اليه من حمام برى صحراوى يحل لك أكله والتصرف فيه .

أما الحمام الاهلي الذى تجده فى البرج ، فلا يحل لك أكله ولا التصرف فيه ، ويلزمك رده لاصحابه اذا عرفتهم ، وحكمه حكم اللقطة .

الزكاة غير الضرائب

الســؤال :

أملك منزلا كبيرا يغل علي دخلا شهريا ، وتجمع لي فى آخر العام مبلغ يزيد عن النصاب،ومعلوم أني أدفع سنويا للحكومة ضرائب عن هذا المنزل تزيد عن مقدار الزكاة، فهل تقوم هذه الضرائب مقام الزكاة .

محمد اسماعيل ــ طنطا ــ ج.ع.م

الاجابة :

زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصابا وحال عليه الحول ، وتصرف هذه الزكاة لمن ذكرهم الله فى الآية (انما الصدقات للفقراء والمساكين ..) .

أما الضريبة التى تأخذها الحكومة من اصحاب الاموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عنها ، ويجب عليك اخراج الزكاة عن هذا الريع المجتمع من ايجار منزلك متى استوفى شروطه .

قضاء الصلاة

السـؤال :

فاتتني الصلاة فترة من الوقت فى مقتبل عمرى ، وهذه الفترة قرابة خمس سنوات ، وظروف عملي لا تمكني من قضاء هذه الصلوات ، فهل يجوز لي أن أدفع شيئا من المال نظيرما فاتني من الصلاة ، وكم أدفع عن اليوم الواحد .

درويش العطار ـ الجهرة ـ الكويت

الاجابة :

لا يقوم مقام الصلاة المفروضة شيء ، ولا يغني عنها مال ولا عتق ولا غيره ما دام فى الانسان قدرة على أدائها بأى وجه من الوجوه ، وقد يسر الاسلام سبيل أدائها على الناس ففرضها من قيــام على القادر عليه ، فان عجز عن القيام صلى وهو جالس ، فان لم يستطع ذلك أداها مستلقيا على ظهره او مضطجعا مع الايماء والاشارة برأسه ، او بعينه ان لم يستطع الاشارة بالرأس فان لم يقو على ذلك استعرض هيئة الصلاة على قلبه فان عجز عن ذلك كله سقط عنه التكليف ومن هذا يتبين انه لا فدية ولا كفارة عن الفوائت .

فان كانت هذه الصلوات قد فاتتك بعد بلوغ وهو سن التكليف فاستعن بالله ، واقضها حتى يغلب على ظنك انك قد قضيت ما فاتك ، وكل شيء مع خلوص النية وصدق العزيمة سهل ، والعمر كله وقت للقضاء ، وكلما عجلت كان ذلك ابرأ لذمتك ، وأدل على صدق توبتك .

تصوير المرأة العارية

السـؤال :

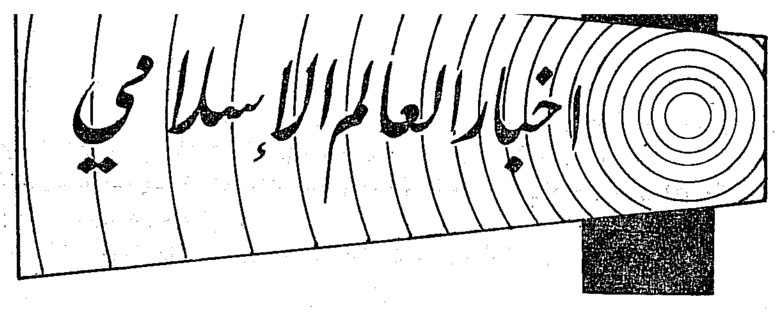
أنا رجل مهنتي مصور ، وكثيرا ما يحضر الى بعض الفتيات لتصويرهن وهن عاريات الجزء الاعلى من الصدر والظهر ، وحاسرات الاذرع ، وكاشفات السيقان ، ومسدلات الشعور ، وفى أوضاع مختلفة ، فهل يجوز ذلك شرعا .

م ـ د . السالمية ـ الكويت

الاجابة :

التصوير يستلزم النظر ، وجميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الاجنبي اليه ، ما عدا وجهها وكفيها فانه يجوز كشفها ونظر الاجنبي اليه اذا أمنت الفتنة ، أما اذا لم تؤمن فانه يحرم النظر اليها ايضا ويجب على المرأة سترهما .

وبناء على هذا يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراما ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك والكسب الذى يحصله من هذا العمل خبيث ، وهو منهى عنه شرعا. وحكمة التحريم واضحة لما يترتب على هذا العمل من مفاسد خلقية واجتماعية.



الكويت

زار حضرة صاحب السمو أمير البلاد ـ الجمهورية العربية المتحدة تلبية لدعوة أخيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد استغرقت هذه الزيارة أربعة أيام تفقد فيها سموه مظاهر النهضة فى البلاد ، وجرت أثناءها محادثات استهدفت توطيد العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدين الشقيقين ، وقد اتسمت المحادثات بطابع الصراحة والتفاهم ، وقد استقبل سموه وودع بما يليق به من الحفاوة والاجلال .

* وجه سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الدعوة لزيارة البلاد لكل من المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة ووزير الأوقاف والشؤون الاجتماعية وفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر وكذلك للدكتور العربي الشريبي وزير الصحة والاستاذ أحمد بركاش وزير الأوقاف فى المملكة المغربية .

* مر بمطار الكويت المهندس احمد عبده الشرباص وفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى فى طريقهما الى الهند تلبية لدعوة سلطان البهرة وقد استقبلهما فى المطار معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد سفير الجمهورية العربية المتحدة والسيد وكيل الوزارة ولفيف من رؤساء واعضاء البعثات التعليمية .

* وافق مجلس الأمة على مشروع انشاء الجامعة ، وستفتح أبوابها فى سبتمبر القادم لاستقبال طلبة الآداب والعلوم .

* انشات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مكتبات ملحقة ببعض المساجد الكبيرة وستعمم هذه المكتبات فى الاعوام المقبلة . وقد أهدى كل من الاستاذ عبدالرحمن العتيقي وكيل وزارة الخارجية والحاج عبد العزيز علي المطوع مكتبة قيمة للمكتبة العامة بالوزارة .

* عقد المؤتمر الطبي العربي الخامس تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد وحضر المؤتمر (٤٠٠) طبيب من مختلف الدول العربية وظلت فترة انعقاده من أول ابريل للسادس منه .

* صدر العدد الاول من مجلة البيان التى تصدرها رابطة الادباء الكويتية ـ حافلا بالبحوث الادبية ـ نتمنى للزميلة التوفيق .

القاهرة

* اقام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية حفلا تكريميا لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت أثناء زيارته للقاهرة ، وحضر الحفل فضيلة الامام الشيخ حسن مامون شيخ الجامع الازهر ، والاستاذ السيد يوسف وزير التربية والتعليم ، والمهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف والشؤون الاجتماعية ، وفضيلة الشيخ احمد حسن

الباقورى مدير جامعة الازهر ، والسيد احمد الفتو زعيم مسلمي الفلبين ، والامير صقر القاسمـي أمير الشارقة والاستاذ عبد العزيز العلي المطوع وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية .

* تقيم وزارة الاوقاف مسجدا ضخما عند مدخل القناة الشمالي حيث تمر اكثر من ٢٠ الف سفينة ، وسيلحق بهذا المسجد معهد ديني .

* منحت جامعة الازهر الدكتوراه الفخرية لعظمة سلطان البهرة اثناء زيارته للقاهرة .

السعودية

* صدر بيان رسمي فى جدة يعلن ان اكثر من مليون حاج وقفوا فوق جبل عرفات ، وقال البيان : ان (٢٩٤١١٨) من الحجاج وفدوا من الخارج والباقون من السعودية .

* جاءناأنه لم يقرأ احد فى السعودية مانشرته مجلة العربي خاصا بالامامالبخارى والسبب ان الرقابة نزعت اوراق المقال من النسخ قبل توزيعها .

لبنان

* طردت الحكومة اللبنانية جون اسبانولا الاستاذ بالجامعة الاميريكية ببيرت بسبب اساءته الى تعاليم الدين الاسلامية .

ليبيا

* عقد مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى الدول العربية تحت اشراف الجامعة العربية وهيئة اليونسكو واستمر خمسة أيام بحث خلالها التعاون الاقليمي والدولي من أجل تنمية التربية فى الوطن العربي . .

فلسطين

* تجرى فى شهر يونيو فى جميع الدول العربية أول انتخابات يشترك فيها شعب فلسطين لاختيار اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ، وقد بدأت عمليات القيد فى جداول الانتخابات لكل فلسطيني بلغ الثامنة عشرة ، ومن المقرر أن يعقد المجلس الوطني الجديد اجتماعه الاول فى غزة عقب تشكيله مباشرة .

اندونيسيا

* أذاعت وكالة أنباء (انتارا) الاندونيسية أن (١٥٦) شخصا على الاقل لقوا مصرعهم بسبب الفيضانات التى وقعت فى شرق ووسط جاوة ، وان مئات ما زالوا مفقودين ، وقد نجم عن هذه الفيضانات تشريد ما يزيد على (٥٠٠) الف نسمة وتدمير (٣٠) الف مسكن .

فقيد العروبة والاسلام

فوجئنا ـ والمجلة ماثلة للطبع بوفاة المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية وبعض السادة المرافقين له أثناء زيارته للبصرة على أثر حادث احتراق الطائرة التى كانت تقلهم .

والمجلة اذ تنعي فقيد العروبة والاسلام الى العالم الاسلامى تقدر الخسارة الفادحة التى منيت بها الشعوب الاسلامية بفقده ، وتذكر جهاده فى نصرة القضايا العربية والاسلامية ، وحرصه الشديد على الاستمساك بتعاليم الاسلام، وتشارك الشعب العراقى الشقيق آلامه وأحزانه وتضرع الى الله أن يجزى الفقيد جزاء الشهداء والصالحين . وان يهب الشعب العراقى الحكمة والسداد .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمـان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبـر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عـدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبـى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

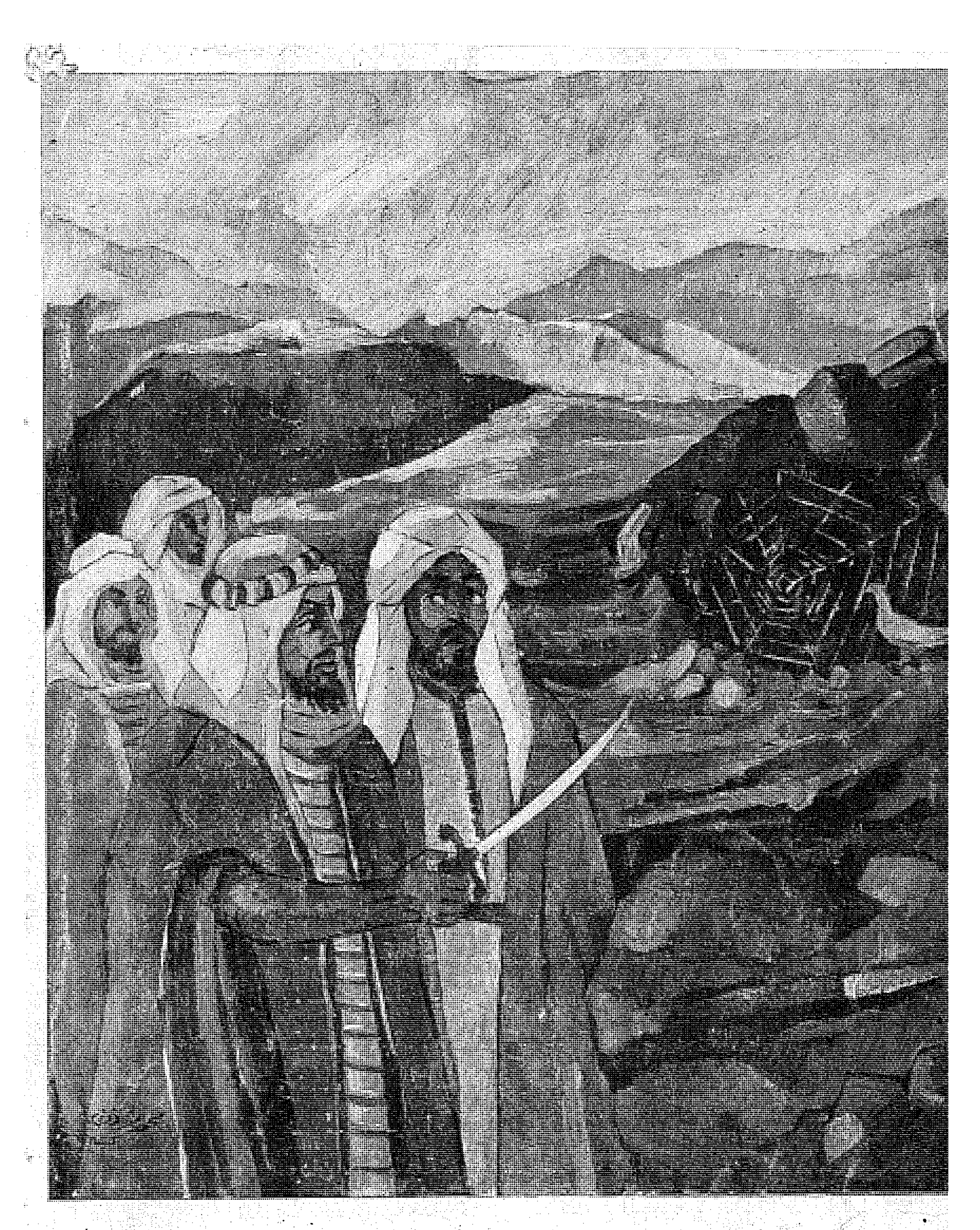
السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ صب (١٩٥٦) .

بورسودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مطبعة حكومة الكويت



لوحة زيتية بريشة
محمد مؤذن

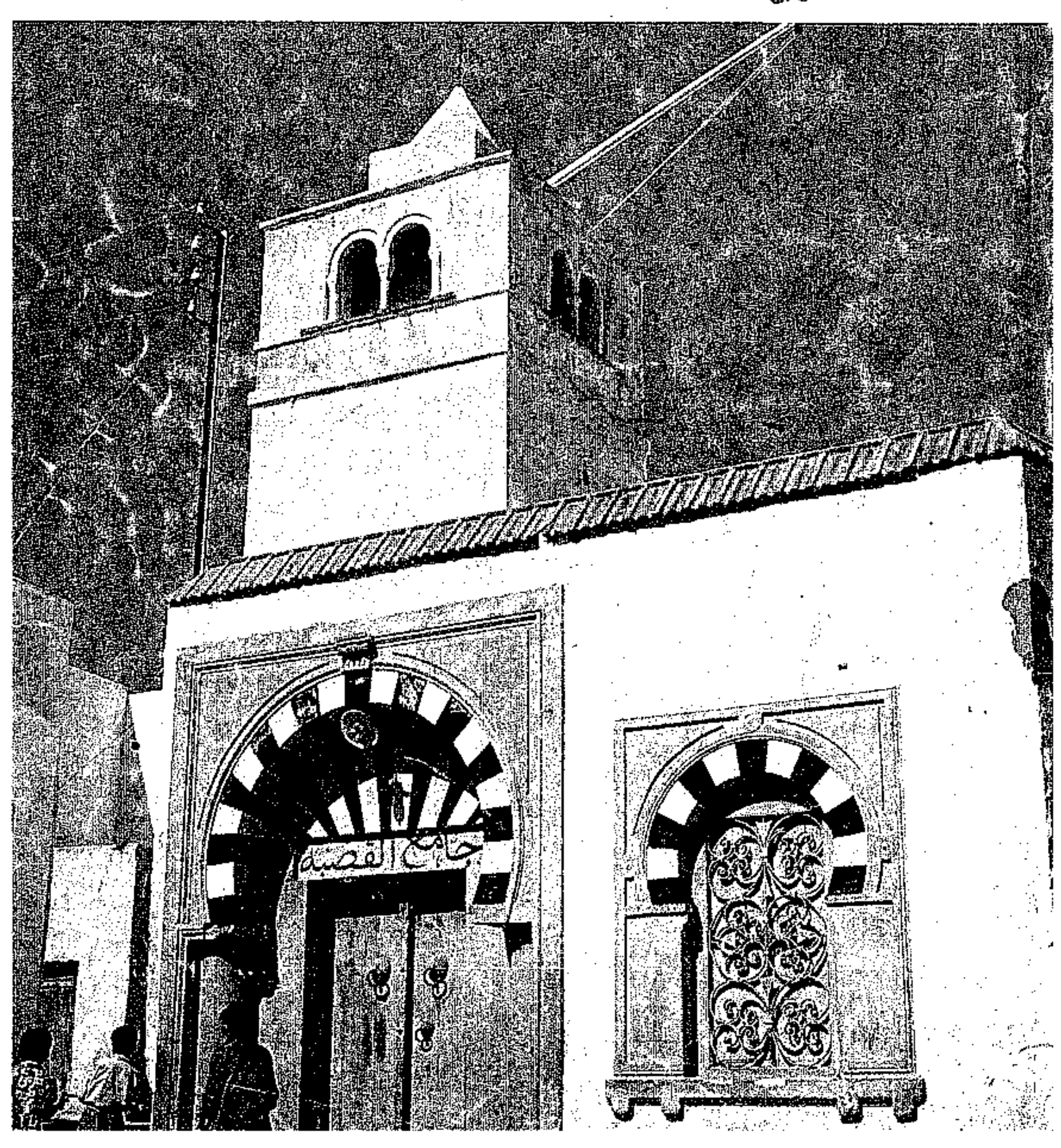
.. تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
.. ينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ
.. يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا

صدق الله العظيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع عشر ـ السنة الثانية ـ صفر ١٣٨٦ هـ ـ ٢١ مايو ١٩٦٦





وقفة خاشعة بين يدي الله

ضيف مصر سمو أمير الكويت يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر مع سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الأمة ونواب رئيس الجمهورية .

الوعي الاسلامي

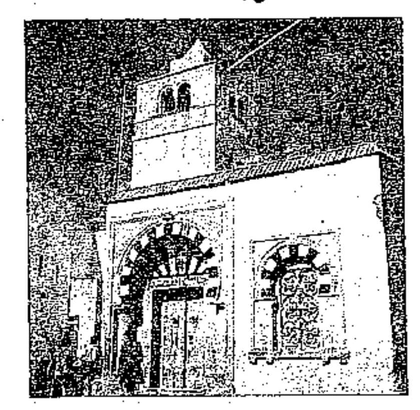
اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع عشر . السنة الثانية
غرة صفر سنة ١٣٨٦ هـ
٢١ مايو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



جامع القصبة فى أحد الاحياء الوطنية بمدينة الجزائر وتظهر فى الصورة مئذنته المربعة الشكل وهى من الطراز العربى .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨



ذكرى الهجرة النبوية

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بذكرى رأس السنة الهجرية في مسجد السوق الكبير ، وشهد الحفل عدد كبير من الوزراء ورجال السلك الاسلامي ، وجمهور غفير من المسلمين ونقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الاحتفال

وننشر فيما يلي الكلمة التي ألقاها سعادة عبد الله المشاري الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية في الحفل :

ايها الاخوة الأعزاء

احييكم أكرم تحية ، والتقى بكم في يوم يذكرنا بحادث الهجرة النبوية ، وما كان فيه من تضحيات جسام في سبيل العقيدة لقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة التي لبث فيها ثلاثة عشر عاما يدعو الى الله ، دون أن يستجيب له احد الا النفر القليل الذين خرجوا معه مهاجرين في سبيل الله ، الى المدينة المسالمة الحانية التي أرسى فيها رسول الله قواعد الاسلام واتخذها مركزا تنطلق منه الدعوة الى آفاق الأرض فكانت هجرتهم خيرا وسلاما للدنيا كلها .

وحين نحتفل بهذه الذكرى الكريمة نهيب بالمسلمين في كل مكان أن يشحذوا هممهم ، ويقووا عزائمهم ، ويعملوا جادين لكل ما يمكن قواعد الاسلام وأحكامه ، وما يجمع كلمة الأمة الاسلامية تحت راية التوحيد ، ليصبحوا يدا واحدة على كل من عاداهم أو حاول النيل من أوطانهم حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

وانا لنضرع الى الله تعالى بقلوب نقية طاهرة آمنت بالله ، وتوكلت عليه ، أن يقوى شوكة الاسلام والمسلمين ، وأن يحل التلاقي والتوافق بدل التقاطع والتدابر لنسود حاضرا ومستقبلا ، كما تصدرنا الوجود في الماضي ، ونقود البشر كافة الى بر الأمان بعيدا عن التحاقد والتحاسد ، ليتحقق فينا قول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

والله اسأل أن يحفظ بعنايته وتوفيقه أميرنا المعظم صاحب السمو الشيخ ((صباح السالم الصباح)) أمد الله في حياته وجعل عهده عهد بركة وسعادة .

وأن يعيد هذه الذكرى على الأمة الاسلامية والعربية وهي مستكملة كل مقوماتها ، عاملة بكتاب الله ، مقتدية برسوله عليه الصلاة والسلام . وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم



سرني ما قرأته فى بعض الصحف من ان المسئولين عن الأمن فى الكويت والقاهرة .. شددوا الحملة والرقابة على الشبان العابثين الذين يعاكسون البنات والسيدات ، فكان الحبس سبعة أيام لمن تثبت عليه مخالفة الآداب أول مرة ، ثم الحبس ستة أشهر اذا عاد للمعاكسة مع غرامة خمسين جنيها ، وفصله من الوظيفة أو من الدراسة .. وتقدم بعض الكتاب باقتراحات أن يقبض على هؤلاء المستهترين من الشبان . وتقام لهم معسكرات تدريب شاقة ، يتلقون فيها التدريبات العسكرية ، مع محاضرات فى التربية الاجتماعية..وقد عرض أيضا اقتراح بحلق رؤوس هؤلاء الشبان بالموسى .. واقتراح آخر بحلق حواجبهم .. وهي اقتراحات لو وجدت سبيلها للتنفيذ لكانت علاجـــا نستريح به ، وتستريح الفتيات والسيدات من عبث هؤلاء المائعين .

ولو أن هؤلاء الشبان فكروا فى أن لهم أخوات وأمهات وقريبات اذا تعرضن لمثل عبثهن غاروا وثاروا حرصا على العرض والكرامة .. الخ . أقول : لو ان هؤلاء الشبان فكروا فى أن للناس كرامة وغيرة مثلهم لكفوا عن عبثهم وايذائهم لغيرهم ، وحموا انفسهم من التعرض لعقاب الله والقانون ، ومن التشهير الذى ينزل بهم ، وأراحوا أجهزة الأمن من متابعتهم لتتفرغ لمهامها الأخرى ..

ولكن كثيرا من الشبان ــ مع الأسف ــ لا يفكرون فى هذا ، وينـدفعـون وراء طيشهم ، فيوزعون بذاءاتهم هنا وهناك .. وهؤلاء ليس لهم الا العقاب الرادع ..

ومع هذا فلا بد من أن ندير وجهنا للطرف الآخر الذى نريد أن نحميه من هذا العبث .. فنتساءل : هل اتخذت البنات والسيدات من الوسائل ما يحمين بها انفسهن ؟

قرأت فى بعض الصحف أن موظفا فى احدى الدول الغربية كان مقدما للمحاكمة ، بتهمة استراقه النظرات من تحت مكتبه ، الى ما فوق ركب الموظفات الجالسات أمامه ، وكاد يحكم عليه ، لولا أن خيوط المودة الجديدة جاءت تريحه وتريح أمثاله ، وتكشف عما كان يسترق النظر اليه !! وبذلك لم تر المحكمة أن تستمر فى محاكمته !!!

وانني الاحظ كما تلاحظون اسرافا من المرأة المسلمة عندنا فى الجرى وراء التقليد

((والمودات)) الواردة لنا من الغرب ، والتعلق بأشكالها ورسومها ، دون مبالاة بما يجره هذا التقليد من مخالفات لآدابنا وتقاليدنا ومن فقدان لشخصية المرأة المسلمة ، وبالتالي فقدان شخصيتنا كأمة شرقية مسلمة لها دينها وتقاليدها وكيانها ..

واذا كان التقليد الأعمى من طبيعة الشخص الضعيف ، أو الأمة المستعبدة ، فان الفرد حين يشعر بكيانه ، أو تحس الأمة شخصيتها ترفض أو يجب أن ترفض التقليد الأعمى ، وبخاصة اذا كان فيه ما يتنافى مع طابعها المميز لها على مر التاريخ ..

ولكننا مع ادعائنا المتكرر اننا أمة لها تقاليدها ، ومع حرصنا دائما على ابراز معالم استقلالنا وشخصيتنا ، لا نزال نغرق في التقليد الأعمى للغرب في بعض النواحي ، دون مبالاة بما يجنيه هذا التقليد على معالم هذه الشخصية !!

ومثل من واقعنا نشاهده مرات كل يوم : ((مودة)) الثياب القصيرة فوق الركبة . وكشف جزء كبير من الظهر والصدر .. أسرعت المرأة عندنا في الأخذ بهذه ((المودة)) دون اعتبار لما تثيره من نظرات واغراء ، ولا بما يترتب على ذلك من ميوعة الشباب وانحرافهم ، وتعرضهم لهن بكلمات وأفعال ، تعتبرها المرأة الحرة جرحا لكرامتها .. فاذا نحن اتجهنا لهم ننصحهم أو نردعهم صاحوا بنا في جرأة ومنطق : ماذا نعمل وهذه المناظر أمامنا ؟ ولماذا تلوموننا وحدنا ؟ أليس حالنا أمام المرأة وهي بهذا الشكل وأمام اللائمين لنا كما يقول الشاعر :

القـاه فـي اليـــم مكتوفـا وقال لـه
ايــاك ايـــاك أن تبتـــل بالمـــــاء

لماذا تظهر البنت أو المرأة هكذا في الشوارع والمجتمعات ؟ ولمن ؟ ثم لماذا تؤاخذوننا وحدنا اذا استفزتنا هذه المفاتن المغرية التي تعتبر اعتداء على عفافنا كذلك ؟ ألسنا نحن وهي شريكين ؟ ثم لماذا يقر مجتمعنا هذا الوضع المقلوب : المرأة التي يوجب الشرع كما توجب الطبيعة عليها أن تستر جسمها ، وتصون مفاتنها ، لا تستجيب لنـداء الشرع ، ولا لحكم الطبيعة ، بينما الرجل يغرق في ملابسه ، ويستر كل جسمه ؟ !!

هذا المنطق معقول ومقبول سواء قسناه بمقياس الشرع ، أم بمقياس الطبيعة ، أم بمقياس المجتمع الجاد ، أو الذي يريد أن يكون جادا .. لماذا يعاقب القانون حقيقة هؤلاء الشباب ، ولا يفكر في صاحبات العرض المغري لمفاتنهن ؟ أليس مثل هذا العرض دعوة عملية لاثارة الشباب ، والبادي أظلم ؟ ولماذا لا يحفظ شبابنا من هذه الاثارة ثم نحاسبه بعد ذلك ؟ الأجل التقليد للغرب ؟ أم لأجل أن يقال : تقدم ورقي ؟ !

ان لنا مقاييسنا وللغرب مقاييسه . ولقد فرط الغرب في هذه الناحية ، حتى أباح الشذوذ الجنسي بقانون ، ولا يمكن لمسلم عاقل أن يترك زمامه في يد الغرب وهـذه فضائحه ... فلم يبق لنا اذن الا أن نعيش بمقاييسنا ونحافظ عليها ، ونربي أولادنا على أساسها ..

وهراء هذا الذى تتشدق به بعض السيدات والمناصرين لهن لحاجة فى نفس يعقوب .. من أن مثل هذه الملابس من مظاهر التقدم والتمدن !! فما كان معيار التقدم والتمدن ثوباً تلبسه ، أو سلوكاً مائعاً تسلكه ..

انني أعرف أن التدين من طبيعة أمتنا . ولكن تجرفها أحيانا بعض المظاهر ، فتسير فى تيارها خشية أن يقال : انها متأخرة ... وهذا فى ذاته ضعف شخصية يجب أن نتغلب عليه ، فان الفرد أو الشعب الذى يحافظ على تقاليده السليمة ، وتعاليم دينه القويمة ، يحظى دائما بتقدير الغير واحترامه له . والمحافظة على هذه التقاليد والتعاليم لا تحول مطلقا بين الانسان وما يريده من تقدم ، وقد كانت المرأة المسلمة فى العصور الأولى فى الذروة من قومها ، وهي محافظة على تقاليدها .. ورأينا المـرأة المعاصرة فى الهند وفى سيلان تصل الى أسمى المراكز داخل بلادها وخارجها وهـي متمسكة بتقاليدها لم تتخل عنها .

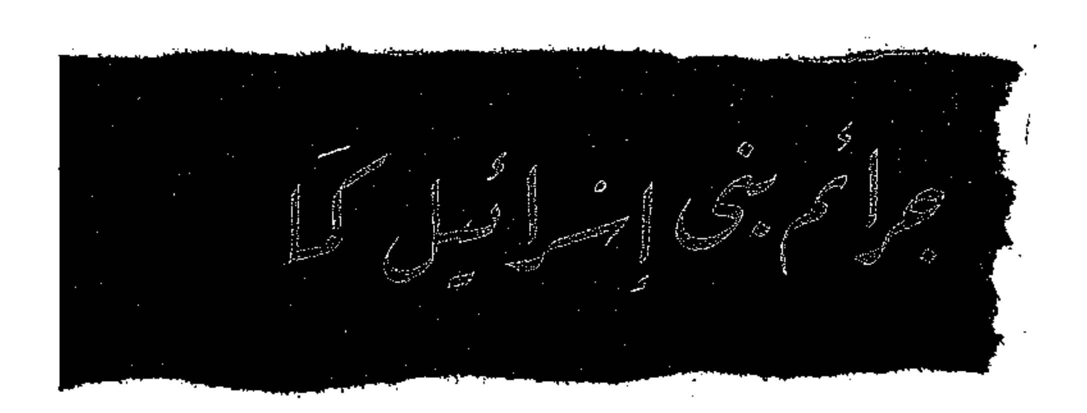
وأن الاسلام فيما خطه للمرأة ، ورسمه لها من ملابس ، قد كرمها وصانها من أن تكون موضع اثارة ، أو مبعث ميوعة ، أو نهبا للفضوليين ، وهدفا للمستهترين والمستغلين . وقد قال الله سبحانه لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ((يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)) وعلل هذا الأمر والتوجيه بقوله بعد ذلك مباشرة ((ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)) أى ذلك أقرب الى ان يعرف الرجال شخصيتهن ، وأنهن نساء مسلمات عفيفات متصونات فلا يطمع فى ايذائهن أحد .

واننا لا ندعو بذلك الى أن تخب المرأة أو تتعثر فى ملابسها ، أو تحجب عنها نور الطريق بما تلقيه على وجهها . بل نريد لها ما يريده الاسلام من الا تكون معرضا للفتنة والاثارة .. ولتلبس بعد ذلك ما يروقها .

وانا لا أتجه بكلامي هذا الى المرأة وحدها ، ولكني أتوجه به للأب والزوج والأخ والابن وللصف الاول من سيداتنا الرائدات . وأتوجه كذلك الى أصحـاب الكلمات المسموعة والمقروءة ، كي نعمل جميعا على أن تقوم المرأة بدورها الجاد فى المجتمع ، دون اثارة واستفزاز للشباب ، ومن تحدثه نفسه بعـــد ذلك بخدش حيائهن يلق الجـزاء الرادع .

والله الهادى والمعـين .

رئيس التحرير



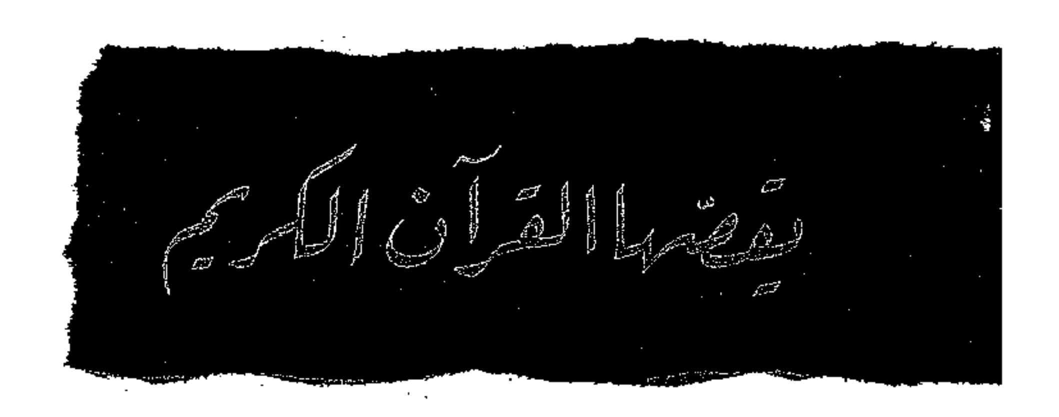
سبق أن بينا فى مقال سابق أن فى عالم الحياة الدنيا أمة واحدة شغلت هي ونبيها من القرآن الكريم حيزا كبيرا لم يحصل مثله لأمة غيرها . نرى القرآن قص علينا تاريخها من يوم تكوينها الى انقطاع وحي السماء الى خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وأن هذه الأمة هي أمة بني اسرائيل ، وأن نبيها هو كليم الله موسى عليه السلام ، وبينا فى المقال السابق تاريخ موسى من يوم أن ولد الى أن توفاه الله سبحانه فى التيه شاكيا الى ربه قسوة قلوب بني اسرائيل .

والآن نقص عليك أطوار هذه الأمة من يوم أن تكونت كأمة فى مصر ، وما دبروه لامتصاص أموال المصريين ، وما عاناه منها نبيها الذى أرسله الله لانقاذها ، وكيف تمردت عليه ، ورغم كل ذلك كان سبحانه يمد لها من الغنى ، ويمهلها حتى اذا ما استفحل شرها دمغها بالعقاب الخالد ، الذى ذاقت من ويلاته ما هو ماثل أمام من يرى ومن يسمع الى يومنا هذا ، كما ستعلم ذلك واضحا . هذا فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون .

نقول : يحدثنا القرآن أن سبب تكوين هذه الأمة فى مصر ، وتثبيت اقدامها فيها ، هو وفود يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، مجلوبا بضاعة على يد قافلة قادمة من الشام التقطته من البئر الذى ألقاه فيه اخوته من أبيه ، وباعته هذه القافلة لعزيز مصر بثمن بخس دراهم معدودة ، وأن هذا العزيز ، أى الوزير الكبير ، اشتراه عبدا مملوكا ، وأوصى به امرأته خيرا ، عسى أن ينفعه أو يتخذه ولدا .

ويقص عليك القرآن أيضا ما حصل

قال الله تعالى : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .



للشيخ عبد الجليل عيسى
عميد كلية اللغة العربية سابقا ـ جامعة الازهر

ليوسف ، بعد ما بلغ مبلغ الرجال ، من المحنة مع امرأة العزيز ، ودهشتها عندما فاجأها لما راودته عن نفسه بسرعة الاستعصام ، والالتجاء الى ربه ليحفظه من هذه الفتنة ، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز(ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) آية ٣٢ من سورة يوسف .

ويقص علينا القرآن حدثا غريبا فى التاريخ الا وهو سطوة امرأة الوزير على كل من حولها ، حتى تجرأت بدون مبالاة على الجهر بأن يوسف اذا لم يفعل ما ترى فلا بد من سجنه ؟ ومن البدهي أنه زاد امتناعا، ومن العجب أنه فعلا سجن !! يا للعار لهؤلاء الرجال .

سجنت يوسف ومكث فى السجن مدة قيل انها سبع سنين ، ولم ينقذه من السجن الا تفسير رؤيا ملك مصر الذى كان يجهل ما صك الأسماع ، وزكم الأنوف ، من فضائح جرت فى عاصمة ملكه .

عبرة فى أعطاف عبرة وان كانت من نوع آخر

ضع أيها القارىء الكريم المصحف أمامك ، وافتحه على سورة يوسف ، ثم اقرأ متمهلا من أول آية ٢٣ الى آخر آية ٥١ ، ثم فكر مليا ماذا يريد القرآن أن يلفت نظرك اليه من هذا القصص الذى ما جاء الا للعبرة كما فى آية ١١١ من هذه السورة (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) .

أقول : تأمل ثم قل بخشوع المؤمنين الحمد لله الذى هدانا لدين الاسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

دولة كبيرة كمصر فى ذلك الحين غاضت فيها مياه الغيرة على الأعراض ، وتبجح نساء عظمائها الى هذا الحد الفاجر (١) ، وكانت لهن الكلمة العليا فى تصريف الشؤون ، فيسجن من شئن ويلعبن بمصير الرجال ، والرجال لاهون ، الوزير الكبير لا يخجل ، والملك آخر من يعلم (٢) .

وبعد ، فهل رأيت هذا الفحش الفاحش ، والاستهتار السافر يقبله عربي أو مسلم شرفه الله بالاسلام ؟ قل معي شكرا لك يا رب على أنك رضيت لنا الاسلام دينا .

نقول : لما خرج يوسف من السجن ، وذهب لمقابلة الملك استجابة لطلبه ، وما أن رآه الملك وحدثه حتى أعجبه علمه وخلقه ، فعرض عليه أن يختار عملا يكله اليه ليساعده فى ادارة شؤون مصر ، فطلب يوسف أن يكون وزيرا للمالية . وفى الحق ان يوسف عليه السلام ذكر للملك صفتين منّ الله بهما عليه ، هما كل ما يجب أن تتوفرا فى وزير المالية ، الأولى الأمانة وحفظ الأموال من الضياع فى غير الوجوه الصالحة ، والثانية العلم بطرق استثمار الأموال وتنميتها ، فقال (اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم) آية ٥٥ .

ومن الطبيعي أن مالية مصر بعد أن صارت تدار بمهارة يوسف عليه السلام نمت وترعرعت ، وتوفر لمصر من ثمرات الارض ما لم يتوفر لغيرها مما حولها . ثم يحدثنا القرآن بعد ذلك عن الجدب الذى أصاب بلاد الشام التي فيها يعقوب وبنوه ، وعن ايفاده أبنائه لمصر يجلبون لهم القوت ، وأن يوسف عرفهم وهم لم يعرفوه . ويحدثنا القرآن عن اكرام يوسف لاخوته ، وايفائهم الكيل ليسهل عليه الوصول لما يريد ، ولهذا أمر فتيانه أن يدسوا البضاعة التي جاءوا بها من الشام ليشتروا بها القوت ، يضعونها فى وسط أمتعة اخوته وهم لا يشعرون ، ثم قال : اذا جئتم المرة الثانية فيجب أن يكون معكم اخوكم من أبيكم ، فان لم تأتوا به فلا كيل لكم عندى ، ولا تقربوا بلادنا .

ولما رجعوا أخبروا أباهم بأنهم لا يستطيعون جلب قوت من مصر ثانيا الا اذا كان معهم أخوهم بنيامين ، فرفض أولا ، ولما فتحوا متاعهم ، ووجدوا بضاعتهم ردت اليهم ، ألحوا على أبيهم بأنه لا خوف على أخينا عند هذا الرجل الكريم الذى أعطانا ما نريد بلا مقابل ، ولا زالوا به حتى قبل ، وأرسل بنيامين معهم ، ولما دخلوا على يوسف ، أسر الى أخيه الحقيقة ، ودبر حيلة تمنعه من الرجوع معهم ، وفعلا رجعوا دونه ، فحزن يعقوب عليه السلام حزنا شديدا حتى كاد يفقد بصره ، ثم الجأتهم الظروف الى الرجوع لمصر ثانيا طالبين بضاعة ، عند ذلك صارحهم يوسف بالحقيقة ، وقال لهم اذهبوا وأتوني بالأسرة جميعها ، وفعلا جاءت أسرة يعقوب (الذى يسمي اسرائيل) الى مصر (أبو يوسف) وأمه واخوته العشرة الباقون ، وبضم هؤلاء ليوسف وأخيه يكون مجموع أولاد اسرائيل اثنى عشر ولدا ، أقامت الأسرة بمصر معززة مكرمة، تقرأ بعض مظاهر ذلك فيما جاء فى التوارة

---

(١) انظر الآيات من ٢٨ الى ٣٢ . (٢) آية ٥٠ .

التي بين أيدينا الآن فى آية ١١ من الاصحاح ٤٧ حيث تقول « فاسكن يوسف أباه واخوته واعطاهم مكانا فى مصر فى أفضل الأرض من أرض رعمسيس » .

لعلك الآن أدركت الخلية الأولى لهذه الشرذمة التي مد الله سبحانه لها كما مد لابليس ، لحكمة سامية لا يدركها الا العالمون ، وسيمر بك بعضها ان شاء الله .

مكث بنو اسرائيل بمصر يتوالدون ويتناسلون مدة طويلة ، قدرها بعض الباحثين بنحو أربعة قرون ، حتى تولى أمر مصر ملك لا يعرف ليوسف فضلا ، ورأى بنى اسرائيل يكثرون ولهم مهارة فى امتصاص أموال المصريين ، فخاف على قومه أن يغلبهم هؤلاء الدخلاء على بلادهم (١) ، فطفق فرعون يخضد من شوكتهم ، يقتل أبناءهم ، ويستبقي نساءهم للخدمةالىآخر ما قصه القرآن.

فى هذا الجو المشحون بالكراهية لبني اسرائيل ، ولد موسى عليه السلام ، وكان من شأنه ما قصصناه عليك فى المقال السابق .

ولننظر الآن ماذا كان من بني اسرائيل بعد أن أنقذهم الله من بطش فرعون وجنوده ، هل شكروا الله على هذه النعمة العظمى ؟ وهل وقروا نبيهم الذى أنقذهم الله سبحانه على يديه ؟

كلا . لا نعمة الله شكروا ، ولا قدروا فضل موسى عليهم ، فعقب خروجهم من البحر ولا زالت آثار مياهه عالقة بأرجلهم كما يقولون ، رأوا قوما يعبدون أصناما لهم ، (قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) آية ١٣٨ من سورة الأعراف . فلو لم يكن لهذا الشعب الجحود سوى هذه الجريمة النكراء لكانت وحدها كافية لكشف خبث طواياهم ، وانهم ليسوا أهلا لسوابغ نعم الله عليهم ، ولكانت كافية أيضا فى تدميرهم السريع ، ولكن كيد المنتقم الجبار يملي للظالم حتى اذا غرق فى جرمه الى الأذقان ، وأحاطت به خطيئته ، أخذه الله أخذ العزيز القادر بما يسجل عليه الخزى الخالد ، والشقاء الأبدى ، كما سيأتيك نبأه قريبا ان شاء الله .

هذه أولى جرائمهم ، وستتلوها رفيقاتها تترى .

واليك الجريمة الثانية ، وهي أكبر من أختها : وعد الله سبحانه موسى أن يعطيه ألواح التوارة بعد انقطاعه للعبادة أربعين ليلة ، بعيدا عن قومه ، استعدادا لمناجاة ربه ، فاستخلف موسى على قومه فى هذه الفترة أخاه هارون يرعى مصالحهم ، ويحرسهم من أن تلعب بعقولهم الشياطين . فماذا كان من

البقية على ص ٢٢

---

(١) اقرأ الاشارة الى ذلك فى قوله تعالى (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (٥٣) ان هؤلاء لشرذمة قليلون (٥٤) وانهم لنا لغائظون (٥٥) وانا لجميع حاذرون (٥٦) من سورة الشعراء .
واقرأ قول فرعون فى شأن موسى (ان هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره (٥٣) من سورة الشعراء . فهذه الآية الثانية تبين ـنى الغيظ الذى يقصده فى الآية ٥٥ من أن تكون أرض مصر خاصة ببني اسرائيل يتصرفون فيها كما يشتهون .



الإسلام يحارب الدجل والخرافات ويرسم نظام الحجر الصحي والطب الوقائي

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجذوم ، كما تفر من الاسد)) (رواه البخارى)

تمهيد

الايمان بالله تعالى يستلزم الثقة بحكمته فى افعاله وقدرته التى لا تحد ، مع امتثال أوامره ، والتوكل المطلق عليه وحده ، والسير على نهج رسله عليهم السلام ، مصاحبا الاخذ فى الاسباب ، والاهتداء بسنته فى خلقه ، واعداد القوة المادية والمعنوية ، ثم اللجوء اليه طلبا للنجاة ، او املا فى خير ما عنده ، فهو سبحانه مولانا وناصرنا وموفقنا ، فنعم المولى ونعم النصير ، فلا نحزن عند شدة ، ولا نبطر عند نعمة ، ونجزم انه وحده هو الذى يكشف الغمة اذا حلت ، ويدرأ البلاء اذا نزل ، علمنا فى محكم كتابه ما يربطنا به عبادا مؤمنين مقتفين أثر رسوله الكريم ، نتلو ليلنا ونهارنا ((قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) فلا يحل بنا اليأس لدى البأس أبدا ، ولا ننكص على أعقابنا فرارا من قضائه وقدره ((وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فهو على كل شيء قدير))

وعلى ضوء هذه التعاليم وفى رحابها الطاهرة وفى سناها الربانى العلوى نحاول جهد طاقة البشر فهم ما ورد فى الحديث الشريف (لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الاسد) .

١ ــ لا عدوى(١) : أى لا سراية للمرض مـن

(١) عدوى ــ بفتح العين المهملة وسكون الدال وآخرها ألف مقصورة .

المبتلى به الى غيره من الاصحاء وقد كانت العرب تعتقد ان لبعض الامراض قدرة على أن تتعـدى المريض بطبعها لخاصية موجودة فيها ، اى انهـا مؤثرة بذاتها ، فوجههم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الى ان الفاعل المختار لكل شيء هـو الله ، فما شاء كان وما لم يشا لم يكن ، فليس لمرض ان يعدى الآخرين الا بارادة الله ومشيئته فالامر مفوض اليه « وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد » كما أن كشف الضر عن العليل بارادة الله « وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر .. » ومن دعـاء ابراهيم عليـه السلام « واذا مرضت فهو يشفين » ومن كلم رسول الله يدعو لمريض (اذهب الباس رب الناس ، اللهم لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) .

٢ ـ والطيرة(١) : من التطير وهو التشاؤم من الفال السيء(٢) ومنشأ الطيرة ان العرب كانت تزجر الطير فى المهمات من أمورها ، فاذا أرادت قبيلة شن غارة على أخرى ، او رغبت فى انتجاع مواطن الكلا وقصد عيون الماء ، او الخروج مـن مضاربها فى مهم أيا كان نوعه زجرت الطير واهاجته فان طار على اليمين تفاءلوا خيرا ، ومضوا لطيتهم ، وان يمم اليسار تشاءموا ، وعدلوا عما قصدوا ، وقد فطن بعض عقلائهم قبل الاسلام الى تفاهة هـذا العمل وتهافته وسـقوطه فانكـروا التطير وتمدحوا بتركه ، وفى ذلك يقول قائلهم :

ومـا عاجـلات الطـير تـدني الفتـى
نجاحـا ولا عـن ريثهـن قصـور

وقال آخر هازئا بضاربات الحصى وزاجرات الطير :

لعمـرك ما تـدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجـرات الطير مـا اللـه صـانع

وجاء الاسلام داعيا الى بحث الامور وتقليبها على وجوهها والاعتماد على الله والمضى الى العمل بعد الروية والتدبر « فاذا عزمت فتوكل على الله » ونفى نفيا قاطعا ما اعتادوه من الرجم بالغيب والتطير وما يمت الى ذلـك بصلة مـن الكهانة والعرافة وضرب الحصى وخط الرمل ، وفى حديث مرفوع عن انس (لا طيرة والطيرة على من تطير)(٣) وعن عبد الرحمن بن صخر مرفوعا (اذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا)(٤) وعن ابى الدرداء (لن ينال الدرجات العلى من تكهن او استقسم او رجع من سفر تطيرا)(٥) وعن ابن عمر موقوفا (من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك)(٦)

٣ ـ ولا هامة(٧) : ومن مدلولاتها ذوات السموم، ودواب الارض التي تهم بايذاء الناس ، ومن المروى عن العرب قبل الاسلام انهم كانوا يعتقدون انه اذا قتل الرجل ولم يبادر اولياؤه بالثار له خرجت من رأسه هامة ، ويزعمون انها دودة تدور حول قبره ظمـأى الى دم القاتل ، تصيح اسـقوني ، اسقوني ، وتستمر فى دورانها لا تنقطع ولا تنفك عن صياحها حتى يدرك الثار فتشرب من دمه وتسكن ثم يتلاشى صوتها وتختفى الى الابد قال شاعرهم متوعدا :

يا عمـرو ان لا تدع شـتمى ومنقصتى
اضربك حتى تقـول الهامـة اسقونى

وعدل بعض الباحثين عن هذا التخريج الى ان الهامة طائر من طيور الليل كأنه يعنى (البومة) قال ابن الاعرابى كانوا يتشاءمون بها اذا وقفت على دار أحدهم يتوهمها ناعية اليه نفسه ، أو ماله ، او واحدا من اعزائه .

والحديث الشريف ينفى وجـود الهـامة او التشاؤم بها فى أى صورة تخيلت فهي أما من نسج الخيال اطلاقا كالمتوهمة فى شأن القتيل ، وامـا انها موجودة فعلا (كالبومة) ولكن لا شؤم فيها .

---

(١) طيرة مصدر تطير ، ويناظره خيرة ، مصدر تخير

(٢) فى القرآن الكريم (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) وفى الحديث الشريف (انه كان يحب الفال ويكره الطيرة) .

(٣) رواه ابن حبان

(٤) اخراجه ابن عدى

(٥) أخرجه الطبراني

(٦) اخرجه البيهقي

(٧) الهامة بتشديد الميم وتخفف ، وفى المختار . الهامة واحدة الهوام ، ولا يقع الاسم الا على المخوف من الاحناش .

٤ ـ ولا صفر(١) : مما يراد بهذا اللفظ (صفر) عند العرب الشهر المعروف من السنة الهجرية ، وحية تسكن جوف الانسان تنهش امعاءه اذا جاع فيسعى للحصول على الطعام . فعلى الثاني : ينفي الحديث وجودها مثبتا انها خرافة ، وان عض الجوع احساس خاص يشعر به الانسان لدى فراغ معدته من مأكل ومشرب ، وعلى الاول يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نفي النسيء ، وهو تأخير او تقديم بعض الاشهر الحرم عن مواضعها التى حددتها شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وقد جاء بالقرآن الكريم ما يؤكد ذلك قال تعالى « انما النسيء زيادة الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .. » (٢) .

وقد ورث العرب من شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام تحريم القتال فى اربعة اشهر من السنة تأمينا لطريق الحج حتى تأتى قوافله من كل فج عميق وهى آمنة مطمئنة تحقيقا لدعوة أبي الانبياء « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »(٣) ولما مضى بالعرب الزمان وطال عليهم الامد غيروا وبدلوا فى المناسك وفى تحريم الاشهر ولا سيما المحرم ، لان ترك القتال وايقاف الغارات ثلاثة اشهر متوالية مما يجافى طبيعة العرب وحبهم للنزال والكر والفر ، وكانت الاشهر الحرم مانعة لهم من قضاء مآربهم من أعدائهم ، فأحدثوا قبل الاسلام بمدة تحليل القتال فى محرم ، وأخروه الى صفر ، فكانوا يشنون الغارات والحروب فى المحرم ، ويتركونها فى صفر ، وقد تحدث عن منشأ النسيء محمد بن اسحاق فى السيرة(٤) فقال (كان اول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل « القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدى من ولد كنانة ، ثم قام على ذلك من بعده ابنه عباد الى ان وصلت الى ابي ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام ، فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فقام فيهم خطيبا فحرم : رجبا وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاما ويجعل مكانه صفر عاما ليواطيء عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله ويحرم ما احل الله) .

وذكر صاحب الروض الأنف (ان جنادة بن عوف من النسأة ، قال وعليه قام الاسلام وقد وجدت خبرا يدل على اسلامه ، فقد حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحجر فنادى أيها الناس انى اجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة ، وقال ويحك ان الله قد ابطل امر الجاهلية)(٥)

وهذا الحديث مؤيدا بآية التوبة يفيد ان العرب غيروا ما شرعه لهم ابراهيم عليه السلام اتباعا للهوى وعدولا عن أوامر الله تعالى ، فنسأوا فى الاشهر الحرم كما مر بك آنفا ، وقد سمى القرآن هذا العمل زيادة فى الكفر « انما النسيء زيادة فى الكفر » لان حق التشريع فى هذا لله وحده العليم بما يفيد الناس وما يضرهم ، فترك أوامره الى غيرها شرك فى ربوبيته سبحانه ، والعجيب من أمر القائمين بهذا النسيء ان يزعموا متابعة ابراهيم عليه السلام وعدم الخروج على ما شرعه لهم مما وصاه الله به حيث جعلوا الاشهر الحرم أربعة كما هى فى العدد ولم ينظروا الى أنهم بدلوا المحرم بصفر تارة والعكس تارة اخرى ، فهم لم يدركوا حكمة التخصيص بالاشهر المعينة ولهذا يقول القرآن الكريم « زين لهم سوء أعمالهم .. » ، ودائما نرى الخارجين على حدود الله فى كل عصر ومصر جرآء على الله يخيل اليهم أنهم يأتون بالانسب والافضل وحاشا ان يكون وصدق الله العظيم « ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (٦) .

---

(١) صفر الشهر بعد المحرم ، قال ابن دريد الصفران شهران من السنة سمى احدهما فى الاسلام المحرم ، والصفر بفتح الصاد المشددة والفاء المسهلة فيما تزعم العرب . حية فى البطن تعض الانسان اذا جاع واللذع الذى يجده من الجوع هو أثر عضها . وفى الحديث (لا صفر ولا هامة) ا.هـ. لسان العرب .

(٢) التوبة ٣٧

(٣) ابراهيم (الآية ٣٧) .

(٤) ص ٤٢ من سيرة ابن هشام على هامش الروض الانف طبع مصر ١٩١٤

(٥) نفس المصدر والصفحة

(٦) الانعام الآية (٤٣) .

٥ ـ نفى هذا الحديث الشريف وجود أربعة اشياء وابان انه لا اصل لها ، وفى احاديث اخرى نفى أيضا وجود الغول والنوء (١) .

اما الغيلان فقد زعمت العرب انها من الشياطين وتسكن الفلوات تتراءى للبشر وتتلون لهم لتضلهم عن جادتهم ، فيهلكوا فى التيه ، وهى مستحيلة الوجود .

واما النوء فقد ورد فى كتب اللغة ان النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوما ، وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها، وقيل الى الطالع منها لانه فى سلطانه .

٦ ـ وفر من المجذوم كما تفر من الاسد امر بالهروب السريع ، والابتعاد عن مداناة المصاب به، وهو داء يصيب الاطراف غالبا فتحمر منه ثم تتقطع وتتناثر ، يعدى من يقترب منه ، وفى سنن ابى داود مرفوعا (ان من العرق التلف) قال ابن قتيبة (العرق مداناة الوباء والمرض)(٢) .

وجمعا بين اول الحديث وآخره وتقريبا لذلك الى الافهام ، نجد الذين عالجوا هذا الموضوع من العلماء الاعلام اجابوا بأجوبة كثيرة منها :

١ ـ نفي الحديث العدوى مطلقا ، وانما أمر بالفرار من المجذوم (أى الابتعاد عنه) لمعنى يتعلق بالمريض نفسه ، وهو ابعاد الاصحاء عنه لئلا يتأثر بما هو فيه فيضعف ايمانه فيضل .

٢ ـ حمل لا عدوى على قوى الايمان صحيح التوكل بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه التطير الذى يحل النفوس البعيدة عن ربها ، وأمر الفرار لمن اتصف بعكس ذلك .

٣ ـ اثبات العدوى من الجذام ، وأضرابه من الامراض المعدية وقصر الامر بالفرار عليها خاصة .

٤ ـ أن المقصود بنفي العدوى بيان أن المرض لا يعدى بطبعه خلافا لما كان يعتقده العرب من أن الامراض تعدى بطبعها ولا يضيفون ذلك الى ارادة الله ومشيئته ، فأبطل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاعتقاد بقوله وفعله ، فقد أكل مع مجذوم وقال (ثقة بالله وتوكلا عليه) ليبين أن الله تعالى هو الذى يمرض وهو الذى يعافي ، ونهاهم عن الدنو منه ليعلموا أن هذا من الاسباب التى أجرى الله العادة بأنها تفضي الى مسبباتها ، ففي نهيه اثبات الاسباب وفى فعله اشارة الى أنها لا تستقل بل الله هو الذى ان شاء سلبها قوة التأثير فلا تؤثر شيئا وان شاء ابقاها فأثرت والله أعلم .

... ونتابع السير فى رحاب السنة الشريفة وهي تتحدث عن الاوبئة التى تعرض للبشر وكيف يجابهونها فنجد حديث الطاعون الذى عده الاطباء المعاصرون اعجازا فى الحجر الصحي والطبالوقائي وسأورده بتفاصيله وأترك نواحيه الطبية لذوى الاختصاص من نطس الحكماء وأطرقه من نواح أخرى تتعلق بموقف أمير المؤمنين عمر حيال ما عرض له فى رحلته الى الشام .

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل اسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطاعون ؟ فقال اسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به فى أرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه (٣) .

فقد نهى عن ولوج الاماكن الموبوءة بالطاعون بعدا عن أسباب قد تؤدى الى الهلاك ، ونهى فى الوقت نفسه عن الخروج من الارض المنتشر بها الطاعون فعلا ليظهر التوكل عليه وتفويض الامر اليه وحصرا للمرض فى مكانه .

والخلاصة

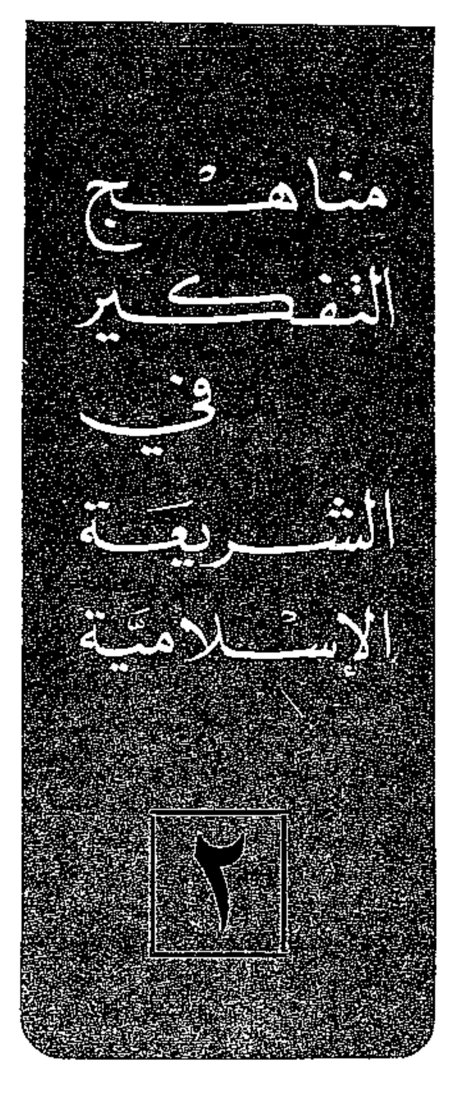
أن الاخذ فى الاسباب لا ينافى التوكل مطلقا ، فنواصينا بيد من خلقنا ، فنحن اذا اقتربنا من الخطر وأصبنا فبقضاء الله وقدره ، وان ابتعدنا ونجونا فبتدبير الله وتوفيقه ، وكل من عند الله سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويؤيد

البقية على ص ٣١

---

(١) النوء بتشديد النون وسكون الواو ، وجمعه أنواء ونوءان كعبد وعبدان .

(٢) ص ٤ من الطب النبوى لابن قيم الجوزية . (٣) رواه الشيخان .





لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

للعقل وظيفة ، وللشرع وظيفة ، وللاجتماع وظيفة .

ومعنى هذا ان لكل من هذه الثلاثة مجالا واختصاصا يعمل فى نطاقه ، وتدور احكامه على أساسه وليس معنى ذلك انها قد تتصادم وتتصارع او يهدم بعضها بعضا ، فان التنسيق بينها والتآخى والتعاون على الوصول الى ما هو الحق والخير والجمال ، قائم مع اختلاف المجالات .

فاذا نظرنا الى العقل وجدنا له احكاما لا مناص من التسليم بها ، ولكنها ليست دائما مما يهتم به الشرع ، أو يحفل بـه الاجتماع .

فمن ذلك ان العقل يحكم بأن الجـزء اصـفر مـن الكل ، وبأن الواحد نصف الاثنين ، وبأن الجسم لا بد ان يحتل قدرا من الفراغ .

والشرع لا يرد بالحكم فى مثل ذلك ، لان وظيفته الاساسية هى الحكم علـى

(١) نشر المقال الاول فى عدد ١١ من هذه المجلة

في النظر الى العقائد والعبادات والمعام

أفعال الناس ، واعطاؤها صفة الحل او الحرمة او الندب او الكراهة او الاباحة ، فلا يهمه في كثير ولا قليل أن يحقق نصفية الواحد للاثنين ، ولا صغر الجزء بالنسبة للكل مثلا .

وكذلك الاجتماع ، فانما هو ارتباط الناس بعضهم ببعض في صور التعامل وما يتصل بهذا الارتباط من قواعد وآداب وسلوك ، من شأنها أن توطده ، وتثبت أركانه ، وتنفي عن الناس ما يصيبهم من حرج اذا انفرد كل منهم بنفسه ، اذ الانسان كما يقولون : مدني بطبعه .

وانما قلنا ان احكام العقل ليست « دائما » مما يهتم به الشرع ، فاحترزنا بقيد الدوام لان الشرع قد يهتم بحكم العقل احيانا ، بل يبنى عليه أصل الايمان بمصدره ، ويحكمه في فهم نصوصه والترجيح بين دلالاتها المظنونة فيما هو ظني ، فان الدليل على وجود الله الذي هو مصدر جميع الشرائع انما هو ثابت بحكم العقل ، وقد جاءت الشرائع مصدقة له ، على سبيل المؤازرة والبيان ، لا على سبيل الابتداء والانشاء ، ولذلك يقول العلماء : ان الشرع بالنسبة للايمان بالله خالق مبدع متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، انما هو مؤكد لا مقرر ، واننا لنرى علماء الاصول يؤسسون قواعدهم الشرعية على أساس المنطق العقلي ، ويرسمون خططهم ، ويضعون مناهجهم على ضوء احكام العقل ، وفي القياس ، والتعديل والترجيح امثلة كثيرة على ذلك .

واذا نظرنا الى الشرع وجدناه ينشىء اشياء لا دخل للعقل فيها ، فهو مثلا يركب عبادة الصلاة من اقوال وافعال معينة ، لو كان قد اختار غيرها ، لما رآه العقل مخالفا له ، او مصادما لحكمه ، وذلك لان العقل معزول عن ذلك ، وهو يعلم انه قاصر عنه ، لانه هاد ومرشد ، لا مشرع وموجب .

فمعرفة العقل لاختصاصه تحول بينه وبين التدخل في احكام الشرع التي لا مجال له فيها .

وقد احتطنا هنا ايضا فقلنا « التى لا مجال له فيها » لاننا وجدنا الشرع نفسه يأذن للعقل فيما له فيه مجال ، كتقدير المصالح ، وادراك تغير الاحكام بتغير الاعراف أو الازمان ، الى غير ذلك .

واذن فالعقل والشرع متعاونان،بينهما اتفاق منسق ، وان كان لكل منهما مجاله ، ودائرة اختصاصه .

واذا نظرنا الى الاجتماع ، وجدناه مجالا لارتفاق الناس ، وتبادل المصالح والمنافع بينهم ، وهو فى الاصل حر ، لا يتقيد الا بما يحقق هذه المصالح والمنافع، ولا يهمه الا أن تحصل فى نطاق التبادل العام ، فالتعامل بالبيع فى نظر الاجتماع هو نوع من التبادل ، والزواج نوع من التبادل يقدم فيه كل من الزوجين منافع مقابلة لما يأخذه منه ، حتى الهبات التى لا مقابل لها فى الظاهر ، انما هى تبادل مصلحى ، لانه انما وهب بعض ماله ، او بعض اشيائه ، ليصل الى اكتساب محبة الموهوب له ، والوظائف تبادل : فالموظف يأخذ من المجتمع ويعطيه ، والمجتمع بالتالى يعطى الموظف ويأخذ منه .. وهكذا .

واساس ذلك كله هو التراضى والتفاهم ، وما دام هناك تراض وتفاهم واصطلاح ، فالاصل ان الاجتماع على ما ارتضى عليه افراده وتصالحوا .

وكل ما يتدخل به العقل او الشرع فى نظم هذا المجتمع او ذاك ، او فى وجوه التعامل فيه ، انما هو النظر فى مقاييسه ومثله ، ليعلم هل هى مطبقة محترمة او مهملة منكرة ، فاذا رأى العقل مثلا أن مجتمعا من المجتمعات ينكر الحقائق الثابتة بالبراهين العقلية ، ويتشبث بالخرافات والاوهام ، كان له ان ينظر الى هذا المجتمع بعين غير عين الرضا ، وكان عليه ان يجاهد الامور فى هذا المجتمع حتى يقيمه على الصواب،وكذلك الشرع فانه لا يدخل المجتمعات ليقول لاهلها مثلا : تعاملوا بالكيلوا او بالرطل او بالوزن او بالكيل ، ولكن يقول لهم « واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » فهو يهتم بتحقيق مثله وما جاء به من فضيلة وعدل ، لا بالتفاصيل التى يدخل اعتبارها فى اختصاص المجتمع .

وليس تدخل العقل ولا تدخل الشرع فى مجتمع من المجتمعات لتحقيق المقاييس العقلية او المثل الشرعية ، بخروج منهما على اختصاصهما ، ولا بافتيات منهما على اختصاص المجتمع ، فان وظيفة العقل والشرع تدخل فى المجتمعات ، كما تدخل على الافراد ، وان المجتمعات الطبيعية السليمة هى التى تتقيد بالعقل والشرع ، لا التى تصادمهما وتخرج عليهما وتتنكر لمنطقهما ، فموقف العقل والشرع منها انما هو موقف الناقد المهذب، الذى يحول بينها وبين الاندفاع وراء الاغراض الفاسدة ، والشهوات الباطلة ، باسم المصالح والمنافع المتبادلة .

على هذا الاساس الفاصل بين ما للعقل ، وما للمجتمع ، وما للشرع ، تقوم مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية تبعا لاختلاف اسلوب المشرع فى ميادين التكليف :

ميدان العقائد

١ ــ ففى ميدان العقائد التى يفرض علينا الدين ان نؤمن بها ، نجد ان هذه

العقائد ما هي الا اخبار عن حقائق ثابتة في نفسها ، لها وجود واقعي ، تحرص الشريعة على ان نعرفه ونؤمن به ، وهي تفترق في هذا عن الاحكام التي هي من قبيل الانشاء ، والتي تشرع للناس بعد ان لم تكن ، وتتغير احيانا بتغير الزمان والمكان ، وتقبل النسخ في عهد الرسالة ، ولذلك يتفق علماء الاسلام على ان العقائد من باب الاخبار ، والاخبار لا تقبل النسخ ، لان النسخ هو الازالة والتغيير ، والواقع يخبر عنه او يوصف ، ولا يمكن ان يرفع ، فالالوهية وصفاتها حقائق ثابتة ، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة ، والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة ، والجنة والنار والنعيم والعذاب ، كل ذلك حقائق ثابتة ليس للدين فيها دور يقوم به الا دور الكشف عنها ، والاستدلال عليها والاقناع بها ، فلا هو بالذى انشأها ، ولا هو بالذى يبدلها او يزيلها وينسخها .

ومن هنا قالوا : ان العقائد لا تقبل النسخ ، ولا تتغير بتغير الزمان او المكان ، ولا يسوغ ان تكون محل اجتهاد .

والعقل يسلم بذلك للشرع ويقف عند حده لانه متى آمن بما يدل عليه الدليل العقلي من وجود الاله الصانع المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، ومن صدق الرسل المؤيدين بالمعجزات التي هي بمثابة تصديق قولي وعملي من الله ، يتلقى عن الله وعن رسله ما يخبران به من كل ما هو في دائرة الامكان العقلي ، ويقول — مثلا : ان الله ورسوله قد اخبر بأن هناك عالما اخر سيكون بعد فناء هذا العالم الحاضر ، وان له نواميس وقوانين اخرى ، وانه سيقوم فيه حساب وجزاء ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، ونعيم وعذاب ، وانا مؤمن بالله وبصدق رسوله فيما يبلغ عنه ، والامر في دائرة الامكان ، لان الذى خلق العالم الاول بما فيه من سنن ونواميس قادر على ان يخلق العالم الآخر بما له من سنن ونواميس .

وبذلك يكون تدخل العقل المنصف هو تدخل المؤيد والمصدق ، لا تدخل المعاند ولا المنكر ، ثم يكون هذا التدخل في دائرة المقدمات التي يرتب عليها منطقه دون تزيد ، ولا محاولة للتجاوز عن حدوده .

اما المجتمع فلا يسعه الا ان ينزل على حكم الدين والعقل في ذلك ، وان يفيد من ايمانه بالحقائق سعادة واستقرارا وطمأنينة ، منشأها القيم المنبعثة عن هذا الايمان،والتطبيق السليم لمقتضياتها ومنطقها .

ميدان العبادات

٢ — وفي ميدان العبادات،نجد اسلوب الشريعة مختلفا عن اسلوبها في العقائد ، فهي تنشىء العبادة ، وتطلب من المكلفين ان يعبدوا الله بها ، وذلك حق المعبود على عابديه ، فهي رسوم يرسمها لمن اراد ان يعبده لا مدخل للعقل فيها ، ولا حظ للمجتمع في الاعتراض عليها ، او التأبى عنها ، بل الحظ كل الحظ لهم في العمل بها ، فان الله تعالى لم يشرع للناس من العبادات الا ما يتصل به امر اصلاحي او تهذيبي لهم ، وكان من حقه ان يتعبدهم بتكاليف لا تتصل بصلاحهم في الدنيا والاخرة ، ولكن رحمته قضت بأن يجمع بين حقه على الناس في ان يعبدوه ويشكروه ، وبين تحقيق مصالحهم عن طريق اختيار اساليب لهذه العبادة ترمى الى التهذيب واصلاح النفوس ، واسعاد المجتمع .

واذن فالشريعة في هذا الميدان منشئة لا مخبرة كما في ميدان العقائد .

ميدان المعاملات

٣ ــ اما فى ميدان المعاملات ، فليست الشريعة مخبرة ولا منشئة ، ولكنها انما تتدخل فى اى مجتمع من المجتمعات لتعلم هل يسير هذا المجتمع فى تعامله وقواعد سلوكه على ما يوافق مثلها العليا التــى جاءت بها ، او هو يسير منحرفا عنها ، فاذا وجدتها تتعامل بنوع من البيع لا ضرر فيه ولا ضرار ، ولا غش ولا خديعة ولا غرر ، اقرت هذا التعامل وباركته ، واذا وجدتها تتعامل بمعاملة تخالف مــا جاءت به من فضيلة واخلاق ساميــة للفرد والمجتمع ، انكــرت هــذه المعاملة فالغتها الغاء ، او عدلتها تعديلا ، وهى لا تشتط فى ذلك ولا تتزمت ، وانما تقبل فى بعض الاحيان ان تغمض العين عمــا عسى ان يلابس المعاملة من غرر او ضرر يسير اذا كان خيرها اكثر مــن شرها ، ونفعها اكبر من ضررها .

وهذا المنهج فى شأن المعاملات هــو المنهج الذى نهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم الى المدينة ، فقــد وجد فيها مجتمعا ، ووجد فيها اسواقا ، ووجدها تتعامل بصور معينة من البيــع والشراء والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن والهبة ، وغير ذلك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى فى شيء من ذلك ما يدل على انــه انشــأه تشريعا للنــاس ، وامرهــم بأن يتعاملوا عليه ، كما انشأ العبادات وامرهم بــأن يعبدوه بها .

وانما كان مــوقف الاسلام مــوقف الفاحص الناقد المهذب الذى يرضى عــن بعض المعاملات فيبقيه ، او يكره بعضــا فيلغيه او يصلحه بالتعديل فيه .

ومن هنا نرى العلماء يقولون «المعاملات على اصل الاباحة حتى يرد عــن الشرع ما يدل على المنع والتحريم » .

كما يقولون فى جانب العبادات « لا يعبد الله الا بما شرع »

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية :

« الاصل فى العبادات البطلان حتــى يقوم دليل على الامر ، والاصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم، والفرق بينهما ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعــه ، على ألسنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى احقه هو ورضى به وشرعــه ، وامــــا العقــود والشروط والمعاملات ، فهى عفــو حتى يحرمهــا ، ولهذا نعى الله سبحانه علــى المشركين مخالفة هذين الاصلين ، وهو تحريم ما لم يحرمه ، والتقرب اليه بما لم يشرعه ، فان الحلال ما احله الله ، والحرام مــا حرمه ، وما سكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فانه لا يجوز القول بتحريمها ، فانه سكت عنها رحمة من غير نسيان » .

(ص ٣٤ ج ٢ من اعلام الموقعين) .

وابن القيم يرد بهذا على قلة من العلماء خالفوا الجمهور الاعظم ، فقالوا ان عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فاذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط او عقد او معاملة استصحبوا بطلانه ، فافسدوا بذلك كثيرا من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله .

* * *

ويترتب على هذا المنهج الذى ارتضاه جمهور العلماء امور منها :

ان يعلم الناس انه لا مصادمة بين العقل والدين واصول الاجتماع ، ولكن لكل مجاله وحدوده على سبيل التعاون لا التنافر .

أن يعلم الناس أن العقائد الدينية ليست الا حقائق ثابتة من شأنها ان تنبثق عنها القيم والمثل الطيبة فى المجتمع ، وهى لا تقبل التغيير ولا التحويل ، فما ثبت منها عن الله ورسوله فهو ثابت ابدا ، وليس مجالا للاجتهاد والاختلاف .

ان يعلم الناس أن العبادة والتقرب الى الله لا يكونان الا بما ثبت انه شرعه فى كتابه او على لسان رسوله ، وبذلك الاصل ابطلت البدع فى الدين والعبادات وما يتصل بها ، فكل من اراد القربة فعليه ان يتقرب الى الله بما شرعه الله ، ومن تقرب اليه بما لم يشرعه ولو كان مظهره طاعة وقربة ، فانه مبتدع متلاعب بالدين ، كما لو قال قائل ، سأصلى الظهر خمسا بدل اربع ، او اصلى المغرب اربعا بدل ثلاث او اصوم شعبان بدل رمضان .. او نحو ذلك .

ان يعلم الناس ان المعاملات ليست فقط هى ما عرفه الفقهاء الاولون من مثل شركات الوجوه والعنان وغيرها ، او المزارعة والسلم والمضاربة بصورها التى عرفوها فحسب ، فان من حق المجتمع ان يبتكر ما شاء من الوان المعاملات ، وان يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالاسهام فيه حسب الطرق الحديثة ، معتمدا على ان الاصل فى المعاملات الاباحة ، غير مسارع الى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين ان الله حرمها .

ان يعلم الناس ان اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها بل لا بد من دراسة هذه الناحية ودراسة حال الناس فى شأنها ، ومدى ما تشتمل عليه من منفعة او مضرة ، فقد يظهر ان منفعتها غالبة ، وان مضرتها يسيرة مغلوبة فى جانب منافعها ، ويمكن ان يسلك بها مسلك الشريعة فيما غلب خيره على شره واحتاج اليه الناس على سبيل التيسير والترخيص والموازنة بين المصالح المشروعة ، والمفاسد المقطوع بها دون افتئات على النصوص ومواطن الاجماع .

* * *

بهذا المنهج نستطيع ان نحيط الشريعة بسياج من الهيبة والجلال فى عقائدها وعباداتها ، وان نعيدها الى مجال التعامل والاقتصاد بعد ان نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من اتباع الفقهاء على ما ورثوا ، دون ان يتابعوا النظر او يحاولوا درس الجديد من الوان المعاملات والنظم الاقتصادية .

بقية جرائم بني اسرائيل

هؤلاء وهم يعلمون أن موسى ما فارقهم الا ليرجع اليهم بخيري الدنيا والآخرة ؟ .

فبدل أن يعكفوا هم أيضا على الطاعة ، والشكر لله على هـذه النعمـة الجلى ، أقبلوا على الارتكاس في تلـك الشـناعة الشنعاء حيث استهوى عقولهم ماكـر خبيث يدعى (السامرى) فجمع كثيرا مما حملـه بنـو اسرائيـل مـن ذهب المصريين ، وصنع لهم منه صورة عجل ، ورتب أجزاءه الداخلية على كيفية تجعل الهواء اذا دخل جوفه من الخلف يخرج من فمه صوت كصوت خوار البقـر . وقال لهم هذا هو الهكم واله موسى ، نسيه هنا وذهب يبحث عنه ، فسرعان ما نسي هـؤلاء تقريـع موسى بالأمس القريب ، وأقبلوا يعبدونـه ، واتخذوه الها ، ولما نهاهم هارون عن ذلك ما كان جوابهم الا أن قالوا : لن نترك عبادة هذا العجل حتى يرجع الينا موسى ، اقـرأ كل ذلك في آيات ٨٥ الى ٩٨ من سورة طه .

هذه ثانية الجرائم ، واليك ثالثتها : ـ

ويحسن أن نقدم لك بين يدى الجريمة الثالثة ما يكشف بعض غامضها ، ذلـك أن كثيرا من الناس يظنون أن بني اسرائيل آمنوا جميعا بموسى ، ضرورة أنه جـاء لانقاذهم من شقاء مقيم ، ولكن الواقـع يجافي ذلك ، فان جبنهم وشدة حرصهم على الحياة ، وعبادتهم للمال صرفهم كل ذلك عن دعوة موسى ، ولعلك تعجب اذا علمت أنه لم يؤمن بموسى الا بعض ذرية منهم ، وقلوبهم تضطرب خوفا ، لا من فرعون فحسب ، بـل ومن كبارهـم ، الذين رأوا أن ما جاء به موسى لا يجلب مالا ، ولا يجعل لهم على غيرهم سلطانا ، قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم) آية ٨٣ من سورة يونس .

يا للعار ! ! ذرية مـن بني اسرائيـل تخاف على نفسها شرا ان آمنت بموسى ، وممن تخاف ؟ من زعماء بني جنسهم كما تخاف من عدوهم فرعون سواء بسواء ، ولكن لا عجب اذا علم أن قارون كان من قوم موسى كما في آية ٧٦ مـن سـورة القصص ، ومع ذلك استعبده حب المال ، فتوسل لجمعه بتملق فرعون ، وأعلان الاخلاص له والكفر بموسى ، فوضعهما القرآن بالنسبة لعداوة موسى في قرن واحد فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ـ هكذا بضمير الجمع ـ (ساحر كذاب) آيتي ٢٣ و ٢٤ من سورة غافر . فانظر الى هؤلاء الذين كان موسى عليه السلام ينتظر منهم أن يكونوا عضدا له يساندونه عند الشدة ، كما فعل أنصار النبيين غيرهم ، واذا بهم يكونون أول من فت في عضده ، وصدمه بما حز في قلبه ، وذلك أنه لما جاء برسالة ربه ، وغضـب فرعون ، واشتد ايذاؤه لبني اسرائيل ، قالوا ما يشبه أن يكون توبيخا لموسى ، اقرأ قوله تعالى في ذلك (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتـك قال سـنقتل

ابناءهم (١) ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ... الخ (١٢٩) من سورة الأعراف . أليس هذا صريحا فى أنهم يقولون كنا نريدك سببا فى كثرة أموالنا ، لا سببا لزيادة شقائنا .

واليك بعد ذلك جريمتهم الثالثة التي تنادى بأن الايمان بموسى لم يخالط قلوبهم ، انظر كيف تجرأوا على موسى وقالوا لن نصدق أنك رسول الله الا بعد أن نرى الله عيانا ، ويخبرنا أنه أرسلك . قال سبحانه فى ذلك (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) آية ٥٥ من سورة البقرة .

والرابعة : ــ سبق ما يعلم منه أن كبار بني اسرائيل كانوا مع كفار المصريين على اتفاق فى الطعن فى موسى ومن ذلك قول قارون وأمثاله (انه ساحر كذاب) وأنهم كانوا يحطمون أعصابه كما تقدم فى قولهم (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) كل هذا وأمثاله مما يؤذى موسى عليه السلام ، خصوصا اذا صدر من قومه وأحب الناس اليه ، ومن جاء يريد لهم الحياة الكريمة ، لذلك وأمثاله قال لهم موسى (يا قوم لم تؤذونني (١) وقد تعلمون أني رسول الله اليكم . فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدى القوم الفاسقين) . آية ٥ من سورة الصف .

والخامسة : ــ أخذ الله عليهم العهد المشدد على العمل بالتوراة ، وعدم الخروج على موسى فأعرضوا بعد كل ذلك . قال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك .. الخ) آيتي ٦٣ و ٦٤ من سورة البقرة .

والسادسة : ــ بعد كل هذه الجرائم طلب موسى من ربه العفو عنهم فأمره سبحانه أن يبلغهم أن يدخلوا القرية (٢) التي ستلاقيهم خاضعين لله ، متضرعين ، طالبين من ربهم أن يحط عنهم خطاياهم ، فاذا فعلوا ذلك غفرنا لهم ، ونزيد من يحسن خضوعه منهم احسانا . فماذا كان منهم ؟ دخلوا القرية متعجرفين قائلين استهزاء : يا ربنا نريد حنطة نملأ منها بطوننا ، فانزل الله عليهم عذابا من السماء .. الخ . اقرأ فى ذلك قوله تعالى (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) . آيتي ٥٨ و ٥٩ من سورة البقرة .

وسنوافيك ببقية جرائمهم ان شاء الله تعالى .

---

(١) المراد ستشتد فى قتل الأبناء .

(٢) والعرب تستعمل مادة الايذاء فى كل ما يؤلم ويؤذى حسيا كان ، أو معنويا ، انظر آيات ١٢ من سورة ابراهيم ، ١٩٥ آل عمران ، ٣٤ الانعام

(٣) يقال انها أريحاء .

الايمان ضرورة انسانية

فى فلسفة البراغماتيزم ، التي سموها بالعربية (فلسفة الذرائع) أن الفكرة انما تكون (حقا) لأنها (نافعة) ، وانما تكون نافعة لأنها حق . وان (الحق والنافع) يعبران عن شيء واحد . أى ان القضية تصبح حقا عندما تبررها العواقب . فنحن فى زعم البراغماتيزمية الامريكية نخلق (الحقيقة) ونخلق (الحقيقي) حسب حاجة المجتمع .

ان هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياسا للحقيقة ، ليست صحيحة فى أساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها . ولكننا نتخذ منطلقا لطرح السؤال الآتي : هل نبدأ التفكير فى (الحق) أولا ، لنستخرج منه (النافع) ام نبدأ التفكير فى (النافع الضروري) لنقول عنه انه حق ؟ انني مع الشباب المثقف بالذات ، وفى قضية الايمان بالذات ، ارى ان نبدأ بالثاني ولكن من اى جوانب النفع والضرورة نمسك خيط الجدل مع هؤلاء الشباب الذين تحيط بهم الشكوك فى الدين من كل جانب ؟ .

يقول القرآن (وكان الانسان اكثر شيء جدلا) فكيف اذا كان هذا الانسان من الشباب المزهو بسلاح العلم المجادل فى كل القيم ؟ .

ان السنين الطوال سوف تنضج على جمر العذاب ، تفكير الشباب ، حتى يصدقوا ان الايمان (حق وضرورة) . ولكننا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال ، ونوفر عليهم عذاب الندم والحسرة اذا (جاءت سكرة الموت بالحق) كما يقول القرآن . فمن اين نبدأ الكلام فى ان الايمان بالله ضرورة من ضرورات الحياة الانسانية ؟ .

لا ريب فى ان البداية يجب ان تكون امرا نتفق نحن والشباب على انه (حق وضرورة) . فما هو هذا الامر ؟ انه (انسانيتنا) التي يمكن ان يجادل الشباب فى كل شيء الا فيها .

يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير (ابن مسكويه) فى كتابه الموجز الجليل

إلى الشباب المثقفين وحدهم يساق هذا الحديث

بقلم الاستاذ الشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس ـ لبنان

(تهذيب الاخلاق) ان المزية الوحيدة ، التي يتميز بها الانسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هي (مكارم الاخلاق) .

ذلك ان كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات في بعض الصفات ، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومزية خاصة لا يشاركه فيها غيره كالاسد يمتاز بالقوة والفرس بسرعة الجرى، والبغل والحمار بحمل الاثقال ، والعندليب والكنار بالتفريد ، والطاووس بجمال الشكل . الى غير ذلك .

اما الانسان فانه يشارك الحيوانات الاخرى ، بصفات الحركة والتغذى والتناسل ويمتاز عنها بمزية واحدة هى (النطق) اى العقل . ومن هنا اطلقوا عليه اسم (الحيوان الناطق) اىالعاقل .

ولكن التحقيق العلمي قد اثبت ان الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك بهكثيرا من امور معيشتها .

لذلك صار علينا ان نبحث عن مزية اخرى خاصة يمتاز بها الانسان عن الحيوانات ، وبها يسمى انسانا .

هذه المزية الخاصة هى « الاخلاقية » التى تتجلى (بالضمير الانسانى) .

فالحيوان يعقل ، وقد ترتقى فيه قوة لتعقل ، كما فى بعض القرود ، ولكنه لا يفهم معنى (الاخلاقية) ولا يمكن ان يكون له الشعور الذى نسميه (الضمير) .

فأخلاقيتنا اذا هىالمزية الوحيدة التى تثبت بها (انسانيتنا) . واذا خرجنا عن هذه المزية عدنا الى مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان بمزيته الخاصة خيرا منا ، لاننا فقدنا مزيتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه الخاصة .

هكذا قال ابن مسكويه ، وهكذا من بعده بعصور ، جاء (داروين) يقول : « ان الضمير او الحس الاخلاقي هو اظهر فاصل يفرق بين الانسان والحيوان» وجاء (كانت) يتخذ من هذا (الشعور الاخلاقى) منطلقا لاثبات خلود الارواح

الايمان ضرورة انسانية

ويوم الحساب، ووجود الله الحكم العدل القدير .

هذا الضمير الأخلاقى انما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة النافذة من وراء حجب الخفاء شيء واحد وهو الايمان بوجود الله الحكم العدل القدير .

فتحقيق انسانيتنا ضرورة اجتماعية، وانسانيتنا لا تتحقق الا باخلاقيتنا ، وأخلاقيتنا لا تصان الا بالايمان .

فالايمان اذا ، امر ضرورى لانه يمسك اخلاقيتنا التى تثبت بها انسانيتنا .

واكرر القول للشباب ان الايمان بالله هو :

اس الفضائل .

ولجام الرذائل

وقوام الضمائر

وسند العزائم فى الشدائد

وبلسم الصبر عند المصائب

وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ

ونور الامل فى الصدور

وسكن النفوس اذا اوحشتها الحياة

وعزاء القلوب اذا نزل الموت او قربت ايامه .

والعروة الوثقى بين الانسانية ومثلها الكريمة .

فلا يخدعنكم ايها الشباب ، من يقول لكم ان مكارم الاخلاق تغنى بوازع الضمير عن الايمان . لان مكارم الاخلاق التى تواضعنا عليها، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع ، لا بد لها عند اعتلاج الشهوات فى الشدائد والازمات ، أن تعتمد على الايمان ، بل ان هذا الشيء الذى نسميه ضميرا ، انما يعتمد فى سويدائه على الايمان ..

وانقياد الناس لمكارم الاخلاق ، انما يكون بزاجر من السلطان ، او وازع من القرآن ، او رادع من المجتمع فاذا كنا فى نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع لم يبق لنا وازع الا الضمير . ونحن فى معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر ، قل ان نرى الضمير منتصرا الا عند القلة من الناس ، وهذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها عند جموح الشهوات ، الا اذا كانت تخشى الله .

ولو تركنا مكارم الاخلاق جانبا، ونظرنا الى حاجتنا للايمان من حيث هو سند فى الشدائد ، وبلسم للمصائب وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب وعلاج لشقاء الحياة ، لوجدنا اننا عند فقد الايمان ، نكون اسوأ حظا فى الحياة ، وادنى رتبة فى سلم المخلوقات ، من اذل البهائم ، واضعف الحشرات، واشرس الضوارى.

فالبهائم تجوع كما نجوع ، ولكنها فى نجوة من هم الرزق، وخوف الفقر وكرب الحاجة ، وذل السؤال .. وهى تلد كما تلد ، وتفقد أولادها كما نفقد ، ولكنها فى راحة من هلع المشكلة ، وجزع الميتمة ، وهم اليتامى المستضعفين .

وهى فى اجسادها ، تلذ كما نلتذ ، وتألم كما نألم ، ولكنها فى راحة مما يأكل

القلوب ، ويقرح الجفون ، ويقض المضاجع ، ويقطع الارحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب البيوت من المهلكات : كالحسد والكذب والنميمة والفرية والقذف والنفاق والخيانة والعقوق وكفر النعمة ونكران الجميل .

وهى تعرف بنوع من الادراك ، ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها فى نجوة من اعباء التكليف ، واثقال الاوزار ، ومضض الشك ، وكرب الحيرة وعذاب الضمير .

وهى تمرض كما نمرض وتموت كما نموت ولكنها فى راحة من التفكير فى عقبى المرض ، وفراق الاحباب ، وسكرات الموت ، ومصير الموتى وراء القبور .

والضوارى تسفك الدماء لتشبع بلا سرف ، ولكنها لا تسفكها انفا ولا جنفا ولا صلفا ولا ترفا ولا علوا فى الارض ولا استكبارا .

اما هذا الحيوان الفيلسوف الضعيف الهلوع الجزوع المطماع المحتال الفخور المترف المتكبر المتجبر السافك الدماء الذى لا يأتيه شقاء الحياة ، اكثر ما يأتيه الا من تفكيره فانه لا علاج لشقائه الا بالايمان .

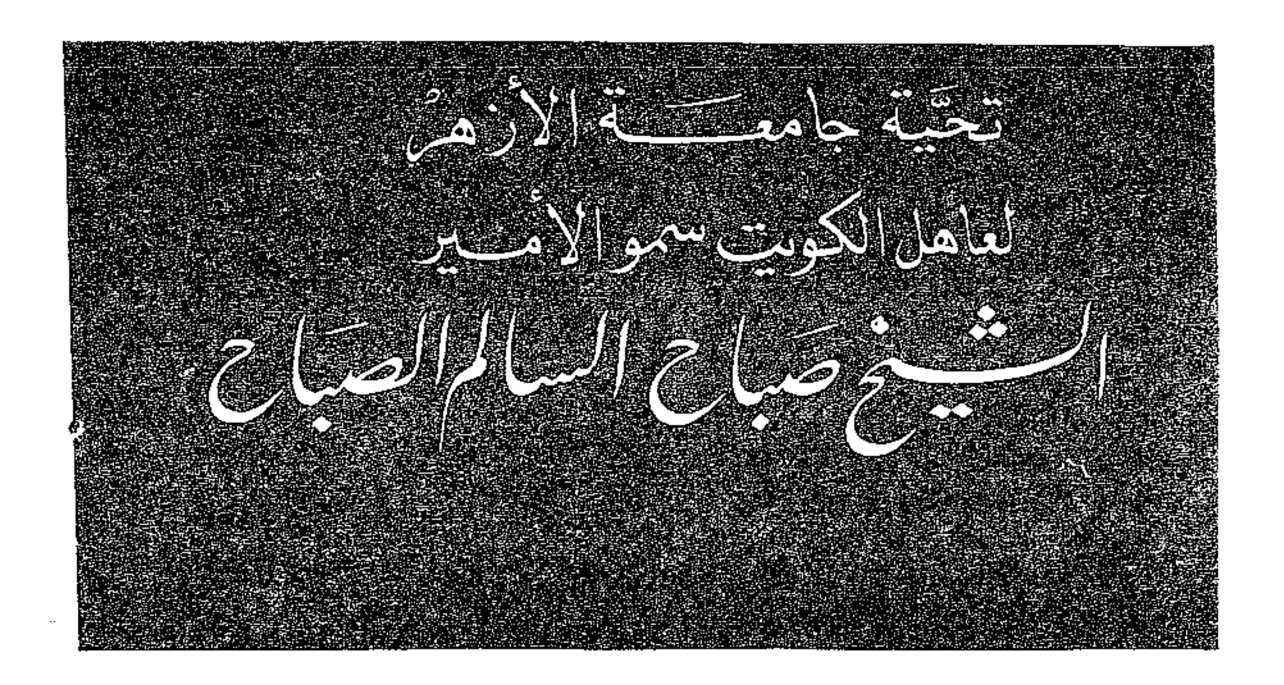
فالايمان هو الذى يقويه ، وهو الذى يعزيه ، وهو الذى يسليه ، وهو الذى يمنيه ، وهو الذى يرضيه ، وهو الذى يجعله انسانا يسعى الى مثله الاعلى لتسجد له الملائكة .. ومن دون هذا الايمان يكون هذا الانسان المسكين اتعس الخلائق وأسوأها حظا ، واعظمها شقاء واشدها بلاء واحطها رتبة وارذلها مصيرا .

وسبيله الى الايمان هو ذلك (التفكير) الذى كان سبب شقائه . انه عبد لتفكيره قبل ان يكون عبدا لربه ، ولا يكون عبدا لربه حق العبودية الا بهذا التفكير . الذى ينسج خيوط سعوده ونحوسه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لقد خلق الله هذا الانسان ، ورفعه وكرمه وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التى علمه بها الاسماء كلها ، وخلفه بها على الارض ، وصيره بها فوق الملائكة ، وكتب الفلاح لمن زكاها ، والخيبة لمن دساها . (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) فكيف نزكيها ؟

انما نزكيها بالتفكير ، حتى تتسامى الى مثلها الاعلى ، وتصل الى (اليقين) من الحق والخير والجمال ، فترى الله عنده .. وتجد من حلاوة الايمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها ، وضعفها وقوتها ، وعجزها وقدرتها ، وعبوديتها وحريتها .. بل سر خلقها ، ووضعها على مفترق (النجدين) وتركيبها على هذه الصورة القابلة (للضدين) ، التى من دونها لا يفهم معنى (العبودية) ولا يستقيم معنى (العبادة) ..

لذلك كان حقا علينا من باب الحاجة والضرورة ، ان لم يكن من باب الحق والعبادة والتقوى ، ومن اجل سلامة عقولنا ، وسلامة قلوبنا ، وسلامة ضمائرنا ، وسلامة انسانيتنا ومثلها العليا وسلامة المجتمع ، ان ندعو الى الايمان بالله ، ونيسره للعقول ، ونشرح له الصدور .



للصلة الوثيقة التى قامت بين آل الصباح وجامعة الازهر منذ عهد الامير الراحل انتهزت الجامعة فرصة زيارة سمو الامير الشيخ صباح السالم الصباح للقاهرة فى شهر ابريل الماضى وقام وفد من أساتذتها وطلابها على رأسه وكيل الجامعة بزيارة سموه فى قصر القبة معربين عن أصدق مشاعر التقدير والوفاء ، وشكر لهم سموه جميل شعورهم . ونقدم للقراء هنا هذه القصيدة الرائعة التى حيا بها الوفد سموه تسجيلا لهذه المناسبة .

هَتَفَ البَشيرُ بهِ فَشاقَ الأزهـرا ... وأطـل موكبُـه السنيُّ فكـبَّرا

شقّت مآذنُه الزحامَ وأشـرفَت ... من فوقِ كاهلِـه الأشـمِّ لتَنظُرا

واستبشرت مصرٌ فأشرقَ ساحَـةً ... واختـال محراباً ، وهَلَّل منبَـرا

طلعَ الصّباحُ بهَا فأطلعَ يُمنُـــــه ... ذاكَ الصّباح اليَعْرُبىَّ الأنضَـرا

في مَوكبٍ حَرسَ الجَلالُ جَمالَهُ ... وشأى الثُرَيّـا وهو يَخْطُر في الثّرَى

والشعبُ أفئدَةٌ يُسَابِقُ بعضُهَـا ... بعْضاً لتَحتضِنَ الركابَ وتظفَـرا

حاطتْهُ أشواقاً تُعَانِقُ خطـوه ... حُبّاً ، وتَستَجلى المُحيَّا النَّيـرا

والنيلُ نشوانُ الضفافِ مصَفّـقٌ ... رقصت خمائلهُ مُغَـرِّدةَ الـذُّرا

يجـرى على سَنَنِ الوفاء مُرَحِّبـاً ... بقدوم بحرٍ في المكـارم قـد جـرَى

من سَـرَّه زمنُ الربيع وحسـنهُ ... فلْيشهـد اليومَ الرَّبيعَ الأكبـرا

***



سمو الامير يستقبل وفد جامعة الازهر في قصر القبة

للدكتور حسن جاد

الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر

هذا (الصباحُ) مع (الجمال) تلاقيا — لله ما أسمى اللقاءَ وأبهرا

أخوان بالحبِّ الوثيق تبادَلا — عهداً يُصان وذمَّةً لن تُخْفَرا

بطلٌ يُعانق في الكفاح شقيقَه — وغضنفرٌ حرٌّ يضمُّ غضنفرا

لله ما أبهى العروبةَ تلتقي — صفّاً جميعَ الشمل مُلْتئمَ العُرا

مَن مبلغُ الأعداء أنا أمَّةٌ — مهما تجهَّم أفقُها لن تقهرا

الجوُّ مهما غامَ يُقشعُ غيْمُه — والشمسُ أحرى بعده أن تَظْهرا

اليومُ يومُك ياعروبةُ فاشهدي — مَجْلاهُ وارتقبي الغدَ المُتَنظَّرا

***

أهلاً بعاهلنا العظيم، ومرحبا — بمن استضاءَ به الحِمى واستبشرا

مصرٌ تُحيِّ في الكويت شقيقةً — نهضتْ بكم مجداً، وعزَّتْ مَظْهرا

بلدٌ رفعتُم بالحضارة رُكْنَه — حتى تَخايلَ نهضةً وتحضُّرا

بالعدل والشورى حكمتُم شعبَه — وغرستمو فيه الرخاءَ فأثمرا

وملكتمو بالحُبِّ عرشَ قلوبه — والحبُّ أحرى أن يقودَ ويأسرا

ليس الذى حكمَ البلادَ بعدلـــــــه كمن استبدَّ بحكمها واستأثَـــــرا
انا لفـــى زمن الشعوب ولـــن تـــرى كسرى به مُستَعْبِداً أو قيصـــــرًا
هذا (جمالٌ) هل شهدتَ صنيعَــه ورأيتَ كيف بنـــى حماه وحـــرّرَا
طَـــوِّف بآفاق البلاد تجـــد بهـــا فجـــراً جديداً للحضـــارة أسْفَـــرَا
بطلٌ وفيٌّ للعروبـــة ، ما التَــــوى خلُقاً ، ولا عرف الرياءَ المُنكـــرا
مُستَهدِيا بالدين في خطواتـــــه ومن اهتدى بالدين لـــن يتعثَّــــرا
الأزهرُ المعمورُ في أيامـــــــه نســـىَ المعزَّ الفاطمـــيَّ وجَوهـــرا
والاهُ اصلاحاً ، وجدّد عزْمَـــه حتى استجاب لعصـــره وتَطـــوَّرا
لِلَّه جامعةٌ نماهـــا مُنْجِـــبٌ كرُمتْ به أصـــلاً وطابت عنصـــرا
وسعت علومَ الدين والدنيا معـــاً حتى استحقَّتْ أن تتيـــهَ وتفخـــرا
لم تَنْسَ يا آلَ الصباحِ لكـــم يـــدا غـــرَّاءَ سابغة النـــدى لن تُنْكَـــرَا
سبقت عوارفُكم بها فتضَوَّعـــت مِسْكاً ، وفاحتْ في الكنانـــة عَنْبرَا
بَعضُ الوفاء لها وأيْسَرُ حقِّهـــا أن نذكرَ الفضل الجميلَ ونَشكُـــرا

***

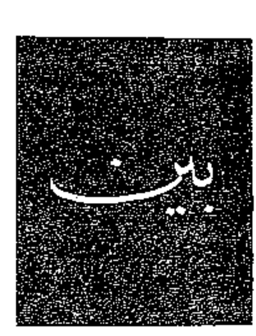
ياسالمَ الغُدُواتِ ميمونَ السُّـــرَى سلِمتْ خطُاكَ وطاب وردُك مَصْدَرَا
ان العروبة لم تجد مِن بينكـــــم الا السخـــيَّ الأريحـــي الخَيِّـــرَا
سِرْ بين أهليها رسولَ محبَّـــــة واحمل بها غصنَ السلام الأخضـــرا
أدْمَى الجراح إذا أساهُ ماهـــرٌ فالجرحُ لايُعيِي الطبيبَ الأمْهَـــرَا
والصَّدْعُ ان رامَ الصَّنَّاعُ لكســـره جَبراً خليـــقٌ أن يَصـــحَّ ويُجْبَرَا
واحملْ لشعبك في الكويتِ تحيـــةً مِنَّا ، وبلغـــه الثناءَ معُطـــرا
وإذا ذكرتَ الأوفيـــاءَ وعهدَهـــم فاذكرْ على عهـــد الوفاءِ الأزهـــرَا

هذا المعنى تصرف سيدنا عمر رضي الله عنه وتعليله لذلك التصرف بعد مشاورة طويلة مع أصحابه يوم خرج الى الشام وعلم أن بها وباء ونسوق نص الحديث لنرى الوقاية والايمان ، والثقة بالله والتوكل عليه مع الاخذ فيما اعتيد من الاسباب ، وكيف اجتمع ذلك في فعل سيدنا عمر رضي الله عنه وفي توجيه ذلك الصحابي العبقري الملهم .

ورد في الصحاح أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه أبو عبيدة عامر ابن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال لابن عباس رضي الله عنهما : ادع المهاجرين الاولين. قال فدعوتهم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم ، خرجت لامر فلا نرى أن ترجع عنه ، وقال آخرون معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال عمر ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي الانصار . فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال ارتفعوا عني ، ثم قال ادع لي من هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم له ، فلم يختلف عليه منهم رجلان ، قالوا نرى أن ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فأذن عمر في الناس . اني مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال ابو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين . أفرارا من قدر الله ؟! قال . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ، أرأيت لو كان عندك ابل فهبطت واديا له عدوتان ، احداهما خصبة ، والاخرى جدبة ، ألست أن رعيتها الخصبة ، رعيتها بقدر الله تعالى ، وان رعيتها الجدبةرعيتها بقدر الله ؟! قال. فجاء عبد الرحمن ابن عوف ، وكان متغيبا في بعض حاجاته — فقال ان عندي في هذا علما . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذ كان بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه) .

حين نتأمل هذه المحاورة بين عمر وصحبه ، وننظر اليها من زاوية أخرى غير الزاوية الطبية كما أسلفت زاوية القيادة الحكيمة الناصحة للامة الواعية التي ترسم خطوط حكومة رشيدة تلتقي بالمثل الطيب الكريم لما يجب أن يكون عليه الرعاة الحقيقون بتسنم غارب الفخار الانساني ، فعمر رضي الله عنه يؤمن بالله وبرسوله وليس لديه نص فيما هو متعرض له فيجتمع بالناس كل فريق على حدة ليصل الى القول الفصل الذي تطمئن اليه نفسه ويرتاح معه ضميره المؤمن ، ويتركه منهجا لمن بعده على درب التاريخ الطويل ، يستوي رأي المهاجرين مع رأي الانصار في المشورة فريق يرى الرجوع وفريق يقر المضي في الطريق، فيعمد عمر رضي الله عنه الى مشيخة قريش من مهاجرة الفتح لعلهم يرون ما يرجح احدى الوجهتين فيكون القول ما قالوا وهو الرجوع ثم يجيء الصحابي الكبير عبد الرحمن بن عوف ، الذي لم يحضر تلك المحاورات فيروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤيدا ما استقر عليه رأي عمر ومشيخة قريش .

الم يرسم عمر منهجا لاستخلاص الاحكام فيما لا نص فيه أو على الأصح قبل أن يعلن بالنص ؟ أليس في تصرفه ما يحفز علماء الاسلام المعاصرين على التشاور فيما بينهم من الأمور المعقدة التي احتواها زمانهم وأوجدتها صلات المسلمين بغيرهم من الأمم التي لا تدين بدينهم ؟ أليس من الواجب أن يوالوا اللقاءات والاتصالات حتى يصلوا الى الحلول الحاسمة في التقنين المالي والاداري والتشريع العام ، حبذا لو تجردوا عن علائقهم المادية أيا كانت وأخلصوا نياتهم وأعمالهم لله رب العالمين ، وطلعوا على الناس بما يهديهم سواء السبيل ، ويقضي على البلبلة الفكرية والذبذبة المالية والاضطراب في المعاملات وحملوا الى الدنيا تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم والحلول السليمة على ضوء الشريعة في المشكلات القائمة في شتى صورها وأشكالها ، وهم حين يستقر رأيهم على أمر في موضوع ما ، فسيعد ذلك اجماعا لا يخالف وحكما لا ينقض الا بمثله، ومعلوم دون دجل ولا مواربة ولا جدل أن الاسلام لا يهدف الا الى خير البشر وسعادتهم وما يؤمن لهم العيش الرغيد والمجتمع المطمئن الآمن ، ويدعوهم الى حظهم من الدنيا ، والحسنى وزيادة في الدار الآخرة — والله وحده هو الهادي الى سواء السبيل .





١ : ـ نريد في هذا البحث ان نبرز مقارنة علمية بين الأصول التي فرضها اقتصادنا الاسلامي ، والأصول التي يقوم عليها الاقتصاد العالمي المعاصر ، من غربي وشرقي .

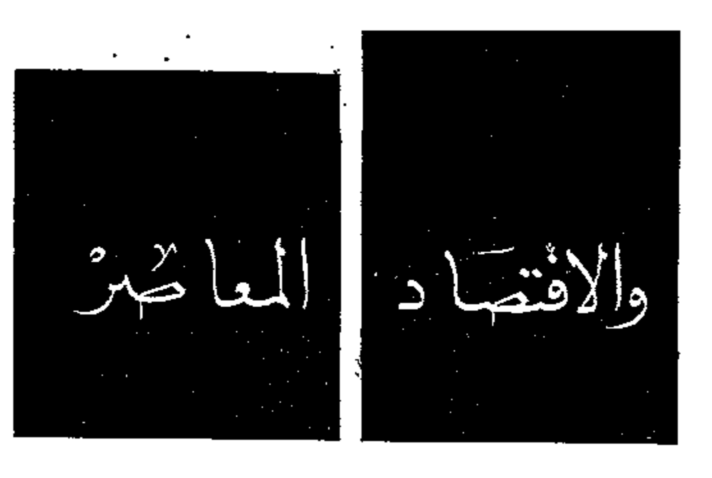
وأولا نتساءل : هل عني الاسلام بوضع احكام تنظيم النشاط الاقتصادى للمسلم في سعيه الى الوفاء بحاجات الحياة ومطالبه المادية ؟ .

لا شك أن هذا العنوان « اقتصاد اسلامي » عنوان لا يستسيغه علماء الاقتصاد المعاصر ، اذ هم يرون ان علم الاقتصاد انما يقتصر على دراسة مطالب الحياة المادية ، فلا محل فيه لكل ما يتصل بقواعد الأخلاق او احكام الدين ، وفي عرفهم لا يوجد « اقتصاد مسيحي » او « اقتصاد بوذى » فلماذا يكون هناك « اقتصاد اسلامي » ؟ .

وغفلوا عن ان الاسلام قد أتى باكمل هداية للبشر ، لا في السلوك الفردى فحسب ، بل في السلوك الجماعي ، فاستكمل بذلك هداية الانسانية في جميع شؤونها : في الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات البشرية .

فوضع الأصول التي يجب على كل مجتمع انساني ان يسير في نطاقها ، ثم اطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الاصول ، والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، ما دام ذلك في نطاق هذه الأصول العامة .

جاء الاسلام بمنهج شامل للحياة ، حتى عباداته جعلها تتصل بتنظيم هذا المنهج ، وتؤثر في اتجاهاته تأثيرا مباشرا ، فهي تأخذ بيد المسلم وتحثه على السير قدما في هذا المنهج المسنون ، وتهديه كلما ضل عنه او انحرفت به الشعاب ، وهكذا قضت مشيئة الرحمن ان يكون خاتم الاديان دستورا شاملا للسلوك الانساني ، يمتد الى جميع آفاق حياة الفرد والمجتمع .



للدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

وتعاليم الاسلام ، كما نظمت الجانب الروحي فى حياة البشر ، نظمت بالمثل الجانب المادى ، لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، فالانسان بفطرته التي فطره الله عليها مزيج من المادة والروح ، فوضع الاسلام تعاليمه على نحو يخلق توازنا قويما بين الاتجاه المادى والاتجاه الروحي فى طبيعته البشرية وبهذا التوازن يحميه من الاندفاع المدمر فى أحد الاتجاهين .

غير أن علماء الاقتصاد المعاصر يضغطون كل الضغط على الاتجاه المادى فى اقتصادهم ، اما بطريق مباشر كما فعل (ماركس) فى شيوعيته الشرقية ، واما بطريق غير مباشر كما فعلت الراسمالية الغربية . وساروا فى هذا الطريق حتى تجاهلوا ابسط قواعد الأخلاق ، وأوضح معايير الخير والشر التي فرضتها جميع الاديان السماوية ، فكان لهذا التجاهل آثار بعيدة المدى فى النشاط الاقتصادى للبشر . واصبحت كل التصرفات الاقتصادية مباحة ، طالما كانت تؤتى نفعا ماديا ، وما دامت لا تصل اليها يد القانون الوضعي ، مهما اختفى فى ثناياها من غش فى المعاملات واضرار بالغير أو سلب لماله ! ! ! .

وأمعن علماء الاقتصاد — فى الغرب والشرق — فى احاطة نظرياتهم بأقنعة كثيفة حجبت كل اعتبار خلقي او انساني ان ينفذ الى هيكلهم المادى . **هذا الاتجاه المادي البحت ، وما تولد عنه من عداء مستعر بين الكتلتين اللتين تسيران فيه ، اصبح يهدد عالمنا اليوم بدمار شامل ، ولا سبيل الى اجتنابه الا اذا وعت البشرية تعاليم الاقتصاد الاسلامي .**

المال والعمل

٢ : — والاقتصاد المعاصر ، مهما كان لونه او مذهبه ، ومهما تباينت النظريات التي تحاك حوله ، انما يقوم على دعامتين لا ثالث لهما المال والعمل . فهما مصدر كل طيبات الحياة .

فالمال يشمل كل ما سخره الله لنا من

خير فى البر والبحر ، فى ظاهر الأرض وباطنها .

والعمل يشمل كل جهد يبذله الانسان ــ سواء كان جهدا بدنيا أو ذهنيا او الاثنين معا ــ فى استثمار هذه الخيرات .

والاقتصاد المعاصر ــ سواء كان غربيا او شرقيا ــ لا يخرج فى جملته عن توجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين .

والتوجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين ــ سواء فى الاقتصاد الغربي او الشرقي ــ كلها من صنع البشر ، أو على الاصح من صنع ذوى السلطان فى المجتمعات البشرية فى عصر معين .

اما التوجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين فى الاقتصاد الاسلامي ، فمن صنع الله ، ومن هداية الله ، منذ هبط الانسان الى الأرض وقال الله سبحانه وتعالى لأبويه : « اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » ١٢٣ طه وقال سبحانه وتعالى للبشر جميعا « يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ٣٥ الاعراف .

ولكن البشر منذ بدء الخليقة الى اليوم لم يثبتوا طويلا على التزام الهداية الالهية ، فتوالت رسل الله الى امم الأرض جميعا . « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا » « وان من امة الا خلا فيها نذير » .

وكان من رحمة الله فى رسالاته ايتاء كل امة وكل زمان ما علم فيه الخير للأمة والملاءمة للزمان . ثم شاءت رعاية الله لعباده ان يختم رسالاته الى الأرض جميعا بالرسالة المحمدية ، وان يكمل للبشر جميعا دين الحق ، فأنزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الرسالات السابقة ، ومصححا لما اعتورها من تبديل وتحريف ، وما لحقها من محو وافتراء . « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

وفى الشؤون الاقتصادية بالذات كانت الهداية التي تأتي على لسان كل رسول من رسل الله تأتي على النحو الذى يلائم ظروف العصر ومقتضيات البيئة التي بعث اليها الرسول (١) . فاذا كنا نجد فى رسالة عيسى عليه السلام تحقيرا للمال وتنفيرا من كسبه ، ولا نجد ذلك فى رسالة موسى عليه السلام فلأن البيئة التي ارسل اليها عيسى كانت قد انكبت على طلب المال ، ونبذت فى سبيله كل تعاليم الله ، الى ان جاء الاسلام فأحاطت تعاليمه فى تنظيم شؤون المجتمعات البشرية بكل ما يحقق لها سعادة الدارين .

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » فكان كل ما جاء به موجها الى هداية الناس كافة الى ابد الدهر .

٣ : ــ بعد هذا التمهيد ننتقل الى بيان تعاليم الاسلام الاقتصادية . ولكن يجب ان نذكر من البداية ان الاسلام لم يأت بها منعزلة عن غيرها من التعاليم ، بل كان دائما يؤسسها على تعاليم سابقة عليها ، تعاليم خلقية عقائدية ، تستقر فى وجدان المسلم ، وتجعله يذعن للتعاليم الاقتصادية اذعانا منبعثا من ضميره عن طواعية واختيار ، ثم يشفعها بتعاليم

---

(١) هذا فى تنظيم شؤون المجتمع ؛ أما فى العقائد التى جاء بها رسل الله كوحدانية الله ، والايمان باليوم الآخر فلم تختلف جميع رسالات السماء .

حكومية تجيز لولي الأمر ان يتدخل بسلطانه اذا قضت ظروف المجتمع بتدخله لضمان نفاذها .

وهذه سنة الاسلام فى بناء المجتمع وتنظيم شؤونه : يؤلف فى هذا البناء بين اصول خلقية عقائدية، واصول اقتصادية، واصول سياسية ، ولا يجعلها وحدات منعزلة احداها عن الأخرى ، بل يدمجها بعضها فى بعض ، بحيث تتكون منها مجموعة متماسكة متعاونة ، تصنع من هذا البناء كتلة حية ، تتفاعل فيها هذه الأصول تفاعلا وثيقا سعيا الى الوفاء بحاجات البشر الخالدة .

واذن فى دراستنا لأصول الاسلام الاقتصادية يجب ان نأخذ فى اعتبارنا ما يرتبط بها من أصول خلقية وسياسية تشترك مع الاصول الاقتصادية فى تحقيق رسالة الاسلام فى المجال الاقتصادى تلك الرسالة التي تهدف الى صياغة المجتمع فى قالب هيئة تعاونية ، تتوازن فيها بالقسط جميع المصالح المتضاربة والنزعات المتنافرة توازنا قويما .

٤ : ـ وسبيلنا الى تبسيط هذه الأصول الاقتصادية ان نوزعها بين مطالب الدعامتين اللتين يقوم عليهما أى اقتصاد مهما كان لونه او اتجاهه ، وهما دعامة المال ودعامة العمل .

ونبدأ بالدعامة الأولى دعامة المال ، ثم ننتقل الى الدعامة الثانية دعامة العمل فنرى توجيه الاسلام فى كل من الدعامتين، ثم نقارن بين التوجيه الاسلامي فيهما وبين التوجيه الاقتصادى المعاصر غربي وشرقي .

الدعامة الأولى : المال

٥ : ـ لمن ملكية المال ؟

ملكية المال هي محور النشاط الاقتصادى فى المجتمع . لذلك كان لزاما على الاسلام وهو خاتم الأديان ان تمتد تعاليمه الاقتصادية الى تنظيم ملكية المال وتنظيم وسائل كسبه ، واساليب تنميته واستثماره .

وتعاليم الاسلام فى هذا الشأن ـ وفى تنظيم شؤون المجتمع كافة ـ ترد اولا فى صيغة تعاليم خلقية تتصل بعقيدة المسلم ، لكي يصدع بها طائعا مختارا بغير اكراه من ولي الأمر ، ثم ترد ثانيا فى صيغة تعاليم حكومية تجيز لولي الأمر فى المجتمع الاسلامي اجبار من يأبى الانقياد للنظام المفروض ، أو ينحرف عن الطريق المسنون ، ضمانا لنفاذ هذه التعاليم الخلقية ، كلما قضت بذلك ظروف المجتمع ، ومستوى تمسكه بالوازع الديني فى بيئة معينة وعصر معين .

وهذه التعاليم الخلقية فى شأن المال ـ ويصح ان نسميها تعاليم وجدانية او عقائدية ـ ترتكز على عقيدة اساسية يغرسها الاسلام فى وجدان المسلم ، عقيدة تتأثر بطاعته الصادقة ، سنة الاسلام فى كل تنظيم من تنظيماته ، يسبقه اعداد النفوس بغرس العقيدة المهيمنة على هذا التنظيم ، حتى يتهيأ المسلم لقبوله والاذعان له عن طواعية واختيار .

هذه العقيدة تقرر ان كل شيء فى الوجود انما هو ملك الله تعالى ، خالقه وخالق السموات والأرض وما بينهما ، وان الانسان فيما لديه من مال انما هو حائز لوديعة اودعها الله بين يديه . فالله وحده ، الذى له ملكوت السموات والأرض هو مالك المال كله ، سواء تمثل هذا المال فى « سلع اقتصادية » او فى « سلع حرة » فهذا التمييز القائم على اساس « الندرة » هو تمييز من صنع البشر . والانسان هو خليفة الله فى ارضه ، امره خالقه بالانتفاع بهذا المال ، ومكنه من هذا الانتفاع للوفاء بحاجاته

واصلاح معاشه ، على ان يتفق هـذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ومصلحة الانسانية بوجه عام ، وسوف يحاسب على ذلك كله يوم الحساب .

« ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام ١٦٥ .

هذه العقيدة غرستها فى وجدان المسلم آيات قرآنية كثيرة نذكر منها قوله تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » (البقرة ٢٩) « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء » (الانعام ١٠٢) ومنطقنا البشرى يقتضي ان يكون خالق الشىء هو مالكه ، حتى تحدانا الخالق بعجزنا عن خلق ذبابة ، وبهذا المنطق نفسه جاءت نصوص القرآن قاطعة . فى ان لله ملك السموات والأرض وما بينهما . « لله ملك السموات والأرض وما بينهما » (المائدة ١٧) « لله ملك السموات والارض وما فيهن » ثم استعمر الله البشر فى الارض « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (هود ٦١) وجعلهم خلائف فيها « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » (الانعام ١٦٥) وسخر لهم ما خلق فى السموات والأرض وسلطهم عليه بقدر ما يستطيعون من استغلاله واستثماره « الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (لقمان ٢٠) وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه « (الجاثية ١٣) ويقول سبحانه وتعالى « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد ٧) فالمال الذى فى ايدى البشر هو مال الله وهم فيه خلفاء لا اصلاء .

هذا الى آيات كثيرة تقرر ان كل امرىء مسئول يوم الحساب عن المال الذى اودعه امانة بين يديه (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) (التكاثر ٩) « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » (المؤمنون ٨) .

واذن بمقتضى هذه العقيدة الدينية يعتبر الانسان خليفة الله على كل ما فى حيازته من مال ، وعليه ان يقوم على مسئوليات هذه الخلافة قياما أمينا واعيا ، وما دام المال مال الله وهو عارية فى يد البشر الذين استخلفهم فيه ، فليس للبشر ان يتخلفوا عن تنفيذ امر الله فى هذا المال .

٦ — غير ان هذه الآيات القرآنية التى تقرر ملكية الله للمال يشفعها القرآن بآيات اخرى تنسب ملكية المال الى آحاد البشر ، كقوله تعالى « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل » (البقرة ١٨٨) وقوله تعالى « لتبلون فى اموالكم وانفسكم » (آل عمران ١٨٦) وقولهتعالى « وآتوا اليتامى اموالهم » وقوله تعالى « خذ من اموالهم صدقة » (التوبة ١٥٣) وقوله تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (النساء ٣٢) وقوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » (التوبة ١١١) وقوله تعالى « وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » (الذاريات ١٩) وقوله تعالى « وجاهدوا فى سبيل الله باموالكم وانفسكم » .

وقد يبدو ان ثمة تناقضا بين نسبة ملكية المال الى الله والى الجماعة تارة ، ونسبته الى البشر تارة أخرى . ولكن هذا التناقض ينتفي اذا ذكرنا المقاصد الشرعية من هذا الازدواج فى نسبة المال .

فالمقصد الأول هو ان اضافة ملكية المال الى الخالق جل شأنه ضمان وجداني لتوجيه المال الى نفع عباده ، وان اضافة ملكية المال الى البشر ضمان يماثله فى توجيه المالك الى الانتفاع بما يملكه من مال فى الحدود التي رسمها الله ، فهذه الاضافة لم يقصد بها الا تمليك الانتفاع

بالمال بكل ما يقتضيه هذا الانتفاع من حق التصرف وحق الاستهلاك وحق الاستثمار ، والقاعدة ان الاضافة يكفي فيها ادنى الاسباب .. وقد اضاف القرآن اموال السفهاء الى اوليائهم في قوله تعالى ((ولا تؤتوا السفهاء اموالكم)) لا لأن الأولياء ملكوه ، بل لأن لهم التصرف فيه وقال (الرازى) ((يكفى لحسن الاضافة ادنى سبب)) .

المقصد الثاني هو ان الاسلام دين المسئولية « كل نفس بما كسبت رهينة » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » لذلك كان الاسلام لا يقبل ان تكون مسئولية البشر عن المال الذى سخره الله لهم وأودعه بين ايديهم مسئولية شائعة غير محدده ، فعمد الى اقرار الملكية الفردية ، ليسأل كل فرد — في الحصة التي يملكها — عن حق الجماعة فيها ، ثم جعل ولي الأمر مسئولا عن حق الجماعة فيما خص الأفراد من هذا المال ، وليستعمل حقه هذا فيما تمليه مصلحة الجماعة ، وما تفرضه ضرورات الحياة المشتركة وفي تنفيذ ما امرت به التعاليم الخلقية في ملكية الأفراد للمال .

المقصد الثالث هو ان الاسلام لما كان دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وكانت فطرة الانسان تتوق الى تملك المال ، وتحبه حبا جما ، فكان لابد لشريعة الاسلام ان تقضي بربط بعض المال على آحاد الناس حتى تنطلق غريزتهم من كبت الحرمان ، وحتى يندفع نشاطهم الى استثمار المال الذى في حوزتهم وتنميته . وفي هذا نفع مشترك لهم وللمجتمع على السواء . كما قد تقضي شريعة الاسلام في اموال اخرى بعدم ربطها على آحاد الناس ، كضرورات الحياة ((الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار)) ويقاس عليها غيرها من ضروريات الحياة المشتركة .

الخلاصة ان ملكية الله للمال هي الملكية (١) الاصلية ، وملكية البشر للمال هي الملكية الواقعية ، ولا تناقض بين النسبتين . واذن فالاسلام — في نطاق هذا المعنى — يعترف بملكية المال لآحاد البشر ، يعترف بحق المالك في الانتفاع في حياته وبعد مماته ، كما يحميه حماية ناجعة من كل اعتداء على ملكه من الغير او من السلطة العامة ، حتى ان الدولة اذا ارادت — لمصلحة الجماعة — ان تنزع ملكية ماله فعليها أن تؤدى عن ملكه تعويضا عادلا .

وفي هذا يختلف الاسلام عن المذهب الشيوعي الذى لا يعترف بالملكية الخاصة في مصادر الانتاج ، ويتعارض بهذا القدر مع غريزة الانسان الفطرية في حب التملك ويتجاهل بهذا القدر حافزا اساسيا في توجيه النشاط الاقتصادى .

كذلك يختلف نظام الملكية في الاسلام عن نظيره في الاقتصاد الرأسمالي حيث يكون للمالك السلطان المطلق فيما يملك بغير أى قيد عليه . اما الاسلام فيفرض طائفة من التكاليف والالتزامات على المالك لمصلحة المجتمع ، وهذه التكاليف والالتزامات قابلة للقبض والبسط ، فتضيق وتتسع على ضوء الضرورات المحيطة بالمجتمع الذى يحيا فيه المالك .

وننتقل الآن الى بيان التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية على ملكية المال استنادا الى عقيدة الاستخلاف التي غرستها هذه التعاليم في وجدان المسلم . فالى عدد قادم .

---

(١) ليست هذه خاصة بالمال وحده بل هى في كل شيء خلقه الله فكما نقول مال الله تقول : عباد الله . أرض الله خلق الله .. الخ (قل اللهم مالك الملك) ومما يذكر ان اباذر الغفارى كان يعارض في تسمية المال . مال الله ويقول : انما هو مال المسلمين لانه رأى أن الحاكم يستغل كلمة مال الله ليتصرف فيه كما يشاء (الوعى) .



أحمد بن حنبل

« في المقال السابق تحدث فضيلة الاستاذ عن حياة الامام احمد (نشأته ونبوغه وورعه واستمساكه بالحق الذي يعتقده ، واستهانته بكل ما لاقاه من تنكيل في سبيل ذلك) .... وفي هذا المقال يحدثنا عن فقه الامام والنظرة الخاطئة اليه من بعض الناس »

« الوعي »

تهمتان كاذبتان

ومع ما لهذا الامام من فضل واسع فقد علقت بأذهان الناس نحوه فكرتان كاذبتان ليس لهما حظ من صواب .

الاولى : ان فقه الامام احمد لا يتسع لحاجات الناس ، وهذا لوقوفه عند النصوص ، وتحرجه عن طرق باب القياس والاستنباط . والشريعة كما تؤخذ من النص تؤخذ بالقياس على المنصوص ، والا ضاقت وكانت حرجا وذلك ما وقع فيه احمد بن حنبل ، هذه تهمة من اثنتين يتحدث بها بعض المتعلمين ، وهؤلاء في حاجة الى الارشاد والتوجيه . ذلك ان احمد كثير الثروة من الاحاديث ومن المأثور عن الصحابة كما قلنا وعرفنا ، ومن كانت لديه ثروة كهذه فقلما يحتاج الى القياس كما يحتاج من لم تتوفر له هذه الكثرة ،حتى انك لتجد للامام احمد في المسألة الواحدة روايتين او اكثر ، وقد تجد لعلماء مذهبه بجانب ما نقلوا عنه توجيهات أخرى في المسألة الواحدة وذلك كله لتعدد الأدلة واستوائها في القوة ، وهذا يشهد بأن مذهب احمد واسع الجوانب ، كثير الموارد والمصادر ، وهو امر يعلمه الباحثون فيه من اولي العلم ،وقد يحدثك به جمهرة من العلماء ومن رجال القضاء الشرعي والاهلي وممن لهم اقبال على الفقه الاسلامي .

على أن احمد لم يغلق باب الاجتهاد، بل دعا اليه في قوله انما أمرنا ان نأخذ العلم من فوق ، يعني من الأدلة لا بالتقليد ، وكذلك لم يحظر القياس بل

اقره وعمل به ، وقال فيه : لا يستغنى احد عن القياس ، وللقياس باب واسع في مذهبه ، فكيف يقال : فقه أحمد قليل الاجتهاد عنده محدود)؟

نعم لم يكن مذهب احمد مذهب السلطان في مصر يوما ما ، ولا كان مذهب القضاء الا في فترات قصيرة ، وفي جهات محدودة فلم يتسع له الافق كما اتسع لغيره ، ولم يكثر فيه التخريج والتفريع كما كثر في مذاهب اخرى ، لكن ليس معنى هذا ان فقه احمد يضيق بما يحتاج اليه الناس ، بل فيه فسحة لكل ما يجد ويقع من احداث وشئون ، وان لم تتسع لذلك نصوص يدخرها المذهب ، فليتسع باب القياس ، وباب الاستحسان عند احمد وعلماء مذهبه وليس في ذلك من حرج ، متى وجد الداعي وتوافرت المسوغات .

والتهمة الثانية : ــ وهذه تهمة أخرى ليست بضيق مذهبه وقلة أحكامه (كما زعموا) وانما هي اشنع ذكرا واسوأ اثرا، هي تهمة التزمت والجمود والجنوح الى الشدة والجفاف والبعد عن الرفق ، سواء اكان في احكام الدين أم في معاملات الناس ، لم تبق هذه التهمة لدى بعض من اهل العلم فحسب كما كانت الاولى ، بل جرت على السنة العوام واصبحت فكاهة يتندرون بذكرها ،حتى ليتصورون الحنابلة بعيدين عن سماحة الاسلام في المعاملات ومقتضيات الحياة .

وما كنا لنأبه لهذه الاراجيف لولا انها تجر الى سوء الفكرة عن الامام احمد وعن فقهه ، ونحن من هذه التهمة في موقف العجب !!

ولكن على اى حال

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا

فما اعتذارك من قول اذا قيلا

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
رئيس لجنة الفتوى وشيخ الحنابلة بالازهر

واني لأقف رويدا امام هذه الفرية المكذوبة علنا نرى الاصل الذى نجمت عنه والركن الذي هبت منه . والامر فى تعليلها لا يتعدى فروضا ثلاثة :

الأول ان الناس في بلادنا يرون كثرة الاتباع للمذاهب الاخرى وقلة اتباع احمد بالنسبة للآخرين فيعتبرون ذلك امارة على الشدة والصلابة .

ان كل هذا رجم بالغيب ، وعماية في الرأي ، فما كانت الكثرة ولا القلة ميزانا بين مذهب ومذهب ، وانما الناس في طلب العلم وخاصة في مصر وراء الآمال ، وقد كان مذهب ابي حنيفة يوما ما قليل الاتباع فلما آزره سلطان الحكم العثماني واتخذوه مذهب الدولة رغب الناس فيه واقبلوا عليه ، فبان فضله وكثر اتباعه ،

ومذهب احمد غريب عن مصر ، فلم تكن له مواطنة تعززه كما الشافعي رضى الله عنه ، ولم يصادف حظوة من تأييد الحكام كما لمذهب أبي حنيفة احسن الله اليه ، فليس صوابا ان تكون القلة امارة على الصعوبة .

السبب الثانى . وهو أشبه بالصواب ان الحنابلة فى القرن الرابع الهجرى بعد وفاة الامام احمد بفترة طويلة كانوا ذوى كثرة وغلبة فى بغداد ، وكانوا في مأمن من مقاومة الخلفاء فاستغلوا كثرتهم في مناصرة مذهبهم ، وتعرضوا بالعنف لمن يخالفهم ، وأساءوا الى كثير

من الخاصة ووجوه القوم ، وابتدعوا اقوالا متطرفة تنسب الى المذهب حتى اليوم ، وليست منه في شيء واحدثوا في ترويجها شغبا آلم الناس ، وأوغر صدور الحكام فنهض الخلفاء لمقاومتهم وهددوهم بالايذاء والتنكيل حتى اقلعوا عن هذه المشادة ، فان صح هذا الموقف تعليلا لما ينسب الى المذهب من شدة فهو تعليل وقتي في زمانه ، وهو محلي لم يتعد حنابلة بغداد يومذاك ، فليس من الانصاف ان تلصق هذه القالة بصاحب المذهب ، او تساير اتباعه حتى في مصر وبعد هذه السنين الطوال ، انها فئة قليلة تشذ عن المذهب يوما ما ، فيرمى بدائها الابرياء في آخر الايام ؟؟

غيري جنى وأنا المعذب فيكمو
فكأنني سبابة المتندم

السبب الثالث : وهو اغرب من سابقيه واصدق عندى ، ان الامام احمد لقي من دسائس حساده وعنت الخلفاء ما ذكرت، ونزل به من الايذاء والتعذيب ما لا يطيقه الا المخلصون لدين الله الصابرون على ما اصابهم في سبيل الله ، حتى هانت عليه حياته ورخصت عنده نفسه ، ورضي بالموت عذبا سائغا دون ان يقول كلمة يرضي بها الخليفة ، وينقذ بها نفسه مخافة ان يكون في لفظته مساس بالقرآن، او أن يتأول الناس كلامه فيضلوا بسببه وهو يرى الموت اهون من الضلال والاضلال ، فيبتعد عن الضلال ولو من ابعد الطرق، ويقدم على الهلاك ولو بأبشع الطرق ، ما دام في هلاكه صيانة لكلام الله .

فيا ترى ايكون تحفظ الامام لدينه وحرصه على الناس ان يضلوا بسببه امرا معيبا عند البعض ، وتهمة بالجمود والعصبية العمياء ، ويعير من اجله كل ثابت على مبدئه او محتفظ بكرامته ، أو معتز بشخصيته ، أو معتصم بدينه بأنه حنبلي ؟؟

ان كانت العزيمة والتمسك بهذه الفضيلة معابة فأنعم بالحنبلية شعارا فوق رأسي، ووشاحا في صدرى ،وراية فى يمينى ، وغرة فى جبينى ، وليقل الناس ما شاءوا « ان المحب عن العزال في صمم » .

نعم ان موقف احمد ازاء الخلفاء لموقف التضحية ، وهو المثار لهذه القالة وكان العهد ان يشاد بهذا في الذكريات الطيبات ، وأن يجرى على ألسنة الناس مجرى الباقيات الصالحات ، ولكن لما اعتل ذوق الناس للفضيلة وفسد الراي في تقديرها واضطرب في فهم ميزان الاخلاق ، وانتكس الحق بينهم ، وظهر الباطل فيهم قلبوا الاوضاع على سمت غير سمتها ، وسموا الاشياء بغير اسمائها ، فكان الذياد عن الحق ، او عن العقيدة رذيلة وكانت مكرمة احمد عندهم نقيصة .

ومن يك ذا فم مريض
يجد مرا به العذب الزلالا

سيداتي ، وسادتي القراء :

واني اذ وقفت بكم امام هذه التهمة ووصلت بكم الى ان قائلها انما يشهد على نفسه بالغباء ويعلن جهالته بالفضيلة اين تكون . فاني لأرى من الحق علي ، ومن سداد القول ان انبه الى امرين احدهما : ان الاصلاح الاجتماعي فى مصر قد لفت الانظار الى تطعيم القانون بالمذاهب الاربعة بعد ان تبين الحرج في البقاء على مذهب واحد ، وبذلك أصبح قانون الاحوال الشخصية الذي يعمل به في المحاكم مزيجا من المذاهب المذكورة، وللمذهب الحنابلة فيه قسط ذو بال ، وفي هذا قضاء على سوء الظن بمذهب احمد ، كما ان الناس اصبحوا يعرضون

مشاكلهم على لجنة الفتوى بالازهر ويسألون الحكم على المذاهب الاربعة ، او على المذهب الأرفق بحالتهم ، وهذا يبشر بالتحلل من النزعات القديمة .

الامر الثاني : الذي انبه اليه هو ان اضرب لكم امثلة من مذهب احمد لم ترد عند غيره من المشهورين ليزداد الحق وضوحا لديكم ، وتعلموا ان مذهبه يسر ولا عسر فيه .

رقم (١) تجيز المذاهب للمتوضىء ان يمسح على خفه بدلا من غسل رجليه مع ملاحظة الشروط المعلومة ، وأحمد ابن حنبل يجيز المسح على الخف من الجلد وعلى الشراب الذي تلبسونه متى كان ساترا للقدم غير مخروق ، وكان لبسه بعد وضوء كامل ، ولم يزد لبسه للمقيم عن يوم وليلة .

رقم (٢) يجيز مذهب الحنابلة — على رواية فيه — ان يصلي الانسان وهو لابس حذاءه بعد أن يمسح نعليه جيدا بالأرض ليزيل ما يمكن ازالته وما بقي من نجاسة النعلين معفو عنه .

رقم (٣) يجيز الحنابلة الجمع بين الظهر والعصر ثم بين المغرب والعشاء جمع تقديم في وقت الاولى او جمع تأخير في وقت الثانية ، وذلك لاصحاب الاعذار الذين لا يستطيعون تأدية كل صلاة في وقتها كعساكر البوليس في غير وقت الراحة وكسائق القطار والترام ، وكالمريض والحامل والمرضعة ، والعمال فى المتاجر والمصانع اذا كان عملهم لا يسمح او يلحقهم ضرر في معايشهم اذا اشتغلوا بالصلاة في كل وقت .

رقم (٤) البهائم والطيور التي يؤكل لحمها ما يخرج من برازها لا يكون نجسا ولا يحتاج لتطهير ما تلوث بها من الثياب اذا كان علفها طاهرا ، وفي هذا فسحة وسهولة على الفلاح وبائع الطيور ، اما الدم فنجس كله .

رقم (٥) خروج الدم من جسم المتوضىء لا ينقض الوضوء اذا كان قليلا في نظر الانسان حسب تقديره .

رقم (٦) اذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد وصليت العيد لم يجب عليك ان تحضر للجمعة ، وكفاك ان تصلى الظهر ولا أثم ، فان حضرت الى مكان الجمعة وجبت .

رقم (٧) صلاة الجمعة عند الحنابلة تصح في وقت الضحى قبل دخول الظهر .

رقم (٨) اذا لم تجد المرأة زوجا او محرما من اهلها يخرج معها للحج فانه لا يجب عليها مهما كانت غنية ، بل لا يحل أن تسافر لاجله وحدها .

رقم (٩) اذا دفع المشترى عربونا وشرط على نفسه ان يتركه للبائع اذا لم يتم شرؤه ثم لم يتم الشراء فالعربون ملك حلال للبائع مهما بلغت قيمته .

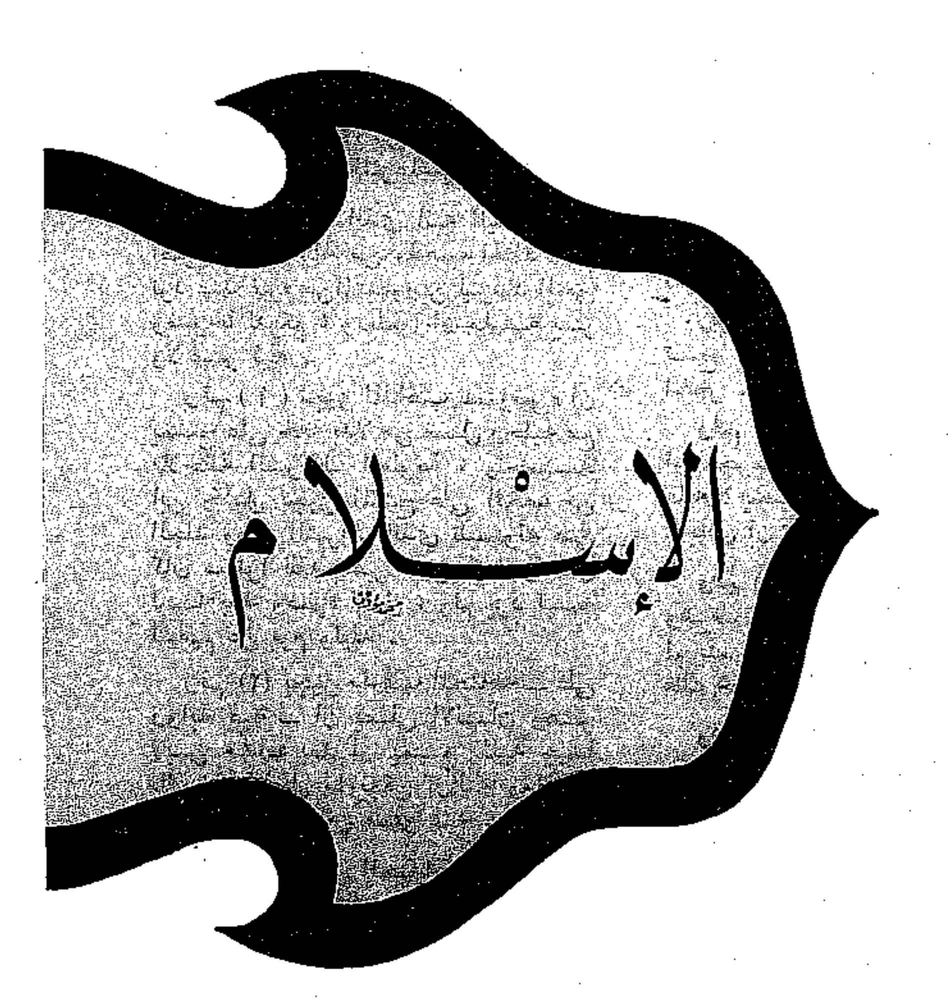
رقم (١٠) اذا كان احد الاقارب غنيا وكان له اقارب فقراء لا يرثون وجب عليه ان يوصى لهم بشيء من ماله يأخذونه بعد وفاته .

رقم (١١) ذبح الحيوان والطيور حلال ولو كانت قصبة الرقبة غير مستديرة وسواء اكان الذبح من اعلاها ام من اسفلها او من سطحها ، ولكن بشرط تسميته عند الذبح .

رقم (١٢) مذهب الحنابلة يوجب العدل بين الاولاد في التركة والعطايا فلا يجوز عندهم اعطاء الذكور وحرمان الاناث ، ولا تفضيل واحد منهم بأكثر من حقه الشرعي الا اذا سمح الآخرون عن طيب نفس منهم ، وذلك لعدم الضغينة بين الاولاد، وهي حكمة معقولة يؤيدها الدليل والواقع .

رقم (١٣) الحيل التي يتوصل بها الى تحليل محرم ممنوعة عند الحنابلة وان كان ظاهرها الصحة ، فزواج المحلل

البقية على ص ٦٥



في العالم صراع لا يهدأ وحرب لا تنتهي ، وهو تارة صراع ظاهر تدعمه القوة والسلاح ، وتارة خفي مستتر سلاحه الفكر واللسان . وهو في استتاره وخفائه أشد خطورة وأفتك منه في ظهوره وجلائه . ولقد تجلى الصراع الفكري أو المذهبي في عالم اليوم اذ قسمه الى معسكرات توزعتها المذاهب ، وباعدت بينها المعتقدات . ولا بد لعالمنا الاسلامي من أن يحدد موقعه المتميز بين تلك المعتقدات والمذاهب . ولا بد للمسلمين اليوم من أن يخوضوا معركة جهاد فكري يوجهون انظار العالم فيها الى رسالتهم الاسلامية الخالدة ويبينون انها اصلح الرسالات لبناء الحضارة الانسانية .

ان الاسلام اليوم مدعو الى القيام بالدور العظيم الذي قام به في الماضي وعجز غيره عن القيام به ، فكان الدين الذي جمع أبناءه على المحبة ووحدة الهدف ، وكان البلسم الذي داوى جراح الانسانية والعلاج الشافي لما شكت منه ، وكان بعد ذلك عطاء خيرا عمت حضارته أقطار الارض .

ونحن حرصا منا على التحديد ورغبة في الوضوح نورد فيما يلي بعض الملاحظات التي ستكون أبحاثنا في ضوئها وهي :

١ : ــ سيكون بحثنا عن الاسلام لا عن



للدكتور مازن المبارك
الاستاذ بجامعة الرياض

المسلمين ، لأن الاسلام هو الدين السماوى الخالد ، والمذهب الفكرى الثابت الواضح ، واما المسلمون فهم بشر يخضعون لما يخضع له كل مجتمع بشرى من عوامل الضعف والتطور .

٢ : ــ ان أصحاب كل دين قادرون على أن يزينوا دينهم بما يستهوى عقول الناس ، وأن يدخلوا فيه ما يشاؤون من تعديل زيادة و نقصا . وقادرون على أن يخضعوه لآراء مجالسهم وقراراتها ، سواء كانت مجالس حزبية أو دينية ... ان كل أصحاب الأديان قادرون على ذلك وهم قد فعلوا ، الا المسلمين فانهم لايستطيعون الى ذلك سبيلا ، ولم يسجل التاريخ حتى فى أيام المحن التى ابتلي فيها الاسلام ، وزلزل فيها المسلمون أن مجلسا من مجالس فقهائهم أو فقيها من فقهائهم قد زاد فى الاسلام فرضا ، أو نقص فرضا ، أو أحل حراما أو حرم حلالا . وذلك لأن دين المسلمين ليس من صنعهم وانما هو من صنع خالقهم فلا يد لهم فيه ولا سلطان لهم عليه ، سواء كانوا فقهاء أم حكاما أو أنبياء . انه دين قد كمل ونعمة قد تمت (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١)

٣ : ــ ان هذا الثبات فى الاسلام لا

(١) سورة المائدة ٣

يتنافى مع ما تقتضيه الظروف والمناسبات من المرونة والتطور ، لأنه ثبات في الأصول العامة وليس ثباتا في الجزئيات ، انه أشبه بثبات الدساتير العامة في المبادىء الكبرى ، وللمسلمين بعد ذلك أن يسنوا من القوانين — في اطاره — ما تقتضيه مصالح دينهم وأمور معيشتهم .

٤ — ان هذه الفترة التي نعيشها نحن اليوم فترة يحمل جيلنا فيها عبئا ثقيلا ومسئولية كبرى ، لأنها فترة بناء جديد بالنسبة الى العالم الاسلامي جاءت على اثر مرحلة الضعف والركود ، تلك التي تسمى في التاريخ بفترة عصور الانحطاط .

ان هذه المرحلة التي يمر بها عالمنا اليوم هي مرحلة الانطلاق بعد الجمود ومرحلة البناء بعد الركود ، فلطالما رقد المسلمون والدنيا من حولهم يقظة ، ولطالما اطمأنوا والعالم من حولهم حذر متربص ، حتى جاءهم اليوم الذي أذهلهم حين التقى شرقهم الغافل في مطلع العصر الحديث بالمدنية الغربية ، فكان لقاء يبهر العيون ، لانه لقاء على غير استعداد .

نعم لقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أشبه بالانسان المخدر وكانت حياتهم فيه أشبه بالموت منها بالحياة ، فلقد جعلوا من الدين — وهو مصدر القوة الكبرى ومعين الفعالية الذي لاينضب — جدلا كلاميا وصوفية سلبية . وكان من سوء الطالع أنه في اواخر تلك الفترة التي اسيء فيها فهم الدين ، واسيء فيها تطبيقه ، وضاع فيها الكثير من معالمه ان اتصل الشرق بالغرب ، وكان الشرق عاجزا يلهث .. بل كان اشبه بالانسان الكسول في آخر لحظات سباته ، وأول لحظات يقظته ، انه نائم بدأ يفتح عينيه ، وما زال خدر النعاس يغالبه .

وأما الغرب فكان اذ ذاك مالكا لكل مشاعر اليقظة ، وكانت له مدنيته كما كانت له مشاكله الخاصة المتولدة من ظروفه الخاصة . وراح الشرق يغرف من كل ما في الغرب يحاول اللحاق به ، والوصول الى ما سبقه اليه ، فاذا هو ينقل في جملة ما نقل كثيرا من مشاكل الغرب ، لقد كان في الغرب صراع بين العلم والكنيسة فانتقل الينا صراعا بين العلم والدين ! وكان في الغرب صراع بين الدين والدولة فانتقل الينا كذلك رغم الفرق البعيد بين طبيعة الدينين ، وموقف كل منهما من امور التشريع والحكم ... وانتقلت الينا وما زالت تنتقل مشاكل كثيرة غريبة الجذور والطبيعة ، فاذا مجتمعنا غارق في مشاكل ليست بنت بيئته ، ولا وليدة ظروفه ، وانما هي ثمار غرست أشجارها في غير بيئتنا ، ونمتها ظروف وروافد لا نظير لها في تربتنا .. وشغلتنا هذه المشاكل المستوردة كما شغلنا ايجاد الحلول لها عن العمل الايجابي المثمر .. وكان لكل ذلك أبعد الأثر في المجتمع الاسلامي ، اذ تقسمت مجتمعنا نزعات وآراء ، وغزت عقول جيلنا مذاهب وأفكار وكان من أثره أيضا أن أصبح الكثيرون منا ينظرون الى الاسلام بعيون غربية .. وأصبح الكثيرون من شبابنا يعانون أزمات نفسية وفكرية كانت تعبر عن نفسها بين الحين والحين بمظاهر الشك أو الالحاد ، أو التقليل من قيمة العقيدة ، أو الاستهتار بالقيم الروحية أو الاسلامية ، وكانت ردة الفعل لهذه المظاهر المنحرفة أن شدد المحافظون قبضتهم وكانوا كلما ازداد اولئك انطلاقا يزدادون هم انكماشا وتصلبا ، حتى بات المجتمع فئتين تتمسك احداهما بالقديم بكل ما فيه ، وتأخذ الثانية بالجديد بكل ما فيه .

وغير خاف أنه لن تكون الامة في خير ولن تصل الى حياة مستقرة سعيدة ما دامت أجيالا متناحرة ، وفئات متنازعة ، واذا جاز أن يقع ذلك يوم لم نكن نملك

أمر انفسنا فانه لم يعد يجوز استمراره الآن . نعم لقد أريد لأمتنا ان يكون بأسها بينها شديداً ، ولكنه آن لنا وقد عرفنا الحق ان نعود الى كلمة سواء ، وآن لأمتنا أن يلتئم شملها بعد ان أوهم الأعداء أنه لا تلاقي ولا اجتماع . واننا لنعتقد أن اجتماع المسلمين على كلمة الحق ممكن اذا أخذ الاسلام على انه نظام شامل للحياة ، وانه مذهب فكرى عالمي . لقد أصبح فهم الاسلام بنظرته الكلية ونظامه الشامل ، أى بالميزة البارزة من مميزاته ، أمراً لا بد منه . ومن أجل ذلك كان على المسئولين عن التربية والتعليم والثقافة والارشاد فى البلاد العربية والاسلامية أن يعنوا بالثقافة الاسلامية ، وأن يكلفوا أهل العلم والخبرة بشرح هذه الثقافة شرحا يكفل عرض الاسلام عرضا يظهر نظرته العامة الى الحياة ، ويكشف أمام عيون الناشئة وعقولهم أنه نظام عام وفكرة حضارية ، بل يبين لأبناء المسلمين قبل غيرهم أن الاسلام خير نظام يحفظ للانسان كرامته، وخير مذهب تقيم عليه الانسانية حضارتها .

٥ : ـ وأما الملاحظة الخامسة والاخيرة فأهمس بها فى آذان الشباب المسلم، وهى أن « الجديد » لايعنى « الأصلح » لا فى معاجم اللغة ولا فى لغة الواقع ، فقد يكون من الجديد ما هو نافع ينبغي الأخذ به ، وقد يكون منه الخبيث . وعلى المسلمين اليوم عامة وعلى شبابهم خاصة تقع مسؤولية الانتقاء والاصطفاء ، وعليهم تقع مهمة التمييز بين الصالح الملائم والدخيل الشاذ .

واذا دفعت بالشباب حماستهم الى الأخذ بكل جديد والزعم بصلاحه ، فلا بأس أن نذكرهم بأنه سبقهم الى القول بذلك أهل القرن الثامن عشر فى أوروبا ، فقد كان معظمهم يؤمن أن الجديد هو الأصلح دوما ، وأن كل تطور أيا كان اتجاهه لا بد ان يكون تطورا نحو الاصلح ، بل لقد اعتقدوا أن الانسانية لا تسير على مر الزمن الا نحو الكمال العقلي والخلقي .. بل لقد زعموا انه لم يأت على الانسانية فى عمرها الطويل يوم بلغت فيه ما بلغته فى عصرهم من تعقل واتزان وسمو أخلاق ! لقد آمن أهل القرن الثامن عشر بهذا ولم يشذ منهم الا القليل ، ولكن العالم كما هي عادته أشبه بالمغامر الذى تتقاذفه الطرق، وهو كلما سار فى طريق منها ظن أنها الطريق المؤدية الى السعادة والامل المنشود ، فتكبد المشاق ، وعانى المتاعب حتى قطع معظم الطريق فاذا هو وجها لوجه أمام خيبة الأمل ، واليأس من جدوى الاستمرار ، فيروح يبحث عن سبيل أهدى .

وكذلك شأن عالمنا المغامر فى دروب المذاهب ومتاهات الافكار .. فلقد تقدم الزمن وطوى القرن الثامن عشر وأهله ، وتكشفت الحجب وبدا من أمر التطور ما كان مستوراً ، فاذا أصوات الاصلاح ترتفع فى زحمة اللهاث وحمى السعى وراء التطور لتنبه العالم الى الخطر المحدق به ، ولتعلن أن التطور الذى أصابته الانسانية تطور آلي فقط ، وهو تطور أبتر ، بل لقد أعلن كثير من المصلحين انه تطور عاد على البشرية بكثير من الضرر ، وقام الفلاسفة ورجال الفكر يبينون أن التطور الآلي وحده لا يعني رقيا فى الحضارة .

والحق انه شتان ما بين المدنية الآلية التى يمكن أن تورث عبر الأجيال ، كما يمكن أن تنقل عبر المناطق وبين الحضارة الأصيلة . ان الحضارة تستند الى فكرة وهى لا تنقل وان نقلت آثارها ، ولذلك فقد تكون على قدمها أصلح بكثير مما يأتى به التطور من جديد . وهذا يعني بالنسبة الى الجيل المسلم أن عليه الا يؤخذ بسحر الألفاظ ، ولا ببريق الشعارات . ان عليه أن يعرف الاصالة من الزيف ، ويميز الخبيث من الطيب ، وأن يدرك أن الزبد يذهب جفاء ، وأن ما ينفع الناس سواء كان جديدا أو قديما هو وحده ما يمكث فى الارض .

(للبحث صلة)



... وفي عودته ـ من أوروبا ـ مر بأسبانيا ورأى آثار المسلمين فيها فأوحت اليه شعرا منه قصيدته الخالدة في جامع قرطبة، وقد استأذن حكومة أسبانيا أن يصلي بالجامع، ولعلها أول صلاة فيه منذ غابت شمس الاسلام عن قرطبة.

والذي يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور مصليا في جامع قرطبة، يقرأ قصيدة بليغة ويتخيل ما جال في فكر شاعر الاسلام في هذا المقام الهائل والمشهد الرائع.

لقد نظم اقبال نفسه هذه القصيدة، ونشرت في ديوان « بال جبريل » وهي احدى بدائعه، ولا يفوق شاعر اقبالا فيما نظم في جامع قرطبة، ولكن أرى في صلاته قصيدة تروع نفسي معانيها، ويكاد قلمي يخط ألفاظها، وعسى أن أخطها يوما. ماذا جال في نفس شاعر الاسلام وهو في محراب الجامع، والجامع عطل من الصلاة والأذان؟

ليت شعري استطاع اقبال أن يسمع من وراء الاجيال الأذان، تردده مآذن جامع قرطبة؟ أم أنصت الى القرآن يرتله الائمة في المحراب؟ أم انقلبت آيات القرآن التي لا تزال تنير في جدران المسجد ترتيلا في أذنه ووحيا في قلبه؟

أي قصيدة هذه ...؟

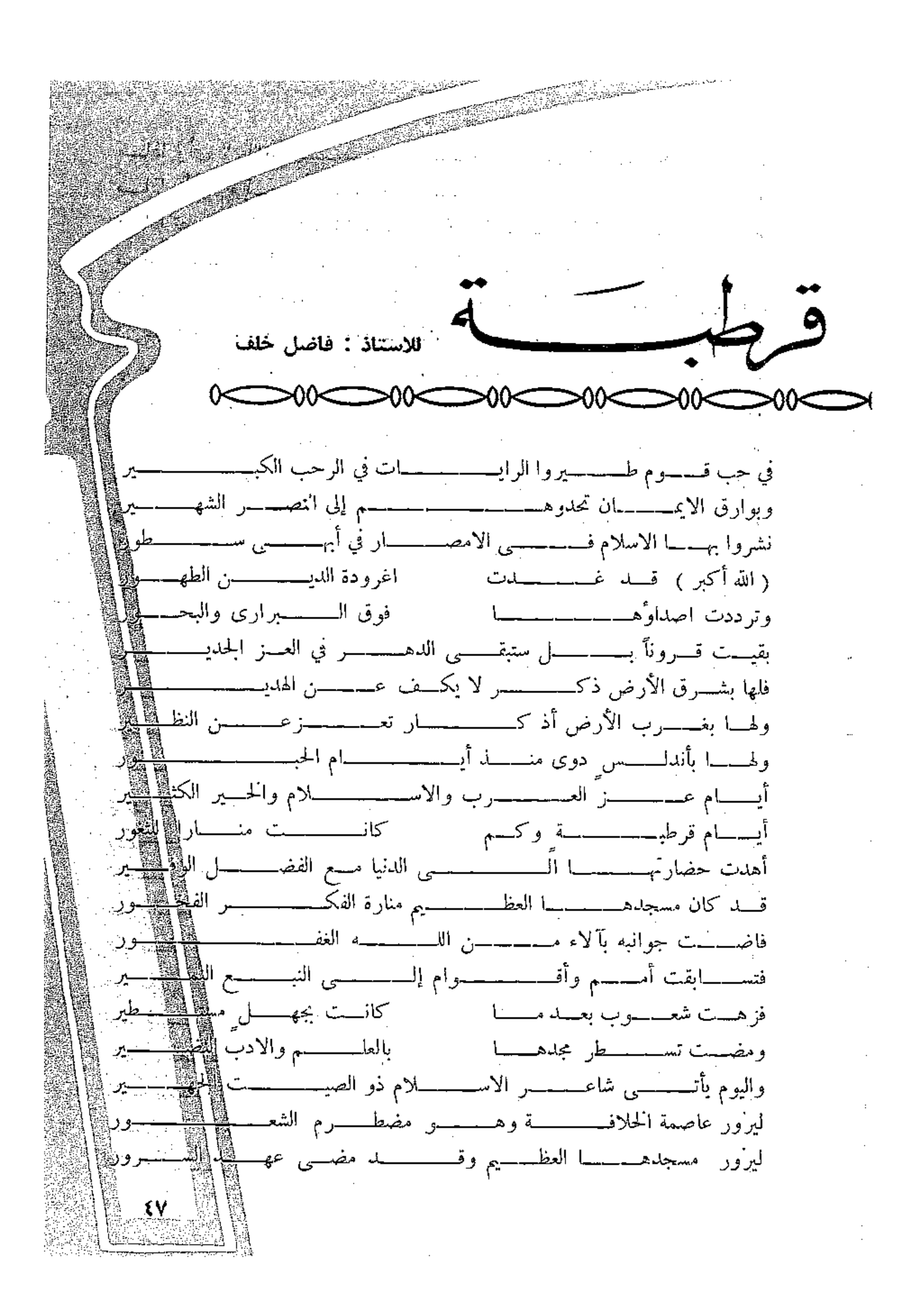
أي شاعر ينظم القصيدة التي عنوانها « اقبال في محراب قرطبة »؟

المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام

وهنا يقوم الشاعر الكويتي الاستاذ فاضل خلف بتحقيق ما تردد في نفس الدكتور عزام فيقدم الينا هذه القصيدة المعبرة:

هي قصة المجـــــد النضـــــير	خلدت علــى مر العصــور
هي قصة التاريخ والذكـــــ	ـــرى على الدرب المنـــبر
هي قصة الذكــرى وقــد	خفقت بأعماق الضمـــــير
خفقت بقلـــب الشاعــــ	ـــر المفتون في زُهر الامــور
الشاعر المفتون فـــــ	ــي حب البواشق والنســور

(١) بمناسبة ذكرى وفاته في ٢١ ابريل



قرطبة

للاستاذ : فاضل خلف

في حب قوم طيروا الرايات في الرحب الكبير
وبوارق الايمان تحدوهم إلى النصر الشهير
نشروا بها الاسلام في الامصار في أبهى سطور
(الله أكبر) قد غدت اغرودة الدين الطهور
وترددت اصداؤها فوق البراري والبحور
بقيت قروناً بل ستبقى الدهر في العز الجدير
فلها بشرق الأرض ذكر لا يكف عن الهدير
ولها بغرب الأرض أذكار تعز عن النظير
ولها بأندلسٍ دوي منذ أيام الحبور
أيام عز العرب والاسلام والخير الكثير
أيام قرطبةٍ وكم كانت منارا للثغور
أهدت حضارتها الى الدنيا مع الفضل الوفير
قد كان مسجدها العظيم منارة الفكر الفخور
فاضت جوانبه بآلاء من الله الغفور
فتسابقت أمم وأقوام إلى النبع النمير
فزهت شعوب بعد ما كانت بجهلٍ مستطير
ومضت تسطر مجدها بالعلم والادب النضير
واليوم يأتي شاعر الاسلام ذو الصيت الجهير
ليزور عاصمة الخلافة وهو مضطرم الشعور
ليزور مسجدها العظيم وقد مضى عهد السرور

مــاذا رأى ؟ يالمشاعـــــــــــــــر من تصـــــاريف الدهـــــــور
مــاذا رأى ؟ والـــــــــدار قفــــــر من قريـــــــــب أو عشـــــير
مــاذا تصـــي شـــاعر الاســـــــلام أثنـــــــاء المســـــــــــير
مــاذا تصـــي الشاعــــــر الحســــــاس في الصمــــــت المريــــــر
في صمــــــت مسجدهــــــا المعطــــل فـــى الاصائـــــل والبكور ؟
في صمته بعـــد الفخـــــار وبعـــــد عهــــــد مستنـــــــــــــير
في صمتـــه بعــــد الصـــــلاة وقـــد غـــدت خلـــــــف الســــــتور
في الصمت بعد تـــــــلاوة القــــرآن فـــــى البيـــــت الوقــــــور
للــــه ما أبهــــى الصــــــلاة . صــــلاة إقبـــــال الكبـــــــير
وصـــــلاته السمحــــــاء تبعــــــث بالسكينـــــــة فـــى الصـــدور
وقيـــامه فـــى دوحـــــة المحــــراب بالقلـــــــــب الكســــــير
ياشعـــــــر مجّـــــد هـــــذه الصلوات بالمعـــــــنى المشـــــــــير
فـــى الجامــــع المهجــــــور حيــــث خـــلا من الذكــــــر الأثـــير
حيـــث الفنــــــاء مـــــرزأٌ يشكو – له – ســـوء المصـــير
حيــــــث المصــــــلى مقفــــر من ذى صـــــــلاة أو نـــــذور
حيــــــث الزوايـــــــــا المظلمـــــــــات تنم عـــن وضـــع عســـير
حيــــــث العقود الموحشـــــــات تئـــــــن من زمـــــن غَـــــرور
حيـــــث الســــــوارى العاثـــــــرات تحـــــن للعقـــــــد النثـــير
وجوانـــــب المحــــــراب تبحــــــث عـــن مؤاس أو نصـــــــير
وبقيـــــة الآيـــــات فــــى الجــدران نـــور فـــــوق نــــــور
ترنــــو هنـــــــــاك وها هنا للقــارئ الفــــــرد البصـــير
فـــى المسجـــد المحـــــزون لا أحـــدٌ ســـوى العلّم الخبير
لاعـــالم يلقـــى الدروس ولامُصّـــلٍ فـــى شكـــــــــــور
مـــا في الـــــرواق خليفـــة مـــا فـــى المصلـــى من وزيـــر
مـــا فـــى الثنايـــا قائـــــد يهــــدى المفاخــــر للأمـــــير
مـــا في الصفـــوف مجاهــــد يدعـــو الكتائـــب للنفـــير
لايَعْمُـــرُ المحـــراب – رغـــم خلـــوده – صقـــــر الصقـــــور
كـــلا ولا الحكـــم الهمـــــــام مجدد الركــــــــن المنــــــير
لا الناصــــر الوضــــاح يدعـــو الظافـــرين إلـــى العبــــــور

لا الحاجب المنصور يدفعهم إلى صد المغير
لا ابنُ تاشفين يلم الشعث بالحشد الجسور
لا ابنُ رشدٍ يتحف الطلاب بالعلم الغزير
صمت رهيب طبق الأرجاء باليأس المرير
في المسجد الملتاح حيث ترن أصداء العصور
اقبال روح يلمح الأرواح تسبح في الأثير
أرواح جيل مؤمن برسالة الهادى البشير
ويحدث القصاد عن عهد وسلطان قرير
عهد الفتوح وقد أهل بطارقٍ وابن النصير
والغافقى بلاطُهُ متلألئٌ رغم العثور
قد سجل الشهداء أمجاداً بواديه الخضير
وصحائف التاريخ تطويه إلى يوم النشور
اقبال هذى الذكريات معطرات بالعبير
ياشاعر الاسلام حدث عن طوافك والمرور
حدث أيا اقبال عن هذا اللقاء وكن سميرى
فى المسجد المحزون حيث خطرتُ في الزمن الأخير
فرأيت بقعتك المضيئة وهى تبسم للحضور
وسمعت من خلف العصور تلاوة الجمع الغفير
وسمعت فى آفاقها صوت المؤذن كالهدير
ولمحت أبطال الجهاد هناك فى طرف حسير
ولمحت فى المحراب أشباح الكواكب والبدور
ولمحت يا إقبال أرباب الفصاحة والسرير
ورأيت فى ذاك اللقاء ملامح الشعب الهصور
ورأيت طلعتك البهية وهى واضحة الظهور
عزام هذا منتهى جهدى تجاوز عن قصورى
والله ما أنا غير تلميذٍ ـ لاقبالٍ ـ صغير
أهوى العلى ويهزنى للمجد شوق في ضميرى
فإليك يا عزام في الفردوس ما أملى شعورى
اقبال في محراب قرطبةٍ يسبح للقدير



لم يكن حديثنا الاول الذى كتبناه فى هذا الموضوع سوى مقدمة قصدنا منها تنوير الاذهان وتنبيهها الى حقيقة الاعجاز العلمي للقرآن الكريم ، وسبقه لركب العلم ، بما تضمن من آيات علمية يربو عددها على (٨٥٠) آية ، منها آيات تسرد التفصيلات العلمية ، وتبينها بطريقة معجزة اخاذة ، مما يثبت قطعا أنه الوحي من لدن الخالق العليم . ولا يزال هناك العديد من الآيات التي لم يصل مستوى البشر العلمي بعد الى الكشف عن حقيقة أمرها ، أو التوصل الى معانيها بما يسهل لنا أمر التعليق عليها علميا . ومثل ذلك السماوات السبع التي ورد ذكرها فى بعض آيات القرآن الكريم ، ولا يعرف العلم عنها الا النذر اليسير حتى الآن . ولكن ليس من شك أنه كلما سار ركب العلم قدما ، وتفتحت أمامنا الآفاق كلما لمسنا حقيقة تلك الآيات ، وتوصلنا الى مغزاها ومرماها،واستطعنا التعليق عليها علميا.

ومهما يكن من شيء فان الحقيقة التي لا مراء فيها آن القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى لا يحد اعجازه بثقافة بالذات ، ولا يقف عند عصر معين ، هضم كافة الحضارات منذ نزوله حتى يومنا هذا ، وهو اليوم يتحدى عصر العلم وعصرى الذرة والفضاء ، ولقد مر المسلمون فى عصرهم الاول على كثير من آياته التي لم يفهموها مر الكرام ، وذلك بطبيعة الحال نظرا لقلة مادتهم العلمية ،



للدكتور محمد جمال الدين الفندى

الاستاذ بكلية العلوم ــ جامعة القاهرة

ولكن آن الاوان لنخطو الى الامام خطوة بل خطوات .

ولعله من الاجدى والاصوب عند هذه المرحلة من سلسلة حديثنا حول هــذا الموضوع، أن نعمد الى التزام التخصيص فى المادة بدلا من معالجة موضوعات شتى فى وقت واحد ، مع اعطاء الشرح العلمي الوافى الذى يعين القارىء الكريــم على التتبع ، ويبرز حقيقة ما فى القرآن من اعجاز علمي . ولعمرى تلك هي رسالتنا اليوم ، وهذا هو واجبنا فى هذا العصر ، ولسوف يسألنا الله عز وجل عن كل هذا ، فرسالة القرآن أمانة فى أعناقنا ، وتكليفه لا سبيل الى التهرب منه أو طرحه جانبا .

وليس من شك أن الغرب لا يعرف عن هذه الرسالة السامية الا صورة ناقصة أو مشوهة ، نقلهــا اليه بعض الكتاب ، ومنهم من تعمد الخطأ ، كما أن منهم من وقع فيه بغير تعمد ، ولكن اما عن عــدم فهم حقيقي للامور واللغة ، واما عــــن تفسيرات ناقصة أو خاطئة أو مشوهة ، ولهذا نبذ الاسلام عدد وفير من الغربيين .

ولكــن ما أحوج الغرب (والشرق) اليوم الى الوقوف على حقيقة الرســالة السماوية الصادقة ، وما جاء به القرآن من تعاليم ، وما نادى به من مثل ، وما حث عليه من أخلاق ، حتى تظل البشرية محتفظة بآدميتها ، ولا تطغى المادة عــلى النفوس ، ونصبح كالآلات التي لا هدف لها ولا مثل عليا .

لغة العلم

ان لغة هذا العصر التي يفهمها الناس، وتنفذ الى قلوبهم هي لغة العلم ، ولقــد نبذت بعض الامم الدين وتخلصت منــه لانه لم يكن دين الاســــلام ، فلم يشبع

عقول المفكرين فى هذا العصر ، ولم يقنع العلماء فى قليل أو كثير .

وفى هذا الوقت الذى كثر الحديث فيه عن السماوات ، أو فى معنى أصح عـن أجرام السماء الاخرى التي تنتشر عبر خضم الفضاء ، وهل فيها كائنات حية ، نجد الجواب الوافى فى القرآن الكريم . لقد ذهبت بعض العقائد القديمة الى أنه لا وجود لكائن آخر يعقل فى هذا الكون سوى البشر سكان الارض ، ولا يـزال هذا المذهب منتشرا حتى يومنا هـذا ، رغم أنه لا أساس له من العلم .

وعندما بزغ فجر عصر الفضـاء كان من الطبيعي أن ينبذ العلماء هذه الفكرة ، وهم الآن يبحثون عن الحقيقة التي يقرها حساب الاحتمـال الرياضي ، وينادون بأنه لا بد أن يوجد على الاجرام النائيـة كائنات حيـة أخرى ، ولكن كيف يمكن الاتصال بها) .

أننا معشر المسلمين عندما نرجـع الى كتاب الله نجده ينبئنا بما غاب عنـا ويحدثنا عن تلك العوالم الاخرى حديثـا وافيا مستفيضا يسبق ركب العـلم ، اذ يقول على سبيل المثال :ـ

١ :ـ «قال ربي يعلم القول فى السماء والارض ... » سورة الانبياء

واذا ففي السماوات سكان يتكلمون أو يتفاهمون بطريقة ما . فنحن قـد نعتبر القول مجـرد رمز للتفاهم بين مختلف الكائنات ، ما يعقل منهـا وما لا يعقل .

ولقد ورد فى القرآن الكريم ذكـر أن النمل فى مرتبة مـن يتكلم « قالت نملة يأيها النمـل ادخلوا مساكنكم ... » سورة النمل .

والمعروف علميا أن جماعات النمـل من أروع الكائنات التي ظهـرت على الارض . وهي تبني لها بيوتا من مواد الارض الرديئة التوصيـل للحرارة ، وذلك لكي تتقي حر الصيف وبـرد الشتاء . وبطبيعة الحال ليس للنمـل لغة ، لان اللغة وليدة العقل وهي الحـد الفاصل بين الكائنات التي تعقل وتفكـر وغيرهـا من سائر الكائنات الاخرى . ولكن المراد بالقول هنا احدى وسـائل التفاهم مثل الايحاء او الاشارة او الرسم ، أو الرمز .. أو الصياح أو عمل صـوت معين ... الى غير ذلك مما نعرف وما لا نعرف .

٢ :ـ « ومـن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » . (سـورة الشورى) .

وجلـي أن هـذه الآيـة الكريمـة انما تقرر فى صراحـة تواجد الكائنات المادية التـي تـدب عـلى الكواكب الاخرى ، كما انها تشير الى امكان اتصال هذه الكائنات كلها مع بعضها البعض . وقد يتم هذا الاتصال بين هذه المخلوقات عن طريق اللاسلكي أو أمواج الاثير ، أو بسفن الفضاء. وهنا يظهر لنا مرة أخرى مدى اعجاز القرآن العلمي وسبقه لركب

العلم وكافة الحضارات بما يثبت لنا قطعا انه من عند الخالق العليم .

٣ : — ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون « سورة النحل — وليس من شك ان هذه الآية الاخيرة من أوضح الآيات التي تفرق بين الملائكة وما فى السماوات من مخلوقات مادية تدب . هي سكان الكواكب الاخرى .

ومهما يكن من شيء فانه من الحماقة ان نحد ملكوت الله تعالى بما هو كائن على الارض .

الجو الارضي

ويجرنا الحديث العلمي عن الفلك والقرآن كذلك الى جو الارض الذى يعلونا مباشرة ، والذي فيه تثار السحب ومنه تنزل الامطار ، وعليه تتوقف الحياة على الارض اذ يمدنا بالاوكسجين اللازم للحياة ، وفيه تحدث العواصف المختلفة كعواصف الرمال والرعد كما تحدث كثير من ظواهر الضوء .

والنظرة الحديثة للارض انها سفينة عظمى من سفن الفضاء، عاش عليها البشر منذ القدم ، وما سقف هذه السفينة سوى الغلاف الجوى الذى يحيط بها ، ويمتد الى علو نحو الف كيلو متر . وهو يحمينا من أهوال الفضاء الكوني، ويحول دون وصول ما يسبح فيه من أسراب الشهب الى سطح الارض ، كما يمنع وصول الاشعة الكونية القاتلة ، وكذلك الاشعة الفتاكة التي تطلقها الشمس ، ونسميها الاشعة فوق البنفسجية ، وهي اشعة غير مرئية الا انها تقتل الخلايا الحية وتحرقها . ولا يسمح الغلاف الجوى الا بوصول قدر بسيط جدا منها الى السطح ، يلزم لبقاء الحياة على الارض يانعة مزدهرة ، فسبحان الخالق المبدع الذى أنعم علينا بنعمة الهواء وقدر خصائصه تقديرا . لنعيش فى أمن وسلام (.... وخلق كل شيء فقدره تقديرا) « الفرقان » .

وقوام الغلاف الجوى مجموعة من الغازات التي لا طعم لها ، ولا لون ولا رائحة . وابسط مظاهره — فوق أننا نستنشقه — تأثيره على الاجسام عند تحركه ، حيث يعرف بالريح . وتولد الرياح أمواج البحر عند انسيابها فوق سطحه ، كما انها تدفع السفن الشراعية وتحمل السحب . وتنساب الرياح تبعا لقواعد معينة تكون فى مجموعها أساس علم الارصاد الجوية . ولقد حثنا القرآن الكريم على التفكير فى كل ذلك ودراسته لنلمس آيات الخالق المبدع جل شأنه ونؤمن به ، فهو يخاطب العقول الناضجة، ويوجه الحديث الى ذوى البصائر الراجحة ، وهو من وجهة النظر هذه يهضم الحضارة العلمية الحديثة، ويلتقى معها فى سلسلة متواصلة من الآيات الكريمة المعجزة الرائعة :

أنظر مثلا (على سبيل المثال لا على سبيل الحصر) الى قوله تعالى فى سورة الجاثية .

« أن فى السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف

الرياح آيات لقوم يعقلون . » وكذلك انظر الى قوله تعالى في سورة البقرة :

« ان فى خلـــق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السمـــاء والارض لآيات لقوم يعقلون » .

القرآن اذا كمعجزة خالدة لـم تقف تعاليمه ومعانيه عنـــد حد (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ، بل ان اعجازه راح يظهر في عصر العلم ، بنفس القوة التي أعجز بها فصحاء العرب في صدر الاسلام . وان من واجب علماء المسلمين اظهار هذه الحقيقة واضحة جلية ونقلها الى الغرب بلغاتهم وحججهم التي يفهمونها ويؤمنون بهـــا ، لما فى ذلك مـــن خير يعود على الانسانية بأسرها . وكما يقال (الناس أعداء ما جهلوا !) .

ولقد ذكر القرآن الكريم الكثير مـــن خصائص الهواء الطبيعية التي لها مساس كلي بحياة الناس ، والتي كان يجهلهـــا البشر حتى عهد قريب جدا . وهذا مـــا سنحاول اظهاره على التدريج بعون الله ليؤمن القارىء (مهما كانت عقيدته) بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لـــم يكن ينطق عن الهوى ، وأن ما جاء به هـــو الحق من عند الله عز وجل .

فليس منا من يجهـــل أن أوكسيجين الهواء هو أساس الحياة على أرضنـــــا الطيبة التي باركها الخالق ، فهو عنـــد استنشاقه يجدد نقاء الدم في الكائنـــات الحية ويكسبها القدرة على العمل . وهو يخرج مع هواء الزفير على هيئة غـــاز (شبه سام) هو غـــــاز ثاني أوكسيد الكربون ، كما يدخل ايضا في جميـــع عمليات الاحتراق ويكون هذا الغــــاز الخانق المعروف باسم ثاني أوكسيـــد الكربون . أما هذا الغـــاز الاخير الذى يتراكم فى الجو ، فان النباتات وأعشاب البر والبحر تمتصه ثم تعيده الى الجو أوكسيجينا خالصا . وهـكذا يمكن أن تستمر الحياة على الارض مـــن غير أن ينفـــد الاوكسجين ، اذ تعترى كمياته سلسلة من التحور أو التحول الدورى المستمر الذى يبقى عليه أبد الدهــــر بفضل مملكة النبات .

كأنما يصعد فى السماء

وتبلغ كمية الاوكسيجين فى الجو نحو الخمس من حيث الحجم . والغـــلاف الجوى كأي جسم على الارض له (وزنه) . وينجم عن هـــذا الوزن على السنتمتر المربع من اي ســـطح قوة هي الضغط الجوى . والتعـــــريف العلمي للضغط الجوى عند اي نقطــــة هو وزن عمود الهواء القام على السنتمتر المـربع حول هذه النقطة والممتد الى نهاية الجو مـــن اعلى . وبطبيعة الحال كلما ارتفعنا عن سطح الارض كلما نقص طول هذا العمود ، وعلى ذلك يقل الضغط الجوى عمومـــا ، وتقل كميات الاوكسيجين الموجودة فعلا كذلك ، حتى تصبح غير كافية لبقـــاء الحياة ، ما لم يستنشق منهـــا الانسان كميات وفيرة جدا لا يتسع لها صدره ، أو فى تعبير أصـــــح هو يضيق عنها .

ويصف القرآن هذه الحقيقة فى اعجاز اخاذ اذ يقول فىسورةالانعام «... يجعل صدره ضيقا حرجا كأنمـــا يصعد فى السماء» .

والآن دعني أشرح لك جوانب الاعجاز العلمي الذي سبقت به هذه الآية الركب بتفصيل أكثر ، حتى لا يقول قائل بأن ما تذهب اليه هو مجرد ادعاء .

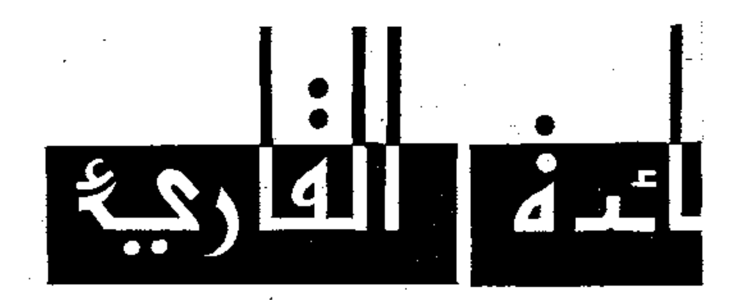
كان الناس حتى عهد قريب جـــدا يظنـون أن هـواء الارض محتفظ بكل صفاته الى أعماق الفضاء حيث تنتشر أجرام السماء كالقمـر والمريخ والزهرة وعطارد ... وفى عصر الاغريق فكــر الاسكندر الاكبر (ولعله هو المعروف بذى القرنين) فىزيارةالسماءداخل عربةخاصة تصعد بها النسور الا أن شيئا من ذلك لم يحدث بطبيعة الحال .

وبعد أن حلق الانسان على ارتفاعات شاهقة مثل (٣٠) كيلو مترا باستخدام المناطيد ، وبعد أن طار ووصل الى ارتفاعات أعظم بالطائرات ثم بالصواريخ ، عرف أن الصعود قدما فى الجو يصحبه دون شك نقص فى الضغط الجوى،وفى كميات الاوكسجين بمعدلات سريعة ، بحيث يصل الى حالة الاختناق غير بعيـــد من سطح الارض ، على علو لا يزيد كثيرا على عشرة كيلو مترات فقط .

ومن عناية الخالق ورعايته تعالى بعباده أن جعل للارض غلافا هوائيا ، يقع تحت طائل الجاذبية ، فى نفس الوقت الذى يخضع فيه لظاهرة انتشار الغازات تلك الظاهرة التي تجعل الغاز (أو الهواء) يتمدد ليملأ الفراغ المعرض له . وعلى ذلك نجد ان الهواء يتمدد ، ولكن بدرجة لا تسمح له بالافلات والخروج بعيدا عن قبضة الارض له (أو جاذبيتها له) ، فهو لا يتلاشى فى خضم الفضاء الفسيح الاعلى علو نحو الف كيلو متر من سطحها كمـا قلنـــا . ولكن كلمـا راح الانسان يصعد فى السماء الـى أعلى كلمـا وجـد أن الهواء قليـــل الضـغط والكثافة ، والعكس صحيح . ويبلـغ مقـدار الضـغط الجوى عنـد سطح البحر فى المتوسـط نحو وزن كيلـوجـرام واحد على السنتمتر المربع . ويبين الجدول الآتي قيم متوسطا تالضغط الجوى عـلى الارتفاعات المختلفة مقدرة بالجرام (الكيلو جرام يساوى الف جرام كما تعلم) على وجه التقريب .

الارتفاع بالمتر	الضغط بالجرام	الارتفاع بالمتر	الضغط بالجرام
سطح البحر	١٠٠٠	١٢٠٠٠	٢٠٠
١٥٠٠	٨٥٠	١٦٠٠٠	١٠٠
٣٠٠٠	٧٠٠	٢٠٠٠٠	٥٠
٦٠٠٠	٥٠٠	٣٠٠٠٠	١٠
١٠٠٠٠	٣٠٠		

والمعروف علميا أن اجسامنا خلقها الله تعالى بحيث تتحمل على سطح الارض الضغط الجوى الكامل الناتج عن تراكم كافة طبقات الهواء بعضها فوق بعض الى نهاية الغلاف الجوى من أعلى ، كما تكفى كميات الاوكسجين الموجودة عند السطح لتنقية الدم وبقائنا على قيد الحياة ، وهي كميات يعمل على تجديدها باستمرار عالم النبات كما قدمنا . ولكن عندما يحاول الانسان الصعود الى أعلى يتعرض فى الحال لظاهرة نقص الاوكسجين كما تبين الآية الكريمة فى صراحة تامة فهل بعد ذلك اعجاز وسبق للعلم) .



« رؤيـــا »

قال عبد الله بن عمر رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن بيدى قطعة استبرق ، وكأنني لا اريد مكانا من الجنة الا طارت بي اليــه ، ورأيت كأن اثنــين أتياني ، وأرادا أن يذهبا بي الى النار ، فتلقاهما ملك ، فقال : لا ترع ، فخليا عني .. فقصت حفصة ـ أختي ـ على النبي رؤياي ، فقال رسول الله نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل ، فيكثر .

ومن ذلك اليوم الى أن لقى ربه لم يدع عبد الله قيام الليل فى حله ، ولا فى ترحاله .

« مجاب الدعــوة »

رأى سعد بن أبى وقاص رجلا يسب عليا ـ كرم الله وجهه ـ فنهاه ، فلم ينته .. فقال له : اذن أدعو عليك .. قال الرجل : أراك تتهددني كأنك نبي .. فانصرف سعد ، وتوضأ ، وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه ، وقال : اللهم ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وأنــه أسخطك سبه اياهم ، فاجعله آية وعبرة ..

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من احدى الدور ناقة نادة لا يردها شيء حتى دخلت فى زحام الناس ـ كأنها تبحث عن شيء ـ ثم اقتحمت الرجل ، فأخذته بين قوائمها .. وما زالت تتخبطه حتى مات .

« غزوات الرســول »

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين غزوة هي على الترتيب :

غزوة ودان ، وبواط والعشيرة ، وبدر الأولى ، وبدر الثانية ، وبنى سليم ، والسويق ، وغطفان ، ونجران وأحد ، وحمراء الأسد ، وذات الرقاع ، وبدر الآخرة ، ودومة الجندل ، والخندق وبنى قريظة ، وبني لحيان وذى قرد ، وبني المصطلق ، والحديبية ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك ..

قاتل منها فى تسع : وهي بدر الثانية وأحد والخندق وقريظة والمصــطلق وخيبر والفتــح وحنين والطائـــف .

« خاتم رسول الله »

اتخذ رسول الله خاتما من فضة كان يلبسه في خنصر اليد اليسرى وربما في يمينه ، ولم يزل هذا الخاتم في يده الى أن مات ثم في يد أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان . فلما كان في السنة السادسة من خلافته سقط من يده في بئر أريس فنزحت البئر ، فلم يوجد الخاتم .

« رؤيا الشافعي »

رأى الشافعي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأخبره أن الامام احمد بن حنبل سيمتحن فكتب الشافعي كتابا بهذا ، وأرسله مع الربيع ابن سليمان الى الامام احمد . قال الربيع ، فاخذت الكتاب ، وخرجت من مصر حتى قدمت العراق ، فوافيت مسجد ابن حنبل ، فصادفته في صلاة الفجر ، فصليت معه ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فجعل يسألني عنه طويلا ، ثم فك ختم الكتاب ، وقرأه حتى اذا بلغ موضعا منه بكى ، وقال : أرجو الله تعالى أن يحقق ذلك .

قلت : يا أبا عبد الله، أي شيء قد كتب اليك ؟

قال : ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، وهو يقول له : يا ابن ادريس بشر هذا الفتى أبا عبد الله احمد بن حنبل انه سيمتحن في دين الله ، ويدعى ان يقول القرآن مخلوق ، فلا يفعل ، فانه سيضرب بالسياط وان الله عز وجل ينشر له بذلك علما لا يطوى الى يوم القيامة .

فقلت بشارة ، فاي شيء جائزة لي عليها ؟ وكان عليه ثوبان ، فنزع أحدهما ، فدفعه الي .

« كُتّاب رسول الله »

علي بن أبي طالب ، وعثمان ، وأبو بكر ، وخالد بن سعيد ، وأبي بن كعب ، وحنظلة بن الربيع ، ويزيد بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ابن ابي سفيان .

مؤذن علي

كان لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ جارية تدخل وتخرج ، وكان له مؤذن شاب فكان اذا نظر اليها قال لها : أنا والله أحبك .

فلما طال ذلك عليها أتت عليا فاخبرته ، فقال لها : اذا قال لك ذلك ، فقولي : أنا والله أحبك ، فمه (كف عن الكلام) فقالت له ذلك ، فقال : تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

ثم أعلمت عليا بذلك ، فدعا به فزوجها منه .

بهلول والرشيد

خرج الرشيد الى الحج ، فمر بالكوفة ، فرأى بهلولا الزاهد ، وجرى بينهما الحوار الآتي :

الرشيد : يا بهلول كنت مشتاقا اليك .

بهلول : لكني لم أشتق اليك .

الرشيد : عظني .

بهلول : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم .

الرشيد : زدني .

بهلول : من أعطاه الله مالا وجمالا ، فعف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الابرار .

الرشيد : قد أمرنا بقضاء ديونك ان كانت .

بهلول : لا . انه لا يقضى دين بدين . اردد الحق الى أهله ، واقض دين نفسك .

الرشيد : ألك حاجة ؟

بهلول : أنا وأنت عيال الله . فمحال أن يذكرك وينساني .

بين الله والشيطان

سئل شاعر الاسلام « اقبال » لماذا بعث الله الانبياء ومؤسسي الاديان من آسيا ، ولم يبعث أحدا منهم من أوروبا .

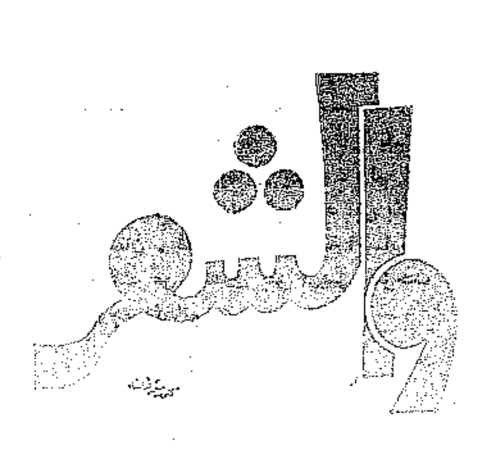
فأجاب ساخرا . لأن العالم مقسم بين الله والشيطان ، ولما كانت آسيا نصيب الله كانت أوروبا من نصيب الشيطان فقيل له . قد عرفنا رسل الله ، فاين رسل الشيطان ، فأجاب . رسل الشيطان هم زعماء الخداع والمكر في أوروبا .

وفي ذلك جاء شعره : ـ

أهدت الشام الى الغرب نبيا ... هو عف ومؤس : وصبور

ومن الغرب الى الشام هدايا ... من قمار ، ونساء ، وخمور





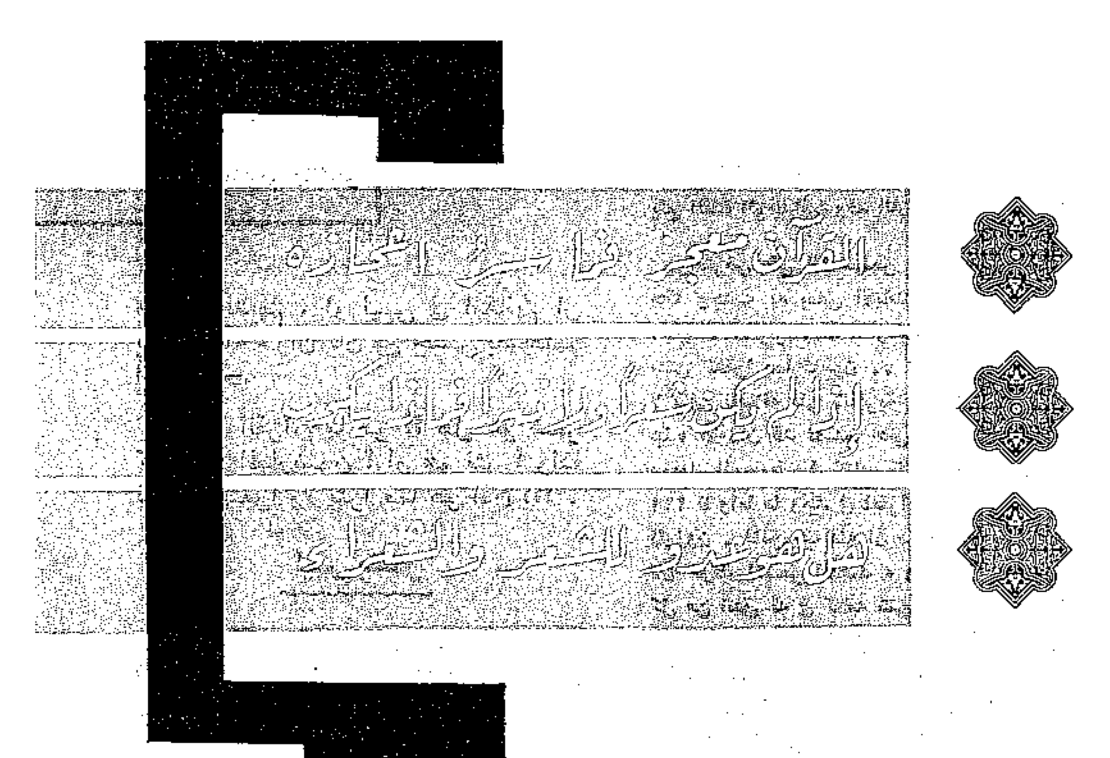
بقلم السيدة / زينات لطفى المنفلوطي

اشتهرت الامة العربية بنشاطها الوجداني وخاصة فى الشعر . فقد كان التراث الذى فخرت به وخلدت به مجدها وتاريخها الادبى ولغتها الكريمة . ولما جاء القرآن الكريم الى هذه الامة العربية ، التمسوا أنيجاروه فلم يستطيعوا . مع انه جاء كالكلام المألوف لديهم ، لانه جاء بلغتهم العربية وجرى على اصول بلاغتهم ، وعلى الرغم من ذلك كان معجزا ، وتحداهم وذكر لهم انهم لن يستطيعوا ان يأتوا بمثله او بعشر سور أو بسورة واحدة ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) فما وجه ذلك الاعجاز ؟

تعددت الآراء : فمن قائل بالصرفة ، ومن قائل بما احتوى عليه من علوم وتشريع فهو مشتمل على كل شيء ، ومن قائل أنه معجز من الناحية الادبية والبلاغية .

أما انه معجز بالصرفة ، فهو قول فيه كثير من المغالطة ، اذ ان هذه الصرفة حدثت بعد ان عرف العرب اعجاز القرآن ، فلم لم يجاروه قبلها ؟؟؟ واما القول انه معجز من الناحية العلمية ، فقد رد الاستاذ أمين الخولى فى كتابه « التفسير » هذا الرأى ردا ، وان كان موجزا الا انه مركز ، وفيه ما يدحض هذا الزعم ، والحق ان هذا الرأى صدر عن قوم لا ننكر عليهم سلامة النية ، ولكننا ننكر عليهم محاولة اقحام القرآن الكريم فى مثل هذه الموضوعات العلمية ، خاصة وانه نزل فى امة ليس لها من الحظ العلمى الا القدر البدائى .

والرأى الذى نميل اليه ونراه جديرا بالقول ان اعجاز القرآن الكريم راجع الى ادبه وبلاغته ، وما اشتمل عليه من هدي خاص . وقد لمس العرب هذا الاعجاز لانهم امة لها حظها الكبير من تذوق الفن الادبى ، فلمسوا فى هذا الكتاب الكريم الفن فى أروع مظاهره ، فلم يمكنهم ان يجاروه ، فاعترفوا باعجازه .



والحق ان اعجاز القرآن لا بـد ان يكون من الناحية الادبية ، فقد جـرت السنة عـلى ان يرسل الله سبحانـه وتعالى ــ الى كل امة رسولا معجزته من جنس ما امتازوا به فى عصرهم ، فعيسى عليه السلام ارسل الى قوم اشتهروا بالطب ، فكان طبيبا باذن الله ، يحيى الموتى ، ويبرىء الاكمة والابرص،وموسى عليه السلام ارسل الى قوم نبغوا فـى السحر ، فكان ساحرا باذن الله حتى أعجز السحرة ، فكانوا أول من آمنـوا وتخلوا عن طاعة فرعون . ومحمد صلى الله عليه وسلم ارسل الى امة فصيحة بليغة ، فكانت معجزته أدبية باذن الله ، اذ نزل عليه من عند الله كتاب يدعـو الناس الى الدين القويم ، وتحدى العرب ان يجاروه فى تلك المقدرة الادبية فعجزوا فآمنـوا .

كل هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من ان اعجاز القرآن لا بد ان يكون من الناحية الادبية ، فمثلا آمن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ــ بعد ان استمع الى سورة طه ، ولمس فيها شيئا جديدا ، بل ان الكفار أنفسهم شعـروا بذلك شعـورا تاما ، فرموا القرآن بأنه‌شعر أوبأنه‌سحر، أو افتراء أو قول كاهن . ففى‌سورة‌الحاقة يقول الله تعالى: « فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين » ويقول تعالى فى سورة الانبياء « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » .

كل هذا ان دل على شىء فعلى انهم وجدوا فى هذا الكتاب الكريم شيئا ليس

معهوداً لديهم ، او ليس في امكانهم ان يأتوا بمثله ، وان كان من جنس بضاعتهم الادبيـــة .

وهذا القرآن ما هو ؟؟ هل هو شعر كما زعم المعارضون ؟ أو هو نثر ؟ واذا لم يكن شعراً ولا نثراً فما هو اذن ؟؟؟ .

ليس بشعر

القرآن الكريم ليس بشعر ، ويدلنا على ذلك اشياء كثير منها : ان هؤلاء الذين رموه بانه شعر وهم الكفار لم يصروا على ذلك ، وانما قالوا هو شعر او افتراء او سحر او أضغاث احلام ، فكأن قولهم انه شعر ليس فيه الجـزم الذى يجعلنا نسرع فنقول انهم قصدوا بذلـك المعنى الحرفى للفظ الشعر .

ويقول الباقلانى فى كتابه اعجاز القرآن ص ٥٤ مطبعة السلفية : (... وهذا يدل على ان ما حكاه عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر لا بد من ان يكون محمولا على انهم نسبوه فى القرآن الى ان الذى اتاهم به هو من قبيـل الشعر الذى يتعارفون على الاعاريض المحصورة المألوفة ، او ان يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم واهـل الفطنـة منهـم فى وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم فى وجوه الكلام وطرقهم فى المنطق وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ، او يكون محمولا على انه اطلق عن بعض الضعفاء منهم فى معرفـــة اوزان الشعــر ، وهــذا ابعـــد الاحتمالات ...) .

والذى أراه ان العرب حين قالوا هذه الكلمة قصدوا منها شيئا آخر هو ان القرآن الكريم يثير فى انفسهم ما يثيره الشعر ، فالقرآن يحرك فيهم الوجدان بحيث يلذ لهم سماعه ، كما يلذ لهم سماع الشعر ويؤيدنا فى رأينا هذا رميهم اياه بانه سحر ، لانه يأخذ بمجامع القلوب ولا شك ان هذا القول متفق تماما وقولنا ان القرآن كتاب معجز ببلاغته ، لان الكتاب الادبى البلاغى هو الذى يثير اللذة الوجدانية وقد اثارها القرآن بأسلوبه .

ويعترض على انه شــعر بكونه ليس موزونا ، حقا وجدت به بعض الآيات الموزونة مثل « انا اعطيناك الكوثر ... » ومثل « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .. » الا ان هذه الآيات لا تكفى للدلالة على شاعرية القرآن . اذ ان مثل هذه الاوزان قد تصدر حتى فى الكلام العادى ، ويقول السيوطي فى كتابه الاتقان جزء (٢) ص ١٢١ « واما ما وجد فى القرآن مما صورته صورة الموزون . فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعراً ، لان شرط الشعر القصد ، ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له فى كلامه شىء موزون شاعراً » ، وهــو يوافق فى هذا الباقــلانى فى كتابه اعجـاز القرآن ص ٥٦ ويوافقه كذلك فى قوله فى موضع آخر « .. فـلو اعتقـدوه شعراً لبادروا الـى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا احرص شىء على ذلك » .

ويمكن تلخيص تلك الآراء فيما يأتى : ـ

أ ـ لو كان القرآن شعراً لعارضه الشعراء .

ب ـ انهم قالوا ان البيت الواحد ، وما كان على وزنه لا يكون شعراً . واقل الشعر بيتـان فاكثر .

جـ ـ ان كل متكلم لا ينفك من ان يعرض فى جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر ، وينتظم بانتظامه .

ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه قد يكثـر فى تضاعيف الكلام مثله ولا يمتنع وقوعه فـى الكلام المنثور اتفاقا غير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعراً . ثم ان الشعر لا يحتمـل بعض الموضوعات التى تعرض لها القرآن الكريم ، مثل بعض التشريعات التى حاول بها ان ينظم المجتمع الاسلامى ، فنحن نجد الروح العقليـة سائدة فى سياق الآيات الكريمة بحيث لا يستطيع الشاعر ان يتحمل عبئها .

وقــد سبـق ان ذكرت انهـم رموا الرسول بالشاعرية وذكرت ان هذا لم يقصد منه أنه شاعر بالمعنى المفهوم وانما يقصد بذلك ان له الاثـر السحرى الذى يكون للشاعر ، فان فى ترديـده

لآيات الله ذلك الطرب الذى يلمس فى الشعر ، وقلت كذلك ان عدم اجماعهم أواصرارهم على هذه الصفة للرسول الكريم ، تجعلنا نستبعد انهم قصدوا بذلك وصفا بحقيقة الشعر ، واذن فالقرآن ليس شعرا ، وقد تكفل القرآن بالرد على ذلك فقال فى سورة الطور « فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فانى معكم من المتربصين » .

وليس نثرا

والقرآن كذلك ليس من اليسير ان يكون نثرا لاسباب كثيرة فالدكتور زكى مبارك الذى قال بهذا فى كتابه النثر الفنى كان يقصد ان يقرر أن للجاهلية نثرا ، فرآى ان القرآن جاء على صورة النثر الجاهلى . ورمى بذلك الى ان يستخرج خصائص النثر الجاهلى من القرآن الكريم . فهو قصد الى تأريخ موضوع النثر قبل الاسلام بطريق عكسى . يقول « ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثرا جاهليا فانه من صور العصر الجاهلى ، اذ جاء بلغته وتصوراته وتعبيره وهو بالرغم مما اجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب ، يعطينا صورة النثر الجاهلى ، وان لم يكن الحكم بأن هذه الصورة مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء » .

فى هذا النص نفسه نلحظ ان الدكتور زكى مبارك قد رأى ان القرآن تفرد بصفات ادبية الا اننا لا نوافقه فى ان هذه الصفات كانت معروفة عند العرب .

ويقول فى موضع آخر « ان القرآن يعطينا صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية لانه نزل لهداية اولئك الجاهليين وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون » .

وهذا كلام فيه كثير من الصواب ولكن فيه أمور لا نقره عليها، فهو حقا جاء لهداية الجاهليين وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون ، ولكن ليس معنى هذا ان الله سبحانه وتعالى اذا خاطبهم بالقرآن فكأنه خاطبهم بالنثر ، لان النثر الفني لا يمكن ان يوجد فى ذلك العصر ، بل يوجد بعد ان تنهض الحياة الفكرية العقلية للامة ، وحين تتسع ثقافتها وتشيع فيها اساليب المنطق فتستطيع ان يكون لها نثر يصح ان نطلق عليه نثرا فنيا . فالامة العربية حين نزول القرآن كانت فى حياة بداوة ، ليس لها من الثقافة الا القليل ، بل النادر ، وهذا القليل النادر لا يؤهل لها نثرا كالذى يرجوه او يقول به الدكتور زكى مبارك .

ثم نجد فى القرآن وفى السورة الواحدة أنواعا كثيرة من الفنون الادبية فتشريع بجانب خطابة بجانب منطق ، وكل اولئك له منهجه فالمنطق يعتمد على العقل ، والخطابة تؤثر فى الوجدان وان اعتمدت على الاقناع والاستمالة . واقصد بذلك ان اقول : أن القرآن الكريم ليس كالنثر الفنى فيكون نثرا وانما هو شىء آخر غير النثر .

وهناك ناحية ثانية وهى ان للقرآن نظاما خاصا غير ما تعودناه فى النثر ، فهو مثلا له موسيقى ليس من اليسير ان توجد كذلك فى النثر ، فهو يعتمد على الفواصل او السجعات التي زادت من بهاء نظمه ولم تحط من قدر البلاغة فيه ، كما هو الشأن فى كلام الناس وقد كثرت فيه هذه الفواصل .

وعلى ذلك فان الدعوى بأن القرآن نثر فنى فيها كثير من المبالغة لان النثر لا يمكن ان يوجد فى هذه البيئة الفطرية البدائية ، ولانه يخالف النثر فى طبيعته . واذن فماذا يكون القرآن ؟؟؟ .

فماذا يكون ؟

يقول الدكتور طه حسين ((ان الكلام ينقسم الى شعر ونثر وقرآن)) والحق ان الدكتور طه حسين قد تأثر بالمستشرقين فى هذا الموضوع ، والحق كذلك ان العرب لحظوا ذلك فقالوا مثل هذا القول قبل الدكتور طه حسين وقبل المستشرقين ، فقد قال صاحب العمرة . (وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال تعالى ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) فكما ان القرآن اعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك اعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل) .

وقوله (والمترسلين وليس بترسل) يدلنا على انه لحظ أن القرآن ليس من اليسير ان يطلق عليه لفظ نثر .

وقد اعجبنى هذا الرأى الذى يقول ان الكلام شعر ونثر وقرآن لان هذا التعبير هو الذى يمكن ان يفهم منه ما هو القرآن فهو وحدة قائمة بذاتها ، وحدة ادبية اخذت من الشعر موسيقاه وتأثيره فى الوجدان ، واخذت من الخطابة الاقناع والاستمالة ، ومن النثر الفنى تقريره الى حد ما ، وخرج كل هذا فى مزيج له روعته ، وليس فى امكاننا الا ان نسميه قرآنا . فنحن حين ننظر الى قوله تعالى ((يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) لا نقدر ان نطلق عليها نثرا ، لانها ليست كالنثر فى طبيعته مقررة للحقائق او متأثرة بالثقافة ، وليس فى امكاننا ان نطلق عليها خطابة وان كانت مشربة بروح الخطابة من استمالة وبراعة تصوير ، كما ليس فى مقدورنا ان نطلق عليها شعرا لانها ليست بشعر وان اتفقت معه فى عرض صور فنية كتلك التى نجدها فيه ، وكل ما يمكننا ان نطلقه عليها انها قرآن عربي غير ذى عوج .

موقف القرآن من الشعر

واذا كان القرآن قد نفى عن نفسه كونه شعرا ، فهل معنى هذا انه عادى الشعر ؟ يقول مؤرخو الادب ان القرآن فاجأ الشعراء او على الاصح جاء بوضع جديد غير مألوف عندهم ، واضطر بعض من اسلم منهم الى السكوت مثل ((لبيد)) الذى قال ((لقد عوضني الله خيرا بسورة البقرة)) ، واما من اراد منهم ان يجارى الحياة الاسلامية الجديدة فقد خالف طبيعته واضطر شعره الى ان يحول مجراه الى الناحية الدينية كحسان بن ثابت ومنهم من ظل شعره كما هو لانه لم يستظل بظل الاسلام .

ولنسأل انفسنا لم صدم الشعر او فوجىء بالقرآن ؟ وهل يدل هذا على ان الشعر مكروه من القرآن ؟ ثم نحن نجد القرآن الكريم يقول فى سورة الشعراء ((والشعراء يتبعهم الغاوون الم ترانهم فى كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون ..)) ويقول عليه السلام ((لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا)) ويقول عليه الصلاة والسلام لصحب يسيرون معه وقد رأى شاعرا ((خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان . لان يمتلىء جوف رجل قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا)) .

واننا نرد على كل هذا فنقول ان القرآن الكريم لم يقف فى وجه الشعر ولم يصدمه ، وانما جاء بنظم جديدة وبحياة جديدة لها ترتيبها ولها قوامها المخالف لما كانت عليه الحال فى الجاهلية ، ولم تكن تلك الملكات التى اشربت روح الجاهلية لتتمكن من ان تساير الحياة الجديدة المغايرة لما اعتادته من قبل فاضطرت الى ان تضعف ، والى ان تتحول الى ما يوافق الدين الجديد وما جاء به من حياة . فالشاعر لبيد سكت لانه آمن ، والايمان يدعوه الى عدم القول بما كان يقول به

قبل الاسلام ، لان تعاليم الدين الجديد تحرم عليه مثل هذه الاقوال . وحسان بن ثابت ضعف ، لانه قال شعرا حاول ان يغير فيه طبيعته وملكته التى نمت فى ظل الجاهلية ، وليس فى الامكان ان تتغير الطبيعة بمثل تلك السرعة ، ثم انه وجد فى هجائه لقريش تهربا من القيود الاسلامية للملكة الشعرية عنده .

اذن فالقرآن لم يعارض الشعر ، وانما عارض فنونا خاصة كانت تنافى هديه وآدابه ، التى استنها للمجتمع كما يراه ، بل ان الرسول عليه السلام قال لحسان « اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم اشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس،والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » وفى الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون » نجد انالله سبحانه وتعالى قد أعقب ذلك بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) فهو لم يحرم الشعر ، وانما حض على أن يكون الشاعر مؤمنا عاملا بتعاليم دينه ، لا يهجو بهجاء الجاهلية ، ولا يمدح بغير الحق ، ولا يفحش كما كان يفعل فى الجاهلية وانما يكون شاعرا يعمل الصالحات ويؤمن بالله واليوم الآخر ويقول الشعر فى حدود الدين . يقول صاحب العمرة فى جزء (١) ص ٩ (فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون ... » فهو غلط وسوء تأول ، لان المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالاذى ، واما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شىء من ذلك ، الا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال « الا الذين آمنوا .. » ويريد بهم شعراء الرسول عليه السلام الذين ينتصرون له ، ويجيبون عنه المشركين ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم الرسول عليه السلام « هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح الابر ») .

اما تلك الاحاديث التى وردت عن النبي عليه السلام فان الحديث الذى ورد عن ابى هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم من انه قال « لان يمتلىء جوف .. » فنحن لا نعرف الداعي الى قوله ، وان كنت ارى انه قيل لمناسبة خاصة فى بعض الشعر ، وليس فى الشعر ذاته ، لان الرسول عليه السلام كان يستمع الى شعر الخنساء ويقول « ايه يا خناس !!! » ويطلب منها المزيد . وفى الاغانى طبعة دار الكتب المصرية ص ١٤٣ من الجزء الرابع جاء فى ترجمة حسان ابن ثابت عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر « ان روح القدس لا زال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله » ، وفى رواية عن سعيد بن المسيب ان عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهره عمر فقال حسان « قد انشدت فيه من هو خير منك » فانطلق عمر .

فان لم نقل بخصوصية السبب فى قول ذلك الحديث « لان يمتلىء جوف ... » وجدنا اختلافا فى الرأى ، وليس من الممكن ان يكون هذا الاختلاف قد حدث ، خاصة وانه عليه السلام حبذ الشعر فى قول آخر من صحيح مسلم . عن ابراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال « هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شىء ؟ » قلت نعم قال « هيه » فانشدته

بيتا فقال « هيه » ثم انشدته بيتا فقال « هيه » حتى انشدته مائة بيت .

وفى لسان العرب جزء ٦ ص ٧٨ جاء الحديث « ان من الشعر لحكمة فاذا البس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه فى الشعر فانه عربى » وهذا الحديث الاخير ان صح فانه يفيدنا من ناحيتين :

١ : ــ انه يؤيدنا فيما ذهبنا اليه من ان القرآن عارض نوعا من الشعر وحبذ نوعا من الشعر . عارض منه ما يعارضه ولا يلائم تعاليمه ، وحض على ما جاء منه مؤيدا للاخلاق القويمة التى يمكن ان تساير الدين .

٢ : ــ ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى اتخاذ الشعر وسيلة لتفهم غوامض القرآن ولو كان يكره الشعر لما دعا الى مثل ذلك .

والخلاصة ، ان موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء كان طبيعيا فقد حارب من يحاربه ونصر من ينصره . سمع الرسول عليه السلام شعرا من امية ابن ابى الصلت فقال : « كفر قلبه وصدق لسانه » ورمى بذلك الى ان شعره يوافق الدين ، وان كانت عقيدته غير الاسلام . فالقرآن لم يقف من الشعر موقف المعارض المانع له ، وانما وقف امام بعض فنونه التي لا تتفق مع المجتمع الذى يريده الاسلام موقف الهادم ، ليبنى على اساسه بناء جديدا متين الاركان .

والذى اراه فيما عرضت له ان القرآن كان اعجازه من الناحية الادبية فهو ممتاز بالموسيقى التي تدل على طابع فنى لا يمكن انكاره فان المنصت لمثل سورة طه « طه . ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى . الرحمن على العرش استوى » يطرب اشد الطرب لما فيها من مجانسة وترادف موسيقى والموسيقى ركن هام من اركان البلاغة والادب وقد اعترف الرسول نفسه بان اعجاز القرآن الكريم انما جاء من ناحية صياغته وتركيبه وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم « **ما من نبى الا وأوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الى ، فانا ارجو ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » يشير عليه السلام الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة فى الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحى كان المصدق لها اكثر . وهذا الحديث الشريف يجمع ما قدمناه فى اعجاز القرآن لانه وحى بمعانيه والفاظه ، فهو بائن بنفسه من الكلام الانسانى ، ولا بد ان يكون فائدة للناس كافة ليعملوا ، وصادقا على الناس كافة ليستفيدوا ومعجزا للناس كافة ليصدقوا .**

فالقرآن لا يمكن ان نسميه نثرا كما لا نستطيع ان نسميه شعرا . وهو كتاب العربية الاعظم الصالح لكل زمان ومكان فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم الا الفطرة ، وفهمه من جاء بعدهم من الفلاسفة واهل العلوم ، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل ، واثبتت العلوم الحديثة كثيرا من حقائقه التى كانت مغيبة ، وان ما عهد من كلام الناس لا يحتمل كل ذلك ولا بعضه ، فالقرآن الكريم فن قائم بنفسه ليس بشعر وليس بنثر ولا هو مما اعتاد العرب صياغته وانما هو قرآن كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كما وصفه الله « الحق والميزان » كل الناس يعملون لفهمه ، ويدأبون عليه ولكل درجات مما عملوا .

بقية : احمد بن حنبل

باطل كما هو باطل عند بعض الائمة . حتى ولو لم يصرحوا في العقد بشرط التحليل بل متى نواه المحلل فلا يجعله حلالا ، لان العبرة في العقود بالمقاصد لا بمجرد الالفاظ وعدمها .

واذا اعطى والد شيئا من ماله لاحد اولاده وجعل ذلك بيعا صوريا له ثمن اسمى فهو حرام وباطل في مشهور المذهب ، لانه احتيال على تفضيل بعضهم على بعض من غير تراضيهم .

بقيت مسألة مشهورة يقولها الناس هي ان ظل خيال الكلب ينجس من وقعت عليه فى مذهب الامام احمد ، وهي مسألة محرفة عن اصلها الصحيح ، فخيال الكلب لا أثر له عندنا ونجاسة الكلب عندنا كما هي عند غيرنا فان كان جافا لا بلل فيه فمسه لا ينجس وريقه وعرقه والبلل منه نجس ومسه ينجس، اما اصل المسألة الشائعة فان الحديث النبوى صح عند الحنابلة على ان الكلب الاسود الذى ليس فيه اى لون آخر اذا مر بين المصلي وبين سترة صلاته بطلت الصلاة،وهذا هو المذهب والحديث عندهم قوى غير معارض ، وعندما يصح الحديث فالحنابلة لا ينصرفون عن الأخذ به وان غابت الحكمة العقلية ، وقد صرح فى الحديث بعلة ذلك ونصه (الكلب الأسود شيطان ، اذا مر بين يدى المصلي بطلت صلاته) فالعلة فى البطلان هي شبه الكلب بالشيطان . وهل الشيطان نفسه يبطل الصلاة بمروره ؟ وهو دائما يحضرنا فى الصلاة وفى غيرها) ؟ ذلك سؤال وارد ، ولكن ادبهم مع الحديث لا يجعل للاعتراض اثرا فى الحكم . . .

وعندى ان الكلب الاسود البهيم لايكاد يوجد ، وقد تنقضي حياة الانسان ولا يصادفه كلب اسود كالزيتونة .

وفى الحق ان الكلب بهذا الوصف بشع المنظر كريه الى النفس ، كما تكره رؤية الشيطان . والنبي صلوات الله عليه اكرم الناس شعورا ، وأرجحهم ذوقا واسلمهم نظرة ، ولعله بهذا ينفر الناس من قنية الكلب الأسود ، ويحملهم على التباعد عنه ، لأن الشيطان يتمثل به اكثر مما يتمثل بشيء آخر .

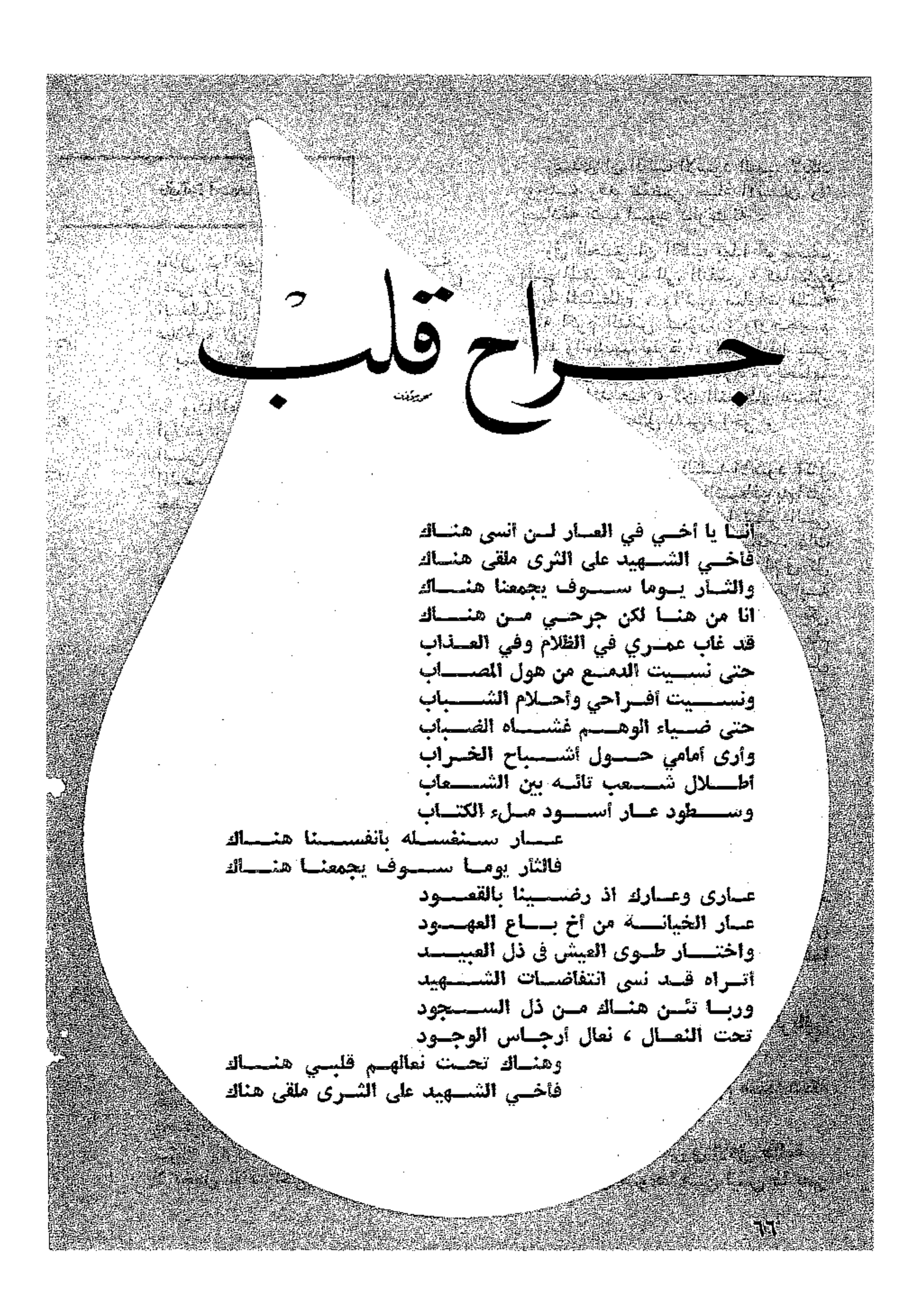
فاذا ادركنا قبح الكلب الأسود اكثر من غيره ، وادركنا تمثل الشيطان به اكثر من سواه قرب الى اذهاننا تنفير النبي منه ، حتى لا نحرص على اقتنائه . ذلك ما احاوله ، وعلى أى حال فما دام فى كل مذهب بعض احكام نحس فيها غرابة ليست فى غيرها فمذهب احمد لم يكن بدعا ، وما دامت الشريعة بوجه عام مستقاة من القرآن والسنة وعمل الصحابة فما ينبغي أن يعاب على فقيه شيء يقول به فى مذهبه عن دليل صحيح .

هذه طائفة من القول عن احمد ومذهبه ومنها يظهر للقارىء ان هذا الامام وقد ضرب فى الورع اصدق الذكريات جدير عند الله فيما نرجو له بمكانته بين الصديقين والشهداء والصالحين، ويظهر كذلك انه كان فى الأولين شخصيةمشرفة من كل ناحية ، وان سيرته فى الآخرين ستظل عطرة فياحة يتضوع اريجها كلما ذكره الذاكرون .

كما يتضوع اريج الأزهار فى الرياض الناضرات كلما داعبها النسيم .

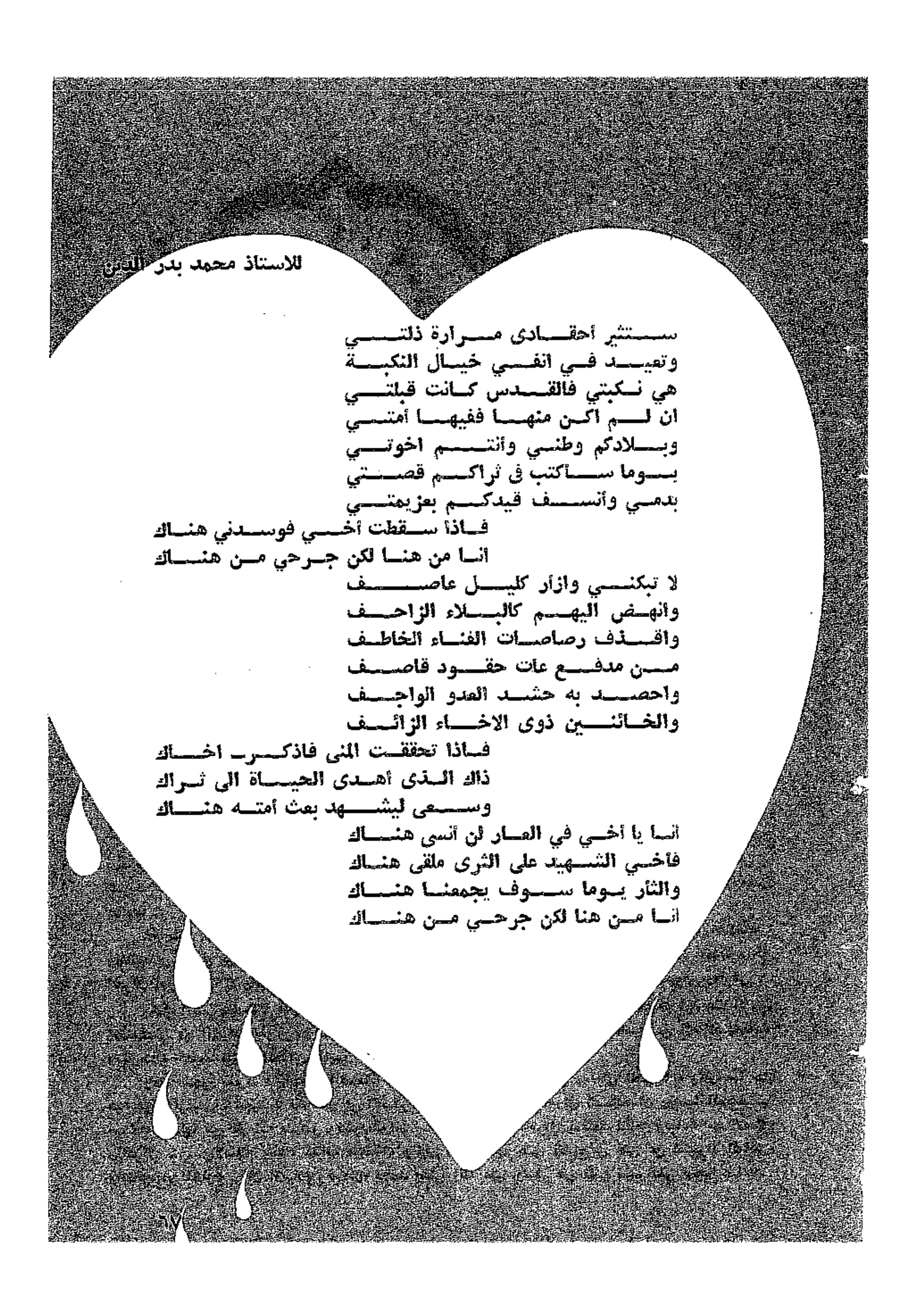
فاذا سمعتم بعد اليوم من يتفكه بكلمة حنبلى فقولوا له :

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة
الا يرى ضوءها من ليس ذا بصر



جراح قلب

أنا يا أخي في العار لن أنسى هناك
فأخي الشهيد على الثرى ملقى هناك
والثأر يوما سوف يجمعنا هناك
انا من هنا لكن جرحي من هناك
قد غاب عمري في الظلام وفي العذاب
حتى نسيت الدمع من هول المصاب
ونسيت أفراحي وأحلام الشباب
حتى ضياء الوهم غشاه الضباب
وأرى أمامي حول أشباح الخراب
أطلال شعب تائه بين الشعاب
وسطور عار أسود ملء الكتاب
عار سنغسله بأنفسنا هناك
فالثأر يوما سوف يجمعنا هناك
عارى وعارك اذ رضينا بالقعود
عار الخيانة من أخ باع العهود
واختار طوى العيش فى ذل العبيد
أتراه قد نسى انتفاضات الشهيد
وربا تئن هناك من ذل السجود
تحت النعال ، نعال أرجاس الوجود
وهناك تحت نعالهم قلبي هناك
فأخي الشهيد على الثرى ملقى هناك



للاستاذ محمد بدر الدين

ستثير أحقادي مرارة ذلتي
وتعيد في انفي خيال النكبة
هي نكبتي فالقدس كانت قبلتي
ان لم اكن منها ففيها أمتي
وبلادكم وطني وأنتم اخوتي
يوما سأكتب في ثراكم قصتي
بدمي وأنسف قيدكم بعزيمتي
فاذا سقطت أخي فوسدني هناك
انا من هنا لكن جرحي من هناك
لا تبكني وازأر كليل عاصف
وانهض اليهم كالبلاء الزاحف
واقذف رصاصات الفناء الخاطف
من مدفع عات حقود قاصف
واحصد به حشد العدو الواجف
والخائنين ذوي الاخاء الزائف
فاذا تحققت المنى فاذكر اخاك
ذاك الذي أهدى الحياة الى ثراك
وسعى ليشهد بعث أمته هناك
أنا يا أخي في العار لن أنسى هناك
فأخي الشهيد على الثرى ملقى هناك
والثأر يوما سوف يجمعنا هناك
انا من هنا لكن جرحي من هناك





يكتبها : ع . النمر

مع الانباء الحزينة الباكية عن النهاية الاليمة للرئيس المؤمن عبد السلام محمد عارف استوقفنى هـذا الخبـر .

(وقد وضع مع جثمان الفقيد الكريم مصحف شريف ، تنفيذا لوصيته بأن يوضع معه المصحف الشريف الذى كان يحمله صبيحة يوم ١٤ تموز ، والذى وضع يده عليه ذلك اليوم التاريخي وأقسم قسمه العظيم معاهدا الله أن يحرر شعب العراق الابى الكريم ، وآن يكافح من أجل تنفيذ ارادة هذا الشعب . وهو نفس المصحف الذى أقسم عليه عبد الكريم قاسم من قبل ، ولكنه حنث فى يمينه ، وقد شاء القدر ان يكون هذا المصحف مع الرئيس فى الطائرة التى كان يستقلها ، ولكنه لم يمس بسوء) .

خواطر شتى فكرت فيها وانا أقرأ هذا النبا .. ولكن تجمعت خواطرى نحو هذا الرجل المؤمن الذى ملك عليه ايمانه بالله ، واخلاصه للاسلام والعروبة كل دنياه .. فنذر نفسه للعمل من اجل دينه وامته .. كثير من الناس يحملون المصحف ولا سيما عند اسفارهم .. ولكن ذلك لا يمثل عندهم الا حاجة فى نفس يعقوب .

اما هذا الرجل العظيم الذى فقدناه ، فقد كان حمل المصحف معه رمزا قويا لايمانه واخلاصه ، وتفانيه فى العمل من اجل المبادىء القويمة التى جاء بها .. لا اذكر اننى سمعته متحدثا فى جماعة داخل العراق أو خارجها الا وقد تطرق فى حديثه الى الاسلام ومبادئه التى تكفل للامة الاسلامية النهوض والرقى ..

ولعل الكثير منا يذكر يوم ان وقف فى حفل أقيم تكريما لأحد الزعماء السوفيت وتحدث فيه هذا الزعيم السوفيتي عن الشيوعية وعن ماركس ومبادئه ونظرياته ، فقام الرجل المؤمن ، وتحدث عن الاسلام ومبادئه وتشريعاته حديث المؤمن المخلص الغيور ، وشرح بحديثه الصدور .

ومنذ شهور نشرت له احدى الصحف اليومية الكويتية حديثا أدلى به الى مندوبها ، وكان مما جاء فيه قول الرئيس الشهيد « لقد قال لي السفير الروسي حين تقديم اوراق اعتماده ان روسيا السوفيتية تستمد مبادئها من نظريات ماركس ولينين»وكان ردى عليه « ان العراق يستمد نظامه ومبادئه من الاسلام والقرآن ... والاسلام وحده عدالة مطلقة ، ويكفى أن نطبقها حتى نصبح فى غنى عن استيراد المبادىء والنظم من الخارج . ان الاسلام ومبادىء محمد صلى الله عليه وسلم هى التى نسير على نهجها هنا » .

وفى هذا الحديث الصحفى تطرق الى الحديث عن معارضيه وقال « أذكر انني حين قلت لهم اننا نريد تطبيق مبادىء الاسلام رفضوا بشدة ، ودفعتهم عجرفتهم وغرورهم الى السير وراء النظريات الغريبة ، وهم يعرفون قبل سواهم انها لا تصلح لنا ونرفضها بشدة » .

وقال المندوب الصحفي « ان الرئيس كان فى هذا الوقت صائما — وكنا فى رجب — لانه يحرص دائما على ان يصوم ثلاثة اشهر فى العام — رجب وشعبان ورمضان — وقد ازدادت نزعاته الروحية ، فكان كلامه لا يخلو من العبارات الدينية العميقة . التى تنم عن الملم شامل بأمور الدين وتعاليمه » .

وقبل الحادث الاليم بساعات وقف يخطب فى الجموع التي احتشدت لتحيته ويقول : « اننا لسنا فى حاجة الى مبادىء غريبة وايديولوجيات ثبت زيفها .. ان فى ديننا الاسلامى المجيد غنى لنا عن كل ذلك فهو دين ودولة ، وفيه التشريع لمختلف أوجه الحياة ، وفيه توجيه الى الاخلاق الفاضلة الحميدة ، وفيه ارشاد لتربية نبيلة هادفة ، وفيه السعى والعمل » ..

« اننا اذا كنا حقا ابناء محمد فيجب ان ننطلق لنعيد دولة محمد صلى الله عليه وسلم لا ان نتغنى بشعارات ، ونظل فى اماكننا ان لم نتاخر » .

« اننا اذا تمسكنا بديننا وتقاليدنا وتربيتنا نكون بذلك قد سرنا فى الطريق الصحيح لبناء مجتمعنا وتحقيق ثورتنا الاجتماعية .. اننا بقدر اعتزازنا بديننا الحنيف نعتز ونحترم باقى الاديان السماويـة الكريمـة » .

كان عليه رحمة الله يعتقد وينادى بان العدالة الاجتماعية التى يريدها الاسلام كفيلة بالقضاء على الطبقية القاشمة ، والاحقاد التي تورثها الراسمالية المستغلة الفاسدة .

ومثل هذا الصوت الجهير المؤمن الذى كان ينبعث دائما من عبد السلام عارف هو من الاصوات التي تحتاجها الامة الاسلامية ، وتحتاج معها الى عمل وتطبيق ولا سيما فى هذه الايام التي يحاول فيها الشرق والغرب ان يختلسوا شخصيتها ..

ومن هنا كانت الخسارة العظيمة فى ان يسكت هذا الصوت ، ويخمد هذا العزم ، ونحرم منه فى الوقت الذى كنا ننتظر فيه المزيد منه ومن خطوات العمل والتطبيق .. وان كان ما سمعناه ، ودونته الصحف والكتب له سيبقى امامنا مثلا قويا على عمق ايمانه بدينه وامته، وصدق اخلاصه فى العمل من اجلها .. ولم يكن ينسيه تغنيه بوطنه أن يسعى لوحدة عربية تكون منطلقا لوحدة اسلامية كبرى .

لكم وددت وتمنيت أن لو حفظ مصحف الفقيد العظيم فى صندوق زجاجي يعرض فى المسجد الذى دفن فيه ، او فى متحف عام ، ليتذكر كل من رآه من الاجيال الحاضرة والمقبلة ، مبدأ هذا الرجل ، وعمق ايمانه وصلته بالله وكتابه ، ويذكر كل حاكم يأتى من بعده أن يخطو على نهجه .

ولكن الاحياء ضعاف دائما امام وصايا الاعزاء الذين يختارهم الله الى جواره . فلم يكن لهم الا ان يضعوا مصحفه فى قبره حسب وصيته . هذا المصحف الذى كان رفيقه فى حياته ، والذى شاءت ارادة الله أن تحفظه من النيران التي أتت على الطائرة وركابها ، ليستقر اخيرا الى جوار الفقيد فى قبره .

جعله الله شفيعا له فى آخرته ، كما كان اماما له فى دنياه . وجزاه خير ما يجزى به الشـهداء والصالحـين .

انصـاف

قدم تليفزيون الكويت — مشكورا — ندوة لبعض الأدباء مع الدكتور طه حسين ثم ندوة أخرى للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد ، .. وقد اثير فى الندوتين كثير من الآراء والقضايا لم تكن محل تعليق وجدل كثيرين . الا رأيا واحدا للدكتور طه كان مثار جدل ودهشة لكثير من الذين استمعوا اليه او قرأوه .. ذلك هو رأيه فى العبقريات التى كتبها المرحوم عباس محمود العقاد وحكمه عليها بانها لا تفهم ، وانه لم يفهمها ويتحدى من فهمها !!

والدكتور طه عقلية فذة ، وقد مرن فى شبابه على فهم الكتب الأزهرية المعقدة الأسلوب ، حتى وصل الى ذروة الكتب المقررة على طلاب الشهادة النهائية فى الازهر ، ثم طوف بعد ذلك فى دراسة الادب العربى

والآداب الغربية .. فكان غريبا حقا أن يفهم ويستوعب كل هذا ويصبح عميدا للأدب العربي ، ثم يستعصي عليه فهم كتب العبقريات التي قرأها وفهمها مئات الآلاف من قراء العربية .

وكلنا يعلم أن بعض هذه العبقريات وعبقرية عمر بخاصة كانت مقررة على طلاب المدارس الثانوية ، ودرسها لهم الاساتذة وادوا اختبارا فيها .. فهل كان رجال وزارة التربية عابثين حين قرروها على الطلاب .. وهل الذين درسوها للطلاب من الأساتذة لم يفهموها ؟ ودعنا من مئات الآلاف من القراء الذين اقتنوها او قرأوها ليجدوا فيها متعة فكرية وروحية لهم ..

الحق أن هذا الحكم هو الذى لم يفهم الناس له مبررا ، وقد تساءل الكثيرون : لماذا لم يقل الدكتور رأيه هذا في العبقريات حين صدورها وقد مضى عليها عشرون سنة أو يزيد .. وكان العقاد لا يزال على قيد الحياة ، ويستطيع ان يدافع عن نفسه ويرد على الدكتور اتهامه له ؟!

وقد اعجبني — كما اعجب الكثيرين — موقف الاستاذ انيس منصور حين تصدى لانصاف العقاد ، ونقد الدكتور نقدا كان فيه كثير من المرارة .. ولعل من أشده مرارة ما ذكره من رأى سابق للدكتور في العبقريات ، واشادته بها وبمؤلفها ، وهو يقدمه الى مجمع اللغة العربية .. فلماذا مدحها ومدحه وهو حي ، ثم يهاجمه بعد أن فارق الحياة ؟ ولماذا هذا التناقض ، وما مبعثه ؟

ولقد ذكرني هذا الموقف بموقف سابق للدكتور سنة ١٩٥٥ حين كتب يهاجم بقاء المعاهد الأزهريـة وينادى بتحويلها الى مدارس فيما أسماه وقتها — الخطوة الثانية — متهما الازهريين بالجمود وعدم معرفتهم شيئا من العلوم التي نسميها حديثة .. وقد تصديت له حينذاك ، ورددت عليه بما دونه في كتابـه ((مستقبل الثقافة)) عن الأزهر ومسارعته للأخذ بالعلوم الحديثة في أسلوب يوحي بأن الأزهر أسرع الخطا نحو تدريس هذه العلوم ، وكان الرد تحت عنوان : ((الدكتور طه يرد على الدكتور طه)) .. وعلمت من أحد مريديه المترددين عليه أن هذا الرد كان من أقسى ما رددت به عليه .. والسبب فيما افهم انه هو الذى رد على نفسه ، وظهر بذلك تناقضه في الحكم على الاشياء كما ظهر في هذه الندوة .

وفي الندوة التي أذيعت عرفت سبب هذا التناقض حين قال انني بعد أن ادفع الكتاب للمطبعـة انسى كل شيء فيه !! ولكن رأيه في الأشياء وعقيدته فيها هل يمكن أن ينساه ؟ !!

ثم لماذا العبقريات ؟ وقد فتح العقاد بها نافذة من الضوء على التاريخ الاسلامي وعظمائه أغرت الشباب بمطالعته والتعرف عليه بعد أن كانوا منصرفين الى غيره من تراجم عظماء الغرب .

اعود فاقول : أن الذى لا يفهم حقيقة انما هو كلام الدكتور وحكمه على العقاد وعبقرياته .. ورحم اللـه العقـاد وجـزاه خـيرا ....

قـرار

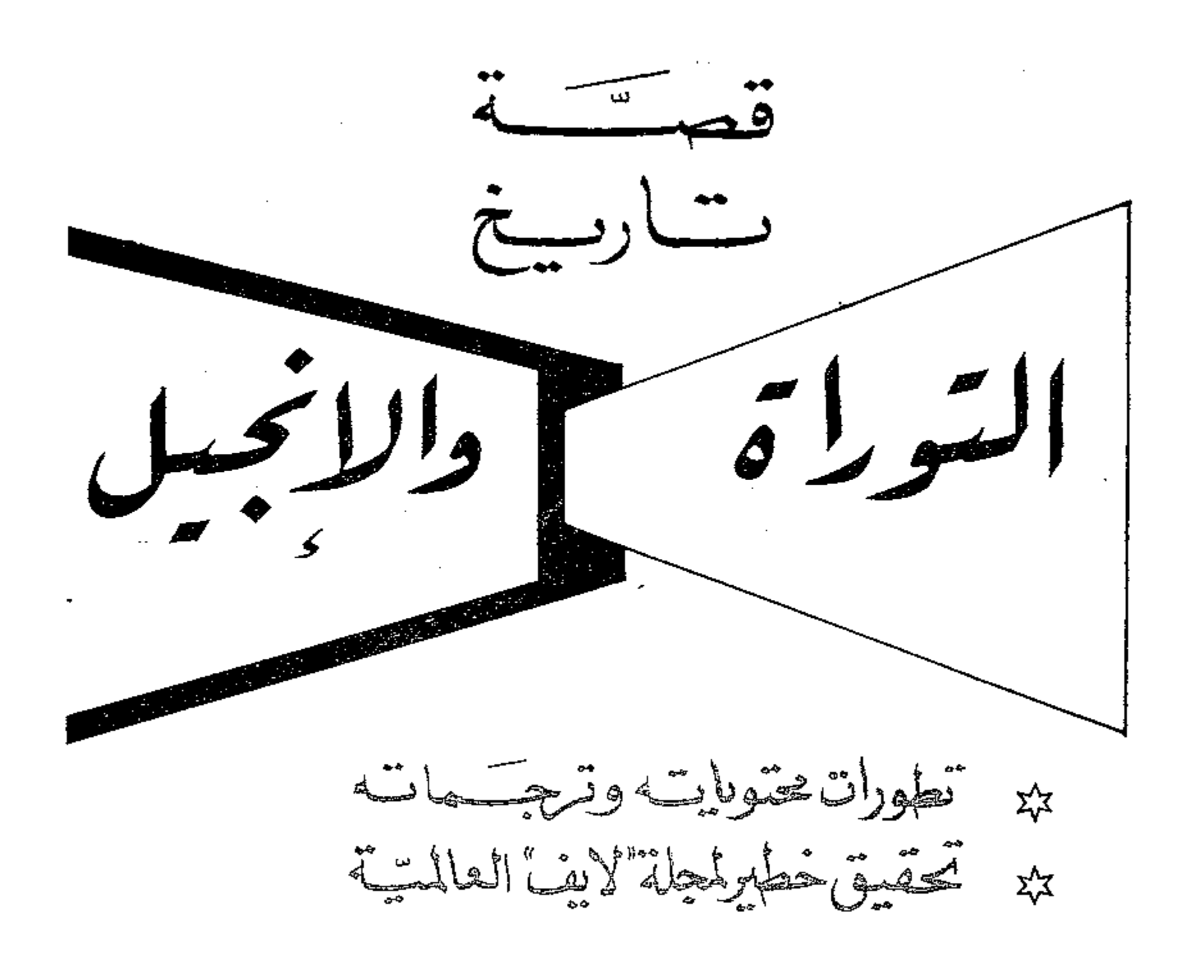
جاء في جريدة الاخبار القاهرية ان قرارا صدر بمنع المذيعات ومقدمات البرامج في التلفزيون مـن وضع (الباروكة) وهى الشعور المستعارة على رؤوسهن أثناء تقديمهن للبرامج ، كذلك منع الافراط في التزين والتحلي بالمجوهرات مراعاة لما يجب أن تتسم به المذيعات من البساطة ولا سيما وهن مثل أعلى لكثير من الفتيات في البيوت .

قرار حكيم يمنع الغثيان الذى يصاب به كثير من مشاهدى التلفزيون ، وهم يشاهدون هذه المناظر المصطنعة .. وحبذا لو صاحب هذا القرار قرار بمنع ظهور ما فوق الركب كذلك ، سواء كان ذلك عن طريق التصوير أو عن طريق المذيعات وضيفات التليفزيون ..

وحبذا أيضا لوروعى هذا في جميع تلفزيونات الدول العربية وان كنت أعتقد أن الكثيرين سيحذون حذو القاهرة فيما ترسمه في هذه الناحية ..

اذكر مذيعة في تليفزيون فرنسا ظهرت كاشفة عما فوق الركبة .. فانهالت المكالمات التليفونية على المسئولين أثناء اذاعتها في التلفزيون تحتج عليها ، وقامت ضجة كان من أثرها تنحية المذيعة عن الشاشة ..

والمهم في هذا الخبر الأخير أنه من فرنسا وهو دليل على يقظة الرأى العام هناك وعلى استعماله لحقه في النقد والتوجيه ثم استجابة التليفزيون للرأى العام ..



« ترجم هذا البحث الدكتور أمير رضا وتفضل الاستاذ محمود مهدى استانبولى ـ مشكورا ـ بارساله الينا لنشره ، ونحن نقدمه للقراء الكرام هنا لافتين النظر الى ما يعترف به هذا البحث من تحريف الكتاب المقدس كما قرر القرآن الكريم : وشهد شاهد من أهلها » « الوعى » .

اصدرت مجلة (لايف) العالمية عددا خاصا بأسم « الكتاب المقدس » (المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى ابريل ١٩٦٥) بدأته بمقدمة عامة تلخص فيها تاريخ هذا الكتاب وتطوراته وترجماته وقد رأينا نقل مقتطفات من هذه المقدمة الى العربية ونشرها لتعم الفائدة،والله الموفق الهادى الى سواء السبيل .

تقول المجلة : « هذا الكتاب الذى نحن بصدده أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أثرا فى تاريخ البشر . ولكنه مع ذلك كتاب كتبه الانسان ... ان مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل (يساياه) و (ايزيكييل) و (جريمياه) و (القديس بول) . ولكن اغلب كلماته

كتبها اشخاص آخرون لا يعرف احد من هم .. ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الايام . لقد ظل الوحى الالهي الى الانسان ينتقل من الاب الى الابن ألف سنة تقريبا بعد (ابراهيم) من غير ان يكتب . وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه . وكان ذلك قبل الف سنة تقريبا من ميلاد المسيح . فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة . وأضافوا اليها قصصا وقصائد اخرى جديدة . وقد استلزم الامر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات . وان تنقل وتنسخ . مما أوجد فرصا عديدة لا تحصى لتغييرات كثيرة لا حد لها ، بعضها مقصود ، والبعض الآخر غير مقصود . ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة ، لا سيما (العهد الجديد) واخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لانفسهم بأنفسهم . أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر ناسخ وهذا ما مهد الطريق لاخطاء أكثر وأكثر ... لذلك فانه لا يوجد اليوم أى نص (اصلى) لاى جزء من (الكتاب) .. وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وأبلغ من (العهد القديم) .

ثم جاءت الحركة المعاصرة التي نشطت الى اكتشاف الآثار لتحقيق أحداث (الكتاب المقدس) تحقيقا علميا واقعيا تاريخيا . وأدت هذه الحركة الى بعض اللفائف الخطية القديمة والى حفريات تاريخية ، والى دراسات لغوية متعمقة ، وكل هذا اضطر دارسي (الكتاب المقدس) الى اعادة النظر فى شروح هذا الكتاب وتهذيب التفسيرات القديمة . وفى هذه المعركة العلمية تكاتف اليهود والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم من الرجال اللاكنسيين على الدراسة وتبادل المعلومات (فالكتاب المقدس) يتكون من جزءين أو عهدين . الأول هو (العهد القديم) وهو مشترك بين اليهود والنصارى ، الا ان ترتيب الاسفار يختلف عند كل من الطائفتين . والثاني هو (العهد الجديد) وهو مشترك بين الكاثوليك والبروتستانت ، الا أن (الكتاب المقدس) البروتستانتي يستبعد أحد عشر سفرا تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية ولا تعترف بها الكنيسة البروتستانتية وهي الاسفار (الابوكريفية) (١) .

وفى السنوات الاخيرة ظهرت عدة ترجمات حديثة (للكتاب المقدس) حملت جميع الفوارق والتعيينات الطائفية وعززت الاتجاه العالمي الى التقارب بين الطوائف المختلفة . ونذكر على سبيل المثال (الكتاب المقدس الأخوى) الذى لم يتم بعد . وهو أول ترجمة كاثوليكية رسمية الى الانجليزية تعتمد على النصوص العبرية والاغريقية بدلا من الترجمة اللاتينية التي قام بها القديس جيروم فى القرن الرابع الميلادى والتي اعتمدها البابا من عام ١٥٩٢ م . بل ان التفاهم قد ذهب الى حد أبعد من ذلك عندما قبلت الكنيسة الكاثوليكية الترجمة المسماة (بالمنقحة) للاستعمال

---

(١) هذه الاسفار الاحد عشر هي التي استبعدها البروتستانت من (الكتاب المقدس) بزعمهم ، لاعتقادهم انها مكذوبة ، فليت شعرى أهي فقط المكذوبة أم يوجد غيرها ؟ . وما هذا الكتاب الذى اتخذت كل طائفة منه جزءا وتستبقى الجزء الآخر ؟ . أهكذا يصنع بكتاب من عند الله ؟ .

الرسمي في انجلترا فيما عدا بعض التغييرات البسيطة وهذه الترجمة هي التي تقرها رسميا الكنيسة البروتستانتية الامريكية ، وقد تمت بعد أبحاث بالغة في الدقة . ويمكننا ان نؤكد أنها تخلو من الاخطاء الترجمية العديدة التي تتناثر خلال ترجمة الملك جيمس المعتمدة في انجلترا .

وتوجد الان خطط جدية لقبول ترجمة انجليزية موحدة لجميع الطوائف العقيدية . وكان هذا الاقتراح قد أثير من زمن بعيد . ثم جدده من خمس سنوات مضت أحد الامريكان الجيزويت في مقال بعنوان (الكتاب المقدس رباط وعهد) ورردده مرة أخرى البابا بول في قراره المسكوني الاخير . وهكذا ، بعد ان سبب (الكتاب المقدس) في القديم الكثير من المشاحنات والمعارك التي أسالت الدماء ، قد أصبح في عصر التفاهم العالمي الحالي رباطا وثيقا بين الكنائس ، وسببا من أسباب السلام بينها ..

ان (الكتاب المقدس) كتب أول ما كتب باللغة العبرية القديمة وباللغة الكوئينية ، أي الاغريقية الا انه عاش أكثر ما عاش في الترجمة . وكل الترجمات ناقصة قاصرة . وكانت طريق المترجمين محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز القديس جيروم نفسه عن ارضاء الكنائس المعاصرة له والتمشي مع ذوقها وميولها .

وكانت ترجمة وايكليف (١٣٨٢ م) . أول ترجمة انجليزية . الا انه بسبب بعض كتبه الأخرى نبش أساقفة انجلترا قبره وأحرقوا جثته ... وتلت هذه الترجمة ترجمة تندال (١٥٢٥ م) . التي استحقت أن تحرق نسخها على نطاق واسع ..

وكان أسقف لندن يشترى نسخها من الخارج لاحراقها بالجملة وتخليص الناس منها .. أما المترجم تندال فقد قبض عليه في بروكسل وقتل خنقا . ثم احرقت جثته . الا أن هؤلاء الرواد الاوائل مهدوا الطريق لمن قاموا بترجمة الملك جيمس . وهي الترجمة التي أدت الى مرونة اللغة الانجليزية الادبية بنفس الطريقة التي أدت بها ترجمة لوثر الى صياغة اللغة الالمانية في قالبها الادبي الحديث .

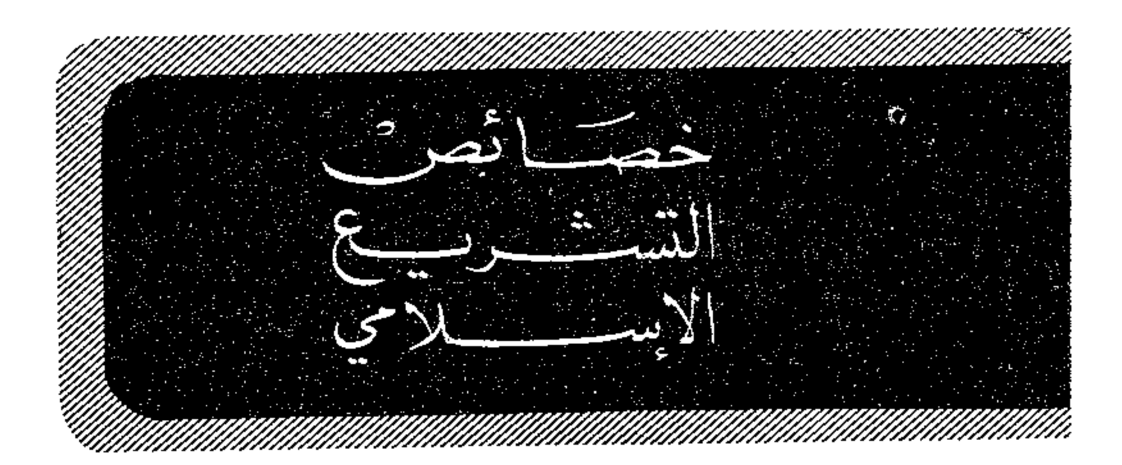
وكانت أول ترجمة للكتاب المقدس ظهرت في أمريكا باللغة الألجونكينية (١) وظل التاج البريطاني يحتكر ترجمة الملك جيمس في امريكا الى قيام الثورة الامريكية ، فصرح الكونجرس في عام ١٧٨٢ بعدم التمسك بها . فما كان من توماس جيفرسون الا ان ألف كتابا مقدسا لنفسه وهو رئيس للولايات المتحدة سماه (فلسفة يسوع ــ على هيئة كتيب مبسط) .

المعروف

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما « لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه » .

---

(١) اللغة الالجونكينية لغة الهنود الحمر ، تنتشر في امريكا الشمالية .



افتتح الاستاذ مصطفى الزرقا أستاذ القانون المدني بكلية الحقوق – بجامعة دمشق – الموسم الثقافي الاول الذى أقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، وقد أوفدت المجلة السيد / محمد أبو غوش المحرر بها لاستطلاع رأى سيادته فى المزايا والخصائص التي يمتاز بها التشريع الاسلامي ودحضه شبهة استمداده من القانون الروماني ، وقد أجاب بما يلي :

عرضت فى محاضرتي الثانية التي ألقيتها فى الموسم الثقافى الذى دعتني اليه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى الكويت بعض خصائص الفقه الاسلامي وجوانب من مزاياه التي تجعله هو المصدر الوحيد الذى يجب ان يستمد منه كل تشريع ناظم للحقوق فى البلاد العربية خاصة والاسلامية عامة ، وأوضحت تلك الخصائص والمزايا بالامثلة والشواهد العملية الوقعية من أحكام الفقه الاسلامي .

أ – فمن خصائصه الذاتية العامة التي اكسبته صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية فى مراحل الحضارة الانسانية ، الخصائص الذاتية التالية :

١ – السعة والاستيعاب والغنى بالنظريات القانونية فى تنظيم الحقوق والالتزامات ومصالح المجتمع بصورة شملت كل شعب القانون المعروفة الى اليوم مبتدئة من علاقة الانسان بأسرته من أحكام الزواج الى الميراث وما بينهما ، وتنتهي باحكام القانون الدولى المنظم لعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الامم والدول سلما وحربا . كل ذلك نظمه النظام القانوني فى الشريعة الاسلامية بأعدل القواعد ، وأحكم الاحكام ، واسمى المبادىء واخلدها واكثرها رعاية للمثل الانسانية العليا ، وتطعيما للعنصر القانوني بالعنصر الخلقى .

٢ – الدقة المتناهية فى بناء الاحكام ، حتى لكأن الدارس الباحث فى مسائل الفقه الاسلامي وآراء الفقهاء ونظرياتهم يشعر كأنما هو أمام ميزان حساس يوزن به الالماس ، وتظهر به الفروق بين المتشابهات مهما دقت وغمضت .

٣ ــ مرونة أصوله ومصادره سواء ما كان منها نصوصا كنصوص القرآن العظيم والسنة النبوية ، وما كان منها طرقا ومسالك وقواعد ومقاصد كالقياس والاستحسان والاستصلاح . فطريق الاستحسان يفسح مجالا لتقرير أحكام استثنائية على خلاف القياس عندما تختلف الظروف والاعتبارات الخاصة بين المسائل المتشابهة التي يقاس بعضها على بعض فى الاحكام . ومن الامثلة التطبيقية لذلك أحكام المفقود وهو الذى فقد ولا يدرى أحد أهو حى او ميت ولا أين هو . فالحكم الفقهى الاساسي فى علاقاته وحقوقه وأمواله أنها تجمد فلا يرث ولا يورث منه حتى تثبت حياته ، أو تثبت وفاته بمثبت أو بالقرائن الكافية كموت أقرانه جميعا فى بلده ، فعندئذ يحكم بوفاته وتوزع أمواله بين ورثته . هذا هو مقتضى قاعدة الاستصحاب القياسية .



ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى ان تطبيق هذا القياس على الزوجة وتركها معلقة على عصمة زوجها المفقود حتى تموت أقرانه فيه حرج عظيم وضرر بليغ بالنسبة الى الزوجة لان تجميد المال غير تجميد الزوجة فقضى بالنسبة الى الزوجة ان لها الحق أن تطلب القضاء لها بانهاء الزوجية بعد اربع سنوات من فقدان زوجها فى حال السلم وبعد سنة واحدة فقط فى ايام الحرب وهذا حكم قرر بطريق الاستحسان استثناء من قاعدة الاستصحاب القياسية .

٤ ــ مكانة العرف فى الشرع الاسلامي، فان العرف مصدر هام دائم للاحكام القضائية وتتبدل الاحكام العرفية بتبدل العرف . وبما ان العرف معبر فى أغلب الاحيان عن حاجات المجتمع ، فاعتماده فى الفقه الاسلامي مصدرا للاحكام والقضاء جعل هذا الفقه مستجيبا بصورة دائمة لهذه الحاجات سوى ما كان منها انحرافا يجب تقويمه . وللعرف فى الفقه الاسلامي نظرية ضافية ذات قواعد وشرائط وتفصيل رائع .

٥ ــ بناء أحكام الفقه الاسلامي على أساس التوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحق العام .

ويتجلى ذلك فى منع التعسف فى استعمال الحق الخاص ، وفى منع الاحتكار فى التجارة ، وفى الحجر على السفيه المبذر والحجر على شخصين يخصهما الفقهاء بالذكر فى ضمن التعميم وهما . الطبيب الجاهل والمكارى المفلس « والمكارى هو من يتعهد للناس بالنقل السفرى على دوابه مثل مكاتب السفريات اليوم » فاذا كان مفلسا ليس عنده دواب كافية يأخذ من الناس أجور النقل ثم لا يستطيع نقلهم فى مواعيد سفرهم المقررة . فلذا يحجر عليه شرعا فى فتوى الفقهاء .

٦ ـ بناء أحكام الفقه الاسلامي على أساس الموضوعية والتجرد عن كل دافع من عصبية أو عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المجردة بقطع النظر عن اللون أو الجنس أو البيئة أو الدين أو أى صفة أخرى فى الاشخاص الذين تطبق عليهم أحكام الشريعة .

ومن الأمثلة الرائعة على ذلك فى التاريخ الاسلامي فتوى الامام الأوزاعي للخليفة الاموى بعدم جواز قتل الرهائن وهم أشخاص أخذهم المسلمون من الروم ضمانا لعدم غدر قومهم ـ وكانت العادة العامة المتبعة ان تقتل الرهائن اذا غدر قومهم ـ فلما غدر الروم وهم الخليفة بقتل الرهائن عارضه الامام الاوزاعي ونادى به أنه لا يحل قتلهم فى شريعة الاسلام وقانونه ، لان الله تعالى قد منع أن يؤاخذ أحد من الناس بجريرة غيره ، وقرر ألا تزر وازرة وزر خرى . فاذا غدر الروم فان ذنبهم لا يسرى الى رهائنهم التي أخذناها منهم . وقد نزل الخليفة على فتوى الامام الاوزاعي هذه .

ومن الامثلة الرائعة أيضا التي دوى بها التاريخ ، حادثة محمد بن عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها عندما سبقه قبطي نصراني فى حلبة سباق ، فضربه محمد بن عمرو بقضيب وقال له اتسبق ابن الاكرمين ، فلما اشتكى القبطي الى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فى المدينة احضر محمدا وأباه عمرا من مصر بعد أن حقق وثبت لديه الحادثة وقال لمحمد منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ثم أمر القبطي النصراني أن يضرب محمد بن عمرو فى المجلس ثم أمره أن يضرب أيضا أباه عمرو أمير مصر فلما امتنع القبطي عن ضربه قال انما ضربك بسلطان أبيه .

من هذه الينابيع والاسس الموضوعية المجردة عن كل نزعة سوى مبدأ احقاق الحق واقامة العدل استمدت احكام الفقه الاسلامي وبهذه المادة بنى صرحه العظيم الخالد . ولا يستغرب هذا فى فقه مؤسسه الاول هو الرسول العربي القائل عليه الصلاة والسلام فى التوصية بأهل الذمه وهم المواطنون المقيمون فى ظل الدولة الاسلامية من غير المسلمين : ((من آذى ذميا فقد أذاني)). فلنقارن هذا بالقانون الاسود القائم فى اميركا مثلا على التمييز العنصري فى الاحكام الادارية والقضائية بين السود والبيض . وبالقانون الروماني القديم ، الذى هو اصل معظم التشريعات الاوروبية ، والذى كان يميز فى الاحكام بين الرومانيين والرعايا الآخرين من مواطني الدولة الرومانية .

٧ ـ وهناك خاصة هامة فى الفقه الاسلامي هي خاصية بالنسبة الى العرب فقط وهي أنه فقه عربي المنشأ والمصدر . فالكتاب الاصلى الذى يستمد منه قواعده وتوجيهاته العامة فى خطوطه العريضة هو القرآن وهو عربي . والمؤسس الاول لهذا الفقه وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو عربي ، وكلامه الذى هو نواته ثم شجرته الاصلية هو كلام عربي . والادمغة التي خدمته ودونته فى البداية هى عربية استمدته من تلك الاصول العربية ، والعلماء اللاحقون الذين وسعوه ونموه بالاقيسة والاجتهاد والتخريج من مختلف الامم الاسلامية وان كان منهم اناس غير عرب انما بنوا كل بحوثهم فيه على تلك الاسس العربية وما استنبط منها .

وبذلك يكون هذا الفقه العظيم الضخم تراثا عربيا قانونيا خلد على الزمن بينما

زال كل تراث علمي آخر أنشأه الغرب او اقتبسوه ووسعوه .

وهذا الميراث القانوني العربي ، كما يقول الاستاذ السنهوري هو مفخرة كل عربي ولو غير مسلم اذا كان حقا يعتز بعروبته واصالة فيها وصادقا فى ذلك .

هذا اجمال الخصائص الاساسية لهذا الفقه الاسلامي ومزاياه الى جانب ما فيه من خصائص اخرى من نوع آخر كاللغة الاصطلاحية القانونية الخالدة التي اتى فيها فقهاؤنا بروائع المصطلحات مما لا يوجد له نظير فى القانون ، ومما لا يزال القانونيون العرب يستمدون منها حاجتهم فى الترجمة عن الفقه الاجنبي ، هذا الى خصائص اخرى كثيرة فرعية يعرفها الراسخون من العلماء .

ومن هذا يتبين ان الفقه الاسلامي هو الفقه الوحيد الذى تجتمع فيه الخصائص والمزايا التي تفى بحاجة التشريع فى البلاد العربية والاسلامية لانه منسجم مع تاريخها ، ونابع من عقيدتها ولغتها الجامعة ، كما انه هو الذى يمكن ان تجتمع عليه البلاد العربية فى توحيد تقنيناتها عن طريق استمدادها ، ولا يمكن ان تجتمع كلمتها واتجاهاتها فى ذلك على مصدر آخر سواه .

ومما يؤسف له ان كثيرا من العالم العربى اليوم يجهلون انفسهم وقيمة ما عندهم من تراث اصيل ، ويتنكرون لذاتيتهم جهالة منهم ، فيحبون استجداء الفقه والقانون من المصادر الاجنبية معلنين انهم فقراء جوف فى هذا المضمار ويظنون هذا تقدمية بينما هم اغنى امة بالتراث القانوني ، ورحم الله شاعرنا المرحوم حافظ ابراهيم اذ يقول :

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا

ونحن نمشي على أرض من الذهب

اما شبهة الجهلاء الببغاويين الذين يرددون ما كان زعمه بعض المشككين الخبثاء من المستشرقين او سواهم من أن التشريع الاسلامي وفقهه مستمد من القانون الروماني فهذه شبهة أصبحت عتيقة رثة سخيفة لم تبق فى حاجة الى ان يهتم المحققون فى جمع الادلةعلى ادحاضها ،ذلكلان المستشرقين المنصفين منهم قد اغنونا عن دفعها بما كتبوا هم وبينوا فى هذا الشأن وقرروا ان الفقه الاسلامي فقه اصيل مستقل باصوله وفروعه غير مستمد من اى فقه آخر وان زعم استمداده من القانون الروماني هي خرافة تدل على عدم معرفة قائلها بالنظامين القانونيين كليهما . النظام الروماني والنظام الاسلامي ، وان كانت بعض قواعد العدل قد تتشابه بين امة واخرى نتيجة وحدة منطق التفكير العلمي ومنطق العدالة .

واقرب ما احيلكم عليه فى ذلك قرار مجمع القانون الدولى المقارن فى مدينة لاهاى عام (١٩٣٧) حيث صرح فيه بما ذكرت من عدم وجود أية صلة بين الفقه الاسلامي والقانون الروماني وأن الفقه الاسلامي صالح لامداد التشريع الحديث بأحسن النظريات والقواعد .

وقد نقلت أنا خلاصة هذا القرار فى اوائل الجزء الاول من السلسلة الفقهية التي وضعتها باسم (الفقه الاسلامي فى ثوبه الجديد). وكذا قرار مؤتمر اسبوع الفقه الاسلامي الذى عقد فى كليةالحقوق بجامعة السوربون بباريس وكنت مشتركا فيه باسم الجامعة السورية حيث تضمن ذلك القرار تأكيد هذا المعنى بالاضافة الى بيان ما فى مجموع المذاهب الفقهية من قيمة فقهية خالدة ، تصلح ان تكون خير مستمد للتشريع الحديث .



جولة بين ربوع المملكة المغربية

الاستاذ فيصل حسين غطاس

قام صاحب السعادة عبد الله المشاري الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية برحلة الى المملكة المغربية الشقيقة لتمثيل دولة الكويت في الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة الذكرى العاشرة لعيد استقلال المغرب ، وكان لي شرف معية سعادته في هذه الرحلة الجميلة التي أتاحت لي التعرف على كثير من مظاهر النهضة الحديثة والجمال الطبيعي الرائع التي تتمتع به هذه البقعة المباركة من أرض الوطن العربي الحبيب .

والواقع أني لم أكن أتصور وأنا في طريقي الى المغرب أن أجده بهذا الجمال الرائع رغم المامي ببعض نواحي الروعة فيه عن طريق الدراسة والقراءة ، ولهذا شعرت وأنا أدخله لاول مرة بشعور مفاجىء شدني اليه كليا ، فلقد حباه



سعادة وزير الاوقاف فى
حديث مع جلالة الملك

الله طبيعة رائعة وصفاء جميلا ومناظر تثير اعجاب الناظرين بحسنها وانسجامها ، منحه الله أهلا كرماء على صورة الأرض التي تغذيهم والطبيعة التي يعيشون فى أحضانها ، والمغرب بلد اسلامي عريق سبق أوروبا فى المدنية والحضارة التي اجتازت البحار والجبال وما تزال شواهدها قائمة حتى الآن ، فلقد امتدت الى جزء كبير من افريقيا ، بل عبرت البحر الابيض الى اوروبا وتركت كثيرا من سماتها ومعالمها على بعض أراضيها . وقد أحببت أن أسجل انطباعاتي عن زيارتي لهذا الاقليم وأنقل للقارىء الكريم صورة مبسطة عن هذه البلاد التي تملك ثروات جبارة ، وتملك قبل كل شيء عزيمة أبنائها وخصب أراضيها وغزارة مياهها وكثرة معادنها .

تقاليد مغربية

والشعب المغربي شعب عربي أصيل في عقيدته وخلقه وعاداته وتقاليده ، وتربطه بالشعوب العربية روابط وثيقة من الدين واللغة والتاريخ والدم ، وقد تجلت هذه الحقيقة في الاحتفالات التي شهدناها اثناء اقامتنا بين ظهرانيه ..

فقد حضر سعادة الوزير الحفل الكبير الذى أقيم بمدينة فاس بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال وعيد العرش، حيث القى جلالة الملك الحسن الثاني خطابا هاما بهذه المناسبة ، وقام معاليه بتلبية معظم الدعوات التي وجهت له حيث أقيمت على شرفه عدة حفلات تكريمية ، ولاحظت من خلال هذه الحفلات مدى ما يتمتع به الشعب العربي في المغرب من اصالة في كرم الضيافة وحسن الاستقبال ، وأخص بالذكر تلك الدعوة التي أقامها معالي الاستاذ احمد بركاش وزير الاوقاف والشئون الاسلامية في قصره الجميل الذى بنى على الطراز الأندلسي الرائع ، والتي تجلى فيها الكرم المغربي.

ومما تجدر الاشارة اليه انه في يوم الجمعة حيث كانت جميع الوفود مدعوة لاداء صلاة الجمعة مع جلالة الملك ، فلقد اصطف المدعوون حيث خرج جلالة الملك فصافحهم جميعا وبعدئذ ركب جلالته عربة خاصة في مثل هذه المناسبات تجرها الخيول العربية ، ويحيط بها الحرس الملكي بلباسه البديع وسار خلف العربة جميع الوفود بسياراتهم مخترقين شوارع مدينة فاس حتى وصل الموكب الى المسجد ، ومما لاحظته أن جلالة الملك الحسن الثاني كان دائم الترحيب بسعادة الوزير حتى انه لما نزل من عربته عند باب المسجد صحب معالي الوزير وأدخله معه في مقصورته الخاصة التي يؤدى بها الصلاة عادة .

وبعد أداء فريضة الجمعة خرج جلالته وامتطى جوادا عربيا أصيلا وكان أحد المرافقين يظلل جلالته بمظلة كبيرة يحملها ، ويسير بقرب الجواد طوال طريق الملك الى قصره .

ولقد دعينا لحضور حفلة سمر اقامتها وزارة الارشاد هناك احتفالا بمناسبة الاعياد تحت رعاية جلالة الملك . وفي هذه الحفلة شاهدت بعض الموشحات الاندلسية التي تعتبر من أروع ما وصل اليه فن الغناء .

الموقع

يقع المغرب في أقصى الرقعة الغربية من المغرب العربي ، ويتصف مناخه بخصائص بلدان البحر الابيض المتوسط ، صيفه حار ، وشتاؤه غزير الامطار ، بيد أن تأثير المحيط الاطلسي ووجود مجموعة كبيرة من الجبال منها جبال الريف وجبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير (وأعلى قمة به تبلغ ٤١٦٥) م ووجود الصحراء ، كل هذه العوامل تقاوم هيمنة المناخ المتوسطي ، وتجعل في نواحي المغرب مناخات متعددة تختلف حسب موقعها الجغرافي .

ولا بد من ذكر منطقة كبرى لها خصائص طبيعية الا وهي السهول والنجود الواقعة في الشمال الغربي للكتلة الجبلية الوسطى ، ومناخها معتدل ، ويصيبها الغيث بمقدار يتردد ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ ملمتر من الماء في السنة ، وهذا الجزء الهام من المغرب يسكنه تسعة أعشار السكان عامة ، وهو صالح للفلاحة وتربية الماشية .

اما ثروات باطن الارض فمتنوعة ووافرة تدر على الدولة دخلا كبيرا يرد من الفوسفات ، وبقية المعادن المهمة هي الحديد والمنغنيز والرصاص تضاف اليها المنتجات الأخرى من فحم ونفط وكوبالت ونحاس وبوتاس وملح .

السكان

اما عن سكان المملكة المغربية فيبلغ تعدادهم حوالى ١٢ مليون نسمة ، ٦٥٪ من السكان العاملين فلاحون متجمعون بالأخص في منطقة الساحل الأطلنطيقي ، وربع السكان حضريون بيد أن عدد سكان المدن آخذ ينمو بنمو التصنيع وازدهار التجارة فازداد العمران ، ولا سيما في المدن التالية الدار البيضاء والرباط ، ومراكش ومكناس وفاس وطنجة ، ويقدر عدد السكان الآجانب بخمسمائة الف نسمة ، وأكثر هذه الجاليات عددا الجالية الفرنسية البالغ عددها مائتي الف نسمة ، والجالية الاسبانية مائة الف نسمة وكلهم متجمعون في المدن وأما من ناحية الصناعة التقليدية فما زالت هذه الصناعة المغربية منذ قرون عديدة تتحف هواتها المتكاثرين بروائعها الفنية التي طبقت شهرتها العالم تاركة للمغرب تراثا وطنيا نفيسا . ومن أهم هذه الصناعات :

الزرابي (السجاد) والأغطية والحنابل .

الجلديات التقليدية. الاثاث ومصنوعات الخشب. المصنوعات الفلزية ومصنوعات الحديد والمرصعات والحلى . مصنوعات الفخار والمطرزات والدمى واللعب. ومصنوعات القصب والخوص والحصر .

المدينة الساحرة :

هــذه مدينة عريقة ساحرة مــن مــدن المملكة المغربية الا وهى (مدينة فاس) التى تحوى بين أسوارها العظيمة ذات الحـدائق الغناء والمناظر الخلابة الرائعة و جامعة القرويين ، وفيها عاش أولئك الافــذاذ الذين سجل التاريـخ اسماءهم بمداد الفخر فى عالم المعرفة والفنون .

تقوم مدينة فاس بين الجبال والمغرب الشرقي المكون من سهول متسلسلة جافة تنحدر صــوب البحر ومن هضاب مرتفعة وتقــوم هــذه المدينة عاصمة المغرب الثقافية والروحية فى جميع الأجيال وجوهرة عقــد الحضارة المغربية الاسلامية التي شعت منها انوار المعرفة على جميع أرجاء المغرب .

فعندما عين الأمير ادريس الثاني بعد وفاة والده عاهلا على المغرب خرج من مدينته باحثا عن مكان جميل لاقامة عاصمته فجذبته سهول وادى فاس بوفرة مياهها فقرر بناء مدينة فيها واقام أسسها سنة ٩٠٨م . وقد سئل عن ذلك فقال بنيت هذه المدينة لعبادة الله وترتيل كتابه واحترام شرائعه .

ومن دعاء له يقول فيه : « اللهم انك تعلم انى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة وانما أردت ان تعبد بها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليــه وسلم ، اللهم وفــق سكانها للخير واعنهم عليه » .

جامعة القرويين :

وفى مدينة فاس جامعــة القرويين التي كانت وليدة رغبة دينية تغلغلت فى شرايين أختين هما فاطمة ومريم ، وقد شرع فى تأسيسها فى مستهل شهر رمضــان العظيم مــن عام ٢٤٥ هجرية ٣٠ نوفمبر ٨٥٩م .

ومن حسن الحظ انــه وجــد فى الموقع الذى تأسست فيه الجامعة مصدر للحجارة والرمال وعين ماء غزيرة كانت مياهها الدافقة معينا تغذت منه الجامعة الشهيرة على مر الأجيال .

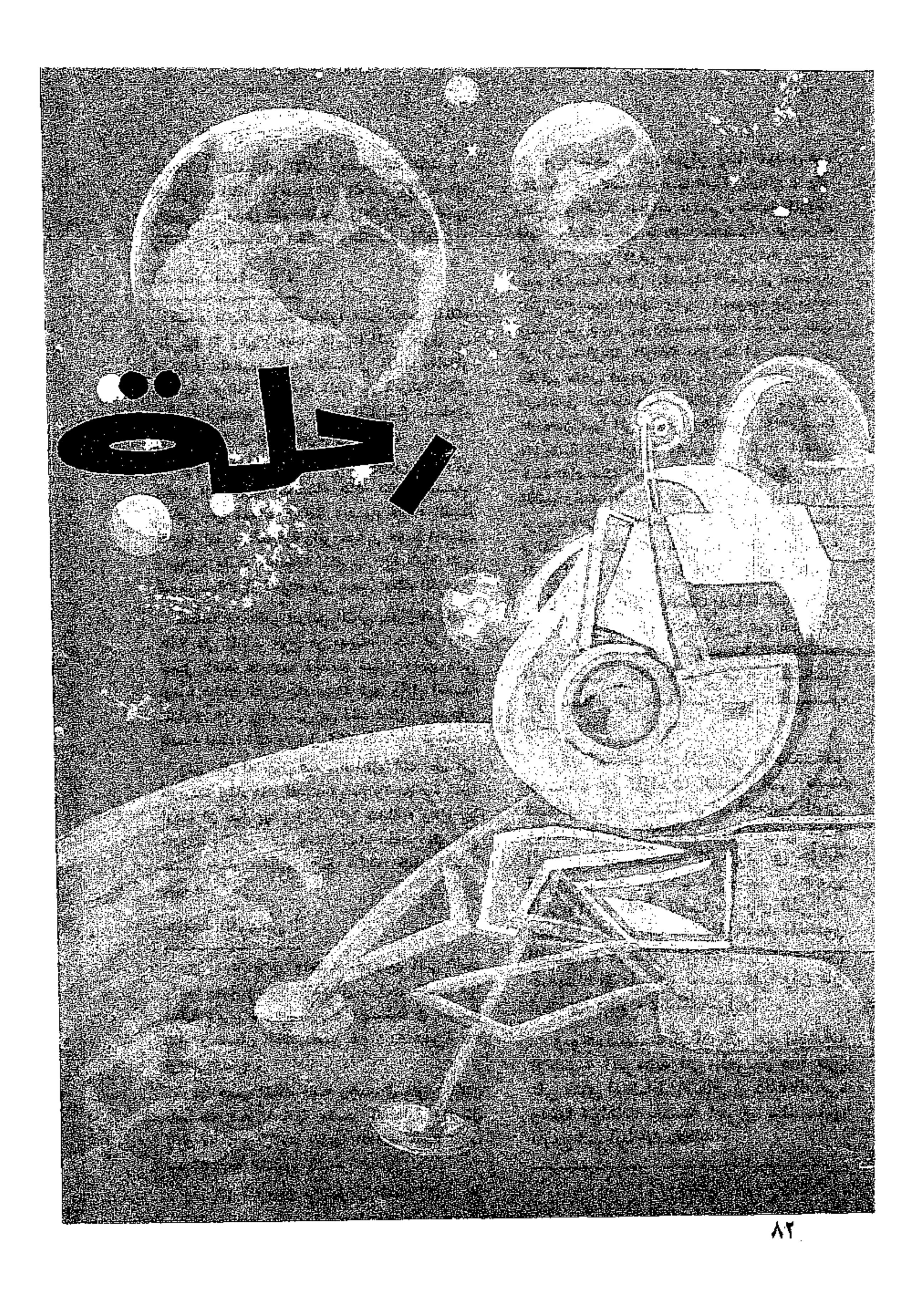
ولم تكن القرويين تشتمل فى نشأتها الاولى الا على أربع صحون وعلى محراب وفناء تتمايس فيه الاشجار كما كانت صومعتها قليلة الارتفاع . وقد تطلب نمو السكان وتزايد عددهم توسعتها والزيادة فيها ، ولهذا سرعان ما حلت محلهــــا « قرويين » جديدة أكبر من الاولى حجما وأوسع رقعة وبسبب هذه التوسعة ادخل الفنــــاء القديم فى الصحون التي تقام فيها الصلاة وغيرت الصومعة من مكانها وبنيت من جديد .. وتوسعت الجامعة ولقد طلب من أرباب الاملاك الواقعة بجوارها ان يتخلوا عن أملاكهم مقابل تعويض عادل ، وبدأت أعمال البناء وزيدت فى الجامعة صحون ثلاثة ، وبذلك ارتفع عدد الصحون فيها الى عشرة ، وفتحت فى واجهتهــــا الشمالية ثلاثة أبواب تفضي الى مسجد الجنائز حيث تقام صلاة الجنائز،وحيث توجد سوق عظيمة للكتب وتمتد القرويين على مسافة (١٦٠٠٠)متر مربع ، وهى تتسع لعشرين الفا ، ولقد لمع نجمها فى المحيط الثقافي خلال العصور الوسطى لا بالنسبة للعالم العربي فحسب ، بل بالنسبة لاوروبا أيضا.

أما عن خزائنها فتعد بمثابة كنز عظيم القيمة ، ولولا أن عددا كبيرا من المؤلفات النفيسة قد ضاع منهــــا فى مختلف الاجيــــال لكانت بلا ريب من أعظــــم المؤسسات من هذا النوع فى العالـــــم بأسره .

وقد تمكنت مع ذلك من الاحتفــاظ بعــــدد من المؤلفات النادرة التي كانت لجمالها وندرتهــــا محط اعجاب الذين وأتاهم الحظ بالاطلاع عليها ، ومن جملة الوثائق الثمينـــــة الموجودة فى خزانة القرويين أحد مؤلفات ابن رشد ويحتوى على ٦٣٨ صفحة كلهـــا من رق الغزال ، وهناك أيضا مؤلف للسلطان أحمد المنصور الذهبي لا تشتمل كل صــــفحة مـــن صفحاته الا على ١١ ســـــطرا وان كان ارتفاعها يبلغ ٥٠ سنتمترا .

ويوجـــــــد كذلك كثير من المؤلفات الاجنبية المترجمة الى العربية مما يدل على مدى النشاط الثقافى فى ذلك العصر، ومنها مؤلفات نفيسة أخرى تتنــــاول تاريخ أسبانيا الاسلامية .

البقية على ص ٨٧


رحلة

((زمن هذه القصة عام ١٩٩٩ ميلادية ...))

إلى ما وراء القمر

بقلم : محمد لبيب البوهى

جمع السيد باندا بهاترا ثروة من أعماله التجارية يحسده عليها أكثر أهل الارض ، حتى أن الصحف العالمية رشحته بما يشبه الاجماع للحصول على لقب أغنى انسان اكتسب مالا عام ١٩٩٩ .

وكان السيد باندا بهاترا ينتشي زهوا ويتيه فخارا بأمواله المكدسة وكان يمشي على الارض مختالا كالطاووس يضرب الارض بقدميه كأنما يود أن يقول لها تيهي أيتها الغبراء بى لأنني أغنى من تحملين من بنى البشر ، وكان يكثر من اقامة المآدب والحفلات ويريق فيها الخمر أنهارا ويتخذ حاشية من الرفاق يضحك منهم ويسخر حين يراهم يتخبطون من الخمر كمن أصيبوا بالمس وهو يقول لهم انتشوا بما قدمت لكم من ملذات ونعم ، لقد جعلت لكم من قصرى جنة فيها كل الطيبات .

هذا هو السيد باندا بهاترا ... ولكن شيئا واحدا كان ينغص عليه حياته ذلك أن أجمل نساء بلاده السيدة كمالا رفضت يده حين أراد أن يتخذ منها زوجة .

وعندما جاءه صاحبه الصديق الأثير عاموش بهذا النبأ الذى لم يكن يتوقعه فقد صوابه واضطربت أوصاله فقد كان يظن أن أية امرأة فى الدنيا لا ترد أبدا يد باندا بهاترا أغنى أغنياء الرجال .

وذهب الى المرآة وراح يتأمل صورته فأدرك أن المرآة تريد أن تقول له : انك جميل بلا ريب ، بل أنت أكثر الرجال وسامة ورشاقة بغير منازع ، ثم أرسل

الى والد السيدة كمالا يخبره بانه سيمهرها بمثل وزنها ذهبا ولكن السيدة كمالا ابتسمت وقالت لأبيها :

حتى ولو مهرني بملء الارض ذهبا فلن اتزوج هذا الرجل ...

واشتد الغيظ بالسيد باندا وخيل اليه أن هناك من يسخر منه ويضحك ، وأنه يرى الشماتة في عيون الساخرين ، فقرر أن يقوم بشيء يعجزون عنه جميعا ويرفعه الى مرتبة البطولة في عين السيدة كمالا ، وذلك أن يقوم برحلة الى مـا وراء القمـر .

واستدعى صاحبه عاموش وقال له : أريد أن تتصل باحدى الشركات التي تدبر أمر السفر في سفن الفضاء الى ما وراء القمر .

فاضطرب عاموش ظهرا لبطن وقال وكان رجلا باذنه بعض الثقل في السمع . أتريد يا سيدى أن تسافر الى القمر ؟ .

فصرخ في وجهه . قلت ما وراء القمر ـ ان الرحلات الى القمر أصبحت في متناول عامة الناس .. أريد شيئا ما يزال حلما بالنسـبة اليهم .. شيئا يجعلهم يتحدثون عني كبطل فما كان يليق أن تسخر مني امرأة أو يشمت بي أحد ، وفكر قليلا ثم قال رتب أمر سفري الى كوكب الزهرة يا عاموش .

فقال عاموش : الطريق الى الفضـاء أصبح مفتوحـا مألوفا الى القمر والمريخ .. أما الزهرة يا سيدى .. الزهرة .. فما يزال أمر السفر اليها خطيرا .

فتبسم باندا وقال من أجل هذا أريدها ، يجب ان أكون أحد القلائل الذين استطاعوا أن يصلوا الى هذا المكان ولو كلفني ذلك كل ثروتي . فاذهب واعد للأمر عدته .

وأخـذ السيد عاموش يدرس تكاليف الرحلة حتى وجد أنها تستنفد نصف ما جمع باندا طوال حياته من مال ، وكان يظن أن ذلك سيثني صاحبه عن عزمه ، وأنه سيرفض انفاق هذا المال الكثير في رحلة لا ضرورة لها .

ولكن العجب أخذ من عاموش كل مأخذ حين قال له باندا اعد العدة على الفور للسفر فانني ابغي من وراء ذلك أن يصبح أسمي على كل لسان وأكتسب بذلك اعجاب السيدة كمالا وسيكون نصف ما يتبقى لي من ثروتي قادرا على اسعادها مدى الحياة . انني أتصور كيف سيكون الامر حين أعود من رحلتي العلوية ان السيدة كمالا ستدرك أنه كان يمكنها أن تفخر بي من زمن بعيد ، فان البطولة جزء من شخصيتي وسترى أنها أضاعت الاعوام الماضية هباء في هباء .

وتم اعداد العدة وانطلق الصاروخ يحمل في فوهته كرة كبيرة من الصلب تشبه جوزة الهند الكبيرة يقبع في داخلها السيد باندا بهاترا في تمـام وقاره واعجابه بنفسه في طريقه الى رحلة الفضاء فيما وراء القمر يبغي الشهرة التي ستصك أسماع السيدة كمالا أجمل نساء الارض فتسعى اليه حين يعود وترحب به ويومها قد يشمخ بأنفه ويتيه دلالا ويتمنع وهو الراغب حتى يدعها تتعذب فترة من الزمن أمام أعظم أهل الدنيا شجاعة وبطولة ثم في النهاية يلين أمامها ويرضى .

كانت هذه الآمال تراوده زهاء خمسة وعشرين يوما قطعها الصاروخ حتى لامست سفينة الفضاء أرض الزهرة فى اليوم السادس والعشرين ٠

فى ذلك الوقت من عام ١٩٩٩ ، كان العلماء قد انتهوا من بحث كل أساليب الحياة على كواكب القمر والمريخ ٠ وكان الاجتهاد على أشده فى دراسة الحياة على الزهرة وكان باندا بلا ريب من أوائل الرواد فى هذا المجال ٠

وأخذت الصحف فى أقطار الارض تنشر على صفحاتها الاولى تاريخ حياة باندا وتنشر ما يتلقاه عاموش عن طريق الاتصال اللاسلكي من صاحبه عن وصف الحياة فى ذلك الكوكب البعيد وكان الناس يتلهفون على المزيد من أخباره ويتذاكرون فى أعجاب أمر بطولته ٠

اما السيدة كمالا فانها لما سمعت بالامر اخذت تضرب كفا بكف وهي تتساءل ما الحكمة من وراء هذا ٠٠ ؟ ما الحكمة فى أن يتحول رجل فى أعماق الفضاء وهو لم يعرف عن الارض التي يعيش عليها عشر معشار ما عليها من بقاع؟٠ ما الحكمة فى أن يسعى الى أهل القمر وسكان المريخ والملأ الذى هناك فى الزهرة وهو لم يتعرف بفضل أو معروف الى أهله هنا وقومه ؟ ٠

هذه هي الاسئلة التي كانت ترددها السيدة كمالا ولكن أحدا لم يلق اليها بجواب ٠

وعلمت سيدة كوكب الزهرة أن مخلوقا من أهل الارض هبط على بطحاء كوكبها فتوجهت الى علماء كوكبها تسألهم ما هي الارض التي جاء منها هذا المخلوق ؟ فقال لها كبير العلماء وقد أعطاها منظارا كبيرا وأشار لها الى الافق البعيد ٠٠ انظرى يا سيدتي هناك فى الافق البعيد نقطة فى مثل حجم عقلة الأصبع ، هذه هي الارض التي جاء منها هذا الرجل كما تراها نحن من هنا ، قالت سيدة كوكب الزهرة انه ضعيف على كل حال ، فاقيموا لمقدمه حفلا وائتوني به ٠

واقيم فى قصر سيدة الكوكب حفل كبير لتكريم ذلك الانسان الوافد من الارض وقالت السيدة لكبير العلماء اقرأ لي ما يدور فى عقل هذا البطل الارضي ٠

قال كبير العلماء انه يفكر فى سيدة اسمها كمالا ، قالت السيدة لكبير العلماء خذ من تفكيره مقرها ومكان وجودها وصوب عليها الاشعة السابعة وخبرني عما يدور فى خلدها ٠

فصوب كبير علماء كوكب الزهرة الشعاع السابع الى عقل السيدة كمالا على الارض ثم عاد يقول :

سيدتي انها تقول شيئا عجيبا ٠٠ تفضلي انت فاسمعي ما تقوله السيدة كمالا ٠ وتحدثت سيدة كوكب الزهرة الى عقل السيدة كمالا بأشعتها السابعة ٠ ماذا ترين فى شأن البطل القادم من عندكم أينها السيدة كمالا ؟ فقالت السيدة كمالا :

أحمق ٠٠ يظن أنه يكسب مودتي بهذه الحماقة ، كيف يسعى الى أهل الكواكب وقد كان هنا على الارض يتنكر لاهلها فلم يقدم الى أحد فضلا ولم يسع الى قومه بمعروف ٠٠ هنا يا سيدة الفضاء قوم جياع ماذا فعل من أجلهم ذلك الذى يبدد ثروته فى رحلة خرافية ، سليه يا سيدتي هل زار هنا على الارض الاماكن التي يحتاج أهلها الى العون والقوت والمساعدة ؟ ٠

وعجبت سيدة الزهرة من أمر هذا الانسان الذى يتجشم كل هذا العناء قبل أن يتعرف على قومه وبلاده وسألته قائلة : هل عرفت الارض أيهـا القادم منها ؟ فقال باندا فى زهو : اعلمي يا سيدتي ان تجارتي قد امتدت مـن شرق الارض الى غربها .

قالت سيدة الكوكب فى غضب : انما فعلت ذلك لتجني أموالا طائلة فماذا صنعت بالمال الذى جمعت ؟ فضحك باندا حتى كاد يستلقي ثم أجاب : عجبا .. أتسألين ماذا صنعت بالمال ؟ . بالمال استطعت أن أصنع هذه الرحلة . وأشارت سيدة الزهرة الى القرص الدائر فى الافق البعيد فى حجم عقلة أصبع اليد وقالت : هذه هي الارض وسأطلب الى كبير العلماء أن يكشف لك بالشعاع السابع المكبر عن جزء منها لنرى بعض قومك وأهلك هناك ، وأشارت الى كبير العلماء فسلط شعاعه السابع على جزء فى أطراف الارض وقالت لباندا انظر ماذا ترى ؟ قال وهو يحد النظر فى المنظار المكبر وقد سلطت عليه الاشعة السابعة . هي منطقة هناك فى أقصى الارض أهلها حفاة عراة يبحثون عن شيء فى الارض . انهم يبحثون عن الطعام فلا يجدونه ولذلك فهم يتساقطون أفرادا وجماعات ضـعفا واعياء وكان باندا ينظر اليهم فى غير تأثر وهو يقول :

انهم فقراء لا يجدون مالا يشترون به الطعام .

قالت سيدة الكوكب البعيد : بمالك أنت أيها السيد كنت تستطيع انقاذ الملايين منهم . كنت تستطيع أن تعينهم على عمل يعملونه فيكسبون رزقهم ، كنت تستطيع أن تغزو قلوبهم قبل أن تغزو قلب الفضاء ، هل تسمع أيها الهارب من الارض المغمض العينين عن النظر الى قومه المصاب بالوقر فى اذنه عن سماع صيحاتهم ؟ .

وعضت سيدة الزهرة على شفتيها حتى كادت من الغيظ تدميهما ثم قالت: استمع الى ما تقوله السيدة كمالا وأشارت الى كبير العلماء فصوب الى كمالا شعاعه السابع فأخذ باندا يقرأ ما يجول فى خلدها كانت تردد فى نفسها : ازداد قلبي بعدا ونفورا من هذا الرجل ، ولو أنه انفق هذا المال فى عمل انساني هنا على الارض لاستطعت أن افتح له قلبي .. لا .. لن يكون الانسان انســانا بغير قلب يتسع للآخرين .

وعجب باندا مما سمع وأخذه الندم والهم وقالت سيدة كوكب الزهرة لمن حولها : ألقوا به الى الارض ليبدأ من جديد وليجرب كيف يصبح انســانا يشارك قومه فى البأساء والضراء .

ويمد اليهم يد العون قبل أن يتجول بهذه اللعبة السخيفة فى الفضــاء البعيد ويطير بها من كوكب الى كوكب ، عليهم قبل كل شيء ان يتوادوا ويتحابوا قبل أن يحملوا الينا جراثيم التفرق والنفور والعداء .. هيا ألقوا به الى الارض ومعه لعبته السخيفة .

وأسرع باندا الى صاروخه وطار هابطا الى الارض ليبدأ فيها حياة جديدة يريد أن يكسب قلب السيدة كمالا وضحكت سيدة كوكب الزهرة وهي تتابعه بشعاعها السابع وقالت أفلح ان صدق .

بقية : جولة بين ربوع

وفى عصرنا هذا يدرس فى جامعة القرويين (٣٤٥١) طالبا ، وقد تخرجت منها شخصيات مغربية بارزة منها السيد علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي .

الدار البيضاء :

وقمنا بزيارة لمدينة الدار البيضاء ورافقنا فى هذه الزيارة وزير الصحة المغربي وسعادة الاستاذ عبد الله حسين سفير الكويت فى المغرب ، وهي مدينة جميلة كأنها قطعة من أوروبا فى قلب المغرب على المحيط الاطلسي . وهي مركز التجارة فى المملكة المغربية ومن الدار البيضاء توجهنا الى مدينة مراكش التي يطلق عليها مراكش الحمراء وذلك كما علمت لانه يغلب على بيوتها اللون الاحمر، وهي مدينة عريقة على أبواب الصحراء يكثر فيها النخيل ، وفيها سوق عام شاهدت فيها بعض رجال القبائل يأتون ليعرضوا بعض العابهم لتسلية المشاهدين من الاهالي والسياح ، وبعض رجال القبائل يؤدون رقصة جبلية بلباسهم الوطني . وبعضهم يرقص رقصة الافاعي بخفة ورشاقة .وفى هذه المدينة تصنع المصنوعات الجلدية القوية وبعض الصناعات المغربية التقليدية .

والغريب أنك اذا غادرت مراكش الى جبال اطلس فانك بعد مسيرة حوالى عشرين كيلو مترا تشاهد الجبال الخضراء المكسوة أعاليها بالثلوج وتشاهد المياه الغزيرة والمزروعات الكثيرة .

ولا يفوتنى ان أشير الى الجهود التي تقوم بها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية فى الميدان الروحي من اصلاح وترميم المساجد سواء فى كبريات المدن أو فى القرى والبوادى وشيدت مساجد جديدة فى عدد من الاماكن التي تفتقر لها فى الاحياء الجديدة التى كان يسكنها الاوروبيون والتى كانت فى عهد الاستعمار تحتوى على الكنائس ، ولا يوجد فيها مسجد يذكر فيه اسم الله . وكذلك أعادت الوزارة النظر فى اساليب الوعظ والارشاد فزودت المساجد بوعاظ ومرشدين يتوفرون على الكفاءة فى العلوم الدينية ، ووظفت بعض الوعاظ المتنقلين ، وأسندت لآخرين مهمة القاء دروس وعظية فى السجون لانتشال المقترفين للجنح والجرائم من وهدة الغواية والضلال . وتشرف الوزارة على تنظيم محاضرات دينية اذاعية يقوم بكتابتها والقائها أكبر علماء المغرب،وأحيت الوزارة المدارس القديمة ببادية المغرب فصارت تضم المئات من الطلبة يتلقون فيها القرآن الكريم بالقراءات السبع والعلوم الدينية والعربية . والوزارة لا تألو جهدا فى تنميتها حتى تعم جميع انحاء المملكة ، كما تقوم بطبع المخطوطات القيمة التي دبجها جهابذة العلم المغاربة والتي لم يسبق طبعها ،وبهذا تسهم الوزارة فى بعث التراث العلمي الاسلامي .

وتقوم الوزارة كما شاهدت فى جولاتي المتعددة لمختلف مدن المغرب ببناء الدور والعمارات وغيرها من الاملاك ذات الدخول ، وتستعمل لتمويل هذه المشاريع ما لديها من ثمن الاملاك الحبيسة التي قل او تعذر نفعها . والغرض من هذه التنمية الحفاظ على ادارة المحبسين كما تقتضي ذلك النصوص الشرعية والضوابط الحبسية ومواجهة الالتزامات والمصاريف التي تكثر بكيفية مطردة نظرا لتكاثر المساجد والزيادة فى أجور الموظفين الدينيين. وكذلك تستصلح الاراضي الموقوفة حيث تصبح موردا هاما لا يستهان به لرفع مستوى دخل الاوقاف .

وفى الميدان الاجتماعي تقوم الوزارة بتخفيف وطأة الفقر والحرمان عن آلاف الموظفين الدينيين وتوزع الاعانات على المعوزين وتحافظ على التراث الفني المغربي الاصيل .

مجلة الوعي الاسلامي :

وفى ختام انطباعاتي هذه أنقل للقراء آراء بعض من قابلتهم مع سعادة الوزير من الشخصيات الرسمية بالمغرب حول مجلة الوعي الاسلامي فلقد أبدى معالي الدكتور العربي الشربي وزير الصحة ومرافق سعادة الوزير خلال زيارته ، اعجابه الشديد بالمستوى المشرف الذى وصلت اليه المجلة وكذلك معالي الوزير احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الذى أبدى ارتياحه واعجابه الشديدين بمستوى مجلة الوعي الاسلامي واثنى على جهود القائمين عليها . وطلب أعدادا كثيرة من المجلة حتى يطلع عليها أكبر عدد من المواطنين المغاربة .



صندوق التنمية

السؤال : ـ

هل الفوائد التي يحصلها الصندوق الكويتي للتنمية العربية حلال أم حرام . وما هي الاسانيد . وما رأي المرحوم الشيخ شلتوت في هذا ؟

الاجابة : ـ

صندوق التنمية في اقراضه للدول المحتاجة الى قرض لاستخدامه في مشروعاتهـا بفائدة يعتبر كأي مصرف او فرد يقرض الافراد أو الهيئات مالا يستخدم في تنمية مشروعاتهم او قضاء مصالحهم نظير فائدة ..

وكل قرض من هذا النوع ياخذ عنه المقرض ـ فردا أو هيئة أو مصرفا ـ فائدة نظير اعانته للمقترض يدخل في باب الربا المحرم لانه مال يأتي عن طريق استغلال حاجة المحتاج « وهو أن تاخذ نظير اعانتك لاخيك مالا أو شيئا ماديا » ، والمفروض أنك تعينه وتفرج ضيقه وتساعده بمقتضى الاخوة منتظرا الجزاء من الله .

ومن المعروف أن المقترض ينتفع بما يقترضه ، وقد يكسب منه مالا ، فالقول بأن المقترض انتفع فلماذا لا ينتفع المقرض كذلك . ليس في حساب الاسلام .

واذا أرادا أن ينتفعا سويا فليكن ذلك عن طريق التعاون أو التجارة مثلا . واحد برأس ماله وواحد بجهده وعمله ، ويقتسمان الناتج بالنسبة التي يحددانها ، كما يتحملان معا الخسارة ان وجدت .

قد يقال ان هذا الصندوق او البنك مثلا فيه موظفون يتقاضون مرتبات ، وعليه مصاريف ، فهل يدفع هذه المرتبات والمصاريف من رأس المال ، أو يأخذها من المقترضين ؟

وهنا نقول : لا مانع حين نحسب ميزانية مصاريف البنك من موظفين وخلافه أن توزع هذه المصاريف على المال المستقل ، ويتحمل كل مقترض لمبلغ ما يخص مبلغه من هذه المصاريف ، وحينئذ يبقى رأس المال محفوظا في الوقت الذي لم تستغل فيه حاجة المحتاج .

والحرمة في الفائدة تقع على المقرض والمقترض سويا . اللهم الا اذا كان المقترض مضطرا اضطرارا بينا للقرض ، فحينئذ يباح له ما يباح للمضطر في الاسلام .. والضرورة تقدر بقدرها ، فالاسلام مثلا أباح للمضطر اذا تعرض للموت جوعا أن يأكل الميتة ـ وهي محرمة عليه ـ ولكنه اشترط ألا يأكل المضطر في هذه الحالة ما يزيد عن حاجته الضرورية . فلحم الخنزير حرام فاذا اضطر انسان لاكله لدفع شبح الموت جوعا فلا يصح له أن يبالغ في الاكل منه ، والقرآن هو الذي ضبط هذه الحالة « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه . »

والفرد هو الذي يقدر حالة الضرورة عنده . كما أن المختصين في الدولة هم الذين يقدرون حـالة الضرورة فيها . وهذه قاعدة عامة في تناول المحرمات في حال الضرورات « الضرورات تبيح المحظورات » « والضرورات تقدر بقدرها » يعني تؤخذ على قدر الضرورة ..

والفقهاء قديما وحديثا لم يختلفوا في هذه الحالة اعني حالة الضرورة التي ترفع الاثم عن المقترض ولا ترفعه طبعا عن المقرض . اما اذا لم توجد ضرورة ملحة فالاثم على الطرفين معا .

(يمكن مراجعة فتاوى الشيخ شلتوت في هذا ص ٣٢٥ وما بعدها الطبعة الاولى) .

وليس له رأي يخالف هـذا الراي في هذا الموضوع ...

العادة السرية

السؤال : ــ

لاحظت على صديق لي صفرة في وجهـــه وهزالا في جسمه ، فسألته عن ذلك فأجاب بانه يمارس العادة السرية لعدم استطاعته الزواج ، وقد افتاه بذلك أحد الناس فهل يجوز شرعا ممارسة هذه العادة .

الاجابة : ــ

العادة السرية (الاستمناء باليد) عادة قبيحة ضارة يلجأ اليها بعض الشباب نتيجة الفراغ والمثيرات ، وعدم القدرة على الزواج .

ولقد نهى الاسلام عن هذه العادة المرذولة ، وامر من لا يجد القدرة على الزواج بالاستعفاف والصبر حتى يجد القدرة على ذلك فقال تعالى ((وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله)) وبين النبي صلى الله عليه وسلم العلاج بقوله فيما رواه ابن مسعود (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج ، فانه اغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) اى وقاية .

وقد ذهب جمهور الائمة الى تحريم الاستمناء باليد ، واستدلوا على التحريم بقول الله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) أى الكاملون في العدوان ، والاستمناء باليد يندرج في قوله (وراء ذلك) كما استدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سبعة لا ينظر الله اليهم : الناكح يده والفاعـل والمفعول به) الخ أسنده الديلمي عن انس وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، وبأحاديث أخرى لا يتســع المقام لذكرها .

وأما ما ذكره السائل من أن بعض العلماء قد أباح الاستمناء باليد للضرورة فهذا قول مرجوح علما بان الضرر الصحي الناجم عن هذه العادة المرذولة محقق .

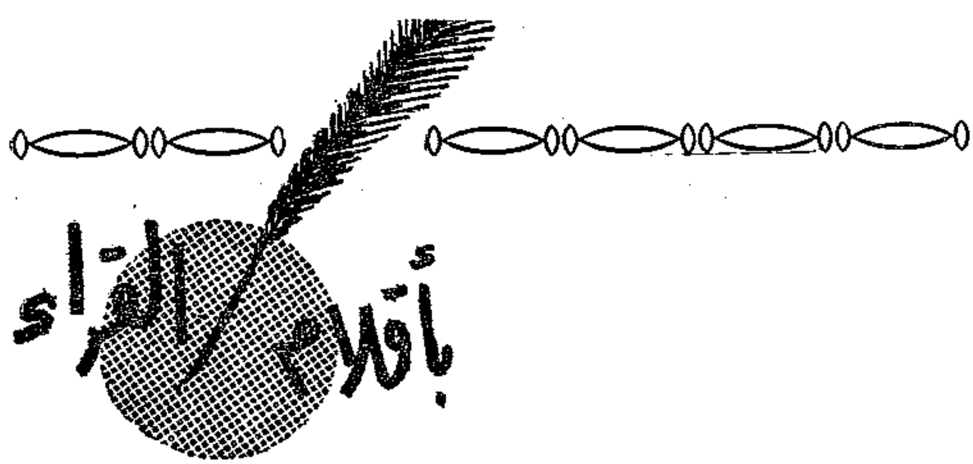
وقد عرضنا السؤال على الدكتور سالم نجم أخصائي الامراض الباطنية والبحوث الطبية بالمستشفى الاميري بالكويت فأجاب عنه بما يلي : ــ

((هذه العادة مرض من أمراض الانحراف الجنسي ، يلجأ اليها عادة المراهقون من الجنسين ، لاشباع رغبة جنسية منحرفة . وهي عادة ضارة وخاصة اذا مارسها الشاب في صورة متكررة ، وحينئذ تؤدى الى الاضرار التالية)) :

ينتابه احتقان بالغدد التناسلية وخاصة البروستاتا ، وربما نتج عن ذلك التهاب مزمن بها من جراء تكرار الممارسة . أما اذا استحكمت العادة فهي بلا شك سوف تؤثر على العلاقة الزوجية فيما بعد ، فان الممارس لن يصل الى الاشباع الجنسي الا بطريقته الخاصة ، مما ينذر بانهيار بيت الزوجية وفساده وفساد أولاده .

والشاب الذى يمارس العادة مريض بمرض نفسي ، منطو على نفسه ، لا يهتم بمأكل ولا بعمل ، هذا بالاضافة الى ما يبذله من جهد يتركه ضعيف البنية ، خائر القوى فاقد الثقة بنفسه ، وهو لا يفكر بطريقة سليمة وانما يحلق في الخيال . ذهنه مشتت لا يقوى على التركيز في عمله أو دراسته مما يعرضه الى فشل محقق .

لهذا كله ننصح كل من يرتكب هذا الفعل أن يبتعد عنه حتى لا يقع تحت الاثم المبين فيما ذكرنا من وسنة وحتى لا يتعرض في حياته لهذه الاخطار الصحية .



ايها الشباب

تحت هذا العنوان كتب الاخ زياد عودة عبد القادر من الزرقا بالأردن يقول :

انني لا اكاد اصدق ما يدور حولي من احداث وما يعرض امامي من صور ومناظر . انني لا اكاد اعي شيئا مما ارى او اسمع . هل نحن نعيش في اوروبا ؟ لا .. لا .. اننا نعيش هنا فوق ارض عربية طاهرة ، ثراها ممزوج بدماء اجدادنا الابطال الذين دافعوا عن كل شبر فيها ضد الطامعين ، وموقدي الفتن ، ولكني أرى ان المجتمع الاوروبي قد انتقل الى هنا بكل ما فيه من عادات وتقاليد .. بكل ما فيه من وسائل اللهو والعبث ، انتقل الى هنا كأسهل ما يكون الانتقال ، وأيسر ما يمكن بواسطة شرذمة من أصحاب التفكير الضيق والمنطق الاعوج .. فانا لا أعرف على مر العصور متى كان العرب مقلدين ، أو عالة على أمم العالم .

ان معظم شبابنا المثقف لا يعرف عنعروبته الا النزر القليل .. ويكاد لا يعرف شيئا عن رجال الاسلام وعلماء العرب ، ولكن اسأله عن رجال الغرب ، عن أحد عظماء أوروبا فانه سيجيبك وبكل فخر واعتزاز عن قصة حياته : متى ولد .. وأين عاش . ومتى توفى ويتابع حديثه قائلا : هؤلاء هم الذين صنعوا الحضارة .. هؤلاء هم الذين أضاءوا الدروب امام البشرية ، وهؤلاء هم قادة الدنيا وهذا عربي يسيء الى عروبته من حيث لا يدرى ولا يعلم .. يطعن بني قومه ويتهمهم بالرجعية وعدم التقدم في ركب المدنية ..

مساكين هؤلاء الشباب .. الشباب التائه في بهرجة الحياة الضائع في لجة الغيب لا يعرف اين مكانه ، ولا يدرى اين مركزه في هذه الدنيا ، واني لأتساءل : ما هي أوروبا التي تقدسونها ؟ انكم تقدسون جسدا بلا روح ، تقدسون انسانية ميتة وشرفا مفقودا . هذه هي اوروبا التي كانت الى زمن قريب في ارذل حال وأحط حياة . بل كانت أوروبا تتخبط في دياجير الجهل والظلام أيام كان العرب في عز مجدهم وعظيم مركزهم يوم كانوا متشبثين بدينهم لا يحيدون عنه قيد شعرة . وأوروبا هذه التي تقدسونها . متى أطلت على الدنيا ؟ متى ولدت ومن كان وراء ولادة الحضارة الحديثة فيها ؟ لا تعجب اذا قلت لك : انه الاسلام هذا الدين الحنيف والرسالة السماوية العظيمة التي اهملناها اليوم عن جهل وطيش وغرور ، فلولا الاسلام لما قامت هذه الحضارة التي نرى قطوفها دانية اليوم .

ولولا علماء الاسلام لما استطاع عالم اوروبي ان يتقدم خطوة واحدة في مضمار العلوم . لقد مهد الاسلام لبناء الحضارة الحديثة على ايد غير اسلامية ولكن كيف حصل هذا الاختلاف وكيف وقع مثل هذا التناقض ؟

والجواب بسيط : لقد ادرك العلماء الغربيون قيمة الكتب العلمية التي وضعها اجدادنا العرب في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ومختلف العلوم ، فانكبوا على دراستها اذ رأوا فيها خيرا واملا ونورا لازدهار الحضارة في العالم .

فمن العرب ايضا من حاول ان يطير ومن العرب من صنع المدفع ومن العرب من صنع الساعة والسفينة الى جانب نتاجهم الفكرى والادبى الغزير .

اجل ! لقد قدم أجدادنا الاولون لهذا العالم خدمات جليلة ، ويأتي شبابنا اليوم ليشوهوا الواقع ، ويطمسوا الحقيقة بقولهم الخاطىء : ان اوروبا هي صانعة الحضارة لا غيرها . فالاجدر بهؤلاء الشبان ان ارادوا النجاح حقا في الحياة ان يتبعوا خطى اجدادهم العرب ، ويسيروا على نهجهم ، وان ينكبوا على دراسة الكتب التي وضعها علماؤنا الاجلاء لاحياء التراث الفكرى والعلمي المهمل فما رأى شبابنا ؟

اقبال شاعر وفيلسوف اسلامى

وبعث الينا الاستاذ عبد المنعم ابراهيم البحفيرى من نوسا الغيط ج.ع.م بكلمة تناول فيها حيــاة الفيلسوف الاسلامى العظيم محمد اقبال بمناسبة الاحتفال بذكراه نقتطف منها ما يلى : —

« نشأ اقبال مطبوعا على حب الخير ، داعيا للمحبة ناشرا لتعاليم دينه محذرا من الفرقة والانقسام مبينا كيف كانت الفرقة السبب الاول لضعف المسلمين وهو هنا يوجه حديثه الى العرب قائلا :

آسفا على الخمود والجمود ايها العرب الا ترون الى الأمم الاخرى كيف تقدمت وسبقت ؟ أما أنتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التى نشأتم بها وهذه الحرية التى ورثتموها .. كنتم امة واحدة امة الاسلام فصرتم اليوم امما وكنتم حزبا واحدا حزب الله فأصبحتم احزابا لقد فرقتم جمعكم ومزقتم شملكم .

وآمن اقبال بالاخوة الاسلامية ولم يوجه دعوته لبنى قومه وعشيرته فلقد آمن بأن كل عشيرته هــم هؤلاء الذين يؤمنون بالله ويؤمنون بالخير ويؤمنون بالانسانية ، ويؤمن كذلك بأن العالم كله وطن للمسلم « ان المسلم كالشمس اذا غربت فى جهة طلعت فى جهة اخرى والمسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى ليس وطنى دلهى ولا اصفهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله » .

آمن اقبال بالدين وباثره الفعال فى توجيه حياة الفرد والجماعة على السواء وفى هذا يقول « ان الدين فى أعلى صوره ليس أحكاما جامدة وكهنوتية ولا اذكارا ، ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذى يحمله اياه تقدم العلوم فى عصرنا ، والدين وحده يرد اليه الايمـــان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصية فى هذه الدنيا والاحتفاظ بها فى الآخرة ولا بد للانسان من الارتقاء الى تصور جديد لماضيه ومستقبله ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ويقهر هذه المدنية التى فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطنى بين الدين والمطامع السياسية .

ويكفينا من محمد اقبال نظرته الى الدين الاسلامى على انه دين مفتوح وان رسالته اقرار للحرية ونشر للعدالة والمحبة بين المواطنين — فلا طبقات ولا محسوبية ولا الوان واجناس بل الكل اخوة .

وبين غاية الاسلام وهدفه فقال « ليست غاية الاسلام محصورة فى الواردات الذاتية التى تجعل المرء بمعزل عما حوله من الاشياء وعمن حوله من الناس بل بناء للتربية التى تجعل الفرد صالحا لان يكون منه ومن غيره مجتمع صالح — فان العصبيات التى تدعو الى البغضاء والتنفير وضيعة مهينة ليس لها فى الاسلام وجود » . ونادى اقبال بتأسيس المجتمع على التقوى والمحبة . وتربية الفرد على الاستقلال والعزة. ودعا الى حضارة شرقية نابعة من وحينا وواقعنا ، حضارة قوامها الله والروح ، وعاب الحضارة الغربية التى عمادها الانسان والمادة .

ويقول اقبال موجها حديثه الى الغرب ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها — لا يثبت العش على غصن رطيب ضعيف مضطرب ؟ .

ورأى اقبال فى المادية الغربية اسبابا لشقاء الحياة لانها تغاضت عن القيم وتخلت عن الروحانية فانتشر الانحلال الاخلاقى ومن هنا ظهرت المعسكرات المختلفة والقوميات المتنافرة التى حاربها اقبال ودعانا الى البعد عنها بقوله « ان بريق المدنية الحاضرة يبهر الانظار ولكنه بريق صناعى لاصداف مزيفة — وما العلم الذى يفاخر به رجال الغرب الا سيف معركة فى قبضة جشع مخضبة بالدماء » .

وانهى الكاتب كلمته عن اقبال فقال :

لم اقص هنا قصة حياة هذا الفيلسوف الاسلامى ..

بل قدمت اقبال الذى حز فى نفسه نوم الشرق فى سبات عميق ..

قدمت اقبال الذى كره مادية الغرب البعيدة عن الروح ..

قدمت اقبال الذى رأى فى اوروبا اكبر عائق فى سبيل الرقى الاخلاقى ، لان مثاليتها لم تكن ابدا من العوامل الحية المؤثرة فى جهودها ، ولهــذا انتجت ذاتا ضــالة اخذت تبحث عــن نفسها بين ديمقراطيات لا تعرف التسامح وكل همها استغلال الفقير لصالح الغنى .

قدمت اقبال الذى نشأه والداه تنشئة دينية وربياه على معرفة بدينه متحليا باخلاق نبيه .. وعاش لم تبهره حضارة الغرب ولم تستهوه مغريات اوروبا فيقول « لم يستطع بريق العلوم الغربية ان يبهر لبى وبعشى بصرى . ولقد مكثت فى اتون التعليم الغربى وخرجت كما خرج ابراهيم من نار نمرود .

تحية لاقبال . وتحية لذكراه العطرة . وسلام عليه .. يوم ولد .. ويوم مات ويوم يبعث حيا .



حائرة

عرضت على والدتي أن تزوجني من ابن صديقتها . تنفيذا لاتفاق تم بينهما ونحن فى سن الطفولة ، فاعتذرت لها بلطف ، وتعللت بأني راغبة عن الزواج في هذه السن المبكرة ، فأصرت ، وصممت ، لتفرح بي ، فصارحتها بأني لا أشعر بعاطفة نحو هذا الشاب ، فغضبت وثارت ومضت في تنفيذ خطتها ، فأنا يا سيدى حائرة بين حبي لأمي التي عوضتني بحنانها عن فقد أبي ، وبين احساس بالكراهية الشديدة تجاه هذا الزوج المزعوم ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن أخضع لمشيئتها ، ولو كلفني هذا حياتي .. فماذا أصنع .

س.ع — بيروت

انت معي يا آنستي فى أن والدتك تسعي لاسعادك ، وتعمل لتامين مستقبلك عن طريق الزواج . وانت معي في انها لا تدخر وسعا في اختيار الشاب الكفء الذى تنعمين بالاقتران به ، ورضاك عامل أساسي فى بناء عش الزوجية الدافىء الذى تتطلع اليه كل فتاة ، ولا اكراه في الزواج كما انه لا اكراه في الدين ، وخير البيوت ما بنى على الحب الصادق البرىء من النزق والطيش ، فلا تندفعي في تيار عاطفة الكراهية ، وحاولى ان تقنعى والدتك بوجهة نظرك واستعينى على ذلك بمجلس العائلة الذى احب الناس اليك وأحناهم عليك ، وعن طريقه يمكن الوصول الى الحل الحاسم فى هذه المشكلة التي تشيع في كثير من الاسر التي تعيش بعيدة عن الثقافة الاسلامية الرشيدة ، وأضع تحت انظار مجلس العائلة قول الله عز وجل « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وما روى من أن فتاة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبي زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، فجعل الرسول الخيار للفتاة في امضاء الزواج أو فسخه ،فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن أعلم النساء أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء ......

ردود قصيرة

السيد الاستاذ أمجد الزهاوى — رئيس رابطة العلماء في العراق .

قضية ابليس التىتصدى للدفاع عنه فيها أحد جنوده منشياطين الانس قضية خاسرة قضى فيها قضاءه العدل أحكم الحاكمين قبل أن يكون للبشرية ظل على الارض « قال فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليكاللعنة الى يوم الدين » وصرف الطاقة فى الرد على محامي ابليس مضيعة للوقت في غير طائل ، واستنفاد للجهد دون ضرورة « ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

الاخ محمد سلمان الدركزلي ـ الاعظمية ـ العراق .

نحن معك في وجوب عرض الاسلام في رسائل قصيرة . واضحة الاسلوب . شائقة العرض . وطلبك المزيد من الرسائل على نمط رسالتي الصيام والحج اللتين اصدرتهما المجلة موضع التقدير والاهتمام ، ونعدك بالتنفيذ كلما واتتنا الفرصة .

السيد حسين عولقي ـ الخساف ـ عدن .

الثمن المحدد لبيع المجلة في أي مكان أقل كثيرا من نفقات صدورها. المكتبية والطباعية والتوزيعية ، وذلك لتامين وصولها الى كافة القراء من جميع الطبقات ، والموزعون الذين يستغلون رغبة القراء أسوأ استغلال فيبيعونها باكثر من ثمنها المقرر انما يصدون عن سبيل الله ، ويأكلون سحتا حراما ، ويؤسفنا ان هذه الشكوى وردت الينا من جهات متعددة ، وقد كتبنا الى شركة التوزيع للتنبيه على وكلائها بذلك، ونرجو أن يستجيبوا لذلك .

الاخ م. ـ الكويت

لم أكد أصدق عيني وانا اقرأ رسالتك ، لخطورة ما تضمنته من اتهام اقرب الناس اليك وأحبهم الى قلبك في عرضه وشرفه . كيف تشك في نسبك الى أبيك وهذا وهم لا أساس له من الحقيقة . انك لم تكن شيئا مذكورا في هذا الوقت ، فكيف تقطع وتجزم بما خيل اليك ، لتهدأ نفسك وليطمئن قلبك ، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

الشريف عبد الله أحمد البيتي ـ تنجانيقا ـ كوباء .

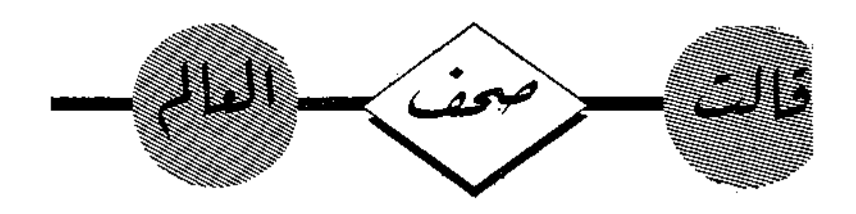
بارك الله جهودك وجهادك في نشر دينه في بلادك ،ومن أجل اخواننا المسلمين في افريقية وفي كل مكان نعمل ، ونكافح، واقتراحك ترجمة بعض موضوعات المجلة الى الانجليزية التي يفهمها المسلمون في وطنك اقتراح عملي مفيد . سيتحقق في القريب العاجل ـ ان شاء الله ، فالى أن يتم ذلك نتمنى لك الانتصار في اسمى المعارك واشرفها ، معركة العقيدة والتوحيد ، « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

السيد ز.ص.ب الكويت

القرار الذي اتخذه مجلس العموم البريطاني باعتبار الشذوذ الجنسي عملا مشروعا للبالغين وتمت الموافقة عليه بأغلبية ١٦٤ صوتا ، ضد ١٠٧ أصوات ، وما استقبل به هذا القرار من ترحيب الجالسين في شرفة الزوار في المجلس ـ صورة صادقة لما انحدر اليه المجتمع البريطاني في هذا العصر من شذوذ وفساد وانحلال ، وليس بعجيب على عصر الخنافس وبلد الخنافس أن يهبط مستواها العقلي الى هذا الدرك الاسفل ، وان عصر الفوضى الجنسية الذي يبيح للانسان أن يضاجع أي انسان هو نتيجة حتمية للمجتمع الذي يستسيغ ان تعيش الزوجة أمينة او غير أمينة وان مجتمعا يحدد نمط حياته وسلوكه على هذا النحو الشاذ مجتمع يتعجل مصيره ويسرع الى فنائه .

السيد مسلم من الاردن

هذا الرجل الذي يتردد على المرأة الاجنبية آثم شرعا ، وهذه السيدة التي تسمح له بالدخول عليها اثناء سفر زوجها لتامين حاجاتها آثمة أيضا وتذمر هذا الرجل من همس الناس وشكهم في غير موضعه لأنه عرض نفسه للقيل والقال ومن وقف مواقف التهم اتهم ولا أجر له .



أمل .. بعد الدموع

نشرت صحيفة السياسة الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ليس يسيرا ان تصاب امة ، وهى تعبر اخطر مراحلها المصيرية ، بأحد قادتها المخلصين الذين اعطوها من دمهم ونور اعينهم ، ما يخلد اسماءهم فى شغاف قلوب ابنائها الى الابد الابيد .

ولقد كانت محنة الامة العربية والاسلامية ــ ولا نقول محنة العراق فحسب ــ بعبد السلام محمد عارف ، اجل من ان تطفىء نار احزانها دمعة ، او تبلسم جرحها الناغر مسحة من دواء ، فلقد استطاع عبد السلام عارف ، بشخصيته كقائد وصوفيته كانسان ، ان يرتفع فوق خصومات كثيرة ، وظروف عقيمة معقدة ، من اجل ان يصنع للعراق الشقيق فجرا عربيا مسلما ، لا زيف فيه ولا مين ..

مهما يكن فقد شاء القدر الصادع ان يطوى صفحة هذا الرجل المؤمن ، فاذا بغيابه عن ســاحة المعركة يبدو كما لو كان امتحانا عسيرا للشعب العراقى ، ومدى اصالته وقدرته على ان يقف صفا واحدا أمام كل الظروف والتيارات المتربصة به ، تنتظر الفرصة المواتية للانقضاض على طمانينته ، ومكاسبه ، وكرامته .

لكن مما يدعو للاعجاب حقا ، ان دموع الشعب العراقي المسلم على رئيسه الراحل ، لم تحجب عنه رؤية الاشياء التى تتحرك فى الظلام ، ولم تشغله لحظة واحدة عن الانتباه لوحدته الوطنية ، خشية ان تتسلل الى صفوفها المتراصة يد عابثة باغية ، تحقد على العرب والاسلام . فاذا بالشعب الشقيق ،يضرب أروع الامثال على وعيه ووحدته فى الملمات والنوازل ، واذا به يجتاز اللحظات الحرجة الدامعة ، بقلب صبور صامد ، ثم يواصل سيره الحثيث من جديد ، فى طرائق الكرامة والعزة والاكتفاء الذاتي ما ســحا عن جفونه قطرات الدمع النازفة حزنا والما على الرئيس الراحل الشهيد .

ولكم غمر البشر قلوب العرب والمسلمين ، فى كل صقع وربع ، وهم يسمعون نبأ انتخاب شقيق الرئيس الراحل ، ليكون خليفته ومكمل رسالته التى بدأها فى العراق الشقيق .

عقوبة الاعدام بين الابقاء والالغاء

وكتب الاستاذ محمد التابعى فى صحيفة اخبار اليوم تحت هذا العنوان كلمة قال فيها :

((منذ أعوام قليلة قامت مناقشة على صفحات الصحف حول عقوبة الأعدام وهل نلغيها ، ام نبقى عليها . وناديت يومئذ مع من نادوا بالغائها ، ولكنى اعترف اليوم بأننى كنت مخطئا فى رأيى . وبعد فـان القتل انفى للقتل ومن قتل لا بد ان يقتل ..

واليوم تثار نفس المشكلة فى عدة اقطار اجنبية .

فى شهر نوفمبر الماضى الغيت عقوبة الاعدام فى انجلترا وكان من نتائج الالغاء ان كثرت جرائم القتل العمد .. ومن ذلك ان رجال الشرطة كثيرا ما كانوا يجدون فتيات صغيرات قد اعتدى عليهن اعتداء جنسيا ثم خنقن بعد ذلك ، وتركت جثثهن ملقاة فى غابة او فى خندق تحت شجرة على قارعة الطريق .

كما ان حوادث اطلاق النار على رجال الشرطة ازدادت ..

وذات مرة سطا بعض اللصوص على دكان للمجوهرات فى شارع رئيسى ، وعندما طاردهم رجال البوليس اطلق اللصوص عليهم النار من مدفع رشاش وقتلوا منهم اثنين .

وقامت ضجة كبيرة وتحول الرأى العام . وبعد ان كان رجل الشارع فى بريطانيا يحبذ الغاء عقوبة الاعدام بحجة انها العقوبة الوحيدة التى لا يمكن رفعها اذا تبين فيما بعد انها كانت ظالمة وفى غير موضعها .. تحول الرأى العام وقامت المظاهرات فى مدن كثيرة فى انجلترا وسار المتظاهرون الى دور الحكومة وقدموا عرائض قد وقع عليها عشرات الالوف من الاهالى يطالبون باعادة عقوبة الاعدام .

وقد بدأ هذا التحول وهذه المظاهرات فى شهر يناير من العام الحالى اى بعد شهرين اثنين من الغاء عقوبة الاعدام » .

(الوعى) الرجوع الى الحق فضيلة ، والحق احق ان يتبع ، وليس بعد حكم الله حق وعدل ، قال تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وسيظل العالم كله فى حيرة وقلق ما لم ينزل على حكم الله « أليس الله باحكم الحاكمين » .

التحركات اليهودية

وتناولت نشرة شعبة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت هذا الموضوع فقالت :

« شهد هذا العام تحركات يهودية ، على مستوى كبار المسئولين فى دولة العصابات ، لم تشهد الاعوام التى سبقت مثيلا لها ..

هذا التحرك الكبير .. وعلى هذا المستوى من المسئولية والتنوع لا يعنى سوى تنفيذ التخطيطات اليهودية الجديدة ، التى طالما تحدث عنها ايبان ، العقل المفكر للسلطة اليهودية فى كتاباته ، وغيره من المسئولين اليهود .

انها تعنى تمتين الروابط بين (اسرائيل) ودول الغرب التى احتضنت هذه الاداة الاستعمارية منذ قيامها .. ومدها بالتالى بالمزيد من المعونات الاقتصادية والعسكرية ، واخذ الضمانات لسلامتها .

انها تعنى العمل على الوصول الى تسوية للقضية الفلسطينية عن طريق فرضها من الدول الكبرى .

انها تعنى ايضا افتعال المعارك المسلحة على الحدود العربية ، واتخاذها وسيلة من وسائل الضغط .. انها تعنى الكثير .

ولا بد ان تجابه بتخطيط عربي واسع ، على مستوى دولى .. ان الزمن يمضى ، وهو يحمل معه المزيد من الدعم الاجنبى لدولة الاحتلال اليهودى ، والمزيد من التهديد للوجود العربى ، وهذا كله يتطلب العمل السريع الجاد قبل فوات الاوان .

لماذا نحن هنا

وكتبت مجلة الاضواء الاسلامية التى تصدر فى النجف الاشرف تحت هذا العنوان تقول :

لنتعلم كيف نصنع السلام فى عالم تسيطر عليه نوازع الدمار ، اننا هنا من أجل أن نعيش حياتنا فى ظلال محمد صلى الله عليه وسلم ونبدأ خطواتنا فى دروب محمد صلى الله عليه وسلم ، ونتجه بقلوبنا وارواحنا فى اتجاه رسالته وتعاليمه .

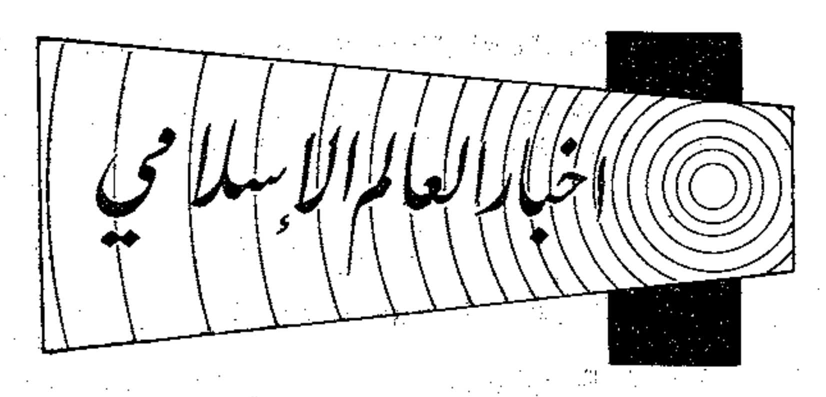
نحن هنا لنتعلم ونعى ، ونقرأ .

اننا بحاجة الى دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من اجل هذا الانسان .. من اجل ان نجد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم الروح التى تحنو على الانسان فتريحه من متاعبه ، والوحى الذى يأخذ بعقله وفكره وضميره لينقذه من مشاكله ، ويضع على يديه الحل الصحيح لقضاياه .

يجب أن نبحث عن الواحة التى يستريح اليها انساننا انسان القرن العشرين .. فى صحراء حياته المجدبة القلقة الخالية من الروح .. واحة الايمان بالله .. بالقيم الروحية التى تنطلق من روح الله .

هذا الايمان الذى يعيد للنفس ثقتها بالحياة من خلال ثقتها بالله . ويجدد فى حياتها روح القوة والتفاؤل والعزيمة من خلال اتصالها بالله . ويوجهها نحو مستقبل مشرق واضح الاهداف والمعالم من خلال انطلاقها مع رسالة الله .

تلك هى رسالة الاسلام .. وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم فلننظر ماذا بقى لنا من الاسلام .. وماذا بقى لنا من محمد وماذا بقى لنا من قرآنه .



الكويت

*** قام سمو أمير البلاد برحلة الى امارات الخليج العربي وصحب سموه فى هذه الرحلة بعض السادة الوزراء وكبار المسئولين .**

*** ألقى سعادة الشيخ جابر الاحمد رئيس مجلس الوزراء بيانا مستفيضا أمام مجلس الامة ، اتسم بالصراحة والعمق والحزم تناول فيه سعادته سياسة الحكومة الداخلية والخارجية ، وأكد فيه حتمية التعاون بين الحكومة والمجلس والرأى العـام المستنير للنهوض بالبلاد التي تعتبر قوتها قوة للامة العربية بأسرها .**

* بحثت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية فى اجتماعها الاخير طلبات المساعدة المقدمة من كل من اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا واوروبا ، ومـن هيئة العلماء فى لكهنو بالهند ، ومن لجنة تأسيس المدرسة الاسلامية فى البرازيل ، ومن المركز الاسلامي فى مونتريال ، ومن مؤسسة الدعوة الاسلامية فى سورابايا باندونيسيا .

كما نظرت اللجنـــة فى طلبات المفونة لتشييد بعض المدارس وكلية الدراسات الاسلامية فى بغداد ، ولبناء بيت اليتيم المسلم فى منطقة البقاع ، ومسجد محمد الامين فى لبنان . . .

وقد رفعت اللجنة توصياتها الى سعادة وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـــة لاتخاذ القرارات اللازمة .

* ستفتح كليات العلوم والآداب والتربية بجامعة الكويت الجديدة ابوابهـا فى مستهل شهر أكتوبر القادم وينتظر أن يقبل بها أكثر من ثلاثمائة طالب .

* وافقت وزارة الارشاد والانباء على الاشتراك فى معرض الكتاب العربي الثاني عشر الذى سيقام فى بيروت .

* زار البلاد وفد الصداقة الصومالي برئاسةوزير الشئون الدينية،واستغرقت الزيارة خمسة أيام اطلع فيها على معالم النهضة فى البلاد .

القاهرة

* صدر قرار فى التلفزيون يمنع المذيعات ومقدمات البرامج من وضع«الباروكة» على رؤوسهن أثناء تقديمهن البرامج أو قراءة نشرات الاخبار .. كذلك منع الافراط فى التزين والتحلي بالمجوهرات .. مراعاة لما يجب أن تتسم به المذيعة او المقدمة مـن البساطة . خصوصا أن المذيعات ومقدمات البرامج هن المثل الاعلى لكثير من الفتيات فى البيوت .

* افتتح الدكتور عبد القادر حاتم المركز الجديد للمعهد الاسلامي فى عاصمـــة اسبانيا .

* استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الازهر وفد مسلمي سيلان برياسة الحاج محمد علي ابو الحسن رئيس مؤسسة الكلية العربية للبنات بسيلان وقد قرر الامام ايفاد مدرسين أزهريين للكلية واهدى البعثة مصحفا شريفا .
* أدرجت وزارة الاوقاف مبلغ (١٧) الف جنيه لاقامة مراكز لتدريب أئمة المساجد واعدادهم من الناحية العلمية والثقافية .
* أهدت وزارة الاوقاف مكتبة اسلامية الى وزارة الاوقاف بالمغرب ، تضم ثلاثة آلاف مجلد وعددا من اسطوانات تعليم الصلاة باللغتين العربية والفرنسية .
* وافق وزير التربية والتعليم على انشاء معهد عربي لتعليم اللغة العربية فى كوناكرى عاصمة غينيا ...
* عاد السيد المهندس احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء والشيخ احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر من رحلتهما فى الهند التي استغرقت نحو عشرين يوما . وزيارتهما القادمة للكويت .

الجمهورية العراقية

*** ألفت لجنة للاحتفال بذكرى الاربعين لوفاة الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ووجهت الدعوة الى الدول العربية والاسلامية وأعلام الفكر والادب والصحافة فى العالم العربي للاشتراك فى هذا الاحتفال .**
*** اصدر الدكتور عبد الرحمن البزاز قرارا بالغاء أمر ابعاد بعض الشخصيات الكردية كانت الاقامة الجبرية قد فرضت عليهم فى لواء كربلاء .**
*** احتفل اخواننا الشيعة فى اليوم العاشر من المحرم بذكرى استشهاد الامام الحسين ، وحدث أثناء مسيرة أحد المواكب الى كربلاء حادث مؤسف أدى الى اختناق ٤٣ وأصابة ((٤٩)) بجراح بسبب الزحام الشديد .**

الجزائر

* سلم الرئيس الجزائرى دبلومات الى عدد من الفلسطينيين العرب وأبناء جنوب افريقيا الذين أتموا تدريبا عسكريا مدته عام فى الكلية العسكرية الجزائرية ، وقد ألقى بومدين كلمة بهذه المناسبة هاجم فيها اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا وقال موجها كلامه للفلسطينيين : يجب أن تكونوا واثقين من النصر النهائي على الصهيونية التي ابتلى بها العالم العربي .
* تم الاتفاق بين الجزائر وتونس والمغرب على السماح لرعايا هذه الدول بدخولها والاقامة فيها دون الحاجة الى تصريح .

تركيا

*** صرح وزير الخارجية التركية بان الحكومة التركية الحالية تتجه الى ((تقليص)) علاقاتها مع اسرائيل وابقاء هذه العلاقات فى المجال العادى وبشكل لا يضر أو يؤثر على مصالح الدول العربية .**
(الوعي) هذه خطوة والحق لا يتجزأ .

الاردن

* زار السيد / أحمد بركاش وزير الاوقاف والشئون الدينية المغربي البلاد ضمن جولته التي يقوم بها فى عدد من الدول العربية .
* كما زارها الاستاذ / علال الفاسي وألقى بعض المحاضرات .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمـان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبـر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عـدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبـى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد احمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص.ب (١٩٥٦) .

بورسودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



دكتور محمد اقبال الشاعر والفيلسوف الاسلامي الذي وهب قيثارته وفكره للتغني بأمجاد الاسلام واحياء الروح الاسلامية فى النفوس (بمناسبة ذكرى وفاته فى ٢١ ابريل)
اقرأ : اقبال فى محراب قرطبة .

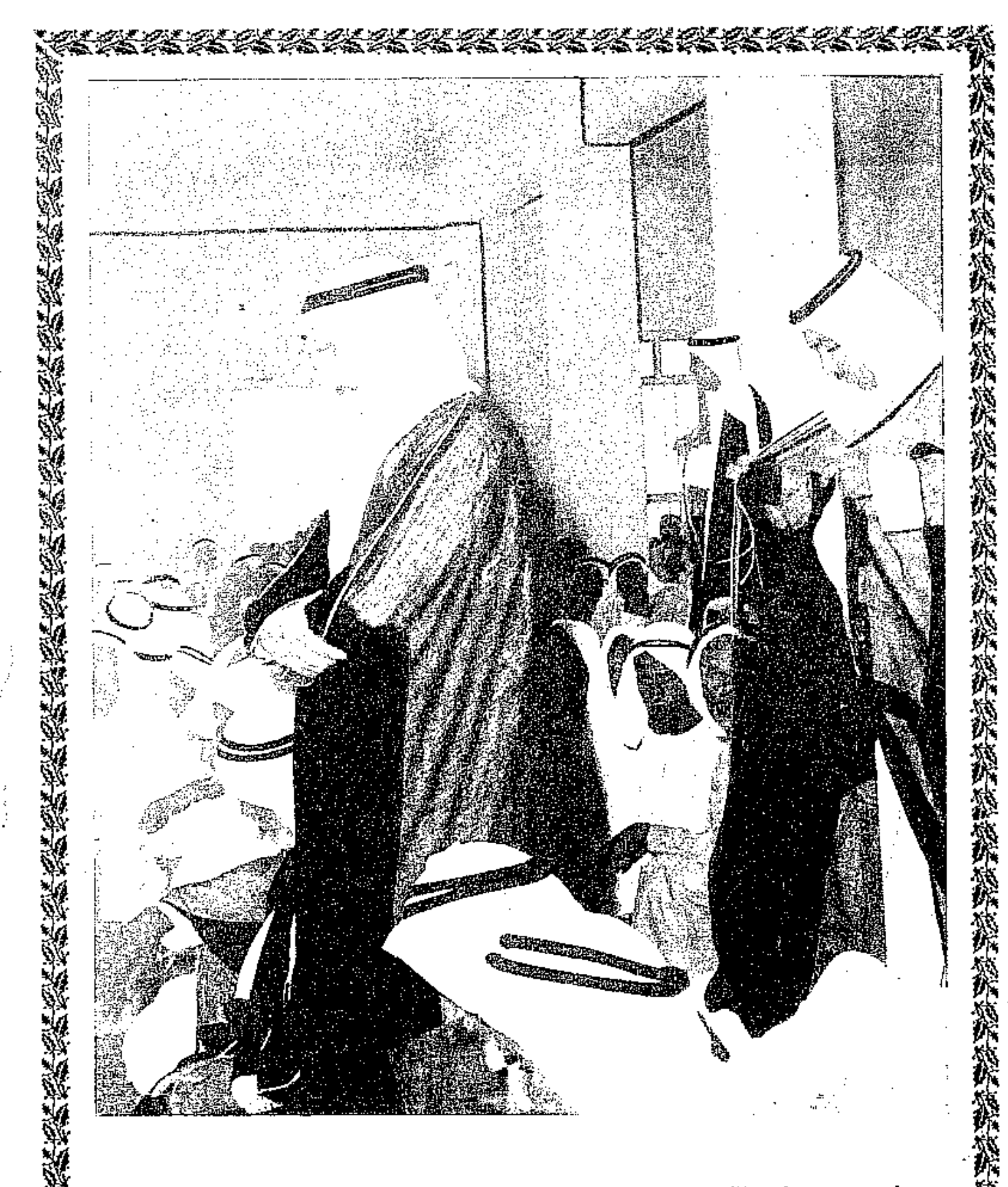
لوحة زيتية بريشة :
محمد مؤذن



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن عشر — السنة الثانية — ربيع الأول ١٣٨٦ هـ — ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٦



فى مسجد أم القيوين احدى الامارات بالخليج العربى حيث أدى حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم صلاة الجمعة أثناء زيارته الاخيرة لامارات الخليج

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس عشر • السنة الثانية
غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٦هـ
١٩ يونيو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

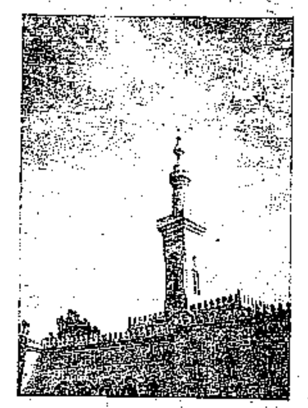
المشرف العام
عبد الرحمن الجحيم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد المركز الاسلامي فى واشنطون ــ الولايات المتحدة
(انظر الغلاف الاخير)

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

مبايعة ولي العهد

الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح

بايع مجلس الامة بالاجماع سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح رئيس الوزراء بولاية العهد وذلك فى جلسته التاريخية الخاصة التى عقدها صباح يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٣٨٦ هـ ـ ٣١ مايو ١٩٦٦ م وحضرها جميع الاعضاء .

وقد تمت هذه البيعة استجابة لتزكية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم واجماع الشيوخ الموقرين أعضاء الاسرة الحاكمة .

ثم صدر بعد ذلك الامر الاميرى الآتي :

((نحن صباح السالم الصباح ـ أمير الكويت ،

بعد الاطلاع على المادة ٤ من الدستور ،

وعلى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٤ فى شأن احكام توارث الامارة ، ونظرا لما نعهده فى جابر الاحمد الجابر الصباح من صلاح وجدارة وكفاءة لولاية العهد .

وبناء على تزكيتنا له ومبايعته من مجلس الامة بجلسته الخاصة المنعقدة بتاريخ اليوم ،

أمرنا بالآتي : ـ

مادة أولى : يعين جابر الاحمد الجابر الصباح ولي عهد دولة الكويت .

مادة ثانية : يبلغ أمرنا هذا الى مجلس الامة ، وعلى مجلس الوزراء ابلاغه الى من يلزم تبليغه اليهم . ويعمل به من تاريخ صدوره ، وينشر فى الجريدة الرسمية)) .

أمير الكويت
صباح السالم الصباح

صدر بقصر السيف فى ١١ صفر ١٣٨٦ هـ
الموافـــق : ٣١ مايـو ـ أيـار ١٩٦٦ م



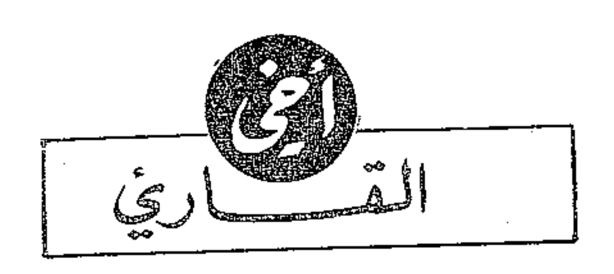
سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء اثناء حلفه اليمين الدستورية فى مجلس الامة بمناسبة مبايعته وليا للعهد وعلى يمينه أصحاب السعادة الوزراء..

وبين الفرحة الغامرة التى عمت أعضاء مجلس الامة بهذا الاختيار الموفق ، وتعليقاتهم التى عبروا فيها عما يتمتع به سمو ولى العهد من رصيد شعبى فى القلوب ، قام سموه وألقى أمام المجلس هذه الكلمـــة القيمـة : ـ

فى هذه اللحظات التى تغمرني فيها الغبطة بتزكية حضرة صاحب السمو أميرنا المحبوب اياى وليا للعهد ، وبمبايعة اخوانى أعضاء مجلس الامة الموقر ، أشعر بمزيج من السعادة والمسؤولية معا ، فليس أسعد لانسان من أن يحظى فى وطنه بثقة عاهل الدولة ، وممثلي شعبها الكريم وبقدر الثقة تكون المسؤولية ، ويكون الاحساس بها ، ولهذا لا يسعنى الا أن أسأل المولى جل وعلا ـ وأنا أشكره على فضله ـ أن يمدنى بعون من عنده ، حتى أكون عند حسن الظن والثقة بي ، لأخدم وطني وأمتي العربية المجيدة ، راجيا أن أسجل من أعماق القلب فى هذه المناسبة شكرى الجزيل لحضرة صاحب السمو أميرنا المفدى ، ولمجلسكم الموقر مسترشدا بقوله تعالى ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) .

(والوعى الاسلامى) اذ تتقدم الى سمو أمير البلاد المعظم ، وسمو ولي عهده المحبوب ، والشعب الكويتي باصدق تهانيها ـ تسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العهد عهد يمن وخير وعز ونصر للعروبة والاسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم



كان من أعز امنياتي فى الحياة أن أستقر ولو شهورا فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى أرض القرآن والاخلاص البكر لله ورسوله ، والجهاد الحق فى سبيل عقيدته .. وأعيش فى الجو الروحى لهذه الذكريات أغسل نفسى من أوضارها، وأشحنها بطاقة روحية تكون لي خير زاد فى هذه الحياة التي انحنينا فيها أمام التيار المادى ، وأطعمها بمصل وقائي يحصنها ضد أوبئة النفس التي ملأت علينا الأجواء من حولنا ..

وحقق الله لي ــ بفضله ــ هذه الأمنية ، وعشت فى المدينة شهورا ، وكان من توفيق الله وارادته لي أن أقوم بتدريس تفسير القرآن الكريم فى معهدها العلمي .. فاذا فرغت من المعهد قضيت أكثر أوقاتي جالسا فى مكان أهل الصفة، أو ما نسميه الآن ((دكة الأغوات)) أعكف على قراءة القرآن وتدبر معانيه ، وأمامى قبر الرسول الذى أنزله الله عليه أتمثله عليه الصلاة والسلام فى كل آية ، وفى كل خطاب ، وفى كل حادثة يسجلها القرآن ...

كنت أشعر حينذاك بلذة تذكرني بقول احد العلماء ((أننا فى لذة لو شعر بها أهل السلطان لقاتلونا عليها)) .

كنت أحس معاني القرآن تتدفق جديدة وكأنها تنبض بالحياة .. وأقف طويلا عند الآيات التي تدافع عن الرسول أو تشهد له وتثني عليه ... أتأملها وأعيش فى جوها وأنا ساهم ، أنظر الى المقصورة التي تضم فى داخلها جسد ذلك الرسول الذى عاش فى حماية ربه وكنفه ، يحرسه ويعصمه من الناس . ثم أعيدها وأنا أتصور عبدا من عباد الله ، لا يدعه الله لنفسه ، بل يتولى الدفاع عنه ... ويرد السهام الموجهة اليه ..

فاذا تهور حاقد وشتمه ، وقال له : تبت يداك ، لا يتركه الله يرد عليه ، بل ينزل قرآنا خالدا يرد عليه ويقول : ((تبت يدا أبى لهب وتب ..)) .

وحين تتطاول عليه الألسنة تعيبه بأنه صار أبتر لا ولد له ، لا يرد صلى الله عليه وسلم عليهم ، ولا يرد أحد من أهله وصحبه ، ولكن الله هو الذى يرد ويدافع ، ويطمئن رسوله ، ويهدىء باله، ويشرح صدره، فقد أعطاه ما هو أعز من الولد، بل ماهو

أعظم من كل ما يملكه انسان ويفخر به في هذه الحياة فيقول له ((انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الابتر)) أى المقطوع المحروم من الخير والهداية •

وحين يتهمونه وينتقصونه بانه ساحر وكاهن ومجنون يرد الله عليهم اتهامهم ، ولا يترك الأمر له يرد هذه التهمة عن نفسه ، بل يقول الله لهم تارة ((وما صاحبكم بمجنون)) ويوجه اليه الخطاب تارة أخرى يأمره أن يسير في طريقه ، غير مبال بهم ولا بتهمهم ، فيقول له : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون • أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين • أم تأمرهم أحلامهم بهذا بل هم قوم طاغون)) •

أقف طويلا عند هذا الدفاع وأمثاله في القرآن ، وتستشعر نفسي العظمة التي لا تدانيها عظمة لعبد الله ومصطفاه •• يتهجم عليه خصومه فلا يرد هو هذا التهجم ، ويوجهون اليه الاتهامات فلا يرد هو عليهم ، ولا يرد أحد من أولاده ، ولا من أقاربه وصحابه ، ولكن الله مالك الملك القوى العزيز هو الذى يتكفل بالرد عنه ، ويعلن حمايته لرسوله ، وغيرته عليه ، ويسجل ذلك كله في قرآن يتلى على مر الأجيال الى يوم القيامة ((والله يعصمك من الناس)) •

وتزداد نفسي احساسا بعظمة الرسول ، ويزداد ايماني به وحبي له عمقا ويقينا ، وأنا اقرأ ثناء الله عليه وتزكيته له وهو يناديه : ((يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)) وانظر أمامي الى القبر الذى يضم البشير النذير ، والسراج المنير • وأقول ما أعظمك يا رسول الله يا حبيبه ومصطفاه •• وما أعلى منزلتك وأقربك الى ربك •• ان الله مالك الملك الذى يحيط بكل شيء علما ، هو الذى يثني عليك ويقول ــ وقوله الحق ــ انك السراج المنير •• فهل بعد ثنائه عليك ثناء ••

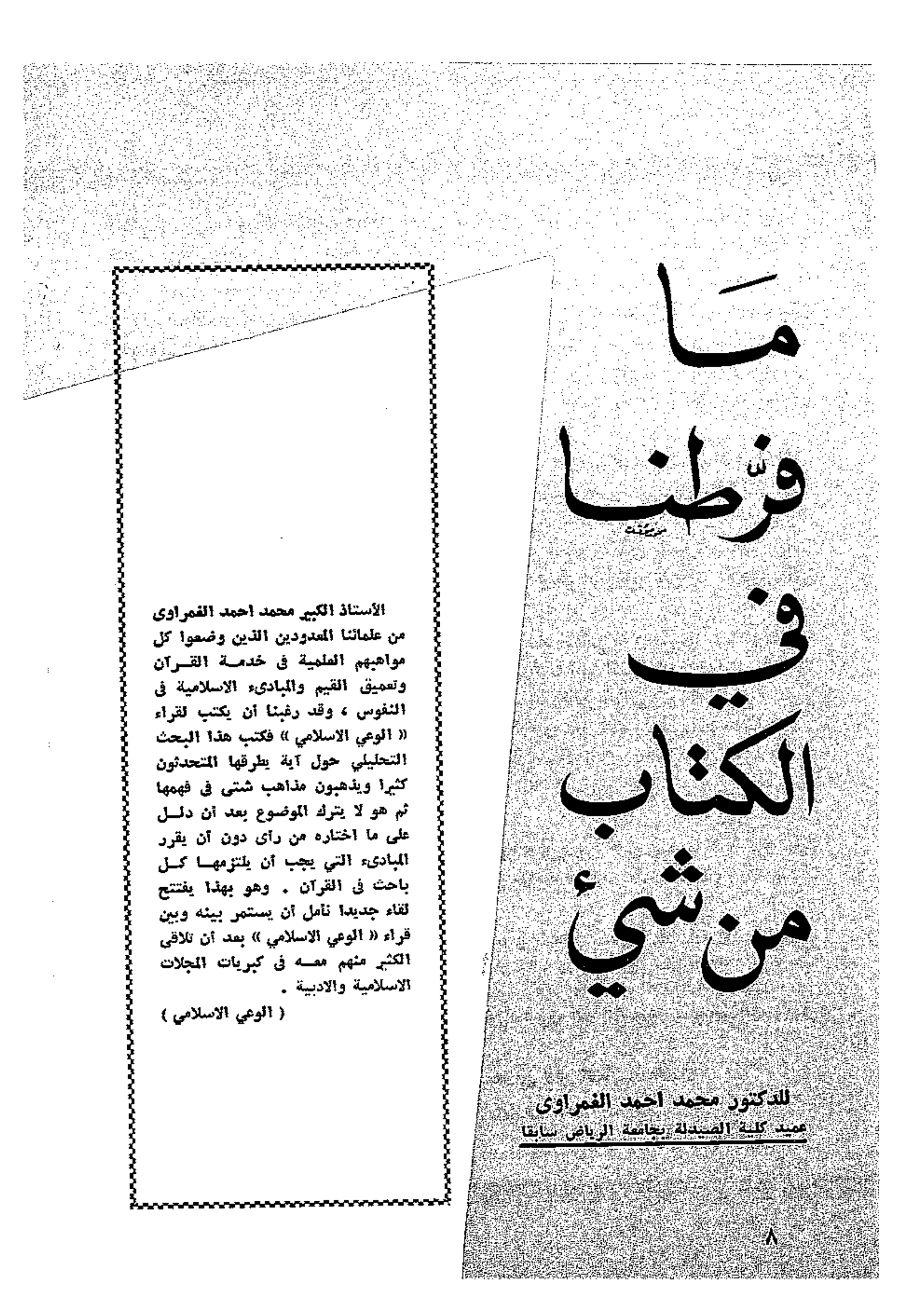
ان الانسان منا لتنفتح أوداجه ويتيه زهوا وغرورا ، حين يسمع كلمة ثناء عليه من انسان مثله ، قد يكون الدافع اليها نفاق أو حاجة ، وقد يعلم الانسان زيف هذا الثناء ، ولكنه مع ذلك ينتفخ ويزهو ••

أما هنا فان الله هو الذى يثني على عبده ورسوله •• ويصفه بانه السراج المنير الرحمة للعالمين ، وعلى خلق عظيم ، وبالمؤمنين رءوف رحيم • ويزداد عطفه عليه وحبه وتقديره له حين يقول في كتابه ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)) •

فماذا نقول نحن ، وما وزن ما نقول بعد ان قال الله سبحانه :

((وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)) •

رئيس التحرير



ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ

للدكتور محمد احمد الغمراوى
عميد كلية الصيدلة بجامعة الرياض سابقا

الأستاذ الكبير محمد احمد الغمراوى من علمائنا المعدودين الذين وضعوا كل مواهبهم العلمية فى خدمة القرآن وتعميق القيم والمبادىء الاسلامية فى النفوس ، وقد رغبنا أن يكتب لقراء « الوعي الاسلامي » فكتب هذا البحث التحليلي حول آية يطرقها المتحدثون كثيرا ويذهبون مذاهب شتى فى فهمها ثم هو لا يترك الموضوع بعد أن دلل على ما اختاره من رأى دون أن يقرر المبادىء التي يجب أن يلتزمها كل باحث فى القرآن . وهو بهذا يفتتح لقاء جديدا نأمل أن يستمر بينه وبين قراء « الوعي الاسلامي » بعد أن تلاقى الكثير منهم معه فى كبريات المجلات الاسلامية والادبية .

(الوعي الاسلامي)



معنى « الكتاب »

كلمات كريمة من الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام اختلف المفسرون فى تفسيرها .

اختلفوا فى الكتاب ما هو ؟ فمنهم من فسره باللوح المحفوظ كالزمخشرى ، ومنهم من فسره بالقرآن كأبى حيان . وفسره ابو مسلم والأصبهاني بالأجل المكتوب فيما ذكر الألوسي وحكى السيد رشيد رضا تفسيره بالعلم الالهى المشبه بالكتاب من ناحية الثبوت وذلك فى تفسير المنار .

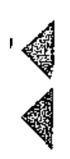
اما تفسيره بالأجل المكتوب فسياق الآية يأباه كما قال الألوسي فى تفسيره روح المعاني . والآية الكريمة هي « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم . ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » .

ومن الواضح أن لا مناسبة بين كون الدواب والطيور أمما كالناس وبين نفى التقصير فى تحديد آجالها .

واما تفسير « الكتاب » بالعلم الالهى لأنه يشبهه من ناحية الثبوت فمردود لأمرين يجل العلم الالهي عنهما : أن الكتاب — أى كتاب — قابل للانتقاص والمحو ، وأن الكتاب — أىّ كتاب — محدود متناه ، والعلم الالهى لا نهائي فهو غير محدود ، وكل كتاب مهما اتسع هو بالنسبة اليه متضائل مفقود .

اما تفسير الكتاب باللوح المحفوظ أو القرآن فبكل ورد لفظ (الكتاب) فى القرآن الكريم ، فبمعنى اللوح المحفوظ ورد لفظ الكتاب فى الآية (٣٧) من سورة الأعراف . « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين» .

وبمعنى القرآن الكريم ورد لفظ الكتاب فى الآية (٤٨) من سورة المائدة : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » الآية .



ما فرطنا فى الكتاب من شيء

ومن الواضح أن الكتاب فى الموطن الأول من الآية الثانية هو القرآن ، وفى الموطن الثاني هو ما قبل القرآن من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل اللذين سبق ذكرهما فى الآيات الأربع التي جاءت قبل هذه الآية . فأداة التعريف فى الموطن الأول للعهد ، وفى الموطن الثاني للجنس ، فهذا مثال للجناس التام فى القرآن لم يذكره علماء البيان اذ هم لم يحصوا من الجناس التام فى القرآن الا مثالين ذكرهما صاحب الاتقان فى علوم القرآن ، أحدهما فى سورة الروم والثاني فى سورة النور .

لكن ورود لفظ الكتاب بمعنى القرآن اغلب وأكثر من وروده بمعنى اللوح المحفوظ ، خصوصا فى أوائل السور المفتتحة بالأحرف المقطعة .

فبمعنى القرآن ورد لفظ الكتاب فى أول سورة البقرة : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين » .

وفى أول سورة آل عمران « الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » الآيات .

وفى أول سورة يونس « الر . تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم » الآيات .

وفى أول سورة يوسف « الر . تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

وفى أول سورة الرعد « المر . تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » .

وفى أول سورة الحجر (الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » .

وفى أول سورة الكهف « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » .

وفى أول سورة الشعراء « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » .

وفى أول سورة القصص « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» .

وفى أول سورة لقمان « الم . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين » الآيات .

وفى أول سورة الزمر « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين » . الآيات .

وفى أول سورة غافر « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير » .

وفى أول سورة الزخرف « حم . والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه فى أمّ الكتاب لدينا لعلى حكيم » .

واللوح المحفوظ هو أم الكتاب . والتفريق فى التسمية بينه وبين القرآن فى هذه الآيات الكريمة له وزنه فى ترجيح أن يكون الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن الكريم لا اللوح المحفوظ . وتزداد كفة الترجيح وزنا بورود (الكتاب) بمعنى (القرآن) فى أوائل السور الباقية من آل حا ميم — سور الدخان والجاثية والأحقاف .

هذا الرجحان يترقى الى درجة اليقين اذا تأملنا السياق ، لا فى الآية الكريمة وحدها كما يفعل أكثر المفسرين ، ولكن

فيها موصولة على الأقل بالآية قبلهـــا والآية بعدها ، أى فى الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأنعام « وقالوا لولا نزلَّ عليه آية من ربه ، قل ان الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما من دابة فى الأرض ولا طائــر يطــير بجناحيه الا أمم أمثالكم ، ما فرطنـــا فى الكتاب من شيء ، ثم الى ربهم يحشرون . والذين كذبــوا بآياتنا صــم وبكــم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

فأولى هـــذه الآيات الثـلاث تفيد أن المشركين كانوا يلحون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية أى معجـــزة حسية كمعجزات موسى وعيسى ، ويأبى الله عليهم ذلك للسبب الذى ذكــر فى آية سابقة من نفس السورة « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » .

وذلك بعد أن كذب منهم بمعجزة انشقاق القمر من شاهدها ، وقالوا سحر مستمر ، فأهلكوا فى بدر وقبل بدر ، وبعد أن كان سائرهم قد كذب بالاسراء بعد أن قامت عليه الأدلة البينة بما وصف النبي من بيت المقدس لما طلبوا منه وصفه امتحانا واختبارا ولــم يكن زاره قبــل ، وبما ذكر لهم من أمر العبر التي شـــاهدها فى طريقه أثناء الاسراء ، ومن بعير كان نــد من أهلها وتفرقوا فى طلبه ، وبما أخبر من مقدم العير ومن وقــت قدومهـــا ، والهيئة التي ستكون عليها عند القدوم ، وقد رأوا بأعينهم صدقه فى ما أخبر به عن مقدم العير ، وسمعوا بآذانهم تصديق أهل العير له فيما أخبر عنها قبل القدوم . فلو كان المشركون يقنعهم الدليل الواضح لصدقوا بعد هذا كلــه بخبــر الاسراء ، واذن لآمنوا به صلى الله عليه وســـلم ، ولكفوا أنفسهم المطالبة بما طالبوا به من آيات لو أجيبوا الى بعضها ولم يؤمنوا لأهلكهم الله طبقا لسنته فى الأمم التــي كذبت قبلهم أنبياءها برغم ما شاهدوا من معجزات أجراها الله لهم .

لكن الله كان قد ادخر أكثر قريش لنشر دينه ، وادخر لهم الايمان بعد الفتح فتح مكة ، فكان من رحمته بهم أن أبى عليهم الآية التي طلبوا ، وكان من حكمته أن دلهم من آياته فى الخلق على ما من شأنه أن يهدى اليه سبحانه كل من يعقل ويفكر . منهم ومن غيرهم « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » . وضمير الخطاب فى قوله تعالى (أمثالكم) خطاب لكل أمة يبلغها القرآن فى كل عصر . فهو فى العصر الذى نزل الوحي بالآية الكريمة خطــاب للمشركين الذين قالوا « لولا نزل عليه آية من ربه » ففي الآيتين معا التفات عجيب من الغيبة الى الخطاب : بعد أن حكي عنهم ما قالوا على وجه التعجيب منهم ، التفت اليهم ينبئهم بآية بل آيات له فى الخلق أعظم وأبقى مما طلبوا :

ان كل نوع فى الأرض من الدواب أمة مثلهم لها سننها فى الفطرة ، ونظامها فى المعيشة ، وان كل نوع من الطيور أمة مثلهم كذلك . فالذى خلــق الدواب والطيور أمما أمثالهم هو الاله الذى تجب عبادته لا ما كانوا يعبدون ولا ما كان يعبد سواهم من غير المؤمنين . فما حاجتهم وهذه آياته سبحانه فى الخلق ، يبصرون بعضها فيما حولهم من الصحراء ، وعليهم أن يفقهوا سائرها — ما حاجتهم بعد ذلك الى أن يسألوا الرسول دليلا من اللــه غيرها أى معجزة يشاهدونها يسيرا ثم تزول ، واذا لم يؤمنوا بها هلكوا ؟ ومن المفيد أن نتذكر أن سورة القمر نزلت قبل الاسراء ، وأن سورة الاسراء نزلت قبل الأنعام .

ان الطريق الى الله هو تفهم آياته فى خلقه من مثل ما نبهت اليه الآية الكريمة وآيات أخرى مثلها فى سورة الأنعــام

ما فرطنا
في الكتاب
من شيء

وفى غيرها من سور القرآن . بل ان القرآن قد أحاط بالخليقة كلها وبآيات الله فيها « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فاذا لم يسمع الناس ولم يستجيبوا الى القرآن وقد بلغهم فسيحشرون الى ربهم يحاسبهم على ما كذبوا رغم ما بين لهم ودلهم عليه فى الخلق من آيات « ثم الى ربهم يحشرون » وضمير العاقل فى (ربهم) ينصرف أول ما ينصرف الى الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، اذ يطالبون رسول الله بآية تدل على الله الواحد ، وبين أيديهم فى الخلق آيات . وفى الاخبار عنهم بضمير الغائب بعد ضمير الخطاب فى قوله تعالى (امم امثالكم) مثل آخر من الالتفات المنطوى على الاعراض عنهم من الله سبحانه ، لما اعرضوا عن دلائله التى اظهرها ونبههم اليها ، وفيه ايذان لرسوله وللمؤمنين ان يعرضوا عن هؤلاء الذين « ان يروا آية يعرضوا » ، واذا نبهوا الى آية فى الخلق دائمة تغنى كل الاغناء عن الآية الزائلة التى طلبوا ، لم يفقهوا ، وتمسكوا بضلالهم الذى ورثوا . وفى قوله تعالى « ثم الى ربهم يحشرون » ما فيه من التهديد لهم ان هم تمادوا فى تعنتهم وعنادهم ، ومن التسلية للرسول وللمؤمنين ، حتى لا يهتموا لذلك الاعراض من المشركين الذين لا يريدون ان يسمعوا الحجة فكانوا صما ولا يأتون بحجة ولا ينطقون بحق فكانوا بكما ، ولا يقبلون الحق والهدى الذى جاء به الرسول ، واناره لهم القرآن مع ما أوتوا من العقول ، فهم فى الظلمات لا يريدون ان يخرجوا منها « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات » فهؤلاء أضلهم الله لعنادهم واعراضهم ، والمؤمنون بالله وآياته التى انزلها على رسوله انما هداهم الله ، لاقبالهم على آيات الله يتدبرونها ليفقهوها حتى فقهوا ، واستحقوا الهدى من الله « من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

فقد تبين اذن من سياق الآيات الثلاث ان الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن كما قال ابو حيان فى تفسيره البحر المحيط . ويزيد ذلك وضوحا ان القرآن حين نزل كان مخاطبا به العرب ، مشركوهم قبل مؤمنيهم . ولم يكن المشركون يعرفون ما اللوح المحفوظ فيفهموه من كلمة الكتاب اذا سمعوا قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » وانما فهموا منها القرآن أول ما فهموا .

فكلمة الكتاب فى هذه الكلمات الكريمة اذن معناها : القرآن فى المكان الأول ، ثم يأتي اللوح المحفوظ معنى لها فى المكان الثاني ، كاحتمال يبرره ورود الكلمة بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، كما فى آية الأعراف السابق ذكرها . ولا تخالف هناك فى المعنيين ان اجتمعا فى الآية ، لأن القرآن الكريم هو فى اللوح المحفوظ كما قال الله سبحانه فى سورة البروج « بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ » .

ان دلالة الكلمة القرآنية على معنيين غير متناقضين ولا يمنع مانع من صدقهما معا هو وجه آخر من وجوه اعجاز القرآن

لم يلتفت بعد اليه ، أو لم يوف حقه من التبيين . وهو ممكن فى القرآن غير ممكن فى غيره من كلام الناس . فالناس فى العادة يقصدون فى كل عبارة من كلامهم معنى محدودا ان عجزوا عن بيانه رموا بالعي . أما القرآن فهو كلام الله الذى لو شاء لعبر عن أحد المعنيين بما يدل عليه وحده . فاذا عبر بما يفيد أهل اللغة أكثر من معنى ، كان كل معنى يدل عليه الكلم القرآني دلالة صحيحة هو معنى مرادا لله ان لم يقم دليل على أنه غير مراد .

لكن التعبير اللغوى فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » يدل على الاستغراق عند من فسر الكتاب باللوح المحفوظ ، فهو لغة يدل على الاستغراق أيضا عند من فسر أو يفسر الكتاب بالقرآن . فما دام ظاهر التعبير العموم والاطلاق فانه لا يصح تخصيصه وتقييده الا اذا قام على ذلك دليل . ولا ينبغى أن يكون الدليل عجزنا نحن عن تحقيق استغراق القرآن لكل شيء ودلالته على كل شيء فى الفطرة ، فاننا ندرك اليوم باتساع الكشوف العلمية معاني الآيات القرآنية المتعلقة بفطرة الكون ، لم يكن الأولون يدركونها ..

وسيأتي لا شك بعدنا من يدرك من معاني القرآن ما نعجز اليوم عن ادراكه ما دامت علوم الفطرة تزداد رقيا واتساعا باطراد .

فلنحذر اليوم أن نسد على انفسنا ابوابا من الهدى والعلم فتحها الله علينا فى القرآن بقوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » تعقيبا على قوله سبحانه « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » فى سورة لعلها اكثر سور القرآن تذكيرا بآيات الله فى الخلق ، وتنديدا بأولئك الذين يعمون عن هذه الآيات الباقية للدارسين على مر العصور ، ولا يقنعون الا بمعجزات لا تجيء ان جاءت الا لتزول .

مقياس الفهم للقرآن

وكما ينبغي أن نحذر ان نحمل على كتاب الله عجزنا وقصورنا ، فكذلك ينبغي أن نحذر أن نحمل عليه هوانا ، فنفسره بما نهوى ونريد غير متثبتين ولا مدققين كما فعل اخوان الصفا مثلا ومن لف لفهم حين حملوه على ما قبلوا من فلسفة اليونان ، من غير ان يقيموا على ما قبلوا منها البرهان .

ان كتاب الله لا تنقضي عجائبه كما ورد فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، فاذا التمسنا عجائب القرآن التي لا تنقضي وجب علينا كي لا نضل عنها ، ان نتجنب الهوى والظن ، فان الهوى يضل ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، كما علمنا الله فى كتابه فى أكثر من موطن . ولنكن فى بحوثنا القرآنية أدق وأحرص على الدليل ان أمكن من أهل العلم الطبيعي فى بحوثهم الطبيعية .

* * *

علينا ان نتأدب بما أدبنا الله به فى كتابه ، فهو سبحانه كما حذرنا من اتباع الهوى والظن ، حذرنا من التقليد لمجرد اكبارنا من نقلد ، كما يقلد بعضنا اليوم المستشرقين حتى فيما لا يفهمون من كتاب الله ، وحذرنا من ان نقفو ما ليس

ما فرطنا
في الكتاب
من شيء

لنا به علم ، كما أمرنا بالتثبت وطلب البرهان .

* * *

ان أناسا من المسلمين اليوم يحكمون في القرآن فلسفة العصر ونظرياته ، كما حكم اخوانهم بالأمس في القرآن فلسفة اليونان ، بدلا من أن يجعلوا القرآن كتاب الله هو الحكم ، ويصححوا به أغلاط الفلسفتين . لكن هذا باب وحده قد يعين الله على توفيته حقه من البحث . انما الممكن الآن هو التنبيه الى أمور يجب على الناظر في القرآن المجيد أن يتذكرها ويعمل بمقتضاها ، كي يتجنب الخطأ في فهم القرآن وتفسيره وتأويله عساه أن يهتدى الى بعض عجائبه .

ان القرآن عربي . فعلى الناظر فيه أن يلتزم معاني كلماته ، كما كان يفهمها العرب حين نزل بها الوحي ، وان يلتزم قواعد العربية من الناحيتين النحوية والبلاغية كما قعدها العلماء .

والقرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فعلى الناظر فيه ألا يطابق الا بينه وبين ما ثبت أنه حق لا شك فيه . وهذا يخرج النظريات العلمية والنفسية . وما اليها من ميدان التطبيق ، اللهم الا أن تعرض تلك النظريات على القرآن مع الدقة في الفهم والمطابقة ، فما وافقه منها كان القرآن لها ، وما خالفه منها كان القرآن شاهدا عليها بالبطلان .

والقرآن من عند الله . فمستحيل أن تتناقض آياته فيما بينها أو مع ما يثبت في العلوم الكونية أنه حق فحقائق العلوم ويقينياتها ـ لا نظرياتها ـ هي التي تفسر بها الآيات الكونية في القرآن . وكل فهم لآيات القرآن يؤدى الى تناقض بينها ، أو بينها وبين حق ثابت في العلم ، هو فهم خطأ لا محالة ينبغي أن يجتنب وان اشتهر وسار بين الناس .

ثم بعد ذلك على الباحث عن معاني القرآن وعجائبه ان يتبع المنطق الصارم في استنباطاته وعجائبه وتطبيقاته ، خصوصا في المطابقة بين آياته وبين حقائق الفطرة كما ثبت في علوم الفطرة أو العلوم الطبيعية كما يسميها الناس .

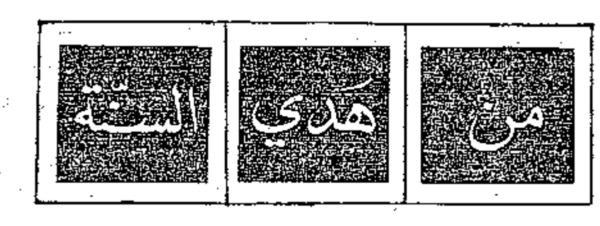
اما استتمام بحث قوله تعالى ((ما فرطنا في الكتاب من شيء)) لننظر هل المطابقة تامة بين كتاب الله المقروء الذى هو القرآن ، وبين كتاب الله المشهود ، الذى هو الفطرة فذلك ما نرجو أن يوفق الله اليه فيما يأتي ان شاء الله .

الاستغناء

قال اعرابي لابنه : اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه .

وقيل لأعرابي : ما السقم الذى لا يبرأ ، والجرح الذى لا يندمل ؟

قال : حاجة الكريم الى اللئيم .



[١] محمد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ
« مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »
(رواه البخارى ومسلم) .

١ ـ الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو صفوة الله من خلقه ، ومصطفاه من عباده ، اختاره ربه ليحمل رسالته الى الناس كافة أبيضهم وأسودهم عربيهم وعجميهم « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) بل تعدت رسالته الانس الى الجن فكلفوا أن يتبعوه ويطيعوه « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستعمون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » (٢) وأفرد الله تبارك وتعالى لهم سورة كاملة سميت (سورة الجن) بدئت بقول الله تعالى (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ..) .

٢ ـ وبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كل من سبقه من الانبياء والمرسلين ، وورد اسمه صريحا أحيانا وتلميحا أحيانا أخرى فى الكتب التى

(١) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٢) الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من الاحقاف .

أنزلت عليهم ، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام في سورة الصف بالآية السابعة منها « واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد .. الآية) وقال تعالى « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ٨١ من آل عمران .

وورد بالانجيل ما شهد به عيسى عليه السلام اذ قال للحواريين (انا اذهب وسيأتي البار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له وهو يشهد على وانتم تشهدون لانكم معي من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » (١) . وترجمة البار قليط : (أحمد) . وورد في آخر التوراة (جاء الله تبارك وتعالى من سيناء واشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران وجاء عن يمينه ربوات القديسين) (٢) وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام في طور سيناء ، وأنزل الانجيل على عيسى في جبال ساعير وهي بالشام (٣) وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال فاران وهي بلاد مكة . ومن ذلك أيضا قول الله عزل وجل لموسى عليه السلام (سأقيم لهم من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه ولا يتكلم الا بما آمره به) (٤) فمن اخوة بني اسرائيل الا بنو اسماعيل ، ولو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال : أقيم لكم نبيا منكم . ومن ذلك ايضا قول حبقوق المتنبيء في زمن دانيال : (جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران وامتلات السماء من تحميد احمد وتقديسه ومسح الارض بيمينه وملك رقاب الامم) (٥) وقال ايضا (تضيء لنوره الارض وتحمل خيله في البحر) فالى من ينحو هذا الكلام ، والى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به الى غير الذي تحمل خيله في البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغلب الارض ومسحها ، وملك رقاب الامم كلها لقد ترك الحق حينئذ واستهين به عن علم ويقين . (٦) .

٣ - بهذا الاسلوب الواضح البين ، والكلم الذي لا يقبل الجدل لبدوه وظهوره تتحدث كتب السماء عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ، ويؤيد ذلك ويقويه ، ويمكن له في القلوب ويثبته قول الله في محكم الفرقان العظيم « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٧) . قال القرطبي يروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك هذا ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الامين من السماء على الامين في الارض بنعمته فعرفته . ولكن غلبة حب الدنيا وايثار العاجلة حمل القوم على التغيير والتبديل والانحراف عن الصراط المستقيم ، فحملوا تعاليم الله ولم يحملوها فاستحقوا ما وصفهم

---

(١) انجيل يوحنا فصل ١٤ آية ٢٦ .

(٢) سفر التثنية فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس .

(٣) يلاحظ أن لفظ الشام كان يطلق على كل المنطقة (لبنان سوريا فلسطين) .

(٤) سفر تثنية الاشتراع فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس .

(٥) نبوءة حبقوق فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس .

(٦) ص ٢٢٨ عصر المأمون ج ٢ للدكتور احمد فريد رفاعي .

(٧) الآية ١٤٦ من البقرة .

به القرآن الكريم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » (١) وارتضت القلوب الفاسدة والافئدة الخاوية من نور الله التضليل والاضلال ، وخطت أيدى السوء ما لم ينزل به الله سلطانا ، ثم قالوا هذا من عند الله كذبا وزورا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

٤ ـ دع نقاش هؤلاء فحججهم واهية تحمل في طياتها دلائل بطلانها ، وينم ظاهرها المضطرب عن خافيها المختلق ، وتعال نتأمل النور المحمدى كيف بدا ، ونرصد الارهاصات التي مهدت له فنمر سراعا ببعض الاحداث الهامة التي لامست جواء مكة قبيل صدور أمر رب العالمين الى رسوله بالتبليغ ، مبشرا ونذيرا .

ا ـ حادث الفيل

هو من ابرز الحوادث التي مرت بمكة المكرمة قبيل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ من عظم شأنه ان خصه القرآن الكريم بسورة كاملة حكت خلاصة ما كان من أمره ، ومجمله ان ابرهة اراد هدم الكعبة لحاجة في نفسه فسير جيشا تتقدمه الافيال ، وتسامع أهل مكة بما كان فلاذوا بشعاف الجبال ، واطلق زعيمهم عبد المطلب كلمة سارت مثلا (للبيت رب يحميه) وانشد وهو آخذ بحلقة باب الكعبة المشرفة .

لا هم ان العبد يمنـ ـع رحله فامنع حلالك (٣)
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا (٤) محالك (٥)
ان كنت تاركهم وقبلتنـ ـا فامر ما بدالك

وزاد صاحب الروض الانف بيتا آخر :ـ

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ولما اقترب كبير الفيلة من الكعبة ، حرن وبرك جاثيا على الارض ، ثم أرسل الله طير الابابيل على جيش أبرهة فأهلكتهم ، ونجى الله بيته وأهل مكة جميعا مما اريد بهم ، ولم يكن ليمر هذا الامر دون ان يسجله الشعر ولنجتزىء بقول احدهم وهو عبد الله بن الزبعرى :ـ

تنكبوا عن بطن مكة انها كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يئوبوا أرضهم ولم يعش بعد الاياب سقيمها (٦)
دانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

قالت عائشة رضي الله عنها : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان الناس .

---

(١) الآية ٥ من الجمعة .
(٢) الآية ٧٩ من البقرة .
(٣) الحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي جماعة البيوت ويريد هنا القوم الحلول .
(٤) غدوا هو اليوم الذى يلي يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاما الا في الشعر .
(٥) المحال بكسر الميم القوة والشدة قال تعالى « .... وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال » .
(٦) يقصد ابرهة فقد حمل عليلا ومات بصنعاء اليمن .

ب ـ الحادث الثاني . حلف الفضول :

وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت الى مثله فى الاسلام لأجبت) وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا . انه لم يقل يوما رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين) (١) وقد كان ابن جدعان ، ويكنى أبا زهير ابن عم لهما .

وسبب هذا الحلف ، كما يرويه (السهيلي) صاحب الروض الأنف (أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف عبدالدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل ، وزبروه وانتهروه ، فلما رأى الزبيدي الشر أوفي على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، وصاح مستغيثا بهم ، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وكان ذا سن وشرف فيهم،فتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفه وما رسى حراء وثبير مكانهما (٢) وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج ـ الحادث الثالث زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها :

١ ـ النساء شقائق الرجال ، وأثر المرأة فى حياة الرجل اى رجل واضح جلى ، فقد تكون سببا فى شقائه الأبدى ، كما ترسم خطة نجاحه الدائم ، فكفاح الرجل وصدامه مع الحياة خارج البيت يحتاج الى قلب كبير رحيم ينفض اليه جملة حاله اذا ألم بداره ، والمرأة سكن وراحة وأمن ورحمة ، وعامل دعة وسكون واتزان لسير الحياة ان أحسنت ووفقت، ومشار هدم وخراب ونكال وعذاب واضطراب ان أساءت .

٢ ـ ويشاء العزيز العليم أن يبرز أثر السيدة خديجة رضي الله عنها فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام واضحا لامعا نقيا فياضا بالبركات والخيرات للدنيا كلها ، فقد كانت تلكم السيدة الكريمة ثاقبة الرأى ، بعيدة النظر ، فاقهة تماما لكل ما يدور حولها ، وما يحيط بها ، ملمة بالواقع الذى يحتويه محيطها ، متطلعة الى غد مشرق أسمى وأعز ، فلم يبطرها الثراء الواسع ، ولم يعش عيونها الجاه العريض ، ولم يركبها مراكب الصلف والكبرياء منبت كريم ومحتد عظيم ، التقت برجلين (٣) قبل (سيدنا محمد) وشاء الله أن يرحلا عن الحياة قبلها ، وأن يدعاها لمهمة سامية ، لترسم بسلوكها مع رسول الله الصورة المثلى للمرأة الرشيدة الحكيمة العاقلة الحصيفة الواعية ، المقدرة لوجودها كانسانة لها رسالة فى الحياة ، والتقت (بمحمد) يتاجر فى مالها ، ويعود مرة

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) ص ٩١ الروض الأنف ج ١ قال ابن قتيبة (كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الاول فتحالف ثلاثة منها هم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة ، والثالث فضيل بن الحارث فلما أشبهه حلف قريش سمى حلف الفضول . الفضول جمع فضل وهي اسماء اولئك الذين تقدم ذكرهم) .

(٣) تزوجت أبا هالة بن زرارة التميمى ومات فى الجاهلية ، وبعد موته تزوجت عتيق بن عابد المخزومي ومات عنها أيضا (الاستيعاب) .

خادمها ميسرة يصف لها ما رأى وما سمع من شمائله وأخلاقه ونبل عاداته وعناية ربه به مضافا الى ما اشتهر به فى قومه من عفة وأمانة ومروءة وبذل وعطاء ، يقربه مجتمعه ولا ينكر عليه أحد شيئاً أبداً .

٣ ـ عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته التجارية ، وعاد معه ميسرة خادم خديجة ، وافاض لها فى الحديث الذى سمعه من راهب رأى محمداً بالشام ، كما قص عليها ما شاهد من سيرته أثناء رحلته معه ، وكانت خديجة رضي الله عنها كما أسلفت امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله لها من الكرامة فأرسلت الى (محمد) وندع الحديث هنا لابن اسحاق المؤرخ يخبرنا بما كان من أمر هذا اللقاء ، قال : « بعثت خديجة الى محمد فقالت له : يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك (١) فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه الزواج منها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه » (٢) فأخبر رسول الله أعمامه بذلك فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ، فخطبها اليه فتزوجها ، ولم يتزوج عليها رسول الله حتى ماتت رضي الله عنها (٣) .

د ـ الحادث الرابع ـ بناء الكعبة : ـ

قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادت قريش أن تجدد بناء الكعبة فكان لها ما أرادت ، وقد روى ابن هشام أن عائذ بن عمران بن مخزوم قال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيباً : ألا . لا يدخل فيها مهر بغى ، ولا ربا ، ولا مظلمة أحد الناس . . . ولما وصل البناء الى المكان الذى يوضع فيه الحجر الأسود تنازعوا أمرهم بينهم حتى كادت أن تدور رحى حرب ضروس تأتي على أخضرهم ويابسهم فقال أبو أمية ابن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من هذا الباب يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين ، رضيناه ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه . وبهذا حسم النزاع واطمأنت القلوب .

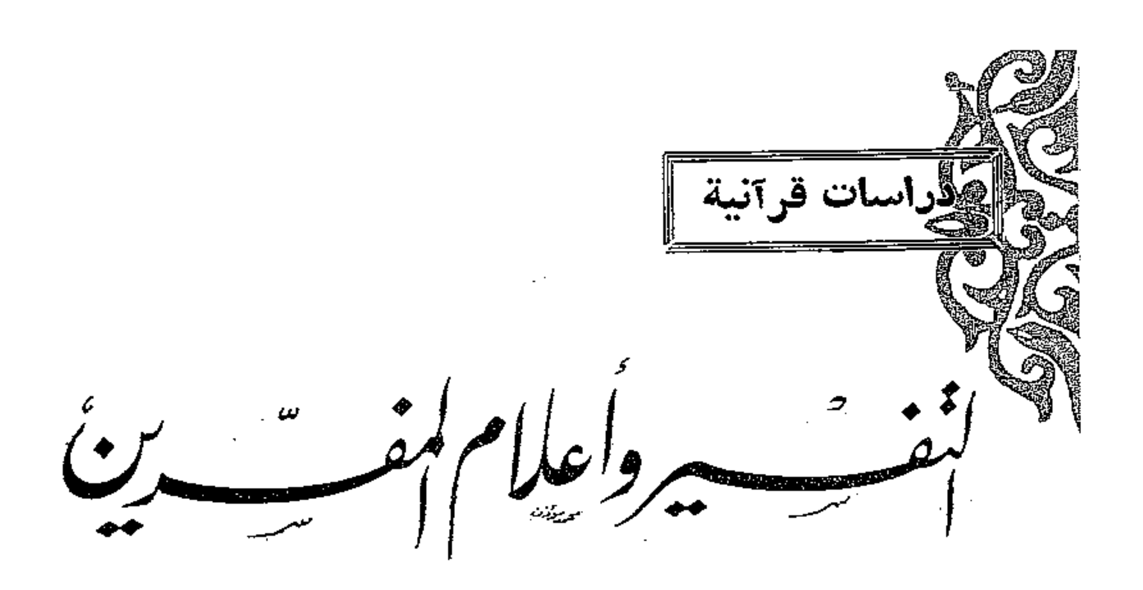
هذه هي الأحداث البارزة التي لامست جو مكة قبيل ميلاده صلى الله عليه وسلم وبعده الى وقت مبعثه ، ويبدو منها المكانة الكريمة ، والتصرف الحكيم ، والحكم الفصل فى تحركاته وأقواله وسلوكه العام والخاص ، مما يبشر بما سيكون له من شأن عظيم ، وما سيقوم به من قيادة للدنيا ، وحمل أضخم رسالة عرفها الوجود ، وقد عرضت لها لمناسبة حلول موعد ميلاده عليه الصلاة والسلام فى مثل هذا الشهر المبارك ، أما ما لاقى من نجاح ، وما بذل من جهد جهيد صبره سيد أولي العزم من الرسل ، وما قدمت رسالته للدنيا والآخرة من خير ورشاد وما أهاجت من حقد وعداوة عبر التاريخ والأجيال التي مرت بها من المارقين والمعاندين ، فلذلك أحاديث قادمة ان وفق الله وأعان وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) وسطتك . شرفك . مأخوذة من الوسط مصدر كالعدة والزنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٠ ط مصطفى الحلبي القاهرة .

(٣) أما عون خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوحى اليه فسندخره لمقال قادم ان شاء الله تعالى .



١ — لم تكن وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصورة على التبليغ عن ربه ، فقد كلف مع التبليغ بيان ما يبلغه. يدل لهذا قوله جل ثناؤه لنبيه : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (١) » ، « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٢) . أما تلك الآيات الكثيرة التى تحصر وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البلاغ أو الانذار ، وما اليهما — فان الحصر فيها اضافى ، أريد به تذكيره صلى الله عليه وسلم بانه لا يهدى من أحب ، وليس من وظيفته حمل الناس على الايمان قسرا ، بل ليس هذا فى وسعه ، حتى لا ياس على عنادهم بعد أن دعوا ، ولا تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيتسلى ويصبر ! ..

واقرأوا ان شئتم بعد هذا قول الله عز وجل لنبيه :

« ان عليك الا البلاغ » ، « انما انت مذكر » ، « ان انت الا نذير » (٣) .

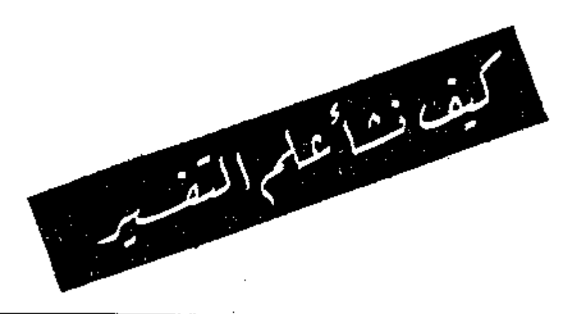
« ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » ، « انك لا تهدى من أحببت »،« لست عليهم بمسيطر » (٤) .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « فلا يحزنك قولهم » (٥) .

٢ : — من هنا جاء الأمر فى القرآن الكريم باتباع الرسول صلوات الله عليه وسلم ، فى كل ما يبلغه عن ربه ، وكل ما يبين به القرآن الكريم من سنته : قولا

---

(١) الآية ٤٤ : النحل . (٢) الآية ٦٤ فى نفس السورة .
(٣) الآيات هي على الترتيب : ٤٨ فى الشورى ، ٢١ فى الغاشية ، ٢٣ فى فاطر .
(٤) الآيات على الترتيب : ٢٧٢ فى البقرة ، ٥٦ فى القصص ، ٢٢ فى الغاشية .
(٥) الآيات على الترتيب هي : ٨ فى فاطر ، ٣ فى الشعراء ، ٧٦ فى يس .



كتب التفاسير انطبعت غالبا باتجاهات اصحابها

بقلم : الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية
دار العلوم ـ جامعة القاهرة

كانت هذه السنة أو عملا أو تقريرا . بل جاء هذا الأمر مؤكدا ، حاسما ، فى أكثر من آية ، وبأكثر من أسلوب ، وحسبنا هنا هذه الآيات :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا (١) .

ومن هنا أيضا ، اعتبرت السنة التي صحت روايتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ هي تفسّر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتخصص عامه ، وتقيد مطلقه ، فوق ما تستقل هي بشرعه من أحكام جزئية وضع القرآن أصولها ، وأرسى قواعدها ...

٣ : ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول مبين للقرآن اذن ، ولم يكن بيان القرآن قد عرف بعد باسم التفسير . وعن رسول الله تناقل الصحابة ما بين به آيات من القرآن ، سئل عنها أو رأى أن يبين لهم المراد بها .

وقد كان من بين هؤلاء الصحابة (رضى الله عنهم جميعا) علماء بالقرآن اشتهروا بتفسيره ، كالخلفاء الأربعة ، والعبادلة الأربعة (عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو) وبعض كتاب الوحى كأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ثم أبى موسى الأشعرى ، وأبى هريرة ، وجابر ابن عبد الله .

كذلك كان من التابعين وتابعيهم علماء عرفوا بأنهم مفسرون للقرآن ، ومن بين هؤلاء أصحاب عبد الله بن عباس

(١) الآيات على الترتيب هي : ٨٠ فى النساء ، ٣١ فى آل عمران ، ٢٠ ، ٢٤ فى الأنفال ، ٧ فى الحشر .

بمكة : عكرمة مولاه ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبي رباح .

كذلك نجد من بينهم أصحاب عبد الله ابن مسعود بالكوفة : علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، وابراهيم النخعي ، والشعبي (عامر بن شراحيل) ، ثم عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف .

كذلك كان من بينهم زيد بن أسلم بالمدينة ، وراوي تفسيره الامام مالك ابن أنس (١) ، ومحمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري ، وأبو العالية (رفيع ابن مهران) ، وقتادة بن دعامة السدوسي بالبصرة .

وأخيرا نجد الربيع بن أنس بالبصرة ، ثم بخراسان . والضحاك بن مزاحم الهلالي بخراسان أيضا ، والسدي الكبير (اسماعيل بن عبد الرحمن) ، وهو حجازي سكن الكوفة .

وغير هؤلاء وأولئك كثير .

٤ : ـ وقد تلقى التفسير عن هؤلاء من جاءوا بعدهم ، تلقوه آثارا كانوا يتناقلونها بأسانيدها ، حتى تلقفها منهم أوائل المدونين في التفسير ، وشيوخ المحدثين من أصحاب الكتب الستة وغيرهم .

وهنا نحب أن نقرر ان التفسير المطبوع المنسوب للامام عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ـ لم يرو كله عنه بأسانيد صحيحة ، فلا يصح أن ينسب على إطلاقه اليه . وانما يصح أن ينسب اليه منه ما روى بأحد الأسانيد الآتية :

١ : ـ مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٢ : ـ سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٣ : ـ معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

أما رواية علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه فهي منقطعة . واما تفسير مجاهد بن جبر ـ ومعروف أنه كان من تلاميذ ابن عباس ـ فقد قال عنه أبو بكر بن عياش : (قلت للأعمش : مالهم يقولون : تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب (٢) .

وليس معنى كلامنا هذا كما هو واضح أن نرد كل ما روى عن ابن عباس في التفسير ، ولكن معناه أن ندرس أسانيد ما روى عنه ، قبل أن نقبله أو نرفضه ، فان وجدنا اسناده صحيحا قبلناه ، والا رفضناه ! .

٥ : ـ أما المدونون في التفسير فنجد من أقدمهم عبد الرزاق بن نافع الحميري مولاهم (٣) ، وهو الراوي الصدوق الثقة الذي قبل روايته وخرج له جميع المحدثين ، فقد دون من روايته عن شيوخه تفسيرا كاملا ، توجد نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويعتبر أصلا لجميع كتب التفسير بالرواية بعده .

كذلك نجد من بين القدامى محمد ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن) ، وهو مطبوع مشهور متداول ، وسنعرض له ولصاحبه ان شاء الله في المقال الثاني .

أما المحدثون فنحن نجد منهم عناية

---

(١) روى تفسير زيد راو آخر هو ابنه عبد الرحمن ، لكنه شديد الضعف لا تقبل روايته ، فلا يحتج به . وهو الذي يعنيه المحدثون والمفسرون بالمأثور عند ما يقولون : روى ـ أو قال ـ ابن زيد . وتوفي بالمدينة سنة ١٨٢ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ٤٣ .

(٣) توفى عبد الرزاق بصنعاء سنة ٢١١ هـ .

بايراد الآثار التي صحت روايتها في التفسير في أبواب كثيرة يجمعها اسم (كتاب التفسير) نجد ذلك في الجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري»(١)، وجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢) ، وسنن كل من الترمذي (عيسى بن سورة السلمي) (٣) وأبي داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني) (٤) ، وابن ماجة (محمد ابن يزيد القزويني) (٥) ، وفي المجتبى للنسائي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٦) .

اتجاهات المفسرين

٦ : ـ واذا كانت هذه هي نشأة علم التفسير ـ فانه لم يقف عندها ، بل عراه من التطور وتعدد المناهج والاتجاهات ما عدا غيره من العلوم ، فقامت الى جانب مدرسة التفسير بالمأثور مدرسة أخرى تعتمد في التفسير على الرأي : ومدرسة ثالثة تجمع بين الرواية والرأي ، وتعتمد عليهما معا في التفسير .

والذي لا نشك فيه أن ثمة عدة مفسرين استطاعوا أن يجمعوا في كتبهم بين الرواية والرأي في أمانة ، ودون شطط ولا انحراف .

غير أنا نجد مفسرا من أقدم المدونين في التفسير وأذكاهم كان يعتمد في تفسيره الاعتماد كله على الرأي ، أو يكاد . ثم لم يلتزم مع براعته في التفسير بالرأي أن يكون أمينا فيما يذكر في تفسيره من آثار . وهذا المفسر هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، وهو الذي قال فيه الشافعي ـ كما روي عنه من وجوه ـ : ((الناس عيال على مقاتل في التفسير)) ، وقال ابن المبارك لما نظر الى شيء من تفسيره : ((يا له من علم لو كان له اسناد)) . وقال نعيم بن حماد : (رأيت عند بن عيينة كتابا لمقاتل ، فقلت : يا أبا محمد ، تروي لمقاتل في التفسير ؟ قال : لا . ولكن أستدل به وأستعين) (٧) .

لقد كان مقاتل هذا من أذكى العلماء وأسرعهم بديهة ، كما قلنا . ولعل مما يدل على ذكائه ما روى من أن أبا جعفر المنصور كان جالسا ، فسقط عليه الذباب فطيره ، فعاد اليه وألح عليه ، وجعل يقع على وجهه ، وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره، فقال المنصور : انظروا من بالباب . فقيل له : مقاتل بن سليمان . فقال : عليّ به . فأذن له . فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟ قال : نعم ، ليذل به الجبارين . فسكت المنصور (٨) .

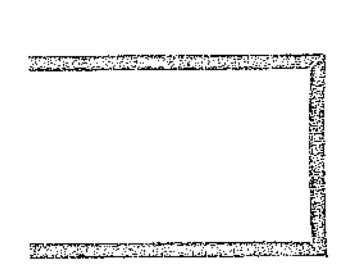
وما رواه الامام مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سليمان جاءه انسان فقال له: ان انسانا جاءني فسألني عن لون كلب أصحاب الكهف ، فلم أدر ما أقول له . فقال له مقاتل : ألا قلت له أبقع ، فلو قلته لم تجد أحدا يرد عليك (٩) .

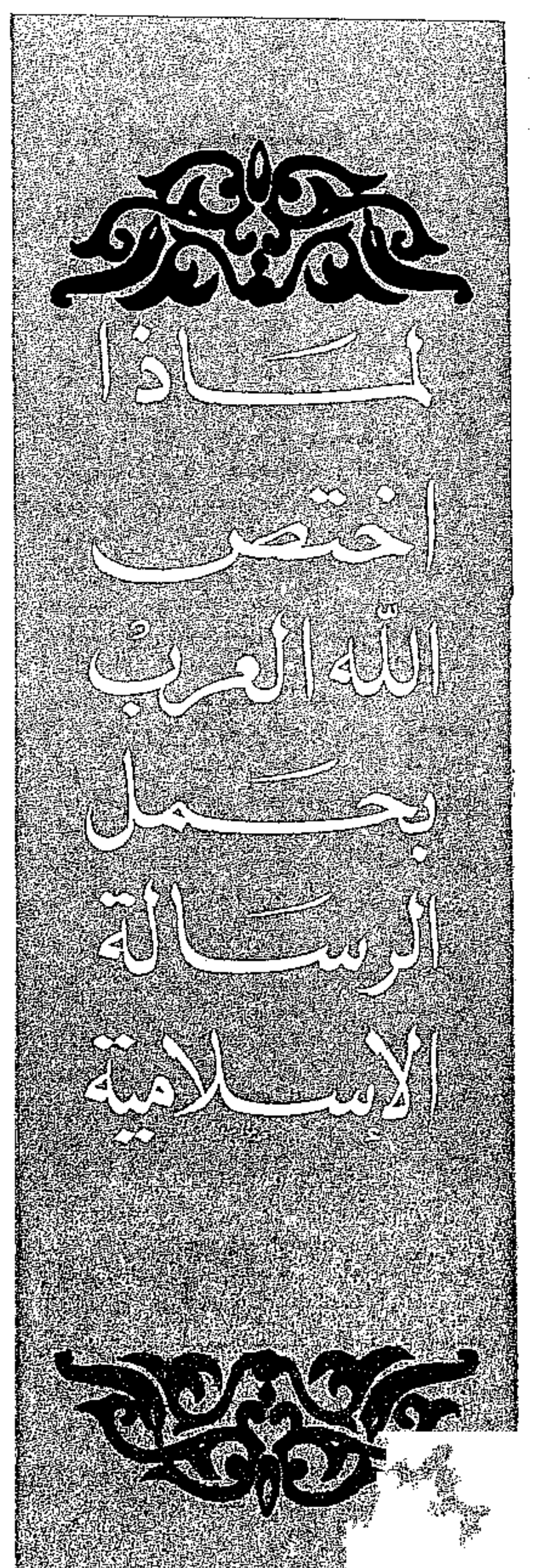
ومع هذا الذكاء الشديد في مقاتل ، فانه لم يكن يتورع عن الكذب ، ووضع الآثار على لسان من شاء من الصحابة والتابعين،حتى اشتهر بأنه من الوضاعين : مع تلفيق الأسانيد لهذه الآثار . وقد روى خارجة أنه مر بمقاتل وهو يحدث الناس فقال : حدثنا أبو النضر الكلبي . قال : فمررت عليه مع الكلبي ، فقال الكلبي : والله ما حدثته بهذا قط . ثم دنا منه فقال : يا أبا الحسن ، أنا أبو

البقية على ص ٤٠

---

(١) توفي البخاري سنة ٢٥٦ هـ .
(٢) توفي مسلم سنة ٢٦١ هـ .
(٣) توفي سنة ٢٧٩ وقيل سنة ٢٧٥ هـ .
(٤) توفي سنة ٢٧٥ هـ .
(٥) توفي سنة ٢٧٥ هـ .
(٦) توفي سنة ٣٠٣ هـ .
(٧) تجد هذه الآثار وغيرها في ترجمة مقاتل : ص ٢٧٩ جـ ١٠ تهذيب التهذيب .
(٨) تاريخ بغداد : جـ ١٣ ص ١٦٠ .
(٩) تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٨٢ .





لقد شاءت حكمة الله العلي القدير ان يختار جزيرة العرب عاصمة للاسلام ، ومعقلا لقوته ، ومركزا لانطلاق رسالته واشعاع نوره وخيره على الخافقين ـ مشرق الارض ومغربها ـ وذلك لما امتازت به هذه البقعة من احتلال مكانة وسطى فى الكرة الارضية ، واهمية استراتيجية كبرى كجسر للاتصال بين الشرق والغرب،مع ما تمتاز به من تكوين جغرافي ، ومناخ جيد صحي ، ويجاورها بحار ذات اعتبار حساس فى نقل متطلبات وحاجيات التجارة الخارجية والداخلية والعالمية .

لهذا لما قضى الاسلام على مخازى الشرك والوثنية فى الجزيرة العربية ، طالب الرسول الكريم بتطهيرها من لوثات العقائد الفاسدة ، وامر باخراج اليهود والنصارى منها ، وأوصى فى مرض موته بان لا يبقى فى جزيرة العرب دينان ، وقد صرح الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتابه ((الام)) بأن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لهما حكم ارضه وبلاده ،فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم ان يمكن احدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة ولا لغيرها .

هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم .

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق

وفى هذا ما يحقق حماية عاصمة الاسلام ويمنعها عنها كل عدوان وهوالاساس الذى ترتكز عليه سياسة الدول الحديثة فى حماية حدودها الطبيعية والجغرافية من غوائل اعدائها .

وكذلك شاءت قدرة الحكيم الخبير ان يحمل العرب امانة نشر رسالة الاسلام فى الماضى وفى الحاضر ، وذلك لا بسبب افضلية جنسية او عنصرية او قومية يتمتع بها العرب دون سواهم ، **وانما يرجع سبب ذلك الاصطفاء والاختيار لمزايا خلقية واجتماعية ، وعوامل فطرية واكتسابية وبيئية ، استطاع بها العرب نقل رسالة الاسلام الى امم الارض بكل جدارة امانة واطمئنان .**

ويمكننى الآن ان اشير الى اهم هذه العوامل : ـ

اولا ـ ان لطبيعة بلاد العرب الصحراوية اثرا كبيرا فى نقل العقائد والمعارف والقيم والافكار الى غير العرب، لان الجو الصحراوى يمتاز بالانفتاح والانبساط، فلا يلتزم العربى بالاستقرار والسكنى فى اماكن معينة ، وانما كان ينتجع مواطن الكلأ والمرعى والماء ، لتأمين حاجياته فى اى مكان ، فكان هذا مهيئا للعرب للانطلاق والانتشار فى الارض دون تمسك برقعة خاصة يألفونها ، او بمأوى يكنون فيه . ولقد جاء القرآن الكريم متجاوبا مع هذه الطبيعة ، نابذا فكرة التزام الوطن الضيق محببا للناس النزوح فى البلدان والتماس الخيرات ، منددا بأولئك المستضعفين فى الارض الذين لا يتمكنون من الجهر بدعوتهم ، وممارسة شعائرهم الدينية . قال تعالى « يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون » (العنكبوت ـ ٥٦) وقال سبحانه : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا: الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (النساء ـ ٩٧) .

ثانيا ـ يتميز العرب باستعداد فطرى خاص فى حفظ العلوم ، وقصص التاريخ والاشعار والانساب ، فكان الواحد منهم يمتاز بقدرة عجيبة مذهلة فى الاستذكار

لماذا اختص الله العرب

والحفظ وسرد الاحوال ، فاذا انطلق احدهم يحدث عن التاريخ او النسب او الشعر ، فكأنه يغترف من بحر ، وكأن ذاكرته اشد التقاطا ، واقوى استمساكا من آلات التسجيل الحديثة ، والتاريخ يحكي لنا أعاجيب الاحاديث عن الافذاذ المشاهير من العرب في كل علم من العلوم ، ولا سيما في نقل القصائد والشعر . ولهذا كانت وسيلة الاسلام الاساسية في الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية هي الحفظ في الذاكرة ، والتلقي بالمشافهة جيلا عن جيل ، نظرا لان الكتابة كانت قليلة وقد يعتورها الضياع والتحريف والتبديل . ومن هنا كان الاسلام في صناديق قلوب المسلمين تتفتح بالخير والفضل في البقاع المفتوحة ، فيتلقى الناس الاسلام عن قادة الفتح الاسلامي وجنوده من ينابيع صافية ، والسنة صادقة ، وقلوب مؤمنة ، دون حاجة الى الرجوع الى قرطاس او قمطر .

ثالثا — يمتاز العرب — بغض النظر عن جاهليتهم القديمة والحديثة — بمحافظتهم على بعض المثل العليا والاخلاق الكريمة التي تمكنهم من الالتقاء مع أهداف الاسلام ، وتحقيق غايته في هذه الحياة .

فهم كرام النفوس يتفانون في سبيل الضيافة ، ويقدمون اعز ما يملكون لحماية الفضيلة ، وهذا المعنى قد حوله الاسلام الى بذل المال في اعتبارات انسانية سامية كاعانة الفقراء والمحتاجين ، واغاثة الملهوفين ، وتزويد الجيوش وامدادها بالمؤن والذخائر للدفاع عن كيان الامة وسيادتها ، وفي سبيل تحرير الامم والشعوب مما تئن به من الظلم والطغيان والفجور وفوضى العقائد .

والعرب يتطلعون الى تحقيق الامجاد والبطولات ، ويتحلون بالشجاعة النادرة ، والنجدة الفائقة والحمية الخارقة ، فاستطاع الاسلام ان يستغل هذه المعاني لتحقيق ما يرضي الله ورسوله ، ولنشر الديانة الجديدة في اصقاع المعمورة .

والعرب يحامون عن العرض والمروءة والشرف ، ويتفاخرون بالعفة والطهارة والنبل ، فجاء الاسلام منظما لقضايا الاسرة ، وما تتطلبه من هذه الفضائل ، ليصان المجتمع عن شيوع الرذائل ، لتقوى الامة امام عدوها ، بسبب قوة افرادها ، واحترام بعضهم لحقوق الآخرين وكرامتهم .

والعرب شم الانوف ، يأبون الذل والعار والسكينة والضعة ، بدافع العصبية القبلية والدفاع عن العشيرة ، فأمكن ذلك للاسلام ان يؤصل فيهم حب العزة والسيادة ، والحفاظ على شخصية الامة واستقلالها على اساس من الحق والعدل والرحمة ، لا على اساس الظلم والطغيان والاستبداد والتسلط « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

رابعا — يمتاز العرب بصفاء نفوسهم ، وصراحتهم في مواجهة الامور ، وبساطة معتقداتهم ، حتى انهم لم يكونوا يعبدون الاوثان والاصنام لذاتها ، وانما من اجل انها — في زعمهم — تقربهم الى الله القادر « الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر — ٣) .

وبساطة هذه العقيدة التي جاء بها الاسلام وعدم تعقيدها تيسر للناس قبولها ، لان العقائد المركبة ، والفلسفات الواهنة يصعب على النفس قبولها ، فلذلك لم تستطع العقيدة الوثنية ان تقف امام عقيدة الحق والبرهان ، فكانت

تتهاوى امام عقيدة التوحيد المتماسكة القوية الرصينة ، سواء فى فهمها وتعقلها، ام فى حقيقتها ومغزاها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

واما الشرك فهو وكر الخرافات والاباطيل ، وباعث الظلم والاستبداد ، والمؤمن يعتقد انه اسوأ ما يصاب به الانسان فى روحه وعقله ومصيره ، ولذلك لم يقبل من العرب فى مبدأ الاسلام الا الاسلام او القتال ، تضييقا عليهم حتى يقبلوا الاسلام الذين هم اهله ورعاته وحماته ، فيؤدوا واجبهم الاكبر فى اصلاح المجتمع الانسانى ، وصيانة الحياة البشرية من عوامل الخراب والفساد ، واقتلاع جذور الوثنية المنافية لكرامة الانسان ، واهليته لهذه الحياة .

وقد تم للاسلام مقصده، فكان العرب روح الاسلام ورجاله الابرار، وكانت الامة العربية أقدر الامم على تبليغ رسالة السماء الاخيرة ، مضطلعة بها ماديا وادبيا ، جسما وروحا ومعنى .

خامسا ــ ان القوة التى تقوم عليها رابطة الدم والقبيلة العربية مع المحافظة عليها ، والذود عنها كانت خير نقطة ارتكاز لتحل محلها رابطة الاخوة فى الدين ، واقامة نظام دولة الاسلام فى المدينة المنورة فتحولت الحمية للقبيلة الى نصرة الحق، والاخذ بيد المظلوم ، وحماية الحرمات . وقد بدأ اتجاه العرب نحو هذه المعانى فى حلف الفضول الذى عقدته قريش وقبائل العرب فى دار عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، وحضره الرسول صلى الله عليه وسلم شابا قبل بعثته ، حتى انه قال عنه بعد البعثة النبوية « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت » .

سادسا ــ ان طبيعة اللغة العربية وخصائصها فى حروفها واصواتها وسعة افقها ، وتوزع مخارجها وثبات كلماتها ، واصوات الحروف فيها ، وتناسب الفاظها ومعانيها ، وامتيازها على سائر اللغات بميزات معروفة ، يجعل هذه اللغة أقدر اللغات على حمل الافكار والعقائد ونقل المفاهيم الى الامم الاخرى، ولتحقيق وجه المعجزة الخالدة للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، فكانت لغة القرآن هى لغة العرب ، لاظهار وجوه اعجاز القرآن الكريم على ممر الدهور والاعوام، ولتحدى العرب الذين كانوا امة البيان وفرسان اللغة وارباب الفصاحة، ولا يمكن تحديهم بغير لغتهم ، لانه لم تكن لغة اخرى تقع فى نفوسهم موقع اللغة العربية ، وكانوا يميلون بفطرتهم الى المحافظة على ما لا موجب لتغييره فى حياتهم ، فكان ثبات أصوات الحروف العربية ، كما نلفظها الآن فى لغتنا الفصحى، وكما جاء بها القرآن عاملا من عوامل توثيق الصلة وحفظها بين اجيال الامة العربية مهما تباعد الزمن ، وذلك مما أعتبر مدعاة للحفاظ على الامة الاسلامية بواسطة اللغة العربية ــ لغة الدين والتشريع والحكم ــ اذ انه يجب على المؤمنين تعلم اللغة العربية كما قرر ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته التى وضع فيها اصول علم الفقه ، وقد جرى العمل على ذلك فى عهود الاسلام الى اواخر عصر العباسيين حيث كثر الاعاجم ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه فى العبادات .

سابعا ــ ان الحالة المعيشية الوسطى التى كان العرب يعيشونها ، وتقشف الاعراب بالذات، دون اخلاد الى الرفاهية والنعومة ، كانت مجالا مناسبا لتقلب

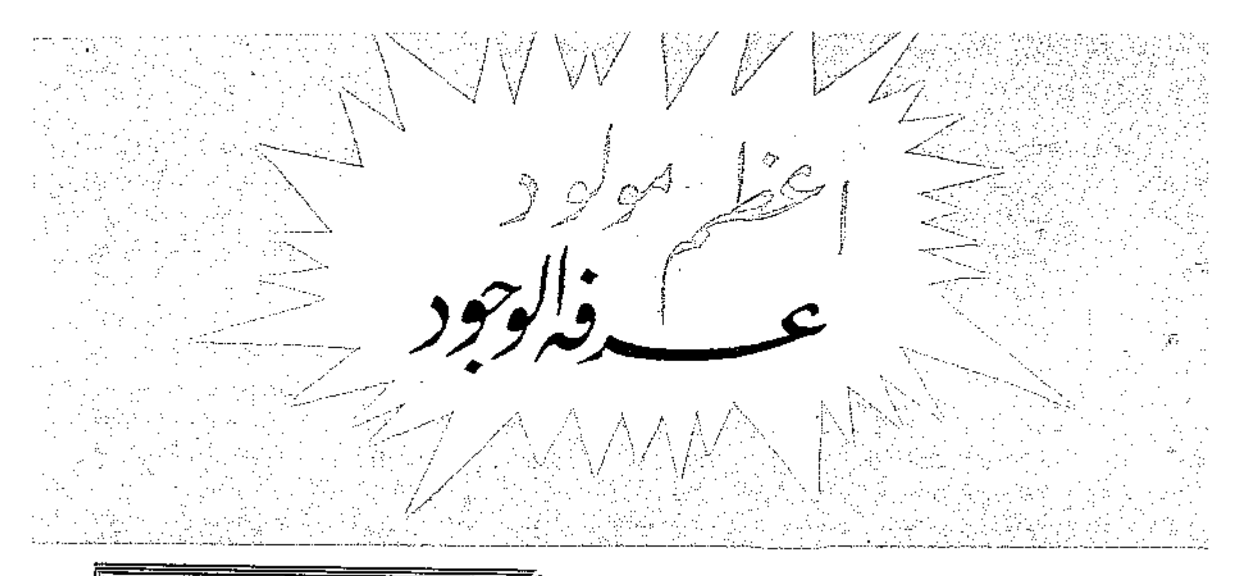
العرب في ارض الله ، فكانوا اقدر من غيرهم على الكفاح والصبر وتحمل المشاق والجلد في الاسفار . اما الاطمئنان الى الراحة والنعيم والاسترخاء الذي كان سائدا بين الامم الاخرى فلا يشجع على تحميلهم مسئولية جديدة لنشر رسالة، فضلا عن ان انتشار مثل هذه النعومات يكون عاملا من عوامل تمزيق الامة والاسراع في تفتيتها وضياع كيانها .

ثامنا ـ كان العرب امة امية لم تعرف شيئا من فلسفات الامم القديمة ، ولم تطلع على حضارات الاوائل الا ما عند النفر القليل منهم ، ولم يتعرفوا بالقراءة والكتابة على ما يتناقله الناس من كتب الديانات السابقة الا النذر اليسير « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ـ ٢) . فكان هذا الفراغ ادعى الى ملئه وشغله بديانة سامية ، خالية من الترهات والاباطيل ، لان الافكار البدائية والسطحية النظرة الى الحياة ، سرعان ما تقبل الافكار الناضجة ، وتنجذب نحو الفكرة المدعومة بالمنطق والحجة والبيان الجلي ، لان غزو الفكر بالمعقول اقرب من حشوه بالاوهام والخرافات .

تاسعا ـ ان الامم غير العربية ـ واخصها دولتا الفرس والرومان ـ وان كان لها من الملك ونفوذ السلطان ، ووفرة الثراء ما جعلها مضرب الامثال في الابهة والعظمة ، فان هذا في الواقع كان امرا ظاهريا فقط ، فقد فشا فيهم الخلود والراحة ، والتنعم بالحياة ، واستبداد الملوك والحكام والخلافات الدينية في اوساطهم ، وناء الشعب بكثرة التكاليف والاعباء المالية ، حتى كرهوا الحكام وسئموا الحياة ، فكانت هذه الامراض الاجتماعية مؤثرة في بنيان الامة، ومضعضعة لكيانها، والشأن في امة مريضة كهذه لا أمل في اصلاحها من داخلها ، فكانت صيحة الاسلام ، منبهة لعقول الغافلين ، ومثيرة الدعوات الى الاصلاح، فكان العرب رسل هذه الدعوة وحماتها .

والخلاصة ان العرب كانوا بحق خير دعاة لدين الاسلام ، وكان الاسلام شرفا عظيما لهم، وكانوا يتمتعون بخصال طيبة وميول سامية ، وحيوية فائقة ، ولكن ينقصها التنظيم والعقيدة الصحيحة ، فكان الاسلام امل العرب ، وطريق النور والهداية والانقاذ من الضلال والانحراف ، وكان العرب حملة مشعل الهداية والقرآن والمدنية والحضارة ، ورسل الحق والخير والعدل ، فنجحوا في اداء رسالتهم ، ووفوا بواجب الامانة المحملة في اعناقهم، فارتفع ذكرهم ، وعلت كلمتهم ، وطأطأت هامات الدنيا لسيادتهم وسلطانهم بعد اصلاح الاسلام لهم اصلاحا جذريا وصدق الله فيهم حيث يقول : ((وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (١))) ((لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢))) ((كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (٣))) .

(١) سورة الزخرف
(٢) سورة الانبياء
(٣) سورة آل عمران



للاستاذ ابو بكر محمد ذكرى
الاستاذ المساعد « سابقا »
في كلية اصول الدين

ولد كما يولدابناء الاشراف من قريش لا يشعر أهله وذووه بأكثر من هزة فرح عابرة ، تعودتها بطون قريش من أصحاب التنافس على الجاه والسيادة ، عندما يجيء المولود ذكرا يرجى للدفاع عن الحوزة والتدافع الى حلبات المجد . وان يكن فى نفس أحد من أهله ما هو أكبر من ذلك رجاء وأعظم أملا ، فما نظن ذلك يتعدى أمه الشريفة آمنة بنت وهب ، اذا صح ما روي من انها اثناء حملها فيه رأت ضياء خرج منها وامتد وانتشر حتى رأت على تألقه قصور بصرى والشام .. ومع ذلك لم تكن هذه الرؤيا لتغير شيئا من الواقع الرتيب ، او تعدل من طباع البشر عندما أقبلت المراضع من البادية يطلبن الرضعاء ، وقبلن منهم كل من عرض عليهن ما عدا ذلك اليتيم العائل الذي لا خير يرجى من وراء ما يبذل في حضانته من جهود .

وكانت عناية الله التى ترعاه وترصده ، كرصيد ثمين ، لمستقبل الانسانية ، قد ساقت اليه حليمة السعدية ، مضطرة ، أول الامر ، لانها لم تصب رضيعا غيره ، كما أصاب الاخريات ، وخشيت أن ترجع هي وحدها ، من بينهن ، منقوصة النصيب سيئة الحظ .

وبعد محاورة بينها وبين زوجها « ابى كبشة » فى أمره فضلا ان يقبلاه مهما يكن الامر .. ولم تكد تراه فى مهده حتى انعطفت اليه وفرحت به ، لما بدا على وجهه من مخايل لم تر مثلها على رضيع من قبله .. ويبارك الله لحليمة وبيتها بيمن هذا الرضيع المبارك فيتحول الجدب خصبا ، والفقر غنى ، والجوع شبعا ورياء والشقاء سعادةفياضة.

وعندما يشرف الوليد على تمام الثالثة من عمره ، تحمله حليمة الى أمه ينعم بحنانها وتسعد بقربه .. ثم تلح عليها فى أن تعود مرة أخرى ليصح ويصلب عوده فى جو البادية وهوائها النقي ويفيد فوائد اخرى .. وتنظر حليمة الى الناشيء العبقرى معجبة بنمائه العجيب ومواهبه الخارقة ، حتى كانما هو نبت آخر لا عهد لاحد به . وفى عامه الرابع يرون حوله من الارهاصات ما تدهش له حليمة ، وتعجز عن تفسيره وتخشاه عليه ، فتحمله الى امه مرة اخرى .

وينعم بحنان امه قرابة عامين ثم ياتي ما كان قد خبأه له القدر . كانت ارادة الله سبحانه قد اختارت له ، أزلا ، أن تزيده تجردا من علائق الدنيا فلا تكتفي بما ناله من اليتم والعيلة بعد فقد ابيه ، وهو لا يزال حملا فى بطن أمه .. لقد كتب له ان يحرم من حنان أمه كما حرم من حنان ابيه لكى لا يشتغل بحب أمه وحب أبيه

وحب الدنيا عن الحب الاعظم الذى سيفاض من قلبه الكبير على أمته ، وعلى كل ما هو فى حاجة الى الحب والحدب والرحمة من أبناء آدم وحواء، ولكى ينشأ مكابدا لآلام الحياة ممارسا لمكارهها منذ نشأته ، فلا يجزع من قدر ولا يخشع امام نازلة : لقد أصبح الان فى السادسة من عمره سن الحساسية الدافقة والخيال العميق ، والتطلع الى المزيد من الحلول لكل ما حوله من حقائق الحياة وأسرارها . لذا تراءى لها أن تستصحبه فى الرحلة التى اعتادت أن تقوم بها كل عام الى يثرب ، مع جده عبد المطلب وخادمتها أم ايمن ، لتروى بدموع الوفاء قبر ابيه عبد الله حيث يثوى هناك غريبا بين القبور لاكثر من ستة أعوام .. وعلى مجرى العادة فصلت العير بهم جميعا من أرض مكة تلقاء يثرب . وهناك عرفته من هو أبوه وكيف مرض أثناء عودته من الشام ، وقضى نحبه بيثرب عند اخوال ابيه عبد المطلب من بني عدى بن النجار . ولعلها ــ لكي تزيده من زاد التربية والتعليم ــ عرفته المرض الذى أودى بأبيه فحرمه حنانه قبل أن يرى ضياء الدنيا . وعرفته من هم بنو النجار اخوال جده عبد المطلب ، ولعل الناشىء الغض شاطر أمه فى ارواء قبر أبيه بالدموع ، والألم يعصر قلبه الغض فى قسوة تزداد فى هذه السن الحالة الملتهبة الخيال.

وبعد جولات ما بين مسارح الحياة ومطارح الموت ، يودع عبد المطلب أخواله بنى النجار عائدا بحفيده محمد وأمه آمنة وحاضنته أم أيمن . ولا يكاد الركب الحزين يقطع ثلاثة وعشرين ميلا من يثرب نحو مكة ، حتى تشعر الام الحنون بالداء يعصر شبابها وينزلها غريبة بين قبور قرية تسمى « الأبواء » فتتم بذلك الاحزان ، ويعود هذا الناشىء الغض تحت احمال من الآلام لا يعلمها الا من كتبها عليه واختارها له . وهنا يبلغ التجرد غايته ويواجه الناشىء الغض من لأواء الحياة ، ما هو حرى بأن يودى به لولا عناية الله .

ويجد عبد المطلب نفسه مأخوذا بواجب ، نحو حفيده ، لا يغفل عنه طرفة عين : ان يرعاه بكل عطفه وكل حسه وكل شعوره وكل عقله وقلبه لكى يخفف عنه بعض ما ينوء به . ولكن القدر المقدور لا يمهله لاكثر من عامين ، يمران مر الطيف على مأساة أمه بالابواء فيهىء له فجيعة أخرى فى جده عبد المطلب الذى يشيعه هو الآخر بالدموع ، ويظل يذكره بالدموع عصرا طويلا على الرغم مما كان يبذله عمه أبو طالب من عناية به وحدب عليه .

مرحلة الصبا

لم يكن مظهر التجردية « فى حياته » يكمن فى حرمانه من حنان أبيه وأمه وجده فحسب ، لقد حرمه كذلك من الغنى والثراء الذى يتيح للنشىء حياة الترفه والصيانة عن الشظف ، ويجنبهم مالا يحتملون من كدح . كان ميراثه كله خمسا من الابل ومولاته أم أيمن . رأى هو ورأى له كافله الفقير عمه أبو طالب أن التوازن الاقتصادى لحياته ، يلزمه أن يعمل ليربح عيشه .. وراح بالفعل يعمل فى الرعي لاهل مكة لقاء قراريط معدودة لا تسد أكثر من ضروريات حياته .. ولقد كان فى قدرة ربه أن يكفيه هذا الكدح بأن يفيض عليه موفورا من الثراء والنعم . ولكن يبدو أن الله سبحانه أراد أن يعلمنا بما اختاره له ، أكثر من حكمة .

١ ــ أراد سبحانه أن يعزى أحسن العزاء أولئك الذين يجتمع عليهم اليتم والحرمان . سيقول الواحد منهم اذا أحب أن يتعزى عن سوء حظه . وهل أنا أكرم عند الله من أكرم الخلق حتى أطلب ما لم يحظ به ؟

٢ ــ أراد سبحانه أن يعوده حياة الخشونة والكفاح التى هي أعظم عنصر عملي فى حياة القادة الابطال ممن أعدوا ليغيروا مجرى التاريخ من أجل سعادة الانسانية .

٣ ــ وان يعلم الناس أن العمل شرف ما دام المقصد منه خيرا وشريفا ، وأن الانفة منه والتحقير له ليس الا من صفات صغار النفوس ضعاف العقول .

٤ ــ وان يعوده الشفقة والرحمة والحدب على رعيته ، وتدبير أمورها لما

سبق له من المرانة على رعاية صغار الحيوان وضعافه . وهذه الحكمة هي التي ذكرها علماء السيرة .

ومهما تكن الحكمة فى ذلك فان العمل الشريف لا يحقره الا التفهاء وفى ذلك يقول أحد الادباء :

لا توجد أعمال شريفة تافهة وانما يوجد تفهاء يستصغرونها وهم أصغر منها . ولو لم يكن فى الرعي الا تعود الشجاعة على حياة البادية ، وما فيها من مخاطر لحياطة المال ودفع أذى الوحوش وغارات المغيرين عليه ، لكفى به درسا ثمينا للقيادة والسياسة والزعامة .

ولقد أبان لنا تاريخ عمر بن الخطاب كيف أفاد من حياة البادية وراء سرح أبيه الخطاب قدرات لا تتأتى الا لعباقرة الرجال . مرن على الفروسية حتى كان يوقف الجواد ، ويمسك أذنه باحدى يديه ثم يمسك اذنه هو باليد الاخرى ، ثم يثب فيستوي على ظهر الجواد دون أن يستعين بأية من يديه .

ومرن على المصارعة حتى أصبح بطلها الاول فى قريش ، وكان شباب قريش اذا ذاقوا الهزائم من مصارعى البدو الذين ينزلون فى الاعياد والمواسم لممارسة هذه الهواية ، يجيئون الى عمر يهرعون اليه لكي يثأر لهم من مصارعى البدو ، فكان ينجدهم ويمسك بالواحد من مصارعى البدو ويصابره ويطاوله بالدفاع حتى يتعب ثم يشدد عليه الهجوم فيصرعه بين التصفيق والهتاف ، ثم يرجع الى مكانه محمولا على الاعناق فى دروب مكة مثل قائد منتصر ، ومهر فى تدبير الحيوان وتربيته وعلاجه ، حتى صار من أمهر اطبائه . وكان حتى بعد خلافته لا يرى فى حظيرة ابل الصدقة الا وهو يطلى بعيرا بالقطران أو يتحسس أعضاءه ليعرف مرضه ، ويروى أنه كان يدخل اصبعه فى دبره ليكشف مكامن دائه ويقول . اني لأخشى ان يسأل عمر عنك يوم القيامة .

وهكذا أعد محمد الناشىء الغض ليقوى فى بدنه وروحه على أعظم رسالة عرفها التاريخ ، وعلى الرغم من أن حياة الرعاة فى الطبيعة الطلقة مدعاة للانطلاق فان الله سبحانه عصمه من كل ما كانوا يقارفونه من لهو ومجون . كذلك عصمه من تقليد قومه فى كل ما هو شرك العادات والعبادات ، فلم يسجد .. ولم يتمسح به فقط ..

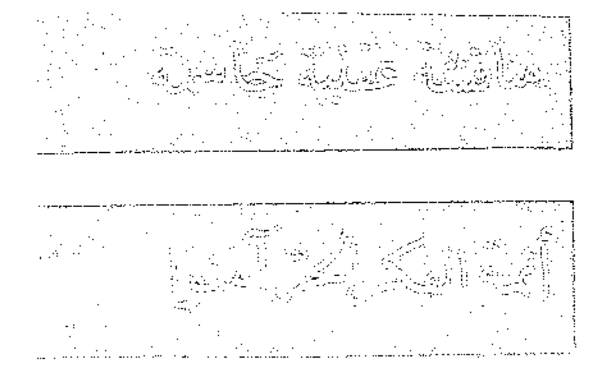
مرحلة الشباب

وما أن بلغ مرحلة الشباب حتى تفتحت فيه مواهب العبقرية ، فأعرض عن كل ما يحط بالقدر أو ينال من الكرامة أو يمس الفضيلة . وكان يمارس تجارة لن تبور من أخلاق الشرف والمجد والعفة والصدق والاناة والحكمة ، حتى لقد حسب قومه الامانة غريزة فيه وجبلة فلقبوه بالامين . وحكموه فى خصومتهم يوم حادث الحجر الاسود فآثر العدل والمساواة ، ولم ينصر قريبا على بعيد ولا صديقا على عدو . وبحكمه أنقذ الله قريشا من حرب كان فيها تقطيع الارحام وبث الاحزان ونشر الخراب .

وبهذه التجارة الرابحة من أخلاق السيادة ، اختارته خديجة بنت الشرف والثراء والعلاء ، ليعمل فى مالها ، تاجرا فسافر الى الشام ، وعاد بأرباح من المال ، وبما لم تكن تحلم به من أمانة واخلاص ومزايا لا تقدر بمال ، وبعجائب أخرى من توفيق الله ورعايته أباه وتمهيده له ، سمعت حديثها العجيب من غلامها ميسرة الذى كان قد سافر معه ورأى تلك العجائب رأى العين .

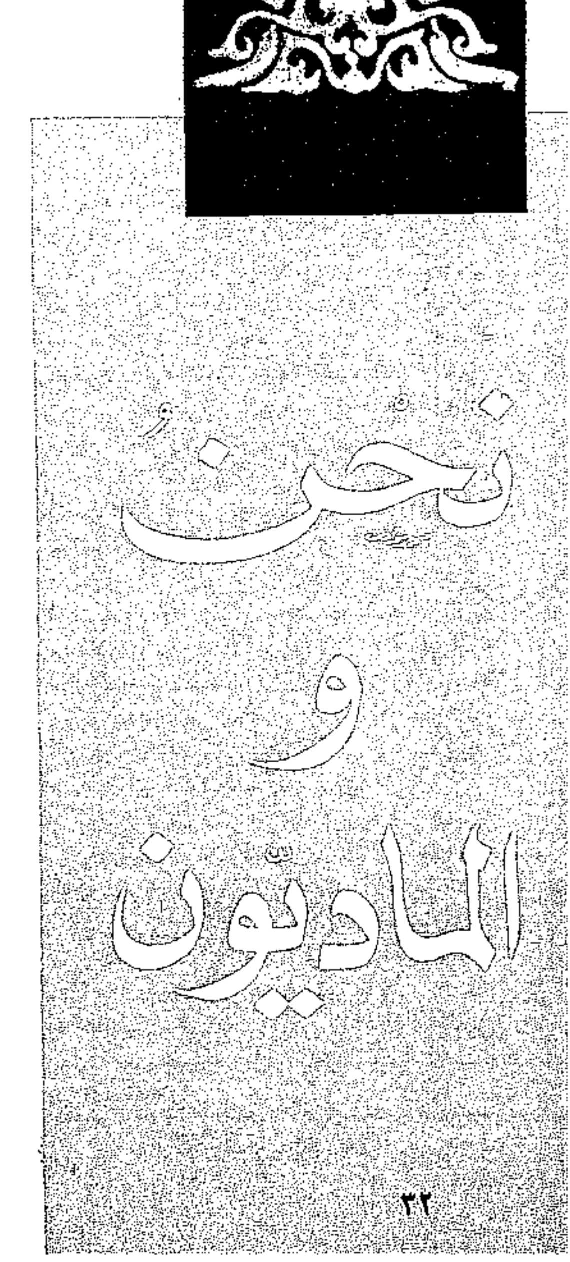
وسارعت خديجة باختياره زوجا ، فكان زواجه منها أيمن حادث فى حياتهما . كان فى حياته أول وأعظم الاسباب فى التمهيد لرسالته ، وكان فى حياتها أعظم ربح ظفرت به فى الدنيا والاخرة ، وحسبها أنها بعد أن كانت على شفا الهلاك على جاهليتها ، لم تخرج من الدنيا الا الى بيت من قصب (أى لؤلؤ) أعد لها فى الجنة .

البقية على ص ٦٥





الاسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



لا سبيل لاقناع من شذ طبعه

نريد ان ننبه منذ البداية ، ان اى دليل يساق على وجود الله ، لا يمكن ان يدركه الا من كان سوى الطبع غير منحرف المزاج ، فالضوء لا تبصره سوى العين السليمة ، والوان الطيف لا يراها من كان مصابا بعمى الالوان ، والانغام الموسيقية لا يسمعها من كان به صمم ، ولا يتذوقها من كان جامد العاطفة ، وكذلك الشأن عند التحدث عن الله ، فليس يعيه ويدركه الا من كان سليم العقل والنفس معا ، اما هؤلاء الذين انحرفت عقولهم واضطربت نفوسهم ، فلا جدوى من التحدث معهم عن الله ، لان كل حديث فى هذه الناحية لا يزيدهم الا جحودا وعنادا .

ومن حسن الحظ ان هؤلاء الذين شاهت عقولهم ونفوسهم ، هم قلة مسحوقة لا يؤبه بها وسط الخضم العارم من بنى البشر، ولا يخطئن احد فيتصور ان منكرى الالوهية هم من العلماء او من المفكرين ، فان اعظم من عرفت البشرية من عقول ، كانوا عميقى الايمان بالله ، ابتداء من سقراط وافلاطون وارسطو حتى ديكارت وكانت وهجل ، ونيوتن واينشتين ، فهؤلاء والوف من امثالهم ، ممن اعتبروا فى كل زمان ومكان ائمة

الذين يقولون : لا إله والحياة مادة

يوجود الله . والمنكرون له منحرفون عن العقل والفطرة السليمة

للاستاذ احمد حسين المحامي

الفكر الحر الانسانى ، قد آمنوا بالله بقلوبهم وعقولهم معا ، وساقوا شتى البراهين والادلة العقلية على وجود الله، كل حسب منهاجه فى البحث ، والافكار السائدة فى عصره ، وما انتهت اليه **مختلف التجارب الانسانية وهذا ما يجعل واجبنا نحن الذين نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين،حيث اصبحت تتوفر لنا تجارب كل من سبق ، وبعد ان ازدهر العلم وحقق الكثير من الآيات ، وما كان يعد من المعجزات ، ان نعيد صياغة هذه البراهين على وجود الله بما يتفق وآخر مفاهيم العصر ، وحقائق العلم ومناهج البحث .**

الدليل الاول : شهادة الوجدان

يخطىء من يتصور أن العقل الانسانى هو المصدر الوحيد لتلقى المعرفة ، فالعقل مرحلة تتأخر فى الظهور ، وهو لا يستطيع أن يمارس نشاطه الا بعد التعليم والتدريب ، واستيعاب ما يسمى بالعلم المتراكم ، ولكن المشاهد والمحسوس ، أن الانسان بل كل كائن حى ، يدرك المعارف اللازمة لحياته عن طريق قوة تسبق العقل فى الظهور ، وهى قوة الفريزة ، فالفرخ الصغير يلقط الحب ، بمجرد خروجه من البيضة ، والطفل يلتقم ثدى أمه بمجرد ولادته ، وهو يصرخ ويبكى ويقبل ويدبر بانفعالات طبيعية لا أثر فيها للعقل أو التفكير .

وهذه الانفعالات الغريزية ، هى التى تتطور الى عواطف من حب وبغض وتفريعاتهما . هذه الطاقة الانفعالية فى الانسان ، هى ما نعبر عنها بالوجدان وهو الاحساس والشعور فى مجموعهما ، وهذا الوجدان هو ينبوع كل ما عرف الانسان أو سوف يعرف من فنون ، فهو مصدر الغناء والموسيقى والشعر والرسم والقصص وكل مظاهر الابداع الفنى .

منبع المعرفة الانسانية

ويحلو للبعض أن يدخل فى مفاضلة بين الوجدان والعقل ، وأن يغلب أحكام العقل ، على ما يسمى حدس الوجدان ، وهى مقارنة لا محل لها ، فالمعرفة الانسانية حصيلة الغريزة والوجدان والعقل معا ، ولا يمكن فصلها عن بعضها، فمن الثابت المحقق أن الانسان قد نطق وتكلم أولا ، ثم وضع قواعد النطق والتكلم ثانيا ، وميز وأدرك قبل أن يضع مقاييس فكرية للتمييز والادراك ، وانطلقت عقيرته بالغناء وتكلم الشعر وعزف الموسيقى ، ورسم على الارض وجدران الكهوف ، وصنع الآلات قبل أن يضع قواعد للغناء ، وموازين للشعر ،

وسلمـا للموسيقى وأصـولا للرسـم ومبادىء للميكانيكا .

فالانسان قد عرف بوجدانه أولا ، ثم بعقله ثانيا ، فاذا رأينا البشر فى كل زمان ومكان ، على اختلاف العصور والبيئات، والثقافة والمعتقدات ، يؤمنون بوجـود قوة علوية تعلـو على الانسـان وسائر الكائنات ، فان هذا الاجماع البشرى هو آية الآيات على وجود الله ، ما دام الايمان بالله هو فطرة فى كل نفس .

وليس يغض من شأن هذا الاجماع كما قدمنا فى أول هذا المقال ، أن يشذ بعض نفر وينحرفوا لعديد من الاسباب عن جادة الطريق ، فان الاستثناء يؤكـد دائما القاعدة ، وانحراف العدد القليل هو برهان استواء الاغلبية الساحقة ، وما أكثر ما سجل لنا التاريخ البعيـد والقريب ، أن الكثير من هؤلاء المنحرفين الذين يحلو لهم فى فترة من فترات حياتهم أن يشكوا وينحرفـوا ، قد عادوا الى الجادة فى أخريات حياتهم (١) .

العودة الى الايمان بالله أبدا

ولا تقف هـذه الظاهـرة ، ظاهـرة العودة الى الايمان بالله على الأفـراد المنحرفين ، بل انها تنطبق كذلك عـلى المجتمعات التى تنحرف فى فترة مـن الوقت عن طريق الدين ، فانها لا تلبث أن تعود بدورها الى طـريق الـدين ، ولسنا فى حاجة للعـودة الى العصـور الموغلة فى القدم فقد شهدت البشرية فى العصر الحديث تجربتين ضخمتين فى هذا الميدان تكفيان وحـدهما لاثبات غلبـة الايمان دائمـا .

ففى أواخر القـرن الثامن عشـر ، اندلعت فى فرنسا ثورة عاتيـة اقتلعت النظام الاقطاعى والملكى وأعلنت النظام الجمهورى ، ورأى قادة الثورة أن يذهبوا الى ما وراء ذلك بأن يقتلعوا العقيـدة المسيحية من أساسها ، فأغلقت الكنائس وطورد رجال الدين ، وأعلن روبسبير انتهاء عبادة الله ، ليحل محلها تكريـم العقل ، ونصب من نفسه كاهنا أعظـم لما أسماه دين العقل ، وان هى الا بضع سنـوات ، حتى كان الشعب الفرنسى يثور على الثورة ، ويعهد الى نابليـون بالسلطـان ، ويجعـل منـه قنصـلا فامبراطورا فديكتاتـورا ، لأن نابليـون استهـل عهـده باعادة فتـح الكنائس والتصالح مع الدين ، والتصالح مـع البابا الذى نصبه امبراطورا .

واذا كان يحلو لبعض المتكلمين مـن الفرنسيين أن يتحدثوا عن فرنسا كدولة علمانية لا صلة لها بالدين ، فان فرنسا قد أقامت امبراطوريتها الاستعمارية على دعائم الصليبية والدين ، وقد سـارت جيوشهـا حيـث سبقتهـا جمعيـات تبشـيرها ، وارساليـات الفـرير والفرنسسكان والدومينكان والجزويت فى آسيا وافريقيا ، أشهر من أن تعرف .

الثورة الشيوعيـة

وما حدث فى فرنسا فى اخريات القرن الثامن عشر تكرر فى روسيا فى مطلـع

(١) يذكر القراء ما أشرنا اليه فى مقالنا الأول (عدد شـعبان) لأسماء بعض أعـلام الكتـاب العـرب المحدثين ، وكيف بدأوا حياتهم الفكرية بالشك والقلق ، ثم انتهوا الى الايمان العميق ، وقد كان آخر هؤلاء الاعلام جريا على هذه السـنة هو الدكتور طه حسين ، فنحن نعلم انه قد اشتهر عنه القول فى شبابه فى كتابه الشعر الجاهلى : « للقرآن أن يحدثنا عـن ابراهيم واسماعيل ، وللتـوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى » وقد انتهى به الامر الى أن يصرح أخيرا فى حديث تلفزيونى رآه وسمعه الملايين انه لم يعد يسمع من الاذاعة سوى القرآن المرتل ، ولما سأله سائل لماذا يفضل القرآن المرتل على القرآن المجود أجـاب . لأن القـرآن يقـول « ورتل القرآن ترتيلا » .

القرن العشرين ، عندما استولى على الحكم قادة الحزب الشيوعى المؤمنون بالماركسية المادية ، والكافرون بالله ، فقد حاربوا الدين فى جميع صوره واشكاله ، واغلقوا الكنائس والمساجد ، ودور العبادة ، واضطهدوا رجال الدين وحرموا على اى متدين أن يلى عملا من الاعمال صغر أو كبر ، واليوم وبعد خمسين سنة من بدء هذه الحملة على الدين ، اليوم وبعد ان اصبحت روسيا من أعظم بلاد العالم قوة واقتدارا وانتاجا وعلما ، حتى أنها لتوشك أن تكون السابقة للوصول الى القمر ، فكان المنطق يؤدى ان تكون روسيا أكثر انكارا لله والاديان واقتناعا بوجوب القضاء على الدين ، ولكن الذى يحدث فى الاتحاد السوفيتى ، وفى كل البلاد الشيوعية هو عكس ذلك ، فقد أطلقت الحريات الدينية وأعيد فتح الكنائس والمساجد ، وتنصيب البطارقة ، وقيل انه لا تعارض بين الاخذ بالنظام الشيوعى وبين ان يبقى الناس على دينهم ، وفى بلد شيوعى كبولندا ترتفع تماثيل العذراء وصورها على كل بيت وفى كل شارع ، ويعلن أسقفها على رؤوس الاشهاد منذ أيام أن بولندا هى هصن الكاثوليكية فى أوربا ، وقد دعى البابا لزيارتها (١) .

فطرة انسانية

باطل اذن ما زعموه من أن الدين والايمان بالله هو مجرد عادة من العادات التى تأصلت فى الانسان عن طريق التلقين ، وأنه مظهر من مظاهر جهل الانسان وضعفه ، فها هو ذا الدين يعود ليزدهر فى الاتحاد السوفيتى بعد خمسين سنة من الحملة عليه ، بعد أن نشأت فى الاتحاد السوفيتى أجيال لم تتلق من التعليم الا كل ما يحقر الدين ، وبعد أن كان كل جهاز الدولة حربا على كل من تظهر عليه أعراض التدين ، وليس ذلك الا مصداق هذا الذى قلناه ، من ان الدين هو فطرة كل نفس ، ومعرفة جبلية فى الانسان .

واذا لم يكن هذا الاجماع البشرى على الايمان بالله دليلا كافيا وجود الله ، فلسنا نعرف كيف يمكن اثبات أى أمر من الأمور ، او قضية من القضايا .

الدليل الثانى . من أين تولد الشعور بوجود الله ان لم يكن له وجود .

على أن العقل من ناحية أخرى لا يمكن الا أن يرى فى هذه الظاهرة الاجمالية ، دليلا عقليا بحتا يستند الى بديهيات العقل التى لا يمكن للعقل أن يفكر الا بالاستناد اليها .

فاحدى بديهيات العقل تقول . أن لا شىء يولد من عدم ، والوجود لا يمكن أن ينشأ من اللا وجود ، فان فاقد الشىء لا يعطيه .

فلو أن هذا الكون يخلو من كائن أسمى يعلو على الانسان والمادة ، ويتصف بالكمال المطلق والقدرة المطلقة ، فمن أين جاءت هذه الفكرة واستقرت فى القلوب والعقول ، كيف يكون باستطاعة الانسان المحدود أن يتصور اللا محدود ؟ كيف يمكن للانسان الناقص أن يتصور الكامل ان لم يكن لهذا الكامل اللامحدود وجود بالفعل ؟ !

(١) نعتقد ان ذلك الذى يجرى فى روسيا والبلاد الشيوعية من اقرار لبعض مظاهر التدين لا يعتبر دليلا على تنازل الشيوعيين عن مبدئهم الذى يقول لا اله ، والحياة مادة ، ولا على رجوعهم عن نظرتهم الى الاديان بأنها افيون ومخدر ، وانما هو رضوخ للامر الواقع ، وسلوك سياسى يسترضون به بعض العواطف وقد جاء فى جريدة « الاخبار » القاهرية بتاريخ ١٩٦٤/٣/٣ « اعترفت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الروسى بان قسما من الشعب الروسى لا يزال متمسكا بالدين ، وطالبت بضرورة زيادة الدعاية اللازمة لوقف الايمان بالله » !! « الوعى الاسلامى »

ان الماديين الذين يقولون بأن الوجود لا ينطوى على غير المادة يعتبرون الفكر الانسانى ، أحد مظاهر المادة وانعكاسا لمؤثراتها فى العقل الانسانى ، فاذا كان الفكر هو انعكاس المادة ، فمن اين جاءت فكرة الكمال المطلق ؟ وكيف تملكت النفوس والعقول عقيدة الايمان بالله ؟ لا مناص لهم اما أن يسلموا بأن هذه الفكرة هى انعكاس لحقيقة مادية موجودة فى الخارج ، واما أن يسلموا بأن الفكرة يمكن ان تنشأ استقلالا عن المادة وسابقة عليها وهو ما يهدم نظريتهم من أساسها .

كل ما دار فى عقل الانسان على أنه موجود فقد كان أو كائن أو سيكون

والحق أن عصرنا الحديث ، عصر التجربة والاختراعات والآلات ، قد أثبت بالتجربة الحسية ، أن كل ما دار فى ذهن الانسان واعتبر فى وقت ما أنه وهم وتخريف قد تحول الى حقيقة واقعة . فما أكثر ما هزىء الهازئون من تصور الانسان فى الحكايات والقصص والمعتقدات الدينية ، قدرته التى لا حد لها عندما يعلم أسرار هذا الكون ، بحيث يصبح قادرا على تسخير هذه القوى الجبارة غير المتطورة مما أطلق عليها اسم الجن أو الشياطين أو الأرواح الشريرة ، أو فى صورتها الخيرة المتسامية ، قوة القديسين والأولياء الصالحين والملائكة .

وبهذه القوة دك الانسان الجبال ومسح المدن وجفف البحار وطار فى الجو وغاص فى البحر وحلق فى السماء وسمع ورأى على بعد ألوف الاميال وحول كل شىء الى ذهب .

ولقد اعتاد مفكرو المادة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، أن يسخروا من هذه الاحلام والاوهام التى تجىء من الشرق على شكل الف ليلة وليلة أو قصص السندباد ، وها نحن أولاء قد عشنا ، لنرى كل ما وصف فى يوم من الايام بأنه محض خيالات واوهام ، قد أصبح حقا واقعا ، والصواريخ تنطلق نحو القمر وهى تنفث النيران كما لو كانت جنا وشياطين ، والطاقة الذرية تدك الجبال وتبيد المدن وتجفف البحار ، ناهيك بالراديو والتلفزيون ، حيث أصبح الانسان بواسطتهما قادرا على أن يسمع الهمس ، ويرى الغمز مما يجرى فى الطرف الآخر من الدنيا ، أو مما سيجرى غدا على سطح القمر والمريخ .

لم يكن العقل اذن مخرفا ولا هو متخبط وهو يتخيل كل هذه الامكانيات المتاحة للانسان ، وكان وجود هذه الافكار فى رأس الانسان ، هو انعكاس لوجود قوى حقيقية فى الكون تقدره على فعل هذا الذى فعل .

وهكذا تكون التجربة قد دلتنا على أن ما يدور فى عقل الانسان لا يمكن الا أن يكون تعبيرا عن وجود حقيقى ، أما انه كان فى تاريخ مضى ، وهذا الذى يردده العقل هو من ذكريات ذلك الماضى ، واما انه كائن بالفعل ، وهذا الذى يردده العقل هو انعكاس ذلك الحاضر ، واما أنه سيكون فى المستقبل وهذا الذى يردده العقل هو أول مراحل الوجود (١) .

والحق أن الامر لا يمكن ان يكون الا كذلك تطبيقا للبديهية التى تقول « ان لا شىء يوجد من عدم » .

فالايمان بالله باعتباره قوة عليا ، تعلو فوق الانسان والكائنات وتهيمن عليها ، لا يمكن الا أن يكون حقيقة واقعة والا لما شقت طريقها الى قلب الانسان وعقله بكل هذا الشمول والاجماع .

الدليل الثالث . السبب الاول .

عمل العقل الانسانى الاول هو البحث وراء الاسباب والعلل ، وما عليك الا أن تتابع طفلك بمجرد أن تظهر عليه علائم الوعى والادراك ، وهو لا يفتأ يسألك عن

(١) اقرأ للمؤلف ، تفصيل هذه القضية، فى كتاب « الطاقة الانسانية » .

كل شيء تقع عليه عيناه « لماذا » ذلك أن العقل لا يمكن أن يعقل حركة الا أن يكون لها سبب ، ولا أن يرى حادثا الا أن يكون له محدث ، او يرى شيئا مصنوعا الا وله صانع او شيئا مخلوقا الا وله خالق . تلك هي وظيفة العقل التي لا وظيفة له قبلها أو بعدها ، وعلمنا الحديث كله انما يقوم على معرفتنا الاسباب والعلل خلف الظواهر الجوية ، والميكانيكية والكيمائية ، حتى أصبحنا نعلل كل شيء، ونرد الاسباب الى مسبباتها ، ابتداء من سقوط الامطار حتى زئير الرياح وومض البرق واختلاف الليل والنهار والشتاء والصيف والمرض والصحة والحياة والموت وهكذا .

فاذا كانت هذه طبيعة العقل الانساني ، فكيف يطلب منا طالب ، أن نتصور أن هذا الكون كله من حولنا ، هذا الوجود بكل أسراره ونواميسه،بنجومه وشموسه وكواكبه ومجراته ، والارض بجبالها ووديانها وصحاراها وانهارها ومحيطاتها، والحياة بنباتاتها وزهورها وثمارها ، والحيوانات بصورها وأشكالها ،والانسان بقدرته وطاقاته وفكره ، أن كل ذلك قد وجد بغير سبب ولغير سبب ؟ .

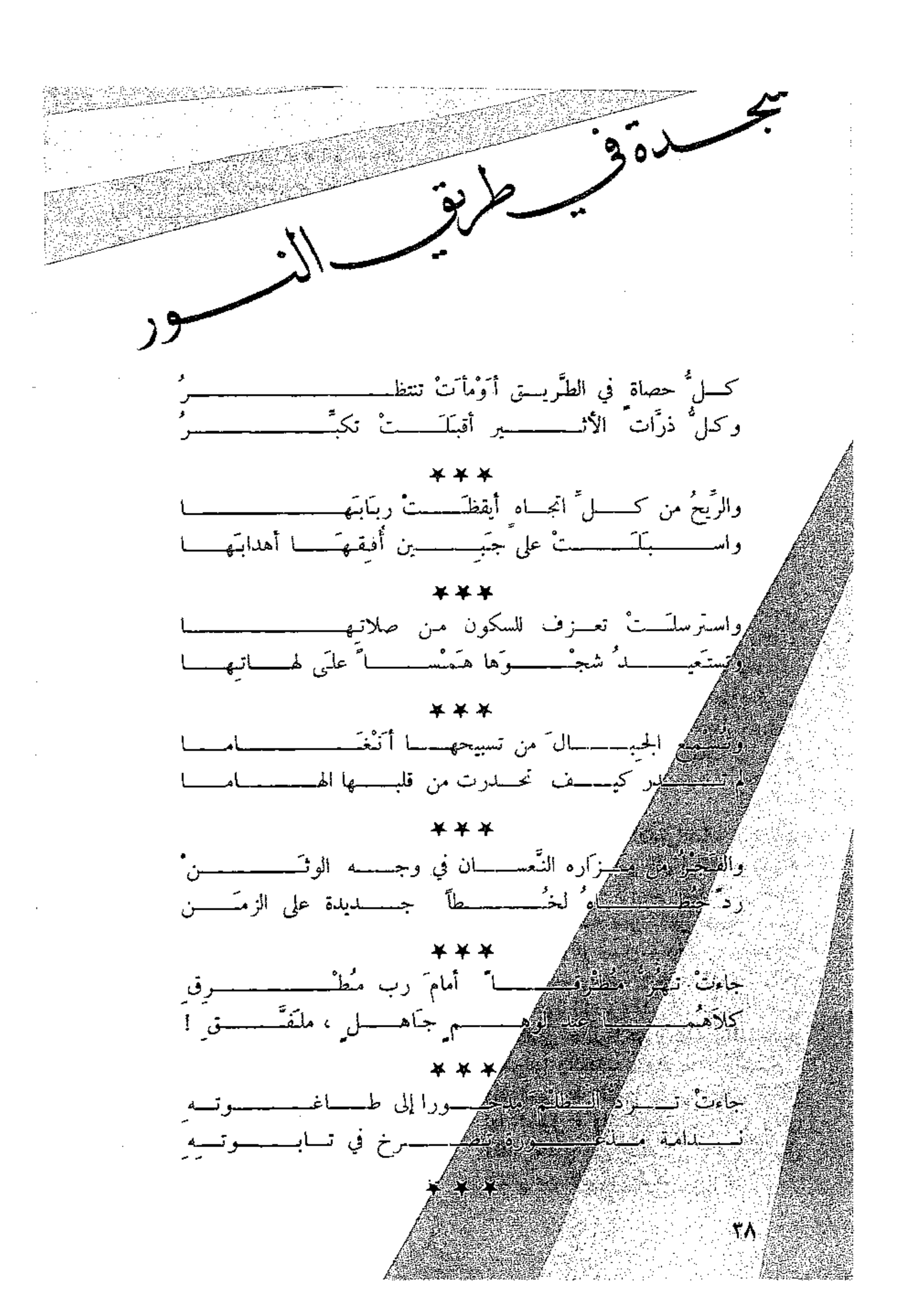
الحق انه لا يقول بذلك الا معتوه .

لا بد اذن من سبب ، وسبب اول يعلو على الاسباب كلها ، ومن الانصاف أن نقول ان الماديين لا ينكرون وجود السبب الاول ، وانما يجعلون المادة ونواميسها في العصر الحديث هي السبب الاول ، وقديما كانوا يقولون الطبيعة أو الدهر هو هذا السبب .

ونحن في هذه المرحلة من بحثنا لا تهمنا الاسماء التي تطلق على هذا السبب : طبيعة أو مادة أو نواميس ، أو صدفة ، حسبنا الاقرار بضرورة وجود سبب أول لهذا الوجود لان بديهية العقل التي اتفقنا عليها فيما سبق من أن فاقد الشيء لا يعطيه ، سوف تنتهي بنا الى أن هذا السبب الاول لا يمكن الا أن يكون قديما كبيرا قادرا حيا حكيما ، والا فمن أين جاءت الحياة ان لم يكن السبب الاول حيا ، من أين جاء هذا العقل الانساني ان لم يكن السبب الاول عاقلا أي حكيما ، من أين جاء السمع والبصر ان لم يكن السبب الاول مصدر هذه النواميس والسنن كلها .

وليس عند الماديين والطبيعيين ما يمنع أن تكون الطبيعة أو المادة قديمة قادرة عليمة حكيمة سميعة بصيرة ، ولعل ما ينكرونه على فكرة الالوهية هو ما يترتب عليها من علاقة الانسان بالله ، واستجابة الله لدعاء الانسان ، وتدخله لحل مشاكله وتقرير مصيره ، كما ينكرون أن يكون وراء هذه الحياة حياة أخرى ، وان يكون هناك بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار .

والرد على هذه الاعتراضات ، يتطلب منا أن نتحدث عمن تلقينا منهم هذه المعارف الغيبية ، وهم هذا النفر من القمم الانسانية ممن نطلق عليهم اسم الانبياء والرسل ، والذين يعتبرون بأشخاصهم وسيرة حياتهم دليلا رابعا على وجود الله ، وقد كان هؤلاء الرسل هم الذين حدثونا عن البعث والنشور والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وأقوالهم مما يطمئن لها الوجدان وترتاح لها العقول ، ولا تنفيه التجربة ، ولكن ذلك يحتاج الى تفصيل فالى المقال التالي عن الانبياء والرسل .



سجدة في طريق النور

كلُّ حصاةٍ في الطَّريق أَوْمأَتْ تنتظرُ
وكلُّ ذرّاتِ الأثير أقبلَتْ تكبِّرُ

***

والرِّيحُ من كلِّ اتجاه أيقظَتْ ربابَها
واسبلَتْ على جبينِ أفقِها أهدابَها

***

واسترسلَتْ تعزف للسكون من صلاتِها
وتستعيدُ شجْوَها همْساً على لهاتِها

***

وتسمع الجبالَ من تسبيحها أنْغَاما
لم تدر كيف تحدرت من قلبها الهاما

***

والفجرُ من مزاره النَّعسان في وجه الوثَنْ
ردَّ خُطاه لخُطاً جديدة على الزمَن

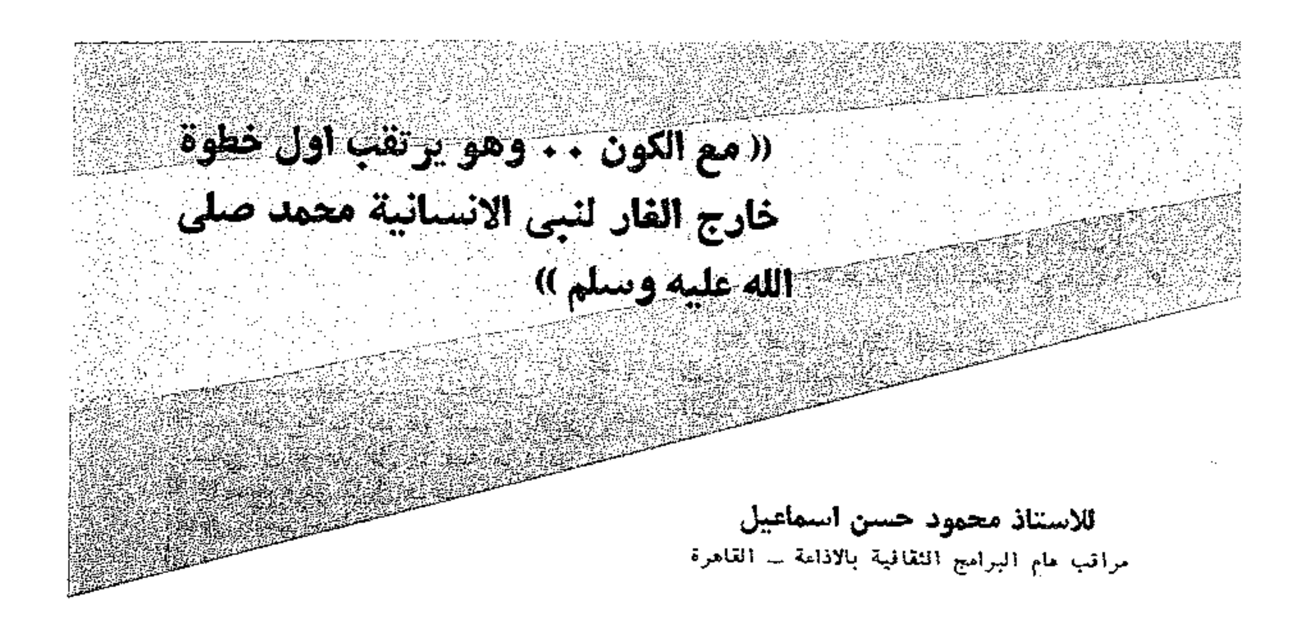
***

جاءتْ تهزُّ مطرِقاً أمامَ رب مُطْرِقِ
كلاهُما عند الوهمِ جاهلٍ، ملفَّقِ!

***

جاءتْ تردُّ الظلمَ مدحوراً إلى طاغوتِه
ندامة مذعورة تصرخ في تابوتِه

***



((مع الكون .. وهو يرتقب اول خطوة خارج الغار لنبى الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم))

للاستاذ محمود حسن اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية بالاذاعة ــ القاهرة

جاءتْ ... تَوَهُّجُ نارُها تأوه المضطهدِ
وتُضْرِمُ الإباء في جبينهِ المستعْبَدِ !

★ ★ ★

جاءتْ .. ونورُ الله يَحْدو الخطْوَ في طريقها
والكوْنُ يَسْتافُ عبيرَ الصحْوِ من شُروقها !

★ ★ ★

والبيدُ ليْلٌ ضارعٌ في القيد حوْل الصنم
والناسُ أوهامٌ تدورُ في ضلالِها المُلَثَّم !

★ ★ ★

.. في خَيْمة خَيَّمَ فيها الرِّقُّ منذُ الأزلِ
وغمغمَ الانسانُ حوْلَ عُمْرِهِ المكبَّلِ ..

★ ★ ★

جاءتْ إليه ، تمسَحُ الهوانَ من جبينِه
وتحصُدُ الإطراقَ والذِّلَّةَ من جفُونِه !

★ ★ ★

جاءَتْ .. من الغار .. من النور خُطَا ((مُحَمَّدِ))
طُوبَى لِمَنْ خَفَّ اليها بالضياءِ يَهْتدِي !!

بقية دراسات قرآنية

النضر ، وما حدثتك بهذا قط . فقال : اسكت يا أبا النضر ، فان تزيين الحديث لنا انما هو بالرجال (١) .

٧ : ــ واذن ، فتفسير مقاتل بن سليمان ــ ومنه نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية ــ انما هو تفسير بالرأى ، وينبغي أن يؤخذ كل ما فيه من آثار ــ الا ما صح وهو قليل ــ على أنه من كلام مقاتل : ومن جملة تفسيره بالرأى . على أن يوضع فى الاعتبار أنه كان يتكلم فى صفات الله بما لا يحل ذكره ، وكان يقول بالتشبيه والتجسيم والارجاء . وأنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم . وهو يعد من اقدم التفاسير بالرأى ، لكنه لم يكن فى جملته امينا : لا من حيث العقيدة ، ولا من حيث ما تضمنه من آثار .

٨ : ــ ومع نشأة المذاهب الاسلامية (فى العقيدة ، وفى الفقه) ، ومع تقدم علوم البلاغة والنحو وغيرهما من العلوم العربية ــ نشأت اتجاهات فى التفسير : لتخدم هذه المذاهب،ثم برزت تخصصات المفسرين فى تفاسيرهم للقرآن ، فعالم النحو يعني بالاعراب ، وعالم البلاغة يهتم بالنكات البلاغية ، والعالم بالقراءات يظهر علمه فى تفسيره ، وهكذا .

وحين ظهر التشيع كمذهب سياسي كان للشيعة علماؤهم الذين يدعون لمذهبهم ، ويدافعون عنه ، ومن بين هؤلاء العلماء مفسرون للقرآن تكلفوا فى تأويل آياته ، لتنصر مذهبهم فى التشيع لعلي وآل البيت ! . .

ونشأ المعتزلة والجبرية الى جانب أهل السنة ، فكان للمعتزلة مفسرون يستمدون من مبادىء مذهبهم تفسيرا لبعض آيات القرآن ، ويتكلفون فى تأويل هذه الآيات لتطابق تلك المبادىء : ومن أشهرهم الزمخشرى ، والقاضي عبدالجبار . وكان للجبرية (أو الجهمية) مفسرون ، عمدوا الى آيات القرآن فاتخذوا منها ادلة لمذهبهم ، وراحوا يتكلفون كذلك فى تأويلها لتتفق مع هذا المذهب .

أما الفقهاء فقد انطبعت تفاسير معظمهم بطابع الاستنباط من آيات التشريع فى القرآن ، ومن ثم غلب على هذه التفاسير اسم احكام القرآن ، أو الجامع لأحكام القرآن ، أو ما أشبه ! . .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تراث ضخم من الكتب التي عنيت بتفسير آيات القرآن ، وهي كتب فيها الآثار وفيها الرأى ، وفيها العناية بعلوم اللغة العربية وبالقراءات المأثورة ، وفيها الاهتمام ببيان أحكام الفقه مستمدة من آيات التشريع ، على اختلاف بين ائمة المذاهب وفقهائها فى الأحكام ، وفى طرق استنباطها من الآيات . وفيها الاهتمام كذلك بالمذاهب العقدية المختلفة ، ومحاولة الاستدلال لها بآيات من القرآن ، بدون تكلف حينا ، وبتكلف احيانا .

وسنتناول ذلك كله بالبيان ان شاء الله فى مقالاتنا المقبلة ، فى هذه السلسلة .

التفسير والتأويل

٩ : ــ والآن ، لا بد لنا من وقفة عند كلمتى التفسير والتأويل ، لنبين المراد بهما ، وما بين التفسير والتأويل من فروق ، قبل أن نتحدث عن المفسرين فنعرف بهم ، ونبين مناهجهم فى تفاسيرهم .

أما التفسير فهو مأخوذ من الفسر بمعنى الابانة وكشف المغطى ، وهو يستعمل لاظهار المعنى المعقول . ومثله السفر لكنه يستعمل لابراز الأعيان للأبصار . ويقال سفرت المرأة عن وجهها ، وأسفر الصبح .

---

(١) تهذيب التهذيب : جـ ١٠ ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

فتفسير القرآن اذن هو توضيح معانيه وبيانها ، ويقتضي هذا شرح المفردات التي تتضمنها آياته .

أما التأويل فقد بين معناه اصحاب المعاجم بمثل قول الفيروزابادى فى القاموس المحيط : (وأول الكلام تأويلا وتأوله : دبره ، وقدره ،وفسره . والتأويل عبارة الرؤيا) .

١٠ : ــ لكن الراغب الأصفهاني (فى مقدمة التفسير) يقرر أن أكثر مايستعمل التفسير فى الألفاظ ، والتأويل فى المعاني ، كتأويل الرؤيا . والتأويل يستعمل اكثره فى الكتب الالهية ، والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها . والتفسير يستعمل أكثره فى مفردات الألفاظ ، والتأويل اكثره يستعمل فى الجمل .

وقد ذكر أن التأويل نوعان : مستكره ، ومنقاد . فالمستكره ما يستبشع اذا سبر بالحجة ، ويستقبح بالتدليسات المزخرفة المزوجة ، قال : (وذلك على أربعة أضرب :

الأول : ــ أن يكون لفظ عام فيخصص فى بعض ما يدخل تحته ، نحو قوله تعالى : « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » ، حمله بعض الناس على علي بن ابى طالب رضى الله عنه فقط .

الثاني : ــ أن تلفق بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة ، محتجا بقوله تعالى : « وان من امة الا خلا فيها نذير » ، وقد قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ، فدل بقوله (أمم أمثالكم) انهم مكلفون كما نحن مكلفون .

والثالث : ــ ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور ، كقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » ، قال بعضهم : عنى به الجارحة مستدلا بحديث موضوع .

والرابع : ــ ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة ، كما قال بعض الناس فى البقر انه انسان يبقر عن أسرار العلوم ، وفى الهدهد انه انسان موصوف بجودة البحث والتنقير .

أما المنقاد من التأويل فهو ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة ، وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين فى العلم أما لاشتراك فى اللفظ ، أو لأمر راجع الى النظم ، واما لغموض المعنى ووجازة اللفظ .

١١ : ــ وقد وردت مادة التأويل فى سبع سور من القرآن هي : آل عمران : الآية ٧ ، والنساء : الآية ٥٩ ، والأعراف : الآية ٥٢ ، ويونس الآية ٣٩ ، ويوسف : الآيات ٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، والاسراء : الآية ١٧ ، والكهف : الآيتين ٧٨ ، ٨٢ .

وهو فى هذه الآيات كلها ، وفى جميع السور التي وردت فيها مادته لم يرد الا بمعنى الأمر العملي الذى يقع فى المآل ، تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء فى المستقبل . فليس فى أى واحدة منها بمعنى التفسير ، ولا بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل .

واذا كان الطبرى قد التزم التعبير به فى بيان معانى الآيات بقوله : وتأويل الآية عندي ــ فلا بد أنه كان يريد به حقيقة ما يؤول اليه معنى الآية بعد تفسير مفرداتها ، والجمل الغامضة فيها ، فقد كان هذا دون شك هو ما أراده به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعا لعبد الله بن عباس بقوله : ((اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)) .

والآن ، بعد هذه الاشارة الموجزة الى نشأة علم التفسير وتطوره ، وبعد ذلك الالمام المركز باختلاف كتب التفسير فى أهدافها ومناهجها ، وبعد هذا البيان لكلمتى التفسير والتأويل وما بينهما من فروق ــ لعله قد آن لنا أن نفترق بعد أن نتواعد على اللقاء ، مع أعلام التفسير واحدا واحدا . وسنبدأ بتقديم شيخهم محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان . فالى عدد قادم والله المستعان .

القوانين المدنية في البلاد العربية



للشيخ عبد الحميد السائح

رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس

علمنا ان اخواننا العلماء في الاردن يقومون بنشاط يهدفون منه الى استمداد القوانين المدنية من الشريعة الاسلامية وذلك بمناسبة النظر في تعديل هذه القوانين .. وجرت مراسلات بيننا وبين فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس بهذا الشأن ، كان من نتيجتها ان ارسل الينا مذكرة وضعها بهذا الخصوص تعتبر بحثا قيما في تاريخ القوانين المدنية وتطورها في البلاد العربية قبل الاستعمار وبعده ، كما ارسل الينا مذكرة رفعها هو واخوانه العلماء (الشيخ محمد الشنقيطي ، الشيخ عبد العزيز الخياط الاستاذ ابراهيم زيد الكيلاني) الى دولة رئيس مجلس الاعيان بهذا الشأن ايضا .

وقد شفع المذكرة التي أرسلها الينا عن القانون المدني بخطاب جاء فيه هذا التوضيح :

١ ــ كان مشروع القانون المدنى الاردنى قد اجتاز المرحلة الاولى الدستورية بالموافقة عليه من مجلس النواب ، وارسل لمجلس الاعيان ، فاعترض علماء الاردن عليه ، وقدموا عريضة لجلالة الملك ، وعلى اثرها اصدر أمره بأن تؤلف لجنة من كبار رجال الفقه الاسلامي ، وكبار رجال القانون لاعادة النظر في المشروع ، على أن يكون مستوحى من شريعتنا الاسلامية .

وقد الفت تلك اللجنة ، وبعد اجتماعات متوالية مع اللجنة القانونية في مجلس الاعيان، تقدم العلماء بمذكرة اخرى الى المجلس ، يشرحون الاسباب التي تستوجب رده جملة دون النظر الى تفصيلاته .

وقد كان لهذه المذكرة أثر كبير في جميع الاوساط ، ولا يزال مشروع القانون بين يدى مجلس الاعيان في انتظار البت فيه .

٢ ــ اذا وفقنا في تحقيق الفكرة التي هدفنا اليها ، فانني ارجو أن تكون سابقة حميدة في البلاد العربية ، وأرجو أن يحذو حذونا آخرون من البلاد الاسلامية العربية .

٣ ــ المهم أن نحيي فكرة العودة للاسلام عقيدة ونظاما ، وأن نبرهن على صلاحية الاسلام حقيقة لكل زمان ومكان ، وانه يمكن أن يسن منه قوانين في سائر المجالات ، تؤمن للناس مصالحهم ، ونعيدهم الى ثروتهم الاسلامية الفقهية الخالدة ، وان نخرج بها من دور المتاحف والآثار الى دور القضاء والادارة والعمل وسائر المجالات الاخرى .

ونقدم للقراء فيما يلي هذا البحث القيم الذى كتبه فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح .

القانون المدني

يقصد بالقانون المدنى قانون يبين احكام المعاملات المدنية من بيع وشراء ، وشروط والتزام ومقاولة وكفالة ورهن ومداينة ، وتصرفات ونحو ذلك ، باستثناء احكام الاحوال الشخصية ونحوها ، مما يخضع لقانون خاص ، واحكام خاصة .

وقد كانت البلاد الخاضعة لحكم الخلافة الاسلامية ، تحكم فى الامور المدنية بأحكام مجلة الاحكام العدلية التى اصبحت قانونا عاما منذ سنة ١٢٩٣ هـ ، ومن تلك البلاد ما يعرف الان بالمملكة الاردنية الهاشمية .

وان مجلة الاحكام العدلية لم تبق نافذة المفعول فى جميع احكامها ، بل دخلها الاخذ من جوانبها وحواشيها بتشريعات متعددة ، وقوانين مختلفة ، فى معظم المناطق التى كانت تطبقها ، حتى اصبح القليل منها هو النافذ عمليا فى المحاكم المختصة ، واخذ الحكام والمحامون والمتقاضون يشعرون بالحاجة الى وضع قانون آخر شامل ، واشتدت هذه الحاجة بروزا بعد تكوين الجامعة العربية ، وجنوحها الى ضرورة توحيد التشريع فى الدول التى تشملها الجامعة العربية .

ومع تقديرنا لفكرة الجامعة العربية وتأييدنا لها ومع تسليمنا بأن الحاجة ماسة لوضع قانون مدنى جديد يؤمن مصالح الناس ، ويحقق العدل فيهم ، فاننا نعتقد ان المشروع الجديد المعروض على السلطة التشريعية فى الاردن ، يعتمد على مصادر اجنبية ومأخوذ عنها فى اكثره ، وان تضمنت احدى مواده الاولى اعتبار مبادىء الشريعة الاسلامية من المصادر .

وقد عرض هذا المشروع منذ سنين على المجلس النيابى الاردنى فأجازه ، وارسل لمجلس الاعيان فرده ، وتطبيقا لاحكام الدستور الاردنى ، اجتمع المجلسان ، وبعد مناقشة للمشروع ، اتفق المجلسان على رده ، ثم اعيد بحثه من جديد ، فأجازه مجلس النواب الحالى ، ولا يزال فى مجلس الاعيان للتمحيص والبحث .

وقد جرى نقاش بشأنه فى الصحف وغيرها ، وعقدت بعض الندوات فى الاذاعة الاردنية حوله ، واختلفت الآراء ، فمن الناس من يتحمس للمشروع المعروض ، ويقول ان الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا اخذت به ، وهو لا يتناقض مع الاسلام . ومن الناس من اقام النكير عليه ، واعتبره آخر حلقات الاتصال بالاسلام فى التشريعات العامة مع ان دين الدولة الرسمى الاسلام ، ولهذه البلاد مكانة خاصة من حيث صلتها الوثقى بمصدر امجاد العروبة والاسلام ، ولذلك صدرت توجيهات سامية بضرورة تشكيل لجنة مختلطة من رجال الفقه الاسلامى والتشريع ورجال القانون لاعادة النظر فى وضعه على اسس الفقه الاسلامى ، بما يتفق مع مصالح الناس وعاداتهم وتأمين العدالة فيهم .

وقد تناقشت شخصيا مع عدد من رجال القانون والقضاء ، ولما اوضحت لهم ان الفكرة الصائبة المتزنة ، توافق على وضع قانون مدنى جديد ، غير ان هذا القانون يجب ان يكون مأخوذا من مصادر امجادنا ، وان ينبع من حضارتنا ، وان يعتمد على ابراز شخصيتنا ، وافقوا على الفكرة وارتضوها منهجا سليما .

ولا ريب اننا فى هذا العصر ، الذى ننفض فيه عن كياننا آثار الاستعمار فى مختلف النواحى ، ونتحرر من كل ما هو اجنبى بقدر الامكان ، لا يجوز ان نبقى عالة على الغير فى تشريعاتنا ، ونعتمد فى قوانيننا على مصادر اجنبية ، ونحن امة حية ذات ثروة فقهية غنية ، متطورة ، صالحة للاستفادة منها فى كل زمان ومكان ، ويمكن ان تجابه المشاكل المستحدثة ، ونجد لها الحل الشافى المؤمن لمصالح الناس ، والمحقق للعدالة فيهم .

الشريعة فى المحافل الدولية

واود ان اشير الى بعض المواقف الدولية التى ابرزت تقدير هذه الثروة وضرورة الاعتماد عليها :

١ — سنة ١٩٣٧ انعقد مؤتمر القانون الدولى المقارن بلاهاى بهولندا ، وقدم فيه بعض علماء(١) الاسلام بحثين : احدهما عن المسئولية الجنائية ،



(١) هو المرحوم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر . انظر الرسالة الرابعة لمكتب شيخ الازهر للشؤون العامة .

القوانين المدنية ..



والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام . والآخر عن علاقة القانون الرومانى بالشريعة الاسلامية، واتخذ المؤتمر القرارات التالية : ــ

أولا : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا مــن مصادر التشريع العام .

ثانيا : اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .

ثالثا : اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاتــه وليس مأخوذا من غيره .

رابعا : تسجيل البحث الاول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

خامسـا : استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دورته المقبلة .

٢ ــ سنة ١٩٥١ خصصت كلية الحقوق فى باريس أسبوعا للفقه الاسلامى ، وطلب القائمون على امره الى علماء الاسلام تقديم بحوث معينة ، كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى . ومن جملة البحوث المحددة : ــ

أ ــ اثبات الملكية

ب ــ الامتلاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

ج ــ المسئولية الجنائية

د ــ تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية ، واختتم اعمال المؤتمر بكلمــة قال فيها « لا ندرى كيف نوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر ، مما يثبت بغير شــك ما عليه الشريعة الاسلامية من عمق واصالة ودقة ، وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث » .

وانتهى الاسبوع بقرار : ان مبادىء الفقــه الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها ، وان اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هــى مناط الاعجاب ، ومنها يمكن ان يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة .. الخ .

ولا بد من الاجابة عن الحجة التى يتشبث بها بعض انصار القانون المدنى ، وهى ان هذا القانون اصبح نافذ المفعول فى معظم البلاد العربية ولا يسوغ ان تكون الاردن شاذة عنها .

وذلك ان القانون المدنى ، وضع فى تلك البلاد العربية فى عصور التخلف التــى كان الاستعمار يهيمن فيها على جميع جوانب الحياة ، ومنهــا التشريع .

ويدلنا على ذلك ان السيد الاستاذ المستشار علي علي منصور رئيس محكمة طنطا السابق نشر مقالا بعنوان خواطر مستشار عن القانون الوضعى فى الجمهورية العربية ، وما نعاه عليه من اقتباسه من القانون الفرنسى ، تاركا كتاب الله واحكامه .. الــخ ، ويتبين ان السيد رئيس الجمهوريــة العربية المتحدة اصدر قرارات جمهورية بتشكيل لجان من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى، لمراجعة القوانين المعمول بها وتعديلها تعديلا شاملا كاملا يلائم ما وصل اليه الناس من تقدم اجتماعى على ان تكون مستوحاة مــن الشريعة الاســلامية وتقاليدنا ، منها لجنة لتعديل القانون المدنى ، وقد قطعت هذه اللجان شوطا كبير .. الخ(١)

فاذا بدأت اللجان فى الجمهورية العربية المتحدة فى اعادة النظر فى القانون المدنى وتعــديله تعديلا شاملا على ان تكون احكامه مستوحاة من الشريعة الاسلامية ، فلا يجوز لنا فى هذا الظرف ان نلجأ نحن الى وضع ذلك القانون موضع التنفيذ .

وان قانوننا اعتمد على القانون المدنى السورى ، والقانون المدنى السورى لم يكن شيئا آخر غير القانون المدنى المصرى الصادر فى مصر والمنشور فى الوقائع المصرية فى تموز سنة ١٩٤٨ م ليطبق فى مصــــر فى تشريـــن اول ١٩٤٩ مــــع تعــديلات طفيفة .. الخ(٢) .

واما فى العراق فقد ظل المشروع بضع سنين محل تردد ، منذ ان وضعه الاستاذ السنهورى ، ثم اقر فى عهد سابق .

---

(١) منبر الاسلام العدد ٣ السنة ٢٢ ربيع الاول ١٣٨٤ هـ .

(٢) الوجيز فى الحقوق المدنية لعدنان القوتلى جزء ١ صفحة ١٦ .

مصادر القانون

استمد القانون المدني المصري ـ وهو القانون المدني السوري والقانون العراقي ايضا ـ الاحكام الواردة فيه من ثلاثة مصادر رئيسية اصلية نوه بها في صدر مذكرته الايضاحية .

واول واهم هذه المصادر كان التشريع المدني المصري ، نتيجة لاجتهادات المحاكم المصرية ، وان النصوص التي استقيت من هذا المصدر تكاد تستغرق ثلاثة أرباعه .

وان التشريع المصري السابق واجتهاد القضاء المصري في تطبيق نصوص ذلك التشريع وتفسيرها ، كانا يسايران الى حد كبير الاصول والتقنينات الغربية بعد ان ساد في مصر منذ عام ١٧٧٦-١٨٨٣ قانون مدني مستقى من القانون المدني الفرنسي او قائم عليه .. الخ(١) .

والمصدر الثاني : الشريعة الاسلامية او الفقه الاسلامي ، يرجع اليها القاضي اذا لم يجد حكما في التشريع او العرف .

والمصدر الثالث : هو التشريعات الاجنبية .

واكثر ما رجع اليه القانون من هذه التقنينات الاجنبية الحديثة المشروع الفرنسي الايطالي ، والقانون الايطالي الجديد ، والقانون السويسري ، والقانون الالماني والقانون البولوني ، وهكذا فان المصدر الرئيسي الذي يمكن الرجوع اليه عند الاقتضاء في التطبيق والتفسير هو التقنين المصري السابق المأخوذ عن القانون الفرنسي مع اجتهاد القضاء المصري واحكام المحاكم المصرية(١) .

ومن هذا كله تبين ان القول بأن القانون المدني لا ينافي الاسلام ، او انه مأخوذ عنه لا يتفق مع الواقع ، الذي اعترف به رجال القانون .

وحينما اريد وضع قانون مدني في سوريا كان هناك تياران متعاكسان حول المصدر الذي يجب ان يستمد منه القانون المدني المطلوب .

احدهما : يتبناه ذوو الفكرة الشعوبية التي لا قيمة عندهم للتراث العربي او الاسلامي ، يريدون ان يكون مصدر القانون اجنبيا لا يصله بالفقه الاسلامي صلة ما ، ومن هؤلاء من توغلت الشعوبية في نفوسهم الى درجة الحقد على المجد العربي ، والحرص على دفن كل ما له به صلة .

وثانيهما : يتبناه دعاة الوحدة العربية الذين يريدون ان يكون لنهضة العرب كيان عربي مستقل بخصائصه ، لا يذوب في غيره . ولا يتنكر لحضاراته التي ملأت سمع التاريخ وبصره ، وكان لها من الماضي الفقهي الحقوقي ، ما ليس له نظير في تاريخ امة اخرى ، وهؤلاء يرون ان القانون المدني ، يجب ان يستمد من الفقه الاسلامي في شتى مذاهبه ومصادره الواسعة ، ففي تلك المذاهب والمصادر من القابليات المختلفة ، والنظريات القانونية والاصول والفروع ، ما قد وفى بحاجات العصور والحضارات والاطوار المتلونة المتنوعة ، التي واجهتها الحياة العربية والاسلامية ، وصلح لان يبنى منه صرح فقه مدني من اضخم ما عرف التاريخ ، فهذا الفقه اذا خرجنا به من نطاق المذهب الفردي الضيق ، وحرثنا مذاهبه المتنوعة الكثيرة حراثة فنية حديثة ، ونفذنا الى منابعه الاولى الغزيرة الفياضة بعناصر الحياة القانونية ، استطعنا ان نصوغ قانونا يضاهي بل يباهي احدث القوانين المدنية اليوم ، وتكون مكتبتنا العربية هي منبعه في الامداد ، ومرجعه في الشرح والتفسير والاجتهاد .. الخ (٢) .

وفي شهر شباط سنة ١٩٤٩ تغلبت فكرة انصار بناء القانون المدني من الفقه الاسلامي ، فأوفدت وزارة العدل السورية بعض كبار القضاة فيها الى القاهرة للاشتراك مع الاستاذ عبد الرزاق السنهوري في وضع قانون مدني ، يكون اساسه الفقه الاسلامي ، مع اقتباس ما تدعو الحاجة الزمنية اليه من المبادىء القانونية الحديثة .

ولكن لم تمض أيام على وصول وفد وزارة العدل الى القاهرة حتى وقع الانقلاب العسكري الاول في سوريا ، الذي قام به السيد حسني الزعيم ، فالتف حوله بعض الانتهازيين من الفريق الاول وسلمهم وزارة العدل ، واقنعوه بان أعظم عمل يرفع شأنه في نظر الآجانب هو أخذ قانون مدني اجنبي ، بدلا من التشريع الاسلامي وفقهه ، وقد وجدوا أن القانون المدني المصري الجديد يحقق هذا الغرض لأنه أجنبي المصادر : وقرروا وضعه موضع العمل بعد عشرين يوما من اقراره (٤) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٢

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) شرح القانون المدني السوري ، نظرية الالتزام العامة للاستاذ مصطفى احمد الزرقا صفحة ١٧ — ١٨

(٤) المصدر السابق صفحة ٢٠

غير أنه بتأثير هذه الصدمة الشعوبية على أعظم تراث عربي وهو التراث الفقهي ، وما كان من رد فعل في الرأى العام السوري ، جـاء الدسـتور السورى الذى وضعته الجمعيـة التاسيسية في سوريا سنة ١٩٥١ ، في ظـل الانقـلاب الثالث ، فتدارك هذه الخطيئة ، وقرر في المادة الثالثة منه أن : الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع.

وبناء على هـذا النص أصـبح القانون المدني الجديد مخالفا للدستور لانه أجنبي المصادر ، فالف المجلس النيابي السوري حينئذ لجنـة لتعديل القانون المدني وتجديده بما يتفق ونص الدستور من حيث المصدر ، وبدأت اللجنـة عملها ، فلما جاء الانقلاب الرابع وحل المجلس النيابي توقف عمل اللجنة .

نظرتنا الى المجلة

وقد لاحظت أن بعض الأشخاص الذين يحاربون فكرة القانون المدني ، ينظرون الى المجلة نظرة تقديس ، كأنها شيء الهي لا يجوز تعديلـه ولا تنقيحه ولا التعرض اليه ، مع أنها في واقع الأمر لا يجوز أن ينظر اليها بهذا المنظار ، والا حلنا دون التطور المطلوب في التشريعات والتقنينات ، وفوق هذا نكون قد حملنـا المجلة أكثـر مـن حقيقتها .

لماذا وضعت المجلة ؟

قبل وضع المجلة كانت المحاكم تحكم بمقتضى الفقه الاسلامي ، على اختلاف كتبه وتعدد مناهجه ، ووعورة الطريق التي توصل الى نتيجة حاسمه ، وكان القضاة ينقطعـون للتخصص سـنين حتى يستطيعوا الغوص في الأبحاث الفقهية والظفـر بالضالة المنشودة .

ولما بدىء بتاسيس المحاكم النظامية في الدولة العثمانية ، اصبح يعود اليها اختصاص النظـر في أنواع من الدعاوى كانت قبل ذلك ترجع الى الى المحاكم الشرعية ، ودعت الحاجة الى تيسير مراجعة النصـوص الفقهية ، التي كانت هي المستند القضائي للحكام غير الشرعيين ، وذلـك بوضع كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطا عاريا من الاختلافات ، حاويا للاقوال المختارة ، سهل المأخذ والمطالعة على كل أحد ، وعلى أعضاء المحاكم النظامية وموظفي الادارة ، ويكون بمثابة قانون مدني لدعاوى الحقوق التي تنظر في المحاكم النظامية .

فصدرت ارادة سنية بتاليف لجنة من كبـار العلماء في الدولة ، ووضعت مشروع المجلة التي أصبحت قانونا عاما (١) .

وبذلك فتح باب جديد في التشريع ، وأوجدت المجلة في الفقه الاسلامي مرجعـا قضـائيا على الطريقة التشريعية في صياغة القوانين : من حيث الترتيب والترقيم ، والاقتصار على قول واحد .

وقد كانت المجلة حين صدورها بدء مرحلـة جديدة موفقة في تاريخ الفقه العربي الاسلامي ، هي مرحلة التقنين .

عيب المجلة

غير أنـه أخذ على واضـعي مشروع المجلة فيما أخذ ، أنهم التـزموا مذهبا واحدا هـو المذهب الحنفي السـائد في الدولة العثمانية ، ولا ريب أن المذهب الواحد مهما اتسعت أصوله وفروعه ، وتشعبت نظرياته وتخريجاته ، لا يمكن أن يكفي الأمـة في حاجاتهـا التشريعية المتجددة .

والنصوص الأصلية التي يستند اليها الفقه الاسلامي، وكذا القواعدالمستخرجة منها ، تمتاز غالبا بعموم وشمول ومرونة الى درجة لا يمكن معها القول بانحصار صحة تطبيقها في صورة واحدة ، أو بأن وجهة نظر واحدة في فهمها هي الصواب دون ما سواها منآراء اجتهاديةمحتملة.

ولذلك كانت السعة الكبرى فيقابليات الفقه الاسلامي ، انما تتجلى في مجموعة مذاهبهالاجتهادية لا في مذهب واحد(٢).

---

(١) انظر التقرير الذى وضعته جمعية المجلة وصدرتها به ورفعته معها الى الصدر الاعظم وهـو مطبوع في مقدمة المجلة .

(٢) انظر شرح القانون المدنى للزرقا صفحة ٩ ــ ١٢ .

مما تقدم يتجلى أننا لا نعارض الفكرة الاساسية، وهي ضرورة ايجاد قانون مدني يحقق للناس العدالة المطلوبة ، وتأمين حقوقهم وفقا للتقاليد السائدة في هذه البلاد وأعرافهم . غير أننا لا نوافق أبدا على اصدار قانون مدني أجنبي المصادر في جميع مواده وفصوله أو أكثرها .

وليس القصد أن ننظر الى كل مادة بمفردهـا ، فتلاحظ ما اذا كانت موافقـــة لاحكام الشريعة الاسلامية أو مخالفة لها ، وانما القصد أن يكون المشروع قائما على أساس النظريات الاســـلامية الفقهية ، دون التقيد بمذهب معين أو مذاهب محددة ، ولا يخفى على كل من له المام بالشئون القضائية من قضاة ومحامين ، أن أي قانون مهما روعي في نصوصه من الدقة ، فانه عند التطبيق قد يحتاج الى الرجوع لمصادر القانون ومآخذه ، حتى يستعان بهـا على تعيـين المـراد وتحديده وتفسير القانون .

ومن العيب الفاضح علينا ونحن أمـة ذات تاريخ مجيد ، وفقه عظيم وثـروة فكرية غنية ، أن نكون عالة على غـيرنا نقتبس من فتـات موائده ، ولدينـا ما يشبعنا ويروينا .

وقد اعترف لنا المنصفون الأجانب ، أن الفقه الاسلامي هو أعظم تراث عربي ، أنشأته وخلفته الحضـارة العربيـة في عصورها الاســلامية ، وقد ســهر على تكوينه عباقرة الفقهاء والمجتهدين مـن أسلافنا المتعددين .

ويوجد في كل مذهب من المزايا في الأصـول والنظريات الحقوقية ، ما لا يوجد في الآخر حتى أن الباحث قلما يجد نظرية أجنبية معقولة في القوانين الحديثة الا وقد سبق اليها بعض هذه المذاهب الفقهية الاسلامية ، أو هي تقبل التخريج على بعض قواعده .

ولا مانع في طريق الزيادة والتوسيع مـن أن نستهدي بما وجد عند غيرنا من الأمم الأجنبية ذات الحضارة القانونية الحديثة ، ونستفيد منه في هندسة بناء تقنيننا العربي الجديد ، على أن يكون هذا تطعيما لنظرياتنا ، وتفريعا على أصولنا الفقهية في طريق استكمال الحاجة .

فطريق الاقتباس يجب أن لا ينسينا أصولنا ، ولا يدفن فقهنـا ، ولا يتركنا عيالا نجـري وراء الغير ، ونحن الاغنياء .

وبذلك تبقى مكتبتنا الفقهية العربية التي ملأت خزائن الدنيا ، هي المرجع الأساسي لنا ، ونحن نكمل ذلك الشوط المجيد ، الذي بدأ به جبابرة الفقه من أسلافنا ، وتركوه أمانة عربية ثمينة في أعناقنا ، ويحق لنا حينئذ أن نفخر بأننا أمـة عربية ذات مقومات أصيلة .

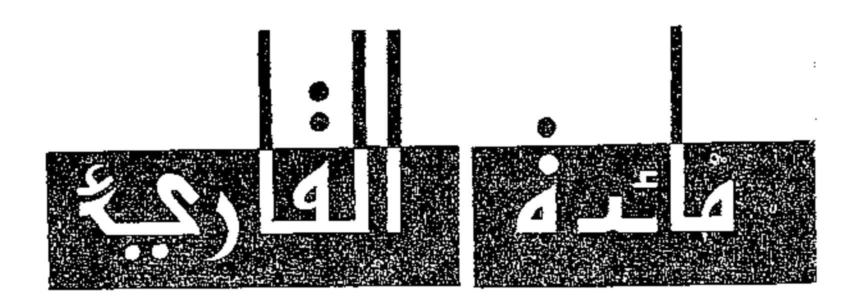
أما أن نعمد الى أعظم تراث فكري وقومي لدينا ، كهذا التراث الفقهي الاسلامي الجليـل فندفنه بأيدينا ، ونستبدل به قانونا أجنبيا يربطنا بعجلة التشريع الأجنبي وفقهه ، وتجعل تراثنا الفقهي نسيا منسيا ، فهذا — كما قال الأستاذ مصطفى الزرقا — اعلان افلاس وليس باقتباس ، وهـو أعظم جناية شعوبية تقتل لنا أعظم تراث قومي حي قوي .

والنتيجة السليمة

أنه اذا كان الاتجاه في مصر وهي السابقة في وضع القانون المدني ، الى تعديله تعديلا شاملا على أساس الفقه الاسلامي ، وان اللجنة بدأت عملها في ذلك ، واذا كانت سوريا في عهود التنفس كان اختيارها واضحا في أن يعاد النظر في القانون المدني ، ويعـدل أو يجـرد على أسـاس الفقـه الاسلامي ، فمن الخطر الواضح أن نقبل نحـن قانونا بدأ غيرنا من الأشقاء في تعديله على الأساس الذي ندعو اليه .

ومن الفخر للأردن بقيادة مليكه الشاب ، أن يبدأ هو بدعوة الأشقاء لاختيار لجنة عربية تضم جميع الدول العربية ، ويمثل فيها أساطين رجال الفقه الاسلامي والقانون لوضع قانون مدني شامل على تلك الأسس ، ويترك لكل دولة عربية أن تضع فيه أحكاما خاصة لبعض المعاملات المتعارفة لديها دون غيرها ، والتي لا تتعارض مع القاعدة التي يتفق عليها ، وحينئذ نكون قد أسدينا لهذه الأمة العربية خدمة جلى ، ونكون قد عملنا في اتـزان وتعقل على توحيد التشريع في الدول العربية ، ووضعنا حجر الأساس في بناء ما يحقق قـوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

والله ولي التوفيق وهو الهادي الى اقـوم ســـبيل .



بهذا يفخر المسلمون

تفاخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس : ـ

لنا غسيل الملائكة حنظلة الراهب، ومنا عاصم الافلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

وقالت الخزرج : ـ

منا اربعة قرأوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم . زيد بن ثابت، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

هذا هو الملك

نزل عبد الله بن المبارك عالم خراسان بمدينة الرقة ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت من هذا ؟

قالوا : ـ عالم اهل خراسان .

فقالت : ـ هذا والله هو الملك ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس الا بالشرطة والاعوان .

أدب الأبناء

رأى ابو هريرة رجلا يسير مع آخر فقال : من هذا الذى معك ؟

قال : أبـي .

قال : لا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب لـه .

حبائل الشيطان

قال ابليس : ـ اذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها :

اذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنبه .

نصيحة أياس للتجار

يا معاشر التجار احفظوا عني خصالا ثلاثا تنتفعون بها فى تجارتكم .

لا يشتر الرجل باكثر من ماله ، فان كانت وضيعة أتت على رأس ماله كله .

ولا يشارك الا شريكا واحدا ، فان أكثر فائتين ، فان الشركاء اذا كثروا تواكلوا .

ولا يشتر من رجل بضاعة ليس له غيرها ، فان التوى أمر أو اصابته نكبه لم يعذره .

اشتروا من أهل السعة واليسار ، فانهم يؤخرون ، ويحتملون .

البصرة

جاء فى اللسان . البصرة أرض كأنها جبل من جص ، وانما سميت البصرة بصرة بها ، وقال الطبرى ، بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان فقال انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فاقيموا ، فاقبلوا حتى اذا كانوا بالمربد (ضاحية من ضواحى البصرة بينه وبينها ثلاثة اميال) وجدوا الكذان (حجارة رخوة ، قالوا ما هذه البصرة) .

منطــق معقــــول

ومنطــق معكوس

قال رجل لاياس : ما تقول فى السكر ؟

قال : ــ حــرام

قال : ــ وما حرمه ؟ وانما هو تمر وماء .

قال : ــ فرغت ! ؟

قال : ــ نعــم

قال اياس : ــ أرأيت لو أخذت كفا من ماء ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ أفرأيت لو أخــذت كفا من تــراب ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ أرأيت لو أخذت كفا من تبن ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ فاذا أخذت كفا من تراب ، ثم طرحت عليه التبن وصببت عليه الماء : ثم خلطته وجعلته فى الشمس ، ثم ضربتك به ، أكان يوجعك ؟ .

قال : ــ نعم يقتلني .

قال : ــ فكذلك هذا حين جمعت أخــلاطه ، وخمر حــرم .

فضل الام

تنازع أبو الاسود الدؤلي وامرأتــه فى ابن لهما ، وكل واحد منهما يقول : أنا آخذه .

فقال ابو الاسود : ــ حملته قبل أن تحمليه ، ووضعته قبل ان تضعيه .

فقالت امــرأته : ــ حملته خفــا ، وحملته ثقلا ، ووضعته شهوة ، ووضعته كرها ، وكان حجرى فناءه ، وبطني وعاءه ، وثديي سقاءه .

فدفع أبو الاسود الولد الى امرأته .

رجال ومواهب

عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، واشدهم فى امر الله عمر ، واشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأعلمهم بالحــلال والحــرام معــاذ بن جبــل وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرأهم أبي ابن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة ابن الجراح .

بــين عالم وفيلســوف

افتخر عالم أمام فيلسوف بما قدمــــه العالم وما اخترعه من مخترعــات .

فقال الفيلسوف : ــ نعم ، أيها العالم . انكــم استطعتم ان تجولوا فى السماء كالطير ، وان تسبحوا تحت الماء كالسمك ، ولكنكم لم تستطيعوا أن تسيروا على وجه الارض فى أمن وطمانينة كالحيوان .

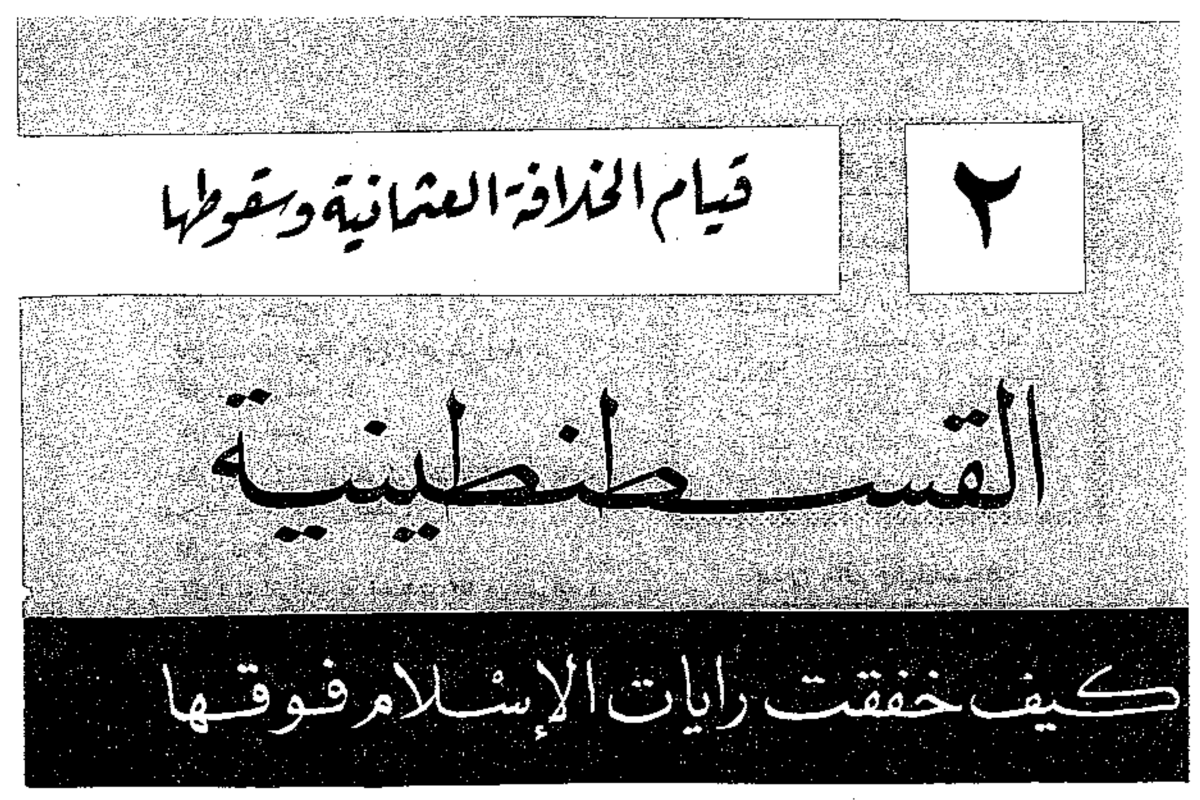
أم المؤمنــين

كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش مع ما يأتيها من عطاء صناع اليدين تصنع بيدها ، وتخيط ، وتتصدق بكل ذلك فى سبيل اللــه ، ووصفتهــا عائشة رضى الله عنها فقالت :

لم تكن امرأة خيرا منها فى الدين ، واتقى لله ، واصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصــدق به ، ويقربها الى الله .

علاج نبوى

((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارا يؤذيني .. فقال أخرج متاعك فضعه على الطريق !! فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق .. فكل من مر به قال مالك ؟ قال جارى يؤذيني ، فيقول اللهم العنه ، اللهم اخزه .. قال ــ أى ابو هريرة ــ فقال الرجل ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك أبدا)) .



للاستاذ محمد صبيح

كانت القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، مطمح انظار الفتح الاسلامي ، فى موجة اندفاعاته وانتصاراته الكبرى ، خلال القرنين الاول والثاني الهجريين .

فالى هذه العاصمة الكبيرة ، ارتدهرقل ، بعد ان دحر خالد وابو عبيدة وعمرو بن العاص جيوشه فى سوريا وفلسطين ومصر .. ومنها كان هرقل وخلفاؤه ، يدبرون الكيد للمسلمين ويتربصون بهم .. واليها كان يهرع الغاضبون والحاقدون على قيام هذه الدولة الفتية القوية ، مثلما ما صنع جبلة بن الايهم الغساني ، عندما لجأ الى القسطنطينية خوفا من ان يقتص منه عمر بن الخطاب .

محاولات لم تنجح

ويروى ابن الاثير فى حوادث سنة ٢٦ هجرية ، انه لما افتتحت افريقية ، امر الخليفة عثمان بن عفان قواده ان يسيروا الى الاندلس وقال فى كتابه : « اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس » .

وهكذا كانت هذه المدينة الشهيرة ، فى ذهن منشئى الدولة الاسلامية الكبرى من اليوم الاول .

وكان أول حصار لعاصمة البيزنطيين فى عهد رابع الراشدين الامام علي ابن ابى طالب ، اذ قام معاوية بهذا الهجوم فى عام ٣٤ هـ ، كما حاصرها ابنه يزيد ،



فاتح القسطنطينيـة ــ
السلطان محمد الثاني

وحاصرها سفيان بن أوس ، وكان اعنف حصار هو الذى تم فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك عام ١٢١ هـ .. وحدث حصار سابع فى عهد هارون الرشيد عام ١٨٢ هـ .. وقد صمدت المدينة بعد ذلك لاربع حصارات عربية اخرى . وظلت ستة قرون ونصف قرن تستعصى على كل هذه المحاولات ، يساعدها على المقاومة ، موقعها الحصين ، والنار الاغريقية التي كانت تقذفها على سفن الاساطيل المهاجمة فتدمرها دون ان يفلح الماء فى اطفائها . وذلك لانها كانت مركبة من مزيج كمياوى من النفط والقار والكبريت ، وقد استغلق سره على العرب وقتها ..

ومما لا شك فيه ان الوصول برا الى القسطنطينية ، اقتضى المسلمين جهودا جبارة لمحاولة الاستيلاء على جميع الشواطىء الشمالية للبحر المتوسط ، بما فى ذلك فرنسا وايطاليا ، بل استولوا أيضا على قمم الألب ، وبعض سهول سويسرا ، وذلك الى جانب جميع جزر البحر المتوسط بما فيها صقلية : ولولا انقسام حكام المسلمين الى عباسيين يحكمون مشرق الارض ، وامويين ثم فاطميين يحكمون مغرب الارض ، ومحاربة فريق منهم للفريق الاخر ، لاصبح البحر المتوسط كله بحيرة عربية ، وكذلك دوله وموانيه بما فى ذلك القسطنطينية .

هذا الانقسام هو الذى ترك عبء الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين ، ليكون من نصيب الدولة العثمانية بعد أن اشتد ساعدها ، وتوغلت جيوشها فى أرض البلقان كله ..

القسطنطينية

● ● ● ●

القرن الخامس عشر

نحن الان فى القـرن الخـامس عشر الميلادى ، نطل من نافذة التاريـخ على هذه المدينة الكبيرة ونحس ان هما ثقيلا بدأ يثقل كاهلها ، وتنوء به .. فان قـوة الاتراك العثمانيين تـزداد ، وتهديدهم يشتد وملكهم يتسع ، ولم يجد امبراطور بيزنطة ، الا ان يسعى لعقد حلف ديني مع بابا روما ، ومن يتبعه من ملوك اوروبا وأمرائها . عسى أن يعينه ذلك فى دفع الاخطار التي يشم هو ورعيته رائحتها كلما اشرق صباح ، وأمسى مساء .

وحزم الملك يوحنا أمره ، وأخذ معه وفدا ضخما من رجال الكنيسة الشرقية بلغت عدته ثلثمائة شخص ، وركب البحر الى البندقية ، ومنها قصد الى مدينـة فارارا ، حيث تواعد مع البابا على اللقاء .

كان هدف هذا اللقاء أن يسوى ما بين الكنيستين الشرقية والغربية من خلاف ، وبهذا تتاح الأمداد العسكرية من كـل أوروبا ، لكي تعين القسـطنطينية على مواجهة الغزو التركي الذى تنتظره بين حين وآخر .

وكان الملك يوحنا ، قدر أربعة اشهر لرحلته ، ومحادثاته الدينية ، وعودته بالمال والسلاح والسفن .. ولكن هذه الرحلة طالت كثيرا ، اذ تجاوزت خمسة عشر شهرا ، بدأ الجدال فيها واستحر عند ترتيب جلوس البطاركة والمطارنـة حول كرسي البابا . ثم بدأ جدال ديني كبير على بعض المسائل العقائدية فى الدين المسيحي ، مثل نار المطهر الذى تذهب اليه نفوس الخاطئـين ، وهـل تؤدى عملها فى التطهير اذا لم يكن المذنب قـد اعترف قبل موته ؟ وعن طبيعة المسيح ، وعن الفرق بين الفطير والخمير ، وغـير ذلك من المناقشات ! ! ! .

وقلق الملك من طـول المناقشـات ، واضطر الى ان يستعمل كل نفوذه لارضاء المتحدثين باسم البابا ، لم يخالفه فى ذلك الا اربعة من رجال كنيسته ، وعاد بهدايا ومال وفير ، وعاد أيضا بوعد مكتوب بان تهرع اليه الجنود والسفن وكل ما يطلبه اذا ما داهمه العثمانيون .

وسمع البابا أن المعارضين الاربعـة ، سبقوا الملك الى القسطنطينية ، وأنهم البوا الناس على هذا الاتفاق . فما كان منه الا أن ركب السفينة ، وذهب ليتأكد من ولاء الكنيسة الشرقية له ، فاذا مـا سمعه كان حقا كل الحق ، حتى ان شعب المدينة رفض ان ينزل البابا الى البـر من سفينته ، وكذلك صنعوا فى الكنائس الشرقية ، فما كان منه الا منع كل معونة عن المدينة الخارجة على سلطانه الروحى .

وكأن رحلة الملـك ، زادت انقسـام الناس ، وشغلتهم فى مناقشات دينية .. فلما مات وخلفه ابنه قسـطنطين تلقى تركة مثقلـة ، ومشـاكل معقدة أشـد التعقيد (١) .

سابع السلاطين

وفى الجانب التركي نجـد سـلطانها محمد الثاني – وهو سابع سلاطين بنى عثمان ، يتولى الملك ، وأول برنامجـه الاستيلاء على القسطنطينية ..

وحتى لا يشغله شاغل سبق ان عكر صفو الحياة على اسلافه ، عمد الى أخ رضيع له اسمه ، أحمد فذبحه .. حتى

---

(١) فى ذلك كله أعظم عبرة للذين يختلفون منا ولا سيما على الامور الصغيرة وتتفرق كلمتهم وعدوهم جاثم على صدرهم وما اكثر العبر ولكن . ! « الوعى »

لا يكبر وينافسه في الملــك .. وكذلــك كانوا يصنعون !! .

وبدا الاستعداد للمهمة العظيمــة .. بانشاء حصون على بوغاز البسفور تمنع المدد البرى من جهة اوروبا ، وبدأ حشد مدفعية هائلة وجنود سبق أن مرستهم الحروب في البلقان ..

وكان ذلك كله قد تم في أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ م .

وأراد قســطنطين الملــك الذى خلف يوحنا ان يفادي نفسه وملكــه بالمــال ، فبعث برسول الي محمد الثاني يعــرض عليه دفع الجزية التي يقررها .. ولكن هذا الطلب رفض .

وبدأ الحصار ، واحاط ٢٥٠ الــف محارب ، بالمدينة من ناحية البر ، آزرتها ١٤ بطارية من مدفعية ضخمة ومعهــا مدفع هائل ، قام بصنعه للاتراك صانع مجرى ، كان المدفع يقذف كــرات مــن الحجر زنة الكرة ١٢ قنطارا ، تنطلــق الى مسافة ميل .

وكان في حوزة الاتراك اسطول أعــد لمهمة الحصار البحرى من ١٨٠ سفينة طوقت مداخل الميناء من بعيد .

وعلى الرغم من ان أمل النجدة كان ضعيفا ، الا ان نداءات قسطنطين آتت نتائجها ، اذ هبت لمعونته مدينة جنوا ، وارسلت له عمارة بحرية مدربة تدريبا عاليا . وقد وصلت بعد ثلاثة اسابيع من فرض الحصار ، واشتبكت مع الاسطول العثماني في معركة رهيبة ، وتغلبت عليه ودخلت الميناء ، واغلقته وراءها بسلاسل حديدية لا سبيل الى اقتحامها .

حيلة خارقة

ولن تكون للحصار ، ولا لضرب المدفعية



صــورة تخطيطيــة لمدينــة القسطنطينية . وترى كنيسة أيا صوفيا ذات القبة العالية وترى المدينة بقسميها محاطة بالأسوار العالية وذلك قبــل استيــلاء الأتــراك العثمانيــين عليهــا .

فائدة ما دام طريق البحر مفتوحا يأتي بالمدد والتموين ، وسفن الاتراك ممنوعة من الاقتراب بهذه السلاسل . وخطــر للسلطان ومشيريه مشروع ، يكاد يكون خياليــا وهــو أن تتسلل ســفنهم الى الشاطيء المأمون بعيدا عن منطقة القتال ، ثم يرفعها الرجال الى البر ، ويدفعونها فوق الواح هائلة مــن الخشــب طليت بالزيت والدهون ، وذلك لمسافة ســتة

اميال ، ثم ينـزلونها مـرة اخـرى الى البحر ، ولكن فى داخل منطقة السلاسل المانعة ..

وفى ليلة واحدة ، تم نقل نحو مـن سبعين سفينة بهذا الاسلوب ، وفى هدوء وحذر بالغين .. وان الانسان لتعروه الدهشـة لهذا المجهـود البشرى الذى بذله الاتراك لتنفيذ مشروعهم ، مما يدل على براعة قيادتهم وضبط اعصابهم ، ودقة تصرفهم .

وكانت هذه العملية ، ضربة اليمـة للمدافعين عن القسطنطينية .

وفى ٢٤ مايو سنـة ١٤٥٣ ارسـل السلطان محمد الثـاني ، رسـولا الى قسطنطين يطلب منه تسليم المدينـة طوعا ، ويتعهد بان يترك للاهالي حريتهم وأملاكهم ، وان يبقيه على عرشه ، ويضم اليه جزيرة المورة .. ولكن الامر كبر على قسطنطين فرفض هذا العرض السخي ، وآثر الاستمرار فى المقاومة .

وفى اليوم الاول مـن عـام ٨٥٧ هـ (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣) اشعل الاتراك النار امام خيامهم حتى تحول الليل الى نهار ، وقد حاكى السلطان العثماني فى هذه الحركة ، ما قام به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فى الليلة السابقة لاستيلائه على مكة .

وانفق المهاجمـون ليلهـم متيقظـين يكبرون بأصوات عالية .. فكان يسمع لصوت تكبيرهم دوى هائـل يغطى على كل امواج البحر ، ويبعث الرهبة والهلع فى قلوب كل حي ، وكل شيء فى المدينة التي تقرر مصيرها فى أطول ليلة عاشتها .

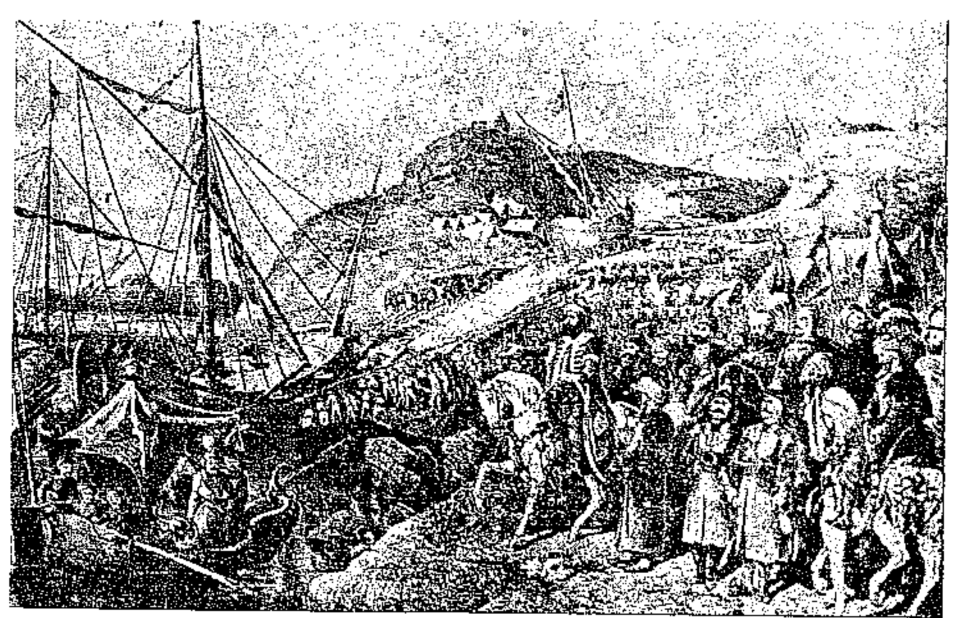
الهجوم

تسلق ١٥٠ ألفا من الجنود اسـوار القسطنطينية ودخلوها من كل ركن وكل فج ، واخترقت سيوفهم المشرعة كـل شيء عارضهـم ، وكـل حي وقـف فى طريقهم، وكانت وجهتهم الكنيسة الشهيرة التي طالما سـمعوا عنهـا ، كنيسـة « ايا صوفيا » .

وكان البطريرك يصلي ومـن حولـه آلاف ، ولكن قطع صلاته تحطيم الابواب واندفاع الجنود داخل الكنيسة يضربون .. ويضربون ، كأنهم السيل المنهمر من أعالي الجبـال . واستبيحت المدينـة ساعات قليلة . وفى الظهر دخل السلطان، وأمر بايقاف كل العمليات العسكرية ، وعمليات السلب بعد أن كفت المقاومـة تماما .

وبحث أعوان السـلطان عـن الملـك قسطنطين ، فاذا هو قتيل تحت سنابك الخيل ، ولما تأكد من موته ، ذهب الى الكنيسة ، وأمـر بانـزال اجراسـها ، وتسلق قبابها المؤذنون ، ونادوا : « الله اكبر ، الله اكبر .. » ولما تم الاذان ، نودى ان الصلاة جامعة، وخطب السلطان، وأمر بأن تتحول نصف كنائس المدينـة الى مساجد ، ومنها « ايا صوفيا » وان يترك النصف الآخر للمسيحيين يقيمون فيه شعائر دينهم ..

ونادى المنادى فى الناس يطمئنهم الى انفسهم وأموالهم وحريـة عقيدتهـم ،



منظر طريف نادر للسلطان محمد الثاني وهو يشرف على رفع سفن الاسطول التركي من البحر وجرها على البر فوق الواح من الخشب ثم اعادة انزالها فوق الماء وراء السلاسل التي اغلقت الميناء في وجه اسطول الغزو .

فهبط الالوف من الجبال القريبة ، وكانوا قد لاذوا بها متسللين ناجين بانفسهم ..

وأمر السلطان ، بأن تنتخب الكنيسة بطريركا جديدا ، فاختاروا جورج سكولاريوس، فنصبه محمد الثاني رئيسا للاروام الارثوذكس ، وأقيم لتنصيبه حفل كبير سار فيه رجال الدين في موكب فخم ، تحف به جنود الانكشارية في ازيائهم البراقة . وتألف مجلس ديني برياسة البطريرك الجديد ، واعطى له السلطان حق الفصل في قضايا اتباع هذه الكنيسة الشرقية ، سواء كانت مدنية او جنائية .. وقرر السلطان جزية دفاع (خراج) على جميع المسيحيين ، واستثنى منها رجال الدين .

اكتشاف قبر أبي أيوب

وحدث عندما كان السلطان يحاصر المدينة ، ويقيم مواقعه حولها ، أن كشف رجاله عن قبر قرىء ما عليه من كتابة ، فاذا هو قبر الصحابي ابي ايوب الانصاري الذي استشهد في الحصار العربي الثالث للمدينة ، عام ٥٢ هـ .. فأمر محمد الثاني بعد الفتح ، بأن يقام حول قبر هذا الصحابي الجليل مسجد عظيم يحمل اسمه .

وفي مسجد ابي ايوب ، جرت عادة سلاطين آل عثمان منذ ذلك التاريخ أن يتقلدوا سيف الحكم — وهو سيف عثمان الغازي الاول .

موطن الاسلام

لقد نقل محمد الثاني عاصمة ملكه من أدرنة الى القسطنطينية ، وغير اسمها الى « اسلام بول » اى موطن الاسلام ، وهي التي كتبت بالحروف اللاتينية ، استنبول ، ونقلت الينا هكذا ، مع أن اسمها ، وهو يدل على كلمة اسلام ،



السلطان محمد الثاني يشرف على الهجوم البحرى على القسطنطينيـة .

ويزاوج بين العربية والتركية ، كان اقوى واكثر وضوحا ..

وهكذا انضمت الى العالم الاسلامي هذه المدينة الشهيرة . وحاول بعض المؤرخين الغربيين أن يهونوا من شأنها وشأن قوات الدفاع فى داخلها .

وكان مما زعمه ، « جيبون » فى تاريخه ان آثار الادب والفلسفة اليونانية ، وهي فى نحو ١٢٠ الف مخطوط دمرت فى هذا الفتح .. وهو قول غير صحيح بالمرة ، فان معظم هذه النفائس نقلت قبل ذلك الى روما ، وما تزال موجودة فى مكتبة الفاتيكان الى الان . ولقد رويت مثل هذه الاكاذيب عن مكتبة الاسكندرية ، وأن العرب دمروها فى فتحهم لها ، وثبت كذلك كذب هذا الادعاء .

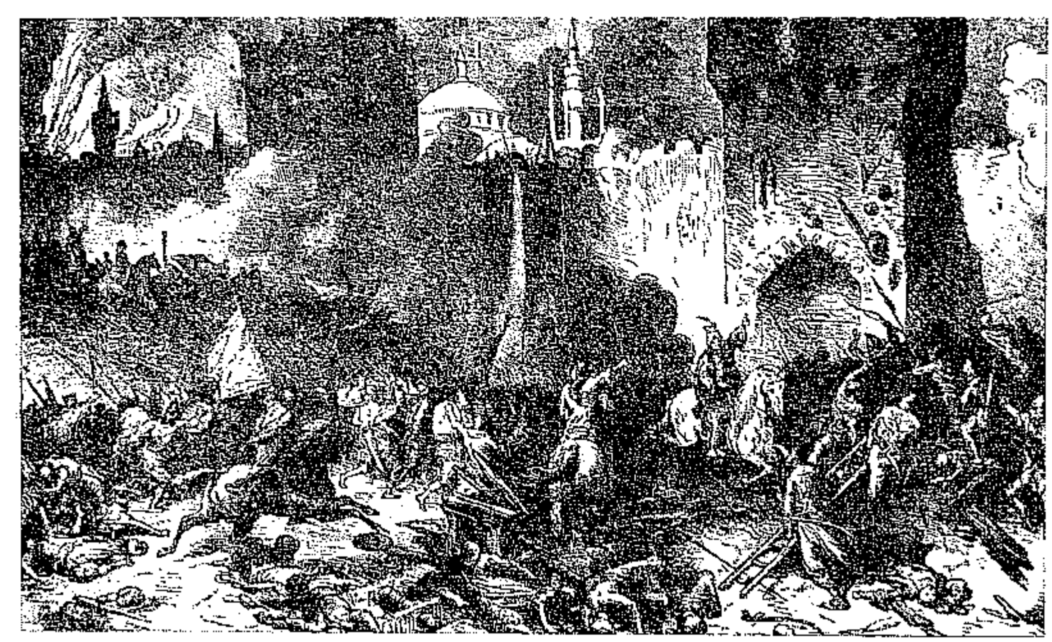
صحيح أن الترك لم يحفلوا بالمكتبة البيزنطية، وحصل كثير من امراء الجيش على تذكارات منها اهدوها او باعوها بعد ذلك لمن يعرف اللغات اليونانية واللاتينية القديمة .

ويبدو ان الجدال الديني فى عاصمة البيزنطيين كان غالبا عليهم حتى بعد ارتفاع رايات الاسلام فوق رؤوسهم .. يروي الامير حيدر فى تاريخه ، انمناقشة طويلة دارت بين البطريرك والسلطان محمد الثاني ، وقد اعجب السلطان بما ابداه كبير الاساقفة : « فلما نظر السلطان الى ما كتبه البطريرك اعجبه كثيرا ، وامر ان تحفظ هذه الكتابة باللغة العربية والرومية والتركية والاناضولية فى خزينة المملكة (١) » .

وقد اهتز العالم المسيحي بعنف لسقوط عاصمته الشرقية ، حتى ان البابا فى روما ، دعا الى حرب صليبية

---

(١) تاريخ الامير حيدر الشهابى ص ٥٤٢ .



اقتحام أسوار القسطنطينية ب (١٥٠) الف مقاتل عثماني .

جديدة ، ولكن كما يقـول « هـ . ج . ويلز » فى مختصر التاريخ ، ان الحروب الصليبية كان قد انتهى أوانها (١) .

لماذا لم تسمع صيحة البابا فى القرن الخامس عشر ، كما سمعت فى القـرن العاشر ، ودفعت مليونا من الاوربيين كي يتحركوا تحت رايات الصليب، ويندفعوا الى الشام وفلسـطين ومصر فى غارات متوالية استمرت قرنـين كاملـين مـن الزمان ؟ ! ! .

لماذا تغير الزمان كما يقول ويلز ؟ .

ان روما وحدهـا ، كانت مشـغولة بأمور الدين خلال القرن الخامس عشر .. أما أوروبا فكانت فى شغل آخر ..

كانت فرنسا تحـرق جـان دارك ، والمانيا تخترع الطباعة ، والبرتغال تدور حول رأس الرجاء الصالح ، واسـبانيا تنزل اكبر الهزائم بالعرب وتطردهم من الاندلس ، ثم تدفـع سـفائنها بقيادة كرستوف كولمبس فيكتشف امريكا ..

واذا كانت أوروبـا ومؤرخوهـا قد أسفوا على كتب الفلسفة والادب الاغريقي عند قيام الحكم الاسلامي فى « اسـلام بول » ، فان الذى اغلق مدارس الفلسفة اليونانيـة فى أثينا ، بعد ان اسـتمرت ألف سنة لم يكن فاتحا اسلاميا ، ولكن كان جستنيان الاول (٥٢٧ ــ ٥٦٥) .. وهو بالذات الامبراطور الذى شـيد كنيسة سنت صوفيا ، لكي يتعبد فيها الناس ، بدلا من ان يتفلسفوا .

ويمكـن ان نقـول أن سـقوط القسطنطينية فى يد المسلمين كان تمهيدا طبيعيا لقيـام الخلافـة الاسـلامية فى عاصمتهم الجديـدة ، كما سـنرى فى البحث القادم ان شاء الله .

---

(١) ولكن ظل دوى هذا النداء يملأ قلوب الغربيين ،حتى وجدنا قائد الجيش الانجليزى حين فتـح القدس فى الحرب العالمية الاولى يقـول : الآن انتهت الحروب الصليبية . الوعى



للأستاذ أحمد مهدي الخضر
المحامي - ووزير الاوقاف السوري سابقا

أهم ما يدور عليه الموضوع

* الشريعة بين الماضي المتخلف ، والحاضر المبهوت ، والمستقبل المجهول .
* الشريعة ذلك الكنز الضائع المخبوء .
* الشريعة بين انصاف العدو الذى أقر لها صفتها العالمية .. وبين عقوق الصديق الذى يتنكر حتي لقدرتها المحلية .
* العالم المتحضر يقفز على عدد الثواني فى مجالات الحضارة والعلم .. أما نحـن فمكاننا لم نكد نبرحه منذ عشرة قرون .. وننظر الى موقعنا من الصف الطويل .. فلا نكاد نرى بعدنا أحدا ! .
* قيمة الشريعة فى أنها نظام ((مجتمع)) أكثر منها عاطفة على منبر .
* دور أوروبا البارز فى عملية التنظيم للمعارف والعلوم فى الموسوعات والفهارس منذ أوائل القرن التاسع عشر (فرنسا ـ روسيا) .
* ودور العالم العربي فى موسوعته الحقوقية الوحيدة واليتيمة ((منذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين)) ((مصر ، كويت ، سوريا)) .
* حماية المشاريع العلمية من التيارات السياسـية فهي من أسـباب النكسات فى الماضي ، وليتم العمل بتضامن مخلص على نطاق علمي موضوعي بحت ..

ان فكرة التنظيم،فى الحياة الاسلامية، شيء أساسي لا غنى عنه للمسلمين حتى فى شؤونهم التعبدية فالله لا ينظر الى الصف المعوج للمصلين .

ومن أفطر يوما فى رمضان .. فترك الصيام مع الجماعة ، وصام وحده .. لا يجزئه صوم الدهر كله ولو صامه ! . ودعوة الشـعوب الى مؤتمر دولي ،

أول ما ظهرت في حياة المسلمين في مؤتمر (الحج) وهم من كل حدب ينسلون .

ووضع حد للحياة الروحية ، أن لا تطغي على الجوانب المادية في الانسان ولا العكس تحت طائلة المروق من الاسلام في ظل حديث الثلاثة المتزمتين من يصلي ولا يرقد .. ويصوم ولا يفطر .. ومن يترهب فلا يتزوج ، الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم « فمن رغب عن سنتي فليس مني » كذلك هذه ظاهرة بارزة من ظواهر التنظيم الاجتماعي العظيم .

وقد بقيت معالم التنظيم بادية في عهود المجتمعات العربية التي قادتها روح الاسلام ، حتي تركت آثارها في مختلف جوانب الحياة .. ومن أبرز هذه المعالم التنظيم العلمي والحقوقي الذى ظهر في العصر العباسي ، فقد كان العلم يتلقى من أفواه العلماء ، ومن بعض الرقاع المنتشرة ذات اليمين وذات الشمال . حتى كان نصرا عظيما للعلوم وللمعارف ، ان تجمع في كتب ، وأن تعرض منظمة في أبواب وفصول وأحكام بالنسبة لذلك العصر .

وكان الفقه الاسلامي كفرع من هذه العلوم قد ادركه هذا التنظيم منذ نحو ألف عام .

ولكن المؤسف أن هذا الاسلوب في الكتابة والتأليف بقي على جموده منذ ذلك الحين حتى أصبح الانسان يشك اذابقي فيه أثر من الحركة والقدرة على مدالحياة بما تحتاجه من زاد وغذاء جديد .

وفعلا فقد سبقتنا أوربا ــ فيما سبقتنا ــ الى استحداث اسلوب جديد لعرض العلوم والمعارف الانسانية يسهل على الانسان الوصول الى ضالته، ويوفر عليه الزمن الطويل الذى يستغرقه البحث في ظل الاسلوب القديم ، ذلك هو أسلوب الموسوعات وهو يقتضي ترتيب المعارف والعلوم على طراز القواميس اللغوية .

تبتغي المادة من الرجوع الى كلمتها العلمية وحسب تسلسل حروفها الابجدية .

وعلى هذا يكون بقدرة أى مراجع أو باحث أن يصل الى ماينشده ، بمثل لمح البصر .

الا أن أوربا سبقتنا الى استحداث اسلوب الموسوعات منذ نحو قرنين ،وقد أخذ هذا الاسلوب ينتشر في مختلف فروع العلوم، فأصبحنا نجد الموسوعات في الطب العام ، بل نجد الموسوعات في بعض فروع اختصاصات الطب كالموسوعة الفرنسية في الطب الجراحي وكذلك انتشرت الموسوعات في العلوم الهندسية وفروعها ، وفي علوم الحقوق وفروعها أيضا .

وكانت فرنسا من أشهر البلدان الأوربية التى سارعت الى انجاز عدد كبير من الموسوعات العلمية والحقوقية في مختلف الميادين ، وقد بذلت في سبيل ذلك من الطاقات العلمية والمادية والفنية والبشرية بتشجيع كبير من الدولة ، مما جعلها في طليعة البلدان الأوروبية التى اشتهرت بهذا الاسلوب العلمي الحديث في عرض المعارف والعلوم .

وكان من أشهر الموسوعات التى تعتزبها ، ويعتز بها العالم معها ، موسوعات « سيرى » و « داللوز » التى ظهرت في مجموعات حقوقية وقانونية مختلفها كان من أبرزها :

أ ــ الاجتهاد العام

وقد بدا عرضه على هذا الطراز منذ عام ١٨٤٥ ميلاديةوقد طبع بمعدل مجلد لكل عام .

ثم أصبح يلخص في مجموعات أيضا فمنذ ١٨٤٥ حتى ١٨٩٧ لخصت كل « ١٠ » سنوات بمجلد واحد .. ثم بدأ التلخيص بعد هذا بمعدل مجلد لكل أربع سنوات « من الاجتهاد العام الآنف الذكر » .

وفي هذه المجموعة الحقوقية والقضائية ما سد حاجة كبرى لرجال الحقوق والقانون في فرنسا ، وأوربا وفي عدد كبير من بلدان العالم أيضا . وأصبحت

ذائعة الصيت لا يكاد حقوقي في العـالم أينماكان أو مؤسسة حقوقيةتجهل قيمة هذه المجموعة الحقوقية ، والموسـوعة التاريخية والحاجة اليها والى مثيلاتها والى الجرى على غرارها .

ب ــ الفهرس العلمي :

وهو مؤلف من (١٢) مجلدا ومن تكملة مكـونة من (٣) أجـزاء ومن ملحـق عام ١٩٣٨ من مجلد واحـد . ولا يكاد يستغني عنه رجل حقـوق أو قضاء أو قانون .

واذا كانت فرنسا مـن أبرز البلدان التي هرعت الى هذا الميدان ، وأبدعت فيه وأصبحت يشـار اليها بالبنان في مختلف بلادالعالم لهذاالانجاز الموسوعي والحقـوقي والعلمي العظيم ، فان بقية بلـدان العالم المتحضرة مضت أشواطا بعيـدة أيضا في هذا الميـدان سواء في الشرق أو في الغرب ونحن الوحيـدون المتخلفون .. أو في طليعة المتخلفين !

وبهذه المناسبة : أذكر حادثة قرأتها يـوما ما أن بعض المستشرقين الروس نزل في القاهرة منذ بضعة عشر عاما .. وسأل عن موضـوع معين لكاتب ذكر اسمه .. فقيل له : من الصعب العثور عليه .. فقال لهم : نحن في بـلادنا .. نفهرس يـوميا .. وباطراد .. كل ما ينتجه عقل الانسان ، ويولده جهده من علوم وفنون وآداب وحقوق وسياسة . ولا يخلو مـن ذلك شيء مما ينتشر أو يذاع أو يكتب أو يسجل !

ويفهرس هذا كله ــ بما فيه الجانب الحقوقي طبعا ــ على ترتيب المواضيع ، وعلى ترتيب الكتاب والمؤلفين ..

فاذا طلبت اي موضـوع لأي مؤلف أو حقوقي أو كاتب .. وجـدته بمثل لمح البصر بين يديك ! أما نحن فقد يعشى البصر .. وقد يذهب البصر ولا نرى الحكم الذي نبحث عنه ويبقى في نهاية المطاف .. ضالتنا المنشـودة البعيدة المنال !

لاشك أنهـا « وصمة عار » في جبين العالم العربي والاسلامي ــ أن تخلـو مكتباته جميعا دون استثناء وهو بعد كذا من الملايين .. عدد الحصى والرمل والتراب .. مـن موسـوعة واحـدة « للفقه الاسلامي المـذهبي أو المقارن » حتى الآن ! بينما هـي المرجـع العلمي الوحيد الذي يسهل على رجال التشريع والقضاء والحقوق ، أن يستمدوا منه ويقارنوا به .. ويفيـدوا مـن كنوزه المخبوءة تحت الانقاض والركام ...

ان مجالس الامة والهيئات التشريعية حتىفي بلادنا الاسلامية والعربية تفضل الاستمداد مـن الموسوعات الحقـوقية الأجنبية لسهولة الاخذ منها ، وحسن عرضها وتوفير الزمـن الطـويل الذي كثيرا ما يضيع على من يبحث عن حكم أو قاعدة في كتب الفقه القديمة .. ثم لا تستبعد أن لا يعثر على ضالته بعد أن يأخذ راسه الصداع أو الدوار !

من المبادىء المقررة : **أنه فرض كفاية أن تقدم الدول والهيئات والافرادفيالعالم الاسلامي والعربي ضمن ما تستطيع كل ما تحتـاجه الامـة ماديـا وحقـوقيا وروحيا وسياسيـا ، وعلى ذلك فان العالمين العربيوالاسلامي آثمان امام الله والتاريخ في نظر الاسلام ، حتى يتضامنا أو يهيئا من يخرج هذا المشروع الحقوقي والعلمي الذي يبلغ مرتبة الضرورة لا مجرد الحاجات الى حيز النور .**

ولعل العالم الاسلامي والعربي يتخلص بهذا من اثم من الآثام التي تأخذ به من تلابيبه في أكثر الميادين التي تخلف فيها تخلفه الذريع .

صحيح أننا صحونا قليلا منذ أوائل النصف الثاني من هذا القرن الميلادي الا أن صحونا لا يزال صحوا مشوبا بالكثير من الفتور والخمول .

في عام ١٩٥١ نادت حلقة الدراسات الاسلامية في باريس ، بانشاء موسوعة للفقه الاسلامي ، وقد أقرت الصفة العالمية للشريعة الاسلامية كمصدر أساسي للتشريـع العالمي كالشريعة الرومـانية وغيرها ، في أهـم المؤتمرات الـدولية في لاهاي وباريس ..

وفي عام ١٩٥٦ صدر مرسوم برقم (١٧١١) وبتاريخ ١٩٥٦/٥/٣١ يقضي بانشاء لجنة لموسوعة الفقه الاسلامي تابعة للجامعة السورية بدمشق ، ورصدت ميزانية للموسوعة في مراحلها الاولى الا انها ما لبثت ان تقلصت .. ثم انعدمت ..

وفي عام ١٩٦١ وخلال الوحدة بين سوريا ومصر تمركز مشروع الموسوعة في القاهرة وبدأ الاعداد له ، وصدر قرار وزاري عن وزارة الاوقاف برقم (٢٤) بتاريخ ١٩٦١/١/١٨ بتشكيل لجنة جديدة للموسوعة .. وما أن انتكست الوحدة .. حتى فتر المشروع في القاهرة أيضا (١) .. واتضح أن خطة العمل في الموسوعة في المرحلتين لم تكن خطة عملية وشابها كثير من الارتجال في التقدير والاختيار والتخطيط .

وفي عام ١٩٦٥ أقر مجلس الامة الكويتي رغبته باقتراح تقدم به بعض النواب مشكورين لتبني مشروع الموسوعة .

وفي عام ١٩٦٦ رصدت الحكومة الكويتية الميزانية اللازمة للسنة التحضيرية لهذا المشروع الكبير .

وعلى كل فان المشروع لا يزال وليدا وبرعما غضا .. وبحاجة للكثير من التغذية والعناية والحماية والنور .

وهو أكبر من أن يكون مشروعا تستطيع دولة واحدة القيام وحدها به ، سواء في الشرق أو الغرب .. ولا بد من تعاون الدول العربية جميعها أو جلها ، ولا بد من اقامة عدة مراكز فرعية في هذه الدول .. كل منها يتولى نوعا من العمل يوكل اليه .

انه يقتضي انشاء لجان عديدة يختار لكل منها عدد من المستشارين المختصين بالدراستين الشرعية والقانونية معا ، ومن أعلى المستويات العلمية والحقوقية ينبغي تجنيب هذا المشروع التيارات السياسية المحلية أيا كان نوع هذه التيارات ، ليكتب له السلامة من العواصف وأسباب النكسة والفشل .

وهذه الموسوعة اذا قدر لها أن تبدأ فعلا هذا العام ، فلا بد لها من خطة ذات مراحل على فترة لا تقل عن عشر سنوات

وستسد حاجة المسلمين والعرب الى مرجع يستمدون منه تشريعهم واجتهادهم .. ويتخذون منه جسرا يربطون به بين الماضي والحاضر ، وبين النظر المجرد والسلوك .. وتنتهي بهذه الموسوعة المأساة الحقوقية الاسلامية من انقطاع الفكر الفقهي عن الحركة والتفاعل والنمو ، والاعداد للحياة المعاصرة .

ان مجالس الامة والهيئات التشريعية في العالمين الاسلامي والعربي تستمد قوانينها اليوم من القوانين الاوروبية والشريعة الرومانية ..

وذلك لان أعضاء هذه المجالس والهيئات لا يستطيعون في أغلب الأحوال العثور على ضالتهم من البحوث الحقوقية في المراجع الفقهية المعقدة المملة . واذا استطاع البعض فان ذلك سيكلفهم أضعاف الزمن الذي يكفيهم لوجود الحكم المثيل في المراجع الحقوقية الأجنبية .

ان الحياة المعاصرة تتطور من سنة لأخرى ، بل من يوم لآخر تطورات جذرية ومذهلة نحو الأفضل .

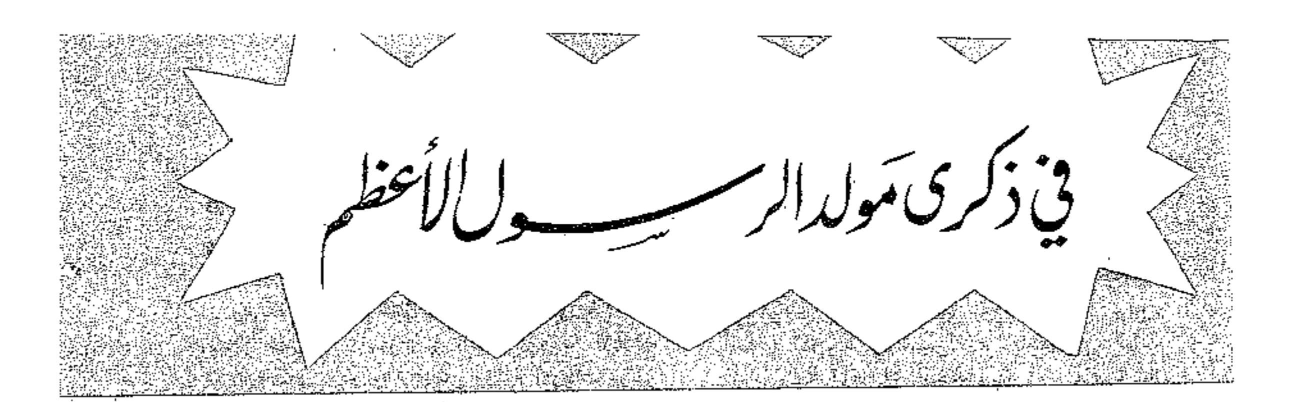
فبماذا نصف تخلف التراث الفقهي عن الأسلوب المعاصر .. ليبقى راكدا على أسلوبه القديم الذي جمد عليه منذ الف عام !

ان في الشريعة الاسلامية طاقة هائلة دافعة للتطور نحو الأصلح ، ولكن هذه الطاقة كالثروات الدفينة في أعماق الارض .. عندما تنقطع عنها يد الانسان

نسأل الله أن يكتب التوفيق للمسئولين العرب والمسلمين ليتعاونوا في سبيل الحماية لشريعتهم والاستفادة من تراثها الحقوقي العظيم ، والا فويل للاسلام من عقوق العرب والمسلمين .

---

(١) ثم استؤنف العمل فيه بعد ذلك واصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية التابع لوزارة الاوقاف أول جزء من الموسوعة كمقدمة ونموذج . والعمل الان موزع على كبار العلماء ، ومع ذلك فان ضخامة المشروع تستلزم توحيد الجهود العلمية والمالية لاخراجه الى حيز الوجود « الوعي »



أيشرق عن عدنان غيرك كوكبُ   وأنت أجل الخلق ذكراً ، وأطيبُ

سموات ظل الله قد لاحَ قدسُهَا   بمكةَ يدنيها شعاعٌ مثقَّبُ

تهادت بأرض رف للشركِ بينهَا   جناحٌ ، ونورُ الحق أسنى ، وأرحبُ

جرى القدرُ الأسمى بأن محمداً   سيبعثُ بالدينِ الحنيفِ ، ويُطلبُ

ولم ينسَ عيسى أن يبشرَ قومَه   بأحمدَ ، والمقدارُ يُملَى ، ويكتبُ

وهل بعد انجيلِ المسيحِ مؤذنٌ   وهل غيره غادٍ على الناسِ يخطبُ ؟

ويومٍ وضيءٍ قد تألق بشرُهُ   يرفّ نسيمٌ منه عذبٌ مطيبُ

تنسّم من في الكون رياهُ ، وانتشَى   بنجواهُ حادٍ في الفلاَ راحَ يطربُ

فآمنةُ الحسنى تروحُ ، وتغتدى   وقد حزَبَ الأمرُ الذى ترقبُ

تقول لأترابٍ لها ، ان بى هوًى   لهذَا الذى بين الحشَا يتقلبُ

ولا غروَ أن يأتي زكياً ، وطيباً   فما أصله الا زكىٌ ، وطيب

سرى البشرُ في البطحاء ليلاً ، فصفقتْ   جوانحُ في أعشاشهن تُطرّبُ

وقد خشعَ الأملاكُ ، واصطف منهُمُ   يحيي رسولَ اللهِ حشدٌ ،وموكب

فلما أضاءَ النورُ ما بين يثربٍ   ومكةَ ، واهتزت من البشر يثربُ

وزلزل بالايوانِ كسرى ، ونكستْ   إلى الهون أصنامٌ تشد ، وتجذبُ

أطل على الدنيا ، فأزهرَ بينهَا   جديبٌ ، ووافي بالمجادة صيبُ

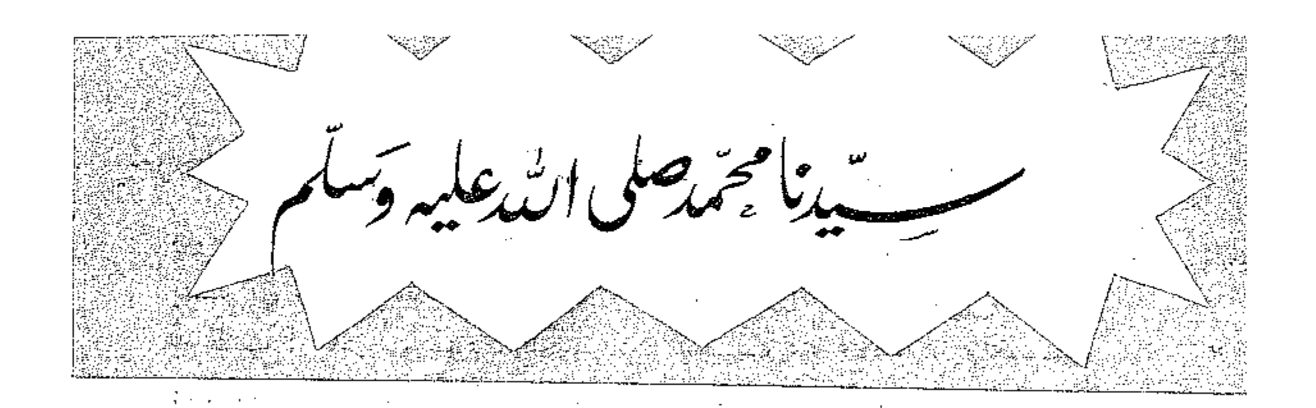
وأورقَ عودُ الخيرِ بعدَ جفافِه   وقد كاد ينبوع الأماني ينضبُ

غدَا بالندى ، والفضل ، يمنحه الورى   فأجزلْ بفضلٍ من يدِ الله يوهبُ

ولم ترَ أم المصطفى عند وَضْعِه   عناءً ، ولا عبئاً له تتهيبُ

وما كانَ اعسارٌ هناك ، وشدةٌ   ولا ما يروعُ الحاملاتِ ، ويُتعبُ

لقد حف بالأم الرءومِ عرائسٌ   من الخلدِ ، تأسو روعها ، وتُطيّبُ



الاستاذ محمد هارون الحلو
المستشار الثقافى برئاسة هيئة الفتوة ــ القاهرة

فآسيةُ الغراء ترعى شؤونَها ... ومريمُ بالهادى الزكى ترحبُ
تقول له : مرحى ، حللتَ مباركاً ... فوجهك وضاحٌ ، وثغرك أعذبُ
سعتْ أمه في سوق مكة علها ... تفوز بمن ترعى الهدى ، وتربب
حليمةُ ، ياطوبى لها ما أصابَها ... من الفضلِ ، هل تدرى بمن سوف تذهبُ
تقول لزوج خلفها لن أرى به ... بديلا ، فإن اليُتْمَ للخير أجلبُ
وقد قدرته يوم رفت غمامةٌ ... عليه ، تقيه الحر ، والشمسَ تحجبُ
رأتْه بأملاكٍ كرامٍ ، تحاوروا ... وكل له قولٌ رفيقٌ مهذبُ
تنادوا عليه : يامحمدُ ، وانتحوا ... به ، حيثُ شقوا صدره ثم طيّبوا
وبثوا بروح المصطفى أمر ربهم ... هنيئاً له الفضلُ الذى راحَ يصحبُ
ولما تغشتْه من الوحى غمرةٌ .. ... وظلتْه نجوى ، وهو عنها مغيبُ
وقيل له : اقرأ باسم ربك ، هزه ... إلى النورِ تلماح السنا وهو يُسكبُ
يقول له المختارُ ، ما أنا قارئٌ ... وما لى لسان في البيان ، فأعربُ
وسرى عنه ، وهو واعٍ ، وحافظٌ ... تزمله الزوجُ الحبيبُ المقربُ
ولما دنا منه البراق مسلماً ... وراحَ به بين السموات ، ينهبُ
وأسرى بالمختارِ ليلاً ، وحفه ... بظلِ جناحِ الله شرقٌ ، ومغربُ
وفي المسجدِ الأقصى يصلى بصحبه ... وهم أنجمٌ تزهى به ، وترحبُ
لقد بايعوهُ باللواء ، فأمهم ... وثَم ارتقى للعرش ، وهو مطيبُ
هنالك ظلتْهُ من الله آيةٌ ... لها الدهرُ يروى ، والسجلاتُ تكتبُ

ويوم غدا منه بحيرا مرحباً ... يرجعُ فيه طرفَهُ ، ويقلبُ
يسر إلى عم النبي مناصحاً ... لهذا الذي للأمرِ يدعى ، ويطلبُ
أبا طالبٍ : حاذرْ يهود ، فإنها ... لتبحثُ عنه جهدَها ، وتنقبُ
وإن لهذا النجم فيكم لآيةٌ ... تطل على الدنيا ، فما تتحجبُ
يدينُ بها بين الورى صفوةُ الورى ... ويغشى قريشاً نورها ، فتكذبُ
لقد كذبوا المختارَ ، يابئسَ قالةً ... يروحُ بها في كل يوم معقبُ
وناصبه القومُ العداءَ ، وأفحشُوا ... له القولَ في عدوانهم ، وتألبُوا
وأحجى بهم لو ناصروه ، وآزروا ... فذلكَ أرعى للذمامِ ، وأوجبُ
ولكنهم ضلوا الطريق ، وصدَّهُم ... عن الحق لؤمٌ غادرٌ ، وتعصبُ
وأوغر صدر القوم أن محمداً ... لأمرٍ خطيرٍ مثل ذلك يندبُ
ألمْ يكُ فيهم مثله ذو رجاحة ... وما الرأي ، والدينُ الجديدُ محببُ !
لسوف يشق الأمر ان لم يبادروا ... ويقصوه عن نجوى القلوب ، ويُجنبُوا
أبو طالبٍ يدعوه : يابن أخي ، أما ... إليك سبيلٌ غير ذاك ، ومطلب ؟
إذا كنتَ تبغي الملكَ منه ، ، فعندنا ... لك الملكُ ، والجاهُ العريضُ ، ومنصبُ
فيهتفُ : ياعماهُ ، ملءَ فؤادِه ... وقد دمعتْ عيناهُ ، وهو مقطبُ
لئن وضعوا الشمسَ المنيرةَ في يدي ... وبدرُ الدجى من راحتي هو أقربُ
لما خنتُ عهدَ الله حتى أحقهُ ... فأرضى به ، أو افتديه فأعطبُ
وقد آزرَ المختار صحبٌ ، تعلموا ... على يده صدقَ الفدا ، وتأدبُوا
وكانوا كراماً من كرام ، وكلهمْ ... أشد اصطباراً في الجهادِ ، وأدأبُ
إمامي ، وهادي المسلمين ، وقبلتي ... إذا جئت استأنسي ، وبابك أرحب؟
ألي منك في يوم اصطفاق جوانحي ... مجيرٌ ، إذا ما عز أمرٌ ، ومطلبُ ؟
وهل لفؤادي نفحةٌ قُدسيةٌ ... من الحوضِ أسقى من نداهُ ، وأشربُ
إذا جئت يوم الحشر ، والناس جثمٌ ... وأنتَ علينا المشفقُ المتحدبُ
ألوذُ بظلِ المصطفى ، وجوارِه ... فآمن ما أخشى ، وما أتهيبُ
عليكَ سلامُ اللهِ ما رفَ طائرٌ ... على أيكِه ، أوَ لاحَ في الأفقِ كوكبُ.

ولقد كان الظن بمحمد الشاب الفض الاهاب أن يقنع بهذه الغنيمة المربحة من جمال خديجة وحسبها ونسبها وثرائها وترفها ، لكي يقضي حياته بجوارها فى بحر من المتع واللذائذ الحسية . لكن محمدا حتى سورة شبابه كان فوق الظنون وأكبر من كل حساب . لقد كان يجاري ــ بعزيمته ــ سوابق الاقدار وما اختارته له من طريق مرسوم : ترك خديجة لشبابها ومالها وجمالها ورفهها، واختار ما هو أعظم : حنت طبيعته السامية الى غار حراء حيث الطهارة والصفاء والهدوء والاشعاع الروحي يتألق بكل ما له من جمال ورواء .

وهناك آثر العزلة وخشونة العيش شأن الحنفاء والزهاد المتنسكين من المتباعدين عن أرجاس الوثنية وأدرانها ، وكما تحدثت عنه عائشة رضي الله عنها ، حسبما يروى لنا البخاري فى صحيحه . كان يقضى هناك الليالي ذوات العدد ، ثم يعود الى زوجه خديجة ليتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو فى غار حراء بالآيات الخمس الاول من أعظم واسمى بيان عرفته البشرية :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وتتسامع قريش بوحي النور والرحمة والهدى وسعادة الانسانية ، فيقابلون الوحى اليه صلى الله عليه وسلم بالاستغراب ثم بالتهكم والتكذيب والسخرية من هذا اليتيم الفقير « أهذا الذي يذكر آلهتكم » « لو كان خيرا ما سبقونا اليه » « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .

ثم يشفعون السخرية بالاذى المصبوب على رسول الهدى والنور وعلى المؤمنين به ، فلا تعصمهم بقعة من الارض سوى يثرب التي عرف فيها رسول البشرية حقيقة يتمه عند قبر أبيه لاول مرة فى حياته وعلى مشارفها شاهد أمه آمنة تنزلق الى مثواها الاخير . الا ما أعجب أمر القدر فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم : فى يثرب كتب أول خط فى يتمه وحرمانه من أبويه ، وبعد حوالى نصف قرن يهاجر الى يثرب حاملا رسالته العظمى ، لتكون يثرب المتواضعة بعد ذلك بقعة من أشهر بقاع الارض ، تسمى المدينة المنورة ، على ساكنها وعلى آله وأصحابه صلوات الله وسلامه ، ومن يثرب تخرج كتائب الايمان مابين مهاجرين وأنصار تحت لواء أعظم انسان عرفه الوجود ، لتحطم جيوش الكفر وتفتح دار الوثنية مكة فتحا مبينا ليعود للبيت العتيق تاريخه كله من الهدى والاشراق ولتنزل فى شأنه الآية الخالدة « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... » .

ومن المدينة التى كان اسمها يثرب ، يخرج الرسول الاعظم وحوله من حجاج البيت قرابة مائة الف . وهناك ينزل عليه ختام رسالته الخالدة « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » .

والى المدينة التي كان اسمها يثرب يعود رسول البشرية من حجة الوداع هذه ، ليشرف ثراها بجسمانه الطاهر فى بقعة متواضعة من حجرة زوجه عائشة بالقرب من قبر ابيه وقبر أمه ، كما أختار القدر الذى تحار فى فهمه العقول . اسم محمد المتواضع الذى كان فى تواضعه يكسف شموس الاكاسرة والقياصرة ، أعظم واخلد اسم عرفه التاريخ ، يسير الى اليوم على هديه خمسمائة مليون من البشر وينادى باسمه على خمسمائة ألف من المساجد والمآذن مقرونا الى اسم ربه الاعلى خمس مرات كل يوم وليلة « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور »



للشيخ أحمد الشرباصي
المدرس بجامعة الازهــر

النقود (١) هي عصب الاقتصاد ، لأنها نقطة الارتكاز التي تدور عليها مجالات كثيرة من نشاط الانسان وأعماله ، فهي وحدة للحساب ، وهي الوسيلة التى تتم بها المبادلة ، وهي الأداة المهيئة لاختزان القوة الشرائية ، ولا يتم فهم الكثير من الأمور الاقتصادية فى حياة الدولة الا اذا فهمنا وسائل التبادل ، وأسس القيم للأشياء ، وتتمثل هذه الوسائل عادة فى النقود . كما أن النقود من الوجهة التاريخية تعتبر وثائق هامة ، لما تحمل من تواريخ أو أسماء أو نقوش .

وقد كتب عن النقود فى الاسلام كاتبون كثيرون ، مثل قدامة بن جعفر ، وابن بطوطة ، والقلقشندى، كما كتب المؤرخ الاسلامي المشهور المقريزى كتابا سماه « شذور العقود فى ذكر النقود » .

والشريعة الاسلامية تهتم اهتماما كبيرا بالنقود، وتتحدث عنها فى مناسبات كثيرة من أبواب الفقه الاسلامي ، كالمهور والنفقــات وأجر الرضــاع والديات والوقف وأنواع الزكاة . وفى الفقـه الاسلامي قسم كبــير ، يسمى قســم البيــوع والمعاملات ، ويكاد يكون شطر الفقه الثانى المقابل لشطره الأول ، وهو شطر « العبادات » ، والبيوع والمعاملات تقوم فى أساسها على النقود .

وقد تحدثت الشريعة الاسلامية عن أنواع النقود وأسماء لها ومنها : ــ

---

(١) النقد فى الاصل هو تمييز الدراهم ، ثم استعملوا النقد بمعنى الاعطاء ، ثم أطلقوا الكلمة على الذهب والفضة .

١ ـ السكة . وهي النقود العربية التي تسك ـ أى تضرب ـ فى الدور الخاصة بصناعتها ، ولذلك تسمى « مسكوكات » أى مضروبات ، وقد تحتاج كلمة « السكة » الى شىء من الايضاح، وفى مقدمة ابن خلدون عبارة عنها لا بأس من ايرادها لمعرفة الأطوار التي مرت بها هذه الكلمة ، وهي : ـ

« السكة : ـ وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس ، بطابع حديد تنقش فيه صور ، أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس ، فى خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا، وان لم تقدر أشخاصها يكن التعامل بها وزنا .

ولفظ السكة كان اسما للطابع . وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل الى أثرها ، وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نقل الى القيام على ذلك ، والنظر فى استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة ، فصار علما عليها فى عرف الدول .

وهي وظيفة ضرورية للملك ، اذ بهما يتميز الخالص من البهرج بين الناس فى النقود عند المعاملات ، ويتقون فى سلامتها من الغش ، بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، وكان ملوك العجم يتخذونها ، وينقشون فيها تماثيل تكون مخصصة بها ، مثل تمثال السلطان لعهدها ، أو تمثال حصن ، أو حيوان ، أو مصنوع ، أو غير ذلك ، ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم » .

وفى لسان العرب أن السكة (بوزن العلة) حديدة قد كتب عليها ، يضرب عليها الدراهم ، وهي المنقوشة ، وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس . وقد أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين . سمى كل منهما سكة لانه طبع بالحديدة المعلمة له .

٢ ـ الدينار وهو وحدة من وحدات العملة الذهبية ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم ، حيث يقول : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا ما دمت عليه قائما » .

قيمة الدينار والدرهم

وقد قدر بعض الباحثين المعاصرين ذلك الدينار بنحو سبعة وعشرين قرشا ، ومنهم من قدره بنحو واحد وخمسين قرشا ، ولكن الأقرب الى الضبط هو أن الدينار يساوى ستين قرشا .

٣ ـ الدرهم وهو اسم لوحدة من وحدات العملة الفضية ، ويقال ان قيمته كانت سبعة أعشار الدينار . وهذا قول بعيد ، الأرجح أن أن الدرهم كان عشر الدينار ، وعلى هذا الاساس يساوى « الدرهم نحو ستة قروش . ويقول الجاحظ عن الدرهم : « الدرهم هو القطب الذى تدور عليه رحى الدنيا » وهو فيما يبدو يريد أن يبين أهمية النقد وأكثرها تداولا وهو الدرهم فى تحريك الحياة الاقتصادية . وكانوا يطلقون كلمة « النقرة » على الدراهم الفضية .

ولكن يمكن ان نفهم ـ الى جوار هذا ـ أن الدرهم كان أكثر من غيره استعمالا ، لأن أساس النقد فى المجتمع الاسلامي كان فى الغالب هو الدرهم والدينار فبهما كان يتم التبادل والتقدير والتعامل فى الدولة الاسلامية ، وعلى أساسهما تحدد الواجبات الشرعية المتعلقة بالمقادير المالية ، كالزكاة والكفارات والضرائب والمهور والنفقات والديات ... الخ .

٤ ـ الدانق وجمعه الدوانيق هو سدس الدرهم ، فتكون قيمته نحو القرش .

٥ ـ القيراط وهو نصف الدانق ، فتكون قيمته نحو نصف القرش .

٦ ـ الفلس وهو عملة نحاسية قليلة القيمة ، وهي تساوى جزءا من ثمانية وأربعين جزءا من الدرهم .

٧ ـ الورق (بكسر الراء) وهي النقود الفضية ، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، حيث يقول : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى

المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا » .

وقد أمكن معرفة مقادير هذه الأنواع من العملة والنقود ـ على وجه التقريب ـ عن طريق أوزان النقود الأثرية الاسلامية التي لا تزال باقية الى اليوم ، وفي المتحف الاسلامي بالقاهرة كثير منها . وممن عنوا بالكلام عن هذه النقود علمان من رجال الاقتصاد في الاسلام ، هما البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » والماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » كما يمكن مراجعة ما يتعلق بهذا الموضوع في كتاب « محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية » للخضري ، وكتاب « النظم الاسلامية » لحسن ابراهيم ، و « التمدن الاسلامي » لجورجي زيدان ، و « الخراج والنظم المالية في الدولة الاسلامية » لضياء الدين الريس .

مناطق

ولقد كانت الدولة الاسلامية في الماضي منقسمة الى منطقتين : المنطقة الأولى يكثر فيها التعامل بالدينار ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، كمصر والشام ، والثانية يكثر فيها التعامل بالدرهم ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، مثل العراق وما جاورها ، ويمكن أن نسمي المنطقة الأولى « منطقة الذهب » لأنها كانت تتعامل بالدينار وهو يصنع من الذهب ـ ويقابله الآن الجنيه عندنا ـ والمنطقة الأخرى« المنطقة الفضية » لأنها كانت تتعامل بالدرهم ، وهو مصنوع من الفضة ـ ويكاد يقابله الآن ربع الريال ، قطعة الخمسة القروش الفضية .

ولكن التعامل ـ مع ذلك ـ كان مقبولا بأحد النقدين في هذه المنطقة أو تلك ، ويحول الى الآخر بحسب النسبة ، وهي ما نعبر عنه اليوم بقولنا « سعر الصرف » السائد في السوق ، والذي تحدده الأحوال التجارية، دون تدخل من الحكومة .

ويلاحظ ـ كما ينص على ذلك كتاب الخراج والنظم المالية ـ أن هذه التقديرات كلها من حيث العملة في ذاتها ، ولا يدخل فيها تقدير القوة الشرائية ، فالنقود قد تكون هي هي ، ولكن تختلف القوة الشرائية بينها اختلافا كبيرا أو صغيرا ، وفي العصر الحديث نعرف جيدا معنى « التضخم النقدي » ، فاذا أردنا أن نقدر ثروات الأيام السابقة ، وقيم الاجور ، ومستويات المعيشة، فاننا لا بد أن ندخل في حسابنا مقدار « القوة الشرائية » للنقد في العهد الذي هو موضع الدراسة ، بالنسبة الى قوة شراء العملة المقابلة في العصر الحاضر وينبغي أن نلاحظ أن وزن « الدرهم » وقيمته يختلفان بسبب اختلاف الأزمنة والأمكنة والاصطلاحات ، وقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن الدرهم كان وزنه في أول الاسلام ستة دوانيق ، والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع الدرهم ، فكل عشرة دراهم بسبعة مثاقيل، والسبب في ذلك أن الدراهم كانت مختلفة عند الفرس . وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ، ومنها اثنا عشر ، ومنها عشرة ، فلما احتاج الفقهاء في الاسلام الى تقدير الدرهم أخذوا الوسط من الثلاثة ، وهو أربعة عشر قيراطا ، فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم .

الدراهم أنواع

وكذلك كانت للدراهم أنواع فمنها البغلي وهو بثمانية دوانق ، والطبرى بأربعة دوانق ، والمغربي بثلاثة دوانق ، واليمني بدانق ! . فلما كان عهد عمر اختار الأغلب في التعامل وهو البغلي واليمني وهما اثنا عشر دانقا ، فكان الدرهم ستة دوانق ، وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا ، واذا نقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهما .

وقد تحدثت المقدمة كذلك عن حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما ، وأنهما كانا مختلفين في المقادير والموازين في الآفاق والأمصار ، وأن الاجماع ـ مع هذا ـ قد انعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين على أن الدرهم الشرعي هو الذى يزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه اربعين درهما ، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار . ووزن المثقال من الذهب الخالص اثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط ، فالدرهم الذى هو سبعة أعشاره خمسون

حبة وخمسا حبة ، وهو أيضا ستة دوانق ، وكان هذا التقدير عرفيا فى بادىء الأمر ، ولما اتسعت رقعة الدولة اختلف التقدير ، وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق من نقودهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية .

* * *

والمعروف أن العرب لم يضعوا لأنفسهم نقودا خاصة بهم قبل الاسلام ، بل كانوا يتداولون فيما بينهم نقود الفرس والروم ، ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوته لم يجد الجو صالحا لتغيير النقود المتداولة لأنه كان مشغولا من أمور الدعوة الاسلامية بما هو أهم ، وكذلك كان عهد أبي بكر ، ولما جاء عمر بن الخطاب خطا خطوة نحو استقلال النقد العربي الاسلامي ، فسك دراهم على صورة الدراهم الفارسية ، ولكنه نقش عليها كلمة « الحمد لله » وكلمة « محمد رسول الله » وكلمة « لا اله الا الله وحده » .

ولما جاء عثمان بن عفان سك نقودا ونقش عليها كلمة « الله اكبر » وهكذا نرى أن المجتمع الاسلامي قد ربط بين العملة والمبادىء الدينية ، وكأنه أراد أن يبث جانبا من التعاليم الاسلامية عن طريق قطع النقود المتداولة ، أو لعله أراد أن يذكر بالمبادىء الدينية عن طريق النقود ليصونها من يستعملها ، ولا يسيء التصرف بها ، ولما جاء معاوية صنع نقودا ، ونقش عليها صورته وهو متقلد سيفه،فكره المسلمون منه ذلك العمل، وانتقدوه لأنه يدل على حب الذات والميل للشهرة ، ويروى أن أحد الجنود قال لمعاوية عند ذلك « انا وجدنا ضربك للنقود شر ضرب » فهدده معاوية ، ومرت الأيام تباعا ، وجاء الحجاج بن يوسف الثقفي فى العهد الأموى فكتب اسمه على بعض الدراهم مقلدا معاوية .

ويروى أن عبد الله بن الزبير هو أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكتب على وجه منهما « محمد رسول الله » وعلى الوجه الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » وكان المضروب مما سبق ذكره شيئا قليلا ، لم يعم التعامل به ، ولم ينهض على مقياس محقق ثابت ، وكان فوق هذا تقليد للمضروب فى بلاد فارس والروم .

تعريب العملة

ولذلك يقرر المؤرخون أن أول من عرب النقود فى المجتمع الاسلامي بصفة عامة هو عبد الملك بن مروان ، وبعد أن صنع نقودا عربية كاملة ، وطرحها للتداول بين الناس ، جمع ما فى الاسواق الاسلامية من نقود أجنبية ، وأعاد صياغتها .

وأخذت النقود تتطور فى عهد عبد الملك من ناحية الأحجام والأشكال والكتابة . فصار يكتب عليها مثلا من جهة هذه العبارات « لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، و « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وبعضها يكتب عليه اسم الله . ويكتب عليها من الجهة الاخرى ما يشير الى تاريخ السك ، مثل « بسم الله ، ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين » ثم هذا النص « الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد » .

ويقول ابن خلدون فى التنويه بالمجهود الذى قام به عبد الملك فى تعريب النقود وصيانتها « ان الغش كان قد تفاحش فى الدنانير والدراهم الى أن جاء عبد الملك وأمر بطبع العملة » وقد جاء فى كتاب « الخراج فى الدولة الاسلامية » فيما يتعلق بعهد عبد الملك بن مروان من الناحية المالية والنقدية ما يلي : ـ

« عادت الى الدولة وحدتها السياسية ـ اذا استثنينا فئة قليلة ـ فى عام ٧٤ هـ ، وقد شعرت الدولة اذ ذاك أنها ـ وقد أنهكت قواها الحرب ، وساءت حالتها المادية والمعنوية ، ولا سيما فى العراق الذى كان المسرح الأول للحوادث أنها لا بد أن تبدأ عهدا من البناء والتعمير ، لذا فان سلسلة من الاجراءات اتخذت ، فيما بقي من عهد عبد الملك، وفى عهدى الوليد وسليمان أيضا ، كان القصد الظاهر منها علاج الحالة المالية السيئة ، وزيادة موارد الخزينة .

ويمكن اذن اعتبار هذا العهد ـ ما دام له طابع عام يميزه ـ وحدة قائمة بذاتها ، وهو يمتد نحو ربع قرن (٧٤ ـ ٩٩ هـ) ، الى أن يلي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، فتكون له سياسة خاصة ، ولنأخذ الآن فى بيان هذه الاجراءات .

البقية فى العدد القادم

سيرة النبي

دع البيد ترو الحادثات وتُعْـــرِبِ ... وتخْبرك عما كان من مَجْدٍ يَعْرُبِ
وللبيد أنظارٌ تُقَلبُ في المَـــدَى ... على سَبْسَبٍ أرْخَى العِنَانَ لِسَبْسَبِ
مسارحُ للأرواح لاحَتْ شُخُوصُها ... كَمَا لاحَ في التمثيلِ أشخاصُ مَلْعَبِ
رمالٌ أحسَّتْ كُلَّ رَكْبٍ على السُّرى ... فزادَتْ دُجَى السَّارِين فيهَابغَيْهَبِ
هِيَ البَحْرُ والأمواجُ كُثْبَانُهَا التي ... تُقَابِلُهَا الأرياحُ شَرْقًا لِمَغْـــرِبِ
على جَمْرِهَا الظَمْـآن مَدَّ بِطَرفِه ... فَكَحَّلَ عَيْنَيْهِ السرَابُ بِمَشْرَبِ
قَوافِلُ جَازَتْهَا وللعيسِ هـــزَّةٌ ... بأجْرَاسِهَا تُغْرِي الحُدَاةَ بِمُطْرِبِ
وصوتُ الحُدَاءِ الحُلْو يَعْلُوبهالصَّدَى ... ويذهب في تَضْعِيفِهِ ألْفَ مَذْهَبِ

★ ★ ★

من البيدِ بيدِ العُرْبِ هَبَّتْ أزاهـــرٌ ... فَوَاعَجَبِي لِلرَّمْلِ يأتي بمعجـــب
هي العبقريات اللواتي تـــلألأت ... وهَانَ لَهَا في الدَّهْرِ أصْعَبُ مَطْلَبِ
تَرَاخَتْ لَهَا في الجَاهِلِيَّةِ أعْهُـــد ... وَقَدْ أطْلَعَتْ آفَاقُهَا كُل كَوْكَبِ
ولكنَّ نوراً سَاطِعاً فَاقَ في العُلَى ... وَسَدَّ شِهَابَ الشَّمْسِ منه بأشْهُبِ
أفديه في عقبي الزمان تولهـــــا ... ولو جئتـه فَدَّيـــت بالأم والأب
أتى القومَ بالدين الحنيفِ فَهَالَهُـــمْ ... وَثَارُوا بِهِ مِنْ جَاحِدٍ وَمُكَـــذِّبِ
وَهمُّوا بِهِ كَيْ يَقْتُلُوه فأجْمَعُوا ... لَهُ الحَنْفَ وازْدَادوا شقيًّا بالتألـــب
رأى الصَّحْبَ نَزْرا والليالي حَوَالَكاً ... ولا سَيْفَ يَعْتَامُ العُدَاةَ بِمُرْهَبِ
فَفَارَقَ أهْلاً وَهو يَصْبُو لِمَكَّةَ ... وَمَا كَانَ في هَجْرِ الديَارِ بِمُذْنِبِ
وَلكِنَّهَا الأوْطَانُ تَقْسُو عَلَى الفتَى ... فَيَهْجُرُهَا لا عَنْ قِلىً وتَجَنُّـــبِ
ذَوُو المرء حُسَّادُهُ يُصْلُونَهُ الأذى ... ويصمونَهُ سَهْماً عَلَى كُل مَنْكِبِ
وَكَمْ من غَرِيبٍ شَاحِطِ الدَّارِ واجِدٍ ... عَلَى النَّأي مَن يَهْفُو له بالتَّقَرُّبِ
كَذَلِك جَدُّ المُصْطَفَى كان غُرْبَةً ... فَسَارَ بِطَرْفٍ دَامِعٍ نَحْوَ يثرب
وَكَانَ لَهُ الصديقُ أمْناً وَرَاحَـــةً ... لَدُنْ لَجَا في جَوْفِ غَارٍ مُحَجَّبِ

للدكتور زكي المحاسني
دمشق

إليك رسولَ الله جاءتْ مُطيعَـــةً ... ذُرَى الأوْسِ تشأوا خزرجا بالترحب
وجاء حسانُ الذى لَمْلَم الهَـوَى ... فَأولاكَ مِنْ شعْرِ المديـح بأعْذَب
هِيَ الهجرةُ ازْدَدْتَ الثبَاتَ بأَهْلِهَا ... وكم فيهمُومن فَارِسِ الحَرْبِ أغْلَب
فَحَطُّوا عَلَى هَامِ الحِرَابِ نفُوسَهُم ... وَرُحْتَ بِهِمْ تَغْزُو قريشا بأحـرب
فَلَلْتَ جُمُوعَ المُبْطِلِينَ وشَمْلَهُم ... وَأتْبَعْتَ فِي آثَارِهِمْ بالتعقُّـب
إلى أنْ أتاكَ النصرُ واللهُ حـارسٌ ... أخَا الحق في البَلْـوَى وغيرَ مُخَيَّب
فحف بك الفتحُ المبـينُ لمكـة ... وقد جَاءَهَا جيشُ الخلاص بِصَيِّب
وعدْتَ إلى دارٍ وَكَانَتْ حَبِيبَـةً ... إليكَ عَلَى رَغْمِ الأسَى والتَّعَـذب
فَغَنَّتْ نِسَاء بالثنيات فَرْحَـةً ... يُلَوِّحْنَ بِشْراً بالبـنانِ المُخضب

★ ★ ★

وحينَ أتمَّ اللهُ نُعْمَاهُ راضيـاً ... بدينٍ قويمٍ للأنام مُهَـذَّب
حَجَجْتَ وداعاً تملأ العينَ دمعـةً ... وبتَّ لِلُقْيَانِ النوَى بالترقُّب
وَبَاتَتْ لِمَنْأكَ النفوسُ جوَازعـاً ... تُنَادِيكَ . إنْ تَهْمُم على البَيْنِ فاصْحب
فكان وفَا الأنصارِ قَبْرُكَ عندهُم ... فَطَابَ ثَرَاهُمْ من تَجَالِيدِ أطْيَب

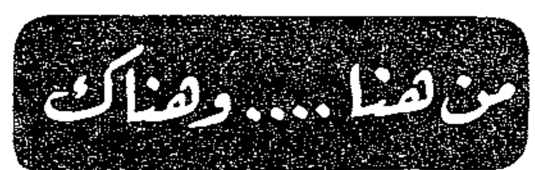
★ ★ ★

أرَى المسلمينَ اليومَ ضَلُّوا عن الهُدَى ... وَقَدْ أمْعَنُوا من غَيِّهِمْ بالتنكُّب
فَكَمْ منهمو مَنْ للشريعَةِ يَجْتَوِى ... وَكَمْ عِنْدَهُم من لِلضَلالَةِ يَجتَبِي
وَرُبَّ أخي زُهْدٍ تَزَمَّتَ وادَّعَـى ... وفي ثَوْبِهِ شَيْطَانُ دُنْيَاهُ يَختبي
أيَكْسِب باسْمِ الدين مالاً ، وجَارُهُ ... يُقَضِّي على الويْلاتِ ليلاتِ مُتْرب
وَكَمْ مِنْ فَتًى وَلَّى عن الرُّشْدِ مُعْرِضا ... وحُجَّتُهُ كرهٌ لأهْـلِ التعَصُّب
تَسَامَحْ فَقَدْ كانَ الرسولُ مُسَامِحاً ... وَسَهِّلْ لَهُ في الدين يُقْبِلْ ويَرْغَب

★ ★ ★

إذَا شئْتَ لِلإسْلاَمِ بَعْثاً وَرَجْعَةً ... وَتُبْقِتَ لأيام العُلَـى وَالتوثُّب
فَخذْ شرْعَةَ القرآنِ واحْكُم بِعَدْلِهَا ... ولا تَتَّخِـذْ هَدْياً سوى سيرة النبي





يكتبها : الاستاذ ع. النمر

لا تجعلنا فتنـــة

آية من القرآن الكريم كلما وصلت اليها فى تلاوتى او سمعتها ، وقفت عندها طويلا أتأملها على ضـــوء واقعنا الذى نعيشه ، وازددت فى ضراعتى الى الله وانا أتلوها ، « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفــر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم » .. انها دعـــاء ولكنه ليس دعاء مجردا بل دعاء يقتضي جهدا فـــي التزام تعاليم الاسلام ، والتأدب بآدابه ، والتحلى بأخلاقه ، حتى يكون المسلم صورة طيبة مشرقة . مثالا فى كل قول يقوله ، وفى أى عمل يعمله ... وبذلك يكون صورة مجسمة للاسلام ويصبح دعاية طيبة له .. يجذب الناس اليه بقوله وسلوكه .... وهذه هي غاية التوفيق .

على أن الصورة المقابلة لها صورة كريهة .. انسان ينتسب الى الاسلام : ولكنه يتحلل من آدابه وتعاليمه .. فلا يؤدى فريضة، أو يؤديها، ولكنه يغش ويكذب ويحقد ويثير المشاكل بين الناس ويذكى العداوات فيما بينهم ، أو يتعامل بالربا ويسعى فى انزال الضرر بمن حوله أو تحت يده .. أو ينهش أعراض الناس ويشيع عنهم قالة السوء .. مثل هذا المسلم سبة وعار على الاسلام .. لا سيما اذا كان ممن يتحدثون عن الدين ويظهرون الغيرة عليه .. انه صورة كريهة منفرة من الاسلام أمام الذين لا يعرفون حقائقــه ، وحائلا بينهم وبين الاقبال عليه .. بل ويحمل ضعاف الايمان على ترك الاسلام أو التهاون فى التزام تعاليمه ، وهو بسلوكه السيء ينفر الناس من الاستماع للدعاة والعلماء ، ومن قبول دعوتهم ونصحهم أو الالتفاف حولهم ومن اجل هذا علمنا الله ، أن ندعو هذه الدعوة ونربط قلوبنا بها ونشكل أعمالنا على ضوئها « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » لا تجعلنا بأعمالنا وأقوالنا صورة سيئة للاسلام ودعاية ضارة له ، تحول بينه وبين اقبال الناس عليه وتقبلهم دعوتــه والاقتنـــاع بهديه وأثره فى النفوس ..

والمسلمون الاول اتخذوا هذا الدعاء بما يجسمه من عمل برنامج حياتهم وضابط سلوكهم ، فكانـــوا هداية متنقلة أينما ساروا ودعاية طيبة له أينما حلوا، فأقبلت الملايين على الاسلام لحبهم للمسلمين وتقديرهم لأخلاقهم فى المعاملة . لقد كانوا يعملون كثيرا ويتكلمون قليلا .. وكان غير المسلمين يجدون فيهم الراحـــة

النفسية فيطمئنون اليهم ويحبونهم ثم يشاركونهم دينهم وعقيدتهم .. وكان هذا سببا مباشرا في أن الذين دخلوا الاسلام في البلاد التي لم تذهب اليها جيوش المسلمين أكثر من المسلمين الذين دخلت الجيوش بلادهم وحتى الذين دخلت الجيوش بلادهم لم ترغمهم هذه الجيوش على اعتناق الاسلام بل كان سلوك المسلمين هو الذي جذبهم اليه ..

والآن يكثر كلامنا عن الاسلام وفضائله . والكلام لا شك فيه خير .. ولكن كثيرا ما يضيع هذا الخير أمام السلوك السيء للذين يتحدثون ، وعدم التزامهم بما يقولون .. انهم حينئذ يأتون بنتيجة عكسية ويجنون على الاسلام وينفرون الناس منه .. لقد أصبحنا امة كلام وخطب ومقالات ، اما العمل أما القدوة الطيبة فهذا هو الذي ينقصنا .

لقد سئم الناس كثرة الكلام وأصبحوا ظامئين الى العمل والى القدوة ..

اقول هذا الكلام لي قبل أن أقوله لغيري ،وأدعو الله من أعماق قلبي « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ».

منطق عجيب !!

كاتب في صحيفة بيروتية كتب ــ ونحن في لفحات الذكرى الاليمة ــ يستعرض موقف الغرب في حماسته لتأييد اسرائيل ومساعدتها .. ثم يقول « وفي ذلك دليل على مدى الخطأ الذي وقعت فيه وما زالت تقع فيه السياسات العربية .. الخ » وأنا لست من المتلقين السياسيين ولكن لي عقلا وضميرا أزن بهما الحوادث وأزن الكلام .. هل السياسات العربية هي التي جعلت الغرب متحمسا دائما لاسرائيل ؟ ! هل كانت السياسات العربية والساسة العرب ضد الغرب حينما أوجد اسرائيل سنة ١٩٤٨ ودعمها بكل قواه ؟! ألم يذرف الساسة العرب الدموع وهم واقفون طويلا أمام أبواب الغرب ، يستجدون العدل والانصاف ؟! . فهل شفع لهم كل هذا التذلل في أن يجدوا عدلا أو انصافا أو حتى حيادا من دول الغرب ؟ !

فماذا يطلب الكاتب (العربي !!) من العرب بعد كل هذا ؟ هل يطلب منهم أن يركعوا دائما أمام الغرب ويقبلوا اليد التي تلطمهم وتجز رقابهم ؟!! أو أن منطق الكرامة ، المنطق الطبيعي لكل انسان أو شعب يشعر بكرامته أن يغضب ويثور ويقطع هذه اليد أو على الاقل يزيحها عنه ؟

كيف يلام العرب بعد كل هذه السنين التي وقفوها على أبواب الغرب يستجدون الانصاف حتى يئسوا ؟..!. كيف يلامون اذا قالوا للمخطىء أنت مخطىء ، وأخذوا يبحثون عمن يساعدهم في محنتهم وهذا لضعف الايمان ؟

كان أحد البكوات الاغنياء ظالما متجبرا ، وكان يستمتع باذلال الفلاحين وضربهم بالكرباج ..

والفلاحون لا يستطيعون أن يرفعوا اصواتهم بالشكوى أو الانين ، والا اشتد في ضربهم .. وكان لا يكف عن قسوته الا اذا تلذذ سمعه بمظاهر الذلة منهم ، فتعلم الفلاحون أن يقولوا له كلما ضربهم : « ضربك شرف لي يا سعادة البيه » .. فكيف عن ضربهم ، ولكن مؤقتا حتى تعاوده شهوة اذلالهم ..

فهل يراد من العرب الامجاد أن يمثلوا باستمرار مع الغرب دور الفلاحين ؟ !!!

حقا اذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أو فقل ما شئت ..

حيدر بامات

مجاهد إسلامي فقدناه

في الحادي والثلاثين من مارس سنة ١٩٦٥ توفي فجأة في باريس ، أحد الشخصيات الاسلامية الفذة في العالم الاسلامي المعاصر ، هو الدكتور حيدر بامات . ومما يؤسف له أن نشير الى أن نبأ وفاته لم يلق كبير اهتمام من قبل الدوائر الاسلامية ، وذلك بسبب الفوضى القائمة في تلك الآونة . من أجل هذا يجب ألا نسمح لمزيد من التأخير للاحتفاء بذكرى ذلك العلم الجليل الذي عاش طول عمره متمسكا بتعاليم الاسلام، كما كان مجاهدا لا يني من أجل رفاهية المسلمين في كافة أنحاء العالم . فقد جاهد طوال الفترة الاولى من حياته بشجاعة نادرة من أجل صد العدوان ، ولانقاذ الاسلام في شمال القوقاز ، موطنه الأصلي، من ظلم الغزاة القياصرة والبلاشفة من بعدهم . وكانت البقية من حياته ـ أكثر من ٤٠ عاما ـ في خدمة القضايا الاسلامية عن طريق الكتابة ، والقاء



المحاضرات ومساندة الحركات التي كانت تعمل لصون مبادىء الاسلام والتراث الاسلامي .

بقلم الدكتور زكي علي
(جنيف)

ولد حيدر بامات في الثالث من نوفمبر ١٨٩٠ م في بلدة تامر خان شورا الواقعة شمال القوقاز . ومات أبوه وهو ما يزال صبيا فربته أمه ، تلك المرأة التقية الكريمة المستقيمة التي تعهدته بتربية اسلامية شاملة . كما انحدر من الجنس الداغستاني ، الذى يتصف بالكرامة والخشونة والوعي ، وهو شعب مسلم يعيش فوق الجبال متمسك بالاسلام وسننه الصحيحة . وهنا ترد في خاطرى كلمات المارشال سولت الذى قال في عام ١٨٤٣ : هناك ثلاثة رجال على قيد الحياة اليوم ، يمكن أن نطلق عليهم « عظماء » وهم جميعا مسلمون : عبد القادر (الجزائرى) ومحمد علي (المصري) وشامل (القوقازي) ففي ذلك الحين كانت روسيا القيصرية تبذل محاولات للتوسع الاستعمارى جنوبا . وظل المسلمون في شمال القوقاز لمدة قرن كامل (١٧٦٠ — ١٨٦٠) يقاومون بكل عنف المهاجمين من السلاف . واستمر زعيمهم الامام شامل لمدة ٢٥ سنة يجاهد ببسالة فائقة الغزاة الروس دون وجل ، حتى استطاع أن يوقف زحف جيوشهم عند الخليج . وأخيرا سحقت المقاومة الاسلامية تبعا لقوة الروس الهائلة وامكانياتهم المادية ، وأسر شامل عام ١٨٥٩ . وقد تم اخضاع شمال القوقاز عام ١٨٦٤ عندما استولت روسيا على سيركاسيا ، ونزعت كل مظاهر القوة من أيدى المسلمين ، وكان نصيب هذه المأساة أن تتكرر للمرة الثانية بعد حوالي نصف قرن من الزمان .

درس حيدر بامات القانون ونال اجازة الدكتوراة من جامعة القديس بترسبيرج . ولما كانت داغستان موطنه الأصلي ، مركز ثقافة اسلامية فقد درس حيدر العلوم الاسلامية واللغة العربية .

وكانت مبادىء الأخوة والتضامن والحرية دائما أحب الأشياء الى نفسه . كما كانت ذكرى حروب الاستقلال التي قام بدور البطولة فيها الامام شامل تثير الحماس في قلب حيدر .

ثم قامت الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ فكانت فرصة سانحة أمام شعوب بلاد القوقاز ، لكي يؤكدوا حقهم في الحرية ، وذلك بمحاولة الانفصال عن روسيا ، واقامة دولة مستقلة . فقام الداغستانيون على وجه الخصوص بثورة وطنية جديدة ، كانت هذه المرة تحت قيادة حيدر بامات الذى أثبت أنه خير خلف للامام شامل . فجاهد ضد المستبدين الروس ببسالة بفضل قوة شخصيته وتمتعه بكثير من المواهب .

وفي مايو عام ١٩١٨ قامت أربع جمهوريات مستقلة منها جمهوريتان مسيحيتان هما :

أرمينا وجورجيا ، وأخريان مسلمتان هما : (آذربيجان وجمهورية شمال القوقاز أى (داغستان وسيركاسيا) . .

وفي يونيو ١٩١٨ كان حيدر بامات رئيس وزراء ووزير خارجية في جمهورية شمال القوقاز ، فعقد معاهدة صداقة مع أقرب بلد اسلامي هو تركيا التي كانت مقرا للخلافة حينئذ . ولم يكن بد لدولة شمال القوقاز بصفة خاصة أن تجاهد من أجل الحصول على استقلالها ، وذلك ضد جيوش روسيا البيضاء التابعة للثورة المضادة ، والتي كانت تهدف الى اعادة الامبراطورية القيصرية،



كما كان عليهـا أن تجاهد الشـيوعيين الذين تمكنوا فى النهاية مـن اخضـاع المناطق الثائرة ، بعد أن بذلوا لها الوعود الكاذبة من منح الحريـة والاسـتقلال ووضعوها تحت نير أشد وطأة من ذلك الذى قاست مرارته زمن القياصرة .

وفى عام ١٩٢١ عادت القوقاز باكملها مرة ثانية تحت سيطرة روسيا البلشفية . لذلك قام أعضاء الحكومـات الوطنيـة لجمهوريات القوقاز وتبعهـم عدد مـن المواطنين بالهجرة الى فرنسا (باريس) حيث جاهدوا من أجل نيل الاسـتقلال والحرية لبلادهم . ومنذ ذلك الحـين عاش « حيدر بامات » فى المنفى كزعيم لحركة التحرير من أجل وطنه . فأخذ يحض مسلمي القوقاز على الاسـتعانة بجيرانهم من جهة الجنوب والشرق وهم تركيا والدول العربية وايران وافغانسـتان، وهذه الدول كانت تعتبر نفسـها حليفة طبيعية لاخوتها القوقازيين . وفى عـام ١٩٢٩ الف حيدر بامـات كتابا باللغـة الفرنسـية حول هذا الموضوع كله سماه « القوقاز والثورة الروسية » . وأهم ما كانت تنشره حركة التحرير مجلة شهرية هي « القوقاز » التي كانت تنشر باللغة الفرنسية والالمانية والروسية والجورجية والارمنية ، وكذلك باللغة التركية مـن وقت لآخر تحت عناوين مختلفة .

وفى عام ١٩٢٢ اجتمع حيدر بامات بالملك نادر شاه الذى منحه الجنسـية الافغانية تقديرا لشهامته واعترافا بحنكته السياسية . والواقع أن سـمو خلقـه وبروز شخصيته، وسعة اطلاعه ومواهبه الرفيعة قد اكسبته الاحترام من كافـة الجهات الاسلامية . وحين اعتزل الحياة السياسية اثناء الحرب العالمية الثانيـة قرر أن يؤلـف عن الاسـلام والعالـم الاسلامي كتابا كما عينته الحكومة الافغانية فى الوقت ذاته سـفيرا مفوضـا لهـا فى سويسرا . فشغل هذا المنصب فى العاصمة السويسرية (برن) عدة سنوات وكـان موضع احترام وتقدير من جميع أفـراد الدوائر الدبلوماسية الدولية .

وانه ليسعدني أن كنت صديقه الحميم زهاء ٢٠ عاما تقريبا ، حيث رأيته عـدة مـرات فى (جنيـف) كما شـاهدته فى مناسبات شتى فى (لوزان) حيث أقام عدة سنوات ، ثم بعد ذلـك حـين قدم اليها لأسباب صحية . وكنت أحمـل دائما من محادثاتي معه ذكريات لا تنسى، يشيع فيها عطفه ونزاهته وعلمه وحكمته وتقواه . فقد كان يبعث فى حديثه على الفور جوا من الهدوء والسكينة . كما كان يبدى دائما اهتماما بالغا بأوضاع المسلمين ، الذين كانت مصالحهم تشغل جل تفكيره وانتباهه . وكانت أحكامـه التي يصدرهـا على النـاس والأحداث سليمة متزنة . وبقي طوال عمره ثابتـا مخلص الولاء للتصور والتراث الاسلامي . كما كان شديد التمسك بالرابطة الروحية التي تجمع المسلمين فى ظل أمة عظيمـة من المؤمنين . فكان احساسه بالأخـوة الاسلامية قوة دافعة فى حياته كمجاهد من أجل الحرية أولا ، كما كانت حافزا له كسياسي دبلوماسي وعالـم ومؤرخ ومفكر بعد ذلك . وقد احتلت الصـلاة وتدبر معاني القرآن الكريم مكان الصدارة فى حياته الروحية . وعندمـا أخـذت صحته فى التدهور اضطر أن يسـتقيل من منصبه الدبلوماسي فى «برن» وينتقل الى « باريس » حيث عاش حتى وافته منيته .

مؤلفاتـه

صدر أعظـم مؤلـف للدكتور حيدر بامات باللغة الفرنسية التي كان يجيدها اجادة تامة . فقد نشر كتابا فى عام ١٩٤٦

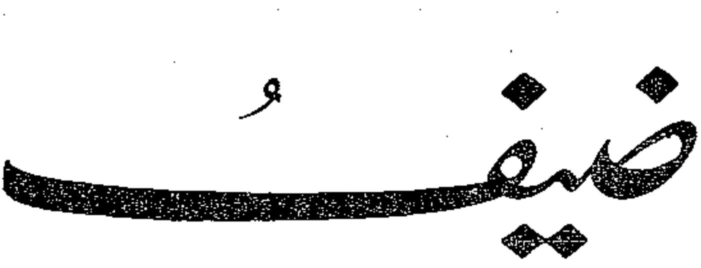
بعنوان ((معالم الاسلام)) نقله الى اللغة العربية المترجم القدير المرحوم ((محمد عادل زعيتر)) فى الوقت الذى كانت تعد فيه طبعة أخرى باللغة التركية . كما تم نشر طبعة أخرى منقحة ومزيدة عام ١٩٥٨ (والناشر بايوت لوزان وباريس). وفى هذا الكتاب الشامل يكشف حيدر بامات نفسه كعالم ومؤلف مسلم يكتب بأسلوب رفيع واضح يزود القراء ببيان ممتاز لمبادىء الاسلام كدين ، وبأهم الصفات وخصائص التصور التي تميز المجتمع المسلم . كما يناقش قضية التوسع الاسلامي ، ويبين المفاخر النفيسة للحضارة الاسلامية ، ودور المسلمين فى الحضارة العالمية بصفة عامة . وقد نشر طبعة موسعةمن الفصل الخاص بالحضارة الاسلامية عام ١٩٦٢ سماه((دور المسلمين فى الحضارة الغربية)) وفيه يقوم المؤلف بدراسة مفصلة للأدب الاسلامي (وعلى وجه الخصوص الأدب العربي والتركي والفارسي) والفنون والفلسفة الاسلامية . وهو يركز اهتمامه فى الاشارة الى حركات الاصلاح ،والاحياء الاسلامية . كما ينظر الى التاريخ الاسلامي كقوة حية لها أبلغ الأثر فى الصورة الجديدة للحضارة الاسلامية . كما يستعرض الأحداث المعاصرة ، والتطورات الملحوظة فى النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وكذلك يستعرض التغيرات التي طرأت فى كل من الأقطار الاسلامية . وبصفته داعية سلام بالضرورة يوجه نداء أخيرا يدعو فيه الى مزيد من التفاهم والتقارب بين الشرق الاسلامي ، الذى تلعب شعوبه دورا هائلا فى العالم الحديث وبين الغرب المسيحي .

وباختصار فان كتاب «معالم الاسلام» مؤلف قيم يحتل مكانة مرموقة فى كافة المكتبات الاسلامية . وكان المؤلف يعد طبعة ثالثة ــ للجيب ــ يتوسع فيها فى الفصل الخاص بالتطورات الحديثة التي حدثت فى العالم الاسلامي ويجدد الكتاب كله . وكان المقصود منها أن تصبح فى متناول كل من الجماهير المسلمة والقارىء الغربي . وقد انتهى اعداد كتاب عن تركيا ، ركز اهتمامه فيه حول ابراز الشعور الديني الصادق فى حياة الشعب التركي ، وهو الشعور الذى أدى الى عظمة الحضارة العثمانية . واستمر هذا الشعور ، فى رأى حيدر بامات يلعب دورا أساسيا فى الحفاظ على حيوية الشعب التركي وسر بقائه بعيدا عن تغير أشكال الحكم .

وأخيرا فكر حيدر فى كتابة مؤلف عن الجامعة الاسلامية ، كان يريد ان يبين فيه صلاحية المبادىء الاسلامية الكبرى للتطبيق فى حياة الدول والمجتمعات الحديثة . وكان أساس نظريته السياسية يرتكز على دعامتين هما الاسلام والفيدرالية . وهما أساس فكرته حول امكانية اقامة نظام جامعة الشعوب الاسلامية . ولكن حيدر بامات الذى كانت صحته تتدهور بسرعة توفى مع الأسف قبل الانتهاء من مسودة كتابه القيم . ففي الفترة الأخيرة من حياته كان يقضي يومه بين الكتابة والتأمل الهادىء والصلاة .

وهكذا قضى ذلك الرجل الذى فقد فيه المسلمون عقلا موجها للعالم الاسلامي وشخصية فذة من شخصياته. ويا حبذا لو اتخذ الشباب المسلم شخصية هذا البطل قدوة يسيرون على نهجها .





بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

خواطر كثيرة متلاطمة ، وافكار جمة طاحنة ، ومشاعر متباينة ضارية .. تجيش كلها وتضطرب بعنف عنيف فى صدر ذلك الرجل الذى احدقت به الآلام ، وتناوشته الهموم والمرارات .

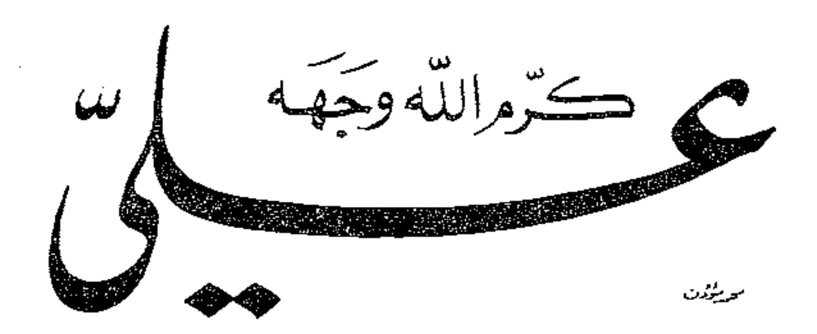
ان شيئا ما يضج فى داخله ان « ليس هكذا خلق العالم ليكون » .. ثمة « نور » لا بد وان ينبثق .قطعا هناك (شعاع فجر) لا ريب سيشرق اشراقة الوليد ميمون الطالع ، من دياجير الظلمة الثقيلة الكابية المؤسية ... لينبىء بالتحول ... وليعلن . الميلاد .

ولا شك أن تلك الأحاسيس الجياشة كان مبعثها ما أشيع من أنباء عن ظهور « نبى » عظيم بارض مكة ... الا أن الصورة لم تكن ـ بعد ـ قد اكتملت فى مخيلة ذلك الرجل المهموم من قبيلة غفار .. لقد كابد الكثير من صلف السادة ، وطغيان الكبار ، وتفاهة الصغار وضحالتهم .. وثارت نفسه الأبية كثيرا فى وجه صور الظلم الصارخة بالوضاعة والخسة ... وانتابته فى كثير من الاحايين نوبات من اليأس الكالح ، وهو يتلفت من حوله عن يمين وشمال فاذا الحلوكة تتكاثف ، واذا ابواب الامل تغلق مصاريعها بقسوة فى وجهه ، الواحد وراء الآخر .

لكن كان هناك ـ دائما ـ ثمة (خيط رفيع) من شعاعات الامل ظل وحده يضىء قلبه ... ويؤكد ـ همسا واهنا خافتا ـ فى وجدانه ان . (ما خلق العالم ـ حقا ليكون هكذا .. وان لا بد من فجر مؤكد) بعد ذلك الليل البهيم الطويل .. ثم كان ما تواتر من اخبار (محمد) صلى الله عليه وسلم . قيل له ان نبيا عربيا ظهر فى مكة يدعو الى اله واحد أعلى ليس له من شريك ، .. فلا (هبل) ولا (لات) ولا (عزى) .. وانه يقول كلاما حلو المذاق عظيم الوقع فى القلوب والاذان ، موسيقى الجرس نفيس المعنى ، يسميه قرآنا ، ويتنزل عليه من الخالق الاعظم .

وتلك كانت بوادر التفاؤل بتحقيق الامل الغالي الذى ظل يحلم به (ابو ذر) طويلا . لكم كان يحلم من قبل ـ مجرد احلام ـ بان يسمو المجتمع العربي ، بدلا من ان يظل كما هو آنذاك . فى انحدار مطرد مريع الى مهاو سحيقة من البوار ... فالاخلاق فى انحلال يتزايد يوما بعد يوم .. والذمم تتسع وتتراخى ، والروابط تنفصم وتتهتك عراها ، والتقاليد تسف وتزداد اسفافا ، وباطراد ... ترى .. هل آن أن يتحقق حلمه العريض على يدى هذا الداعية الجديد الذى يحكون عنه ؟ ؟ .

كان (ابو ذر) عربيا اصيلا ، شريف النفس صافى الجبلة ، لم تدنسه اوضار الجاهلية واوحالها من حوله ... ومن ثم فهو يصبو الى عدالة انظف ، والى مستوى من العيش اسمى واكرم .. لم يكن فى قرارة نفسه يؤمن بجدوى الخشوع الابله امام (اصنام حجرية) لا تملك لذواتها ضرا ولا نفعا .. وما كان قط راضيا عن عربدة القوم ومجونهم ، وانتهاكهم الحرمات ، واتجارهم فى الرقيق، ووأدهم البنات ، وما الى ذلك مما صار آنئذ « سلوكا عاديا عاما » لا يثير لدى احد ـ غير ابى ذر ـ ادنى الاستنكار ، بلْه الاستغراب .. لكن (ابا ذر) لم يكن عاديا ... كانت اعماقه النقية تطفح بأمل مبهم كبير ، فى (تحسين شامل) منتظر وكان فكره دائم الاهتزاز بما يمر فيه من آراء ، وما يتلاطم من افكار غامضة حيرى ، تموج وتفور .. ولكنها لا تتبلور ابدا عن (قواعد) محددة ، و (دساتير) واضحة ، فى امكانها ان ترسم لمجتمعه الذاوى المنهار سبيلا اقوم .. فكيف يتم له ما يريد ؟ هو نفسه لم يكن يدرى ؟ .



وشغلت هذه الدوامة الخفية العاتية (أبا ذر) فلم ينتبه الى أنه قد توغل فى الصحراء بعيدا عن حدود قبيلته (غفار) . وبينما هو يراجع نفسه ، مستغرقا واياها فى حوار صامت ، وجدل رهيب لكنه مكتوم يحتدم أواره تحت (السطح) ، لا يسمع ، ولا تبين له على القسمات آثارا ، ابصر باعرابيين يمرحان معا وهما يتبادلان من فوق اثنين من الابل . حوارا مسموعا ...

وثمة كلمة حلوة الصدى ، صافحت أذنى (أبى ذر) فجعلته يرهف السمع ويتوارى خلف كثيب عال من الرمل ، يتسمع ما يقول الاعرابيان المقبلان فى طريق القوافل العائدة من مكة ... وكانت الكلمة العذبة هي بدء ما ترامى اليه من الحديث ..

محمد ... نعم ، هذا هو اسمه .

لكن .. احق ان يقتنع (الطفيل) هكذا سراعا كما يقول ؟ .

ذلك ما كان ... ان هي الا كلمات حدثه بها (محمد) عن دينه ، وتعاليمه ، وسطور قرآها له من .. من ال .. ذلك ال .

القرآن . أنى أنا ايضا احفظ اليسير منه ، لكنى اكتم ذلك عن القوم .

اجل .. وعلى الفور آمن به (الطفيل بن عمرو) واعلن انه اسلم ، وصار يتبع دين محمد .

الطفيل . ؟ .. سيد القبيلة .. اى مغنم لمحمد ، واى كسب لدينه .

ليت ذلك فحسب ، والا لهان الأمر بعض الشيء ... أما أتاك ان الطفيل لما عاد الى قومه انشأ يزين الاسلام لآله وبنى قبيلته ، فآمن كثيرون مثله ، وكان اول من اسلم أبوه وزوجه ، حتى بلغ عدد المسلمين فى القبيلة سبعين رجلا وامرأة ..

واللات ، ان هذا لشيء عجيب ..

ان مكة كلها ترتج لهذا ال ...

وكادت رأس أبى ذر ــ وهي تشب الى امام ــ ان تنفرس كلها فى كثيب الرمال ، تتبعا لبقية المحاورة التي انداحت اواخرها فى رحاب الصحراء الساجية بابتعاد ذينك الاعرابيين ، حتى لقد ود لو انه مضى وراءهما خببا يستكمل البقية ، و (يستجدى) استجداء ان يجيباه بما يشفى الغليل ، ويشبع الفضول من نهاية القصة وتتمة الفصول .

وسرعان ما نصب قامته ... وراح يلقى نظرة ملؤها الازدراء على ربوع (غفار) وفيها ما فيها من دواعى السخط ومسوغات القنوط .

واخذت حصيلة الافكار والاحاسيس تزداد فى أغوار وجدانه احتداما وجيشانا ، حتى خيل اليه ان قد صار لها ما يشبه دوى الطبول تصدر من اعماقه ، فلا يكاد يسمع لغيرها هديرا .

وعلى الفور عقد عزمه على ان يستجيب للنداء السحرى الغامض الخلاب .. لقد صمم على ان يلبي نداء الحافز المستتر القاهر . فمضى الى الطريق المضاد الذى سار فيه الاعرابيان .. بادر (أبو ذر) يتخذ وجهته قدما الى مصدر النبأ الجليل ، وموطن الاحداث الجسام ...

على التَّوِّ يمم وجهه صوب مكة .

وعول (ابو ذر) على ان يتخذ من الانصات الذكى والتسمع المتئد والتقصى الوقور الحذر .

(وسائل استكشاف) ومقدمات معرفة ، خشية ان يحيق به سوء لو انه عمد الى الجهر والسفور ، فى ظروف صعبة كتلك التي سمع انها تواكب (الآن) دعوة محمد .

وفى مكة راح الاعرابى الواجم رقيق الحال يجوس الديار ، ويطوف بالشعاب والاركان ... غير ملق بنفسه الى تهلكة الافصاح والوضوح .

فى مكة سمع ـ اتفاقا ـ طرفا مكملا من قصة اسلام (الطفيل بن عمرو) ذلك السيد فى قومه ، الذى لم يكتف باسلامه هو ، بل نقل الاسلام الى قبيلته كلها ، فكانت تلك الضربة الاليمة شديدة الوقع على (حكومة مكة) ، ومن ثم فقد شددت الحصار على (محمد) ، وراحت تبتدع الافانين الفلاظ فى منعه ، بكل الوسائل من الاتصال بطوائف الحجيج ، او وفود المتاجرين ، او اى غريب من النازحين .

وبينما (ابو ذر) يهم بسؤال شخص عند الكعبة عن حاجة عرضت له .. لم يدر الا وجندى مدجج من جنود مكة يتصدى له بوجه جهم وملامح مشدودة منكرة تنذر بالشر .. فسأله عمن يكون ، ومن اين اتى ، وماذا يريد ؟ لكن ابا ذر الحصيف ، صاحب الهدف الغالى وحامل الرغبة العارمة ، الذى يساعده فى مثل ذلك المقام (مظهره الرقيق) ، وطيبته الفطرية الوديعة .. لم يعدم كلمات ـ معقولات . ـ يقولها للجندى ،فلا يلبث ذاك ان يتركه لحال سبيله ، لكن بعد ان ينذره بالهلاك المحقق والضياع المحتم ان هو كان ـ او يحاول ان يكون . ـ من (رجال محمد) .

وابتعد ابو ذر عن الكعبة قليلا ، مشفقا متوجسا ، وقد ابصر فى كل ركن من اركان البيت العتيق عشرات من (الزبانية) ينبثون فى كل المواقع ... يتفرسون فى الناس .. ويتفحصون الملامح ... ويستشفون المقاصد ... والويل كل الويل لمن كانت به (مجرد شبهة) على انه يسعى الى (محمد) بن عبد الله ، فى أى شأن من الشئون ...

وفى احدى الامسيات ، وكانت قد انصرمت ليالى طوال ثقال منذ ان حل (ابو ذر) بارض مكة .. وبينما كان يضطجع وحيدا على أديم الثرى بالقرب من الكعبة ، وقد كاد ييأس تماما من العثور على منفذ يتصعد منه الى حضرة ذلك المبعوث الذى ايقظ اناسا من سباتهم واضاء للتائهين طريقهم ، اما الطغاة فقد زلزل طمانينتهم ، واقض مضاجعهم ... اذ ابصر برجل مهيب قسيم الملامح صبوح المحيا واثق الخطو ، يقترب منه هونا .. فيكاد ينخلع قلب « ابى ذر » المسكين ، ليس عن خوف هذه المرة ، ولكن . مهابة واجلالا ... (ماذا ؟ .. او يكون (هو) ؟ .. من يدرى ؟ لكن ..) غير ان الرجل الجليل قطع عليه تخيلاته ، وما كاد ينساق وراءه من ضروب التخمينات ... عندما ابتدره سائلا ، وهو يبتسم ابتسامة رائقة وضاءة .

ـ « كأن الرجل غريب ؟ ؟ » .

ـ هو ذاك .

ـ هلا صحبتني اذن الى دارى ، ضيفا كريما ، على رحب وسعة ؟ .

.. ؟ ....

بم يجيب « ابو ذر » ؟ .. لم يجب ولكن اكتفى بان تبع الرجل مهيب الطلعة ، صامتا ،وعلى امل .

وهناك فى الدار المضيافة طعم وبات ليلته ، لكنه من شدة الذعر الذى اشاعه جند مكة فيه ، وبين عامة القوم لم يجرأ على أن ينبس بكلمة واحدة تتصل من قريب او بعيد بسره الدفين المكنون .

وراح المضيف يوفر لضيفه ـ ما استطاع ـ كل أسباب الراحة والمؤانسة .. لكن راعه منه حزنا ثقيلا ، وهما وشجنا ، وعبوسا وانطواء .. فتركه آخر الامر ليخلو بنفسه ، على سجيته ... وعندما اشرق الفجر قام يطل عليه ، فلم يجد له فى كل رحبات الدار اثرا ..

وعجب رب البيت لامر ضيفه الغريب .. لكنه فى سماحة ، وبسعة صدر ، التمس للرجل غريب الاطوار عذرا .. فقد تكون به خصاصة يؤثر ان يخفيها عن انفة وتعفف ، او قد يكون مضطرا لان يسعى وراء قوت عصى يستلزم نواله الصحو المبكر ولو فى الاسحار .

لكن .. ما ان خيم غبش المساء على قباب مكة ، حتى كان « الضيف الغريب » مقبلا على الدار كرة اخرى .. يالعجيب امره ... ها قد عاد وحده ...

وضحك بانشراح صدر وارتياح ، فالآن يستطيع تدارك ما قد يكون قصر فيه من واجب ضيافة ، نحو هذا الفقير الحائر .

وتمهل المضيف الكريم حتى فرغ الرجل من عشائه .. ثم راح يباسطه في ود رفيق ، محاولا ان يزيل عن نفسه المكلومة ما ترزح تحته من غم ، وهم شديد والم ... فسأله .

« الا تحدثني ما الذى اقدمك هذا البلد ؟ ؟ » .

وارتعد « ابو ذر » فرقا ... فها قد جُوبِه - بغتة - بمن يسأله (صراحة) عن سبب المجىء ولكن أتراه يجيب ؟ ... وان لم يجب ، فكيف به يطعم في بيت وينام فيه ، ثم لا يأمن صاحبه ؟ انه - اذن - لضال خوان ان هو فعل ... فاجاب .

« ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني ... فعلت » .

اعاهدك بالله العلي العظيم ان ارشدك و ......

مهلا .. ما هذا الذى قلت ؟ ... تعاهدني بـ .. ماذا ؟ .. فانت من اولئك الـ .. ؟ ؟ وضحك صاحب البيت مرة اخرى وهو سعيد يربت كتف ضيفه المقرور جزعا ورعبا ، ثم قدم له نفسه في اعتداد وبساطة اشعارا له بالامان .

انا صاحب رسول الله (محمد) .

انت ؟ ؟ ... من انت ؟ .

انا علي بن ابي طالب .

وما ان افصح ابو ذر عن امنيته الكبرى ، حتى عاجله (علي) بقوله .

هلم بنا الى حضرة « محمد » .

وفي الطريق راح ابو ذر المرتجف شوقا ، المضطرب حنينا ، والمفعم خشية على الحلم الكبير ان يفسده (الصحو) على يد الجند فيضيع هباء .. راح يقص على مسامع (علي) بقية الامر ، وكيف انه لما اتقد العطش في قلبه وعقله جميعا . جاء يلتمس لقيا محمد ، ليكون على بينة ، ولينظر عن كثب في كنه الحقيقة ... وحكى له طرفا مما كان يفعل الجند بكل غريب وافد ، من حصار وتضييق خناق ، فلا يخلى للطائف والمار سبيل الا اذا قدم البراهين الدامغة على انه ابعد ما يكون سببا عن محمد وطريق محمد .

وعلى باب البيت الذى اتخذ منه النبي العظيم (محمد) قاعدة اولى لنشر بواكير نور الاسلام على مكة والعالم العربي .. همس علي بن ابي طالب في اذن ابي ذر الغفاري .

« اتبعني ، وادخل حيث ادخل .. فان رأيت احدا اخافه عليك دنوت من الحائط كأني اقضي حاجة ، فامض انت » .

كان الاسلام قوة جديدة خارقة ، ارتعدت لاشراقها فرائص الفجار والبغاة ، فكان النكال يزداد ضراوة ، والبطش يطرد عنفا وشدة كلما انتشرت رقعة النور ، وكلما تكاثر عدد الذين يدخلون في دين الله افواجا ... ومن ثم كان الحرص على ان يظل النور مطرد الانتشار والشمول . رائدا للنبي وصحبه ان يأخذوا بالحكمة وان يتصرفوا بالمنطق والتعقل ، حفاظا على جلال الدعوة ان تصطدم مع الزبانية الضالين وهي لما تزل - بعد - في مهدها .

وفي الحضرة المنورة كاد يغشى على ابي ذر وهو يجد نفسه بين يدى (محمد بن عبد الله) خاتم الانبياء والمرسلين ، ناشر الوية الاسلام ، الذى يتنزل عليه القرآن من السماء ...

واستمع ابو ذر وقلبه يختلج - لاول مرة - بفرحة حقيقية عارمة الى آيات الكتاب ، وتعاليم الاسلام .. ولم يكد يقوى على ان يتحمل نشوة كهذى عظيمة القدر ، فما اسرع ان جار بصـوته يعلن اسلامه ، ويشهد الله والناس على انه مسلم وان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ونبي خير امة اخرجت للناس . بل لقد عاهد الرسول على انه سيحمل دعوته الكريمة الى (غفار) بين آله وقومه ، كما حملها من آمن بها قبله ، مثل (الطفيـل بن عمرو) وغيره وغيره .

وتبسم « محمد » صلوات الله وسلامه عليه ، راضيا سعيدا بذلك العبد المؤمن يدخل ديـن الله عن وعى واقتناع ، غير مسوق ولا مجبر ... لكنه — صلى الله عليه وسلم — عاد فخشى عليه من الاعداء المتربصين خارج مكة وداخلها ، فقال له مودعا ومحذرا .

« يا أبا ذر .. ارجع الى قومك فاخبرهم ، واكتم امرك عن اهل مكة ، فانى اخشاهم عليك » .

ولا ريب ان أبا ذر فهم ووعى معانى قول الرسول .. ذلك الى ما رآه هو بنفسه رأى العين من ضروب التنكيل والفتك بكل من تؤخذ عليه (شبهة) بأنه (يعرف شيئا عن محمد) .

لكن أبا ذر — من وجهة اخرى — لم يعد يحس الا انه صار شيئا جديدا ، كل الجدة ... لم يعد ذلك البائس الذليل الذى جاء يرسف فى اغلال المهانة يتلصص بين شعاب مكة ودروبها متسقطا فى حرص مذعور اخبار نبيها الجديد .. الآن اصبح (ابو ذر) خلقا آخر ... ثمة « جرعة عظيمة الفعالية » فى روحه المطشى فاروت واشبعت ، ثم الهبت فيـــه كوامن العزة ، وهواجع العظمة والسيادة ....

حاشا ان يكون فهمه قاصرا عن معنى التحذير الذى اسداه اليه رسول الله ، خشية عليه من جفاة مكة الموتورين غلاظ الاكباد ... انه يفهم تماما ، ويعى جيدا ، ويقدر تمام التقدير ماذا سيكون المصير الذى سيلقاه على ايدى الكافرين لو ان الزكانة ورباطة الجأش خانتاه ، فاظهر ما ينم على انه « ذو صلة ما بمحمد » ... فما باله لو قد لاح عليه انه (أسلم) وآمن بدين الاسلام الذى ينشر (محمد) مصابيح نوره ؟ .. انه — اذن — للدمار الماحق الذى لا مفر منه ولا محيص .

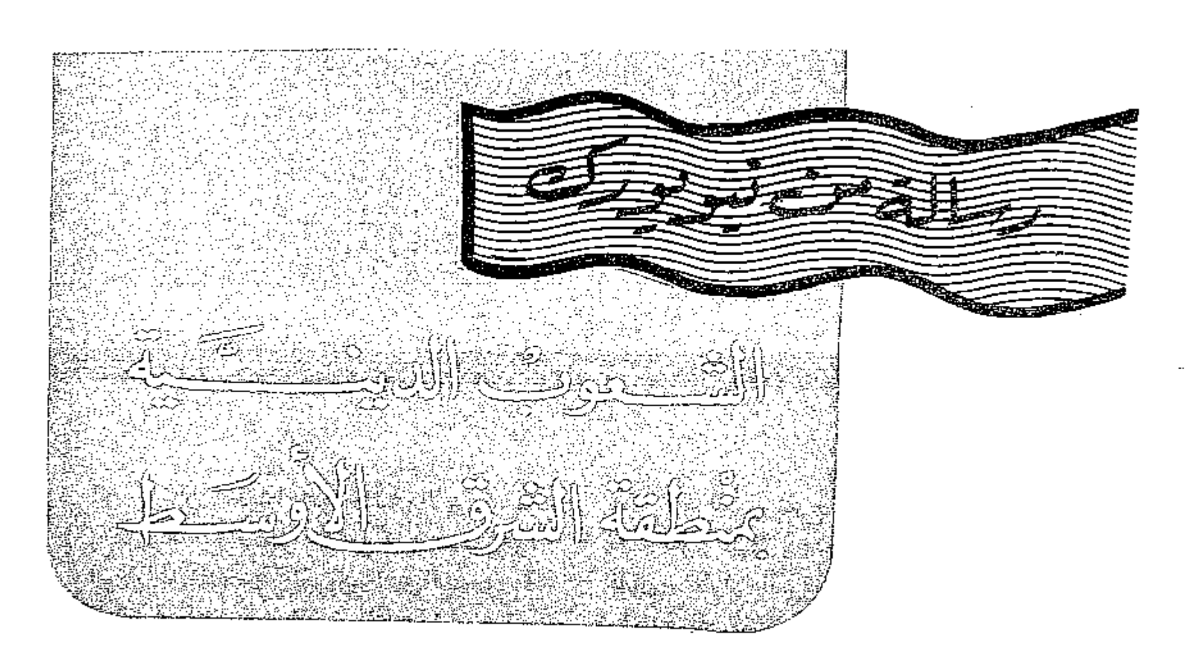
ولم يمض طويل وقت حتى كان علي بن ابى طالب رضي الله عنه عائدا من الحضرة الشريفة فى الطريق الى بيته مارا بالكعبة ... فرأى جموعا من الناس تقتتل وتتشابك بالايدى ويستطير من تحت النواصى والاقدام عجاج المثار مختلطا بصيحات مستعرة لا تكون — عادة — الا فى ميدان وغى او حومة من حومات الحروب .. واذ اقترب من المعمعة يستطلع جلية الامر ... سمع مقاطع من صرخات المتعاركين المتقاتلين « بل وجاء يتحدانا » . و « الا يقيم وزنا لمشاعر اللات ، وكرامـة هبل ؟ » . و « اقتلوه قتلا ذلك الخارج عن دين آبائنا واجدادنا » . ثم (أرأيتم) ؟ ... كاد يتقلب علينا جميعا ذلك المجنون . ، وايضا سمعته يقول بملء فمه انه مسلم ، وراح يدعونا نحن الى الاسلام مثله ... ولكنه سمع ايضا صوتا مجلجلا عاليا طغى على جميع الاصوات ... وكان صوت (العباس بن عبد المطلب) يصرخ فى الناس وهو يدفعهم بقوة وبكلتا يديه عن (شيء) عنيد باسل صعب المراس جبار الدفاع تكالبوا كلهم عليه يتنفون فتكا به ذريعا .

« ويلكم .. الستم تعلمون انه من بنى غفار ، وان طريق تجارتكم الى الشام يمر عليهم ؟ ...

فرفعوا أيديهم عنه ، وما ان فعلوا حتى هب من تحت أيديهم كالعملاق الضارى المسحور « ابو ذر » ، مواصلا — من جديد — تحدياته ، مكررا باعلى صوته انه مسلم ، مسلم ، مسلم ، وانه يشهدهم جميعا على ان لا اله الا الله ، وان محمدا نبى الله ورسوله ، وانه منطلق الى قومه ، حاملا اليهم الاسلام فى قلبه .

ورفت على شفتي علي بن ابى طالب ابتسامته الوادعة ... وعجب — مرة اخرى — لضيفه هذا الغريب العجيب ... الذى جاء اول الامر يمشى على استحياء وفى ذلة يتسقط الانباء همسا حذرا ، ويذوب جوعا الى المعرفة وعطشا .. فاذا هو الآن — وعلى الرغم من تحذيره ونصحه ... منه ومن صاحبه النبى نفسه — ها هو ذا لا يمضى فى صمت كما نصحه اولو الامر وحذروه ... وانما هو ، بدافع الفرحة العظمى بالهداية الحقة — يأتى بقدميه عامدا ، الى هنالك بالذات حيث معقل طغاة الفجار والكفرة اللئام ... والى قلب قاعدة الاصنام... يدعو سكارى الغافلين الى الاسلام...

وتمتم (علي) وهو يتبع ببصره الغفارى المؤمن ، حتى غاب طيفه المحلق الشامخ فى آفاق مكة .. بكلمات لم تستبين ، وان كانت شواهدها تقول ما معناه . « جئت ضعيفا حائرا مكلوم الفؤاد يائسا ، مشتت الفكر جزعا حائرا ... وها انت ذا — بعد الجرعة الاولى من النبع الشهى المطهر الاسمى — تمضي قويا مرفوع الرأس ، وضاء الجبين ، ممتلىء الاهاب ايمانا وقوة وعزة ... فاهنأ بما به رويت ... واذهب فى رعاية الله أبا ذر » .



الدكتور محمد عبد الرءوف

أرسل الينا هذه الرسالة الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية في نيويورك ، وقد وصل الى هناك في ديسمبر الماضي ..

والدكتور من خيرة الأزهريين المعروفين بنشاطهم وأعمالهم في البلاد الاسلامية . عمل بالكويت ، ثم شغل منصب مدير الكلية الاسلامية في الملايو نحو عشر سنوات ثم شغل منصب رئيس قسم البحوث بالأزهر فمدرسا بالجامعة الأزهرية قبل أن يختار لمنصبه الحالي ..

وقد أرسل الينا هذه الرسالة التي ننشرها له شاكرين ، راجين أن ننشر له كثيرا من البحوث والرسائل عن امريكا والاسلام مع تمنياتنا له بالتوفيق في مجاله الجديد .

« الوعي »

عقد لمدة يومين ، الثامن والتاسع من مارس ١٩٦٦ مؤتمر بالمركز الكنائسي المواجه لهيئة الأمم المتحدة عن « الشعوب الدينية بمنطقة الشرق الأوسط » . وقد دعا الى هذا المؤتمر مجلس الكنائس الوطني للولايات المتحدة الامريكية . وكان هدفه كما جاء في برامجه الرسمية « اتاحة الفرصة للقاء بين ممثلين للهيئات الدينية والمنظمات غير الحكومية في الشرق الاوسط » لدراسة التطورات والتغييرات التي تعانيها تلك الأمم وكيف تستجيب هذه الشعوب لعوامل التغيير .

كان المتحدث الأول في اليوم الأول الاستاذ « جون بادو » مدير قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا

الذى كان عميدا للجامعة الامريكية بالقاهرة من قبل ، كما كان سفيرا للولايات المتحدة الامريكيةلدىالجمهورية العربية المتحدة سابقا ، والذى زار بعض بلاد الشرق الأوسط ومنها الكويت اخيرا . تحدث الاستاذ المذكور عن العوامل والمؤثرات فى حياة شعوب الشرق الأوسط قديما وحديثا . وكان أهم ما ركز عليه فى حديثه أن الاسلام أشد العوامل تأثيرا فى حياة هذهالشعوب وان ما قد يبدو من مواقف علمانية لبعض الدول الاسلامية فى الوقتالحاضر فانما ذلك امر سطحى ، والحقيقة ان الاسلام كان ولا يزال من أهم الدوافع والعوامل للمسلم كفرد وللمجتمع كدولة.

وتحدث عدد آخر من اساتذة الجامعات المختلفة عن مختلفالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية وختم اليوم الأول الدكتور « ادوين م رايت » اخصائي فى شؤون الشرق الأدنى بوزارة الدولة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية بحديث عن « الوحدة العربية » وكان هداما ، فقد سرد عوامل الوحدة السياسية وذكر أنها اللغة أو الجنس أو الدين أو الثقافة أو الخوف المشترك أو الحدود المشتركة او المصالح المشتركة أو القيم المشتركة ثم حلل كل واحدة من هذه القواعد وشرح كيف انها لا تصلح تكئة تقوم عليها وحدة العرب السياسية، فقال مثلا ان العرب لا يتكلمون بلهجة واحدة بل قد لا يفهم عربي فى العراق عربيا فى المغرب ، واللغة الفصحى وان كانت متفقة غير أنها لا يعرفها الا القليل (هكذا !) ، وأما الجنس فذكر أن كل دولة عربية تقريبا تتكون من عدد من الشعوب والاجناس .

أما الدين فزعم ان الاسلام لم يوحد المسلمين الا ثلاثة أعوام عندما استطاع محمد أن يقسر قومه بحد السيف على الاتحاد تحت سلطانه بعد أن قهر مكة عام ٦٢٩ (هكذا) على أن الاسلام يدعو للعدوان والحرب فيقول « واقتلوهم حيث ثقفتوهم » ولقد لقى الخليفة الثاني والثالث والرابع حتفهم اغتيالا ، ومنذ ماتمحمد ما اتحد العرب (هكذا) ، واما الثقافة فليس للعرب ولا للاسلام ثقافة وانما هي ثقافة الاغريق نقلها الى العربية غير عرب تحت لواء خلفاء نصفهم فارسي (هكذا) ... وهكذا كانت محاضرته هدامة مدلسة تستفز المشاعر ، ولما استأذنت وعلقت عليها سلم بأنه قصد بها الاستفزاز ؟ وكان هذا موقفا عجيبا !

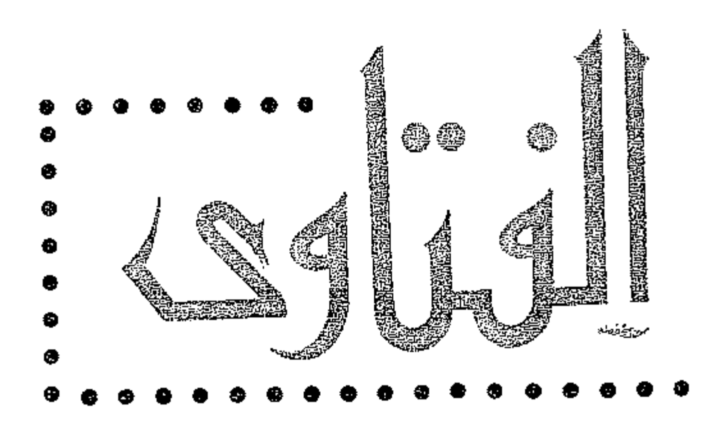
ولما قلت ان قول الكتاب « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » يرجع للمعتدين المشار

اليهم « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » حاول اثارة الغموض حول معنى العدوان ! .

وفى اليوم الثاني كنت أول المتحدثين ، وكان موضوعي عن الاسلام ودوره فى الحياة المعاصرة لشعوب الشرق الأوسط . وقد ركزت على شمول الاسلام وانه ليس هناك دين ودولة ، وعلى مرونة الاسلام وصلاحيته لمواجهة حاجات كل عصر وبيئة ، وسقت الأمثلة على ذلك ، وذكرت ان الاسلام لمرونته قد يتقبل عناصر ثقافية لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ، ولكن ما يبدو الآن من مفارقات انما هو نتيجة الاستعمار الغربي الذى فرض على بلاد الاسلام أوضاعا اقتصادية وقانونية ما كان هناك ما يقتضيها لو حسنت نية المستعمر وطوّر الاوضاع على ضوء تقاليد البلاد وعقيدتها . على أن أنواع التغيير التي نشاهدها ليست كلها ناشئة عن الاحتكاك بالغرب بل ان هناك عوامل داخلية ناشئة « عن تغير الزمن نفسه وطبيعة التطور ذاتها ، ومهما يكن من أمر فان المسلمين يتطلعون ــ لا الى ثلاثة عشر قرنا أخرى من حياة الاسلام كما يزعم بعض المؤلفين الغربيين ــ بل الى مجد دائم للاسلام والمسلمين بعد أن ينفضوا غبار الضعف الذى نشأ منذ غارات المغول الوحشية وعدوان الصليب المقوت . وقد سرني تعليق الحاضرين ورئيس الجلسة حيث اكد موافقة الحاضرين لما أشرت اليه من ردود على زعم دكتور رايت ، وذكر أن أكثرهم لا يرى رأيه .

ثم تعاقب المتحدثون ، وكان مما يلفت النظر محاضرات المتحدثين باسم الكنائس المختلفة عن موقفها من الاسلام ، وكانت الخلاصة أن موقف الكنائش أول الأمر من الاسلام كان عدائيا مغالطا مشوها للحقائق ، وكان على رأس هؤلاء « سانت توماس اكويناس » الذى شوه شخصية محمد ودينه بشكل فاحش نفر منه المسيحيين ، ولكن نتج عن قيام أجيال من علماء الغرب الذين كرسوا حياتهم لمعرفة الحقائق دون حيف قدر الامكان ان تكشفت الحقيقة وظهر أن هناك مبادىء سامية يشارك فيها الاسلام المسيحية مما نتج عنه بيانان للبابا زعيم الكنيسة المسيحية فى عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٥ عبر فيهما عن مزايا الاسلام ومدى قربه من المسيحية .

وكانت شهادات غير المسلمين للاسلام بين حين وآخر فى بلد ملحد مادى صهيوني تهتز له المشاعر وتتحرك لها النفوس ! .



السؤال : ـ

ورد من مسلم باستراليا السؤال الآتي :

مسلم تزوج مسيحية وعقد عليها فى استراليا ، بشهادة مسلم ومسيحية والموثق مسيحي فهل يصح هذا العقد شرعا ؟ .

الجواب : ـ

للاجابة يتعين البحث فى امرين .

١ ـ شرط وجود الولى فى عقد الزواج .

٢ ـ جواز زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على عقد الزواج . اما الولاية .

فقد اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على ضرورة وجود الولى فى النكاح فنكاح يتم بدون الولى يقع باطلا فليس للمرأة ان تباشر عقد زواجها سواء كانت كبيرة ام صغيرة لقوله عليه الصلاة والسلام « ايما امرأة انكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . وذهب الاحناف الى ان الولى ليس بضرورى فى البالغة العاقلة بكرا كانت ام ثيبا لانها صاحبة الحق فى تزويج نفسها ممن تشاء ثم ان كان غير كفء فلوليها الاعتراض وقالوا ان كل الاحاديث التي يفيد ظاهرها اشتراط الولى خاصة بالصغيرة وفاقدة الاهلية التي لا يصح لها ان تتصرف .

اذ ان النكاح عقد من العقود كالبيع والشراء . وللمرأة البالغة الحرية المطلقة فى بيعها وشرائها متى كانت رشيدة . ولها كذلك عقد الزواج بنفسها قياسا على صحة تصرفاتها فى شئونها المالية .

واما زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على العقد فان المقرر شرعا انه يجوز للرجل المسلم ان يتزوج امرأة كتابية لقوله تعالى « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن » .

ويترتب على هذا الزواج آثاره من حقوق وواجبات كزواج المسلمة الا انه يختلف فى امور . منها انه يصح ان يكون شاهدا الزواج غير مسلمين ، واذا مات احدهما فلا يرثه الآخر والاولاد يكونون تبعا لابيهم فى الدين .

والشهادة شرط لعقدالزواج فلا بد ان يحضره شاهدان لقوله عليه الصلاة والسلام « لا نكاح الا بشاهدين » والاحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والشيعة الامامية يشترطون الشهادة ، وان كان الامام مالك يرى أن الشهادة ليست شرطا لانشاء العقد وصحته ابتداء ولكنها شرط عند الدخول فلو دخلا بلا اشهاد وجب الفسخ جبرا وهناك قول فى مذهب مالك وابن حنبل ايضا بعدم اشتراط الشهادة ابتداء ولا انتهاء عند الدخول لصحة عقد الزواج اكتفاء باعلانه للناس ليتميز عن الزنا .

وقد ذكر الاحناف انه اذا كان احد طرفي العقد وكيلا وكان الاصيل موجودا ولا يوجد سوى شاهد واحد فلا مانع من اعتبار الوكيل شاهدا ثانيا ليكمل نصاب الشهادة وهو رجلان او رجل وامرأتان وبما ان هذا العقد حضره رجل مسلم وامرأة مسيحية وهذا غير كاف فى نصاب الشهادة فلا مانع من اعتبار الموثق شاهدا ليكمل النصاب الشرعي قياسا على اعتبار الوكيل مكملا للنصاب .

لهـذا نرى ان العقد المذكور صدر صحيحا مستوفيا شرائطه واركانه وتترتب عليه آثاره من حقوق وواجبات .

انتظار الصـلاة

السؤال : ــ

جرت العادة فى بعض المساجد أن تؤخر اقامة الصلاة عن الاذان فترة طويلة قد تمتد الى ٣٠ دقيقة وقد نبهت أحد ائمة المساجد الى هذا فأجاب بأن السنة أن يفصل بين الأذان والاقامة بفاصل يتسع لحضور المصلين الجماعة ، فما رأيكم فى هذا .

ف . م . ص ــ الكويت

الاجابــة :

يسن للمؤذن أن يجلس بين الاذان والاقامة بقدر ما يحضر الملازمون للصـلاة فى المسجد مع المحافظة على وقت الفضيلة ، الا فى صلاة المغرب فانه لا يؤخرها ، وانما يفصل بين الاذان والاقامة فيها بفاصل يسير قدره الحنفية بما يسع قراءة ثلاث آيات قصار ، وقدره الحنابلة بجلسة خفيفة .

ونرى أن امتداد الفترة بين الاذان والاقامة الى نصف ساعة أمر يتضرر به بعض المصلين من أصحاب المصالح كالتجار والعمال والمسافرين وغيرهم وربما يصرفهم عن صلاة الجماعة ، والدين يسر لا عسر . وبجانب هذا نود أن نشير الى أن جلسة خفيفة فى المسجد هي رياضة روحية للمسلم تجدد نشاطه ، وتقوى عزمه على مواصلة الكفاح والنضال فى الحياة ، وهو فى هذه الجلسة الطاهرة تتنزل عليه رحمات الله ومغفرته قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال العبد فى صلاة ما كان فى مصلاه . ينتظر الصلاة ، والملائكة تقول اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث » . وخير الأمور الوسط .

فى الميراث

الســؤال : ــ

سأل السيد / حمدان النزال المعصب / شارعمسجد النزال/الفروانية/الكويت السؤال الآتي :ــ

١ ــ توفـى الى رحمـة الله تعالى فهـد هادىالردعــــان ، عن ورثته وهم :

والدته (ميثة ردعان) وابنه (هــادى) وبنته (رقيــــه) .

٢ ــ ثم توفيت بعده والدته (ميثة) المذكورة عن بنتها (نويــــر) وولدى ابنها فهد الذى توفى قبلها وهما هادى ورقيــة المذكورين .

الاجابــة : ــ

بوفاة المتوفى الاول فهد هادى عن والدته وولديهالمذكورين توزع تركته على الوجه الاتـي :ــ

أ ــ للام السدس فرضا . والباقـي لولديهالمذكورين للذكر مثل حظ الانثيين .

ب ــ بوفاة المتوفاة الثانية (ميثه ردعان) عـنبنتها وولدى ابنها فهـد الذى توفى قبلهـا تـوزع تركتها على الوجه التالى ــ

للبنت النصــف فرضــا . والباقـي لولدىابنها وهما هادى ورقية المذكورين للذكر مثل حــظ الانثيـــين .

والله أعلم «»

الســؤال : ــ

توفي شخص وترك ورثة هم :

بنــت ــ أخت شقيقـة ــ أخ لاب ــ أختلام .. فما نصيب كـل وارث .

م . حـ . الاردن

الاجابــة : ــ

للبنت النصــف فرضــا .

والباقـي وهو النصــف للاخت الشقيقة .

ولا شيء للاخ لاب لان الاخت الشقيقة صارتعصبة مع البنت ، وبصيرورتها عصبة حجبت الاخ لاب ــ كما أنه لا شيء للاخت لام ــ لانهـا محجوبــةبالفرع الوارث وهو البنــت .

والله أعلــم «»



الزيارة التاريخية

قضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى رحلته التي قام بها في الشهر الماضي لامارات الخليج العربي نحو عشرة أيام كان خلالها محاطا بمظاهر الحفاوة والتكريم ، وكانت هذه الزيارة موضع تعليقات صحفية متعددة منها هذا التعليق الذى كتبته صحيفة ((الرأى العام)) تحت عنوان ((الزيارة التاريخية)) تقول فيه :

لا شك أن الحفاوة البالغة التي قوبل بها حضرة صاحب السمو فى امارات الخليج الشقيقة تحمل فى ثناياها ابرز المعاني والدلالات على عمق الروابط وصدق العواطف ، وعلى أن ما بين الكويت والامارات هو أكثر مما يكون بين الاشقاء . والواقع أن الروابط التي تجمع بين الكويت وشقيقاتها هي ما يجمع بين الشعب الواحد بل العائلة الواحدة أيضا .

وزيارة حضرة صاحب السمو الأمير هي تجديد لهذه الروابط وتمتين لها ، وتدعيم للتعاون المثمر البناء ، لخير هذه المنطقة ، ولارساء نهضتها على دعائم وثيقة وصحيحة .

لقد لعب الخليج ابرز الأدوار على مسرح النهضة العالمية ، فكان رجاله يجوبون البحار ، ويوصلون القارات ، يحملون مع تجارتهم معالم المدنية والتقدم وينشرون نور العلم والمعرفة يوم كان العالم يغط فى سبات عميق من الجهل والتأخر .

واذا كان دور الخليج الفاعل على المسرح العالمي قد تضاءل ، حين توالت على الأمة العربية النكبات ، فلقد حان الوقت اليوم ، ليستعيد الخليج العربي مكانه الطليعي ليؤدى دوره الحضارى الكامل وليسهم مع القوى الخيرة فى اداء رسالة العدل والخير .

من هذه الزاوية تستمد زيارة حضرة صاحب السمو الأمير ، أهميتها الفائقة فهو رئيس للدولة الانموذج التى تعى التزاماتها وواجباتها ، وتقدم لما هو فوق الواجب والمفروض ، والتى هي الدولة الاكبر التي سبقت فى التجربة ، واستطاعت أن تكيف النظم بما ينسجم مع العادات والتقاليد المجيدة .. وتمكنت بفضل توجيهات أميرها المفدى ، أن تتبوأ مكانة مرموقة فى المحافل العربية والدولية على حد سواء ..

من هذه الزاوية بالذات ، نستطيع أن نقول ان نتائج هذه الزيارة التاريخية المباركة سوف تكون وفق ما تصبو اليه نفوس كل المخلصين المؤمنين الراغبين فى أن يروا شعب الخليج يتبوأ مركزه اللائق ، ويسهم فى صنع التقدم العالمي ، ولا يعيش على هامشه .

سلوك الغايات الكبار

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول

ان اولئك الذين تلهيهم بسمات أطفالهم عن دموع حرى لاطفال آخرين ، ويحجبهم فرح ذويهم عن احزان غامرة تسود حياة الآخرين .. نستطيع أن نقرر ان هؤلاء الناس لا يتمتعون بوضوح فى الرؤية ، ولا صدق فى الشعور ، فهم الى الخطأ أقرب منهم الى الصواب والى الجفوة أدنى منهم الى الحب والاخوة والمودة .. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وعلى هذا الطريق ـ ان الاغتصاب الواقع لجزء غال من أرضنا هنا ، والبلاء النازل هناك ، وظلام السجون المرخى سدوله هنالك ، لا يعنى بحال من الاحوال انعتاقنا نحن هنا فى ارضنا وذوينا وأهلنا .. من أى واحد من ذلك كله ..

ويوم تملك أمتنا أن تزيح الركام من الطريق ، فتتحرر من أذى الغاصبين فى أرضها وفكرها واخلاقها فذلكم هو المبتغى ، وتلكم هي الفرحة الكبرى .

وطريق الامة الى ذلك روح الجندية المؤمنة في الالتزام ، وروح الجهاد الصادق في التنفيذ ، ووحدة الشعور على أساس من نسب الاسلام ... وكأين من معركة فاصلة خاضها المسلمون كان النصر فيها منوطا بالالتزام ووحدة الشعور ، ولكان هذه الحقيقة النابعة من هذا المبدأ في الاسلام تثبت وجودها على كل المستويات ومن خلال كل التحركات للفرد والجماعة والامة ، ولقد عاشت امتنا ذلك في الماضي فكان لها ما كان من طابع الذاتية وسلامة الصلة بالاسلام . ان جانبا كبيرا من معالم القوة يكمن هنا .. فاذا كان التزام صادق فقل القوة والمنعة ، واذا كان العكس - لا قدر الله - فقل وقعت الواقعة ، وسارت الحوادث في غير طريقها المأمون .

ان امتنا التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس والتي ترتبط بتاريخ غني بالعبر والتجارب ، جديرة بأن تسلك للغايات الكبار ، سبيلا على مستوى تلك الغايات قوة وصمودا ، ويومئذ يحق لها أن تفرح بنصر الله الذى هو من فضله ورحمته ((يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون))

كيف نقيم حضارة الاسلام

وكتبت مجلة رسالة الاسلام البغدادية للاجابة على هذا السؤال تقول :

يجب أن ندرك أن مظاهر الفساد المختلفة ليست اعراضا في واقع يخالف جوهرها ، وينافي طبيعتها ليسهل علاجها ، ويمكن مقاومتها، ولكنها وجوه ومظاهر للحضارة القائمة تلتحم وأياها التحاما عضويا . ولذلك فمن ضياع الجهد اذن ان نفكر في ان حربنا لجانب من المنكرات الراهنة ، ينتهي وراء القضاء الظاهر عليها - اذا أمكن - لان هذا الجانب أو ذاك من الفساد لا يشكل الا فصلا من فصول الحضارة المادية القائمة ووجها من وجوهها ، ومن العبث أن تريد أن تبعد عنك ظل شجرة خبيثة قائمة بصورة نهائية بأن تعمد الى جذ فرع من فروعها ، في حين تضرب جذوعها في الارض ، ويسمق ساقها في الهواء ليفرع غصونا كثيرة يمتد ظلها يوما بعد آخر .

ان اجتثاث الحضارة المادية واقامة الحضارة الاسلامية مكانها ، وجعل القرآن قاعدة للامة عليه تقوم مفاهيمها وقيمها ، ومنه تستمد مقاييسها وانظمتها هو العلاج الوحيد للوضعية المتهرئة ، وللتبعية الخانعة التى تعيشها الامة اليوم، فهي بذلك تسترجع مركزها وتستعيد اصالتها وتقضى على مشاكلها .

مرحبا بالبطل

وتحت هذا العنوان جاء في الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية .

يزور الجمهورية العربية المتحدة حاليا البطل العالمى المسلم محمد على كلاى ، ونحن اذ نرحب به في بلادنا وعلى أرضنا ، فانما نرحب به كرمز لانتصار الايمان والارادة القوية .

لقد تحدى محمد على كلاى كل القوى الشريرة ،انتصر على جميع المعوقات . حارب التفرقة العنصرية وتحمل في سبيل ذلك الكثير من المشاق والمتاعب ، ولكنه لم يهن ولم يضعف .

وعندما أعلن البطل اسلامه لم يشأ أن ينكره بل جاهر به وافتخر باسلامه ، حتى عندما وقفت ضده كل العناصر التى آلها اسلام البطل وحاولت أن تحطم هذا الايمان . لم ييأس . حاربوه في رزقه . في شهرته. وقفوا له بالمرصاد . اذاعوا عنه الاتهامات الباطلة والدعايات المضللة ، وبرغم ذلك كله صمد البطل وانتصر في كل معركة خاضها . وكان الايمان هو الدافع القوى لصموده ومن ثم لانتصاره .

لقد رفض محمد على كلاى كل المغريات المادية والأدبية ، وآثر أن يعيش مسلما عزيزا كريما حرا . يناضل ويكافح في سبيل ايمانه . لقد كانت ارادة البطل أقوى من كل شيء . وهكذا يكون الايمان وتكون التضحية في سبيله .

فمرحبا بكلاى الذى أصبح صورة كريمة للرجل المسلم ، ومرحبا بالبطل القوى .. المنتصر . مرحبا بمحمد على ((كلاى)) .

ممنوع دخول الخنافس

وطالعتنا مجلة المصور القاهرية بهذا الخبر والتعليق عليه :

لقد منع ديجول دخول الخنافس الى فرنسا ، حتىلا يشجع هذه القدوة السيئة التى أرخت شعور شبان العالم فى السنوات الاخيرة ، وضيقت خواصرهم ، ورفعت كعوب أحذيتهم ، حتى أصبح من الصعب عليك وانت تمشي فى شوارع روما وبرلين ولندن ونيويورك ، ان تميز بين الفتى والفتاة !

على ان فرنسا لم تمنع دخول الخنافس فقط ..بللقد منعت سائحا اجنبيا من دخول فرنسا ، لمجرد انه يطلق شعر رأسه على طريقة الخنافس ..

اننى اذ احيي ديجول على هذه المبادرة الاخلاقيةالكبيرة ، آمل أن تحذو حكوماتنا العربية المسلمة هذا الحذو ، فتمسك بالرقعاء الذين يقلدون الخنافس ، ويملأون الشوارع والمقاهي ، وتحلق رؤوسهم ، وتعطيهم (علقة) ساخنة فى أقسام الشرطة لعلهم يثوبون الى رجولتهم فى مثل هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، فان وجود انصاف الرجال عملا هداما .. وحاجة تكسف ..

ازمة الضمير العربي

وجاء فى مقال تحت هذا العنوان نشرتهمجلة الرائد العربي الكويتية ما يأتى —

ان الازمة الراهنة للضمير العربي هي وليدة الكثيرمن الرواسب فلا يمكن مع انبعاث العصبية وعبادة مراكز الرياسة ، وفقدان التوازن المادى للمجتمع ،ولا مع محاولات تسخير الدين للمظاهر وخدمة المنافع الضيقة ، ولا مع التقليد المضحك الغبي لحضاراتالامم الاخرى ، لا يمكن مع هذه جميعا أن تبرز الذاتية المبدعة للنهضة المتينة الاساس .

ان العالم كله ليتجاوب بطريقة خاصة مع أحداثالامة العربية فى محاولاتها لحل ازماتها الراهنة ، وذلك على ضوء التجارب التاريخية الماضية ، وحاجةالارض الى من يمنحها سلما شريفا لا يفرق بين الاسود والابيض . سلما خاليا من الاستغلال والظلم ،سلما بريئا من التعصب والضيق ، ملء اعطاف البر والتكافل الانساني ، والصيانة من الجوع والترفوالبطالة ، سلما ينتظم القلوب العامرة والحدائق المزهرة ، والمصانع الحافلة ، سلما يسوى بين انسانيةواحدة ، ثم يربطها بالهها الواحد .

وليس من ريب أن كل معسكرات الاستغلالوالتسلط والالحاد تضع ايديها على الزناد فى وقت ارتقاء نهضتها الى معارج رفيعة .

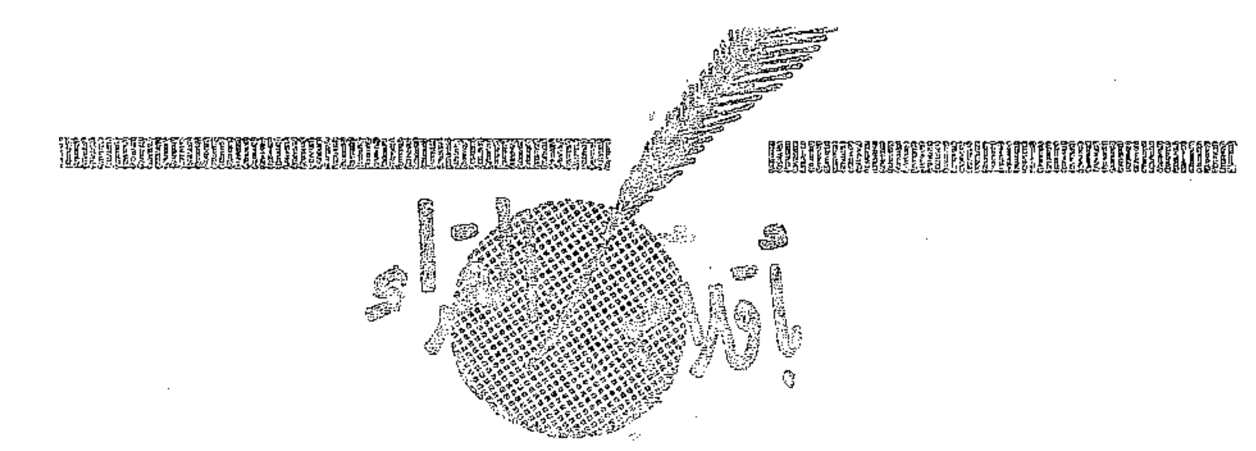
ان أول كلمة تنزل بها الملاك الطهور على قلبالرسول أن (اقرأ باسم ربك) ان هذه الكلمات الثلاث تستطيع ان تشكل الاطار الحق للنهضةالراهنة التى تنحل بها عقدة الازمة فى الضمير العربي ، اننا مطالبون بالقراءة .. بالعلم الذىتنطوى عليه القراءة ، بالمعرفة التى هي نبع القوة ، ولكن شريطة أن تتم المعرفة والعلم والقراءة ، ومايتبع عنها من القوة باسم الله ، وفى خدمة الله ، اى خدمةالحق والعدل والرحمة ، وخدمة البر والسلام.. اليس الله تعالى هو الحق الرحمن الرحيم .. ، السلام المؤمن المهيمن ، وهكذا تتجه الحياة الى حلمهاالجميل دون هذه السخرة للشيطان .

هذه هي الابعاد الشاسعة لرسالة الامة العربية فىهذا الزمان ، ومن دون تحقيقها لا بد من التلطف فى حيازة أقصى ما وصل اليه العلم وبلغته القراءة ثمجعل ذلك كله تحت لواء الله ؟

فهل عجيب ان ترتفع حرارة هذه الامة وهي تعانيعملية انصهار شديدة فى هذه الفترة ؟

وهل قليل ما يجابهنا ونحن نقبس أسباب التجمعوالقوى المادية من أمم لا يضارع قوتها بالعلم الا انحرافها المخيف عن أهداف العلم فى المثل الاعلى .

ان نهضة الاسلام مرهونة بنهضة العرب ، ونهضةالبشرية من عثرات الحروب والقلق والضياع ومن اشكال التعصب والغطرسة والاستغلال مرهون كلهبنهضة الاسلام ..



مولد الهادي

بعث الاستاذ اسماعيل حمود عطوان المدرس بمدرسة التربية الاسلامية ببغداد ، قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها : ـ

قبس ذو سناء ... يملأ الكون ضياء
قد سرى بين الروابي ... نور بشر وبهاء
والدجى اخفاه بدر ... سابح حول الفضاء
كوكب المولد يزهو ... بين أرجاء السماء
ولد الهادي يتيما ... ملأ الرحب هناء
عاش في أحضان نبل ... وخيار أمناء
نشأت فيه خصال ... ساميات في العلاء
قوله صدق وحق ... قد خلا منه افتراء
ولقد كان أمينا ... وشجاعا ذا مضاء
ونزيها قد تسامى ... عن دعاوى السفهاء

أمنية العمر

الحديث عن الاماني حديث عذب شفاف والاستاذ ع.س.ع يكاد اسلوبه وهو يتحدث عن أمنية العمر يسيل رقة وصفاء ، فيقول : ـ

قال صاحبي الذى عاد من الحج أخيراً .. ادركتني رحمة الله حين اختارني مولاى عز وجل لتأدية فريضة الحج هذا العام .. وذهب بي الى مسجد الرسول الاعظم فى مدينته المنورة .. وهناك سلمت على الحبيب ولا شك انه رد على السلام ! فروحه كما ورد في الحديث الشريف ترد اليه حتى يرد السلام على من يلقيه عليه ! وعشت مع نفحات الرسول الاعظم فى رحاب المسجد الفسيحة .

وكانت أياما ! أياما جميلة جمال الروح وطهارتها .. أياما هي خلاصة العمر .. أحلى اماني العمر .. تهون الدنيا وتهون اللذائذ .. وتهون المطامع والمطامح .. ويهون كل شيء .. وتتفه الدنيا ويتفه معها الطواغيت .. ويولى سلطان المادة .. وتعيش الروح نفسها .. فاذا هي تخفق بأجنحة ربانية فى ملأ علوى بكر .. كله طهارة وكله خشوع .. وكله حمد وتسبيح .. وكله ذكر ونشوة .. يا لله ما احلاها مسرة تهون معها جميع المسرات .. كما وصفها الصوفى العارف ابو يزيد البسطامي حين قال :

لو عرف الملوك ما نجد لقاتلونا عليه ..

وأضاف صاحبي : وفى سهول المدينة وبقيعها وأحد ، وفى شعاب مكة ، وعلى جبل النور فى غار حراء ، وفى منى وعلى جبل الرحمة فى عرفة عشت تجربة مليئة طوفت خاشعا ذاكرا ملبيا حامدا شاكرا لله فيوضه وانعمه وفتوحاته .. وكنت اهتف من كل قلبي يا ليت هذه الايام تطول ! كان هناك مهرجان

للروح .. وكان هناك موسم ربيعي للقلب .. وكان القلب طوال الوقت مشدودا الى السماء بحبال من نور .. لرب النور ..

وزاد صاحبي .. يا لبنك يا أخي تقوم بهذه التجربة الروحية .. وتمر في تلك الساعات الخاشعة .. وتسيل منك العبرات ويخفق منك الفؤاد .. وتستشعر تلك اللذة العبودية الحقة لله الذي يستحقها وحده (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .. (يا لبنك تطوف بالكعبة بالبيت العتيق اول بيت وضع للناس .. بيت ابراهيم واسماعيل .. وتستلم الحجر الأسود أو تتعلق بأستار الكعبة .. فيقشعر منك البدن .. ويلين منك القلب من خشية الله ..

ما أروعها من تجربة كنت أبدا الطواف بحال .. فما هي الا لحظات حتى يتغير مني الحال .. وتعود النفس غير النفس .. وتنطلق بالتلبية والدعاء وهي تردد : اللهم لا عيش الا عيش الاخرة .. اين ذهبت الدنيا ، وكيف تجسمت الاخرة امام الروح فذهلت عن الواقع الى عالم الروح .. هذا كله بقدسية هذه البقعة المقدسة .. بؤرة الاشعاع الروحي .. قبلة كل مسلم في كل ركن من اركان الارض ما كان اروعها من تجربة تجل ـ والله ـ عن الوصف « ولا يمكن ان يحيط بها القول ولكنى اكتفي بقول الشاعر العربي القديم :

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ثورة الامام الحسين

ومن كلمة للاستاذ مجتبى الحسيني بكربلاء بمناسبة الاحتفال بذكرى مقتل سيد الشهداء : ـ

في مطلع كل عام هجرى تتجدد ذكرى ثورة سيد الشهداء ، وابى الاحرار الكرام ، الامام ابى عبد الله الحسين بن على بن ابى طالب ـ سبط الرسول المصطفى ، ونجل على المرتضى ، وعزيز فاطمة الزهراء ، وأخ الحسن الزكى ، ووالد الائمة الاطهار ..

في مطلع كل عام هجرى تتجدد ذكرى تلك الثورة المباركة ، ولم يمر على المسلمين عام واحد منذ ان ثار الامام الحسين الى الوقت الحاضر الا وكان لذكراها الحزينة الباكية دوى هائل في النفوس ، في كل قطر ضم فريقا من المسلمين ، وفي كل بلد استوطنه جماعة من المؤمنين .

وهنا سؤال يفرض نفسه قائلا : ولماذا لا تنمحى هذه الذكرى من الخواطر والنفوس بعد أن مضى على تلكم الثورة الف وثلثمائة عام او تزيد ؟ والجواب أن امتداد ذكرى الثورة يختلف باختلاف طبيعتها من ناحية الهدف مادة وأسلوبا ، وقوة وضعفا .... ، فهناك طائفة من الثورات يفجرها اصحابها طمعا في حيازة الكراسي ، وشغفا بالسلطة ، وحبا للحكم .. ونجد طائفة أخرى منها تهدف لابتزاز الاموال الطائلة والاستيلاء على كميات كبيرة من الحطام .. ونشاهد طائفة ثالثة تقوم لحساب ومصلحة القوميات والعصبيات والطائفيات .. ونرى طائفة رابعة هدفها اصلاح موضعى ، أو تصحيح خطأ من الاخطاء التى تضر الدولة والشعب .. وهكذا .. وهكذا .. ولذلك ـ تجد ذكراها تخلد بخلودها نفسها ، وما دامت اسبابها وعواملها باقية ، اما حين تزول تلك الاسباب والعوامل من المجتمع فلا تعدو أن تضمحل ذكراها في الافئدة والنفوس مباشرة وبلا فاصل . وحيث ان ثورة الامام الحسين كانت ثورة الاسلام على الكفر ، والحق على الباطل ، والمظلوم على الظالم ، وحيث ان معركة الاسلام والكفر ، وحرب الحق والباطل وملاحقة الظالم والمظلوم لم تزل قائمة ولا تزال الى أبد الدهر ، فلذلك كله لم تزل ولا تزال ذكرى واقعة الطف الفجيعة تتمثل أمام الناس ، ما دام هناك اسلام وكفر ، وحق وباطل ومظلوم وظالم !!! .

وبعد ذلك السؤال يأتي دور سؤال ثان يقول : وما الفائدة في هذه الذكرى واحيائها وتجديدها في رأس كل عام ، وما يمكن للانسانية أن تجتنيه من مكاسب ومنافع ذكرى عاشوراء ، وثورة الامام الحسين ؟

والجواب : ان أول فائدة واهم منفعة واكبر كسب ، تحصل الانسانية عليه من هذه الذكرى الثورية العظيمة هو : عدم الرضوخ للباطل ، والثورة في وجه الحكام المستغلين الظالمين .



مثل عليا

هــل تولى الأئمة الأربعــة ـ رضى اللهعنهم ـ مالك وأبوحنيفة والشافعي وأحمد مناصب فى الدولة وكانوا يتقاضون عليهامعاشات شهرية واذا لم يكونوا ، فما هي مصادر الدخل التي كانوا يتعيشون منها ،وكيف كانت معيشتهم ؟

(اسماعيل حمدون ـ الاردن) .

● المعروف عن الامام مالك بن أنس أنه أثناءطلبهللعلم كان يعيش فى قل من المال ، ويروى أنه كان له اربعمائة دينار كان يتجــر فيها ، ومنهــا كان قوامعيشته ، فلما ذاع فضله ، اتصل بالخلفاء والولاة ، وآتاه الله بسطة منالعيش، بما كانوا يغدقون عليه منالهدايا ، وكان رحمه الله يعتقد أن للعلم حقا فىبيت المال ، وأن الحكام لا يعطونه هبة مــن مالهم ، وانمايجرون عليه رزقا لانه حبس نفسه على العلم والدرس والفتيا وانقطع عن الكسب ، فكان حقا على بيتالمالأن يسد حاجته ، وأن يعطيه ما يكفيه وأهلهبالمعروف وقد بدت عليه آثار النعمة فى كل مظهر من مظاهرحياته فى مأكله وملبسه ومسكنه ، ومما يــؤثر عنه قوله ما أحب لامــرىء أنعــم الله عليه ألا يرى أثرنعمته عليه ، وخاصة أهل العلم .

أما أبو حنيفة النعمان بــن ثابت ــ رحمه اللهفقد نشأ فى بيت من بيوت التجارة بالكوفة ، وعاش فى بحبوحة من العيش لانه استمر تاجرا الى أن مات ،وكان له شريك عاونه باخلاص ليفرغه للعلم والفقه والحديث ، ولم يقبل عطاء الحكام ، ولم يأخذ شيئامن بيت المال ، ومع هذا الورع الشديد ، فقد كان حريصا على أن يستمتع بالحياة استمتاعا حلالا خالصافكان يعنى بثيابه ، ويلبس جيدها حتى روى أنكساءه كان يقوم بثلاثين دينارا .

عرض عليه أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء ،فقال له الامام الأعظم لا يصلح للقضاء الا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك ، وليستلى تلك النفس ، فقال له المنصور لم لم تقبل صلتى ؟ فأجاب . ما وصلني أمير المــؤمنين بشىء مــن مالهفرددته ، انما وصلنى من بيت مال المسلمين ، ولا حق لي فى بيت مالهم . اني لست ممن يقاتل من ورائهمفآخذ ما يأخذ المقاتل ، ولست من ولدانهم ، آخذ ما يأخذه الولدان ، ولست من فقرائهم ، فآخذ مايأخذه الفقير .

أما محمد بن ادريس الشافعي عالم قريش ـ رحمهالله ـ ، فقد عاش فى نشأته الاولى عيشة اليتامى والفقراء مع الاصل العريق والنسب الرفيع ، هاجرالى المدينة ولزم مالكا وعاش فى كنفه نحو تسع سنين ولما مات مالك أراد الشافعي عملا يعيش من رزقه ،فتوسط له أحد القريشيين عند والى اليمن ،فأخذه

الوالي معه ، يقول الشافعي في ذلك . ولم يكن عندأمي ما تعطيني ما اتحمل به ، فرهنت دارا فتحملت منه ، فلما قدمنا عملت له على عمل .. والعمل الذى تولاه الشافعي كان بنجران ، فسار فيها بالعدل والقسطاس ، لم يتملق واليا ، ولم يصانع غنيا . قال الشافعي وليت نجران ، وبها الحارث بن عبد المدان وموالى ثقيف ، وكان الوالى اذا أتاهم صانعوه ، فأرادوني على نحو ذلك ، فلم يجدوا عندى ثم تنقل الشافعي بين مكة وبغداد وأخيرا استقر به المقام في مصر ، ويروى انه قال عند رحيله اليها .

لقد اصبحت نفسي تتوق الى مصر	ومن دونها قطع المهامة والقفر
فوالله ما ادرى اللفوز والغنى	اساق اليها ، أم أساق الى القبر

ولقد حقق الله له كلا الامرين ، فقد نال الغنى اذفرض له الوالي العربى عطاء من سهم ذوى القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أدركه الموت بها .

أما امام دار السلام وشيخ الفقهاء والمحدثين في عصره احمد بن محمد بن حنبل ، فقد عاش فقيرا . وترك له والده عقارا صغيرا يغل كل شهر سبعة عشر درهما ، كان الامام ينفق منها على عياله ، وكانت الحاجة تضطره أحيانا لان يعمل بيده ليكسب قوته وقد امتنع عن الاخذ من بيت المال ، ورضى بأن يعيش عيشة الكفاف على أن يأخذ مالا لا يدرى أجمع بحله ، أم جمع بغير حله . قال اسحق بن راهويه كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرازق ، وكنت انا فوق الغرفة ، وهو أسفل فاطلعت على أن نفقة أحمد قد فنيت ، فعرضت عليه فامتنع ، فقلت أن شئت قرضا ، وان شئت صلة ، فأبى فنظرت اليه ، فاذا هو ينسج التكك ، ويبيع وينفق .

● **الاستاذ عبد المنعم محمد حلمى**

الخطاط بمحافظة القاهرة

تضمنت تحيتكم الشعرية الرقيقة ردكم على الاستفتاء الذى وجهته المجلة الى القراء بمناسبة دخولها في عامها الثاني ، وسننشر التحية في العدد القادم .

● **الاستاذ محمد عبد الجبار الشبوط**

بغداد ــ الكرادة الشرقية

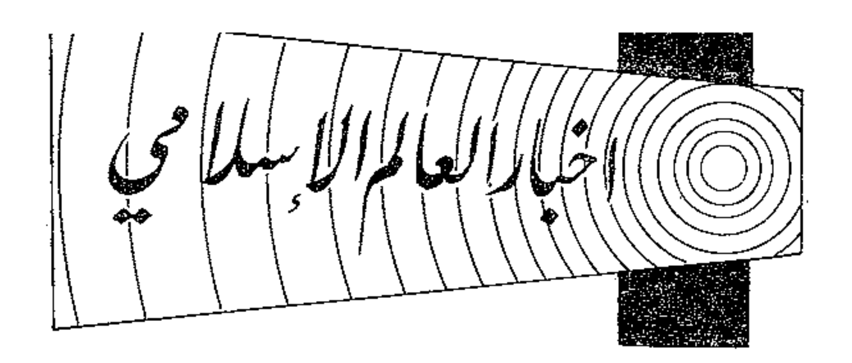
نشكرك على ثقتك بالمجلة التى تقرأها من الغلاف الى الغلاف ، ونعتز بصداقتك ونرحب بجميع ماترسله وننشر منه ما يتفق مع مخططنا ، وفي باب الاخبار طائفة من أخبارك .

● **الاستاذ ع . ص ــ الكويت**

قصتك الواقعية التى أرسلتها بعنوان الايمان سلاح قوى ، والتى تصور أثر الصلاة في نفس المؤمن وتحصينها ضد المغريات مناسبة ولكنا ننصح بالاتتحدى السمراوات والشقراوات ، فانه مسلك غير مأمون العاقبة .

● **الأخ أبو عبد الله بالموصل**

وصلتنا طرائفك ، ونحيى فيك روح الاطلاع والقراءة وهواية الكتابة ، ونترقب المزيد من مطالعاتك .



الكويت

قام صاحب السمو امير البـلاد حفظه الله بزيارة الى العـراق الشقيق استمرت أربعة أيام ، احيط فيها سـموه بمظاهر الحفاوة والتكريم ، حيث جرت مباحثات فيما يهم البلدين خاصة والعرب عامة .

* صرح سعادة خالد احمد الجسار وزير العدل بمناسبة عودته من زيارته الرسمية للجزائر والمغرب بانه يحمل رسالة شفوية الى حضرة صاحب السمو امير البلاد من سيادة العقيد هوارى بومدين . وأن الرئيس الجزائرى كرر الدعوة لسمو الامير لزيارة وطنه الثاني الجزائر .

* يجرى البحث حاليا بشأن انشاء كلية للطب ضمن الكليات التى تضمها الجامعة الكويتية ..

* استقبل سعادة عبـد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مكتبه ، السيد القائم بأعمال السفارة الهندية فى الكويت ، حيث قدم له الامير اسماعيل شهاب الدين شقيق سلطان البهرة وقد دار البحث خلال الاجتماع حول شؤون المسلمين فى الهند .

* قررت لجنة المساعـدات الاسلامية الخارجية التبرع بمبلغ (٣) آلاف دينار لمعهد الجالية الاسلامية فى امريكا وبمبلغ خمسة آلاف دينار للمدرسة الآصفية الدينية فى الفلوجة بالعراق الشقيق .

* وافق مجلس الامة على اقتراح يقضي باطلاق اسم شهيد الاسلام المغفور له المشير الركن عبد السلام محمد عارف على أحد شوارع الكويت الرئيسية .

* زار البلاد وفد مـن مسلمي الصين الشعبية قادما من بغداد ، وذلك ضمن جولة يقوم بها فى عدد من البلدان العربية والاسلامية لتوطيد التفاهم بين المسلمين الصينيين ومسلمي هذه البلدان .

القاهرة

* قررت وزارة الاوقاف ايفاد مبعوثين مـن أئمة المساجد الى الدول الافريقية ، لنشر الثقافة الاسلامية هناك .

اقام فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر حفل تكريم للبطل العالمي محمـد على كلاى ، الذى وصل للقاهرة بدعوة من سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، .

وافقت لجنة الخدمات الثقافية والاعلام بمجلس الامة على اقتراح بتطوير محطة اذاعة القرآن الكريم بحيث تقدم برامج دينية ، وان تقوى المحطة بحيث يمكن أن تصل برامجها الى الدول الافريقية والاسيوية لنشر الثقافة الاسلامية .

* تم فى غزة انشـاء مدينة أزهرية تضـم مساكن للطلبـة والعلمـاء ، ومبنى المعهـد الذى يضـم المرحلتين الاعدادية والثانوية . وتدرس الجهـات المختصة انشاء اول كليـة فـي المدينـة تتبع جامعـة الازهـر فـي القـاهرة .

العراق

صرح سفير تركيا فى العراق أنه سلم رئيس الوزراء الدكتور عبد الرحمن البزاز الرسالة الموجهة من قبل رئيس وزراء تركيا بشأن دعوته لزيارة تركيا رسميا .

أصدرت كلية الفقه بالنجف الاشرف مجلة دينيةحافلة بالبحوث القيمة ، والدراسات الاسلامية في قضايا العقيدة والفكر .

أقيم في بغداد حفلة تابين كبرى لفقيــد العروبةوالاسلامالرئيس المشير الركن عبد السلام محمدعارف، وقد اشترك في الحفل وفــود تمثل البــلاد العربيةوالاقطار الاسلامية .

السعودية

* قام الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض بزيارة لامارات الخليج ونزل ضيفا على الكويت بدعوة من سعادة وزير الخارجية .

* زار السيد ادريس المحمدى مدير عام الديوان الملكي المغربي جلالة الملك فيصل وسلمه رسالة من جلالة الحسن الثاني ملك المغرب ..

* تم الاتفاق بين السعودية والأردن على تدريب عدد من طلاب السعودية على الشؤون الزراعية .

الاردن

افتتح الملك حسين العمل في مشروع سد المخيبة ،ووضع الحجر الاساسي لهذا المشروع الجبار ، وسط جموع من المواطنين ، يتقدمهم ممثلو الملوك والرؤساءالعرب ، ووفــود القيادة العربية الموحدة والجامعة العربية .

السودان

قررت حكومة السودان انشاء ادارة خاصة للشؤونالدينية . كان اول عمل للمصلحة الجديدة اقامة عدة مراكز تعليمية للمحافظة على القرآن الكريم .

أخبار متفرقة

المانيا

أقام اتحاد الطلبة المسلمين في برانشويج بالمانيادعوى جزائية على رئيس تحرير مجلة شتيرن الالمانية لنشرها مقالا تضمن كثيرا من المفتريات عن وضع المرأةفي الاسلام . وقد رفضت هــذه الدعوى مع الاسف بحجة أن القانــون الالماني لا يعترف بالاســلام كدينرسمي .

بلجيكا

كون الطلبة المسلمون في بلجيكا اتحادا لهم باسماتحاد الطلبة المسلمين في بلجيكا . وقد أصبح هذا الاتحاد عضوا في أسرة اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا

امريكا

وجه اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدةوكندا رسالة الى الرئيس جــونسون ورئيس ولاية أوهايو ورئيس بلدية كليفلاند يستنكر فيها الصورة التى عرضتها مؤسسة الامراض العقلية في امريكا عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

بانكوك

اجتمع الامير عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا فيشمال الملايو ببعثة صداقة اندونيسية لتمهيد الطريق نحو اعادة العلاقات بين البلدين الى سابق عهدها .

طشقند

تبرعت الهيئات الاسلامية في الاتحاد السوفيتيبمبلغ ١٤٤ الف دولار لاعادة بناء مدينة طشقند التى هدمتها الزلازل في الفترة الاخيرة .

نيجيريا

بــدأ المركز الاســلامي في مدينة ابادان بنيجيريابرنامجا لتعليم اللغة العربية للشباب النيجيرى .. ومما يذكر ان للازهر بعثة هناك تعمل في عدة بلاد



مكتبة المجلة

قادة فتح الشام ومصر

الكتاب الثالث من سلسلة كتب قادة الفتح الاسلامي التي يصدرها اللواء الركن محمود شيت خطاب .

وهذا الكتاب يحتوى على سير القادة العرب المسلمين الذين زلزلوا عرش قيصر فى أرض الشام وفى أرض مصر أيضا ، أمثال أبو عبيدة بن الجراح ، وأسامة ابن زيد ، والزبير بن العوام ، وعمرو بن العاص ، وعبادة بن الصامت ، وعشرات غيرهم من الذين حملوا رايات الاسلام شرقا وغربا .

والكتاب فى ٣٩٨ صفحة ومزود بالخرائط والرسوم ، وقامت بطبعه دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت وثمنه (٧) ليرات لبنانية .

خواطر فى النقد الادبي

فصول شيقة مفيدة فى النقد الادبي ، تثير لدى القارىء شغفا به وتهديه فى سلوك سبله قدر المستطاع ، والمؤلف الفاضل الاستاذ عبد الله عبد الهادى العاني مولع بالادب ، وهو اذ يقدم الى القراء هذا الكتاب فانما يقدم لهم جهدا مشكورا لا شك فى قيمته ، وفى فائدته ، وفى قصده الى توجيه الافكار والعناية بهذا الموضوع والاهتمام به والكتاب فى (٧٦) صفحة من طباعة مطبعة المعارف ببغداد العراق وثمن النسخة الواحدة ١٥٠ فلسا .

الكويت ماضيها وحاضرها

كتاب فى ١٢٦ صفحة من تأليف الاستاذ ابراهيم الحسر وهو يبحث فى تاريخ وجغرافية الكويت ومراحل تطورها وتقدمها ، والنهضة الثقافية والتعليمية فيها كما تطرق المؤلف أيضا الى الناحية الاسلامية ، فتحدث عنها باسهاب مبينا دور العلماء فى نشر هذه الرسالة الدينية والكتاب من مطبوعات مطبعة الاديب ببغداد ، وهو مزود بكثير من الصور التي تبين هذا التقدم الذى تسير فيه دولة الكويت قدما الى الامام .

حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة

كتاب من تأليف الاستاذ محمد ناصر الدين الالباني يقع فى ١٢٢ صفحة يبين للناس الزى الواجب على المرأة الادثار به اذا خرجت الى المجتمع ، والشروط الواجب تحققها فيه حتى يكون زيا اسلاميا واستند المؤلف فى كتابه على القرآن والسنة ، واسترشد بأقوال الصحابة والائمة والكتاب من منشورات المكتب الاسلامي ببيروت ــ لبنان ، وثمنه ١٥٠ ق.ل.

لآخر رمق

مجموعة قصص قصيرة بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد جمعت فى ١٣٤ صفحة ، وطبعتها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر بمطبعة الاستقامة بالقاهرة .. والكتاب الذى أهداه مؤلفه الى المجلة حائز على كاس القصة القصيرة لعام ١٩٦٥ ، ومجموعة قصصه اجتماعية هادفة يستحق مؤلفها فعلا مثل هذا التقدير ...

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبي الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة . ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبي : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

بورسودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صورة فنية رائعة لجزء من داخل المسجد

في أجمل بقعة في مدينة ((واشنطن)) عاصمة الولايات الأمريكية ، وفي حي السفارات الفخم ، وعلى مساحة ثلاث آلاف متر ، ووسط حديقة رائعة التنسيق تقوم مباني المركز الإسلامي حول المسجد الذي ترتفع مئذنته الشامخة تعلن كلمة التوحيد في الدنيا الجديدة ، وقد وضع الحجر الأساسي لهذا الصرح الإسلامي الشامخ في ١٩٤٩م واشتركت جميع الدول الإسلامية وبعض المسلمين الأمريكان في تكاليف الإنشاء التي بلغت مليون دولار ، كل دولة حسب طاقتها

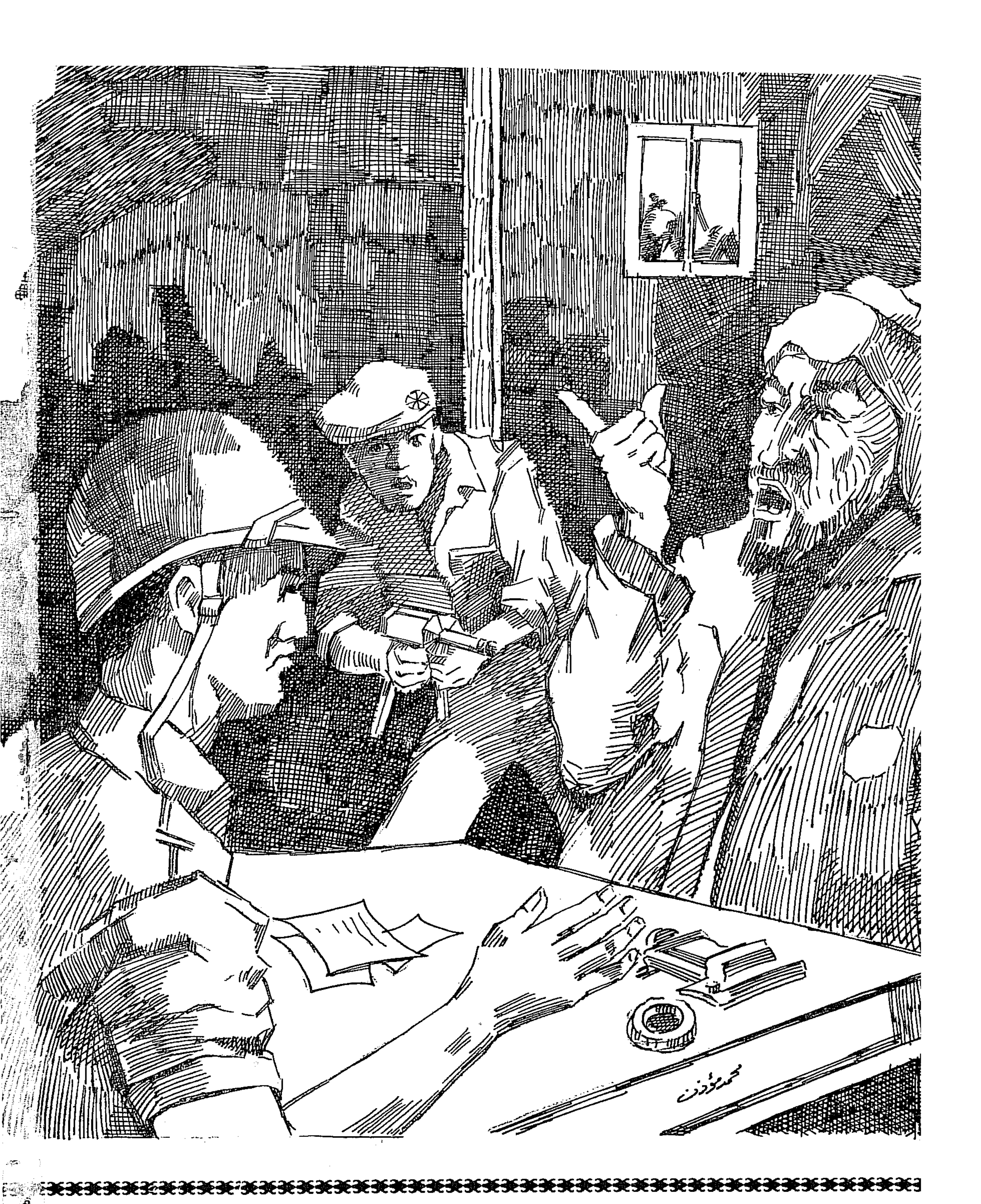
مصر وباكستان فالسعودية فبقية الدول الإسلامية . وكان الدكتور محمود حب الله الأمين الحالي لمجمع البحوث بالأزهر أول مدير للمركز سنة ١٩٥٠ وتم في أيامه معظم المباني ، ثم افتتح رسميا بعد إتمامه في ٢٢ يونيو ١٩٥٧ حين كان الدكتور محمد نصار مديرا للمركز وذلك في حفل كبير ضم السفراء والدبلوماسيين وأبناء الجالية الإسلامية في أنحاء أمريكا ، وحضره الرئيس الأمريكي الأسبق أيزنهاور وقرينته .

وتعتبر نفائس المسجد ونقوشه الفنية الرائعة ، والآيات القرآنية التي تزين جوانبه آية في الإبداع الفني التي ينطق هنالك بمهارة الفنان العربي وأصالته .

هذا ويشغل منصب مدير المركز الآن الدكتور علي حسن عبد القادر العميد السابق لكلية الشريعة بجامعة الأزهر .



العدد السادس عشر السنة الثانية ربيع الثانى ١٣٨٦ هـ - ١٩ يوليو ١٩٦٦م



بطولة وايمان

أقرأ قصة العدد ص ٨٠

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس عشر • السنة الثانية
غرة ربيع الثاني سنة ١٣٨٦ هـ
١٩ يوليو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

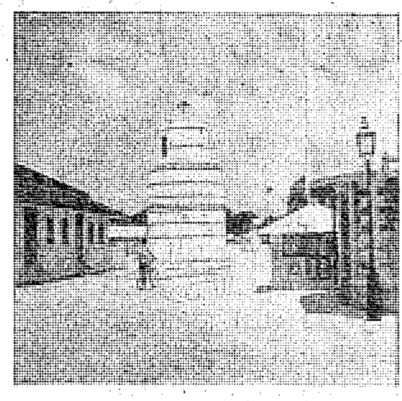
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



أول مسجد اسس في المالديف ويظهر أمامه
برج الأذان الذى انشىء منذ ٣٠٠ سنة
(طالع المقال عن جزر مالديف ص ٦٨)

(طالع المقال عن جزر مالديف ص ٦٨)

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط
في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

احتفل العالم الاسلامي فى الثاني عشر من ربيع الأول بذكرى مولد الهدى والنور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، واستعاد المسلمون الذكريات المجيدة لحياة الرسول ، وجددوا العزم على أن يكونوا خير أتباع لخير رسول ..

وقد احتفلت الكويت حكومة وشعبا بهذه الذكرى المجيدة ، وأقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حفلها السنوى المعتاد بمسجد السوق الكبير الذى نقلته الاذاعة والتلفزيون ، وافتتحه سعاد الوزير عبد الله المشارى الروضان بكلمة ثم تتابع بعده المتحدثون ..

وفيما يلي نص الكلمة التي ألقاها سعادته :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد :

فمن حق رسول الله علينا أن نحتفل بذكرى مولده الكريم . هذا المولد الذى أشرف على الوجود واستقبلته الدنيا بشوق ولهفة .

فكان مولده صلى الله عليه وسلم رحمة بهذا العقل الانساني ، الذى فقد سلطانه على صاحبه ، فأخذ يعبد من دون الله ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً : ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

حيث كان مولده رحمة بتاريخ الانسان وحضارته ورقيه وتقدمه ، ومروره بمراحله المختلفة ، فاذا بهذا الانسان يعود الى الوراء ، الى جاهلية جهلاء ، حيث يستبد القوى بالضعيف ، ويأكل الكبير الصغير .. فكان مولد الرسول رحمة لهذا العالم كله ، رحمة للسلام الذى كان يئن تحت وقع السيوف رحمة بالعقول التي كانت تتخبط فى ظلام الجهل . رحمة بالتاريخ الذى ارتد الى عصور ما قبل التاريخ . فميلاد الرسول كان مشرق هداية ، ومبعث حضارة ، وانطلاق فكر ، وسيادة للانسان ، ونشرا للسلام . وصدق الله ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) .

وفى سبيل هذه المبادىء ظل الرسول يكافح ويجاهد ، ويناضل ويجالد ، ويصبر ويصابر ، ويدعو وينادى ، فلا يستجيب له الا القليل ممن هداه الله الى الايمان ، ولا يكون نصيبه من قومه الا الاستهزاء والسخرية . يدعوهم الى استعمال العقل ، فيتهمونه بالجنون .. ويدعوهم الى الحرية ، فيعاديه السادة والملأ .. ويدعوهم الى السلام ، فيقذفونه بالحجارة .. ويدعوهم الى الجنة ، فيدعونه الى النار .

هذه المبادىء نادى بها رجل كان يرعى الغنم فى مكة ، وكان عاملا على تجارة



صاحب السعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية يلقي كلمة الافتتاح

خديجة .. نادى بها رجل أمى لم يدخل مدرسة ، ولم يتخرج من جامعة ، ولم يقرأ فى كتاب .. نادى بها رجل منذ ألف وأربعمائة عام فى أرض غير ذى زرع من فوق جبال مكة ، فكانت الجبال تردد أصداءها وتهبط من خشية الله ، ولا تتحرك قلوب المعاندين .. نادى بها رجل وقف فى سبيله أعداؤه وخذله أقرباؤه . لكنه كان مخلصا فى دعوته قويا فى حجته ، أسوة فى أخلاقه ، متجردا لوجه الله ، لا يبتغي عليها جزاء ولا شكورا .

فى مدى بسيط استطاع رسولكم بفضل الله وتأييده أن يحدث كل هذا التغيير فى المناطق الوعرة والجبال الصماء والقلوب القاسية .. فى مدى بسيط استطاع أن يدير وجه التاريخ الى الأرض التي كانت تعيش على هامش التاريخ .. استطاع الرجل الذى كان ممنوعا من دخول مكة أن يجاوز بدعوته أرض الجزيرة ، وأن يبعث بسفرائه الى كسرى وقيصر وبقية الملوك والأمراء يكتب الى كل منهم ((أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين)) .. استطاع الرجل الذى كان يعذب فى داخل المسجد أن يجعل الأرض كلها مسجدا ، وأن يجعل للمسلم حرمة فى قربه وبعده وغيبته وحضوره .. وصدق من خاطب الكعبة قائلا ((ما أعظمك واعظم حرمتك ، ولكن المسلم أعظم حرمة منك)) .

استطاع هذا الرجل العظيم ، ذو الخلق العظيم أن يحيط الانسان بضمانات تحفظ له حرمته ، وترعى له حقه ، وتجعله جديرا باستخلاف الله له ، جديرا بكلمة مسلم ، جديرا بكلمة انسان . استطاع أن يحقق للانسان كل هذه المكاسب دون ما حاجة الى دعاية ، ولا تهريج ولا طنطنة ، ولا مبالغة ، ولكنه حققها علما وعملا ، ونفذها حقا وصدقا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . وصدق الله تعالى ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

وختاما يطيب لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وهي تشكر لكم اجابتكم دعوتها أن تسأل الله تعالى أن يعين المسلمين على استعادة مجدهم واسترداد حقوقهم ، كما تسأله تعالى أن يحفظ صاحب السمو أمير البلاد المعظم وولي عهده ، وأن يديم للبلاد أمنها وسلامتها ، واستقرارها وتآخي أبنائها .

وكل عام وأنتم بخير . والسلام عليكم ورحمة الله .

((والوعى الاسلامي)) تتقدم الى المسلمين جميعا بأطيب تهانيها راجية من الله أن يلهمهم الرشدوالتوفيق على نور من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم



أخي القارئ

كتب الينا الشريف عبد الله البيتي من((تانزانيا)) في شرق أفريقيا رسالة مطولة يتحدث فيها عن نشاط القاديانيين هناك ،ومحاولاتهم الدائبةلجذب المسلمين السنيين الى مذهبهم ، ويقول : انهم يدعون أنهم مسلمون ، ويأتون بصور لهم أثناء الحج ويغررون بالبسطاء من المسلمين ، ويطلب منا أن نبين على صفحات المجلة حقيقة مذهب هؤلاء ، ويود لو أن ذلك ترجم الى اللغة الانجليزيةأو السواحليةليقف المسلمون الذين لا يعرفون العربية على حقيقة هذاالمذهب ..

ومع أننا أخذنا على عاتقنا أن تكون المجلةفوق مستوى الخلافات بين المسلمين ، وان تعمل ما وسعها الجهد على تقريب وجهاتالنظر بينهم ، ومع ما نعرفه من الخدمات التي يقوم بها القاديانيون أو الاحمديون أحيانا فيما يكتبون عن بعض المبادىء الاسلامية الا أننا لا نستطيع أن نديمالصمتازاء هذا الموضوع بعد ما تعددت الرسائل الواردة الينا من شرق افريقيا وغربها ،حتى يعرف كل مسلم موقفه من الاسلام الصحيح ..

ان أهم نقطة صدع بها ميرزا غلام أحمدالقادياني العقيدة المجمع عليها من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وهي : أن محمداصلى عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلينهي ادعاؤه أنه نبي يوحى اليه ، وأنه صاحب دعوة جديدة يجب الايمان بها ، فيقول ((ان الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة ، ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيح الموعود،وكل من بلغته دعوتي فلم يحكمنى ولم يؤمن بأن الوحى ينزل على من الله هومسئول ومحاسب من السماء ، وان كان مسلما)) !! ((ان الله كشف على أن كل من بلغته دعوتي ولم يقبلني ليس بمسلم)) !!

ولما وجد أن ادعاءه النبوة يتنافى مع نصالقرآن الكريم فى قوله ((ما كان محمد أباأحد من رجالكمولكن رسول الله وخاتم النبيين))أول (خاتم النبيين) بمعنى حلية النبيين وزينتهم !! ولما ووجه بالاحاديث الصحيحةالقاطعة بأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه آخر النبيين لجأ الى التعسففي تأويل هذا أيضا فقال : المراد لا نبي تشريع .. وأنا لست نبي تشريع ، ولكنينبي فقط !!!!

ولماذا نبي ؟ وما الحاجة اليه اذن ؟ اذاكان الاسلام يحتاج الى دعاة له يحيون تعاليمه ، فهم دعاة ومصلحون ومجددون ،كما أشار الى ذلك الحديث الصحيح .

ثم اذا لم تكن نبيا مشرعا ، ففيم ادعاؤك أن الوحي ينزل عليك ؟ وأن الكلام الذى تقوله انما هو كلام الله كالقرآن والتوراة ؟وما الحاجة اليه وقد أكمل الله الدين وأتم علينا النعمة ؟ وما معنى أن ينزل عليك الوحى بأن قرية ((قاديان)) التي ولدت فيها بالهند أصبحت مقدسة كمكة والمدينة ويجب الحج اليها فتقول ((ما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه التمتع بالحج الاكبر الى قاديان))؟!!

لماذا الاصرار على ادعاء النبوة ؟ قل : مصلح . مجدد ــ اذا كنت تعمل لاحياء تعاليم القرآن وتجديدها فى النفوس ــ تجد من يصدقك .. ولا بأس على من رفض تصديقك ، على أن المصلح المجدد لا يعلن عن نفسه بالقول ، وانما يعلن عنه عمله ، وما تركه من آثار جليلة فى خدمة الاسلام ..

أما ادعاء النبــوة والتستر وراء ((نبى بدون تشريع جديد)) فهذا تلاعب بالالفاظ والعقول وجرى وراء أغراض وأهداف لاصلة لها بالدين ولا بخدمة المسلمين بــل العكس هو الصحيح ..

لقد قضى ميرزا غلام أحمد فترة مــن حياته عالما يدافع عن الاسلام ، وعن مبادئه الصحيحة ، بل انه رفض فى هذه الفترة من حياته ما أراد بعض المنافقين من حوله أن يزينوه له من أنه المسيح الموعــود وأنكره بشدة ، وكان لذلك موضع اعجاب وتقدير اجماعي من المسلمين فى الهند ، ولعل ذلك مع وسوسة بعض المريدين له من حوله مع عوامل أخرى هى التي زينت له أخيرا أن يدعى ((أنه المسيح الموعود ارسله الله والملائكة عن يمينه وشماله ليدك الصليب ويقتل الخنازير)) . وما دك الصــليب ، ولا قتــل الخنازير ، ولكنه قضى حياته فى خدمة من رفعوا الصليب ومكنوا له ، وأقسموا على حمايته !! ثم من أجل تمكينهم من الشعب الهندى بما فيه من المسلمين أعلن الغاء الجهاد الذى فرضه القرآن دفاعا عن حرمة الاسلام والمسلمين .

ان ادعاء النبوة مغامرة مثلها المغامرون الطامحون أو المتهوسون منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجدوا لهم بعض المشجعين أو المصفقين من أمثالهم ، ولكنهم ذهبوا وذهب أنصارهم ، وكانوا على سطح التاريخ كفقاعات الماء سرعان ما تنتهى ولا يبقى لها أثر .. فادعاء الميرزا النبوة فى القرن التاسع عشر أمر ليس بجديــد على تاريخ الاسلام ، وان كان مخرجوه وممثلوه مــن نوع جديد :

ان الميرزا الذى ادعى انه المسيح المنتظر وأن الله أرسله ليكسر الصليب ويــدخل الناس جميعا فى الاسلام ، كتب الى الحاكم الانجليزى لمقاطعته سنــة ١٨٩٨م رسالة



يقول له فيها مبرهنا على ولائـه وطاعته:((لقد ظللت منذ حداثة سنى ـ وقد ناهزت اليوم الستـين ـ أجاهـد بلساني وقلمي لاصرف المسلمين الى الاخـلاص للحكومة الانجليزية ، والنصح لها ، والعطف عليها ،وألغى فكرة الجهاد التى يدين بها جهالهم ، والتى تمنعهم من الاخلاص للحكومة)) !!

ويقول : ((لقد ألغى الجهاد فى عصر المسيح(عصره) الغاء تاما ، وأن الفرقـة المباركة التى قلدنى الله امامتها وسياستها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ، ولا تنتظره ، ولا تستحله سرا أو علانية ،وتحرمه تحريما باتا)) .

واذا عرفنا أن المسلمين فى الهند كانوا فى هذا الوقت قد سلبهم الانجليز سلطانهم ، وقضوا على امبراطورهم سنة ١٨٥٨م ،ونفوه وسجنوه حتى مات ، وأنهم كان فيهم بقية من روح اسلامية مجاهـدة تحـاول التخلص من المستعمر والابقاء على التقاليد والثقافة الاسلاميـة التي يعمل على ابادتهـا وأن الانجليـز كانـوا يرتعدون خوفا من فكرة الجهاد التي اعتنقها المسلمون بعدما أعلنها وأفتي بوجوبها شاه عبد العزيز الدهلوى ابن الامام ولى الله الدهلوى سنة ١٨٠٣م ضد تسلط الشركة الانجليزية على الامبراطور المسلم ، أقول : اذا عرفنا ذلك أمكننا أن نعرف من الذى أرسل غلام أحمد ومن الذى كان يوحى اليه ، ويحيطه بعنايته ورعايته وتشجيعه !!!

أى شىء قدمه للاسلام سوى اضعاف أهله وتفرقة صفـوفهم وتمكين عـدوهم منهم ؟!

هل أتى بجديد ؟ نعم .. انه نبى .. وأنه نذر نفسه واتباعـه لخدمة أطماع أعـداء الاسلام !! .

ماذا بعد ذلك ؟ لا شيء ..

ان الهندوس أنفسهم وجدوا فى هـذه النبوة الهندية التى جعلت من ((قاديان)) بلدا مقدسا يجب الحج اليه ؟ .. وجدوا فيها شيئا يسرهـم ، ويرضى نزعتهـم !! فكتب الدكتور ((شـنكر داس مهرا)) فى صـحيفة ((بندى ماترم)) يقول ((ان تقدم الحركة الاحمـدية ضربـة قاضيـة على الحضارة العربية والدعوة الاسلامية ، وكل من اعتنق الاحمـدية تغيرت وجهة نظـره وضعفت صلته الروحية بمحمد)) !!

فهل عرفت يا سيد عبد الله وعرف غيرك من المسلمين شيئا عن القاديانية ؟

ولعلنا نعود الى الموضوع بتوسع بعد ذلك(ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة) .

رئيس التحرير

خطرات حول بعض ما تشتمل عليه السورة المباركة من معان عظيمة

للاستاذ / عبد العزيز العلى المطوع

بسم الله الرحمن الرحيم ((ن والقلم وما يسطرون))

((صدق الله العظيم))

بدئت سورة القلم بحرف ((ن)) الأمر الذى يجعلنى أعود بالذاكرة الى كلمة نشرت لى بمجلة منبر الاسلام الغراء حول بدء بعض السور القرآنية بحرف أو اكثر من الحروف الهجائية ، وقد انتهيت فى تلك الكلمة الى أن الراجح عندى هو أن هذه الحروف تشير وتذكر بعظمة كتاب الله وبيانه المعجز ، وآية ذلك أن ذكر الكتاب المبين كان يأتى فى الاغلب عقب تلك الحروف الهجائية التي افتتحت بها السور ، مثال ذلك قوله تعالى (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (الم . الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق ..) (المص . كتاب أنزل اليك) (الر . تلك آيات الكتاب الحكيم) (ص والقرآن ذى الذكر) (ق والقرآن المجيد) .

(ن والقلم وما يسطرون)

وهنا نجد أن الله قد أقسم بعدها بالقلم ، وما يسطر العلماء والفقهاء به من علوم مفيدة ومعارف نافعة تنبثق أصلا من كتاب الله العظيم الذى لا تنقضى عجائبه ، ولا ينضب معينه ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه فى آخر السورة (وما هو الا ذكر للعالمين) .

ولقد اقتضت حكمته تعالى أن يكون هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم خاتم المعجزات ، وأن ينزله على قلب خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بذلك فيضا خالدا متجددا فى مضمار العلم والمعرفة ، استجابة لحاجة البشر المتطورة فى شتى نواحى الحياة ،

ومختلف الازمنة ، كما اقتضت حكمته تعالى أن يتلقى العلم والمعرفة عن هذا الرسول العظيم ، ومن فيض ذلك القرآن الكريم خلف صالح حمل الامانة وأدى الرسالة ثم يتوالى هذا التلقى فى الامة خلفا عن سلف ، وسيظل متتابعا فى العدول من كل خلف حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وفى هذا التطور الطويل المدى يحمل العدول من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم رسالته متأسين بسننه ، وحاملين لواءه ، مستلهمين الهداية ، وملتمسين ينابيع الفهم والمعرفة فى القرآن الكريم يزجونها للعالم أجمع ، ويستمدون منه النور ليشعوه على البشرية جمعاء .

ولقد قال سبحانه فى سورة الانعام . (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ . وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون) وفى الآية الكريمة الاولى من سورة القلم اعداد النفس لمثل هذه المعاني والبيان ـ على بصيرة وعلم ـ فى الآيات المتكررة نزولها فى مواطن عديدة من كتاب الله ، وفى مثل هذا المعنى يقول سبحانه . (ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه) كما وعد سبحانه بحفظ ذلك كله بحفظ القرآن بقوله جل شانه . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نلمس عظم مسؤولية اتباع محمد صلى الله عليه وسلم نحو أداء أمانة العلم ، ونشر المعرفة ، والدعوة الخالصة الى الله على بصيرة ونور وهدى استجابة لقوله سبحانه . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

وقد جاءت هذه المسؤولية وتلك الرسالة مكملة لما سبقها من مسؤليات ورسالات مهدت لها من لدن آدم ، حتى بعثة محمد عليهم الصلاة والسلام ، وآية هذا التكامل من بين تلك الرسالات وما حملته من هداية وعلم ومعرفة قوله جل شانه (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

ومما لا شك فيه أن القراءة والكتابة هما وسيلتا التقدم العلمي،والتطور الفكرى والتسلسل الحضارى ، والقلم هو الواسطة والاداة للقراءة والكتابة ، وفى القسم به وبما يسطره تعظيم لشانه من رب العالمين وبيان لفضله على العلم والمعرفة .

وأى تكريم يعادل ما جرت به حكمته جل شانه من أن يجىء ذكر القلم ، أولى الآيات الكريمة نزولا بقوله جل شانه (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

(انتصار العلم الآدمى)

وفى ضوء الهدى القرآنى العظيم نجد أن العلم الادمى ينتصر على مخلوقات أخرى من غير البشر فى مناسبتين عظيمتين وهما .

١ ـ حين اختصم الملا الأعلى عند خلق آدم طلب الله سبحانه من الملا ـ بما فيه من طاقات جبارة ومن ايمان بالله عظيم ، وتقدير لله حق قدره ، وتسبيح بحمده وتقديس ـ الاحتكام الى العلم ففاز آدم الانسان فأمرهم جل شانه أن يسجدوا جميعا لهذا المخلوق الطينى اجلالا لفضل العلم الذى علمه ربه .

٢ ـ عندما تنافست الطاقتان ـ الانسية والجنية وتسابقتا فى عهد النبى سليمان فى احضار عرش بلقيس رجحت الطاقة العلمية الآدمية كما جاء فى قوله سبحانه . (قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر) وقد يهىء الله للبشر شيئا من ذلك الاعجاز الذى جرى فى عهد سليمان فى يوم من الايام اذا نجح العلماء فيما يفكرون فيه اليوم من تحويل المادة الى طاقة تنقل بجهاز ارسال ، وتلتقط بجهاز استقبال كما هى الحال فى الطاقة الصوتية التى صارت بفضل العلم تأتينا فى لحظات من بلادبعيدة بواسطة جهازى ارسال واستقبال، وكما هو الحال كذلك فى الصور المرئية عن طريق التلفزيون .

(ماأنت بنعمة ربك بمجنون)

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيد العلماء تلقى النبوة والعلم وحصافة الرأى من رب العالمين بقلبه ، وعقله ، وسمعه ، وبصيرته ، ولما كان المرء بطبيعته عدوا لما يجهل فقد يتهم من يأتيه بعجائب العلم ، وخوارق المعرفة ، بالجنون تعصبا لدين

آبائه واعتزازا بجهله الموروث ، كما جاء فى آخر السورة الكريمة. (وان يكادالذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) فيرد الله سبحانه على هؤلاء فيقول « وما هو الا ذكر للعالمين » كما رد هذه التهم فى أول السورة مخاطبا الرسول العظيم ذا الخلق الكريم .
(ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لاجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم) .

(فستبصر ويبصرون)

لقد تحدى الله هؤلاء بقوله سبحانه لرسوله . (فستبصر ويبصرون . بأيكمالمفتون) ومن هو الذى يستحق هذا الوصف ، ومما لاشك فيه أن مرد الحكم النهائى الى الله وحده وكفى بـه عليما (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

(فلا تطع المكذبين . ودوا لـو تدهن فيدهنون)

ويقول سبحانه كذلك فى سورة الحاقة التى تلى سورة القلم . (وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين) والكافر هو الذى يغطى الحقيقة ، ويكابر فى الحق ، وهذا المكذب قد يود أن يتقارب مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمداهنة والملاينة وتقريب وجهات النظر بمصالحة ظاهرية ، لا عن تصديق وايمان كاملين، ولكنمحمدا صلى الله عليه وسلم يصدع بما يؤمر به مـن الحق ويصبر على أذى المكذبين الكافرين ، وذلك بماوصفه الله به من خلق عظيم ، فلا يقبلالمساومة من مكذب ولا يخشى فى الحق لومة لائم .

التعاون الدينى

بهذه المناسبة أود الاشارة الى ما نراه مـن اهتمام كبير فى العالم للتعاون الدينى فى مقابل اللادينيين : وهذا أمر ضرورى لتزايد عدد الملحدين وكبر مجموعة اللادينيين ، الا أن فكرة المهادنة بين أصحاب الكتب السماوية بنشر كتب فيها آيات من القرآن وخلطها بقدر مماثل مـن الانجيل أو جمع الكتابين فى مجلد واحد مثل تلك الافكار التى ظهرت اخيرا أرى أنها من المداهنة التى ينهى عنها القرآن العظيم .

فلو آمن أهل الكتاب كما آمنا وصدقوا كما صدقنا ، واجتمعنا على كلمة سواء بيننا استجابة لهذا النداء القرآنى . (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) لكان فى ذلك خير لنا ولهم ، ومجال للالتقاء الدينى بـين أهـل الكتب السماوية فى مواجهة موجة الالحاد واللادينية ، على أنى لاأرى مانعا من المقارنة بين الكتب فيما هو مشترك بينها كقصص الانبياء والوصايا العشر ، وسائر مكارم الاخلاق الموجودة فى الكتب السماوية ، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسـلم فى ذلك (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

ومما لا شك فيه أن الكتب السماوية الصحيحة يصدق بعضها بعضا . (شرع لك من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) سورة الشورى ، (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) سورة الاحقاف ،آملين أنلا تكون الدعوة الى التجمع الدينى لمجرد الدافع السياسى ، أو لمجرد تقسيم المنطقة الى قسمين مؤيد وغير مؤيد ، أولمجرد تمكين الاقليات المسيحية فى بعض الدول الافريقية بالذات مـن الاكثريات المسلمة فيها كما هو حاصل فعلا ، واذا حسنت النية وسلم القصد فآيات القرآن العظيم تؤيـد التعاون والتجمع على الخير ، وما أعظم هذهالآية القرآنية الكريمة فى ذلك وهى قوله سبحانـه . (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) ففى هذه الآية الكريمة اشارة واضحة الى الفائدة من تعاون أهل الاديان السماوية ضـد اللادينية ، فالرسالة المشتركة تجمعنا فى الدفاع عن مثلنا ومقدساتنا .

(ولا تطع كل حلاف مهين ..)

كرر الله سبحانه النهى لنبيه الكريم عن طاعة كل من فيه الصفاتالتى لا تقرها الاديان السماوية جميعها ، لان الاديان السماوية فى اصولها تأمـر بكل خير وتنهى عـن كل شر ، ومـن فيه هـذه

الصفات ينبذ من بين صفوف المؤمنين باللهوكتبه ورسله ، ولا يؤخذ له رأى ، ولا يطاع له أمر ، وقد عددت هذه الاية الكريمة وما بعدها هــذه الصفات . (ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) .

(سنسمه على الخرطوم ...)

وقد فسر ذلك بمعنى وضع سمة أو عــلامــة على الانف ، ولعل فى ذلك عذابا له فى الدنيــا قبل الآخرة ، وعلامة سوء يعرف بها ، فان الله سبحانه قد يعاقب من يستحق العقاب فى الحيــاة الدنيا ، وقد يكــون فى ذلك تنبيه لبعض العباد ليرجعوا عن غيهم ويتوبوا من ذنبهم كما جاء فى قوله سبحانه . (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولايستثنون فطاف عليها طائف من ربــك وهــم نائمون ، فأصبحت كالصريم) . والظاهر من معنى الاستثناء هو عدم قولهم الا أن يشاء الله وعدم تذكرهم لله جــل جلاله ، ولعل معنى يتخافتــون يتسارون ويتناجون بصوت منخفض كيلا يسمعهم أحد من المساكين الذين كانوا يأملون أن ينالهم نصــيب مننتاج الحرث (وغدوا على حرد قادرين) والغدو وهو السير صباحا : أى وقت الغداة ومعنى على حرد لعله على منع وغضب على المساكين ففوجئوا باحتراق حرثهم ، الامر الذى لم يدر بخلدهم أثناء غدوهم متجهين الى جنتهم (فلما رأوها قالوا انا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها أنا الى ربنا راغبون . كذلــك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

وغير خاف ما فى هذه الآيات الكريمة من عظة كبيرة للاغنياء ، ولاصحاب الاراضى الزراعية الذين لا يحسبون لمشيئة الله حسابا وينســون أن فى أموالهم حقوقا للمساكين يجب أن تؤدى ، والا استحقوا عذاب الله فى الــدنيا وفى الآخرة ، أما المتقون الذين يؤدون ما عليهم من واجبات فلهم جنات النعيم لقوله سبحانه . (ان للمتقين عنــد ربهم جنات النعيم) كما يقول سبحانه فى موضع آخر من كتابه العزيز . (وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . ومــا لاحد عنده من نعمــة تجــزى . الا ابتغاء وجــه ربــه الاعلى . ولسوف يرضى) ثم تأتى بعد ذلك الآيات الباقية فى السورة بصفة استفهامية ، مقررة معاملة المسلم فى حياته الدنيوية وحياته البرزخية قبل البعث وحياته الثالثة بعد البعث بقولــه سـبحانه . (أفنجعل المســلمين كالمجرمــين) ؟ ما لكم كيف تحكمون ؟ (أم لكم كتاب فيه تدرسون) ؟ (ان لكم فيه لما تخيرون) ؟ لنتأمل هذا الاعجاز فى هذه الصيغة الاستفهامية الاستنكارية فى قوله سبحانه (أم لكم كتاب فيه تدرسون) أى كتاب منزل غير القرآن يقــرر ما تذهبــون اليه ، بحيث يجازى المجرم بالاحسانوالمسلم بالاساءة، ثم يقول سبحانه (سلهم أيهم بذلك زعيم) من يزعم هذا الزعم الذى لا يتمشى مع الحق ، ولا يتجاوب مع العدل الذى جاء بهما القرآن العظيم ، ويقول سبحانه فى سورة « ص » (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) ثم يتساءل سبحانه وتعالى . (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فاذا كان لهم معبود غير الله ينزل عليهم كتابا بمــا تشتهى أنفسهم فليأتوا به ان كانوا صادقين ، ثم يقول سبحانه بعد ذلك .

(يوم يكشف عــن ساق ويدعــون الى السـجود فلا يســتطيعون . خاشـعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون)

ولعل هذه الآية الكريمةتشير الى الحياة الثانية التى لا يستطيع الانسان أن يسجد فيها كما كان يسجد فى حياته الاولى ، التى يترتب عليها وعلى تصرفاته فيها النعيم المقيم أو العذاب الاليم ، واذا كان الله سبحانه وتعالى يمهل المكذبين من أولى النعمة من العقاب فانه لا يهملهم ، بل يجازيهم بما يستحقونه اذا لم يرجعوا الى الله ويتوبوا من ذنبهم فى حياتهم الاولى ، ويقول فى ذلك سبحانه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين) أى يملى لهم خطوة خطوة ودرجة درجة ويتركهم لأنفسهم حتى يلاقوا جزاءهم ، ومما يدل على غناهم وبخلهم قوله سبحانه . (أم تسألهم أجرا فهــم من مغرم مثقلون) ومما يدل على افترائهم قوله

سبحانه . (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) ، يكتبون كما يشاءون أو كما تسول لهم نفوسهم ثم يقول سبحانه

(فاصبر لحكم ربك)

فيعيد سبحانه على صفوة خلقه محمد صلى الله عليه وسلم الامر بالصبر على ايذاءالجاهلين المكذبين الذين لا يعلمون كنه الذى جاء به الرسول الكريم ، والسعادة الخالدة التى يدعو لها وأن لا يتعجل انزال العذاب بهم لعل الله يهديهم لان الانسان مهما بلغ فى المكابرة والعناد فانه لا يخلو من نصيب من الخير فيه قد ينمو ويتغلب على الشر يوما ما ، كما أن الانسان فى الوقت نفسه مهما بلغ من العبادة فانه لا يخلو من نصيب من الشر كامن قد ينمو ويتغلب على الخير يوما ما ، فعلينا أن لا نتسرع فى الحكم وأن لا نيأس من الخير ولا نأمن المكر (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) .

(ولا تكن كصاحب الحوت)

ثم يذكر الرسول بقصة نبى الله يونس عليه السلام فى عدم صبره على قضاء الله لما رفع العذاب عن قومه وقبل الله عودتهم الى الخير عندما آمنوا بالله ، فبدلا من أن يفرح بايمايهم ونصر الله للحق الذى جاء به ، فقد تأثر لظهوره مظهر غير صادق القول معهم ــ بعد أن أنذرهم بالعذاب لعدم ايمانهم ــ وخرج بعيدا عن القرية يترقب أخبارهم ، فاذا بالاخبار تأتيه بأن الله سبحانه كما جاء فى سورة الانبياء . (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) ويقول سبحانه فى سورة الصافات . (وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فامنوا فمتعناهم الى حين) . ويتبين من هذه الآية المتقدمة أن يونس عليه السلام عندما أبق على سيده ومولاه رب العالمين كان من المدحضين ولكنه جل شـأنه منـع البحر عـن اغراقه والقضاء عليه قبل التقام الحوت وبعده ، كى يعلم أن لا ملجأ ولا منجى من الله الا اليه وحفظه من الموت والاختناق فى ظلمات الاعماق ، وفى بطن الحوت حتى اعترف بظلمه ، وسبح الله ، فغفر له واجتباه ، وجعله من الصالحين المقربين .

(لا حساب على الانبياء بعد الموت)

ومن ذلك يظهر لى أن الانبياء لا يموتون الا مغفورا لهم ، وبدليل قوله سبحانه وتعالى . (فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) ، أى أن الله سبحانه لا يقضى على الحوت ، ولا على يونس فى بطنه الى يوم البعث وذلك حفظا للانبياء من الموت على خطيئة أوذنب ونرى الله سبحانه يحاسب أنبياءه ورسله عما يدور فى خلجات نفوسهم من الامور التى قد تكون عادية بالنسبة لغير الانبياء كقوله سـبحانه : (عبس وتولى . أن جاءه الاعمى) .. الخ ، وقوله سـبحانه . واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا) .. الخ وقوله سبحانه . (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وذلك ليستغفر النبى صلى الله عليه وسلم حتى من أحاديثه النفسية العادية ، ليلقى الله طاهر السرية ، حسن السيرة ، مؤديا الامانة ، مبلغا الرسالة بصبر جميل واحتساب كبير ، وكذلك الحال مع جميع الانبياء والمرسلين ، ولعل هذا ما يشير اليه قوله سبحانه . (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) أى أنه لولا نعمة من الله سبحانه أدركته لنبذ بالعراء مذموما معرضا فى حالة سقمه وضعفه للهب الحر ، وقر البرد وهو مذموم ، وهذا نوع آخر من أنواع العذاب فى الحياة الدنيا ، ولكن الله اجتباه (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) ثم أعاد ارساله الى قومه كما جاء فى سورة الصافات . (فأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين) ، ويرتبط ختام السورة ببدايتها اذ جاء اتهام الكافرين لمحمد صلى الله عليه وسلم بالجنون فى آخرها كما تقدم . (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون . وماهو الا ذكر للعالمين) ويرد الله هذا الاتهام هنا كما رد فى بداية السورة (وما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لاجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم) .



٢ محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ، قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين . رواه الشيخان .

١ – ... وكلما أهل شهر ربيع الأول ، قفزت الى أفق الوجود ذكريات وأى ذكريات ، تنشر اريجا عبقا تثيره ذكرى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر الانبياء ، الذى عطر الكون ، وشرف الانسانية وحقق آمالها ، وخط لها الطريق اللحب الى الكمال المطلق فى كل شيء ، فى مثل هذا الشهر المبارك كان انبثاق النور الذى أضاء جنبات الدنا ، فقضى على حنادسها ، وصير ليلها نهارا ، وأحال بؤسها نعيما ، وكان اللبنة التي جملت البنيان وأتمته ، وأحسنت تكوينه ، وسدت نقصه ، وأضفت عليه كمالا ما بعده كمال .

قارنت صباه وشرخ شبابه صلى الله عليه وسلم حوادث خارقة لما دأب عليه الخلق ، بل لازمته منذ طفولته مفصحة بلسان واقعها عن مستقبله المستكن فى ضمير الغيب الالهى حينذاك ، والذى بدا حين بدا حافلا بالعظائم ، فكان مهيئا القلوب لاستقبال أضخم رسالة حملها بشر ، رسالة تهدف الى استقرار هنىء فى دار مؤقتة محدودة ، من جعلها هجيراه وزم على تعاليمها جلجلان قلبه ، وصل الى سعادة الابد فى دار خالدة باقية (وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) (١) .

٢ – شب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه ويرعاه ، ويباعد بينه وبين أقذار الجاهلية ، فقد عاف الاصنام وعزف عنها ، ولم يرد موارد ريبة قط ، ولم يقف موقفا يشان فيه أبدا ، وذلك بأن الله مولاه ومؤدبه (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) . هيأه لما أراده له من قيادة الخلق وهدايتهم الى الحق والى طريق مستقيم ، فكان صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروءة ، واكملهم خلقا ، واكرمهم حسبا ، واحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ،

---

(١) العنكبوت . الآية ٦٤ .

والمثل الأعلى فى الأمانــة ، والبعد عــن الفحش وهجر القول وسوء الفعال .

روى ابن جرير الطبرى عن سـيدنا علي كرم الله وجهه قال . سمعت رسول اللــه صلى الله عليـه وسـلم يقول : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، وفى كل ذلــك يحول الله بيني وبين ما أريد ، ثم مــا هممت بسوء حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ، فانى قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة . لو أبصرت لي غنمى حتى ادخل مكة فأسمر بهــا كما يسمر الشباب ، فقال . افعل ، فخرجت أريد ذلك حتى اذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عــزفا بالدفوف والمزامير ، فقلت . ما هذا ؟ . قالوا فلان بن فلان تزوج فلانة بنت فلان فجلستانظر اليهم فضرب اللــه على أذنى فنمــت ، فمــا أيقظنى الا مس الشمس ، قال . فجئت صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ قلت . مــا صنعت شيئا ، ثم أخبرته الخبر ، قال . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فقال . افعل ، فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة ، فجلست أنظر ، فضرب الله على أذنى فوالله مــا أيقظنــى الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فأخبرته الخبر ، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمنى الله عز وجل برسالته (١) .

ويروى ابن اسحاق عن عصمة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى صباه ، أنه عليه الصلاة والســلام قال . (لقد رايتنى فى غلمان قريش ننقــل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قــد تعرى واخذ ازاره فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وادبر ، اذ لكمنى لاكـم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال . شد عليك ازارك ، قال . فأخذته وشددته علي ، ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازارى على من بين اصحابي (٢) . وتعليقا على هذه الرواية يقول السهيلى . (وهذه القصة انما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بناء الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه اليها ، وكانوا يحملون أزرهــم على عواتقهــم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وازاره مشدود عليه ، فقال له العباس رضى الله عنه . (يا بن أخي ، لو جعلت ازارك على عاتقك ، ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال . ازارى ، ازارى ، فشد عليه ازاره وقام يحمل الحجارة) (٣) .

٣ ــ وقبل هذا وذاك وبعده يحدث التاريخ . ان محمدا صــلى الله عليــه وسلم حملته أصلاب كريمة وتنقــل فى أرحام نقية طاهرة فهو خيار من خيار من خيار ، ونشأ فى أسرة لها الصدارة والقيادة والسيادة والرفادة والسقاية فى مكة المكرمة ، ولما درج على البسيطة ما صاحب الا فاضلا ، وما ساير الا كاملا ، وما جلس الا الى ذى وقار ومروءة ، ومن أبرز الذين لازمهم ولازموه شاب يلتقى معه نسـبا فى مــرة بــن كعب ويكبره (محمد) بعامين وشهور ، وكان قريبا له فى الجاهلية وصحبه فى رحلتــه الى الشام مع عمه أبى طالب ، وسمع حديث بحيرا الراهب عنه ، وكان مقامه بمكــة قريبا من مقام (خديجــة بنت خويلد رضى الله عنها) التي تزوجهــا محمد صلى الله عليه وسلم وأقام فى بيتها ، ولكل ذلك توطدت الألفة بينهما وزادها قوة تقاربهما فى الميول والطباع ووحدة الاتجاه والبعد عن مواطن الزلل والهــزء والسخرية ، مع الاعتصام بالمثل العليا فى الخلق والسلوك،فقد روى أن الصديق رضى الله عنه لم يتعاط خمرا فى الجاهلية قط ــ مع انتشارها بين المكيين لانه رأى يوما رجلا ثملا يأتي قبيحا من الفعال فصدف عنها مخافة أن يوقفه قربانها

---

(١) تاريخ الامم والملوك ص ٣٤ ، ج ٢ . (٢) السيرة النبوية ج ١ ص ١٩٤ الحلبى بالقاهرة .
(٣) الروض الانف ص ١٢٠ ج ط الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ .

موقفا لا يحب أن يرى نفسه فيه ، كما ابتعد عن الأصنام بعد أن أخذه أبوه الى مكانها وامتدحها له وطلب اليه أن يقرب لها القرابين ويخصها بالعبادة ، ثم خلاه وشأنه معها ، فلما خلا له المكان من أبيه نادى الأصنام سائلا اياها أن تعطيه طعاما وشرابا ، أو تدله على صواب الحياة من خطئها ، وهيهات أن تجيب ، فما كان من أبى بكر الا أن القى على كبيرها حجرا جعله يخر لوجهه ويتناثر أشلاء ، وغادر المكان لا يلوى على شيء ... وكان هذا آخر عهده بها .

كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف الى أبى بكر رضي الله عنه كثيرا ولعل الحديث - والحديث ذو شجون - ساقهما يوما الى ما كان عليه الجاهليون من عكوفهم على أصنام لا تسمن ولا تغنى فى مجال العقيدة السامية شيئا ، أصنام يخضعون لها خضوعا أعمى دون تدبر أو تفكير ، مع أن قليلا من التبصر يُرى أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا - ثم كيف تسأل هذه الصم الصلاد جلب خير أو دفع ضر بينما هي لا تستقيم الا اذا أقيمت ولا تستقر الا بفعل أضعفهم أو أقواهم ، ولعل هذا الحديث جرهما الى نقد سائر عادات الجاهلية التي لا تتفق مع العقل السليم والمنطق المستقيم الطليق من قيود الوراثة وسدود المجتمع الذى تعيش فيه ، بل توحى بها فطر منحرفة وشهوات جامحة ، وليس ببعيد أنهما كانا يأملان أن يريا الفضيلة تسيطر على مجتمعهم ، والرذيلة تنجاب عنه بوسيلة ما لم يحدداها ، بل هو نوع من الصفاء الروحي يجعل الانسان يتوقع تغييرا لبعض أحوال لا يراها منسجمة مع الجبلة النقية ، وواقع لا توافق بينه وبين ما ينبغى أن يكون .

ومما يزيدنى يقينا بأن أمثال هذه الأحاديث كانت تثار كلما اجتمع محمد وابو بكر ، حُبِّبَ (محمد) صلى الله عليه وسلم للعزلة والخلاء بعد أن قطع شوطا بعيدا من عمره الشريف ، كأنه لم يطق أن يرى ما عليه معاصروه من أنواع الرذائل وصنوف الضلال ، فآثر الانزواء بعيدا عن الموبقات ومواطنها حتى يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده فتتطهر القرية وتسعد ، وكذلك ما روى عن ابى بكر رضى الله عنه وحديثه مع امية بن أبى الصلت الذى كان معروفا بتعبده على شرعة أبى الأنبياء ابراهيم خليل الرحمن وأنه سمعه يوما يقول :

كل دين يوم القيامة الا ... ما قضى الله والحنيفة بور

وما كان من حديثه مع ورقة بن نوفل ابن أسد القرشي الذى هجر الأصنام قبل الاسلام وكان على معرفة بدين عيسى عليه السلام بل كان له علم واطلاع على كثير من كتب الأولين . وقد قال لأبى بكر يوما « انه قد أظلنا زمان نبى يظهر من أوسط العرب نسبا يقول ما يقال له . وفى هذا المقام يورد ابن عساكر وغيره قصتين وقعتا لأبى بكر قوتا عنده الأمل فى تغيير شامل لأحوال الجاهلية على يدى رجل يوحى اليه من السماء ، وأنه سيكون من أشياعه الأقربين الذين يقيمون معه البناء على أقوم أسس وأوطد أركان . ونحن نردهما تأكيدا لما ذهبنا اليه من تشوف أبى بكر كصاحبه محمد الى تحول بيئتهما الى احسن حال .

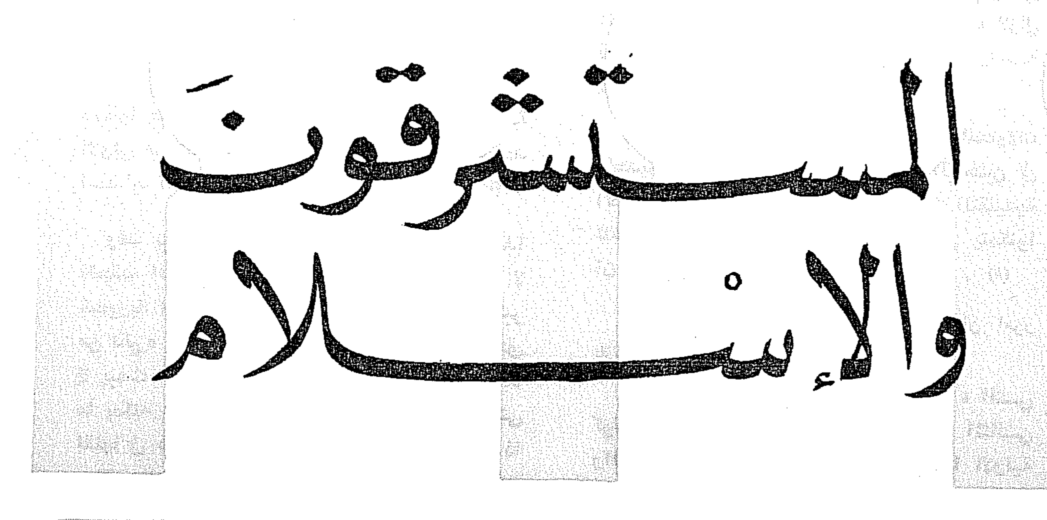
وأولاهما

ما يقوله أبو بكر من أنه خرج يقصد اليمن قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل على شيخ من الأزد له المام بعلوم الأولين ، يقول أبو بكر . فلما جلست اليه سألنى . ألست من الحرم ؟ قلت نعم . قال . وتيمى أنت ؟ قلت . نعم ، أنا من تيم بن مرة ، فقال . ستكون صاحبا لنبى يبعث فى الحرم .

وثانيتهما

ما روى من أنه كان فى بعض رحلاته

- البقية على ص ٣٠ - ٣١ -



المستشرقون والإسلام

للدكتور عرفان عبد الحميد
استاذ بكلية الشريعة ـ جامعة بغداد

ليست فى حقل الدراسات الانسانية دائرة سادتها الفوضى وعمها الاضطراب وعمل فيها الحقد والتحامل المقيت كدائرة الدراسات الاسلامية فى الغرب ، ذلك لان الاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الاسلام : حضارة وعقيدة وتراثا ، كان دافعه الاصيل « العمل من أجل انكار المقومات الثقافية والروحية فى ماضى هذه الامة والتنديد والاستخفاف بها (١) وهكذا ففي الوقت الذى يتصف فيه الباحث الاوربي اثناء دراسته للاديان والحضارات الاخرى « بالرصانة والاتزان، وفى احيان كثيرة بتقدير واكبار ودبين » (٢)نراه يتنكر عند بحثه فى الاسلام لهذا المنهج » فتعمل المحاباة العاطفية فعلها فى هذه الرصانة الغربية ، بصورة تكاد تكون دائمه وثابته ، فتضطرب وتختل » (٣) فتتنكب عن الحق وتحيد عن الصواب

وهذه ظاهرة فكرية نحتاج فى تفسيرها الى تفهم الاسس النفسيه لاقدم العلاقات الفكرية بين العالمين الغربي والاسلامي ، ذلك لان ما يفكر الغربيون فيه ، ويشعرون به نحو الاسلام اليوم ، متأصل في انفعالات وتأثيرات ترجع الى معارف سابقة عميقة الجذور فى الفكر الاوربي ، فهى تعود الى فترة الحروب الصليبية والقرن الذى

---

(١) البهي (الدكتور محمد) « المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الاسلام » ، من منشورات الجامع الازهر ، مطبعة الازهر ـ ص (١) .

(٢) اسد (محمد) « الطريق الى مكة » ـ ترجمة عفيف البعلبكي ، الطبعة الاولى ببيروت ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠ ـ ٢١

سبقها مباشرة ، أى نهاية حقبة الالف سنة الاولى من التاريخ المسيحى ، والتى وصفها محمد أسد ب « الطفولة البكرة للمدنية الغربية (٤) .

وقد يبدو من سخرية التاريخ ان يظل هذا الحقد القديم ضد الاسلام قائما بطريقة لا شعورية ، فى زمن خسر فيه الدين القسم الاكبر من تأثيره فى مخيلة الاوربي ، بيد أن هذا فى الحق لا يبعث على الدهشة ، فنحن نعرف ان شخصا ما يمكنه ان يفقد بالكلية المعتقدات الدينية التى لقنها فى طفولته ، ومع ذلك فان انفعالا معينا ذا صلة بتلك المعتقدات اصلا يستمر دونما وعى ، فى حالة العمل ، ابان حياته فيما بعد ، وهذه حقيقة أشار اليها اكثر من مستشرق معاصر ، فالاستاذ مونتكمرى واط يقول « منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون مناجل تقويم الصورة المشوهة التى تولدت فى اوروبا للاسلام ، ولكن ورغم الجهد العلمى المبذل فان آثار الموقف المجافى للحقيقة والتى ولدتها كتابات القرون الوسطى فى أوروبا لا زالت قائمة ، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتثاثها كليا » (٥)

ويقول الاستاذ برنارد لويس « لا تزال آثار التعصب الدينى الغربي ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة فى الغالب وراء الحواشى المرصوصه فى الابحاث العلميه » (٦)

ويقول الاستاذ جيب عند الكلام عن ابحاث المبشرين من المستشرقين « ولقد قامت فى صفوفهم فى السنوات الاخيرة محاولة ايجابية تحاول النفاذ بصدق واخلاص الى اعماق الفكر الدينى للمسلمين بدل السطحية الفاضحة التي صبغت دراساتهم السابقة ، ولكن ورغم ذلك فان التأثر بالاحكام التى صدرت مسبقا على الاسلام والتى اتخذت صورة (تقليد منهجى) فى الغرب لازال قويا فى بحوثهم ، ولا يمكن أغفالها فى اية دراسة لهم عن الاسلام » (٧)

ويقول الاستاذ نورمان دانييل « رغم المحاولات الجدية المخلصه التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الاسلام فانهم لم يتمكنوا ان يتجردوا كليا عنها كما قد يتوهمون . (٨)

وهذا البحث محاولة تهدف الى بيان امور ثلاثة :

١ ـ توضيح معالم الصورة المشوهة ، التي كونتها اوربا عن الاسلام فى القرنين الثاني والثالث عشر ، والتى استمدت موادها الاولية من مصادر تاريخية بيزنطية شرقية واسبانية لاتينية مع ما اضيف اليها من معلومات مباشرة تولدت خلال الحروب الصليبية .

٢ ـ التأكيد على أن هذه الصورة اتخذت شكل « تقليد منهجى » و « اطار فكرى » فى اوروبا توارثته الاجيال التالية ، وتحولت الى « فتاوى شرعية » اخذ بها المتأخرون « وحقائق مسلمة » تلقوها من غير بحث فيها او نظر .

٣ ـ التأكيد على ان هذه الصورة المشوهة والحقد الدفين الذى سببها ، لا زالا قائمين رغم ادعاء المستشرقين المعاصرين بأن ابحاثهم اتخذت شكل الموضوعية ، والتجرد عن الاهواء ، والاخذ باسباب البحث العلمي ، وما تمليه النزاهة العلمية . وذلك بايراد مجموعة منتخبة مناقوالهم المدونة فى كتبهم ومقالاتهم والتي تؤكد « استمرارية التقليد » رغم الاختلاف فى التعبيرات والمصطلحات ذلك الاختلاف الذى يوجبه واقع الحال وطبيعة الزمن .

---

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣ .

5) Watt, W.M. **Muhammad, Prophet And Statesman,** (Oxford), 1961 , p. 3.

(٦) لويس (برنارد) . العرب فى التاريخ . ص ٦٣ (الترجمة العربية) .

7) Gibb, H.A.R. **Mohammedanism,** (Oxford), The preface.

8) Daniel, Norman. **Islam and the West,** the making of an image (Edinburgh), The Introduction, p.i.

أولا : لقد تكونت فى اوروبا للاسلام ونبيه خلال فترة الحروب الصليبية والقرن الذى سبقها صورة ذات ملامح بشعة مشوهة أملاها الحقد المقيت والجهل الفظيع بالاسلام واصوله وعقائده وتاريخه .

فقد صور الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحاشاه : بانه كان كاردينالا منشقا على البابوية . طمع فى كرسيها ، فلما خابت آماله ادعى النبوة ولصا ، وقاتلا ، وزير نساء ، وكافرا ، وساحرا ، ودجالا ، وخائنا ، وفاجرا ، وشيطانا من الشياطين: وارهابيا يشيع الموت وينشر الدمار وداعية اباحية اتخذ من شيوعية المرأة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الاخلاق (٩) .

وصور الاسلام بانه مزيج مشوه مستقى من أصول مسيحية ويهودية ، تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من اساتذته احبار اليهود ورهبان النصارى وقسسهم ، وصور الاسلام ايضا بصورة زندقة لا بل ومنبع الزندقات ، وفرقة منشقة عن الكنيسة . (١٠)

وصور القرآن الكريم : بانه كتاب يناقض بعضه بعضا ، غير منسجم فى افكاره ، وغير منتظم فيما يحويه ،وكل مافيه يخالف العقل ويعوق الفكر (١١)

وصور المسلمون : بانهم وحوش وأبناء شياطين ، وأهل لواط ، ومشركون يعبدون مجمعا من الاصنام الذى يضم الالهة جوبيتر ، آبولو ، دايانا ، – افلاطون ، والمسيح الدجال . (١٢)

شكلت اوروبا هذه الصورة من معارف استقتها من مصادر بيزنطية واسبانية ، واضافت اليها المعلومات المنحرفة التى جمعتها أثناء الحروب الصليبية .

فأوليات هذه الصورة البشعة جاءت مدونة فى كتاب للقديس يوحنا الدمشقي بعنوان « De kearesi - Bus » الذى عاش فى عصر خلفاء بنى أمية ، ومن رسالة ثانية دونت باللغة العربية يبدو فيها انها منتحلة تحمل اسم مؤلف يدعى انه مسلم ارتد وتنصر ، أسمه عبد المسيح بن اسحق الكندى ، وقد اعيد نشرها فى القرن التاسع عشر بلندن ، وذلك لتخدم اغراض المبشرين العاملين فى الشرق الاسلامي ، كما لخصها وترجمها الى الانجليزية السير وليم ميور وجعلها فى مقدمة كتابه المشهور « حياة محمد » ١٣ ثم جاءت الحروب الصليبية فزادت من رسوخ هذه الصورة وتعميق اثرها فى الفكر الاوربى ، ذلك لان « الاذى الذى جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الاسلحة ، بل كان اولا وقبل كل شيء ، أذى عقليا نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الاسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الاسلامية تفسيرا خاطئا متعمدا ، لانه كان من الضرورى لاذكاء الحملة الصليبية أن يوسم نبى المسلمين بعدو المسيح ، وان يصور دينه باكلح العبارات ، كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق (١٤) .

بدء فكرة التبشير

ولقد تخللت هذه الحروب التي دامت طيلة قرنين (١٠٩٥ م – ١٢٩٢ م) فترات انتكاسات

9) Daniel, Norman, Op. cit., pp. 28, 28, 73, 78, 81. See also,
Southern, R.W. **Westren Views Of Islam in the Middle Ages** (Harverd-University press, 1962) pp. 24-25, 30, 31. 74.
10) Daniel, Norman, op. cit. pp. 208-9, 211. Also, See,
Southern, R.W. Op. vity., pp. 30. 38, 81, 94.
11) Daniel, Norman. Op. cit., pp. 47, 62-5, Also, Southern, R.W. Op. cit, pp 71,81
12) Ibid, pp 69-70.
13) Ibid, The Introduction, pp. 3-4.,
كتب القديس يوحنا الدمشقي كتابا آخر عنوانه (Dialexies) كان المفروض ان يستخدم كمرشد للنصارى الشرقيين فى جدالهم مع العرب الفاتحين .

(١٤) اسد (محمد) « الطريق الى مكة » : ص

حربية ارتفعت بسببها صيحات تدعو الى نقل المعركة من ساحة الحرب الى حقل الفكر والمعرفة ، وكان من اوائل من دعا الى التبشير بدل الحرب القديس بطرس الراهب الذى طلب سنة ١١٤٣ م من « روبرت كيتون » ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية ، وقد اوضح بطرس الراهب هدفه من نشر هذه الترجمة التي شحنت بالتعليقات التي رددت التهم التي اشرنا اليها سابقا بقوله « ان القرآن منبع الزندقات ، وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان الكنيسة المسيحية ، فاذا اريد القضاء عليه ، فلا بد من دراسته ، والدعوة الى انه كتاب فيه تعارض وتضارب وتناقض ، وان ما فيه يرفضه العقل (١٥) الا ان هذه الصيحة من أجل احلال التبشير محل الحرب فشلت بسبب انتكاسة مروعة منيت بها الحملات الصليبية ، وهكذا اعاد البابا اينوسنت الثالث سنة ١٢١٣ م الدعوة الى مزيد من القوة تشهر في وجه المسلمين والقضاء على ما اسماه ب « دعوة المسيحالدجال »

روجر بيكون وخطة التبشير

ثم ظهرت الدعوة ثانية لاحلال التبشير محل الحرب ، وكان بطل الدعوة هذه المرة الفيلسوف المشهور روجر بيكون ، الذى ضمن دعوته في رسالة وجهها سنة ١٢٦٦ م - ١٢٦٨ م الى البابا مقترحا فيها :

آ - وجوب ادخال اللغات الاجنبية (وخاصة العربية) في مناهج الدراسات الجامعية وذلك كوسيلة للتبشير ونشر المفتريات .

ب - دراسة احوال من يراد ردتهم ، لتسهل معرفة المسارب التي منها يمكن النفاذ الى عقيدة المسلمين لهدمها وتقويضها (١٦) .

وقد عاد في هذه الاونة عدد من القسس والرهبان الذين اشتركوا في الحروب الصليبية ، وصاروا ينشرون مذكرات وكتبا عن أحوال الشرق الاسلامي ، عملت من جديد على ابراز وتعميق ملامح الصورة المشوهة التي ذكرناها .

ومن اشهر هؤلاء Simon Semeonis الايرلندى الذى كان من اعضاء رابطة الاباء الفرنسيسكان ، والذى زار فلسطين سنة ١٣٢٣ م وحصل خلالها على نسخة من القرآن الكريم ، ثم نشر كتابا عن المسلمين وصفهم فيه بانهم « وحوش وخنازير وأبناء شياطين ومحترفو لواط .

ومنهم ايضا James Ofverona الايطالي الذى هو الاخر كتب عن الاسلام واصفا اياه بانه « صورةمشوهة مخزية من تعاليم المسيحية (١٨)

وكانت دعوة روجر بيكون في هذه الاونة قد وجدت آذانا صاغية عند المسؤولين في روما ، فقرر مجمع فيينا الديني المنعقد سنة ١٣١٢ م ادخال اللغة العربية من بين غيرها من اللغات الى جامعات اوروبا المشهورة مثل : اكسفورد ، باريس، سالمنكه ، ورما ، وكان المحرك الاول وراء تنفيذ هذه الخطة وتحقيقها ريموند لل الاسباني (١٢٣٥ - ١٣١٦) (١٩) .

والهدف ..

وهكذا نرى أن الدافع من وراء انشاء مراكز الدراسات العربية الاسلامية في

15) Southern, R.W. Op. cit., p. 37. See., Also,
Tibawi, A.L. **English Speaking Orientalists**, A Critique of their approach to Islam and Arab Nationalism (Published by the Islamic Cultural Center, London, 1964) P. 4.
16) Southern, R.W. Op. Cit., pp. 56-7.
17) Southern, R.W. Op. cit., p. 70. also, Daniel, Op. cit., p. 171.
18) Southern, R.W. op. cit., p 71.
19) Ibid., p. 72. also, Tibawi, Op. cit, p4.

الغرب لم يكن عمليا منذ البداية ، بل كانت الغاية منه والهدف « دينيا تبشيريا هدميا (٢٠) ، وقد انضم الى هذا الدافع الديني في القرن السابع عشر ، سبب استعماري استغلالي ظهر للوجود كنتيجة للصلات الاقتصادية وخطط التوسع الاقتصادي التي ظهرت في اوروبا ، فقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة ١٦٣٩ م الى المسؤولين في جامعة كمبردج ، والتي طلبوا فيها انشاء كرسي للدراسات العربية الاسلامية ما يلي « يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من اجل ازدهار تجارتنا مع الاقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة — اذا شاء الله — في الوقت المناسب ، ونشر هدى الدين المسيحي بين اولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة (٢١) .

ان الحضارة الاوروبية المعاصرة تعتمد في تكوينها العقلي الى حد كبير على حركات فكرية تتابعت في تاريخها الحديث مثل حركة النهضة الاوروبية — الرينسانس — والاصلاح الديني وحركة التنوير، وقد زادت هذه الحركات من رسوخ ملامح الصورة المشوهة التي كونتها اوروبا عن الاسلام في القرنين الحادى عشر والثاني عشر ، وذلك كنتيجة لترديد التهم الباطلة التي ألصقت بالاسلام ونبيه وكتابه المقدس ، ف « دانتي » الشاعر الايطالي المشهور واحد أعمدة حركة الرينسانس صور الرسول عليه الصلاة والسلام « وقد القى في الدرك الثامن والعشرين من جهنم ، وقد شطر الى نصفين من رأسه الى منتصفه ، وصوره وهو ينهش بيديه في جسمه ، عقابا له على ما اقترف من فضائح وآثام وما سبب من شقاق ، ولانه في رأيه تجسيد كامل للروح الشريرة » وصور الاسلام كمن سبقوه « زندقة انتجت ظلا مخيفا خيم على العالم كله » (٢٢) .

واكد بوليدور فيرجيل — الذى يعتبر هو الآخر واحد من أكبر أركان النهضة — ما ذكره سابقوه من تهم : وزاد عليها فزعم ان الاسلام نسيج مشوه مستقى من مصادر مسيحية ، وان الرسول كان مصابا بالصدع ، وأن الاسلام انتشر بحد السيف وفيه شيوعية المرأة » (٢٣) .

اما فولتير (١٦٩٤ — ١٧٧٨) الذى يعتبر النموذج الامثل لرواد حركة التنوير ، فقد وصف الرسول بانه « مثير فتن ودجال يدعى كذبا المناجاة مع روح القدس ، ويزعم انه صاحب رسالة كل سطر فيها ينم عن السخف الذى يناقض مبادىء العقل الاولى » (٢٤) .

ووصف « ديدرو » — وهو الاخر من رجال التنوير الفرنسي ومن كتاب الموسوعة الفرنسية — وصف الرسول بقوله « قاتل رجال ، وخاطف نساء ، واكبر عدو للعقل الحر » (٢٥) .

في القرنين : ١٩ ، ٢٠

تلك هي ملامح الصورة المشوهة القائمة التي تكونت في اوروبا عن الاسلام قبل القرن التاسع عشر ، اما في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فقد انتشرت في العالم الاسلامي مجموعة كبيرة من الابحاث التي قام بها المستشرقون في تاريخ الاسلام وحضارته وأصول عقائده ، ادعى فيها اصحابها انها دراسات موضوعية تتسم بروح البحث العلمي المجرد من آثار التعصب الديني ، وما تمليه النزوة والهوى والمحاباة العاطفية الا ان نظرة تحليلية في هذه الدراسات تثبت نقيض ما يدعى

---

20) Tibawi Op. cit., p 4. See also, Rashdall, H. **The Universities of Europe in The Middle Ages** (Oxford, 1895), ii, pt. i, pp. 30, 81-82, 96.

21) مقتبس من A.J. Arberry, The Cambridge School of Arabic (Cambridge, 1948), p.8.

22) Daniel, Norman. op. cit., p 192. also, Andrae, Tor. **Mohammed, The Man and His Faith** (london-ed impression, 1956), p. 173.

23) Daniel, Norman, Op. cit., pp. 279.283.

24) Andrae. Tor. op. cit., p 174. Daniel, Norman, op. cit., p. 289.

25) Andrae, Tor. op. cit., p. 175.



اصحابها ، فالصورة المشوهة القائمة للاسلام لا زالت قائمة فى كلياتها ، وان طرأ تغير جزئي على تفاصيلها ، والدراسة التي تتنكب الموضوعية والنزاهة لا زالت هي السائدة الغالبة على هذا الحقل ، وان كان ثمة تغير فذلك مما تحتمه القاعدة المشهورة « اختلاف الاحكام باختلاف المصالح والازمان » .

ان الاستشراق لا زال يعيش فى عالم الافكار الجامحة التي كونتها اوروبا فى فجر ولادتها الفكرية فلا زال يدعو الى ان :

اولا ـ الوحى ، تصور ووهم وظن وخيال وحمى اصابت الرسول .

يقول كولد زيهر : فى معرض كلامه عن الوحى « ان الامراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم والتي يستقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة ، كما يتخذون منها قوة تهدم جميع العقبات ومن ذلك حمية النبى او الحوارى (٢٦) .

ويقول بروكلمان : عند كلامه عن الوحى « اعلن (اى الرسول) ما ظن انه قد سمعه كوحى من الله » (٢٧) .

ثانيا ـ ولا زال الاستشراق يعمل من اجل هدم السيرة النبوية ، والتشكيك فى مصادرها .

يقول تور اندريه : « لا نعرف بالضبط متى ولد محمد ، وأكثر ما جاءنا عن حياته الاولى معلومات اسطورية » (٢٨) .

ويقول برنارد لويس : « لا يعرف الا القليل عن نسب محمد وأوائل حياته ، بل ان هذا القليل قد اخذ يتناقض شيئا فشيئا كلما تقدم البحث الاوروبي ، وأثار شبهة بعد اخرى حول المادة المضمنة فى الاخبار الاسلامية » (٢٩) .

ويقول نيكلسون : ان الحقيقة المجردة هى أن محمدا قبل نبوته كان قرشيا مغمورا ، وكل ما روى عن حياته التي سبقت نبوته لا يمكن اعتباره حوادث تاريخية واقعة سوى زواجه من خديجة (٣٠) .

ويقول بروكلمان : لسنا نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي ، والمشهور ان ولادته كانت حوالي سنة ٥٧٠ م ولكن الذى لا شك فيه انها متأخرة عن ذلك بعض الشيء (٣١) .

ثالثا ـ ولا زال الاستشراق يدعى ان القرآن كتاب فيه تناقض وتضارب وتدافع .

يقول تور اندريه : « ان افكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة اشد الاضطراب (٣٢) . ويقول فى مكان آخر « يبدو محمد فى القرآن بصورة حالم او ضال ينشد الحقيقة ، فيشكل آراءه ومثله استنادا الى ما يتلقاه من تعليمات تصله اتفاقا بدلا من ان يقيمها على حقائق ثابتة وحية » (٣٣) .

ويقول كولد زيهر : ومن العسير ان نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقضات ، ولم يصلنا من المعارف الدينية الاكثر اهمية وخطرا ، الا آثار عامة نجد فيها ، اذا بحثناها فى تفاصيلها ، احيانا تعاليم متناقضة . ثم يستطرد ويقول « كان وحى النبى » حتى فى حياته معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص ، وكان عدم

(٢٦) كولد زيهر (اجناس) . العقيدة والشريعة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ١٢ .
(٢٧) بروكلمان (كارل) . « تاريخ الشعوب الاسلامية » الترجمة العربية ، جـ ١ ص ٤٠ .
28) Andrae, Tor· op. cit.‘ p. 31.
(٢٩) لويس (برنارد) . العرب فى التاريخ ، الترجمة العربية ، ص ٤٩ .
30) Nicholso, R.A. **A literary History of the Arabs**, p. 148
(٣١) بروكلمان (كارل) . المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٣٤ .
32) Andrae, Tor. op. cit., p. 27.
33) Ibid, p. 39.

الاستقرار والطابع المتناقض البادى فى تعاليمه موقع ملاحظات ساخرة » (٣٤) .

ويقول ولهوزن : ويبرز فى القرآن شأن القدرة الالهية تارة ، وشان العدل الالهى تارة اخرى . وذلك بحسبما كان يحس به (النبي عليه السلام) دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا شعور من محمد (عليه السلام) بما فى ذلك من تناقض ، لانه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظرى فى العقائد (٣٥) .

ويقول دى بوير : قبل الرعيل الاول من المؤمنين ما فى القرآن من تناقض ، وهو الذى نعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي (عليه السلام) وباختلاف أحواله النفسية (٣٦) .

ويردد هذا القول نيكلسون (٣٧) مكدونالد (٣٨) وستوك هورخنيه (٣٩) وشاخت (٤٠) .

رابعا ــ ولا زال الاستشراق يزعم بأن الاسلام نسيج مشوه استمده الرسول عليه السلام من المصادر اليهودية والمسيحية والزرادشتية .

يقول تور اندريه : لا شك ان الاصول الكبرى للاسلام مستقاة من الديانتين : اليهودية والمسيحية وهذه حقيقةولا يحتاج أثباتهاالى جهد كبير(٤١).

ويقول برنارد لويس : روايته (اى الرسول عليه السلام) لقصص الكتاب المقدس توحى بان معرفته به كانت عن طريق غير مباشر ، وربما كانت عن طريق التجارةوالرحالة اليهود والنصارى الذين كانت اخبارهم متاثرة بالمؤثرات المدراشية والايوكرنا (٤٢) .

ويقول اندرسون : « ليس من شك فى ان محمدا اقتبس افكاره من مصادر التلمود والايوكرنا والمسيحية » (٤٣) .

ويقول بروكلمان : وليس من شك فى ان معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد الحدود وحافلة بالاخطار ، وقد يكون مدينا ببعض هذه الاخطار للاساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودى ، ولكنه مدين بذلك دينا اكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة ، وحديث الاسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتواتر فى كتب العصر الوسيط (٤٤) .

ويقول فى مكان آخر « وبينما كان محمد (عليه الصلاة والسلام) واصحابه يصلون مرتين فى اليوم فى مكة وثلاث مرات فى المدينة كاليهود ، فقد جعلت الطقوس المتاخرة المتأثرة بالفرس عدد الصلوات المفروضة فى اليوم خمسا » (٤٥) .

ويقول فى مكان آخر « ان الرسول عليه‌السلام »

ــ البقية على ص ٣٥ ــ

(٣٤) كولد زيهر (اجناس) المصدر نفسه ، ص ٧٨ ــ ٧٩ وكذلك كتابه الآخر : مذاهب التفسير الاسلامي ٢ الترجمة العربية ، ص ٤ .

(٣٥) ولهوزن (يوليوس) . الدولة العربية وسقوطها ــ الترجمة العربية ــ عبد الهادى ابو ريده ص ٢٠ .

(٣٦) دى بوير . تاريخ الفلسفة فى الاسلام ــ الترجمة العربية ــ عبد الهادى ابو ريده ، ص ٤٩ .

37) Nicholson, R.A. **A Literary History of the Arabs,** (Cambridge. 1962), p. 223.

38) Macdonald, D.B. **The Development of Muslim Theology,** Jurisprudence and Constitutional Theory (london, 1903), p. 127.

39) Snouk Hurgronje, Selected Works, p. 77.

40) Schacht, **J E I ,** The Atricle, Usul.

41) Andrae, Tor. op. cit., pp. 10.26.

(٤٢) لويس (برنارد) . « العرب فى التاريخ » ص : ٥٠ .

43) Anderson, J.N.D. The World Religions (ed. London, 1950) The Article on Islam, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59.

(٤٤) بروكلمان (كارل) . « تاريخ الشعوب الاسلامية » جـ ١ ، ص ٤٣ .

(٤٥) بروكلمان (كارل) . « المصدر السابق » ، ص ٨٧ .

لقد استقلت معظم البلاد الاسلامية والعربية سياسيا ، وأصبح لها كيان دولي قوى ، ورأى له قيمته وخطره فى المشاكل الدولية والعالمية بعد أن كان يصدق عليها قول الشاعر العربي .

ويقضي الأمر حين تغيب تيم
ولا يستشهدون وهم حضور

وجرت في مضمار الاستقلال الاقتصادى اشواطا بعيدة ولم تعد تابعة **لأحد** فى اقتصادها كما كانت من قبل وبقى عليها أن تتم استقلالها الثقافى، وأن تحيى ما أماته الاستعمار من ثقافتنا الاسلامية العربية الأصيلة ، هذه الثقافة التي هي **بسبب وثيق من ديننا واخلاقنا وعروبتنا** وبيئتنا ، والتي تتسم بالروحانية والخلقية الكريمة والمعاني الانسانية النبيلة ، والتي أظلت العالم بظلالها الوارفة أحقابا من الزمان، والاستعماريون الدخلاء لما اغتصبوا بلاد الاسلام والعروبة **فى القرن الاخير لم يكتفوا بالغزو السياسى والاقتصادى ، بل جعلوا جل** اهتمامهم مسخ معالم الثقافة الاسلامية والعربية من نفوس الشعوب واحلال الثقافة الغربية محلها ، واتبعوا فى ذلك وسائل الارهاب حينا ، والترغيب حينا آخر حتى تم لهم الكثير مما أرادوا، وغدا من المؤسف حقا ان نجد بعض اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية هي السائدة في بلاد جل اهلها عرب مسلمون واصبحت اللغة العربية لغة القرآن غريبة فى هذه الاقطار ، لا تستقيم بها السنة أهلها ، وانما ينطقونها برطانة أعجمية ، ولسان غير عربي ، واذا كان هذا حال اللغة العربية فما بالك بغيرها من الوان الثقافة الاسلامية والعربية ، وما اكثرها وأجلها .

وليس أدل على نجاح المستعمرين فى اضعاف الثقافة الاسلامية والعربية في البلاد التي منيت بهم من أن علوم القرآن **الكريم وعلوم السنة النبوية، وهما الاصلان** الأصيلان للاسلام لا **يكاد يعرف منهما** طلاب المدارس والمعاهد والجامعات **المدنية شيئا ذا غناء ، واذا استثنينا** جامعة الأزهر ، وبعض الجامعات الاسلامية الأخرى ، وبعض الكليات التي

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

الاستاذ المساعد بكلية اصول الدين ـ جامعة الازهر

تعنى بالدراسات الاسلامية فاننا نجد الثقافة القرآنية والحديثية تكاد تنحصر في جملة من الآيات ، والأحاديث النبوية **تدرس دراسة سطحية خاطفة على انها نماذج ادبية ، او امثلة لاداب واخلاق اسلامية ، من غير ان يكون لها اثر واضح فى الاعتقاد والسلوك والاداب .**

وكم من المثقفين وطلاب المدارس والجامعات من يعرف ما هو القرآن ؟ وكيف نزل ؟ ومتى نزل ؟ وعلى أى حال كان يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأسباب نزوله ؟ ومكيه **ومدنيه ؟ ومميزات وخصائص كل من** القسمين ، وكيف جمع القرآن الكريم ودون بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وما هي الأطوار التي مربها جمع القرآن وكتابته وعناية الأمة الاسلامية بكتابها من لدن الصحابة حتى وصل الينا كما أنزله الله من غير تحريف ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، وما **هو اعجاز القرآن ؟** وما هي وجوه الاعجاز ؟ واقامة الأدلة والبراهين على هذا الاعجاز الى غير ذلك من الثقافة القرآنية التي لا يستغنى عنها مسلم فضلا عن طالب علم كأمثال القرآن ، وأقسامه ، وقصصه ومجازه ، ومحكمه ومتشابهه ، وجدله ومناظراته ، وانواع حججه وبراهينه وطريقته الفذة الفضة في اقامة براهينه العقلية والكونية ، والوجدانية ، وهذا قل من كثر ، وغيض من فيض من الثقافة القرآنية ولعلك تعجب معي من هذه القصة . قال الأصمعي سمعت بنتا من الأعراب خماسية أو سداسية (1) تنشد .

أستغفر الله لذنبي كله
قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله
وانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك !! فقالت ويحك أبعد هذا فصاحة مع قوله تعالى « وأوحينا الى أمموسى أنأرضعيه

(1) يعني بنت خمس أو ست سنين

نحو ثقافة اسلامية

فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » فجمع في آية واحدة بين خبرين ، وأمرين ونهيين ، وبشارتين(١) فاذا كانت ثقافة هذه البنت الصغيرة على هذه الحال، فما بالك بالكبار من الرجال ، والكبيرات من النساء ؟! وكم من المثقفين وطلاب العلم اليوم من يساوى هذه البنت أو يدانيها في ثقافتها ؟ .

وليست الثقافة الحديثة بأوفر حظا من الثقافة القرآنية لدى الكثرة الكاثرة من طلاب العلم والمثقفين وكم من هؤلاء من يعلم ما هي السنة وما هو الحديث ؟ وما هو الخبر وما هو الأثر ؟ ومنزلة السنة من القرآن ؟ والأدلة المتكاثرة على حجية السنة واعتبارها مصدرا من مصادر التشريع ،ومتى دونت الأحاديث؟ وعناية المسلمين بها من لدن النبى صلى الله عليه وسلم الى ان دونت وكتبت في الصحاح ، والمسانيد ، والسنن ، والجوامع ثم استمرت هذه العناية الى وقتنا هذا شرحا وفقها واستنباطا ، وتنقية لها من كل شوائب الاختلاق والدس بحسب الجهد البشرى ، وذلك بفضل القواعد والأصول التي وضعها علماء أصول الرواية في الاسلام والتي تعتبر بحق أوفى القواعد وأرقاها ، وأدقها في علم النقد بقسميه نقد السند والمتن،او بالتعبير الحديث،النقد الخارجي والنقد الداخلي ، وللمحدثين في تاريخ نقد الرجال وميزانهم الميزان الدقيق ثروة لا تكاد تعرف في امة من الأمم فكم من المثقفين وطلاب العلم من يثقفون هذه المعارف ويعرفونها ؟

فمتى نرى هذه الثقافة الاسلامية الأصيلة امرا مشاعا بين طلابنا وطالباتنا، ومثقفينا ومثقفاتنا ، حتى نعود بالمجتمع الاسلامي الى ما كان عليه من نضج علمي، وثقافة واسعة بالقرآن والسنة .

واذا تركنا الثقافة القرآنية والحديثية الى غيرهما من الوان الثقافة والمعارف الاسلامية وجدنا معرفة الطلاب والمثقفين لها ضحلة ، فالدراسات الفقهية والتشريعية لم تلق العناية بها ، ونحن الأمة الاسلامية لنا تاريخ حافل مجيد في الفقه والاجتهاد ، وعندنا ثروة ضخمة من كتب الفقه والاصول والشروح والأقضية والفتاوى تعدو عن الحصر ، وتملا خزانة وحدها ، وهذه الثروة الطائلة لا تحتاج الا الى ترتيب وتهذيب وتقنين فتبدو في ثوب قشيب جذاب يجذب الابصار ويشبع العقول، وكان من اثر ضعف الثقافة الفقهية ان الكثرة من طلاب العلم العرب يعرفون عن رجال القانون ، واصحاب الشروح على هذه القوانين ما لا يعرفونه عن الأئمة أبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد ، والاوزاعى ، والليث بن سعد ، وأبى يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن ، والبويطى ، والمزنى، والربيع الجيزى ، وابن القاسم ، وأشهب

---

(١) الخبران اوحينا ، وخفت ، الامران أرضعيه وألقيه ، النهيان ولا تخافي ولا تحزني ، البشارتان، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين .

والخـلال ، والسـرخسي والطحـاوى وغيرهم من اساطين الفقـه والشريعة ، والدراسات اللغـوية والادبية ضعيفـة وقل الاعتناء بها ، ولذا نجـد الطـلاب يعرفون من ادباء الغرب وأعلامه أكثرمما يعرفون عن اعلام اللغة والادب من المسلمين العرب أمثال الأصمعى ، والجاحظ وابن عبد ربه ، وأبى علي القالي ، وأبي الفرج الاصبهانى ، والقلقشندى ، والنويـرى والجرهرى ، والفيروز اباذى وابن منظور وغيرهم وما أكثرهم ..

وكذلك الدراسات العقلية والفلسفية الاسلامية لا تجد عند طلاب الجامعات ومعاهد العلم قبولا ورواجـا كدراسـة الفلسفة الأوروبية ورجالها ، لذلـك لا تعجب اذا كان الطالب يعرف عن اعلام الفلسفة الغربية ما لا يعرفه عن الغزالي والكندى وابن سينا والفارابي وابن رشد والرازى الذين لم يكونوا مجـرد نقلـة للفلسفة الاغريقية كما زعم المتجنون على العرب ، وانكروا ان يكون لهم فضـل وابتكار فى علم او فلسفة وانما فهمـوا وناقشوا ، وهضموا ما وعوه ، وصيروا منه عصارة شهية مستساغة ، وضموا الى ذلك ما ابتكروه ، وابتدعـوه مـن نظريات وبذلك خطوا بالمعارف الفلسفية والانسانية خطوات مشكورة .

ويعرف عن علماء الغرب واعلام الفكر الذين ساهموا في التراث الانساني ، مالا يعرفه عن البخارى ومسلم والطبـرى والقاضي عياض وابن حزم وابن عبدالبر والـزمخشرى وابن القيـم والـذهبي والسبكي وامام الحرمـين وابن حجـر والسخاوى والسيوطى والالوسى وغيرهم وما اكثرهم .

ويعرف عن رواد الاصلاح الـديني والاجتماعي والسياسي ما لا يعرفه عن ابن تيمية وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم .

وكان من آثار الاستعمار السيئة في الثقافة انه حاول طمس معالم الحقيقة فنسب الى الغرب كـل علم وحضـارة وجرد الشرق ولا سيما العرب من كل فضل مع ان فضـل العلمـاء العـرب علـى الحضـارة الانسانيـة معـروف غـير منكـور ، ان طلابنـا فى المـدارس والمعاهـد والجامعـات يدرسـون الكثير من النظريات في الطبيعة والكيمياء والرياضة والفلك وغيرها ، ويعرفـون الكثير عن اصحاب هذه النظريات قدامى ومحدثين ولكنهم يجهلون فضل العلماء المسلمين والعرب على العالم في ابتداع اصول هذه العلوم والوصول الى بعض نظرياته ، هذا الفضل الذى شهد بـه المنصفـون من علمـاء الغـرب مثـل « كاجورى » الذى قال « ان العقـل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبـر » ومثـل « سيديو » العـالم الفرنسي الذى قال « ان انتاج افكارهم – اى العرب – الغزيرة ومخترعـاتهم النفيسة تشهد انهم اساتذة أهل اوروبا في جميع الأشياء » .

لقد آن الأوان للقضاء على ما تركه الاستعمار من مسخ ثقافي ، وافتراءات على الثقافة الاسلامية العربية الأصيلة وأن نعيد هذه الثقافة قوية كما كانت ، وأن نجعل لها السيادة على الثقافـات الأخرى وأن نلقن الطلاب والناشئة فضل آبائهم وأجدادهم على العلم والحضارة ،

حتى يشبوا وهم معتزون بثقافتهم وبأنفسهم .

اليس من المؤسف ان يغيب عن علم طلابنا ومثقفينا ان « الخوارزمي » العالم العربي يعتبر من كبار رياضيي العالم وأنه أول من وضع علم **الجبر** بشكل مستقل عن الحساب ، فقد رتبه وبوبه **ووضع اصوله التى تعد اساسا لكثير** من بحوثه ، و « جابر بن حيان » العالم العربي من ألمع علماء الكيمياء العالميين الذين أضافوا مباحث هامة ، ونظريات دقيقة الىالثروة الانسانية العلمية جعلته فىعداد الخالدين فىتاريخ التقدم الفكرى، و « البيروني » العالم العربي كان له كعب عال وقدم راسخة في كثير من العلوم والمعارف الانسانية وكانت له ابتكارات قيمة وبحوث نادرة في الرياضيات والفلك ، والتاريخ والجغرافيا وقد قال « سخاو » بعد أن اطلع على مؤلفاته وبحوثه المبتكرة « ان البيروني اعظم عقلية عرفها التاريخ ..

و « ابن الهيثم » من مفاخر الأمة العربية ومن علماء العرب العالميين برع في الرياضيات ولا سيما في بحوث البصريات ولولاه لما تقدمت تقدمها المعروف ، والعلماء المسلمون والعرب هم الذين **هذبوا الأرقام الهندية** التى نستعملها الآن والتي وصلت الى الغرب **بوساطة الكتب العربية ، وهم الذين استعملوا الصفر للغايةالتى نستعملهاالان** ووضع علامة الفاصلة للكسر العشرى ، وقد اثبتت التحريات الحديثة ان العرب هم الذين اخترعوا « **الرقاص** » و « الاسطرلاب » وانهم من الذين مهدوا لايجاد التكامل والتفاضل واللوغورتمات الى غير ذلك من **المعارف الانسانية** والاختراعات العلمية **التي ساهمت في** تقدم الفكر وتكوين الحضارة البشرية(1)

انني حينما ادعو الى احياء الثقافة الاسلامية العربية لا أريد الانعزال عن الثقافات الأخرى من غربية او شرقية ، وعدم الاستفادة منها ، لأن الثقافات يلقح بعضها بعضا ، ويستفيد بعضها من بعض ، ولكني أريد أن لا تطغى الثقافات الأخرى على ثقافتنا الاسلامية العربية الأصيلة ، وأن يكون علمنا بها علما شاملا لكل مسلم وعربي لا يختص بفئة دون فئة ، ولا بجامعة دون جامعة ، ولا بكلية دون كلية وماذا على طالب الطب وطالب الهندسة وطالب الرياضة وطالب التجارة وطالب الزراعة وطالب الفلسفة و .. و .. لو حظى بقسط من الثقافة الاسلامية والعربية يجعله على علم بها ، وبذلك تزول الأمية الدينية عن كثير من المتعلمين ، ثم ليكن بعد هذا التخصص والتعمق في الدراسات الاسلامية للجامعات والكليات التيعنيت عناية خاصة بهذا اللون من الثقافةفمبدأ التخصص هذا أمر معروف ومعمول به في كل جامعات العالم .

ومن العجيب أن الجامعات الاسلامية أو معظمها قد حظى طلابها بقسط غير

---

(١) انظر كتاب « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » للاستاذ الجليل قدرى حافظ طوقان.

قليل من العلوم الأخرى كالرياضة والطبيعة والكيمياء والأحياء وتقويم البلدان (الجغرافيا) ونحوها بينماطلاب الكليات المدنية لم يخطوا أى خطوات تذكر نحو الثقافة الاسلامية الأصيلة .

ان هذه الانفصالية بين علوم الدين وعلوم الدنيا لم تكن معروفة فيعصور الاسلام الذهبية أيام ان كانت الحضارة الاسلامية العربية هي السائدة في أركان الدنيا المعروفة ، فكان الأطباء والفلاسفة وأمثالهم على علم أصيل بعلوم الشريعة واللغة العربية ، وأوضح مثل لذلك ابو الوليد ابن رشد فيلسوف قرطبة بالأندلس ، فله بجانب كتبه الفلسفية كتب قيمة في الفقه والتشريع اجلها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وهو يعتبر من كتب الفقه المقارن ، عرض فيه مؤلفه الآراء الفقهية عرض عالم بالشريعة خبير بآراء الفقهاء وأدلتهم وأصولهم .

واقرأ ما كتبه المؤرخ الكبيروفيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته عن العلوم الاسلامية والعربية فانك سترى عالما خبيرا بكل هذه العلوم والمعارف الاسلامية والعربية، بل اقرأ ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في كتابه ((تهافت الفلاسفة)) لتجد نفسك أمام عالم كبير بالشريعة والاصولين أصول الدين وأصول الفقه مع احاطته بالفلسفة ودقائقها وأصولها .

وأحب ان أنبه الى أن الثقافة شيء ، والعلوم ولا سيما التجريبية شيء آخر ، فالثقافة تتلون بألوان الشعوب أى بالمقومات التي تكون هذه الثقافة ، اما العلم فكلا مباح للبشرية جمعاء ، فلنأخذ منه ما نشاء ، ولنجر فيه اشواطا لنلحق فيه من سبقنا، أو نسبقهم ان استطعنا. وقد قال معلم البشرية ومنقذ الانسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ((الحكمة ضالة المؤمن ، حيثما وجدها فهو أحق بها)) رواه ابن ماجه ، ورواه العسكرى بلفظ ((العلم ضالة المؤمن حيث وجده أخذه)) .

فهل تعود للثقافة الاسلامية العربية مكانتها ؟ وهل يعيد أبناء الجيل الحاضر أمجاد الماضي ؟ ذلك ما نرجو وما ذلك على الله بعزيز .

- الصدق امانة والكذب خيانة .
- انظر ما تقول ، ومتى تقول .
- بادروا فى مهل آجالكم قبل ان تنقطع آمالكم .
- ان عليك من الله عيونا تراك .
- أكيس الكيس التقي ، واحمق الحمق الفجور .
- اصلح نفسك يصلح لك الناس .
- اصبر فان العمل كله بالصبر .
- أرى الرجل فيعجبني فاذا قيل لا مهنة له سقط من عيني .
- ليس الفخر الا نفشل بل الفخر ان ننهض كلما فشلنا .

التجارية الى الشام ، فرأى فى منامه رؤيا قصها على بحيرا الراهب فقال له . ان صدقت رؤياك فانك ستكون صاحبا لنبى يبعث فى قومك ، فأحتفظ أبو بكر بذلك لنفسه ولم يلقه الى أحد حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقه .

٤ — .... وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور (١) فى غار حراء شهرا من كل سنة يتحنث ويتحنف ، وبينما هو يمشي يوما على قمة الجبل فى سيره الى الغار ، اذ طرق سمعه صوت غريب لا عهد له به ينطلق من جهة السماء ، يقول عليه الصلاة والسلام واصفا هذا الموقف الرهيب بالنسبة لحياته الهادئة الوادعة ، فرفعت بصرى الى السماء فاذا الملك يقول لي . اقرأ ، فقلت . ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال . اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء ، قال . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال . اقرأ ، فقلت . ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة . ثم أرسلنى ، فقال لي فى الثالثة . (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وأخبرها الخبر . وهنا تبرز صفات السمو والعقل والكمال وحسن الفهم وعمق الادراك النفسي من خديجة رضى الله عنها لقرينها سيد الخلق ، فتجيبه اجابة من درست عشيرها دراسة فاحصة دقيقة تامة ، وعرفت منه نقاء الجوهر وجمال المبنى وأمل الغد المشرق الوضيء ، فتكون اجابتها منطقية معقولة (والله لا يخزيك الله أبدا) رتبتها على المقدمات المؤكدة الانتاج : (انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق) ثم تنطلق معه الى ابن عمها ورقة بن نوفل تبثه حاله فقال . (هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتني فيها جذعا) (١) اذ يخرجك قومك قال . أو مخرجى هم ؟ ! . قال . نعم ، لم يأت رجل قومه بمثل ما جئت ، الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا) .

وبهذا تبدأ صفحة جديدة فى حياة الأمين الوادع لا عهد له بها ، ولا دراية لقومه بما وراءها ، فآمن قوم وتجهم آخرون ، وما درى المتقاعسون عن قبول الدعوة الالهية وعن معاضدتها ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحمل الى بطاح مكة سعادة الدنيا وعزها وسيادتها ومجدها وسبقها وتقدمها ، وأن رسالته الشريفة ستحيلها الى معقل خير ومبعث نور ومشرق هدى للقاصي والدانى ، وأن مكة المكرمة الخالدة ما خلد الزمان ستبقى بعده ما بقيت الحياة درة يتيمة فى عقد الوجود وغرة مشرقة فى جبينه ، ولن تتمخض أى بقعة فى الأرض بمثل ما تمخضت عنه أم القرى ، وأنى لهم أن يدركوا ذلك وهم عبدة هبل والعزى وأحلاس اللات ومناة ، وتمضى الأيام برسول الله صلى الله عليه وسلم وبدعوته الكريمة ويلاقى المؤمنون الأمرين من طغاة الشرك وقادة الكفر ، ويشاء العلي الكبير أن تكون أول شهيدة فى الاسلام (سمية) أم عمار رضى الله عنها حين مر بها وهي تعذب مع زوجها وابنها عتل عات أثيم فطعنها بحربة طعنة قتلتها وصعدت روحها المؤمنة الى بارئها راضية مرضية مسرعة الى الجنة تسرح فيها كيف تشاء ويبوء قاتلها بخزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ويبدأ اضطهاد

---

(١) يجاور : يعتكف .

(٢) جذعا — يقصد ياليتني كنت شابا حين تؤمر بالتبليغ حتى أناصرك فى الدعوة الى الله تعالى .

المشركين للمؤمنين ، وما يصدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قدرة رب العالمين وحياطته لرسوله وحفظه له .

أخرج مسلم عن عبد الرحمن بن صخر انه قال . قال أبو جهل . أيعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ . فقيل نعم ، فقال واللات لأطأن على رقبته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى يريد به السوء فما فجأ القوم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ويقول . بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » .

٥ ــ ويستمر الرسول فى التبليغ ممتثلا أمر ربه (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ...) (١) وتزداد عداوة المشركين ضراوة وشراسة ، وكلما تكالبوا على كفرهم وعنادهم كلما أصر المؤمنون على عقيدتهم وتكون الهجرة الى الحبشة ويلاحقهم المشركون الى هناك ، فيمضى عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الى النجاشي وهما يومئذ كافران وتدور معركة حامية الوطيس فى نقاش طويل بينهما وبين جعفر بن أبى طالب زعيم المهاجرين فى حضرة النجاشي وينتصر الرجل للحق بعد أن يراه واضحا أبلج فى كل كلمة فاه بها جعفر ، ويشاهد الظلم والاستفزاز والتجهم للخير فى أسلوب عمرو وصاحبه ، ويؤمِّن المهاجرين ، بل ويؤمِنُ هو بما آمنوا به ، ويعود مبعوثا أهل مكة خاويي الوفاض حتى من خفى حنين ، ولما مات النجاشى صلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال المنافقون . يصلى على علج مات بأرض الحبشة فنزل قوله تبارك وتعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) (٢) .

٦ ــ وهكذا لم يترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا يسلك للفرار بدينهم الا سلكوه حتى أتم الله نوره ورغم أنف الكافرين ، وقد نصرهم الله وأعزهم فهو سبحانه لا يتر عاملا عمله ولا يضيع أجر من توكل عليه وآمن به واحتسب كل جهده عنده .

وطريق النجاح دائما محفوف بالمخاطر والاهوال ولا عدة لسلوكه وبلوغ الغاية فيه الا الصبر الدائم والجهاد المتواصل والعمل الدائب وامتلاك النفس وقهرها ، وقسرها على الانتاج المفيد النافع الصالح الموصل الى الهدف الأسمى ، وكل ذلك بعد الايمان بالله قيوم السموات والأرض صاحب القدرة المطلقة والارادة النافذة ، والثقة التامة بما عنده ، وما أعده للعاملين المخلصين من أجر ومثوبة ، والتوكل عليه وحده حق التوكل واللجوء الى حماه كلما حزب أمر أو اشتد هول وثارت مشكلات وبرزت معضلات ثم سلوك الطريق التي رسمها لرسوله وسار فى دروبها صحابته مع الدراسة الواعية والاحاطة الشاملة والتيقظ لكل بادرة تنجم فى الوجود المعاصر من أحوال وأفكار وثقافات واتجاهات ، ليعد المسلم لكل شيء عدته ، مع تناسى (الأنا) بل والقضاء عليه قضاء مبرما بترويض النفوس وتهذيبها ودمجها مع غيرها فى تحمل المسئوليات عامة أو خاصة ، فالأنانية داء وبيل قاتل مفرق للجماعات ومزيل للحضارات ، والذين تطهرت قلوبهم منها لا يجد الحقد ولا الحسد اليهم سبيلا ، وهم دائما قادة ناجحون وأساة فالحون ، يفنون فى المجموع ويعملون لصالح الجماعة ، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده والله الموفق المستعان .

---

(١) المائدة ــ الآية ٦٧ . (٢) آل عمران ــ الآية ١٩٩ .

سوانا بآثار الحضـــــارة ينعـــم — ونحن بأشتات الاماني نحـــــلم
نعيش على الماضي ، ونهتــف باسمه — وحاضرنا بالبؤس والذل مُفْعَـــمُ
نرتّلُ امجاد الذين تقدَّمـــوا — ولم نتبع نهج الذين تقدمــــوا
كَسَلْنَا وجدَّ الباحثون إلى العُـــلا — فما نحن ايقاظٌ ، ولا نحـــن نـــوَّمُ
وكُنَّا مع الفرقان شملا موحـــدا — جميعا ، ونحن الآن نَهْبٌ مُقَسَّـــمُ
حمانا مُباح لِلمغيرِ مُحَلَّـــل — ولكنَّه بَسلٌ علينا محـــرم

***

تحكم الاستعمارُ فينا ، وبعضُنــا — على البعضِ منا صائلٌ مُتَقَحِّـــمُ
يعادى أخٌ منا أخاه ، وينحـــنى — لمن هو فينا غاشم مُتَحَكِّـــمُ
وما دولة الا تكيـد لأختهـــا — وتُعْرِب في حَوْكِ الشباك وتُعْجِـــمُ
وما أسرةٌ الا تبدِّد شَمْلُهَـــا — سواء أبٌ في غيِّه وابنُـــمُ
فلا عروة الاسلام ضَمَّت شَتَاتَنَـــا — ولا أدْنَت الفُصْحَى ، ولاقرّبَ الدَّمُ
ولا جمعتنا للوئـــام حضـــارةٌ — أشَعَّ بها التاريخ والكونُ مظلــم .

***

بنى الشرق ضَيَّعْتُم على الشرق مَجْدَه — ولم تحفظوا حق الجدود عليكمـــو
تعود بىَ الذكرى اليهم فأنْتَشِـــى — وان كنْتُ مِن اوضاعكم أتألَّـــمُ
تذكَّرْتُ روحانية الشرق حينمـــا — أضاء به مُوسى وعيسى ومَرْيَـــمُ
تذكَّرْتُ في البيت العتيق ,,مُحَمَّداً,, — ومن حوله الشرك العَتِى مُخَيِّـــمُ
تَذَكَّرْتُ اذْ ضاق بالشرك فانتحـــى — بغَار حراء باحثاً يتوسَّـــمُ
يُقَلّبُ عَيْنا في الوجود بصـــيرة — تَشُق حجابَ الغيب ،والغيبمُعْتِمُ
يناجي ويستهدى ، ويرجو ويتقـــى — وَيَنْشُدُ كَشْفَ السرِّ،والسر مُبْهَمُ
إلى أن تجلى الله بالوحي فَانْجَلَـــى — لفطنته السِّرُّ العميقُ المُكَتَّـــمُ
وعانقه الروح الأمين مُحَيِّيـــاً — وأهدى اليه فوق ما يتوهَّـــمُ
وقال له . ,, اقْرَأْ ,, قال . ما أنا قارئ — فقال . بفضل الله تتلو وتفهـــم

للاستاذ الشاعر علي عبد العظيم
الاستاذ بكلية الآداب ـ الجامعة الليبية

ستحمل باسم الله أسمى رسالة ... وحسبك أن الله نِعْمَ المُعَلِّمُ
فأشرقت الدنيا بأنوار ربها ... وَحَفَّتْ بها من رحمة الله أنعُمُ
تذكرت عهد ,, المصطفى ,, فتألقت ... أشعتُه وانجاب عنها التلثُّمُ
وشفَّ ستار الغيب بيني وبينه ... فطالعني ترحيبُه والتبسُّمُ
مَثُلْتُ لديه خاضعا مُتَبَتِّلا ... أصلي عليه خاشعا وأسلِّمُ
واسمع تسبيح الملائك حوله ... يجاوبه تسبيحُه والتَّرَنُّمُ
وللملأ الأعلى ابتهالٌ مقدس ... وللسِّدرة العصماء شَدوٌ مُنَغَّمُ
وللحرم المكيِّ رَنَّةٌ واجد ... يُرَدِّدُها عنه الحطيم وَزَمْزَمُ
وكلٌّ بِحَمْدِ الله داعٍ مُؤَمِّنٌ ... وكُلٌّ بذكْرِ الله صبٌّ مُتَيَّمُ

★★★

تذكرتُ أصحاب الرسول وكلهم ... حَفِيٌّ بآيات النُّبُوَّة مُغْرَمُ
وكل فتى فيهم كريمٌ مُكَرَّمٌ ... وكل فتى منهم حكيمٌ مُحَكَّمُ
ففي باحة المحراب داعٍ مُسَبِّحٌ ... وفي ساحة الهيجاء ليثٌ مُصَمِّمُ
إذا حلَّ وقت السِّلم فهو حمامةٌ ... وان سُعِّرَتْ نارُ الوغى فهو قَشْعَمُ
وما هو الا دارسٌ او مجاهد ... وماهو الا قَيِّمٌ أو مُقَوِّمُ
لقد أقسموا أن ينشروا دين ,, أحمد ,, ... فبرُّوا بما آلوا عليه وأقسموا
وليس لهم الأ العَزِيمةَ مُسْعِفٌ ... وليس لهم الا البصيرةَ مُلْهِمُ

★★★

تذكَّرْتُهم أيامَ صالوا وجاهدوا ... وسادوا وشادوا واستفادوا وعلَّموا
فما بطروا عند السيادة أو طغوا ... ولكنهم فيها أبَرٌّ وأرحم
لهم تحت أستار الظلام تَهَجُّدٌ ... يقربُهُمْ لله والناس نُوَّمُ
إذا رتلوا القرآن سالت عيونُهم ... وكادتْ بأفلاذ الحشاشة تَسْجُمُ
وان ثارت الهيجاءُ خفُّوا إلى الوغى ... فلا خَصْمَ الا مُسْلِمٌ أو مُسَلِّمُ

فيا قومُ هذا ما رعاه جدودكم ... ففيم عدلتم عن هداه وحدتمو ؟ ؟

رضيتم بأحكام الطغاة وبغيهم ... وياطالما قُلْتُم ، فماذا فعلتمُو ؟ ؟

لقدْ فرض الله الجهادَ ، فمالكم ... نَكَصْتُم على أعقابكُمْ وارتددتمو؟ ؟

وكم نبهتكم للاله مواعظٌ ... وآياتُ تحذير ، فهلاً اتعظتُمُو ؟ ؟

عصيْتُم كتاب الله ، أما عدوُّكم ... فكم ذا سمعتم قوله وأطعتمو ..

تركتم ذرى العلياء قسرا لزحفه ... وأنتم من المجد المؤثل أنتمو . .

لقد نالكم بالقهر والبغي والأذى ... فهلاّ ذكرتم كيف كان وكنتمو . .

ألم تتحرك نخوة العزِّ فيكمو ؟ ؟ ... ألم ينقشع سترُ الغشاوة عنكمو ؟ ؟

أفيكم حماةٌ للشريعة يقّظٌ ؟ ؟ ... أفيكُمْ أباة مخلصون ؟ أفيكمو؟ ؟

فان لم تصونوا دينكم حانَ حَيْنكُم ... وقام عليكم مأتمٌ ثم مَأْتَمُ

***

كأني بصوت « المصطفى » في سُموِّه ... يصيح بكم. « طال النكوصُ، فأقدموا »

كأني به في ساحة الخلد عاتبا ... يسائلكم . « ياقوم ماذا صنعتمو »؟

أحقا تركتم سنتي ؟ وهجرتُمُو ... كتابي ؟ وحِدْتُم عن طريقي وملتمو ؟

أحقا سَخَوْتم بالالوف على الهوى ... وأعوزكم في نصرة الدين درهم ؟

أحقا غفلتم عن تعاليم دينكم ... فلم يُجْدِ نُصَّاحٌ ولم يغن لُوَّمُ

حرام عليكم أن تنام عيونكم ... وللدين طرف لايُفَارقه الدم

حرام عليكم أن تَقَرَّ جنوبُكم ... وللدين قلب واهن متألم

أما صانَ حَقَّ اللهِ فيكم مُعَلِّم ؟ ... أما جَدَّ في ادراكه مُتَعَلِّم

إذا لم تحوطوا بالجهاد شريعتي ... فما أنتمو مني ، ولا أنا منكمو

***

فيا شيعة المختار ان لم تحافظوا ... على دينكم ضَيَّعتُمُوه وضعتمو

خصومكمو في الكيد للدين يُقَّظٌ ... وأنتم على تلك المكايد نوم

لقد ظلموا الدين القويم بإفكهم ... وأنتم إذا لم تنصروا الدين أظلم

أَتَلْهَوْنَ عنه والعُدَاة تنوشه ... فَلِلَّه ما يلقاه منكم ومنهمو ..

واني لأَخْشَى أن تُلِمَّ ملمَّةٌ ... يُطَالِعُكُمْ فيها القضاءُ المُحَتَّمُ

فيدهمكم ليلٌ من الرجز أَلْيَلُ ... وَيُصَبِّحُكم يومٌ من الشرِّ أَيْوَمُ

وقد يأخذ اللهُ العصاةَ بظُلمهم ... وان كان يعفو عن كثير ويرحم

جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودى » ! ! وانه « شرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفارة .. وبينما كان المؤمنون فى مكة لا يصلون الا مرتين فى اليوم ، أدخل فى المدينة على غرار اليهودية ايضا صلاة ثالثة عند الظهر » (٤٦) !! .

ويقول ترتون : الصوم اول ما شرع كان تقليدا لما عند اليهود : ثم بدل وغير ، وصار اشبه بصوم النصارى مع شيء من التفاير ويقول « ان فكرة صلاة الجمعة اقتبسها الرسول من الزردشتية !! » (٤٧) .

ولقد لخص كولد زيهر هذه المفتريات فى جملة واحدة فقال : تبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها والتي تأثر بها تأثرا عميقا (٤٨) .

* * *

خاتمة :

ان الاستشراق كمنهج عقلى تولد من ابوين غير شرعيين : التبشير الذى خطط له ، والاستعمار الذى غذاه . لا زال يعمل من اجل الفرض الذى أوجد من أجله ، الا وهو تقويض أركان العقيدة الاسلامية ، واحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة ، وتكوين شبكة فكرية فى العالم الاسلامي تدور فى فلكه ، وتبشر بتعاليمه وتستمد منه .

وهذا الاستمداد الفكرى والدعوة له ، هو الهدف الجديد للاستشراق لينتهى الامر الى خلق جيل يتنكر لتراث هذه الامة ، لتصير الى حيرة واضطراب فكرى ، وخلاء روحى ، فيسهل عنده غزو المجتمع الاسلامي بالفكر والمبادىء والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الامة وعقيدتها .

* * *

ان الفكر الاسلامي المعاصر وهو يخطو نحو انطلاقة خلاقة ، ويحاول ان ينفض عن نفسه مخلفات الجمود العقلي الذى منى به منذ سقوط بغداد ، لا بد وأن يدرك خطورة هذه التحديات الفكرية التي تروجها شبكات الاستعمار الفكرى ، والتي يهدفون من ورائها الى تحطيم المعنويات ، وبقية الروح الاسلامية التي يستند اليها وجودنا التاريخي بملامحه الخالدة المميزة له .

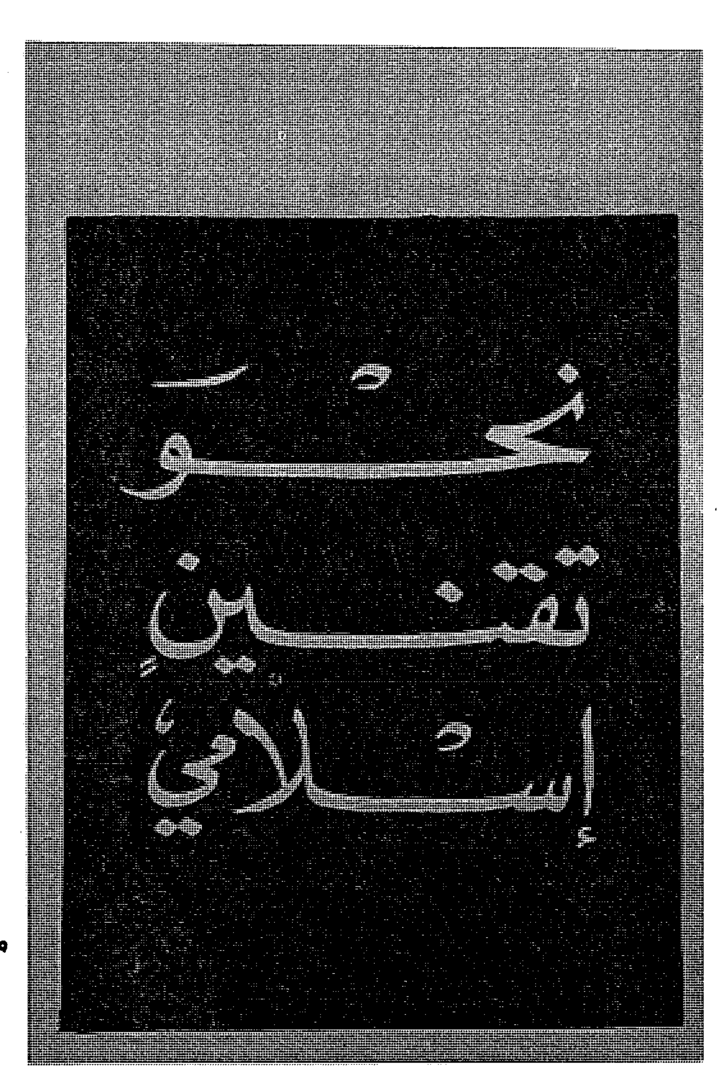
وان الاستجابة الفكرية لهذه التحديات يجب الا تتخذ قالبا سلبيا ، يستغرق هو الآخر جملة من جهودنا ، وانما الضرورة تقضى ان تكون الاستجابة ايجابية بناءة سليمة ، تهدف الى ترسيخ المعنويات القديمة وبقية الروح الاسلامية وتجديدها ، واعطائها روحا جديدة ، بها يمكن ان نتحصن ضد الغزو الفكرى الذى يبشر به الزاحفون العقليون من جهة ، ونعطى الفكر الاسلامي — من الجهة الاخرى — الاندفاع الذاتي الذى افتقده منذ زمن ليس بالقصير .

---

(٤٦) بروكلمان (كارل) . « المصدر السابق » ص ٥٢ — ٥٣ .

47) Tritton, A.S. Islam, Belief and Practices (London, 1957) pp. 18-19.

(٤٨) كولد زيهر (اجناس) . العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٢ .



للدكتور
محمد زكى عبد البر
المستشار بالاستئناف
« القاهرة »

« للدكتور زكى نشاط ملموس وخاصة فيمايتصل بدراسة الفقه الاسلامى الذى اصدر فيه عدة مؤلفات وبحوث قيمة ، كما كان أحدالمؤسسين للعمل فى الموسوعة الفقهية فى دمشق والقاهرة وسيطالع له القراء بعض أبحاثه فى هذهالناحية التي يبدؤها الآن بهذا التقديم »

« الوعي الاسلامي »

لا بد لكل مجتمع من قانون ينظم علاقات الناس ، ويرسم لكل فرد فيه طريقه الذى يظهر فيه حقه وواجبه ، ويبين طريق الحصول على الحق ، والسبيل لردع الظالم كي تطمئن النفوس ، ويسعى الناس الى مصالحهم ومصالح مجتمعهم وهم آمنون راضون .

وكي يحقق القانون هذه الغاية ، يجب ان يقوم على بصيرة من احوال المجتمع الذى يشرع له ، وعلى معرفة من احوال الناس وأخلاقهم وأعرافهم وعاداتهم ، وما يؤثر فيهم ، ومدى الأثر الذى يحدثه بأمر أو نهي ، والا كان فاشلا لا يحقق القصد منه ، ولا الغاية التي يشرع من اجلها .

ومن هنا كان القانون صورة لأخلاق الأمة واعرافها وتقاليدها وعاداتها ، كما انه المرآة للحد الأدنى من مثلها العليا التي ترسمها لنفسها ، فهو يأمر بما تتطلبه حياتها ، وينهي عما تنفر منه ، ويضع العقاب والجزاء بالدرجة التي تفيد في تقنين قصده ، دون افراط او تفريط ، لأن لكل من الطرفين اضرارا تؤدى الغاية المرجوة .

فاذا صدر في مجتمع ما قانون يحرم شرب الخمر وبيعها فمعنى ذلك أن المجتمع قد فشا فيه الخمر ، وأنه يرى في انتشارها ضررا عليه ، وانه لا بد دفاعا عن نفسه من تحريم شربها وتداولها ومن فرض عقوبة على من يفعل ذلك .. واذا صدر في مجتمع ما تشريع يحرم الربا ، فمعنى ذلك ان الربا قد انتشر ، وان هذا المجتمع يجد في هذا الانتشار ما يؤذيه ، فلا مناص له ــ دفاعا عن نفسه ــ من اصدار ذلك التشريع . (واذا صدر تشريع يفرض التسعير الجبرى في سلعة ما ، فمعنى ذلك ان السعر في هذه السلعة قد اضطرب ، وان هذا الاضطراب قد أدخل الفساد في حياة الناس ، وانه لا بد من تشريع يحدد هذا السعر ، ويحرم تجاوزه ، وبذا تسكن النفوس ، ويسود الاطمئنان الناس جميعا .

واذا لم تجد في امة قانونا يحرم الخمر مع انتشارها ، فمعنى ذلك ان المجتمع لا يرى بأسا في ذلك . واذا وجدت الاسعار حرة في مجتمع ما دون تشريع يقيدها فمعنى ذلك أن هذا المجتمع لم يسده اضطراب من هذه الناحية ولم يجد حاجة للتدخل في هذا المجال .

ومن ثم كان القانون يختلف من بلد الى بلد ، بل يختلف في البلد الواحد من زمن الى زمن لأنه ــ كما تقدم ــ متصل بعادات الناس وأعرافهم ، قائم على ما يحبون ويكرهون ، وما يضطرب في نفوسهم من مشاعر ، وما يؤثر فيها من مؤثرات ونوازع .

ولذلك كان واجبا كي يؤدى القانون ثمرته المرجوة ، ويحقق الغاية منه ،وهي العدل بين الناس ورفع الضرر عنهم وجلب النفع لهم . ان ينبثق من نفس المجتمع الذى يطبق فيه ، وان يصدر عن اخلاق الناس في هذا المجتمع ، وأن يكون المشرع خبيرا بأحوال الناس وأخلاقهم ، ونفسياتهم وتقاليدهم ، وعقلياتهم ومثلهم ، كما انه لا بد للطبيب ان يرى المريض ، وان يفحص جسمه ويبحث عن علته ، ويصف لها الدواء المتفق مع تكوينه .

ومن هنا كان لكل مجتمع قانونه النابع من ظروفه ، المتفق مع طبائع الناس فيه ، نجد ذلك في القديم وفي الحديث ، وسنجده دائما في كل زمان ومكان . فكان لكل من الفراعنة والاشوريين والرومان والفرس قانونهم . وكان لأهل البادية قانونهم ، ولأهل الحضر قانونهم . واليوم لكل من الامريكان والانجليز والروس والفرنسيين قانونهم . ولكل امة قوية من امم الأرض قانونها .

واذا نظرنا قديما وحديثا ، في الشرق وفي الغرب ، فانا لا نجد دولة استعارت قوانينها من دولة أخرى ما دامت قوية ، واذا وجدت امة فعلت ذلك فاعلم ان هذه الامة قد ضعفت وذلت وسيطر عليها قوم آخرون . وحينئذ تعمد اما قهرا واما طوعا نتيجة ما يتملكها من شعور الرغبة في التقليد الى الدولة القوية تتخذ من قوانينها تشريعات لها ، كما تحاول ان تقلدها في عاداتها ، وتقاليدها وطريقة حياتها .

فمصر عندما كانت قوية مستقلة ترسل الجيوش غازية منتصرة هنا وهناك كان لها قانونها النابع من نفسها الصادر من ظروفها وأخلاقها وعاداتها حتى ان

نحو تقنين اسلامي

الامام الشافعي رضي الله عنه لما جاء الى مصر عدل في مذهبه القديم الى ما يتفق مع عادات المصريين وأعرافهم ، وكان له بذلك مذهبان . مذهب قديم ومذهب حديث فلما اضطربت امورها وحل الضعف بها محل القوة واحتلها الأجنبي لجأت طوعا او كرها الى هذا الدخيل تتخذ من قوانينه تشريعات لها تحكم علائق الناس ،وتوجه الحياة فيها.

ونجد ذلك أيضا في شمال افريقية ، فقد كانت بلاد هذا الشمال الافريقي محكومة بتشريع صادر عن معتقدات اهلها وعاداتهم ونفسياتهم ، فلما احتلها الأجنبي تغيرت قوانينها ، فساد القانون الايطالي ليبيا ، وساد القانون الفرنسي تونس والجزائر ومراكش .

والدولة العثمانية كانت تطبق في بلادها التشريع المتفق مع اسس حياتها فلما اضطربت فيها الامور ، أو تجمعت عليها اسباب تدهورها وضعفها نبذت تلك القوانين ، ولجأت الى تشريعات نبتت في بيئات اجنبية تتخذها مقاييس للصلاح والفساد فيها ، ورحم الله شوقي اذ يقول في كمال اتاتورك .

أأقول من أحيى الجماعة ملحد
وأقول من رد الحقوق اباحي

نقل الشرائع والعقائد والقرى
والناس نقل كتائب في الساح

والقانون لما كان في بلادنا وفي بلاد غيرنا متأثرا بالضعف والقوة ، كان هدفا من اهداف المستعمر ، ذلك لأ نه بالقانون يستطيع المستعمر ان يغير في المجتمع على النحو الذى يشاء ، وفي الاتجاه الذى يريد .. يستطيع ان يترك الرذيلة تتفشى ، وان يترك الفضيلة تذوى .. يستطيع بالتشريع ان يحارب عادات طيبة ، ويحل محلها مسلكا سيئا ، ويستطيع بالتشريع ان يغير في طريقة فهم الناس للحياة . ومن ثم كان المستعمر حريصا على امتلاك زمام سلطة التشريع في البلاد التي يحتلها .

ولقد كانت لنا قوانيننا النابعة من نفوسنا وظروفنا والتي تعالج احوالنا بالطريقة المؤثرة حسب اخلاقنا وطباعنا وظروفنا ، فلما سيطر علينا الأجانب لم يكتفوا بالسيطرة علينا من الناحية العسكرية ، بل سيطروا علينا من الناحية التشريعية ، فأحلوا تشريعاتهم محل تشريعاتنا ، وبذلك احتلنا بتشريعاته ، كما احتلنا بعساكره وأجناده ، واحتل تفكيرنا القانوني بأسلوبه في التفكير ومعالجة الامور ، واستطاع بذلك ان يسيرنا على النحو الذى يسير به مجتمعه ، وأن يجتذب تفكيرنا وعقليتنا وأن يبعدنا عن انفسنا وان يجعلنا نتخذ بلاده كعبة لنا وتفكيره مثالا أعلى لنا ، واستطاع ان يباعد بذلك بيننا وبين تاريخنا أى بيئتنا وبين أنفسنا .

واذن فلا عجب اذا نظرنا فوجدنا ان هذه التشريعات التي استمدت من الخارج لم تحقق لنا أصلاحا كاملا ، ففي ظل هذه التشريعات اضطرب التعامل ، وكثر التحايل ، وضعفت العوامل الروحية التي نمتاز بها على غيرنا ، وانتشرت المفاسد ، ولم يعد قانون يردع ظالما عن ظلمه ، ولا يعطي صاحب الحق حقه لأن هذه القوانين ليست مبنية على

ما فى نفوسنا من مثل واخلاق ، فضلا عن ان هذه القوانين قد قطعت ما بيننا وبين ماضينا المجيد من صلات تذكرنا بعظمتنا وربطت بيننا وبين هذا الدخيل مما يجعلنا دائما فى شعور متصل بالتبعية الدائمة له .

واذا كانت بعض البلاد المتقاربة فى موقعها وفى ظروفها وفى حياتها قد حاولت ان توحد بعضا من تشريعاتها فوقفت ما بذلت من جهود ضخمة عند حد المحاولة فمن الطبيعي ان تفشل فى معالجة ادوائنا تلك القوانين التي استوردناها من الخارج .

وقد شاء الله ان يدور الفلك دورته وأن نقوى بعد ضعف ، وأن نتنبه بعد غفلة ، وأن نتحرر بعد استعباد ، فخرج جنود الاحتلال من بلادنا ، خرج الفرنسيون من الشام وشمال افريقيا ، وخرج الانجليز من مصر والسودان وخرج الايطاليون من ليبيا وسيخرج المحتلون من البلاد العربية والاسلامية التي يحتلونها . وحين نحقق ذلك نتبع السياسة التي تمليها علينا مصالحنا والتي تتفق مع استقلالنا وشعورنا بذاتنا .

ولكنا وان كنا قد حققنا هذا الاستقلال فى النواحي العسكرية والسياسية والمالية والاقتصادية فما زلنا فى تشريعنا وفى تفكيرنا الفقهي مستعمرين محتلين ، اذ ما زلنا نحكم بتلك القوانين التي انبعثت من مجتمع يختلف عن مجتمعنا لتعالج ادواء غير ادوائنا وتقدم دواء غير الدواء الصالح لنا .

ونحن لا نقصد بالتشريعات تلك التشريعات الخاصة الجزئية بل نقصد الدستور ومجموعات القوانين او التقنينات كمجموعة القانون المدني ومجموعة قانون المرافعات المدنية والتجارية وقانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية وقانون التجارة ، ذلك لأن هذه التشريعات هي التشريعات الاساسية التي ينبغي ان تصدر التشريعات الخاصة الفرعية منسجمة معها ، فهل من سبيل الى الاستقلال فى هذا الجانب الهام من حياتنا (جانب التشريع والقانون) نعم هناك سبيل حق مستقيم .

وليكن واضحا انا لا نريد بالاستقلال الانعزال عن بقية بلاد العالم ، فالاستقلال ليس معناه كذلك ، وانما نريد ان تنبثق قوانيننا من ذاتنا من ماضينا وحاضرنا بما فيه من تقاليد وأعراف ، هي الصورة لما فى أنفسنا من اخلاق وقيم ، وهذا لا يتنافى مع الافادة من النظم التشريعية ومن القوانين التي تصدر فى البلاد الأخرى ، بل ومن الاقتباس منها اذا كانت تعالج علات نشأت فى مجتمعنا مثيلات لها ، وكانت تتفق معنا ، وتصلح دواء لدائنا وتتفق مع اسس تشريعاتنا ، ولا يترتب عليها تناقض فيما عندنا من تشريع ، كما انه لا يمتنع على الدول الأخرى ان تقتبس من تشريعنا هذا ، ولا يقال انها اخلت باستقلالها التشريعي .

والفقه الاسلامي هو العين الثرة لهذه التشريعات ، وهو من السعة والعمق بحيث يتسع بمختلف مذاهبه ، لمعالجة احوالنا . وهو من المرونة بحيث يجارى مقتضيات التطور ، ولقد نشأ وعاش ردحا طويلا من الزمان فى رقعة كبيرة من الأرض نابعة بالحياة والحضارة

نحو
تقنين
اسلامي

والازدهار ، فما استعصى على تطور ، ولا وقف ضد تقدم على اختلاف الأعراف والبيئات والأزمان .

ولقد اعترف بذلك الفقهاء الاجانب في عدة مناسبات ففي ((اسبوع الفقه الاسلامي)) المنعقد في يوليو سنة ١٩٥١ في كلية الحقوق بجامعة باريس استمع المجتمعون ومنهم رجال القانون الفرنسيون والمستشرقون الى ما عرض فيه من بحوث في الفقه الاسلامي ، وقرروا ما يأتي :

ان المؤتمرين بناء على الفائدة المتحققة من البحوث التي عرضت اثناء ((اسبوع الفقه الاسلامي)) وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

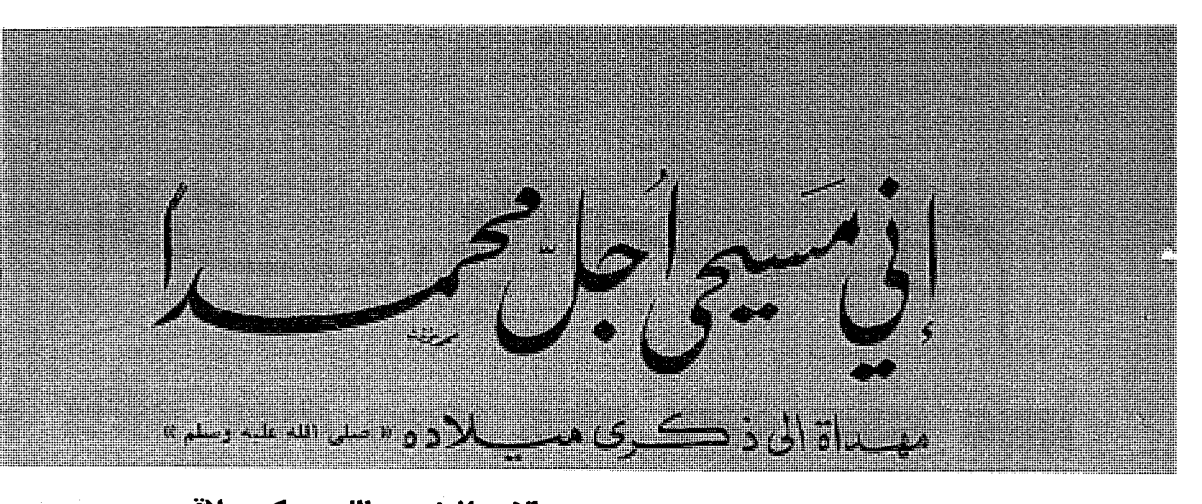
أ : ــ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة ((قانونية تشريعية)) لا يمارى فيها .

ب : ــ وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة القانونية العظمى ينطوى على ثروة من المعلومات والافكار والاصول القانونية هي مناط الاعجاب ، وبهما يتمكن الفقه الاسلامي من ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

يأملون ان تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الفقهية الاسلامية وفقا للأساليب الحديثة .

وهذا فضلا على أن هذا الفقه يرتكز اول ما يرتكز على الكتاب الذى يجمع بين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يتلونه صباح مساء ، فيقرب بينهم ، ويرسم لهم منهجا واحدا يتبعونه على اختلاف الوانهم والسنتهم وديارهم ، وعلى سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى يؤمن برسالته المسلمون ، ويؤمنون بأنهم مأمورون باتباع اوامره ونواهيه « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وهو بمجموع مذاهبه يكون ثروة ضخمة فيها ما يناسبنا ، وفى اصوله ما يجعله قابلا للتطور حسب حاجيات المجتمع وتغير الاحوال . ولقد امتحن بالتطبيق فى عصور الازدهار فى رقعة متسعة من الأرض فتحقق فى ظله كل تقدم .

ولقد عزمنا ، يحثنا الايمان بشريعة الاسلام ، على تقنين المعاملات المالية فى الفقه الاسلامي ، وفق نسق القانون المدني المصري ونحوه من التشريعات الحديثة سائلين الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية ، ورأينا انه ينبغي قبل كل شيء وضع منهج تفصيلي للعمل وذلك بتخطيط مبدئي لهذا المشروع ، يكون بمثابة الفهرست لهذا العمل الضخم ، حتى نسير على هدى وبصيرة ، معتمدين على الله مخلصين النية له سبحانه ولشريعته ، وما التوفيق الا من عند الله .



للاستاذ : عبد الله يوركي حلاق
صاحب ورئيس تحرير مجلة الضاد ـ حلب ـ سوريا

قبس من الصحراء شعشع نوره ... فجلا ظلام الجهل عن دنيانا

ومشى وفي اردانه عبق الهدى ... واريج فضل عطر الاكوانا

بعث الشريعة من عميق ضريحها ... فرعى الحقوق وفتح الأذهانا

مرحى لأميٍّ يعلم سفره ... نبغاء يعرب حكمة وبيانا

من ذا يجاذبه الفخار وقد حمى ... أم اللغات وشرف العربانا

أمحمد والمجد نسج يمينه ... مجدت في تعليمك الأديانا

وسحقت رأس الشر حين وطئته ... وزرعت في قلب العتِيِّ حنانا

ونشرت ذكر الله في أمية ... وثنية ونفحتها الايمانا

وامرتها بالبر فاعتزت به ... وتسابقت في نشرها الاحسانا

بعث الجهاد لدن بعثت وجردت ... اسياف صحبك تقمع الطغيانا

وتساعد الضعفا وتصفع من بغى ... صفعات صدق تزهق البهتانا

اني مسيحيّ أجل محمدا ... واراه في سفر العلى عنوانا

وأطأطئ الرأس الرفيع لذكر من ... صاغ الحديث وعلم القرآنا

اني اباهي بالرسول لأنه ... صقل النفوس وهذب الوجدانا

ولأنه حفظ العروبة وابتنى ... للعرب مجدا رافق الأزمانا

صان الفخار البكر ذكر محمد ... وهفا فشنف باسمه الآذانا

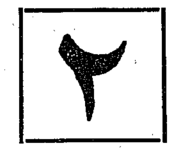
أمعزّ الفصحى ومطلع شمسها ... ذكراك عيد يذهب الاشجانا

ذكراك تجمعنا وتجمع حولنا ... اخوان صدق عانقوا الاخوانا

انا حلفنا ان نصون اخاءنا ... بسياج عز لن يمس هوانا

وغدا نزيل العار عن أوطاننا ... لنرى الجنوب محرراً وعمانا

النقـــود في الإســلام



الشيخ احمد الشرباصي
المدرس بجامعة الأزهر

اصلاح العملة

كانت الدولة الاسلامية حتى هذا الوقت لا تزال تتعامل بالعملات الأجنبية ، بالدنانير الرومية ، وبالدراهم الفارسية فى الأكثر ، واليمنية فـي الاقل ، فرأى عبد الملك أن يجعل للدولة عملـة مستقلة . روى البلاذرى أن سعيد بن المسـيب سئل من أول مـن ضـرب الدنانير المنقوشـة ؟ فأجاب عبد الملك بن مروان . وروى أيضا عن محمد بن عمر الواقدى عمن حدثه ان عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة ٧٤ هـ .

وعن المدائني انه قال : ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة ٧٥ هـ ثم أمر بضربها فى جميع النواحي سنة ٧٦ هـ . كما روى البلاذرى أيضا عن ابي الزبير الناقد أنه قال ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير فى سنة ٧٤ هـ ثم ضربها سنة ٧٥ هـ .

فهذه الروايات كلها متفقة فى أن ضرب الدنانير بدأ فى عام ٧٤ هـ ثم أعيد ضربها كذلك ، وأن ضرب الدراهم بدأ فى سنة ٧٥ هـ ، ثم أمر بتعميمه فى جميع النواحي سنة ٧٦ هـ .

واذا كان الطبرى ذكر أن عبد الملك أمر بضرب الدراهم والدنانير فى عام ٧٦ ، فهذا محمول على أن المراد الآمر بتعميمها ، وليس البدء فى ذلك ، ولا سيما أن روايته تتفق فى اسنادها مع احدى روايات البلاذرى التي مرت بنا ، فلا يناقـض الرواة أنفسهم ، وتاريخ ٧٤ هـ هو التاريخ المقبول، لأنه هو الذى يلي وقوع الحرب بين المسلمـين والروم فى عام ٧٣ ، وقد قرر المؤرخون أن هناك صلة بين سوء العلاقات بين دولتي الاسلام والروم وبين تفكير الأولى فى وضع عملة لها مستقلة .

كان سبب نشوب تلك الحرب .. هو ايقاف عبد الملك دفع المال الذى كان اتفق على ادائه الى ملك الروم فى صلح سابق ، وقد كان هذا هـو المتوقع ، اذ أنه ـ الخليفة ـ ما كان قبل الصلح الا لضرورة ، أما بعد انتهاء الفتنة ، ونجاحه فى التغلب على خصومه وتوحيد الدولة ، فلم يعـد هناك ما يدعو لأن يستمر فى هذا الاداء الذى كان يرمز الى الخضوع ، بل يتنافى مع شعوره بالعزة ، ولا يقره ضميره الديني .

وهذا هو السبب الذى ذكره أيضا « جيبون » ونحن نرجحه . فلم يكن السبب اذن ما ذكره « ثيوفانيس » من أن ذلك كان لعدم قبول ملـك الروم الدنانير الدمشقية التي ضربها عبد الملك ، فانها لم تكن قد طبعت بعد . ثم لا يعقل أن يرفض « جستنيان » ما قدم اليه من دنانير لمجرد اختلاف النقش ، اذ أن قيمة الذهب محفوظة ، وان اختلفت الصورة ، وقد استاء « جستنيان » الذى وصفه المؤرخون بالحمق والطغيان من فعل عبد الملك ، فبدأ بالعدوان ، ولكن جيوش المسلمين لاقتـه ، فأنزلت به هزائم فادحة فقد على أثرها أرمينية كلهـا .

جاء فى الطبرى فى حوادث سنة ٧٣ « وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم ، وقيل

انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية ، وهو فى أربعة آلاف ، والروم فى ستين ألفا ، فهزمهم وأكثر القتل فيهم » . وقد اقترنت بهذه الحرب مسألة خطيرة ، زادت من سوء العلاقات ، وأثارت الشعور الديني والقومي ، لمساسها الدين والمصلحة الاقتصادية ، وهي مسألة « القراطيس » التي ذكرتها المصادر العربية .

وخلاصة هذه المسألة كما ذكرها البلاذرى أن القراطيس أى ورق الكتابة - كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، وكانت الأقباط تكتب فى رءوس الطوامير - أى الصحف عبارات تنسب المسيح الى الربوبية ، كما ترسم فى صدرها الصليب ، فأمر عبد الملك - وكان أول من أحدث ذلك - أن يكتب فى مكانها آية « قل هو الله أحد » وغيرها من ذكر الله ، فكره ذلك ملك الروم واشتد اليه ، وكتب الى الخليفة « انكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه ، والا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه » .

قال فكبر ذلك فى صدر عبد الملك ، لأنه كره أن يدع سنة حسنة سنها ، وازاء هذا التهديد استشار من حوله ، فأشار عليه خالد بن يزيد بن معاوية بأن يحرم دنانيرهم ويمنع التعامل بها ، ويضرب للناس سككا ، ويمنع ان يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس .

قال البلاذرى بعد أن ذكر ما مر « فمكثت حينا لا تحمل اليهم » اى فانقطعت التجارة التي كان يتم بها التبادل بين الأوراق والدنانير .

كانت الحرب مع الروم إذن ، وما أثارت من مشاعر ، وما أدت اليه كانقطاع التجارة وقلة النقد السبب - أو السبب المباشر - الذى دعا عبد الملك الى الشروع فى اصدار عملة خاصة . ليحقق للدولة استقلالها الاقتصادى ، فأنشأ دارا للضرب (أى سك النقود) .

وبدأ اذن فى عام ٧٤ هـ - وكان عام الجماعة - باصدار دنانيره الذهبية التي عرفت باسم الدمشقية . ولكن اذا كان هذا كافيا لتعليل اصدار العملة الذهبية . فانه لا يكفي لتعليل اصدار العملة الفضية - الدراهم - بالعراق، الا اذا كان يقال ان التفكير فى تلك أدى حتما الى التفكير فى هذه ، ليكون المشروع واحدا ، ولارتباط العملتين احداهما بالاخرى ، غير أن الواقع انه كانت هناك أسباب سابقة ، وكان للمسألة جذور أعمق تتصل بالحياة الاقتصادية وتتعلق بها اعتبارات دينية .

فان الدولة الاسلامية الواسعة الأرجاء - بعد أن مضى عليها الى ذلك الوقت اكثر من نصف قرن منذ أيام الفتح الاولى - كان لا يمكن أن تظل معتمدة فى نشاطها الاقتصادى المتزايد على نقد أجنبي ، محدود الكمية ، باق من أيام الجاهلية ، أو يورد من بلاد العدو بوسيلة تجارة ضئيلة ، تهددها الحرب بالانقطاع من آن لآخر .

كما أن كثيرا من العملة ولا سيما الفارسية كان مغشوشا ، قال قدامة :

« لما أخذ أمر الفرس يضمحل ، ودولتهم تضعف ، وسياستهم تضطرب ، فسدت نقودهم، فقام الاسلام ونقودهم من العين والورق (١) غير خالصة ، الى أن اتخذ الحجاج دار الضرب ، وجمع فيها الطباعين » .

وقال الماوردى مثل قوله « وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم ، فجاء الاسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة ، الا أنها كانت تقوم فى المعاملات مقام الخالصة .. الى أن ضربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص » .

نقول ولا بد أن القانون الاقتصادى المشهور ، الذى ينسب اكتشافه الى « جريشام » وهو أن النقد الرديء يطرد النقد الجيد ، كان يعمل عمله فى تلك الحال .

ثم كانت النقود مختلفة الأوزان والقيم ، دون أن يكون هناك مقياس ثابت موحد فى جميع أنحاء الدولة ، يمكن به أن تحدد النسب بينها .

يمكن أن يستنتج اذن ان حالة النقد هذه كانت عائقا هاما للنشاط التجارى ، كما أن الأفراد من المسلمين كانوا يلقون حرجا عند أداء واجب الزكاة ، وكذلك كانت الدولة تجد صعوبة كبيرة

---

(١) العين الذهب ، والورق (بكسر الراء) الفضة .

اذا أرادت ان تستوفي حقوقها من الجزية والخراج وغيرهما ، وفى مثل تلك الأزمة التى وجدت فيها أى الدولة ـ نفسها عقب الفتنة ، كان لا بد أن تعنى أشد العناية بأمر الخراج .

يدل على أن بعض هذه الصعوبات شعر بها قبل الآن ، أن بعض الخلفاء والولاة ضرب نقودا ذهبية أو فضية ، كما نقل عن معاوية ومصعب ، روى أن الأول ضرب دنانير ، وعن الثاني أنه ضرب الدراهم بأمر أخيه عبد الله بن الزبير سنة ٧٠ على ضرب الأكاسرة ، فلما جاء الحجاج غيرها ، وقيل ضرب الدنانير أيضا . لكن هذه كانت نقودا قليلة ولم يعم التعامل بها ، ثم انها كانت على الضرب القديم للأكاسرة والروم ، دون تحقيق جديد للوزن ودرجة النقاء .

عملة رسمية مضبوطة

أما عمل عبد الملك فكان اصلاحا حاسما ، فقد فحص عن أمر الدراهم والدنانير ، وحدد عيارا ثابتا لكل من النقدين بنسبة معينة بينهما ، وفق ما أقره الشرع . ثم طبقا لذلك أصدر العملة الرسمية بطابعها الخاص ، جاعلا حق اصدارها مقصورا على دور الضرب الحكومية المعتمدة ، وان كان اذن للتجار وغيرهم ان يضربوا بها نقودا لحسابهم ، نظير أجرة قدرت بواحد فى المئة ، وحينئذ حرم أن تضرب نقود خارج تلك الدور ، كما سحبت النقود الأخرى التي كان يجرى بها التعامل ، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الفارسية والرومية ، وصارت العملة موحدة فى جميع الأقطار .

فعبد الملك اذن هو أول من أوجد النقد القومي العربي للدولة الاسلامية ، وبقي عملة لأنه قام على أساس علمي ... وقد كانت الدولة شديدة العناية بجودة العملة ، وتعاقب من يعبث بها عقابا شديدا . وتنافس الولاة فى البلوغ بالجودة أكمل درجة .

كان هذا ولا شك اصلاحا كبيرا . اذ قضى على المفاسد التي كانت موجودة ، وأفادت منه الرعية كما أفادت منه الدولة ، بل كانت بمثابة حجر الأساس للنهضة التجارية الاسلامية ، التي كان مقدرا أن تبلغ أوجها فى العصر العباسي .

ويروى أن بعض الناس على عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز اقترح عليه ان يمحو ما كتب على النقود من آيات أو أسماء شريفة كاسم الله واسم الرسول . فقال لخامس الراشدين : « هذه الدراهم فيها كتاب الله تعالى يقبلها اليهودى والنصراني ، والجنب والحائض ، فان رأيت أن تأمر بمحوها » وكأنما كره عمر تنفيذ هذا الاقتراح ، فرد على الرجل قائلا : « اردت أن تحتج علينا الأمم ، ان غيرنا توحيد ربنا ، واسم نبينا صلى الله عليه وسلم » ! ! .

* * *

تزييف النقود

والاسلام يعد تزييف النقود جريمة كبرى شنيعة العقوبة ، حتى لقد سئل سعيد بن المسيب عن تزييف النقود فقال : هذا من الفساد فى الأرض ، وبالغ بعض الفقهاء أو تشدد فقال بقطع يد من يزيف النقود ، تأديبا له وزجرا لغيره . وقد روى البلاذرى أن عبد الملك بن مروان أخذ رجلا يضرب على غير سكة المسلمين ـ أى يزيف النقود ـ فأراد قطع يده ، ثم ترك ذلك وعاقبه .

وروى أن خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ضبط رجلا يزيف نقودا فعاقبه ، وأخذ ما زيفه فألقاه فى النار ليتلفه ، حتى لا يبقى فيتداول بين الناس .

وكان ابان بن عثمان واليا على المدينة وكان اذا جيء اليه بشخص ينقص من قدر الدراهم ضربه ثلاثين سوطا أو جلده ، وأمر أن يطاف به أى يدار به فى الشوارع تشنيعا لعمله ، وكانت العادة فى هذا التشنيع فى بغداد ـ كما يروى الأب الكرملي ـ أن يجعل فى عنق المتهم جرس ، ويركب على دابة مقلوبا ، أى وجهه من جهة ذنبها ، وكان يشهر أيضا على وجه آخر ، وهو أن يمشي امام المذنب رجل وبيده جرس يقرع به باستمرار تنبيها للناس ، أو أن يلبس المذنب قلنسوة فيها أجراس

ـ البقية على ص ٨٥



للاستاذ أحمد محمد جمال
مكة المكرمة

كان احد رجال الفكر والادب ، من اولى الاهتمام بالدراسات الاجتماعية والاخلاقية ، يحاضر فى ندوة ثقافية بمكة المكرمة ، حول مشكلة ((الفراغ)) وما وضعه الواضعون الاجتماعيون لها من حلول بالنسبة لفراغ الطلاب والشباب ، وفراغ الموظفين والعمال ، وفراغ النساء والاطفال .

وكان الى جانبى فى مكان الاجتماع شاب مثقف ثقافة غربية ، فهمس فى اذنى ، كأنه يعتز بمعرفة للغة الانجليزية وادبها ، ما اروع ما يقول الانجليز - والغربيون عامة - عند حديثهم عن الفراغ ، وضرورة شغله بأى عمل ، وفى اى مجال .. انهم يقولون ((الوقت من ذهب « Time Is Money

ولم ارد على جارى فى الندوة ، لان المحاضر كان يواصل حديثه ، ولكن بالي انشغل بهمسته تلك ، عن المثل الانجليزى الذى يسعر الوقت بالذهب ، فعزمت ان اعقب على المحاضرة بكلمة وجيزة اشير خلالها الى المثل الغربى عن ذهبية الوقت ، وابدى رايى فيه ، واتحدث عن نظرة الاسلام الى ((الوقت)) وتوجيهه الراشد الى شغل ((الفراغ)) بنافع من العلم او صالح من العمل ..

وكان تعليقا وجيزا لم يتجاوز الدقائق الخمس ، ثم رأيت ان اتناول الموضوع بحديث اوسع ، وبحث اوفى ..

ان المثل الغربى « الوقت من ذهب » نابع من تفكير مادى ، وتصور آلى .. انتجا هذه الحضارة الغربية ، التى ترى المال - والذهب فى ذروته غلاء وبهاء - هو كل شيء فى الحياة الدنيا ! من اجله - اى المال او الذهب - يعيشون ، وفى سبيله يكدحون ، وعلى ملته يقتتلون ويقتلون !

ولكن الاسلام - وهو دين الروح والمادة ، ودين العقل والعاطفة ، ودين الآخرة والاولى - فى نظرته الى الوقت ، وتوجيهه للمسلمين نحو اعتباره واستثماره - يرى غير ما يرى الغربيون الماديون الآليون ، ويقول غير ما يقولون .

ومع ذلك - مع هذا الفارق الكبير

بين النظرتين : الاسلامية والغربية تجاه الوقت او الفراغ — ما اكثر ما نردد — نحن المسلمين — المثل الانجليزى « الوقت من ذهب » كلما اردنا توجيه صديق ، او تنبيه قريب الى وقته الثمين ، الذى يبدده فى لهو ولغو . وكلما انكرنا على احد منا اهماله لواجب عليه .. من عمل بيده ، او سعى بقدمه ، او تفكر فى نفسه ، فى سبيل وظيفة خاصة او عامة ، أو من اجل خير مطلوب ، له أو لاهله او لمجتمعه .

اجل .. ما اكثر ما نقول « الوقت من ذهب » فى احوال ومناسبات نرى خلالها العمر يمضى يوما فيوما ، او شهرا فشهرا ، او سنة فسنة .. دون ان نكتسب خيرا ، او نجتنب شرا ، او ندخر اجرا . ودون أن ندرك ان هذا اليوم ، او الشهر ، او العام ، الذى ذهب هباء لن يعود مرة اخرى ، وهو محسوب علينا بلهوه ولغوه وهبائه !!

★★★

وعلى شرعة الاسلام ، وفى مدرسة النبوة بخاصة — نتلقى نحن المسلمين درسا واعظا ، وتوجيها زاجرا .. عن قيمة « الوقت » التى لا تقدر بثمن ، ولا توزن بميزان ، اذ هى فوق الاثمان ، واجل من ان تسعها الموازين . ذلك بأن الوقت هو العمر ، والعمر هو الحياة . فهل من شيء اغلى من الحياة ؟!

يقول رسول الاسلام ، عليه صلاة الله وسلامه « ما من يوم ينشق فجره الا ومناد ينادى : يا ابن آدم انا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى فانى لا أعود الى يوم القيامة » .

ان كل يوم يطلع فجره ، وتشرق شمسه على الانسان هو خلق آخر .. غير الامس الدابر الذى ولى ، وهو — اليوم الجديد — شهيد على عمل الانسان ، من خير وشر ، كما كان الامس تماما ، وكل الايام شهود تتابع على الانسان وهو غافل عنها ، يسهر ليله ، لينام ضحاه ، لا يعبأ بالفجر الطالع ، ولا بالشمس المشرقة ، وانما كل همه ان يمضى الصباح كما مضى المساء ، وان يقضى الليل كما انقضى النهار .. دون تدبر فى قيمة « الوقت » . هذا الخلق الثمين الذى يحاول الانسان ان يبحث عن مال (يقتله) به ، ويمارس كل اسباب (قتله) ويسميه خداعا لنفسه وللناس باسم (الفراغ) .

والفراغ — لو صح ان الوقت الذى هو العمر وهو الحياة فراغ لوجب ان يشغل لا ان يقتل .. ان يشغل كله بالطيبات ، لا ان يقتل بالخبائث !

★★★

وفى حديث آخر للنبى صلى الله عليه وسلم « ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين : اجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، واجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار » .

يحدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه الخطبة الجامعة — موقف المؤمن — ذكرا كان ام أنثى — تجاه « العمر » الذى يعيشه ، طال ام قصر ، فهو محسوب عليه ، ومكتوب له ما اكتسب فيه . وما مضى منه لا يدرى ما الله صانع فيه .. ايقبله بفضله ام يرفضه بعدله ؟ وهل رضى عنه ام سخط عليه . فقد يحسب الانسان انه احسن صنعا واسدى خيرا ، بينما يكون فى حقيقة امره ، وحسب ميزان الله الذى لا يظلم احدا ، قد اساء ولم يحسن ، او شاب صنيعه شيء من نفاق او رياء او مداراة ، او سكوت على حق ، او اغضاء عن ظلامة ، وهو يظن ان ذلك ينجيه من المؤاخذة والحساب ، وليس بمنجيه الا ان يتغمده الله برحمته ..

وحسبنا هنا ان نذكر قول الرسول

الكريم (لن يدخل الجنة احد بعمله ، قالوا ولا انت يا رسول الله قال : ولا انا . الا ان يتغمدنى الله برحمته) يريد صلى الله عليه وسلم ، بذلك ان يدفع عن امته الغرور والتباهى بالاعمال الصالحة ، فانهما قد يحبطانها ولا اجر عليها !

★★★

ونمضى فى تأمل حديث المؤمن بين مخافتين .. فنتدبر المخافة الاخرى ، بعد ان تدبرنا المخافة الاولى — انها مخافة ما بقى من عمر الانسان . ولئن كان على المؤمن ان يوجس خيفة مما مضى من عمله ، اذ لا يدرى ما الله فاعل به : ايقبله ام يرده ، فأجدر به ان يكون اشد خيفة مما يأتى ، اذ لا يعلم ما الله قاض فيه .. ايثبت على ايمانه وصلاحه ، ام ينقلب على وجهه فيخسر الدنيا والآخرة ؟! وذلك هو الخسران المبين ..

ويؤكد هذا المعنى — الحديث النبوى (ان منكم من يعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها . وان منكم من يعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها) او كما قال عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا جاء الطب النبوى الشافى جاء توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلم الخائف الوجل من آجل عمره ، الى كسب وقته الثمين ، والى محاسبة نفسه بنفسه ، والى ان يدخر من اعماله فى دنياه ما يرجو مثوبته فى آخرته ، والى الا يبدد قوى شبابه ، وطاقات فتوته فى اللهو والعبث .. حتى اذا ادركه عجز المشيب وضعفه ووهنه ندم على ما فرط فى جنب الله — ولات ساعة مندم او ملام ..

★★★

ان هذا التوجيه الاسلامى الى ان (يأخذ المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت) يؤكد بأن (الوقت) ليس من ذهب — كما يقول الغربيون ومن سايرهم من المسلمين — وانما هو أغلى من الذهب — وأغلى من الماس، ومن الدر والياقوت ، واغلى من كل شيء غال فى الحياة . هو النَّفَس الذى يجرى فى صدر الانسان . وليس من شيء أغلى من العمر او من الحياة !

ولذلك اثر عن الخليفة الراشدى الاول ابى بكر رضى الله عنه انه كان يدعو (اللهم لا تدعنا فى غمرة ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين) كما اثر عن الخليفة الراشدي الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يدعو (اللهم ارزقنا البركة فى الساعات واصلاح الاوقات) .

وفى الحديث النبوى (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) .

ومن اقوال الشعراء والحكماء بيت شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

وقول الآخر :

أليس من الخسران ان لياليا
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

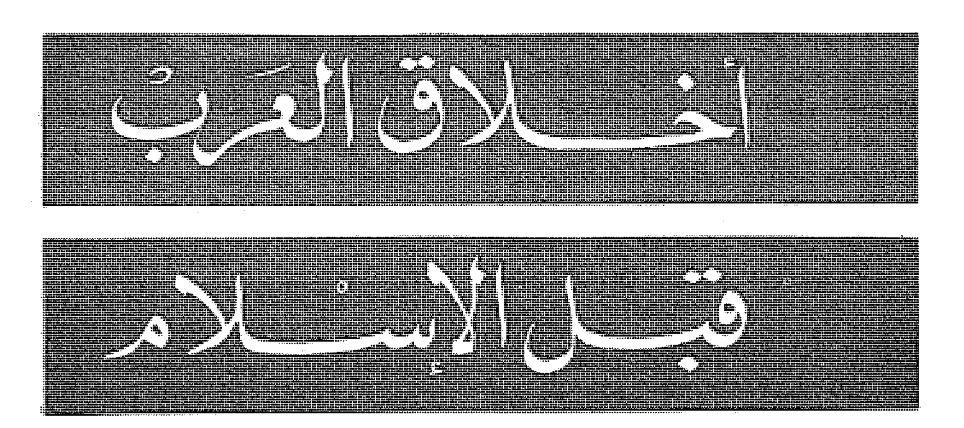
وقول ثالث :

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اى مفسدة

وان كان لا بد من راحة ولهو ، فليكن ذلك بمقدار ، وفى غير اثم ولا معصية . فقد اثر (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) .

ويقول شاعر حكيم :

افد طبعك المكدود بالجد راحة
يجم ، وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته ذاك — فليكن
بمقدار ما تعطى الطعام من الملح



أخلاق العرب قبل الإسلام

للاستاذ محمد عطية الابراشي

بعث الله محمدا رسولا الى الناس كافة ، ليعبدوا الله ويوحدوه ، وكانوا يعبدون من دونه آلهة شتى ، من حجر منحوت، وخشب منقوش ، وأوثان وأصنام ، ظانين أنها لهم عند اللهشافعة، ولهم نافعة . قال تعالى ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (سورة يونس ١٨) ((وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)) (١) .

وكان العرب قبل الاسلام متفرقي الكلمة ، مضطربي الأحوال ، يشنون الحروب والغارات لأتفه الأسباب . كل قبيلة تفكر فى نفسها ، وتشن الغارة على جيرانها . وكانوا يشربون الخمر ، ويلعبون الميسر ولا يعرفون شيئا عن الحياة الاجتماعية ، والمبادىء السياسية، والعلاقات الدولية . لا فن لهم ولا صناعة . يقطعون الأرحام ، ويئدون البنات . ((واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٢) . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون (٣) أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون)) . ((واذا الموءودة (٤) سئلت . بأى ذنب قتلت)) .

وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر ، والى ذلك يشير الله جل شانه ((ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم واياكم ، أن قتلهم كان خطئا كبيرا)) والاملاق هو الفقر ، والخطء هو الخطأ .

وقد أمعنوا فى ارتكاب المنكرات والرذائل ، والنهب والسلب والانتقام لا يردعهم ضمير ولا يردهم قانون .

المرأة العربية والرجل العربي

وان من يتتبع الشعر العربي يجد أن العرب كانوا يفخرون بأنسابهم وآبائهم وأمهاتهم ، وأن المرأة العربية كانت تفرق الشمل اذا شاءت ، وتجمع بين المتفرقين اذا أرادت ، وتدعو الى السلام اذا أحبت وتشعل النار بين القبائل اذا رغبت فى الانتقام .

---

(١) الزلفى : القربى والمنزلة .　(٢) ضابط شعوره ونفسه .
(٣) هوان ومذلة .　(٤) المدفونة حية .

وكان الرجل العربي يغار على زوجته ، ويحافظ على شرفه ، ويستشير ابنته اذا تقدم أحد يريد أن يتزوجها . ويعد رئيس الأسرة العربية ، صاحب الكلمة النافذة فيها ، ويفخر بأن أمه حرة نسيبة أى ذات نسب معروف .

وكان العرب يعددون بين الزوجات ، من غير حد معين لهن ، ويتخيرون زوجاتهم ، لاعتقادهم فى الوراثة ، قائلين ان العرق دساس .

وقد تأثر بعضهم بالاباحيين من قدماء الفرس ، فكان الواحد منهم يتزوج ابنته كلقيط بن زرارة أحد أشراف بني تميم ، فانه تزوج بنته دختنوس .

وفى معاملة العربي لأخيه وأبناء عمه كان العرب ينفذون المعنى الحقيقي الذى يفهم صراحة من قولهم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فكان العربي قبل الاسلام ينصر أخاه فى كل حال ، سواء أكان مصيبا أم مخطئا ، عادلا أم ظالما . واذا تأخر أحدهم عن نصرة بني عمه ذمه الشعراء ، وذموا القبيلة كلها ولكن الاسلام بروحه قد عدل هذا المعنى وغيره ، ووضح نصرة الأخ الظالم بمنعه عن الظلم بالقول والعمل .

موازنة بين العرب وغيرهم من الأمم

وكان العرب يعرفون بالمروءة ــ وهي كمال الرجولة والانسانية ــ ، لا يعلمون شيئا فى السر يستحيون منه فى العلانية ، ومن صفاتهم اغاثة الملهوف ، وحماية الضعيف .

وقد وازن ابن المقفع بينهم وبين غيرهم من الأمم ، فقال « ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب ابل وغنم ، وسكان شعر وأدم (١) ، يجود أحدهم بقوله ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، وبفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم » .

والعربي كريم بفطرته ، جواد بطبيعته ، بار بعشيرته ، وفى بقبيلته .

وقد سئل خالد بن صفوان عن الأحنف : بم ساد ؟ فقال بفضل سلطانه على نفسه .

وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك ؟ فقال : بكف الأذى ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

وقد عرف العرب الشجاعة والاقدام ، والدفاع عن الوطن والنفس ، والشرف والعرض ، وعدم المبالاة بالحياة والموت . ومن مات حتف أنفه ذموه ، ومن مات بالسيف أو الرمح مدحوه .

وفى ذلك يقول الشاعر العربي :

وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل(٢) منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات(٣) نفوسنا
وليس على غير الظبات تسيل

وفى العقد الفريد لابن عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ، وبلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسي أمثلة كثيرة فى شجاعة العرب واقدامهم ، وعدم اكتراثهم للحياة .

الكرم سجية للعرب

وكان الكرم سجية لهم ، قال اكثم ابن صيفي فى وصية له : « صلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم

---

(١) الادم ــ باطن الجلد .
(٢) طل دمه ــ أهدر دمه .
(٣) الظبات ــ جمع ظبة ، والمقصود بها السيوف هنا .

المحبـة ، ولا تعتقدوا البخـل فتتعجلوا الفقر » .

وقال ذو الاصبع العدواني فى وصية له لولده أسيد : « واسـمح بمالـك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بـك ، واكرم ضيفك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا » .

ومن المعروفين بالكرم العربي حاتم الطائي ، الشاعر الجاهلي ، فكان يضرب به المثل فى الجود فيقال أجود من حاتم . وقد اعتاد كرماء العرب أن يوقدوا النار ليلا ، لترشد الضـيوف والغـرباء الى بيوتهم قال أحد الشعراء يصف كلبا له :

أوصيك خـيرا بـه ، فان لـه
خـلائقا لا أزال أحمدهـا
يدل ضيفي علي في غسق اللي
ـل اذا النـار نـام موقدهـا

وقد سئل قيس بن سعد ـ وكـان معروفا بالكرم ـ : هل رأيت مـن هـو أسخى منك ؟ فقال نزلنا الباديـة على امرأة ، ولما حضر زوجها قالت له انـه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة فنحرها ، وقال شأنكم . فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال شأنكم ، فقلت ما أكلنا من التي نحرتها البارحـة الا اليسـير ، فقال اني لا أطعم أضيافي الغاب (١) .

فأقمنا عنده أياما والسـماء تمطر ، وهو ينحر لنا كل يوم ناقة . فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيتـه مائة دينـار ، وقلنا للمرأة اعتذرى لنا منه ، ومضينا .

فلما متع (٢) النهار اذا برجل يصيح خلفنا : قفوا أيهـا الـركب اللئـام . أعطيتمونا ثمن القرى (٣) ، ثم انه لحقنا وقال : لتأخذنها والا طعنتكم برمحي ! فأخذناها ، وانصرف .

وقد أقر الاسلام الصفات الحسنة للعرب ، وترك الصفات الذميمة ، وزاد على الأخلاق الحسنة فضائل أخرى .

الوفاء العربي

ويضرب المثل بالوفاء العربي ، فالعربي يحفظ العهد ، ويـفي بالوعد ، ويكـره الغدر ، وفى الكتب الادبيـة والتاريخيـة أمثلة كثيرة تدل على مغـالاة العـرب فى الوفاء . وقد قيل : ان رجلا مـن بنى عامر بن كلاب قدم هو وأخ له اليمامة ، ودخل فى جوار عمير بـن أبي سـلمى ، فحدث أن أخا لعمير يسمى قرينا عدا (٤) على الجار فقتله ، وكان عمير غائبا ، فذهب أخو المقتول الى قبر سلمى والد عمير وقرين ، فعاذ به (٥) . ولما رجع عمير أخذ أخاه ليقتل وفاء بحق الجار ، فحاول البعض استنقاذ قرين بأضعاف الدية لأخي القتيل ولكنه أبى . فما كان من عمير الا أنه خرج بأخيه حتى قطع وادى اليمامة ، فربطه الى نخلة ، وقال لأخي القتيل ، أما اذا أبيت أن تعفو أو تأخذ الدية ، فأمهل حتى أقطع الوادى راجعا ، ثم شأنك بأخي ولا أرينك ، فقتله الكلابي وفى ذلك يقول عمير :

قتلنـــا أخانا للوفـاء بجارنا
وكان أبونا قـد تجير مقابـره

ولا عجب ، ان كانت هذه الامة مهد الرسالة الاسلامية .

---

(١) الطعام الذى تمضي عليه ليلة .
(٢) ارتفع .
(٣) الضيافة .
(٤) عدا عليه اعتدى عليه اعتداء شديدا .
(٥) عاذ به لجأ اليه .
(٦) أجاره الله من العذاب أنقذه . تجير تنقذ .

الربا فى مكة قبل الاسلام

وكان أهل مكة من العرب يحبون المال حبا جما ، ويستثمرون اموالهم بالتجارة والربا . وكان بها كثير من المرابين المولعين بالربا . وقد بلغ فى مكة أربعين فى المائة ومائة فى المائة . وكانوا لا يرون فرقا بين الربا والتجارة ، ولا يفهمون للرحمة معنى . « قالوا انما البيع مثل الربا »

وقد بلغ من قسوتهم انهم كانوا يكرهون المدين على اكراه بناته ونسائه على البغاء .

« ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » . وذلك لايفاء ما على الأب أو الزوج من الدين وما يضاف اليه من الربا الفاحش. فكان المرابون متخمين ، يشبعون ليجوع الناس ، ويسعدون ليشقى غيرهم ، ويرتاحون ليتعب سواهم .

لهذا كله قلت الخيرات ، وزادت الأثرة وحب النفس فى قلوب العرب قبل الاسلام ، وامتنعت الصدقات وظلم الفقراء والمعوزون ، وكثر قطاع الطرق ، وانتشر الظلم ، وأخذت أموال الناس بالباطل ، وانعدمت الشفقة والرحمة .

تفنن اليهود فى الربا

وكان اليهود ــ مع أنهم قد نهوا عن الربا ــ يتفننون فى ابتداع الحيل فىالربا ، ويقولون « لا تقرض أخاك بربا ، أما الأجنبي فأقرضه بربا » ويقصد بالأخ اليهودى . وفى ذلك يقول جل شأنه « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

فقراء العرب عبيد للأغنياء قبل الاسلام

وكان الفقراء من العرب عبيدا أو أرقاء للاغنياء ، والثروة فى يد طبقة جاهلة منهم ، ولم يكن للفقراء والمساكين قانون يحميهم من سادتهم الاغنياء ، أو شريعة تفكر فيهم ، وتعطف عليهم ، وترأف بهم ، وتنقذهم من ذلك الموت الاجتماعي ، والرق الأبدى . استمر الفقراء يعملون ليلا ونهارا ، ويكلفون ما لا طاقة لهم به ، فنزعوا الى الفوضى والفساد فى الارض ، والتشرد ، والسرقة بالعنف ، وبدأ الشعراء يحسون ما يشعر به الفقراء المعوزون من البؤس والشقاء ، ويلومون الأثرياء ، ويدعونهم الى الرفق بهم ، والعطف عليهم .

قال بشر بن المغيرة يستحث الأغنياء :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه
وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

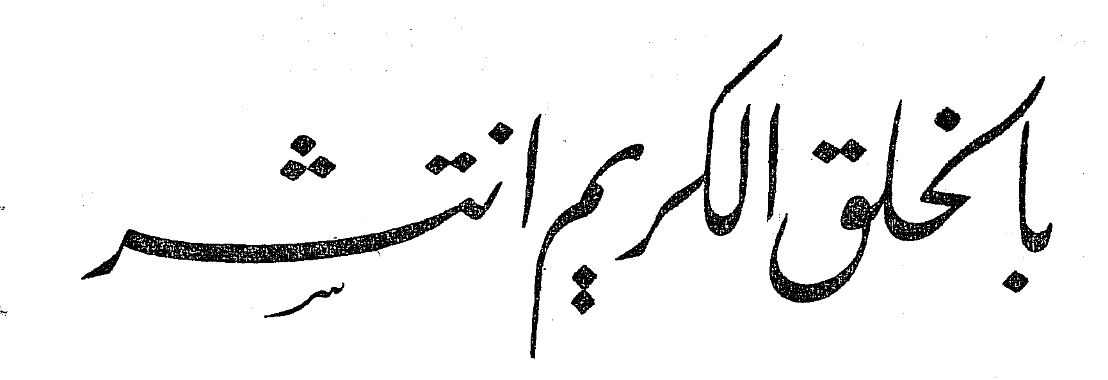
وقال الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا (٣)

ولكن هذه الصيحات لم تؤثر فى تلك القلوب الغليظة ، والنفوس القاسية ، فى مكة والبلاد العربية وغيرها حتى جاء الاسلام فهذب النفوس المنحرفة وغذى النفوس الطيبة وعبأ الجميع لحمل رسالة الاسلام الى الناس كافة فى المشارق والمغارب .

---

(١) البقرة (٢٧٥) .
(٢) الروم (٣٩) .
(٣) جائعات .



بالخلق الكريم انتشر

بدا تبليغ الدعوة الاسلامية عندما نزل الامر الالهى الكريم الى رسول الله الصادق الامين فى النص الشريف (وانذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء ممـاتعملون) وكان ذلك بعد ثلاث سنين من حين البعث ، ظل الرسول يعمل طوالهـا لنشر الدعوة الاسلامية سرا ، واستجابة لامر الله جل شانه دعا الرسول بعض قومه الى دار الارقم على الطعام اعده لهم ثم قال ((الحمد لله احمده واستعينه وأؤمن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى اسد ان الله امرنى أن انذر عشيرتى الاقربين وانى لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله)). وبهذا بدأت صفحة جديدة مشرقة فى تاريخ البشرية تتميز بالدعوة الـى توحيد اللـه وعبادته وتتصف بالخلق الحسن الكريم ، اذ اقترن الاذن الكريم بتبليغ الدعوة الاسلامية بالامر بالرحمة والاحسان والحب لمن يستجيب واما من عصى فلا حرب له ولا عدوان عليه وهذا هو شعار الاسلام دائما .. السلام والخلق الحسن .

ولم تكن وسائل التبليغ قاصرة على مجرد الاعلام بالدعوة بل انها اعتمدت اساسا على التعريف بالاسلام الذى تختلف وسائله فى داخل البلاد العربية حيث نزل القرآن الكريم بلغتها عن خارجها ولكن الامر الذى يمكن ان يكون من وسائل الدعوة الى الاسلام داخل البلاد العربية وخارجها ايضا هو الخلق الحسن، اذ كان خلق المسلم من اهم وسائل نشر الاسلام، منذ ان اعلن سيدنا رسول الله صـلى الله عليه وسلم دعوته فى دار الارقم حتى الآن بل وحتى الى نهاية الحياة الدنيا . اذ ما ان ذاع فى مكة خبر اعلان الدعوة الاسلامية ، وبـدات العقـول الـواعية والقلوب السليمة تستجيب للحق الواضح المبين ، وتترك الضلال الشديد، والباطل الاكيد ، حتى ثارت ثائرة قريش وخرجت جموعها تؤذى المسلمين ، وتصب عليهم الالوان القاسية من التعذيب والتنكيل . فهذا بلال بن رباح يخرجه قومه ويطرحونه ارض الصحـراء فى قيـظ الظهـيرة اذا انتصف النهـار وارتفعـت الشمـس ، ويضعون فوق صدره الصخر الكبير ، وما كان اسرافهم فى تعذيبه الا ليزيد صوته ارتفاعا وهو ينادى (أحد .. أحد ..) متمنيا ان يلقى الله ، فلا يكون على لسانه

الإسلام

للاستاذ عبد الرزاق نوفل

اذا كان الاسلام قد انتشر بالسيف كما يقول المغرضون فكيف صار المسلمون فى البلاد التى لم يفتحها العرب اكثر من المسلمين فى البلاد العربية ؟!

غير ذكر الله الواحد الاحد .. وهذا عمار بن ياسر يخرجه قومه مع والده وامه الى العراء ويضربونهم بالسياط حتى يموت الاب من التعذيب ، ويقتل ابو جهل الام بسيفه ، وما كان ذلك ليثنى عمار عن قول لا اله الا الله ... وهذا خباب بن الارت بلغ من تعذيب قومه له ان اداروا رأسه فاصبح به عاهة واى عاهة .. تغير موضع رأسه من جسمه .. وصهيب بن سنان الرومى بن فهيرة وغيرهم .. بل لم تسلم النساء من الاذى والتعذيب وحتى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى من اذاهم الكثير ، فكم وضعوا الشوك والاذى فى طريقه ، وكم القوا التراب على رأسه الشريف وهو ساجد لله ، وكم قالوا فيه الفحش والسباب فهل كان يعجز المسلم عن الاقتصاص من كافر او مشرك اذا لقيه فى دروب مكة الواسعة او شعابها المتعددة او فى ليلها الطويل ؟ لقد منعهم الخلق الحسن الذى اكتسبوه من الاسلام . فالعفو والصفح ، ودفع السيئة بالحسنة من خلق المسلم فآيات القرآن الكريم توجه المسلمين بالنص الشريف (ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون) ، (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .

والخلق الحسن الذى دعا اليه الاسلام والذى من صوره دفع السيئة بالحسنة من صوره ايضا رد الاعتداء طالما وجد هذا الاعتداء على المسلمين .. على دينهم او على جماعة منهم ، او على ديار بعضهم اذ يجب رد الاعتداء عند ذلك بكل قوة يمكن ان يصل اليها المسلم وذلك بنص الآيات الشريفة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ، (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) . فالفرق كبير بين التسامح والصفح وبين التخاذل والتكاسل .

ولقد كان الخلق الحسن ضمن وسائل نشر الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها، بل من اهم وسائله . فعندما وجد الرسول ان الاذى قد اشتد من قريش على من استجاب لدعوته امر صلى الله عليه

بالخلق الكريمة
انتشر الاسلام

وسلم بعض قومه بأن يخرجوا الى ارض الحبشة حتى يجعل الله لهم مخرجا مما هم فيـــه فكانت اول هجــرة فى الاسلام قوامها ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة وعلى رأســـهم جعفر بن ابى طالب .. وبعـــد ان تحقق الامان لاقامتهم فى وطنهم رجعوا من الحبشة وقد تركت اخلاقهم فيها اثرا طيبا تدارسه اهالـــى الحبشة وتعجبوا من امرهم .. انهم لا يشربون الخمر ولا يأتـــون الفاحشة ولا يكذبون ولا ينافقون وعلى ربهم يتوكلون .. فوقر الاسلام فى نفوسهم وتوالـــت الانباء على سيدنا رســـول اللـــه تبشره بدخول الافواج من الاحباش فى دين الله، وتزايد عددهم بمرور الزمن حتى اصبح فى الحبشة فى القرن الثامن الهجرى سبع ممالك اسلامية مستقلة ، واصبح عدد المسلمين فيها الان يزيد على سبعة عشر مليون مسلم ، هؤلاء لم يدخلوا الاسلام نتيجة حرب او جهاد فلم ترسل الجيوش لحربها ولا بسبب تبليغهم آيات القرآن والتدبر فيها فهم على غير لغته ، وانمـــا نتيجة الخلق الاسلامى الذى كان يتحلى به فئة من المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة ، حيث عاشوا فترة قصيرة من الزمن ، كتب لهم بأخلاقهم فيها افضل الثواب وخير الجزاء على من دخل الاسلام بسببهم واهتدى بهديهم واقتدى بهم .

وكان للخلق الاسلامى اثره فى فتـــح مكة فبعد ان هاجر الرسول صلى اللـــه عليه وسلم الى المدينة واشتاق الى حج بيت الله الحرام بعد ثمانية عشر عاما من بعثه سمحت له قريش بالزيارة فى عامه التالى على الا يقيم بها سوى ثلاثة ايام بلا سلاح غير السيوف فى قرابها .. ودخل المسلمون فى الموعد المتفق عليه ، يتقدمهم ســـيدنا رسول اللـــه ، وطافـــوا وادوا مناسكهم وغادروها بعد المهلة المحددة ، وكانت هذه الايام الثلاثة كافيـــة تمامـــا لكى يفكر اهل مكة فى الاسلام ويقبلـــوا عليه قبل ان يكون الفتح فقد رأى الاهالى ما يجل عن الوصف وما يحير العقل .. اصحاب رسول الله على وجوههم النور لا يعبدون الا الله ، ولا يقترفون الاثم ، ولا يأتون بمعصـــية ولا تفتنهـــم الحياة الدنيا بزينتها .. فارسل خالد بن الوليد اقراره للرسول يبايعه فيه ويعلن اسلامه وكذلك عمرو بن العاص ، وعثمـــان بن طلحة حـــارس الكعبـــة ، وعشرات من القادة ، ومئات من الجموع .

ثم دخل الرسول مكـــة بعد شـــهور ليطهر بيت الله الحرام وليبايعوه مبايعة جماعية مطلقة .. دخل صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف من المسلمين وتذهب الظنـــون بصـــناديد قـــريش ممن آذوا الرسول واضطهدوه كل مذهب وترتسم على وجوههم علامات الخوف والخـــزى والاضطراب فلا يذكر النبى ما فعلـــوه به ، وينسى كـــل اساءتهم لـــه ويسألهم (ما تظنون انى فاعل بكم ؟) وكأنهم عرفوا اخلاق الرسول فقالوا . (خيرا اخ كريم وابن اخ كريم) فيقول صلى الله عليـــه وسلم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .. ويدخل بسبب هذا الخلق الكريم باقى اهالى مكة فى الاسلام راغبين طائعين .

ويحدثنا التاريخ ان معظم الدول غير العربية قد انتشر فيها الاسلام نتيجـــة

الخلق الاسلامى الكريم ، ومنها بل واكثرها كان السبب فى اسلامها الخلق الحسن لفرد مسلم درس القوم نتيجة له الاسلام على حقيقته فانتشر بها كما نرى فى الهند وجنوب شرق آسيا . ففى الملايو نزل عالم مسلم يدعى الشيخ عبد الله واجتمع حوله بعض الاهالى لما لمسوه فيه من العفة والاستقامة والنظافة الظاهرة والباطنة ورغبة منهم فى التمثل باخلاقه درسوا الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم ، وكانوا دعاة للاسلام فى وطنهم، بل انتشر بعضهم فى الدول القريبة والبعيدة حبا فى قيامهم بالدور الذى قام به امامهم .

ووصل الى الفلبين رحالة مسلم هو كريم المخدومي والذى يطلقون عليه هناك اسم الشيخ « ماقدوم » كانت أخلاقه سبب تعلق الاهالى به فسألوه واجاب ، وناقشوه فأصاب ، وراقبوه فكان نعم الانسان ، فأسلم منهم العدد الوفير ، وتفرقوا بين بلاد وطنهم ، يدعون للدين العظيم عن طريق الخلق الكريم ، ويبلغ الان عدد المسلمين بها ثلاثة ملايين نسمة .

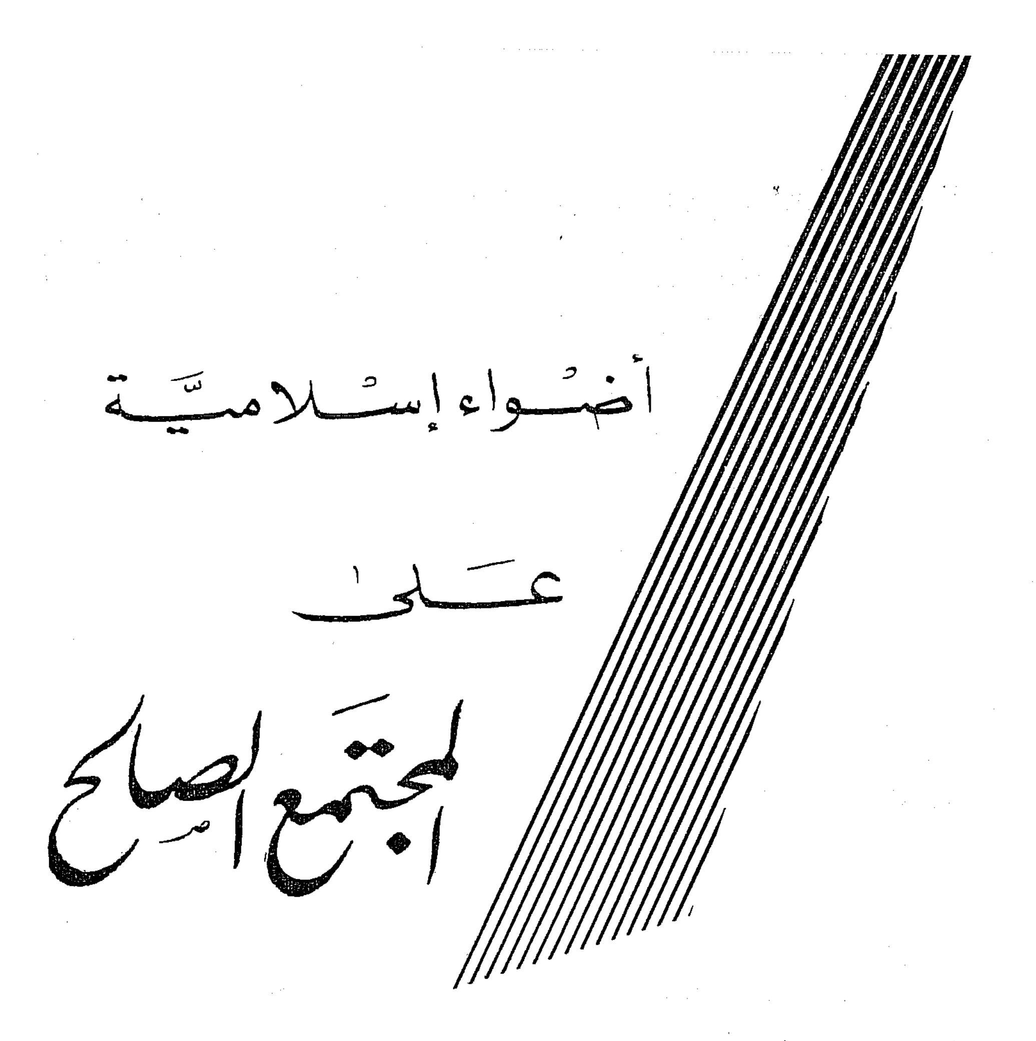
وانتشر التجار من المسلمين فى غرب وشرق وجنوب افريقيا وارتحل عدد منهم الى الصين واليابان ومنهم من رحل الى روسيا وامريكا . وفى كل مكان نزل التاجر المسلم وجد المتعاملون معه عجبا واى عجب . الاحاديث الصادقة والامانة المطلقة والنزاهة التامة ، والاستقامة الكاملة فيتعجبون من سوء خلق غيره وحسن اخلاقه ، ولا يجدون سببا لذلك الا دينه ، فيقبلون على الاسلام يدرسونه ويبحثون امره فاذ بهم لا محالة يدخلون فى الزمرة الطيبة الصالحة من عباد الله ، ويكون بذلك ما يكتسبه الفرد منهم باسلامه من الخلق من الاسباب المباشرة لنشر الدعوة الاسلامية بينهم .

واما دور الخلق الاسلامى فى نشر الدعوة داخل البلاد العربية وفى البلاد الاسلامية نفسها فان اثره لا يحتاج الى دليل فكم من ضال اهتدى عندما رأى جماعة المسلمين فى صلاتهم الجامعة وكم من مشرك تحرر من عقيدته الزائفة بمراقبة اثر التوحيد فى نفس المسلم وانعكاسه على تصرفاته وخلقه ، وقد تحدث الشيخ احمد بشير رئيس جمعية اقامة الاسلام بالفيليبين اثناء زيارته للقاهرة اخيرا ان احد الاساقفة وهو الاسقف بوتوريس كان يسير فى احد الميادين العامة بمانيلا صباح اول يوم عيد الاضحى المبارك فى العام الماضى ، فرأى جموع المسلمين فى صلاة العيد ، فى صفوف منتظمة ، وطاعة تامة للامام ، وخشوع كامل لله، فوقف وتأمل، ودرس واستمع الى الخطبة فدخل المسجد مكبرا معلنا اسلامه ، وهو الان يجوب انحاء وطنه داعيا الى الاسلام مجاهدا فى سبيل الله .

* * *

لذلك يجب على كل مسلم ــ فكل مسلم انما هو داعية ــ ان يكون القدوة الحسنة ، والمثل الاعلى الذى يتمنى كل من يراه او يعرفه ان يكون على شاكلته فيهتدى به الى الاسلام .

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .



أضواء إسلامية على المجتمع الصالح

حين يتدابر الناس في غير حق ، وتتنافر منهم القلوب ، وتتناكر الوجوه في فترة من فترات الحياة ويمضون افرادا وجماعات اوزاعا ، لا تعطف بعضهم الى بعض واشجة من وشائج الدين ،ولاتحكم وثاقهم رابطةمن روابط القربى ، ولا تشد عراهم آصرة من أواصر الاخوة الانسانية الجامعة ، يكونون بذلكاهون علىالله،وعلى الحياة والاحياء ، وعلى انفسهم من غثاء السيل ، الذى لا تتعلق به نفس ، ولا يحسب حسابه احد ، ويكونون كذلك واقعا مؤلما من نذير الصادق الصدوق صلوات الله عليه ، في قوله :

(يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، فقال قائل: او من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال لا بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في صدوركم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟فقال حبالدنيا وكراهية الموت) .

وحب الدنيا التي خلقها الله لعباده، واستخلفهم فيها لينظر كيف يعملون ، وكراهية الموت ، وهو سبيل كل حي ، ونهاية مطاف كل موجود ، حيث يبدو الناس بعده على حقائقهم مجردين من ثياب الزور ، واقنعة الاثم التي قضوا وراءها حياتهم ، لا يفسحان في رزق عبيد الحياة ولا يؤخران اجل الله اذا جاء ودنت مشارع الآخرة ، فاذا قضى الى هؤلاء اجلهم وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم واستراحت كواهل الناس من ثقلهم الفادح ، لم تجزع لمهلكهم

نفس ، ولم تبكهم عين ، وانما يتنفس الناس الصعداء ، وهم يذكـرون مـن مصارع الظالمين ومصاير المفسـدين في القرآن الكريم ، قول الله تعالى : —

« كم تركوا من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماآخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض ومـا كـانـوا منظر يـن » . (١)

قال الهيثم بن عدى

بينما حذيفة بن اليمـان وسلمـان الفارسي يتذاكران اعاجيب الزمـان ، وتغير الايام ، وهما في عرصة ايـوان كسرى ، وكان اعرابي من غامد يرعى

للاستاذ الشيخ معوض عوض ابراهيم

شويهات له نهارا ، فاذا كـان الليـل صيرهن الى داخـل العرصـة . وفي العرصة سرير رخام ، كان كسرى ربما جلس عليه ، فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى !!!

وهكذا تتقلب الحياة بالمفتونين بها عن اللـه بـين لـين وعـنـف ، وقسـوة ولطف ، ووصل وصـد ، وابتسـام وعبوس ، وهي في اقبالها وادبارهـا كنار القش تذهب صاعدةفي الجو حتى تمتلىء بها العيون ، وتجتليها الأبصار ، ثم تحور بعد لحظات رمادا مكانه بـين الأقدام ، وفي مهب الرياح .

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السمـاء فاختلط به نبـات الأرض فاصبح هشيما تذروه الريـاح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٢) .

ان ميزة الانسان الاولى : هي ان يألف الناس ، ويألفوه ، ويودهم ويودوه ، على اسـاس من الحـق الذى لا يعـرف بالرجال — كما يقول الامام علي — ولكنهم يعرفون به ، وفى اضواء فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وبصراحة ووضوح لا يطـويان خـلالهما مـن عناصر الشر والفساد شيئا ، وان يكون المرء ايجابيا فعالا فيما حوله منفعلا بهم ، يعمل لله وللحياة مع اخوانه قدر امكانـه ، دون ان يجمد فى مكانه ، او يعزل عن الركب نفسه ، فيصير مناخ الشيطان ، ووسيلته وسبيله الى ما استهدف — منذ كان — من ضلال وخسران ، واذا كان الرسول صلوات الله عليه يقول : ان الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين ابعد فهو يقول : (انما يأكل الذئب من الغنـم القاصية) ويؤكد عليه السلام (ان من شرار الناس من نزل وحده وجلد عبده ومنع رفده اى عطاءه ، وان اكثر منهم من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره) .

ولـو ان كل واحد من هؤلاء اضاء فى اقل القليل على طريق الحياة شمعة بدل ان يلعن الظلمات كما يقولـون — لأت هذه الشموع بالنور دنيا الناس،وكشفت لهم معالم طريق الخلافة الحقة عن الله، وجعلتهم وجهاً لوجه امام العـزة التي قاسمها الله عباده المؤمنـين في قوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون » (٣) .

ولعـل اسـم الانسـان يجاو معاني الانس — والانسجام والتفاهم ، والوئام التي لا يترابط الناس بعد الايمان بالله بامثل منها ، والتي تبعد عـن طريقهـم الوحشـة والسلبية ولعنة (الانا) التي اخرجت ابليس مذموما مدحورا مـن حظيرة القدس ، وهي مخرجةاشياعه من سكينة الدنيا ، ودعة الحيـاة قبـل ان يلاقوا حساب الله .

---

(١) الدخان آيات ٢٥ — ٢٩ (٢) الكهف ٤٥ . (٣) المنافقون ٧ .

والرسول صلوات الله عليه يقــول : المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وما امتن الله على رســوله بقولــه » وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » (١) ، الا بعد ان منحه من كريم الشيم، وشريف الخلائق، ما يشير سبحانه اليه بقوله : ــ

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولــو كنت فظا غليــظ القلب لانفضــوا مــن حولك) (٢) .

ان الرفق بالناس يثمــر اســتلانة قلوبهم ــ فطالما استعبد الانسان احسان ــ ولقد جبلت النفوس على حب من عرف لها كرامتها ، وصان عزتها ، وخالطهــا مخالطة خيرة نيرة ، ومن مأثوراتنا ــ

« ان قلوب الناس وحشية فمن تألفها اقبلت عليه » .

ولا يستطيع ان يصنع ذلك ســلطان قاهر يضمحل غدا ويزول ــ فكل حال لضده يتحول ــ فاذا الذين كانوا بالأمس مقهورين ، يصبحون اعزة قادريــن على الأعراب عن رأيهم ، والتعبير فى انفاس الحرية عن وجهات نظرهم فى التعمير ، والبناء والاخــاء والرخــاء ، بحكمــة وســداد لا بغــدر ومــكر وافســـاد ، « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهــل ينظرون الا سنة الأولــين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة اللــه تحويلا » (٣) .

والنبي صلوات الله عليه يقــول : ان من احبكم الي ، واقربكم مني مجلســا يوم القيامة أحاسنكم اخــلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون . وان من ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يــوم القيامة الثرثارون المتفيهقــون المفرقون بين الاحبة الباغــون العيب للبــراء » . الطبراني .

وما اكثر مــا تكلف الحيــاة الاتقياء الانقياء من صــعاب ، انهــم يرتفعــون بانفسهم عن المستوى الاخلاقي النازل فى مجتمع من المجتمعات ، ويربأون بها عن التدلي الى ما يخر فيه الى الاذقان من سفساف الامور اقوام ، ويعيشــون فى الجو الذى قال فيه الامام احمد بن حنبل لاحد حكماء العرب .. اخبرني كيف أسلم من الناس ؟ فقال بثلاثة أشياء :

تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم ،

وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضــاء حقوقك .

وتصبر على اذاهم ولا تؤذهم .

فقال الامام احمد : انها لصعبة ، فقال الحكيم وليتك مع هذا تسلم ...

اجل ان السلامة من ألســنة الناس بعيدة المنال ، صعبة المدرك ، وما ســلم الله سبحانه مــن عباده الذين يعطيهــم بحكمته ، ويبتليهم بلطفه ورحمتــه ، ولا سلم النبيون والصــالحون عبر التاريخ من ألسنة التافهين الذيــن لا يعــرفون شرف الكلمة ، ولا امانــة القلــم الذى جعلوه فى ايديهــم معــول هدم ، واداة تحريف للكلم عن مواضعه، وليكن سلوى الذين استحفظوا مــواريث الفضــيلة ، والخير مما ينبحهم به النابحون فى كــل اتجاه ، هذا الأدب الــرباني « يا أيهــا الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم

(١) الأنفال ٦٣ . (٢) آل عمران ١٥٩ (٣) فاطــر ٤٣ .

ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » (١) .

ويقول مالك ابن دينار « من عرف نفسه لم يضره ما يقول الناس فيه ، ويقول الامام الشافعي : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة » .

والكلمتان تكشفان من اخلاق الناس جوانب لا بد ان تكون قيد النظر ، وموضع الاعتبار ، فالمرء مسؤول مسؤولية كبرى عن أقواله واعماله ، فهما المرآة التي ينظر الله والناس من خلالها اليه بعيدا عما تواضعوا عليه من أحساب وأنساب ، والقاب ودرجات علمية لم يطل بها ذووها على جمال الحق والخير ، ولم تهدهم الى ما يجب لله من ولاء ، ولدينه من اتباع واذعان .

والى الذين يحرصون بمناسبة وبغير مناسبة على التحرش بالعلماء والتشكيك فيما يذكرون به من مقررات الاسلام واحكامه الوضيئة الدافعة للحركة والسبق ، الى هؤلاء الكتاب في اقطار وامصار يتجه قول رسول الله صلوات الله عليه وسلامه « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » (٢) ولقد خطب زياد على منبر الكوفة يوما فقال « ايها الناس ، اني بت ليلتي هذه مهتما بخلال ثلاث : رأيت أن أتقدم اليكم فيهن بالنصيحة (رأيت اعظام ذوى الشرف ، واجلال ذوى العلم وتوقير ذوى الاسنان ، والله لا اوتى برجل رد على ذى علم ليضع بذلك منه الا عاقبته ، ولا اوتى برجل رد على ذى شرف ليضع بذلك من شرفه الا عاقبته ، ولا اوتى برجل رد على ذى شيبة ليضعه بذلك الا عاقبته ، انما الناس باعلامهم وعلمائهم وذوى اسنانهم . « جامع بيان العلم لابن عبد البر .

ويقول الامام الشافعي (اظلم الناس اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه ، وانكر معارفه ، واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل) .

وذنب اولى الفضل عند الذين لا يتقون الله فيما يسودون في صحف ومجلات يجلوه قول ابي حيان التوحيدي في كتابه (الاشارات الالهية) « اللهم انهم عادونا من اجلك ، لاننا ذكرناك لهم فنفروا ، ودعوناهم اليك فاستكبروا ، واوعدناهم بعذابك فتحيروا ، ووعدانهم بثوابك فتجبروا ، وتعرفنا بك اليهم فتنكروا ، وصناك عنهم فتنمروا) .

ذكر ابن عائشة قال : كان الخليل بن احمد يحج سنة ، ويغزو سنة .. الى ان مات ، وبعث اليه سليمان بن علي الهاشمي بطرف وكساء وفاكهة ، فقبل الفاكهة ورد ما سواها ، وارى الرسول ما بين يديه من خبز يابس وقال : ما عندى غير هذا ، وما دمت أجده فلا احتاج الى سليمان ، ولا غيره ، قال الرسول أفابلغه عنك ؟ فقال :

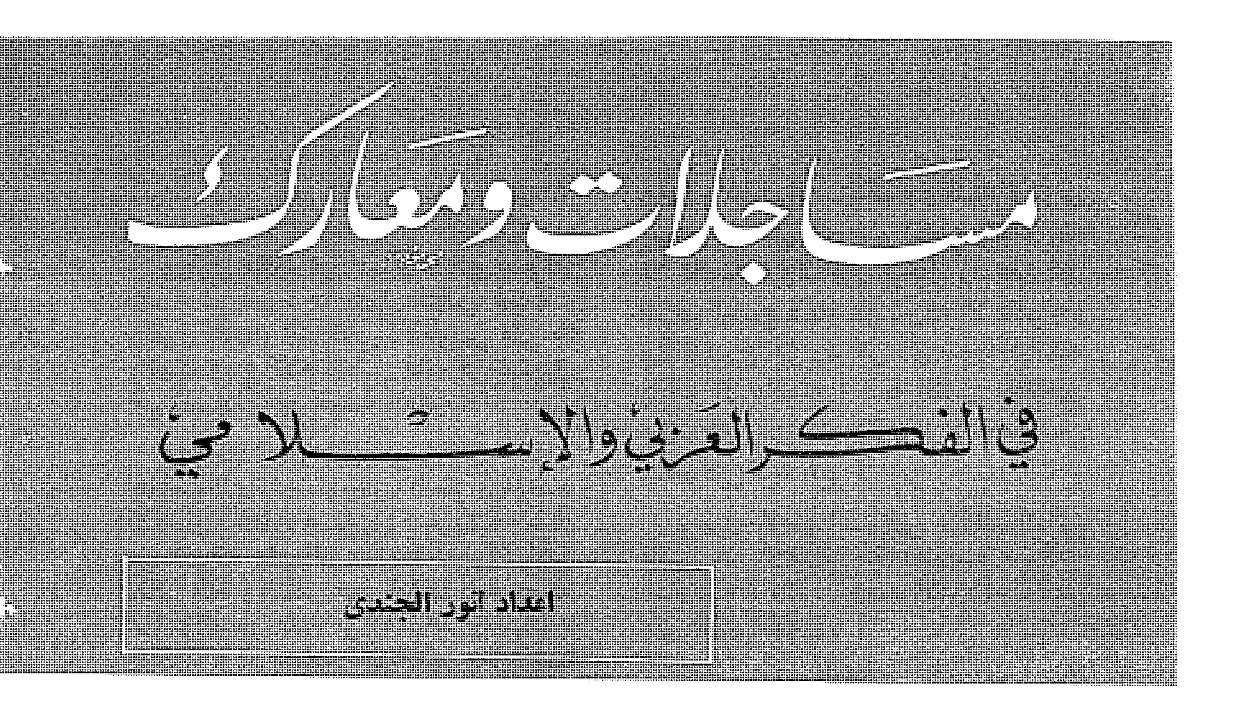
ابلغ سليمان اني عنه في دعة — وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخا بنفسي اني لا أرى احدا — يموت هزلا ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه — ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فهل تلتقى الوجوه والقلوب على الحق ؟ .... هذا رجاء الى لقاء ...

---

(١) الاحزاب ٦٩ — ٧١ .

(٢) الترمذى عن انس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت .

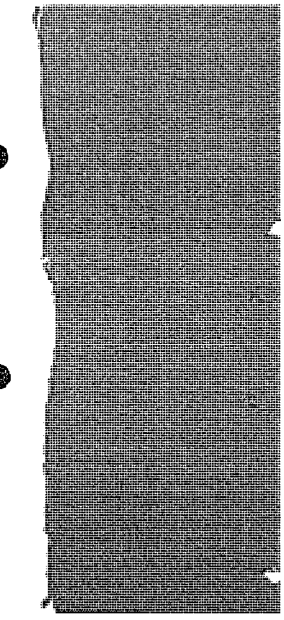


في اضمامات الصحف ، وخبايا الاوراق القديمة ــ منذ اوائل هذا القرن وما قبله بقليل ــ ذخائر وكنوز ودرر جديرة بأن تخرج الى الضوء ، لينتفع بها جيلنا الذى لا يعرف عنها الا القليل . ولقد اتيح لي أن اعمل منذ عشر سنوات فى هذا المجال تقريبا باحثا وراء جذور فكرنا العربي الاسلامي المعاصر فى قضاياه الاصلية ، ومسائله الكبرى ، وكيف بدأ الكتاب والمفكرون تناولها . واستطعت ان استخرج كثيرا من معاركها ومساجلاتها فى موسوعة معالم الادب العربي المعاصر .

وقد أحببت « أن اخص قراء الوعي الاسلامي ببعض هذه المساجلات والمعارك التي لم يدركها الشباب المعاصر » .

والواقع ان الحرص على اذاعة هذه الآثار الجديدة القديمة ، الحية النابضة بالحياة ، المرتبطة بواقعنا وفكرنا اليوم ، أمر مقدور أثره وفضله . وقد بدأت بشيخ العروبة احمد زكي باشا . الذى كانت له صولات وجولات فى هذا المجال ، وقد اتيح له برحلاته ومكتبته الضخمة (١٨ الف مجلد) ومخطوطاته ان يواجه كل القضايا مواجهة العالم الحصيف ، وان اضاف الى ذلك طابعه الشخصي المتسم بالزهو والاعتداد والدعاوة لنفسه وفضله .

واذا بدا اليوم موضع نقد ، فانه حين ينظر اليه على ضوء عصره ووقته



• من معارك احمد زكي شيخ العروبة المتوفى سنة ١٩٣٤م

• هل الفراعنة اتراك ام انهم عرب عرباء ؟

يبدو امرا ليس بالغريب ، فقد بدأ احمد زكي حياته الفكرية منذ عام ١٨٩٢ حين مثل مصر فى مؤتمر المستشرقين فى لندن ، ثم ساح فزار الاندلس فى هذا الوقت الباكر ، ومضى يعمل فى مجاله الفكرى حتى توفى عام ١٩٣٤ فى خلال أربعين عاما . لذلك كان يرى فى سائليه من الباحثين والمتصلين به بالسؤال عن هذا الأمر او ذاك تلاميذه وابناءه .

ولقد كتب احمد زكي فى صحف المؤيد والأهرام والمقطم وعشرات المجلات اكثر من الف مقال ، ما تزال حتى الآن مدفونة فى بطون الصحف . وكلها محاورات ومساجلات ، ومعارك ، حول قضايا الفكر والعصر والأدب والتاريخ والتراث .

ولم يكن احمد زكي فى دراساته تابعا للفكر الغربي او مواليا لمدارس المستشرقين بقدر ما كان موجها لهؤلاء الباحثين هاديا لهم الى الحق ، الذى كان يفوتهم ، أو يشتبه عليهم .

وكانوا يرونه استاذا لهم ومرجعا ، وكان ايمانه بأمته وفكرها العربي الاسلامي مصدر عمله كله ، ومن ثم كان حريصا على اعلان كلمته فى كل مجال .

وتلك مدرسة ضخمة قد انقرضت الآن أو كادت ، وانا لنرجو ان نتابعها حتى لا تموت نهائيا وأن تظل كلمة الحق فى فضل الفكر العربي الاسلامي على الفكر الغربي والحضارة الحديثة واضحة معلنة ، تصحح المفاهيم ، وتذكر شباب هذه الأمة دائما بعظمة تاريخهم وتراثهم ، وأثرهم الواضح فى الفكر الانساني والحضارة العالمية .

وفى هذه الدراسة محاولة لرسم صورة صادقة لبعض هذه المعارك على النحو الذى كانت تدار به فى الصحف اليومية ، وكيف تبدأ برسالة اليه ، ثم برد منه ، ثم تتوالى الاستفسارات والتوضيحات وتنتقل المساجلة من قضية الى قضية .

واليوم نعرض لاحدى هذه المعارك معركة الجذور العربية للفراعنة .

*** مكان المعركة جريدة المقطم**

*** زمن المعركة سبتمبر واكتوبر ١٩٢٩**

مساجلات ومعارك

— ١ —

فى ١٩٢٩/٩/٢ .

من م . صفا بك صاحب جريدة صدى الحق .

أتقدم الى سعادة العلامة احمد زكي باشا على غير سابق معرفة الى الاستفسار التالي لأني موقن انني سأجد من واسع فضله ضالتي المنشودة .

يقول الدكتور رضا نور فى تاريخه « تورك تاريخي » ان أصل الفراعنة هم الترك بدليل ان هناك بلدتين احداهما تسمى « اور » والأخرى « اورون » وكلا الاسمين تركيان فان اور معناها (خندق) وأورون معناها (قبيلة) وكتابتهما كتابة مسمارية اى انها تكتب من اليمين الى الشمال . ثم توضع فى أسطر عمودية . كما ان الدين الذى يدينون به هو الأرض والسماء . وغير ذلك كما هو حال دين « شامان » أى دين قدماء الترك .

بهذا أردت ان اشرك «شيخ العروبة» فى هذا البحث طالبا ان يكشف لنا الحقيقة . والله تعالى يمده بلطفه وعنايته .

الفراعنة أتراك ؟ ؟ كلا ثم كلا

ورد احمد زكي باشا عليه وقال

جوابا على السؤال الطيب الحكيم الذى وجهه الي اقول .

الأمم كالأفراد ، فى الطموح الى المعالي ، وفى انتحال الفضائل ، التي تدنيها من الكمال . فكلما بذ الرجل اقرانه حاول هو او المعجبون به والمتزلفون اليه اثبات نسبه الى ارومة زكية زاكية ، واسناد مناقب شتى اليه ، هذا ناموس عام لا تزال مظاهره تتوالى الى ساعة الناس هذه . وهكذا رأينا الأمم عندما يواتيها الزمان وتخدمها الحظوظ تتطلب ذلك بالحق وبالادعاء .

فكان المصريون الأقدمون لا يسمون الانسان انسانا ، ولا يعتبرونه جديرا بنعمة الحرية فى هذه الحياة الا اذا كان منبت ابيه وأمه على ضفاف النيل المقدس . وكذلك جعلوا لكل الناس الآخرين اسما يدل عليهم وهو يرمى الى المهانة ويشير الى التحقير .

أما اليونان فكان كل من عداهم من الأقوام برابرة .

وكذلك الرومان كانوا يطلقون هذا الاسم (برابرة) على كل من لم يسعده الله بالتحدر عن ظهر الفلاحين (روموس) و (رومولوس) اللذين ارضعتهما الذئبة فكانت منهما جرثومة الأمة الرومانية .

حتى اذا برز العرب الى الميدان أطلقوا اسم « العجم » والأعاجم على كل المخلوقات التي لم تتشرف بالانتساب الى « يعرب » فى شخص قحطان أو عدنان .

وهكذا نرى الانجليز فى هذا الزمان ، لا يكادون يؤمنون بأنهم مخلوقون الا من طينة خلاف التي جعل الله منها سائر الباقين من بني آدم ، فلماذا تريد يا فتى العرب ان يكون الاتراك خارجين عن هذه القاعدة العامة ، او خارجين على ذلك الناموس العمراني .

انهم اصابوا فى سالف الأيام القريبة قسطا من الحكم ، كان كبيرا وفيرا ، فكانوا يرون ان مظاهر العظمة محصورة فيهم ، ومقصورة عليهم .

لذلك لا تراني أعجب أو استنكر عندما اراهم مسوقين بذياك الناموس العمراني الى انتحال ما يجوز لهم وما لا

يجوز من المحامد والمفاخر ، والى التمادى فى هذا الميدان حتى صاروا يغتصبون لامتهم كل رجل من افذاذ الأمم الشرقية ، ويتحملون لذلك من الأسباب التي قد يجوز بعضها بطريق التمويه ، ولكن اكثرها مما لا يقبله الواقع ، ولا يقره التاريخ .

ورضي الله عن الكاتب المفضال « صفا بك » فقد تكرم بالاشارة الى الشبهة الواهية ، بل الى الخرافة الوهمية ، التي يتوكأ عليها بعض كتاب الترك لاثبات هذا المحال .

هو يقول فى السؤال الذى وجهه لي على صفحات المقطم ان الدكتور رضا نور يقول فى كتابه تاريخ الأتراك (تورك تاريخي) ان اصل الفراعنة من الترك ، بدليل انه كان هناك بلدتان . . كذا ، الله الله هكذا يكون البرهان . وهكذا تتجلى الحقائق ، وهكذا تصدر الاحكام .

ولولا ثقتي ببراعة صفا بك فى النقل من التركية لكنت شككت فى نقله هذه البرهانات ، التي هي من قبيل الترهات ، وكان لي ان اتخيل انه اجترأ فافترى عليه هذه السخافات .

فالعهدة عليك يا صفا بك . فان ناقل الكفر ليس بكافر ، فهو مطالب بالامانة فى النقل . اذا صح نقلك يا صفا بك . — وانا اظنك امينا فى النقل — فان رضابك يكون أول هادم لما يقرره رضا بك نفسه .

ولا اقول فى هذا المجال « كفى الله المؤمنين القتال » بل اقول للمصريين « لا نزال ولا نضال » فقد افحم الخصم نفسه بنفسه ، وهدم بقلمه ما بناه بوهمه .

كان الوقوف عند هذا الحد يكون محمودا ، ولكني افرض ان هناك نظرية ربما تستلب بعض العقول بما فيها من بهرج ، لأن الجمهور والدهماء مغرمون بالخرافة اكثر منها بالحقيقة ، فلذلك أرى وضع السؤال فى شكل آخر .

ما هو أصل الفراعنة

وأقول فى الجواب انهم مصريون واذا أردنا ان نعرف منشأ المصريين وجب علينا اولا الرجوع الى اقوال العلماء الباحثين النقابين ثم الادلاء برأينا الشخصي الذى تؤيده ملامح الوجوه وأساريرها .

من أين جاء الفراعنة والى أي سلالة ينتسبون ؟

لأجل الجواب عن هذا السؤال لا بد من معرفة جرثومة الأمة المصرية عند ظهورها فى فجر التاريخ على ضفاف النيل . فالفراعنة منها وهم اليها ينتسبون .

ولا محيص لنا فى هذا المقام عن الرجوع الى ما قرره اهل التحقيق الذين درسوا توزيع الناس فى المربع المعمور على ضوء الاسانيد التي تكشفت لهم اثناء اعمال الحفر والتنقيب وبعد المقارنة بين طوائف الناس وجماهير الحيوان فى بقاع الارض المختلفة .

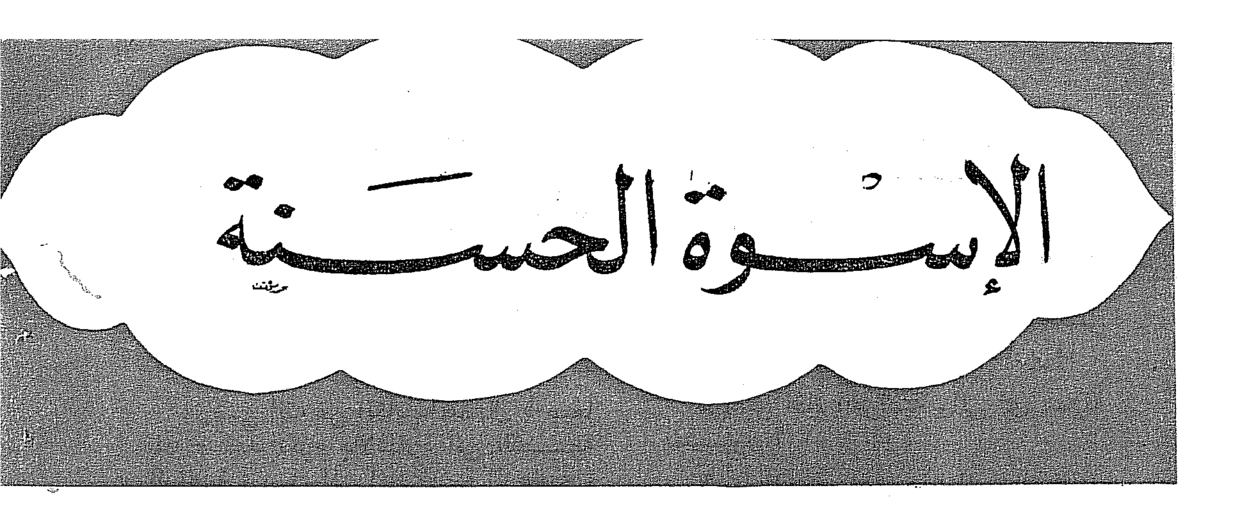
والى القراء والى غلاة التورانية بنوع خاص ، البرهان على فساد ما يتوهمونه او ما يختلقونه فى محاولة اغتصاب ابناء سام وحام من الفراعنة ونسبتهم بالزور والبهتان الى الأتراك الذين هم من ذرية يافث بن نوح بلا جدال .

هناك قولان فى اصل السكان بمصر ومن أين جاءوا

احدهما وهو ما عليه الاكثرية الكبرى (وان شئت فقل من المتفرنجين الاغلبية الساحقة) من علماء العاديات المصرية من ان اوائل المصريين الاقدمين قد هبطوا من أرض آسيا الى وادى النيل .

يقول بذلك بروكش الالماني وابن وطنه ايبرس وثالثها لوث والعلامة ليبلن (نروج) والعلامة روجيه الفرنساوى .

البقية على ص ٧٤



هاتوا من الدين ما كنا ورثناه   وامضوا إلى الحق فيما انزل الله

ماذا عن الحق ؟ قد خال الزمان بنا   حتى نسينا فضل الركب مسعاه

فيمموا سبل التوفيق وانطلقوا   حتى نرى الركب باسم الله مجراه

ماذا نقول إذا ما الحق طالبنا   عند الحساب بحق قد أضعناه

الناس للحق قد باعوا نفوسهم   ونحن باللهو والتفريط بعناه

يا أيها المسلم الناسي رسالته   هل ضقت بالحق حتى رحت تنساه

أم خفت في الحق — ان مارسته عنتاً   تلقاه من معشر أعماهم الله

أن تؤذ في الحق طوبى انه شرف   يبلوا به الله من للحق زكاه

قد كان احمد يؤذى في رسالته   حتى الملائك ناجت فيه مولاه

اذ يهتفون ... الهي رد كيدهم   عمن بعثت فان الكيد أعياه

فيسكب الحق وحياً في مسامعهم   ان كان يطلب معواناً نصرناه

فيهمسون اليه وهو مستتر   خلف الجدار ووقع الرجم أدماه

أشك الظلوم فان الله منتقم   ممن رموك فلم ينطق بشكواه

وذاق في الحق مالو ذاقه جبل   لاندك حتى استوى في الارض أعلاه

لايترك الحق لو ألقوا بيمنه   شمس الضحى وأحلوا البدر يسراه

قالوا لك الجاه والاموال قال لهم   لا المال يعدل ايماني ولا الجاه

ان كان مالكم قد غركم زمناً   فالمال لله أعطاه وأحصاه

أو كان جاهكم قد زادكم عنتاً   فصاحب الجاه يا قومي هو الله

وكل صاحب عرش عز جانبه   فالله سيده والله مولاه

★★★

صيحة الاسلام فى وجه الملاحدة ...
والاسوة الحسنة فى كفاح الرسول الكريم

للاستاذ محمد التهامى
المستشار بالجامعة العربية

حتى إذا جاء نصرُ الله وازدَهَرَتْ ... بالفتح مكّةُ وازدانتْ لتلقاهُ
وطافَ بالبيت فاهتزّتْ قواعدُه ... وبادر الركنُ للمختارِ حيّاهُ
ونادت الكعبةُ الاصنامَ فارتعدَتْ ... وزالَ شيطانُها . ما كان أغزاهُ
وقالت اللاتُ للعزّى دنَا أجَلي ... فنكّسي الرأسَ هذا ما خشيناهُ

***

وسيقَ للمصطفى من كان أخرجهُ ... من قومه وغدوا فى القيد أسراهُ
تذكّرَ المصطفى ما كان في أحد ... فعادهُ الحزنُ وانضمت ثناياهُ
وكشّرَ الليثُ فارتاعتْ فريستُهُ ... وأيقنَ الكلُّ ان اليومَ منعاهُ
واطرقَ المصطفى حيناً وعاودَهُمْ ... وقد بدا الحزنُ بِشراً في مُحيّاهُ
وجاءَه العفو ، عفو القادر اجتمعت ... فيه الشجاعةُ لما ذلّ اعداهُ

***

طال الزمانُ وقد فتنّا هدايتَهُ ... فَفاتَنا المجدُ من يأسٍ وفُتَّناهُ
هل من يعيدُ إلينا بعضَ سيرتِه ؟ ... هل من قليلٍ لدينا من سجاياهُ ؟
إن كانَ فالخيرُ يسعى في مواكبِنا ... والسعدُ والمجدُ والتوفيقُ والجاهُ



من هنا .... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

تعصب

كان من فضل الله علي أنني عشت أنفر من التعصب ، وأعتبره جناية على حرية الانسان وتفكيره وفهمه المتزن للامور .. بل انه ليحول الانسان الى شبهحيوان نافر جامح يدوس بحوافره كل ما أمامه .. حتى فى ايماني بديني ومبادئه ، لا أؤمن به ايمانمتعصب يثور ويحرق ويدمر الجسور حين يصطدم بمن يخالفه فيه .. بل أؤمن بآن الرفق مع المخالفوتقدير ظروفه يثمر أكثر ما يثمر التعصب الجارف ان كان لمثل هذا التعصب ثمرة حلوة ..

ومن كراهيتي للتعصب ونفوري منه عشت لمأقيد نفسي بحزب أو هيئة برغم اشتغالي بالأمور الدينية والوطنية لأنني كنت أعتبر التقيد بآراء حزب أو هيئة وتبعيتي لهما يحد من حرية التفكير عندى ، ويجعلني أحيانا اقاد بهذه التبعية فى أمور أكرهها ولا أؤمن بها .. فقد تكون مبادىء الحزب أو الهيئة مبادىء طيبة ، ولكن تنفيذها سيء تطغى عليه المصالح الشخصية ، او التفكير الاسود للقائمين عليها . وحينئذ أجد نفسي مدفوعا لكى أؤيد هذه المصالح وأصحابها فى غير حق أو مصلحةعامة. .فلذلك كنت طول حياتي أعملفى خدمة ديني ووطني الصغير والكبير بعيدا عن التعصبوالانتساب لمنظمة أو كما كنت اقول أعمل لأهدافي ((من منازلهم)) وكثيرا ما رثيت لحال التابعينالمتعصبين ، ولحال أولئك الذين يخوضون المعارك من أجل الأهلي أو الزمالك أو العربي أو غير ذلك من النوادى .. ويسالني أولادى أحيانا أنت مع من ؟ فاقول مع اللاعب الجيد .. ولو انهزم فانني أرثى لحاله ..

ولكني مع ذلك أجدنى أحيانا متعصبا ومغاليافى التعصب ، وذلك حين أجد التسامح الذى أبديه يقابل بالتعصب الاحمق من الجانب الاخر .. وحينأجد أن الغير يستغل تسامحي فيؤوله الى ضعف . وحين أجد الغير يتعسف معى أو مع غيري لمجرد أننيأو أن ذلك الغير مسلم .

أسوق اليك هذه المقدمة لأنني وجدتني متعصباوثائرا وحانقا على غير عادتي فى شيء يتصل بالرياضة ، وقد تعجب وتقول وما للشيخ والرياضة ؟ وما لهيتعصب ؟ . ولكنى أقول يا أخي انني لم استطع

أن أملك زمام نفسي وأنا أتابع أخبار البطل العالمي محمد علي كلاى منذ أعلن اسلامه ، فقد تألب عليه - كما تعرف - الاتحاد العالمي للملاكمة لا لشيء الا لأنه أعلن اسلامه .. ورأيناه يطارد حتى من الرسميين هناك للحيلولة بينه وبين هذه البطولة ..

وبالرغم من أن محمد علي كلاى فخر تتنازعه كل دولة ، وتتمنى أن يكون منها الا أنهم هنا فى أمريكا رفضوا هذا الفخر فى موجة التعصب الجارف ،وآثروا أن تحرم أمريكا منه ما دام البطل قد أسلم ..

انهم ينتقصون السود ويتعصبون ضدهم ،ولكنهم تنازلوا عن تعصبهم ضد السود حين وجدوا من بينهم أبطالا عالميين ، ولكنهم لم يطيقوا أن يتنازلوا عن تعصبهم ضد الاسلام حين وجدوا أن (كلاى) قد أسلم ..

ومن أجل ذلك تعصبت لهذا البطل وتابعت أخباره ، ودعوت له : رجاء أن يكبت الله بفوزه هؤلاء المتعصبين ويشفى صدور قوم مؤمنين .

وحين دعته القاهرة لزيارتها سررت لأنه تكريم للبطل تقوم به دولة اسلامية ردا على ما عاناه من تعصب ضده ، وتمنيت لو أن دولا اسلامية أخرى تدعوه وتكرمه ان لم يكن الآن ففي المستقبل الذى أرجو ويرجو معي مئات الملايين من المسلمين أن يكتب الله له الفوز فيه حتى يزور الشرق الاسلامي مرة أخرى محتفظا ببطولته . ويظل الغربيون المتعصبون فى لهب من تعصبهم ..

لقد فضحوا أنفسهم بهذا الموقف ، ولم يبق عذر لمسلم (مغفل) يحسن الظن بهؤلاء ، فلقد كان الرياضيون - كما نظن وكما يقال عنهم - أبعد الناس عن مثل هذا التعصب ..

قد يقول بعض الناس ان محمد علي يتبع مذهبا اسلاميا بعيدا عن الاسلام الصحيح . ولكني أقول لهؤلاء ان الذين تعصبوا ضده تعصبوا لمجرد أنه قال : انني مسلم ونحن ننتصر له ردا على موقفهم منه ..

تقاليد

جاء يستأذن فى الانصراف مبكرا وسألته عن السبب ، فقال : ان قريبا لي مات فى ((ظفار)) بالجنوب ، ونحن هنا نريد أن نقيم له ((مقرأة)) فدعاني حب الاستطلاع الى أن أعرف شيئا من عادات الجنوب العربي فسألته ، وماذا تعملون فيها ؟ فقال : نذبح الذبائح ونعد طعاما لمن يحضر للعزاء ، وكذلك الشربات ، وبعد أن يأكلوا يجلسون ويقرءون للميت ! ! فسألته : كم تكلفكم ؟ قال : حسبت المصاريف مبدئيا فوجدتها وصلت الى ستين دينارا ،ولا بد أنها ستزيد .. وأخذ يخرج لي كشفا من جيبه .. فرثيت لحاله لأن مرتبه قليل وقلت ان هذا لا يجدى الميت ولا ينفعه بشيء .. وكان الأولى ان تنفقوا هذا المبلغ فى شيء مفيد لورثته أو فى مشروع نافع لكم هنا أو هناك .. فقال وماذا نعمل ؟ او لم نفعل هذا لتناولتنا ألسنة جماعتنا ..

وانصرف الشاب الظفارى وبقيت أفكر وأقابل ما يفعله هؤلاء فى هذه المناسبات بما يفعله غيرهم فى بعض البلاد الاسلامية الاخرى ، فأجد التشابه بينهم كبيرا فى العقلية وفى العمل .. التقاليد تشبه التقاليد، والظن بأن مثل هذا ينفع الميت هو الظن - والتقاليد هذه لا يقرها الاسلام ، والميت لا ينفعه الا عمله .

ومع ذلك يظل المسلمون أسرى تقاليد وظنون ، يحافظون عليها أكثر مما يحافظون على الفرائض الدينية الصريحة .. ويبذلون فيها المال الكثير ..وربما استدانوه .. شيء مؤسف ! !



اعرف وطنك

جزر المالديف

للأستاذ مامون عبد القيوم

عضو البعثة المالديفيه بالازهر

اذا نظرت الى خريطة آسيا فقد تسترعى انتباهك عدة نقط سوداء دقيقة ، متشابكة كالسلسلة ، ممتدة من الشمال الى الجنوب فى المنطقة الواقعة جنوبي غرب ((سيلان)) من المحيط الهندى . ولعلك تظن لاول وهلة أن هذه النقط الدقيقة ما هي الا نقط حبر سقطت سهوا من قلم الرسام ، ولكنك سرعان ما تراجع نفسك فتدرك خطأ هذا الظن ،لان أية نقطة فى الخريطة مهما بلغت ضآلتها ، فسوف تقابلها فى الطبيعة عشرات الاميال من الارض . واذاأمعنت النظر فى هذه النقط الدقيقة المتشابكة وجدت بجانبها كلمتي ((جزر المالديف)) مكتوبتين بخط رفيع ...

جزر المالديف ؟! أغلب الظن أنك لم تسمع عنها من قبل ، ولكنك قطعا سمعت عن ابن بطوطة الرحالة العربي الشهير ، الذى طاف ببلاد الشرق فى القرن الرابع عشر الميلادى . لقد زار ابن بطوطة أثناء رحلته الشهيرة جزر المالديف أيضا ، ولكنها لم تكن زيارة عابرة ، فقد تزوج منها ، ومكث فيها مدة

١

إحدى عجائب الدنيا

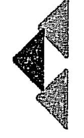
جنة عائمة في المحيط الهندي يعيش فيها مائة ألف مسلم

من الزمن ، تولى خلالها منصب القضاء .. ثم كتب عنها يقول : انها تشتهر بالجمال الطبيعي الساحر ، والهدوء الشامل والنساء الجميلات ، ووصفها بأنها احدى عجائب الدنيا السبع ..

فما هي قصة هذه الجزر التي أعجبت ابن بطوطة الى هذا الحد ؟ .

((١٠٠٠ جزيرة فى أحضان المحيط))

تقع جزر المالديف على بعد (٦٥٠) كيلومترا من الشاطىء الغربي لسيلان : وتشغل فى المحيط الهندى مساحة طولها (٧٥٠) كيلومترا ، وعرضها فى أوسع الاماكن (١١٥) كيلومترا . وتتكون المالديف من أكثر من الف جزيرة (عددها بالضبط ١٠٨٧ جزيرة حسب احصاء دقيق قامت به



جـزر المالديف

الحكومة في العام الماضي) غير أن عدد الجـزر الآهلة بالسـكان لا يزيد على (٢١٥) جـزيرة ، وبقية الجزر خالية يسـتغل بعضهـا في انتـاج المحاصيل الزراعية ، والبعض الآخر في انتـاج الأخشاب .

وهذه الجزر رملية مرجانية لا توجد فيها جبال ولا أنهار ، وهي بالغة الصغر بصفة عامة، فاصغرها لا تزيد مساحتها على الكيلومتر المربع الواحد ، وأكبرهـا لا يزيد طولها على سـبعة أو ثمانيـة كيلومترات ، ولا يزيد عرضـها على نصـف هذه المسافة . ومن الطبيعي أن تقف في وسط احدى هذه الجـزر ، وتنظر حواليـك فترى البحر من الجهات الأربع من خلال الأشجار والمنازل ، وتغطى كل الجزر غابات كثيفة من الأشجار الاستوائية الضخمة ونخيل جوز الهند الشاهقة .

وجزر المالديف تنقسـم طبيعيـا الى (١٣٠) مجموعة ، تفصل بينها بحار متسـعة نسـبيا ، ولكنها مقسمة سياسيا الى (١٩) مجموعة لاعتبارات ادارية رأتها الحكومة ، وعلى رأس كل مجموعة حاكم أو محافظ معين من قبل الحكومة ، يدير كل شؤونها . ووسيلة المواصلات بين الجزر هي الزوراق البخارية والمراكب والقوارب الشراعية المصنوعة محليا .

((بلاد السمك))

والاسم الذى تعرف به هذه الجزر الآن هو جزر المالديف Maldive Islands ، وكان ابـن بطوطة يسميها في كتاباته ((ذيبة المهل)) وكانت الدوائر الرسمية المالديفيـة الى وقت قـريب ، تستعمل اسم ((محلديب)) ، فما هو سبب هذا الاختلاف ، وما هي التسمية الصحيحة ؟ .

الواقع أن الأسماء الثلاثة محرفة عن الاسـم الأصلي لهذه الجزر فاسمها الأصلي هو ((مالديب)) وهو مكون من كلمتين باللغة السـنهالية (وهي اللغة التي يتكلم بها أهل سيلان ، والتي كان يتكلم بها المالديفيـون الأوائـل) وهاتان الكلمتان هما ((مال)) ومعناها سمك ، و ((ديب)) ومعناها بلد ، فمالديب معناها بلاد السمك ، وقد سميت بهـذا الاسم لوفرة الأسماك في بحارها .

ويبدو أن ابن بطوطة حاول تعريب هذا الاسم ، فقدم المضاف على المضاف اليـه كما تقتضيـه القواعد العربيـة وسـماها ((ذيبة المهل)) أمـا ((محلديب)) فهي محاولـة من المالديفيـين بعد اعتناقهم للاسلام وتعلقهم باللغة العربية لتقريب اسم بلادهم من النطق العربي . وأما ((مالديف)) فهي التسمية الانجليزيـة لهذه الجـزر ، وقد انتشر استعمالها الآن بصـورة أدت الى هجر الأسماء الأخرى .

((جنة عائمة))

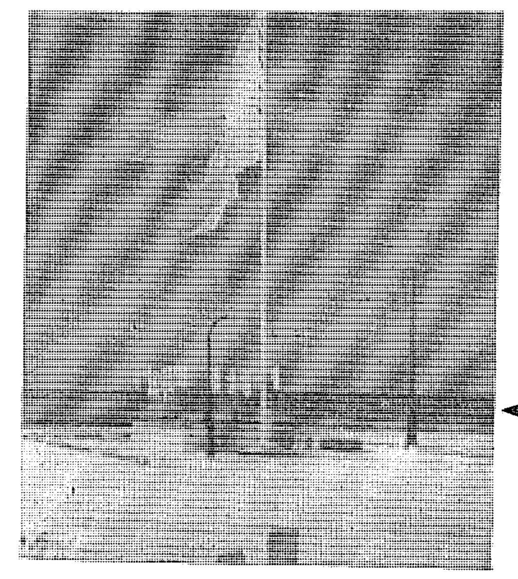
وجزر المالديف من المناطق التي تتجلى فيهـا مظاهر الاعجاز الالهي ، فهي ـ كما قال ابن بطوطة ـ آية في الجمال الطبيعي ، وقلما يوجد له مثيل في أية بقعة أخرى من العالم .

ولو قدر لك ـ أيها القارىء ـ أن تحلق فوقها في طائرة ، لبهرك منظر قد لا تقع عيناك على أروع منه في هذه الدنيا ...

بساط أزرق لا نهائي تلمع في ثناياه أمواج هادئة كذرات من فضة ذائبة ، وجـزر قد تناثرت هنـا وهناك كأنها درر صغيرة ، وهي شديدة الاخضرار في الوسط ، يقل اخضرارها تدريجيا كلما اقتربت من الشواطىء ، وينتهي بحلقـة ناصعة البياض تلف الجزيرة الخضراء ـ هي رمـال الشـواطىء الناعمة ـ ثم حلقات من الماء تحيط بها من كل جانب يتغير لونها كلما بعدت عنها ، خضراء فاتحة ، فخضراء قاتمة ، فزرقاء تشتد زرقتها تدريجيا حتى تندمج في المحيط القاتم الزرقة .

ثم مناظر شروق الشمس وغروبها التي تشاهد في المالديف بألوانها المتعددة الباهرة ، ولياليها المقمرة بسحرها الفياض ، وشواطئها البديعـة برمالها البيضاء الناعمة ، ومياهها الصـافية الخضراء ، وأشجارها المورقة بثمارها الاستوائية الشهية ، وزهورها البريـة المختلفـة الألوان بأريجها الذكي المنتشر في كل مكان ، وجوها المعتدل الرائع طوال العام بشمسه الدافئة وهوائه اللطيف المنعش . تلك من الأشياء التي لا يمكن أن تنسى .

وقد زارها الكاتب المصرى المعـروف الدكتور حسين فوزى وأعجب بها لدرجة أنه سماها جنة الله في أرضه ، وقال انه يتمنى لكل انسان ، لو استطاع أن يزور هذه الجنة العائمة ، ولا أعتقد أن الدكتور حسـين فوزى يبالغ في وصـفه للمالديف ، فهي جميلة حقا ، ورائعة حقا ..



ضريح علي رسجفان فى المكـان الذى استشهد فيه على الشاطىء الغـربي من العاصـمة

((مياه عذبة وسط البحار))

وجزر هذا الارخبيلقد رتبتها يد القدرة الباهرة ترتيبا عجيبا ، يجعل من العسير على السـفن الاجنبية أن تسير فى مياهها بلا معونة المرشدين المحليين ، وكثيرا ما يصادف مثل هذه السـفن مياها ضحلة أو ترتطم بصخور ، ويضطر ملاحوها الى هجرها وسط الأمواج ، وفى هذا يقول ابن بطوطة ((فمجموعة هذه الجزر مستديرة كالحلقة ، لها مدخل كالباب ، لا تدخل المراكب الا منه ، واذا وصل المركب الى المدخل فلا بد من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر ، وهي مـن التقارب بحيث تظهر رؤوس النخـل التي باحداها عند الخروج من الأخرى ، فان أخطأ المركب فى سـيره لم يمكنه دخولها ، وحمله الريح الى خارجها)) وهذا الكلام ما زال صحيحا الى الآن .

ومن المظاهر التي تتجلى فيها القدرة الالهية فى المالديف أيضا ، أن مياه الشرب التي تستخرج من الآبار الارتوازية هناك مياه عذبة غايـة فى النقاء ، لا أثر فيها للوحة على الاطلاق بالرغم من أن مساحة الجزر غاية فى الصغر ، يحيط بهـا البحر المالـح من كـل جانب ((وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)) .

ومن تلك المظاهر كذلك أن هذه الجزر ـ رغم وقوعها فى أحضان المحيط الهندى العاتي ـ لا تتعرض ـ أبدا لأعاصير أو عواصـف أو أمواج عالية ، أو غيرها من ثورات الطبيعة التي تتعرض لها الجزر الأخرى والمناطق الساحلية ، وأن أهل المالديف ليحمدون الله كثيرا على نعمه المتعددة ورحمته الواسعة ...

((ملك منتخب))

وجزر المالديف يسودها النظام الملكي ، والملك لا يرتقى العرش بالوراثة ، بل ينتخبه الشـعب ويظل ملكا مدى الحياة الا اذا ارتكب ما يوجب عزله طبقا للدستور . والملك الحالي هو الملـك محمد فريد الأول الذى انتخب ملكا على البلاد فى عام ١٩٥٤ .

والملك فى المالديف رمز على سيادة الدولـة ووحدتها ، فالسلطات التنفيذية تتركز فى يد مجلس الوزراء الذى يضع السـياسة العامة للدولة ، ويباشر تنفيذها باسم الملك .

ورئيس وزراء المالديف الآن هو السيد ابراهيم ناصر الذى تولى الحكم فى عام ١٩٥٦ ، وكان فى ذلك الوقت أصغر رئيس وزراء فى العالم ، اذ كان عمره حينذاك ٢٨ سنة فقط ، وقد تكرر انتخابه مرتين بعد ذلك بسبب مواقفه الحاسمة ضـد الاسـتعمار البريطاني مما أكسبه ثقة الشـعب وحبـه .

ومجلس الوزراء مسئول أمام ((مجلس الشعب)) (البرلمان) الذى يتولى السـلطة التشريعيـة ، ويتكون ((مجلس الشعب)) من ٥٤ عضوا منتخبين يتم انتخابهم مرة كل خمس سنوات .

العاصمة ذات المساجد

وعاصمة المالديف هي جزيرة ((مالي)) Malè وفيها مقر الملكوالوزاراتوكل المصالح الحكومية، وتقع مالى فى وسط الارخبيل تقريبا ويبلغ تعداد

جـزر | المالديف

السكان فيها حوالي (١٥) الفا . وهي مدينة صغيرة أنيقة ، شوارعها بيضاء نظيفة ، وبيوتها فيللات جميلة تحيط بكل واحدة منها حديقة مليئة بالنباتات الاستوائية . ولعل مما يدل على تعلق أهلها بالدين أنه يوجد فيها (٣٩) مسجدا رغم صغر مساحتها .

وتوجد أمام ((مالى)) الميناء الرئيسي للمالديف الذى ترسو فيه البواخر التي تسير بينها وبين سيلان والهند والباكستان وغيرها من الدول . وتقع على بعد ٣ كيلومترات من العاصمة ((جزيرة هولولي)) التي افتتح فيهـا أول مطـار مدني فى المالديف فى شهر ابريل الماضي ، وينتظر أن تهبط فيه طيارات الشركة العالمية التي تعمل بالمنطقة .

العضو رقم ١١٧ فى الأمم المتحدة

وجزر المالديف دولة مستقلة ذات سيادة ، وقد نالت استقلالها التام ــ فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٥ . وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على المالديف فى ديسمبر ١٨٨٧ بموجب رسالتين متبادلتين بين السلطان محمد معين الدين الثاني ، وبين السير آرثر هاملتون جوردون الحاكم العام البريطاني فى سيلان . وقد حرصت بريطانيا على أن تذكر فى كل الاتفاقيات اللاحقة أن فرض الحماية كان استجابة لطلب السلطان ، غير أن الوثائق التي اكتشفت حديثا أثبتت كذب هذا الادعاء ، وأوضـحت أن السلطان قد أكـره على قبول الحمايـــة تحت التهديد بالاحتلال .

وتحسن الاشارة هنا الى أن هذه الحماية طوال فترة استمرارها من عام ١٨٨٧ الى عام ١٩٦٥ كان لها وضع متميـز خاص ، فلـم يكن لبريطانيا فى المالديف فى أى وقت من الأوقات حاكم ولا مندوب سام ، ولا أى مسئول آخر من جهتها يباشر السلطة الفعلية ، وانما كان يحكم المالديـف أبناؤهـا ، فالحماية لم تكن الا نوعا من التبعية القانونية التي حدت من حريتها فى التعامل مع الدول الأخـرى ، ولم تقـاس المالديف من ويـلات الاسـتعمار كما قاست الدول الأخرى .

وبعد أن نالت المالديـف اسـتقلالها بمقتضى الاتفاقية التي عقدت بين الطرفين فى يوم ٢٦ يوليو سـنة ١٩٦٥ ، انضمت للامـم المتحدة فى شـهر سبتمبر من نفس العام ، فأصبحت العضو رقم ١١٧ فى الهيئة الدولية .

وبعد حصول المالديف على الاستقلال ، يثور سؤال حول مستقبل القاعدة البريطانية بجزيرة ((جان)) (احدى جزر المجموعة التاسعة عشرة) وهي القاعدة البحريـة والجويـة التي أنشـأتها بريطانيا هناك عام ١٩٥٦ ، ولا أعتقد أن بقاءها حتى نهاية مدتها فى عام ١٩٨٦ آمر مؤكد ، نظرا للتيار التحررى القوى الذى يسود المنطقة كلها ، وحرص المالديف على التخلص من كل ما قد يكون له أثر فى المساس بحريتها التي نالتها بعد طول حرمان .

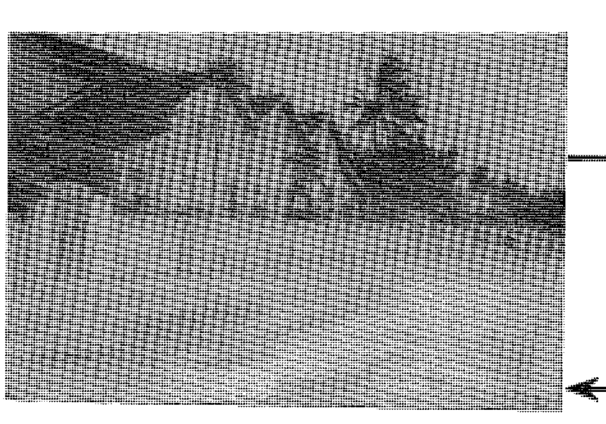
((بلاد اسلامية ١٠٠ ٪))

يبلغ عدد سكان المالديف ١٠٠ ألف نسـمة ، وكلهم مسلمون ، ولعل المالديـف هي الدولـــة الوحيدة فى العالم التيتبلغ نسبة المسلمين فيها ١٠٠٪ والشعب المالديفي شديد التمسك بأهداب الدين ، وحريص على تنفيذ تعاليمه وأحكامه ، ومن الطبيعي أن تنعكس آثار هذا على القانون المالديفي، فالدستور لا يسمح لغير المسلمين بالاقامة الدائمة فى المالديف ، والافطار بلا عذر شرعي يعتبر جريمة يعاقب عليها قانونا ، كما أن استيراد المشروبات الروحية أو صناعتها ممنوع منعا باتا . ومع أن صيد السمك هو مصدر رزق أغلب السكان فان الخروج الى الصيد صباح يوم الجمعة ممنوع خوفا من فوات صلاة الجمعة .

الابن الذى يشبه الزهرة..أول من أسلم

أما كيف دخل الاسلام هذه الجزر النائية ، فتلك قصة تدل على ما يتمتـع به الاســـلام من وضوح وبساطة وسلامة عقيدة تجتذب الناس اليه اجتذابا . وبطل هذه القصة أحد الدعاة الذين وهبوا أنفسهم لله ، وكرسوا جهودهم لنشر دينه وتبليغ دعوته الى الشعوب التي لم تبلغها بعد ، واسمه الشيخ الحافظ ابو البركات يوســـف البربرى ، وهو من بلاد المغرب .

فقد وصل الشـيخ الجليـل الى المالديف فى منتصف القرن السادس الهجـرى ، مـع بعض التجار العرب الذين كانوا فى ذلك الوقت يقومون برحلات تجارية منظمة بين الجزيرة العربية من جهة ، وبين موانىء الهند وسيلان والمالديف من



مباني العاصمة تحيط بها النباتات الاستوائية

جهة اخرى . وعندما نزل الشيخ أبو البركات الى العاصمة ووجد أهلها على الديانة البوذية طلب مقابلة السلطان ، فلما حضر بين يديه دعاه الى الاسلام ، ولكن السلطان أبى فى أول الأمر أن يترك دين آبائه وأجداده ، غير أنه قربه اليه وأكرم وفادته ، وما زال الشيخ يعرض عليه الاسلام فى كل فرصة تسنح له ، وما زال يجادله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى شرح الله صدره للاسلام فأسلم على يديه وأمر الشعب باعتناق الاسلام . وكان ذلك فى اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

وهناك قصص كثيرة شبيهة بالأساطير ، يتناقلها الناس فى المالديف تصف كرامات كثيرة خارقة ، يقال انها ظهرت على يدى الشيخ أبى البركات حتى اقتنع السلطان والأهالي وآمنوا جميعا . ولا توجد أدلة تاريخية تؤكد صحة هذه القصص . وكل الذى نستطيع أن نقطع بصحته هو تاريخ دخول الاسلام الى المالديف ، واسم الداعية الذى كان سببا مباشرا فى ذلك ، واسم السلطان الذى أسلم على يديه ، اذ أن هذه المعلومات مكتوبة فى اللوحة الموجودة بالمسجد الذى أمر ببنائه السلطان بعد اسلامه ، وهي مكتوبة باللغة العربية ، والكتابة التي عليها ما زالت واضحة .

وهذا السلطان الذىأسلم على يدى الشيخ أبى البركات كان اسمه قبل اسلامه « درمس كالامنجا » وكان يلقب بـ « كوى ملا » ومعناه الابن الذى يشبه الزهرة ، وبعد أن أسلم أسمى نفسه « درمس محمد بن عبد الله » وقد حكم مالديف ٢٥ سنة ، ١٢ منها قبل اسلامه ، و١٣ بعده .

« برج الآذان »

ومن آثار هذا السلطان المسجد الذى بناه فى العاصمة ، وهو أول مسجد يؤسس فى المالديف ، ولا يزال هذا المسجد باقيا وفى حالة جيدة ، وأبوابه ونوافذه تعتبر دليلا حيا على التفوق الذى بلغه الفن المالديفي ، وقد قام عدة ملوك جاءوا بعده بتوسيعه وترميمه فى أزمنة مختلفة .

وأمام هذا المسجد يوجد برج الأذان الذى انشيء منذ (٣٠٠) سنة وهو أيضا من الآثار التاريخية الخالدة ، وهو عبارة عن بناء دائرى أبيض بخطوط عرضية زرقاء وقطره حوالي (٢٥) قدما عند القاعدة ، وأقل منه عند القمة ، وعلى ارتفاع حوالي (٣٥) قدما توجد شرفة دائرية يقف عليها المؤذن للصلاة خمس مرات فى اليوم .

« ضريح أبى البركات »

وبقى الشيخ أبو البركات فى المالديف بعد اسلام أهلها يعلمهم القرآن وتعاليم الدين ، ويعاون السلطان ويوجهه الى تطبيق أصول الاسلام ومبادئه الى أن توفى . وقد دفن فى ضريح أقيم له أمام المسجد الذى بناه السلطان ، ولا يزال هذا الضريح قائما فى مكانه ، وهو من الأماكن التاريخية التي يعتز بها أهل المالديف ، ولا يزال كل من يمر به يحرص على أن يتوقف أمامه لحظات ، يقرأ فيها الفاتحة على روح هذا الشيخ الجليل الذى كان السبب الذى هيأه لله لاسلام بنى وطنه .

وقد ألحقت غرفة بالضريح وضع فيها كل ما بقى من آثار الشيخ منها سريره الخشبي وبعض مراوح مصنوعة من ريش النعام ، ومظلة كان يستخدمها للاتقاء منالشمس كما يفعل المالديفيون، وتعتبر هذه المظلة قطعة فنية تدل على براعة صانعها المالديفي ، فهي لا زالت محتفظة بكامل رونقها وألوانها الأصلية رغم مرور أكثر من ثمانية قرون عليها .

ـ البقية فى العدد القادم ـ

بقية
مساجلات
ومعارك

على ان القائلين بمجيء المصريين الاولين من آسيا قد اختلفوا فى بيان الطريق الذى سلكه اجدادنا البائدون فى اثناء نزوحهم الى كنانة الله فى ارضه ، فذهب بعضهم الى القول بأقرب المسالك وهو برزخ السويس وقال البعض الآخر انهم تنقلوا فى البلاد ، وجابوا الصخر بالواد ، وواصلوا الترحال بالترحال،حتى انتهت بهم خاتمة المطاف عند باب المندب . فعبروا البحر وقطعوا جبال الحبشة ثم ساروا مصعدين مع النيل الى جهة الشمال حتى ألقو عصا التسيار واستقر بهم فى مصر القرار .

٢ :ـ اما علماء الطبيعيات والاخصائيون فى دراسة أحوال الشعوب فيقولون بمجيء أوائل المصريين الى هذا الوادى من صحراء لوبيا وما اليها من الاصقاع الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط . وحكموا بأن نواة هذه الأمة المصرية قد انتقلت الى ربوع النيل المقدس من ناحية الغرب والشمال الغربي اى ان اصل المصريين صادر عن ذلك الجبل الكبير الكريم جبل البربر .

٣ :ـ وهناك نظرية ثالثة وهي اعجب ما يساق من الحديث ذلك ان الاستاذ رنيش النمساوى قرر ان المصريين من أصل افريقى ذهب فى ذلك الى نهاية المدى . وقال ان جميع السلالات البشرية العائشة فى الدنيا القديمة (افريقيا وآسيا وأوربا) وكلهم منحدرون عن منبت واحد وأسرة واحدة وكان مقامها على شطوط البحيرات الكبرى فى وسط افريقيا الاستوائية .

أما العلامة ((ماسبيرو)) وهو من اساطين العلم واركان العرفان فقد جنح الى الرأى الراجح وهو الأول .

اما الرأى الثاني فقد اضطلع به علماء الالمان وشاركهم فيه اخونا احمد باشا كمال الاثرى وهو أن المصريين جاءوا الى هذا الوادى عن طريق الجنوب ومن جهة باب المندب .

وسواء عندى أصحت الرواية الاولى أم كان الصواب قرين الرأي الثاني فلا مشاحة فى ان مصر انما استعمرها عرب الشمال الحجاز ونجد وبادية الشام ، أو عرب الجنوب عن طريق اليمن الا اذا صح انهم من البربر . وليس عندى ما أضيفه على ذلك سوى كلمة واحدة فى الرد على من توهم انهم من البابليين أو الكلدانيين ، ذلك أن هذا الرأي مرجوح ولم يقم عليه ادنى دليل .

وصفوة القول ان النعرة التورانية الجديدة المنبعثة عن تلك النشوة التركية المحمودة ، ليس لها مبرر فى الادعاء بأن الفراعنة من سلالة الاتراك .

وما اسخف الاستناد على اسم (مدينة اور) واسم مدينة (اورون) لان معناهما خندق وقبيلة فأي رابطة تجعل وجود هذين الاسمين هنا أو هناك دليلا على ما يناقضه التاريخ ، وتناقضه الحفريات ، وتناقضه ملامح الوجوه وأساريرها وسحنتها .

ولست ارضى عمن يتغالى ، فيقابل دعوى الزور بمثلها ، ويقول للاتراك أنهم هم وآباؤهم وأجدادهم الاولون منحدرون عن فرعون .

اما استنادهم الى تشابه الاديان على فرض صحته ـ وهو بعيد ، فليس

بدليـــل ولا شـــبه دليل . والا لكان الزنجي العائش فى اواسط افريقيـــا منحـدرا عن الاتراك او كان التورانيون منحدرون عنه .

وفى الثانى من أكتوبر ١٩٢٩م نشرت الجريدة هــذا التعليق الذي بعث به الاستاذ نقولا حداد وقال فيه :

اطلعت بشوق على مقال سعادة العلامة الاستاذ زكي باشا عن اصل الفراعنة ، وأعجبت بسعة علمه وبما أدلى به مـن براهين ، وخطر لـي ما ذكـره المؤرخ الانجليزي رولنصون الذى أسـهب فى تاريخ الدول الخمس الشرقية وأصولها واذكر جيدا شرحه الطويل عن اصـل المصريين القدماء ، وملخصه ان المصريين الاولين وفدوا من بلاد العـرب وعبروا البحر الاحمر ونزلوا عند حدود الحبشة ثم تدرجوا الى أن هبطوا وادى النيـل وأسسوا دولتهم .

ولهذا المؤرخ براهين وتعليلات لهذه النظرية وجيهة جدا . فألفت نظـر سعادة الاستاذ اليها فلعله يجدها أصح من سـائر نظريات المؤرخين الآخرين . فاذا رجحت نظـرية « رولنصون » فيكون العرب قد دخلوا الى مصر ثلاث مرات (الاولى) هي التي نحن بصددها ، و (الثانية) غزوة الهكسوس أي الرعاة ، و (الثالثة) الفتح الاسلامي ، ولذلك لا يبقى شك بأن المصريين من سلالة عربية الاصـل .

الفراعنة عرب عرباء . نعم . نعم

فكتب الاستاذ احمد زكي ثاني يـوم هذا الرد الذي يقول فيه :

بقدر ما احسـن قد اساء .

ذلك هو الصديق الصادق فى الوداد ، الكاتب القدير « نقولا الحـداد » الناقخ يراعه فى شبرا . الناشر لمجلة السيدات والرجال وناهيك بها وبشريكته الفضلى فى تحريرها وتحبيرها .

اما الاحسان فمن سجاياه ، ولكنـه شذ بالامس ، فارتكب معي وعلى العروبة جريمة هي محل الحساب .

انه وكد نظريتي وأيد حجتي فى تدليلي على ان للعروبة ارومة يفخر بها النيـل قديما ، ولا يزال يباهي بها الى الآن والى الغد البعيد .

فمن هذه الناحية كان الاستاذ الحداد جديرا بشكر الناطقين بالضاد وهـم العرب وحدهم ، دون سواهم من جميع الناس الذين لا يمكنهـم قط ان ينطقوا بالضاد العربية الصحيحة .

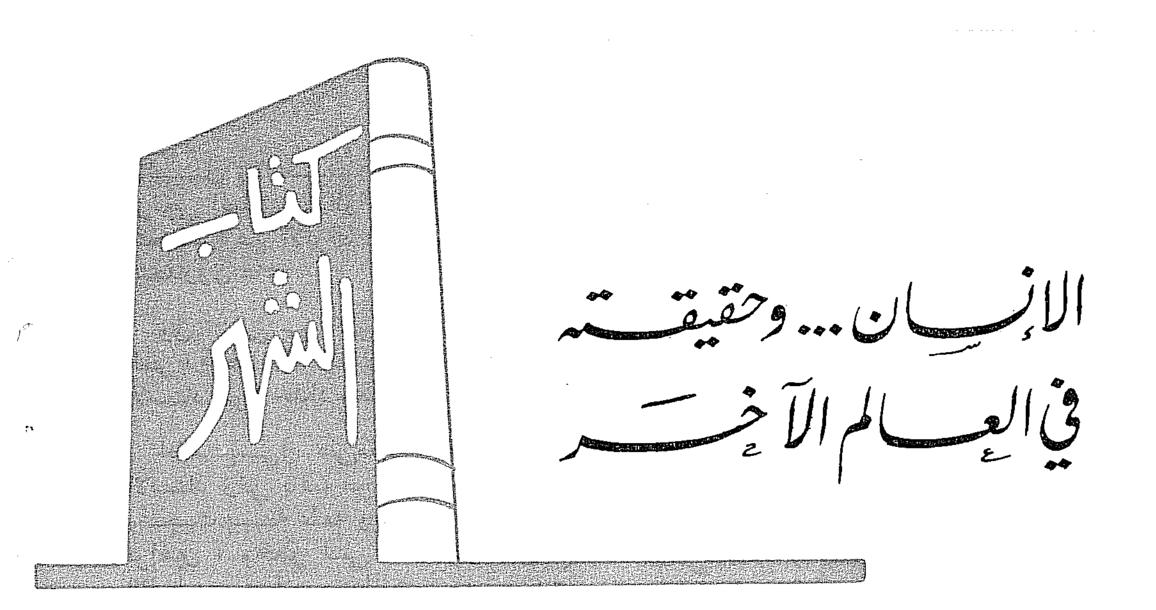
اما الاساءة فهي كبيرة تكاد تقـارب الخطيئة على أني سأفتح له باب المغفرة على مصراعيه ليدخله بسـلام وأمان . هـو يعلم أن معرفتى بالانجليزية قليلة وتافهة . وهو قد عرف ممـا كتبت فى اثبات العروبة للفراعنـة انني لم أحط علمـا بالبراهين التي سردها المؤرخ الانجليزي الكبير (رولنصون) .

وهل فاته ان من جاور الحداد انكوى بناره .

فكيف بالمسكين الحداد (نقولا) وقد اقتحم معي هــذه النار المتأججة بين اضالعي لمجد قحطان ولفخر عدنان .

فادخـل نارى بسلام يا حداد ، ولا سبيل لك دون تقـديم ورقة الجواز متضمنة لبراهين « رولنصون » وهكذا نضيف لك فضلا فوق مالك من قديـم وطريف .

هذا نموذج من المساجلات التي قامت بين علمائنا الافذاذ فى أوائل هذا القرن اقدمها لأبناء جيلنا ليصلوا حاضرهـم بماضيهـم القريب . ويلموا بما حوته هذه المساجلات من فوائد وطرائف .. والى الملتقى حول مساجلة اخرى عـن لبنان ...



الإنسان ... وحقيقته في العالم الآخر

تأليف : الاستاذ محمد صالح كريم خان

نقد وتلخيص : الاستاذ عبد المعطي محمد بيومي

ما أجمل أن يخلو الانسان لنفسه ساعة،يفرغ فيها منهم الدنيا ومشاغلها، ويحلق فى آفاق التأمل بعيدا عن الحياة الى ما وراء الحياة .. الى المستقبل المحتوم لكل انسان بعد رحلة العمر ، الى العالم الآخر وما فيه من ثواب للمحسن ، وعقاب للمسيء .

وكتاب « الانسان وحقيقته فى العالم الآخر » . الذى اهداه لادارة المجلة المؤلف الفاضل الاستاذ محمد صالح كريم خان كتاب يكفل للقارىء ساعات علوية حافلة بالتأمل المثمر الذى ينقل الانسان من واقعية المادة الجامدة الى شفافية الروح الصافية بحثا عن حياة انصرف عنها كثير من الكتاب والمؤلفين ، بل وانكرها كثير من العلماء والباحثين .

وقد بدأ المؤلف كتابه عن الحياة الآخرة وحقيقة الانسان فيها بمقدمة تضمنت ابراز هذا الغرض فى أسلوب سهل واضح ، ومنهج منظم . وجعل المؤلف كتابه ـ بعد المقدمة ـ على قسمين كبيرين لكل من عالم الدنيا وعالم الآخرة.

ففى عالم الدنيا يبدأ المؤلف حديثه فى الفصل الاول عن قصة خلق الانسان الاول وتزويده بالعلم ومولد العداوة بينه وبين الشيطان، وهبوطه هو وزوجته الى الارض فى صراع دائم مع الشيطان حتى يأتي امر الله .

وفى الفصل الثانى سرد المؤلف فى اسلوب عاطفى قصة الجريمة البشرية الاولى التى لعب الجمال فيها والانانية والشهوة الدور الرئيسي بين ابنى آدم حين قتل احدهما الآخر ، بعد ان رفض الله منه قربانه دون قربان اخيه .

وعن منزلة الانسان فى الحياة الدنيا ذكر الكاتب فى الفصل الثالث ان الله كرم ذلك الانسان على خلقه جميعا فخلق من اجله الكون كله ليسخره لمنفعته ، واحاطه بكثير من العطايا من عقل وحواس ومعرفة وعلم ، وما عليه الا ان ينتفع بكل ذلك ابتغاء مرضاة الله .

ثم اورد المؤلف الفصل الرابع عن « مكانة الحياة الدنيا » بعد مكانة الانسان فيها فقال : انها وسيلة للحياة الآخرة ، والمؤمن الحق هو الذي يستطيع التوفيق بينهما على ان يتقوى بالدنيا للآخرة « وللآخرة خير لك من الاولى » .

ثم عقد الفصل الخامس عن « الانسان جسد وروح » وجعل حديثه عن هذا الموضوع على بابين لكل من الجسد والروح .

وفى باب الجسد ذكر ان للجسد اهميته ــ كما للروح ــ فى الاسلام لانه دين التوازن بين المادة والروح فالجسد الذى جمع حواس العلم واحتوى على دقة الاعجاز فى التركيب دليل على وجود خالقه وقدرته وله حق التمتع بالزينة والطيبات من الحياة الدنيا فى حدود الحلال المشروع .

وفى الباب الخاص بالروح يدخل المؤلف فى تفصيلات يضيق عنها المجال فى ماهية الروح ثم يذكر أن الايمان فطرة فى النفس ظهرت فى عبادات مختلفة منذ القدم ، ثم ينبه على أن الموت ظاهرة طبيعية يعقبها البعث والجزاء ليدخل من ذلك الى البحث فى الغيبيات .

وعن مسألة هامة فى الغيبات عقد المؤلف الفصل العاشر وهى مسألة الجزاء المادى . ذلك ان بعض الفلاسفة الالهيين انكروا البعث المادى ــ بعث الاجسام ، وانكروا تبعا لذلك النعيم والعذاب الماديين ، وزعموا ان المثاب والمعاقب هى الروح وحدها ، والحقيقة ان النصوص وردت كلها تؤيد وجود نعيم وعذاب ماديين بجانب النعيم والعذاب الروحيين . قال تعالى « وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون » .

ثم استدل المؤلف على « سهولة الحياة فى الاخرة » فى الفصل الحادى عشر والاخير من قسم الحياة الدنيا ، فبالتفكير فى خلق السموات والارض ينقطع كل شك ، فان ما نرى من تطور العيش فى عالمنا لدرجة مدهشة يعطى الدليل والتفسير لحياة الآخرة ثم انه فى يسر الحياة الدنيا وكثرة اختراعاتها فكرة عن الحياة الواقعية اليسيرة فى الآخرة .

والى هنا يكون المؤلف قد استوفى الحديث عن « عالم الاخرة » فى القسم الاول من الكتاب ، وأخذنا معه نستعد للانتقال الى القسم الثانى عن « عالم الآخرة » الذى قسمه ايضا الى احد عشر فصلا ، يقول فى الاول منها عن « العالم الآخر فى عقيدة شعوب العالم القديم » ان عقيدة البعث وفكرة الحياة الآخرة نشأت منذ اقدم العصور التاريخية ولقد كانت مشاهد الطبيعة بما فيها من يقظة ونوم وحياة وموت باعثا على التفكير فى حقيقة الموت وسر الحياة ، ثم كانت الشمس فى الاغلب مدار التفكير فى العقيدة الالهية منذ فجر البشرية بعد ان فشلت عقائد تأليه القمر والكواكب الاخرى .

ولقد عمل المفكرون والانبياء فى كل عصر على تعميق هذه العقيدة فى النفوس ، وانتقلت على ايديهم من طور الى طور ــ حتى تلقى الضمير الانسانى اخر كلمات الدين كله منذ اول رسول حتى اخر المرسلين ، جاء القرآن ليعلنها بصراحة ووضوح « ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » بل واعتبر الايمان باليوم الآخر ركنا هاما من اركان

الاسلام فكان بذلك منتهى ما يمكن ان يصل اليه التطور البشرى فى عقيدة البعث والخلود .

ولكن . ماهي الادلة العقلية عليها فى الكتاب . هنا يترك المؤلف الادلة على واقعية البعث واليوم الآخر ويؤجل ذلك الى الفصل الثالث بينما يشغل الفصل الثاني عن أشراط الساعة ، ولان اثبات الحقيقة اهم من اثبات اماراتها فكان الاجدر ان يسارع فى الفصل الثاني الى ايراد الادلة بدلا من ايراد الاشراط .

وحتى فى حديثه عن امارات الساعة فى ذلك الفصل اكتفى بسرد الآيات والاحاديث الدالة عليها تاركا خطةالبحث المنهجي دون تمييز بينعلاماتها الصغرى، من مثل قلة العلم وطغيان الجهلوكثرة الزلازل والفتن والقتل ، وكثرة المال والزنا وفجور النساء وتطاول الاسافل على الاعالي وقلة الامانة وشرب الخمر .. الى غير ذلك ، وعلاماتها الكبرى ، التي جاءت فى حديث رسول الله ، عن حذيفة الغفارى رضي الله عنه قال : « اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال « ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » رواه مسلم والترمذى وابو داود .

وعلى كل حال .. اخفي الله سبحانه موعد الساعة « لتجزى كل نفس بما تسعى » .

وفى الفصل الثالث الذى خصص للدلالة على البعث أورد المؤلف آيات واحاديث تدل على ذلك من اشهرها قول الله تعالى « أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » فالقادر على البدء اقدر على الاعادة وان الذى خلق كل شيء من لا شيء اقدر على اعادة الروح الى الاجسام التي رمت بعد جمع اجزائها المتفرقة ، وليس ذلك بأصعب من خلق السماوات والارض . على انه ليس فى قدرة الله تفاوت فالممكنات بدؤها واعادتها بالنسبة اليه تعالى سواء . انما التفاوت للقدرة الانسانية .

وهنا عرض الاستاذ كريم خان لرأى بعض الفلاسفة الالهيين الذين زعموا ان البعث للروح دون الاجساد وسفه هذا الرأى بقوله « فكان هذا الرأى نموذجا جديدا من الكفر وكيدا جديدا لابليس وهمساته بما يجد من المرتع الخصب فى مجرىالدم » ، ثم اكتفى بذلك وترك الرأى وما يتعلق به الى سرد الآيات والاحاديث منجديد يستدل بها على واقعية البعث، وليس من المقبول عقليا او منطقيا ان يسفه رأي من الآراء دون حجة تنهض بازائه ودون دليل يهدم دليله، وخاصة اذاكان للرأى انصار طالما ساندوهبالدليل يقفو اثره الدليل ، والرأي بالبعث الروحاني رأى تداوله مشاهير من فلاسفة الاسلام يكفي ان يكونفىمقدمتهم ابن رشد وقاموا عليه بالادلة العقلية المتكاثرة التي تقتضينا امانة البحث أن نورد اقواها فىبساطة ووضوح:انالانسان عندما يموت يتحلل جسده الى تراب يتغذى منه نبات يأكل منه انسانجديد ويدخل فى تقويمه ثم يموت الانسان الثاني ويأخذ نفس الدورة فينشأ انسان

ثالث يتغذى من النبات الذى تغـــذى من تراب الانسان الثاني وهكذا، فأجزاء الاول دخلت فى تركيب الثاني واجـزاء الثاني دخلت فى تركيب الثالث الى عدد لا يحصى من الافراد فاذا قلنـا ببعث الاجساد فأى جسد سيبعث لهـــذه الارواح او الأناسي المتعددة ؟ وكيـف يبعث مع الاول جسده وقد تناقل فـي أجساد الآخرين ؟ وكيف يبعثون هـــم أيضا ؟ واذا كان أحدهم مؤمنا والآخـر كافرا فأىجزءسيلقى الثواب أو العقاب؟ فبعث الارواح وحدها هو المخلص مـن هذه الورطة وهو المقبول عند العقـول (هكذا) .

ومنهنا كان ينبغي علىمؤلفنا الاستاذ كريم خان ان يوضح هذا الرأى ودليله بهذا الشكل ايمانا بأمانة الكلمةوالانصاف فى البحث وحتى لا يخدع من يقرأ الرأى فى كتاب من الكتب التي تعتقده ، ثـم عليه بعد ذلك ان يدحضه بالدليل علـى ان قدرة الله لا يقف أمامها شيء ، ولا يحول دونارادتها شيء فليس بمستبعد ولا مستصعب على الله انيبعث كلروح بجسدها . على ان هناك فلاسفةمسلمين آخرين يرون ان بعض اجزاء الانســان اصلية وبعضها غير اصلية فالاصليةتبقى حتـى البعث وتتحلل ، وتتـداخـل الاخـــرى فـي كـــثير من الاجســاد ولا يضر ذلك ولا يمنـع تحـقق البعث بأي حال ، امـــا الصـمت امام الآراء وشجبها بالاتهام بالكفر فلا يحصـــن القارىء اذا اطلع عليها فى مؤلف آخـر يؤيدها ويقويها وليس ذلك من البحـث العلمي فى شيء .

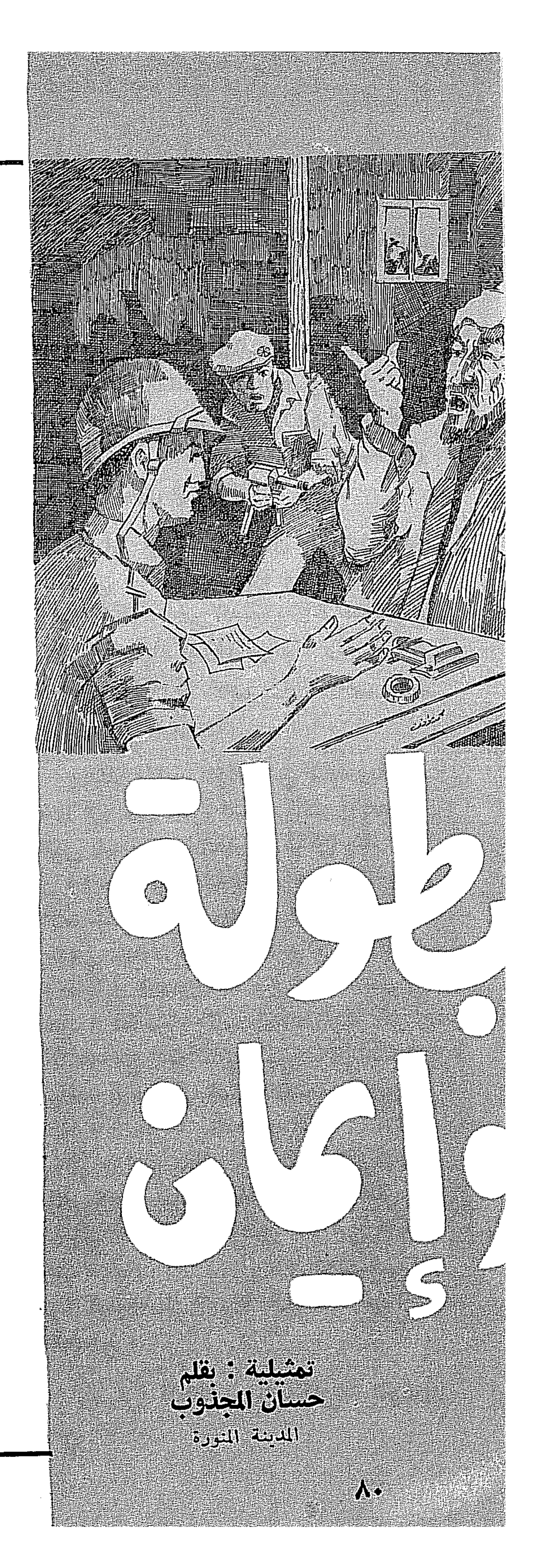
ثم تحدث المؤلـف عن موعد البعث وحقيقته وأدلته لينتقـل الى الفصـل الرابع عن كيفيته ثم يتحدث عن يـوم القيامة ومشاهده والجنة والنار ، ثـم يقـف وقفـة فى الفصـــلين التاســع والعاشر مع اهل الجنـة وأهـل النار ، ويعقد فصلا نهائيا للمشاهد الطريفـة المتقابلة بين الفريقين .

وأخيرا .. ((وفى نهاية المطاف)) يختم المؤلف كتـابه بكلمة تحت هذا العنـوان يذكر فيها أن عالم الدنيا وعالم الآخـرة كما اتضح من الكتـاب ليسا منفصلين وليست بينهما الشقة المقصورة فى كثير من الاذهان ، اذ أن كثـيرا من مشـاهد الحشر والقيامة تبدو وكأنها تبـدأ فى الدنيا وتنتهى فى الآخرة .

فعـلى كل انســان أن يعى وضـعه الطبيعى فى هذه الحياة ورحلته بعدها ويبنى لنفسه خير الدنيا والآخرة،وليبتغ الانسان دنياه ابتغاء مرضاة ربه فى كل سلوك يسلكه او عمل يؤديه حتى يفوز بسعادة الدارين .

وهكذا ينتهى المؤلف من كتابه وبالرغم مما فيه من كثرة التفصيلات والفصول التى يلهث بينها القارىء ما ان يكاد يبدأ فى أحدها حتى يفاجأ بغيره بحيث يمكن الاستغناء عن بعضها على الاقل ، فمثـلا يجعل الجنة وأهلهـا ، وكذلك النـار وأهلها فى فصلين بدلا من أربعة فصول ، تجنبا لكثـرة التقسيمات المملة الا أن الكتاب مع ذلك كتاب قيم شامل استطاع مؤلفه فيه على مدى ثلاثمائة وخمسـ عشرة صحيفة بالقطـع الكبير بأسلوب رائق ومنهج منظم أن يتناول كثيرا مـن المغيبات فى الاسلام تلك المغيبات التـــي يحظر الاقتراب منها فى كثير من الاديان مثبتا بذلك أنه لا سرية فى الاســـلام ولا كهنوت بل المعرفة للجميع ومن اجل الجميع .

وشكرا للمؤلف والى المزيد بتوفيق من الله .



بطولة وإيمان

تمثيلية : بقلم
حسان المجذوب
المدينة المنورة

الفصل الاول

المكان : مرتفع من الارض يطل على سهول تتخللها البيوت والبساتين .
الزمن : ما بين العصر والمغرب .
الاشخاص : شيخ جاوز العقد الخامس ، واطفال ثلاثة ، أكبرهم لا يتجاوز الرابعة عشرة .

الشيخ : (يطل بحزن والم على السهول الخضراء متكئا على عصا بيمينه وعلى طفله بشماله) : يا فلسطين الحبيبة ، أيتها السهول الجميلة والخمائل الخضراء ، انا على فراقك لمحزونون ، لو أن لنا الخيار ما تركناك .. كم اعطونى ثمنا لك فلم ارض .. ولو أنهم جعلوا لي جبلا من ذهب ثمنا لك ما رضيت ، ولكنني اخرجت مكرها ، بعد ان عجزت يدى عن حمل السلاح ، وأرغمت على فراقك .. وفى القلب جروح لا يشفيها سوى العودة الى معانقة ثراك ، والتنعم بظلالك (ويلتفت قائلا ومشيراً بعصاه) : أي بني .. هذه أرضكم وأرض أبيكم وأجدادكم .. انظروا الى الدار امام تلك الشجرة العظيمة ، انه بيتكم الذى بنيته بيدى .

فريد : ولماذا تركته يا أبى وأتيت بنا الى هذا الكوخ الصغير .. نكاد نموت فيه من البرد فى الشتاء ، ويشوينا الحر فى الصيف ..

الشيخ : (ينظر الى فريد متنهدا متابعا كلامه) : وذلك البستان الواسع تحت كل حفنة منه تاريخ يشهد لنا ولآبائنا بالدأب فيه ... انه بستانكم الذى فيه ولد أبوكم .. فيه من كل الثمرات تفاح ومشمش وعنب ولوز ..

غياث : (يقاطعه) : ولماذا أتيت بنا الى تلك الرمال الحارة نكاد لا نتذوق من هذه الثمار الا ما يجود به علينا المحسنون .

الشيخ (متنهدا ومتابعــا) : وهذا النهر الصغير .. انه يجرى فى اراضيكم ولكن ..

وائل : يا أبت ـ اذن ـ لـم نحن فى هذا التعب المتواصل .. ولنا كل هذا النعيم والجنان والمياه ؟ ! .

الشيخ : هذه الاسلاك الشائكة تفصل بيننا .. لقد كنا نملك هذا كله ، ولكن اليهود والخيانة والاســـتعمار تعاونوا معا فاخرجونا بعد ان دافعنا عنها ونفد السلاح ..

غياث : ألم يعاونكم اخواننا العـرب فى بقية البلاد العربية ..

الشيخ : نعم يا بنى .. لقد خضنا المعركة وكان النصر لنا بالرغم من كثرة سلاح العدو وقلة السلاح بأيدينا ، وقد كدنا نلقى هؤلاء المغتصبين فى البحـر لولا ... لولا ..

غياث : لولا ماذا ...

الشيخ : لولا .. معاونة الاســـتعمار بالسلاح والرجال لليهود .. وبعض من غرهم اليهود بالمـال فخانوا بلادهـم ، وباعوا أراضيهم لليهود ، ثم تركوها لقمة سائغة فى أفواه المجرمين .. وها نحن اولا ندفع ثمن خيانتهم .

غياث : صدق الله العظيم : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) .

فريد : يا ابى .. اعطونا سلاحا حتى ندخل بـلادنا فنحرر وطننا ونعود الى أراضينا ...

الشيخ : نعم يا بنى ... ولكن لـم يحن الـوقت بعد .. غدا تصـبحون شبابا .. وسـتحملون السـلاح مـع الشــباب ، فتحرروا وطنكم ، وتعودوا الى اراضيكم .. ومن اجل هذا اتيت بكم الى هنـا لتعرفوا بلادكم ، فلعـل ساعات عصيبة تحول بيني وبينكم ... فهذه اراضيكم (ويخـرج اوراقا مـن جيبه) وهذه مســتنداتها .. وانــه ليسرني ان تنالوا احدى الحسنين ، اما الموت فى سبيل الله أو النصر .. وكـل منهما شرف لكم . وتشاركوا اخوانكم الفدائيين ..

غياث : يا ابت .. نسمع ان الفدائيين يـدخلون أراضى العـدو فيذبحونـه ، ويفجرون ثكناته فأين هم .. حتى نذهب اليهـم ؟ ..

الشيخ : انظروا الى قمة الجبل ... على يمينها قليلا ثلاث اشجار منفردة ..

الثلاثة : نعم ! ... هذه ...

الشيخ : فى أسفلها غار عميق كبير .. انه المكان الذى تنطلق منــه عصـابات الفدائيين ، فتحرم اليهود النوم .... وتجعلهم فى خوف دائم . وعلى ايديهم ستعود فلسطين الى اهلها ان شاء الله .

الثلاثة : سنصبر يا أبانا على ما نحن عليه ... ونستعد ، حتى نصبح شبابا ... فنشارك اخواننا فى تحرير بـلادنا والعودة الى أرضنا ...

الشيخ : ان شاء الله .. واياكم .. اياكم ان تذكروا مكان الفدائيين لاحد .. فينقطع كل أمل فى تحرير بلادنا .

الثلاثة : كلا ... كلا ...

الفصل الثانى

المكان : غرفة تحقيق لقائد يهودى ..

الاشخاص : قائد وجنوده يهود ... والشيخ وأطفاله الثلاثة .



(الشيخ يجره ثلاثة جنود من اليهود .. وآخرون بأيديهم السلاح .. وقد

ذهب غطاء رأسه وأنفاسه تترى يتبعها الانين) .
القائد اليهودى : أين أمكنة الفدائيين ... ؟
الشيخ : (بصوت خافت) : اللهم ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي .. (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون) .
القائد : عليكم به ...
الشيخ : الله المستعان على ما تصفون .. يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ...
(الجنود اليهود بكعوب بنادقهم يضربونه ... وبعضهم ينهال عليه بحزام جلدى) .
القائد : (يضرب الشيخ بقدمه) قل أين امكنة الفدائيين (يشير لاحد الجنود الى سلك كهربائي) (الجندى يتناول السلك ويضعه على يدى الشيخ) .
الشيخ ينتفض من قوة الكهرباء ، ويصرخ بأعلى صوته .. والجنود مستمرون فى ضربه) : صبرا آل ياسر ، ان موعدكم الجنة . (واطفاله الثلاثة متكئون على جدار الغرفة يبكون ، وأحد الجنود واضعا بندقيته بوجهوهم) .
القائد : آه ... لن يعترف ... اين امكنة الفدائيين ... ؟
الشيخ أ لا .. لا أعرف ... لا اعرف ...
القائد : لا أعرف لا أعرف ؟ ؟ ؟ .. (يقطع الغرفة ذهابا وايابا ... يضرب كفا بكف ...) . لقد منع الفدائيون عنا النوم .. لقد جعلونا فى نفير دائم .. آه أين امكنة الفدائيين ... ؟ ؟
(يجلس القائد خلف مكتبه ويأمر بايقاف التعذيب عن الشيخ ، ينفث دخان سيجارته بقوة .. ويضرب مكتبه بقبضة يده .. ثم يهدأ .... ويشير الى جنوده بالخروج من الغرفة . فيجرى الاطفال نحو ابيهم ، ويعانقونه ويقبلونه والدموع تسيل على وجوههم) .
الاطفال : أبى .. أبى .. قل لهم ... قل لهم ...
القائد : (يقوم عن مكتبه باتجاه الشيخ بينما الاطفال حين يرونه قادما يحضنون أباهم بأيديهم) .
القائد : بلطف ولين وصوت هادىء يا شيخ .. ارحم اطفالك .. وارحم نفسك أن الفدائيين يعتدون علينا وينهبوننا ... فأرح ... واسترح ...
الشيخ : (بصوت منخنق) حسبي الله . لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .
القائد : قل لنا يا شيخ رحمة بك ... اين مكان الفدائيين ولك منا ان نعيد لك ارضك وبيتك ونعطيك من المال ما تكون فيه أغنى العرب ، فتعلم اولادك فى ارقى المعاهد والجامعات .. فتنسى كل اسى مر بك .
غياث : البيت ... البستان ....
فريد : النهر الجميل ... ؟
وائل : تعليم ... مال ... ثياب جميلة مثل اولاد الامير ... ؟
الثلاثة : قل .. يا أبى .. قل له يا أبى ...
القائد : انك بذلك ستدخل السرور على قلوب أبنائك ... وسيتمتع ابناؤك بالبساتين الجميلة .. وبالنهر الجميل بالعلم .. بالمال ... قل يا شيخ ..
الثلاثة : نحن نقول لكم .. (يهمسون بذلك فى اذن والدهم سرا) .
الشيخ : (ينهض بثقل عن الارض وينظر الى اطفاله بخوف ودهشة)

سأقول ... سأقول لكم .. أين امكنة الفدائيين .

القائد : عظيم ونحن على العهد .

الشيخ : ولكن ... ولكن ...

القائد : ولكن ماذا ... ؟) ويرفع القائد الشيخ على الكرسي،وينفض ثيابه، ويطلب كأسا من الماء ، يبل منديله به ويمسح الدم عن فم الشيخ ووجهه) .

القائد : ولكن ماذا ياشيخ ؟ .

الاطفال : قل يا بابا . أو نحن نقول لهـم .

الشيخ : سأقول لكم ، ولكن اشترط عليكم شرطا واحدا ..

القائد : اشترط ما تشاء ...

الشيخ : (هامسا) : أخرج الاطفال من الغرفة (ويأمر القائد أحد الجنود فيخرجهم) .

القائد : نعم ما هو الشرط ؟ .

الشيخ : اننا نحن العرب والمسلمين اعظم شيء نفتخر به ونرفع به رؤوسنا الأمانة والشرف .. فسأقول لكم ، ولكن عندما يكبر اولادى فسينتبهون الى ان اباهم كان خائنا ومجرما ، فألعن فى قبرى ومع ذلك فقد أصـبحت لا أتحمـل العذاب ، واريد ان اقضى بقية حياتي فى دعة وهدوء وامان ...

القائد : هذا حق ... فما تريدنا .. وما تشترط ؟ .

الشيخ : اريد ان اتخلص من اولادى



.. فتقتلوهم امامي واحدا .. واحدا .. وبذلك اكون امينا على نفسي من العار .. ولا يكون هناك من يعيرني في المستقبل .

القائد : ولكنهم أولادك .

الشيخ : نعم أولادى .. ولكن هو الشرط .. وأمامى .. وعليكم ان تؤتوني موثقا على كل ذلك ..

القائد : موافق ..

(وينادى القائد اليهودى بعض جنوده ، فيدخلونهم فيستل القائد مسدسه ويفرغ ثلاث رصاصات فى رأس كل منهم ، وقد وضع ابوهم كفيه على وجهه ، ثم يسقط على الارض غائبا عن وعيه) .

الفصل الثالث

(ويأمر القائد الجنود ليخرجوا جثث الاطفال الصرعى .. ويأمر بأجلاس الشيخ واعادته الى وعيه ، فينتبه وهو يتمتم بآى من القرآن ، ويطلب له كأسا من الشاى ...)

القائد : الآن سيقول لنا أين أمكنة الفدائيين .. سننام بملء اعيننا .. وسترفع رتبتي ...

الجندى : تفضل يا شيخ .. الشاى .. تفضل يا شيخ .. تفضل ..

(والشيخ جالس مطرق برأسه متكئا على عصاه مغمضا عينيه ، وحين يرى القائد ذلك يتناول كأس الشاى بنفسه ليقدمه الى الشيخ ؟ .

القائد : تفضل يا شيخ .. الشاى .. اشرب .. أذهب الهم عن نفسك .. غدا تنسى كل هم .. تفضل يا شيخ نحن على العهد ...

الشيخ : (يرفع رأسه ببطء ناظرا فى عمق الى القائد ، وفجأة يضرب كأس الشاى فى وجه القائد ... وينتفض واقفا بأعلى صوته وأنا على العهد .. العهد الذى قطعته ... لا .. لن أقول ان الامانة اغلى من ان تباع بالاموال .. والشرف أثمن من كل متاع ... والدنيا ظل زائل وعرض حائل ... لا . لن أقول .. لقد طلبت منكم أن تقتلوا اطفالى الذين هم أحب الناس الي ، لانهم يعرفون أمكنة الفدائيين .. اما الآن فلا يعرف الا الله وأنا ، والموت اسمى امنياتي .. ؟

(القائد يتقاطر الشاى من وجهه ، والجنود واقفون بذهول ..)

الشيخ : (مستمرا) لا .. لن أعترف ... ان الاسلام الذى حرر فلسطين من الصليبيين ، كفيل بتحريرها ثانية من اللصوص .. أقتلوا .. اذبحوا .. افعلوا ما شئتم بى .. اما هذا القلب الذى آمن بالله ربا ، وبالجهاد بابا من ابواب الجنة . فلن تصلوا اليه ؟ .

القائد : (بصوت جنونى وكأنه استيقظ من حلم) آقتلوه ... اصلبوه ... اذبحوه .. انه يكفى ان يكون بين العرب والمسلمين واحد مثل هذا حتى يحرروا فلسطين ... ويلقوا بنا الى البحر ... رصاص . نار .. (وتتجه أفواه البنادق باتجاه الشيخ برشات من الرصاص) .

الشيخ : (يسقط على الارض .. ومع انفاسه الاخيرة ..) لنا الجنة ولكم النار .. ونرجو من الله ما لا ترجون .. الحمد لله الذى قبلني شهيدا .. وأرجو من الله ان يجمعني مع ابنائي فى مستقر رحمته ...

صوت المقرىء من بعيد : ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) .

(الستار)



ويرغم على هزها بلا انقطاع ، ولعل هذا هو السبب فى تسمية التشهير باسم « التجريس » لاتخاذ الجرس آلة لتحقيق هذه الغاية .

* * *

ولقد جعل الامام الغزالي فى كتابه « الاحياء » تزييف النقود ثاني أنواع المعاملات التي يعم ضررها ، وقرر انه ظلم يضر المتعامل مع الانسان ، وان لم يضره بالفعل فانه سيغش به شخصا آخر فيضره ، أو يضر به غيره ، وهكذا ينفسح الضرر ويتسع مداه ، فلا يزال الدرهم الزائف يتردد فى الأيدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ، والسبب فى ذلك كله هو من بدأ بالتزييف وترويج الزائف ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة كما جاء فى الحديث . والله تعالى يقول : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » أى ما تخلف عنهم من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه .

والتزييف تتعلق عليه خمسة أمور : الأول منها ان الانسان اذا حصل فى يده نقد زائف وجب عليه أن يبعده عن مجال التعامل والتبادل ، والأمر الثاني انه ينبغي للانسان أن يميز بين الصحيح والزائف من النقود ليفرق بينهما ، حتى لا يتعامل مع غيره بنقد زائف دون أن يدرى . والأمر الثالث أنه لا ينبغي له أن يعطي غيره النقد الزائف حتى ولو قبله غيره ، لأنه سيخدع به شخصا آخر . الأمر الرابع ان الانسان اذا أخذ من غيره نقدا زائفا وهو يعتزم التخلص منه ، وابعاد ضرره عن الناس كان ذلك عملا محمودا . الأمر الخامس أن النقد اذا كان فيه اكثر من عنصر فعلى من يتعامل به أن يخبر غيره بحقيقة عناصره ونسبها ، وذلك يذكرنا بما فى « عيارات » الذهب من نسب مختلفة .

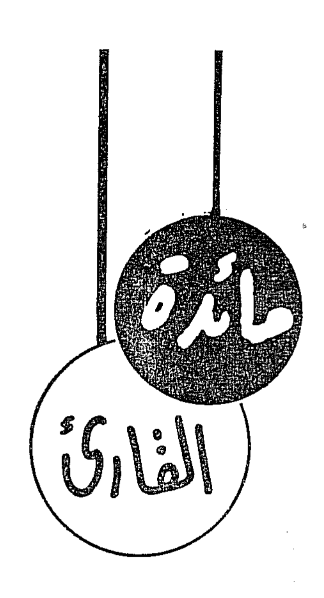
ويقرر حجة الاسلام القانون السليم فى هذا المقام بقوله : « كل ما يستضر به المعامل فهو ظلم ، وانما العدل ألا يضر بأخيه المسلم ، والضابط الكلي فيه أن لا يحب لأخيه الا ما يحب لنفسه ، فكل ما لو عومل به شق عليه ، وثقل على قلبه فينبغي ألا يعامل غيره به ، بل ينبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره » .

ومن مظاهر عناية المجتمع الاسلامي بمقاومة الغش والتزييف فى النقود أن علماءه فصلوا القول فى كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، وحددوا فيه المصطلحات والأسماء ، فوضعوا مثلا كلمة « الناقد » لمن يميز جيد الدراهم من رديئها ، وصحيحها من زائفها . ووضعوا لفظ « الوافي » للنقد السليم الوزن الصحيح السك . ووضعوا كلمة « الزيوف » للدراهم الزائفة ــ والزيف هو الدرهم الذى خلط به نحاس أو غيره فقلت فيه صفة الجودة ــ التي وقع فيها غش ، وقالوا ان الدرهم الزائف هو الذى خلط بفضته نحاس أو غيره . ووضعوا كلمة « الدراهم المكروهة » للدراهم الناقصة لأن الفقهاء كرهوا نقصانها فسموها مكروهة ، ووضعوا كلمة « المفرغة » للدنانير التي حفرت وأخذت برادتها ، ثم وضع فى الحفرة معدن آخر رخيص ، ثم يطلى الدينار بالذهب من الخارج للتمويه .. الخ .

* * *

هذا ومن اللطائف فى تاريخ النقود الاسلامية أنه لما تولت شجرة الدر حكم مصر سكت نقودا لها وكتب عليها عبارة تشير اليها ، وهي « المستعصمية الصالحية ، ملكة المسلمين ، والدة الملك المنصور أمير المؤمنين » .

وقد عرف المسلمون فى عهد العباسيين والفاطميين سك النقود التذكارية التي كانت توزع على الشعب فى الأعياد والمناسبات ، أو تنثر كعطايا فى الحفلات ،



النظافة من الايمان

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ؟ .

ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال « أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه » .

ورأى أبو حنيفة رجلا من اصحابه رث الثياب فأعطاه شيئا فلم يقبله وقال اني موسر فقال له الامام أما بلغك قول الرسول أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده . ينبغي أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك .

الناس والغربال

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا — لما تحصل شيء في الغرابيل
أو قيل للنار خصى من جنى أكلت — أجسادهم وأبت أكل السراويل

(المعرى)

الكتمان

لئن كان كتمان المصائب مؤلما — لاعلانها عندى أشد وآلم
وبى كل ما يبكى العيون أقله — وان كنت منه دائما أتبسم

« تميم بن المعز الفاطمي »

أمنية

بعث الامبراطور غليوم امبراطور ألمانيا برسالة الى قيصر روسيا سنة ١٨٩٧ عقب زيارته لبيت المقدس ختمها بقوله : ـ

« لما غادرت الأماكن المقدسة كنت أشعر بخجل عظيم من المسلمين ، وكنت أقول لنفسي فى قرارة نفسي : لو لم يكن لي دين عند وصولي الى القدس لكنت قد اعتنقت الاسلام حتما » .

زامر الحي لا يطرب

حلفت أم الامام أبى حنيفة يمينا ، واستفتت ابنها فأفتاها ، ولكنها لم ترض عن الفتوى وطلبت أن يحملها الى دار « زرعة » القاص أى الواعظ ، فاستجاب لها أبو حنيفة وحملها الى دار « زرعة » وحين سألته قال لها : أأفتيك ومعك فقيه الكوفة ؟ ! وأسر له أبو حنيفة أن أفتها بكذا .. فأفتاها فاقتنعت ورجعت راضية !! .

فقير

تلذ لي الآلام اذ أنت مسقمي	وان تمتحني فهي عندي صنائع
تحكم بما تهواه في فانني	فقير لسلطان المحبة طائع

أنت الذى لا علم لك به

قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« ان فلانا رجل صدق » .

قال له عمر

« سافرت معه ؟ » قال الرجل : لا .

« فكانت بينك وبينه خصومة ؟ » قال الرجل : لا .

« فهل أئتمنته على شيء ؟ » قال الرجل : لا .

فقال له عمر « أنت الذى لا علم لك به ، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد ! ! » .

انما يعرف الفضل ذووه

علم الامام سفيان الثورى بأن الامام عبد الرحمن الأوزاعي عالم الشام قادم الى مكة ، فخرج منها سفيان لاستقباله خارجها حتى لقيه بذى طوى ، فحل مقود بعير الأوزاعي من قافلته ، ووضعه على رقبته وقاد البعير الى مكة .. فكان اذا مر بجماعة ووجدهم يزحمون الطريق قال لهم : الطريق للشيخ .

فيك ثلاث خصال

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له :

« انى لا أحسن القضاء ، ولا أنا فقيه » .

فقال له الرشيد :

فيك ثلاث خصال :

لك شرف ، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم ، والحلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ..

وأنت رجل تشاور فى أمرك ، ومن شاور كثر صوابه ..

وأما الفقه ، فسنضم اليك من تتفقه به .

فولى ، فما وجدوا فيه مطعنا ..

كيف ؟ ؟

كيف يستوطىء المسلمون العجز ، وفى أول دينهم تسخير الطبيعة ؟

كيف يستمهدون الراحة ، وفى صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟

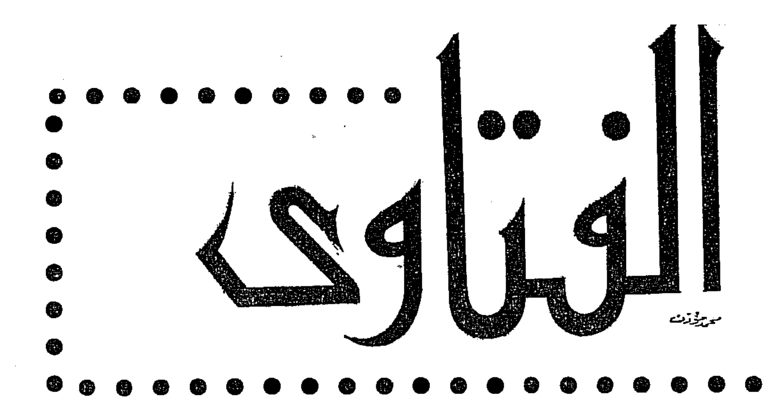
كيف يركنون الى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟

كيف لا يحملون النور للعالم ونبيهم هو الكائن النورانى الاعظم ؟

كفروا تقليدا

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر	لم يرزقوا فى التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عروا عن كل فائدة	لأنهم كفروا بالله تقليدا

(عبد الحق الاشبيلي)



الطلاق بالثلاث

السؤال : ـ

تقدم السيد / م . ب ـ بالشركة المتحدة ـ بالكويت بالسؤال الآتي :

حصل نزاع وسوء تفاهم بينه وبين أحد الفنيين بالشركة ادى الى انه قال (علي الطلاق بالتلاثة) ثلاث مرات فى نفس الوقت ـ بأنه لا يشتغل فى هذه الشركة ما دامت هذه الشخصية تشتغل فيها .

فهل يجوز لي البقاء فى العمل بهذه الشركة واذا عملت فهل يقع الطلاق ام لا علما بأن لي أولادا أخشى عليهم ؟

الاجابه : ـ

يرى الأئمة الاربعة مالك والشافعى وابو حنيفة وأحمد أن الرجل اذا طلق زوجته ثلاثا دفعة واحدة فانه يقع ثلاثا ، وخالفهم بعض العلماء حيث قالوا أن الطلاق الثلاثي بلفظ الثلاث دفعة واحدة لا يقع به شيء ، وهو قول بعض الشيعة الامامية ،وحجتهم ان التطليق بدعة جاءت على غير طريقة السنة التي ابيح الطلاق فى حدودها ، وكل ما جاء على غير طريقة السنة لا يلتفت اليه ، والبعض الاخر منهم يقول ان الطلاق بلفظ الثلاث او بالتكرار فى مجلس واحد يقع واحدة ، وحجتهم فى ذلك أن السنة فى الطلاق كما جاء فى القرآن (مرتان) فكل دفعة مرة ولو كانت بلفظ الثلاث ، فاذا خالف السنة وطلق اثنتين او ثلاثا بلفظ واحد فانه يقع ما اذن به الشارع وهو طلقة ويكون الباقى لغوا .

وقال ابن القيم انه رأى اكثر الصحابة وهو ما كان عليه العمل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد ابى بكر . وصدر من خلافة عمر ... ثم امضاه عمر عليهم ثلاثا كما يقولون لتلاعبهم وتهاونهم .... وبما ان السائل طلق زوجته ثلاثا بلفظ واحد وكررها ولم يسبق له طلاق قبل ذلك ، وبما ان له اولادا من زوجته يخشى عليهم من الضياع والتشرد فاننا نرى الاخذ برأى من يقول . الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة حفظا لكيان الاسرة ...

ونفتيه بانه اذا رغب البقاء فى الشركة وقع يمين الطلاق طلقة واحدة رجعية ، حيث ان الطلاق بلفظ الثلاث يقع واحدة وتكراره فى مجلس واحد لا يؤثر اذ يعتبر من قبيل التوكيد فيمكنه مراجعة زوجته بالقول بأن يقول : راجعت زوجتي ، او بالمعاشرة الزوجية بنية مراجعتها . وعليه وعلى امثاله ان يحفظوا السنتهم من هذا اليمين حتى لا يعرضوا اسرتهم وانفسهم لهزات هم فى غنى عنها ، ويعرضوا صلتهم مع زوجاتهم لشبه يجب التحرز منها ..

الرجوع فى الهبة

السؤال :

امرأة تزوجت وأنجبت ولدا وهبت له نصف منزل فى حياة والده . وكان عمر الولد اربع سنوات ـ وتوفي زوجها وهي حامل منه ثم وضعت ولدا آخر ، وبعد ولادته بنحو سنة وهبت له نصف المنزل الباقي مثل أخيه .

وترغب الرجوع فى هبتها ، وطلبت بيان حكم الشريعة فى ذلك .

(ع . م الموصل)

الاجابـــة :

المقرر فقها عند المالكية كما ورد في الشرح الكبير وحاشية الدسوقي في باب الهبة .

((للأب اعتصار الهبة (الرجوع) من ولـده ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا غنيا أو فقيرا ولو حازها الابن . وكذا الام لها الاعتصار لما وهبته لولدها اذا كان صغيرا ذا أب ،أما لو وهبت كبيرا فلها حـــق الاعتصار ـ مطلقا ـ وحاصل فقه المسألة ان الأم اذا وهبت لولدها فان كان وقت الهبة كبيرا ، كان لها الاعتصار سواء كان للولد أب وقت الهبة أم لا وان كان الولد وقت الهبة صغيرا كان لها الاعتصار ان كان له أب وقت الهبة سواء كان ذلك الاب عاقلا ،أو مجنونا موسرا او معسرا فان تيتم الولد الصغيـر بعد الهبة فهل لها الاعتصار نظرا الى أنه وقت الهبة غير يتيم أو ليس لها الاعتصار نظرا ليتمه حال الاعتصار ؟ قولان . وان كان الولد الصغير حـين الهبة لا أب له فليس لها الاعتصار قولا واحدا ولو بعد بلوغـه .

والمقرر عند الاحناف ـ أنه يصح للواهب أن يرجع في هبته بعد أن يقبضها الموهوب له . وان كان الرجوع في الهبة مكروها تحريما على الراجع ما لم يكن الموهوب قريبا . فاذا وهب لابيه أو ابنه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك من محارمه بالنسب فان حقه في الرجوع يسقط ، اما اذا وهب لمحارمه من الرضاع أو المصاهرة فان له حق الرجوع كالقرباء (ج ٣ فقه المذاهب الاربعة) . ملخصا .

والمقرر عند الشافعية أن الهبة تلزم ولا يصح الرجوع فيها الا للاب والجد وان علا ، وكذلك الام والجدة وان علت فللوالد أبا أو أما ان يرجع في هبته على ولده سواء كان ذكرا أم أنثى صغيرا أم كبيرا .

والمقرر عند الحنابلة أن للواهب الرجوع في هبته قبل القبض لأن عقد الهبة لا يتم الا به ، أمـا بعد القبض فلا حق للواهب في الرجوع الا اذا كان أبا أو أما (المراد به الأب المباشر) .

فاذا فضل الأب أحد أبنائه بهبة فان الرجوع يكون واجبا اذا كانت الهبة من غير اذن الباقي من أولاده لأن التسوية بين الابناء بحسب حقوقهم الشرعية واجبة على الاب والام .

وحيث أن هذه المـــرأة وهبت لأحد الولدين الصـغيرين في حياة أبيــه ووهبت للثاني بعد وفاتــه فيجوز لها الرجوع بالنسبة لمن وهبت له في حياة أبيه على قول في مذهب الامام مالك وعلى رأى الشافعي وابن حنبل وأما بالنسبة للولد الثاني فليس لها حق الرجوع بلا خلاف في مذهب مالك . كما أنه لا يجوز لها الرجوع مطلقا في مذهب الاحناف لان من موانع الرجوع القرابة .ولكن على مذهب الشافعية والحنابلة يجـوز .

لذلك نفتيك أنه اعتمادا على مذهب الشافعية والحنابلة وقول في مـذهب الامام مالك يحـق لـك (الواهبة) الرجوع في هبتيك للولدين الاول والثاني.

في الميراث

السؤال : ـ

تقدمت السيدة / ع . ن مـن الكويت بالسؤال الآتي

أولا توفى والدي عن أولاده الستة ثلاثة ذكور وثلاث اناث وأخ شقيق .

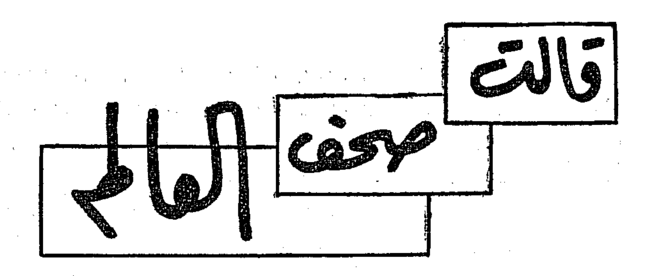
ثانيا ثم توفى الأخ الشقيق (عمي) عن أخ وأخت من أم وأولاد الأخ الشقيق الستة (الموجودين بالســؤال الاول) وليـس له أقارب سوى ذلك . فكيف توزع التركة ؟

الاجابة : ـ

أولا بوفاة المتوفى الاول عـن أولاده الستة والاخ الشقيق توزع تركته بين أولاده فقط للذكر مثل حظ الانثيين ولا شيء للاخ الشقيق لحجبه بالابناء الذكور .

ثانيا وبوفاة المتوفى الثاني توزع تركته على الوجه الآتي ـ

للاخوين للام ثلث التركة بالتساوي بينهما فرضا والباقي لاولاد أخيه الذكور فقط بالتســاوي بينهم تعصيبا ولا شيء لبنـات الأخ مطلقا لانهن لسن مـن العصبات ولا من أصحاب الفروض ولا يعصبهن وجود أخوة لهن لان ابن الاخ لا يعصب أخته .



قالت صحف العالم

وقد أقامت جامعة الازهر حفل تكريم للبطل العالمي المسلم محمد علي كلاى ، وألقى الدكتور حسن جاد الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر القصيدة الآتية تكريما له . وهي قصيدة رائعة حقا لا نملك الا أن ننقلها لك بتمامها عن صحيفة الجمهورية القاهرية .

بنت الكنانى العتيق توسمي ... وتفرسي وجه الكمى المعلم
يا كعبة الاسلام شاقك مسلم ... بطل على طول المدى لم يهزم
أعرفته ؟ هذا ((كلاي)) فعانقي ... فيه اعتزاز المسلمين وسلمى
اهلا ((محمد)) بين شعب هاتف ... لك بالقلوب محبة قبل الفم
قدر البطولة فى الرياضة بعد ما ... عرف البطولة فى الرئيس الملهم
يلتف حولك فى النزال مشاعرا ... تطوى الأثير على القلوب الحوم
راعت بطولتك الشعوب وتوجت ... بالفخر هامة كل شعب مسلم
فى الشرق والغرب استطار دويها ... وطوى الجواء فهز سمع الانجم
قل لي بربك . أى بأس تحتوى ؟ ... ولأى جنس فى الضراغم تنتمى ؟
وبأى ظفر فى الفريسة ناشب ... تصمى فلا يرتد الا بالدم ؟
ما سر قوتك التي تعيى القوى : ... فى الساعد المفتول أم فى المعصم ؟
قدت من الفولاذ قبضتك التي ... ترمي بها الخصم العنيد فيرتمي
تنقض صاعقة : وآنا عاصفا ... يلوى ، وتلبد تارة كالضيغم
خيبت آمال الملوك وظنهم ... فيمن يلوذ بعرشهم أو يحتمي
وصرعت أبطال الصدام فقودروا ... بين الحقود عليك والمستسلم
لاذوا بمخلوق ، ولذت بخالق ... شتان بين محقق ومرجم
من غره جاه الملوك وزيفه ... فالله جاه المسلم المستعصم

* * *

يا قاهر الابطال حسبك عصمة ... ثقة بربك والنبى الاكرم
من كان يجمع بين قوة روحه ... والجسم أقدم وأتقا لم يحجم
أطلقت بالاسلام صيحة مؤمن ... فى معشر صم المسامع نوم
وحملت مشعله فشع ضياؤه ... فى عالم خرب العقائد مظلم
دين المساواة الذى لم يعترف ... بالعنصرية فى لظاها المضرم
السود مثل البيض ، كل اخوة ... فى الحق ، والعربى مثل الأعجمى
متكافئون فلا تباين بينهم ... باللون فيه ، ولا تفاضل بالدم
دين السلام الحق غير ملثم ... كم من سلام يدعون ملثم
قتلوه أطماعا واعجب قاتل ... بـاك على مقتوله فى المأتم
اصدع بدينك يا محمد بينهم ... وأبن حقيقته لمن لم يفهم
اقنع بمنطقه القويم ، فمن أبى ... صلفا فاقنعه بكفك والكم
من ليس تقنعه الحقيقة منطقا ... فالبأس أفصح فى المقال من الفم

مرحى فتى الاسلام حققت بأسمه — نصرا حليفك دائما ، وتقدم
حيتك جامعة نماها منجب — هرم الزمان وعزمه لم يهرم
دم ظافرا الكمات جبار الخطا — واسحق بها شوك المكائد ، واسلم

* * *

تحدثت صحيفة « أخبار الكويت » عن شركات البترول وأنخفاض معدل الانتاج فى الكويت فقالت : ـ

الاحصائيات الاخيرة لانتاج النفط فى دول الخليج فى الثلث الاول من هذا العام ، تشير الى أن هذا الانتاج قد ارتفع بنسبة ٤ر١١ بالمئة الا فى الكويت التي انخفض فيها بنسبة ٤ر٢ عن نسبته فى العام الفائت ، وهذا الاحصاء تؤيده أخبار النشرات والمجلات المهتمة بشؤون البترول فى العالم .

ولا شك أن مثل هذه الاخبار تثير التساؤلات ليس لدى الكويتيين فحسب ، بل فى العالم أجمع ، لان الكويت عرفت بأنها دولة البترول ، وأنها تحتل المركز الثاني العالمي ، وهي فى ارتفاع مستمر فى هذا الانتاج بشكل لا مثيل له .

أما نحن فلا نستغرب الامر ابدا ، بل كنا نتوقع ذلك ، لأن من عادة الشركات الاحتكارية أن تكون جشعة للغاية ، وأن تمارس شتى الأساليب الملتوية ، والضغوط للوصول الى مآربها ، على حساب غبن الاخرين ، وبخسهم حقهم .

رسالة المربى

تحت هذا العنوان كتبت مجلة « هدى الاسلام » الاردنية مقالا نقتطف منه :

(أن المعلم هو الجسر الذى تعبر عليه الاجيال الى ميدان الحياة ، والرجل المجرب الذى يعد تلاميذه ليكونوا رجالا متفاعلين مع الحياة ، قادرين على تسخير مرافقها لنفع الانسانية ، وترقية الاجتماع ، فمن واجبه نحو تلاميذه تهذيب أخلاقهم ، وتثقيف عقولهم ، وبناء أجسامهم ، وتعليمهم ما يحتاجونه من أمور الدين والدنيا ، وتنشئتهم على حب الدين والوطن فهو بهذا يحمل أعظم رسالة : ويقوم بأفدح عبء ، وكأني بالشاعر قد عناه بقوله :

قد رشحوك لأمر لو علمت به
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وهذه الرسالة محفوفة بالمشاق ، لا يؤديها الا من طبع على حبها ، وتأهل لها فمنحها اخلاصه وموهبته بل عاش ، ومات فى سبيلها ..

بين المادية والمثالية

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة البعث الاسلامي بالهند مقالا جاء فيه :

ان روح البطولة العربية تستيقظ اليوم من جديد فى كل واحد من أبناء هذه الامة ، وليس قادة الثورات التحريرية الا معبرين عنها عازفين على قيثارتها نغمات الحرية والسيادة .

وان الذين حققوا النصر والمجد والعزة فى العالم لامتهم العربية فى الغابر لم يكونوا ملوك الغساسنة ولا ملوك المناذرة ، ولكنهم كانوا أولئك الذين لم يكن يعرفهم أو يسمع بهم أحد من الناس من قبل ، ان الرسول العظيم ، اليتيم الفقير ، وأتباعه وأصحابه من أبناء الصحراء والبلد الحرام هم الذين جلبوا السعادة للعالم : وأكسبوا العرب شرف الدفاع عن المظلومين والمحرومين وحماية الحقوق ورد المظالم وتحرير البشرية ، فكان للعرب المنزلة العظمى عند الله والذكر الخالد فى التاريخ .

وان المعارك اليوم أمامنا لنرد عدوان المعتدين أيا كانوا أرضاء لله وتحقيقا لشرائعه كلها ، وتصديقا لحقيقتنا ودفاعا عن أنفسنا ، وعن تراث الانسانية الذى نحن حماته وحراسه ، أما الاستعمار وأجراؤه وعملاء الصهيونية فهم ناهبو كنزه ومخربو بنائه وصرحه .



« يعبرون عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم »

شبابنا والتربية الاسلامية

تشيع فى الاوساط التعلمية كلمة التربية الحديثةكوسيلة فضلى ووحيدة لتكوين جيل قوى ناهض ،وقد أرسل الينا السيد / عبد المنعم ابراهيم من نوساالغيط دقهلية ج .ع. م، كلمة تحت هـذا العنـوان جاء فيها : ـ

ان الاسلام دين اجتماعي يؤمن بالفرد والمجتمع ،ولم ينعزل عن الحياة والناس ، بل كان مرشدا وموجها للافراد والجماعات ، ووضع الحلول للمشاكل التىتقف فى طريق أبنائه كى يعيشوا حياة هانئة سعيدة شعارها الود والمحبة ، والتربية الاسلامية هي خير زاد للشباب العربي ، وهى تقوم على آسس من الاخلاق الطيبة والصفات الحميدة التى يبثها الاسلام فىأبنائه،وربما يظن البعض أن التربية الاسلامية لا تهتم الا بالاخلاق فقط ، ولكنها تؤمن آيضا بالتربية الجسميةففى قـوة الجسم تربية للمـدارك وبـث للنشاط وزيادة فى الروح المعنوية وكسب للاخلاص والصفاتالحميدة ، يقـولون .. لقد وجـدوا طرقا حـديثة للتربية ولكن التربية الاسلامية كانت موجودة بمبادئها وطرقها من قبل ذلك بمئات السنين ، فالاسلام نادى بالتربية الاستقلالية والاعتماد على النفس وبالحريةوالمشورة ، ونادى بمراعاة الفروق الفردية بينالاطفال وبملاحظـة الميول والاسـتعدادات ، ونادى بمخاطبة الناس على قدر عقولهم كما نادى مع ذلك بحسـن الخلق لانه الاساس الاولفى عملية التربية الصحيحة . وللاسرة دور كبير فى تربية الابناء التربية الاسلامية الصحيحة : فالأب والام يقومان بدور كبير فى ميدانالارشاد والتوجيه ، وبث الاخـلاق الحميـدة التى تحميهم من الانحراف .

ومدارسنا كذلك يجب أن تهتم بالديـن اهتماماأكبر حتى يجد فيها الابناء ضالتهم من الثقافةالدينية والتوجيه ، بل ويزودون بزاد مـن الايمان والحبوالاخلاص يحفظهم من الانحراف .

ان باستطاعة المدرس ان يقوم بما يفشل الآباء فىتحقيقة ، فهو يستطيع أن يفتح أبـواب الامـل أمام تلميذه ، ويوقظ فيه المواهب الكامنة عنده ويوحىاليه كثيرا من الاخلاق الفاضلة كالصدق فى القول ، ويضع أمامه سيرة أبطال التاريخ كقدوة طيبة له .

وفى النهاية أضع أمام شبابنا ما فعله اخوانهم فى صدر الاسلام من تضحيات وكفاح وجهاد ومثابرة فاستطاعوا بايمانهم أن يرفعوا الراية الاسلامية عاليةخفاقة فى كل مكان ، وأن ينشروا تعاليم الاسلام هنا وهناك .

الفكرة الاسلامية

قد تشمل الحيرة بعض المخلصين للفكرة الاسلاميةلما يرون عند بعض المسلمين من ضروب السلوك التى تخالف هذه الفكرة على وضوحها وأصالة جوهرها ،والاستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى ـ ستوديو آسيا ـ نابلس الاردن ـ يكشف عن هذه الحيرة ويلقى ضوءا على بعض عوامل التفشية على الفكرة الاسلامية فى رسالة بالعنوان المذكور نقتطف منها ما يلى .

ربما لم يعش المسلمون فترة أحرج من هذه اللحظات التى يعيشونها الان . ولم يمر عليهم قرن أعظم خطرا من القرن العشرين ، ولم تجابههم تجربة مصيرية كتلك التجربة التى ما زالت نهايتها مجهولة العواقب تتأرجح بين اليأس والرجاء او بين الهبوط والارتفاع . فالاسلام وهو دين المسلمين الذى يحيون به ، ويقيمون شئون حياتهم عليه ، ويدخرون ارواحهم من أجله ، هذا الاسلام يتعرض منذ بداية هذا القرن العشرين الى أعنف واخبث هجوم عرفه التاريخ .ولا تظنن أن الخطر آت من كون الاسلام ضعيفا ، أو من عجزه عن صد مثل هذه الهجمات ، كلا ، ففى الاسلام قدرة غير محدودة على ممارسة الحياة وفضح كل مؤامرة مهما كانت خفية : ولديه القوة الخارقة على مجابهة اى خطر محتمل أو واقع ، وخوض غمار أية حرب فعلية أو وقائية ، عسكرية أو فكرية والخروج منها كعادته منتصرا ظافرا . ومن أصدق من الله قولا وشهادة ونصرا اذ يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

ولكن الباب الذى انفتح على مصراعيه انما كان لعوامل أثرت على المسلمين فأضعفت فهمهم للاسلام وبالتالى تصميمهم على مواصلة الكفاح والنضال لصد عاديات المعتدين .

أحد هذه العوامل

الفلسفات القديمة التى دخلت بعض أفكارها عن طريق دراستها ، والتأثر بها حينما امتد سلطان المسلمين الى بلاد تلك الامم .

وثانيها .

محاولات الحكام غير العرب من الاتراك وغيرهم توضيح وتفسير وفهم الاسلام بغير اللغة العربية ، فكان ان فصلت الطاقة الهائلة فى اللغة العربية عن الطاقة الاسلامية .

أما الثالث .

فخضوع المسلمين فترة من الزمن للاستعمار العسكرى الذى اصطحب معه الاستعمار الثقافي والاقتصادى والفكرى .

هذه العوامل الثلاثة الرئيسية هى عوامل التفشية على الفكرة الاسلامية ، وهى التى أضعفت فهم المسلمين للاسلام ، وأوجدت هذا الانفصام بين الاسلام وسلوك المسلمين .

فواجب المسلمين اذن العمل على ازالة العوائق بتحطيم عوامل التفشية التى طرآت على الفكرة الاسلامية ليسهل تناول الاسلام وفهمه ، ثم ليتمكنوا من مناقشة هذه الافكار التى تزحم مجتمع المسلمين واذهانهم ليتسنى لهم تطبيق أفكار الاسلام والدفاع عنها ، والله عز وجل مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

شمس النبوة

وبمناسبة الذكرى العطرة لمطلع شمس النبوة فى ربيع الاول أرسل الاستاذ محمد اسماعيل العيسوى المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية قصيدة تحت هذا العنوان يقول فى مطلعها .

قبس أضاء المشرقين من الجزيرة فى ربيع
قد شع فى الصحراء ايذانا بميلاد الشفيع
فأستبشرت تلك الحياة وقد كسا البشر الجميع
هذا الذى سيحرر الدنيا من الظلم الشنيع
ويقيم فيها للعدالة صرحها العالى المنيع
ليعيش انسان الورى فى منزل سام رفيع
فاذا الوجود يعمه بشر ويمن وبهاء
وملائك الرحمن قد نادت وكررت النداء
هذا رسول العالمين وخاتم للانبياء



الأفغاني ومحمد عبده .. والماسونية

جاءتنا رسالة من السيد علي عبد الرحيم كيلاني بالأردن . يعلق فيها على ما نشرناه عن الماسونية فى الأعداد الماضية ، ويعجب من تغلغلها فى تركيا والبلاد الاسلامية ويتساءل هل كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ماسونيين ، وينقل عن كتاب الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين نصوصا تؤيد تغلغل الماسونية فى رجالات الشرق ، وأن الافغاني كان مؤسس الماسونية فى مصر .. وأن محمد عبده كان صديقا للانجليز .. الخ .

ونحن نشكر الأستاذ على غيرته ازاء تاريخه العربي ورجاله الأفذاذ . وليس دفاعا عن الثورة العرابية أو رجالها ، ولا عن الافغاني أو محمد عبده انما هو انصاف للحقيقة والتاريخ أن نؤكد ان ما نقلته عن كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ليس الا وجهة نظر أخذت من زاوية خاصة مع احترامنا التام لصاحبها . فليس صحيحا أن جمال الدين هو مؤسس الماسونية فى مصر كما يقول الدكتور محمد محمد حسين ، كل ما فى الأمر أن السيد لما وصل الى مصر ونفسه مفعمة بالرغبة فى الاصلاح ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وجد الحزب الماسوني الاسكتلندى ينتسب اليه فى مصر رجال من علية القوم تحت شعار « حرية . مساواة . اخاء » فتصور أنه لو انضم الى هذا الحزب فسيتوفر له قدر أتم من الحرية لبث آرائه ففعل ، ولكنه لم يكد يخالطهم حتى انكشف له خداع الماسونية ، ونقد الماسونيين بغرورهم وتنازعهم عن الرياسة ورغبتهم فى اغماض عيونهم على ما يقع على الأمة من ظلم ، كما نقدوه بالتهور وكثرة المشاكل ، وانتهت المشاكل بينهم وبينه بانفصاله عن الحزب الماسوني ، وانفصل معه كثير من شباب الأمة وقادتها ممن اشتركوا فى الثورة العرابية ليكون السيد معهم حزبا جديدا ، وقد خدعوا من قبل بما للماسونية من شعارات .

وهكذا نرى أن انضمام السيد ومن معه من تلاميذه للماسونية لم يكن الا تحت تصور سرعان ما تكشف فانشق عنها معلنا محاربتها .

اما أن الشيخ محمد عبده كان صديقا لكرومر أو للانجليز عامة فقد كان من طبعه ــ كما يقول الدكتور أحمد أمين ــ أن يهادنهم أحيانا أو يصادقهم حتى ينفذ الى غرضه وتلك سياسة ، والا فقد كانت للأستاذ الامام مواقف عديدة خالدة فى كفاحه للاستعمار والاستعمار الانجليزي على وجه الخصوص .

أما ما جاء فى خطابك من أن أكثر دعاة الحرية كانوا متأثرين بالثورة الفرنسية ، وأنهم كانوا يدعون الى نفس شعار هذه الثورة من الحرية والاخاء والمساواة ، فذلك ليس على اطلاقه فان كثيرا من دعاة الحرية فى مصر وخاصة الاستاذ الامام وأستاذه السيد جمال الدين لم يكونوا يعتمدون فى كفاحهم على غير الدين الاسلامي ومبادئه التي تجعل فى مقدمتها الحرية والاخاء والمساواة من قبل أن تظهر الثورة الفرنسية .

ويقينا أن غضبة الشعب العربي فى مصر ابان الثورة العرابية لم يكن الا بتأثير من دينهم الاسلامي الذى أثاره فى نفوسهم هؤلاء القادة والدعاة .

حساسية

وهذه رسالة من ع . م المنيل ج.ع.م يقول فيهاانه مسرور من دعوة المجلة الى أن تتصون المرأة فى ملابسها ولا تغالى فى التقليد ، ولكنه يأخذ علينا أنصورة الغلاف ــ عدد صفر ــ فيها « فتاة قد ظهر جزء من رجليها وشعر رأسها » .

ونحن مع شكرنا للسيد الفاضل غيرته نقول : انصورة الفتاة التى يتحدث عنها انما هى لبنت صغيرة فى ركن من الصورة ــ اثناء تصوير المسجد ــ مع طفلين ، ولم يبد منها الا شعرها من الخلف وهذا لم يمكن التحرز منه .

على كل حال شكرا لك على هذه الحساسية التينرجو أن تؤتى ثمرتها فى المحيط الذى تعيش فيه .

والمسئولية مشتركة

وهــذا الأخ حسام الديــن بهى الديــن بدسوقج.ع.م يبعث الينا برسالة فى الموضوع نفسه يقول فيها ، ماذا يفعل أو يفعل غيره اذا ذهب الى أحــدالنوادى وتصادف أن جلس فى مقابلة فتاة منهن ، ويقول صدقوني ان الشباب مظلوم مع الجنس الآخر . مساكين نحن الشباب .

ونحن نقول ان المسالة فى هذه الحالة سهلة الحلفقم الى مكان آخر ، ولكــن المشكلة هى أن هــذه المظاهر أصبحت عامة ، وشبه عادية عند المرأة وزوجهاأو أبيها ، وهو ما يؤسف له حقا ، وقد طالبنا باشراك المرأة والرجل فى المسئولية كما يريد السيد حسامحين قلنا :

« لماذا يعاقب القانون حقيقة هؤلاء الشباب ولا نفكر فى صاحبات العرض المغرى لمفاتنهن ؟ أليس مثل هذا العرض دعوة عملية لاثارة الشباب ، والبادى أظلم ؟ ولماذا لا يحفظ شبابنا من هذه الاثارة ثم نحاسبه بعد ذلك ؟ » .

فلعل الجميع يستجيبون ويؤثرون رضا الله على « المودات » والمظاهر الكاذبة ..

ردود سريعــة

السيد م.ل الكويت

الحمد لله الذى وفقك للاقلاع عن هذه العادة ، والتوبة عن نزوات الشباب ، أما أن الله يقبل توبتك فذلك ما نرجوه معك اذا أخلصت فى هذه التوبة ، وعزمت على ألا تعود لشيء مما كنت تفعل « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

ونرجو لك من الله الثبات والتوفيق .

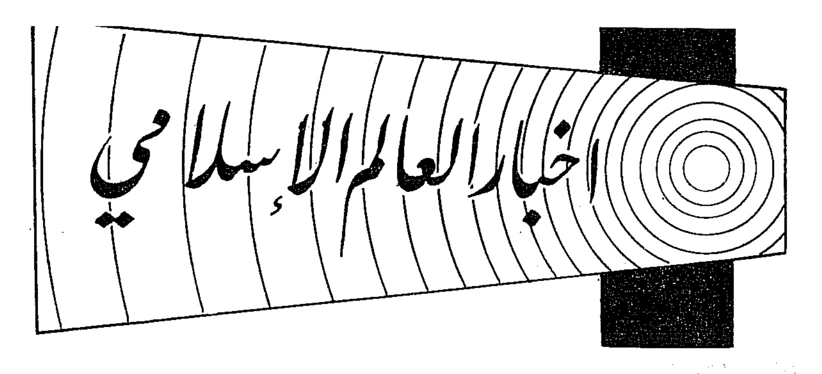
السيد عبد الفتاح محمد فتح الله ــ القاهرة

صحة الشطرة كما وردت فى المجلة (منورة كالبدر شماء كالسها) بالهاء والمعنى أن هذه الجبهة التي تعنو لله سبحانه انما هي جبهة كالبدر تضيء بتعاليم الحق والخير والجمال ، وهي عالية كالسها أعلى نجم فى السماء ، ولكنها تخفض عند الحق وفى مقام السجود لله ، وبقية القصيدة فى الشوقيات .

أما شكواك عــن الحج والحجيج فتوجه بها للمختصين ، وان بعثت بها فسننظر فى نشرها ان كانت صالحة للنشر .

الأخ موسى عبد الله علي ــ صور . لبنان .

شكرا لك على عواطفك ويمكنك الاتصال بالشركة العربية للتوزيع فى بيروت والاشتراك عن طريقها .



(الكويت)

*** قام سمو الأمير المعظم بزيارة رسمية للبنان الشقيق ، استغرقت أربعة أيام ابتداء من ١٩٦٦/٦/٢٥، وقد صرح سموه عقب انتهاء زيارته الرسمية للبنان قائلا بأن زيارتى أكدت الروابط الراسخة والصلات الوثيقة النابعة من مشاعر المودة والاخاء بين البلدين والشعبين الشقيقين . وقد تبرع سموه للهيآت الخيرية بمبلغ ٥٠٠ الف لـيرة .**

* تقدم لامتحان الشهادة الثانوية العامة هذا العام (١٣٥٣) طالبا وطالبة نجح منهم (٩٧٢) وكانت نسبة النجاح : فى القسم الأدبى ٨١٪ بنين و ٨٠٪ بنات وفى القسم العلمي ٧١و٢٪ بنين و ٧٦و٦٪ بنات .

* بدأت جامعة الكويت الجديدة استعداداتها لتسجيل الطلبة والطالبات الذين تدفقوا على الجامعة بشكل منقطع النظير .

وقد انتدبت الحكومة الكويتية الدكتور عبد الفتاح أسماعيل وكيل التعليم العالي فى الجمهورية العربية المتحدة ليكون مستشارا للتعليم الجامعي ، كما تم اسناد مهام أمانة الجامعة الى الأستاذ أنور النورى . وستضم الجامعة هذا العام كليتين . للعلوم ، والآداب ، وكلية خاصة للبنات .

* عقد مجلس الأمة جلسته الختامية فى صباح يوم السبت الموافق ١٩٦٦/٧/٢ م .

* وجهت الحكومة التونسية الدعوة الى وزارة التربية لايفاد خمسين طالبا كويتيا لزيارة الجمهورية التونسية . وقد وافقت وزارة التربية على هذه الدعوة .

القاهرة

* فى أول يوليو بدأت محطة اذاعة القرآن الكريم من القاهرة باذاعة برامجها الجديدة طبقا لخطة تطويرها ، وتذيع من السادسة الى الحادية عشرة قبل الظهر القرآن الكريم فقط ، ومن الثامنة الى الحادية عشرة مساء للبرامج الجديدة . هذا وقد قام السيد أمين هويدى وزير الارشاد باذاعة كلمة افتتاح المحطة .

* خصصت وزارة الأوقاف مبلغ (١٥٥) الف جنيه لتشجيع حفظة القرآن الكريم ، وقامت الوزارة باعداد مسابقات للقراء ، وارسال بعض القارئين الناجحين الى البلاد الاسلامية .

* تقرر بصفة نهائية عقد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة اعتبارا من يوم ٣٠ سبتمبر القادم . ويرأس المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر .

* تم توقيع اتفاق تجارى ثقافى بين القاهرة وتركيا لزيادة التقارب بين البلدين ، ويقضى الاتفاق الثقافي بالاعتراف بالشهادات ، وتبادل الطلاب والأساتذة والخبراء الفنيين ، والاعتراف باللغتين العربية والتركية فى كل منهما ، وفتح مركز فى كلا البلدين لتعليمها .

* استطاع الطبيب العربي الدكتور محمد شريف (٣٨) سنة المدرس فى جامعة الاسكندرية ، من أن يحقق انتصارا عالميا عندما صمم جهازا يمكن الطبيب من اكتشاف السرطان قبل ستة أشهر من ظهور أعراضه . ولذا قررت كلية الجراحين الملكية باستوكهلم اهداءه الزمالة الفخرية تقديرا لاختراعه العظيم .

بغداد

* أحبطت السلطات العراقية يوم الخميس ٣٠ يونيو الماضي محاولة انقلاب فاشلة ، قام بها عميد الجو السابق عارف عبد الرزاق . وقد قبض عليه هو وبعض انصاره ، وذكر الدكتور عبد الرحمن البزاز

رئيس الوزارة العراقية فى مؤتمر صحفي عقده بعد الاطاحة بالانقلاب ان عدد ضحايا الانقلاب الفاشل بلغ ثمانية قتلى و ١٥ جريحا ، وأن التآمر داخلي لا صلة لدولة ما به .

* قام السيد رئيس الوزراء بزيارة ودية لتركيا تلبية لدعوتها لدعم أواصر التفاهم بينهما .

السعودية

* تعد العدة الآن فى السعودية لارسال (٣٠) داعية مسلم لنشر الاسلام فى شتى أنحاء افريقيا من السعوديين وغيرهم بعد ان يتموا دورة تستغرق اربعة اشهر فى اللغة الانجليزية والفرنسية .

* اتفقت الحكومة مع الامم المتحدة على اعتبار مكتب الامم المتحدة فى الرياض مكتبا للجزيرة العربية يشرف على مساعدات الامم المتحدة فى مناطق الخليج العربي ، وتتحمل الحكومة جزءا من نفقاته .

الجزائر

* صدر قانون بالغاء البغاء ، وقرر عقوبة للمرأة الزانية بالسجن سنتين بينما جعل عقوبة الزاني المتزوج سنة واحدة ، كما نص على عقوبة الذين يمارسون الشذوذ الجنسي بالسجن ثلاث سنوات .

* احتفلت الجزائر يوم (٤ يوليو) بذكرى استقلالها .

* سافر وفد رسمي وشعبي فى اوائل يوليو الى دمشق ، برئاسة السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية لنقل رفات المجاهد الجزائرى الامير عبد القادر الجزائرى الذى توفى بدمشق عام ١٨٨٣ م ، وكان الزعيم الجزائرى قد لجأ الى دمشق بعد أن اشترك فى محاربة الاستعمار فى بلاده ، وقد وصل رفات المجاهد الى العاصمة الجزائرية يوم الاثنين (٤ يوليو) الذى صادف احتفال الجزائر بعيد استقلالها .

الجنوب العربى

* اتفقت حكومات قطر ودبى والشارقة وابو ظبى مع الحكومة السعودية مؤقتا على احلال الريال السعودى محل الروبية الهندية حتى يتم اصدار عملة محلية .

* بات فى حكم المؤكد أن تعلن امارة قطر فى غضون عام من الان دولة مستقلة فى الخليج العربي هذا وقد اتخذت حكومة قطر فى الفترة الاخيرة سلسلة من الاجراءات الهامة لمجابهة العهد الجديد .

تركيا

* ارسلت الحكومة التركية للجامعة العربية موافقتها على فتح مكتب للاعـلام فى انقـرة ، يتمتع بالحصانة الدبلوماسية .

* أعدت الترتيبات اللازمة لافتتاح عدة مدارس للامامة والخطابة فى تركيا .

* تقرر عقد مؤتمر اسلامي فى أنقرة لمناقشة القضايا التي يواجهها المسلمون فى تركيا . أشرف على الدعوة للمؤتمر وزير الدولة التركي .

أندونيسيا

* ذكر المراقبون أن هناك بوادر متزايدة داخل المؤتمر الاستشارى الاندونيسي ، لاصدار قـرار بتجريد الرئيس الأندونيسي أحمد سوكارنو من لقب الرئيس مدى الحياة .

* المؤتمر الاسلامي الآسيوى الافريقي فى جاكرتا قرر اصدار مجلة اسمها « صوت المسلمين » بلغات ثلاث هي اللغة العربية واللغة الاندونيسية واللغة الانجليزية .

* اجتمع المجلس الأعلى للشعب الأندونيسي ، وقرر اسناد السلطة الفعلية للجنرال سوهارتو ، وتناول عهد سوكارنو بالنقد والتجريح .

سيلان

* احتفل مؤخرا بافتتاح أكبر مسجد فى سيلان ، وهو مشيد على الطراز الاسلامي من طابقين ، ويقع فى أكبر قرية اسلامية هناك .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت ودمشق : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج.ع.م.

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

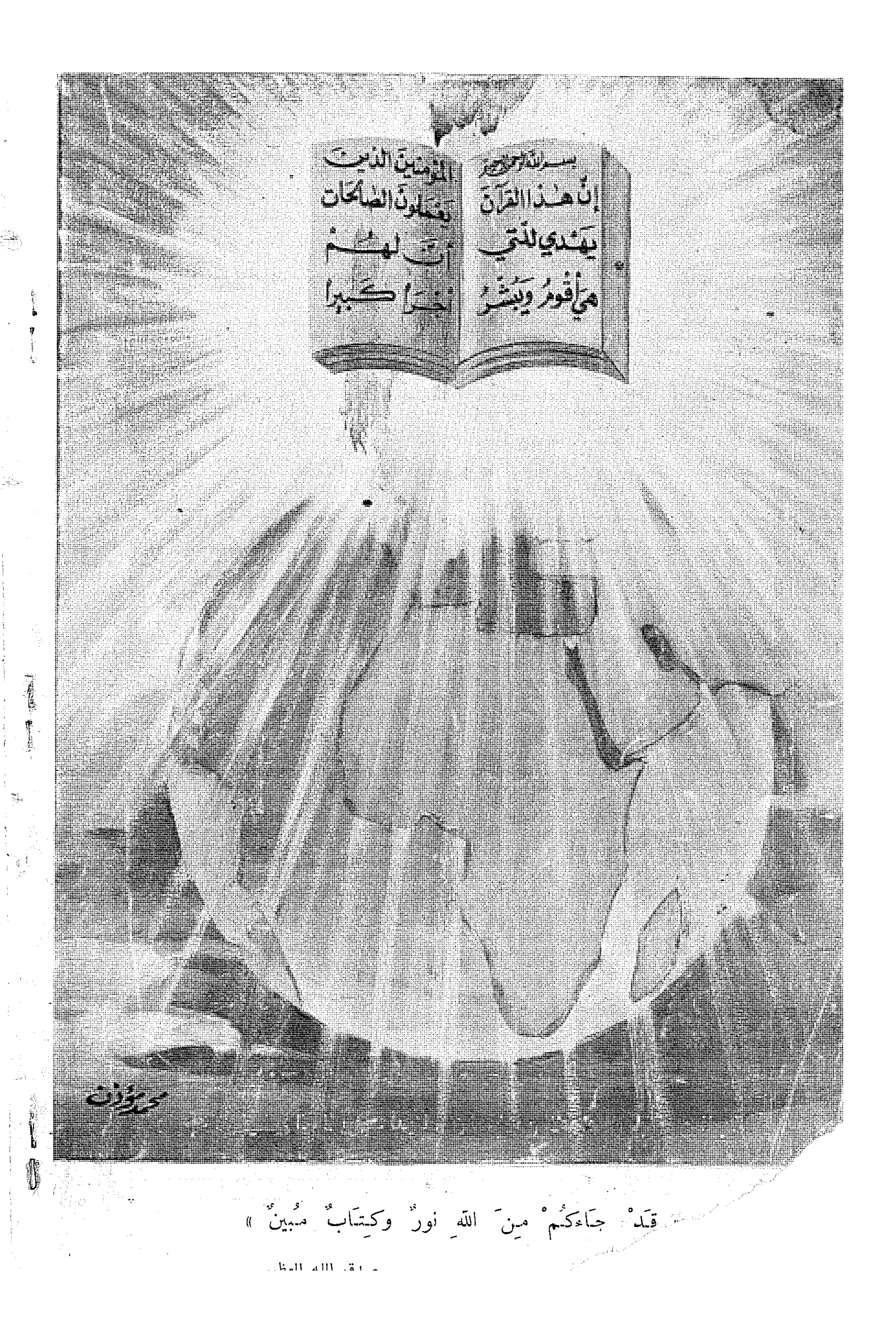
الخرطوم : ـ الاستاذ حسن نجيلة ـ دار الرأى العام .

بور سودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٢ .

الصومال : ـ مقديشو ـ محمد أحمد عمر .

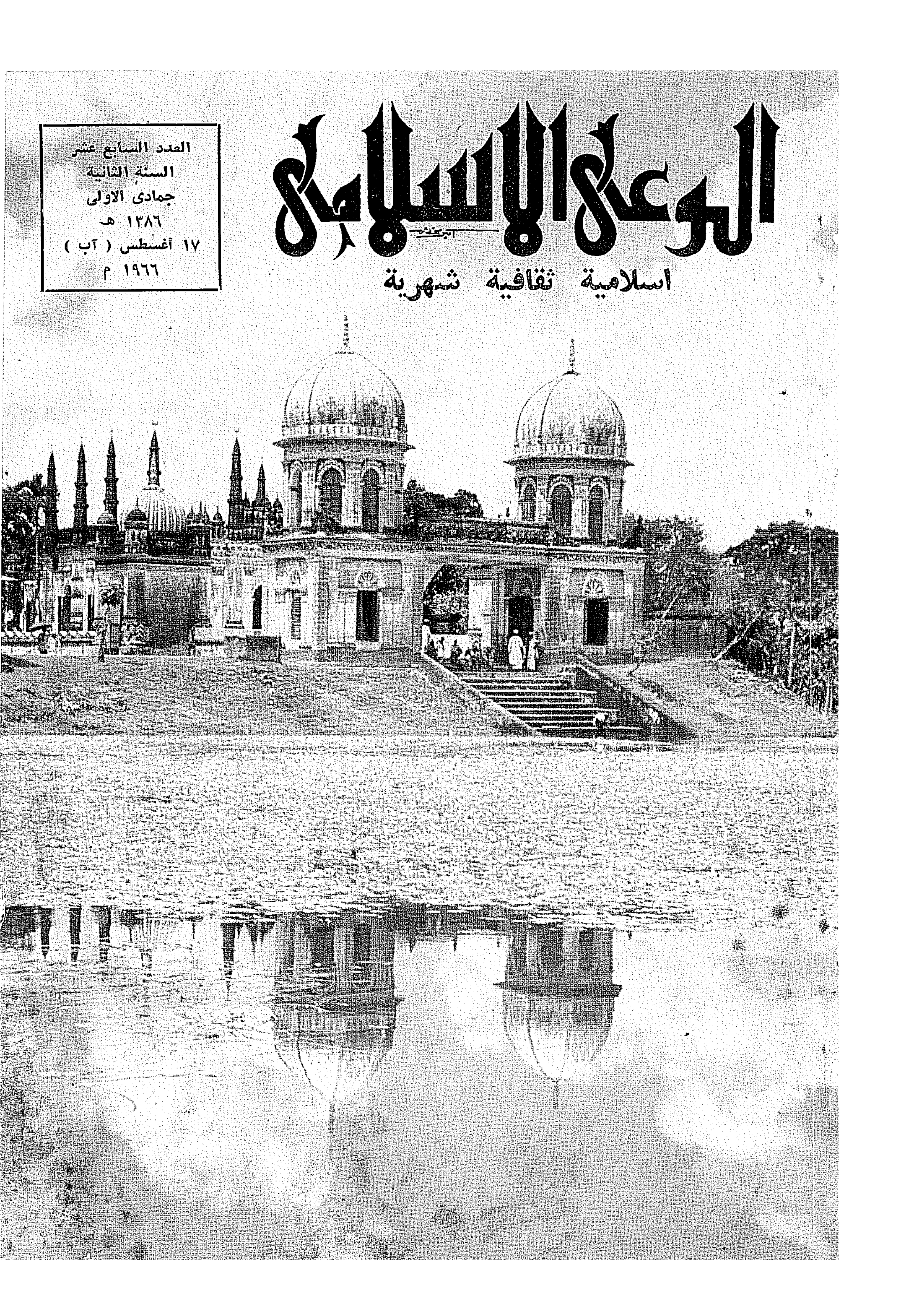
الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكِتَابٌ مُبينٌ »

صدق الله العظ



الوعي الاسلامي
اسلامية ثقافية شهرية
العدد السابع عشر
السنة الثانية
جمادى الاولى
١٣٨٦ هـ
١٧ أغسطس (آب)
١٩٦٦ م



فاطومي ...

قصة العدد ـ ص : ٨٠

الوعي الإسلامي

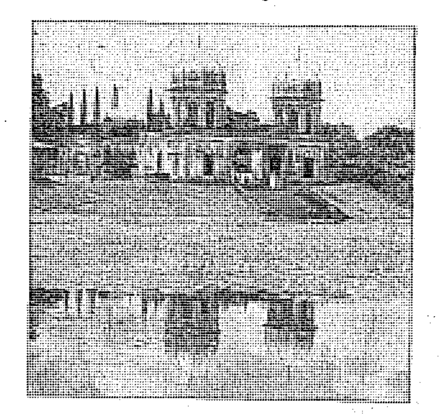
اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع عشر ـ السنة الثانية
غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٦ هـ
١٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مسجد دانبادي التاريخي فى ميمنسانغ (باكستان الشرقية) وهو فريد فى طرازه وهندسته وزخرفته مما يشهد بعظمة المسلمين الذين كانوا يحكمون هذا الجزء من العالم .

الثمن

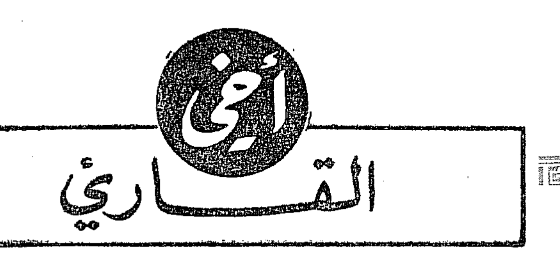
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



ان طبيعة العيش فى هذه الحياة وانتظام الامور فيها تقتضي أن تتوزع الأعمال والأعباء بين الأفراد ، بحيث يكون لكل انسان اختصاص وعمل يقوم به : الزارع فى مزرعته ، والعامل فى مصنعه والتاجر فى متجره ، والموظف فى ديوانه ، والجندى فى ميدانه ، والقاضي فى محكمته ، والمدرس فى مدرسته ، والطبيب فى مستشفاه أو عيادته. والحاكم فى دائرة حكمه . كل عليه واجب ، وله اختصاص يجب أن يشعر به شعورا كاملا ، ويؤديه فى اخلاص واتقان .. حتى فى المجتمع الصغير فى البيت تلقى على عاتق كل فرد فيه مسئوليات يجب ان يحسن القيام بها ، متعاونا مع من حوله . وبذلك يتكامل بنيان المجتمع ، وتقوى أركانه ودعائمه ، ويحس كل فـرد فيه من الراحة والطمأنينة ، ما يدفعه الى عمله ، والى بذل جهده فى اجادته واتقانه .

ان المجتمع كالبناء الكبير لايقوم الا على قوة أعمدته وسلامة كل جزء فيه حتى يؤدي وظيفته .. وكالماكينة لا تعطينا انتاجها الا اذا كان كل جزء فيها سليما يؤدي وظيفته متضامنا ــ من حيث لا يشعر ــ مع بقية الأجزاء ، فسعادة المجتمع ونهضته متوقفان ــ اذن ــ على احساس أفراده بمسئوليتهم واخلاص كل واحد منهم فى بذل أقصى طاقته فى القيام بواجبه ، وبمقدار هذا الاحساس والاخـلاص تكون سـعادة مجتمعهم وبالتالي سعادتهم هم فى حياتهم .. لأن المجتمع ما هو الا الأفراد مجتمعين وكل جهد يبذله الواحد منهم فى عمله يعود عليه نفعه .. وكلما أحس الانسان أن حقوقه مؤداة ، وأن المجتمع حوله يوفر له مصالحه ، ويؤدى اليه حقوقه ، كان أكثر انصرافا لعمله ، واجادة له . وهكذا يأخذ الانسان من مجتمعه بقدر ما يعطيه .

على أنه اذا كان كل فرد عليه مسئوليات نحو مجتمعه ، فانه مما لا شك فيه ان هذه المسئوليات تتضخم كلما اتسعت دائرة أعمال الانسان ، وكلما كان يملك من السلطان ما يستطيع به التوجيه او البت فى مصالح الناس ، ومصير المجتمع .. فليس الذى يتحدث للناس فى حجرة . كمن يتحدث لهم عن طريق الاذاعة أو التلفزيون .. وليس الذى يكتب فى صحيفة صغيرة غير منتشرة كمن يكتب فى صحيفة كبيرة واسعة الانتشار .. وليست مسئولية المتحدث أو الكاتب المسموع الكلمة الذى يتخذه الناس موجها وقدوة لهم كمسئولية متحدث آخر ليست له هذه المكانة فى النفوس ، وليست مسئولية الحاكم أو الموظف الصغير كمسئولية الموظف أو الحاكم الكبير او الحاكم الأكبر

فى الدولة .. كل واحد عليه مسئولية ، تتفاوت تفاوت المركز الذى يشغله . ومع ذلك فلا بد من تعاون الصغير والكبيرفى تحمل مسئولياتهم وأدائها على الوجه الأكمل ..

ومصدر الاحساس بهذه المسئولية والعمل على أدائها قد يكون الخوف من سلطة الرئيس ، أو سلطة القانون . وهو فى هذه الحالة يكون احساسا مهزوزا يوجد أو يقوى حينا وينعدم أو يضعف حينا آخر حسب اشراف الرئيس ومراقبة القوامين على تنفيذ القانون ..

وقد يكون نابعا من ذات الانسان .. من ضميره ، من دينه ، من شعوره بأن الله يراقبه ، ويعد عليه خطواته ويحاسبه على نياته ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)) .

وهنا يحرص الانسان على أداء ما عليه من مسئوليات فى اخلاص ، وجد الرئيس أم لم يوجد ، أشرف عليه القوامون على تنفيذ القانون أم لم يشرفوا ، لأنه يراقب الله فى عمله ، ويخشاه ولا يخشى أحدا سواه ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ومن هنا نضمن سلامة الأعمال ، وقوة البنيان ..

ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه اهتمامه الى تربية المسلم على الخشية من الله فى سره وعلنه ، ووجدنا كل تعاليم الاسلام قائمة على اشعار المسلم بأنه لبنة فى بناء الأمة ، وعضو فى جسمها الكبير . عليه أن يكون قويا فى نفسه ، ثم يؤدى ما عليه لأمته .. فهو لا يؤمن حتى يشعر بشعور أخيه ، وحينئذ يدفعه هذا الشعور الى أداء ما عليه من مسئوليات نحوه . وهو راع فى كل عمل يطلب منه ومسئول عن رعيته و ((الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه)) .

وأولى المسئوليات وأدناها نحو الجماعة مسئولية الرجل فى بيته ، وأضخم المسئوليات مسئولية الحاكم الذى تتجمع فى يده مصائر امته ومصالحها ، او مسئولية المجالس النيابية التي تملك حق اصدار التشريعات ، ومحاسبة المقصرين فى أعمالهم مهما تكن مراكزهم . ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسئولية الرجل عن رعايته لبيته وينتهى عند مسئولية الامام أو الحاكم العام عن رعيته ثم يقول ((ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته ..)) .

والرسول بهذا يضع فى عنق كل مسلم مسئولية أمام الله عما استرعاه ، ووكل اليه من أعمال : صغرت أم كبرت ، ويطلب منه أن يتقن عمله ، ويحسن تصرفه ، ويشارك مشاركة فعالة فى تقوية أمته ، والنهوض بها حين يقول ((ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه ..)) حتى جعل المسلم مسئولا عن تقويم أخيه اذا اعوج كيلا تكون هناك لبنة ضعيفة تعرض البنيان كله للانهيار وذلك حين أوجب عليه أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وحذره من السكوت عن الأخطاء والاستهتار بالمسئولية حين قال الله له ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) وعلى هذا الأساس بنى الرسول مجتمعه الاسلامي فى قلب الجزيرة ، فكان خير مجتمع وكانوا خير أمة كل يعرف مسئوليته ويقوم بها .

ثم رأينا خلفاء المسلمين الأوائل يضربون المثل لأمتهم على حسن الشعور بالمسئولية والقيام بها ، فوجدنا عمر الحاكم رضى الله عنه يقول ((لو أن عناقا ((أنثى المعز)) ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة)) ويقول ((لو أن دابة عثرت بالعراق لسئل عنها عمر لم لم يعبد لها الطريق)) .

وهكذا يكون الشعور بالمسئولية والحرص على أدائها حين يكون نابعا من دين الانسان وخوفه من الله .

واذا كنا نشكو الآن من عدم شعور الفرد بمسئوليته أو من تقصيره فى القيام بها ، فان ذلك يرجع الى ضعف الوازع الديني فى النفوس .

ان بناء المجتمع لا يكون ولا يقوم الا على أفراد لهم خلق ودين يدفعهم الى الاخلاص لأمتهم ومجتمعهم فى أعمالهم .. وانه لا يكفى مطلقا أن نبنى المصانع ونصـدر القوانين بل لا بد أولا من بناء الرجال الذين يديرون المصانع وينفذون القوانين .. لا بد من تربيتهم على الشعور بمسئوليتهم وعلى مراقبة الله فى أعمالهم .

ان الأزمة التي تمر بنا ليست فى قلة المال أو الرجال أو المصانع أو نقص القوانين ، ولكن الأزمة الحقيقية هي أزمة الأخلاق . وهي ناشئة من جدب النفوس من الوازع الديني ، ومن الشعور بالمسئولية نحو الجماعة وان قوة الأمة الاسلامية لا تتحقق الا على يد أبنائها الذين ينسون مصالحهم الشخصية ، ويراقبون الله فى أعمالهم ، ويتقونه فى أمتهم ، ويتعاونون فى اخلاص وحسن أخلاق ليردوا لها اعتبارها ، ويعيدوا مجدا كان لها فى سالف أيامها .. فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..

ومن عجب أن يكون هذا أمرا ندركه جميعا ونكرره ثم نتباطأ فى العمل له ! . ماذا نقول للمريض الذى وضع امامه الدواء الشافى ثم تلكأ فى استعماله ؟ ! .

رئيس التحرير



٣ محمد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ، قال . فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . « رواه الشيخان »

١ ـ مصدر ما دعا اليه الرسل جميعا واحد ، وهدفهم فى كل ما بلغوه لا يختلف ، وغايتهم لا تتعدد ، فالدين على ألسنتهم كافة هو الاسلام (ان الدين عند الله الاسلام) فجميع الشرائع التى أوحيت الى الانبياء روحها وجوهرها الانقياد والخضوع لبارى الكون ، وتوحيده والانطواء تحت سلطانه ، ونبذ الاعتراف بأية قوة غير قوته ، فهو الذى يحيى ويميت ويبدىء ويعيد (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) (١) فمتبع واحد من رسل الله عليهم الصلاة والسلام هو متبعهم عامة ، حيث خلص من شوائب الشرك ، وتجرد من علائق الخلق ، وأسلم وجهه لله رب العالمين ، فراض نفسه على بذل جوده لبنى جنسه، وحرص على نفعهم بما يستطيع ايصاله اليهم ، فان كان ذا ميسرة أعطى المعسر ، وان كان عالما فقه الجاهل ، وان كان قويا أعان الضعيف . وان كان عنده فضل ظهر حمل من لا ظهر له ، وان شئت أجملت المراد فى معنى ما قاله خاتم الانبياء والمرسلين . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها » وما دام هذا منهجهم جميعا فمن خالف واحدا منهم فقد خالفهم مجتمعين .

٢ ـ حين يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحمله ما حمل المبعوثين من قبله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس

---

(١) سورة الملك . الايتان ١ ، ٢ .

وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .) (١) ويجعل غاية ارسالهم التبليغ لاوامر الله ونواهيه وقطع حجة البشر على الله يوم الحساب (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (٢) . ويقول لخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) (٣) .

قل لهم يا محمد . لماذا تعجبون من دعوتى لكم الى الله فانا لست أول من بلغ عن ربه ، بل قد جاء العديد من قبلى يحملون رسالات ربهم الى أقوامهم ولست الذى لا نظير له فى رسالته حتى تستنكروا قولى ، وما أتبع الا الوحى الذى اتبعوا ، وطريقى طريقهم وهى التعالى بالانسانية عن الاخلاد الى الارض ، وابعادها عن اتباع الهوى المضل عن سبيل الله ، وقيادتها الى المستوى الملائم لتكريمها وتفضيلها على كثير من خلق الله ، وهدايتها الى الصراط المستقيم الذى يوصلها الى القمة قمة المخلوقات للاستيلاء عليها تحقيقا لتسخير الله اياها للانسان (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٤) وليرقى بهذا الى الوظيفة الحقيقية له فيقيم العدل ويقرر الاعتدال فى كل شىء مع نفسه ومع غيره لتتخلص النفوس من الاشتغال بالنفوس الى عبادة بارئها فى هدوء لا يلاحقه ازعاج ، واخاء دون نفار ، ومحبة لا تشوبها انانية ، فتنقضى حقبة الاقامة المؤقتة فى سلام شامل للالوان منتظم للاجناس متكافىء مع الثواب الموعود به فى دار خلود دائم ونعيم مقيم ، وكل هذا مع التسليم لله والعجز امام جلاله وقيوميته : ثم ان ما شرعه الله لكم هو ما وصى به نوحا وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من ارباب الشرائع السماوية ، فالكل مامور باقامة الاسلام وهو التوحيد . (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) (٥) .

٣ — والرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لم يقل ابدا انه يمثل جنسا متميزا عن البشر ، ولا تجرى فى عروقه دماء تخالف دماءهم ، وهذا نص المحكم من الكتاب المبين يؤيد بشريته ويحقق مثليته لمن ارسل اليهم (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) وطريق وصولكم الى مرضاته هو التوحيد والعمل الصالح لكم وللبشرية كافة (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٦) . ويصرخ صلى الله عليه وسلم بذلك لمن هابه واضطربت فرائصه أمامه قائلا (هون عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) . وحين نفقه كنه الاسلام ونعى حقائقه وندرس أحوال رسوله وهو المثل الاعلى فى الخلق الكريم ندرك بمالا يرقى اليه شك أن الحسد القاتل والحقد الدفين وما يمت لفصيلتهما بصلة من ذميم الخصال ، هى التى ولدت العداوة والبغضاء فى قلوب المعاندين الجاحدين منذ البداية فقال كفار قريش وهم يعضون على النواجذ (لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٧) وتمنى اهل الكتاب لو عاد من آمن الى الكفر مرة أخرى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانك كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (٨) .

---

(١) (٢) الايات ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ من سورة النساء . (٣) الاية ٤ من سورة الاحقاف .
(٤) الاية ١٣ من الجاثية (٥) الاية ٨٥ من سورة آل عمران (٦) الاية ١١٠ من سورة الكهف
(٧) الاية ٣١ من سورة الزخرف (٨) الاية ١٠٩ من سورة البقرة

٤ ـ بظهور رسول الله عليه الصلاة والسلام برزت لاول مرة فى تاريخ الانسانية رسالة سماوية متكاملة من جميع الوجوه تعنى بمصالح الناس وتعالج ما يعنيهم فى حياتهم الدنيا وتضع الحلول التى لا تدع مشكلة الا أزالتها ، ولا عقدة الا حلتها ولا خطأ الا أصلحته ولا معوجا الا قومته ، فالعليم بما تنطوى عليه القلوب وما تكنه الضمائر وما يدور بالخلد خبير بالادوية الشافية والعلاجات الحاسمة .

مما اقتضته حكمة السميع البصير حجب الغيب عن الانسان ، فقد اسدل على مكنون القدر ستارا كثيفا لا يمكن أن يخترق ، واقام دونه حواجز لا يمكن تخطيها ، فمهما أوتى المخلوق من ادراك ودراية وخبرة وعلم فهو عاجز كل العجز وقاصر تمام القصور عن فتح ثقب صغير يطل منه على ما تحمله اللحظة التالية فى وجوده المحدود ، فهو يقدر ويفكر ويدبر ويحصى ويقيس الغائب على الشاهد ، وأخيرا يجد نفسه دائرا فى حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها . وما وصل اليه فى عصرنا من محاولات شارك بها بعض المخلوقات الاخرى الملهمة فصعد الى الكواكب مراغما نفسه للوصول اليها ، او ما ظن انه سيطر عليه من ذرات الكون ، أليس هذا حركة فى موجود واظهارا لمكنون مخلوق ، وادراكا لبعض اسرار احتفظ بها الكون دهرا طويلا فى خبيئات مقوماته تنقلت معه فى أطواره المتعاقبة وهو لا يشعر بها حتى اذا حان ميعادها الموقوت : ودقت ساعتها المعينة هداه بارئها الى ايقاظها من سباتها ووفقه لتلقيها ، وأمكنه من السيطرة على جماحها فحبسها فى دائرة معينة لتلعب دورها فى الوجود ، ومن يدرينا فقد يفلت زمامها منه وتنفر من سلطانه الموهب له فتدمره وتأتى على ما قدم وما اخر فى هذا الميدان ، وهل يأمن الانسان ان يصيبه ما اصاب جنسا آخر وصل الى استراق السمع فاتبعه شهاب ثاقب على أن ما يعطيه هذا الموقف للناظر المتأمل ، وما يصوره له واقعا هو تأخر الانسان فى ادراك بعض حقائق الكون عن غيره دهورا ودهورا ، ومن أزال القفل عن قلبه وتدبر القرآن توصل الى أن غوص الانسان وراء حقائق الكون ، ومحاولته استكناه خفاياه عمل واجب عليه ، بل هو مكلف به ومطلوب منه اداؤه ، ولو قصر أو ترك ما كان متجاوبا مع رسالات السماء واذا ذكرت توجيهات رب السموات والارض فى هذا الصدد فلا معدى لاى انسان مهما بلغ علمه واتسعت دائرة اطلاعه عن اسناد الدعوة الملحة للبحث والاستقصاء ـ الى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد أمر الله فيما اوحاه اليه وأطال فى الامر ، ووجه وأكثر فى التوجيه وخاطب وأوفى على القصد فى الخطاب ونادى عباده فى محكم كتابه ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١) فصدر الاية أمر بالنظر وفى تقديم السموات على الارض فى الذكر اسرار واسرار ونجد هذا التقديم مكررا فى كل آية جمعت السماء مع الارض (٢) فى توجيه الى البحث وختام الاية يصم بالغباء والجهالة والتهاون والاستهتار وعدم تقدير النفس لوجودها عند قوم لم يعوا مرماها ولم يفقهوا معناها ولم يتصلوا بمنزلها ولم يخضعوا ليعرفوا ولم يتداركوا ليصلوا ولم يعلموا ليتعلموا ولم يسلكوا ليهتدوا »(٣) .

ونستطرد بالبحث الى آية كريمة تحسم موضوعا اختلف فيه علماء الكون فى عصرنا الذى يتصل بالكواكب الاخرى وهل توجد فيها حياة أو حيوان، وتزول هذه الحيرة حين نتأمل ببصائرنا قول الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) »(٤) .

قال المفسرون . « من دلائل قدرة الله وعظمته وسلطانه القاهر ـ خلق السموات والارض وما نشر فيهما من دابة تدب وتتحرك ، وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان على اختلاف أشكالهم والوانهم »(٥) ... وقصارى القول فى ذلك أنه سبحانه قدير على جمع ما

---

(١) الاية ١٠١ سورة يونس (٢) الامانـدر
(٣) فى هذا بحث طويل حيث ينطوى القرآن على اسرار بعضها لم يدرك بعد .
(٤) آية ٢٩ من سورة الشورى . (٥) ولا وجه لتحديد الاسماء والامكنة فالبث عام والامكنة كذلك .

بث فيهما من دابة اذا جاء وقت جمعه كما لم يتعذر عليه خلقه وبدايته » (١) .

... ومع كل هذه العلوم والمعارف فباب الغد موصد ومفتاحه لم يصل ولن يصل الى البشر وما امكن واعتقد أنه لن يمكن مستقبلا تسور موانعه ولا مقاومة حرسه ، فلو كان بحثه داخلا تحت سيطرة البحث لما قال الخالق المدبر (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا «٢» ويؤيد ذلك ما حكى القرآن عن أحب الخلق وأقربهم الى رب الخلق (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) «٣» وقد أراح العبد الصالح نفسه بترك الامور لمجريها فهو وحده البصير بخوافيها (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد)«٤» .

خلاصة هذه الفقرة من البحث . أن ايصاد باب الغد واحتفاظه بما فيه من خير وشر بعيد عن ادراك البشر حمل الانسان حملا قويا على الاغراق فى واقعه اغراقا عجيبا ، فقل من يؤمن بما غاب عن حسه أو يصدقه ، وأوقف هذا الجهل بالغد وما يخفيه ـ الانسان أمام دعوة الحق والخير موقف المترددوالشاك احيانا والمتهيب الوجل تارة اخرى، وقلة ممن أنعم الله عليهم سلموا وآمنوا ودخلوا فى مداخل الحقيقة ، شربوا من رحيقها وذاقت ارواحهم حلاوتها ففنوا فيها ووهبوا أنفسهم لها وللدفاع عنها ، وكان اعجازهم الذى أعيا التاريخ أن يلاحقه وأوقفه مشدوها أمامه فى كل ميدان طرقوه وكل باب ولجوه . والحيارى المترددون فى المحسات الذين غرتهم الحياة الدنيا وشدتهم الى مغرياتهم فقنعوا بعيش السوائم (يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) «٥» أولئك هم الذين عارضوا وعاندوا وجحدوا وركزوا جهودهم ورصدوها لحرب خاسرة بالنسبة لهم محاولين طمس الشمس واخفاء القمر وتبديل خلق الله ومعارضة ارادته ، وهؤلاء اتخذوا صورا واشكالا مختلفة . فى التاريخ مع كل دعوة فاضلة من البشر ورسالة خالدة من السماء ، والطائفة التى نعنيها منهم فى بحثنا هي التى لازمت ظهور الاسلام وصاحبته فى الحقب التى مرت به حتى الان .

٥ ـ ونعود فنتساءل . ما دامت أصول الاسلام ثابتة فى دعوات الانبياء والرسل السابقين ، وسيدنا محمد ليس بدعا من الرسل ، وكل تعاليمه **وارشاداته لصالح البشر (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت** عليهم) «٦» . وما دام الانسان لا **يستطيع بحال أو حيلة أن يستشف ما وراء الغيب فلماذا لا يلقى رحاله فى رحاب مولاه الذى لا يأمره الا بما ينفعه ولا يصده الا عما يضره ، وصدق الله العظيم (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .**

والمتتبع لذلك الشنآن وتلك العداوة يجدهما قد صاحبا الرسالة منذ أن بدأت تتمركز فى بلاد العرب وتقتعد مكانها فى الوجود وتتقرر لها شخصيتها المميزة ، والذى يثير الدهشة والعجب هو أن الذين حملوا وزر محاربتها هم أولى الناس بمساندتها وتدعيمها وقتال أعدائها لانهم يدورون فى نفس الفلك الذى تمضى فيه ويستمدون مقومات كيانهم من مصدرها ويرمون عن قوسها ووجودهم متبلور فى أهدافها ان أرادوا الحق لانه الحق وآثروا ذا اثر ،. هم أهل الكتاب الا فترة قصيرة فى مكة عاداها جهلة متعصبون لا كتاب لهم

---

(١) المراغى ج ٢٥ ، ص ٤٦ (٢) آية ٣٤ سورة لقمان (٣) ١٨٨ سورة الاعراف (٤) آية ٨٨ سورة غافر (٥) آية ١٢ من سورة محمد (٦) اية ١٥٧ من سورة الاعراف .

ولا حجة لديهم الا التعلل بما وجدوا عليه آباءهم وهى حجة أو هى من بيوت العناكب وان كانت دائرة مع الزمان والمكان حيثما دارا ، فالناس أسراء ما ألفوا وعبيد ما اعتادوا ، فلما انتقلت الدعوة الى المدينة ذر قرن الشر وتزعمه الذين كانوا يبشرون بصاحبها قبل ظهوره ويستنصرون به على أعدائهم وهو لا يزال غيبا من الغيب، فلما سطعت شمسه حاربوه حيث خيل اليهم أنه مقصيهم عن رياساتهم الزائلة فاشتروا الدنيا بالآخرة واستحبوا العمى على الهدى ، وهؤلاء لهم القدح المعلى فى قتال رسل الله وقتلهم منذ زمن ضارب فى أغوار التاريخ ، وما أحكم القرآن حين يصور مواقفهم من الرسول عامة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ((١)) ولا يستحيون أن يصموا أنفسهم بأقبح الاوصاف وأشنعها فما أهونهم على الله وما اجرأهم على الكذب (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ((٢)) وحين أوحى الى الصادق المصدق لما معهم لووا رءوسهم كبرا وعنادا وانكروا وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ((٣)) .

٦ — وظهر منهم فى المدينة عميد المنافقين عبد الله بن أبى فيفضحه القرآن ويعلن للناس أمره مفصحا عن مكنون قلبه الحاقد الجاحد لوحى السماء الخائن لما أؤتمن عليه من التوراه ، ويمضى مع شروره ، وتدور الايام وتطلع الشمس ذات يوم على شر منه على عبد الله بن سبأ ، فيسعى جاهدا فى تشتيت شمل المسلمين وتفريق كلمتهم وفصم عرى وحدتهم وتقع على يديه الآثمتين الواقعة ويراق الدم العزيز على الله وعلى رسوله ولا يجتمع المسلمون بعده أبدا ، ويمضى الفلك فى حركته الدائبة لا يتوقف ، ومع الاصباح والامساء يتوالى ظهور أعداء الاسلام وتتطور اسلحتهم بتطور الزمان وان كانت تتحد على هدف واحد هو هدم الاسلام والقضاء على المسلمين .

وايجازا للقول ندع ما مضى ونقرؤه تاريخا للعظة والعبرة وان كان الحاضر مرتبطا به ارتباط الوليد بوالده والنار بموقدها والصدى بمصدر الصوت ، ونجعل اهتمامنا منصبا على الواقع الذى يعايشنا وقد أخذ صورا وأشكالا جديدة من الحرب مستعملا الاسلحة التى تناسب تفكير عصر الذرة وتكافىء الاهداف ، أولئك هم الذين ابتكروا اساليب متعددة يخفونها طورا فى تكتلات سرية تنطوى على سم ناقع ، ويجهرون بها تارة أخرى بوجوه باسمة من ورائها أنياب تنهش ، ومخالب تفتك، وأحيانا يسمون انفسهم أساة وهم مصدر الجراح ، ويقولون نحمل اليكم نور المعرفة ولكن على طريقتهم الخاصة . النجاة لهم والدمار للاسلام ، عاشوا فى ديار المسلمين باحثين منقبين عن الدر الدفين فى تراثنا يمحون به جهالتهم ويطمسون معالم السلوك الكريم فى مدارجنا ، وحماة الدار نائمون قد قبعوا فى عقر دارهم متفرجين على المسرح من خصاص الابواب وليتهم يدركون حقيقة واقعهم فلا يدبرون الفتن ولا يزكون العداوات بين أقوامهم ، حتى لا تتفرق القوى الخيرة ايدى سبأ ولا تتمزق شذر مذر — والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) اية ٨٧ من سورة البقرة . (٢) اية ٨٨ من سورة البقرة (٣) اية ٨٩ من سورة البقرة .



الخلاف في رسم المصحف قديم
هل يمكن تغيير الرسم حسب قواعد الإملاء المعروفة؟

للاستاذ محمود غنيم

لا اظن موضوع الرسم العثمانى للمصحف من الموضوعات الشائكة التى لا ينظر المتحرجون الى وضعها على بساط البحث بعين الارتياح . اننا ندين كل الدينونة بتقديس القرآن الكريم ، ولكن ما هو القرآن الذى ندين بتقديسه ؟ انه كلام الله تعالى المنزل على نبيه الكريم ، هذا الكلام ينبغى أن يقرأ كما انزل دون ان يمسه تحريف أو تصحيف ، أما طريقة الرسم الذى يؤدى به النطق على الصورة المطلوبة فليست فيما نعتقد من التقديس فى شىء ، فانما هى من وضع البشر، وعلى ذلك فهى خاضعة لقواعد الاملاء قديما وحديثا .

وليس الخلاف فى رسم المصحف ابن اليوم ، وانما هو خلاف قديم تمتد جذوره فى باطن التاريخ الى زمن سحيق بين رجال الدين انفسهم ، فريق يقول بضرورة المحافظة على الرسم العثمانى،

دون أن يبدى لذلك سببا معقولا ، وفريق يقول بتطور رسم المصحف طبقا لتطورات الكتابة ، وما يستبنط لها من قواعد من شأنها التيسير على الكاتبين والقارئين .

وقد رأيت ان أعرض لهذا الموضوع وتطوراته عرضا يلم بأطرافه من جميع نواحيه ، لأنه وثيق الصلة بأقدس مقوم من مقوماتنا الدينية واللغوية والقومية ، وأعني به القرآن الكريم ، حتى نسلط بعض الأضواء على هذه المسألة تمهيدا لاعادة النظر فيها من جديد : أتبقى على ما هي عليه ، أم يتخذ فيها اجراء آخر ؟ .

وقد عرض لي هذا الموضوع عندما كنت أضع كتابا عن المرحوم حفنى ناصف بتكليف من بعض دور النشر . أما صلة حفنى بهذه الموضوع فهي من أوثق الصلات ، ولعل كثيرين من قراء القرآن الكريم فى مختلف أرجاء العالم الاسلامي لا يعلمون أنهم مدينون بضبط المصحف الشريف ، ورسمه بالصورة التي هو عليها الآن لهذا الرجل العظيم ، الذى مضى على وفاته ما يقرب من نصف قرن (١٨٥٥ — ١٩١٩) وقد شاءت المقادير أن يقوم بتصحيح آخر تجربة من تجارب طبع المصحف ، وهو على فراش الموت .

وتتبدىء قصة رسم المصحف من عهد كتابة الخليفة عثمان بن عفان له فى القرن الأول الهجرى ، أو فى النصف الأول منه ، وتنتهي بتجديد هذه الكتابة نفسها على يد حفنى ناصف وزميليه (١) فى القرن العشرين ، أو فى أوائله ، بعد أن كادت معالم الرسم العثماني أن تنطمس آثارها ، لكثرة ما شاع فيها من الأخطاء والتحريفات بتوالي الطبع على مر الزمان فى مختلف البلدان ، حتى خيف من تسرب البلبلة والاضطراب الى خير كتاب عرفته الانسانية جمعاء .

حينئذ قامت وزارة المعارف المصرية فى ذلك العهد بتكليف المرحوم حفني ناصف مراجعة كتابة المصحف ، والقيام بتصحيح ما فيه من أخطاء ، ولم يكن أمر هذه المهمة من الهنات الهينات ، فقد سلخ من عمره فى انجاز هذا العمل زهاء سبع سنوات من ١٩١٢ الى ١٩١٩ م . ثلاث منها قبل احالته الى المعاش ، وأربع بعد الاحالة . والى هذه المهمة يشير فى البيت الأخير من قصيدته الرائية المشهورة التي بعث بها الى حسين باشا رشدى رئيس الوزارة اذ ذاك ، طالبا مد أجل خدمته ، والتي مطلعها : —

صاحب الدولة يا شيخ الوزارة
حاجتي ان شئت تقضي باشارة

ويقول فى آخرها : —

ليس عندى ضيعة تكفل لي
رزق أولادى ولا عندى تجارة

ان أولادى على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب بارة

أبقني بضع سنين ريثما
يقدر الأكبر أن يؤوى صغاره

او الى أن ينتهى ما فى يدى
وهو — ان تم — فخار للنظارة

والبيت الأخير هو الذى نعنيه ، فهو يشير بقوله « ما فى يدى » الى عمله فى ضبط المصحف .

وقد اقتضاه هذا العمل أن يبحث عن قواعد الرسم العثماني وأصوله ، فوفق الى ذلك بعد مجهود كبير .

---

(١) اختار المرحوم حفنى ناصف لمساعدته فى هذا العمل العالمين الجليلين الشيخ احمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى .

الرسم العثماني للمصحف

وكانت جملة ما قام بتصحيحه من الأخطاء بعد تطبيق هذه القواعد التي استنبطها تربو على مائتي غلطة املائية .

اما هذه القواعد نفسها فقد ضمنها كتابا خاصا قائما بذاته ، الا أنه مما يؤسف له أن هذا الكتاب قد ضاع فيما ضاع من آثاره ، ولكن من حسن الحظ أننا عثرنا بمحض الصدفة على المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب فيما عثرنا عليه من مخلفاته . وفي هذه المقدمة يعرض لقصة رسم المصحف عرضا تاريخيا مفصلا ، ويسرد مبررات ضرورة العودة الى الرسم القديم ، ويرد على المعارضين بكل ما وسعه من منطق واقناع . الأمر الذى يدل على أن المسألة كانت موضع خلاف مستحكم بين العلماء .

وقد كنا نود أن نسجل هذه المقدمة بنصها ، ولكننا ـ تجنبا للتطويل ـ آثرنا أن نشير الى أهم ما ورد فيها من النقاط الجوهرية التي تتصل بصميم الموضوع ، محتفظين لأنفسنا بحق التعقيب على بعض هذه النقاط .

بدأ حفني مقدمته بقوله « جاء في حديث عائشة وفاطمة رضي الله عنهما : أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يعارض (١) النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة في شهر رمضان مرة واحدة وفي السنة الأخيرة من حياته عارضه مرتين ، فأحس بدنو أجله » .

وقد كتب القرآن بعد العرضة الأخيرة زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، ومعاذ ، وغيرهم من أكابر الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ولكن الوحي لم ينقطع ، حتى قبض عليه الصلاة والسلام ، فألحق الكاتبون ما نزل أخيرا بما كان عندهم .

في عهد الخلفاء

ثم انتقل الى المرحلة التي سلكها موضوع تدوين القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فأشار الى أنه عقب توليه الخلافة ارتد من ارتد من العرب عن الاسلام ، وادعى مسيلمة النبوة في اليمامة وتبعه بنو حنيفة ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد لقتالهم على رأس جيش من المقاتلين المسلمين ، وفي أثناء دوران رحى المعركة بين الطرفين استحر القتل في القراء ، حتى بلغ عدد من مات منهم في هذه المعركة زهاء (٧٠٠) رجل . ولما عرف عمر ذلك ارتاع ، وخشي على القرآن الضياع اذا استحر القتل في بقية المعارك ، كما استحر في هذه المعركة ، فتكون النتيجة القضاء على البقية الباقية من حفاظ القرآن ، فيذهب منه بذهابهم الشيء الكثير ، وحينئذ بادر أبا بكر ، وأشار عليه بجمع القرآن ، فاستصوب أبو بكر رأى عمر وبعث من فوره الى زيد بن ثابت ، وقال له « انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن لتجمعه » فصدع زيد بالأمر ، وجعل يتتبع القرآن من صدور الرجال ، ومن الرقاع ، والأضلاع ، وقحوف السعف ، حتى أتم جمعه ، أو كاد .

يقول زيد « ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار ، وهي « من المؤمنين رجال

---

(١) معنى المعارضة أنه يقرأ والآخر يقابل عليه .

صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فألحقتها فى سورتها ، ثم فقدت آية أخرى ، فاستعرضت المهاجرين والأنصار أسألهم، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت ، وهي « لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. الآيتين » فألحقتها فى آخر السورة ، ثم عرضته على نفسي عرضة ثالثة ، فلم أجد فيه شيئا » .

ومعنى أنه لم يجد الآية أنه لم يجدها عنده مكتوبة فيما سبق أن كتبه فى حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع كونه يحفظها ، فمعنى أنه وجدها عند الأنصارى أنه وجدها مكتوبة ، لأن زيدا كان يهمه أن يطلع على الكتابة ، اذ كان فيها علائم مخصوصة تدل على أوجه القراءة التي أذن بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأقرأ بها وفود القبائل من العرب من فك وادغام وامالة وتفخيم واشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق

قال عليه الصلاة والسلام « نزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » قيل انها لغات قريش وكنانة وأسد وهذيل وبني تميم وضبة وقيس، وهم الذين انتهت اليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدخيل ، وبذلك تم جمع القرآن كله فى الصحف مشتملا على الأحرف السبعة ، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

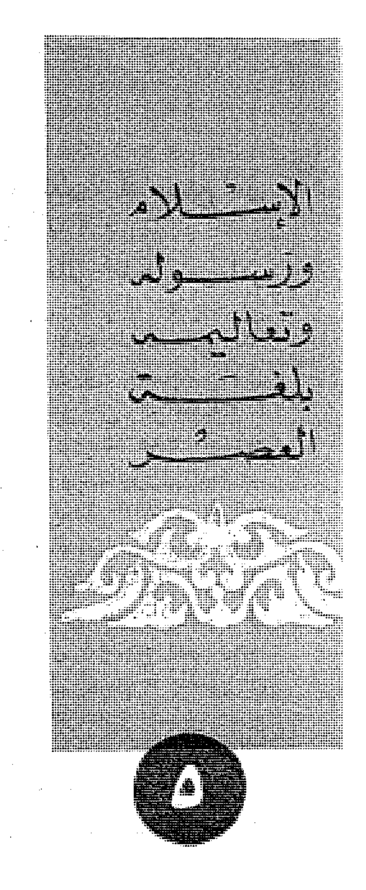
ثم انتقل حفني فى مقدمته الى مرحلة تدوين القرآن فى خلافة عثمان بن عفان ، وهي أهم المراحل التي سلكها هذا التدوين ، فأشار الى أن حذيفة بن اليمان قدم عليه ذات يوم فزعا ، وكان قد سار مع جيش من المسلمين للقتال فى ارمينية ، وقال « يا أمير المؤمنين ، اني سمعت الناس اختلفوا فى القراءة ، حتى والله اني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، فما كنت صانعا — اذا قيل هذه قراءة فلان ، وهذه قراءة فلان ، كما صنع أهل الكتاب — فاصنع الآن » .

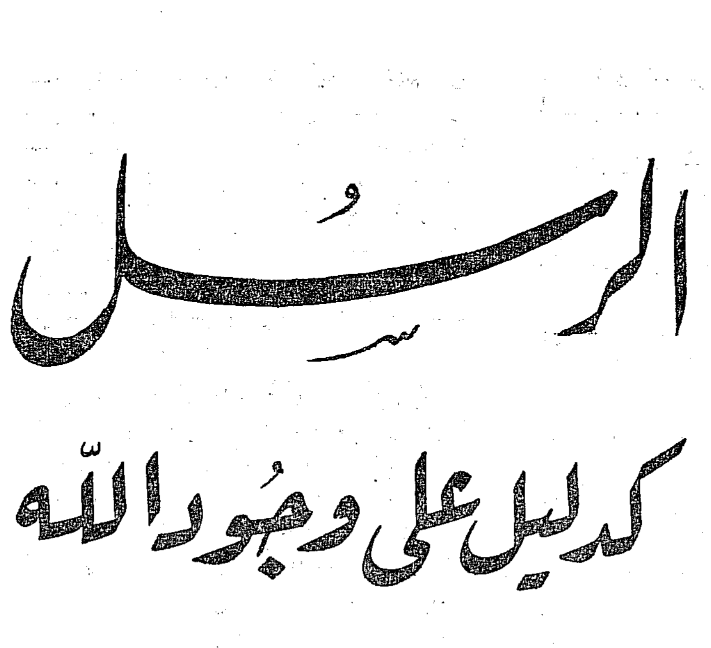
ولم يكن عثمان خالي الذهن من أمر هذا الاضطراب قبل حديث حذيفة بن اليمان ، بل كان قد بلغه طرف من هذا الاختلاف بين المعلمين فى المسجد يقول أحدهم « قراءتي خير من قراءتك » ويقول الآخر « اني رويت هذه القراءة عن فلان عن فلان » ، ويتمادون فى الخلاف الى حد المقاتلة ، ولا يسلم أحدهم بقراءة الآخر . وحينئذ وجد عثمان نفسه أمام حادث جلل لا بد أن يتخذ فيه اجراء حاسما ، فجمع الناس ليشاورهم فى الامر ، وكان عدة من اجتمع بهم زهاء اثنى عشر الفا ، وقال لهم « بلغني ان بعضهم يقول . « قراءتي خير من قراءتك » وهذا يكاد يكون كفرا ، فماذا ترون ؟ قالوا . « فماذا ترى ؟ » قال . « ارى ان يجتمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فيه فرقة واختلاف » قالوا : « فنعم ما رأيت » .

فارسل من فوره الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ، فارسلتها اليه ، فاستدعى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير ،وعبدالرحمن ابن هشام ، وقال لهم « انسخوا هذه الصحف فى مصحف واحد » وقال للنفر القرشيين . « ان اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش ، فانه نزل بلسانهم » فصدعوا بأمر الخليفه ، واخرجوا للناس اربعة مصاحف كلها مكتوبة بخط زيد ، واملاء القرشيين ، وليس فيها أية علامة من العلامات التي كانت فى الصحف قبل ، لتدل على الاحرف السبعة ، فأرسل منها مصحفا الى الكوفة ، وآخر الى البصرة ، وثالثا الى الشام ، وامسك عنده واحدا ، وامر بتحريق كل الصحف والمصاحف التي كانت من قبل .

وقد اقره على ذلك الصحابة —

البقية على ص ٢٣





للاستاذ احمد حسين ـ المحامي

اذا كان التحليل المنطقي قد انتهى بنا الى انه لا فكاك للعقل من التسليم بوجود سبب يعلو على الاسباب ، وان هذا الوجود لا يمكن ان يكون الا من خلق اله واحد قديم حي حكيم عادل رحيم فان العقل لا يلبث ان يتساءل ، لماذا لا يكشف هذا الاله عن نفسه للانسان ، ويكون على صلة دائمة به .

وحقا ان كل ما حول الانسان من وجود يكشف عن الله وقدرته ، ابتداء من أدق الاحياء واصغرها حتى أعظم الاجرام السماوية وأبعدها ، ابتداء من الزهرة ذات الالوان الجميلة المبهجة ، والاريج العطر المنعش، حتى القمر المتعدد الاوجه، والشمس المحرقة ، والسماء المرصعة بنجوم لا حصر لها ، ابتداء من الطيور فى الهواء والاسماك فى الماء ، وكل ورقة شجر تسقط ، وكل حبة رمل تذروها الرياح ، حتى الليل والنهار والخسوف والكسوف .. كل شيء من حول العقل يجرى على سنن وبنواميس أخفى من الخفاء ، تدل على انها صنعت بمعرفة حكيم قدير .

ولقد ظن أقوام أنه بقدرتهم أن يفسروا كل ظواهر الطبيعة الخارقة ، من دوران القمر حول الارض ، ودوران الاثنين معا حول نفسيهما وبقية الكواكب الاخرى حول الشمس ، وانطلاق المجموعة الشمسية بأكملها هي والوف الملايين من امثالها فى الفضاء اللانهائي ، فلا يختل عقدها ، ولا تبطىء سرعتها ولا يصطدم ، بعضها ببعض ، ظن أقوام أنهم بمجرد ان يتلفظوا بكلمة الجاذبية ، وأن قانون الجاذبية هو الذى يفصل ذلك كله ، أنهم كشفوا السر وحلوا اللغز ، ولم يعودوا فى حاجة للايمان بالله ، ناسين أنهم قد استبدلوا بكلمة الله الجاذبية ، فعزوا الى هذه الكلمة الخفية كل اسرار الكون وعجائبه ، وجعلوا من هذه الجاذبية السبب الاول القديم والحكيم الفعال ، متناسين ان مكتشف قانون الجاذبية نفسه وهو اسحق نيوتن قد حذر من هذا الوهم ، وكان من اشد الناس ايمانا بالله ، ومن أعظم الدعاة للايمان به حيث يقول لنا :

« لا تشكوا فى الخالق لانه لا يعقل ان تكون الضرورة وحدها هي قائدة هذا الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وزمان ، لا يتصور ان يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات ، ولا فى هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب اجزائه

وتناسبها من تغيرات الازمنة والامكنة ، بل ان كل هذا لا يعقل ان يصدر الا من كائن أزلى له حكمة وارادة » .

ثم يمضي نيوتن وهو الذى اكتشف علاقة الاجرام السماوية فيما بينها ، ولماذا تدور فى افلاكها فيقول :

« من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لكي تدور هذه الكواكب حول الشمس أن توجد يد الهية تدفعها على الخط المماس لداراتها ، ومن الجلى الواضح أنه لا يوجد سبب استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث اى تغيير يذكر ، فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه » .

ويختتم نيوتن الذى يعتبر أعظم عالم عرفته البشرية فى القرون الحديثة بحثه بقوله :

« ان نظام الكون يدل على وجود اله حكيم منزه عن الجسمانية حي حكيم موجود فى مكان ما يرى حقيقة كل شيء فى ذاته ويدركه اكمل ادراك » (١)

وكان يجب عندما يتكلم كاشف قانون الجاذبية عن أن وجود هذا القانون فى الطبيعة هو فى حد ذاته برهان على وجود الله الذى نظم الكون على هذه النواميس ، أن يسكت كل متشدق بأن قانون الجاذبية يغنينا عن الايمان بالله ، ولكن هكذا شاءت حكمة الله ان يمد للانسان فى حرية الجدل وحرية الاختيار ، ليكون ذلك أساسا لمسئوليته .

فالكون والوجود كله من حول العقل اذن يكشف عن وجود الله وقدرته ، فأى مصنوع دليل على وجود صانعه ، وكلما عظم المصنوع ودق ، كلما عظم الصانع ، ولكن العقل الانساني وهو نفحة من روح الله ، متطلع ابدا ، متشوق ابدا للمعرفة الكاملة ، واليقين الثابت ، ولذلك فانه مع اقراره بأن الوجود من حوله يكشف عن خالقه ، فانه يظل يتساءل ، لماذا لا يتصل الله بالانسان اتصالا مباشرا ، لماذا وقد زود الله الانسان بالروح والقلب الواعي والعقل المفكر ، لا يخاطب الانسان خطابا مباشرا ، ليوجهه ويهديه ويرشده الى طريقه ، بدلا من أن يتركه نهبة للشك والقلق والضياع . بل ان الماديين والملحدين ليتخذون من هذه الحجة بالذات دليلا على انكار وجود الله — يقولون لو كان الله موجودا وهو الذى خلق الانسان لما تركه بدون هداية وارشاد .

وهكذا نرى أن الايمان بالله العادل الرحيم يستتبع على الفور بعثة الرسل ، ليبلغوا البشر عن وجوده ، وليرشدوهم الى سبيله ، وليبينوا لهم ما يرضاه وما لا يرضاه لهم من أعمال ومعتقدات .

ولما كان الله حقا كما قدمنا ، فان رسله حق كذلك ، فقد بعث الله بالفعل من بنى البشر أشخاصا يهدون الى سبيله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقودون بني الانسان الى طريق الله .

فمن هم هؤلاء الرسل ، وما هي سماتهم ، وما هو السبيل للتحقيق من صدق رسالتهم ، وكيف يثبتون بمحض حياتهم وسيرتهم وأعمالهم وجود الله حقا وصدقا ، وانه هو الذى أرسلهم وكلفهم بأداء ما اضطلعوا به من رسالات ؟

وجريا على ما التزمناه من منهاج حتى الآن وهو أن لا نسوق القول بصيغة تقريرية ، وانما نتلمس السبيل اليه من خلال الاقناع عن طريق المشاهد والمتعارف عليه والثابت من تجارب الانسانية ، فسوف نستعرض حياة نموذجين من هؤلاء الرسل ، وهما المسيح عيسى ابن مريم ، ومحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه) محاولين عن طريق الاستقراء اثبات رسالتيهما ، الى ان نعود فيما بعد للتحدث عنهما كجزء من تعاليم الاسلام ومبادئه الواجب اعتقادهما على كل مسلم .

العباقرة من البشر

تقول لنا المعارف الانسانية المتراكمة بين أيدينا عن تاريخ البشرية ، أنه قد ظهر فى كل

---

(١) من كتاب « فى الايمان والاسلام » للمؤلف .
والايمان الصحيح ينزه الله عن التحيز فى مكان . « الوعي »

جيل ، وفى كل جماعة وفى كل أمة ، نفر من البشر يمتازون بالتفوق فى ضرب من ضروب النشاط الانساني ، ما بين رؤساء وزعماء وقواد وملوك وغزاة فاتحين من ناحية ، وما بين حكماء ومفكرين وفلاسفة وكتاب وشعراء وفنانين من ناحية أخرى ، وبعض هؤلاء الاعلام لم يؤثر الا فى محيطه الضيق ، والبعض الاخر تعدى أثره الى دائرة اوسع .

هذا النفر من اعلام البشر ممن يطلق عليهم اسم الابطال ويوصفون بالعبقرية ، يقول عنهم العلم الحديث ـ الذى يحاول أن يضعف كل شيء وأن يحلل كل شيء ويخضعه للتجارب العملية ـ انهم يجيئون ثمرة ناضجة لبيئتهم وعصرهم ، وتعبيرا عن النوازع والتيارات السائدة فى أيامهم ، فهم حصيلة الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات. فما من فيلسوف أو عالم أو مخترع أو قائد أو زعيم وفنان ، من أى طراز كان ، الا ويمكن تحليل العناصر التي أدت الى نبوغه وتفوقه وسلوكه الطريق الذى سلكه ، وما على الانسان الا أن يبحث عوامل الوراثة ليضع يده على مصدر الموهبة او الاستعداد الطبيعي ، ثم عليه بعد ذلك ان يتتبع النابغة أو البطل فى حياته ، ماذا تعلم ؟ ماذا قرأ ؟ بمن تأثر ؟ ما هي الحوادث التي تعرض لها ؟ لكى يضع يده على العوامل التى كونت البطل .

فالبطل العبقرى، لا يعدو ان يكون نتيجة حتمية للمقدمات التي تكون منها ، انه مجموعة الارصدة والحسابات والمعادلات التي تتالف منها بيئته واسلافه .

انطواء الابطال فى بطون الكتب

وقد ترتب على أن أى بطل من الابطال ، هو نتاج عصره ، ومن صنع بيئته ، أن لا يكاد هذا العصر يطوى ، والبيئة تتغير حتى يصبح هذا البطل او العبقرى فى خبر كان ، فلا يعود له أثر يذكر فى الحياة الا باعتباره اسما او حادثا من حوادث التاريخ ، وما علينا الا أن نتساءل اليوم : كم من البشر البالغ عددهم اليوم ثلاثة آلاف مليون قد سمع عن اسم ارسطو أعظم عقل بشرى عرفته الانسانية ؟ والذين سمعوا باسمه هل يزيد ما سمعوه عنه شيئا فوق أنه كان فيلسوفا فى بلاد الاغريق ..

والقلة النادرة من الاساتذة التي تعرف كل شيء عن ارسطو ، هل فيهم من يحاول أن يكيف ابسط تصرف فى حياته على هدى ما كان يفعل ارسطو ؟ كأن يلبس كما يلبس ، أو يأكل كما كان يأكل ، فضلا عن أن يتزوج او يطلق على مذهب ارسطو وتعاليمه .

لو أن انسانا فعل ذلك لاعتبر مجنونا .. على الرغم من أن ارسطو قد وصف بأنه المعلم الاول ، وذلك لانه ذهب وراحت أيامه ، واذا كان هذا شأن ارسطو وافلاطون فكم بالاحرى يكون الموقف بالنسبة لمن هم دونهم شهرة ومكانة .

الحق أن أعلام التاريخ مهما عظم شانهم ، ونبه قدرهم ابان حياتهم ، فانهم لا يكادون يموتون .. وينطوى عصرهم ، حتى يدخلوا الى زوايا النسيان بالنسبة لجماهير الشعب العريضة، وينعدم كل أثر لهم فى تسيير الحياة اليومية لبنى البشر ، ولا يعودوا يؤلفون سوى ذكرى بالنسبة للعدد القليل من الدارسين والباحثين والمنقبين، وقد يحتلون سطوراأو صفحات وربما فصولا كاملة فى بطون كتب التاريخ ، ولكنهم بالرغم من ذلك كله لا يعدون أن يكونوا ذكريات .

استثناء من القاعدة

على انه من بين هذه الالوف من العباقرة الذين جر الزمان عليهم ذيول النسيان ، ينفرد بضع نفر يعدون على أصابع اليد الواحدة ، لا يزالون يؤثرون فى الحياة اليومية لمئات الملايين من البشر على الرغم من انقضاء عشرات القرون على انقطاعهم عن هذه الدنيا ، والمشاهد والملحوظ أن هذا التأثير يتضاعف كلما تباعد الزمن بهم ، بل أن اعجب من ذلك ، أن أى انسان يلوذ بهم ، يأخذ بدوره نصيبه من التأثير والسلطان على

بني البشر (١) ، وبهذا خالف هؤلاء الناموس الاجتماعي لبنى الانسان ، وهو أن يزول تأثير أي انسان بمجرد موته ووفاتـه .

وثمة ظاهرة أخرى بالنسبة لهذا النفر ،يشذون فيها بدورهم عن القاعدة التي يخضع لها سائر الابطال والعباقرة ، والتي تقول انهم ثـمرة بيئتهم ، وحصيلة العوامل الوراثية والظروف المكانية والزمانية ، التي فرضت عليهم القيـام بما قالوا به .. وانجاز ما انجزوه من أعمال .

فالباحث المنصف الامين لتاريخ هذا النفر ، يذهله عظم المفارقة بين ظروف ولادتهم وما ورثوه او تعلموه وتلقنوه ، وبين ما دعوا اليه وحققوه ، واثروا ولا يزالون يؤثرون به على كل تفسير أو تعليل علمي ، انهم اشبه ببراكين روحية أو زلازل انسانية لا مقدمات لها أو طلائع، او ارتباط بعصرها ومن هنا أثروا ويؤثرون وسيظلون يؤثرون على جماهير البشر العريضة ما بقيت السماء سماء ، والأرض أرضـا .

عيسى ابن مريم

ولعل عيسى ابن مريـم او كما يطلق عليـه ((المسيح)) أول نموذج يساق للكشف عنخصائص هذا النفر من البشر فهو على ما تقول الاناجيل ، وهي الكتب المعتمدة بين اتباعه ، قد ولدته أمه في احدى قرى فلسطين (بيت لحم) منذ ١٩٦٦ سنة ثم هربت به الى مصر خوفا من حاكم فلسطين ، ولم تلبث ان عادت بعد موت هذا الحاكم الـى أرض فلسطين ، وذلك هو كل ما نعرفه عن طفولة المسيح ، وفجأة تحدثنا الانجيل عنه وقد أشرف على سن الثلاثين يدعو الى سبيل الله ، ويصف الله بأنه حب كله ورحمة كله ، ويدعو الى الزهد والتصوف وترك العنف ، والاخلاد للسلام والاخوة البشريـة .

وقد جاءت هذه الدعوة الانسانية على نقيض كل المفاهيم التي كان يغص بها العالم اليهودى الذى خرج منه المسيح ، أو العالم الرومانـي الذى كان يحكم فلسطين .

ويقول علماء المسيحية ، ان مدة دعوة المسيح مذ شرع يكرز في جبال فلسطين وأوديتها ، حتى صعد الى الرفيق الاعلى ، لم تتجاوز العامين ، وأن تلامذته أو حوارييه الذين تابعوه على دعوته لم يزد عددهم على اثنى عشر حواريا ، لم يلبثوا أن نقصوا واحدا خان المسيح ، وباعه الىاليهود الذين كانوا يبحثون عنه لاعدامه بيد السلطات الرومانية .

والسؤال الان : أى سر ينطوى عليه هـذا الانسان الذى لا يعرف عنه شيء ، ومع ذلك فلا يكاد يفتح فاه ببعض الحكم والمواعظ ، حتى ترتج الدنيا لما يقول ، بحيث يؤثر على البشرية في هذين العامين اللذين دعا فيهما بدعوته بما لم يؤثر به الملوك والاباطرة والامبراطوريات كلهـا في قرون وقرون من السنين .

بأى سر وبأية قوة خفية ، تحول هذا النفـر من صحابة المسيح والذين كان بعضهم نجارا ، والاخر صيادا ، والثالث راعيا .. كيف تحول هؤلاء البسطاء الى قادة للبشرية ، وأصحـاب السلطان على القلوب اولا ، والعروش والتيجان ثانيا . بحيث يزيد اتباع المسيحية اليوم على تسعمائة مليون نسمة في العالم أى ما يقرب من ثلث سكان العالم .

ولا يجد الماديون ما يفسرون به هذا السر ، الا أن قصة المسيح كلها ليست سوى اسطورة من نسج الخيال ، وينسون انهم بهذا القول قـد زادوا الامر تعقيدا ، فلماذا كانت هذه الاسطورة من بين سائر الاساطير هي التي حظيت بكل هذا الاهتمام من البشر وأثرت كل هذا التأثير ؟ ... وبأى سر استطاعت هذه الاسطورة أن تقضى على كل ما عرف البشر قبلها من اساطير ، وتتربع هي على عرش القلوب والارواح ، لماذا استطاعت هذه العقيدة أن تقتلع مـن النفـوس العقائـد السابقة عليها ؟ .

ومرة أخرى يحاول الوضعيون والماديون ، أن يجدوا لهم مخرجا، فيحدثونا عن شخصية المسيح غير العادية ، وقدرته على استهواء الجماهير ، بما في نفسه من قوة الايحاء وعندنا أن ذلك كله تفسير للماء بعد الجهد بالماء ، فلماذا كانللمسيح هذه الشخصية الطاغية التى تؤثر على الملايين

(١) اعظم الناس شهرة وتأثيرا بعد الرسل ، هم حملةرسالتهم .

بعد موته ؟ .. لماذا كان هو من دون البشر أجمعين صاحب هذه الشخصية وصاحب هذا التأثير ؟ .

محمد بن عبد الله

وما يقال عن عيسى ابن مريم يقال عن محمد بن عبد الله ، الذى لا يعرف عنه قبل الرسالة الا أنه طفل عربى يتيم مات أبوه ، وهو لما يزل فى بطن أمه ، ولم تلبث أمه أن خلفته فى الحياة ولما يتجاوز بضع سنين ، فكفله جده عبد المطلب الذى لم يلبث أن مات بدوره فأخذه عمه تحت رعايته ، فنحن ازاء طفل وصبى وشاب قد رضع اليتم فى كافة صوره وأشكاله ، ولم يكن له من عمل بعد أن شب عن الطوق الا أن يرعى الغنم ، ثم اشتغل مع عمه فى التجارة وكان كالاغلبية الساحقة من قومه لا يعرف القراءة أو الكتابة ، ولم يكن فى مكة مسقط رأسه كبير حضارة او مدنية ، فانما هي حياة فظة خشنة جاهلية ، تصل الى حد ان يقتل الرجل ابنته ، وتعبد فيها أوثان قبيحة الشكل والمنظر . فاذا بمحمد بن عبد الله يطلع على هذه البيئة ، بل على الانسانية كلها بمبادىء وتعاليم لا تزال البشرية بكل دعاويها وغرورها عاجزة حتى الان عن تحقيقها ، فلا يزال التمييز العنصرى قائما وسط أرقى مجتمعاتها ، حيث دعا محمد بن عبد الله الى التآخى بين البشر لا فضل لعربى على عجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى .. وحيث لا تزال البشرية تغص بالاحقاد والشرور والمفاسد ، جاء محمد يدعو الى السلام والمحبة والاخاء بين البشر على اختلاف اديانهموجنسياتهم والوانهم منذ قرون ..

ولا يكاد يرسل دعوته ، حتى يعنو لها الزمان ، وتستسلم الحوادث ووقائع الدهور ، فتتوحد الجزيرة العربية التى لم تعرف قبل أيامه معنى الوحدة ، وتتداعى عروش القياصرة والاكاسرة كما لو كانت من قش أو ورق أمام وهج الدعوة الاسلامية ، وان هو الا قرن واحد من الزمان (حيث احتاجت المسيحية الى أربعة قرون) حتى كانت الدولة الاسلامية تمتد من حدود الصين الى ساحل المحيط الاطلسى ، حيث يرتفع صوت المؤذن خمس مرات كل يوم شاهدا بأن الله واحد ، وأن محمدا رسول الله.. واليوم وبعد أن زال سلطان المسلمين العسكرى والسياسى ، لا يزال الاسلام يبث تعاليمه ويتملك النفوس والارواح ، حتى ليناهز معتنقوه (٥٠٠) خمسمائة مليون من البشر .

ومرة أخرى يعرض السؤال نفسه ، بأى سر وصل محمد بن عبد الله ، العربى الامى الى كل هذا الاثر فى حياة البشرية ، لماذا استطاع دون غيره من كل من سبق أو لحق من العباقرة والاعلام ، أن يفرض سلطانه الروحى على الدول والجماعات والملوك والسلاطين لا أثناء حياته ، ولكن بعد أن مات وتوالت عليه القرون .

على كل متشدق بالعلم التجريبي والفلسفة الوضعية والنظريات المادية أن يقول لنا ، لماذا لم يكن فى البشرية كلها الا عيسى ابن مريم واحد ، ومحمد بن عبد الله واحد ، لينفردا بهذه الخاصية .. خاصية طبع البشرية بطابعهما وتكييف حياتها على أساس من تعاليمهما .

أهم آلهة ؟

لقد تقبلت جماهير الشعوب احد التفاسير التى قال بها غلاة المحبين والتابعين لهذا النفر من أعلام البشر من أنهم فى الحقيقة ليسوا سوى الله بذاته ، وقد تجسد على الأرض فى صورة انسان .

هكذا قال البوذيون المنحرفون عن رجلهمالعظيم بوذا بعد موته (١) ، فاقاموا له الهياكل والمعابد وانشأوا له النصب والتماثيل حيث يعبد فيها

(١) سنعرض لموضوع بوذا والديانة البوذية فىابحاثنا القادمة .

عبادة ويقدس تقديسا ، ويتقرب له بالصلاة والدعاء والقرابين .

وكما قال المسيحيون عن عيسى ابن مريم ، فصاغوا له هذه الدعوى العجيبة ، من أنه ابن الله وقد أرسله الى الارض ، ليتألم ويعذب ويرفع على الصليب ليفتدى البشر ، ويكفر عن خطيئة آدم .

ولم يحل دون تأليه المسلمين لمحمد بن عبد الله بعد موته الا أن آيات القرآن جاءت تترى تؤكد بشريته ، وأنه عبد الله ورسوله ، ولم يدع الرسول صلوات الله عليه مناسبة من المناسبات، الا وراح يغرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه ، حتى قال لرجل راح يرتجف فى حضرته من فرط هيبته « هون عليك فانا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

فلولا هذا الصدق والنور الذى حمله محمد لجماهير المسلمين لفتنوا به كما فتن الذين من قبلهم ، ولاعتبروه الها وعبدوه من دون الله .

فلا معدىاذن امام الباحث الدارسلشخصيتي عيسى ومحمد وانفرادهما بهذا الاثر الذى أحدثاه ويحدثاه فى البشرية، أن ياخذ بهذا التفسيرالعامي الشائع من أنهما الله ، أو أن ياخذ بتفسير الصادق الامين سيدنا محمد ، من أنهما بشر كبقية البشر ، ولكن الله اصطفاهما كما اصطفى بضع نفر من قبلهما لابلاغ رسالته للعالمين .

هل يمكن الا أن يكون محمد بن عبد الله صادقا

وهل يمكن أن يكون سيدنا محمد الذى احدث كل هذا الذي احدث ، والذى جاء بدين يهيمن على كل الاديان السابقة عليه ، واخرج مئات الملايين من البشر من ظلام الشرك والوثنية الى نور التوحيد والايمان ، وحمل لبنى الانسان قرآنا عربيا تعبد به الناس ويتعبدون وسيظلون يتعبدون به الى قيام الساعة ، أيمكن ان يتصور العقل أن فاعل ذلك الخير كله يمكن الا أن يكون صادقا امينا ؟ الحق أنه لا يمكن الا أن يكون الصدق ذاته وما هو فوق الصدق ، فاذا قال انه قد تلقى وحيا من رب العالمين وأنه جاء الى الناس كافة لابلاغ رسالة الله ، فمن الذى يستطيع ان يقول ان ذلك كله كان كذبا ومينا وخداعا ووهما واستغلالا لاهواء الجماهير الا أن يكون ملتاث العقل والضمير ، أعمى العينين والقلب ، مريض النفس والجسد . ان الكذب هو الصفة التي ينفر كل طبع سليم من الاتصاف بها ، وأى انسان مهما انحط شأنه يغضب اذا وصف بالكذب ، فأعجب لمن يتطاولون على أعلى ذرى الكمال الانساني ، ليصفوا قوله بالكذب ، والحقيقة تشهد ، والله يعلم أنهم هم الكاذبون مهما غلفوا أقوالهم بمعسول الاقوال ، وادعوا العلم ونزاهة البحث ، وفلسفة التجريب ، والعلم والنزاهة والتجربة منهم براء ، وليست هذه الاقوال الحارة التي تختلف عن اسلوبي ومنهجي فى البحث الا ترجمة متواضعة لما عبر به كاتب غير مسلم ، وهو الانجليزىالشهير توماس كارليل ، عندما ثار فى وجه قومه من المتعصبين ضد الاسلام ونبى المسلمين ، فقال لهم فيما قال فى كتابه « الابطال » (1)

« لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء العصر ، أن يصغى الى ما يقال من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا ، أفيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق

(1) كتاب الابطال — ترجمة محمد السباعي

الله هذا الرواج ، ويصادفان مثل هذا التصديق والقبول ، فما الناس اذن الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الا تخلق » (١) .

وعندنا أن كارليل كان يجب أن يمضى فى منطقه الرائع حتى نهايته ويرد عليهم بمنطقهم ، فلو أن محمد بن عبد الله بكل مجده وبهائه ، كان كاذبا فيما ادعى من أنه رسول رب العالمين ، ومع ذلك انطلى خداعه وكذبه على كل هؤلاء الملايين الذين آمنوا به بعد وفاته ، فما الذى يضمن أن لا يكون ذلك شأن رسل المسيح الذين أبلغوا رسالته الى شعوب الدنيا ؟ !!

ان الشك فى صدق محمد ، يستتبع على الفور الشك فى أى انسان آخر فلم يعرف البشر انسانا بلغ قدر محمد ، وانهيار رسالة محمد يستتبع على الفور انهيار كل رسالة اخرى ، فقضية الرسل جميعا هي قضية واحدة اما أن تقوم أو لا تقوم ، وهو ما حرص الاسلام فى تعاليمه على تقريره ، كما سنرى فابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى وغيرهم من النبيين الذين نعرف أسماءهم وما لم نعرف ، كلهم جاءوا بالحق والنور المبين ، أما الخلافات والانحرافات ، فهي من صنع البشر غيرالمعصومين ، وقد جاء الاسلام ليصحح الاخطاء التى تردى فيها بعض البشر ، وليجلى الحق الذى قال به الانبياء والرسل من قبل ، ومن هنا حق للاسلام كما سوف نرى ، أن يكون خاتم الرسالات كلها ، لأنه جاء كاشفا عن جوهرها الواحد ، ودعوتها الحقة .

وليس الآن مجال الاستطراد فى هذه الناحية ، وحسبنا أن نصل الى ختام هذا البحث من أن ما يتطلبه العقل من اتصال الله الخالق بالبشر عن طريق بعثة الرسل ، قد تحقق بالفعل ، وأشرق فى سماء الانسانية بضع نفر من الاعلام ، أعلنوا أنهم رسل رب العالمين ، وقد أيدتهم الحوادث وصدقتهم الأيام ، وتهيأ لهم من السلطان الروحي على نفوس البشر ، ما لا يشاركهم فيه انسان آخر ، فحق الايمان بهم وتصديقهم فى كل الذى قالوه وبشروا به ، فليس من المستساغ أن يصدق بعض الذى قالوا ، ولا يصدق البعض الآخر ، وليس من المقبول أو المعقول ، أن يصح كلامهم فى جزء ولا يصح فى البعض الاخر ، فهو لا يمكن الا أن يكون صحيحا كله ، وصدقا كله .

فاذا طلبوا منا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يستتبعه ذلك من بعث ونشور وحساب وجنة ونار فقد وجب الايمان والتصديق بذلك كله ، ما دام القائل بذلك من أهل الثقة الذين شهد الزمان بصدقهم .

ونحسب أن موضوع الايمان بالملائكة لا يثير كبير صعوبة فى فهمه وادراكه .

وكذلك الايمان بالرسل السابقين ، وقد رأينا كيف أن الايمان ببعضهم يستتبع حتما الايمان بالآخرين من حيث أن القضية واحدة ، وكذلك الشأن بالنسبة للكتب ، أو بالأحرى التعاليم التي جاء بها كل رسول ، كل ذلك لا يثير صعوبة فكرية من أى نوع كان ، لأنه تطبيق لمنطق الاشياء .

وانما تبدأ الصعوبة الفكرية بعض الشيء ، عندما يدور الايمان حول اليوم الآخر ، وما يستتبعه من بعث ونشور بعد الموت وحساب وجنة ونار ، مما يوصف بالغيبيات التي يتعين على المؤمن أن يصدق بها ، دون أن يلتمس الدليل العقلي على ثبوتها ، وعندنا أن هذا القول ان جاز بالنسبة للاقدمين ، حيث كان علمهم محدودا .. فهو لم يعد جائزا فى عصرنا الحديث ، حيث انكشف لنا من العلم ، ما يجعل موضوع البعث والنشور بعد الموت مسألة تكاد تلمس باليد ، وتثبتها التجربة كما سنبين ذلك فى مقالنا التالي ان شاء الله .

---

(١) اذ اننا نبيح لانفسنا ان ننقل بعض العبارات عن الكتاب من غير المسلمين فذلك لانه أبلغ فى الدلالة من ناحية فالفضل ما شهدت به الاعداء .

بقية الرسم العثماني للمصحف



رضوان الله عليهم ، حتى قال علي بن ابى طالب ــ كرم الله وجهه ــ . « لو وليت لفعلت فى الصحف الذى فعل عثمان » .

وقد امر بعد ذلك بكتابة مصحف لاهل المدينة ، وآخر لاهل مكة ، وثالث لاهل البحرين ، ورابع لاهل اليمن . وقد نقل الجعبرى عن ابى على ان عثمان امر زيد ابن ثابت ان يقرىء بالمدينة ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وابا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن عبد قيس مع البصرى ، ولم يعرف من بعث مع اليمنى او البحرانى ، ولهذا انحصر الائمة الخمسة فى السبعة الامصار .

قال الجعبرى . « والاعتماد فى نقل القرآن على الحفاظ ، ولهذا انفذهم الى اقطار الاسلام للتعليم ، وجعل هذه المصاحف اصولا ثوانى حرصا على الانقاذ ، ومن ثم ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه فى الاكثر »

ويفهم من كلام الجعبرى ان بين المصاحف شيئا من الاختلاف فى الرسم ، وهو صحيح ، ولم يكن غرض عثمان ــ رضي الله عنه ــ منع الناس من قراءة القرآن بالقراءات المروية بالتواتر ، وحملهم على الاقتصار على لغة قريش ، وتضييق ما وسعه الله على عباده من الاذن لنبيه بأن يقرئهم على الاحرف السبعة تسهيلا لهم ورحمة بهم ، بل غرضه الضرب على ايدى من يتشبث بما وصل اليه ، ويحجر على الناس القراءة بما وصل اليهم ، ويقول . « قراءتي صواب وقراءة غيري خطأ » ووضع حد ثابت لقبول الروايات ، فكل رواية لا تنطبق على مرسوم المصاحف العثمانية يضرب بها عرض الحائط ، ولا يجوز القراءة بها ، ولذلك قال ابو محمد مكى . « لقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف ، فكأنها منسوخة بالاجماع على خط مصاحف عثمان » .

ولو كان عثمان امر باتباع حرف واحد لما جاز لنا ان نخالفه ، فان عرفنا عينه اخذنا به ، وان لم نعرفه اقتضت قاعدة الحظر والاباحة عدم جواز القراءة بأى حرف كان ، اذ لا حرف الا وهو محتمل ان يكون غير مراد ، فهو محتمل للمنع .

وما ظهرت هذه المصاحف الا وقد تقاطر عليها الناس لنسخها ــ كما هي ــ من غير تغيير فى شيء ، حتى الحروف المخالفة لاصول الرسم القياسى .

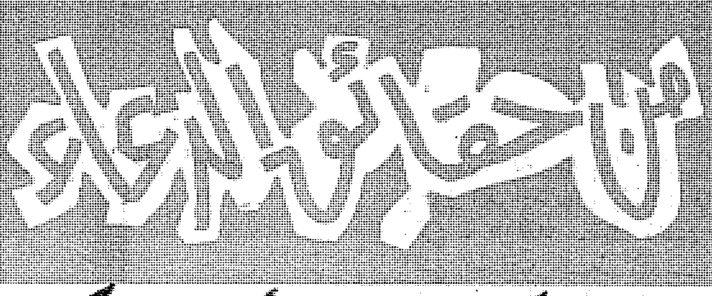
وكانت الكتابة فى ذلك العهد خلوا من نقط الاعجام ومن الشكل بأى طريقة كانت ، فكانت مصاحف عثمان كذلك ، وكان المرجع فى القراءة الى المقرئين الذين انفذوا الى الاقطار ومن تلقى تلقى عنهم .

وأول من وضع الشكل ابو الاسود الدؤلى بطلب زياد بن سحية ، عامل معاوية ، فوضعه نقطا حمرا فوق الحروف وتحتها وعن يمينها .

وأول من وضع نقط الاعجام نصر بن عاصم الليثي مستعينا بأستاذه يحيى ابن يعمر العدواني بطلب الحجاج عامل عبد الملك بن مروان .

وأول من غير النقط الحمر الى الحروف الصغيرة الخليل بن احمد الفراهيدى بعد انقراض دولة بني امية .

ومن هذا نعلم ان مصاحف عثمان كانت صالحة لان تقرأ على اوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها ، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الاوجه دون بعض ، وبسبب تعدد الروايات تعددت القراءات .



وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

يقول عمر رضي الله عنه ، أنا لا أحمل هم الإجابة ، وانما أحمل هم

كلام أصيل نفيس ، فليس كل دعاء مجابا ، فمن الناس من يدعو أن يأخذ الله ذلك الذى يزحمه فى سوق المنافسة على العيش ، أو ذلك الذى يسبقه الى قلوب الرؤساء ، ومرضاة السادة ، وكل دعاء من هذا القبيل لا يجاوز الى الله شفتي قائله ، فالدعاء مخ العبادة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وليس من العبادة أن يستدبر الانسان وجه الله ويزهد فيما عنده ، ثم يدعوه بمثل هذا الدعاء الباطل .

الدعاء مخ العبادة ، أى سرها ، ورحيقها .. وحقيقة الدعاء : انها ذلك الشعور الرقيق ، الذى تقبل به على الله فى صفاء ، تعلن به عبوديتك له ، واعترافك به ، وحاجتك اليه ، وعجزك بين يديه ... حاجتك الى المزيد من كمال النفس ، وعزائم الخير ، ومنازل الصدق .. وعجزك عن مجاهدة النفس ، ومدافعة أسباب الفتنة والغواية ، لتقوى به على ما تريد من العصمة والسير على مناهج الحق .

ذلك الشعور الرقيق الذى يقبل بجوارحك كلها على الله ، ما ظهر منها وما خفي — هو مخ العبادة ، أى حقيقتها ، وخلاصة نورها .. لأنك باقبالك هذا عليه ، انما تدعوه بكل ما فيك . تدعوه باشراق الذهن ، وشوق السريرة ، ونبض القلب ، وخلجة العاطفة .. وهى حال لا تكون معها شخصا مؤلفا من لحم ودم ، بل أنت — اذا — وجدان راق يسرى فى ضمير الكون ، ويمتزج بما فيه من أسرار الجمال والقوة والخير ، وتكون بها أقرب ما تكون الى الله ... ويكون الله أقرب ما يكون اليك ... وسواء عليك فى هذه الحالة أدعا لسانك بما تريد ، أم أكننته فى نفسك ، فالله سبحانه مجيبك الى ما هتفت به سريرتك اليه من خير .

الدعوة سهم من سهام الله ، فاذا نزعت عن جوانح ناظرة الى الله ، راغبة فيما عنده لم يكن لها سوى عرش الله محل ... أوى عمر يوما الى كومة من الرمل بعد أن أجهده الطواف والسعى فى مصالح المسلمين ، فلما وجد مس



للاستاذ البهي الخولي

الدعاء، فاذا الهمت الدعاء كانت الاجابة معه

الراحة على الرمل قال ((**اللهم قد كبرت سنى ، ووهنت قوتى ، وفشت رعيتي فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفتون ، واكتب لى الشهادة فى سبيلك ، والموت فى مدينة رسولك**)) . . .

فخبرنى بربك أى شىء فى هذا الدعاء تنظر اليه معدة عمر أو جيبه أو شهوته الدنيا ؟ . . انها الهمم الرفيعة ، والنفوس الكبيرة أبت أن تتقوم آمالها بشيء من عرض هذاالادنى ، كثيرا كان أم قليلا . . هذا الرجل الكبير لم يقل هذا الدعاء الناصع الرائع ، وهو فى أعماق عزلة من الناس ، أو صومعة فى رؤوس الجبال فارا اليها من معترك الحياة ، وانما قاله وهو يسوس الشرق والغرب ، وهو مجهد من السعى فى مصالح المسلمين .

ماذا يرجو عمر من الله ؟ انه يشكو اليه ضعف قوته ، وثقل اعبائه ، ويدعو أن يعصمه من الفتنة ، وتضييع الرعية . . . وأى فتنة لمن هو فى مثل موقفه ، والمال بين يديه ، يكال بالكيل ، ولا يحصى بالعدد ، والجاه والنفوذ فى اشارة من اشاراته ؟ ! . . وهل يفتن امرؤ فى مثل هذا الا أن تراوده الدنيا بالمال عن نفسه وهمته ومثله العليا ؟ أو أن يطيش حلمه ويسفه رأيه بما معه من الجاه ، فيدل على الناس بجاهه وعزة منصبه ، وتروج لديه سوق الرياء والنفاق والملق الوضيع ؟ . . وهل تضيع الرعية الا بهذين ، أو واحد منهما ؟ .

وأخيرا فهو يسأل الله الشهادة فى سبيله ، والموت فى مدينة رسوله . وان فطنتك ورهافة حسك لمدركة جمال العناية فى الشهادة فى سبيل الله ، ومدركة صفاء تلك العاطفة حين تسيل حبا وحنينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا لم يسمع الله الى خلجات تلك الجوانح ، وهمسات هذه السرائر فلمن يسمع ؟ . . أيسمع للملحدين المطموسين ، الذين لا يدرون من سر وجودهم شيئا ،



أو يســمع لأولئك الغافلين المتمرغين فى أوحال المادة والمنافسة عليها ؟ .

تلك جوانح شف عنها الغطاء ، ففدت مقادير الله تلقى عليها ما يشبه الظلال ، أو الضياء .. فلا تلبث أن تستحيل فى فطرتها الصافية الى مشاعر ملهمــة ، تنطق اللسان أو تلهمه أن يدعو الله ، فاذا الدعاء ترجمة لتلك الظلال ، وارهاص بما شاء الله من مقادير .. وحين يتردد الصــدى بين مقاديــر اللــه ، وجوانح المؤمنين ، ويعمر الافق بما بين هذين الطرفين الكريمين من تجاوب ، فهى ساعة الاجابة ، وهى ساعة الهام الدعاء ، وهى ما يقول عنه عمر « فاذا الهمت الدعاء كانت الاجابة معه » .

وكل انسان يستطيع أن يدعو ، ولكن العبرة ليست بالدعاء ، بل بالشــعور الباعث على الدعاء ، وهو شعور تهتف به الجوانح ، عندما يسطع عليها ظل من ظلال المقادير الموشكة ، وليس فى طوق بشر أن يصنع ذلك الشعور ، لانه ليس فى طوق بشر ان يتصرف فى ظلال تــلك المقادير ، وهو ما عناه عمر بقوله « أنا لا أحمل هم الاجابة وانما احمل هم الدعاء ... » فالاجابة قرينة الدعاء لا محالة .. ولكن أنى لنا بالقدر الذى يلهم الدعــاء ويحفز اليه ؟ ذلك ما يحسب له عمــر الحساب كله .

وما دامت الهمة منوطة بحوافز الدعاء ومثيراتــه ، فالسبيل الى هذا الدعــاء الصالح أن تستقبل وجه الله فى كل شيء ، وفى كل حال ، ولا تنظر الا الى ما عنده من مثوبة وكرامة ومنزلة .. ذلك فى نظر الناس سيرة طيبة ، وهمة عالية ، وخلق فاضل عاطر ، ولكنه بالنسبة لك رقى فى منازل الكمــال ، وتنقيــة وتهذيب ، فيغدو لك مع أسرار هذا الوجود تجاوب .. لا أقول تعلم الغيب ، ولكن أقــول : تجاوب رقيق عميق ، به الهام ومشاعر طيبة مباركة ، تنهض الى خير العمل ، وتوحى بأطهــر النيات ، وتلهم الكلــم الطيب ، والدعاء الصالح ...

لا يكون صاحب هذه السريرة بشرا مغلقا مطموسا ، تمر به نفحات هــذا الكون وأسراره ، كما تمر النسمة الرقيقة بالصخرة الصماء ، بل قلبا هينا لينا ، وبصيرة مستقبلة متأثرة متجاوبة ، فهو ممتزج بالوجود ، والوجود ممتزج به .

ولكن ماذا فى هذا الامتزاج والتجاوب؟

فيه أشياء كثيرة لا نعرض لهــا الآن فى هذا المقام . ولكن من هذه الاشياء أن الاحداث بخيرها وشرها حين تقع له ، لا تقع منه موضع المفاجأة . لا لأنه كان يعلمها من قبل ، بل لأن امتزاجه بروحها وسرها الغامض جعــل نفسه فى مقــام التهيؤ لكل طارىء ، فلا يطير به الفرح اذا طالعه ما يسر .. ولا يحطمه الحزن اذا نابه ما يسوء ، وذلك من جلال الخلق وعظمة النفس .. وأحب أن أرقى بك الى غير هذه فأقول ان اتصال سريرتك بروح هذا الوجود ، وامتزاجها بسره ، قد يدق ، ويلطف ، ويزداد حتى يزداد أنسها بالقدر الذى يسوء ، فاذا هو فى نفسك نعمة مرجوة ، وطلبة منشــودة تسألها الله فى دعاء حار ..

من منا يا أخي يحب أن يطعن فى بطنه بخنجر طعنات قاسيات ، تمزق أحشاءه حتى ينذلق منها الطعام والشراب ؟... هذا الحادث القاسى الذى تقشعر منــه الابدان ، كان جنينا فى ضمير قدر مــن اقدار الله التي خبأها لعمــر . ولكــن

امتزاج عمر بحقيقةالوجود ونفوذ أسراره الخفية الى نفسه الملهمة ، كان منه أن سطع هذا القدر فى أشراق حلو على قلبه ... لم تكن صورة هذا القدر واضحة لمفهوم معين ، ولكنه كان اشراقا حلوا هتفت به الجوانح وترجمه اللسان « اكتب لي الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » دون أن يدور بخلده على أى صورة يكون هذا الاستشهاد ..

نموذج آخر : النعمان بن مقرن

واستمع الى نموذج آخر ممن طهروا جوانحهم من أن تلصق بها أوساخ المادية، ذلك « النعمان بن مقرن » يستعمله عمر على ناحية اسمها (كسكر) يجمع الزكاة من أهلها ، وهي شيء كثير ، وليس على النعمان فى ذلك رقيب ولا أمير ، ولا عمر الذى تنأى به المراحل والمفاوز عن (كسكر) .. فهو وحده الذى ينظر فى مال الناس ، ليفرض على كلٍّ ما يشاء من الزكاة . ان شاء استوفى وبالغ ، وان شاء طفف وترك .. وليس معه دواوين ولا دفاتر تحفظ ما يأخذ وما يدع ، ولا هو يعطيهم على نفسه وثائق بما أدوا من حقوق الله .

رأى النعمان ذلك ، ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له وتراوده ، فاستعصم وتماسك ونأى بجانبه .. ولكن المال الذى لا حارس له استمر يطرق على قلبه فى اغراء وغواية .. ويستعيذ النعمان بالله من هذه الفتنة الملحة التى ألقاه عمر فى تيارها فكتب اليه « **يا أمير المؤمنين ان مثلي ومثل (كسكر) كمثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، واني أنشدك الله لما عزلتني عن (كسكر) ، وبعثتني فى جيش من جيوش المسلمين ...** » .

وكم كان بودى لو أقمنا طويلا على هذا المثل نتأمل عمق العبرة فيه ، ونقارن بينه وبين حال كثيرين من اولئك الذين فرغوا من حساب الشرف ، والخلق ، والكرامة ، ليخلص لهم المال قذرا ملوثا بأبشع ما يقشعر له الضمير من جرائم الضعة ، وامتهان القيم الرفيعة ، ونرى النكسة البشعة التى أصابت الانسانية فى خلقها ومثلها العليا .. فهذا الرجل القديم لو أخذ واختلس وخان لما أحس أحد أخذه واختلاسه وخيانته .

ولن تكلفه الخيانة مع ذلك أن يصانع أحدا ، أو يحتال لها فى اخفاء أمره ، بل كانت تتم بأيسر مؤونة دون أن يأبه لها أحد ، أو يرتاب فى أمرها انسان ... ولكنه يرفض الرذيلة لذاتها ، لا لخفائها عن أعين الرقباء .. ثم انظر الى مرامى همته . فهو يطلب الاقالة من عمله ، لا ليخلد بعدها الى الراحة والعافية فى عقر داره ، بل طلب أن يبعث الى جيش من جيوش المسلمين ! !

كان بودنا لو نطيل المقارنة هنا ، لنظهر الفرق بين تلك الكواكب الدرية ، وهذى الخنازير الجرباء التى تدأب الدهر فى القاذورات تدهدهها بأنوفها ، ولكن شاهد العبرة ينتظرنا عن قريب ، ويعجلنا عما نريد من كل ذلك .

لقد أعجب عمر بهذا الضمير الذى لا يريد لصاحبه أن يعيش لصا ، وبتلك الهمة العالية التى نبذت مساومة المال الى ميدان المصاولة والنزال .

ورأى عمر ببصيرته أن تلك النفوس المطهرة ، الموصولة حقا بنور الله ، خليقة بأن ينزل عليها الله سبحانه نصره ، ويختارها مظهرا لكرامته فى خلقه .. فكتب اليه أن يسير الى « نهاوند » وأن يكون أميرا لجيشها ..

أنظروا أيها القراء بعد ذلك الى هذا القائد القدوة ، كم كانت تساوى الحياة فى هذه الارض لديه ؟ **لقد قال لجنده : انى سأهز الراية ثلاثا ، أما الاولى فليقض الرجل حاجته وليجدد وضوءه .. وأما الثانية فلينظر الرجل شسع نعله ، ويرم من سلاحه .. فاذا هززت الثالثة فاحملوا .**

البقية على ص ٣٧

التوكل على الله

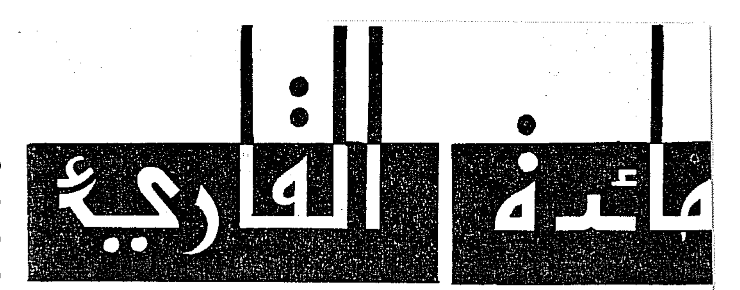
ليس التوكلُ سُبْحةً وهِراوة ومرقّعه
ولحى تطول وصيحةً بين الخلائق مُفْرِعَه
وتماوتاً وتعارضاً وبطالةً مُتَسكِّعه
ويدا تُمد بذلةٍ وبنبرةٍ متفجعه
لكنه عملٌ إذا ما دامَ أثمرَ منفعه
عمل يصون مروءةً ويقيك من عارِ الضعه
يجد الكدوحُ لنفسه عيشاً به ولِمَنْ مَعَه
من أسرةٍ يُعْلِي بها بَيْنَ البرايا أربُعَه
إن الشعوبَ أساسها أسرُ تجنب مَضْيَعَه
والفردُ يبذلُ جهدَه في معملٍ او مزرعه
منه التسببُ أولاً بمواهبٍ متنوعه
وعلى الالهِ نجاحُه ان جدَّ فيما أزمعه
هذا توكلُ مؤمنٍ الله - حقاً - شرعه
لا من يمنى نفسَهُ وينامُ في ظل الدعه
مترقباً ما لا يكون ولا يحققُ مطمعه

للاستاذ المدني الحمراوي
وزارة العدل المغربية ـ الرباط

الا بسعيٍ مفلـــــحٍ وبهمـــةٍ مترفعَــــه
فالله زود عبـــدَه خيرَ الأداةِ ومتعَـــة
إن كانَ أحسـنَ صرفهـــا أجـدى عليـه وشجعَــه
وإذا تجاهـــلَ سرهَــا كانَ التحسـرُ مرجعَــه

★ ★ ★

يامـــن توكل قاعـــداً احـــذرْ هواكَ ومرتَعَـــه
واعمـلْ فقـد أوتيتَ منَـا لاينبغِـــى ان تدفَعَـــه
عقـــلاً يدلك نـــورُهُ وجوارحـــاً لك طيعَــــه
فاذا عَمِلـــتَ فقد أصبْـــتَ من التوكلِ موضعَـــه
وإذا قنعت بمنيـــةٍ لم تغـدُ إلا إمَّعَــــه
رضـــى الهـوانَ لنفســهِ ولقومِـــه وتجرعَــــه
ونفَــى مزيـــةَ نوعِـهِ ونفىَ الحِجىَ اذ ضيعَـــه
فكفاك أنك ناشـــزٌ يبغـــى لعقـل مصرعـــه
يحـي بفكرٍ ميــــتٍ كالماشـــياتِ بأربعَــــه



الفكر والحق

الحق يحيا بالقوة ...
والقوة تحيا بالتدبير ..
والتدبير يولد الفكر ..

أمانــة

مر عبد الله بن عمر على راع يرعى غنم سيده فأراد أن يمتحنه .

قال له : هل من جزرة .

قال الراعي : ليس ها هنا ربها .

قال عبد الله : تقول له . ان الذئب أكلها .

قال الراعي : اتق الله .

فسر ابن عمر واشترى الراعى من سيده وأعتقه ثم اشترى الغنم ووهبها .

فــن

قيل لعنترة : أأنت أشجع العرب وأشدهم ؟ .

قال : لا .

قيل : فلماذا يقول عنك الناس هذا ؟ .

قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجـم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا الا أرى منه مخرجا ، واقصد الضعيف الجبان فأضربه ضربة يطير لها قلب الشجاع فانثنى عليه فاقتله .

أصناف الرجال

قال الخليل بن أحمد :

الرجال أربعة :

١ ـ رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك هو العالم فسلوه .

٢ ـ ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك هو الناسى فذكروه .

٣ ـ ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك هو الجاهل فعلموه .

٤ ـ ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك هو الأحمق فابغضوه .

سبيل المجد

قدم الأحنف الكوفة فى أيام مصعب ابن الزبير فرآه رجل أعور قصيرا دميما أحنف الرجلين فقال له : يا أبا بحر بأى شيء بلغت فى الناس مـا أرى فوالله ما أنت بأشرف قومك ولا أجودهم .

فقال الأحنف : يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه .

قال الرجل : وما هو .

قال : تركى من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمرى ما لم تتركه .

قصيدة قديمة

ألهى بنى جشـم عـن كـل مكرمـة ... قصـيدة قالها عمـرو بن كلثـوم

يفاخـرون بهـا مذ كـان أولهـم ... يا للرجال لفخـر غـير مسـئوم

ان القديـم اذا ما ضـاع آخـره ... كسـاعد فلـه الدهـر محطـوم

علم وعمل

قال يحيى بن خالد لشريك ــ علمنامما علمك الله يا أبا عبد الله . فقال له شريك . اذا عملتم بما تعلمون علمناكمما تجهلون . أى أنه لا فائدة للعلم بلا عمل . وان العمل بالعلم القليل ينميهويجعله كثيرا . فلا عبرة بكثرة العلم اذن وانما العبرة بان تعمل .

ويوشك أن يكون هذا هو معنىالحديث الشريف ((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)) .

حضارة الاسلام

قال الدكتور ((انسبانذ)) الايطالى فى كتابه ((الاسلام وسياسة الخلفاء)) ان الكرم العلمى والصدقة الفكرية صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا .

لباقة

أقبل أعرابى يطلب رجلا وبين يديه تين ففطاه بكسائه وجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال : نعم وقرأ ((والزيتون وطور سنين)) فقال الرجل وأين التين ؟ قال : هو تحت كسائك .

صناعات أبناء الملوك

روى ابو عمر بن عبد البر أن عبد الملك بنمروان قال يوما لبنيه يا بنى لو عداكم ما انتم فيه ما كنتم تقبلون عليه ؟

قال الوليد اما انا ففارس .

وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان

فقال ليزيد فأنت .

فقال والله يا امير المؤمنين ما تركا حظالمختار .

فقال عبد الملك فأين انتم يا بنى من التجارةالتى هي اصلكم ونسبكم

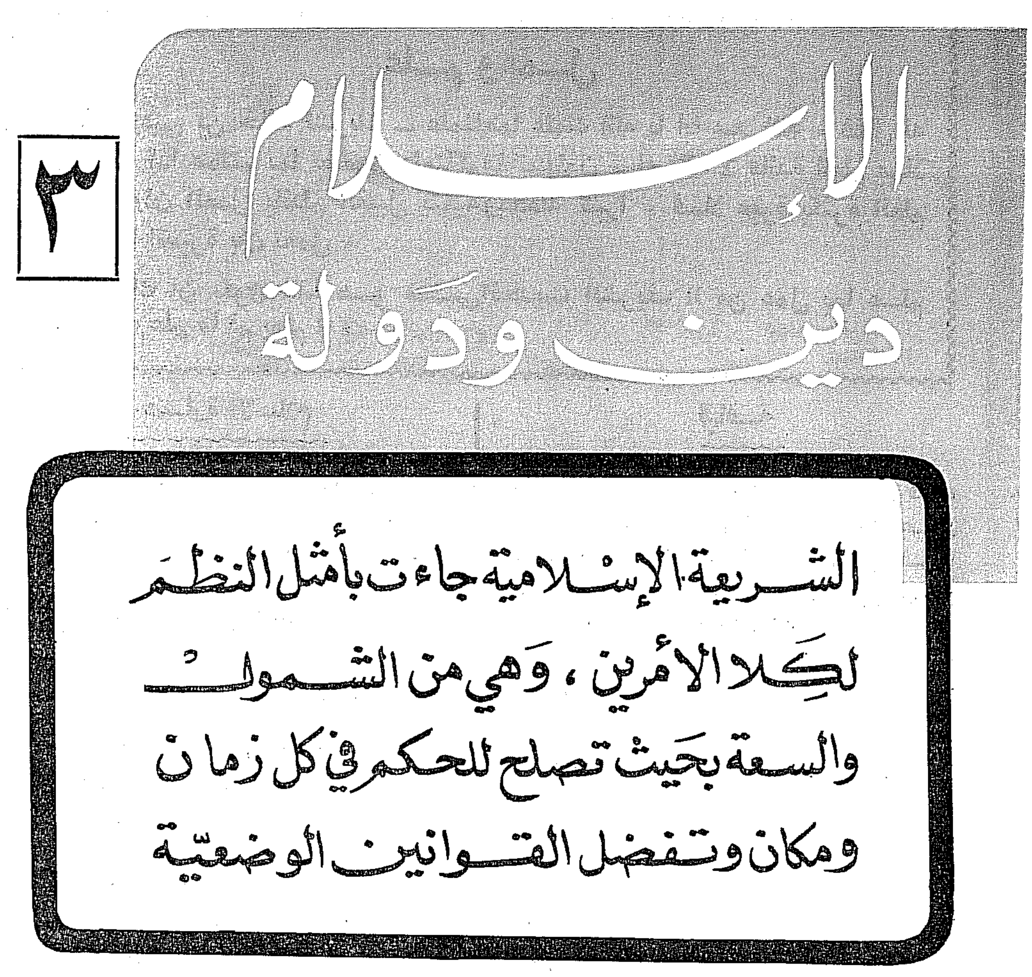
قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبةولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة الدهماء والرعية

فقال عليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكاسدتم وان كنتم وسطا رأستم وان اعوزتكم المعيشة عشتم .

رد مقنع

قال زياد لأبى الاسود الدؤلى لولاأنك قد كبرت لوليناك بعض اعمالنا فقال ان كنت تريدنى للصراع فليسعندى كفاية ، وان كنت تريد رأيى وعقلى فهما اوفر مما كانا .

وقيل لابى الاسود ايضا انت واللهظرف لفظ ، وظرف علم ، وظرف حلم ((أى وعاء لكل ذلك)) غير أنك بخيل ،فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه .



للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بمصر

تمهيد

بينا فى المقال الأول (١) كيف دخلت القوانين الوضعية البلاد العربية الاسلامية ، وكيف طغت على الشريعة الاسلامية وزحزحتها عن مكان الصدارة وحولتها مصدرا ثانويا .

وفى المقال الثاني (٢) تكلمنا عن مكانة الشريعة وتفوق الفقه الاسلامي على الفقه الوضعي مستدلين بأن معظم النظريات الغربية الحديثة مأخوذة عن شريعتنا . ثم تكلمنا عن دعائم الشريعة الاسلامية التي أهلتها لتفوق الاكتمال والتمييز بالسبق .

وها نحن نتابع البحث : ـ

أطوار التشريع الاسلامي

ولقد مرت الشريعة الاسلامية بعصور واطوار مختلفة .

أولها ـ طور التشريع :

ومدته ٢٣ سنة هي مدة البعثة النبوية ، ومصدر التشريع فيها الكتاب والسنة .

والطور الثاني :

طور الاجتهاد ويذهب البعض الى أن مدته ثلاثة قرون بعد لحوق المصطفى بالرفيق الأعلى ، وهو اجتهاد الصحابة والتابعين ، وفقهاء الأمصار ، وهنا ظهر مصدران آخران للشريعة هما : الاجماع والقياس . ويذهب فريق آخر الى أن الاجتهاد امتد الى القرن العاشر الهجرى. وعلى كل حال ففي القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة وضعت تلك الثروة الضخمة من الفقه الاسلامي ، حتى أنهم فرضوا المستحيلات وافتوا فيها وتبلورت المذاهب الفقهية المختلفة .

الطور الثالث :

وهو دور التقليد ، وقيل انه يمتد الى الآن ، ولم يخل من بعض المجتهدين كابن تيمية ، وهو ينتسب الى مذهب الامام احمد ، وابن حزم وينتسب أصلا الى الظاهرية .

وفى هذا الطور حيث قفل باب الاجتهاد ، رجع العلماء الى الفقه القديم فنقلوه ، اما فى مبسوطات ، واما فى كتب وسيطة ، أو فى كتب مختصرة ، سميت (بالمتون) واكتفى العلماء أخيرا بحفظها ، ثم اهملت المبسوطات .

وكان قفل باب الاجتهاد دون قفل باب الحوادث والاحداث ، فاضطر الناس الى التماس الحلول للمشاكل بالحيل . كالمحلل وغيره ، وباستيراد القوانين من الخارج .

الا أن هذا الطور هيأ الفرصة لظهور كتب سميت كتب الاختلاف «المقارنات» وهي مقارنة بين احكام المذاهب المختلفة ، ومن أهمها المغنى لابن قدامة ، والمحلى لابن حزم ، فوضعوا بذلك نواة علم المقارنات ، على انه فى هذا الطور أيضا تنبه بعض العلماء الى الخطر فى قفل باب الاجتهاد فنبهوا الى ذلك ، منهم ابن تيمية وابن القيم ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي .

والتقليد فى ذاته ليس معيبا ، بل قيل انه واجب على كل من لا تتوافر له شروط الاجتهاد ولا يقدر عليه ، لعدم تمكنه من الكتاب والسنة . وعلوم القرآن والحديث وقواعد الاستنباط للاحكام من اصولها ، وعدم تمكنه من اللغة العربية فالله يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ويقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

اما اذا كان المسلم قادرا على الاجتهاد فى فروع الشريعة ، فهل يجوز له تقليد غيره أو لا يجوز ؟

والآراء فى ذلك ثلاثة :

الأول : أنه يحرم عليه تقليد غيره ، ويجب عليه الاجتهاد والعمل بما يؤديه اليه اجتهاده ، وهذا المذهب يمثل روح الاسلام ، والحث على النظر ، والتأمل والحرية الفكرية والدينية ، ومن أصحاب هذا المذهب الشيعة الامامية والزيدية وابن حزم الظاهرى والدبوسى الحنفي حيث يقول (ان المقلد ملحق بالبهائم والتقليد باطل ، بدليل أن الله رد على الكفرة حجتهم فى تقليد الآباء) .

الثاني : انه يجوز للقادر على الاجتهاد أن يقلد غيره ، بشرط أن يقف على أدلة من يقلدهم من الائمة ويقتنع بها ، وممن قال به ابن زروق المالكي ، بل ان الائمة الاربعة أنفسهم قالوا بذلك ، فكان أبو حنيفة يقول « علمنا هذا رأى لنا ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو الصواب ، ولا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا » ـ وكان مالك يقول (انما انا بشر اخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فان وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافقهما فاتركوه) وكان الشافعي يقول « لا تقلدوني فى كل ما أقول وانظروا فى ذلك فانه دين » ويقول الامام أحمد بن حنبل « لا تقلدوني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الثورى وخذوا من حيث أخذوا » .

الثالث : وهو رأى ضعيف يجيز للقادر

على الاجتهاد التقليد دون أن يشترط عليه معرفة دليل الامام الذى يقلده .

الاتجاه الى القوانين الوضعية الأجنبية

ذكرت أن سبب ذلك قفل باب الاجتهاد، ووجوب ايجاد حلول لمشاكل الناس . وقد شرحنا فيما مضى الأسباب الظاهرة التي دعت لأخذ قوانيننا عن القوانين الأجنبية عام ١٨٧٣ م وما بعده الى الآن ، ثم عمت القوانين الوضعية بعد ذلك معظم البلاد العربية الاسلامية .

الا أن القيمة التشريعية للفقه الاسلامي بدت تظهر فى المحافل الدولية ، وان أهملها اصحابها ، من ذلك :

أولا — مؤتمر القانون الدولي المقارن :

انعقد بلاهاى بهولندا فى اغسطس ١٩٣٢ م وكانت الشريعة الاسلامية ضمن القوانين المقارنة فى حيز ضيق جدا ، وفى هذا المؤتمر أعلن الأستاذ « لامبير » تقديره الشريعة الاسلامية من الناحية الفقهية .

وقدم الدكتور على بدوى عميد كلية الحقوق بالقاهرة بحثا عن العلاقة بين الأديان والقوانين كوسيلة للتحدث عن التشريع الاسلامي ، وقد اهتم المؤتمر بعد سماعه بما للشرع الاسلامي من أهمية فى علوم القوانين الحديثة ، ووافق بالاجماع على اقتراح مؤداه أن يحدد فى المؤتمر فى دورته التالية قسم خاص لدراسة الشرع الاسلامي كمصدر للقانون المقارن .

ثانيا — انعقد نفس المؤتمر فى اغسطس سنة ١٩٣٧ :

ودعى لشهوده ممثلان للازهر الشريف هما الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن . وقدما بحثين احدهما عن المسئولية الجنائية والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام ، والثاني عن علاقة القانون الروماني بالشريعة الاسلامية وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات الآتية : —

١ — اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ — اعتبار الشريعة حية صالحة للتطور .

٣ — اعتبار التشريع الاسلامي قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

٤ — تسجيل البحث الأول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

٥ — استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دوراته المقبلة .

ثالثا — مؤتمر المحامين الدولي بلاهاى :

انعقد فى سنة ١٩٤٨ م واشتركت فيه ٥٣ دولة وقيل فيه الكثير عن الشريعة الاسلامية بمثل ما مر ذكره وأوصى مؤتمر المحامين الدولي بتبني دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة .

رابعا — جمعية القانون الدولي العام :

اعتبرت هذه الجمعية محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة الرائد الأول للقانون الدولي العام ، وألفوا جمعية باسمه (١) ، ومن مهام هذه الجمعية بحث وتحقيق ونشر مؤلفاته وفقهه ، واصبح لها فى الهند فرع، وكذلك فى الباكستان . ومن مؤلفاته كتاب السير الكبير عن المغازى والجهاد ، ونظم الحرب والسلم وعلاقات الدول فى كل من الحالين .

خامسا — أسبوع الفقه الاسلامي فى باريس سنة ١٩٥١ :

خصصت كلية الحقوق هذا الاسبوع كله للفقه الاسلامي ، وطلب القائمون على

(١) انظر فى العدد الخامس ترجمة وافية له ...

اعداد هذا الاسبوع الى علماء الاسلام ، تقديم بحوث معينة كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى ، اما البحوث الاسلامية التي عينت لما كان يحوطها من عدم الفهم من جانب علماء القانون الفرنسي وغيرهم فهي :

١ ــ اثبات الملكية .

٢ ــ الاستملاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

٣ ــ المسئولية الجنائية .

٤ ــ تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها البعض .

٥ ــ الربا فى الاسلام .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية واختتم اعمال المؤتمر بكلمة قيمة قال فيها (لا أدرى كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الاسلامية ، من عمق وأصالة ودقة وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث) وانتهى الاسبوع بالقرارات الآتية :

١ ــ مبادىء الفقة الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها .

٢ ــ اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الاعجاب ، ومنها يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة ، ثم انحى اعضاء المؤتمر باللائمة على فقهاء الاسلام فى العصر الحالى واصدروا التوصية الآتية وهي :

اخراج موسوعة للفقه الاسلامي تعرض فيها المبادىء والنظريات مبوبة تبويبا عصريا .

موسوعة الفقه الاسلامى

ومضت الايام ولم ينشط احد للعمل على تحقيق هذا الامل ، حتى اسست كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥ فأقبلت على تحمل هذا العبء وألفت لجنة تقوم بوضع الموسوعة وعملت حتى صدر المرسوم الجمهورى رقم (١٧١١) لسنة ١٩٥٦ م وينص على أن تصدر كلية الشريعة موسوعة « دائرة المعارف » غايتها صياغة مبادىء الفقه الاسلامى بمختلف مذاهبه ، وافراغها فى مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة ، بحيث تعرض مواد الفقه الاسلامى عرضا علميا حديثا ، يسهل الرجوع الى نصوصه للافادة منها الى ابعد حد ، ويرشد الباحثين الى مصادر هذا الفقه . وتألفت اللجنة الاولى من : الدكتور مصطفى السباعى ، والاستاذ السمان ، والاستاذ الزرقا ، والدكتور الدواليبى ، والدكتور العشى .

وبعد الوحدة بين مصر وسوريا صدر من رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرار جمهورى رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٥٩ م اضاف الى لجنة الموسوعة فى جامعة دمشق الاستاذ المبارك ، والاستاذ الكتانى ، والدكتور محمد زكى عبد البر ، ولما ان انشىء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦١ بتوجيه من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، واعلن عن فروعه ولجانه المختلفة ومن بينها لجنة لوضع دائرة معارف اسلامية ، واخرى لوضع موسوعة للفقه الاسلامى ، بينت اهدافها وجميع ما يتعلق بها فى المواد من (٢٩ ــ ٣٣) لما حصل ذلك وعلم به اهل سوريا حضر الى مصر بعض اعضاء لجنة الموسوعة بدمشق ، وجرت اتصالات لتوحيد الجهود ، وانتهت بالاتفاق على الابقاء على لجنة الموسوعة بدمشق ، واضافة آخرين من الاقليم الجنوبى هم بحسب ورود ذكرهم فى القرار الوزارى ، فضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهورى ، والمستشار على على منصور والدكتور عثمان خليل ، وفضيلة الشيخ على الخفيف ، وفضيلة الشيخ محمد ابو زهرة (القرار الوزارى رقم ٢٤ لسنة ١٩٦١) .

ثم أصدر وزير الاوقاف بمصر القرار الوزارى رقم ٢٣ لسنة ١٩٦١ بتسمية الموسوعة « موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامي » .

وقد انتهت اللجنة الى استخراج جميع المصطلحات الفقهية من المذاهب الفقهية الثمانية ، وهى : **مذاهب اهل السنة الاربعة، ومذاهب الشيعة الامامية والزيدية ، ومذهب أهل الظاهر ، ومذهب الاباضية** ، ورتبت ترتيبا هجائيا ، واصدرت اللجنة نموذجا لما ستكون عليه الكتابة فى الموسوعة عن بعض الالفاظ ، ومن القرارات التى اتخذتها اساسا للعمل :

١ ــ ان تكون الموسوعة مدونة ، ترتب موادها ترتيب حروف المعجم مراعى فى ذلك اول الكلمة والحروف التالية لها .

٢ ــ ان تكون اسماء كتب الفقه وابوابه موادا مستقلة توضع فى ترتيبها الهجائي .

٣ ــ ان تكون الموسوعة جامعة لاحكام المذاهب الفقهية الثمانية التى مر ذكرها مع اهدار الاقوال الشاذة ساقطة الفكرة .

٤ ــ ان يكون ايراد ادلة الاحكام فى حدود الاعتدال وبمقدار ما تستبين به وجهة النظر .

٥ ــ ان وظيفة الموسوعة ليست الموازنة بين الشرائع ولا بين المذاهب الفقهية ولا ترجيح بعض الاقوال على بعض ولا نشر البحوث والآراء . وانما وظيفتها جمع الاحكام الفقهية ، وترتيبها فى دقة وامانة بعبارة سهلة ، من المراجع التى تلقاها الناس بالقبول ، حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

٦ ــ ان يكون فى نهاية كل جزء من اجزائها فهارس للآيات والاحاديث والاعلام .

هذا وقد اصدر السيد المهندس احمد عبدة الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف فى ٦ مايو سنة ١٩٦٤ القرار الوزارى ١٩٢ سنة ٦٤ باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وتنص المادة ٢٨ منه على انه يجوز ترجمة الموسوعة الى اللغات الاجنبية .

وكان الدكتور محمد البهى وزير الاوقاف السابق بمصر قد اصدر قرارا وزاريا بوقف أعمال لجان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ومنها لجنة موسوعة الفقه الاسلامى لحين اعادة تشكيلها ، ولكنه لم يعد تشكيلها الى ان تغيرت الوزارة وعين المهندس احمد عبدة الشرباصى نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف وشؤون الازهر فكان من بواكير اعماله اصدار القرار الوزارى باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، واعاد تشكيل لجنة الموسوعة بالقرار الوزارى رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٤م واصبح رئيس اللجنة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر ، ونائب الرئيس الدكتور على بدوى والاعضاء فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ، والمستشار على على منصور ، والدكتور ضياء الدين صالح ، وفضيلة الشيخ على الخفيف وفضيلة الشيخ احمد هريدى ، وفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ، وفضيلة الشيخ احمد الفاضلى ، وفضيلة الشيخ محمود الحفناوى والاستاذ محمد سلام مدكور مقرر اللجنة .

ولجنة الموسوعة تهيب بأولى الامر وعلماء الاسلام فى جميع البلاد ان يمدوا اليها يد المعونة تحقيقا لهذا الامل وما فيه من خدمة جلى للشريعة الاسلامية .

الوعى الاسلامى :

حين ترحب بهذه الخطوات فى سبيل انجاز الموسوعة ترجو ان تتضافر كل الجهود والكفاءات الاسلامية لانجازها فى اقصر وقت ممكن . وترى من المناسب الاشادة بالموقف الكريم الذى وقفه مجلس الامة والحكومة بالكويت ازاء الموسوعة الفقهية . فقد طلب المجلس من وزارة الاوقاف العناية بموضوعها . ورحبت الوزارة بهذه الرغبة وادرجت فى ميزانيتها للعام القادم مبلغا لذلك ..

بقية من حقائق الدعاء



ثم قال : ولا يلوين أحد على احد .. وان قتل النعمان بن مقرن (يعني نفسه) فلا يلوين أحد عليه .. واني داع اللـه بدعوة ، فأقسمت على كل امرىء منكم لما أمن عليها : (اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح على المسلمين) .

فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة ، وارتجت جوانبه بالتأمين عليها ، وكان النعمان أول قتيل في المعركة وفتح اللـه على المسلمين ونصرهم في ذلك اليوم نصرا مؤزرا .

أرأيت كيف الهم النعمان الدعـاء ؟ وكيف كانت الاجابة معه ؟

انه القدر حضر والاجل معه ، فألقى ظلاله وأسراره على صفحة النعمان ، فاذا به يأنس للخطب ، واذا الانس يعظم في نفسه ويعذب ، حتى يستحيل الى نعمة منشـودة ، وطلبـة مرجـوة ، فيهتف بالشهادة ، وهو لا يعلم أنها على بعـد خطوات منه في يمين القدر ، ولكنه الدعاء الذى حضر والاجابة معه ؟ .

وأم المؤمنين

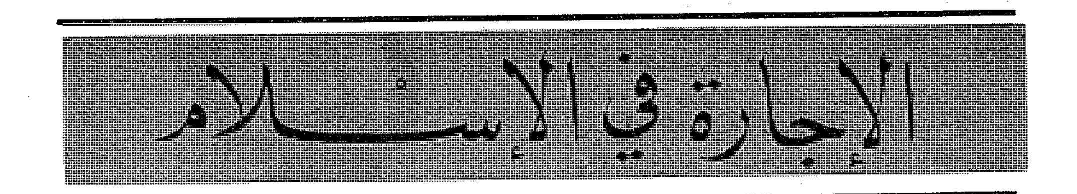
واليك مثالا ثالثا تتعزز به كلمة عمر .

أتي اليه رضى الله عنه بمال كثير ، فقال « **أيها الناس قد جاء مال كثير ، فان شئتم أن نكيل لكم كلنا . وان شئتم أن نعد لكم عددنا . وان شئتم أن نزن لكم وزنا** » فقال رجل من القوم « يا أمير المؤمنـين ، دون للناس دواوين ـ أى دفاتر ـ يعطون عليها » فاشتهى عمر ذلك . ففرض لكل من المهاجرين خمسة آلاف درهم ، وفرض لكل أنصارى ثلاثة آلاف ، وفرض لكل زوجة من أزواج رسول الله عليه السلام اثنى عشر الفا .. وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها احداهن .. وكانت أسخى زوجاته عليه السلام ، وأدناهن الى قلوب الفقـراء بالعطاء والصدقة ، فلما رأت ما أرسل اليها عمر وجدت شيئا عظيما ، لم تـر مثله ، ولم تحسبه لها ، بل ظنت أن عمر ارسل به اليها ، لتقسمه على صواحبها من زوجات النبى ، فقالت : غفر الله لامير المؤمنين ، لقد كان في صواحبى من هى أقوى على قسمته منى ، فقيل لها : ان هذا المال كله لك .. فأمرت به فصب ، وغطته بثوب .

وكانت صائمة ، وقالت لبعض مـن عندها ، ادخلى يدك لآل فلان .. وأدخلى يدك لآل فلان ، وآل فلان .. فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان ، حتى قالت لها احدى الجالسات ، لا أراك تذكرينني ولى عليك حق ، فقالت : لك ما تحت الثوب . فكشفت الثوب ، فاذا خمسة وثمانون درهما ، فأخذتها وانصرفت . فقالت لها خادمتها : هلا كنت أبقيت لنا شيئا نتقوت بـه وأنت صائمة ؟ فقالت لـو ذكرتنى لفعلت ، وعند الله فضل كثير .. ثـم رفعت الطاهرة المطهرة يدها الى الله ، وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بن الخطاب بعد عامى هذا . فكـانت أول زوجاته صلى الله عليـه وسلم لحوقـا به ...

وبعد فهل عرفنا حقيقة الدعاء ؟ .. وهل تعلمنا كيف ندعو الله ؟ ... وهل أدركنـا المطالـب التى ندعـوه بهـا سبحانه ؟ ...

ألهمنا الله الخير ، ووفقنا الى الحقيقة ، وهدانا سواء السبيل .



الإجارة في الإسلام

(نشرت المجلة الجزء الاول من هذا الحديث فى العدد الثالث ، وقد انتهى الكاتب الى ان اجارة الاشخاص جائزة شرعا ، ولا وجه للتشدد فى القول بضرورة احلال الجديد من التسميات كعقد العمل الفردى ، وفيما يلى بقيـة البحث) .

للاستاذ عيسى عبده
رئيس قسم الاقتصاد بمعهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

اجارة الاشخاص واهل الصنائع ـ اذن ـ جائزة شرعا فى عبارة الفقهاء .. وهى اصل فى التنظيم الاقتصادى المتفق مع فطرة الانسان وعمارة الارض .. وهى نظام فى المحل الاول .. فما هى رأى يقول به مصلح .. ولا هى نظرية علمية يمكن نقضها .. وانما هى اوضاع وروابط واحكام .. تستفاد من مصادر علوية .. لا يستطيع الانسان ان يعدل فيها .. وان كان عند التطبيق يملك ان يتخذ طريقا وسطا او ان يلتزم بما هو خير .. او ينحرف .. فاذا ساءت احوال الاجراء فى مجتمع ما .. فالسبب هو سوء التطبيق ..

وجدير بالذكر ان عقد الاجارة فى انشائه وتنفيذه .. من اعمال الادارة .. وهنا نجد ارادة الفرد تتدخل .. وقد يعمد المالك او وكيله او الادارى الى ايقاع الظلم بالاجراء .. لفساد فى الناس .. لا فى النظام الذى جاءت به شريعة كاملة وخاتمة ..

ولكل نظام عناصر او مقومات .. ونريد بها ما يتعين توافره لكى يبقى النظام قائما .. والا جاز ان يختفى .. ونريد بالعناصر ايضا البيئة التى تحيط بالنظام المعين وتضمن بقاءه .

وهنا معيار دقيق للحكم على النظم .. فتلك التى يضعها الانسان تزول تباعا .. لانها تحمل فى طياتها بذور فنائها كما تثير من حولها تيارات عنيفة تزعزع الثقة بها .. او تقوض اركان البيئة التى تولد عنها النظام .. ومن ثم تزول .. ويزول النظام بزوالها ..

وهنا أيضا ننبه الى مواطن التفاخر بين النظم الموضوعية والنظريات التى يفرضها أصحاب المذاهب . فالماركسية

ـ مثلا ـ ترفض الاجارة (١) وترفض ملكية أدوات الانتاج وتدعى أن الرأسمالية تحمل فى طياتها بذور فنائها .

والرأسمالية تزعم بأن الشيوعية كالنار يأكل بعضها بعضا لانها ـ فى المدى الطويل ـ تهبط بالانتاجية فتزول او تتحول الى اعتناق اوضاع جديدة من الملكية .

هذا التفاخر بين اصحاب المذاهب الوضعية .. شبيه ببرامج الاحزاب .. أقله صدق واكثره ادعاء .. وهو على أية حال ، من نتاج الفكر البشرى .

والفكر قد يصيب ، وقد يضل .

اما عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. فهى وحى اولا وتطبيق لحياة الرسول .. فى كل الاصول .. وما من مصدر بعد ذلك يجوز له ان يصطدم او يبدل قاعدة وضعت .. أو حقيقة جعلت دعامة من دعائم النظام .. ولذلك كانت الاجارة فى الاسلام متفقة مع الفطرة .. كما كان الدين كله كذلك .

أما العناصر او مكونات النظام وعوامل بنائه وصلاحه .. فهي :

١ ـ التفاوت فى القدرات :

يقول الله (جل وعلا) « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ويقول « .. اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

ويقول « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون » .

تنبئنا هذه الآيات الكريمة بأن الله قد فاوت فى خلق الناس ، فأعطى بعضهم قدرات ، ولبعض آخر قدرات مغايرة .. وعلى هذا يحمل الرزق .. وليس الرزق اذن هو النقود ولا الوظيفة وانما هو عنصران .

أ ـ القدرات الشخصية والمواهب ، كالذكاء وبعد النظر والكفاية فى مباشرة النشاط بأنواعه .. وقد يكون القوة العضلية وحدها أو لياقة البدن .

ب ـ واستجابة المجتمع لما يصدر عن الفرد من قول أو عمل .

ومن محصلة هذين العنصرين يكون تقدير المجتمع للفرد حال نشاطه لتدبير المعاش أو ما يعرف بالأجر .. ثم ان هذه الآيات تنبىء بأن هذا التنظيم .. انما يراد به أن يتخذ بعضكم اجراء من البعض الآخر .. وفى هذا اسهب علماء التفسير وأهل التأويل ..

هذه الدعامة تجىء من آيات ظاهرها الخبر ، وباطنها العلم .. العلم اليقيني .. الذى لا يتحول .. العلم الذى لا يقوم على نظرية مادتها من المشاهدة أو من التجربة .. وانما مادتها من « الحقيقة » حقيقة الخلق .. وهذا أمر نعلمه ونراه ونسلم به .

٢ ـ التزام المجتمع بتحقيق العمالة الكاملة .

هذا هو العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة ، نجد كتاب الله يقرره ،

---

(١) الاصل فى ذلك هو ثورة طبقة العمال على من يملكون أدوات الانتاج ، وهي رأس المال ، ولذلك لا تعرف الشيوعية قطاعا خاصا ولا اجارة .. وتميل الى اعتبار الأجر فى القطاع العام ايرادا فرديا .

فكل آدمى مطالب بأن يعمل لكسب قوته .. وليس له الا سبيل من اثنين .

فاما أن يعمل لحسابه .

أو أن يعمل لحساب غيره .

وعلى المجتمع أن يوفر فرص العمل لكل قادر عليه ، ومصدر الحكم هو قوله تعالى « .. فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

وقد حمل أهل التأويل « الشقاء » على أنه الجهد المبذول فى سبيل المعاش .

وفى الاقتصاد الحديث .. لا يزيد العمل على أنه (اجتهاد عضلى أو ذهنى) .

وفى عبارة بعض الاقتصاديين المحدثين تسليم بأن الشقاء فى سبيل اشباع الحاجات .. هو ضريبة الحياة (١) .

اذن ما دام الشقاء فى سبيل مطالب الحياة .. قانونا ثابتا أو أزليا .. بنص القرآن الكريم .. فقد تعين على كل فرد أن يؤدى عملا يحتاج اليه المجتمع .. وعلى المجتمع أن يمكنه من ذلك .

وبعبارة أخرى من أول الوظائف التي يتولاها ولى الأمر ويحرص عليها .. توفير فرص العمل لمن يطلبه .. لأن السعى فى سبيل الرزق ضريبة على كل حى ، ومن حق كل فرد علىولي الأمر .. أن يمكنه من ذلك كجزء من نظام الاجارة .. الذى يشمل المؤجر والأجير والأجر جميعا .

وهنا نلمح جزئية كبيرة القيمة .. وهي التزام ولى الامر بتحقيق العمالة الكاملة .. وهذا هو بعض التأويل الصحيح لقوله تعالى « .. فتشقى » اذ خاطب الاله القادر عبده آدم .. محذرا من الغواية .. وأعلمه بأنه أن خرج من الجنة فهو حتما سيشقى .

ولقد خرج آدم .. فكان حقا عليه وعلى ولده الى يوم القيامة ان يشقى كل منهم فى سبيل تدبير معاشه .. وكلمة الله هي القول الفصل .. وهي قانون أزلى .. فكما وضع للأجرام أفلاكها وللنواة أفلاكها كذلك .. وضع للانسان سنة فى الأرض التى هبط اليها نتيجة لما كان من ضعفه عن التزام عهد الله .. يقول جل شأنه (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) وقد ورد هذا القول الكريم فى مفتتح الآيات التى نشير اليها فى هذا البند والذى يليه .. ومحل النظر هنا .. هو أن شقاء الانسان فى سبيل اشباع حاجاته وحاجات عياله .. هو قانون أزلى ، علمنا به (مجرد علم) بمعنى أننا لسنا فى موقف الاختيار .. حتى يجوز لنا أن نفكر فى أسلوب للحياة يعفي الآدمى من العمل .. كما لا يجوز لنا بحجة التقدم وارتقاء الحضارة .. أننحاول التشكيك فى لزوم العمل ووجوبه .. والشقاء فى سبيل تدبير المعاش .. وبقى على الانسان أن يبذل كل ما فى طاقته .. لاحلال التعاون والتراحم محل القسوة والاستغلال ..

وبعبارة أخرى .. كل بحث فى تهذيب شروط العمل وضمانه وتخفيف مشقاته وضمان السلامة للعاملين .. وحماية عيالهم .. كل هذه البحوث تصدر عن الفكر الناضج والراى المتفق

---

(١) راجع مثلا « شارل رست » فى تاريخ المذاهب الاقتصادية .. الا انه عبر عن شقاء العمل بأنه لعنة Curse متأثرا بما بين يديه من ترجمة للتوراة .. اما القرآن فنصه واضح وثابت .. ولا تجوز عليه الترجمة .

مع الأوضاع الانسانية .. ولذلك يجد الباحث فى مصدر التشريع الاسلامي ما يحقق له هذا كله ..

أما مناقشة العمل (للحساب الخاص أو لحساب الغير) من حيث المبدأ .. بحجة أن التقدم العلمي يأبى استمرار هذه الاوضاع (كما حدث من أواخر القرن التاسع عشر) فهو قول لا يصدر الا عن نظر سطحي .

ومن الأمثلة على المغالطة الصغيرة فى الجدل .. القول (عند شراح القانون الفرنسي) بأن استئجار الانسان عمل غير لائق بعصر الحرية الذى انبثق مع الثورة الفرنسية وتقدمت فى ظله التشريعات .. خلال عشرات السنين .. ويقولون أيضا بأن استئجار الآدمي غير لائق بمثل هذا العصر .. وانما الذى تقع عليه الاجارة .. هي مهارة الانسان .. لا جسمه ككائن حى .. ولكي يصبغ هذا الفريق من الشراح كلامه بمسحة كاذبة من الصواب .. يقولون .. ان تستأجر الدابة وتسخرها .. وحاشا للمدنية الحديثة والحضارة الصناعية أن تهبط بالآدمي الى هذه المرتبة .. ولذلك يصرون على أن (الاجارة) انما تقع على المهارة دون البدن .. ومن ثم دعا هذا الفريق الى الغاء كلمة الاجارة من تشريعاتهم الوضعية .. وأصبح فى تاريخ القانون المقارن .. فصل يقول بأن استئجار الاشخاص وأهل الصنائع .. هو عمل ذهب فى التاريخ .. دليلا على سذاجة التشريعات السابقة على القرن التاسع عشر .. أما الآن فان العقد الجدير بحضارتنا .. هو عقد العمل .. الفردى ، والمشترك .. الخ .

ولاظهار فساد هذه المزاعم ومجافاتها لأبسط قواعد المنطق .. يكفى أن نعرضها على التطبيق فى الحياة العملية .. فنحن الآن فى عصر الحرية التى بدأت مع الثورة الفرنسية . وتشريعات القرن التاسع عشر .. نتصل بالطبيب (فى جوف الليل) ونلتمس منه ادراك المريض على الفور .. فهل هذا الطبيب يرسل مهارته لانقاذ المريض ولا يسخر بدنه مع علمه وتجاربه !!

وهل العامل الفني الذى يقف من وراء الأداة أو الآلة .. انما يفعل ذلك بمهارته .. ويظل بدنه معافى من التكليف ؟ !! هل الضابط المتمرس بفنون القتال .. يقود المعركة دون بذل اى جهد بدنى ؟ !! .. ورائد الفضاء يضع استعداداته وقدراته .. فى خدمة مشروعات الفضاء .. وأما بدنه فلا يقع عليه تسخير ولا استئجار .. ولا يواجه اخطار الصاروخ الذى يحمله !! وكل ذلك يقال لسبب بسيط .. هو أننا نعيش فى عصر الحضارة !!

الحق .. ان جراة الفكر البشرى على الأوضاع التى ليست من اختصاصه .. قد زادت مع الثورة الصناعية — خلال ما ئتي عام — ولذلك لم يتحقق للبشرية ما هو مفروض من رفاهية .. بسبب التقدم الهائل فى علوم المادة والطاقة .. وما من علة سوى هذه .. وهي جراة البسطاء على الأمور الانسانية .. وانتشار هذه الجراة على كل وضع يحفظ على الآدمي كرامته .. كتكوين الأسرة ونموها وانقضائها .. وما بين الراعي والرعية من روابط انسانية .. وما بين الأجير والمؤجر من روابط .. كفلها الشرع الذى لا يحيد ولا يقصر ولا يتحول ..

وخلاصة القول فى هذا العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. ان هذا العقد يستمد وجوده من طبائع المجتمعات والأفراد .. وانه وضع أزلي ثابت .. تحكمه ضوابط ثابتة بدورها ..

٣ ـ كفاية الأجر

هذا هو العنصر الثالث .. ويتناول مستوى الأجر وكفايته للآدمي .. وهنا نلمح الاعجاز فى التنظيم الالهي ، وليس معنى ذلك أنه غير واضح حتما فى غيره من العناصر ، بل معناه أنـه غـالب فى موضعه هذا ، وعظيم الابانة عن نفسه وقد يدق الاعجاز فى مواضع أخرى .. وقد لا يدركه الفرد .. أو الجيل من الناس .. ثم يدركه آخرون ..

أما الاعجاز البين هنا .. فيتمثل فى بقية الآية الكريمة التى تقدم بعضها (من سورة طه) ذلك قوله تعالى « .. فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى.ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى.وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » .

وهكذا حددت الآية جملة الحاجـات الحيوية للانسان ، وهي أربع لا تزيد ولا تنقص بيانها .

الحاجة الى الطعام ، والكساء ، والماء، والمـأوى .

وكل أجر لا يوفـر للآدمى حاجاتـه الاساسية .. هذه .. لا يقره شـرع ، فان كانت انتاجية الأجر لا تبرره فالعيب فى التنظيم أو فى الأسواق . أو فى أيـة ناحية الا فى نظام (الاجارة) لأنها (١) لا تستند للفطرة .. ومن فطرة الانسان أن يسعى لاشباع حاجاته الأساسية ، ومن حقه أن يكون الأجر كافيا للابقاء عليه ككائن حي . ومما هو جدير بالتنبيه اليه هنا أن النظم المعمول بها فى كثير من البلاد المتقدمة لا تكفل هذا المستوى فى شمول تام .. لا من حيث العمالة ، ولا من حيث الكفاية لمواجهة ضرورات الحياة .

هنا تفريع يتضح فى التطبيـق .. ويتسـع للقواعد والنظريات التى تصح حينا ولا تصح حينا آخر .. فمثلا اذا كان العلم بالثمن (٢) فان الحاجات تتسع حتى تشمل التعليم .. والأجر يرتفـع حتى يكفى النفقة اللازمة لطلب العلم .. وحين يكون التعليم والاعلام بالمجان فان الأمر يختلف .. وهذا مثل من الفروق الجوهرية بين مقومات النظام (وهـي ثابتة) والقواعد وهي قابلة للتحول ..

ان العنصر الذى نراه هنا هو (كفاية الأجر لضرورات الحياة) أما نوع هذه الضرورات ففيها حد أدنى نصت عليـه الآية الكريمة .. وفيها اضافات يفرضها الدين أيضا كالتعليم .. وانما يتأثر الأجر بالاضافات .. تبعا لنمط المعيشـة فى المكان والزمان .. وتبعا لجملة الخدمات التى يكفلها المجتمع .

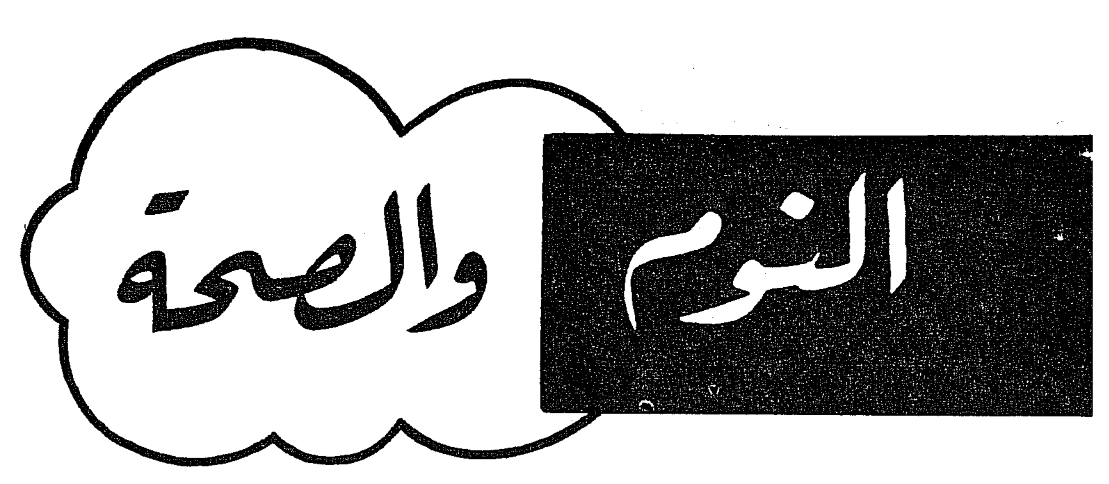
وهنا أمر ثان بالغ الأهمية .. يتصل بالحد الأدنى فى نظام الاجارة كما يقرره الاسلام ..

ذلك أن المجتمع مسئول عن الفـرد حال حياته ، فيوفر له فرصة العمل ، ومسئول عن عياله من بعده .. ولذلك لا بد من شمول الأجر لما يكفى العجز لأى سبب والعيال بعد الموت .. فان خيف سوء تدبير الفرد .. قامت الدولة بكفالة الفرد فى عجزه ومرضه ، وكفلت عياله من بعده ، وأدخلت هذه المزايا عنـد حساب الحد الأدنى للأجور .

---

(١) الاشارة الى الناحية التى يشوبها العيب .. لأنه اذا كانت جزئيات النظم والسياسات تتفق مع فطرة الانسان فانها لا بد صالحة .

(٢) اى اذا كان طلب العلم يستلزم نفقة كبيرة .



النوم والصحة

للدكتور أحمد شوكت الشطي

جعل الخالق جل جلاله الليل والنهار دائبين ، وجعل الليل لباسا ساترا بظلمته ، وسكنا تسكن فيه أكثر الخلائق من التعب وحدته . وجعل الليل والنهار خلفة يخلف كل منهما الآخر ، ففي الليل سبات وراحة للأبدان ، وفي النهار نشور طلبا للرزق سواء في الحيوان والانسان .

تبدو حياة أكثر الحيوان مقسمة بين حالين ، يناسب تعاقبهما تتابع النهار والليل ، احداهما اليقظة ، والثانية النوم ، ويلائم ذلك حالتين من حالات النفس ، حالة استراحة ان حرمتها النفس ضعفت وكلت ، وحالة عمل ان اراحها الانسان فيها ساءت الصحة وتخلت . فان لهما قدرا محدودا ، وزمانا موعودا ، يضر بالنفس الافراط والتفريط في كل منهما . على أن حاجة الجسم الى الاستراحة بالنوم تفوق حاجته الى الغذاء ، فقد يستطيع الانسان أن يصبر عن الطعام أياما معدودة ، ولكنه لا يقوى على التخلص من النوم لشدة الحاجة اليه ، ولذلك قيل عن النوم انه سلطان جائر وملك مطاع قادر ، لا سبيل الى الافلات من قوة بأسه .

يستولى في الغالب النوم على الأعضاء بصورة متتابعة ، فتسترخي أكثر العضلات الارادية ، ولذلك نرى أن رأس النعسان ، الجالس ينخفض بتأثير ثقله ، وارتخاء عضله ، حتى اذا اقترب من الصدر ، تيقظ النائم قليلا ، وعاد الى هز رأسه وهذا هو التهويم (١) في لغتنا ، ويتبع العضلات في الاسترخاء أعضاء الحواس فيخف تأثير المنبهات فيها ، على أن حاسة السمع هي آخر ما يغيبه النوم . وقد سمى العرب هذا النوم : التغفيق وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم .

والناس متباينون في صدد النوم ، فمنهم من ينام بسرعة فيغط في النوم عقب اضطجاعه ، ومنهم من لا ينام الا بعد تقلب طويل في الفراش ، كأنما خلقت عيناه للسهر ، وكأن النوم قد غضب على مآقيه وعصى جفنيه .



(١) هوم اذا هز النائم برأسه

أسباب النوم

أما أسباب النوم فعديدة ، منها طول مدة اليقظة ، وتعب الجسم والعقل ، وظلمة الليل وسكونه ، وقلة الحركة فيه وهدوؤه على ان من الناس من يستطيع النوم فى الضجيج والنور . وقد يشعر الانسان بحاجة الى النوم فى حالات متباينة كالجوع والشبع والحر والبرد . وقد مدحت العرب فى أمثالها السائرة نوم النهار فى الصيف والحر ، وذمته فى الشتاء والبرد أو القر ، فقالوا : قائلة الصيف راحة ، وهي فى الشتاء وتاحة ، اى أنها عديمة الجدوى ان لم تكن ضارة .

آثار النوم

يبطؤ بالنوم التنفس ، وتنقص سعة تهوية الرئة ، ويقل عدد دقات القلب ، وتنخفض حرارة الجسم قليلا ، ويخف نشاط الهضم ويتكثف البول ، ويبطؤ دوران الدم . وبذلك يتحقق بالنوم تجديد القوى ، وسكون الجوارح وهدوء البال واستراحة الحواس والأعضاء ، وزوال التعب والاعياء مما يلاقيه الجسم فى اليقظة ، وفيه أيضا راحة النفس والفكر والعقل واستعادة مظاهر نشاطها ، واننا لنذكر فيما يلي بعض الملاحظات الصحية عن النوم :

١ – غرفة النوم : يجب أن تكون واسعة وان تهوى قبل النوم فى الليل ،واثناء النهار ، وان تكون خالية من حيوان أو نبات أو أزهار ، لأنها تشارك الانسان فى هوائه ، فتنقص من صفائه، وتحدث تغييرا فى تركيبه وبنائه ، فيفسد ويقل نفعه ، وقد ينجم من ذلك محاذير تؤذى النائم وتمرضه .

لذلك كان من المستحب الاعتياد على فتح النوافذ أو تأمين تجديد الهواء ببطء واستمراره فى الصيف لان استمرار تجديده يجلب النوم الهادىء والرقاد الهنيء .

٢ – ان للنوم عقب الأكل محاذير معروفة وأضرارا موصوفة ، تظهر آثارها خاصة فى الشيوخ ، لذلك كان لا بد من انتظار ساعتين بعد الأكلة الأخيرة قبل الاستسلام الى سلطان النوم .

٣ – لا يجوز تدفئة غرف النوم لأصحاء الجسم مطلقا . أما المرضى فلا حرج فى تدفئة غرفهم ، ولا يجوز أيضا انارة غرف النوم . وقد جاء فى الحديث الشريف « اذا نمتم فاطفئوا المصابيح » .

٤ – على الانسان اجتناب لبس الثياب الضيقة والاربطة المشدودة اثناء النوم ، وعليه أن يختار فى الصيف ثيابا واسعة مصنوعة من نسيج ، يضمن مص الافرازات لأن النائم تتوسع عروقه ، ويكثر عرقه .

٥ – يستحسن لا بل يجب تسويك الفم قبل النوم لازالة ما علق بين الأسنان من آثار الطعام ، التي ينتج عن فسادها نتن الفم ، وكراهة رائحته ، وفساد الأسنان ، واضطراب الجسم من جراء ذلك فى بعض الأحيان . ومن هنا ندرك السر فى عناية الاسلام بالسواك .

٦ – وقت النوم : ان افضل وقت للنوم هو الليل ، ففيه يسود الهدوء ، وتعم الظلمة ، وتنقص المنبهات ، وقد اعتاد بعض الناس اطالة السهر ، والتعويض عن نوم الليل بنوم قسم من النهار ، وهذا خطأ عظيم ، لأن نوم الليل اكبر اثرا فى اراحة الجسم وتجديد قواه(١) اما نوم النهار فرديء ، وارداه نوم أول النهار واردأ منه النوم فى آخره وقد قال الشاعر فى هذا الصدد .

الا ان نومات الضحى تورث الفتى
خبالا ونومات العصير جنون

وقيل نوم الضحى خرق والقيلولة خلق ونوم العشى حمق . وليعلم ان نوم ساعتين قبل وسط الليل خير من النوم

---

(١) ومن هنا ندرك السر فى التوجيه الاسلامي بالنوم المبكر وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « البركة فى البكور » ؟ .

« الوعى »

أربع ساعات بعده . يجب والحالة هذه التبكير في النوم والتبكير في اليقظة(٢) وعدم اطالة مدة النوم وقد جاء في امثال العرب السائرة من أطال المنام رأى الاحلام ومن لزم الرقاد ، عدم المراد « على أن نوم النهار جائز في الصيف لطوله وشدة حره . وينطبق امتداح العرب للنوم بعد الغداء على قيلولة الصيف اذ قالوا « النوم بعد الغداء دواء وبعد العشاء عناء .

٧ ــ مدة النوم : تختلف باختلاف السن وهي من سبع ساعات الى ثمان ساعات للشبان والكهول من رجال ونساء ، ومن تسع الى عشر ساعات للأحداث واليفعان ، وهي أكثر من ذلك للاطفال والولدان ، واما الرضع فثلثا حياتهم نوم ورقاد .

هيئة النوم

٨ ــ يذم النوم على البطن للشباب والكهول والشيوخ لأنه يضر بالتنفس ويعيق عمل أعضاء الصدر والبطن ، ويعد النوم على الظهر رديئا لأن اللهاة أو شراع الحلق يندفع فيه الى الوراء فيضيق النفس ويضطرب اذ تنحدر فيه مفرزات الأنف الى الوراء ، فتبلغ الحلق وتخدشه وتستقر في البلعوم وتخرشه . ولا يحمد النوم على الجانب الأيسر ، ولا سيما بعد الطعام ، وذلك لأن هذه الهيئة لا تيسر مرور الطعام من المعدة الى الأمعاء ، فيبطؤ الهضم وكثيرا ما يكون ذلك سببا لاحلام رديئة .

ان أنفع النوم ما كان على الجانب الأيمن ليكون الغذاء أسرع انحدارا عن المعدة ، وهو من السنة الشريفة وقد ثبت أن مرور الطعام من المعدة الى الامعاء يتم في هذه النومة بثلاث ساعات ، بينما يحتاج انحداره الى خمس ساعات أو سبع ساعات في النوم على الجانب الايسر .

٩ ــ لا يجوز نوم شخصين في سرير واحد ، وتعد هذه العادة من أسوأ العادات واقبحها ، ولها محاذير عديدة صحية واجتماعية لذلك يجب على معتاديها تركها في كل حال ، ومهما كان الحال وعلى كل حال (١) .

تغطية الوجه

١٠ ــ يجب أن يغطى النائم بأغطية تختلف باختلاف الطقس ، ويحتاج النائم الى فضل دثار بسبب برد طارىء . وقد اعتاد بعض الناس أن يغطي الوجه اثناء النوم في الشتاء ولذلك أضرار كبيرة . أهمها أن النائم على هذه الحالة يستنشق هواء رديئا فاسدا ، وريحا كريها زائدا من الغازات السامة التي يدفعها الجوف ، ولا بد من ترك الانف مكشوفا دائما .

وفي كل حال من الأحوال على الانسان ان لا يغطي رأسه ، وأن يعتاد على النوم حاسر الرأس ما لم تكن لديه موانع صحية تحول دون ذلك .

١١ ــ واخيرا يجب أن يكون راس النائم مرفوعا بوسادة لا ناعمة محشوة بريش الطير ولا يابسة محشوة بالقش ، بل محشوة بقطن أو صوف نظيف ، كما أنه من الخطأ الافراط في ترفيه النفس بالفراش الوثير وغطاء الحرير .

هذه بعض قواعد النوم الصحية ذكرتها داعيا الى العمل بها مرغبا في اتباعها ، فعلى كل انسان عاقل أن يقدر حاليه حال نومه ودعته ، وحال يقظته وحركته ، وأن لا يغفل امر النوم ففيه نشاط ونعيم وهناء ، وقوة وعافية وشفاء والسلام .

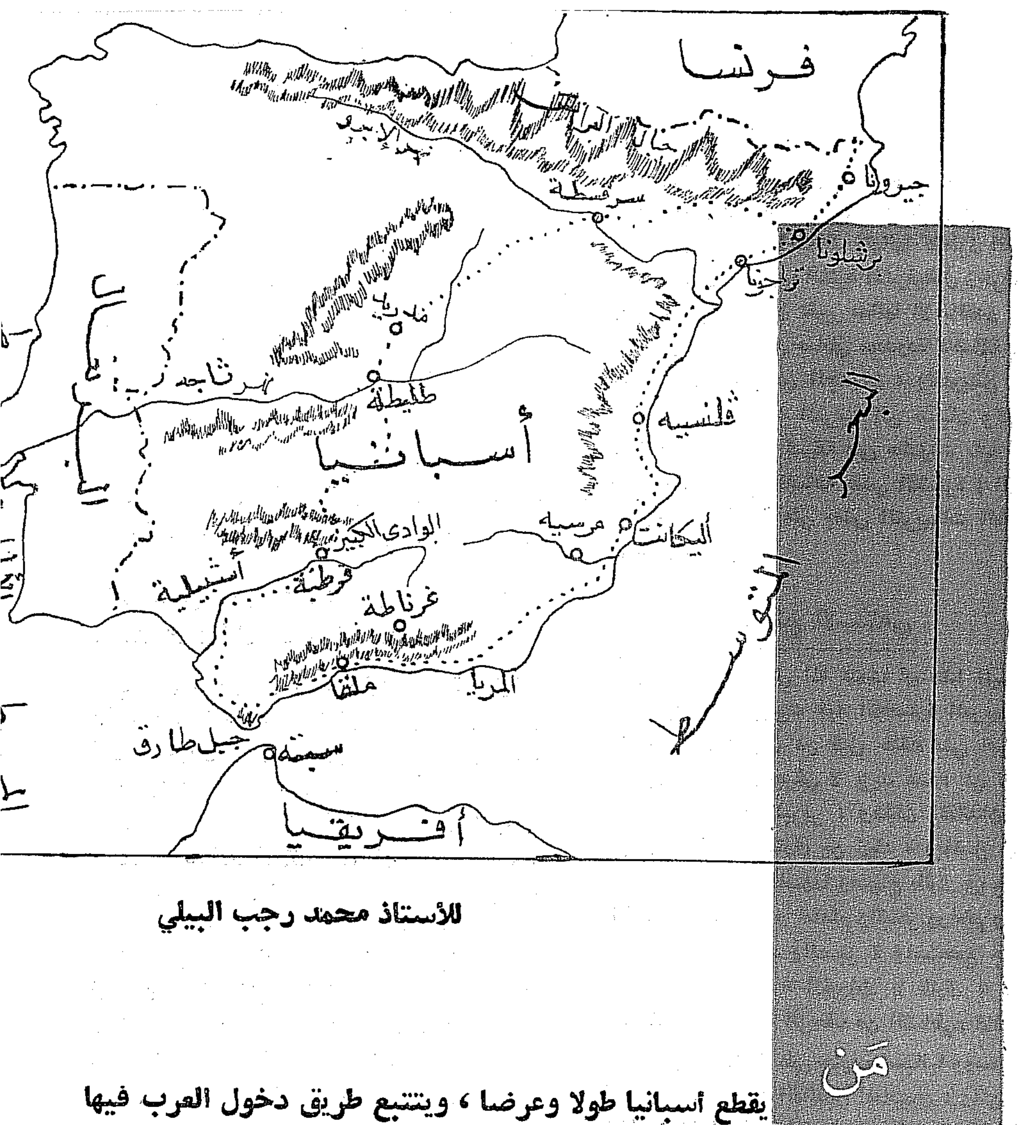
---

(١) أذكر مع هذا قوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٧٣) القصص ، فجعل الليل هو وقت النوم الطبيعي .. « الوعى » .

(٢) ومن هنا كان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) « الوعى » .



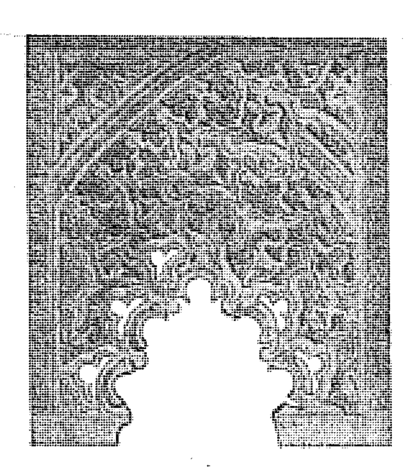
عقد فى قصر الجعفرية بسرقطة ويجمع بين الفن العربى فى زخارفه النباتية وكتاباته الكوفية وبين الفن القوطى الممثل فى العقد ذى الفصوص الكثيرة (الحنيات) .



للأستاذ محمد رجب البيلي

مَن يقطع أسبانيا طولا وعرضا ، ويتتبع طريق دخول العرب فيها وخروجهم منها يجد آثارهم واضحة وبكثرة فى المناطق التي تمركز فيها استيطان العـــرب ، وطال فيها حكمهم ، وخاصـــة الآثار المادية كالعمائر الحربية والمدنية والدينية والفنون التطبيقية كالعاج والخشب والمعادن والمنسوجات والسجاد ، وغيرها ، فضلا عن الروح الشرقية المتأصلة فى الدم والعادات والتقاليد وأساليب الحياة .

ومن ينته به المقام فى جنوب شبه الجزيرة الاسبانية أو جنوبها الشرقي فى سهول الاندلس فى غرناطة واشبيلية وبلنسية ومرسيه ، يجد نفسه فى بيئة شرقية بحتة ، وجو شرقي لايختلف عن الشرق فى شيء سوى لغة الشعب الاسبانية التى حلت محل اللغة العربية بعد خروج العرب من أسبانيا بنحو قرن ، وبعد أن أصبحت اللغة الدينية فى الكنائس .



وحتى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التي لم يطل فيها الحكم العربي ، نجد فيها مزيجا من العناصر المسيحية والعربية ان لم يكن في الدم ففي العمائر كما في كنيسة سان ميجويل في ليون بالقرب من برشلونة وسانتا ماريا وسانت نذير .

ويخرج الزائر من اسبانيا بصورة حقيقية واضحة لا يتيسر للانسان الحصول عليها بين ثنايا الكتب ولوحاتها كما يراها بنفسه ، ويتلمس تلك الروح الشرقية التي طبعت في نفس الاسباني خلال تلك القرون الثمانية ، وأصبح يعتز بآثار العرب ، ويعتبرها جزءا من تراثه الحضارى : الفني والتاريخي بعد أن كان ينظر اليها بكراهية شديدة كنظرة الوطني الى المستعمر الغاصب ، فكان يعتبر تلك القصور والقلاع العربية وصمة في جبين تاريخه لما تبعثه في نفسه من الشعور بالذل وامتهان بكرامته . ربما كان الاسباني مضطرا الى ذلك للشعور الجارف والعصبية المتطرفة ضد كل ما هو عربي حتى عقب خروجهم منها .

اما اليوم فان تلك النظرة قد تغيرت ، وذلك الشعور قد تبدل ، وأصبح الاسباني يعتز بتراث العرب ، ويفخر به ، بل يمجده ، ويغار عليه من أيد الأعداء وصروف الدهر . وكيف لا يولي الاسباني اهتمامه الى ذلك التراث القومي وهو احد حلقات تاريخه المجيدودعامة نهضته الحالية .

العصبية المسيحية

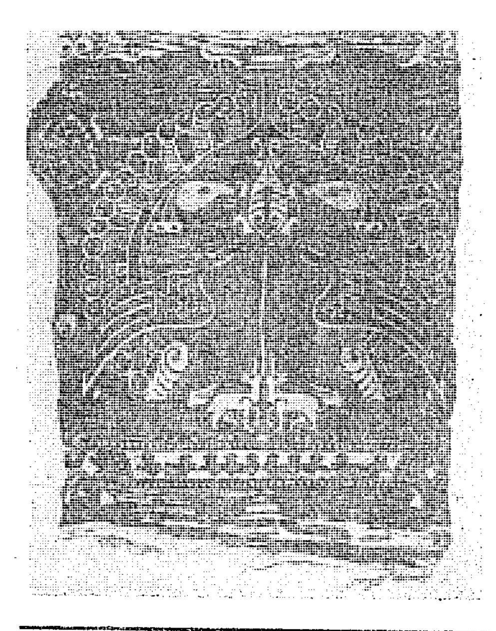
وسواء رضي الاسباني بهذا التراث كرها أو طوعا ، فانه أصبح أثرا خالدا في حياته ودمه رغم تعصبه الشديد ومحاولته محو كل ما هو عربي ، كما يشاهد اليوم في أنحاء البلاد المختلفة من آلاف المساجد التي أقامها العرب لدعم صرح الديانة الاسلامية في طول البلاد وعرضها . فحولت العصبية المسيحية ما تبقى من ذلك الصرح الخالد الى كنائس رغم ما بها من مخلفات عربية تناضل في سبيل الكفاح للاحتفاظ بكيانها كالطرز العربية في العمارة والأساليب الفنية الشرقية في زخرفتها ، ولم يستطع الاسبان تغيير معالمها الا بالقدر الذى تسمح به طبيعتها في مناطق محدودة كاضافة بعض الصور الى بعض الجدران ، وتحويل بعض الزخارف والكتابات العربية الى صلبان وكتابات لاتينية في مساحات ضيقة على حشوات باب جامع طليطلة النحاسي واضافة بعض الأشعرة (الرنوك الملكية الاسبانية) على بعض التربيعات الخزفية في قصر الحمراء .

الفتح الاسلامي

وسوف تدهش اذا علمت أن هذا الميدان الخصب الذى ترعرت فيه الحضارة العربية قد فتحه بطلان عربيان من قبل خلفاء بني امية في دمشق على رأس جيش لا يزيد عدده عن ثمانية آلاف جندى من البربر ، وهذان القائدان هما موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وبفضل ايمان هذين القائدين وحماسهما وصياح طارق في جيشه « ايها الناس ، العدو أمامكم والبحر وراءكم وليس لكم والله الا الجلد والصبر » واستجمع جنوده شجاعتهم وصاحوا « اناوراءك يا طارق » كانت هذه الصيحة بداية الزحف من الشاطيء الافريقي ثم النصر بالاستيلاء على جنوب اسبانيا ووسطها . ثم دب الخلاف بين القائدين العظيمين ، ولكن ما لبثا أن تصافحا ونبذا ما بينهما ووضعا خطة موحدة لافتتاح ما بقي من اسبانيا ، فزحفا نحو الشمال الشرقي معقل الثوار الفارين أمام الفتح الاسلامي ، فاخترقا ولاية أراجون ، ثم أخذت تنهار المدن الشمالية الواحدة تلو الأخرى ، كطرقونة وبرشلونة اللتين مهدتا السبيل لموسى بن نصير أن يعبر جبال البرانس والاستيلاء على المدن الفرنسية كناربون ، ومنها سار شمالا الى جنوب وادى الرون حتى مدينة ليون بفرنسا .

ويقال ان موسى بن نصير اراد ان يواصل تقدمه لفتح جنوب أوروبا ليصل اسبانيا بتركيا ، ومنها الى دمشق مقر الخلافة الأموية في الشام ، وجعل البحر المتوسط بحيرة اسلامية .

الا أن الخلاف دب بين الخلافة وقواد العرب



قطعة من النسيج الحريرى ترجع صناعتها الى القرن الثاني عشر وبهـا رسوم طيور وحيوانات تحيط بشجرة الحياة وافريزان من الكتابة الكوفية .

حول هذه المغامرة . واستغلت الأمم المسيحية هذا الانقسام فاتحدت لايقاف تقدم العرب وان لم يستطيعوا ردهم على أعقابهم الى ما وراء جبال البرانس . وقد تم لهم ما أرادوا اذ انتصروا على العرب فى موقعة تور فى سهول نهر اللوار عندما انشغل العرب بجمع الأسلاب والغنائم عقب اول انتصار لهم فى هذه الموقعة . واضطر العـرب الى العودة ثانية الى ما وراء جبال البرانس فى اسبانيا. ولولا تلك الموقعة لوجه تاريخ اوربا بصفة خاصة وجهة اخرى غير وجهته الحالية . وكان للعرب والاسلام شان آخر .

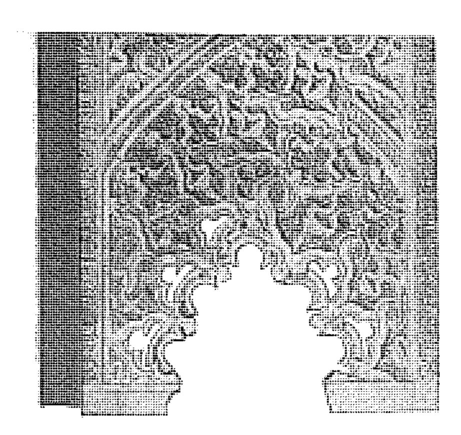
وعلى الرغم من انهـزام العرب حـربيا فقد انتصروا عنصريـا الى مدى محدود ، فتـركوا فى السهول الجنوبية من فرنسا آثارا واضحة فى الدم والعادات كشعر الفرنسيات الأسود وعيونهم البنية أو الداكنة مع سمرة طفيفة فى البشرة واعتدال فى تقاطيع الوجه كالعرب .

كما عثر على بقايا بعض الآثار العربية فى تلك المناطق رغم ضآلة الفترة التي مكثها العرب شمال البرنييه . ومن هذه الآثار بعض النقود العربية ، واناء من نحاس أصفر (١) نقشت عليه الكتابـة الآتية ((العز الدائم والاقبال الزائد والجد الصاعد والدهر المساعد والنعمة الكاملة والسعادة الشاملة والسلامة لصاحبها ابدا)) .

ووجهت هذه الموقعة العرب الى الاكتفـاء بتوطيد أقدامهم فى شبه الجزيرة ، والقضاء على تلك العناصر المسيحية المناوئة لهم والتي التجأت الى جبال البرنييه للاحتماء بها وجمع فلولهـم وتلقى المساعدات الحربية والمالية من ملوك الفرنجة فى فرنسـا ، وانتهاز فرصة ضـعف المسـلمين وانقسامهم والهجوم عليهم لاستعادة ما فقدوه من نفوذ وسلطان ، كما حدث فعلا فى أوائل حكم العرب لاسبانيا اذ ادى التنافس بين الحكام المسـلمين الى استعانة بعضهم بحكام الفرنجة ، كما حدث من سليمان بن يقظـان الكلبي - أحد الخارجين على عبد الرحمن الأموى عامل برشلونة - اذ دعا شارلمان ملك الفرنجة وامبراطور الدولة الرومانية فيما بعد ، الذى لبى الدعوة واسـتعان بثوار البرنييه ، ليضع حدا لتقدم المسلمين بل ليستأصل شأفتهم من اسبانيا ، وتقدم شارلمان جنوبا وحاصر مدينة سرقسطة .

وتنبه المسلمون الى هذا الخطر الداهم فوحدوا كلمتهم واستجمعوا قوتهم واستطاع عبد الرحمن الأموى أن ينتصر على شارلمان وجيشـه ويكبده

(١) هذا الاناء يوجد الآن فى مجموعة الدوق بلاكاس Blacas ويقول السيد سبنسر سمث انها وجدت فى معسكر العرب بعد موقعة تور .



خسارة فادحة وأرغموه على الانسحاب والهرب الى فرنسا عبر جبال البرنييه ، وتعقبهم المسلمون ، ومزقوا مؤخرة فلول جيش الفرنجة الهاربة، وبذلك هلكت زهرة الجيش الفرنجي .

لم يكن جهاد العناصر المسيحية فى منطقة البرنييه مستمرا كما كان ينتظر فكان هناك فترات استطاع المسيحيون والمسلمون الحياة جنبا الى جنب كصديقين حميمين ، وتبادلا العلاقات الطيبة مع بعضهما فتغلغلت المؤثرات العربية فى المناطق المسيحية ، وامتزجت بفنها وعاداتها حتى فى عهد الخلافة الاسلامية فىقرطبة التي اخذت فى التدهور السريع بعد وفاة أميرها الموهوب المنصور الحاجب. وكذلك بعد سقوط قرطبة ٦٣٤ هـ .

ملوك الطوائف

وسرعان ما قامت فى اسبانيا دويلات صغيرة يحكمها ملوك يعرفون بملوك الطوائف فكان أغلبهم على جانب عظيم من الثقافة ، فتعددت مراكز العلم والأدب والفن فى شبه الجزيرة الأندلسية ، ولا تزال آثارهم واضحة فى قصر الجعفرية بسرقسطة وكنيسة كريستودى لالوز التي كانت مسجد باب مردم بطليطلة مما يشهد على عظمتهم واتساع نفوذهم من أقصى جنوب الجزيرة الى شمالها .

ولم تنقطع صلة العرب ببلادهم الاصيلة فكانت تفد اليهم من آن لآخر موجات عربية تشد أزرهم وتمدهم بالقوة والسلطان والحضارة العربية .

يوسف بن تاشفين

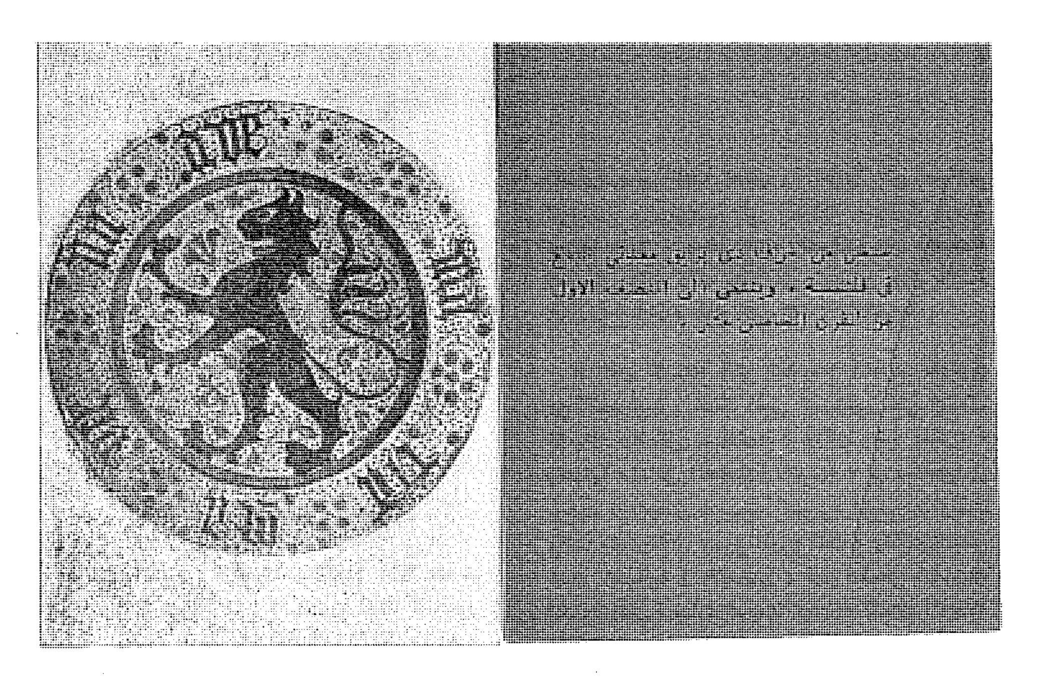
ومن تلك الموجات التي كان لها أثر واضح فى حياة اسبانيا قوة المرابطين بزعامة ملكها يوسف ابن تاشفين وهم من بربر مراكش أو سكانالصحراء التي اجتاحت الأندلس ، ثم خضعت اسبانيا لحكم الموحدين أكثر من قرن بعد أن قضوا على المرابطين وهي طائفة دينية نشأت بجبال أطلس بشمال افريقيا واسبانيا وجعلت منهما دولة واحدة ، ومن آثارهم الخالدة انشاء مدينة اشبيلية وما بها من آثار كالبرج الذهبي والجيرالدة . وكان اضطهادهم للمستعمرين من بنى الأندلس سببا فى هجرتهم الى الشمال . فنقلوا معهم الكثير من عادات المسلمين وأزيائهم وصناعاتهم ، ولما تقدمت فتوحات المسيحيين ، وصاروا يعملون للملوك والأمراء الأسبان تعلم منهم غيرهم وانتشرت أساليبهم الفنية فى الأقاليم الشماليةوالشمالية الشرقيةالمسيحية.

ولم يأت عام ١٢٣٦ حتى انحصر سلطان العرب فى امارة غرناطة الشهيرة الناشطة ، وعلى الرغم من قوة هذه الامارة تحت حكم بنى الأحمر وحماية الجبال لها فانها استنجدت عام ١٤٨٩ بمصر لتنقذها من براثن النصرانية أو جيوش قشتالة وأراجون ومليكتها ايزبيلا وفرديناند فى الوقت الذى كانت فيه مصر تهتز فى كفة القدر ويرنو اليها بنو عثمان بجشع ، فاشتد حصار الاسبان لغرناطة حتى اعترفت بسلطان قشتالة وسقطت عام ١٤٩٢ وكان سقوطها فى نظر المؤرخين ضربة أصابت العالم الاسلامي كله .

وقد شهد المؤرخون الأجانب بعظمة العرب كما دهشوا لذلك الفتح السريع ولقضائهم على مملكة الفرنجة فى أقل من عامين وتوطيد سلطتهم فيما بين البحر المتوسط وجبال البرنييه .. وقل أن تجد مثلا آخر فى التاريخ اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمعت فى هذا الفتح كما يقول المؤرخ الأمريكي سكوت .

الفنون الاسلامية

وقد كان المظنون فى البداية أن هذا الغزو انما هو امر مؤقت فقط ولم يتوقع أحد أن يكون احتلال البلاد دائما . فلما استقرت الجماعات المستعمرة اهتمت بتوطيد اركان الحضارة العربية فى اسبانيا فاستغلت موارد البلاد الخام كمناجم الزئبق والياقوت بالقرب من مالقة واستخراج اللؤلؤ بالقرب من شواطىء تراكونة ، وفتحت الثغور لتجارة الشرق . وبرز العرب فى شتى ضروب أنواع الفنون الاسلامية والحضارة العربية . ونقلوا معهم كثيرا من الأساليب الفنية الأموية والعباسية فالفاطمية .



وقد كان نقل هذه الأساليب الفنية اما بطريقة مباشرة على يد صناع من الشرق الى اسبانيا او بطريقة غير مباشرة لانتشار تلك الأساليب فى حوض البحر المتوسط ، ثم انتقلت بدورها الى اسبانيا .

وسواء نقلت الفنون العربية الاسلامية بطريقة مباشرة أو غيرها ، فان ما تركه العرب من التحف الفنية الخشبية أو العاجية او المعدنية والخزفية والمنسوجات الحريرية يدل على التشابه الكبير فى اسلوبها وزخرفتها بينها وبين التحف الفاطمية والملوكية ، مع اختلاف يسير فى التحف الاسبانية ، لما اكتسبته من طابع محلي ، يميزها عن غيرهـا المصرية . وخير مثل فى التحف الخشبية منبـر المسجد الجامع بقرطبة . أما القطع الفنية التـي عرفت بعد ذلك فكانت اما تقليدا للأساليب الفنية التي عرفت فى القطع الخشبية السالفة أو تطبيقا للاساليب الفنية التي عرفناها فى عصر المماليك وهو تكوين زخارف هندسية من حشوات خشبية على شكل أطباق نجمية وغيرها وحفرها بزخارف نباتية من فروع أوراق الشجر ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من بلدان العالم الاسلامي .

وانطبق هذا على جميع فروع التحف الفنية الأخرى العاجية منها أو المعدنية فاشتهرت مدينة المرية واشبيلية ومرسيه وغرناطة بصنع الدروع والآلات الحربية .

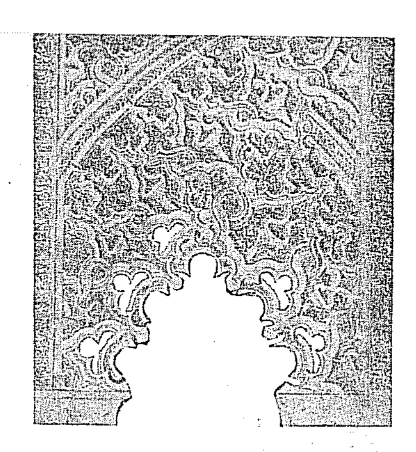
وهناك عامل آخر هام أدى الى ذلك التشابه بين التحف الفنية الاسبانية والعربية الشرقية وهو تبادل الهدايا بين الخلافة العربية والامارات المسيحية فى اسبانيا وبين ملوك المسلمين فى الشرق وخاصة مصر وعن طريق الهدايا انتقلت الأساليب الفنية وطرزها وزخارفها الى الفنون العربيـــة المحلية فى شبه الجزيرة الاسبانية .

ويبدو ذلك التشابه واضحا فى صناعة المينـا والخزف الذى نقل من العراق الى القيروان بالمغرب ومنها الى اسبانيا . وتمركزت ملقا بصناعة الخزف ذى البريق المعدنى حتى غدت لا تدانيها فى صناعتها فى العصور الوسطى أى دولة فى أوربا ، ولعل سر اتقان هذه الصناعة يتوقف على مادة الطلاء الداخل فى تركيبها المعدن المطلوب وطريقة حرقها .

واستمرت العلاقات بين مصر والأندلس فى عهد الفاطميين وانتقلت معها الأساليب الفاطمية التي انتشرت فى انحاء العالم الاسلامي حتى ليقال ان بعض التحف المعدنية الاسبانية كالتمثال (الحصان) المحفوظ بمتحف طليطلة الأثرى . انه صنع فى مصر نظرا لما بينه وبين التحف المعدنية الفاطمية مـن تشابه عظيم .

اما فى عهد المماليك فقد كانت هناك معاهـــدة تجارية منذ ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) بين ملك اشبيلية والسلطان بيبرس تبودلت بينهما كثير من الهدايا(١).

٢ ــ عرض النويرى لهذه الهدايا بكثير من التفصيل فى كتابه نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٨ ــ ٦٩ .



قلاوون وملك قشتالة

وارسل الفونس ملك قشتالة (٦٨١ هـ ـ ١٢٨١ م) رسولين الى السلطان الملك المنصور قلاوون ومعهما هدية من الخيل والبغال فأحسن السلطان ضيافتهما وأجزل لهما العطايا .

وفى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى أرسل ملوك أرغونة بعض الرسائل الى السلطان الناصر محمد بالتوصية على جميع المسيحيين المقيمين فى المملكة . واهم تلك الرسائل بين ملك أرغونة (برشلونة) يعقوب الثاني والسلطان الناصر محمد خلال سلطنته الثانية والثالثة ، ما بين سنتى ١٢٩٢ ـ ١٣٢٧ م وقد بلغ عدد هذه الرسائل ستا ، حين بلغ عدد الرسائل التي بعث بها الناصر الى يعقوب ثمان ، وكان الغرض من هذه الرسائل أن يحصل تجار أرغونة على ميزات تجارية فىالمملكة المصرية ، وتسهيل سبيل الحج الىالأراضيالمقدسة لأهالي المغرب ومنح الحرية لرعاياه منالمسيحيين .

ورد عليه الناصر أنه اعتبر نفسه حامي الاسلام فى الشرق والغرب وأكد الناصر محمد فى رسالته السابقة انه يبادل الملك يعقوب حبا بحب وودا بود .

ويقدر ما كان تسامح المسلمين فى مصر كان تسامح زملائهم الخلفاء فى الغرب . اذ ساعد اعتدالهم على تخفيف ألم هزيمة المسيحيين . وكان دفعهم للجزية يضمن الحماية لهم كما كان يسمح للورع المتعصب منهم مزاولة شعائره دون تدخل . كما سمح للملحد أن يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة على حد قول المؤرخ سكوت . كما قضى الحكام الجدد على جميع عوامل الفساد والاضطهاد التي كانت متفشية فى ربوع البلاد على يد الرومان منذ قرون ، وحطموا سلطة الأشراف والطبقات المتازة حتى كادت تمحى واستولوا على ضياعهم الواسعة وحولوها الى ملكيات صغيرة وزعت توزيعا عادلا . ورفع عبء الضرائب عن الطبقة الوسطى فكان ذلك عاملا على تحسين حال عامة الشعب وخاصة تلك التي كانت مستعبدة .

اذ كان الاسلام أكثر تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية . لذلك أقبل المسحيون على اعتناق الاسلام والعمل بمبادئه ، والنهوض بنشره ، وحملوا مشاعل الحضارة العربية ، بل ساهموا فى توطيد أركانها فى شبه الجزيرة فترعرعت ونمت وأتت بثمارها فى جميع أنواع العلوم والفنون حتى غدت اسبانيا (الأندلس) أول مشعل لتلك المدنية التي أرسلت ضوءها فبددت ظلمات الجهالة التي عمت أوروبا بأسرها فى العصور الوسطى وأشرقت فيها بنور العلم والعرفان وكانت سببا فى قيام عصر النهضة فيها .

وتعلم الغرب عن المسلمين كثيرا من أسرار حياتهم وصناعاتهم فى العمارة والفنون الزخرفية . ولعل أهم مظهر لهذا الطور الطراز الاسباني المعروف بالموزاراب السائد الانتشار بصفة خاصة فى ليون بالشمال حيث اختلط الفن الشرقى العربى بالفن المسيحيالمسجد الذى كان سائداقبلدخول العرب فى شبه الجزيرة . وهذا الطراز الجديد أكثر ملاءمة للكنائس التي بنيت عقب خروج العرب ككنيسة سانتا ماريا . وسان ميجيل دى اسكلاد وغيرها فتظهر بها العقود التي على شكل حدوة الفرس والتى تشبه الى حد كبير نظيرتها بالحمراء والقبوات التي تعد من أهم ميزات الفن العربي باسبانيا كما أن من المباني التي تنتمي الى فن الموزاراب ما انشىء بأيد مسلمة آتت من الأندلس نفسها .

وتطور فن الموزاراب تطورا كبيرا لكثرة ما طعم به من الروح والفن الشرقي بالفن المسيحي حتى اصبح يعرف بفن المدجنين الذين استخدموا المهندسين العرب لبناء برج تريل فى جواد لوب
Guadelupe Touer of Texuel

وسانتا كلارا دى فورد سيلاز
Santa Clara de Fordesillas

وينسب هذا الفن الى المدجنين أو المسلمين الذين دخلوا خدمة المسيحيين بعد زوال دولة

العرب وقد نشا هذا الطراز فى طليطلة واشتغل الصناع المدجنون فى زخرفة الكنائس ودور الخاصة فى انحاء اسبانيا ونبغوا فى صناعة الخزف والمنسوجات والنقش على الأخشاب والعاج .

خلود الفن الاسلامي

وقد استمرت الأساليب الفنية العربية واضحة حتى بعد خروج المستعربين والمدجنين ١٦٠٩ م رغم المقاومة الشديدة التي واجهتها فى بعض الجهات ، والتنافس الشديد لاستخدام الفن القوطي لمسايرة عصر النهضة فى أوروبا ، وقد اتجهت اليها اسبانيا تستمد تقاليدها وأساليبها الفنية الا أنها لم تستطع الاستغناء عن مقومات الحضارة العربية ، وهي الدعامة التي بنيت على اساسها الحضارة الاسبانية ، وجمعوا بينها وبين الحضارة الحديثة ليوحدوا بين القديم والجديد وتكوين وحدة واحدة منهما ، فاستخدموا من فن المدجنين الطوب والجص فى واجهة العمائر فى عصر الباروك والنهضة . كما استخدموا الزخارف كالجدائل والتطعيم ولذلك يعتبر فن المدجنين حلقة اتصال بين الفن العربي الشرقي والفن القوطي الذى خلفه . اذ أن كل العوامل التي يعتمد عليها هذا الفن شرقية مثل الاقواس المدببة.

كذلك تاثروا فى صناعاتهم التطبيقية بالعرب ، ومنها صناعة الفضة ، فقد ورثوا صياغتها من العرب واستخدموها فى أديرتهم الأندلسية .

ولم يقتصر اثر العرب بعد خروجهم على الفن والصناعة ، وانما امتد ذلك الى الادب واللغة الاسبانية نفسها لدرجة أن أوربا لم تر فى عهد من عهودها حفاوة بالادب وأهله كما رات فى الاندلس.

ومن الطبيعي الا تزول اللغة العربية من البلاد الا بعد فترة انتقال كبيرة لتحل محلها اللغة الاسبانية اللاتينية الجديدة . وقد استغرقت تلك الفترة نحو قرن من الزمان ويقول الدكتور مانويل جومث « أن اللغة العربية والآداب ظلت سائدة حتى اصبحت اللغة اللاتينية اللغة الدينية فى الكنائس ، بينما ظلت اللغة العربية راسخة فى دم الشعب الى فترة متاخرة من تاريخ اسبانيا » .

وقد ساعدت اللغة العربية اللغة الأندلسية باصطلاحاتها اللفظية الخاصة ومقاييسها الخطابية على تكوين مفردات لغة قشتالة وهي كما هو معلوم لغة اسبانيا الوطنية على ان الكلام الدارج فى بلنسية ومرسية وغرناطة يشتمل على نسبة أكبر من الألفاظ العربية وان جزءا كبيرا من الكلمات والمصطلحات وأسماء الأثاث الفاخر والزينة ما زالت الى اليوم من مصدر عربي . كما أن استمرار استعمال اللغة العربية فى جميع الاتفاقات وجميع العقود الخاصة بالبيع فى طليطلة زهاء جيلين أو ثلاثة أجيال بعد استيلاء الفونس السادس على اسبانيا عام ١٠٨٥ (١) لدليل واضح على الطابع الذى خلفته هذه الحضارة .

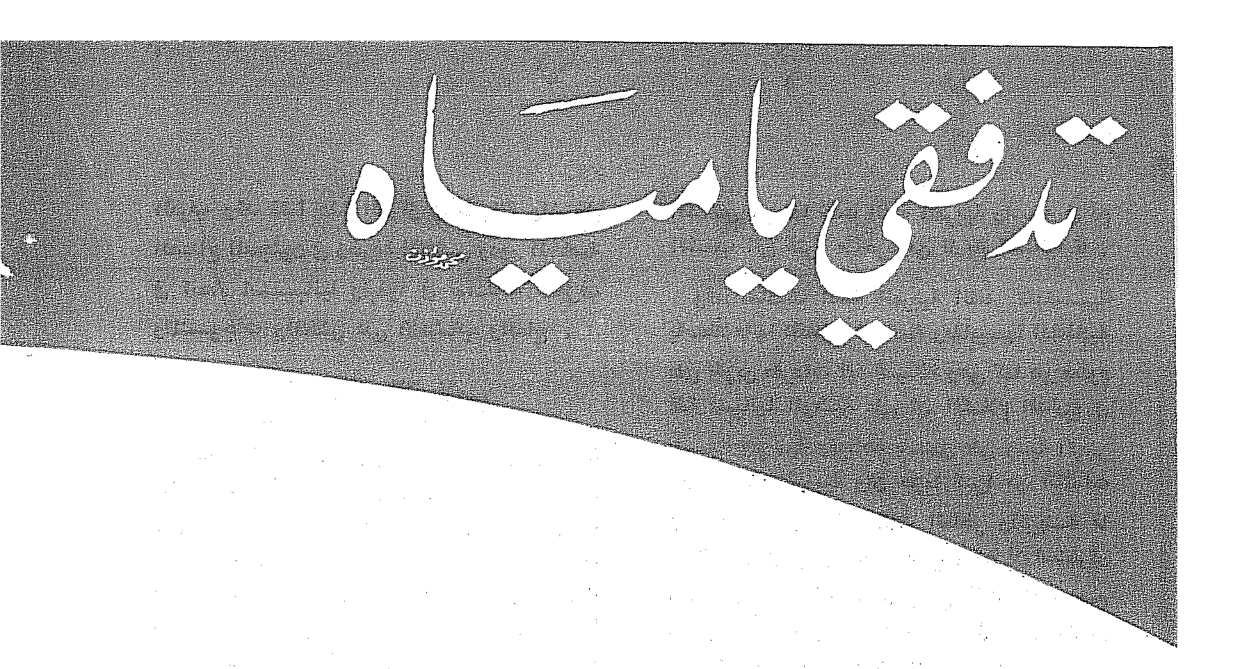
وقد امتد أثر هذا التأثير العربي الشرقي الى ما بعد خروج آخر عربي من الأندلس وسقوط مملكة غرناطة فى القرن الخامس عشر ، وظهر ذلك فى كتابة سرفانتز . أشهر كتاب أسبانيا فى القرن السادس عشر . وقد رفع سرفانتز شأن أسبانيا فى جميع أنحاء العالم بفضل كتابه المشهور « دون كيخوت » وقد ولد هذا الأديب بعد خروج العرب من اسبانيا بنصف قرن ، وقد ألف هذا الكتاب بأسلوب سهل يقبل عليه الاطفال ويقرأه الشبان ويفهمه الرجال ويمدحه الشيوخ .

وقد عكس سرفانتز صورته وصورة الشعب الاسباني بل صورة النفس الشرقية العربية فى كتابة دون كيخوت فنجد فيه خيال العربي الخصب والاسراف فى النشاط والاكتفاء بالخيال عن الواقع ، كما صور النفس الاسبانية فى صميمها ولبابها التي استمدت جمالها من النفس العربية الاسلامية .

وما خلفته فى نفوس من تلاها من أجيال الاسبان .

---

(٣) تراث الاسلام ـ ليفى بروتنسال مجلة الكاتب المصرى المجلد الرابع ١٦ يناير ١٩٤٧ .



تدفقي .. تدفقي يا مياه ... فهكذا ينبض قلب الحياه

تدفقي فجرا رحيب السنا ... إذا بدا شق الدياجي سناه

تدفقي نورا يشع الهدى ... لأنه من فيض نور الاله

تدفقي صوتا بعيد المدى ... لاتسمع الآفاق صوتا سواه

تدفقي ربيع قلب بدا ... ينثر في الآفاق أبهى رؤاه

تدفقي شباب عمر جرى ... فيه الضحى .. فازدهرت ضفتاه

تدفقي حبا وروحية ... فالحب والروح سبيل النجاه

تدفقي شوقا يحث الخطى ... إلى غد تشرق فيه خطاه

الليل كم أيقظ أشجانه ... ودمعة الفجر .. وناى الرعاه

من أين أقبلت ؟ فكم حدثوا ... وكم تبارى في الحديث الرواه

من حالق .. من حالق لا يُرى ... ولايكاد الوهم يرقى ذراه

وأين تمضين ؟ إلى هوة ... يغيب فيها الشيءُ فيما عداه

كالعمر لا يُعرف ما بدؤه؟ ... أجل .. ولا يعرف ما منتهاه ؟

ياليت عمري كله لحظة ... تدفقت من حالق لا أراه

«الى المياه المتدفقة من الاعالي بالخير والخصب والحياة»

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

تجمعت فيها المنى كلها ... وحازت الكون وما قد حواه

أعيشها .. أعصرها مرة ... دفقة نور .. حلوة .. مشتهاه

وحينما أمتصها .. أرتوى ... فأدرك الغيب، وأدرى مداه

ياليتنى أحيا على حالق ... قد صافحت نجم الأعالى يداه

كالنسر .. إن طرت فلا عائق ... إلا ربا المجهول أو شاطئاه

ترجّع الآفاق صوتى، فما ... يزال في الأسماع حيا صداه

أنشودتى هناك منسابة ... كضوء نجم سابح فى علاه

صافية كالنبع .. فواحة ... كالعطر .. نور فوق كل الشفاه

لكننى في القاع أنشودة ... مخنوقة الصوت كخطو الحفاه

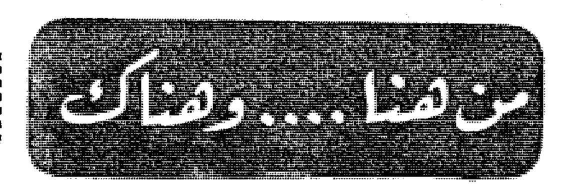
مكذوبة المضمون .. خداعة ... بأحرف مصبوغة منتقاه

يا ليتنى .. كم قلت يا ليتنى ... ولم أزل في القاع .. واحسرتاه

★★★

تدفقى .. تدفقى يا مياه ... فهكذا ينبض قلب الحياه





يكتبها الشيخ ع.النمر

ادارة مجلة « الوعى الاسلامى » المحترمين .
الكويت

تحية وبعد ..

نود أن نعلمكم أنه سبق وارسلنا الى سوريا عن طريق وكيلنا فى بيروت كمية خمسمائة نسخة من الوعى الاسلام رقم (١٥) .

وقد وصلنا اليوم كتاب من وكيلنا يعلمنا فيه ان السلطات السورية قد منعت توزيع العدد المذكور فى الاراضى السورية دون ان تبدى أية أسباب .

هذا للعلم .. ولكم صادق التحية .

الكويت فى ١٩٦٦/٧/١٠

مكتب منار للتوزيع
امضاء
عبد العزيز العيسى

عتب خفيف

ذلك هو نص الكتاب الوارد الينا من شركة منار للتوزيع فى الكويت .. وفىالوقت الذى تسلمناه جاءنا البريد برد العددين الاخيرين من المجلة . وكنا ارسلناهما للكاتب والمؤلف الكبير الاستاذ محمد عزة دروزة بدمشق وكتب عليهما كلمة (مرفوض) .. ولم يكن فى الامر مفاجاة لنا ، اذ ان المجلة منعت من دخول سوريا من أول عدد ظهر منها ، وسكتنا على مضض واسف . والرسائل من الكتاب والقراء والمكتبات تأتي الينا من البلد الشقيق بكثرة تطلب المجلة ، وتلوم وتعتب لعدم توفيرها لهم هناك ثم علمنا اخيرا من طريق الشركة العربية انه سمح بدخولها وان الشركة ستتولى التوزيع هناك وفى مناطق اخرى فسررنا لهذه الخطوة الطبيعية ـ وان جاءت متأخرة ـ لانها ستوقف عنا سيلا من اللوم والعتب ، وتتيح للقراء الاطلاع

على نوع جديد من المجلات الاسلامية ، التي جعلت هدفها خدمة الثقافة والافكار الاسلامية ، بعيدا عن جو الخلافات المذهبية والسياسية . وجعلت هدفها احياء الروح الاسلامية الاصيلة ، ولفت انظار المسلمين - ولا سيما الشباب منهم - الى تراثهم الضخم ، وثقافتهم الاصيلة ، وجوهم الاسلامي الطبيعي الذى يجب ان يعملوا على توفيره ، ليعيشوا فيه ، ويسعدوا به ، وتستريح نفوسهم على نسماته ويستردوا امجادهم بعرفانه .

لا شيء اكثر من هذا . لا نتعرض لمذاهب او تيارات سياسية تجرى فى البلاد العربية ولا نمس شخصية حاكمة او وضعا اختاره اى بلد لنفسه ... مقدرين أن الخدمة الاصيلة للاسلام والمسلمين من ناحية دينهم وعزتهم وكرامتهم ، هي ان نقدم لهم الثقافة الاسلامية بعيدة عما يجتاح العالم العربي - مع الاسف - من تيارات وخلافات تعصف به ، وتهد من كيانه ، داعين الى وحدة القلوب التي دعا اليها القرآن ، والتي تحيا بها أمة الاسلام .

ودخلت المجلة بهذا الى كل بلد عربى واسلامي ، والى قلب كل مسلم يطلع عليها فى شتى انحاء العالم .. لم يمنع دخولها بلد من البلاد ، ولم تتوقف على حدود ... اللهم الا فى لبنان ، مع عدد ربيع الأول الماضي حيث نزعت الرقابةمنه صفحتين معترضة على بعض كلمات وردت فى مقال ((فتح القسطنطينية)) وهي كلمات تاريخية ، وعلى بيت من الشعر ورد فى مقال ((محمد خاتم النبيين)) حينما هاجم ابرهة الحبشى الكعبة ، ومع ذلك لم تمنع المجلة من دخول لبنان ، بل طمست الكلمات التي لا تحبها ، ثم سمحت بدخولها . ونحن وان كان لنا عتب على طمس كلمات تاريخية ، لا نعتقد أنها تشير الى شيء ، او تثير شيئا ، الا اننا مع ذلك نحترم رأى الرقابة ووجهة نظرها هناك ، وان كان هذا لا يؤثر على خطتنا ، أو على وجهة نظرنا ..

اننا لا نأسف لان عدم دخولها سوريا سيؤثر على كمية التوزيع ، فان وزارة الاوقاف لا تهدف الى كسب مادي من ورائها ، بل انها تضحي بميزانية كبيرة خصصت لها من اجل نشر الثقافة الاسلامية ، على ان بلدا عربيا آخر طلب وحده اكثر من عشرة آلاف ولم تستطع ان نلبى طلبه ، حتى ينصف ما طلب ، وكذلك الحال مع بلاد اخرى ، وانما نأسف لهذا الموقف تجاه مجلة اسلامية هذا شأنها ، وتلك خطتها ، نأسف لحرمان اخواننا هناك منها وحرماننا من الاتصال الروحي والثقافى بهم ، مع كثرة طلبهم وعتبهم ولومهم ، ومع حرصنا على تدعيم هذا الاتصال بيننا وبين كافة المسلمين المثقفين .

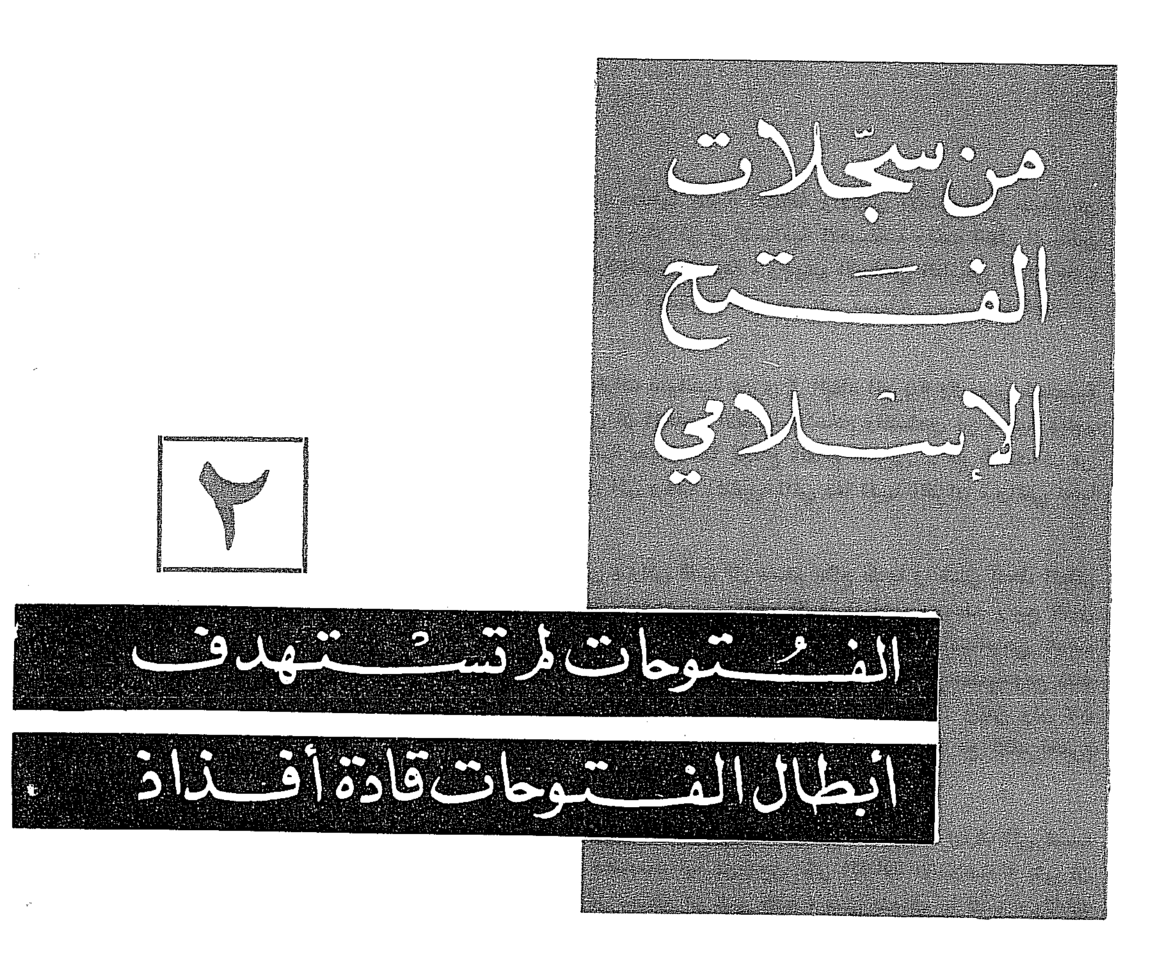
ومع ذلك فان حسن الظن يحملني على أن أقول . لعل هذا المنع لا يعبر عن رأى المسئولين الكبار .. لعل وعسى حتى تجد ((الوعي الاسلامي)) طريقها الى القراء فى سوريا ، كما تجد زميلتها الكويتية ((العربي)) ..

الصور الخليعة .. ؟

وهذا المنع او هذا الطمس يجرنا حتما الى الكلام عما تحفل به بعض المجلات من صور خليعة ماجنة ومثيرة وكلام جنسي مفتوح ... فكيف يسمح بلد اسلامي بنشر هذه الصور ؟ وأى هدف وطني او اجتماعي من وراء نشرها ؟ وكيف يسمح بلد اسلامي بدخول مجلة خليعة تحمل هذه الصور المثيرة التي وصلت الى حد نشر المرأة مجردة من أى شيء يستر جسمها ؟ ! .

نقول ونعيد . الشباب ، وتربية الشباب ، والمحافظة عليه من الانحراف .. الى آخر هذه النغمة التي يرددها المربون والفيلسوفون على الشباب عماد المستقبل .. و .. و .. ثم نترك هذه المجلات الداعرة تحطم روحه ، وتقضى على بذور الاستقامة فيه ، والشباب معذور يسير مع غريزته التي تنميها وتثيرها هذه المجلات ، ويتهافت على شرائها . والذى يكسب من وراء هذا كله .. صاحب المجلة .. يكسب مالا .. واعداء الامة يكسبون ضعفها وميوعتها ، وانصراف شبابها ، بل ورجالها عن الاهداف الكبرى لها . ثم نقعد وننعى على الشباب فى هذه الايام انحرافه ! ! .

اننا نطارد المخدرات محافظة على صحة الامة . وهذا واجب ، فكيف لا نطارد هذه السموم الجنسية محافظة على صحة الأمة الجسمية والروحية ؟ وهذا أشد وجوبا ..



الفتوحات فى عهد عمر

لم يفتح من العراق فى زمن أبى بكر الا الاراضى الواقعة غرب الفرات ، وكان من أسباب سرعة انتصار خالد انه كان يطلب رئيس الجيش للمبارزة ، فان برز اليه قتله لا محالة ، فينهزم جيشه ، وان لم يبرز ضعفت ثقة جيشه به ، وضعفت تبعا لذلك قوته العنوية ، فيكون الانكسار نصيبه حتما اضافة الى عبقريته التى تبدت فى مجال التكتيك العسكرى ، والتى أصبحت فيما بعد مدرسة لرواد التكتيك الحربى حتى عصرنا الحاضر .

وقد تنبه الفرس الى الخطر الذى يهددهم بعد فتوحات خالد فى بلادهم ،فوحدوا صفوفهم وأعادوا تنظيمهم فى الداخل ، وعين رستم قائدا عاما للجيش الفارسى ، وقد علم المثنى باستعدادات الفرس العظيمة فذهب بنفسه الى المدينة يطلب مددا : فوجد أبا بكر على فراش الموت ، فتأخر ارسال المدد حتى تولى الخلافة عمر ، واطلعه على الموقف ، والح بطلب القوى والجند ، فأرسل جيشا الى العراق بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، وجعله قائدا عاما . وكان رستم وزير فارس حينذاك قد أعد جيشا كبيرا بقيادة (بهمن جاذويه) المشهور عند العرب ب ((ذو الحاجب)) واعطاه راية الفرس الكبرى (درافش كابيان) المصنوعة من جلود النمر . وجعل فى مقدمة جيشه الفيلة . فانتصر على أبى عبيد فى معركة الجسر قرب الحيرة سنة ٦٣٤م ، قتل فيها أبو عبيد عندما كان يعبر نهر الفرات الى الفرس ، بعد أن كان قد هزمهم فى معركة سابقة ، وارتد جيش المسلمين متكبدا خسائر فادحة .

وحينما تولى المثنى القيادة استعاد السيطرة على الموقف ، وعبر الفرات متراجعا الى الغرب ،

كنا قد نشرنا في العدد العاشر من هذه المجلة (الجزء الاول) من هذه الدراسة التاريخية التي تتناول بالعرض والتحليل بعض الصفحات المشرقة في « سجلات الفتح الاسلامي » .. ويسرنا أن نقدم في الصفحات التالية الجزء الثاني منها .

دراسة أعدها
الاستاذ موفق بني المرجه
محرر بمجلة الكويت

السيطرة وإنما حماية الدعوة
مازالت خططهم تدرس حتى اليوم

واخذ يلم فلول جيشه استعدادا لمعركة اخرى يثأر فيها من الفرس ، فلما وصله المدد اشتبك مع الفرس في معركة « البويب » على فرع للفرات يمر بمكان الكوفة : فانتصر انتصارا باهرا انتقم فيه لمعركة الجسر .

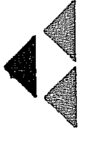
وقد اثرت هذه المعركة على الفرس ، وخافوا سوء العاقبة ، فتركوا منازعاتهم الداخلية ، وانتخبوا « يزد جرد الثالث » ملكا عليهم . فاستعد هذا لحرب العرب ، وعين رستم قائدا عاما ، فلما بلغ المثنى بن حارثة خبر استعداد الفرس العظيم،كتب الى عمر يعلمه بالامر ، ويطلب منه المدد ، فأهتم عمر بالامر كثيرا ، وأعلنالتعبئة العامة في بلاد المسلمين ، فتجمع الجند المسلمون في المدينة ، وعقد ما يشبه مجلس الحربالاعلى ، ونوقشت الخطة الجديدة ومسألة القيادة ، وكان الخليفة يريد ان يسير بنفسه لقتال الفرس

فاتفقوا على ان ينتدب غيره للقيادة وان يبقى هو في المدينة ، واشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص . فأرسل اليه كل ما أمكنه جمعه من مدد بقيادته ، وسار بجيشه حسب تعليمات الخليفة عمر حتى وصل الى زرود ، ونزل بها حيث لحقت به بعض القوى العربية ، وهناك جاءه نعي المثنى متأثرا بجراحه .

وكتب الخليفة ايضا الىابي عبيدة يأمره باعادة جند خالد الى العراق سيما وان معركة اليرموك قد انتهت . فسار سعد الى العراق ، وعسكر قرب القادسية (وهي قلعة قديمة تقع الىالجنوب الغربي من الكوفة) وكان عدد جيشه (٣٠) ألفا .

معركة القادسية

وكان يزد جرد قد أعد جيشا كبيرا بلغ عدده ١٠٠ ألف بقيادة رستم للقضاء على العرب ،



من سجلات الفتح الاسلامي

فخاف المثنى وتراجع الى غرب الفرات ينتظر وصول جيش سعد ، الا انه اصيب بالحمى ، ولما احس دنو أجله كتب الى سعد رسالة (١) يبين فيها أنجع الوسائل لمحاربة الفرس ، لانه خبرهم وعجم عودهم . فلما سمع سعد بقدوم رستم اعد جيشه اعدادا رائعا واتم تعبئة قواته في « زرود » ثم تابع الزحف فبلغ « شراف » ونزلها ، وأخذ ينظم قواته استعدادا لخوض المعركة التي يتوقف على كسبها مصير المسلمين في العراق ، وفي هذا المكان وصلته تعليمات (٢) جديدة من الخليفة عن كيفية تنظيم الجيش ، وقد اختار الخليفة « القادسية » لتكون قاعدة لجيش المسلمين في هذه المرحلة ، بينما حشد الفرس كل ما استطاعوا من قوة خلال هذه الفترة ، بعد أن أدركوا أنهم على أبواب معركة فاصلة ، فاما ان ينتصروا على المسلمين ويستردوا نفوذهم ، واما أن يفوز المسلمون فيندثر سلطانهم .

غادر رستم المدائن الى الحيرة ، ورتب نقاط اتصال بينه وبين المدائن لنقل أخبار جيشه الى الملك يزد جرد .

وكذلك فعل سعد بينه وبين المدينة ، ليطلع الخليفة على تطورات الموقف .

ثم أرسل الخليفة الى سعد طالبا منه ارسال وفد الى كسرى لتبليغ الفرس وانذارهم ودعوتهم الى الدخول في الاسلام ، وذلك حقنا للدماء ، وتجنبا للحرب ، فأرسل سعد وفدا الى كسرى وجرت مفاوضات انتهت بطرده ، وبعد ذلك جرت مفاوضات بين وفود سعد ورستم ، ولكنها لم تصل الى النجاح .

ولما استنفد المسلمون الوسائل لمنع الحرب ، أصدر سعد امرا الى قادة جيشه بالتأهب للقتال ، ولما تمت التعبئة ، وصلى الناس صلاة الظهر كان سعد قد اتفق مع قادة جيشه أن تكون التكبيرة الرابعة ، ايذانا بابتداء القتال .

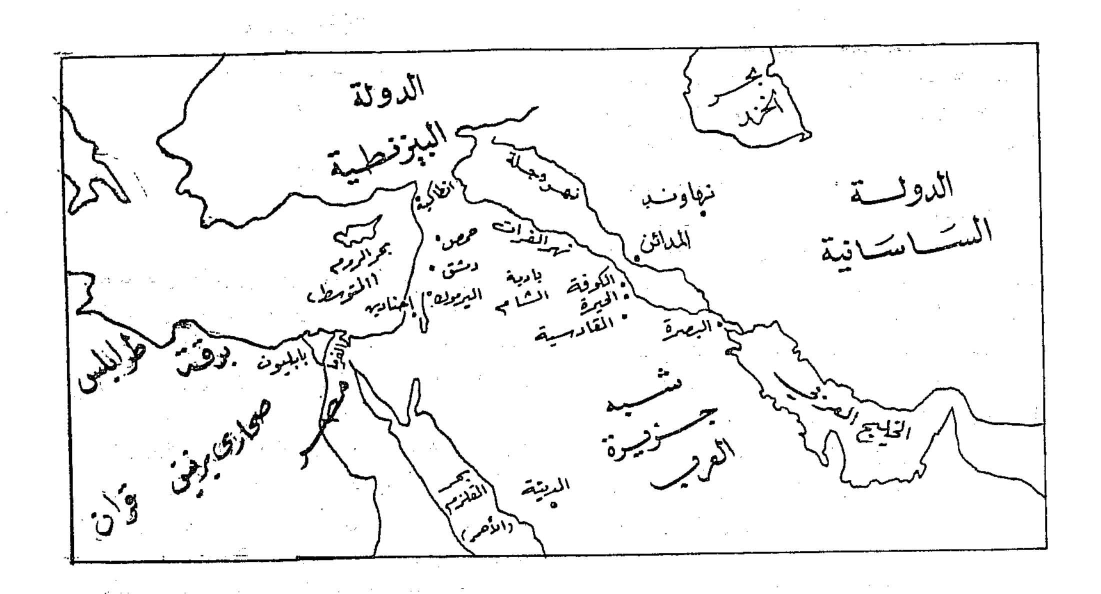
موقعة القادسية

التقى الجيشان عند القادسية في أول حزيران (يونيو) سنة ٦٣٦م (شعبان سنة ١٤ هـ) ، عند الظهر واستمرا حتى الهزيع الاول من الليل ، وكان في جيش الفرس عدد من الفيلة ، فاحتدمت المعركة بضراوة لا مثيل لها مدة ثلاثة أيام — أو أربعة في رأي آخر — كان النصر في اليوم الاول للفرس لان خيول العرب نفرت من الفيلة ، وسمى العرب هذا اليوم بيوم « ارماث » . وقد أدار سعد المعركة من شرفة قصره ، اذ كان مصابا بدمامل في جسمه لا يقوى معها على الركوب .

---

(١) نص الكتاب الذى تركه المثنى الى سعد بن أبي وقاص . قال فيه : « قاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدر من أرض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ثم يكونون اعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكرة لهم » .

(٢) التعليمات التي وصلت سعد من الخليفة عمر : « أما بعد فسر من « شراف » بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله واعلم انك تقدم على امة عددها كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد واذا لقيتم القوم فابدءوهم الشد والضرب ، واياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة ، وأمرهم غير امركم ، الا أن تحادوهم ، واذا انتهيت من القادسية فتكون مسالحك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك انغصتهم رموك بجمعهم الذى يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الاخرى كان الحجر في أدبارهم فانصرفتم من ادنى مدر من أرضهم الى أدنى حجر من ارضكم وكنتم عليها اجرأ ، وبها اعلم ، وكانوا عنها اجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة عليهم » .



فكان يتمدد فى الشرفة المطلة على ميدان القتال ، ويصدر أوامره بأوراق صغيرة الى خالد بن عرفطة الذى كان الى جانبه فيبلغها خالد الى القادة للعمل بموجبها .

وفى اليوم الثاني استعد العـــرب لمقاومتها فبرقعوا بعض الخيول ، وجللوا بعض الابـــل لتنفير الفيلة ، حتى صار شكلها غريبا ، وأعدوا بعض صناديد العرب لضرب الفيلة بالســـيوف على خراطيمها ، وبالرماح فى عيونها ، فنفـــرت جامحة ، وأخلت بنظام الجيش الفارسي، فاصبحت المعركة مائعة لكنها الى جانب العرب أميـــل . وفى هذا اليوم وصل مدد للمسلمين من الشام عدته عشرة الاف مقاتل بقيادة هشام بن عتبة ، فاشتدت عزائم المسلمين بوصول المدد ، وحملوا حملة صادقة ، ودام القتال حتى منتصف الليل. ويسمى العرب هذا اليوم بيوم « أغواث »لوصول الغوث فيه من الشـــام .

وفى ضحى اليوم الثالث استؤنف القتـــال بحملة شديدة من المسلمين على أمل انهاء امـــر الفرس ، فقابلهم هؤلاء بحملة مثلها ، لانهم أدركوا أن انهزامهم يعنى فناءهـــم . ثم بـــرز بعـــض الفدائيين المسلمين (١) وصوبوا رماحهم الـــى عيون الفيلة ، وأدخلوها فيها ، فارتدت الفيلة مذعورة ، واوقعت الاضطراب والذعر فى صفوف الفرس ، واندفع المسلمون كالاسود بحملة قويـــة يعصفون بالجيش الفارسى ، حتى شلوا جناحيه، واستمر القتال طول الليل ، وكل جانب يرجو الفوز . وقد دعى هذا اليوم بيوم « عماس » . ويروى بعض المؤرخين تفاصيل اليوم الرابـــع باعتباره اليوم الذى حسمت فيه المعركة بمقتـــل « رستم » فيقولون . ان بوارق النصر والفوز قد لاحت فى ذلك اليوم فشدد المسلمون الحملة على جناحى الفرس وصدقوا فى حملتهم ، وعند الظهر تقهقهر جناح الفرس ، وثبت القلب حيـــث كان رستم على رأس راية فارس الكبرى ،فحول

---

١ ــ من أشهر اقاصيص بطولات هذه المعركة قصـــة البطل الاســـلامي ، أبو محجن الثقفى الذى كان سجينا لتعاطيه الخمر وحينما رأى من نافذة سجنه حوادث المعركة استبدت به الحماسة وما زال يلح على زوجة سعد حتى فكت وثاقه واندفع يقاتل بشدة اذعرت الاعداء فاستغرب سعد واخوانه امـــر الفارس الملثم وقال : « ان الضير ضير البلقاء ــ أى فرس سعد ــ والظفر ظفر أبى محجن وما أن انتهت المعركة حتى سارع أبو محجن اليها لتشد وثاقه من جديد ، ولكن سعد عفى عنه حينما علم الحقيقة فأبطل أبو محجن الخمور بعدها .

من سجلات الفتح الاسلامي

سعد ثقل الهجوم الى القلب ، واصدر أوامره أن تشترك قوى المسلمين كلها فى الحملة على القلب ، وكانت هجمة شديدة اضطرب معها جيش الفرس ، وتسابق الفدائيون المسلمون الى سرادق « رستم » الذى حاول الفرار حينما شعر بوصولهم ، فلحق به هلال بن علقمة فقبض عليه وقتله ، ثم صعد على سريره وقال (قتلت رستم ورب الكعبة) ، فهلل المسلمون وكبروا ، وتضاعفت معنوياتهم ، وانهارت معنويات الفرس ، فاندفع المسلمون يقاتلون بكل حماسة ، حتى ولى من بقى من جيش الفرس الادبار ، وبدأت عملية المطاردة ، فقتل قسم كبير من الفرس ، وأسر قسم اخر ، وغنم ضرار بن الخطاب راية الفرس .

وكان سعد قد أصدر التعليمات الوافية سلفا لنساء العرب فى القادسية حول العناية بالجرحى وتجهيز الماء والطعام للمقاتلين ، وكذلك خصص أماكن لدفن الشهداء ، وقد قدر شهداء المسلمين ب (٧٥٠٠) بينما جاوز عدد قتلى الفرس اضعاف ذلك . وكانت القادسية من أعظم المعارك التي شهدها المسلمون .

أهداف معركة القادسية

أما الهدف من هذه المعركة التى أدارها الخليفة بنفسه من عاصمة خلافته فقد كان القضاء على دولة الفرس باعتبارها العدو اللدود لدولة المسلمين ، والعقبة الكأداء فى وجه الدعوة الاسلامية وقد اوضح الخليفة هذا الهدف للجموع التى احتشدت شرقى المدينة ، ولسعد عندما ولاه قيادة ميدان العراق وكانت الضربة قاصمة للجيش الفارسى فى القادسية ، بحيث لم يستطع الفرس الوقوف امام جيش المسلمين فى المعارك التي تلتها ، وكانت سلسلة من الهزائم حتى تم انهاء أمر فارس فيما بعد .

معركة نهاوند

بعد انتهاء معركة القادسية عين النعمان بن مقرن قائدا عاما فاشتبك مع جيش يزد جرد فى معركة نهاوند . وقتل فى المعركة قبل نهايتها ، وخلفه فى القيادة حذيفة بن اليمان ، فانتصر فى المعركة ، وعلى أثرها سقطت بلاد فارس ما عدا أجزاء صغيرة فتحت فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد تم بذلك تقويض دعائم الامبراطورية الفارسية التى كانت تتحكم بمصائر عدد كبير من الشعوب المستضعفة ، وتفتحت للشعب الفارسى النوافذ ، وعرف الاسلام فأسرع الى اعتناقه ، فكان هذا الفتح نعمة له فى دنياه وآخرته ، ثم توجهت الجيوش الاسلامية بعد ذلك وجهة اخرى حيث يممت وجهها شطر الجزيرة الفراتية .

فتح الجزيرة الفراتية

لما سيطر المسلمون على سوريا والعراق سهل عليهم فتح الجزيرة لان القبائل العربية قد بسطت سلطانها على معظم مدنها قبل الاسلام من حين الى آخر ، ولان سكانها من الآريين كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة الملكانية فى ذلك الوقت فرغبوا فى التخلص من حكم الروم .

وقد أمر عمر اياد بن غانم عامله على حمص وقنسرين أن يتوسع فى الجزيرة الفراتية ففتحها كلها فى عام ونصف ، ولم يلق مقاومة الا فى مدينة رأس العين ثم فتح الموصل وهاجم أرمينيا لكنه توفى قبل أن يتم اخضاعها .

ومن جديد اتجهت انظار المسلمين وجهة اخرى حيث التفتوا الى الخصم العنيد الآخر الذى يقف فى وجه الدعوة الاسلامية .. وهو (امبراطورية الروم) .

فتح مصر

وقد رغب عمرو بن العاص أن ينال قسطه من شرف الفتوحات ، فأوضح للخليفة عمر أهمية فتح مصر نظرا لموقعها الهام ولما فيها من ثروة عظيمة ، وليأمن العرب شر الاسطول الرومى بالاستيلاء على قاعدته فى الاسكندرية ، هذا علاوة على كونها

مفتاح الطريق الى شمال افريقيا حيث المجال الخصيب لانتشار الدعوة الاسلامية . لهذا كله اغتنم فرصة وجود الخليفة فى القدس ، واستطاع اقناعــه جزئيا بضرورة فتــح مصر ، التي طالما راوده الحلم بفتحها لما كان تاجرا وزارها مــع قافلته ، فأعطاه عمر جيشا عدده ٤ آلاف جندى، ووجهه لفتح مصر ، وأخبره أنه سيرسل اليــه كتابا بعد عودته للمدينة فاذا وصله الكتــاب قبل دخول مصر وفيه أمر بالرجوع فليرجع من فوره ، وان كان قد دخل الحدود فليتقدم على بركة الله.

ولما رجع عمر الى المدينة استشار الصحابة ، فبينوا له الاخطار التى تحدق بالحملة ، فأرســل الرسالة لعمرو يأمره بالرجوع فوصلته قبل ان يعبر الحدود المصرية ، ولكنه لم يفضها الا بعد أن دخل العريش ، مخافة أن يكــون فيها أمــر بالرجوع . واستمر فى سيره متتبعا الطرق التى ســلكها الفاتحون لمصر من قبله مثـــل جنكيز والاسكندر ، فوصل الى (الفرما) وهــى أول مدينة محصنة ، فسقطت بعد حصار شهرين .ثم تقدم الى بلبيس ففتحها بعد حصار شهر ،واندفع نحو حصن بابليون الرابض على ساحل فى النيل لكنه لم يحاصره لقلة جنده وعدم وجود آلات حصار معه ، فعسكر فى عين شمس وطلب المــدد من الخليفة .

وكان حاكم مصر فى ذلك الوقت المقوقس الذى شغل أيضا منصب بطريك الاسكندرية منذ سنة ٦٣١م ، فأسرع هذا الى الحصن ومعه قائد الجيش العام تيودورس . ولم يمض طويل وقت حتى وصل المدد الى عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام فبلغ عدد جيشه ١٠ آلاف ، يقابلهم ٢٠ الف جندى بيزنطى بالاضافة الى خمسة الاف حامية الحصن . فوقعت المعركة الفاصلة فى عين شمس سنة ٦٤٠ م التي تمزق فيها جيش العدو فهرب تيودورس الى الاســـــكندرية واعتصم المقوقس فى الحصن . وتقدم العرب وحــاصروه وطال أمد الحصار لعدم وجود آلات حـــصار لديهم ، وجرب المقوقس أن يخدعهم ففشل لانهم لم يقبلوا غير احد شروطهم المعروفة الثلاثــة ، لذلك طلب المقوقس وفدا لمفاوضته فى الروضة . وكم كان غيظه عظيما حينما جاءه الوفد برئاســة عبد حبشى وهو عبادة بن الصامت ، غــير أنه اضطــر الى قبول دفــع الجزية وارسل شروط الصلح الى هرقل فرفضها واســتدعاه الــى القسطنطينية .

ولما لم تنجح المفاوضات استمر المســلمون فى حصار الحصن ، وبعد سبعة أشهر استطاع الزبير بن العوام مع ثلة من زملائه أن يتسلقوا السور بالسلالم فقتلوا الحرس ، وبسرعة البرق ، دوى داخل الحصن صوت (الله اكبر) فتدفق أبطال المسلمين الى داخــل الحصــن وفتحوه وكان هرقل قد توفى أثناء الحصــار وخلفه على العرش ابنه قسطنطين .

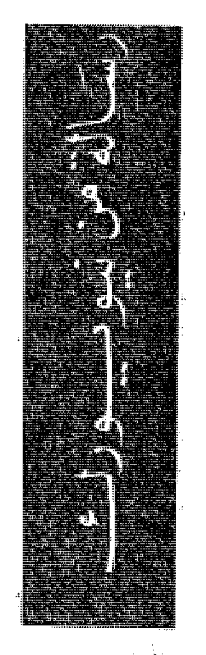
فتح الاسكندرية

بعد سقوط الحصن يممعمرو شطر الاسكندرية ـ أجمل وأقوى مدينة فى العالم بعد القسطنطينية ـ وكانت تحيطها سلسلة من القلاع وكان فيهــا السرابيوم وهو بناء ضخم فيه مكتبة الاسكندرية ومعبد سرابيس ومسلتان من الجرانيت وتقــع أمامها من جهة البحر الفنارة العظيمة التــى عدت من عجائب الدنيا السبع .

وقد جاء عمرا مدد من الجزيرة فبلغ جيشه ٢٠ الفا ، وكان عدد حامية الاسكندرية ٥٠ الفا تدعمهم قوة الاسطول الرومى . ولما كان العرب لا يملكون سفينة واحدة ولا آلات حصار اصيبوا بهزيمة فادحة من جراء القــذائف التــى كانت تسلط عليهم من منجنيقات السور . الا أنها لم تفل من عزمهم واستمروا فى الحصار فأرســـل امبراطور الروم عامله المقوقس ليفاوض العرب ، فعقد معهم صلح الاسكندرية وبموجبه يدفع الروم جزية مقدارها ديناران عن كل رجل ، وضريبة الخراج عن الاراضى ، ويتعهدون بعدم ارســال اى جيش لاعادة احتلال مصر ، وبجلاء جيوشهم عن الاسكندرية خلال ١١ شهرا ، وبموجب الصلح جلا الروم عن الاســـكندرية ، ودخلها العــرب وقد ارسل عمرو الى الخليفة ينبئه بالنصر بكتاب هذا نصه (قد فتحت مدينة أعظم من انتوصف) .

وبذلك أصبحت مصر كلها فى قبضة المسلمين ، وكان للاقباط فضل فى تسهيل الفتح اذ ساعدوا العرب تخلصا من اضطهاد الروم الذين كانــوا

ـ البقية على ص ٨٥ ـ



لاقت ((رسالة من نيويورك)) التي نشرناها في عدد ربيع الأول استحسانا عاما لدى القراء ولهذا نقدم هذه الرسائل التي وردت ايضا من الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية في نيويورك لما جمعته من معلومات تكشف لنا كثيرا مما يجرى هناك . ((الوعي)) .

ماذا يجري هناك ؟

ان الحركات الاسلامية فى نيويورك توجت ــ بفضل جهود المرحوم كامل عبد الرحيم ــ بتأسيس المؤسسة الاسلامية عام ١٩٥٧ وهي التي أعمل فيها الآن ، اجتمعت جهود بعض المسلمين فاشتروا منزلا فى أحسن مكان فى نيويورك كلفهم حوالي سبعين ألف دولار ، ويساوى اليوم ما لا يقل عن (٢٥٠) ألف دولار (وعلى فكرة كان لجهود السيد كامل عبد الرحيم الفضل الأكبر فى نجاح مشروع المركز الاسلامي بواشنطون عندما كان سفيرنا هناك فلما صار مندوب الجامعة العربية لدى هيئة الأمم حاول أن يعمل بنيويورك مثل ما صنع فى واشنطون) وتعتبر هذه المؤسسة أكبر الهيئات الاسلامية جميعا وأهمها ، وللأسف لم تتطور منذ بدأت ، وأملي أن تتحسن الأوضاع ويكون لها نشاط اسلامي محسوس فى القريب العاجل ، ومن مشروعاتنا التي نهدف اليها بناء مركز اسلامي يحتوى على مسجد كبير مناسب ومدرسة اسلامية تراعى حالة الظروف هنا ، ومكتبة ومكاتب وأماكن لأنواع النشاط الاسلامي والشباب المسلم الى غير ذلك . وهو مشروع يتكلف الملايين ، وقد تلقيت كتابا من السيد سفير ليبيا يفيد بأن جلالة الملك ادريس الأول تبرع بمائتي ألف دولار للمشروع ، ومن قبل تبرع حاكم الكويت الرشيدة بمثل هذا المبلغ وكذلك الحكومة السعودية . وأحاول الآن جهدى للحصول على قطعة أرض بمثابة منحة من احدى المؤسسات الكبرى هنا عن طريق تأييد بعض الأساتذة الأوروبيين بحجة ما ينشأ عن هذا المشروع من منافع ثقافية وأدبية . والأرض وحدها قد تبلغ أكثر من مليون دولار لأن الارض هنا أغلى ما فى الدنيا . والله المعين . على كل أرجو أن أكتب لك فى المستقبل عن المؤسسة وأغراضها ومشروعاتها ونشاطها ان شاء الله . كما أرجو أن أكتب لك عن الاسلام والمسلمين فى أمريكا .

٦٦/٣/٢٠

عزيزى الأخ .

لقد وصلني عدد الهجرة المتاز ، وكلما قرأت لكم ازداد أعجابي بكم ، وأعجبني نعيكم على المسلمين عنايتهم بعيد الميلاد المسيحي ، وعدم عنايتهم بقدر مناسب بعيد الهجرة . وهنا في نيويورك احتفلنا — رغم صعاب مادية — بعيد رأس السنة الهجرية أو بذكرى الهجرة ، وكان احتفالا ناجحا بحمد الله ، تحدث فيه بعض سفراء الدول الاسلامية ، وحضره سائر السفراء وزعماء المسلمين ورجال الجامعات ، ولقد كانت هذه أول مرة يحتفل فيها في هذه المناسبة في هذا البلد ، لذا وقعت كلمتكم مني موقعا حسنا لما قرأتها ، وخصوصا لأن الكثيرين هنا سرهم هذا الاحتفال ، وكثير من المسلمين لم يكونوا يفهمون معنى الهجرة ، ولكن هذه الكلمة العربية بنصها كانت مكتوبة على بوابة الفندق الذى استأجرنا قاعة خاصة به لهذا الاحتفال لدلالة المدعوين على مكان الاحتفال ، فحفظها المسلمون وغير المسلمين وعرف الكثير معناها ومغزاها بحمد الله . ولعلك تعجب أن نقيم هذا الحفل بعد أيام من الشهر ، ولكن كيف نصنع وليس لدينا مكان متسع بالمؤسسة ، وعلينا أن نستأجر مكانا باحد الفنادق ، وهذه الصالات ليست متيسرة في كل يوم ، وهي في أيام عطلات الأسبوع غالية للغاية ، حيث تؤجر من أجل النشاط الآخر الذي تعرفه وتنعاه في اخلاص على صفحات مجلتك ! .

أخي

لا أدرى ماذا أكتب اليك ، انني لأعاني غير القليل من القلق والحيرة ، وذلك لما يحيط بنا هنا من الحاد صارخ واباحية جارفه وصهيونية ممقوتة ، هل تتصور أن تصدر كتب ومقالات وعناوين كبيرة جريئة تقول ((قد مات الاله)) .. أعوذ بالله ! وتتشدق الصحف عن التسامح ((الجنسي)) وتمتدحه على أنه أمر تقدمي ، فتستعرض ((التساهلات)) من جانب سلطات المدارس والجامعات في شتى الأنحاء ، بحيث تسمح للطالبات بزيارة الطلاب في مخادعهم في وقت متأخر من الليل ، والغاء ضرورة ترك الباب مفتوحا قليلا ، وتذكر مسئوليه هذه السلطات في تزويد الطلاب والطالبات بوسائل منع الحمل ، ويتحدثون عن الشذوذ الجنسي ببساطة وكأنك تتحدث عن بعض ألوان الطعام المباحة ، ومنذ أيام ثلاثة تتحدث الصحف — ومنها نيويورك تايمز — عن ناد لهؤلاء الشاذين ، سمع هذا النادى بأن السلطات توعز الى أصحاب البارات بألا يرحبوا بذوى الشذوذ الجنسي ، فيقوم ثلاثة من أعضاء النادى بجولة حول عدد من البارات في المدينة — بصفتهم الرسمية في النادى ! — لتحدى هذا الموقف ، وتذكر الصحف أنهم كانوا يدخلون على على صاحب البار فيقولون نحن (كذا وكذا) والعياذ بالله ! ويطلبون ما يشاءون ، فلم تتردد أكثر هذه النوادى في تقديم طلباتهم ، وتذكر الصحف أيضا أسماءهم وأعمارهم ، هل تتصور أن ذلك يا أخي يحدث فيما يزعمون أنها بلاد العلم والمدنية ! .

أما الصهيونية فحدث عنها ولا حرج ، ومركزها الأكبر عندنا هنا في نيويورك بالأسف ، لا تكاد تذهب الى حانوت أو مكتب أو مصنع الا وتصادفهم ! أتعلم أن هنا في نيويورك مليونين من اليهود ؟ وهل تعلم أن عددهم في أمريكا أكثر من ثمانية ملايين ؟ .

وهل تعلم أن أعضاء ما يسمونه باتحاد الهيئات للاكتتاب لاسرائيل يبلغون سبعمائة وخمسة وسبعين ألف عضو — كما ذكرته جريدة نيويورك تايمز صباح أمس (٢٥ ابريل ١٩٦٦)

وهل تتصور أنهم يجمعون سنويا ستمائة وخمسين مليونا من الدولارات ، تذهب منها خمسمائة مليون دولار لاسرائيل المزعومة ، ومائة وخمسون

رسالة من نيويورك



مليونا تشترى بها الذمم من أجل الصهيونية سنويا ؟ ! .

ومما يجرح الفؤاد أن حاكم ولاية نيويورك وقع بالأمس اعلانا يسميه « يوم استقلال اسرائيل » ، ويصنع السيد عمدة نيويورك مثل ذلك فيوقع اعلانا آخر يجعل هذا الأسبوع كله « اسبوع استقلال اسرائيل » يقولون ان أمس كان العيد الثامن عشر لاستقلال اسرائيل بالتاريخ العبرى ، وليت شعرى كيف يسمى هذا استقلالا ؟ وهل كان ما حدث أكثر من أن عصابة وحشية اغتصبت أرض سادتهم وأملاكهم من عرب فلسطين الأبرياء تحت سيطرة المنتفعين المرتشين وتأييدهم ! وما هذه المجاملة والنفاق من جانب السلطات العليا هنا ؟ انها السياسة والانتخابات ! .

وختاما أرفق بهذا صورة نشرتها جريدة « نيويورك تايمز » صباح اليوم « التقليعة » أترك لك وصفها (١) ، يقولون عنها اجتمع فيها الجد بالمرح ، والدين مع الرقص ! ترى فيها الشباب يرقصون رقصا خليعا على أنغام دينية في احدى الكنائس الكبيرة هنا ! ويصف القسيس الجمع بأنه « عبادة قديمة على موسيقى حديثة » ، ويسمون الخطبة بأنها خطبة دينية راقصة! ويهتف بعض الحاضرين « سبحوا الله برقصة الروكندرول ! ، انه تعالى يحب أن يرى عباده مرحين سعداء » ! ! ، ويهتف آخر : سبحوا اسم الله بكثير من الرقص ! .

٦٦/٤/٢٦

عزيزى الأخ

وصلني عدد شهر صفر وأعجبت بتعليقاتكم على أحوال الشباب وخلاعة الشابات ، وتصادف أن قرأت فى نفس اليوم أن المشرف على امتحان الجامعات باكسفورد منع الطالبات من الحضور بالفساتين القصيرة لغرفة الامتحانات لأنه يرى فى ذلك خلاعة لا تتفق مع جلال الامتحان وهيبة الروب الجامعي الذى عليهن أن يرتدينه داخل الجامعة ، بالاضافة الى أن المنظر المكشوف فوق الركبة قد يشغل الشباب عن التركيز على الاجابة عن أسئلة الامتحان ، فكان هذا اتفاقا عجيبا ، زادكم الله توفيقا . كما أعجبني فى العدد بعض النقاط الأخرى مما لا يتسع الوقت للافاضة عنه ، كما أعجبني العدد الأخير أيضا وسرني أن اقرأ فيه مقالا للدكتور زكي على بجنيف عن زعيم اسلامي مجاهد من بلاد القوقاز .

★★★

يزور الملك فيصل الولايات المتحدة الآن ، وقد أحدثت زيارته ضجة هنا ، وخاصة لتصريحاته ضد الصهيونية فى واشنطون أمس ، والمفروض أن يحضر مساء اليوم الى نيويورك ليقضي عشرة أيام بها ، وكان مفروضا أن تعمل له مآدب واحتفالات رسمية ، يقيمها حاكم الولاية وعمدة مدينة نيويورك ، ولكن الصهيونيين ــ لعنهم الله ــ احتجوا بشدة على عمدة نيويورك مما اضطر هذا المسكين الى أن يعلن الغاء الاحتفالات كلها ، وهي ضربة مؤلمة جارحة للغاية بل ما كانت تتصور ، ولكنها تبدي لك مبلغ نفوذ اليهود هنا ، الواقع أنني قد شعرت كأنني أعيش فى «تل أبيب» ، لا يتيسر لنا عمل اصلاحات بدار المؤسسة بسهولة ، لم نستطع اجراء التأمين على مبنى المؤسسة رغم المحاولات المتعددة ، وكما سمعت أن

---

(١) كنت أود نشر هذه الصورة ليراها القارىء ويعجب ولكن حال دون ذلك أسباب فنية .

نفوذ اليهود قد ازداد هذين العامين الأخيرين أكثر من أي وقت مضى ، ولا تخلو الصحف يوميا مما يجرح مشاعرنا ، والأفلام على التلفزيون اليوم عن العرب والجواري والعبيد ليصوروا للناس مبلغ تأخر العرب يوم يزورهم ملك من العرب ، ومنذ أيام وصلني مقال بعثت به احدى المؤسسات اليهودية كتبته يهودية بعنوان « الاسلام كطريق للتفاهم بين اسرائيل وجيرانها العرب .. » يتحدث عن الاسلام بعبارات ظاهرها السلامة وباطنها الحط من الاسلام . ومع المقال كتاب واستمارة لاملأها عن العدد المطلوب من النسخ من هذا المقال لتوزيعها مجانا على طلاب المدرسة كسائر طلاب المدارس !! وتظهر في السوق كتب وروايات كلها تقلب الحقائق التاريخية من طرق ملتوية فيها خلط الحق بالباطل ، خلط الحق الذى يعرفه الناس بالباطل ليظهر الكل في ثوب مزيف من الحقيقة .

★★★

▩ قرأت في الأسبوع الماضي عن كتابين ظهرا عن الحروب الصليبية ، أحداهما يصف صلاح الدين باللؤم والخداع ، ويتحدث فيها عن فلسطين بأساليب تفرض يهوديتها ، ثم اذا تحدثوا عن قيام اسرائيل سموه «استقلال اسرائيل» وما حدث من حرب أيامها كان « ثورة اسرائيل ضد الاستعمار الانجليزي لاكراه الانجليز على الخروج » واللاجئون ما خرجوا من فلسطين خوفا من اليهود ، ولكن الحكومات العربية استغلت الثورة الوطنية اليهودية ضد المستعمر البريطاني فأرادت ضرب اسرائيل فنصحت عرب فلسطين بمغادرة البلاد حتى لا يهلكوا مع اليهود فلما انتصر اليهود على البريطانيين وأكرهوهم على الخروج واستقر الوضع في اسرائيل ، فلا يمكن اجبار حكومة اسرائيل على قبول عودة العرب الذين تركوا بلادهم طوعا واختيارا تلبية لدعوة الحكومات العربية ! ولو أطلقت للقلم العنان لضايقتك بطول الحديث .

★ ★ ★

▩ سيجتمع مؤتمر اتحاد الجمعيات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا يوم ١٥ يوليو القادم في مدينة «لندن» بكندا ، وربما أحضره فاذا تمكنت من ذلك فأرجو أن أكتب لك رسالة عنه ، ويسركم أن تعلموا أن حكومة الكويت أهدت مكتبة المؤسسة مجموعة من الكتب العربية القيمة منها مجموعة كاملة لمجلة الوعي الاسلامي للعام الأول من صدورها مجلدة في مجلدين جميلين باللون الأخضر ، وذلك في الشهر الماضي وقد سعدت بها جدا . ولعلكم سمعتم عن صدور كتابي عن الملايو الذى كان لكم الفضل في أن بدأت كتابته في ٢٢ مارس ، كما صدر لي أربع كتب دراسية قبل ذلك بشهر في الملايو ، واستعين الله حاليا في كتابة سلسلة من الكتب الدراسية في الدين الاسلامي واللغة العربية لاستعمالها في المدارس هنا ، وقد تم الجزءان الأولان بحمد الله ونسأله تعالى أن ييسر طبعهما قبل بدء العام الدراسي في سبتمبر ،

والي جانب هذه المدرسة اعتزمنا أن نبدأ مدرسة ليلية بالمؤسسة لتدريس اللغة العربية ، نرجو الله أن يكفينا شر الصهيونيين . هل تصدق أن ضابط بوليس قال لي انه يعجب كيف يمكن للمؤسسة أن تبقى هنا في نيويورك ؟ الواقع أننا لو استطعنا أن نبني مسجدا هنا ذا مئذنة عالية شامخة ، فسوف يكون انتصارا للعالم الاسلامي كله . كان الله معنا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

١٩٦٦/٦/٢٢

المخلص

محمد عبد الرءوف



أبو القاسم الزهراوي
نابغة الطب في الأندلس

للدكتور محمد ابو شوك
رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى ــ بالكويت

فى الوقت الذى تتباهى فيه بغداد على العالم بعلمائها وبنور المعرفة الذى يشع منها ، وتفخر بفخرها الرازى ، وبالعالم الرئيس ابن سينا . فى هذه الاثناء تبرز قرطبة بالاندلس لتنافس بغداد حاملة مشاعل النور على يد علمائها العرب .

وكانت قرطبة فى القرن العاشر أكبر مدينة مزدهرة الحضارة فى أوروبا سكانها حوالى مليون نسمة تحوى ٣٠٠ مسجد و ٧٠ مكتبة و ٥٠ مستشفى . وانشئت جامعتها فى القرن الثامن فكانت المنار الوحيد للعلم فى القارة الاوروبية ، وفتحت أبوابها للمسلمين وغير المسلمين ــ دأب العرب لا يبخلون على أحد بعلم ــ ولم لا واسلامهم دين الرحمة والمحبة والعلم والمعرفة . يأمرهم بالتزود من العلم والتعلم وعرض علومهم على البشرية لينهلوا منها ما شاءوا .

وهذه مكتبة جامعة قرطبة تضم فى جنباتها أكثر من ٢٢٥ ألف كتاب فى شتى العلوم والفنون ، ليرتوى منها كل راغب فى علم لا فرق بين العربى وغير العربى ، المسلم وغير المسلم . فالكل فى محراب العلم سواء .

وتخرج فى جامعة قرطبة علماء أوروبيون كانوا قادة فى دولهم بعد تخرجهم مثل ميكل الاسكتلندى وغيره .

وفى قرطبة الشامخة يسطع نجم الجراحة العربية اللامع أبو القاسم الزهراوى ــ أعظم جراح اسلامى فى المغرب والاندلس فى ذلك الوقت .

ولد أبو القاسم الزهراوى عام ٩٣٦ ميلادية ، ولم يعرف عن حياته الاولى الا النزر القليل . ولكن المعروف عنه

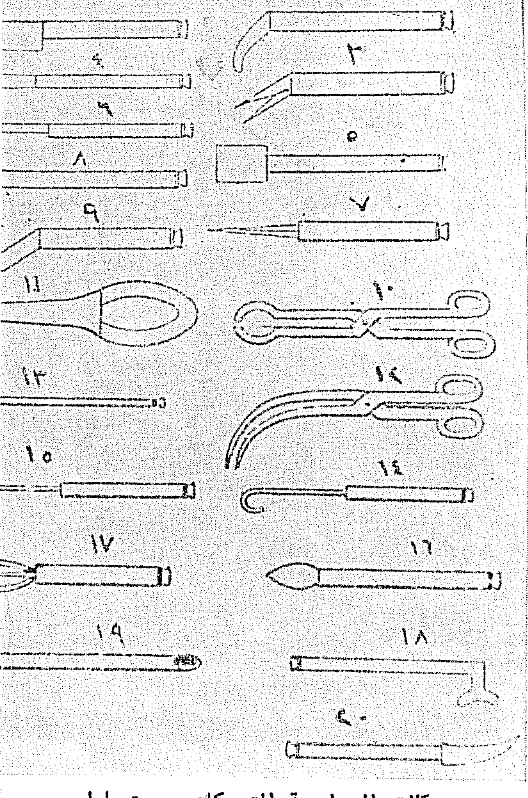
انه تألق نجمه حتى أصبح الطبيب الخاص للخليفة عبد الرحمن الثالث أعظم خلفاء الاندلس . وكان نبوغه خاصة فى ناحية الجراحة ، فوضع أسسا عميقة لها ، وجعلها فرعا قويا من فروع الطب المتعددة ، بعد أن كان ينظر الى الجراحة فى هذا الوقت نظرة غير لائقة بها ، فاليه يرجع الفضل فى النهوض بالجراحة ، وانى لاحس ان كل جراح يدين بالفضل لهذا العبقرى الفذ . فالى جراحى العرب والاسلام بل والى جراحى العالم أجمع أقدم صورة الزهراوى الخالدة فى علم الطب والجراحة .

التصريف لمن عجز عن التاليف

هذا هو مؤلف الزهراوى النفيس وضع فيه كل تجاربه فى فن الجراحة ، وجاء فى ثلاثين مجلدا وقد احتوت النسخة التى كتبت عن الجراحة على ما يزيد عن ٢٠٠ آلة جراحة ، كان يستعملها الزهراوى فى عملياته . ونظرة دقيقة الى هذه الآلات نرى أن معظمها يستعمل فى الوقت الحالى ، بعد أن ادخلت عليها تعديلات طفيفة من حين الى أخر حتى وقتنا هذا . وانى لادعو زملائى فى الجراحة العامة وجراحة العظام لينظروا الى هذه الآلات وسيجدونها قريبة الشبه للالات التى تستعمل الان . فأية عبقرية هذه التى يتمتع بها جراح العرب الاول .

ثم انظروا معى تروا هذه الآلات التى تطلقون عليها أسماء أصحابها باللغات الاجنبية ، قد اقتبس أصحابها الكثير منها عن الزهراوى قائد الجراحة الاول بينما ننساه فلا نطلق اسمه حتى على آلة من هذه الآلات .

وانه ليجدر بكل جراح عربى أو اسلامي فى عصرنا هذا ان يدقق النظر فى هذه الالات ، ويخرج علينا بآلة بل وبآلات ويطلق عليها اسم رائد الجراحة الاول .



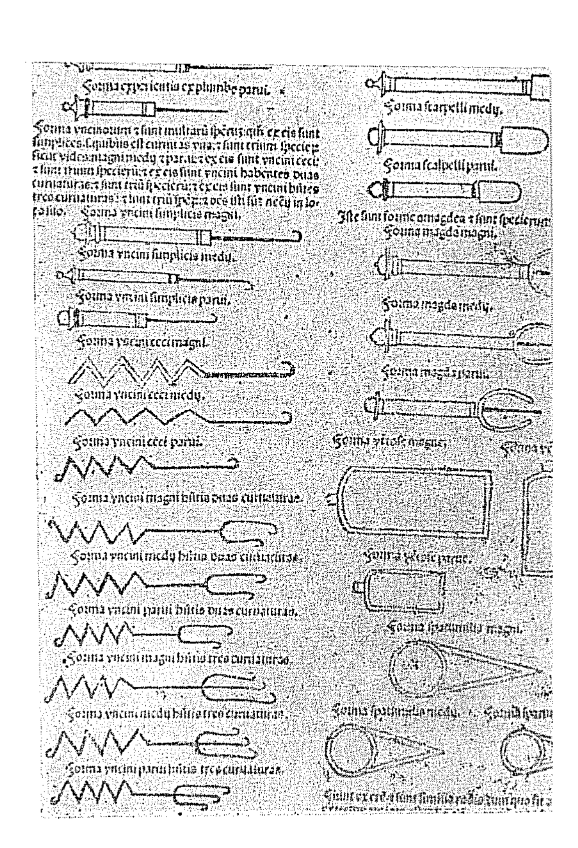
آلات الجراحة التي كان يستعملها الزهراوي ، وكذلك ترى فى الصور الأخرى .

هذا عن الآلات وماذا عن العمليات الجراحية التى قام بها ؟

ففى محيط الجراحة العامة .

فى أوائل هذا القرن طلع علينا الجراحون يقولون انهم توصلوا الى ايقاف النزيف بواسطة الكى ، ولم يعلموا أن الزهراوى كان أول من قام بهذه العملية منذ عشرة قرون مضت . ثم ان الزهراوى كان أول من قام بعمليات سرطان الثدى ، وكان أول من حذر من انتشار السرطان لذا كان له قصب السبق فى هذا المجال وفتح الباب على مصراعيه لكل باحث فى السرطان وانتشاره فى الجسم .

وكذلك قام بعمليات استخراج حصى



المثانة ، وذلــك بفتح المثانة أو تفتيــت الحصوة ، ويطالعنا جراحو الغرب بانهم أول من قاموا بهــذه العملية ، وما كان أجدرنا وأجدرهم أن يرجعوا الى تاريخ العمليات الجراحية ليجدوا الزهراوى فوق قمة من قام بهذه الجراحة .

وفى جراحة العظام .

كان الاول فى معالجة الكسـور ، ونظرة الى الالات التى كان يستعملها فى هذه الجراحة نراها لاتختلف كثيرا عن الالات الحديثة اليوم .

وكذلك وصف الزهراوى التهـــاب المفاصل وسبق بوت Pott فى وصــف السل فى العمود الفقرى بـ ٧٠٠ عام .

وكذلك قام بعمليات تشوهات الفم والفك ، وكان أول من أوقف النزيف من الشرايين الكبيرة بربطها ، وبذلك سهل العمليات الجراحية ــ ومــن العجيب أن ينسب الجراح الفرنسى ابرواز بارى Aberoise Pare هــذا الى نفسه عام ١٥٥٢م ، وأغفــل اسم الجراح العربى وتناساه ، مع أنه سبقه بحوالى ٦٠٠ عام والى ابي القاسم جــراح العــرب الاول يرجع الفضل فى عملية تخييط الجروح من الداخــل ، بحيث لا تترك أثرا على سطح الجلد ، وكذلك طريقة استعمال التخييط بواسطة ابرتين وخيط واحد مثبت بهمــا ــ واستعمــل الخيـــوط المصنوعة من أمعاء القطط فى جراحات البطن والامعاء .

ثم ان الزهراوى كان أول من أوصى برفع الحوض والارجل فى العمليات التى تجرى على أسفل الجسم قبل أن ينادى بــذلك ترنــد لنبــرغ Trendelburg الالمانى .

وأنت يا أخى فى جراحة الانف والاذن والحنجرة تذكر عندما تقوم بانقاذ مريض بعملية شــق الحنجــرة تــذكر دائمــا الزهراوى لانه كان أول مــن قام بهــذه العملية ، فقد أجراها على خادمه لينقذ حياته من موت محقق .

وفى مضمار الولادة .

كان أول من وضع نظرية الجفت الذى يستخرج به الجنين من بطن أمه ، ولو أنه استعمله فى استخراج الطفل الميت من بطن أمه ، ولكنه على أى حال فتح المجال لاستعماله فى هذه الحالات . فالى الزهراوى يدين العالم أجمع لهذه الارواح التى عاشت من يوم استعمل الجفت فى استخراج الاطفال الاحياء مــن بطــون أماتهم الى يومنا هذا ، وسيبقى هــذا الفضــل على مر الزمــن مادام الجفت يستعمل فى الولادات العسيرة .

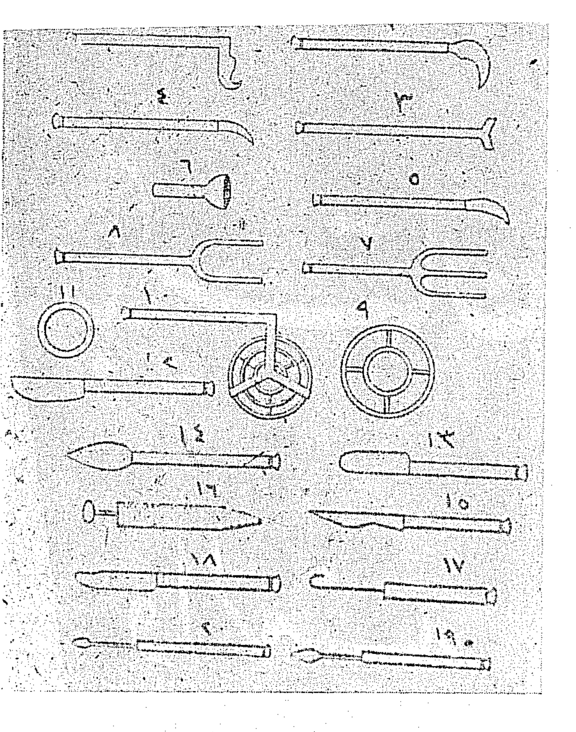
وكذلك وصف حالات الولادة العسرة فى حالة خروج اليد أو الركبة عند بدء الوضع ، كما وصف الوضع الوجهى Face Presentation و كان أول من عالج هذا الوضع . ثم أنه سبق Walcher بمئات السنين فى وصف الوضع الذى تكون عليه المرأة ساعة الولادة ، والذى يعرف الان باسم من نسبه الى نفسه بعد أن أخذه من الزهراوى الا وهو وضع Walcher الالمانى .

ثم ان الزهراوى قام بعمليات فى المهبل ، وأوجد مرآة خاصة بالمهبل ونظره الى الآلات نرى أن من بينها آلات كانت تستعمل لتوسيع عنق الرحم .

ولقد كان تأثير كتاب « التصريف لمن فاته التأليف » للزهراوى واضحا ، فظل المرجع للجراحة قرونا طويلة ، فكان يدرس فى مدرستى سالرنو ومونبيليه وغيرها فى مدارس الطب المتقدمة فى العصور الماضية ، ولقد تأثر به جاى ، وروجر ، ولانفرانك وغيرهم الذين يرجع اليهم الفضل فى التشريح والجراحة فى أوروبا ، فكان هذا الكتاب نبراسا لهم وهاديا الى هذا التطور الجراحى الذى تتمتع به أوروبا فى هذه الايام .

ولقد ترجم الكتاب فى فنيسيا فى سنة ١٤٩٧ واستراسبورج سنة ١٥٣٣ وبازل سنة ١٥٤١ والجزء الخاص بالجراحة ترجم الى اللاتينية فى مجلدين فى اكسفورد سنة ١٧٧٨

وهكذا سما الزهراوى بالجراحة الى المكانة اللائقة بها ، واليه والى العرب فى كنف الاسلام الحنيف يرجع الفضل فى رفع مستوى الجراحة وفى بقاء علم الجراحة ذلك الفرع من الطب الذى خفف من آلام المرضى ونجاهم من موت محقق لولا التدخل الجراحى .



قرر بابوى عجيب .

وشتان ما بين العرب فى تلك العصور وبين الغربيين عندما كانوا يصفون الجراحة بأنها عملية حقيرة لا يحترفها الا الجلادون والجزارون والحلاقون حتى ان قرار « نورس البابوى » عام ١١٣٦ حرم تدريس الجراحة فى مدارس الطب ، وأعلن أن أى طبيب يقوم باجراء أى جراحة ما هو الا حقير وغير شريف فالى العرب خاصة والى المسلمين عامة أقدم فخر الجراحة أبو القاسم الزهراوى كما قدمت من قبل فخر الطب الرازى فاليهما يرجع الفضل كل الفضل فى علم الطب ــ علم التضحية والانسانية .

وفاته .

وتوفى الزهراوى عام ١٠١٣ ميلادية بعد أن خلد ذكراه ووضع اسمه على قمة الجراحين العرب وغير العرب . فرحمة الله على الجراح الاول الذى سما وعلا فى كنف الاسلام الحنيف .



للعرب وللكويت بصفة خاصة علاقة عميقة الجذور بشبه القارة الهندية ، ترجع الى ما قبل الاسلام ، وزادت هذه العلاقة وثوقا عندما دخل الاسلام الى تلك البلاد، منذ عهدالخلفاء الراشدين.. واصبح للمسلم هنا اخوة له هناك يعيشون فى شبه القارة ، يرفعون شعار التوحيد ويتجهون للكعبة ... وفى مثل هذه الايام من العام الماضى شغل العالم وفى مقدمته المسلمون بالنزاع الدموى الذى قام بين الشقيقتين الهند وباكستان .

وفى اغسطس من كل عام تحتفل الشقيقتان بعيد استقلالهما ، بعد ان رزحتا معا تحت عبء الاستعمار وذاقتا سويا مرارته ، وكافح المسلم والهندوسى جنبا الى جنب ، واختلطت دماؤهما معا فى سبيل التحرر والتخلص من قبضة الاستعمار .

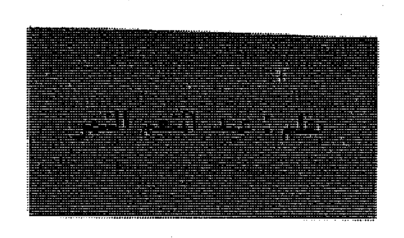
وبودنا هنا فى هذه المناسبة أن نقدم لك دراسة تاريخية عن ظروف قيام الدولتين ،وذلك بمناسبة عيد استقلالهما : وقد حلينا الغلاف بصورة لمسجد فخم أقامه المسلمون الذين حكموا شبه القارة ، قبل ان يسيطر عليها الاستعمار الانجليزى ... وقد اردت ان اكتب لك هذه الدراسة ولكنى وجدت أن أنسب وأوفى ما اقدمه لك منها هو تلك الخاتمة التى ختمت بها كتابى « كفاح المسلمين فى تحرير الهند »

ولعل من المفيد ـ قبل ان اقدم لك هذه الدراسة التاريخية ـ ان امر معك سريعا بتاريخ شبه القارة منذ دخلها الاسلام .

فقد طرق المسلمون العرب ابوابها من ساحل بحر العرب منذ عهد الخلفاء الراشدين وتقدمت خطاهم داخل البلاد بأرض السند فى عهدالامويين والعباسيين ، ثم حين ضعف العباسيون اقام المسلمون فى الهند امارتين اسلاميتين وظل الامر على ذلك حتى طرقت ابواب الهند من الشمال جيوش اسلامية اخرى بقيادة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى حاكم افغانستان الذى توغل فى ارضها ، وحالفه النجاح فى كل لقاء التقى به مع حكام الهند .. وكان ذلك سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١م) .

حتى اذا انتهت الدولة الغزنوية على يد الدولة الغورية تابعت الاخيرة خطة سابقتها فى التوغل بأرض الهند .. حتى سقطت مدينة دلهى فى يد المسلمين سنة ٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م ..





ومنذ ذلك الوقت ظلت دهلى أو كما سماها الانجليز دلهى عاصمة الدولة الاسلامية فى الهند الا فى فترات قليلة .. وبدأ الملوك المسلمون يستقرون فيها ، ويحكمون البلاد منها .

وقد تعاقب على حكم الهند عدة دول اسلامية ، كل منها تأخذ الحكم من سابقتها ، حتى كانت الاسرة التيمورية المغولية اخر الاسر التى حكمت الهند من ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦م الى ان قضى الانجليز على آخر امبراطور منها ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧م .. وادخلوا الهند ضمن مستعمرات التاج البريطانى ، بل كانت باتساعها وغناها اغلى درة فيه كما كان يقال ..

وقد كان حكام الاسرة التيمورية اعظم من حكموا الهند من المسلمين وذلك فى العهد الاول من حكمهم ، واقاموا فيها حضارة مزدهرة تكاد تفوق الحضارات الاسلامية الاخرى ، وتركوا من اثار هذه الحضارة ما تفاخر به الهند الان ، وفى مقدمة هذه الاثار « تاج محل » احدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أقامه الامبراطور شاه جهان فى مدينة « أجرا » كما بنى القلعة الحمراء والمسجد الجامع الفخم بمدينة دهلى ..

ولكى تتصور عظمة الاباطرة المسلمين الذين حكموا الهند اسوق اليك هذه الواقعة التى ذكرها كتاب حضارة الهند لجوستاف لوبون .

حين بدأ لعاب الانجليز يسيل على خيرات الهند وتكونت شركة الهند الشرقية الانجليزية ارسل ملك انجلترا جيمس الاول رسولا الى الامبراطور المسلم « جهانكير » (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ الموافق ١٦٠٥ - ١٦٢٧م) ومكث الرسول الانجليزى سنتين ينتظر سماح الامبراطور له بمقابلته واخيرا طلب ان يحمل كتابا من الامبراطور لمليكه فكان رد رئيس وزراء الامبراطور عليه « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولى مسلم ان يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون .

وفى هذا الوقت كان الانجليز قد بدأت خطتهم على ارض الهند باسم التجارة ، وبدأت شركة الهند الانجليزية الشرقية عملها باذن من الاباطرة وهم لا يتصورون انها اخيرا ستقضى عليهم وعلى امبراطوريتهم ولكن هذا ما كان ، وانتهى الحكم الاسلامى على يد الانجليز ١٨٥٧م .

ودخلت الهند فى قبضة الاستعمار الغربى ، وبدأ المسلمون فيها يلاقون اقسى انواع الظلم والعنت والاضطهاد على يد الانجليز ، خوفا من ان يرفعوا رؤوسهم ، ويعيدوا ملكهم السليب .. والمسلمون تقوم لهم جيوب مجاهدة هنا وهناك ، والانجليز يطاردونهم .. حتى بدأت حركة التحرر بقيادة زعماء المسلمين والهندوس معا فى مطلع هذا القرن ، وكان المسلمون بحكم ثاراتهم من الانجليز فى مقدمة المضحين والمجاهدين ، حتى انتهت الامور اخيرا الى تخلى الانجليز عن الهند وتسليمها لاهلها فى اغسطس سنة ١٩٤٧م ...

ولكن اهلها لم يفرحوا باستقلالهم فرحة كل شعب يحصل على استقلاله ، فقد انقسمت البلاد ، واصر اغلبية المسلمين على ان تكون لهم دولة ، وعارضهم الهندوس وبعض المسلمين .. وقامت مذابح بينهم فى الوقت الذى نالوا فيه استقلالهم .. فكانت البلاد كالعروس التى تزف فى بحر من الدماء ، وعلى اشلاء القتلى ، ورأى المسلمون والهندوس معا من المآسى ما لم تشهده بلاد اخرى مما لا يزالون يعانون آثاره حتى الان .

واذا كان لنا من رجاء بمناسبة ذكرى استقلال

الهند وباكستان فهو ان تتغلب الحكمة على قادة الدولتين حتى يقضوا على الآثار التى خلفها المستعمرون وراءهم ، وعلى الجروح و «الخراجات» التى تركوها فى جسم الدولتين ، حتى يرفرف السلام والصفاء على ربوعهما ، ويتعاونا معا فى سبيل الخير المشترك لشعبين كانا الى عهد قريب شعبا واحدا يجابه المستعمر صفا واحدا .

وبعد ذلك هيا بنا الى صفحة ٣٣٧ من كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » لنقدم لك دراسة تاريخية لنعرف منها كيف قامت الدولتان والظروف التى أحاطت بقيامهما :

« تمخض الجهاد المشترك ـ كما عرفنا ـ الى تقسيم الهند الكبرى الى دولتين : بهارت أى الهند ، وباكستان ، فى ١٥ اغسطس ١٩٤٧ ، ولم يكن حظ الدولتين متساويا فى هذا التقسيم ، لا من حيث المساحة ، ولا السكان ، ولا المدن الكبرى ، ولا مراكز الصناعات ، ولا من حيث الوضع العام لرقعة الدولة .

فقد قام التقسيم على أساس الاغلبية الدينية فى المنطقة : الاغلبية الهندوسية للهند ، والاغلبية المسلمة للباكستان ، والمسلمون اقلية بالنسبة للهندوس ، فقد كانوا يبلغون حين التقسيم نحو مائة مليون مسلم ، وهم وان كانوا موزعين فى أنحاء الهند ، بحيث لا تخلو منهم قرية أو مدينة ، الا انهم كانوا يكونون نسبة عالية فى الشرق ، وكذلك فى الغرب .

باكستان

فكان من حظ باكستان منطقتان : احداهما فى الشرق الاقصى من البلاد الهندية وهى البنغال ، وثانيتهما فى أقصى الغرب منها وهى ارض السند. ويفصل الواحدة منهما عن الاخرى مسافة نحو « ١٢٠٠ » الف ومائتى ميل من الاراضى الخاصة بالهند .. كما أن الطريق البحرى بين المنطقتين طريق طويل ، يبدأ من كراتشى على ساحل بحر العرب ، وينتهى عند موانى البنغال فى خليج البنغال ، ويبلغ ٢٥٠٠ ميل .

وكان هذا الوضع ، هو أحد الاوضاع الشاذة والصعبة ايضا فى تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع تتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، ان لم يكن من ناحية الحكم ، فمن ناحية الدفاع ، والاقتصاد ، والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .

فكم يلزم تبادل المنافع الاقتصادية بين الجزأين من صعوبات . وكم يلزم الدفاع عنهما كذلك من أعباء ونفقات لاعداد جيش قوى فى كل منهما ، يصلح للدفاع وحده عن حدودها الممتدة ،المجاورة لدول عديدة فى الشرق او فى الغرب ، ولو لمدة تتسع لوصول المدد من الناحية الاخرى ، ان استطاع التغلب على الصعوبات والمخاطر التى يتعرض لها فى الطريق ؟! .

والجزآن لا يربطهما رابط من روابط الجنس أو اللغة او الارض ، والرابط الوحيد بينهما هو رابط الاسلام ، الذى جعل منهما دولة واحدة ، وهو بلا شك من اقوى الروابط التى تربط الامة، ان لم يكن أقواها ، ولا سيما فى وقت قامت فيه الدولة الجديدة على اساسه ، لتجابه تعصبا دينيا آخر ، خشوا منه على تراثهم ومصالحهم .

ولكن الى متى يظل هذا العامل مسيطرا على روح الشعب ، دافعا له الى الوحدة مع شقيقه فى الناحية الاخرى ، متغلبا على الصعاب الاخرى التى تجابهه ؟ هذا هو السؤال الذى يجيب عليه الزمن .

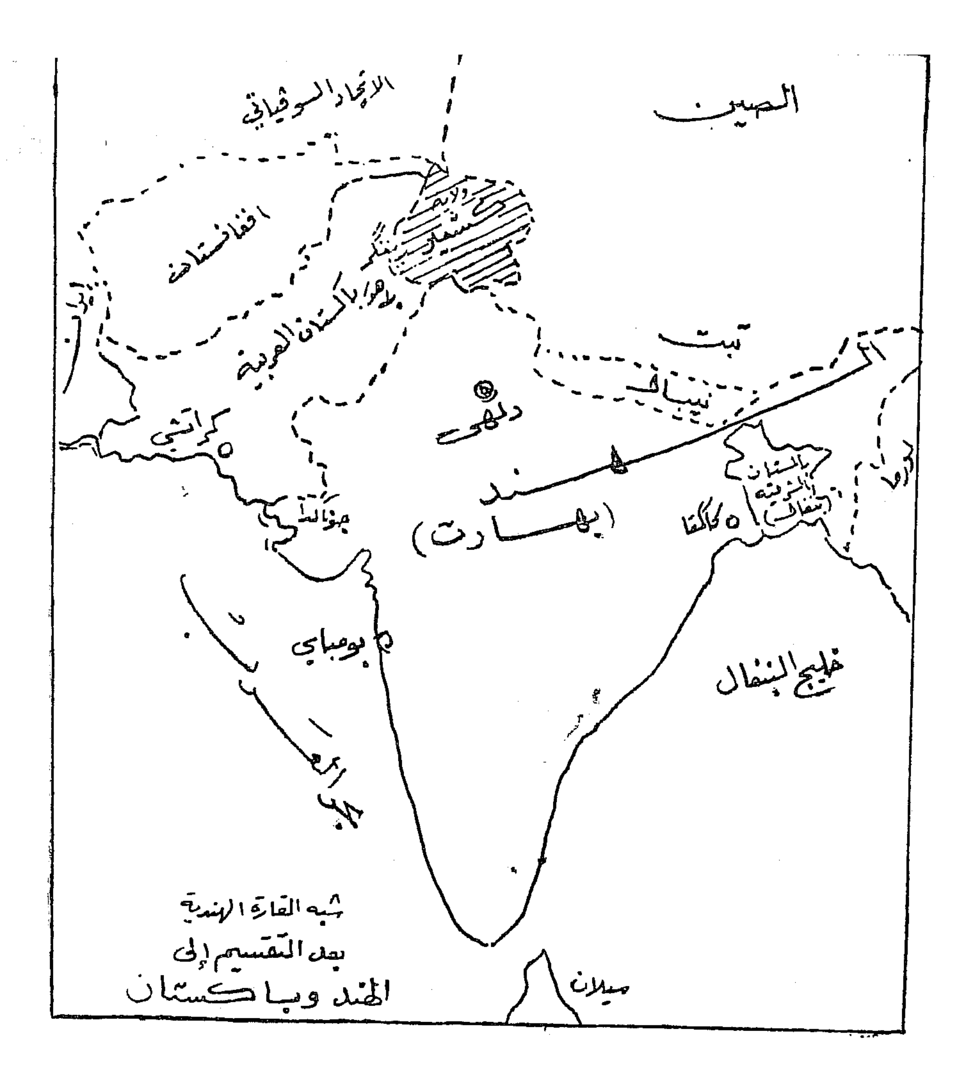
والقسم الشرقى (البنغال) : خصب ، غزير الامطار كثيف السكان ، مساحته نحو ٥٤ ألف ميل مربع ، وهى أقل من مساحة القسم الغربى ، ولكن عدد السكان فيه نحو ٤٢ مليونا .

بينما تبلغ مساحة الباكستان الغربية نحو ٣١٠ الف ميل مربع ، وسكانها نحو ٣٣ مليون نسمه ، أى ان مساحة الجزء الغربى نحو خمسة اضعاف الشرقى ، ومع ذلك فهو أقل منه فى عدد السكان ، نظرا لكثرة الاراضى الصحراوية فيه ...

وجملة عدد السكان شرقا وغربا نحو ٧٥ مليونا حسب احصاء ١٩٥١م (١) ونسبة الاقليات من هندوس وبوذيين ومسيحيين ومجوس ، تبلغ نحو

---

(١) فى احصاء سنة ١٩٦١ بلغ مجموع السكان ٩٣٫٧٢٠٫٦١٣ مليونا . فى الغرب ٤٢٫٨٨٠ مليونا وفى الشرق ٥٠٫٨٤٠ مليونا ، وعدد المسلمين فيهما ٨٢ مليونا ونصف أى بنسبة ٨٨٪ والهندوس بنسبة ١٠٫٧٪ والباقى طوائف أخرى .



١٤٪ ، ولكن نسبتهم فى الشرق أعلى ، اذتصل نسبة الهندوس نحو ٢٣٪ من عدد السكان .

والعاصمة هى كراتشى ، وهى ميناء على البحر العربى فى باكستان الغربية ، وقد تقرر نقل العاصمة الى مدينة « راولبندى » فى أقصى الشمال . أما عاصمة القسم الشرقى فهى مدينة « داكا » .

ظروف عصيبة

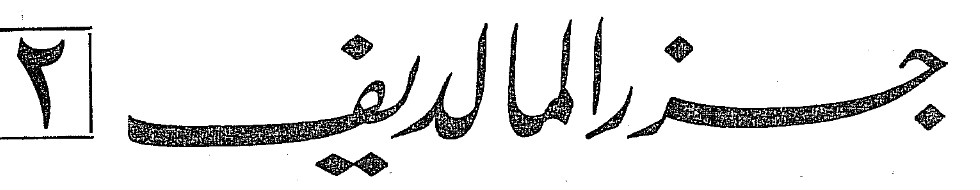
وقد نشأت الباكستان فى ظروف عصيبة ، يكفى فيها ان نتصور قيام دولة جديدة بكل اجهزتها الضرورية فى ظرف سريع ، فقد كانت دلهى هى العاصمة قبل التقسيم ، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، ولم تكن كراتشى فى عداد هذه المدن ، مثل بومباى وكلكتا .. وقد انتقل الجهاز الحكومى اليها ، ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها .. وفى هذا الظرف

جابهت الدولة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين .. وما يحتاجه مثل هذا العدد من توفير الاقامة له وحل مشاكله .

ثم ان هناك حقيقة يجب ألا نهملها ، وهى أن الاراضى او المدن التى كانت من نصيب باكستان، لم يكن فيها من الثروة المعدنية ، ولا من المراكز الصناعية مثل ما كان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ..

فلقد عمل الانجليز منذ استقروا فى الهند — كجزء من خطتهم فى اضطهاد المسلمين — على اهمال المناطق التى يكثر فيها عدد المسلمين ، وركزوا الصناعات والجامعات والمكتبات ، وعمليات انشاء الطرق ، وكل مظاهر العمران الهامة فى المناطق التى تسكنها اغلبية هندوسية .. وهذا شيء ملاحظ لا سبيل الى انكاره حتى أن الزعيم

— البقية على ص ٨٦ ، ٨٧ —



الجنة العائمة وسط المحيط

للاستاذ مامون عبد القيوم
عضو البعثة المالديفية بالازهر

((صفحات مجهولة))

يبدأ التاريخ المالديفي الحقيقي بدخول الاسلام، واما الفترة السابقة لذلك فلا يعرف عنها الا اقل القليل ، وهو ما ذكره المسعودى فى كتابه ((مروج الذهب)) الذى الفه فى عام ٣٣٢ هـ اى قبل اعتناق المالديفيين الاسلام بقرنين .

وقد وصف المسعودى المالديف بانها بلاد مستقلة يحكمها ابناؤها ، وبانها متقدمة فى الصناعات اليدوية وتصدر منتجاتها منها الى البلاد القريبة ، وقال ان المالديفيين يستخدمون الودع فى المعاملات التجارية بدل النقود ، كما قرر أن التي تحكمهم امراة وانهم يعبدون الأوثان وان المالديف بلاد يسودها الرخاء ، وأن كميات كبيرة من العنبر تاتى بها الأمواج الى شواطئها .

هذا كل ما كتبه المسعودى عن المالديف ، وهو كل ما نعرفه عنها قبل اسلام أهلها ، وأما ما عداه فصفحات مجهولة قد تكشف عنها الأيام وقد لا تكشف .

((تاريخ مجيد))

ومن دواعي الفخر لدى الشعب المالديفي ، أن بلاده قد احتفظت بكامل حريتها واستقلالها منذ أقدم العصور ، رغم صغرها وقلة سكانها ، فقد روى المسعودى فيما سبق أن المالديف كانت دولة مستقلة قبل دخول الاسلام ، وهي الفترة شبه المجهولة فى تاريخ هذه الجزر ، وأما بعد اسلامها فنعرف انها ظلت محتفظة باستقلالها وسيادتها على أراضيها فيما عدا ثلاث مرات .

كانت المرة الأولى عندما أغار عليها الاسطول البرتغالي بقيادة الادميرال اندرسون فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى ، واستولى على البلاد بعد معركة عنيفة ، ضرب فيها الشعب المالديفي مثلا رائعا فى الدفاع عن الوطن بقيادة السلطان علي رسجفان الذى كان ملكا على المالديف فى ذلك الوقت ، ولم تنته المعركة الا باستشهاد مئات من المالديفيين الاحرار من بينهم السلطان نفسه ، وقد أقام الشعب ضريحا يضم جثمان البطل الشهيد فى المكان الذى استشهد فيه على الشاطىء الغربي لجزيرة ((مالى)) العاصمة ، وما زال موجودا هناك رمزا للبطولة والفداء .

وقد حكم البرتغاليون المالديف بالحديد والنار ، وحاولوا أن يجبروا الناس على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى ، ولم يدم

حكمهم سوى ١٦ عاما ، اذ هيأ الله للمالديف أعظم أبطال تاريخها فى شخص شاب من احدى جزر الشمال اسمه « محمد تكرفان » ، استطاع أن ينظم صفوف الشعب ، ويقود معارك خاطفة ضد البرتغاليين ، انتهت بقتل اندرسون وكثير من جنوده وانتصار الشعب على أعدائه ، وتولى البطل القائد حكم البلاد وعرف باسم « السلطان الغازى محمد تكرفان الأعظم » .

والمرة الثانية كانت عندما هاجمها المالا باريون فى منتصف القرن الثامن عشر واستولوا عليها ، وكانت فترة حكمهم قصيرة جدا ، اذ لم تدم سوى أربعة أشهر ، استرد بعدها الشعب المالديفي حريته السليبة بعد معركة ظافرة قادها البطل حسن عز الدين .

وأما المرة الثالثة والأخيرة فهي الفترة التي خضعت فيها المالديف للحماية البريطانية ، ابتداء من عام ١٨٨٧ حتى يوم الاستقلال فى العام الماضي .

((ملكات حكمن المالديف))

والتاريخ المالديفي زاخر بشخصيات نسوية قوية ، فرضن أنفسهن على الحياة العامة ، وتولين أعلى منصب فى الدولة وهو منصب السلطان ، فقد ارتقت اربع ملكات فيما نعرف عرش البلاد فى فترات مختلفة ، واحدة منهن قبل دخول الاسلام الى المالديف ، وقد حكمت البلاد فى القرن الرابع الهجرى ، وهي التي ذكرها المسعودى والثلاث الاخريات تولين الملك بعد دخول الاسلام ، بل وفى قرن واحد هو القرن الثامن الهجرى .

واشهرهن هي السلطانة خديجة رهندى التي حكمت المالديف (٣٥) سنة كاملة على ثلاث فترات ، تخللتها فترتان حكم فيها اثنان من الملوك ، وكل منهما كان قد توصل الى العرش عن طريق الزواج بها .

وقد كانت رحلة ابن بطوطة الى المالديف أثناء فترة حكمها الأول ، فرحبت به وأكرمته وعينته فى منصب القضاء ، وقد ذكر ابن بطوطة تفاصيل زيارته بتوسع فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » الذى أملاه على تلميذه ابن جزى .

أصل سكان المالديف سيلانيون

ليست هناك أدلة تاريخية تثبت بصفة قاطعة كيف بدأ استيطان هذه الجزر ، ولا فى أى زمن ، ولا من هم سكانها الأولون .

نعم ، ان هناك أقاصيص تحكى كيف أن جماعة من الهنود قد أكتشفوا هذه الجزر مصادفة منذ أكثر من ألفي عام ، واستقروا فيها لجمالها وهدوئها ، كما تحكى هذه الأقاصيص أن سلاطين المالديف من نسل أمير سيلاني تزوج فتاة مالديفية وارتقى عرشها ،وكل هذا يعوزه الدليل .

ويرجح اكثر المؤرخين أن أول من اكتشف هذه الجزر واستوطن فيها هم جماعة من أهل سيلان ، فقد كشفت الحفريات عن بقايا معابد بوذية ، وبعض التماثيل التي تمثل بوذا فى العاصمة « مالي » وفى بعض الجزر الأخرى ، ومعلوم أن السيلانيين يدينون بالبوذية من قديم ، ويؤيد ذلك أيضا تشابه المالديفيين والسيلانيين فى البنية والملامح ، وتشابه اللغة المالديفيةواللغة السنهالية التي يتحدث بها سكان سيلان .

بعض المالديفيين تجرى فى عروقهم دماء عربية

وليس معنى هذا أن المالديفيين الحاليين من عنصر سيلاني محض لم تختلط به عناصر اخرى ، فالثابت أن العنصرين الهندى والعربي ، قد اختلطا به فى فترات مختلفة من التاريخ ، وذلك أن سكان الجزر الشمالية كان لهم فيما مضى صلات تجارية بالمدن الواقعة على شواطىء الهند ، وفى رحلاتهم التجارية كانوا يتزوجون من بنات الهند . وبذلك اكتسبت سلالاتهم العنصر الهندى الذى يبدو واضحا فى ملامحهم .

وبنفس الطريقة اكتسب سكان الجزر الوسطى (وهي العاصمة وما حولها من الجزر) العنصر العربي ، فقد كانت لهؤلاء صلات تجارية ببلاد العرب ، كما استقر كثير من التجار العرب فى هذه الجزر ، فأصبحت الدماء العربية تجرى فى عروقهم ، ولذلك فهم قريبو الشبه بأهل اليمن والجنوب العربي .

اما سكان الجزر الجنوبية فقد كانوا أكثر محافظة على أصلهم السيلاني فلم تختلط بهم دماء أخرى ، ولذلك فهم يشبهون فى بنيتهم وملامحهم سكان القرى فى سيلان .

تعمير المالديف يرجع الى ٢٠٠٠ سنة ..

وعن طريق المقارنة بين اللغتين المالديفية والسنهالية ، توصل السيد محمد امين ديدى الذى كان رئيسا لوزراء مالديف من ١٩٤٤ الى ١٩٥٣ والذى كان بجانب كونه رجل دولة اديبا وشاعرا ومؤرخا — الى أن جماعة من السيلانيين كانوا يقيمون فيها قبيل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام . وذلك لان أقرب لغة الى اللغة المالديفية الحالية هي اللغة السنهالية النقية قبل اختلاطها باللغتين البالية والسنسكريتية ، والثابت تاريخيا أن هذا الاختلاط قد بدأ حدوثه فى الفترة التي عاصرت ظهور سيدنا عيسى،مما يؤكد أن السيلانيين قد استوطنوا فى المالديف قبل هذا التاريخ ، ومن هنا رجع السيد محمد أمين ديدى أن تعمير هذه الجزر يرجع تاريخه الى ٢٠٠٠ سنة على الأقل .

وبالرغم من أن المرجح أن جماعة من السيلانيين هم أول من استوطن المالديف ، فانه من المستبعد أن تكون هذه الجزر قد خضعت للحكم السيلاني فى مبدأ استيطانها أو فى غيره من الأوقات . لأن ذلك لو حدث فى أى وقت من الأوقات لجاء ذكره فى ((المهافنسا)) وهو كتاب التاريخ المعتمد لدى السيلانيين الذى دونت فيه كل أحداث تاريخهم ، و ((المهافنسا)) خال عن أى اشارة الى ذلك .

تغيير جوهرى فى اللغة المالديفية بعد الاسلام

على الرغم من أن اللغة المالديفية ترجع فى أصلها الى اللغة السنهالية ، فانها تعتبر الان لغة مستقلة تماما ، لها قواعدها وأصولها وحروف كتابتها وأدبها وشعرها . وذلك لانها اختلطت بلغات كثيرة وتاثرت بها مثل الفارسية والبالية والسنسكريتية ، كما أنها قد تطورت وفقا لمتطلبات البيئة والحاجة عبر اجيال طويلة ، حتى أصبحت مختلفة كل الاختلاف عن اللغة الأم .

وقد تأثرت اللغة المالديفية باللغة العربية ، كما لم تتأثر بغيرها من اللغات ، وسبب ذلك — كما يقول السيد ابراهيم حلمي ديدى الذى يعتبر حجة فى اللغات الشرقية — هو أن المالديفيين — بعد اعتناقهم للاسلام دخل فى قاموس حياتهم كلمات وعبارات جديدة مثل الله — الرسول — القرآن — الملائكة — الآخرة — الثواب — العقاب — وغيرها من الكلمات والعبارات التي لها صلة بأصول الدين الحنيف ، والتي أصبحت جزءا من حياتهم الجديدة ، يستخدمونها فى عبادتهم ، بل وفى تفكيرهم وكتاباتهم وأحاديثهم اليومية . ولشدة تعلقهم بالاسلام وحبهم للغة القرآن ، استخدموا الكلمات والعبارات الجديدةبلفتها الأصلية العربية وبحروفها العربية ، ولم يحاولوا ترجمتها الى اللغة المالديفية ولا كتابتها بالحروف المالديفية . وهنا واجهتهم عدة صعوبات أهمها أن اللغة المالديفية كانت فى الأصل تكتب من الشمال الى اليمين بحروف قريبة الشبه بالحروف السنهالية ، فاستبدلوا بها حروفا جديدة ابتكروها ابتكارا تكتب من اليمين الى الشمال كالعربية ، وذلك حتى يسهل استعمال الكلمات الجديدة العربية الأصل ، اذا جاءت أثناء الجملة ، ومن المألوف منذ ذلك الوقت حتى الآن أن تكتب كل الكلمات العربية التي تحتويها اللغة المالديفية الآن بالحروف العربية ، وتكتب بقية الكلمات بالحروف المالديفية .

((صيادون مهرة))

ان الحرفة الرئيسية لأغلب سكان المالديف هي صيد الاسماك التي تتوافر فى بحارها بكثرة ، فالظروف الطبيعية والمهارة التي اكتسبها الصيادون المالديفيون عبر أجيال طويلة ، قد جعلتا من الصيد حرفة مربحة ، على الرغم من أن الطريقة التي ما زال يتبعها معظمهم هي نفس الطريقة القديمة التي كان يتبعها اجدادهم .

يخرج الصيادون قبل شروق الشمس فى قوارب شراعية مصنوعة خصيصا لهذا الغرض ، الى مناطق معروفة لجمع الطعم الذى يستخدمونه فى عملية الصيد ، وهو نوع من الأسماك الصغيرة ، يجمعون كميات كبيرة منه بواسطة الشبك . ومن الضرورى الاحتفاظ بهذا الطعم حيا ، ولذلك فهم يغرقون قاع القارب بماء البحر عن طريق عدد من الثقوب المحفورة فى جسم القارب بطريقة معينة تسمح بفتحها واغلاقها حسب الطلب .

((١٠٠ سمكة فى الدقيقة !))

وعندما يفرغون من عملية جمع الطعم يخرجون الى عرض البحر ، ويمعنون النظر فى كل الاتجاهات بحثا عن الطيور التي يدل تواجدها بكثرة فى منطقة

من المناطق على وجود تجمعات ضخمة من السمك فيها . فاذا أبصروا الطيور فى ناحية ما أسرعوا نحوها ، ويقوم أحد الصيادين بقذف كميات من الطعم يمينا وشمالا ، واذا رأتها الاسماك أسرعت لالتهامها غير واعية للخطر الذى يحدق بها .

وهنا يقوم ثلاثة أو أربعة من الصيادين المهرة المدربين بصيد الأسماك الجائعة المتلهفة على التهام الطعم بواسطة السنانير ، وهي تظنها أسماكا صغيرة من أسماك الطعم ، وتبلغ مهارة هؤلاء الصيادين حدا مذهلا يمكن الواحد منهم من اصطياد ما بين (٣٠ و ٤٠) سمكة فى الدقيقة من الاسماك التي تزن الواحدة منها كيلو جرام ، وبما أن ثلاثة أو أربعة صيادين يشتركون فى العملية ، فان مجموع ما يستطيعون اصطياده فى الدقيقة الواحدة يزيد على ١٠٠ سمكة ! .

واذا امتلأ القارب بالسمك ــ والقوارب تختلف فى سعتها ، فتتراوح حمولتها ما بين (٥٠٠) ، (١٠٠٠) سمكة ــ عادوا الى الجزر وهم يتغنون بأناشيد الفرح والانتصار ، ويستريحون بقية النهار والليل ، ثم يخرجون للصيد فى الصباح التالي .

ويوجد فى بحار المالديف أنواع كثيرة من السمك ولكن نوعين منها فقط ، هما اللذان يصطادان بكميات وافرة ، وهما البونيتو والتونة . وتجفف أسماك البونيتو بطريقة خاصة وتصدر الى الخارج ، ولها أسواق ممتازة فى سيلان والهند ، وتعرف فيها باسم « السمك المالديفي » ويعشقها السيلانيون بصفة خاصة ، ولا تخلو موائدهم منها ابدا . وتبلغ قيمة ما يصدر منها حوالي ٩٠٪ من صادرات المالديف .

« الصيد بالوسائل الحديثة »

وقد أخذت الحكومة فى السنوات الاخيرة فى تشجيع الصيد بالطرق الحديثة فاستوردت من اليابان عددا من زوارق الصيد ، كما أنشأت صناعة زوارق الصيد الميكانيكية ، وتقوم الحكومة بعرض منتجاتها من الزوارق المصنوعة محليا ، للبيع بأسعار معقولة مع تسهيلات كثيرة فى دفع أثمانها ، وقد بدأ الناس يقتنعون بجدوى استعمال الوسائل الحديثة ، ولكن من الطبيعي ان يمر بعض الوقت قبل أن يتسع نطاق استعمالها بصورة ينعكس أثرها على الاقتصاد الوطني .

« فاكهة الخبز ... »

وتأتي الزراعة فى المرتبة الثانية بعد الصيد ، فتنتشر فى المالديف زراعة مختلف أنواع الحبوب والبقول والتوابل .

غير أن أهم حاصلات المالديف هى جوز الهند الذى يملأ نخيله سماء كل الجزر ، وتصدر كميات كبيرة من جوز الهند المجفف المعروف باسم « الكوبرا » الى سيلان والهند ، كما يستخرج منه زيت جوز الهند الذى يمتاز بقيمة غذائية عالية ، وله قيمة علاجية أيضا لكثير من الأمراض وخاصة الأمراض الجلدية .

ومن الحاصلات الرئيسية فى هذه الجزر ايضا ما يسمى بفاكهة الخبز Bread Fruit وثمارها مستديرة ، متوسطة الحجم ، ذات قشرة خضراء محببة ، وتشبه البطاطس فى الطعم ، وتستعمل مثلها فى الطهى وشجرها ضخم . كثير الفروع غزير الورق ويكثر فى المناطق الاستوائية .

وتزدهر فى المالديف زراعة الفواكه ، فتكثر فيها المانجو والموز والبطيخ والليمون ، كما تكثر فيها الفواكه الاستوائية مثل الاناناس والجاك والبرنجول وغيرها .

« تحف فنية من الخشب »

ويشتهر المالديفيون باجادة الصناعات الخشبية منذ قرون طويلة ، فالأخشاب متوفرة ، والمهارة قد اكتسبوها بالخبرة والممارسة عبر العصور والأجيال ، فتزدهر فى المالديف صناعة الأثاث ولوزام المنازل ، كما أن التحف الخشبية المصنوعة محليا لتزيين الحجرات تبلغ قمة الابداع الفني ، ولها أسواق رائجة فى سيلان .

« نزهة الأصيل »

ويجيد المالديفيون بناء المراكب الشراعية وقوارب الصيد والنزهة ، ويصنعونها من خشب جوز الهند الذى يمتاز بالمتانة والقوة ومقاومة الماء ، وتعتبر القوارب الشراعية المالديفية من أجمل القوارب الشراعية فى العالم ، وأدقها صنعا ، وأسرعها سيرا ، ويعتز بها أصحابها ، فيدهنونها بألوان جذابة ، ويحرصون على صيانتها ، ومن المناظر المألوفة الرائعة منظر هذه القوارب الرشيقة المختلفة الألوان بأشرعتها البيضاء الناصعة ، وهي تقطع البحر جيئة وذهابا ساعة الأصيل .

قصة العدد



للاستاذ
محمد لبيب البوهي

كان رجال المدينة يسمونها « فاطومي » ، وكان الشيوخ منهم يسمونها اللعنة ، وكان نسوة المدينة يقولون انها الشيطان فى صورة امرأة ، وكان شباب القرى والمدن جميعا يطلقون عليها اسم « زهرة البنفسج اليانعة » .

ولم تكن فاطومي فى منأى عما يقال عنها أو يشاع ، ولكنها كانت تستقبل كل ذلك ساخرة فى غير اهتمام ، هازئة بالرجال والشباب والنساء على حد سواء ، لا تلقى بالا لأحد من هؤلاء أو هؤلاء .

ولكن الشيء الذى لا يب فيه أنها كانت تنطوى على سر كبير رهيب ، سر لا يعرف أحد كنهه ، وكانت ذات غرض لم تبح به لأحد ، وهدف لم تتحدث به الى انسان ، ولكن الناس كانوا يرون عدد ضحاياها يزداد يوما بعد يوم .

***

كانت فاطومي اذن ذات أهداف شيطانية ، وبدأ كأنما اتخذت لنفسها نذرا أن يكون لها من كل قرية ضحية ، وأن تكون الضحية دائما أبدا من ذوى المكانة والجاه والصيت البعيد ، يستوى فى ذلك أن يكون شابا وسيما أو شيخا طاعنا ، حسبها أن تهدم ركنا ركينا من الاركان .. فكان الرجال يحترقون وهم يتهاوون فى وقودها كما تحترق الشهب أو تتهاوى النجوم فى عالم الهباء .

***

عشرات من الكهول والشباب ساروا من خلفها أسارى هذه النظرات الساجية ، او عبيدا لذلك الجيد العاجي ، أو مسربلين بأغلال ذلك الصوت الدافىء الحنون ، أو مأخوذين بروعة هذا الجسد الفنان ..

وذهب الناس فى تأويل شأنها مذاهب شتى ، فقال بعضهم .. امرأة غدر بها رجل تدلهت فى هواه فعذبها ، وألقى بها حطاما فهي تنتقم لنفسها ولجنسها باذلال الرجال ، وقال آخرون : بل مخلوقة شاذة ومصاصة دماء لا ترتوى ، وقال آخرون : بل هي لون من الوان البلاء الذى يتعرض له الناس ليمتحنوا فى ارادتهم وعزمهم ، وقال آخرون غير هذا وذاك ، ولكنها آثرت الصمت عند كل سؤال فلا تجيب .

***

ولم يكن هناك رغم ذلك للراغبين فى تذوق هذه الفتنة من عاصم ، وكانت على ثقة من أمرها ، فكم ابتسمت لأولئك الذين كانوا يلعنونها ، فاذا بهم ينسون اللعنات ، ويتنافسون فى مرضاتها .

كانت ذات قدرة لا تحد فى صيد الرجال ، تمسك بطرف الحبل ، وتعقد الطرف الآخر كالأنشوطة وتلقي به على من تشاء فاذا بها تجره اليها جرا .

وكان ممن وقعوا فى قبضة يمنيها فتانا ذاك بطل هذه القصة ، وقد كان على درجة كبيرة من خلق وعفة وحياء ، وكان ذا زوج واطفال ، ووجمت زوجه وعقدت الدهشة لسانها ، وشلت المفاجأة احساسها — فلم تعرف من قبل على رجلها ريبة — وضربت يديها أسفا وحسرة ، كيف وقع ذلك القوى الامين فى ذلك الشرك المهين ؟ ! ولكن الزوجة كانت على شيء من الحكمة والأناة ، فلم تشأ أن تقيم على الأمر فضيحة ، فما أبعد الفضائح فى علاج الأمور ، انها ان فعلت فلن تزيد على أن تجعله يخرج بأمره ذاك من الأسرار الى الاعلان ، ثم لا شيء بعد ذلك على الاطلاق .



كان عليها اذن أن تعالج الامر فى هدوء، ولم يكن أمامها الا أن تلجباب الحكيم هارون.

كان هارون حكيم القرية غير منازع ، وكان رغم عدم تجاوزه سن الشباب يلقب بالحكيم لكثرة علمه ، ومزيد ورعه ، وكان قد أوتى بسطة فى العلم والجسد ، مع قوة العقل ، ومتانة الخلق ، وصلابة العزيمة ..

وكان هارون على علم بأمر فاطومي ، يتحرق شوقا من شهور كي تتاح له فرصة تأديبها وكسر شوكتها وانقاذ الناس من شرها .

وكان الحكماء وذوو الرأى حين يسمعون بالقصص الكثيرة عن فاطومي يهزون رؤوسهم أسفا ويقولون ، لن ينقذنا منها غير هارون بحزمه وبأسه ، وشدة غيرته على دينه ، واستعلائه على كل الفتن التي يتعرض لها الشباب .

فلما لجأت الزوجة المهيضة الجناح الى هارون ، استمع الى القصة وهو يتميز من الغيظ ، وقرر أن يضع للشيطان فى القرية حدا ، وكان الوقت مساء فلم يطق صبرا أن ينتظر الصباح ، فأخذ عصاه ، وتوجه من فوره الى وكرها .... الى بيت فاطومي .

كان الليل هادئا ساكنا كأنما يصغى الى صوت عذب ذا رنين ذهبي يأتي من بعيد ، من خلف أسوار الحديقة حيث كانت فاطومي فى شرفة دارها فى هذه الليلة من صيف يوليو مسترسلة وحدها فى الغناء ..

وتوقف هارون واخذ يستعيد الكلمات النارية التي سيصبها على فاطومي صبا ، فلما اطمأن تماما الى ثقته بنفسه وبأسه ، تقدم خطوات وقرع الباب .

***

ولم يجبه احد ، ومرت اللحظات وهو ما زال ينتظر ، كان كبركان يتلظى داخله من الحمم .. لقد تذكر كل ما جرته هذه المرأة على الناس من وبال ، وها هي هناك فى الشرفة تغني ، فى غير مبالاة بالطارق الليلي ، لقد تعودت أن تستهين بالرجال ، ان تدعهم عند أبوابها يلهثون ، ولكنه ليس من ذلك الصنف ، من ضعاف النفوس ، أسرى الاهواء ، لقد شد من قبضة يده وتقدم فى ممشى الحديقة ، واعترض طريقه عـــود ياسمين فانتزعه من الشجرة فى عنف وقسوة ، وألقاه أرضا ، وداسه بقدميه ، ونظر صوب مصدر الصوت ، فاذا بفاطومي فى غلالة بيضاء من نسيج شفيف يشي بكل مفاتن جسدها ، وكانت تدور حول نفسها راقصة فى مرح ، وهي تغني كأنها عابدة لجمالها ، تتعبد لذلك الجمال ، واغمض عينيه وتمتم ببضع كلمات وهو يقول فى نفسه :

ما أشد وطأة هذه الفتنة على قلوب الشباب ! ؟ .. أى مخلوق من طين يستطيع الصمود أمام هذا الاغراء ! ؟ ووقف منها غير بعيد يرسل من عينيه نظرات كأنها شواظ من نار .

وتوقفت فاطومي عن رقصها هنيهـة ، وجمعت فى غير اهتمام أطـراف غلالتها وهتفت فى غير خوف أو وجل . من .. ؟ من الطارق ! ؟

فتقدم خطوات فى عزم وتصميم . وقال هارون .. الحكيم هارون ايتها السيدة فاطومي .

ولم تصدق فاطومي أذنيها ، أنه الرجل الذى كان يمعن فى صب اللعنات عليها ، وكانت تتحرق شوقا لتوقع به .. ترى أجاء كما يجيء الآخرون .. ! ؟ قالت فاطومي فى نفسها ليس الأمر بمستبعد فأكثر الرجال سواء ... أيكون ذلك حقا . ! ؟ أيكون هارون بنفسه وشخصه .. ! ؟ أيكون ذلك الذى استعصى عليها أعواما طوالا ؟ ومسحت عينيها مرتين حتى تأكدت أنه ليس سواه ، وعلت على الفور شفتيها ابتسامتها الآسرة ، وارتسمت فى عينيها النظرات النفاذة الآمرة وهبطت الى الحديقة ، الى حيث يقف وهي تردد مرحبا واهلا .. أى ريح طيبة تلك التي جاءت الى دارى بالبركات .. !! ؟

وفارت الدماء فى قلب هارون غيظا وغضبا ، وارتسمت فى ذاكرته صور الضحايا من القرى القريبة والبعيدة ، فتقدم الى المقعد وأرسل فى هدوء قوى مشحون بالايحاء ...

أيتها السيدة فاطومي ، لي معك حديث قصير . وليكن هنا فى هذه اللحظات ، فى تلك الحديقة ، لن أردد القول بأنك رجس من عمل الشيطان ، أو أنك فتاة مطرودة من رحمة الله ، لا أيتها السيدة ، لن أقول هذا القول مهما كنت تتمرغين فى الغواية والضلال ، فما أنت على كل حال الا أخت فى الانسانية ، ان كان قلبك اليوم فى غفلة من أمرك فسوف ينكشف لك الغطاء فى يوم من الأيام ، انك جميلة أيتها السيدة بغير شك ولا نزاع ، جميلة فى الظاهر ، كجمال قشرة التفاح ، ولكن ليس فى داخلك ما فى داخل التفاحة ، خلف قشرتك الظاهرة عفن وديدان فى يوم قريب أو بعيد سيذهب هذا الجمال ، ولكنه يوم آت لا ريب فيه ، وفى ذلك اليوم سيمر بك الذين يسجدون لهذا الجمال فلا يمنحونه بعد أن يولي الا اللعنات والبصقات ، وستنهض أرماس الضحايا من قبورها لتطارد روحك يوم تستيقظ وتلعنك ، ستطاردك اللعنة حتى القبر ، أيتها السيدة ذات الغلاف الجميل الزائف ، هناك جمال آخر فى الأعماق أشد قوة وأعظم خلودا .. ابحثي عن هذا الجمال ، انه هو الباقي .. اخرجي من قشرتك الظاهرية العفنة ، وغوصي فى أعماق عالم الجمال الأبدى ..

***

لأول مرة استمعت فاطومي فى حياتها لمثل هذه الكلمات ، فشملها غضب شديد ، ولكنها جمعت غلالتها تماما ، وتداخل بعضها فى بعض وصرخت فى وجه هارون . انسحب من وجهي ..

فقال هارون وهو ينسحب . ستذبلين أيتها السيدة وشيكا كما تذبل الوردة ، وتداس البقايا منك بعد ذلك بالأقدام .

وأمام صرخاتها العالية انسحب تماما ، فأمسكت بحجر وألقت به من خلفه وهو يبرح الباب ، ثم عادت مسرعة الى غرفتها ، وانكفأت فى فراشها تبكي ، وامتد بها البكاء ساعات وساعات .. وانتبهت الى نفسها فوقعت على صورتها فى المرآة ، وبدا لها — كما قال الشيخ — ان جيوشا من الديدان تتلوى على وجهها الجميل وتنهشه ، فصرخت وقذفت المرآة بآنية كانت بالقرب منها فهشمتها .

***

وعاد هارون الى داره هادىء النفس ، يتصور أنه قد أدى رسالته ، وحاول أن يوقظ منها الضمير .. وجلس شاردا يتذكر تفاصيل هذه المغامرة ، وعلى الرغم منه ارتفعت همسات من أعماقه .. ما أروع فتنتها ! ؟ وما أجمل هذا الجسد !! ؟ وارتسمت صورتها أمامه وهي تدور فى غلالتها راقصة تتعبد لجمالها ، ومرت دقائق وهو يحدق ماخوذا فى هذا الخيال الفاتن الساحر الأخاذ .

ولم ينم هارون هذه الليلة ، ولم يستطع أن يقرأ كثيرا فى الكتاب ، لقد اتيحت له فرصة ، لقد حام حول الحمى وقضى لحظات فى حضرة امرأة ، لم يكن غيره واياها ، لم يكن هناك من ثالث ، ولكن ماذا يحدث حين يجتمع رجل وامرأة .. ؟ أيكون الشيطان قد حضر ووسوس ! ؟ .. أكان عليه أن يأخذ معه صديقا رفيقا يبدد وجوده سحر الخلوة ومفاتنها ووسوسة الشرير .. !! ؟

راح هارون يدير هذه المعاني في راسه ، ولكن الخيال الراقص كان قد انتقل الى خاطره ، وراح الخيال يدق في عنف وقسوة كل كيانه .. وفي أحلام اليقظة تمنى اشياء كان يخجل أن يديرها على لسانه .

اى طعم لهذه الفاكهة الحلوة .. !! ؟ بلى اى طعم ؟

ومرت ايام .. وأيام .. وأيام ..

★★★

استيقظ في داخل فاطومي شيء جديد ، لقد رأت نفسها على ضوء هذه الحقيقة التي كشفتها كلمات هارون ، وأدركت تماما أنها كانت تعيش في الوحل والعفن ، وراحت تحن الى عالم الجمال الحقيقي .. والطهر والصفاء ، بينما كان هارون نفسه يسبح في خيال عالم الأماني العذاب .. يتمنى لو تتاح له الفرصة ليتقرب من الشجرة ....

وذات مساء راى نفسه على الرغم منه عند بابها .. كان يقدر تماما أنها تحن الى الايقاع به .. وها هو ذا قد جاء الى كنوز الفتنة يسعى ، وقد قرر أن يلبي نداء الجمال ، ويتذوق ثمار شجرة التفاح ..

وتوقف عند باب الحديقة ، واستمع الى وجيب قلبه الذى أخذت دقاته تعربد قوية مجلجلة في صندوق صدره ، ولعله هم أن يتراجع ، ولكن قوة لا قبل له على دفعها شدته الى الداخل ، وكان باب شرفتها مفتوحا فراح يتقدم .. ويتقدم . وهناك رأى فاطومي على صورة لم يعهدها من قبل .

كانت واقفة وظهرها اليه ، فظـل لحظات يتعبد لهذا الجمال القاهر المنقطع النظير ، وانتظر حتى تلتفت اليه ، ولكن الامر امتد دقائق .. ودقائق ، حتى ظنها قد سمرت في مكانها ذاك .. وأصاخ السمع فاذا به يضطرب ولا يستطيع أن يتماسك .. لقد كانت الفانية تتلو الآيات .. لقد كانت تصلي ... حتى اذا أتمت صلاتها ، استدارت اليه بوجه تحيط به هالة من نور وابتسمت ، لترحب بهاديها ومنقذها ، وهمت أن تشكره ولكن شيئا رهيبا فظيعا في عينيه أخافها فسترت عينيها بيديها ، وهمست وقد أدركت كل شيء . لا .. لا أيها الحكيم .. عد من حيث جئت ..

فمد يده يريد أن يتحسس جسدها ملاطفا فامعنت النظر في عينيه ، ثم اندفعت الى الداخل مهرولة تصرخ .. خنزير .. خنزير ..

فقد رأت في صورته بفراستها التي أصبحت لا تخيب .. أن ذلك الذى اهتدت بكلماته الى الطريق قد تحول الى خنزير ..

وشاع أمر هذه الخاتمة بين الناس ، وذهب كل يلتمس منها عبرة من زاوية خاصة فمن قائل : ان على المرء أن يحرس أيمانه ، وأن يتعهده بالرعاية والتثبيت ، وذهب آخرون الى ما في الخلوة بالمرأة الاجنبية من خطر محقق يعرض القلب للزيغ والضلال .

ولكنهم كانوا جميعا يتحدثون : حقيقة ان العبرة دائما بالخواتيم .. ، فلا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ...

بقية من سجلات الفتح الاسلامي

يجبرونهم على تغيير مذهبهم ، ولما لمسوه فى المسلمين من حسن معاملة ، وفى الاسلام من سماحة ..

بناء الفسطاط

وتفرغ عمرو للاعمال العمرانية فبنى الفسطاط واتخذها عاصمة وبنى فيها مسجده الشهير ، ونظف القناة القديمة ، وابقى ادارة مصر كما كانت فى زمن الروم ، وقد عين الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله بن ابى السرح مساعدا له فى ادارة مصر العليا .

فتح برقة وطرابلس

سهلت هزيمة الروم فى مصر على العرب التقدم غربا فسار عمرو بن العاص بحملة الى برقة ففتحها وتجاوزها غربا الى طرابلس .

ويفترى بعض المؤرخين على عمر بانه اراد ان يكون من العرب المسلمين أمة عسكرية يبعدها عن الاختلاط بالاجانب ، فمنعهم من فلاحة الارض خارج الجزيرة العربية ، وأمرهم أن يقيموا فى مراكز معينة كالجابية وحمص وعمواس وطبرية فى الشام،والبصرة والكوفة فى العراق ، والفسطاط فى مصر وكان غرضه من ذلك ان يتفرغوا للادارة والاعمال العسكرية فجعل الجيش منهم وحدهم وسلمهم الوظائف المهمة وحرم على سكان البلاد المفتوحة دخول الجيش والوظائف العليا . مع ان الوقائع التاريخية الثابتة تشير الى ان جيوش المسلمين لم تكن تفرق بين عربى وأعجمى وان القيادة العليا لم تكن فى يوم من الايام من نصيب العرب وحدهم بل كثيرا ما عقدت ألوية الجيوش الى قادة من الاحباش او الفرس او العجم او البربر ، ولعل عودة بسيطة الى استعراض اسماء ابطال الاسلام تؤكد هذه الحقيقة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان عمر وخلفاءه لم يستهدفوا الجنوح بالدولة نحو خلق أمة عسكرية بغرض فرض السيطرة كما توحى الكلمة اليوم .. فلقد كانت جيوش المسلمين تستهدف تحرير الانسان من الشوائب والادران ورفعه الى الدرجة التى يجدر به أن يعيش فى كنفها .. درجة الانعتاق من المادية ، والعبودية لله وحده .

نتائج الفتوحات

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من الفتوحات الاسلامية التى حملت معها الى كل ارض حلت فيها الاسلام ودعوته ، فنشرت الدين الاسلامى بين الشعوب ، وصهرتها فى بوتقة واحدة بفضل الانظمة الرشيدة التى طبقتها مما جعل من هذه الشعوب انفسها قاعدة كبيرة للفتوحات الاسلامية الكبرى التى جرت فى عهد الامويين والعباسيين .

- ارحموا عزيزا ذل ، وارحموا غنيا افتقر ، وارحموا عالما ضاع بين جهال .
- كل واحد ينفق مما عنده .
- ما استب الاثنان الا غلب الأمهما .
- اياك وعزة الغضب فانها تصيرك الى ذل الاعتذار .
- تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .
- من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب .
- أعظم المصائب انقطاع الرجاء.

---

(١) وسميت بـ « الفسطاط » لان عمرا عندمانزل مصر ضرب خيامة فى هذه المنطقة ثم بنى فى نفس المكان عاصمة مصر وسماها بـ « الفسطاط » وهى الخيام .

بقية باكستان والهند

نهرو لاحظ ذلك ، وعده احدى الصعوبات التى تجابه الداعين الى التقسيم .. فقال (٢) . ـ « واذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التى تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية اسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الاولى « الهندوسية » ، على الجزء الاعظم من الثروة المعدنية ، والمناطق الصناعية ، وهكذا فان المقاطعات الهندوسية لن تعانى كثيرا من وجهة النظر هذه » .

« ومن الناحية الثانية فان المقاطعات الاسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا ، وعاجزة ماليا فى اكثر الاحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية » .

وهذه الحقيقة هي التى كانت سببا فى اتصال الباكستان بالدول الغربية ، وربط سياستها بها لكى تساعدها على النهوض ... وكان لذلك أثره بلا شك فى تقدم باكستان السريع ، وقيام الصناعات بها ، ووقوفها على قدميها ... وهذه الحقيقة قد تغيب عن كثيرين ممن يوجهون اللوم العنيف لباكستان من أجل ارتباطها بسياسة الغرب ...

الله مع باكستان

عندما زرت كراتشى فى يناير سنة ١٩٥٦ فى طريقى الى الهند ، التقيت باحد المصريين ـ وكان يعمل خبيرا فى الامم المتحدة ، وتنقل كثيرا فى الدول الشرقية الاسيوية ـ فأخذ يحكى لى كيف تقدمت باكستان ، وكيف كانت كراتشى مثلا منذ سنوات مضت .. ثم قال لى .. ان زميلا امريكيا له جاءه ذات يوم ـ وكان يزور باكستان بعد سنوات من زيارته الاولى ـ فقال له : الان عرفت أن الله مع باكستان .. فسأله . وكيف ؟ فقال . لم أكن أصدق حين انشئت تحت الظروف التى شاهدتها ان تقف على قدميها ..

ذلك قول لا آخذ منه الا ما أريده من تقدير هذا الامريكى للظروف التى جابهتها الدولة الناشئة ..

الهند

أما الهند : فكانت كالاب الواسع الثراء ، الذى يقيم مع أبنائه فى بيته العريق المؤثث ، المستعد لمجابهة الحياة بكل احتمالاتها ، ثم انفصل عنه أحد أبنائه ، ليبدأ حياة جديدة ، فى بيت جديد لم تهيأ فيه وسائل الحياة كبيت أبيه .. ذلك تصوير بسيط لحالة الهند وباكستان عند الانفصال .

بقيت للهند الرقعة الواسعة من أراضى الدولة الكبيرة . هذه الرقعة تبلغ نحو مليون وربع مليون ميل مربع ، وهو ما يوازى ثلثى قارة أوربا ، باستثناء روسيا ويوازى أربعة اضعاف باكستان تقريبا ، ويسكنها نحو ٣٦٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ م (٣) ..

بقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بكافة اسلحته ، وموانيها ومطاراتها ، وكل مقومات الدولة .. بقى كل شيء كما هو .. بقيت مراكز الصناعة ، ومراكز الثروة المعدنية ..

وأهم من ذلك بقيت الحياة تسير كما هى ، بنظامها المعهود ، وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .. من سافر من المسلمين ، ونجا بنفسه ، سافر وترك كل شيء وراءه كان يملكه حيث هو .. ومن آثر البقاء . اقام حيث هو . وسط الاشواك والزهور ، بين الخوف والرجاء . الرجاء فى مستقبل آمن مستقر على أرضه التي نشأ فيها ..

المسلمون فيها

وكان عدد الذين اثروا البقاء من المسلمين نحو ٤٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ منهم نحو ١٨ مليون من المسلمين الشيعة .. وهم منتشرون فى كل قرية ومدينة .. لهم مساجدهم ومدارسهم الدينية ، وغير الدينية ، وجمعياتهم ، وكفل لهم الدستور الهندى ما كفله لكل مواطن هندى ..

وفى الهند تقوم الاثار الاسلامية الفخمة التى تنطق بحضارة المسلمين المزدهرة أثناء حكمهم

---

(١) ص ٤٠٣ من كتاب من السجن الى الرياسة .

(٢) بلغ عدد السكان فى احصائية ١٩٦٦م ٥٠٠ مليون نسمة : الهندوس ٣٦٦ مليونا ، والمسلمون ٦٠ مليونا ، والمسيحيون ١٢ مليونا ، والسيك ٧ملايين والبوذيون ٥ ملايين ، والجينيون ٢مليون والباقى طوائف اخرى .

للبلاد ، وعلى راس هذه الآثار احدى عجائب الدنيا السبع « تاج محـل » .

كما تقوم مدارسهم الدينية العربية الكثيرة ، وفى مقدمتها « دار العلوم ديوبند » التي تسمى « أزهر آسيا » لشهرتها ومكانتها في الهنـد وما حولها شرقا وغربا ، ودار العلوم ندوة العلماء فى « لكنو » التي تعنى بالعربية عناية خاصة ، وتصدر بها مجلتين « البعث الاسلامى » و « الرائد » وفى الهند المكتبات الاسلامية الضخمة التـي تضم نوادر الكتب والمخطوطات .

ويقوم المسلمون الذين آثروا البقاء فى وطنهم بمهمة حراسة هذا الميراث الاسـلامى الضخم وتنميته ، وهم يؤدون بذلك أعظم الامانـات لماضيهم ومستقبلهم .. وفاء للماضى المجيـد ، وقياما بالواجب نحو الجيل الجديد من أبنائهم واحفادهم .

ترى ماذا كان ينتظر هذا الميراث الاسـلامى الضخم المجيد من مصير ، لو أن هؤلاء المسلمين آثروا الهجرة الى باكستان ، كما فعل غيرهم ، وتركوا جميعا ارض الهند ؟ !!

ماذا كان ينتظر المساجد الضخمة والمدارس والجامعات والمكتبات والمؤسسات والآثار الاسلامية؟

وماذا كان يمكن ان يكون عليه وجه الهند ، لو تركها المسلمون جميعا وهاجروا الى باكستان ؟ وكم تكون فجيعة المسلمين جميعا وفى كل مكان لو تم هذا) .

وهل كان من الممكن أن تتسع باكستان لهذا العدد الكبير ، وتوفر لهم ما يحتاجون ، وهـى الدولة الناشئة ، التى عانت ــ ولا تزال تعانى الكثير ــ فى سبيل توفير الحياة المستقرة لسبعة ملايين من اللاجئين المهاجرين من الهند ؟ .

ان الخيال يجرى بى سريعا الى الماضى .. الى الاندلس ومأساتها ، فاغمض عينى ، حتى كاننى اشاهد هذا الخيال البشع أمامى ، ثم أحمد الله أن هيأ لاخواننا المسلمين فى الهند أن يؤثروا البقاء فى وطنهم ، برغم الظروف التى كانت ، ولا يزال بعضها يحيط بهم ، ليحول بقاؤهم فيهـا دون وقوع الكارثة .

كنت افزع حينما اسمع ــ وأنا فى الهند ــ أن مسجدا صغيرا فى قرية أو فى حى من أحيـاء مدينة ما امتهن وتحول الى غير مسجد ، وأعرف ان السبب فى ذلك كان خلو القرية أو الحـى من المسلمين بالهجرة الى باكستان ، او مكان آخـر فى الهند ، طلبا للامان !! وأقول : كان هذا هـو المصير الطبيعى لكل مساجد الهند ، لو ان المسلمين جميعا استجابوا لنداء الهجرة الى الباكستان وأغراهم الفردوس الاسلامى المنتظر بالهجرة اليه.

وكنت كلما رأيت المدارس الاسـلامية تموج بطلابها ، والمساجد تمتلىء بعبادهـا ، والمآذن تدوى من فوقها كلمة : أشهد ألا اله الا الله ، وان محمدا رسـول الله ، والمجـلات والكتب الاسلامية تطبع وتتداول بين ايدى قرائها ، وأرى اللغة العربية لها حماتها وكتبها ومجلاتها أحمد الله ، وأزداد تقديرا لاخواننا المسلمين الهنود ، الذين وهبهم الله الشجاعة وحسن التفكـير والتقدير ، ليظلوا فى وطنهم جنودا مرابطين .. وفاء منهم لتراثهم ووطنهم ..

جنود مرابطون

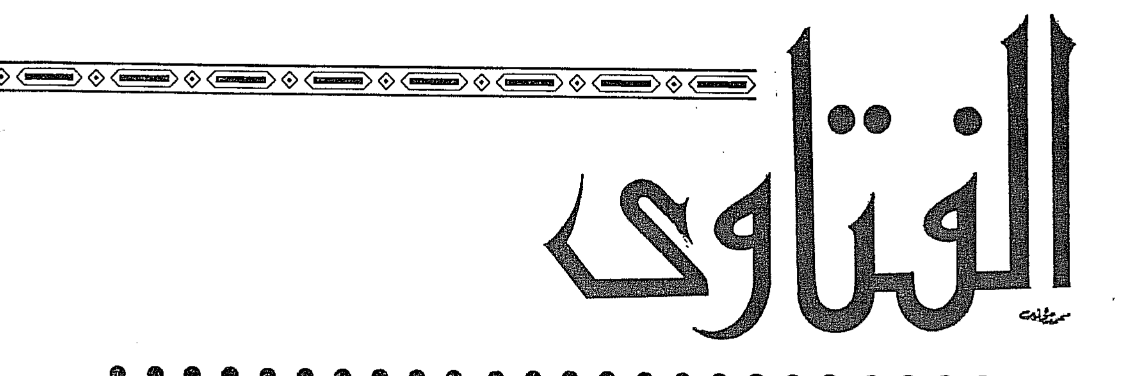
نعم ، انني وقد شاهدت كل شيء هناك بنفسـي ، وعشـت فيه بقلبي وحسي ، ولمست الظـروف التي يعيش في جوها هؤلاء الاخوان ــ وهي ظروف ليست مريحة في كل حال ــ لأنظر اليهم ــ وقد أخذوا على عاتقهم حراسة أثمن واقدس ما يعتز به المسلمون في كل مكان ــ نظرتي الى الجنود المرابطين المعرضين للمفاجآت في سبيل مثلهم العليا .

انهم هناك يتحملون وحدهم ميراث التقسيم ، وما تركه لهم من مسئوليات جسام ، وما خلفه في النفوس من آثار ، حينما تثور وتفور ، بل وحينما تهدأ .

وعلى عاتقهم وحدهم كل ذلك ، وعلى عاتقهم وحدهـم ايضـا عبء النهـوض بدينهم وتعليمه لابنائهم ، وغرس حبه وصيانته في قلوبهم ، وسـط الامـواج العاتية ، وذلك كله بجوار ما عليهم مـن حقوق لوطنهم ، كمواطنين صالحـين شرفاء .

ان لهم على المسلمين في كل مكان ــ وبخاصة في العالم العربي الذي تهفـو اليه قلوبهم ــ لهم عليهم حـق . الا ينسوهم ، وأن يظلوا دائما يذكرونهم ــ مع التقدير والعون ــ ويذكرون ذلـك الدور الكبير ، الذي حملتهم اياه المقادير .

كان الله لهم حافظا ومعينا ونصيرا .



السؤال :ـ

تقدم السيد / ع . ع بالسؤال الآتي :

توفى والدى منذ سنوات بعد أن أوصى بثلث ماله الى احفاده من أبنائه الذكور ، وكان له وقت وفاته ابنان متزوجان وأنا الابن الثالث لم أتزوج حال حياته ثم تزوجت بعد وفاته وانجبت أولادا ولـم تقسم التركة الا بعد أن انجبت أولادا .

فهل يكون لاولادى نصيب من هذه الوصية أم هى مقصورة على أولاد الاخوين اللذين تزوجا قبل وفاتـه) .

الاجابة :ـ

هذه الوصية جائزة شرعا لانها فى حدود الثلث ولغير وارث لوجود أبناء المتوفى الذين يحجبون أبناءهم

وبما أن الموصى قد أوصى حال حياته لاحفاده بثلث ماله ولم يعينهم بالاسم فهي وصية لجميع الاحفاد مطلقة ، حيث أن المطلق ينصرف الى اكمل افراده وحينئذ تصرف وصيته الى جميع احفاده الموجود منهم وقت وفاته ، والذين يوجد منهم بعد ذلك مثله فى ذلك مثل الوقف ، اذ الوصية تشبه الوقف الا ترى أن الواقف لو وقف على ذريته فيشمل الموجود منالورثة والذى يوجد بعد ذلك وهو فى وصيته لم يعين الاحفاد بالاسم بل اطلق فيكون قصده جميع الاحفاد .

وبما أن السائل قد قرر فى سؤاله أن التركة لم توزع فعلا ، فحينئذ يتعين توزيع القدر الموصى به على جميع أحفاد الموصى الموجودين وقت التوزيع بدون التفات الى الموجود منهم وقت وفاته فقط ، هذا ما ذهب اليه السادة الحنفية وايدهم فى ذلك السادة المالكية ، وعارض فى توزيع الوصية على غير الموجودين وقت الوصية الشافعية والحنابلة .

لهذا نفتيك بتوزيع القدر الموصى به على جميع الاحفاد الموجودين وقت توزيع الوصية . تحقيقا لفكرة التسوية بين الاحفادوعدم التفاضل فيما بينهم.

السؤال :ـ

تقدم السيد / ع . س بالسؤال الآتى :

ماتت زوجة عن : زوج ، بنت ، اخوين شقيقين ،أخت شقيقة وتركت مبلغا من المال وماتتزوجة أخرى عن زوج ، بنتين ، اخوين شقيقين ، وتركت مبلغا منالمال أرجو بيان استحقاق كل وارث .

الاجابة :ـ

فى الصورة الاولى يكون الميراث كالآتى :

١ ـ للزوج الربع ، وللبنت النصف ، والباقي يوزع على الاخوة الاشقاء للذكر مثل حظ الانثيين .

٢ ـ اما فى الصورة الثانية فيكون للزوج الربع فرضا وللبنتين الثلثان ، والباقي يوزع على الشقيقين بالتساوى .

السؤال : ـ

سأل السيد / س . م من الكويت السؤال الآتي :

اختي من الرضاع ارضعت بنتا فى سن الرضاع ثلاث مرات فهل يحل لي الزواج من البنت التي ارضعتها اختي المذكورة ام لا يحل ذلك ؟

الاجابة : ـ

المقرر شرعا عند المالكية والاحناف ان قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم ، ويستندون فى ذلك الى مطلق الآية فى قوله تعالى « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وعند الشافعية والحنابلة ان القدر المحرم لا يقل عن خمس رضعات متفرقات ، ويستندون فى هذا الى بعض الاثار التى رويت وفيها ان عبد الله بن الزبير كان يخبر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصة من الرضاعة ولا المصتان وفى رواية اخرى « لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان » كما استدلوا بما ورد عن عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم توفى والتحريم ثابت بخمس رضعات .

وفى المحلى لابن حزم « ولا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات تقطع كل رضعة من الاخرى » او خمس مصات كذلك او خمس ما بين رضعة ورضعة تقطع كل واحدة من الاخرى . هذا اذا كانت الرضعة تغنى شيئا من دفع الجوع والا فليست شيئا ولا تحرم شيئا .

ولما كانت البنت التي تريد الزواج منها لم ترضع سوى ثلاث رضعات فقط فلا تعتبر بنت اخت لك من الرضاع استنادا الى ما ذهب اليه الامامان الشافعي واحمد من ان الرضاع المحرم هو خمس رضعات لهذا نرى انه لا مانع شرعا من زواجك بالبنت الواردة بالسؤال .

السؤال : ـ

شاب مسلم تزوج منذ عشر سنوات ولم ينجب اطفالا فذهب الى الطبيب لعلاجه وعالجه باخذ حقن لمدة تزيد عن ثلاثة اشهر .

وطلب حكم الشرع فى العلاج بهذه الحقن هل هو حلال ام حرام ، وهل تحتوى على حيوانات منوية من رجل اخر ؟ .

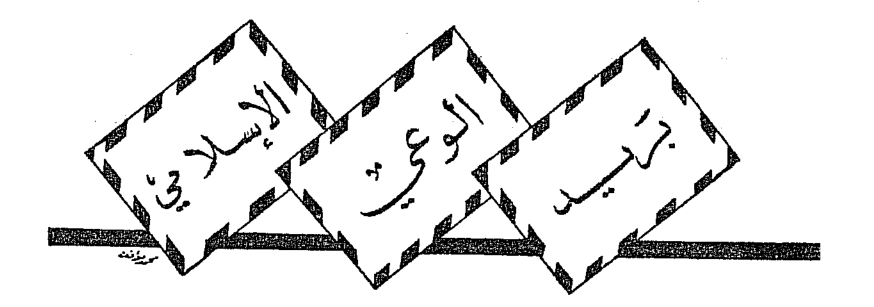
الاجابة : ـ

ان الله سبحانه وتعالى خلق الداء وخلق الدواء والاسلام يرغب فى التناسل ، وكذلك طبيعة الانسان تدعو اليه ، كما امر الاسلام بالتداوى من الامراض .

وبما انك اخذت الحقن السالفة الذكر للعلاج بناء على رأى الطبيب المختص فلا شيء فيها ـ يوجب الحرمة .

هذا وقد اتصلنا بالدكتور محمد ابو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميري بشأن هذه الحقن فافاد بانها تحتوى على هرمونات من خصائصها تقوية الجسم وتنشيط الناحية الجنسية فقط كما افاد بأن الحيوانات المنوية لا تعيش فى مجارى الدم وحينئذ فلا مجال للظن بأن الاولاد غير شرعيين .

ونسأل الله ان يحقق املك وامل امثالك .



وصلتنا رسالة من السيد / عبد الحسين جاسم محمد بجامعة ليفربول هندسة الكهرباء ، يسجل فيها اعجابه بالمجلة وتقديره للوعي الصحيح الذى يشع من صفحاتها ، وللمجاهدين الذين هياهم الله للعمل بها .. ويشفق علينا من صراحتنا فى الحق التي تبدو فى الافتتاحيات ، ويذكرنا بأن نستفيد من قوله تعالى « الا أن تتقوا منهم تقاة » ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. لأن « امتنا اذ تجهل الاسلام تحتاج الى جهد جديدة لبعث اسلامها ، ويجب أن تتخذ نفس الأساليب المحمدية فيه» و « ولكم فى رسول الله أسوة حسنة » وخاصة ناحية التدرج « ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. فى عرض الاسلام » .

ثم ينتقل الى الحديث عن موضوع الخلافة بين أهل السنة والشيعة .. ومن أحق بها ؟ ويذكر رأيه حسب ما درس . ويستشهد بنصوص قرأها . ثم يعترض على ما نشرناه نقلا عن مجلة « الأضواء الاسلامية » التي تصدر فى النجف فى باب « قالت صحف العالم » من قول الكاتب « صلى الله عليه وسلم » ويقول كان أولى به أن يقول « صلى الله عليه وآله وسلم » .

ثم يختتم رسالته الطويلة فيقول « انني فى هذا مطبق قوله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة .. » ولولا استئناسى اخلاصكم للقضية الاسلامية لعاملتكم معاملة دعاة الاسلام فى كثير من المجلات والجرائد التي تدعي زورا أنها اسلامية ..

وأبادر فاشكر الأخ عبد الحسين على حسن ثقته التي أرجو من الله أن نكون جديرين بها .. كما أشكره على اخلاصه الذى دفعه لكتابة هذه الرسالة الحافلة ، ورسالة قبلها آسف لعدم وصولها ، وللنصائح التي رآها نافعة فوجهها الى .. شكرا للأخ على هذه الروح وهذه الثقة ، وأرجو أن نكون جميعا جنودا مخلصين واعين ، وبعد ذلك أتناول المسائل التي أثارها بما يتسع له هذا المجال الضيق ..

لا شك أن بعث أمتنا يحتاج الى جهد شاق لتحويلها عن الحياة التي ارتبطت فيها بأساليب الغرب وافكاره ، كما أن هذا التحويل يحتاج كذلك الى تدرج . وكل ذلك يحتاج الى حكمة وبصيرة ، فان من الدعاة الى الاسلام اناسا منفرين تخرج اساليبهم فى الدعوة عن آداب الاسلام وحكمته ، فيبعدون الناس عن الاسلام ولا يقربونهم اليه ، وقد يكونون مخلصين ولكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد من الحكمة والتبصر « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ومن هنا تنبت فكرة التدرج الآن فيما لا يمكن تغييره دفعة واحدة .. وقد دعوت الى مثل هذا فى كتاب صدر لي منذ اثنتى عشرة سنة « الاسلام والشيوعية » .

اما ما أثاره الأخ من موضوع الخلافة فهو موضوع تاريخي تحفل به بطون الكتب ، وقد شغل المسلمين منذ وجد ، وفرق صفوفهم ، وأثار بينهم حروبا دموية ، ولا نحب أن تثار الآن مثل هذه الموضوعات التاريخية التي لا صلة ولا يمكن أن تقوم لها صلة بحاضرنا ، وليست هناك جدوى من اثارتها الا اذكاء نار الفرقة فلنترك هذا الموضوع الذى يتصل بأسلافنا الكرام — لله يحكم فيه بعد أن انطوت صفحات أصحابه .. ولنجابه الواقع المر الذى نعيشه ونتكاتف للقضاء على ما يخلفه هذا الواقع لنا من مشكلات . لا نلتفت للوراء الا بمقدار ما ناخذ العبرة ، ونستمد الأسوة فيما ينفع ، ويوحد القلوب ، ويجمع الصفوف ..

أما ما ذكرته من اعتراض على الاقتصار على قول « صلى الله عليه وسلم » فيما نقلناه عن صحيفة « الأضواء الاسلامية » التي تصدر بالنجف دون أن يقال « صلى الله عليه وآله وسلم » فليس مرد هذا الاقتصار فيما ذكرته الصحيفة او فيما نذكره أحيانا تعصبا كما تقول ، أو انتقاصا من آل البيت ، فان حبهم لدى كل مسلم أيا كان مذهبه من حب رسول الله ، ولا تختص به فئة دون فئة ، والصلاة والسلام على الرسول وآله وصحبه تملآن القلوب ، وان لم ينطق بهما اللسان أو يسطرهما القلم .

وقد كتبت أنت أمام كلمة الرسول « ص » فقط ولم تذكر الصيغة التي تطالب بها كاملة ، ومع ذلك لا يخطر على بال أحد اتهامك بشيء . على ان الذي نقل الينا الكلمة وارسلها اكتفى كذلك بكلمة « ص » .

وكم أحب أن نعتبر الخلافات فى الأمور الفرعية اختلافات فى وجهة النظر لا تورث حقدا ، ولا تترك بين المسلمين خصومة .

وشكرا أخي ، وأكثر الله من أمثالك الشباب الغيورين ، والله يحرسك ويرعاك فى غربتك ..

خطأ وصحيح

وهذه رسالة أخرى بتوقيع « مسلم » بالكويت يبدى فيها اعجابه بالمجلة « لما لها من طيب الأثر فى نفس كل مسلم » ويذكر تأثره بها « حتى ليغيب عن الوجود حوله حين يقرؤها » ومع هذا الاعجاب بعض ملاحظات ذكرها عن عدد صفر .

ونحن نشكر الأخ على تقديره واعجابه ، كما نشكره على ما أبداه من بعض الملاحظات التي رآها ونطلب منه أن يكتب الينا مباشرة بكل ما يراه .

أما الملاحظات التي أبداها فهي :

أولا — أخذ على الدكتور مصطفى زيد فى مقالة « التفسير وأعلام المفسرين » أنه قال « والتفسير من الفَسْر » وظن أن ذلك خطأ . وصوابه عنده أن التفسير من فسَّر لأن أصل الاشتقاق هو الفعل الماضي .

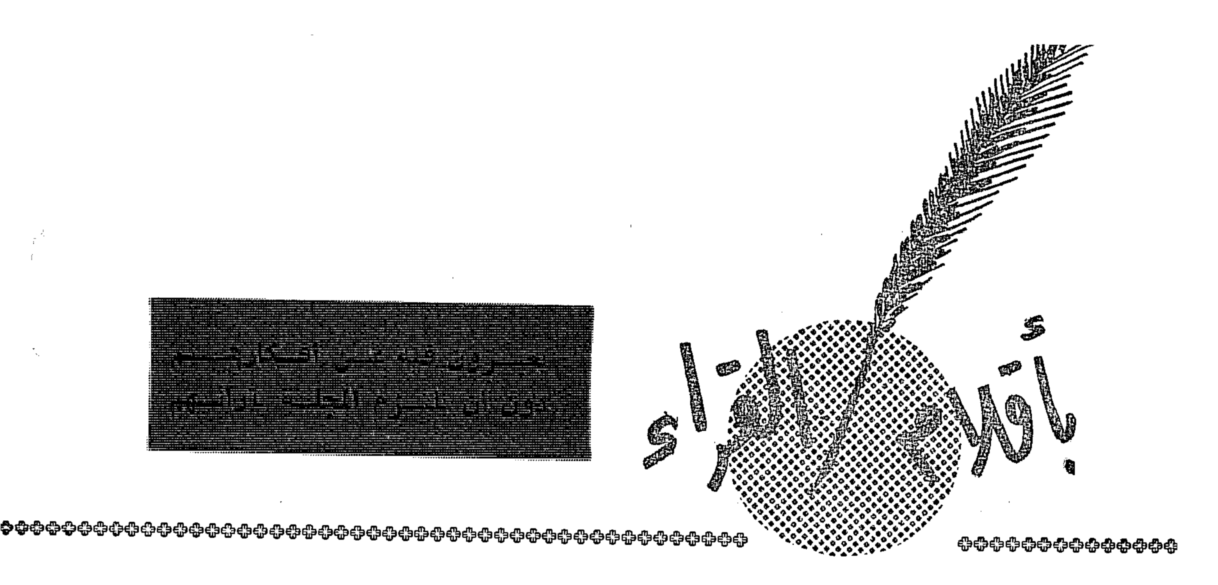
ونقول له ان ما ذكره الدكتور مصطفى صحيح ، وما ذكرته أنت صحيح كذلك .. لأن أصل الاشتقاق عند العلماء البصريين هو المصدر ، وعند الكوفيين هو الفعل .. ولكن رأى البصريين هو الأرجح ، وهو الذى سار عليه الدكتور ، وفى هذا يقول ابن مالك فى ألفيته « وكونه أصلا لهذين انتخب » أى وكون المصدر أصلا للفعل والوصف أى اسم الفاعل والمفعول الخ . هو المختار ..

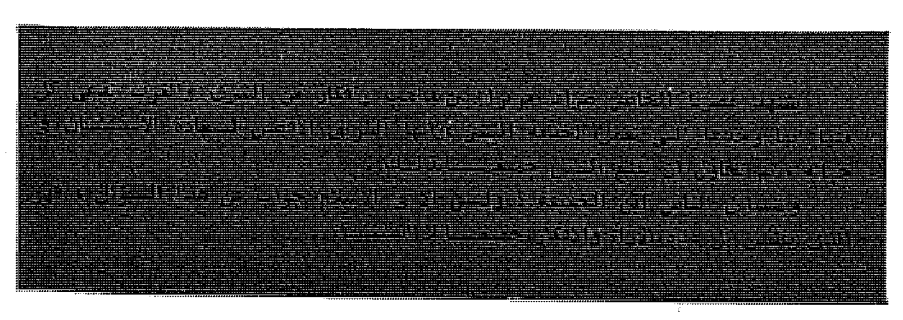
ثانيا — يرى أن كلمة « أجمله » التي جاءت فى الحديث فى مقال « محمد خاتم النبيين » للشيخ علي عبد المنعم خطأ . وصوابها عنده « وجمّله » من التجميل . ونقول له لو أنه رجع الى المصادر لوجد أن كلمة « أجمله » جاءت هكذا فى صحيحى البخارى ومسلم .. وقد جاء فى القاموس المحيط ص (٢٥١) ج ٣ طبعة مطبعة السعادة ما نصه « أجمل الصنعة حسنها وكثرها » وعلى هذا تكون كلمة « أجمله » صحيحة رواية ومعنى .

ثالثا — يرى أن كلمة « القريشيين » التي جاءت فى بريد الوعي « فتوسط له أحد القريشيين » خطأ . وصحتها عنده « القرشيين » ونقول له لو أنه رجع كذلك الى المصادر لوجد أن ما كان على وزن فُعيل بضم الفاء وفتح العين فان القياس عدم حذف يائه عند النسب اذا كان صحيح الآخر مثل عقيل وقريش . فتقول « قريشي وعقيلى » أما قرشى فقد جاء على خلاف القياس ، ويسمونه فى هذه الحالة شاذا .

وقد جاء فى تعليق الشيخ محيى الدين على شرح ابن عقيل فى هذا الموضوع « وقالوا فى النسب الى قريش وهذيل قرشي وهذلي وذلك شاذ » راجع هذا الشرح بتعليقه الطبعة العاشرة ص (٣٨٩) .

ومن هذا ترى أن قولنا « القريشيين » صحيح وقد جاء على مقتضى القياس ..
وشكرا مرة ثانية .





وهذا هو الاخ ابو منير من كربلاء يشير الى هذاالموضوع فى رسالة جعلنا عنوانها « فضل الاسلام » يقـول فيهـا :

جاء الاسلام ثورة كبرى على التفرقة والبغضاء بين الشعوب والامم .. ونادى الملأ كله (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) فوضع بذلك أسس الانسانية الشاملة فضلا عن الاخوة العامة بينالمسلمين الذين تربطهم رابطة سامية تفوق جميـع الروابط التاريخية والجغرافية .. ألا وهي رابطـةالعقيدة فى الله .. فاختلطت هذه الشعوب وامتزجت وانصهرت فى بوتقة الدعوة الاسلامية ، فزالتالحواجزالتى كانت تحول بين قلب وقلب ، وتحطمت الحـدود التي كانت تفصل بين بلد وبلد .

ان الاسلام الذى ندعو اليه عقيدة تنبثق منهاشريعة ، ويقوم على هذهالشريعة نظام اجتماعي كامل.. والاسلام لا يعيش فى الظلام بل هو نور يعيش فىالنور،وانه لا يخادع ولا يداور ، بل هو كلمة الحق عاشت وستعيش الى الابد . فهو الدين الذى يؤدى الـىتكريم الانسان وسعادته ، وانالدعوة اليه حددها وبين وبين معالم طريقها القرآن الحكيم حين قال تعالـى(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجادلهم بالتى هي أحسن)



واذا كان للاسلام كل هذا الفضل على كـــلتشريعات البشر وآرائهم فأين أمجادنا السالفة اذن ، بل ما هو السبب فيما نحن فيه الان ، ويبين السببالاخ الاستاذ محمود الكولى المحرر بجريدة الاهرام القاهرية فى رسالة بعث بها الينا تحت عنـــوان(المسلمون فى حاجة الى الوعى الاسلامى) فيقول :

اذا قيل فى بعض المســلمين :

* انهم نسوا الله فانساهم أنفسهم .. فانذلك حق !!

※ أو أنهم ضعفت فيهم العزائم فافلتت الرايةمن أيديهم .. فذلك حق !

※ أو أنهم فرطوا فيما ورثوه من كنوز الاســلاموفتنتهم شهوات الدنيا .. فان ذلك حق !

※ أو أنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دونالمؤمنين فاشاعوا بينهم الفرقة والتنازع على سلطات الدنيا فذلك حق !

※ أو أنهم هجروا عاداتهم وتقاليدهم الاصليةوفتنوا بكل ما هو أجنبى .. فشاعت بينهم الفاحشة وانتشر الانحلال .. فذلك حق !

※ أو أنهم أهملوا الصلاة .. ولم يخرجـــواالزكاة واصبحوا يحجون الى اوروبا .. ولا يحجون الى بيت الله .. وينتشون لصوت المطربين والمطربات ولا تطمئن قلوبهم الى تلاوة الآيات البينات .. فذلك حـــق !

※ أو أنهم آثروا الراحة على الجهاد .. والرفاهية على التضحية .. وتعاملوا بالربـــا والحرام .. وتتبعوا خطوات الشيطان .. ولم يسلكوا الطريق الطبيعي الى طاعة الرحمن .. فذلك حق !!

※ أو أنهم أهملوا الثقافة والتعليم حينا مـنالزمن ، فنشـــــات أجيال منهم فى جهالات ، بينما سبقهم غيرهم الى علوم الذرة والمخترعات .. فذلك حق !

※ أو أنهم آثروا فى ثقافتهم انحراف الثقافاتالغربية .. على استقامة الثقافات الاســـلامية .. فأفسدت عليهم تفكيرهم .. وانحرفتبطريق مستقبلهموحياتهم .. فذلك حـق !!

※ فما هو اقرب طريق يمكن أن يسلكوه اذاأرادوا تصحيح أوضاعهـم ؟

※ ليس هناك من طريق الا أن يعودوا الى اللهوكتابه .. والى رسوله وسنته ..

※ وأن يقوم بينهم (وعي اسلامي) رشيد ،ويتواصوا بالحق .. ويتواصوا بالصبر ..

وبذلك يملكون بقوتهم ناصية الدنيا ، وسنامالدين ، ويصبح الفرد المسلم كما قال فيه الشاعر :

فلا هـــو فى الدنيـــا مضيع لنفســـــــه ولا عـــرض الدنيـــا عـــن (الدين) شاغله !

★ ★ ★

ولكن ترى هل هذا الطريق سهل ؟ وهل تتم النهضة الاسلامية بلا صعاب ؟

يجيب الاخ اجود نصوح : « قلقيلية / بالاردن » عن ذلك ، فى رسالة بعث الينا بها بعنوان « الصعوبات التي تقف وجه النهضة » فيقول : النهضة فى المفهوم الاسلامي هي الارتقاء الفكرى على الاساس الروحي أى ارتقاء الافكار على أساس الدين ، وهذه النهضة فى جيلنا المعاصر تعترضها صعوبات أهمها :

وجود الافكار اللااسلامية وغزوها للعالـــــمالاسلامى : فى عصر كا نفيه ضحل التفكير قليــل المعرفة ضعيف العقلية فوجدت هذه الافكار تربـــةخصبة خالية من المقاومة فتمكنت منها ، وبـــذا تشبعت عقلية المسلمين ـ سيما فئة المثقفين ـ بهذهالافكار فكونت منها عقلية أجنبية مشبعة بالتقليد ، بعيدة عن الابتكار ، غير مستعدة لقبول الفكرة الاسلامية فى كثير من نواحي الحياة .

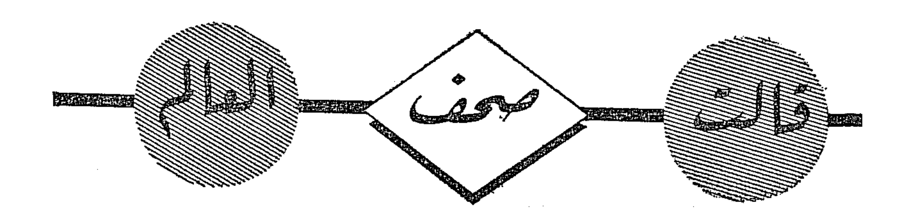
★ ★ ★

ورغم هذه الصعاب المتكاثرة فى طريقنا الىالتقدموالنهوض فهل نسمح لليأس يتسلل الى نفوسنا ، وهل تتلاقى طبيعة اليأس مع طبيعة الاســــــلامالحنيـف ؟

عن ذلك يحدثنا السيد / خضير مرزوك الجنابىمن بغداد . فى رسالة له بعنوان . اليأس يقول فيها :

يجب أن نتعلق بجبال الرجاء ، بأمل النجدة : ويجب أن نأخذ بالاسباب ونترك النتائج بيد الله الخالق الاعظم ، فانه أدرى منا بذلك وأعلم .

فالذين تسرى فى نفوسهم آفة اليأس هم الذينلا يدركون بأن هناك قوة لا تقهر ، كفيلة بان تمسح جل المصائب والرزايا ومحركيها ، أما اذا آمنا للهحق الايمان وآمنا بقدره ، وآمنا بأن اليأس من روح الله كفر بوجوده وقدرته ، وآمنا بأن الجـــهاد فىسبيله حق ، فان النصر لنا مهما وضعت فى طريقنا أشواك وعقبات فالله سبحانه يقول « وكان حقا عليناىنصر المؤمنين »



المرأة فى الكويت

اجاب سمو نائب امير الكويت المعظم وولي العهد على سؤال صحفي لجريدة الرسالة الكويتية حول اعطاء المرأة حقوقها السياسية فى الكويت فقال : ـ
((ان المجتمع الكويتي ليس مهيأ بعد للقبول بهذه الفكرة ، يضاف الى ذلك ان المرأة الكويتية لم تبلغ بعد من الوعي الاجتماعي والفكرى الذى يؤهلهـــا للمشاركة فى التشريع)) وقال ((لقد فتحنا امام المرأة الكثير من الافاق المغلقة ، ولا شك انها استطاعت ان تخطو خطوات طيبة الى الامام ، للمشاركة فى بناء الوطن فى الميادين التي تستطيع ان تسهم فيها .
وفى رأيي ان على المرأة ان تثبت وجودها اكثر .

((مع وزير التربية))

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية حديثا مستفيضا لسعادة السيد خالد المسعود الفهيد وزير التربية اعلن فيه ((ان هناك مشروعا لتوقيع اتفاقيات ثقافية مع كل من دول المجر ، والولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة وفرنسا واليابان ، وقد ارسلت هذه الاتفاقيات بالفعل الى سفارات الدول المذكورة ، ثم تابع معاليه الحديث عن جامعة الكويت ومسئولية المدرسة نحو التربية الخلقية ، ومسئولية الناظر ، ثم قال : ((أن المدرسة يجب أن تعمل على توفير الأمن والطمانينة للطلاب ، وتشعرهم بكافة الوسائل انهـا تعمل لصالح مستقبلهم . وأن تعمل على تحويل المبادىء والقيم الخلقية والاجتماعية الى سلوك وممارسة عملية داخل المدرسة عن طريق مجالات الدراسة ، والانظمة المختلفة ، وينبغي أن تراعى المدرسة بأن يكون سلوك المدرسين مثلا من حيث التمسك بالفضائل والاحساس بالمسئولية والصراحة التامة)) .

اثر الاسلام على الهند

ادلت رئيسة وزراء الهند السيدة انديرا غاندى بحديث صحفي خاص الى مندوب جريدة الاهرام القاهرية ، اجابت فيه من بعض الاسئلة ، وردا على سؤال حول ابعاد العلاقات العربية الهندية اجابت .
العلاقات بين الهند والعالم العربى ذات جذور وارتباطات عميقة فى التاريخ بعثت حرارة فى اتصالاتنا وبعثت تعاطفا مشتركا فى فهم حوافزنا القومية واهدافنا الاجتماعية . ولقد ترك مجيىء الاسلام الى الهند ـ كما تعرفون ـ اثرا عميقا على حضارتنا ، وعلى طبيعتنا القومية ، واصبح الاسلام أحد المقومات الحيوية فى تراثنا الثقافى ،فوق انه دين يؤمن به خمسة وخمسون مليونا من أبناء وطننا . وهـــذه الحقيقة جعلت علاقاتنا بالحياة العربية وبالتاريخ العربى والثقافة العربية حميمة ومثمرة على الدوام .
واتصالا من هذا التراث الفنى جاء كفاحنا المشترك ضد السيطرة الاستعمارية ، فوثق الرباط القوى بيننا ، ومهد الطريق لنمو الفهم المتبادل فى زمننا المعاصر . وعند هذه المرحلة أصبحت مسئوليتنا الكبرى ان نساعد هذا التراث من الصداقة على ان ينمو ، وعلى ان يستجيب بكفاءة لتطورات الزمن الحديث ، وبالتالي تظل علاقاتنا قادرة على مجاراة الظروف المتغيرة فى العالم وحركة الآمال النامية لشعوبنا .

كرم سبط يهودا (هيلاسلاسي)

تحت هذا العنوان . كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول : ـ
ابرمت مؤخرا اتفاقيات بين حكومة الحبشة ، وبين (موشى ديان) وزير الزراعة الصهيوني . أهدت حكومة أثيوبيا بموجب هذه الاتفاقيات لاسرائيل :

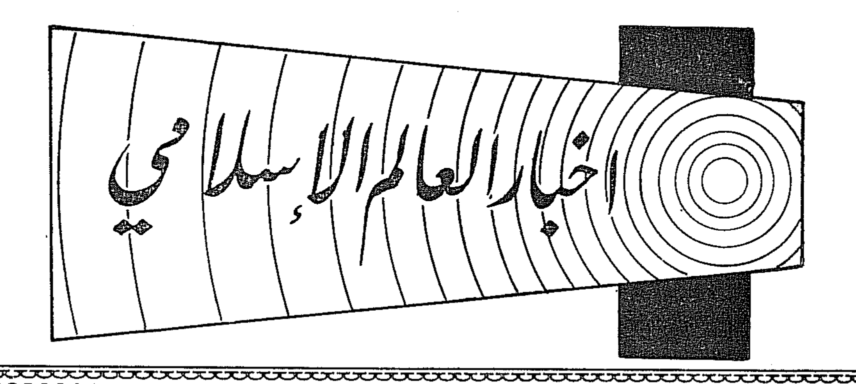
١ ـ خمسين الف هكتار (٥٠٠٫٠٠٠ دونم) لزراعة القطن ، بعد ان نزعتها من اصحابها المسلمين ، وهي بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال ارتيريا . ومنحتها لشركة (انكودا) الاسرائيلية .
٢ ـ عشرين الف هكتار (٢٠٠٫٠٠٠ دونم) لشركة اسرائيلية لتربية المواشي والخضار ، ولهذه الشركة فروع لتربية المواشي في عدة اقاليم في اقليم (هرر) الاسلامي .
٣ ـ الفي هكتار (٢٠٫٠٠٠ دونم) لشركة ((اناجن)) الاسرائيلية في منطقة ((عيلت)) .
وهذه الهبات رمزية ليس الا ، وتعتبر رمزا لتوطيد عرى التعاضد بين الحبشة واسرائيل . اما القوارب الاسرائيلية لصيد السمك من البحر الاحمر فانها تعمل في ميناء ((مصوع)) الارتيري المسلم ، وتشحن الأسماك،باذن الحكومةالأثيوبية المستعمرة،منهالى ميناء أيلات بدون أيمعاملات أو رسوم جمركية . وفي ايلات تعلب وتصدر مرة أخرى الى خارج اسرائيل ولا سيما الى القارة الافريقية .
كما سمحت حكومة الامبراطور لمجموعات تفوق الحصر من الجزارين الصهاينة بالاقامة فيها .

أدركوا أخلاق الأمة الاسلامية

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة التربية البغدادية تقول : ـ
وها هي اليوم أزمة الاخلاق آخذة بخناقنا في كل مجال من كل جانب تنظر الى الصغير فيملؤها الخوف مما يشب من أخلاق ، وتنظر الى الشاب فلا تملك نفسك من الاشفاق عليه مما نراه فيه .
وتنظر الى المرأة فيأخذك العجبمما وصلت اليه.وتقلب الطرف في أصناف الناس التاجر منهم والعامل والفلاح والكاسب والموظف كبر كرسيه أم صغر فلا ترى من الأخلاق الا أدناها وأحطها . انه طوفان لم ينج منه الا من رحم الله من أولئك الذين تمسكوا بأهداب الفضيلة وتشبثوا بها غير آبهين بمن خالفهم ، ولكن هؤلاء على قلتهم على خطر عظيم ، فهم كالقابض على الجمر يتبصر تصبرا ويتجلد .
ولقد أدرك الناس هول هذا الخطر على اختلافهم في تصوره وفهم أسبابه ودواعيه ، وعلى اختلافهم أيضا في طريقة معالجته أو في امكانية هذه المعالجة ،فما هو سبيل الخلاص ؟ وهل هناك امكانية للتغلب على هذا الخطر والخلاص من هذه الأزمة ؟ .
ان التغلب على هذا الخطر الداهم والداء الوبيل ممكن وسبيله واضح ، ولكن جهودا كبيرة وفي مجالات متعددة لا بد أن تبذل بصبر وجلد ويقين ، لكي تؤتي بعد ذلك ثمارها ، وتنقذ الأمة من وهدتها وتقيلها من عثرتها الكبرى هذه .
اننا اذا أردنا التخلص من الدنايا التي سقطناعليها ، فان ذلك لا يكون بدرس يلقى ولا بحديث يذكر ولا بموعظة تقال ، وانما لا بد من العمل لتغيير البيئة التي نعيش فيها تغييرا جذريا يستهدف المنزل والمدرسة والنظم والاحكام والعقائد والافكار والاعراف والآراء والفنون والآداب وجميع وجوه التمدن الأخرى .

سانحة

وتحت عنوان ((سانحة)) كتبت مجلة ((الهدى الاسلامي)) الليبية كلمة جاء فيها : ـ
نسي الناس أن المساجد في معناها مراكز عظمى لقيادة الانسانية ومبعث الانطلاق نحو الكمال المادي والادبي للأمة . نسوا ان المسجد يجمع الناس بقلوبهم ليخرج كل انسان من دنيا ذاته ، فلا يفكر احد انه أسمى من أحد . ولقد يكون الى جانب العظيم ، الصانع أو الأجير أو الفقير أو الجاهل فينظر اليه والى نفسه فيحس كأن خواطره متوضئة متطهرة من مقاييس دنيا الناس . ويرى كلمة الكبرياء قد فقدت روحها . ثم اذا ما نودي للجماعة في الصلاة . هرعوا خلف الامام ، صفا ردف صف . اذا اختلفت مراكزهم وسماتهم ، فقد توحدت قلوبهم ومشاعرهم ، توحد وجوههم نحو بيت الله . ثم تقول المجلة .
ولقد تجلت حكمة الاسلام في مشروعية الخطبة الجمعية وتحديد الأعذار المبيحة للتخلف عنها . ذلك لما لها من اثر عملي في المجال التربوي . لانها تفسير دائم للتشريع الاسلامي ومعالجة المشكلات العامة من خلال هذا التفسير ، حتى يظل الناس على صلة وثيقة بدينهم . ولهذا فانها ينبغي أن تكون عظة مليئة بالغذاء الروحي والتوجيه الاجتماعي ، هدفها تحديدالمعالم وتقويم المفاهيم . ومن أجل هذا قامت مقام الركعتين في الصلاة . صلة العبد وربه ، وصلة بين العباد بعضهم لبعض .



الكويت

*** رفع الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية نتائج مهمته الى المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة بشأن وساطة الكويت فى قضية اليمن .**

* تبرع صاحب السمو أمير البلاد المعظم بثمانمائة الف ليرة لبنانية للجمعيات الخيرية والمدرسة الحربية فى لبنان .

*** طلبت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من وزارة الخارجية الاتصال بالحكومات العربية والاسلامية فى جنوبى شرقى آسيا وافريقيا لابداء مقترحاتها لنشر الدعوة الاسلامية .**

* أبلغت سفارة الكويت بالجزائر الجهات المختصة بالكويت بأن الجزائر الشقيق بحاجة ماسة الى بناء مساجد وهذه الرغبة موضع عناية المسئولين .

*** تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية رسالة من رئيس رابطة علماء مسلمي نيجيريا تتضمن شكر حكومة الكويت لتبرعها السخى من أجل تدعيم الرابطة المذكورة .**

* زار البلاد الحاج محمدوى جانغ رئيس اتحاد الشباب الكورى المسلم فى «سيوول» وقد اجتمع أثناء الزيارة بالمسئولين فى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من اجل المعاونة لبناء مسجد فى العاصمة الكورية .

*** أكد وكيل وزارة الخارجية فى حديث اذاعى ببرنامج المائدة المستديرة الذى يذاع فى الامم المتحدة أن قضية فلسطين لا يمكن حلها الا بالقضاء على اسرائيل . وأكد أن الوحدة شعور يعيش فى قلب كل عربى .**

* طلبت المملكة المغربية من الجهات المختصة تزويدها بكافة المعلومات عن جامعة الكويت وموعد بدء الدراسة فيها .

* أعلنت وزارة التربية عن قبول طلبات الالتحاق بالجامعة للطلاب والطالبات (غير الكويتين) .

* قامت بعثة طلابية تونسية بزيارة دولة الكويت لتوثيق عرى الصداقة بين طلاب القطرين الشقيقين .

*** تم وضع حجر الاساس لبناء خمسة مساجد جديدة وبدا العمل فيها وكان قد وضع فى الشهر الماضى حجر الأساس لبناء خمسة مساجد أخرى فى المناطق التى اتسع فيها العمران .**

القاهرة

* أعلن السيد محمود رياض وزير الخارجية أن العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى سيزور مصر قريبا .

*** وجه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الدعوة الى زعيم مسلمى امريكا السيد**

ــا محمــد لزيارة الجمهورية العربية المتحدة للالتقاء بعلمــاء الازهر للتباحث في الشئون الدينية .

★ أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الجزء الاول من موسوعة جمــال لناصر فى الفقه الاسلامى التى يشترك فى تحريرها أكثر من الف عالم من علماء بين فى مختلف المذاهب الاسلامية ، ومن المنتظر أن تصدر الموسوعة فى خمسين .

★ أقر مجلس جامعة الازهر قواعد قبول أوراق الطلبة الجدد وتنص على عدم من يقل مجموعه عن ٥٠ ٪ وبالمنسبة لكليات الطب والهندسة والاسنان ٦٠ ٪ .

السعودية

★ تبرع جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠٠ ألف لتغطية نفقات بناء جامع فى مدريد ، بعد أن وعدت الحكومة الاسبانية بتقديم ى اللازمة .

★ بعث جلالة الملك المعظم برقية تهنئة لسيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة سبة عيد الثورة الرابع عشر ، وقد تلقى جلالته برقية شكر جوابية من سيادته .

★ أقام سمو أمير مكة المكرمة حفلا كبيرا تكريما لمعالي وزير خارجية الكويت زيارته الاخيرة وحضر الحفل عدد كبير من رجالات الدولة .

★ نشرت صحيفة البلاد أن حريقا كبيرا شب فى منطقة باب السلام فى مكــة ة ظلأكثر منساعتين وقد امتدت النار فيهالىبعضأجزاءالمبنى الجديدللمسجد. شكلت لجنة للتحقيق وتقدير الخسائر ورفع النتيجة الى صاحب السمو الامير ل أمير منطقة مكة .

★ وصل الى الاراضى الحجازية السيد رئيس جمهورية الصومال بدعوة من ة الملك فيصل لزيارة السعودية .

الجزائر ــ أكد سيادة العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى حب السعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة أن الجزائر مة وشعبا تتطلع الى زيارة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الرسمية ائر .

الاردن ــ احتفلت كلية الشريعة فى عمان بتخريج دفعة جديدة من خريجيها ، القى جلالة الملك حسين فى حفل التخريج كلمة دعا فيها الى اتباع مبادىء الدين لامى ، وحث الخريجين على نشر الدعوة لتدعيم الروابط بين المسلمين فى شتى رهم .

لبنان ــ اطلق المجلس البلدى فى العاصمة اللبنانية اسم المرحوم سمو الشيخ الله السالم الصباح على أحد شوارع بيروت، وذلك تقديرا من المجلس لشخصية حل الكريم ولما له من أياد بيضاء فى تدعيم المؤسسات المختلفة فى لبنان .

المغرب ــ وصلت الى المغرب المكتبة الاسلامية التى أهدتها وزارة الاوقاف فى مهورية العربية المتحدة ، والتى تضم ثلاثة الاف مجلد .

نيجيريا ــ سيعقد فى جامعة « ابادان » بنيجيريا مؤتمر اسلامى طلابى عالمى ، يناقش المؤتمر موضوع « الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث » .

تركيا ــ قررت الحكومة التركية اغلاق عدد من المكاتب السياحية الاسرائيلية فى يا .

باكستان ــ صرح السيد وزير خارجية الباكستان فى كراتشى بأن سياسة بلاده اسة استقلالية اسلامية وطنية .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت ودمشق : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج.ع.م.

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

الخرطوم : ـ الاستاذ حسن نجيلة ـ دار الرأى العام .

بور سودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الصومال : ـ مقديشو ـ محمد أحمد عمر .

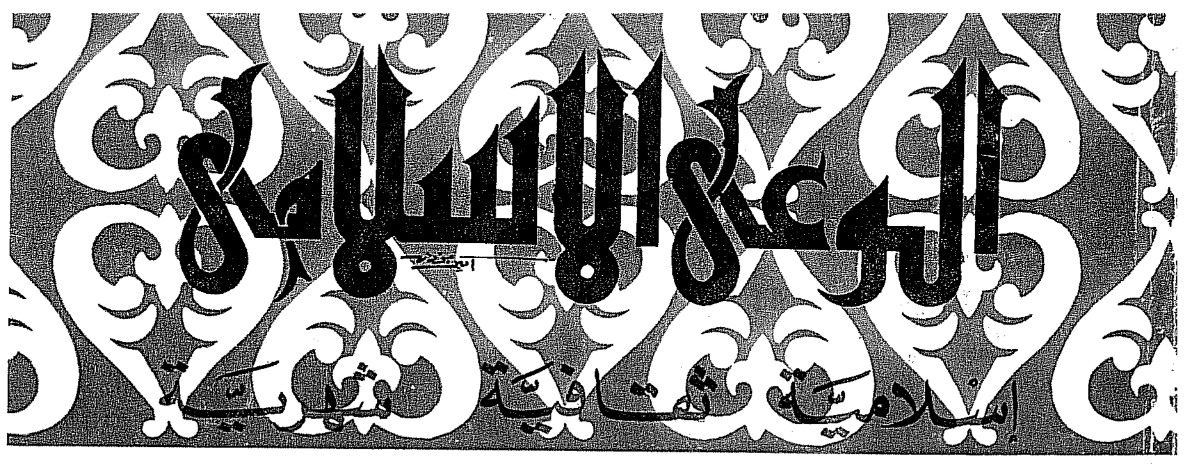
الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



امبراطور الهند المسلم « جهانكير »
١٠١٤ – ١٠٣٧ هـ – ١٦٠٥ – ١٦٢٧ م

لوحة بالألوان المائية
بريشة : محمد مؤذن



السنة الثانية * العدد الثامن عشر * جمادى الثانية ١٣٨٦ هـ * سبتمبر ١٩٦٦م



ابو دهبل الجمحي الشاعر

قصة العدد : شعاع من القلب ص ٨٢

الوعي الاسلامي

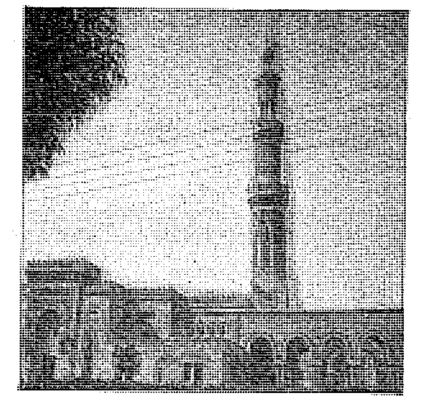
اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن عشر ـ السنة الثانية
غرة جمادى الثانية سنة ١٣٨٦ هـ
١٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مسجد قاهر التتار قطز فى ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة وتتجلى فيه عظمة البناء وجلال الهندسة وجمال الموقع .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

صاحب السمو الأمير المعظم
يوجه كلمة إلى مؤتمر الطلبة العرب

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بتوجيه كلمة سامية الى المؤتمر السنوى الخامس عشر للطلبة العرب فى الولايات المتحدة وكندا الذى افتتح فى الشهر الماضي بجامعة كولورادو الامريكية .

وفيما يلى نص كلمة سموه حفظه الله .

أبنائي الاعزاء .

من دواعي سروري أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لافتتاح مؤتمركم .

فباسم الكويت أحيي فيكم روح الشباب الناهض ذخر أمتنا ومحط آمالها الذى تفخر به وتعتز دوما . ولا يسعنا الا أن نشيد بكفاحكم المبارك لرفع اسم العروبة عاليا فى ربوع الغرب وباهتمامكم الجاد بقضايا الوطن العربى الهامة ، وطبيعي فى هذه المرحلة من التطور ، وفى الوقت الذى تسعى فيه البلدان العربية لاستغلال طاقاتها المادية والروحية وتوكيد شخصيتها المستقلة وأعادة بناء مجتمع عصرى أن تتجلى لها بوضوح أهمية التخطيط بمفهومه العلمي الحديث وفائدة العمل المدروس على أن تحقيق ذلك على الوجه الاتم انما يتطلب وضوح الرؤيا بالنسبة لماضينا ومستقبلنا . فثمة قيم وتقاليد اصيلة واجتماعية واخلاقية ـ يعتز بها تراثنا العربى . وعلينا أن لا نغفلها فى خضم التيارات الجارفة الجديدة .

لا شك أنه يهم كل عربي مخلص ان يرى مجتمعنا عربيا متينا متكاملا قوامه العدل والحرية والديموقراطية السليمة ، حيث تصان للفرد كرامته وتتحقق سعادته واطمئنانه وينعم بالخير العميم ، اذ تتاح له الفرصة الكافية للكشف عن مواهبه وقواه الخلاقة معتمدا على ذاته آخذا بزمام المبادرة فى كل عمل منتج كلما دعا الداعي .

ومهما يكن من شيء فنحن هنا فى الكويت ، سائرون قدما بعون الله على الدرب والنهج القويم لتطوير مجتمعنا ورفع مستوى شعبنا مستعينين بجهاز التخطيط الذى يضم عددا من الخبراء الفنيين فى التخطيط الاقتصادى والتربوى والصحي والانشائي وغيره ، فيقدم البرامج المزودة بالاحصائيات والتقارير للتنسيق والتطبيق والمتابعة .

وفى نطاق الخدمات الاجتماعية والصحية والاسكان وغيرها يولى اهتماما خاصا للتعليم الحر كأساس لبناء صرح الحياة الفكرية .

هذا ، وأننا نعلق أملا كبيرا على الجامعة الكويتية التى ستفتح أبوابها



فى مستهل العام الدراسى القادم لتصبح فى هذا الجزء من العالم منارة للاشعاع ومركزا للبحث العلمى الحـــر .

أما من جهة الاقتصاد ، فيسير اقتصادنا حرا ، مع ذلك اعددنا برنامجا للتنمية الاقتصادية لزيادة الدخل القومى وعدم الاعتماد كليا على البترول . فالى جانب مساهمة الحكومة فى تمويل المشروعات الاقتصادية المختلفة يمنح كل تشجيع للاستثمار الخاص الفردى مع التسهيلات لخلق الجو الملائم للاستثمار ونشر الوعى الاجتماعى وسن القوانين المرنة المتمشية مع هذه الغاية .

واننا جد معنيين بخلق صناعات أخرى غير التى تقوم على البترول والغاز الطبيعى . ولا مجال للتفصيل ، عدا عن ذلك فنحن بسبيل اعداد خطـــة للزراعة والرى المزدهـــرة .

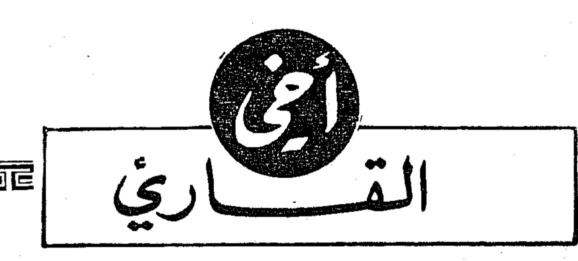
هذا ، ويمكن القول بارتياح أن مساهمة الكويت فى التخطيط لا تقتصر على حدودها بل تتخطاها الى كافة البلدان العربية الشقيقة عن طريق الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . وفى ذلك تؤدى جزءا هاما من رسالتها القوميـــــة .

ختاما ، اننا اذ نتطلع الى مستقبل زاهر يتحقق فيه للعرب ما يصبون اليه من آمال كبار استعادة لمجدهم التليد ، ندرك فى الوقت ذاته أن السبيل الوحيد لذلك انما هو الجهد والعمل البناء لا مجرد القول والتمنى .

وعليكم رجال الغد المزودين بسلاح العلم والمعرفة لما فيهما من نفع وقوة تقع مسئولية كبرى تجاه بناء وطننا الاكبر عاليا شامخا .

وفقنا الله جميعا الى مافيه خير أمتنا المجيدة وعزها ورفعتها ، راجين أن يحقق هذا المؤتمر غايته المنشودة وأن تكلل جهودكم الخيرة بالنجاح والتوفيق . وشـــكرا لكم والســـلام .

بسم الله الرحمن الرحيم



يحلو لبعض كتاب الصحف والمجلات والقصص والأفلام أن يوجدوا هوة بين الجيل الصاعد من الشباب والشابات وبين آبائهم ومربيهم ، وذلك حين يصورون أفكار الآباء والمربين بأنها آراء عتيقة بالية ، لا تصلح لقيادة هذا الجيل ، حتى أصبحنا نرى الشباب القليل الخبرة بالحياة وبما يضره أو ينفعه فيها ، كلما وجه اليه آباؤه نصحا أو لوما أو حالوا بينه وبين نزواته وطيشه نراه شديد التبرم بما يسمعه سريع التخلص من آراء موجهيه بحجة أنها آراء عتيقة لا تصلح لهذه الايام ..

ومع أننا لا ننكر أن لكل جيل ظروفه ، وأن على الآباء أن يكونوا حكماء وواقعيين فى توجيه أبنائهم الا أننا نرى أن من الجناية على الأبناء – وهم فى سن يحتاجون فيها الى حسن الرعاية والتوجيه – أن نحرمهم من الاستفادة بخبرة آبائهم ومربيهم بالحياة بعد ما عركوها وعركتهم ، ونقيم بينهم وبين هذه الخبرة سدا وذلك بما نقدمه لهم من آراء أو نعرضه عليهم من تمثيليات ، تزين لهم عدم الاعتداد بآراء آبائهم وموجهيهم . والشباب بحكم طبيعته ميال الى الاعتداد بنفسه ، وابراز شخصيته ، وقد لا يبالي فى سبيل ذلك بما يحطمه من قيم ، فاذا قرأ أو سمع أن آراء الآباء رجعية لا تصلح له ، وأنه خلق لزمان غير زمانهم زاد فى غروره ولج فى خروجه وانحرافه ... وسد أذنيه عما يسمعه من نصح .. وبذلك يفقد أغلى ما أدخره الله له من عطف الأبوة وتوجيهها ، ويعيش كالنبات السطحى لا جذور له تغذيه وتحميه من تقلبات الأيام وتياراتها وعواصفها .. أو كالسفينة التى تعطلت محركاتها ، وفقدت ربانها وصارت لعبة الامواج والرياح.. حقيقة يوجد فى بعض الآباء رغبة تصحبها شدة أحيانا ، فى طبع الابناء بطابعهم وجبرهم على أن يكونوا صورة منهم من تفكيرهم ونظرتهم للحياة وخطواتهم فيها ، ويميلون الى أن يعاملوا الأبناء المعاملة نفسها التى كان آباؤهم يعاملونهم بها كأنهم نسخة مكررة لهم ، وقد يكون فى هذه الرغبة المصحوبة بالشدة تكليف للأبناء بما لا يطيقون ، وهم ان رضخوا صغارا خوفا من الآباء فانهم لا يلبثون أن يتمردوا عليهم حين يشتد ساعدهم ، وحينئذ يستعصى علينا أن نسلس قيادهم ، أو نردهم الى صوابهم ..

وبعض الآباء تدفعهم غيرتهم على أبنائهم ورغبتهم فى سعادتهم الى أن يضيقوا ذرعا – أحيانا – بسلوك الأبناء فيدفعونهم بالفساد والمروق ، ويشعروهم بأنهم فقدوا الأمل فيهم . وهذا وحده قد يكون كافيا لقطع كل خيط يشد الابن بأبيه لا سيما فى زمن رعونته وطيشه ..

ومن هنا كان من الواجب على الآباء أن يكونوا حكماء فى اختيار الاسـلوب الذى يعاملون به أبناءهم ، وفى توجيههم للسلوك الذى يحبونه لهم .. ويعتمدوا على الاقناع

والترغيب أكثر مما يعتمدون على الأوامر والترهيب ، ويحافظوا ما أمكن حتى فى حال شدتهم على أن يشعروا الابناء بعطفهم .

واذا كنا نقول هذا للاباء ليغلفوا عطفهم الطبيعي علي أبنائهم بالأسلوب الحكيم المناسب ، فاننا نحب أن نقول للأبناء ـ وهم فلذات أكبادنا وقرة عيوننا وأملنا الذى نكدح من أجله فى هذه الحياة ـ أن عطف الأبوة ـ مهما يكن حوله من أشواك ـ لا يمكن تعويضه ، وهوكنز خاص بهم وحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم فاذا وجدوا معه شيئا يتعبهم فليتقبلوه راضين مقدرين فلا بد للشهد من ابر النحل ، والذى يريد أن يمتع نفسه بالورد الندى يقطفه من أغصانه لا يسلم من وخز أشواكه .

ولقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى عليه رحمة الله صادقا كل الصدق ، وهو يصور عاطفة الأبوة فى مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة حين قال :

واذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء

نعم هذان هما الرحماء فى هذه الدنيا المجدبة من نسائم الرحمة والعطف والحب الطبيعى الذى لا يشوبه غرض .. فليحرص الأبناء دائما مهما تبلغ سنهم أو تسمو بهم مراكزهم أن ينهلوا من هذا العطف ، وأن يستدروه ويستفيدوا من نبعه الصافى الذى يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم ويزيد من منزلتهم عند الله والناس ..

لا أحب من الأبناء أن يضيقوا ذرعا بما يسمعونه من آراء أو توجيهات أبوية ، ربما يرونها غير صالحة للتطبيق فى عصرهم ، وعليهم أن يقدروا كل التقدير مبعث هذه الآراء والحامل عليها ، فان مقام الأبوة لا يهدره ولا ينال منه مجرد الاختلاف فى الرأى، بل ولا الاختلاف فى الدين بل يسمو على هذه الاختلافات ، ويبقى له حقه من التقدير والوفاء ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا))

والمربى فى معهده والد روحى تربطه بأبنائه الطلاب معان وقيم رفيعة ، ومعرفة وثقافة يقدمها غذاء لعقولهم وأرواحهم ، وجهد يبذله ليرقى بهم درجات السلم الى القمة التى يحلمون بها ، ويعدون أنفسهم لبلوغها .

وبمقدار غيرته وحرصه على مستقبلهم تكون يقظته وشدته فى مراقبتهم وحسن توجيههم ، فليتقبلوها منه بمقدار حرصهم على مستقبلهم .. ويبذلوا له من الاحترام والتقدير ما يزيده حبا فيهم ، وغيرة على مستقبلهم ، ورعاية لآمالهم . وليذكروا دائما وهم يواجهون شدة من آبائهم أو مربيهم هذه الحكمة المعبرة عن واقع الآباء والمربين .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما ... فليقس أحيانا على من يرحم

رعاكم الله يا شباب وأنتم تقبلون على عام جديد من حياتكم ، وسقى نبتكم حتى يثمر الثمرة المرجوة منكم ، وجعلكم جنودا مخلصين لدينكم ووطنكم .



إحاطة القرآن الكريم بالفطرة

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

موضوع كريم جليل يدعو الى بحثه بما ينبغى له من الدقة والاحتياط نصان كريمان فى كتاب الله . هما قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فى الآية « ٣٨ » من سورة الانعام ، وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) فى الآية « ٨٩ » من سورة النحل .

والنص الكريم من آية النحل لا يحتمل لفظ (الكتاب) فيه الا معنى واحدا هو القرآن الكريم.

والنص كما ترى عام طابعه الاستغراق ، لم يأت فى الآية ما يخصصه ، أو يقيده ، لكن أكثر المفسرين حملوه على الدين وأحكامه ، لان شغلهم الشاغل كان تبليغ الدين بمعناه الخاص وتبيين أحكامه ، فلم ينصرف ذهنهم الا الى ما كانوا مشغولين به . والقلة منهم هى التى أخذت بظاهر النص . ومن هؤلاء المفسر المحدث الامام ابن كثير صاحب التفسير بالمأثور فانه بعد أن روى تفسيرين أحدهما لصحابى هو ابن مسعود ، والآخر لتابعى هو مجاهد اختار قول ابن مسعود لانه أعم وأشمل .

قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) انه تبيان لكل حلال وكل حرام . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم وكل شىء » وعقب عليهما ابن كثير بقوله « وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى فى كل حلال وحرام ، وما الناس محتاجون اليه فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم » .

وابن مسعود هو الصحابي الجليل الذى ذكره عبد الله بن عمرو ، فيما روى البخارى ، فقال

لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «خذوا القرآن من أربعة . من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب » ثم هو الذى روى عنه البخارى (١) قوله « والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة . والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم » .

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة معنى ما يحفظهم من القرآن ، فلا ينقلهم من آيات حفظوها الى آيات ليحفظوها الا بعد أن يكونوا فقهوا الآيات التى حفظوا . ولازم هذا أن ابن مسعود رضى الله عنه ، لما تلقى من فم النبى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) ، تلقاه نصا ومعنى . فقوله فى تفسير النص الكريم « قد بين لنا هذا القرآن كل علم وكل شيء » ليس رأيا من عنده ولكن تعبيرا عن معنى تلقاه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه . وفى هذا حجة لتفسير ابن مسعود أكبر من الحجة التى ساقها ابن كثير من كون تفسيره أعم وأشمل، جريا فيما يبدو على مبدأ حمل القرآن على أجل احتمالاته وأليقها باعجازه . وهو مبدأ صدق يتبع ان كان هناك مانع يمنع من الجمع بين المعانى التى تحتملها الآى ، والا فالاليق بكتاب الله واعجازه الا يعدل عن وجه يفيده النص القرآنى الا بقرينة مانعة ، وان تعددت الاوجه ، فلو شاء الله لأنزل النص لا يحتمل الا معنى واحدا لو كان المعنى الواحد هو المراد . وما دامت الآية الكريمة، آية سورة النحل ، عامة مطلقة فى صيغتها ، وقد فهمها الصحابى الجليل على ظاهرها من العموم والاطلاق ، وكان أكبر الظن أن ما فهمه منها انما أخذه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد وجب على الباحث أن يمضيها على ما تظاهر عليه التعبير اللغوى والعقل والنقل ، وان يحاول استبانة المدى الذى يمتد اليه ذلك العموم ، فينظر اولا كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء فى الدين ، ليتخذ من ذلك معيارا ومقياسا لكون القرآن تبيانا لكل شيء فى الفطرة .

أما ان القرآن تبيان لكل شيء فى الدين ، فقد أجمع عليه ائمة الفقه وأئمة التفسير . لكنهم لم يقصدوا بهذا ان القرآن حوى أحكام الدين بالتفصيل ، فان التفصيل قد علموه فى السنة النبوية المطهرة .

لكن لما كان الحق سبحانه قد وكل الى نبيه تبيين الكتاب فى مثل قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(٢) ، وأوجب على الناس طاعته صلى الله عليه وسلم فيما يبين وفيما يأمر وفيما ينهى ، وذلك مثل قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) (٣) ، وقوله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(٤) ، فقد اعتبر الائمة وثقات العلماء جميعا أن الكتاب العزيز قد حوى السنة المطهرة كلها بعموم تلك النصوص . وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد رحمه الله حين قال قوله الذى نقله عن ابن كثير من أن القرآن قد بين كل حلال وكل حرام ، اذ لم يكن يخفى عليه أن تفصيل ما أحل الله وحرم انما بينته السنة النبوية . وقد نقل أبو حيان عند تفسير قوله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) قول مجاهد . « لتبين » بتفسيرك المجمل وشرحك ما أشكل ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون هذا . كانوا يرون أن ما سنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد سنه الله فى كتابه بعموم قوله تعالى فى سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . يدل على ذلك ما رواه البخارى (٥) عن علقمة قال « لعن عبد الله — أى ابن مسعود — الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب ما هذا ؟ قال عبد الله وما لى لا العن من لعن رسول الله وفى كتاب الله . قالت والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته . قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه . (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) » .

---

(١) الحديثان فى كتاب فضائل القرآن فى الجزءالسادس من صحيح البخارى .
(٢) الاية (٤٤) سورة النحل
(٣) الآية (٨٠) سورة النساء
(٤) الآية (٧) سورة الحشر
(٥) فى الجزء السابع فى أواخر كتاب اللباس .

الحكمة . السنة

والسنة النبوية مذكورة فى كتاب الله باسم الحكمة فى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١) ، وقوله عز وجل (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) (٢) ، قال ابن كثير فى تفسيره (ويعلمهم الكتاب والحكمة) « يعنى القرآن والسنة » وكرر نفس المعنى فى تفسيره الاية الثانية .

وتفسير الحكمة بالسنة « قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حبان وأبو مالك وغيرهم » فيما ذكر ابن كثير فى تفسير (ويعلمهم الكتاب والحكمة) من الآية (١٢٩) من سورة البقرة ، وقاله الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير آية آل عمران المذكورة آنفا ، كما قرره الامام الشافعى فى الرسالة التي أصل فيها أصول الفقه ، والقاضى الفيلسوف ابن رشد فى كتابه الذى كتبه مقدمة للمدونة فى فقه الامام مالك .

قال الشافعى « كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا فى كتابنا هذا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة، دليل على أن الحكمة سنة رسول الله » (٣) . وقال ابن رشد فى الفصل الذى عقدهفى المقدمة فى بيان الطريق الى معرفة أحكام شرائع الدين ، وانها تدرك من أربعة أوجه أولها . كتاب الله عز وجل . والثانى . سنة نبيه عليه الصلاة والسلام الذى قرن الله طاعته بطاعته ، وأمرنا باتباع سنته، فقال عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) .

والحكمة السنة (٤) والشاهد هو فى الجملة الأخيرة وان بدا أن آية آل عمران أو آية النساء كانت أولى بالاستشهاد بها من الآية التى ذكر ابن رشد من سورة الاحزاب . وقد ذكرنا كلام ابن رشد بتمامه ، على تكرار فيه لشواهد قرآنية سبقت ، لتدل على أن دلالة تلك الآيات الكريمة مسلمة ، حتى عند من كانت شهرته بالفلسفة أكبر من شهرته بالفقه مثل ابن رشد . ومثله لم يكن ليتابع الأقدمين تقليدا ، ولكن عن بصيرة واقتناع .

ان قوله تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) نص لا ينبغى ان يغفل عنه مسلم ، فى أن السنة النبوية من عند الله ، سواء أكانت وحيا بالفعل ، كما فى حادثة المعتمر المتضمخ بالطيب ، أم القاء من روح القدس فى روعه صلى الله عليه وسلم ، كما فى حديث الأمر بالاجمال فى طلب الرزق ، أم اجتهادا منه صلى الله عليه وسلم ، فان الوحى ينبهه الى حكم الله ان لم يصادف اجتهاده حكم الله ، كما فى حادثة أسرى بدر .

وحادثة المحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب رواها البخارى فى مواطن متعددة من صحيحه عن يعلى ابن أمية رضى الله عنه قال . فى كتاب الحج ـ « بينما النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاء رجل ، فقال يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسله ساعة فجاءه الوحى ... ثم سرى عنه فقال أين الذى سأل عن العمرة ؟ فأتى الرجل ، فقال اغسل الطيب الذى بك ثلا ثمرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك » .

وروى الشافعى فى الرسالة عن المطلب بنحنطب قال قال رسول الله « انالروح الامين قد ألقى فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، فأجملوا فى الطلب » (٥) وعقب الامام عليه بقوله « فكان مما ألقى فى روعه سنته ، وهى الحكمة التى ذكر الله . » وبهذا أكد رضى الله عنه تفسيره للحكمة فى الآيات الكريمة بالسنة .

---

(١) آية (١٩٤) من آل عمران . (٢) الآية (١١٣) من النساء .

(٣) الفقرة (٩٦) من الرسالة للامام الشافعىتحقيق القاضى المحدث احمد محمد شاكر رحمه الله .

(٤) صفحة ١٤ من المقدمة طبعة الحاج محمد ساسىالمغربى .

(٥) رقم ٣٠٦ فى الرسالة بتحقيق وشرح احمد محمدشاكر .

واما أخذه صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر برأى الصديق من قبول الفدية ، لا برأى الفاروق من القتل ، فهو الذى كان يقضى به العقل الانسانى وتقضى به الرحمة البشرية فى ذلك الموقف ، حتى نزلت آية سورة الانفال . ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى‌الارض) «(١)» ، وكانت بدر أول موقعة للنبى ظفر فيها باعداء الله ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم أن لاسراها حكما عند الله خاصا غير حكمه العام الذى نزل بعد فى سورة محمد (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) (٢) أى أن اجتهاده عليه الصلاة والسلام اصاب ووافق حكم الله العام فى أسرى الحرب فى الاسلام ، حين لم يكن فى الامكان ان يصيب موضع الاستثناء الفذ الوحيد من ذلك الحكم العام ،فنزل القرآن ينبه الى حكم الله فى أسرى أول موقعة يظفر فيها الاسلام بأعدائه ليكونوا عبرة لمن خلفهم ، ولتكون الحادثة وما نزل فيها دليلا خالدا على أن القرآن من عند الله لا من عند محمد ، وليكون نزول الحكم مع اقرار ما عمل النبى قبل نزوله مظهرا جليلا لاشراف الوحى على عمل الرسول ، فلا يقر ابدا الا على ما وافق اجتهاد الرسول فيه حكم الله ، ثم ليكون هو الحكم فى مثلها لو استدار الزمان وعاد الموقف . ولقد عاد بالفعل فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، ولكن أولى الامر من المسلمين عندئذ لم يعملوا بحكم الله فيه ، ولم يتذكروا او لم يتفكروا فى الوعيد المنطوى فى خطاب الله لرسوله وللمسلمين عقب رفقهم بأسرى بدر ، اذ يقول سبحانه (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) (٣) ، ولازم هذا النص أن من يخطىء حكم الله فى مثلها فلا يثخن فى أعداء الله يصبه من الله عظيم العذاب . وليس أعظم مما اصاب المسلمين فى دير ياسين ، ومن تشريد أهل فلسطين حين لم يثخن المسلمون فى اليهود وقد أمكن الله منهم لاول مرة . ولو أنهم أخذوا فى اليهود حينئذ بحكم الله ذلك ، لما أبقوا على ما كان بأيديهم من الاسرى ، ولما قبلوا الهدنة وجيوشهم على أبواب تل أبيب ، ولقد انتقم الله من أولى الامر الذين عصوه فى أعدائه ، فكانوا سبب تلك النكبة . واذا كان عذابه لم يقتصر عليهم ، فانما كان ذلك مصداقا لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) «(٤)» . واحكام الله فى كتابه ، هى طبق سنن له سبحانه فى البشر كسننه فى الفطرة ، أو الطبيعة كما يسميها مقلدة الإفرنج ، لا تتبدل ولا تختلف . من يخالفها يلق فى الدنيا من سوء العاقبة مالا يشفع له معه حسن نية ولا خطأ ولا نسيان ، وان شفع له ذلك يوم القيامة عند الحساب الا فيما يتعلق بالتبعات وحقوق العباد . يشهد لذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان لا يصلى على ميت مدين الا اذا حمل احد عنه دينه او كان فيما تركه وفاء . فان لم يكن له أو لم يحمل عنه كان صلى الله عليه وسلم يقول « صلوا على صاحبكم » لان الصلاة على الميت دعاء ، ودعاء النبى مستجاب فامتناعه عن الدعاء للميت فى تلك الحالة دليل واضح أن الميت رهين بدينه ، لا يسقطه عنه الا أداؤه ، ومن باب أولى ما هو أكبر من الدين من التبعات .

هذا كما ترى استنباط وقياس . والقياس ثانى مصدرين للتشريع فى الاسلام ، يقومان باذن الله الى جانب كتابه وسنة رسوله ، ليكون فيهما باب لالتماس حكم الله فيما يجد للمسلمين من أقضية على مر العصور . وأول المصدرين هو الاجماع ، والاجماع والقياس لم يكونا طبعا مصدرين‌للتشريع الاسلامى‌الا استنادا الى‌أصل‌لهما فى القرآن . وثبوت كل منهما عن طريق نص قرآنى مثال اخر للآية القرآنية تفتح الباب واسعا لاعمال الفكر والعقل اجتهادا فى الدين ، فكأنما هى بذلك قد شملت كل ما قد نتج أو يمكن أن ينتج من أحكام عن طريق الاجماع أو القياس الصحيح .

وكتب الاصول حافلة بالاستدلال عليهما من الكتاب والسنة ، ناهجة النهج الذى افتتحه الامام الشافعى للعلماء فى الرسالة التى اقتبسنا منها ، وسنعود أن شاء الله اليها نقتبس . لكن لما كان ابن رشد فيما نظن أقرب الى قلوب مثقفة هذا العصر فانا نؤثر فى هذا المقام أن نورد ما استدل به من كتاب الله على طريقى الاجماع والقياس ، فانهما هما الوجهان الثالث والرابع من الاوجه الاربعة التي قال ، فيما سبق أن

---

(١) الآية (٦٧) (٢) الآية (٤) . (٣) آية . (٦٨) من سورة الانفال
(٤) الآية (٢٥) من سورة الانفال .

أوردنا من كلامه ، أن بها تدرك أحكام شرائع الدين . قال ابن رشد بعد كلامه على سنة النبى التى هى الوجه الثانى من الاوجه الاربعة . ـ

(والثالث) الاجماع الذى دل تعالى على صحته بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ((١)) ، لأنه عز وجل توعد باتباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك امرا واجبا باتباع سبيلهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تجتمع أمتى على ضلالة)) .

(والرابع) الاستنباط وهو القياس على هذه الاصول الثلاثة التى هى الكتاب والسنة والاجماع لان الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علما ، وأوجب الحكم به فرضا ، فقال عز وجل (ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ((٢)) ، وكلمة (يستنبطونه) لا يزال لها نفس المعنى الذى كان لها عند الوحى لم يتطور بالاستعمال . وأصله استخراج الماء من البئر أول ما تحفر ((فأستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل)) كما يقول النسفى فى تفسيره .

ومن الممكن تلخيص كيف أن القرآن بيان لكل شىء فى الدين ببعض أقوال الامام الشافعى فى الرسالة . قال رضى الله عنه . ((فجماع ما أبان الله لخلقه فى كتابه ، مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه ، من وجوه .

فمنها ما أبانه لخلقه نصا . مثل جمل فرائضه فى أن عليهم صلاة وزكاة وحجا وصوما .. مع غير ذلك مما بين نصا .

ومنه ما أحكم فرضه بكتابه ، وبين كيف هو على لسان نبيه ، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها ، وغير ذلك من فرائضه التى انزل من كتابه .

ومنه ما سن رسول الله مما ليس فيه نص حكم وقد فرض فى كتابه طاعة رسوله والانتهاء الى حكمه . فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل .

ومنه ما فرض الله على خلقه الاجتهاد فى طلبه ، وابتلى طاعتهم فى الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم ((٣)) ، ((والاجتهاد القياس)) ((٤)) .

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)) (٥) .

ولم يجعل الله لاحد بعد رسول الله أن يقول الا من جهة علم مضى قبله . وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والاجماع والآثار وما وصفت من القياس عليها .)) ولا يقيس الا من جمع الالة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله . فرضه ، وأدبه ، وناسخه ، ومنسوخه ، وعامه ، وخاصه ، وارشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ، فاذا لم يجد سنة بها جماع المسلمين ، فان لم يكن اجماع فبالقياس)) (٦) .

وقد أفاض رضى الله عنه فى آداب المجتهد وفى شرح كل وجه ذكره بضرب الامثال ، كما أفاض قبل فى وجوب معرفة لسان العرب حتى يعلم العام فى القرآن الذى يبقى على عمومه ، والعام الذى أريد به الخصوص الى آخر ما قال مما وضحه أيضا بالمثل بضربه بعد المثل .

والآن وقد تبينا معنى احاطة القرآن بكل شىء فى الدين كما فهمه وأقره ثقات العلماء ، فلننظر هل القرآن محيط نفس الاحاطة بالفطرة التى فطر الله الكون عليها ؟

والفطرة ، كما سبق آن نبهنا ، هى ما غلب تسميتها بالطبيعة ممن غلبت عليهم ثقافتهم الغربية . فالافرنج يقولون الطبيعة فعلت ، حين

---

(١) آية ١١٥ سورة النساء .
(٢) الآية ٨٣ سورة النساء .
(٣) الفقرات ٥٥ ـ ٥٩ من الرسالة .
(٤) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٥) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٦) الفقرات ١٤٦٨ ـ ١٤٧٠ من الرسالة .

ينبغى أن يقول المسلم المثقف الله فعل . والكلمة الافرنجية هـى Naturé . وقد ذكـرت بلفـظ (نيتشر) تعريبا لها فيما يبدو فى رسالة السيد جمال الدين الافغانى فى الرد على الدهريين .

والحديث الشريف ينهى المسلم ان ينسب فعل الله الى غير الله ، وهو يأثم أكبر الاثم ان فعل . فقد روى البخارى فى الجـزء الاول فى (باب بدء الأذان) عن زيد بن خالد الجهنـى رضى الله عنه أنه قال « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال مطـرنا بفضل اللـه ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافـر بي مؤمن بالكواكب » . وليس بعد هذا الحديث الشريف تشديد فى النهى أن يقال الطبيعة منحت والطبيعة حرمت ، فما النوء الذى كانت العرب تنسب له المطر الا مظهر من مظاهر ما تعود الافرنج أن يسموه بالطبيعة .

وكلمة (فطر) لها فى العربية عدة معان ، منها معنيان مناسبان لموضوعنا هذا ، ذكرهما صاحب القاموس مع ما ذكر .

فطر الأمر . ابتدأه وأنشأه .

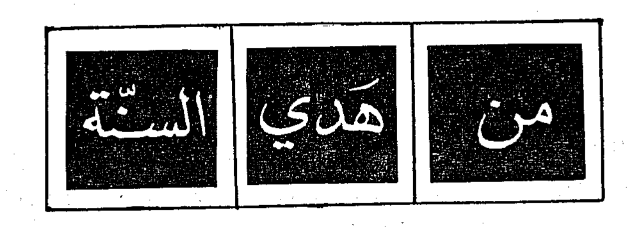
فطر الله الخلق . خلقهم وبرأهم .

فالله فاطر السـموات والارض كما وصـف سبحانه نفسـه فى آيات متعددة ـ أى مبتدئها ومنشئها وخالقها وبارئها .

ولم ترد كلمة (فطرة) فى القرآن الكريم الا فى آية واحدة هي الآية (٣٠) من سورة الروم . (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فهي فى الآية مصدر أضيف الى فاعله وهو الله عز وجل . وليس بعد هذا تكريم وتشريف لفطرة الانسان وخلقته التي يولد عليها كما نطق ، الحديث الشريف . (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فالآية الكريمة نص فى أن الاسلام جاءت أحكامه طبق سنن الله فى الناس،أفرادا وجماعات ، وسنن الله لا تتغـير ولا تتبدل (لا تبديل لخلق الله) . فالفطرة اذن تشمل كل ما يتعلق بالانسان بنص القرآن فى آية سورة الروم . فهذا أول وجه من وجوه احاطة القرآن بالفطرة .

وقد وردت مادة فطر على صيغة الماضى فى آيـة سورة الروم كما رأيت ، وفى آيات أخر على السنة الرسل فيما قص الله علينا من أنبائهم ، بعضها فيه مفعول فطر ضمير المتكلم الراجع الى النبي المحكية قصته يقيم الحجة على قومه بأنه مخلوق لا يذعن الا للذى خلقه ، ولا يعبد الا الذى فطره ، وفيه اشارة واضحة الى أنهم مخلوقون مثله ، خلقهم الذى خلقه ، فعليهم أن يعبدوا خالقهـم وخالقه ، لا الأصنام التي كانوا يعبدون . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان نبى الله هود فى الآية (٥١) من سـورة هود . (يا قـوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجرى الا على الـذى فطرنى ، أفلا تعقلون) وعلى لسان نبى اللهابراهيم فى الآية (٢٧) من سورة الـزخرف . (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذىفطرنى فانه سيهدين) .وبعضها فيهمفعولفطر السموات والأرض أو الضمير الراجع اليهن ، يقيم النبى على قومه حجة أبلغ من الأولى أن الذى فطر السموات والأرض هو الواجب أن يقصد ويعبد لا غيره . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان خليل الله ابراهيم فى الآية (٧٩) من سـورة الأنعام . (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) والآية (٥٦) من سورة الأنبياء . (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطـرهن ، وأنا على ذلكم مـن الشاهدين) .

البقية على ص ٢٣



٤ محمد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين .)) . رواه الشيخان البخارى ومسلم

١ ـ لئن كان لكل أمة ما تفخر به وتعتز ، وما تحرص عليه وتفديه بكل غال ونفيس ، فلأمة العرب ما ليس لغيرها من أمم الارض جميعا ، من مقومات الحضارة الانسانية : تملك هداية الله وهدايته ، اختارها لحمل خير الرسالات : لا ينازعها فى ذلك منازع ، اصطفى منها رسوله ، وبعثه اليها والى البشر كافة بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ، وندبها لتلقى الامانة التى اشفقت منها السموات والارض .

وما كان للهادى والقائد المؤسس بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته الا أن يلتحق بالرفيق الاعلى فلكل أجل كتاب ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، والأسس والمبادىء والقواعد وأصول الشريعة هى الباقية ما بقى الزمان : ولكنها لا تنهض بنفسها ، وانما يحملها رجال أمناء يؤدونها لرجال مخلصين : وعلى قدر عظمة الدعوة وقوتها تكون قوة ومكانة القائمين عليها ، كما يتصدى الاعداء والمعاندون والحاقدون ـ وما أكثرهم فى كل زمان ومكان ـ للنيل منها ، ومحاولة هدمها ، يظهرون حين تختفى آسادها ، ويختفون حين تفضحهم شموسها .

٢ ـ وكما قلت فى مقال سبق (لندع ما مضى ونقرؤه تأريخا للعظة والعبرة) .. ولا نغمط السلف حقهم فقد قارعوا الحجة بالحجة ، وحفلت بمناقشاتهم موسوعات خلفوها : وآثار كريمة لازالت هى المراجع الاولى لدى المشتغلين بالعقليات فى العالم .

واليوم دخل النزاع طورا جديدا، وتطورت أسلحة المعركة من جانب الأعداء ، فهاجموا الاسلام باسم الثقافة

والتثقيف ، وأحيانا في تكتلات سموها جمعيات (١) روحية ألى آخر ما هناك.

ولي وقفة قصيرة مع بعض المستفيدين من تراثنا ، الجاحدين لفضله عليهم ، والعادين على رسول الانسانية بغير حق ، تقرأ كتبهم : فلا تصدق مطلقا أنها لعلماء باحثين لأنها لا تصدر الا عن جهل فاضح أو حقد دفين ، فمنهم من يقول. (ان القرآن كتاب مسيحي يهودي نسخه محمد ، وان الاسلام دين مادى لا روحية فيه ، يدعو الي الدنيا وليس الى صفاء النفس والمحبة) (٢) .

فهل يصدر هذا الكلام عن فاقه فاهم للقرآن دارس له ، مقارن بينه وبين الانجيل والتوراة محيط بما في الكتب السابقة على القرآن كما أنزلت ، أو أن هذا خبط عشواء ، وقيء حاقد أثيم .

وهل حقا أن الاسلام لا روحية فيه ، وأنه يدعو الى المادية ، ويورث العداوات بين البشر ، ويزكي حمية اللون والجنس.

وهل يصدق أن كاتب هذا القول المجافى للحق والبعيد عن الواقع قد أطلع على ما ورد في القرآن الحكيم من قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله سبحانه (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ... (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .

وهل عرف شيئا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهل درى ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الحث على المحبة والتعاطف والتراحم والتواد والتكافل والصفح والغفران ، الا يكفيه أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وأن يقول (ترى المسلمين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر) ألم يطالعوا بالذكر الحكيم قول الله تعالى حاثا على موادة غير المسلمين والاحسان اليهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) (١) .

هذا نموذج من المبادىء الانسانية الرحيمة التى دعا اليها رسول البشرية ، وطبقها عملا وحكما وقامت على أسسها امة مثالية ذات حضارة وارفة الظلال ، نعم بها المسلمون وغيرهم ممن أظلهم حكم الاسلام فهل تثبت بعد هذا فرية مفتر أو جحود مكابر .

٣ ـ ان حياة رسول الله الشخصية والاجتماعية واضحة كل الوضوح ، وهو في هذا متميز على كل البشر من لدن آدم الى يوم الدين ، فلم يوجد على ظهر الارض رسول أو مصلح ، أو حاكم عرف تاريخ حياته كله ، ودونت سيرته، وأحصيت حركاته وسكناته ، وتوفر له من أصحابه من تعلقت عيونهم وأبصارهم بشخصه ، كما توفر ذلك لسيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ان حياة رسول الله وسيرته لا يغض منها عبث عابث أو جهل جاهل أو حقد حاقد ، ومع هذا فلا توجد شخصية ثار حولها الجدل بالحق والباطل كما ثار حول رسول الله خاتم النبيين ، ولكن الحق دائما يعلو شامخا لا يواريه دجل أو شعوذة ، وقد أحنى الاعداء العقلاء هاماتهم اجلالا لعظمة رسول الله الذى حقق من الاعمال الخارقة في مدى قصير مالم تشهد له الدنيا مثيلا .

(لقد أنجز محمد في مدى عشرين سنة ما عجزت عن انجازه قرون من جهود

---

(١) راجع مقال الشيخ الغزالى بنفس العدد

(٢) المبشرون والمستشرقون للدكتور محمد البهى ص ١

(٣) سورة الممتحنة آية (٨) .

المصلحين اليهود والنصارى برغم السلطة الزمنية التى كانت لهم ، لقد استأصل من بلد كامل تراث أجيال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والقمار ومعاقرة الخمر واضطهاد الضعيف والحرب الضروس ومثل ذلك من الشرور الاخرى ، وليس فى استطاعة التاريخ أن يدلنا على أى مصلح آخر وفق الى احداث تحول فى مثل هذه الروعة والتمام ، وعلى مثل هذا النطاق الواسع خلال فترة فى مثل هذا القصر ، فلم يكن الاصلاح فى أيما يوم ميؤوسا منه أكثر مما كان عند ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم) «(١)» .

(... ولو كان الاسلام الحقيقي معروفا فى أوربا لكان من المحتمل أن ينال ـ اكثر من أى دين آخر ـ من العطف والتأييد من جراء روح التدين التى نجمت عن الحرب الكبرى ، فانه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب المعتزلة ، وباشتماله على روح التصوف كما يذهب اليه الصوفية ـ يهدى علماء أوربا واسيا الى الطريق المستقيم ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة فى آرائهم وأفكارهم) (٢) .

٤ ـ وفى ختام هذا البحث الذى استغرق أربع مقالات لا نرى بأسا من ايراد صورة مما كان عليه أعداء الاسلام فى أول أمره ، ثم نعقبها ببيان موجز لعمل الاعداء المعاصرين ...

(أ) فى مكة

اجتمع الى الوليد بن المغيرة المخزومى نفر من قريش وتباحثوا فى أى طريق يسلكونها لصد الناس عن الاسلام وعن نبى الاسلام « فقالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول ؟ .

قال . ان أقرب القول فيه لان تقولوا : هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته .

وبلغ أشراف قريش من الحرص على عدم ترك انسان يصبأ ما صاروا يراقبون به محمدا مراقبة دقيقة ، وأثرت فى الاخنس بن شريق وفى أبى سفيان وأبى جهل تلاوة محمد للقرآن ليلا ، فذهب الاخنس الى أبى سفيان ، ثم الى أبى جهل ليعرب عن مشاعره ، فقال لابي جهل . « يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعنا من محمد ؟ « فكان جواب أبى جهل عن سؤال هذا الضعيف . « ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : « منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذا ؟ » .

ب ـ اما اسلحة أعداء الاسلام ورسول الاسلام المعاصرين فتتمثل فى اصدار الصحف والكتب والنشرات المسمومة ، وانشاء المدارس والجمعيات والمؤسسات لمحاربة الاسلام فى بلاد المسلمين دون رقيب أو حسيب ، اللهم الا فى بعض بلاد وعت حديثا ، فأخضعت كل مؤسسة ثقافية

---

(١) حياة محمد ورسالته لمولانا محمد على ص ٦ .

(٢) محمد رسول الله ص ١٦ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود

أجنبية لسلطان الحكومة ، وذلك مظهر كريم من مظاهر سيادة الدولة فحبذا لو سرى هذا في جميع بلاد المسلمين .

لقد صدق الله العظيم حين يقول ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) . وقد أخذت مظاهر الفورة الاسلامية في هذا العصر أشكالا كريمة وأساليب طيبة فهنا في دولة الكويت الفتية قامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بمجهودات مشكورة لخدمة القضايا الاسلامية في مختلف أنحاء المعمورة ومدها بالمال والمساعدات الفنية .

وكذلك الشأن في كل بلد اسلامي ناهض . تكتب الاقلام وتنطق الالسنة وتتعدد الاعمال والانجازات للتمسك بهذا الدين واعلاء كلمته ونشر محاسنه ودعوة الناس اليه ، فالجامعات الاسلامية في أفريقية واسيا منارات هادية ،

والحفاظ على القرآن الكريم تحفيظا وتلقينا وأداء اتخذ في هذا العصر صورة مشرفة وحسبك أنك تستطيع أن تدير جهاز الاذاعة في أي لحظة من ليل أو نهار لتسمع آيات الله تعمل عملها في القلوب وتترك آثارها في النفوس .

وليس هذا فحسب فانه وسط القلاع المعادية للاسلام تقوم الجمعيات وتؤسس الاتحادات من المسلمين للدعوة لدين الله الخالد ، ونحيل القارىء على ما نشر في هذا العدد من جهود اتحاد الطلبة في أمريكا وكندا .

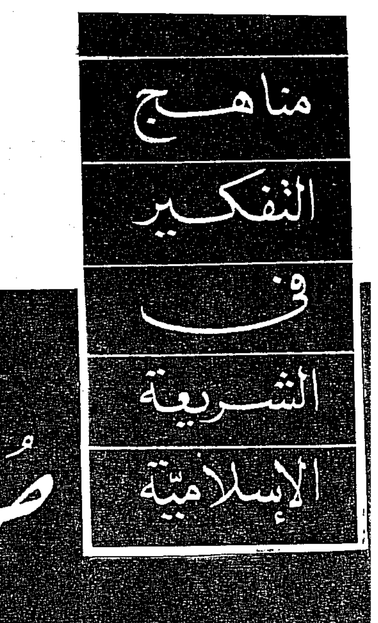
وقد انتشر الاسلام منذ أول عهده بالكلمة الطيبة ، والدعوة الكريمة الحسنة ، والقدوة المثالية الصالحة فوصل الى أبعد آفاق الارض عن منبته الاصلي (مكة المكرمة) ، ودخل الناس في دين الله أفواجا من أقاصي آسيا وأدغال أفريقيا ، واستراليا ، وبلاد الامريكيتين بعد اكتشافهما حمله الى هناك تجار مسلمون ورواد آمنوا بربهم وزادهم هدى ، كما لا يزال يحمله في بقاع الجنوب السائحون المؤمنون وطلاب العلم والتجار أيضا .

وكل العوامل ، والاحوال العالمية التى تظل البسيطة الآن، وما يعترى مجتمعاتها من اضطرابات نفسية ، وفقدان للسعادة القلبية ، وبعد عن الراحة والرحمة المستمدة مما نزل به الروح الامين على قلب خير المرسلين ــ كل ذلك ــ سيدعو الناس حتما الى اللجوء الى الله تعالى والبحث عن المسكنات لجنون الذرة وايقاف التسابق في التسلح، والقضاء على التفريق العنصرى وسوف لا يجدون البرد والراحة والاطمئنان وهدوء البال مشفوعا كل هذا بسلام دائم الا في الاسلام وقواعده فهو وحده البلسم الشافى الذى يعالج أزمة الضمير العالمي ، ويستل السخائم من النفوس ويوارى الاحقاد ، ويقضي على كل ما يعكر صفو الانسانية لان مصدره العليم الحكيم القائل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) صدق الله العظيم .

والخلاصة

ان سيدنا محمدا هو رسول الله ولا شك وهو خاتم النبيين دون ريب، وأن القرآن والدين كله محفوظ الى أن تقوم الساعة ، ونسأل الله أن يفيض للمسلمين الخير ويجمعهم على كلمة الحق ويقرب ما بينهم ويحقق فيهم قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) .

وأسأل الله جلت قدرته أن يبصرهم بقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) انه هو السميع العليم نعم المولى ونعم النصير والصلاة والسلام على رسوله وآله أولا وآخرا والحمد لله رب العالمين .



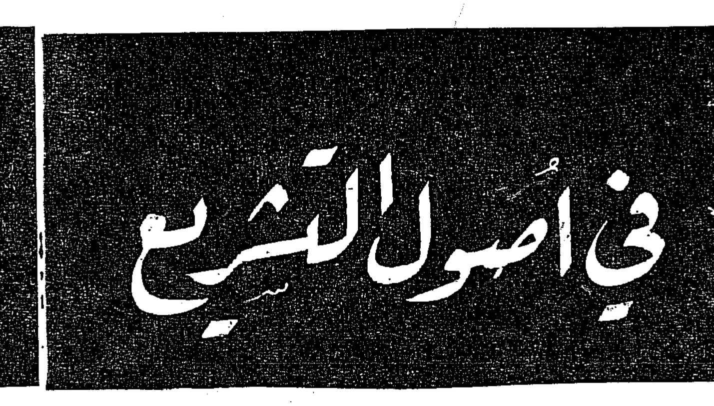
صورة من الخلاف المنهجي

ابن حزم الظاهرى الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، وابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفي سنة ٧٥١ هـ ، كلاهما فارس مغوار من جهابذة الفقه الاسلامي وأعلامه الذين يفخر بهم تاريخ الاسلام .

اشتغل كل منهما بمختلف العلوم الاسلامية ، التي لها تاثير على الفقه والاستنباط ، أو التي تشترط فى تكوين الفقيه المستنبط ، وألف كل منهما فى الفقه وأصوله على طريقة الدرس والتحليل والاستقلال الفكرى . وكل منهما يمتاز بالقدرة على التعبير والتقرير ،وطول النفس فىالمناقشة والجدل والتحليل ، وتجد ذلك واضحا فىكتابى ((الاحكام)) و ((المحلى)) لابن حزم ، وفى كتب ابن القيم وفي مقدمتها كتاب ((أعلام الموقعين)) .

وأحب أن أقف قليلا عند كتاب ((أعلام الموقعين)) لأفيد القراء فائدة هامشية فى تحقيق عنوانه ، قبل أن أدخل فى موضوع هذا المقال .

وذلك أن بعض الناس يقرأ هذا العنوان . ((أعلام الموقعين عن رب العالمين)) ـ بكسر الهمزة فى كلمة ((أعلام)) ، وهذا خطأ ، والصواب هو ((أعلام الموقعين)) ـ بفتحها ـ وذلك لأنه الف هذا الكتاب وبدأه بذكر أعلام أهل الفتيا ، وهم الموقعون عن الله تعالى، وهو على تشبيههم بمن يوقع على الكتاب الذى يرفع اليه بجملة أو بكلمة تفصح عن رأيه فيما جاء بهذا الكتاب أو هذا العرض ، فالخلفاء والولاة ترفع اليهم ظلامة ، أو مثل ما نسميه بالمذكرة ، فيوقع أحدهم عليها ، أى يذيلها برأيه أو بأمره ، وذلك معروف لأهل العلم بتاريخ أدب اللغة العربية ، حيث يعتبرون التوقيعات بابا من أبواب الأدب العربي ،



للشيخ محمد محمد المدنى

تعتمد البلاغة فيه على الايجاز والتركيز ، فيقولون مثلا :

تظلم احد أولياء المأمون اليه فى أمر ، فوقع على التظلم بقوله . « من علامات الشريف أن يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ » .

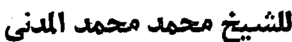
ومن توقيعات جعفر بن يحيى فى قصة رجل ادعى النصيحة له ، فوشى ببعض أصحابه ، فكتب جعفر « بعض الصدق قبيح » ـ أى فى الوشاية .

ووقع أيضا جعفر بن يحيى فى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا « دع الضرع يدر لغيرك كما در لك » .

فابن القيم اعتبر المفتين موقعين عن رب العالمين ، على ما يرفع اليهم من الاستفتاءات ، فكل منهم يذكر الحكم فيما استفتى فيه ، وهو فى ذلك لا يصدر عن رأيه وحكمه ، ولكن يصدر الفتوى والحكم باسم الله ، وبالنيابة عنه أى عن شرعه ودينه ، اذ المفتى انما هو مبلغ عن الله ، متحدث بالحكم الذى يعلم أن الله حكم به .

أما قول بعضهم « أعلام الموقعين » ـ بكسر الهمزة ـ فلا معنى له يمكن قصده بهذا الكتاب ، فهو لا يعلم الموقعين بشيء عن رب العالمين ، أى لا يفيدهم بشيء يتعلق بصفات الله مثلا ، وهو أيضا لا يضع نفسه موضع من يعلم المفتين قواعد الفتوى وأصولها .

هل الأصل الاباحة أو التحريم



بعد هذا نعود الى ما بدأنا به فنقول :

لقد تحدث كل من « ابن القيم » و « ابن حزم » عن القاعدة التي ذكرناها فى مقالنا السابق **« هل العقود والمعاملات على أصل الاباحة ، حتى يعلم النص على تحريمها ، أو هى على التحريم حتى يعلم النص على اباحتها أو ايجابها ؟ »** .

وقد التزم ابن حزم بالثاني ، والتزم ابن القيم بالأول . ولكى يرى القراء صورة من صور الخلاف بين الائمة فى الأصول التي تنبنى عليها مناهج التفكير ، نعرض فى هذا المقال رأى كل من هذين العالمين الجليلين ، وما استدل به من أدلة أو واجه به أدلة مخالفيه ، ثم نعقب برأينا .

رأى ابن حزم

فأما ابن حزم فقد تناول هذا الموضوع فى أول الجزء الخامس من كتابه «الاحكام» حيث يقول فى ص ٦ من هذا الجزء .

« وأمـا العقود والعهـود والشروط والوعد ، فان الاصل الاختلاف فيها على قولين لا يخرج الحق عن أحدهما ، وما عداهما فتخليط ومناقضات لا يستقر لقائلهما قول على حقيقة .

فأحد القوانين المذكورين : أنهـا كلها لازم حق الا ما أبطله منها نص، والثانى : أنها كلها باطل غير لازم الا ما أوجبه منها نص ، أو ما أباحه منها نص .

هكذا صور ابن حزم الخلاف وحدده ، ثم ذكر أدلة الرأيين، ورجح الرأى الثانى، وهو أن كل العقود والشروط والعهود والوعود باطلة الا ما جـاء نص باجازته باسمه .

ويترتب على نظرية ابن حزم هذه أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتعاملوا الا بما ورد عن المشرع جواز التعامل به ، فمثلا أنواع الشركات التجاريـة التي عرفهـا الفقهاء نقلا عن المشرع ، هي فقط فى نظر ابن حزم التي يجوز التعامل بها ، وليس للناس أن يستحدثوا أى نظام جديد فى الشركات لم يأذن به الله ، وهو بذلـك يجعل أفراد الأمة متعبدين بنظام معين فى هذا الجانب ، ليس لهم أن يتجاوزوه ، كما هم متعبدون بنظام معين فى الصـلاة مثلا ، أو فى الوضوء ، أو فى الحج ، الى غير ذلك من أنواع العبادات .

ويدلل ابن حزم على صحة نظريتـه هذه بأدلة منها :

أن الله تعالى يقول « اليوم أكملت لكم دينكـم » ويقول : « ومـن يتعد حدود الله فأولئـك هم الظالمون » ويقـول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » .

وفى الحديث الصحيح . « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله . ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل . ولو كان مائة شرط . كتاب الله أحـق . وشرطه أوثق » .

فهذه الآيات وهذا الخبـر براهـين قاطعة فى ابطال كل عهد وكل عقد وكـل وعد وكل شرط ليس فى كتاب الله الأمر به، أو النص على اباحة عقده، لان العقود والعهود والاوعاد ـ أى الوعود ـ شروط ، واسم الشرط يقع على جميع ذلك .

ومنها أن كل شرط أو عقد ليس فى النصوص ايجابه ولا الاذن فيه ، فانه لا يخلو من أحد وجوه أربعة : اما أن يكون صاحبه قد التزم فيه اباحة ما حرم الله ورسوله ، أو تحريم ما أباحه ، أو اسقاط ما اوجبه ، أو ايجاب ما أسـقطه ، ولا خامس لهذه الاقسام، فمن ملك المشترط والعاقد والمعاهد جميع ذلك ، انسلخ من الديـن ، ومـن ملكـه البعض دون البعض ، فهو متناقض يسأل . ما الفرق بين ما يملكه من ذلك وما لم يملكه ، ولن يجد الى هذا الفرق سبيلا .

رأى ابن القيم

وأما ابن القيم فقد تناول هذا الموضوع فى أوائل الجزء الثاني من كتابه « أعلام الموقعين » حيث يقول فى ص ٣٤ من هذا الجزء :

الخطأ الرابع لهم اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فاذا لم يقم عندهم دليـل على صـحة شرط أو عقد أو معاملـة استصحبوا بطلانه فأفسدوا بذلك كثيرا من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله ، بناء على هذا الاصـل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الاصل فى العقود

والشروط الصحة الا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح فان الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم الا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب الا ما أوجبه الله ، ولا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا بما شرعه .... وما سكت عنه فهو عفو » .

وهكذا نرى ابن القيم يستصحب قاعدة الاباحة الاصلية ، فيما لم يرد نص بتحريمه أو حله ، فيعتبره «عفوا» يجوز فعله .

ومع ذلك نرى ابن القيم يتجه الى أخذ الطريق على ابن حزم ومن يرى رأيه ، فيقول بأن النصوص قد صرحت بأن العقود والشروط والمعاملات على الاباحة فيما عدا ما حرمه الله ، بل ان الله تعالى يأمر بالوفاء بالعقود والعهود كلها اذ يقول : «وأوفوا بالعهد» ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » الى غير ذلك من الآيات ، وفى صحاح الاحاديث . « ان من علامات المنافق . اذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا وعد أخلف » وأنه « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » الى غير ذلك من الأحاديث .

فابن القيم كأنه يقول لابن حزم . على رسلك فنحن نؤمن كما تؤمن بآية « اليوم أكملت لكم دينكم » ونقول ان الدين الذى أكمله الله يأمر بالايفاء بالعقود كلها الا ما حرم الله ، ونحن نؤمن كما تؤمن بصدق قوله تعالى « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ولكن الذى يعمل بمقتضى الامر بايفاء العقود والعهود الا فيما حرم الله ، لا يكون متعديا حدود الله .

ثم يقول لابن حزم فى شأن ما استدل به من قوله صلى الله عليه وسلم « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » .

يقول له : نعم هذا صحيح ونحن نسلم به ولا يسعنا ان ننكره ، « ولكن هذا انما يعرف بعد معرفة المراد بكتاب الله فى قوله « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله » ومعلوم أنه ليس المراد به القرآن قطعا ، فان أكثر الشروط الصحيحة ليست فى القرآن ، بل علمت من السنة ، فعلم أن المراد بكتاب الله حكمه ، كقوله تعالى : « كتاب الله عليكم »، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله القصاص »ـ فى كسر السن فكتابه سبحانه يطلق على كلامه وعلى حكمه الذى حكم به على لسان رسوله ، ومعلوم أن كل شرط ليس فى حكم الله فهو مخالف له فيكون باطلا ، فاذا كان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حكم بأن « الولاء للمعتق » فشرط خلاف ذلك يكون شرطا مخالفا لحكم الله ، ولكن اين فى هذا أن ما سكت عن تحريمه من العقود والشروط يكون باطلا حراما ، وتعدى حدود الله هو تحريم ما أحله الله ، أو اباحة ما حرمه ، أو اسقاط ما أوجبه ، لا اباحة ما سكت عنه وعفا عنه ، بل تحريمه هو نفس تعدى حدوده » .

ثم يرد ابن القيم على ابن حزم فيما ذكره من تضمن الشرط الذى ليس فى كتاب الله للامور الاربعة المحظورة فيقول له : « لقد فاتكم قسم خامس ـ غير الاربعة ـ وهو الحق ، وهو ما أباح الله سبحانه للمكلف من تنويع احكامه بالاسباب التي ملكه اياها ، فيباشر من الاسباب ما يحله له بعد أن كان حراما عليه ، أو يحرمه عليه بعد أن كان حلالا له ، أو يوجبه بعد أن لم يكن واجبا ، أو يسقطه بعد وجوبه ، وليس فى ذلك تغيير لاحكامه سبحانه فهو الذى أحل وحرم وأوجب وأسقط ، وانما الى العبد الاسباب المقتضية لتلك الاحكام ليس الا ، فكما ان شراء الامة ونكاح المرأة يحل له

ما كان حراما عليه قبله ، وطلاقها وبيعها بالعكس يحرمها عليه ويسقط عنه ما كان واجبا عليه من حقوقها ، كذلك التزامه بالعقد والعهد والنذر والشرط ، فاذا ملك تغيير الحكم بالعقد ملك تغييره بالشرط الذى هو تابع له ، وقد قال تعالى « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » فأباح التجارة التي تراضى بها المتبايعان ، فاذا تراضيا على شرط لا يخالف حكم الله جاز لهما ذلك ، ولا يجوز الغاؤه ... ومحرم الحلال ، كمحلل الحرام » .

هذا وابن القيم يفرق بين العبادات والمعاملات ، فيرى أن الأصل فى العبادات عدم المشروعية حتى يتبين أنها مطلوبة مشروعة ، أما المعاملات فالأصل فيها كما بينا الاباحة حتى يتبين أنها ممنوعة محظورة وقد شرحنا الفكرة فى ذلك شرحا وافيا من قبل .

أما ابن حزم فلا يفرق فيما ذهب اليه بين العبادات والمعاملات ، فكلها فى قاعدته سواء . لا يجوز الحكم بمشروعية شيء منها الا اذا علمت هذه المشروعية عن الله أو رسوله ، ولذلك نراه يسائل من يناقشهم فيقول « ... ونسألهم عمن التزم صلاة سادسة ــ أى غير الصلوات الخمس المشروعة ــ أو حجا الى غير مكة ، أو فى غير أشهر الحج ، وكل هذه الوجوه تعد لحدود الله ، وخروج عن الدين ، والمفرق بين شيء من ذلك قائل فى الدين بالباطل » .

مع ابن القيم

بعد هذا نبدى رأينا فى هذا الخلاف ، فنقول :

ان كلا من الفريقين ــ الفريق الذى يمثله ابن حزم ، والفريق الذى يمثله ابن القيم يقرر أنه لا يجوز لأحد أن يأتي الى عبادة شرعها الله فيسقطها ويزعم أنها غير مشروعة ، كما لا يجوز لأحد أن يشرع عبادة لم يشرعها الله تعالى .

وكلا الفريقين لا ينازع فى أنه اذا كان هناك حكم من الله أو رسوله فى شيء من الأشياء ، أو فى معاملة مسماة معهودة ، فلا يسوغ لمسلم أن يخرج على هذا الحكم فيحرم ما أحله ، أو يحل ما حرمه .

انما الكلام فيما سكت عنه الشرع فلم ينص فيه على حكم بالحل أو بالحرمة ، ولم يدخل فى عموم بالتحليل أو التحريم عرف عن الشارع ، سواء أكان ذلك من قبيل الاشياء والذوات ، أم من قبيل الحقائق المركبة على سبيل المواصفة والمواضعة ، من كل ما يقع عليه التعاقد ، وتتصل به الشروط والالتزامات بين الناس .

وهذا أمر قد فصل فيه كل من الكتاب والسنة . فالله سبحانه وتعالى ينص على أنه عفا عن أشياء فيقول « عفا الله عنها » وقد قال العلماء : ان معنى ذلك أن ما لم يذكره الله فى كتابه فهو مما عفا عنه ، اى سكت عنه وتركه ، فليسكتوا عنه كما سكت الله عنه ، وليعلموا أن فى ذلك توسعة عليهم ، وفتحا لمجال النظر والفهم وتطبيق الأمور على حسب المصالح ، وما يكون من اختلاف الظروف والبيئات ، وفى الحديث الشريف : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها . ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها . وحد حدودا فلا تتعدوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وفيه أيضا « ما أحل الله فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفوه . فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا » ــ أخرجهما الطبراني عن أبى الدرداء وأبى ثعلبة بسند حسن ــ وليس بعد كلام الله ورسوله كلام لأحد .



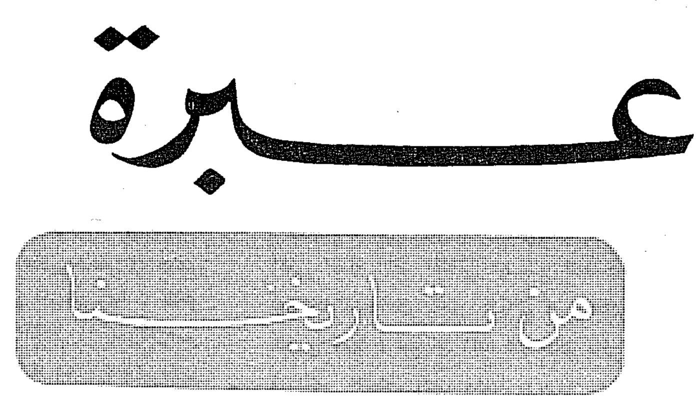
ووردت مادة فطر على صيغة اسم فاعل مضافا الى السموات والأرض ، فى الآيات التي وردت فيها المادة على هذه الصيغة ، وهي خمس فى خمس سور هي حسب ترتيب نزول الوحي بها . فاطر (الآية الاولى) ، ويوسف (الآية ١٠) والزمر الآية (٤٦) ، والشورى (الآية ١١) ، وابراهيم (الآية ١٠) وفى كل دلالة على الله ومظهر للتوحيد غير ما فى أخواتها ، ومن عجيب الاحكام والحكمة أن المادة لم ترد فى القرآن الحكيم بصيغة المضارع لأن معناها الذى سبق ذكره عن القاموس يحول دون ذلك . فهى تدل على الابتداء والانشاء والبرء وذلك كله قد كان وتم بالفعل . وما تم ابتداؤه وانشاؤه يكون من الخلف والاحالة استعمال مضارع للمادة فيه. أما التجدد لا الابتداء غبر عنه بالمضارع فى مواطن كثيرة من القرآن كما فى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) فى الآية (١٩) من سورة الروم ، وقوله عز وجل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) الآية (٣٧) من سورة يس .

وأمثال هذه الآيات التي ترشد الانسان الى مواطن البحث والنظر فى الفطرة كثيرة فى القرآن . وهي فيه أكثر من آيات الأحكام ومجملها مقابل المجمل من آيات الاحكام . وتفصيل هذه موكل بيانه الى النبي صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب وتحت اشراف الوحي كما قد رأينا ـ أما تفصيل الآيات الكونية ، آيات ظواهر الفطرة ، فموكول الى أهل العلوم التجريبية ، كالفلك والطبيعة وما اليهما ، تحت اشراف سنن الله المطردة المتسقة فى الفطرة ، لأن أهل تلك العلوم يتحاكمون دائما الى التجربة العلمية لمعرفة مدى الخطأ والصواب ، فى فروضهم ونظرياتهم التي أدى اليها اجتهادهم فى تفسير الوقائع التي كشف عنها البحث فى كل ميدان من ميادين العلم التجريبي . وهم فى هذا إنما يتحاكمون الى سنن الله فى كل ميدان من ميادين الفطرة التي شغل العلماء ببحثها . فالحكم فى ميادين العلم التجريبي هو عين الحكم فى ميادين الدين الاسلامي . هو الله سبحانه فاطر الفطرة ومنزل الدين هدى ورحمة للناس .

وقد أقر الاسلام نتيجة التجريبية العلمية ، فكأنما أقر نتائج العلوم التجريبية كلها . وكيف ؟ على يد رسوله فى حادثة تأبير النخل المشهورة التي أساء أكثر الناس فهم الحديث الشريف فيها ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) . فظنوا ألا حكم للدين فيها ، مع أن الله قد حكم باقرار سننه فى تثمير النخل التى دلت عليها تجارب الناس المتكررة ، واخلف ظن نبيه ولو شاء لحققه معجزة له . لكن زمن المعجزة الحسية كان قد فات فأهل الحادثة كانوا من المؤمنين وأراد الله أن يشرع للناس فى الإسلام الى أبد الدهر تشريعا عمليا . ألا يخالفوا ما ثبت بالتجربة المتكررة من سننه سبحانه فى الخلف ، كما ثبت حسن اثمار النخل بالتلقيح . فان خالفوا لقوا من الخيبة ما لقى أصحاب النخل الذين عدلوا عن تلقيحها الثابت بالتجربة اتباعا للظن الذى قال الله عنه (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) .

وكون الظن فى الحادثة كان ظن أكرم الرسل وخاتم النبيين أقوى للحكم وأدل على مراد الله من ايجاب اتباع سننه فى الكون التي تثبت فى الروحانيات والاجتماع عن طريق الكتاب والسنة ، وفى عالم غير الانسان عن طريق العلوم التجريبية ، أو التجربة المتكررة عند الناس .

وفى القرآن الكريم تفصيل بعض الاحكام الدينية فى بعض آياته ، يقابلها تحديد فى بعض الحقائق الكونية فى بعض آياته أيضا . لكن المقام لا يتسع لأكثر مما قد قيل . فلنكتف بهذه المقارنة على اجمال فيها . وعسى أن يكون قد تبين بها ، ولو على وجه الاجمال : أن القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين بالمعنى الذى قرره العلماء الثقات مثل الشافعى وابن رشد ، والأجلاء من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود .



للاستاذ علي الطنطاوي

كنت أتمنى ألا أحدثكم الا أحاديث المكارم والمفاخر ، ولا أقص عليكم الا اخبار النصر والظفر ولكني رجل مؤرخ ، وحياة الامم كحيوات الافراد ، فيها الصفاء وفيها الكدر ، وفيها الاعراس وفيها المآتم . ولا اكون امينا على التاريخ ، ولا صادقا فى الرواية ، ولا ناصحا للقارئين ، اذا اريتكم صفاء الماضي دون كدره ، وسردت عليكم مباهجه دون مآسيه ، ولعل العبرة فى الهزيمة اكبر من العبرة بالنصر .

وانا أستجديكم اليوم الدمع ، وأدعوكم الى البكاء لا بكاء ابى عبد الله الصغير الذى ساحدثكم حديثه فهذا بكاء الانذال ، انما اريد بكاء الرجال ، والرجل قد تجيش عاطفته ، ويسيل قلبه دمعا من عينيه ، ثم يمسح الدمعة ، وينسى العاطفة ، ويحكم العقل ، ويمضي الى العمل فلئن ضاعت منا الاندلس (وسترون لم ضاعت) فقد ابقت لنا عبرة ، ولقنتنا درسا .

حديث اليوم عن الفردوس الاسلامي الذى فقدناه ، عن المأساة التي لم ير تاريخنا مثلها ، اللهم الا مأساة فلسطين ، التي ستغدو لنا أن بقينا على غفلتنا وانقسامنا ، اندلسا جديدة ، ولن يكون ذلك ان شاء الله ما دام فى السماء رب عادل ، وعلى الارض شعب مسلم .

الحديث عن ابى عبد الله الصغير ، وعن سقوط الاندلس ، وما هو (مع الاسف) الا اشارات عابرة لتلكم الاحداث الجسام ، وكلمات قليلة عن هاتيكم الفواجع الكثيرة التي ملأت صحف التاريخ اسى وحزنا .

نحن الآن فى أواخر العهد بالاندلس ، فلقد تقلص ذلك المجد المنبسط ، وانزوت تلك الراية التي كانت ترفرف على اسوار طليطلة وقصور قرطبة ، وعلى سيف البحر من المرية الى برشلونة ، والتي جازت جبال البرانس (البيرنة) حتى بلغت قلب فرنسا لقد مضى ذلك كله وانقضى ، فلا امية باقية ، تلوح اعلام قوادها وهي على عرش الخضراء فى دمشق ، أو على عرش الزهراء فى قرطبة ، ولا الموحدون تموج (الزلاقة) بفرسانهم الذين ينتزعون النصر من بين فكى الدهر ، لقد ذهبت الدول الحاكمة القوية ، فناد اليوم لا يلبك القائد عبد الرحمن الغافقي

ولا الامير عبد الرحمن الداخل ، ولا الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ولا يجبك الملك المظفر اسد الصحراء ابن تاشفين .
وقد ذهبت الامارات القوية ، فما فى البلاد اليوم مثل الحاجب المنصور ولا مثل ابن عباد ، ما فيها الا امارة صغيرة حقيرة فيها عرش صغير حقير ، نخر سوس الخلاف باطنه ، وهدت فؤوس الاسبان جوانبه ، ولا يزال اهله يتنازعون عليه ، ويتقاتلون من حوله ، عرش بنى الاحمر فى غرناطة .. اتعرفون من اين جاءت هذه الامارة التي كتب الله ان يكون ضياع الاندلس على ايديها ؟ .

كانت دولة الموحدين تحكم البلاد كلها ، والموحدون صحراويون أشداء ، لم تكن الحضارة بترفها قد أفسدتهم يوم اقبلوا ولا المدن بنعيمها ، فكانوا ينامون بمثل عين الذئب ، ويكشرون عن مثل انياب الاسد ، كانوا اسود قفر ، فانجحرت منهم الذئاب ، وفرت من امامهم ، فلما ذاقوا متع الحضارة ، واستراحوا الى النعيم صاروا طواويس ، فأستأسدت من ضعفهم الثعالب .

وخرج عليهم ابن هود ، فاقتطع لنفسه ما استطاع من بلادهم ، وخرج على ابن هود ابن الاحمر ، فانتزع منه ما قدر عليه من بلاده ، وكان الموحدون فى الاصل خارجين على الامامة العظمى فكانت مملكة بنى الاحمر هذه ، مملكة خوارج على خوارج على خوارج .

ولم ينج ابن الاحمر من امراء كانوا اصغر منه ، فخرجوا عليه ، يشترون منه ملكه برأس ماله ، وكان يحميهم الاسبان الذين كانوا يمدون أيديهم ابدا من وراء ستار ، فيضرمون هذه النار ، فلم يجد وسيلة لاستبقاء لذة الحكم ، الا ان يبيع نفسه للشيطان ، ويخضع للاسبان ، ويجعل من نفسه ملكا على المسلمين ، وتابعا لاعدائهم وكذلك يصنع حب السلطان .

وهذه مصيبتنا دائما ، الانقسام وشهوة الحكم .

ثم تتنبه فى نفسه حمية المسلم ، وتستيقظ عزة المؤمن ، فيقطع حبل مودة الاسبانيين ، وتقوم الحرب بينه وبينهم ، ويعينه ملوك المغرب بجامع الاخوة الاسلامية التي لا تنفصم قط عراها ، فينتصر عليهم .

ويتسلسل الملك فى اولاده ، الى العهد الذى احدثكم حديثه ، حين يقوم النزاع على هذا العرش الصغير الذى لا يستحق ان يتنازع عليه غريبان ، فضلا عن ان يتقاتل من اجله اخوان ، ابو عبد الله الكبير المعروف بالزغل ، وابو الحسن والد ابى عبد الله الصغير ، وغلب الاول على الملك ، وان كان الثاني اقوى واحزم وابرع واحكم ، واستهوته حلاوة هذا العسل ، فانسته السم الكامن فى قرارته ، وحمات النحل التي تحوم من حوله ، وغرق فى لذائذه . وكانت له زوجة شريفة عفيفة من بنات عمه اسمها عائشة ، هي ام ولديه محمد وهو ابو عبد الله الصغير ويوسف ، فتركها وعشق فتاة اسبانية بارعة الجمال فاتنة الحسن وارتكب جريمة مثلثة اللعنات .

١ ـ حكمها فى نفسه وقصره ، واطلعها على دخيلته وسره هي وقومها الاسبان اعداؤه واعداء بلاده ودينه .

٢ ـ وظلم من أجلها زوجته الشرعية وجافاها واذلها .

٣ ـ ثم عمل مالا يعمله رجل شريف ،

فحبسها هي وولديها فى البرج وبقيت الحمراء كلها لهذه الاسبانية تمرح فيها هي واعوانها وتكيد للعرش وصاحبه ، وتخدم قومها الاسبانوهى محمية بعرش الملك المسلم .

وكانت هذه السيدةعائشةامرأة قادرة داهيــة أريبــة فلم ترض لنفسها هــذا المصير ، واعدت العدة للفرار مــن البرج العالي وكاتبت أنصارها ، وهيأتهم للثورة على زوجها، ثم شققت الستائر والملاحف واتخــذت منها حبالا تعلقت بها وولداها وهبطت من البرج .

وبينما كان ابو عبد الله الكبير يقاتــل الاسبان ، ينــازل جيشا لهم جرارا جاء ليقضى على هذه البقية الباقية من دولة العرب فى الاندلس ، كانت عائشة وابنها ابو عبد الله الصغير يقاتلان الملك العربي ، الأب يؤثر لذته على مروءته ويسيء لولده ارضاء لزوجته، والابن يحارب اباه ، وكل ذلك والعدو على الابواب .

هذا العدو الذى لم يكفه ما اقتطع من بلاد العرب ، ولم يكفه ما أراق من دمائهم فهولا يزال لما يرىمن تخاذلهم وانقسامهم وغفلتهم ، يطمع فى القضاء عليهم .

وانتزع ابو عبــد الله الصغير هــذا العرش المنحوس مــن ابيه ، وغلبه عليه ولكن الاسبان جاءوا فأسروا ابا عبد الله الصغير ، وحرموه بر الوالد ، ولذة الحكم

وراحت عائشة تعمل عملها ، تستبيح كل شيء لتنقــذ ولــدها ، لقــد غلبتها عاطفتها فنسيت حقوق الامة وواجبات الدين واحكــام الشرف ، فعرضت على الاسبان معاهدة تخضع البلاد كلها لحكم ملك قشتالة ، ويؤدى أهلها الجزية اليه بعد أن كانوا هــم الذين يأخــذونها منه معاهدة الذل والخزى والعار ، ومع ذلك فقد تدلل الاسبان وأعرضوا ، وشمخوا بأنوفهم لانه لم يعد يرضيهم وقد رأوا العرب يفقدون سلائقآبائهم ، ؟ وبطولات ماضيهم الا أخذ كل شيء . ولم يطلقوا ابا عبد الله الصغير من الاسر الا بعد ثلاث سنين . ودفعت البــلاد حريتهــا ثمن حريته ، وبذلت كرامتها وحياتها ليتربع على عرشه ــ وعاد وعاد معه الانقسام ، وانشطرت البلاد الاسلاميةشطرين شطر تبع هذا الملك الذى باع نفسه للشيطان كما فعل جده من قبل ، فكان ملكا على المسلمين وعبدا للاسبان ، وشطر بقىعلى الولاء لعمه أبى عبد الله الكبير .

ووقعت الحربالاهلية،واعان الاسبان صنيعتهم وتابعهم، فطرد عمه وانفرد على هذا العرش الملطخ بالاوضار .

ورحل ابو عبد الله الكبير الى المغرب وكان بطلا مجربا وقائدا حازما اريبا ، ورأى الاسبان انه لم يبق فى الميدان الا هــذا الشاب الضعيف ، أبو عبــد الله الصغير ، فقرعوا طبول الحرب ، واعلنوا أن قد ازفت ساعةطرد العرب مناسبانيا

وكانت عائشةقد اغضبت الله لترضى الاسبان ، والبست قومها الذل والعار ، ليستمتع ابنها بهذه اللعبة الحلوة التي اسمتها (العرش) فلم تستبق العرش . ولا رضا الاسبان .

وكانت المعركة الاخيرة ، وبدأ الهجوم الغادر على القرى المسلمة فى الضواحى فكان منهــا امثال « دير ياسين » وورد اللاجئــون بالآلاف المؤلفة على غرناطة ، وهاج الناس وماجــوا يفتشــون عــن القائد . والمسلمون مهما قل عددهم ، ونضــب موردهــم وســاءت حالهــم ، وانقطع مددهم ، لا يفقدون بطولتهم ما داموا يجدون القائــد الذى يقودهم فى المعركة الحمراء ــ فلما ظهر هذا القائد

وكان البطل الفارس المغوار موسى بن ابى الغزان ورفــع لهم لــواء الجهاد ، وسل سيف القتال ، عصفت فى رؤوسهم نخــوة العروبــة ، وغلت فى دمائهم عزة الايمان واقدموا يدافعون ، ولولا ضعف أبى عبد الله الصغير، ولولا هذه الحاشية حاشية السوء ، ولولا الانقسام وتدخل النساء فى شؤون الملك ، لبــدأت هــذه الفئة المجاهدة ، عهدا جديدا فى تاريــخ الاندلس ، قد يمتد قرونا أخر ، وما كان طارقا يوم هبط هذه الجزيرة ، أقــوى عدة ولا كان أكثر عددا ، ولكن كان جنده اشد اتفاقا وطاعة ، واكثر ايمانا .

لقد ابدى موسى وهــؤلاء الابطــال المجاهدون من ضروب البطولة ، والوان التضحيات ، ما لم يعرف التاريخ أعظم منه روعة ، واكثر جلالا ، لكن كانت لله ارادة فى العــرب والاسبــان ، فلم يكن لهذه التضحيات وهذه البطولات ثمرة تقطف من رياض النصر . لقد قــر رأى هــذا الملك الضعيف العاجز وحاشيته على التسليم وكانت الهدنة .

وعقدوا معاهدة جديدة مع الاسبان ونســوا انهم كلما عاهدوا عهدا نقضوه . معاهدة ظنوا انهم سيحفظون بها للعرب أملاكهم وحريتهم فى دينهم ودنياهم ، فلم يكن منها الا ما حدثكم التاريــخ ، وقص عليكم الرواة .

وتلفتوا يفتشــــون عن نصير ، فلم يجــدوا نصيرا ، واستجــاروا باخوانهم المسلمين فلم يلقوا مجيرا، وكان آل عثمان فى اوج سلطانهم، يحكمون مابين خراسان واســوار فينا ، ولكــن لم يلتفت اليهم السلطان سليمان عاهل آل عثمان ، رغم الصرخــة القــوية التى اطلقها الشــاعر الاندلسي ، فدوت فى أرجاء **الارض ولا تزال** تدوى فى أجواء الزمان .

وخرج الملك المسلم ، سليل الابطال ، ليضع بين يدى عدوه امانة القرون التى انتهت اليه ، ليلقى على قدميه بكرامة المسلمين وامجادهم ، ليفتح له عاصمة ملكه ، ويبيحه أبهاء الحمراء ومقاصرها. فلما تلاقيــا هم بان ينزل عــن فرسه ، مترجلا امام فرد يننـد، فمنعهمن الترجل وتقبل خضوعه واستخــذاءه ، ثم حول له الى زوجته ايزابيلا فقــدم اليها طاعته وولاءه . وسلمها مفاتيح غرناطة .

وختم هــذا السفر الضخــم الذى ملاناه مجــدا وفضيلة وعلما ، فكــانت خاتمته الخزى والعار ، وهكذا تقوض هــذا الصرح الذى اقمنــاه على جماجم ابطالنا ، ونضحنا عليه دماء شهدائنا ، ثم هدمناه بمعاول التفــرق والانقســـام ، وشهوة الحكم وانتهاب اللذات ، وهكذا انتهت فى لحظة حياة ثمانمائة سنة عاشها العــرب فى الاندلس جعلوها فيها شعلة نور ، وروضة زهر وثمر ، على حين كانت اوربة صحـــراء مــوحشة ، تائهة تحت سجف الظلام .

وبكى أبو عبد الله بكاء الجبان الذليل فصرخت أمه عائشة : ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ومشى أبو عبد الله حتى اذا بلغ تل غرناطة ، وقف وتلفت ينظر مــن بعيــد الى شرفات القصر الذى كان منزل آبائه وملعب صباه وعرش ملكه فصار لعدوه.

فهو لن يدخل أبهاءه مرة ثانية ولن يمرح فى جناته ، ولن تكتحل عينه برؤية الماء يفور من نوافيره ولن يصافح انفــه ريا عبيره .

وأدار رأســه ، ومشـــى الى الامــام يستقبل الآتى المجهــول . وغابت عــن عينيه ابراج الحمراء الى الابد .



درجات المؤمنين في معرفة الله متفاوتة الى حد بعيد .
ولا تقبل هذه المعرفة ـ ابتداء ـ الا اذا كانت صحيحة ، مطابقة للواقع .
فاذا شاب هذه المعرفة جهل فاضح كالشرك أو التجسيد ردت في وجه صاحبها ولم تغن عنه شيئا ....
والمعرفة الصحيحة مراتب ، فالذى يعرف ربه معرفة واضحة غير الذى يعرفه معرفة غائمة .
ووضوح الرؤية للغاية المنشودة شىء آخر غير الاندفاع باحساس غامض ونظر مختلط .
والمعرفة العميقة غير المعرفة السطحية ، الاولى تبقى على اختلاف الظروف والاخرى قد تهتز مع الاختبارات العارضة .

والمعرفة الآلفة المستمرة غير المعرفة العابرة المارة .

فقد تعرف انسانا معرفة جيدة ، وتنشغل عنه بأمور كثيرة أو قليلة ، وقد تعرف آخر معرفة صحبة واستقرار ..

والذى يعرف ربه كلما شعر بحاجة اليه ، فاذا انتهت حاجته شغلته نفسه ، غير الذى أنشأ علاقة مع ربه يتعهدها بالتحبب والتردد على ساحته ، فهو موال له معتز بصلته .

والمعرفة الموقنة الناشطة التي تجعل المؤمن يسارع في الخيرات ، وينهض بالتكاليف غير المعرفة الكسول الوانية التي يصحبها التفريط في الواجب أو استثقال أدائه .

والمعرفة العاصمة من الدنايا الكابحة للجماح غير المعرفة المنهزمة أمام النزوات ..

والمعرفة المورثة للتوكل على الله في مواطن القلق والفزع .. غير المعرفة التي تجعل المرء ضارعا للخلق ذليلا أمام أصحاب الحول والطول ..

للشيخ محمد الغزالى

ان الايمان يزيد وينقص ، وآثاره فى النفس والحياة تمتد وتنكمش .

والزيادة والنقصان ليسا فى أصـــل المفهوم العقلى ، وانما فى كمه وكيفه فالصوت من الفم العادى يتضاعف ألف مــرة عندما يمر بمذياع ضخم البوق بعيد الصدى .

والايمان فى بعض النفوس قد يتحول الى حياة تصبغ الشعور والفكر وتهيمـــن على الحــركات والسكنات ، وتجعل صاحبها فى نهار دائـــم من الأنس بالله والف عظمته .

ومن ثم لا يتفاضل المسلمون فى أصــل عقيدة التوحيد . وانما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد فى نفوسهم من أبعاد وآماد .

ومن الجور أن نسوى بين العميق والضحل والمتين والضعيف ..

وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات ايمانهم على ما شرحنا ...

واكتمال الايمان يوصل اليه بعد جهاد طويل ، ورياضة متصلة ...

ومن الخير أن نعترف بمدخل العناية العليا فى هذا المضمار ، فان الفالحين يغرسون جميعا لكن حصيلة الثمر فى كف القدر .

وما من جهد يذهب هدرا ، حاشا لله ، فهــو القائل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سـبلنا وان الله لمع المحسنين » .

والمشكلة ليست فى أن الله جل جلاله يثيب من قصده .. فهو مثيب مجيب .

وانما الذى يجب أن يعرف بحسم أن العبد فى هذا الميدان محتاج الى سعة الفضــل لا الى ضمان العدل .

وأن ما يأخذه ان كان أجرا على عمل فلن يعدو المرء مكانه ، أما ان كان تطولا من ذى الجـــلال والاكرام « فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ولذلك لا يسبق الا فقير متجرد من الدعوى ، متعرض للمنحة ، متطلع الى عطاء المنعم الواسع تبارك اسمه .

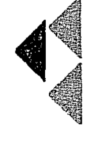
واذا أحب الله انسانا رطب بذكره لســانه وأنعش به جنانه ويسر له ما يرده اليه ان بعد ، وما يقيمه على الصراط ان شرد .

والدرب الموصل الى الله قد تكفل الاســـلام بوصف مراحله ومعالمه ، فليس هناك شيء وراء كتاب الله وسنة رسوله .

الا أن عواطف الايمان قد تهيجها عواطف مشابهة وان اختلف سببها ، وهذه طبيعة البشر اذا غمرهم شعور ما ، فان هذا الشعور قد يجيش فى جوانحهم بعد سكون لأبعد المثيرات .

وتأمل كيف يبكى متمم بن نويره أخاه مالكا .

وقـــال أتبكى كـــل قبـــر رأيتـــه
لقبر ثوى بـــين اللـــوى فالدكادك
فقلت له ان الشـجا يبعث الشـجا
فدعنى فهذا كله قبـــر مالـــك ..



وجيشان العواطف المؤمنة عند جمهور العارفين هو الذى جعلهم ينقلون الى ميدان الحق معانى قيلت ابتداء فى مواقف تافهة وصغيرة .

ومن هنا ناجوا الله بقول الشاعر .

ان بيتـا أنـت سـاكنه
غـير محتـاج الـى السُّـرج
وجهـك المأمـول حجتنـا
يـوم يأتـي النـاس بالحجـج

وهي أبيات من قصيدة فى الغزل ....

وكذلك ناجوا الله بقول الشاعر .

فليتـك تحلو والحيـاة مريـرة
وليتـك تصـفو والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينـك عامـر
وبيني وبـين العالمـين خـراب
اذا صح منـك الود فالكل هـين
وكل الذى فوق التـراب تـراب

وهي أبيات قيلت فى مدح سيف الدولة ..

والحق انه كثير عـلى بشر أن يخاطب بهـذه المعانى ، فالله جل شانه أولى من يناجى بها ..

ولا نريد أن نقف عند تلك الخطرات بل يهمنا أن نصف حقيقة العبودية التىتنضح بهذه المعانى، او تتجاوب معها ، وحسـبنا فى ذلـك الكتاب والسنة ..

ان القرآن الكريم ينقل الايمـان من ميدان التصورات النظرية المعزولة الى ميدان الشعور الحى المأنوس الواقع ...

ففي مجالسنا حيث نسمر ، أو نجد يجب أن نعد بين الحضور رب العالمين ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا)) .

وهذا الاحساس بالحضور الآلهى له نتائجـه من رغبة ورهبة . والله جل شانه يريد أن نشعر بهذه الهيمنة الشاملة ، وأن نحسب حسابها فيما نفعل ونترك ((وما تكون فى شأن وما تتلو منه مـن قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ..)) .

وفي الخريف الماضي كنت جالسـا وحدى فى حديقة تحت احدى الشجرات ، فسـقطت على ورقة جافة ، فتلفت فى مكاني انظر هنا وهناك وعلى لساني قوله تعالى ((وما تسقط من ورقـة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ..)) .

قلت لنفسي ان الله ، يعلم بسـقوط هذه الورقة الآن ..

وقلبتها بين أصابعى أتأمل فى ظهرها وبطنها ، وأتفرس فى شبكة العروق اليابسة المنتشرة بـين الوسط والأطراف .

ومددت بصرى فاذا أوراق كثيرة سـاقطة ، ووجدت أنى ان استطعت عد هذه الأوراق الكبيرة فمن المستحيل أن أعد الأوراق الصـغيرة تحت الشجيرات الأخرى ..

قلت ذلك وأنا بين بضع شجيرات فى بقعة لا تذكر من أرض الله ، فكيف بما تنفضه رياح الخريف فى القارات الخمس ؟ .

ثم قلـت وعلم ذلك أن أعيى العادين فى عصر واحد لكثرته الهائلة ، فكيف باحصاء ما تساقط على مر القرون من بدء الحياة الى منتهاها ؟ .

وأخذتني حيرة وروعة وأنا أتابع سلسلة هذه الصور ، ثم وأنا أمسك مرة ثانية بالورقة الجافة وأتساءل . كيف نسجت مادتهـا وكيـف تمت صباغتها ..

ان الخضرة فى وجهها هذا غير الخضرة فى وجهها الآخر ، ثم ان أطراف الورقة مزخرفة بمنحنيات متناسقة كثيرة .....

وستعود هذه الورقة طينا وتنبثق من ظلمات الارض مرة أخرى ورقة ناضرة يانعة ... وهي فى كل آن من هذه المراحل فقيرة الفقر كله الى الخالق المصور الذى يتولى ايجادها .

ايجادها وحدها ؟ كلا بل الألوف المؤلفـة ، والالوف المؤلفة في كل بستان وحقل ، كان أو يكون .

وعدت أقرأ الآية كلها من جديد ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ..)) .

والقرآن الكريم مشحون بالمشاهد التي تعلـم الناس ((مقام الاحسان)) والتي تدرجهم فى مراتب العبودية على مقدار طاقاتهم العقلية والنفسية ..

والفقيه فى سيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلامه يدرك أنه بلغ فى عبوديته لله مدى من الاستغراق والاشراق تنقطع دونه همم الخلائق كافة ...

وسنلمح الى ذلك فى مقال تال .

والأساس العقلى للشعور بوجود الله يقوم على ما تقرر فى علم التوحيد من أن اقسام المعلوم ثلاثة « واجب » « ومستحيل » « وممكن » .

فالواجب يستحق الوجود فى ذاته ولا يتصور عدمه .

والمستحيل يستحق العدم من ذاته ولا يتصور وجوده .

والممكن مالا يستحق من ذاته عدما ولا وجودا : وانما وجوده ان وجد ، من واجب الوجود وحده.

والعالم كله ، ما نعرف منه وما لا نعرف ، ما نبصر ومالا نبصر ، من هذا القسم الاخير .

حياته عارية من غيره ، تستوى فى ذلك الجراثيم التى تسكن الوفها المؤلفة رأس ابرة ، والكواكب التى تتهادى فى دارات الفضاء بين شروق وغروب، انها جميعا تستعير وجودها وحراكها ونظامها من الله « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ..

والشعور بهذه الحقيقة العلمية تجاوب مع الواقع الذى لا ريب فيه .

ولعل ذلك ما أوحى بهذه الابيات التى جرى بها قلم مؤلف لا أذكر اسمه .

الله قل ، وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده فى الحق محض خيال

ونحن نزكى هذا الاحساس لكنا نلفت النظر الى شطط يعتريه ويفسده .

فمن حق الله الا نغفل عن وجوده ، ومن حقه أيضا ألا نجحد أو نجهل ما أوجد .

بل اننا لن نعرف الله المعرفة الصحيحة الا اذا درسنا العالم الذى خلقه واودع فى تضاعيف هذا الخلق دلائل عظمته ، ومعانى أسمائه الحسنى .

والايمان الذى دعا اليه القرآن الكريم هو ثمرة الدراسة الواعية للكون الكبير وما انبث فى جوانبه من أحياء ...

انك تستطيع أن ترى الله فى كل شىء ، أى تستطيع أن ترى قدرته وابداعه ومجده ، وتستطيع أن تلمح أنه القيم على كل شىء ، فى أغوار الارض وابعاد السماء .

عندما أعلن الاحصاء الاخير لسكان الارض ساورنى خاطر محدود .

هناك أكثر من ثلاثة آلاف مليون انسان يعيشون على ظهر هذه الكرة ، قلت لنفسى . ان الله من وراء ثلاثة آلاف مليون عقل يجرى فيها تيار الفكر بطيئا أو قويا ، ترى فيم يفكر كل واحد من هؤلاء ؟

ومن وراء ثلاثة آلاف مليون قلب تجيش بالرضا أو القلق بالفرح أو الحزن بالرجاء أو اليأس ، ترى ما يشغل كل قلب من هذه القلوب ؟

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد تغلى الحياة فى أعضائها ويجرى الدم فى عروقها وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتها .

ما أكثر هؤلاء .. ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ولامورهم مدبر وفوقهم قاهر وعليهم قيوم.

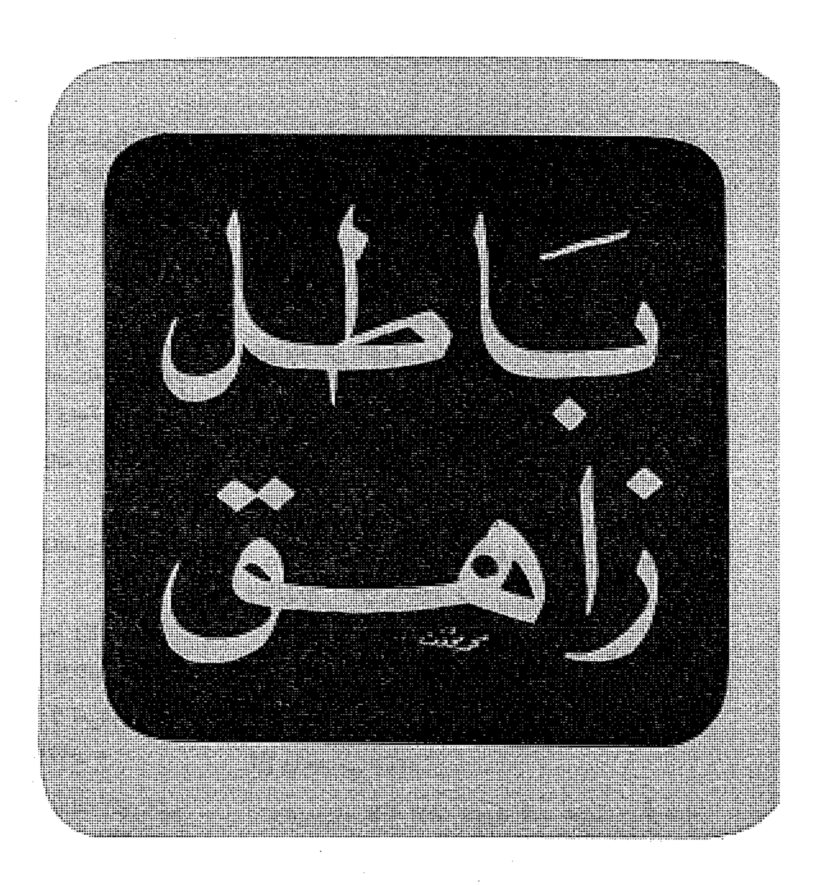
هم وحدهم ؟ كلا ، هم والاصول التى انحدروا منها والفروع التى تنشأ عنهم الى ما شاء الله جل جلاله ..

هم وحدهم ؟ كلا .. وعوالم الاحياء الاخرى التى تزحم البر والبحر ، وتنتشر فى ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » .

ما أوضح شىء فى عالمنا هذا ؟ الشمس فى حجمها الضخم ، وما يضطرم فى كيانها من نار ونور ؟

ان الحريق المستعرة فى جوفها وسطحها ترمى

البقية على ص ٤٠



للدكتور احمد الحوفى
استاذ الادب العربى بكلية دار العلوم

أرأيت الى الوعل الذى ينطح الصخرة ليوهنها فيتكسر قرناه ، ويدمى رأسه ، وتبقى الصخرة صلدة سليمة ساخرة من حمقه ؟

هذا شأن أعداء الاسلام ، وخصوم الحق ، اذ يتوهمون أنهم بسهامهم الطائشة ينالون منه أى نيـل .

وكأنما لم يتعظوا بخيبة سابقيهم ، فجاء بعضهم اليوم يتستر فى زى البحث الاجتماعي ، لينفث سمومه من خلاله ، كما فعل ماربون كابلان فى كتاب سماه (دراسة موضوعية للمجتمع الاسلامي) ، وكما صنع روبين ليفى فى بحث سماه (البناء الاجتماعي للاسلام) .

ولقد سلكا ما سلكه غيرهما من خصوم الاسلام ، من تجاهل الحقائق ، وتشويه الوقائع ، وقلب الاوضاع ، والتمويه بقليل من الانصاف لستر كثير من التحامل والاجحاف ، وهذه أمثلة من أباطيلهما :

الخراج والزكاة

زعم الكاتب أن من الاسباب التى يسرت للاسلام أن ينتشر اعفاء من يسلمون من دفع الخراج ، لأن هذا الاعفاء شجع كثيرا من الناس على اعتناق الاسلام ، حتى ان ايراد الدولة نقص نقصا كبيراء فلم يستطع الخليفة الأول أبو بكر أن يجنى ثمار الحروب التى أوقد نارها .

ولو أن هذا الكاتب الذى يختفى وراء البحث الاجتماعي ، درس أو أنصف لتكشفت له هـذه الحقائق التى تبطل ما زعم .

١ ـ ان المسلمين فرضوا الخراج على أهل الذمة فى مقابل انتفاعهم بالارض ، ومساهمة فيما تنفقه الدولة على الارض وعلى المرافق العامة للشعب من مسلمين وغير مسلمين .

٢ ـ وأن المسلمين كانوا فى تقديرهم للخراج وفى جمعه ، أرحم كثيرا من الفراعنة والبطالسة والرومان والبيزنطيين والفرس .

٣ ـ ثم انهم راعوا فى تقدير الخراج أن يكون على الارض المزروعة ، ونظروا الى عوامل شتى تكفل العدل والرحمة ،مثل خصوبة الارضورداءتها وجودة المحصول وقلته ، وطريقة رى الارض ، وقربها من السوق أو بعدها عنه .

٤ ـ على أن القدر الذى كان يدفعه الذمى عن أرضه المزروعة ضئيل بالنسبة الى المحصول ، وبالنسبة الى ما كانت تجبيه الحكومات غير الاسلامية .

٥ ـ ثم ان المسلم كان يؤدى عن محصوله العشر أو نصف العشر ، بحسب الطريقة التى يروى بها أرضه .

ومع هذا فان أكثر الفقهاء متفقون على أن الارض الخراجية اذا زرعها مسلم ، فعليها الخراج والعشر معا ، أى أن يدفع عنها ضريبتين هما الخراج والزكاة ، ورأى بعض الفقهاء أن الخراج يغنى عن العشر ، وسواء أكان هذا أم ذاك فان الاسلام لم يكن يعفى زارع الارضمنضريبةالخراج، سواء أكان مسلما أم غير مسلم .

٦ ـ وقد كان المسلم مكلفا فوق ذلك أن يزكي عن أمواله الاخرى .

ومعنى هذا كله أن الضرائب التى كان المسلمون يدفعونها أكثر مما كان الذميون يتحملونه .

واذن فلا علاقة بين الخراج وانتشار الاسلام ، بل انتشر الاسلام لاسباب كثيرة ، بعضها راجع الى صفائه ونقائه وسمو تعاليمه ومطابقته للفطرة ، وبعضها راجع الى ما لحق بالديانات الاخرى من تشويه وتحريف واباطيل ، وبعضها متصل بفساد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية فسادا ضج منه الناس .

واما ادعاؤه أن اقبال الناس على الاسلام فوت على أبى بكر أن يجنى ثمرات الحروب التى اشعلها فانه ادعاء عجيب .

ذلك أن أبا بكر لم يوقد نار الحروب ، بل كان يدفع المعتدين عليه وعلى الاسلام ، ولم يكن يصح له وهو رئيس المسلمين أن يستسلم للعدوان الداخلى والخارجى ، فلا يسارع الى صده .

وأن الذى يتتبع حروبه فى جزيرة العرب أو فى العراق أو الشام ، يتبين له أن أبا بكر لم يكن يبتغى من ورائها لونا من الاستعمار والاحتلال واستلاب الغنائم والاستئثار بالخيرات ، انما كان يريد أن يلقى القوة المعادية بقوة حامية ، ليكفل للدولة الاسلامية الناشئة الامن والاستقرار، ويمهد للدعوة الجديدة طرقها التى تصل بينها وبين الناس .

الاسلام نظام كامل

وادعى الكاتب أن الاسلام لم يجد ترحيبا فى العالم الغربى ، لأن الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، على حين أن الفرد يستمتع فى الغرب بحرية واسعة فى سلوكه وفى تفكيره .

فما معنى هذا ؟

هل يريد من الاسلام أن يكون عقيدة فحسب ، فلا شريعة ولا قانون ولا عبادات ولا رغبة فى ثواب الله ، ولا خوف من عقابه ؟

انه اذن يريد من المسلمين أن يقنعوا من تدينهم بالانتساب الى الاسلام ، ثم ينطلق كل منهم فى سلوكه الفردى والاجتماعى وفى أعماله الظاهرة والباطنة على ما يهوى ويشاء ، وليس هذا من التدين فى شيء .

ونحن المسلمين نفاخر بأن الاسلام نظم حياة الفرد تنظيما يكفل له الخير كله ، ونفاخر بأن الاسلام يهيمن على سلوك الافراد والجماعات هيمنة تحبب اليهم الخير والحق ، وتبغض اليهم الشر والباطل ، وتصون المجتمع من المفاسد والآثام .

واذا كان عبيد الاهواء والشهوات ، وأسرى الفوضى والانحراف والانحلال ، قد انصرفوا عن الاسلام لانه ـ كما زعم الكاتب ـ يقيدهم بقيوده ،

ويحول بينهم وبين ما يشتهون من شرور وآثـام ، فان العيب ليس عيب الاسلام ، بل عيب الراتعين فى الضلال ، الذين يبصرون أضواء الارشاد ، فيغمضون دونها الابصار .

على أنه تناسى أن الغربيين انصرفوا عن الاسلام لأسباب أخرى ، منها أن دعوته لم تبلغهم على حقيقتها اذ أقام رجال الدين والسياسة بين شعوبهم والاسلام حواجز من الاضاليل ، ووسائل التنفير والكذب على التاريخ ، وتشويه الحقائق .

وليس أدل على صدق هذا من أن كثيرا مـن الغربيين سارعوا الى الاسلام حينما تبينوا حقائقه، ولا مطمع لأحد منهم وراء اسلامه أو دفاعه عـن الاسلام ، بل ان اسلامهم يسبب لهم كثيرا من المتاعب وخسارة المال .

ولعل الكاتب ليس فى حاجة الى من يخبـره أن عدد الذين يسلمون من الأمم الغربية فى نماء وازدياد .

جهل فاضـح

ثم زعم أن الخلفاء الذين جاءوا بعد الثـلاثة الراشدين أمهاتهم جوار من الزنوج والتــرك واليونان .

وهذا زعم مضحك ، لأنه لا يمت الى الصواب بسبب من الاسباب .

فالخلفاء الراشدون أربعة لا ثلاثة ، هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وما كان من حق من يجهل هذه الحقيقة أن يحمل قلما يتهجم به على خاتم الاديان .

ثم ان الخلفاء الذين جاءوا بعد هؤلاء الاربعة عرب خلص من بنى أمية ، وليس فيهم واحد ولدته أم غير عربية .

فهل يرجع الكاتب الى مصادر التاريخ الاسلامى عربية وغير عربية ، ليعلم شناعة جهله بالاسلام ، وتاريخ المسلمين ؟

وليعلم أن الخلفاء الذين كانت أمهات بعضهم غير عربيات هم العباسيون الذين قامت دولتهم بعد الدولة الأموية ؟

ثم ما عيب هذا على فرض حدوثه فى فجـــر الاسلام ؟

أيعاب الاسلام لأنه سوى بين الناس ، حتـى صار الخليفة يتزوج جارية تلد له ابنا يتـــولى الخلافة من بعده .

أيعاب الاسلام لأنه أباح للمسلم أن يتزوج كتابية تنجب له ؟

ان هذا لعجيب من كاتب يعيش فى زمن يهتف فيه العالم كله بالاخاء والمساواة ، حيث لا اخاء ولا مساواة .

حقوق المرأة

ثم ادعى أن النساء المسلمات كن محرومات من الحرية فى اختيار أزواجهن ، ومن التصرف فى أموالهن .

وهو مخطىء فى الدعويين .

١ ـ لأن الاسلام يقرر أن تختار المرأة الثيب زوجها بنفسها ، وأن يستأذن الأب أو ولى الامر الفتاة البكر فى زواجها .

وللاسلام طريقة فى الخطبة تكفل للخاطب والمخطوبة أن يلتقيا ، ويرى كل منهما الآخر ، فيقبله أو يرفضه ، فى نطاق من العفاف وصيانة الاعراض والبعد عن الشبهات .

٢ ـ ولأن الاسلام يبيح للمرأة أن تمتلـك وأن تتصرف فيما تملك ، كما يتصرف الرجل ، وقد جعل لها نصيبا مفروضا فى التركة كما يتبين من علم الميراث .

ولعل الكاتب يعلم أن حق الملكية كان محظــورا على المرأة العبرية واليونانية .

ولعله يعلم أيضا أن القانون الانجليزى الذى صدر فى القرن الثامن عشر قد حرم المـــرأة حقوقها المالية كلها تقريبا ، فكانت ثروتها لأبيهــا ثم لزوجها ، ولم يخولها القانون حق التملك الا منذ سنة ١٨٨٢ م.

وأحب أن يتذكر الكاتب الذى يدرس شؤون المجتمع أن المرأة الفرنسية المتزوجة ما زال محظورا عليها أن تتصرف فى مالها ، الا باقرار من زوجها

وموافقته ، مالم تشترط فى عقد الزواج أن تكون حرة فى تصرفها المالى مستقلة عن الزوج .

فليوازن بين ما خوله الاسلام المرأة منذ أربعة عشر قرنا ، وبين ما تقيدها به القوانين الغربية الحديثة ، ليعلم أنه يخبط فيما ينسبه الى الاسلام .

ادعى الكاتب أنشرف المراة كان مرهونا بمحافظة زوجها عليها ، ومراقبته لها ، فاذا قصر فى حماية شرفه واستسلمت زوجته لرجل آخر فلا يلومن الا نفسه .

وهذا كلام باطل لأنه يريد أن يصور المسلمات متهالكات على الرجال ، فلا يعصمهن من الفحشاء الا رقابة الأزواج ، ويريد أن يصور المسلمين خونة يتحينون الفرص للعدوان على أعراض اخوانهم فى الدين .

ولست ادرى كيف أباح الكاتب لنفسه أن ينكر على المرأة المسلمة حرصها على عفتها ، وصيانتها لرباط الزوجية ، واستنكارها ان يخلو بها رجل غير محرم ؟

والعجيب أنه اراد ان يصم المسلمين بأنهم عبيد شهواتهم ، لا تردعهم التقوى ، ولا يمنعهم خلق كريم من ان يختانوا الأزواج فى زوجاتهم .

وهو فى هذا قد ناقض نفسه او ناقض زميله ، لانه ذكر من قبل ان الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، وعزا الى هذه الهيمنة قلة انتشار الاسلام فى اوروبا ، ثم ادعى هنا أن الزوجة تسارع الى رجل آخر اذا قصر زوجها فى مراقبتها .

واذا كان الكاتب يعيب غيرة المسلمين على زوجاتهم ، ولكنه يريد أن يشوهها بهذا التصوير القبيح ، فليعلم أن الغيرة من مقتضيات الاسلام، ومن تقاليد العرب المتوارثة قبل الاسلام ، وانها من دلائل الرجولة والأنفة والحرص على سلامة الأعراض ونقاء الانساب ، وهى فى الوقت نفسه من مظاهر تقدير الرجال للحياة الأسرية ورعايتها واعزازهم للنساء ، والحدب عليهن وصونهن عن الابتذال وعن القيل والقال .

واحب أن أنبه الكاتب الى أن يدرك البون الشاسع بين مجتمع يغار فيه الرجال على النساء، ومجتمع منحل لا غيرة فيه ، يخادن فيه الرجال النساء متزوجات وغير متزوجات ، ويتعامى فيه الازواج عن زلات زوجاتهن ليتعامين عن سلوك هؤلاء الازواج .

واحب أن يسأل نفسه ايهما أليق بالانسانية الكاملة أن تعف الزوجة ويغار عليها الزوج ، أم أن تتمادى فى غوايتها ولا يغار عليها الازواج والأقارب ؟ .

الرق المقنع

وزعم – أن النبى – عليه الصلاة والسلام – تقبل نظام الرق دون اعتراض ، واعتبره أساسا فى النظام الطبقى للامة .

ولو كان الكاتب على اثارة من علم الاجتماع الذى ادعى أنه يبحث من أجله لقرر نقيض ما زعم . فقد جاء الاسلام والرق نظام اجتماعى سائد فى العالم كله ، أقرته الأديان والفلسفات ، ولم تحاول علاجه باى دواء .

ولكن الاسلام تفوق عليها كلها تفوقا ليس هنا مجال تفصيله .

ويكفى أن نشير الى انه وضع النظم وابتكر من الوسائل ما يكفل الغاءه الغاء متدرجا لا يزلزل النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم .

فليعلم الكاتب أن الاسلام ضيق مصادر الرق بعد أن كانت لا تخضع لضابط أو نظام .

وليعلم أن الاسلام ابتكر وسائل شتى لتحرير الأرقاء ، وانه اعترف بأنهم بشر لهم حقوق يجب أن ترعى وتصان ، وانه حض على احسان معاملتهم ، لانهم اعضاء فى اسرة الملاك . وخير له ان يقرا ما كتب الباحثون فى هذا الموضوع ، ليجد ما يبهره من تشريع عظيم ، سبق به الاسلام ما تشدق به الغربيون من تحرير الأرقاء بعد دعوة الاسلام بثلاثة عشر قرنا .

ثم لينظر الى ما يعانيه الملونون فى أمريكا وجنوبى افريقية من مهانة واجحاف وعدوان من

البيض عليهم ، وهم دخلاء على ديارهم ، وسلابون لثروات بلادهم ، ليعلم أن هذا أشنع من الرق ، وأولى بأن تشن عليه الحملات .

قوة الاسلام الذاتية

وادعى الكاتب أن السبب فى انتشار الاسلام هو ارتباط الحماسة الدينية بالطموح الحربى ، بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بعامين ، وأن النبى علم العرب أن محاربتهم لأعداء الاسلام حرب مقدسة ، الجنة ثواب من يقتل فيها ، كما فعل الصليبيون فيما بعد حينما حاربوا المسلمين .

وهنا دعويان باطلتان يكذبهما الحق ويبرأ منهما الصدق .

١ ـ أما بطلان الدعوى الاولى فلأن الكاتب يتجاهل تاريخ المسلمين ، فيزعم أنهم لم ينتصروا الا بعد وفاة رسول الله على حين أن نصرهم بدا واضحا منذ وقعة بدر ، واستمر فى مواقع عدة بعدها ، ورسول الله حى يشهد المواقع بنفسه ، حتى دانت جزيرة العرب بالاسلام .

ثم انه يتغافل عن حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهى أن الاسلام انتشر بقوته الذاتية الجاذبة ، لا بالقسر والاكراه والاغراء ، فالقرآن الكريم يقرر صراحة أنه لا اكراه فى الدين ، ويخاطب النبى عليه الصلاة والسلام بانه ليس عليه هداهم ، ولأن تاريخ الفتوح الاسلامية يسجل أن المسلمين لم يجبروا أحدا على أن يسلم ، بل كانوا يتركون الناس أحرارا فى عقائدهم وعباداتهم ، حتى لقد شجعوا المسيحيين واليهود على اقامة الكنائس والبيع .

وليس لباحث أن يتغافل عن هذه الحقيقة ، وهى أن الاسلام كان ينتشر فى فترات فقد فيها المسلمون نفوذهم الحربى والسياسى ، وما زال ينتشر الى اليوم بقوته الذاتية ، ويعتنقه كثير من المفكرين الذين يتعرفون حقيقته .

ويقول السير توماس أرنولد : لقد تصدعت أركان الامبراطورية الاسلامية العظمى ، وتضعضعت قوة الاسلام السياسية ، ولكن غزواته الروحية ظلت مستمرة دون انقطاع ، وعندما ضربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م وأغرقوا فى الدماء مجد الدولة العباسية ، وعندما طرد فرديناند ملك قشتالة وليون المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة ـ آخر معاقل المسلمين فى اسبانيا ـ الجزية للملك المسيحى ، فى هذين الوقتين كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت أركانه فى جزيرة سومطرة ، وكان يشق طريقه الى تقدم ناجح فى جزر الملايو .

كذلك يذكر توماس أرنولد ، أن الاسلام اجتذب الى اعتناقه عددا كبيرا من الصليبيين فى القرن الثانى عشر ، وكان فى هؤلاء الذين أسلموا قوادا وأمراء انضموا الى المسلمين فى أوقات انتصر فيها المسيحيون .

ويقول ان ستة من أمراء مملكة القدس اعتنقوا الاسلام بغير أن يضطرهم أحد .

فعلى الكاتب وأمثاله ممن يتهجمون على الاسلام زاعمين أنه انتشر بحد السيف ، أن يتذكروا أن الاسلام قد شق طريقه الى قلوب الغالبين المسيطرين من خصومه ، وهم أصحاب الحول والطول ، أولئك هم الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر ، والمغول فى القرن الثالث عشر ، اذ أسرع الفاتحون الغالبون الى اعتناق الاسلام دين المغلوبين .

كذلك نجد دعاة الاسلام الذين لا سلطان لهم ، قد حملوا عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الملايو وغيرها ، فنشروها فى يسر وحسنى .

وعلى هذا الكاتب أن يقرأ ما قاله هوبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية فى افريقية الى سنة ١٩٥٠ م. وهو فرنسى مسيحى « لم تقم دعوة الاسلام على القسر ، بل قامت على الاقناع الذى كان يتولاه دعاة متفرقون ، لا حول لهم ولا طول الا ايمانهم العميق بالله . وكثيرا ما انتشر الاسلام بتسرب سلمى بطىء من قوم الى قوم ، فاذا اعتنقه السادة تبعتهم القبيلة كلها ، ولقد سهل انتشاره أمر آخر ، هو أنه دين الفطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد ، سهل التكييف والتطبيق فى جميع الظروف » .

واذن فلا صحة لما ادعاه الكاتب من انتشار

الاسلام بالقوة ، أو انتشاره مصحوبا بحماســة حربية .

٢ ــ وأما الدعوى الثانية فانها لا تقل بهتانا عن سابقتها ، لأن النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكن داعية حرب ، بل كان داعية سلام ، وكان يؤثر السلام ما وسعته الدعوة والايثار ، فاذا لم يجد بدا من الحرب لحماية العقيدة وصــيانة الأرواح ، والدفاع المشروع عن حق الحيــاة ، اضطر الى الحرب اضطرارا ، فحروبه كلها حروب دفاع لا حروب عدوان .

ومع هذا فقد ضرب أروع المثل فيما سنه من قوانين شريفة فى اعلان الحرب ، وفى مقدماتها ، وفى سيرها ، وفى نتائجها ، وفى معاملة الأسرى ، وفى معاملة المغلوبين ، ليس هنا مجال تفصيلها .

أما تنظير الكاتب بين المسلمين الأولين والصليبيين، فانه تنظير باطل ، لأنه أقامه على أن الصليبيين كانوا يعتبرون المسلمين كفارا ، كما كان المسلمون الأولون يعتبرون مخالفيهم كفارا ، وبنى على هذا التنظير أن المسلمين الأولين والصــليبيين كانوا يتهافتون على قتال خصومهم ، وعلى المـــوت المقدس فى حربهم .

وشتان ما بين المسلمــين والصليبيين ، لأن المسلمين اذ كانوا يحاربون المشركين كانوا يرتخصون أرواحهم فى الذود عن عقيدتهم وعن حريتهم ووطنهم فيدفعون عن أنفسهم شرا واقعا أو شرا يوشــك أن يقع .

أما الصليبيون فقد كانوا معتدين مستعمرين مخربين حانقين على الاسلام وعلى المسلمين .

وما من باحث يجهل الفرق الكبير بين حــرب همجية مبعثها الجشع والحقد والطغيان ، وحرب مشروعة مبعثها الدفاع عن العقيدة والنفس والحرية والوطن .

فليرجع الكاتب الى التاريخ ليتبين أن المسلمين كانوا فى حروبهم ذوى مروءة وشرف ورحمة ورعاية للقيم الانسانية، وليرى أن الصليبيين كانوا يمثلون الوحشية والهمجية والطغيان .

ولن يستطيع بعد الموازنة المنصفة الا أن يمحو هذا التنظير، ويشهد للحروب الاسلامية بأنها سنت من النظم السامية والمثل العالية ما لم تستطع أمة أن تأخذ به نفسها فى القديم ولا فى الحديث .

وأكتفى بأن أنقل للكاتب فقرات مما قـــاله العلامة جوستاف لوبون .

« لم يكتف قومنا الصليبيون الاتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها فى معاملة المسلمين ، بل عقدوا مؤتمرا اتفقوا فيه بالاجماع على ابادة سكان القدس جميعا من مسلمين ويهود، وقد بلغ عدد الذين أبادوهم فى ثمانية أيام ستين ألفا ، لم يستثنوا منهم امرأة ولا شيخا ولا وليدا» .

وقوله « يدل على سلوك الصليبيين فى جميــع المعارك على أنهم من أشد الوحوش حماقة ، اذ كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء والاهلين العزل والمحاربين والنساء والشيوخ والأطفال ، بل ينهبون ويقتلون على غير هدى .

ثم ينقل جوستاف لوبون عن مؤرخين ورهبان شاهدوا بيوتهم ، فيـــذكر أن الصليبيين كانوا يجوبون الشوارع ، ويصعدون الى سطوح المنازل ، ليرووا غليلهم من التقتيل ، وكانوا يذبحون الاولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم اربا اربا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، ويبقرون بطون الموتى ، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طرقات المدينة المغطاة بالجثث ، وقد ذبحوا عشرة آلاف مســلم فى مسجد عمر بالقدس .

وهكذا يعدد جوستاف لوبون مخازى الصليبيين كما يعددها غيره من ثقــاة المؤرخين .

أما بعد ، فلقد كان على المتهجم أن يدرس قبل أن يصوب سهامه المغلولة ، فلعل دراسته تكشف له عن كثير مــن حقائق الاسلام ، وتجنبه ما تورط فيه من أضاليل وأباطيل ، تنبىء عن جهــل أو تجاهل وحقد وبغضاء والاسلام من أباطيله كلها براء .



سبح الله ونورُ المشرق
طالع في الأفق حلوُ الرونق
ونسيماتُ الصباح الشيقِ
تتهادى في بحور من ضياء

***

ربِّ يا مبدعَ تلكَ الأنفسا
من شعاعِ النورِ يحوي قبسا
خلقةٌ جلت وطابت مغرسا
فمن الطينِ ومن ماءِ السماءِ

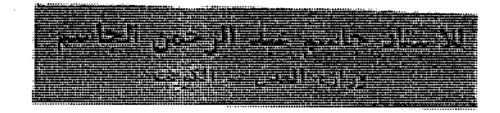
***

تشرقُ الشمس فتحيي الأملا
وتثيرُ العزمَ في كلِّ الملا
فترى الورقَ شدا والبلبلا
يا له من عمل ضافي البناءِ

***

يا لنفسِ المرءِ كم من مدع
انكر الحق وقولَ المبدعِ
خابَ مسعاهُ وما من مهيع
وثوى في النار من غير انتهاء

***



فـإذا الليـلُ تـدانـى بالظـلامِ
واختفـى البـدرُ سريعـاً بالغمـام
وبـدا النـائمُ يَغْفُـو في المَنـام
فـلوجـهِ اللهِ فاكثـر بالدعـاء

★★★

نظـرةٌ لله تَشْفـي السقَـمَـا
وهـي للمحـزون دومـاً بَلْسَمَـا
وغـذا للـروح طابَتْ مَطْعَمَـا
يـا لَهَا بُشْـرَى لِـكل السعَـداء

★★★

فإلى الخَيْـرِ فبـادِرْ مُسْـرِعـاً
ولـداعِـي الحـق فاسْمَـعْ مَنْ دَعَا
فَازَ مَـن لَبى وللخيـرِ سَعَـى
قاصـداً لله ربِّ الضعفـاء

★★★

فَمَـعَ النـاسِ فَـكُنْ سَهْـلَ القيـاد
فـاتِحـاً قَلْبَـكَ حبـاً للـوداد
ناصحـاً للحـقِ موفـورَ الرشـادِ
فتنـالَ الحَمْـدَ مَـعْ حُسْنِ الثنـاء

بقية : صدق المعرفة

باللهب على مسافات هائلة هى بعض مظاهر الجبروت الآلهى فى التكوين .

فهل بعد ذلك يضعف الاحساس بالخالق ويقوى الاحساس بالمخلوق ؟

وحدة الوجود خرافة

ان الشعور بالوجود الآلهى يجب أن يكون حيا غامرا لدى أولى الالباب ..

لكن الكون شىء غير صاحبه ، والعالم شىء غير الله ، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لا تعنى أن الوجود هو الموجود .

ومن السخف أن يرتكس الفكر الانسانى فى هذه الحمأة .

ان الآلة شىء غير من اخترعها ، والقصر شىء غير من بناه ..

وقد خلقنا الله وكلفنا ، ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل بذلك كتبا وبعث رسلا ...

فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير فى ذلك كله ؟

ولقد أحصى العلماء العناصر التى يتكون منها العالم ، وقرروا ما لكل عنصر من خصائص لا تزيد ولا تنقص ، فكيف توصف هذه العناصر بعد ذلك بأوصاف الالوهية ؟

ان القول بوحدة الوجود هو ــ عند التأمل ــ نفى للألوهية واثبات للكائنات وحدها ...

فالماء مثلا مادة معروفة وقد شرح الكيمائيون أسلوب وجودها من عنصريها الاساسين .

وهى من قبل ومن بعد لن تكون الا الماء .

فالزعم بأنها ، اله أو جزء اله تخرص علمى سيسقط من تلقاء نفسه ،وتبقى بعد ذلك العناصر وحدها دون أى وصف الهى .

ومن ثم قلنا ــ . ان وحدة الوجود عنوان آخر للالحاد فى وجود الله، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط وما دام لا يوجد شىء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه ...

وفلسفة وحدة الوجود، أو خرافة وحدةالوجود تفكير هندى قديم ، والقوم يتصورون أن هذا العالم أزلى ابدى ، وأن الارواح تخرج من أجسادها لتعود فى أجساد اخرى ــ وقد تكون اجساد حيوانات ــ وأن قصة الحياة تدور فى هذا النطاق المحصور ، وتبدأ من حيث تنتهى ، وهكذا دواليك الى ما شاء الله ، والله ــ فى أوهامهم ــ هو هذه العمليات المتكررة .

والغريب أن هذه الوحدة الموهومة قد تسللت الى بعض الديانات السماوية وبين يدى قصيدة لشاعر عربى تصور هذه الاسطورة المنكورة تصويرا تاما ، قال .

عل الوجود هو اللـه الذى اتجهت
هدى النفوس اليه بالعبادات ..
له العوالم أعضاء مـــرددة
فيها الحياة على بعد المسافات .
وما الاثير وما الاجرام سابحة
فيه ، سوى الدم ، يغلى بالكريات
ما كان قط عن الاشياء منفردا!
بل هن فيه لصون الذات بالذات
تعاشق الكل ، من أعلىالشموس الى
أدنى الرمال الى أخفى الذريرات
لو قال كن ، كان للتكميل مفتقرا
وكان فى حاجة الماضى الى الآتى
سر التحول والتكرار مطـــردا
هذى البدايات من تلك النهايات
رباه أشرق لروح منك منبثق
أما أنا فيك من بعض الخليات ..
حاولت ترويض عقلى فاندفعت به
فى مد حض زيق بالعبقريات
فخذ بكفى ، ولا تغضبك فلسفتى
وعدها لى من بعض الحماقات .

وهذا الذى قاله الشاعر حماقة لا ريب فيها ، ومن حق رب العالمين أن تغضبه تلك الفلسفة السمجة ، وأن يسخط على كل من يعتنقها ويروجها .

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق الى هذه الهاوية وينسب الى الحلاج قوله .

سبحان من أظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا
فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع الحلاج دمه ثمن هذا الحمق .

ولا أدرى كيف يقول مسلم ، بل كيف يقول عاقل بوحدة الوجود ، ان كان حقا يؤمن بالله ويصدق المرسلين ؟

لو كانت الارض لؤلؤا ومرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله ، فكيف وهى الى جانب ذلك حصى وبعر ، ولو كانت زهرا فهناك الشوك ، ولو كانت وفاء وأمانة فهناك الغدر والخيانة ..

ان الصاروخ المنطلق في مداره شيء غير الانسان الذى أطلقه ، كذلك العالم شيء غير الرب الذى أبدعه وسيره « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون » .

وأظننا أوضحنا بعد البون بين الاحاطة الالهية التى يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التى يتوهمها الخراصون ..

ثم ان العارفين بالله الشاهدين لقيوميته قد يستغرقون فى حالات من التأمل العميق تطول أو تقصر ، والاستغراق العقلى او النفسى فى امة ما ليس بدعا فى شئون الناس .

وقد يفجؤنى أحيانا أمر من الامور فأحشد له كل ما فى كيانى من انتباه الى أن أفرغ منه .

وللعلماء نوادر فى ذهولهم العلمى وغلبة بحوثهم على تصوارتهم .

وليس مستغربا أن يجتذب الحب الآلهي بعض أولى الالباب فيشغلهم عن ذاتهم ، وينتقل بهم من مآرب الارض الى أشواق السماء ..

الا أن هذه الاصول عوارض لا تصبغ الحياة الانسانية طولا وعرضا .. وهى بداهة لا تنال الا أصحاب السناء الفكرى والنفسى .

أى أنها شارات اكتمال ثقافى وعاطفى فلا يمكن أن يحسها أهل البلادة والقصور ، ان التألق طبيعة الشخصية المتقدة لا الشخصية المعتمة ..

ويبقى أن نتساءل . ما مدى هذا الاستغراق ؟ والجواب ان لحظات الانتباه الذهنى موقوتة بطبيعتها ، فما يزعمه البعض أنه مجذوب طول عمره الى الحضرة الالهية دعوى غير مسلمة .

نعم هناك الوف المؤمنين المتفانين فى مرضاة الله الراغبين اليه البانين حياتهم وفق مراده ، ولكن ذاك شأن غير ما نحن بصدده .

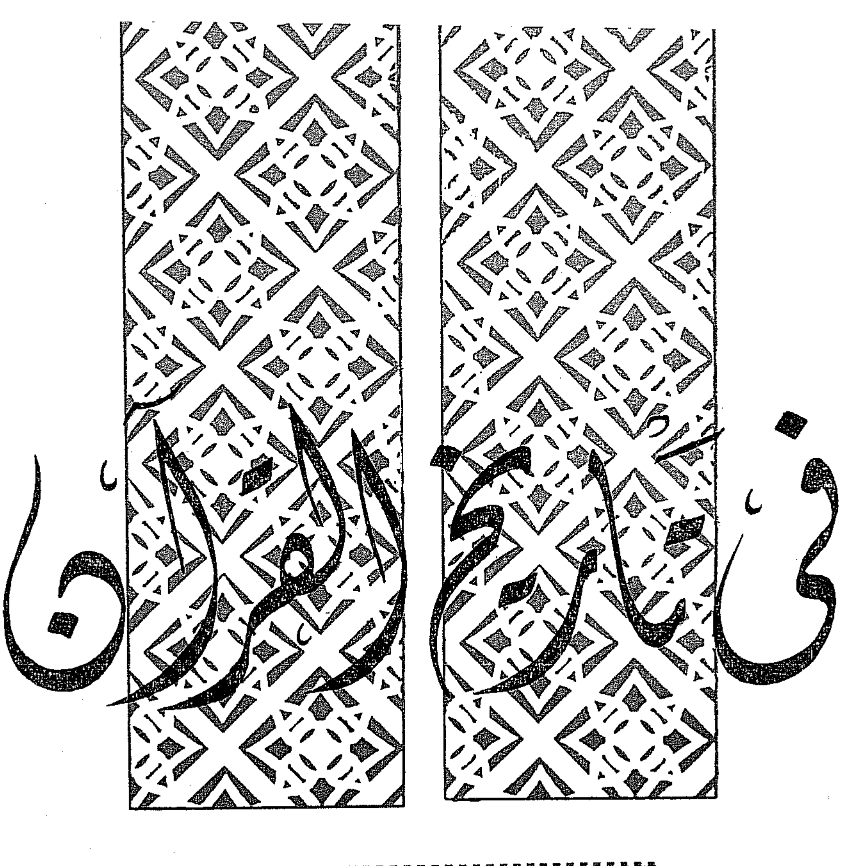
والمثال العلمى الاكمل للمعرفة التامة والاقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان انتباهه المشدود الى الله تبارك وتعالى ما أوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق ..

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهلين عن الوجود المادى ، نعدها نحن حالات مرضية لا أمارات صحة ...

فاذا انضم الى هذا الذهول ما يقال من فناء عن النفس أو فناء فى الله ، وما يضيفه الخيال المعتل فى مثل هذه الحالات من صور حلول أو اتحاد ، كل ذلك لا يمكن وصفه الا بأنه اختلال فى القوى المعنوية ، أو ضرب من الخيال ..

ان المتفانى فى عشق امرأة لا يحوله الهيام الى ضلع منها او جهاز فى بدنها ..

والايمان صراط مستقيم لا يتحمل ذرة من هذا الاعوجاج ....



بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

لا أحد يجهل تلك اللحظة الحاسمة فى تاريخ الانسانية ، لحظة تنزل جبريل الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فى غار حراء ، بالخيوط الاولى من شعاع القرآن ، وكانت بداية حملت الى الانسانيـة تخطيط مصـيرها على طريق الحضـارة ، التي يجب منذ الآن أن تسلك سبيل المعرفـة ، وأن يرتبط مصيرها بمدى ما تبلغـه عـن طريـق المعرفة من انتصارات على المجهول مـن أسرار الكـون . نـزل جبريل بالامـر العجيب ((اقرأ)) ، وكأنما كان يوجـه أمره الى الانسانية كلهـا ، فى شخص ذلك المتحنث فى غار حراء ، وكأنما كان هذا الامـر مفتاحا سلكته السـماء فى ضمير الانسانية ، فانفتحت لها مغاليق الكون ، وباح لها بأسراره . ومن يومها والدنيا منطلقة انطلاقا واعيا الى القراءة، فى حركة دائبة لا تهدأ ، لقـد استودع الله فى هذا الامر سر التقدم والحضارة ، وجسد فيه معنى الحياة .

واسـتمر الوحى يتنزل بعد هـذه البداية الرائعة ، آية آية ، ونجما نجما ، الى أن اكتمل الدين على مـدى ثلاثـة وعشرين عاما ، مختوما بتلك الخـاتمة ذات المغزى التاريخي . ((اذا جاء نصر الله والفتح.ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)) .

ولسنا بحاجة الى أن نصف كيفيـة

نزول الوحي ، فهي موصوفة في كثير من الاحاديث الصحاح ، وأشبعها علماؤنا تفسيرا ، وانما يشغلنا ابتداء ثلاث مشكلات ، لازمت الوحي على طول زمنه، وهي التي تأثر بها تاريخ القرآن في أكثر جوانبه .

المشكلات الثلاثة

وأولى هذه المشكلات . مشكلة الخط الذي استخدم في تسجيل الوحي .

وثانيها . مشكلة جمع ما تنزل من الوحي على عهد رسول الله أولا ، ثم في عهد الصحابة من بعده .

وثالثها . ما صاحب هذين الامرين من اعتماد على الذاكرة لحفظ النص عن ظهر قلب ، مخافة أن يتبدل أو يتغير .

فأما المشكلة الاولى فان لها جانبين ، أحدهما . ما يتعلق بتاريخ الخط العربي عموما ، وثانيهما . ما يتعلق بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم لرموز هذا الخط ، وبعبارة أخرى . أكان صلوات الله وسلامه عليه يعرف الكتابة والقراءة أم لا ؟

ولا بد لنا من تناول كلا هذين الجانبين بتفصيل علمي ، بعيد عن التهويمات التي تطلق في ثوب الفاظ مبهمة ، وعن الاقاويل التي تورط فيها المستشرقون ، وكل ما أرجوه من القارىء أن يصبر على تناول هذه المشكلة ، فلا يمل ما تحتوى من تفصيلات تبدو قليلة الأهمية ، فكل تفصيل في هذه المسائل ذو مغزى، ما دام قد ورد من طريق الثقات ، بصرف النظر عن دقته التاريخية .

الخط العربى وتاريخه

وتاريخ الخط العربى ، أعنى نشأته حيث نشأ ، ثم دخوله الى البيئة المكية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم — قد ورد في أخبار كثيرة طوال وقصار ، ونحن نورد بعضها هنا ، بحسب الترتيب الزمنى لمراجعها ، ليمكن ان نلحظ ما تنطوى عليه أحيانا من تناقض .

١ — فابن أبي داود السجستاني (المتوفي ٣١٦ هـ) يذكر لنا ثلاث روايات .

أ — ان المهاجرين تعلموه من الحيرة ، وان أهل الحيرة أخذوه عن أهل الانبار .

ب — أن رجلا يقال له بشر بن عبد الملك الكندى تعلمه من الانبار ، ثم وفد الى مكة في بعض شأنه فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، وعلم أباها حرب بن أمية ، وأخاها سفيان بن حرب صناعة الخط ، ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه كذلك عمر بن الخطاب وسائر قريش .

جـ — أن مرامر بن مرة ، وسلمة بن حرزة هم الذين (١) وضعوا هذا الكتاب (يقصد الكتابة) وهم من بولان، قوم من طيء ، كانوا يسكنون بقة (وهي قرية وراء الانبار) (٢) .

وهذه الروايات لا تختلف في المصدر الاول للخط ، وهو الانبار ، ولكنه يجمل وصف حركة انتقاله من الانبار الى الحيرة ، ثم الى المهاجرين في الخبر الاول،



(١) ننقل عن نص قديم ، ولذا نلتزم تعبيره حرفيا ، وله ولا شك وجه في الكلام .

(٢) كتاب المصاحف للسجستاني ١/٤ — ٥ .

ويفصل فى الخبرين الآخرين امر انشاء الخط فى الانبار ، أو امر انتقاله منها الى مكة .

فاذا تركنا السجستاني الى احد المؤرخين ، وهو الجهشياري (المتوفي ٣٣١ هـ) نجده يبعد كثيرا فى نشأة الخط العربى ، حيث ينقل رواية عن كعب الأحبار ان آدم عليه السلام قد وضع الكتاب السرياني قبل موته بثلاثمائة عام ، وروى ان ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم بعد آدم ، وروى أن أول من وضع الكتابة العربية اسماعيل بن ابراهيم ، ثم يعود ليروى مثل ما ورد لدى السجستاني مع تفصيلات أكثر (١) .

ويأتى ابن النديم (المتوفي ٣٨٥ هـ) فيستبعد ما قاله كعب الاحبار ، ويبرأ الى الله منه ، ربما لأنه أقرب الى الاسطورة منه الى النظر العلمي ، ولكنه يعود فيرجح أن الله انطق به اسماعيل فى سن الرابعة والعشرين ، وأن أبناء اسماعيل هم الذين وضعوه مفصلا فيما بعد (٢) .

وهكذا تتراوح روايات القدماء بين القول بالتوقيف من الله عز وجل ، علمه آدم ، أو أنه من صنع البشر سواء أكانت النشأة جماعية أم فردية .

المشكلة عند ابن خلدون

ولم يناقش أحد فى القديم هذه القضية مناقشة عقلية غير ابن خلدون (المتوفي ٨٠٨ هـ) ، وهو يربط وجود صناعة الخط وعدمها ، وجودة الخط ورداءته ، بقانون الحضارة والبداوة ، فيقول . ((وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها الى الحيرة ، لما كان بها من دولة آل المنذر ، نسباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش .. الخ (٣))) .

وابن خلدون فى هذا النص عالم لا يعنيه تحديد اشخاص ، انما هو يتتبع حركة الخط التاريخية من مركز الى مركز ، الى ان انتهت الى قريش ، بوساطة شخص معين أو غير معين ، فذلك كله ممكن . ولكن كلامه يدلنا على أنه يفترض للخط العربي الذى كان الحميري مرحلة من مراحلة تاريخا أبعد مما تصور السابقون عليه جميعا ، فلا شك على هذا ان نشأته كانت قبل دولة التبابعة ، وهي المعروفة فى التاريخ باسم ((الدولة الحميرية الثانية)) (حوالي عام ٣٠٠ – ٥٢٥م) .

وهذا الرأى لابن خلدون يبدو أنه هو الذى انتهى اليه مؤرخو أوربا ومستشرقوها ، فقد حدد المستشرق

---

(١) الوزراء والكتاب ص ١و٢ .
(٢) الفهرست ص ١٢/١٣ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٣ .

الفرنسي جان كانتينو بدء دخول الخط الآرامي الى بلاد العرب ببداية القرن الثالث الميلادى وهو ما فهمناه من حديث ابن خلدون السابق .
هذا عن دخول الخط من حيث هو صناعة الى جزيرة العرب .

الخط في البيئة المكية

أما دخوله الى البيئة المكية فلا ريب أنه كان متأخرا ، وبصورة فردية بداهة، بحيث كان انتشاره حتى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في حدود عدة نفر من قريش ، لا يتجاوزون خمسة عشر رجلا ، برغم أنه كان موجودا بالجزيرة قبل البعثة بحوالى أربعة قرون .

محاولة لاكتشاف الخط

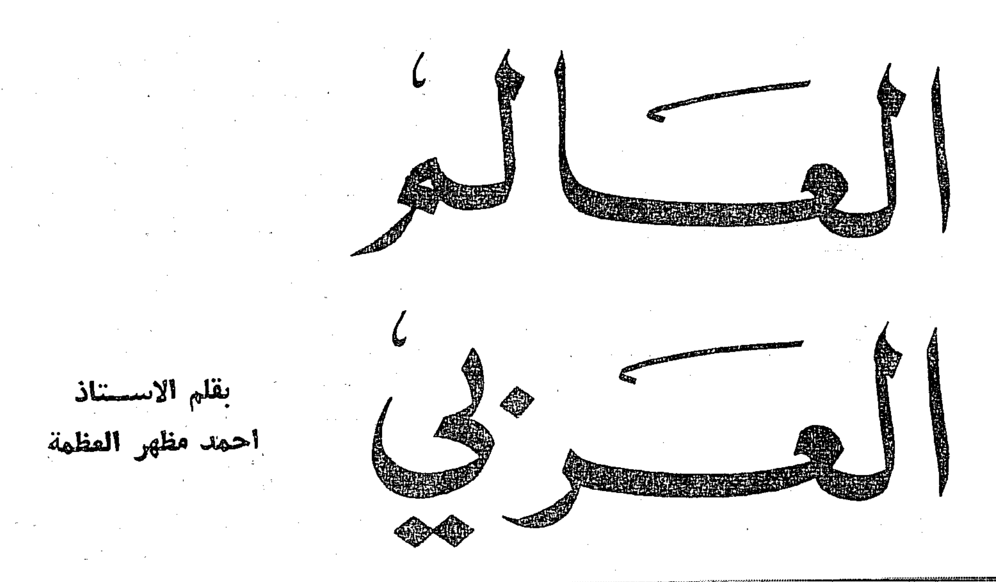
لقد حاول المؤرخون أن يتعرفوا ملامح هذا الخط الذى قبسه أهل الجزيرة العربية عن غيرهم من الأمم التي سبقتهم في مضمار الحضارة ، لكن الجزيرة لم تسعفهم بالدلائل والآثار ، لقد كان ضنها لسبب بدهي هو قلة عدد الكاتبين من العرب في الجاهلية ، وعدم انتشار فنون النحت والحفر في تلك البيئة في ذلك العهد البعيد ، فصوبوا جهدهم الى مجال آخر كانت الحضارة فيه مزدهرة ، هنالك في روابى الشام ، فوقع لهم كشف هام لنقش (اغريقى ــ سورى ــ عربى في بلدة زبيد ، مؤرخ بعام ٥١٢م) ونقش آخر (اغريقى ــ عربى) في حران، الى الجنوب الشرقي من دمشق (مؤرخ بعام ٥٦٨م) ، وهذان التاريخان سابقان على ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان مما لاحظوا في خطهما تماثل الرموز الدالة على حروف (ب ــ ت ــ ث ــ ن ــ ى) ، دون ان يميز بينها أى رمز اضافي ، كالاعجام مثلا ، كذلك لاحظوا وجود رموز للحركات الطويلة (أعني ألف المد وياءه وواوه) ، على حين عدمت الاشارة الى الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة ، والضمة) ، ويستخرجون من هذا أن صناعة الخط آنذاك كانت شبه بدائية ، فلم يكن قادرا على تمثيل حاجات الفكر أو الثقافة العقلية ، بل كان استعماله مقتصرا على عمليات البيع والشراء ، والتراسل البسيط .
ويستطرد المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير في معرض الحديث عن الخط العربي ليقرر أن الخط لم يكن وحده هو المستعار فحسب ، بل كانت ادوات الكتابة ذاتها مستعارة ايضا . ومن امثلة ذلك . لفظة « قلم » ، (وجمعها. أقلام) فهى مأخوذة اما عن اللفظة الاغريقية « قلموس » ، أو السريانية « قلوما » ولفظة . « قرطاس » وجمعها. (قراطيس) شبيهة بالكلمة الاغريقية (خرطيس) ، والسريانية (قرطيسا). وكلمة « لوح » (وجمعها . ألواح) ليست سوى الكلمة العبرية . (لوح) الواردة في سفر الهجرة . وكلمة «كتاب» (وجمعها . كتب) يغلب انها من الكلمة الآرامية (كتابا) والافعال . كتب وسطر ونسخ ــ ترجع كلها ايضا الى امثالها في العبرية او السريانية ، وقد جاءت هذه الالفاظ كلها في القرآن .

أهداف معلومة

والذين يسوقون هذه الاقوال يهدفون من ورائها الى تقرير « ان صناعة الخط الى جانب أنها لم تكن أصيلة في الجزيرة كانت هزيلة ، وانها عاشت على هامش الحياة العربية الى أن جاء الاسلام فأعلى من شأنها ، ولكنها خلفت قبل نضجها في وثائقه نقصها وهزالها ، وكل هذا من أجل القاء ظلال مهزوزة على عملية تسجيل القرآن الكريم » .

والواقع أن الخط ــ كما سبق أن قررنا ــ دخل الى الجزيرة قبل الاسلام بأربعة قرون ، وفرق بين الجزيرة من حيث هي بيئة مترامية الاطراف كثيرة القبائل والشعوب ، وبين مكة التي لم

البقية على ص ٦٥



العالم العربي في ماضيه وحاضره

بقلم الاستاذ
أحمد مظهر العظمة

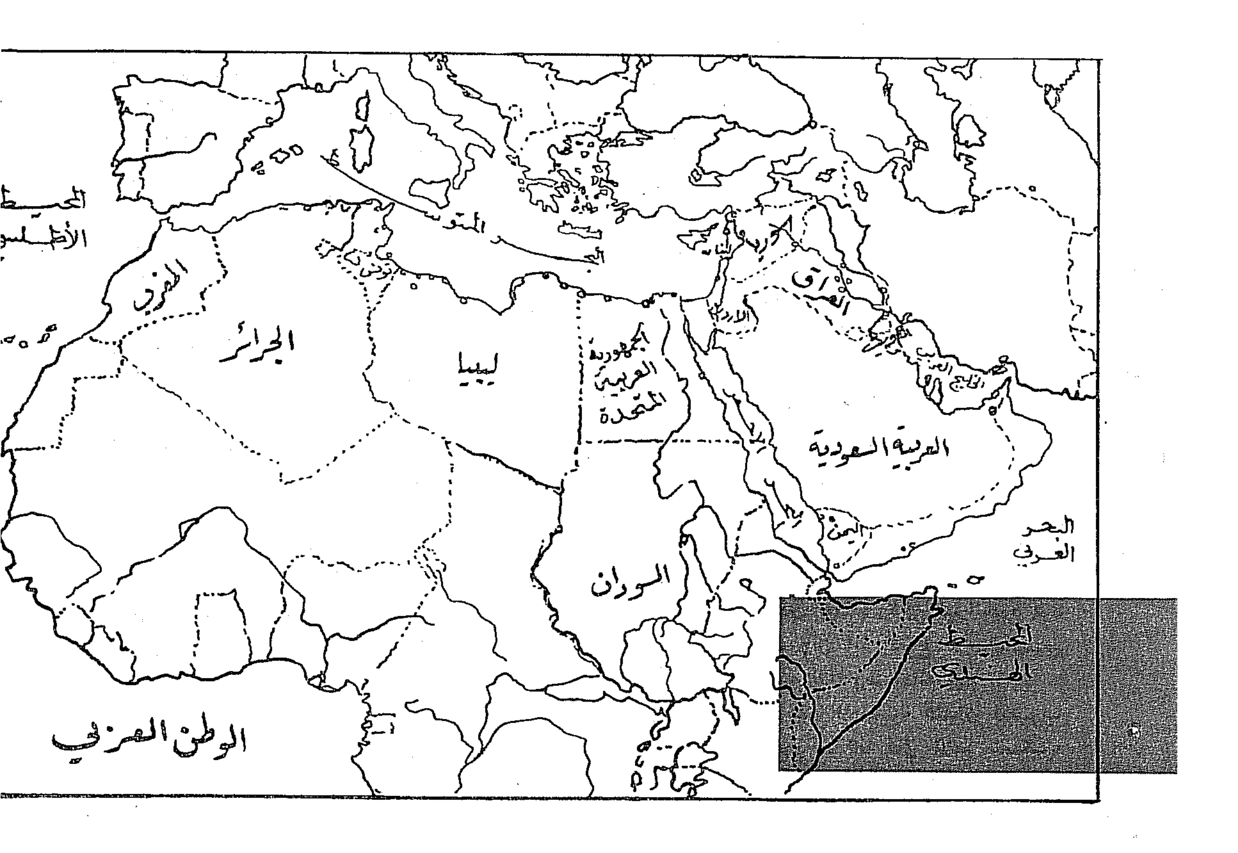
— ١ —

وطن العرب الاكبر الذى الف تجمعهم الاقليمى الاول والأشهر ، الذى استقروا فيه ، هو شبه جزيرة العرب «(١)» ، وقد ازداد هذا الوطن الرحب اتساعا بموطن الهلال الخصيب ، ووادى النيل ، وشمالى افريقية .

والعرب هم أحد الشعوب السامية «(٢)» ، وصفهم اديب العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى فقال : « وقد أصبحت بقاياهم الضاربة فى بوادى العربية ومصر وسورية لهذا العهد موضع العجب لاهل البحث من علماء الطبائع، **حتى أجمعوا على أنه لاند لهذا الجنس فى جميع** السلائل البشرية ، من حيث الصفات التى تتباين **فيها اجناس البشر خلقا وخلقا ، وحتى صرح بعضهم بأن هذه السلالة تسمو على سائر الاجيال ، بالنظر الى هيئة القحف وسعة**

(١) حددها العلامة الألوسي بأنها من بحر القلزم الى بحر البصرة ، ومن أقصى حجر باليمن الى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن فى دارهم ولا تدخل فيها الشام (بلوغ الارب فى معرفةأحوالالعرب ج ١ ص ١١) .

(٢) قال ابن خلدون « اتفق النسابون ونقلة المفسرين على ان ولد نوح الذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة . سام وحام ويافث ، وقد وقع ذكرهم فى التوراة ... فأما سام فمن ولده العرب على اختلافهم، وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين ... والخلاف بينهم انما هو فى تفاريع ذلك أو نسب غير العرب الى سام .. (تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٨ و ٩ ط ١٣٥٥) يشمل هذا الجنس البابليين والسريانيين والعبرانيين والفنيقيين والاراميين والحبشيين والسبئيين والعرب ، وان كان بين العلماء خلاف فى بعض من عددنا ساميا ، كما يختلفون فى الموطن الاصلي للجنس السامي قبل أن يتفرق ويتنوع .. (المفصل فى تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٨ للاساتذة أحمد الاسكندرى وزملائه) .



الدماغ وكثرة تلافيفه ، وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمى وقوام القلب ونظام نبضاته ، فضلا عما هى عليه من ملاحة السحنة وتناسب الاعضاء وحسن التقاطع ووضوح الملامح ، وفضلا عما فى طباعها من الكرم والانفة والاريحية وعزة النفس والشجاعة .

لا جرم كانوا اهل هذه اللغة المعجزة التى ناسبتهم باوضاعها فى معانى التركيب ، حتى كانما كتب لها أن تكون دين الالسنة الفطرى ، لتصلح بعد ذلك أن تكون لسان دين الفطرة ((1)) .

ثم قال . (مما لا يمترون فيه أن العربية كانت أبعد آفاق التاريخ التى أضاء فيها كوكب الحضارة المشرق ، وقد تحققوا ذلك بما اكتشفوه سنة ١٩٠١ للميلاد فى بلاد السوس من آثار دولة حمورابى ، وهى المسلة التى دونت عليها الشريعة البابلية فى ٢٨٢ نصا ، وما ثبت لهم من أن هذه الدولة عربية ، وهى تبتدىء سنة ٢٤٦٠ ق.م ، وبهذا الاكتشاف قضى للجنس العربى أنه أسبق الامم الى وضع الشرائع ، وأنه بلغ طبقة عالية فى الحضارة سقطت دونها الشعوب القديمة ، بل يذهب الاستاذ صموئيل لا ينج فى كتابه (أصل الامم) الى أن الساميين استوطنوا بلاد العرب ، وانهم حيثما وجدوا فى غيرها فهم غرباء : وأن تقدمهم فى الحضارة مفرق فى القدم ، ربما كان زمن تحول العصر الحجرى ، فتحولوا يومئذ عن الصيد والقنص الى الزراعة والصناعة ، وهو يشير بذلك الى الدولة المعينية التى جاء ذكرها فى سفر الاخبار الثانى ، الاصحاح ٢٦ عدد ٧ .

وقد عثر الباحثون على أمة بهذا الاسم ،ذكرت فى أقدم آثار بابل سنة ٣٧٥٠ ق.م على نصب من انصاب النقوش المسمارية ((2)) .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ١ ص ٣٤ يشير بذلك الى العناية الألهية التي أعدت اللغة العربية لتكون لغة الاسلام قرآنه وحديثه .

(٢) تاريخ آداب العرب ص ٣٧ .

ثم قال . « وبالجملة فان اصل العرب من أصول التاريخ الانسانى التى الحقها الله بغيبه ، فلا يجليها لوقتها الا هو ، وفوق كل ذى علم عليم . » ..

— ٢ —

لعل أظهر مزايا العرب بيانهم ، وبه سموا العرب (فانه مشتق من الابانة ، لقولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا أبان عنه ... والبيان سمتهم بين الامم .) «(١)» ومعلوم أن البيان ليس بضاعة لسان ، الا اذا كانت الكهربا ثمرة أسلاك ، فهو مكنون فكر وخاطر وجنان ... فاذا أضفت الى بيان العرب مالهم من ذكاء وبداهة وفراسة ، وما فى طباعهم من الكرم والعزة والاريحية والشجاعة ، فقد صورت قوما فى مقدمة الاقوام .

ولعل أسوأ مساوئهم فى جاهليتهم ما كانوا عليه من شرك ووثنية «(٢)» ، ومن عصبية عمياء . وشبه معذرتهم فى الاوليين أنهم لم يكونوا مكلفين بشريعة من الشرائع ... فقد كانوا بين اسماعيل ومحمد عليهما السلام فى فترة تزيد على ثلاثة آلاف سنة ، اذ أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانتا مختصتين ببنى اسرائيل «(٣)» .

قال سبحانه . « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » يس . (٦)

وقال تعالى . (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) آل عمران (١٥٤)

وقال سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر (٣) .

يعنون الاوثان الذين أشركوا بها .

أما العصبية الذميمة فهى تلك الحمية التى تكون من فرط الشعور بالانفة والاستكبار ، ومما جاء فى القرآن الكريم اشارة الى ذلك قوله تعالى . (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الفتح (٢٦) وفى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر : حين سب بلالا فعيره بأمه . (انك امرؤ فيك جاهلية ، أخوانكم خولكم ...) «(٤)» .

ووصف جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) للنجاشى ما كان عليه العرب مما يتصل بما قدمناه فقال . (كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..الخ) (٥) .

وقد أدت عصبيتهم القبلية الى معارك كثيرة بينهم ، أو أيام كما نعتها المؤرخون ، فعشرات من (الايام) كانت بين القحطانيين أنفسهم ، وبينهم وبين العدنانيين ، وبين ربيعة وتميم ، وبين قيس وكنانة ، وبين قيس وتميم ، وبين ضبة وغيرها . وروى صاحب (كشف الظنون) وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فى أيام العرب — كتابا صغيرا حوى خمسة وسبعين يوما ، واخر كبيرا جمع فيه ألفا ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الاصفهانى ألف كتابا جمع فيه ألفا وسبعمائة يوم (٦) .

وكان من آثار هذه العصبية فقدان العرب الاندلس ، ونكوصهم — كما قال الامير شكيب أرسلان رحمه الله — عن قلب أوربة بعد أن وطئوه بأقدامهم، وكادوا يستولون على تلكالقارة. وقد كانوا كلما تم لهم الظفر فى واقعة علىالاجانب، عادوا فاقتتلوا فيما بينهم بين قحطانى ومضرى ، ففشلوا وذهبت ريحهم (٧) .

واذ لم يكنللعرب دين يذكرهم الاستقامة الحقة، فلا عجب اذا كان فيهم مثل وأد البنات (لفرط غيرتهم) وشرب الخمرة ، ولعب الميسر ، والربا ، والزنى ، والامية (٨) ، واغفال الصناعة .

ولكن الذى ينبغى ألا يفوتنا التذكير به هو أن الاقوام الاخرى كانت لها حينئذ مساوىء لا تقل عما كان للعرب منها ، وكثيرا ما تربو عليها ، وان كثيرا من مآثر العرب لم تبلغها الشعوب الاخرى،

---

(١) بلوغ الأرب ج ١ ص ٨ .
(٢) راجع اديان العرب للاستاذ نعمان الجارم .
(٣) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٤) صحيح البخارى .
(٥) السير النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ وقد فصلنا الكلام فى العقلية العربية فى كتابنا (حضارتنا) ص ٤١ — ٥٠ .
(٦) أيام العرب فى الجاهلية للأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، صفحة ك .
(٧) ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون ص ١٦ .
(٨) ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٧١ أنه دخل الاسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا يكتب ، وقد أشرنا الى ذلك والى دعوة الاسلام التعليمية فى كتابنا (الثقافة العربية) ص ٧ — ١١ .

ولم تطمح ببصرها اليها ، وان تغافل عن ذلك الشعوبيون ، فتحاملوا على العرب حقدا ومكرا وثأرا ، لانهم خفضوا بالفتح الاسلامى العربى أعلامهم ، وأزالوا سلطانهم .

— ٣ —

ورث العرب بعض مواقعهم (فى جزيرتهم) وغنموا بعضها بعد استقرارهم بما بلغوه بهجراتهم (١) وبالفتح العربى الاسلامى المبين ، فتح الهداية والمعرفة والحضارة ، فأصبحت بيئاتهم تؤلف موطنا فذا فى جملته بقلب العالم القديم ، يمتد من حدود ايران والخليج العربى شرقا الى ساحل المحيط الاطلسى غربا ، ومن جبال طوروس على حدود تركيا شمالا الى بحر العرب ومنابع النيل والصحراء الكبرى جنوبا . هذا الوطن الغالى المترامى الاطراف تلتقى عنده قارات ثلاث هى اسيا وأوروبا وافريقية ،التى كان لكل منها دورها الخاص بتاريخ البشرية ،ويمتد من سواحله من الشام بحر قديم كان مهدا لكثير من مظاهر المدنية القديمة والحديثة هو البحر الابيض المتوسط ، الذى امتاز بهدوء مياهه ، وانتظام ريحه ، وانتشار جزره وكثرة تعاريج سواحله وخلجانه ، حيث قامت المرافىء والموانىء منذ أقدم العصور . كذلك يتوغل فى هذا الشرق العربى من الجنوب ذراعان للمحيط الهندى والبحر العربى ، هما البحر الاحمر والخليج العربى ..

والحق أن هذا الشرق العربى فى جنوب غربى اسيا وشمال شرقى افريقية قد لعب بموقعه الجغرافى دورا خطيرا فى تاريخ الاتصالات العالمية ، وتاريخ البشر بوجه عام ، وساعده على ذلك أنه كان مهدا لكثير من الحضارات القديمة فى مصر وبلاد الشام وسومر وبابل واشور وعمان وبلاد اليمن ، انشئت فيه عدة امبراطوريات امتد نفوذها وسلطانها الى الشرق أو الغرب أو الى الاثنين معا . وكان فوق ذلك مهبط الديانات السماوية الثلاث ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، ومبعث كثير من ألوان الفكر والثقافة العلمية التى بقيت على الزمن .

ولو أننا نظرنا الى تاريخ الانسانية المكتوب وحسبنا أنه يمتد خلال خمسة آلاف عام أو نحو ذلك ، لكان من الطريف أن نذكر أن هذا الاقليم الذى نحن بصدده — أو أجزاء منه على أقل تقدير — كان مركز القوة السياسية الاول ، ومبعث الثقافة والعلم والمعرفة الانسانية ، خلال ما يقارب ثلاثة ارباع تلك الفقرة .

ولو قيست أهمية أقاليم وجه الارض فى تاريخ البشر بطول الحقبة التى كانت فيها كل منها مركز السلطان ، ومبعث المعرفة ، لكانت لهذا الاقليم المكانة الاولى بين الاقاليم . ولعل من الخير والانصاف أن نتمثل هذه الحقيقة البسيطة أمام أعيننا ، حتى لا يضلنا تغيير الظروف والاحوال فى الوقت الحاضر والزمن الذى نعيش فيه فلا ندرك أهمية اقليمنا ، ولا نقدر مكانته العالمية على وجهها التاريخى الصحيح .) (٢)

أقاليم وشعب واحد

(تحجز بين البلاد العربية بعض الحواجز الطبيعية كالصحارى ، وذلك مما سبب انقسامها الى مناطق وأقاليم ، وهى .

١ — منطقة بلاد الشام ، وتشتمل اليوم على سورية ولبنان والاردن وفلسطين .

٢ — منطقة العراق .

٣ — الجزيرة العربية ، وتشتمل على المملكة العربية السعودية (نجد والحجاز) واليمن وامارات الجنوب العربى والكويت وقطر والبحرين وعمان .

٤ — وادى النيل ، ويشتمل على مصر والسودان .

٥ — المغرب العربى ، ويشتمل على ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية .

وللبلاد العربية فوق هذا امتدادات فى جنوب المغرب العربي وجنوب السودان وعلى سواحل افريقية الشرقية .

ولكن هذه المناطق والاقاليم على تعددها وتنوعها يسكنها شعب يشترك فى جميع مقوماته الاساسية

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى (الوطن العربى) للأستاذ أنور الرفاعى ص ١٦ — ٢٠ وتاريخ غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان .

(٢) العالم العربى لجماعة من الباحثين ص ١٤٢ — ١٤٣ من كلمة فى الجامعة العربية وأسسها الجغرافية والتاريخية .

فى الحياة ، وليس الاختلاف بينها باكثر من الاختلاف بين اقاليم البلاد الاخرى ، ومناطقها فى تنوع اللهجة اللغوية وبعض عاداتها فى اللباس والطعام وغيرها ، فى حين ان عناصر الاشتراك والتقارب لها غلبة واضحة .. (١) .

(وتمتد رقعة الوطن العربى على مسافة تبلغ اثنى عشر مليونا من الكيلومترات المربعة ، مقسمة الى ٥ر٣ مليون كم٢ فى آسيا و ٥ر٨ مليون كم٢ فى افريقيا ، فهو أوسع من القارة الاوربية جميعها .) (٢)

(ويبلغ العرب اليوم (٨٥ مليون نسمة)... فتبلغ الكثافة العامة ٧ نسمة فى الكيلومتر المربع ، وهى كثافة منخفضة) . (٣)

— ٤ —

من هو العربى

ولا جرم أن من المنطق (اعتبار) كل من يسكن هذه البلاد ويتكلم العربية ويشعر شعور أهلها الصادق عربيا ، كما أن من المنطق أن يعتبر عربيا من لم يسكن بلاد العرب ما دام من المحافظين على النسب العربى وما اليه .

أما اشتراط الجنس نسبا فى المقيمين فى بلاد العرب — كما يفعل علماء الالمان فى تمييز بنى جلدتهم — فهو من الصعوبة بمكان . هذا مع اعترافنا بان لاصالة الجنس خصائص معينة ، لاننا نجزم بان المواطن يعوض عن ذلك بالشعور الذى يحصل عليه بالثقافة والمخالطة ووحى اللغة ، ولكل لغة وحى خاص بمفرداتها وطرق التاليف بينها والتعبير بها ، ثم بتراثها .

لهذا جنح العلماء الامريكيون الى أن أهم دعامة تقوم عليها القومية هى اللغة والثقافة والشعور المشترك ، ولم يذهبوا مذهب علماء الالمان — لملابسات خاصة بهؤلاء — فى جعل أهم دعامة للقومية وحدة الاصل والجنس (٤) .

ونذكر بهذه المناسبة بما يردده علماء الاجتماع من أن سلوك الفرد ناتج مما يتعلمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فهو الذى يوجه سلوكه ويطبعه بطابع خاص يميزه من غيره ، فاذا لم يتح له عامل أقوى منه تأثيرا ثبت على ما اخذه عنه ، فالمرء يكتسب من مجتمعه اللغة والدين والعادات والعواطف والافكار السائدة ، ولو أن عربيا نسبا ودما ولد فى مجتمع أجنبى وترعرع وشب فيه ، لكاد أن يكون غريب اللسان عن العروبة وغريب العقيدة والتفكير والعاطفة والعادة والهدف ، الا اذا أتيح له من يتعهد عروبته وما اليها بما هو ضرورى لها .

الثقافة بدل الجنس

والاسلام الذى صار اليه أكثر العرب ثقافة شاملة فى جملته ، اذ لم يدع ناحية من نواحى الظاهر والباطن الا تولتها ثقافته ووجهتها وتعهدتها ، فتعهدت بذلك الانسانية كما يجب أن تكون ، فاذا تأثر بذلك متأثر كما ينبغى ، فقد بلغ ما هو مرجح ألف مرة ومرة على الهام الجنس وحده .

فاذا اجتمع للمرء الحسنيان . أصالة النسب وأصالة الهداية ، فقد بلغ مستوى رفيعا من الخصائص الطيبة والانسانية الصادقة وسلوكها المثالي ، واية ذلك الجيل العربى الاول الذى تعهده الاسلام فعاش فى حماه مستتما نعمة الله بالشكر ، وكان له المجد على طرف الثمام ، ففتح أبواب الامم ، وضرب آباط الامور ومغابنها ، واستشف ضمائرها وبواطنها ، وبنى مالم تستطعه الاوائل ، وما تفاخر به الاواخر ، وهذا الجيل فى مراتب الكفاية والشرف على تفاوت ، لذلك جاء فى الحديث الشريف . (الناس تبع لقريش فى الخير والشر (. قال النووى معناه فى الاسلام والجاهلية — كما صرح به فى الرواية الاخرى — لانهم كانوا فى الجاهلية رؤساء العرب ، وأصحاب حرم الله تعالى ، وأهل حج بيت الله ، وكانت العرب تنتظر اسلامهم ، فلما أسلموا وفتحت مكة جاءت وجوه العرب من كل جهة ، ودخل

---

(١) الامة والعوامل المكونة لها للأستاذ محمد المبارك ص ٨ و ٩ .

(٢) الوطن العربى ص ٩ .

(٣) جغرافية الوطن العربى والجمهورية العربية السورية للأستاذ صلاح الدين السفرجلانى ص ٦ (آلة ناسخة) .

(٤) حول القومية العربية للدكتور جابر العمر ص١٠ .

الناس فى دين الله افواجا . وكذلك فى الاسلام هم اصحاب الخلافة والناس لهم تبع (١) .

— ٥ —

قدماء ومحدثون

نعود الى بداية ما نحن بسبيله ، فنذكر (٢) بان الأمة العربية منها القدماء ومنها المحدثون . فالعرب القدماء ثلاث طبقات .

أولاها العرب البائدة وهؤلاء لم يصل الينا شيء صحيح من أخبارهم الا ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم والا ماجاء فى الحديث النبوى ، ومن أشهر قبائلهم .

طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعمليق ، وعبد ضخم .

ثانيتها العرب العاربة — وهم بنو قحطان الذين جلوا عن سقى الفرات واختاروا اليمن منازل لهم، وامتزجت لغتهم بلغة سابقيهم ، ثم انتشرت فى انحاء الجزيـــرة ، ومن أمهات قبائلهم كهـــلان وحمير ...

وثالثتها العرب المستعربة — وهم بنو اسماعيل الطارئون على القحطانيين ، والمتزجون بهم لغـة ونسبا ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم ربيعة ، ومضر ، واياد ، وأنمار (٣) .

والعرب المحدثون . هم سلائل هؤلاء الأقـوام المتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الاسلام فى بقاع الأرض ... ويتكلمون بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصيحة التي يتعرفونها بالتعلم .

— ٦ —

العالم العربى الآن

هذا العالم الذى تحدثنا عن مهده ونسبـــه ولغته وخطورته .... عانى أزمات مادية وروحية وفكرية وأدبية واجتماعية واقتصادية ، ولا يزال يعانى الكثير من هذه الأزمات ، ويرجى أن تصلح شؤونه بتشبثه بمقومات تراثه الشامخ واغتنامه كل صالح مشروع من نهضات الأمم السابقة فى أمور دنياها ، وتعاونه وأقطار العروبة والاسلام على هدى وبصيرة وأحكام .

ومما نحمد الله عليه أن أكثر أقطار العروبة تنعم الآن باستقلالها ، وان كان هذا الاستقلال درجات قوة وضعفا ، تقيدا وانطلاقا ، وأنها توالى جهادها فى سبيل استكمال حريتها (٤) ، ولقد قوى استقلال الجـــزائر التي ضربت أروع الأمثال فى الجهاد والنضال حتى بلغت نعمـــة الاستقلال — آمال المجاهدين العرب ، ليتابعوا جهادهم ونضالهم ، ويبلغوا حريتهم واستقلالهم ، وفى مقدمتهم أحرار فلسطين وعمان والجنوب العربي .

الجامعة العربية

وقد غدا التعاون العربى منذ عشريـن عامـا عمليا — الى حد ما — ماديا ومعنويا ، ففى عام ١٩٤٥ قامت الجامعة العربية التي نص ميثاقها على (توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها) .

ولقد كان هذا التعاون فى مجالات السياســة والثقافة والاقتصاد — وان اكتنفته بعض الشوائب — فاثمر مزية الوجود الدولى للسياسة العربية ، اذ برزت فيه (الكتلــة العربية) ، وكان لهـا نضالها فى السياسة الدولية ، قويا أو ضـعيفا تبعا لدرجة سلامة الجامعة من التأثـر الخارجي ومؤتمراته ومؤامراته ومحاولاته وأحلافه وتضامن اعضائها فى سياستها الخارجية الموحدة ، ونشدانها

---

(١) فى كتاب تاريخ الأدب العربى تبيان لرجحان لغة قريش .. ومعلوم أن اللغة مرآة العقلية والكفاية .. أما الحديث الذى أوردناه فقد نقله العلامة المناوى فى فيض القدير ج ٦ ص ٢٩٤ ونقل ما ذكره الامام النووى فى شرحه وبين المناوى أن الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده والامام مسلم فى صحيحه عن جابر .

(٢) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه للأستاذين الاسكندرى والعنانى ص ٥ و ٦ .

(٣) من تعليقات الأمير شكيب أرسلان المتعة جدا على ما ذكره ابن خلدون فى الجزء الأول من كتابه ، بحث مستفيض فى الانساب العربية من ص ٣ — ٢٢ (من ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون) .

(٤) راجع تاريخ اليقظة القومية للأستاذ أمين سعيد .

المصلحة العربية الخالصة مصورة بالحرص على الحرية والسلام الخاص والعام .

ولا اخال الاستعمار مهما بلغ حقده وتآمره ، يقوى بعد أن تضامن العرب الآن تقريبا - على مثل ما قوى عليه حين ضمن الوطن الصهيوني فى فلسطين العربية ، التي هبت ثورتها وحيدة عام ١٩٣٦ لتناهض الصهيونية والاستعمار بكل ما أوتيت من قوة ، فكانت هذه الثورة حقا عنصرا هاما فى لفت أنظار العرب الى الخطر المحدق بهم ، والى ضرورة تعاونهم وتضامنهم ، والى وجود رابطة عربية فعلا - كما قدمنا - فكانت الجامعة العربية التي عنى ميثاقها بفلسطين ، اذ كان له ملحق خاص بها ، نص على استقلالها شرعيا وعلى اشتراكها فى مجلس الجامعة عمليا .

ولست أعنى أن الجامعة العربية مبرأة من كل تقصير سياسيا وثقافيا (١) واجتماعيا .. ولكنى أعنى الاشارة الى فضلها فى جملته ، والاشادة بآثارها على علاتها ، ولسنا الان بصدد تبيان الاخطاء وأسبابها .

وقد التقى العرب أخيرا وكثيرا فى مؤتمرات سياسية وثقافية واقتصادية ، وكانت لقاءات على مستوى عال فى عدد من عواصم ، ويرجى - على ما كان فى بعضها - أن تتخلص الأمور تدريجيا من انحرافاتها وتسير الى هداية وعزة بوحى تاريخنا المشترك ونضالنا ووعينا الصحيح الشامل ، معنويا وماديا .

واذكر بان الرابطتين الاسلامية والعربية المؤمنة، هما دائما على وفاق وانسجام ، على أن تتسع النظرة وتوحد الغاية ويتعاون أنصار الرابطتين على بصيرة ووعى ، ولمصالح العالمين الاسلامي والعربى وسعادتهما ، ثم لسعادة الانسانية جمعاء.

ولا ينكر كل مسلم الا من كان طامس القلب لا يعى ان فى العروبة طاقات غذاها الاسلام ، وكفايات نماها وزودها بكل ما ينبغي لها ، وأنه حبا العرب - الذين كانوا شعب الاسلام الأول - كل أسباب النهوض الصحيح والتقدم الرشيد ، فانتقل العرب بذلك من وجودهم القبلى وعصبيتهم العمياء الى وجودهم الانساني وجود التعارف والتآلف والتعليم والتوجيه ، فكان الاسلام الذى تنزل كتابه عربيا مبينا على الرسول العربي صلى الله عليه وسلم تعبيرا صادقا عميقا عن انسانيتهم الرفيعة ، وآمالهم الصادقة ، فحبوا البشرية - بفتحهم الانساني ومجدهم المثالى - ، محبتهم القلبية ، وهدايتهم السماوية .

تضامن الهداية والعروبة

فانظر تضامن الهداية والعروبة الحقة فى قوله تعالى . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » الرعد (٣٧) .

وانظر الى ترداد هذا المعنى وتوكيده بمثل قوله تعالى . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . الشعراء - ١٩٣ - ١٩٦ .

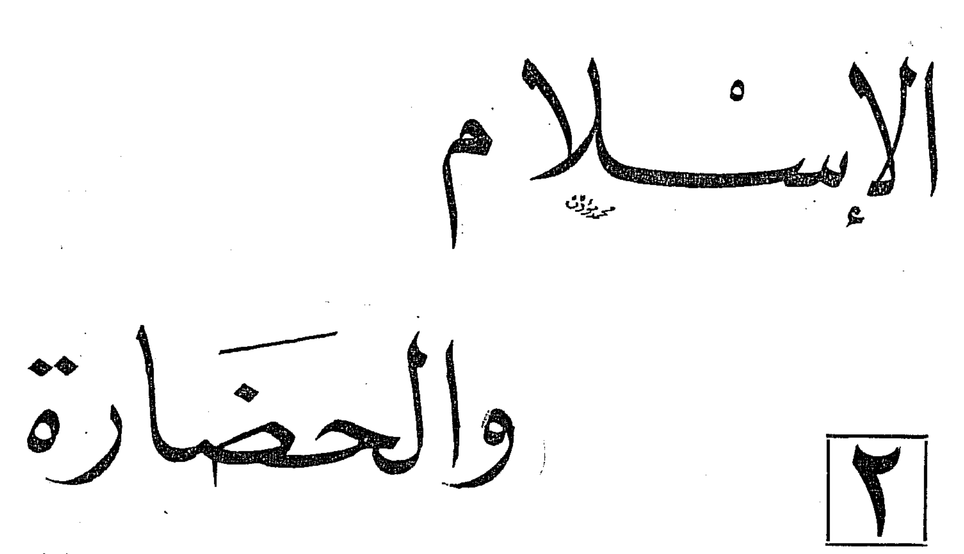
وانظر الى الانسانية الشاملة أو التقاء القوميات تحت راية التقوى فى هذا الكتاب العربي المبين ، وذلك فى قوله تعالى . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » الحجرات - ١٣ .

بذلك ونحوه طرقت فتوح العرب أبواب الدنيا ، وانقذت مبادىء دينهم شعوب الارض ، وأظلت حضارتهم الاسلامية العربية الأمم ، وهذا بعض معانى قوله تعالى . (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) الأنبياء - ١٠ .

كان هذا الكتاب تذكيرا للعرب - وغيرهم - ، اذ نبه ووجه ورغب وحذر ، وكان ذكرا اذلم يجهل العرب بعده أحد ، بعد أن صار هذا الكتاب دعوتهم المنيرة ، وحياتهم الرشيدة ، ومجدهم الباذخ ، وشرفهم الرفيع ، ولولاه ما حلوا بطائل ، ولا حظوا بنائل ، وكلما غفلوا عنه أطبقت عليهم حنادس الظلام ، وطمت عليهم الفتن العمياء ، وتجهمتهم الأمور السود ، ونزلت بهم النوازل والعظائم ، فأصابتهم جفوة المجد ، وحل فيهم ضعف السلطان أو زواله ، فيستعقبون من أمرهم الندامة ، ولا معقب لحكم الله . والله تعالى يقول . (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق - ٣٧ .

---

(١) انظر (فى وكر الهدامين) للاستاذ الدكتور محمد محمد حسين .



للدكتور مازن مبارك
الاستاذ بجامعة الرياض

نظرة الاسلام الى الانسان

ليس الصراع الذى يدور اليوم بين دول العالم والذى تستعمل فيه أنواع الأسلحة ووسائل القوة الا صورة ظاهرية للصراع الحقيقي بين أفكار تلك الدول ومعتقداتها ، وذلك لأن كل عمل من الأعمال هو فى حقيقته تجسيم لفكرة من الأفكار ينبثق عنها ويصدر بوحي منها ، وما أسهل أن نعلل كل تصرف ونحكم على كل عمل ونحدد اتجاهه اذا عرفنا الفكرة الدافعة اليه والأساس الاعتقادى الذى صدر عنه ذلك العمل . اذا كنا نعجب للوهلة الأولى من التناقص الشديد بين عملين ، تقوم أمة فى احدهما بتقديس البقر مثلا وعبادته ، وتقوم أمة أخرى فى ثانيهما بنحر البقر ... فما أسرع زوال دهشتنا اذا عرفنا الفكرتين الأساسيتين اللتين انبعث عنهما العملان ، فكرة التقديس التي انبعثت عنها عبادة البقر عند الهندوس ، وفكرة الأضحية التي انبعثت عنها اراقة دماء الاضاحي عند المسلمين . ان ما بين العملين من الاختلاف صورة ظاهرة لما بين المعتقدين من التباين ، والى هذا الاختلاف فى المذاهب والافكار يرجع اختلاف الدول فيما بينها فى نظم السياسة والاقتصاد ومناهج التربية والتعليم اذ تصوغ كل منها فى كل ميدان من ميادين الحياة ما يتناسب مع مذهبها ويلائم عقيدتها .

فما هي نظرة الاسلام العامة الى الوجود ؟ الى الانسان والى الكون (١) وما هى صفاتها العامة ؟ وهل هي صفات ملائمة للتطور صالحة لبناء الحضارة ؟ .

ان نظرة الاسلام العامة الى الكون وما فيه من مخلوقات هى فى الاسلام منطلق كل تشريع وأساس كل نظام ، وعلينا أن نقف عندها مستعرضين دارسين .

---

(٢) انظر « نظرة الاسلام العامة الى الوجود وأثرها فى الحضارة » للاستاذ محمد المبارك .

كان العالم قبل الاسلام ينظر الى الكون نظرة فيها الكثير من الاوهام والخرافات ، وفيها الكثير من الغموض والنقص ، كان بين الامم من آمن بآلهة كثيرين .. وكان هناك من آمن باله أو آلهة ايمانا يشوبه الشرك وتختلط فيه عبادة الله بعبادة الاصنام التي هي على زعمهم انما تقرب الى الله زلفى .. وكان هناك من آمن بالكواكب وسجد للشمس والقمر .. وكان بين الناس من آمن بغير ذلك من أرواح شريرة تسيطر على العالم ، او أشباح ذات أجنحة نسمع حفيفها عند هبوب الريح .. وكان بينهم من آمن باليهودية ومن آمن بالنصرانية .

ولما جاء الاسلام كان أول من أعطى عن الحياة والكون والمخلوقات فكرة عامة غير ناقصة ، واضحة غير مبهمة ، معقولة لا أثر فيها للوهم او الخرافة، فلقد ازاح الاسلام الستار عن حقيقة الخلق وكشف القرآن الستر عن حقيقة « الانسان » فى مصدره ومنشئه ومادة خلقه : وتحدث عن مراحل نموه وتطوره .. انه من صنع الله الخالق العظيم الذى خلقه وخلق جميع ما يدب على الارض (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع) (١) وأما المادة التى خلق منها الانسان فهي الطين والماء (وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه) (٢) . وأما مراحل خلقه من كونه طينا الى كونه بشرا سويا فهي واضحة التصوير فى القرآن (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين (٣) وقد عددها مرة أخرى فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ...) (٤) .

وليس لهذا الاصل الترابى أو لذاك الماء المهين اثر فى كرامة الانسان أو الحط من قيمته ، فهو مخلوق مكرم مفضل على غيره (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٥) بل لقد امر الله ملائكته بالسجود لهذا المخلوق الكريم (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٦) وقرر القرآن وحدة المنشا حين اعلن ان البشر جميعا من اصل واحد سواء فى ذلك قديمهم وحديثهم ، (يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٧) ذكرهم وانثاهم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..) (٨) ابيضهم وأسودهم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين) (٩) .

لقد كانت هذه النظرة الى الانسان نظرة جديدة تطالع العالم لاول مرة بعد أن كثرت ضلالات الامم فزعم بعضها ان الانسان نوعان: بشر وبربر ... وزعم بعضها ان الانسان جنس واحد هو الذكور فقط ..

---

(١) سورة النور ٤٥ (٢) سورة السجدة ٧ — ٩ (٣) سورة المؤمنين ١٢ — ١٤
(٤) سورة الحج ٥ (٥) سورة الاسراء ٧٠ (٦) سورة ص ٧١ (٧) سورة البقرة ٢١
(٨) سورة النساء ١ (٩) سورة الروم ٢٢

ولعل أجدر ما ينبغى أن نقف عنده فى نظرة الاسلام الى الانسان ، بعد تقريره لوحدة المنشأ ومراحل الخلق واطوار النمو هو هذه الواقعية التى تتصف بها نظرته ، وهي واقعية ذات أثر بعيد فى بناء الحضارة الانسانية وعمارة الكون ، لقد نظر الاسلام الى الانسان فى واقعه البشرى فقرر أنه ليس ملكا طاهرا مصفى، ولا شيطانا كله رجس ونس، وانما هو — تمشيا مع خلقه الترابى الروحي — من لحم ودم وعاطفة وشعور ، وحب وشهوة ، ومن عقل وارادة وروح ، وهو يتمتع بما وهبه الخالق من سمع وبصر وفؤاد تمتعا لا ضرر فيه ولا ضرار، اذ أنه مسؤول عن حواسه (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (١) .

ان القرآن اذا وصف الانسان وصفه على حقيقته البشرية وعدد ما يرغب فيه بطبيعته من نساء واموال وبنين وما تزينه له شهوته وما توسوس به نفسه (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث...)(٢) وما دام الاسلام يعترف بما جبلت عليه طبيعة الانسان من شهوة وحب لتلك المتع فلن يكون فيه ما يصدم الطبع ، وان كان فيه ما يهذبه ، ولن يكون فيه ما يعارض الفطرة وان كان فيه ما يسمو بها . ومن هذا الموقف المتوسط بين الاعتراف بغرائز الانسان ، وعدم الاسراف بتقريرها ، واطلاق العنان لها ، يستمد الاسلام حلا لمشاكل الانسان الغريزية وذلك بايجاد متنفس يحقق الانسان رغبته عن طريقه بصورة معقولة . واعترافا من الاسلام بهذه الغرائز الفطرية فقد نهى عن الرهبانية ، لانها كبت يعارض الفطرة واباح حق التملك لانه من اصل الفطرة .

لقد كان لهذا الموقف الاسلامي المعقول من غرائز الانسان أثره البعيد فى النفس الانسانية التى قدم الاسلام لها نماذج انسانية رائعة ، وصل اصحابها الى درجة رفيعة من السمو النفسي والكمال الانسانى . لقد أعطت تلك النماذج الانسانية الاسلامية أكبر برهان على ان تحقيق الرغبة والتنفيس عن الغرائز بشكل معقول هو خير وسيلة لئلا يفكر الانسان بها ، ولان يلتفت الى الرقى بنفسه ، والسمو بروحه ، ليحقق رسالة السماء فى الارض وليصبح أهلا لحمل الامانة الثقيلة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .

على ان الاسلام الذى اعترف للانسان بغرائزه ، لم يتركه حرا يغرق وراء شهواته فى بحار المتعة وانما حدد له الطريق ، ورسم له المعالم ، ووضع القيود ، ثم أيقظ فى الانسان ضميره وجعله وازعا نفسيا شديد الوطأة ، بل أقامه حارسا أمينا حازما ، وهو ضمير طالما دفع بالمسلم الى العمل ، وطالما جنبه الاثم ، وطالما ارقه الليل ، وشدد عليه الحساب .. فكان لعمرى أقوى فى نفس المسلم من اى حافز ، وأوقع من اى قانون ، وأحزم من اى محكمة .

وكما نظر الاسلام الى الانسان فى نفسه، نظر اليه فى مجتمعه ، فقرر أن الانسان عضو فى المجتمع الانسانى ، وانه لا تفاضل بين أبناء هذا المجتمع المتساوين فى المنشأ والمصير بسبب من أسباب النسب أو الثروة او اللون ، وانما يكون التفاضل بينهم بالعمل الصالح ، والعمل الصالح من مستلزمات الاسلام ، وهو مقرون فى القرآن بالايمان .

وهكذا ارتفع الاسلام بالانسان فوق شهواته جميعها بعد الاعتراف بها ، وبمشروعية تحقيقها ، كما ارتفع به فوق العصبيات القبلية والقومية، وربطه بعالم الانسانية الواسع غارسا فى نفسه أنه رسول خير وعدالة وهدى الى الناس كافة، وأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ...

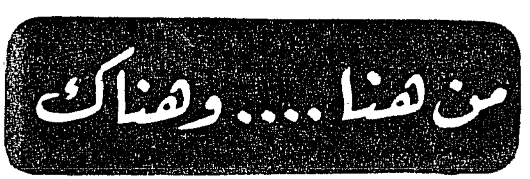
للبحث صلة

---

(١) سورة الاسراء ٣٦

(٢) سورة آل عمران ١٤





يكتبها الشيخ ع.النمر

شــكر وانصاف

كتبت فى العدد الماضى متأسفا لمنع دخول المجلةلسوريا الشقيقة كما تحدثت عن المجلات الخليعــة وخطرها ، ثم كانت لى بعد ذلك رحلة للبلاد العربيةومنها سوريا ... وسألنى كثيرون عن المجلة .... ودار الحديث مع كثيرين عن منعها .. وكانوا يدهشونويتألمون ، ثم كانت لى جلسة فى مصيف ((بلودان)) مع الاستاذ زكى الارسوزى أحد كبار المفكرين الذينلهم تأثيرهم وتقديرهم لدى رجال الحكم فى سوريا ، وجرى الحديث بيننا الى المجلة فتعجب هو الآخر منمنعها بعد أن اطلع على بعض أعداد ، وأكد لى أن لا بد من سوء فهم لوضعها .. وتعهد ببحث موضوعها.. ومع أننى كنت حريصا على أن أوفر لنفس قسطها من الراحة والاستجمام الا أن حرصى الآخر على أنيقرأ اخواننا السوريون المجلة جعلنى أتابع هـــذا الموضوع الى نهايته .

فكان لى لقاء آخر مع الاستاذ صابر فلحوط ـ مدير الرقابة بوزارة الاعلام ـ اطلع خلاله على بعض أعداد من المجلة كانت معى .. وحدثته عن آثار منعمثل هذه المجلة الهادفة البناءة فى الوقت الذى تفتح فيه الابواب لسيل المجلات الهادمة للاخلاق والروح بماتنشره من صور عارية فى أوضاع شاذة ، ومن كلام تافه وآخر جنسى يحطم روح الامة ، ويزلزل قوتها ، فى وقتنقف فيه جميعا على خط النار متأهبين .. وكان رجلا متفتحا متجاوبا فأسرع يقول لى لقد منعت كل هذهالمجلات ومد يده الى احداها وأرانى صورا فى غاية الشذوذ .. ثم قال لقد منعنا أيضا الاستعراضاتالراقصة التى تقدم فى دور السينما قبل عرض الافلام، محافظة على روح الشباب والشابات وأخلاقهم ..فهنأته على هذه الخطوة .. ثم قلت له . اذن نحـــن متفقون فى هدف المحافظة على أخلاق الشباب وتربيتهمتربية سليمة ثم تواعدنا على اللقاء ثانى يوم .. وقد حرصت على أن أؤكد له اننى أحدثه ـ بعيدا عـنالرسميات ـ حديث معنى بمصير هذه الامة ، وبحسن توجيهها وجهة تتفق مع دينها وتقاليدها ، والاسسالثابتة التى لا تقوم نهضتها الا على أعمدتها .

وفى الموعد المحدد تلاقينا .. واستقبلنى بحيويتهوبشاشته ـ وهو أديب وشاعر كما قيل لى ـ وقال ((لقد انتهى الامر)) وعلى الرحبوالسعة تدخل المجلة.البلد بلدها .. وان كانت ستخضع للرقابة كبقيــة المجلاتالتى تدخل عندنا.لقد كنا نظن أن لها خطا آخرتسير فيه،وشد على يدى وهنانى على المستوى الرفيع الذى تصدر به ، وعلى خطتها البعيدة عن الدخول فىالخلافات بين رجال العرب ...

فشكرته بدورى على تحيته ، وكررت له تهنئتىبموقفه من المجلات الخليعة . ورجوت أن يكون هذا هو موقف الرقابة فى جميع البلاد الاسلامية محافظة علىأخلاق النشء فيها ، وصيانة لدورها التاريخى المنتظر فى محو العار الذى لحق منذ أن استقر الافاكون فىقلبهــا ..

وقد علمت بعد ذلك من الشركة العربية للتوزيعفى بيروت أن الرقابة فى العراق أيضا منعت دخول هذه

المجلات فقلت . والبقية تأتى ان شاء الله ، فليست البلاد الاسلامية الاخرى بأقل فطنة أو غيرة على دينها ومصيرها من البلاد التى منعتها ..

لماذا ؟

حرصت على أن اقضى بعض الوقت فى ربوع لبنان كذلك اتعرف عليها . وحرصت أكثر على أن يكون قضاء هذا الوقت فى منطقة محافظة بعيدا عن الضجيج وغيره .. فأشار على الاصدقاء بالذهاب الى « سير » شمال لبنان وعملت بمشورتهم وأنا أكتب هذا فى حديقة فندق سير أو « سير بلاس أوتيل » بعد أن قضيت وقتا فى جلسة فكرية طيبة مع سماحة الاستاذ الكبير الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس الذى قدم لزيارتى ، وبعد أن عدت من جولة قصيرة أشار على بها رجل فاضل من أهل البلد لرؤية النبع الذى تنحدر اليه المياه من باطن الجبل . وكنت أنا ذاهب الى هذا النبع امنى النفس بمنظر يشرح الصدر ، ولكنى أشهد أننى عدت منقبضا ، فقد رأيته تحيط به مناظر متخلفة تثير الاشمئزاز . ونظرت لصاحبى وقلت له . لماذا يترك هذا الموقع هكذا ؟ . قال . مع الاسف لو جاء رجل آخر لاحسن استغلاله . فقلت . ولماذا لا تستغلونه أنتم ؟ هل ينقصكم العزم والروح والذوق والمال ؟ ألا يكفى ما فات المسلمين وقد رأوا الدنيا من حولهم ، ورأوا غيرهم يزحف ويجيد دوره فى استغلال الحياة حوله ؟ فالى متى ؟ ..

فكرة

على جانب احد سيارات الركوب العامة «الباصات» استلفت نظرى وانا سائر فى أحد شوارع دمشق ـ لافتة شعرية مكتوبة بخط جميل على جانبه فوقفت اقرأ ـ وكان « الباص » قادما من طرابلس لبنان .. فكان المكتوب

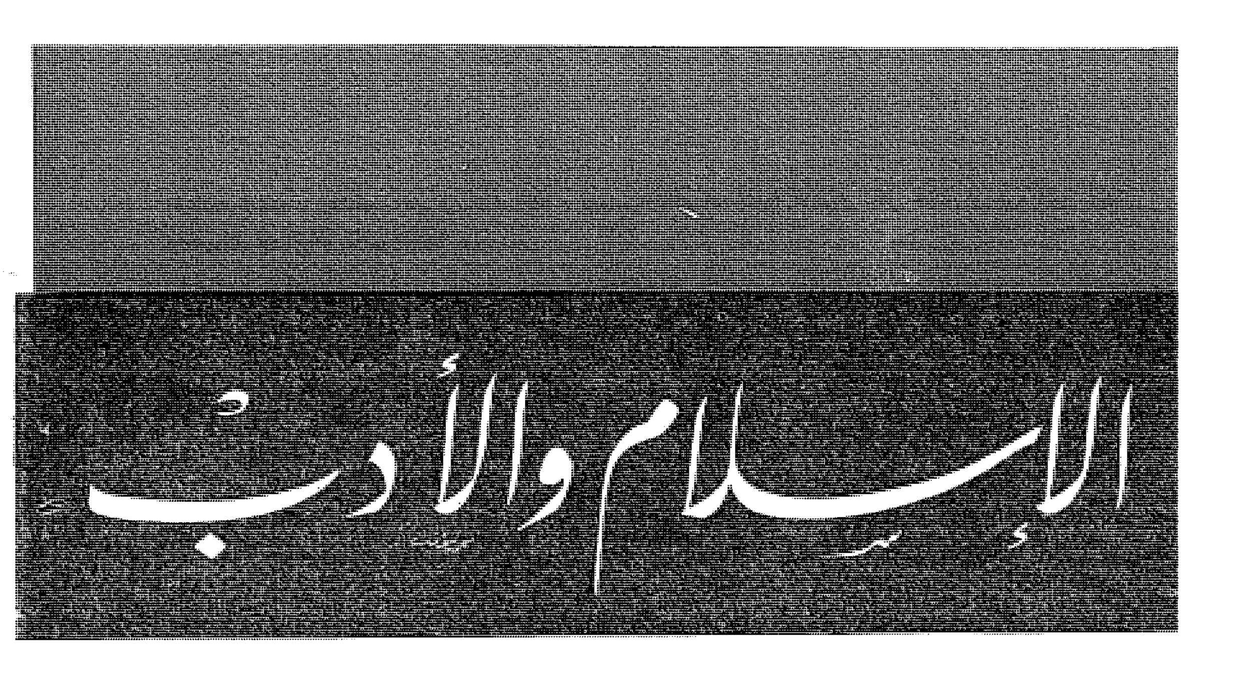
اذا رأيت الكلب فى أيام دولته	فاجعل لرجليك أطواقا من الذهب
واعلم بأن عليك العار تلبسه	من عضة الكلب لا من عضة الاسد

فكرة جديدة واتجاه طيب فى استغلال جوانب السيارات ـ والكبيرة بنوع خاص فيما يفيد . أليس كذلك ؟

البشر أم البقر ؟ .

استرعى نظرى عنوان جانبى فى ملحق الاهرام بجانبه صورة لرهبان الهندوس جالسين على الارض أمام البرلمان الهندى يقول هذا العنوان . الهندوس يطالبون بوقف مذابح البشر « فسررت لاول نظرة وقلت حسنا انهم يعلنون عن آرائهم تجاه المذابح البشرية التى تحدث فى فيتنام وغيرها . وتابعت التعليق على الصورة فاذا أنا فى واد والحقيقة فى واد .. واذا بالسبب فى هذا خطأ مطبعى كتب «البشر» مكان « البقر » اذ أنهم يعربون عن احتجاجهم على استمرار المسلمين فى ذبح البقر واتخاذ لحمها طعاما لهم » ويتابع الاهرام تعليقه فيقول « والمعروف أن البقرة هى أعلى الحيوانات فى مرتبة القداسة عند الهندوس ، وعلى الرغم من المجاعة الحالية التى تتعرض لها الهند ، فهم يصرون على ترك الابقار تمرح فى الشوارع دون أن تمسها سكين أى جزار » وهذه المعلومات عرفتها على الطبيعة حين أقمت فيها أكثر من سنتين ، بل عرفت أن نقاشا دار فى البرلمان لفرض معاش للبقر الذى يتقاعد عن العمل حتى لا يغرم صاحبه مئونته دون أن يؤدى له عملا فيدفعه ذلك الى التخلص منه ، فكل واحد عنده بقرة عجزت عن العمل يأخذ لها معاشا من الدولة يعينه على المحافظة على حياتها حتى ينقضى أجلها ... وغير البقر من القرود يتمتع بشيء من هذه القداسة ، والسبب اسطورة تاريخية تقول ان القرد تدخل فى قديم الزمان لانقاذ آلهة من آلهتهم او بالضبط لانقاذ سيتا التى صارت فيما بعد تاخذ مكانها فى صف الالهة عندهم ، وكان هذا التقديس سببا فى احجام الحكومة الهندية مرة عن تصدير بعض القرود للخارج لاجراء تجارب عليها ، وذلك خوفا من الاساءة الى الشعور الدينى الهندوسى ..

وأعود الى العنوان فأقول هل جاء هذا الخطأ المطبعي لتصحيح وضع أو فكر ..



للأستاذ عزت العزيزي
عمان ـ الأردن

الكلمة وخطورتهـــا

بالكلمة كان الوجود ، وبالكلمة قامت السموات والارض ، وبالكلمة تغير التاريخ مرات ومرات ، لم يتحول التاريخ تحولاته الخطيرة الهائلة بتغير وسائل الانتاج ، ولا سواها ، كما يزعم أفاقو الديالكتيكية ، فالحضارة المسيحية لم تقمها طبقة ، فما قـام السيد المسيح للدفاع عن البروليتاريا ، ولا عن البرجوازية ، وثورة الاسلام الرائعة العجيبة ما قامت بها طبقة ضد طبقة ، وما حركتها آلة ، ولا أثر فيها اقطاع ، ولا أشعلها برجوازى أو رقيق .

انما هي الكلمة القاهرة التى لم تنبعث حتى من الارض بما فيها من طبقات وتصارع على الطعام والشراب ، وانما هبطت من السماء على قلب الانسان (اقرا باسم ربك الذى خلق) .

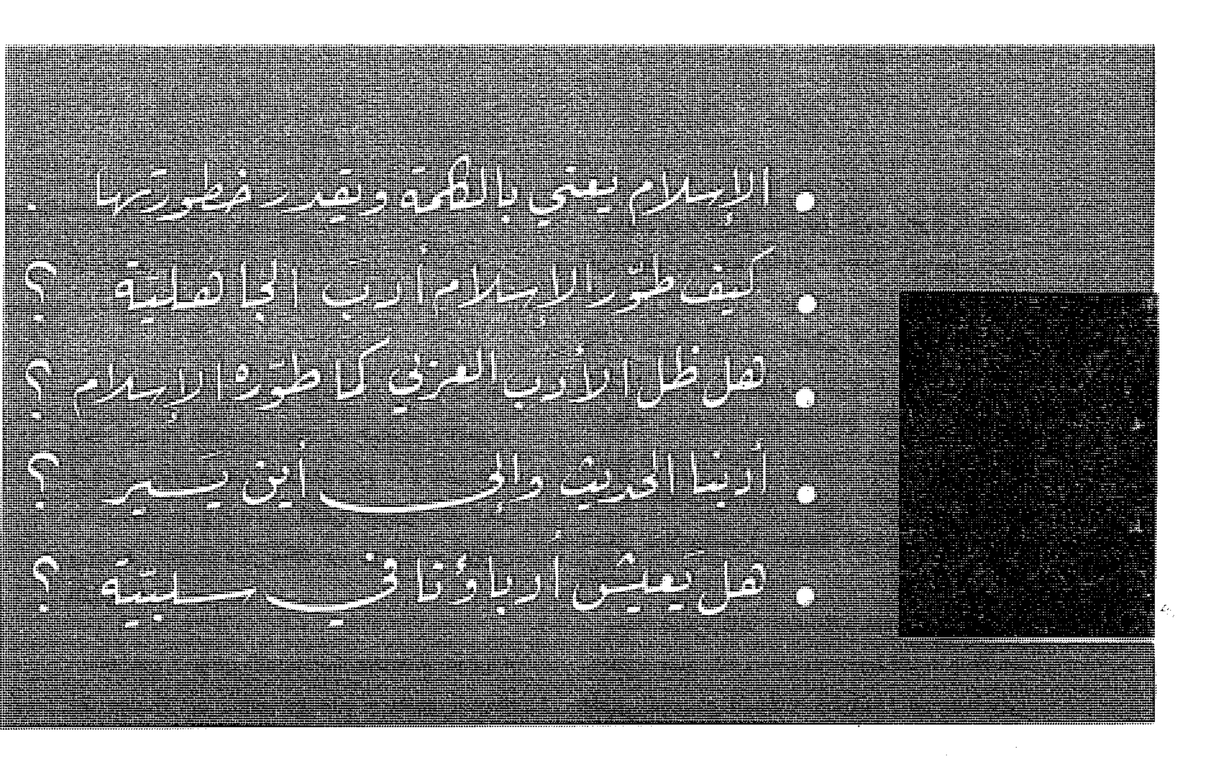
أسرت هذه الكلمة الانسان الرسول ، فلـم يملك الا ان يصدع بها ، أيقظته من النوم فـلا هجوع ولا رقود (يا أيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر) .

وانى للانسان ان يقاوم سحر الكلمة ؟ لقـد كانت سلاح محمد الرسول عليه صلوات اللـه وسلامه ، بها قاوم الكفر والالحاد ، فأيقظت قلوبا ، وفتحت أبصارا وآذانا ما أراد أصحابها أن يوقظوها أو يفتحوها .

هاجم النظم الفاسدة الظالمة فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاخلاق ودمرها بالكلمـة أولا ، ثم اقام مكانها نظام الاسلام الرائع العادل ، فانتصرت الكلمة قبل أن ينتصر السيف والساعد القوى، انتصرت رغم ضعف الساعد وفقد السلاح ، حتى ظن الواهمون انه السحر ، لانهم فعـلا قد سحروا بروعة الكلمة ، فالقوا سـلاحهم رغـم ارادتهم ، وانى لهم مقاومة الكلمة ، وهي تسير الجبال لو ألقيت عليها ووعتها ؟ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا مـن خشية الله) .

نعم ان جبال المقاومة للحق أعتى وأقوى مـن أعظم جبال العالم ، ولقد صدعها القرآن الكريم ، وما القرآن الا الكلمة الواعية الهادفة الساحرة بالحق .

هذا القرآن هو الذى وضع حدا للادب الفارغ



اللا هادف ، كما وضع حدا للحياة الفارغة اللاهادفة .

الأدب الاسلامي

بالقرآن بدأ الادب الاسلامي ، ومن القرآن استمد الادب الاسلامي وجوده ، ومن القرآن استقى معينه ، اذن : ما هو الادب الاسلامي ؟ .

أرى أننا نخطىء خطأ كبيرا اذا اعتقدنا أن الأدب الاسلامي يعني قطاعا زمنيا معينا ، فنسمي كل ما أنشىء من الأدب في هذه الفترة او تلك ادبا اسلاميا ، ان الاسلام بطبيعته لا يعترف بقيود الزمان ، كما لا يعترف بقيود المكان ، بل يتحرر من قيودها جميعا ، ويحرر كل ما يتصل به من كل قيد يحد من امتداد الفكر الى ارحب ما يمكن من الآفاق . فلا يكون الشيء اسلاميا لانه عاصر الاسلام ، كما لا يكون غير اسلامي اذا لم يعاصره « فابراهيم الذى كان قبل الاسلام بقرون عديدة مسلم ، لانه التقى مع الاسلام على صعيد العقيدة والفكر ، رغم أنه لم يلتق بالاسلام زمنيا » .

وعلى هذا فلا يمكننا أن نعتبر أدبا ما أدبا اسلاميا ، الا اذا انطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي . فما هو اذن مفهوم هذا الأدب ؟ .

الأدب قبل الاسلام

عندما جاء الاسلام كان عند العرب أدب ، وكان لهم شعر ونثر وكان أدبهم ينبثق عن طبيعة الحياة العربية قبل الاسلام ، والتي سماها الاسلام حياة الجاهلية فكان ذلك الأدب أدبا جاهليا .

كانت تسيطر على تلك الحياة روح النظام القبلي من جهة ، والفردية الذاتية من جهة ثانية .

فالقبيلة هي التي تمنح الحماية للافراد ، وعلى أساسها تقوم العلاقات الاجتماعية بينهم ،فعلاقة الانسان بالانسان يحددها المفهوم القبلي والنظام القبلي ، فمن هذه الزاوية على الاديب ان يسخر أدبه لخدمة القبيلة التي ينتمي اليها ، دون أى اعتبار انساني او اخلاقي غالبا .

فما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

فاذا تجاوزنا ما تمليه ظروف ارتباط الفرد بالقبيلة من الولاء لها ، والدفاع عنها ، ومخاصمة أعدائها ، تلك الخصومة التي لا تقوم على أى أساس من الانسانية او الحق أو العدل ، اذا تجاوزنا ذلك فالفرد حر بنفسه والأديب حر

بأدبه ، فله أن يبيعه أو يؤجره ، وهذا ما كان يفعله شعراء المدح والهجاء ، يقبضون الثمن ، فيرفعون الممدوح على قدر ما دفع ، لا على قدر ما يستحق ، ويقبضون الثمن فيهجون له من يريد على قدر ما دفع كذلك من ثمن لشتم أعراض الناس وتجريحهم .

أما حين لا يؤجر الأديب أدبه مادحا أو هاجيا ، فلا يجد الا ان ينطلق مع ذاته ، يتتبع شهواته وغرائزه ومتعه التي تنطلق غالبا دون أن تتقيد بقيمة من القيم ، فالحياة عند معظم شباب العرب في جاهليتهم كما قال طرفة (خمر ونساء وحرب) .

ولا يعني هذا ان لا يبرز بين الفنية والفنيةاديب شاعر ، أو خطيب يثور على الأوضاع القبلية الظالمة ، أو الفردية المنحرفة الفارغة ، كزهير بن أبى سلمى ، ولبيد ، وقس بن ساعدة ، وغيرهم ولكنها صيحات فردية كانت تضيع في الموج الهادر .

أدب العقيدة

وعندما حدد الاسلام مفهوم الادب رفض ذلك كله ، رفض الأدب القبلي ، لانه رفض القبيلة والنظام القبلي ودعا الى تكوين مجتمع يقوم على غير الاسس القبلية او العنصرية او الاقليمية . مجتمع واسع قادر على اذابة الالوان والاجناس والحدود الجغرافية ، لان علاقة الناس فيه أوسع من ذلك كله ، تلك علاقة العقيدة والفكرة ، يستوىفيها البشر مهما اختلفتألوانهم وأجناسهم وبلادهم .

ولم يكن ذلك فى الاسلام مجرد نظرية ، بل كان واقعا حقيقيا قائما ، حققه الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجماعة الصغيرة المؤمنة فى مكة ، ثم فى المجتمع الصغير فى المدينة ، ثم فى المجتمع الكبير فى جزيرة العرب ، ثم أتم العمل أصحابه ، فحققوه فى المجتمع الاكبر الفريد فى أوسع دولة فى العالم القديم ، ضمت أجناسا وألوانا ولغات وأقاليم شتى ، كانت قبل الاسلام تشكل دولا وشعوبا مختلفة فيما بينها أشد الاختلاف .

وبناء على ذلك أقام الاسلام ادب العقيدة والفكرة مقام أدب القبيلة ، وبذلك منع الادب القبلي بجميع اشكاله وألوانه (من دعا الى عصبية فقد دعا بدعوى الجاهلية) ، (ليس منا من دعا الى عصبية) ، (دعوها فانها منتنة) ، (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) ، (لا فضل لعربى على أعجمي ولا لاعجمي على عربي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى) ، (الناس سواسية كأسنان المشط) .

وهكذا حول الادب من الارتباط بالقبيلة ومثلها الارضية الزائفة الى الارتباط بالعقيدة والفكرة دون أى اعتبار لغيرها ، فوقف حسان بن ثابت الخزرجي يدافع عن محمد بن عبد الله القرشي ، ويهاجم قريشا قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، أو يهاجم بعض الخزرج أنفسهم ، ان كان فيها منافق يعادى محمدا والاسلام ، وسخر أدبه واستعد ان يضحي بأسرته وقبيلته فى سبيل محمد ، باعتباره ممثلا للعقيدة والفكرة .

فان أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وكذلك وقف عبد الله بن رواحة القرشي يهاجم بشعره قبيلته قريش ، لانها ناصبت العقيدة التى آمن بها العداء .

---

(١) سورة الحجرات .

القرآن والأدب

وقد ركز القرآن الكريم على رسالة الادب فى خدمة العقيدة والمبدأ مهاجما فى نفس الوقت ما كان يعانيه ادباء الجاهلية من ضياع وقلق ، وما اتجهوا اليه من انحراف فى القيم .

(والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) (١) .

فليس انتصار الاديب اذن لمصلحته الذاتية وأهوائه ، ولا انتصاره لقبيلته وأسرته ، وانما انتصاره للحق وللقيم التى ينبغي أن يسخر لها قلمه ، فهو جندى من جنود العقيدة ، عليه واجب العمل من أجلها بما وهبه الله من ملكة فى ابداع القول الجميل المؤثر ، ولم يستهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم من الايام بقوة هذا السلاح وفعاليته، بل كان مقدرا له أعظم التقدير ، مكافئا في نفس اصحابه احسن مكافاة ، فهو يقول عن شعر حسان وغيره فى قريش (ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل) .

ويفسح لحسان أقرب مكان اليه فى مسجده ، ويقبل عليه بوجهه يسمع انشاده ، ويثني عليه ، ثم لا يكتفي بذلك بل يمضي فى تشجيعه فى هجاء أعداء الدعوة الاسلامية (اهجهم والروح القدس يؤيدك) .

خطة الاسلام فى تحويل الأدب

وبذلك يكون الاسلام قد حول أيضا ادب المدح القائم على التكسب ، وازجاء المديح لمن يدفع الثمن ، ولو كان لا يستحق حتى الهجاء ، يكون قد حوله الى طريقه الطبيعي الصحيح ، فليمدح الاديب خطيبا أو منشدا ، ولكن لا يمدح للمال والعطاء ، وانما هو انسان عقائدى لا يقول الا ما يعتقد أنه الحق ، فلا يمدح الا من هو أهـل للمدح ، ومقياس الاهلية بلاء الممدوح فى سبيل العقيدة والفكرة التى آمن بها الأديب ، فهو اذ يمدح شخصا معينا ، لا يمدحه لانه فلان ابن فلان ، أو لانه من هذه القبيلة أو تلك الاسرة ، أو لانه يثاب ممن يمدحه بالذهب والفضة وكريم العطاء ، وانما يمدحه لانه يعمل باخلاص ويضحي فى سبيل العقيدة والفكرة .

وهكذا كان مدح شعراء المسلمين عندما لم يكن انحراف فى مفاهيم الحياة المختلفة .

أما أولئك المداحون الذين اتخذوا الأدب حرفة ، وجعلوا من الكلمة بضاعة تباع وتشترى ، فقد احتقرهم الاسلام ، ودعا الى احتقارهم ، فهم ممن يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ولا يستحقون الا النبذ والطرد ، ولا جزاء لهم الا تعفير وجوههم التى أراقوا ماءها بسؤال الناس بمدح كاذب باطل ، وفى هذا يقول الرسول عليه الصـلاة والسلام (احثوا فى وجوه المداحـين التراب) .

أما أدب الضياع والقلق الذى كان متمثلا فى الأدب الذاتي ، فقد استطاع الاسلام ان يقضـي على اسبابه ولم يلجأ الى منعه بقرار ومرسوم ، وانما جعل للحياة معنى اعمق ، وهدفا أسمى ، فلم يعد للفراغ والضياع والقلق مكان فى حياة الفرد المسلم ، فقد نمى الاسلام المسؤولية وعمقها فى نفس كل فرد ، ومهما يكن وضعه فى المجتمع فان عليه تبعات ومسؤوليات تجاه عقيدته ومجتمعه ، الى حماية هذا المجتمع ، الى مسؤوليته فـي نشر الاسلام وتبليغ الدعوة لكل أهـل الارض ، وبمختلف الوسائل ، ومنها الجهاد فى سبيل الله، الى مراقبة الحاكم حتى لا ينحرف عن نـظام الاسلام ، ونصحه ونصح كل مسلم .

كل هذه الواجبات يطالب بها الفرد المسلم مطالبة فردية خاصة الى جانب المطالبة الجماعية العامة ، فان فلسفة الاسلام ان يعمق المسئولية الفردية حتى لا تضيع المسئولية وتتميع . ففرد عليه مثل هذه المسئوليات وفى مثل هذا المجتمع لا يمكن ان يجد متسعا فى نفسه أو فى وقته للتافه الرخيص من الأدب ، فلم تعد الحياة عنده خمر ونساء وحرب بلا غاية ولا هدف الا السمعة وثناء الناس .

فلم يعد مكان فى الادب الاسلامي لمثل خمريات

---

(١) آخر سورة الشعراء .

الاعشى ، ومجون امرىء القيس ، وفخر عمرو بن كلثوم ، ولا ضياع طرفة وقلقه ، أو نفاق النابغة ، فالمسئولية تقتضي أن لا تهدر الكلمة وان لا توضع الا حيث تؤدى دورها فى البناء .

الاسلام والأدب الشخصي

ولا يعني هذا أن الاسلام رفض الكلمة الجميلة المعبرة عن كل عاطفة ، والمصورة لاى جمال مالم تكن من الأدب الملتزم الكامل الالتزام ، لا فالاسلام اعرف بالنفس الانسانية وأدرى ، وبانه لا بد من الترويح عن النفس ، ومنحها قسطا من الحرية فى التعبير عن النزعات الفردية الخاصة ، بعيدا عن جو العمل الجمعي والمسئولية العامة : الجادة ، ولكن فى حدود من الذوق الرفيع والخلق الكريم من غير اثارة رخيصة أو انحراف وشذوذ ، أو مجاهرة بكفر ومعصية ، أو ترويج لفسق فى الفكر ، أو تحلل فى الخلق .

وتطبيقا لهذه المبادىء ، أثنى الرسول عليه الصلاة والسلام على بعض شعراء الجاهلية كعنترة ولبيد وزهير بن أبى سلمى ، لما تضمنه شعرهم من قيم رغم ما فيه من غزل وحديث ذاتي عن النفس لا يخرج عن حدود الذوق والخلق .

قال عليه السلام :

(اصدق كلمة قالها لبيد (الا كل شىء ما خلا الله باطل) كما تمنى أن يكون قد رأى عنتره .

وبالمقابل ذم أمرأ القيس لما فى شعره من مجون وانحلال خلقي ، فقال عنه انه حامل لواء الشعراء الى النار . أى قائد امثاله من المجانين المتحللين اذ راد لهم ذلك الطريق المنحرف .

وكذلك سمع الرسول عليه السلام كثيرا من القصائد فى الغزل الرقيق ، بلا مجون أو استهتار، كقصيدة كعب بن زهير وأثنى عليها ، بل كان يطلب مثل هذا الشعر ويسمعه فيطرب لانشاده. جاءت عائشة رضى الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، تستأذن بأن تذهب مع نساء من المهاجرات فى زواج مهاجر من انصارية ، فقال هل اخذتم من يغنى ، فقالت لا ، فقال لها أن الانصار قوم يحبون الطرب فهلا اخذتم من يغنى .

أتيناكـــم أتيناكـــم
فحيـــونا نحييكـــم

ولولا الحبـة السـمراء
ما جئنـــا لواديكـــم

فهو لا ينكر على الانصار حب الطرب ، بل ويأمر بالشعر الرقيق ان يتغنى به ، ولكن فى مثل مناسبات الافراح حتى لا يكون ذلك عادة تستهلك الوقت وتشغل عن الواجب .

خروج عن الأدب الاسلامي

مما مر نستطيع أن نعلم ان كثيرا من الادب ، وخاصة الشعر الذى انشىء بعد عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، من عصر الامويين وما بعدهم لا ينطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي ، رغم أنه وجد فى العصور الاسلامية ، وذلك كمدح المنافقين الكاذب للحكام الظلمة ، ومهاجاة الشعراء بعضهم بعضا بدافع العصبية القبلية ، وما نهشوا من أعراض وحرمات ، وما خاضوا فيه من مجون وتحلل ، وما روجوا من شك والحاد ، كل ذلك خروج عن مفهوم الادب كما يريده الاسلام مهما يكن عصره ، وأيا كان قائله .

ميادين جديدة للفكر والأدب

واذ ضيق الاسلام على الشعراء خاصة والادباء عامة ميادين القول لا تعنتا ، ولكن لمجافاتها للاسلام وبعدها عنه ، فقد فتح لهم أبوابا وميادين جديدة اكثر التصاقا بالفكر ، وأكثر اتصالا بالحياة ، وذلك حين وجهالفكر الاسلامي وجهة عملية واقعية، كبحث مسائل الحياة المختلفة فى ميادين السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، كما وجه الفكر للنظر والتأمل فى الحياة ذاتها ، والكون والانسان ، ودعا الى تحرير الفكر تحريرا كاملا من كل شوائب التقليد ، التي تحد من انطلاقه فى آفاقه الرحيبة الواسعة .

هذه الميادين الجديدة هي التي أغنت الفكر الاسلامي والمكتبة العربية ، وهي التي نستطيع أن نعتبرها بحق مظهرا للفكر الاسلامي الصحيح ،

بما انشىء فى اطارها من أبحاث فى الاخلاق والاجتماع والنظر الفلسفي الحر .

كما أن ما قام حول القرآن من دراسات واسعة وعميقة ، شملت كافة فروع الدراسات اللغوية وغيرها من تفسير وبلاغة .

وقد يقول قائل : وما بالك تقحم هذه الابحاث والموضوعات ، التي تكاد أن تكون علما بحتا فى ميدان الأدب وهو فن لا علم ، ولكنا نقول : ان تلك التعريفات المدرسية للادب اذ حصرته بابواب من الشعر وضروب محدودة ضيقة من الخطابة والنثر ، قد حالت بين طلاب مدارسنا وبين اطلاعهم على تراثنا الفكرى الحقيقي ، فنحن نعرف الكثير عن امثال الاخطل وجرير وبشار وأبي النواس وابن الرومي ، بل حتى عن ديك الجن وابن لنكك ، ولا نكاد نعرف شيئا عن الطبرى وابن كثير والقرطبى، أو عن الشافعي أو الزمخشري والغزالي ، أو عن امثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم وغير هؤلاء جميعا من مئات المفكرين الاسلاميين ، الذين يمثلون بحق الفكر الاسلامي ، وهم فقط الذين يعطون صورة حقيقية مشرفة مشرقة عن الحضارة الاسلامية بكل ما فيها من عطاء وصفاء .

أدبنا الى أيـن ؟

وبناء على ما اتضح من مفهوم الادب الاسلامي ، أين يمكننا أن نضع أدبنا العربي الحديث ، هـو هو أدب اسلامي حقا ؟ .

ان الادب ـ كما يقـول كتابه ـ ابن بيئتـه ، وانعكاس للحياة القائمة فى المجتمع ، وحياتنا فيها ملامح من الاسلام ، كما أن فيها الكثير الكثير مما هو خارج عنه ، ولسنا فى معرض استقصاء مظاهر هذا الخروج فى ميادين الحياة المختلفة من أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع والقوانين والاخلاق ، لكنني هنا احب أن اتسـاءل أيهما أدى لوجود الآخر ؟ هل الأدب هو الذى عمل على تفشي هذه المظاهر وطغيانها ، أم أن هذه المظاهر التي انبعث بعضها من داخلنا ، واستوردنا اكثرها من وراء الحدود ، وعبر البحار من حضارة الغرب هي التي مهدت لهذا الأدب الفارغ ؟ .

وكذلك هنا لا أريد أن أقف للبحث عن جواب لهذا التساؤل ، فحسبنا انه يفتح أمامنا سؤالا آخر هو ، هل استطاع أدبنا المعاصر أن يؤدى دوره فى حياتنا المعاصرة ؟ وما هو هذا الدور الذى عليه أن يؤديه ؟ .

لا شك أن دور الأدب هو دور الرائد والقائد فى جميع ميادين الحياة ، يأخذ بيد المجتمع نحو الافضل فى كل شيء ، كما أنه يؤدى دور الضابط المراقب لما يمكن أن يتفشى فى المجتمع من انحراف او خطأ ، يقوم المنحرف ويصحح الخطأ .

أدباؤنا والسلبية

ونحن لا ننكر أن أدبنا الحديث فعل بعض ذلك ، وادى ما لا ينكر من بعض ما يجب عليه ، فقاوم الخرافة والجهل ، كما قاوم الظلم والتخلف ، ودعا الى الحق والفضيلة . ولكن لم يفعل ذلك دائما ، ولا فعله على الوجه الأكمل ، كما أنه فعل ما يكاد يطغى على كل ما سبق من خير وفضل .

أما أنه لم يفعل فان هذا واضح من مواقف الأدب السلبية من كثير من قضايا الحق والعدالة ، اذ يشغل كثير من الادباء بأنفسـهم وذواتهـم ، ويعيشون فى أبراجهم العالية البعيدة عن مواقع امتهم وشعوبهم (١) .

أما أنه لم يفعله على الوجه الاكمل ، فذلك واضح من سطحية الاعمال الادبية ، التي تتصل بالقضايا العامة والمشكلات الاجتماعية ، اذ لم يمنحوها من انفسهم ما منحوه لانفسهم من صدق وعمق .

أما أن الأدب فعل ما قد ينسف كل خير وفضل ، فذلك أن كثيرا من أدبائنا قد أخذوا بما رأوا من حياة الغرب وحضارته ، وأصابهم البهر ، ففقدوا الكثير من أصالتهم ، وضاعت عند الكثير من هؤلاء الأدباء معالم الشخصية المتميزة ، وأصبح مثلهم الأعلى ورائدهم هو ما ينتجه انسان الحضـــارة الغربية الحديثـة بكل ما فيـه من تناقض وقلق وضياع ، وزعم كثير منهم باننا مضطرون أن نأخذ الحياة الغربية ، ومثلها بكل ما فيها من أخطـاء بحجة أن الحضارة كل لا يتجزأ ..

---

(١) ذلك حكم على الأدب والادباء نترك الرأى فيه للمشتغلين بالأدب .

(الوعى)

((لا بد من الأدب))

ومهما قال القائلون فالانتاج مستمر والمطبعة تقذف والقراء يتلقون ، فكما لا يستغني الانسان عن الطعام والشراب والنوم وغيرها من ضرورياته الاساسية ، فهو لا يمكنه أن يستغنى عن المعرفة والتزود منها ، وكما يمكن أن تنحرف صحة الانسان حين يتناول الخبيث الضار فيقتل نفسه ، كذلك قد ينحرف سلوكه وتمرض نفسيته حين يتناول الأدب الضار الخبيث ، والمسئولية على من يقدم الفكر المنحرف والأدب الضال ، وعلى من يتلقاه ويتقبله . الا أن مسئولية العارض المروج دائما أظهر وأبين ، وجريمته فى حق امته ومجتمعه أشد وأنكى .

وما دام الأمر كذلك فالطريق الصحيح هو أن يحمل الادب على العودة الى طريق الحق ، وذلك لصالح الأدب أولا حتى لا يكون داء وسما قاتلا ، وليكون جديرا باسمه ورسالته اذ يكون ابداعه وجهده للبناء لا للهدم وللجد لا للضياع والقلق .

ولصالح الحق نفسه ومصلحة الاسلام ذاته ثانية

وذلك أن الأدب الجاد الهادف خير عون على رسالة الاسلام ، واحقاق الحق ، وقد اتضح لنا فيما سبق خطورة الكلمة وأهميتها فى نشر الدعوة أول أمرها .

الى كل أديب مسلم

واننا اذ ننظر فى واقع الأدب الحديث ، نفتقد الأدب الاسلامي افتقادا ، يكاد يكون تاما فى بعض الميادين ، ولا أريد أن استقصي ذلك واحصيه ، فحسبنا فى هذا المثال ، فالقصة على اختلاف انواعها اذا استثنينا عددا قليلا منها ــ تكاد تخلو من أى قصص اسلامي ، وخاصة فى العشر السنوات الأخيرة .

وميدان آخر مهم وخطير ذلك هو المجلة الأدبية ، وهي بلا شك منتدى الأدب ، تلتقى فيها الاقلام ويتم فى رحابها التعارف والتعاون بين عقول وأقلام تباعدت ديارها ، ونجد فى هذا الميدان أن معظم المجلات الاسلامية ــ ان لم يكن جميعها ــ تتجه نحو الفكر الاسلامي الخالص، وتعنى بالقضايا الفكرية ، والابحاث والدراسات ، ولا تكاد تلتفت الا قليلا للادب على اختلاف ميادينه وتعدد أشكاله.

وأرى أن مسئولية ذلك كله مزدوجة ، فهي أولا على أولئك الذين يملكون القدرة على النشر من رجال الفكر الاسلامي ، اذ عليهم أن يتجهوا هذه الوجهة ، ويمنحوا الأدب ما يحتاجه من عناية وجهد ، وثانيا على الأدباء المسلمين الذين اتجهوا الى الدراسات والابحاث الفكرية البحتة ، وهجروا ميدان الأدب رغم قدرتهم عليه ، وتمكنهم منه ، وعلى أولئك الذين ضعف انتاجهم من كل ذلك ، وكأنهم ألقوا سلاحهم أمام صبيان الضياع والقلق (! ! !) .

لا تشك لغير الله

شكا رجل الى آخر الفقر فأجابه قائلا :

« يا هذا تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك » .

قال الاحنف بن قيس شكوت الى عمي وجعا فى بطني، فهزني ثم قال يا ابن أخي ! ! ! اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى احد ، فانما الناس رجلان ، صديق تسوءه ، وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك .

يا ابن اخي ! ! ! احدى عيني هاتين ما ابصر بهما سهلا ولا جبلا من اربعين سنة وما اطلعت على ذلك امرأتي ولا احدا من اهلي .

بقية : فى تاريخ القرآن

تكن سوى بيئة محدودة ، ذات تقاليد اخلاقية ، وعادات عقلية ، أهمها : اعتزاز اهلها بالاعتماد على ذواكرهم فى حفظ النصوص والآثار ، وعلى ذممهم فى حفظ العهود والمواثيق ، فلم تكن بهم لهفة الى استخدام هذه الصنعة فى شئون حياتهم، ولذلك تأخر دخولها الى بيئتهم ، برغم انهم كانوا يجوبون الآفاق فى رحلة الشتاء والصيف وامثالها ، على ما حدث القرآن لكنهم حين بدأوا يتعلمونها كانت قد نضجت على أقلام الكتاب حوالي أربعة قرون ولذلك صلحت لديهم أداة يكتبون بها أحلافهم ، ويستودعون رموزها ، من بعد ، آيات الوحي المنزل .

وحتى اذا سلمنا بأن هذه الالفاظ التي تعبر عن أدوات الكتابة مستعارة فان جميع اللغات تأخذ وتعطى ، واذا لم تكن العربية أقدم اللغات السامية فمن المسلم علميا أنها أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأم ، ومن المحتمل أن هذه الالفاظ أصيلة فيها ، كما هي أصيلة فى السريانية أو الارامية بل من المحتمل أيضا أن يكون وجودها فى العربية أقدم من وجودها فى غيرها من أخواتها الساميات ، وقد صار من المشهور تاريخيا أن الوجود العربى قد عمر هذه المنطقة وما حولها منذ أكثر من أربعين قرنا ، فالقول بأن العربية قد أخذت عن غيرها من الساميات يتساوى فى الاحتمال العلمى مع القول بأن غيرها قد أخذ عنها ولا عيب فى ذلك ولا تثريب . وقضية اقتراض العربية للألفاظ من غيرها من اللغات ليست مقتصرة على هذا العدد من الألفاظ بخصوصه ، ولكن للاقتراض قواعد ومقاييس ليس هنا مجال الحديث عنها ، وقد صفت هذه القضية صياغة علمية فى رسالتى عن (القراءات الشاذة) .

نظرة أخرى الى الخط العربى

وعودة الى ما استنتجه بعض المؤرخين من نقشي زبيد وحران . أن الخط العربى كان مختلط الرموز ، لنضع فى مقابله من آراء القدماء قول ابن خلدون . ان الخط العربى كان بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، فكأن النقص لم يكن فى الخط ذاته ، وانما كان فى مهارات بعض الكاتبين ، والذين كانوا يختلفون باختلاف بيئاتهم ومستواها الحضارى .

فاذا وضعنا بازاء هذا انه قد اكتشفت وثيقة بردية يرجع تاريخها الى عام ٢٢هـ، على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وهى مكتوبة باللغتين العربية والاغريقية، وقد وجد ان بعض حروفها منقوط معجم ، وهى حروف (الخاء ، والذال ، والزاى ، والشين ، والنون) وكذلك الشأن فى نقش وجد بقرب الطائف ومؤرخ بعام ٥٨هـ ، على عهد معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه ، فان أكثر حروفه التي تحتاج الى نقط منقوطة معجمة (١) ــ أدركنا مبلغ صحة الرأى القائل بهزال الخط العربى ، واقتربنا من تصديق ابن خلدون .

ومعنى هذا ببساطة أن الخط العربى لم يكن بالنقص الذى يشير اليه نقشا زبيد وحران ، بل نضيف الى ذلك أن الوثيقتين المشار اليهما ربما لم يرد فيهما حروف تحتاج الى اعجام اكثر مما ذكر ، (وهو اعجام مخالف فى تفصيلاته ما عليه الاعجام الحديث) ، ولو وجدت هذه الحروف لألقى ضوء كاشف منهما لحال الخط العربى فى الجاهلية ، يبدو من حوله ما فشا فى السنة بعض المؤرخين ، وما قر فى أذهان بعض المستشرقين ، والى فرصة أخرى .

---

١ ــ مصادر الشعر الجاهلى ص ٤٠ ، وحياة اللغة العربية ص ٧٠ .



للشيخ أبو الوفا المراغى
مدير المكتبة الأزهرية

تناولنا فى مقالنا السابق الكلام على شخصيات الماوردى الدستورية والادبية والتربوية ، ونتناول فى هذا المقال الكلام على شخصياته الاخرى التي تبرز صورة الماوردى واضحة السمات والقسمات .

الماوردى الاخلاقى

تكلم الماوردى فى مسائل فى التربية جعلته يأخذ مكانه بين علمائها ، كما أشرنا اليه سابقا ، وتكلم فى مسائل من علم الاخلاق تجعله فى الصدارة بين علماء الاخلاق الاسلاميين ، وحين يتكلم عن الاخلاق لا يجعل من وكده ان يجمع وينسق ، ولكنه يأخذ نفسه بتحليل السلوك الانساني خيره وشره ، ويربطه بأصوله فى مغارس النفوس الانسانية وهو حين يتكلم عن مسائل الاخلاق ، يستعين فى مادته وتوضيح آرائه بما ورد فى القرآن والسنة ، وبما ورد عن علماء العرب والفرس واليونان ، حتى انه ليدهشك كيف تجمع للماوردى هذا المعين الثقافى المختلف المصادر فى مادتي التربية والاخلاق والتربية والاخلاق صنوان ، فالتربية تهذيب للنفس بالعلوم والمعارف ، والاخلاق تهذيب للسلوك بالمجاهدة والرياضة ، وانى استميح القارىء عذرا ان أطلت فى الاقتباس بعض الاطالة لان توضيح آراء الماوردى الاخلاقية يستدعى ذلك .

من القواعد الاخلاقية عند الماوردى ، أن للهوى سلطانا على النفوس وآثارا تنعكس على السلوك ، ويقول فى ذلك : وأما الهوى ، فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد ، لانه ينتج من الاخلاق قبائحها

ويظهر من الافعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مهتوكا ، ومدخل الشر مسلوكا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء . وعصيانها دواء » وقال ابن عباس رضي الله عنه : الهوى اله يعبد من دون الله . ثم تلا قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » .

وعلاج تسلط الهوى عند الماوردى يكون عن طريق التفكير فى مساوىء آثاره ، وما يستجره من الآثام والمغارم ، ويقول فى ذلك : وحسم ذلك — أى ما يقود اليه من المكاره — ان يستعين العقل بالنفس النفور ، فيشعرها ما فى عواقب الهوى من شدة الضرر ، وقبح الاثر ، وكثرة الاجرام ، وتراكم الآثام ، قال العباس بن عبد المطلب : اذا اشتبه عليك أمران فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك .

وعلة هذا القول هو أن الثقيل تبطىء النفس عن التسرع اليه فيصح مع الابطاء ، وتطاول الزمان صواب ما استعجم .

ومن القواعد الاخلاقية عند الماوردى أن صلاح الجماعة يكون بصلاح الفرد ، وفسادها بفساده، وكذلك العكس اى ان صلاح الفرد يكون بصلاح الجماعة وفسادها بفسادها : لانهما مرتبطان ومتفاعلان يؤثر احدهما فى الآخر ، ويتأثر به، ويقول فى تقرير ذلك : لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها ، لن يعدم ان يتعدى اليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لانه منها يستمد ، ولها يستعد ، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثر ، لان الانسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ،ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه ، لان نفسه أخص ، وماله امس فصار نظره الى ما يخصه مصروفا ، وفكره على ما يمسه موقوفا . وصلاح الدنيا مصلح لسائر اهلها لوفور أماناتهم، وظهور دياناتهم ، وفسادها مفسد لسائر اهلها ، لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم ، وقد وجد ذلك فى مشاهد الحال تجربة وعرفا ، كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا . فلا شيء انفع من صلاحها كما لا شيء أضر من فسادها .

ذلك ما قاله الماوردى عن ارتباط الفرد بالجماعة ، وارتباط الجماعة بالفرد ، وقد اعقب ذلك ببيان ما يصلح كلا منهما وما يفسده فى تحليل نفسي ، وتعليل منطقي ، يشد القارىء الى تتبعه، واستبانة ما فيه من عمق واصالة .

الماوردى الفقيه

احتل الماوردى مكانا بارزا بين فقهاء الشافعية يتردد اسمه ، وتشيع أقواله فى المراجع الكبرى من كتبهم ، قال الخطيب عنه : كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعية ، وله فى الفقه كتابا الحاوى والاقناع ، ولا يخطىء من يعد كتاب الاحكام السلطانية كتابا من كتب الفقه ، حيث عالج ناحية خاصة منه ، وهي الاحكام المتعلقة بنظم الحكم والادارة والاقتصاد الاسلامي .

وكتابه الحاوى من اشهر كتب فقه الشافعي ، ومن المراجع المعتبرة فى

المذهب ، قال صاحب كشف الظنون عنه : كتاب عظيم يقع فى عشر مجلدات ، ويقال انه لم يؤلف مثله .

وقال الاسنوى عنه لم يصنف مثله ، وقال ابن خلكان لم يطالعه احد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة .

وكتاب الاقناع كتاب مختصر فى الاحكام المجردة عن الادلة ، قال الاسنوى عنه : انه يشتمل على غرائب .

وقد نقل ابن السبكى فى طبقاته مختارات من فوائده الفقهية من كتابى الحاوى والاحكام السلطانية ، ولشهرة كتاب الحاوى عرف به فقيل عنه : انه صاحب كتاب الحاوى ، وفى المكتبات مخطوطات من كتاب الحاوى ، واجزاء متفرقة منه ، وهو ثروة فقهية عسى ان يقيض الله لها من يعمل على نشرها من القادرين على ذلك من اصحاب الرأى والقيادة فى الامم الاسلامية . وانها لخدمة اسلامية ستظل ذكراها باقية مقرونة بالدعاء والثناء ما بقى الفقه الشافعي بل ما بقي الاسلام .

اخلاق الماوردى

لم يعن المترجمون بالكلام عن اخلاق الماوردى ، وفى سيرته وتراثه ما يعين على التعرف اليها ، ففي فتواه التي اشرنا اليها فى مقالنا السابق ضد جلال الدولة ، وفى مواقفه من المعتزلة ، وفى وصيته للعلماء بتجنب الرياء والعجب ، فى كل ذلك ما يدل على شجاعته وحرية رأيه ، وخشيته من الله وتواضعه وبغضه للرياء ، فكان شديد المحبة والتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يراه فى المنام وكأنما يستوضحه بعض الامور .

قال فى أدب الدنيا والدين : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ذات ليلة فقلت : يا رسول الله ، أوصنى فقال استحى من الله عز وجل حق الحياء. ثم قال: تغير الناس، قلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال كنت انظر الى الصبى فأرى من وجهه البشر والحياء ، وانا أنظر اليه اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ، ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها ، واذهلني السرور عن حفظها ووددت لو انى حفظتها ، فلم يبدأ بشيء صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء ، على أن صاحب معجم الادباء قال ، لم أر اوقر منه ولم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته الى ان فارق الدنيا .

هل كان الماوردى معتزليا ؟

فى تاريخ الماوردى نقطة هامة لها تقديرها فى تاريخ العلماء الاسلاميين الاقدمين ، ولها أثرها فى توثيقهم والتلقى عنهم، والافادة منهم أوتضعيفهم والاغضاء عنهم ، وهي سنية العالم أو اعتزاليته — وهي هل كان معتزليا أو سنيا ؟ .

ذكر ابن العماد فى الشذرات نقلا عن ابن الصلاح ، انه اتهم بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهم عنه فى تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم فى جميع اصولهم ، ومما خالفهم فيه ان الجنة مخلوقة ، نعم يوافقهم فى القول فى القدر ، وهى بلية على البصريين .

ونقل ابن السبكى عبارة ابن الصلاح مفصلة فقال : قال ابن الصلاح : هذا

الماوردى عفا الله عنه يتهم بالاعتزال ، وقد كنت لا اتحقق ذلك عليه ، وأتأول فى كونه يورد فى تفسيره الايات التى يختلف فيها اهل السنة ، وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، واقول لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق او باطل ، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد حتى وجدته يختار فى بعض المواضيع قول المعتزلة ، وما بنوه على أصولهم الفاسدة .

ومن ذلك مصيره فى الاعتراف الى ان الله لا يشاء عبادة الاوثان ، وقال فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » وجهان، أحدهما حكمنا بأنهم أعداء ، والثاني تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها ، وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلاتأهل الباطل تلبيسا وتدليسا ، على وجه لا يفطن له اهل العلم والتحقيق ، مع انه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتسابالى المعتزلة، ويجتهد فى كتمان توافقهم فيما هو لهم موافق ، ثم هو ليس معتزليا مطلقا ، فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهم ، مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » وغير ذلك ، ويوافقهم فى القدر، وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما .

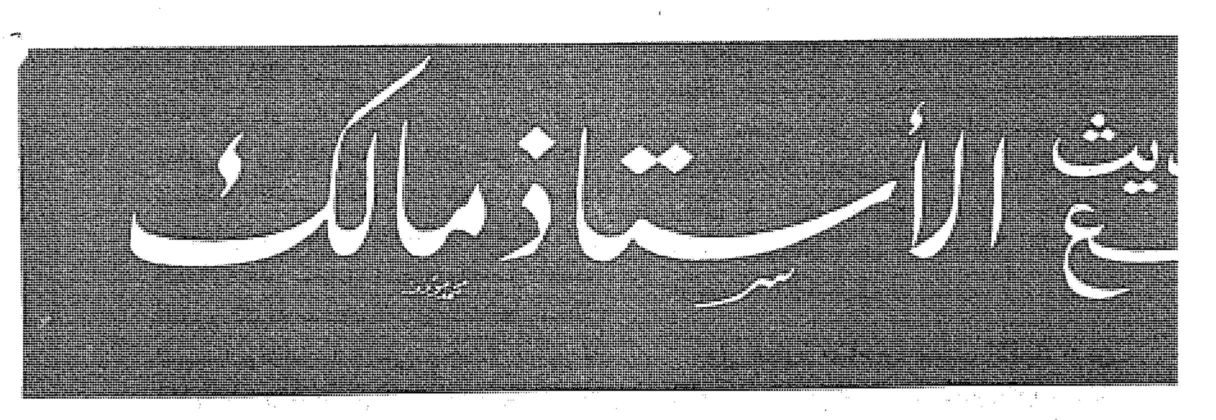
وقد احسن ابن السبكي فى نقل نماذج من تفسير الماوردى التى يستبين بها اتهامه بالاعتزال ، ويكون الحكم عليه حكما بالبينة والدليل ، ولولا ما ذكره ابن السبكى لكان الحكم باعتزال الماوردى حكما يحتمل الصحة أو الرجحان أو البطلان ، واذا انعمنا النظر فى قول ابن السبكى « ليس معتزليا مطلقا » واضفنا اليه حادثة فتيا الماوردى ضد جلال الدولة بن بويه وهو الرئيس الاعلى للدولة اذ ذاك ، والصديق العزيز على الماوردى امكننا ان نقول ان ما رمى به الماوردى من الاعتزال ليس اعتزالا ، بل هو نوع من حرية الرأى والاجتهاد فى الفهم ، وليس تقليدا خالصا للمعتزلة، وقد عرف الماوردى بالاجتهاد وبغض التقليد .

روى صاحب معجم الادباء ، انه لما سلك طريقه فى توريث ذوى الارحام ، وانه يسوى بين البعيد والقريب منهم ذهباليه الشينزى فى جماعة الىالمسجد وقال له : ايها الشيخ اتبع ولا تبتدع . فقال الماوردى : بل اجتهد ولا أقلد . فانصرف الشينزى .

وفى عبارة صاحب معجم الادباء عن الماوردى تضعيف لتهمة الماوردى ، فقد قال عنه : كان عالما بارعا متفننا شافعيا فى الفروع ، معتزليا فى الاصول على ما بلغني والله اعلم فعبارة على « ما بلغني » عبارة عن الشك فى الحكم فى عرف العلماء

على أن العلامة ابن حجر ــ وهو الحجة فى جرح العلماء وتعديلهم ــ قد فصل فى هذه القضية حيث قال فىلسان الميزان بعد ان ذكر بعض المسائل التي وافق الماوردى فيها المعتزلة : « وله مسائل وافق اجتهاده فيها اجتهاد المعتزلة ، ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال » والظاهر ان هذه التهمة لم تؤثر على سمعة الماوردى العلمية بدليل قول المترجمين له ، انه ثقة وتقبلالرواية عنه، كما ذكر ابنالسبكي بعضالاحاديث التى وقع فى اسنادها الماوردى .

لم ينجح الإستعمار في تغيير البناء الإجتماعي يحتاج إلى قيادة أوربا للعالم سبب تمزق



الاستاذ ملك بن نبي مستشار التعليم العالى بالجزائر أحد الدعاة الاسلاميين المعاصرين الذين تضلعوا فى الثقافة الغربية الى جانب الثقافة الاسلامية ، ومؤلفاته الكثيرة تتسم بالاصالة وعمق التفكير ، وتطوافه بالعالمين الغربى والاسلامى زادت تجربته فى دراسة المجتمعات الانسانية .

وقد اغتنمت مجلة الوعي الاسلامي زيارته للكويت فى الفترة الاخيرة فأوفدت اليه أحد محرريها لاستطلاع رأيه فى كثير من الامور التى تهم المسلمين وفيما يلى نص الحديث : ـ

س ـ ما هو الهدف من زيارتكم للكويت؟

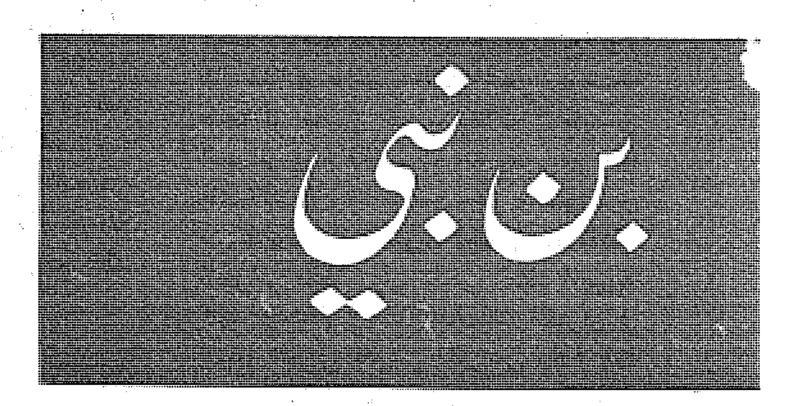
زيارتى للكويت كانت زيارة مسلم عربى الى بلد شقيق تربطه به كل الروابط ، ومن الناحية الرسمية فمن أجل القيام بمهمة تتعلق باتفاقية ثقافية بين الكويت والجزائر .

وقد وجدت فى الكويت كل مايسر ويملأ النفس رجاء فى مستقبل المجتمع العربى الاسلامى ، كما شعرت مذ حللت الكويت كأننى فى معمل يصنع جانبا كبيرا من تاريخ الامة الاسلامية ، وقد تأكد فى نفسى هذا الانطباع حينما تشرفت بمقابلة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد .

س ـ ما هي البلاد الاسلامية التى زرتموها وأشهر انطباعاتكم عنها ؟

زرت تقريبا كافة البلاد الاسلامية فى

المفاهيم الإسلاميّة بناء الفرد أولاً المجتمع الانساني





الاستاذ مالك بن نبي
مستشار التعليم العالي بالجزائر

القارتين الآسيوية والافريقية ، أما انطباعاتي عنها فقد كونت وجهة نظر في تاريخ الحضارات والمجتمعات ، وكنت أجد الحياة في مختلف البلاد الاسلامية على ما كنت أتوقعه ، أعني بذلك أن الاختلافات الشكلية يخدع بها أحيانا المسلم عندما يواجه مشكلات البلاد الاسلامية ويضفي عليها الطابع المحلي .. ولقد كانت هذه الرؤيا تحجب عليه الحقيقة الكبرى ألا وهي أن مصير المجتمع الاسلامي مصير واحد متحد ، كما أن مصير المجتمع الغربي بما فيه الاتحاد السوفيتي رغم الاختلاف المذهبي العميق واحد ، كما دلت على ذلك الحرب العالمية الثانية ، وكما تدل عليه الملابسات الدولية الراهنة .

س ـ كانت ثورة المليون شهيد مثلا أعلى في تصميم الشعب الجزائري وايمانه بحقه فما هي النقطة التي بدأت منها انطلاقة الشعب واستمراره في ثورته في رأيكم ؟

هذه الكلمة تتضمن معنيين ـ المعنى المحلي والمعنى الادبي ، فأما المكان الذي انطلقت منه الثورة فمن جبال أوراس أعني من مقاطعة جزائرية تعتز باسلامها وبعروبتها ، أما المعنى الثاني فهي العقيدة الاسلامية نفسها التي كانت المحرك والدافع الكبير للتيار الثوري في الجزائر .

س ـ لا شك أن الاستعمار قد غير كثيرا من مقومات الحياة فى الجزائر ليطبعها بطابعه فالى أى مدى نجح فى ذلك ، وما هي الوسائل التى اتخذتموها للعودة بالشعب العربى المسلم الى طابعه الاصيل؟

لم ينجح الاستعمار فى تغيير المفاهيم الاسلامية والقيم الروحية فى نفس المسلم، ولكنه غيرها فى الدور التاريخي السياسى، ولقد سبق أن أوضحت أن الثورة انطلقت من جبال أوراس ، أى من البيئة التى كانت أكثر تمسكا بدينها ، فكان من الطبيعي أن يفكر الاستعمار فى فك عجلة الثورة من يد هؤلاء القوم ، لتسليمها الى أيدى من يتقرب اليه عن وعى أو غير وعى ، وذلك بطريقة تكوينه الثقافى أو بطريق العمالة كما وقع ذلك فى جميع البلاد الاسلامية ..

وفى الوقت الراهن أخذ الامر يستتب فى أيدى من يمثل القيم التى يقدسها الشعب من دين ولغة ووطن .

★ ★ ★

س ـ أرجو أن توضحوا للقراء الناحية التعليمية والتربوية فى الجزائر ومراحل التعريب فيها ؟

الجزائر منذ اللحظة الاولى من استقلالها واجهت مشكلات تعليمية عويصة ، اذ كان الاستعمار عند أجلائه عنها ، قد سحب معه جميع وسائل الحياة الاجتماعية سحب ما يقرب من ٣٠ ألف معلم ، فأحدثوا فراغا كبيرا ، فأصبحت السلطات الجزائرية تجابه هذا الفراغ كرد عنيف عاجل حتى تبرهن أن سيادة الوطن تبقى محفوظة مع كرامته ومع وظيفته الاجتماعية رغم الظروف المصطنعة التى خلفها الاستعمار عند انسحابه ، فجندنا فى المستوى الابتدائى من له قسط من العلم كي يؤديه لاخوانه الذين يتعلمون ، فأدهش هذا العمل المستعمر نفسه ، لأنه كان ينتظر من وراء انسحابه وسحب جهازه الادارى والتعليمي ، صرخة اليأس من طرف الشعب الجزائرى واستسلامه للظروف القاسية ، ولكن كل فرد من الشعب أدى واجبه فى حقل التعليم كما يجب ، وسد بذلك الفراغ المصطنع، وتم كل هذا فى غضون ثلاثة أشهر ، وهذا طبعا لم يحل كل مشكلات التعليم فى الجزائر فى كافة مستوياته ومن بين هذه المشكلات لا زلنا نواجه ، غير مستيئسين مشكلة التعريب التى لا تخص فيما أعتقد الجزائر فقط ، بل تخص البلاد العربية كلها حيث لا زالت الجامعات الكبرى فى العالم العربى تدرس أكثر من مادة بلغة أجنبية عدا جامعة دمشق .



س ـ يقولون أن معركة البناء الداخلي أدق وأخطر من مرحلة الكفاح المسلح .. فالى أى حد ينطبق هذا القول على التجربة الجزائرية ؟

هذا لا ينطبق فحسب على التجربة الجزائرية بل على كل تجربة انسانية ، وهذه الحقيقة هى التى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من احدى غزواته «الآن رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر» فمرحلة البناء الاجتماعى تتضمن بناء الفرد أولا وقبل كل شيء ، وبذلك تتضمن جهادا وصراعا عنيفا مع رواسب ما خلفه الاستعمار فى النفوس وما تبقى فيها من قابلية للاستعمار .

س ــ ما هى أسباب فترة القلــق التى يعيشها عالمنا اليوم وطريق الخلاص منها ؟

الانسانية تدين بقلقهـــا الحاضر الى أسباب متنوعة ، بعضها يعود الى نفسية الشعوب التى نصفها بالمتقدمة ، وبعضها يتصل بشعوب نصفها بالنامية (تفاؤلا) .

فعدم التوازن بين هاتين الناحيتين هو فى الحقيقة أخطر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، ولا يمكن حلها الا بطريقتين . رفع ضمير الانسان المتحضر الى مســـتوى الانسانية أعنى عندما يخرج من برجــه العاجى ويدخل فى معركة مصير شامل يخص الاسرة البشرية كلها ، هــذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى رفع عقـــل البلاد المتخلفة الى مستوى الحضارة .

فعندما تتم التسوية الاخلاقية التى ترفع الشـــعوب المتحضرة الى دورها الطبيعى بالنسبة للانسانية كلها ، وأكثر ما يكون ذلك حين تتم التسوية الاجتماعية بالنسبة للمجتمعات المتخلفة كى تكون فى مستوى حضارة القرن العشرين ــ تكون الانسانية قد حلت مشكلاتهـــا ، وأزالت أسباب قلقها الراهن ، وهذا يعنى أن دور الاسلام فى هذه المرحلة الانتقالية ــ يجب أن يكون دورا حضاريا ويجب على المسلم الذى يدرس القضايا الاسلامية أن يدرسها من الزاوية الحضارية .

★ ★ ★

س ــ ماذا خسر العالم بانحسار دولة الاسلام ، وكيف الســـبيل لاســـتعادة المسلمين مركزهم القيادى ؟

يقول المفكر الفرنسى الكبير العــلامة غوستاف لوبون كأنــه يجيب على هذا السؤال فى كتابه « حضارة العرب » : « ان معركة بواتيه قد أخرت التيـــار الحضارى فى أوروبا لثمانية قــرون » .

واذا تحقق هذا فى نظر العلامة الفرنسى بالنسبة لبلاده وأوروبا ، فان مفعـــول التخلف فى سير التاريخ أصبح يجرى على العالم عندما تولت أوروبا القيادة فيه منذ عصر نهضتها، بالاضافة الى ذلك فان غوستاف لوبون يشير هنا الى الجــانب العملى والمادى من الحضارة بينما كان للاسلام لو استمرت القيادة فى يده أن يجنب الانسانية كوارث التاريخ (مثل الحرب الاولى والثانية) ويجنبهـــا بصورة ادق ذلك التمزق الذى أصـــاب المجتمع الانسانى عندما دخل تحت سلطة الروح الاستعمارية، والسبيل الى الخروج من هذا المأزق ســـبق أن نوهت به ، يضاف الى ذلك سيطرة المادة اليوم اذ تدفعه الى كل ما يهدد كيانه من الجانب السياسى فى تصرفـــات الدول ، ومن الجانب الاخلاقى فى تصرفات الافراد .

يجب اذن لمواجهة هـــذه الاخطار ، وهذه الانحرافات أن يقوم المسلم بدوره كمرشد لاخوانه من الاسرة البشرية يهديهم الى صراط مستقيم . ولا يمكن ذلك الا بشرطين : ــ أولهما : أن يهتدى المسلم نفسه الى هذا الصراط ، والشرط الثانى أن يقوم المسلم باتباع الاسلام لا بأقواله فحسب ، ولكن بأعماله كى يضرب به المثل القياسى للانسانية فى ميـدان الفن حيث قطع الركب مسافات بعيدة ، وفى الميدان الاخلاقى حيث تخلف الركب عن المثل التى أتت الاديان المنزلة من أجــل ترسيخها فى السياسات والمعاملات .

رحلة مع الكلمات

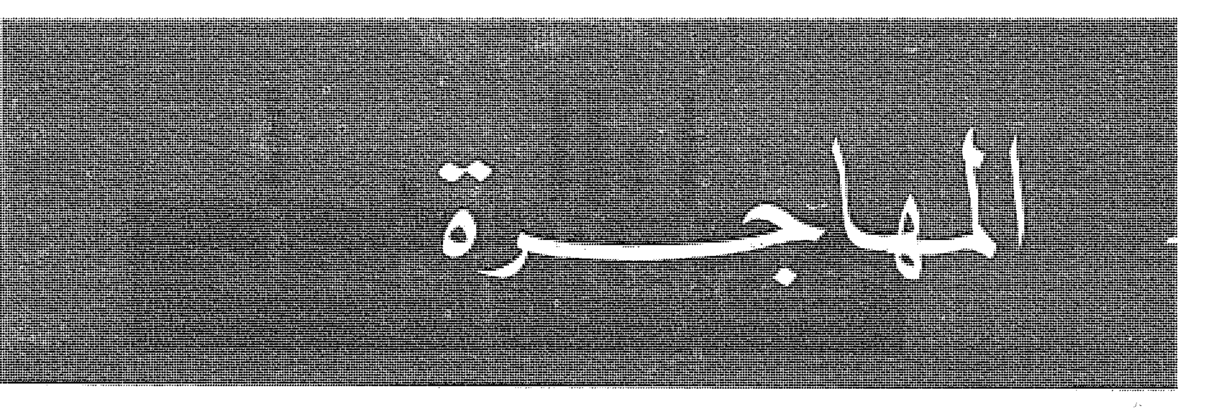
الرَّجُـــلُ الصادقُ .. يدعــو الناس إلى التوحيـــــــد .. فينصرفـــونْ
و يُلَفْلِـــفُ في الكلمــات دموعَ العـــين ... فتحـــترق عيـــونْ
يدعـــوهم حـــتى للإبحـــار وراء الحـــسِّ ... فينهزمـــــــونْ
و كأن جبـــال العـــالم تجثـــو فوق النبـــض .. فيحـــترقـــون

★★★

كلمــــاتُ الرجـــل الصادق تُبْصِـــرُ حـــتى بعيـــون الأقـــدار
تتلفـــت ظمـــأى نحـــو قلـــوب الناس .. وتدعـــو الأمطـــار
عَـــلَّ الأمطـــار تُلـــين الصخـــر .. وتفتح قلـــب الاحجـــار
لـكـــنَّ الجـــدب يطـــارد خلـــف التِّيـــه جذوع الأشجـــار

★★★

و الكلمـــة بعـضُ ثمار الـــربِّ .. تُقـــاتـــل بالحرف جيوشـــا
في كـــل حناياـنـــا تُـــدفئ بالحـــب صباحـــا مرعوشـــا
وتَـخُـــطُّ عـــلى خَـــطِّ الزحـــف العمـــلاق شعـــارا منقوشـــا
(المـــوتُ لأعـــداء الكلمات) (ســـنبنى للضـــوء عروشـــا)



المهاجرة

للاستاذ محمد احمد العزب

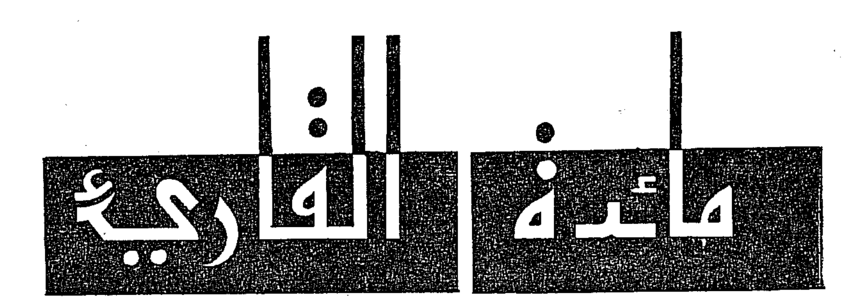
ومَضَتْ كلمـــات الرجــل الصــادق تأكــلُ أحـــداق الظلمـــــاتْ
وتبعــثر ضــــوءَ الفجــــر على الأعــــراف .. وخلــف الأكَمَــــاتْ
فارتعشـــت بالحقــــدِ الضــــارى ... واللــوثــةِ .. كـــلُّ الربــــوات
وانفلــــت السيــفُ .. يثــير الحـــرف ... ليحرق نبْـــض الكلمـــات

★★★

حملــــتْ كلمــــاتُ الرجــــل الصـــادق فــوق أناملهــــا الفجــرا
وانْدَاحَـــتْ خلــف الأبعــاد الســـوداء لتغتصب النصـــــــــرا
كانت ترنــــو للســـيف .. فيجثـــو السيـــف ... ويــزدرد القهـــرا
ويُكَبِّـــرُ تحـــت سمــــاء الحــــرف ... جبانــًا يلتمــس العــذرا

★★★

لكـــنَّ الكلمـــةَ ... والقائــــدَ ... والجيـــلَ الموعــودَ .. سمـــــاءُ
كانــوا أحْنَــــى ... فأخضـــرَّتْ فوق شفـــاه الناس الأضــــــــواءُ
وتجــاوب كـــل الكـــون بأصـــداءٍ ... تحــدوهــا أصــــداء
يَـــاكُــلَّ زحوفِ الليـــل .. أصيخـــوا ... أنتم ؟ أنتم طُلَقَـــاءُ .



عشاء أمير المؤمنين

دخل زبان بن عبد العزيز على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فشكا له عمر وقال :

ـ قل نومى هذه الليلة ، فاتهمت عشاء تعشيت به .

ـ ما هو ؟

ـ عدس وبصل .

ـ لقد وسع الله عليك وتضيق على نفسك .

ـ أطلعتك على سرى ، فوجدتك غاشا غير ناصح أما والله لا أعود الى مثلها أبدا .

واحدة بواحدة

كان أحد السياح ـ وهو انجليزى ـ يسير بين المقابر فى الصين ، فرأى صبيا صينيا يضع طبقا من الارز المطبوخ فوق قبر ، فقال له متهكما متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل الارز ؟!

فأجابه الصينى بقوله : « يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الازهار التى تضعونها على قبره » .

عـــدالة عمر

لقى عمر بن الخطاب أبا مريم السلولى الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب ، فقال له عمر . والله انى لا أحبك حتى تحب الارض الدم .

قال السلولى : أفيمنعنى ذلك حقا ؟

قال عمر : لا .

قال السلولى : فلا ضير ، انما يأسى على الحب النساء .

الضيف الثقيل

نزل رجل عند قوم ، وأطال الضيافة ، فكرهوا اقامته . فقال الزوج لزوجته : كيف لنا أن نعلم مقدار اقامته ؟ قالت : نتشاجر غدا ، ونتحاكم اليه ، لنعلم متى يرحــل . فتشــاجرا وقالت الزوجة للضيف : استحلفك بالله الذى يبارك فى سفرك غدا أينا أظلم ؟ فقال الضيف : والله الذى يبارك لي فى اقامتي عندكما شهرا ، ما أعلم أيكما أظلم .

دموع الصائد

قال الفضل بن موسى الشيبانى :

كانت الريح عاصفة ، وأخذ بعض الصيادين يصطاد العصافير ، وعيناه تذرفان لما يدخل فيهما من الغبار ، فكلما صاد عصـــــفورا كسر جناحه ، وألقاه فى ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما أرأفه ؟ ألا ترى الى دموع عينيه .

فقال آخر : لا تنظر الى دموع عينيه ولكن أنظر الى عمل يديه .

اشرف الناس

أراد الكسائي معلم الامين والمأمون أن يقوم من مجلسه ، فتسابق الامين والمأمون على أن يكون كل منهما أسبق من أخيه بتقديم نعلي الكسائي ليلبسهما في رجليه .
فسأله الرشيد – من أشرف الناس ؟
قال الكسائي – أنت يا أمير المؤمنين .
قال الرشيد – بل هو من اذا همّ بلبس نعليه تزاحم في تقديمهما له وليا عهد أمير المؤمنين .

امام العلماء

سئل عمر بن الخطاب قبل موته : لو عهدت الينا . اخترت خليفتك بنفسك وبايعناك عليه .

فأجاب : لو كان معاذ بن جبل حيا ، ووليته عليكم ، ثم قدمت على ربي عز وجل – فسألني : من وليت على أمة محمد – لقلت : وليت عليهم معاذ بن جبل ، بعد أن سمعت النبي يقول : معاذ ابن جبل امام العلماء يوم القيامة .

مانعة الاصطدام

* ليس من المستطاع، ولا من الصالح أن تتخلى أمة عن تقاليدها، لأن التقاليد ضرورة من ضرورات التقدم والمدنية ، اذ هي تقوم بوظيفة مانعة الاصطدام .

* اذا نحيت الوحي لتفسح مكانا للعقل فقد أطفأت نورهما معا .

قيادة رشيدة

عندما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة وبين أحد قواد الروم جاءه بطعام فاخر وقال له : هذا طعام الامير . قال أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟
قالوا : لم يتيسر .
قال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام. بئس المرء أبو عبيدة ان صحب جندا قدموا دماءهم دونه ، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه . انا لا نأكل الا مما يأكلون .

الزوجة الوفية

قال لويس الرابع عشر عند وفاة زوجته لقد حرمت زوجة كان موتها أول ما ساءني منها .

كلهم مسلمون

صدرت الليدى « ايفلين كوبولد » كتابها « الحج الى مكة » ، بالعبارة التالية :
« لقد تساءل جيته اذا كان هذا هو الاسلام ألسنا كلنا مسلمين ؟ » . فأجابه كارليل : « أجل .. ان من يحيا بالروح انما يحيا على الاسلام » .

مركب النقص

وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية رضي الله عنه ، فأذن للاحنف ، ثم لمحمد بن الاشعث ، فأسرع محمد في مشيته حتى دخل قبل الاحنف ، فلما رآه معاوية قال له : والله اني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله انا كما نلي أمركم كذلك نلي أدبكم . ما تزيد مزيد في أمره الا لنقص يجده في نفسه .

اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات

تجمع طلابي اسلامي عالمي على مبادىء الاسلام الصحيحة ومفاهيمه الاصلية .

شعاره : الاسلام الحنيف افضل ما يضمن السعادة ويوصل الى الخير . ويخرج البشرية من الظلمات الى النور .

مبادئه : الاسلام نظام شامل تناول الحياة ، فهو دولة وامة وخلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

اهدافه : وحدة الشباب المؤمن في العالم اجمع ، صموده امام تيار المادية الجارف ، تصحيح ما دسه المستشرقون والمبشرون على الاسلام من كذب وافتراء ، التصدي لحملات الصهيونية على الاسلام . دعوة الناس جميعا الى الاسلام .

في حقبة من التاريخ كان التجار الذين يصلون الى جزر اندونيسيا والفليبين وشواطىء افريقيا هم الدعاة الى الاسلام ، وعلى أيديهم دخل سكان تلك البلاد في دين الله افواجا ، وهؤلاء التجار على بساطة عملهم كان لهم دور ايجابي فعال في ايصال الاسلام الى تلك النفوس ، وذلك بما كانوا عليه من اعتصام بدينهم واعتزاز بعقيدتهم وتمثلهم لتعاليم قرآنهم في معاملاتهم مع الناس .

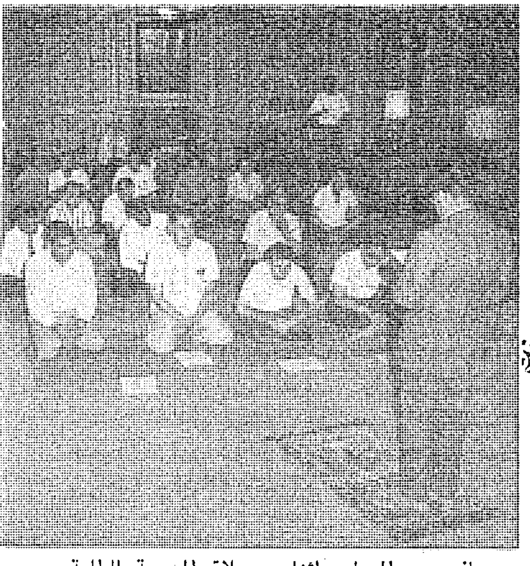
ومع انطلاقة دعوة الاسلام الواعية ، المجردة من الزيف والجمود في مطلع هذا القرن ، شهد عالم الغرب نموذجا من هؤلاء الدعاة الى الاسلام ، لم يكونوا في هذه البلاد تجارا وانما طلبة علم في جامعات امريكا وكندا والمانيا وانجلترا وغيرها من الجامعات وقد اتخذ نشاطهم الاسلامي طابعا علميا واعيا منظما كان له اثر كبير في تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام التي دسها التبشير والاستشراق ، وتعميق المفاهيم الاسلامية الصحيحة في نفوس الشباب المؤمن الملتقى على طاعة الله ورسوله بالاضافة الى اعتناق عدد كبير من شباب الغرب لهذا الدين الحنيف عن فهم وعلم ويقين ، وقد تبلورت هذه النشاطات الطلابية الاسلامية في اتحادات اهمها :

- اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا .
- اتحاد الطلبة المسلمين في اوروبا .
- اتحاد الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة .
- جمعية الطلبة المسلمين في فرنسا .
- اتحاد الطلبة المسلمين في نيجيريا .

وهذه الاتحادات لاشك انها نواة مباركة لاتحاد طلابي اسلامي عالمي ، يكون له دوره الايجابي الفعال في انطلاقة الدعوة الاسلامية المباركة الى العالم اجمع .. وحديثنا في هذا العدد عن اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

نبذة تاريخية

ان اقبال الطلاب المسلمين على طلب العلم في



جانب من المصلين اثناء صلاة الجمعة للطلبة المسلمين في جامعة الينوي .

الخطيب آنذاك الدكتور محمد لال تشولا .

ملاحظة : الاوراق الموجودة امام بعض المصلين هي الزرنامة (امساكية) شهرية توزع على المصلين لمعرفة اوقات الصلوات حسب التوقيت المحلي .

المتحدة الأمريكية وكندا

البلاد الاجنبية قد تطور منذ ان استقلت اكثر الاوطان الاسلامية تطورا شديدا بلغ منه ان اصبح في الولايات المتحدة الامريكية وكندا أكثر من خمسة عشر الف طالب مسلم ، هذا العدد الضخم من الطلاب المسلمين في مختلف الجامعات الامريكية والكندية سيعود الى اوطانه عاجلا أو آجلا ليأخذ فيها مكانا مرموقا ، وليشغل فيها مراكز هامة في توجيه امور المسلمين ، لعل اثرهم بذلك في حياة الامة سيكون اقوى وافعل من كل وسائل الوعظ والارشاد في بلادنا .. ان الكثرة من هؤلاء الشباب يفدون على ديار الغرب وليس عند احدهم فكرة واضحة عن الاسلام الا صورة اليمة من أحوال المسلمين تزيد في قلق النفس والفكر ، فاذا واجه الحياة الغربية وفنونها المادية واغراءها المتجدد ، بدأت صلته الوراثية التقليدية بالاسلام تهتز ، وبدأت الشكوك تراود نفسه ، وتبلبل اتجاهه ثم يأتي الضعف امام الاغراء فيتهاوى على المعصية في تردد ثم في استسلام ، وقد ينحدر في هذا الاتجاه وهو هارب من نفسه شارد من وازع من ضميره وقد يصل به الانحدار الى التمرد على الدين كله ، اما في نزوة المفتون المغلوب على أمره واما في الحاد سافر .

والقلة القليلة التي تذهب للدراسة في الخارج مزودة بوعي اسلامي وورع عند حدود الله ، لا تلبث أن تستشعر قسوة البيئة ومرارة جهد النفس ومغالبة التيار ، فاذا علمنا ان هؤلاء الطلاب المسلمين الوافدين على بلاد الغرب ليسوا كل المسلمين فيها ، بل ثمة آلاف من العائلات المسلمة ومشكلة مشاكلهم تربية اولادهم تربية اسلامية واذا اضفنا الى كل ذلك ان عقدة العقد في علاقات الامم الاسلامية بغيرهم هي في سوء فهم هؤلاء للاسلام وان أحوال المسلمين الوافدين الى بلادهم هي الصورة التي يحكمون بها للاسلام أو عليه ، وضح مبلغ المسؤولية الكبيرة في عنق كل مسلم نحو دينه هذه العوامل كلها هي التي حدت بنفر كريم من طلبة العالم الاسلامي والعربي من الذين يدرسون في معاهد الولايات المتحدة وكندا الى اللقاء في صيف عام ١٩٦٣م المصادف ١٣٨٢ هـ ليجمعوا امرهم للتصدي للموجة الجارفة ، موجة الضلال والهوى وليعيدوا صفات الايمان الى القلوب وكلمات القرآن الى الشفاه وليتخلوا عن العزلة من اخوانهم في العقيدة في مدينة شامبين في ولاية الينوى فكانت اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، منظمة اسلامية .

مبادىء الاتحاد

١ ـ نؤمن بأننا مسلمون أولا واخيرا بهذا سمانا الله ، ولم نجداسمي وأفضل من ان نكون مسلمين (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

٢ ـ نؤمن بأن الاسلام وجد ليعيش في ضمائرنا وقلوبنا وفي كل مرفق من

مرافق حياتنا ، وفيه صلاح امرنا وامر امتنا ، وان الفناء فى الحق هو عين البقاء ، وانه (لا دعوة بغير عمل) .

٣ ــ نؤمن ان تعاليم الاسلام الحنيف ومبادئه هى افضل ما يضمن لنا السعادة، ويوصلنا الى ما نبتغى من خير ويخرجنا من الظلمات الى النور ، وان الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولة وامة وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

٤ ــ ونؤمن ان الاسلام اساس العمل، وان الاسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء فالحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها .

أهم اهداف الاتحاد

تتلخص أهداف الاتحاد بما يلي :

تقوية الروابط الاسلامية ، وتثبيت اسس الاخوة الدينية بين الطلبة المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

التعاون على نشر تعاليم الاسلام الحنيف بين صفوف الطلبة المسلمين وغير المسلمين .

مساعدة الطلبة الوافدين حديثا الى هذا البلد وتأمين السكن والمأكل لهم وتعريفهم على اوضاع الجامعة التى ينتسبون اليها .

العمل على تكوين روابط طلابية اسلامية فى الجامعات التى ليس بها مثل تلك الروابط .

مساعدة الذين يعتنقون الاسلام فى هذه القارة وتهيئة الوسائل اللازمة لتفهيمهم الاسلام الصحيح وتعليمهم اسس الدين الحنيف .

الرد على ما ينشر من مفتريات عن الاسلام وعقائده فى الجرائد والمجلات والكتب التى تنشر فى هذه القارة .

الوسائل التى يسلكها الاتحاد لتحقيق الاهداف

اصدار مجلة الاتحاد وتسمى « الاتحاد » ترمز الى وحدة المسلمين تحت راية القرآن الكريم وشعارها « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

طبع نشرات دورية عن الاسلام فى مواضيع مختلفة وخاصة المواضيع التى يسأل عنها الطلبة المسلمون .

القاء محاضرات عن الاسلام فى الجامعات والكليات والكنائس والمدارس والجمعيات الاخرى.

الاشتراك فى المعارض الطلابية عن الثقافة ومدنية البلدان الاسلامية وللراغبين من غير المسلمين .

تعليم مبادىء الاسلام بالمراسلة لاطفال المسلمين وللراغبين من غير المسلمين .

اقامة مخيم سنوى لاطفال المسلمين لتدريبهم وتعليمهم وتربيتهم على الدين الاسلامى .

تنظيم دروس دورية فى تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية .

الاجابة على الاسئلة الدينية من المسلمين فى هذا البلد لحل مشاكلهم .

ارسال مطبوعات الاتحاد الى الجمعيات والمؤسسات الاسلامية فى هذه القارة وفى العالم الاسلامى .

ايجاد مكتبة للكتب الاسلامية باللغة العربية والانجليزية للكتب الاسلامية القيمة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح الى من يحب الحصول عليه .

ترتيب امور الزواج والجنائز فى حالة عدم وجود من يقوم بها فى المراكز والجاليات الاسلامية.

الرد على ما يكتب عن الاسلام وعقائده ورجالاته فى مختلف الجرائد والمجلات الاسلامية بكتابة الرسائل وارسال الوفود اليهم .

اقامة مؤتمرات عامة وفرعية للطلبة المسلمين في جميع انحاء الولايات المتحدة وكندا .

جمع المساعدات لمختلف الدول الاسلامية أو المجموعات التى تعيش فى هذا البلد فى حالة الكوارث والطوارىء .

طبع وتوزيع بطاقات العيد للتذكير بالاسلام وشعائره .

تنظيم جمع الزكاة وتوزيعها الى الجهات المستحقة .

مشاريع الاتحاد في المستقبل

زيادة عدد المؤتمرات العامة في الاقسام المختلفة في الولايات المتحدة وكندا للتعارف ودراسة المشاكل التى يعانيها الطالب المسلم في هذا البلد .

اقامة مخيمات سنوية فى القسم الشرقى والاوسط فى الولايات المتحدة لتعميم الفائدة من امثال المخيمات التى تقام فى كاليفورنيا كل عام .

صندوق لمساعدة الطلبة المسلمين الذين يتعرضون لضيق مالى لاسباب قاهرة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح .

مشروع تعليم الصلاة والآذان والقرآن الكريم بالمراسلة للمسلمين في هذا البلد .

مشروع تعليم اللغة العربية بالمراسلة .

مراقبة الجرائد والمجلات المهمة التى تصدر فى هذا البلد فيما ينشرونه عن الاسلام .

التركيز على انشاء جمعيات اسلامية محلية فى كل الجامعات التى يدرس فيها الطلبة المسلمون .

مشروع احصاء عدد المسلمين القاطنين فى هذه القارة ، بالاخص الذين اعتنقوا الاسلام .

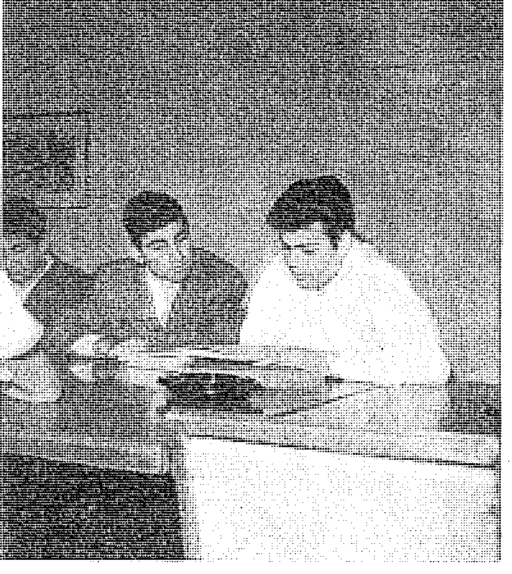
توسيع المكتبة الاسلامية للاتحاد واهداء مجموعات من الكتب التى تمثل الاسلام تمثيلا صحيحا وشاملا لجميع نواحى الاسلام الى المكتبات المهمة فى هذه القارة .

نشراته ومطبوعاته

مجلة الاتحاد التى تصدر مرتين فى السنة .

نشرات من مواضيع مختلفة عن الاسلام مثل .

الدين الاسلامى الحنيف .. حكمة الصوم فى الاسلام .. العقائد الاسلامية .. الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فى الانجيل والتوراة .. نظام الحرب فى الاسلام..عيسى « عليه السلام فى القرآن ».. « المسلمون السود » فى أمريكا .. مكانة المرأة فى الاسلام ،الاسلام فى العصر الحديث .. تعداد المسلمين فى العالم .. خصائص القرآن الكريم .. بعض الحوادث المهمة فى التاريخ الاسلامى .. الاسلام والعلم .. نظام الحكم فى الاسلام .



مدارسة القرآن الكريم تلاوة ، وشرحا وحفظا وترجمة الى اللغة الانجليزية .

نشر المقالات الاسلامية وخطب الجمعة فى الجامعات المختلفة وفى الجرائد والمجلات الاسلامية فى جميع انحاء العالم وخاصة باللغة الانجليزية .

مدى تأثيره فى الرأى العام الامريكى

ينهال على الاتحاد مئات الدعوات لالقاء المحاضرات عن الاسلام فى الجامعات والكليات والمدارس والكنائس والجمعيات الاخرى ، لتمثيل وجهة نظر الاسلام تمثيلا صحيحا ، وقد استطاع الاتحاد والحمد لله تصحيح كثير من الافكار الخاطئة عن الاسلام والمغروسة فى أذهان العائشين فى هذا البلد من جراء الكتابات والاضاليل التى نشرها التبشير والكتاب الصليبيون وخاصة في بعض الكتب المدرسية .

كما ينهال على الاتحاد والجمعيات الفرعية مئات الرسائل لطلب المنشورات والكتب عن الاسلام أو استفسار عن ما نشر فى بعض المقالات والكتب عن الاسلام ، وهذا يتيح فرصا كثيرة لنشر تعاليم الاسلام الصحيحة .

ونتيجة لما ينشره الاتحاد من مقالات ومطبوعات وردود عن الشبهات حول الاسلام قرر كثير من المؤلفين تصحيح بعض المفهومات الخاطئة المنشورة فى كتبهم ، وكذلك اعتنق كثيرون منهم الاسلام .

وبدأ الكثيرون يحترمون المسلمين وعقائدهم ، وينظرون اليهم نظرة الاعجاب .


شعاع من القلب
للاستاذ حسين الطوخي

تمضي الايام والسنون بمعاوية ، بعد أن خمدت الفتن وأخذ يسوس الناس بالرفق والمصانعة حتى استقامت له الامور ، واجتمعت حوله الكلمة ، فالتفت الى الداخل يوليه عنايته ، فانضبطت شئون الخراج ، وتأمنت سبل القوافل فى طول البلاد وعرضها ، وأقام من أوفياء عماله من العرب الخلص حكاما على الولايات وأمراء على الأمصار ، كما كان يبادر بعزل كل عامل تثبت عليه شبهة أو مظنة بعد أن يحاسبهم بالعدل والقسط ، دون ما التفات الى صلة قرابة أو وشيجة مصاهرة .

ويطيب للخليفة أن يسمر مع خلصائه ووجوه بنى أمية بقصر الخلافة فى دمشق ذات ليلة ، فيجرى الحديث فى المجلس حول شئون الدين والدنيا وأمور الملك ، ويستمع الى غليظ القول ورقيقه ممن يضمه المجلس الكبير ، ويتميز «يزيد» ولده وولى عهده غيظا حين يشهد أباه يوسع صدره لهذاوذاك ، ويغضى حياء ببصره حين يغلظ اليه أحد الشيوخ فى القول .

ثم ينتهى سمر الخليفة ويأذن لسماره بالذهاب ويتهيأ للرقاد ، وحين يغادر قاعة المجلس ، يرى ابنته « عاتكة » تنتظره خارجها لتحدثه فى أمر يشغل بالها منذ أيام .

ويحنو الأب على ابنته الأثيرة ، ويقبل جبينها ، ويربت على أكتافها ، ويفتح لها قلبه الكبير ، فتطلب اليه عاتكة أن يأذن لها بالحج وزيارة قبر الرسول فى ذلك العام .

وتضىء البسمة فى وجه الخليفة ، ويجيب دعوتها ، ويأمر بأن تجهز خير جهاز ، ويرصد لها ما تتصدق به على الفقراء من أعطيات تليق بمقام ابنة أمير المؤمنين .

وتصل قافلة عاتكة ، يسبقها نبؤها الى مكة ، ويلم بها الناس ليشهدوا فخامة الموكب ، ويمنوا النفس بخير يصيبونه من صاحبته التي يتلألأ وجهها بالضياء من خلف الستور .

ويقبل الشعراء والمغنون من أطراف مكة ، لينالوا حظهم من عطاء ابنة أمير المؤمنين ، التي تصيخ سمعها الى قصائدهم وانشادهم ، وتحس « عاتكة » أنها تخففت من أثقال كانت تحملها هناك فى دمشق ، حيث يقيم الخليفة وحيث العيون والأسماع تترصد كل ما يجرى بين جدران القصر المهيب .

انتشت عاتكة بما سمعت وشهدت من المواكب الفرحة التي تعيش فى ظل خلافة رشيدة أشاعت الأمان والرخاء والسعة فى كل شئون الحياة .

كانت نشوة عاتكة مثل نشوة الطفل الغرير الذى انفلت من رقابة مؤدبيه الى آفاق رحبة يرتع فيها ويلهو دون رهبة من حساب أو خشية من عقاب .

حتى أقبل ذلك الشاعر يتئد فى مشيته ويختال فى هيئته ...

ازاحت عاتكة طرف الستر الذى يحجبها عن زحام المواكب التي تروح وتغدو بالاهازيج والغناء ونقر الدفوف ، فأبصرت وجها وضيئا يتطلع الى هودجها ، ولا تبدو عليه سمات المتكسبين بالشعر ، انما يشع من وجهه جمال رصين يجذب اليه القلوب والأبصار . وأخذت نظراته تروح وتجىء متمهلة غير منهومة ، وادعة غير ملهوفة تستطلع وجه عاتكة وتتأمل قسماته .

احست عاتكة بشىء ما ينشب فى قلبها الرهيف ، ويركض فيه نبضه اللهيف ، وغامت عيناها لحظة ، ولما أفاقت أبصرت الشاعر الوسيم يدير وجهه حتى لا تلحظ ما عراه من رعشة الحب الذى نزل فى قلبه ، فصيره كعود زهر أصابه الطل فارتعد .

وأحس الشاعر ان سهما طاش من راميه فأصابه ، فمد يده الى قلبه يتسمع بها دقاته ، وقد أمسك بعضها بعضا حتى أوشكت أن تعصف بأضلاعه ، ثم استدار نحو عاتكة فرآها أرخت الستر وتوارت خلفه ، فتقدم نحوها يبغى أن يحدثها ، فما راعه الا ان شتمته ، وأومأت الى جواريها وخدمها بالرحيل الى « ذى طوى » حيث هيىء لها مقام جليل تنزل به حتى ينقضي الحج .

ولم يدر الشاعر الصب أن « عاتكة » قد غلبت على ذلك بعد أن رأت خدمها وجواريها يلحظنها ، وهي تنظر اليه وتتأمله ، وخشيت على نفسها أن تعود الى أبيها ، وهي بعد ابنة الخليفة ، تسحب من ورائها شائعات بأنها أحبت واحدا من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، فاصطنعت غضبها أمام خدمها ، بينما القلب يئن من سهام العيون .



ولما أن تحركت القافلة ، واختلط الحابل بالنابل ، رجع الشاعر الى مجلسه مع نظرائه من شعراء مكة ، وظل ساهما لا يتكلم ثم جرى لسانه على غرة يترنم بصوت رخيم .

انى دعانى الحَيْن فاقتادنى
حتى رأيت الظبى بالباب
يا حسنه اذ سبنى مدبرا
مستترا عنى بجلباب
سبحان من وقّفها حسرة
صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها اذ تطلبتها
أبٌ لها ليس بوهاب
أحلها قصرا منيع الذرى
يحمى بأبواب وحجاب

وشاعت الأبيات فى عاتكة بمكة ، وشهرت وذاعت ، وانتقلت من لسان الى لسان ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها انشادا وغناء فضحكت، وأعجبتها الأبيات العذبة ، والغوانى يفرهن الثناء ، ويرقق قلوبهن الرجاء ، وبعثت تسأل عن الشاعر ، فاخبرت أنه ((ابو دهبل الجمحى)) فتطامن جاشها ، وسكن خاطرها ، فهو الذى مدح أباها من قبل بقصائد عذبة اهتز لها وجدان معاوية ، فامر له براتب سخى يبعث اليه فى كل عام .

وانقضت أيام عاتكة فى مكة والمدينة ، وكانت لا تود من أعماقها الأوبة الى دمشق ، والى جدران القصر الذى يموج بالخدم والجوارى والوصائف ، حيث يرقبون الرائح والغادى ، ويتسمعون دقات القلوب ، ويعدون أنفاس من يعيش داخل القصر ، وينقلون كل ما تنطق به الشفاه الى هنا والى هناك .

لكم تمنت ابنة الخليفة أن تبقى فى مكة لتذوب مع بسطاء الناس ، وتعيش مثلما يعيشون على اهوائهم ، وتشهد كل ما يجرى بينهم على السجية، حيث لا عين هنا ترقب ، ولا أذن هناك تلتقط ما يجرى به اللسان أو تهمس به الشفاه .

وفى يوم الرحيل من مكة والقافلة على أهبة المسير ، بعثت عاتكة الى ((أبى دهبل)) بكسوة وجائزة ، وبكلمات لا تفهمها الرسل وتنتشى بها قلوب المحبين .

وجرت بينهما الرسل والرسائل ، وعاتكة من قبل ومن بعد ، واحدة من البشر الذين خلقهم الله بقلوب تخفق بالحب ، ولا فرق فى ذلك بين ابنة ثرى وفقير ، أو بنت أمير وخفير .

غادرت القافلة أرض الحجاز وفى قلب عاتكةجوى يتأجج لهيبه كلما ذكرت ((أبا دهبل)) ، وتمنت لو لم تكن ابنة أمير المؤمنين المطوقة بقيد الامارة الثقيل ، وما يتطلبه من مداراة هوى القلب ، وكتمان ما يضطرم بين الضلوع ...

ولكم راودتها فى نومها أحلام عذبة ، وأنها خلصت لهذا العاشق الذى أحبها وأحبته ، وانهما يعيشان تحت سقف واحد ، لا يزحمهما رقيب يعد عليهما الأنفاس ، ويرصد همس الشفاه .

لكنها كانت أحلاما أو أضغاث أحلام ، وحين تفيق عاتكة لا ترى أمامها غير رمال الصحراء كأنها ذرات من ذهب سكبتها الشمس فى سخاء .

ولكم غالب ((أبو دهبل)) خفق قلبه الذى استهام بحب عاتكة ، على يقينه أن النجم البعيد فى السماء ، انما هو أقرب اليه من نيلها زوجة ورفيقة حياة .

لم يستطع أن يشهد عاتكة تفارق أرض الحجاز ، وأخذ يغالب رغبة عارمة فى أن يصحبها ، وغلبته رغبته ، وسار على مبعدة من قافلتها وهي تراه ، حتى اذا حطت فى محلة للراحة من وعثاء السفر ، حط العاشق قريبا من خيامها يرقب غدوها ورواحها ، وينشق من عبير النسمات الرطبة روائح المسك والكافور التي تطيبت بها عاتكة ، فتغيم عيناه ، ويضطرب قلبه ، ويوشك أن يغيب فى اغماءة طويلة .

ولم تجزع عاتكة من مصاحبة ((أبى دهبل)) لقافلتها ، فقد هون الحب عليها أن تحمل عنت اللائمين بأنها شجعته ، وكانت تعهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق ودخلها معها ، فانقطعت عن لقائه ، بعد أن غيبتها عن ناظريه جدران القصر والأبواب ، ومن يقف عليها من الحجاب .

استبدت اللوعة ((بأبى دهبل)) ، فكان يخرج فى الليل ، ويجوس فى طرقات دمشق حتى تقوده قدماه الى قصر الخليفة ، فيأخذ فى الطواف من حوله لعله يلمح شبحها ، أو يلتقى بوصيفتها ،

لتنقل اليها وجيب قلبه المفتون ، حتى اذا يئس من لقائها عاد الى داره ذاوى النفس محزونا ، وألم به المرض وأخذ يهذى فى نومه ويقظته .

طـال ليلـي وبـت كالمحـزون
وملـلـت الثـواء فـي جيرون (١)
وأطلـت المقـام بالشـام حتـى
ظـن أهلـي مرجمـات الظنـون
فبكـت خشـية التفـرق جمّاً
كبكاء القـرين أثـر القـريـن
وهـي زهـراء مثـل لؤلـؤة الغوا
ص ميـزت مـن جوهـر مكنـون
واذا مـا نسـبتها لـم تجدهـا
فـي سـناء مـن المكـارم دون

الى ان قال :

ولقـد قلت اذ تطـاول سـقمي
وتقلبـت ليلتـي فـي فنـون
ليـت شـعرى أمن هوى طـار نومي
أم بـراني البـارى قصير الجفـون

وشاع هذا الشعر فى دمشق ، وتناقله الناس فى المجالس وليالى السمر ، حتى بلغ معاوية فصبر عليه ، وكان قد بلغه خبره مع عاتكة ، حتى اذا كان فى يوم الجمعة الذى يستقبل فيه الوفود والشعراء دخل عليه الناس وفيهم « أبو دهبل » فقـال الخليفة لحاجبـه . اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده الي .

وجعل الناس يسلمون ويخرجون ، فقام أبـو دهبل لينصرف ، فناداه معاوية. يا أبا دهبل الي. فلما دنا اليه اجلسه ورحب به حتى خلا المكان . فقال له : ما ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث قلت :

ولقـد قلـت اذ تطـاول سـقمي
وتقلبـت ليلتـي فـي فنـون
ليـت شـعرى امن هـوى طـار نومي
أم برانـي البارى قصـير الجفـون

غير أنك قلت أ

وهـي زهـراء مثل لؤلـؤة الغـوا
ص ميـزت مـن جوهـر مكنـون
واذا مـا نسـبتها لـم تجدهـا
فـي سـناء مـن المكـارم دون

والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت . فأى شيء زدت فى قدرها ؟ غير أنك أسأت فى قولك :

ثـم خاصـرتها الى القبـة الخضـ
ـراء تمشـي فـي مـرمر مسـنون

ارتاع « أبو دهبل » لحظة ثم قال : والله يـا أمير المؤمنين ما قلت هذا الشعر ، وانما قيل على لساني ولصق بى ، وأمير المؤمنين ، أعزه الله ، يعلم قدره وسناء منزلته فى قلب شاعره الوفي .

أخذ معاوية يتفرس فى وجه أبى دهبل ويستجلى قسماته ، فتضرج بالخجل ، وطأطأ الخليفة رأسه ، والبشر يشيع فى وجهه ثم قال : أما من جهتى فلا خوف عليك أبا دهبل ، لانى أعلم صيانة ابنتي لنفسها ، وأعرف فتيان الشـعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز ومن لم يجـز ، انما أكره لك جوار « يزيد » وأخاف عليـك وثباته ، فان له سورة الشباب وأنفة الملوك .

لم يجد « أبو دهبل » كلمة يقولها لخليفـة المسلمين الذى تدين له الرقاب ، الا أن يرفع اليه وجهه ليرى فيها معاويـة دموعا كبيرة هى أبلغ من كل كلام . أدار الخليفة وجهه الى خادمه ، وأسر فى أذنه كلاما ، فجرى الخادم لساعته ثم عاد يحمل كيسا مختوما دفعه الى أبى دهبل وصحبه حتى غادر آخر أبواب القصر .

نعم . كان معاوية يحب « أبا دهبل » الـذى مدحه وتغنى بفضائله فى شعره دون أن يلقاه ، فقد كان معاوية يقيم فى الشام منذ خلافة أبى بكر حتى بويع له بالخلافة .

كان معاوية يحس بأن هناك شعاعا فى قلبه يربط بينه وبين ذلك الشاعر العف الذى مدحـه فى قصائد رائعة ، شاعت فى أرض الحجاز ، وتناقلتها الركبان والرواة ، وتغنى بها الحداة والمغنون ، حتى بات معاوية يجرى بذكره كل لسان فىالأطراف القريبة والبعيدة على السواء .

لقد أراد معاوية بهذا اللقاء السمح بينه وبين شاعر شبب بابنته ، أن يهرب أبو دهبل فتنقضى القالة عن ابنته ، ويأمن جانب ولى عهده يزيد .

(وكان حلم معاوية بأبي دهبل ، أبلغ من محبته له ، فقد يتغير الحال بين المحبين ، وتتبدل مـا بينهم من وشائج الى سياط من البغضاء ، أما الحلم فعسير علىصاحبه ان يفارقه أو يزايله ،

---

(١) جيرون . مكان قرب دمشق .

انما يظل كامنا فى القلب كالجوهر الاصيل يشع بالجود والصفح والعطاء .

غادر ابو دهبل دمشق وارض الشام يجرجر من ورائه أذيال خزيه من أمير المؤمنين الذى قابل الاساءة بالاحسان ، واستقبل كبوته بأن أعانه على الوقوف آخذا بيديه ، لكنه لم يستطع أن يقف دون قلبه والخفق بحبها . وكذلك عاتكة ابنة معاوية خليفة المسلمين وامير المؤمنين . لم تنسه عاتكة ، وما هو ذا خياله يطوف من حولها بوجهه الصبيح ، ويحملها معه الى مكة حيث كانت هناك فى القافلة ، وأبصرته ونظر اليها قبل أن ترخى الستر .

عاد الى مكة جسدا بلا روح ، وجسما بلا قلب ، فقد ترك الروح والقلب هناك فى دمشق ، فى ذلك القصر الذى يضم خليفة المسلمين وولده يزيد وابنته التى أحبها وأحبته .

لم يقدر ((أبو دهبل)) أن يحول بين روحه وروح عاتكة ، ولم يستطع ان ينأى بقلبه عن ترديد حبها ، فكان يكاتبها وتكاتبه ، وتجرى الرسل بينه فى مكة وبينها فى دمشق ، وهى تتعلل فى رفض خطابها متعلقة بخيط أو هى من خيوط العنكبوت .

وبينما معاوية فى جناحه بالقصر بعد أن خلى الى نفسه يسترجع معها ما أبرم من أمور ، دخل اليه خادم له فقال . يا أمير المؤمنين ، والله لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب ، فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها ، وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم .

قال الخليفة لخادمه . اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فانطلق الخادم ، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة ، فأخذ الكتاب وأقبل به الى الخليفة فقرأ فيه .

أعاتك هلا بخلت فلا ترى
لذى صبوة زلفى لديك ولا حقا
رددت فؤادا قد تولى به الهوى
وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
ولم أر يوما منك جودا ولا صدقا
أتنسين أياما بربعك مدنفا
صريعا بأرض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية
وادعوا لدائي بالشراب فما أسقى

واكبر همى ان أرى لك مرسلا
فطول نهارى جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لى منك مجلس
فاشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة
ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقا

اضطرب فؤاد معاوية ، وتغير وجهه وأحس الغضب يمور فى أعماقه ، وويل للجانى من الحليم اذا غضب ، فقال لخادمه . ادع لى يزيد .

ودخل يزيد على أبيه فوجده مطرقا حزينا فقال . يا أمير المؤمنين ، ما هذا الامر الذى شجاك ؟ قال معاوية . أمر أمرَّ ضنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شانه ، قال يزيد . وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال معاوية وهو يغالب سورته ، هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الابيات الى اختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ وكأنما كان معاوية يتحسس فى ولى عهده مقدار مواجهته لما قد يعرض له من مواقف فى خلافته المقبلة ، وكأنما كان يعرف فى يزيد حنقا تزل فيه قدمه ، وهو بعد فى سورة الشباب وأبهة الملك .

قال يزيد ــ على مظنة بانه سيرضى أباه ــ والله ان الرأى لهين . قال معاوية . وما هو ؟ أجاب يزيد . عبد من عبيدك يمكن له فى أزقة مكة فيريحنا منه ...

أغاظ الرأى معاوية فاندفع يقول . أف لك . والله ان امرأ يريد بك ما يريد ، ويسمو بك الى ما يسمو لغير ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلا من قريش ! او ما تعلم أنك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبدا .

قال يزيد ــ والخجل يأخذ بخناقه يا أمير المؤمنين ، انه قال قصيدة اخرى تناشدها أهل مكة ، وسارت حتى بلغتنى واوجعتنى وحملتنى على ما اشرت به فيه . قال معاوية . وما هى قصيدته التى أوجعتك ؟ قال يزيد . أوما سمعت يا أبى قوله .

ألا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل
وما كل من يلحى محبا له عقل
لقد كان فى حولين حالا ولم أزر
هواى وان خوفت عن حبها شغل

حمى الملك الجبار عنى لقاءها
فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله
ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فواكبدى انى شهرت بحبها
ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجبا انى أكاتم حبها
وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

تنفس معاوية الصعداء لما أن سمع أبيات أبى دهبل يلقيها عليه ولده يزيد فلم يلبث أن قال . قد والله رفهت عنى ،فما كنت آمن ان يقول أنه قد وصل اليها ، فأما الان وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير . قم عنى فقد نبا قوسك وطاش سهمك .

انصرف يزيد من مجلس ابيه يتميز غيظا وحنقا اذ يرى أباه يحلم بالناس ويوسع لهم فى رحابة صدره ، ويأخذ الامور بالرفق حتى أطمعهم فى النيل منه ، ثم لا يرضى فى النهاية أن يحاسبهم ويوقع بهم ما يستحقون من جزاء .

ولقد أدرك معاوية بعد انصراف ولده أنه لابد صانع أمرا يودى بأبى دهبل ويقطع مقالته الى غير عودة . كان يعلم انفة ولده وضيق صدره بما يتداوله الناس ، وان لا شىء أقرب اليه من سيفه ، وان لا كلمة أسرع على لسانه من القتل .

اعتزم يزيد أمرا ، واعتزم معاوية امرا آخر ...

وراودت معاوية فى تلك الليلة أحلام أزعجته ، رأى من خلالها شبح أبى دهبل يروح ويجىء أمامه واجف القلب يتطلع اليه بعينين دامعتين ، كأنما يستنجد بحلمه ليضع عنه ما يعانيه وما يضطرم فى فؤاده المحزون .

وصحا الخليفة من نومه قبل أن يطلع الفجر ، وأخذ يتمتم بأدعيته ، وأتاه صوت المؤذن فقام واغتسل وأسبغ وضوءه وصف محرابه ، وبعد ان صلى الفجر ، أرسل يدعو اليه قيم القصر .

وانقضت ساعة صحا بعدها من فى القصر على هرج فى الابهاء والغرف ، وفى جناح الخليفة ، ثم سرى بينهم نبأ اعتزام الخليفة أن يحج فى ذلك العام .

حج معاوية فى ذلك العام ، فلما انقضت أيام الحج ، كتب اسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعراءهم وكتب فيهم اسم « أبى دهبل » ثم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية ، وأجازهم جوائز جمة . فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية ، فرجع اليه فقال له . يا أبا دهبل ، مالى رأيت أبا خالد يزيد بن أمير المؤمنين عليك ساخطا فى قوارح تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وانفذته الى خصمائنا وموالينا ، لا تعرض لابى خالد .

جعل ابو دهبل يعتذر الى الخليفة ويحلف له أنه مكذوب عليه ، وقد دسه الواشون لينالوا من منزلته عند أمير المؤمنين . قال معاوية . لا بأس عليك ، وما يضرك ذلك عندنا . خبرنى . هل تزوجت أبا دهبل ؟ أجاب أبو دهبل مبهورا . لا يا أمير المؤمنين . قال معاوية . فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال . انها سلمى يا أمير المؤمنين . قال معاوية . قد زوجتك اياها وأصدقتها ألفى دينار وامرت لك بألف دينار . قال أبو دهبل ودموعه تجرى من عينيه . ان رأى امير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى . فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى ، فقد أبحت دمى وابنة عمى التى زوجتنيها طالق ألبتة .

انفرجت أسارير معاوية ، وشاع البشر فى وجهه بعد أن سمع ما حكم به أبو دهبل على نفسه لو عاد الى التشبيب بعاتكة ، فضمن له رضاء يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف أبو دهبل ، وأخذ الخليفة يتجهز للعودة الى دمشق .

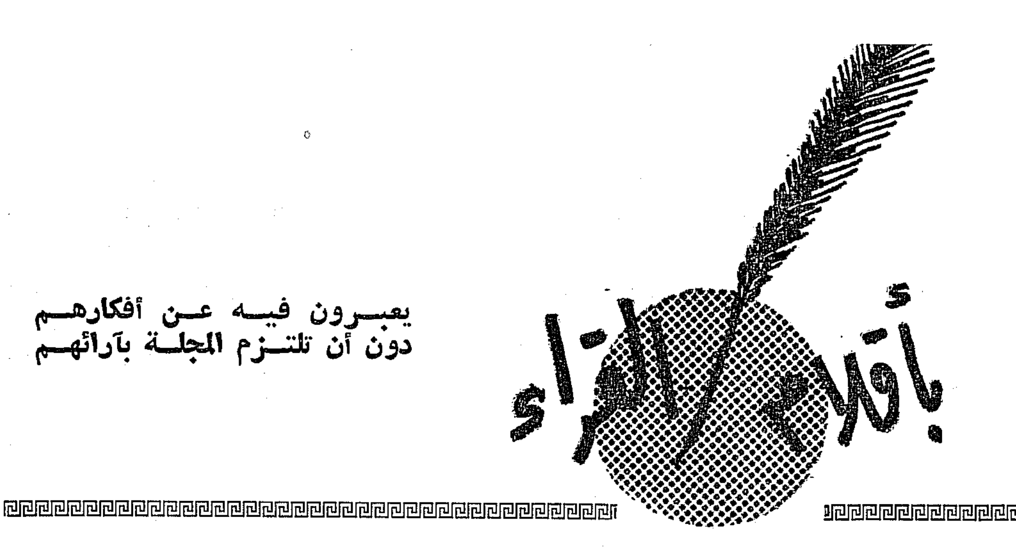
وحطت القافلة فى منتصف الطريق لتصيب حظا من الراحة ، وانعقد مجلس السمر فى امسية فرشها ضياء القمر البازغ ، وامتد السماط والتحديث بين ضيوف الخليفة واصفيائه، ثم بدا للقريب منه أن يسأل .

ترى يا أمير المؤمنين لو سالك سائل عما بينك وبين الناس فماذا تقول اعزك الله وجملك ؟

ابتسم معاوية فى وجه سائله برهة ثم قال .

والله يا أخى انك ما تصورت لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا هم شدوها ارخيتها واذا ارخوها شددتها ...

وعلى الفور سرت فى المجلس همهمة خافتة ... ان الخليفة لم يحج فى تلك السنة الا من اجل أبى دهبل .



خير للبشرية وهى تحث الخطى الى مستوى مادى أفضل ، أن تسعى أولا الى مستوى روحى أسمى وأكمل ، وفى هذا المعنى يتحدث الاستاذ محمد عبد الله الهمشرى مدرس أول اللغة العربية بالمدرسة الثانوية بالمحلة الكبرى فى الجمهورية العربية المتحدة .

بين الحق والواقـــــع

كثيرا ما يختلف الحق عن الواقع . فتشيع فى المجتمع ظواهر وعادات وأمور تفتن الناس ، وتأخذ بحواسهم وقد تعجل لهم لذة تشتهى ، ونفعا يسيل له اللعاب ، ولكنها تصرفهم عن حق يطالبون به ، وتبعدهم عنه ، وتحيله فى نظرهم أمرا غير مقبول ولا مستساغ .

وأضرب لذلك أمثلة .

قال الله تعالى من سورة الشعراء : « كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين. فاتقوا الله وأطيعون». ماذا أنكر سيدنا هود على قومه ؟ .

أنكر عليهم الواقع المادى الذى شغلهم عن الحق أنكر عليهم انهماكهم فىبناء المصانع، والبيوت، والاعتداد بالقوة الى حد البطش والظلم ، كأنهم فيما هم فيه يحذقون ــ خالدون . فذكرهم بالحق فى قوله : « فاتقوا الله وأطيعون » . ودعاهم الى معرفة الله والايمان به والى طاعته كرسول يبلغ شريعة الله .

ومثل هذا الموقف تكرر مع سيدنا صالح وقومه قال الله تعالى : « كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتتركون فيما ههنا آمنين . فىجناب وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . » من سورة الشعراء .

والموقف واحد ، وينحل الى :

أناس هدفهم أن يعيشوا متمتعين بما لذ وطاب ، يبنون ويعمرون . وكلما حصلوا على شىء من المتاع تطلعوا الى ما بعده منهومين لا يشبعون ، وفى كل يوم يظهر العلم من وسائل الترفيه ما يسيل له اللعاب، وتتفتح لهالشهوات ، ولا يهدأ لهؤلاء بال حتى يحصلوا على شىء منه ، وهكذا تنتهى أعمارهم ، وأمامهم فى الدنيا لذات قصرت أيديهم عن أن يصلوا اليها . هذه صورة كثير من الناس الآن . وهى صــورة تثير الفزع والقلق .

ان الله سبحانه يقول : (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيظن الانسان أن يترك غفلا لا يكلف ولا يؤمر ولا ينهي .. لا لن يترك وقد زود بعقل واحساس وجاءت اليه رسالات من عند ربه ، وجعله الله ســيدا لهذا الكون .

والله الذى خلقه بهذه الصورة حدد له غايته (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فالعبادة الهدف من خلق البشر وهى مجال اختبار لهم .

والعبادة تقضى أن يعرف الانسان ربه ويدرك عظمته ، ويؤمن بكتبه وينفذ شرعه ، ويطيع اوامره .. فيشعر بحلاوة الصلة بالله ، ويصطنع الوسائل التى ترضى الله وتصله به وسيجدها فى شرع الله فتكون العبادة حاجة الانسان لا مطلبا لله سبحانه ، وتكون مقاما كريما يجتهد فى الوصول اليه الناس ، وفيه تنافس المتنافسون .

.. أسباب كثيرة صرفت الناس عن دين الله ، وعن معرفته وعبادته ، وعن الغاية المطلوبة منهم . فهم سكارى يتخبطون وهم فى أشد الحاجة الى من يذكرهم بالله ، الى من يجلو الصدأ عن قلوبهم ، الى من يرجعهم فى رفق وأناة الى شرع الله ، وليس معنى هذا البعد عن العمل ، انما تكون هذه الاشياء وسيلة لا غاية . وسيلة الى الحياة القوية ، الحرة ، العزيزة ، الآمنة ، المؤمنة ، النقية .

ذكرى البشير الابراهيمى

وكتب الاستاذ عبد المنعم ابراهيم البحقيرى فى هذه المناسبة يقول :

مرت ذكرى رجل عظيم ، ومكافح قدير جاهد من أجل الاسلام أروع جهاد وأمضى حياته من أجل الحفاظ على حرية بلاده واستقلالها :

عاش الرجل فى وطنه الجزائر حيث الاستعمار الفرنسى يعيش على سلب الخيرات ونهب الاموال ومحاربة اللغة العربية ونشر الثقافة الفرنسية وتخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاصيلة ، ويصادر اموال المسلمين وأوقافهم ومساجدهم ويحولها الى كنائس . فى مثل هذا الجو نشأ البشير الابراهيمي فقاد حركة الاصلاح مع رفاق له آمنوا بمهمتهم فقاموا بها خير قيام . قام بحملة اصلاح دينى لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع والافكار الغربية الدخيلة عليه ، وندد بالسياسة الاستعمارية التى ترمى الى محاربة الدين والقضاء عليه وطالب باعادة اوقاف المسلمين اليهم واستقلال القضاء الشرعى عن القضاء الفرنسى .

ونادى بالاخوة بين العرب والبربر ومحاربة وسائل الاستعمار للتفريق بينهما . ووقف الرجل ليعلن أن الجزائر شعب عربى وليس بقطعة من فرنسا كما زعم الاستعمار .

ووقف فى وجه حركات التبشير التى يساعدها الاستعمار واليهودية العالمية التى تحاول تحقيق أهدافها .

ووقف فى وجه الغزو الفكرى الاستعمارى ليعلن ان تاريخ الاسلام واضح لا شوائب فيه وأن المسلمين قوة لا يستهان بها ، وان مبادئهم مبادىء الحق والمساواة .. مبادىء تهدف الى حرية الانسان وكرامته .

وقف الرجل فى معركته مع الاستعمار الذى نفاه الى الصحراء وتحمل النفى صابرا ثابتا ثلاث سنوات .. ثم واصل السير فى نفس الطريق أصلب عودا وأمضى عزيمة .. واستطاع بالكفاح والعرق أن ينشىء عددا كبيرا من المدارس التى زاد عددها عن اربعمائة مدرسة . واصدر جريدة البصائر . ولم تقتصر خدمات الرجل على الجهاد والكفاح فقط بل ترك أكثر من عشر مؤلفات أغلبها فى اللغة العربية ، كما الف ملحمة رجزية ويبلغ عدد بيوتها ستة وثلاثين ألف بيت دارت موضوعاتها حول تاريخ الاسلام والمجتمع الجزائرى .

وقدم عددا كبيرا من المحاضرات والابحاث والفتاوى التى جمعها تلاميذه لتطبع فى كتب .

هذه قصة البشير الابراهيمى مع الكفاح والنضال من أجل الاسلام واللغة العربية ولم يكن يؤمن بالجزائر وحدها بل كان يؤمن بكل الشعوب التى تكافح من أجل استقلالها ، دافع عن حرية المغرب وليبيا وسوريا والعراق . ودافع عن مسلمى الهند وروسيا والصين .

تحية للرجل العظيم فى ذكراه ...



دور فتاة الاسلام فى معركة البناء

تناولت مجلة المعرفة الجزائرية هذا الموضوع فقالت :

ان مجتمعنا الجديد ، فى معركة التحدى للقضاء على أسباب التخلف ورواسب عصور الانحطاط ، يحتاج الى أن تميز المرأة العربية حقيقة مكانها في الركب الثائر ، وتعى مسؤوليتها الخطيرة فى صنع مستقبله .

وهي لن تستطيع النهوض بهذا الدور ، ما لم تستكمل مقومات وجودها الحر ، دون أن يخونها وعيها لذاتها ، ويخطئها تقدير تبعات الحرية ، وادراك المجال الاصيل ، الذى تحقق فيه وجودها الانسانى والقومى ..

وعلى المعلم يقع عبء كبير فى اعداد فتاة اليوم لتصنع المستقبل ، وهى مهمة يزيدها تعقيدا ما طرأ على حياتنا العامة من تطور وما فتح العصر من آفاق رحبة أمام المرأة الجديد الطامحة ، مما تقتضي حسن ادراك المعلم لروح العصر وايمانه بحتمية التطور ، كى يواجه قضايا الوضع الجديدللمرأة دون أن يقف بمعزل عن سير الحياة، أو يتصور جدوى أى جهد عقيم ، يغلق نوافذ المدرسة وأبوابها ، ليحول دون تأثر بناتنا بمناخ العصر .

وموضع الصعوبة والدقة هنا ، ان انسانية الفتاة تعطيها ما لأخيها الفتى من حق الفرصة المتكافئة فى العلم والعمل ، وأن دفع التطور قضى بأن تستشرف المرأة الجديدة لآفاق غير محدودة ومطلوب منا نحن المعلمين ، أن نقنع هذه الفتاة الطامحة ، بأن حقها المقرر لا يهدر ما بين الجنسين من فروق جوهرية فى الفطرة السوية وأن نرسخ فيها الايمان بمجد الامومة ، وجلال رسالتها فى صنع الحياة ..

وفى الاندفاع الثورى للفتاة العربية والاسلامية الجديدة ، تنيط الامة العربية والاسلامية بمعلميها مهمة تحرير فهم الفتاة الجديدة لمعنى الحرية ومغزى المساواة وجوهر العصرية ، كيلا يتشابه عليها الامر فتخلط بين التحرر والتحلل ، وبين المساواة والمسخ ، أو تخطىء فهم العصرية فتحسبها مجرد زى أنيق أو صورة مستعارة أو مظهر شكلى ..

كما تنيط بهم مهمة وصل جديد المرأة العربية والاسلامية بعريق ماضيها ، لتتحرر — وتحرر ابناء الغد من عقدة النقص التى روجها فينا الزعم الباطل بأن شرقيتنا سمة تخلف ، وأن الحرص على الموروث من مقومات أصالتنا ظاهرة رجعية وجمود ..

وانهم لأهل لاحتمال التبعة فى هذه المرحلة الثورية من تاريخنا ، لانهم يشغلون مركزا قياديا فى شعب يخوض معركة التحدى لبناء مستقبله وشعاره .

((أن لله عبادا ، اذا أرادوا أراد)) .

نزعة صحفية خطيرة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة هدى الاسلام الأردنية تقول :

أصبحت الصحافة عنصرا أساسيا فى حياتنا المعاصرة . ورسالة تتصل بمجالات الحياة كلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأدبية والعلمية والعسكرية ، ولا يستغنى عن وجودها شعب مهما كان ترتيبه فى القافلة البشرية .

والصحافة يجب أن ترمى الى رفعة الانسان وخدمته وتحريره من سلطان الأنانية وقيود الجهل والسطحية الفكرية . كما لا بد من أن تعمل على تحريره من سلطان الغرائز باعلائها والتسامى بها ، والافادة منها فى نواحى الخير والهناء للسير صعدا فى معارج الكمال ، ولن يتأتى هذا للصحفى الا اذا قدم لأمته الغذاء الناضج من فكر وفلسفة وثقافة وعلم ، انه ان فعل ذلك ساعد على بناء مجتمع فاضل وأمة قوية صحيحة الجسم سليمة البناء ، ولكن بعض الصحف العربية نزعت الى عرض الجنس بالقصص المكشوف والصور الفاضحة طلبا للرواج والمغنم ، وسارت بعيدا فى كشف الأستار عن الاجساد العارية والعلاقات

الفريزية المثيرة محدثة بذلك بلبلة جنسية وثورة غريزية لدى شباب الجيل . وشدت أفكارهم وأخيلتهم الى حمأة القيم الرخيصة والمعاني المبتذلة ، والتصورات الهابطة مما يؤدى الى ارتكاب السوء والاثم والمنكر . وبالتالي يختل التوازن الاجتماعي وتختل المعايير وأعتقد أن ذلك لا يؤدى الى خير .

ومن الطبيعي أن أمثال هذه الصحافة لن تترك ما هي عليه ، ولن تتزحزح عن طريقها المرسوم قيد أنملة ما دام القائمون عليها يرون أنها وسيلة ناجحة أيضا لتمييع الشباب وتحطيم عزائمهم ، وقتل كرامتهم وابعادهم عن الحياة الفكرية والخلقية التي تبنى الأمم وترفع صرح المجتمع عاليا .

ولقد أرغمت الحالة الخلقية البئيسة في فرنسا الرئيس ديجول على أن يصدر أمرا بمنع دخول أصحاب الشعور المسدلة من الشباب على طريقة « البيتلز » الخنافس من دخول فرنسا ، كما منع الشباب الفرنسى من هذه العادة وفعلاكان .

وهل هناك مايمنع من أن تصدر الدولة أمرا بمنع الصحف والمجلات الجنسية من الدخول الى أراضينا .

بين العامية والفصحى

وتناول مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية بالمملكة الليبية ــ هذا الموضوع فتقول :

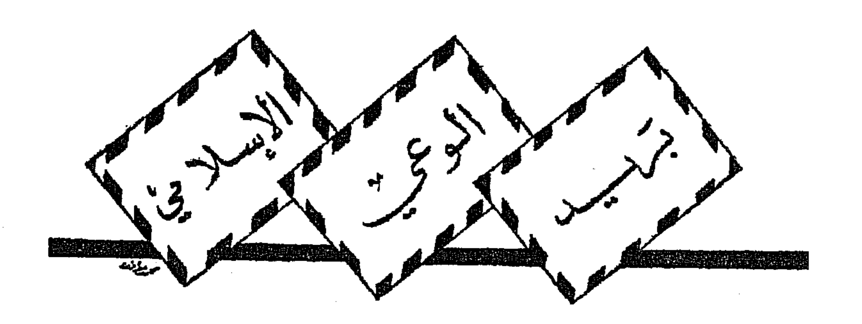
ومما ينبغى أن نلاحظه أولا وآخرا أن العرب فى كل مكان من عنصر واحد ، بقدر ما يسمح اختلاط الشعوب بوحدة العنصر ، وهم يتكلمون بلسان واحد هو اللغة العربية التي قد تختلف قليلا في لهجاتها من قطر الى آخر ، أو من جزء من أجزاء القطر الى جزء آخر ، ولكنها في الفصحى هي بعينها في كل مكان . والتراث الأدبى والعلمي والفني واحد مشترك . ولقد حاول الاستعمار أن يفرق وطننا الكبير أوطانا ليغلبنا على أمرنا بالفرقة ، وليستغلنا ويسلبنا خيرات بلادنا ، ويتخذنا اتباعا نتحرك بارادته ونخضع لأمره . وكان من وسائله فى هذا تشجيع اللهجات المحلية ، ونصر الرطانات العامية ، وتقبيح التمسك بالفصحى فيما نكتب ونقرأ ونفكر . ومن أجل ذلك نهض رجال الاصلاح وذوو الغيرة من المسلمين ، عربا وغير عرب . يدعون الى تماسك الأمة العربية بلغتها تماسكها بوحدتها لأنه مما لا جدال فيه أن اللغة هي أقوى هذه الروابط بين جميع المسلمين ، حيث أنها لغة قرآنهم وأحاديث نبيهم . ولم يكن غير العرب بأقل غيرة من العرب على هذه اللغة التي جاء بها القرآن ، وكانت معجزته على طول الأزمان .

وتشير كل حركة اصلاحية حدثت فى التاريخ الى أنها كانت تقع بين الشعوب التي تتكلم لغة واحدة . ولا نعنى باللغة تلك اللهجة التي قد تتفرع منها ، وانما نقصد بها الفصحى التي يتخذها الكتاب أداتهم في التعبير . نقصد اللغة الام التى يتعلمها الجيل الصاعد فى المدارس والمعاهد . فقد كانت اللغة هي اساس الوحدة الألمانية ، والوحدة الايطالية فى القرن التاسع عشر ، وهي أساس الرابطة العامة . فعندما يتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة فمعنى ذلك أن بينهم من الصلات مالا يعده الحصر . واذا كان بين الشعوب التي تتكلم اللغة العربية شيء من الخلاف فى أنماط التفكير وفى العادات والتقاليد ، فهو خلاف يسير لا يشوه الصورة العامة ، وفى هذا التنوع ما يشبهه فى الامم المعروفة بتماسكها الشديد فى عقيدتها وتقاليدها .

دور الأسرة فى المجتمع

وكتبت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلي : ــ

ان المجتمع الذى هو مجموعة أفراد ، لا يصلح الا بصلاح أفراده .. لم يرو لنا التاريخ عن مجتمع متقدم أفراده متأخرون . فلذا وجب أن ينصب اهتمام المصلحين والقادة على تقويم الفرد ، ولزم أن ينشأ نشأة سليمة فى البيت والمدرسة والمؤسسات التربوية . ووجب أن يكرس اهتمام الحاكمين على تثقيف عقله وتقويم طبعه وخلقه واذكاء جذوة الايمان فى صدره .. الايمان بالمثل العليا ، وبحب الخير .. ليصبح فردا صالحا ، وليتكون من أمثاله المجتمع الصالح الذى ننشده . ان المجتمعات المتخلفة لا تشكو شيئا شكواها من انعدام التربية والتهذيب فى نفوس أفرادها . فقد نجد منهم من أخذوا بحظ وافر من الثقافة ، ولم يصيبوا الا اليسير من التربية فنراهم أقرب الى البدائية والبهيمية منهم الى الانسانية . لا تعادل بين القوى المفكرة وبين الغريزة فيهم . ينساقون مع أهوائهم مثلما ينساق النحل والنمل مع الغرائز التي ركبها القدر فى طباعهم ، فجعلهم يسيرون على مقتضى جبرية حتمية . ولاهمال التهذيب والتربية نرى أفراد المجتمع قلما يسلكون فى تصرفاتهم حسب العقل الواعى المدرك الذى ميزهم به القدر عن باقى المخلوقات . فيلزم اذن أن تكرس الجهود فى آن واحد على تنمية العقل وتربية النفس ليكون الفرد صالحا فى حد ذاته وليصلح به المجتمع .



رسالة من طنجة

فى بريد الوعى هذا الشهر عدة رسائل من المملكة المغربية ، أعرب فيها كتابها عن اعجابهم الشديد بالمجلة ، وتطوعهم بالدعاية لها ، والمطالبة بتيسير الحصول عليها ومضاعفة الكميات المرسلة منها .

ومن بين هذه الرسائل رسالة مطولة من الاستاذ / الحسن بن محمد بن الصديق المدرس بثانوية الخطيب بطنجة يصور فيها حاجة الشباب المسلم الى عرض الاسلام عرضا ملائما لروح العصر عرضا يتصدى للزحف المادى المدمر ، والتيار الالحادى الجارف الذى يتقاذف الشباب يمنة ويسرة ليغرقه فى محيط القلق والشك ، وندع القارىء ليطالع جزءا من هذه الرسالة .

انه لمن حسن حظى أن وقعت بيدى مجموعة من أعداد مجلتكم الغراء المسلمة عن طريق صدفة لا أعرف ما أقول عنها الا أنى أحمد الله كثيراً عليها ، اذ أتاحت لي التعرف على مجلة طالما أسفت أنا وكثير من أمثالي الذين يعملون بحقل التدريس بالمدارس الثانوية على فقدان مجلات من نوع مجلتكم تعنى بشؤون الدين والثقافة والحضارة الاسلامية بأسلوب يساير روح العصر ، ويتخصص للكتابة فيها أعلام كبار يعرفون كيف يجذبون الشباب لقراءة ما يكتبون سواء من ناحية الموضوع أو طريقة العرض او حسن الاقناع ، حتى تسد الفراغ الذى كثيرا ما اشتكى منه شبابنا وجعلوه عذر عدم اقبالهم على المجلات الدينية لأن الموجود منها على قلته لا يجدون فيه ما يحببهم فى قراءته خصوصا أمام مزاحمة المجلات العلمية والأدبية والفنية والقصص والروايات المفرية والمثيرة سواء باللغة العربية أو الأجنبية ، مما يجعل مهمة بعض المخلصين الغيورين فى توجيه الشباب الى الثقافة الاسلامية وما تشتمل عليه من كنوز العلم والمعرفة ومحاربة تيار الالحاد الجارف نتيجة الثقافة الاجنبية والتأثر بالحضارة الغربية وتقديسها أمرا صعبا ومحدودا . ولكنى بعد ما قرأت هذه الأعداد التي وقعت فى يدى من مجلتكم . ورأيت تنوع موضوعاتها ومقدرة كتابها مع ما تمتاز به من حسن العرض واتقان الطبع وما يزينها من صور وتحقيقات واستطلاعات . أخذت فى الدعاية لها بين أصدقائي وتلامذتى وغيرهم وما منهم الا وتمنى أن لو كانت تعرض للبيع عندنا . اذا لسدت فراغا بين شبابنا فى توجيههم الى الثقافة العربية بصفة عامة ، وعملت على مزاحمة المجلات الغربية الاجنبية . وبذلك يكون للكويت فضل كبير على شبابنا فى توجيهه الى الثقافة العربية والاسلامية ، وتوقيفه على أمجادها وما يجرى فى عالم العروبة والاسلام من نهضة وتطور وأحداث حتى يقاوم مركب النقص الذى خلفه الاستعمار فى نفوس ناشئتنا ، مما يجعلنا نكبر جهود القائمين على المجلة ونتمنى ظهور أمثالها فى بلادنا وكل البلاد العربية الشقيقة .

وبعد فشكرا للأخ على رسالته ، وتمنياتنا له بالتوفيق ، وسيجد طلبته من المجلة لدى السيد أحمد عيسى صاحب مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

الاحرف السبعة

قرات حديثا مرويا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف .. فما معنى الاحرف السبعة التى تلقى بها النبى القرآن الكريم ؟

محمد المرضى ـ السودان

القرآن الكريم نزل بلسان العرب « انا أنزلناه قرآنا عربيا » ولسان العرب تختلف لهجاته باختلاف القبائل ، فهناك لهجة قريش ، ولهجة هذيل ، ولهجة هوازن . الخ ... وأن اشهر هذه اللهجات سبع ، ومن أمثلة هذا الاختلاف فى نطق كلمة «حتى» فقريش تنطقها بالحاء وهذيل تنطقها بالعين . ولو كلف الله العرب جميعا مع اختلاف لهجاتهم القراءة على وجه واحد لشق عليهم ذلك ، فمن تيسير الله على عباده حفظ القرآن وتلاوته أنه أنزله على الاوجه التى ينطقون بها .

والقرآن الكريم نزل معظمه بلغة قريش ، فطلب النبى صلى الله عليه وسلم من ربه ان يزاد على هذا الوجه ، فاستجاب الله له ، ولم يزل يزاد حتى انتهى الى هذه الاحرف السبعة ، وفى رواية مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال : ان أمتى لا تطيق ذلك ، ومعنى هذا انه لو نزل كله بلغة قريش خاصة لتعذر على غيرهم من القبائل تلاوته ، فخفف الله عنهم ، وأنزل عليهم القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة ..

ومما تجب ملاحظته ان القرآن الكريم أنزله الله تعالى على هذه الاوجه التى ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه الحكيم ، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التى تحدى بها جميع معارضيه من فحول البلاغة ، بل كان اختلاف الاحرف التى نزل بها آية اخرى من آيات اعجازه ، اذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين ان يحتجوا على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة . وصدق الله « ولقد يسرنا القرآن للذكر » ....

ردود قصيرة

السيد عبد الحميد عيسى غازي طالب ثانوى ج . ع . م

كلمتك الأدبية « عبر الجمال » المتواضعة ـ على حد تعبيرك ـ والتي بعثت بها الى المجلة لعلها تجد مكانها فى باب « بأقلام القراء » كلمة وصفية ، وهذا الباب لا يتسع الا للكلمات الهادفة الواقعية التي تستهدف خدمة المجتمع الاسلامي ، ونحن نحمد لك رحابة صدرك ونحقق لك رجاءك فى التوجيه والنصح فى هذا الباب ، ونأمل أن تكون رسالتك التالية فى هذا الاتجاه .

السيد علي ن . يس الكويت .

لا يشفع لك فى فعلتك الا أنك كنت دون البلوغ ، أما وقد بلغت فان الواجب يتقاضاك أن تصارح والدك بالحقيقة ، وأن تبادر بتبرئة والدتك مما نسب اليها ظلما وافتراء ، وأن تترضاها ما استطعت ، ونحن على ثقة من أن قلب الأم أوسع من خطيئتك .

الأخ حبيب الله بن محمد موريتانيا .

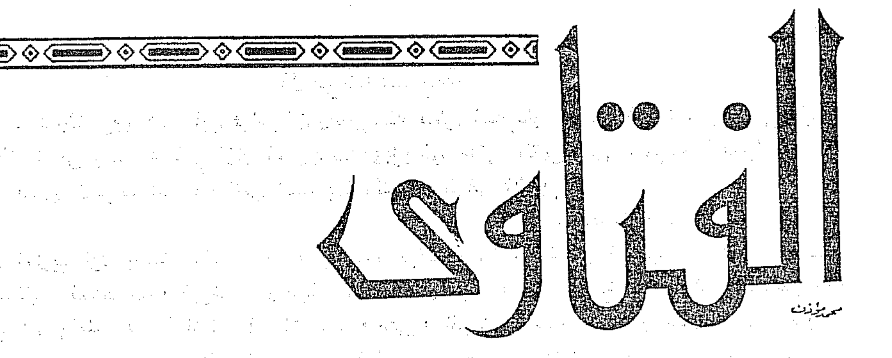
نحن نعمل على العثور على وكلاء لتوزيع المجلة فى جميع أقطار الأرض ، ويمكنك الحصول على المجلة عن طريق مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

السيد مسعد فرج القريف ـ كلية الآداب والتربية ـ بنى غازى ليبيا .

وكيل المجلة بليبيا السيد محمد بشير الفرجاني وعنوانه طرابلس الغرب ص . ب ١٣٢ .

السيد / حسين أحمد الحامد الكويت .

المجلة ترسل الى حضرموت ، ويمكن طلبها من مكتبة الشعب المحدودة بالمكلا ص . ب (٢٨) ونحن نرحب بعلماء المسلمين فى حضرموت ، فاكتب الى من تعرف منهم لموافاتنا بمقالاتهم .



هدايا الخطبة

السؤال : ـ

ورد من السيد / ج . أ . د من الكويت السؤال الآتي :

تقدمت لخطبة بنت وتمت الخطبة وفى أثناء الخطبة قدمت هدايا كثيرة ولكن عقد الزواج لم يتم ، فهل لي الحق فى المطالبة باسترداد هذه الهدايا ؟ .

الاجابة : ـ

المقرر شرعا أن الخطبة هي طلب المرأة للزواج بها . فهي من مقدماته ، غاية الامر أنه أبيح للخاطب النظر اليها أثناء الخطبة كما ـ قال عليه الصلاة والسلام ـ (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) أى تدوم المودة بينكما بعد ذلك .

فاذا رآها ورأته بالقدر الذى يكفى لكل منهما أن يتعرف على الآخر حصل فى قلب كل منهما ما يكون سببا للاقبال على الزواج أو الاعراض عنه ، فهي مجرد وعد بالزواج ، وليست عقدا به ، ولكل من الطرفين الحق فى العدول عن خطبته ، وهو حق ثابت عند جميع الفقهاء .

وبما أن الثابت أن الخطبة ليست الا مجرد وعد بالزواج ـ فالخاطب اذا عدل عن خطبته ـ وكان قد قدم هدايا لمخطوبته مثل الشبكة أو الهدايا التي تقدم فى المناسبات المختلفة كالأعياد والمواسم فقد اختلف الفقهاء فى هذه الهدايا : فيرى بعضهم أن مثل هذه الهدايا تعتبر هبة ، وتاخذ حكمها ، ويطبق عليها قواعدها فله حق الرجوع بما لم يستهلك . فالموجود منها يرد الى الخاطب ، وما استهلك لا ترد قيمته .

ويرى البعض أن الخاطب لا يرجع فى شيء مما أهداه ان كان العدول منه ، ولو كانت الهدايا باقية ، أما اذا كان العدول منها فله الحق فى استرداد كل ما قدمه من هدايا ، سواء فى هذا ما كان باقيا على حاله أو لم يكن باقيا فيأخذ الباقي وقيمة ما استهلك .

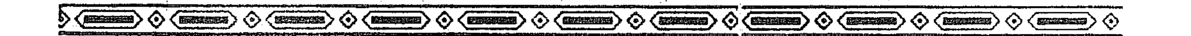
ونحن نختار الافتاء على أساس أن العدول لو كان منها فعليها أن ترد كل شيء وصل اليها من الخاطب بعينه أو قيمته . وان كان العدول منه يسترد الأشياء الباقية بعينها ، أما ما استهلك فلا حق له فى المطالبة بقيمته .

يجب التفريق

السؤال : ـ

ورد من ج . س / العراق السؤال الآتي :

أردت الزواج أنا وابنى من أختين شقيقتين : الكبيرة لي والصغيرة لابنى ، وأجرى العقد ، وفى ليلة الزفاف حصل خطأ ، فدخلت زوجة كل منا فى حجرة الآخر ، لاقامتنا



فى منزل واحد ، وحصل الدخول الفعلي دون أن يتنبه واحد منا الى هذا الخطأ ، حيث لم يكن أحد منا قد رأى زوجته من قبل ، وفى الصباح تبين هذا الخطأ . فما حكم الشريعة فى ذلك ؟ .

الاجابة : ــ

لا شك أن دخول كل واحد منكما بمن دخل بها كان على أساس أنها زوجته الحقيقية ، ولذلك يعتبر هذا الوطء فى حكم الشريعة وطئا بشبهة .

وقد ذهب الأئمة الأربعة الى أن الوطء بشبهة يوجب التحريم ويسقط الحد ، ومن ثم فتحرم موطوءة كل منكما على الآخر تحريما مؤبدا . كما أجمع جمهور العلماء وأصحاب الرأى على أن الرجل اذا وطىء امرأة بنكاح فاسد فانها تحرم على أبيه وابنه وابن ابنه وأجداده .

وقد ورد فى المغنى ص ٥٤٥ ــ جـ ٦ (وتحرم موطوءة الأب من غير تزويج لدخوله فى قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) . كما أن تحريم موطوءة الابن على أبيه بشبهة تدخل تحت عموم قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) .

لهذا نفتيك بأن الاختين حرمتا عليكما تحريما نهائيا فلا تحل واحدة منهما لاى واحد منكما ، ويجب التفريق فورا .

وانا لننصح كل مسلم راغب فى الزواج أن يتبع ما أرشدت اليه الشريعة الاسلامية من تعرف كل منهما على الآخر ، وقت الخطبة ، فى وجود الأسرة ، وينظر اليها ، حتى لا يحدث مثل هذا الخطأ الجسيم ، فقد ورد عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال لهالنبى صلى الله عليه وسلم (انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما) . وعن محمد بن سلمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها) .

ولو اتبع المسلمون ارشادات الشريعة فى حياتهم لما وقعوا فى كثير من المتاعب ، فهذان الزوجان كم تكلفا وأنفقا ... وفى الوقت الذى تهيأ فيه الجميع لبدء الحياة الزوجية السعيدة يحدث هذا الخطأ الذى نغص عليهم حياتهم ... ولو حصل تعارف فى حدود الشريعة قبل الدخول لما حصل كل هذا .. كان الله فى عونهم جميعا .

فى الميراث

السؤال

توجد امرأة ليس لديها أب ولا أم ولا زوج ولا ولد ، انما لها من اقاربها أخ من أمها. ورجل كان تزوجها سابقا وطلقها وهو يقرب لها لأنه ولد خالتها .

ارجو الافادة . من يرثها ؟ .

الجواب

لعدم وجود أحد من أقارب هذه المرأة سوى أخيها لأمها تكون تركتها للأخ المذكور : السدس فرضا والباقي وهو خمسة أسداس التركة ترد له أيضا لعدم وجود مستحق سواه .

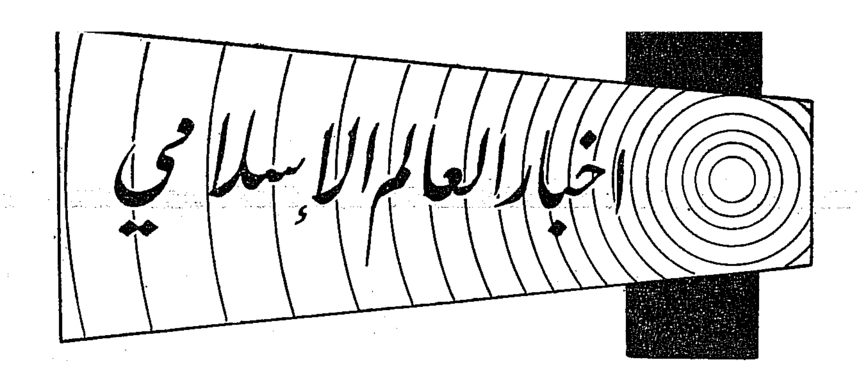
هذا اذا كانت عدتها من زوجها الذي طلقها قد انتهت .

أما اذا كانت لا تزال فى العدة حين وفاتها فان التركة توزع كالآتي :

الزوج له النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث .

الأخ لأم يكون له النصف الباقي فرضا وردا .

وقرابة الزوج السابق لها بكونه ابن خالتها لا تجعل له حقا فى الميراث لانه من ذوي الأرحام .



الكويت

* تبرع سمو ولي العهد بمبلغ ثلاثة آلاف دينار مساهمة في بناء جامع مدينة الثورة في العراق .
* تلقى سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كتابا من رئيس الجمعية الإسلامية في ليفربول يشكر فيه حكومة الكويت على تبرعها بمبلغ ٥ آلاف دينار مساهمة منها في بناء مسجد الرحمة هناك .
* تبدأ الدراسة في جامعة الكويت الجديدة في الشهر القادم .
* أبلغت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بموافقة الكويت على عقد اجتماع وزراء الخارجية العرب .
* أعدت الجهات المختصة خطة خمسية للقضاء على الامية ، وتهدف برامج تعليم الكبار الى محو الامية بالنسبة للمهارات الاساسية واللغوية والحسابية .
* تعتزم وزارة التربية اقامة مدرسة صناعية في الخليج العربي خلال العام القادم .
* وصلت الى تركيا طائرة خاصة تحمل كميات من الخيام والاغطية والمواد الطبية للمساهمة في تخفيف وطأة الزلازل التي حلت ببعض مناطق الجمهورية التركية .
* غادرت الكويت الى بغداد طائرة خاصة تقل بعثة طبية لمكافحة وباء الكوليرا الذي ظهرت بوادره في العراق الشقيق .

القاهرة

* ردت الجامعة العربية على تقرير لجنة التوفيق الدولية بشأن أراضي العرب وممتلكاتهم في القطاع المحتل من فلسطين العربية ـ أبرزت فيه بالأدلة والوثائق أنه ليس هناك من حل بشأنها سوى استعادتها وردها الى أصحابها الشرعيين .
* بلغ عدد المدرسين والوعاظ الازهريين المعارين هذا العام ٥٢٠ أرسلوا في ٢٤ دولة .
* أوفدت وزارة الاوقاف بعثة من علماء الازهر الى توجو .
* أوضحت احصائيات اليونسكو أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر الآن ثاني دولة في العالم من حيث الميزانية المخصصة لنشر ودعم العلاقات الثقافية الخارجية .

السعودية

* يتابع جلالة الملك المعظم زياراته الرسمية للمغرب وغينيا ومالي وتونس وكان جلالته قد زار من قبل طهران وكراتشي ومدريد وواشنطن وأنقرة .
* قررت وزارة الحج والاوقاف ـ بعد موافقة الجهات الشرعية ـ رفع قبة مقام

ابراهيم ، تمهيدا لوضع قبة مكانها أصغر حجما من الكريستال وذلك لتوسعه المطاف ، وينتظر أن يتم تركيب القبة الجديدة قبل موسم الحج القادم .

*** تبرعت الحكومة بمبلغ ٧٠ ألف جنيه استرليني لمنكوبي الزلازل فى تركيا .**

***

بغداد ــ صرح السيد رجب عبد المجيد نائب رئيس الوزراء بأن هدف الحكومة هو توحيد جميع القوى الشعبية فى العراق ، وتنفيذا لهذه السياسة صدرت الاوامر بالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين .

الجزائر ــ نظم المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر جولات لأعضائه فى عدد من المدن الجزائرية للتوجيه الروحي والتوعية الدينية .

هاجمت صحيفة الثورة الافريقية موضة فوق الركبة للسيدات وقالت . ان الموضة التى تكشف عن الافخاذ ، وتبرز معالم الجسم لا تتلاءم مع عقلية الشعب المسلم .

أعلن رسميا ان الحاج ابراهيم نياس أحد كبار شيوخ القبائل السنغالية عين عضوا فخريا فى المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر .

السودان ــ أعلن السيد الصادق المهدى رئيس مجلس الوزراء السوداني أن حكومته ستعيد النظر فى قوانين البلاد ، وتغير منها ما ينافي تعاليم الاسلام ، وأنها ستعمل على دعم التربية الاسلامية .

ليبيا ــ تضم الجامعة الاسلامية فى ليبيا ثلاث كليات : أصول الدين والشريعة واللغة ، كما تضم ١٣ معهدا ابتدائيا واعداديا وثانويا ، ومعهدا للقراءات ، وأكثر من ١٤٢ مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتقبل الجامعة الطلاب من جميع انحاء العالم الاسلامي .

الاردن ــ جرت اتفاقات سرية بين السلطات الاسرائيلية وعدد من الدول الاجنبية على قبول العائلات العربية وتوطينها وعدم السماح لها بالرجوع ، وقد تم ترحيل ستين عائلة من منطقة الناصرة وحدها الى كندا .

ــ اهاب المؤتمر الهندسي العربي العاشر الذى عقد أخيرا فى القدس ــ بالملوك والرؤساء أن يسارعوا الى انهاء مأساة فلسطين واعادة الحق الى نصابه ، وقد اشترك فى هذا المؤتمر ٤٧٠ مهندسا يمثلون الدول العربية .

متفرقات

لندن ــ يقوم البروفسور آرثر أوبرى احد كبار العلماء فى الشئون الاسلامية واستاذ اللغة العربية فى جامعة كمبردج بوضع تاريخ شامل لخطوط المصاحف .

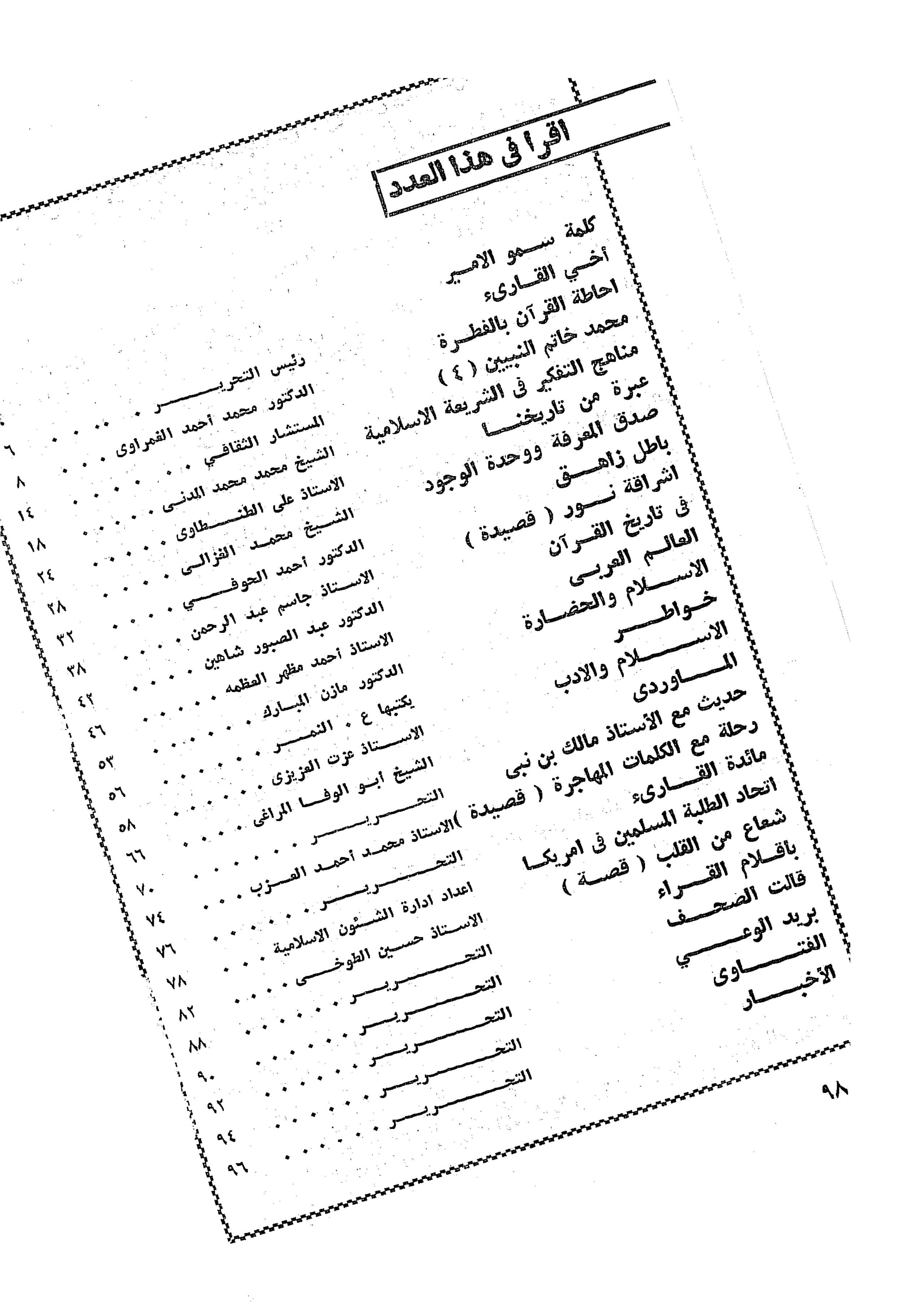
جوهانسبرج ــ أقام المسلمون مسجدا مكان بناء قديم كانوا يقيمون فيه الصلاة منذ خمسين سنة بلغت نفقاته ٢٥ ألف جنيه استرليني ، وقد طلبت حكومة جنوب افريقيا هدمه لانه بناء غير مشروع .

لويزفيل ــ صرح محمد علي كلاى بطل الملاكمة فى العالم بأنه يعمل منذ سنتين للتبشير بالاسلام وانه يتجول فى البلاد لهذا الغرض .

هونج كونج ــ هاجم المتظاهرون الصينيون أحد المساجد فى بكين أثناء حملتهم على العادات القديمة والاتجاهات الدينية .

الارجنتين ــ افتتح المركز الاسلامي فى الارجنتين مكتبة الشيخ محمد عبده ، وقد خصص لها جناح كبير فى مبنى المركز .

كندا ــ نظمت بعض الجمعيات الاسلامية رحلة لاعضائها الى البلاد العربية ، وبلغ عدد المشتركين فيها حتى الآن ١٥٠ مسلما .



اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامــر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات منـــا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهــــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامةــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : ص ب ٥٢ ــ السيد عبد الله حســين نعمه

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـــى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

عمـــان : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى

القـــدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيســـــى

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الســــودان : ص ب ١٥٥ ــ الخرطــــوم

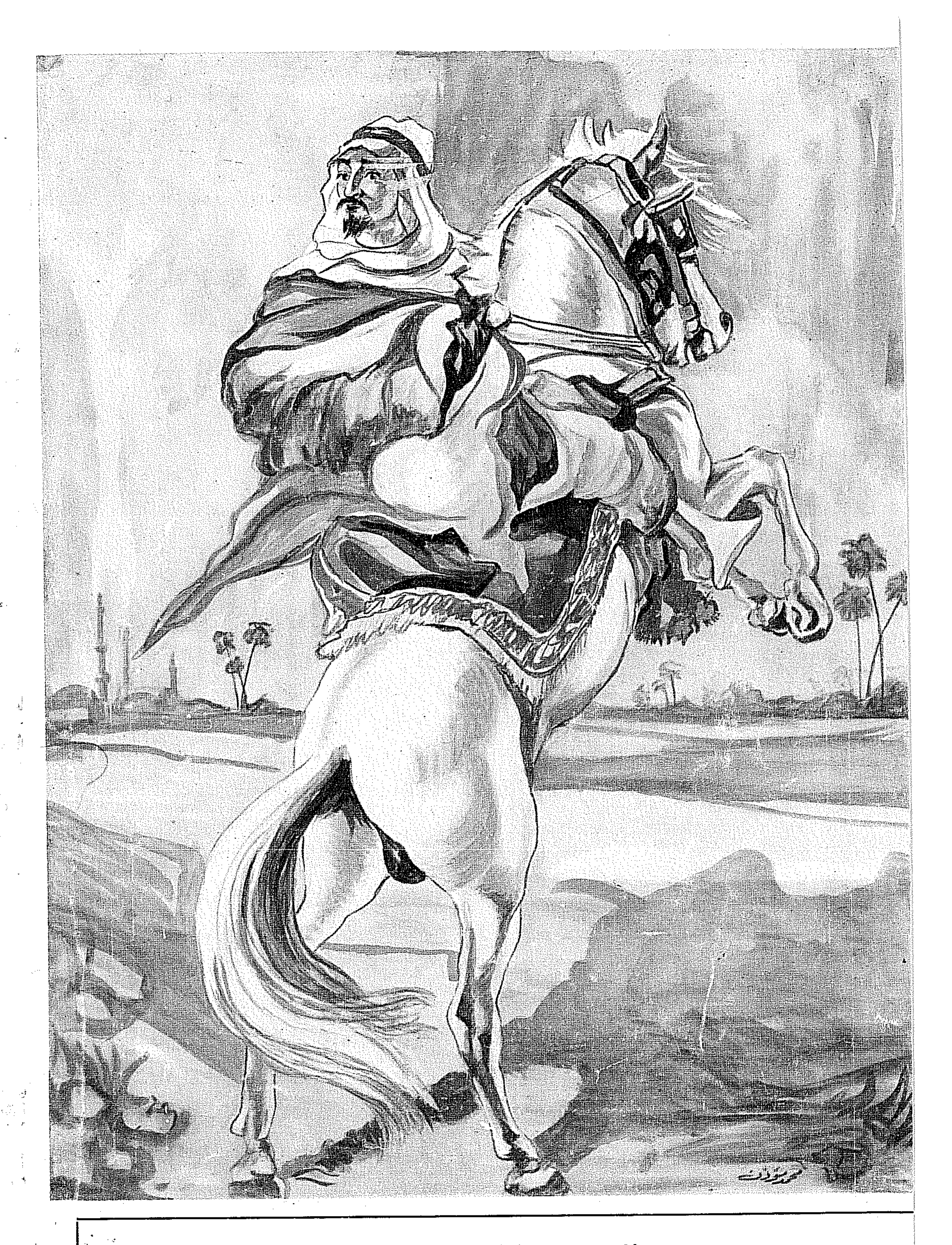
مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكـــويت : مكتب منـــار للتوزيع ــ شارع الجهـــره ..

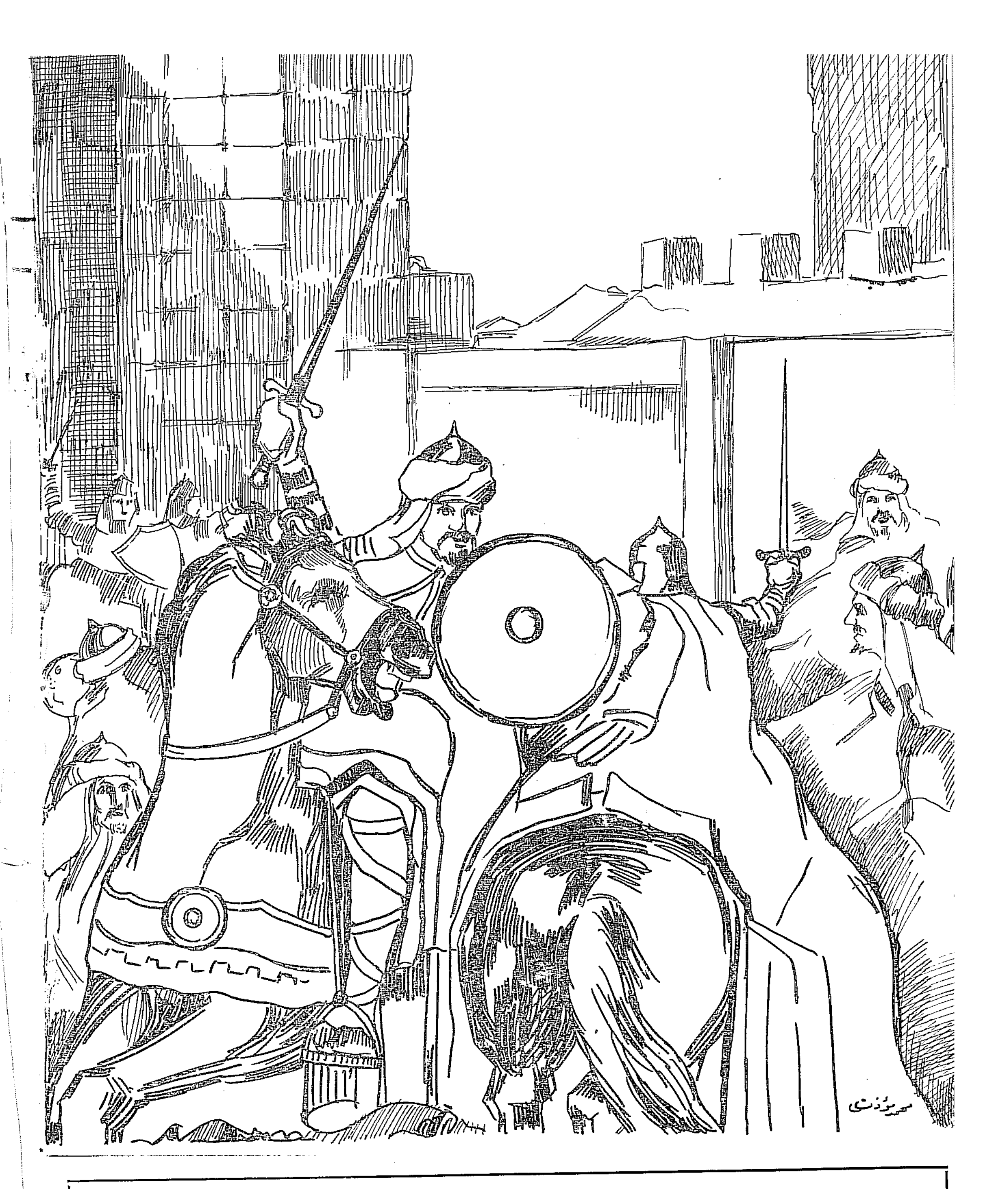
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



فارس عربي فوق صهوة جواده



السنة الثانية ✱ العدد التاسع عشر ✱ رجب ١٣٨٦ هـ ✱ اكتوبر ١٩٦٦م



جيش المسلمين بقيادة القائد

(أبو المهاجر دينار)

يحاصر قرطاجنة

اقرا فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع عشر ـ السنة الثانية

غرة رجب سنة ١٣٨٦ هـ

١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

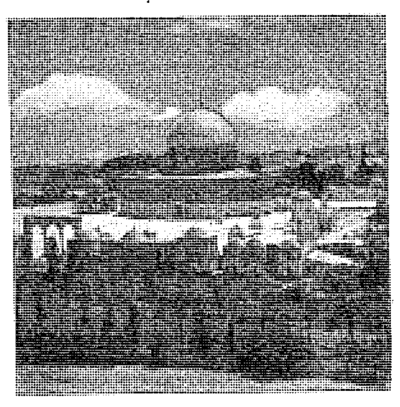
مدير التحرير

علي عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلي

صورة الغلاف



قبة الصخرة المشرفة ملتقى آمال المسلمين وتتجلى فيها عظمة البناء ودقة الصنع وروعة الفن وجمال الموقع .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



يخرج هذا العدد والمؤتمر الثالث لعلماء المسلمين يجتمع بالقاهرة فى رحاب الأزهر الشريف .. ليبحث مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، ويسهم فى حلها حلا يتفق مع اتجاه الاسلام فى بناء المجتمع ، ومع المصلحة العامة للمسلمين ..

وقد حضرت المؤتمر الاول عن قرب ، وتابعت بحوثه ومناقشاته ، وعرفت الكثير من العلماء المشتركين فيه .. وكنت ألمس فى كل منهم الغيرة الصادقة لرعاية أهدافه ، والرغبة المتوفرة لتحقيقها ، كما كنت ألمس مقدار ما يملأ صدور الناس من أمل يعلقونه عليه فى حل مشكلاتهم .. لأن الناس يحسون احساسا فعليا بكثير من المتناقضات بين مجرى حياتهم وتعاليم دينهم ويتمنون حلا لهذه المتناقضات .

وحين غادرت مصر الى الكويت لأشارك بجهدى المتواضع فى تحقيق الرسالة الكريمة التي تضطلع بها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، لست أكثر مما لمست من قبل مدى الآمال التي يعلقها المسلمون على مؤتمر العلماء ، ومدى حاجة الناس الى مقرراته ، وكنت كلما شاركت فى بحث مشكلة من المشكلات المستحدثة ، سواء كانت وليدة الأخذ بنظام الحياة الذى اقتبسناه من الغرب ، أم كانت وليدة البيئة ، نجد حرجا – أحيانا – فى البت فيها برأى ، فتتجه أفكارنا رأسا الى المؤتمر .. مؤتمر العلماء .. هل قطع فيها برأى ؟ أو لا تزال تحت البحث والدراسة .. ونحس احساسا مكبرا بضخامة الآمال والمسئولية الملقاة على عاتق هؤلاء العلماء الأفذاذ ، الذين اختيروا من كل البلاد الاسلامية .. ليختطوا على هدى من الشريعة وعلى احساس من واقع الحياة التي يحياها المسلمون طريقا واضحا ترتاح اليه ضمائرهم ، ولا يجدون فيه (مطبات) بين عقيدتهم وتعاليم دينهم ، وبين ما تقتضيه المصالح الحتمية فى سير حياتهم التي اشتبكت مع سير الحياة فى العالم كله ..

واذا سمح لي أساتذتنا واخواننا المشتركون فى هذا المؤتمر أن نشارك من بعيد فى خدمة أهدافهم التي هي أهداف كل مسلم ، فاننا نرجو كما رجونا أول مرة ، أن يجابهوا المشكلات بحلولها دون تزمت تضيق به الصدور ، ويتوقف به سير الحياة ، ودون تحرر يشبه التحلل من المبادىء الاسلامية خضوعا للأمر الواقع وتسليما له ..

اننا نريد أن يعيش كل عالم فى موضوعه باخلاص وبصيرة ، بعيدا عن اتخاذ موقف يدر عليه التصفيق من جانب المتزمتين أو من جانب المتحللين . وأمامنا مشكلات تحتاج الى هذا الاخلاص وهذه البصيرة . والوقت يجرى ، والآمال معلقة ، والنفوس منتظرة ، ولا نريد للآمال أن تذبل ، ولا للنفوس أن تمل الانتظار .. وتيار الحياة لا يرحم ولا يتوقف .

ان هناك فريقا من علماء طائفة من المسلمين أصدروا فتاوى صريحة فى بعض المشكلات كالربا والتامين وانشاء البنوك .. ويتبعهم عشرات الملايين من المسلمين



ومن هذه الطائفة علماء مشتركون فى المؤتمـر .. فما رأيــه فى هذه الفتاوى ، دون تعصب أو مجازفة ؟ .

وهناك بدع فى الدين ظاهرة يصر كثـير من الناس على مباشرتها ، وتحتاج الى شجب قوى من المؤتمر وقول فصل فيها ..

وهناك اختلافات فى أمور بين فقهاء المسلمين قد يكون لهم عذرهـم آنذاك فى اختلاف وجهات نظرهم حولها .. ولكن بعد أن وضحت أمامنا كل الأحاديث ووسائل الأدلة أصبح من الممكن اختيار وجهة النظر التي تتفق مع قوة الدليل .

وهناك وجهات نظر أو فتاوى فى الامور الفقهية ولا سيما فى المعامـلات أبداها أصحابها ودونوها لأنها تتناسب والمصلحة فى زمانهم ، وقد تغير الزمان ، وأصبحت وجهة النظر غير معقولة ، ولا متفقة مع المصلحة ، فلماذا تبقى ويلتزم المتعلمون والعلماء أن يضيعوا وقتهم فى دراستها ، وتظل مصدرا للفتوى بها ؟ .

هناك اختلاف يحصل دائما بين المسلمين فى بدء صيامهم وتحديد أعيادهم واداء مناسك حجهم . ويثير ضجة وبلبلة ومرارة فى النفوس كـل عام . فلماذا يبقى هذا الاختلاف مع آثاره فى النفوس ؟ ...

هل يمكن الاعتماد على الحساب الفلكي فى الصيام والأعياد كما اعتمدنا عليه فى تحديد أوقات الصلاة ؟ وهل يمكن بعد ذلك للمؤتمر أن يعمل على ايجاد الطريقة التي يمكن بها الاتفاق على توحيد البدء فى الصيام ، والاحتفال بالأعياد ، وأداء مناسك الحج ، متعاونا فى ذلك مع جامعة الدول العربية ؟ ..

لقد قلت فى افتتاحية العدد الأول لهذه المجلة كلمة أجدني فى هذه المناسبةفىحاجة لأن أذكر منها :

((ان المسلمين يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها ... لم يعودوا يكتفون بتقرير : أن الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها)) .

((ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والأصوليون كتبهم وقواعدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كـل مشاكل الحياة التي عاصروها ، بل زادوا عليها افتراضات أوجدوا لها حلولا)) .

((والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال)) .

((وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد .. ولو بشكل جماعي .. لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية)) .

((فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الحديثة ؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو)) .

واذا كنت حينذاك قد اتجهت بهذا النداء الى كتابنا ــ ومنهم بلا شك السادة العلماء المشتركون فى هذا المؤتمر ــ فانني الآن أخص به علماءنا الأفاضل ــ موضع الأمل والرجاء ــ فى الوقت الذى تتجه فيه القلوب الى الأزهـر حيث يجتمع مؤتمرهـم فى رحابه ، ويتخذون مقرارتهم على ضوء رسالته ، رسالة الاسلام الخالدة .

والله من وراء القصد ، وهو الموفق والمعين .

رئيس التحرير



في ذكرى الإسراء والمعراج



للشيخ/علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه . « ... ثم بعث آدم فمن دونه فأمهم فى تلك الليلة . » أخرجه الطبرانى .
وعند مسلم من رواية عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه « ثم حانت الصلاة فأممتهم » .
وفى حديث أبى أمامة عند الطبرانى فى الاوسط « ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا » ..
وفى رواية يزيد بن ابى مالك « ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء فقدمنى جبريل حتى أممتهم » .. الخ ما روى فى هذا مما حفلت به كتب الحديث الشريف .

١ ــ من آمن بالله سبحانه ، وأيقن بأنه تعالى قادر على كل شيء ، وأن علمه محيط بكل ما دق وما جل لأنه خالقه : « هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور » «١» من عرف ذلك لا يداخله ريب فى صدق رسل الله وما وقع لهم من معجزات أعيت سائر البشر أن يأتوا بمثلها ، ولا يصح بحال أن يقاس غائب على شاهد بمقاييس العقول الحادثة المخلوقة التى ما استطاعت أن تجول فى غير المحسات لتنتج ، وهذا

(١) سورة الحديد / الآيتان ٤ ، ٥ .

يقتضينا أن نوقن يقينا جازما بقيومية الله وعظمته وأنه وحده مدبر الكون ومصرف شؤونه ونسأله أن يهدينا سواء السبيل .

٢ — من هذا المنطلق ندرك أن الاسراء والمعراج وقعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد والروح معا ، وان الله أراد منهما أن يطلع حبيبه ومصطفاه على ملكوت السموات والارض ، وأن يرى ويشاهد مدى عظمة المخلوقات التى لا يقع عليها حس البشر ولا يمكن أن يقع ،فهى فوق ما يؤملون ، وفى مستوى لا يرقى اليه الا الذى اختاره ربه ليحمل خاتمة الرسالات السماوية « لنريه من آياتنا الكبرى » ، وفى الوقت نفسه ليكون ذلك اختبارا لمدى ايمان المؤمنين وكشفا لنفاق المنافقين (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة)، وقال العلماء السابقون . (ان الحكمة فى تقديم الاسراء الى بيت المقدس على العروج الى السماء ارادة اظهار الحق لمعاندة من يريد اخماده ، لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح ،فلما ذكر أنه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها ، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الاسراء الى بيت المقدس فى ليلة ، واذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره فكان ذلك زيادة فى ايمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد) «١» .

٣ — وبدأت رحلة الاسراء بأن جيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدابة دون البغل وفوق الحمار «٢» يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحمل عليه ومعه الروح الامين ، ولم يزايل ظهر تلك الدابة حتى انتهيا الى بيت المقدس،وهنا يروي الامام احمد عن ابن عباس قوله .

(فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى قام يصلى فاذا النبيون أجمعون يصلون معه) «٣» . ولدى فراغه من الصلاة انطلق به جبريل الى السماء الدنيا ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء » وتكرر هذا السؤال والجواب عند كل سماء حتى السابعة ، وكانت له لقاءات مع الرسل والانبياء فى كل سماء.

ففى السماء الدنيا لقى أبا البشر آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، وفى السماء الثانية وجد يحيى وعيسى فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قالا : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ، وفى الثالثة وجد يوسف فسلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، وفى الرابعة التقى بادريس فسلم عليه ورحب به ، وفى الخامسة رأى هارون فسلم عليه ورحب به ، وفى السادسة شاهد موسى ، وفى السابعة وجد ابراهيم فقال له جبريل : هذا أبوك ابراهيم ، فسلم عليه فرد عليه

---

(١) ص ٢٠٠ جـ ٨ فتح البارى طبعة الحلبى بالقاهرة.

(٢) هو البراق . وقد وردت له أوصاف كثيرة متعددة ، قال ابن ابي حمزة خص البراق بذلك الشرف لأنه لم ينقل أن احدا ملكه . بخلاف غير جنسه من الدواب ، والقدرة كانت صالحة لأن تصعده من غير براق ولكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه لأنه لو صعد بنفسه لكان فى صورة ماش ، والراكب أعز من الماشي .

(٣) (ولما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال : أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم الى القبلة فصلى) رواه الامام أحمد .

السلام قائلا : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم رفع بعدها الى سدرة المنتهى ، وبعدها رفع له البيت المعمور يقول صلى الله عليه وسلم : (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك) ثم عرج به حيث فرضت الصلوات .

٤ ـ فى خلال الرحلة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء كثيرة ، لا نرى بأسا من ايراد بعضها مستقى من أوثق مصادر السنة ، للذكرى والعبرة (والذكرى تنفع المؤمنين) .

أ) روى البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم مر بشىء يدعوه متنحيا عن الطريق فقال له جبريل سر ، ثم مر على عجوز فقال : ما هذه ؟ فقال له جبريل : سر ، ثم مر على جماعة فسلموا عليه فقال جبريل : اردد عليهم ، ثم شرح له جبريل ما رأى قائلا : الذي دعاك ابليس ، والعجوز هى الدنيا ، والذين سلموا عليك : ابراهيم وموسى وعيسى .

ب) وروى البزار أنه عرض على رسول الله أقوام بيض الوجوه واخرون فى ألوانهم شىء، ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا فخرجوا وقد خلصت الوانهم ، فقال له جبريل . هؤلاء من امتك خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولعل فىهذا المشهد تفسيرا للاية الكريمة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ..) «١» .

ج) وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل قائلا مالى لم آت أهل سماء الا رحبوا وضحكوا الي غير واحد سلمت عليه ورد على السلام ورحب بى ولم يضحك الى ؟ قال . ذاك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك الى أحد لضحك اليك ، ورآى صلى الله عليه وسلم النار فاذا هى لو طرح فيها الحديد والحجارة لاكلتها ، نسال الله السلامة من شرها .

د) رأى جبريل على حقيقته الملائكية التى خلقه الله عليها عند سدرة المنتهى ، قال ابن عباس عند شجرة النبق التى ينتهى اليها علم كل عالم ، وما وراءها لا يعلمه الا الله وحده ، وهذه الشجرة هى كما وصفها الله . « عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . روىاحمد ومسلم والترمذى انها فى السماء السابعة نبتها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة ، يسير الراكب فى ظلها سبعين خريفا لا يقطعها .

٥ ـ ولما كان لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معراجه قد تكرر كثيرا مع الملائكة ، فلهذا وجب أن نعرف شيئا عنهم ، وليكن معلوما أن الحديث عنهم حديث سمعى بمعنى أنه سمع من الصادق الامين ، كما ورد ذكرهم بالقرآن الكريم ، فالايمان بهم منالامور الرئيسية فى الدين كالايمان برسلالله وكتبه واليوم الاخر ، قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) « ٢ » . ومن أنكر وجودهم كفر لانه أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة واردا بالقرآن العظيم والسنة الشريفة .

والملائكة . أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٦) .
(٢) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

ما يؤمرون ، روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضوعا لقوله كأنه صلصلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال الحق وهو العلي الكبير » (وطبيعتهم الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته والقيام بأوامره وهـــم يتصرفون فى شؤون العالم بارادة الله ومشيئته وهو سبحانه يدبر ملكه وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم) (١) . قال تعالى . (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) .

وظائفهم

تحـــدثت عـــن وظائفهــــم كتب التوحيد (أو علم الكلام) طويــلا وقال العلماء : ان الواجب على كــل مسلـــم ومسلمة أن يعرف أن لله ملائكة يسبحون له الليل والنهار لا يفترون وهذا اجمالا ، وان يعرف بعضـــهم ووظائفهـــم التـــي يقومون بها كما حددها الصادق الأمـــين فيما أوحاه اليه رب العالمين . كجبرائيل وهو الروح الأمين الذى نزل بوحى الله على رسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وميكائيل ، وهو المكلف مـــن قبل الله تعالى بأرزاق العباد يوزعها كما أمره ربـــه ، وعـــزرائيل وهـــو قابض الأرواح عند انتهاء الآجـــال وورد أنـــه يقبض روح نفسه فى المدة التالية للنفخة الأولى ويســـتمر فى عمليـــة قبض روح نفسه أربعين سنة ، واسرافيل ، وهـــو الذى ينفخ فى الصور مـــرتين . المـــرة الأولى يصعق بها كل شيء الا من شاء الله ، والنفخة الثانية يقوم بها من مات بعد الأولى قال تبارك وتعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فاذا هـــم قيام ينظـــرون) (٣) . ومنهم الملك المكلف بتسجيل حســـنات البشر والملك المكلف باحصاء سيئاتهم ، قال تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (٤) . ومن فضل الله على عباده أن كاتب الحسنات يثبتها فى كتاب العبد بمجرد أن يهم بها وان لم يفعلها ، فان فعلهـــا كتبهـــا عشرا وقد تضاعف الى سبعمائة، وان كاتب السيئات لا يثبتها الا اذا عملها العبد فعلا ، فاذا هم بها (أى بالسيئة) ولم يعملها خشية لله كتبت له حسنة ، وان تركهـــا لعدم توفر أسبابها لم يكتب عليه شيء . ومنهم منكر ونكير وهما اللذان يسألان المرء فى قبره بمجرد أن يغادره آخر قدم من المشيعين . نسأل الله أن يلهمنا الجواب، ومنهم مالك خازن النار وهو الذى لم يبتسم قط منذ أن خلقه الله كما تقدم ، ورضوان حارس الجنان جعلنا الله من أهلها جميعا .

(وللملائكـــة عمـــــل فى تـــدبير أمور الكون من ارسال الرياح والهـــواء ومن سوق السحب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس ، وهم يلازمون الانسان فى حياتـــه كلهـــا وبعد مماته) (٥) .

قال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه

---

(١) ص ١١٤ العقائد الاسلامية للشيخ سيد سابق .
(٢) الآية (٥٠) من سورة النحل .
(٣) الآية (١٨) من سورة الزمر .
(٤) الآية (١٧ ، ١٨) من سورة ق .
(٥) ص ١١٩ العقائد الاسلامية .

ومن خلفه يحفظونه (١) من أمر الله ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ماباأنفسهم .. (٢) قال المفسرون (أى للانسان ملائكة يتعاقبون عليه . حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من المضار ويراقبون احواله ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ أعماله من خير وشر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر قدامه فهو بين أربعة ملائكة بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل ، حافظان وكاتبان كما جاء فى الحديث الصحيح « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهو يصلون» (٣) .

٦ ـ ونختم الحديث عن الاسراء والمعراج بالاجابة على تساؤل وارد فى هذا المقام وهو : هل رأى سيدنا رسول الله ربه حقا ؟ والجواب . أن للعلماء منذ عهد رسول الله كلاما كثيرا حول هذا الموضوع (روى البخارى عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت عن ثلاث من حدثكهن فقد كذب . من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (٢) (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب . ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) الآية ، ولكن رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين) . قال الامام النووى رحمه الله (لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ، ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا . والمراد بالادراك فى الآية الاحاطة وهو لا ينافى الرؤية) . وأقول بعد استقراء كامل لآراء القوم ودراسة المذاهب المختلفة فى كتب البحوث العقلية والمناقشات التي دارت رحاها فى العصور الأولى للاسلام . انى خرجت مؤمنا بأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه حقا وصدقا ، وهذا مما لا يمنعه العقل ، ولو ذهبت أورد الأدلة العقلية لطال البحث فى غير طائل ، وعسانا لا نكون بعيدين عن الحقيقة بل متابعين للسلف من أئمة هذه الأمة والله أعلم ، وأسأل الله القوى القادر أن يعيد ذكرى الاسراء والمعراج على أمة سيد الرسل بالشمل الجميع والخير العميم والكلمة الموحدة ، ويهىء للمسلمين من أمرهم رشدا انه سبحانه نعم المسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، وصلاة وسلاما على امام الأنبياء وخاتم المرسلين وآله وصحبه .

---

(١) أي هم يحفظونه بأمر الله واذنه وجميل رعايته وكلاءته .

(٢) الآية (١٠ ، ١١) من سورة الرعد .

(٣) ص ٧٦ تفسير المراغى جـ ١٣ طبع الحلبى بالقاهرة ١٩٤٦ .

للاستاذ
احمد حسين المحامي

هل هناك بعث بعد الموت ؟

البعث والحساب والجنـة والنار من تعليم الرسل التي ألقوا بها الينا ، واذا جاز لبعض الأقدمين أن تعيا عقولهـم بهذه الغيبيات فان ذلـك لم يعد جائزا فى العصر الحديث ، بعد أن كشف لنا العلم من آياته ما كشـف حتى لقد أوشكت هذه الغيبيات أن تدخل فى نطاق التجارب العلمية ، أو بالأحرى دخول بعض الظواهر المماثلة فى نطاق هذه التجارب .

ولنبدأ برأس هذه الأمور كلها ، ونعنى به البعث والنشور بعد الموت .

صلة الموت والموتى بالحياة والأحياء

من المتفق عليه أن أعظم ظاهرة تصدع الانسان وتقهره هي ظاهرة الموت الذى يخترم حياته على حين غـرة ، بعد أن يخترم حياة الكثيرين ممن يعرف الانسان ويحبهم ويعزهم ، أو يستمين بهم .

ومن المتفق عليه كذلك ، أن كل نشاط يبذله الانسان من أى نوع كان ، ليس الا محاولة للابقاء على ذاته فى مواجهة هذا الموت ، فالانسان لا يأكل أو يشرب أو يلبس ، ولا يتحرك ، ولا يعمل ، فضلا عن أن يفكر الا لاتقاء خطر الموت الذى يقف له بالمرصاد ، ومعنى هذا أنه لولا الموت لما أخذت الحياة هذه الصورة التي هي عليها .

فكما أن الموت هو ختام الحياة ، فهو فى ذات الوقت ينبوع النشاط الحيوى ، أى أن كلا منهما مصدر للآخر ، واذا كان العقل يؤكد لنا أن الحياة وجود ، فهو يؤكد لنا فى احدى بديهياته ، أنه يستحيل أن يتحول الوجود الى عدم ، كما لا يمكن أن يتحول العدم الى وجود ، ومعنى ذلك أن الموت لا يمكن أن يكون عدما ما دام ينبثق من الحياة ، وكل الذي يمكن أن يتصور أنه تبدل وتغير ، وانتقال من حالة الى حالة ، ومن صورة الى أخرى ، كما هو الشأن بالنسبة لكل ما فى الطبيعة التي توصف بأنها صيرورة أبدا .

كل شيء فى الطبيعة يدور

ولعل أول ظاهرة من ظواهر الطبيعة التي لاحظها الانسان من مراقبته لها ، هو أنها تدور أبدا ، فتنتهى حيث تبدأ ، وتبدأ حيث تنتهي ، فالشمس فى كل يوم تشرق ، فتبدد الظلام ويكون النهار ، لتغرب من جديد ، فيكون ليل وظلام ، وهكذا دواليك .

والقمر تتعدد أوجهه يبدأ هلالا ويظل يتكامل حتى يصبح بدرا مضيئا ، لكي يأخذ طريقه بعد ذلك نحو التناقص ، حتى يدخل فى المحاق ، ليولد بعد ذلك هلالا جديدا .

وقد رأى الأقدمون فى هاتين الظاهرتين ظاهرة الشروق والغروب المتجددتين ، ما يشير الى بعث الانسان بعد الموت . ونحن نعلم اليوم ، أن ظاهرة الليل والنهار ، وأوجه القمر وفصول السنة ، تنشأ كلها من دوران القمر حول الأرض ، ودوران الارض حول نفسها ، ودوران الاثنين حول الشمس التي تدور بدورها حول نفسها ، وقد لا يعود هناك مجال لاستنتاج فكرة البعث من تعاقب الليل والنهار ، ولكن ستبقى أمامنا الحقيقة التي أصبحت الآن ثابتة ، هي أن كل ما فى الطبيعة يتحرك ، ويتحرك فى دوائر ، حتى أصغر الذرات ليست سوى دوائر ، اليكترونات تدور حول بروتونات ، والدوائر هي التي لا تعرف اين طرفاها ، فكل نقطة فيها بداية ونهاية فى آن واحد .

دورة الأحياء

واذا كان كل ما فى الطبيعة يتحرك فى دوائر ، فان الحياة وهي جزء من الطبيعة لا تشذ عن القاعدة ، فكل وحدة فيها تدور حول نفسها ، وتدور فى الفضاء حول غيرها ، وما عليك الا أن تراقب دورة النبات أى نبات وهو يدور حول نفسه فى الزمان والمكان ، فبينما هو ميت فى الشتاء تفمؤه العين ونزدريه ، فلا يحل الربيع عليه حتى يورق ويزهر ثم يثمر ثمرا جنيا ، ليتساقط ثمره وورقه بعد ذلك ، ويعود الى الخمود والسكون من جديد ، وهكذا دواليك ، وحيث تنبثق الشجرة من البذرة ، فان منتهى كمال الشجرة أن تتحول الى بذرة ، لتتحول البذرة الى شجرة من جديد عندما تواتيها الفرصة .

دور الحياة الانسانية

ويدور الانسان حول نفسه فى الزمان والمكان كأى حي آخر . انظر اليه وهو لا يزال بعد طفلا عاجزا لا يكاد يرى أو يسمع ، ثم يأخذ فى النمو والتكامل ، فيرى ويسمع ويحس ويتكلم ، ويتحرك ، ثم يقف على قدميه ، ويتعلم ويفكر ، حتى يشتد ساعده ويصل الى ذروة قوته وكماله ، لكي ينحسر من جديد ، لتذبل قواه وتضعف صحته وحواسه ، فيقل السمع والبصر والقدرة على الحركة ، حتى ليعود اذا امتد به العمر طفلا من جديد فيه كل خصائص الطفل وأخلاقه وسلوكه (١) .

---

(١) وصور القرآن هذه الحالة فى هذه الاية : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير »

ويبلغ الانسان كمال النضج الانساني ، عندما يكون قادرا على الاخصاب ، عندما يتلخص الانسان الكامل فى بذرة أخفى من الخفاء ، وهي الحيوان المنوى ، الذى يظل متربصا حتى تواتيه الفرصة ، فرصة اخصاب بويضة الأنثى ، لينبثق من الاثنين الجنين ، فالطفل ، فالانسان الذى تتمثل فيه كل صفات أبويه ، ليبدأ بدوره دورة من دورات الحياة الطبيعية التي لا تنتهي .

المادة لا تفنى

وقد قيل لنا ان آخر المعطيات العلمية من أن المادة لا تفنى قد جرى عليه تعديل على ضوء ما تكشف لنا من حقائق ، فأصبح القانون « مجموع المادة والطاقة لا يفنى » ذلك أنه قد ثبت ان المادة قد تتحول الى طاقة ، وان الطاقة قد تتحول الى مادة ، ولكن المجموع يظل ثابتا لأنه لا شيء يذهب الى عدم ، ولا شيء يأتي من العدم .

فهذا الماء الهابط من السماء أبدا ، ليس شيئا سوى مياه البحار والمحيطات والأنهار ، وقد بخرتها أشعة الشمس ، فارتفعت الى الفضاء سحابا ، لتنزل من جديد أمطارا ، تملأ الأنهار والبحار والمحيطات ، وعندما ترى النار تشتعل فى أى قطعة من الخشب فتتلاشى الخشبة أمام عينيك ، فانما حدث هو أن الخشبة المحترقة قد عادت الى العناصر التي كونتها : ماء وكربونات وضوء شمس ومعادن ، لتؤلف من جديد شجرا يحرق على شكل خشب أو فحم ، لتعود سيرتها الأولى وهكذا .

والمصانع التى أصبح يغص بها العالم ، أصبحت تعتمد كلها تقريبا على اعادة صهر وتشغيل ، والانتفاع بما فسد وتلف واستغنى عنه من الفضلات والعوادم والنفايات لاعادته للاستعمال الجيد كما كان . .

وقد لا تعرف أن المياه القذرة التي تغص بها المجارى العمومية ، قد أصبحت تنقى وتطهر لتعود مياها رائقة صافية سائغة للشاربين ، صالحة لشتى صنوف الاستعمال .

وهكذا أصبحت الحياة اليومية للبشر تعتمد على هذه الحقيقة ، من أن المادة لا تفنى ، وما يبدو فى الظاهر أنه تلاشى وتبدد ، يمكن استعادته دائما على صورة أو أخرى .

ما الذى يعنيه الراديو والتلفزيون واجهزة التسجيل

وقد حان الوقت الذى يسائل فيه كل انسان نفسه ، ما معنى هذه الآلات الجديدة التي دخلت الى كل بيت ، ويحملها معه كل انسان ، ويستمتع بثمارها ؟ انها تعنى أن ليست المادة فقط هي التى لا تفنى ، بل ان كل صوت ، كل حركة ، كل همسة تقع فى هذا الكون ، لا يمكن أن تفنى ، وانما تبقى ابدا ، وتبعث كلما شاء الانسان أن يبعثها

فأصبحنا نرى فى الافلام السينمائية وعلى أشرطة التلفزيون والراديو ، صورا أو حركات ، وأحاديث وانفعالات للذين ذهبوا عن هذه الدنيا منذ سنوات وسنوات ، حتى لقد أبلاهم التراب ، ولكن صورهم لا تزال تتحرك أمامنا كما كانوا يتحركون فى الحياة ، واصواتهم تهزنا كما كانت تهزنا أثناء حياتهم . .

ومعنى ذلك ، أن الكلمة وقد خرجت من فم قائلها ، والحركة بعد أن صدرت من ارادة فاعلها ، لم تنته ، ولم تتلاش بمجرد النطق بها ، أو الفراغ من أدائها ، وانما هى حية باقية مسجلة .

وما على الانسان منا الا أن يتكلم أمام آلة تسجيل ، ثم يعيد تشغيل الآلة ، لكى يعجب وهو يسمع صوته وهو يسمع أنفاسه تتردد ، وهو يسمع الهمهمة من حوله ، حتى جرس الباب الذى دق أثناء التسجيل ، أو صوت بوق السيارة

فى الشارع ، أو انصفاق أحد الابواب ، كل ذلك يراه مثبتا مسـجلا ، ليثبت الحقيقةالعلمية المقررة أن لا شيء يذهب الى العدم أبدا ، فكل الذى كان لا يمكن الا ان يكـون أبدا .

ولا يقولن قائل انالاصوات والحركات والصور قد سجلت وأمكن استعادتهـا بواسطة الالات ، فحيث لا آلات فـلا تسجيل ولا استعادة ، فان الالات لا تسجل ولا ترسم أو تنقل الا ما سجل بالفعل على صفحة الكون ، فالكلمـة عندما تخرج من فم انسان قد سجلت أولا على صفحة هذا الكون ، والالـة عندما تسجلها انما تلتقط احد انعكاسات الكلمة التى ستظل تدوى وتدوى على صفحة الكون الى أبد الابدين ، وكذلك الشأن بالنسبة للحركات والصـور ، حتى لقد قال لنا العلماء (علماء الطبيعة) فى العصر الحديث ، انه لو تصورنا انسانا يعيش على أحد الاجرام السماوية التى تبعد عن الارض أربعة آلاف سـنة ضوئية ، ولو تصـورناه يملـك منظارا ضخما يمكنه من رؤية ما يجرى عـلى الارض ، لكان هذا الانسان يرى الان فى هذه الساعة ، الحوادث التى كانت تجرى على الارض منذ أربعة آلاف سنة ، أى لرأى المصريين القدامى وهم يبنـون معبد الكرنـك أو لـرأى تحتمـس أو رمسيس الثانى وهما يخوضان معاركهما فى قادش ومجدو .

ويذهب العلماء مع فروضهم الى حد القول بأنه سيكون من المستطاع يوما ما اختراع آلات تستعيد الصـورة والاصوات والحوادث القديمة المبثوثـة فى الفضاء ، لاستعادة التاريخ القديم(١) .

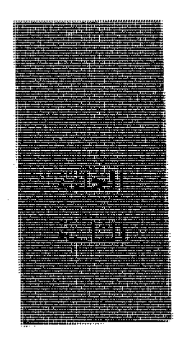
ومن حقنا أن نسائل بعض المتشدقين بالعلم ، اذا كان هذا هو مدى ما وصلت اليه الاجهزة والالات من تسـجيل الحركة والهمسة ، مثبتة بذلك : أن لا شيء يفنى أبدا ، فعلى اى اساس يمكن انكار البعث ، بعد أن أصبح كل شـيء فى الوجود يحققه ويؤكـده ، اذا كان الانسان يتحول بعد موته الى تراب كما يرى بالعين المجردة ، فان الذى يتحول الى تراب أو رماد ، هو هذا الجزء مـن الدم واللحم الذى كونه الانسان مـن التراب والماء بالفعل ، فالجنين عندمـا ينمو فى رحم أمه ، وعندما يخرج الـى الحياة طفلا ويشب صبيا فرجلا ، مكونا من هذه العشرات من الكيلوجرامات ، انما يؤلف ذلك من الغذاء الذى يأكلـه والذى هو حصيلة الارض ومن الماء الذى يشربه ، ومن الهواء الذى ينشقه ، فهذا الجرم الانساني اذن هو وليد الارض والهواء والماء ... ولكن سر الحيـاة ليس فى هذا التراب ولا هـو فى المـاء والهواء .. انه كامن فى هذا الكائن الخفى الاخفـى من الخفاء ، والـذى يسـمى الحيوان المنوى (٢) . وفى هذا الكائـن الدقيق الذى يتآلف من اتحاد الحيوان المنوى ببويضة الانثي والذى لا يمكـن رؤيته بالعين المجردة ، تنبثق شخصية الانسان ، كل انسان ، شخصية الانسان التي تميزه عن أى انسان آخر ، والتى تجعل منه هذا الكائن فى الوجود .

فالى أين تذهب هذه الشخصية ، أين تذهب هذه الذاتية هذه الطاقة التـي كانت تضحك وتغضب وتحزن وتتألـم

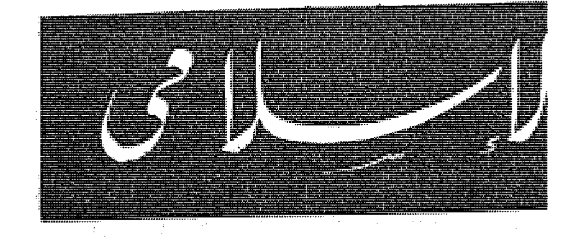
البقية على ص ٢٢

(١) امكن بالفعل فى الوقت الحاضر اختراع اجهزةتصوير تستخدم الاشعة فوق الحمراء ليكـون بقدرتها أن ترسم الاشياء المادية التى تشع هذاالنوع من الاشعة ، وقد أمكن بواسطة هذه الاجهزة تصوير بعض السيارات التى كانت تقف فى أحـدالاماكن على الرغم من أن هذه السيارات كانت قد غادرت هذا المكان منذ فترة من الزمن قبـلالتصويـر .

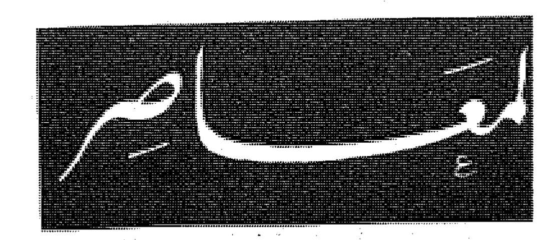
(٢) لا يتعدى حجم الحيوان المنوى $\frac{1}{١٥٠٠٠}$ من حجم بويضة الانثى ، التى لا يزيد وزن (٢٠) مليون بويضة منها عن اوقية .











للدكتور محمد عبد الله العربي

عميد معهد الدراسات الاسلامية

وعضو مجمع البحوث الاسلامية

لا زلنا فى عرض وجهة النظر الاسلامية فى الدعامة الاولى لأى تنظيم اقتصادى ــ دعامة المال ــ ونتكلم الآن عن بيان التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية على ملكية المال استنادا الى عقيدة الاستخلاف التى غرستها هذه التعاليم فى وجدان المسلم .

هذه التكاليف تقيد حق مالك المال ، من حيث أنها تكليف بأمر أو بنهي ازاء ما فى حوزته من المال ، تكليف بفعل يتصل بهذا المال أو تكليف بالامتناع عن فعل ، فهي ايجابية وسلبية ، وعلى الوجهين تقيد حرية المالك فى كيفية استثمار ماله، وفى طرق التصرف فيه ، كما ترسم له الوسائل الجائزة فى كسب المال . فاذا لم يصدع مالك المال بهذه التكاليف كان آثما وظالما لنفسه . وله في الآخرة جزاء الظالمين ، واذا نهض بها فقد وعده الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة .

ولكن ما دمنا نتحدث عن ملكية المال فى مجتمع اسلامي ، تقوم فيه حتما « رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا » و « خلافة للنبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » . فان الاسلام لا يترك تعاليمه الاخلاقية معلقة فى الفضاء بخيط من أهواء النفس البشرية ونزواتها ، بل يبادر الاسلام الى تحصينها بتعاليمه الحكومية ، التى تبسط يد الشارع ويد ولي الامر فى حمل مالك المال على احترام هذه التكاليف ، اذا لم يذعن لها طائعا بدافع عقيدة الاستخلاف ، وهذا تطبيق ما قدمناه من تساند تعاليم الاسلام الخلقية والاقتصادية والحكومية .

ونبدأ ببيان التكاليف الايجابية التى تمليها التعاليم الخلقية :

١ ــ أول تكليف ايجابي على مالك المال هو ان يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار ماله فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار ، على نحو يفي بحاجاته وحاجات من يمولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان على مصلحة الجماعة . فالاسلام ــ متميزا عن بعض الديانات الاخرى ــ يبغض الفقر ويكافحه ، ويدعو المسلم الى الجد فى تنمية ثروته آخذا بنصيبه من الدنيا ، فكلما حسن مركزه المادى كان مرجوا منه أن يكون أحسن فى اسلامه ، واقدر على أداء فرائضه ، حتى العبادات التى فرضها الاسلام على المسلم لا يكون أداؤها تكأة للتراخى فى نشاطه المادى وابتغاء فضل الله بكسب المال واستثماره ، وبشرط أن يكون هذا الكسب وهذا الاستثمار فى نطاق الوسائل التي أباحها الله لكسب المال واستثماره .

فاذا ابقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا من المالك وطال أمده ، جاز لولى الامر التدخل اذا اقتضت ذلك مصلحة المجتمع . واذا عمد مالك الى وسائل حرمها الله فى كسب المال أو استثماره . او تصرف فيه أثناء حياته او بعد مماته بغير ما أذن الله ، كان لولى الامر التدخل ، صيانة لمصلحة المجتمع الاسلامي .

٢ ــ التكليف الثاني هو الزكاة :

وهي التزام المسلم بأداء نصيب من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة فى المجتمع . وهي فريضة الزامية على كل من اجتمع لديه نصاب الزكاة ، واذا امتنع المسلم عن ادائها كان هادما لركن من أركان الاسلام ، وكان لولي الامر جبايتها منه قهرا .

والزكاة لها فى العربية مدلول مزدوج :

الاول ــ أنها تزكية وتطهير للروح ، . والثاني ــ أنها تزكية وتنمية للمال . فلها هدف روحي تعبدى ، .... ولها هدف اقتصادى نفسي ، لانها : ــ

أولا ــ تزكي نفس مؤديها ، بما تتيح له من تدريب مستمر على حرمان النفس من أجل البر بالغير ، وشفاء لها من سيطرة الشح عليها .

ثانيا ــ بما تبثه من تراحم بين طبقات المجتمع ، وما تنزع من غل عند الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة ــ تساعد على توزع الثروة فى ثنايا المجتمع ، وتحول دون تكدسها فى أيد قليلة ، وما يلازم هذا التكدس من مساوىء خطيرة ، اقتصادية واجتماعية .

٣ ــ التكليف الثالث هو الانفاق فى سبيل الله

والانفاق أوسع نطاقا من الزكاة التى لا تقع الا على نسبة محددة من مال المالك . أما الانفاق فيمتد الى كل عطاء يخرج من ذمة المالك فى سبيل الله ، فى سبيل الخير العام .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان فى المال حقا سوى الزكاة » ، ثم تلا قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » (١) الاية ..

وهذا الفصل فى الآية الكريمة بين الانفاق والزكاة بالصلاة ، دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة . والنص على كل من الانفاق والزكاة على حدة فى آية واحدة قاطع بأن كليهما يختلف عن الاخر وأنهما فريضتان مختلفتان . (٢)

فالانفاق اذن ، فريضة الزامية فى أصلها ، واختيارية فى نطاقها ، بمعنى ان تحديد الحصة التى ينفقها المسلم من ماله فى سبيل الله موكول

---

(١) سورة البقرة (١٧٧)

(٢) سمى الرسول صلى الله عليه وسلم ما زاد عن الزكاة المفروضة تطوعا حين رد على من سأله هل على غيرها ؟ فقال لا الا أن تطوع . وان كان التطوع يمكن أن يصير فرضا اذا دعت الضرورة اليه . (الوعى)

الى محض اختياره واملاء ضميره ، واما الانفاق فى ذاته فمفروض عليه فرضا لافكاك منه ، فالقرآن فى عديد من الايات يرفع فريضة الانفاق فى سبيل الله الى مرتبة أعلى الفرائض وألزمها فى تأمين سلامة المجتمع الاسلامي . يقول تعالى مخاطبا جماعة المسلمين « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (١) .. فهنا يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ، ونجاة الجماعة من الهلاك ، ويجعل الاحجام عن الاضطلاع بهذه الفريضة بمثابة انتحار اختيارى يندفع فيه المسلمون نحو حتفهم . وفى آيات أخرى نجد القرآن يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ، وواجب بذل النفس فى سبيل الله ، بل انه ليذكر انفاق المال قبل بذل النفس « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٢) .

فالخيار اذن فى فريضة الانفاق فى سبيل الله مقصور على تحديد حصة هذا الانفاق من مال المسلم ، فهذا التحديد متروك لمحض ارادة المسلم ، بعكس الزكاة التى حدد الاسلام حصتها ونصابها ومصارفها .

على أن ارادة المسلم هنا ليست مطلقة فى كل الظروف على السواء ، فقد فرض الانفاق فى سبيل الله لمصلحة المجتمع الاسلامي ، وولى الامر هو الذى يمثل المجتمع ، وينوب عنه فى تنفيذ هذه التعاليم الخلقية بمقتضى سلطة الحكم التى فوضها اليه المجتمع ، فاذا أغفل الناس أداء فريضة الانفاق فى سبيل الله ، أو أدوها بحصة لا تفى بمطالب المجتمع ، كان لولى الامر أن يحدد حصة الانفاق من مال كل مسلم على قدر يساره ، وعلى ضوء ما تمليه ضرورات المجتمع ، وهذا سند الضرائب التى لولى الامر أن يفرضها ويجبيها الى جانب ما يجبيه من زكاة .

فاداء الضرائب التى تفرضها الدولة لمصلحة المجتمع ، هي انفاق فى سبيل الله لان المجتمع الاسلامي بنيان متكامل يشد بعضه بعضا ، ومن مقتضى هذا التكافل ان المرافق المشتركة التى تهم الامة فى مجموعها ، وتنهض الدولة باسم الامة بالانفاق عليها ، يجب أن يساهم كل قادر فى الامة فى عبء الانفاق عليها ، وفى تدبير موارد هذا الانفاق لمواجهة سير هذه المرافق المشتركة .

على أن انبعاث هذا الواجب من ضمير المسلم ، بحكم اشتقاقه من واجب عام هو الانفاق فى سبيل الله ، يجعل اضطلاع المسلم به اضطلاعا صادقا ، وعن طواعية فى غير حاجة حتمية الى سلطان الدولة لانفاذه . بعكس ما هو سائد من التسابق فى التهرب من أداء الضرائب كلما غفلت عين الدولة .

٣ ـ ننتقل الآن الى بيان التكاليف السلبية :

١ ـ وأول هذه التكاليف يقع على كيفية استعمال المالك لماله ، فيجب عليه ان يمتنع عن استعمال ماله على نحو يلحق الضرر بمال الغير أو يلحق الضرر بمصلحة الجماعة . وقد أجمل هذا التكليف امر الرسول عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » . وسنطلع فى كلامنا على التعاليم الحكومية على تطبيقات كثيرة لهذا المبدأ الذى يعتبر من أركان الشريعة الاسلامية وتؤيده نصوص كثيرة فى الكتاب والسنة ، وهو الاساس لمنع الفعل الضار وترتيب نتائجه فى التعويض المالي والعقوبة ، ولمبدأ الاستصلاح فى جلب المصالح ودفع المفاسد .

ونص هذا التكليف ينفى الضرر نفيا فيفيد وجوب منعه مطلقا ، ويشمل الضرر الخاص والعام . ويفيد ايضا دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة ، ورفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيله وتمنع تكراره ، كما يفيد اختيار اهون الشرين لدفع أعظمهما ، لان فى ذلك تخفيفا للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتا .

٢ ـ وثانى هذه التكاليف يقع على كيفية تنمية المالك لماله . فحرم عليه أن يلجأ فى تنمية ماله الى الربا ، أو الى الغش فى التعامل ، أو الى الاحتكار وغيرها من الجرائم الكامنة وراء

---

(١) آية (١٩٥) سورة البقرة .

(٢) من آية (٤١) سورة التوبة .

طرق التنمية المالية الشائعة الان فى الحضارة المادية المعاصرة . ونكتفي هنا بهذه الطرق الثلاثة :

(الربا والغش والاحتكار)

ا - حرم على المسلم السعى الى تنمية ماله عن طريق الربا ، ولما كان الربا شائعا فى الجاهلية بفرعيه : القرض الاستهلاكي والقرض الانتاجي ، وكان من أهم دعائم اقتصادهم الجاهلي كما هو فى الاقتصاد المعاصر ، فقد جاءت تعاليم الاسلام الخلقية فى تحريم الربا على نهج تدريجي ، سنة القرآن فى معالجته للامراض المزمنة ، لا ياخذها بالعناد والمفاجاة ، بل يتلطف فى السير بها الى الصلاح على مراحل متريثة متصاعدة حتى يصل بها الى الغاية .

فبدأ بالآية الكريمة « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (الروم ٣٩) .

وهذه الآية موعظة سلبية ، تفيد أن الربا لا ثواب له عند الله ، ولكنه لم يقل ان الله ادخر لآكله عقابا .

ثم انتقل الى المرحلة الثانية ، فكانت درسا وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين قال فيهم « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » (النساء ١٦٠ و ١٦١)

فهذا تحريم بالتلويح لا بالنص الصريح . ثم انتقل الى المرحلة الثالثة ، وهي النهي عن الربا الفاحش الذى يتزايد اضعافا مضاعفة . « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران) ١٣٠) وأخيرا انتقل الى المرحلة الرابعة التي ختم بها تعاليمه الخلقية فى شأن الربا ، وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد على راس مال الدين . « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة ٢٧٨و٢٧٩)

ونظرا الى استقرار الربا فى الاقتصاد المعاصر فى البلاد غير الاسلامية والبلاد الاسلامية على السواء فاننا سنعالج فيما بعد التوفيق بين نهي الاسلام نهيا حاسما عن الربا والضرورات الاقتصادية المعاصرة .

ب) وحرم على المسلم الغش فى المعاملة ، فالرسول يقول « من غشنا فليس منا » (رواه الترمذى) « والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما . وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » رواه مسلم .

فللمسلم ان يبيع ويشترى على ان لا يغش فى السلعة ولا فى العملة ، فان كان بها عيب فعليه بيانه والا فهو غاش وربحه عليه حرام . وفى حديث آخر « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » رواه الترمذى واذا استخدم صاحب المال عمالا فى تنمية ماله فبخس من أجورهم ارتكب جريمة الغش ودخل فى زمرة المطففين الذين أنذرهم الله بقوله « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون . ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » . (سورة المطففين)

ج) وحرم على المسلم الاحتكار . قال ابن عابدين (الاحتكار لغة احتباس الشيء انتظارا لغلائه وشرعا اشتراء طعام ونحوه وحبسه الى الغلاء) وورد فى تحريمه احاديث كثيرة . فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يحتكر الا خاطىء » و « من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة » و « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » و « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » و « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وقد ذهب بعض المهتمين فى تفسير هذه الاحاديث الى قصر الاحتكار المنهى عنه على الاقوات وما شابهها ، والرأى الراجح هو التعميم . قال أبو يوسف « وكل ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا او ثيابا » .

٣ ـ التكليف الثالث فيما فرضته التعاليم الخلقية ، هو تكليف مالك المال فى ادارته والانتفاع به بالامتناع عن الاسراف وعن التقتير على السواء ، لان كلا من الطرفين يتعارض مع مصلحة المجتمع .

فالتقتير ، وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد ، يحول دون نشاط التداول النقدى ، وهو ضرورى لانتعاش الحياة الاقتصادية فى كل مجتمع ، فحبس المال تعطيل لوظيفته فى توسيع ميادين الانتاج ، وتهيئة وسائل العمل للعاملين . قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (١) . كما أن التقتير يتعارض مع تعاليم الاسلام فى أن يأخذ المسلم نصيبه من الدنيا وان يتمتع بطيبات الحياة « فى غير سرف ولا مخيلة » . فكلما أن الاسلام يعطي الفقير حقه من أموال الزكاة يوسع به على نفسه ، ويستمتع بما هو فوق ضروراته ، فأولى ان ينفق الواجد ، وان يتمتع بالحياة متاعا معقولا ، وان لا يحرم نفسه من طيباتها . والقرآن يقول « وأما بنعمة ربك فحدث » (٢) . والرسول الكريم يقول « اذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » فالشظف والمتربة مع القدرة انكار لنعمة الله يكرهه الله .

وأما الغلو فى التبذير ، والاسراف فى ألوان الترف السفيه ، فيولد البغضاء فى الطبقات المحرومة ويربى الخطر الذى ينذر بهلاك المجتمع ، وقد أجيز لولى الأمر الحجر على السفهاء ، قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما (٣) » .

وهكذا رسم الاسلام ـ فى سلوكه الاقتصادى ـ طريقا وسطا بين النقيضين ، وقد سجلت هذه الوسطية الآية الكريمة فى قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٤) » .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى كراهة الترف وتحريمه كثيرة بصفة بارزة ، وتعتبر الترف مصدر شر لصاحبه وللجماعة التي يعيش فيها ، فصاحبه يستدرجه الترف الى ارتكاب المعصيات ، والى سقوط الهمة وضعف القوة « واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين(٥) » ووضع القرآن المترفين مع أصحاب الشمال « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال. فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين » (الواقعة ٤١ـ٤٥).

والهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنا تدميرا » . والارادة هنا لا تفيد « الجبرية » بمعناها الذى يفهمه العامة ، وانما المقصود جبرية الاسباب والمسببات ، أو المقدمات والنتائج فان وجود المترفين فى الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم وقعودهم عن ازالة اسباب الترف، وتركها للمترفين يفسدون ... كل ذلك أسباب تؤدى حتما الى الهلاك والتدمير بطبيعة وجودها . وهذا معنى الارادة فى الآية . أى تتبع النتائج للمقدمات وايقاع المسببات اذا وجدت الأسباب ، حسب السنة التي أرادها الله للكون والحياة .

٤ ـ التكليف الرابع فيما فرضته التعاليم الخلقية على مالك المال ، ونهيه عن استغلال مكانته المالية فى حيازة نفوذ سياسي فى تصريف شؤون الدولة وابتغاء توجيهها الى خدمة مصالحه المادية، وتسخير أداة الحكم فى اشباع شهواته الآثمة فى المزيد من الكسب على حساب طبقات المجتمع الأخرى .

يقول القرآن الكريم « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوابها الىالحكام لتأكلوافريقا منأموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة ١٨٨) .

والادلاء بالمال الى الحكام ـ المنهى عنه ـ جاء هنا بصيغة عامة فهو لا يقتصر على رشوة القاضي

---

(١) سورة التوبة — (٢) سورة الضحى — (٣) سورة النساء
(٤) سورة الاسراء ٢٩ — (٥) سورة التوبة ٨٦

أو الموظف أو آحاد الحكام ، بل قد يمتد الى رشوة هيئات يكون تأييدها وسيلة الى تسلم مقاليد الحكم كهيئات الناخبين ، التي يزعم الفقه الدستورى الغربي أنها السلطة الرابعة في الدولة.

واحترام هذا التكليف احتراما دقيقا له أعمق الأثر في صيانة المجتمع الاسلامي من أسباب الانحلال ، وعوامل الانهيار التي تصيب باستمرار المجتمعات الغربية .

فهناك نجد الأقلية القابضة على زمام الثروة القومية ، والتي تدعم سلطانها بالتجمع في كتل احتكارية ، قد سيطرت سيطرة تامة على الجانب السياسي من حياة الأمة في مختلف اتجاهاته ، ونجد سياسة الدولة الداخلية والخارجية على السواء خاضعة لوحي هذه الفئة القليلة واملائها النافذ ، حتى اذا استنفدت امكانيات السوق الداخلية واستنزفت كل خيراته ، واندفعت في اصطياد أسواق خارجية وفي تامين هذه الأسواق بأساليب الغزو والاستعمار .

٥ ـ واخيرا ياتى نظام الارث في الاسلام ليقيد حرية مالك المال في التصرف في ماله بعد وفاته . فليس له ان يوصى بماله كله بعد وفاته لمن يشاء ، بل لا ينصرف سلطانه الا في حدود ثلث التركة . كذلك ليس له أن يحابى بعض المستحقين من ورثته على حساب البعض الآخر ، بل يجرى بينهم توزيع التركة طبقا للفرائض التي قررها الاسلام . كما لا يملك أن يخص وارثا واحدا بتركته كلها على حساب غيره من المستحقين ولا يجوز له أن يوصى لوارث مستحق ـ في حدود الثلث ـ بما يزيد على استحقاقه الا اذا أجاز هذا التصرف باقي المستحقين ، فاذا ترك ماله بغير وصية وبغير وارث مستحق آل ماله كله الى الجماعة ممثلة في الدولة.

وظاهر أن نظام الارث الاسلامي ، يتفق مع سياسة الاسلام المالية في محاربة تكدس الثروات وانحصارها في أيد قليلة ، فهو يؤدى الى تفتيت الثروات الضخمة على توالى الأجيال والى معالجة التفاوت السحيق بين طبقات المجتمع الاسلامي .

وبعد ، فهذه أهم التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية ـ في توجيهاتها الاجتماعية والاقتصادية ـ على المسلم من قيود تحدد سلوك المسلم ازاء ما يملكه من مال ، قيود سلوكية يطبقها المسلم بوحي من ايمانه بالله الرقيب عليه ، خالق هذا المال ومودعه بين يديه ومستخلفه فيه ، بوحي من خشيته ليوم الحساب ، فاذا تمرد المسلم على هذه القيود أو انحرف عن هذه الحدود فقد ارتكب آثاما لكل أثم منها معقباته ، الى جانب ما يتخذه ولى الأمر النائب عن المجتمع من اجراءات لضمان احترام هذه القيود والتزام هذه الحدود .

وقد رأينا أن هذه القيود ثمانية ، نلخصها هنا تباعا لأن كل قيد منها سيأتي التعليق عليه في القسم الذى يتناول التعاليم الحكومية لبيان مجال التطبيق فيه .

القيد الأول : تقييد حرية مالك المال بالزامه باستثمار ماله اذا كان من مصادر الانتاج ، حتى لا يعرقل تعطيل الاستثمار نماء ثروة المجتمع .

القيد الثاني : تقييد حرية مالك المال بالزامه بأداء الزكاة من ماله اذا بلغ ماله نصاب الزكاة .

القيد الثالث : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالانفاق في سبيل الله ، على النحو الذى يفي بمطالب المجتمع وضروراته .

القيد الرابع : تقييد حرية مالك المال بالزامه بان لا يجعل من استعماله لماله مصدر ضرر لغيره أو للمجتمع .

القيد الخامس : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن تنمية ماله بربا أو بغش او باحتكار .

القيد السادس : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن التقتير وعن الاسراف .

القيد السابع : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن استغلال ماله لحيازة نفوذ سياسي .

القيد الثامن : تقييد حرية مالك المال بعدم الخروج على فرائض الارث والوصية .

هذه قيود مباشرة على حق الملكية الفردية ، تفرضها تعاليم الاسلام الخلقية ، وتنفذها تعاليمه الحكومية .

وهناك قيود وتكاليف أخرى غير مباشرة ، فرضتها تعاليم الاسلام الخلقية وان كانت لا تتصل اتصالا مباشرا بحق الملكية ، فاتصالها به اتصال غير مباشر اذ هي تنصب على « العمل » أهم مصدر من مصادر الملكية وكسب المال .

وفي المقال التالي نعرض بيانها ...



وتحب وتعمل الخير ، أو الشر ، اذا كنا قد رأينا ان الكلمة الواحدة تخرج من فم الانسان فانها لا تذهب أو تضيع ، فكيف نتصور أن يضيع الانسان قائل الكلمة وصانع الحركة ومفجر العواطف؟!

الموروثات التى تحمل الخصائص الانسانية

ان اعتراض بعض البسطاء على فكرة البعث يقوم على عدم تصورهم عودة هذه الالوف من ألوف الملايين من البشر الذين شهدتهم الارض وسوف تشهدهم، وليس باستطاعة عقولهم ، ان تتصور بعث كل هذا العدد العديد ، دون أن تختلط شخصية كل منهم بالاخر ، مع أن العلم الحديث بآلاته كما رأينا قد أصبح يجسد لنا ما هو أكثر تعقيدا من بعث ألوف الملايين من البشر ، فهذه المعزوفات الموسيقية والكلمات التى تبثها الاذاعات العالمية بالليل والنهار ، وتملأ بها الفضاء الكونى ، يصل عددها فى اليوم الواحد الى ألوف الملايين من النغمات والكلمات بشتى اللغات واللهجات ، ومع ذلك فان أى كلمة من هذه الالوف من ملايين الكلمات بل أى نغمة لا تختلط بغيرها من الكلمات والنغمات وتظل محتفظة بطابعها وذاتيتها، وما على أى منا الا أن يفتح جهاز الراديو فى أى ساعة أو دقيقة من نهار أو ليل ، ليسمع كلمات قالها اصحابها وفرغوا من قولها منذ أمد طويل ، ومع ذلك فهى مبثوثة فى الفضاء الكونى ليلتقطها من يريد ساعة يريد .

ولقد أشرنا من قبل الى الحيوانات المنوية وبويضة الانثى التى تحمل سر الحياة وانها تبلغ من الدقة فى صغر الحجم الى ما يجعلها أخفى من الخفاء ، وقد بقى أن نعلم أن القسم الذى يحمل شخصية الانسانية من هذه الحيوانات المنوية أو بويضة الانثى وهو الذى يطلقون عليه اسم « الجينات » أى « الموروثات » والتى تحدد لون شعر الانسان وجلده وعينيه وطول قامته أو قصرها ، وعرض اكتافه أو ضيقها ، والتى تقرر مزاجه وأخلاقه ومرضه ، وكل الذى ورثه عن أسلافه القدامى والاقربين ، هذه الموروثات التى تحدد شخصية كل من الثلاثة آلاف مليون من البشر الذين يعيشون على ظهر الارض فى الوقت الحاضر ، لو جمعت كلها لما تعدى حجمها حمصة صغيرة أو دون ذلك .

وأرجو أن لا يضيق القارىء بهذا الذى أقول فانما هو حديث العلم الحديث التجريبى ، حديث ما يجرى فى المعامل ويتلاقى عليه علماء الطبيعة والحياة .

فما دام الامر كذلك ، فان العقل لا يمكن أن يعيا بتصور عشرات الالوف من ملايين البشر الذين سكنوا ويسكنون الدنيا ، ما دام سر حياتهم ، ومستودع شخصياتهم كامنا فيما هو أقل من الهباء السابح فى الفضاء ، والذى عبر عنه الاقدمون فأحسنوا التعبير اذ وصفوا سر الحياة بأنه الروح التي هى شىء يغاير المادة لانها نفحة من نفحات الله ، وهو ما تقول به الاديان كلها .

وهكذا اذا جاز لاى انسان جاهل فى القديم ان يتشكك فى امكان بعث الاجساد ، بعد موتها ، فان انسان العصر الحديث الذى يعيش فى دنيا الراديو والترانزستور وآلة التسجيل والتلفزيون، لا يمكن أن يمارى فى البعث ، وهو يرى كل ما فى الطبيعة حوله يبعث دائما من جديد ، ويعلمونه فى المدارس أن المادة والطاقة لا يفنيان أبدا .

اجماع البشر على الايمان بالبعث

والحق أن البشرية لم تشك لحظة فى أى يـوم من ايام حياتها فى حقيقـة البعث ، واذا كان قد وجد فى جهـلاء العرب من راحوا يعترضون فى أيـام سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم على فكرة البعث ، كما يوجد فى كل عصر من ينكر البعث ، فليس هؤلاء سوى قلة مسحوقة ، ازاء الاغلبية الساحقة من بنى البشر فى كل زمان ومكان ممن آمنوا بالبعث ونظموا حياتهم على هذا الاساس . وليس أدل على ذلك مـن طقوس الدفن عند كل بنى الانسـان ، حيث تجرى الاحتفالات قبل الدفـن وأثناءه وبعده ، مما ينطق بايمان البشر جميعا ، أن الموت بالنسبة للانسان لا يمكن ان يكون خاتمة المطاف ، وانمـا هو بدء حياة جديدة من نوع ما .

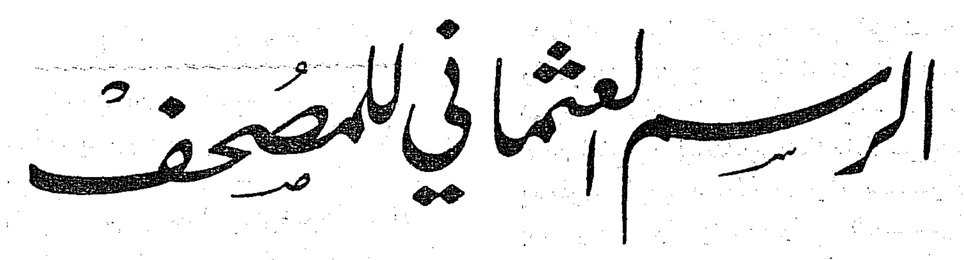
واذا كان المصريون القدامى هم أشهر الشعوب القديمة ايمانا بفكرة البعث ، مما سنعود للتحدث عنه فيما بعـد ، بحيث شيدوا قبورهم وأهراماتهم على أساس من هذه الفكرة ، وحنطوا أجساد الموتى وأودعوا مع الميت كل ما يحتاجـه لحياته الجديدة ، فان هذه الفكرة نفسها نراها عند مختلف الشعوب بصـورة أو أخرى ، فنراها عند الهنود الحمر ، كما نراها عند الزنوج ، وعند البيض والصفر والشقر على السواء ، فليس فى بنـى البشر من لا يحتفلون بموتاهم ،ويضرعون لهم ، ويلتمسون منهم العون ، ويتقربون لهم بشتى صنوف القرابين ، لا يشـذ عن ذلك الشيوعيون الذين لا يؤمنـون بغير المادة ، حيث حنطوا جسد زعيمهم لينين كما كان يفعل قدماء المصريين ، وعرضوه للانظار ليتبـرك بمشاهدتـه عشرات الالوف كل يوم من المؤمنـين والمعجبين بالزعيم ، وذلك ان دل على شيء فعلى أن المغرقين فى المادية ، شأنهم شأن المغرقين فىالتدين (القدماءالمصريين) يعاملون الموتى معاملة الاحياء سـواء بسـواء ، ولا يتصورونهم تلاشـوا وفنوا وانتهت حياتهم الى غير رجعة .

هذا الاجماع الانسانى على فـكرة البعث بعد الموت ، والحياة الثانية ، هو فى حد ذاته دليل لا يمكن أن يفر منـه العقل ، كما ذكرنا من قبل عند التحدث عن الادلة على وجود الله ، لانه اذا لـم يكن لهذه الفكرة اساس من الحقيقة ، فمن أين تسربت الى النفوس والعقول وأحس بها الانسان فى كل زمان ومكان.

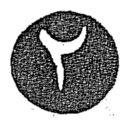
الانكار والجحود لا يكون الا بدليـل

وقد بقى أن يعلم من لم يكن يعلم ، أنه اذا كان اثبات أى شيء فى حاجـة لدليل ، فان الانكار والجحود كذلك لا يكون الا بدليـل .

فعندما يجمع البشر علـى الايمـان بحقيقة ، فان على من يريد أن يتصدى لانكار هذه الحقيقة باسم العلم أن يثبت استحالتها ، وقد رأينا أنالعلم التجريبى على العكس من ذلك، قد أصبح يرجحها، فاذا قال لنا الرسل الصادقون فى كـل ما قالوا ان سيكون بعث وقيامة بعـد الموت ، فلا يسع كل انسان عاقل رشيد الا أن يؤمن بالذى قالوا ، مما لم يعـد ينكره العقل بل ويرجحه العلم ، ويطمئن له القلب ، وعندما تثبت قضية البعث ، فان قضية الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، لا تثير أدنى صعوبـة على ما سوف نرى فى المقال التالى ان شـاء اللـه .



للاستاذ محمود غنيم



ننشر القسم الثاني والاخير من هذا البحث الذى كتبه الاديب الكبير بما فيه من آراء ذهب اليها ودلل عليها . وقد جاءنا تعليقان من الاستاذ محمود سليم دوعر بالكويت ومن الدكتور محمد حميدالله في باريس سننشرهما انشاء الله في العدد القادم مع تعقيب الاستاذ غنيم عليهما . والباب مفتوح للمناقشة العلمية .

الوعى الاسلامى

بعد أن عرض حفنى ناصف المراحل التى سلكها نسخ القرآن اخذ يدافع فى حماس عن وجوب المحافظة على الرسم العثمانى ، ويرد على القائلين بوجوب تطوير هذا الرسم بحجج أقل ما يقال فيها أنها قابلة للمناقشة .

فهو يرى انه قد انعقد اجماع الصحابة والتابعين وعلماء الامصار على أن كل رواية متواترة صحيحة السند يؤخذ بها متى كان لها وجه فى العربية ، وكان رسم أى مصحف من المصاحف العثمانية يحتملها ، ومن ثم يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والقراءة المردودة لان هذه الرسوم صارت أصلا من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الدين الاسلامي ، فضلا عن أن فى هذه المحافظة احتياطا شديدا لبقاء القرآن على أصله لفظا وكتابة ، فلا يفتح باب الاستحسان لانه اذا فتح هذا الباب فى الرسم فقد لا يلبث أن يفتح فى اللفظ ايضا ، فيتطرق اليه التغيير والتبديل ، وهذا يوجب علينا أن نسد هذا الباب بابقاء كل شيء على أصله ، حتى ما هو مخالف لمألوف الرسم المعتاد ، ويؤيد ذلك ما روى عن مالك ـ رضى الله عنه ـ انه سئل « هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء » ؟ فأجاب « لا الا على الكتبة الاولى » .

وما ذهب اليه مالك ذهب اليه جميع الائمة المجتهدين ، وانعقد عليه اجماع علماء المسلمين فى مشارق الارض

ومغاربها ، وأصبح من الامور التى فرغ منها ، وتم البت فيها .

واختتم حفنى حديثه بالاشارة الى بعض المعارضين مسفها آراءهم ، وفى ذلك يقول ما نصه :

(ولا نعلم أن أحدا من العلماء تحكك فى هذا الامر الا ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى وبعض رجال الازهر فى القرن الرابع عشر ، وليس أحد منهما اماما مجتهدا ، والحمد لله . قال الاول ما معناه ان الصحابة لم تكن استحكمت فيهم أجادة صناعة الخط ، فأخطأوا فى مواضع من رسم القرآن ، وتابعهم على هذا الخطأ من بعدهم تبركا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلفوا لعملهم هذا تعليلات كلها لم تخطر فى بال الصحابة .

وقال الآخرون « لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن . دون تلك المخالفة خرجنا من العهدة ، وقمنا بالامر أحسن القيام كمن كلف شيئا ، ففعل خيرا منه ، لانك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من الطريقة القديمة التي كانت زمن الصحابة » .

وقد غفلوا جميعا عن السببين الجوهريين اللذين لاجلهما انعقد الاجماع، وهما أن الرسم القديم واجب المعرفة لقبول ما يقبل من روايات القرآن ، ورفض ما يرفض منها ، وسد باب الاستحسان مبالغة فى التحفظ على القرآن ، فهم قد حفظوا شيئا وغابت عنهم أشياء .

ولا يبعد اذا سلم بكلام هؤلاء العلماء أن يذهب غيرهم الى كتابة المصاحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون الى اختصاره ، وآخرون الى ارجاعه الى اللغة العامية ليعم نفعه ، الى غير ذلك من الرقاعات والخرقة ، وما بعد الحق الا الضلال ؟ .

الى هنا تنتهى مقدمة حفنى ناصف التى قدم بها كتابه فى أصول الرسم العثمانى وقواعده ، وقد حافظنا كل المحافظة على جوهرها فيما عبرنا عنه بمعناه ، كما حافظنا على النص فيما نقلناه بنصه . وأيا كان رأينا ، أو رأى غيرنا من المعارضين فى رسم المصحف : أبالاملاء القديم يرسم أم بالاملاءالحديث؟ فانه لا يسعنا الا تقدير الجهود التى بذلها حفنى فى هذه السبيل مدفوعا بغيرته الدينية الى المحافظة على كتاب الله ، الذى يعتبر المنبع الاول للدين الاسلامى ، وما يتفرع منه من تشريعات، ولعلك بعد هذا العرض الذى قدمه عرفت أن الامر لم يكن سهلا ميسورا ، وانما كان محفوفا بالمتاعب التى تجعلنا لا نستكثر فيه سبع السنوات التى قضاها فى تحقيقه .

واذا كان حفنى يدافع دفاع الابطال الكماة عن طريقة رسم المصحف على النمط العثماني ، فانه فى ذلك يأوى الى ركن شديد ، فقد عرفت أن اجماع الائمة الاربعة قد انعقد على ذلك ، وأن كبيرهم الامام مالكا يقول « الا على الكتبة الاولى » .

تعقيبات

على أن لنا تعقيبات على هذا الرأى ، فقد أورد حفنى ناصف فى ختام دفاعه عن الرسم العثمانى عبارة هذا نصها « ولا يبعد اذا سلم بكلام هؤلاء العلماء (يعنى بهم القائلين برسم المصحف على مقتضى الاملاء الحديث) أن يذهب

غيرهم الى استحسان كتب المصحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون الى اختصاره وآخرون الى ارجاعه الى اللغة العامية ليعم نفعه » .

ونحن نقول . هذا قياس مع الفارق ـ كما يقول شيوخنا الازهريون ـ فاختصار القرآن مسخ له وتشويه ، ونطقه بالعامية أبلغ من المسخ والتشويه ، وكلاهما يتعلق بجوهر القرآن أى بنفس كلام الله المنزل على نبيه . أما كتابة المصحف بالاملاء الحديث فانما تتعلق بالشكل لا بالجوهر ! أعنى أنها لا تحدث تغييرا فى القرآن أو قراءته ، بل ربما كانت أدعى الى تيسير القراءة وسلامتها . ان القداسة ـ كما سبق القول ـ تنصب على كلام الله ، فلا مجال لتبديله ، أما الرسوم الدالة عليه فلا قداسة لها ، لانها من وضع بشر مثلنا ، فلنا أن نغير فيها ما نشاء ، بل يحسن هذا التغيير اذا كان من ورائه تيسير .

رأى جرىء

وعلى ذلك لا أظن المعارضين يجدون حرجا فيما انكره هو من كتابة المصحف بالحروف اللاتينية بل ربما قالوا بوجوبه ، اذا لاحظنا أن القرآن أس الاسلام من جهة ، وأن الاسلام دين البرية كلها ، لا دين العرب وحدهم من جهة ثانية ، وأننا مأمورون ببث الدعوة الاسلامية من جهة ثالثة . وما دمنا مامورين بالتبشير بالدعوة الاسلامية فى مختلف الامم ، فعلينا أن نكتب لهم ديننا الذى ندعو اليه بالخط الذى يستطيعون قراءته به ، اما تكليف العالم اجمع أن يتعلم الحروف العربية ـ الرسم العثمانى نفسه ـ فهو تكليف بالمحال !!

ترجمة القرآن

وأرى هذا الكلام يجرنا من حيث نريد او لا نريد الى الخوض فى الحديث عن ترجمة القرآن الكريم ، فان ما قلناه عن كتابته بالحروف اللاتينية ينصب على نقله الى مختلف اللغات . ولست أدرى لم يجوز لنا تفسير القرآن ولا تجوز لنا ترجمته ؟ ان التفسير استبدال كلام بكلام يؤدى معناه ، والترجمة لا تخرج عن ذلك ، وكلاهما فيه نقل العبارة الربانية الى العبارة الانسانية ، .

واذا كان المتزمتون يرون فى ترجمة القرآن نفسه حرجا ، فلا أظنهم يجدون فى ترجمة معانيه هذا الحرج ، واذن فلنسم هذه الترجمة ترجمة معاني القرآن . ومن فضول القول أن نشير الى ان غير القرآن من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يقرأ كله بمختلف لغات العالم ، ولم يجد أحبار اليهود ، ولا رهبان النصارى فى هذا ما يراه علماؤنا من هذا الحرج الذى وقف سدا حائلا بين الاسلام وكثير من الامم (!!) .

أمر هام

وثمة أمر هام يجب ان ندخله فى حسابنا عند الكلام عن ترجمة القرآن ، ونعنى بذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استقرت الدعوة الاسلامية بعض الاستقرار فى الجزيرة العربية بدأ يبشر بها في فارس والروم وغيرهما ، وقد كانت الكتب التى يبعث بها الى ملوك هذه الدول مكتوبة باللغة العربية ، وهى فى الوقت نفسه تتضمن آيات قرآنية ، ومن الطبيعى أن هؤلاء الملوك لم يكونوا يجيدون العربية ، وانما كان اعتمادهم فى فهم هذه الكتب على الترجمة والمترجمين ، ومن الطبيعى أيضا أن ذلك لم يغب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو اذن لم يكتب هذه الكتب الا وهو يعلم أنها ستترجم الى مختلف اللغات هي وما تضمنته من الايات ، وفى هذا اقرار ضمنى ، بل اقرار صريح من الرسول نفسه بجواز ترجمة القرآن .

وعلى سبيل المثال نذكر نص الآية التي وردت فى خطاب الرسول الى المقوقس عامل الروم على مصر ، واسمه « جريج بن ميناء » وقد حمله حاطب بن بلتعة ، وقام بتسليمه اليه .

نص الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من

اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم القبط (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

وعلى اى حال فمجال البحث فى هذا الموضوع ذو سعة ، وهو موضع جدل مستمر بين طوائف العلماء وسواء أبحنا أم حظرنا فان القرآن أو سورا منه على الاقل تكتب الآن بالحروف اللاتينية ، وتترجم الى غير العربية من اللغات ، فكان أولى أن يكون ذلك باقرارنا ، وتحت أشرافنا ، حتى نضمن صحة الكتابة وسلامة الترجمة ، بدل أن نتجاهل كل هذا ، كما تتجاهل النعامة الخطر ، فتدفن رأسها فى التراب حين تراه .

لماذا لا يباح لنا ما أبيح لغيرنا

وفى مقال حفنى نقطة تستدعى أن نقف عندها قليلا ، ونعنى بذلك ما ورد فيه من أن المصحف العثمانى الاصيل كان خاليا من الاعجام (وضع النقط) كما كان خاليا من الشكل الى أن جاء أبو الاسود الدؤلى وغيره ، فوضعوا النقاط وعلامات الشكل ، كما ورد ذلك فى المقال ، وقد كان ذلك بعد نسخ المصحف وقبل عهد الائمة الاربعة ، فجدير بنا أن نسأل الائمة الاربعة — وعلى رأسهم مالك صاحب الكتبة الاولى — عن آرائهم فى هذا العمل ، فان حظروه فلماذا لم يزيلوه ، أو يدعوا الى ازالته ؟ وان أباحوه فلماذا يباح لغيرنا ما لا يباح لنا على فرق ما بين عصرينا فى تقدم الكتابة ، ومبلغ ما وصلت اليه من الجودة والاتقان ؟

لا أنكر أننى لست فى صف حفنى ناصف فى هذا الرأى ، واذا كان لرأيه قيمته فى عصره فقد مضى على ذلك قرابة نصف قرن حطمت فيه الذرة ، وارتيد الفضاء ، فما أجدر المختصين أن يعيدوا النظر فى هذا الموضوع .

ابن خلدون

ونظرا لاهمية الموضوع رجعنا الى ابن خلدون ، لنعرف تفصيل رأيه الذى أشار اليه المقال اشارة خاطفة ، ونحن ننقل لك نص كلامه فى هذا الخلاف ، يقول ابن خلدون :

(كان الخط العربى لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط ، لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع . وانظر ما وقع لاجل ذلك فى رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة فى الاجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . ثم اقتفى التابعون من السلف رسومهم فيها ، تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله تعالى وكلامه ، كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ، ويقع رسمه خطأ أو صوابا — وأين نسبة ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك ، وأثبت رسما ، ونبه علماء الرسم على مواضعه ، ولا تلتفتن فى ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه .

تحكم محض

ويقولون فى مثل الزيادة فى «لا أذبحنه» انه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفى زيادة الياء فى « بأييد » انه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة — رضوان الله عليهم — من توهم النقص فى قلة اجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال ، فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا اليهم الكمال باجادته ،

البقية على ص ٣٤

الاسراء والمعراج

للاستاذ عبد الحكيم جبران

شَرُفَ الزمان بليلة الاســـــراء ... فغدا بها قبساً من الأضـــــواء
وتجمَّعت فيها الحياةُ كأنمـــــا ... جُمـــعَ الزمانُ فكان خيرَ مســـاء
من حجرِ اسماعيل خفَّ محمــــدٌ ... كالطَّيف يَطْرُقُ بابَ كل سمـاء
ورفيقهُ جبريلُ يحدو ركبَـــــهُ ... والركبُ يَرْفُل في سنىً وسنـــاء
وعنايةُ الرحمن ترعى ساميـــا ... في الكون نحو السِّدرة العليـــاء
ياليت شعرى . انَّ ذاك لمـــنزِّل ... فوق العروش وصَوْلَة الأمـــراء

في كنف الإله

ضاقتْ بدعوتِك البسيطةُ كلُّهـــا ... وتنكرت لك أمَّةُ الخلطـــاء
وثقيفُ آذتْ فيك كلَّ مشاعـــر ... صبَّت عليك مراجِلَ البغضـــاء
فدعتْك دعوتَها السماءُ مُضيفـةً ... وأَرتْك رحمتُها وميضَ رجـــاء
من كانَ في كنف الاله فحسبُـــهُ ... تلك الرعايةُ فوق كلِّ عـــداء

مكرمة

الرُّسْلُ في الأقصى غدوتَ إمامَهم ... فمُنِحْتَ مكرمةً على الكرمـــاء
كالجند حولك ، أنت فيهم قائـــدٌ ... ومن البنود عليك خيرُ لـــواء
لم تتخذْ لك في الفضاء سفينـــةً ... تحميك من شُهُب ومن إفنـــاء
فتخذْت من هذا البُراق سفينـــةً ... بذَّت سفينَ العلمِ والعلمـــاء
في الكون أجراها الحكيمُ لحكمـــة ... لم تَبْقَ خافيـــةً على العقـــلاء
بمشيئة الرحمن أُطْلِقَ سَهْمُهَـــا ... وبأمره ركنت إلى الارســـاء
عجبت لرحلتك القرونُ ولم تـــزلْ ... بالسحر تُلهِم ألسُنَ الشـــعراء

أعرق أمة

فلقد بُعثتَ وللحماقة سَطْوَةٌ ... باتت تَسُوق مواكبَ الضعفاء

فبكل أرض للخصومة فتنةٌ ... وبكل ناحية مسيلُ دماء

ماذا جنَتْهُ عليهم موءودَةٌ ... لم يُجْدِها أبداً ذليل بكاء ؟

وجدتْ لديك الأمنَ لم تظفرْ به ... من قبلُ اذْ هي في حمى الآباء

والجهلُ من فوق الخليقة مطبقٌ ... فكأنهم في ليلة ظلماء

خرّوا لأصنامٍ بروْها سُجَّداً ... ثم انثنوْا بضراعة ودعاء

فأتيت بالتوحيد خيرَ عقيدة ... ونبذْتَ كلَّ ضلالة عمياء

وبعثْتَ بالاسلام أعرَقَ أمَّةٍ ... رفعتْ من الأمجاد خير بناء

لو أشرق الايمان

يا أمةَ الاسلام هذا ديننا ... خلُقٌ بما نطويه من بغضاء

ما ضرَّ لو صفت النفوسُ وأصبحت ... في الله مثلَ سبائكٍ بيضاء

صدئت نفوسُ الناس يوم تعلقت ... بحطام تلك الدار في استجداء

ما أجمل الدنيا إذا هيَ أصبحتْ ... والناس قد برئوا من الأهواء

يأيها المتنكِّرون لرحلة ... سطعتْ أدلّتها كضوْء ذُكاء

لِمَ يا دُعاةَ الحق كانت عندكم ... بعداً كرقْمٍ فوق سطح الماء ؟

ان قال «جاجارين» طُفْتُ بأرضكم ... مائتين ، كانَ مصدّق الأنباء

وتكذّبون — مع الوضوح — محمداً ... هل بعد آى الله أيُّ جَلاء ؟

لو أشرق الايمان في أعماقكم ... ما كان في الاسراء طيف مراء

لله لا للمجد

لله لا للمجد والعلياء ... صغت القريضَ مطرّزاً بثنائي

لم أبْغ مدحاً للرسول — فانما ... شرُفَ القصيدُ بصاحب الاسراء

هيهات أن يفيَ القصيد بحق من ... هو فوق دنيا الشعر والشعراء

حسْبي إذا قصّرْتُ عن ايفائه ... حقَّ الثناء عليه — حسنُ وفائي

مكانة السنة في التشريع

طاعة الرسول من القرآن الكريم

للدكتور عباس متولى حمادة
مدرس الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة

الى المنكرين للسنة ، أو العاملين فى الظلام ضدها ، والناشرين للرسائل المجهولة فى ظلمة الليل ، أو المستأجرين للأقلام المأجورة ، والنفوس الرخيصة ، طمعا فى النيل منها ، والى المشككين فى رواتها ، حرصا على بلبلة الافكار خوفا من اشعاع هديها ، أن يطيح بهم وبأقلامهم .

اليهم بعض الآيات من القرآن الكريم الدالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١ ـ قال الله تبارك وتعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما «١» .

٢ ـ وقال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم «٢» .

٣ ـ وقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون «٣» .

٤ ـ وقال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله «٤» .

٥ ـ وقال تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه «٥» .

---

(١) سورة النساء (٦٥) (٢) سورة النور (٦٣) (٣) سورة آل عمران (٣١)
(٤) سورة النور (٥٦) (٥) سورة النور (٦٢)

٦ ــ وقال تعالى « فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »(١) .

٧ ــ وقال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »(٢) .

٨ ــ وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب »(٣) .

هذه الآيات يرى الناظر فيها لأول وهلة أقوى الادلة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا تحتاج احداها الى استنباط وجه الدلالة من لازم اللفظ ، أو اللفظ غير الصريح أو الايماء ، أو غير ذلك من وجوه الدلالة ، اذ أنها كلها تنص بالنص الصريح على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اتباعه ، أو الاخذ بما أتى به ، أو التسليم لحكمه أو غير ذلك .

وهذه الآيات دلت على ايجاب طاعة الرسول ، وتحريم معصيته ، وقد نهجت مناهج شتى فى بيان ذلك ، اذ تعددت وسائل الوعد والبشارة ، والحث والترغيب ، والحض على اتباع الرسول وطاعته ، كما تعددت فيها ايضا عبارات الوعيد ، والانذار ، والتخويف ، والترهيب من مخالفته ، والخروج عن مقتضى أوامره ، وعدم الاستسلام لاحكامه . وهى أيضا فى وعيدها على المخالفة لاوامر الرسول صلى الله عليه وسلم تسلك فى ذلك مسالك متعددة مختلفة ، فتارة يهددهم الله فيها باصابة الفتن ، وفى الفتن ما فيها من بلايا ونقم فى الدين والدنيا ، لا يعرف خطورة التهديد بها الا من تعرض لها ، وطورا يهددهم باصابة العذاب الاليم ، وأخرى يحكم بنفى الايمان عن الخارجين المارقين الذين لا يستسلمون لحكمه ، والله تعالى لا ينفى الايمان فقط ، ولكنه تبارك وتعالى يقسم بربوبيته ، وهو قسم ــ قلما يقسم الله به فى القرآن ــ وان أقسم به فانما يقسم لشدة تأكيد المقسم عليه ، لبالغ اهتمامه به ، وتارة يتوعدهم بما لا يعلم قدره ، ومقدار عذابه سواه ، لم يحدده بحد ولم يحصره فى نوع ، ولم يقصره على لون من ألوان العذاب والبلاء ، بل يطلقه بدون تحديد ، كأنما يحمله كل ألوان الهول والنكال ، وحتى يذهب فيه المهدد به كل مذاهب التصور . وقال تعالى « ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .

وكما أخذت الآيات فى وعيدها تلك الصور التى تعبر عن غضب الله تعالى القادر ، كذلك كانت عبارات الوعد للمطيعين فى آيات أخرى متعددة تحكى كل أنواع الرضاء ، وتعبر عما يدخره الله للمطيعين لرسوله ، المذعنين لأحكامه من ثواب جزيل ، فهى تارة تمنيهم بالرحمة ، وتارة تعدهم بالهداية ، وطورا تعدهم وعدا يتضاءل أمامه كل وعد ، وتشتاق النفوس الى الوصول اليه . قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وتارة يطلق الثواب اطلاقا ، ويرسله ارسالا ليذهب فيه كل ذاهب مذهبه الذى يحبه ، وليفكر كل فى لونه ونوعه وما هيئته وكنهه ، وما هو بمستطيع تقديره قدره ، قال تعالى « فسيؤتيه أجرا عظيما » .

هذا . ولم تقف الآيات عند حد الامر بالطاعة والثواب عليها ، ثم يترك الله للمتدبر فيها أن يستنبط حكم مخالف الرسول ، أو المعرض عن اتباعه ، فقد يقول قائل ان الله لم ينص على حكم العاصى لاوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يتجاوز انسان الحد فيقول: ان معصية الرسول على البراءة الاصلية لم ينص الله عليها ، ولهذا ذكرت الآيات بصريح اللفظ النهى عن معصيته ، بل بعض الآيات جمع الله فيها بين الأمر بالطاعة ، وبين النهى عن المعصية . فقال « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

---

(١) سورة الاعراف (١٥٨) (٢) سورة النساء (٨٠) (٣) سورة الحشر (٧) .

كما لم تقف الآيات عند الامر بالطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم والنهى عن معصيته فى الأمور التشريعية فقط ، بل نصت على أحكام من آداب السلوك العام ، يجب اتباعها معه عليه الصلاة والسلام ، وهى آداب الانصراف من مجلسه ، فقد عالجها القرآن الكريم ايضا ، ووضع لها تعاليم ، وألزمهم بآداب خاصة معه . قال تعالى « واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » فقد يرى فى وجودهم مصلحة لا يرونها ، اذ مجالسه عليه الصلاة والسلام مجالس علم وهداية وتربية ، منحهم الله فضلها ، وخصهم بفيضها حتى يتعلموا من المعصوم المبلغ عن ربه ما يعدهم لتحمل عبء هذه الدعوة بعده، ونشر رسالته ، لأنه خاتم المرسلين، المبعوث للناس كافة ، ونصوص الشريعة تنتهى ، والوقائع لا تنتهى ، وما لا ينتهى لا يضبطه ما ينتهى .

لهذا . دعاهم الى اتباعه وطاعته ، والتعرف على هديه ، وملازمة مجالسه، وعدم الانصراف عنها ، حتى يأذن لهم بالانصراف لان وظيفته بيان الكتاب الكريم ، والوحى له بالمرصاد يتابعه ويلاحقه ، ويبين له ويرشده ، وهو فوق ذلك الهامه وحى ، وبيانه هدى ، فكان لابد لهم من مجالسته حتى يستطيعوا بعده عليه الصلاة والسلام نشر دينه الذى وعد الله أن يمكنهم به فى الأرض ، ويستخلفهم فيها ، فيكونوا حينئذ بفضل تربية الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبته أهلا للاستخلاف ، وقيادة غيرهم .

فلم كل تلك الرعاية ؟ ولماذا كل هذا الاهتمام امن أجل القرآن الكريم فقط الذى يبلغه الرسول عن ربه؟ كما يقول المنكرون لحجية السنة ، وقد حفظوه فى صدورهم وكتبوه ،

ثم ان تلك الأوامر والنواهى التى ذكرها الله تعالى فى الآيات ، لا تشير الى تخصيص القرآن الكريم بالذكر ، وما كان الله ليقصر بيانه عن أن يحدد مراده ، فيضيف فى آية واحدة من الآيات التى أمر فيها باتباع الرسول ، ما ينص على أنه يريد القرآن الكريم كأن يقول مثلا : « وما آتاكم الرسول من كلامنا ، أو فليحذر الذين يخالفون عن قرآننا ، أو من يطع كتابنا .

لكن الله تعالى لم يقل من ذلك شيئا ، ولو كان مريدا له لقاله ، ولكن الذى أراده بالفعل هو الذى كان فى كتابه بالنص على الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات وغيرها ، وهو لا يشير الى تخصيص القرآن الكريم بالذكر .

فالآية الاولى : يأمر الله تعالى باتباع أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحكم عليهم بعدم الايمان ان لم يسلموا بها تسليما منبعثا من قلوبهم ، لا يخالطه ريب ولا شك ، لانهم تحاكموا اليه ، فوجب الاذعان له . ثم هو يقسم بربوبيته انهم لا يكونون مؤمنين الا اذا سلموا بأحكامه .

على أن المنكرين للسنة يقولون فى مثل هذا : ان أحكامه تطاع بوصف أنه امام لهم ، وقاض يحكم فى قضاياهم ، وهذا قول غير سديد ، لان الله تعالى لم ينص على اتباع أحد كما نص على اتباع هذا الرسول ، بل ما رأينا حاكما جعل الله له هذه الطاعة التى اشترط فيها أن تصدر من القلوب ، وتخرج من الاعماق، وأى حاكم أو امام أمة قال الله تعالى فى شأنه ما قاله فى شأن هذا الرسول الكريم ؟ قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »(١) بل أى حاكم وصف المتحاكمين اذا تحاكموا اليه أنهم يتحاكمون الى الله ورسوله . كما جاء فى قوله تعالى « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون».

---

(١) سورة النساء (٦٥) .

وقال تعالى « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » .

لا . فليس هذا للرسول الذى أرسله الله وأيده بالوحى ، يلازمه ، ويسانده ، ويباعد بينه وبين الخطأ الذى ينجم عن زيف الحجج ، فتكون أحكامه من الله تعالى ، لأنها من الوحى استلهمت، وعنه أقرت .

وفى هذه الآية كلام ذكر فى أسباب نزولها لا يتسع المقام لذكره ، لتأكيد معنى القسم ، كما زيدت فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » لتأكيد وجوب العلم ، ولا يؤمنون جواب القسم ، وقيل انها غير زائدة ، وقد نقل الرازى « ١ » عن الواحدى وجهين فى توجيه المعنى على ذلك .

الاول أن « لا » تفيد نفى أمر سبق ، والتقدير ليس الامر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ، ثم استأنف القسم بقوله « فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك » .

الثانى — أنها لتوكيد النفى الذى جاء فيما بعد ، لانه اذا ذكر فى أول الكلام ، وفى آخره كان أوكد وأحسن .

وفى الآية الثانية/يحذر الله تعالى الذين يخالفون عن أمره . « وأمر » / اسم جنس مضاف ، واسم الجنس المضاف من صيغ العموم «٢» فيعم كل أمر ، والضمير فى أمره للرسول صلى الله عليه وسلم بدليل السياق فى صدر الآية . قال تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى لا تقيسوا ولا تشبهوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بأوامر غيره ، لأنه مميز بميزة الرسالة .

وللرسالة قداستها وقدسيتها التى جعلت ارادتنا تقتضى وجوب اتباع أوامره صلى الله عليه وسلم . قال الاخفش « عن » صلة زائدة ، فيكون المعنى : فليحذر الذين يخالفون أمره ، وغيره : ضمن المخالفة معنى الاعراض لتتعدى « بعن » لأن المخالفة فعل متعد بنفسه ، وحينئذ لا تكون « عن » زائدة حكاه الرازى « ٣ » ، ونقل الألوسى « ٤ » عن ابن عطية : ان معنى « عن » بعد ، والمعنى حينئذ : فليحذر الذين يخالفون بعد أمره ، كما يقال : المطر عن ريح ، وأطعمته عن جوع .

وسواء كان هذا أو ذلك فالآية بمنطوقها ، وبما صاحبها من قرائن منصوص عليها فى الاية الكريمة، وأهمها الوعيد الشديد على المخالفة تمحض الامر للوجوب ، وتقوى من دلالتها على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن تجعل الاوامر فى معظم ألفاظ الآيات محكمة لا تقبل التأويل ، أو التخصيص .

هذا . والباقى من دلالات الآيات سبق لى ذكرها مجملة فى صدر هذا المقال . وانى لأرجو أن يعلم كل مسلم علم اليقين أن ما ينشر الان وما يقال ضد السنة ، أو رواتها الغرض منه التخلص من تشريع الله والتحاكم الى العقل وحده :والعقل مهما سما فنتاجه رأى بشر لا يلبث أن يخبو نوره ، ويتبين فساده ، فيتسرب الاضطراب والاختلاف بين أبناء هذا الدين وهذا هو كل ما يسعى اليه أعداؤه ، منذ أن انتسبوا اليه بعد الفتح الاسلامى الى الآن « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

---

(١) الفخر الرازى (٢٦٩٣) .
(٢) الاتقان للسيوطى (١٩/٢) .
(٣) الفخر الرازى (٣٤٧/٦ — ٣٤٨) .
(٤) روح المعانى (٢٠٥/١٨) .

وطلبوا تعليـــل ما خالف الاجـادة مـن رسمه ، وذلك ليس بصحيح .

واعلم أن الخط ليس كمالا فى حقهم ، بل هو من جملة الصنائع المدنيةالمعاشية، والكمال فى الصنائع اضافى ، وليس بكمال مطلق ، اذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين ولا فى الخلال ، وانما يعود الـى أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما فى النفــوس . وقد كان صلى الله عليه وسلم أميا ،وكان ذلك كمالا فى حقه ، وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هي أسباب المعاش والعمـران كلهـا ، وليست الامية كمالا فى حقنا نحن ، اذ هو منقطع الى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا . شأن الصنائع كلها ، حتى العلوم الاصطلاحية ، فان الكمال فى حقه هوتنزهه عنها جملة بخلافنا) . انتهى كلام ابن خلـدون .

ورأى ابن خلدون فيما تقدم من كلامه من الوضوح بمكان ، وقد لفت نظرنا ــ بصفة خاصة ــ ما أشاراليهمن التمحلات التى يلتمسها أنصار الرسـم القديـم تبريرا لما فيه من مخالفة القياس مـن مثل « لأذبحنه » و « السماء بنيناهـا بأيـد » .

ما هو أغرب

وقد اطلعت أنا على ما هو أغرب من ذلك مما يدخل فى باب هذه التمحلات . قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف ما نصه « وأعظم فوائده ــ أى الرسم العثمانى ــ أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه » .

وهذا الكلام واضح البطلان لسببين .

السبب الاولأن القرآن نفسه يخاطب أهل الكتاب فى غير موطن منه « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننـا وبينكم .. الخ » فكيف يخاطبهم بكلام لا يتمكنون من قراءته مكتوبا ؟

السبب الثانى أن هذا الرســم لا يحجب أهل الكتاب وحدهم عن قراءة القرآن ، بل يحجب أعلام المسـلمـين عنها ممن لم يتخصصوا فى العلومالدينية كأطباء المسلمين ومهندسـيهم وعلمـاء الذرة منهم ، فان واحدا من هؤلاء لا يستطيع ان يقرأ سورة مـن القرآن فى المصحف العثمانى دون أن يكون وراءه مقرىء ــ كالشيخ الحصرى ــ يصحح له أخطاءه ، ويهديه الى الصواب ، ولو لم يكن فى رسم المصحف طبقا لقواعد الاملاء الحديث الا تلافى هذا العيب لكفى

ولا يسعنا قبل أن نختم هذا الموضوع الا أن نقدم لك نماذج مما يختلف فيـه الرسم العثمانى عن الرســم الاملائـي الحديث ، حتى تدرك اتساع مسـافـة الخلف ، ومبلغ ما يقع فيه القارىء بدون مقرىء من البلبلة والاضطراب ــ

الرسـم العثمانـي	الرسـم الحديث
يبـدؤا	يبـدأ
يصـلح	يأ صالـح
طغـين	طاغـين
ضلل	ضـلال
لشـاىء	لشـىء
الئـن	الآن
ايــى	ايـاى
انبـؤا	أنبـاء
الئيكة	الأيكـة
العلمؤا	العلمـاء



الذوق فى الاسلام

للدكتور محمد كامل الفقى
الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر

قلت في مقال سابق ان الذوق الذى يرسمه الاسلام ليكون نسقا رفيعا يسلكه ذوو البصيرة والفطنة ، وينتهجه ذوو الحس واليقظة ، يدق فى معناه ، ويرق في مغزاه ، حتى يسمو على القوانين ، ويجل عن أن تسعه النظم واللوائح ، فلا تبلغ من دقائقه وأسراره شيئا ، فهو كالنور ، يرى ولا يلمس ، وكعبق المسك يشم ولا يمس .

ونوهت بأن الذوق الاسلامى يأخذ بيد صاحبه الى السلوك الرفيع، فيصل به الى أرقى درجات المعاملة ، بينه وبين جاره وخادمه ، بل بينه وبين بني الانسان عامة ، بل بينه وبين الحيوان والطير .

وتتبعنا مظاهر هذا الذوق الذى حرص الاسلام على مؤاخاته في جميع المعاملات والعبادات ، فهو ــ مثلا ــ يؤاخيه ويصاحبه في فريضة الصلاة وفي مقدماتها من دخول الخلاء والوضوء ، وغشيان بيوت الله ، وعدم تخطى الرقاب ، واختيار الثوب الحسن ، واستحسان التطيب ، وأخذ الزينة عند كل مسجد .

ثم في مراعاة الامام التخفيف فيالصلاة فان فيهمالضعيف والمريضوذا الحاجة. وفي ظلال هذا الذوق ، ومع الأدب الراقي والتوجيه السديد ، يلذ للقلم أن ينوه بحال المائدة روعيت فيها هذه السنن الحميدة،وتلك المنازع الرشيدة.

يدعو المؤدب الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، الآخذ بيد الناس الىصراط حميد ، أن يغسلوا أيديهم قبل الأكل وبعده ، وهو الذى يقول . الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعده ينفى اللمم ، وكان يأكل بيمينه ويشرب بها ، وهو الذى قال : « ان الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله » .

وكان يشرب مصا ، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوب .

وسن صلى الله عليه وسلم الا تبتدىء بطعام ومعك من هو أولى بالتقديم لسن أو لفضل ، والا يقصد أحد قوما متربصا لوقت طعامهم ، فيدخل عليهم وقت أكلهم ، فان ذلك من المفاجأة ، وقد نهى عنها (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) .

أن الاسلام شرع الاستئذان ، والا ندخل بيوتا غير بيوتنا حتى نستأنس ونسلم على أهلها ، واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا دعى لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المنزل . وقال : « ان هذا تبعنا ، فان شئت ان تأذن له وان شئت رجع » .

هذه صورة للمائدة التى روعى فيها النسق الاسلامى ، والنهج النبوى ، لم توضع لها قوانين من حل أو تحريم ، لكن وضع لها سياج متين من الذوق ، لو اتبعه الناس جميعا لصفا سلوكهم من الشوائب ، وارتقوا الى الذروة ، ولم يدانهم غيرهم فى نهجهم مهما ادعى أنه على حظ من الحضارة والمدنية ، وعلى قسط من اللباقة والحكمة عظيم .

لقد نادى رجال من بنى تميم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات ، وقالوا . اخرج الينا ، فأبى عليهم أدب السماء أن يكونوا على هذا النبو وتلك الغلظة فى معاملة أكرم الناس على ربه ، ومن هو فى الاخلاق نسيج وحده .

ونهاهم الله اذ نطق النبى صلى الله عليه وسلم ونطقوا أن يبلغوا بأصواتهم وراء الحد الذى يبلغه بصوته . وأمرهم أن يغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامهم ، وجهره باهرا لجهرهم ، حتى تكون فريته عليهم لائحة ، وسابقته واضحة . وحذرهم أن يجهروا له القول اذا كلموه ، أو أن يخاطبوه بقولهم يا محمد ، يا أحمد ، بل يخاطبوه بالنبوة كما قيل فى بعض ما قيل فى معنى قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

لقد سلكت هذه الآيات فى عقد الآيات المحكمات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) .

ولما كلم عروة بن مسعود الثقفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ربما مس لحية النبى صلى الله عليه وسلم وعروة هذا هو عظيم القرشيين الذى قالت فيه قريش (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟) .

ويقال . انه الوليد بن المغيرة المخزومى ، فقال المغيرة بن شعبة لعروة . نح يدك عن لحية رسول الله قبل الا ترجع اليك . فقال عروة . يا غدر «١» وهل غسلت رأسك من غدرتك الا بالامس ؟

---

(١) زعموا ان المغيرة صحب اناسا ايام الجاهلية فى تجارة الى مصر ، فلما كانوا ببعض الطريق قتلهم واخذ اموالهم ثم ذهب فاسلم .

فقد رأى المغيرة أن الذوق الاسلامي والأدب العالي يمنعان أحدا مهما سما قدره ، أن يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمس لحيته بيده .

★★★

ان الناس يستطيعون أن يحولوا مجتمعهم الي نموذج رفيع ، لو احتكم كل واحد منهم الى ذوق الاسلام، وجعل لتوجيهاته من القدسية والتكريم ما للقانون .

ولو أن الناس احتفلوا بهذا الذوق وجعلوه قبلتهم ، لرأيت الى المحبة الشاملة والود الصادق والاخاء الكريم صورا رائعة من حسن المعاملة ، وآيات بينات من نبل الاخلاق، وشرف السلوك .

ثم لو وجدت البيئة الاسلامية مهما ترامت اطرافها قد نقى أسلوبها من القول النابى ، والعمل المؤذى ، والتصرف السخيف ، وساد المسلمين ما سادهم من طهر وملائكية تحول الحياة الى جنات ونعيم مقيم .

من آثار الذوق الذى نتعلق فى هذا الحديث بأهدابه ، أن يصعد الى القطار والسيارة وأشباههما شيخ فان أو امرأة عجوز ، أو مريض يتوكأ على نفسه ،فيهم ليجلسه من هو على الوقوف أقدر وأصبر .

ومن آثار هذا الذوق أن تميط الأذى عن الطريق،وأن تأخذ بيد الضرير لتجنبه المزالق ومظان الاذى .

ومن آثار هذا الذوق أن لا يقحم من يرتدى ثوب العمل وقد نضح زيتا أو شحما نفسه فى غمار الركاب متذرعا بالحربة الشخصية، مدعيا أنه لم يتجاوز الحق الذى كفله له القرش أو الدرهم .

لو اتشح الناس بثوب هذا الذوق أو بحلته الرائعة لما استباح صاحب السيارة أن ينهب بها الطريق ، فيثير العواصف ، وينشر الفزع ، ويهدد الحياة .

ومن الطريف ما قرأته لأشهر الاطباء المعالجين قرحة المعدة ، فقد كان فى زيارة له فى مصر ، وسأله احد الصحفيين عن اهم أسباب هذه القرحة ، وكان جواب الطبيب . بوق السيارة ، ثم أكد الطبيب أنه لم يستعمل بوق سيارته قط فى حياته وان أخذ نفسه بالهدوء فى السير يمنعه استعماله .

ان الاسلام لم يرد من المسلمين ، أن يجعلوا سلوكهم فى نطاق الحل والحرمة، بل أخذهم مع ما له عنوان فى الحل والحرمة بآداب ومنازع ، تجمل بها حياتهم ، وتصفو بمؤاخاتها مشاربهم ، ومن ند عنها وتجافى عن شرعتها ، كان اسلامه كالمصباح الذى لا يضىء ،وحسبك أن تنظر الى الأعمى والمريض ، فليست علتهما مسقطة عن سلوكهما أن يكون وفق الذوق ، ومع أهدافه ، وفى سمته الرفيع .

انه كلما عظم حظ المسلم من ذوق الاسلام ، والتهدى بهديه ، والسير على نهجه ، والأخذ بآدابه ، كان مسلما كاملا راقيا ، وصار فيما يأتيه وفيما يدعه ، أقرب الناس لأن يكون العظيم المقتدى به ، وأصبح فى الشرف والعقل من أروع الأمثال .



للاستاذ / محمد عزة دروزة ـ دمشق

فى كتب التفسير ، وبخاصة المطولة التى تعتمد المأثور ، مثل كتب الطبرى والبغوى والخازن وابن كثير والقرطبى وغيرهم ، على هامش القصص القرآنية والشخصيات والاحداث المذكورة فى القرآن على اختلافها ، روايات مسهبة بسبيل توضيح جزئيات هذه القصص ، والشخصيات والاحداث ، وكيفياتها ووقائعها وظروفها ، معزوة الى كعب الاحبار وعبد الله بن سلام ، وثعلبة ومحمد القرظيين ، وابن جريج وابن نوف وابناء منبه وغيرهم من مسلمى اهل الكتاب ، وبخاصة من مسلمى اليهود ، فيها كثير من المبالغات والغلو والصور العجيبة الغريبة . وقد سمى الباحثون هذه الروايات بالاسرائيليات، واعتبروها من دسائس اليهود التى استغفلوا بها الرواة والمشتغلين بتفسير القرآن ، وقصدوا الى التشويش على القرآن وأذهان المسلمين .

والحق ان هذه الروايات التى امتلأت بها كتب التفسير المذكورة وغير المذكورة ، والمطبوعة وغير المطبوعة قد استغرقت حيزا كبيرا ، أن لم يكن الحيز الاكبر منها ، وكادت تغطى على ما فى القرآن من مبادىء واحكام ووصايا هى جوهر القرآن ومحكمه الذى فيه الهدى والذكرى والموعظة والنور والفرقان ، حينما يريد المسلم ان يقرأ القرآن مفسرا فى كتاب تفسير من تلك الكتب . وحتى كادت تشغل المسلمين وتستغرق تفكيرهم بقصد استقصاء جزئيات القصص والاحداث والشخصيات القرآنية وظروفهاالزمانية والمكانية بحيث صارت جل اسئلتهم لمن يشتغل بالقرآن من العلماء عنها ، وبحيث صار القول انها شوشت على القرآن وأهدافه وعلى أذهان المسلمين فى محله تماما .

ولقد كان كثير من القصص والشخصيات القرآنية مما ذكر فى الكتب والاسفار التى كانت متداولة فى آيدى اهل الكتاب واليهود بخاصة الذين كان فى ايديهم القسم الاوفر منها والتى وصل طائفة كبيرة منها مما يعرف بأسفار العهد القديم . ولم تكن هذه الكتب والاسفار مترجمة الى العربية فكان هؤلاء يذكرون للرواة والاخباريين

والسائلين على هامش تلك القصص والشخصيات والاحداث البيانات فيروونها عنهم بدون تمحيص وانتباه الى ما فيها من مبالغات وغرائب وعجائب .

ولقد كانوا يعزون - احيانا كثيرة - ما يقولون الى الاسفار المتداولة فى ايديهم ، والتى غالبا ما كانوا يعبرون عنها باسم التوراة . ولم يكن الرواة والمدونون الاولون يعرفون اللغات التى كتبت بها .

ولقد أثر حديث نبوى رواه البخارى عن ابى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

كما أثر حديث نبوى آخر رواه البخارى والترمذى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه (حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

ولقد كان جل الذين أسلموا من اليهود من الاحبار والراسخين فى العلم كما يستفاد ذلك من آية سورة النساء هذه (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ...) .

تعالم اليهود

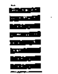
وكان أحبار اليهود يتعالمون على المسلمين ، ويتبجحون بتفوقهم عليهم فى المعارف الدينية وغير الدينية مما أشار اليه القرآن فى مواضع عديدة مثل آية سورة البقرة هذه (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) - « ٧٦ » وآية سورة البقرة هذه (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ..) - ٨٩ ، وآية سورة آل عمران هذه (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) - ٧٨ ، وآيات سورة آل عمران هذه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ٧٢ - ٧٣ ، فكان كل هذا مما جعل الرواة والمدونين القدماء يتقبلون أقوالهم وبياناتهم على علاتها ويوردونها فى كتبهم ، وينقلونها الى غيرهم ، لتكون مادة ومصدرا لمدونين آخرين يأتون بعدهم . وهكذا عمت هذه الروايات معظم كتب التفسير المطولة القديمة دورا بعد دور ، لان المتأخرين كانوا ينقلون عن المتقدمين ، بل وحذا حذوهم مؤلفو الكتب الحديثة أيضا ، وسميت بالاسرائيليات لانها مروية عن مسلمى اليهود فى الدرجة الاولى .

وفى كتب التفسير روايات تفيد أن المسلمين كانوا يسألون أهل الكتاب عن جزئيات الاحداث والقصص والشخصيات والاعلام القرآنية ، وان هذا بدأ منذ الصدر الاول .

ومن الامثلة على ذلك ما رواه المفسرون فى سياق تفسير آيات ذى القرنين فى سورة الكهف عن خلاف وقع بين ابن عباس ومعاوية رضى الله عنهما فى قراءة جملة (عين حمئة) الواردة فى آية سورة الكهف هذه (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) حيث كان معاوية يقرأها (عين حامية) بمعنى نبع ماء حار ، وكان ابن عباس يقرأها (عين حمئة) بمعنى طينة سوداء . فاتفقا على تحكيم كعب الاحبار فسألاه كيف تجد الشمس تغرب فى التوراة ، فقال لهم فى طينة سوداء فوافق جوابه كلام ابن عباس .

ومن ذلك اختلاف آخر كان بين أبى هريرة رضى الله عنه وصحابى آخر عن الساعة التى يستجيب الله فيها لعباده من يوم الجمعة التى ورد خبرها فى حديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي عن ابى هريرة عن النبى صلي الله

حول الاسرائيليات



عليه وسلم قال . (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه) حيث اختلفوا فيما اذا كانت الساعة فى كل يوم جمعة أو فى يوم جمعة فى السنة ، واتفقوا على تحكيم كعب الاحبار وسألوه فقال : هي جمعة فى السنة ، فانكر عليه أبو هريرة ذلك وقال : بل هي فى كل يوم جمعة ، فراجع كعب التوراة ، ثم عاد فقال : ان التوراة تتوافق مع أبى هريرة «(١)» .

والجوابان ــ ان صحت الروايات ــ وليس هناك ما يمنع صحتها ــ تدليس . لانه ليس فى الاسفار شيء مما سئل عنه كعب الاحبار ، ولكنهم قبلوا جوابه لانه ليس لهم الى معرفة نصوص الاسفار من سبيل الا سبيلهم . ولانهم كانوا فى نظرهم متفوقين عليهم فى المعارف المتنوعة ، بما كانوا يظهرونه من تعالم ، ومما كان متفقا فى ذلك مع الحقيقة من حيث أن العرب كانوا أمة أمية كما جاء فى أحد احاديث رسول الله ، وكما سماهم القرآن فى أكثر من موضع ، فى حين كان فى أيدى أهل الكتاب واليهود خاصة كتب وأسفار دينية كثيرة ، بالاضافة الى أنهم كانوا يعيشون فى بيئات متحضرة ، وكانوا يساهمون فى مختلف مجالات حياتها جيلا بعد جيل ، ولان النبى صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، وان يسمعوا لما يقولونه نسبة الى التوراة فلا يكذبوهم ولا يصدقوهم على ما جاء فى الحديثين اللذين أوردنا نصهما قبلا . ومن ثم تناقله الرواة ثم دونه المفسرون فى كتبهم دون تمحيص ولا تدقيق .

ونرجح أن جل ما روى عن مسلمة أهل الكتاب كان على هذه الصورة ، أى أجوبة على أسئلة من المسلمين عن جزئيات الاحداث والشخصيات والاعلام والمسائل القرآنية . منها ما كان يأتى مسهبا ، ومنها ما كان يأتي مقتضبا ، وانهم كانوا يعزون أجوبتهم الى ما فى ايديهم من الاسفار فيتقبله السامعون على علاته ، ويرويه الرواة ويدونه المدونون ، لانه ليس الى التحقق من صحته سبيل بالنسبة للسائلين والرواة والمدونين من أهل القرون الثلاثة الاولى ، وان كان لا يعنى هذا أنهم كانوا لا يفيضون من أنفسهم من باب الشرح والتعليق المباشرين .

مسئولية المفسرين

وواضح من هذا ان مسئولية ما أدت اليه الاسرائيليات فى كتب التفسير من تشويش واشغال اذهان وتغطية على المبادىء المحكمة والامور الجوهرية فى القرآن لا يتحملها مسلمة أهل الكتاب وحدهم ، كما هو قائم فى الاذهان ، بل ولا النصيب الاوفر منها ، وانما يتحمله الرواة والمدونون القدماء سواء الذين رووا ودونوا أجوبتهم وشروحهم لاول مرة فى كتب لم تصل الينا ، أم الذين دونوها فى الكتب التى وصلت الينا نقلا عن الكتب المتقدمة .

وكلهم مفروض فيه القدرة على تمييز الغث من السمين ، والباطل من الحق والكذب من الصدق ، وعلى لمح ما فى الروايات من غلو ومبالغات لا يصح كثير منها فى عقل ومنطق وواقع ولا يؤيدها أثر صحيح ، ثم القدرة على ادراك ما فى رواية هذه الروايات وتدوينها واستغراقها الحيز الكبير أو الحيز الاكبر من الكتب من تشويش على أذهان قارئي هذه الكتب ، وأهداف القرآن فى آياته المحكمات ، والقدرة على كون هذه دون تلك هى الجوهرية التى يجب الاهتمام لابرازها وتجليتها ، والتنبيه على ما فيها من حكم وأهداف جليلة لصلاح الانسان والانسانية فى الدنيا والآخرة ، وكون تلك لم تورد لذاتها وانما أوردت بالاسلوب الذى اقتضت حكمة التنزيل ورودها به للتمثيل والتذكير والترغيب والترهيب والعبرة والموعظة لتكون وسائل تدعيمية للمحكمات وأهدافها ، مما تقوم عليه الدلائل القطعية من سياقها وعبارتها وتكررها بأساليب يختلف بعضها عن بعض قليلا أو كثيرا ، بقصد استكمال الهدف منها ، وكون الواجب ان يوقف عندما اقتضت حكمة التنزيل منها ، دون تزيد لاطائل من

---

(١) فى كتب التفسير امثلة مماثلة كثيرة فاكتفينا بهذين المثالين تفاديا من التطويل الذى قد لا تتسع له المجلة .

ورائه بالنسبة لما استهدف منها ، ولكونها ليست مما يجب علمه دينا .

وقد يكون هناك بعض مفسرين وقفوا من بعض هذه الروايات موقف الناقد المنكر لما يصادفه المطلعون على كتب التفسير وبخاصة المتأخرة قليلا او كثيرا التى تسنى لمؤلفيها الاطلاع على الاسفار بعد أن ترجمت وعرف مقدار ما فيها من تهافت ومغايرة وتحريف وتخريف. غير أن الحق يقتضينا أن نقول ان هذا لم يكن شاملا ولا عاما ، وان الناقدين والمفكرين أنفسهم رووا كثيرا منها فى مناسبات كثيرة بدون نقد وانكار فى حين أنها لا تتوافق مع الاسفار وكثيرا منها ليس بينه وبين هذه الاسفار صلة ..

أمثلة كثيرة

وننبه على أن فى كتب التفسير القديمة بيانات مسهبة حول القصص والشخصيات والاعلام والأحداث القرآنية معزوة الى بعض أصحاب رسول الله وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب مثل عبد الله بن مسعود وابن عباس وأبى هريرة وأبى ذر وعبد الله بن جابر ومسروق ومجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وعطاء وطاووس وابن اسحق وغيرهم فيها ما يماثل ما روى حول القصص والشخصيات والأعلام والأحداث القرآنية من اغراب ومبالغة وخيال وبعد عن المنطق والعقل والامكان .

ومنها ما رووه بصيغة أحاديث نبوية غير واردة فى كتب الأحاديث المعتبرة بحيث تكون تسمية البيانات جميعها بالاسرائيليات ليس صحيحا ، وانما هو من قبيل التغليب .

ومن هذه البيانات ما هو حول قصص وشخصيات وأعلام وأحداث قرآنية ليست واردة فى أسفار أهل الكتاب وبخاصة اسفار العهد القديم مثل قصص هود وقومه عاد فى الاحقاف . وتبع وصالح وقومه ثمود فى الحجر وشعيب وقومه فى مدين . وأصحاب الأيكة وأهل الرس ، ولقمان وذى القرنين وأصحاب الكهف وغير ذلك مما هو عربي أو غير اسرائيلي بالاضافة الى البيانات التي تساق على هامش قصص ابراهيم عليه السلام التي لم تذكر فى الاسفار .

والأمثلة على ذلك مما يطيل المقال ولكنا رأينا أن نختار بعضا من غير المسهب .

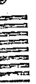
فمن ذلك ما يروى عن قتادة فى سياق انشاء ابراهيم بيت الله مع اسماعيل (ان الله وضع البيت مع آدم حينما أهبطه الى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه فى السماء ، ورجلاه فى الأرض . فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا ، فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك الى الله عزوجل فقال له يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلى عنده كما يصلى عند عرشي. فانطلق اليه آدم فخرج ومد له فى خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة ، فأتى آدم البيت فى مكة ، فطاف به ومن بعده من الأنبياء) (١) .

ومن ذلك ما يروى عن السدى عن زيد بن أسلم فى سياق المناظرة بين ابراهيم عليه السلام والملك نمرود قال : (كان عند النمرود طعام وكان الناس يفدون اليه للميرة ، فوفد ابراهيم فى جملة من وفد للميرة ، فكان بينهما هذه المناظرة ، ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس ، بل خرج وليس معه شيء من الطعام ، فلما قرب من أهله عمد الى كثيب من التراب فملأ منه عدلين ، وقال أشغل أهلي عني اذا قدمت اليهم ، فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا ، فعملت طعاما فلما استيقظ ابراهيم وجد الذى قد أصلحوه فقال : أنى لكم هذا ؟ قالت : من الذى جئت به ، فعلم أنه رزق من عند الله عز وجل . قال زيد بن أسلم وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالايمان بالله فأبى ، ثم دعاه الثانية فأبى ، ثم الثالثة فأبى وقال اجمع جموعك وأجمع جموعي ، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليهم البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها فى منخرى الملك فمكثت فيهما اربعمائة سنة يعذبه الله بها ، حتى كان يضرب رأسه بالمرزبة فى هذه المدة حتى أهلكه الله بها (٢) . على أن هناك وجها آخر

---

(١) انظر تفسير ابن كثير لآيات سورة البقرة

(٢) من تفسير ابن كثير نكتفى بهذين المثالين اللذين لم نخترهما لانهما أغرب من غيرهما فهناك ما يفوقهما غرابة .



لهذه المسألة . فنحن لا نعتقد ان هذه البيانات العجيبة الغريبة ، وسواء منها ما روى عن أصحاب رسول الله وتابعيهم من غيرمسلمي أهل الكتاب ، أم ما روى عن مسلمي أهل الكتاب ليست مخترعة من قبـــل الذين أوردوها جوابا عن ســـؤال أو توضيحا لمسألة من المسائل ، أو قصة من القصص، لان هذا يقتضي أن يكونوا جميعهم كذابين مفترين. ونحن ننزههم عن ذلك ، ونرجح أن هذه البيانات مما كان متداولا فى بيئتهم . ومن المحتمل جدا أن تكون واردة فى كتب وقراطيس لم تصل الينا .

اخبار انفرد بها القرآن

وفى القـــرآن أخبار عن بعض الأنبياء والأمم والأحداث والأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى الأسفار المتداولة اليوم ليســـت واردة فى هذه الاسفار ، مثل المحاورة بين الله والملائكة فى صدد خلق آدم وخلافته . وأمر الله الملائكة بالسجود له ، وامتناع ابليس ، وتخلف أحد أبناء نوح عن الركوب فى السفينة وغرقه . وتوبة آدم وقبولها من الله . وقصص ابراهيم مع أبيه وقومه ، واسكان ابراهيم بعض ذريته فى منطقة المســجد الحرام ، وبنائه البيت هو واســماعيل ، وايمان سحرة فرعون . ومؤمن آل فرعون ، وصنع داود للدروع ، وحكومة داود وسليمان فى الحرث الذى نفشت فيه غنم القوم . وتسخير الخيل والطـير لداود ، وتسخير الجن والريح والطير لسليمان ، وبناء الجن له التماثيل والمحاريب وغوصـهم له وتقييده اياهم بالاغلال وقصة الهدهد وملكة سبأ وعرشها ، والصرح المرد من القوارير . واحضار الذى عنده العلم عرشها فى لمح البصر ، والجسد الملقى على عرشه ، والصافنات الجياد ، وكلام عيسى عن النبى ، وبشارته وصفات النبى الصريحة فى التوراة والانجيل (١) ومائدة عيسى وكلامه فى المهد ، وغير ذلك كثير .

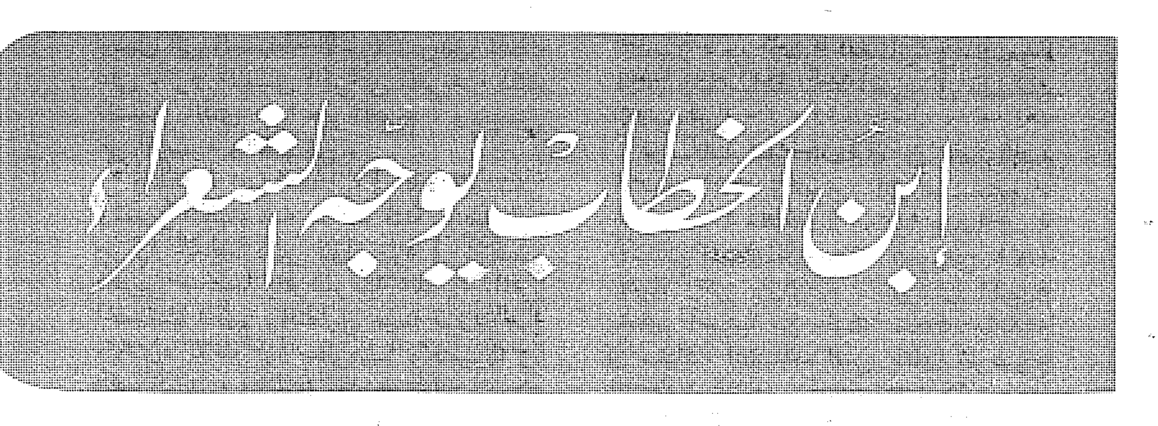
هذا بالاضافة الى ورود أشياء كثيرة فى القرآن مغايرة قليلا أو كثيرا لما ورد فى الأسفار ، مـــثل نسبته صنع العجل للسامرى فى القرآن بدلا من هارون فى الأسفار ، وشق قميص يوسف وهمه بامرأة العزيز ، ومثـل ما جاء مباينا لما جاء فى القرآن فى قصص يونس وأيوب وزكريا ومريم وأمها وغير ذلك كثير أيضا . فنحن نرجح بل نعتقد أنه كانت هناك أسفار وقراطيس لم يصل الينا فيها ما هو المتطابق مع ما جاء فى القرآن ، سواء فى ذلك ما لم يذكر فى الأسفار المتداولة اليوم بالمرة ، وما ذكر مباينا لما جاء فى القرآن ، وانه كان فى هذه الاسفار والقراطيس التي لم تصل الينا كثير من البيانات التى تروى عن مسلمي أهل الكتاب ، وعن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب .

وفى الاسفار المتداولة اليوم ذكر لاسفار عديدة من عهد موسى ويوشع وداود وسليمان وغيرهـــم ليست بين الأسفار المتداولة اليوم . من جملتها توراة موسى التي كتبها بيده ، ودون فيها تبليغات الله تعالى ووصاياه ، والالواح ومدونة وصفت بالنشيد الرباني ، وأسفار عديدة أخرى : مثل أسفار ياشر وعدى واخيلو وشيلو ، وأخبار أيام كل ملك من ملوك اسرائيل ويهوذا الخ مما يمكن أن يكون مثالا يقاس عليه .

على أن هذا الوجه من المسألة ليس من شأنه أن يخفف من قولنا بمسئولية الـرواة والمدونين الأولين ، ومن نقل عنهم بعدهم جيلا بعد جيل عن رواية وتدوين ، ونقل تلـك البيانات والروايات الغريبة العجيبة واشغال الحيز الكبـير من كتب التفسير بها ، وما أدت اليه من تشويش الأذهان والتغطية على محكم القرآن ، لأن ورودها المفروض فى كتب وقراطيس لا يبرر ايرادها فى كتب التفسير على علاتها . لأن لهم القدرة على ادراك ولمح ما فى ايرادها على علاتها من مأخذ ، والقدرة على ادراك عدم ضرورة ايرادها وكونها تزيدا فى شؤون لم تكن من أهدافها القرآنية حينما اقتضت حكمة التنزيل ايرادها فى القرآن بالأسلوب الذى وردت بــه ، وكونها ليست مما يجب علمه دينا ، وكون الواجب أن يوقف عندما اقتضت حكمة التنزيل ايراده .

---

(١) صفات النبى صلى الله عليه وسلم وأسمه الصريح احمد ومحمد ، والبشارة به على لسان عيسى عليه السلام — ورد كل ذلك فى انجيل « برنابا » المطبوع بدار المنار بالقاهرة ... (الوعى) .





للدكتور عبد الرحمن عثمان
الاستاذ بكلية اللغة العربية / جامعة الازهر

استطاع الخليفة الحازم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يوائم بين تصريف شئون الدولة الاسلامية الناشئة ، وبين التصرف الحاذق فى براعته الادبية وعلمه بالشعر على نحو يثير العجب ويدعو الى الاعجاب، فلم يصرفه جلال المنصب وخطورته عن الاستجابة لحاسته الادبية التى شبت معه منذ حداثته ، قبيل اعتناقه لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واقباله عليها اقبالا كان مضرب المثل فى مدى ما تحدثه العقائد القوية فى نفوس الذين يؤمنون بها عن بصيرة واقتناع .

وبهذه المواءمة البارعة اكتملت فى الفاروق قدرات أدبية ثلاث . العلم برواية الشعر ، والتذوق الفني لجماله وأصالته، والنقد لانماطه المختلفة بطريقته التى ابتدعها فى باب المعانى والالفاظ .

ولم يشأ أن يحطب فى حبل طرفة بن العبد ، والنابغة الذبيانى ، أو يسلك طريقهما فى النقد الذى نعرفه لهما فى العصر الجاهلى ، وانما أخضع المعانى الشعرية لما وقر فى قلبه من صدق ويقين ، وآثر منها مالا يذهب به الخيال الى المبالغة المستكرهة ، أو الكذب المفضى الى السخف والاحالة ، لأن ذلك ادنى الى طبعه السمح ، ذلك الطبع الذى ينبو نبوا شديدا عن البهرج ، وينفر أشد ما يكون النفور عن الافتعال والادعاء،

ومن ثم شرع للشعر العربى مذهبا نقديا لم يسبقه اليه سابق ، ورسم للشعراء منهجا يلتزم الوجهة التى يراها جديرة بفن شاعر أسلامى يريد أن يسهم فى بناء الدولة الجديدة الناشئة ، وهذا المنهج لا يقع بعيدا عما نعرفه لابن الخطاب من واقعية اسلامية فاضلة، وسلوك اجتماعى مهذب ، ومثالية خلقية عتيدة ، ومن هنا جاء مذهبه النقدى على مثال تربيته الاسلامية اذ كره من الشعراء أن يهيموا فى كل واد ، أو أن تجرح السنتهم أعراضا أمر الله أن تصان .

وكما أحب الصدق فى جانب المعنى ، آثر الوضوح والسلاسة فى جانب اللفظ، وايثاره لهذين فى صياغة الالفاظ ،واقامة الاسلوب يدل على ما فى طبعه من وضوح

وميل الى البساطة الآسرة ، ويدل كذلك على تأثره بالنسق القرآني الفريد ، ذلك النسق الذى يبرأ من العوج ، ويميل عن التعمية والغموض .

ومذهب ابن الخطاب فى نقد الشعر وتمييز الجيد منه ــ كما قلنا ــ يعتبر طرازا جديدا ظهر لاول مرة فى النقد العربى متسما بالموضوعية الذكية ،التى أحسنت الفهم والتعليل فيما قررت من مبادىء ثلاث لها خطرها وأهميتها فى الفن النقدى ، الذى كان حينذاك حديث الولادة على ألسنة بعض الجاهليين ممن صحت عنهم الرواية، أو اكتنفت أخبارهم شبهات قامت على الجحد أو الاتهام بالتزيد فى بعض النماذج النقدية .

وخلاصة ما قرره عمر فى مبادئه النقدية الثلاث يتمثل بايجاز فيما يلى .ــ

أولا ــ الحذق فى الصناعة الشعرية ، وذلك يتناول ما يسميه النقادالمحدثون . « بالشكل او التصوير » .

وثانيا ــ الصدق فى الوصف ، بحيث لا يجانب المنطق ، ولا يفضى الىالكذب، وهذا يتعلق بما يسمى « بالمضمون » .

وثالثا ــ كراهية الافحاش والثلب ، وهنا يظهر جانب الالتزام والتوجيه للفن الشعرى كما يظهر فى المبدأ الثاني ، ليسهم الشعر الجديد فى بناء المجتمع الذى يريده الاسلام ، وتقديما للناحية الجادة فىارساء قواعدالاخلاق والفضائل .

فقد روى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال . قال لى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . « أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت . من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال . زهير ، قلت . ولم كان كذلك ، قال . **((كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه))** .

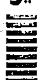
وهذه الرواية التى استفاضت فى أمهات المراجع الادبية تضع ابن الخطاب فى الصدارة من نقاد العرب ، لانه وضع الاساس الذى قام عليه النقد العربى فى أغلب صوره ، حتى عصر عبد القاهر الجرجانى ، حين تحدث فى كتابه « دلائل الاعجاز » عن النظرة الجمالية فى الشعر ، فكان هذا سابقا لنقاد الفرب فى ذلك المضمار .

واعجاب عمر بالحذق فى الصياغة الشعرية عند زهير بن ابى سلمى ، يجعله ــ لا محالة ــ معجبا بصياغة الشاعر الحطيئة وحوكه للقريض ، لانه تلميذ زهير وراويته ، غير ان اعجابه بحكيم العرب من حيث صدقه وأمانته فى محاكاة الصفات التى يألفها الموضوع الشعرى ولا ينبو عنها باعتبارها صفات غير غريبة أو منحلة ، يجعله كذلك منصرفا بعض الشىء عن شعر الحطيئة حين يجنح الى صفات فيها افحاش ولذع .. ، ولكنه انصراف فيه تلفت الى حذق الصناعة الشعرية ، وفيه كثير من الاعجاب ببراعة التلميذ ، وأناته الحاذقة فى تقويم قريضه ، وذلك شأن الناقد الذواقة حين ينظر الى فن شاعر جمع فى نتاجه قبحا الى حسن كثير .

وبهذا المدخل الوجيز نستطيع أن نفسر موقف ابن الخطاب من شعر الحطيئة والنجاشى، غيرناسين ما عرضنا له فى المقال الاول من توجيه وزجر رفيق بعض الشىء لعبد بنى الحسحاس .

ولكن الرواية مستفيضة فى المراجع الادبية القديمة بأن عمر كان يستعين على فهم الشعر بل والقضاء فيه بشعراء مشهود لهم بالحذق والدراية ، مثل حسان بن ثابت وغيره .. ، ولقد كان ذلك فى مقام الخصومة ، واقامة الحد على شاعر يظلم الناس ، ويلغ فىالاعراض وقد أجاب محمد بن سلام وأبو عثمان الجاحظ وغيرهما على هذه الاستعانة التى كان عمر غنيا عنها دون أدنى ريب ، ولكنه الخليفة الذى يقضى بين الخصوم المتنازعين .

فالشاعر ينكر أنه أتى ظلما ! ومن آله الهجاء يؤكد الظلم ، ويؤيد العدوان على شخصه أو قبيلته ، فابن الخطاب فى موقف قضائي لا يبيح له أن يقضى بمقتضى علمه فقط ، ثم وهو الخليفة لا ينبغى له أن يتعرض لسفه السفهاء



بالقضاء في مثل هذه السفاهات دون التماس دليل حاسم من شاعر يؤمن بشاعريته ويرضى بشهادته المتقاضون ، ليكون ذلك أدنى الى العدل ، وأدل على قيام الحجة التى تدرأ الشبهات ،وتجعل الهجاء أمرا يحمل طابع الاعتداء دون شك أو جدال .

وهكذا كان تعليل الجاحظ وغيره لموقف عمر بن الخطاب من القضاء في هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر ، وفي تعريض الشاعر النجاشي ببني العجلان وغمزه لهم في جدهم الذى كانوا يفخرون به .

فحينما شكا الزبرقان الحطيئة الى عمر ، واستعداه عليه ، أقدمه عمر وقال للزبرقان . ما قال لك ؟ ، فقال . قال لي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد ، فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر لحسان بن ثابت . ما تقول ؟ ، أهجاه ؟ ، وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان ، ولكنه أراد الحجة على الحطيئة ، قال . ذرق عليه . فألقاه عمر في حفرة اتخذها محبسا .

وابن قتيبة يزيد في هذه الرواية قوله . « فقال عمر للزبرقان بعد أن سمع هذا البيت . ما أراد هجاءك ، أما ترضى ان تكون « طاعما كاسيا ؟ » قال . انه لا يكون في الهجاء أشد من هذا ، فبعث الى حسان يسأله » .

ولا اظن صحة ما يروى ابن قتيبة عن عمر الذكى الاديب ، فان صدر البيت على أنه هجاء مستقل يشير الى المراد من « الطاعم الكاسى » في آخر البيت ، الا اذا كان مراد الخليفة حسم النزاع وانهاء الخصومة .

وحين هجا الشاعر النجاشي بني العجلان استعدوا عليه عمر ، لانه عيرهم بجدهم في شعره ، وقد كان « العجلان » من دواعي فخرهم قبل هذا ، لتعجيله القرى للضيفان ، فقال عمر . وما قال فيكم ؟ ، فأنشدوه قوله .

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انما دعا عليكم .. ولعله لا يجاب .. ، فقالوا . انه قال .

قبيلته لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ، ونلاحظ هنا أن عمر انفصل عن بغى الجاهلية الى وداعة الاسلام . قالوا . فانه قال :

ولا يردون الماء الا عشية
اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : فذلك أقل للسكاك (الزحام) ، قالوا . فانه قال .

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من «كعب بن عوف ونهشل»

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه .. ، قالوا . فانه قال .

وما سمى العجلان الا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال . كلنا عبيد الله ، وخير القوم خادمهم . فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال . ما أسمع ذلك .. ، فقالوا . فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال . ما هجاهم ، ولكن سلح عليهم .

ولسنا نجد تعليقا على هذا الخبر خيرا مما علق به ابن رشيق في العمدة ، قال : « .. فأسلم النظر (عمر) في أمرهم الى حسان بن ثابت فرارا من التعرض لاحدهما ، فلما حكم حسان انفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة ،ولم يكن حسان على علمه بالشعر بأبصر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وانما اعتل » .

والحق أن عمر كان بصيرا بالشعر بصره بأمر صلاح هذه الامة ، ولهذا كان صاحب مذهب في تقويم الحياة والشعر جميعا .

الثقافة الإسلامية بأصالتها

الثقافة الإسلامية ثمرة وحي منزل ، فهي عطاء الله لا عطاء إنسان

ماجاء به القرآن كان فوق تفكير الرسول والمجتمع .. ولم يكن من صنعهما

نحن مدعوون الى غربلة ماعلق بثقافتنا لتبقى صافية صفاء منبعها

للأستاذ محمد بن كمال الخطيب

أمين سر جمعية التمدن الاسلامي ـ دمشق

ترتكز « الثقافة الاسلامية » على أساسين من « الايمان والعمل » فى كل مصادرها الاصيلة ، التي شقت طريقها الأول بالوحي المنزل من كتاب الله « تعليما وهداية » ، على يد « الرسول المعلم الأمثل صلى الله عليه وسلم .

وان دعوة الايمان التي تتصل بالعلم والعمل على الوجه الأكمل هي التي تنظم معارف الانسان بتنظيم شؤونه وأوضاعه ، تبدأ من الفرد باصلاحه، الى المجتمع وحكمه ، فتتناول شؤون الفرد بانارة عقله ، وصدق ايمانه ، وتهذيب خلقه ، وسمو وجدانه ، وتبني منه « شخصية » أصيلة ، ولبنة متينة ، كما تتناول شؤون المجتمع : الاجتماعية والاقتصادية والادارية والتشريعية والسياسية وما اليها فتنظمها .

وهذا ما فعله الاسلام ، وقدمه الوحي (هداية) للبشر و (تعليما) لهم فكان (عطاء) الوحي مثل عطاء الروح هبة الخالق الى المخلوق ، فهو جل سبحانه الذى خلق الخلق ثم هدى كما كتب على نفسه قائلا « ان علينا للهدى » .

وبهذا العطاء تخطت (معارف القرآن) معارف:
(١) الرجل الذى بلغ الرسالة .
(٢) الامة التي تنشأ فيها .
(٣) الانسانية التي عاصرها .

تخطت كل ذلك لتعطى من جاء بعدها فى كل زمان ومكان ما تعطيه الطبيعة من آياتها ، معاني جديدة ومعارف نامية بآيات بينات ، ضمها كتاب حكيم (لا تنفد عجائبه) .

وقد رسم القرآن بهدايته طريق العمل ، وأخذ بيد الانسان (فردا وجماعة) لأفضل حياة وأكملها معا ، كما صرح بذلك قائلا « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » فى هذه الحياة الدنيا « ويبشر المؤمنين » بحسن العاقبة فيها ولو حزبهم الامر ، ويبشرهم كذلك بآخرة ونعيم مقيم فى دار القرار..

فالوحي بذلك عطاء الله للانسان ، ينير فكره وقلبه وسلوكه ، حتى يزن أموره بميزان الحق

والباطل ، والخير والشر ، يزنهما بميزان خالق الانسان يوم الجزاء .

واما معارف الانسان وما يرسمه بعقله لسلوكه : (تربية وتثقيفا ، وادارة وتشريعا وحكما ..) فانما يعطيه الانسان عطاء انسان تمر به أطوار ، وتقيده بيئة تسد آفاق نظره ، وتكبل قدرته .. فهو عطاء العقل المحدود بهذه الانسانية وبيئتها .. ولو قفز العقل قفزات خيال وعبقرية ، فانه يظل ابن شخصيته وبيئته مقيدا بهما ،وان له الى جانب ذلك لعثرات وعثرات .

هذا تاريخ الانسان بثقافته ، بعلمه وعمله .. وتلك حدود قدرته ، يعطي بقدر ما يأخذ ، وقد يزيد قليلا .. اما عطاء (الوحي) فانه كالنبع الجارى أبدا ، لا ينفد ما دامت الحياة .

★★★

واليك ايها القارىء الكريم نظرات تصل بين القرآن وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، لنرى فى ضوء ما أتى به مبلغا رسالة ربه ، صدق الدعوى ان كان (وحيا) تنزل عليه ، لا (فيضا) نبع من قلبه ، وثمرة من عبقرية تجل عنها رسالة الله .

★★★

لقد تنزل القرآن وحيا منجما ، فكان مصدر الثقافة الاسلامية من علوم وفنون وبحوث ونظرات كانت على شاكلة أصحابها (ايجابية) تنظر بمنظار القرآن (ايمانا وتسليما او بحثا وتحقيقا) أو (سليمة) على مختلف الدرجات ،من تساؤل أوشك: (نافذ أو مريب) الى طعن وافتراء ، وما الى ذلك من دركات القلوب والعقول والأهواء ... وقد بدأت هذه النظرات منذ بدأ الوحي ، وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه وكان محمد من قبل هذا الوحي رجلا يعتزل قومه ، متعبدا فى غار حراء أو متجرا ، وحسبه من صلاته بقومه أن ينفع ولا يضر أحدا (يحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر) ، كما وصفته خديجة رضي الله عنها ، وان يكون (أمينا) معروفا (بالصدق) ، محببا اذا شاهدوه مختصمين ، (كما كان الحال عند بناء الكعبة المشرفة) ارتضوا حكمه ، الذى ازال الخصومة ، وحقق للجميع الأمنية ، فتصافوا بصفاء قلبه صلى الله عليه وسلم وطهر سريرته ...

ولما حمل الرسالة مبلغا ، وقف وقفة عبد الله ، وقف عند حده ، مرددا قول ربه « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » لم تتغير (نفسيته) بهذا الدور الاجتماعي الجديد الذى خالط (شخصيته) ، وانما ازداد فى مواقف (العبودية لله) شوقا ، حتى يستريح الى لقاء الله ، بوقفته فى الصلاة ، وازداد رفقا بالناس ورحمة ، كلما ازداد الناس صدودا عنه ، وايذاء له ، من درجة الاستهزاء الى أعنف مواقف الاعتداء ، فكان ينظر اليهم والى الأبناء والأحفاد من بعدهم ، نظرة الرحمة والهداية ، على المستوى الذى وصفه به تعالى ووصف رسالته بقوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

حتى كاد من الرحمة تذوب نفسه الكبيرة ، وسرى الله سبحانه وتعالى عنه بمثل قوله : « طه.ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.الا تذكرة لمن يخشى » ووصفه مرفها عنه : (لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وحدد سبحانه وتعالى واجب الرسول بقوله« وما على الرسول الا البلاغ المبين .. »وقال له (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) ، تعاونا على اقامة شرع الله ، تعلمهم وتحضهم ، وتقيم حكم الله فيهم ، فيكونون أنموذج الخير ، كما قال تعالى لهم وفيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) أمة هداية وتبليغ وسلطان يأمر وينهى ويجاهد حتى يحققوا أمره اذ « جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا » وبذلك تقوم حجة الله على خلقه ، « معذرة الى ربكم » (ولتكونوا شهداء على الناس فى موقف الشهادة الكبرى والمحكمة العظمى) يوم الحساب والجزاء تكونون شهود الحق أن أرسل الله تعالى رسوله بالحق « بشيرا » بالخير ، و « نذيرا » من سوء الدنيا وعذاب الاخرة ..

وتتابعت آيات التنزيل منجمة ، تصاحب الاحداث بأسباب نزولها ، وتماشي حكمة الله فى ارشاد الناس ، بتعليم الرسول وتثبيت قلبه ،

وتعليم قومه عن طريقه ((كذلك لنثبت به فؤادك))
((ولا يأتونك بمثل (مجادلين أو مكذبين معاندين)
الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)) يكشف
عن وجه الحقيقة ، ووجوه اللبس والخطأ
والكفر ..

وانتهى دور الرسالة ، وأنزل الله قوله في
ختامها ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)) كاملا ينظم شؤون
حياتكم على أفضل وجه وأكمله ، ويحدد لكم
طريق الاستقامة ، حتى تصلوا من دنياكم ، الى
آخرة تستقرون فيها بحياة خالدة راضية مرضية ،
بعدما فزتم من هذه الحياة بأفضل صورها وأكملها ،
وقد أنزل الله فيكم قوله ((من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة)) حتى كانت الدنيا
لكم بذلك وضاءة بنور الهداية المنزلة من الرحمن
الرحيم .

وفي ضوء هذه الحياة (من سيرة محمد قبل
الرسالة ، الى منتهاه صلى الله عليه وسلم حين
أكمل الله له الرسالة ، وانتقل من الخوف الى
سيادة الحكم والفتح المبين) ظلت شخصيته صلى
الله عليه وسلم ، على أصولها (النفسية) التي
أدبها ربها فأحسن تأديبها ، تردد منة الله ،
وتقف مواقف الأسوة للناس والعبودية على مثل
ما صورته الآيات المنزلة ((ألم يجدك يتيما فآوى
ووجدك ضالا فهدى .ووجدك عائلا فأغنى)) تردد
ذلك لترسم خطة الاستقامة والثبات والقدوة
المثلى ، وهي تتبع ذلك بقوله جل سبحانه ((فأما
اليتيم فلا تقهر. واما السائل فلا تنهر.وأما بنعمة
ربك فحدث)) .

هذه الأضواء من السيرة الكريمة وصلتها
بالآيات المنزلة ، بسمو معارفها وهديها ، ترينا أن
شخصية الرسول وأحداث زمانه لم تكن هي
الفاعلة ، والآيات بمنزلة ردود الفعل لها ، فقد
جاء الكتاب بآياته هاديا للرسول نفسه ، هاديا
للزمن وأهله ، ومن سيلحق بهم الى قيام الساعة
.. هداية تنير القلوب والعقول معا ، بما تنشر من
المعارف وآيات الخليقة ، لتدل بها على الخالق
ومصائر الحياة ، وما ينبغي فيها لتكون أفضل
حياة وأكملها كخير أمة أخرجت للناس .

وظلت شخصية الرسول هي هي على مثل ما
عرفت به (نفسيا) من قبل البعثة ، وانما
ازدادت بالرسالة ارتقاء وقوة ومضاء من أثر
ايمانها ، وهداية ربها في مواقف العبودية والتبليغ ،
وحمل أعباء الرسالة نفسها ، وبذلك يتضح برهان
الوحي أن كان تنزيلا من عند الله ، لا ثمرة من بيئة
وعبقرية رجل أو أمة كما يتعلل بذلك من لم
يؤمن بهذا الوحي المنزل .

ان معارف القرآن وهدايته أنارت العقول ،
وهذبت النفوس ، فسمت سمو وحيها الى المثل
الأعلى ، وهي على الأرض ، فكانت آيات الكتاب
متميزة عن عصرها ، متميزة عن شخصية رسولها ،
تؤثر فيهما وتستخدمهما ، ولا تتأثر بهما أصلا ،
وكان القرآن بذلك متميزا عن كل ما أتى به الناس،
من معارف تسمو سمو العبقرية ، أو تمشي على
الأرض مشية نظر وحكمة .. فضلا عما دون ذلك ،
متميزة حتى عن مقالة الرسول نفسه في احاديثه
الشريفة ، رغم أن الوحي خالط ما أتى به وعلمه ..

– انه القرآن المنزل ((ان هو الا وحي يوحى.
علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى .وهو بالأفق
الأعلى)) .

انه يحمل طابعه المتميز الفاعل هاديا ((انه
لقرآن كريم . في كتاب مكنون)) فهو ميزان الحق
الثابت الى يوم القيامة .

انه كلمة الهدى في حيرة الدنيا الى مشاهد
يوم القيامة .

انه المعجزة التي تتحدى العقول بمعارفها
ونظراتها ، بأغراضها ومعانيها واساليبها ، ((وانه
لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد)) هذا هو (القرآن)
برسالته ، وهذا هو (الرسول) يستنير بوحيه ،
ويبلغ الناس ، ومع ذلك فقد صد عنه من صد ،
وعاند من عاند فجاء منطق البرهان يسري عن
الرسول صلى الله عليه وسلم ويرشده ، فيتاسى
بمن سبق من أصحاب الرسالات المنزلة ((ما يقال

لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)) ، ((انك على الحق المبين)) ، ((ليس لك من الأمر شيء)) ، ((انك لا تهدى من أحببت)) ، ((ان علينا للهدى)) ..فهذا مقام يختص بالخالق حيال خلقه ... ((ان عليك الا البلاغ)) .

ولا يروعنك يا محمد ما تلقاه فالناس معادن ((ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا)) . فدع أهل الصدود والأهواء وسر أيها الرسول آمنا في طريقك الى الغاية المثلى من هداية الناس ، انها رسالة جد وقول فصل ((وما هو بالهزل . انهم يكيدون كيدا . وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)) فان مع الدنيا آخرة ، ومصير الناس الى وقفة وجزاء ((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)) ، ((لست عليهم بمسيطر. الا من تولى وكفر))فعاندك وقاتلك ، فانه من حقك حينئذ بل من واجبك أن تصد صدوده وتقيم الحد عليه ، لتقمع ما هو فيه ويكون نكالا وعبرة ، ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)) ، ((ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض)) ، وقد جعل تعالى سنته في هذه الحياة كما قال شوقي رحمه الله ((ان الحياة عقيدة وجهاد)) ، مستوحيا قول الله جل سبحانه ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) فتكون بذلك دنيا الانسان الكادح دنيا جهاد وايمان ، ((وان الآخرة لهي الحيوان)) فيها الحياة الخالدة المنشـودة .

وعالجت الرسالة أمور رسولها فكيفته ، ولـم تكن رسالته وحيا من نفسه ، بل تتنزل وحيا عليه من ربه ، فكان من ذلك أن كشفت الرسالة له صلى الله عليه وسلم مثلا عن المغيبات ، ولكنه ظل حيث هـو في موقف العبد بضـلالته حتى يهديه الله ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضر الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت مـن الخير ، وما مسني السوء)) ، ((ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)) ، ((ان اتبع الا ما يوحى الى)) ، فقل ((انما الغيب لله)) ، فهو سبحانه ((عالم الغيب والشهادة)) ، وبقى الرسول حيث كان عبدا اتسم بسمات العبيد من ضعف وقوة وغنى وفقر ... وصحة ومرض وحياة وموت ، وظل بسيرته يعلن بلسان الحال والمقال : انني حملت فحملـت رسـالة ربـى فآمنت وبلغـت وجاهدت ، وسألقى وجه الله وأرجو أن أبعث (مقاما محمودا) عنده ، وأن تكون لي (الشفاعة الكبرى) عنده يوم القيامة ، ((يوم لا ينفع مـال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم)) .

بهذه الخطة عالجت الرسـالة بوحيهـا قلب محمد رسول الله ، في مواقف حملة الرسالـة ، وصدود الناس وحربهم له ، وعالجت الموضوع من ناحيته الثانية بتحدى الاعجاز واقامة البرهـان تلو البرهان ، بمثل قوله جل سبحانه ((ولو كان (هذا القرآن) من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)) ، حتى يكون هذا الاختلاف حجة لصدودهم عنه ، وتكذيبهم لدعوى وحيه ، لأن ما ياتي من عند غير الله انما يتأثر بأطوار الحياة وخاصة أطوار من أتى به بشخصيته وبيئتـه ومجتمعه .. فهو (بين يوم وآخر ، ونظر فردى مثلا وآخر اجتماعي) ، ياتي بالمناقضات ، وينتهي الى المفارقات ، وينسخ اليوم ما أقره بالأمس ، وكم استخف الشباب من عبث طفولته ، كمـا استخف الرجل في نضجه مما كان محل اعجابه وايمانه في شبابه .. وكم انتهى من مطاف الحياة الى غير ما تصورها به ، وزينت له نفسه ما كان يراه ... هذا شأن الانسان حتى مع نفسه ، وكذلك حاله مع بيئته ، تبدل الاحداث نظراته .. وهذا شأن العلماء والبلغاء والحكماء والمفكرين والعباقرة فيما أتوا به .. ((ولو كان (القرآن) من عند غير الله)) على هذه الشاكلة)) لوجدوا أى هؤلاء المعاندون له ، المتتبعون لنقده ونقضه ، وقد تحداهم باعجازه..((لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)).

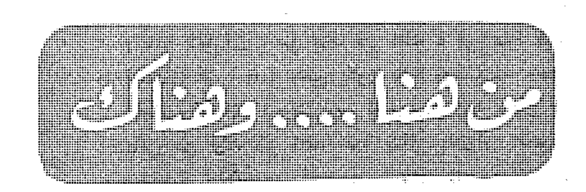
وهذا هو الحال نفسه فيما ساد او تمكن من مجتمع من مبادىء ومذاهب ، فانها بسيرتها جميعا على اختلاف حدودها ومراميها من ((مـا وراء الطبيعة)) الى نظراتها الخلقية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما الى ذلك فانها تكشف عـن أثـر الطبيعة البشرية والبيئة بنظراتها ، وسـيرة أصحابها ، وشتان بين انتاج البشر ومـا تنزل وحيا ليهدى البشر بدءا من حمل الرسالة .

لقد أنزل القرآن في فترات الوحي حتى اكتمل بالسور والأحكام على اختلاف الأوضاع والأزمان ، وانتظم بسلك واحد من الانسجام ، لم تختلف فيه

البقية على ص ٨١

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمـر



بداية طيبة

بداية الحياة الجامعية فى الكويت هذا الشهر حدث يستحق التسجيل والاعتزاز . وليس هنا مقام التحدث عن هذا الموضوع فهو أعظم من أن يكون محله هذه الخواطر ، وسنعنى به فى عدد آخر ، ولكن الذى يعنينا هنا أن نسجل ظاهرة كريمة أعتبرها بداية طيبة من اخواننا الأساتذة الذين قدموا الى الكويت ، ليرسوا قواعد الحياة الجامعية ، ويكونوا أول من يستهل التدريس والتوجيه فيها .. فقد طالعت فى الصحف الخطاب الذى توجهوا به للمسئولين يعلنون فيه وضع كل امكانياتهم وخبراتهم لخدمة الكويت الشقيق فى شتى المرافق خارج نطاق عملهم فى الجامعة ، كل استاذ منهم فى ناحية تخصصه وخبرته دون أن يأخذوا على هذه الخدمات مقابلا ماديا .. وأننى أحيى هذه الروح فى الطليعة الأولى من أساتذة الجامعة الحديثة ، الذين يضعون بذلك التقاليد الطيبة لمن يأتى بعدهم .

ظاهـرة

لمستها فى زيارتى القصيرة الى سوريا ولبنان ، ولفتت نظرى ، وانتزعت منى اعجابى بالذين يصنعونها ، وأسوقها الآن الى كل شاب عربي فى غير هذين البلدين .. فقد وجدت أكثر الذين يخدمون فى الفنادق التي نزلتها فى عدة مدن من هذين القطرين الشقيقين من الطلاب . طلاب المدارس والجامعات ، يقومون بكل نوع من أنواع الخدمة المعتادة فى الفنادق ، حتي الكنس ومسح الأرض وتنظيفها . يفعلون ذلك بكل نشاط واقبال .. بل رأيت بعضهم يتزاحم فى سبيل ايجاد عمل له فيها أو فى غيرها أثناء العطلة الصيفية ، وعرفت عن الكثير منهم أنهم من بيوت عريقة وغنية ولهم أقارب يشغلون مناصب فى الدولة كبيرة وصغيرة ، لقد أكبرت هذه الروح فى هؤلاء الطلاب الذين يخوضون غمار الحياة العملية مع حياتهم العلمية جنبا لجنب ، ويكتسبون بذلك فوق المادة خبرات ومعارف لم يكونوا ليحصلوا عليها لو أنهم فعلوا كما يفعل الطلاب فى بعض البلاد العربية حين يجعلون العطلة الصيفية هما ثقيلا على ذويهم ، وعلى أهل حيهم ، وعلى مجتمعهم وبلدتهم ، حيث يملأون الشوارع ويكونون « الشلل » ويؤذون

الناس ، ويحدثون المشاكل .. ويتركون ذويهم يشقون فى سبيل لقمة العيش ، ويترفعون عن مساعدتهم ، ويعتبرون عملهم حتى فى مهنة آبائهم عارا ومنقصة ! .

وانه لفرق كبير بين طالب يسعى للعمل أثناء عطلة الصيف بأجر عند الغير ، وبين طالب يستنكف من مساعدة أهله فى عملهم وهو فارغ عاطل لا يمسك كتابا ولا يؤدى عملا .. ولكنه ينفق طاقته فى الشغب والمعاكسة ومضايقة أهله وغير أهله ... حتى يتنفس الناس الصعداء حين تفتح المدارس وتجمع الطلاب من الشوارع ...

اننى أحيى من هنا هؤلاء الطلاب العمليين وأرجو أن يحذو غيرهم حذوهم ...

ومتعة

متعة حسية وروحية معا شعرت بها حين زرت بعض زملائي من الوعاظ الأزهريين وغيرهم من أصدقائي فى منطقة « سير وبخعون » بشمال لبنان ، وقضيت بينهم وقتا قصيرا .. متعة الجو اللطيف فى هذه المنطقة ، حين تغمر الحرارة والرطوبة بعض المناطق الأخرى . متعة المناظر الخضراء المدرجة تدرج الجبل حيث تتمايل اشجار التفاح والكمثرى والبرقوق والخوخ وهي محملة بثمارها الشهية ذات الألوان البديعة ، ومتعة النفس وايناسها بالهدوء وبالأهالي الودودين الآلفين ، وهم يرحبون بكل قادم عليهم كأنه أخ لهم ، ثم المتعة الروحية الكبرى حقا حين كنت أسمع الأذان للصلوات ينطلق من المكبرات فى أعلى المآذن المنتشرة فى أعالى الجبل وسفوحه ، وأسمع آيات القرآن الكريم المسجلة لمشاهير القراء تذيعها المكبرات ، فترجع الجبال أصداءها من كل ناحية ، وتمتلىء النفس ايمانا ويقينا ، وهي ترى أمامها كتاب الكون الذي أبدعه الله وجمله ، وتسمع كتاب الله الذى أنزله ..

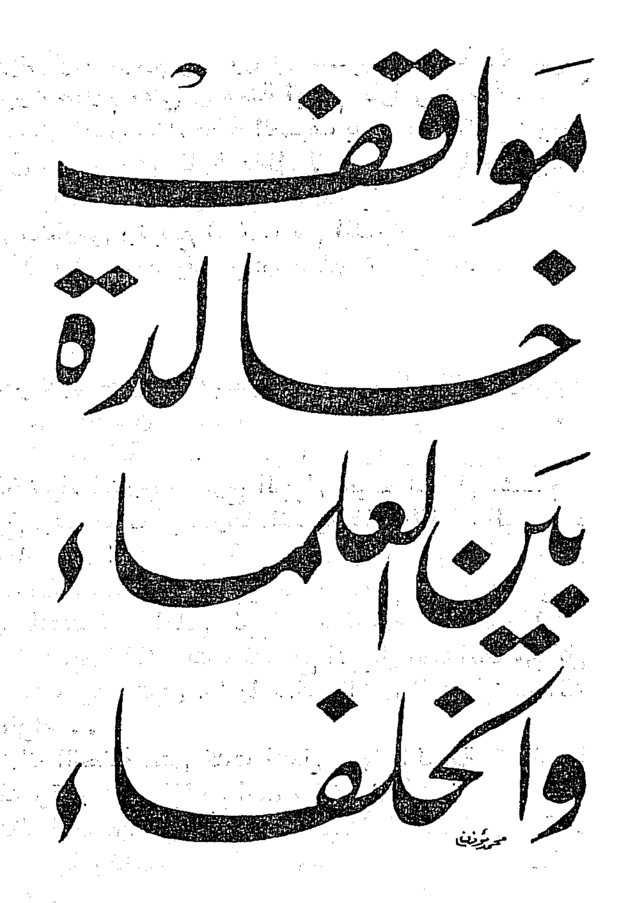
اننى لن أنسى مدى حياتى تلك اللحظة التي كنت اتأمل فيها الطبيعة الساحرة امامي ، وأرى فيها جمال صنع الله وقدرته ، واذا بي أسمع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد يقرأ بصوته الطروب « فلينظر الانسان الى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم » .

أمانـة

جاء يستشيرني فى بنت له يريد أن يلحقها بمدرسة خاصة . أى المدارس أشير بها ؟ ــ وعدد لي أسماء بعض المدارس الخاصة .. فقلت له لا أستطيع فى لحظة قليلة أن أعين لك مدرسة وافضلها على أخرى . ولكن القاعدة عندى أن تدخل بنتك مدرسة لا تنتزع منها روحها الاسلامية العربية لتزرع مكانها روحا أخرى ، مدرسة تنشىء بنتك على حب بلادها ودينها وتقاليدها ولغتها ، حتى لا تراها تقوم فى الصباح ، وتبدأ يومها برسم علامة الصليب بالاشارة على وجهها وصدرها ، كما علمتها بعض الراهبات المدرسات ، ولا تسمع منها استهجانا لدينها أو رسولها ، كما حصل من بعض الأطفال الذين تعلموا فى بعض المدارس الخاصة ..

أن تعليم الأبناء وتنشئتهم وتربيتهم أمانة فى عنق الآباء ، وأهم شىء فى هذه الأمانة دين الطفل ، ولا سيما فى المرحلة الأولى من حياته المدرسية التي يكون فيها كشريط التسجيل يلتقط كل صوت ، ويردده ، وينطبع فى نفسه كل مظهر ويألفه . ومن هنا تعظم مسئولية الآباء ويكون حسابهم أمام الله ..

ان كانت هناك مدارس خاصة يشرف عليها مسلمون مأمونون على الدين والتعليم فلا تتردد فى دفع بنتك اليها ، والا فأنت معذور . ويبقى اثم التقصير فى أقامة هذه المدارس على الذين يستطيعون أقامتها ولا يفعلون ..



بقلم الاستاذ احسان النمر
بنابلس ـ الاردن

دروس من الماضي يحتاج اليها العلماء في كل عصر وقطر .

وقد ترك لنا هذه الدروس علماء اعلام ، وذلك بمواقفهم الصريحة الجريئة أمام الخلفاء ، والسلاطين الاقوياء ، ينصرون أمامهم كلمة الحق ، ويبذلون لهم واجب النصح ، في أدب من القول ، وعفة عن متاع الحياة .

وأمثلة ذلك في التاريخ الاسلامي كثيرة ولكني اقتصر منها على الأمثلة الآتية : ـ

عمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب

جاء في كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس : « حكى مالك بن أنس رضي الله عنه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دخل عليه محمد بن كعب وعنده هشام بن معاذ وقد وعظه فأبكاه فقال له محمد : ما ابكاك يا أمير المؤمنين فقال : أبكاني هشام حين ذكرني وقوفي بين يدي ربي . فقال له محمد: ياأمير

المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق منها خرج الناس بما نفعهم ، ومنها خرجوا بما ضرهم ، فلا تكن من قوم قد غرهم منها مثل الذى اصبحنا فيه ، حتى اتاهم الموت فاستوعبهم منها فخرجوا منها ملومين ، لم يأخذوا لما احبوا من الآخرة عدة ، ولما كرهوا جنة ، فاقتسم فيما جمعوا من لا يحمدهم ، وصاروا الى من لا يعذرهم ، فانظر يا امير المؤمنين الى تلك الاعمال التى تتخوف منها فكف عنها ، وانظر الى الذى تحب أن يكون معك اذا قدمت على ربك فاصنع منه . وابذل حيث يحمد البذل ، ولا تذهب الى سلعة قد بارت على من كان قبلك ، ترجو ان تروج معك . فاتق الله تعالى يا امير المؤمنين وافتح الباب وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ، واردع الظالم . يا امير المؤمنين ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان ، من اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، واذا قدر لم يتناول ما ليس له قال : فاشتد بكاء عمر بن عبد العزيز وعلا نحيبه » .

سليمان بن عبد الملك وأبو حازم

وجاء فى كتاب المنهج المسلوك ايضا . « حكى ان سليمان بن عبد الملك لما قدم المدينة اقام بها ثلاثا فقال : ماهاهنا رجل ادرك الصحابة يحدثنا؟ فقيل له ان ها هنا رجلا عابدا من التابعين اسمه ابو حازم ادرك جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقل عنهم الاحاديث فبعث اليه فلما جاءه واستقر به المجلس ، قال له سليمان : يا ابا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال لانكم اخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب .

قال : صدقت يا ابا حازم ، فكيف القدوم على الله تعالى ؟

فقال : اما المحسن فكغائب يقدم على أهله ، واما المسىء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه .

قال : فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا ابا حازم ؟

فقال : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى عند قوله تعالى : « ان الابرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم » .

قال سليمان : يا ابا حازم . أين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قال : فبكى سليمان ، ثم اطرق ساعة ، ثم رفع رأسه اليه وقال : يا ابا حازم من اعقل الناس ؟ قال : من تعلم الحكمة وعلمها للناس .

قال من أحمق الناس ؟ قال من دخل فى هوى رجل ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : اعفنى من ذلك ، فقال : انما هى نصيحة بلغتها . فقال ان ناسا اخذوا هذا الامر من غير مشورة من المسلمين ، ولا اجماع من رأيهم فسفكوا الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها . فليت شعرى ما قالوا ، وما قيل لهم ؟

فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا شيخ . فقال ابو حازم : كذبت والله يا جليس السوء . ان الله تعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ،

فقال سليمان : يا ابا حازم كيف لنا على العلاج ؟ قال : تدع التكلف وتتمسك بالحقيقة .

قال : فكيف طريق المأخذ لذلك ؟ قال . تأخذ المال من حله ، وتضعه فى أهله .

قال : ومن يقدر على ذلك ؟ قال : من قلده الله تعالى من الارض ما قلدك .

قال : أفتـرى يا أبا حازم أن تصيب منا ونصيب منك ؟ قال : اعوذ بالله من ذلك . قال ولم ؟ قال اخاف ان اركن اليكم شيئا قليلا فيذيقنى ضعف الحياة وضعف الممات .

قال : يا أبا حازم فدلنى على ما أصنع قال : اتق الله تعالى ان يراك حيث نهاك . ويفقدك حيث امرك . قال : ادع لى يا ابا حازم ؟ قال . اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والاخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى فعل الخير ، واصلحه فى الدنيا والاخرة .

فقال يا غلام اعط ابا حازم مائة دينار ليقضى بها دينه . فقال : لا حاجة لي بها ، انى اخاف أن



تكون عوضا عن كلامى فيكون أكل الميتة احب الى من اخذها .

ثم نهض فخرج من عنده فلما كان من الغد بعث اليه فأحضره ، فلما دخل عليه قال : يا ابا حازم عظنا عظة ننتفع بها ، فقال ان هذا الامر لم يحصل اليك الا بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك ، فبكى سليمان ، وكاد يسقط عن جنبه . فلما افاق ، قال : ارفع الى حوائجك يا ابا حازم . قال هيهات انى قد رفعتها الى من لا تحجب دونه الحوائج ، فما اعطانى منها قنعت ، وما منعنى منها رضيت وذلك انى نظرت الى هذا الحال وهذا الامر فاذا هو على قسمين احدهما لى والاخر لغيرى اما ما كان لى فلو احتلت فيه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه الذى قدر لى فيه ، واما الذى لغيرى فذاك لا طمع فيه ، وكما منع غيرى من رزقى كذلك منعنى انا رزق غيرى ، وانصرف فما برح سليمان بعد ذلك مستضعفا حتى مات .

المنصور والاوزاعى

ومن كتاب المنهج المسلوك ايضا حكى ابو القاسم عبدالعزيز بن حسن باسناده ان امير المؤمنين المنصور بعث الى الاوزاعى وهو بالساحل فأحضر عنده فلما استقر به المجلس قال له المنصور : ما الذى ابطأ بك عنا يا اوزاعى ؟ قال وما الذى تريد منى يا امير المؤمنين ؟ قال : اريد الاخذ عنك والاقتباس منك قال يا امير المؤمنين . انك لا تجهل شيئا مما اقول ، قال وكيف لا اجهله وانا أسأل عنه قال يا امير المؤمنين انك تسمعه ولا تعمل به قال فصاح به الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال فصاح الاوزاعى رحمه الله تعالى : يا امير المؤمنين حدثنا مكحول ابن عطية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت اليه فان قبلها شكره والا كانت حجة من الله عليه يزداد بها اثما ويزداد بها عليه سخطا » .

وقد بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ، يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله تعالى ، لان الله هو الحق المبين . يا أمير المؤمنين ان الذى لين لك قلوب الامة ، حتى ولاك امورهم ، لقرابتك من نبيه صلى الله عليه وسلم ، فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق ، وان تكون فيهم بالقسط قائما ، ولعوراتهم ساترا ، فلا تغلق عليهم وعليك الباب ، ولا تقم عليك دونهم الحجاب وابتهج بالنعمة عندهم ، وتأذ لما اصابهم من مكروه . يا أمير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه ، وان أكرم الكرم عند الله التقوى ، وان من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه ، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله تعالى واذله ، وهذه نصيحتى اليك والسلام عليك ورحمة الله .

قال فلما سكن عن المنصور البكاء رفع رأسه اليه وقال : يا اوزاعى قد قلت وانت غير متهم فى نصحك ، وقد سمعناه منك ، وصادف قبولا ان شاء الله تعالى والله الموفق للخير والمعين عليه . يا ربيع أدّ للاوزاعى ما يستعين به على زمانه . قال يا أمير المؤمنين انى غنى عن ذلك ، وما كنت لابيع نصيحتي بشىء من عرض الدنيا ، ثم ودع المنصور وانصرف الى حال سبيله .

الرشيد وابن عياض

وروى أيضا : أن الفضل بن الربيع قال : لما حج الرشيد حججت معه وبينما انا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب ، فخرجت فوجدته الرشيد، فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك . فقال : ويحك انه قد حاك فى صدرى شىء ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت ان ههنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه فقرعنا عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت اجب امير المؤمنين ، فقال : لو ارسلت الي اتيتك ، فقلت : خذ لما جئناك به يرحمك الله ، فحادثه ساعة ، ثم قال : له أعليك دين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين : قال : يا ابا العباس اقض دينه .

ثم انصرفنا من عنده فقال الرشيد : ما اغنانى صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله ، فقلت له : الفضل بن عياض . فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه فسمعناه يقرأ آية فى كتاب اللـــه تعالى ، وهو يرددها . فقرعت عليه الباب ، فأوجز فى صلاته ، وقال : من هذا ؟ قلت أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لي ولأمير المؤمنين . قلت : سبحان الله أما عليك طاعته ، فنزل وفتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية ، واخفى نفسه ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف الرشيد اليه ، فقال : كفٍّ ما ألينه ان نجا من عذاب الله تعالى . فقال الرشيد : خذ بما جئناك له يرحمك الله .

فقال يا أمير المؤمنين ان عمر بن عبد العزيـز رحمه الله لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ابن عمر ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حيان ، وقال انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على ما اصنع . فعد الخلافـــة بـــلاء ــ وانت واصحابك تعدونها نعمة ــ فقال له ســـالم بن عبد الله : ان اردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك ابا ، وأوســطهم عندك أخا ، وصغيرهم ولدا ، فوقر اباك ، وتحنن على اخيك ، وارفق على ولدك .

وقال له رجاء بن حيان : ان اردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمســلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت متى شئت .

فهل عندك يا امير المؤمنين مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا الامر ؟ وانى لأقول لــك هذا ، واخاف عليك أشد الخوف يوم يزل القدم قال فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له يرحمك الله ارفق بأمير المؤمنين فقال قتلته انت واصحابك وأرفق انا به ، فلما افاق قال زدنى قال يا احسن الوجه انت الذى يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقى وجهك من النار فافعل ، واياك ان تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اصـــبح غاشا لرعيته ، لم يرح رائحة الجنة .

قال : فأشتد بكاء هارون الرشيد . فلما أفاق قال : هل عليك دين ؟ قال : علي دين لربى لم يحاسبني علية ، فالويل لي ان حاسبني ، والويل لي ان لم يلهمني حجتى . فقال : انما أردت دين العباد . قال : لا فان ربى لم يأمرنى بذلك ، بل امرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره . فقال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . فقال هارون الرشيد : هذه ألف دينار خذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فهى عن وجه حل . فقال : سبحان الله : أنا ادلك على النجاة ، وانت تدعوني الى النار .

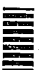
ثم سكت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب سمعنا امرأة من نسائه تقول : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من الضائقة وسوء الحال ، فلو قبلت منه هذا المال لتقوينا به على زماننا ، فقال لها : انما مثلى ومثلكم كقوم لهـم بعير يأكلون من كسبه : فلما كبر وعجز عن الكسب نحروه وأكلوا لحمه .

فلما سمع الرشيد قال : يا فضل ادخل بنا اليه ، فلعله يقبل منا هذا المال ، فلما دخلنا عليه ، وأحس بنا ، خرج فجلس على السطح على التراب . فجلس الرشيد الى جانبه ، وجعل يكلمــه فلم يجبه ، فخرجت جارية وقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فانصرف عنه يرحمك الله . فلما خرجنا من عنده قال لي الرشيد : اذا دللتني فدلنى على مثل هذا الرجل ، فهذا يوم وليلة من أشرق الايام والليالي . رحمة الله عليهم اجمعين .

وفى سيرة الامام مالك بن انس انه لما حج الرشيد زار المدينة المنورة واراد ان يسمع الحديث عن الامام مالك بن انس ، فأرسل يستقدمه ، فقال مالك للرسول . « قل لأمير المؤمنين ان طالب العلم يسعى اليه ، اما العلم فلا يسعى الى احد » فأذعن الخليفة وزار مالكا فى داره ، ولكنه امر ان يخلى المجلس من الناس ، فأبى مالك الا أن يظل الناس كما كانوا وقال : اذا منع العلم عن العامة فلا خير فيه للخاصة .

وقد ورد فى العقد الفريد للملك السعيد مواقف مشرفة جدا للقضـــاة فى العهد العباســـي ، فكان القاضى منهم اذا لم يذعن له خليفة أو أمير ، فانه يختم قمطره (ملفاته) ويلزم بيته ، الى ان يذعن

مواقف خالدة
بين العلماء والخلفاء



ذلك الامير او الخليفة ، فيحضر مجلس القضاء ، ويرضى بالحكم وينفذه ، مما يدل على عزة نفوس القضاة وجرأتهم .

وقد يقول قائل ان خلفاء الاسلام والامراء كانوا يعظمون علماء الدين ، وهذا ما كان يطمع العلماء بالجرأة عليهم ، الا ان الامر لم يقتصر على الخلفاء فقد وقفوا مواقف جريئة من هولاكو والقازان وتيمورلنك كان فيها القضاء على حياتهم .

تيمورلنك والراميني

وقد كان من ابرزها واظهرها حكاية الراميني مع تيمورلنك ، فقد ورد في شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفاريني ، أن تيمورلنك حينما دخل دمشق صار يحرج العلماء بالاسئلة ، فطلب منهم الافتاء يان يفتوا بان فضيلة النسب مقدمة على فضيلة العلم بلا ارتياب ، فتقاعسوا واحجموا ، فأبتدر بالجواب الامام شـــمس الدين بن مفلح الراميني فقال . « درجة العلم أعلى من درجة النسب ، ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أعلى الرتب ، والهجين الفاضل ، يقدم على الهجـين الجاهل ، ثم اخذ القاضي شمس الدين في نزع ثيابه مصححا لتيمورلنك ما يصـــدر من جوابه ففكك أزراره ، وقال لنفسه انما انت اعارة ، وكأس الموت لا بد من شربها ، فسواء ما بين بعدها وقربها ، والموت على الشهادة من افضل العبادة ، وافضل احوالها لمن علم انه الى الله صائر كلمة حق عند سلطان جائر .

فقال له تيمورلنك : ما حملك على نزع ثيابك ، فقال له الشيخ بذلا لنفسي في سبيل الله ، صابرا لعقابك ، فقال له : قد وسعك حلمنا فـلا تعدم سلمنا . فقال له : أيها السلطان الجليل . حيث مننت بالحلم فليكن الامان مصحوبا بالتفضيل من صولة بعض العسكر .

علماء الأزهر

وفي عهد المماليك اظهر علماء الازهر الاعاجيب ، فقد كانوا يؤلبون العامة على سلاطين المماليك ، ويفتون بعدم طاعتهم ، اذا كان السلطان ما يزال مملوكا لم يعتق ، وعبثا كانوا يحاولون ارهابهم بالقوة او بالاغراء بالمال . وقد وردت امثال ذلك في تواريخ عهد المماليك المفصلة . من اهمها وابرزها مواقف الامام ابن تيمية .

عز الدين بن عبد السلام

ومن مآثر شيوخ الازهـــر في القديم الاعتداد بأنفسهم وبدينهم كما حدث للشيخ عز الدين بن عبد السلام مع بعض امراء الدولة الذين كانوا ارقاء للسلاطين ، يتولون الحكم باسمهم . فقد تولى الشيخ القضاء وحكم على بعض هؤلاء الامراء ببيعهم ... لانه لم يثبت عنده انهم احرار ، وما داموا ارقاء فيجب ان يباعوا ، ويضاف المال الذى يباعون به الى بيت مال المسلمين .. ولما سمع هؤلاء الامراء بذلك عظم الخطب عندهم .. وكان من بينهم نائب السلطنة فأستشاط غضـــبا ، واجتمع بهؤلاء الامراء ، واستقر رأيهـم على ان يرفعوا الامر الى السلطان. ثم ارسل نائب السلطنة الى الشيخ عز الدين يسترضيه ويلاطفه ، فلم ينثن الشيخ عن رأيه . وهنا ثار النائب وقال : كيـف ينادى علينا هذا الشـيخ ليبيعنا ونحـن ملوك الارض ، والله لاضربنه بسيفي هذا . وقام النائب بنفسه في جماعة من رجاله ، وقصد الى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب ، ففتح له بعض اولاد الشيخ ، ثم عادوا يخبرون والدهم بالامر ، فما اكترث الشيخ ، بل خرج لمقابلة النائب الذى بهت حين رأى الشيخ يخرج اليه هادئا ثابتا لا يحمل سلاحا ، واعترت النائب رعشة مفاجئة ، فيبست يده وسقط منها السيف .

الشيخ السنباطي

وشبيه بهذا الموقف ما بلغنا عن الشيخ شهاب الدين احمد عبد الحق السنباطي ، فانه تصدى

لداود باشا وكان اذ ذاك واليا على مصر ، وصرخ فى وجهه قائلا : انك رقيــق لا يجوز ان تتولى الاحكام ، وان احكامك باطلة ما لم تحصل على عتقك من السلطان ، فهم الوالى بضرب الشيخ بالسيف ، فانحاز الجند المحيطون به الى جانب الشيخ ، وخذلوا السلطان ، فرفع داود باشــا امر هذه الواقعة الى السلطان، فانعم عليه بالعتق، وارسل للشيخ يبلغه التحية والشكر . ثم حاول ان يقدم اليه هدية ، فرفض الشيخ ان يقبل منه مالا او هدايا ، ومن يومها اصبح الوالى لا يرفض للشيخ رأيا ولا يرد له شفاعة .

الشيخ الباجورى والشربينى

ولعل من أعظم الدلائل على تعظيم شيوخ الازهر ان المغفور له عباس باشا الاول كان يزور حلقة درس الشيخ ابراهيم الباجورى – شيخ الازهر اذ ذاك – فلا يقوم الشيخ له . ثم يختار عباس باشا مقعدا من الجريد يجلس عليه بجوار حلقة الدرس ، ثم يقبل يد الشيخ عند الانصراف من درسه ، وكان الشيخ الشربيني شيخا للازهر فى اوائل هذا القرن ، وكان ورعا تقيا عالما فحلا ، لقب فى زمانه بامام الشافعية ، لم يقبل المشيخة الا بعد رجاء شديد من اولى الامر . ومما اثر عنه أنه دعى يوما لتناول طعام الافطارفى قصر المغفور له الخديو عباس ، فتأبى كثيرا عن اجابة هذه الدعوة، ثم قبلها اخر الامر ، مشترطا ان يكون تناولــه الطعام على وضع خاص ، ولما دنا الموعد ، ركب الشيخ بغلته ، وذهب الى قصر عابديــن ، ثــم جلس مع فريق من المدعوين ، وحين بدأوا يتناولون الطعام ، نشر الشيخ منديلا كان معه على المائدة وبه طعامه الذى استحضره معه من منزله ، ووضع بجانبه قلة ماء ، فاكل وشرب ، ثم خرج مودعــا اطيب توديع من رجال القصر ، ومن ولى الامر .

الشيخ حسن الطويل

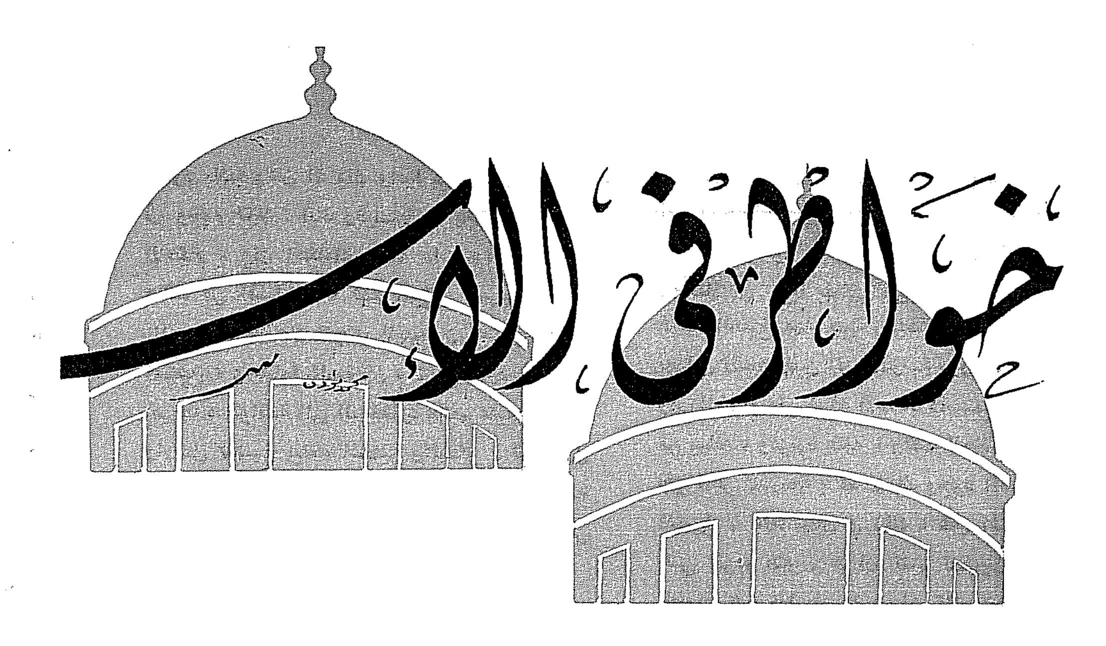
ومنهم ايضا ذلك الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل .. كان رحمه الله يدرس بعض دروس الفلسفة والدين بمدرسةدار العلوموكانت المدرسة اذ ذاك تستعد لزيارة الخديو ، فأشــار ناظــر المدرسة المغفور له ابراهيم مصـــطفى بك على الاستاذ ان يتزيا بلباس يليق بسمو ولي الامر . فأخذ الشيخ معه جبة وقفطانا فى صرة ، وذهب بهما فى اليوم المعين الى المدرسة دون ان يلبسهما . ومر الخديو على غرفة الاستاذ فاستمع اليه ، وسر من بيانه ، وغزارة علمه ، ولكنه لاحظ خجلا باديا على ناظر المدرسة ، كما لاحظ وجود الصرة بجانب الشيخ . فلما سأل فى ذلك ، قال الشيخ قولته التي أثرت عنه . « ان كنتم تعظمون حســن الطويل » ، فها هو ذا ، وان كنتم تعظمون ثيابه فها هي ذى ، ونشر الشيخ ثيابا جديدة .

الشيخ ابو الفضل وثورة ١٩١٩

ولعل القصة التالية تبين مبلغ شجاعة شيوخ الازهر وحرصهم على اعزاز الدين الاسلامي . كان الازهر فى عام ١٩١٩ مهد الثورة المصرية ، وفى تلك الايام اراد القائد ولسون قائد القوات الانجليزية الاتصال بشيخ الازهر فى ذلك العهد وهو الشيخ ابو الفضل . فقصد اليه الشيخ ومعه مدير الازهر الشيخ عبد الرحمن قراعة والشيخ شاكر من كبار العلماء ، وتكلم قائد السلطة فوجه الى الشيخ ابى الفضل كلاما ينطوى على تهديد قائلا : « ان الازهر اصبح مبعث قلق لنا ، لان الثائرين يلوذون به ، وذلك لا يمكننا من القبض على ناصية الامر ، ولذا فنحن نرى غلقه » ، فاهتاج الشــيخ غاضبا ثم قال له . « ان الازهر ليس لمصر وحدها ، بل لجميع المسلمين عامة » . ثم لــوح للقائد بيده بعنف ، وقال للقائد « أغلقوه انتم ان استطعتم ولن تستطيعوا » . وجمع الشيخ ثيابه بيديه ، وخرج غاضبا والقائد ورجالــه ينظرون اليـــه مندهشين مبهورين ، دون ان يســتطيعوا كلاما .

هؤلاء هم شيوخنا القدماء الذين صدق فيهم قول الشاعر :

ان الاكابــر يحكمــون على الـــورى
وعلى الاكابــر تحكـــم العلمـــاء



وفي جلوة الأسراء طوفتُ بالدنـــا ... وطافت بى الذكرى لـشَعْبٍ تَحَطـّمَا

فَمِن حَول بيتِ الله أحداث أمَّــة ... ومِنْ حول بيت القُدْسِ شَرٌّ تَحَكَّما

ومِنْ حولنا نَلقىَ بقايا لأمَّـــةٍ ... بها أيمٌ تَسْعَى وطفْلٌ تَيتمَّـــا

وأقسى وأقسى أن يجدّ زمانُنـــاً ... ونَهزِلُ قبلاً ثم نَنْماعُ بعدمـــا

تُطالعنا الأحداثُ في كل ساعـــة ... وتسمعنا الأخبار كم أهدروا دَمَـــا

ألا للدمِ المطلُولِ ياصحبُ قَوْمَـــةٌ ... تُنير لنا جَوا من الليل أظلمـــا ؟

وهل لأولاء اللاجئين .. أخو وفــا .. ... يُعيدُ هناك العَيْشَ أرْغَدَ أنْعَمَـــا

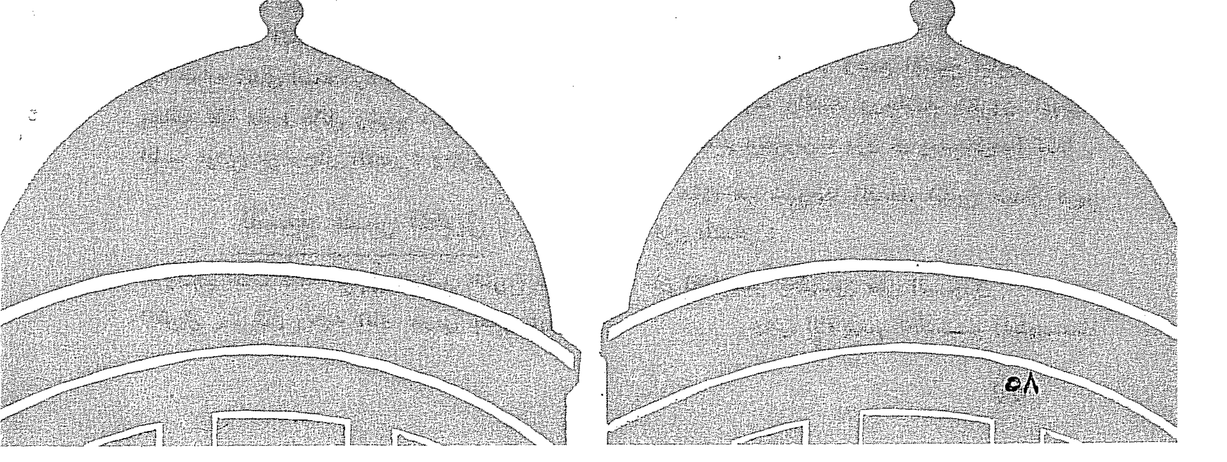
بَنِى العُرْبِ ..دِينُ العُرْبِ بذل وعِزَّةٌ ... وكُلُّ ذَلِيلٍ .. لا أُسَمِّيهِ مُسلِمَا

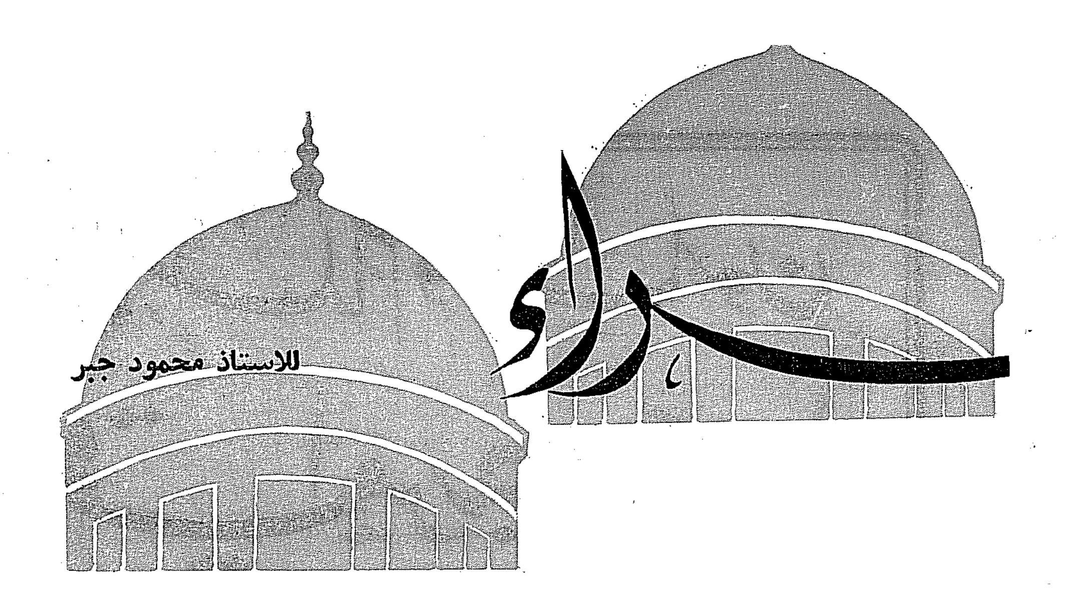
بنى العُربِ.. هل يَدعوالى السلمِ ظَالِمٌ؟ ... إذا لم يكن يرجو من السلْم مَغْنَما .

إذا مَلَكَ البَاغِى فلا العَدْلُ قائــمٌ ... ولا أنت ترجو في حماهُ التَّقَدُّمَـــا ..

ولن تَصلُحَ الدنيا إذا بَاتَ أمرُهَـــا ... على عاتِق « الصهيون » نَهْبا مُقَسَّمَا.

وسوف نَرَى فيها الدماءَ غَزِيـــرَةً ... وسوف نرى فيها البلاء المُجسَّمَـــا





آراء

للاستاذ محمود جبر

أحبَّاءَ قلبي هَلْ إلى اللهِ رَجْعَةٌ ... تزيل سحاباً في العروبةِ خيَّمَا ؟

فلا الرقْصُ مَمْنُوعٌ .. ولا النكرُ حرمُوا ... ولا شاربُ الخمر البَغيضةَ أحجَمَا

ولا وازعٌ لِلدِّينِ يُرْهِبُ فَاجِراً ... ولا صَوْلَةُ القانُونِ تُرْدِعُ مُجْرِمَا

جَعَلْنَا كِتَابَ اللهِ فينا تَمَائِماً ... وأصْبَحَتِ الآياتُ .. لحْناً مُنَغَّمَا

وَسودتُ بالأشعارِ كُلَّ صحائفي ... فلم أغْنِ بالأشعار في النَّاسِ مُعْدِمَا

شَقيتُ بأحساسي وبُؤتُ بحسرتي ... ولي مضغتان اليوم أمري اليهما

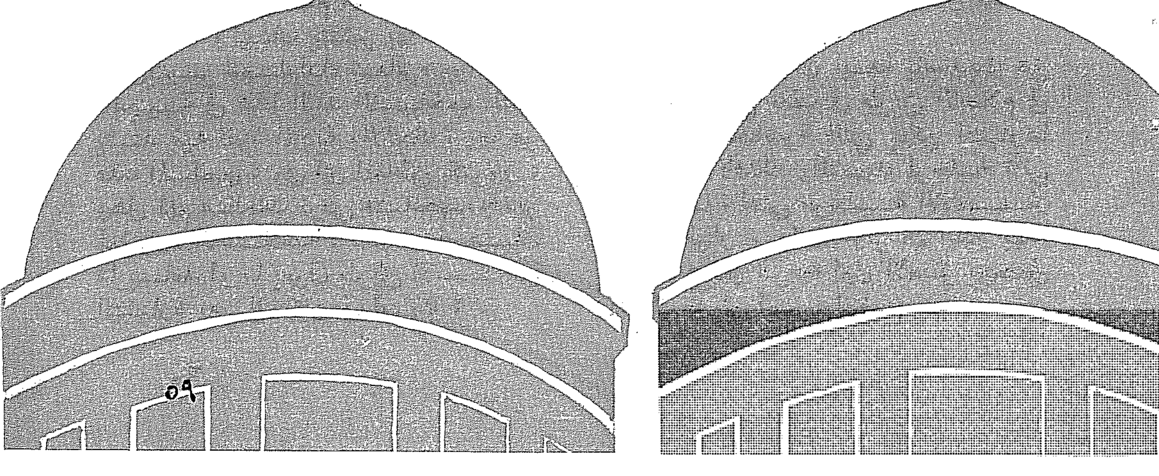
ولِلْعُربِ آمالٌ ولِلدِّينِ مَطمحٌ ... وكُلُّ أحاديثي تَدُورُ عليهمَا

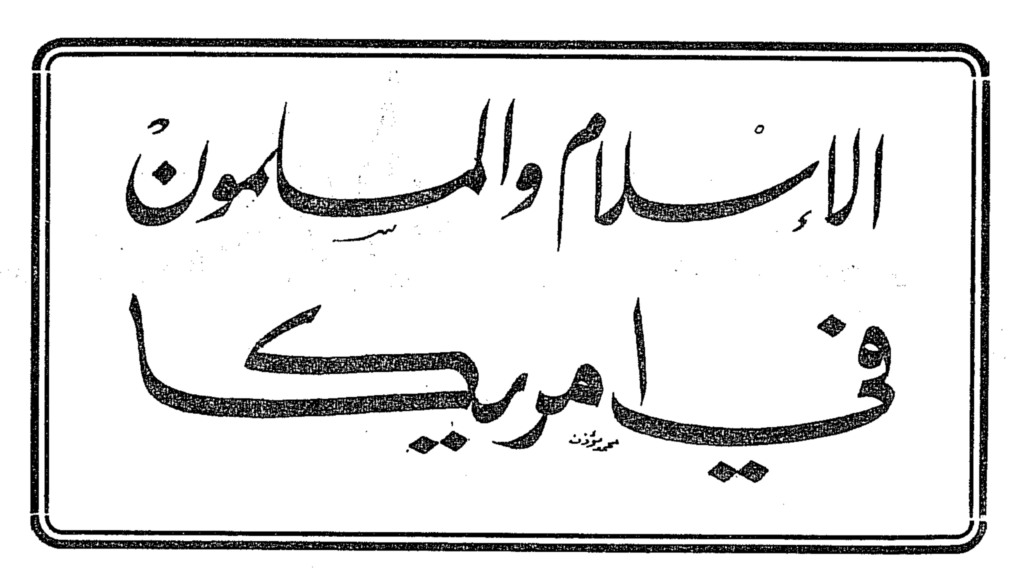
ولا زَال بين القُطْرِ والقطْرِ حاجزٌ ... فواصلُ أمْلاهَا العَدُو وَحَتَّمَا

أخلاَّيَ ما أمْرِي سوى أمر شاعر ... ومن قبلُ عاشَ الشاعرُ الفَذُّ مُلْهَمَا

فان صُغْتُ أوراداً فقد بتُّ زاهداً ... وان ثُرْتُ ياصَحْبِي فللدين والحمَا ..

أخِلاَّيَ عَهْدُ الفاتنَاتِ قد انقضى ... فهاتوا .. لهذا الشرقِ ..نسْرًا وضَيْغَمَا





للدكتور محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

سألني زميلى الأستاذ رئيس التحرير أن أكتب له عن الاسلام والمسلمين فى امريكا ، وكنت قد تسلمت عملي الجديد للمؤسسة الاسلامية بمدينة نيويورك فى شهر رمضان الأخير ، فطلبت اليه أن يمهلني قليلا كي أنظر الأحوال والشؤون عن كثب ، وانفعل بالانطباعات عن المسلمين بالعالم الجديد ماضيهم وحاضرهم وامانيهم . وهاندا وقد مضى علي ستة اشهر بينهم أستعين الله تعالى فاكتب فى الصفحات التالية ما أرجو أن يكون تصويرا صحيحا لوضع الاسلام والمسلمين ، مشيرا بما يرجى أن يكون للاسلام من مجد فى مستقبل هذه الدنيا الحديثة ان شاء الله .

وكأنني بالقارىء العربى الكريم يتساءل : متى قدم الاسلام الى بلاد أمريكا ، وكيف ينتشر بها ؟ والى أى مدى يتيسر للمسلم أداء شعائره وواجباته الدينية فى هذا البلد الصاخب الذى يشتد فيه نفوذ المادية والالحاد ؟ وما هو عدد المسلمين ، وفى أى المناطق يكثرون ، وهل لهم منظمات ترعى مصالحهم وتدبر شؤونهم الاسلامية ؟ ثم هل هناك ما يساعد أو ما يعوق طريق الاسلام فى انتشاره بين السكان فى أمريكا ؟ .

هذه هي النقاط التي سأحاول نقاشها ، والأسئلة التي أستعين الله فى الاجابة عليها .

وانى لأوثر ان أبدأ بالحديث عن الصعاب التي تقف فى طريق الاسلام فى المرحلة الحاضرة التي يمكن اعتبارها مرحلة الاعداد والتمهيد لمرحلة تأتي بعدها ، أعنى مرحلة الانتشار والاستقرار . وانما أوثر أن أبادر بهذا الموضوع لأن شرحه أول الأمر يجعل ادراك ما يلي أيسر وأوضح .

ومرحلة الاعداد والتمهيد هذه مرحلة لا بد منها فى حالة انتشار الدين عن طريق السلم بصفة خاصة ، وهي مرحلة طويله وشاقة تشبه ما حدث فى حال انتشار الاسلام ببلاد الشرق الأقصى ، ففي هذه المرحلة يتم الالف والاعتياد ، ثم الرغبة والميل ، ويأتى بعد ذلك البحث والفحص ثم الايمان والاعتقاد . غير أن حال هذه المرحلة فى أمريكا يختلف عن حالها فى بلاد الشرق الأقصى من نواح عدة .

ففي الحالة الأخيرة كان المسلمون الوافدون الى بلاد الشرق ذوى ثقافة أعلى وحضارة أسمى ، وضربوا بحسن سلوكهم ، وسمو أخلاقهم ، ورواج تجارتهم مثلا طيبة لأبناء البلاد ، مما بعث على تقديرهم واحترام ما لديهم من دين وثقافة .

أما القادمون الى أمريكا فى العصور الحاضرة فينظر اليهم على أنهم قادمون من بلاد أقل حضارة ، وأدنى تقدما وعمرانا من البلد الذى وفدوا اليه .

ثم انهم — للأسف — ليسوا فى الأعم الأغلب على درجة من الخلق والكرامة بما يبعث على محبتهم ، ويحمل على احترام دينهم ، بل ان كثيرا منهم يتصرف على عكس ما هو معروف بأنه من تعاليم الاسلام ومبادئه ، كشرب المسكر علنا ، وتقليد الغربيين فى الاختلاط وما يتصل به ، وكثيرا ما يختصمون ويختلفون ، وينالون من أعراض بعضهم البعض بشكل يضيع الهيبة ، بل يبعث على النفور والاحتقار ! .

وانك لتراهم يكونون نواديهم ، ويؤسسون جمعياتهم تحت عناوين عنصرية أو قومية لأغراض اجتماعية أو سياسية .

والاسلام فى أمريكا فى أمس الحاجة الى المنشآت والمؤسسات والمكتبات والمساجد المنظمة النشيطة الناجحة ، كي يظهر بشكل يبعث على الاحترام والتقدير ، ويستطيع أن يبرز محاسنه ومميزاته . كل ذلك بحاجة الى غير القليل من المال والوقت والجهد ، وقليل من هؤلاء ، حتى ممن وسّع الله عليه فى الرزق ، من يجود عن سعة لاغراض اسلامية دينية .

ومن العوائق التي تقف فى طريق الاسلام هنا قوة نفوذ اليهود ، وسيطرة الصهيونيين ، وخاصة فى بلد مثل مدينة نيويورك ، التي تعتبر أعظم معقل للصهيونيين ونشاطهم ، ويعمل اليهود جهدهم وبكل الوسائل — بما فى ذلك المكايد الخفية الماكرة — فى الدعاية ضد الاسلام ، ويستخدمون فى ذلك ما بيدهم من قوى المال والدعاية ، وذلك لما يعلمون من أن مجد الاسلام هو مجد للعروبة ، ويستغلون فى ذلك الخلافات السياسية ، وما بين البلاد الاسلامية ، أعنى بعض حكوماتها من خصومات أو منازعات .

والنفوذ الصهيوني فى نيويورك يتغلغل فى جميع المؤسسات والهيئات ، ومكاتب الحكومة والمصانع مما يجعل حياة المنظمات الاسلامية فى مثل هذه البيئة محفوفا بغير القليل من المتاعب والمصاعب ، ومما يحمل بعض المسلمين على أن يتسموا بأسماء غربية مسيحية ، بدلا من الأسماء العربية الاسلامية ! كي يخفوا حقيقة دينهم . على أنه اذا ظهرت حقيقة دينهم فكثيرا ما يتعرضون للفصل من وظائفهم أو الاساءة اليهم فى أعمالهم !!

وهناك عامل آخر لا يقل عما ذكرنا مساءة للاسلام وسمعته ، وهو ما دسه المؤلفون الغربيون عن الاسلام ونبى الاسلام منذ التقى الصليب والهلال فى العصور الوسطى ، فكتب قديسو المسيحية اتهامات مجحفة عن ديننا الحنيف ونبينا الكريم . وجاءت بعدهم الأجيال من المستشرقين فدلسوا وزوروا ، ووجدت هذه الاتهامات الظالمة المغرضة طريقها الى الكتب المدرسية التي يدرسها ملايين الطلاب والطالبات فى مختلف المواد الدراسية كالتاريخ ، فتجدها مبعثرة متفرقة يتلقاها الطلاب بالقبول ، فتؤثر عليهم فى حياتهم الغضة

الناشئة ، وتغرس فى نفوسهم فى وقت مبكر حقدا وكراهية للاسلام وأهله .
وانك ان سألت الرجل العادى عن الاسلام فلا يكاد يعرف عنه غير أنه دين يبيح تعدد الزوجات ، وهو أمر ممقوت فى نظر الغربيين العاديين ، وأن محمدا صاحب هذا الدين كان رجلا شهوانيا يحب النساء ، وسمح لنفسه بما حرمه على أتباعه ، فتزوج من اثنتى عشرة امرأة جمع بين تسعة منهن ، وانه حمل الناس على اتباع مذهبه الذى نقله عن معلميه من اليهود والنصارى بقوة السيف والارهاب !! .
ولقد كان هناك الى عهد قريب تمثال للرسول العظيم بين تماثيل العظماء فى احد المتاحف بأحد الميادين الكبرى بمدينة نيويورك يصور محمدا كرجل كثيف اللحية ضخم الكتفين باحدى يديه كتاب وبالأخرى السيف ! وانما أزيل هذا التمثال بعد احتجاج سفارات البلاد الاسلامية لدى حكومة الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ (١) وفى كتاب أصدرته السلطات الطبية أخيرا وتوزعه بالمجان مشتملا على نصائح خاصة بشأن أمراض الاغماء والصرع ظهرت صورة لمحمد « صلى الله عليه وسلم » مع سقراط وآخرين ممن قيل انهم كانوا مصابين بنوع من أنواع الصرع (٢) ، وذلك لزعم بعض الكتاب المعادين أن ما نعتقده نحن المسلمين من اتصال سماوى ، مما كان يحدث للرسول عليه السلام عند تلقى الوحي كان حالة من حالات الصرع ! .
وليت شعرى ! انهم ليذكرون ان المريض بالصرع يفقد شعوره وأحاسيسه تماما أثناء نوبات الصرع ولا يتألم بحال مما يحدث له ونحن نعلم أن ما كان يعتور رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يتنزل عليه الوحي ، ما كان يفقده شعوره ، بل كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحتفظ بانتباهه تماما عارفا بما يلقى عليه ، وكان عقب تلقى الوحى يلقى على أصحابه ما تعلمه من ربه سبحانه على يد أخيه جبريل عليه السلام .
ثم ما هذه الضجة التي يثيرونها حول تعدد الزوجات فى الاسلام ؟ وهل هي الا مجرد اباحة للرجل عند الاستطاعة والعدل أن يؤسس أكثر من أسرة واحدة ؟ أليس ذلك خيرا من تلك الاباحية الممقوتة السائدة فى بلاد الغرب ، حيث يولد كل عام مئات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين ، الى غير ذلك من أنواع الفساد والجنس المخزية الشاذة المتفشية بين الذكور والاناث ، مما لا نسمع عنه فى المجتمع الاسلامي الا حيث يفشو التقليد الغربي الممقوت ! وأين لهم أن ينالوا من شخصية الرسول الأكرم وهو لم يتزوج بغير واحدة حتى زاد عمره على الخمسين، وانما عدد الزوجات فيما بعد اتباعا لسنة اجتماعية سائدة ، ومراعاة لأسباب سياسية خاصة وما تزوج عليه السلام بعد تحريم الزيادة على الأربع ، وانما استثنى شخصه عليه السلام من فراق من زاد على الأربع من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مراعاة لمشاعرهن ، وجبرا لخاطرهن ولحرمتهن على غير الرسول اذا هو فارقهن ، وما كان لهن من عامل الجمال والشباب ما يغرى بالابقاء عليهن اذا استثنينا السيدتين زينب وعائشة .
ودعوى أن الرسول نشر دينه بالسلاح والبطش صادرة عن الجهل بالحقائق التاريخية ، وما حمل الرسول ولا أصحابه السيف من أجل السيادة ، ولا من أجل نشر الدعوة ، ولقد أمر أن يدعو

---

(١) وفى كتاب صدر عام ١٩٦٢ بعنوان « الاسلام والغرب » ظهر على الصفحة ١٣٥ رسم يظهر الرسول الكريم بشكل يشبه هذا ، فى يمينه سيف وبيساره القرآن ومعلق فى عنقه تميمة وعلى رأسه قاوون ! ويستعرض الكتاب تطور أفكار الغربيين عن الاسلام ، ولعل الفرصة تسنح لنا للكتابة عنه ان شاء الله .

(٢) كتبنا الى الجهات المعنية طالبين حذف الصورة فى الطبعات التالية للكتاب مراعاة لشعور المسلمين ومحتجين على هذا الخطأ ، فردوا ردا جميلا .

الى ربه بالحكمة والمنطق والموعظة الحسنة، واعلن الكتاب الذى نزل عليه أن لا اكراه فى الدين . ومكث عليه السلام ثلاثة عشر عاما بمكة يدعو الى ربه معرضا هو ومن آمن بدعوته لأذى قريش وتعذيبهم لا يحمل سيفا ولا سكينا ، حتى أنه لما اعتزل قريشا وهاجر الى المدينة واصل العدو عدوانه ، وحمل على الاسلام والمسلمين بالمدينة بجيوشه الجرارة وأسلحته القاتلة ، فاضطر الرسول عند ذلك (١) لحمل السيف لا ليكره الناس به على قبول الدعوة ، وانما ليدفع به الأذى عن نفسه وعن دينه .

وفى المعارك الأولى التي خاضها الرسول خرج العدو من بلده وحارب الرسول فى الطريق الى المدينة أو بالقرب منها مما يدل على أنه عليه السلام كان ضحية العدوان فى كل حالة ، وخروجه يوم الفتح الى مكة فى العام الثامن للهجرة كان بسبب غدر قريش للمعاهدة التي عقدوها معه يوم الحديبية ، بل ان استعداده لملاقاة الروم والحروب التي حدثت بعد انتقاله صلوات الله عليه الى الرفيق الأعلى ما كانت الا ردا على تحرش الرومان والفرس بالدين الجديد ، فلقد كانت هاتان الامبراطوريتان تخشيان بأس العرب حتى وقت تفرقهم الى قبائل متعادية ، وانشأت دولة الروم مملكة من عرب الغساسنة بالشام ، لتحمى حدودها من غارات العرب ، كما أنشأت دولة الفرس مملكة بالحيرة من عرب المناذرة لتحميها من غارات عرب الصحراء . فلما اتحد العرب تحت راية الاسلام فزعت كل من الامبراطوريتين وبيتت للاسلام شرا ، فبادر المسلمون بلقائهم فى عقر دورهم . وما انتشر الاسلام بهذه الحروب مباشرة ، وانما آمن به الناس لسلامة مبادئه وسمو تعاليمه ، على أن دخولهم فى الاسلام كان عملية طويلة استغرقت دهورا طويلة ، ولم تتم عقب الانتصارات المسلحة .

وبالاضافة الى هذه الشبه والاتهامات الباطلة فان الاسلام يواجه مشكلة خاصة بأمريكا ترجع الى واقع المجتمع الأمريكي وتكونه من ملونين وغير ملونين . ففي الولايات المتحده الامريكية مثلا — ويقرب عدد سكانها من مائتي مليون نسمة — يوجد نحو عشرين مليون نسمة من الزنوج الذين جلب اسلافهم من افريقيا فى القرون الماضية كعبيد للخدمة بالأراضى والمصانع . وسائر السكان — ما عدا القليل من الهنود الحمر — من أصل أوروبى أبيض، وبين الزنوج والبيض كراهية وأحقاد متبادلة .

والاسلام يغرى البيض بحجته ومنطقيته ويغرى الزنوج ببساطته وعدالته ، وكسب الأبيض للاسلام صعب لما يسوء من أفكار ظالمة عن الاسلام ، غير أنه لو أن عددا من البيض — وهم ذوو السلطان والنفوذ — أسلم وانتصر للاسلام لكان للاسلام مستقبل باهر عظيم ، واسلام الزنجي أيسر غير أن بعض الزنوج — كما سنرى — استغلوا دعوة الاسلام للمساواة والعدل لأغراض سياسية وبطريقة خاصة من شأنها أن تزيد من تشويه حقيقة الاسلام وتزيد منه نفورا .

هذه هي بعض العراقيل التي يواجهها ديننا الحنيف فى العالم الجديد ، ولكن لعل الله يجعل من الضيق فرجا ، ومن العسر يسرا ، والى اللقاء فى المقال الآتي حيث نتحدث عن مجيء الاسلام الى امريكا ان شاء الله .

---

(١) وارسال الرسول السرايا عقب الهجرة ما كان لغرض الانتقام من أهل مكة ولا استفزازا لهم كما زعم ذلك بعضهم ، والا كان ذلك مجازفة منافية للحكمة فى وقت لم يستقر فيه الوضع بعد فى المدينة ، ويحيط بالاسلام أعداؤه من يهود ومنافقين ، والذى نراه هو أن الرسول عليه السلام كان يعرف بفطنته وذكائه أن قريشا لن تتركه وشأنه يعظم أمره : ويزداد خطره بالمدينة فى طريق القوافل الى الشام . فكان يرسل السرايا لاستطلاع ما قد يكون لقريش من تحركات خفية حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة .



سرعة بديهة

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا ، فسقطت العصا من يده ، فتطير من ذلك ، فقام بعض الاعراب ، فمسحها وناوله اياها ، وقال : أيها الامير ليس الامر كما ظن العدو ، وساء الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر

فالقت عصاها ، واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

فسر الامير ، وأمر له بجائزة .

الشعر الابيض

قدم نصيب الشاعر على عبد الله بن جعفر الطيار ، وكان نصيب أسود اللون فانشد بين يديه :

الفت (نعم) حتى كانك لم تكن عرفت من الاشياء سوى نعم
وعاديت (لا) حتى كانك لم تكن سمعت بلا في سالف الدهر والامم

فقال له عبد الله : ما حاجتك ؟

قال : هذه رواحلى تميرني عليها .

قال : انخ انخ ، ثم أوسقها له برا وتمرا وثيابا ، وعشرة آلاف درهم ،

فقيل لعبد الله : اتعطى هذا كله لهذا العبد الاسود !

فقال لهم : ان كان هو اسود فان شعره لابيض .

بيت أمير المؤمنين

قصدت امرأة فقيرة عمر بن عبد العزيز تطلب منه المساعدة ، ولما ولجت بيته ادارت بصرها خلاله ، فلم تر فيه شيئا ، فقالت :

لقد جئت لاعمر بيتي من بيت أمير المؤمنين ، فاذا بيت امير المؤمنين خراب!!

فأجابتها زوجة عمر : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت الناس .

رحابة صدر

خطب أمير المؤمنين المنصور العباسي يوما ، فأوصى الناس بتقوى الله ، فقام اليه رجل وقال : اذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين .

فقال له المنصور : مرحبا مرحبا ، لقد ذكرت جليلا ، وخوفت عظيما ، وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم ، والموعظة منا بدت ، ومن عندنا خرجت .

صاحب العباءة

نظر معاوية بن ابى سفيان يوما الى النجار بن أوس العدوى وكان جالسا فى ناحية من مجلسه وعليه عباءة ، فظن معاوية أنه من العامة ، ففطن النجار الى أن معاوية يزدريه لمجلسه وعباءته فقال له يا أمير المؤمنين : ان العباءة لا تكلمك ، ولكن يكلمك من فيها ،ومنزلة الرجل أدبه لا ثوبه ثم أنشد يقول : ـ

انى وان كنت أثوابى ملفقة ... ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى ... فصاحة ولسانى غير لحان

فأكبره معاوية ، ورفع منزلته .

خير البر عاجله

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : نظرت الى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث : تعجيله ، وستره وتصغيره .

فانك ان عجلته هنأته ، واذا سترته تممته ، واذا صغرته عظمته .

صراحة لاذعة

هاجم أحد النقاد كاتبا معروفا ، فشكاه الكاتب الى صديقه قائلا له : هل رأيت كيف هاجمنى فلان ؟

فأجابه الصديق مواسيا : لا تكترث به ، أنه ليس الا ببغاء يردد ما يقوله الناس !!

هذا سلاحهم

كان لنساء بنى اسرائيل فى القديم عادة شاذةيستعملنها فى العراك ، فكانت الواحدة منهن اذا رأت رجلا يشتجر مع أخيها أو زوجها أوابنها تهب لنجدته ، فتهجم على خصمها ، وتقبض بيدها فى ضغط على خصيتيه حتى يهلك أويستسلم ؟

فجاءت الاية الحادية عشرة من الاصحاح الخامس والعشرين فى سفر التثنية عندهم تنهاهم عن ذلك وتقول .

« اذا تخاصم رجلان. بعضهما بعضا رجلوأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ، ومدت يدها ، وأمسكت بعورته (؟) فاقطع يدها ، ولا تشفق عينك » .

حظ الادباء

قال رجل لبرناردشو : ان لى سبعة أولاد . منهم ستة يريدون أن يكونوا أدباء والسابع يريد أن يكون صانعا .

فقال شو : ولكن هل من العدل أن يصبح واحد من أولادك مكلفا باعالة اخوته الستة .

من الجنة أو من النار

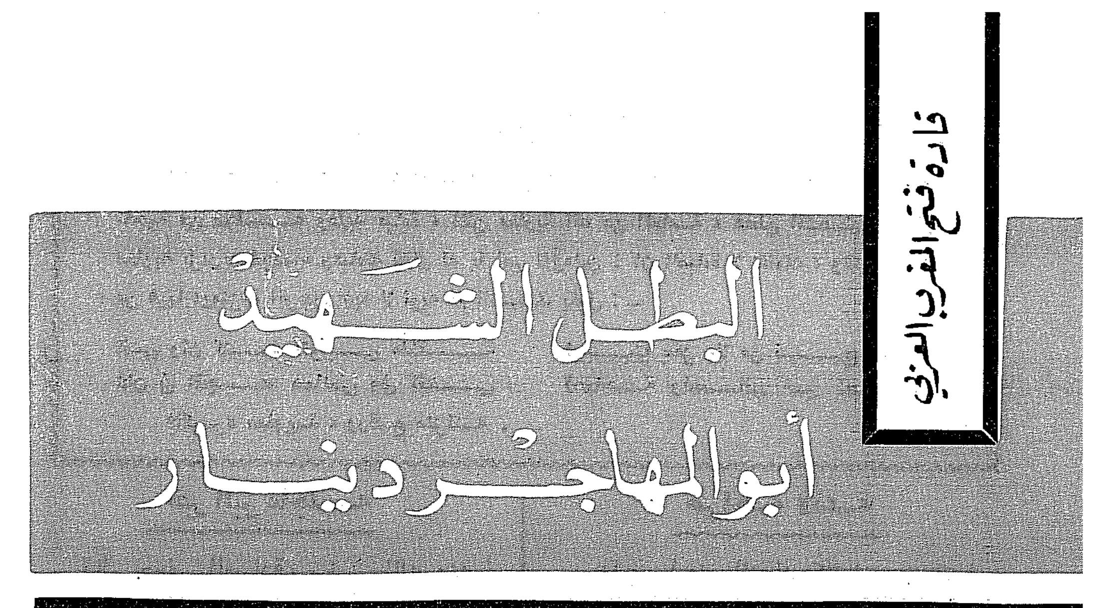
قرأ شخص فى احدى الصحف نبأ وفاته ، فامسك بالتليفون واتصل بصديق له قائلا : هل اطلعت على الخبر المنشور اليوم عنى .. ؟

فأجابه الصديق : نعم من أى مكان تكلمنى من الجنة أم النار ! .

قرشها أغلى من حياتها

أعطت الام اليهودية طفلتها قرشا لتشترى شيئا للمنزل ، واذ هى تعبر الطريق دهستها سيارة ألقت بها على الارض ، وأصابتها بجروح ، واحتوى الطفلة اغماء طويل بيد انها ظلت قابضة على القرش فى حركة عصبية عنيدة .. ولما أفاقت وجراحها تنزف وجدت أمها أمامها ، ففتحت يدها المقبوضة ، وبسطتها الى أمها تناولها القرش قائلة .

ـ قرشك يا أمى .. لم أضيعه !!



القائد الموهوب، والداعية الغيور

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

توليته افريقية :

أبو المهاجر دينار هو مولى مسلمة بن مخلد الانصارى ، فهو مولى الانصار (١) وكان من التابعين .

ولاه مسلمة بن مخلد الانصارى (افريقية) بعد عقبة بن نافع الفهرى وذلك سنة خمس وخمسين الهجرية (٦٧٤م) ، فقدمها في هذه السنة (٢) ، فأساء أبو المهاجر عزل عقبة بن نافع وسجنه وأوقره حديدا ، حتى أتاه كتاب من معاوية بن أبي سفيان بتخلية سبيله وأشخاصه اليه .

وكان قد قيل لمسلمة بن مخلد : «لو أقررت عقبة، فان له جزالة وفضلا»، فقال مسلمة: « ان أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافئه » ، فلما قدم أبو المهاجر (افريقية) ، كره أن ينزل في الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلفه بميلين ، فابتنى ونزل ، وبذلك هُجرت مدينة (القيروان) التى ابتناها عقبة لفترة من الزمن امتدت حتى عاد عقبة الى منصبه في (افريقية) سنة اثنتين وستين الهجرية (٣) .

---

(١) وقيل انه مولى بنى مخزوم .

(٢) الاستقصاء (١/٧١) وفى رياض النفوس (١/٢١) انه وصل الى افريقية سنة سبع وخمسين الهجرية والرواية الاولى أصح ، لانه ليس من المعقول ان يبقى سنتين بعيدا عن منصبه .

(٣) انظر ترجمة عقبة بن نافع الفهرى فى كتاب : قادة المغرب العربي

لقد أخلص أبو المهاجر لمسلمة ، ولكن اخلاصه وحده لم يكن ليؤهله الى تسلم منصب قيادى رفيع فى (افريقية) لو لم تكن له مزايا عسكرية وادارية أخرى أهلته لتسنم مثل منصبه الرفيع .

جهـاده :

عقد مسلمة بن مخلد لأبى المهاجر على الجيش الذى خرج معه الى (افريقية) وبعد انجاز أبى المهاجر تدابيره الادارية واعداده خطط الفتح ، سـار بجيشه الى (قرطاجنه) (١) عاصمة الروم فى شمالى (افريقية) ، لأن الروم كانوا لا يزالون قوة فى ساحل المغـرب مـن (بنزرت) (٢) الى (طنجة) (٣) .

وكان هذا الساحل الخصب المتحضر هو مرتعهم ومواطنهم ، فلا بد من تطهير تلك المناطق منهـم ليتخلص المسلمون نهائيا من مستعمرى (افريقية) القدامى وليحولوا بينهم وبين اشـاعة التآمـر والدس على الفتح الاسلامى .

ونازل أبو المهاجـر (قرطاجنـة) ، فاستغلقت وتحصنت بالاسوار العالية ، فشدد أبو المهاجر عليهم الحصار . ولما علمـوا بأن المسلمين لن يبرحـوا حتى يحققوا هدفهم بفتح (قرطاجنة) ، طلبوا الصلح ، فصالحهم أبو المهاجر باخـلاء جزيرة (شريك) (٤) التى كان الـروم يتخذونها دوما مثابة تحتشد جيوشهم فيها قبل مهاجمة المسلمين ، وذلك لكي يتخذها أبو المهاجر قاعدة أمامية لجنوده يرتكز فى عملياته العسكرية عليها ، وبذلك أثبت أبو المهاجر عمليا بأنه ينظر بعيدا من الناحية العسكرية ، فيفضل المواقـع السوقية (الاستراتيجية) التى تفيده فى الفتح على المال الذى كان بامكانه أن يفرضه على أهـل (قرطاجنة) مقابل اقراره الصلح بين الطرفين .

وفى رواية : ان أبا المهاجر بعث حنش بن عبد الله الصنعانى ــ صنعاء الشام ــ الى جزيرة شريك (٥) ، ففتحها .

وكان هدف أبى المهاجر من فتـح جزيرة شريك أن يراقب الروم ويصدهم اذا هموا بالمسير الى المسلمين أثناء غزوه للبلاد ، لأن بامكان قوة الروم المرابطة فى تلك المنطقة أن تهـدد بسهولة ويسـر خطوط مواصلات ابى المهاجر فى حـالة تغلغل قواته غربا وجنوبا .

وسار أبو المهاجر مع الساحل باتجاه الغرب لا يعترض طريقه أحـد ، حتى وصل (ميله) (٦) فى الجنوب الشرقى لـ (بجاية) (٧) وتبعد عنهـا بحوالى خمسين ميلا ، فوجدها مستعدة للقتال ،

---

(١) قرطاجنة : بلد قديم من نواحي افريقية ، وكانت مدينة عظيمة شامخة البناء اسوارها من الرخام الابيض ، وهي على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا . وانظر التفاصيل فى معجـم البلدان (٧/٥٢) .

(٢) بنزرت : من موانىء تونس الآن . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢/٢٩٢) .

(٣) طنجة : مدينة قديمة على البحر وهي من الموانىء التابعة للمغرب الآن .

(٤) جزيرة شريك : كورة بافريقية بين سوسة وتونس . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٩٩) وهي فى الواقع شبه جزيرة .

(٥) هو شريك العبسى وكان احد العاملين على هذه الجزيرة فسميت باسمه ، وشريك هذا هو والد قرة بن شريك عامل مصر المشهور

(٦) ميله : مدينة صغيرة باقصى افريقية بينها وبين بجايه ثلاثة ايام . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٨/٢٢٦)

(٧) بجاية : مدينة على ساحل البحر ، بين افريقية والمغرب من مدن الجزائر الآن انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢/٦٢) .

وكان فيها طائفة من البربر والروم قد تحصنوا بها ، فنازلها أبو المهاجر وفتحها وغنم ما فيها واستقر بها .

كانت (ميله) تتوسط المغربين الادنى والاوسط ، فهى أحسن مكان يراقب أبو المهاجر منه أمور البربر والروم فى تلك الاصقاع ، فجعل أبو المهاجر (ميله) مقره وأقام فيها سنتين ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالبربر وينشر فيهم الدين ، ويريهم حقيقة المسلمين .

وكانت الزعامة فى المغربين الاوسط والاقصى لقبيلة (أوربة) (١) لكثرة عددها وغناها وحضارتها ومناعةمواقعها، وكان رئيسها كسيلة بنلزم الاوربي،وكان كسيلة قوى الشخصية ذكى الفؤاد ، غيورا على وطنه ، وكان البربر يجلونه ويحبونه ، وكان نصرانيا متمسكا بدينه. ورأى كسيلة أبا المهاجر فى (ميله) فعلم انه لا بد أن يسير لافتتاحالمغرب الاوسط والاقصى ، فذهب فى المغربين الاوسط والاقصى يدعو البربر لمكافحة العرب ، والاستعداد لحربهم واجلائهم عن البلاد. واستطاع كسيلة أن يجمع جيشا من البربر والروم ، فسمع أبو المهاجر بجمعه فسار اليه .

وكان كسيلة قد عسكر ب(تلمسان)(٢) فقصده أبو المهاجر ، والتقى الجيشان هناك ، فدارت معركة حامية بينهما ، فانتصر المسلمون وأسر « كسيلة » ، فحمل الى ابى المهاجر ، فأحسن اليه أبو المهاجر وقربه وعامله معاملة الملوك ، وتمكن أبو المهاجر من البلاد وظفر بكسيلة فأظهر الاسلام ، فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه ، وانتهى الى العيون المعروفة بعيون أبى المهاجر ، فهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاوسط ، فصالح أبو المهاجر بربر (افريقية) وفيهم كسيلة الاوربى وصالح عجم (افريقية) ، ثم رجع الى (القيروان) وأقام بها .

الشهيد :

رد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع الفهرى الى (افريقية) سنة اثنتين وستين هجرية فخرج عقبة سريعا ، فوصل الى (القيروان) مجدا ، وقبض على أبى المهاجر أميرها ، وأوثقه فى الحديد ، وأساء عزله ، وغزا به وهو معه مكبل بالحديد .

وأراد عقبة أن ينهض الى (طنجة) فقال له أبو المهاجر : « ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد ــ يريد كسيله ــ فأبعث معه واليا » ، فأبى عقبة الا أن يخرج بنفسه .

وكان كسيلة فى جيش عقبة قد استصحبه معه فى غزواته ، ولكنه كان يستهين به ويمتهنه ، فأمره يوما بسلخ شاة بين يديه ، فدفعها « كسيلة » الى غلمانه ، فأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه وانتهره ، فقام اليها كسيلة مغضبا ، وجعل كلما دس يده فى الشاة مسح بلحيته .

وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة ، فبعث اليه ينهاه ويقول : « كان

---

(١) اوربه : تنقسم الامة البربرية الى قسمين كبيرين ، كل قسم يحتوى على قبائل كثيرة ، وهذان القسمان هما : البرانس والبتر . والبرانس تشتمل على قبائل كثيرة اكبرها هى هوارة وكتامة وزواوة وصنهاجة وأوربة ومصمودة انظر التفاصيل فى تاريخ المغرب الكبير (٢/٣٥).

(٢) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم افادير ، على بعد مرحلة من وهران وهما من مدن الجزائر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب ، وأنت تعمد الى رجل جبار فى قومه وبدار عزه ، حديث عهد بالشرك فتفسد قلبه ؟ توثق من الرجل، فأنى أخاف فتكه » ، فتهاون به عقبة ، فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه . فقال له أبو المهاجر : « عاجله قبل أن يجتمع أمره » .

وغشى كسيلة عقبة بقرب (تهوذة) (١) فى جيش كثيف ، فنزل عقبة عن فرسه وقال : « اطلقوا أبا المهاجر » ، ثم قال له : «الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين، وأنا أغتنم الشهادة » ، فقال أبو المهاجر: « وأنا أغتنم الشهادة مثلك » ، فكسر كل واحد منهما غمد سيفه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم ، وقاتلوا حتى قتلوا .

وفى رواية ، أن أبا المهاجر كان موثقا بالحديد ، فزحف عقبة على كسيلة ، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ، فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا

اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت
مصارع من دوني تصم المناديا

فبلغ عقبة ذلك ، فأطلقه وقال له : « الحق بالمسلمين وقم بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة » ، فلم يفعل . وقيل : ان عقبة أمر بتخلية أبى المهاجر ، فقاتل وهو موثوق بالحديد ، فقتل عقبة ومن معه ، وقتل أبو المهاجر وهو موثوق فى الحديد ، وكان مقتل عقبة وأصحابه ومنهم أبو المهاجر سنة ثلاث وستين هجرية (٦٨٣م) وقتل مع عقبة زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين فى أرض الزاب بـ (تهوذة) وقد جعل على قبورهم أسنخة ثم جصصت ، واتخذ على المكان مسجدا عرف باسم عقبة ، وهو فى عدادات المزارات .

الانسان :

نجهل كل شيء عن أصل أبى المهاجر ومولده ونشأته الاولى ، ولعل معاملة أبى المهاجر القاسية لعقبة كان لها أثر بالغ فى اغفال بعض المؤرخين لذكره ، على الرغم مما كان يتمتع به من مزايا سامية وخصال حميدة .

فهل كان أبو المهاجر معتديا على عقبة فى سجنه ؟ الظاهر أن أبا المهاجر كان منفذا لاوامر مسلمة بن مخلد ليس الا ، اذ ليس من المعقول ولا من المنطق أن يقدم أبو المهاجر وهو مولى على سجن عقبة الصحابى العامرى القرشى مخالفا أوامر مسلمة بن مخلد وبدون موافقته (٢) ،وأنما حبسه – كمايبدو- لأنه كان يتمتع بشعبية طاغية ما كان لابى المهاجر أن ينجح فى أعماله وعقبة طليق حر . يدلنا على ذلك ان معاوية لما أمر باطلاق سراح عقبة، أطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من (قابس) (٣)، فلو لم يكن أبو المهاجر

الآن . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤٠٩/٢) .

(١) تهوذة : اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية لهم ارض تعرف بهم . انظر معجم البلدان (٤٣٢/٢) .

(٢) فى فتوح مصر والمغرب (٢٦٦) : فلما قدم عقبة مصر ركب اليه مسلمة بن مخلد ، فاقسم له بالله لقد خالفه ابو المهاجر ، ولقد اوصيته بك خاصة . انتهى . ومن المحتمل ان يكون مسلمة قد اعتذر لعقبة بذلك ليس الا .

(٣) قابس : مدينة بين طرابلس وسفاقس وهي من مدن تونس الآن ثم المهدية على ساحل البحر . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢/٧) وتقويم البلدان (١٤٢ – ١٤٣) . وانظر رياض النفوس (٢١/١) حول اخراج عقبة .

يخشى عقبة لما أرسله مخفورا الى حدود ليبيا ، وعلى كل فان حبس عقبة كان أحد تدابير الامن التى اتخذها أبو المهاجر منعا للفتن والشغب الذى كان يتوقعه من أنصار عقبة ، ولم يكن هذا الاجراء الا منأجل المصلحة العامة التى هى فوق مصالح الاشخاص مهما يكونوا .

وما يقال عن سجن عقبة ، يقال عن سجن أبى المهاجر بعد ولاية عقبة الثانية، اذ أصبح لابى المهاجر شعبية كبيرة أيضا خاصة عند البربر وزعيمهم كسيلة بالذات ، لأن أبا المهاجر حين ظفر بكسيلة عرض عليه الاسلام فأسلم ، فأحسن اليه أبو المهاجر واستعفاه ، وكان فى عسكر المسلمين حتى عزل أبو المهاجر ، وقيل ان كسيلة انما أتى ناصرا لأبي المهاجر ، لأنه كان صديقه ، فقتل أبو المهاجر فىالتحام القتال ولم يعلم به (١).

لقد كان أبو المهاجر يوقر عقبة ويعرف ماله من المقام العظيم، فقد أبلغ أبا المهاجر أن عقبة دعا عليه وقال : « اللهم لا تمتنى حتى تمكنني من أبى المهاجر دينار بن أبى دينار » ، فلم يزل أبو المهاجر خائفا منذ بلغته دعوته ، فكيف يعاقبه أبو المهاجر ويسىء اليه بعد ذلك من تلقاء نفسه ؟ وهل يفعل ذلك الا مضطرا راغما ؟؟

وقد أثبت أبو المهاجر أنه لم يحقد على عقبة لأنه حبسه وقيد حريته ، فقد أسدى لعقبة النصح والمشورة على الصعيدين العسكرى والادارى وهو سجين ، وأخيرا بذل نفسه رخيصة فى سبيل عقيدته ، ففضل الموت شهيدا بيد صديقه الحميم كسيلة على النجاة بحياته ، مشاركا عقبة الذى سجنه مصيره المشرف ، فخسر كل شىء الا الشرف .

لقد كانت سيوف المسلمين للمسلمين لا عليهم ، وكانت سيوفهم على أعدائهم . فمن حق أبى المهاجر أن يعرف العرب المسلمون حقه عليهم ، ومن حقه ألا يغمطوا هذا الحق ، وأن يذكروه بالفخر والتقدير والاعزاز ، ويكفى أن يذكروا قولته : « القى الله فى حديدى »، مفضلا الموت الاكيد بعزة على العيش الاكيد بذلة ، ليعرفوا مبلغ عمق ايمانه وعظم تضحيته فى سبيل مبادئه وعقيدته وشرفه .

لقد كان أبو المهاجر مخلصا وفيا شهما غيورا ، وكان مؤمنا حقا وعلى شىء كثير من الحكمة وبعد النظر .

القائد :

كان الناس قبل أبى المهاجر يغزون أفريقية ثم يرجعون منها الى (الفسطاط) (٢) وأول من قام بها حين غزاها أبو المهاجر : أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلا . وذلك أمر على جانب عظيم من الاهمية ، اذ أن (افريقية) أصبحت بذلك مقرا يقيم به المسلمون ويطمئنون فيه دون أن يعودوا الى مصر بعد كل غزوة ، أى انها أصبحت رغم تبعيتها لمصر ــ ولاية اسلامية

---

(١) رياض النفوس (٢٥/١) .

(٢) الفسطاس : مدينة بناها عمرو بن العاص لما فتح ديار مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان فى موضع الفسطاط قصر قديم يقال له : قصر الشمع وكان فسطاط عمرو حيث الجامع المعروف بجامع عمرو فى القاهرة الآن حيث الحى المعروف بمصر القديمة .

مستقلة الشخصية بعض الشيء ، وهذه هي الخطـوة الاولى نحو ظهـور ولاية أفريقية اسلامية ، فقد كان الناس قبل أبى المهاجر يغزون (افريقية) ثم يقفلون منها الى الفسطاط ، أما فى ولاية أبـى المهاجر وما بعدها ، فكانوا يقيمون بهـا العام كله،ويخرجون للغزو من «القيروان» ثم يعودون اليها مرة اخرى .

وقد صاحب هذا التغيير السـياسى الذى جد على المركز السياسى للبـلاد تحول جوهرى فى سير الفتوح فيهـا ، فقد أصبحت غاية الغزوات اتمام فتـح (افريقية) وجعلها بلادا اسلامية كمصر والشام سواء بسواء .

ومن الانصاف هنا ، أن نذكر لعقبـة بن نافع الفهرى فضله فى هذا المجال ، فقد عمل جاهدا لبناء (القيروان) لتكون القاعدة المتقدمة للمسلمين فى أفريقية : تخرج منها جيوشهم للفتح ، وتعود اليها بعد انجاز مهمتها ، وتتحصن فيها عند الخطـر ، وتكـون مستودعا لأرزاقهم وعتادهم ومواردهم الادارية الاخـرى .
وما كان تحول أبى المهاجر عنها ليقضى على قيمتها العسكرية الحاسمة ، بـل بقيت الاغراض التي بنيت من أجلهـا مدينة القيروان قائمة .

ولكن ليس معنى ذلك انه يفضـل أبا المهاجر فى هذا التطور السياسى الذى جد على سير الفتوح فى (افريقية) ، بل كان لما اتسم به أبو المهاجـر من بعـد النظر أثره الكبير الحاسم على هـذا التطور ، ولعل خير دليل على بعد نظره وعزمه الاكيد على جعل الفتح الاسلامى فى (افريقيـة) ليس مجـرد غارات تستهدف جمع الاموال والغنائم ، هـو ما فعله أبو المهاجر فى مصالحة أهـل (قرطاجنة) بشرط اخلاء جزيرة (شريك) التى يتخذهـا الروم قاعـدة متقدمـة لحركاتهم ضد المسلمين ، حتى يحـرم الروم من تلك القاعدة الحيوية ، وحتى يستفيد منها المسلمون كقاعدة متقدمة لهم فى حركاتهم ضد الروم .

لقد فضل أبو المهاجر جزيرة (شريك) الموقع السوقى (الاستراتيجي) عـلى المال والغنائم ، وهذا دون شك قـرار عسكرى فى منتهى الاهمية ، وله دلالته الواضحة عـلى ما كان يتمتـع به أبو المهاجر من بعد نظر ، وتفكير عسكرى سـليم .

فقد اراد ابو المهاجر من ذلك ان يكون الفتح الاسـلامي فى (افريقية) فتحـا مستديما تترسـخ به اقدام المسلمين فى (افريقية) ، وتكون (افريقية) به بلاد اسلامية ، أسوة بالبلاد المفتوحة الاخرى والايقتصر الفتح الاسلامي فى (افريقية) على الغارات ، التي قد يكون من نتائجها الربح المادى فقط ، دون الربح المعنوى ، الذى هو الهدف الأول للفتح الاسلامى ، هذا الربح المعنوى الذى يهدف الى نشر الاسلام فى ربوع البلاد المفتوحة ، فيكون بذلـك فتحـا فكـريا يبقى على الزمن لااستعمارا من اجل المنافع المادية ، لذلك استقر ابو المهاجرفى (ميله) سنتين يدعو البربر الى الاسلام ، وينشر هذا الدين فى ربوعهم ، فأقبلوا يدخلون فى دين الله افواجا .

لقد صاحب أبو المهاجر مسلمة بن مخلد الانصارى مدة طويلة في حروبه : فى فتح مصر ، وفى القضاء على الفتن الداخلية ، فلما تولى (افريقية) كـان مهيئا للقيادة ، نظرا لتجربته الطويلة فى معاناة الحروب .

وفى ايام قيادته فى (افريقية) عانى ابو المهاجر حرب الحصار لقرطاجنة ، فأجبر اهلها على طلب الصلح، والرضوخ لشروطه وهذا النوع من الحروب يتميز القائد الذى يعانيها بالضبط الشديد ، والصبر الجميل .

كما عانى حروب الميدان حول (تلمسان) وناهض جيوشا كثيفةللبربر، وهذا النوع من الحروب يتميز القائد الذى يعانيها بالشجاعة والاقدام ، وبالقابلية على اعطاء القرارات السريعة الصحيحة ،وبالحرص على جمعالمعلومات عن العدو ، وعن أرض المعركة ، وبالكفاءة الممتازة في ادارة المعركة .

لقد كان ابو المهاجر من اولئك القادة الذين يقاتلون بسيوفهم وعقولهم : يقاتل بسيفه عندما لا يجد مفرا من ذلك ، ويقاتل بعقله فيعامل الناس بالحسنى ، وبالسياسة الحكيمة ، وبالمنطق السليم ، وبالعقيدة البناءة المنشئة ، فاذا كان لسيفه بعض الاثر على انتصاره ، فقد كان لعقله اكبر الاثر على هذا الانتصار .

ولقد جعل ابو المهاجر راس سلاحه فيحربه تقوى الله والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه ومساءلته التأييد والنصر،وكان محبا لرجاله محبوبا منهم، يثق بهم ويثقون به ، وكان كامل العقل ، طويل التجربة ، بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبئة ،حسن السيرة، عفيفا صارما حذرا ، متيقظا شجاعا سخيا ، بعيد النظر ، صحيح القرارات والخطط .

وعند تطبيق اعمال ابى المهاجر العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد انه طبقمبدأ : (اختيار المقصد وادامته) ـ ، فهو لم ينس أن هدفه نشر الاسلاملجعل الفتح مستديما ، فهو داعية اولا ، وقائد ثانيا ، وانه طبق مبدأ : (التعرض) ، فكانت معاركه كلها تعرضية ، وانه طبق مبدأ : (تحشيد القوة) قبلالبدءبحركاته، فاستفاد من كل مقاتل مسلم ، ولم يبق فى القيروان الا الشيوخ والنساء ، وانه طبق مبدأ (الاقتصاد فى المجهود) فلم يفرط بقواته دون مبرر ، وانه طبق مبدأ (الامن) فلم يستطع العدو مباغتة قواته فى أية معركة ، وانه طبق مبدأ (المرونة) فكانت لقواته قابلية ممتازة على الحركة ، وانه طبق مبدأ (التعاون)فوحد جهود رجاله لاحراز النصر ، وانه طبق مبدأ (ادامة المعنويات) ومبدأ (الامور الادارية) بشكل ملحوظ .

لقد كان ابو المهاجر قائدا ممتازا .

ابو المهاجر فى التاريخ :

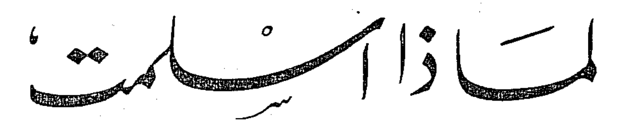
يذكر التاريخ لابى المهاجر فتحه للمغرب الاوسط ونشره الاسلام فى ربوعه .

ويذكر التاريخ لابى المهاجر ، عمله الدائب المنظم لنشر الاسلام بين قبائل البربر بالسياسة الحكيمة والحسنى والمنطق والحجة البالغة .

ويذكر له ،انه آثر الاستشهاد معابناء عقيدته ، على الحياة مع اصدقائه الشخصيين واعداء عقيدته .

رضى الله عن التابعى الجليل ، الداعية الموهوب ، القائد الفاتح ، الادارى الحازم ، ! السياسى المحنك ، البطل الشهيد ، ابى المهاجر دينار .

من مراجع البحث : تاريخ ابن خلدون معجم البلدان . البيان المغرب فى أخبار المغرب ، فتوح مصر والمغرب ، تقويم البلدان . رياض النفوس ... الخ .



لماذا أسلمت

اعداد ادارة الشئون الاسلامية

كثير من الناس ولا سيما المثقفون منهم يعتنقون الاسلام ، وتدفعنا غريزة حب الاستطلاع الى معرفة السر الذى حملهم على ترك دينهم واختيار الاسلام دينا لهم ، وهذا حديث مع شاب ألماني أسلم حديثا : وجاء الى البلاد العربية ينشد مزيدا من المعرفة بالاسلام فى رحابها ، وقد حضر لزيارة الكويت ، ووجهت اليه ادارة الشؤون الاسلامية بالوزارة بعض الأسئلة التي نقدمها هنا مع أجوبته عنها :ـ

لماذا اعتنقت الاسلام ؟

فى عام ١٩٦١ دعاني مسلم ألماني الى اجتماع لبعض المسلمين فى برلين ، وفى ذلك المساء رأيت لأول مرة صلاة الجماعة فى الاسلام ، ورغم أنني كنت أضحك فى بداية الأمر على شكل الصلاة ، فان هذه الصورة ذاتها هي التي أثرت فى نفسي ، وجعلتني أفكر جديا فى الاسلام ، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية واستنتجت أنها خير سبيل يختاره الانسان لعبادة خالقه ، فبدأت ـ وأنا ما زلت بروتستانتيا ـ فى أداء الصلاة بالكيفية الاسلامية ، وكنت فى ذلك الحين فى السادسة عشرة من العمر ، وهي المرحلة التي كنت أبحث فيها عن الحقيقة والمعرفة ، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة ، والاسلام على وجه الخصوص ، فأيقنت فى غضون دراستي أن دنيا تفكيري واحساسي أقرب للاسلام منها للمسيحية . وبالتدرج اكتشفت أن الاسلام كمنهج حياة كان ينسجم فى كافة الوجوه مع فطرتي البشرية .. وأستطيع هنا أن أضرب مثالا نظريا وآخر عمليا ،

فعلى سبيل المثال عندما درست وجهة النظر الاسلامية حول النبي عيسى عليه السلام عرفت انني لم يحدث أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله ، وكما عرفت فيما بعد أن عددا كبيرا من المسيحيين « يبلغون نحو ٨٠٪ كما قرر أستاذ بروتستانتي مرة » أقرب للاسلام منهم الى المسيحية فى هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم ، ومن الناحية العملية كنت قبل اسلامي أنفر من الخمور والرقص وأشياء أخرى عرفت فيما بعد أنها محرمة ، فكان الاسلام بالنسبة لي يشبه عملية اكتشاف لفطرتي « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .

ولماذا تريد دراسة الشريعة الاسلامية وما هي أهدافك من وراء هذه الدراسة ؟

من تجاربي فى ألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية اقتنعت بأن الحركة الاسلامية فى أوروبا ــ وفى ألمانيا بصفة خاصة ــ بحاجةماسة الى متفرغين للعمل الاسلامي لأن جانبا كبيرا من كافة أنواع النشاط الاسلامي يقع حتى الآن على عاتق جمعيات الطلبة المسلمين هناك ، وبطبيعة الحال فان الأخ القادم الى ديار الغرب باحثا عن المعرفة لا يستطيع أن يقضى كل ما لديه من وقت فى العمل الاسلامي ، ولكن يستطيع هؤلاء الطلاب أن يقضوا ساعة أو ساعتين يوميا : ولكن لا بد من وجود أخ يستطيع أن ينظم ، وهذا التنظيم يحتاج الى متفرغ ، ومعرفتي بالاسلام حسب المصادر التي توفرت لدى لا تعتبر كافية للقيام بهذه المهمة ، ولذلك أريد دراسة الاسلام فى جامعة اسلامية أولا كي أتمكن من الاسهام بثقافتي فى الحركة الاسلامية فى أوروبا ، وانا مقتنع بالطبع ان الاسلام اليوم فى أمس الحاجة الى متخصصين فى ميادين أخرى ، ولكن تخصصى فى أية ناحية أخرى لن يمكنني من التفرغ التام لتنظيم الجمعيات الاسلامية فى ألمانيا ، وممنى هذا أننا بحاجة الى مفكرين ، كما أننا بحاجة الى جنود للدعوة الاسلامية ، وأحب أن أكون من النوع الأخير .

وما هي نواحي النشاط الاسلامي فى المانيا ؟

ان النشاط الاسلامي فى ألمانيا حديث العهد جدا ، فقد تأسست جمعيات الطلبة المسلمين فى غضون الثماني أو العشر السنوات الماضية ، ولكن نشاطها كان نشاطا محليا ومنذ أربع سنوات ، فقد بدات هذه الجمعيات المحلية، تشكل منظمات على مستويات أشمل كاتحاد الطلبة المسلمين فى انجلترا ، واتحاد الطلبة المسلمين بأوروبا ، فقد تأسس كل منهما منذ أربع سنوات فقط ، وان كان اوجه نشاطهما حتى الآن محدودة للغاية وسبب ذلك هو الحاجة الى تنظيم ، وتتألف نشاطات الجمعيات الاسلامية المحلية من اقامة الشعائر الدينية والقاء المحاضرات الأسبوعية للمسلمين ، والندوات العامة ، وحلقات النقاش لغير المسلمين كما شرعت بعض الجمعيات فى انشاء مدارس الأحد لأبناء المسلمين ، كما أن هناك عددا صغيرا من المطبوعات الاسلامية باللغة المحلية ، وكذلك تقيم الاحتفالات الاسلامية . وقد بدأت

الجمعيات مؤخرا فى عقد الاجتماعات الأسبوعية،وأ عتقد أننا سنستفيد كثيرا لو عنى بانشاء مراكز صغيرة فى كل جامعة يوجدبها طلاب مسلمون فى الغرب يكونون قد مارسوا نشاطهم الاسلامي فيه ، وعرفوا ما تحتاجه الدعوة الاسلامية وحاجة الناس اليها ويكونون بخبرتهم وغيرتهم خير عون للدعوة الاسلامية فى داخل البلاد وخارجها ، وسيؤدى ذلك بلاشك الى خير الاسلام فى الوقت الحاضر ، ومعنى ذلك أن قيام حركة اسلامية منظمة فى الغرب مهم جدا لمستقبل الاسلام .

ما هو موقف المسلم فى أوروبا من الحضارة الغربية ؟

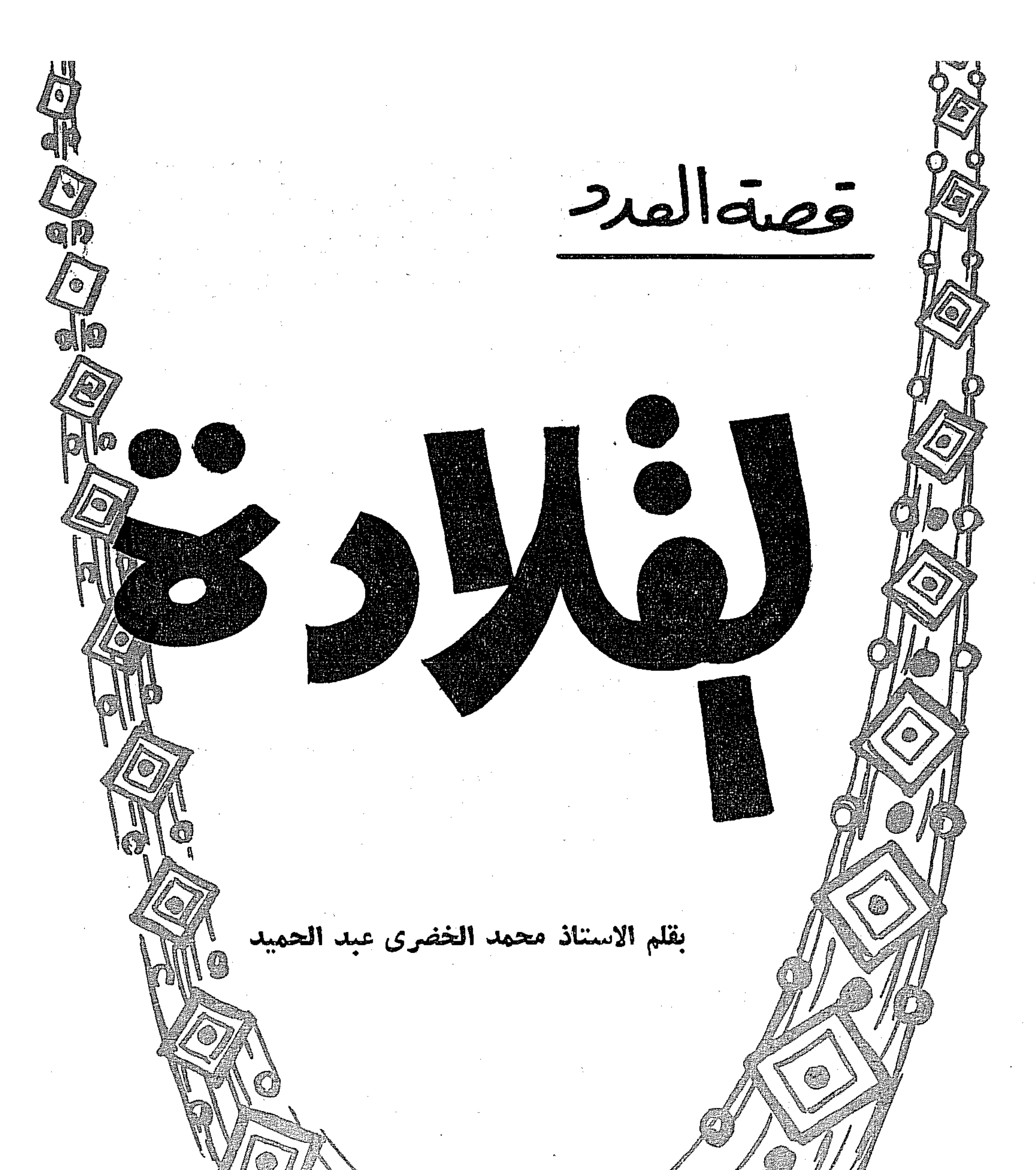
ان موقف المسلمين الذين دخلوا فى الاسلام عن اقتناع هو موقف سلبى من هذه الحضارة فكثير منهم يختارون الاسلام منهجا لحياتهم ، لأنهم لم يجدوا سبيلا آخر لحل مشكلاتهم فى ضوء اعتبارهم أن الانسان من مخلوقات الله ، والحضارة الغربية تضع حلا للمشاكل المادية فقط من الحياة : وقد اقر هذه الحقيقة المسلمون وغير المسلمين فى أوروبا ، ونحن نشاهد الأثر المدمر للحضارة الغربية على الحياة الانسانية ، فتحطمت الأسرة كما جمدت صلات الود بين الأفراد ، فضاعت على المجتمع فرصة حل مشاكل أفراده بصورة انسانية صحيحة ، لذلك لزاما علينا أن نقول بأننا اذا شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات انسانية ، فلا بد لنا أن نعرض عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية ، وبطبيعة الحال فان هناك مسلمين فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن اعجابهم بالحضارة الغربية : ويحاكونها محاكاة عمياء فعليهم أن يتذكروا ما قاله راسل الذى نال جائزة الدولة . فقد كتب فى احدى مؤلفاته بأن الناس فى الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الانساني من الحياة بنفس الكيفية التي تتقدم بها الناحية المادية ، وان كل خطوة الى الأمام فى المخترعات المادية هي خطوة نحو فناء الانسان ، وليس معنى ذلك أننا لا بد أن نرفض كافة المخترعات الغربية ولا أن ننكر العلم الذى أحرزه الغرب فى عدة ميادين من الحياة العلمية ، ولكن علينا أن نكون دائما على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة ، فقد استطاع أسلافنا أن يقتبسوا المعرفة من الاغريقيين القدماء بلا حاجة الى اضاعة اسلامهم وهذا ما كان يتفق ومرضاة الله وحده ، فهلا يكون بوسعنا أن نقتفى أثرهم ؟ .

العفو يا أمير المؤمنين

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فذكر عنده وشاية فى رجل فقال ان شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه ، فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية « هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود اليه أبدا .

قصة العدد



القلادة

بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

طيف ساهم حـــزين .. كان لا يفتأ يلوح ويختفى ، ليعود هائما ســاهما من جديد ، بين رحاب دار هاجعة صامتة يخيم عليها ومن حولها السكون المقبض الثقيل .

كان ذلك فى حوالى سنة سبع من الهجرة .. والطيف القلق الحزين لواحدة من صفوة الفضليات الطاهرات ، لزينب ، ابنة ((محمد)) رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والمكان بين جدران بيت من بيوت مكة هو بيت زوجها ((ابى العاص بن الربيع)) ، الغائب هناك فى مدينة النور والنصر ، حبيس الاسر ، فى أعقاب انتصارات ((بدر)) .

ما اقسى الوحدة عليها بعد ان رحل الاحباء عنها .. لكم هي أليمة مـــرة هذه « الغربة » بين « الاهل » . بعيدا عن أعز الأحباب ، وبين قوم صاروا هم الأعداء أعينهم ،

على أشد وأعنف ما تكون بغضاء وعداوة .. فلقد احتملت « زينب » آلاما مريرة بعد الهجرة .. وتقاسمت قلبها عواطف الحب النقى متباين الخواص لرجلين لا تتردد طرفة عين فى أن تهب لهما معا حياتها . أبيها العظيم .. وزوجها الطيب ، المحب ، الكريم .

ولقد بقيت مع هذا الزوج هنالك فى « مكة » ايثارا لوفاء .. وانتظارا لامل .. ان أملا حلوا لا ينفك يراود خيالها الصافى .. أن يعتنق « أبو العاص بن الربيع » ، ذلك الزوج حميد الخلال دين الاسلام الذى نشر أنواره فى الآفاق أبوها حبيب الله ورسوله « محمد » .. كانت هي سباقة الى الاسلام ، ولا يزال أبو العاص هناك فى جانب الشرك والمشركين ، لكن ... على أية حال « ما فائدة هذا الحديث الآن ، وموضوع الساعة ، بل مشكلة اللحظة ، أولى بالاهتمام ، وأجدر من سواها بالحل السريع ؟ » .

ما كادت « زينب » تهنأ بما نقل اليها من أخبار عن انتصارات المسلمين فى « بدر » وكيف أن الاسلام صارت له كل تلك الفعالية الهائلة التي جعلت ثلاثمائة من المؤمنين لا يملكون من عدة الحرب الا أقلها وبخاصة من الخيل ، فليس أكثر من فرسين اثنين . هؤلاء الثلاثمائة يدحرون ألفا من خيرة فرسان قريش وأبطالها من صناديد كواسر جهزوا أنفسهم قبل التقاء الجمعين بأصلب الدروع ، وأمضى الأسلحة ، وأضخم العتاد وأحدثه ، وأقوى الرغبات المتأججة فى الانتقام واستعادة مجد ضائع ... وجاه موءود ... انه الاسلام الذى يفعل فى النفوس الأعاجيب الخوارق ، والذى هو فى كلمات رددت البيداء صداها عندما قالها سعد بن معاذ الأنصارى لـ « محمد » « والد زينب » لقد آمنا بك وصدقناك .. فلو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .. هو الاسلام الذى يحمل ــ بقوة الايمان وعمقه ــ « عمر بن الخطاب » على أن يقتل خاله ، ويؤدى بـ « علي بن أبى طالب » لأن يصرع بعض بنى عمه ، ويحدو بـ « عبيدة بن الجراح » أن يخوض فى دم أبيه الى صفوف المهاجمين عندما حاول أبوه ذاك أن يتصدى له درءا لخطره على صفوف أقرانه من الكفار .

ما كادت تسعد وتطرب لانباء ذلك النصر الخالد المؤزر المذهل ، حتى جاءها خبر وقوع زوجها فى الأسر .. فانه كان ــ لأسفها العميق ــ فيمن ذهبوا لتلك الحرب ، فأصيب مع من أصيبوا فى الأسارى يوم بدر .

وأخذت « زينب » ، ابنة رسول الله من خديجة أكرم زوجاته وأخلصهن له ، تهدهد بأصابعها المرتعشة من تحت الوشاح الأبيض عنقها ، حتى تتقبض الأنامل على « قلادة » ثمينة غالية ، تعتز بها كل الاعتزاز ، وتناجيها كلما برح بها الحنين الى أحب الناس الى قلبها ، أو كلما حزبها أمر جلل من أمور جليلة الخطر كثيرا ما اعترضت حياتها . انها كانت القلادة التي اهدتها اياها امها خديجة ليلة أن زفت الى أبى العاص .. وهي الحلية الغالية النادرة التي تستبشر بها ، وتفزع الى تأملها فى الخلوات تبثها همها وشجنها ، كلما تناوشتها الهموم والأشجان ... لكأن تلك الحلية النفيسة التي بقيت لها « من رائحة الحبايب . » أقرب أنيس الى وجدانها ، تستلهمه الفكرة أو تستودعه السر ، أو تستمد منه التوكيد اليقيني بأنها انما تمضي على خط سليم ، وتسير قدما فى طريق سوى قويم ..



ولكن .. فجأة .. توترت الأصابع وازداد تقلصها على فصوص الحلية وحباتها الوامضات .. وتعلقت انظارها تتشبث فى تركيز جد عميق على ما بين اليدين من ذلك « التذكار » الغالي ، العزيز .. اية فكرة ، تلك التي ومضت ؟ .. أترى أن الأمر جاء

على ذاك النحو ؟ .استخبرت حليتها بلسان حال يتساءل . (ما العمل أيتها القلادة الحبيبة وكيف أتصرف ؟) فاذا بالقلادة ذاتها تجيب بمنطق معنوى لا صوت فيه ان « هو أنا يا ابنة الكرام .. أنا ولا شيء غيرى هو الحل ، أنا هو . الفداء ؟ » .

وطوحت بالبصر على كثب تيمم بمحياها صوب الديار التى أقفرت ، والتى طالما هز روحها الحزين ما يخيم عليها من وحشة بعد أن هجرها من كانوا بالامس يملأونها انسا وبهجة .. فى ابتهال زاخر بالاسى الدفين رنت « زينب » الى بيوت طالما وقفت تناجيها باكية تارة ، صابرة تارات « اين يا أشرف بيوت مكة من ملأوا مناحيك طهرا ونورا ؟ .. اين يا أكرم المنازل . أبى محمد ، وأمى خديجة ، وأخواتى . أم كلثوم ورقية وفاطمة ، ومن قبل أخوتي . القاسم والطيب ؟ .. لكن الديار تطبق أفواه أبوابها على نورها فى جوفها ، لا تجيب .. كمن وكل اليها الاجابة ــ فيما بعد ــ عن أسئلة أشمل ، أخطر وأجل ، عهد اليها بها أمام الدهور والأجيال ، فــلا ولن يعنيها حينئذ مشكل شخصي محلى جد صغير كذاك ... وأما القلادة فقد رجعت الى مكانها حول العنق النبيل ، تحف به كما كانت .. شأن من دعيت لابداء رأى واسداء مشورة .. فقامت وأبدت وأشارت بما ارتأت ، ثم ... عادت ..

ولم تضيع « زينب » وقتا .. فالأسرى لا بد لفك اسارهم من فدية .. ذلــك قانون الحرب .. فالى الفدية ــ اذن ــ والافتداء ..

ولم يكد « محمد » رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود من احدى جولاته فى المعسكر المنتصر بالمدينة وهو يصدر الى القائمين بمختلف الشئون تعاليمه الرحيمة ، التي لا ولم يغيرهــا نصر مهما كان النصر عزيزا . « اســتوصوا بالأسرى خيرا » .. « فليطلق سراح كل أسير يعلم عشرا من صبيان المسلمين » .. بل ان أسيرا تقدم اليه يشكو فقره فلا مال لديه يفتدى به نفسه ، ولا علم فهو جاهل أمى ، ولكن لــه بنات فى مكة ليس لهن من عائل غيره .. فأطلق النبي الكريم سراحه تاركا اياه حرا بلا فدية من أجل بناته ، فقط اشترط عليه الا يعود الى حربه مرة أخرى ... ما ان عاد «محمد» من جولته ، وتهيأ لسويعات من الراحة فى بيت عائشة ... حتى جاءه رسول من مكة يحمل اليه عن « زينب » ابنته فدية زوجها الاسير .

وتأمل « محمد » صلوات الله عليه فى القلادة طويلا ، ورق قلبه الكبير للحلية وما نشرته حوله من أريج عبق لأجمل الذكريات رقة شديدة ، وسرحت بــه الخواطــر والرؤى ، فلم ينتبه الى دمعتين كبيرتــين تحدرتا مثل لؤلؤتــين على صفحتى محياه المشرق الوضيء ... والتفت قائلا لمن حوله « ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا » . فالكل يدرك ما لهذه القلادة من قيمة معنوية ، لكنه ترك الأمر لهم ، هم رجال المعسكر ان شاءوا ضموا قلادة زينب الى الفيء الحلال افتداء للاسير ، ولا جناح عليهم ان فعلوا ، فماذا فعلوا ؟ .. تسابقت اليه قلوبهم السمحة تبذل البر والعفو .. وهكذا أطلقوا الاسير .. وردوا القلادة .

أما الأسير فعاد الى مكة غير سعيد .. رجع مثقل القلب بما هو أشد نكرا من الأسر وذل الهزيمة .. عاد « أبو العاص » الى « زينب » قرينة العمر وشريكة الحياة وفى جعبته نبأ آخر أليم . أخشى يا زينب ان يكون العود ايذانا برحيل ..

ـ ماذا عنيت بقولك هذا يا ابن الربيع ؟ .

ـ أمرني رسول الله « محمد » أبوك ، ان أردك اليه .

ـ تردني اليه ؟؟ .. أو قال هو هذا ؟ .

ـ بل وجعله شرطا لردى انا ها هنا اليك ... وها أنذا كما ترين .. ما عدت لك .. الا لكى أنأى عنك .. فليتنى ما عدت ... وليتك يا زينب ما طلبت الافتداء ؟ .

ـ هو الواجب يدعونا اذن يا أبا العاص .. فأما أنا فذاهبة اليه طاعة لامره ووفاء بشرطه .. فما كان بقائي الا ترقبا لحدث طيب أظنه الآن ليس قريب الوقوع .

ـ ولقد يكون قريبا وقوعه يا ابنة الرجل المسماح الكريم ... فالى أن يقع ما تأملين .. لا مفر من الوفاء بما أخذته على نفسي من عهد ..

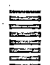
وانفلت من أمامها مسرعا يخب فى أرديته مغموما ليخفى دموعا تساقطت ساخنة حرى .. و .. وانطلق على الاثر يعد العدة لرحلة جديدة من رحلات تجارية الى الشام بأموال قريش ... وتمضي الأيام ب « زينب » فى رحاب ابيها « محمد » نبى الهدى والحق عليه أزكى الصلاة والسلام .. وانتصارات الرسول ناشر أنوار الدين الأسمى تدوى مجلجلة من قلب المدينة الى خارج الجزيرة العربية ...

لكنها لا تنى تعود الى مألوف عادتها من بث النجوى الى حليتها ، الى القلادة « الخديجية » الأثيرة التي بقيت لها من آثار أمها العظيمة ، والتي ببركتها عاد اليهـا زوجها ، ولكن ليفترق ثانية عنها ... كانت « زينب » فى مرضها تضطجع بوهن على وسادتها ، وتناجى بعينين مخضلتين بدمع سخين قلادتها العزيزة ، تكاد تحاورها ـ محاورة الأنيس لأنيسه ـ وتستنطقها أخبار « أبى العاص » وما فعل الزمان به ، وهل هو يدرى بكل ما كان من نتائج هجوم بعض الفجار على هودجها يوم رحيلها من مكة الى المدينة ، وهي الحامل العزلاء ، حتى جمحت الناقة بها ، فسقطت ، وسقط الجنين من بطنها ، ونزف الدم بغزارة منها ، ولا تزال تعانى سقما مبرحا من يوم ذلك الروع الغبى الهمجى الذى أصابها ؟ .. لقد أزعجها « أبو سفيان » وزبانيته عندما أرغموا الناقة على العودة بها ، حتى لا يشمت « رجال محمد » فيما يرسف فيه فجار مكة من هوان اذ تخرج « زينب » علنا وفى وضح النهار .. وامتثلت ، لتعود فتكر سارية من جديد الى موطن الأحباب ، وفى غبش المساء .

وعلمت « زينب » أخيرا أن سرية لرسول الله اصابت قافلـة زوجها العائد من الشام ، وغنمتها لمعسكر الرسول ، بعد أن فر « أبو العاص » هاربا .

وجزعت « زينب » لهذا الخبر . وبينما تقف خائرة القوى تتحامل على قدميها ، تتفكر فى مأثور سهومها ، منفردة ـ عقب صلاة الفجر ـ بنفسها ، تناجى ـ على مألوف عادتها ـ قلادتها .. اذ أحست وقع خطوات خفيفة تدلف متلصصة حذرة الى خدرها .. ونظرت فاذا على أعتاب الخباء « أبو العاص بن الربيع » زوجها .

دهشت « زينب » ، ولاذت بالوشاح تستر به محياها الشاحب القسيم ، اذ هـى غريبة « الآن » عنه ، ما من شك فى أنها تقدر هذا الرجل العـربي الشريف وتوليـه اعزازها ، وهي تجهر بذلك لا تنكره ولا تخفيه ، فلا تنسى له أنه أجبر يوما على أن يطلقها ليكون طلاقها نكاية ب « محمد » وصحبه ، واهانة تصدر اليه حيث هو فى المدينة ..



لكنه ــ هذا الشهم الوفى ــ أبى باصرار ، وتمسك بزوجته ، وأعلن على الملأ أنه لا يعدل بها كل أبكار مكة .

وفى هدوء صارحها « أبو العاص » بما حدث ، واستجار بها ...

فخرجت زينب تجيره من بين صفة النساء ، وكان أبوها « محمد » عليه الصلاة والسلام يصلى الصبح فى المسجد ، بينما هي تنادى خارجه :

« أيها الناس .. انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله من الصلاة قال للمحيطين به . « هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا . (نعم) .. قــال . « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، انــه يجير على المسلمين أدناهم » . وبعد أن قام النبي فأوصى ابنته الا تخلص لابى العاص فهى لا تحل له ، ذهب الى مكان رجاله الموكول اليهم الفيء والغنائم .. فاذا كل متاع القافلة قد رد الى أبى العاص سراعا ، وبتمامه ، وانصرف به الرجل الى طريق مكة وعلى شفتيه ابتسامة دهش وعجب ، وفى عينيه وميض غامض غريب .

وكان فى المقدور أن يسير ركب الزمن بما يمكن أن يكون .. أن تبقى « زينب » فى المدينة تعاصر أعظم الأمجاد وأروع وأخلد الانتصارات ، وتقضي الأوقات ما بــين صلواتها ونجواها .. وأن يستقر أبو العاص بين قومه هناك فى مكــة ، هانئا قريرا ، وخاصة بعد أن عاد اليهم من تجارته من الشام بالربح الوفير ..

غير أن شيئا ما حدث بغتة وفجأة .. وان لم يك كذلــك عند العارفين بــه المتوقعين له ..

الشيء الذى أذهل « آخرين » هو أنه لم يكد يمضى وقت قصير منذ وصــل « أبو العاص بن الربيع » مكة .. حتى رؤى يحلق مقبلا منها على مشارف المدينة صائحا طربا ، مهللا مكبرا ..

جاء « أبو العاص » بنفسه ، على قدميه ، مسلما موحدا .

قبل أن تختتم ((زينب)) صلاتها ، لتبدأ الاستئناس بقلادتها ومساءلتها عما كان من مصير بعلها وما كان من أمره ... فوجئت بسماع صوته يدوى عاليا فى الأرجاء معلنا انه ما رجع من المدينة الى مكة تلك المرة الاخير بالاموال والامتعة المردودة اليه ، الا ليقول لهم هناك على رءوس كل الأشهاد ((يا معشر قريش .. هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟)) .. فلما قالوا لا ((، .. فلقد كنت وفيا كريما أمينا)) .. قال : ((فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. والله ما منعنى من الاسلام عند محمد الا تخوف من أن تظنوا أننى انما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله اليكم ، وفرغت منها .. أسلمت)) .

ودخل عند رسول الله ، يسبقه الحنين الجارف ، ويدفعه الايمان الحق ، ليخرج بعد قليل من الحضرة المنورة وقد تم له عقد جديد على شريكة العمر ، وقرينة الحياة .. عقد شبهه هو ب ((قلادة زينب)) النفيسة الغالية ، فلا انفصام له ، ولا انفراط لقدسية رباطه ، الا بالموت وحده .



آية (بمعارفها أو هدايتها) عن آية ، حتى كان التكامل والانسجام بأسبابه وأطواره بين الناسخ والمنسوخ ، فكان ذلك على مثل نسقه من اطراد شريعة بعد شريعة ، حتى اكمل الله سبحانه رسالاته ، حين ختم محمد النبوة ، وجعلها رسالة للناس كافة حتى قيام الساعة .. تؤثر فى الأزمان وبيئات الناس ولا تتأثر بها ، وقد انتهت كاملة وحيا من الله ، وجاءت (رغم نزولها منسجمة وتبعا لأسباب من احداث) جاءت على أكمل شرعة منسجمة ، لا اختلاف فى شيء منها ، لا فى كبيرة ولا صغيرة منذ بدأ الوحي الى ختامه .. وبذلك « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. » .

آمن بهذه المغيبات وأبصر بنورها الحياة وما فى الحياة ومصير هذه الحياة ، ويومها الآخر واتبع أمر الله فيما فرضه ودعا اليه . وكفر بما وراء ذلك . فكان بعلمه وتقواه على نور من ربه .

و « المؤمنون كل آمن » مثل ايمانه ، واتبع سبيله ، واستنار بمعارفه ، وأركان ايمانه وكل أخذ من ذلك بنصيب من وحي الله علما وتربية ، فكان محور ثقافته كمسلم ، وبذلك تميزت الثقافة الاسلامية ، فى الأرض بوحى وعلم منزل .

واذا عرف البشر ثقافته من ثمرات العقول البشرية ، فقد عرف المسلمون من شريعتهم ما عرف غيرهم ، وأربوا عليه بما أتاهم وحيا من ربهم على لسان رسول عرفوا صدقه (لم يكذب على أحد قط ، فكيف يكذب على الناس جميعا وعلى رب الناس) كما قال بهذا المعنى توماس كارليل فى كتابه (الأبطال) وهو المعنى الذى كان يحيك فى صدره صلى الله عليه وسلم فيؤله من المعاندين حتى سرى عنه تعالى بقوله « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

وان المسلمين اليوم لمدعوون الى غربلة ما تتهم به (الثقافات) و (المعاهدات الثقافية) مع البلاد غير المسلمة ، حتى يحافظوا على شخصيتهم فى ثقافتهم الممتازة المتميزة بنور الله ، ولا سيما فيما يمس نظرهم ونفوسهم وحكم الله فيهم ، وحسبهم من الغرب ما تفوق الغرب به من علوم الطبيعة وفنون الآلة .

ان وحدة المسلمين تنشأ من وحدة نظرهم ومعارفهم وتربيتهم وحكمهم كما أوحى اليهم ، وان تفرقهم اليوم أحزابا ودولا وشيعا وامارات و ... هو نتيجة مفارقة هذا الأصل الجامع لهم،وصدقت كلمة الله ومنته على محمد رسول الله الذى جمع الله به الأمة « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ..

ولو كان ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، « لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ولكنه كما قال تعالى « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى » .

ان هذه النظرة الكاشفة عن حقيقة الوحى وصدقه انما هي نظرة علم تستوجب العمل لنصون وحدتنا ، ونصون عقيدتنا ، بصيانة ثقافتنا الاسلامية ، نجليها وندافع عنها ، حتى نلقى وجه الله ، على هدى وبصيرة .

ولله المنة .

رابعة العدوية

من كلام رابعة العدوية قالت « ليس من المستطاع ان تميز بالنظر بين المقامات المختلفة فى الطريق الى الله ، ولن تتصل اليه باللسان ، فلتجعل قلبك مستيقظا ، فاذا استيقظ رأيت بعيونه الطريق وكان فى وسعك بلوغ المقام » .

حول بحث النقود في الاسلام

كنا قد نشرنا فى العددين ١٥ ، ١٦ بحثا لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصي عن النقود فى الاسلام . وقد جاءنا تعقيب على ما نشر من السيد / ع.ع.ع. الطالب بكلية دار العلوم جامعة القاهرة رأينا تحويله على فضيلةالاستاذ كاتب البحث الذى أرسل الينا بعد الاطلاع عليه برد على هذا التعقيب . وننشر فيما يلي التعقيب والرد عليه بعد حذف الكلمات الخارجة عن الموضوع :

التعقيب

ان المقال المنسوب الى الشيخ احمد الشرباصى والذى نشرته مجلة الوعي بعددها الصادر فى : ربيع الثاني ١٣٨٦ والمعنون بالنقود فى الاسلام « الحلقة الثانية » .

أقول لسيادتكم : ان هذا المقال برمته وبدون أدنى تصرف منقول نقلا حرفيا من كتاب أستاذى الدكتور « ضياء الدين الريس » رئيس قسم التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .. كتاب (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية فصل ـ عبد الملك بن مروان ـ اصلاح العملة) .

وبوسع سيادتكم أن يتأكد من دعواى هذه بمقارنة المقال بما ورد فى الكتاب المذكور .

هذا ـ وربما كانت المقالات السابقة تحت هذا العنوان منقولة من نفس الكتاب ـ وربما أيضا ـ تتوارد الحلقات التالية من نفس الكتاب أيضا ، لا سيما والشيخ الشرباصي ينوى الاستمرار فى اصدار عدة حلقات تحت هذا العنوان على ما يظهر ـ وأحيطكم علما بأن رسالة كهذه سأرسلها الآن الى أستاذى الدكتور (ضياء الدين الريس) المجنى عليه ـ ليرى رأيه ويبذل جهده حفاظا على أعماله التاريخية التي يعتدى عليها .

وأرجو منكم اتخاذ اللازم ـ والتأكد من دعواى ـ والسلام عليكم ورحمة الله ..



الــرد

وهذا هو رد الاستاذ الشرباصي : ـ

لقد بنى الطالب ـ عفا الله عنه ـ حكمه الخاطىء على أساس غير سليم ، لأنه رأى الحلقة الثانية والأخيرة من بحث ((النقود فى الاسلام)) فقط .

ولو أنه تأنى فى اعتراضه ، واطلع على الحلقة الاولى المنشورة فى عدد ١٩ يونيه سنة ١٩٦٦ لرأى أنني ذكرت فى العمود الاول من صفحة ٦٨ طائفة من المراجع التي رجعت اليها ، ومنها فتوح البلدان للبلاذرى، والأحكام السلطانية للماوردى ، ومحاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية للخضرى ، والنظم الاسلامية لحسن ابراهيم ، والخراج والنظم المالية لضياء الدين الريس .

وقبل ذلك بصفحتين ذكرت كتاب شذور العقود فى ذكر النقود ((للمقريزي ، ص ٦٦ ، وبعد ذلك نقلت نصا عن ابن خلدون ، ص ٦٧ . وكذلك نصا عن عن لسان العرب ص ٦٧ ، وعدت وذكرت فى ص ٦٨ من المراجع مقدمة ابن خلدون .. الخ .

ولنلاحظ معا أيها الأخ الجليل أن المجلة نشرت البحث على حلقتين ، وفى آخر الحلقة الاولى المنشورة فى عدد ١٩ يونيو جاءت على قلمى هذه العبارة (وقد جاء فى كتاب ((الخراج فى الدولة الاسلامية)) ما يلي :) .

ونقلت عقب ذلك نصا من كتاب الدكتور الريس ظهر بعضه فى الحلقة الأولى ، وجاءت بقيته فى الحلقة الثانية ، فحسب الطالب المتعجل فى التهجم أن الكلام جاء على لساني ، مع أنني نصصت على مصدره ، وقد طال النص بعض الشيء لأنه تضمن نقولا عن الطبرى والبلاذرى ، وكان من الممكن تفسيخ النص ، ونسبة كل جزء منه الى صاحبه دون ذكر للمصدر ، ولكنى لم أفعل ذلك ، ونصصت على المصدر .

وقد رأى المعقب بعينيه أنني حتى فى هذه الحلقة ، وبعد نص الدكتور الريس ، قد رجعت الى البلاذرى والغزالي والكرملي وغيرهم .

((الوعى الاسلامى)) حقيقة نص الاستاذ الشرباصى فى آخر مقاله الاول على كتاب الخراج فى الدولة الاسلامية ... للدكتور الريس ، صرح بالنقل عنه ، ان كان النقل قد طال كما يقول حتى بلغ ثلاث صفحات مما حمل الطالب على التعقيب.



عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته قبل البعثة

تأليف : الاستاذ محمد عزت دروزة
عرض ونقد : الاستاذ عبد المعطي محمد بيومي

لو أردنا ، أن نستعرض هذا الكتاب فاننا للحقيقة نلتقى أول ما نلتقى بالمنهج الدقيق الذى أقيم على أدق قواعد البحث العلمى في أسلوب سهل متزن ، يحرص على الحقيقة التاريخية أن تضيع بين سطور الخيال المزوقة ، ولذلك جاء هذا الكتاب مرجعا قيما وهاما لتلك الفترة المظلمة التى ساء حظها بين المؤرخين .

وهذا الكتاب كما يقول مؤلفه محاولة لاستنباط احوال ذلك العصر من القرآن مرجعه الوحيد ـ كما يقول ايضا ـ لندرة المراجع الصحيحة لتاريخ تلك الفترة عدا روايات متضاربة ونتف قصصية متناثرة في بعض الكتب لا يعتمد عليها في هذا المجال .

وقد قسم بعد مقدمة الطبعتين الاولى والثانية على أربعة أبواب : الاول منها عن جغرافية العصر ، والثانى عن حياته الاجتماعية ، والثالث عن حياته العقلية ، والرابع عن العقائد والاديان .

أما الباب الاول فقد ضمنه المؤلف ثلاثة فصول تحدث في أولها عن الحجاز وأهله ، فاستنبط من آيات القرآن تضاريس الجزيرة والمدن الرئيسية ، وهي مكة والمدينة والطائف ، وفئات السكان ، واللغة السائدة وهي العربية الفصحى لغة القرآن .

أما الفصل الثانى عن « الحركة الاقتصادية والمعايش » فقد ضمنه المؤلف الحديث عن النشاطات الاقتصادية ـ التجارة والزراعة والصناعة ـ ثم صور الحياة المتنوعة فكانت المدن الرئيسية على طرق التجارة، وكانت للعرب رحلات تجارية الى البلاد المختلفة كاليمن والشام والعراق ، وكان الرق يشغل حيزا واسعا في الاقتصاد .

ولقد ساعد وجود اليهود في البيئة العربية على تغلغل الربا فكان موردا هاما من موارد الدخل ، أما عن العملة التى كانت متداولة فهى الذهب والفضة ، ويتجلى من آيات الميراث أن العرب كانوا يعرفون الاعداد حتى الكسور ، وكانت الكفتان

أساس الميزان . أما قدر الموازين السائدة حينئذ فلم يرد بالضبط في القرآن وان ورد في الروايات ، وكان سكان المناطق الزراعية يزرعون بعض الحاصلات كالعنب والزيتون الى جانب النخيل ، وكان كبار الزراع العرب يستجلبون الخبراء في الزراعة من بلاد الشام والعراق ،كذلك تلهم آيات القرآن وجود بعض الصناعات المحلية التى لا يبعد أن تكون الجاليات الاجنبية اليهودية والنصرانية والسورية والعراقية والمصرية لعبت فيها دورا كبيرا ، وان العرب كانوا يستوردون ما لا يمكن لهم صناعته من الطرف أو حاجات البيت .

أما عن معايش العرب فقد كانت لهم أنماط حيوية كثيرة كتربية الحيوان والاعتماد عليه خاصة الجمل سفينة الصحراء ، والصيد بالرماح وغيرها وأكل اللحوم ، وقد نهوا عن الميتة والدم المسفوح ، كما كانوا يعرفون الخبز ويصنعونه من النبات الذى يصنع منه كالقمح والشعير ، وكان الزيت من أغذيتهم الهامة ، ومن فاكهتهم الرمان والعنب والموز والبلح كغذاء رئيسي ، كما شربوا الخمر وأنواعا من المسكرات وعرفوا الميسر ومارسوه الى جانب ألوان من الغناء والسمر ، وكانت بيوتهم تقوم على أسس وقواعد وسقف وأبواب لها فناء وسور يمكن القفز منها من غير الباب ، وبعضهم كان يتخذ الطوابق ، أما الخيام فاتخذوها من جلود الانعام ، وكان منهم من يتخذ الآوانى من جفان وقدور ، والاسرة والنمارق ، وكان للنساء وشاح وجلباب أشبه بالعباءة بحيث كن يخرجن مستترات يتحلين بالذهب والفضة ، وكان العرب أشد الناس استجابة لداعى الحرب بالاسلحة الخفيفة التى مكنتهم من اصطحاب نسائهم في الحروب التى تدر عليهم الغنائم ، أو تمكنهم من الاستيلاء على مواطن الكلأ ، ولذلك عنوا بألعاب الفروسية والتسابق العنيف وأنواع من الرياضيات .

وفي الفصل الثالث ذكر المؤلف من الجاليات الاجنبية في الحجاز النصارى واليهود وبعض الموالى .

وفي الحياة الاجتماعية موضوع الباب الثانى ذكر المؤلف في الفصل الاول — في حياة الاسرة — أن المركز الاول كان للرجل في حين كانت المرأة مهضومة الحقوق غير قليل منهن كن يتمتعن بشخصية قوية ، فلما جاء الاسلام سوى بينهما في الخطاب غير استثناءات قليلة ، مما يدل على أنها وصلت قبل البعثة الى طور من الاهمية غير قليل .

ثم سرد الكاتب عدة عادات وتقاليد سادت ذلك العصر ، من فوضوية الطلاق وظلمه ، وكذلك الظهار والايلاء والخطبة ووليمة العرس في الزواج وشيوع تسرى الاماء ونكاح المتعة والزنا واتخاذ الأخذان وعدم الاستئذان في الدخول الى البيت وسفور المرأة في المجالس ووأد البنات الى غير ذلك من العادات التي بينها القرآن الكريم .

ثم تكفل الفصل الثانى بالحديث عن العصبية الاجتماعية التى كانت أهم مظاهر الحياة العربية ، وذكر أنواعها المتعددة .

وعن الحج والاشهر الحرم كان حديث الفصل الثالث حيث ذكر المؤلف فيه أن الحج عمل منذ ذلك العصر على تدعيم مركز مكة وأهلها ، اذ كان الناس يأتون اليها من كل بلد وعلى كل دين ، اما للحج عملا بدعوة ابراهيم أو للتجارة أو للتبشير ، وقد ذكر المؤلف تقاليد الحج قبل البعثة ، وهى غالبا نفس التقاليد التى أقرها الاسلام بعد ما جردها من شوائب الشرك والقبح كالطواف على عرى ، كما كانت أشهر الحج المعروفة — حتى اليوم — أشهر حرم وهدنة حتى يأتى الحجاج، ويعودوا كل عام في سلام .

أما الفصل الرابع – فعن نظام الحكم القبلي حيث كان التفاوت الطبقى والرق من طبيعته .

وفي الباب الثالث عن الحياة العقلية ذكر المؤلف فى الفصل الاول أن لغة القرآن مقياس لقوى العرب العقلية وان ارتفع مستواه بمعانيه الروحية ، فلم يرتفع عن مستوى الافهام ، فقد كان النبى يخاطب به كل انسان فيفهمه، ثم عرض المؤلف من خلال فهمه للقرآن فنون اللغة التىكانت سائدة حينئذ وهى الشعر والسجع والمرسل والأمثال والخطابة والبرهان ، وبين انضباط تلك اللغة بالسليقة على المقاييس اللغوية ،كما استدل من وجود بعض الكلمات المعربة على اتصال العرب بغيرهم من الامم .

أما الفصل الثانى فقد ضمنه المؤلف حديثه عن العلوم والمعارف ووسائلها ، وأن القراءة والكتابة لم تكونا المقياس الثقافي كما هى الآن ، وان كانتا منتشرتين قليلا وبشكل خاص بين النصارى واليهود ، وفي مكة بالذات ، وكانت لغة الكتابة العبرية عند اليهود والسريانية أو اليونانية عند النصارى ، ولا يبعد أن يكون العرب قد نقلوا نظام الكتاتيب من اليهود والاجانب ، وأن يكون سكان جدة وينبع والمناطق الساحلية تداولوا بعض اللغات لأنها الموانى حينئذ ، وكانت محكا دائما للاختلاط .

كذلك يفهم من القرآن ان من العرب من عرفوا بعض المعلومات التاريخية وأساطير الاولين وبعض المعلومات الطبية والجغرافية والفلكية بالاضافة الى معرفتهم بفنون أخرى تدل على القوة العقلية كالعرافة والعيافة ، ووجود الحكمة معذلكفيبعض المنبهين والمنذرين دليل على ما وصلت اليه مرحلة التطور العقلي العربى قبل الاسلام .

وفي الفصل الرابع توسع المؤلف في الاستدلال على قوة العرب العقلية بمواقف المعارضة والمشاقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما دلت عليه من تفنن في المكر والدهاء والعناد ، أما الظلمات التى عناها القرآن فهى ظلمات الشرك والانحراف الخلقى وايثار المكانة الدنيوية التى دفعتهم الى المشاقة لا عن جهل بل عن عناد وعصبية ، والا فقد كانوا يعرفون (أنه الحق من ربك) كما يعرفون أبناءهم « ثم ان الله قد هداهم بعد ذلك للايمان والنور » .

أما الباب الرابع – في العقائد والاديان – فهو القسم الهام الذى يشغل حيزا أكبر في الكتاب،وقد ضمنه المؤلف ثمانية فصول جعل أولها عن الشرك وما ينطوى تحته من عقائد ومظاهر خلص فيه الى أن من العرب من عبد أشياء مادية وغير مادية كآلهة رئيسية مع الله ، ومنهم من عبدها زلفى الى الله مما بشرحينذاك بخطوةتطويرية جديدة فيالتفكير الدينى، وليس في القرآن ما يحدد الوضع الذى كان عليه تعدد الآلهة ، والأقربأن يكون لكل قبيلة أو بطن اله أو لنوعى الخير والشر اله أو الامرين معا ، وقد عرض الى عقيدة اتخاذ الله أولادا وبنات ، وجوز أن تكون تلك العقيدة قد تسربت اليهم من النصارى أو غيرهم .

وعن المعبودات الماديةوالوثنية وعبادة القوى والمشاهد الطبيعية عقد المؤلف الفصل الثانى ، وبين أن عبادة الشمس والكواكب الاخرى والنار كانت موجودة في بعض القبائل في اطار الاعتراف بالله أعظم .

وقد اتخذوا الرموز المادية – كما يذكر الفصل الثالث – كهبل واللات والعزى رموزا للملائكة كبنات الله .

وفي الفصل الرابع بين المؤلف أن العرب عرفوا الجن وأيقنوا بقدرتهم على الاتيان بأفعال خارقة من الشر فحسبوا أن بينهم وبين الله نسبا ، فعبدوهم خوفا وتقية ، أو تقربا الى الله ، وقد عرض لحقيقة ابليس وأنه من الجن ، وأثار في عرض ذلك سؤالا هاما ، كيف

عبد العرب أبليس أو الشيطان مع فهمهم من هذين الاسمين معنى الذم والهجاء ؟ ، وكان لا بد من افتراضين اما أن يكون العرب قد عبدوهما خوفا واتقاء، واما أن تكون تعابير العبادة والتولى قد وردت على سبيل المجاز بقصد توبيخ المشركين ، وابراز نجاح الشيطان في اغرائهم حتي استجابوا له وهما افتراضان معقولان على كل حال .

ومهما يكن من أمر فان أسفار العرب ورحلاتهم - كما يقول الفصل الخامس- جعل التفكير الدينى عند العرب يرتقى قبل البعثة الى فهم معنى الله وتصوره، وان كان عندهم شيئا يمكن أن يروه كما جعلتهم الخلافات الدينية والتفاخر بين اليهود والنصارى يتطلعون الى بعثة النبي المنتظرة منهم ، ليكونن به أهدى من تلك الامم .

وهنا وقف البحث الكبير أمام سؤال ألح منذ بعيد وفحواه : أن الكتاب من أوله يشيد بمستوى العرب في القوة العقلية وبعد النظر وادراكهم لعقيدة الله، بل وتمنيهم أن يكون النبى الموعود الذى يختلف عليه اليهود والنصارى من بينهم، فلماذا اذن عارضوه وشاقوه ، بل وتآمروا عليه وأرادوا أن يقتلوه ، ويحل المشكلة ويبرر الكتاب كله أن العرب عارضوه بتأثير من كبرائهم الذين حالت دون ايمانهم عوامل الحسد والخوف على أنفسهم وبلدهم مكة من ضياع الامتيازات والتنافس العائلى والقبلى وعصبية التقاليد وغيظهم لما آمن بمحمد الفقراء والأرقاء ، ثم تصورهم للنبوة وأنها فوق طاقة البشر ، فاذا بمحمد بشر يأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون ، ولذلك أسقط في أيديهم ، وأخذوا يهرفون تارة بأنه ساحر وتارة بأنه كاهن أو مجنون ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وبرغم ايمانهم بخلود الروح فقد أنكروا البعث وان التمس لهم المؤلف العذر ، اذ لم يأت بشأنها قبل بيان مستفيض في التوراة والانجيل.

ولقد كان العرب يهدفون بتدينهم الى أن يلجأوا الى اله يرعى أمور دنياهم فيدفع البلاء ويجلب الرخاء، ولذلك ركز القرآن على أن آلهتهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا .

ثم رأى المؤلف آثار خطوة تطويرية واسعة ارتقى فيها الفكر الدينى قبل البعثة درجة أعلى على يد جماعة الصابئة والحنفاء الذين عافوا الاديان السائدة جميعا . ثم عرض لتاريخ التوراة والانجيل كمصدرين من مصادر الثقافة العربية .

ثم يتهادى البحث الى النهاية في بيان كيفية العبادات التى كان يؤديها العرب كالصلاة والطهارة والصيام والاعتكاف في رمضان والنذور والقرابين والاجتماع يوم الجمعة ، وقد كانت لهم عادات معينة في التحليل والتحريم بجانب بعض العبادات النفسية كالتطير والرقى والتعاويذ والاستقسام بالأزلام كما فهموا عن النفس والروح أنهما قوتان منفصلتان عن الجسد كما يفهم من القرآن .

وعند هذا الحد مع نهاية الصحيفة الاحدى والاربعين بعد الثمانمائة بالقطع الكبير تنتهى رحلتنا الطويلة القصيرة مع هذا المرجع الكبير الذى جمع فيه الاستاذ دروزة صور الحياة العربية وملامحها في عصر النبى وقبل بعثته ، وان نص في مقدمته على أنه اعتمد على القرآن وحده دون غيره بحيث كان موقفه منه موقف المستنتج، فذلك ما لا يظهر لي ، والذى يظهر أنه اعتمد أولا وفي الدرجة الاولى على التاريخ ورواياته - وان كانت معتمدة - بجانب القرآن بحيث كان موقفه موقف المطابق لما فيه ، وان لم ينقص ذلك من قيمة الكتاب وجدة فكرته ..

شكرا للمؤلف وعذرا للقارىء فيما اقتضاه أحيانا الحيز المحدود لهذا الكتاب .



ادفعوا القدر بالقدر

تناول فضيلة الشيخ محمد على الزعبى المدرس بالجامع الكبير فى بيروت موضوع القدر بأسلوب سهل بعيد عن تعقيد الفلاسفة فقال :

الجبرى اذا فعل خيرا أسنده لنفسه ، واذا فعل شرا علله بقوله : لقد سبق بعلم الله فكتبه وقدره وقضاه ، بل واجبرنى عليه .

الجبري يتخيل من يناقشه طفلا يصدق أن : قضى وقدر وعلم تساوى أجبر !

الجبرى ، يتخيل أن قوله بالجبر دليل على قدرة الله غير المحدودة ، وأن البشر لا يستطيعون القيام بعمل ما ، ويرى هذا عبادة وزلفى ، ولكن فاته أن رأيه ينافى الشرائع والانظمة وسنن الكون وأن المشركين عللوا شركهم بهذا نفسه .

الجبرى شخص منحه الله عينين سليمتين وبيتا معرضا لنور الشمس ، فاغمض عينيه واختار الظلمة ، وأخذ يلقى تبعتها على الله نفسه زاعما أن التخبط فى الظلمة قدر .

ولئن غزوناه بحجج الاختيار التى يعجز عن مقارعتها ينسحب من المعركة زاعما أن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، نهى عن الخوض فى بحث القضاء والقدر ، ناسيا أن الاستسلام لجيش الجبـر كاستسلام شعب صال عليه عدو طامع فحنى عنقه وقال (ان الله نهى عن الدفاع) !!

نعم أن الاستسلام للاقدار التي يستطيع الشخص أو الامة دفعها ليس من الاسلام بل دفعها هو القدر بعينه .

ألا ترى أصحاب رسول الله واجهوا قدر الطاعون بقدر الحجر الصحى لان رسول الله نفسه قابل قدر المرض بقدر الدواء ، وقدر حصار المدينة بقدر حفر الخندق ، وقدر الامية بقدر التعليم ..

فعل هذا كله ، ليعلمنا أن قدر الاستعمار يحارب بقدر الجهاد بطرد جيوشه واقتلاع جذوره من مطلق أرض لوثها بأطماعه وافساده .

لعمرى ، لنفرض أن الاستعمار والتفكك والتفرقة وسلب الكنوز واقتطاع فلذات كبد ديارنا بيد الذين خلقهم العدو التاريخى العريق ، لنفرض أن هذا قدر ألسنا مكلفين ان ننازع القدر بقدر ؟

ألا ان المصائب التى نراها أقدارا ، سهام تخذناها بأيدينا وصوبناها لنحورنا ، وثمار لذنوب اجتماعية مارسناها مختارين وقبور حفرناها وقيود احكمنا ربطها بأيدينا (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) ولذا لا ينبغى أن نضجر فى مكافحتها ولا نستسلم ، بل نعدل الاساليب ونحفظ الاتزان ونرى بعين التفاؤل ونستعد للتضحية ، لان التكفير عن الذنب على مقدار الذنب .

ان الذين جهلوا دفع القدر بقدر جهلوا نواميس الحياة التى لا تقبل مقدرة الذين حاولوا أن يتخذوا من الاقدار معذرة .

علينا الا نجزع من خوض معركة دفع الاقدار بأقدار ، علينا أن نوجد الفرص ، ولا ننتظر اغتنامها ، ولا

نتكل على الخوارق والدعاء المجرد ، لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – وهو قدوتنا العظمى – جعل الدعاء خاتمة المطاف .

ان تذليل العقبات طريق يفضي لجنتى الدنيا والآخرة ، فان سجلنا نصرا على الفقر والجهل والمرض وطردنا الطامعين من ديارنا فذاك دفع قدر بقدر ، وان اخفقنا فصقل لنفوسنا وكفكفة لتمادينا وشحذ لعزائمنا .

ودفاع القدر بالقدر تارة يكون ايجابيا كما حارب رسول الله الاوثان ، وكما سار لحرب بدر وسار صلاح الدين لحطين والظاهر بيبرس لفور بيسان .

وتارة يكون سلبيا ، أي صبرا على ما لا نستطيع دفعه من الاقدار كقدر الموت اذ هو المصيبة الوحيدة التي لا ندفعها الا بدرع الرضا والاستسلام ، لان الله كلفنا صبرا ووعدنا عليه اجرا .

النصر للاسلام

وبعث مامون فريز جرار الطالب بمدرسة جنين الثانوية بالاردن قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي : –

كفكف دموعك فالاسلام منتصر ... ونوره فى سماء الكون منتشر
ان البشائر فى الآفاق قد لمعت ... بروقها .. وجيوش الليل تندحر
الفجر أقبل والانوار تتبعه ... والجدب ولى وجاء الورد والزهر

★ ★ ★

أرى الغشاوات قد زالت ستائرها ... ومدنف الكفر فوق المهد يحتضر !!
أرى العقول ترى فى الدين بغيتها ... أرى السكارى لشرب الخمر تحتقر !!
فجدد العزم لا تيأس فما عدمت ... حرارة الدين ، فالايمان مستتر
اما انتصرنا فهذا بعض غايتنا ... أو ان قتلنا فذاك الموت مفتخر
انا سنرفع للاسلام رايته ... فوق الربى ليرى الانوار من كفروا
قرآننا يا أخى دستور عيشتنا ... وحرز وحدتنا ، ما مثله الدرر

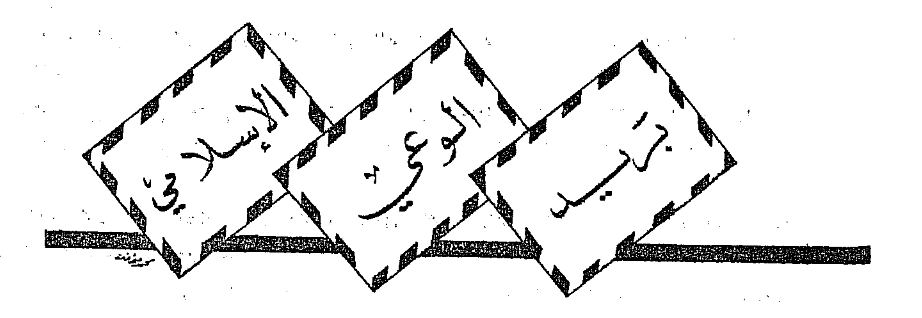
شكراً لكم أبداً

وأرسل الاستاذ حامد شكور المدرس الاول بتجارة دمنهور الثانوية بالجمهورية العربية المتحدة قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

امجلة الوعى ... ومنارة الرأى
وكتيبة الحق ... والنور والهدى

★ ★ ★

أمجلة الرشد ... وطليعة الهدى
يا روضة الخلد ... يا لثمة الوحى
أسفيرة الفصحى ... فى عالم « الرغى »
أهواك من قلب ... ظمىء الى رى –
أفديك من روح ... تهفو الى رأى –
شكرا لكم أبدا ... فى الكر والجرى
لولاك يا وعيى ... ما كنت فى وعى



رسالة من موسكو

هذه رسالة من موسكو جاءتنا من الطالب : مصطفى جامع عبد الباقي يقول فيها :

« لقد اطلعت على العدد الخامس عشر من مجلة الوعى الاسلامي الغراء ، وقد أعجبت بموضوعاتها الاسلامية الحية التي تسهم بقدر كبيرفى ابراز نور الاسلام الوضىء ، ودحض الشبهات التى أثارها حوله المغرضون الذين يتألمون أشد الألم حين يرون الجموع تهرع زرافات ووحدانا الى الاغتراف من فيض الاسلام .

واظنك تعجب كيف وقع هذا العدد بين يدى ، والسبب هو أننا ندرس بموسكو عاصمة الاتحاد السوفييتي ، ونادرا جدا ما تقع بين ايدينا أمثال هذه المجلة الاسلامية الممتازة .

وكم كان بودىأن أرسل لكم اشتراكي السنوىلأضمن وصولها الي بانتظام، ولكن تحول دون ذلك صعوبة ارسال أى نقد من داخل الاتحاد السوفييتي ، ولا يخفى عليكم ما لمثل هذه المجلات الاسلامية من أثر فى ربط الشباب ربطا روحيا فى هذه البلاد . ففيها نجد الغذاء ، ومنها نستمد العزة فى السير قدما لرفع راية العزة الاسلامية .

● هذه واحدة من عدة رسائل وصلت الى هذا الباب من بعض شبابنا المسلم الذين يدرسون فى مختلف البلاد الأجنبية،ولهذا النوعمن الرسائل أهمية خاصةفىنفوس المعنيين بنشر الدعوة الاسلامية ،فهي تشد من أزرهم ، وتضاعف من جهدهم ، وتزيدهم ايمانا بقوة الاسلام الذاتية ، وفعاليته ، ومبلغ مقاومته لتيارات الالحاد العارمة ، وصموده لموجات الانحرافات الزاحفة ، وانتصاره فى نفوس الشباب المؤمن على طلائع الغزو الفكرى المضاد لعقيدة الاسلام وشريعته . وبحسب الناظر فى هذه الرسالة أن يحيط بالظروف الاجتماعية التي يعيش فيها كاتبها ليدرك صدق هذه الحقيقة .

ولكى نكون واقعيين يجب أن ننظر الى الصورة ـ صورة مبعوثينا فى الخارج ـ من زواياها المختلفة ، فبجانب هذا الوجه المشرق الذى تمثله هذه الرسالة نرى وجها آخر للصورة يمثل الكثرة الكاثرة من الشباب الذين يتعلمون فى الخارج وقد استهوتهم ألوان المدنية البراقة التي تحيط بهم ، ففتنتهم عن دينهم ، وسلختهم عن تقاليدهم وأعرافهم ، فتنكروا للمثل والقيم الاسلامية .

وهنا تبرز أهمية العناية بالتربية الدينية للمبعوثين قبل ايفادهم ، وأن يراعى فى اختيارهم المستوى الأخلاقي بجانب المستوى العلمي ، وأن توفر لهم الرعاية الصحيحة والاشراف الكامل مدة دراستهم فى الخارج .. بهذا نحصنهم ضد الأوبئة الخلقية التي يتعرضون لها فى هذه البلاد الغريبة عليهم فى معتقداتها واخلاقياتها . وبهذا يتحقق اخلاصهم لأمتهم وشعوبهم حين يعودون اليها بعد استكمال دراستهم ، ويتولون المناصب القيادية .

ونعود الى كاتب الرسالة ، فنصافحه ، ونشد على يديه ، ونحمله مسئولية الدعوة الى الله بين زملائه ، ونطمئنه بان المجلة ستصله على عنوانه بانتظام .

تعليق وتعقيب

وجاءنا هذا التعليق بتوقيع (المخلص الغيور على دينه : عبد اللطيف بن ابراهيم ابن محمد) يقول فيه :

« لقد ذكرتم فى جوابكم على خطاب أحد القراء فى مجلة الوعى الاسلامي العدد الصادر فى أول جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ صفحة ٩٠ أن الخلافة (الاسلامية) موضوع تاريخي لا يمكن أن يكون له صلة بحاضرنا » .

« ولقد استغربت أيما غرابة هذا القول من عالم بالشريعة الاسلامية مثلكم ، ومن اجل تذكير كم ولفت نظر كم جئت بهذا الخطاب بقصد تصحيح المفهوم المتعلق بالخلافة آملا أن تقبلوا الحق من أى كان وألا تجدوا فى نفسكم حرجا فى قبوله ، اذ أن سعة الصدر (سيمة) أهل العلم المخلصين لله ولرسوله وللمسلمين ، ... والآن ألج الى الموضوع فأقول ان الخلافة الاسلامية ليست موضوعا تاريخيا كما ذكرتم ، بل هي حكم شرعى (هكذا) ولقد اختلف المسلمون فى السابق فيمن ينصب خليفة ، ولكنهم لم يختلفوا فى وجوب تنصيب الخليفة .. الخ ..

فهل يجهل فضيلتكم هذا الحكم المتعلق بالخلافة ، أم أنكم تتجاهلون هذا الحكم ، وتقولون عنه أنه موضوع تاريخي لا يمكن أن يكون له صلة بحاضرنا ! ؟ .

هذا وان كان الموضوع « جهل أو تجاهل » (هكذا) فانني قد ذكرتكم بخطابي هذا والذكرى تنفع المؤمنين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● ونحن نقول للسيد / عبد اللطيف الذى قال عن نفسه انه « الغيور على دينه » اننا نرجو له ولنا معه حسن الغيرة مع البصيرة والفهم السليم وحسن الاستيعاب كذلك .. وليس فيما كتبناه « جهل أو تجاهل » كما تقول لموضوع الخلافة فى الاسلام . ولكن ما كتبناه كان ردا على رسالة تعرضت لموضوع تاريخي وهو « من كان احق بالخلافة ابو بكر أم علي » وقد بعث بها الينا الطالب عبد الحسين جاسم من جامعة ليفربول وقد لخصت رسالته وجاء فى السطر السابع من ص (٩٠) من ذاك العدد : « ثم ينتقل (أى الطالب) الى الحديث عن موضوع الخلافة بين أهل السنة والشيعة ومن أحق بها ويذكر رأيه حسب ما درس ، ويستشهد بنصوص قرأها » .

فكان جوابي على هذه النقطة من رسالته « أما ما أثاره الأخ من موضوع الخلافة فهو موضوع تاريخي تحفل به بطون الكتب ، وقد شغل المسلمين منذ وجد وفرق صفوفهم ، وأثار بينهم حروبا دموية ، ولا نحب أن تثار مثل هذه الموضوعات التاريخية التى لا يمكن أن تقوم لها صلة بحاضرنا ، وليست هناك جدوى من اثارتها الا اذكاء نار الفرقة . فلنترك هذا الموضوع الذى يتصل بأسلافنا الكرام لله يحكم فيه : بعد أن انطوت صفحات أصحابه ، ولنجابه الواقع المر الذى نعيشه .. الخ » .

فالكلام اذن صريح فى أنه كان عن موضوع : من أحق بالخلافة : أبو بكر أم علي ؟ لا علي موضوع الخلافة نفسها ... كان الكلام عن الخلاف الذى قام حول تنصيب الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكون ؟ ومن هو الأحق منهما ؟ وهو موضوع تاريخي يا سيد عبد اللطيف لا نحب أن نثيره الآن ونزيد مصائبنا وخلافاتنا ، وننشغل به عن اصلاح واقعنا . فما الذى أثار غيرتك الدينية فى هذا الكلام ؟ هل من مقتضيات الغيرة الدينية أن يقف المسلمون الآن فريقين متخاصمين متناحرين .. فريق يقول : كان أبو بكر احق ، والآخر يقول : علي احق ، ونتعارك والدنيا من حولنا تضحك علينا ؟ ! ! .

أخيرا أرجو أن تعيد قراءة الموضوع مرة ثانية ، وتستوعبه ثم تقول لنا : هل كنا نحن على « جهل أو تجاهل » ؟ . كما أرجو أن تجعل منهاجك فى غيرتك « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » .

والا فلن تجدى غيرة بدون بصيرة وحكمة ، بل تضر ..



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى أسئلةالقراء وتجيب عنها .

افساد المرأة على زوجها

السؤال : ـ

سعى رجل لافساد زوجة جاره على زوجها ، ليطلقها ويتزوجها من بعده ، وقد نجح فى سعايته ، فهل يحل لهذا المفسد أن يتزوج هذه المرأة بعد أن طلقها زوجها ؟

يوسف ابراهيم ـ الاردن

الاجابة : ـ

السعى بين الناس بالفساد من أكبر الكبائر ، وبين الزوج وزوجته أشد وأقبح ، ويعظم الذنب وتتضاعف العقوبة اذا كانت السعاية بين الجيران ، وهذا الساعى بالفساد ليفرق شمل أسرة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل متنكر لكل القيم ، متمرد على جميع المثل . وقد تبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا المفسد وأمثاله ، فقال (ليس منا من خبب ـ أفسد امراة على زوجها ، أو عبدا على سيده) لان هذا عمل الشياطين المفسدين . وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان ابليس يضع عرشه ـ سلطانه ـ على الماء ، ثم يبعث سراياه وجنوده ـ فأدناهم ـ أقربهم ـ منه منزلة أعظمهم فتنة ـ اغواء وافسادا ـ يجيء احدهم ، فيقول فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، ثم يجيء أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امراته ، فيدنيه ـ يقربه منه ، يقول نعم أنت فيلتزمه) رواه مسلم .

وهذه الزوجة المخدوعة الطائشة التى استجابت لهذا الشيطان ، شريكة فى الاثم ، وستجنى عاقبة طيشها ونزقها فى الدنيا والآخرة ، وحسبها من المجتمع الازدراء والاحتقار ، ومن الله الغضب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس ـ عذر شرعي ـ فحرام عليها رائحة الجنة ـ رواه أبو داود .

وقد ذهب بعض السادة المالكية الى أن افساد الرجل زوجة غيره ليتزوجها يحرمها عليه على التأبيد معاملة له بنقيض قصده . جاء فى حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٢ ص ٢١٩ عند الكلام على المحرمات (مثل ذلك الذى يفسد المرأة على زوجها حتى يتزوجها ، فقيل يتأبد فيها التحريم ، وقيل لا يتأبد فيها التحريم ، وانما يفسخ نكاحه ، فاذا عادت لزوجها وطلقها أو مات عنها جاز لذلك المفسد نكاحها .. وهذا هو المشهور .

ولا يرى بعض الفقهاء افساد المرأة على زوجها محرما لها على من أفسدها ، وان كان يعتبر هذا العمل من أفسق الفسوق ، وأنكر أنواع العصيان .

والذى نميل اليه هو الاخذ برأى المالكية فى التحريم ، صيانة لحرمة الاسرة وقطعا لدابر الفساد . ومعاملة للمفسد بنقيض قصده .

التنكيس فى قراءة القرآن

السـؤال : ـ

ما حكم قراءة القرآن على عكس الترتيب الموجود فى المصحف ؟

يعقـوب حسـين ـ مالى

الاجابـة : ـ

قراءة الآيات غـير مرتبة كأن يقرأ القارىء (اهدنـا الصراط المستقيم) قبـل (اياك نعبـد وايـاك نسـتعين) لا تجوز لان فى هـذا التقديم والتأخير فى الآيـات خلطا على السـامعـين ، وضياعا للمعنى المـراد ، وقد صرح السـلف بحرمتـه .

أمـا قراءة سـورة قبل أخرى كأن يقرأ سـورة « ألم نشرح » ، ثم يقرأ سورة « والضحـي » ـ فان كانت فى غير الصـلاة جازت ، أما فى الصـلاة فقد صرح الفقهاء بكراهيـة ذلـك .

تكبـيرة الاحـرام

السؤال : ـ

أسمع أحيانا بعض المصلين يقول عند تكبيرة الاحرام « الله وكبر » بدلا من الله أكبر . فهل هذا النطق صحيح ؟ .

محمد ابراهيم ج. ع. م.

الاجابة : ـ

هذا النطق صحيح لغة . أبدلت فيه همزة (أكبر) واوا لضم ما قبلها وهو الهاء فى لفظ الجلالة ، وهذا عند أهل الحجاز الذين يخففون الهمزة ، قال سيبويه فى الكتاب ١٦٤/٢ « وان كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة ، وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوا » .

وقد تعرض الفقهاء لهذا عند الكلام على تكبيرة الاحرام ، فقال الشيخ الباجورى فى حاشيته على ابن قاسم « ولو أبدل همزة أكبر واوا ضر من العالم دون الجاهل » فالمتعلم لا يغفر له هذا ، لأن ما يكون فى الصلاة يقتدى فيه بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينطقه الرسول بابدال الهمزة واوا فى تكبيرة الاحرام .

ويقول القليوبى فى حاشيته على الجلال فى فقه الشافعية « وابدالها واوا مبطل كمدها وقيل لا يضر لأنها لغـة » .

وبناء على هذا تكون صلاة من يقول (الله وكبر) صحيحة من الجاهل دون العالم .

فى الميـراث

السـؤال : ـ

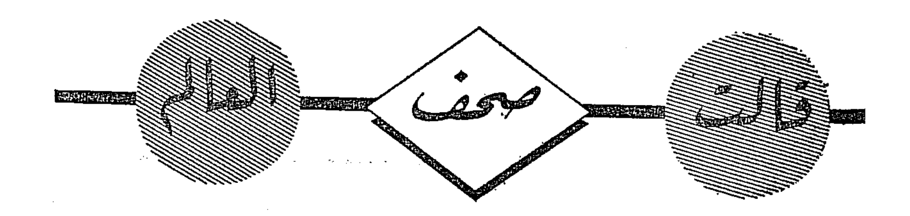
توفيت امرأة عن زوجها وأمها وولدين ذكر وانثى وبنت ابن متـوفى وبنت بنت متوفاة فمن يرث ومن لا يرث . وما نصيب كل وارث .

حسـين المختار
البصرة

الاجابـة : ـ

بوفاة المرأة عن المذكورين يكـون الحكم فى الميراث كالآتي :

لزوجها الربع فرضـا . ولامها السدس فرضا . والباقى لولديها للذكر ضعف الانثى تعصيبا . ولا شيء لبنت الابن وبنت البنت ، لحجـب بنت الابن بالأعلى درجة وهما الولدان وبنت البنت بوجود ورثة من العصبات وأصحاب الفروض . الا أن هناك قانونا يحمل اسم قانون الوصية الواجبة ، وهو معمول به فى الجمهورية العربية المتحدة يجعل لكل منهما بطريق الوصية الواجبة نصيبا مثل نصيب والده لو كان على قيد الحياة . بشروط منها : أن لا يزيد ما يأخذه أصحاب الوصية الواجبة عن ثلث التركة ، وأن لا يكون المتوفـى قد أعطاه شيئا من التركة بدون عوض حال حياته .



مسلمو ليبيريا المنسيون

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان مترجما عن مجلة (باكستان الفتاة الاسبوعية) التى تصدر فى دكا عاصمة باكستان الشرقية جاء فيه :

لا نجد فى ليبيريا (١) الا عددا من المساجد المبعثرة فى أنحائها المختلفة ، واما فى العاصمة فلا يوجد الا مسجدان ، ولكنهما بالطبع لا يمكن أن يستوعبا كافة المصلين ، ولذلك نجد الكثيرين يؤدون صلاة الجمعة فى الشارع . وليس هناك فى ليبيريا أيضا دعوة منظمة للاسلام الحق ، وان كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق مبشروها ليعلموا بجد ونشاط فى أنحاء كثيرة من الدولة . ونجد أن المسلمين ، بسبب نقص التوجيه الاسلامى ، ليس لديهم الا فكرة ضحلة عن الاسلام ، ولذلك ، وبسبب حسن تنظيم البعثات التبشيرية النصرانية ، يسهل على المبشرين تضليلهم ، حتى اننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات فى كافة أنحاء غرب أفريقيا .

ونلاحظ أن رئيس جمهورية ليبيريا وكافة أعضاء الوزارة هناك هم من المسيحيين . وقد كان رئيس الجمهورية مبشرا محليا فى عدد من الكنائس ، قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية .

وأخيرا فان الاسلام فى ليبيريا يحتاج لكل مساعدة ممكنة ، من قبل مفكرى وأغنياء ومنظمات العالم الاسلامي . فعلى هؤلاء جميعا يقع واجب تعليم المسلمين فى ليبيريا ، وتقديم كل عون ممكن للقضية الاسلامية فى تلك الاماكن النائية ، والمنسية والمهملة من قبل المسلمين .

وهناك الكثير من الاعمال الطيبة التى يمكن القيام بها فى ليبيريا ، اذا ما أرسلت المساعدات الروحية والمادية ، واذا ما أرسل الشباب المخلصون النشيطون ، الذين لديهم الجرأة والجلد على التوغل فى مجاهل افريقيا ، ثم دعوة السكان الى هذا الدين العظيم ، الذى يناسب أكثر من أى نظام آخر حاجة الافريقيين .

وليس هناك هدية قيمة ، نقدمها لشعب افريقيا ، الذى أهين من قبل وعومل معاملة السائمة ، لمدة قرون طويلة ، أكثر قيمة من أخوة الاسلام الشاملة .

الصومال

من حديث أدلى به الحاج محمود عبد شيل سكرتير جمعية الصداقة الصومالية العربية أثناء زيارته للكويت لمندوب مجلة السياسة الكويتية :

كل المحاولات التي بذلت لفصل شعبنا عن منابعه الأصيلة ، وعن عروبته ودينه ، باءت بالفشل .. وأذكر لكم بعضا من هذه المحاولات التى أعتبرها انا امتدادا طبيعيا للحروب الصليبية التى انتهت بخروج الفرنجة من الأرض العربية المسلمة ، وتستمر الان فى بلادنا بدوافع انتقامية قديمة ضد ديننا الحنيف ، وضد عروبتنا .

الصوماليون يتحدثون العربية بلهجتهم الخاصة ، ونحن لا نؤمن بأن اللهجة الصومالية هى اللغة القومية للشعب الصومالى ، كلا ، ولكننا نعتبرها لهجة من لهجات العرب التى تتفاوت بين قطر عربى وقطر آخر ..

ولكن ثمة محاولات تبذل لتكريس اللهجة الصومالية كلغة رسمية قومية للبلاد ، وتكريس كتابتها بالاحرف اللاتينية ، والهدف من هذه المحاولة واضح بالطبع ، وهو القضاء على اللغة العربية فى الصومال ، والقضاء على الاحرف العربية ، وقطع الصلة بين الشعب الصومالى وبين لغة القرآن ، وهو الكتاب الذى لا يزال قلعتنا القوية التى تتحطم عند أسوارها المنيعة كل المحاولات العقيمة والمفسدة ..

---

(١) من دول غرب افريقيا على الساحل الجنوبي بين ساحل العاج وسيراليون وجنوب غينيا .

وجمعيتنا ، جمعية الصداقة الصومالية العربية ـ تدعو جهارا الى نبذ محاولة الكتابة بالحروف اللاتينية ، وتعتبر لهجة الصوماليين لهجة عربية محلية ، لا يجوز أن تحل بديلة للغة العربية الفصحى التى ندعو لتكريسها لغة رسمية للبلاد .

والعجيب أن كل الدول الاجنبية وبواسطة سفاراتها فى بلادنا تتفق فيما بينها على ضرورة سحق اللغة العربية وتدميرها ، وتكريس الصومال فى واقعه ، بلدا لا يمت للعرب بصلة ، ولا حتى للاسلام .

وتبذل هذه السفارات محاولاتها بواسطة الارساليات التبشيرية ، التى تنفق عليها ملايين الجنيهات فى كل افريقيا ، ورغم ذلك فان هذه الارساليات لم تفلح فى مهماتها التبشيرية ، ولم تفلح فى ابعاد الشعب الصومالى عن دينه ولغته ..

وهذه الدول رغم خلافاتها السياسية ، كروسيا وأميركا ، تتفق كما قلت لكم على ديننا ، وعلى لغتنا ، ولا تزال تواصل جهودها العقيمة فى هذا السبيل ، وهى جهود نعرفها جيدا ، أو نعرف كيف نقاومها ونتصدى لها .

يعيش فى كنف الله

نشرت صحيفة الاهرام تحت هذا العنوان حديثا لاحد محرريها مع راقص باليه انجليزى يعمل استاذا فى الازهر نورده فيما يلى :

وحده مع الله : يعيش فى شقة جميلة تطل على نيل الجيزة يعبد الله فى خشوع . يحاول فى صعوبة أن يقرأ بعضا من آيات المصحف الشريف بعد أن آثر صحبة الله على حياة اللهو والسهر والاضواء والرقص . بل ونسى كل شىء يتعلق بها . نسى رقص الباليه الذى كان واحدا من أبطاله فى بريطانيا . نسى أدواره فى أفلام (انا كارنينا) و (الحصان العجيب) و (سقوط الصنم) و (اتنائيو) و (قبلينى ياكيت) وغيرها . نسى تصفيق الجماهير واعجابها به ، وهو يلعب على مسارح لندن أشهر مسرحيات شكسبير . وقنع ب (٥٠ جنيها) هى كل راتبه من جامعة الازهر ووزارة الاوقاف يدفع منها ٣٠ جنيها ايجار شقته المفروشة فى حين كان دخله يصل الى ألف جنيه شهريا !

واقطع على (روبرت ارثر ولزلى) ـ ٤٠ سنة ـ خلوته بعد أن شدتنى قصته الى لقائه . وأصحبه فى جولة يقول لى خلالها لقد كنت شغوفا بحب الله منذ الصغر . ولكننى لم أستطع انماء هذا الحب حتى سقطت طريح الفراش من كثرة العمل والسهر والشراب ، حيث أتيحت لى فرصة القراءة فى الكتب الدينية التى كان لها فعل السحر فى استرداد صحتى . كما أيقظت فى نفسى حب الله وضرورة السعى اليه . وخرجت من المستشفى بعد عامين ، وقد صممت على البحث عن الحقيقة .. عن اليقين .. عن الله . وتركت لندن وقصدت الشرق ـ مهبط الوحى والرسالات ـ وتنقلت بين الهند وباكستان وانضممت الى أحد معابد البوذيين ثم دخلت الدير .. لكننى لم أجد فيهما اليقين ! حينئذ عكفت فى مكان بعيد عن الناس اسأل الله أن يهدينى الصواب .

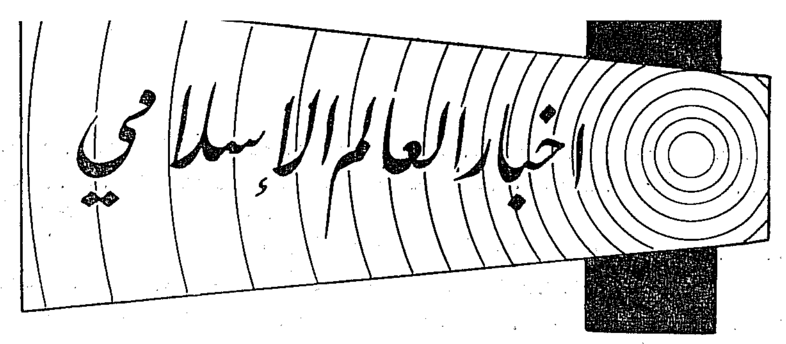
وذات ليلة رأيت فى المنام أنى أسير ليلا مع ثلاث رفاق فى الصحراء يركب كل واحد منا جوادا . وكاد يلفنا التيه ، لولا أن رأينا رجلين عربيين يستظلان تحت ظل صخرة سألناهما عن قائدهما ، فأجابا (محمد) واستيقظت وأنا لا أفتأ اكرر (الله .. محمد) وعلى الفور اعلنت اسلامى فى (مدراس) على يد الشيخ احمد الشرقاوى مبعوث الازهر فى الهند .

يقول ـ عبد الرشيد الانصارى ـ وهو اسمه الجديد ـ . وعدت الى لندن بعد اسلامى ، ودعوت أهلى الى الاسلام ، فأسلمت أمى : ورفضت زوجتى ، وقاطعنى اخوتى !

وتركتهم وجئت الى مصر ـ بلد الازهر الشريف ـ حيث أحسن الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر والاستاذ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر لقائي ، وأسندا الى العمل مدرسا فى كلية هندسة الأزهر .

واسأله عن قدراته فى غير الرقص والتمثيل ؟ فأعرف انه شاعر مجيد له مجموعة قصائد فى حب الله والجمال تشف رقة وعذوبة . كما أنه رسام له لوحات غاية فى الدقة والتعبير .

وتركت الشاب المسلم الفنان ، وأنا لا أستطيع أن اخفى سؤالى له (هل تؤرقه الوحدة بعد فراق الاهل والاصدقاء ؟) ويرد عبد الرشيد الانصارى : لا يعرف الوحدة انسان يعيش فى كنف الله ! ...



الكويت

● استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم معالي وزير التربية وبرفقته مستشار التعليم العالي وأمين عام الجامعة والاساتذة المعارون لجامعة الكـويت وذلك بمناسبة بدء العمل فى الجامعة للاعداد للعام الدراسي الجديد .

● أعلن صاحب السعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزيـر المالية والنفط بالوكالة فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الأمم المتحدة أن الكـويت تعتبر قضية فلسطين جزءا من مصير الأمة العربية كلها ومن قضاياها الوطنية وهي لذلك تعطى تأييدها القلبى لحركة التحرير وتقف الى جانب شعب فلسطين فى كفاحه المقدس من أجل تحرير بلاده من الاستعمار الصهيونى .

● ألقى صاحب السعادة السيد سعود العبد العزيز العبد الرزاق رئيس مجلس الأمة ورئيس وفد الشعبة البرلمانية الكويتية فى المؤتمر السنوى للاتحاد البرلمانى الدولي الذى انعقد فى طهران خطابا مستفيضا ناشد فيه الضمير العالمى سرعة العمل على ايجاد حل عادل لقضية فلسطين قبل أن يترجم الحقد الى عمل جبار يدفع بالعرب الى خوض المعركة بكافة أبعادها من أجل استرداد الارض المقدسة والوطن السليب .

● صرح معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بأن الوزارة سترصد خلال هذا العام مخصصات جديدة لانشاء عدد من المساجد .

● تعتزم وزارة التربية زيادة عدد الطلاب العرب الذين يدرسون فى الكويت فى العام القـــادم .

● عقدت لجنة المعونات الاسلامية اجتماعا درست فيه الطلبـــات التى وردت اليها من مختلف البلاد لمساعدة الهيئات والجمعيات الخيرية فى بناء مســاجد ونشـر الدعوة الاســلامية .

● تبرعت الحكومة بخمسين ألف دينار لانشاء كلية للبنات فى الجمهورية السودانية .

● طلبت السفارة الكويتية فى السودان تزويدها بأعداد كافية من مجلة الوعي الاسلامي تحقيقا لرغبة كثير من المسئولين السودانيين .

● حضر مؤتمر علماء المسلمين الثالث الذى عقد فى القاهرة فى آخر الشهر الماضي كل من الشيخ راشد الفرحان والشيخ على الجسار .

● قبل فى امتحان القبول فى معهد الامامة والخطابة ٥٠ طالبا من ١٠٠ طالب تقدموا للمعهـــد .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لانشاء مبنى مستقل للمركز الاقليمى فى بيروت لتدريب كبار موظفى التعليم فى الدول العربية .

القاهرة

● عاد الرئيس جمال عبد الناصر من تنزانيا بعد زيارة رسمية استغرقت ستة أيـــام .

● انعقد المؤتمر الثالث لعلماء المسلمين الذى ينظمه المجمـع الأعلى للبحـوث

الاسلامية بالأزهر فى القاهر وقد ضم المؤتمر أكثر من مائة من كبار علماء المسلمين الذين يمثلون (٤٢ دولة اسلامية) برياسة فضيلة الامام شيخ الجامع الأزهر والجدير بالذكر أن جميع المذاهب الاسلامية المختلفة ممثلة فى هذا المؤتمر . وقد ناقش الجميع ٢٠ بحثا مختلفة حول الاسلام والحياة .

● استضاف صوت العرب علماء المسلمين الذين اشتركوا فى المؤتمر فتحدثوا عن حياتهم وآرائهم وأفكارهم . تذاع الحلقات هذه الايام كما سجل لهم تسجيلات خاصة برمضان القادم تذاع خلال أيامه .

● أهدى المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية الى الجمعيات والهيئات والمدارس الاسلامية بتنزانيا مكتبة اسلامية ضخمة .

● أصبح عدد الكراسى الشاغرة فى المجمع اللغوى سبعة بعد وفاة المغفور له الاستاذ على عبد الرازق وسيعلن المجمع قريبا عن خلوها وفتح باب الترشيح فيها أمام الراغبين .

● قررت جامعة الأزهر اعتبار (شهادة المولوى عالم) من الباقيات الصالحات وهى المسماة بالكلية العربية بالهند معادلة لشهادة النقل الى السنة الثالثة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

● قرر مجلس جامعة الأزهر قبول جميع الطلبة الوافدين من الدول الاسلامية والناجحين فى الشهادة الثانوية فى الكليات دون التقيد بمجموع الدرجات .

السعودية

● **عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام برحلة استغرقت أربعة أسابيع زار خلالها تركيا والمغرب وغينيا ومالي وتونس .**

● ستفتح فى العام الدراسي الحالي كلية للتربية بالرياض لاعداد المدرس فى المرحلتين الثانوية والمتوسطة

أخبار متفرقة

● قرر وزير التربية العراقي تشكيل لجنة لدراسة موضوع توحيد أسس المناهج فى التعليم المهني والفني فى البلاد العربية .

● قرر مؤتمر المهندسين العرب العاشر القيام بوضع تخطيط تنظيمي هندسي لمدينة القدس يحافظ على طابعها العربي .

● كون أبناء نيجيريا المتخرجون من جامعة الأزهر فى بلادهم جمعية الغرض منها فتح مدارس لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي لأبناء نيجيريا .

قال أحد المسئولين الأمريكيين ان المسلمين الزنوج بدأوا يشكلون خطرا على الولايات المتحدة بعد أن زاد عددهم عن الاربعة ملايين .

قاطع وزراء الخارجية العرب وسفراء الدول العربية حفل الاستقبال الذي أقامه رئيس بلدية نيويورك للوفود التي حضرت اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وذلك احتجاجا على الغاء رئيس البلدية الحفل الذي كان مقررا اقامته للعاهل السعودي أثناء زيارته للولايات المتحدة فى يونيو الماضي .

وأعلن ناطق باكستاني أن وفد بلاده سحب قبوله للدعوة التي وجهت اليه لحضور حفل الاستقبال تضامنا مع الدول العربية .

مكتبة المجلة

لطفي السيد فيلسوف أيقظ أمة

كتاب من تأليف الأستاذ عبد العزيز شرف يقع فى ٦٤ صفحة ويتناول حياة أستاذ الجيل المرحوم لطفي السيد وقد قامت بطبع الكتاب مطبعة الشرق بالسنبلاوين بالجمهورية العربية المتحدة.

الانسان بين الجبر والاختيار

رسالة موجزة عن قضية اختلفت فيها المذاهب والآراء استخلص فيها مؤلفها الأستاذ محمد سلامة جبر خلاصة الآراء وأصحها ، والرسالة تقع فى ٤٠ صفحة من طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .

الاسلام والأسرة

عناية الاسلام بالأسرة حقيقة انفرد بها بين الشرائع كلها فالاسلام ولا شك دين الحياة يعالج مشكلاتها التي تتصل بالأحياء أنفسهم وبما حولهم مما خلقه الله من أجلهم .

واهتمام الاسلام بالأسرة والزواج وصلة الرحم والابناء والتبنى والتربية الجنسية كل هذه الأبواب اشتمل عليها كتاب الاسلام والأسرة الذى ألفه الأستاذ معوض عوض ابراهيم مبعوث الأزهر الى الأردن فى ١٦٠ صفحة وطبعته دار النشر للجامعيين ضمن سلسلة الثقافة الاسلامية .

الهجرة النبوية

بقلم الأستاذ سامى سيد طه وهو كتاب يتناول موضوع الهجرة كوحدة متكاملة مركزا الأضواء عليها مبينا أثرها فى الدعوة الاسلامية ويقع الكتاب فى ٨٢ صفحة وقامت بطبعه دار يوليوبالقاهرة.

بطولات الجزائريين الخالدة

كتاب غنى بمادته وتحقيقاته ومعلوماته التاريخية وقد عرض فيه مؤلفه الأستاذ احسان النمر فصولا ضافية عن تاريخ المغرب العربي وفتوحات العرب فيه وعن الأندلس وضياعها وطبع بالمطبعة العصرية بنابلس فى ٦٤ صفحة .

ثورة فى عالم الفلسفة

بحث يحل معضلة العقيدة حلا نهائيا بأدلة مادية محسوسة ويقدم مفتاح مشكلات الحياة ، وهو من تأليف الأستاذ حميد حسن الخالصى المدرس فى متوسطة الكاظمية والبحث جمع فى كتاب تحت عنوان ثورة فى عالم الفلسفة ، وطبعته مطبعة الأزهر ببغداد فى ١٦٠ صفحة .

فتح البديع — فى مدح الشفيع

قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى برهان مرسى شاكر الطنطاوى مشروحة بقلم الأستاذ حسين شاكر صاحب جريدة البشرى والقصيدة تعتبر درة فى بلاغة الشعر وسمو المعانى وقد نظمها مؤلفها فى نيف ومائتين وخمسين بيتا على نسق البردة فجاءت فيضا من الايمان الصحيح وثمرة من الأدب الرفيع تقرأ فيها تاريخا رائعا لشخصية الرسول من مولده عليه الصلاة والسلام الى نشأته وبيئته واسرائه وهجرته ثم انتشار دعوته النبوية ، والقصيدة مطبوعة فى كتاب يقع فى أربعين صفحة طبعته مطبعة الشبكشى بالأزهر بالقاهرة .

سر انحلال الامة العربية ووهن المسلمين

كتاب من تاليف المغفور له السيد محمد سعيد العرفي أبرز فيه مؤلفه الكيان العربي ورسم الصورة الصحيحة للشخصية العربية الاسلامية وعالج أوضاع الأمة العربية الاسلامية فشخص أمراضها ووصف لها الدواء بأسلوب سهل ، ويعد هذا الكتاب مرجعا هاما فى الأمور الدينية والتاريخية وهو من الكتب التي كان لها أثر فى الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، والكتاب فى ٣٦٨ صفحة وطبعته مطبعة عبد الله الملاح شارع النصر — دمشق — سوريا .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامـر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات منـا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب ٨٤٢

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

عمـان : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

القـدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ص ب ١٥٥ ـ الخرطـوم

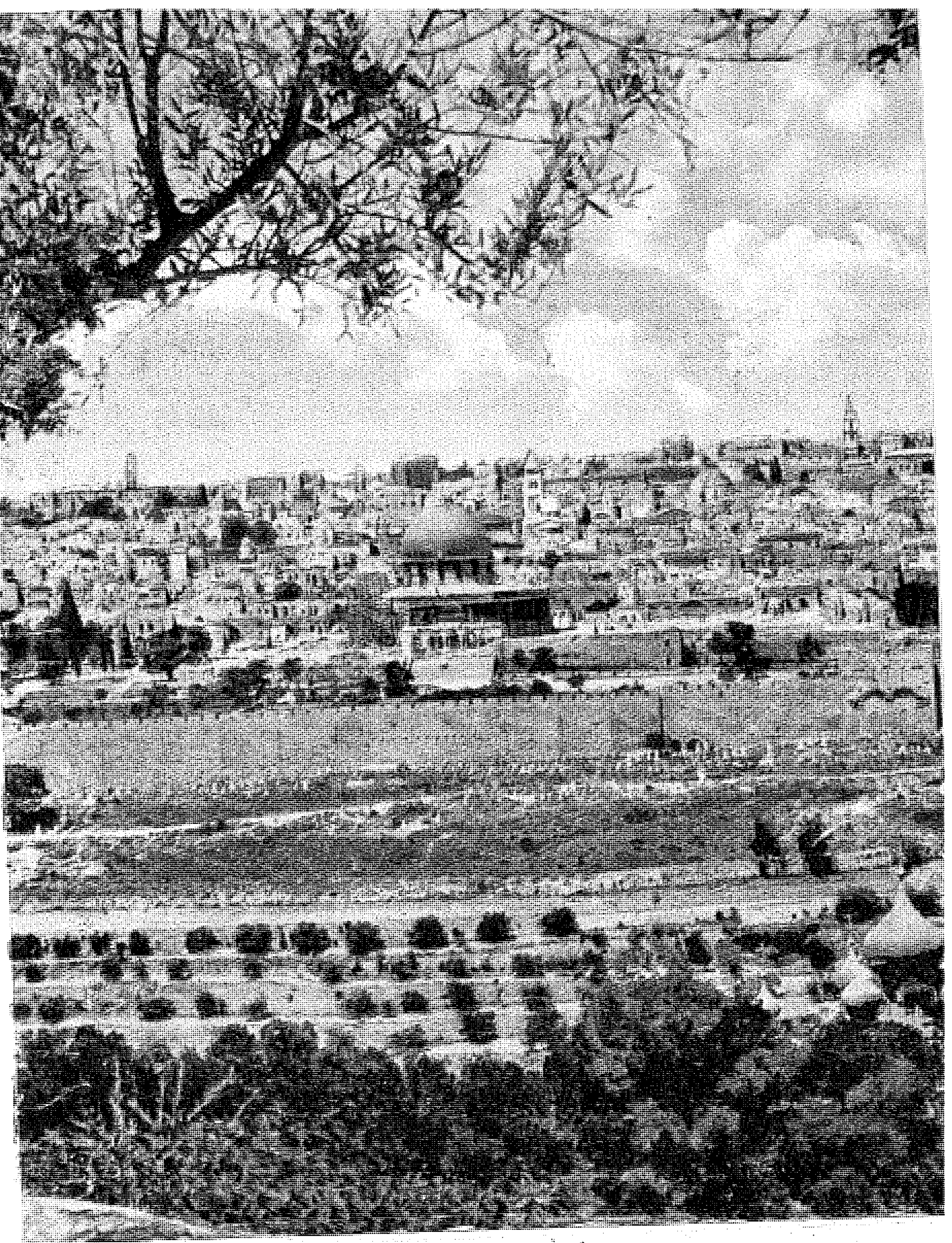
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

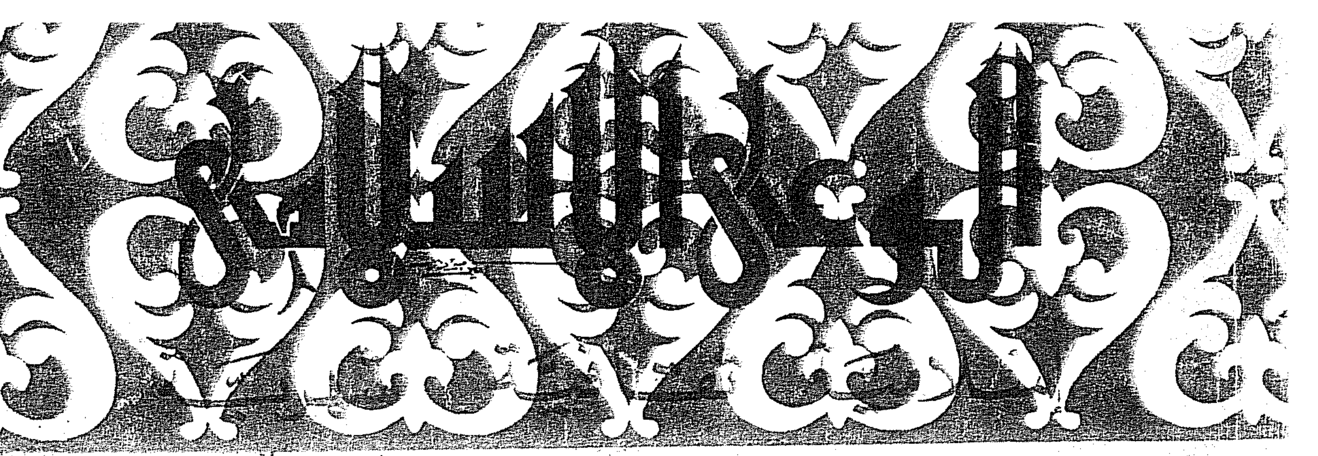
الكـويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شار فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر عام لمدينة القدس تتوسطها قبة الصخرة المشرفة

مطبعة حكومة الكويت



السنة الثانية * العدد العشرون * شعبان ١٣٨٦ هـ * نوفمبر ١٩٦٦ م



اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد العشرون ـ السنة الثانية
غرة شعبان سنة ١٣٨٦ هـ
١٤ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

صورة الغلاف



الجامع الأموى ـ دمشق
الواجهة الشمالية المطلة على الساحة وتظهر فى الصورة . القبة المعروفة بقبة النسر .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط
فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨



تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم صباح السبت ١٥ من رجب سنة ١٣٨٦ هـ ـ الموافق ٦٦/١٠/٢٩ بافتتاح دور الانعقاد العادى الخامس التكميلى للفصل التشريعى الاول لمجلس الامة .

وقد افتتح سموه هذه الدورة بهذا التوجيه الابوى الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

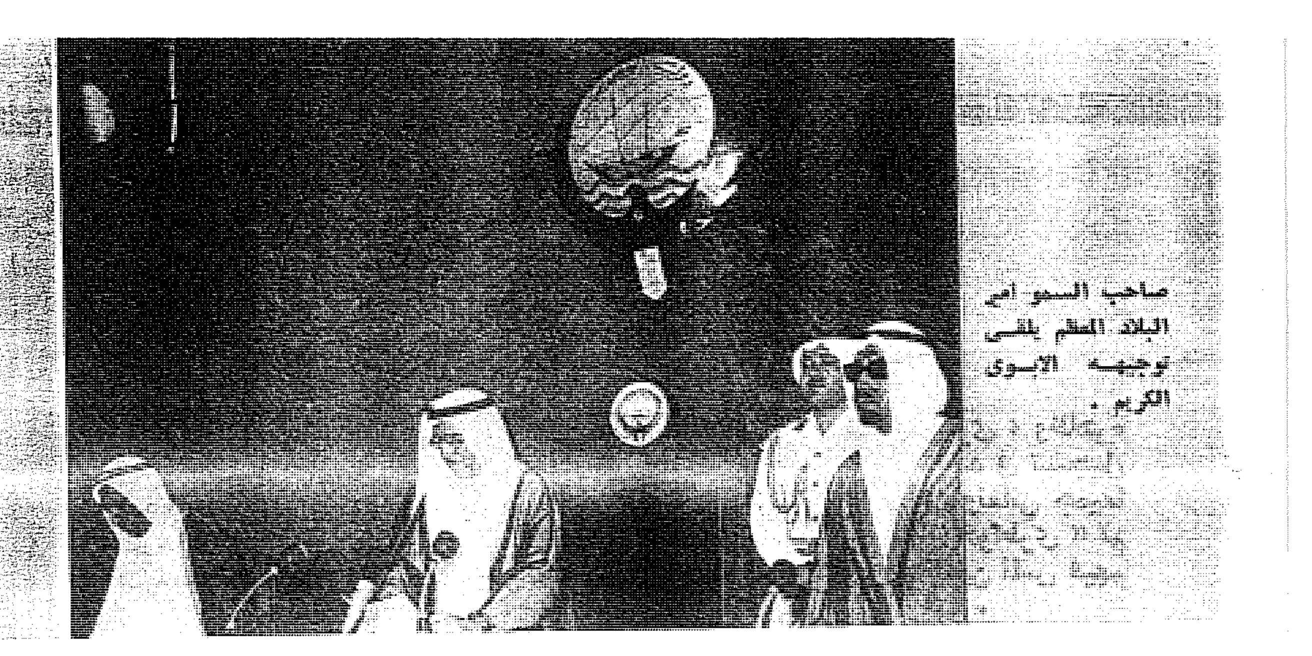
أبنائي أعضاء مجلس الأمة ،

أحييكم أجمل تحية ، ويطيب لى أن أفتتح هذه الدورة التكميلية للفصل التشريعى الأول للمجلس ، منتهزا هذه المناسبة السعيدة لأؤكد من جديد عزمنا الثابت ـ متعاونين مع السلطات الدستورية ـ على المضى قدما بكويتنا الحبيب فى مدارج العزة والازدهار بلا تردد أو توقف .

ان ما لقيته خلال الأشهر الماضية من ولاء ومحبة واخلاص فى العديد من المناسبات لمما يضاعف من عزيمتى على التفانى فى خدمة هذا الوطن العزيز ، والبذل السمح لبلوغ أهدافه وغاياته باذن الله تعالى ومشيئته .

اننا نعيش الآن فى بلادنا نهضة شاملة لم يسبق لها مثيل ، لها أثرها النابض وفعاليتها المثمرة فى جميع مجالاتنا . ومع ذلك فما زال أمامنا الكثير من الانجازات والاصلاحات التى تتطلب منا جميعا مزيدا من البذل ، ومزيدا من الجهود ، لبلوغ أهدافنا وتحقيق تطلعاتنا الى آفاق أوسع وحياة أفضل .

اننا نعيش كذلك فى عصر تتصارع فيه العقائد السياسية والاجتماعية بقسوة وقوة ، وانى لأحمد الله ، أن لدينا فى بلدنا من الدراية والوعى ما جعلنا ندرك أين مكاننا الصحيح من هذا الصراع العقائدى الذى لا يعين الانسانية على حل مشاكلها العديدة.



صاحب السمو امير البلاد المعظم يلقي توجيهه الابوي الكريم .

انا نؤمن بأن الحكم تكليف لا تشريف وبأن السلطتين التنفيذية والتشريعية ما وجدتا الا لخدمة الشعب ، والسهر على راحته لا للسيطرة عليه .

انا نؤمن بأننا فى هذا البلد الامين أسرة كبيرة واحدة ، سر نجاحها حتى الآن فى التضامن والتعاطف بين جميع أفرادها فى السراء والضراء . ومن أجل ذلك فانى جد حريص على تماسك هذه الاسرة الكبيرة التى أعتبر مصيرها ومستقبلها أمانة فى عنقى .

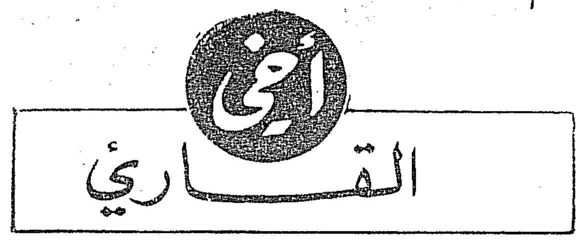
انا نؤمن بأن تشريعاتنا المتطورة يجب ألا تكون منقطعة الصلة بماضينا ، والخير من تقاليدنا . وبأن الثروات الطبيعية التى أفاء الله بها علينا ، يجب أن تستغل استغلالا علميا كاملا ، لصالح الجميع لا لصالح فئة دون أخرى .

انا نؤمن بالله ورسله وبمبادىء ديننا الحنيف التي تحضنا على البر والتقوى ، لا على الشر والعدوان .

هذه هي مبادئنا التي ندين بها والمستوحاة من واقعنا . وانى لعلى يقين من أننا بتماسكنا وتعاضدنا وانصرافنا للعمل الجاد البناء الذى لا يشغلنا عنه شاغل ، نكون قد ضربنا لغيرنا مثلا حيا يشار اليه ويحتذى به .

وفقنا الله لتحقيق ما تصبو اليه نفوسنا من آمال كبار ، وسدد على طريق العمل الصالح خطانا ، والله يحفظكم ويرعاكم .

« والوعى الاسلامى » التى تعبر عن اعتزاز الكويت بدينها وثقافتها الاسلامية الاصيلة تعتز بما جاء فى كلمة صاحب السمو من الاشادة بمبادئنا الاسلامية والحرص على تدعيمها واقامة النهضة الحديثة على هديها .



منذ شهور عديدة وأنا أريد أن أتحدث معك هنا فى موضوع حيوى ، وظاهرة خطيرة فى مجتمعاتنا ، تحز فى نفسي ونفس كل غيور ، ولكني كنت أتردد فى تسجيل هذه الظاهرة أو اثارتها برغم أنها ملموسة تشغلك ، وتشغل كل مسلم ، ونعاني جميعا آثارها ومرارتها .. حتى كان العدد الأسبق فلمستها لمسا خفيفا فى ((خواطرى)) ثم أصبحت تشغلني ، وتأخذ علي جل تفكيري ، وأتحدث فيها كثيرا مع الذين ألمس فيهم العناية بالتيارات والمظاهر السيئة التي تغشى مجتمعنا وتفعل فعلها فيه .

ولعل سبب ذلك هو ما انفعلت به نفسي فى زيارتي الأخيرة لبعض أجزاء من وطننا العربي ، واتصالي بالكثير من المثقفين وغير المثقفين ، مما أتاح لي الوقوف على كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ، مما يشبه أن يكون اكتمالا لتكوين الصورة العامة فى نفسي .. حتى جلست أكتب هذا وأمامي شريط طويل من دراساتي ومشاهداتي فى البلاد العربية وفى البلاد الاسلامية الأخرى التي زرتها ، أو عرفت الكثير عن أحوالها ...

ولكل انسان منا فى نفسه ((ترومتر)) أو مرصد حساس يسجل ـ أكثر ما يسجل ـ الناحية التي يهتم بها ، وتعنيه أكثر من غيرها ..

ومنذ زمن بعيد ومرصدى يشغلني بتتبع أحوال المسلمين ونهضتهم الحديثة فيما أقرأ أو أسمع أو أشاهد .. حتى لأبيت الليل مسهدا لظاهرة لاحظتها،أو خبر سمعته .

ويزيد فى تكبير الصورة وآثارها فى نفسي ما عرفته من دراستي للاسلام وكفالته النهضة والقوة لأتباعه ، وما أراه ، وأعرفه من مظاهر التخلف التي تغشاهم .. والتي لم تعد نفوس المعنيين منا بشئونهم تحتمل بقاء هذه المظاهر التي سادت عهودنا السابقة ، بل تجد فيها منافاة لديننا ، ومجافاة لنهضتنا ، ومعوقا لتقدمنا ..

فلماذا نرى مظاهر التخلف والكسل هذه تغشى المسلمين أكثر من غيرهم الآن . وقد كانوا يمثلون فى عصر من العصور كل مظاهر القوة والتقدم والنشاط ؟؟ .

لماذا نرى المسلمين متخلفين عن غيرهم ، وقد يكونون جميعا ـ المسلمون وغيرهم ـ نبت بلد واحد ، وأبناء بيئة مشتركة ؟ .

لماذا يحسن غير المسلمين الاقبال على اجادة الحياة واستغلال مقدراتها لصالحهم ؟

كنا ولا زلنا نرى الأجنبى يأتى من الغرب فقيرا ، فاذا به بعد مدة يستولى على أموال المسلمين وأملاكهم ويصبح مليونيرا ! .

ودعنا من هذا الأجنبى فاننا لا نريد أن نقتصر عليه فى ميدان المقارنة ، ولندخل الى أبناء البلد الواحد ..

كنت أثناء جولاتي فى الهند أذهب الى بلد أكثريتها مسلمون ، وأزور مدارسها التي أنشأتها الأكثرية المسلمة ، وأعمد الى الوقوف على احصائية للطلاب ومذاهبهم ، فاذا بالأكثرية منهم غير مسلمين ! ! ! وأسأل عن التجارة ومن يسيطر عليها ؟ فاذا بهم غير مسلمين ! ! .

وفى بعض بلادنا العربية نجد أحيانا مناظر حسنة ،ومرافق مريحة متقنة الصنع والاخراج ، تجذب النفوس اليها ، لتوفر عوامل الراحة الجسمية والمتعة النفسية فيها، ونجد مناطق أو مناظر أخرى ، مهملة الاستغلال ، ومن الممكن بجهد قليل ، وبشىء من التنسيق والذوق والانفاق أن تكون متعة ، بل وأكثر من غيرها متعة وراحة وكسبا ماديا .. وأسأل فأجد الأولى يستغلها غير المسلم . أما الثانية فمع الأسف ! ! ! .

وتذهب الى المتاجر والمرافق الأخرى فتجد الظاهرة نفسها ! ! ! .

لا أقول ان ذلك أمر مطرد ، ولكنه يكاد يكون ظاهرة عامة .

فلماذا ؟ ! ! .

ومن العجب أن الكثيرين منا يلمسون هذا كله ، ولكنهم يقفون عند هذا الحد ، وربما تجدهم يحوقلون ، وينعون على غيرهم ، دون أن تولد فيهم هذه الظاهرة المؤلمة روح الاقدام والعمل والتسابق ! ! .

وظاهرة خطيرة أخرى نشكو منها جميعا ، وتعمل عملها الفتاك فى تعويقنا ووأد المواهب والكفاءات فينا .. ولكننا مع ذلك نكاد نشارك جميعا — من قريب أو بعيد — فى صنعها ..

تلك هى ظاهـرة الحقد على الناجحين منا فى حياتهـم ، ومحاولة تحطيمهم ، واستغلال أساليب غير شريفة لهدمهم ..

ينهض واحد منا بكده وعزمه ومواهبه واسـتعداداته ، فـلا يلبث أن يظهر فى مجتمعه ، ويأخذ دوره المناسب لكفاءته وجهوده ، حتى تتناوله الألسنة ، وتشرع أسنتها المسمومة للنيل منه والتهوين من شأنه ، وتحاك حوله الدسائس و « المقالب » للقضاء عليه ، ولا سيما من بيئته التي ظهر بينها ، ومن الفاشلين فيها بشكل أوضح ! !

لماذا لا يساندونه ، ويشجعونه ، حتى يجنى هو ثمرة كفاحه ، ويجنى مجتمعه معه ثمرة هذا الكفاح ؟ .

لماذا لا ينافسونه منافسة شريفة ، ويتسابقون معه تسابقا بريئا ، ليستفيدوا جميعا ، وتستفيد أمتهم من هذا التنافس الشريف ؟ ! .

واذا لم يستطيعوا فلماذا لا يتركونه يشق طريقه بعرقه ودموعه ، ويقطف ثمرة جهوده ، ويفيد من حوله بماله وعلمه وكفاءته ويكون قدوة حسنة ، ومثلا طيبا حافزا لغيره ؟ ! .

لماذا لا نترك الطائر يطير ، بدلا من أن نرميه بالحجارة ، ونثخنه بالجراح ونحن قعود ؟ ! ! .

ظاهرتان خطيرتان فى مجتمعاتنا ، وقد يكون لاحداهما بعض الصلة بالأخرى . نشكو منهما مر الشكوى ونتحدث عنهما كثيرا فى مجالسنا .

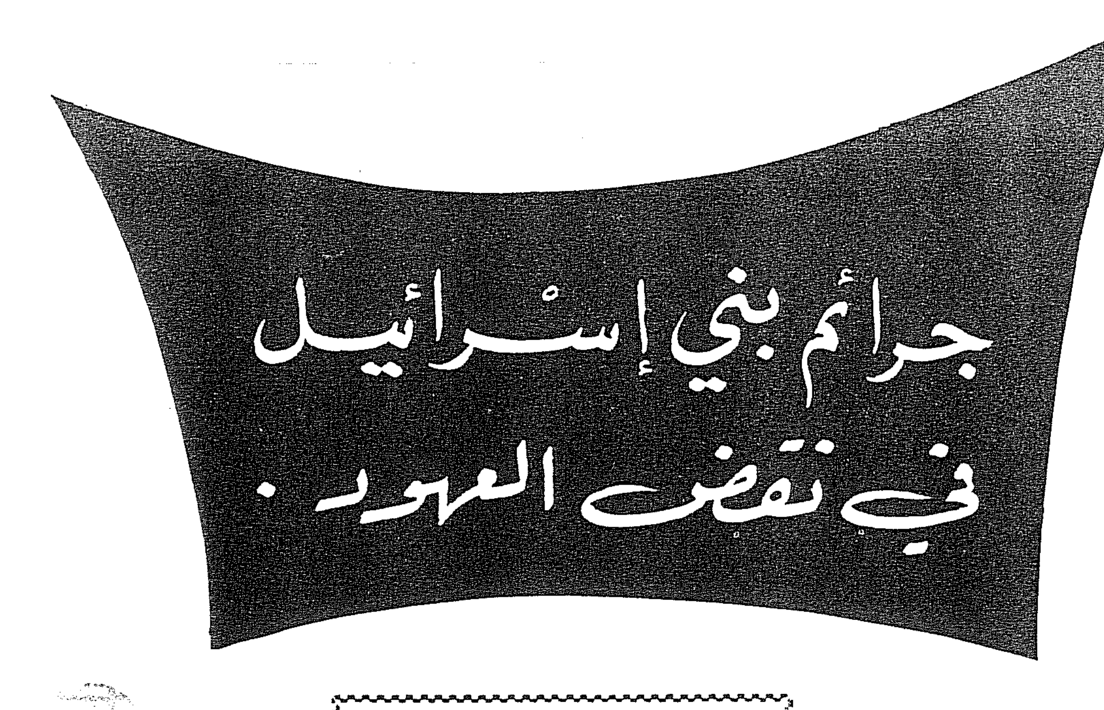
فالى متى يظلان حديثا يروى بيننا ، ويثير فينا الشكوى والأنين ؟ .

الى متى نترك (الميكروب) يسرى ويفتك بالأمة دون أن نحاصره ، ونقضى عليه ؟ ما سبب ذلك ؟ ما علاجه كيف نتخلص منه ؟ .

ذلك هو ما أريد الوقوف عنده ، واثارة حمية المخلصين المعنيين بمصير هذه الأمة ليكتبوا فيه ، ويشنوا من أجله حملة عملية واعلامية معا ، لتطهير أمتنا من أمراضها حتى تنطلق فى الطريق الذى أراده لها الله ، وتؤدى دورها بجدارة فى هذه الحياة .

والله مع العاملين .

رئيس التحرير



للشيخ / عبد الجليل عيسى

ذكرنا فى عدد سابق ست جرائم لهذه الأمة ، وبما أن جرائمهم تعجز من يحاول حصرها ، وقد جاءت موزعةعلى سور من القرآن ، بلغت نحو ثلث سوره الاربع عشر ، بعد المائة ، وهذا مالم يحصل لأمة غيرها ، كما جاءت متفرقة فى آيات كثيرة ، بصور شتى ، وعلى وجوه مختلفة ، كما هي سنة الله فى معالجة أمراض النفوس ، تارة فى صورةأوامر ،وأخرى فى صورة نواه ، وتارة بالترغيب ، وأخرى بالترهيب .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده . لاحظ بعض البلغاء والمفسرين ، أن القرآن يطنب ، ويبدىء ويعيد ، فى أحوال اليهود خاصة ، دون غيرهم من الأمم ، على قلتهم ، وكثرة تلك الأمم ، وسبب ذلك أن أذهانهم شحنت بما يظنونه علما ، واعتزوا بذلك ، فأبعدهم هذا الغرور عن وصول نور الحق الى قلوبهم ، فلم يستفيدوا من كتابهم ، قال تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها (١) كمثل الحمار يحمل أسفارا (آية ٥ من سورة الجمعة) ، فهذا الذى فى رؤوسهم هو الجهل المركب ، الذى تتعسر ازالته ، بخلاف غيرهم من الأمم ، فانه سلك معهم طريق الايجاز .

---

(١) أى لم يعملوا بها .

نقول : بما أن جرائمهم بهذه الكثرة ، نستكتفى بأشد مخالفتهم غرزا ، وأبشعها جرأة على ربهم . قص علينا القرآن ان الله أخذ عليهم العهد والميثاق الشديد ، بأن يعملوا أشياء ويبتعدوا عن أشياء ، فنقضوا العهد فى الجميع . وسترى فى هذا المقال جرائمهم فى هذا الموضوع مضمومة الى ما تقدم .

٧ ــ أخذ عليهم العهد المشدد ، أن لا يعبدوا الا الله ، وأن يحسنوا للوالدين ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين من اخوانهم بنى الانسان مهما كانوا ، وأن يقولوا للناس ، كل الناس ، لا اليهود فقط ، القول الحسن ، المشعر بعطف الأخوة الانسانية ، لا عجرفة فيه ، ولا تعاظم ، وأن يقيموا الصلاة ، وأن يؤتوا الزكاة المفروضة ، فماذا كان منهم بعد كل هذه الأوامر الالهية ، التي كلها مبعث خير وسعادة لهم فى الدنيا والآخرة ، لو كانوا يعقلون ؟ .

كان منهم أن أعطوا هذه الارشادات ظهورهم ، وهم معرضون عنها بقلوبهم ، سوى أفراد قليلين منهم ، فتعالوا على الناس ، وقالوا : (نحن شعب الله المختار) ، الى آخر فظاظتهم ، ولو فعلوا ما أمروا به في هذه الآية ، لعاشوا مع خلق الله اخوانا ، ولما وقعوا فى هذا الشقاء ، الذى أركسهم فى كراهية تلك الأمم ، التي ابتليت بهم ، حتى مزقهم الله طوائف مبعثرة فى الأرض مشتتين ، قال تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما .. الخ » آية ١٦٨ من سورة الأعراف ، اقرأ فى كل ذلك قوله تعالى « واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون » آية (٨٣) من سورة البقرة .

٨ ــ بعد ما أخذ عليهم سبحانه فى الآية السابقة ، العهد بأمور يجب الوفاء بها ، أخذ عليهم العهد أيضا بوجوب الامتناع عن أمور ضارة بهم ، فنهاهم عن ان يقتل بعضهم بعضا ظلما ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم . وسجل عليهم أنهم جميعا أقروا هذا العهد ، وأنهم يعلمون أن عهد الله جاء فى التوراة ، ثم سجل عليهم سبحانه بعد ذلك ، أنهم لم ينتهوا عما نهاهم عنه ، بل قتل بعضهم بعضا ، وأخرج بعضهم بعضا من داره ، وكانوا يتعاونون على الشر ، وعلى كل معصية فيها اضرار ببنى جنسهم ، ومن ذلك التعدى والظلم .

ولا عجب ، فالحسد متأصل فى هذه الشرذمة ، من يوم أن تكونت خليتهم الأولى . أليس آباؤهم هم الذين هموا بقتل أخيهم يوسف ،وهو لا زال طفلا صغيرا يلعب ؟ لعمر الحق ، لا يقدم على ذلك الا كل قلب قد من حجر ، أو أشد قسوة من الحجر ، وهذا التحاسد فيما بينهم ، سجله القرآن عليهم فى بوادر تبرز منهم بين الحين والحين ، من ذلك حسدهم لرجل عظيم منهم ، بالاعتراض على اختيار الله له ملكا عليهم ، قال تعالى فى ذلك : « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » آية (٢٤٧) من سورة البقرة .

وأخيرا ، حقت عليهم نقمة الله بتخليد العداوة بينهم فى دخيلة قلوبهم ، فقال سبحانه فيهم : « وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة » آية (٦٤) من سورة المائدة ، وقال تعالى : فى نقضهم العهد . « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا

منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم » فى آيتى (٨٤ و ٨٥) من سورة البقرة .

٩ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد ورفع الطور فوقهم ، لأن مشاهدة مظاهر القدرة الالهية ، بصورة تزعجهم ، تحمل أقسى القلوب على الخضوع التام ، لمن بيده الضر والنفع ، ففى هذا الحال أمرهم سبحانه أن يتلقوا كتاب ربهم بجد ونشاط ، وأن يكونوا دائما على ذكر بما فيه ، وبهذا ترجى لهم النجاة ، من كل ما فيه خطر عليهم ، فماذا كان منهم ؟ كان منهم أن أعرضوا ولم يمتثلوا ، اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك .. الخ » (٦٣ و ٦٤) من سورة البقرة . وقال الله لهم : انى معكم ، أراقب تصرفاتكم ، وأحاسبكم عليها ، أخذ عليهم هذا العهد .

١٠ ــ أخذ عليهم سبحانه العهد المشدد أيضا ، مع أخذ الكتاب بقوة أيضا ، بأن يسمعوا ما فيه سماع قبول ، يستتبع عملا ، لا مجرد حفظ ، فماذا كان منهم بعد ذلك ؟ كان أن أعلنوا أنهم سمعوه كما ينبغى ، ولكنهم لم يعملوا بما فيه فكانوا بهذا الطيش ، وسوء الأدب مع ربهم ، بمنزلة العبد الذى يقول له سيده : افعل كذا ، فيقول : سمعت كلامك ، ولكني عصيتك ، ولن أنفذه ، قال سبحانه فى ذلك : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا » آية (٩٣) من سورة البقرة .

١١ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد ، وبعث منهم اثنى عشر نقيبا ، قادة لهم ، وكفلاء عليهم بالوفاء بعهده وبأنهم اذا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة، وآمنوا بكل رسل الله ، وحموهم من أعدائهم : حتى لا ينالهم منهم سوء ، وأحسنوا الى كل محتاج ، يبتغون بذلك وجه الله ، ثم أقسم سبحانه أنهم ان فعلوا ذلك ليكفرن عنهم سيئاتهم، وليدخلنهم الجنة ثم هددهم بعد هذا الترغيب الواسع ، بأن من يجحد فضل الله عليه بعد ذلك ، فقد ضل الطريق المستقيم ، ومن ضل فجزاؤه العذاب الشديد ، قال فى ذلك سبحانه : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » آية (١٢) من سورة المائدة .

١٢ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد بأمر هام جدا ، يتعلق برسلهم ، الذين هم منهم ، واكتفى سبحانه هنا بالاشارة اليه بذكر جريمة نقضه ، لانهم لم ينقضوه فحسب ، بل مدوا أيديهم اليهم بالقتل ، كما يفعل بهم أشد الناس عداوة لرسل الله ، أما هذا العهد المشار اليه فهو ما جاء صريحا فى البند السابق ، آية (١٢) من سورة المائدة ، من الايمان بالرسل ،

وحمايتهم من أعدائهم ، قال سبحانه : « لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلاكلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » آية (٧٠) من سورة المائدة .

١٣ ـ اخذ سبحانه على علمائهم العهد على لسان انبيائهم ، واقسم عليهم أن يبينوا للناس الكتاب ـ الذى جاءهم من عند ربهم ، وفيه ما ينص على صدق خاتم الرسل ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سبحانه فى ايجاب البيان بالقسم عليهم ، بل أكده بالنهى عن كتمانه ، فماذا كان منهم ، بعد كل هذا التأكيد ؟ كان منهم ما جبلوا عليه ، فطرحوا العهد وراء ظهورهم ، وأهملوه ودأبوا على تحريف كتاب الله حسب أهوائهم ، وشهواتهم ، لينالوا حظا من متاع الدنيا .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده . قد كان لتأويلهم وتحريفهم أغراض كثيرة ، منها الخوف من الحكام اذا كانوا منحرفين عن تعاليم كتابهم ، ومنها : الرجاء فى نفع هؤلاء الحكام ، فيحرفون النصوص عن مواطنها بصرفها الى معان أخرى ، ليوافق الكتاب ما يريد الحاكم ، وبكل هذا يأمنون شرهم ، أو ينالون برهم ، ومنها . ارضاء العامة او الاغنياء منهم خاصة ، ليستفيدوا بذلك مالا ، أو جاها ، فى كل ذلك قال سبحانه : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » آية ١٨٧ من سورة آل عمران ، وقد قال سبحانه فى هذه الجريمة ، غير ما هنا . « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » آية ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ من سورة البقرة .

١٤ ـ أخذ سبحانه عليهم العهد على أن لا يقولوا على الله الا الحق ، فلا يقولوا أن الله لن يرسل رسولا الا من بنى اسرائيل ، ولا أنه سبحانه سيغفر لنا ذنوبنا مهما كانت ، ولا أنه أحل لنا أكل أموال غير بنى اسرائيل ، ((١)) الى آخر ما قالوا من هذه الاباطيل ، ومع أنهم درسوا ما فى هذا الكتاب وفهموا ما فيه ، وعلموا أنه ليس فيه شىء مما يقولون ، وأنه حرم عليهم أكل السحت ، مع كل ذلك فانهم لم يتركوا موبقة نهوا عنها الا ارتكبوها ، اقرأ قوله تعالى . ((فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)) آية (١٦٩) من سورة الاعراف .

ولا زال المجال متسعا لعرض جرائم هؤلاء التى لا تنتهى ولن تنتهى ..

---

(١) قال الله تعالى فى هذه الاشياء (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) آية ٧٥ من سورة آل عمران

من توجيهات الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

للشيخ/على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكبائر : الاشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين . ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قال : قول الزور »

رواه البخارى ومسلم

١ ـ من توجيهات الشريعة الاسلامية التى تجمع أصول ما حرم الله على عباده فى الأعمال والاقوال ، كما تشمل ما يقابلها من أصول البر والفضائل ما ورد متفرقا فى السنة الشريفة ، وفى كثير من سور القرآن الكريم . وما ورد فى السنة الشريفة ، نبه اليه الرسول الكريم فى مناسبات مختلفة ، كاجابة سائل ، أو توضيح الحكم فى حادثة معينة ، أو علاج أمر شائع بين الناس ، أو متوقع ظهوره فى مستقبل الايام ، وأساليب الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلم فى هذا التنبيه والتوجيه ، والحث والتحذير ـ متعددة متنوعة فتارة يبدأ الحديث بلفظ أبايعكم . كالحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فاخذ به فى الدنيا فهو كفارة وطهور ، ومن ستره الله فذلك الى الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء غفر له » وتارة يبدأ الحديث بلفظ اجتنبوا : كالحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ان

الرسول قال « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف وقذف الغافلات المؤمنات » وحينما يبدأ الحديث بلفظ «ألا» كقوله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس ، وقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى ، ومن امثلة ما حذر الرسول أمته منه مما يقع فى مستقبل الايام قوله « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به » رواه البخارى ومسلم .

٢ — وما ورد فى القرآن الكريم ورد بعضه فى سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة النحل ، وورد بعضه مفصلا فى سورة الاسراء ، وقد جمعت سورة الانعام الكثير منه ، ولما كانت تلك السورة الشريفة قد جمعت الكثير ، فسنسوقه على النسق الذى ورد به فيها ليسهل الالمام به فى يسر ،وليدرك فى رفق وهوادة قال الله تبارك وتعالى . (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ من سورة الانعام .

٣ — (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لعباد الله جميعا الذين أرسل اليهم . أقبلوا على أبين لكم ما حرم ربكم عليكم ، فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم ، وأنا مبلغ عنه باذنه ، فاسمعوا عنى هذه الوصايا واعملوا بما جاء فيها ينجكم ربكم من عذاب اليم فى الآخرة ، ويمكن لكم فى الارض فى الحياة الدنيا .

الوصية الاولى . « أن لا تشركوا بى شيئا » نهى عن الاشراك بالله ، وبدأ به لان الشرك ظلم عظيم ، فهو الكفر وهو أشد المحرمات افسادا للعقل وطمسا للفطرة السليمة لا يقبل الله معه صرفا ولا عدلا (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وكل ما عدا الله مخلوق لله وعبد له (ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) فاعبدوه وحده بما شرعه على السنة رسله وانبيائه لا بأهوائكم ولا بتوجيه احد من الخلق أمثالكم فان نكصتم على أعقابكم فذلك هو الخسران المبين (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)

الوصية الثانية . « وبالوالدين احسانا » وأحسنوا الى الوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخرون فيه وسعا ، ولا تألون معه جهدا ، وهذا نهى عن الاساءة اليهما مهما صغرت ، قال تعالى فى سورة الاسراء (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) وفى سورة لقمان (أن اشكر لى ولوالديك) وقد روى البخارى ـ والترمذى والنسائي عن ابن مسعود قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها (١) . قلت : ثم أى قال : بر الوالدين، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، فقدم عليه الصلاة والسلام الصلاة لانها مشتملة على التوحيد والتضرع الى مبدع السموات والارض وما بينهما ثم أعقبها ببر الوالدين ، وقدمه على الجهاد فى سبيل الله الذى هو أكبر الحقوق العامة على الانسان ، وذلك لان حقوق الوالدين على ولدهما أعظم وأجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه،وعاطفةالبنوة منأقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر والديه والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيعا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لاحد .

الوصية الثالثة . (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) فلا يجوز بحال ، ولا يحل أبدا أن تقتلوا أولادكم خوفا من الفقر الواقع بكم فعلا اى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية أخرى وردت فى سورة بنى اسرائيل نهى عن قتل الاولاد خشية الفقر المتوقع اى غير الحاصل فعلا وانما تخاف حصوله لكثرة الاولاد قال تعالى . (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) وقدم هنا رزق الاولاد على رزق الآباء عكس آية سورة الانعام ، فكأنه سبحانه يقول . لا يباح لكم أبدا الاقدام على هذا الفعل الشائن لان الله يرزق العباد ، ويضمن لهم ذلك بصريح القرآن الكريم « وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والارض انه لحق مثلما انكم تنطقون » (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) ولكن لا بد من السعى والجد فى الحياة والعمل على الكسب الحلال ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وحثت الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الكثيرة على وجوب الجد فى سبيل كسب الرزق والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الاسلام بالكسالى والاتكاليين ، ولا يقر أبدا سؤال الناس طريقا للحصول على القوت ، فالمسألة تجيء نكتة سوداء فى وجه صاحبها يوم القيامة ، واليد العليا دائما خير من اليد السفلى وخيرات الارض وما أكنت فى باطنها وما أجنته بحارها ، وما حوته مما أودعه الله فيها ـ يكفى أهلها مهما تكاثروا ، فالذى خلق الارض قدر فيها أقواتها سواء للسائلين وهو العليم الحكيم ، ولهذا كانت الدعوة الى تحديد النسل بمعنى قطعه أو التوقف عنه نهائيا دعوة مخالفة للشريعة مجافية لروح تشريعاتها ، وما قاله العالم الانجليزى (مالتس) فى نهاية القرن الثامن عشر عن تحديد النسل كان حديث خرافة . تكفل بتفنيده أبناء جنسه فاعفونا عن مناقشته القول ، وانما يجوز التنظيم للنسل فى حدود الشريعة الاسلامية وخلاصة حديث للصادق الامين تقول لمن جاءه يطلب العزل عن سائبته وخادمته . ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة فافعلوا ما شئتم ، وعزل الرجل وحملت المرأة فأعاد عليه الرسول القول (٢) .

الوصية الرابعة . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) . وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، ولا يرتكب الفاحشة الا البعيد عن معرفة الله وعن مستوى العقلاء . والفواحش التي يقترفها الجاهلون منها : الزنا واللواط ، وقذف المحصنات والمحصنين، وكثير من الناس من يرتكب بعضها معلنا بها ، ومنهم من يأتيها سرا بعيدا عن أعين البشر ، أخرج ابن أبى حاتم عن أبى حازم أنه سمع مولاه يقول : كان رسول الله صلى

(١) أى لاول وقتها .

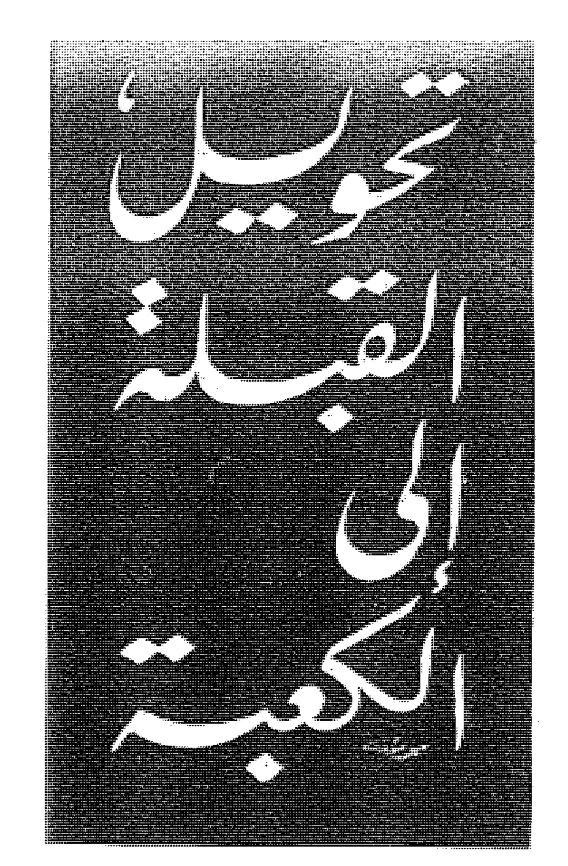
(٢) ألم أقل لك . ما من نسمة كائنة الى يوم القيامةالا وهى كائنة .

الله عليه وسلم يقول : « مسألة الناس من الفواحش » وأخرج ابن أبى حاتم أيضا عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم الزانى والسارق وشارب الخمر ، ما تقولون فيهم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هن فواحش وفيهن عقوبة ، وعن عكرمة قال : ما ظهر منها ظلم الناس ، وما بطن منها الزنا والسرقة ، لأن الناس يفعلونهما فى الخفاء ، وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » وفى سورة الأعراف . « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناوأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

الوصية الخامسة . (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) نهى عن قتل النفس التي حرم الله قتلها بالاسلام أو بالعهد أو بالاستئمان . روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد اخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » وروى البخارى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » . وقول الله تبارك وتعالى (الا بالحق) أى الا بما يبيح قتل النفس شرعا ، ففى الحديث الشريف : « لا يحل دم امرىء مسلم الا بأمور ثلاثة . كفر بعد ايمان ، وزنى بعد احصان ، وقتل نفس بغير حق » وقد ختم الله سبحانه هذه الوصايا الخمس بقوله جل ثناؤه (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) اشارة اليها وهى التي تليت فى الآية الكريمة السابقة .

والوصية معناها . ما يعهد الى الانسان عمله من خير أو ترك شر مع اقتران ذلك بما يرجى تأثيره من وعظ أو توضيح لمغبة الشر ومنفعة الخير حتى يكون المرء على بصيرة بما يدع وما يأتى ، ووصانا الله تبارك وتعالى بهذه الوصايا التي مر الحديث عنها لما فيها من الخير العميم والمنفعة المؤكدة ، فالله لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر ، وكل هذا تدركه العقول الناضجة ، والأفهام الثاقبة بالتأمل اليسير والبصر المستنير ، وفى هذه العبارة الكريمة (لعلكم تعقلون) تعريض بأن من يعادى تعاليم السماء ، ويطرح توجيهات رب العالمين وينكر ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويسدر فى غيه ويتمادى فى جهالته ويستمر فى سيره المعوج ويتخذ سبيل الغى سبيلا ، من يفعل ذلك يقيم دليلا لا بد يدفع على أنه لا يعقل أمر وجوده ولا يدرك ما يرفعه مما يخلد به الى الأرض فالأمور التي سبق النهى عنها ليست فيها مصلحة ظاهرة أو خفية لدى المفكر المتدبر فعسى أن تعقلوا فتدركوا موطن الفائدة ومحط الخير وطريق الهدى فتؤمنوا بالواحد الأحد القادر مالك الملك الذى بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير ، وحين يدرك الانسان عظمة ربه وقيوميته يطيع أمره ويجتنب نهيه ، وحينئذ تتكامل انسانيته ويؤدى رسالته فى الحياة رسالة الخير فى جميع صوره وأشكاله ، ويبتعد عن مهاوى الشر ومزالق الردى .

البقية على ص ٤٢



للدكتور / محمد محمد أبو شهبة

الاستاذ بكلية اصول الدين جامعة القاهرة



لقد فرضت الصلوات الخمس بالاجماع ليلة الاسراء والمعراج قبيل الهجـرة من مكة الى المدينة وفى صبيحتها نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما له كيفيتهـا ، ومبينا له أوقاتها ، فما ان زالت الشمس حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بأصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت . النبـى يقتـدى بجبريل ، والمسلمون يقتدون بالنبى من ظهر هذا اليوم الى ظهر اليوم الثانى .

ففى صحيح مسلم عن أبى سـعيد البدرى قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « نزل جبريل فأمنى فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات »

وقيل ان جبريل صلى بالنبى يومين متتاليين ليبين له أول الوقت وآخره لكل صلاة . روى عن ابن عباس وجابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أمنى جبريل عند البيت مرتين » ، وقد كان النبى والمسلمون يتوجهون فى صلاتهـم الى قبلة قطعا وهذا أمر مجمع عليه ، لان استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة ، ولكن الخلاف فيما وراء ذلـك وهو : أكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة يتوجه الى الكعبة أم الى بيت المقدس ؟

قبلة الرسول فى مكة

ذهب طائفة من العلماء الى أن قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة كانت الى بيت المقدس الا أنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس ، وهذا لن يتأتى الا اذا وقف بين الركنين الاسعد (الأسود) واليمانى لأن وجه من يقف هكذا يكون نحو الشمال ، فيستقبل الكعبة ، وبيت المقدس فى آن واحد . روى هذا عن ابن عباس ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة استمر على ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم نسخ ذلك بالتوجه الى الكعبة ، وعلى هذا يكون حصل فى القبلة نسخ واحد .

وذهب الكثيرون من العلماء الى أن قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة كانت الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمره الله بالتوجه الى بيت المقدس المدة السالفة ، ثم ولاه الله سبحانه الى الكعبة قبلة أبيه الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وقبلة آبائه وأجداده العرب ، لما رأى من استشراق نفسه صلى الله عليه وسلم الى ذلك ، وعلى هذا يكون حصل فى القبلة نسخان ، قال الشيخ الامام ابو عمر بن عبد البر حافظ الاندلس . « وهذا أصح القولين عندى » (١) ويؤيد هذا حديث امامة جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم عند البيت ، وهو ما ذكرناه آنفا ففى بعض طرقه أن ذلك كان عند باب البيت (الكعبة) ومحال لمن يكون عند باب الكعبة أن يجمع بين استقبال الكعبة وبيت المقدس فى وقت واحد ، وهذا يضعف الرأى الاول .

وينفرع عن هذا البحث بحث آخر وهو استقبال بيت المقدس أكان بوحى أم باجتهاد ؟

الذى عليه جمهور العلماء أن استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس انما كان بأمر الله ووحيه ، وأن ذلك بالقرآن ويستدلون لذلك بقول الله تبارك وتعالى . « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » (٢) ويكون معنى « كنت عليها » أى التى أنت عليها الان وهى بيت المقدس ، ومثل ذلك قوله تعالى « كنتم خير أمة » (٣) أى أنتم فى قول بعض المفسرين ، وهذا على ما هو الظاهر من أن قوله تعالى . « سيقول السفهاء من الناس .. » الآيات نزلت قبل قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء .. » الآية وقبل توجهه للكعبة وهو بالمدينة ، وهو أحد وجهين فى تفسير الاية (٤) أو المراد التى كنت عليها وأنت بمكة . وهذا انما يتأتى على أحد الرأيين فى الجهة التى كان يتوجه اليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة !! وعلى هذا يكون نسخ التوجه الى بيت المقدس بالامر بالتوجه الى الكعبة ثانيا نسخا للقرآن بالقرآن (!!)

وذهب بعض العلماء الى أن التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بالسنة ، ثم نسخ بالقرآن فعلى هذا يكون نسخا للسنة بالقرآن . وهو أمر مختلف فيه بين العلماء (٥) ، ومحل بسط ذلك كتب الاصول ، وليس هذا من قصدنا فى هذا البحث .

الحكمة فى استقبال بيت المقدس

وسواء أكان استقبال النبى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فى صلاته بالمدينة بأمر من الله ووحى ، أم باجتهاد من

---

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٠
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٥ ص ٩
(٣) تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٧٠
(٤) تفسير الآلوسى ج ٢ ص ٢
(٥) شرح مسلم ج ٥ ص ٩ تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

النبى . فقد كان ذلك تأليفا لليهود ، وتحبيبا لهم فى الدخول فى الاسلام ، فلما لم تثمر هذه السياسة فيهم أحب النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع الى قبلة أبيه وأبى العرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ،وكان كثيرا ما يدعو ويقلب وجهه فى السماء حتى استجاب الله الدعاء ، فأمره بالتوجه الى الكعبة .

روى الطبرى وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال . « لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ،ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم عليه السلام ، فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت أى قوله تعالى . « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون » (١) .

وكان مما جعل النبى يدعو ربه ويطيل الدعاء أن اليهود — لعنهم الله — اتخذوا من توجهه الى بيت المقدس ذريعة للطعن فيه فصاروا يقولون يخالفنا ويتبع قبلتنا . . بل طمع بعضهم فيما هو من قبيل المستحيل فقالوا : اتبع قبلتنا ، عما قليل سيتبع ديننا ، فحسم الله سبحانه كل هذه الاراجيف بأن أمره بالتوجه الى الكعبة ، قبلته وقبلة المسلمين الى يوم القيامة ، وبتوجه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى بيت المقدس أولا ثم أمرهم بالتوجه الى الكعبة ثانيا جمع الله له وللمسلمين التوجه الى القبلتين ، وحازوا الشرفين .

كم شهرا توجه فيها النبى والمسلمون الى بيت المقدس

وقد اختلفت الروايات الصحيحة فى هذا ، ففى بعض الروايات بالجزم بستة عشر شهرا ، وفى بعضها بالجزم بسبعة عشر شهرا ،و فى بعضها بالشك والتردد بينهما ، واليك هذه الروايات وتمحيصها وتحقيق الحق فيها .

روى الامام البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده . أو قال أخواله من الانصار ، «(٢)» وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال . أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . «(٣)» وكذلك رواها مسلم على الشك أيضا ، وفى رواية لمسلم بلفظ « ستة عشر شهرا » بالجزم ، «(٤)» وفى رواية للبزار والطبرانى بلفظ « سبعة عشر شهرا » بالجزم .

---

(١) البقرة الآية ١٤٤ .

(٢) شك من وهم أجداده لان جدة أبيه سلمى بنت عمرو النجارية منهم وهم أخواله لانهم أخوال جده عبد المطلب فأى التعبيرين صحيح

(٣) صحيح البخارى — كتاب الايمان — باب الصلاة من الايمان .

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد — باب تحويل القبلة من القدس الى الكعبة .

والجمع بين هذه الروايات سهل ، وذلك بأن يكون من جزم بستة عشر شهرا لفق من شهر القدوم والتحويل شهرا وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا ، ومن شك تردد فيهما . أيجعلهما شهرا واحدا أم شهرين .

فى أى شهر وقع التحويل

الثابت أن قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان فى شهر ربيع الاول بلا خلاف بين العلماء ، وأن اختلفوا فى يوم القدوم ، والصحيح الذى جزم به جمهور العلماء أن التحويل للكعبة كان فى منتصف رجب من السنة الثانية للهجرة ، وقد روى ذلك الحاكم عن ابن عباس بسند صحيح ، فتكون المدة اما ستة **عشر شهرا أو سبعة عشر على التسامح ، واذا راعينا التدقيق فى الحساب ، وان القدوم كان فى الثانى من شهر ربيع الاول** – كما قال ابن اسحاق – تكون المدة ستة عشر شهرا وثلاثة أيام ، وهذا التدقيق ليس من شأن الأمة الأمية التى لا تكتب ولا تحسب . وذهب بعض العلماء الى أن التحويل كان فى منتصف شهر شعبان ، وقد ذكره النووى فى الروضة وأقره مع أنه رجح فى شرحه لمسلم رواية ستة عشر شهرا لكونها مجزوما بها عند مسلم ، ولا يستقيم أن يكون ذلك فى شعبان الا اذا ألغى شهرى القدوم والتحويل ، وهناك روايات أخرى شاذة لا ينبغى الالتفات اليها كروايات ثمانية عشر شهرا أو ثلاثة عشر شهرا ، أو تسعة أشهر ،(١) وذكر موسى بن عقبة أن التحويل كان فى جمادى الآخرة من السنة الثانية والحق ما ذكرناه أولا .

فى أى مسجد وقع التحويل وفى أى صلاة ؟

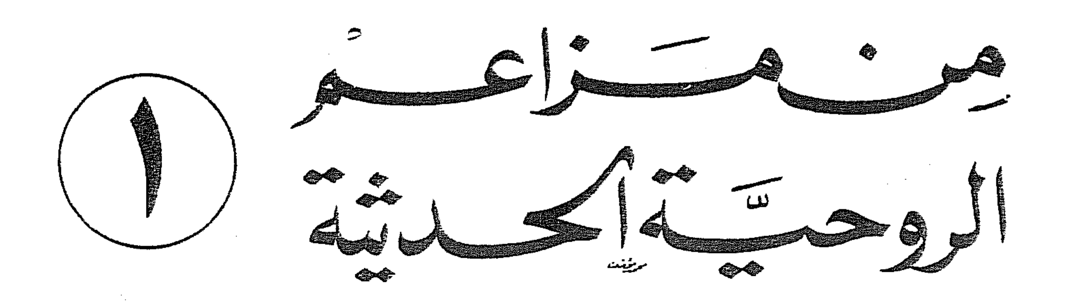
وقد اختلفت الروايات فى الصلاة التى وقع فيها تحويل القبلة الى الكعبة ، وكذا فى المسجد الذى وقع فيه التحويل ، فقيل الظهر ، وقيل العصر ، وقيل فى مسجد بنى سلمة ، وقيل فى المسجد النبوى . وذكر ابن سعد فى الطبقات أن النبى صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء معرور فى بنى سلمة فصنعت لهم طعاما وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين من الظهر ، ثم أمر بالتوجه الى البيت ، فاستدار نحو الكعبة ، فسمى هذا المسجد مسجد القبلتين ، وقد زرت هذا المسجد ، وتشرفت بالصلاة فيه ، ولا يزال معروفا الى يومنا هذا . والتحقيق – كما قال الحافظ ابن حجر – أن المسجد الذى وقع فيه التحويل مسجد بنى سلمة لما زار أم بشر بن البراء ، وان الصلاة كانت صلاة الظهر ، وأن أول صلاة صلاها بالمسجد النبوى متوجها فيها الى الكعبة هى صلاة العصر ، فخرج رجل ممن صلى مع النبى بالمسجد النبوى ، فمر على بنى حارثة وهم يصلون فى مسجدهم بالمدينة العصر ، فأخبرهم بتحويل القبلة ، فاستداروا فى صلاتهم الى الكعبة ، «(٢)» ثم ذهب هذا الرجل أو غيره الى « قباء » فأدركهم فى صلاة الفجر وهم يصلون الى بيت المقدس ، فأخبرهم بنزول آية التحويل فتوجهوا فى صلاتهم الى الكعبة ، وبذلك يظهر التوافق جليا بين الروايات ، وأنها يكمل بعضها بعضا ، ولا تعارض بينها فى الحقيقة ونفس الامر .

وقد كانت الكعبة ولا تزال الى يوم القيامة – قبلة المسلمين فى كل قطر ومصر ، وفى السفر والحضر ، ومثابة الناس وأمنا ، ورمزا لوحدة المسلمين فالهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وغايتهم واحدة ، وبذلك يتحد المظهر والمخبر ، وتتوحد الغايات والمقاصد .

---

(١) فتح البارى ج ١ ص ٧٩ – ٨١

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .



للشيخ محمد الغزالـي

عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حـد السذاجة ، وايمانهم بالغيب ـ اذا تجاوز حدود الكتاب والسنة ـ قد يكون ثغرة تنفذ منها الاساطير ، وتضار بها حقيقة الدين .

وقصة تحضير الارواح التى شاعت فى عصرنا هذا ، قد اكتنفتها أوهام شتى، وسرت فى ركابها أفكار ينكرها الاسلام .

ولكن لما كان الموضوع نفسه مثيرا ، ولما كان مضادا بطبيعته للمادية التـى فرضت نفسها على العلم والسلوك ... فان كثيرا من الناس هش له بدوافـع حسنة ، وظن أنه يستطيع نصرة الايمان عن طريقه ، ونحن نريد معالجة هـذه النزعة من أساسها على ضوء ما نحفظ من كتاب ربنا وسنة نبينا ...

ولعل احقاق الحق فى هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير ، ويغلق الابواب أمام ترهات لا آخر لها .

ونتساءل أولا . هل الارواح فى العالم الآخر ـ أعني فترة البرزخ ـ تستأنف نشاطها العام على نحو ما كانت تسير فى الحياة الدنيا ، وأن وسائلها فى عالمهـا الجديد أوسع دائرة وأعظم اقتدارا ؟

ان بقاء الارواح بعد الممات عقيدة لا ريب فيها ، وهى عقيدة جميلة مشرقة ، حبذا لو ذكرنا الناس بها حينا بعد حين ، فان صورة الموت ترسمها الاذهان فى اطار قابض عفن ..

وأكثر الناس ـ فى هذا العصر ـ يظن الموت مرادفا للبلى والفناء ، ونهاية العهد بالاحساس والحياة والضياء ...

وهذه الافكار من نضح المادية التـى تسود عالمنا الارضي ، أو هي من بقايا الجاهلية الاولى فى فهم الوجود وقصة الخليقة .

والدين ضد هذه الاوهام ، ونصوصه جازمة بأن الآخرة حق ، وأن الموت نقلة من عالم الى عالم ، ومن وجود مستيقن الى وجود مستيقن ...

لكن هل الارواح بعد هـذه النقلـة تستأنف سلوكها الاول ـ كمـا يقـول

معتنقوا الروحية الحديثة ـ وان بعضها يشتغل بالوعظ والارشاد ، وبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى ، وبعضها يشتغل بالنصح الفردى وحل المشكلات العارضة ، وبعضها يتسكع دون عمل ، وبعضها يمد يده بالاذى للاحياء ،وبعضها يدور مذهولا لا يدرى أنه مات . هكذا يكتب الروحانيون فى رسائلهم ، بل ان بعض الارواح عندما استحضر طلب « سيجارا » يدخنه ... الخ هل هذه سمات العالم الروحي ووظائفه ؟

وهل صحيح أن ضروب الخدمة الاجتماعية تتاح لكثير من الارواح لعلها ترقى وتنال رضوان الله وغفرانه ، أو لعلها تكفر عما فاتها فى الماضى الاول أيام الحياة الدنيا ؟ .

هنا نختلف مع دعاة هذه النحله أشد الاختلاف وتفترق بنا الطرق فيذهبون حيث شاءوا ، ونثبت نحن على ما بين الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

الاسلام قاطع فى أن ميدان العمل الانسانى هو هذه الحياة الدنيا . وأن المرء ــ فى فترة الاجل الموقوت له ــ يبتلى بفنون التكاليف ، ويتعرض لامتحانات شتى ، وأن نجاحه وسقوطه يتقرران جميعا عند انتهاء عمره على هذه الارض . وهو بالموت مباشرة يبدأ مثوبته أو عقوبته ...

قضى الامر ، وطويت أوراق الامتحان، ومن سجلاتها وحدها يكتب من أهل اليمين ، أو من أهل الشمال ليس هناك مجال آخر لتكليف ولا تعرض آخر لامتحان . ولا استئناف لحكم أو طلب لفرصة جديدة ...

نعم ، فوق هذا الثرى وحده يكلف الانسان أن يؤمن باله لا يراه ، لكن يرى آثاره ويعرف أدلته .

ويكلف بايثار الخير وان ضحى بشهوته العاجلة ، ونزل عن رغباته الحاضرة ، ويكلف بالاعداد لليوم الآخر ، والبذر للحياة المستقبلة موقنا بعالم الغيب ، وان كان مغمورا بعالم الشهادة ..

فوق هذا الثرى وحده وخلال العمر المقدور له يصنع الانسان مصيره المرتقب، ويستحيل أن تتاح له فرصة أخرى لمتاب ان كان خاطئا ، أو لارتقاء ان كان قاصرا ، فان الموت فاصل قائم بين حياتي العمل والجزاء ، أو حياتي البذر .... والحصاد ....

واسمع الى اجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم العدل .

« وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » .

وهذه الاجابة الالهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار ، عندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة ، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى فيقول أحدهم .

« رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ، نعم الى يوم البعث لا مكان لعمل ، لا استئناف لنشاط ، لا فرصة لتوبة ، لا مجال لترقيع ما فسد ..

ان مجال العمل المطلوب والتوبة المنشودة فى هذه الدنيا وحدها ، والمرء فى عافية من بدنه ، وفسحة من أجله واقبال من أمله .

فاذا دنت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا أخذ الكرام الكاتبون يطوون دفاترهم دون اكتراث لتوبة الغرغرة أو يقظة الضمير الصاحي بعد فوات الاوان .

« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات

من مزاعم الروحية الحديثة

حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار »

والواقع ان قبول الايمان من كافر فى هذه اللحظات أو قبول التوبة من مفرط ، أشبه ما يكون بقبول الغش فى الامتحان وحسبان الطالب الذى يتلقف عونا من هنا وهنا — ليستطيع كتابة شيء فى ورقته — مساويا للطالب الذى عكف على الدراسة ، وسهر الليالي فى انتظار هذه الساعة . وشتان بين الرجلين . ومن ثم كان الجواب الاعلى لما قال فرعون « آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟

وهذا المعنى السارى فى آيات القرآن طولا وعرضا ترى مثله فى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم نافع ، أو ولد صالح يدعو له .

وتلك بداهة آثاره فى الدنيا تخلفه بعد حياته ويجرى عليه أجرها ما شاء الله .

ومن فضل الله على كثير من خلقه أن جعل لهم « رصيدا » مفتوحا من المثوبة النامية الباقية ما بقى عملهم متجدد النفع مطرد الفائدة .

فان العمل الصالح قد يكون محدود الدائرة لا يتجاوز خيره خطا معينا .

على حين يؤلف البعض كتابا يسير هداه مع الاجيال ، أو يصنع دواء يستشفى به المرضى فى القارات كلها ..

لكن بدء هذا العمل النافع الواسع كان فى حياة صاحبه ، وأثناء الاختبار المقرر على ظهر هذه الارض أما بعد الممات فلا تكليف بعمل ، ولا مجال لابتلاء ، ولا « ملحق » لنجاح أو رسوب .

قال على بن أبى طالب : « ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الدار المقبلة ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل » .

وخطب النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فقفوا عند نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت . والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار » .

وتوكيدا لهذا المعنى ، وانتهازا لفرصة العمل فى الدنيا قبل مغادرة الدنيا وفى أثناء العمر المتاح قبل انقضاء العمر ومفارقة الحياة يقول الرسول الكريم :

« أيها الناس ، كأن الموت فى الدنيا على غيرنا قد كتب . وكأن الحق فيها على غيرنا وجب . وكأن الذين نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة .. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من مال اكتسبه

من غير معصية، ورحم أهل الذل وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم يعدها الى البدعة ».

ولا تخالط مسلما ذرة من الشك فى صدق الجـــــزاء المكتوب للصالحين والطالحين ، وان مطالعة هذا الجـــزاء تبدأ مع مفارقة الروح الجسد ، ورحيل الانســان عن هذه الدار ..

فاما هبت نسائم النعيم على أهـــل التقوى واستقبلتهم بشريات الفـــوز والنصر .. واما تطاير شرر الغضب على أهل الالحاد والعصيان ، ورأوا عواقب زيفهم عارا ونارا .. وذاك معنى الحديث « القبر أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

الارواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدور لها على ما قدمت فى حياتهـــا الاولى .

وتصور أنها تستأنف العمل بعد الموت فى ميدان ما بيننا نحن الاحياء تصـــور مختل منكور ، لا صلة له بالدين ، ولا يعتمد على اثارة منه .

فكيف ، بعد تعاليم الاسلام الواضحة ــ على ما أسلفنا ــ يجيء قوم فيزعمون أن الارواح تعمل بعد الموت ، وانهـــا تشتغل بالطب والتعليم حينا ،والتسـول والاعتداء حينا . وأنها تشارك النـــاس أحوالهم ، وتقف حيث هي فى انتظار من يشير اليها لتحضر فى « قفة أو دلو » ، أو ما شاكل ذلك ..

ثم ان الجزاء الذى صوره القرآن فى عشرات السور لا تلمح له أثرا ، بل تكاد تفقده صفرا،فيما يصور بهالروحيون مذهبهم العجيب ، فلا جـــرم أن نرى الذهاب اليه انصرافا عن الاسلام نفسه ، وريبة فى كتابه وسنته .

انني أعلم ــ كغيرى من المسلمين ــ أن الارواح المجرمة تحبس فى سجنها الموحش القاسى ، وتلقى من العنت ما يشغلها عن السياحة والتسكع فى شتى القارات تنتظر من يحضرها لتسأل فتجيب . وأعلم أن الأرواح الطيبة مرحة فى بحبوحة النعيم الالهى ، وأنها قد تعرف ما يلقى الأهل والاقربون ، وأنها ترقب مجيئهم من دار الغرور الى دار الحبور ، وأنها لا تتكلف تسبيحا وتحميدا ، فقد أصبح ذلـــك طبيعة لها كالتنفس لأهل الارض . نعم نحن نعرف من كتاب ربنا وسنة نبينـــا أطرافا من ذلك الأمر المغيب، وليس وراء ذلك العرفان الا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا ..

ومــــع هـــذه المعرفة المستيقنة فان المشتغلين بتحضير الارواح لا بأس عليهم أن يستحضروا روح « كارل ماركس » ليقول لهم . انه فى نعيم مقيم . وكم من كافر حضروا روحه لتعلن سرورها بعالمها الجديد ..

ولقد رأيت أن أسترسل وراء هذه الكائنات التى قالوا . انها ارواح تشتغل بهداية البشر ؟ فتتبعت مواعظها ،وقرأت ما أملت من كتب وألفت من خطب فماذا وجدت ؟ وجدت من خـــلال العبارات المحمومة المتلقاة عن طريق الوسطاء أن الروحية دين جديد . له تعاليم جديدة . وسرعان ما وازنت بين هذا الدين وتعاليمه والاسلام الحنيف وما جاء به ، فأدركت أن التعاليم الجديدة مجموعة خزعبلات نبتت من الأرض ، ولم تنزل من السماء وأن من أوحى بها ليسوا أرواحا هادية ، وانما هم مردة الجن ..

الحديث موصول



اختلفت آراء العلماء قديما ، ولا تزال تختلف آراء العلماء المحدثين حول الفطرة التى جبل عليها الانسان .

فذهب فريق كبير من العلماء ، ومنهم الفيلسوف اليونانى ((سقراط)) الى أن الفطرة خير ، ونفس الطفل فى نظر سقراط وعاء لكل كمال .

وذهب فريق ثان ، ومنهم افلاطون الى أن الفطرة شر ، والنفس في نظره ــ هبطت الى العالم المادى من عالمها الروحي للابتلاء والاختبار ، وهي لا تطهر الا بالرياضة والمجاهدة .

وعلى هذا الرأى كثير من شعرائنا المتشائمين أمثال أبى العلاء المعرى الذى يقول :

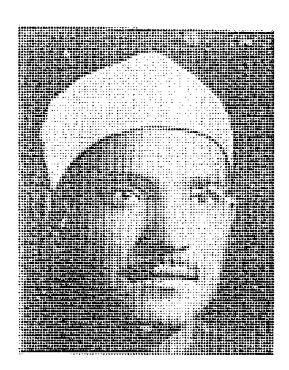
ونحن فى عالم صيغت أوائله
على الفساد ، ففى قولنا غسدوا

ويقول :

والشر فى الجد القديم غريزة
فبكل نفس منه عرق ضارب

حتى الشعراء الذين كانوا أكثر تفاؤلا وصفوا الطبيعة البشرية فى بعض تهويماتهم بأنها شر ، ومن ذلك قول المتنبى :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم



للاستاذ الشيخ علي حسن العماري
المدرس بكلية البنات ـ جامعة الازهر

وقول بعض الشعراء المحدثين ـ وكان حينذاك شابا فى مقتبل العمر :

انني ـ والعياذ بالله مني
من بني الانس من هواة الشرور
صورتني الحياة من شر ماء
وتكونت من ضلال وزور

والاكثرون من العلماء الشرقيين والغربيين على السواء يرون أن الفطرة مستعدة للخير وللشر ـ ومن هؤلاء (افلاطون) الذى يرى أن من الطبائع ما يميل الى الشر بسهولة محزنة ومنها ما يميل ـ على الضد من ذلك ـ الى الخير من تلقاء نفسه ، وأن الله تعالى لم يسو بين الناس جميعا فيما وهب من ميول الخير كما لم يسو بينهم فيما قدر من ميول الشر .

وقد اضطرب رأى الامام الغزالي ، فرأى فى موضع من كتبه أن الانسان ولد خيرا بطبعه ، ورأى فى موضع آخر أن الانسان ولد قابلا للخير والشر ، ورأى فى موضع ثالث أن الانسان ولد وفى طبيعته الشر .

وقد ذكر أن ميل الانسان الى الحكمة ، وحب الله ، ومعرفته ، وعبادته هو مقتضى طبعه ، كالميل الى الطعام والشراب ، وأن ميله الى السوء والقبائح غريب عليه ، خارج عن الطبع ، كالميل الى أكل الطين الذى قد يغلب على بعض النفوس بالعادة ، كما ذكر أن القلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان ، صلاحا متساويا وذكر بعض الدارسين لكتبه وآرائه أنه يقول : ان الخطيئة اساسية عند كل انسان .

ومن الفلاسفة الغربيين من يرى أن الطفل منذ ولادته الى سن محدودة ليس له حياة أدبية ، فلا تنسب فطرته لا الى الخير ولا الى الشر ، لانه لا يعقل ما يفعل .

ومن كتابنا من يرى رأيا ويذهب يستدل عليه من القرآن الكريم ، ولا دلالة للآية على ما يرى ، فقد ذهب بعض الكاتبين مثلا الى أن الانسان يستطيع بفطرته الابتعاد عن الله ، والكفر بآياته ، وذكر دليلا على ذلك قوله تعالى « والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وليس فى الآية ما يشير من قريب أو من بعيد الى أن الكفر بآيات الله فى فطرة الانسان .

بعد هذا التلخيص الموجز الذى أظنه وافيا لآراء العلماء فى (الفطرة الانسانية) نقف وقفتنا مع القرآن الكريم ، فنرى آية من آياته صريحة واضحة فى هذا

الشأن ، قال تعالى فى سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد ذهب كثير من المفسرين الى أن معنى الفطرة أن الله خلق الخلق قابلين للتوحيد ودين الاسلام ، غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل، مساوقا للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الأنس والجن ، ويستدلون على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين وأمروهم أن يشركوا بى غيرى» وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما من مولود الا يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وفى بعض الروايات تكملة لهذا الحديث : « كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها » وقالوا فى قوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة ، أو تغير أو لا صحة ولا استقامة لتبديل فطرة الله تعالى بالاخلال بموجبها ، وعدم ترتيب مقتضاها عليها باتباع الهوى، وقبول وسوسة الشيطان .

ورد هذا التفسير بأن التبديل بهذا المعنى مقدور بل واقع قطعا ، واختير عليه تفسير لعله أقرب وأصح، وخلاصته ان أحدا لا يقدر أن يغير خلق الله سبحانه وفطرته ، فالمراد بالتبديل تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير قابلة للحق ، ولا متمكنة من ادراكه .

ومعنى ما ذهب اليه هؤلاء المفسرون أن فطرة الانسان قابلة للخير والشر يأتيها من خارجها ولكن من العلماء الناظرين فى القرآن ــ أيضا من يرون أن الانسان خلق قابلا للخير والشر ويستدلون بقوله تعالى : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها» وبقوله عز وجل فى شأن الانسان : « وهديناه النجدين » وبقوله تبارك وتعالى « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

ولا دليل فى هذه الآيات على أن الفجور طبيعة وجبلة فى النفس، لان معنى الالهام ــ هنا ــ الانهام فالله قد أودع فى النفس الانسانية العقل الذى يدرك طريق الفجور كما يدرك طريق التقوى ، ومما يؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك : « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » فنسب الفعلين (زكى ودسى) الى الانسان .

وكذلك لا حجة فى الآيتين الاخيرتين لان معنى الهداية فيهما : الارشاد الى الطريقين طريق الخير وطريق الشر ولا تدل (الهداية) على أن ذلك مودع فى نفس الفطرة .

وبعض المفسرين يرى فى قوله تعالى : (أنا هديناه السبيل) أن ذلك ارشاد الى الخير فقط ، لان السبيل لا يطلق الا على الهدى ، ويفسر المراد من هداية السبيل بأنه نصب الدلائل ، وبعث الرسل وانزال الكتب .

والدليل على صحة تفسير الهداية بالبيان والارشاد فى الآيتين ، والابتعاد بها عن معنى خلق ذلك فى الفطرة قوله تعالى فى آية (الدهر) : (نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) والاختيار لا يكون مع الالجاء ، وفائدة السمع والبصر انما تظهر مع الحرية فى العمل ، وهما كنايتان عن الفهم والتمييز .

آية واحدة من كتاب الله تحول دون تعميم الحكم على الفطرة بأنها كلها خيرة، هي قوله تعالى: (ان الانسان خلق هلوعا. اذا مسه الشر جزوعا. واذا مسه الخير منوعا) .

ففى هذا النص دلالة واضحة على أن الجزع عند مس الشر ، والشح عند مس الخير صفتان خلق بهما الانسان ، وأودعا فى الجبلة ، وبذلك قال فريق من المفسرين ، وجعلوا الاستثناء منقطعا، ولكن الذى تميل اليه النفس وهو ما يتفق مع آية الفطرة ومع أحاديث الفطرة كذلك ــ أن غريزة حب المال التى أودعها الله فى الانسان لمصلحته ولتعمير الكون ــ كما سنشرح ذلك بعد حين ــ قد يحوطها من الظروف والاسباب ما ينحرف بها عن وجهتها النبيلة فتصير الى الشح ، وكثيرا ما يحدث ذلك ، فبالغ القرآن فى تصوير هذا المعنى فجعل الشح كأنه مخلوق مع الانسان .

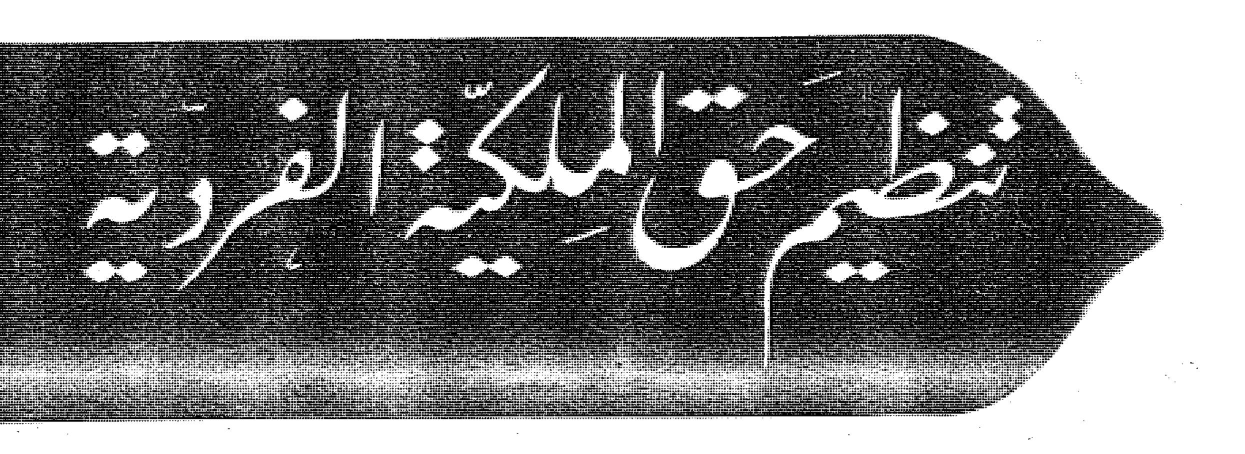
وفى ذلك يقول الزمخشرى : (والمعنى أن الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه، ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع ، وكأنه أمر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى : (خلق الانسان من عجل) والدليل عليه أنه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم ، والله لا يدم فعله ، والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره ، وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين) .

والذى يعنينا من كلام الزمخشرى أنه فهم الآية على أن ما فيها من قبيل المبالغة، وليس الهلع من الجبلة ، أما بقية كلامه فموضع نظر .

وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء فى قوله تعالى : (الا المصلين) متصلا على معنى أن الناس جميعا يجزعون عند الشر، ويمنعون اذا نالوا خيرا الا الذين وصفهم الله بعد ذلك من محافظتهم على الصلاة، وايتائهم الزكاة الى آخر هذه الصفات، فان هؤلاء آثروا الآجلة على العاجلة ، وعرفوا قيمة هذه الحياة فهم لا يجزعون ولا يمنعون) .

الموعظة الحسنة

كتب الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز الى الحسن . اجمع لي أمر الدنيا وصف لي أمر الآخرة . فكتب اليه ــ انما الدنيا حلم والآخرة يقظة متيقظ ونحن فى أضغاث احلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فامسك ، واعلم ان افضل الاعمال ما اكرهت النفوس عليه .



تمهيد

لقد كثر الكلام حول حق الملكية الفردية ومدى السلطات التي يملكها المالك ، وهل يجوز تقييد هذا الحق لصالح فرد آخر او لصالح الجماعة ، وما هي طبيعة النظام الاسلامي ازاء غيره من النظم الاقتصادية الحديثة ؟ .

كل هذه التساؤلات سببها أمران :

أولهما : ـ ابتعاد الناس عن روح الاسلام وتعاليمه ، وظهور بعض الآثار الاجتماعية الخطيرة الناجمة عن تكدس الثروات الضخمة فى أيدى بعض الأفراد الذين لا يقومون بواجباتهم الانسانية نحو غيرهم من أبناء مجتمعهم ، وانما يستأثرون بانفاق أموالهم فى سبيل ملذاتهم الشخصية وأهوائهم الغريزية ، وتسلطهم على النفوس الضعيفة ، مما أوجد نوعا من الطبقية ، وشعورا بالحقد والبغضاء نحو أصحاب الثراء الفاحش .

ولو كان هؤلاء يساهمون فى تخفيف الآلام عن البائسين والمحرومين مع شيء من التقدير والتكريم ، كما كان يفعل أسلافنا المسلمون الأغنياء ، لما وجدنا حاجة لتدخل ولاة الأمور فى أموال أحد من الناس : اذ لا ينكر أحد ان حق الملكية مقدس فى الشرائع السماوية ، وتعتبر النزعة الفردية هي الأصل الغالب بالنسبة للملكية . فمثلا كان الأغنياء من المسلمين فى صدر الاسلام يضيقون ذرعا بأموالهم ، فيسارع الواحد منهم الى البحث والتنقيب عن طرق الخير ، وسبل الانفاق فى سبيل الله ، ليغنم الفوز العظيم فى الآخرة ، والسعادة والاطمئنان النفسي فى عالم الدنيا . فهذا ابو بكر الصديق رضي الله عنه يتصدق على المسلمين بما تحمله قافلة كبيرة من الطعام والبر قادمة له من الشام ، وهذا عمر رضي الله عنه يتصدق بالآلاف مما يملك حتى بلغ نصف ماله فى سبيل تزويد جيش اسلامي ، وهذا عثمان رضي الله عنه يجهز على حسابه الخاص جيش العسرة ،

في الإسلام

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة ـ دمشق

ومثلهم كثير كعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله .

وحيث ظهرت مساوىء كثيرة للملكية الفردية الحاضرة ، وتضرر المجتمع بسبب تصرف الملاك ، كانت الحاجة قاضية الى النظر الفقهي فى هذا الأمر ، بناء على قاعدة دفع الضرر العام عن الجماعة الاسلامية ، لهذا فاني سأحاول بيان الرأى الحق فى هذا الموضوع غير متأثر بنزعة سياسية أو مجاملة لسلطة حاكمة معينة .

السبب الثاني : ـ ظهور الدعوة الى المبادىء الماركسية . وتطلع بعض النفوس اليها كوسيلة عندها للقضاء على مفاسد الرأسمالية وتحكمها . وهذا يدعونا الى اعطاء فكرة موجزة عن هذين النظامين ـ الرأسمالي والماركسي ـ وما يوجه اليهما من انتقادات قبل ابداء الحكم الاسلامي .

فالنظام الرأسمالي : يعترف بحق الفرد فى تملك الأموال ملكية خاصة سواء أكانت هذه الأموال من أموال الاستهلاك ، أو من أموال الانتاج ، على أنه لا يشترط أن تكون جميع الأموال مملوكة للأفراد ، بل يجوز للدولة أو احد فروعها ان تتملك جانبا من هذه الأموال ، كما لا يشترط أن يكون حق الملكية الفردية مطلقا ، بل يجوز أن ترد عليه بعض القيود للمنفعة العامة .

ويقوم النظام الرأسمالي على أساس الحرية الاقتصادية للأفراد ، دون تدخل الدولة للتقييد من نشاطهم فى الميدان الاقتصادى ، ويكون السعى للحصول على أكبر كسب نقدى هو الدافع المحرك للنشاط الاقتصادى فى ظل النظام الرأسمالي .

وقد انتقد هذا النظام لأنه يؤدى الى اختلال التوازن فى توزيع الثروة بين الأفراد ، وانقسام المجتمع الى طبقتين : طبقة الرأسمالية الاقطاعية ، وطبقة ذوى الدخل المحدود من العمال والفلاحين وغيرهم ، كما يؤدى الى تركز الثروة فى **أيدى فئة قليلة ، وانتشار البطالة والاحتكارات الطبيعية والصناعية . فكان من نتيجة ذلك فشل النظام الرأسمالي فى تحقيق الاستقرار الاقتصادى ، وضمان الحياة الرغدة للبشرية .**

تنظيم حق الملكية الفردية فى الاسلام

وقد أدى هذا الفشل الى رد فعل معاكس : فازداد تدخل الدولة فى الميدان الاقتصادى من ناحية، وانتشرت المبادىء الماركسية من ناحية أخرى .

والنظام الماركسي : يقوم على أساس امتلاك الدولة لمختلف وسائل الانتاج من صناعة وزراعة وثروة طبيعية وخدمات عامة ، ويكون بالتالي لا وجود للملكية الفردية ، ولا حرية اقتصادية للفرد الا ما يمنحه المجتمع اياه ، ويستهدف هذا النظام اشباع حاجات الأفراد بحسب ضرورتها فقط . وعلى هذا فليست الملكية حقا ثابتا مقررا ، وانما هي آيلة الى الزوال ، لأنها وظيفة اجتماعية بحسب مصالح الجماعة .

وقد انتقد هذا النظام بأنه يهدر الحق الطبيعي المقدس للفرد وهو حق الملكية ، وفى هذا ــ فضلا عن محاربة الفطرة الانسانية ــ اضرار بالانتاج ، وكبت لروح الجد والنشاط ، وسلب لمسئولية الانسان التي هي أساس لكرامته وجزء من كيانه البشرى .

وأما نظام الاسلام الاقتصادى والاجتماعي : فهو العدل الوسط بين النظامين السابقين، وبتعبير أدق هو النظام السماوى القائم بذاته ، الذى له فكرته الاجتماعية الخاصة به ، فهو يعترف بقيمة الفرد ، كما يعترف بحقوق المجتمع ، فيقيم توازنا بينهما ، بل انه جعل الفرد متضامنا مع الجماعة ، والجماعة متضامنة مع الفرد ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وهكذا ليس الاسلام نظاما فرديا فقط يؤدى الى الرأسمالية ، وليس جماعيا فقط يؤدى الى الماركسية ، وانما يمنح الفرد قدرا من الحرية السياسية والاجتماعية ، بحيث لا يطغى على كيان الآخرين ، ويمنح المجتمع أو الدولة التي تمثله سلطة واسعة فى تنظيم الروابط الاجتماعية والاقتصادية ، على أساس من الحب المتبادل بين الفرد والجماعة ، لا على أساس الحقد والصراع الطبقي الحاد الذى تعتمد عليه الشيوعية .

واذن فالاسلام يعترف بحق الانسان فى التملك الفردى ، ويعتبره الأصل العام فى استملاك الأشياء ، ويمنح الفرد حق الانتفاع والاستغلال ، والتصرف فى ملكيته طيلة حياته وبعد مماته ــ ولكن فى حدود معينة ، على عكس ما تقرره الشيوعية ، الا أنه فى تقرير الاسلام ينبغي ألا يعطى المالك سلطانا مطلقا فيما يملك بغير أى قيد عليه ، كما هو المقرر فى الرأسمالية ، وبذلك ننتهى بنتيجة اجمالية هي أن الاسلام يجمع بين مزايا كل من الماركسية والرأسمالية ، ويتجنب أوجه الانحراف والمبالغة فى كل منهما .

وهنا يتبادر الى الذهن ملاحظة يجب التنويه بها ، وهي أن الاسلام ليس بدين اشتراكي بمفهوم الاشتراكية المعروف ، المستقى من تعاليم ماركس اليهودى الأصل ، والتي تتلخص فى الدعوة الى الالحاد، وأن الانسان خالق وليس بمخلوق، وأن لا اله ، والحياة مادة ، والدعوة الى تغيير العالم بالثورة وبالصراع الطبقي أى تغيير النظم والاخلاق والافكار ، والغاء حق الارث .

وأما الاسلام فهو كما قلنا نظام فريد قائم بنفسه ، لا ينسب الى مذهب جديد أو قديم ، وفيه حلول لمشكلات الحياة ، وفيه قواعد للفرد والمجتمع فى الحقوق والواجبات . واذا كان فى الماركسية بعض المعاني التي جاء بها الاسلام من تحقيق التكافل أو التضامن الاجتماعي فلا يعنى ذلك أن الاسلام دين ماركسي .

المال والملكية فى تقدير الاسلام :

المال . هو ما يميل اليه الانسان طبعا ، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة .

والملك . هو اختصاص حاجز شرعا يسوغ صاحبه التصرف الا لمانع . ويدل هذا التعريف على معنى الاستئثار واستبداد الانسان بما يتملكه من الأشياء، بحيث يخول صاحبه منع غيره من ملكه .

والمال فى الحقيقة لله سبحانه وتعالى « لله ملك السموات والأرض وما فيهن » (المائدة ـ ١٢٠) ، وتملك الانسان للمال مجازا أى أنه مؤتمن على المال ومستخلف فيه ونائب عن الله فيه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد ـ ٧) ، ويترتب على هذا ان الانسان ملزم بالتقيد بأوامر الله سبحانه فى التملك بحسب ما يريد صاحب الملك الحقيقي ، والناس على السواء لهم حق فى تملك خيرات الارض ، والملكية الفردية حق ممنوح من الله تعالى ، والمال ليس غاية مقصودة لذاتها ، وانما هو وسيلة للانتفاع بالمنافع وتأمين الحاجيات .

تقييد الملكية وتنظيمها

يقول بعض الكاتبين لما كان المال مال الله ، والناس جميعا عباد الله ، وكانت الحياة التي يعملون فيها،ويعمرونها بمال الله هي أيضا لله ، كان من الضرورى ان يكون المال ـ وان ربط باسم شخص معين ـ لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع ، وقد أرشد الى ذلك قوله تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » . وبهذا تكون الملكية الشخصية اذن فى نظر الاسلام وظيفة اجتماعية .

ويرى أستاذنا الجليل الشيخ محمد ابو زهرة انه لا مانع من وصف الملكية بكونها وظيفة اجتماعية ، ولكن يجب أن يعرف أنها بتوظيف الله تعالى ، لا بتوظيف الحكام ، لأن الحكام ليسوا دائما عادلين .

ونحن نرى أن الاسلام منهج واضح لا غبار عليه ، واستعمال هذا التعبير المأخوذ عن التعاليم الشيوعية يزج الاسلام فى حمأة المبادىء الماركسية ويضلل الافكار عن حقيقة نظرة الاسلام للملكية ، فالملكية الفردية حق مقدس فى الاسلام . قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » (٢٩ سورة النساء) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه) (لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب من نفسه) . وبناء على هذا يحرم التعدى على ملكيات الأفراد ما دامت مشروعة ، لذلك قرر الاسلام عقوبات على السرقة والغصب ، وطالب بضمان الأموال المتلفة .

متى يجوز التدخل ؟

وأما الملكية غير المشروعة فيجوز للدولة التدخل فى شأنها لرد الأموال الى أصحابها ، بل ان لها الحق فى

مصادرتها ، سواء أكانت منقولة أم غير منقولة ، كما كان يفعل سيدنا عمر بن الخطاب فى مشاطرة بعض ولاته الذين وردوا عليه من ولاياتهم بأموال لم تكن لهم ، استجابة لمصلحة عامة وهو البعد بالملكية عن الشبهات وعن اتخاذها وسيلة للثراء .

وكذلك يحق للدولة التدخل فى الملكيات الخاصة المشروعة لتحقيق العدل والمصلحة العامة ، سواء فى أصل حق الملكية ، أو فى منع المباح – والملكية من المباحات قبل الاسلام وبعده – اذا أدى استعمال الملك الى ضرر عام .

وبناء عليه يحق لولي الأمر العادل أن يفرض قيودا على الملكية فيحددها بمقدار معين ، أو ينتزعها من أصحابها مع دفع تعويض عادل عنها ، اذا كان ذلك فى سبيل المصلحة او المنفعة العامة للمسلمين ، كما فعل عمر بن الخطاب فى سبيل توسعة المسجد الحرام حينما ضاق على الناس ، فأجبر الناس المجاورين للمسجد على بيع دورهم المحدقة به . وكذلك فعل عثمان مرة أخرى ، لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، ولان الفقهاء قرروا ان لولي الأمر ان ينهي اباحة الملكية بحظر يصدر منه لمصلحة تقتضيه ، فيصبح ما تجاوزه أمرا محظورا ، فان طاعة ولي الأمر واجبة بقوله تعالى ((يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) وأولو الأمر هم الأمراء والحكام . كما

روى ابن عباس وابو هريرة ، وقال الطبرى انه اولى الأقوال بالصواب .

والجدير بالذكر ان تقدير وجود الضرر امر دقيق ، فلا يصح للحكام أن يتذرعوا بأضرار نادرة او محتملة فيصادروا ملكية الافراد لادنى سبب ، وانما ينبغى ان يكون الضرر محقق الوقوع ، او غالب الوقوع ، ويكفى عند المالكية والحنابلة ان يكون احتمال وقوع الضرر مبررا لمنع الفعل ، أخذا بقاعدة دفع المضار مقدم على جلب المصالح .

ويمكن ان يعتبر مسوغا لتنظيم الملكية او تقييدها كون صاحبها مانعا لحقوق الله فيها او اتخاذها طريقا للتسلط والظلم والطغيان ، او التبذير والاسراف ، او اشعال نار الفتن والاضطرابات او الاحتكار والتلاعب بأسعار الاشياء ، ومحاولة تهريب الاموال الى خارج البلاد ، أو تأمين حاجيات الدفاع عن البلاد ، او دفع ضرر فقر ألم بفئة من الناس ، وذلك بشرط أن يكون اجراء استثنائيا بحسب الحاجة ، وبشرط عدم استئصال رأس المال .

وهذا كله يتمشى مع تطبيق الحديث الذى أخرجه مالك فى الموطأ وأحمد فى مسنده وابن ماجه والدار قطنى فى سننهما وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » وروى ابو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يمنع احدكم جاره خشبة يغرزها فى جداره » .

ويمكننا توضيح صلاحيات ولى الامر فى التدخل فى ملكيات الافراد فى دائرة

دفع الضرر بما ورد من الآثار النبوية فى هـذا :

من ذلك ما روى محمد الباقر عن أبيه ((علي زين العابدين)) أنه قال ((كـان لسمرة بن جندب نخل فى حائط ـ أى بستان ـ رجل من الانـصار ، وكـان يدخل هو وأهله فيؤذيه، فشكا الانصارى ذلك الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب النخل ((بعه)) فأبى ، فقال الرسول . ((فاقطعه)) فأبى ، قال ((فهبه ولك مثله فى الجنـة)) فأبـى ، فالتفت الرسول اليه وقال ((انت مضار)) ثم التفت الى الانصارى ، وقال ((اذهب فاقلع نخله)) . ففى هذه الحادثة ما يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحترم الملكية المعتدية .

ومن الامثلة ايضا ما روى الامام مالك فى الموطأ وهو ان رجلا اسمه ((الضحاك بن خليفة)) ساق خليجا (ممر ماء) من العريض ـ واد بالمدينة ـ فأراد أن يمـر به فى أرض محمد بن مسلمة ، فأبى ، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا محمد بن مسلمة ، فأمـره أن يخلـى سبيله ، فقال محمد : لا ، فقال عمر : لم تمنع اخاك ما ينفعه ، وهو لك نافـع ، تسقى به أولا وآخرا ، وهو لا يضرك ، فقال محمد : لا والله : فـقال عمـر : ((والله ليمرن به ولو على بطنك)) فأمره عمر أن يمر به ، ففعل الضحـاك .

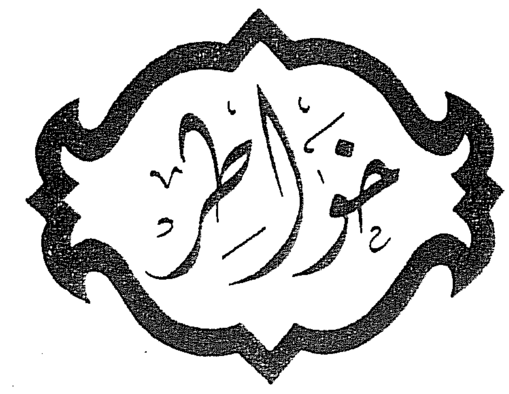
ففى هذا ما يدل على أنه لا يكفـى الامتناع من الضرر ، بل يجب على المسلم **فى ملكه ان يقوم بما ينفع غيره ما دام لا ضرر عليه فيه .**

ومثل هذه القصة ما أخرجه مالـك أيضا عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه انه قال : كان فى حائط جده (بستانه) ربيع (أى ساقية) لعبد الرحمن بن عوف ، فأراد عبد الرحمن بن عوف ان يحوله الى ناحية من الحائط هى أقرب الى أرضه ، فمنعه صاحب الحائـط ، فكلم عبد الرحمن بن عوف عمـر بـن الخطاب فى ذلك ، فقضى لعبد الرحمن بن عوف بتحويلـه .

ومن الامثلة ايضا ما فعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنه حمى أرضا بالمدينة هى النقيع ـ موضع قرب المدينة ـ لترعى فيها خيل المسلمين ، وحمى عمر رضي الله عنه أرضا بالربذة والشرف ـ موضعان بين مكة والمدينة ـ وجعل كلأهما للمسلمين ، قائلا ((المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل فى سبيل الله ما حميت مـن الارض شبرا فى شبر)) .

وهذه بعض نواحـى التدخل لولاة الامور فى ملكيات الافراد ، وهى حقـوق قانونية يصح اصدار تشريـع خـاص بأمثالها فى وقتنا الحاضر ، كما يمكن اصدار تشريع الزكاة ، وهناك قيـود أخلاقية وجدانية كالصدقات والنـذور ونحوها ، تقيد الملكية الشخصية مـن قبل صاحبها بدافع دينى ، هذا الدافع يمكن تنميته بالتربية والتوجيه والتثقيف والتعليـم .

والخلاصة ان الاسلام لا قصور فيه عن معالجة المشاكل والاوضاع الحديثة سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية ، غير أن الامر يحتاج الى فهم صحيـح للاسلام ، وتطبيق شامل لتعاليمه ، لان الاسلام منهج عام شامل للحياة ، وكـل **لا يتجزأ ، وتشريعاته حتى العبادات منها يكمل بعضها بعضا ، لمعالجة كل متطلبات الحياة الحديثة وضرورات الاقتصـاد المعاصر .**



يكتبها : عبد المنعم النمر

العلم يحرسك

البداية الحازمة التى بدأت بها وزارة التربية فى الكويت العام الدراسى الجديد سرتنى وسرت كل غيور على مستقبل أبنائنا وبناتنا .. فقد طلبت من المدرسات أن يكن قدوة طيبة للتلميذات فى ملابسهن وزينتهن .. وكشرت عن أنيابها لكل مدرسة لا تراعى هذه القدوة .. كما أخذت الأمور بالحزم تجاه التلاميذ والتلميذات ، وعملت فى شدة على محاربة الميوعة والتدليل فى جو المدرسة ، حتى يتفرغ التلميذ لمهمته ، وينصرف الى تكوين نفسه التكوين العلمى الذى يفيده ويفيد بلاده ...

واذا كان هذا أمرا ضروريا فى كل جو علمى فى أى بلد من البلاد ، فانه أشد ضرورة فى البلاد التى قد يغتر فيها الابناء — وهم فى سن المراهقة — بثروة آبائهم ، ويتكلون عليها فى مستقبل أيامهم ، فلا يأخذون أنفسهم بالجد والتعب فى تحصيل العلم ، ظانين — خطأ أو غرورا — أن المال هو كل شىء فى هذه الحياة .

والمال بلا شك له قيمته فى حياتنا ، وهو وقودها الذى لا تسير الا به .. لكن على أبنائنا أن يفهموا أن العلم أهم وأجدى بالنسبة لهم ولأوطانهم ، فهو الذى يرسم الطريق الصحيح لاستغلال هذا المال وتنميته ، وهو يضفى على صاحبه من الجاه والمكانة مالا يضفيه المال ، مكانة الشخص ومكانة أمته ، وكيف تستطيعون أيها الأعزاء أن تخدموا بلادكم بدون العلم ، وبدون الشهادات العالية والتخصص فى فروع العلم المتنوعة ؟ ..

ان العلم سلاح فى يد الانسان لا يفل ولا يضيع ، والمال قد يضيع ويخسره الانسان فى غمضة عين . الشهادة التى تحملها هي سلاحك الذى تعيش به ، وتحمى به نفسك وأمتك أينما كنت ، وفى أى مكان نزلت .

المكانة العلمية التي تحصل عليها ، لا تسرق منك ، ولا تفقد ، هي معك دائما تزينك فى مجلسك ، وتعينك على شدائدك ، ولا يستطيع أحد أن ينزعها منك .

العلم يا بنى هو طريق الحياة لك ولأمتك ، فاحرص دائما على أن تسير فى هذا الطريق ، وتحمل شدائده وغباره ، لتحيا وتحيا بك أمتك .

واذا كنت ترى حزما أو شدة معك فى هذه الفترة من حياتك فهى من أجلك ، من أجل توفير مستقبل سعيد لك ولوطنك . واستمع يا بنى معى لهذه الحكمة الغالية التي قالها الامام على كرم الله وجهه ، واجعلها فى قلبك ، وضعها فى « برواز » أمامك . قال رضى الله عنه :

« العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، مات خزّان الأموال وبقى خزّان العلم : أعيانهم مفقودة ، وأشخاصهم فى القلوب موجودة » .

وبقى أن أقول : والعلم بدون أخلاق ودين شر على صاحبه وعلى أمته .

فحصنوا أنفسكم بالعلم ، وحصنوا علمكم بالدين والاخلاق وعلى البيت أن يقوم بواجبه .

خرافة مزمنة

منشور خرافي مرت عليه عشرات من السنين ووقع — ولا زال يقع — ضحيته الآلاف من الناس الطيبين الذين ينخدعون بسهولة .. ولقد كنت — وأنا صبى فى الكتاب أحفظ القرآن — أحد ضحاياه .. بل قال لي

الذين تقدموني فى السن انه أقدم من ذلك بكثير . ومن العجيب أن أمره لا يقتصر على قطر معين ، ففى العام الماضى فوجئت بهذا المنشور يشتغل الناس هنا .. وفى هذا العام وجدت بعض الناس يوزعونه وأنا خارج من صلاة الجمعة فى مسجد ((سير)) بشمال لبنان فاضطررت الى تنبيه الناس الى زيفه ووجوب حرقه ..

ومنذ أيام جاءنى كتاب من الاستاذ ((على عبد الرحيم كيلانى)) المدرس بالأردن ومعه صورة مطبوعة من هذا المنشور كتب فى آخره ((طبع على نفقة الحاج يوسف السالم)) يقول فى كتابه : ((كنت أشرح لتلامذتى فى المرحلة الثانوية موضوع ((الاسلام يحارب الخرافات ..)) وانسجمت فى شرح الموضوع ، واذا بطالب يرفع يده فجأة برقعة من الورق مكتوب عليها الوصية المصاحبة ، وبعد أن علقت عليها بما يناسبها رأى الطلاب معى أن أبعث بها لمجلتنا يطلبون رأيكم .. الخ)) .

هذه الوصية ــ التي لا بد أن بعض القراء قد عرف أمرها من هذه المقدمات ــ وصية فى ظاهرها تخدع بعض الصبيان أمثالى حينما كنت فى الكتاب ، كما تخدع بعض السذج من الكبار ، حتى يبذلوا المال فى طبعها ، طمعا فى الثواب أو فى الغنى أو قضاء الدين ، وخوفا من اسوداد الوجه فى الدنيا والآخرة .. كما جاء فى آخرها ..

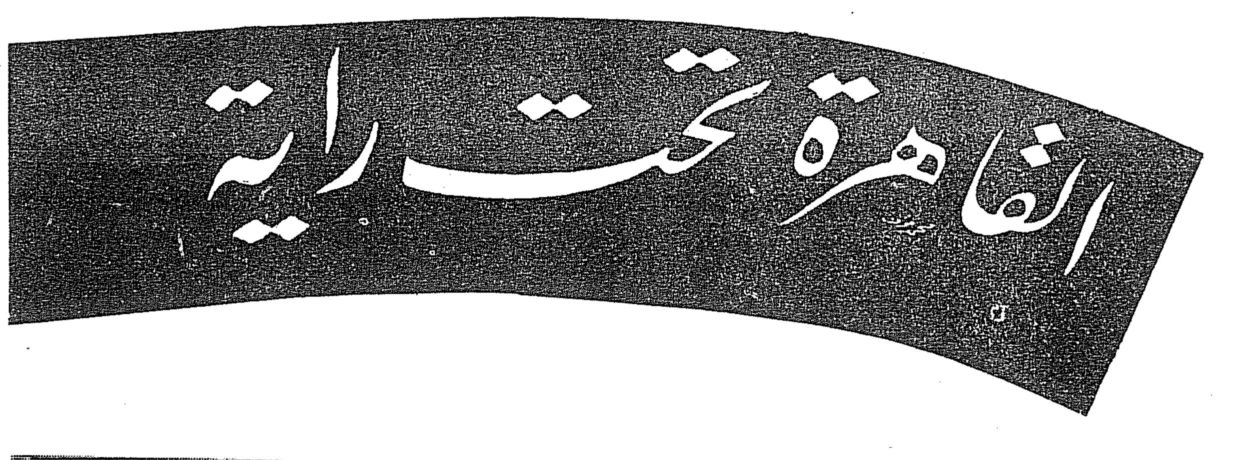
ولكن المؤمن يجب أن يكون كيسا فطنا ، والنظرة الأولى لهذا المنشور الخرافى المزمن تجعل الانسان يبادر بحرقه لا كتابته ولا طبعه .. فمن هو الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية وأين هو ؟ لا وجود له وحتى لو كان موجودا فهل يمكن أن نثق به الى هذا الحد الذى يخبر فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءه فى المنام وقال له ((أنا خجلان من أن أقابل ربى ولا الملائكة لأن من الجمعة الى الجمعة مات مائة وستون ألفا على غير دين الاسلام)) ! ! ! أية جمعة هذه وفى أية سنة كان هذا الاحصاء ؟ !!

ويمضي حضرة الشيخ أحمد المزعوم فيحكى عن الرسول كل الأوصاف السيئة التى توصف بها أمة من الأمم .. ثم ماذا ؟ .. ستقوم القيامة .. ثم ماذا ؟ أخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية .. أين الوصية على فــرض أن كلامه صحيح ؟ . لا وصية .. كل ما نقله دمغ للامة الاسلامية بكل أوصاف الفساد والانحطاط .. فهل هذه هي الوصية ؟ أم أن الوصية هي أن ((من يكتب هذا ويرسله من بلد الى بلد يبنى له قصر فى الجنــة ، ومن لم يرسله حرمت عليه شفاعتي)) ! ! .. وما الغرض من اشاعة هذا الانحطاط عن أمة محمد ؟ وفى آخر المنشور يقول الشيخ ((والله العظيم ثلاثا هذه حقيقية)) فلمصلحة من يذاع هذا المنشور الخرافى المزمن ! ؟ لمصلحة من نحطم معنويات هذه الامة وندمغها بكل أوصاف الفجور والخروج عن الاسلام وتعاليمه ؟ .. لمصلحة من نشيع الفاحشة فى كل المؤمنين فى أنحاء العالم ؟ هل صارت أمــة محمد كلها على هذا الوضع المزرى ؟ .. أليس فيها صالحون ملتزمون بتعاليم دينهم ؟ أم أن الغرض هو أن نزرع اليأس فى قلب كل داعية وكل مصلح يعمل على اصلاح ما فسد من أمر الامة ، وعلى تقويم ما اعوج من أمرها .. لا ننكر أن هناك فسادا ، ولا يمكن لأية أمة فى أى زمن أن يخلو أمرها من اعوجاج ، لكن أن تكون كلها فاسدة خارجة متمردة فهذا لن يكون ولن يصدقه عقل .. فكيف يصدق بعض الطيبين ــ وعفوا ((المغفلين)) أن يصدر هذا عن الرسول . ثم يكلفون أنفسهم جهدا ومالا فى اشاعته ؟ ! ! .

وبهذه المناسبة أحب أن آخذ بتلابيب الذين يجلسون يتسلون بالكلام عن أهل هذا الزمان .. وأنه آخر زمن وأنه .. وأنه .. الى آخر هذه النغمة التي يتفق مشربها مع هذا المنشور الخرافى المزمن . أحب أن أقول لهؤلاء المتشائمين ان ما يرونه من بعض أوجه الفساد فى هذا الزمان لا يمكن أن يصل الى ما وصل اليه بعض السابقين .. هل يستطيع مسلم كائنا من كان الآن أن يضرب الكعبة بالمدافع ويهدمها ؟ ! ! هل يستطيع مسلم أن يضرب المدينة بالمدافع ويخربها كما فعل بعض السابقين ؟ .

ان فينا ــ أهل هذا الزمان ــ خيرا وعندنا غيرة على ديننا ومقدساتنا أكثر من كثير من السابقين . وان الاسلام ليزحف ويكسب قلوبا جديدة ، وأنصارا أعزاء كل يوم تطلع فيه الشمس ، فلا يلفكم اليأس الأسود بظلامه ، ويحجب عنكم هذا الوجه المشرق ، وتقعدوا لا هم لكم الا أن تندبوا حظكم ، وتلطموا خدودكم ، وتشيعوا هذا المنشور الأسود وأمثاله فى الناس .

ان المستقبل للاسلام . وكذب الشيخ أحمد المزعوم فيما يقوله ، وويل للذين يشاركون فى اشاعة اليأس والفاحشة فى الذين آمنوا ..



لقب الخلافة

استوى عرش العثمانيين على ((اسلام بول)) وأحسوا أنهم أكبر قوة حربية وسياسية فى العالم الاسلامي ، ودفعوا برايات الهلال فوق ربى البلقان ، وجباله العالية . وحققوا حلما قديما راود المسلمين الاول من أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه .. ومن أجله خاضوا معارك الأندلس ،وضربوا فى أرض فرنسا حتى وصلوا الى ((ليون)) وتسلقوا جبال الألب وسيطروا على ممراتها سنين طويلة ووضعوا قبضتهم على عنق روما ، وهبطوا الى سهول سويسرا وبحيراتها ، وتزاوجوا مع أهلها ، وهى صفحة من تاريخ البسالة العربية ، كشفت عنها وثائق الكنائس فى هذه المناطق .. ولكنهم وقفوا عند حدود بحر الادرياتيك لم يتجاوزوه ، لأن مشرق الدولة العربية ـ حيث حكم العباسيون ـ كان على أشد الخصام مع مغربها ، حيث ساد الامويون ثم العلويون .

وهكذا كانت الفرقة دائما : سببا فى اختلاف السياسات ، ومعوقا ليس كمثله معوق عن بلوغ الاهداف . وكان من أهم نتائجها ، أن تسلم راية الفتح العثمانيون ، وظفروا بنصرهم الكبير على العاصمة بيزنطة وجعلوها قاعدة ملكهم ، ثم امتدوا منها حتى شاطىء الادرياتيك غربا ، وثنوا أعنة جيادهم فى عهد السلطان محمد الثاني الى الشرق ، لقتال الفرس ، وضم ملكهم الى هذه الدولة الفتية الجديدة ..

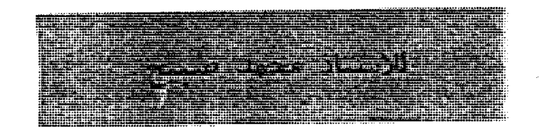
١٥ مليونا فقط

ومن عجب أن تعداد الاتراك كان يدور حول ١٥ مليون نسمة ، ومع هذا استطاع ملوكهم ان يجندوا جيوشا جرارة ، زادت على ربع مليون جندى ، كاملة العدة والسلاح والتموين ، متفوقة فى جسارتها وطاقتها على الاقتحام .

واذا نحن وقفنا عند أول القرن السادس عشر الميلادى ، وهو أيضا



بعد العباسيين



القـرن العاشر الهجـرى ، نجد أحداثا كثيرة تمر بالعالم وتستوقف النظر ..

ففي عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) (١) كان العثمانيون قد وصلوا الى نهر الدانوب ، وهم يقاتلون للاستيلاء على مملكة المجر . ونجد السلطان الغورى يتولى الحكم فى مصر . ونجد بعض البرتغاليين يصلون الى بلاد البرازيل . ونجد نهر الامازون يوضع للمرة الاولى على الخرائط .

ونمضي قليـلا مـع هذه الاحداث : فبعد ستة أعوام ، نجد مكتشف أمريكا ــ كريستوف كولومبس ــ يموت فقيرا منسيا لم يهتم به أحد ، ولم يحتفل له انسان . فى الوقت الذى وصـل فيـه الاستعمار الغربى الى جزيرتى مدغشقر وسيلان . ونجد حملة عسكرية غريبة ، تقوم من مصر ووجهتها الهند .. أجل الى الهند لكى توقف سير التاريـخ .. فقد أراد السلطان الغورى طرد البرتغاليين

---

(١) فى هذا العام نفسه قامت حملة بحرية عسكرية بقيادة « كبرال » الى شواطىء الهند من طريـق رأس الرجاء ليقضوا على النفوذ البحرى للعرب فى المحيط الهندى والبحر الاحمر وقامت معارك حربية على شاطىء بحر العرب بين البرتغال وحكام الهند الذين اضطروا اخيرا للاستعانة بالاسطول المصرى أيام ملكها « قنصوه الغورى » فسارع لانجادهم حيث كان يتحمس للقضاء على نفـوذ البرتغال فى الشرق ــ واشترك الاسطول المصرى مع اساطيل حكام الهند ضد الاسطول البرتغالى الذى انهزم اولا .. ثم انتصر فى المعركة التى دارت « امام سواحل الكجرات بسبب الخيانة . ورجع الاسطول المصرى دون أن يحقق الامل .. استفحل النفوذ البرتغالى فى بحر العرب وفى الهند وكان ذلك سنة ٩١٤ هـ ١٥٠٩م .. » انظر ص ٣٢٦ وما بعدها من كتاب « تاريخ الاسـلام فى الهند » لعبد المنعم النمر . « الوعى »



من هذه القارة ، واعادة التجارة الاسيوية عن طريق مصر ، بعد أن أخذت الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح .

ولم يستطع السلطان الغورى أن يوقف سير التاريخ ! ! ونمت القوة البحرية العالمية وتدفقت ثروات آسيا على أوروبا .. ومعها ثروات أمريكا .

ونمضى قليلا مع هذا القرن ، فاذا برتغاليون آخرون يصلون الى جزيرة سومطره ، وشبه جزيرة الملايو فى أقصى الشرق ، ونجد فى عام ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) سلطانا جديدا يجلس على عرش العثمانيين هو سليم الاول ، بعد وقائع وحروب حدثت بينه وبين ابيه السلطان بايزيد هرب على أثرها أخوه الى مصر .. خوفا من الانتقام . ولكن الانتقام حل بجميع آل عثمان من الذكور ، غير أولاده ، فقد أبادهم السلطان الجديد ، حتى الرضيع الذى لم يتجاوز شهورا خوفا من أن يأتي يوم ينتزع أحدهم منه العرش ، كما انتزعه هو من ابيه ! .

واتجه السلطان سليم الى آسيا ، فصفى حساب قومه مع الفرس ، ثم نظر الى القاهرة .

يقولون فى سبب حرب الاتراك لعرب الشام ومصر ، أن السلطان الغورى كان حليفا لملك العجم اسماعيل شاه ، فلما استولى الاتراك على « تبريز » استداروا لهذا الحليف الذى أمد عدوهم بالتموين ، واستولى على قوافل الذخيرة التركية ، وهي راحلة الى جبهة القتال ..

ولكنا لا نجد هذا وحده سببا مقنعا .. فان النصر يغرى باتباعه بنصر آخر .. وما دام الاتراك قد وصلوا الى كل هذا الاتساع فى رقعة الملك ، فلماذا لا يمدون سلطانهم الى أعظم مدائن المسلمين فى ذلك الوقت، وملجأ الخلفاء العباسيين ، والطريق الى افريقية والحرمين الشريفين ؟ ..

ومن حسن حظ التاريخ ، أن شيحا من المقربين للمماليك المصريين ، دون احداث هذه الفترة ، وان كانت مهنته الاصلية مما يدعو الى التأمل .. فقد كان ضارب الرمل للسلاطين والامراء ، ينبئهم بسير الامور وطوالع المستقبل ! ! وهو الشيخ احمد المعروف بابن زمبل . الذى لم يستطع رمله واستطلاع اسراره أن يكشف له عن مستقبل رأس أميره الكبير السلطان الغورى ، الذى تدحرج بعد حين فى بئر عميق .

السلطان سليم يستشير فى غزو مصر

يروى ابن زنبل ان السلطان العثماني سليم ، استشار وزيره الاعظم ابن هرسك ، فى غزو مصر ، فعارض قائلا : نحن تصادمنا مع عسكر مصر فى زمن أبيك ، وكنت انا باش (قائد) العسكر ، وكسرونا أشد كسرة . وقبضوا علي . ودخلت مصر أسيرا حتى وقفت بين يدى السلطان قايتباى ، فمن علي باطلاقي ، وعفا عنى ، عفا الله عنه ، وقد حلفت له ألا أسحب فى وجهه سيفا أبدا .

ولكن سليما لم يأبه لهذا الرأى ، وقرر المسير الى مصر . ووصلت الانباء الى القاهرة ورأى سلطانها الغورى ، أن يزحف بجيشه الى حلب ، ويلتقى مع الاتراك هناك . وقد كانت حلب فى تقدير التاريخ هي الباب الامامى لمصر ، من غلبها ، فقد فتح الطريق أمامه للقاهرة .. ومن هنا كان رأى العسكريين ، ان الحدود العسكرية (لا السياسية) لمصر هي جبال طوروس وان خط الدفاع الاول عن أرض النيل هناك فى أقصى الشمال من الشام الكبير .

استطلاع

وكأن السلطان سليم أراد استطلاع قوة الغورى ، فبعث له برسول سلام ، وزعم له الغورى انه جاء من مصر بأهل العلم جميعا حتى يصلح السلطان سليم واسماعيل شاه ! .

وأراد الغورى أن يحصل بدوره على معلومات عن معسكر آلاتراك فبعث بأحد امرائه ومعه عشرة من الاتباع فى أبهى زينة ، وأكمل عدة . فلم تعجب السلطان سليم هذه المظاهرة الصبيانية ، فأمر بقطع رقاب الاتباع العشرة ، وأمر بحلق ذقن كبيرهم ، وألبسه طرطورا ، وأركبه حمارا أعرج ، ورده الى معسكر الغورى مهينا ذليلا .

ودبت الفتنة بين مماليك الجيش المصرى ، وسرت بينهم الخيانة ، كل يريد ان تكون له السلطنة .

وكان الجيش التركى فى نحو ١٥٠ ألف مقاتل ، وعلى رأسهم سليم الاول ، يمسك بسيف هائل ، يقول انه سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

وعندما التقى الجمعان « رد الروم (الاتراك) على الجراكسة كالبحر اذا سال بعرض الوادى . فتراجع الجميع ، وأطلقوا المدافع والبندقيات ، وحملوا على الجراكسة والعربان والمشاة .. وصار النهار عليهم مثل القيامة الكبرى .. فصارت تلك الصحراء (مرج دابق) كالمجزرة من الدماء .

وقع السلطان الغورى على الأرض ، واخذ احد جنده ثيابه المطرزة وكانت تساوى ثلاثة آلاف ذهبا .. وتحاور بعضهم وسيدهم ملقى عند اقدامهم .. قال أحدهم :

— ما ترى فى أمر السلطان ؟ فاجاب صاحبه :

— ان نحن تركناه ، ورحنا وخليناه ، يأتى العدو فيقتلونه ويأخذون رأسه ، يطوفون بها جميع بلاد الروم ...

— فما الرأى ؟ .

— الرأى ان نقطع رأسه ، ونرمى بها فى هذا الجب . والجثة بلا رأس لا يعرفها أحد .

ونفذ هذا الرأى . ومضى آخر سلاطين المماليك الى آخرته ، رأسه فى بئر ، وجسده على سطح الارض بين أجداث القتلى .. واسلاب ثيابه وسلاحه غنيمة لأحد أعوانه .

ودخل السلطان سليم العثماني حلب ، وبذا فتحت أمامه الطريق الى مصر ..

وعادت فلول الجيش المملوكى المنهزم الى القاهرة حيث تولى منهم حاكم جديد هو طومانباى .. وقد تلقى من سلطان العثمانيين كتابا طلب منه فيه ان يتولى الحكم من قبله ، وان تكون باسم العثماني الخطبة والسكة (أى النقود) .

وتابع السلطان سليم زحفه ، والتقى مرة أخرى بعساكر المماليك فى خان يونس على أرض فلسطين .. ثم تابع زحفه الى القاهرة ، ودارت على مداخلها معركة كبيرة ثالثة ، وكانت قوات سليم قد وصلت الى ٢٠٠ ألف بمن أنضم اليها من جند الشام ، وقوات المصريين حوالي خمسين ألف مقاتل .

يشنقه ويتصدق على روحه !!

ثم استمرت الحرب مع بقايا المماليك بقيادة طومانباى عدة أسابيع أخرى . لقى فيها الاتراك (أو الروم كما كانوا يسمون) عنفا كثيراً . وانسحب الجركس الى بلدة سخا فى شمال الدلتا ، حيث كان يقيم عربان آل مرعى وشكر . وكبيرهم الامير حسن بن مرعى ، الذى استضاف كبير المماليك وأعوانه . وقد تآمروا على ضيفهم ، وقبضوا عليه وساقوه الى معسكر السلطان سليم وقد أمر بقتله ، فحملوه على بغلة الى باب زويلة ، من أبواب القاهرة ، حيث شنق وصلب وقد انقطع به الحبل مرتين قبل ان يموت . وبقى معلقا ثلاثة أيام .. وكفنوه فى ثلاثة أثواب من حرير الموصل اهداها سلطان الاتراك لجثته ، كما بعث بثلاثة أكياس من الفضة ، تصدقوا بها على روحه ! .

وبهذا انتهى حكم خمسين مملوكا تتابعوا على سلطنةمصر والشام والحجاز منهم شجرة الدر ، وكان حكمها ثلاثة أشهر . وكان زوالهم وانضمام مصر الى سلطنة العثمانيين عام٩٢٣ هـ ١٥١٧م.

وفى اتجاه العثمانيين الى القاهرة ووصولهم اليها ، لم يبد أول الأمر أن لسلطانهم أطماعا فى مركز الخلافة الاسلامية ، وحمل لقبه .. الا أن جمهور الامراء على الامصار العربية فتحوا المجال أمام السيد العثماني الجديد . فمثلا نجد أمير لبنان عثمان بن معن يقول فى دعائه للسلطان عندما تقدم له مع امراء اليمن والتركمان :

« اللهم أدم دوام من اخترته لملك ، وجعلته خليفة عهدك ، وسلطته على عبادك وأرضك وقدته سنتك وفرضك . ناصر الشريعة الغراء ، وقائد الامة الطاهرة الظاهرة ، سيدنا ، وولي نعمتنا ، أمير المؤمنين ، الامام العادل ، والذكى الفاضل ، الذى بيده أزمة الامر بادشاه . ادام الله بقاه .. الخ » .

مصير الخليفة العباسي

ولم يكن السلطان سليم يعلم شيئا من اللغة العربية . ولكن ترجم له هذا الكلام ، فسر له سرورا عظيما ، وأقره على امارة جبل لبنان ، وأطلق عليه لقب سلطان البر .. واكتفى السلطان فى هذه المرحلة بأن يكون لقبه خادم الحرمين الشريفين ، وسلطان البرين ، وخاقان البحرين . وان كان خادم الحرمين ، لم يتردد اول زحفه الى القاهرة ، فى أن يأمر بذبح القضاة الاربعة الذين يمثلون المذاهب الاربعة فى مصر ، لانهم كانوا فى صحبة الغورى ، وألحق بهم جميع أتباعهم الذين ساروا معهم الى رحلةحلب المشؤومة .. وعندما هم سليم بمغادرة مصر ، حمل منها الكثير من النفائس ، ورحل آلافا من رجال الحرف والصناعات ليساهموا فى تعمير حاضرة ملكه « اسلام بول » .. ولكن كان أهم ما حمله معه : الخليفة العباسي محمد المتوكل على الله .

وكان خلفاء بنى العباس قد هربوا الى مصر عند سقوط بغداد فى أيدى هولاكو التترى عام ٦٥٦ هـ (١٠٩١ م) .. أى انهم ظلوا لاجئين فى حمى المماليك أربعة قرون وربع قرن . فلما رحل آخرهم فى موكب الفاتح العثمانى سليم،انتهى اللقب فى هذه الرحلة . مع بعض شارات الخلافة التى كانت فى حوزة المتوكل ،وهى البيرق النبوى ، وسيف رسول الله عليه الصلاة والسلام وبردته ، ومفاتيح الحرمين الشريفين .

وعاش الخليفة العباسي الاخير فى ظل العثمانيين بضع سنين ، قرب فيها ، وأبعد ، وعانى حرمانا وضيقا شديدين . فلما تنازل رسميا عن لقب الخلافة ، سمحوا له بالعودة الى مصر ليقضي بقية عمره فيها ، تحت رقابة الوالى العثماني . ولا نكاد نسمع عن المتوكل شيئا ، الا فى عام ٩٢٩ هـ ، اثناء ثورة مصرية ضد الحكم العثماني .. ثم نعلم انه عمر حتى عام ٩٤٥ هـ . فلما مات ، زال آخر شبح للعباسيين فى الحياة السياسية والروحية للاسلام . وان كان الوجود الحقيقي للعباسيين انتهى بعد سقوط بغداد .. ففى هذه القرون الاربعة وبعض القرن هان اللقب بعد عز ، وشحب لونه ، وحالت معالمه .. ولا نكاد نجد سلاطين آل عثمان يحفلون كثيرا بحمله، او المباهاة به ، لانهم شهدوا من كان يحمله بحكم الميراث ، وكيف صار اليه أمره ..

رسالة الى ملك فرنسا

وأمامنا رسالة وردت فى تاريخ جودت باشا ، بعث بها السلطان سليمان الذى تولى العرش مكان أبيه سليم الاول ،

الى ملك فرنسا ، يذكر القابه فى ديباجة الرسالة على النحو الآتي :

« بعناية حضرة عزة الله،جلت قدرته ، وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدوة فرقة الاصفياء ، محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ، الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الاربعة ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وجميع أولياء الله .. » .

« انا سلطان السلاطين ، وبرهان الخواقين ، متوج الملوك ، ظل الله فى الارضين ، سلطان البحر الابيض والبحر الاسود (١) ، والاناضول ، والروملى ، وقرمان الروم ، وولاية ذى القدرية ، وديار بكر ، وكردستان ، وآذربيجان ، والعجم ، والشام ، وحلب ، ومصر ، ومكة والمدينة ، والقدس،وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا التي فتحها آبائي الكرام ، وأجدادى العظام ، بقوتهم القاهرة ، انار الله براهينهم ، وبلاد اخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتى بسيف الظفر .

« انا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان » .

« الى فرنسيس ملك ولاية فرنسا .. ! ! الخ » .

وعلى الرغم مما يبدو من مسحة التعاظم فى تعداد هذه الالقاب ، وهي سمة الحياة التركية فى تلك القرون ، الا ان لقبا غاب عنها ، وهو لقب « أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين » .

فاذا علمنا ان تاريخ هذه الرسالة هو عام ٩٣٢ هـ ، و ١٥٢٥ م ، فانا نجد اللقب انتهى من القاهرة ، ولم يظهر فى اسلام بول .

وكانت أمام السلطان سليمان مناسبة كبرى يستطيع ان يعلن فيها عن حمل لقب الخلافة ، وذلك عندما دخل بغداد فى عام ٩٤١ الهجرى (١٥٣٤ م) ، واقام فيها أربعة أشهر وزار قبور الأئمة العظام، وسافر الى النجف وكربلاء ، لزيارة مقام الامامين علي والحسين .

لم يفعل السلطان ذلك .

ولكن بعد ذلك ، نجد فى المعاهدات التي عقدها ممثلو السلطان سليمان القانوني اشارة الى لقب الخلافة ، ففي معاهدة السلام مع فرنسا التي عقدها ممثلون من الجانبين التركي والفرنسي ، نجد فى مادتها الأولى النص التالي :

البند الاول : تعاقد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الاعظم ، وملك فرنسا على السلم الأكيد .. الخ .

نرى اللقب يظهر هنا عندما يأتي السفراء ، والمفوضون . ولكنه لا يظهر فى مناسبات رسمية أخرى تحمل توقيع السلطان ، كما ذكرنا قبل ..

كيف سارت الامور بلقب الخلافة ، وسلطته الروحية ، وتأثير ذلك على سير الدعوة الاسلامية ؟ .

هذا هو السؤال الذى تحاول **دراساتنا القادمة الاجابة عليه ان شاء الله .**

---

(١) لا نراه هنا يضيف البحر الاحمر مع انه استولى على عدن، واصبح هذا البحر بحيرة اسلامية عثمانية لا ينازعه عليه سلطان آخر بعكس البحرين الابيض والاسود !!

الوصية السادسة . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده أي مما يتلى عليكم من الوصايا الالهية الحقيقة بالاتباع . أن لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاة أمره ، أو تعاملتم معه ، الا بأفضل الطرق التي توصل حفظ ماله ونمائه وتكاثره وزيادته ، والابقاء عليه كاملا غير منقوص ، ولا تتصرفوا فى ماله الا بما يعود عليه بالفائدة المحققة والمنفعة المؤكدة ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » أبلغ فى النهى ، لأن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الأسباب والابتعاد عن الوسائل التي توقع فى الفعل وتوصل اليه بلوغه الأشد معناه بلوغه سن الرشد ، وقال صاحب لسان العرب . الأشد معناه : مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة ، وقد اشترط الشارع الحكيم لايتاء اليتامى أموالهم بلوغهم سن الحلم (بضم الحاء واللام) والرشد معا ، ويظهر رشدهم فى المعاملات المالية بالاختيار والتجربة قال تعالى فى سورة النساء (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبدو واضحا جليا بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات واجادة التصرف فى تقليب المال وتثميره ، وقد حذر الله تبارك وتعالى من أكل مال اليتيم لما يترتب عليه من الفساد والاثم الكبير قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) فمن هضم حق اليتيم وتعدى على ماله وتجاوز المعتاد فى معاملته فقد حشى بطنه نارا وحمل معه سعيره من الدنيا وارتكب ما يوجب غضب الله عز وجل .

الوصية السابعة . ((وأوفوا الكيل والميزان بالقسط)) وهذا أمر بالعدل فى حالتى الأخذ والعطاء ، فيجب اتمام الكيل والميزان اذا وزنتم لأنفسكم فيما تشترون أو لغيركم فيما تبيعون ، وقد ذم القرآن الكريم المطففين فى سورة سماها باسمهم وتوعدهم بالعذاب الشديد والنكال الأليم فقال تبارك وتعالى (ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وأوضحت الآيات أنهم بعيدون عن الايمان بالبعث والحساب (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) . ولما كانت اقامة القسط تاما أمرا دقيقا جدا لا يمكن تحقيقه فى كل مكيل وموزون تمام التحقيق ، قال سبحانه وتعالى ((لا نكلف نفسا الا وسعها)) أى أنه تعالى لا يلزم أمرا الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج . فالمراد أنه يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد أنه لم يظلم فيهما بزيادة أو نقص يعتد به شرعا ، وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب وبعدهم عن العدل فى ميزان أو كيل فقال لهم نبيهم ((ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)) وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان ((انكم وليتم أمرا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم)) .

الوصية الثامنة . (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) أمر بالعدل فى الأقوال حين الشهادة أو القضاء ، ولو كان

المشهود له أو عليه وكذلك المتقاضى عندكم قريبا ، فالعدل فى الأقوال لازم وواجب كالعدل فى الأفعال ، وقد ورد فى سورة النساء ، واضحا جليا قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) وشدد الله فى العدل حين الشهادة أو القضاء مهما كانت الصلة بالمشهود له أو عليه أو المتقاضى لأن العدل قوام حياة الأمم فلا يصح أن تحكمنا الصلات قربت أو بعدت فتحملنا على الظلم أو الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد أو ظلم فالله سيحاسبه لأنه جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولا تخفى عليه خافية .

الوصية التاسعة . (وبعهد الله أوفوا) أمر بالوفاء بعهد الله دون ما خالفه وهو ينتظم ما عهده الله تعالى الى خلقه على ألسنة أنبيائه ورسله ، وما معاهدة الناس عليه بعضهم بعضا مما يوافق الشرع ، وقد ورد لفظ العهد فى القرآن كثيرا مشيرا الى ما ذكر قال تعالى (ولقد عهدنا الى بنى آدم) وقال (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم) وقال (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وقال (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) وجعل الله الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال سبحانه (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فى قوله (... واذا عاهد غدر) ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) أى أن ما سمعتموه مما تلوته عليكم هو ما وصاكم به الله فلعلكم تذكرون ما فيه من الصلاح لكم فيحملكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضا (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) . (وما يتذكر الا من ينيب) . (سيذكر من يخشى) .

الوصية العاشرة . (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) بيان لما يدعو اليه صلى الله عليه وسلم من الدين الخالص فالصراط المستقيم هو شرع الله ، عن ابن مسعود رضي الله عنه خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيلى مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه . ثم قرأ . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما فى معنى هذه الآية (ولا تتبعوا السبل) قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما أهلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات . (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه ، فالأمر باتباع الصراط المستقيم والنهى عن سبل الضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقى ويردى فى الآخرة ، وعمل ما يوصلكم الى السعادة الحقة فى الدنيا ، وقد وردت آثار كثيرة كثيرة فى شأن هذه الوصايا منها ما أخرجه الترمذى وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (من سره أن ينظر الى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات . قل تعالوا .. الى قوله تعالى ... لعلكم تتقون) نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا الى العمل بهذه الوصايا واتباع كل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والسلام على من اتبع الهدى .



حينما (اقترح على الاخ رئيس تحرير هذه المجلة الزاهرة) الكتابة عن الامام الاوزاعى ،طافت بخواطرى ذكريات أئمتنا الاعلام ، الذين يعدون بحق من مفاخر الاسلام الذى هو المنهاج الالهى للمسلمين وللناس اجمعين — لو كانوا منصفين — روحيا وفكريا وعاطفيا وعمليا ، طافت خواطرى بأعلام التشريع فى بداية دوره الرابع . (١) دور تصنيف السنة والفقه وتدوينهما ، وظهور الأئمة الاعلام كالامام مالك بن أنس فى المدينة المنورة ، وعبد الملك بن عبد العزيز فى مكة المكرمة ومعمر بن راشد فى اليمن ، وسفيان الثورى فى الكوفة ، وحماد بن سلمة وسعيد بن أبى عروبة فى البصرة ، وهشيم بن بشير فى واسط ، وعبد الله بن المبارك فى خراسان ، وجرير بن عبد الحميد بالرى ، وعبد الرحمن الاوزاعى بالشام .

وطافت خواطرى كذلك بمن تبع هؤلاء على رأس المئتين ، الذين ألفوا المسانيد كعبد الله بن موسى (الكوفى) ، ومسدد بن مسرهد (البصرى) وأسد بن موسى (المصرى) ونعيم بن حماد (الخزاعى) واسحق بن راهويه، وعثمان ابن أبى شيبة ، وأحمد بن حنبل ، ومن تبعهم من رجال الاختيار فى مقدمتهم الامامان البخارى ومسلم .

فنحن تلقاء سيرة عظيم من عظماء الاسلام علما وأدبا وصلاحا ، يكفى للتعريف الموجز بفضله أن يكون فى زمرة هؤلاء الاعلام .

مولده ونشأته ونسبه

ولد عبد الرحمن بن محمد الاوزاعى فى بعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة ونشأ

(١) هذا الدور من أوائل القرن الثاني الى نصف الرابع ، وهؤلاء الاعلام كانوا فى حدود بضع وأربعين ومئة . أما الأدوار السابقة . فدور عصر الرسول ، ثم عصر كبار الصحابة ، ثم صغارهم (يراجع التشريع الاسلامي للاستاذ الخضرى — ص ١٩٢ وغيرها) .

• أعظم من أنجبته أرض الشام من الفقهاء

• إمام من طبقة الأئمة المعروفين ولكن لم ينهض أتباعه بتدوين مذهبه ..

• قال عنه الإمام مالك : إنه كان إمام أهل زمانه

• وسئل عن الثوري والأوزاعي وأبي حنيفة أيهم أرجح ؟ قال الأوزاعي .

للأستاذ/ أحمد مظهر العظمة
رئيس تفتيش مكتب الدولة ــ دمشق

فى البقاع يتيما فى حجر أمه التى كانت تتنقل به من بلد الى بلد (١) نسب الى الأوزاع ، اسم قبيلة من اليمن ، أو قرية بدمشق على طريق باب الفراديس ، سميت القرية باسمهم لسكناهم بها على ما يظهر . (٢)

اخلاقه وصلاحه

قال العباس ابن المحدث الكبير الوليد ابن مزيد العذرى البيروتي الذى روى عنه الأوزاعى . (ما رأيت ابى يتعجب من شيء ما رآه فى الدنيا تعجبه من الأوزاعى . كان يقول سبحان الله يفعل ما يشاء .. يقول : يا بنى عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه فى نفسه، ما سمعت منه كلمة قط الا احتاج مستمعها الى اثباتها ، ولا رأيته ضاحكا قط حتى يقهقه . ولقد كان اذا أخذ فى ذكر المعاد (أقول فى نفسى . أيرى فى المجلس قلب لم يبك ؟) «(٣)» .

وقال أبو عبد الله (الواقدى) أشهر من خط فى المغازى : قال الأوزاعى (كنا قبل اليوم نضحك ونلعب ، أما اذا صرنا

(١) ص ٤٩ من (محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى بخط الشيخ زين الدين الخطيب (فهو ناسخه سنة ١٠٤٨) وبتقديم وتعليق الأمير شكيب أرسلان ، الذى قال : (ويظهر لنا أن جامع هذا الكتاب هو من أهالى القرن التاسع ..) .

(٢) (محاسن المساعى ــ ص ٢٩) .

(٣) محاسن المساعى ــ ص ٥٠ .

أئمة يقتدى بنا فلا نرى أن يسعنا التبسم ، وينبغى أن نتحفظ) «١»

وقال عالم الشام الوليد بن مسلم : (ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعى فى العبادة) «٢» . وقال العابد محمد ابن عجلان : (ما رأيت أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعى) «٣» .

دخلت امرأة من جيرانه على امرأته ، فرأت الحصير التى يصلى عليها بالليل مبلولة ، فقالت لها . لعل الصبى بال هاهنا ؟ فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده ، وقالت . هكذا تصبح كل يوم «٤» . وكان الأوزاعى من أكرم الناس وأسخاهم فقد كان له فى بيت المال من الخلفاء اقطاع صار اليه من بنى أمية «٥» .

علمه

ترجم للامام الأوزاعى الحافظ الشهير محمد بن أحمد الذهبى فى كتابه الكاشف (وهو مختصر التهذيب) . فقال . عبد الرحمن بن عمرو شيخ الاسلام أبو عمرو الأوزاعى ، الحافظ الفقيه ، الزاهد ، أخذ عن عطاء «٦» ومكحول «٧» ومحمد بن ابراهيم «٨» ، ورأى محمد بن سيرين «٩» واخذ عن قتادة «١٠» ، ويحيى بن أبى كثير شيخاه ، وابن عاصم «١١» ، والفريابى «١٢» ، وكان رأسا فى العلم والعبادة ، ورقم له علامة الجماعة ـ يشير أنه روى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجة ـ وهم اصحاب الكتب الستة أصول الاسلام ، والله أعلم «١٣» .

قال مالك . كان الأوزاعى امام أهل زمانه .

وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثورى آخذ بزمام جمله ، ومالك بن انس يسوق به ، والثورى يقول :

أفسحوا للشيخ ، حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه «١٤» .

وقال الحافظ الشهير يحيى بن معين . العلماء أربعة . الثورى ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعى «١٥» .

وقال يحيى القطان (حافظ القرآن) عن مالك . اجتمع عندى الاوزاعى والثورى وأبو حنيفة ، فقلت .

أيهم أرجح ؟ قال . الأوزاعى «١٦» .

وقال ابن زياد . أفتى الأوزاعى فى سبعين ألف مسألة بحدثنا وأخبرنا «١٧» .

---

(١) محاسن المساعى ـ ص ٨٣ .
(٢) محاسن المساعى ـ ص ٧٥ .
(٣) محاسن المساعى ـ ص ٧٠ .
(٤) محاسن المساعى ـ ص ٧٠ .
(٥) محاسن المساعى ـ ص ٧٦ .
(٦) عطاء احد التابعين انتبت اليه الفتوى بمكة (ت١١٥) « ٧ » مكحول عالم الشام (ت ١١٨) .
(٨) محمد بن ابراهيم التيمى الفقيه المحدث المدنى (ت ٢٠٠) .
(٩) محمد بن سيرين المصري اشتهر بالحديث والفقه والورع وتعبير الرؤيا (ت ١١٠) .
(١٠) قتادة من التابعين (ت ١١٧) .
(١١) قال أمير شكيب . يجوز أن يكون أصل هذه الكلمة (ابو عاصم) .. محدث البصرة (ت ٢١٢) .
(١٢) محاسن المساعى ـ ص ٥٤ ـ ٦٢ .
(١٣) محاسن المساعى ـ ص ٦٢ .
(١٤) محاسن المساعى ـ ص ٧١ .
(١٥) محاسن المساعى ـ ص ٦٧ .
(١٦) محاسن المساعى ـ ص ٦٦ .
(١٧) محاسن المساعى ـ ص ٦٦ .

وكان الأوزاعى من رجال الحديث الذين يكرهون القياس «١» ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وقاضى الشام أوزاعى ، ثم انتقل مذهب الأوزاعى الى الاندلس مع الداخلين اليها من أعقاب بنى أمية ، ثم اضمحل أمام مذهب الشافعى فى الشام وأمام مذهب مالك فى الاندلس ، وذلك فى منتصف القرن الثالث «٢» .

فمذهبه من المذاهب البائدة ، التى أفقدها كون روح التقليد لم تكن قد وجدت ، فضلا عن اهمال تدوينها ، وعدم وجود من ينهض بها بعد ذويها ، وله كتاب السنن في الفقه و (المسائل) «٣» .

بلاغته

كان الامام الأوزاعى من الفصحاء والبلغاء النابهين السابقين الذين سخر لهم فصل الخطاب ، وتحس فيهم قوة الحجة ، وصدق الطوية ، وأصالة الاسلوب العربى المشرق الجميل ، دونما عنت ولا استكراه ، وكان يساعده على ذلك سبيله من الايجاز الذى يبعده عن التقعر والتعمل والحشو والخطل .

« وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ، ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عباراتها . وقد قال المنصور يوما لأحظى كُتّابه عنده — وهو سليمان بن مخلد — ينبغى أن تجيب الأوزاعى عن كتبه ، فقال . والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الارض على ذلك . وقال : لاعلى كل كلامه ولا شىء منه ، وانا نستعين بكلامه نكاتب به الى الآفاق الى من لا يعرف انه كلام الأوزاعى (٤) »

كتب الى أخ له . (أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، وأنه يسار بك فى كل يوم وليلة مرحلتان ، فاحذر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك ، والسلام) «٥» .

بينه وبين المنصور

وكتب أبو جعفر المنصور اليه . (أما بعد ، فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك فى عنقه ، فاكتب اليه بما رأيت فيه المصلحة) .

وهو كتاب يدل على ثقة كبرى بالامام ونصحه — فكتب اليه : (**أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضعْ يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الارض بغير الحق .** واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله تعالى عليك الا وجوبا) «٦» .

ولما وقع فى يد ملك الروم الالوف من المسلمين أسرى ، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم ويأبى أبو جعفر ، فكتب الأوزاعى اليه :

(أما بعد ، فان الله تعالى استرعاك هذه الأمة ، لتكون فيها بالقسط قائما ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم فى خفض الجناح والرأفة متشبها ، واسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة ، ويرزقه رحمتها ، فان سائخة المشركين التي غلبت عام أول ، وموطئهم

البقية على ص ٨٣

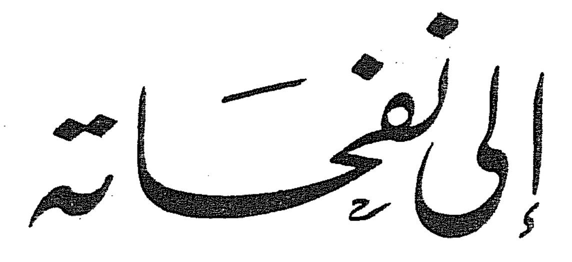
(١) اذ كان يعتمد على النصوص لا على الاشباء والنظائر وعللها فى الاحكام .
(٢) (التشريع الاسلامي) للشيخ محمد الخضرى ص ٢٨٠ وقال مؤلف محاسن المساعى بهذه المناسبة ص ٦٢ . وبقى أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحوا من مائتي سنة وعشرين سنة وقال — ص ٤٤ . ثم أفتى العازفون به (يعنى مذهبه) وبقى عنه ما يوجد فى كتب الخلاف .
(٣) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلى ص ٥٠٢ . (٤) أحسن المساعى — ص ٧٢ .
(٥) أحسن المساعى — ص ٨٤ . (٦) أحسن المساعى — ص ١٢٠ .

ما أحوج الدنيا

ماذا يطيق الشعر في ابداعه   أو يستطيع الفن في آياته
لم تبلغ الأفهام في سبحاتها   ساح الخلود وأنت في ذرواته
هذا الوجود ألست باعث نوره ؟   أولست فرحته وسر حياته ؟
ماذا أقول وأنت في آماده   نغم على شفتيه ملء ذاته

نغم تذوب الروح في سبحاته   تتفتح الدنيا على همساته
أنشودة الأجيال من أصدائه   ومفاخر التاريخ في صفحاته
نبع من الأضواء ثر غامر   نور الحياة يفيض من مشكاته
فرد وتنقاد الحياة لأمره   يتسابق الملكوت في طاعاته
الأمس صنع يديه في لألائه   والمجد ذروته لدى عتباته
ماذا يقول الشعر وهو محمد   جبريل بعض الجند في ساحاته
المجد من أعلامه والوحي من   أحلامه والله في مرضاته
بشر تخاطبه السماء بزجرها   وتسارع الأقدار في رغباته
لا يا محمد ليس لي بك طاقة   كلا ...ولا شعري ..ولا طفراته
هذا هو القرآن اعجاز الورى   وأراك قد صورت في آياته
لا يارسول الله ما نال امرؤ   أن يبلغ الاعجاز في أبياته

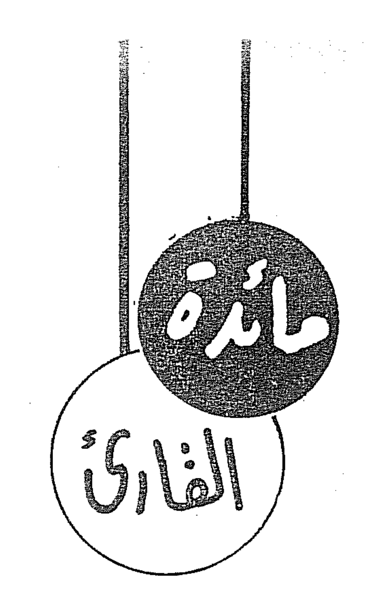
فاعرف مكانك يا قريض فانما   هذا مقام الوحي في سبحاته
حسبي الهوى لا المدح . ان مقامه   لن يدرك المداح بعض صفاته
في كل شئ في الحياة هوى له   أو ما ترى للطير في باحاته
فاذا سألت الأرض هلل طودها   واهتز ان نوديت في جنباته
أما السماء فما تهاوى شهبها   الا مقبلة ثرى خطواته
أما الفؤاد فما يحن حنينه   الا وأنت تعيش في خلجاته
يا للجوى والقلب من برحائه   لا تبرد الآهات من غلاته
شاج وما يفتر عن هذا الشجى   باك وما يروى سوى عبراته
يشكو نواك وأنت ملء حياته   لم تنفرد نجواك عن خفقاته
أنا من معينك أستعير قصائدي   لا من خيال الشعر أو خطراته



للاستاذ
محمد بدر الدين

أهديه للأمجاد في عليائها … وأجدد الأجيال من قطراته
ولقد تركت ذوى الخيال لأمرهم … ومضيت أنهل من ندى راحاته
فإذا الوجود ولا وجود .. وإنما … أنا في ذهول القلب أو نشواته
نهم أعب وأستزيد .. ومن ينل … قرب الحبيب ازداد في صبواته
ان تبسم الدنيا فأنت حيالها … تجلو السبيل محذرا غدواته
أو تعبس الأخرى فأنت إذاً لها … أمنٌ لمن لبّاك من عثراته
والعالم المحموم في وثباته … ما زال دون صباك في خطواته
ميزان قسطاس وآية رحمة … والفصل كل الفصل في كلماته
هذا الذى حزم النفوس بحلمه … ما أحوج الدنيا إلى نفحاته
قم يا محمد اننا في عالم … أشقى تقاذفه ضلال هداته
في كل يوم صرخة أو غارة … حتى ألفنا في الدجى صرخاته
العقل قد زعموه خير هداتهم … ونسوا هدى الرحمن في غمراته
فتنوا به عن ربهم وكتابه … وهو الذى سواه من آياته
فاذا بهذا العقل يصبح نقمة … واذا ضلال الأرض من غلاته
فمتى يعود هداك في أيامنا … يأسو جراح الكون من رحماته

انا وان كنا أضعنا مجده … ما زال حول الحق بعض دعاته
مازال فينا من يجمجم قلبه … والدمع في أسف على وجناته
خزيان مما ضاع من أمجادنا … لهفان يرجو النصر في كراته
ان ضاقت الدنيا به أو هاجه … ألم رآك تشد من عزماته
وتذكر الشعب الذى أسكنته … والبأس في رصد على شرفاته
وصبرت حتى جئته في عزة … والفتح يرفع فوقه راياته
وسجدت والدمعات فاض معينها … ووهبت للرحمن ذنب عصاته
حلم وإيمان وعزم باذخ … العفو أقوى فيه من غاراته
ماذا يطيق الشعر في ابداعه … أو يستطيع الفن في آياته
لم تبلغ الأحلام في سبحاتها … بعض الذى اوتيت من ذرواته



مع الشروق والغروب

قال عليه الصلاة والسلام : ـ

« ما طلعت شمس قط الا بعث بجنبتيها ملكان ـ يسمعان أهل الأرض الا الثقلين ـ يأيها الناس هلموا الى ربكم ، فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمس قط ، الا وبعث بجنبتيها ملكان يناديان . اللهم عجل لمنفق خلفا ، وعجل لممسك تلفا » .

مسئولية الحكم

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا محمد بن كعب القرظى ، فقال له : انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشر علي .

فقال له محمد بن كعب : يا أمير المؤمنين اذا أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا : وأوسطهم أخا ، وأصغرهم عندك ابنا . فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

سرعة بديهة

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى جدى يوضع على مائدته ، فحضره أعرابى ، فمد يده الى الجدى وجعل يسرع فيه ، فقال له المغيرة : انك لتأكله عزفا عنه كأن أمه نطحتك . فقال الأعرابى : وانك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .

قلة ذوق

قال رجل لعمارة بن حمزة : أتيتك فى حويجة .. فقال له : دعها حتى تكبر ..

غباء

بعث رجل ابنه ليشترى له حبلا ، فقال له : اجعله عشرين مترا ، فقال الولد : فى عرض كم ؟ قال : فى عرض مصيبتي فيك ..

هذا الانسان

قال علي بن أبى طالب رضي الله عنه : أعجب ما فى الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فان سخ له الرجاء أذله الطمع . وان هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعد بالرضا نسى التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الأمن استلبته العزة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان افرط فى الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير مضر وكل افراط له قاتل .

علو همة

مر يزيد بن المهلب باعرابية ، فقرته عنزا ، فقبلها ، وقال لابنه معاوية : أعطها ثمانمائة دينار ، فقال له ابنه : هذه يرضيها اليسير ، وهي لا تعرفك ، فأجابه : ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير ، وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي : فأعطاها اياها .

عالم وخليفة

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة المنورة للزيارة ،فبعث الىأبى حازم ،فلما قدمعليه قالله : ما لك لا تأتينا يا أبا حازم ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين وما أصنع باتيانك ، ان أدنيتني فتنتني ، وان أقصيتني أخزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندى ما أخافك عليه ..

قال : فارفع الينا حاجتك .

قال : قد رفعتها الى من هو آقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت .

معك لا معى

قال رجل لابى بكر رضي الله عنه : والله لأسبنك سبا يدخل معك القبر ..

قال أبو بكر : معك يدخل ، لا معى .

من كل شيء أحسنه

جلس أعرابى الى مجلس ايوب السختياني فقيل له : يا أعرابى لعلك قدرى قال وما القدرى فذكر له محاسن قولهم . قال : انا ذاك ، ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم . فقال : لست بذلك قال : فلعلك مثبت قال : وما المثبت ؟ فذكر محاسنهم فقال : أنا ذاك ، ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم . فقال : لست بذاك قال : أيوب : هكذا يعقل العاقل يأخذ من كل شيء أحسنه .

الأيام أربعة

١ ــ يوم مفقود ، وهو ما فاتك وقد فرطت فيه .

٢ ــ ويوم معدود ، وهو ما مضي وقد ملىء بعمل الخير .

٣ ــ ويوم مشهود ، وهو يومك الحاضر ، فاجتهد أن تتزود فيه .

٤ ــ ويوم مورود ، وهو غدك الذى لا تدرى هل هو من أيامك أم لا ..

عاطفة القرابة

مات أعرابى ، فبكى عليه أخوه ، فقيل له : أتبكى عليه وقد كان يريد قتلك ؟ فقال : حركنى للبكاء عليه ارتكاضنا فى بطن ، وارتضاعنا من ثدى ..

أخ ولكن ...

تعرض رجل لهشام بن عبد الملك ، وادعى انه أخوه ، فسأله : من أين ذلك ؟ قال : من آدم . فأمر له بدرهم ، فقال السائل : مثلك لا يعطى درهما ،فقال هشام : لو قسمت ما فى بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم ينلك الا دون ذلك .

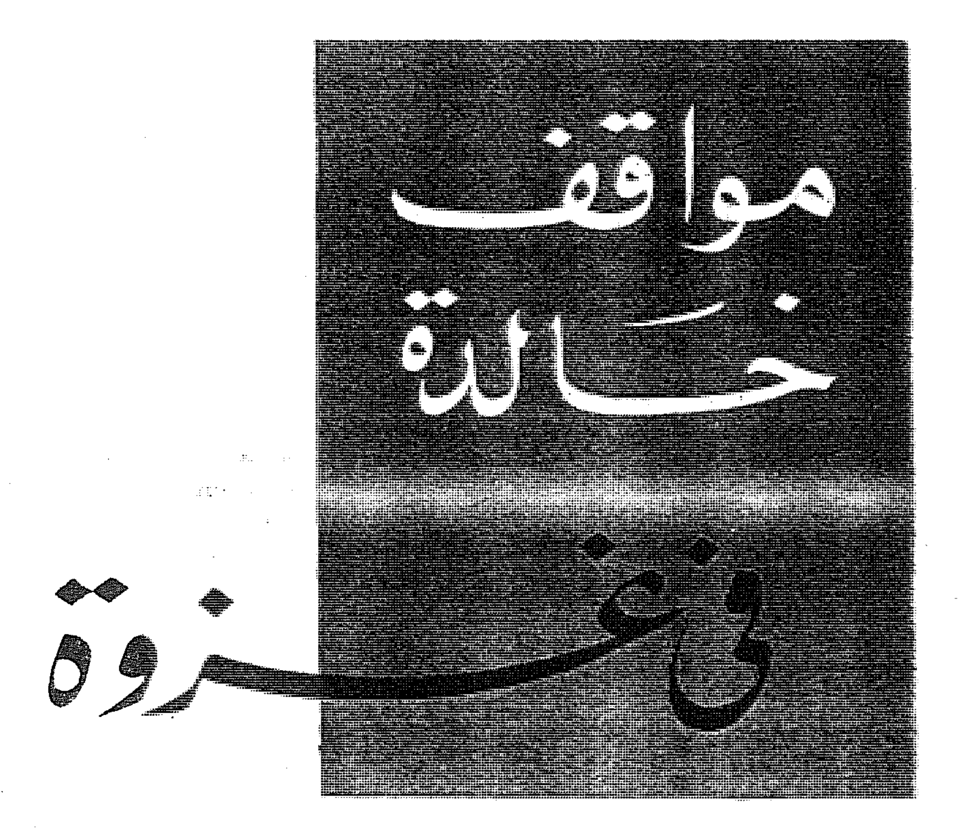
لا تقلق

سهرت عيون ، ونامت عيون ... في شئون تكون ، أو لا تكون
ان ربا كفاك بالأمس ما كان ... سيكفيك في غد ما يكون

علمتني الحياة

قال المرحوم محمد مصطفى حمام :

علمتني الحياة أن « حياتي » ... انما كانت امتحانا طويلا
قد أرى بعده نعيما مقيما ... أو أرى بعده عذابا وبيلا
عل خوفي من الحساب كفيل ... لي بالصفح يوم أرجو الكفيلا
عل خوفي يردني عن أمور ... خبثت غاية وساءت سبيلا



لم يكن قد مضى غير أشهر على عودة الرسول الى المدينة بعد عمرة القضاء التي تمت وفاء بعهد الحديبية حين أعد عليه الصلاة والسلام العدة ، وعبأ المهاجرين والانصار للغزو والجهاد في أطراف الجزيرة العربية شمالا لتأديب من قتلوا خمسة عشر رجلا كان قد أرسلهم الى ذات الطلح على حدود الشام يدعون الى الاسلام دعوة كان جزاؤهم عنها القتل لم ينج الا رئيسهم .

وخرج الجيش الاسلامي مؤلفا من ثلاثة آلاف من خيرة رجال النبى بقيادة زيد بن حارثة . وقال الرسول : « ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على الناس » . وقد خرج مع الجيش خالد ابن الوليد ليدل بحسن بلائه في الحرب على حسن اسلامه .

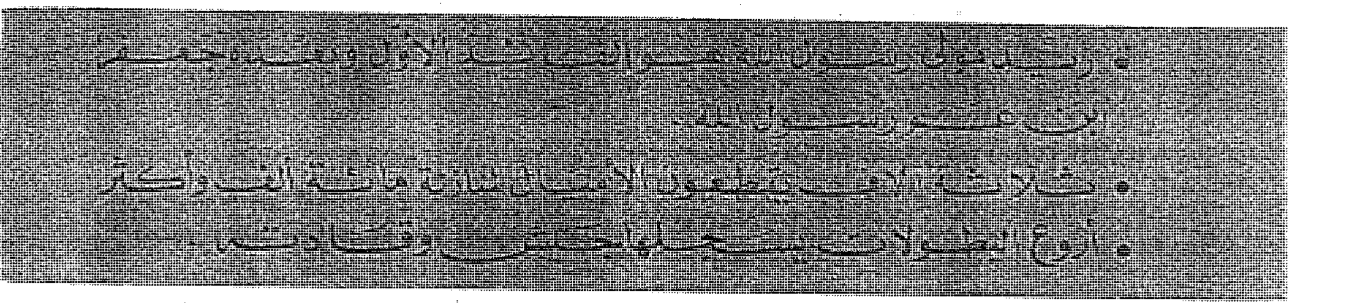
لكن أنباء مسيرة المسلمين كانت قد سبقتهم ، فجهز الروم لمقاتلتهم جموعا حاشدة منهم ومن حلفائهم أعداء الاسلام . وفي مؤتة بدأت المعركة حامية الأوار بين مائة أو مائتى ألف من جيوش هرقل عاهل الرومان وثلاثة آلاف من رجال الرسول . وقتل زيد بن حارثة حامل راية النبي فتناولها من يده جعفر بن أبى طالب فلحق بسلفه ، فتلقى منه الراية ابن رواحة ، وقاتل تحت اللواء حتى قتل . ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد قائدا . وأمكن خالد تدبير خطته الحربية ، حتى ضم صفوف الجيش ، ثم انسحب ومن معه راجعين الى المدينة ، بعد أن تيقن أنه لا قبل له بمقاتلة الروم الذين يبلغون أضعاف جنده عددا .

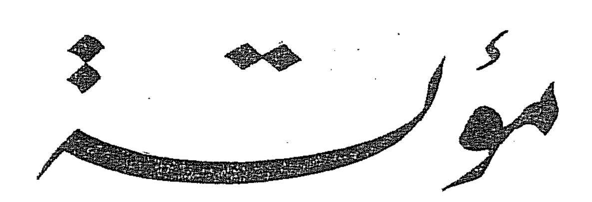
تلك خلاصة موجزة لأحداث غزوة مؤتة التي تمت في أوائل السنة الثامنة للهجرة (سنة ٦٢٩ ميلادية) وينعقد اجماع المؤرخين على أن أهمية غزوة مؤتة ترجع الى أنها كانت مقدمة غزوة تبوك ، وما كان بعد وفاة النبى من فتح الشام .

بيد أن ما نود أن نتناوله في هذا المقام هو عرض بعض المواقف الاسلامية الانسانية الخالدة في هذه الغزوة ، وتحليلها لكشف دلالاتها ،وتحديد موقعها من روح العقيدة الاسلامية ومكانها من البطولات الاسلامية ، وذلك في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسات العلمية الحديثة .

وعلى رأس هذه المواقف موقف محمد القائد المرسل في تفكيره وتدبيره وقيادته وتوجيهه .

وموقف القادة الثلاثة الذين حملوا اللواء واحدا





للمقدم حسن فتح الباب

بعد الآخر ، كما أوصى الرسول ، ثم موقف خالد ابن الوليد .

ويأتى بعد ذلك موقف الجند المسلمين العائدين.

وأخيرا موقف المسلمين الذين استقبلوهم فى المدينة .

دقة التوقيت وبعد النظر

وأول ما يسترعى نظر المتأمل فى أنباء تلك الموقعة وظروفها هو اكتمال القدرات القيادية التي وهبها الله النبى العربى . فالقرار الذى اتخذه الرسول بالغزو تجتمع فيه دقة التوقيت وبعد النظر وسلامة البصيرة والحسم والرحمة .

أما دقة التوقيت فتتبين من اختيار القائد المرسل أكثر الأوقات مناسبة للغزو وتوافقا مع الهدف منها . فالهدف البعيد هو توسيع دائرة انتشار الدعوة الاسلامية ، حتى تتجاوز حدود الجزيرة العربية ، وتصل الى كل مكان على الأرض، لأنها دعوة لتحرير الانسانية بأسرها . وقد اجتمعت ظروف معينة لم تكن لتغيب عن القائد الأعظم الذى أنزل الله عليه الوحى من لدنه . فكان أن استخدم هذه الظروف لصالح الاسلام . ذلك أنه لم يكن قد مضى على هدنة الحديبية غير عام وبعض عام ، ولم يكن قد جد ما يوجب نقضه ، ومن ثم طرح النبى فكرة التعجيل بفتح مكة ، فضلا عن أنه كان يعلم أن الزمن فى صف الدعوة . فلتكن اذا وجهته فى نشر الاسلام أرضا أخرى . ولتكن هذه الأرض هي الشام والبلاد المجاورة شمالا للجزيرة العربية بوصفها المنفذ الأول لطريق انتشار الاسلام ، بعد أن أمن الجنوب بعهده مع قريش ، وباذعان عامل اليمن للدعوة . ومع ذلك فلم يكن النبي ليقدم على شن الحرب فى غير ضرورة من دفاع أو عقاب على عدوان .

حرب لا بد منها

ان نفرا من الأعراب قد عمدوا الى اتخاذ المركب الوعر ، فقتلوا أصحاب محمد الذين أرسلهم على حدود الشام للدعوة الى الاسلام ، فكان قراره الحاسم بتجريد حملة حربية لتأديبهم ردعا لهم ، وعبرة لغيرهم ممن قد تسول لهم أنفسهم أمر الاعتداء على المسلمين ، وبثا للعزة والقوة فى نفوس المؤمنين لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . ولا يتردد القائد الأعظم فى اتخاذ هذا القرار الرادع ، بل يصدره مدبرا له كل عوامل النجاح فى التنفيذ ضمانا لتحقيق الهدف ، وسعيا اليه من أقوم

السبل . لقد أدرك القائد المبعوث من عند الله أن سكوته على العدوان من شأنه أن يطمع فيه المعتدين وغيرهم من الخصوم ، وأن الدعوة الاسلامية ـ وهي ما تزال بعد في نشأتها الأولى ـ لن يقدر لها الذيوع الا اذا ظهر أنصارها أمام أعدائها بمظهر الأقوياء الذين لا يساومون ولا يلينون ، وأن تحمل المسلمين لمزيد من التضحيات خلال تلك المرحلة خير من الانتظار الذى يطوى مخاطر شديدة على الدعوة، ويحقق مكاسب للاعداء في المدى البعيد . فالمبادرة وأخذ المشركين على غرة ـ قبل أن ينظموا صفوفهم، ويعقدوا الأحلاف مع أعداء الاسلام ـ وارهابهم بما أعد لهم من قوة ومن رباط الخيل ، هي الخطة الحكيمة التي ينبغي اتخاذها ، ولقد حان الوقت المناسب لذلك بعد أن بدت منهم بوادر الغدر وسوء الطوية .

ولقد كان طبيعيا حيال هذه الظروف أن تتخذ هذه التعبئة الروحية شكل الاعداد للجهاد ، فجهز النبى جيشا قوامه ثلاثة آلاف جندى من المسلمين . ولم يكتف بالاضطلاع بمسئوليته في اختيار القائد ، بل وضع في اعتباره احتمالات المستقبل ، حتى لا تحدث مفاجآت لم تكن في الحسبان ، فيتعرض الجيش للاضطراب ، مما يؤثر على سلامة الخطة الموضوعة . فعين ثلاثة من المسلمين لامارة الجند يلى الواحد منهم الآخر بالترتيب كلما استشهد سابقه ، اتقاء للتنازع حول الامارة ، وما قد يجره من انقسام في صفوف الجبهة لا يؤمن معه النصر على الأعداء .

احتياط

لم يكتف القائد العظيم بتعيين أمير أو أميرين على الجيش في تلك الغزوة ، بل سار شوطا بعيدا في الأخذ بالحيطة درءا لعوامل الخطــر وايثارا للسلامة . واذا لاحظنا أن غزوة مؤتة كانت مــن أوائل الغزوات الحقيقية في تاريخ الاسلام ، أدركنا مبلغ سلامة بصيرة النبى العربى وبعد نظره ، وما ينطوى عليه كل ذلك من ارساء تقاليد جديدة لفن الحرب وادارة المعارك تنفع المسلمين بعد وفاته عليه السلام . فالقائد من الجيش بمثابة الرأس من الجسد لا قيام له بدونها . فليكن هناك أكثر من بديل يتولى الأمر عند الحاجة ويسد الفراغ ، وهذا ما يطلق عليه في علم الادارة الحديثة خلق صنف ثان من القادة،حتى يصبح العمل لا الشخص هو أساس تحقيق الأهداف .

ولقد صدق تفكير رسول الله صلى الله عليــه وسلم فتأكد بالدليـــل العملي العبرة من هذا التقليد ، واستقرت في نفوس المســلمين كقاعدة ينبغي الالتزام بها كلما جدت ظروف مماثلة . كذلك فقد ثبت بالتجربة حسن اختيار القائد العظيــم لقادة جيشه ، اذ كان اقدامهم واقتحامهم صفوف الأعداء ، حتى استشهدوا الواحد تلو الآخر دليلا ما أروعه من دليــل على شــجاعتهم النادرة ، وفدائيتهم المنقطعة النظير ، وحسن الاختيار هو أحد عناصر الكفاية التي ينبغي توافرها في القائد المكلف بغزوة كغزوة مؤتة ، يبلـــغ فيها الأعداء أضعاف أضعاف جنوده عدا ، فلا ســبيل الى مقاتلتهم الا بشحذ الروح المعنوية ، وتعبئة النفوس بمعاني الايثار والتضحية والفداء ، حتى يصبح الواحد منهم كفئا لقتال العشرات ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

أيمان في الذروة

يا للموقف البطولي الرائع الذى وقفه القادة الثلاثة في أشد الظروف حرجا ، وأقســاها على احتمال البشرية ! ها هو ذا شرحبيل والى هرقل أمبراطور الروم على الشام يستعين بمن حوله من القبائل أعداء الاسلام ، وها هو ذا هرقل يستجيب له فيمده بجيوش من الاغريق ومن العرب .وتذهب بعض الروايات الى أبعد من ذلك فتقول : ان هرقل نفسه تقدم بجيوشه حتى نزل مآب من أرض البلقاء على رأس مائة ألف من الروم ، كما انضم اليه مائة ألف آخر من لخم وجذام وغيرهما . ويقال ان تيودور أخا هرقل هو الذى كان على رأس هذه الجيوش لا هرقل نفسه .

ويبلغ المسلمين وهم بمعان أمر هذه الحشـــود الزاخرة ، فيقيمون بها ليلتين يفكرون ماذا يصنعون أمام هذا الطوفان البشرى الذى لا قبل لهم به ، والله تعالى يقول « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »

وينفذ الى أسماعهم صوت من بينهم يقول : نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعددنا فاما أن يمدنا بالرجال ، واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له . وكاد الرأى العام أن يسير فى هذا الاتجاه لولا أن تقدم عبد الله بن رواحة وكان الى جانب شهامته وفروسيته شاعرا ، فقال فى نبرات قاطعة « يا قوم ! والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة » وسرى صوته كالتيار فى نفوس المؤمنين . فقال الناس : فوالله صدق ابن رواحة . ومضوا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف ، فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى قرية مؤتة لأنهم رأوها خيرا من مشارف لتحصنهم بها .

وفى مؤتة التقى الفريقان ، وكانت المعركة بين جيشين غير متكافئين فى العدة والعتاد .

ولكنه الايمان الصادق العميق قوة لا تعادلها قوة العدو والسلاح ، والروح المعنوية الشامخة تتهاوى أمامها الحواجز والعقبات ، وتقصر المسافات ، وتتضاءل المنافع الذاتية ، ويصبح الفداء قيمة كبرى فى ذاتها لا تعدلها الا قيمة الايمان .

لقد انطلق زيد بن حارثة الى ساحة الحرب على رأس جيشه ، وقد حمل راية الرسول لا يتهيب المخاطر ولا يرهب الموت – حين لم يكن من الموت بد – وظل يضرب ويضرب ، والرماح تنوشه من كل جانب حتى هوى صريعا ، وسلك مسلك الشهداء الأبرار فى عليين .

وما أسرع ما تلقى منه الراية جعفر بن أبى طالب مقتحما صفوف الأعداء ، وقد طوقوا الجيش الاسلامي بجموعهم الحاشدة ، ضاربا بالسيف فى أعناقهم حتى قطعت يمينه فتناول الراية بيسراه ، فقطعت ، فاحتواها بين عضديه حتى خر صريعا .

وأخذ القائد الثالث عبد الله بن رواحة مكانه على رأس الجيش ، وقد اشتد الكرب وعظم البلاء ، فجعل عبد الله يتردد بعض التردد ، ثم قال وقد عقد عزمه على التضحية :

أقسمتُ يا نفسُ لتَنْزِلِنَّه
لتَنْزِلِنْ أو لتُكْرَهِنَّه
ان أجلب الناسُ وشدوا الرَّنَّة
مالى أراك تكرهين الجنَّة

ثم شرع سيفه مقاتلا فى سبيل الله حتى قتل :

فى سبيل الجماعة

تلك هى أعظم مراتب البطولة التي تبلغها النفس الانسانية ، ايمانا بالهدف وتصميما على بلوغه ، ولو كان الثمن هو الحياة نفسها . ذلك أن البطل اذ يضحى بنفسه انما يعلم أن هذا هو السبيل لحياة الجماعة ، التي لا وجود له بدونها ، ولانتصار المبدأ الحق الذى يحمل رايته ، والذى لا قوام للجماعة بدونه . ولما كانت الحياة عزيزة على النفس والحفاظ على البقاء غريزة مركوزة فى أعماق الانسان ، فقد جعل الله النفس البشرية طيعة فى تلبية الحوافز المادية والمعنوية لكى ترجح فى الميزان – عند الضرورة كفة غريزة البقاء . فلا عجب اذا أن تقوم الأديان جميعها على فكرة الخلود حفزا للفرد على ايثار الجماعة على نفسه .

ان تضحيته لن تذهب هباء ، فلسوف تستمر حياة الجماعة بفضل هذه التضحية ، ولسوف يجنى هو ثمار ما عمل اذ يكون مصيره الخلود فى الفردوس ، وأنعم به من جزاء يستحق التضحية أعظم التضحية . والى هذا المعنى ترمز نهاية الأرجوزة التي أنشدها عبد الله بن رواحة اذ يذكر نفسه بالجزاء العظيم الذى ينتظره اذا قتل فى المعركة ، حفزا لها على الاقدام واطراح التردد .

أروع البطولات

لقد ضرب هؤلاء القادة الشهداء الثلاثة المثل العليا فى الاستشهاد من أجل تحقيق الخير والحرية والسعادة للانسان . وان المرء ليقف وقفة الاجلال والتقديس حيال هذه البطولات الخارقة التي ترتفع بسمو الغرض وروعة الفداء فوق الطاقة البشرية ، لا يشوبها شائبة من ضعف أو تردد ولا تسبى لبها مسرات العيش أو أطايبه ، حتى هذه الهنات التي بدرت من القائد الشهيد عبد الله بن رواحة اذ تردد بعض التردد قبل اقتحام الموقعة لم تسلم من النقد . وقد كان النقد أسلوبا للعمل انتهجه الرسول وعلمه لخلفائه

وللمسلمين عامة ، فاتبعوه من بعده تداركا للأخطاء وقضاء على الانحرافات من جذورها .

فحين علم النبي باستشهاد القادة الثلاثة كان على زيد وجعفر أكبر أسى، وقال : ((لقد رفعوا الى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فسأل لم هذا ؟ فقيل له : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى)) .

والحكمة التي توخاها الرسول من اعلام صحابته بهذه الرؤيا ، هي الحث على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، والنهى عن الخوف والتردد فى أحرج المواقف وأشد الأزمات .

فالابقاء على الحياة فى هوان وذل اهدار لقيمتها وتحقير لصاحبها . والحياة زائلة ، ومن ثم فان الخوف من الموت هو شر من الموت ذاته . ولهذا استقرت هذه التعاليم الاسلامية فى نفوس المسلمين عبر الأجيال المتعاقبة ، وتمثلتها أفئدتهم فانعكست على سلوكهم ، وتغنى بها الشعراء كما أشاد بها الكتاب والحكماء ، ومن ذلك قول شاعر العربية العظيم أبو الطيب المتنبى :

وَلَوَ ان الحياة تبقى لحى
لعددنا أضلنا الشجعانا
غير أن الفتى يلاقى المنايا
كالحات ولا يلاقى الهوانا
واذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تعيش جبانا

أمر خالد نفسه

لقد استشهد القادة الثلاثة الذين أسند اليهم الرسول امارة الجيش واحدا بعد الآخر ، والمعركة ما زالت دائرة حامية الوطيس ، ولا بد من قائد يرأس جيش المسلمين ، ويحكم تدبير الخطط ، ويضم الصفوف ويشحذ العزائم . انه خالد بن الوليد القائد الحربى الشجاع والمحرك للجيوش والذى يندر مثيله . ذلك أنه ما أن قتل ابن رواحة حتى أخذ الراية ثابت بن أرقم أحد بنى العجلان فقال :

يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد . فأخذ الراية على الرغم مما شاهد من تفرق صفوف المسلمين ، وتضعضع قوتهم المعنوية ، يحفزه ايمانه الصادق العميق بالدعوة ، ورغبته فى أن يظهره على الناس فخورا به معتزا بنبيه ، باذلا من نفسه ومما خلعه الله عليه من مواهب فى سبيل الذود عن حياض الاسلام .

وبادر خالد الى التصرف بما يكفل صالح المسلمين ، فداور بهم حتى جمع صفوفهم . وأخذ فى مناوشة العدو دون شن الهجوم الشامل حتى انقضى النهار ، وغمر الظلام ساحة القتال ، فوضعت الحرب أوزارها حتى الصباح . وهكذا أتاح خالد لنفسه فرصة للتروى ، ووضع خطة حكيمة ينهى بها المعركة دون الحاق خسائر بجيشه بعد أن تأكد من رجحان كفة الأعداء عدة وعتادا .

فوزع عددا كبيرا من جنوده فى خط طويل من مؤخرة جيشه : أحدثوا اذا أسفر الصباح من الجلبة ما أدخل فى روع العدو أن مددا قد جاء المسلمين من عند النبى ، وفترت عزيمة الروم عن مواصلة القتال لا سيما أنهم أصيبوا بفرم فادح فى اليوم الأول للمعركة ، اذ لقى كثير منهم مصرعه ، وقد كان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف ، فكيف اذا جاءهم المدد . وانسحب خالد وجنوده عائدين دون أن يتقدم الروم لمقاتلتهم أو يتعقبوهم بعد أن يئسوا من احراز أى نصر عليهم ، وسروا من عدم مهاجمة خالد لهم .

عود على بدء

ويسجل التاريخ موقفا آخر من مواقف الرسول الخالدة فى هذه الغزوة ، انه موقف الرحمة من الناس جميعا ، من أنصاره ومن المستضعفين من أعدائه على السواء . ولا غرو فهو نبى الرحمة والداعى الى دين العطف والتسامح . لقد خرج الرسول مودعا جنوده حتى بلغ مشارف المدينة ، وقد سار المسلمون فى ركبه داعين معه لجيشهم (صحبكم الله ورد عنكم وردكم الينا سالمين) .

وليس ثمة حافز لرفع الروح المعنوية أكبر ولا أعمق من هذه المسيرة . وفى الطريق أوصى النبي رجاله ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ، وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار .

يا لعظمة محمد في مروءته وسماحته ورحمته . انه ليعلم أن الحرب هي الحرب فيما تصيب الناس جميعا من ويلات تشمل المحاربين ولا يسلم منها غير المحاربين .

ولكنه يعمل على التخفيف من هذه الويلات ، وقصرها على جباة هذه الحرب من أعداء الاسلام حتى لا يصطلى بنارها الضعاف منهم ، لأن رسالته هي الضرب على أيدى الظالمين وتحرير البشرية كلها منهم . أما الأبرياء من القوم فهم في حماه آمنون وبرحمته مستظلون .

ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام في التفريق بين المحاربين والمدنيين من أعدائه في المعاملة ، انه شديد على الكفار رحيم بنسائهم وأطفالهم والعاجزين منهم .

أما موقفه من المسلمين فهو موقف البطل من وطنه وأهله ودا ورحمة وايثارا . فما كاد خالد ومن معه يلوحون في مشارف المدينة حتى استقبلهم المسلمون يتقدمهم الرسول . وطلب النبي فأتى بالقائد الشهيد عبد الله فأخذه وحمله بين يديه . بيد أن المسلمين لا يرضون عن عودة جنودهم منسحبين ، وكان أملهم أن يتلقوهم غازين فاتحين لبلاد المشركين فيحثون على الجيش التراب تعبيرا عن عدم رضاهم قائلين « يا فرار فررتم في سبيل الله » وان للمسلمين لعذرا في قولهم هذا ، فهم لا يرضون بغير النصر بديلا،ولا يرون الغزو الا جهادا في سبيل اعلاء الحق ونشرالدعوة . ولكنهم لا يعلمون حقيقة الأمر ، فما انسحب جنودهم ضعفا ولا خورا ، ولكنها خطة حكيمة دبرها القائد المحنك خالد ، فأطاعوه اذعانا لمبادىء الاسلام التي تدعو الى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر ، ولو رأى خالد أن يهجموا ويقتحموا صفوف الأعداء لبذلوا أرواحهم رخيصة في هذا السبيل .

وهنا يتجلى موقف آخر من مواقف النبوة الخالدة اذ يقول رسول الله : صلى الله عليه وسلم (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله) فيهدأ المسلمون وتطمئن قلوب الجند العائدين لهذا التقدير الكريم الذى أسبغه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهذه الرحمة التي شملتهم .

وليس أجل من هذا التصرف الحكيم ولا أبلغ دافعا لهم على الفداء فيما يؤمرون به من غزو في المستقبل . ومع ذلك فان قوة الايمان في نفوس المسلمين تجعلهم لا يغفرون للعائدين انسحابهم ، حتى كان سلمة بن هشام لا يحضر الصلاة مع المسلمين خشية أن يسمع من كل من رآه : يا فرار فررتم في سبيل الله . ولكن الله يحقق ما وعد الرسول المسلمين ، وما بشرهم به من أنهم الكرار ، اذ يظهر بعد ذلك من حضر منهم مؤتة من البطولات ما تقر به أعين المؤمنين ، كما يسجل القائد الخالد أعظم الصفحات فى تاريخ الحروب الاسلامية العادلة، فتزول سبة الفرار التي ألصقت بالجيش . ويتحقق وعد الرسول بأنهم الكرار لا الفرار .

الرسول يواسى

وخاتمة هذه المواقف الاسلامية الخالدة ما أصاب نفس الرسول من ألم - منذ علم بمقتل زيد وجعفر - وحزن على هذين الصحابيين الجليلين . فقد ذهب عليه الصلاة والسلام الى منزل الشهيد جعفر بن أبى طالب ودخل على زوجه أسماء بنت عميس ، وكانت قد عجنت عجينها وغسلت بنيها ودهنتهم ونظفتهم ، فقال لها :

ائتيني ببنى جعفر . فلما أتته بهم تشممهم وذرفت عيناه الدمع . قالت أسماء في لهف وقد أدركت ما أصابها ، يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم اصيبوا هذا اليوم ! وازدادت عيناه بالدمع تهتانا . فقامت أسماء تصيح حتى اجتمع النساء اليها . أما الرسول عليه الصلاة والسلام فخرج الى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم . ورأى ابنة مولاه زيد قادمة فربت على كتفيها وبكى . وأظهر بعضهم دهشة لبكاء الرسول على من استشهد فقال ما معناه : انما هي عبرات الصديق يفقد صديقه .

ان بكاء النبى المستشهدين من رجاله في غزوة مؤتة لهو أعلى مراتب السمو التى تبلغها النفس البشرية في معترك الخطوب والأحداث . انه موقف الرحمة والحنان والحب..حب الصديق لصديقه وحزنه لغيابه . ان عظمة القائد المرسل تبدو في مجاهدته أعداء الله ، وفي مواساته لجنود الله . ان صلابته في قتال العدو لا تؤثر في لينه ورحمته برجاله . ولقد أصل الرسول هذه القيم الروحية في نفوس المسلمين فاعتنقوها .

تلك هي بعض المواقف الخالدة التي نستخلصها من غزوة مؤتة ، وما أجدرها بالاتباع حتى نعيد للاسلام منعته وقوته .

أزمة الأخلاق

بين أهل الأديان

للاستاذ محمد حسين فضل الله

*** لكل تشريع أو تنظيم أســـاس ينطلق منه وهدف يرمي اليه فما أساس التشريع والتنظيم الاسلامي ؟**

*** بعض الناس نراهم يصلون ويصـــومون ولكنهـــم لا يتورعون عن المحرمات . فما سر ذلك ؟ .**

في هذا البحث تحليل واف لمظاهر الأزمة وأسبابها وجواب عن هذه الاسئلة وغيرها .

١ ــ اذا قدر لنا أن نعبر عن الأزمة التي يعانيها واقع السلوك في حياة الانسان المسلم ، تعبيـــرا دقيقا لم نجد أفضل من التعبير عنها بأنها (أزمة أخلاق) لأنها تلتقي بالواقع الذي يتمثل لدى الانسان المحافظ ، في أسلوبه الخاص الذي يتبعه في التزاماته الدينية ، كما تلتقي بالمظهر المنحل لدى الانسان المتحلل من قيود الدين والتزاماته .

وربما نجد ــ في مضمون التعبير ــ التفسـير المعقول للوضع النفسي المتجمد ، الذى تعيشـــه المجتمعات الاسلامية في داخل ذاتها ، المتمثـــل في طبيعة العلاقات الذاتية ، والاجتماعية فيما بينهم ، التي تمثل ــ بدلا من ذلك ــ انفصالا وانفصاما ما يلفت النظر .

وقد لا نعدم الكثيرين من خصوم الاسلام ، الذين يحاولون أن يجعلوا من هذا الواقع المتفكك للمجتمع المسلم .. شاهدا على عدم امكان اعتبار

الحس الديني ، أو العقيدة الدينية ، مبدأ وحدة ، ومنطلق لقاء ، في أي مجتمع من المجتمعات .

وربما نجد ـ في الصورة التي نأخذها من فهم هذه الأزمة ، والتعرف على أبعادها ـ بعض الحديث الذي نستطيع أن نقدمه لأولئك الذين يحاولون ان يلصقوا بالاسلام تهمة الدين الذي لا يقدم للانسان ـ فيما يقدم من عطاء ـ التربية الروحية التي تخلق عنده مناعة الروح فيما تشعر به ، وفيما تتفاعل به تجاه الاخرين . لأن الاسلام ـ في نظر هؤلاء ـ لا يمثل الا قانونا مجردا يهتم بتنظيم علاقات الانسان من الخارج ، دون أن يهتم أو يلتفت الى الداخل .

★★★

٢ ـ وهكذا نجد في أزمة الانسان المسلم الاخلاقية ، مجالا كبيرا للحديث عن طبيعة الاسلام من حيث الصفة القانونية ، التي تتمثل في واقعه التشريعي الضخم ، ومن حيث القيم والمفاهيم الاخلاقية والروحية ، التي تتمثل في الخط العام الذي ترتكز عليه النظرة الاسلامية العامة للكون والحياة .

واذا استطعنا أن نصل بالحديث الى غاية معقولة ، فربما نجد ـ في نهاية المطاف ـ البون الشاسع بين واقع الاسلام ـ تشريعا وقانونا وبين واقع المسلمين أخلاقا وحياة .

٣ ـ الاسلام قانون وشريعة :

ان أدنى نظرة الى الدين الاسلامي تعرفنا حقيقة واقعه التشريعي ، الذي يحاول أن يجمع حياة الناس وينظمها في اطار قانوني متين ، تنتظم به أمورهم ، وتطمئن اليه خطواتهم ، فلا تنحرف ولا تزل ولا تزيغ .

ومن هنا نجد انه لم يغفل أي جانب من جوانب الحياة ، التي تحتاج الى تشريع أو تخطيط الا ووضع لها شريعة ، وسن لها قانونا ، فكانت العبادات التي تصل العبد بربه ، وتبلور صلته بالحياة وبالناس .. وكانت المعاملات التي تنظم علاقاته المالية والاجتماعية والسياسية .. وغير ذلك مما يمس حياة الناس ويجمع أمورهم .. كل ذلك في اطار قانوني يرسم الشريعة ، ثم يخط لها قواعدها العامة التي تستوعب تطور الحياة وتقدمها ، لتكفل لها نهجها الاسلامي في مدى الحياة الطويل .

وقد نلمح ـ هذه الصورة التي نتمثلها للدين من حيث هو شريعة وقانون ـ في اعتماده الوسائل التي يعتمدها القانون في صيانة كرامته ، والحفاظ على تنفيذه ، فكانت القوانين الجزائية والجنائية ، سبيل الدين للحد من جموح المنحرفين والمجرمين الذين لا يسكنون الى عقيدة تردعهم ، أو أخلاق تصدهم .. انطلاقا من الطبيعة الانسانية التي تتطامن وتتراجع أمام الترغيب والترهيب .

وعلى ضوء هذه الصورة التي قدمناها نستطيع أن نجد الجواب المعقول لأولئك الذين يجردون الدين من مهمة قيادة الحياة في سيرها نحو أهدافها النظامية والتشريعية .. لأن هذه الصفة لا يمكن أن تنطبق على الواقع الديني للاسلام ، فان شريعته لم تنفصل عن جانب العقيدة فيه ، كما أنها لم تكن متأخرة عن بداية انطلاقه في الحياة ، بل كانت تسير معه جنبا الى جنب .. فكانت العقيدة منطلق التشريع وقاعدته ، تمده بالحياة وتشده بالقوة .. وكان التشريع امتدادا للعقيدة ، يحمي حدودها ويوسع مداها .

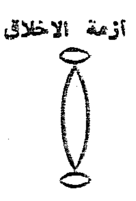
ولذا كان الاسلام في نظر قادة التشريع عقيدة وعملا ، ايمانا بالجوانح وعملا بالجوارح ، وكانت الاستقامة على الطريق السوي للاسلام التشريعي مظهر الصدق للايمان ولصحة العقيدة عند الانسان المسلم ، والسمة الحية للشخصية الاسلامية المتزنة .

٤ ـ ما هي قاعدة التشريع في الاسلام :

واذا كان الدين الاسلامي يمثل في حياتنا دور الشريعة ، والقانون الذي تريده السماء للارض أن تسير عليه ، وتعتمده أساسا لتنظيم شؤونها ، وتركيز حياتها ، فقد نجد من الخير والاخلاص لحديثنا ان نبحث عن القاعدة التي ترتكز عليها هذه الشريعة ، ويعتمد عليها القانون .

هل هناك هدف أعلى يستهدفه الدين في شريعته ؟ .

واذا قدر لنا أن نضع أيدينا على هذا الهدف ، ونتعرف حقيقته ، فقد يبرز أمامنا سؤال آخر عن



القياس الذى نقيس به اطاعة الانسان المسلم لله ، وانسجاما مع دينه وعقيدته الاسلامية .

فهل نستطيع أن نجعل مجرد التطبيق الحرفي للشريعة مقياسا لتلك الطاعة ، وذلك الانسجام ، دون أن نبحث عما وراءه ؟ .

أو أن القضية لا تقتصر على مجرد التطبيق ، بل تتعداه ؟ .

فلكي يحقق الانسان المسلم الانسجام الكامل بين التزاماته الدينية وعقيدته وبين عمله ، لا بد له من أن يعيش الأهداف ، والمثل العليا التي انطلقت منها الشريعة وارتكز عليها القانون .

٥ ـ الاخلاق هي القاعدة :

للجواب عن السؤال الأول يجدر بنا أن نتساءل ـ قبل كل شيء ـ عن طبيعة الهدف الذى تستهدفه المبادىء والتشريعات ـ دينية كانت أو غير دينية من وراء دعوتها الملحة الى اتباعها وتنفيذها .

لا شك أن الهدف الأكبر هو تحقيق القيم والمفاهيم التي تحملها فى داخلها ، وتجسيدها واقعا حيا فى حياة الآخرين .

فالأديان تحاول فى دعوتها السماوية ـ أن توصل الخلق الى مرضاة الله وطاعته ، وتأخذ بأيدهم الى طريق الهداية والخير والحق ، فيما ترسم من تشريع ، وفيما تخطط من مناهج وتعاليم .

ولذا فهي تحاول أن توفق بين متطلبات الروح ، وبين متطلبات الجسد ، وتوازن بين مسؤولية الفرد وبين مسؤولية الجماعة ، فلا يطغى مطلب على مطلب ، ولا يميل جانب على آخر ... لأن ذلك هو سبيل تحقيق الخير الروحي والمادى للانسان ـ فى نظر الدين .

أما المبادىء الاخرى التي ترتكز على المادة وتنكر الروح ، فهي تحاول الانطلاق من الواقع المادى للحياة والانسان ، لتعالج مشاكله على أساس الارتفاع بهذا الواقع للوصول به الى المستوى الذى تؤمله للحياة الانسانية تاركة كل جانب من الجوانب الروحية لانها ـ فى نظرها ـ مجرد وهم أو خيال .

واذا كانت القضية ترتكز على ذلك .. فمن الطبيعي أن تكون التشريعات المنطلقة من هذين الخطين صورة حية للقاعدة الفكرية التي ينطلق منها التشريع ..

وعلى هدى هذه الحقيقة نستطيع أن نقول ، اننا لا نعقل للتطبيق الحرفي للتشريع المجرد من الروح أى معنى ، فيما يتعلق بانسجام الانسان مع عقيدته ودينه ... فقد لا يكفي فى كون الانسان مسلما أن يطبق الاسلام تطبيقا مجردا ما لم تكن روحه عامرة بالقيم والمفاهيم الاسلامية .

أن الاسلام ، أو الدين بشكل عام ، يمثل مجموعة القيم والمفاهيم التي ارتكزت عليها شريعته ، فلا يمكن للانسان الذى أقفرت روحه من تلك القيم ، أن يكون مسلما متدينا ، وان التزم بشريعة الاسلام حرفيا .

تلك هي صورة القضية ـ على الاجمال ـ

أما دور الاسلام وموقفه من كل ذلك ، فنستطيع التعرف عليه من خلال الاحاديث التي عرضت للأساس الذى انطلقت منه الدعوة الاسلامية ـ كما فى الحديث النبوى الشريف المشهور « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

قد نفهم من هذا الحديث الشريف أن القضية التى يحاول الاسلام أن يثيرها فى الحياة كقاعدة لبناء المجتمع الافضل هي قضية « مكارم الاخلاق » ... فهي القضية التي يمكن لها أن تبنى ضمير الفرد من اجل أن يكون حيا طاهرا ، يتفاعل بمشاعر الآخرين ويعيش آلامهم .. وهي القضية التي تستطيع أن تجعل من عقلية الجماعة ، عقلية توجه وتعمل دون طغيان أو أثرة .. وهي فى الوقت ذاته ، قضية الحياة الكبرى التي تجعل من عمر الانسان فى الدنيا رحلة سعيدة مثمرة فى دروب الله .

وإذا كانت الاخلاق هي قاعدة الاسلام في بناء المجتمع الاسلامي الأفضل ، كما يوحي به الحديث الشريف ، فمن الطبيعي ان ترتكز تشريعاته على هذه القاعدة وتنطلق من هذا الاساس .. الامر الذى يجعل من القوانين الاسلامية صورة حية للنموذج الأكمل للأخلاق الاسلامية ، ومرآة صادقة للحياة التي يريد الاسلام ايجادها للمجتمع ..

ولذا فان باستطاعتنا ان نقرر قيمة أى تشريع ينسب للاسلام بقدر قربه للاخلاق الاسلامية وبعده عنها ، اذ لا يمكن للتشريع أن ينفصل عن قاعدته أو يبتعد عنها .

وكما يصلح ذلك مقياسا لنفس التشريع ، فبامكاننا أن نجعل منه مقياسا نقيس به مدى اسلامية الفرد ، وتمثله للشخصية الاسلامية التي يراد للمسلم أن يتصل بها .. فقد لا يكفي في المسلم أن يطبق التشريع بحرفيته ، ما لم يكن داخله تجسيدا حيا لقيم التشريع ومفاهيمه .

وكما هي الحال في الفرد ، كذلك في المجتمع .. فالمجتمع الاسلامي هو المجتمع الذى تبرز في أجوائه وخطواته وحركاته تعاليم الاسلام وقيمه ، قبل أن تبرز فيه طقوسه وعاداته وتقاليده .

ذلك هو بعض ما نستوحيه من هذا الحديث الشريف في طبيعة الصلة القائمة بين الاخلاق والشريعة .. فهي صلة القاعدة والبناء ، أو السبب والمسبب ، والعلة والمعلول .. الى غير ذلك من التعابير التي تربط الشيء بمصدره ، وترجع الأشياء الى أصلها .

٧ ـ ليست الأخلاق مجرد جانب للتشريع :

ومتى كان العنصر الأخلاقي ، يمثل دور الأصالة في سير التشريع الاسلامي ، فلا بد له أن يكون شاملا يستوعب كل جوانب الحياة الفردية ، والاجتماعية التي يتسع لها التشريع ، ففي مجال التشريع الاقتصادى لا بد أن تكون هناك (أخلاق اقتصادية) والى جانب ذلك لا بد أن تكون لنا في مجال التشريع السياسي (أخلاق سياسية) لا تختلف في قليل أو كثير عن الخط الأخلاقي العام الذى يرتكز عليه الاسلام .

وبكلمة واحدة ، ان العنصر الأخلاقي لا يمثل جانبا من جوانب الدين ، أو التشريع الديني في الاسلام ، وانما يمثل المنطلق الذى ينطلق منه التشريع والقاعدة التي يرتكز عليها ويمتد بامتدادها .

ومن هنا كان من الخطأ البين أن نعتبر جوانب التشريع الاسلامي ذات أقسام عدة ، نحسب الجانب الأخلاقي واحدا منها ، في مقابل بقية الجوانب الاخرى من سياسية واقتصادية واجتماعية .

٨ ـ هذه هي صورة الأزمة الأخلاقية :

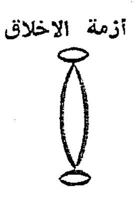
وما دام الاسلام قانونا وشريعة تستمد حيويتها من (مكارم الأخلاق) وليس قانونا مجردا لا يرتكز على شيء .. الأمر الذى يجعل من الأخلاق عنصرا حيويا للشخصية الاسلامية ـ كما قدمنا ـ فقد نستطيع على ضوء ذلك ـ أن نفهم صورة الأزمة التي نعانيها في مجتمعنا المسلم ، وكيف تتمثل فيه « كأزمة أخلاقية » .

فلو قدر لنا أن نتطلع الى هذا المجتمع تطلعا واعيا ، وندرسه دراسة شاملة تتمثل أفراده في مدى التزامهم بالاسلام كقانون ، وابتعادهم عنه .. لرأينا أفراده ينقسمون الى قسمين :

الأول : القسم المتدين المحافظ .. ويتمثل بالفئة التي تحاول ـ جهد طاقتها ـ أن تطبق شريعة الاسلام وقانونه على حياتها الخاصة .. فتراها تمارس العبادات ممارسة دقيقة ، فتحافظ على صومها وصلاتها وحجها وصدقاتها وغير ذلك كما أنها تحاول ـ جاهدة ـ اجتناب المحرمات التي نهى الله عنها كشرب الخمر والزنا وقتل النفس المحرمة والكذب وغيرها .

وقد يدفعها هذا التقيد والالتزام الى ان تحتاط لعملها فتترك مالا يجب تركه في مقام الشبهة ، وتفعل مالا يجب فعله عند التردد .

الثاني : القسم المتحلل المنفلت من قيود الدين وتعاليمه .. ويتمثل في الفئة التي تنظر الى الدين نظرة اللامبالاة .. فهو لا يمثل عندها شيئا ذاتيا يقيدها ويوجه خطواتها .. وانما يمثل عندها شعورا عاطفيا يرتبط بالعقيدة التي نشأت في جو عاطفي صرف ، ولم يقدر لها التربية الصالحة التي تركزها على أساس متين .



وهذه الفئة ـ بحكم هذه اللامبالاة ـ لا تلتزم بالواجبات ، وانما تمارسها ـ في حالة ممارستها ـ على أساس مناسبة معينة أو ظرف خاص ـ كما أنها قد تترك المحرمات بفعل رادع خارجي أو جهة عاطفية .

هذان هما القسمان اللذان يمثلان القسم الاكبر من أفراد مجتمعنا المسلم ، ويعيشان ـ في الوقت ذاته (أزمة الاخلاق) في داخله .

وقد يبدو غريبا أن نعتبر الفئة الأولى مصدر (أزمة أخلاقية) فقد يدخل في الظن منافاة ذلك لما قدمناه من ارتكاز التشريع على أساس الأخلاق .. الأمر الذى يجعل من تطبيق التشريع في حياة الانسان تجسيدا للقيم الاخلاقية الاسلامية .. نظرا الى أن القوانين الشرعية تعتبر ـ من وجهة النظر هذه ـ وسيلة من وسائل التربية الاخلاقية في المجتمع .

٩ ـ المحافظون نموذجان

ولكن علينا أن نفرق بين نموذجين من الناس ممن يتقيد بأحكام الدين وشرائعه .

١ ـ فهناك فئة من الناس تفهم التشريع مجرد اطاعة حرفية للأوامر والنواهي فالمهم عندها ـ في حد تعبير البعض ـ هو الخروج من العهدة ـ وبراءة الذمة لئلا يعاقب ـ فيما لو قدر له أن يترك .. فالقضية عنده تنتهي بانتهاء العمل دون أن يكون للأثر الداخلي أو الخارجي قيمة في حسابه .

فالمهم في اطاعة قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أن يؤدى الانسان صلاته بتمام اجزاءها وشرائطها .. أما أهداف الصلاة .. أما غاياتها .. فهو أمر خارج عن التكليف فلا يجب القيام به ! ! .

والمهم في الزكاة .. أن يخرجها كاملة غير منقوصة ، ويسلمها الى أصحابها ، دون تأخير .. لأن في ذلك ضمانة له من العقاب .. وليس من المهم بعد ذلك أن لا تؤدى الزكاة أى هدف له داخل ذاته ، أو داخل مجتمعه ، بل ليس من المهم أن يحاول اتباع بعض الحيل التي قد تسيغها الشريعة من وجهة قانونية حرفية للتهرب من دفع الزكاة بالهروب من موجباتها .

وهكذا يتمثل هذا الواقع في المحرمات .. فقد تجد شخصا يبتعد عن الربا في معاملته ، ولكنه يمثل في أخلاقه ونفسيته أخلاق المرابي ونفسيته .. في وحشية القسوة .. وأثرة الذات .. ولذا فهو يعمل على استغلال الآخرين ، والتلاعب بآلامهم ومشاعرهم دون عاطفة أو اشفاق .. وقد يلجأ ـ في الوقت ذاته ـ الى كثير من اساليب اللف والدوران للحصول على نتيجة الربا بطرق وحيل قانونية منظمة .

كما قد تجد انسانا لا يمارس الزنا .. ولكنه يحمل في داخله روحية الزاني وأخلاقه .. فهو لا يتركه لعفة ذاتية ، وانما يجتنبه لرادع قانوني ، ولذا فهو يتحين الطرق القانونية لارواء جشعه الفريزي ، ووحشيته الجنسية .

ان هذه الفئة قد تكون اسلامية من الوجهة القانونية المجردة للاسلام ، اذا أردنا أن نجرده من الوجهة الأخلاقية التي يرتكز عليها .. ولكنها ـ في الجانب الآخر ـ ليست اسلامية من وجهة القيم والأخلاق .. لأن مثل هذه الاعمال التي تمارسها قد تسقط عنها العقاب،لأنه تابع للمخالفة القانونية المفقودة هنا .. ولكنها لا تقربها من الله .. لأن القربى اليه تعالى لا تكون الا بالروح الصافية المطمئنة الرضية ، التي تعيش العفة والطهارة في داخلها .. وتتمثل الخير والايمان في روحها دون تكلف أو تصنع ، وتصدر منها أعمالها بسماحة محببة .

وقد نستطيع أن نفهم ذلك من بعض الأحاديث الشريفة ، التي تحاول الاشارة الى بعض القيم الاخلاقية الكامنة في التشريع ، كما في الحديث المأثور « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » .

فقد نفهم من هذا الحديث ، ان مثل هذه الصلاة المجردة عن أهدافها من أسباب البعد عن الله لأنها لا تمثل في ذاتها العبادة الداخلية

للانسان ، وانما تمثل صورة خالية من أى روح وأى معنى .

وقد نفهم من ذلك أنه لكي يكون الانسان مسلما لا بد له من أن تفيض عباداته فى داخله ، ويتمثلها فى نفسه تمثلا وجدانيا ، ينساب فى مشاعره انسياب الروح فى الجسد ، والدم فى العروق .

٢ ـ وهناك فئة من الناس قدر لها أن تعيش جوا تربويا اسلاميا خالصا ، يعرفها روحية الاسلام من خلال قانونه ، ويبصرها بأهدافه من خلال دراسة وسائله ، ويدلها على غاياته قبل أن يخطو بها فى دروبه .

ان هذه الفئة قد عاشت الاسلام فى روحية القانون .. فى الوقت الذى لم تبعد فيه خطوطه القانونية شعرة واحدة .

انها هي التمثيل الوحيد الحي للشخصية الاسلامية التي يريد لها الاسلام ان تحيا فى مجتمعه . وهي الجماعة الاسلامية التي يريد لها الاسلام أن تقود خطى الحياة فى حركته نحو المجتمع الافضل .

هذان هما النموذجان اللذان يتمثل بهما القسم المتدين المحافظ .. وقد يكون كل منهما مخلصا فى عمله لأنه لم يقدر له أن يعرف القضية الا من ذلك الجانب .

ولكن ذلك لا يمنعنا ، ان نقرر أن الفئة الأولى قد شاركت مشاركة فعالة فى الأزمة الأخلاقية ، لأنها أخذت الاسلام جسدا بلا روح ، فاساءت اليه من حيث تريد أو لا تريد .

ومن المؤسف أن نفتقد الفئة الثانية فى مجتمعنا المسلم ، حتى لا نجد منها فردا بين آلاف .. وهذا ما يفسر لنا افتقاد الصورة الحية للانسان المسلم ، الذى يعيش الاسلام روحا وحياة فى مجتمعنا المعاصر .

وهذا ما يفسر لنا المشكلة التي تعيشها مع جيلنا المعاصر ، عندما يهرب من الدين محتجا بالصور الدينية المألوفة للأشخاص المحافظين ، الذين لا يعيشون روحية الاسلام وقيمه، وان كانوا يتمثلونه طاعة قانونية مجردة .. فهم يفتقدون ـ فى نفوسهم ـ معاني الحب والرحمة والحنان والتسامح .. وان كانوا يطبقون القوانين التي ارتكزت على هذه المعاني ، وهم يفتقدون المرونة النفسية والاجتماعية ، التي يستطيعون معها أن يتفاعلوا مع مجتمعهم ويؤثروا فيه .. ومن هنا كان المجتمع فى واد وهم فى واد ..

وأخيرا .. أحسب انه لم يبق عندنا شك فيما قلناه فى بداية الحديث من ان الواقع الاسلامي يعاني فى هذا الوقت (أزمة أخلاق) دون فرق بين الفئة المحافظة ، وبين الفئة المتحللة من قيود الدين والتزاماته .

اقدم هذا الحديث جوابا الى بعض القراء الكرام ـ الذى أغفل اسمه ـ حين كتب لي يقول عن هؤلاء المحافظين .

« قد نراهم يقومون بتأدية الصوم والصلاة والزكاة والخمس والحج من جهة ، لكنهم يقومون بما هو محرم من جهة ثانية اذ يتقاضون الربا .. فكيف نوفق بين هذا وذاك .. ؟ » .

يا قارئي الكريم .

أرجو أن أكون قد استطعت أن انجح فى رسم الصورة الحية لهؤلاء ، ممن يرتكبون المحرمات ، أو ما يشبه المحرمات من زاوية أخلاقية ..

أما الحل لهذه المشكلة .. فقد تتفق معي فى أن مجالها ليس هذا الحديث الخاطف .. لأن القضية ليست مرتبطة بالصورة ، وانما هي مرتبطة بالجذور والأعماق .. حيث الاسس التي يقوم عليها الحكم .. وحيث التيارات الضالة والكافرة التي تطغى علينا من كل جانب ومكان .

انها قضية جذور المجتمع الحاضر وأعماقه .. فلا بد لنا أن نبدأ الحل فى دروب الواقع .. فى مجال الحياة .. حيث الجهاد والكفاح من أجل اعلاء كلمة الله فى الأرض كلمة الحق .. وازهاق كلمة الشيطان .. كلمة الباطل ..

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائي يفتت الخبز للنمل ويقول : « انهن جارات ولهن علينا حق الجوار » .



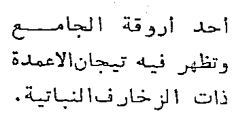
مدينة دمشق ويظهر فيها المسجد الاموى بمناراته الشامخة .

الجامع الاموي

مقدمة

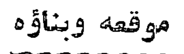
جاءت عمارة المساجد فى العصر الاسلامى الاول بسيطة فى مظهرها ، فشيدت من الطين وجذوع النخل ، وخلت من أساليب الزخرفة حتى تتفق مع بساطة الاسلام ، وتقشف المؤمنين ،لكن التطور والابتكار وطبيعة الحياة ، وتدفق الأموال على الامبراطورية العربية الفتية ، وتأثر العرب بأمم الارض ذات الحضارة التليدة ، سارت بالعمارة والبناء نحو التطور والكمال ، وكانت المساجد والقصور أوفرها حظا لقدسية المساجد ومكانتها فى نفوس المسلمين ، حتى ضارعت أعظم معابد الدنيا فخامة وجلالا ، كما أصبحت قصور الخلفاء ورجال الدولة من روائع العمائر في الدنيا حتى تليق بمكانة الدولة ذات السلطان والسيادة التى أخضعت أكبر دول العالم .




أحد أروقة الجامع وتظهر فيه تيجان الاعمدة ذات الزخارف النباتية.

الكبير

الاستاذ
محمد الحسيني عبد العزيز


موقعه وبناؤه

يرجح أن المسجد أقيم فى مكان المعبد الوثنى القديم الذى لم يبق من آثاره سوى حجر منحوت يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد ، منقوش على أحد وجهيه صورة أبى الهول ، ولما فتحت دمشق أبوابها للعرب ، ودخل أبو عبيدة عامر بن الجراح القائد العربى المدينة ، وضع تخطيط المسجد على مثال المساجد الاولى . صحن فى الوسط تحف به من جهات ثلاثة أروقة تحملها أعمدة ، أما الحرم فيوجد فى الجهة الجنوبية .

وأصبح الجامع منذ بنائه منتدى للمسلمين يتلقون فيه أصول دينهم ويؤدون الصلاة فيه ، ويستمعون الى أوامر الخلفاء وقراراتهم ، ويدعى منه للجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وصار مشعلا للهداية والنور ، ومبعثا للعرفان والعلم ، وحظى المسجد برعاية الخلفاء والحكام على مر الايام تعظيما لشأنه ،

وتقديرا لمكانته فى النفوس ، فهو أول مكان عبد فيه الله سبحانه فى تلك الديار .

عمارته

تولى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك الحكم ، وكان مغرما بالعمارة والهندسة ، فوجد أن مساحة المسجد أصبحت لا تكفى المصلين بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكانت تجاوره كنيسة للنصارى فجمع زعماءهم ، وعرض عليهم بيعها على أن يعوضهم عنها ، ويسمح لهم ببناء كنيسة بدلا منها ، ولما قبلوا شرع فى البناء ، وارتفع الصرح شامخا شاهقا ينطق بعظمة الدولة ، واستقدم للعمل أمهر الصناع والفنانين من سائر الأمصار .

ويؤرخ للمسجد نص يقول « أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين فى ذى القعدة من سنة ست وثمانين هجرية » .

وأنفق الوليد على بنائه خراج دولته عدة سنين ، وأصبح درة العمارة، وعرف بجامع المحاسن كامل الغرائب . وأطنب المؤرخون فى وصفه . ومن ذلك قولهم « لم تترك بلد الا ورسم بهذا المسجد من مناظره وأشجاره وقنواته . » وهذه الرسوم والصورة الحية من قطع الفسيفساء المذهبة النادرة . كما وصفه أحد المؤرخين الغربيين بقوله « لم يكن بناء الجامع الأموى مفخرة للحاضرة العربية فحسب بل كان أعظم أبتكار فى فن البناء العالمى فى كل العصور ، وفى كل البلاد لسعة أجزائه وعظمة تنظيماته ، وروعة زخارفه ، وغنى موارده » .

تخطيط المسجد

والمسجد مستطيل التخطيط فطوله ١٥٧ مترا وعرضه ١٠٠ متر ، ويشغل ايوان القبلة القسم الاعظم من الجهة الجنوبية . وطوله ١٣٦ مترا وعرضه ٣٧ مترا ، وقد اتخذت الناحيتان الغربية والشرقية للوضوء والصلاة المنفردة ، وهناك الصحن الرحب الذى تحف الأروقة به من الشرق والشمال والغرب .

العقود والأعمدة

ويقطع ايوان القبلة مجاز (طريق) يصل بين الباب الرئيسى بالحائط الشمالى الى المحراب ، وايوان القبلة أكبر وأوسع وأعلى من الأروقة الجانبية التى توازيه ، اذ يصل ارتفاعه نحو ثلاثة وعشرين مترا ، وقد غطى بسقف على هيئة سنام الجمل ، كما فتحت فى قمة كل عقد من عقود المجاز نافذتان لتدخل الضوء لرواق القبلة .

ويتكون كل من الايوان الشمالى والشرقى والغربي من رواق واحد ، وقد رفعت هذه الأروقة على كتل (دعائم) وأعمدة متبادلة دعامة وعمودان على التوالى ، وتيجان أعمدة الرواق الغربى والشرقى كورنثية الاصل ، (١) تزينها أوراق الأكانثث ، وترتكز الاعمدة على قواعد مربعة ، وتحمل عقودا يتجاوز شكلها نصف الدائرة ، ويعلو كل صف صفا آخر من الأعمدة الصغيرة التى تحمل بدورها عقودا صغيرة يرتكز عليها السقف .

الأبواب .

يقع باب البريد فى الجهة الغربية ، وهو مصفح بالنحاس المنقوش حين جدد فى العهد المملوكى أيام السلطان المؤيد شيخ عام ١٤١٩م ، أما الباب الشمالى أو باب الكلاسة فيقع فى الحائط الشمالى وتعلوه كتابة كوفية مزهرة تعود الى أيام السلاجقة ، وهناك باب الفراديس ، ويعرف ايضا بباب العمارة ، وقد صنع

---

(١) نسبة الى الطراز الكورنثى ببلاد اليونان .

من النحاس الذى جدد فى العهد المملوكى، ويتألف الباب الشرقى المعروف بباب جيرون من ثلاثة مداخل قديمة ، وكانت جدران هذا المدخل مكسوة بالرخام والفسيفساء كما هو الحال فى باب البريد الذى كان مكسوا بالرخام والفسيفساء الزجاجية التى اشتهرت بها عمارة المسجد الأموى ، وقد استبدلت قطع الفسيفساء اثر حريق المسجد أيام المماليك بصفائح من القيشانى الذى تميز به العهد العثمانى .

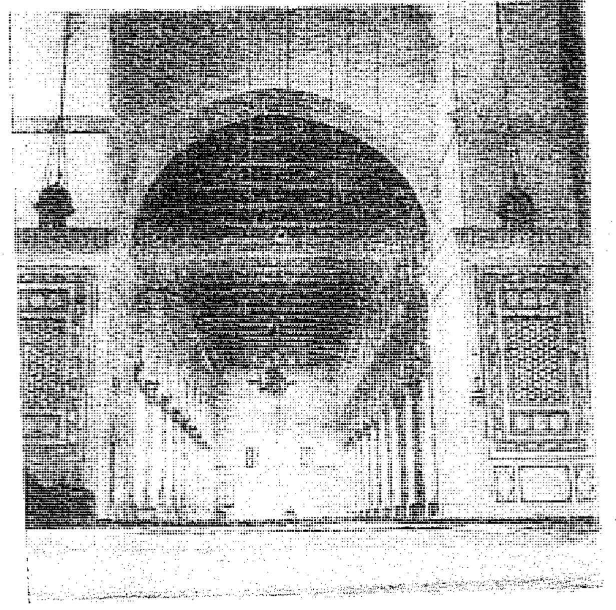
القباب

وأهم القباب ما تعرف بقبة الخزنة التى كانت ذات شكل مثمن ، وترتفع على أعمدة ثمانية لها تيجان كورنثية ، وقد صنعت رقبة القبة من الأحجار والآجر على التوالى كما زخرفت بالفسيفساء وما زالت تشاهد حتى الان ، وتبرز عظمة الفن العربى ومهارة الصناع وعبقريتهم ، وقد شيدت فى عام ١٧٢ هـ .

المآذن

أهمها منارة العروس «(١)» التى تقع فى منتصف الحائط الشمالى وتجاور باب العمارة الرئيسى ، وقد أعيد بناء الجزء الاعلى منها ايام صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٠هـ لكن الجزء الاسفل الذى شيد أيام الوليد لا زال باقيا ، ومقطع المنارة مربع ، ولها شرفة مسقوفة للمؤذنين ، وتعلوه شرفتان أخريان الواحدة فوق الاخرى ، والسفلى مربعة الشكل بينما العليا مثمنة ، وهذه تنتهى بشكل كروى ، أما أصل هذه المئذنة المعمارى فهو اقتباس عن منارة الاسكندرية التى شيدت أيام البطالسة .

وقد شيدت المنارتان الشرقية والغربية على أساس الصومعتين القديمتين ، وجزؤهما الأسفل مربع التخطيط ، والاعلى مثمن ذو شرفتين الواحدة تلو الاخرى ، وقمتها على شكل مخروط رفيع لانها جددت على الأسلوب العثمانى فى بناء المآذن .



قطاع فى الرواق الكبير وتبدو فيه العقود والاقوان والتيجان البراك .

وقد تخربت المنارة الغربية ، وجددها السلطان المملوكى الاشرف قايتباى ، وشكلها مثمن، ولها شرفة مسقوفة، وفوقها شرفتان الواحدة فوق الأخرى تنتهى بشكل كروى .

الزخارف

كانت تزين جدران الحرم الداخلى وأروقة الصحن من الداخل والخارج بالفسيفساء ، كما كسيت جميع الأعمدة والدعامات التى تطل على الصحن من الداخل والخارج بالرخام النادر ، وطعمت بالفسيفساء التى صنعت من قطع الزجاج المكعب التى كان قطر كل منها حوالى ٢ سم ، وهى فريدة فى صنعها وألوانها ، وكانت تصور مناظر دمشق وما فيها من حدائق غناء وأشجار كثيفة ومياه متدفقة ومشاهد من البلاد الاسلامية ، وقد حرص الخليفة الوليد

(١) استخدمت هذه المنارة فى العهد المملوكى لارسال الاشارات الى القاهرة عند تقدم المغول الى سوريا !!

أن يظهر مسجد دمشق بصورة تليق بمكانته السامية فى نفوس المسلمين ، وتشهد بعظمة الفن الاسلامى الذى استطاع أن يبرز الدقة والاتقان والذوق فى جمع الزجاج المذهب ووضعه فى تناسق تام ، وفىصورة زخرفية رائعة واتقان منقطع الانظار نال اعجاب مؤرخى الفن والسائحين على مر الأيام .

وقد أبدع النحات فى زخرفة نوافذ المسجد ، ففرغ الحشوة الرخامية على شكل مسدس ، فى كل زاوية منه دائرة تتصل ، وتتعانق مع ما يجاورها لتكون منظرا هندسيا يسحر الابصار ، وينتزع الاعجاب ،و تعتبر هذه النوافذ الرخامية المفرغة أقدم وأروع مجموعة فى الفن الاسلامى .

حريق المسجد

وقد تعرض المسجد للحريق عدة مرات ، كان أولها الحريق الذى اصابه عام ٤٦١ هـ وكان أخطر الحرائق ، اذ تهدم معظم المسجد ، وسقطت بعض زخارفه ، ولم تبق غير جدرانه الأربعة ، كما احترق فى القرن السادس الهجرى مرتين ، وأصاب المسجد حريق فى القرن التاسع الهجرى ، وآخر حريق يعود الى القرن الرابع عشر الهجرى الذى تهدم فيه الحرم الداخلى ، ولكن حكام دمشق وولاة المسلمين تعهدوا المسجد بالرعاية ، وعمدوا الى تجديده وترميم أجزائه ، وأعادوا له سابق مجده .

التجديد فى العهد الأيوبى والمملوكى

اهتم السلطان نور الدين محمود زنكى بتجديد واجهة الرواق بالزاوية الشمالية الشرقية من المسجد ، كما قام الملك سيف الدين أبو بكر باعادة تبليط الصحن فى أول القرن السابع الهجرى .

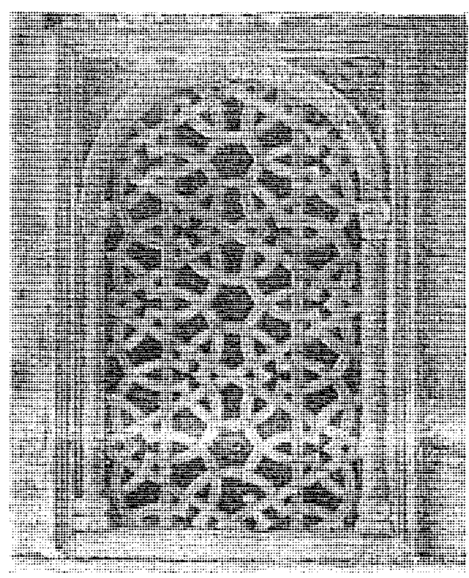
ولما تعرض المسجد لحريق عام ٧٥٣هـ وتداعت بعض أعمدته وتيجانه عدا رواق المحراب جدده الملك المنصور عام ٨٠٨هـ وأعاد ما تداعى منه ، ولهذا يلاحظ تحوير فى شكل القبة ورقبتها ونوافذها ، ولم يبق من عمارة المسجد القديم غير الحرم كما كسيت جدرانه أيام المماليك بألواح القيشانى بدلا من الفسيفساء .

قبر النبى يحيى

يقع داخل الحرم ، ويتألف من بناء حديث تحيط به أعمدة من الرخام ذات تيجان كورنثية الطراز ، ويروى الرحالة ابن جبير ان العرب حين كانوا يبنون المسجد ايام الوليد عثروا على سارية يختلف لونها عن أعمدة المسجد وأنه شاهدها بنفسه ، وكان به رمز يشير الى ضريح النبى يحيى .

قبر صلاح الدين

وبجوار المسجد يرقد البطل صلاح



نافذة زجاجية مفرغة فى الجدار الغربي

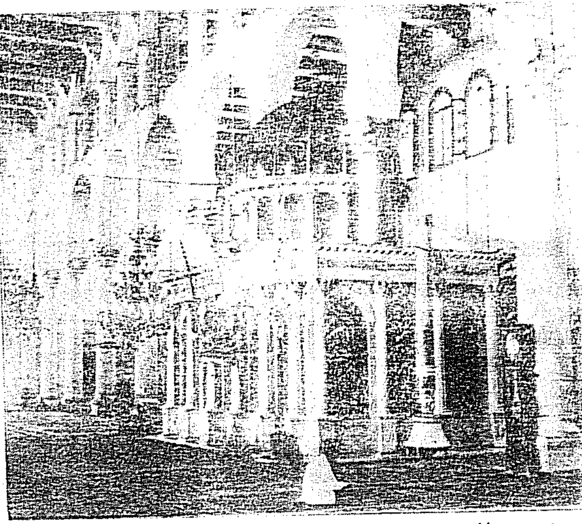
الدين الأيوبى الذى قهر الصليبيين ، وشتت جموعهم فى معركة حطين الخالدة، وقضى على أخطر زعمائهم أرناط صاحب الكرك الذى كان يهدد قوافل الحجاج أثناء ذهابها الى مكة المكرمة ، واستطاع أن يعقد معاهدة مع الصليبيين اعترفوا فيها بحق العرب والمسلمين فى بيت المقدس .

المسجد معهد للدراسة والعلم

ظل الجامع الأموى منارا للعلم والعرفان ، ومعهدا للدراسة وتحصيل علوم اللغة والدين منذ بنائه ، اذ كان قبلة العلماء والدارسين ، يفد اليه الطلاب من كل صوب ، لينهلوا من منبعه ، ويتلقوا العلم على أساطين العلماء ، وفحول الأدباء من أئمة المسجد وشيوخه الذين وهبوا أنفسهم لنشر اللغة والدين الاسلامى ، طلبا لمغفرة الله وكسبا لرضاه ، ومن أشهر أساتذة هذا المسجد الحسن بن محمد البوريني الذى قام بتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعى ، وكان فصيحا بليغا يسأله العلماء رأيه فى مؤلفاتهم ، وقد تقلد أعلى المناصب وصنف كتبا فى التاريخ والتفسير والادب واللغة ، وألف كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، وشرح ديوان ابن الفارض ، وأسماه:البحر الفائض فى شرح ديوان ابن الفارض .

ومن علماء الجامع أحمد بن أحمد الطيبى الذى تولى امامة المسجد زمنا طويلا وخطب فيه ، وتولى التدريس فى أروقته ، وقد تلقى العلم على يديه الشيخ اسماعيل النابلسى الذى شغل منصب مفتى الشافعية ، كما أصبح أحمد بن الطيبى الفقيه المحدث الشهير من أئمة الجامع ، وأستاذا من أقدر علمائه وتولى منصب مفتى دمشق نحو عشرة أعوام ، وقد تلقى العلم على أبيه وصار من أعظم فقهاء عصره .

ومن علماء الحنابلة الشيخ أحمد بن أبى الوفا الذى نشأ فى بيت اشتهر أهله بالعلم والتصنيف ، وبرع فى أنواع العلوم والفنون والآداب ، واشتغل بالتدريس فيه وفى المدرسة الأتابكية ، وحضر



ضريح النبى يحيى فى ايوان القبلة بعقوده الضخمة .

الدروس عليه طلاب العلم الذين أصبحوا أساتذة الاجيال ، ورواد الحركة الفكرية فى بلاد الشام ، ممن ارتقت على أيديهم علوم اللغة فى أحلك أيامها ، وحفظوا التراث الاسلامى من الضياع أيام العثمانيين .

وهكذا أسهم الجامع الأموى فى حفظ اللغة العربية والحضارة الاسلامية، واستمر يؤدى رسالته السامية أثناء الحكم الفرنسى لسوريا ، وكان معقلا وحصنا لحركات التحرر ، وانطلقت منه الدعوة للاستقلال ، وطرد المستعمر الغاصب حتى تطهرت سوريا من شرور الاحتلال .

هذا والجامع الأموى درة فنية ذو قيمة تاريخية فى الفن المعمارى الاسلامى عبر العصور ، وهو كنز لا يقدر لمؤرخى الفنون ، اذ يحكى تطور الفنون الاسلامية وتاريخها كما انه سجل حافل فى كتاباته ونقوشه وزخارفه وطرزه التى لا تجارى، ودليل على الذوق المرهف ، والابداع والحرية التى توفرت للصانع ، فابتكر ووصل فنه الى أعلى درجات السمو والاتقان .

ذكريات يتيم

للاستاذ احمد محمد مصطفى السفاريني

ما هو الأمس الذى نقطعه — في صراع العمر عبر الزمن ؟
كيف يبقى صورة في وعينا — وخيالا ماثلا في الأعين ؟
فإذا الماضى طريق لا حب — قطعت بالبؤس أو بالمنن ؟
يحمل القلب لها إكباره — أو جراحات الأسى والمحن ؟
فإذا كان يتيما أقفرت — منه نعماه كأن لم تكن ؟
فهو مثلي ضائع مستنكر — تائه الخطو ، رفيق الحزن ؟
يالأيامى التى بددها — طارق الليل بأدنى ثمن ؟
هكذا مرت هباء عبثا — دونما حس بيوم حسن ؟
فكان الأمس فيها أو غدا — قهقهات من عتى ماجن ؟
تعبث الأوهام فيما أرسلت — من دوى صاخب مستهجن .

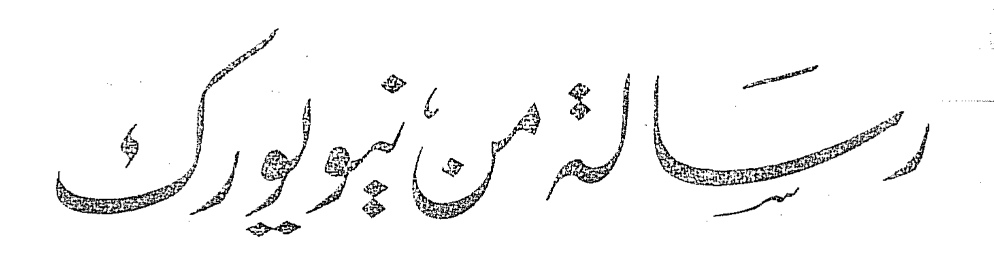
***

أنا لن أنسى لحاظا مرة — بت أرعاها بجرى أعينى .
منذ أن هز فؤادى منظر — طيفه أرقنى في الوسن .
بينما كنت مساء عائدا — والأمانى أنجم تبهرنى .

وقعتْ عيني على غير هدى ... فوق ما رؤيته تجهدني .
« بذلة » خلف ستارٍ عارضٍ ... علّقتْ ، ذاتُ وشاح يَمَني .
كالتي يلبسها مستكبراً ... بعض صحبي في دلال فاتن.
وعلى ياقاتها أزرارها ... نُقِشَتْ صورة طير شادن .
ونياشين على الصدر زهت ... تبعث النشوى كزهر السوسن
فطويتُ الدرب مشغوفا بها ... نحو أمي والمنى تسبقني . .
ثم ألقيت بنفسي . باكيا ... حاجتي في حضنها المستأمَن
ولقد ساءلتها أين أبي ... فأشاحت وجهها لم تبن .
ومضت تُقسم لي في لوعة ... أنها سوف غداً تسعدني .
ثم لما مرّ ميعادي ولم ... أجد البذلة تكسو بدني .
وبدت أمي تواري وجهها ... واحتوتني في حنان محزن .
تسفح الدمع سخينا دافقا ... وهي تشكو من زمان زَمِن .
فتوليت وكلي غصة ... أمضغ الوهم بقلب مثخن .

***

أو صباحا في حمى مدرستي ... دعى القوم لحفل علّني .
اقبل القوم زرافات وهم ... باسمو الثغر ببشر بيّن .
والمدير الكهل يبدو ضاحكا ... يتلقى الوفد بالوجه السني .
كل تلميذ إلى والده ... بيد مشدودة مقترن .
غير أني لم أجد دوني أبا ... اصطحبه في طريقي الأرعن .
واستقام الحفل في أبهة ... كلما قام فتى يسبقني .
ضجت الأصوات تعلو له ... حية بالفخر حتى ينثني .
وتخطيت إلى دوري الخطي ... دون أدنى همسة في أذني.
رحم الله أبي كم نعمة ... كان يسديها بقلب محسن .



رسالة من نيويورك

للدكتور محمد محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

شهد الصيف الماضي نشاطا اسلاميا محسوسا بأمريكا الشمالية ، فقد عقد مؤتمر الهيئات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا فى منتصف يوليو بمدينة لندن فى كندا ، كما عقد مؤتمر الطلاب المسلمين السنوى بجامعة ميتشجان فى أوائل سبتمبر ، ويعنى الطلاب فى مؤتمراتهم بتنظيم المحاضرات وعقد الندوات العلمية ، ويحرصون على أداء الصلوات الخمس جماعة فى أوقاتها ، أما المؤتمر الأول فأكثر نشاطه من نوع المرح والتسلية تقليدا للمهرجانات التي تعقدها النوادى العربية المسيحية لجمع المال لأغراض قد تكون دينية أيضا كاصلاح كنيسة أو الانفاق عليها ، لذلك يجذب الأول عددا أكبر من الشباب والشابات اقبالا منهم على الاستمتاع بما يهيئه المؤتمر لهم من لقاء ورقصات أهمها رقصة ((الدبكة)) الشامية ، ويبرر اتحاد الهيئات الاسلامية هذا النوع من النشاط بأنه وسيلة للقاء الشاب المسلم بالشابة المسلمة الذى كثيرا ما ينتهى بالزواج بينهما ، واكبر هم المهاجرين هنا ـ فى بلاد الاسلام فيها غريب ـ مستقبل بناتهم فكثيرا ما يؤثر الشاب المسلم الزواج من أوروبية مسيحية ، وقد نتج عن ذلك أن بعض المسلمات يفوتهن الزواج ، وقد تنحرف الشابة المسلمة وتتزوج من غير مسلم رغم ارادة أهلها ، بل قد ترتد عن الدين مبالغة فى ترضية رفيقها ، ونتيجة لضعف ايمانها وقلة معرفتها بدينها ، وقد نشأت فى بيئة غربية ملحدة : والزوجات المسيحيات ينشئن أطفالهن على غير دين آبائهم المسلمين حتى لو أعلنت اسلامها ترضية لزوجها ، بل قد يشترط الزوج المسلم عند القران أن يكون الأطفال مسلمين ، وفى بعض الحالات تعدل الزوجة بعد ذلك ، كما أخبرني بالأمس صديق عربي مسلم عن زوجته هو ، فكان الوالد يغضب اذا سمع ولده يجيب زائرا يسأله عن دينه فيقول انه مسيحي . وفى بعض الأحيان يقبل الزوج المسلم عند القران شرط أن يكون الأطفال على دين أمهم ترضية لأهلها . فالزواج من غير المسلمة اشكال كبير ، ومستقبل الفتاة المسلمة مهدد ، لذا يرى المنظمون للمؤتمر السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية مبررا لاغراء الشباب بالاقبال على المؤتمر تمهيدا لخاتمة اسلامية طيبة .

ومن هنا يا أخي تبدو ضرورة عمل الهيئات الاسلامية فى هذه البلاد ومشروعية تشجيعها للعمل على تجديد المعانى الاسلامية فى نفوس المغتربين ، وانتشال أطفالهم من براثن الالحاد ، وعمل الأمهات غير المسلمات ، ويسرك أن كثيرا من طلاب مدرستنا التي تشرف عليها منظمتنا الاسلامية كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين ، ولكنهم الآن يعتزون بأنهم مسلمون ، ويحرصون أشد الحرص على حضور دروسهم ، والاستفادة بما تهيئه المنظمة لهم من نشاط اسلامي مفيد . ولو قصصت عليك بعض القصص لكان حديثا

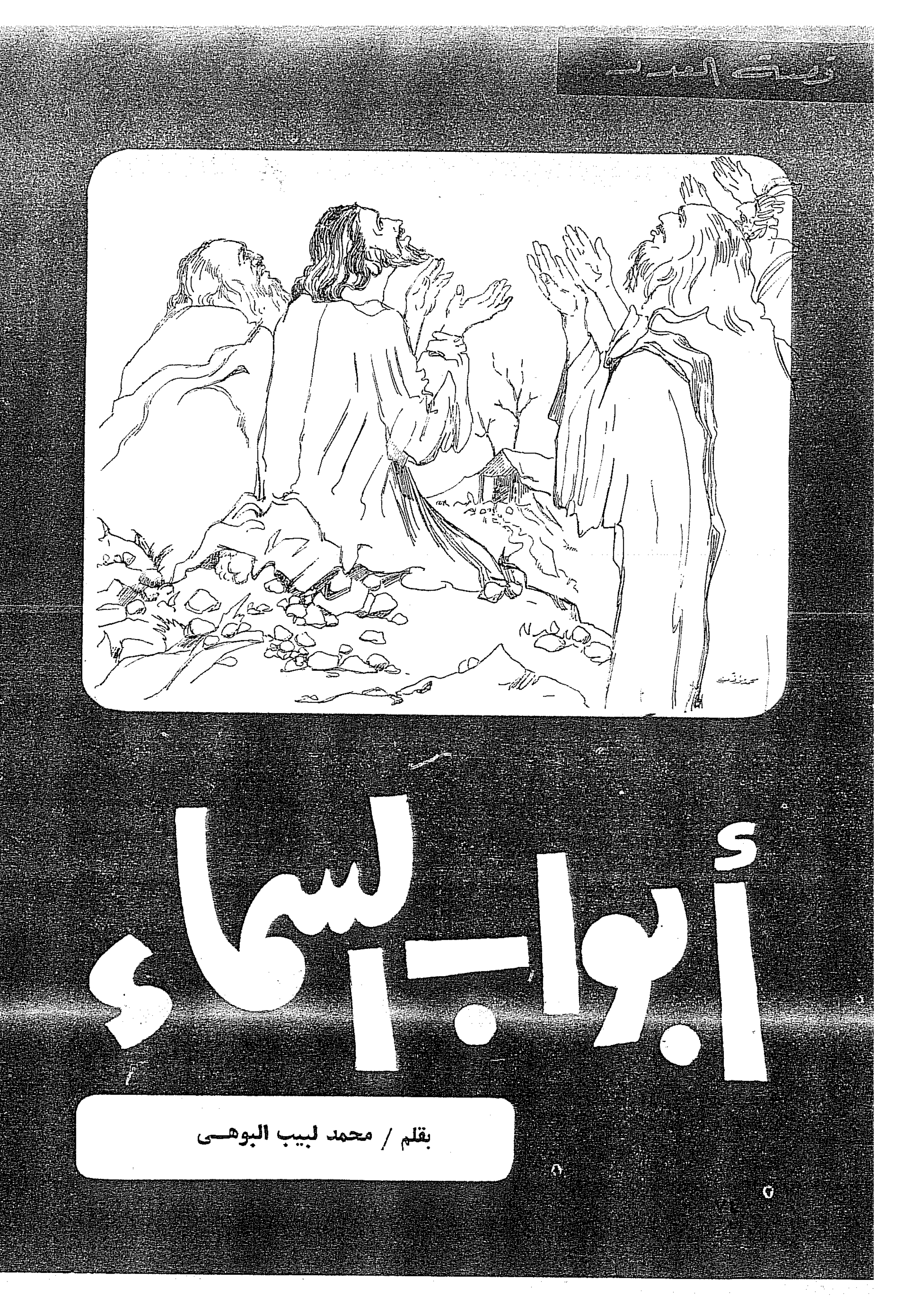


السيد راشد بن عبد العزيز الراشد سفير الكويت وهو يوقع على
الدستور الخاص بانشاء مبنى المركز الاسلامى وعلى يمينه الدكتور عبد الرءوف

ممتعا ولكن ذلك يطول . ولقد وفقنا الله تعالى فنوعنا الدراسات والفصول الدينية العربية ابتداء من هذا العام الدراسى ، وبدأنا اخراج سلسلة من الكتب ظهر منها الجزء الاول بحمد الله ، ولقى ذلك نتائج طيبة مثمرة .

وكان من أهم الأحداث التي تعنينا انشاء المركز الاسلامي بمدينة نيويورك وتوقيع الدستور الخاص به ، وذلك فى احتفال رسمي خاص عقد بدار هيئة الأمم المتحدة مساء يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦ حيث وقع على هذا الدستور بحضرة كاتب العدل المخول لدى حكومة نيويورك جمع من سفراء الدول الاسلامية من رؤساء الوفود الاسلامية الدائمة لدى هيئة الأمم المتحدة ، من بينهم سفراء الكويت ، وايران ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وباكستان ، وتركيا ، وتونس ، وغينيا ، ومالى ، والمغرب ، والجزائر ، والسودان ، والأردن ، والسنغال ، وسوريا ، والعربية السعودية ، والعراق ، وكان السيد وزير خارجية الباكستان من بين الحاضرين .

والمركز الاسلامي هذا هو الذى تبرعت له دولة الكويت بمائتي ألف دولار ، وتبرعت له حكومة السعودية بمثل هذا من قبل ، كما صدقت حكومة ليبيا وأسهمت بنفس المقدار فى بداية هذا العام ، وقد بلغ شراء الأرض اللازمة للمبنى مراحله الأخيرة بحمد الله ، ونأمل أن يبدأ البناء فى العام القادم ان شاء الله . ويشمل المشروع مسجدا ومكتبة اسلامية ومدرسة ودار ضيافة ومبنى للاستغلال للانفاق على المسجد ، وقاعات للمحاضرات ونشاط الشباب المسلم ، وسلام الله تعالى عليكم ورحمته وبركاته .


أبواب السماء
بقلم / محمد لبيب البوهى

أقبلت ..

الأم تمشي على أطراف أصابعها ، واتجهت الى الخيمة الصغيرة ، ومدت يدها في رفق فرفعت طرفها ، وتسلل شعاع من ضوء الشمس الى الداخل، وتراقصت ذرات الغبار المتطاير في هذا الشعاع .

وتقدمت الام خطوات ، وهي ما تزال تطأ الارض في حذر ومهل ، حتى اقتربت من فراش الصغير النائم ، وخيل اليها أنها تراه نائما مستغرقا في النوم ، فمسحت على رأسه في رفق ، ثم هزت رأسها في شيء يشبه الاسف مرة أو مرتين ، وتراجعت بعد ذلك بظهرها في هدوء حتى خرجت من حيث جاءت ، فأعادت احكام الخيمة من جديد ، ثم ظلت في موقفها ذاك عند مشارف الطريق هنيهة تنظر الى الأفق البعيد ، وليس على ظهر الارض من هو أشد منها بؤسا وفجيعة .

أما الصبي النائم في الداخل فما أن اطمأن الى خروج أمه ، وأنها قد أعادت احكام أطراف الخيمة عليه حتى استوى قاعدا يحاول عبثا أن يمتص شفتيه ، فها هو اليوم الثاني في هذا الوقت من هجير الصيف الشديد دون أن يذوق قطرة ماء .

وراح يتحسس شفتيه اللتين تشققتا من الجفاف ، وهو يحس لذلك ألما شديدا يضاعف من عذاب الظمأ الشديد ، وعلى بعد خطوات منه خارج الخيمة كانت الأم قد اتخذت مجلسها في الظل معتمدة رأسها بين ذراعيها غير قادرة على السير في هذا القيظ المحموم ، وغامت الدنيا في عينيها ، وهمت أن تبكي ، وظنت أنها ستجد في البكاء بعض الراحة ، ولكنها فوجئت بجاريتها تأتي مهرولة من منعطف الطريق فغمرها فرح مفاجيء ، وتهيأت لاستقبال النبأ الذي ستزفه اليها ، فهمست اليها الجارية في سرور أثلج فؤادها .

ذهب سيدي الشيخ ومعه الجرة .. لقد سمع أن رجلا من يهود يخفي عشر جرار مملوءة ماء ، كان الرجل قد احتجزها قبل القحط ، وقد راح سيدي يساومه ، انه يبيع جرة الماء بمائة دينار .

ولم تدر السيدة أتضحك أم تبكي ، جرة الماء بمائة دينار ؟ وكأنما أدركت الجارية ما يجول بخاطرها فقالت .. الانسان قد يتنازل عن نصف عمره ليشرب اذا امتنع الماء وأشرف المرء على الهلاك .

***

ومرت الساعات وارتفع قرص الشمس في كبد السماء ، وراح يلهب الناس بشواظ من نار ، وأخذ القوم يتساقطون جماعات في داخل الخيام أو الدور أو في أطراف الاسواق ، ووقف الموت بمنجله يجمع حصاد الكارثة .

وظهر الشيخ قادما على بعيره من بعيد ، وأسرعت الأم الى ولدها فى لهفة تدعوه أن ينظر فى استبشار ، وأسرعت الجارية فساعدت الصبى كى يخرج الى الباب لينعم بمنظر أبيه القادم من بعيد ومعه جرة الماء .

ووصل الشيخ .. وكان وجهه ينضح بالحقيقة .. لقد نفد الماء الذى ادخره اليهودى .. أو هكذا ادعى اللئيم ، لقد عرض عليه ألف دينار ، ثم عرض عليه نصف ماله نظير جرة الماء ، وأقسم اليهودى أن لو أمكن ان يبيع دمه نظير هذا الاغراء المالى العظيم لما تردد ..

واجتمع الناس بعد أن تحامل بعضهم على بعض يتدارسون أمر هـذه النازلة وقال قائلهم :

يا قوم .. لقد ولى النهار ، وأخذ الليل يتقدم ، وان نبى الله موسـى مقيم على مسيرة ساعتين من قريتنا ، فلماذا لا نذهب اليه ، ونطلب اليه أن يتضرع الى ربه ، فهو النبى المسموع الكلمة عند مولاه كى يرفع عنا وعن أطفالنا ونسائنا هذا البلاء .

وقال رجل كان يطيل مصاحبة النبى موسى الكليم الكريم .. بلى يا قوم هذه هي فرصتنا .. لم يعد لنا من الامر الا أن نطلب الرحمة من السماء .. فقد جفت كل ينابيع الارض .

***

وذهب القوم الى موسى عليه السلام فاذا بالبلاء قد عم كل البقاع .. فالقوم في كل مكان قد استبد بهم الظما فتركهم كأعجاز نخل خاوية فقالوا جميعا :

انظر ماذا ترى فى أمرنا ذاك يا نبى الله ؟

فاخبرهم موسى عليه السلام أنه ليس أمامهم الا الدعاء ..

***

وتناقل الجميع كلمة الدعاء .. وراحت الألسن ترددها ، والاسماع تستقبلها ، والجبال تردد صداها .. الدعاء .. الدعاء ..

وذهب القوم يتنادون أن هيا أيها الناس الى رحاب السماء .. واقبل الناس فى جوف الليل من كل صوب ، من السهل .. ومن الجبل ومن كل فج بعيد .. مئات ومئات يسوقون أطفالهم ونساءهم .. أشباحا تكاد تنقض الى الأرض اعياء من الضنى والهزال .. لقد بدا كل شىء كأنما توشك الساعة أن تقوم .. أو كأنما توشك السماء ان تنقض على الأرض ، لتذيق الناس فنونا من الهول والعذاب ، وارتفعت الضراعات الخافتة الخارجة من قلوب مقروحة تردد .. الدعاء الدعاء .. لقد أمر النبى بالدعاء عند الفجر .

هيا ومعكم أطفالكم ونساؤكم .. استعدوا وتطهروا !!!

وتساءل الذين لا يرتنون هل يستجيب الله حقا لدعائهم ؟ لقد أخـذ الامل

العظيم يداعب القلوب الجريحة ، ترى يتحقق ذلك الأمل ؟ . ترى هل سيقدر لهم أن يعيشوا حتى يذوقوا الماء العزيز من جديد ؟ وحتى نرتوى ونسقى الأطفال والزرع !! ؟

لقد بدا لهم ذلك الاحتمال فوق كل مجال التصديق ، ولكن الذين يعلمون كانوا على يقين من أن السماء سوف تستجيب وكيف لا يستجاب لهم ، وبينهم نبى الله يدعو معهم ، ويقودهم الى رحاب الله .

* * *

وجاء الفجر وارتفعت ألوف الأكف واشرأبت الاعناق ، وموسى هناك فوق الجبل يدعو ، والناس من خلفه يرددون الكلمات . وبزغ ضوء الفجر وغمرهم شعاعه الكريم ، وبدا الناس فى هذا النور وكأنما ولدت ارواحهم من جديد ، وعادوا الى بيوتهم مطمئنين ، يمنون النفس بالغيث ، فان الله لا يرد دعاء المؤمنين ، وجاء الضحى وراحت الشمس تجرى فى فلكها العلوى ، ومضى توالى ارسال شواظها دون أن يهبط المطر حتى أخذ الناس اليأس أو كادوا ، واشتدت بهم النازلة ، وأخذ منهم العجب كل مأخذ .. لقد دعوا بكل جماع قلوبهم ولكن الدعاء انتهى بهم الى تباب .

* * *

وتعجب موسى عليه السلام .
وجاءه الجواب من ربه .

ان الله قريب يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ، ولكن الذين كانوا فى الغد يجأرون بالدعاء كان بينهم عاص لربه ، عاص له فى سجل الموبقات صحائف سود . فكيف يستجيب الله لهم ؟ !

***

واستبد البلاء بالناس وعم الكرب ، لقد زادت الوجيعة ، وتضاعف العذاب ، وغمرهم احساس جديد بالخزى والعار المهين ، لقد ادركوا أنه يعيش بينهم من هو آبق عن طريق الله ، منحرف عن سواء الصراط ، ترى من يكون هذا الذى حال بيننا وبين رضوان الله .. ؟

وراح بعضهم يسأل بعضا .. أننال كل هذا من أجل وجود بعض العصاة بيننا ؟ وما ذنبنا نحن فى ذلك ؟ وكان أهل العلم يجيبون .. ايها الناس اعلموا أن البلاء يعم ، وأن القرية قد ينزل بها الهلاك وبها قوم صالحون ، لأنهم لم يضربوا على أيدى العصاة ،وتركوا النهى عن المنكر والامر بالمعروف .

تلك هي الحقيقة ، ولقد مضى علينا حين من الدهر ونحن فى تقاعس عن التناصح ، وذهب كل منا يقول : نفسى .. نفسى .. يمر أحدنا بالمذنب فيهز كتفيه ويمضى .. غير عابىء بالأمر ، وغير مقدر أن الشرارة الصغيرة قد تأتي من بعيد ، فتشعل النار التى لا تبقى ولا تذر ، وها نحن نجد مصداق ذلك فى هذا الدعاء الذى اتجهنا به الى الله فلم يستجب لنا .

* * *

البقية على ص ٩٦



تعليق وتعقيب

سبق أن نشرت المجلة فى العددين السابع عشر والتاسع عشر مقالين للأستاذ محمود غنيم تحت عنوان الرسم العثماني للمصحف ، وقد جاءنا بعد نشر المقال الأول تعليقات عليه أشرنا اليها فى العدد السابق ، ووعدنا بنشرها وتعقيب الأستاذ غنيم عليهما ، وفيما يلي التعليق والتعقيب .

قال الأستاذ محمود سليم دوعر بوزارة العدل فى الكويت بعد الديباجة : ـ

أحب أن أورد ملاحظات ، راجيا أن تتكرموا بنشرها فى مجلتكم الكريمة لعل بها بعض التوضيحات الضرورية .

أولا ، لا يسعنى الا أن أعترف بطيب ما أورده السيد محمود غنيم من حوادث تاريخية وما سرده لنا فى مقاله ، من روايات صادقة بشأن الموضوع . ورغم ذلك كان واضحا ـ حسب ظننا ـ والله أعلم أن مقال الأستاذ غنيم ، لم يسلم من بعض الأغلاط ، التي نوجزها فيما يلي : ـ

أولا : ـ فى أول سطور المقال ـ وبعد اعتراف الكاتب باختلاف فقهاء المسلمين حول الموضوع أورد رأيه بصراحة كاملة وبدون تحفظ ـ وأيضا ـ بدون براهين : أن الرسم العثماني للمصحف خاضع لقواعد الاملاء ـ قديما وحديثا ـ والحقيقة أنه لولا (شرعية رسم المصحف) بهذا الشكل ، لما كان هناك اختلاف مذاهب ولا اختلاف فقهاء بشأن فهم القرآن الكريم .

ثم أضاف الأستاذ غنيم ، أن ذلك شيء عقلي .. والحقيقة أنها مسألة شرعية بتوقيف عن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كما سنذكر ـ

ثانيا : — ان الكتاب الذى عرضه للمرحوم حفنى ناصف ، يعترف السيد غنيم ، بأنه عرض فيه الأدلة القاطعة على ضرورة العودة للرسم القديم للمصحف الشريف ، ونعنى (العثمانى) ورغم ذلك لم يذكر السيد غنيم هذه البراهين القاطعة — كما يقول — مع أن ذلك مما يقتضيه الاعتراف بالحق ، الا اذا كان السيد الكاتب قد أصر على عدم الاعتراف بتلك البراهين لأنه يريد رأيا جديدا يغاير الحقيقة ... ؟ .

ثالثا : — يعترف السيد كاتب المقال (بأن كل كتابة غير كتابة المصحف العثماني) عند تدوينه ، يضرب بها عرض الحائط ولا يلتفت اليها .. بل حرفت .. كل هذه البراهين يقولها السيد الكاتب .. وفوق هذا يقول ان الرسم الحالي (شيء عقلي) أى ليس شرعيا ...

هذا بالنسبة لمقال الأستاذ غنيم .. وأحب هنا أن أزيد ، مؤيدا فقهاء المسلمين .. بل الحق أن أقول (معترفا) بفضلهم حين يقولون :

١ — ان الرسم الحالي للمصحف الشريف .. هو أمر شرعي ، نعم شرعي .. وتوقيفي .. بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، بدليل أنه عليه الصلاة والسلام كان له كتبة للوحى (يكتبون القرآن) وهم أنفسهم كانوا يكتبون الرسائل للملوك والولاة وكانت كتابتهم للقرآن غير كتابتهم للرسائل (... فلم هذا الاختلاف ؟؟؟) قطعا لأن كتابة القرآن بهذا الرسم أمر شرعي لا يجوز تغييره أبدا ...

٢ — كانت كلمة واحدة ، تكتب برسمين مختلفين .. مثلا .. كلمة (الربا) كتبت هكذا .. وكتبت هكذا (الربوا) أو (الربى) وكذلك بالنسبة لكلمات أخرى كثيرة جدا .. فكان رسمها يختلف من سورة لأخرى .. وربما من آية لأخرى ... (فلم هذا الاختلاف ؟؟) لو كان الأمر متعلقا بقواعد الاملاء ؟ .

٣ — كان عليه الصلاة والسلام — رغم أنه أمي — يسأل الكاتب عن كيفية رسم الكلمة .. فيقره على ذلك .. وهذا يدل على أن مسألة رسم المصحف العثماني .. توقيفي عنه عليه الصلاة والسلام .

ولكن هناك مسألة أخرى .. لم يتعرض لها الأستاذ غنيم .. وهي أن كتابة الآيات للتعليم أو للترجمة أو للتدريس أو للاستشهاد .. يجوز كتابتها بغير رسمها العثماني ، لأن التوقيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم .. خاص بالقرآن وليس خاصا بالتعليم .

ولهذا ترون معي ، أن رسم المصحف الشريف .. أمر توقيفي وبالتالي فهو مسألة شرعية فلا يجوز بحال من الأحوال ، أن تغير ولا أن تبدل .. لأن ذلك اثم كبير حيث أنه يمس أقدس مقدساتنا بل أعظم معتقداتنا بعد الشهادتين .. راجيا الله أن يبلغ مقالي الأستاذ محمود غنيم .. فيقتنع بما نقول .. وحتى لا يسطر مرة أخرى (أن رسم المصحف يخضع لقواعد الاملاء قديما .. وحديثا) .. هدانا الله لما فيه خير الأمة .

وهذا هو تعقيب الاستاذ غنيم يقول فيه :

وبعد : فانى أشكر لكم ما أتحتموه لي من فرصة الاطلاع على ملاحظات السيد المحقق محمود سليم دوعر الخاصة بمقالي (الرسم العثماني للمصحف) المنشور بالعدد السابع عشر من مجلة الوعي الاسلامي ، كما أشكر لكم حرصكم على

استطلاع رأيي فيما سماه سيادته (أغلاطا) وتلطفتم فسميتموه (ملاحظات) حول هذا الموضوع .

ولا يسعني قبل أن أنفذ الى صميم الموضوع الا أن أبدي لكم ملاحظة أنتم أدرى بها مني ومن جمهرة قراء المجلة ، وهي أن البحث لم ينشر برمته ، وانما نشر جانب منه فقط ، وهنا يحق لي أن أتساءل : أتتابع المجلة نشر بقية نقاط البحث ، أم تجتزيء بما نشر منه في العدد المشار اليه ؟ ان كان الأول فهو الأمثل ، وان كان الثاني فهو الاقتضاب الذي يكشف عن وجه واحد من الحقيقة ويسدل الستار على عدة وجوه (١) .

والذي أرجحه أن السيد المعقب لو اطلع على البحث كاملا لاستغنى عن ابداء ملاحظاته ، أو عن بعضها على الأقل ، أو لتغير جوهر هذه الملاحظات واتجه بها سيادته اتجاها آخر .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق باستيفاء البحث أو اجتزائه ، فليس هذا بمانعي من مناقشة ما أبداه السيد المعقب من ملاحظات،مناقشة لا هدف لي من ورائها الا الوصول الى الحقيقة المجردة من كل ما يعكر صفاءها أو يشين بهاءها .

معنى التوقيفية

يذكر السيد المعقب في غير موضع من ملاحظاته أن مسألة الرسم العثماني للمصحف مسألة توقيفية ، ويفسر هذه التوقيفية بقوله « ان الرسم الحالي للمصحف الشريف هو أمر شرعي ، نعم شرعي وتوقيفي بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام » .

ونحن في شك كبير من سلامة هذه القضية أو هذه التوقيفية ، فالمقطوع به أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميا ، وهو يقول لجبريل « ما أنا بقاريء » واذا لم يكن قارئا لم يكن كاتبا من باب أولى ، والذى ليس بقاريء ولا بكاتب لا يملك توجيه كتاب الوحى الى الطريقة التي يصطنعونها في رسم الحروف . ولم يقل أحد — فيما أعلم — بالتوقيفية على هذا النحو ، وانما يعني القائلون بالتوقيفية أنها مأثورة عن الصحابة — رضوان الله عليهم — قالوا : ومن حق الصحابة علينا أن نحافظ على تراثهم ، وعلى ما أثر عنهم من طريقة رسم الآيات القرآنية التي تبلورت في الرسم العثماني على نحو ما أسلفنا .

وعلى ذلك فنحن حين نناقش هذه التوقيفية نستبعد من حسابنا نهائيا أية صلة للرسول بالرسم ، وما يتعلق به من قواعد واتجاهات ، وانما نناقش هذه التوقيفية على أنها أثر صحابي لا أكثر .

وليس من شك في أن كتاب الوحي من الصحابة أدوا الى القرآن ، بل الى الاسلام ، بل الى الانسانية جمعاء — أيادى بيضاء بما دونوه من آيات التنزيل الحكيم التي كانت لولا تدوينهم عرضة للضياع ، أو لما يتعرض له كل ما يعتمد على الحفظ والذاكرة وحدهما من التغيير والتبديل ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ، وأقربها الشعر الجاهلي ، بل الأحاديث النبوية نفسها ، وغير هذين مما لم يدون من فوره ، بل تأخر تدوينه فترة من الزمن .

وليس من شك أيضا في أن العرب على عهد الرسالة النبوية كانوا أقرب الى البداوة ، وهذا يستتبع تأخر الكتابة كما وكيفا : أعني أن الكتاب كانوا في ذلك العهد قلة ، وأن الكتابة نفسها كانت بدائية لم تستكمل أدواتها بعد .

وليس من شك أيضا في أن دورة

---

(١) نشرنا بقية البحث في العدد السابق .

الفلك فى مدى أربعة عشر قرنا تقريبا قد فعلت فعلها فى الكتابة ، وصهرتها فى بوتقة النضج الحضارى ، حتى كادت الصلة تنقطع بين ماضيها وحاضرها : الأمر الذى جعل أرباب الثقافات وحملة الشهادات يقفون أمام الرسم العثماني للمصحف وقفة « فرنسوا شامبليون » أمام حجر رشيد (!!!) (١) .

فاذا سلمنا بهذه المقدمات — ولا يسع المنصف الا التسليم بها — كان لنا أن نقول :

ان التمسك بالرسم العثماني لمجرد أنه أثر صحابى فيه حيلولة بين المصحف والقارىء أيا كان مبلغ هذا القارىء من الثقافة ، ما لم يسبق له حفظ القرآن أو تلقيه عن أحد المقرئين ، حتى يصلح له من قراءته ما فسد ، ويقوم له منها ما تأود . وما هكذا ينبغي أن يكون موقفنا من كتاب الله الذى يعتبر مفتاح الحنيفة ، وجماع الاسلام ، والمصدر الأول من أحكامه وتشريعاته .

اننا معشر المسلمين فى هذا العصر ، بل ان معشر المسلمين فى كل عصر — مطالبون ببث الدعوة الاسلامية ، والتبشير بأحكام الحنيفة السمحة وتعاليمها ، فكيف يتفق هذا مع اغلاق أبواب القرآن بأقفال من فولاذ ، وقطع الأسباب بينه وبين القارىء المثقف ، أو بين هذا القارىء وقراءته قراءة سليمة لا يتطرق اليها شيء من اللحن والخطأ اللذين كثيرا ما يطغيان على المعنى ، أو يذهبان به الى غير المقصود منه .

علينا أن نجل الصحابة — رضوان الله عليهم — ولكن ليس علينا أن يحملنا اجلالنا لهم على استعمال ماء الآبار بدل الأنهار كما كانوا يستعملون ، أو على التوضؤ من الأباريق بدل الصنابير كما كانوا يتوضأون ، أو على تأدية فريضة الحج على متون العيس بدل الطيارات كما كانوا يؤدون ، فاذا لم نسلم بذلك فعلينا أن نتنازل عن القضية التي تقول « ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان » .

يقى علينا أن نشير الى مسألتين احتج السيد المعقب بكلتيهما فى تعقيبه .

بين القرآن والرسائل

الأولى — ما أشار اليه من أن كتابة القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تختلف عن كتابة الرسائل ، مع أن كتبة الوحى هم هم أنفسهم الذين كانوا يتولون كتابة رسائل الرسول الى الملوك وغيرهم ، ونحن نسلم بهذا الخلاف ، ولكننا نبادر فنقول : ان هذا الخلاف لا يمس جوهر ما تعارفوا عليه من أصول الرسم وقواعده وهجاء أحرفه وما يتصل بذلك ، وانما كان الخلاف منحصرا فيما تتميز به كتابة القرآن الكريم من علامات تدل على أوجه القراءة التي أذن بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقر بها وفود القبائل من فك وادغام وامالة وتفخيم واشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

بين سورة أخرى

الثانية — ما أشار اليه من أن رسم الكلمة الواحدة كان يختلف من سورة لأخرى ، وفى بعض الآيات عنه فى بعض آخر . ونحن نقول : ان هذا — ان صح — كان دليلا لنا عليه ، لا دليلا له علينا ، اذ أن ذلك الاختلاف لا يمكن حمله الا على اختلاف الكتاب أنفسهم تبعا لمبلغ اجتهاد كل منهم فى تطبيق أصول الرسم المتعارفة عندهم ، والا فما معنى أن ترسم كلمة واحدة تؤدى معنى واحدا فى موضعين برسمين مختلفين ؟ ان لم يكن ذلك لغرض من الأغراض التي أشرنا اليها فى المسألة الأولى فهو بالعبث أشبه .

---

(١) ليس الى هذا الحد « الوعى »

ولقد استوقف نظرى قول السيد المعقب ما نصه « والحقيقة أنهلولا شرعية رسم المصحف بهذا الشكل ما كان هناك اختلاف مذاهب ولا اختلاف فقهاء فالتلازم يكاد يكون منعدما فىهذه القضية بين شرطها وجوابها ، أو قل : ان شرطها يستلزم عكس جوابها ، فشرعية رسم المصحف ـ لو ثبتت ـ لا تكون سببا فى اختلاف المذاهب واختلاف الفقهاء ، بل تكون سببا فى جب كل خلاف وحسم كل نزاع بين المذاهب والفقهاء (!!!) .

الكتابة للتعليم

على أننى أعود فأقول : ان دائرةالخلاف بيني وبين السيد المعقب تضيق وتضيق جدا حتى تكاد تتلاشى ، وذلك حين يقول سيادته : ولكن هناك مسألة أخرى لم يتعرض لها الأستاذ غنيم ، وهي أن كتابة الآيات للتعليم أو للترجمة أو التدريس أو للاستشهاد تجوز بغير الرسم العثماني « ونحن ازاء ذلك لا يسعنا الا أن ننحنى له انحناءة الشكر على هذا السلاح الذى وضعه فى أيدينا ، فما دامت كتابة الآيات بغير الرسم العثماني جائزة للأغراض التعليمية فكتابة السور كذلك ، لأن السورة مجموعة من الآيات وبالتالي ينصب هذا الحكم على القرآن بأسره ، لأن القرآن ليس الا مجموعة من السور ، وحينئذ تقول للسيد المعارض بملء الفم « التقينا » فنحن لا نريد أكثر من طبع **المصحف طبقا لقواعد الاملاء الحديث** حتى تتسنى قراءته دون لحن يشوه جماله ، ويقف حائلا بينه وبين مكنون معانيه .

اما هذا المصحف فليطلق عليه السيد المعقب اسم المصحف التعليمي ، أو يطلق عليه ما يشاء غير ذلك من الأسماء ، وأنا واثق أن هذا المصحف هو الذى سيكتب له التداول والبقاء ، وسيؤدى الى الاسلام والمسلمين أجل الخدمات .

واذا سألنى السيد المعقب عن مصير المصحف العثماني قلت له : يجب الحفاظ عليه كأثر ديني تاريخي يرجع اليه عند الاقتضاء ، ويستعمله فى التلاوة للحفاظ ومن اليهم ممن يؤمن عليهم الزلل ، واني لأعتبر **وجود هذين المصحفين** أحدهما بجانب الآخر ثروة اسلامية كبرى ، واذا كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان تقرب الى الله برسم المصحف الأول فى القرن الهجرى الأول ، فنحن نتقرب اليه برسم المصحف الثاني فى العصر الحديث .

وبعد . فيعجبني قول الفقهاء عند كلامهم عناختلاف الأئمة الأربعة ((ان كلا منهم يعتقد أن رأيه صواب يحتمل الخطأ)) وبحسبي أن أتمثل بهذه العبارة، على أنني لا أنسب لنفسي فضلا ليس لي ، فالرأى ليس رأيي ولكنه رأى علماء سابقين ولاحقين ، ولا فضل لي الا فى الاقتناع به وإعلانه وتعزيزه والدفاع عنه بما وسعني من الأدلة والبراهين . وقد يكون من العجيب أن يعمل غير المسلمين على نشر الكتاب المقدس وتيسير تداوله ما وسعهم ذلك غير متقيدين برسم معين أو لغة بذاتها ، على حين تقف نحن هذا الموقف الذى لا يخلو منالجمود حيال القرآن الكريم .

وأعجب من ذلك أن ينادى رجل كالعلامة المؤرخ الفقيه القاضي ابن خلدون بوجوب طبع المصحف على قواعد الرسم الحديث فى القرون الوسطى ، ثم ينكر علينا منكر أن ننادى بذلك فى عصر الذرة والكشف عن الأجرام السماوية .

ولا يسعنى قبل أن أختم هذا التعليق الا أن أكرر شكرى لمجلة الوعى الاسلامي وللسيد محمود سليم دوعر على ما قصدا اليه من تحرى الدقة فى البحث وبغية الوصول الى الحقيقة ، سدد الله أقلامنا ، وهدانا الى الصواب .

حريم المسلمين ، واستنزالهم العواتق والذرارى من المعاقل والحصون ، لا يلقون لهم ناصرا ، ولا عنهم مدافعا ، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن ، فكان ذلك بمرأى ومسمع . فليتق الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا ، وليخرج من حجة الله ، فان الله تعالى قال لنبيه : (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) والله يا أمير المؤمنين مالهم يومئذ فىء موقوف ولا ذمة تؤدى خراجا الا خاصة أموالهم . وقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (انى لأسمع بكاء الصبى فى الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه) فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين فى أيدى العدو ، يمتهنونهم ويتكشفون منهم مالا تستحله الا بنكاح ، وأنت راعى الله ، والله تعالى فوقك ، ومستوف منك « يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

فلما وصل اليه كتابه أمر بالفداء (١) .

ومن أقواله المأثورة والمشهورة . اذا أراد الله تعالى بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل (٢) .

ومن أقواله : ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات (٣) .

جرأته فى الحق

ان اماما فى مثل صلاح الأوزاعي وعلمه واهتمامه بشؤون الأمة ، لا بد أن يكون جريئا لا يخشى فى الله لومة لائم ، وهذا مع علم راسخ ، وحجة غالبة ، وصلاح صادق ، وحرص تام على العدالة (ومن أجل هذا كان مالك يقول عن الأوزاعي : انه يصلح للامامة (٤) يعنى الخلافة) .

ومن أظهر أمثلة ذلك الواقعتان الآتيتان :

مع عم السفاح

١ ــ قال سفيان الثورى: يا أبا عمرو ، حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي عم السفاح فقال : لما قدم الشام فقتل بنى أمية وجلس يوما على سريره ، دعا أصحابه أربعة أصناف ، صنف بالسيوف المسللة ، وصنف معهم الجزرة ، وصنف معهم الأعمدة ، وصنف معهم الكافر كوب (٥) ، ثم بعث الي ، فلما صرت الى الباب أنزلوني عن دابتي ، وأخذ اثنان بعضدى ، وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي ، فقال لي : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ؟ قلت نعم أصلح الله الأمير ، قال : ما تقول فى دماء بني أمية ؟ قلت : قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن يثقوا بها . قال : ويحك ، اجعلني واياهم لا عهد بيننا . فأجهشت نفسي وكرهت القتل ، فذكرت مقامي بين يدى الله فلفظتها ، فقلت : دماؤهم عليك حرام . فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه .

فقال لي : ويحك ؟ ولم ؟ .

قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم الا

---

(١) محاسن المساعى ــ ص ١٢١ ــ ١٢٣ .
(٢) محاسن المساعى ــ ص ٧٦ .
(٣) محاسن المساعى ــ ص ٤١ .
(٤) محاسن المساعى ــ ص ١٠ .
(٥) آلة من آلات الضرب .

باحدى ثلاث . ثيب زان ، ونفس بنفس وتارك لدينه) .

قال : ويحك ، أو ليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت : كيف ذاك ؟ .

قال : **أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي ؟** .

قلت : لو أوصى له لما حكم الحكمين . فسكت وقد أجتمع غضبا ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدى . فقال بيده هكذا : أومى أن أخرجوه ، فخرجت ، فما ابتعدت حتى لحقني فارس ، فنزلت وقلت : لقد بعث ليأخذ رأسي . أصلى ركعتين ، فكبرت ، فجاء وأنا أصلي ، فسلم وقال : ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير . قال ففرقتها قبل أن أدخل بيتى (١) .

مع المنصور

٢ — روى الحافظ أبو نعيم .. قال حدثني الأوزاعي قال : بعث الي أبو جعفر أمير المؤمنين وأنا بالساحل ، فأتيته ، فلما وصلت **اليه سلمت عليه فرد علي** السلام واستجلسني ، ثم قال :

ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ .

قلت : وما الذى يريده أمير المؤمنين ؟

قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

قلت : انظر لا تجهل شيئا مما أقول .

قال : وكيف لا أجهله وأنا أسأل عنه ، وقد وجهت فيه رأيك ، واقدمتك له ؟ .

قلت : ان تسمعه لا تعمل به ، قال : فصاح بي الربيع وأهوى بيده الى السيف ، فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لا عقوبة . فطابت نفسي وانبسطت فى الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين . حدثني مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة عليه من الله تعالى ، ليزداد بها اثما ، ويزداد الله عليه بها سخطا) ، يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة) . يا أمير المؤمنين ، ان الذى لين لك قلوب هذه الأمة حتى ولاكم أمورهم لقرابتكم من نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا نفسه بهم فى ذات يده ، وانك عند الناس لحقيق أن تقوم فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط فيهم قائما ، ولعوراتهم ساترا ، لم تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولم تقم عليك دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

يا أمير المؤمنين ، قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم — أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وكافرهم ، فكل له عليك نصيبه من العدل ، فكيف اذا اتبعك منهم فئام (٢) وراءهم فئام ليس فيهم احد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه ؟ .

يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن عروة بن دويم قال : كانت بيد النبي صلى الله عليه وسلم جريدة يتسلك (٣) بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل

---

(١) محاسن المساعى — ص ٤٢ و ٤٣ .
(٢) الفئام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه . (٣) تسلك فعل مطاوع سلك .

عليه السلام فقال : (يا محمد هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبا) .

فكيف بمن شق أبشارهم ، وسفك دماءهم ، وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم ، وغيبهم بالخوف منه ؟ .

يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه حين خدش أعرابيا خدشا لم يتعمده ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا) ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال : (اقتص مني) فقال الأعرابي : قد أحللتك بأبي أنت وأمي ، ما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أبت علي نفسي ، فدعا له بخير .

وعلى هذا الفرار استمر في نصحه ، فخوفه الله تعالى والنار ، وذكره بزوال الملك ، والحساب على الصغيرة والكبيرة ، وعظم له تبعة الملك ، وعطفه على الرعية ... الى أن نهض فقال الخليفة : الى أين ؟ فقلت الى البلد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى ، فقال : قد أذنت لك ، وشكرت لك نصيحتك ، وقبلتها بقبول حسن ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين ، وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل ، فلا تخلني من مطالعتك اياى بمثل هذا ، فانك المقبول غير المتهم في النصيحة ، قلت : أفعل ان شاء الله تعالى . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه ، فلم يقبله .

وقال : أنا في غنى ، وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا ولا بكلها . وعرف المنصور مذهبه فلم يَجِد عليه في رده (١) .

وفاته ورثاؤه

توفي هذا الامام الذى أدهش الناس وكان قدوة لهم خلقا وعلما وصلاحا وجهادا وأدبا عام ١٥٧ هـ (٧٧٣م)(٢)ولم يخلف الا ستة دنانير فضلت عن عطائه (٣) .

ومن رثاه الأديب النسيب الفاضل عبد اللطيف الباسوفي فقال :

ضاق الفؤاد بما يغشى من الكرب
مذ مات شيخ التقى والعلم والأدب(٤)

ورثاه بعضهم بقوله :

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبرا تضمن لحده الأوزاعي
قبر تضمن فيه طود شريعة
سقيا له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا
عنها بزهد أيما اقلاع (٥)

---

(١) محاسن المساعى — ص ١٢٢ — ١٢٧ ثم ١٣٤ — ١٣٦ اذ لخصنا القسم المحذوف تلخيصا .
(٢) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي — ج ٢ — ص ٥٠٢ .
(٣) محاسن المساعى — ص ٤٤٥ .
(٤) محاسن المساعى — ص ١٦٤ .
(٥) محاسن المساعى — ص ٢٦ .

« اثوعى الاسلامي » وقبره الآن بلبنان في محلة عرفت بمحلة الاوزاعى متصلة ببيروت جنوبا على شاطىء البحر وعلى الطريق بين بيروت وصيدا .

الفتاوى

في الرضاع

السؤال : ـ

امرأة أرضعت ولدى ـ ولهذه المرأة بنت ـ فهل يجوز لي شرعا زواج هذه البنت ؟ .

م . ن ـ الكويت

الاجابة : ـ

الرضاع يوجب التحريم حرمة مؤبدة شرعا ـ وهو ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم ... وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاع » وقال عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » ويشترط فى الرضاع المحرم أن يكون فى سن الارضاع كما يشترط الا يقل عن خمس رضعات متفرقات على ما ذهب اليه الامام الشافعى .

وهذه البنت تعتبر أختا لولدك من الرضاع اذا كان الرضاع مستوفيا شرائطه . ولكن العلماء استثنوا حالات لا يحرم فيها الزواج بسبب الرضاعة لانعدام العلاقة التي هي سبب التحريم فى النسب وهي الجزئية ، ومن هذه الحالات ما ذكر فى الشرح الكبير ص ٥٠٤ ج ٢ . أم أخيك وأختك (٢) أم ولد ولدك (٣) جدة ولدك (٤) أخت ولدك (٥) أم عمك وعمتك (٦) أم خالك وخالتك .

وبما أن البنت التي تريد الزواج منها هي أخت لولدك رضاعا فيجوز لك الزواج منها لانعدام سبب التحريم بسبب الرضاع ، ولو كانت أختا لولدك من النسب لما صح لك زواجها لأنها اما بنتك وهى محرمة عليك او بنت زوجتك من آخر وهي أيضا محرمة . اذ القاعدة الشرعية مجرد العقد على البنات يحرم الامهات ، والدخول بالامهات يحرم البنات .

لذلك

نفتيك بأنه لا مانع شرعا من زواجك بأخت ولدك من الرضاع لانعدام سبب التحريم .

في الميراث والوصية

السؤال : ـ

١ ـ توفى رجل وترك أختا شقيقة ، وأختا لأب ، وأبناء أبناء أعمام أشقاء فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب الورثة ؟

٢ ـ أوصى رجل بثلث ماله لأجنبي ، ثم توفى الموصي ، ويريد أخوته صرف الثلث الموصى به لدار الايتام لصرفه على المساجد ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

فلاح قاسم ـ خطيب مسجد قصر نايف الكويت

الاجابة عن السؤال الأول :

توزع تركة المتوفى على النحو الآتى :

١ ـ النصف لأخته الشقيقة فرضا .

٢ ـ السدس لأخته لأبيه تكملة للثلثين .

٣ ـ الباقي وهو الثلث للذكر من أبناء أبناء الأعمام الأشقاء بالتساوى بينهم بشرط أن يكونوا فى درجة واحدة .

الاجابة عن السؤال الثاني :

الوصية شرعا تصرف فى التركة يضاف الى ما بعد الموت ، وهي جائزة فى حدود الثلث للأجنبي وان لم يجزها الورثة لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث أموالكم فى آخر أعماركم ، فضعوها حيث شئتم » .

وبما أن المتوفى أوصى حال حياته لأجنبى بثلث ماله ، فهذه الوصية جائزة شرعا ، وبوفاة الموصى ينتقل ملك الثلث الموصى به الى الموصى له ، ولا يجوز لأخوات الموصى التغيير فى الوصية ، بأى حال من الأحوال .

السؤال : ـ

١ ـ توفيت ابنتي عن زوجها ، ووالدها (أنا) وأمها (زوجتي) وثلاثة أخوة أشقاء ذكور وأختين شقيقتين .

٢ ـ ثم توفيت زوجتي (والدة ابنتي المتوفاة) عنى أنا زوجها وأولادها الخمسة المذكورين فأرجو بيان نصيب كل وارث فى السؤالين ؟ .

أحمد علي ـ الكويت

الاجابة : ـ

١ ـ توزع تركة البنت المتوفاة على النحو الآتى :

١ ـ لزوجها النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث قال تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد » .

٢ ـ ولأمها السدس فرضا لوجود جمع من الأخوة حجبت بهم حجب نقصان من الثلث الى السدس . قال تعالى « فان كان له أخوة فلامه السدس » .

٣ ـ ولوالدها الباقي وهو الثلث ، ولا شيء للأخوة لأنهم محجوبون بالاب .

٢ ـ توزع تركة الزوجة المتوفاة على الوجه الآتى :

١ ـ لزوجها الربع فرضا قال تعالى « فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » .

٢ ـ لأولادها الخمسة الباقي وهو ثلاثة أرباع التركة للذكر مثل حظ الانثيين .

المحلل

السؤال : ـ

طلقت زوجتي ثلاث طلقات ، ولما أردت الرجوع اليها قالوا : لا تحل لك حتى تنكح زوجا آخر ، وقد تقدم أحد أصدقائي للزواج منها ، ووعد بتطليقها بعد دخوله عليها ، لأتزوجها من بعده ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

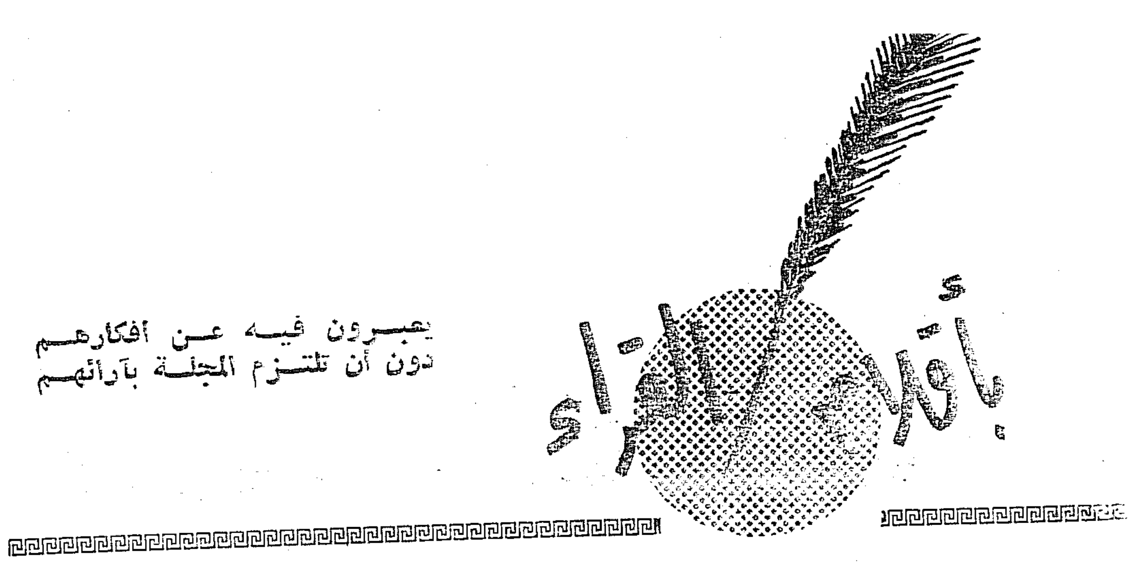
حسن الكرخى
العراق ـ الموصل

الاجابة : ـ

قال تعالى فى سورة البقرة . (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) ثم قال سبحانه بعد ذلك فى الآية ٢٣٠ من السورة نفسها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

ومعنى هذا أن الانسان اذا طلق امرأته طلقة ثالثة بعد طلقتين سابقتين لا يحل له ان يعاشرها حتى تتزوج بغيره زواجا شرعيا ، وشرط صحة الزواج أن يقصد به الدوام والاستمرار .

وهذا الذى تقدم للزواج من زوجتك السابقة لم يقصد بزواجه منها الدوام والاستمرار ، وانما قصد به ان يحللها لك ، وزواج التحليل منهى عنه شرعا قال صلى الله عليه وسلم (لعن الله المحلل والمحلل له ـ ألا أخبركم بالتيس المستعار . قالوا بلى يا رسول الله . قال هذا المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له) وروى عن عمر بن الخطاب انه قال : لا أوتى بمحلل، ولا محلل له الا رجمتهما . وقد أفتى الامام ابن تيمية بتحريم نكاح المحلل ، وبه نفتيك .



الاسلام والحياة

كتب الأستاذ عدنان سعد الدين من دبى تحت هذا العنوان مقالا نقتطف منه ما يلى :

لقد تعرض الاسلام ـ شأنه شأن الاديان التى سبقته والنظريات التى اعتقته ـ للهجوم والنقد والدحض بمختلف الطرق والأساليب ، ومع ذلك ظل ثابتا كالطود ، وشامخا كالشم الراسيات قادرا على قبول جميع التحديات الحضارية والمذهبية ، مدللا على انه وحده محط آمال شعوب الأرض قاطبة، وقد حاول خصومه دحضه بالأسلوب نفسه الذى اتخذه خصوم المسيحية في أوربا مستهدفين عزله عن شؤون الحياة وحصره بعيدا عن كل التحولات الاجتماعية وحياة الناس ، ولكن جميع البراهين والأدلة التى حشدها هؤلاء كانت تأتي بنتائج عكسية على غير ما يروم أصحابها .

فالقياس الذى استندوا اليـه فى تشبيه التاريخ العقائدى فى أوربا بمثله فى البلاد العربية والاسلامية قياس خاطىء يفتقر الى التجانس والتقابل بين وجهى الشبه .

فاذا كان تاريخ أوربا العقائدى وتطوره الحضارى قد سار الى طريق الفصل بين كل ما هو زمنى وما هو دينى او ما هو مادى وما هو روحى ، واذا كانت غاية ذلك اقتصاب فترة التنظيم الاجتماعى عن الدين فان هذه النتيجة لا تتواءم مطلقا وطبيعة كياننا الحضارى فى اندماجه مع الاسلام من ناحية ، ومن التوافق المتين ما بين التنظيم الاجتماعى والاعتبارات الروحية من جهة أخرى .

وبمعنى آخر اذا كان الدين قد انفصل عن الدولة فى الحضارة الاوروبية ، وتأكد هذا الانفصال فى كثير من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية ، كما دعم تاريخيا فى الثورتين الفرنسية والبلشفية ، فليس لهذا الانفصال محل فى الحضارة العربية التى ما كانت لترى الوجود لو لم تعرف الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد بالنصوص والتفاسير فهذا اكبر من التدليل عليه وانما نعرض لرأى أحد المفكرين الغربيين السيد ((ك.سميث)) فى كتابه الاسلام فى العالم الحديث حيث يقول :

لا ينظـر الاسلام الى التصرفات الفردية على أنها تصرفات وقتية ، وانما هو يعلم أن لكل حركة يتحركها الانسان دلالتين فى آن واحد احداهما عارضة فى هذا العالم الدنيوى الزائل ، والأخرى خالدة فى العالم الباقى حيث يسأل كل فرد يوم الحساب عن نصيبه الشخصى فيها ، أما التصرفات الجماعية فانها تمثل أكثر المحاولات الجدية اصرارا فى سبيل تحقيق عدالة اجتماعية فى الأرض .

ولئن اعتقد المسلمون أن الحياة الآخرة أهم من الحياة الدنيا ، الا انهم اعتقدوا فى ذات الوقت انه لا يجوز أن يجرفهم مجرى التاريخ الى غير غاية ، وانه لا يكون لهذا التاريخ معنى الا بقدر ما يتحقق فيه الكمال الانسانى فى هذا العالم ، ولهذا السبب يصر المسلمون على التسامى فى كل خطوة يخطوها المسلمون فى العملية التاريخية وفى هذا ضمان ان لا ينحرف الانسان خلال سيره فى التاريخ أمام ما يحققه من تقدم ، وهذا طبع التاريخ الاسلامى بسمات خاصة ومميزة ، لقد سعى المسلمون داخل هذا التاريخ الى نوع

من المجتمع يكون مناسبا للفرد وللجماعة فى حياتهم الزمنية ، وان يكون صالحا فى نفس الوقت لأن يهيئهم لحياة الخلد فى العالم الآخر وذلك بالتزام الحق وطريق الاستقامة .

اللقاء الأول بين مالك والشافعى

وأرسل السيد آدم الفضل من بور سودان كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

وصل الى الامام الشافعى وهو بمكة يفتي ويحدث خبر امام المدينة مالك بن أنس ، فعزم الشافعى على الرحلة الى المدينة لمقابلة امامها والجلوس بين يديه للدرس والتعلم ، وأخذ كتاب توصية من والى مكة الى والى المدينة ليسهل له لقاء مالك ، ويقص علينا الشافعى نبأ الرحلة والكتاب واللقاء فيقول :

دخلت على والى مكة ، وأخذت كتابه الى والى المدينة ، وقدمت المدينة ، وأبلغت الكتاب الى الوالى فلما قرأه قال : ان أمشى من جوف المدينة الى جوف مكة حافيا راجلا ، أهون على من المشى الى باب مالك بن أنس فلست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقلت : أصلح الله الأمير ، ان رأى الأمير أن يوجه اليه ليحضره ، فقال هيهات ، ليت انى اذا ركبت اليه أنا ومن معى ، وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا ، قال الشافعى : فوالله لكان كما قال ، لقد سرنا الى مالك ، وأصابنا من تراب العقيق حتى وصلنا الى بابه ، وقرع الأمير الباب فخرجت الينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير : قولى لمولاك انى بالباب فدخلت فأبطأت ، ثم خرجت فقالت ان مولاى يقرئك السلام ، ويقول لك : ان كانت لك مسألة ، فارفعها فى رقعة يخرج أليك الجواب ، وان كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولى له ان معى كتاب والى مكة اليه فى حاجة مهمة ، فدخلت وخرجت وفى يدها كرسى ، فوضعته ، ثم اذا انا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار ، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس ، فرفع اليه الوالى الكتاب ، فقرأه حتى بلغ الى هذه الفقرة منه (وان هذا رجل من أمره وحاله ، فتحدثه ، وتفعل وتصنع ..) ، فرمى مالك بالكتاب من يده ، وقال : سبحان الله !! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ، فرأيت الوالى قد تهيب أن يكلمه ، فتقدمت اليه ، وقلت : أصلحك الله . انى رجل مطلبى من حالى وقصتى كذا وكذا ، فلما سمع كلامى نظر الى ، وكان لمالك فراسة ، فقال ما اسمك) قلت : محمد . فقال : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى، فانه سيكون لك شأن من الشأن . ان الله قد القى فى قلبك نورا ، فلا تطفئه بالمعصية ، اذا كان الغد تجيء .

وجاء الشافعى فى اليوم التالى ومعه كتاب الموطأ ، ليقرأه على مالك ، فابتدأ يقرأه ، فأعجب مالك بحسن قراءته ، فكان الشافعى كلما تهيب الاستمرار فى القراءة ، يقول له مالك : زد يا فتى ، ولذلك أتم الشافعى قراءته على مالك فى أيام يسيرة .

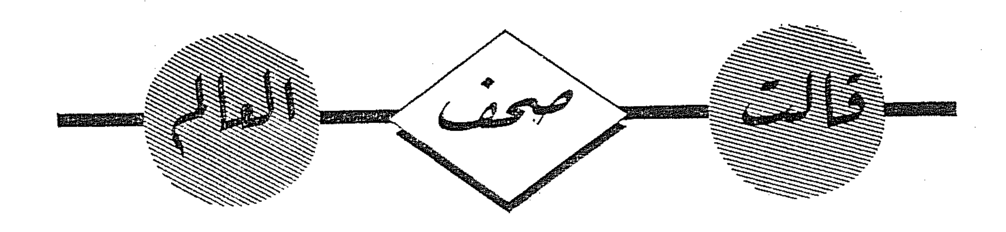
وهكذا كان حرص المتعلمين على العلم وجهادهم فى سبيل تحصيله، كما كانت عزة العلماء وكرامتهم.

الخط

وأرسل الأستاذ عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن الخطاط بمراقبة التخطيط والمتابعة بمحافظة القاهرة قصيدة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الخط مما انتجته نهى البشر
ماذا يكون الحال لو لم يخترع
العلم تحفظه الخطوط وليس يحـ
الخط حصن للحضارة شامخ ،
والدين خص على الكتابة أهله
خير التراث تراثنا يا قومنا
ما للخطوط تأخرت فى عصرنا !
الغرب يفخر بالقليل فكيف لا
دينا نعد للخط سابق مجده
والفضل للاسلام فى تجويده

بل انه حصن له فيه استتر
خط ؟ أتحتفظ المدارك بالأثر ؟ ! !
ـفظها سواها فى القواعد والصور
وظهوره بدءا قديما فى الحضر
فالخط أمر من قديم ذو خطر
ولتسألوا ـ ان شئتموا ـ من قد خبر
والخط للعرب الأماجد مفتخر
نهتم بالماضى ولا بالمبتكر
فالخط كنز للعروبة مدخر
ان المهيمن بالاجادة قد أمر



مكافحة الامية فى الاسلام

تحت هذا العنوان طالعنا الملحق الدينى لصحيفةالجمهورية القاهرية بمقال جاء فيه :

لقد كانت دعوة الاسلام التى بشر بها محمد عليه الصلاة والسلام فى القرن السابع الميلادى : ثورة اجتماعية شاملة بأجلى معانيها ، قصد بها المشرع الحكيم أن يربط الارض برسالة السماء من طريق صلاح النفس وصلاح المجتمع ، ولا يتأتى صلاح النفس وصلاح المجتمع الا عن طريق العلم .. فالعلم هو السبيل الى تحرير العقل البشرى وتطهيره من رواسب الجهل وزيف الباطل وخداع الاوهام والاساطير، وتيسير أمره للاهتداء الى الحق ، وتهذيب النفس حتى تصبح طاقة قوية قادرة على المساهمة فى اصلاح المجتمع بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

كان الاسلام ثورة على الجاهلية التى قامت على الشرك بالله ، والاضرار بالناس ، وكان من مظاهر الجهالة التى ضربت أطنابها ، ونشرت ظلماتها فى ربوع قريش أن الكثرة الغالبة من العرب كانت محرومة من معرفة القراءة والكتابة ، فكانت هذه المعرفة قاصرة على قلة قليلة من قريش وردت أسماؤهم فى التاريخ على سبيل الحصر ، منهم الخلفاء الراشدون عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وأربعة عشر رجلا غيرهم .

وكانت أول دعوة الاسلام للناس دعوة الى تعلم القراءة ، وهى دعوة ثورية جديدة على العرب ، مفزاها أن الانسان يشرف ويكرم حين يقرأ ويتعلم ويكتب بالقلم ، فليست قيمته فى هيئته وصورته ، ولا فى بأسه وقوته ، ولكن فى علمه .. فالذى يستحق به أن يكون خليفة الله فى الارض هو اكتسابه العلم .

ولما كانت القراءة والكتابة هى أولى درجات العلم، فقد بدأ الاسلام بالحث على العلم من طريق تعلم القراءة والكتابة ، وكان أسلوبه ثوريا بالقول وبالفعل، فبالقول نزلت الآيات تذكر القراءة فى مستهلها ، وتدعو بقوة الى العلم وتمجد العلماء ، وحث عليه الصلاة والسلام فى مواضع كثيرة من أحاديثه على طلب العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ..وبالفعل اتخذ محمد عليه الصلاة والسلام بشأن تعليم القراءة والكتابة موقفا يعبر عنه بلغة العصر بأنه موقف قيادى يستهدف التعبئة والتجنيد وحشد الجهود ، فالقائد هو الذى يتخذ جميع الاجراءات المشروعة الكفيلة بحل المشكلات الاساسية ، مثل مشكلة الأمية ولو كان هذا الاجراء سياسيا أو حربيا ،لان مثل هذه المشكلة لا تقل فى آثارها عن خطر حال يهدد كيان الدولة .

ويتجلى هذا الأسلوب فيما اتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد غزوة بدر الكبرى ، فلقد عرض على أسرى المشركين اطلاق سراح من يفتدى منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .. فالأسير يشترى نفسه بثمن يتكافأ مع تحريره وضمان حياته ، وهو أن يمحو أمية عشرة من الجيل الصاعد للمسلمين الذى سينهض بمسئولياته فى المرحلة المقبلة من تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفى ذلك احياء لنفوسهم ، لان الجهل هو الموت المعنوى ..ولكى تحرر دولة عليك أن تحرر الانفس من عبودية الجهالة وتضىء بصيرتها بنور المعرفة حتى يصبح أهلها أعضاء صالحين فى جسد المجتمع أشداء على الأعداء ، رحماء بينهم ففى هذا الصنيع حكمة سامية ،تدل على القيمة الكبيرة التى رفع النبى صلى الله عليه وسلم اليها منزلة تعليم القراءة والكتابة ، حتى جعلها بمثابة فدية للنفس ، فالتعليم أكثر جدوى من المال وأولى بالطلب من الثار .

أهداف التشريع الاسلامي

وتحت هذا العنوان كتب الدكتور وهبه الزحيلي في مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا جاء فيه :
ثبت بالاستقراء والتتبع أن الاحكام الشرعية كلهاشرعت لتحقيق مصالح البشر ، اما لجلب المنفعة لهم أو لدفع المفسدة والضرر عنهم بدليل قوله تعالى ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) وقوله سبحانه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وهذه الرحمة ظاهرة في أحكام الاسلام كاباحة الفطر في رمضان للمسافر والمريض .وحكمة ذلك دفع المشقة عنهما ، وكاستحقاق الشفعة للشريك والجار لدفع الضرر عنهما ، وكايجاب الصلاة للنهي عن الفحشاء والمنكر ، وكتشريع الجهاد لرد العدوان ودفع الظلم ، وكفرض الزكاة لصيانة المال وسد حاجة أبناء المجتمع ودعم التضامن بين الافراد . وهكذا لم نجد حكما شرعيا الا وكان الباعث عليه هو رعاية المصالح ودرء المفاسد . ولكن ينبغي الانتباه الى أن معيار المصلحة والمفسدة هو ما يقرره الشارع الحكيم ، وليس بحسب ما يتخيله الناس بحسب أهوائهم وأغراضهم ، فان الناس يهدفون دائما الى مراعاة مصالحهم الخاصة ونبذ اعتبارات المصالح العامة ، أو بتعبير آخر مصلحة الانسان العام ، فاذا اقام التشريع وفقا لمعايير الناس انقلبت الاوضاع وعم الفساد وساءت الحال ، بل وتأثرت المصالح الخاصة نفسها بذلك ، فكان من رحمة الله بالناس في التشريع أن قصد حفظ التوازن بين مصالح المجتمع ومصالح الفرد حتى ولو أهدرت مصلحة الفرد أحيانا ، وفي ذلك الخير كله .

.... أمة تنتحر !

ونشرت صحيفة الشعب البيروتية تقول :
والعنوان ليس من عندنا بل هو للكاتب البريطاني المعروف (آرثر كوستلر) أطلقه على كتاب له أخرجه حديثا ووصف فيه الحياة المذهلة التي يعيشها شعبه اليوم .
ففي ميدان الجريمة ، اجتاحت انكلترا أخيرا موجة الاجرام الطاغي ، وأعقبتها سلسلة من حوادث السطو المحبوكة على البنوك ومحال المجوهرات ، ومكاتب البريد ، وقوافله ، ومحطات السكك الحديدية . وفي كل هذه الحوادث كان البوليس موضعا للعدوان بالضرب والقتل .
وانتشر (وباء التخريب) . دون هدف وفي عام واحد خربت أجهزة مائة ألف تليفون عمومي وراح ضحية ذلك كثيرون ممن كانت حالتهم تستدعي الاسعاف ، ولكن تخريب وسائل المواصلات حال دون اسعافهم وكذلك في حالات الحرائق .
وأصدرت مصلحة السكك الحديدية بيانا هذا العام قالت فيه انها تخسر سنويا ملايين الجنيهات بسبب التخريب ، واصطدام القطارات وضياع الأرواح ، بسبب وضع أجسام غريبة على القضبان .
وارتفعت نسب الجرائم الجسيمة الى ٣ أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٣٨ — أى قبل الحرب العالمية الثانية ، وزادت جرائم العنف ثمانية أضعاف وجرائم الاحداث ٢٢ ضعفا ، وزادت فرصة الهرب للصوص المنازل بنسبة ٦ — الى واحد !
وفسر العلماء النزعة الى تخريب المنشآت بالملل من الحياة ، والسخط العام !
وقال المعلقون في الصحف البريطانية ان السطو على ممتلكات الغير ، طريقة مستحدثة لتوزيع الثروة !
وفي ميدان الفضائح ، يتزاحم الانجليز اليوم على متابعة التفاصيل المثيرة عن جرائم الجنس ويتهافتون على شراء ما يكتب عنها .
وفسر المعلقون البريطانيون ذلك بأن الانجليز يتحررون من عقدهم عن طريق الفضائح .
ومن الظواهر الجديدة في انكلترا اليوم الخلط بين ثياب النساء والرجال ، وبلغ من أمر ذلك أن شابا طويل الشعر ، مجعده أغمى عليه بسبب حادث طريق ،فنقل الى المستشفى وأدخل قسم النساء خطأ !
وشكا موظفو ادارة حمام السباحة المعروف(هامبستيد) من أنهم باتوا عاجزين عن تمييز الفتيات من الشبان حتى يدخلوا كل فريق الى كبائنه الخاصة.
ثم ماذا عن فرق الغناء والموسيقى وليست قاصرة على ((البيتلز)) (الخنافس) كما هو شائع . بل هناك عشرات الفرق التي اتخذت لها أسماء عجيبة مثل : فرقة الحيوانات ، والصخور ، والتويست ، والترومبى . والروكر . والبيتيك... الخ .



القوانين وحدها لا تكفى فى ردع المنحرفين

ان رمضان المبارك على الابواب ، وواجب المسلمين أن يصوموه ، ويحترموه ، وإذا لم يقوموا باحترامه ، فيجب على ولى الامر أن يردعهم بالقوة .. وما رأيك فى أن حرمة رمضان تنتهك جهارا نهارا، فبعض الناس يفطرون ، ويدخنون بكل وقاحة أمام الناس وتحت نظر المسئولين، وهذا يسبب الضيق للمتمسكين بفضيلة الصوم .

فلماذا لا تطالب مجلتكم الغراء ، وهى مجلة اسلامية تقوم بنشر الوعى الاسلامى بين الناس . لماذا لا تطالبون بسن قوانين تحول دون انتهاك هؤلاء المجاهرين بالفطر لحرمة هذا الشهر .

المحب لدين الله
عبد الله المحتاج الى الله ـ الكويت

جميع الدوائر الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة فى الاقطار الاسلامية تصدر فى غرة رمضان من كل عام تعليمات وأوامر مشددة للعاملين فيها بوجوب مراعاة حرمة هذا الشهر الكريم . وتقوم من جانبها باغلاق جميع المقاصف والمشارب فى مبانيها : وتشدد فى منع تقديم المشروبات لكائن من كان داخل مكاتبها ومصالحها طيلة هذا الشهر الكريم ، كما تحظر اقامة المآدب الرسمية فى نهاره سواء فى بلادها ، أو فى سفاراتها فى الخارج ، وبعض الدول الاسلامية تأخذ بالشدة المجاهرين بالفطر ، فتقبض عليهم ، وتحتجزهم فى السجون حتى ينتهى شهر الصوم ، وعدد قليل من أصحاب المطاعم والمشارب يغلقون أبواب حوانيتهم فى نهار رمضان ، وعلى الرغم من هذه الاوامر والتعليمات والتقاليد الاسلامية الاصيلة فانا نشهد فى نهار رمضان أفواجا من المسلمين القادرين على الصوم يأكلون ويشربون ويدخنون ، ولا يتوارون عن العيون ، ولا يستحون من الله .

وما أظن أن القوانين التى تطالب بسنها لهؤلاء المجاهرين بالفطر كافية وحدها لردعهم وزجرهم ، فكم من الجرائم ترتكب مع وجود التشريعات التى تقضى بأقسى العقوبات على مرتكبيها ، وما قانون العقاب على الاتجار فى المخدرات وتعاطيها المنفذ فى بعض البلاد العربية ببعيد ، فهذا القانون يقضى بالسجن المؤبد عليهم ، ومع هذا فان هذه العقوبة الشديدة لم تستأصل شأفة الغاوين الضالين .

وليس معنى هذا أن نسقط من حسابنا أثر القوانين فى تقويم المعوج ، وردع المنحرف ، أو اننا لا نطالب بأخذ المفطرين بالشدة ، ولكننا نحمل أنفسنا ـ نحن الرأى العام المسلم ـ تبعة تمادى هؤلاء المستهترين فى جرأتهم على الله وتحديهم لشعور الصائمين وذلك لاننا نعينهم على المعصية بسكوتنا عليهم ، بل أكثر من هذا اننا نجاملهم ونصادقهم ولا نجابههم بالامتعاض والاستياء من مسلكهم الشائن ، واستخفافهم بشعور الصائمين ، وقد أدت هذه السلبية من جانبنا الى انهم أصبحوا لا يشعرون بخجل ، ولا حياء وهم يتناولون المفطرات أمام أعين الناس ، بينما نجد شارب الخمر يتوارى عن الاعين عند الشراب ، ويستنكف أن يراه الناس وهو يشرب ، لانه يحس فى أعماق نفسه أن المجتمع الذى يعيش فيه لا يقره على هذه المغالطة ،

والمجاهرة . فالرأى العام اليقظ يفرض الحصـــار ،ويضيق الخناق على الخارجين على مثله وقيمه ، وعقائده وتقاليده ، والاسلام يفرض على كل فرد فى المجتمع أن يقوم بواجبه فى تطهير البيئة التى يعيش فيها من الرذائل ، ويعمل جهده على اشاعة الفضائلبين ظهرانيها ، ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وســـلم قال ((ان اللــه يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن)) وقــال ((من رآى منكم منكرا فليغيره)) وقال ((أفضل الاعمال الحب فىالله والبغض فىالله)).

لماذا يختلف استعداد الناس للنوم

اطلعت على مقالالنوم والصحة المنشور فى العدد السابع عشر للدكتور أحمد شوكت الشطى وجاء فيه :

أن من الناس من ينام بسرعة ، فيغطفى النوم عقب اضطجاعه ، ومنهم من لا ينام الا بعد تقلب طويل فى الفراش ، ومنهم من ينام فى الضجيج والنور . وانى رأيت عدة أشخاص يقصون على أنهم ينامون بمجرد اطلاعهم على كتب أو مجرد استماعهم الى حديث طويل يلقى عليهم .

فما سبب هذا الاختلاف .

(السيد/ق.ق.ع/الجمهورية العربيـــة المتحدة ــ العباســـية)

وقد أحلنا هذه الرسالة على السيد الدكتوركاتب المقال ، فبعث الينا ــ مشكورا ــ بالرد التالى:ــ
ان لاسباب اختلاف النوم فى بعض الناس واضطرابه عوامل عديدة منها :

١ ــ الاكثار من الطعام قبل المنام ، وتناول ما ثقلمن الغذاء ، فى مائدة العشــاء .

٢ ــ الاكثار من الشاى والقهوة خاصة فى المساء .

٣ ــ هلع النفس من حزن أو هم ، وخوف أو غم .

٤ ــ تعب العقل الشديد .

ذلك غيض من فيض مما يؤثر فى النوم ، تضافاليه عوامل وراثية وخلقية تؤدى الى خفة النــوم وعدم الاستغراق فيه فان عصبي المزاج أقل نوما من لنفاوييه .

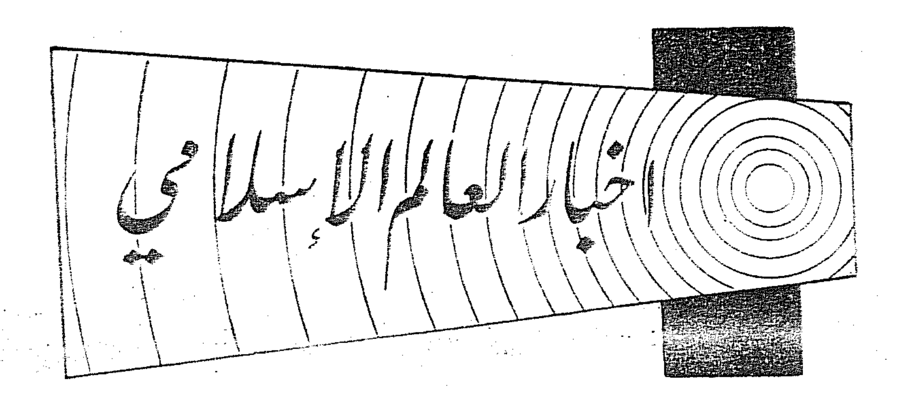
أما رؤيتكم أشخاصا ينامون بمجرد اطلاعهم عــلىكتاب فيرجع الى تثبيت نظر القارىء مع استرخاء عضلاته استعدادا للنوم ، وكذلك يؤدى الاستماع الىحديث طويل غير مزعج لانه أى الحديث يبعد عـن السامع ما يشغل فكره ، ويلابس خاطره ، فيستسلمللنوم .

أما الانسان الذى ينام بسرعة فيغط فى النوم عقباضطجاعه فهو عادة صحيح الجسم ، معتدل الاكل ، متزن العقل ، مرتاح الضمير ، سليم الفكر ، ناعــم البال ، غير معرض للبلبال ، وقد يكون ذلك فيه وليد تراث سعيد ، جاءه من أب قريب أو جد بعيد .

وفى كل حال ، ان الرياضة وتفريغ الأمــعاء فىالمساء ، وتخفيف العشاء ، والاكتفاء فيــه بأغذيــة نباتية، وألوان لبنية ــ لبن ومشتقاته ــ والاستعاضة عن شربالشاى بالبابونج والزيزفون وماء الزهر ورفع الرأس بمخدة اضافية عند النوم وهدوء الجسموالفكر ، عوامل جالبة لنوم هادىء مكافحة للارق واضطراب النوم .

وفى الغرب زعم لا أومن به يقول : ان التفكه بالتفاح جالب للنوم حتى الصباح .

هذا ولا بد لى قبل انهاء هذه الكلمة من القول أناستعمال المرقدات ــ المنومات ــ التى كثيرا ما توصف بالبراءة غير جائز لانها كثيرة الأذى ، ومن جملة أذاهاالاعتياد عليها ، وعدم النوم الا بها . أما استعمال الأدوية الرائجة اليوم والمنعوتة بالمهدئة فجائز بينحين وحين ونافع لمن كان سبب اضطراب نومهم هلعا أو متاعب عقلية أو ثورات نفسية أرقتهم وجعلت نومهممضطربا .



الكويت

* تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم صباح السالم ١٥ رجب ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦/١٠/٢٩ بافتتاح دور الانعقاد العادى التكميلى لمجلس الامة .

* قال سمو أمير البلاد المعظم فى حديث لمجلة ((السياسة)) الكويتية : ان الديمقراطية لا يمكن أن تقوم الا على العدل والحرية والمساواة والاعتزاز بحرية الفرد والحرص على الجماعة » .

* قال سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى تصريح له : متى نشبت المعركة فلن تكون سوريا وحدها فى الميدان بل ستكون الامة العربية كلها الى جانبها .

* بدأت الدراسة بجامعة الكويت يوم السبت ١٥ أكتوبر ١٩٦٦ وذلك فى حفل كبير برئاسة سعادة السيد/خالد المسعود الفهيد وزير التربية ، وفي ٢٧ نوفمبر المقبل سيفتتحها سمو أمير البلاد المعظم رسميا فى حفل كبير دعى لشهوده عدد كبير من وزراء التربية ومديرى الجامعات فى الدول العربية وبعض الدول الاجنبية .

* أوصى المؤتمر التربوى الاول المنعقد فى الفترة بين ٨ — ١٩٦٦/١٠/١٥ أن تهتم المدارس بالتربية الدينية عن طريق الممارسة والقدوة .

* رفعت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية تقريرا الى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية التوصيات الخاصة بمعونات جمعيات منتدى المرأة المسلمة بالعراق ، والتوجيه الاسلامى بدمشق ، والدعوة الاسلامية فى جاكرتا ، وتواصل اللجنة دراساتها بشأن بعض الجمعيات الاخرى .

* غادرت الكويت الى الجزائر طائرة تحمل المعونة التى أمر بها أمير البلاد المعظم لمنكوبى الاعاصير هناك .

* تسلم الاستاذ مصطفى الزرقا رئيس قسم القانون المدنى بجامعة دمشق عمله كمشرف على تنفيذ مشروع موسوعة الفقه الاسلامى الذى تضطلع به وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة

* وجه فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر بيانا فى العيد الواحد والعشرين للأمم المتحدة اشار فيه الى أن الاسلام نادى بالحرية والاخاء والمساواة قبل أربعة عشر قرنا ، وأوجب ضرورة أن تكون لمبادىء المنظمة الدولية فعاليتها .

* ضمن مشروع تعليم الصلاة بالاسطوانة يعد المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالاشتراك مع صوت العرب ثلاثة أرباع مليون اسطوانة بالاسبانية وثلاثة أرباع مليون اسطوانة بالاردية ومثلها بلغة الهوسا وستوزع هذه الاسطوانات على المسلمين فى أسبانيا والهند وباكستان ونيجيريا .

* اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ ثلاثة ملايين جنيه هذا العام لتعمير المساجد القديمة فى داخل الجمهورية وفى لبنان وليبيا وتنزانيا والكاميرون والصومال والعراق واليمن ودول اسلامية اخرى .

* ووفق على استقدام خمسة طلاب من مسلمى كوريا الجنوبية للتعليم فى الأزهر لأول مرة .
* علم أن وفدا اسلاميا يمثل الجبهة الاسلامية فى نيجيريا والصومال سيزور الجمهورية العربية المتحدة والعراق والأردن وسوريا ولبنان . ستنظم الجامعة العربية هذه الزيارات .
* قدم الأزهر لوفد جبهة تحرير ساحل الصومال الفرنسى منحا دراسية لابناء الصومال الفرنسى .

السعودية

* طلبت المملكة العربية السعودية من الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلان جنوب افريقيا دولة استعمارية عنصرية متمردة على الأمم المتحدة .

سوريا

* يقف الشعب السورى فى حالة تأهب واستعداد لمجابهة الاعتداء الصيهونى المنتظر .. وقد بلغ عدد الذين يتدربون الان من الشعب على استعمال السلاح ١٥٠ الفا .

الأردن

* افتتح جلالة الملك الدورة الجديدة لمجلس الامة فى أواخر اكتوبر الماضى .
* تعكف الجامعة العربية على وضع دراسة عن أدب وثقافة البلاد العربية وقد طلبت من الأردن ٥٠٠ كتاب بأقلام أدباء وكتاب أردنيين .
* أعلن وكيل وزارة الداخلية أن لجنة الحج التى يترأسها ستبحث مع السلطات السعودية موضوع شراء قطعة أرض للحجاج الأردنيين .

الجزائر

* احتفلت الجزائر مع شقيقاتها العربيات بالذكرى الثانية عشرة لبدء الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٦ ثورة المليون شهيد التي انتهت باستقلال البلاد .

لبنان

* وزع مبلغ ٢٥٠ ألف ليرة من ميزانية الاسعاف الاجتماعى لمساعدة المشاريع الاجتماعية التى تقوم بها المؤسسات الخيرية .

الباكستان

* الفيلم الصهيونى « الوصايا العشر » منع عرضه فى باكستان لتضمنه حقائق مشوهة وأكاذيب لمناصرة الصهيونية .
* تم اتفاق بين الهند والباكستان على مد خط تليفونى مباشر بين رئيس أركان حرب الجيش فى كل منهما بقصد تحقيق السلام والحيلولة دون أى اشتباك .

أخبار متفرقة

جزر مالديف

صرح السيد أحمد حلمى ديدى مندوب مالديف فى الأمم المتحدة أن من مبادىء بلاده الالتزام بتعاليم الاسلام والتعايش السلمى وعدم الانحياز ، والرغبة فى اقامة علاقات صداقة مع جميع الدول على أساس هذه المبادىء .

واشنطن

قررت الجمعية الاسلامية الأمريكية بناء مركز اسلامى يطلق عليه أسم مؤسسة جنوب كاليفورنيا الاسلامية فى لوس انجلوس يضم مسجدا ومدرسة ومكتبة وعيادة طبية وقاعة للمحاضرات ، وسيعين به امام من جامعة الأزهر .

ماليزيا

تشترك ١٦ دولة اسلامية فى الحلقة الدولية الرابعة لقراءة القرآن هذا العام وينتظر أن تدعى للاشتراك فيها اندونيسيا وايران وباكستان .

واشتد حزن موسى عليه السلام ، وراح يستغرق فى صلاة عميقة ، ودعاء عريض ، مبتهلا الى الله أن يكشف عن أمر هؤلاء العصاة ! ليكون له معهم شأن ، وليرشد القوم عنهم ليخرجوهم من ديارهم ، أو يتصرفوا فى الامر بما يرون ، وبينما كان موسى فى ذلك الابتهال العميق ، والليل يتقدم ، والظلام يتكاثف كان القوم فى يقظة وهم فى عجب من الأمر ، لقد تولى عنهم النوم فلم يرحمهم برحمته وتركهم فى سهاد كئيب .

***

وهناك فى أقصى القرية .. أخذ انسان يتسمع وقع الخطى ، حتى اذا اطمأن الى أن أحدا لا يراه ، خرج الى العراء وبيده سكين ، وراح يتحدث فى نفسه فيقـول :

ويحى .. أى بلاء هذا الذى كنت سببا فى نزوله بقومى ! ؟

وأى عذاب لهم كنت أنا ناسج بردته ، وصانع كيانه ، ليس لى من تكفير عما جنت يداى الا ان أغمد هذا السكين فى أحشائي لاموت .

وهم أن يفعل ، وهم أن يغمد السكين فى قلبه ، ولكن قوة لا يعرف كنهها ومصدرها أمسكت بيمينه .. لا تمت كافرا ايها الرجل ، وسمع رجع الصدى من أعماقه يهتف به : أقم فى مكانك هذا تائبا نادما مصـليا مسـتغفرا ، وانظر ماذا يكون من أمر الغد .

***

وذهب الناس الى موسى مرة أخرى .. أيها النبي الكريم أدع لنا ربك فقد عظم بنا البلاء .

وتقدم موسى الصفوف ، وأخذ يعتلى مدارج الجبل ، والجميع من خلفه يصعدون ، وجموع النسوة والاطفال فى الانتظار الرهيب والشوق الى تحقيق الرجاء .

وتركزت الابصار فى اتجاه موسى عليه السلام ، وخشعت القلوب فى انتظار كلمات الدعاء ، وراحوا من ورائه يرددون الكلمات ويبتهلون .

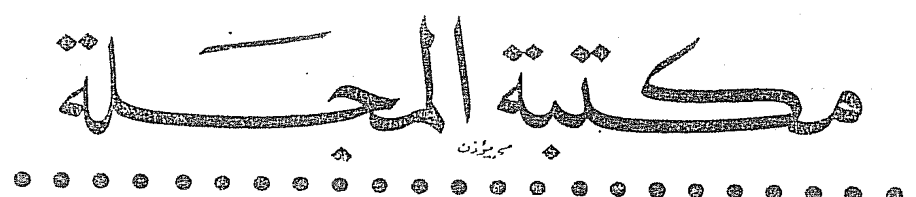
وجاءت صيحات من بعيد .. صيحات صغار رأوا غيمة شديدة تأتي مهرولة فى كبد السماء ، كأنما يسوقها سائق ، واختلط الحابل بالنابل ، وأخذ الجميع يمعنون النظر الى السماء .

وصاح آخرون .. الكرامة .. لقد بدأ الرذاذ .. واخذ الجميع يهرولون مكبرين مهللين ، لقد تفتحت أبواب السماء بسيل منهمر .

وشرب الناس وارتووا وعاودتهم الصحة ، وسعت اليهم العافية ، وأخذ كل انسان يهنىء أخاه برضوان الله ، ولما ذهب عن الناس البأس ، راحوا الى موسى ليجمعهم الى صلاة الشكر ، وسأله سائل منهم :

من هو العاصي الذى كان سبب بلوانا يا نبي الله ؟

وتبسم موسى ضاحكا ... فقد كان يعرف الجواب ، لقد توجه بهـذا السؤال الى ربه ، فكان الجواب كيف يا موسى أنهاك عن النميمة ولا أستر عليه ؟ لقد تاب وشملتكم جميعا رحمة الله ، وتفتحت لكم ابواب السماء ...



تثبيت دلائل النبـوة

لقاضى القضاة عبد الجبار بن احمـد الهمزانى وحقق الكتاب وقدم لـه الدكتـور عبد الكريـم عثمان وقامت « دار العربيـة » للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان بطبع الجزء الأول من هذا الكتاب وهو الذى أهدى للمجلة ويحتوى على ٣٩٧ صفحة وبه كثير من الموضوعات التى تتعلق بحياة النبى صلى الله عليه وسلم الاجتماعيةوالسياسية .

الغـرب والشرق الأوسط

كتاب من تأليف الأستاذ برنارد لويس رئيس قسم التاريخ فى كلية الدراسـات الافريقية والشرقية بجامعة لندن وعربه الدكتور نبيل صبحـى ويقع فى ٢٢٣ صفحة ويتناول الموضوعات الخاصة بالشرق الأوسـط من الناحية التاريخية والجغرافية والثقافية ، وكذلك الحركات السياسية والفكرية .

الاسلام فى الشرق الاقصى وصوله وانتشاره وواقعه

للدكتور قيصر أديب مخول عميد الكلية الجامعية وأستاذ الفلسفة فى جامعة الفلبـين وقام بتعريب الكتاب الدكتـور نبيل صبحى ويحتـوى الكتاب على ١٨٩ صفحة ويشتمل على نظريات فى وصول الاسلام وانتشاره فى ماليزيا من الناحية التاريخية والتجارية والسياسـية ودور الحركة الصوفية فى هذا الانتشار وبيان تأثير الثقافة الاسلامية فى جنوب الفلبين والكتاب من طباعة « دار العربية » للطباعة والنشر والتوزيع بـيروت لبنـان .

الحـب والحيـــاة

للشاعر ابراهيم محمد نجا الفائز بجائزة الشـعر الأولى من مجمـع اللغة العربية بالقاهرة والديوان يقع فى ٢٢٤ صفحـة ويحتوى على تسع وعشرين قصيدة وهو من منشورات دار الآداب بيروت ــ لبنان .

الأمثال الدارجـــة فى الكويـت

من جمع وشرح الأستاذ عبد الله آل نورى والكتاب فى جزأين يحتوى كل جزء على ٢٥٨ صفحة مـن اصدار مكتبة دار اعلام الفكر بيروت .

والمثل فى كل لغـة خلاصـة الحكمة فيها ، يتجلى فيه القول المأثور فى ايجاز ، كثيرا ما يبلغ حد الاعجاز فيسير على الألسن ويشيع بين الناس وتكاد هذه (الأمثال الدارجة) ألا تكون وقفا على الكويت بل لها نظائر أخرى فى البلاد العربية واللغات الحية الأخرى والقارىء للكتاب سيلمس هذا بنفسه حين يستعرض تلك الأمثـــال ...

بحث جديد عن القرآن الكريم

الكتاب الأول من سلسلة تاريخ الاسلام بقلم الاستاذ محمد صبيح والتى تصدرها دار الثقافة العامة وهو بحث فى (٢٠٦) صفحة يتعرض الى لغة القرآن والفاظه ومعانيه من الناحيتين البلاغية والتاريخية .

قواعد الاسلام خمس وخمس

دراسة جديدة فى أعماق الدعوة الاسلامية للأستاذ محمد صبيح أيضا وهو الكتابالثانى من سلسلة تاريخ الاسلام التى تصدر عن دار الثقافة العامة .. والكتاب طبع بالقاهرة فى (٢٠٢) صفحة عبارة عن شرح واف جديد لقـواعد الاسلام الخمس وقد أضاف المؤلف اليها خمسا أخرى هـــى : العمل وحسن المعاملة ؛ العدل والصحة ، الوســط ، الجهاد فى ســبيل الله .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســا مع متعهد التوزيع عنــدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ــ ٧ شارع الصحافــة

مكة المكرمــة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريــاض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢

جــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

بغــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب ٨٤٢

قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحــدودة

دبــى : ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ــ السيد رجا العيســى

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الســودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنــان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣

مراكــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبــيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الامام عبد الرحمن بن محمد الاوزاعي

مطبعة حكومة الكويت